

آیاصوفیه

٢٢٧

كتاب تفسير الى لابى السعود

٣٥

كسح

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم
مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان
السلطان الغازي محمود خان وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع وعلى
أكرمه الله تعالى بالرضا والحسنى حرره الفقير أحمد شيخ زاده
المفتش بأوقاف الحرمين الشريفين
غفر لهما

سبحان من ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ۰ وبين له من شعاير الشرايع كل ما جل ودق ۰ انزل عليه اظهر ايات وابهر حجج
قرانا عربيا غير ذي عوج ۰ مصدقا لما بين يديه من الكتاب ۰ ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب ۰ ناطقا بكل امر رشيد
هاديا الى صراط العزيز الحميد ۰ امرا بعبادة الصمد المعبود ۰ كتابا متشابها مثاني تقشعر منه الجلود ۰ تكاد الرواسي
بهيبته تمور ۰ ويذوب منه الحديد ويتبع صم الصخور خفيقا بان يسير به الجبال ۰ ويتيسر كل صعب محال ۰ معجز الحجم
كل مصقع من مهرة قحطان ۰ ومبكت كل مغلق من سحرة البيان ۰ بحيث لو اجتمعت الانس والجن على معارضته ومباراته
لعجزوا عن الاتيان بمثل ايه من اياته ۰ نزل عليه على فترة من الرسل ۰ ليرشد الامة الى اقوم السبل ۰ فهداهم الى الحق
وهم في ضلال مبين ۰ فاضمحل دجى الباطل وسطع نور اليقين ۰ فمن اتبع هداه ۰ فقد فاز بمناه ۰ واما من
عاند وعصاه ۰ واتخذ الهه هواه ۰ فقد هام في مرامي الردى وتردى في مهاوي الرود ۰ ومن لم يجعل الله له
نورا فما له من نور ۰ صلى الله عليه وعلى اله الاخيار ۰ وصحبه الابرار ۰ ما تناوبت الانوار ۰ وتعاقبت الظلم
والاضواء ۰ وعلى من تبعهم باحسان ۰ مدى الدهور والازمان ۰ فيقول العبد الفقير الى رحمة ربه
الهادي ۰ ابو السعود بن محمد العمادي ۰ ان الغاية القصوى من تحرير نسخة العالم ۰ وما كان حيث منها مسطورا
والحكمة الكبرى في تخمير طينة ادم ۰ ولم يكن شيا مذكورا ۰ ليست الا معرفة الصانع المجيد ۰ وعبادة البارى المبدي
المعيد ۰ ولا سبيل الى ذلك المطلب الجليل سوى الوقوف على مواقف التنزيل ۰ فانه عنوان سلطانه ۰ وبهره برهانه
وان سطر اياته قدرته في صحايف الاكوان ۰ ونصب رايات وحدته في صفايح الاعراض والاعيان ۰ وجعل كل ذرة
من ذرات العالم ۰ وكل قطرة من قطرات العيلم ۰ وكل نقطة جرى عليها قلم الابداع ۰ وكل حرف رقم في لوح الاختراع
مراة لمشاهدة جماله ۰ ومطالعة صفات كماله ۰ حجة نيرة واضحة المكنون ۰ واية بينة لقوم يعقلون ۰ برهانا جليا
لا ريب فيه ۰ ومنهاجا سويا لا يضل من ينتحيه ۰ بل ناطقا يتلو ايات ربه ۰ فهل من سامع واع ۰ ومجيبا صادقا فهل له
من داع ۰ يكلم الناس على قدر عقولهم ۰ ويرد جوابهم بحسب مقولهم ۰ يحاور تارة باوضح عبارة ۰ ويلوح اخرى
بالطف اشارة ۰ لكن الاستدلال بتلك الايات والدلايل ۰ والاستشهاد بتيك الامارات والمخايل ۰ والتنبه
لتلك الاشارات السرية ۰ والتفطن لمعاني تيك العبارات العبقرية ۰ وما في تضاعيفها من رموز اسرار
القضاء والقدر ۰ وكنوز اثار التعاجيب والعبر ۰ مما لا يطيق به عقول البشر ۰ الا بتوفيق خلاق القوى
والقدر ۰ فاذا مدار المراد ۰ ليس الا كلام رب العباد ۰ اذ هو المظهر لتفاصيل الشعاير الدينية ۰ والمفسر
لمشكلات الايات التكوينية ۰ والكاشف عن خفايا حظاير القدس ۰ والمطلع على خبايا سراير الانس ۰ وبه تكتسب
الملكات الفاخرة ۰ وبه يتوصل الى سعادة الدنيا والاخرة ۰ خلا انه ايضا من علو الشان ۰ وسمو المكان ۰ ونهاية الغموض
والاعضال ۰ وصعوبة الماخذ وعزة المنال ۰ في غاية الغايات القاصية ۰ ونهاية النهايات النائية ۰ اعز من بيض
الانوق ۰ وابعد من مناط العيوق ۰ ولا يتسنى العروج الى معارجه الرفيعة ۰ ولا يتاتى الرقي الى مدارجه المنيعة ۰ كيف
لا وانه مع كونه متضمنا لدقايق العلوم النظرية والعملية ۰ ومنطويا على رقايق الفنون الخفية والجلية ۰ حاويا لتفاصيل
الاحكام الشرعية ۰ ومحيطا بمناط الدلايل الاصلية والفرعية ۰ منبيا عن اسرار الحقايق والنعوت ۰ مخبرا باطوار الملك

والملكوت ۰ عليه يدور فلك الاوامر والنواهي ۰ واليه يستند معرفة الاشيا كما هي ۰ قد نسج على اغرب منوال وابدع
طراز ۰ واحتجبت طلعته بسبحات الاعجاز ۰ طويت حقايقه الابية عن العقول ۰ وزويت دقايقه الخفية
عن اذهان الفحول ۰ يبهر عيون العقول سبحاته ۰ ويخطف ابصار البصاير بروقه ولمعاته ۰ ولقد تصدى
لتفسير غوامض مشكلاته اساطين ايمة التفسير في كل عصر من الاعصار ۰ وتولى لتيسير عويصات معضلاته
سلاطين اسرة التقرير والتحرير في كل قطر من الاقطار ۰ فغاصوا في لججه وخاضوا في ثبجه ۰ فنظموا فرايده في
سلك التحرير ۰ وابرزوا فوايده في معرض التقرير ۰ وصنفوا كتبا جليلة الاقدار ۰ والفوا زبرا جميلة الاثار ۰ اما
المتقدمون المحققون فاقتصروا على تمهيد المعاني وتبيين المرام ۰ وترتيب الاحكام ۰ حسبما بلغهم عن سيد
الانام ۰ عليه شرايف التحية والسلام ۰ واما المتاخرون المدققون فراموا مع ذلك اظهار مزاياه الرايقة ۰ وابداء
خباياه الفايقة ۰ ليعاين الناس دلايل اعجازه ۰ ويشاهدوا شواهد فضله وامتيازه ۰ عن ساير الكتب الكريمة
الربانية ۰ والزبر العظيمة السبحانية ۰ فدونوا اسفارا بارعة ۰ جامعة لفنون المحاسن الرايعة ۰ يتضمن كل منها
فوايد شريفة ۰ تقر بها عيون الاعيان ۰ وعوايد لطيفة ۰ يتشنف بها اذان الاذهان ۰ لا سيما الكشاف
وانوار التنزيل ۰ المتفردان بالشان الجليل والنعت الجميل ۰ فان كلا منهما قد احرز قصب السبق اي احراز ۰ كانه مراة
لاجتلاء وجه الاعجاز ۰ صحايفهما مرايا الحسان ۰ وسطورهما عقود الجمان ۰ وقلايد العقيان ۰ ولقد كان في سوابق
الايام ۰ وسوالف الدهور والاعوام ۰ اوان اشتغالي بمطالعتهما وممارستهما ۰ وزمان انتصابي لمفاوضتهما ومدارستهما
يدور في خلدي على استمرار ۰ اناء الليل واطراف النهار ۰ ان انظم درر فوايدهما في سمط دقيق ۰ وارتب غرر فرايدهما
على ترتيب انيق ۰ واضيف اليهما ما الفيته في تضاعيف الكتب الفاخرة ۰ من جواهر حقايق الحقايق ۰ وصادفته
في العيالم الزاخرة ۰ من زواهر الدقايق ۰ واسلك خلالها بطريق الترصيع ۰ على نسق انيق واسلوب بديع ۰ حسبما
يقتضيه جلالة شان التنزيل ۰ ويستدعيه جزالة نظمه الجزيل ۰ ما سنح للفكر العليل ۰ بالعناية الربانية ۰ وسمح
به النظر الكليل ۰ بالهداية السبحانية ۰ من عوارف معارف تمتد اليها اعناق الهمم ۰ من كل ماهر لبيب ۰ وغرايب
رغايب ترنو اليها احداق الامم ۰ من كل نحرير اديب ۰ وتحقيقات رصينة تقيل عثرات الافهام في مداحض الافكار
وتدقيقات متينة تزيل خطرات الاوهام من خواطر الانام ۰ في معارك افكار يشتبه فيها الشؤون ۰ ومدارك
انظار يختلط فيها الظنون ۰ وابرز من وراء استار الكمون ۰ من دقايق السر المخزون ۰ في خزاين الكتاب المكنون
ما تطمين اليه النفوس وتقر به العيون ۰ من خفايا الرموز ۰ وخبايا الكنوز ۰ واهديها الى الخزانة العامرة ۰ الغامرة
للبحار الزاخرة ۰ لجناب من خصه الله تعالى بخلافة الارض ۰ واصطفاه لسلطنتها في الطول والعرض ۰ الا وهو
السلطان الاسعد الاعظم ۰ والخاقان الامجد الافخم ۰ مالك الامامة العظمى والسلطان الباهر ۰ وارث
الخلافة الكبرى كابرا عن كابر ۰ رافع رايات الدين الازهر ۰ موضح ايات الشرع الانور ۰ مرغم انوف الفراعنة
والجبابرة ۰ معفر جباه القياصرة والاكاسرة ۰ فاتح بلاد المشارق والمغارب ۰ بنصر الله العزيز وجنده الغالب
الهمام الذي شرق عزمه فانتهى الى المشرق الاسنى ۰ وغرب حتى بلغ مغرب الشمس او ادنى ۰ بخميس عرمرم متراكم الافواج
وعسكر خضم متلاطم الامواج ۰ فاصبح ما بين افقي الطلوع والغروب ۰ وما بين نقطتي الشمال والجنوب ۰ منتظما
في سلك ولايته الواسعة ۰ ومندرجا تحت ظلال رايته الرايعة ۰ فاصبحت منابر الربع المسكون ۰ مشرفة
بتذكار اسمه الميمون ۰ فيا له من ملك استوعب ملكه البر البسيط ۰ واستغرق فلكه وجه البحر المحيط ۰ فكانه
فضاء ضربت فيه خيامه ۰ ونصبت عليه الويته واعلامه ۰ مالك ممالك العالم ۰ ظل الله الظليل على كافة الامم
قاصم القياصرة وقاهر القروم ۰ سلطان العرب والعجم والروم ۰ سلطان المشرقين ۰ وخاقان الخافقين ۰ الامام
المقتدر بالقدرة الربانية ۰ والخليفة المعتز بالعزة السبحانية ۰ المفتخر بخدمة الحرمين الجليلين المعظمين
وحماية المقامين الجميلين المفخمين ۰ ناشر القوانين السلطانية ۰ عاشر الخواقين العثمانية ۰ السلطان بن السلطان

ابن السلطان السلطان سليمان ابن السلطان المظفر المنصود والخاقان الموقر المشهود صاحب المغازي
المشهورة في اقطار الامصار والفتوحات المذكورة في صحايف الاسفار السلطان سليم خان ابن السلطان
السعيد والخاقان المجيد السلطان بايزيد خان لازالت سلسلة سلطنته متسلسلة الى انتهاء سلسلة الزمان
وارواح اسلافه العظام متنزهة في روضة الرضوان وكنت اتردد في ذلك بين اقدام واحجام لقصور شاني
وعزة المرام اين الحضيض من الذرى شتان بين الثريا والثرى وهيهات اصطياد العنقا بالشبال واقتياد
الجوزا من بروج الافلاك فمضت عليه الدهور والسنون وتغيرت الاطوار وتبدلت الشئون فابتليت
بمصالح العباد برهة في قضاء البلاد واخرى في قضاء العساكر والاجناد فحال بيني وبين ما كنت احال
تراكم المهمات وتزاحم الاشغال وجموم العوارض والعلايق وهجوم الصوارف والعوايق والتردد الى
المغازي والاسفار والتنقل من دار الى دار وكنت في تضاعيف هاتيك الامور اقدر في نفسي ان انتهز نهزة
من الدهور ويتيسر لي القرار وتطمين بي الدار واظفر حينئذ بوقت خال ابتهل فيه الى جناب ذي العظمة
والجلال واوجه اليه وجهتي واسلم له سري وعلانيتي وانظر الى كل شيء بعين الشهود واتعرف سر الحق في كل
موجود تلافيا لما قد فات واستعدادا لما هو آت والتصدي لتحصيل ما عزمت عليه والتولي لتكميل ما توجهت
اليه برفاهة واطمينان وحضور قلب وفراغ جنان فبينما انا في هذا الخيال اذ بدا لي ما لم يخطر بالبال
تحولت الاحوال والدهر حول فوقعت في امر اشد من الاول امرت بحل مشكلات الانام فيما شجر بينهم من النزاع
والخصام فلقيت معضلة طويلة الذيول وصرت كالهارب من المطر الى السيول فبلغ السيل الزبى وعمني
اي عمى غوارب ما جرى بين زيد وعمرو فاصبحت في ضيق المجال وسعة الاشغال اشهر ممن يضرب به
الامثال فجعلت اتمثل بقول من قال لقد كنت اشكو الحوادث برهة واستمرض الايام وهي صحايح الى
ان تغشتني وقيت حوادث تحقق ان السالفات منايح فلما انصرمت عرى الامال عن الفوز بفراغ البال
ورايت ان الفرصة على جناح الفوات وشمل الاسباب في شرف الشتات وقد مسني الكبر وتضاءلت القوى والقدر
ودنا الاجل من الحلول واشرفت شمس الحياة على الافول عزمت على انشاء ما كنت انوي وتوجهت الى انشاء ما ظللت
ابتغيه ناويا ان اسميه عند تمامه بتوفيق الله وانعامه ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم فشرعت
فيه مع تراكم المكاره علي وتزاحم المشاده بين يدي متضرعا الى رب العظمة والجبروت خلاق عالم الملك والملكوت
في ان يعصمني عن الزيغ والزلل ويقيني مصارع السوء في القول والعمل ويوفقني لتحصيل ما ارومه وارجوه
ويهديني الى تكميله على احسن الوجوه ويجعله خيرعدة وعتاد اتمتع به يوم المعاد فيا من توجهت وجوه الذل
والابتهال نحو بابه المنيع ورفعت ايدي الضراعة والسوال الى جنابه الرفيع افض علينا من سوارق انوار التوفيق
واطلعنا على دقايق اسرار التحقيق وثبت اقدامنا على مناهج هداك وانطقنا بما فيه امرك ورضاك ولا تكلنا الى
انفسنا في لحظة ولا آن وخذ بنواصينا الى الخير حيث كان جيناك على جباه الاستكانة ضارعين ولابواب
فضلك قارعين انت الملاذ في كل امر مهم وانت المعاذ في كل خطب ملم لا رب غيرك ولا خير الا خيرك بيدك
مقاليد الامور لك الخلق والامر واليك النشور

سورة فاتحة الكتاب وهي سبع ايات مدنية

الفاتحة في الاصل اول ما من شانه ان يفتح كالكتاب والثوب اطلقت عليه لكونه واسطة في فتح الكل ثم اطلقت على اول كل
شيء فيه تدريج بوجه من الوجوه كالكلام التدريجي حصولا والسطور والاوراق التدريجية قراءة وعدا والتاء للنقل
من الوصفية الى الاسمية او هي مصدر بمعنى الفتح اطلقت عليه تسمية للمفعول باسم المصدر اشعارا باصالته
كانه نفس الفتح فان تعلقه به بالذات وبالباقي بواسطته لكن لا على معنى انه واسطة في تعلقه بالباقي ثانيا حتى

يرد انه لا يناسبني في الخاتمة لما ان ختم الشيء عبارة عن بلوغ آخر الشيء يعرض للآخر اولا بالذات وللكل بواسطته
وذلك انما يتحقق بعد الملابسة عن اجزائه الاول بل على معنى ان الفتح المتعلق بالاول فتح له اولا وبالذات وهو بعينه
فتح للمجموع بواسطته لكونه جزءا منه وكذا الكلام في الخاتمة فان بلوغ آخر الشيء يعرض للآخر اولا بالذات وللكل بواسطته
على الوجه الذي تحققته والمراد بالاول ما يعم الاضافي فلا حاجة الى الاعتذار بان اطلاق الفاتحة على السورة الكريمة
بتمامها باعتبار جزئها الاول والمراد بالكتاب هو المجموع الشخصي لا القدر المشترك بينه وبين اجزائه على ما عليه اصطلاح
اهل الاصول ولا ضير في اشتهار السورة الكريمة بهذا الاسم في اوايل عهد النبوة قبل تحصل المجموع بنزول الكل لما
ان التسمية من جهة الله عز اسمه او من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم بالاذن فيكفي فيها تحصله باعتبار تحققه في علمه
عز وجل او في اللوح المحفوظ او باعتبار انه انزل من السماء الدنيا جملة واملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان
ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة كما هو المشهور والاضافة بمعنى اللام كما في جزء الشيء لا بمعنى
من كما في خاتم فضة لما عرفت ان المضاف جزء من المضاف اليه لا جزئي له ومدار التسمية كونها مبدءا للكتاب على الترتيب
المعهود لا في القراءة في الصلوة ولا في التعليم ولا في النزول كما قيل اما الاول فبين اذ ليس المراد من الكتاب القدر المشترك
الصادق على ما يقرا في الصلاة حتى يعتبر في التسمية مبدائيتها واما الاخيران فلان اعتبار المبدئية من حيث التعليم او من
حيث النزول يستدعي مراعاة الترتيب في بقية اجزاء الكتاب من تينك الحيثيتين ولا ريب في ان الترتيب التعليمي والترتيب
النزولي ليسا على نسق الترتيب المعهود وتسمى ام القرآن لكونها اصلا ومنشأ له اما لمبدائيتها له واما لاشتمالها على ما فيه
من الثناء على الله عز وعلا والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده او على جملة معانيه من الحكم النظرية
والاحكام العملية التي هي سلوك الصراط المستقيم والاطلاع على معارج السعداء ومنازل الاشقياء والمراد بالقرآن
هو المراد بالكتاب وتسمى ام الكتاب ايضا كما يسمى بها اللوح المحفوظ لكونه اصلا لكل الكاينات والايات الواضحة
الدالة على معانيها لكونها بينة تحمل عليها المتشابهات ومناط التسمية ما ذكر في ام القرآن لا ما اورده البخاري في
صحيحه من انه يبدا بقراءتها في الصلاة فانه مما لا تعلق له بالتسمية كما اشير اليه وتسمى سورة الكنز لقوله عليه السلام
انها انزلت من كنز تحت العرش ولما ذكر في ام القرآن كما انه الوجه في تسميتها الاساس والكافية والوافية وتسمى سورة
الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسئلة لاشتمالها عليها وسورة الصلوة لوجوب قراءتها فيها وسورة الشفاء والشافية
لقوله عليه السلام هي شفاء من كل داء والسبع المثاني لانها سبع ايات تثنى في الصلوة او لتكرر نزولها على ما روي
انها نزلت مرة بمكة حين فرضت الصلوة وبالمدينة اخرى حين حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالى
ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم وهو مكي بالنص بسم الله الرحمن الرحيم اختلف الائمة في شان
التسمية في اوايل السور الكريمة فقيل انها ليست من القرآن اصلا وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه ومذهب
مالك والمشهور من مذهب قدماء الحنفية وعليه قراء المدينة والبصرة والشام وقيل انها اية فذة من القرآن
نزلت للفصل والتبرك بها وهو الصحيح من مذهب الحنفية وقيل هي اية تامة من كل سورة صدرت بها وهو قول
ابن عباس وقد نسب الى ابن عمر ايضا رضي الله عنهما وعليه يحمل اطلاق عبارة ابن الجوزي في زاد المسير حيث قال
روي عن ابن عمر رضي الله عنهما انها نزلت مع كل سورة وهو ايضا مذهب سعيد بن جبير والزهري وعطاء وعبد الله
ابن المبارك وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وهو القول الجديد للشافعي رحمه الله تعالى ولذلك يجهر
بها عنده فلا عبرة بما نقل عن الجصاص من ان هذا القول من الشافعي لم يسبقه اليه احد وقيل انها اية من الفاتحة
مع كونها قرآنا في ساير السور ايضا من غير تعرض لكونها جزءا منها اولا ولا لكونها اية تامة اولا وهو احد قولي الشافعي
على ما ذكره القرطبي ونقل عن الخطابي انه قول ابن عباس وابي هريرة رضي الله عنهما وقيل انها اية تامة في الفاتحة
وبعض في البواقي وقيل انها بعض اية في الكل وقيل انها ايات من القرآن متعددة بعدد السور المصدرة بها من غير
ان تكون جزءا منها وهذا القول غير معزي في الكتب الى احد وهناك قول آخر ذكره بعض المتاخرين ولم ينسبه الى احد

القطاع م

ونقرها وهام

وهو انها اية تامة في الفاتحة وليست بقران في سائر السور ولولا اعتبار كونها اية تامة لكان ذلك احد محملي تردد الشافعي
رحمه الله فانه قد نقل عنه انها بعض اية في الفاتحة واما في غيرها فقوله فيها متردد فقيل بين ان يكون قرانا اولا وقيل
بين ان تكون اية تامة اولا قال الامام الغزالي والصحيح من الشافعي هو التردد الثاني وعن احمد بن حنبل رحمه الله في كونها
اية كاملة وفي كونها من الفاتحة روايتان ذكرهما ابن الجوزي ونقل انه مع مالك وغيره ممن يقول انها ليست من القران
هنا والمشهور من هذه الاقاويل هو الثلاثة الاول والاتفاق على اثباتها في المصاحف مع الاجماع على ان ما بين دفتي
المصحف كلام الله عز وجل يقضي بنفي القول الاول وثبوت القدر المشترك بين الاخيرين من غير دلالة على خصوصية
احدهما فان كونها جزا من القران لا يستدعي كونها جزا من كل سورة منه كما لا يستدعي كونها اية منفردة منه واما ما
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما من ان من تركها فقد ترك مايه واربع عشرة اية من كتاب الله تعالى وما روي عن ابي
هريرة من انه صلى الله عليه وسلم قال فاتحة الكتاب سبع ايات اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وما روي عن ام سلمة رضي الله
عنها من انه عليه السلام قرا سورة الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين اية وان دل كل واحد منها على نفي
القول الثاني فليس بشي منها نصا في اثبات القول الثالث اما الاول فلانه لا يدل الا على كونها ايات من كتاب الله تعالى متعددة
بعدد السور المصدرة بها من غير ان لا على ما هو المطلوب من كونها اية تامة من كل واحدة منها الا ان يلتجا الى ان يقال
ان كونها ايات متعددة بعدد السور المصدرة بها من غير ان لا على ما هو المطلوب من كونها اية تامة من كل واحدة منها
تكون جزا منها قول لم يقل به احد واما الثاني فساكت عن التعرض بحالها في بقية السور واما الثالث فناطق بخلافه مع مشاركته
للثاني في السكوت المذكور والبا فيها متعلقة بمضمر ينبي عنه الفعل المصدر بها كما انها كذلك في تسمية المسافر عند الحلول
والارتحال وتسمية كل فاعل عند مباشرة الافعال ومعناها الاستعانة او الملابسة تبركا اي بسم الله اقرا واتلو وتقديم
المعمول للاعتناء به والقصد الى التخصيص كما في اياك نعبد وتقدير ابدا لاقتضايه اقتصار التبرك على البداية بمحل بما هو
المقصود اعني شمول البركة للكل وادعاء ان فيه امتثالا بالحديث الشريف من جهة اللفظ والمعنى معا وفي تقدير اقرا
من جهة المعنى فقط ليس بشي فان مدار الامتثال هو البدء بالتسمية لا تقديره فعله اذ لم يقل في الحديث الكريم كل امر
ذي بال لم يقل فيه اولم يضمر فيه ابدا وهذا الى آخر السورة الكريمة مقول على السنة العباد تلقينا لهم وارشادا الى كيفية
التبرك باسمه تعالى وهداية الى منهاج الحمد وسوال الفضل ولذلك سميت السورة الكريمة بما ذكر من تعليم المسئلة
وانما كسرت ومن حق الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة
على المضمر للفصل بينهما وبين لام الابتدا والاسم عند البصريين من الاسماء المحذوفة الاعجاز المبنية الاوايل على السكون
قد دخلت عليها عند الابتداء همزة لان من دابهم الابتداء بالمتحرك والوقف على الساكن ويشهد لهم تصريفهم على اسماء
وسمي وسميت وسمي كهدي لغة فيه قال والله اسماك سمى مباركا • اثرك الله به ايثاركا • والقلب بعيد غير مطرد •
واشتقاقه من السمو لانه رفع للمسمى وتنويه له وعند الكوفيين من السمة واصله وسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة
الوصل ليقل اعلالها ورد عليه بان الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم ومن لغاتهم سم قال باسم الذي في كل
سورة سمه وانما لم يقل بالله للفرق بين اليمين والتيمن او لتحقق ما هو المقصود بالاستعانة هاهنا فانها تكون تارة بذاته
تعالى وحقيقتها طلب المعونة على ايقاع الفعل واحداثه اي افاضة القدرة المفسرة عند الاصوليين من اصحابنا بما يتمكن به
العبد من اداء ما لزمه المنقسمة الى ممكنة وميسرة وهي المطلوبة باياك نستعين وتارة اخرى باسمه عز وعلا وحقيقتها
طلب المعونة في كون الفعل معتدا به شرعا فانه ما لم يصدر باسمه تعالى يكون بمنزلة المعدوم ولما كانت كل من الاستعانتين
واقعة وجب تعيين المراد بذكر الاسم والا فالمتبادر من قولنا بالله عند الاطلاق لا سيما عند الوصف بالرحمن الرحيم هي الاستعانة
الاولى ان قيل فليحمل البا على التبرك وليستغن عن ذكر الاسم لما ان التبرك لا يكون الا به قلنا ذاك فرع كون المراد بالله هو
الاسم وهل التشاجر الا فيه فلا بد من ذكر الاسم لينقطع احتمال ارادة المسمى ويتعين حمل البا على الاستعانة الثانية او التبرك
وانما لم تكتب الالف لكثرة الاستعمال قالوا وطولت البا عوضا عنها والله اصله الاله فحذفت همزته على غير قياس كما ينبي

عنه وجوب الادغام وتعويض الالف واللام عنها وجودا عن معنى التعريف ولذلك قيل يا الله بالقطع فان
المحذوف القياسي في حكم الثابت فلا يحتاج الى التدارك بما ذكر من الادغام والتعويض وقيل على قياس تخفيف
الهمزة فيكون الادغام والتعويض من خواص الاسم الجليل ليمتاز بذلك عما عداه امتياز مسماه عما سواه بما لا يوجد
فيه من نعوت الكمال والاله في الاصل اسم جنس يقع على كل معبود بحق او باطل اي مع قطع النظر عن وصف الحقيقة
والبطلان لا مع اعتبار احدهما لا بعينه ثم غلب على المعبود كالنجم والصعق والله بحذف الهمزة فعلم مختص بالمعبود
الحق لم يطلق على غيره اصلا واشتقاقه من الالاهة والالوهة والالوهية بمعنى العبادة حسبما نص عليه الجوهري
على انه اسم منها بمعنى المالوه كالكتاب بمعنى المكتوب لا على انه صفة بدليل انه يوصف ولا يوصف به حيث يقال اله
واحد ولا يقال شي اله كما يقال كتاب مرقوم ولا يقال شي كتاب والفرق بينهما ان الموضوع له في الصفة هو الذات
المبهمة باعتبار اتصافها بمعنى معين او قيامه بها فمدلولها مركب من ذات مبهمة لم يلاحظ معها خصوصية اصلا
ومن معنى معين قايم بها على ان ملاك الامر تلك الخصوصية فباي ذات يقوم ذلك المعنى يصح اطلاق الصفة
عليها كما في الافعال ولذلك تعمل عملها كاسمي الفاعل والمفعول والموضوع له في الاسم المذكور هو الذات المعينة والمعنى
الخاص فمدلوله مركب من ذينك المعنيين من غير رجحان للمعنى على الذات كما في الصفة ولذلك لم يعمل عملها وقيل
اشتقاقه من اله بمعنى تحير لانه سبحانه تحار في شانه العقول والافهام واما اله كعبد وزنا ومعنى فمشتق من الاله
المشتق من اله بالكسر وكذا تاله واستاله اشتقاق استنوق واستحجر من الناقة والحجر وقيل من اله الى فلان
اي سكن اليه لاطمينان القلوب بذكره تعالى وسكون الارواح الى معرفته وقيل من اله اذا فزع من امر نزل به
والهه غيره اذا اجاره اذ العايذ به تعالى يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او في زعمه وقيل اصله لاه على انه مصدر
من لاه يليه بمعنى احتجب وارتفع اطلق على الفاعل مبالغة وقيل هو اسم علم للذات الجليل ابتداء وعليه مدار
امر التوحيد في قولنا لا اله الا الله ولا يخفى ان اختصاص الاسم الجليل بذاته سبحانه لا يمكن اطلاقه على غيره اصلا
كاف في ذلك ولا يقدح فيه كون ذلك الاختصاص بطريق الغلبة بعد ان كان اسم جنس في الاصل وقيل هو وصف
في الاصل لكنه غلب عليه بحيث لا يطلق على غيره اصلا صار كالعلم ويرده امتناع الوصف به واعلم ان المراد بالمنكر في كلمة التوحيد
هو المعبود بالحق فمعناها لا فرد من افراد المعبود بالحق الا ذلك المعبود بالحق وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب
بحذف الالف الثانية وادخال الالف واللام عليه وتفخيم لامه اذا لم ينكسر ما قبله سنة وقيل مطلقا وحذف الفه
لحن تفسد به الصلاة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر في قوله • الا لا بارك الله في سهيل •
اذا ما الله بارك في الرجال • والرحمن الرحيم صفتان مبنيتان من رحم بعد جعله لازما بمنزلة الغرايز بنقله الى
رحم بالضم كما هو المشهور وقد قيل ان الرحيم ليس بصفة مشبهة بل هي صفة مبالغة نص عليه سيبويه في
قولهم هو رحيم فلانا والرحمة في اللغة رقة القلب والانعطاف ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها والمراد
هاهنا التفضل والاحسان وارادتهما بطريق اسم السبب بالنسبة الى مسببه البعيد او القريب فان
اسماء الله تعالى توخذ باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادي التي هي الانفعالات والاول من الصفات
الغالبة حيث لم يطلق على غيره تعالى وانما امتنع صرفه الحاقا له بالاغلب في بابه من غير نظر الى الاختصاص العارض
فانه كما حظر وجود فعلى حظر وجود فعلانة فاعتبار ضده يوجب امتناع الصرف وعدمه فلزم الرجوع الى
اصل هذه الكلمة قبل الاختصاص بان تقاس الى نظايرها من باب فعل يفعل فاذا كان كلها ممنوعة من
الصرف لتحقق وجود فعلى فيها علم ان هذه الكلمة ايضا في اصلها مما تحقق فيها وجود فعلى فتمنع من الصرف وفيه
من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قيل رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا وتقديمه مع كون القياس تاخيره رعاية
لاسلوب الترقي الى الاعلى كما في قولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض لانه باختصاصه به تعالى صار
حقيقا بان يكون قرينا للاسم الجليل الخاص به تعالى ولان ما يدل على جلايل النعم وعظايمها احق بالتقديم مما

يدل على دقايقها وفروعها وافراد الوصفين لتشريفين بالذكر لتحريك سلسلة الرحمة **الحمد لله** الحمد هو النعت
بالجميل على الجميل لاختياريا كان او مبداء له على وجه يشعر بتوجهه المنعوت وبهذه الحيثية يمتاز عن المدح فانه خال
عنها ويرشدك الى ذلك ما ترى بينهما من الاختلاف في كيفية التعلق بالمفعول مبني عن معنى الانهاء كما في قولك كلمته
فانه معرب عما يفيده لام التبليغ في قولك قلت له ونظيره شكرته وعبدته وخدمته فان تعلق كل منها مبني عن المعنى المذكور
وتحقيقه ان مفعول كل فعل في الحقيقة هو الحدث الصادر عن فاعله ولا يتصور في كيفية تعلق الفعل به اي
فعل كان اختلاف اصلا واما المفعول به الذي هو محله وموقعه فلما كان تعلقه به ووقوعه عليه على انحاء مختلفه
حسبما تقتضيه خصوصيات الافعال بحسب معانيها المختلفه فان بعضها يقتضي ان يلابسه ملابسة تامة مؤثرة
فيه كعامة الافعال وبعضها يقتضي ان يلابسه ادنى ملابسة اما بالانتهاء اليه كالاعانة مثلا او بالابتداء منه
كالاستعانة مثلا اعتبر في كل نحو من انحاء تعلقه به كيفية لايقة بذلك النحو مغايرة لما اعتبر في النحوين الاخرين فنظم
القسم الاول من التعلق في سلك التعلق بالمفعول الحقيقي مراعاة لقوة الملابسة وجعل كل واحد من القسمين الاخيرين
من قبيل التعلق بواسطة الجار المناسب له فان قولك اعنته مشعر بانتهاء الاعانة اليه وقولك واستعنته بابتدائها
منه وقد يكون الفعل الواحد مفعولان يتعلق باحدهما على الكيفية الاولى وبالاخر على الثانية او الثالثه كما في قولك حدثته
الحديث وسالني المال فان الحديث مع كونه فعلا واحدا وقد تعلق بك على الكيفية الثانيه وبالحديث على الاولى وكذا
السوال فانه فعل واحد قد تعلق بك على الكيفية الثالثة وبالمال على الاولى ولا ريب في ان اختلاف هذه الكيفيات الثلث
وتباينها واختصاص كل من المفاعيل المذكورة بما نسب اليه مما لا يتصور فيه تردد ولا نكير وان كان لا يتضح حق الاتضاح
الا عند الرجوع الى التفسير وان مدار ذلك الاختلاف ليس الا اختلاف الفعل او اختلاف المفعول واذ لا اختلاف في
مفعول الحمد والمدح تعين ان اختلافهما في كيفية التعلق لاختلافهما في المعنى قطعا هذا وقد قيل المدح مطلق عن قيد
الاختيار يقال مدحت زيدا على حسنه ودرشا قدقد وايا ما كان فليس بينهما ترادف بل اخوة من جهة الاشتقاق الكبير
وتناسب تام في المعنى كالنصر والتاييد فانهما متناسبان معنى من غير ترادف لما ترى بينهما من الاختلاف في كيفية
التعلق بالمفعول وانما مرادف النصر الاعانة ومرادف التاييد التقوية ثم ما ذكر من التفسير هو المشهور
من معنى الحمد واللايق بالارادة في مقام التعظيم واما ما ذكر في كتب اللغة من معنى الرضى مطلقا كما في قوله تعالى عسى ان
يبعثك ربك مقاما محمودا وفي قولهم هذا الامر عاقبته حميدة وفي قول الاطباء بحران محمود مما لا يختص بالفاعل فضلا
من الاختيار فبمعزل من استحقاق الارادة هاهنا استقلالا واستتباعا بحمل الحمد على ما يعم المعنيين اذ ليس في اثباته
له عز وجل فايدة يعتد بها واما الشكر فهو مقابلة النعمة بالثناء واداب الجوارح وعقد القلب على وصف المنعم بنعت الكمال
كما قال من قال ● افادتكم النعماء مني ثلاثة ● يدي ولساني والضمير المحجبا ● فاذا هو اعم منهما من جهة واخص من اخرى
ونقيضه الكفران ولما كان الحمد من شعب الشكر ادخل في اشاعة النعمة والاعتداد بشانها وادل على مكانها لما في عمل
القلب من الخفاء وفي اعمال الجوارح من الاحتمال جعل الحمد راس الشكر وملاكا لامر في قوله صلى الله عليه وسلم الحمد راس
الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وارتفاعه بالابتداء وخبره الظرف واصله النصب كما هو شان المصادر المنصوبة بافعالها
المضمرة التي لا تكاد تستعمل معها نحو شكرا وعجبا كانه قيل نحمد الله حمدا ليوافقهما في قوله تعالى اياك نعبد واياك
نستعين لاتحاد الفاعل في الكل واما ما قيل من انه بيان لحمدهم له تعالى كانه قيل كيف تحمدون قيل اياك نعبد واياك نستعين
لاتحاد الفاعل في الكل فمع انه لا حاجة اليه مما لا صحة له في نفسه فان السوال المقدر لا بد ان يكون بحيث يقتضيه انتظام
الكلام ● وينساق اليه الاذهان والافهام ولا ريب في ان الحامد بعد ما ساق حمده تعالى على تلك الكيفية اللايقة لا يخطر
ببال احد ان يسال عن كيفيته على ان ما قدر من السوال غير مطابق للجواب فانه مسوق لتعيين المعبود لا لبيان العبادة
حتى يتوهم كونه بيانا لحمدهم والاعتذار بان المعنى نخصك بالعبادة وبه يتبين كيفية الحمد تعكيس للامر وتمحل التوفيق المنزل
المقدر بالموهوم المقدر بالموهوم وبعد اللتيا والتي ان فرض السوال من جهته عز وجل فانت نكتة الالتفات الذي

تح

اجمع عليها السلف والخلف وان فرض من جهة الغير يختل النظام لابتناء الجواب على خطابه تعالى وبهذا يتضح فساد
ما قيل انه استيناف جوابا لسوال يقتضيه اجراء تلك الصفات العظام على الموصوف بها فكانه قيل ما شانكم معه وكيف
توجهكم اليه فاجيب بحصر العبادة والاستعانة فيه فان تناسي جانب السايل بالكلية وبناء الجواب على خطابه عز وعلا
مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله والحق الذي لا محيد عنه انه استيناف صدر عن الحامد بمحض ملاحظة اتصافه
تعالى بما ذكر من النعوت الجليلة الموجبة للاقبال الكلي عليه من غير ان يتوسط هناك شي اخر كما ستحيط به خبرا
وايثار الرفع على النصب الذي هو الاصل للايذان بان ثبوت الحمد له تعالى لذاته لا لاثبات مثبت وان ذلك
امر دايم مستمر لا حادث متجدد كما يفيده قراءة النصب وهو السر في كون تحية الخليل صلوات الله عليه للملايكة
عليهم السلام احسن من تحيتهم له في قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام وتعريفه للجنس ومعناه الاشارة الى الحقيقة
حيث هي حاضرة في ذهن السامع والمراد تخصيص حقيقة الحمد به تعالى المستدعي لجميع افرادها به سبحانه على الطريق البرهاني
لكن لا بناء على ان افعال العباد مخلوقة له تعالى فيكون الافراد الواقعة بمقابلة ما صدر عنهم من الافعال الجميلة راجعة
اليه تعالى بناء على تنزيل تلك الافراد ودواعيها في مقام الخطابي منزلة العدم كيفا وكما وقد قيل للاستغراق الحاصل بالقصد
الى الحقيقة من حيث تحققها في ضمن جميع افرادها حسبما يقتضيه المقام وقرئ الحمد لله بكسر الدال اتباعا لها باللام وبضم
اللام اتباعا لها بالدال بناء على تنزيل الكلمتين لكثرة استعمالهما مقترنتين منزلة كلمة واحدة مثل المغيرة ومنحدر الجبل
رب العالمين بالجر على انه صفة لله تعالى فان اضافته حقيقية مفيدة للتعريف على كل حال ضرورة تعيين ارادة الاستمرار
وقرئ منصوبا على المدح او بما دل عليه الجملة السابقة كانه قيل نحمد الله رب العالمين ولا مساغ لنصبه بالحمد لقلة اعمال
المصدر المحلى باللام وللزوم الفصل بين العامل والمعمول بالخبر والرب في الاصل مصدر بمعنى التربية وهو تبليغ الشي
الى كماله شيئا فشيئا وصف به الفاعل مبالغة كالعدل وقيل صفة مشبهة من ربه يربه مثل نمه ينمه بعد جعله لازما بنقله
الى فعل بالضم كما هو المشهور سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كرب الدار ورب الناقة
ومنه قوله تعالى فيسقي ربه خمرا وقوله تعالى ارجع الى ربك وما في الصحيحين من انه صلى الله عليه وسلم قال لا يقل احدكم
اطعم ربك وضئ ربك ولا يقل احدكم ربي وليقل سيدي ومولاي فقد قيل ان النهي فيه للتنزيه واما الارباب بحيث لم
يكن اطلاقه على الله سبحانه جاز فيه الاطلاق والتقييد كما في قوله تعالى ارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار والعالم اسم لما يعلم به
كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع تعالى من المصنوعات اي في القدر المشترك بين اجناسها وبين مجموعها فانه كما
يطلق على كل جنس جنس منها في قولهم عالم الافلاك وعالم العناصر وعالم النبات وعالم الحيوان الى غير ذلك يطلق على المجموع
ايضا كما في قولنا العالم بجميع اجزايه محدث وقيل هو اسم لاولي العلم من الملايكة والثقلين وتناوله لما سواهم بطريق الاستتباع
وقيل اريد به الناس فقط فان كل واحد منهم من حيث اشتماله على نظاير ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض كما يعلم بها
الصانع يعلم بما فيه عالم على حياله ولذلك امر بالنظر في الانفس كالنظر في الافاق فقيل وفي انفسكم افلا تبصرون والاول هو الاحق الاظهر
وايثار صيغة الجمع لبيان شمول ربوبيته تعالى لجميع الاجناس والتعريف لاستغراق افراد كل منها باسرها اذ لو افرد لربما
توهم ان المقصود بالتعريف هو الحقيقة من حيث هي او استغراق جنس واحد على الوجه الذي اشير اليه في تعريف الحمد
وحيث صح ذلك بمساعدة التعريف نزل العالم وان لم يطلق على احاد مدلوله منزلة الجمع حتى قيل انه جمع لا واحد له من
لفظه فكما ان الجمع المعرف يستغرق احاد مفرده وان لم يصدق عليها كما في مثل قوله تعالى والله يحب المحسنين اي كل محسن
كذلك العالم يشمل افراد الجنس المسمى به وان لم يطلق عليها كانها احاد مفردة له تقديرية ومن قضية هذا التنزيل تنزيل جمعه
منزلة جمع الجمع فكما ان الاقاويل تتناول كل واحد من احاد الاقوال يتناول لفظ العالمين كل واحد من الاجناس التي لا تكاد تحصى
روي عن وهب بن منبه انه قال لله ثمانية عشر الف عالم والدنيا عالم منها وانما جمع بالواو والنون مع اختصاص ذلك بصفات
العقلاء وما في حكمها من الاعلام لدلالته على معنى العلم مع اعتبار تغليب العقلاء على غيرهم واعلم ان اطلاق اسم العالم على كل واحد
من تلك الاحاد ليس الا باعتبار الغلبة والاصطلاح واما باعتبار الاصل فلا ريب في صحة الاطلاق قطعا لتحقق المصداق حتما

الجمع

فانه كما يستدل على الله سبحانه وتعالى بمجموع ما سواه وبكل جنس من اجناسه يستدل عليه تعالى بكل جزء من اجزاء ذلك
المجموع وبكل فرد من افراد تلك الاجناس لتحقق الحاجة الى المؤثر الواجب لذاته في الكل فان كل ما ظهر في المظاهر مما عز وهان
وحضر في هذه المحاضر كائنا ما كان دليل لا يخلو عن الصانع المجيد وسبيل واضح الى عالم التوحيد واما شمول ربوبيته
عز وجل للكل فمما لا حاجة الى بيانه اذ لا شيء مما احدق به نطاق الامكان والوجود من العلويات والسفليات والمجردات
والماديات والروحانيات والجسمانيات الا وهو في حد ذاته بحيث لو فرض انقطاع آثار التربية عنه آنا واحدا لما
استقر له القرار ولا اطمانت به الدار الا في مطمورة العدم ومهاوي البوار لكن يفيض عليه من الجناب الاقدس تعالى
شانه وتقدس في كل زمان يمضي وكل آن يمر وينقضي من فنون الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده وصفاته وكمالاته
ما لا يحيط به فلك التعبير ولا يعلمه الا العليم الخبير ضرورة انه كما لا يستحق شيء من الممكنات بذاته الوجود ابتداء لا يستحقه
بقاء وانما ذلك من جناب المبدأ الاول عز وعلا فكما لا يتصور وجوده ابتداء ما لم ينسد عليه جميع انحاء عدمه الاصلي لا يتصور
بقاؤه على الوجود بعلته ما لم ينسد عليه انحاء عدمه الطارئ لما ان الدوام من خصائص الوجود الواجبي وظاهر ان ما يتوقف
عليه وجوده من الامور الوجودية التي هي علله وشرائطه وان كانت متناهية لوجوب تناهي ما دخل تحت الوجود لكن الامور
العدمية التي لها دخل في وجوده وهي المعبر عنها بارتفاع الموانع ليست كذلك اذ لا استحالة في ان يكون لشيء واحد موانع
غير متناهية يتوقف وجوده او بقاؤه على ارتفاعها اي بقائها على العدم مع امكان وجودها في نفسها فابقاء تلك الموانع
التي لا تتناهى على العدم تربية لذلك الشيء من وجوه غير متناهية وبالجملة فآثار تربيته عز وجل الفائضة على كل فرد من افراد
الموجودات في كل آن من آنات الوجود غير متناهية فسبحانه سبحانه ما اعظم سلطانه لا تلاحظه العيون بانظارها ولا
تطاوله العقول بافكارها شانه لا يضاهى واحسانه لا يتناهى ونحن في معرفته حائرون وفي اقامة مراسم شكره قاصرون
نسئلك اللهم الهداية الى مناهج معرفتك والتوفيق لاداء حقوق نعمتك لا نحصي ثناء عليك لا اله الا انت نستغفرك
ونتوب اليك **الرحمن الرحيم** صفتان لله تعالى فان اريد بما فيهما من الرحمة ما يختص بالعقلاء من العالمين او ما
يفيض على الكل بعد الخروج الى طور الوجود من النعم فوجه تأخيرهما عن وصف الربوبية ظاهر وان اريد ما يعم الكل
في الاطوار كلها حسبما في قوله ورحمتي وسعت كل شيء فوجه الترتيب ان التربية لا تقتضي المقارنة للرحمة فايرادهما في عقبها
للايذان بانه تعالى متفضل فيها فاعل بمقتضى رحمته السابقة من غير وجوب عليه وبانها واقعة على احسن ما يكون
والاقتصار على نعته تعالى بهما في التسمية لما انه الانسب بحال المتبرك المستعين باسمه الجليل والاوفق لمقاصده
مالك يوم الدين صفة رابعة له تعالى وتأخيرها عن الصفات الاول مما لا حاجة الى بيان وجهه وقرا اهل الحرمين
المحترمين ملك من الملك الذي هو عبارة عن السلطان القاهر والاستيلاء الباهر والغلبة التامة والقدرة على
التصرف الكلي في امور العامة بالامر والنهي وهو الانسب بمقام الاضافة الى يوم الدين كما في قوله تعالى لمن الملك اليوم لله
الواحد القهار وقرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ الماضي ومالك بالنصب على المدح او الحال وبالرفع منونا ومضافا
على انه خبر مبتدأ محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب واليوم في العرف عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها
من الزمان وفي الشرع عما بين طلوع الفجر الثاني وغروب الشمس والمراد ههنا مطلق الوقت والدين الجزاء خيرا او شرا ومنه
الثاني في المثل السائر كما تدين تدان والاول في بيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا واما الاول في
الاول والثاني في الثاني فليس بجزاء في الحقيقة وانما سمي به مشاكلة او تسمية للشيء باسم مسببه كما سميت ارادة القيام
والقراءة باسمهما في قوله عز اسمه اذا قمتم الى الصلوة وقوله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله ولعله هو السر في
المفاعلة من الافعال التي تقوم اسبابها بمفعولاتها نحو عاقبت اللص ونظائره فان قيام السرقة التي هي سبب للعقوبة
باللص نزل منزلة قيام المسبب وهي العقوبة فصار كانها قامت من الجانبين وصدرت عنهما فبنيت صيغة المفاعلة
الدالة على المشاركة بين الاثنين واضافة اليوم اليه لادنى ملابسة كاضافة سائر الظروف الزمانية الى ما وقع فيها من
الحوادث كيوم الاحزاب وعام الفتح وتخصيصه من بين سائر ما يقع فيه من القيامة والجمع والحساب لكونه ادخل في الترغيب

والترهيب فان ما ذكر من مبادي الجزاء ومقدماته واضافة مالك الى اليوم اضافة اسم الفاعل الى الظرف على
نهج الاتساع المبني على اجرائه مجرى المفعول به مع بقاء المعنى على حاله كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار اي
مالك امور العالمين كلها في يوم الدين وخلو الاضافة عن افادة التعريف المسوغ لوقوعه صفة للمعرفة انما هو اذا اريد به
الحال والاستقبال واما عند ارادة الاستمرار الثبوتي كما هو اللائق بالمقام فلا ريب في كونها اضافة حقيقية كاضافة الصفة
المشبهة الى غير معمولها في قراءة ملك يوم الدين ويوم الدين وان لم يكن مستمرا في جميع الازمنة الا انه لتحقق وقوعه
وبقائه ابدا اجري مجرى المتحقق المستمر ويجوز ان يراد به الماضي بهذا الاعتبار كما يشهد به القراءة على صيغة الماضي وما
ذكر من اجراء الظرف مجرى المفعول به انما هو من حيث المعنى لا من حيث الاعراب حتى يلزم كون الاضافة لفظية الا ترى
انك تقول مالك عبده امس انه مضاف الى المفعول به على معنى انه كذلك معنى لا انه من حيث الاعراب منصوب محلا وتخصيصه
بالاضافة اما لتعظيمه وتهويله او لبيان تفرده تعالى باجراء الامر فيه وانقطاع العلائق المجازية بين الملاك والاملاك
بالكلية واجراء هاتيك الصفات الجليلة عليه سبحانه وتعالى تعليل لما سبق من اختصاص الحمد به تعالى المستلزم
لاختصاص استحقاقه به تعالى وتمهيد لما لحق من اقتصار العبادة والاستعانة عليه فان كل واحدة منها مفصحة
عن وجوب ثبوت كل واحدة منها له تعالى وامتناع ثبوتها لما سواه اما الاولى والرابعة فظاهر لانهما معربتان عن
كونه تعالى ربا مالكا وما سواه مربوبا مملوكا له تعالى واما الثانية والثالثة فلان اضافته تعالى بهما ليس الا بالنسبة
الى ما سواه من العالمين وذلك يستدعي ان يكون الكل منعما عليهم فظهر ان كل واحدة من تلك الصفات كما دلت على
وجوب ثبوت الامور المذكورة له تعالى دلت على امتناع ثبوتها لما عداها على الاطلاق وهو المعني بالاختصاص **اياك نعبد**
واياك نستعين التفات من الغيبة الى الخطاب وتلوين للنظم من باب الى باب جار على نهج البلاغة في افتنان
الكلام ومسلك البراعة حسبما يقتضيه المقام لما ان التنقل من اسلوب الى اسلوب ادخل في استجلاب النفوس واستمالة
القلوب يقع من كل واحد من التكلم والخطاب والغيبة الى كل واحد من الآخرين كما في قوله تعالى الله الذي يرسل الرياح
فتثير سحابا فسقناه الى بلد وقوله عز وجل حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم الى غير ذلك من الالتفاتات الواردة في التنزيل
لاسرار يقتضيها ومزايا تستدعيها ومما استاثر به هذا المقام الجليل من النكت الرائقة الدالة على ان تخصيص
العبادة والاستعانة به تعالى لما اجري عليه من النعوت الجليلة التي اوجبت له تعالى اكمل تميز واتم ظهور بحيث تبدل
خفاء الغيبة بجلاء الحضور فاستدعى استعمال صيغة الخطاب والايذان بان حق التالي بعد ما تامل فيما سلف من
تفرده تعالى بذاته الاقدس الموجب للمعبودية وامتيازه بذاته عما سواه بالكلية واستبداده بجلائل الصفات
واحكام الربوبية المميزة له عن جميع افراد العالمين وافتقار الكل اليه في الذات والوجود ابتداء وبقاء على التفصيل
الذي مرت اليه ان يترقى من رتبة البرهان الى طبقة العيان وينتقل من عالم الغيبة الى عالم الشهود ويلاحظ نفسه
في حظائر القدس حاضرا في محاضر الانس كانه واقف لدى مولاه وهو يدعو بالخضوع والاخبات ويقرع بالضراعة
باب المناجاة قائلا يا من هذه شؤون ذاته وصفاته نخصك بالعبادة والاستعانة فان كل ما سواك كائنا ما كان
بمعزل عن استحقاق الوجود فضلا عن استحقاق ان يعبد ويستعان ولعل هذا هو السر في اختصاص السورة الكريمة
بوجوب القراءة في كل ركعة من الصلاة التي هي مناجاة العبد لمولاه ومظنة للتبتل اليه بالكلية واياك ضمير منفصل منصوب
وما يلحقه من الكاف والياء والهاء حروف زيدت لتعيين الخطاب والتكلم والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت
والكاف في رايتك وما ادعاه الخليل من الاضافة محتجا عليه بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا
السوآت فمما لا يعول عليه وقيل هي الضمائر واياها دعامة لها لتصيرها منفصلة وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بالتخفيف
وبفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء والعبادة اقصى غاية التذلل والخضوع ومنه طريق معبد اي مذلل
والعبودية ادنى منها وقيل العبادة فعل ما يرضى به الله تعالى والعبودية الرضى بما فعل الله والاستعانة طلب المعونة
على الوجه الذي مر بيانه وتقديم المفعول فيهما لما ذكر من القصر والتخصيص كما في قوله تعالى واياي فارهبون مع ما فيه

له

من التعظيم والاهتمام به قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتكرير الضمير المنصوب للتنصيص
على تخصيصه تعالى بكل واحد من العبادة والاستعانة ولابراز الاستلذاذ بالمناجاة والخطاب وتقديم العبادة
لما انها من مقتضيات مدلول الاسم الجليل وان ساعده الصفات المجرات عليه ايضا واما الاستعانة فمن الاحكام
المبنية على الصفات المذكورة ولان العبادة من حقوق الله تعالى والاستعانة من حقوق المستعين ولان العبادة واجبة
حتما والاستعانة تابعة للمستعان فيه في الوجوب وعدمه وقيل لان تقديم الوسيلة على المسئول ادعى الى الاجابة والقبول
هذا على تقدير كون اطلاق الاستعانة على المفعول فيه ليتناول كل مستعان فيه كما قالوا وقد قيل انه لما ان المسئول هو
المعونة في العبادة والتوفيق لاقامة مراسمها على ما ينبغي وهو اللائق بشان التنزيل والمناسب لحال الحامد فان
استعانته مسبوقة لملاحظة فعل من افعاله ليستعينه تعالى في ايقاعه ومن البين انه عند استغراقه في ملاحظة
شؤنه تعالى واشتغاله باداء ما يوجبه تلك الملاحظة من الحمد والثناء لا يكاد يخطر بباله من اقواله وافعاله
الا الاقبال الكلي عليه والتوجه التام اليه ولقد فعل ذلك بتخصيص العبادة به تعالى اولا وباستدعاء الهداية
الى ما يوصل اليه اخرا فكيف يتصور ان يشتغل فيما بينهما بما لا تعلق له بمورد بناه ادنما يعمها وغيرها كانه قيل واياك
نستعين في ذلك فانا غير قادرين على اداء حقوقه من غير اعانة منك فوجه الترتيب حينئذ واضح وفيه من الاشعار
بعلو رتبة [tooltip] تعالى وعزة منالها عند العابد باشرف المباغي والمقاصد وبكونه من مواهبه تعالى لا من اعمال نفسه
ومن الملاءمة لما يعقبه من الدعاء مالا يخفى وقيل الواو للحال اي اياك نعبد مستعينين بك وايثار صيغة المتكلم
مع الغير في الفعلين للايذان بقصور نفسه وان ذلك انما يتصور من عبادته هو جملتهم وجماعة هو من زمرتهم
كما هو ديدن الملوك او للاشعار باشتراك سائر الموحدين له في الحالة العارضة له بناء على تعاضد الادلة الملجية الى
ذلك وقرئ نستعين بكسر النون على لغة بني تميم **اهدنا الصراط المستقيم** افراد لمعظم افراد المعونة والمسئولة بالذكر
وتعيين لما هو الاهم او بيان لها كانه قيل كيف اعينكم فقيل اهدنا والهداية دلالة بلطف على ما يوصل الى البغية
ولذلك اختصت بالخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وارد على نهج التهكم والاصل تعديتها بالى واللام كما في
قوله عز وجل قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق فعومل معاملة اختار في قوله تعالى واختار وعليه
قوله تعالى لنهدينهم سبلنا وهداية الله مع تنوعها الى انواع لا تكاد تحصر منحصرة في اجناس مترتبة منها انفسية كافاضة
القوى الطبيعية والحيوانية والقوى المدركة والمشاعر الظاهرة والباطنة التي بها يتمكن من اقامة مصالحه المعاشية
والمعادية ومنها افاقية فاما تكوينية معربة عن الحق بلسان الحال وهي نصب الادلة المودعة في كل فرد من افراد
العالم حسبما لوح به فيما سلف واما تنزيلية مفصحة عن تفاصيل الاحكام النظرية والعملية بلسان المقال
بارسال الرسل وانزال الكتب المنطوية على فنون الهدايات التي من جملتها الارشاد الى مسلك الاستدلال بتلك
الادلة التكوينية والافاقية والانفسية والتنبيه على مكانها كما اشير اليه مجملا في قوله تعالى وفي الارض ايات
للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وفي قوله عز وعلا ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض
لايات لقوم يتقون ومنها الهداية وهي كشف الاسرار على قلب المهدي بالوحي والالهام ولكل مرتبة من هذه المراتب
صاحب ينتحيها وطالب يستدعيها والمطلوب اما زيادتها كما في قوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى واما الثبات
عليها كما روي عن علي وابي رضي الله عنهما اهدنا ثبتنا وفي لفظ الهداية على الوجه الاخير مجاز قطعا واما على الاول فان
اعتبر لفظ مفهوم الزيادة داخلا في المعنى المستعمل فيه كان مجازا ايضا وان اعتبر لفظ مفهوم الزيادة خارجا عنه مدلولا
عليه بالقراين كان حقيقة لان الهداية الزائدة هداية كما ان العبادة الزائدة عبادة فلا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز
وقرئ ارشدنا والصراط الجادة اصله السين قلبت صادا لمكان الطاء كمصيطر من سطر الشيء اذا ابتلعه سميت به لانها تسترط
السابلة اذا سلكوها كما سميت لقما لانها تلتقمهم وقد تشم الصاد صوت الزاء تحريا للقرب من المبدل منه وقد قرئ
بهن جميعا وفصحاهن اخلاص الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في الامام وجمعه صرط ككتاب وكتب وهو كالطريق

والسبيل في التذكير والتانيث والمستقيم المستوي والمراد به طريق الحق وهي الملة الحنيفية السمحة المتوسطة بين
الافراط والتفريط **صراط الذين انعمت عليهم** بدل من الاول بدل الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود
بالنسبة وفايدته التاكيد والتنصيص على ان طريق الذين انعم الله عليهم وهم المسلمون هو العلم في الاستقامة والمشهود
له بالاستواء بحيث لا يذهب الوهم عند ذكر الطريق المستقيم الا اليه واطلاق الانعام لقصد الشمول فان نعمة الاسلام
عنوان النعم كلها فمن فاز بها فقد فاز بحذافيرها وقيل المراد بهم الانبياء عليهم السلام ولعل الاظهر انهم المذكورون

ون

في قوله عز وعلا فاولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بشهادة ما قبله من
قوله تعالى ولهديناهم صراطا مستقيما وقيل هم اصحاب موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام قبل النسخ والتحريف وقرئ
صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة التي يستلذها الانسان من النعمة وهي اللين ثم
اطلقت على ما تستلذه النفس من طيبات الدنيا ونعم الله تعالى مع استحالة احصائها ينحصر اصولها في دنيوي واخروي
والاول قسمان وهبي وكسبي والوهبي ايضا قسمان روحاني كنفخ الروح فيه وامداده بالعقل وما يتبعه من القوى
المدركة فانها مع كونها من قبيل الهدايات نعم جليلة في نفسها وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيات
العارضة من الصحة وسلامة الاعضاء والكسبي تخلية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق السنية والملكات البهية
وتزيين البدن بالهيات المطبوعة والحلي المرضية وحصول الجاه والملك والثاني مغفرة ما فرط منه والرضى عنه
وتبوئه في اعلى عليين مع المقربين والمطلوب هو القسم الاخير وما هو ذريعة الى نيله من القسم الاول اللهم ارزقنا
ذلك بفضلك العظيم ورحمتك الواسعة **غير المغضوب عليهم ولا الضالين** صفة للموصول على انه عبارة عن احد
الطوائف المذكورة المشهورة بالانعام عليهم وباستقامة المسلك ومن ضرورة هذه الشهرة شهرتهم بالمغايرة لما اضيف
اليه كلمة غير من المتصفين بضد الوصفين المذكورين اعني مطلق المغضوب عليهم ولا الضالين فاكتسب بذلك
تعرفا مصححا لوقوعها صفة للمعرفة كما في قولك عليك بالحركة غير السكون وصفوا بذلك تكملة لما قبله وايذانا
بان السلامة مما ابتلي به اولئك نعمة جليلة في نفسها اي الذين جمعوا بين النعمة المطلقة التي هي نعمة الايمان
ونعمة السلامة من الغضب والضلال وقيل المراد بالموصول طائفة من المؤمنين لا باعيانهم فيكون بمعنى النكرة
كذا اللام اذا اريد به الجنس في ضمن بعض الافراد بعينه وهو المسمى بالمعهود الذهني وبالمغضوب عليهم ولا الضالين
اليهود والنصارى كما ورد في مسند احمد فيبقى لفظ غير على ابهامه نكرة مثل موصوفه وانت خبير بان جعل الموصول
عبارة عما ذكر من طائفة غير معينة مخل ببدلية ما اضيف اليه مما قبله فان مدارها كون صراط المؤمنين علما في
الاستقامة مشهودا له بالاستواء على الوجه الذي تحققته فيما سلف ومن البين ان ذلك من حيث اضافته
وانتسابه الى كلهم لا الى بعض منهم مبهم وبهذا تبين ان لا سبيل الى جعل غير المغضوب عليهم بدلا من الموصول لما عرفت
ان شان البدل ان يفيد متبوعه مزيد تاكيد وتقرير وفضل ايضاح وتفسير ولا ريب في ان قصارى امر ما نحن
فيه ان يكتسي مما اضيف اليه نوع تعريف مصحح لوقوعه صفة للموصول واما استحقاق ان يكون مقصودا بالنسبة
مفيدا لما ذكر من الفوائد فلا وقرئ بالنصب على الحال والعامل انعمت او على المدح او على الاستثناء ان قسم النعم بما
يعم القبيلتين والغضب هيجان النفس لارادة الانتقام وعند اسناده الى الله تعالى يراد به غايته بطريق اطلاق
السبب بالنسبة الينا على مسببه القريب ان اريد به ارادة الانتقام وعلى مسببه البعيد ان اريد منه معاصيهم
بما يترتب من حال الملك اذا غضب على الذين عصوه واراد ان ينتقم منهم ويعاقبهم وعليهم مرتفع بالمغضوب قائم
مقام فاعله والعدول عن اسناد الغضب اليه تعالى كالانعام جرى على منهاج الاداب التنزيلية في نسبة النعم والخير
اليه عز وجل دون اضدادها كما في قوله تعالى الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو
يشفين وقوله تعالى وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا ولا مزيد التاكيد ما افاده غير من معنى
النفي كانه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب جواز انا زيدا لا ضارب وان امتنع انا

نزال مثل ضارب والضلال هو العدول عن الصراط السوي وقرئ وغير الضالين بالهمزة على لغة من جد في الهرب
على التقاء الساكنين امين اسم فعل هو استجب وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن معنى امين فقال افعل بني على الفتح كاين لالتقاء الساكنين وفيه لغتان مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال امينا
وقال آمين فزاد الله ما بيننا بعدا • عن النبي صلى الله عليه وسلم لقنني جبريل عليه السلام امين عند فراغي من قراءة فاتحة
الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب وليست من القران وفاقا ولكن يسن ختم السورة الكريمة بها والمشهور عند ابي حنيفة
رحمه الله ان المصلي يأتي بها مخافتة وعنه انه لا ياتي بها الامام لانه الداعي وعن الحسن رحمه الله مثله وروى الاخفاء
عبد الله بن معقل وانس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم وعند الشافعي يجهر بها لما روى وائل بن حجر ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان اذا قرا ولا الضالين قال امين ورفع بها صوته عن رسول الله عليه وسلم انه قال فاتحة الكتاب انها السبع
المثاني والقران العظيم ابيته وعن حذيفة اليمان ان النبي عليه السلام ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا
فيقرا صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله فيرفع عنهم العذاب بذلك اربعين سنة •

سورة البقرة مائتان ست وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم الالفاظ التي يعبر بها عن حروف المعجم التي من جملتها المقطعات المرقومة في فواتح السور الكريمة
اسماء لها لاندراجها تحت حد الاسم ويشهد به ما يعتريها من التعريف والتنكير والجمع والتصغير وغير ذلك من خصائص
الاسم وقد نص على ذلك اساطين ائمة العربية وما وقع في عبارات المتقدمين من التصريح بحرفيتها محمول على المسامحة
واما ما روي عن ابن مسعود رحمه الله من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر
امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف وفي رواية الترمذي والدارمي لا اقول الم حرف ذلك الكتاب
حرف ولكن الالف حرف واللام حرف والميم حرف والذال حرف والكاف حرف فلا تعلق له بما نحن فيه قطعا فان اطلاق الحرف
على ما يقابل الاسم والفعل عرف جديد اخترعه ائمة الصناعة وانما الحرف عند الاوائل ما يتركب منه الكلم من الحروف المبسوطة
وربما يطلق على الكلمة ايضا تجوزا فاريد بالحديث الشريف دفع توهم التجوز وزيادة تعيين ارادة المعنى الحقيقي ليتبين بذلك ان
الحسنة الموعودة ليست بعدد الكلمات القرانية بل بعدد حروفها المكتوبة في المصاحف كما يلوح به ذكر كتاب الله دون كلام الله او
القران وليس هذا من تسمية الشيء باسم مدلوله في شيء كما قيل كيف لا والمحكوم عليه بالحرفية واستتباع الحسنة انما هي المسميات
البسيطة الواقعة في كتاب الله عز وجل سواء عبر عنها باساميها او بانفسها كما في قولك السين مهملة والسين معجمة مثلثة وغير
ذلك مما لا يصدق المحمول الا على ذات الموضوع لا اسماؤها المؤلفة كما اذا قلت الالف مؤلف من ثلاثة احرف فكان الحسنات
في قراءة قوله تعالى ذلك الكتاب بمقابلة حروفه البسيطة وموافقة لعددها كذلك في قراءة قوله تعالى الم في مقابلة حروفه
الثلاثة المكتوبة وموافقة لعددها لا بمقابلة اسمائها الملفوظة والالفات الموافقة في العدد اذ الحكم بان كلا منها
حرف واحد مستلزم للحكم بانه مستتبع لحسنة واحدة فالعبرة في ذلك بالمعبر عنه دون المعبر به ولعل السر فيه ان
استتباع الحسنة منوط بافادة المعنى المراد بالكلمات القرانية فكما ان سائر الكلمات الشريفة لا يفيد معانيها الا بتلفظ
حروفها بانفسها كذلك الفواتح المكتوبة لا تفيد المعاني المقصودة بها الا بالتعبير عنها باساميها فجعل ذلك تلفظا بالمسميات
كالقسم الاول من غير فرق بينهما الا ترى ما في الرواية الاخيرة من قوله عليه السلام والذال حرف والكاف حرف كيف عبر
عن طرفي ذلك باسميهما مع كونهما ملفوظين بانفسهما ولقد روعيت في هذه التسمية نكتة رائقة حيث جعل مسمى لكونه من
قبيل الالفاظ صدر الاسمية ليكون هو المفهوم منه اثر ذي اثير خلا ان الالف حيث تعذر الابتداء استعير مكانها الهمزة
وهي معربة اذ لا مناسبة بينها وبين مبني الاصل لكنها ما لم تلها العوامل ساكنة الاعجاز على الوقف كاسماء الاعداد وغيرها
حين خلت عن العوامل ولذلك قيل صاد وقاف مجموعا فيهما بين الساكنين ولم يعامل معاملة اين وكيف وهؤلاء وان وليها
عامل مسها الاعراب وقصرها اخره الف عند التهجي لابتغاء الخفة لا لان وزانه وزان لفظ لا يقصر تارة فيكون وعد

اخري

اخري فيكون اسما لها كما في قول حسان رحمه الله • ما قال لا قط الا في تشهده لولا التشهد لم تسمع له لاء • هذا
وقد تكلموا في شان هذه الفواتح الكريمة وما اريد بها فقيل انها من العلوم المستورة والاسرار المحجوبة روي عن الصديق
رضي الله تعالى عنه انه قال في كل كتاب سر وسر القران اوائل السور وعن علي رضي الله عنه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا
الكتاب حروف التهجي وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال عجزت العلماء عن ادراكها وسئل الشعبي عنها فقال سر الله فلا
تطلبوه وقيل اسماء الله تعالى وقيل كل حرف منها اشارة الى اسم من اسمائه او صفة من صفاته تعالى وقيل انها صفات
الافعال الالف آلاؤه واللام لطفه والميم مجده وملكه قال محمد بن كعب القرظي وقيل انها من قبيل الحسابات
وقيل الالف من الله تعالى واللام من جبريل عليه السلام والميم من محمد صلى الله عليه وسلم اي انزل الله الكتاب
بواسطة جبريل على محمد وقيل هي اقسام من الله تعالى بهذه الحروف المعجمة لشرفها من حيث انها اصول اللغات ومبادي
كتبه المنزلة ومباني اسمائه الكريمة وقيل اشارة الى انتهاء كلام وابتداء كلام آخر وقيل وقيل ولكن الذي عليه التعويل اما
كونها اسماء السور المصدرة بها وعليه اجماع الاكثر واليه ذهب الخليل وسيبويه قالوا سميت بها ايذانا بانها
كلمات عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الالفاظ فلولا انه وحي من الله عز وجل لما عجزوا عن معارضته ويقرب
منه ما قاله الكلبي والسدي وقتادة من انها اسماء القران والتسمية بثلاثة اسماء فصاعدا انما تستنكر في لغة
العرب اذا ركبت وجعلت اسما واحدا كما في حضرموت فاما اذا كانت منثورة فلا استنكار فيها والمسمى هو المجموع
لا الفاتحة فقط حتى يلزم اتحاد الاسم والمسمى غاية الامر دخول الاسم في المسمى ولا محذور فيه كعكسه حسبما تحقق
الفا وانما كتبت في المصاحف صور المسميات دون صور الاسماء لانه ادل على كيفية التلفظ بها وهي ان يكون على
نهج التهجي دون التركيب ولان فيه سلامة عن التطويل لا سيما في الفواتح الخماسية على ان خط المصحف مما لا يناقش
فيه لمخالفة القياس واما كونها مسرودة على نمط التعديد واليه جنح اهل التحقيق قالوا انما وردت هكذا ليكون
ايقاظا لمن تحدى بالقران وتنبيها لهم على انه منتظم من عين ما ينظمون منه كلامهم فلولا انه خارج عن طوق البشر
نازل من عند خلاق القوى والقدر لما تضاءلت قوتهم وهم فرسان حلبة الحوار وامراء الكلام في نادي الفخار دون
الاتيان بما يدانيه فضلا عن المسارعة بما يساويه مع تظاهرهم في المضادة والمضارة وتهالكهم على المعازة والمعارة
او ليكون مطلع ما يتلى عليهم مستقلا بضرب من الغرابة انموذجا لما في الباقي من فنون الاعجاز فان النطق
بانفس الحروف في تضاعيف الكلام وان كان في طرف الثمام يتناوله الخواص والعوام • من الاعراب والاعجام
لكن التلفظ باسمائها انما يتاتى ممن درس وخط • واما من لم يحم حول ذلك قط • فاعز من بيض الانوق • وابعد من مناط
العيوق • لا سيما اذا كان على نمط عجيب • واسلوب غريب • منبئ عن سر سري • مبني على نهج عبقري • بحيث يحار في
فهمه ارباب العقول • ويعجز عن ادراكه الباب الفحول • كيف لا وقد وردت تلك في تسع وعشرين سورة على عدد
حروف المعجم مشتملة على نصفها تقريبا بحيث ينطوي على الانصاف انصافها تحقيقا او تقريبا كما يتضح عند التفحص
والتتبع حسبما فصله بعض الافاضل ائمة التفسير • فسبحان من دقت حكمته من ان يطالعها الانظار وجلت
قدرته عن ان ينالها ايدي الافكار وايراد بعضها فرادى وبعضها ثنائية الى الخماسية جرى على عادة الافتنان مع
مراعاة ابنية الكلم وتفريقها على السور دون ايراد كلها مرة لذلك ولما في التكرير والاعادة من زيادة افادة
وتخصيص كل منها بسورته مما لا سبيل الى المطالبة بوجهه وعد بعضها اية دون بعض مبني على التوقيف البحت
اما الم فاية حيث ما وقعت وقيل في ال عمران ليست باية والمص آية والمر ليست باية والر ليست باية في شيء من سورها
الخمس وطسم اية في سورتيها وطه ويس ايتان وطس ليست باية وحم اية في سورها وكهيعص اية وحم عسق
ايتان وص وق ونون لم يعد واحدة منها اية هذا على راي الكوفيين وقد قيل ان جميع الفواتح ايات عندهم
في السور كلها بلا فرق بينها واما من عداهم فلم يعدوا شيئا منها اية ثم انها على تقدير كونها مسرودة على نمط التعديد
لا تشم رائحة الاعراب ويوقف عليها وقف التام وعلى تقدير كونها اسماء للسور او للقران كان لها حظ منه اما الرفع

على الابتداء او على الخبرية واما النصب بفعل مضمر كما ذكر ويتعين فعل القسم على طريقة الله لافعلن واما الجر بتقدير حرفه حسبما يقتضيه المقام ويستدعيه النظام ولا وقف فيما عدا الرفع على الخبرية والتلفظ بالكل على وجه الحكاية ساكنة الاعجاز الا ان ما كان منها مفردة مثل ص وق ون يتأتى فيها الاعراب اللفظي ايضا وقد قرئ بالنصب على اضمار فعل اذكر او القسم صاد وقاف ونون وانما لم تنون لامتناع الصرف وكذا ما كانت منها موازنة لمفرد نحو حم ويس وطسم الموازنة لقابيل وهابيل حيث اجاز سيبويه فيها مثل ذلك قال في باب اسماء السور من كتابه وقد قرأ بعضهم يس والقرآن الحكيم وقاف والقرآن فكأنه جعله اسما اعجميا ثم قال اذكر ياسين انتهى وحكى السيرافي ايضا عن بعضهم قراءة ياسين ويجوز ان يكون ذلك في الكل تحريكا لالتقاء الساكنين ولامساغ للنصب باضمار فعل القسم لان ما بعدها من القرآن والقلم محلوف بهما وقد استنكروا الجمع بين قسمين على مقسم عليه واحد قبل انقضاء الاول وهو السر في جعل ما عدا الواو والاولى في قوله تعالى والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى عاطفة ولا مجال للعطف ها هنا للمخالفة بين الاول والثاني في الاعراب نعم يجوز ذلك بجعل الاول مجرورا باضمار الباء القسمية مفتوحا لكونه غير منصرف وقرئ صاد وقاف بالكسر على التحريك لالتقاء الساكنين ويجوز في طس ميم ان تفتح نونها وتجعل من قبيل دار ابجرد ذكره سيبويه في كتابه واما ما عدا ذلك من الفواتح فليس فيها الا الحكاية وسيجيء تفاصيل سائر الاحكام كل منها مشروحة في مواقعها باذن الله عز سلطانه واما هذه الفاتحة الشريفة فان جعلت اسما للسورة او القرآن فمحلها الرفع اما على انه خبر لمبتدا محذوف والتقدير هذا الم اي مسمى بها وانما صحت الاشارة الى القرآن بعضا او كلا مع عدم سبق ذكره لانه باعتبار كونه بصدد الذكر صار في حكم الحاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشترى فلان واما على انه مبتدا اي المسمى به والاول هو الاظهر لان ما يحصل عنوان الموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه عند المخاطب واذ لا علم بالتسمية قبل تحققها الاخبار بها وادعاء شهرتها يأباه التردد في ان المسمى هو السورة او كل القرآن **ذلك** ذا اسم اشارة واللام عماد جيء به للدلالة على بعد المشار اليه والكاف للخطاب والمشار اليه هو المسمى فانه منزل منزلة المشاهد بالحس البصري وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو شانه وكونه في الغاية القاصية مع الفضل والشرف اثر تنويهه بذكر اسمه وما قيل من انه باعتبار التقضي او باعتبار الوصول من المرسل الى المرسل اليه في حكم المتباعد وان كان مصححا للايراد لكنه بمعزل من ترجيحه على ايراد ما وضع للاشارة الى القريب في تذكيره على تقدير كون المسمى هو السورة لان المشار اليه هو المسمى بالاسم المذكور من حيث هو مسمى به لا بسورة ادعى اعتبار الحيثية الثانية في الاول بناء على ان التسمية لتمييز السور بعضها من بعض فلذلك تذكيرها بعد وهو على وجه الاول مبتدا على حدة وعلى الوجه الثاني مبتدا ثان وقوله عز وعلا **الكتاب** اما خبر له او صفة اما اذا كان خبرا له فالجملة على الوجه الاول مستانفة مؤكدة لما افادته الجملة الاولى من نباهة شان المسمى لا محل لها من الاعراب وعلى الوجه الثاني في محل الرفع على انها خبر للمبتدا الاول واسم الاشارة مغن عن الضمير العائد والكتاب اما مصدر سمي به المفعول مبالغة كالخلق والتصوير للمخلوق والمصور واما فعال بني للمفعول كاللباس في الاشياء الخافية عليه واطلاق الكتاب على المنظوم عبارة من الكتب التي هي ضم الحروف بعضها الى بعض واصله الجمع والضم في الامور البادية الحسن البصري ومنه الكتيبة للعسكر كما ان اصل القراءة الجمع والضم في الاشياء الخافية عليه واطلاق الكتاب على المنظوم عبارة لما ان ماله الى الكتابة والمراد على تقدير كون المسمى هو السورة جميع القرآن العظيم فان لم يتم تنزيله عند نزول السورة اما باعتبار تحققه في علم الله عز وجل واما باعتبار ثبوته في اللوح المحفوظ او باعتبار نزوله الى سماء الدنيا حسبما ذكر في فاتحة الكتاب واللام للعهد والمعنى ان هذه السورة هو الكتاب اي العمدة القصوى منه كانه في احراز الفضل كل الكتاب المعهود الغني عن الوصف بالكمال لاشتهاره به فيما بين الكتب على طريقة قوله الحج عرفة وعلى تقدير كون المسمى كل القرآن فالمراد بالكتاب الجنس واللام للحقيقة والمعنى ان ذلك هو الكتاب الكامل الحقيق بان يخص به اسم الكتاب لغاية تفوقه على بقية الافراد في حيازة

كمالات الجنس كان ما عداه من الكتب السماوية خارج منه بالنسبة اليه كما يقال هو الرجل اي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مراضي الخصال وعليه قول من قال هم القوم كل القوم يا ام خالد فالمدح كما ترى من جهة حصر كمال الجنس في فرد من افراده وفي الصورة الاولى من جهة حصر كمال الكل في الجزء ولامساغ هنالك لحمل الكتاب على الجنس لما ان فرده المعهود هو مجموع القرآن المقابل لسائر افراده من الكتب السماوية لابعضه الذي ينطلق عليه اسم الكتاب باعتبار كونه جزءا لهذا الفرد لا باعتبار كونه جزئيا للجنس على حياله ولان حصر الكمال في السورة مشعر بنقصان سائر السور وان لم يكن الحصر بالنسبة اليها لتحقق المغايرة بينهما هذا الخبر الاول على تقدير كون الكتاب خبرا لذلك واما اذا كان صفة له فذلك الكتاب في تقدير كون الم خبر مبتدا محذوف واما خبر ثان او بدل من الخبر الاول او مبتدا مستقل خبره ما بعده وعلى تقدير كونه مبتدا اما خبر له او مبتدا ثان خبره ما بعده والجملة خبر للمبتدا الاول والمشار اليه على كلا التقديرين هو المسمى سواء كان هي السورة او القرآن ومعنى البعد ما ذكر من الاشعار بعلو شانه وقد المعنى ذلك الكتاب العظيم الشان البالغ اقصى مراتب الكمال وقيل المشار اليه هو الكتاب الموعود فمعنى البعد ظاهر خلا انه ان كان المسمى هو السورة ينبغي ان يراد بالوعد ما في قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا كما قيل وان كان هو القرآن فهو ما في التوراة والانجيل هذا على تقدير كون الم اسما للسورة او للقرآن واما على تقدير كونها مسرودة على نمط التعديد فذلك مبتدا والكتاب اما خبره واما صفته والخبر ما بعده على نحو ما سلف او خبر مبتدا اي المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرئ الم تنزيل الكتاب وقوله تعالى **لَا رَيْبَ فِيهِ** اما في محل الرفع على انه خبر لذلك الكتاب على الصور الثلاث المذكورة واما على انه خبر ثان لالم او لذلك على تقدير كون الكتاب خبرا او للمبتدا المقدر اخرا على راي من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى واما في محل النصب على الحالية من ذلك او من الكتاب والعامل معنى الاشارة واما جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب مؤكدة لما قبلها وكلمة لا نافية للجنس مفيدة للاستغراق عاملة عمل ان لحملها عليها لكونها نقيضا لها ولازمة للاسم لزومها واسمها مبني على الفتح لكونه مفردا نكرة لا مضافا ولا شبيها به واما ما ذكره الزجاج من انه معرب وانما حذف التنوين للتخفيف فمما لا تعويل عليه وسبب بنائه تضمنه معنى من الاستغراقية لانه مركب معها تركيب خمسة عشر كما توهم وخبرها محذوف اي لا ريب موجود او نحوه كما في قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله والظرف صفة لاسمها ومعناه نفي الكون المطلق وسلبه عن الريب المفروض في الكتاب او الخبر هو الظرف ومعناه سلب الكون فيه عن الريب المطلق وقد جعل الخبر المحذوف ظرفا وجعل المذكور خبرا لما بعده وقرئ لا ريب فيه على ان لا بمعنى ليس والفرق بينه وبين الاول ان ذلك موجب للاستغراق وهذا مجوز له والريب في الاصل مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقتها قلق النفس واضطرابها ثم استعمل في معنى الشك مطلقا او مع تهمة لانه يقلق النفس ويزيل الاطمئنانية وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك ومعنى نفيه عن الكتاب انه في علو الشان وسطوع البرهان بحيث ليس فيه مظنة ان يرتاب في حقيقة كونه وحيا منزلا من عند الله تعالى لا انه لا يرتاب فيه احد اصلا الا ترى كيف جوز ذلك في قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا الآية فانه في قوة ان يقال وان كان لكم ريب فيما نزلنا او وان ارتبتم فيما نزلنا الى آخره الا انه خولف في الاسلوب حيث فرض كونهم في الريب لا كون الريب فيه لزيادة تنزيه ساحة التنزيل عنه مع نوع اشعار بان ذلك من جهتهم لا من جهته العالية ولم يقصد هاذلك الاشعار كما لم يقصد ها الاشعار بثبوت الريب في سائر الكتب ليقتضي المقام تقديم الظرف كما في قوله تعالى لا فيها غول **هُدًى** مصدر من هداه كالسرى والبكى وهو الدلالة بلطف ما يوصل الى البغية اي ما من شانه ذلك وقيل هي الدلالة الموصلة اليها بدليل وقوع الضلالة في مقابلته وفي قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ولا شك في ان عدم الوصول معتبر في مفهوم الضلال فيعتبر الوصول في مفهوم مقابله ومن ضرورة اعتباره فيه اعتباره في مفهوم الهدى المتعدي اذ لا فرق بينهما الا من حيث التأثير والتأثر ومحصله ان الهدى المتعدي هو التوجيه الموصل لان اللازم هو التوجه الموصل بدليل ان مقابله الذي هو الضلال توجه غير موصل قطعا وهذا كما ترى مبني على امرين اعتبار الوصول وجوبا في مفهوم اللازم واعتبار وجود اللازم وجوبا في مفهوم المتعدي

اذ لا فرق بينهما الا من حيث التاثير والتاثر ومحصله ان الهدي المتعدي هو التوجيه الموصل لان اللازم هو التوجه
الموصل بدليل ان مقابله الذي هو الضلال توجه غير موصل قطعا وهذا كما ترى مبني على امرين اعتبار الوصول وجوبا
في مفهوم اللازم واعتبار وجود اللازم وجوبا في مفهوم المتعدي وكلا الامرين بل هما معتبران في مفهوميهما على وجه مخصوص
به يتحقق التقابل بينهما وتوضيحه ان الهدي لا بد فيه من اعتبار توجه عن علم الى ما من شانه الايصال الى البغية كما ان الضلال
لا بد فيه من اعتبار الجور عن المقصد الى ما ليس من شانه الايصال قطعا وهذه المرتبة من الاعتبار مسلمة بين الفريقين
ومحققة للتقابل بينهما وانما النزاع في ان امكان الوصول الى البغية هل هو كاف في تحصيل مفهوم الهدي ولا بد فيه من
خروج الوصول من القوة الى الفعل كما ان عدم الوصول بالفعل معتبر في مفهوم الهدي اعتبارا مقارنا له في الوجود زمانا
حسب اعتبار عدمه في مفهوم مقابله فذلك بين البطلان لان الوصول غاية للتوجه المذكور فينتهي به قطعا لاستحالة التوجه
الى تحصيل الحاصل وما يبقى بعد ذلك فهو اما توجه الى الثبات عليه واما توجه الى زيادته ولان التوجه الى المقصد
تدريجي والوصول اليه دفعي فيستحيل اجتماعهما في الوجود ضرورة واما عدم الوصول بحيث كان امرا مستمرا مثل ما يقتضيه
من الضلال وجب مقارنته له في جميع ازمنة وجوده اذ لو فارقه في آن من آنات تلك الازمنة لقارنه في ذلك الان مقابله
الذي هو الوصول فما فرضناه ضلالا لا وان اريد اعتباره من حيث انه غاية له واجبة الترتيب عليه لزم ان يكون التوجه المقارن
لغاية الجد في السلوك الى ما من شانه الوصول عند تخلفه عنه لمانع خارجي كاخترام المنية مثلا من غير تقصير ولا جود من قبل
المتوجه ولا خلل من جهة المسلك ضلالا اذ لا واسطة بينهما مع انه لا جور فيه عن القصد اصلا فبطل اعتبار وجوب الوصول في
مفهوم اللازم قطعا وتبين منه عدم اعتباره في مفهوم المتعدي حتما واما اعتبار وجود اللازم فيه وجوبا وهو الامر الثاني فبيانه
مبني على تمهيد اصل فهو ان فعل الفاعل حقيقة هو الذي يقصد عنده ويتم من قبله لكن لما لم يكن في تحققه في نفسه بد من تعلقه
بمفعوله اعتبر ذلك في مدلول اسمه قطعا ثم لما كان له باعتبار كيفية صدوره عن فاعله وكيف تعلقه بمفعوله وغير ذلك
اثار شتى مترتبة عليه متمايزة في انفسها مستقلة باحكام مقتضية لافرادها باسما خاصة وعرض له بالقياس الى كل اثر من تلك
الاثار اضافة خاصة ممتازة عما عداها من الاضافات العارضة له بالقياس الى سايرها وكانت تلك الاثار تابعة له في
التحقق غير منفكة عنه اصلا اذ لا موثر لها سوى فاعلها عدت متمماته واعتبرت الاضافة العارضة له بحسبها داخلة في
مدلوله كالاعتماد المتعلق بالجسم مثلا وضع له باعتبار الاضافة العارضة له من انكساره ذلك الجسم الذي هو اثر خاص له ذلك
الاعتماد اسم الكسر وباعتبار الاضافة العارضة من انقطاعه الذي هو اثر اخر له اسم القطع الى غير ذلك من الاضافات العارضة
له بالقياس الى اثاره اللازمة له وهذا امر مطرد في اثار الطبيعة واما الاثار التي له مدخل في وجودها في الجملة من غير ايجاب لها
تترتب عليه وتفارقه اخرى بحسب وجود اسبابها الموجبة لها وعدمها كالاثار الاختيارية الصادرة عن موثراتها بواسطة كونه
داعيا اليه بحيث كانت تلك الاثار مستقلة في انفسها مستندة الى موثراتها غير لازمة له لزوم الاثار الطبيعية التابعة له لم تعد
من متمماته ولم تعتبر الاضافة العارضة له بحسبها داخلة في مدلوله كالاضافة العارضة للامر بحسب امتثال المامور والاضافة
العارضة المدعوة بحسب اجابة المدعو فان الامتثال والاجابة وان عدا من اثار الامر والدعوة باعتبار ترتبهما عليهما غالبا لكنهما
حيث كانا فعلين اختياريين للمامور والمدعو مستقلين في انفسهما غير لازمين للامر والدعوة لم يعدا من متمماتهما ولم يعتبر
الاضافة العارضة لهما بحسبهما داخلة في مدلول اسمهما بل جعلا عبارة من نفس الطلب المتعلق بالمامور والمدعو سواء وجد الامتثال
والاجابة اولا اذا تمهد هذا فنقول كما ان الاجابة والامتثال فعلان مستقلان في نفسهما صادران عن المدعو والمامور باختيارهما
غير لازمين للامر والدعوة لزوم الاثار الطبيعية التابعة للافعال الموجبة لها وان كان مترتبين عليهما في الجملة كذلك هدى المهدي
اي توجهه الى ما ذكر من المسلك فعل مستقل له صادر عنه باختياره غير لازم للهداية اعني التوجيه اليه لزوم ما ذكر من الاثار
الطبيعية وان كان مترتبا عليها في الجملة فلما لم يعدا من متممات الامر ولم تعتبر الاضافة العارضة لها بحسبهما داخلة في
مدلولهما علم انه لم يعد هدي اللازم من متممات الهداية ولم يعتبر الاضافة لها بحسبه داخلة في مدلولها اذ قبل ليس
الهدي بالنسبة الى الهداية كالامتثال والاجابة بالقياس الى اصليهما فان تعلق الامر والدعوة بالمامور والمدعو لا يقتضي

الا اتصافهما

الا اتصافهما بالامتثال والاجابة اذ لا تلازم بينهما وبين الاولين اصلا بخلاف الهدي بالنسبة الى الهداية فان تعلقها
بالمهدي يقتضي اتصافه به لان تعلق الفعل المتعدي المبني للفاعل بمفعوله بدل على اتصافه بمصدر الماخوذ من
المبني للمفعول قطعا وهو مستلزم لاتصافه بمصدر الفعل اللازم وهل هو الا وجود اعتبار اللازم في وجود المتعدي
حتما قلنا كما ان تعلق الامر والدعوة بالمامور والمدعو لا يستدعي الا اتصافهما بما ذكر من غير تعرض للامتثال والاجابة
ايجابا وسلبا كذلك تعلق الهداية التي هي عبارة عن الدلالة المذكورة بالمهدي لا يستدعي الا اتصافه بالمدلولية
التي هي عبارة عن المصدر الماخوذ من المبني للمفعول غير تعرض لقبوله لتلك الدلالة كما هو معنى الهدي اللازم ولا
لعدم قبوله بل الهداية عين الدعوة الى طريق الحق والاهتداء عين الاجابة فكيف يوخذ في مدلولها واستلزام الاتصاف
بمصدر الفعل المتعدي المبني للمفعول للاتصاف بمصدر الفعل اللازم مطلقا انما هو في الافعال الطبيعية كالتكسر
والانكسار والمقطوعية والانقطاع واما الافعال الاختيارية فليست كذلك كما حققته فيما سلف ان قيل التعلم من
قبيل الافعال الاختيارية مع انه معتبر في مدلول التعليم قطعا فليكن الهداية كذلك قلنا ليس ذلك لكونه فعلا
اختياريا على الاطلاق ولا لكون التعليم عبارة عن تحصيل العلم للمتعلم كما قيل فان المعلم ليس مستقلا في ذلك فيفي اسناده
اليه ضرب تجوز بل لان كلا منهما مفتقر في تحققه وتحصله الى الاخر فان التعليم عبارة عن القاء المبادي العلمية
على المتعلم وسوقها الى ذهنه شيا فشيا على ترتيب يقتضيه الحال بحيث لا يساق اليه بعض منها الا بعد تلقيه لبعض
اخر فكل منهما متمم للاخر معتبر في مدلوله واما الهدي الذي هو عبارة عن التوجه المذكور ففعل اختياري يستقل به فاعله
اذ لا دخل للهداية فيه سوى كونها داعية الى ايجاده باختياره فلم يكن من متمماتها ولا معتبرا في مدلولها ان قيل
التعلم نوع من انواع الهداية والتعلم نوع من نوع الاهتدا فيكون اعتباره في مدلول التعليم اعتبارا للهدي في مدلول الهدا
قلنا اطلاق الهداية على التعليم انما هو عند وضوح المسلك واستبداد المتعلم بسلوكه من غير دخل للتعليم فيه سوى كونه
داعيا اليه وقد عرفت حلية الامر على ذلك التقديرين ان قيل ليس تخلف الهدي عن الهداية كتخلف التعلم عن التعليم
بحيث لم يكن ذلك تعليما في الحقيقة فلتكن الهداية ايضا كذلك وليحمل تسمية ما لا يستتبع الهدي هداية على التجوز قلنا
شتان بين التخلفين فان تخلف التعلم عن التعليم يكون لقصور فيه كما ان تخلف الانكسار عن الضرب الضعيف لذلك
واما تخلف الهدي عن الهداية فليس لشان قصور من جهتها بل انما هو لفقد سببه الموجب له من جهة المهدي بل كامل
ما يتم من قبل الهادي وبهذا التحرير اتضح طريق الهداية وتبين انها عبارة عن مطلق الدلالة على ما من شانه الايصال
الى البغية بتعريف معالمه وتبيين مسالكه من غير ان يشترط في مدلولها الوصول ولا القبول وان الدلالة المقارنة
لها للاحدهما والمفارقة عنهما كل ذلك مع قطع النظر عن قبل المقارنة وعدمها افراد حقيقية لها وان ما في قوله تعالى
انك لا تهدي من احببت وقوله تعالى ولو شاء لهداكم اجمعين ونحو ذلك مما اعتبر فيه الوصول من قبيل المجاز وانكشف
ان الدلالات التكوينية المنصوبة في الانفس والافاق والبيانات التشريعية الواردة في الكتب السماوية على الاطلاق
بالنسبة الى كافة البرية برها وفاجرها هدايات حقيقية فايضة من عند الله سبحانه والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا
لنهتدي لولا ان هدانا الله للمتقين المتصفين بالتقوى حالا او مالا وتخصيص الهدي بهم لما انهم المقتبسون
من انواره المنتفعون باثاره وان كان ذلك شاملا لكل ناظر من مومن وكافر وبذلك الاعتبار قال الله تعالى هدى
للناس والمتقي اسم فاعل من باب الافتعال من الوقاية وهي فرط الصيانة والتقوى في عرف الشرع عبارة عن كمال التوقي
عما يضره في الاخرة قال عليه السلام جماع التقوى في قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية وعن عمر بن عبد
العزيز انه ترك ما حرم واداء ما فرض الله وعن شهر بن حوشب المتقي من يترك ما لا باس به حذرا من الوقوع فيما فيه
باس وعن ابي يزيد ان التقوى هو التورع عن كل ما فيه شبهة وعن محمد بن خفيف انه مجانبة عن كل ما يبعدك عن الله تعالى
وعن سهل المتقي من تبرا عن حوله وقوته وقيل التقوى ان لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث امرك وعن
ميمون بن مهران لا يكون الرجل تقيا حتى يكون اشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح والسلطان الجائر وعن ابي

ثواب بين التقوى خمس عقبات لا ينالها من لا يجاوزهن ايثار الشدة على النعمة وايثار الضعف على القوة وايثار
الذل على العز وايثار الجهد على الراحة وايثار الموت على الحياة وعن بعض الحكما انه لا يبلغ الرجل سنام التقوى الا ان يكون
بحيث لو جعل ما في قلبه في طبق وطيف به في السوق لم يستحي ممن نظر اليه وقيل التقوى ان تزين سرك للحق كما تزين
علانيتك للخلق والتحقيق ان للتقوى ثلاث مراتب الاولى التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن الكفر وعليه
قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغاير عند قوم وهو المتعارف
بالتقوى في الشرع وهو المعني بقوله تعالى ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لكفرنا عنهم سياتهم والثالثة ان يتنزه عن
كل ما يشغل سره عن الحق عز وجل ويتبتل اليه بكليته وهو التقوى الحقيقي المامور به في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله حق تقاته ولهذه المرتبة عرض عريض تتفاوت فيه طبقات اصحابها حسب تفاوت درجات استعداداتهم
الفايضة عليهم بموجب المشية الالهية المبنية على الحكم الابية واقصاها ما انتهى اليه همم الانبياء عليهم الصلوة
والسلام حيث جمعوا بذلك بين رياستي النبوة والولاية وما عاقهم التعلق بعالم الاشباح عن العروج الى عالم الارواح
ولم تصدهم الملابسة بمصالح الخلق عن الاستغراق في شؤن الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المويدة بالقوة
القدسية وهداية الكتاب المبين شاملة لارباب هذه المراتب اجمعين فان اريد بكونه هدى للمتقين ارشاده اياهم
الى تحصيل المرتبة الاولى ونيلها فالمراد بهم المشارفون للتقوى مجازا لاستحالة تحصيل الحاصل وايثاره على العبارة
المعربة عن ذلك للايجاز وتصدير السورة الكريمة بذكر اوليائه تعالى وتفخيم شانهم وان اريد به ارشاده الى تحصيل
احدى المرتبتين الاخريين فان عني بالمتقين اصحاب الطبقة الاولى تعينت الحقيقة وان عني بهم اصحاب احدى
الطبقتين الاخريين تعين المجاز لان الوصول اليهما انما يتحقق بهداية المرتبة وكذا الحال فيما بين المرتبة الثانية
فانه ان اريد بهم بالهدى الارشاد الى تحصيل المرتبة الثالثة فان عني بالمتقين اصحاب المرتبة الثانية تعينت الحقيقة
وان عني بهم اصحاب المرتبة الثالثة تعين المجاز ولفظ الهداية حقيقة في جميع الصور واما ان اريد بكونه هدى لهم
تثبيتهم على ما هم عليه وارشادهم الى الزيادة فيه على ان يكون مفهومها داخلا في المعنى المستعمل فيه فهو مجاز لا محالة
ولفظ المتقين حقيقة على كل حال واللام متعلقة بهدى او بمحذوف وقع صفة له او حالا منه ومحل هدى الرفع
على انه خبر لمبتدا محذوف اي هو هدى او خبر مع لا ريب فيه لذلك الكتاب او مبتدا خبره الظرف المقدم كما اشير
اليه او النصب على الحالية من ذلك او من الكتاب والعامل معنى الاشارة او من الضمير في فيه والعامل ما في الجار والمجرور
من معنى الفعل المنفي كانه قيل لم يحصل فيه الريب حال كونه هاديا على انه قيد للنفي وحاصله انتفى الريب فيه حال
كونه هاديا وتنكيره للتفخيم وحمله على الكتاب اما للمبالغة كانه نفس الهدى او لجعل المصدر بمعنى الفاعل هذا والذي
يستدعيه جزالة التنزيل في شان ترتيب هذه الجمل ان تكون متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يتخلل
بينهما عاطف فالم جملة برأسها على انها خبر لمبتدا مضمر او طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها دالة على ان المتحدى
به هو المولف من جنس ما يولفون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي لما دلت عليه من كونه
منعوتا بالكمال الفايق ثم سجل على غاية فضله بنفي الريب فيه اذ لا افضل مما للحق واليقين وهدى للمتقين بما
يقدر له من المبتدا جملة موكدة لكونه حقا لا يحوم حوله شائبة شك ما ودلالة على تكمله بعد كماله او يستتبع السابقة
منها اللاحقة استتباع الدليل للمدلول فانه لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن
معارضته بالمرة ظهر انه الكتاب البالغ اقصى مراتب الكمال وذلك مستلزم لكونه في غاية النزاهة عن مظنة الريب
اذ لا انقص مما يعتريه الشك وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل منها من النكت الرايقة والمزايا
الفايقة ما لا يخفى جلالة شانه حسبما تحققه الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ اما موصول بالمتقين ومحله الجر على انه
صفة مقيدة له ان فسر التقوى بترك المعاصي مترتبة فقط عليه ترتب التحلية على التخلية وموضحة ان فسر بما هو المتعارف
شرعا والمتبادر عرفا من فعل الطاعات وترك السيئات معا لانها حينئذ تكون تفصيلا لما انطوى عليه اسم الموصوف

اجمالا وذلك لانها مشتملة على ما هو عماد الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلوة والصدقة فانها امهات
الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لساير القرب الداعية الى التجنب عن المعاصي غالبا
الا ترى الى قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه الصلوة والسلام الصلوة عماد الدين والزكوة
قنطرة الاسلام او مادحة للموصوفين بالتقوى المفسر بما مر من فعل الطاعات وترك السيئات وتخصيص ما ذكر
من الخصال الثلاث بالذكر لاظهار شرفها وانافتها على ساير ما انطوى تحت اسم التقوى من الحسنات او النصب على
المدح بتقدير اعني او الرفع عليه بتقدير هم واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء خبره الجملة المصدرة باسم الاشارة
كما سياتي بيانه فالوقف على المتقين حينئذ وقف تام لانه وقف على مستقل ما بعده ايضا مستقل واما على
الوجوه الاول فحسن لاستقلال الموقوف عليه غير تام لتعلق ما بعده به وتبعيته له اما على تقدير الجر على الوصفية
فظاهر واما على تقديري النصب او الرفع على المدح فلما تقرر من ان المنصوب والمرفوع مدحا وان خرجا عن التبعية
لما قبلهما صورة حيث لم يتبعاه في الاعراب وبذلك سميا قطعا لكنهما تابعان له حقيقة الا ترى كيف التزموا
حذف الفعل والمبتدا في النصب والرفع روما لتصوير كل منهما بصورة متعلق من متعلقات ما قبله وتنبيها
على شدة الاتصال بينهما قال ابو علي اذا ذكرت صفات المدح وخولف في بعضها الاعراب فقد خولف للافتنان او
للتفنن الموجب لايقاظ السامع وتحريكه الى الجد في الاصغاء فان تغيير الكلام المسوق لمعنى من المعاني وصرفه عن سننه
المسلوك ينبي عن اهتمام جديد بشانه من المتكلم ويستجلب مزيد رغبة فيه من المخاطب ان قيل لا ريب في ان حال
الموصول عند كونه خبر المبتدا محذوف كحاله عند كونه خبر مبتدا خبره اولئك على هدى في انه يستتبع جملة اسمية
مفيدة لاتصاف المتقين بالصفات الفاضلة ضرورة ان كلا من الضمير المحذوف والموصول عبارة عن المتقين وان
كلا من اتصافهم بالايمان وفروعه واحرازهم للهدى والفلاح من النعوت الجليلة فما السر في انه جعل ذلك في
الصورة الاولى من توابع المتقين وعد الوقف غير تام وفي الثانية مقتطعا عنه وعد الوقف تاما قلت السر في
ذلك ان المبتدا في الصورتين وان كان عبارة عن المتقين لكن الخبر في الاولى لما كان تفصيلا لما يتضمنه المبتدا
اجمالا تحققته معلوم الثبوت له بلا اشتباه غير مفيد للسامع سوى فائدة التفصيل والتوضيح علم ذلك في سلك
الصفات مراعاة لجانب المعنى وان سمي قطعا مراعاة لجانب اللفظ كيف لا وقد اشتهر في الفن ان الخبر اذا كان معلوم
الانتساب الى المخبر عنه حقه ان يكون وصفا كما ان الوصف اذا لم يكن معلوم الانتساب الى الموصوف حقه
ان يكون خبرا له حتى قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات واما الخبر في الثانية
فحيث لم يكن كذلك بل كان مشتملا على ما لا ينبي عنه المبتدا من المعاني اللايقة كما ستحيط به خبرا مفيدا للمخاطب فوائد
رائقة جعل عما قبله محافظة على الصورة جميعا والايمان افعال من الامن المتعدي الى واحد يقال امنته وبالنقل
تعدى الى اثنين يقال امنته غيري ثم استعمل في التصديق لان المصدق يومن المصدق اي يجعله امينا من التكذيب
والمخالفة واستعماله بالباء لتضمينه معنى الاعتراف وقد يطلق على الوثوق فان الواثق يصير ذا امن وطمانينة
ومنه ما حكي عن العرب ما امنت ان اجد صحابة اي ما صرت ذا امن وسكون وكلا الوجهين حسن هاهنا وهو في
الشرع لا يتحقق بدون التصديق بما علم ضرورة انه من دين نبينا صلى الله عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث
والجزاء ونظايرها وهل هو كاف في ذلك او لا بد من انضمام الاقرار اليه للمتمكنين منه والاول راي الشيخ الاشعري
ومن شايعه والثاني مذهب ابي حنيفة ومن تابعه وهو الحق فانه جعلهما جزئين له خلا ان الاقرار ركن محتمل للسقوط
بعذر كما عند الاكراه وهو مجموع ثلاثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بموجبه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج
فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق اتفاقا وكافر عند الخوارج
وخارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة وقرئ يومنون بغير همز والغيب اما مصدر وصف به الغايب
مبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة او فيعل خفف كقيل في قيل وهين في هين وميت في ميت لكن لم
يستعمل فيه الاصل كما استعمل في نظايره واياما كان فهو ما غاب عن الحس والعقل غيبة كاملة بحيث لا يدرك بواحد
منهما ابتداء بطريق البداهة وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو الذي اريد بقوله سبحانه وعنده مفاتح الغيب

لايعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها من الاحكام والشرايع واليوم
الاخر واحواله من البعث والنشور والحساب والجزا وهو المراد هاهنا فالبا صلة الايمان اما بتضمينه معنى
الاعتراف او بجعله مجازا من الوثوق وهو واقع موقع المفعول به واما مصدر على حاله كالغيبة فالبا متعلق بمحذوف
وقع حالا من الفاعل كما في قوله تعالى الذين يخشون ربهم بالغيب وقوله تعالى ليعلم اني لم اخنه بالغيب اي يومنون
ملتبسين بالغيبة اما عن المومن به اي غايبين عن النبي صلى الله عليه وسلم غير مشاهدين لما فيه من شواهد
النبوة لما روي ان اصحاب ابن مسعود رضي الله عنه ذكروا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وايمانهم فقال رضي
الله عنه ان امر محمد كان بينا لمن راه والذي لا اله غيره ما آمن مومن افضل من ايمان بغيب ثم تلا هذه الاية واما
عن الناس اي غايبين عن المومنين لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم
قالوا انا معكم وقيل المراد بالغيب القلب لانه مستور والمعنى يومنون بقلوبهم لا كالذين يقولون بافواههم
ما ليس في قلوبهم فالبا حينئذ للالة وترك ذكر المومن به على التقادير الثلاثة اما للقصد الى احداث نفس
الفعل كما في قولهم فلان يعطي ويمنع اي يفعلون الايمان واما للاكتفاء بما سيجيء فان الكتب الالهية ناطقة بتفصيل
ما يجب الايمان به ❴ويقيمون الصلوة❵ اقامتها عبارة عن تعديل اركانها وحفظها من ان يقع في شي من فرايضها وسننها
وادابها من اقام العود اذا عدله وقيل عن المواظبة عليها ماخوذ من قامت السوق اذا نفقت واقمتها اذا
جعلتها نافقة فانها اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه وقيل عن التشمر لادايها من غير فتور ولا توان
من قولهم قام بالامر اذا جد فيه واجتهد وقيل عن ادايها عبر عنه بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنوت
الذي هو القيام وبالركوع والسجود والتسبيح والاول هو الاظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب والصلوة فعلة من
صلى اذا دعا كالزكوة من زكى وانما كتبتا بالواو مراعاة للفظ المفخم وانما سمي الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعاء
وقيل اصل صلى حرك الصلوين وهما العظمان الناتيان في اعلى الفخذين لان المصلي يفعله في ركوعه وسجوده
واشتهار اللفظ في المعنى الثاني دون الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع
والساجد ❴ومما رزقناهم ينفقون❵ الرزق في اللغة العطا ويطلق على الحظ المعطى نحو ذبح ورعي للمذبوح والمرعي وقيل
هو بالفتح مصدر وبالكسر اسم وفي العرف ما ينتفع به الحيوان والمعتزلة لما احالوا تمكين الله من الحرام لانه منع
من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الرزق لا يتناول الحرام الا ترى انه تعالى اسند الرزق الى ذاته ايذانا بانهم ينفقون
من الحلال الصرف فان انفاق الحرام بمعزل من ايجاب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله تعالى بقوله
قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد المذكور للتعظيم والتحريض
على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق له بما روي
عنه في حديث عمرو بن قرة حين اتاه فقال يا رسول الله ان الله كتب علي الشقوة فلا اراني ارزق الا من دفي بكفي فاذن
لي في الغنا من غير فاحشة من انه قال صلى الله عليه وسلم لا اذن لك ولا كرامة ولا نعمة كذبت اي عدو الله والله لقد
رزقك الله حلالا طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن
الحرام رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وما من دابة في الارض الا على الله رزقها والانفاق والانفاد اخوان
خلا ان في الثاني معنى الاذهاب بالكلية دون الاول والمراد بهذا الانفاق الصرف الى سبيل الخير فرضا كان او نفلا
ومن فسره بالزكوة ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه بما هو شقيقها والجملة معطوفة على ما قبلها
من الصلوة وتقديم المفعول للاهتمام والمحافظة على رؤوس الاي وادخال من التبعيضية عليه للكف عن التبذير
هذا وقد يجوز ان يراد به الانفاق من جميع المعادن التي منحهم الله من النعم الظاهرة والباطنة ويويده قوله
عليه السلام ان علما لا ينال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم من انوار المعرفة يفيضون
❴والذين يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك❵ معطوف على الموصول الاول على تقديري وصله بما قبله وفصله

عنه مندرج معه في زمرة المتقين من حيث الصورة والمعنى معا ومن حيث المعنى فقط اندراج خاصين تحت عام
اذ المراد بالاولين الذين امنوا بعد الشرك والغفلة عن جميع الشرايع كما يوذن به التعبير عن المومن به بالغيب وبالاخرين
الذين امنوا بالقران بعد الايمان بالكتب المنزلة قبل كعبد الله بن سلام واضرابه او على المتقين على ان يراد بهم الاولون
خاصة ويكون تخصيصهم بوصف الاتقاء للايذان بتنزههم عن حالتهم الاولى بالكلية لما فيها من كمال القباحة
والمباينة للشرايع كلها الموجبة للاتقاء عنها بخلاف الاخرين فانهم غير تاركين لما كانوا عليه بالمرة بل متمسكون
باصول الشرايع التي لا تكاد تختلف باختلاف الاعصار ويجوز ان يجعل كلا الموصولين عبارة عن الكل مندرجا تحت
المتقين ولا يكون توسيط العاطف بينهما لاختلاف الذوات بل لاختلاف الصفات كما في قوله • الى الملك القرم
وابن الهمام • وليث الكتيبة في المزدحم • وقوله • يا لهف زيابة للحارث • الصابح فالغانم فالايب • للايذان
بان كل واحد من الايمان بما اشير اليه من الامور الغايبة والايمان بما يشهد بثبوتها من الكتب السماوية
نعت جليل على حياله له شان خطير مستتبع لاحكام جمة حقيق بان يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل
احدهما تتمة للاخر وقد شفع الاول باداء الصلوة والصدقة اللتين هما من جملة الشرايع المندرجة تحت تلك الامور
المومن بها تكملة له لما ان كمال العلم بالعمل وقرن الثاني بالايقان بالاخرة مع كونه منطويا تحت الاول تنبيها على
كمال صحته وتعريضا بما في اعتقاد اهل الكتابين من الخلل كما سياتي هذا على تقدير تعلق البا بالايمان وقس عليه
الحال عند تعلقها بالمحذوف فان كلا من الايمان الغيبي المشفوع بما يصدقه من العبادتين مع قطع النظر عن المومن
به والايمان بالكتب المنزلة الشاملة لتفاصيل الامور التي يجب الايمان بها مقرونا بما قرن به فضيلة باهرة
مستدعية لما ذكر والله تعالى اعلم وقد حمل ذلك على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل جملة والاتيان
بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بما لا طريق اليه غير السمع وتكرير الموصول للتنبيه على تغاير
القبيلتين وتباين السبيلين فليتامل وان يراد بالموصول الثاني بعد اندراج الكل في الاول فريق خاص منهم وهم
مومنو اهل الكتاب بان يخصوا بالذكر تخصيص جبرايل وميكايل به اثر جريان ذكر الملايكة عليهم السلام تعظيما
لشانهم وترغيبا لامثالهم واقرانهم في تحصيل ما لهم من الكمال والانزال نقل الشي من الاعلى الى الاسفل وتعلقه بالمعاني انما هو
بتوسط تعلقه بالاعيان المستتبعة لها فنزول ما عدا الصحف من الكتب الالهية الى الرسل عليهم السلام والله تعالى
اعلم بان يتلقاها الملك من جنابه عز وجل تلقيا روحانيا او يحفظها من اللوح المحفوظ فينزل بها الى الرسل فيلقيها عليهم والمراد
بما انزل اليك هو القران باسره والشريعة عن اخرها والتعبير عن انزاله بالماضي مع كون بعضه مترقبا حينئذ لتغليب
المحقق على المقدر او لتنزيل ما في شرف الوقوع لتحققه منزلة الواقع كما في قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى
مع ان الجن ما كانوا سمعوا الكتاب جميعا ولا كان الجميع اذ ذاك نازلا وبما انزل من قبلك التورية والانجيل وساير الكتب
السابقة وعدم التعرض لذكر ما انزل اليه من الانبياء عليهم السلام لقصد الايجاز مع تعلق الغرض بالتفصيل حسب
تعلقه به في قوله تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل الاية والايمان بالكل جملة فرض وبالقران
تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض كفاية فان في وجوبه على الكل عينا حرجا بينا واخلالا بامر المعاش وبناء الفعل
للمفعول للايذان بتعين الفاعل والجري على سنن الكبريا وقد قرئا على البناء للفاعل ❴وبالاخرة هم يوقنون❵ الايقان اتقان
العلم بالشي بنفي الشك والشبهة عنه ولذلك لا يسمى علمه تعالى يقينا اي يعلمون علما قطعيا مزيحا لما كان اهل الكتاب عليه من
الشكوك والاوهام التي من جملتها زعمهم ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما
معدودات واختلافهم في ان نعيم الجنة هل هو من قبيل نعيم الدنيا او لا وهل هو دايم او لا وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون
على الضمير تعريض بمن عداهم من اهل الكتاب فان اعتقادهم في امور الاخرة بمعزل عن الصحة فضلا عن الوصول الى
مرتبة اليقين والاخرة تانيث الاخر كما ان الدنيا تانيث الادنى غلبتا على الدارين فجريا مجرى الاسماء وقرئ بحذف الهمزة والقاء
حركتها على اللام وقرئ يوقنون بقلب الواو همزة لضم ما قبلها اجراء لها مجرى المضمومة في وجوه ووقتت ونظيره ما في قوله

لحب الموقدان الى موسى • وجمت اذا اضاءها الوقود • وقوله تعالى **أُولَٰئِكَ** اشارة الى الذين حكيت خصالهم الحميدة من حيث اتصافهم بها وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك اكمل تميز منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم في بعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدا وقوله تعالى **عَلَىٰ هُدًى** خبره وما فيه من الابهام المفهوم من التنكير لكمال تفخيمه كانه قيل على اي هدي هدي لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره وايراد كلمة الاستعلاء بناء على تمثيل حالهم في ملابستهم بالهدي بحال من يعتلي الشي ويستولي عليه بحيث يتصرف كيف ما يريد وعلى استعارتها لتمسكهم استعارة تبعية متفرعة على تشبيهه باعتلاء الراكب واستوايه على مركوبه او على جعلها قرينة للاستعارة بالكناية بين الهدي والمركوب للايذان بقوة تمسكهم منه وكمال رسوخهم فيه وقوله تعالى **مِّن رَّبِّهِمْ** متعلق بمحذوف وقع صفة له مبينة لفخامته الاضافية اثر بيان فخامته الذاتية موكدة لها اي على هدي كاين من عنده تعالى وهو شامل لجميع انواع هدايته تعالى وفنون توفيقه والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لغاية تفخيم الموصوف والمضاف اليهم وتشريفهما ولزيادة تحقيقهما مضمون الجملة وتقرير ببيان ما يوجبه ويقتضيه وقد ادغمت النون في الرآء بغنة وبغير غنة والجملة على تقدير كون الموصولين موصولين بالمتقين مستقلة لا محل لها من الاعراب مقررة لمضمون قوله تعالى هدي للمتقين مع زيادة تاكيد له وتحقيق كون لا وكون الكتاب هدي لهم فن من فنون ما منحوه واستقروا عليه من الهدي حسبما تحققته لا سيما مع ملاحظة ما يستتبعه من الفنون والفلاح وقيل واقعة موقع الجواب عن سوال نشا مما سبق كانه قيل ما للمنعوتين بما ذكر من النعوت اختصوا بهذا ذلك الكتاب العظيم الشان وهل هم احقاء بتلك الاثرة فاجيب بانهم بسبب اتصافهم بذلك مالكون لزمام اصل الهدي الجامع لفنونه المستتبع للفوز والفلاح فاي ريب في استحقاقهم لما هو فرع من فروعه ولعمري لقد جار عن سنن الصواب من قال في تقرير الجواب اوليك الموصوفين غير مستبعد ان يفوزوا دون الناس بالهدي عاجلا وبالفلاح اجلا واما على تقدير كونهما مفصولين عنه فهي في محل الرفع على انها خبر للمبتدا الذي هو الموصول الاول والثاني معطوف عليه وهذه الجملة استيناف وقع جوابا عن سوال ينساق اليه الذهن من تخصيص ما ذكر بالمتقين قبل بيان مبادي استحقاقهم لذلك كانه قيل ما بال المتقين مخصوصين به فاجيب بشرح ما انطوي عليه اسمهم اجمالا من نعوت الكمال وبيان ما يستدعيه من النتيجة اي الذين هذه شونهم احقاء بما هو اعظم من ذلك احب الانصار الذين كانوا عادوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا مهجتهم في سبيل الله اوليك سوادي عيني وسويدآء قلبي واعلم ان هذا المسلك يسلك تارة باعادة اسم من استونف عنه الحديث كقولك احسنت الى زيد حقيق بالاحسان واخري باعادة صفته كقولك احسنت الى زيد صديقك القديم اهل لذلك ولا ريب في ان هذا ابلغ من الاول لما فيه من بيان الموجب للحكم وايراد اسم الاشارة بمنزلة اعادة الموصوف بصفاته المذكورة مع ما فيه من الاشعار بكمال تميزه بها وانتظامه بسبب ذلك الامور المشاهدة والايمآء الى بعد منزلته كما هو من هنا وقد جوز ان يكون الموصول الاول مجري على المتقين حسبما فصل والثاني مبتدا واوليك الى آخره خبره ويحمل اختصاصهم بالهدي والفلاح تعريضا بغير المومنين من اهل الكتاب حيث كانوا يزعمون انهم على الهدي ويطمعون في نيل الفلاح **وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** تكرير لاسم الاشارة لاظهار مزيد العناية بشان المشار اليهم وللتنبيه على ان اتصافهم بتلك الصفات يقتضي نيل كل واحد من تينك الاثرتين وان كلا منهما كاف في تميزهم بها عمن عداهم ويويده توسيط العاطف بين الجملتين بخلاف ما في قوله تعالى اوليك كالانعام بل هم اضل اوليك هم الغافلون فان التسجيل عليهم بكمال الغفلة عبارة عما يفيده تشبيههم بالبهايم فتكون الجملة الثانية مقررة للاولي واما الافلاح الذي هو عبارة عن الفوز بالمطلوب فلما كان مغايرا للهدي نتيجة له وكان كل منهما في نفسه اعز مرام يتنافس فيه المتنافسون فعل ما فعل وهم ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة ويوكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدا خبره المفلحون والجملة خبر لاوليك وتعريف المفلحين للدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون في الآخرة واشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصايصهم هنا في بيان

اختصاص المتقين بنيل هذه المراتب الفايقة على فنون الاعتبارات الرايقة حسبما اشير اليه في تضاعيف تفسير الآية الكريمة من الترغيب في اقتفاء آثارهم والارشاد الى اقتدآء مسيرهم ما لا يخفى مكانه والله ولي الهداية والتوفيق **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا** كلام مستانف سيق لشرح احوال الكفرة والغواة والمردة العتاة اثر احوال اضدادهم المتصفين بنعوت الكمال الفايزين بمقاصدهم في الحال والمآل وانما ترك العاطف بينهما ولم يسلك به مسلك قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لما بينهما من التنافي في الاسلوب والتباين في الغرض فان الاولي مسوقة لبيان رفعة شان الكتاب من باب الهداية والارشاد واما التعرض لاحوال المهتدين به فانما هو بطريق الاستطراد سواء جعل الموصول موصولا بما قبله او مفصولا عنه فان الاستيناف مبني على سوال نشاء من الكلام المتقدم فهو من مستتبعاته لا محالة واما الثانية فمسوقة لبيان احوال الكفرة اصالة وترامي امرهم في الغواية والضلال الى حيث لا يجديهم الانذار والتبشير ولا يوثر فيهم العظة والتذكير فهم ناكبون في تيه الغي والفساد عن منهاج العقول وراكبون في مسلك المكابرة والعناد متن كل صعب وذلول وانما اوثرت هذه الطريقة ولم يوسس الكلام على بيان ان الكتاب هادي للاولين وغير مجد للآخرين لان العنوان الاخير ليس مما يورثه كمالا حتى يتعرض له في اثناء تعداد كمالاته وان من الحروف التي تشابه الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الاسما ودخول نون الوقاية عليها كانني ولعلني ونظايرهما واعطاء معانيه والمتعدي خاصة في الدخول على اسمين ولذلك اعملت عمل الفعل وهو نصب الاول ورفع الثاني ايذانا بكونه فرعا في العمل دخيلا فيه وعند الكوفيين لا عمل لها في الخبر بل هو باق على حاله لقضية الاستصحاب واجيب بان ارتفاع الجزء مشروط بالتجرد عن العوامل والا لما انتصب خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف واثرها تاكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقي بها القسم ويصدر بها الاجوبة ويوتي بها في مواقع الشك والانكار لدفعه ورده قال المبرد قولك عبد الله قايم اخبار عن قيامه وان عبد الله قايم جواب سايل عن قيامه شاك فيه وان عبد الله لقايم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد والمراد به ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واضرابهم واحبار اليهود او للجنس وقد خص منه غير المصرين بما اسند اليه من قوله تعالى سوآء عليهم الى آخره والكفر في اللغة ستر النعمة واصله الكفر بالفتح اي الستر ومنه قيل للزراع والليل كافر قال الله تعالى كمثل غيث اعجب الكفار نباته وعليه قول لبيد • في ليلة كفر النجوم غمامها • ومنه المتكفر بسلاحه وهو الشاكي الذي غطي السلاح بدنه وفي الشريعة انكار ما علم بالضرورة مجي الرسول به وانما عد لبس الغيار وشد الزنار بغير اضطرار ونظايرهما كفرا لدلالته على التكذيب فان من صدق النبي صلى الله عليه وسلم لا يكاد يجتري على امثال ذلك اذ لا داعي اليه كالزنا وشرب الخمر واحتجت المعتزلة على حدوث القرآن بما جاء فيه بلفظ الماضي على وجه الاخبار فانه يستدعي سابقة المخبر عنه لا محالة واجيب بانه من مقتضيات التعلق وحدوثه لا يستدعي حدوث الكلام كما ان حدوث تعلق العلم بالمعلوم لا يستدعي حدوث العلم **سَوَاءٌ** هو اسم بمعني الاستواء نعت به كما ينعت بالمصادر مبالغة قال الله تعالى تعالوا الى كلمة سوآء بيننا وبينكم وقوله تعالى **عَلَيْهِمْ** متعلق به ومعناه عندهم وارتفاعه على انه خبر لان وقوله تعالى **أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ** مرتفع به على الفاعلية لان الهمزة وام مجردتان عن معني الاستفهام لتحقق الاستواء بين مدخوليهما كما جرد الامر والنهي لذلك عن معنيهما في قوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم وحرف النداء في قولك اللهم اغفر لنا ايتها العصابة عن معني الطلب لمجرد التخصيص كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه كقولك ان زيدا مختصم اخوه وابن عمه او مبتدا وسوآء عليهم خبره قدم عليه اعتناء بشانه والجملة خبر لان والفعل انما يمتنع الاخبار عنه عند بقائه على حقيقته اما لو اريد به اللفظ او مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على طريقة الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه كما في قوله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقوله تعالى واذا قيل لهم لا تفسدوا وقولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه كانه قيل انذارك وعدمه سيان عليهم والعدول عن المصدر لما فيه من ايهام التجدد والتوصل الى ادخال الهمزة ومعادلها عليه لافادة تقرير معني الاستواء وتاكيده كما اشير اليه وقيل سوآء مبتدا وما بعده خبره وليس بذاك لان مقتضى المقام بيان كون الانذار وعدمه سواء لا بيان كون المستوي الانذار وعدمه والانذار اعلام المخوف للا

عنه افعال من نذر بالشيء اذا علمه فحذره والمراد هاهنا التخويف من عذاب الله تعالى وعقابه على المعاصي والاقتصار عليه هنا لانهم ليسوا باهل للبشارة اصلا ولان الانذار اوقع في القلوب واشد تاثيرا في النفوس فان دفع المضار اهم من جلب المنافع فحيث لم يتاثروا به فلان لا يرفعوا للبشارة راسا اولى وقرئ بتوسيط الالف بين الهمزتين مع تحقيقهما وبتوسيطها والثانية بين بين وتخفيف الثانية بين بين بلا توسيط وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه والقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ قد افلح وقرئ بقلب الثانية الفا وقد نسب ذلك الى اللحن لا يؤمنون جملة مستقلة موكدة لما قبلها مبينة لما فيه من اجمال ما فيه الاستواء فلا محل لها من الاعراب او حال موكدة له او بدل منه او خبر لان وما قبلها اعتراض بما هو علة للحكم او خبر ثان على راي من يجوز عند كونه جملة والاية الكريمة مما استدل به على جواز التكليف بما لا يطاق فانه تعالى قد اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون فظهر استحالة ايمانهم لاستلزامه المستحيل الذي هو عدم مطابقة اخباره تعالى للواقع مع كونهم مامورين بالايمان باقين على التكليف وان من جملة ما كلفوه الايمان بعدم ايمانهم المستمر والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان الاحكام لا تستدعي اغراضا لا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشيء او عدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره وليس ما كلفوه الايمان بتفاصيل ما نطق به القران حتى يلزم ان يكلفوا الايمان بعدم ايمانهم المستمر بل هو الايمان بجميع ما جاء به عن النبي صلى الله عليه وسلم اجمالا على كون الموصول عبارة عنهم ليس معلوما لهم وفايدة الانذار بعد العلم فانه لا يفيد الزام الحجة واحراز الرسول عليه السلام فضل الابلاغ ولذلك قيل سواء عليهم ولم يقل عليك كما قيل لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وفي الاية الكريمة اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهي من المعجزات الباهرة

خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ استيناف تعليلي لما سبق من الحكم وبيان لما يقتضيه او بيان وتاكيد له والمراد بالقلب محل القوة العاقلة من الفؤاد والختم على الشيء الاستيثاق منه بضرب الخاتم عليه صيانة له او لما فيه من التعرض له كما في البيت الفارغ والكيس المملوء والاول هو الانسب بالمقام اذ ليس المراد به صيانة ما في قلوبهم بل احداث حالة تجعلها بسبب تماديهم في الغي وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن منهاج النظر الصحيح بحيث لا يؤثر فيها الانذار ولا ينفذ فيها الحق اصلا اما على طريقة الاستعارة التبعية بان يشبه ذلك بضرب الخاتم على نحو ابواب المنازل الخالية المبنية للسكنى تشبيه معقول بمحسوس بجامع عقلي هو الاشتمال على منع القابل عما من شانه وحقه ان يقبله ويستعار له الختم ثم يشتق منه صيغة الماضي واما على طريقة التمثيل بان يشبه الهيئة المنتزعة من قلوبهم وقد فعل بها ما فعل من احداث تلك الحالة المانعة من ان يصل اليها ما خلقت هي لاجله من الامور الدينية النافعة وحيل بينها بالمرة وبينه بهيئة منتزعة من محال معدة لحلول ما يحلها حلولا مستتبعا لمصالح مهمة وقد منع من ذلك بالختم عليها وحيل بينها وبين ما اعدت لاجله بالكلية ثم يستعار لها ما يدل على الهيئة المشبهة بها فيكون كل من طرفي التشبيه من امور عدة قد اقتصر من جانب المشبه به على ما عليه يدور الامر في تصوير تلك الهيئة وانتزاعها وهو الختم والباقي منوي مراد قصدا بالفاظ متخيلة بها يتحقق التركيب وتلك الالفاظ وان كان لها مدخل في تحقيق وجه الشبه الذي هو امر عقلي منتزع منها وهو امتناع الانتفاع بما اعد له بسبب مانع قوي لكن ليس في شيء منها على الانفراد تجوز باعتبار هذا المجاز بل هي باقية على حالها من كونها حقيقة او مجازا او كناية وانما التجوز في المجموع وحيث كان معنى المجموع مجموع معاني تلك الالفاظ التي ليس فيها التجوز المعهود ولم تكن الهيئة المنتزعة منها مدلولا وضعيا لمسها ليكون ما دل على الهيئة المشبهة بها عند استعماله في الهيئة المشبهة بها عند استعماله في الهيئة المشبهة مستعملا في غير ما وضع له فيندرج تحت الاستعارة التي هي قسم من المجاز اللغوي الذي هو عبارة عن الكلمة المستعملة في غير ما وضع له ذهب قدماء المحققين كالشيخ عبد القاهر واضرابه الى جعل التمثيل قسما براسه ومن رام تقليل الاقسام عد تلك الهيئة المشبهة من قبيل المدلولات الوضعية وجعل الكلام المفيد لها عند استعماله فيما يشبه بها من هيئة اخرى منتزعة من امور اخر من قبيل الاستعارة تمثيلية واسناد احداث تلك الحالة في قلوبهم الى الله تعالى لاسناد جميع الحوادث عندنا من حيث الخلق اليه سبحانه وتعالى وورود الاية الكريمة

ناعية عليهم سوء صنيعهم ووخامة عاقبتهم لكون افعالهم من حيث الكسب مستندة اليهم فان خلقها منه سبحانه ليس بطريق الجبر بل بطريق الترتيب على ما اقترفوه من القبائح كما يعرب عنه قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم ونحو ذلك واما المعتزلة فقد سلكوا مسلك التاويل وذكروا في ذلك عدة من الاقاويل منها ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه ومنها ان المراد به تمثيل قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله تعالى خالية عن الفطن او بقلوب قدر ختم الله عليها كما في سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته ومنها ان ذلك في الحقيقة فعل الشيطان او الكافر واسناده اليه سبحانه باعتبار كونه بافداره تعالى وتمكينه ومنها ان اعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق الى تحصيل ايمانهم طريق سوى الالجاء والقسر ثم لم يفعل ذلك محافظة على حكمة التكليف عبر عن ذلك بالختم لانه سد لطريق ايمانهم بالكلية وفيه اشعار بتمادي امرهم في الغي والعناد وتناهي انهماكهم في الشر والفساد ومنها ان ذلك حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما بهم ومنها ان ذلك في الاخرة وانما اخبر عنه بالماضي لتحققه وتقوّيه ويعضده قوله تعالى ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما ومنها ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم وينفرون عنهم **وَعَلَى سَمْعِهِمْ** عطف على ما قبله داخل في حكم الختم لقوله عز وجل وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه لا على قلوبهم ولاشتراكهما في الادراك من جميع الجوانب واعادة الجار للتاكيد والاشعار بتغاير الختمين وتقديم ختم قلوبهم للايذان بانها الاصل في عدم الايمان وللاشعار بان ختمها ليس بطريق التبعية لختم سمعهم بناء على انه طريق اليها فالختم عليه ختم عليها بل هي مختومة بختم على حدة لو فرض عدم الختم على سمعهم فهو باق على حاله حسبما يفصح عنه قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون والسمع ادراك القوة السامعة وقد يطلق عليها وعلى العضو الحامل لها والمراد هاهنا اذ هو المختوم عليه اصالة ونفي صريحا له على حال ابصارهم للاشتراك بينه وبين قلوبهم في تلك الحال ولان جنايتهم من حيث السمع الذي به يتلقى الاحكام الشرعية وبه يتحقق الانذار اعظم منها من حيث البصر الذي به يشاهد الاحوال الدالة على التوحيد فبيانها احق بالتقديم وانسب بالمقام قالوا السمع افضل من البصر لانه عز وجل حيث ذكرهما قدم السمع على البصر ولان السمع شرط النبوة ولذلك ما بعث الله نبيا اصم ولان السمع الى استكمال العقل بالمعارف التي تتلقف من اصحابها وتوحيده للامن عن اللبس واعتبار الاصل والتقدير المضاف اي وعلى حواس سمعهم والكلام في ايقاع الختم على ذلك كما مر من قبل **وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ** الابصار جمع بصر والكلام فيه كما سمعته في السمع والغشاوة فعالة من التغشية اي التغطية بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة وتنكيرها للتفخيم والتهويل وهي على راي سيبويه مبتدا خبره الظرف المقدم والجملة معطوفة على ما قبلها وايثار الاسمية للايذان بدوام مضمونها فان ما يدرك بالقوة الباصرة من الايات المنصوبة في الافاق والانفس حيث كانت مستمرة كان تعاميهم عن ذلك ايضا كذلك واما الايات التي تتلقى بالقوة السامعة فلما كان وصولها اليها حينا فحينا اوثر في بيان الختم عليها وعلى ما هي احد طريقي معرفته اعني القلب الجملة الفعلية وعلى راي الاخفش مرتفع على الفاعلية مما تعلق به الجار وقرئ بالنصب على تقدير فعل ناصب اي وجعل على ابصارهم غشاوة وقرئ بالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين غير المعجمة والرفع **وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** وعيد وبيان لما يستحقونه في الاخرة والعذاب كالنكال بناء ومعنى يقال اعذب عن الشيء اذا امسك عنه ومنه الماء العذب لما انه يقمع العطش ويردعه ولذلك سمي نقاخا لانه ينقخ العطش اي يكسره وفراتا لانه يرفته على القلب ثم اتسع فيه فاطلق على كل الم فادح وان لم يكن عقابا يراد به ردع الجاني عن المعاودة وقيل اشتقاقه من التعذيب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فمن ضرورة كون الحقير دون الصغير كون العظيم فوق الكبير ويستعملان في الجثث والاحداث تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او خطره ووصف العذاب به لتاكيد ما يفيده التنكير من التفخيم والتهويل والمبالغة في ذلك والمعنى ان على ابصارهم ضربا من الغشاوة خارجا مما يتعارفه الناس وهي غشاوة التعامي عن الايات ولهم

وبسيلة

من الالام العظام نوع عظيم لا يبلغ كنهه ولا يدرك غايته اللهم انا نعوذ بك من ذلك كله يا ارحم الراحمين
ومن الناس شروع في بيان بعض من حكيت احوالهم السالفة ليسوا بمقصودين على ما ذكر من محض الاصرار
على الكفر والعناد بل يضمون اليه فنونا اخر من الشر والفساد وتعديد لجناياتهم الشنيعة المستتبعة
لاحوال هايلة عاجلة واجلة واصل ناس اناس كما يشهد له انسان واناسي وانس حذفت همزته تخفيفا
كما قيل لوقه في الوقه وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما واما ما في قوله ان المنايا يطلعن
على الاناس الامنينا فشاذ وسموا بذلك لظهورهم وتعلق الايناس بهم كما سمي الجن جنا لاجتنانهم وذهب
بعضهم الى ان اصله النوس وهو الحركة انقلبت واوه الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وبعضهم الى انه ماخوذ
من نسي نقلت لامه الى موضع العين فصار نيس ثم قلبت الفا سموا بذلك لنسيانهم ويروي عن ابن عباس
رضي الله عنهما انه قال سمي الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسي واللام فيه اما للجنس المقصود على المصرين
حسبما ذكر في الموصول لانه كما قيل ومنهم او من اوليك والعدول الى الناس للايذان بكثرتهم كما ينبي
عنه التبعيض ومحل الظرف الرفع على انه مبتدا باعتبار مضمونه او نعت لمقدر هو المبتدا كما في قوله
عز وجل ومنا دون ذلك اي وجمع منا دون ذلك الى اخره ومن في قوله تعالى **من يقول** موصولة او موصوفة
ومحلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعض الناس او وبعض من الناس الذي يقول كقوله تعالى ومنهم الذين
يوذون النبي الى آخره او فريق يقول كقوله تعالى من المومنين رجال الى آخره على ان يكون مناط الافاده
والمقصود بالاصالة اتصافهم بما في حيز الصلة او الصفة وما يتعلق به من الصفات جميعا لا كونهم ذوات
اوليك المذكورين ولما جعل الظرف خبرا كما هو الشايع في موارد الاستعمال فياباه جزالة المعنى لان كونهم
من الناس ظاهر فالاخبار به عار عن الفايدة كما قيل فان مبناه توهم كون المراد بالناس الجنس المطلق
وكنا معار الجواب عنه بان الفايدة هو التنبيه على ان الصفات المذكورة تنافي الانسانية فحق من
يتصف بها ان لا يعلم كونه من الناس فيخبر به ويتعجب منه خبيث بان الناس عبارة عن المعهودين او
عن الجنس المقصور على المصرين وايا ما كان فالفايدة ظاهرة بل لان خبرية الظرف تستدعي ان
يكون اتصاف هولاء بتلك الصفات القبيحة المفصلة في ثلث عشرة اية عنوانا للموضوع مفروغا
عنه غير مقصود بالذات ويكون مناط الافادة كونهم من اوليك المذكورين ولا ريب لاحد في انه
يجب حمل النظم الجليل على اجزل المعاني واكملها وتوحيد الضمير في يقول باعتبار لفظة من وجمعه في قوله
تعالى **امنا بالله وباليوم الاخر** وما يعده باعتبار معناها والمراد باليوم الاخر وقت الحشر الى ما لا يتناهى
او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار اذ لا حد وراءه وتخصيصهم للايمان بهما بالذكر
مع تكرير الباء لادعاء انهم قد حازوا الايمان من قطريه واحاطوا به من طرفيه وانهم قد امنوا بكل منهما على
الاصالة والاستحكام وقد دسوا تحته ما هم عليه من العقايد الفاسدة حيث لم يكن ايمانهم بواحد
منهما ايمانا في الحقيقة اذ كانوا مشركين بالله بقولهم عزير ابن الله وجاحدين باليوم الاخر بقولهم
لن تمسنا النار الا اياما معدودة ونحو ذلك وحكاية عبارتهم لبيان كمال خبثهم ودعارتهم فان ما قالوا
صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم لم يكن ذلك ايمانا فكيف وهم يقولونه تمويها
على المسلمين واستهزاء بهم **وما هم بمومنين** رد لما ادعوه ونفي لما انتحلوه وما حجازية فان جواز
دخول الفاء في خبرها لتاكيد النفي اتفاقي بخلاف التميمية وايثار الجملة الاسمية على الفعلية الموافقة
لدعواهم المردودة للمبالغة في الرد بافادة انتفاء الايمان عنهم في جميع الازمنة لا في الماضي فقط كما يفيده
الفعلية ولا يتوهم ان الجملة الاسمية الايجابية تفيد دوام الثبوت فعند دخول النفي عليها يتعين
الدلالة على نفي الدوام فانها بمعونة المقام تدل على دوام النفي كما ان المضارع الخالي عن حرف الامتناع

يدل

يدل على استمرار الوجود وعند دخول حرف الامتناع النفي عليها يتعين الدلالة على نفي الدوام فانها
بمعونة المقام تدل على دوام النفي كما ان المضارع الخالي عن حرف الامتناع يدل على استمرار الوجود عند
دخول حرف الامتناع عليه يدل على استمرار الامتناع لا على امتناع الاستمرار كما في قوله عز وجل ولو يعجل
الله الناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم فان عدم قضاء الاجل لاستمرار عدم التعجيل
لا لعدم استمرار التعجيل واطلاق الايمان عما قيدوه به للايذان بانهم ليسوا من جنس الايمان في
شي اصلا فضلا عن الايمان بما ذكروا وقد جوزوا ان يكون المراد ذلك ويكون الاطلاق المعهود ومدلول
الاية الكريمة ان من اظهر الايمان واعتقاده بخلاف ذلك لا يكون مومنا فلا حجة فيها على الكرامية
القايلين بان من تفوه بكلمتي الشهادة فارغ القلب عما يوافقه وينافيه مومن **يخادعون الله والذين امنوا**
بيان ليقول وتوضيح لما هو غرضهم مما يقولون او استيناف وقع جوابا عن سوال ينساق اليه الذهن
كانه قيل ما لهم يقولون ذلك وهم غير مومنين فقيل يخادعون الى اخره اي يخادعون وقد قرئ كذلك
وايثار صيغة المفاعلة لافادة المبالغة في الكيفية فان الفعل متى غولب فيه قطعا او في الكمية كما في
الممارسة والمزاولة فانهم كانوا مداومين على الخدع والخدع ان توهم صاحبك خلاف ما تريد به من
المكروه لتوقعه فيه من حيث لا يحتسب او يوهمه المساعدة على ما يريد هو به ليغتر بذلك فينجو عليه
بسهولة من قولهم ضب خادع وخدع وهو الذي اذا امر الحارش يده على باب جحره يوهمه الاقبال عليه
فيخرج من باب اخر وكلا المعنيين مناسب للمقام فانهم كانوا يريدون بما صنعوا ان يطلعوا على اسرار
المومنين فيذيعوها الى المنابذين وان يدفعوا عن انفسهم ما يصيب ساير الكفرة وايا ما كان فنسبته
الى الله تعالى اما على طريقة الاستعارة والتمثيل لافادة كمال شناعة جنايتهم اي يعاملون معاملة
الخادعين واما على طريقة المجاز العقلي بان ينسب اليه تعالى ما حقه ان ينسب الى الرسول عليه
السلام ابانة لمكانته عنده تعالى كما ينبي عنه قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله
فوق ايديهم وقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله مع كمال افادته الشناعة كما مر واما لمجرد
التوطية والتمهيد لما بعده من نسبته الى الذين امنوا للايذان بقوة اختصاصهم به كما في قوله تعالى
والله ورسوله احق ان يرضوه وقوله تعالى ان الذين يوذون الله ورسوله وابقاء صيغة المخادعة
على معناه الحقيقي بناء على زعمهم الفاسد وترجمة عن اعتقادهم الباطل كانه قيل يزعمون انهم
يخدعون الله والله يخدعهم او على جعلها استعارة تبعية او تمثيلا لما ان صورة صنعهم مع الله
تعالى والمومنين وصنعه تعالى معهم باجراء احكام الاسلام عليهم وهم عنده اخبث الكفرة واهل
الدرك من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول عليه السلام والمومنون بامر الله تعالى في ذلك
مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنيع المخادعين كما قيل مما لا يرتضيه الذوق السليم اما الاول
فلان المنافقين لو اعتقدوا ان الله تعالى يخدعهم بمقابلة خدعهم له لم يتصور منهم التصدي
للخدع واما الثاني فلان مقتضى المقام ابراز حالهم خاصة وتصويرها بما يليق بها من الصورة
المستهجنة وبيان ان غايلتها ايلة اليهم من حيث لا يحتسبون كما يعرب عنه قوله عز وجل **وما
يخادعون الا انفسهم** فالتعرض لحال الاخر مما يخل بتوفية المقام حقه وهو حال من ضمير
يخادعون اي يفعلون ما يفعلون والحال انهم ما يضرون الا انفسهم فان دايرة فعلهم مقصورة
عليهم او ما يخدعون حقيقة الا انفسهم بحيث يغرونها بالاكاذيب فيلقونها في مهاوي الردى
وقرئ وما يخدعون والمعنى هو المعنى من حافظ على الصيغة فيما قبل وقال وما يعاملون تلك
المعاملة الشبيهة بمعاملة المخادعين الا انفسهم لان ضررها لا يحيق الا بهم او ما يخدعون

حقيقة الا انفسهم حيث يمنونها الاباطيل وهي ايضا تغرهم وتمنيهم الاماني الفارغة وقري وما
يخدعون من التخديع وما يخدعون اي يخدعون يخدعون ويخادعون على البناء للمفعول ونصب
انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشي وحقيقته وقد يقال للروح لان نفس الحي به وللقلب ايضا
لانه محل الروح او متعلقه وللدم ايضا لشدة حاجتها اليه والمراد هنا هو المعنى الاول لان المقصود
بيان ضرر مخادعتهم راجعا اليهم لا يتخطاهم الى غيرهم وقوله تعالى **وَمَا يَشْعُرُونَ** حال من ضمير
يخادعون اي يقصرون على خدع انفسهم والحال انهم ما يشعرون اي ما يحسون بذلك لتماديهم
في الغواية وحذف المفعول اما لظهوره او لعمومه اي ما يشعرون بشي اصلا اجعل الحق وبال ما صنعوا بهم
في الظهور بمنزلة الامر المحسوس الذي لا يخفى الا موق الحواس مختل المشاعر **فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ** المرض عبارة
عما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال اللايق ويوجب الخلل في افاعيله ويودي الى الموت استعير هاهنا
لما في قلوبهم من الجهل وسوء العقيدة وعداوة النبي عليه الصلوة والسلام وغير ذلك من فنون الكفر المودي
الى الهلاك الروحاني والتنكير للدلالة على كونه نوعا منها غير ما يتعارفه الناس من الامراض والجملة مقررة
لما يفيده قوله تعالى وما هم بمومنين من استمرار عدم ايمانهم او للتعليل له كانه قيل ما لهم لا يومنون فقيل
في قلوبهم مرض يمنعهم **فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا** بان طبع على قلوبهم لعلمه تعالى بانه لا يوثر فيها التذكير والانذار
والجملة معطوفة على ما قبلها والفا للدلالة على ترتيب مضمونها عليه وبه اتضح كونهم من الكفرة المختوم على قلوبهم
مع زيادة بيان السبب وقيل زادهم كفرا بزيادة التكاليف الشرعية لانهم كانوا كلما ازداد التكاليف بنزول
الوحي يزدادون كفرا ويجوز ان يكون المرض مستعارا لما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخوف عند
مشاهدتهم لعزة المسلمين فزيادته تعالى اياهم مرضا ما فعل بهم من القاء الروع وقذف الرعب في قلوبهم
عند اعزاز الدين بامداد النبي عليه الصلوة والسلام بانزال الملايكة وتاييده بفنون النصر والتمكين فقوله
تعالى في قلوبهم مرض الى آخره استيناف تعليل لقوله تعالى يخادعون الله الى آخره كانه قيل ما لهم يخادعون
ويداهنون ولم يجاهروا بما في قلوبهم من الكفر فقيل في قلوبهم مرض ضعيف مضاعف هذه حالهم في
الدنيا **وَلَهُمْ** في الاخرة **عَذَابٌ أَلِيمٌ** اي مولم يقال الم وهو اليم كوجع وهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة
كما في قوله تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة جد جده فان الالم والوجع حقيقة للمولم والمضروب كما ان الجد
للجاد وقيل هو بمعنى المولم كالسميع بمعنى المسمع وليس ذلك بثبت كما سيجي ذلك في قوله تعالى بديع السموات والارض
بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ البآء للسببية او للمقابلة وما مصدرية داخلة في الحقيقة على يكذبون وكلمة كانوا مقحمة
لافادة دوام كذبهم وتجدده اي بسبب كذبهم المتجدد المستمر الذي هو قولهم امنا بالله وباليوم الاخر وهم
غير مومنين فانه اخبار باحداثهم الايمان فيما مضى لا انشاء الايمان ولو سلم فهو متضمن للاخبار بصدوره
عنهم وليس ذلك لعدم التصديق القلبي بمعنى الاذعان والقبول قطعا ويجوز ان يكون على الظاهر بناء على
راي من يجوز لكان الناقصة مصدرا كما صرح به في قول الشاعر • ببذل وحلم ساد في قومه الفتى • وكونك اياه
عليك يسير • اي لهم عذاب اليم بسبب كونهم يكذبون على الاستمرار وترتيب العذاب عليهم من بين ساير موجبات
العقوبة اما لان المراد بيان العذاب الخاص بالمنافقين بناء على ظهور شركتهم للمجاهرين فيما ذكر من العذاب
العظيم حيث اشتراكهم فيما يوجبه من الاصرار على الكفر كما ينبي عنه قوله تعالى ومن الناس الى آخره واما للايذان
بان لهم بمقابلة ساير جناياتهم العظيمة من العذاب ما لا يوصف واما للرمز الى كمال سماجة الكذب نظرا الى
ظاهر العبارة المختلفة لانفراده بالسببية مع احاطة علم السامع بالحوق العقاب بهم من جهات شتى وان
الاقتصار عليه بنهاية قبحه والتنفير عنه عن الصديق رضي الله عنه وروي مرفوعا الى النبي عليه السلام
اياكم والكذب فانه مجانب الايمان وما روي ان ابرهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات فالمراد به

التعريض وانما سمي به لشبهه به صورة وقيل ما موصولة والعايد محذوف اي بالذي يكذبونه
والمفعول محذوف وهو اما النبي صلى الله عليه وسلم او القران وما مصدرية اي بسبب تكذيبهم
اياه عليه السلام او القران موصولة اي بالذي يكذبونه على ان العايد محذوف ويجوز ان يكون
صيغة التفعيل للمبالغة كما في بين من باب وقلص والتكثير كما في موتت البهايم وبركت الابل
وان يكون من قولهم كذب الوحشي اذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه فان المنافق متوقف في
امره متردد في رايه ولذلك قيل له مذبذب **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ** شروع في تعديد بعض
من قبايحهم المتفرعة على ما حكي عنهم من الكفر والنفاق واذا ظرف زمان مستقبل يلزمه معنى الشرط
غالبا ولا يدخل الا في الامر المحقق او المرجح وقوعه واللام متعلقة بقيل ومعناها الانهاء والتبليغ والقايم
مقام فاعله جملة لا تفسدوا على ان المراد بها اللفظ وقيل هو ضمير يفسره المذكور والفساد خروج
الشي عن الحالة اللايقة والصلاح مقابله والفساد في الارض هيج الحروب والفتن المستتبعة لزوال
الاستقامة عن احوال العباد واختلال امر المعاش والمعاد كالمراد كما نهوا عنه ما يودي ذلك من افشاء
اسرار المومنين الى الكفار واغرايهم عليهم وغير ذلك من فنون الشرور كما يقال للرجل لا تقتل نفسك
بيدك ولا تلق نفسك في النار اذا اقدم على ما تلك عاقبته وهو اما معطوف على تقول فان جعلت
كلمة من موصولة فلا محل لها من الاعراب ولا باس بتخلل البيان والاستيناف وما يتعلق بهما بين
اجزاء الصلة فان ذلك ليس بتوسط بالاجنبي وان جعلت موصوفة فمحله الرفع والمعنى من الناس من
اذا نهوا عن جهة المومنين عما هم عليه من الافساد في الارض **قَالُوا** ارادة للناهين عن صادر عنهم مع ان
مقصودهم الاصلي انكار كون ذلك افسادا وادعا كونه اصلاحا محضا كما سياتي توضيحه **إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ**
اي مقصورون على الصلاح المحض بحيث لا يتعلق به شايبة الافساد والفساد مشيرين بكلمة انما
الى ذلك من الوضوح بحيث لا ينبغي ان يرتاب فيه واما كلام مستانف سيق لتعديد شنايعهم
واما عطف على يكذبون بمعنى ولهم عذاب اليم بكذبهم بقولهم حين نهوا عن الافساد انما نحن مصلحون
كما قيل فياباه ان هذا النحو من التعليل حقه ان يكون باوصاف ظاهرة العلية مسلمة الثبوت للموصوف
غنية عن البيان لشهرة الاتصاف بها عند السامع ولسبق ذكره صريحا كما في قوله تعالى بما كانوا يكذبون
فان مضمونه عبارة عما حكي عنهم من قولهم امنا بالله وباليوم الآخر او لذكر ما يستلزمه استلزاما ما ظاهرا
كما في قوله تعالى ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب فان ما ذكر
من الضلال عن سبيل الله مما يوجب حتما نسيان جانب الاخرة التي من جملتها يوم الحساب وما لم
يكن كذلك فحقه ان يخبر بعليته قصدا كما في قوله تعالى ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الاية وقوله
تعالى ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق الاية الى غير ذلك ولا ريب في ان هذه الشرطية وما بعدها
من الشرطيتين بالمعطوفين عليها ليس شي منها معلوم الانتساب اليهم عند السامعين بوجه من الوجوه
المذكورة حتى يستحق الانتظام في سلك التعليل المذكور فاذا حقها ان يكون مسوقة على سنن تعديد
قبايحهم على احد الوجهين مفيدة لاتصافهم بكل واحد من تلك الاوصاف قصدا واستقلالا لا كيف
لا وقوله عز وجل **أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ** ينادي بذلك نداء جليا فانه رد من جهة تعالى لدعواهم
المحكية ابلغ رد وادله على سخط عظيم حيث سلك فيه مسلك الاستيناف المودي الى زيادة تمكن
الحكم في ذهن السامع وصدرت الجملة بحرفي التاكيد الا المنبية على تحقق ما بعدها فان الهمزة
الانكارية الداخلة على النفي تفيد تحقيق الاثبات قطعا كما في قوله تعالى اليس الله بكاف
عبده ولذلك لا يكاد يقع ما بعدها من الجملة الا مصدرة بما يتلقى القسم واختها التي هي من طلايع
القسم وقيل هما حرفان بسيطان موضوعان للتنبيه والاستفتاح وان المقررة للنسبة وعرف الخبر

ود سط ضمير الفصل لرد ما في قصة انفسهم على الاصلاح من التمريض بالمومنين ثم استدرك بقوله تعالى
وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ للايذان بان كونهم مفسدين من الامور المحسوسة لكن لا حس لهم حتى يدركوه وهذا الكلام
في الشرطيتين الاثنتين وما بعدهما من رد مضمونهما ولولا ان المراد تفصيل جناياتهم وهياتهم ثم اظهار
فسادها وابانة بطلانها لما فتح هذا الباب والله اعلم بالصواب **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ** من قبيل المومنين بطريق
الامر بالمعروف واثر نهيهم عن المنكر اتماما للنصح واكمالا للارشاد **آمِنُوا** حرف المومن به لظهوره او
اريد افعلوا الايمان **كَمَا آمَنَ النَّاسُ** الكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر موكد محذوف اي امنوا
ايمانا مماثلا لايمانهم فما مصدرية او كافة كما في ربما فانها تكف الحروف عن العمل وتصحح دخولها على الجملة
يكون للتشبيه بين مضمون الجملتين اي حققوا ايمانكم كما حققوا ايمانهم واللام للجنس والمراد بالناس
الكاملون في الانسانية العاملون بقضية العقل فان اسم الجنس كما يستعمل في مسماه يستعمل فيما يكون
جامعا للمعاني الخاصة به المقصودة منه ولذلك يسلب عما ليس كذلك فيقال هو ليس بانسان وقد
جمعهما من قال ° اذ الناس ناس والزمان زمان ° او للعهد والمراد به الرسول صلى الله عليه وسلم ومن
معه او من امن من اهل جلدتهم كابن سلام واضرابه والمعنى امنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا من شوائب
النفاق **قَالُوا** مقابلين للامر بالمعروف بالانكار بالمنكر واصفين للمراجيح الرزان بضد اوصافهم الحسان
أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ مشيرين باللام الى ما اشير اليهم في الناس من الكاملين او المعهودين او الى الجنس
باسره وهم مندرجون فيه على زعمهم الفاسد والسفه خفة وسخافة راي يورثهما قصور العقل ويقابله
الحلم والاناة وانما نسبوهم اليه مع انهم في الغاية القاصية من الرشد والرزانة والوقار لكمال انهماك انفسهم
في السفاهة وتماديهم في الغواية وكونهم ممن زين له سوء عمله فراه حسنا فمن حسب الضلال هدى يسمي
الهدى لا محالة ضلالا او لتحقير شانهم فان كثيرا من المومنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال
او للتجلد وعدم المبالاة بمن امن منهم على تقدير كون المراد بالناس عبد الله بن سلام وامثاله وايا ما كان
فالذي يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه فخامة شان الجليل ان يكون صدور هذا القول عنهم بمحضر
من المومنين الناصحين لهم جوابا عن نصيحتهم وحيث كان فحواه تسفيه اولئك المشاهير الاعلام والقدح
في ايمانهم لزم كونهم مجاهرين لا منافقين وذلك مما لا يكاد يساعده السياق والسياق وعلى هذا قالوا
ينبغي ان يكون ذلك فيما بينهم لا على وجه المومنين قال الامام الواحدي انهم كانوا يظهرون هذا القول
فيما بينهم لا عند المومنين فاخبر الله تعالى نبيه عليه الصلوة والسلام والمومنين بذلك عنهم وانت
خبير بان ابراز ما صدر عن احد المتحاورين في الخلاء في معرض ما جرى بينهما في مقام المحاورة مما لا عهد به
في الكلام فضلا عما هو منصب الاعجاز فالحق الذي لا محيد عنه ان قولهم هذا وان صدر عنهم بمحضر من الناصحين
لا يقتضي كونهم مجاهرين فانه ضرب من الكفر انيق وفن في النفاق عريق مصنوع على كلمة قولهم اسمع غير
مسمع فكما انه كلام ذو وجهين مثلهم محتمل للشر بان يحمل على معنى اسمع منا غير مسمع كلاما ترضاه ونحوه وللخير
بان يحمل على معنى اسمع غير مسمع مكروها كانوا يخاطبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء به مظهرين
ارادة المعنى الاخير وهم مضمرون في انفسهم المعنى الاول مطمئنون به ولذلك نهي عنه كذلك هذا
الكلام محتمل للشر كما ذكر في تفسيره وللخير بان يحمل على ادعاء الايمان كايمان الناس وانكار ما اتهموا به
من النفاق على معنى انؤمن كما امن السفهاء والمجانين الذين لا اعتداد بايمانهم لو امنوا ولا نؤمن كايمان
الناس حتى تامرونا بذلك قد خاطبوا به الناصحين استهزاء بهم مرائين لارادة المعنى الاخير وهم معولون
على الاول فرد عليهم ذلك بقوله عز قائلا **أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ** ابلغ رد وجهلوا اشنع تجهيل حيث
صدرت الجملة بحرفي التاكيد حسبما اشير اليه فيما سلف وجعلت السفاهة مقصورة عليهم وبالغة

الى

الى حيث لا يدرون انهم سفهاء، وعن هذا اتضح لك سر ما مر في تفسير قوله تعالى انما نحن مصلحون
فان حمله على المعنى الاخير كما هو راي الجمهور مناف بحالهم ضرورة ان مشافهتهم للناصحين بادعاء
كون ما نهوا عنه من الافساد اصلاحا كما مر اظهار منهم للشقاق وبروز باشخاصهم من نفق النفاق
والاعتذار بان المراد ما نهوا عنه مداراتهم للمشركين كما ذكر في بعض التفاسير وبالاصلاح الذي يدعونه
اصلاح ما بينهم وبين المومنين وان معنى قوله تعالى الا انهم هم المفسدون انهم في تلك المعاملة مفسدون
لمصالح المومنين لاشعارها باعطاء البينة وابانتهما عن ضعفهم الملجي الى توسيط من يتصدى لاصلاح ذات
البين فضلا عن كونهم مصلحين مما لا سبيل اليه قطعا فان قوله تعالى ولكن لا تشعرون ناطق بفساده
كيف لا وانه يقتضي ان يكون المنافقون في تلك الدعوى صادقين قاصدين للاصلاح ويأتيهم الافساد
من حيث لا يشعرون ولا ريب انهم فيها كاذبون لا يعاشرونهم الا مضارة للدين وجناية للمومنين فاذا
طريق حل الاشكال ليس الا ما اشير اليه فان قولهم انما نحن مصلحون محتمل على الحمل الكذب وانكار صدور
الافساد المنسوب اليهم عنهم على معنى انما نحن مصلحون لا يصدر عنها ما نهيتمونا عنه من الافساد وقد
خاطبوا به الناصحين استهزاء بهم وارادة هذا المعنى وهم معرجون على المعنى الاول فرد عليهم بقوله تعالى
الا انهم هم المفسدون الاية والله سبحانه وتعالى اعلم بما اودع في تضاعيف كتابه المكنون من
السر المخزون نساله العصمة والتوفيق الى سواء الطريق وتفصيل هذه الاية الكريمة بلا يعلمون لما
انه اكثر طباقا لكثرة السفه الذي هو فن من الفنون على ان المومنين ثابتون على الحق وهم على الباطل
منوط بالتمييز وهم على الحق والباطل وذلك مما لا يتسنى الا بالنظر والاستدلال واما النفاق وما فيه
من الفتنة والافساد وما يترتب عليه من كون من يتصف به مفسدا فامر بديهي يقف عليه من له
شعور ولذلك فصلت الاية الكريمة السابقة بلا يشعرون **وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا** بيان لتباين احوالهم
وتناقض اقوالهم في اثناء المعاملة والمخاطبة حسب تباين المخاطبين ومساق ما صدرت به قصتهم لتحرير
مذهبهم والترجمة عن نفاقهم ولذلك لم يتعرض ههنا لمتلو الايمان فليس فيه شائبة التكرير روي ان
عبد الله بن ابي واصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من الصحابة رضي الله عنهم فقال ابن ابي انظروا كيف
ارد هولاء السفهاء عنكم فلما دنوا منهم اخذ بيد ابي بكر رضي الله عنه فقال مرحبا بالصديق شيخ بني تيم وشيخ
الاسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم اخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دينه الباذل نفسه وماله
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد علي رضي الله عنه وكرم وجهه فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله
عليه وسلم وختنه وسيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل قال له علي رضي الله
عنه يا عبد الله اتق الله ولا تنافق فان المنافقين شر خلق الله تعالى فقال له مهلا يا ابا الحسن اني تقول هذا
والله ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم افترقوا فقال ابن ابي لاصحابه كيف رايتموني فعلت فاذا
رايتموهم فافعلوا مثل ما فعلت فاثنوا عليه خيرا وقالوا ما تزال بخير ما عشت فينا فرجع المسلمون الى رسول
صلى الله عليه وسلم واخبروه بذلك فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اي صادفته واستقبلته
وقرئ اذا لاقوا **وَإِذَا خَلَوْا** من خلوت الى فلان اي انفردت معه وقيل يستعمل بالباء او خلا بمعنى مضى
ومنه القرون الخالية وقولهم خلاك ذم اي جاوزك ومضى عنك وقد جوز كونه من خلوت به اذا
سخرت منه على ان تعديته بالى في قوله تعالى **إِلَى شَيَاطِينِهِمْ** لتضمنه معنى الانهاء اي واذا انهوا اليهم
السخرية الى اخره وانت خبير بان تقييد قولهم المحكي بذلك الانهاء مما لا وجه له والمراد بشياطينهم
المماثلون منهم للشيطان في التمرد والعناد المظهرون لكفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة في الكفر
او كبار المنافقين والقايلون صغارهم جعل سيبويه نون الشيطان تارة اصلية فوزنه فيعال على انه
من شطن اذا ابعد فانه بعيد من الخير والرحمة ويشهد له قولهم تشيطن واخرى زائدة فوزنه فعلان

نبلي انه من شاط اي هلك او بطل ومنه سماية وقيل معناه هاج واحترق **قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ** اي في الدين والا
عتقاد لا نفارقكم في حال من الاحوال وانما خاطبوهم بالجملة الاسميه الموكدة لان مدعاهم عندهم
تحقيق الثبات على ما كانوا عليه من الدين والتاكيد للابنا عن صدق رغبتهم ووفرط نشاطهم لا لانكا
الشياطين بخلاف معاملتهم مع المومنين فانهم انما يدعون عندهم احداث الايمان لجرهم بعدم
رواج ادعاء الكمال فيه او الثبات عليه **إِنَّمَا نَحْنُ** اي في اظهار الايمان عند المومنين **مُسْتَهْزِءُونَ** بهم
من غير ان يخطر ببالنا الايمان حقيقة وهو استينافي مبني على سوال ناشي من ادعاء المعية كانه
قيل لهم انا معكم فما بالكم توافقون المومنين في الاتيان بكلمة الايمان فقالوا انا نحن مستهزؤن
بهم فلا يقدح ذلك في كوننا معكم بل نوكد وقد ضمنوا جوابهم انهم يهينون المومنين ويعدون ذلك
نصرة لدينهم او تاكيد لما قبله فان المستهزي بالشي مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام
فقد عظم الكفر والاستهزا بالشي السخرية منه يقال هزات واستهزات بمعنى واصله الخفة
من الهزء وهو القتل السريع وهزء يهزء ومات على مكانه وتهزا به ناقته اي تسرع به وتخف **ٱللَّهُ**
يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ اي يجازيهم على استهزايهم سمى جزاءه باسمه كما سمي جزاء السية سية اما للمشاكلة في اللفظ
والمقارنة في الوجود او يرجع وبال الاستهزا عليهم فيكون كالمستهزي بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان
الذي هو لازم الاستهزا ويعاملهم معاملة المستهزي بهم اما في الدنيا باجراء احكام المسلمين عليهم واستدرا
بالامهال والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان واما في الاخرة فيما يروي انه يفتح لهم باب الي
الجنة فيسرعون نحوها فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين امنوا
من الكفار يضحكون وانما استونف للايذان بانهم قد بلغوا في المبالغة في استهزاء المومنين الى غاية
ظهرت شناعتها عند السامعين وتعاظم ذلك عليهم حتى اضطرهم الى ان يقولوا ما مصير امر هولاء وما عاقبة
حالهم وفيه انه تعالى هو الذي يتولى امرهم ولا يحوجهم الى المعارضة بالمثل ويستهزي بهم الاستهزاء
الابلغ الذي ليس وراءه استهزاؤهم هذه من باب الاستهزا حيث ينزل بهم من النكال ويحل عليهم من الذل
والهوان ما لا يوصف وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار كما يعرب عنه قوله
عز قائلا اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين وما كانوا خالين في اكثر الاوقات من تهتك
استار وتكشف اسرار ونزول في شانهم واستشعار حذر من ذلك كما انبا عنه قوله عز وجل يحذر المنافقون
ان تنزل عليهم سورة تنبيهم بما في قلوبهم قل استهزوا ان الله مخرج ما تحذرون **وَيَمُدُّهُمْ** اي يزيدهم
ويقويهم من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه ومنه مددت الدواة والسراج اذا اصلحتهما بالحبر والزيت
والاثار على تمكينهم للزمه الى ذلك منوط بسوء اختيارهم لما انه انما تحقق عند الاستمرار او ما يجري
مجراه من الحاجة الداعية اليه كما في قوله الامثلة المذكورة وقرى يمدهم من الامداد وهو صريح في ان
القراة المشهورة ليست من المد في العمر على انه يستعمل باللام كالاملاء قال الله تعالى ونمد لهم من العذاب
مدا وحذف الجار وايصال الفعل الى الضمير خلاف الاصل لا ايصال اليه الا بدليل **فِي طُغْيَانِهِمْ**
متعلق بيمدهم والطغيان مجاوزة الحد في كل امر والمراد افراطهم في العتو وغلوهم في الكفر وقرى
بكسر الطاء وهي لغة فيه كلقيان ولقيان وفي اضافته اليهم ايذان باختصاصهم بهم وتاكيد لما اشير
اليه من ترتيب المد على سوء اختيارهم **يَعْمَهُونَ** حال من الضمير المنصوب او المجرور لكون المضاف
مصدرا فهو مرفوع حكما والعمه في البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير والتردد بحيث لا يدري اين يتوجه
واسناد هذا المد الى الله تعالى مع اسناده في قوله تعالى واخوانهم يمدونهم في الغي محقق لقاعدة اهل الحق
من ان جميع الاشيا مستندة من حيث الخلق اليه سبحانه وان كانت افعال العباد من حيث الكسب مستندة

جهم

اليهم

اليهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء النظم الكريم على مسلكهم نكبوا الى شعار التاويل فاجابوا اولا
بانهم لما اصروا على كفرهم خذلهم الله تعالى ومنعهم الطافه فتزايد الدين في قلوبهم فسمي ذلك مدادا
في الطغيان فاسند ايلاوه اليه تعالى ففي المسند مجاز لغوي وفي الاسناد عقلي لانه اسناد للفعل
المسبب له وفاعله الحقيقي هم الكفرة وثانيا بانه اريد بالمد في الطغيان ترك الكفر والالجا الى الايمان
كما في قوله تعالى ونذرهم في طغيانهم يعمهون فالمجاز في المسند فقط وثالثا بان المراد به معناه الحقيقي
وهو فعل الشيطان لكنه اسند اليه سبحانه وتعالى بمجاز الاسناد بتمكينه تعالى واقداره **أُوْلَٰٓئِكَ** اشارة
الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات الشنيعه المميزة لهم عمن عداهم اكمل تمييز بحيث
صاروا كانهم حضار مشاهدون على ما هم عليه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر
وسوء الحال ومحله الرفع على الابتدا وخبره قوله **ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ** والجملة مسوقة لتقرير
ما قبلها وبيان لكمال جهالتهم فيما حكي عنهم من الاقوال والافعال باظهار غاية سماجتها وتصويرها
بصورة ما لا يكاد يتعاطاه من له ادنى تمييز فضلا عن العقلا والضلالة الجور عن القصد والهدى
التوجه اليه وقد استعير الاول للعدول عن الصواب في الدنيا والثاني للاستقامة عليه والاشترا
استبدال السلعة بالثمن اي اخذها بدلا منه لا بذله لتحصيلها كما قيل وان كان مستلزما له فان المعتبر في عقد
الشرآء ومفهومه هو الجلب دون السلب الذي هو المعتبر في عقد البيع ثم استعير لاخذ شي باعطاء
ما في يده عينا كان كل منهما او معنى لا للاعراض عما في يده محصلا به غيره كما قيل وان استلزمه لما مر سره
ومنه قوله اخذت بالجملة راسا ازعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما
اشترى المسلم اذ تنصرا فاشتروا الضلالة بالهدى مستعار لاخذها بدلا منه اخذا منوطا بالرغبة فيها
والاعراض ولما اقتضى ذلك ان ما يكون ما يجري مجرى الثمن حاصلا للكفرة قبل العقد وما يجري مجرى
البيع غير حاصل لهم حينئذ حسبما هو في البيت ولا ريب انهم بمعزل عن الهدى مستمرون على الضلالة استدعى
الحال تحقيق ما جرى مجرى العوضين فنقول وبالله التوفيق ليس المراد بما تعلق به الاشتراء هاهنا جنس
الضلالة الشاملة لجميع اصناف الكفرة حتى يكون حاصله لهم من قبل بل هو فردها الكامل الخاص بهولاء
على ان اللام للعهد وهو عمههم المقرب بالمد في الطغيان المترتب على ما حكي عنهم من القبايح وذلك انما
يحصل لهم عند اليأس عن اهتدايهم والختم على قلوبهم وكذلك ليس المراد بما في حيز الثمن نفس الهدى بل هو
التمكن التام منه بتعاضد الاسباب وبأخذ المقدمات المستتبعة له بطريق الاستعارة كانه نفس الهدى
بجامع المشاركة في استتباع الجدوى ولا مرية في ان هذه المرتبة من التمكن كانت حاصلة لهم بما شاهدوه من
الايات الباهرة والمعجزات القاهرة من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم وبما سمعوه من نصايح المومنين
التي من جملتها ما حكي من النهي عن الافساد في الارض والامر بالايمان الصحيح وقد نبذوها وراء ظهورهم واخذوا
بدلها الضلالة الهايلة التي هي العمه في تيه الطغيان وحمل الهدى على الفطرة الاصلية الحاصلة لكل احد
يأباه ان اضاعتها غير مختصة بهولاء ولين حملت على الاضاعة التامة الواصلة الى حد الختم على القلوب
المختصة بهم فليس في اضاعتها فقط من الشناعة ما في اضاعتها مع ما يويدها من المعجزات العقلية والنقلية
على ان ذلك يفضي الى كون ما ذكر من فصل من اول السورة الكريمة الى هنا ضايعا وابعد منه حمل اشتراء
الضلالة بالهدى على مجرد اختيارها عليه من غير اعتبار كونه في ايديهم بناء على انه يستعمل اتساعا في ايثار
احد الشيئين الكائنين في شرف الوقوع على الاخر فانه مع خلوه عن المزايا المذكورة بالمرة مخل برونق الترشيح
الاتي هنا على تقدير جعل الاشتراء المذكور عبارة عن معاملتهم السابقة المحكية وهو الانسب بتجاذب
اطراف النظم الكريم واما اذا جعل ترجمة عن جناية اخرى من جناياتهم فالمراد بالهدى ما كانوا عليه

تشبح

من معرفة صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وحقيقة دينه بما كانوا يشاهدونه في التورية من نعوته
عليه السلام وقد كانوا على يقين منه حتى كانوا يستفتحون به على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بالنبي
المبعوث في اخر الزمان الذي نجده في التورية ويقولون لهم قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا
فنقتلكم معه قتل عاد وارم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به كما سياتي ولا مساغ لحمل الهدى على
ما كانوا يظهرونه عند لقاء المومنين فانها ضلالة مضاعفة **فما ربحت تجارتهم** عطف على الصلة
داخل في حيزها للدلالة على ترتيب مضمونه عليها والتجارة صناعة التجار وهو التصدي للبيع
والشرى لتحصيل الربح وهو الفضل على راس المال يقال ربح فلان في تجارته اي استشف
فيها واصاب الربح واسناد عدم الربح الذي هو عبارة عن الخسران اليها وهو لاربابها على التوسع
المبني على ما بينهما من الملابسة وفائدة المبالغة في تخسيرهم لما فيه من الاشعار بكثرة الخسار
وعمومه المستتبع لسرايته الى ملابستهم وايرادهما اثر الاشترا المستعار للاستبدال المذكور
ترشيح وتصوير لما فاتهم من فوايد الهدى بصورة خسارة التجارة الذي عند كل احد للاشباع
في التخسير والتخسير ولا ينافي ذلك ان التجارة في نفسها استعارة لانهماكهم فيما هم عليه من ايثار
الضلالة على الهدى وتمرنهم عليه معربة عن كون ذلك صناعة لهم راسخة اذ ليس من ضروريات
الترشيح ان يكون باقيا على الحقيقة تابعا للاستعارة لا يقصد به الا تقويتها كما في قولك رايت اسدا
في البراثن فانك لا تريد به الا زيادة تصوير للشجاع وانه اسد كامل من غير ان تريد بلفظ البراثن
معنى اخر بل قد يكون مستعارا من ملايم المستعار منه لملايم المستعار له ومع ذلك يكون ترشيحا
لاصل الاستعارة كما في قوله • فلما رايت النسر عز ابن داية • وعشش في وكريه جاش له صدري • فان
لفظ الوكرين مع كونه مستعارا من معناه الحقيقي الذي هو موضع يتخذه الطاير للتفريخ للراس
والحية او للعودين اي جانب الراس ترشيح باعتبار معناه الاصلي لاستعارة لفظ النسر للشيب وبين
لفظ ابن داية للشعر الاسود وكذا لفظ التعشيش مع كونه مستعارا للحلول والنزول المستمر ترشيح
لتينك الاستعارتين بالاعتبار المذكور وقرئ تجاراتهم وتعددها لتعدد المضاف اليهم **وما كانوا مهتدين**
الى طرق التجارة فان المقصود منها سلامة راس المال مع حصول الربح ولئن فات الربح في صفقة فربما
يتدارك في صفقة اخرى لبقاء الاصل واما اتلاف الكل بالمرة فليس من باب التجارة قطعا فهؤلاء الذين
كان راس مالهم الهدى فاستبدلوا بها الضلالة فاضاعوا كلتا الطلبتين فبقوا خايبين خاسرين نائين
عن طريق التجارة بالف منزل فالجملة راجعة الى الترشيح معطوفة على ما قبلها مشاركة له في الترتيب على
الاشتراء المذكور والاولى عطفها على اشتروا الى اخره **مثلهم** الى اخره زيادة كشف لحالهم وتصوير لها
عقيب تصويرها بصورة ما يودي الى الخسار بحسب المال بصورة ما يفضي الى الخسار من حيث النفوس
تهويلا لها وابانة لفظاعتها فان التمثيل الطف ذريعة الى تسخير الوهم للعقل واستنزاله من مقام الاستعصاء
عليه واقوى وسيلة الى تفهيم الجاهل الغبي وقمع سورة الجاهل الابي كيف لا وهو رفع الحجاب عن وجوه
المعقولات الخفية وابرازها الى معرض المحسوسات الجلية وابداء للمنكر في صورة المعروف واظهار
للوحشي في هيئة المالوف والمثل في الاصل بمعنى المثل والنظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه
وشبيه ثم اطلق على القول السائر الذي يمثل مضربه بمورده وحيث لم يكن ذلك الا قولا بديعا فيه غرابة
صيرته جديرا بالسير في البلاد وخليقا بالقبول فيما بين كل حاضر وباد استعير لكل حال او صفة
او قصة لها شان عجيب وخطر غريب من غير ان يلاحظ وبين شيء اخر تشبيه ومنه قوله تعالى ولله المثل
الاعلى اي الوصف الذي له شان عظيم وخطر جليل وقوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون **كمثل الذي**

اي

اي الذين كما في قوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا خلا انه وحد الضمير في قوله تعالى **استوقد نارا** نظرا الى
الصورة وانما جاز ذلك مع عدم جواز وضع القايم مقام القايمين لان المقصود بالوصف هي الجملة الواقعة
صلة له دون نفسه بل انما هو وصلة الى الوصف بها ولانه حقيق بالتخفيف لاستطالته بصلته
ولذلك بولغ فيه فحذف ياوه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في اسماء الفاعلين والمفعولين لانه ليس
باسم تام بل هو كجزيه فحقه ان لا يجمع ويستوي فيه الواحد والتعدد كما هو شان اخواته وليس الذين
جمعه المصحح بل النون فيه مزيد الدلالة على زيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة
او قصد به جنس المستوقد والنار جوهر لطيف مضي حار محرق واشتقاقها من نار ينور اي اذا
نفر لان فيها حركة واضطرابا وايقادها طلب وقودها اي سطوعها وارتفاع لهبها وتنكيرها للتفخيم
فلما اضاءت ما حوله الاضاءة فرط الانارة كما يعرب عنه قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر
نورا وتجيء متعدية ولازمة والفاء للدلالة على الاستعقاب اي فلما اضاءت النار ما حول المستوقد او
فلما استضاء ما حوله والتانيث لكونه عبارة عن الاماكن والاشياء او اضاءت النار نفسها فيما
حوله على ان ذلك ظرف لاشراق النار المنزل منزلتها لا لنفسها او ما مزيدة وحوله ظرف وتاليف الحول
للدوران وقيل العام لحول لانه يدور **ذهب الله بنورهم** النور ضوء كل نير واشتقاقه من النار والضمير
للذي والجمع باعتبار المعنى اي اطفا الله نارهم التي هي مدار نورهم وانما علق الاذهاب بالنور دون
نفس النار لانه المقصود بالاستيقاد لا الاستدفاء كما ينبئ عنه قوله تعالى فلما اضاءت حيث لم
يقل فلما شب ضرامها او نحو ذلك وهي جواب لما او استيناف اجيب به عن سوال سايل يقول ما بالهم
اشبهت حالهم حال مستوقد انطفات ناره او بدل من جملة التمثيل على وجه البيان والضمير على
الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به للايجاز والامن من الالباس كانه
قيل فلما اضاءت ما حوله خمدت فبقوا في الظلمات خابطين متحيرين بعد الكدح في احيابها واسناد
الاذهاب الى الله تعالى اما لان الكل بخلقه الله تعالى عز وجل او لان الانطفاء حصل بسبب خفي
او امر سماوي كريح او مطر واما للمبالغة كما يوذن به تعدية الفعل بالباء دون الهمزة لما فيه من معنى
الاستصحاب والامساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وما اخذه الله فامسكه فلا مرسل
له من بعده ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى الظاهر الى النور لان ذهاب الضوء قد
يجامع النور في الجملة لعدم استلزام عدم القوي لعدم الضعيف والمراد ازالته بالكلية كما يفصح عنه
قوله تعالى **وتركهم في ظلمات لا يبصرون** فان الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالمرة لا سيما اذا كانت
متضاعفة متراكمة متراكبا بعضها على بعض كما يفيده الجمع والتنكير التفخيمي وما بعدها من قوله تعالى لا
يبصرون لا يتحقق الا بعد ان لا يبقى من النوعين ولا اثر والآن فالمراد بالنار ما لا يرضي الله تعالى
من النار المجازية التي هي نار الفتنة والفساد كما في قوله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله
ووصفها باضاءة ما حول المستوقد من باب الترشيح او النار الحقيقية التي توقدها الغواة ليتوصلوا
بها الى بعض المعاصي ويهتدوا بها في طرق العبث والفساد فاطفاها الله تعالى وخيب امالهم
وترك في الاصل بمعنى الطرح والتخلية وله مفعول واحد فضمن معنى التصيير فجرى مجرى افعال القلوب
قال فتركته جزر السباع ينشنه يقضمن حسن بنانه والمعصم والظلمة ماخوذة من قولهم ما ظلمك ان تفعل
كذا اي ما منعك لانها تسد البصر وتمنعه من الرؤية وقرئ في ظلمات بسكون اللام وفي ظلمة بالتوحيد
ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح كان الفعل غير متعد والمعنى ان حالهم العجيبة التي هي اشتراؤهم
الضلالة التي هي عبارة عن ظلمة الكفر والنفاق المستتبعين لظلمة سخط الله وظلمة يوم القيمة يوم ترى

قعة

المومنين والمومنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وظلمة العقاب السرمدي بالهدي الذي هو النور
الفطري المويد بما شاهدوه من دلايل الحق وبالهدي الذي كانوا حصلوه من التورية حسبما ذكر كحال من استوقد
نارا عظيمة حتى كاد ينتفع بها فاطفاها الله تعالى وتركهم في ظلمات هايلة لايتسنى فيها الابصار **صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ**
اخبار لمبتدي محذوف هو ضمير المنافقين او خبر واحد بالتاويل المشهور كما في قولهم هذا حلو حامض والصمم
افة مانعة من السماع واصله الصلابة واكتناز الاجزا ومنه الحجر الاصم والقناة الصما وصمام القارورة سداده
سمي به فقدان حاسة السمع لما ان سببه اكتناز باطن الصماخ وانسداد منافذه بحيث لايكاد يدخله هواء
يحصل الصوت بتوجيه والبكم الخرس والعما عدم البصر عما من شانه ان يبصر وصفوا بذلك مع سلامة
مشاعرهم المعروفة لما انهم حيث سدوا مسامعهم عن الاصاخة لما يتلى عليهم من الايات والذكر الحكيم وابوا ان
يتلقوها بالقبول وينطقوا بها السنتهم ولم يجتلوا ما شاهدوا من المعجزات الظاهرة على يدي رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولم ينظروا الى ايات التوحيد المنصوبة في الافاق والانفس بعين التدبر واصروا
على ذلك بحيث لم يبق لهم احتمال الارعواء عنه صاروا كفاقدي تلك المشاعر بالكلية وهذا عند مفلقي
سحرة البيان من باب التمثيل البليغ المؤسس على تناهي التشبيه كما في قول من قال. ويصعد حتى يظن الجهول
بان له حاجة في السماء. لما ان المقدر في النظم في حكم الملفوظ لا من قبيل الاستعارة التي يطوى فيها
ذكر المستعار له بالكلية حتى لو لم يكن هناك قرينة تحمل على المعنى الحقيقي كما في قول زهير. لدى اسد شاكي
السلاح مقذف. له لبد اظفاره لم تقلم **فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ** الفاء فيه للدلالة على ترتيب ما بعدها
على ما قبلها اي هم بسبب اتصافهم بالصفات المذكورة لايعودون الى الهدي الذي تركوه وضيعوه
وعن الضلالة التي اخذوها والاية نتيجة للتمثيل مفيدة لزيادة تهويل وتفظيع فان قصارى امر التمثيل
بقاوهم في ظلمات هايلة من غير تعرض لمشعري السمع والنطق والاختلاف مشعر الابصار وقيل
الضمير المقدر وما بعده للموصول باعتبار المعنى كالضماير المتقدمة فالاية الكريمة تتمة للتمثيل وتكميل
له لبيان ما اصابهم ليس مجرد انطفاء نارهم وبقايهم في ظلمات كثيفة هايلة مع بقاء حاسة البصر
بحالها بل اختلت مشاعرهم جميعا واتصفوا بتلك الصفات على طريقة التشبيه والحقيقة فبقوا جامدين
في مكاناتهم لايبرحون ولايدرون ايتقدمون ام يتاخرون وكيف يرجعون الى ما ابتدوا منه والعدول
الى الجملة الاسمية للدلالة على استمرار تلك الحالة فيهم وقرى صما بكما عميا اما على الذم كما في قوله تعالى حمالة
الحطب والمخصوص بالذم هم المنافقون او المستوقدون واما على الحالية من الضمير المنصوب في تركهم
او المرفوع في لايبصرون واما على المفعولية لتركهم فالضميران للمستوقدين **أَوْ كَصَيِّبٍ** تمثيل لحالهم اثر
تمثيل ليعم البيان منها كل دقيق وجليل ويوفي حقها من التفظيع والتهويل فان تفننهم في فنون الكفر
والضلال. وتقلبهم فيها من حال الى حال. حقيق بان يضرب في شانهم الامثال. ويرخى في حلبته اعنة
المقال. ويمد لشرحه اطناب الاطناب. ويعقد لاجله فصول وابواب. لما ان كل كلام له حظ
من البلاغة. وقسط من الجزالة والبراعة. لابد ان يوفى فيه حق كل من مقامي الاطناب والايجاز.
فما ظنك في ذروة الاعجاز. من التنزيل الجليل. ولقد نعى عليهم في هذا التمثيل. تفاصيل جناياتهم
وهو عطف على الاول على حذف المضاف لما سياتي في الضماير المستدعية لذلك اي كمثل ذي صيب
وكلمة او للايذان بتساوي القصتين في الاستقلال بوجه التشبيه وبصحة التمثيل بكل واحدة منهما وبهما
معهما والصيب فيعل من الصوب وهو النزول الذي له وقع وتاثير يطلق على المطر وعلى السحاب
قال الشماخ. عفى آية نسج الجنوب مع الصبا. واسحم دان صادق الوعد صيب. ولعل الاول هو المراد
ها هنا لاستلزامه الثاني وتنكيره لما انه اريد به نوع منه شديد هايل كالنار في التمثيل الاول وامد به

ما فيه من المبالغات من جهة مادة الاولى التي هي الصاد المستعلية والياء المشددة ومادته الثانية اعني
الصوب المبني عن شدة الانسكاب ومن جهة بنايه الدال على الثبات وقرى او كصايب **مِنَ السَّمَاءِ** متعلق
بصيب او بمحذوف وقع صفة له والمراد بالسماء. هذه المظلة وهي في الاصل كلما علاك من سقف ونحوه
وعن الحسن انها موج مكفوف اي ممنوع بقدرة الله تعالى من السيلان وتعريفه للايذان بان انبعاث
الصيب ليس من افق واحد فان كل افق من افاقها اي كل ما يحيط به كل افق منها سماء على حدة قال ومن
بُعد ارض بيننا وسماء. كما ان كل طبقة من طباقها سماء قال تعالى واوحى في كل سماء امرها والمعنى
انه صيب عام نازل من غمام مطبق اخذ بالافاق وقيل المراد بالسماء السحاب واللام لتعريف
الماهية **فِيهِ ظُلُمَاتٌ** اي انواع منها وهي ظلمة متكاثفة وانسحامه بتتابع القطر وظلمة الاظلال
ما يلزمه من الغمام المنسحم المطبق الاخذ بالافاق مع ظلمة الليل وجعله محلا لها مع ان بعضها لغيره
كظلمتي الغمام والليل لما انهما جعلتا من توابع ظلمته مبالغة في شدته وتهويلا لامره وايذانا بانه
من الشدة والهول بحيث تغمر ظلمته ظلمة الليل والغمام وهو في عدم التزحيل لظلمات هو الاصل
المستتبع للبواقي مع ظهور طريقها للكل اذ لو قيل وكظلمات فيها صيب الى آخره لما افاد للصيب
ظلمة خاصة به فضلا عن كونها غالبة على غيرها **وَرَعْدٌ** وهو صوت يسمع من السحاب والمشهور انه
يحدث من اصطكاك اجرام السحاب بعضها ببعض ومن انقلاع بعضها عن بعض عند اضطرابها بسوق
الرياح اياه سوقا عنيفا **وَبَرْقٌ** وهو ما يلمع من السحاب من برق الشي بريقا اي لمع وكلاهما في الاصل
مصدر ولذلك لم يجمعهما وكونهما في الصيب باعتبار كونهما في اعلاه ومصبه ووصول اثرهما اليه
وكونهما في الظلمات الكاينة فيه والتنوين في الكل للتفخيم والتهويل كانه قيل فيه ظلمات شديدة داجية
ورعد قاصف وبرق خاطف وارتفاع الجميع بالظرف على الفاعلية لتحقق شرط العمل بالاتفاق
وقيل بالابتدا والجملة اما صفة لصيب او حال منه لتخصيصه بالصفة او بالعمل فيها بعده من
الجار ومن المستكن في الظرف الاول على تقدير كونه صفة لصيب والضماير في قوله عز وجل **يَجْعَلُونَ
أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ** للمضاف الذي اقيم مقام المضاف اليه فان معناه باق وان حذف لفظه تعويلا
على الدليل كما في قوله تعالى وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا بياتا او هم قايلون فان الضمير للاهل
المدلول عليه بما قام مقامه من القرية قال حسان رضي الله عنه. يسقون من ورد البريص عليهم.
بردى يصفق بالرحيق السلسل. فان تذكير الضمير المستكن في يصفق لرجوعه الى الماء المضاف
الى البردي والا لانث حتما وايثار الجعل المبني عن دوام الملابسة واستمرار الاستقرار على الادخال
المفيد لمجرد الانتقال من الخارج الى الداخل للمبالغة في بيان سد المسامع باعتبار الزمان كما ان ايراد
الاصابع بدل الانامل للاشباع في بيان سدها باعتبار الذات كانهم سدوها بجملتها لا بانا ملها
فحسب كما هو المعتاد ويجوز ان يكون هذا ايماء الى كمال حيرتهم وفرط دهشتهم وبلوغهم الى حيث لا
[يهتدون]
الى استعمال الجوارح على النهج المعتاد وكذا الحال في عدم تعيين الاصبع المعتادة اعني السبابة وقيل
ذلك لرعاية الادب والجملة استئناف فلا محل لها من الاعراب مبني على سوال نشا من الكلام كانه قيل
عند بيان احوالهم الهايلة فماذا تصنعون في تضاعيف تلك الشدة فقيل يجعلون الى آخره وقوله
مِنَ الصَّوَاعِقِ متعلق بيجعلون اي من اجل الصواعق عن المقارنة للردع من قولهم سقاه من الغيمة والصاعقة
قصفة رعد هايل [ها] ينقض معها شقة نار لاتمر على شي الا اتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وبناوها
اما ان تكون صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الرواية او مصدر كالعافية وقد تطلق
على كل هايل مسموع او مشاهد يقال قصفته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق وبشدة الصوت وسد الاذان

انما يفيد على التقدير الثاني دون الاول وقري من الصواعق وليس ذلك من تقلب من الصواعق
لاستواء كلا البنائين في التصرف ويقال صقع الديك وخطيب مصقع اي مجهر بخطبته حَذَرَ
الْمَوْتِ منصوب بيجعلون على العلة وان كان معرفة بالاضافة كقوله • واغفر عوراء الكريم ادخارا
واصفح عن شتم اللئيم تكرما • ولا ضير في تعدد المفعول له فان الفعل يعلل بعلل شتى وقيل
هو منصوب على المصدر اي يحذرون حذرا مثل حذر الموت والحذر والحذار هو شدة الخوف
وقري حذار الموت والموت زوال الحياة وقيل عرض يضادها لقوله تعالى خلق الموت والحيوة
ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة وَاللهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ اي لا يفوتونه كما لا يفوت
المحاط به المحيط شبه قدرته تعالى لهم وانطوى ملكوته عليهم باحاطة المحيط بما احاط به في استحالة
الفوت او شبه الهيئة المنتزعة من شؤونه تعالى معهم بالهيئة المنتزعة من احوال المحيط مع المحاط
فالاستعارة المبنية على التشبيه الاول استعارة تبعية في الصفة متفرعة على ما في مصدرها
من الاستعارة والمبنية على الثاني تمثيلية قد اقتصر طرف المشبه به على ما هو العمدة في انتزاع الهيئة
المشبهة بها اعني الاحاطة والباقي منوي بالفاظ متخيلة بها يحصل التركيب المعتبر في التمثيل كما مر
تحريره في قوله تعالى ختم الله على قلوبهم والجملة اعتراضية منبهة على ان ما صنعوا من سد الاذان بالاصابع
لا يغني عنهم شيا فان القدر لا يدافعه الحذر والحيل لا ترد باس الله عز وجل وفايدة وضع الكافرين موضع
الضمير الراجع الى اصحاب الصيب الايذان بان ما دهمهم من الامور الهايلة المحكية بسبب كفرهم
على منهاج قوله تعالى كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته فان الاهلاك الناشي
من السخط اشد وقيل هذا الاعتراض من جملة احوال المشبه على ان المراد بالكافرين المنافقون وقد دل
على انه لا مدفع لهم من عذاب الله تعالى في الدنيا والاخرة وانما وسط بين احوال المشبه به مع ان القياس
تقديمه او تاخيره لاظهار كمال العناية وفرط الاهتمام بشان المشبه يَكَادُ الْبَرْقُ استيناف اخر وقع
جوابا عن سوال مقدر كانه قيل فكيف حالهم مع ذلك البرق فقيل يكاد ذلك يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ اي يختلسها
ويستلبها بسرعة وكاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لتاخذ اسبابه وتعاضد مباديه
لكنه لم يوجد بعد لفقد شرط او لعروض مانع ولا يكون خبرها الا مضارعا عاريا عن كلمة ان وشذ مجيئه
صريحا كما في قوله • فابت الى فهم وما كدت ايبا • وكذا مجيئه مع ان حملا لها على عسى كما في قوله • رويته
قد كان من طول البلا ان يمصحا • كما يحمل هي عليها بالحذف لما بينهما من المقاربة وليس فيها شايبة
الانشائية كما في عسى وقري يخطف بكسر الطاء ويخطف بفتح الياء والخاء بنقل فتحة التاء الى الخاء وادغامها
في الطاء ويخطف على اتباع الياء الخاء ويخطف من صيغة التفعيل ويخطف من قوله تعالى ويتخطف
الناس من حولهم كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ كلما ظرف وما مصدرية والزمان محذوف اي كل زمان اضاءة وقيل
ما نكرة موصوفة معناها الوقت والعايد محذوف اي كل وقت اضاء لهم فيه والعامل في كلما جوابها
وهو استيناف ثالث كانه قيل ما يفعلون في اثناء ذلك الاول ايفعلون بابصارهم ما فعلوا باذانهم
ام لا فقيل كلما نور البرق لهم ممشى ومسلكا على ان اضاء متعد والمفعول محذوف او كلما لمع لهم على انه
لازم ويؤيده قراءة كلما ضاء مَشَوْا فِيهِ اي في ذلك المسلك او في مطرح نوره خطوات يسيرة مع خوف
ان يخطف ابصارهم وايثار المشي على ما فوقه من السعي والعدو للاشعار بعدم استطاعتهم لهما وَإِذَا
أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ اي خفي البرق واستتر والظلم وان كان غير متعد لكن لما كان الاظلال دايرا على استتارة اسند
اليه مجازا تحقيقا لما اريد من المبالغة في موجبات تخطيهم وقد جوز ان يكون متعديا منقولا من ظلم
الليل ومنه ما جاء في قول ابي تمام • هما اظلما حالي ثمة اجليا • ظلاميهما عن وجه امرد اشيب •

وبعضهم قراءة اظلم على البناء للمفعول قَامُوا اي وقفوا في اماكنهم على ما كانوا عليه من الهيئة متحيرين
مترصدين لخفقة اخرى عسى يتسنى لهم الوصول الى المقصد والالتجاء الى ملجاء بعضهم وايراد كلمة كلما
مع الاضاءة واذا مع الاظلام للايذان بانهم حراص على المشي مترقبون لما يصححه فكلما وجدوا فرصة
انتهزوها ولا كذلك الوقوف وفيه من الدلالة على كمال التحير وتطاير اللب ما لا يخفى وَلَوْ شَاءَ اللهُ
لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ كلمة لو لتعليق حصول امر ماض هو الجزاء بحصول امر مفروض فيه هو الشرط
لما بينهما من الدوران حقيقة او ادعاء ومن قضية مفروضية الشرط دلالتها على انتفايه قطعا والمنازع
فيه واما دلالتها على انتفاء الجزاء فقد قيل وقيل والحق الذي لا محيد عنه انه ان كان ما بينهما
من الدوران كليا او جزئيا فقد بني الحكم على اعتباره فهي دالة عليه بواسطة مدلولها الوضعي لا محالة
ضرورة استلزام انتفاء العلة لانتفاء المعلول اما في مادة الدوران الكلي كما في قوله عز وجل ولو شاء
لهداكم اجمعين وقولك لو جئتني لاكرمتك فظاهر لان وجود المشية علة لوجود الهداية حقيقة
ووجود المجي علة لوجود الاكرام ادعاء وقد انتفيا بوجود المفروضية فانتفى معلولاهما حتما ثم انه قد
يساق الكلام لتعليل انتفاء الجزاء بانتفاء الشرط كما في المثالين المذكورين وهو الاستعمال الشايع
لكلمة لو ولذلك قيل هي لامتناع الثاني لامتناع الاول وقد يساق للاستدلال بانتفاء الثاني لكونه
خفيا او متنازعا فيه كما في قوله سبحانه لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وفي قوله تعالى لو كان خيرا
ما سبقونا اليه فان فسادهما لازم لتعدد الالهة حقيقة وعدم سبق المومنين الى الايمان لازم
لخيريته في زعم الكفرة ولا ريب في انتفاء اللازمين فتعين انتفاء الملزومين حقيقة في الاول وادعاء
باطلا في الثاني صورة استلزام انتفاء اللازم لانتفاء الملزوم ولكن بطريق السببية الخارجية كما في المثالين
الاولين بل بطريق الدلالة العقلية الراجعة الى سبب العلم بانتفاء الاول ومن لم يتنبه له زعم انه
لانتفاء الاول لانتفاء الثاني واما في مادة الدوران الجزئي كما في قولك لو طلعت الشمس لوجد الضوء
فان الجزاء المتوسط بالشرط الذي هو طلوعها ليس وجود اي ضوء كان كضوء القمر الجامع لعدم الطلوع مثلا
بل انما هو وجود الضوء الخاص الناشي من الطلوع ولا ريب في انتفايه بانتفاء الطلوع هذا اذا بني الحكم
على اعتبار الدوران واما اذا بني على عدمه فاما ان يعتبر هناك تحقق مدار اخر له اولا فان اعتبر
فالدلالة تابعة لحال ذلك المدار فان كان بينه وبين انتفاء الاول فان تعين الدلالة كما اذا قلت
لو لم تطلع الشمس لوجد الضوء فان وجود الضوء وان علق صورة بعدم الطلوع لكنه في الحقيقة
معلق بسبب اخر له ضرورة ان عدم الطلوع من حيث هو هو ليس مدارا لوجود الضوء في الحقيقة
وانما وضع موضع المدار لكونه كاشفا عن تحقق مدار اخر له فكانه قيل لو لم تطلع الشمس لوجد الضوء
بسبب اخر كالقمر مثلا ولا ريب في ان هذا الجزء منتف عند انتفاء الشرط لاستحالة وجود الضوء
القمري عند طلوع الشمس وان لم يكن بينهما منافاة فتعين عدم الدلالة كما في قوله صلى الله عليه وسلم في
بنت ابي سلمة لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي انها ابنة اخي من الرضاعة فان المدار في ضمن الشرط
اعني كونها ابنة اخيه عليه السلام من الرضاعة غير مناف لانتفايه الذي هو كونها ربيبته عليه السلام
بل مجامع له ومن ضرورة مجامعة اثريهما اعني الحرمة الناشية مع كونها ربيبته عليه السلام والحرمة
الناشية من كونها ابنة اخيه من الرضاعة فان لم يعتبر هناك تحقق مدار اخر بل بني الحكم على
اعتبار عدمه فلا دلالة لها على ذلك اصلا كيف لا ومساق الكلام حينئذ لبيان ثبوت الجزاء على كل
حال بتعليقه بما ينافيه ليعلم ثبوته عند وقوع ما لا ينافيه بالطريق الاولى كما في قوله عز وجل قل لو انتم
تملكون خزاين رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وقوله صلى الله عليه وسلم لو كان الايمان في

الثريا لناله رجال من فارس وقول علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا فان الاخيرة المذكو
قد نيطت بما فيها ويستدعي تقاضيها ايذانا بانها في انفسها بحيث يجب ثبوتها مع فرض انتفاء اسبابها
او تحقق اسباب انتفائها فكيف اذا لم يكن كذلك على طريقة لو الوصلية على طريقة قوله تعالى يكاد زيتها
يضيء ولو لم تمسسه نار ولها تفاصيل وتفاريع حررناها في تفسير قوله تعالى او لو كنا كارهين وقول
عمر رضي الله عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه ان حمل على تعليق عدم العصيان في ضمن
عدم الخوف كان من قبيل حديث ابنة ابي سلمة وان حمل على بيان استحالة عصيانه مبالغة كان من هذا القبيل
والاية الكريمة واردة على الاستعمال الشائع مفيد لكمال فظاعة حالهم وغاية هول ما دهمهم من الميثاق
وانها قد بلغت من الشدة الى حيث لو تعلقت مشيئة الله تعالى بازالة مشاعرهم لزالت لتحقق ما يرضيه
يقتضيه اقتضاء تاما وقيل كلمة لو فيها لربط جزائها بشرطها مجردة عن الدلالة على انتفاء احدهما لانتفا
الاخر بمنزلة كلمة ان ومفعول المشية محذوف جريا على القاعدة المستمرة فانها اذا وقعت شرطا وكان
مفعولها مضمون الجزاء فلا يكاد يذكر الا ان يكون شيئا مستغربا كما في قوله • فلو شئت ان ابكي دما لبكيته
عليه ولكن ساحة الصبر اوسع • اي لو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم لفعل ولكن لم يشأ لما
يقتضيه من الحكم والمصالح وقرئ لاذهب باسماعهم على زيادة الباء كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة والافراد في المشهورة لان السمع مصدر في الاصل والجملة الشرطية معطوفة على ما قبلها
من الجمل الاستينافية وقيل على كلما اضاء الى اخره وقوله عز وجل ان الله على كل شيء قدير تعليل للشرطية
وتقرير لمضمونها الناطق بقدرته تعالى على ازالة مشاعرهم بالطريق البرهاني والشيء بحسب مفهومه اللغوي
يقع على كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه كائنا ما كان على انه في الاصل مصدر شاء اطلق على المفعول واكتفي في ذلك
تعلق المشيئة به من حيث العلم والاخبار عنه فقط وقد خص هاهنا بالممكن موجودا كان او معدوما
يقتضيه اختصاص تعلق القدرة به لما انها عبارة عن التمكن من الايجاد والاعدام الخاصين به وقيل
هي صفة تقتضي ذلك التمكن والقادر هو الذي ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل والقدير هو الفعال
لكل ما يشاء لما يشاء ولذلك لم يوصف به غير الباري جل ذكره ومعنى قدرته تعالى على الممكن الموجود حال
وجوده انه ان شاء ابقاه على الموجود ابقاه عليه فان علة الوجود هي علة البقاء وقد مر تحقيقه في
تفسير قوله تعالى رب العالمين وان شاء اعدمه ومعنى قدرته على المعدوم حال عدمه انه ان شاء ايجاده
اوجده وان لم يشأ لم يوجده وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل والترك وقدرة الله تعالى
عبارة عن نفي العجز واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل بقدر ما تقتضيه ارادته
او بقدر قوته وفيه دليل على ان مقدور العبد مقدور لله تعالى حقيقة لانه شيء وكل شيء مقدور له
تعالى واعلم ان كل واحد من التمثيلين وان احتمل ان يكون من قبيل التمثيل المفرق كما في قوله • كان قلوب
الطير رطبا ويابسا • لدى وكرها العناب والحشف البالي • بان يشبه المنافقون في التمثيل
الاول بالمستوقدين واظهارهم الايمان بالنار وتمتعهم بما شاهدوه من الدلائل باستيفادها وتمكنهم
التام من الانتفاع به باضاءتها ما حولهم وازالة ختم الله على قلوبهم بذهاب النور الناري واخذ الضلالة بمقابلة ابتلائهم
الظلمات الكثيفة وبقائهم فيها وتشبيههم في التمثيل الثاني بالسابلة والقران وما فيه من العلوم والمعا
الذي هي مدار الحياة الابدية بالصيب الذي هو الحياة الارضية وما عرض لهم بنزوله من الغموم والاحزان
وانكساف البال بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وتصامهم عما يقرع اسماعهم
من الوعيد بحال من يهوله الرعد والبرق فيخاف صواعقه فيسد اذنه منها ولا خلاص لهم منها واهتزازهم
لما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد يحرزونه بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم

في امرهم حين عن لهم مصيبة بوقوفهم اذا اظلم عليهم لكن الحمل على التمثيل المركب الذي لا يعتبر فيه
تشبيه كل واحد من المفردات الواقعة في الجانب الاخر على وجه التفصيل بل ينتزع فيه من المفردات
الواقعة في جانب المشبه هيئة فتشبه بهيئة اخرى منتزعة من المفردات الواقعة في المنافقين واحوا لهم
المفصلة في كل احد من التمثيل على حدة وينتزع من كل واحد من المستوقدين واصحاب الصيب واحوالهم
المحكية هيئة بحيالها فتشبه كل واحدة من الاولين بما يضاهيها من الاخريين هو الذي يقتضيه جزالة
التنزيل ويستدعيه فخامة شانه الجليل لاشتماله على التشبيه الاول اجمالا مع امر زائد هو تشبيه الهيئة
بالهيئة وايذانه بان اجتماع تلك المفردات مستتبع لهيئة عجيبة حقيقة بان تكون مثلا في الغرابة يا ايها
الناس اعبدوا ربكم اثر ما ذكر الله تعالى علو طبقته الكريم وتحزب الناس في شانه الى ثلث فرق مومنة
به محافظة على ما فيه من الشرايع والاحكام وكافرة نبذته وراء ظهرها بالمجاهرة والشقاق واخرى
مذبذبة بينهما بالمخادعة والنفاق ونعت كل فرقة منها بما لها من النعوت والاحوال وبين ما لهم
من المصير والمال اقبل عليهم بالخطاب على نهج الالتفات هزا لهم الى الاصغاء وتوجيها لقلوبهم نحو التلقي
وجبرا لما في العبارة من الكلفة بلذة الخطاب فامرهم كافة بعبادته ونهاهم عن الاشراك به ويا حرف
وضع لنداء البعيد وقد ينادي به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما اجلالا كما في قول الداعي يا الله
يا رب وهو اقرب اليه من حبل الوريد اقتصارا لنفسه واستبعادا لها من محافل الزلفى ومنازل
المقربين واما تنبيها على غفلته وسوء فهمه وقد يقصد به التنبيه على ان ما يعقبه امر خطير يعتنى
بشانه واي اسم مبهم جعل وصلة الى نداء المعرف باللام لا على انه المنادي اصالة بل على انه صفة موضحة
له مزيلة لابهامه والتزم رفعه مع انتصاب موصوفه محلة اشعارا بانه المقصود بالنداء واقحمت
بينهما كلمة التنبيه تاكيدا لمعنى النداء وتعويضا عما يستحقه اي من المضاف اليه ولما تري من استقلال
هذه الطريقة بضروب من اسباب المبالغة والتاكيد كثر سلوكها في التنزيل المجيد كيف لا وكل ما ورد
في تضاعيفه من الاحكام والشرايع وغير ذلك خطوب جليلة حقيقة بان تقشعر منها الجلود •
وتطمئن بها القلوب الابية • ويتلقوها باذان واعية • واكثرهم عنها غافلون فاقتضى الحال المبالغة
والتاكيد في الايقاظ والتنبيه والمراد بالناس كافة المكلفين الموجودين في ذلك العصر لما ان المجموع واسما
المحلاة باللام للعموم بدليل صحة استثناء منها والتاكيد بما يفيد العموم كما في قوله تعالى فسجد الملائكة
كلهم اجمعون واستدلال الصحابة رضي الله عنهم بعمومها شايعا ذايعا واما من عداهم ممن سيوجد منهم
فغير داخلين في خطاب المشافهة وانما دخولهم تحت حكمه لما تواتر من دينه صلى الله عليه وسلم ضرورة
ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للموجودين من المكلفين ولمن سيوجد منهم الى قيام الساعة
ولا يقدح في العموم ما روي عن علقمة والحسن البصري من ان كل ما نزل فيه يا ايها الناس فهو مكي
اذ ليس من ضرورة نزوله بمكة شرفها الله تعالى اختصاص حكمه باهلها ولا من قضية اختصاصه
بالكفار اذ لم يكن كل اهلها حينئذ كفرة ولا ضير في تحقق العبادة في بعض المكلفين قبل ورود
هذا الامر لان المامور به القدر المشترك الشامل لانشاء العبادة والثبات عليها والزيادة فيها
مع انها متكررة حسب تكرر اسبابها ولا في انتفاء شرطها في الاخرين منهم اعني الايمان لان الامر
بها منتظم بالامر بما لا يتم الا به وقد علم من الدين ضرورة اشتراطها فيه فان امر المحدث بالصلوة مستتبع
للامر بالتوضي لا محالة وقيل المراد بالعبادة ما يعم افعال القلب ايضا لما انها عبارة عن غاية التذلل
والخضوع وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انه كلما ورد في القران من العبادة فمعناها التوحيد
وقيل معنى اعبدوا وحدوا واطيعوا ولا في كون بعض من الفريقين الاخيرين ممن لا يجدي فيهم

الاخيرتين فمن وسعهم من الايمان بعدم ايمانهم اصلا ان لا قطع لاحد منهم بدخوله في حكم
النص وورد النص بذلك لكونهم في انفسهم بسوء اختيارهم كذلك لان كونهم كذلك لورود النص بذلك
فلا جبر اذ لا قطع لاحد منهم بدخوله في حكم اصلا نعم لتخصيص الخطاب بالمشركين وجه لطيف ستقف
عليه عند قوله تعالى وانتم تعلمون وايراده تعالى بعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين
لتاكيد موجب الامر للاشعار بعليتها للعبادة **الَّذِي خَلَقَكُمْ** صفة اجريت عليه سبحانه للتبجيل
والتعليل اثر التعليل وقد جوز كونها للتقييد والتوضيح بناء على تخصيص الخطاب بالمشركين وحمل الرب
على ما هو اعم من الرب الحقيقي والالهة التي يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء
واصله التقدير يقال خلق النعل اي قدرها وسواها بالمقياس وقرئ خلقكم بادغام القاف في الكاف
وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ عطف على الضمير المنصوب ومتمم لما قصد من التعظيم والتعليل فان خلق اصولهم
من موجبات العبادة كخلق انفسهم ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف اي كانوا من زمان قبل زمانكم
وقبل خلقكم فحذف الخلق واقيم الضمير مقامهم والمراد بهم من تقدم بهم من الامم السالفة كافة
ومن ضرورة عموم الخطاب بيان شمول خلقه تعالى للكل وتخصيصه بالمشركين يودي الى عدم التعرض
لخلق من عداهم من معاصريهم واخراج الجملة مخرج الصلة التي حقها ان يكون معلومة الانتساب الى
الموصول عندهم ايضا مع انهم غير معترفين بغاية الخلق وان اعترفوا بنفسه كما ينطق به قوله تعالى ولئن
سالتهم من خلقهم ليقولن الله للايذان بان خلقهم للتقوى من الظهور بحيث لا يتاتى لاحد انكاره
وقرئ وخلق من قبلكم باقحام الموصول الثاني بين الاول وصلته تاكيدا كاقحام اللام بين المضافين في
لا اباك او بجعله موصوفا بالظرف خبرا لمبتداء محذوف اي الذين هم اناس كائنون قبلكم ه
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ المعنى الوضعي لكلمة لعل هو انشاء توقع امر بين الوقوع وعدمه مع رجحان الاول
اما محبوب فيسمى ترجيا او مكروه فيسمى اشفاقا وذلك المعنى قد يعتبر تحققه بالفعل اما
من جهة المتكلم كما في قولك لعل الله يرحمني وهو الاصل الشايع في الاستعمال لان معاني الانشاءات قائمة
واما من جهة المخاطب تنزيلا له منزلة المتكلم في التلبس التام بالكلام الجاري بينهما كما في قوله تعالى فقولا له
قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وقد يعتبر تحققه بالقوة بضرب من التجوز ايذانا بان ذلك الامر في نفسه
مئنة للتوقع متصف بحيثية مصححة من غير ان يعتبر هناك توقع بالفعل من متوقع اصلا فان روعيت
في الاية الكريمة المتكلم يستحيل ارادة ذلك المعنى لامتناع التوقع من علام الغيوب عز وجل فيصار اما
الى الاستعارة بان يشبه طلبه تعالى من عباده التقوى مع كونهم مسه لها لعاضد اسبابها برجاء الراجي
من المرجو منه امرا هين الحصول متعلق كل منهما مترددا بين الوقوع وعدمه مع رجحان الاول فيستعار
له كلمة لعل استعارة تبعية حرفية للمبالغة في الدلالة على قوة الطلب وقرب المطلوب من الوقوع واما
الى التمثيل بان يلاحظ حقه تعالى اياهم مستعدين للتقوى وطلبه اياها منهم وهم متمكنون منها
جامعون لاسبابها وينزع من ذلك هيئة منتزعة من الراجي ورجائه من المرجو منه شيا سهل المنال
فيستعمل في الهيئة الاولى ما حقه ان يستعمل في الثانية فيكون هناك استعارة تمثيلية قد صرح
من الفاظها بما هو العمدة في انتزاع الهيئة المشبهة بها اعني كلمة الترجي والباقي منوي بالفاظ متخيلة بها
يحصل التركيب المعتبر في التمثيل كما مر مرارا واما جعل المشبه ارادته تعالى في الاستعارة والتمثيل فاسس
موسس على قاعدة الاعتزال القايلة بجواز المراد عن ارادته تعالى فالجملة حال اما من فاعل خلقكم واياهم
مطلوبا منكم التقوى او علة له فان خلقكم على تلك الحال في معنى خلقهم لاجل التقوى كانه قيل خلقكم
لتتقوا او كي تتقوا اما بناء على تجويز تعليل افعاله تعالى باغراض راجعة الى العباد كما ذهب اليه كثير من

اهل

اهل السنة واما تنزيله لترتيب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض له فان استتباع
افعاله تعالى لغايات ومصالح متقنة جليلة من غير ان تكون هي علة غائية لها بحيث لولاها لما اقدم عليها
مما لا ثبه وتقييد خلقهم بما ذكر من الحال او العلة لتكميل عليته للمامور به وتاكيدها فان اتيانهم بما خلقوا
له ادخل في الوجوب وايثار تتقون على تعبدون مع موافقته لقوله تعالى وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون للمبالغة في ايجاب العبادة والتشديد في الزامها لما ان التقوى قصارى امر العبادة
ومنتهى جهدها فاذا لزمتهم كان ما هو ادنى منها الزم والالزام به اهون وان روعيت من جهة المخاطب
فلعل في معناها الحقيقي والجملة حال من ضمير اعبدوا كانه قيل اعبدوا ربكم راجين للانتظام في
زمرة المتقين الفائزين بالهدى والفلاح على ان المراد بالتقوى مرتبتها الثالثة التي هي التبتل الى الله
تعالى بالكلية والتنزه عن كل ما يشغل سره عن مراقبته وهي اقصى غايات العبادة التي يتنافس فيها
المتنافسون وبالانتظام القدر المشترك بين انشائه والثبات عليه لترجية ارباب هذه المرتبة وما دونها
من مرتبتي التوقي عن العذاب الخالد والتجنب عن كل ما يوثم من فعل او ترك كما مر في تفسير المتقين ولعل
توسيط الحال من الفاعل بين وصفي المفعول لما في التقديم من فوات الاشعار بكون الوصف معظم احكام
الربوبية وكونه عريقا في ايجاب العبادة وفي التاخير من زيادة طول الكلام هذا على تقدير اعتبار تحقق
التوقع بالفعل فاما ان اعتبر تحققه بالقوة فالجملة حال من مفعول خلقكم وما عطف عليه على الطريقة
المذكورة اي خلقكم واياهم حال كونكم جميعا بحيث يرجو منكم كل راج ان تتقوا فانه سبحانه وتعالى لما
براهم مستعدين للتقوى جامعين لمعانيها الافاقية والانفسية حال حالهم بحيث يرجو منهم
كل راج ان يتقوا لا محالة وهذه الحالة مقارنة لخلقهم وان لم يتحقق الرجاء قطعا واعلم ان الاية الكريمة
مع كونها بعبارتها ناطقة بوجوب توحيده تعالى وتحتم عبادته تعالى على كافة الخلق مرشدة لهم
باشارتها الى ان مطالعة الايات التكوينية المنصوبة في الانفس والافاق مما يقتضي بذلك
قضاء متقنا وقد بين فيها اولا من تلك الايات ما يتعلق بانفسهم من خلقهم وخلق اسلافهم لما
انه اقوى شهادة واظهر دلالة ثم عقب بما يتعلق بمعاشهم فقيل **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا** وهو في
محل النصب على انه صفة ثانية لربكم موضحة او مادحة او على تقدير اخص او امدح او في محل الرفع على المدح
والتعظيم بتقدير المبتدا قال ابن مالك التزم حذف الفعل في المنصوب على المدح اشعارا بانه انشا
كما في المنادى وحذف المبتدا في المرفوع اجري للوجهين على سنن واحد واما كونه مبتدا خبره فلا تجعلوا
كما قيل فيستدعي ان يكون مناط النهي ما في حيز الصلة فقط من غير ان يكون لما سلف من خلقهم
وخلق من قبلهم مدخل في ذلك مع كونه اعظم شانا والجعل بمعنى صير والمنصوبات بعده مفعولات
وقيل هو بمعنى خلق وانتصاب الثاني على الحالية والظرف متعلق به على التقديرين وتقديمه على
المفعول الصريح لتعجيل المسرة ببيان كون ما يعقبه من منافع المخاطبين والتشويق اليه لان النفس
عند تاخر ما حقه التقديم لا سيما بعد الاشعار بمنفعته تبقى مترقبة له فيتمكن لديها عند وروده
عليها فضل تمكن او لما في المؤخر وما عطف عليه من نوع طول لو قدم لفات تجاوب اطراف النظم
الكريم ومعنى جعلها فراشا جعل بعضها بارزا من الماء مع اقتضاء طبعها الرسوب وجعلها متوسطة
بين الصلابة واللين صالحة للقعود عليها والنوم فيها كالبساط المفروش وليس من ضرورة ذلك
كونها سطحا حقيقيا فان كرية شكلها مع عظم جرمها مصححة لافتراشها وقرئ بساطا ومهادا **وَالسَّمَاءَ
بِنَاءً** عطف على المفعولين السابقين وتقديم حال الارض لما ان احتياجهم اليها وانتفاعهم
بها اكثر واظهر اي جعلها قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يطلق على الواحد وعلى المتعدد اجمع

سماوة والبناء في الاصل مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء ومنه قولهم بنى على امراته
لما انهم كانوا اذا تزوجوا امراة ضربوا عليها خباء جديدا **وانزل من السماء ماء** عطف على جعل اي انزل
من جهتها او منها الى السحاب ومن السحاب الى الارض كما يعزى ذلك عنه عليه السلام او المراد
بالسماء جهة العلو كما ينبي عنه الاظهار في اي نزل من جهتها او منها موضع الاظهار وهو على الاولين
لزيادة التقرير ومن لابتداء الغاية متعلقة بانزل او بمحذوف وقع حالا من المفعول اي كائنا
من السماء قدم عليه لكونه نكرة واما تقديم الظرف على الوجه الاول مع ان حقه التاخير عن المفعول
الصريح فاما لان السماء اصله ومبدؤه واما لما مر من التشويق اليه مع ما فيه من مزيد انتظام
بينه وبين قوله **فاخرج به** اي بسبب الماء **من الثمرات رزقا لكم** وذلك بان اودع في الماء قوة فاعلة
وفي الارض قوة منفعلة فتولد من تفاعلهما اصناف الثمار وان اجرى عادته بافاضة صور الثمار
وكيفياتها المختلفة على المادة الممتزجة منهما وان كان المؤثر في الحقيقة قدرته تعالى ومشيته فانه تعالى
قادر على ان يوجد جميع الاشياء بلا مباد ومواد كما ابدع نفوس المبادي والاسباب لكن له عز وجل
في انشائها متقلبة في الاحوال ومتبدلة في الاطوار من بدايع حكم باهرة يجدد لاولي الابصار عبر
او مزيد طمانينة الى عظم قدرته ولطيف حكمته ما ليس في ابداعها بغتة ومن للتبعيض لقوله
تعالى فاخرجنا به ثمرات ولوقوعها بين منكرين اعني ماء ورزقا كانه قيل وانزل من السماء بعض الماء
فاخرج به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء كل الماء ولا اخرج من
الارض كل الثمرات ولا جعل كل المرزوق ثمارا او للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق ومن الثمرات بيان
له او حال منه كقولك انفقت من الدراهم الفا وتجوز ان يكون من الثمرات مفعولا ورزقا حالا منه
او مصدرا من اخرج لانه بمعنى الرزق وانما ساغ وروده الثمرات دون الثمار مع ان الموضع موضع كثرة
لانه اريد بالثمرات جماعة الثمرة في قولك ثمرة بستانه ويؤيده القراءة على التوحيد او لان المجموع يقع
بعضها موقع بعض كقوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وقوله تعالى قروء او لانها محلاة باللام خارجة
عن حد القلة واللام متعلقة بمحذوف وقع صفة لرزقا على تقدير كونه بمعنى المرزوق اي رزقا
كائنا لكم او دعامة لتقوية عمل رزقا على تقدير كونه مصدرا كانه قيل رزقا **فلا تجعلوا لله اندادا** اما متعلق
بالامر السابق مرتب عليه كانه قيل اذا امرتم بعبادة من هذا شانه من التفرد بهذه النعوت الجليلة
والافعال الجميلة فلا تجعلوا له شريكا وانما قيل اندادا باعتبار الواقع لان مدار النهي هو الجمعية وقري
ندا وايقاع الاسم الجليل موقع الضمير المعبود بالذات اثر تعيينه بالصفات وتعليل الحكم بوصف
الالوهية التي عليها يدور امر الوحدانية واستحالة الشركة والايذان باستتباعها لسائر الصفات
واما معطوف عليه كما في قوله تعالى اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا والفاء للاشعار بعلية ما قبلها من
الصفات المجراة عليها تعالى للنهي او الانتهاء او لان مآل النهي هو الامر بتخصيص العبادة به تعالى
المترتب على اصلها كانه قيل اعبدوه وخصوها به والاظهار في موضع الاضمار لما مر آنفا وقيل هو نفي
منصوب بالعطف نصب فاطلع في قوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله
موسى اي خلقكم لتتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه وحيث كان مدار هذا النصب تشبيه لعل
في بعد المرجو بليت كان فيه تنبيه على تقصيرهم بجعلهم المرجو القريب بمنزلة المتمني البعيد
وقيل هو متعلق بقوله تعالى جعل الى آخره على تقدير رفعه على المدح اي هو الذي خلق لكم هذه الايات
العظام والدلائل النيرة فلا تتخذوا له شريكا وفيه ما مر من لزوم كون خلقهم وخلق اسلافهم بمعزل
عن مناطية النهي مع عراقتهما فيها وقيل هو خبر للموصول بتاويل مقول في حقه وقد عرفت ما فيه

مع لزوم المعتبر لما راي الاخفش في تنزيل الاسم الظاهر منزلة الضمير كما في قولك زيد قام ابو عبد
الله اذا كان ذلك كنيته والند المثل المناوي من ند ندودا اذا نفر وناد وتد خالفه خص بالمخالف
المماثل بالذات كما خص المساوي بالمماثل في المقدار وتسمية ما يعبده المشركون دون الله اندادا والحال
انهم زعموا انها تماثله تعالى في صفاته ولا انها تخالفه في افعاله لما انهم لما تركوا عبادته تعالى الى عبادتها
وسموها الهة شابهت حالهم حال من يعتقد انها ذات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم باس الله
عز وجل وتمنحهم ما لم يرده الله تعالى بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم ان جعلوا اندادا لمن يستحيل ان
يكون له ند واحد وفي ذلك قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل • اربا واحدا ام الف رب
ادين اذا تقسمت الامور • تركت اللات والعزى جميعا • كذلك يفعل الرجل البصير • وقوله تعالى
وانتم تعلمون حال من ضمير لا تجعلوا بصرف التقييد اداما افاده النهي من قبح المنهي عنه ووجوب
الاجتناب عنه ومفعول تعلمون مطروح بالكلية كانه قيل لا تجعلوا ذلك فانه قبيح واجب الاجتناب
عنه والحال انكم من اهل العلم والمعرفة بدقائق الامور واصابة الراي او مقدر حسبما يقتضيه المقام
نحو وانتم تعلمون بطلان ذلك او تعلمون انه لا يماثله شيء او تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت او
تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كما في قوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء او غير ذلك
فحاصله تنشيط المخاطبين وحثهم على الانتهاء عما نهوا عنه هذا هو الذي يستدعيه عموم الخطاب في
النهي المنهي بجعل القدر المشترك المنتظم لانشاء الانتهاء كما هو المطلوب من الكفار والثبات عليه كما
هو شان المؤمنين حسبما مر مثله في الامر واما صرف التقييد الى نفس النهي فيستدعي تخصيص الخطاب
بالكفرة لا محالة اذ لا يتسنى ذلك بطريق قصر النهي على حالتي العلم ضرورة شمول التكليف للعالم والجاهل
المتمكن من العلم بل انما يتاتى بطريق المبالغة في التوبيخ والتقريع بناء على ان تعاطي القبائح من العالمين
بقبحها اقبح وذلك انما يتصور في حق الكفرة فمن صرف التقييد الى نفس النهي مع تعميم الخطاب للمؤمنين ايضا
فقد نأى عن التحقيق اذا قلت اليس في تخصيصه بالكفرة لا محالة مع ما فيه من رياء محل المؤمنين ورفع شانهم عن
حيز الانتظام في سلك الكفرة والايذان بانهم مستمرون على الطاعة والعبادة حسبما مر في صدر السورة الكريمة
مستغنون عن الامر والنهي قلت بلى قد وجه سري ذبح بهي لا يضل من ذهب اليه ولا يذل من ثبت قدمه
عليه فتامل **وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا** شروع في تحقيق ان الكتاب الكريم الذي من جملته ما تلي من الايتين
الكريمتين الناطقتين بوجوب العبادة والتوحيد منزل من عند الله تعالى على رسوله عليه الصلاة والسلام كما ان
ما ذكر فيهما من الايات التكوينية الدالة على ذلك صادرة عنه تعالى لتوضيح اتصافه بما ذكر من الاية في مطلع
السورة الشريفة من النعوت الجليلة التي من جملتها نزاهته عن ان يعتريه ريب ما والتعبير على اعتقادهم في حقه
بالريب مع انهم جازمون بكونه من كلام البشر كما يعرب عنه قوله تعالى ان كنتم صادقين اما للايذان بان اقصى
ما يمكن صدوره عنهم وان كانوا في غاية ما يكون من المكابرة والفساد وهو الارتياب في شانه واما بالجزم المذكور
خارج من دائرة الاحتمال كما ان تنكير ريب وتصديره بكلمة الشك للاشعار بان حقه ان يكون ضعيفا مشكوك
الوقوع واما للتنبيه على ان جزمهم ذلك بمنزلة الريب الضعيف لكمال وضوح دلائل الاعجاز ونهاية قوتها
وانما لم يقل وان ارتبتم فيما نزلنا الى آخره لما اشير في ما سلف من المبالغة في تنزيه التنزيل عن شائبة
وقوع الريب حسبما نطق به قوله تعالى لا ريب فيه والاشعار بان ذلك ان وقع في جهتهم لا من جهته العالية
واعتبار استقرارهم فيه واحاطته بهم لا ينافي اعتبار ضعفه وقلته لما ان ما يقتضيه ذلك هو دوام ملابستهم
به لا قوته وكثرته ومن في مما ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لريب وحملها على السببية ربما يوهم كونه
محلا للريب في الجملة وحاشاه ذلك وما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن الكتاب الكريم لان القصد المشترك

بينه وبين ابطاله وليس في معنى كونهم في ريب منه ارتيابهم في استقامة معانيه وصحة احكامه
بل في نفس كونه وحيا من عند الله تعالى واسناد التنزيل المنبي عن التدريج على مطلق الانزال لتكرير منشأ
ارتيابهم وبناء التحدي عليه ارخاء للعنان وتوسيعا للميدان فانهم كانوا اتخذوا ايمانهم نزوله منجما
وسيلة الى انكاره فجعل ذلك من مبادي الاعتراف به كانه قيل ان ارتبتم في شان ما نزلناه على مهل
وتدريج فهاتوا انتم مثل نوبة فذة من نوبه ونجم فرد من نجومه فانه ايسر عليكم من ان ينزل جملة واحدة
ويتحدى بالكل وهذا كما ترى غاية ما يكون من التبكيت وازاحة العلل وفي ذكره صلى الله عليه وسلم بعنوان
العبودية مع الاضافة الى ضمير الجلالة من التشريف والتنويه والتنبيه على اختصاصه به عز وجل وانقياده
لاوامره تعالى ما لا يخفى وقرئ على عبادنا والمراد هو عليه الصلاة والسلام وامته او جميع الانبياء
عليهم افضل الصلاة والسلام ففيه ايذان بان الارتياب فيما انزل عليه ارتياب فيما انزل من قبله لكونه
مصدقا له ومهيمنا عليه والامر في قوله تعالى **فاتوا بسورة** من باب التعجيز والقام الحجر كما في قوله
فات بها من المغرب والفاء للجواب وسببية الارتياب للامر والاتيان بالمامور به لما اشير اليه
من انه عبارة عن جزمهم المذكور فانه سبب للاول مطلقا وللثاني على تقدير الصدق كانه قيل ان كان الامر
كما زعمتم من كونه كلام البشر فاتوا بمثله لانكم تقدرون على ما يقدر عليه سائر نوعكم والسورة الطائفة
من القران العظيم المترجمة واقلها ثلاث ايات وواوها اصلية منقولة من سور البلد لانها محيطة
بطائفة من القران مفرزة محوزة على حيالها او محتوية على فنون رائقة من العلم احتواء سور البلد
على ما فيها او من السورة التي هي الرتبة قال ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار
فان سور القران مع كونها في انفسها رتبا من حيث الفضل والشرف او حيث الطول والقصر فهي من
حيث انتظامها مع اخواتها في المصحف مراتب يرتقي اليها القاري شيئا فشيئا وقيل واوها مبدلة
من الهمزة فمعناه البقية من الشيء ولا يخفى ما فيه ومن في قوله تعالى **من مثله** بيانية متعلقة بمحذوف
وقع صفة لسورة والضمير لما نزلنا اي بسورة كائنة من مثله في علو الرتبة وسمو الطبقة والنظم البديع
وحيازة سائر نعوت الاعجاز وجعلها تبعيضية يوهم ان له مثلا محققا قد اريد تعجيزهم عن الاتيان
ببعضه كانه قيل فاتوا ببعض ما هو مثل له فلا يفهم منه كون المماثلة من تتمة المعجوز عنه فضلا
عن كونها مدارا للعجز مع انه المدار وبناء الامر على المجاراة منهم بحسب حسبانهم حيث كانوا يقولون
لو نشاء لقلنا مثل هذا وعلى التهكم بهم ياباه ما سبق من تنزيله منزلة الريب فان مبنى التهكم على تقدير
تسليم ذلك منهم وتسويغه ولو بغير جد وقيل هي زائدة كما هو راي الاخفش بدليل قوله تعالى فاتوا
بسورة من مثله بعشر سور مثله وقيل هي ابتدائية فالضمير حينئذ للمنزل عليه حتما لما ان رجوعه
الى المنزل يوهم ان له مثلا محققا قد ورد الامر التعجيزي بالاتيان بشيء منه وقد عرفت ما فيه
بخلاف رجوعه الى المنزل عليه فان تحقق مثله عليه الصلاة والسلام في البشرية والعربية
والامية يهون الخطب في الجملة خلا ان تخصيص التحدي بفرد يشاركه عليه الصلاة والسلام فيما
ذكر من الصفات المنافية للاتيان بالمامور به لا يدل على عجز من ليس كذلك من علمائهم بل ربما يوهم
قدرتهم على الجملة فرادى ومجتمعين مع انه يستدعي عراء المنزل عما فصل من النعوت الموجبة لاستحالة
وجود مثله فاين هذا من تحدي امة جمة وامرهم بان يحتشدوا في حلبة المعارضة بخيلهم ورجلهم
حسبما ينطق به قوله تعالى **وادعوا شهداءكم من دون الله** ويتعاونوا على الاتيان بقدر يسير
مماثل في صفات الكمال لما اتى بجملته واحد من ابناء جنسهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر
او القائم بالشهادة او الناصر ومعنى دون ادنى مكان من شيء يقال هذا دون ذاك اذا كان احط منه

قليلا

قليلا ثم استعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو اي في الفضل والرتبة ثم اتسع ٥
فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي حكم الى حكم من غير ملاحظة انحطاط احدهما على الاخر فجرى مجرى
اداة الاستثناء وكلمة من اما متعلقة بادعوا فتكون لابتداء الغاية والظرف مستقر والمعنى ادعوا متجاوزين
الله تعالى للاستنظار من حضركم كائنا من كان او الحاضرين مشاهدكم ومحاضركم من رؤسائكم واشرافكم
الذين تفزعون اليهم في الملمات وتعولون عليهم في المهمات او القائمين بشهاداتكم الجارية فيما بينكم
من امنائكم المتولين لاستخلاص الحقوق بتنفيذ القول عند الولاة او القائمين بنصرتكم حقيقة او زعما من
الانس والجن ليعينوكم واخراجه سبحانه وتعالى من حكم الدعاء في الاول مع انه اجدر في الحضور لتاكيد تناوله
لجميع ما عداه لا لبيان استبداده تعالى بالقدرة على ما كلفوه فان ذلك مما يوهم انهم لو دعوه تعالى لاجابهم اليه
واما في سائر الوجوه فللتصريح من اول الامر ببراءتهم منه تعالى وكونهم في عدوة المحادة والمشاقة قاصرين استظهارهم
على ما سواه والالتفات لادخال الروعة وتربية المهابة وقيل المعنى ادعوا من دون الله اولياء شهداء
الذين هم وجوه الناس وفرسان المقاولة والمناقلة يشهدوا لكم ان ما اتيتم به مثله انما بانهم يأتون ان
يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة ما هو بين الفساد وجلي الاستحالة وفيه انه يشعرون بعدم شمول التحدي
لاولئك الرؤسا وقيل المعنى ادعوا شهداءكم فصحاءهم دعواكم ولا تستشهدوا بالله تعالى قائلين الله يشهد
ان ما ندعيه حق فان ذلك ديدن المحجوج وفيه ايذان انهم بما يدعون حقية ما هم عليه من الدين الباطل
فلا مساس له بمقام التحدي يوهم انهم قد تصدوا للمعارضة واتوا بشيء مشتبه للحال مترددين بين
المثلية وعدمها وانهم ادعوها مستشهدين في ذلك بالله سبحانه اذ عند ذلك يمس الحاجة الى الامر
بالاستشهاد بالناس والنهي عن الاستشهاد به تعالى واني لهم وما نبض لهم عرق ولا تلبسوا بنت شفة
واما متعلقة بشهداءكم والمراد بهم الاصنام ودون بمعنى التجاوز على انها ظرف مستقر وقع حالا من
ضمير المخاطبين والعامل ما دل عليه شهداءكم اي ادعوا اصنامكم الذين اتخذتموهم الهة متجاوزين
الله في اتخاذكم كذلك وكلمة من ابتدائية فان الاتخاذ ابتداء من التجاوز والتعبير عن الاصنام ٥
بالشهداء لتعيين مدار الاستشهاد والذين اتخذتموهم الهة بها بتذكير ما زعموا من انها بمكان من
الله وانها تنفعهم بشهادتها لهم انهم على الحق فان من هذا شانه يجب ان يكون ملاذا لهم في كل امر مهم
وملجأ يأوون اليه في كل خطب ملم كانه قيل اولئك عدتهم فادعوهم لهذه الداهية التي دهتكم
فوجه الالتفات الايذان لكمال سخافة عقولهم حيث اثروا على عبادة من له الالوهية الجامعة لجميع
صفات الكمال عبادة ما لا احقر وقيل لفظة دون مستعارة من معناها الوضعي الذي هو ادنى
مكان من شيء لقدامه كما في قول الاعشى ٥ تريك القذى من دونها وهي دونه ٥ اي تريك القذى قدامها
وهي قدام القذى فتكون ظرفا لغوا معمولا لشهداءكم لكفاية رائحة الفعل فيه من غير حاجة الى اعتماد
ولا الى تقدير يشهدون اي ادعوا شهداءكم الذين يشهدون لكم بين يدي الله تعالى ليعينوكم في
المعارضة اي ادعوا بهذا العنوان لما مر من الاشعار بمناط الاستعانة بها ووجه الالتفات
تربية المهابة وترشيح ذلك المعنى فان ما يقوم بهذا الامر في ذلك المقام الخطير
حقه ان يستعان به في كل مرام وفي امرهم على الوجهين بان يستظهروا في معارضة القران الذي
اخرس كل منطيق من الجماد بالتهكم بهم ما لا يوصف وكلمة من هاهنا تبعيضية لما انهم يقولون جلس
بين يديه وخلفه بمعنى في لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل انما يقع في بعض
تينك الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل ويقال كلمة من الداخلة على دون في جميع
المواقع بمعنى في كما في سائر الظروف التي لا تنصرف وتكون منصوبة على الظرفية ابدا ولا يجر الا بمن

خاصة وقيل المراد بالشهدا مدار القوم ووجوه المحافل والمحاضر ودون ظرف مستقر ومن ابتدائية اي
ادعوا الذين يشهدون لكم ما آتيتم به متجاوزين اولياء الله ومحصله شهداء مغايرين لهم ايذانا بانهم ايضا
لا يشهدون بذلك وانما قدر المضاف الى الله تعالى رعاية للمقابلة فان اولياء الله تعالى يقابلون اولياء
الاصنام كما ان ذكر الله تعالى يقابل ذكر الاصنام والمقصود بهذا الامر ارخاء العنان والاستدراج الى غاية
التبكيت كانه قيل تركنا الزامكم بشهداء لا ميل لهم الى احد الجانبين كما هو المعتاد واكتفينا بشهدائكم المعروفين
بالذب عنكم فانهم ايضا لا يشهدون لكم حذارا من اللائمة وانفة من الشهادة البينة البطلان كيف لا وامر
الاعجاز قد بلغ من الظهور الى حيث لم يبق الى انكاره سبيل قطعا وفيه ما مر من عدم الملائمة لابتناء
التحدي وعدم تناوله لاولئك الشهدا وايهام انهم تعرضوا للمعارضة واتوا بشيء احتاجوا في اثبات
مثليته للتحدي بدا الى الشهادة وشتان بينهم وبين ذلك **ان كنتم صادقين** اي في زعمكم انه من كلامه
عليه السلام وهو شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه اي ان كنتم صادقين فاتوا بسورة من مثله الى آخره
واستلزام المقدم للتالي من حيث ان صدقهم في ذلك الزعم يستدعي قدرتهم على الاتيان بمثله
بقضية مشاركتهم له عليه السلام في البشرية والعربية مع ما هم من طول الممارسة للخطب والاشعار
وكثرة المزاولة لاساليب النظم والنثر والمبالغة في حفظ الوقايع والايام لا سيما عند المظاهرة
والتعاون ولا ريب في ان القدرة على الشيء من موجبات الاتيان به ودواعي الامر به **فان لم تفعلوا**
اي ما امرتم به من الاتيان بالمثل بعد ما بذلتم في السعي غاية المجهود وجاوزتم في الجد كل حد معهود
متشبثين بالذيول راكبين كل صعب وذلول وانما لم يصرح به ايذانا بعدم الحاجة اليه بناء على كمال
ظهوره تها لكريم على ذلك وانما اورد في حيز الشرط مطلق الفعل وجعل مصدر الفعل المامور به
مفعولا له للايجاز البديع المغني عن التطويل والتكرير مع سر سري استقل به المقام وهو الايذان
بان المقصود بالتكليف هو ايقاع نفس الفعل المامور به لاظهار عجزهم عنه لا تحصيل المفعول
اي المأتي به ضرورة استحالته وان مناط الجواب في الشرطية اعني الامر باتقاء النار هو عجزهم عن
ايقاعه لا فوت حصول المفعول فان مدلول لفظ الفعل هو انفس الافعال الخاصة لازمة كانت او متعدية
من غير اعتبار تعلقاتها بمفعولاتها الخاصة فاذا علق بفعل خاص متعد فانما يقصد به ايقاع نفس ذلك
الفعل واخراجه من القوة الى الفعل واما تعلقه بمفعوله المخصوص فهو خارج عن مدلول الفعل
المطلق وانما يستفاد ذلك من الفعل الخاص ولذلك تراهم يتوصلون الى تجريد الافعال المتعدية من
من مفعولاتها وتنزيلها منزلة الافعال اللازمة فيقولون مثلا مبني فلان يعطي ويمنع بفعل الاعطاء والمنع
يرشدك الى هذا قوله تعالى فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون بعد قوله ائتوني باخ لكم من
ابيكم فانه لما كان مقصود يوسف عليه السلام بالامر ومرمى غرضه بالتكليف منه استحضار بنيامين
لم يكتف في الشرطية الداعية لهم الى الجد في الامتثال والسعي في تحقيق المامور به بالاشارة الاجمالية
الى الفعل الذي ورد به الامر بان يقول فان لم تفعلوا بل اعاده بعينه متعلقا بمفعوله
تحقيقا للمطلوب واعرابا عن مقصده هذا وقد قيل اطلق الفعل واريد به الاتيان مع ما يتعلق
به اما على طريقة التعبير عن الاسماء الظاهرة بالضمائر الراجعة اليها احترازا عن التكرار او على طريقة ذكر اللازم
وارادة الملزوم لما من التلازم المصحح للانتقال بمعونة قرائن الحال فتدبر وايثار كلمة ان
المفيدة للشك على اذا مع تحقق الجزم بعدم فعلهم مجاراة منهم بحسب
حسبانهم قبل التجربة او تهكم بهم **ولن تفعلوا** كلمة لن لنفي
المستقبل كلا خلا ان في لن زيادة تاكيد وتشديد واصلها

واصلها عند الخليل لا ان وعند الفراء لا ابدلت الفها نونا وعند سيبويه حرف مقتضب للمعنى المذكور
وهي احدى الروايتين عن الخليل والجملة اعتراض بين جزئي الشرطية مقرر لمضمون مقدمها ومؤكد لايجاب
العمل بتاليها وهذه معجزة باهرة حيث اخبر بالغيب الخاص علمه به عز وجل وقد وقع الامر كذلك كيف لا
ولو عارضوه بشيء يدانيه في الجملة لتناقله الرواة خلف عن سلف **فاتقوا النار** جواب للشرط على ان
اتقاء النار كناية عن الاحتراز من العناد اذ بذلك يتحقق تسببه عنه وترتبه عليه كانه قيل فاذا عجزتم
عن الاتيان بمثله كما هو المقرر فاحترزوا من انكار كونه منزلا من عند الله سبحانه فانه مستوجب
للعقاب بالنار لكن اوثر عليه الكناية المذكورة المبنية على تصوير العناد بصورة النار وجعل الاتصاف
به عين الملابسة بها للمبالغة في تهويل شانه وتفظيع امره واظهار كمال العناية بتحذير المخاطبين
منه وتنفيرهم عنه وحثهم على الجد في تحقيق المكنى عنه وفيه من الايجاز البديع ما لا يخفى حيث كان
الاصل فان لم تفعلوا فقد صح صدقه عندكم واذا صح ذلك كان لزومكم العناد وترككم الايمان به سببا
لاستحقاقكم العقاب بالنار فاحترزوا منه واتقوا النار **التي وقودها الناس والحجارة** صفة للنار موذنة
لها زيادة هول وفظاعة اعاذنا الله من ذلك والوقود ما يوقد للنار وترفع من الحطب وقرئ بضم
الواو وهو مصدر سمي به المفعول مبالغة كما يقال فلان فخر قومه وزين بلده والمعنى انها من الشدة
بحيث لا تمس شيئا من رطب او يابس الا احرقته لا كنيران الدنيا تقتبس في الالتهاب الى وقود من حطب
او حشيش وانما جعل هذا الوصف صلة للموصول منقضية لكون انتسابها الى ما نسبت هي اليه معلوما
للمخاطب بناء على انهم سمعوه من اهل الكتاب قبل ذلك او من الرسول صلى الله عليه وسلم وسمعوا قبل
هذه الاية المدنية قوله نارا وقودها الناس والحجارة فاشير هاهنا الى ما سمعوه اولا وكون سورة التحريم
مدنية لا يستلزم كون جميع اياتها كذلك كما هو المشهود ولما ان الصفة ايضا يجب ان تكون معلومة الانتساب
الى الموصوف عند المخاطب فالخطب فيه هين لما ان المخاطب هناك المؤمنون وظاهر انهم سمعوا ذلك
من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد بالحجارة الاصنام وبالناس انفسهم حسبما ورد في قوله تعالى
انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها الاية **اعدت للكافرين** اي هيئت للذين كفروا
بما نزلناه والمراد اما جنس الكفار والمخاطبون داخلون فيهم دخولا اوليا واما هم خاصة ووضع
الكافرين موضع ضميرهم لذمهم وتعليل الحكم بكفرهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة وفيه دلالة
على ان النار مخلوقة موجودة الان والجملة استيناف لا محل لها من الاعراب مقررة لمضمون ما قبلها
ومؤكدة لايجاب العمل به ومبينة لمن اريد بالناس دافعة لاحتمال المعهود وقيل حال باضمار قد من النار
لا من ضميرها في وقودها لما في ذلك من الفصل بينهما بالخبر وقيل صلة بعد صلة او عطف على الصلة بترك
العاطف **وبشر الذين آمنوا** فانه منزل من عند الله عز وجل وهو معطوف على الجملة السابقة لكن لا على
المقصود عطف نفس الامر حتى يطلب له مشاكل يصح عطفه عليه بل على انه عطف قصة المؤمنين
بالقران ووصف ثوابهم على قصة الكافرين به وكيفية عقابهم على السنة الالهية من شفع الترغيب
بالترهيب والوعد بالوعيد وكان تغيير السبك لتحصيل كمال التباين بين حالي الفريقين وقرئ وبشر
على صيغة الفعل مبنيا للمفعول عطفا على اعدت فيكون استينافا وتعليق التبشير بالموصول للاشعار
بانه معلل بما في حيز الصلة من الايمان والعمل الصالح لكن لا لذاتهما فانهما لا يكافئان النعم السابقة
فضلا من ان يقتضيا ثوابا فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده وجعل صلته فعلا مفيدا
للحدوث بعد ايراد الكفار بصيغة الفاعل لحث المخاطبين بالاتقاء على احداث الايمان وتحذيرهم
من الاستمرار على الكفر والخطاب للنبي عليه السلام وقيل لكل من يتاتى منه التبشير كما في قوله عليه السلام

بشر المشائين الى المساجد في ظلم الليالي بالنور التام يوم القيمة فانه عليه السلام لم يامر بذلك واحدا
بعينه بل كل احد ممن يتاتى منه ذلك وفيه رمز الى ان الامر لعظمه وفخامة شانه حقيق بان يتولى التبشير
به كل من يقدر عليه والبشارة الخبر السار الذي يظهر به اثر السرور في البشرة وتباشير الصبح اوائل ضوءه
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ الصالحة كالحسنة في الجريان مجرى الاسم وهي كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والنقل
واللام للجنس والجمع لافادة ان المراد بها جملة من الاعمال الصالحة التي اشير الى امهاتها في مطلع السورة
الكريمة وطائفة منها متفاوتة حسب تفاوت حال المكلفين في مواجب التكليف وفي عطف العمل
على الايمان دلالة على تغايرهما واشعار بان مدار استحقاق البشارة مجموع الامرين فان الايمان اساس
والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء باس لا بناء به **أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ** منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل
اليه او مجرور باضماره مثل الله لافعلن والجنة هي المرة من مصدر جنه اذا ستره تطلق على النخل والشجر
المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه قال زهير • كان عيني في غربي مقتلة • من النواضح تسقي جنة سحقا •
اي نخلا طوالا كانها لفرط تكاثفها وتغطيها لما تحتها بالمرة نفس الستر وعلى الارض ذات الشجر قال الفراء
الجنة ما فيه النخل والفردوس ما فيه الكرم فحق المصدر حينئذ ان يكون ماخوذا من الفعل المبني
للمفعول وانما سميت دار الثواب بها مع ان فيها ما لا يوصف من الغرفات والقصور لما انها مناط
نعيمها ومعظم ملاذها وجمعها مع التنكير لانها سبع على ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما جنة الفردوس
وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب
ودرجات متفاوتة حسب تفاوت الاعمال واصحابها **تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ** في حيز النصب على انه صفة
جنات فان اريد بها الاشجار فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض المشتملة عليها فلا
بد من تقدير مضاف اي من تحت اشجارها وان اريد بها مجموع الارض والاشجار فاعتبار التحتية
بالنظر الى الجزء الظاهر المصحح لاطلاق اسم الجنس على الكل عن مسروق انهار الجنة تجري من غير اخدود
واللام في الانهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب او عوض عن المضاف
اليه كما في قوله تعالى واشتعل الراس شيبا او للعهد والاشارة الى ما ذكر في قوله عز وجل فيها انهار
من ماء غير آسن الاية والنهر بفتح الهاء وسكونها المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات
والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار او على المجاز اللغوي او المجاري انفسها وقد اسند
اليها الجريان مجازا عقليا كما في سال الميزاب **كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ** صفة
اخرى لجنات اجريت على الاولى لان جريان الانهار من تحتها وصف لها باعتبار اهلها المتمتعين بها
او خبر مبتدا محذوف او جملة مستانفة كانه حين وصفت الجنات بما ذكر من الصفة وقع في ذهن
السامع ان ثمارها كثمار جنات الدنيا او لا فبين حالها وكلما نصب على الظرفية ورزقا مفعول
به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال كانه قيل كل وقت رزقوا مرزوقا مبتدأ من
ثمرة على ان الرزق مقيد بكونه مبتدأ من الجنات وابتداؤه منها مقيد بكونه مبتدأ من ثمرة فصاحب
الحال الاولى رزقا وصاحب الثانية ضميره المستكن في الحال ويجوز كون من ثمرة بيانا قدم على المبين
كما في قولك رايت منك اسدا وهذا اشارة الى ما رزقوا وان وقعت على فرد معين منه كقولك مشيرا
الى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فانك وان اشرت اليه بحسب الظاهر لكنك انما تعني به
النوع المعلوم المستمر والمعنى هذا مثل الذي رزقناه من قبل اي من قبل هذا في الدنيا لكن لما استحكم الشبه
بينهما جعل ذاته ذاته وانما جعل ثمر الجنة كثمار الدنيا لتميل النفس اليه حين تراه فان الطباع مائلة
الى المالوف مستنفرة من غير المعروف • وليتبين بها مزيته • وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا غير معهود

لظن

لظن انه لا يكون الا كذلك او مثل الذي رزقناه من قبل في الجنة لان طعامها متشابه الصور كما يحكى
عن الحسن رضي الله عنه ان احدهم يؤتى بالصحفة فياكل منها ثم يؤتى بالاخرى فيراها مثل الاولى فيقول
ذلك الملائكة كل اللون واحد والطعم مختلف وكما روي انه صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده
ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة لياكلها فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها والاول
ول
انسب لمحافظة عموم كلما فانه يدل على ترددهم هذه المقالة كل مرة رزقوا الا فيما عدا المرة الاولى
يظهرون بذلك التبجح وفرط الاستغراب لما بينهما من التفاوت العظيم من حيث اللذة مع اتحادهما
في الشكل واللون كانهم قالوا هذا عين ما رزقناه في الدنيا فمن اين له هذه المرتبة في اللذة والطيب
ولا يقدح فيه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما من انه ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسم فان
ذلك لكمال التفاوت بينهما من حيث اللذة والحسن والهيئة لا لبيان ان لا تشابه بينهما من حيث
اللذة والحسن والهيئة اصلا كيف لا واطلاق الاسماء منوط بالاتحاد النوعي قطعا هذا وقد فسر الاية
الكريمة بان مستلذات اهل الجنة بمقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة الحال
فيجوز ان يريدوا هذا ثواب الذي رزقناه في الدنيا من الطاعات ولا يساعده تخصيص ذلك بالثمرات
فان الجنة وما فيها من فنون الكرامات من قبيل ثواب الطاعات **وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا** اعتراض لما قبله والضمير
المجرور على الاول راجع لما دل عليه فحوى الكلام مما رزقوا في الدارين كما في قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا
فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير وعلى الثاني الى الرزق **وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ** اي مما في نساء الدنيا
من الاحوال المستقذرة كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهير يستعمل في الاجسام
والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن
فاعلة وفواعل قال • واذا العذارى بالدخان تقنعت • واستعجلت نصب القدور فملت • فالجمع
على اللفظ والافراد على تاويل الجماعة • وقرئ مطهرة بمعنى متطهرة ومطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة
للاشعار بان مطهرا طهرهن وما هو الا الله تعالى واما التطهير فيحتمل ان يكون من قبيل انفسهن
كما عند اغتسالهن والزوج يطلق على الذكر والانثى وهو في الاصل اسم لما له قرين من جنسه وليس
في مفهومه اعتبار التوالد الذي هو مدار ابقاء النوع حتى لا يصح اطلاقه على ازواج اهل الجنة لخلود
هم
فيها واستغنائهم عن الاولاد كما ان المدارية لبقاء الفرد ليست بمعتبرة في مفهوم اسم الرزق حتى
يخل ذلك باطلاقه على ثمار الجنة **وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** اي دائمون والخلود في الاصل الثبات المديد
دام او لم يدم ولذلك قيل للاثافي والاحجار خوالد وللجزء الذي يبقى من الانسان على حالة خلد ولو
كان وضعه للدوام لما قيد بالتابيد في قوله عز قائلا خالدين فيها ابدا ولما استعمل حيث لا دوام فيه
ولكن المراد ههنا الدوام قطعا لما يقتضيه من الايات والسنن وما قيل من ان الابدان مؤلفة من
الاجزاء المتضادة في الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى الانحلال والانفكاك مداره قياس
ذلك العالم الكامل بما يشاهد في عالم الكون والفساد على انه يجوز ان يعيدها الخالق تعالى بحيث
لا يعتورها الاستحالة ولا يعتريها الانحلال قطعا بان يجعل اجزاءها متقاومة في الكيفيات متساوية في
القوى بحيث لا يقوى شيء منها عند التفاعل على احالة الاخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض
وتبقى هذه النسبة محفوظة فيما بينهما ابدا لا يعتريها التغير بالاكل والشرب والحركات وغير ذلك واعلم
ان معظم اللذات الحسية لما كان مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح حسبما يقتضيه الاستقراء وكان
ملاك جميع ذلك الدوام والثبات اذ كل نعمة وان جلت كانت في شرف الزوال ومعرض الاضمحلال فانها
منغصة غير صافية من شوائب الالم بشر المؤمنين بها وبدوامها تكميلا للبهجة والسرور • اللهم

وفقنا لمراضيك وثبتنا على ما يودي من العقد والعمل **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِىٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً**
شروع في تنزيه ساحة التنزيل عن تعلق ريب خاص اعتراهم من جهة ما وقع فيه من ضرب الامثال
وبيان لحكمته وتحقيق للحق اثر تنزيهها عما اعتراهم من مطلق الريب بالتحدي والقام الحجر وافحام
كافة البلغا من اهل المدر والوبر روي ابو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المنافقين طعنوا
في ضرب الامثال والظلمات والرعد والبرق وقالوا الله اجل واعلا من ضرب الامثال وروي عطا
عنه رضي الله عنهما ان هذا الطعن كان من المشركين وروي عنه ايضا انه لما نزل قوله تعالى يا ايها
الناس ضرب مثل فاستمعوا له الاية وقوله مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء قالت اليهود اي
قدر الذباب والعنكبوت حتى يضرب الله بهما المثل وجعلوا ذلك ذريعة الى انكار كونه من عند الله
مع انه لا يخفى على احد ممن له تمييز انه ليس يتصور فيه الرد فضلا عن التنكير بل هو من اوضح ادلة كونه
خارجا عن طوق البشر نازلا من عند خلاق القوى والقدر كيف لا وان التمثيل كما مر ليس الا ابراز
المعنى المقصود في معرض الامر المشهود وتحلية المعقول بحلية المحسوس وتصوير اوابد المعاني
بهيئة المانوس لاستمالة الوهم واستنزاله عن معارضة العقل واستعصائه عليه في ادراك الحقائق
الخفية وفهم الدقائق الابية كي يتابعه فيما يقتضيه ويشايعه الى ما يرتضيه ولذلك شاعت
الامثال في الكتب الالهية والكلمات النبوية وذاعت في عبارات البلغا واشارات الحكما ومن
قضيته وجوب التماثل بين الممثل والممثل به في مناط التمثيل تمثيل العظيم بالعظيم والحقير بالحقير
وقد مثل في الانجيل غل الصدر بالنخالة ومعارضة السفهاء باثارة الزنابير وقد جاء في عبارات البلغا
اجمع من ذرة واجرى من الذباب واسمع من قراد واضعف من بعوضة الى غير ذلك مما لا يكاد يحصر والحياء
تغير النفس وانقباضها عما يعاب به او يذم عليه يقال حي الرجل وهو حيي واشتقاقه من الحياة اشتقاق
شطي ونسي وحشي من الشطا والنسا والحشا يقال شطي الفرس ونسي وحشي اذا اعتلت منه تلك الاعضا
كان من يعتريه الحيا تعتل قوته الحيوانية وتنتقص واستحيي بمعناه خلا انه يتعدى بنفسه وبحرف
الجر يقال استحييته واستحييت منه والاول لا يتعدى الا بحرف الجر وقد يحذف منه احدى اليائين
ومنه قوله الا يستحي منا الملوك ويتقي محارمنا لا يبوء الدهر بالدم وقوله اذا ما استحين الماء يعرض
نفسه كرعن بسبت في اناء من الورد فكما انه اسند اليه سبحانه بطريق الايجاب في مثل قوله صلى
الله عليه وسلم ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه وقوله عليه السلام ان الله حيي كريم
يستحيي اذا رفع اليه العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا يراد به الترك الخاص على طريقة
التمثيل حيث مثل في الحديثين الكريمين تركه تعذيب ذي الشيبة وتخييب العبد من عطائه بترك من تركهما
حيا كذلك اذا انفي عنه تعالى في المواد الخاصة كما في هذه الاية الشريفة وقوله تعالى والله لا يستحيي من
الحق يراد به سلب ذلك الترك الخاص المضاهي لترك المستحيي عنه لا سلب وصف الحيا عنه تعالى راسا كما
في قولك ان الله لا يوصف بالحياء لان تخصيص السلب ببعض المواد يوهم كون الايجاب من شانه تعالى
في الجملة فالمراد ههنا عدم ترك ضرب المثل المماثل لترك من يستحيي من ضربه وفيه رمز الى تعاضد الدواعي
الى ضربه وتاخذ البواعث اليه اذ الاستحياء انما يتصور في الافعال المقبولة للنفس المرضية عندها
ويجوز ان يكون وروده على طريقة المشاكلة فانهم كانوا يقولون اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا
بالاشياء المحقرة كما في قول من قال من مبلغ افناء يعرب كلها اني بنيت الجار قبل المنزل وضرب
المثل استعماله في مضربه وتطبيقه به لا صنعه وانشاؤه في نفسه والا لكان انشاء الامثال السائرة
في موارد ها ضربا لها دون استعمالها بعد ذلك في مضاربها لفقدان الانشا هناك والامثال ليس ههنا

الاعتبار الواردة في التنزيل وان كان استعمالها في مضاربها عين انشائها في نفسها لكن التعبير عنه
بالضرب ليس بهذا الاعتبار بل بالاعتبار الاول قطعا وهو ماخوذ اما من ضرب الخاتم بجامع التطبيق
فكما ان ضربه تطبيقه بقالبه كذلك استعمال الامثال في مضاربها كان المضارب قوالب تضرب الامثال
شاكلتها لكن لا بمعنى انها تنشا بحسبها بعد ان لم تكن كذلك بل بمعنى انها تورد منطبقة عليها سواء كان
انشاؤها حينئذ كعامة الامثال التنزيلية او قبل ذلك كساير الامثال السائرة فانها وان كانت مصنوعة
من قبل الا ان تطبيقها اي ايرادها منطبقة على مضاربها انما يحصل عند الضرب واما من ضرب الطين
على الجدار ليلزق به بجامع الالصاق كان من يستعملها يلصقها بمضاربها ويجعلها ضربة لازب لا تنفك
عنها لشدة تعلقها بها ومحل ان يضرب على تقدير تعدية يستحيي بنفسه النصب على المفعولية واما على
تقدير تعديته بالجار فعند الخليل الخفض باضمار من وعند سيبويه النصب بامضاء الفعل اليه بعد حذفها
مثلا مفعول ليضرب وما اسمية ابهامية تزيد ما تقارنه من الاسم المنكر ابهاما وشياعا كما في قولك اعطني
كتابا ما كانه قيل مثلا ما من الامثال اي مثل كان فهي صفة لما قبلها او حرفية مزيدة لتقوية النسبة وتوكيد

كما في قوله تعالى فبما رحمة من الله وبعوضة بدل من مثلا او عطف بيان عند من يجوزه في النكرات او مفعول
ليضرب ومثلا حال تقدمت عليها لكونها نكرة او هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل والتصيير وقري بالرفع
على انه خبر امبتدا محذوف اي هو بعوضة والجملة على تقدير كون ما موصولة صلة لها محذوفة الصدر كما في
قوله تعالى تماما على الذي احسن على قراءة الرفع وعلى تقدير كونها موصوفة لها كذلك ومحل ما على الوجهين
النصب على انه بدل من مثلا او على انه مفعول ليضرب وعلى تقدير كونها ابهامية صفة لمثلا كذلك واما
على تقدير كونها استفهامية فهي خبر لها كانه لما رد استبعادهم ضرب المثل قيل ما بعوضة واي مانع
مانع فيها حتى لا يضرب بها المثل بل له تعالى ان يمثل بما هو اصغر منها واحقر كجناحها على ما وقع في قوله
صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء والبعوض فعول
من البعض وهو القطع غلب على هذا النوع **فَمَا فَوْقَهَا** عطف على
بعوضة على تقدير نصبها على الوجوه المذكورة وما هو موصولة او موصوفة صلتها او صفتها الظرف واما على
تقدير رفعها فهو عطف على ما الاولى على تقدير رفعها فهو عطف على الاولى كونها موصولة او موصوفة
واما على تقدير كونها موصولة استفهامية فهو عطف على خبرها اعني بعوضة لا على نفسها قيل والمعنى
ما بعوضة فالذي فوقها او فشي فوقها حتى لا يضرب بها المثل وكذا على تقدير كونها صفة للنكرة او زائدة
وبعوضة خبر المضمر وذكر البعوضة فما فوقها من بين افراد المثل انما هو بطريق التمثيل دون التعيين
والتخصيص فلا يخل بالشيوع بل يقرره ويوكده بطريق الاولوية والمراد بالفوقية الزيادة في المعنى الذي اريد
بالتمثيل اعني الصغر والحقارة واما الزيادة في الحجم والجثة لكن لا بالغا ما بلغ بل في الجملة كالذباب والعنكبوت
وعلى التقدير الاول يجوز ان يكون ما الثانية خاصة استفهامية انكارية والمعنى ان الله لا يستحيي ان يضرب
مثلا ما بعوضة فاي شي فوقها في الصغر والحقارة فاذا له تعالى ان يمثل بكل ما يريد ونظيره في احتمال
الوجهين ما روي ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عائشة رضي الله عنها حين ذكرها ذلك سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتب له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه يحتمل ما
يجاوز الشوكة في القلة كنخبة النملة لقوله عليه السلام ما اصاب المومن من مكروه فهو كفارة لخطاياه
حتى نخبة النملة وما يجاوزها في الالم كالخرور ما حكي من الخرور **فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟** شروع في تفصيل ما يترتب
على ضرب المثل من الحكم اثر تحقيق حقيقة صدوره عنه تعالى والفاء للدلالة على ترتيب ما بعدها على ما يدل
عليه ما قبلها كانه قيل فيضربه واما الذين امنوا الى اخره وتقديم بيان السبب وفي تصدير الجملتين باما من

احماده امر المومنين وذم الكفرة مالا يخفي وهو حرف متضمن لمعني اسم الشرط وفعله بمنزلة مهما يكن من شي ولذلك يجاب بالفا وفايدته توكيد ما مصدر به وتفصيل ما في نفس المتكلم من الاقسام فقد تذكر جميعا وقد يقتصر علي واحد منها كما في قوله عز من قايل فاما الذين في قلوبهم زيغ الي اخره قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شي فهو ذاهب لا محالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء علي الجملة لانها الجزا لكن كرهوا ايلاها حرف الشرط فادخلوها الخبر وعوض المبتدا عن الشرط لفظا والمراد بالموصول فريق المومنين المعهودين كما ان المراد بالموصول الاتي فريق الكفرة لا من يومن بضرب المثل ومن يكفر به لاختلال المعني اي فاما المومنون **فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ** كساير ما ورد منه تعالي والحق هو الثابت الذي يحق ثبوته لا محالة بحيث لا سبيل الي العقل الي انكاره لا الثابت مطلقا واللام للدلالة علي انه مشهود له بالحقيقة وان له حكما ومصالح ومن لابتداء الغاية المجازية وعاملها محذوف وقع حالا من الضمير المستكن في الحق او من الضمير العايد الي لعايد او الي ضربه اي كاينا وصادرا من ربهم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الي ضميرهم لتشريفهم بان ضرب المثل زينة لهم وارشادا الي ما يوصلهم الي كمالهم اللايق بهم والجملة سادة مسد مفعولي يعلمون عند الجمهور ومسد مفعوله الاول والثاني محذوف عند الاخفش اي يعلمون حقيته ثابتة ولعل الاكتفاء بحكاية علمهم المذكور عن حكاية اعترافهم بموجبه كما في قوله تعالي والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا للاشعار بقوة ما بينهما من التلازم وظهور المعني علي الذكر **وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا** ممن حكيت اقوالهم واحوالهم **فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا** وتثر يقولون علي يعلمون حسبما يقتضيه ظاهر قرينته دلالة علي كمال غلوهم في الكفر وترامي امرهم في العتو فان مجرد عدم العلم بحقيته ليس بمثابة انكارها والاستهزا به صريحا وتمهيدا لتعداد ما نعي عليهم في تضاعيف الجواب من الضلال والفسق ونقض العهد وغير ذلك من شناييعهم المرتبة علي قولهم المذكور علي ان عدم العلم بحقيقته لا يعم جمعهم فان منهم من يعلم بها وانما يقول ما يقول مكابرة وعنادا وحمله علي عدم الاذعان والقبول الشامل للجهل والعناد تعسف ظاهر هنا وقد قيل كان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينته ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم دليلا واضحا علي جهلهم عدل اليه علي سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه فتامل وكن علي الحق المبين وماذا اما مولفة من كلمة استفهام وقعت مبتدا خبره ذا بمعني الذي وصلته ما بعده والعايد محذوف فالاحسن ان يجي جوابه واما منزلة اسم واحد بمعني اي شي فالاحسن في جوابه النصب والارادة نزوع النفس وميلها الي الفعل بحيث يحملها اليه او القوة التي هي مبدا والاول مع الفعل والثاني قبله وكلاهما مما لا يتصور في حقه تعالي ولذلك اختلفوا في ارادته تعالي فقيل ارادته تعالي لافعاله كونه غير ساه فيه ولا مكره ولافعال غيره امره بها فلا تكون المعاصي بارادته تعالي وقيل هي علمه باشتمال الامر علي النظام الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو القادر الي تحصيله والحق انها عبارة عن ترجيح احد طرفي المقدور علي الاخر وتخصيصه بوجه دون وجه او معني يوجبه وهي اعم من الاختيار فانه ترجيح مع تفضيل وفي كلمة هذا تحقير للمشار اليه واسترذال له او الحال علي نصب ومثلا التمني علي كما في قوله تعالي ناقة الله لكم اية وليس مرادهم هذه العظيمة استفهام الحكمة في ضرب الحكمة ولا القدح في اشتماله علي الفايدة مع اعترافهم بصدوره عنه جل وعلا بل غرضهم التنبيه بادعا انه من الدناءة والحقارة بحيث لا يليق بان يتعلق به امر من الامور الداخلة تحت ارادته تعالي علي استحالة ان يكون ضرب المثل من عنده تعالي سبحانه بقوله عز من قايل **يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا** جواب عن تلك المقابلة الباطلة وردها ببيان انه مشتمل علي حكمة جليلة وغاية جميلة هي كونه ذريعة

الي هدايته والمستعدين للهداية واضلال المنهمكين في الغواية فوضع الضلال موقع الفعل الواقع في الاستفهام مبالغة في الدلالة علي تحقيقهما فان ارادتهما دون وقوعهما بالفعل وتجافيا عن نظم الاضلال مع الهداية في سلك الارادة لايهام تساويهما في تعلقهما وليس كذلك فان المراد بالذات من ضرب المثل هو التذكر والاهتدا كما ينبي عنه قوله تعالي وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ونظايره واما الاضلال فهو امر غامض مترتب علي سوء اختيارهم واوثر صيغة الاستقبال ايذانا بالتجدد والاستمرار وقيل وضع الفعلان موضع مصدريهما كانه قيل اراد اضلال كثير وهداية كثير وقدم الاضلال علي الهداية مع تقدم حال المهتدين علي حال الضالين فيما قبله ليكون اول ما يقرع اسماعهم من الجواب امرا فضيعا يسوءهم ويفت في اعضادهم وهو السر في تخصيص هذه الفايدة بالذكر وقيل هو بيان للجملتين المصدرتين باما وتسجيل بان العلم حقا هدى وان الجهل يوجب ايراده والانكار بحسن مورده ضلال وفسق وكثرة كل فريق انما هي بالنظر الي انفسهم لا بالقياس الي مقابليهم فلا يقدح في ذلك اقلية اهل الهدى بالنسبة الي اهل الضلال حسبما ينطق به قوله تعالي وقليل من عبادي الشكور ونحو ذلك واعتبار كثرتهم الذاتية دون قلتهم الاضافية لتكميل فايدة ضرب المثل وتكثيرها ويجوز ان يراد في الاولين الكثرة من حيث العدد في الاخرين من حيث الفضل والشرف كما في قول من قال ● ان الكرام كثير في البلاد وان ● قلوا كما غيرهم قل وان كثروا ● واسناد الاضلال اي خلق الضلال اليه سبحانه مبني علي ان جميع الاشيا مخلوقة له تعالي وان كان افعال العباد من حيث الكسب مستندة اليهم وجعله من قبيل اسناد الفعل الي سببه يا باه التصريح بالسبب وقري يضل به كثير ويهدى به كثير علي البناء للمفعول وتكرير به مع جواز الاكتفاء بالاول لزيادة تقرير السببية وتاكيدها **وَمَا يُضِلُّ بِهِ** اي بالمثل او بضربه **إِلَّا الْفَاسِقِينَ** عطف علي ما قبله وتكملة للجواب والرد وزيادة تعيين لمن اريد اضلالهم ببيان صفاتهم القبيحة المستتبعة له واشارة الي ان ذلك ليس اضلالا ابتدائيا بل هو تثبيت علي ما كانوا عليه من فنون الضلال وزيادة فيه وقري وما يضل به الا الفاسقون علي البناء للمفعول والفسق في اللغة الخروج يقال فسقت الرطبة عن قشرها والفارة من جحرها اي خرجت قال رويت ● يذهبن في نجد وغورا غايرا ● فواسقا عن قصدها جوايرا ● وفي الشريعة الخروج عن طاعة الله تعالي بارتكاب الكبيرة التي من جملتها الاصرار علي الصغيرة وله طبقات ثلاث الاولي التغابي وهو ارتكابه احيانا مستقبحا لها والثانية الانهماك في تعاطيها والثالثة المثابرة عليها مع جحود قبحها وهذه الطبقة من مراتب الكفر فما لم يبلغها الفاسق لا يسلب عنه اسم المومن لاتصافه بالتصديق الذي يدور عليه الايمان لقوله تعالي وان طايفتان من المومنين اقتتلوا والمعتزلة لما ذهبوا الي ان الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر عن تكذيب الحق وجحوده لم يتيسر لهم ادخال الفاسق في احدهما فجعلوه قسما بين قسمي المومن والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض احكامه والمراد بالفاسقين هاهنا العاتون المادون في الكفر الخارجون عن حدوده فمن حكي عنهم ما حكي من انكار كلام الله تعالي والاستهزاء به وتخصيص الاضلال بهم مترتبا علي صفة الفسق وما اجري عليهم من القبايح للايذان بان ذلك هو الذي اعدهم للاضلال وادى بهم الي الضلال فان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم علي الباطل صرفت وجوه انظارهم عن التدبر في حكمة المثل الي حقارة الممثل به حتي رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فانكروه وقالوا فيه ما قالوا **الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ** صفة للفاسقين للذم وتقرير ما هم عليه من الفسق والنقض فسخ التركيب من الحركات الحسية كالحبل والعذل ونحوهما واستعماله في ابطال العهد من حيث استعارة الحبل له لما فيه من ارتباط احد كلامي المتعاهدين بالاخر وان شفع

بالحيل واريد به العهد كان توشيحا للمجاز وان قرن بالعهد كان رمزا الى ماهو من روادفه وتنبيها
على مكانه وان المذكور قد استعير له كما يقال شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس تنبيها على انه
اسد في شجاعته وبحر في افاضته والعهد الموثق يقال عهد اليه كذا اذا اوصاه به ووثقه عليه والمراد
هاهنا اما العهد الماخوذ بالعقل وهو الحجة القايمة على عباده الدالة على وجوده ووحدته وصدق رسوله
عليه السلام وبه اول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى والمعنى الظاهر منه او الماخوذ
من جهة الرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه لم يكتموا امره
وذكره في الكتب المتقدمة ولم يخالفوا حكمه كما ينبئ عنه قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب
لتبيننه للناس ولا يكتمونه ونظايره وقيل عهود الله ثلثة الاول ما اخذ على جميع ذرية ادم عليه السلام
بان يقروا على ربوبيته الثاني ما اخذ على الانبياء عليهم السلام بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه
الثالث ما اخذ على العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتمونه **من بعد ميثاقه** الميثاق اما اسم لما يقع به الوثاقة
والاحكام واما مصدر بمعنى التوثقة كالميعاد بمعنى الوعد فعلى الاول ان رجع الضمير الى العهد والميثاق
مصدر من المبني للفاعل فالمعنى من بعد ان وثقه الله عز وجل بالكتب وانذار الرسل وان كان مصدرا
من المبني للمفعول فالمعنى من بعد كونه موثقا اي بتوثيقهم اياه بالقبول واما بتوثقته تعالى اياه
بانزال الكتب وانذار الرسل **ويقطعون ما امر الله به ان يوصل** يحتمل كل قطيعة لا يرضى بها الله سبحانه كقطع
الرحم والاعراض عن موالات المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكتب في التصديق وترك
الجماعات المفروضة وساير ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع ما بين الله تعالى وبين العبد من
الوصلة التي هي المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للفعل مع العلو وقيل
بالاستعلاء وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور تسمية للمفعول به بالمصدر فانه مما يوشر
به كما يقال له شي وهو مصدر شاء لما انه اثر للمشية ومحل ان يوصل اما النصب على انه بدل من الموصول
او من ضميره والثاني اولى لفظا ومعنى **ويفسدون في الارض** بالمنع من الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل
التي عليها يدور فلك نظام العالم وصلاحه **اولئك** اشارة الى الفاسقين باعتبار اتصافهم بما فصل
من الصفات القبيحة وفيه ايذان بانهم متميزون بها ومنتظمون بسبب ذلك في سلك الامور المحسوسة
وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد منزلتهم في الفساد **هم الخاسرون** الذين خسروا باهمال العقل
عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحيوة الابدية واستبدال الانكار والطعن في الايات بالايمان بها والتامل
في حقايقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقص بالوفاء والفساد بالصلاح والقطيعة بالصلة
والعقاب بالثواب **كيف تكفرون بالله** التفات الى خطاب المذكورين مبني على ايراد ما عدد من قبايحهم
السابقة ولتزايد السخط الموجب للمشافهة بالتوبيخ والتقريع والاستفهام انكاري لا بمعنى انكار الوقوع
كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الى اخره بل بمعنى انكار الواقع واستبعاده
والتعجيب منه وفيه من المبالغة ما ليس في توجيه الانكار الى نفس الكفر بان يقال اتكفرون لان كل موجود
يجب ان يكون وجوده على حال من الاحوال قطعا فاذا انتفى جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق
البرهاني وقوله عز وجل **وكنتم امواتا** الى اخر الاية حال من ضمير الخطاب في تكفرون مؤكدة للانكار والاستبعاد
بما عدد فيها من الشئون العظيمة الداعية الى الايمان الرادعة من الكفر من حيث كونها نعمة عامة ومن حيث
دلالتها على قدرة تامة كقوله تعالى وقد خلقكم اطوارا وكيف منصوبة على التشبيه بالظرف وعند
سيبويه وبالحال عند الاخفش اي في اي حال تكفرون به تعالى والحال انكم كنتم امواتا او اجساما لا حيوة
لها عناصر واغذية ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة والاموات جمع ميت كالاقوال جمع قيل واطلاقها

على تلك الاجسام باعتبار عدم الحيوة مطلقا كما في قوله تعالى بلدة ميتا وقوله تعالى واية لهم الارض
الميتة **فاحياكم** بنفخ الارواح فيكم والفاء للدلالة على التعقيب فان الاحياء حاصل اثر كونهم امواتا
وان توارد في تلك الحالة اطوار مترتبة بعضها متراخ عن بعض كما اشير اليه **ثم يميتكم** اي عند انقضاء
اجالكم وكون الاماتة من دلايل ظاهرة واما كونها من النعم فلكونها وسيلة الى الحيوة الثانية التي هي
الحيوان والنعمة العظمى والتراخي المستفاد من كلمة ثم بالنسبة الى زمان الاحياء دون زمان الحيوة
فان زمان الاماتة غير متراخ عنه **ثم يحييكم** بالنشور يوم ينفخ في الصور وللسؤال في القبور
فايا ما كان فهو متراخ من زمان الاماتة وان كان اثر زمان الموت المستمر **ثم اليه ترجعون** بعد
الحشر لا الى غيره فيجازيكم باعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر واليه تنشرون من قبوركم للحساب
وهذه الافعال وان كان بعضها ماضيا لا يتسنى مقارنة شي منها لما هو حال منه في الزمان لكون الحال
في الحقيقة هو العلم المتعلق بها كانه قيل كيف تكفرون بالله وانتم عالمون بهذه الاحوال المانعة منه ومنال
العجب من مرفوعه مع تحققها بنفيه وانما نظم ما ينكرونه من الاحياء الاخير والرجع في سلك ما
يعترفون به من الاحياء الاول والاماتة تنزيلا لتمكنهم من العلم لما عاينوا من الدلايل القاطعة منزلة العلم
بذلك بالفعل في ازاحة العلل والاعذار والحياة حقيقة في القوة الحساسة او ما يقتضيها وبها سمي
الحيوان حيوانا مجاز في القوة النامية لكونها من طلايعها وكذا فيما يخص الانسان من العقل والعلم
والايمان من حيث انه كمالها وغايتها والموت بازايها يطلق على ما يقابل كل مرتبة من كل المراتب قال الله
تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال الله تعالى ان الله يحيي الارض بعد موتها وقال تعالى اومن كان ميتا فاحييناه
وجعلنا له نورا يمشي به في الناس وعند وصفه تعالى بها يراد بها صحة اتصافه تعالى بالعلم والقدرة
اللازمة لهذه القوة له فينا او معنى قايم بذاته تعالى مقتض لذلك وقرئ يرجعون بفتح الياء والاول
هو الاليق بالمقام **هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا** تقرير للانكار وتاكيد له من الحيثية
المذكورة بعينها سبكه عن سبك ما قبله مع اتحادهما في المقصود ابانة لما بينهما من التفاوت فان
ما يتعلق بالاحياء والاماتة والحشر ادخل في الحث على الايمان والكف عن الكفر مما يتعلق بمعاشهم
وما يجري مجراها وفي جعل الضمير مبتدأ والموصول خبرا من الدلالة على الجلالة ما لا يخفى وتقديم
الظرف على المفعول الصريح لتعجيل المسرة ببيان كونه نافعا للمخاطبين والتشويق اليه كما سلف اي خلق
لاجلكم جميع ما في الارض من الموجودات لتنتفعوا بها في امور دنياكم بالذات او بالواسطة وامور
دينكم بالاستدلال بها على شؤون الصانع تعالى شانه والاستشهاد بكل واحد منها على ما يلائمه من
لذات الاخرة والامها وما يعم جميع ما في الارض لا نفسها الا ان يراد بها جهة السفلى كما يراد
بالسماء جهة العلو نعم يعم كل جزء من اجزائها فانها جملة ما فيها ضرورة وجود الحق في الكل جميعا حال
من الموصول الثاني مؤكدة لما فيه من العموم فان كل فرد من افراد الارض بل كل جزء من اجزاء العالم مدخل في
استمراره على ما هو عليه من النظام اللايق الذي عليه يدور انتظام مصالح الناس اما من جهة المعاش
فظاهر واما من جهة الدين فلما انه ليس في العالم شي مما يتعلق به الا وهو دليل على القادر الحكيم جل
جلاله كما يفسره قوله تعالى رب العالمين وان لم يستدل به احد بالفعل **ثم استوى الى السماء**
اي قصد اليها بارادته ومشيته قصدا سويا بلا صارف يلويه ولا عاطف يثنيه من ارادة خلق شي اخر في
تضاعيف خلقها او غير ذلك ماخوذ من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل وتخصيصه بالذكر
هاهنا اما لعدم تحققه في خلق السفليات لما روي من تخلل خلق السموات بين خلق الارض ودحوها
عن الحسن البصري رضي الله عنه خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان

ملتصق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موقعها وبسط منها
الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما واما لاظهار كمال العناية بابداع العلويات وقيل
استوى استولى وملك والاول هو الظاهر وكلمة ثم للايذان لما فيه من المزية والفضل على خلق
السفليات لا للتراخي الزماني فان تقدمه على خلق ما في الارض المتاخر عن وجودها مما لا مرية
فيه لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها فلما روي الحسن رضي الله عنه والمراد بالسماء اما ه
الاجرام العلوية فان القصد اليها بالارادة لا يستدعي سابقة الوجود فاما جهات العلو فسواهن
اي اتمهن وقومهن وخلقهن ابتداء مصونة عن العوج والفطور لانه تعالى سواهن بعد ان لم يكن
كذلك ولا يخفى ما في مقارنة التسوية والاستواء من حسن الموقع وفيه اشارة الى ان التغيير
فيهن النمو والذبول كما في السفليات والضمير على الوجه الاول للسماء فانها في معنى الجنس
وقيل جمع سماءة او سماوة وعلى الوجه الثاني مبهم يفسره قوله تعالى سبع سموات كما في قولهم
ربه رجلا وهو الوجه الاول بدل من الضمير وتاخير ذكرهنا السر الصنيع البديع عن ذكر خلق ما
في الارض مع كونه اقوى منه في الدلالة على كمال القدرة القاهرة كما نبه عليه لما ان المنافع المنوطة
بما في الارض اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر وان كان في ابداع العلويات ايضا من المنافع
الدينية ما لا يحصى هذا ما قالوا وسيأتي في حم السجدة من يد تحقيق وتفصيل باذن الله تعالى
وهو بكل شيء عليم اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من خلق السموات والارض وما فيها من هذا النمط
العجيب البديع المنطوي على الحكم الفائقة والمصالح اللائقة فان علمه عز وجل بجميع الاشيا
ظاهرها وباطنها بارزها وكامنها وما يليق بكل واحد منها يستدعي ان يخلق كل ما يخلقه على
الوجه الرائق وقرئ وهو بسكون الها تشبيها له بعضد قوله تعالى واذ قال ربك بيان آخر من
جنس الامور المتقدمة المؤكدة للانكار والاستبعاد فان خلق آدم عليه السلام وما خصه من
الكرامات السنية المحكية من اجل النعم الداعية الى الشكر والايمان الناهية عن الكفر والعصيان
وتقرير لمضمون ما قبله من قوله تعالى خلق لكم ما في الارض جميعا وتوضيح لكيفية التصرف والانتفاع
بما فيها وتلوين الخطاب وتوجيهه الى النبي صلى الله عليه وسلم للايذان بان فحوى الكلام ليس مما
يهتدى اليه بادلة العقل كالامور المشاهدة التي نبه عليها الكفرة بطريق الخطاب بل انما طريقه
الوحي الخاص به عليه السلام وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة
الى ضميره عليه السلام من الانبا عن تشريفه عليه السلام ما لا يخفى واذ ظرف موضوع لزمان نسبة
ماضية وقع فيه نسبة اخرى مثلها كما ان اذا موضوع لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه اخرى
ولذلك يجب اضافتهما الى الجمل وانتصابه بمضمر صرح بمثله في قوله عز وجل واذكروا اذ كنتم قليلا
فكثركم وقوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد توجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما
وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت
ايجاب لما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل عليها فاذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها
لانها مشاهدة عيانا وقيل وليس انتصابه على المفعول بل على تاويل اذكر الحادث فيه بحذف المظروف
واقامة الظرف مقامه وايا ما كان فهو معطوف على مضمر آخر ينسحب عليه الكلام كانه قيل له عليه
السلام عند ما اوحي اليه ما خوطب به الكفرة من الوحي الناطق بتفاصيل الامور الزاجرة عن
الكفر به تعالى ذكرهم بذلك واذكر لهم هذه النعمة ليتنبهوا بذلك لبطلان ما هم فيه وينتهوا عنه
واما ما قيل من المقدر هو شكر النعمة في خلق السموات والارض وتدبر ذلك فغير سديد بضرورة

ان

ان تقدير المقام تذكير المخلين بمواجب تنبيههم على ما يقتضيه وان ذلك من مقام الجليل
صلى الله عليه وسلم وقيل انتصابه بقوله تعالى قالوا اولا بانه يقتضي ان يكون هو المقصود بالذات
دون سائر القصة وقيل بما سبق من قوله تعالى وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ولا يخفى بعده
وقيل بمضمر دل عليه مضمون الاية المتقدمة ومثل وبدء خلقكم اذ قال الى آخره ولا ريب في انه لا فائدة
في تقييد بدء الخلق بذلك وقيل بخلقكم او باحياكم مضمرا وفيه ما فيه وقيل ان زائد ويعزى ذلك الى
ابي عبيدة ومعمر وقيل انه بمعنى قد واللام في قوله عز وجل للملائكة للتبليغ وتقديم الجار والمجرور في
هذا الباب مطرد لما في المفعول من الطول غالبا مع ما فيه من الاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر
كما مر مرارا والملائكة جمع ملك باعتبار اصله الذي هو ملاك على ان الهمزة مزيدة كالشمائل في جمع شمال والتاء لتاكيد
تانيث الجماعة واشتقاقه من ملك لما فيه من معنى الشدة والقوة وقيل انه مقلوب من مالك من الالوكة
وهي الرسالة اي موضع الرسالة او مرسل على انه مصدر بمعنى المفعول فانهم وسائط بين الله تعالى وبين
الناس فهم رسله عز وجل او بمنزلة رسوله عليه الصلاة والسلام واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد
اتفاقهم على انها ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر المتكلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل
باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك عليهم الصلاة والسلام وذهب الحكما الى انها جواهر
مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة وانها اكمل منها قوة واكثر علما تجري منها مجرى النفس من
الاضوا منقسمة الى قسمين قسم شانهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما نعتهم الله
تعالى بقوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون المقربون وقسم يدبر الامر من السماء
الى الارض حسبما جرى عليه قلم القضاء والقدر وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية وقالت
طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان ونقل في شرح كنز انه عليه الصلاة
والسلام قال اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك ساجد وروي ان بني آدم
عشر الجن وهما عشر حيوان البر والكل عشر الطيور والكل عشر حيوانات البحار وهؤلاء كلهم عشر ملائكة
الارض الموكلين بها وهؤلاء كلهم عشر ملائكة السماء الدنيا وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الثانية وهكذا الى
السماء السابعة ثم كل ذلك في مقابلة ملائكة الكرسي نزر قليل ثم جميع هؤلاء عشر ملائكة سرادق واحد من
سرادقات العرش التي عددها ستمائة الف طول كل سرادق وعرضه وسمكه اذا قوبل به السموات والارض
وما فيهما وما بينهما لا يكون لها عنده قدر محسوس وما منه من مقدار شبر الا وفيه ملك ساجد او راكع
او قائم لهم زجل بالتسبيح والتقديس ثم كل هؤلاء في مقابلة الملائكة الذين يحومون حول العرش كالقطرة
في البحر ثم ملائكة اللوح الذين هم اتباع اسرافيل عليه السلام والملائكة الذين هم جنود جبريل عليه السلام لا يحصى
اجناسهم ولا مدة اعمارهم ولا كيفية عباداتهم الا بارئهم العليم الخبير على ما كان وما يعلم جنود ربك الا هو وروي
انه عليه السلام حين عرج به الى السماء راى ملائكة في موضع شرف يمشي بعضهم تجاه بعض فسأل رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى اين يذهبون فقال جبريل عليه السلام لا ادري الا اني اراهم منذ خلقت ولا ارى واحدا
منهم قد رأيته قبل ذلك ثم سألا واحدا منهم منذ كم خلقت فقال لا ادري غير ان الله عز وجل يخلق في كل اربعمائة
الف سنة كوكبا وقد خلق منذ خلقني اربعمائة الف كوكب فسبحانه من اله ما اعظم قدره وما اوسع ملكوته
واختلف في الملائكة الذين قيل لهم ما قيل هم ملائكة الارض وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما
انهم المختارون مع ابليس حين بعثه الله تعالى لمحاربة الجن حيث كانوا سكان الارض فافسدوا فيها وسفكوا
الدما فقتلوهم الا قليلا قد اخرجوهم من الارض والحقوهم بجزائر البحار وقلل الجبال وسكنوا الارض وخفف
الله عنهم العبادة واعطى ابليس ملك الارض وملك سماء الدنيا وخزائن الجنة فكان يعبد الله تارة في

الارض وتارة في السماء واخرى في الجنة واخذ العجب فكان من امره ما كان وقال اكثر الصحابة
رضي الله عنهم اجمعين انهم كل الملايكة لعموم اللفظ وعدم المخصص وقوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة
في حيز النصب على انه مقبول قال وصيغة الفاعل بمعنى المستقبل ولذلك عملت عمله وفيها ما ليس
في صيغة المضارع من الدلالة على انه فاعل ذلك لا محالة وهي من الجعل بمعنى التصيير المتعدي الى
مفعولين فقيل وهما خليفة وثانيهما الظرف المقدم على ما هو مقتضى الصناعة فان مفعولي
التصيير في الحقيقة اسم صار وخبره اولهما الاول وثانيهما الثاني وهما مبتدا وخبر والاصل في
الارض خليفة ثم قيل صار في الارض خليفة ثم مصير في الارض خليفة فمعناه بعد اللتيا والتي
اني جاعل خليفة من الخلايف او خليفة بعينه كاينا في الارض فان خبر صار في الحقيقة هو الكون
المقدر العامل في الظرف ولا ريب في ان ذلك مما ليس يقتضيه المقام اصلا وانما الذي يقتضيه هو
الاخبار بجعل آدم خليفة فيها كما يعرب عنه جواب الملايكة عليهم السلام فاذا قوله تعالى خليفة
مفعول ثان والظرف متعلق بجاعل قدم على المفعول الصريح لما مر من التشويق الى ما آخر او بمحذوف
وقع حالا مما بعده لكونه نكرة واما المفعول الاول فمحذوف تعويلا على القرينة الدالة عليه كما في
قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم حذف الاول وهو ضمير الاموال
لدلالة الحال عليه وكما في قوله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم
ولا ريب في تحقق القرينة ها هنا اما ان حمل على الحذف عند وقوع المحكي فهي واضحة لوقوعه في اثناء
ذكره عليه السلام على ما سنفصله كانه قيل اني خالق بشرا من طين وجاعل في الارض خليفة واما ان حمل
على انه لم يحذف هناك بل قيل مثلا وجاعل اياه خليفة في الارض لكنه حذف عند الحكاية فالقرينة ما
ذكر من جواب الملايكة عليهم السلام قال العلامة الزمخشري في تفسير قوله تعالى واذ قال ربك
للملايكة اني خالق بشرا من طين ان قلت كيف يصح ان يقول لهم بشرا وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا
به قلت وجهه ان يكون قد قال لهم اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر
على الاسم انتهى فحيث جاز الاكتفا عند الحكاية عن ذلك التفصيل بمجرد الاسم من غير قرينة تدل عليه
فما ظنك بما نحن فيه ومعه قرينة ظاهرة ويجوز ان يكون من الجعل بمعنى الخلق المتعدي الى مفعول
واحد هو خليفة وحال الظرف في التعلق والتقديم كما مر فحينئذ لا يكون ما سياتي من كلام الملايكة
مترتبا عليه بالذات بل بالواسطة فانه روي انه تعالى قال لهم اني جاعل في الارض خليفة قالوا ربنا
وما يكون ذلك الخليفة قال تبارك وتعالى يكون له ذرية يفسدون في الارض ويتحاسدون
ويقتل بعضهم بعضا فعند ذلك قالوا ما قالوا والله تعالى اعلم والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه
فعيل بمعنى الفاعل والياء للمبالغة والمراد به اما آدم وبنوه وانما اقتصر عليه استغناء بذكره عن ذكرهم
كما يستغنى عن ذكر القبيلة بذكر ابيها كمضر وهاشم ومنه الخلافة في قريش واما من يخلف او خلف يخلف
فيعم عليه الصلاة والسلام وغيره من طغاة ذريته والمراد بالخلافة اما الخلافة من جهته سبحانه
وتعالى واجراء احكامه وتنفيذ اوامره بين الناس وسياسة الخلق لكن لا لحاجة به تعالى الى ذلك
بل لقصور استعداد المستخلف عليهم وعدم لياقتهم بقبول الفيض بالذات فيختص بالخواص من بنيه
واما الخلافة ممن كان له في الارض قبل ذلك فتعم حينئذ الجميع قالوا استيناف وقع جوابا عما ينساق
اليه الاذهان كانه قيل فماذا قالت الملايكة حينئذ فقيل قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها
وهو ايضا من الجعل المتعدي الى اثنين فقيل فيهما ما قيل في الاول والظاهر ان الاول كلمة من
والثاني محذوف ثقة بما ذكر في الكلام كما حذف الاول ثمة تعويلا على ما ذكرها هنا قال قايلهم

لاتجعل

لا تحملنا على غيرك انا طال ما قد وشى بنا الاعداء بحذف المفعول الثاني اي لا تحملنا جازعين
على غيرك والمعنى اتجعل فيها من يفسد فيها خليفة والظرف الاول متعلق بتجعل وتقديمه لما
مر مرارا والثاني بيفسد وفايدته تاكيد الاستبعاد لما ان في استخلاف المفسد في محل افساده
من البعد ما ليس في استخلافه في غيره هذا وقد جوز كونه من الجعل بمعنى الخلق المتعدي الى مفعول
واحد وهو كلمة من وانت خبير بان مدار تعجبهم ليس خلق من يفسد في الارض كيف لا وانما يعقبه
من الجملة الحالية الناطقة بدعوى احقيتهم منه يقتضي بطلانه حتما اذ لا صحة لدعوى الاحقية منه
بالخلق وهم مخلوقون بل مداره ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها باجراء احكام الله تعالى
واوامره ان يستخلف مكان المطبوعين على الطاعة من من شان بني نوعه الافساد وسفك الدماء
وهو عليه السلام وان كان منزها عن ذلك الا ان استخلافه مستتبع لاستخلاف ذريته التي
لا يخلوا عنه غالبا وانما اظهروا تعجبهم استكشافا عما خفي عنهم من الحكم الذي تذب غلبة على تلك
المفاسد والغتها واستخبارا عما يزيح شبهتهم ويرشدهم الى معرفة ما فيه عليه السلام من الفضايل
التي جعلته اهلا لذلك كسوال المتعلم عما ينقدح في ذهنه لا اعتراضا على فعل الله ولا شكا في اشتماله
على الحكمة والمصلحة اجمالا ولا طعنا فيه عليه السلام ولا في ذريته على وجه الغيبة فان منصبهم
اجل من ان يظن بهم امثال قال تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانما
عرفوا ما قالوا اما باخبار من الله تعالى حسبما نقل من قبل او بتلق من اللوح او باستنباط عما ارتكز في
عقولهم من اختصاص العصمة بهم او بقياس لاحد الثقلين على الاخر ويسفك الدماء السفك والسفح والسكب
انواع من الصب والاولان يختصان بالدم بل لا يستعمل اولهما الا في الدم المحرم اي بقتل النفوس
المحرمة بغير حق والتعبير عنه بسفك الدماء لما انه اقبح انواع القتل وافظعه وقرئ يُسفِك ويُسفّك
من اسفك وسفك وقرئ يسفك على البناء للمفعول وحذف الراجع الى من موصولة او موصوفة
اي يسفك الدماء فيهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك جملة حالية مقررة التاكيد للتعجب
السابق وموكدة له على طريقة قول من يجد في خدمة مولاه وهو يامر بها غيره استخدم العصاة
وانا مجتهد فيها كانه قيل استخلف من من شان ذريته الفساد مع وجود من ليس من شانه ذلك
اصلا والمقصود عرض احقيتهم منهم بالخلافة واستفسار عما رجحهم عليهم مع ما هو متوقع منهم
من الموانع لا العجب ولا التفاخر فكانهم شعروا بما فيهم من القوة الشهوية التي رذيلتها الافراطية
الفساد في الارض القوة الغضبية التي رذيلتها الافراطية سفك الدماء فقالوا ما قالوا وذهلوا
عما اذا سخرتهما القوة العقلية وترتبهما على الخير يحصل بذلك من علو الدرجة ما يقصر عن بلوغ رتبته
القوة العقلية عند انفرادها في افاعيلها كالاحاطة بتفاصيل احوال الجزئيات واستنباط الصناعات
واستخراج منافع الكاينات من القوة الى الفعل وغير ذلك مما ينيط به امر الخلافة والتسبيح تنزيه الله
تعالى وتبعيده اعتقادا وقولا وعملا عما لا يليق بجنابه تعالى سبحانه من سبح في الارض والماء اذا ابعد
فيهما وامعن ومنه فرس سبوح اي واسع الجري وكذلك تقديسه تعالى من قدس في الارض اذا ذهب فيها
وبعد ويقال قدسه اي طهره فان مطهر الشي مبعد عن الاقذار والباء في بحمدك متعلقة بمحذوف
وقع حالا من الضمير اي ننزهك عن كل ما لا يليق بشانك ملتبسين بحمدك على ما انعمت به علينا من
فنون النعم التي من جملتها توفيقنا هذه العبادة فالتسبيح لاظهار صفات الجلال والحمد لتذكير
صفات الانعام واللام في لك اما مزيدة والمعنى نقدسك واما صلة للفعل كما في سجدت لله واما
للبيان كما في سقيا لك فتكون متعلقة بمحذوف اي نقدس تقديسا لك اي نصفك بما يليق بك

من العلو والعزة ونزهك عما لا يليق بك وقيل المعنى نطهر نفوسنا من الذنوب لاجلك كانهم قابلو
الفساد الذى اعظمه الاشراك بالتسبيح وسفك الدما الذى هو تلويث النفس باقبح الجرايم بتطهير
النفس عن الاثام لا تمدحا بذلك ولا اظهارا للمنة بل بيانا للواقع **قال** والاستيناف كما سبق **اني اعلم
ما لا تعلمون** ليس المراد به بيان انه تعالى يعلم ما لا يعلمون من الاشيا كاينا ما كان فان ذلك مما لا
شبهة لهم فيه حتى يفتقر والى التنبيه عليه لاسيما بطريق التوكيد بل بيان ان فيه عليه السلام معاني
مستدعية لاستخلافه اذ هو الذى خفى عليهم وبنوا عليه ما بنوا من التعجب والاستبعاد فما موصولة
كانت او موصوفة عبارة عن تلك المعانى والمعنى انى اعلم ما لا تعلمونه من دواعي الخلافة وانما لم يقتصر
على بيان تحققها فيه عليه السلام بان قيل مثلا ان فيه ما يقتضيه من غير تعرض لاحاطته تعالى به وغفلتهم
عنه تفخيما لشانه وايذانا بابتنا امره تعالى على العلم الرصين والحكمة المتقنة وصدور قولهم عن
الغفلة وقيل معناه اعلم من المصالح في استخلافه ما خفي عليكم وان هذا ارشاد لهم الى العلم بان
افعاله تعالى كلها حسنة ومحكمة وان خفى عليهم وجه الحسن والحكم وانت مشعر بكونهم غير عالمين بذلك
من قبل ويكون تعجبهم مبنيا على ترددهم في اشتمال هذا الفعل لحكمة ما وذلك مما لا يليق بشانهم فانهم
عالمون بان ذلك متضمن لحكمة ما ولكنهم مترددون في انها ماذا هل هو امر راجع الى محكم حكم الله تعالى او الى
فضيلة من جهة المستخلف فبين سبحانه وتعالى اولا على وجه الاجمال والابهام ان فيه فضائل غايبة
عنهم ليتشرفوا اليها ثم ابرز لهم طرفا منها ليعاينوه جهرة ويظهر لهم بديع صنعه وحكمته وتنزاح
شبهتهم بالكلية **وعلم آدم الاسماء كلها** شروع في تفصيل ما جرى بعد الجواب الاجمالي تحقيقا لمضمونه
وتفسيرا لابهامه وهو عطف على قال والابتدا بحكاية التعليم يدل بظاهره على ان ما مر من المقاولة
المحكية انما جرت بعد خلقه عليه السلام بمحضر منه وهو الانسب بوقوف الملايكة على احواله عليه السلام
بان قيل اثر نفخ الروح فيه انى جاعل اياه خليفة فى الارض فقيل كما اشرنا اليه وايراده عليه السلام باسمه
العلمى لزيادة تعيين المراد بالخليفة ولان ذكره بعنوان الخلافة لا يلايم مقام تمهيد مباديها وهو اسم
اعجمي والاقرب ان وزنه فاعل كشالخ وغادر وغابر وفالخ لا افعل والتصدي لاشتقاقه من
الادمة والادمة بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم الارض بناء على ما روي عنه صلى الله عليه وسلم من انه
تعالى قبض قبضة من جميع الارض سهلها وجبلها فخلق منها آدم ولذلك اختلف الوان ذريته
او من الادم والادمة بمعنى الالفة تعسف كاشتقاق يعقوب من العقب وادريس من الدرس
وابليس من الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه الى الذهن من
الالفاظ والصفات والافعال واستعماله عرفا فى اللفظ الموضوع لمعنى مفردا كان او مركبا مخبرا
عنه او خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن بالزمان والمراد
هاهنا اما الاول او الثاني وهو مستلزم للاول لان العلم بالالفاظ من حيث الدلالة على المدلول
مسبوق بالعلم بها والتعليم حقيقة عبارة عن فعل يترتب عليه العلم بلا تخلف عنه ولا يحصل ذلك
بمجرد افاضة العلم بل يتوقف على استعداد المتعلم لقبول الفيض وتلقيه من جهته كما مر في تفسير
الهدى وهو السر في ايثاره على الاعلام والانبا فانهما انما يتوقفان على سماع الخبر الذي يشترك
فيه الحر والعبد والملك وبه يظهر احقيته بالخلافة عليه الصلاة والسلام لما ان جبلتهم غير
مستعدة للاحاطة بتفاصيل احوال الجزئيات الجسمانية خبرا فمعنى تعليمه تعالى اياه ان يخلق فيه
اذ ذاك بموجب استعداده علما ضروريا تفصيليا باسماء جميع المسميات واحوالها وخواصها
اللايقة بكل منها او يلقي في روعه تفصيلا ان هذا فرس وشانه كيت وكيت وذاك بعير وحاله ذيت

وذيت

وذيت الى غير ذلك من الاحوال الموجودات فيتلقاها عليه السلام حسبما يقتضيه استعداده
ويستدعيه قابليته المتفرعة على طبايع متباينة وقوى متخالفة وعناصر متغايرة قال ابن عباس
وعكرمة وقتاده ومجاهد وابن جبير رحمهم الله تعالى علمه جميع الاشيا حتى القصعة والقصيعة
وحتى الجفنة والمحلب وانحى منفعة كل الى جنسه وقيل اسما ما كان وما سيكون الى يوم القيمة وقيل
معنى قوله تعالى وعلم آدم الاسماء خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا لادراك انواع
المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشيا
واسمايها وخواصها ومعارفها واصول العلم وقوانين الصناعات وتفاصيل الاتها وكيفيات استعمالها
فيكون ما مر من المقاولة قبل خلقه عليه السلام وقيل التعليم على ظاهره ولكن هناك جمل منطوية عطف
عليها المذكور اي فخلقه فسواه ونفخ فيه الروح وعلم ادم الى اخره **ثم عرضهم على الملائكة** الضمير للمسميات
المدلول عليها بالاسما قوله تعالى واشتعل الراس شيبا والتذكير لتغليب العقلاء على غيرهم وقرئ
عرضهن وعرضها اي عرض مسمياتهن في الحديث انه تعالى عرضهم امثال الذر ولعله عز وجل عرض عليهم
من افراد كل نوع ما يصلح ان يكون انموذجا يتعرف منه احوال البقية واحكامها **فقال انبئوني باسماء هؤلاء**
تبكيتا لهم واظهارا لعجزهم عن اقامة ما علقوا به رجاءهم من امر الخلافة فان التصرف والتدبير واقامة
المعدلة بغير وقوف على مراتب الاستعداد ومقادير الحقوق مما لا يكاد يمكن والانبا اخبار فيه اعلام
ولذلك يجري مجرى كل منهما والمراد هاهنا ما خلا عنه وايثاره على الاخبار للايذان بشان رفعة الاسماء
وعظم خطرها فان النبا انما يطلق على الخبر الخطير والامر العظيم **ان كنتم صادقين** في زعمكم انكم احقا
بالخلافة ممن استخلفته كما ينبئ عنه مقالكم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق
اليه باعتبار ما يلزمه من الاخبار فان ادنى مراتب الاستحقاق هو الوقوف على اسماء ما في الارض واما ما قيل
ان المعنى في زعمكم اني استخلف في الارض مفسدين سافكين للدماء فليس مما يقتضيه المقام وان اول
بان يقال في زعمكم اني استخلف من غالب امره الافساد وسفك الدماء من غير ان يكون له مزية من جهة
اخرى اذ لا تعلق له بامرهم بالانباء وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه **قالوا** استيناف واقع
موقع الجواب كانه قيل فماذا قالوا حينئذ هل خرجوا من عهدة ما كلفوه او لا فقيل قالوا **سبحانك** هو علم
للتسبيح ولا يكاد يستعمل الا مضافا وقد جاء غير مضاف على الشذوذ غير منصرف للتعريف وللالف والنون
المزيدتين كما في قوله سبحان من علقمة الفاجر واما ما في قوله سبحانه ثم سبحانا نعوذ له فقيل صرفه للضرورة
وقيل لانه مصدر منكر كغفران لا اسم مصدر ومعناه على الاول نسبحك عما لا يليق بشانك الاقدس
من الامور التي من جملتها خلو افعالك من الحكم والمصالح وعنوا بذلك تسبيحا ناشيا عن كمال طمانينة
النفس والايقان باشتمال استخلاف آدم عليه الصلاة والسلام على الحكم البالغة وعلى الثاني تنزهت
تنزيها ناشيا عن ذلك واراد وا به انهم قالوا عن اذعان لما علموا اجمالا بانه عليه الصلاة والسلام يكلف ما
كلفوه وانه يقدر على ما عجزوا عنه مما يتوقف عليه الخلافة وقوله عز وجل **لا علم لنا الا ما علمتنا** اعتراف
منهم بالعجز عما كلفوه اذ معناه لا علم لنا الا ما علمتنا بحسب قابليتنا من العلوم المناسبة لعالمنا ولا قدرة بنا
على ما هو خارج عن دايرة استعدادنا حتى لو تركنا مستعدين لاقمنا عليها وما في علمنا موصولة حذف من
صلتها عايدها او مصدرية ولقد نفوا عنهم العلم بالاسما على وجه المبالغة حيث لم يقتصروا على بيان عدمه
بان قالوا مثلا لا علم لنا بها بل جعلوه من جملة ما لا يعلمونه واشعروا بان كونه من تلك الجملة غني عن البيان
انك انت العليم الذي لا يخفى عليه خافية وهذا اشارة الى تحقيقهم لقوله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون
الحكيم المحكم لمصنوعاته الفاعل لها حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة وهو خبر بعد خبر او صفة

للاولي وان ضمير الفصل لا محل له من الاعراب او له محل منه مشارك لماقبله كما قاله الفراء اولما
بعده كما قاله الكسائي وقيل تاكيد للكاف كما في قولك مررت بك وانت وقيل مبتدا خبره ما بعده والجملة
خبر ان وتلك الجملة القليل لما سبق من قصر علمهم بما علمهم الله تعالي وما نفهم من ذلك من علم آدم عليه
الصلاة والسلام بما خفي عليهم فكانهم قالوا انت العالم بكل المعلومات التي من جملتها استعداد آدم
عليه السلام لما نحن بمعزل عن الاستعداد له من العلوم الخفية المتعلقة بما في الارض من انواع المخلوقات
التي يدور عليها فلك الخلافة الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة ومن جملة تعليم آدم ما هو قابل
له من العلوم الكلية والمعارف الجزوئية المتعلقة بالاحكام الواردة علي ما في الارض وبناء امر الخلافة
عليها **قال** استيناف كما سلف **يا آدم انبئهم** اي اعلمهم اوثر علي نبئ كما وقع في امر الملائكة عليهم السلام مع
حصول المراد معه ايضا وهو ظهور فضل آدم عليه السلام ابانة لما بين الامرين من التفاوت الجلي وايذانا
بان علمه عليه السلام بها امر واضح غير محتاج الي ما يجري الامتحان وانه عليه السلام حقيق بان يعلمها غيره
وقرئ بقلب الهمزة ياء وبحذفها ايضا والهاء مكسورة ايضا **باسمائهم** التي عجزوا عن علمها واعترفوا بتقاصر
هممهم عن بلوغ مرتبتها **فلما انباهم باسمائهم** الفاء فصيحة عاطفة للجملة الشرطية علي محذوف يقتضيه
المقام وينسحب عليه الكلام للايذان بتقرره وغناءه عن الذكر وللاشعار بتحققه في اسرع ما يكون كما
في قوله عز وجل فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله سبحانه انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك واظهار الاسماء
في موقع الاضمار لاظهار كمال العناية بشانها والايذان بانه عليه السلام انباهم بها علي وجه التفصيل دون
الاجمال فالمعني فانباهم باسمائهم مفصلة وبين لهم احوال كل منهم وخواصه واحكامه المتعلقة بالمعاش
والمعاد فعلموا ذلك لما راوا انه عليه السلام لم يتلعثم في شئ من التفاصيل التي ذكرها مع مساعدة ما بين
الاسماء والمسميات والمشاكلات وغير ذلك من القرائن الموجبة لصدق مقالاته عليه السلام فلما انباهم
بذلك **قال** عز وجل تقريرا لما مر من الاجمالي الجواب والاستحضار **الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض**
لكن لا لتقرير نفسه كما في قوله تعالي الم يعدكم ربكم وعدا حسنا ونظايره بل لتقرير ما يفيده من تحقق دواعي
الخلافة في آدم عليه السلام بظهور مصداقه وبايراد ما لا يعلمون بعنوان الغيب مضافا الي السموات
والارض للمبالغة في بيان كمال شمول علمه المحيط وغاية سعته مع الايذان بان ما ظهر من عجزهم وعلم آدم
عليه السلام بالامور المتعلقة باهل السموات واهل الارض وهذا دليل واضح علي انه المراد بما لا يعلمون
فيما سبق ما اشير اليه هناك كانه قيل الم اقل لكم اني اعلم فيه من دواعي الخلافة ما لا تعلمون فها هو الذي عاينتموه
وقوله تعالي **واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون** عطف علي جملة الم اقل لكم لا علي اعلم اذ هو غير داخل تحت القول
وما في الموضعين موصولة حذف عايدها اي اعلم ما تبدونه وما تكتمونه وتغيير الاسلوب للايذان باستمرار
كتمهم قبل المراد بما تبدون قولهم اتجعل الي آخره وبما تكتمون استنباطهم احقاء بالخلافة وانه تعالي لا يخلق
خلقا يفضل منهم روي انه تعالي لما خلق آدم عليه السلام رات فطرته العجيبة وقالوا ليكن ما شاء
فلن يخلق ربنا خلقا الا كنا اكرم عليه منه وقيل هو ما اسر ابليس في نفسه من الكبر وترك السجود فاسناد الكتمان
حينئذ الي الجميع من قبيل قولهم بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد من بينهم قالوا في الاية الكريمة دلالة
علي شرف الانسان ومزية العلم وفضله علي العبادة وان ذلك هو المناط للخلافة وان التعليم يصح اطلاقه
علي الله تعالي وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه عادة بمن يحترف به وان اللغات توقيفية
اذ الاسماء تدل علي الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها ظاهر في القائها علي المتعلم مبينا له معانيها
وذلك يستدعي سابقة وضع وما هو الا من الله تعالي وان مفهوم الحكمة زايد علي مفهوم العلم
والا لزم التكرار وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا من ذلك في الطبقة العليا

منهم وحملوا علي ذلك قوله تعالي وما منا الا له مقام معلوم وان آدم افضل من هولاء الملائكة
لانه اعلم منهم وانه تعالي يعلم الاشياء قبل حدوثها **واذ قلنا للملائكة** عطف علي الظرف الاول
منصوب بما نصبه من المضمر او بناصب مستقل معطوف علي ناصبه عطف القصة علي القصة
اي واذكروا وقت قولنا لهم وقيل بفعل دل عليه الكلام اي اطاعوا وقت قولنا الي آخره وقد عرفت
ما في امثاله وتحقيق هذا القول بالذكر مع كون مقتضي الظاهر ايراده علي منهاج ما قبله من الاحوال
المحكية المتصلة به للايذان بان ما في حيزه نعمة جليلة مستقلة حقيقة بالذكر والتذكير علي حيالها
والالتفات الي التكلم لاظهار الجلالة وتربية المهابة مع ما فيه من تاكيد الاستقلال وكذا اظهار
الملائكة في موقع الاضمار والكلام في اللام وتقديمها مع مجرورها علي المفعول كما مر وقرئ بضم تاء
الملائكة اتباعا لضم الجيم في قوله تعالي **اسجدوا لآدم** كما قرئ بكسر الدال في قوله تعالي الحمد لله اتباعا لكسر
اللام وهي لغة ضعيفة والسجود في اللغة الخضوع والتطامن وفي الشرع وضع الجبهة في الارض
علي قصد العبادة فقيل امر بالسجود له عليه السلام علي وجه التحية التكرمة تعظيما له واعترافا بفضله
واداء لحق التعليم واعتذارا عما وقع منهم في شانه وقيل امروا بالسجود له تعالي وانما كان آدم قبلة
لسجودهم تفخيما لشانه او سببا لوجوبه فكانه تعالي لما براه انموذجا للمبدعات كلها ونسخة مطوية
علي تعلق العالم الروحاني بالعالم الجسماني وامتزاجهما علي نمط بديع امرهم بالسجود له تعالي لما
عاينوا من عظيم قدرته واللام كما في قول حسان رضي الله تعالي عنه • اليس اول من صلي لقبلتكم •
واعرف الناس بالقران والسنن • او في قوله تعالي اقم الصلوة لدلوك الشمس والاول هو الاظهر
قوله تعالي **فسجدوا** عطف علي قلنا والفاء لافادة مسارعتهم الي الامتثال وعدم تلعثمهم في ذلك
روي عن وهب ان اول من سجد جبرائيل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم سائر الملائكة عليهم السلام
وقوله تعالي **الا ابليس** استثناء متصل لما انه كان جنيا مفردا مغمورا بالوف من الملائكة متصفا
بصفاتهم فغلبوا عليه في سجودهم فسجدوا ثم استثنا استثناء واحد منهم او لان الملائكة
جنسا يتوالدون يقال لهم الجن كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو منهم او لان الجن ايضا
كانوا مامورين بالسجود لكن استغني بذكر الملائكة عن ذكرهم او منقطع وهو اسم اعجمي ولذلك
لم ينصرف ومن جعله مشتقا من الابلاس وهو اليأس قال انه شبيه بالعجمة حيث لم يسم به احد
فكان كالاسم الاعجمي واعلم ان الذي تقتضيه هذه الاية الكريمة والتي في سورة الاعراف من قوله تعالي
ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الاية ان سجودهم الملائكة انما ترتب علي الامر التنجيزي
الوارد بعد خلقه وتسويته ونفخ الروح فيه البتة كما يلوح به حكاية امتثالهم بعبادة السجود دون
الوقوع الذي ورد به الامر التعليقي ولكن ما في سورة الحجر من قوله تعالي واذ قال ربك للملائكة
اني خالق بشرا من صلصال من حما مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين
فسجد الملائكة كلهم اجمعون وما في سورة ص من قوله تعالي واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا
من طين الي اخر الاية يستدعيان بظاهرهما ترتبه علي ما فيهما من الامر التعليقي من غير ان يتوسط بينهما
شئ غير ما تفصح عنه الفاء الفصيحة من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه عليه السلام وقد روي عن
وهب انه كان في السجود كما نفخ فيه الروح بلا تاخير ولا تاويل الايات السابقة بحمل ما فيها علي الامر علي
حكاية الامر التعليقي بعد تحقق المعلق به اجمالا فانه حينئذ يكون في حكم التسخير وباباه ما في سورة الاعراف
من كلمة ثم المنادية بتاخر ورود الامر التعليقي والاعتذار بحمل التراخي الرتبي والتراخي في الاخبار
او بان الامر التعليقي قبل تحقق المعلق به لما كان في عدم ايجاب المامور به بمنزلة العدم جعل كانه انما حدث

بعد تحققه تحكي على صورة التخيير مودي بعد اللتيا واللتي الى ان ماجري بينه وبينهم عليهم السلام
وخروج ابليس من البين باللعن المويد لعباده وعدم مشاهدتهم لذلك كله عيانا وهل هو الاخرق
لقضية العقل والنقل والا لتجاء في التفصي عنه الى تاويل نفخ الروح بحمله على ما يعم افاضة ما به حياة
النفوس التي من جملتها تعليم الاسماء تعسف ينبي عن ضيق المجال • فالذي يقتضيه التحقيق • ويستدعيه
النظر الانيق بعد التصفح في مستودعات الكتاب المكنون • عما فيه من السر المخزون • ان سجودهم
له عليه السلام انما ترتب على الامر التخييري المتفرع على ظهور فضله عليه السلام المبني على المحاورة المسبوقة
بالاخبار بخلافته المنتظم جميع ذلك في سلك ماينط به الامر التعليقي من التسوية ونفخ الروح اذ ليس من
قضية وجوب السجود عقيب نفخ الروح فيه فان الفاء الجزائية ليست بنص في وجوب وقوع مضمون
الجزاء عقيب وجود الشرط من غير تراخ للقطع بعدم وجوب السعي عقب النداء لقوله تعالى اذا نودي
للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الاية وبعدم وجوب اقامة الصلوة عقيب الاطمينان لقوله تعالى
فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلوة بل انما الوجوب عند دخول الوقت كيف لا والحكمة الداعية الى ورود ما
تجري فيه من الامر التعليقي اثر ذي اثير انما هي حمل الملائكة عليهم السلام على التامل في شانه عليه السلام
ليدربوا في احواله ويحيطوا بما لديه خبرا ويستفهموا ما عسى يشتبه عليهم في امره عليه السلام لابتنائه
على حكم ابية واسرار خفية طويت عن قلوبهم ويقفوا على جلية الحال قبل ورود الامر التخييري في
سلك الامور المذكورة في السورتين عند الحكاية لا يستلزم صدق انتظامه فيه عند وقوع المحكي كما ان عدم
ذكر الامر التعليقي عند حكاية الامر التخييري في السورة الكريمة المذكورة لا يوجب عدم مسبوقيته فان
حكاية كلام واحد على اساليب مختلفة حسبما يقتضيه المقام • ويستدعيه حسن النظام • ليست
بعزيز في الكتاب العزيز وناهيك بما نقل في توجيه قوله تعالى بشرا مع سبق معرفة الملائكة عليهم
السلام بذلك وحيث صير اليه مع انه لم يرد به نقل فما ظنك بما قد وقع التصريح به في مواضع عديدة
فلعله قد القي اليهم ابتداء جميع ما يتوقف عليه الامر التخييري اجمالا بان قيل مثلا اني خالق بشرا
من كذا وكذا وجاعل اياه خليفة في الارض فاذا سويته ونفخت فيه من روحي وتبين لكم شانه
فقعوا له ساجدين فخلقه فسواه ونفخ فيه الروح فقالوا عند ذلك ما قالوا والقي اليهم خبر الخلافة
بعد تحقق الشرايط المعدودة بان قيل اثر نفخ الروح فيه اني جاعل هذا خليفة في الارض فهناك ذكروا
في حقه عليه السلام ما ذكروا فايده الله تعالى بتعليم الاسما فشاهدوا فيه ما شاهدوا فعند ذلك
ورد الامر التخييري اعتناء بشان المامور به وتعيينا لوقته وقد حكي بعض الامور في بعض المواضع
وبعضها في بعضها اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في موطن اخر والذي يحسم مادة الاشتباه
ان ما في سورة ص من قوله تعالى اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا الاية بدل من قوله تعالى اذ
يختصمون فيما قبله من قوله تعالى ما كان لي من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون اي بكلامهم عند اختصامهم
والمراد بالملا الاعلى الملائكة وادم عليهم السلام وابليس حسبما اطبق عليه جمهور الائمة وباختصامهم
ماجري بينهم في شان خلافته عليه السلام من التقاول الذي من جملته ما صدر عنه من الانباء بالاسماء
ومن قضية البدلية وقوع الاختصام المذكور في تضاعيف ما شرح فيه تفصيلا من الامر التعليقي
وما علق به من الخلق والبشرية ونفخ الروح فيه وما ترتب عليه من سجود الملائكة عليهم السلام وعناد
ابليس وما تبعه من لعنه واخراجه من بين الملائكة وما جرى بعده من الافعال والاقوال
واذ ليس تمام الاختصام بعد سجود الملائكة ومكابرة ابليس المستتبعة لطرده من بينهم لما عرفت
من انه احدى المختصمين كما انه ليس قبل الخلق ضرورة استحالة الانباء بالاسماء حينئذ فهو اذا بعد

نفخ

نفخ الروح وقبل السجود حتما باحدي الطريقين والله سبحانه وتعالى اعلم بحقيقة الحال **ابي واستكبر**
استيناف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثنا وانه لم يكن للتردد او للتامل والاباء
الامتناع بالاختيار والتكبر ان يري نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع اي امتنع
عما امر به واستكبر من ان يعظمه او يتخذه وصلة في عبادة ربه وتقديم الاباء على الاستكبار مع كونه
مسببا لظهوره ووضوح اثره واقتصر في سورة ص على ذكر الاستكبار اكتفاء به في سورة الحجر على ذكر
الاباء حيث قيل ابي ان يكون مع الساجدين **وكان من الكافرين** اي في علم الله تعالى او كان اصله من كفرة
الجن فلذلك ارتكب ما ارتكبه على ما افصح عنه قوله تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه فالجملة اعتراضية
مقررة الى ما سبق من الاباء والاستكبار او صار منهم باستقباح امره تعالى اياه بالسجود لادم عليه السلام
زعما منه انه افضل منه والافضل لا يحسن ان يومر بالخضوع للمفضول كما افصح عنه قوله تعالى وعلم ادم
عليه السلام بعد ماجري بينه وبين الملائكة انا خير منه حين قيل له ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي
استكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب وحده فالجملة معطوفة على ما قبلها وايثار الواو على
الفاء للدلالة على ان محض الاباء والاستكبار كفر لا انهما سببان له كما يفيده الفاء **وقلنا** شروع في حكاية
ماجري بينه تعالى وبين ادم عليه السلام بعد تمام ماجري بينه تعالى وبين الملائكة وبين ابليس في
الاقوال والافعال وقد تركت حكاية توبيخ ابليس وجوابه ولعنه واستنظاره وانظاره اجتزاء بما فصل
في سائر السور الكريمة وهو عطف على قلنا للملائكة ولا يقدح في ذلك اختلاف وقتيهما فان المراد
بالزمان المدلول عليه بكلمة اذ زمان ممتد واسع للقولين وقيل هو عطف على اذ قلنا باضمار اذ وهذا
تذكير لنعمة اخري موجبة الشكر مانعة من الكفر وتصدير الكلام بالندا في قوله تعالى **يا ادم اسكن
انت وزوجك الجنة** للتنبيه على الاهتمام بتلقي المامور به واسكن من السكني وهو اللبث والاستقامة
والاستقرار دون السكون الذي هو ضد الحركة وانت ضمير اكد به المستكن ليصح العطف عليه واختلف
في وقت خلق زوجه فذكر عن ابن مسعود وابن عباس وناس من الصحابة رضي الله عنهم ان الله تعالى اخرج
اخرج ابليس من الجنة واسكنها ادم عليه السلام بقي فيها وحده وما كان معه من يستانس به فالقي
الله تعالى عليه النوم ثم اخذ ضلعا من جانب الايسر ووضع مكانه لحما وخلق حوي منه فلما استيقظ وجدها
عند راسه قاعدة فسالها ما انت قالت امراة قال ولم خلقت قالت لتسكن الي فقال الملائكة تجربة لعلمه
عليه السلام من هذا قال امراة قالوا لم سميت مراة قال لانها من المرء اخذت فقالوا ما اسمها قال حوا قالوا
لم سميت حوا قال لانها خلقت من شيء حي وورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بعث الله جندا من
الملائكة وحملوا ادم وحوي على سرير من ذهب كما تحمل الملوك ولباسهما النور حتى ادخلهما وهذا كما
تري يدل على خلقها قبل الجنة والمراد بها دار الثواب لانها المعهودة وقيل هي جنة بارض فلسطين او بين
فارس وكرمان خلقها الله تعالى امتحانا لادم عليه السلام وحمل الاهباط على النقل منها الى ارض الهند كما في
قوله تعالى اهبطوا مصرا لما ان خلقه الله تعالى كان في الارض بلا خلاف ولم يذكر في هذه القصة رفعه
الى السماء ولو وقع ذلك لكان اولى بالذكر والتذكير لما انه اعظم النعم ولانها لو كانت دار الخلود لما دخلها ابليس
وقيل انها كانت في السماء السابعة بدليل اهبطوا ثم ان الاهباط الاول كان منها الى السماء الدنيا والثاني
منها الى الارض وقيل الكل ممكن والادلة المنقلبة متعارضة توجب التوقف وترك القطع **وكلا منها**
اي من ثمارها وانما وجه الخطاب اليهما تعميما للتشريف والتوفية ومبالغة في ازالة العلل والاعذار
وايذانا بتساويهما في مباشرة المامور فان حواء اسوة له عليه السلام في الاكل بخلاف السكني فانها تابعة
له فيها **رغدا** صفة للمصدر المؤكد اي اكلا واسعا رافها **حيث شئتما** اي اي مكان اردتما منها وهذا

كما ترى اطلاق كلي حيث ابيح لهما الاكل منها على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلل ولم يحظر عليهما
بعض الاكل ولا بعض المواضع الجامعة للماكولات حتى لا يبقى لهما عذر في تناول ما منعا منه بقوله تعالى **ولا**
تقربا بفتح الراء من قرب الشيء بالكسر اقربه بالفتح اذا التبست به وتعرضت له قال الجوهري قرب بالضم يقرب
قربا اي دنا وقربته بالكسر قربانا دنوت منه **هذه الشجرة** نصب على انه بدل من اسم الاشارة او نعت له
بتاويلها بمشتق اي هذه الحاضرة من الشجرة اي لا تاكلا منها احدث وانما علق النهي بالقربان منها مبالغة في
تحريم الاكل ووجوب الاجتناب عنه والمراد به الحنطة او العنبة او التينة وقيل هي شجرة من اكل منها احدث
والاولى عدم تعيينها من غير قاطع وقرئ هذه بالياء وبكسر شين الشجرة وتاتقربا وقرئ الشجرة بكسر
الشين وفتح التاء **فتكونا من الظالمين** مجزوم على انه معطوف على تقربا او منصوب على انه جواب النهي واياما
كان فالقرب اي الاكل منها سبب لكونهما من الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعصية
او نقصوا حظوظهم بمباشرة ما يخل بالكرامة والنعيم او تعدوا حدود الله **فازلهما الشيطان عنها** اي
صدر زلتهما وحملهما على الزلة بسببها ونظيره من هذه ما في قوله تعالى وما فعلته عن امري اذ ازلهما عن الجنة
بمعنى اذهبهما وابعدهما عنها يقال زل عني كذا اذا ذهب عنك ويعضده قراءة ازالهما وهما متقاربان في المعنى
فان الازلال اي الازلاق يقتضي زوال الزال عن موضعه البتة وازلاله قوله لهما هل ادلكم على شجرة
الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته
لهما اني لكما لمن الناصحين وهذه الآيات مشعرة بانه عليه السلام لم يوم بسكون الجنة على وجه الخلود بل
على وجه التكرمة كما يدخلها الملائكة عليهم السلام ولم يمنع من الدخول للوسوسة ابتلاء لآدم عليه السلام
وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم تعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية فدخل
معها وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله تعالى **فاخرجهما مما كانا فيه** اي من الجنة ان كان ضمير
عنها للشجرة والتعبير عنها بذلك للايذان بفخامتها وجلالتها وملابستهما له اي من المكان العظيم الذي
كانا مستقرين فيه او من الكرامة والنعيم ان كان الضمير للجنة **وقلنا اهبطوا** اي الخطاب لآدم وحوا
بدليل قوله تعالى قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما اصل الجنس فكانهما الجنس كلهم وقيل لهما
وللحية وابليس على انه اخرج منها ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة او يدخلها مسارقة او اهبط من
السماء وقرئ بضم الباء **بعضكم لبعض عدو** حال استغنى فيها عن الواو بالضمير اي متعادين يبغي بعضكم
على بعض بتضليله او استيناف لا محل لها من الاعراب وافراد العدو اما للنظر الى لفظ البعض واما لان
وزانه وزان المصدر كالقبول **ولكم في الارض** التي هي محل الاهباط والظرف متعلق بما تعلق به الخبر
اعني لكم من الاستقرار **مستقر** اي استقرار او موضع استقرار **ومتاع** اي تمتع بالعيش وانتفاع
به **الى حين** هو حين الموت على ان المعنى تمتع كل فرد من المخاطبين او القيمة على انه تمتع الجنس في ضمن بعض
الافراد والجملة كما قبلها في كونها حالا اي مستحقين الاستقرار والتمتع واستينافا **فتلقى آدم من ربه كلمات**
اي استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها ووفق لها وقرئ بنصب آدم ورفع كلمات دلالة
على انها استقبلته وبلغته وهو قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك
اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن
عباس رضي الله عنهما قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى
الجنة قال نعم والفاء للدلالة على ان التوبة حصلت عقب الامر بالهبوط قبل تحقق المامور به والتعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة اليه عليه السلام للتشريف والايذان بعلته لالقاء الكلمات المدلول
عليه بتلقيها **فتاب عليه** اي رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة والفاء للدلالة على ترتبه على تلقي الكلمات المتضمنة

لمعنى

لمعنى التوبة التي هي عبارة عن الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على عدم العود اليه واكتفي بذكر شان
آدم عليه السلام لما ان حواء تبع له في الحكم ولذلك طوي ذكر النساء في اكثر مواقع الكتاب والسنة **انه هو التواب**
اي الرجاع على عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم على التوبة واصل التوب الرجوع فاذا وصف به العبد كان
رجوعا واذا وصف به الباري عز وعلا اريد به الرجوع عن العقاب الى المغفرة **الرحيم** المبالغ في الرحمة
وفي الجمع بين الوصفين وعد بليغ للتايب بالاحسان مع العفو والغفران والجملة تعليل لقوله تعالى
فتاب عليه **قلنا** استيناف مبني على سوال ينسحب عليه الكلام كانه قيل فماذا وقع بعد قبول توبته فقيل
قلنا **اهبطوا منها جميعا** كرر الامر بالهبوط ايذانا بتحتم مقتضاه وتحققه لا محالة ودفعا لما عسى يقع
في امنيته عليه السلام من استتباع قبول التوبة للعفو عن ذلك واظهارا للنوع رافة به عليه السلام لما بين
الامرين من الفرق النيركيف لا والاول مشوب بضرب سخط مذيل ببيان ان مهبطهم دار بلية وعناء
لا يخلدون فيها والثاني مقرون بوعد ايتاء الهدى المودي الى النجاة والنجاح واما ما فيه من وعيد
العقاب فليس بمقصود من التكليف قصدا اوليا بل انما هو دائر على سوء اختيار المكلفين قيل وفيه تنبيه
على ان الخادم يكفيه في الردع عن مخالفة حكم الله تعالى مخافة الاهباط المقترن باحد هذين الامرين
فكيف بالمقترن بهما فتامل وقيل الاول من الجنة الى السماء الدنيا والثاني منها الى الارض وياباه التعرض
لاستقرارهم في الارض في الاول ورجوع الضمير الى الجنة في الثاني وجميعا حال في اللفظ وتاكيد في المعنى
كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي الاجتماع على الهبوط في زمان واحد كما في قولك جاؤا
جميعا حال في اللفظ وتاكيد جاؤا معا **فاما ياتينكم مني هدى** الفاء لترتيب ما بعدها على الهبوط
المعهود من الامر به واما مركبة من ان الشرطية وما المزيدة المؤكدة بمعناها والفعل جاؤا معا في محل الجزم
بالشرط لانه مبني لاتصاله بنون التاكيد وقيل معرب مطلقا وقيل مبني مطلقا والصحيح التفصيل ان باشر
النون بني والاعراب نحو يقومان وتقديم الظرف على الفاعل لما مر غير مرة والمعنى ان ياتينكم مني هدى برسول
ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم وجواب الشرط قوله تعالى **فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** كما في
قولك ان جئتني فان قدرت احسنت اليك مع تحقق الاتيان لا محالة للايذان بان الايمان بالله
والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال الكتب بل يكفي في وجوبه افاضة العقل ونصب الادلة
الافاقية والانفسية والتمكن من النظر والاستدلال او للجري على سنن العظماء في ايراد علي ولعل في مواقع
القطع والجزم والمعنى ان من تبع هداي منكم فلا خوف عليهم في الدارين من لحوق مكروه ولا هم يحزنون في
فوات المطلوب اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انهم يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا
انه لا يعتريهم نفس الخوف والحزن اصلا بل يستمرون على السرور والنشاط كيف واستشعار الخوف
والحزن والخشية واستعظام الجلال الله سبحانه وهيبته واستقصار الجد والسعي في اقامة حقوق
العبودية من خصائص الخواص والمقربين والمراد بيان انتفائهما لا بيان انتفاء دوايهما كما يتوهم من كون
الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما تقرر في موضعه ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام
والاستمرار بحسب المقام واظهار الهدى مضافا الى ظهار الجلال لتعظيمه وتاكيد وجوب اتباعه او لان
المراد بالثاني ما هو اعم من الهدايات التشريعية وما ذكر من افاضة العقل ونصب الادلة الافاقية
والانفسية كما قيل وقرئ هدي على لغة هذيل ولا خوف بالفتح **والذين كفروا وكذبوا باياتنا**
عطف على من تبع الى آخره قسيم له كانه قيل ومن لم يتبعه وانما اوثر عليه ما ذكر تفظيعا لحال الضلالة
واظهارا لكمال قبحها وايراد الموصول بصيغة الجمع للاشعار بكثرة الكفرة والجمع بين الكفرة والتكذيب
للايذان بتنوع الهدى الى ما ذكر من النوعين وايراد نون العظمة لتربية المهابة وادخال الروعة

واضافة الايات لانطها دكمال التكذيب بها اي والذين كفروا برسلنا المرسلة اليهم وكذبوا باياتنا
المنزلة عليهم وقيل المعنى كفروا بالله وكذبوا باياته التي انزلها على الانبيا واظهرها بايديهم من المعجزات
وقيل كفروا بالايات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون كلا الفعلين متوجها الى الجار والمجرور والاية في
الاصل العلامة الظاهرة قال النابغة. توهمت ايات لها فعرفتها. لستة اعوام وذا العام سابع
ويقال للمصنوعات من حيث دلالتها على الصانع تعالى وعلمه وقدرته. ولكل طائفة من كلمات القران
المتميزة عن غيرها بفصل لانها علامة لانفصال ما قبلها مما بعدها وقيل لانها تجمع كلمات منه فتكون
من قولهم خرج بنو فلان بايتهم بجماعتهم قال خرجنا من النقبين لاحي مثلنا. بايتنا نزجي اللقاح المطافلا.
واشتقاقها من اي لانها تبين ايا من اي او من اوى اليه اي رجع واصلها اوية او اياة فابدلت عينها الفا على غير قياس
او اوية او ايية كرملة فاعلت او اوية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا **اولئك** اشارة الى الموصول
باعتبار اتصافهم بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب وفيه اشعار بتميزهم بذلك الوصف
تميزا مصححا للاشارة الحسية وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فيه وهو مبتدا وقوله عز وجل
اصحاب النار اي ملازموها وملابسوها بحيث لا يفارقونها خبره والجملة خبر للموصول او اسم الاشارة
بدل من الموصول او عطف بيان له واصحاب النار خبر له وقوله تعالى **هم فيها خالدون** وجر المنصـ
على الحالية لورود التصريح به في قوله تعالى اصحاب النار خالدين فيها وقد جوز كونه حالا من النار
لاشتماله على ضميرها والعامل معنى الاضافة او اللام المقدرة او في محل الرفع على انه خبر اخر لاولئك على
راي من جوز وقوع الجملة خبرا ثانيا وفيها متعلق بخالدون والخلود في الاصل المكث الطويل وقد انعقد
الاجماع على ان المراد به الدوام **يا بني اسرائيل** تلوين للخطاب وتوجيه له الى طائفة خاصة من
الكافرين المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم وامر بالنعمة العامة لبني ادم قاطبة لقوله تعالى واذ قال
الى اخره لان المعنى كما اشير اليه بلغهم كلامي واذكرهم اذ جعلنا اباهم خليفة في الارض ومسجود
الملائكة عليهم السلام وشرفناه بتعليم الاسماء. وقبلنا توبته والابن من البنا لانه مبني ابيه ولذلك
ينسب المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب. وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب عليه
السلام ومعناه بالعربية صفوة الله. وقيل عبد الله. وقرئ اسرائل بحذف الياء واسرال بحذفهما
واسرائيل بقلب الهمزة ياء واسراءل بهمزة مفتوحة. واسرائل بهمزة مكسورة بين الراء واللام وتخصيص
هذه الطائفة بالذكر لما انهم اوفر الناس واكثرهم كفرا بها **اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم** بالتفكر
فيها والقيام بشكرها وفيه اشعار بانهم قد نسيوها بالكلية ولم يخطروها بالبال لا انهم اهملوا
شكرها فقط واضافة النعمة الى ضمير الجلالة لتشريفها وايجاب تخصيص شكرها به تعالى
وتقييدها بهم لما ان الانسان مجبول على حب النعمة واذا نظر الى ما فاض من النعم حمله الشكر
قيل اريد بها ما انعم به على ابائهم من النعم التي سيجيء تفصيلها عليهم من فنون النعم التي اجلها ادراك عصر
النبي صلى الله عليه وسلم. وقرئ اذكروا من الافتعال ونعمتي باسكان الياء واسقاطها في الدرج
وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسورة ما قبلها **واوفوا بعهدي** بالايمان والطاعة **اوف بعهدكم**
بحسن الاثابة والعهد يضاف الى كل واحد ممن يتولى طرفيه ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثاني
مضاف الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلايل وارسال الرسل
وانزال الكتب ووعدهم الثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض فاول مراتبه منا هو الاتيان
بكلمتي الشهادة ومن الله تعالى حقن الدماء والاموال واخرها من الاستغراق في بحر التوحيد
بحيث نغفل عن انفسنا فضلا عن غيرها ومن الله تعالى الفوز باللقاء الدايم وترك الكبائر. اوف

بالمغفرة

بالمغفرة والثواب. ادفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم. اوف بالكرامة والنعيم المقيم.
قيل النظر الى الوسايط. وقيل كلاهما مضاف الى المفعول. والمعنى اوفوا بما عاهدتموني من الايمان والتزام
الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة. وتفصيل العهدين قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق بني اسرائيل
الى قوله تعالى ولادخلنكم الى اخره. وقرئ اوف بالتشديد للمبالغة والتاكيد **واياي فارهبون** فيما
تاتون وما تذرون خصوصا في نقض العهد وهو اكد في افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه من
التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين
شيا فارهبون والرهبة خوف معه تحرز والاية متضمنة للوعد والوعيد ودلالة على وجوب الشكر والوفا
بالعهد وان المؤمن ينبغي ان لا يخاف الا من الله تعالى **وامنوا بما انزلت** افراد الايمان بالقران بالامر
به لما انه العمدة القصوى في شان الوفا بالمعهود **مصدقا لما معكم** من التورية والتعبير عنها بذلك للايذان
ان بعلمهم بتصديقه لها فان المعية مبينة لتكرار المراجعة اليها والوقوف على ما في تضاعيفها المودي
الى العلم بكونه مصدقا لها ومعنى تصديقه للتورية انه نازل حسب ما نعت فيها او من حيث انه موافق
لها في القصص والمواعيد والدعوة الى التوحيد والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش واما
ما يتراءى من مخالفته لها في بعض جزئيات الاحكام المتفاوتة بسبب تفاوت الاعصار فليست بمخالفة
في الحقيقة بل هي موافقة لها من حيث ان كلا منهما حق بالاضافة الى عصره وزمانه التي عليها يدور ولذلك
التشريع وليست في التورية دلالة على ابدية احكامها المنسوخة حتى يخالفها ما ينسخها وانما تدل على
مشروعيتها مطلقا من غير تعريض لبقائها وزوالها بل نقول ناطقة بنسخ تلك الاحكام فان نطقها بصحة
القران الناسخ لها نطق بنسخها فاذن مناط المخالفة في الاحكام المنسوخة انما هو اختلاف العصر حتى لو
تاخر نزول المتقدم لنزل على وفق المتاخر ولو تقدم نزول المتاخر لوافق المتقدم قطعا ولذلك قال عليه
السلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي وتقييد المنزل لكونه مصدقا لما معهم لتاكيد وجوب
الامتثال بالامر فان ايمانهم بما معهم مما يقتضي الايمان بما يصدقه قطعا **ولا تكونوا اول كافر به** اي لا تسارعوا
الى الكفر به فان وظيفتكم ان تكونوا اول من امن به لما انكم تعرفون شانه وحقيته بطريق التلقي مما معكم
من الكتب الالهية كما تعرفون ابناءكم وقد كنتم تستفتحون به وتبشرون بزمانه كما سيجيء فلا تضيعوا موضع
ما يتوقع منكم ويجب عليكم بل مما لا يتوهم صدوره عنكم من كونكم اول كافر به ووقوع اول كافر به خبرا عن
ضمير الجمع بتاويل اول فريق او فوج او بتاويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك. كسانا حلة.
ونهيهم عن التقدم في الكفر به مع ان مشركي العرب اقدم منهم لما ان المراد به التعريض لا الدلالة على
ما نطق به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل اولان المراد نهيهم من كونهم اول كافر به من اهل
الكتاب او ممن كفر بما عنده فان من كفر بالقران فقد كفر بما يصدقه او مثل من كفر من مشركي مكة
واول افعل لا فعل له وقيل اصله اوول من وال اليه اذا نجا وخلص فابدلت الهمزة واوا تخفيفا غير
قياسي او اوءل فقلبت همزته واوا وادغمت **ولا تشتروا باياتي** اي لا تاخذوا لانفسكم بدلا منها
ثمنا قليلا هي الحظوظ الدنيوية وانها وان جلت قليلة مسترذلة بالنسبة الى ما فات عنهم من
حظوظ الاخرة بترك الايمان وقيل كانت لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا فخافوا عليها لو تبعوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختاروها على الايمان وانما عبر عن المشتري الذي هو العمدة في عقود
المعاوضة والمقصود فيها بالثمن الذي شانه ان يكون وسيلة فيها وقرنت الايات التي حقها ان
يتنافس فيها المتنافسون بالباء التي تصحب الوسايل ايذانا بتعكيسهم حيث جعلوا ما هو المقصد الاصلي
وسيلة والوسيلة مقصدا **واياي فاتقون** بالايمان واتباع الحق والاعراض عن حطام الدنيا ولما

كانت الاية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الاية الثانية فصلت بالرهبة التي هي من جملتها مقدمات التقوى اولان الخطاب بها لما عم العالم والمقلد امر فيها بالرهبة المتناولة للفريقين واما الخطاب بالثانية فحيث خص بالعلما امر فيها بالتقوى الذي هو المنتهى **ولا تلبسوا الحق بالباطل** عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزم الاشتباه بين المختلطين والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونه حتى يشتبه احدهما بالآخر اولا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب الباطل الذي تكتبونه في تضاعيفه او تذكرونه في تاويله **وتكتموا الحق** مجزوم داخل تحت حكم النهي كانهم امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء عمن لم يسمعه او منصوب باضمار ان على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا بين لبس الباطل وبين كتمانه ويعضده انه في مصحف ابن مسعود وتكتمون اي وانتم تكتمون اي كاتمين وفيه اشعار بان استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق اولان المراد بالآخر لبس غير الاول بل نعت النبي صلى الله عليه وسلم الذي كتموه وكتبوا مكانه غيره كما سيجي في قوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم واما الزيادة فتقبيح المنهي عنه ان في التصريح باسم الحق ما ليس في ضميره **وانتم تعلمون** اي حال كونكم عالمين بانكم لابسون كاتمون او وانتم تعلمون انه حق او وانتم من اهل العلم وليس ايراد الحال لتقييد النهي به كما في قوله تعالى ولا تقربوا الصلوة وانتم سكارى بل لزيادة تقبيح حالهم اذ الجاهل عسى يعذر **واقيموا الصلوة واتوا الزكوة** اي صلوة المسلمين وزكوتهم فان غيرهما بمعزل من كونه صلوة وزكوة امرهم الله تعالى بفروع الاسلام بعد الامر باصوله **واركعوا مع الراكعين** في جماعتهم فان صلوة الجماعة تفضل على صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس في المناجات وعبر عن الصلوة بالركوع احترازا عن صلوة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط بن قريع السعدي • لا تحقرن الضعيف علك ان • تركع يوما والدهر قد رفعه **اتأمرون الناس بالبر** تجديد للخطاب وتوجيه له الى بعضهم بعد توجيهه الى الكل والهمزة فيها تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر الذي هو الفضاء الواسع يتناول جميع اصناف الخيرات ولذلك قيل البر ثلاثة بر في عبادة الله تعالى • وبر في مراعاة الاقارب • وبر في معاملة الاجانب **وتنسون انفسكم** اي تتركونها من البر كالمنسيات • عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في احبار المدينة كانوا يامرون سرا من نصحوه باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم طمعا في الهدايا والصلات التي كانت تصل اليهم من اتباعهم وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون قال السدي انهم كانوا يامرون الناس بطاعة الله وينهونهم عن معصيته وهم يتركون الطاعة ويقدمون على المعصية قال ابن جريج كانوا يامرون الناس بالصلوة والزكوة وهم يتركونها ومدار الانكار والتوبيخ هو الجملة المعطوفة دون ما عطفت هي عليه **وانتم تتلون الكتاب** تبكيت لهم وتقريع كقوله تعالى وانتم تعلمون اي والحال انكم تتلون التورية الناطقة بنعوته عليه السلام الآمرة بالايمان به او بالوعيد بفعل الخير والوعيد على الفساد والعناد وترك البر ومخالفة القول والعمل **افلا تعقلون** اي تتلونه فلا تعقلون فيه او قبح ما تصنعون حتى ترتدعوا عنه فالانكار متوجه الى كلا الامرين والمبالغة حينئذ من حيث الكم والعقل في الاصل المنع والامساك ومنه العقال الذي يشد به وظيف البعير الى ذراعه لحبسه عن الحركة سمي به النور الروحاني الذي به تدرك النفوس العلوم الضرورية والنظرية لانه يحبسه تعالى عن ما يقبح ويعقله على ما يحسن والاية كما ترى ناعية على من يعظ غيره ولا يتعظ بسوء صنيعه وعدم تاثره وان فعل فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالي عن العقل والمراد كما اشير اليه حثه على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل لتقوم بالحق فتقيم غيرها لا منع الفاسق

عن الوعظ يروى انه كان عالم من العلماء مؤثر الكلام قوي التصرف في القلوب وكان كثيرا ما يموت من اهل مجلسه واحد واثنان من شدة تاثير وعظه وكان في بلده عجوز لها ابن صالح دقيق القلب سريع الانفعال وكانت تحترز عليه وتمنعه من حضور مجلس الواعظ فحضر يوما على حين غفلة منها فوقع من امر الله ما وقع ثم ان العجوز لقيت الواعظ يوما في الطريق فقالت • اتهدي الانام ولا تهتدي • الا ان ذلك لا ينفع • فيا حجر الشحذ حتى متى • تسن الحديد ولا تقطع • فلما سمعها الواعظ شهق شهقة فخر من فرسه مغشيا عليه فحمل الى بيته فتوفي رحمه الله عليه **واستعينوا بالصبر والصلوة** متعلق بما قبله كانهم كلفوا ما فيه مشقة من ترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله تعالى وبالصوم الذي هو الصبر على المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلوة والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال والتوجه الى الكعبة والعكوف على العبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القران والتكلم بالشهادة وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى المشارب • وجبر المصائب روي انه عليه السلام كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد بها الدعا **وانها** اي الاستعانة بهما او الصلوة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شانها واشتمالها على ضروب من الصبر كما في قوله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وجملة ما امروا بها ونهوا عنها **لكبيرة** لثقيلة شاقة كقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه **الا على الخاشعين** الخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب وانما لم يثقل عليهم لانهم يتوقعون ما ادخر لهم بمقابلتها فتهون عليهم ولانهم يستغرقون في مناجاة ربهم فلا يدركون ما يجري عليهم من المشاق والمتاعب ولذلك قال عليه السلام • وقرة عيني في الصلوة • والجملة حالية او اعتراض تذييلي **الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون** اي يتوقعون لقاء الله تعالى ونيل ما عنده من المثوبات والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليهم للايذان بفيضان احسانه اليهم اي يتيقنون انهم يحشرون اليه للجزاء فيعملون على حسب ذلك رغبة ورهبة واما الذي لا يوقنون بالجزاء ولا يرجون الثواب ولا يخافون العقاب كانت عليهم مشقة خالصة فتثقل عليهم كالمنافقين والمرائين فالتعرض للعنوان المذكور للاشعار بعلية الربوبية والمالكية للحكم ويؤيده ان في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه يعلمون وكان الظن لما شابه العلم في الرجحان اطلق عليه لتضمين معنى التوقع قال • فارسلته مستيقن الظن انه • مخالط ما بين الشراسيف جائف • وجعل خبران وجعل خبران في الموضعين اسما للدلالة على تحقق اللقا والرجوع وتقررهما عندهم **يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم** كرر التذكير للتاكيد ولربط ما بعده من الوعيد الشديد **واني فضلتكم** عطف على نعمتي عطف الخاص على العام الكامل اي فضلت اباءكم **على العالمين** اي عالمي زمانهم بما منحهم من العلم والايمان والعمل الصالح • وجعلتهم انبيا وملوكا مقسطين وهم اباؤهم الذين كانوا في عصر موسى عليه السلام وبعده قبل ان يغيروا • **واتقوا يوما** اي حساب يوم او عذاب يوم **لا تجزي نفس عن نفس شيئا** اي لا تقضي عنها شيا من الحقوق فانتصاب شيا على المفعولية او شيا من الجزاء فيكون نصبه على المصدرية وقرى لا تجزئ اي لا تغني عنها فتعين النصب على المصدرية وايراده منكرا مع تنكير النفس للتعميم والاقناط الكلي والجملة صفة يوما والعائد منها محذوف اي لا تجزي فيه ومن لم يجوز الحذف قال اتسع فيه فحذف الجار واجري المجرور مجرى المفعول به ثم حذف في قول من قال • فما ادري اغيرهم تناء • وطول العهد ام مال اصابوا • اي اصابوه **ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل** اي من النفس الثانية العاصية او من الاولى والشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية سمي به الفدية لانها تساوي المفتدى وتجري مجراه **ولا هم ينصرون** اي يمنعون من عذاب الله عز وجل والضمير لما دلت النفس

النائبة المنكرة الواقعة في سياق النفي من النفوس الكثيرة والتذكير لكونها عبارة عن العباد الاناس والنصرة
هاهنا اعم من المعونة لاختصاصها بدفع الضرر وكانه اريد بالاية نفي ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه
يحتمل فانه اما ان يكون قهرا اولا والاول النصرة والثاني اما ان يكون مجانا اولا والاول الشفاعة والثاني
اما ان يكون باداء عين ما كان عليه وهو ان يجزي عينه او باداء غيره وهو ان يعطي عنه عدلا وقد تمسكت بهذه
الاية على نفي الشفاعة لاهل الكبائر والجواب انها خاصة بالكفار للايات الواردة في الشفاعة والاحاديث
المروية فيها ويؤيده ان الخطاب معهم ولردهم عما كانوا عليه من اعتقاد ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم
وإذ نجيناكم من آل فرعون تذكير تفاصيل ما اجمل في قوله تعالى نعمتي التي انعمت عليكم من فنون النعماء وصنوف الالاء
اي واذكروا وقت تنجيتنا اياكم اي اباءكم فان تنجيتهم تنجية لاعقابهم وقرئ انجيتكم واصل آل اهل لان
تصغيره اهيل وخص بالاضافة الى اولي الاخطار كالانبياء عليهم السلام والملوك وفرعون لقب
لملك العمالقة وكسرى لملك الفرس وقيصر لملك الروم وخاقان لملك الترك ولعتوه اشتق منه
تفرعن الرجل اذا عتا وتمرد وكان فرعون موسى عليه السلام مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا
عاد وقيل انه كان عطارا اصبهانيا ركبته الديون فافلس فاضطر الى الخروج فلحق بالشام فلم يتيسر له المقام
به فدخل مصر فراى في ظاهرها حملا من البطيخ حملا بدرهم فقال في نفسه ان تيسر لي اداء الديون فهذا
طريقه فخرج الى السواد فاشترى حملا بدرهم فتوجه الى السوق فكل من لقيه وواجهه من المكاسين
اخذوا منه بطيخا فدخل البلد وما معه الا بطيخة فباعها بدرهم ومضى لوجهه وراى اهل البلد متروكين
سدى لا يتعاطى احد سياستهم وكان قد وقع بهم وباء عظيم فتوجه نحو المقابر فراى ميتا يدفن فتعرض لاوليائه
فقال انا امين المقابر فلا ادعكم تدفنونه حتى تعطوني خمسة دراهم فدفعوها اليه ومضى لاخر واخر حتى
جمع مقدار ثلاثة اشهر مالا عظيما ولم يتعرض له احد قط الى ان تعرض يوما لاولياء ميت فطلب منهم
ما كان يطلب من غيرهم فابوا ذلك فقالوا من نصبك هذا المنصب فذهبوا به الى فرعون فقال من انت
ومن اقامك بهذا المقام قال لم يقمني احد وانما فعلت ما فعلت حتى يحضرني احد الى مجلسك فانبهك
على اختلال حال قومك وقد جمعت بهذا الطريق هذا المقدار من المال فاحضره ودفعه الى فرعون فقال
ولني امورك ترني امينا كافيا فولاه اياها فسار بهم سيرة حسنة فانتظمت مصالح العسكر واستقامت
احوال الرعية ولبث فيهم دهرا طويلا وترامى امره بالعدل والصلاح فلما مات فرعون اقاموه مقامه فكان
من امره ما كان وكان فرعون يوسف عليه السلام ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة **يسومونكم** اي يبغونكم
من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصله الذهاب في طلب الشيء **سوء العذاب** اي افظعه واقبحه بالنسبة
الى سائره والسوء مصدر من ساء يسوء ونصبه على المفعولية ليسومونكم والجملة حال على الضمير في نجيناكم
او من آل فرعون او منهما جميعا لاشتمالها على ضميرهما **يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم** بيان ليسومونكم
ولذلك ترك العاطف بينهما وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ما فعلوا لما ان فرعون راى
في المنام واخبره الكهنة انه سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قضاء الله تعالى شيئا قيل
قتلوا بتلك الطريقة تسعمائة الف مولود وتسعين الف مولود وقد اعطى الله عز وجل نفس موسى عليه
السلام من القوة على التصرف ما كان يعطيه اولئك المقتولين لو كانوا احياء ولذلك كانت معجزاته ظاهرة
باهرة **وفي ذلكم** اشارة الى ما ذكر من التذبيح والاستحياء او الى الانجاء منه وجمع الضمير للمخاطبين
فعلى الاول معنى قوله تعالى **بلاء** محنة وبلية وكون استحياء نسائهم اي استبقائهن على الحياة محنة مع
انه عفو وترك العذاب لما ان ذلك كان للاستعمال في الاعمال الشاقة وعلى الثاني نعمة واصل البلاء الاختبار
ولكن لما كان في حقه سبحانه محالا وكان يجري مجرى الاختبار لعباده تارة بالمحنة واخرى بالمنحة

المعتزلة

الطلق

الطلق عليهما وقيل يجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد بالبلاء القدر المشترك الشامل لهما **من ربكم** من
جهته تعالى بتسليطهم عليكم او ببعث موسى عليه السلام وتوفيقه لتخليصكم منهم او بهما معا **عظيم**
صفة لبلاء وتنكيرهما للتفخيم وفي الاية الكريمة تنبيه على ان ما يصيب العبد من السراء والضراء من قبيل
الاختبار فعليه الشكر في المسار والصبر في المضار **وإذ فرقنا بكم البحر** بيان لسبب التنجية
وتصوير لكيفيتها اثر تذكيرها وبيان عظمها وهولها وقد بين في تضاعيف ذلك نعمة جليلة
اخرى هي الانجاء من الغرق اي اذكروا اذ فرقنا بسلوككم البحر او ملتبسا كقوله تعالى تنبت بالدهن
او بسبب انجائكم وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت مسالك وقرئ بالتشديد للتكثير لان
المسالك كانت اثني عشر بعدد الاسباط **فأنجيناكم** اي من الغرق باخراجكم الى الساحل كما يوجد
العدول الى صيغة الافعال بعد ايراد التخليص من فرعون بصيغة التفعيل وكذا قوله تعالى **وأغرقنا
آل فرعون** اريد فرعون وقومه وانما اقتصر على ذكرهم للعلم بانه اولى به منهم وقيل شخصه واستغني
بذكره عن ذكر قومه **وأنتم تنظرون** ذلك واغراقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق البحر عن طرق يابسة
مذللة او جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا روي انه تعالى امر موسى عليه
السلام ان يسري ببني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده فصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى الله
تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه بها فظهر فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا
نخاف ان يغرق بعض اصحابنا فلا نعلم به ففتح الله فيها كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر فلما وصل
اليه فرعون فرآه منفلقا اقتحمه هو وجنوده فغشيهم ما غشيهم واعلم ان هذه الواقعة كما انها لموسى عليه
السلام معجزة عظيمة تخر لها صم الجبال ونعمة جسيمة لاوائل بني اسرائيل موجبة عليهم شكرها كذلك
اقتصاصها على ما هي عليه من رسول الله صلى الله عليه وسلم معجزة جليلة تطمئن لها القلوب الابية وتنقاد
لها النفوس الغبية موجبة لاعقابهم ان يتلقوها بالاذعان فلا تأثرت اوائلهم بمشاهدتها ولا تذكر
اواخرهم بتذكيرها وروايتها فيا لها من عصابة ما اعصاها وطائفة ما اردأها **وإذ واعدنا موسى
أربعين ليلة** لما عادوا الى مصر بعد مهلك فرعون وعد الله موسى عليه السلام ان يعطيه التوراة وضرب
له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقيل وعد عليه السلام بني اسرائيل وهو بمصر ان اهلك عدوهم اتاهم
بكتاب من عند الله تعالى فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى عليه السلام ربه
الكتاب فامره بصوم ثلثين وهو شهر ذي القعدة ثم زاد عشرا من ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر
الشهور وصيغة المفاعلة بمعنى الثلاثي وقيل على اصلها تنزيلا لقبول موسى عليه السلام منزلة الوعد
واربعين ليلة مفعول ثان لواعدنا على حذف المضاف **ثم اتخذتم العجل** بتسويل السامري الها ومعبودا
وثم للتراخي الرتبي **من بعده** اي من بعد مضيه الى الميقات على حذف المضاف **وأنتم ظالمون** باشراككم
ووضعكم للشيء في غير موضعه وهو حال من ضمير اتخذتم او اعتراض تذييلي اي وانتم عادتكم الظلم **ثم عفونا
عنكم** حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفاه درسه وقد يجيء لازما قال عفت المنازل الخالي
عفى من بعد احوالي • عفاه كل حنان • كثير الوصل هطال • وقوله تعالى **من بعد ذلك** اي من بعد الاتخاذ
الذي هو منتهاه في القبح للايذان بكمال بعد العفو بعد تلك المرتبة من الظلم **لعلكم تشكرون** لكي
تشكروا نعمة العفو وتستمروا بعد ذلك على الطاعة **وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان** اي التوراة
الجامعة بين كونها كتابا وحجة تفرق بين الحق والباطل وقيل اريد بالفرقان معجزاته المفرقة بين المحق
والمبطل في الدعوى او بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه وبين
عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يوم التقى الجمعان يريد به يوم بدر **لعلكم تهتدون** لكي تهتدوا بالتدبر

فيه والعمل بما يجوز واذ قال موسى لقومه بيان الكيفية ووقوع العفو المذكور يا قوم انكم ظلمتم
انفسكم باتخاذكم العجل اي معبودا فتوبوا اي فاعزموا على التوبة الى بارئكم اي من خلقكم بريا من
العيوب والنقصان والتفاوت وميز بعضكم من بعض بصور وهيات مختلفة واصل التركيب
الخلوص عن الغير اما بطريق التفصي كما يري المريض او بطريق الانشا كما في بري الله آدم من الطين
والتعرض لعنوان البارئية للاشعار بانهم بلغوا من الجهالة اقصاها ومن الغباوة منتهاها حيث
تركوا عبادة العليم الحكيم الذي خلقهم بلطيف حكمته بريا من التفاوت والتنافر الى عبادة البقر
الذي هو مثل في الغباوة وان لم يعرف حقوق منعمه حقيق بان يسترد منه ذلك ولذلك امروا
بالقتل وفك التركيب فاقتلوا انفسكم تماما لتوبتكم بالبخع او بقطع الشهوات وقيل امروا ان
يقتلوا انفسهم بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل بقتل من عبده يروى ان الرجل كان يري
قريبه فلم يقدر على المضي لامر الله تعالى فارسل ضبابة او سحابة سوداء لا يتباصرون بها فاخذوا يقتلون
من الغداة الى العشي حتى دعى موسى عليه السلام فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين
الفا والفاء الاولى للسببية والثانية للتعقب ذلكم اشارة الى ما ذكر من التوبة والقتل خير لكم
عند بارئكم لما انه طهرة عن الشرك وصلة الى الحيوة الابدية والبهجة السرمدية فتاب عليكم
عطف على محذوف على انه خطاب منه سبحانه على نهج الالتفات من التكلم الذي يقتضيه سياق
النظم الكريم وسياقه فان مبنى الجميع على التكلم الى الغيبة ليكون ذريعة الى اسناد الفعل الى
ضمير بارئكم المستتبع للايذان بعلية عنوان البارئية والخلق للاحيا الى التوبة التي هي عبارة
عن العفو عن القتل تقديره فعلتم ما امرتم فتاب عليكم بارئكم وانما لم يقل فتاب عليهم على الضمير
للقوم لما ان ذلك نعمة اريد التذكير بها للمخاطبين لا لاسلافهم وقد جوز ان يكون فتاب عليكم متعلقا
بمحذوف على انه من كلام موسى عليه السلام لقومه تقديره ان فعلتم ما امرتم فقد تاب عليكم ولا يخفى
انه بمعزل من اللياقة بجلالة شان التنزيل كيف لا وهو حينئذ حكاية لوعد موسى عليه الصلاة والسلام
قومه بقبول التوبة منه تعالى لا لقبوله تعالى حتما وقد عرفت ان الاية الكريمة تفصيل لكيفية القول
المحكي فيما قبل وان المراد تذكير المخاطبين لتلك النعمة انه هو التواب الرحيم تعليل لما قبله اي الذي
يكثر توفيق المذنبين للتوبة ويبالغ في قبولها منهم وفي الانعام عليهم واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك
تذكير لنعمة اخرى عليهم بعد ما صدر عنهم من الجناية العظيمة التي هي اتخاذ العجل اي لن نؤمن لاجل قولك
ودعوتك ولن نقر لك والمؤمن به اعطاء الله اياه التورية او تكليمه اياه او انه نبي او انه تعالى جعل
توبتهم بقتلهم انفسهم حتى نرى الله جهرة اي عيانا وهي في الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة
استعيرت للمعاينة لما بينهما من الاتحاد في الوضوح والانكشاف الا ان الاول في المسموعات والثاني
في المبصرات ونصبها على المصدرية لانها نوع من الروية او حال من الفاعل او المفعول وقرئ بفتح
الهاء على انها مصدر كالغلبة او جمع كالكتبة فيكون حالا من الفاعل لا غير والقايلون هم السبعون
المختارون لميقات التوبة عن عبادة العجل روي انهم لما ندموا على ما فعلوا وقالوا لئن لم يرحمنا ربنا
ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين امر الله موسى عليه الصلاة والسلام ان يجمع سبعين رجلا ويحضر
معهم الطور يظهرون فيه تلك التوبة فلما خرجوا الى الطور وقع عليه عمود من الغمام وتغشا
كله فكلم الله موسى عليه الصلاة والسلام وينهاه وكان كلما كلمه كلمة تعالى اوقع على جبهته نورا ساطعا
لا يستطيع احد من السبعين النظر اليه وسمعوا كلامه تعالى مع موسى افعل ولا تفعل فعند ذلك
طمعوا في الروية فقالوا ما قالوا كما سيأتي في سورة الاعراف ان شاء الله تعالى وقيل عشرة الاف

لقبوله ح

من قومه

من قومه فاخذتكم الصاعقة لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه سبحانه وتعالى مما يشبه
الاجسام ويتعلق به الروية تعلقها على طريقة المقابلة في الجهات والاحيان ولا ريب في استحالته انما الممكن
في شانه تعالى الروية المنزهة عن الكيفيات بالكلية وذلك للمؤمنين في الاخرة وللافراد من الانبياء الذين
بلغوا من صفاء الجوهر الى حيث تراهم كانهم في جلابيب من ابدانهم قد نضوها وتجردوا عنها الى عالم القدس
في بعض الاحوال في الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود بحسيسها فخروا
صعقين ميتين يوما وليلة وعن وهب انهم لم يموتوا بل لما راوا تلك الهيبة الهائلة اخذتهم الرعدة ورجفوا
حتى كادت تبين مفاصلهم وتنقض ظهورهم واشرفوا على الهلاك فعند ذلك بكى موسى عليه السلام
ودعى ربه فكشف الله تعالى عنهم ذلك فرجعت اليهم عقولهم ومشاعرهم ولم تكن صعقة موسى عليه السلام
موتا بل غشية لقوله تعالى فلما افاق وانتم تنظرون اي ما اصابكم بنفسه او باثره ثم بعثناكم من بعد موتكم
بتلك الصاعقة قيل البعث به لما انه قد يكون من الاغماء وقيل يكون من النوم كما في قوله تعالى ثم بعثناهم
لنعلم اي الحزبين لعلكم تشكرون اي نعمة البعث او ما كفرتموه بما رايتم من باس الله وظللنا عليكم الغمام اي
جعلناه بحيث تلقي عليكم ظلها وذلك لانه تعالى سخر لهم السحاب يسير بسيرهم وهم بالتيه يظلهم من
الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وانزلنا عليكم المن والسلوى
اي الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع ويبعث
عليهم الجنوب السماني فيذبح الرجل منه ما يكفيه كلوا على ارادة القول اي قائلين لهم كلوا من طيبات
ما رزقناكم من مستلذاته وما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن المن والسلوى وما ظلمونا كلام
عدل به عن نهج الخطاب السابق للايذان باقتضاء جنايات المخاطبين للاعراض عنهم وتعداد قبائحهم
عند غيرهم على طريق المباثة معطوف على مضمر قد حذف للايجاز والاشعار بانه امر محقق غني عن التصريح
به اي فظلموا بان كفروا تلك النعم الجليلة وما ظلمونا بذلك ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفران
اذ لا يتخطاهم ضرره وتقديم المفعول للدلالة على القصر الذي يقتضيه النفي السابق وفيه ضرب
تهكم بهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على تماديهم في الظلم واستمرارهم على الكفر واذ قلنا
تذكير لنعمة اخرى من جنابه تعالى وكفرة اخرى لاسلافهم اي ما تذكروا وقت قولنا لابائكم اثر ما انقذنا
من التيه ادخلوا هذه القرية منصوبة على الظرفية عند سيبويه وعلى المفعولية عند الاخفش وهي بيت
المقدس وقيل اريحا فكلوا منها حيث شئتم رغدا اي اكلا واسعا هنيا ونصبه على المصدرية او حال من
ضمير المخاطبين وفيه دلالة على ان المامور به الدخول على وجه الاقامة والسكنى فيؤول الى ما في سورة
الاعراف من قوله تعالى اسكنوا هذه القرية وادخلوا الباب سجدا اي باب القرية على ما روي من انهم
دخلوا اريحا في زمن موسى عليه السلام كما سيجيء في سورة المائدة او باب القبة التي كانوا يصلون اليها
فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسى عليه السلام سجدا اي متطامنين مخبتين او ساجدين
لله شكرا على اخراجهم من التيه وقولوا حطة اي مسئلتنا او امرك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة
وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انها مفعول قولوا اي قولوا هذه الكلمة
وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط رحالنا في هذه القرية ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم لما
تفعلون من السجود والدعاء وقرئ بالياء والتاء على البناء للمفعول واصل خطايا خطايئ كخضائع
فعند سيبويه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان فابدلت الثانية
الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة بين الفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء
ثم فعل بهما ما ذكر وسنزيد المحسنين ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيء وسببا لزيادة الثواب للمحسن

هم

واخراج عن صورة الجواب الى الوعد ايذانا بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف لا محالة فبدل
الذين ظلموا بما امروا به من التوبة والاستغفار بان اعرضوا عنه واوردوا مكانه قولا اخر مما لا خير فيه
روي انهم قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية هطا سمقاثا يعنون حنطة حمرا استخفافا
بامر الله تعالى غير الذي قيل لهم نعت لقولا وانما صرح به مع استحالة تحقق التبديل بلا مغايرة تحقيقا
لمخالفتهم وتنصيصا على المغايرة من كل وجه فانزلنا اي عقب ذلك على الذين ظلموا بما ذكر من التبديل
وانما وضع الموصول موضع الضمير العايد الى الموصول الاول للتعليل والمبالغة في الذم والتقريع والتصريح
بانهم بما فعلوا قد ظلموا انفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى رجزا من السماء اي عذابا مقدورا منها والتنوين
للتهويل والتفخيم بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم المستمر حسبما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي
والمستقبل وتعليل انزال الرجز به بعد الاشعار بتعليله بظلمهم للايذان بان ذلك فسق وخروج
عن الطاعة وغلوا في الظلم وان تعذيبهم بجميع ما ارتكبوا من القبايح لا بعدم توبتهم فقط كما يشعر ترتيبه
على ذلك بالفاء والرجز في الاصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس وقري بالضم وهو لغة فيه والمراد
به الطاعون روي انه مات في ساعة واحدة اربعون الفا واذا استسقى موسى لقومه تذكير لنعمة
اخرى كفروها وكانت ذلك في التيه حين استولى العطش الشديد وتغيير الترتيب لما اشير اليه مرارا
من قصد ابراز كل من الامور المعدودة في معرض امر مستقبل واجب التذكير والتذكر ولو روعي
الترتيب الوقوعي لفهم ان الكل امر واحد امر بذكره واللام متعلقة بالفعل اي استسقى لاجل
قومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر روي انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكانت تنبع من كل وجه منه
ثلاث اعين يسيل كل عين في جدول الى سبط وكانوا ستماية الف وسعة العسكر اثني عشر ميلا
او كان حجرا اهبطه الله تعالى مع آدم عليه السلام من الجنة ووقع الى شعيب عليه السلام فاعطاه لموسى
عليه السلام مع العصا او كان هو الحجر الذي فر بثوبه حين وضعه عليه ليغتسل وبراه الله تعالى به
عما رموه به من الادرة فاشار اليه جبريل ان يحمله او كان حجرا من الحجارة وهو الاظهر في الحجة قيل لم
يؤمر عليه السلام بضرب حجر بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة فيها حمل
حجرا في مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد موسى
عصاه متنا عطاشا فاوحى الله تعالى اليه ان لا تقرع الحجر وكلمه يطعك لعلهم يعتبرون وقيل
كان الحجر من رخام حجمه ذراع في ذراع والعصا عشرة اذرع على طوله عليه السلام من آس الجنة ولها
شعبتان تتقدان في الظلمة فانفجرت عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام قد حذف للدلالة على
كمال سرعة الانفجار كانه حصل عقيب الامر بالضرب اي فضرب فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا واما تعلق
الفاء بمحذوف اي فان ضربت فقد انفجرت فغير حقيق بجلالة شان النظم الكريم كما لا يخفى على
احد وقري عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان قد علم كل اناس كل سبط مشربهم عينهم الخاصة
بهم كلوا واشربوا على ارادة القول من رزق الله هو ما رزقهم من المن والسلوى والماء وقيل هو الماء وحده
لانه يؤكل ما ينبت به من الزرع والثمار ويأباه ان المأمور به اكل النعمة المقدرة لا ما سيطلبونه واضافته
اليه تعالى مع استناد الكل اليه خلقا وملكا اما للتشريف واما لظهوره بغير سبب عادي وانما
لم يقل من رزقنا كما يقتضيه قوله تعالى فقلنا الى آخره ايذانا بان الامر بالاكل والشرب لم يكن بطريق
الخطاب بل بواسطة موسى عليه السلام ولا تعثوا في الارض العثي اشد الفساد وقد يكون في غير
الفساد فقيل لهم لا تمادوا في الفساد حال كونكم مفسدين وقيل انما قيد به لان العثي في الاصل
مطلق التعدي وان غلب في الفساد كما في مقابلة الظالم المعتدي بفعله وقد يكون فيه صلاح راجح

تحقق

كقتل

كقتل الخضر عليه السلام الغلام وخرق السفينة ونظيره العيث خلا انه غالب فيما يدرك حسا
واذ قلتم تذكير لجناية اخرى لاسلافهم وكفرانهم لنعمة الله تعالى واخلادهم الى ما كانوا فيه
من الدناءة والخساسة واسناد القول المحكي الى اخلافهم وتوجيه التوبيخ اليهم لما بينهم من
الاتحاد يا موسى لن نصبر على طعام واحد لعلهم لم يريدوا بذلك ما طلبوا مع ما كان لهم من النعمة ولا
زوالها وحصول ما طلبوا مكانها اذ يأباه التعرض للوحدة بل ارادوا ان يكون لهم هذا تارة وذاك اخرى
روي انهم فلاحة فنزعوا الى عكرهم فاجمعوا ما كانوا فيه من النعمة المفيدة لوحدتها النوعية واطرادها
وتاقت انفسهم الى الشقاء فادع لنا ربك اي سله لاجلنا بدعائك اياه والفاء لسببية عدم الصبر
للدعاء والتعرض لعنوان الربوبية لتمهيد مبادي الاجابة يخرج لنا اي يظهر لنا ويوجد والجزم
لجواب الامر مما تنبت الارض اسناد مجازي باقامة القابل مقام الفاعل ومن تبعيضية والتي في
قوله تعالى من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها بيانية واقعة موقع الحال اي كائنا من بقلها بدل
الى آخره وقيل بدل باعادة الجار والبقل ما تنبت الارض من الخضر والمراد به اطايبه التي تؤكل كالنعناع
والكرفس والكراث واشباهها والفوم الحنطة وقيل الثوم وقري قثائها بضم القاف وهو لغة
فيه قال اي الله تعالى او موسى انكارا عليهم وهو استيناف وقع جوابا عن سؤال مقدر كانه قيل فما
ذا قال لهم فقيل قال اتستبدلون اي اتأخذون لانفسكم وتختارون الذي هو ادنى اي اقرب
منزلة وادون قدرا سهل المنال وهين الحصول بعد كونه مرغوبا فيه وكونه تافها مرذولا قليل القيمة
واصل الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد للشرف والرفعة فقيل بعيد
المحل وبعيد الهمة وقري ادنا من الدناءة وقد حملت المشهورة على ان الفها مبدلة من الهمزة
بالذي هو خير اي بمقابلة ما هو خير فان الباء تصحب الذاهب الزائل دون الآتي الحاصل كما في
التبدل والتبديل في مثل قوله عز وجل ومن يتبدل الكفر بالايمان وقوله تعالى وبدلناهم بجنتيهم
جنتين ذواتي اكل خمط وليس فيه ما يدل قطعا على انهم ارادوا زوال المن والسلوى بالمرة وحصول
ما طلبوا مكانه لتحقق الاستبدال فيما مر من صورة المناولة اهبطوا مصرا امروا به بيانا لدناءة
مطلبهم واسعافا لمرامهم اي انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي وقري بضم الباء والمصر
البلد العظيم واصله الحد بين الشيئين وقيل اريد به العلم وانما صرف لسكون وسطه او لتأويله
بالبلد دون المدينة ويؤيده انه في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه غير منون وقيل اصله مصرايم
فعرب فان لكم ما سألتم تعليل للامر بالهبوط اي فان لكم فيه ما سألتموه ولعل التعبير عن الاشيا
المسؤلة بما للاستهجان بذكرها كانه قيل فانه كثير فيه مبتذل يناله كل احد بغير مشقة وضربت عليهم
الذلة والمسكنة اي جعلتا محيطتين بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه والتصقتا بهم وجعلتا ضربة
لازمة لا ينفكان عنهم مجازاة لهم الى كفرانهم من ضرب الطين على الحائط بطريق الاستعارة بالكناية
واليهود في غالب الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة واما لخوف ان تضاعف جزيتهم وباؤوا اي رجعوا
بغضب عظيم وقوله تعالى من الله متعلق بمحذوف هو صفة لغضب مؤكدة لما افاده التنوين من
الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي بغضب كائن من الله تعالى او صاروا احقاء به من قولهم باء
فلان بفلان اي حقيقا بان يقتل بمقابلته ومنه قول من قال بؤ بشسع نعل كليب واصل البوء المساواة
ذلك اشارة الى ما سلف من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب العظيم بانهم بسبب انهم كانوا
يكفرون على الاستمرار بآيات الله الباهرة التي هي المعجزات الساطعة على يد موسى عليه السلام
مما عد وما لم يعد ويقتلون النبيين بغير الحق كشعيا وزكرياء ويحيى وفائدة التقييد مع ان قتل الانبيا

يستحيل ان يكون بحق الايمان بان ذلك عندهم بغير الحق اذ لم يكن احد معتقدا بحقيته قتل
احد منهم عليهم السلام وانما حملهم على ذلك حب الدنيا واتباع الهوى والغلو في العصيان والاعتدا
كما يفصح عنه قوله تعالى ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي جرهم العصيان والتمادي في العدوان
الى ما ذكر من الكفر وقتل الانبياء عليهم السلام وان صغار الذنوب اذا دوام عليها ادت الى كبارها
كما ان صغار الطاعات مودية الى تحري كبارها وقيل كررت للدلالة على ان ما لحقهم كما انه بسبب
الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم حدود الله تعالى وقيل الاشارة الى القتل
والكفر والباء بمعنى مع ويجوز الاشارة الى المتعدد بالمفرد بتاويل ما ذكر او تقدم كما في قول رؤبة
ابن العجاج • فيها خطوط من سواد وبلق • كانه في الجلد توليع البهق • اي كان ما ذكر والذي حسن
ذلك في المفردات والمبهمات ان تثنيتها وجمعها ليسا على الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعنى الذين ان
الذين آمنوا بالسنتهم فقط لا تجدي بهم نفعا اصلا ولا ينقذهم من ورطة الكفر قطعا والذين هادوا
اي تهودوا من هاد اذا دخل في اليهودية ويهود اما عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك حين تابوا عن
عبادة العجل وخصوا به لما كانت توبتهم توبة هايلة واما معرب يهوذا كانهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب
عليه السلام والنصارى جمع نصران كندامى جمع ندمان يقال رجل نصران وامراة نصرانة والياء في نصراني
للمبالغة كما في احمري سموا بذلك لانهم نصروا المسيح عليه السلام او لانهم كانوا في قرية يقال لها فسموا
باسمها او نسبوا اليها والياء للنسبة وقال الخليل واحد النصارى نصري كمهري ومهارى والصابئين
هم قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عليه السلام وقيل هم عبدة الملائكة وقيل
عبدة الكواكب فهو ان كان عربيا فمن صبا اذا خرج من دين الى آخر وقرئ بالياء اما بالتخفيف
واما لانه من صبا اذا مال لما انهم مالوا عن ساير الاديان الى ما هم فيه او من الحق الى الباطل من آمن
بالله واليوم الآخر اي من احدث من هذه الطوايف ايمانا خالصا بالمبدا والمعاد على الوجه اللايق
وعمل عملا صالحا حسبما يقتضيه الايمان بما ذكر فلهم بمقابلة ذلك اجرهم الموعود لهم عند ربهم
اي مالك امرهم ومبلغهم الى كمالهم اللايق فمن اما في محل الرفع على الابتدا خبره جملة فلهم اجرهم
عند ربهم والفاء لتضمن الموصول معنى الشرط كما في قوله تعالى ان الذين فتنوا المومنين الاية وجمع الضماير
الثلاثة باعتبار معنى الموصول كما ان افراد ما في الصلة باعتبار لفظه والجملة كما هي خبر ان والعايد
الى اسمها محذوف اي من آمن منهم الى اخره واما في محل النصب على البدلية من اسم ان وما عطف عليه
وخبرها فلهم اجرهم وعند متعلق بما تعلق به لهم من معنى الثبوت وفي اضافته الى الرب المضاف
الى ضميرهم مزيد لطف بهم وايذان بان اجرهم متيقن الثبوت ومامون من الفوات ولا خوف عليهم
عطف على جملة فلهم اجرهم اي لا خوف عليهم حين يخاف الكفار العقاب ولا هم يحزنون حين يحزن
المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب والمراد بيان انتفايهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر
في الجملة الثانية مضارعا لما مر من ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب
المقام هذا وقيل المراد بالذين آمنوا المتدينون بدين الاسلام المخلصون منهم والمنافقون
فحينئذ لا بد من تفسير من آمن بمن اتصف منهم بالايمان الخالص بالمبدا والمعاد على الاطلاق
سواء كان ذلك بطريق الثبات والدوام عليه كايمان المخلصين او بطريق احداثه وانشائه كايمان
من عداهم من المنافقين وساير الطوايف وفايدة التعميم للمخلصين مزيد ترغيب الباقين في الايمان
ببيان ان تاخرهم في الاتصاف به غير مخل بكونهم اسوة لاوليك الاقدمين في استحقاق الاجر
وما يتبعه من الامن الدايم واما ما قيل في تفسير من كان منهم في دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه

الاشارة

معه

بالمبدا

بالمبدا والمعاد عاملا بما يقتضي شرعه فمما لا سبيل اليه اصلا لان مقتضى المقام هو الترغيب في دين الاسلام
واما بيان حال من مضى على دين آخر قبل انتساخه فلا ملابسة له بالمقام قطعا بل ربما يخل بمقتضاه من حيث
دلالته على حقيته في زمانه في الجملة على ان المنافقين والصابئين لا يتسنى في حقهم ما ذكر اما
المنافقون فان كانوا من اهل الشرك فالامر بين وان كانوا من اهل الكتاب فمن مضى منهم قبل النسخ
ليسوا منافقين واما الصابئون فليس لهم دين يجوز رعايته في وقت من الاوقات ولو سلم ان كان
لهم دين سماوي ثم خرجوا عنه فمن مضى من اهل ذلك الدين قبل خروجهم منه ليسوا من الصابئين
فكيف يمكن ارجاع الضمير الرابط بين اسم ان وخبرها اليهم او الى المنافقين وارتكاب ارجاعه
الى مجموع الطوايف من حيث هو مجموع لا الى كل واحدة منها قصدا الى درج الفريق المذكور فيه ضرورة
ان من كان من اهل الكتاب عاملا بمقتضى شرعه قبل نسخه من مجموع الطوايف بحكم اشتماله على اليهود
والنصارى وان لم يكن من المنافقين والصابئين مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله على ان المخلصين
مع اندراجهم في حيز اسم ان ليس لهم في حيز خبرها عين ولا اثر فتامل وكن على الحق المبين واذ اخذنا ميثاقكم
تذكير لجناية اخرى لاسلافهم اي واذكروا وقت اخذنا ميثاقكم بالمحافظة لما في التورية ورفعنا فوقكم الطور
عطف على اخذنا او حال اي وقد رفعنا فوقكم الطور كانه ظلة روي ان موسى عليه السلام لما جاءهم
بالتورية فراوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم فابوا قبولها فامر جبريل عليه السلام فقطع الطور
فظلله عليهم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه
اي احفظوه ولا تنسوه وتفكروا فيه فانه ذكر بالقلب واعملوا به لعلكم تتقون لكي تتقوا المعاصي
وتنجوا من هلاك الدارين او رجاء منكم ان تنتظموا في سلك المتقين او طلب لذلك وقد مر تحقيقه
ثم توليتم اي اعرضتم عن الوفا بالميثاق من بعد ذلك من اخذ ذلك الميثاق الموكد فلولا فضل الله عليكم ورحمته
بتوفيقكم للتوبة او بمحمد صلى الله عليه وسلم حيث يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه لكنتم من الخاسرين
اي المغبونين بالانهماك في المعاصي والخبط في مهاوي الضلال عند الفترة وقيل لولا فضله تعالى عليكم
بالامهال وتاخير العذاب لكنتم من الهالكين وهو الانسب بعده وكلمة لولا اما بسيطة واما مركبة
من لو الامتناعية وحرف النفي ومعناها امتناع الشيء لوجود غيره كما ان لو لامتناعه لامتناع غيره والاسم
الواقع بعدها عند سيبويه مبتدا خبره محذوف وجوبا لدلالة الحال عليه وسد الجواب مسده
والتقدير لولا فضل الله حاصل وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف اي لولا ثبت فضل الله عليكم ولقد
علمتم عرفتم الذين اعتدوا منكم في السبت روي انهم امروا ان يمحضوا يوم السبت العبادة ويتجردوا لها
ويتركوا الصيد فاعتدى فيه اناس منهم في زمن داود عليه السلام فاشتغلوا بالصيد وكانوا يسكنون قرية
بساحل البحر يقال لها ايلة فاذا كان يوم السبت لم يبق في البحر حوت الا برز واخرج خرطومه فاذا مضى
تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم
الاحد فالمعنى وبالله لقد علمتموهم من قبيل جناياتهم ما فعلوا فلم نمهلهم ولم نؤخر عقوبتهم بل عجلناها
فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين اي جامعين بين صورتي القردة والخسوء وهو الطرد والصغار على
خاسئين نعت لقردة وقيل حال من اسم كونوا عند من يجوز عمل كان في الظرف والحال وفي ضمير المستكن في قردة
لانه في معنى ممسوخين وقال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار يحمل اسفارا
والمراد بالامر بيان سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما اراده عز وجل وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الرا
وخاسين بغير همز فجعلناها اي المسخة والعقوبة نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه وتردعه
ومنه النكل للقيد لما بين يديها وما خلفها لما قبلها وما بعدها من الامم اذا ذكرت حالهم في زبر

الاولين واشتهرت قصتهم في الاخرين او لمعاصرهم ومن بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما تباعد
عنها او لاهل تلك القرية وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تاخر منها **وموعظة للمتقين**
من قومهم او لكل متق سمعها **واذ قال موسى لقومه** توبيخ آخر لاخلاف بني اسرائيل بتذكير بعض جنايات صدرت
من اسلافهم اي واذكروا وقت قول موسى عليه السلام لاجدادكم **ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة** وسببه انه
كان في بني اسرائيل شيخ موسر فقتله بنو اعمه طمعا في ميراثه فطرحوه على باب المدينة ثم جاؤا يطلبون بدمه
فامرهم الله تعالى ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها فيحيى فيخبرهم بقاتله **قالوا** استيناف وقع جوابا
عما ينساق اليه الكلام كانه قيل فماذا صنعوا هل سارعوا الى الامتثال اولا فقيل **اتتخذنا هزوا** بضم الزاي
وقلب الهمزة واوا وقرئ بالهمزة مع الضم والسكون اي تجعلنا مكان هزؤ او مهزوا بنا او الهزء نفسه
استبعادا لما قاله واستخفافا به **قال** استيناف كما سبق **اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين** لان الهزء في اثناء
تبليغ امر الله تعالى جهل وسفه نفى عنه عليه السلام ما توهموه من قبله على ابلغ وجه وآكده باخراجه مخرج ما لا
مكروه وراه بالاستعاذة منه استفظاعا له واستعظاما لما اقدموا عليه من العظيمة التي شافهوه عليه افضل
الصلوة والسلام بها **قالوا** استيناف كما مر كانه قيل فماذا قالوا بعد ذلك فقيل توجهوا نحو الامتثال
وقالوا **ادع لنا** اي لاجلنا **ربك يبين لنا ما هي** ما مبتدا وهي خبره والجملة في حيز النصب بيبين اي يبين لنا
جواب هذا السؤال وقد سالوا عن حالها وصفتها لما قرع اسماعهم ما لم يعهدوه من بقرة ميتة يضرب
ببعضها ميت فيحيى فان ما وان شاعت في طلب مفهوم الاسم والحقيقة كما في ما الشارحة والحقيقية لكنها قد يطلب
بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال طبيب او عالم وقيل كان حقه ان يستفهم باي لكنهم لما رأوا ما امروا
به على حالة مغايرة لما عليه الجنس اخرجوه عن الحقيقة فجعلوه جنسا على حياله **قال** اي موسى عليه السلام
بعد ما دعا ربه عز وجل واتاه الوحي **انه** تعالى **يقول انها بقرة** اي البقرة المامور بذبحها **لا فارض ولا بكر** اي
لا مسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا اي اسنت من الفرض بمعنى القطع كانها قطعت سنها وبلغت
آخرها وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة والباكورة **عوان** نصف لا ضخم ولا ضرع قال • طوال مثل اعناق
الهوادي • نواعم بين ابكار وعون **بين ذلك** اشارة الى ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف
بين لاختصاصه بالاضافة الى المتعدد **فافعلوا** امر من جهة موسى عليه السلام متفرع على ما قبله من
بيان صفة المامور به **ما تؤمرون** اي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به كما في قوله • امرتك الخير فافعل ما امرت به
فان حذف الجار قد شاع في هذا الفعل حتى لحق بالافعال المتعدية الى مفعولين وهذا الامر منه عليه السلام
لحثهم على الامتثال وزجرهم عن المراجعة ومع ذلك لم يقتنعوا به وقوله تعالى **قالوا** استيناف كما مر كانه
قيل ماذا صنعوا بعد هذا البيان الشافي والامر المكرر فقيل هنا **ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها** حتى تتبين لنا
البقرة المامور بذبحها **قال** اي موسى عليه السلام بعد المناجاة الى الله تعالى ومجيء البيان **انه** تعالى
يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها اسناد البيان في كل مرة الى الله تعالى لاظهار كمال المساعدة في اجابة مسؤلهم
بقولهم يبين لنا وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة والفقوع نصوع الصفرة وخلوصها ولذلك يؤكد
به ويقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك واحمر قانئ في اسناده الى اللون مع كونه من احوال الملون
لملابسته به ما لا يخفى من فضل تاكيد كانه قيل صفراء شديد الصفرة صفرتها وعن الحسن رضي الله عنه سوداء
شديدة السواد وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر وقيل لعل التعبير عن السواد بالصفرة لما انها من
مقدماته واما لان سواد الابل يعلوه صفرة ويأباه وصفها بقوله تعالى **تسر الناظرين** كما يأباه وصفها
بفقوع اللون والسرور لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه من السر عن علي رضي الله عنه من لبس
نعلا صفراء قل همه **قالوا** استيناف كنظائره **ادع لنا ربك يبين لنا ما هي** زيادة استكشاف

عن

عن حالها كانهم سالوا بيان حقيقتها بحيث تمتاز عن جميع ما عداها مما تشاركها الاوصاف المذكورة
والاحوال المشروحة في اثناء البيان ولذلك عللوه بقولهم **ان البقر تشابه علينا** يعنون ان الاوصاف
المعدودة يشترك فيها كثير من البقر ولا نهتدي الى تشخيص ما هو المذكور ولذلك لم يقولوا ان البقرة
تشابهت ايذانا بان النعوت المعدودة ليست بمشخصة للمامور بها بل صادقة على سائر اصناف
الجنس وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر والبواقر ويتشابه بالياء والتاء وشابه
بطرح التاء والادغام على التذكير والتانيث وتشابهت مخففا ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه وتشبه
بالتذكير ومتشابه ومتشابهة ومتشبه وفيه دلالة على انهم ميزوها عن بعض ما عداها في الجملة
وانما بقي اشتباه بشرف الزوال كما ينبئ عنه قولهم **وانا ان شاء الله لمهتدون** موكدة بوجوه من التاكيد اي
لمهتدون بما سالنا من البيان الى المامور بذبحها وفي الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد
قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث اي لم تذلل للكراب وسقي الحرث ولا ذلول صفة لبقرة
بمعنى غير ذلول ولا الثانية لتاكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ
لا ذلول بالفتح حيث هي بقولك برجل لا بخيل ولا جبان اي حيث هو وقرئ تسقي من اسقى **مسلمة** اي
سلمها الله تعالى من العيوب او اهلها من العمل او اخلص لها لونها من سلم له كذا اذا خلص له ويؤيده قوله
تعالى **لا شية فيها** اي لا لون فيها يخالف لون جلدها حتى قرنها وظلفها والاصل مصدر وشاه وشيا
وشية اذا خلط بلونه لونا آخر **قالوا** عندما سمعوا هذه النعوت اي بحقيقة وصف البقرة بحيث ميزتها
عن جميع ما عداها ولم يبق لنا في شانها اشتباه اصلا بخلاف المرتين الاولتين فان ما جيت فيهما لم يكن في
التعيين بهذه الرتبة ولعلهم كانوا قبل ذلك قد راوها ووجدوها جامعة لجميع ما فصل من الاوصاف
المشروحة في المراتب الثلاث من غير مشارك لها في الاخيرة المرة والا فمن اين عرفوا اختصاص النعوت
الاخيرة بها دون غيرها وقرئ الآن بالمد على الاستفهام والان بحذف الهمزة والقاء حركتها **فذبحوها**
الفاء فصيحة كما في فانفجرت اي فحصلوا البقرة فذبحوها **وما كادوا يفعلون** كاد من افعال المقاربة
وضع لدنو الخبر من الحصول والجملة حال من ضمير ذبحوا اي فذبحوها والحال انهم كانوا قبل ذلك بمعزل
منه او اعتراض تذييلي ومآله استثقال استقصائهم وانه لفرط تطويلهم وكثرة مراجعاتهم ما كاد ينتهي
خيط اسهابهم فيها قيل مضى من اول الامر الى الامتثال اربعون سنة وقيل ما كانوا يفعلون ذلك لغلاء
ثمنها روي انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم استودعها لابني حتى يكبر
وكان برا بوالديه فشب وشبت العجلة فكانت من احسن البقر واسمنها فساوموها اليتيم حتى
اشتروها بملء مسكها ذهبا لما كانت وحيدة للصفات المذكورة وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير
واعلم انه لا خلاف في ان مدلول ظاهر النظم الكريم بقرة مطلقة مبهمة وان الامتثال في آخر الامر
انما وقع بذبح بقرة معينة حتى لو ذبحوا غيرها ما خرجوا عن عهدة الامر لكن اختلف في ان المراد المامور به
ابتداء هو المعينة وقد اخر البيان عن وقت الخطاب او المبهمة ثم لحقها التغيير الى المعينة بسبب
تثاقلهم في الامتثال وتماديهم في التعمق والاستكشاف فذهب بعضهم الى الاول تمسكا بان الضمائر
في الاجوبة اعني انها بقرة الى آخره للمعينة قطعا ومن قضيته ان يكون في السؤال ايضا كذلك ولا ريب
في ان السؤال انما هو عن البقرة المامور بذبحها فتكون هي المعينة وهو مدفوع بانهم لما تعجبوا من بقرة
ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى ظنوها معينة خارجة عما عليه الجنس من الصفات والخواص فسالوا
عنها فرجعت الضمائر الى المعينة في زعمهم واعتقادهم فعينها الله تعالى تشديدا عليهم وان لم يكن
المراد من اول الامر هي المعينة والحق انها كانت في اول الامر مبهمة بحيث لو ذبحوا اية بقرة كانت لحصل

واستبطائهم

الامتثال بدلالة ظاهر النظم الكريم وتكرير الامر قبل بيان اللون وما بعده من كونها مسلمة الى آخره وقد
قال عليه السلام لو اعترضوا ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم روي مثله عن رئيس المفسرين عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما ثم رجح الحكم الاول منسوخا بالثاني والثاني بالثالث تشديدا عليهم لكن لا على وجه ارتفاع
حكم المطلق بالكلية وانتقاله الى المعين بل على طريقة تقييده وتخصيصه به شيئا فشيئا كيف لا ولو لم
يكن كذلك لما عدت مراجعاتهم المحكية من قبيل الجنايات بل من قبيل العبادات فان الامتثال بالامر
بدون الوقوف على المأمور مما لا يكاد يتسنى فيكون سؤالاتهم من باب الاهتمام بالامتثال واذ قتلتم نفسا
منصوب بمضمر كما مرت نظائره والخطاب لليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم واسناد القتل
والمدارأة اليهم لما مر من نسبة جنايات الاسلاف الى الاخلاف توبيخا واختصاصها بالاسناد دون ما مر من
هناتهم لظهور قبح القتل واسناده الى الغير اي اذكروا وقت قتلكم نفسا محرمة فادارأتم فيها اي تخاصمتم
في شأنها اذ كل واحد من الخصماء يدافع الآخر او تدافعتم بان طرح كل واحد قتلها الى آخر واصله تدارأتم فادغمت
التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل والله مخرج ما كنتم تكتمون اي مظهر لما تكتمونه لا محالة والجمع بين
صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار وانما عمل مخرج لانه حكاية حال ماضية فقلنا اضربوه عطف
على فادارأتم وما بينهما اعتراض والالتفات لتربية المهابة للنفس والتذكير باعتبار انها عبارة عن الرجل
او بتأويل الشخص او القتيل ببعضها اي ببعض البقرة اي بعض كان وقيل باصغريها وقيل بلسانها وقيل
بفخذها اليمنى وقيل باذنها وقيل بعجبها وقيل بالعظم الذي يلي الغضروف وهذا اول القصة كما ينبئ عنه
الضمير الراجع الى البقرة كانه قيل واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة فاضربوه ببعضها
وانما غير الترتيب عند الحكاية لتكرير التوبيخ وتثنية التقريع فان كل واحد من قتل النفس المحرمة والاستهزاء
برسول الله صلى الله عليه وسلم والافتيات على امره وترك المسارعة الى الامتثال به جناية عظيمة حقيقة
بان تنعى عليهم بحيالها ولو حكيت القصة على ترتيب الوقوع لما علم استقلال كل منها بما يخص بها من التوبيخ
وانما حكي الامر بالذبح عن موسى عليه السلام مع انه من الله تعالى كالامر بالضرب لما ان جناياتهم كانت بمراجعتهم
اليه عليه السلام والافتيات على رأيه كذلك يحيي الله الموتى على ارادة قول معطوف على مقدر ينسحب عليه
الكلام اي فضربوه فحيي قلنا كذلك الى آخره فحذفت الفاء الفصيحة في فحيي مع ما عطف عليه لدلالة
كذلك على ذلك فالخطاب في كذلك حينئذ للحاضرين عند حكاية القتيل ويجوز ان يكون للحاضرين
عند نزول الآية الكريمة فلا حاجة حينئذ الى تقدير القول بل تنتهي الحكاية عند قوله تعالى ببعضها
مع ما قدر بعده فالجملة معترضة اي مثل ذلك الاحياء العجيب يحيي الله الموتى يوم القيمة ويريكم آياته
ودلائله الدالة على انه تعالى على كل شيء قدير ويجوز ان يراد بالآيات هذا الاحياء والتعبير عنه بالجمع لاشتماله
على امور بديعة من ترتيب الحياة على عضو ميت واخباره بقاتله وما يلابسه من الامور الخارقة للعادات
لعلكم تعقلون اي لكي يكمل عقولكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس كلها او تعملوا
على قضية عقولكم ولعل الحكمة في اشتراط ما اشترط في الاحياء مع ظهور كمال قدرته على احيائه ابتداء بلا
واسطة اصلا اشتماله على التقرب الى الله تعالى واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل على الله
تعالى والشفقة على الاولاد ونفع بر الوالدين وان من حق الطالب ان يقدم قربة ومن حق المتقرب ان يتحرى
الاحسن ويتغالى بثمنه كما يروى عن عمر رضي الله عنه انه ضحى بنجيبة اشتراها بثلاثمائة دينار وان المؤثر هو
الله تعالى وانما الاسباب امارات لا تأثير لها وان من رام ان يعرف اعدى عدوه الساعي في اماتته الموت
الحقيقي فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التي هي قوته الشهوية حين زال عنها شره الصبا ولم يلحقها ضعف
الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا سمة فيها من قبائحها

بحيث يتصل اثره الى نفسه فيحيى بها حيوة طيبة ويعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل
والوهم والجدال ثم قست قلوبكم الخطاب لمعاصري النبي صلى الله عليه وسلم والقسوة عبارة عن
الغلظ والجفا والصلابة كما في الحجر استعيرت لنبو قلوبهم عن التأثر بالعظات والقوارع التي تميع
منها الجبال ويلين بها الصخور وايراد الفعل المفيد لحدوث القساوة مع ان قلوبهم لم تزل قاسية
لما ان المراد بيان بلوغهم الى مرتبة مخصوصة من مراتب القساوة حادثة واما لان الاستمرار على
شيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه امر جديد وصنع حادث وثم لاستبعاد القسوة بعد مشاهدة
ما يزيلها كقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون من بعد ذلك اشارة الى ما ذكر من احياء القتيل
او الى جميع ما عدد من الآيات الموجبة للين القلوب وتوجيهها نحو الحق اي من بعد سماع ذلك
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته وعلو طبقته وتوحيد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين
اما بتأويل الفريق او لان المراد مجرد الخطاب لا تعيين المخاطب كما هو المشهور فهي كالحجارة في القساوة
او اشد منها قسوة اي هي في القسوة مثل الحجارة او زائدة عليها فيها او انها مثلها او مثل ما هو اشد
منها قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده القراءة بالجر عطفا على
الحجارة وايراد الجملة اسمية مع ما سبق فعلية للدلالة على استمرار قساوة قلوبهم والفاء اما
لتفريع مشابهتها على ما ذكر من القساوة تفريع التشبيه على بيان وجه الشبه في قولك احمر
خده فهو كالورد واما للتعليل كما في قولك اعبد ربك فالعبادة حق له وانما لم يقل اقسى منها
لما في التصريح بالشدة من زيادة مبالغة ودلالة ظاهرة على اشتراك القسوتين في الشدة
واشتمال المفضل على زيادة واو للتخيير او للترديد بمعنى من عرف حالها شبهها بالحجارة او قال هي
اقسى من الحجارة وترك ضمير المفضل عليه لامن من الالتباس وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار بيان لاشدية
قلوبهم من الحجارة في القساوة وعدم التأثر واستحالة صدور الخير منها يعني ان الحجارة ربما تتأثر حيث
يكون منها ما يتفجر منه المياه العظيمة وان منها لما يشقق اي يتشقق فيخرج منه الماء اي العيون
وان منها لما يهبط من خشية الله اي يتردى من الاعلى الى الاسفل بقضية ما اودعها الله تعالى فيها من
الثقل الداعي الى المركز وهو مجاز من الانقياد لامره تعالى والمعنى ان الحجارة ليس منها فرد الا وهو منقاد
لامره عز وجل آت بما خلق له من غير استعصاء وقلوبهم كذلك فتكون اشد منها قسوة لا محالة واللام
في لما لام الابتداء دخلت على اسم ان لتقدم الخبر وقرئ ان على انها مخففة من الثقيلة واللام
فارقة وقرئ يهبط بالضم وما الله بغافل عما تعملون عن متعلقة بغافل وما موصولة والعائد اليها محذوف
او مصدرية وهو وعيد شديد على ما هم عليه من قساوة القلوب وما يترتب عليها من الاعمال
وقرئ بالياء على الالتفات قوله تعالى افتطمعون تلوين الخطاب وصرف له عن اليهود اثر ما عددت
هناتهم ونعيت عليهم جناياتهم الى النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين والهمزة لانكار الواقع
واستبعاد كما في قولك اتضرب ابي والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه نظام
الكلام لكن لا على تقييد وجه الانكار الى المعطوفين معا كما في افلا تبصرون على تقدير المعطوف عليه
منفيا اي الا تنظرون فلا تبصرون فالمنكر كلا الامرين بل الى ترتيب الثاني على الاول مع وجوب ان
يترتب عليه نقيضه اي اتسمعون اخبارهم وتعلمون احوالهم فتطمعون ومآل المعنى ابعد ان
علمتم تفاصيل شؤونهم المؤيسة عنهم تطمعون ان يؤمنوا فانهم متمايلون في شدة الشكيمة والاخلاق
الذميمة لا يتأتى منهم خلافهم الا مثل ما اوتي من اسلافهم وان مصدرية حذف عنها الجار في ان يؤمنوا
وهي مع ما في حيزها في محل النصب او الجر على الخلاف والمعروف اللام في لكم لتضمين معنى الاستجابة

كافي قوله تعالى فامن له لوط اي في ايمانهم مستجيبين لكم او للتعليل اي في ان يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم
وصلة الايمان محذوف لظهور ان المراد به معناه وستقف على ما فيه من المزية باذن الله تعالى وقد كان فريق منهم
الفريق اسم جمع لا واحد له من لفظه كالرهط والقوم والجار والمجرور في محل الرفع اي فريق كائن منهم وقوله
تعالى يسمعون كلام الله خبر كان وقرئ كلم الله والجملة حالية موكدة للانكار حاسمة لمادة الطمع مثل احوالهم
الشنيعة المحكية فيما سلف على منهاج قوله تعالى وهم لكم عدو بعد قوله افتتخذونه وذريته اولياء من
دوني اي والحال اي طائفة منهم قال ابن عباس رضي الله عنهما هم قوم من السبعين المختارين للميقات
كانوا يسمعون كلام الله تعالى حين كلم موسى عليه السلام وما امر به ونهى عنه ثم يحرفونه عن مواضعه
لا لقصور فهمهم عن الاحاطة بتفاصيله على ما ينبغي لاستيلاء الدهشة والمهابة حسبما يقتضيه مقام
الكبريا بل من بعد ما عقلوه اي فهموه وضبطوه بعقولهم ولم يبق لهم في مضمونه ولا في كونه كلام رب
العزة ريبة اصلا فلما رجعوا الى قومهم اداه الصادقون اليهم كما سمعوه وهولاء يقولون سمعنا الله
تعالى يقول في آخر كلامه ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشيا فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا باس
فثم للتراخي زمانا او رتبة وقال القفال سمعوا كلام الله وعقلوا مراده تعالى منه فاولوه تاويلا
فاسدا وقيل هم روساء اسلافهم الذين تولوا تحريف التورية بعد ما احاطوا بما فيها علما وقيل هم الذين
غيروا نعت النبي صلى الله عليه وسلم في عصره وبدلوا اية الرجم ويأباه الجمع بين صفتي الماضي والمستقبل
الدال على وقوع السماع والتحريف فيما سلف الا ان يحمل ذلك على تقدمه على زمان نزول الاية الكريمة
على تقدمه على عهده صلى الله عليه وسلم هنا والاول هو الانسب بالسماع والكلام اذ التورية وان
كان كلام الله تعالى لكنها باسم الكتاب اشهر واثر التحريف فيه اظهر ووصف اليهود بتلاوتها اكثر لاسيما
روساوهم المباشرون للتحريف فان وظيفتهم للتلاوة دون السماع فكان الانسب حينئذ ان يقال
يتلون كتاب الله تعالى فالمعنى افتطمعون في ان يومنوا هولاء بواسطتكم ويستجيبوا لكم والحال ان
اسلافهم الموافقين لهم في خلال السوء كانوا يسمعون كلام الله تعالى بلا واسطة ثم يحرفونه بعد ما علموه
يقينا ولا يستجيبون له هيهات ومن هاهنا ظهر ما في ايثار لكم على بالله من الفخامة والجزالة قوله تعالى
وهم يعلمون جملة حالية من فاعل يحرفونه مفيدة لكمال قباحة حالهم موذنة بان تحريفهم ذلك لم يكن بناء
على نسيان ما عقلوه وعلى الخطا في بعض مقدماته بل كان ذلك حال كونهم عالمين له مستحضرين للشناعة
المونسية عن ايمانهم من نفاق بعض وعقاب اخرين عليهم او معطوفة على ما سبق من الجملة الحالية
والضمير لليهود كما ستقف على سره لا لمنافقيهم خاصة كما قيل تحريا للاتحاد الفاعل في فعلي الشرط والجزا
حقيقة واذا لقوا الذين امنوا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا اي اللاقون لك بطريق
تصدي الكل للقول حقيقة بل بمباشرة منافقيهم وسكوت الباقين كما يقال بنوا فلان قتلوا فلانا
والقائل واحد منهم وهذا ادخل في تقبيح حال الساكتين ثانيا لما فيه من الدلالة على نفاقهم واختلاف
احوالهم وتناقض ارائهم من اسناد القول الى المباشرين بتقدير المضاف اي قال منافقوهم
امنا لم يقتصروا على ذلك بل عللوه بانهم وجدوا نعت النبي صلى الله عليه وسلم في التورية وعلموا انه
النبي المبشر به وانما لم يصرح به تعويلا على شهادة التوبيخ الاتي واذا خلا بعضهم اي بعض المذكورين
وهم الساكتون منهم اي اذا فرغوا عن الاشتغال بالمومنين متوجهين ومنضمين الى بعض اخر منهم
وهم منافقوهم بحيث لم يبق معهم غيرهم وهذا نص على اشتراك الساكتين في لقاء المومنين كما اشير
اليه انفا اذ الخلو انما يكون عند الاشتغال ولان عتابهم معلق بمحض الخلو ولولا انهم حاضرون
عند المقاولة لوجب ان يحصل سماعهم لها من تمام الشرط ولان فيه زيادة تشنيع لهم على ما اتوا من

السكوت ثم العتاب قالوا اي الساكتون موبخين لمنافقيهم على ما صنعوا اتحدثونهم يعنون المومنين
بما فتح الله عليكم ما موصولة والعايد محذوف اي بينه لكم خاصة في التورية من نعت النبي صلى الله
عليه وسلم والتعبير عنه بالفتح للايذان بانه سر مكنون وباب مغلق لا يقف عليه احد وتجويز
كون هذا التوبيخ من جهة المنافقين لاعقابهم ارادة للتصلب في دينهم كما ذهب اليه عصابة
مما لا يليق بشان التنزيل الجليل واللام في قوله عز وجل ليحاجوكم به متعلق بالتحديث دون الفتح والمراد
تاكيد النكير وتشديد التوبيخ فان التحديث بذلك وان كان منكرا في نفسه لكن التحديث لاجل هذا
الغرض مما لا يكاد يصدر عن العاقل اي تحدثونهم بذلك ليحتجوا عليكم به فيبكتوكم وان لم يحولوا
حول ذلك الغرض لكن فعلهم ذلك لما كان مستتبعا له البتة جعلوا فاعلين للغرض المذكور
اظهارا لكمال سخافة عقولهم وركاكة ارائهم عند ربكم اي في حكمه وكتابه كما يقال هو من عند الله كذا
في كتابه وشرعه وقيل عند ربكم يوم القيمة ورد عليه بان الاخفا لا يدفعه اذ هم عالمون بانهم محجوجون
يومئذ حدثوا به ولم يحدثوا والاعتذار بان الزام المومنين اياهم وتبكيتهم بان يقولوا لهم الم تحدثونا
بما في كتابكم في الدنيا من حقيقة ديننا وصدق نبينا افحش فيجوز ان يكون المحذور عندهم هذا الالزام بارجاع
الضمير في به الى التحديث دون المحدث به ولا ريب في انه مدفوع بالاخفا لا يساعده الاية الكريمة
الابية كما ستقف عليه باذن الله تعالى افلا تعقلون من تمام التوبيخ والعتاب والفاء للعطف
على مقدر ينسحب عليه الكلام اي الا تلاحظون فلا تعقلون هذا الخطاء الفاحش او شيا من الاشيا
التي من جملتها هذا فالمنكر عدم التعقل ابتداء او فلا تعقلون هذا واما ما قيل انه خطاب من جهة الله
تعالى للمومنين متصل بقوله تعالى افتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم او لا مطمع لكم في ايمانهم
فيأباه قوله تعالى افلا يعلمون الخ فانه الى اخره تجهيل لهم من جهته تعالى فيما حكي عنهم فيكون ايراد خطاب
المومنين في اثنائه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه على انه في تخصيص الخطاب بالمومنين من التعسف
وفي تعميمه ايضا للنبي صلى الله عليه وسلم كما في افتطمعون من سوء الادب ما لا يخفى والهمزة للانكار
والتوبيخ كما قبلها والواو للعطف على مقدر ينساق اليه الذهن والضمير للموبخين اي ايلومونهم على
التحديث المذكور مخافة المحاجة ولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون اي يسرونه فيما بينهم من المومنين او
ما يضمرونه في قلوبهم فيثبت الحكم في ذلك بالطريق الاولى وما يعلنون اي يظهرونه للمومنين
او لاصحابهم حسب ما سبق فحينئذ يظهر الله للمومنين ما ارادوا اخفاءه بواسطة الوحي الى النبي
صلى الله عليه وسلم فيحصل المحاجة ويقع التبكيت كما وقع في اية الرجم وتحريم بعض المحرمات عليهم فاي فايدة
في اللوم والعتاب ومن هاهنا تبين ان المحذور عندهم هو المحاجة بما فتح الله عليهم وهي حاصلة في الدارين
حدثوا به او لا لا بالتحديث به حتى يندفع بالاخفا وقيل الضمير للمنافقين فقط او لهم وللموبخين او
لابائهم المحرفين اي ايفعلون ما يفعلون ولا يعلمون ان الله يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن
جملته قدم الاسرار على الاعلان للايذان بافتضاحهم اسرارهم الكفر واظهارهم الايمان واخفاء ما
فتح الله عليهم واظهار غيره وكتم امر الله واظهار ما اظهروه افتراء وانما قدم الاسرار على الاعلان للايذان
بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه من اول الامر والمبالغة في بيان شمول علمه المحيط بجميع المعلومات
كان علمه بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه مع كونهما في الحقيقة على السوية فان علمه تعالى بمعلوماته ليس
بطريق حصول صورها ووجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى في هذا المعنى لا يختلف
الحال بين الاشياء البارزة والكامنة ونظيره قوله تعالى قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه
الله حيث قدم فيه الاخفاء على الابداء لما ذكر من السر على عكس ما وقع في قوله تعالى وان تبدوا ما في

او لا تعقلون ان الله لا تعقلون بطلانه مع وضوحه حتى يحتاجوا الى التنبيه عليه فالمنكر حينئذ عدم التعقل بعد التنبيه ع

انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فان الاصل في تعلق المحاسبة هو الامور البادية دون الخافية ويجوز ان يكون ذلك باعتبار ان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر في القلب يتعلق به الاسرار غالبا فتعلق علمه بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية **ومنهم اميون** وقرئ بتخفيف اليا جمع امي وهو من لا يقدر على الكتابة والقراءة واختلف في نسبته فقيل الى الام بمعنى انه شبيه بها في الجهل بالكتابة والقراءة فانهما ليستا من شؤن النساء بل من خلال الرجال او بمعنى انه على الحالة التي ولدته امه في خلو عن العلم والكتابة وقيل الى الامة بمعنى انه باق على سذاجتها خال عن معرفة الاشيا كقولهم ٠ حامي على عادة العامة روي عن عكرمة والضحاك ان المراد بهم نصارى العرب وقيل هم قوم من اهل الكتاب رفع كتابهم لذنوب ارتكبوها فصاروا اميين وعن علي رضي الله عنه هم المجوس والحق الذي لا محيد عنه انهم جهلة اليهود والجملة مسوقة لبيان قبائحهم اثر بيان شنايع الطوايف السالفة وقيل معطوفة على الجملة الحالية فان مضمونها مناف لرجاء الخير منهم وان لم يكن فيهم ما يحسم مادة الطمع عن ايمانهم كما في مضمون الجملة الحالية وما بعدها فان الجهل بالكتاب في منافاة الايمان ليس بمثابة تحريف كلام الله بعد سماعه وتعقله العلم بمعانيه كما وقع من الاولين او النفاق والنهي عن اظهار ما في التورية كما وقع من الفريقين الاخيرين اي ومنهم طايفة جهلة غير قادرين على الكتابة والتلاوة **لا يعلمون الكتاب** اي لا يعرفون التورية ليطالعوها ويتحققوا تضاعيفها من دلايل النبوة فيؤمنوا وحمل الكتاب على الكتابة يأباه سباق النظم وسياقه **الا اماني** بالتشديد وقرئ بالتخفيف جمع امنية اصلها امنوية افعولة من منى بمعنى قدر او بمعنى تلا كمني في قوله تمنى كتاب الله اول ليلة فاعلت اعلال سيد وميت ومعناها على الاول وما يقدره الانسان في نفسه ويتمناه على ما يتلوه وعلى التقديرين فالاستثنا منقطع اذ ليس ما يتمنى وما يتلى من جنس علم الكتاب اي لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون اماني حسبما منتهم به احبارهم من ان الله يعفو عنهم وان اباهم الانبياء يشفعون لهم وغير ذلك من امانيهم الفارغة المستندة الى الكتاب على زعم روسائهم او لا يعلمون الكتاب لكن يتلقون قدر ما يتلى عليهم فيلقونه من غير ان يتمكنوا فيه من التدبر فيه واما الايمان على الاكاذيب المختلفة على الاطلاق من غير ان يكون لها ملابسة بالكتاب فلا يساعده النظم الكريم **وان هم الا يظنون** ما هم الا قوم قصارى امرهم الظن والتقليد من غير ان يصلوا الى رتبة العلم فاني ترجى منهم الايمان المؤسس على قواعد اليقين ولما بين حال هؤلاء في تمسكهم بحبال الاماني واتباع الظن عقب بيان حال الذين او قعوهم في تلك الورطة ويكشف كيفية اضلالهم لهم وتعيين مرجع الكل بالاخرة فقيل على وجه الدعاء عليهم **فويل** هو وامثاله من ويح وويس وويب وويه وويك وعول من المصادر المنصوبة بافعال من غير لفظها لا يجوز اظهارها البتة فان اضيف نصب نحو ويلك وويحك واذا فصل عن الاضافة رفع نحو ويل له ومعنى الويل شدة الشر قاله الخليل وقال الاصمعي الويل التفجع والويح الترحم وقال سيبويه ويل لمن وقع في الهلكة وويح زجر لمن اشرف على الهلاك وقيل الويل الحزن وهل ويح وويب وويس بذلك المعنى او بينه وبينها فرق وقيل ويل في الدعاء عليه وويح وما بعده في الترحم عليه وقال ابن عباس رضي الله عنهما الويل العذاب وعن سفيان الثوري انه صديد اهل جهنم وروى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره وقال سعيد بن المسيب انه واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لماعت من شدة حره وقال ابن بريدة جبل قيح ودم وقيل صهريج في جهنم وحكى الزهراوي انه باب من ابواب جهنم وعلى كل حال فهو مبتدا خبره قوله تعالى **للذين يكتبون الكتاب** اي المحرف او ما كتبوه من التاويلات الزايغة **بايديهم** تاكيد لدفع توهم

المجاز

المجاز كقولك كتبته بيميني **ثم يقولون هذا** اي جميعا على الاول وبخصوصه على الثاني **من عند الله** روي ان اليهود خافوا ذهاب ماكلهم وذهاب رياستهم حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فاحتالوا في تعويق اسافل اليهود عن الايمان فعمدوا الى صفة النبي صلى الله عليه وسلم في التورية وكانت هي فيها حسن الوجه اكحل العينين ربعة فغيروها وكتبوا مكانها طوال ازرق سبط الشعر فاذا سالهم سفلتهم عن ذلك قروا ما كتبوا فيجدونه مخالفا لصفته عليه الصلاة والسلام فيكذبونه وثم للتراخي الرتبي فان نسبة المحرف والتاويل والتاما عن المشتري الزايغ الى الله سبحانه اشد شناعة من نفس التحريف والتاويل **ليشتروا به** اي ياخذوا لانفسهم بمقابلته **ثمنا** هو ما اخذوه من الرشا بمقابلة ما فعلوا من التحريف والتاويل وانما عبر عن المشتري الذي هو المقصود بالذات في عقد المعاوضة بالثمن الذي هو وسيلة فيه ايذانا بتعكيسهم حيث جعلوا المقصود بالذات وسيلة والوسيلة مقصودا بالذات **قليلا** لا يعبأ به فان ذلك وان جل في نفسه فهو اقل قليل عند ما استوجبوا من العذاب الخالد **فويل لهم** تكرير لما سبق للتاكيد وتصريح بتعليله بما قدمت ايديهم بعد الاشعار فيما سلف بايراد بعضه في حيز الصلة وبعضه في معرض الغرض والفا للايذان بترتبه عليه ومن في قوله عز وجل **مما كتبت ايديهم** تعليلية متعلقة بويل او بالاستقرار في الخبر وما موصولة اسمية والعايد محذوف اي كتبته او مصدرية والاول ادخل في الزجر عن تعاطي المحرف والثاني في الزجر عن التحريف والتكرير لما مر مرارا **وويل لهم مما يكسبون** الكلام فيه كالكلام فيما قبله والتكرير لما مر من التاكيد والتشديد والقصد الى التعليل لكل من الجانبين وعدم التعرض لقولهم هذا من عند الله لما انه من مبادي ترويج مما كتبت ايديهم فهو داخل في التعليل **وقالوا** بيان لبعض من جناياتهم وفصله عما قبله مشعر بكونه من الاكاذيب التي اختلقوها ولم يكتبوها **لن تمسنا النار** في النار **الا اياما معدودة** قليلة محصورة عدد ايام عبادتهم العجل اربعين يوما مدة غيبة موسى عليه الصلاة والسلام عنهم وحكي عن بعض اليهود ان عدد ايام عبادتهم العجل سبعة وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان اليهود قالوا عمر الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب بكل الف سنة يوما واحدا وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما ان اليهود زعمت انهم وجدوا في التورية ان ما بين طرفي جهنم مسيرة اربعين سنة الى ان ينتهوا الى شجرة الزقوم وانهم يقطعون في كل يوم مسيرة سنة **قل** تبكيتا لهم وتوبيخا **اتخذتم** باسقاط الهمزة المجتلبة لوقوعها في الدرج واظهار الذال وقرئ بادغامها في التا **عند الله عهدا** خبرا او وعدا بما تزعمون فان ما تدعون لا يكون الا بناء على وعد قوي ولذلك عبر عنه بالعهد **فلن يخلف الله عهده** الفاء فصيحة معربة عن شرط محذوف كما في قول من قال ٠ قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا ٠ اي ان كان الامر كذلك فلن يخلفه والجملة اعتراضية واظهار الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم وان عدم الاخلاف من قضية الالوهية واظهار العهد مضافا الى ضميره تعالى لما ذكر او لان المراد به جميع عهوده لعمومه بالاضافة فيدخل فيه العهد المعهود دخولا اوليا وفيه تجاف عن التصريح بتحقيق مضمون كلامهم وان كان معلقا بما لم يكد يشم رايحة الوجود قطعا اعني اتخاذ العهد **ام تقولون** مفترين **على الله ما لا تعلمون** وقوعه وانما علق التوبيخ باسنادهم اليه سبحانه ما لا يعلمون وقوعه مع ان ما اسندوه اليه تعالى من قبيل ما يعلمون عدم وقوعه للمبالغة في التوبيخ والتنكير فان التوبيخ على الادنى مستلزم للتوبيخ على الاعلى بالطريق الاولى وقولهم المحكي وان لم يكن تصريحا بالافترا عليه سبحانه لكنه مستلزم له لان ذلك الجزم لا يكون الا باسناد سببه اليه سبحانه وام اما متصلة للتقرير المودي الى التبكيت لتحقق العلم بالشق الاخير كانه قيل ام لم تتخذوه بل تتقولون عليه واما منقطعة والاستفهام لانكار الاتخاذ ومعنى بل فيها للاضراب والانتقال من التوبيخ بالانكار على اتخاذ العهد الى ما يفيد همزتها من التوبيخ على التقول على

عليهم

الله سبحانه كما في قوله تعالى الله اذن لكم ام على الله تفترون **بلى** الى اخره جواب عن قولهم المحكي وابطال
له من جهته تعالى وبيان لحقيقة الحال تفصيلا في ضمن تسريع كلي شامل لهم ولساير الكفرة وبعد اظهار
كونهم اجمالا وتفويض ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم لما ان المحاجة والالزام من وظايفه عليه الصلاة والسلام
مع ما فيه من الاشعار بانه امر هين لا يتوقف على التوقيف بل حرف ايجاب مختص بجواب النفي خبرا او
استفهاما **من كسب سيئة** فاحشة من السيئات اي كبيرة من الجناير ككاب هولاء الكفرة والكسب
استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة فبشرهم بعذاب اليم **واحاطت به** من جميع جوانبه بحيث
لم يبق له جانب من قلبه وجوارحه الا وقد اشتملت واستولت عليه **خطيئته** التي اكتسبها وصارت
خاصة من خواصه كما ينبئ عنه الاضافة اليه وهذا انما يتحقق في الكافر ولذلك فسرها السلف بالكفر
حسبما اخرجه ابن ابي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما وابي هريرة رضي الله عنه وابن جرير عن ابي وايل
ومجاهد وقتادة وعطا والربيع وقيل السيئة الكفر والخطيئة الكبيرة وقيل بالعكس وقيل الفرق بينهما
ان الاولى قد تطلق على ما يقصد بالذات والثانية تغلب على ما يقصد بالعرض لانها من الخطا وقرئ خطيته
وخطاياه على القلب والادغام فيهما وخطياته وخطاياه وفي ذلك ايذان بكثرة فنون كفرهم **فاولئك** مبتدا
اصحاب النار خبره والجملة خبر للمبتدا والفا لتضمنه مع الشرط وايراد اسم الاشارة المنبي عن استحضار المشار
اليه بما له من الاوصاف للاشعار بعليتها لصاحبية النار وما فيه من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتهم
في الكفر والخطايا وانما اشير اليهم بعنوان الجمعيه مراعات لجانب المعنى في كلمة من بعد مراعات
جانب اللفظ في الضماير لئلا يتبادر لما ان ذلك هو المناسب لما اسند اليهم في تينك الحالتين فان كسب
السيئة واحاطت خطيئته به في حالة الانفراد وصاحبية النار في حالة الاجتماع اي اولئك
الموصوفون بما ذكر من كسب السيئات واحاطت خطاياهم بهم اصحاب النار اي ملازموها في الاخرة
حسب ملازمتهم في الدنيا لما يستوجبها من الاسباب التي من جملتها ما هم عليه من تكذيب ايات الله
تعالى وتحريف كلامه والافترا عليه وغير ذلك وانما لم يخص الجواب بحالهم بان يقال مثلا بلى انهم اصحاب
النار الى اخره لما في التعميم من التهويل وبيان حالهم بالبرهان والدلايل مع ما مر من قصد الاشعار
بالتعليل **هم فيها خالدون** دايمون ابدا فانى لهم التقصي منها بعد سبعة ايام او اربعين كما زعموا فلا حجة
في الاية الكريمة على خلود صاحب الكبيرة لما عرفت من اختصاصها بالكافر ولا حاجة الى حمل الخلود
على اللبث الطويل على ان فيه تهوين الخطب في مقام التهويل **والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب
الجنة هم فيها خالدون** جرت السنة الالهية على شفع الوعد بالوعيد مراعاة لما تقتضيه الحكمة في ارشاد
العباد من الترغيب تارة والترهيب اخرى والتبشير مرة والانذار اخرى **واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل**
شروع في تعداد بعض اخر من قبايح اسلاف اليهود مما ينادي بعدم ايمان اخلافهم وكلمة اذ نصب
باضمار فعل خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم والمومنون ليودبهم التامل في احوالهم الى قطع الطمع
عن ايمانهم او اليهود الموجودون في عهد النبوة توبيخا لهم بسوء صنيع اسلافهم اي اذكروا اذ اخذنا
ميثاقهم **لا تعبدون الا الله** على ارادة القول اي وقلنا او قايلين لا تعبدون الى اخره وهو اخبار في
معنى النهي كقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد وكما تقول اذهب الى فلان وتقول كيت وكيت
وابلغ من صريح النهي لما فيه من ايهام ان المنهي حقه ان يسارع الى الانتهاء عما نهي عنه فكانه انتهى عنه فيخبر
به الناهي ويويده قراءة لا تعبدوا وعطف قوله عليه وقيل تقديره ان لا تعبدوا الى اخره فحذف الناصب
ورفع الفعل كما في قوله ¤ الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ¤ وان اشهد اللذات هل انت مخلدي ¤ ويعضده
قراءة ان لا تعبدوا فيكون بدلا من الميثاق او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى

كانه

كانه قيل وحلفناهم لا تعبدوا الا الله وقرئ بالياء لانهم غيب **وبالوالدين احسانا** متعلق بمضمر اي
وتحسنون او احسنوا **وذي القربى واليتامى والمساكين** عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كندامى جمع
نديم وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون كان الفقر اسكنه من الحراك واثخنه عن التقلب **واقيموا الصلوة
واتوا الزكوة** اي قولا حسنا سماه حسنا مبالغة وقرئ كذلك وحسنا بضمتين وهو لغة اهل الحجاز
وحسنى كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد **وقولوا للناس حسنا** مما فرض عليهم في شريعتهم **ثم
توليتم** ان جعل ناصب الظرف خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم والمومنين فهذا الالتفات الى خطاب
بني اسرائيل جميعا بتغليب اخلافهم على اسلافهم لجريان ذكرهم حينئذ على نهج الغيبة فان الخطابات
السابقة لاسلافهم محكية داخلة في حيز القول المقدر قبل لا تعبدوا كانهم استحضروا عند ذكر
جناياتهم فنعيت هي عليهم وان جعلت خطابا لليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا تعميم
للخطاب بتنزيل الاسلاف منزلة الاخلاف كما انه تعميم للتولي بتنزيل الاخلاف منزلة الاسلاف
للتشديد في التوبيخ اي اعرضتم عن المضي على مقتضى الميثاق ورفضتموه **الا قليلا منكم** وهم من الاسلاف
من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن الاخلاف كعبد الله بن سلام واضرابه **وانتم معرضون** جملة
تذييلية اي وانتم قوم عادتكم الاعراض عن الطاعة ومراعات حقوق الميثاق اصل الاعراض الذهاب عن المواجهة
والاقبال الى جانب المعرض **واذ اخذنا ميثاقكم** منصوب بفعل مضمر خوطب به اليهود قاطبة على ما ذكر
من التغليب ونعي عليهم اخلالهم بموجب الميثاق والماخوذ منهم في حقوق العباد على طريقة النهي اثر بيان
ما فعلوا بالميثاق الماخوذ منهم في حقوق الله تعالى وما يجري مجراه على سبيل الامر فان المقصود الاصلي
من النهي عن عبادة الله تعالى هو الامر بتخصيص العبادة به تعالى اي واذكروا وقت اخذنا ميثاقكم
في التورية وقوله تعالى **لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم** كما قبله اخبار في معنى النهي غير التسبك
اليه لما ذكر من نكتة المبالغة والمراد به النهي الشديد عن تعرض بني اسرائيل لبعض بالقتل والاجلا والتعبير
عن ذلك بسفك دماء انفسهم واخراجها من ديارهم بناء على جريان كل واحد منهم مجرى انفسهم لما بينهم
من الاتصال القوي نسبا ودينا للمبالغة في الحمل على مراعاة حقوق الميثاق بتصوير المنهي عنه بصورة
تكرهها كل نفس وتنفر عنها كل طبيعة فضمير انفسكم للمخاطبين اذ به يتحقق تنزيل المخرجين منزلتهم كما ان
ضمير ديارهم للمخرجين قطعا اذ المحذور انما هو اخراجهم من ديارهم لا من ديار المخاطبين من حيث انهم
مخاطبون كما سيفصح ما سياتي من قوله تعالى من ديارهم وانما الخطاب هاهنا باعتبار تنزيل ديارهم منزلة ديار
المخاطبين بناء على تنزيل انفسهم منزلتهم لتاكيد المبالغة وتشديدا للتشنيع واما ضمير دماءكم فمحتمل للوجهين
مفاد الاول كون المسفوك دماء ادعايته للمخاطبين حقيقة ومفاد الثاني كونه دما حقيقة للمخاطبين ادعا
متقاربان في افادة المبالغة فتدبر واما قيل من ان المعنى لا تباشروا الى ما يودي من قتل انفسكم قصاصا
او ما يبيح سفك دماءكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الاحية فانه القتل
في الحقيقة ولا تفتروا ما تحرمون به عن الجنة التي هي داركم فان الاجلا الحقيقي مما لا يساعد سياق
النظم الكريم بل هو نص في ما قلناه كما ستقف عليه **ثم اقررتم** اي بالميثاق وبوجوب المحافظة عليه
وانتم تشهدون توكيد للاقرار كقولك اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايها الحاضرون تشهدون
اليوم على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق **ثم انتم هولاء** خطاب خاص بالحاضرين فيه توبيخ وتشديد واستبعاد
قوي لما ارتكبوه بعد ما كان من الميثاق والاقرار والشهادة عليه فانتم مبتدا وهولاء خبره ومناط الافادة
اختلاف الصفات المنزلة منزلة اختلاف الذات والمعنى انتم بعد ذلك هولاء المشاهدون الناقضون
حسبما يعرب عنه الجمل الاتية فان قوله عز وجل **تقتلون انفسكم** الى اخره بيان له وتفصيل لاحوالهم

وهما

المنكرة المندرج تحت الاشارة ضمنا كانهم قالوا كيف نحن فقيل تقتلون انفسكم اي الجاري مجري انفسكم كما اشير اليه وقري تقتلون بالتشديد للتكثير **وتخرجون فريقا منكم** الضمير اما للمخاطبين والمضاف محذوف اي من انفسكم واما للمقتولين والخطاب باعتبار انهم جعلوا نفس المخاطبين والا يتحقق التكافؤ بين المقتولين والمخرجين في ذلك العنوان الذي يدور عليه فلك المبالغة في تاكيد الميثاق حسبما نص عليه ولا يظهر كمال قباحة جناياتهم في نفسه **من ديارهم** الضمير للفريق وايثار الغيبة مع جواز الخطاب ايضا بناء علي اعتبار العنوان المذكور كما مر في الميثاق للاحتراز عن توهم كون المراد اخراجهم من ديار المخاطبين من حيث هو ديارهم لا من حيث هي ديار المخرجين وقيل هولاء موصول والجملتان في حيز الصلة والمجموع هو الخبر **تظاهرون عليهم** بحذف احد التائين من تتظاهرون ومعني الكل تتعاونون وهي حال من فاعل تخرجون او من مفعوله او منهما جميعا مبينة بكيفية الاخراج دافعة لتوهم اختصاص الحرمة بالاخراج بطريق الاصالة والاستقلال دون المظاهرة والمعاونة **بالاثم** متعلق بتظاهرون حال من فاعله اي ملتبسين بالاثم وهو الفعل الذي يستحق فاعله الذم واللوم وقيل هو ما تنفر عنه النفس ولا يطمئن اليه القلب **والعدوان** وهو التجاوز في الظلم **وان ياتوكم اساري** جمع اسير وهو ما يوخذ قهرا فعيل بمعني مفعول من الاسر اي الشد او جمع اسري وهو جمع اسير كجرحي وجريح وقد قري اسري ومحله النصب علي الحالية **تفادوهم** اي تخرجوهم من الاسر باعطاء الفدا وقري تفدوهم قال السدي ان الله اخذ علي بني اسرائيل في التورية ان لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم وايما عبد او امة وجدتموهم من بني اسرائيل فاشتروه واعتقوه وكانت قريظة خلفا الاوس والنضير خلفا الخزرج حين كان بينهما ما كان من العداوة والشنان فكان كل فريق يقاتل مع خلفايه فاذا غلبوا خربوا ديارهم واخرجوهم منها ثم ان اسر رجل من الفريقين جمعوا له مالا فيفدونه فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي ان نذل خلفاونا فذمهم الله تعالي علي المناقضة **وهو محرم عليكم اخراجهم** هو ضمير الشان وقع مبتدا ومحرم فيه ضمير قايم مقام الفاعل وقع خبرا من اخراجهم والجملة خبر لضمير الشان وقيل محرم خبر لضمير الشان واخراجهم مرفوع علي انه مفعول ما لم يسم فاعله وقيل الضمير مبهم تفسيره اخراجهم او راجع الي ما يدل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم تاكيد او بيان والجملة حال من الضمير في تخرجون او من فريقا او منهما كما مر بعد اعتبار التقييد بالحال السابقة وتخصيص بيان الحرمة هاهنا بالاخراج مع كونه قرينا للقتل عند اخذ الميثاق ولكونه مظنة للمساهلة في امره بسبب قلة خطره بالنسبة الي القتل ولان سياق الكلام لتكذيبهم وتوبيخهم علي جناياتهم وتناقض افعالهم معا وذلك مختص بصورة الاخراج حيث لم ينقل عنهم تدارك القتلي بشيء من دية القصاص وهو السر في تخصيص التظاهر به فيما سبق واما تاخيره مع الشرطية المعترضة مع ان حقه التقديم كما ذكره الواحدي فان نظم افاعيلهم المتناقضة في سمط واحد من الذكر ادخل في اظهار بطلانها **افتومنون ببعض الكتاب** اي التورية الذي اخذ فيها الميثاق المذكور والهمزة للانكار التوبيخي والفاء للعطف علي مقدر يستدعيه المقام اي تفعلون ذلك فتومنون ببعض الكتاب وهو المفاداة **وتكفرون ببعض** وهو حرمة القتال والاخراج مع انه من قضية الايمان بالباقي لكون الكل من عند الله تعالي داخلا في الميثاق فمناط التوبيخ كفرهم بالبعض مع ايمانهم بالبعض حسبما يفيده ترتيب النظم الكريم فان التقديم يستدعي في المقام الخطابي اصالة المقدم وتقديمه بوجه من الوجوه حتما واذ ليس كذلك هاهنا باعتبار الانكار والتوبيخ عليه فهو باعتبار الوقوع قطعا لايمانهم بالبعض مع كفرهم بالبعض كما هو المفهوم لو قيل افتكفرون ببعض الكتاب وتومنون ببعض ولا مجرد كفرهم بالبعض وايمانهم بالبعض كما يفيده ان يقال افتجمعون بين الايمان ببعض الكتاب والكفر ببعض او بالعكس **فما جزاء من يفعل ذلك** ما نافية ومن ان جعلت موصولة فلا محل

يفعل

لـيفعل من الاعراب وان جعلت موصوفة فمحله الجر علي انه صفتها وذلك اشارة الي الكفر ببعض الكتاب مع الايمان ببعض او الي ما فعلوا من القتل والاجلا مع مفادات الاساري **منكم** حال من فاعل يفعل **الا خزي** استثنا مفرغ وقع خبرا للمبتدا والخزي الذل والهوان مع الفضيحة والتنكير للتفخيم وهو قتل بني قريظة واجلاء بني النضير الي اذرعات واريحا من الشام وقيل الجزية **في الحيوة الدنيا** في حيز الرفع علي انه صفة اخري اي خزي كاين في الحيوة الدنيا او في حيز النصب علي انه ظرف لنفس الخزي ولعل بيان جزايهم بطريق القصر علي ما ذكر لقطع اطماعهم الفارغة من ثمرات ايمانهم ببعض الكتاب واظهار انه لا اصل له مع الكفر ببعض **ويوم القيمة يردون** وقري بالتاء او من صيغة الجمع نظرا الي معني من بعد ما اوثر الافراد نظرا الي لفظها الي ان الرد انما يكون بالاجماع **الي اشد العذاب** لما ان معصيتهم اشد المعاصي وقيل اشد العذاب بالنسبة الي ما طم في الدنيا من الخزي والصغار وانما غير السبك النظم الكريم حيث لم يقل مثلا واشد العذاب يوم القيمة للايذان بكمال التنافي بين جزائي النشاتين وتقديم يوم القيمة علي ذكر ما يقع فيه لتهويل الخطب وتفظيع الحال من اول الامر **وما الله بغافل عما تعملون** من القبايح التي من جملتها هذا المنكر وقري بالياء علي نهج يردون وهو تاكيد للوعيد **اولئك** الموصوفون بما ذكر من الاوصاف القبيحة وهو مبتدا خبره **الذين اشتروا** اي اوثروا **الحيوة الدنيا** واستبدلوها **بالاخرة** واعرضوا عنها مع تمكنهم من تحصيلها فان ما ذكر من الكفر ببعض احكام الكتاب انما كان لمراعات جانب خلفايهم لما يعودوا اليهم منهم من بعض المنافع الدنيوية الدنيوية **فلا يخفف عنهم العذاب** دنيويا كان او اخرويا **ولا هم ينصرون** يدفعه عنهم شفاعة او جبرا او الجملة معطوفة علي ما قبلها عطف الاسمية علي الفعلية او ينصرون مفسر لمحذوف قبل الضمير فيكون من عطف الفعلية علي مثلها **ولقد اتينا موسي الكتاب** شروع في بعض اخر من جناياتهم وتصديره بالجملة القسمية لاظهار كمال الاعتنا به والمراد بالكتاب التورية عن ابن عباس رضي الله عنهما ان التورية لما نزلت جملة واحدة امر الله تعالي موسي عليه السلام بحملها فلم يطق ذلك فبعث الله تعالي بكل حرف منها ملكا فلم يطيقوا بحملها فخففها الله تعالي لموسي عليه السلام فحملها **وقفينا من بعده بالرسل** يقال قفاه به اذا اتبعه اياه اي ارسلنا هم علي اثره كقوله تعالي ثم ارسلنا رسلنا تتري وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيي وغيرهم عليهم الصلاة والسلام **واتينا عيسي ابن مريم البينات** المعجزات الواضحات من احياء الموتي وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل وعيسي بالسريانية ايشوع ومعناه المبارك ومريم بمعني الخادم وهي بالعربية من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول روبة قلت لزير لم تصله مريمه ضليل اهواء الصبا تندمه ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل **وايدناه** اي قويناه وقري ايدناه **بروح القدس** بضم الدال وقري بسكونها اي الروح المقدسة وهي روح عيسي عليه السلام كقولك حاتم الجود ورجل صدق وانما وصفت بالقدس للكرامة او لانه عليه السلام لم تضمه الاصلاب ولا ارحام الطوامث وقيل بجبريل عليه السلام وقيل بالانجيل كما قيل في القران وروحا من امرنا وقيل باسم الله الاعظم الذي كان يحيي به الموتي نذكره وتخصيصه من بين الرسل عليهم السلام بالذكر ووصفناه بما ذكر من ايات البينات والتاييد بروح القدس لما ان بعثتهم كانت لتنفيذ احكام التورية وتقريرها واما عيسي عليه السلام فقد نسخ بشرعه كثيرا من احكامها ولحسم مادة اعتقادهم الباطل في حقه عليه السلام ببيان حقيقته واظهار كمال قبح ما فعلوا به عليه السلام **افكلما جاءكم رسول** من اولئك الرسل **بما لا تهوي انفسكم** من الحق الذي لا محيد عنه او لا يحبونه من هوي كفرح اذا احب والتعبير عنه بذلك للايذان بان مدار الرد والقبول عندهم هو المخالفة للاهو

والموافقة لها لا شي آخر وتوسيط الهمزة بين الفاء وما تعلقت به من الافعال السابقة لتوبيخهم
على تعقيبهم ذلك وللتعجيب من شانهم ويجوز كون الفاء للعطف على مقدر يناسب المقام اي الم يطيعوهم
فكلما جاءكم رسول منهم بما لا تهوى انفسكم استكبرتم عن الاتباع له والايمان بما جاء به من عند الله ففريقا
منهم كذبتم من غير ان يتعرضوا لهم بشيء آخر من المضار والفاء للسببية او للتعقيب وفريقا آخر منهم
تقتلون غير مكتفين بتكذيبهم كزكريا ويحيى وغيرهما عليهم السلام وتقديم فريقا في الموضعين للاهتمام
وتشويق السامع الى ما فعلوا بهم لا للقصر وايثار صيغة الاستقبال في القتل لاستحضار صورته الهائلة
او للايماء على انهم بعد على تلك النية حيث هموا بما لم ينالوه من جهته عليه السلام وسحروه وسموا له الشاة
حتى قال صلى الله عليه وسلم ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان انقطعت ابهري وقالوا بيان لفن آخر
من قبائحهم على طريق الالتفات الى الغيبة اشعارا بابعادهم عن رتبة الخطاب لما فصل من مخازيهم
الموجبة للاعراض عنهم حكاية تظاهرها لكل من يفهم بطلانها وقباحتها من اهل الحق والقائلون هم
الموجودون في عصر النبي صلى الله عليه وسلم قلوبنا غلف جمع اغلف مستعار من الاغلف الذي
لم يختن اي مغشية باغشية خلقية لا يكاد يصل اليها ما جاء به عليه السلام ولا يفهمه كقولهم
قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وقيل هو تخفيف غلف جمع غلاف ويؤيده ما روي عن ابي عمرو من القراءة
بضمتين يعنون قلوبنا اوعية للعلوم فنحن مغنون بما عندنا من غيره قاله ابن عباس وعطا وقال الكلبي
يعنون ان قلوبنا لا يصل اليها حديث الا وعته ولو كان في حديثك خير لوعته ايضا بل لعنهم الله بكفرهم
رد لما قالوه وتكذيب لهم في ذلك المعنى على الاول بل ابعدهم الله سبحانه عن رحمته بان خذلهم
وخلاهم وشانهم بسبب كفرهم العارض وابطالهم لاستعدادهم بسوء اختيارهم بالمرة وكونهم
بحيث لا ينفعهم الالطاف اصلا بعد ان خلقهم على الفطرة والتمكن من قبول الحق وعلى الثاني بل ابعدهم الله
من رحمته فانى لهم ادعاء العلم الذي هو اجل آثارها وعلى الثالث بل ابعدهم الله من رحمته فلذلك لا يقبلون
الحق المؤدي اليها فقليلا ما يؤمنون ما مزيدة للمبالغة اي فايمانا قليلا يؤمنون وهو ايمانهم ببعض الكتاب
وقيل فزمانا قليلا يؤمنون وهو ما قالوا آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره وكلاهما
ليس بايمان حقيقة وقيل اريد بالقلة العدم والفاء لسببية اللعن لعدم الايمان ولما جاءهم كتاب
هو القرآن وتنكيره للتفخيم ووصفه بقوله عز وجل من عند الله اي كائنا من عنده للتشريف مصدق لما
معهم من التوراة عبر عنها بذلك لما ان المعية من موجبات الوقوف على ما في تضاعيفها المؤدي الى
العلم بكونه مصدقا لها وقرئ مصدقا على انه حال من كتاب لتخصيصه بالذكر وكانوا من قبل اي من قبل
مجيئه يستفتحون على الذين كفروا اي وقد كانوا قبل مجيئه يستفتحون به على المشركين ويقولون اللهم
انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته في التوراة ويقولون لهم قد اظل زمان نبي
يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والسدي
نزلت في بني قريظة والنضير كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل مبعثه وقيل يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم بان نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه والسين للمبالغة
كما في استعجب اي يسألون من انفسهم الفتح عليهم اي يسأل بعضهم بعضا ان يفتح عليهم وعلى التقديرين
فالجملة حالية مفيدة لكمال مكابرتهم وعنادهم وقوله عز وجل فلما جاءهم تكرير للاول لطول العهد
بتوسيط الجملة الحالية وقوله تعالى ما عرفوا عبارة عما سلف من الكتاب لان معرفة من انزل عليه هو
معرفة له والاستفتاح بر استفتاح به وايراد الموصول دون الاكتفاء بالاضمار لبيان كمال مكابرتهم
فان معرفة ما جاءهم من مبادي الايمان ودواعيه لا محالة والفاء للدلالة على تعقيب مجيئه للاستقباح

به من غير ان يتخلل بينهما مدة منسية وقوله تعالى كفروا به جواب الى الاولى كما هو راي المبرد او
جوابهما معا كما في قول ابي البقا وقيل جواب الاولى محذوف لدلالة المذكور عليه فيكون قوله تعالى
الى آخره جملة معطوفة على الشرطية عطف القصة على القصة والمراد بما عرفوا النبي عليه السلام
كما هو المراد بما كانوا يستفتحون به فالمعنى ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لكتابهم كذبوه وكانوا
من قبل مجيئه يستفتحون بمن انزل عليه الكتاب فلما جاءهم النبي عليه السلام الذي عرفوه كفروا به
فلعنة الله على الكافرين اللام للعهد اي عليهم ووضع المظهر موضع المضمر للاشعار بان حلول اللعنة
عليهم بسبب كفرهم كما ان الفاء للايذان بترتبها عليه او للجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا اذ الكلام
فيهم واياما كان فهو محقق لمضمون قوله تعالى لعنهم بكفرهم بئسما اشتروا به انفسهم ما نكرة بمعنى شيء منصوب
مفسرة لفاعل بئس واشتروا صفته اي بئس شيئا باعوا به انفسهم وقيل اشتروا وهاهنا في زعمهم حيث يعتقدون
بما فعلوا خلصوها من العذاب ويأباه انه لا ايذان بكون المذموم ما كان حاصلا لهم لا ما كان زائلا عنهم
والمخصوص بالذم قوله تعالى ان يكفروا بما انزل الله اي بالكتاب المصدق لما معهم بعد الوقوف على حقيته
وتبديل الانزال بالمجيء للايذان بعلو شانه الموجب للايمان به بغيا حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة لان
يكفروا حتما دون اشتروا لما فيه من الفصل بما هو اجنبي بالنسبة اليه وان لم يكن اجنبيا الى فعل الذم وفاعله
ولان البغي مما لا تعلق له بعنوان البيع قطعا لا سيما وهو معلل لما سيأتي من تنزيل الله تعالى من فضله
على من يشاء من عباده وانما الذي بينه علاقة هو كفرهم بما انزل الله والمعنى بئس شيئا باعوا به انفسهم كفرهم
المعلل بالبغي الكامل لاجل ان ينزل الله من فضله الذي هو الوحي على من يشاء اي يشاؤه ويصطفيه من عباده
المستاهلين لتحمل اعباء الرسالة ومآله تعليل كفرهم بالمنزل بحسدهم للمنزل عليه وايثار صيغة التعليل
هاهنا للايذان بتجدد بغيهم حسب تجدد الانزال وتكرره حسب فباءو بغضب على غضب اي رجعوا ملتبسين
بغضب كائن على غضب مستحقين له حسبما اقترفوا من كفر على كفر فانهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه
وقيل كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد موسى عليهما السلام وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله
مغلولة وغير ذلك من فنون كفرهم وللكافرين اي لهم والاظهار في موضع الاضمار للاشعار بعلية
كفرهم لما حاق بهم عذاب مهين يراد به اهانتهم واذلالهم لما ان كفرهم بما انزل الله تعالى كان مبنيا على
الحسد المبني على طمع النزول عليهم وادعاء الفضل على الناس والاستهانة بمن انزل عليه عليه السلام
واذا قيل من جانب المؤمنين لهم اي لليهود وتقديم الجار والمجرور قد مر وجهه لا سيما في لام التبليغ
آمنوا بما انزل الله من الكتب الالهية جميعا والمراد به الامر بالايمان بالقرآن لكن سلك مسلك التعميم
ايذانا بتحتم الامتثال من حيث مشاركته لما آمنوا به في ما في حيز الصلة وموافقته له في المضمون وتنبيها
على ان الايمان بما عداه من غير ايمان به ليس بايمان بما انزل الله قالوا نؤمن اي نستمر على الايمان بما انزل
علينا يعنون التوراة وما نزل على انبياء بني اسرائيل لتقرير حكمها ويدسون فيه ان ما عدا ذلك
غير منزل عليهم ومرادهم بضمير المتكلم اما انفسهم بمعنى الانزال عليهم تكليفهم بما في المنزل من الاحكام واما
انبياء بني اسرائيل وهو الظاهر لاشتماله على مزية الايذان بان عدم ايمانهم بالفرقان لما مر من بغيهم
وحسدهم على نزوله على من ليس منهم ولا مدارهم بالموصول وان كان هو التوراة وما في حكمها خاصة
لكن ايرادها بعنوان الانزال عليهم مبني على ادعاء ان ما عداها ليس كذلك على وجه التعريض كما اشير
اليه فلو اراد بالانزال عليهم من ذكر ما تكليفهم يلزم من مغايرة القرآن لما انزل عليهم حسبما يعرب عنه قوله
تعالى ويكفرون بما وراءه عدم كونهم مكلفين بما فيه كما يلزم عدم كونه نازلا على واحد من بني اسرائيل على الوجه
الاخير وتجريد الموصول عند الاضمار عما عرضوا به تعسف لا يخفى والواو في الاصل مصدر جعل ظرفا

ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه والى المفعول فيراد به ما يواريه وهو امامه والجملة
حال من ضمير قالوا بتقدير مبتدا اي قالوا ما قالوا وهم يكفرون بما عداه وليس المراد مجرد بيان افراد
ايمانهم بما انزل عليهم بالذكر لنفي ايمانهم بما وراه بل ببيان ان ما يدعون من الايمان ليس بايمان بما انزل
عليهم حقيقة فان قوله عز اسمه **وهو الحق** اي المعروف بالحقيقة الحقيق بان يخص به اسم الحق على الاطلاق
حال من فاعل يكفرون وقوله تعالى **مصدقا** حال موكدة لمضمون الجملة صاحبها اما ضمير الحق وعاملها ما فيه
من معنى الفعل قاله ابو البقا واما ضمير دل عليه الكلام وعاملها فعل مضمر اي حقه مصدقا **لما معهم**
من التورية والمعنى قالوا انؤمن بما انزل علينا وهم يكفرون بالقران والحال انه حق مصدق لما امنوا به
فيلزمهم الكفر لما امنوا به ومئاله انهم ادعوا الايمان بالتورية والحال انهم يكفرون بما يلزم من الكفر به
الكفر بها **قل** تبكيتا لهم من جهة الله تعالى ببيان التناقض بين اقوالهم وافعالهم **فلم** اصله لما حذفت
عنه الالف فرقا بين الاستفهامية والخبرية **تقتلون انبياء الله من قبل** الخطاب للحاضرين من اليهود
والماضين على طريق التغليب ومن حيث كانوا مشاركين في العقد والعمل كان الاعتراض على اسلافهم اعتراضا
على اخلافهم وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية وهو جواب شرط محذوف اي قل لهم ان كنتم
مومنين بالتورية كما تزعمون فلاي شي كنتم تقتلون انبياء الله من قبل وهو فيها حرام وقري انبياء الله مهموزا
وقوله تعالى **ان كنتم مؤمنين** تكرير للاعتراض لتاكيد الالزام وتشديد التهديد اي ان كنتم مومنين فلم
تقتلوهم وقد حذف من كل واحدة من الشرطيتين ما حذف ثقة بما اثبت في الاخرى وقيل لا حذف فيه بل
تقديم الجواب على الشرط وذلك لا يتاتى الا على راي الكوفيين وابي زيد وقيل ان نافية اي ما كنتم والا
لما قتلتموهم **ولقد جاءكم موسى بالبينات** من تمام التبكيت والتوبيخ داخل تحت الامر لا تكرير لما نص في تضاعيف
تعداد النعم من جملة العفو عن عبادة العجل واللام للقسم اي وبالله لقد جاءكم موسى ملتبسا بالمعجزات
الظاهرة التي هي العصا واليد البيضا والسنون ونقص الثمرات والدم والطوفان والجراد والقمل والضفادع
وفلق البحر وقد منها التورية وليس بواضح فان المجي بها قصة العجل **ثم اتخذتم العجل** اي الها **من بعده**
اي من بعد مجيه بها وقيل من بعد ذهابه الى الطور فيكون التورية حينئذ من جملة البينات وثم
للتراخي في الرتبة والدلالة على نهاية قبح ما صنعوا **وانتم ظالمون** حال من اتخذتم العجل ظالمين بعبادته
واضعين لها في غير موضعها او بالاخلال لحقوق ايات الله تعالى او اعتراض وانتم قوم من عادتكم
الظلم **واذ اخذنا ميثاقكم** توبيخ من جهة الله تعالى وتكذيب لهم في ادعاءهم الايمان بما انزل عليهم من تذكير
جناياتهم الناطقة بكذبهم اي واذكروا حين اخذنا ميثاقكم **ورفعنا فوقكم الطور** قايلين **خذوا ما اتيناكم
بقوة واسمعوا** اي خذوا ما امرتم به في التورية واسمعوا ما فيها سمع طاعة وقبول **قالوا** استيناف مبني
على سوال سائل كانه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا **سمعنا** قولك **وعصينا** امرك فاذا قابل سلافهم مثل
ذلك الخطاب المؤكد مع مشاهدتهم تلك المعجزات الباهرة بمثل هذه العظيمة الشنعا وكفروا بما في
تضاعيف التورية فكيف يتصور من اخلافهم الايمان بما فيها **واشربوا في قلوبهم العجل** على حذف المضاف
واقامة المضاف اليه مقامه للمبالغة اي تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به
وحرصهم على عبادته كما تداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن وفي قولهم بيان لمكان الاشراب
كما في قوله تعالى انما ياكلون في بطونهم نارا والجملة حال من ضمير قالوا بتقدير قد **بكفرهم** بسبب كفرهم
السابق الموجب لذلك قيل قالوا مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب فتمكن في قلوبهم ما سول لهم
السامري **قل** توبيخا لحاضري اليهود اثر ما بين احوال روسايهم الذين بهم يقتدون في كل ما ياتون
وما يذرون **بئسما يامركم به ايمانكم** بما انزل عليكم من التورية حسبما تدعون والمخصوص بالذم محذوف

اي

اي ما ذكر من قولهم سمعنا وعصينا وعبادتهم العجل وفي اسناد الامر الى الايمان تهكم بهم واضافة
الايمان لليهود لانه ليس بايمان حقيقة كما ينبي عنه قوله تعالى **ان كنتم مؤمنين** فانه قدح في دعواهم
الايمان بما انزل عليهم من التورية وابطالها وتقديره ان كنتم بها عاملين فيما ذكر من القول والعمل بما فيها
فبيس ما يامركم بايمانكم بها واذ لا يسوغ الايمان بها مثل تلك القبايح فلستم بمومنين بها قطعا وجواب
الشرط محذوف لدلالة ما سبق عليه **قل** كرر الامر مع قرب العهد بالامر السابق لما انه امر بتبكيتهم
واظهار كذبهم في فن اخر من اباطيلهم لكنه لم يحك عنهم قبل الامر بابطاله بل اكتفى بالاشارة اليه في
تضاعيف الكلام حيث قيل **ان كانت لكم الدار الاخرة** اي الجنة او نعيم الدار الاخرة **عند الله خالصة**
اي سالمة لكم خاصة بكم كما تدعون انه لن يدخل الجنة الا من كان هودا ونصبها على الحالية من الدار
وعند ظرف الاستقرار في الخبر اعني لكم وقوله تعالى **من دون الناس** في محل النصب بخالصة يقال
خلص لي كذا من كذا واللام للجنس اي الناس كافة او للعهد اي المسلمين **فتمنوا الموت** من ايقن بدخول
الجنة اشتاق الى التخلص اليها من دار البوار وقرارة الاكدار لا سيما ان كانت خالصة له كما
قال علي كرم الله وجهه لا ابالي ان سقطت على الموت او الموت سقط علي وقال عمار بن ياسر
رضي الله عنه بصفين الان الاقي الاحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه
حين احتضر وكان يتمنى الموت قيل جاء حبيب على فاقة لا افلح من ندم اي على التمني وقوله تعالى
ان كنتم صادقين تكرير الكلام للتشديد الالزام وللتنبيه على ان ترتيب الجواب ليس على تحقق
الشرط في نفس الامر فقط بل في اعتقادهم ايضا وانهم قد ادعوا ذلك والجواب محذوف ثقة بدلالة
ما سبق عليه اي ان كنتم صادقين فتمنوه وقوله تعالى **ولن يتمنوه ابدا** كلام مستانف غير داخل تحت الامر
سيق من جهته سبحانه لبيان ما يكون منهم من الاحجام عما دعوا اليه الدال على كذبهم في دعواهم **بما
قدمت ايديهم** بسبب ما عملوا من المعاصي الموجبة لدخول النار كالكفر بالنبي عليه الصلاة والسلام والقران
وتحريف التورية ولما كانت اليد من بين جوارح الانسان مناط عامة صنايعه ومدار اكثر منافعه عبر
بها تارة عن النفس واخرى عن القدرة **والله عليم بالظالمين** اي بهم وايثار الاظهار لذمهم والتسجيل
عليهم بانهم ظالمون في جميع الامور التي من جملتها ادعاء ما ليس لهم ونفيه عن غيرهم والجملة تذييل لما
قبلها مقررة لمضمونه اي عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصي المفضية الى افانين العذاب
وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يودي الى ذلك فوقع الامر كما ذكر فلن يتمنى منهم موته احد اذ لو وقع
ذلك لنقل واشتهر وعنه عليه السلام لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي يهودي
على وجه الارض **ولتجدنهم احرص الناس** من الوجدان العقلي وهو جار مجرى العلم خلا انه يختص بما يقع
بعد التجربة ونحوها ومفعولاه الضمير واحرص والتنكير في قوله تعالى **على حيوة** للايذان بان مرادهم نوع
خاص منها وهي الحيوة المتطاولة وقد قري بالتعريف **ومن الذين اشركوا** عطف على ما قبله بحسب المعنى كانه
قيل احرص من الناس ومن الذين اشركوا وافرادهم بالذكر مع دخولهم في الناس للايذان بامتيازهم من
بينهم بشدة الحرص للمبالغة في توبيخ اليهود فان حرصهم وهم معترفون بالجزاء لما كان اشد من حرص المشركين
المنكرين له دل ذلك على جزمهم بمصيرهم الى النار ويجوز ان يحمل على حذف المعطوف ثقة بانباء المعطوف
عليه عنه اي واحرص من الذين اشركوا وقوله تعالى **يود احدهم** بيان لزيادة حرصهم على طريقة الاستيناف
ويجوز ان يكون في حيز الرفع صفة لمبتدا محذوف خبره الظرف المتقدم على ان يكون المراد بالمشركين اليهود
لقولهم عزير ابن الله ومنهم طايفة يود احدهم ايهم كان اي كل واحد **لو يعمر الف سنة** وهو حكاية لودادهم
كانه قيل ليتني اعمر وانما اجرى على الغيبة لقوله تعالى يود كما يقول حلف بالله ليفعلن ومحله النصب على انه

مفعول يود اجراءاه مجري القول لانه فعل قلبي وماهو بمزحزحه من العذاب ما حجازية والضمير العايد
الي احدهم اسمها وبمزحزحه خبرها والباء زايدة ان يعمر فاعل مزحزحه اي وما احد بمزحزحه
اي بمبعده وبنجيه من العذاب تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من المصدر وان يعمر بدل منه وقيل
هو مبهم وان يعمر يفسره والجملة حال من احدهم والعامل يود لا يعمر علي انها حال من ضمير لفساد المعني
او اعتراض واصل لفوظهم سنة سنوة لقولهم سنوات وسنته وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهه
وسنيهة وتسنت النخلة اذا اتت عليها السنون والله بصير بما يعملون البصير في كلام العرب العالم بكنه
الشيء الخبير به ومنه قولهم فلان بصير بالفقه اي عليم بخفيات اعمالهم فهو مجازيهم بها لا محالة وقري
بتاء الخطاب التفاتا وفيه تشديد للوعيد قل من كان عدوا لجبريل نزل في عبد الله بن صوريا من احبار
اليهود قد جاء الي رسول الله صلي الله عليه وسلم عمن نزل عليه فقال عليه السلام جبريل عليه السلام
فقال هو عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وفي بعض الروايات ورسولنا ميكائيل فلو كان هو الذي
يأتيك لآمنا بك وقد عادانا مرارا واشدها انه نزل علي نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا
من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فانه لا يسلطكم
عليه والا فباي حق تقتلونه وقيل امره الله تعالي ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وروي انه كان لعمر
ارض باعلا المدينة وكان ممره علي مدارس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك
وانا لنطمع فيك فقال والله ما جئتكم لحبكم لي ولا اسالكم لشك في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة
في امر محمد صلي الله عليه وسلم وارا اثاره في كتابكم ثم سالهم عن جبريل عليه السلام فقالوا ذاك هو عدونا
يطلع محمدا علي اسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل يجي بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما
عند الله قالوا جبريل منزلته عن يمينه وميكائيل عن يساره وهما متعاديان فقال عمر رضي الله عنه اذا
كانا كما تقولون فما هما بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما فهو عدو للآخر ومن كان
عدوا لاحدهما كان عدوا لله سبحانه وتعالي ثم رجع عمر رضي الله عنه فوجد جبريل عليه السلام قد سبقه
بالوحي فقال النبي صلي الله عليه وسلم لقد وافقك ربك يا عمر فقال عمر رضي الله عنه لقد رايتني في دين
بعد ذلك اشد من الحجر وقري جبريل كسلسبيل وجبريل كجحمرش وجبرئل وجبرال وجبرائيل كجبراعيل
وجبرايل كجبراعل ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل معناه عبد الله فانه نزله تعليل لجواب الشرط
قايم مقامه والبارز الاول لجبريل عليه السلام والثاني للقران اضمر من غير ذكر ايذانا بفخامة شانه واستغنائه
عن الذكر لكمال شهرته ونباهته لا سيما عند ذكر شيء من صفاته علي قلبك زيادة تقرير للتنزيل ببيان
محل الوحي فانه القابل الاول له ومعاد الفهم والحفظ وايثار الخطاب علي التكلم المبني علي حكاية كلام الله
تعالي بعينه كما في قوله تعالي قل يا عبادي الذين امنوا قوا علي انفسكم لما في النقل بالعبارة من زيادة تقرير
لمضمون المقالة باذن الله بامره وتيسيره مستعار من تسهيل الحجاب وفيه تلويح بكمال توجه جبريل عليه
السلام الي تنزيله وصدق عزيمته عليه وهو حال من فاعل نزله وقوله تعالي مصدقا لما بين يديه اي من
الكتب الالهية التي معظمها التورية حال من مفعوله وكذا قوله تعالي وهدي وبشري للمؤمنين والعامل في الكل
نزله والمعني من عادي جبريل من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته بل يجب محبته فانه نزل عليكم ما مصدقا لكتبهم
او فالسبب لعداوته تنزيله الكتاب مصدق لكتابهم موافق له وهم له كارهون ولذلك حرفوا كتابهم
وجحدوا موافقته له لان الاعتراف بها يوجب الايمان به ولذلك يستدعي انعكاس احوالهم وزوال
رياستهم وقيل الجواب فقد خلع ربقة الانصاف او فقد كفر بما معه من الكتاب او فليمت غيظا او فهو عدو
لي وانا عدو له من كان عدوا لله اريد بعداوته تعالي مخالفة امره عنادا والخروج عن طاعته مكابرة او عدو

خواصه ومقربيه لكن صدر الكلام بذكره الجليل تفخيما لشانهم وايذانا بان عداوتهم عداوته
جل وعلا كما في قوله عز وعلا والله ورسوله احق ان يرضوه ثم صرح بالمرام فقيل وملائكته ورسله وجبريل وميكال
وانما افردا بالذكر مع انهما اول من يشمله عنوان الملائكة والرسالة لاظهار فضلهما عليهما السلام من
جنس اخر اشرف مما ذكر تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الجنس للتنبيه علي ان عداوة احدهما
عداوة الاخر حسما لمادة اعتقادهم الباطل في حقهما حيث زعموا انهما متعاديان وللاشارة الي ان
معاداة الواحد والكل في الكفر واستتباع العداوة من جهة الله سبحانه وتعالي وان من عادي احدهم فكانما
عادي الجميع وقوله تعالي فان الله عدو للكافرين اي لهم جواب الشرط والمعني من عاداهم عاداه الله وعاقبهم
اشد العقاب وايثار الاسمية للدلالة علي التحقق والثبات ووضع الكافرين موضع المضمر للايذان
بان عداوة المذكورين كفر وان ذلك بين لا يحتاج الي الاخبار به وان مدار عداوته تعالي لهم وسخطه المستوجب
لاشد العقوبة والعذاب هو كفرهم المذكور وقري ميكائل كميكاعل وميكائيل كميكاعيل وميكئيل كميكعيل
ولقد انزلنا اليك آيات بينات واضحات الدلالة علي معانيها وعلي كونها من عند الله تعالي وما يكفر بها الا الفاسقون
اي المتمردون في الكفر الخارجون عن حدوده فان من ليس علي تلك الصفة من الكفرة لا يجتري علي الكفر
بمثل هاتيك البينات قال الحسن اذا استعمل في الفسوق نوع من المعاصي وقع علي اعظم افراد ذلك النوع
من كفر او غيره وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ابن صوريا لرسول الله صلي الله عليه وسلم ما جئتنا
بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك لها فنزلت واللام للعهد اي الفاسقون المعهودون وهم اهل
الكتاب المحرفون لكتابهم الخارجون عن دينهم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا اوكلما عاهدوا عهدا
الهمزة للانكار والواو للعطف علي مقدر يقتضيه المقام اي كفروا بها وهي في غاية الوضوح وكلما عاهدوا
عهدا ومن جملة ذلك ما اشير اليه بقوله تعالي وكانوا من قبل يستفتحون علي الذين كفروا من قولهم للمشركين
قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقري بسكون الواو علي تقدير النظم
الكريم وما يكفر بها الا الذين فسقوا ونقضوا عهودهم مرارا كثيرة وعوهدوا وعهدوا وقوله تعالي عهدا
ما مصدر مؤكد لعاهدوا من غير لفظه او مفعول له علي انه اعطوا العهد نبذه فريق منهم اي رموا بالزمام
ورفضوه وقري نقضه واسناد النقض الي فريق منهم لان منهم من لم ينبذه بل اكثرهم لا يؤمنون
اي بالتورية وهذا دفع لما يتوهم من ان الذين هم الاقلون وان من لم ينبذه جهارا فهم مؤمنون
بها سرا ولما جاءهم رسول هو النبي صلي الله عليه وسلم والتنكير للتفخيم من عند الله متعلق بجاء او بمحذوف
وقع صفة لرسول لافادة مزيد تعظيم بتاكيد ما افاده التنكير من الفخامة الاضافية مصدق لما معهم
من التورية من حيث انه صلي الله عليه وسلم قرر صحتها وحقق حقيقة نبوة موسي عليه السلام بما
انزل عليه او من حيث انه عليه السلام جاء علي وفق ما نعت منها نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب اي التورية
وهم اليهود كانوا في عهد النبي صلي الله عليه وسلم ممن كانوا يستفتحون به قبل ذلك لا الذين كانوا في
عهد سليمان عليه السلام كما قيل لان النبذ عند مجي النبي عليه السلام لا يتصور منهم وافراد هذا النبذ
بالذكر مع اندراجه تحت قوله عز وجل اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم لانه معظم جناياتهم ولانه
تمهيد لذكر اتباعهم لما تتلوا الشياطين وايثاره له عليه والمراد بايتائها اما ايتاء علمها بالدراسة والحفظ
والوقوف علي ما فيها فالموصول عبارة عن علمائهم واما مجرد انزالها فهو عبارة عن الكل وعلي التقديرين
فوضعه موضع الضمير للايذان بكمال التنافي بين ما ثبت لهم في حيز الصلة وبين ما صدر عنهم من النبذ
كتاب الله اي الذين اوتوه قال السدي لما جاءهم محمد عليه السلام عارضوه بالتورية فاتفقت التورية
والفرقان فنبذوا التورية واخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت فلم يوافق القران فهذا قوله تعالي

ولما جاءهم رسول من عند الله كفروا الى اخره وانما عبر عنها بكتاب الله تشريفا لها وتعظيما لحرمتها
عليهم وتهويلا لما اجترءوا عليه من الكفر بها وقيل كتاب الله القران نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول
لا سيما بعد ما كانوا يستفتحون به من قبل فان ذلك قبول لهم وتمسك به فيكون الكفر به عند مجيئه
نبذا له كانه قيل كتاب الله الذي جاء به فان مجي الرسول معرب عن مجي الكتاب وراء ظهورهم مثل لتركهم
واعراضهم عنه بالكلية مثل بما يرمى وراء الظهر استغناء عنه وقلة الالتفات اليه كانهم لا يعلمون
جملة حالية اي نبذوه وراء ظهورهم مشبهين بمن لا يعلمه فان اريد بهم احبارهم فالمعنى كانهم لا يعلمونه
على وجه الايقان ولا يعرفون ما فيه من دلائل نبوته عليه السلام ففيه ايذان بان علمهم رصين لكنهم
متجاهلون او كانهم لا يعلمون انه كتاب الله او لا يعلمونه اصلا كما اذا اريد بهم الكل وفي هذين الوجهين زيادة
مبالغة في اعراضهم كما في التوراة من دليل النبوة هذا وان اريد بما نبذوه من كتاب الله القران والمراد بالعلم
المنفي بما في قوله تعالى كانهم لا يعلمون هو العلم بانه كتاب الله تعالى ففيه ما في الوجه الاول من الاشعار بانهم
متيقنون في ذلك وانما يكفرون به مكابرة وعنادا قيل ان جميل اليهود اربع فرق فرقة امنوا بالتوراة وقاموا بحقوقها
كمومني اهل الكتاب وهم الاقلون المشار اليهم بقوله تعالى بل اكثرهم لا يومنون و فرقة جاهروا بنبذ العهود
وتعدي الحدود تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله تعالى نبذه فريق منهم و فرقة لم يجاهروا بنبذها ولكنهم
نبذوها لجهلهم بها وهم الاكثرون و فرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية وهم المتجاهلون واتبعوا
ما تتلوا الشياطين عطف على جواب لما اي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحرة التي كانت تقروها الشياطين
فهم المتمردون من الجن وتتلوا حكاية حال ماضية والمراد بالاتباع التوغل والتمحض فيه والاقبال عليه
بالكلية والا فاصل الاتباع كان حاصلا قبل مجي الرسول عليه السلام فلا يتسنى عطفه على جواب لما ولذا
قيل هو معطوف على الجملة وقيل على اشربوا على ملك سليمان اي في عهد ملكه قيل كانت الشياطين يسترقون
السمع ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة يدونها ويعلمونها الناس وفشا
ذلك في عهد سليمان عليه السلام حتى قيل ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم له
ملكه الا بهذا العلم وبه سخر الانس والجن والطير والريح التي تجري بامره وقيل ان سليمان عليه السلام
كان قد دفن كثيرا من العلوم التي خصه الله تعالى بها تحت سرير ملكه فلما مضت على ذلك مدة توصل اليها
قوم من المنافقين فكتبوا في خلال ذلك شيء من فنون السحر تناسب تلك الاشياء المدفونة من بعض
ثم من بعد موته واطلاع الناس على تلك الكتب اوهموهم انه من عمل سليمان عليه وانه ما بلغ هذا المبلغ
الا بسبب هذه الاشيا وما كفر سليمان تنزيه لساحته عليه السلام من السحر وتكذيب لمن افترى عليه بانه
كان يعتقده ويعمل به والتعرض لكونه كفرا للمبالغة في اظهار نزاهته عليه السلام وكذب باهتيه بذلك
ولكن الشياطين وقرئ بالتخفيف لكن ورفع الشياطين والواو عاطفة للجملة الاستدراكية على ما قبلها
وكون المخففة عند الجمهور للعطف انما هو عند عدم الواو وكون ما بعدها مفرد كفروا باستعمال السحر
وتدوينه يعلمون الناس السحر اغواء واضلالا والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير كفروا او من ضمير
الشياطين فان ما في لكن من رائحة الفعل كاف في العمل في الحال او في محل الرفع على انه خبر ثان للكن
او بدل من الاول وصيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار للتعليم وتجدده او جملة مستانفة هذا على
تقدير كون الضمير للشياطين واما على تقدير رجوعه الى فاعل فهي اما حال منه واما استينافية واعلم
ان السحر انواع منها سحر الكلدانيين الذين كانوا في قديم الدهر وقوم يعبدون الكواكب ويزعمون انها
هي المدبرة لهذا العالم ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة ويستحدثون بواسطة
تمزيج القوى السماوية بالقوى الارضية وهم الذين بعث الله تعالى ابراهيم عليه السلام لابطال مقالتهم

وهم ثلاث فرق فرقة منهم يزعمون ان الافلاك والنجوم واجبة الوجود لذواتها وهم الصابئة وفرقة
يقولون بالهية الافلاك ويتخذون لكل واحد منهم هيكلا يشتغلون بخدمتها وهم عبدة الاوثان
وفرقة اثبتوا للافلاك والكواكب فاعلا مختارا لكنهم قالوا انه اعطاها قوة عالية نافية من هذا العالم
وفوض تدبيره اليها ومنها سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية فانهم يزعمون ان الانسان تبلغ روحه
بالتصفية في القوة والتاثير الى حيث يقدر على الايجاد والاعدام والاحيا والاماتة وتغيير الهيئة والشكل
ومنها سحر يستعين بالارواح الارضية وهو المسمى بالعزايم وتسخير الجن ومنها التخيلات الاخذة بالعيون
وتسمى الشعوذة ولا خلاف بين الامة في ان من اعتقد الاول فقد كفر وكذا من اعتقد الثاني وهو سحر
اصحاب الاوهام والنفوس القوية واما من اعتقد ان الانسان يبلغ بالتصفية وقراءة العزايم والرقى الى
حيث يخلق الله تعالى عقيب ذلك على سبيل جريان العادة بعض الخوارق فالمعتزلة اتفقوا على انه كافر
لانه لا يمكنه بهذا الاعتقاد معرفة صدق الانبياء والرسل عليهم السلام بخلاف غيرهم ولعل التحقيق ان
ان ذلك الانسان ان كان خيرا متشرعا في كل ما ياتي ويذر وكان من يستعين به من الارواح الخيرة
وكانت عزايمه ورقاه غير مخالفة لاحكام الشريعة ولم يكن في ما ظهر في يده من الخوارق ضرر شرعي لاحد
فليس ذلك من قبيل السحر وان كان شريرا غير متمسك بالشريعة الشريفة فظاهر ان من يستعين من الارواح
الخبيثة الشريرة لا محالة ضرورة امتناع تحقق النظام والتعاون بينهما من غير اشتراك في الخبث والشرارة
فيكون كافرا قطعا واما الشعوذة وما يجري مجراها من اظهار الامور العجيبة بواسطة ترتيب الالات الهندسية
وخفة اليد والاستعانة بخواص الادوية والاحجار واطلاق السحر عليها بطريق التجوز او لما فيها من الدقة لانه
في الاصل عبارة عن كل ما لطف ماخذه وخفي سببه او من الصرف على الجهة المعتادة لما ان في اصل اللغة الصرف
على ما حكاه الازهري عن الفراء ويونس وما انزل على الملكين عطف على السحر اي ويعلمهم ما انزل عليهما والمراد
بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار وهو نوع اقوى منه او على ما تتلى وما بينهما اعتراض اي واتبعوا
ما انزل الى اخره وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله تعالى للناس كما ابتلى قوم طالوت بالنهر وتمييزا
بينه وبين المعجزة لئلا يغتر به الناس او لان السحرة كثرت في ذلك الزمان واستنبطت ابوابا غريبة
من السحر وكانوا يدعون النبوة فبعث الله هذين الملكين ليعلما الناس ابواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة
اولئك الكذابين واظهار امرهم على الناس واما ما يحكى ان الملائكة عليهم السلام لما راوا ما يصعد
من ذنوب بني آدم عيروهم وقالوا لله سبحانه هؤلاء الذين اخترتهم لخلافة الارض يعصونك فيها فقال عز
وجل لو ركبت فيكم ما ركبت فيهم لعصيتموني قالوا سبحانك ما ينبغي لنا ان نعصيك قال تعالى اختاروا
من خياركم ملكين فاختاروا هاروت وماروت وكانا من اصلحهم واعبدهم فاهبطا الى الارض بعد
ما ركب فيهما ما ركب في البشر من الشهوة وغيرها من القوى ليقضيا بين الناس نهارا ويعرجا الى السماء مساء
وقد نهيا عن القتل والاشراك بغير الحق وشرب الخمر والزنا وكانا يقضيان بينهم نهارا فاذا امسيا ذكرا
اسم الله الاعظم صعدا الى السماء فاختصمت اليهما ذات يوم امراة من اجمل النساء تسمى زهرة وكانت لخمية
وقيل كانت من اهل فارس ملكة في بلدها وكانت خصومتها مع زوجها فلما راياها افتتنا بها فراوداها عن
نفسها فابت فالحا عليها فقالت لا الا ان تشربا الخمر وتسجدا للصنم ففعلا ذلك بعد اللتيا والتي ثم
سالاها ما سالا فقالت الآن تعلماني ما تصعدان به الى السماء فعلماها الاسم الاعظم فدعت به وصعدت
الى السماء فمسخها الله تعالى كوكبا فهما بالعروج حيث عادتهما فلم تطعهما اجنحتهما فعلما ما حل بهما وكانا
في عهد ادريس عليه السلام فالتجاء اليه ليشفع لهما ففعل فخيرهما الله تعالى بين عذاب الدنيا وعذاب
الآخرة فاختارا الاول لانقطاعه عما قليل فهما معذبان ببابل قيل معلقان بشعورهما وقيل منكسان

يضربان بسياط الحديد الى قيام الساعة فمما لا تعويل عليه لما ان مداره رواية اليهود مع ما فيه
من المخالفة لادلة العقل والنقل ولعله من مقولة الامثال والرموز التي قصد بها ارشاد اللبيب الاريب
بالترغيب والترهيب وقيل هما رجلان سميا ملكين لصلاحهما ويعضده قراءة الملكين بالكسر ببابل الباء
بمعنى في وهي متعلقة بانزل او بمحذوف وقع حالا من الملكين او من الضمير في انزل وهي بابل العراق
وقال ابن مسعود رضي الله عنه بابل ارض الكوفة وقيل جبل نهاوند ومنع الصرف للعجمة والعلمية او للتانيث والعلمية
هاروت وماروت عطف بيان للملكين علمان لهما ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى
الكسر لانصرفا واما من قرا الملكين بكسر اللام او قال كانا رجلين صالحين فقال هما اسمان لهما وقيل هما
اسما قبيلتين من الجن هما المراد من الملكين بالكسر وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت وما يعلمان من احد
من مزيدة في المفعول به لافادة تاكيد الاستغراق الذي يفيده احد لا لافادة نفي الاستغراق كما في قولك ما جاءني من
رجل وقرئ يعلمان من الاعلام حتى يقولا انما نحن فتنة الفتنة الاختبار والامتحان وافرادها مع تعددها
لكونها مصدرا وحملها عليهما مواطاة للمبالغة كانهما نفس الفتنة والقصر لبيان انه ليس لهما فيما يتعاطيانه
شان سواها لينصرف الناس عن تعلمه اي وما يعلمان ما انزل عليهما من السحر احدا من طالبيه حتى ينصحاه قبل
التعليم ويقولا له انما نحن فتنة وابتلاء من الله عز وجل فمن عمل بما تعلم منا واعتقد حقيقته كفر ومن
توقى عن العمل به او اتخذه ذريعة للاتقاء عن الاغترار بمثله بقي على الايمان فلا تكفر باعتقاد حقيته
وجواز العمل به فالظاهر ان غاية النفع ليست هذه المقالة فقط بل من جملتها التزام المخاطب بموجب النهي
لكن لم يذكر لظهوره وكون الكلام في بيان اعتناء الملكين بشان النصح والارشاد والجملة في محل
النصب على الحالية من ضمير يعلمون لا معطوفة عليه كما قيل اي ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس
ما انزل على الملكين ويحملونهم على العمل به اغواء واضلالا والحال انهما ما يعلمان احدا حتى ينهياه عن
العمل به والكفر بسببه واما ما قيل من ان ما في قوله تعالى وما انزل الى اخره نافية والجملة معطوفة على قوله
تعالى وما كفر سليمان جيء بها لتكذيب اليهود في القصة اي لم ينزل على الملكين اباحة السحر وان هاروت
وماروت بدل من الشياطين على انهما قبيلتان من الجن خصتا بالذكر لاصالتهما وكون باقي الشياطين
اتباعا لهما وان المعنى ما يعلمان احدا حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر مثلنا فيأباه ان مقام وصف
الشياطين بالكفر واضلال الناس مما لا يلائمه وصف رؤسائهم بما ذكر من النهي عن الكفر مع ما فيه
من الاخلال بنظام الكلام فان الايمان في حكم نتيجة المبدل به فيتعلمون منهما عطف على الجملة المنفية
فانها في قوة المثبتة كانه قيل يعلمان بعد قولهما انما نحن الى اخره والضمير لاحد حملا على المعنى كما في قوله
تعالى وما منكم من احد عنه حاجزين ما يفرقون به اي بسببه واستعماله بين المرء وقرئ بضم الميم وكسرها
مع الهمزة وبتشديد الراء بلا همزة وزوجه بان يحدث الله بينهما التباغض والترك والنشوز عند ما فعلوا
ما فعلوا من السحر على حسب جري العادة الالهية من خلق المسببات عقيب حصول الاسباب العادية
ابتلاء لا ان السحر هو المؤثر في ذلك وقيل فيتعلمون منهما ما يتعلمون به فيرله الناس ويعتقدون انه حق فيكفرون
فتبين ازواجهم وما هم بضارين به اي بما تعلموه واستعملوه من السحر من احد اي احدا كما في قوله تعالى وما
يعلمان من احد والمعهود وان كان من زيادتها في معمول فعل منفي الا انه حملت الاسمية في ذلك على
الفعلية كانه قيل وما يضرون به من احد الا باذن الله لانه وغيره من الاسباب بمعزل من التاثير بالذات
وانما هو بامر الله تعالى فقد يحدث عند استعمالهم السحر فعلا من افعاله ابتلاء وقد لا يحدثه والاستثناء
مفرغ والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من ضمير ضارين او من مفعوله وان كان نكرة لاعتمادها على
النفي او الضمير المجرور في به اي وما يضرون به احدا الا مقرونا باذن الله تعالى وقرئ بضاري على

الاضافة

الاضافة بجعل الجار جزءا من المجرور وفصل ما بين المضافين ويتعلمون ما يضرهم لانهم يقصدون به العمل او
لان العلم يجتذب الى العمل غالبا ولا ينفعهم صرح بذلك ايذانا بانه ليس من الامور المشوبة بالنفع والضرر بل هو
شر بحت وضرر محض لانهم لا يقصدون به التخلص عن الاغترار باكاذيب من يدعي النبوة مثلا من السحرة او تخليص
الناس منه حتى يكون فيه نفع في الجملة وفيه ان الاجتناب عما لا يؤمن غوائله خير كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن ان
يجر الى الغواية وان قال من قال عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه ولقد علموا
اي اليهود الذين حكيت جناياتهم لمن اشتراه اي استبدل ما تتلوا الشياطين بكتاب الله عز وجل واللام الاولى
جواب قسم محذوف والثانية لام ابتداء علقت علموا من العمل ومن موصولة في حيز الرفع بالابتداء واشتراه صلتها
وقوله تعالى ما له في الاخرة من خلاق اي من نصيب جملة من مبتدا وخبر ومن مزيدة في المبتدا وفي
الاخرة متعلق بمحذوف وقع حالا منه ولو اخر عنه لكان صفة له والتقدير ما له خلاق في الاخرة وهذه الجملة في
محل الرفع على انها خبر الموصول والجملة في حيز النصب سادة مسد مفعولي علموا ان جعل متعديا الى اثنين او مفعوله
الواحد ان جعل متعديا الى واحد فجملة ولقد علموا الى اخره مقسم عليها دون جملة لمن اشتراه الى اخره هذا ما عليه
الجمهور وهو مذهب سيبويه وقال الفراء وتبعه ابو البقاء ان اللام الاخيرة موطئة للقسم ومن شرطية مرفوعة
بالابتداء واشتراه خبرها وما له في الاخرة من خلاق جواب القسم وجواب الشرط محذوف اكتفاء عنه بجواب
القسم لانه اذا اجتمع الشرط والقسم يجاب سابقهما غالبا فحينئذ يكون الجملتان مقسما عليهما ولبئس ما شروا به
انفسهم اي باعوها واللام جواب قسم محذوف والمخصوص بالذم محذوف اي وبالله لبئسما باعوا به انفسهم
السحر والكفر وفيه ايذان بانهم حيث نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم فقد عرضوا انفسهم للهلكة وباعوها
بما لا يزيدهم الا تبارا وتجويز كون الشراء بمعنى الاشتراء مما لا سبيل اليه لان المشتري متعين وهو ما تتلوا الشياطين
لان متعلق الذم هو المأخوذ لا المنبوذ كما اشير اليه في تفسير قوله تعالى بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما
انزل الله بغيا لو كانوا يعلمون اي يعملون بعلمهم جعلوا غير عالمين لعدم عملهم بموجب علمهم او لو كانوا يتفكرون
فيه او يعلمون قبحه على اليقين او حقيقة ما يتبعه من العذاب على ان المثبت لهم اولا على التوكيد القسمي
العقل الغريزي او العلم الاجمالي بقبح الفعل او ترتيب العقاب من غير تحقيق وجواب لو محذوف اي
لما فعلوا ما فعلوا ولو انهم امنوا اي بالرسول المومى اليه في قوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله الى اخره
او بما انزل اليه من الايات المذكورة في قوله تعالى ولقد انزلنا اليك ايات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون
او التورية التي اريدت بقوله تعالى نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون
كان الكفر بالقران والنبي صلى الله عليه وسلم كفرا بها واتقوا المعاصي المحكية عنهم لمثوبة من عند الله خير جواب
لو واصله لاثيبوا مثوبة من الله خيرا مما شروا به فحذف الفعل وغير السبك الى ما عليه النظم الكريم
دلالة على ثبات المثوبة لهم والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير
المثوبة للتقليل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة تشريفية لمثوبة اي لشيء ما من الثواب كائنة من
عنده تعالى خير وقيل جواب لو محذوف اي لاثيبوا وما بعده جملة مستانفة فان وقوع الجملة الابتدائية
جوابا للو غير معهود في كلام العرب وقيل لو للتمني ومعناه انه من فظاعة الحال بحيث يتمنى العارف ايمانهم
واتقاءهم تلهفا عليهم وقرئ لمثوبة وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه لو كانوا يعلمون
ان ثواب الله خير نسبوا الى الجهل لعدم العمل بموجب العلم يا ايها الذين امنوا خطاب للمؤمنين وفيه ارشاد
الى الخير واشارة الى بعض اخر من جنايات اليهود لا تقولوا راعنا المراعاة المبالغة في الرعي وهو حفظ
الغير وتدبير امره وتدارك مصالحه وكان المسلمون اذا القى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا
من العلم يقولون راعنا يا رسول الله اي راقبنا وانتظرنا وتان بنا حتى نفهم كلامك ونحفظه وكانت

لليهود كلمة عبرانية او سريانية يتسابون بها فيما بينهم وهي راعين قيل معناها اسمع لا سمعت فلما سمعوا
بقول المسلمين ذلك افترصوه واتخذوه ذريعة الى مقصدهم فجعلوا يخاطبون به النبي صلى الله عليه
وسلم يعنون به تلك المسبة او نسبته صلى الله عليه وسلم الى الرعن وهو الحمق والهوج روي سعيد بن عبادة
رضي الله عنه سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم
يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه قالوا اولستم تقولونها فنزلت الاية ونهوا به المؤمنون
عن ذلك قطعا لالسنة اليهود عن التدليس وامروا بما في معناها ولا يقبل التلبيس فقيل **وقولوا انظرنا** اي
انظر الينا بالحذف والايصال وانتظرنا على انه من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من النظرة اي امهلنا
حتى نحفظ وقرئ راعونا على صيغة الجمع للتوقير وراعنا على صيغة الفاعل اي قولا ذا رعن كذارع ولابن
لانه لما اشبه قولهم راعينا وكان سببا للسب بالرعن اتصف به **واسمعوا** واحسنوا سماع ما يكلمكم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويلقي عليكم من المسائل باذان واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة
وطلب المراعاة او واسمعوا ما كلفتموه من النهي والامر بجد واعتناء حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه او واسمعوا
سماع طاعة ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا **وللكافرين** اي اليهود الذين توسلوا
بقولكم المذكور الى كفرياتهم وجعلوه سببا للتهاون برسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا له ما قالوا **عذاب
اليم** لما اجترؤوا عليه من العظيمة وهو تذييل لما سبق فيه وعيد شديد لهم ونوع تحذير للمخاطبين عما نهوا
عنه **ما يود الذين كفروا** الود حب الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما ونفيه كناية عن الكراهية
ووضع الموصول موضع الضمير للاشعار بعليته ما في حيز الصلة لعدم ودهم ولعل تعلقه بما قبله
من حيث ان القول المنهي عنه كثيرا ما كان يقع عند تنزيل الوحي المعبر عنه في هذه الاية بالخير فكانه اشير
الى ان سبب تحريفهم له الى ما حكي عنهم لوقوعه في اثناء حصول ما يكرهونه من تنزيل الخير وقيل كان
فريق من اليهود يظهرون للمؤمنين محبة ويزعمون انهم يودون لهم الخير فنزلت تكذيبا لهم في ذلك ومن في
قوله تعالى **من اهل الكتاب ولا المشركين** للتبيين كما في قوله تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
ولا مزيدة لتأكيد النفي **ان ينزل عليكم** في حيز النصب على انه مفعول يود وبناء المفعول للثقة بتعين الفاعل
والتصريح الاتي في قوله تعالى **من خير** هو القائم مقام فاعله ومن مزيدة للاستغراق والنفي وان لم يباشره ظاهرا
لكنه ينسحب عليه معنى والخير الوحي وحمله على ما يعمه وغيره من العلم والنصرة كما قيل يأباه وصفه فيما
سيأتي بالاختصاص وتقديم الظرف عليه مع ان حقه التأخر عنه لاظهار كمال العناية لانه المدار لعدم
ودهم ومن في قوله تعالى **من ربكم** ابتدائية والتعرض لعنوان الربوبية للاشعار بعليته لتنزيل الخير
والاضافة الى ضمير المخاطبين لتشريفهم وليست كراهتهم لتنزيله على المخاطبين من حيث تعبدهم بما فيه
وتعريضهم بذلك لسعادة الدارين كيف لا وهم من تلك الحيثية من جملة من نزل عليهم الخير من حيث وقوع
ذلك التنزيل على النبي عليه السلام وصيغة الجمع للايذان بان مدار كراهتهم ليس معنى خاصا بالنبي عليه
الصلوة والسلام بل وصف مشترك بين الكل هو الخلو عن الدراسة عند اليهود وعن الرياسة عن المشركين والمعنى
انهم يريدون انفسهم بان يوحى اليهم فيحسدونهم ويكرهون ان ينزل عليكم شيء من الوحي اما اليهود فبناء على
انهم اهل الكتاب وابناء الانبياء الناشئون في مهابط الوحي وانتم اميون واما المشركون فادلالا بما كان
لهم من الجاه والمال زعما منهم ان رياسة الرسالة كسائر الرياسات الدنيوية منوطة بالاسباب الظاهرة
ولذلك قالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم ولما كانت اليهود بهذا الداء اشهر لا سيما
في اثناء ابتلائهم به لم يلزم من نفي ودادهم لما ذكر نفي وداد المشركين فزيدت كلمة لا لتاكيد النفي **والله
يختص برحمته** جملة ابتدائية سيقت لتقرير ما سبق من تنزيل الخير والتنبيه على حكمته وارغام الكارهين

والمراد

له والمراد برحمته تعالى الوحي كما في قوله سبحانه اهم يقسمون رحمت ربك عبر عنه باعتبار نزوله
على المؤمنين بالخير باعتبار اضافته اليه تعالى بالرحمة قال علي رضي الله عنه نبوته خص بها محمد صلى الله
عليه وسلم معتد وصيغة الافتعال للانباء على الاصطفاء وايثاره على التنزيل المناسب للسياق الموافق
لقوله تعالى ان ينزل الله من فضله على من يشاء لزيادة تشريفه عليه الصلاة والسلام واقناطهم مما
علقوا به اطماعهم الفارغة والباء داخلة على المقصود اي يؤتي رحمته **من يشاء** من عباده ويجعلها مقصورا
عليه لا استحقاقا ذاتيا الفائض عليه بحسب ارادته عز وعلا لا بعداه الى غيره وقيل الفعل لازم
ومن يشاء فاعله والضمير العائد الى من محذوف على التقديرين وقوله تبارك وتعالى **والله ذو الفضل
العظيم** تذييل لما سبق مقرر لمضمونه وفيه ايذان ايتاء النبوة من فضله العظيم كقوله تعالى ان فضله
كان عليك كبيرا وان حرمان من حرم ذلك ليس لضيق ساحة فضله بل لمشيئته الجارية على سنن الحكمة البالغة
وتصدير الجملتين بالاسم الجليل للايذان بفخامة مضمونيهما وكل كل منهما مستقلة بشانها فان الاضمار في
الثانية مبني عن توقفها على الاولى **ما ننسخ من اية او ننسها** كلام مستانف مسوق لبيان سر النسخ الذي
هو فرد من افراد تنزيل الوحي وابطال مقالة الطاعنين فيه اثر تحقيق حقيقة الوحي ورد كلام الكارهين
له راسا قيل نزلت حين قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد عليه السلام يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم
عنه ويامر بخلافه والنسخ في اللغة الازالة والنقل قال نسخت الريح الاثر اي ازالته ونسخت الكتاب اي
نقلته ونسخ الاية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او بالحكم المستفاد منها او منهما جميعا وانساؤها
اذهابها من القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية وقرئ ننسخ من انسخ
اي نامرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وننساها من النسا اي نؤخرها وننسها بالتشديد وننسها
وتنسها على خطاب الرسول عليه الصلوة والسلام مبنيا للفاعل وللمفعول وقرئ ما ننسخ من اية ننسكها
وقرئ ما ننسك من اية او ننسخها والمعنى كل اية نذهب بها على ما تقتضيه الحكمة والمصلحة من ازالة لفظها
او حكمها او كلاهما معا الى بدل او الى غير بدل **نات بخير منها** اي بوحي اخر هو خير للعباد بحسب الحال في
النفع والثواب من الذاهبة وقد قرئ بقلب الهمزة الفا **او مثلها** اي ما ذكر من النفع والثواب وهذا الحكم
غير مختص بنسخ الاية التامة فما فوقها بل جاز فيما دونها ايضا وتخصيصها بالذكر باعتبار المخاطب والنص
كما ترى ذلك على جواز النسخ كيف لا وتنزيل الوحي لايات التي عليها يدور فلك الاحكام الشرعية انما هو بحسب
ما تقتضيه من الحكم والمصالح وذلك يختلف باختلاف الاحوال ويتبدل حسب تبدل الاشخاص
والاعصار كاحوال المعاش فرب حكم تقتضيه الحكمة في حال يقتضي ما في حال اخرى تقتضيه فلو لم يجز
النسخ لاختل ما بين الحكمة والاحكام من النظام **الم تعلم** الهمزة للتقرير كما في قوله سبحانه اليس الله بكاف
عبده وقوله تعالى الم نشرح لك صدرك والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى **ان الله على كل شيء قدير**
ساد مسد مفعولي تعلم عند الجمهور ومسد مفعوله الاول والثاني محذوف عند الاخفش والمراد بهذا
التقدير الاستشهاد بعلمه بما ذكر على قدرته تعالى على النسخ وعلى الاتيان بما هو من المنسوخ وبما هو مثله
لان ذلك من جملة الاشياء المقهورة تحت قدرته سبحانه فمن علم شمول قدرته سبحانه وتعالى لجميع الاشيا
علم قدرته على ذلك قطعا والالتفات بوضع الاسم الجليل موضع الضمير لتربية المهابة والاشعار بمناط
الحكم فان شمول القدرة لجميع الاشيا من احكام الالوهية وكذا الحال في قوله عز سلطانه **الم تعلم ان الله له
ملك السموات والارض** فان عنوان الالوهية مدار احكام ملكوتها والجار والمجرور خبر مقدم وملك
السموات والارض مبتدا والجملة خبر لان وايثاره على ان يقال ان الله ملك السموات والارض للقصد الى
تقوي الحكم بتكرير الاسناد وهو اما تكرير للتقرير واعادة الاستشهاد على ما ذكر وان مالم يعطف ان مع ما

في خبرها على ما سبق من مثلها دونما لزيادة التاكيد واشعارا باستقلال العلم بكل منهما وكفايته في
الوقوف على ما هو المقصود واما تقرير مستقل للاستشهاد على قدرته تعالى على جميع الاشيا اي الم تعلم
ان الله له السلطان القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمان للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهما ايجادا
واعداما وامرا ونهيا حسبما يقتضيه مشيته لا معارض لامره ولا معقب لحكمه فمن هذا شانه كيف
يخرج عن قدرته شيء من الاشيا وقوله تعالى وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير عطف على الجملة الواقعة
خبرا لان داخل تحت تعلق العلم المقرر وفيه اشارة الى تناول الخطابين السابقين للامة ايضا وانما
افراده عليه الصلاة والسلام بهما لما ان علومهم مستندة الى علمه عليه السلام وضع الاسم الجليل موضع المضمر
الراجع الى اسم ان لتربية المهابة والايذان بمقارنة الولاية والنصرة للقوة والعزة والمراد به الاستشهاد
بما تعلق به من العلم على تعلق ارادته تعالى بما ذكر من الاتيان بما هو خير من المنسوخ او مثله فان مجرد قدرته
تعالى على ذلك لا يستدعي حصوله البتة وانما الذي يستدعيه كونه تعالى مع ذلك وليا ونصيرا لهم فمن علم
انه تعالى وليه ونصيره على الاستقلال يعلم قطعا انه لا يفعل به الا ما هو خير له فيفوض امره اليه تعالى
ولا يخطر بباله ريبة في امر النسخ وغيره اصلا والفرق بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف عن النصرة والنصير
قد يكون اجنبيا من المنصور وما اما تميمية لا عمل لها ولكم خبر مقدم ومن ولي مبتدا موخر زيدت فيه كلمة
من للاستغراق واما حجازية ولكم خبرها المنصوب عند من يجوز تقديمه واسمها من ولي ومن متعلق بما ذكر
ومن دون الله في حيز النصب على الحالية من اسمها لانه في الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا ومعناه سوى
الله تعالى والمعنى ان قضية العلم بما ذكر من الامور الثلاثة هو الجزم والايقان بانه تعالى لا يفعل بهم في امر
من امور دينهم او دنياهم الا ما هو خير والعمل بموجبه من الثقة به والتوكل عليه وتفويض الامر اليه من غير اصغا
الى اقاويل الكفرة وتشكيكاتهم التي من جملتها ما قالوا من امر النسخ ام تريدون تجديد للخطاب عن النبي
صلى الله عليه وسلم وتخصيص له بالمؤمنين وام منقطعة ومعنى بل فيها للاضراب والانتقال عن حملهم
على العمل بموجب علمهم بما ذكر عند ظهور بعض مخايل المساهلة منهم في ذلك وامارات التاثر من اقاويل
الكفرة الى التحذير من ذلك ومعنى الهمزة انكار لوقوع الارادة منهم واستبعاد له لما ان قضية الايمان وازعة
عنها وتوجيه الانكار الى الارادة دون متعلقها للمبالغة في انكاره ببيان انه مما لا يصدر عن العاقل ارادته فضلا
عن صدوره نفسه والمعنى بل اتريدون ان تسالوا وانتم مؤمنون رسولكم وهو في تلك الرتبة من علو الشان
وتقترحوا عليه ما تشتهون غير واثقين بامور كم بفضل الله تعالى حسبما يوجب قضية علمكم سبحانه
قيل لعلهم كانوا يطلبون منه عليه السلام بيان تفاصيل الحكم الداعية الى النسخ وقيل ساله
عليه السلام قوم من المسلمين ذات انواط كما كانت للمشركين وهي شجرة كانوا يعبدونها ويعلقون عليها الماكول
والمشروب وقوله تعالى كما سيل موسى مصدر تشبيهي اي نعت لمصدر موكد محذوف وما مصدرية اي
سوالا مشبها بسوال موسى عليه السلام حيث قيل له اجعل لنا الها وارنا الله جهرة وغير ذلك ومقتضى
الظاهر ان يقال كما سال موسى عليه السلام فلعله اريد التشبيه فيهما معا ولكنه اوجز النظم فذكر في
جانب المشبه السائلية وفي جانب المشبه به المسئولية واكتفى بما ذكر في كل موضع عما ترك في الموضع الاخر
كما ذكر في قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وقد جوز
ان يكون ما موصولة على ان العايد محذوف اي كالسوال الذي سئله موسى عليه السلام وقوله تعالى من قبل
متعلق بسال جي به للتاكيد وقرى بالياء وكسر السين وبتسهيل الهمزة بين بين ومن يتبدل الكفر اي يختره وياخذ
لنفسه بالايمان بمقابلته بدلا منه وقرى ومن يبدل من ابدل وكان مقتضى الظاهر ان يقال ومن يفعل
ذلك اي السوال المذكور وارادته وحاصله ومن يترك الثقة بالايات البينة المنزلة بحسب المصالح

لان المشبه هو المصدر المبني للفاعل اي سائلية المخاطبين الامر النبي المفعول اي مسئولية الرسول عليه السلام حتى يشبه مسئولية موسى عليه الصلاة والسلام

التي من جملتها الايات الناسخة التي هي خير محض وحق واجب واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل اي
عدل وجار من حيث لا يدري عن الطريق المستقيم الموصل الى معالم الحق والهدى وتاه في تيه الهوى
وتردى في مهاوي الردى وانما اوثر على ذلك ما عليه النظم الكريم للتصريح من اول الامر بانه كفر وارتداد
وان كون كذلك امر واضح غني عن الاخبار بان يقال ومن يفعل ذلك يكفر حقيق بان يعد من المسلمات
ويجعل مقدما للشرطية روما للمبالغة في الزجر والافراط في الردع وسواء السبيل من باب اضافة
الوصف الى الموصوف ولقصد المبالغة في بيان قوة الاتصاف كانه نفس السوا على منهاج حصول الصورة
في الصورة الحاصلة وقيل الخطاب لليهود حيث سالوا ان ينزل الله عليهم كتابا من السماء وقيل للمشركين
حين قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى آخره فاضافة الرسول عليه السلام اليهم على
القولين باعتبار انهم من امة الدعوة ومعنى تبدل الكفر بالايمان وهم بمعزل من الايمان تركهم صرف
قدرتهم اليه مع تمكنهم من ذلك وايثارهم للكفر عليه ود كثير من اهل الكتاب هم رهط من احبار اليهود
روي ان فنحاص بن عازورا وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر رضي الله
عنهما بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل
ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني عاهدت ان لا اكفر
بمحمد عليه السلام ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة رضي الله عنه اما انا فقد
رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقران اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم
اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت لو يردونكم حكاية
لودادتهم ولو في معنى التمني وصيغة الغيبة كما في قوله حلف ليفعلن وقيل بمنزلة ان الناصبة فلا
يكون لها جواب وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا لود والتقدير ودوا ردكم وقيل
هي على حقيقتها وجوابها محذوف وتقديره لو يردونكم كفارا لسروا بذلك من بعد ايمانكم متعلق بيردونكم
وقوله تعالى كفارا مفعول ثان له على تضمين معنى الرد التصيير اي يردونكم كفارا كما في قوله
رمى الحدثان نسوة آل سعد بمقدار سمدن له سمودا فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا
وقيل هو حال من مفعوله والاول ادخل لما فيه من الدلالة صريحا على كون الكفر المفروض بطريق القسر
وايراد الظرف مع عدم الحاجة اليه ضرورة كون المخاطبين مؤمنين واستحالة تحقق الرد الى الكفر
بدون سبق الايمان وتوسيطه بين المفعولين لاظهار كمال شناعة ما ارادوه وغاية بعده من الوقوع اما
لزيادة قبحه الصادف للعاقل عن مباشرته واما لممانعة الايمان له كانه قيل من بعد ايمانكم الراسخ وفيه
من تثبيت المؤمنين ما لا يخفى حسدا علة لود او حال اريد به نعت الجمع اي حاسدين لكم والحسد
الاسف على من له خير بخير من عند انفسهم متعلق بود اي ودوا ذلك من اصل نفوسهم وحظوظ انفسهم
لا من قبل التدين والميل مع الحق ولو على زعمهم او بحسد اي حسدا منبعثا من اصل نفوسهم بالغا
اقصى مراتبه من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات الساطعة وبما عاينوا في التورية من الدلائل وعلموا انكم
متمسكون وهم منهمكون في الباطل فاعفوا واصفحوا العفو ترك المواخذة والعقوبة والصفح ترك
التثريب والتانيب حتى ياتي الله بامره الذي هو قتل بني قريظة واجلاء بني النضير واذلالهم بضرب الجزية
عليهم او الاذن في القتال وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه منسوخ باية السيف ولا يقدح في ذلك
ضرب الغاية لانها لا تعلم الا شرعا ولا يخرج الوارد بذلك من ان يكون ناسخا كانه قيل فاعفوا واصفحوا
الى ورود الناسخ ان الله على كل شيء قدير فينتقم منهم اذا حان حينه وآن اوانه فهو تعليل لما دل عليه ما قبله
واقيموا الصلوة واتوا الزكوة عطف على فاعفوا امر بالصبر والمداراة والالتجا الى الله تعالى بالعبادة البدنية

والمالية وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه كصلوة وصدقة او خير لك اي من الخير فقدموه لمصلحة انفسكم
تجدوه عند الله اي تجدوا ثوابه وقرئ تقدموا من اقدم ان الله بما تعملون بصير فلا يضيع عنده عمل فهو وعد
للمؤمنين وقرئ بالياء فهو وعيد للكافرين وقالوا عطف على ودوا والضمير لاهل الكتابين لن يدخل الجنة
الا من كان هودا او نصارى اي قالوا اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا والنصارى لن يدخل الجنة الا
من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بان السامع يرد كلا منهما الى قايله ونحوه وقالوا كونوا هودا او
نصارى تهتدوا وليس مرادهم بذلك من اقام اليهودية والنصرانية قبل النسخ والتحريف على وجهها
بل انفسهم على ما هم عليه لانهم انما يقولونه لاضلال المؤمنين وردهم الى الكفر والهود جمع هايد كعود
جمع عايد وتوحيد الاسم المضمر في كان باعتبار لفظ من والجمع في خبره باعتبار معناه وقرئ الا من
كان يهوديا او نصرانيا تلك امانيهم الاماني جمع امنية وهي ما يتمنى كالاعجوبة والاضحوكة والجملة معترضة
مبينة لبطلان ما قالوا وتلك اشارة اليه والجمع باعتبار صدوره عن الجميع وقيل فيه حذف مضاف اي امثال
تلك الامنية امانيهم وقيل تلك اشارة اليه والى ما قبله من ان ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردهم
كفارا ويرده قوله تعالى قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين فانهما ليسا مما يطلب له البرهان ولا مما يحتمل الصدق
والكذب قيل هاتوا اصله ءاتوا قلبت الهمزة هاء اي احضروا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان
كنتم صادقين في دعواكم هذا ما يقتضيه المقام بحسب النظم الجليل والذي يستدعيه اعجاز التنزيل ان
يحمل الامر التبكيتي على طلب البرهان على اصل الدخول الذي يتضمنه دعوى الاختصاص به فان قوله تعالى
بلى الى آخره اثبات من جهته تعالى لما نفوه مستلزم لنفي ما اثبتوه واذ ليس الثابت به مجرد دخول غيرهم
الجنة ولو معهم ليكون المنفي مجرد اختصاصهم به مع بقاء اصل الدخول على حاله بل هو اختصاص غيرهم بالدخول
كما ستعرفه باذن الله تعالى ظهر ان المنفي اصل دخولهم ومن ضرورته ان يكون هو الذي كلفوا اقامة البرهان
عليه لا اختصاصهم به ليتحد مورد الاثبات والنفي وانما عدلوا عن ابطال صريح ما ادعوه وسلك هذا
المسلك ايذانا بغاية حرمانهم ما علقوا به اطماعهم واظهارا لكمال عجزهم عن اثبات مدعاهم لان حرمانهم
من الاختصاص بالدخول وعجزهم عن اقامة البرهان عليه لا يقتضيان حرمانهم من اصل الدخول وعجزهم
عن اثباته واما نفس الدخول فحيث ثبت حرمانهم منه وعجزهم عن اثباته فهم من الاختصاص به ابعد وعن
اثباته اعجز وانما القابل من انتظم في قوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله اي اخلص نفسه له تعالى لا يشرك به شيئا
عبر عنها بالوجه لانه اشرف الاعضاء ومجمع المشاعر وموضع السجود ومظهر آثار الخشوع الذي هو
من اخص خصايص الاخلاص او توجهه وقصده بحيث لا يلوي عزيمته الى شيء غيره وهو محسن حال من
ضمير اسلم اي والحال انه محسن في اعماله التي من جملتها الاسلام والاتيان بالعمل على الوجه اللايق
وهو حسنه الوصفي التابع لحسنه الذاتي وقد فسره عليه السلام ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن
تراه فانه يراك فله اجره الذي وعد له على عمله وهو عبارة عن دخول الجنة او عما يدخل فيه دخولا
اوليا واياما كان فتصويره بصورة الاجر للايذان بقوة ارتباطه بالعمل واستحالة نيله بدونه
وقوله تعالى عند ربه حال من اجره والعامل فيه معنى الاستقرار في الظرف والعندية للتشريف
ووضع اسم الرب مضافا الى ضمير من اسلم موضع ضمير الجلالة لاظهار مزيد اللطف به وتقرير مضمون
الجملة اي فله اجره عند مالكه ومدبر اموره ومبلغه الى كماله والجملة جواب من ان كانت شرطية
وخبرها ان كانت موصولة والفاء لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله بلى وحده ويجوز ان يكون
من فاعلا لفعل مقدر اي بلى يدخلها من اسلم وقوله تعالى فله اجره معطوف على ذلك المقدر واياما كان
فتعليق ثبوت الاجر بما ذكر من الاسلام والاحسان المختصين باهل الايمان قاض بانتفاء اصله عنهم

من دخول

من دخول الجنة بمعزل ومن الاختصاص به بالف منزل ولا خوف عليهم في الدارين من لحوق مكروه ولا هم يحزنون
من فوات مطلوب اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والجمع في
الضماير الثلاث باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضماير الاول باعتبار اللفظ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء
بيان لتضليل كل فريق صاحبه بخصوصه اثر بيان تضليله كل من عداه على وجه العموم نزلت لما قدم وفد نجران
على رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاهم احبار اليهود فتناظروا فتقاولوا وارتفعت اصواتهم فقالوا لهم لستم
على شيء اي امر يعتد به من الدين او على امر ما اصلا مبالغة في ذلك كما قالوا اقل من لا شيء وكفروا بعيسى
والانجيل وقالت النصارى ليست اليهود على شيء على الوجه المذكور وكفروا بموسى والتوراة لانهم قالوا ذلك بناء
للامر على منسوخية التوراة وهم يتلون الكتاب الواو للحال واللام للجنس اي قالوا ما قالوا والحال ان كل
فريق منهم من اهل العلم والكتاب اي كان حق كل فريق منهم ان يعترف بحقية دين صاحبه حسبما ينطق به كتابه فان
كتب الله متصادقة كذلك اي مثل ذلك الذي سمعت به والكاف في محل النصب اما على انها نعت لمصدر
محذوف وقدم على عامله لافادة القصر اي قولا مثل ذلك القول بعينه لا قولا مغايرا له قال الذين لا يعلمون
من عبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم من الجهلة اي قالوا لاهل كل دين ليسوا على شيء واما على انها حال
من مصدر المضمر المعرف الدال عليه قال اي قال القول الذين لا يعلمون حال كونه مثل ذلك القول الذي
سمعت به مثل قولهم اما بدل من محل الكاف واما مفعول للفعل المنفي قبله اي مثل ذلك القول قال
الجاهلون بمثل مقالة اليهود والنصارى وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك
من لا يعلم اصلا فالله يحكم بينهم اي بين اليهود والنصارى فان سياق النظم لبيان حالهم واما التعرض
لمقالة غيرهم فلاظهار كمال بطلان مقالهم ولان
الحاجة المحوجة الى الحكم انما وقعت بينهم يوم القيامة متعلق بيحكم وكذا ما قبله وما بعده ولا ضير فيه
لاختلاف المعنى فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم ان
يكذبهم ويدخلهم النار والظرف الاخير متعلق بيختلفون قدم عليه للمحافظة على رؤوس الآي كانوا
ومن اظلم ممن منع مساجد الله انكار واستبعاد لان يكون احد اظلم ممن فعل ذلك ومساواة لم يكن
سبك التركيب متعرضا لانكار المساواة ونفيها يشهد به العرف الفاشي والاستعمال المطرد فاذا قيل من
اكرم من فلان او لا افضل من فلان فالمراد حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وهذا الحكم عام لكل
من فعل ذلك في اي مسجد كان وان كان سبب النزول فعل طائفة معينة في مسجد مخصوص روي ان النصارى
كانوا يطرحون في بيت المقدس ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وان الروم غزوا اهله فخربوه واحرقوا التوراة
وقتلوا وسبوا وقد نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما ان طيطوس الرومي ملك النصارى واصحابه
غزوا بني اسرائيل وقتلوا مقاتلتهم وسبوا ذراريهم واحرقوا التوراة وخربوا بيت المقدس وقذفوا فيه
الجيف وذبحوا فيه الخنازير ولم يزل خرابا حتى بناه المسلمون في عهد عمر رضي الله عنه وانما اوقع المنع
على المساجد وان كان الممنوع هو الناس لما ان فعلهم متعلق بها من طرح الاذى والتخريب ونحوهما متعلق بالمسجد
لا بالناس مع كونه على حالة وتعلق الآية الكريمة بما قبلها من حيث انها مبطلة لدعوى النصارى اختصاصهم
بدخول الجنة وقيل هو منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية
فتعلقها بما تقدمها من حيث ان المشركين من جملة الجهلة القايلين لكل من عداهم ليسوا على شيء ان يذكر
فيها اسمه ثاني مفعولي منع كقوله تعالى وما منع الناس ان يؤمنوا وقوله تعالى وما منعنا ان نرسل بالآيات
الا ان كذب بها الاولون ويجوز ان يكون ذلك بحذف الجار مع ان ويكون ذلك مفعولا له اي
كراهة ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها بالهدم والتعطيل بانقطاع الذكر اولئك ما نعوا الظالمون

الساعون في خرابها **ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين** اي ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا بخشيه وخضوع فضلا
عن الاجترا على تخريبها او تعطيلها او ما كان الحق ان يدخلها الا على حال التهيب وارتعاد الفرايص من جهة المومنين
ان يبطشوا بهم فضلا عن ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوهم منها او ما كان لهم في علم الله تعالى وقضايه بالآخرة
الا ذلك فيكون وعدا للمومنين بالنصرة واستخلاص ما استولوا عليه منهم وقد انجز الوعد ولله الحمد روي
انه لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى الا متنكرا مسارقة وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول
في المسجد واختلف الايمة في ذلك فجوزه ابو حنيفة مطلقا وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره **لهم** اي
لاوليك المذكورين **في الدنيا خزي** اي خزي فظيع لا يوصف القتل والسبي والاذلال وضرب الجزية عليهم
ولهم في الآخرة عذاب عظيم وهو عذاب النار لما ان سببه ايضا وهو ما حكي من ظلمهم كذلك في العظم وتقديم
الظرف في الموضعين للتشويق الى ما يذكر بعده من الخزي والعذاب لما مر من ان تاخير ما حقه التقديم موجب
لتوجه النفس اليه فيتمكن عند وروده فضل تمكن كما في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك وانزل لكم من الانعام
ثمانية ازواج الى غير ذلك **ولله المشرق والمغرب** اي له كل الارض التي هي عبارة عن ناحيتي المشرق والمغرب
لا يختص به من حيث الملك والتصرف ومن حيث المحلية لعبادته مكان منها دون مكان وان منعتم من اقامة
العبادة في المسجد الاقصى او المسجد الحرام **فاينما تولوا** اي ففي اي مكان فعلتم تولية وجوهكم شطر القبلة
فثم وجه الله ثم اسم اشارة للمكان البعيد خاصة مبني على الفتح ولا ينصرف بسوى الجر من وهو خبر مقدم
ووجه الله مبتدا والجملة في محل الجزم على انها جواب الشرط اي هناك جهته التي امر بها فان امكان التولية
غير مختص بمسجد دون مسجد او بمكان دون مكان اخر او فثم ذاته بمعنى الحضور العلمي اي فهو عالم بما يفعل
فيه ومثيب لكم على ذلك وقرئ بفتح التاء واللام فاينما توجهوا القبلة **ان الله واسع** باحاطته بالاشيا
او برحمته يريد التوسعة على عباده **عليم** بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها والجملة تعليل للمضمون الشرطية
وعن ابن عمر رضي الله عنهما نزلت في صلوة المسافر على الراحلة اينما توجهوا وقيل في قوم عميت عليهم القبلة
فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاهم وعلى هذا لو اخطا المجتهد ثم تبين له الخطا لم يلزمه التدارك
وقيل هي توطية لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود اي يكون في جهة **وقالوا اتخذ الله ولدا** حكاية لطرف آخر من
مقالاتهم الباطلة المحكية فيما سلف معطوفة على ما قبلها من قوله تعالى وقالت الى آخره لا على صلة ما بينهما
من الجملة الكثيرة الاجنبية والضمير لليهود والنصارى ومن شاركهم فيما قالوا من الذين لا يعلمون وقرئ
بغير واو على الاستيناف نزلت حين قالت اليهود عزير ابن الله والمسيح ابن الله ومشركوا العرب الملايكة بنات
الله والاتخاذ اما بمعنى الصنع والعمل فلا يتعدى الا على واحد واما بمعنى التصيير والمفعول الاول محذوف
اي صير بعض مخلوقاته ولدا **سبحانه** تنزيه وتبرية له تعالى عما قالوا وسبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه
على المصدرية فلا يكاد يذكر ناصبه اي اسبح سبحانه اي انزهه تنزيها لايقا به وفيه من التنزيه البليغ من
حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب والابعاد في الارض ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة
العدول من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن
جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل ما لا يخفى وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه اي تنزه بذاته
تنزها حقيقا به ففيه مبالغة من حيث اسناد البراءة الى الذات المقدسة وان كان التنزيه اعتقاد
نزاهته تعالى عما لا يليق به لا اثباتها له تعالى وقوله تعالى **بل له ما في السموات والارض** رد لما زعموا وتنبيه
على بطلانه وكلمة بل للاضراب عما يقتضيه مقالتهم الباطلة من مجانسته سبحانه وتعالى لشيء من المخلوقات
ومن سرعة فنائه الى اتخاذ ما يقوم مقامه فان مجرد الامكان والفنا لا يوجب ذلك الا ترى ان الاجرام
الفلكية مع امكانها وفنائها بالآخرة مستغنية بدوامها وطول بقائها على مجرى الولد من الحيوان

اي ليس كما زعموا بل خالق جميع الموجودات التي من جملتها عزير والمسيح والملايكة **كل** التنوين عوض عن المضاف
اليه اي كل ما فيهما كاينا ما كان من اولي العلم وغيرهم **له قانتون** منقادون لا يستعصي شيء منهم على تكوينه وتقديره
ومشيته ومن كان هذا شانه لم يتصور مجانسته لشيء ومن حق الولد ان يكون من جنس الوالد وانما جيء بما
المختصة بغير اولي العلم تحقيرا لشانهم وايذانا بكمال بعدهم عما نسبوا الى بعض منهم وصيغة جمع العقلا
في قانتون للتغليب او كل من جعلوه لله ولدا له قانتون اي مطيعون عابدون له معترفون بربوبيته تعالى
كقوله تعالى اوليك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة **بديع السموات والارض** اي مبدعهما ومخترعهما
بلا مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه فان البديع كما يطلق على المبتدع نص عليه اساطين اهل اللغة وقد جاء بدع
كمنعه بمعنى انشاه كابتدعه كما ذكر في القاموس وغيره ونظيره السميع بمعنى المسمع في قوله امن ريحانة الداعي
السميع وقيل هو من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها للتخفيف بعد نصبه على تشبيهها باسم الفاعل
كما هو المشهور اي بديع سمواته من بدع اذا كان على شكل فايق وحسن رايق وهو حجة اخرى لابطال مقالتهم
الشنعا تقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفصل بانفصال مادته عنه والله سبحانه وتعالى مبدع الاشيا
كلها على الاطلاق منزه عن الانفصال فلا يكون والدا ورفعه على انه خبر لمبتدا محذوف اي هو المبدع الى آخره
وقرئ بالنصب على المدح وبالجر على انه بدل من الضمير في له على راي من يجوز الابدال من الضمير المجرور كما في
قوله على جوده لضن بالماء حاتم **واذا قضى امرا** اي اراد شيا كقوله تعالى انما امره اذا اراد شيا واصل القضا
الاحكام اطلق على الارادة الالهية المتعلقة بوجود الشيء لايجابها اياه البتة وقيل الامر وقوله تعالى وقضى
ربك الى آخره **فانما يقول له كن فيكون** كلاهما من الكون التام اي احدث فيحدث وليس المراد حقيقة الامر
والامتثال وانما هو تمثيل لسهولة تاتي المقدورات بحسب تعلق مشيته تعالى وتصوير لسرعة حدوثها
بما هو علم في الباب من طاعة المامور المطيع للامر القوي المطاع وفيه تقرير لمعنى الابداع وتلويح بحجة
اخرى لابطال ما زعموا بان اتخاذ الولد شان من يفتقر في تحصيل مراده الى مبادي يستدعي ترتيبها
مرور زمان وتبدل اطوار وفعله تعالى متعال عن ذلك **وقال الذين لا يعلمون** حكاية لنوع آخر من قبايحهم
وهو قدحهم في امر النبوة بعد حكاية قدحهم في شان التوحيد بنسبة الولد اليه سبحانه وتعالى
واختلف في هولاء القايلين فقال ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود وقال مجاهد هم النصارى ووصفهم
بعدم العلم لعدم علمهم بالتوحيد والنبوة كما ينبغي او لعدم علمهم بموجب علمهم او لما ان ما يحكى عنهم لا يصدر عمن
له علم اصلا وقال قتادة واكثر اهل التفسير هم مشركوا العرب لقوله تعالى فلياتنا باية كما ارسل
الاولون وقالوا لولا انزل علينا الملايكة او نرى ربنا وقوله تعالى **لولا يكلمنا الله** هلا يكلمنا الله بلا واسطة
امرا ونهيا كما يكلم الملايكة او هلا يكلمنا تنصيصا على نبوتك **او تاتينا اية** حجة تدل على صدقك بلغوا
من العتو والاستكبار الى حيث املوا نيل مرتبة المفاوضة الالهية من غير توسط الرسول والملك
ومن العناد والمكابرة الى حيث لم يعدوا ما اتاهم من البينات الباهرة التي تخر لها صم الجبال من قبل
الايات قاتلهم الله انى يوفكون **كذلك** اي مثل ذلك القول الشنيع الصادر عن العناد والفساد **قال الذين
من قبلهم** من الامم الماضية **مثل قولهم** هذا الباطل الشنيع فقالوا ارنا الله جهرة وقالوا لن نصبر
على طعام واحد الاية قالوا لن نستطيع الى آخره وقالوا اجعل لنا الهة **تشابهت قلوبهم** اي قلوب هولاء
واوليك في العمى والعناد والا لما تشابهت اقاويلهم الباطلة **قد بينا الآيات** اي نزلناها بينة بان
جعلناها كذلك في انفسها كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل لا انا بيناها بعد
ان لم تكن بينة **لقوم يوقنون** اي يطلبون اليقين ويوقنون بالحقايق لا يعتريهم شبهة ولا ريب وهذا
رد لطلبهم الاية وفي تعريف الآيات وجمعها وايراد التبيين المفصح عن كمال التوضيح مكان الاتيان الذي

طلبوه ما لا يخفى من الجزالة والمعنى انهم اجترحوا اية قدح ونحن قد بينا الايات العظام لقوم يطلبون الحق واليقين وانما يتعرض لرد قولهم لولا يكلمنا الله ايذانا بانه من ظهور البطلان بحيث لا حاجة الى الرد والجواب انا ارسلناك بالحق اي ملتبسا بالقران كما في قوله تعالى احوهو وقوله تعالى بشيرا ونذيرا حال من المفعول باعتبا وتقييد بالحال الاولى اي ارسلناك ملتبسا بالقران حال كونك لمن امن بما انزل عليك وعمل به ونذيرا لمن كفر به وارسلناك صادقا حال كونك بشيرا لمن صدقك بالثواب ونذيرا لمن كذبك بالعقاب فيختاروا لانفسهم ما احبوا لا قاموا لهم على الايمان فلا عليك ان اصروا وكابروا ولا تسال عن اصحاب الجحيم ما لهم لا يومنوا بعد ما بلغت ما ارسلت به وقرى لن تسال ولن تسال على صيغة النهي ايذانا بكمال شدة عقوبة الكفار وتهويلها كانها لغاية فظاعتها لا يقدر المخبر على اجرايها على لسان ولا يستطيع السامع ان يسمع خبرها وحمله على نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن السوال عن حال ابويه مما لا يساعده النظم الكريم والجحيم المتاجج من النار والتعبير عنهم بصاحبية الجحيم دون الكفر والتكذيب ونحوهما وعيد شديد لهم وايذان بانهم مطبوع عليهم لا يرجى منهم الايمان قطعا وقوله تعالى ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم بيان لشدة شكيمة هاتين الطايفتين خاصة اثر بيان ما يعمهما والمشركين من الاصرار الى ما هم عليه الى الموت وايراد النافية بين المعطوفين لتاكيد النفي لما مر من ان تصلب اليهود في امثال هذه العظايم اشد من النصارى والاشعار بان رضى كل منهما مباين لرضى الاخرى اي لن ترضى عنك اليهود ولو خليتهم وشانهم حتى تتبع ملتهم فاوجز النظم ثقة بظهور المراد وفيه من المبالغة في اقناطه عليه السلام ما لا يكاد يدخل تحت الامكان عن اتباعه عليه السلام ملتهم فكيف يتوهم اتباعهم لملته عليه السلام وهذه حالتهم في انفسهم ومقالتهم فيما بينهم واما انهم اظهروها للنبي عليه السلام وشافهوه بذلك وقالوا لن نرضى عنك وان بالغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا كما قيل فلا يساعده النظم الكريم بل ما يدل على خلافه فان قوله عز وجل قل ان هدى الله هو الهدى صريح في ان ما وقع هذا جوابا عنه ليس عين تلك العبارة بل ما يستلزم مضمونها ويلزمه من الدعوى الى اليهودية والنصرانية وادعاء ان الاهتداء فيهما كقوله عز وعلا حكاية عنهم كونوا هودا او نصارى تهتدوا اي قل ردا عليهم ان هدى الله الذي هو الاسلام والهدى بالحق والذي يحق ان يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى وما تدعون عنه ليس بهدى بل هو هوى كما يعرب عنه قوله تعالى ولئن اتبعت اهواءهم اي اراءهم الزايغة الصادرة عنهم بقضية شهوات انفسهم وهي التي عبر عنها فيما قبل بملتهم اذ هي التي ينتمون اليها واما ما شرعه الله تعالى من الشريعة على لسان الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهو المعنى الحقيقي للملة فقد غيروها تغييرا بعد الذي جاءك من العلم اي الوحي والدين المعلوم صحته ما لك من الله من جهته العزيزة من ولي يلي امرك عموما ولا نصير يدفع عنك عقابه وحيث لم يستلزم نفي الولي نفي النصير وسط بينهما حرف النفي للتاكيد وهذا من باب التهييج والالهاب والا يتوهم امكان اتباعه عليه السلام الذين اتيناهم الكتاب هم مومنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه يتلونه حق تلاوته بمراعات لفظه عن التحريف وبالتدبر في معانيه والعمل بما فيه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده او خبر وما بعده مقدر له اولئك اشارة الى المومنين بايتاء الكتاب وتلاوته بما هو حقه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل يومنون به اي بكتابهم دون المحرفين فانه بمعزل من الايمان به فانه لا يجامع الكفر ببعض منه ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون من حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم ومن جملتها التورية وذكر النعمة انما يكون بشكرها وشكرها الايمان بجميع ما فيها ومن جملتها نعت النبي عليه الصلوة والسلام ومن ضرورة الايمان بها الايمان به عليه السلام واني فضلتكم على العالمين افردت هذه النعمة بالذكر مع كونها مندرجة تحت

النعمة

النعم السالفة لانافتها فيما بين فنون النظم واتقوا يوما لا تجزي في ذلك اليوم نفس من النفوس عن نفس اخرى شيئا من الاشيا او شيئا من الجزاء ولا يقبل منها عدل اي فدية ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون وتخصيصهم بتكرير التذكير واعادة التحذير للمبالغة في النصح وللايذان بان ذلك فذلكة القضية والمقصود من القصة لما ان نعم الله عز وجل عليهم اعظم وكفرهم بها اشد واقبح واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات شروع في تحقيق ان هدى الله هو ما عليه النبي عليه السلام من التوحيد والاسلام الذي هو ملة ابرهيم عليه السلام وان ما عليه اهل الكتاب من اهواء زايغة وان ما يدعونه من انهم على ملته عليه السلام فرية بلا مرية ببيان ما صدر عن ابرهيم عليه السلام من الاقاويل والافاعيل الناطقة بحقيقة التوحيد وبطلان الشرك وبصحة النبي عليه السلام وبكونه ذلك النبي الذي استدعاه ابرهيم عليه السلام واسمعيل عليه السلام بقولهما ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الاية فاذ منصوب على المفعولية بمضمر مقدر خوطب به النبي عليه السلام بطريق التلوين اي واذكر لهم وقت ابتلايه عليه السلام ليتذكروا بما وقع فيه من الامور الداعية الى التوحيد الوازعة عن الشرك فيقبلوا الحق ويتركوا ما هم فيه من الباطل وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع من الحوادث مع انها المقصودة بالذات قد مر وجهه في اثناء قوله عز وجل واذ قال ربك للملايكة اني جاعل في الارض خليفة وقيل على الظرفية بمضمر مؤخر اي واذ ابتلاه كان كيت وكيت وقيل بما سيجيء من قوله تعالى قال الى اخره والاول هو اللايق بجزالة التنزيل ولا يبعد ان ينتصب بمضمر معطوف على اذكروا خوطب به بنوا اسرايل ليتاملوا فيما يحكى عمن ينتموا الى ملته من ابرهيم وانبيائه عليه السلام من الافعال والاقوال فيقتدوا بهم ويسيروا سيرتهم والابتلاء في الاصل الاختبار اي تطلب الخبرة بحال المختبر بتعريضه لامر يشق عليه غالبا فعله وتركه وذلك انما يتصور حقيقة ممن لا وقوف له على عواقب الامور واما من العليم الخبير فلا يكون الا مجازا من تمكينه للعبد من اختيار احد الامرين قبل ان يترتب عليه شيئا من مبادئه العادية لمن يختبر عبده ليعلم حاله من الكياسة فيما امره بما يليق بحاله من مصالحه وابرهيم اسم اعجمي قال السهيلي كثيرا ما يقع الاتفاق او التقارب بين السرياني والعربي الا ترى ان ابرهيم تفسيره اب راحم ولذلك جعل هو وزوجته سارة كافلين لاطفال المومنين الذين يموتون صغارا الى يوم القيمة على ما روى البخاري في حديث الرويا ان النبي صلى الله عليه وسلم راى في الروضة ابرهيم عليه السلام وحوله اولاد الناس وهو مفعول مقدم لاضافة فاعله الى ضميره والتعرض لعنوان الربوبية تشريف له عليه السلام وايذانا بان ذلك الابتلاء تربية له وترشيح لامر خطير والمعنى عامله سبحانه معاملة المختبر حيث كلفه اوامر ونواهي تظهر بحسن قيامه بحقوقها قدرته على الخروج عن عهدة الامانة العظمى وتحمل اعباء الرسالة وهذه المعاملة وتذكيرها للناس لارشادهم الى طريق اتقان الامور ببنائها على التجربة والايذان بان بعثة النبي عليه السلام مبنية على تلك القاعدة المتينة واقعة بعد ظهور استحقاقه عليه السلام للنبوة العامة كيف لا وهي التي اجيب بها دعوة ابرهيم عليه السلام كما سياتي واختلف في الكلمات قال مجاهد هي المذكورة بعدها ورد بانه يأباه الفاء في فاتمهن ثم الاستيناف وقال طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما هي عشر خصال كانت فرضا في شرعه وهي سنة في شرعنا خمسة في الراس المضمضة والاستنشاق وفرق الراس وقص الشارب والسواك وخمس في البدن الختان وحلق العانة ونتف الابط وتقليم الاظفار والاستنجا بالما وفي الخبر ان ابرهيم عليه السلام اول من قص الشارب واول من اختتن واول من قلم الاظفار وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما لم يبتل احد بهذا الدين فاقامه كله الا ابرهيم عليه السلام ابتلاه الله تعالى بثلاثين خصلة من خصال الاسلام عشر منها في سورة براءة التايبون الى اخره وعشرة في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات الى اخره وعشرة في المومنون وفي سال سايل الى قوله عز وجل

والذين هم على صلاتهم يحافظون وقيل ابتلاه الله بسبعة اشيا بالشمس والقمر والنجوم والختان على الكبر
والنار وذبح الولد والهجرة فوفى بالكل وقيل هن محاجته قومه والصلوة والزكوة والصوم والضيافة
والصبر عليها وقيل هي مناسك كالطواف والسعي والرمي والاحرام والتعريف وغيرهن وقيل هي عليه
السلام الذي خلقني فهو يهدين الايات ثم قال انما وقع هذا الابتلا قبل النبوة وهو الظاهر وقيل بعدها
لانه يقتضي سابقة الوحي واجيب بان مطلق الوحي لا يستلزم البعثة الى الخلق وقري برفع ابرهيم ونصبه اي
دعاه بكلمات من الدعا فعل المجتنين يجيبه اليمين اولا فاتمهن اي قام بهن حق القيام واداهن احسن التادية
من غير تفريط وتوان كما في قوله تعالى وابرهيم الذي وفى وعلى القراة الاخيرة فاعطاه الله ماساله من غير
نقص ويعضده ما روي عن مقاتل انه فسر الكلمات بما ساله ابرهيم ربه بقوله الايات وقوله عز وجل قال
على تقدير انتصاب اذ بمضمر جملة مستانفة وقعت جوابا على سؤال نشا من هذا الكلام فان الابتلا تمهيد
لامر معظم وظهور فضيلة المبتلي من دواعي الاحسان فيعد حكايتهما يترقب الى ما وقع بعدهما كانه قيل فما
ذا بعد ذلك فقيل قال اني جاعلك للناس اماما او بيان لقوله تعالى ابتلى على راي من جعل الكلمات عبارة عما ذكر
اثره من الامامة وتطهير البيت وقواعده وغير ذلك وعلى تقدير انتصاب ان يقال في الجملة معطوفة على ما
قبلها عطف القصة على القصة والواو في المعنى داخلة على قال اي وقال اذ ابتلى الى آخره والجعل بمعنى التصيير
واحد مفعوليه والثاني اماما واسم الفاعل بمعنى المضارع واوكد منه للدلالة على انه جاعل له البتة من غير صارف
يلويه ولا عاطف يثنيه وللناس متعلق بجاعلك اي لاجل الناس او بمحذوف وقع حالا من اماما اذ لو تاخر عنه لكان
صفة له والامام لما يؤتم به وكل نبي امام لامته وامامته عليه السلام عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبي الا وكان
من ذريته مامورا باتباع ملته قال استيناف مبني على سؤال مقدر كانه قيل فماذا قال ابرهيم عليه السلام
عنده فقيل قال ومن ذريتي عطف على الكاف ومن تبعيضية متعلقة بجاعل اي وجاعل بعض ذريتي كما تقول
وزيدا لمن يقول ساكرمك او بمحذوف اي واجعل فريقا من ذريتي اماما وتخصيص البعض بذلك لبداهة
استحالة امامة الكل وان كانوا على الحق وقيل التقدير وماذا يكون من ذريتي والذرية نسل الرجل فعولة من ذرو
او ذريت والاصل ذرووة او ذروية فاجتمع في الاولى واوان زائدة واصلية فقلبت الاصلية يا فصارت
كالثانية فاجتمع واو ويا وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو يا وادغمت اليا في اليا فصارت ذرية
او فعيلة ذريوة منهما والاصل في الاولى ذريوة قلبت الواو يا لما سبق من اجتماعهما وسبق احداهما بالسكون فصارت
ذرية كالثانية وادغمت اليا في مثلها فصارت ذرية او فعيلة من الذرء بمعنى الخلق والاصل في الذرء ذريئة
فخففت الهمزة بابدالها يا كهمزة خطيئة ثم ادغمت اليا الزايدة في المبدلة او فعيلة من الذر بمعنى التفريق
والاصل ذريرة قلبت الراء الاخيرة يا لتوالي الامثال كما في تسري وتقضي وتظني وادغمت اليا في اليا كما مر
او فعولة منه والاصل ذرورة فقلبت الراء الاخيرة يا فجاء الادغام وقري بكسر الدال وهي لغة فيها وقرا ابو
جعفر المدني بالفتح وهي ايضا لغة فيها قال استيناف مبني على سؤال ينساق اليه الذهن كما سبق لا ينال
عهدي الظالمين ليس هذا ردا لدعوته عليه السلام بل اجابة خفية لها وعدة اجمالية منه تعالى بتشريف بعض
ذريته عليه السلام بنيل عهد الامامة حسبما وقع في استدعائه عليه السلام من غير تعيينهم بوصف مميز
لهم عن جميع من عداهم فان التنصيص على حرمان الظالمين منه بمعزل من ذلك التمييز اذ ليس معناه انه ينال
ليس ظالما منهم ضرورة استحالة ذلك كما اشير اليه ولعل ايثار هذه الطريقة على تعيين الجامعين لمبادي الامامة
من ذريته اجمالا او تفصيلا وارسال الباقين ليلا ينتظم المقتدون بالايمة من الامة في سلك المحرومين وفي
تفصيل كل فرقة من الاطناب ما لا يخفى مع ما في هذه الطريقة من تخييب الكفرة الذين كانوا يتمنون النبوة
وقطع اطماعهم الفارغة من نيلها وانما اوثر النيل على الجعل ايماء الى ان امامة الانبياء من ذريته كاسماعيل

واسحق

دفع

واسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وهرون وداود وسليمان وايوب ويونس وزكريا ويحيى وعيسى
ومحمد صلى الله وسلم عليهم اجمعين ليست بجعل مستقل بل هي حاصلة في ضمن امامة ابرهيم عليه السلام
تنال كلا منهم في وقت قدره الله تعالى وقري الظالمون على ان عهدي مفعول قدم على الفاعل اهتماما ورعاية
للفواصل وفيه دليل على عصمة الانبياء عليهم السلام من الكباير على الاطلاق وعدم صلاحية الظالم للامامة
وقوله تعالى واذ جعلنا البيت اي الكعبة المعظمة غلب عليها غلبة النجم على الثريا معطوف على اذ ابتلى على ان
العامل هو العامل فيه او بمضمر مستقل معطوف على المضمر الاول والجعل اما بمعنى التصيير فقوله تعالى
مثابة اي مرجعا يثوب اليه الزوار بعد ما تفرقوا عنه وامثالهم او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره
مفعوله الثاني واما بمعنى الابداع فهو حال من مفعوله واللام في قوله تعالى للناس متعلقة بمحذوف
وقع صفة لمثابة كاينة للناس او بجعلنا اي جعلناه لاجل الناس وقري مثابات باعتبار تعدد الثايبين
وامنا اي امنا كما في قوله تعالى حرما امنا على ايقاع المصدر موقع اسم الفاعل للمبالغة او على تقدير المضاف
اي ذا امن او على الاسناد المجازي اي آمنا من حجه من عذاب النار الاخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او من
دخله من التعرض له بالعقوبة وان كان جانيا يخرج كما هو راي ابو حنيفة ويجوز ان يعتبر الامن بالقياس
الى كل شي كاينا ما كان ويدخل فيه امن الناس دخولا اوليا وقد اعيد فيه امن الصيد كان ان الكلب يهم بالصيد
خارج الحرم فيفر منه وهو يتبعه فاذا دخل الصيد الحرم لم يتبعه الكلب واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى على ارادة
قول هو عطف على جعلنا او حال من فاعل اي وقلنا او قايلين لهم واتخذوا الى آخره وقيل بنفسه معطوف
على الامر الذي يتضمنه قوله عز وجل مثابة للناس كانه قيل توبوا اليه واتخذوا الى آخره وقيل على ان المضمر
العامل في اذ وقيل جملة مستانفة والخطاب على الوجوه الاخيرة له عليه السلام ولامته والاول
هو اللايق بجزالة النظم الكريم والامر محكيا كان او مفهوما من الحكاية للاستحباب ومن تبعيضية والمقام
اسم مكان وهو الحجر الذي عليه اثر قدمه عليه السلام والموضع الذي كان عليه حين قام ودعا الناس الى
الحج او حين رفع قواعد البيت وهو موضعه الآن والمراد بالمصلي اما موضع الصلوة او موضع الدعاء
روي انه صلى الله عليه وسلم اخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال هذا مقام ابرهيم فقال عمر رضي الله عنه افلا نتخذه
مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روي جابر انه عليه
عليه السلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه ركعتين وقرا واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى
وللشافعي رضي الله عنه في وجوبهما قولان وقيل مقام ابرهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج عرفة والمزدلفة
والجمار واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله عز وجل وقري واتخذوا على صيغة الماضي عطفا على
جعلنا اي واتخذ الناس من مكان ابرهيم الذي وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها
وعهدنا الى ابرهيم واسماعيل اي امرناهما امرا موكدا ان طهرا بيتي بان طهراه على ان مصدرية عنها الجار
حذفا مطردا لجواز كون صلتها امرا او نهيا كما في قوله عز وجل وان اقم وجهك للدين حنيفا لان مدار جواز
كونها فعلا انما هو دلالة على المصدر وهي متحققة فيهما ووجوب كونها خبرية في صلة الموصول الاسمي انما
هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهي لا يوصف بها الا اذا كانت خبرية واما الموصول الحرفي فليس
كذلك ولما كان الخبر والانشا في الدلالة على المصدر سواء ساغ وقوع الامر والنهي صلة حسب وقوع الفعل
فيتجرد عند ذلك عن معنى الامر والنهي نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال او ان طهراه
على ان مفسرة لتضمن العهد معنى القول واضافة البيت الى ضمير الجلالة للتشريف وتوجيه الامر بالتطهير
ها هنا اليهما عليهما السلام لا ينافي ما في سورة الحج من تخصيصه بابرهيم عليه السلام فان ذلك واقع
قبل بناء البيت كما يفصح عنه قوله تعالى واذ بوانا لابرهيم مكان البيت وكان اسماعيل عليه السلام بمعزل

من شأن الخطاب وظاهران هذا بعد بلوغه مبلغ الامر والنهي وتمام النبا بمباشرته كما ينبي عنه ايراده اثر حكاية جعله مثابة للناس الى آخره والمراد تطهيره من الاوثان والانجاس وطواف الجنب والحائض
مما لا يليق به للطايفين حوله والعاكفين المجاورين المقيمين او المعتكفين او القايمين في الصلوة كما في قوله عز وجل للطايفين والقايمين والركع السجود جمع راكع وساجد اي للطايفين والمصلين لان
القيام والركوع والسجود من هيئات المصلي والتقارب الاخيرين ذاتا وزمانا ترك العاطف بين موصوفيهما او خلاصة لهولاء ليلا يغشاه غيرهم وفيه ايماء الى ملابسة غيرهم به وان كانت مع منعه
مما هو مباح من قبيل تلويثه وتدنيسه واذ قال ابرهيم عطف على ما قبله من قوله واذ جعلنا الى آخره
اما بالذات او بعامله المضمر كما مر رب اجعل هذا بلدا امنا ذا آمن كعيشة او امنا اهله كليله قايم اي
اجعل هذا الوادي من البلاد الامنة وكان ذلك اول ما قدم عليه السلام مكة كما روى سعيد بن جبير
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه عليه السلام لما سكن اسمعيل عليه السلام وهاجر هناك وعاد متوجها الى
الشام فتبعته هاجر فجعلت تقول الى من تكلنا في هذا البلقع وهو لا يرد عليها جواب حتى قالت الله امرك
بهذا فقال نعم فقالت اذا لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى اذا استوى على ثنية كدا اقبل على الوادي فقال
ربنا اني اسكنت الاية وتعريف البلد مع جعله صفة لهذا في سورة ابرهيم عليه السلام ان حمل على تعدد
السؤال لما انه عليه السلام سال اولا كلا الامرين فاستجيب له في احدهما وتاخر الاخر الى وقته المقدر
له لما يقتضيه من الحكمة الباهرة ثم كرر السؤال حسبما هو المعتاد في الدعا والابتهال او كان المسئول
اولا البلدية ويجوز الامن المصحح للسكنى كما في سائر البلاد وقد اجيب الى ذلك وثانيا الامن المعهود
او كان هو المسئول اولا ايضا وقد اجيب اليه لكن السؤال الثاني لاستدامته والاقتصار على
سؤاله مع جعل البلد صفة لهذا لانه المقصد الاصلي او لان المعتاد في البلد الاستمرار بعد التحقق
بخلاف الامن وان حمل على وحدة السؤال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر فالظاهر ان المسئول كلا الامرين
وقد حكي ذلك هنا واقتصر هناك على حكاية سؤال الامن اكتفا عن سؤال البلدية بحكاية سؤال اجعل
افئدة الناس تهوي اليه كما سياتي تفصيله هناك باذن الله تعالى وارزق اهله من الثمرات من انواعها
بان تجعل بقرب منه قرى يحصل فيها ذلك او تجبى اليه من الاقطار الشاسعة وقد حصل كلاهما حتى يجتمع
فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان
الطايف كانت من ارض فلسطين فلما دعى ابرهيم عليه السلام بهذه الدعوات رفعها الله تعالى فوضعها
رزقا للحرم وعن الزهري انه تعالى نقل قرية من قرى الشام فوضعها بالطايف لدعوة ابرهيم عليه السلام
من امن منهم بالله واليوم الاخر بدل من اهله بدل البعض خصهم بالدعاء اظهارا لشرف الايمان وابانة لخطره
واهتماما بشان اهله ومراعاة لحسن الادب وفيه ترغيب لقومه في الايمان وزجر عن الكفر كما ان في
حكايته ترغيبا وترهيبا لقريش ولغيرهم من اهل الكتاب قال استيناف مبني على السؤال كما مر مرارا وقوله
تعالى ومن كفر معطوف على مفعول فعل محذوف تقديره ارزق من آمن ومن كفر وقوله تعالى فامتعه معطوف
على ذلك الفعل وفي محل رفع بالابتدا وقوله تعالى فامتعه خبره اي فانا امتعه وانما دخلته الفاء تشبيها
له بالشرط والكفر وان لم يكن سببا للتمتيع المطلق لكنه يصلح سببا لتقليله وكونه موصولا بعذاب
النار وقيل هو عطف على من آمن عطف تلقين كانه قيل قل وارزق اهله ومن كفر فانه ايضا مجاب
كانه عليه السلام قاس الرزق على الامامة فنبه تعالى على انه رحمة دنيوية شاملة للبر والفاجر
بخلاف الامامة الخاصة بالخواص وقرئ فامتعه من امتع وقرئ فنمتعه قليلا تمتيعا قليلا او زمانا
اي الزمه اليه لزا المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم وقرئ ثم نضطره على وفق قراءة

مفعول

ثم اضطره الى عذاب النار

فمتعه

فمتعه وقرئ فامتعه قليلا ثم اضطره بلفظ الامر على انهما من دعاء ابرهيم عليه السلام وفي قال
ضميره وانما فصله عما قبله لكونه دعاء على الكفرة وتغيير سبكه للايذان بان الكفر سبب لاضطراره
الى عذاب النار واما رزق من آمن فانما هو على طريقة التفضل والاحسان وقرئ بكسر الهمزة
على لغة من يكسر حرف المضارعة واضطره بادغام الضاد في الطاء وهي لغة مردودة فان حروف
ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها بلا عكس وبئس المصير المخصوص بالذم محذوف اي بئس المصير
النار او عذابها واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت عطف على ما قبله من قوله تعالى واذ قال ابرهيم على احد
الطريقين المذكورين في واذ جعلنا بصيغة الاستقبال بحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها
العجيبة المنبية عن المعجزة الباهرة والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود
بمعنى الثبات ولعله مجاز من مقابل القيام ومنه قعدك الله ورفعها البنا لانه ينقلها من
هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع والمرتفع حقيقة وان كان هو الذي بني عليها لكنهما لما التأما
صارا شيا واحدا نمت وارتفعت وقيل المراد بها ساقات البنا فان كل ساق قاعدة لما ينبني عليه
ورفعها بناء بعضها وقيل المراد برفعها رفع مكانة البيت واظهار شرفه ودعاء الناس الى حجه
وفي ابهامها اولا ثم تبيينها من تفخيم شانها ما لا يخفى وقيل المعنى واذ يرفع ابرهيم ما قعد من البيت
واستوطا يجعل هيئة القاعدة المستوطاة مرتفعة عالية البنا روي ان الله عز وجل انزل البيت ياقوتة
من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لآدم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف
حول عرشي فتوجه آدم عليه السلام من ارض الهند اليه ماشيا وتلقته الملايكة وقالوا بر حجك
يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج آدم عليه السلام اربعين حجة من ارض الهند
الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى ان رفعه الله تعالى ايام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت
المعمور وكان موضعه خاليا الى زمن ابرهيم عليه السلام فامر الله ببنايه وعرفه جبريل عليه السلام
بمكانه وقيل بعث الله السكينة لتدله عليه فتبعها ابرهيم عليه السلام حتى اتيا مكة المعظمة
وقيل بعث الله تعالى سحابة على قدر البيت وسار ابرهيم عليه السلام في ظلها الى ان وافى مكة المعظمة
فوقفت على موضع البيت فنودي ان ابن على ظلها ولا تزد ولا تنقص وقيل بناه من خمسة اجبل طور سينا
وطور زيتا ولبنان والجودي واسسه من حرا وجاء جبريل عليه السلام بالحجر الاسود من السماء وقيل
تمخض ابو قبيس فانشق عنه وقد خبي فيه من ايام الطوفان وكان ياقوتة بيضا من يواقيت الجنة فلما
لمسته الحيض في الجاهلية اسود وقال الفاسي في مثير الغرام في تاريخ البلد الحرام والذي يتحصل
من جملة ما قيل في عدد بناء الكعبة انها بنيت عشر مرات منها بناء الملايكة عليهم السلام ذكره النووي
في تهذيب الاسما واللغات والازرقي في تاريخه وذكر انه كان قبل خلق آدم عليه السلام ومنها بناء آدم
عليه السلام ذكره البيهقي في دلايل النبوة وروى فيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال بعث الله عز وجل جبريل عليه السلام الى آدم عليه السلام فقال له ولحوا ابنيا
لي بيتا فخط جبريل عليه السلام فجعل آدم يحفر وحوى تنقل التراب حتى اذا اصاب الماء نودي من تحته
حسبك يا آدم فلما ابنياه اوحى الله تعالى اليه ان يطوف به فقيل له انت اول الناس وهذا اول
بيت وهكذا ذكره الازرقي في تاريخه وعبد الرزاق في مصنفه ومنها بنا بني آدم عندما رفعت
الخيمة التي عزى الله بها آدم عليه السلام وكانت ضربت في موضع البيت فبنيا بنوه مكانها بنيا من
الطين والحجارة فلم يزل معمورا يعمرونه هم ومن بعدهم الى ان مسه الغرق في عهد نوح عليه السلام ذكره
الازرقي في مستند الى وهب بن منبه ومنها بناء الخليل عليه السلام منصوص عليه في القران مشهور

ارم

ما بين صاد و دان ومنها بناء العمالقة بناه جرهم ذكره الازرقي في مسنده الى علي بن طالب رضي
الله عنه ومنها بناء قصي بن كلاب ذكره الزهري بن ابي بكار في كتاب النسب ومنها بناء قريش وهو
مشهود ومنها بناء عبد الله بن الزبير رضي الله عنه ومنها بناء الحجاج بن يوسف وما كان ذلك
بناء لكلها بل لجدران من حدرانها وقال الحافظ السهيلي ان بناها لم يكن في الدهر الاحمس مرات
الاولى حين بناها شيث عليه السلام انتهى والله اعلم **واسماعيل** عطف على ابرهيم ولعل تاخيره على
المفعول للايذان بان الاصل في الرفع هو ابرهيم واسماعيل تبع له وقيل انه كان بنا وله الحجارة وهو
يبنيها وقيل كانا يبنيانه من طرفين **ربنا تقبل منا** على ارادة القول اي يقولان وقد قرئ به على انه حال
منهما عليه السلام وقيل على انه هو العامل في اذ والجملة معطوفة على ما قبلها والتقدير ويقولان ربنا
تقبل منا اي يرفعان اي وقت رفعهما وقيل واسماعيل مبتدا خبره قول محذوف وهو العامل في اذ والجملة
فيكون ابرهيم هو الرافع واسماعيل هو الداعي والجملة في محل النصب على الحالية اي واذ يرفع ابرهيم
القواعد والحال ان اسماعيل يقول ربنا تقبل منا والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن اضافة ما فيه
صلاح المربوب مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتحريك سلسلة الاجابة وترك مفعول تقبل مع
ذكره في قوله تعالى ربنا وتقبل دعاي ليعم الدعاء وغيره من القرب والطاعات التي من جملتها ما هما
بصدده من البنا كما يعرب عنه جعل الجملة الدعائية حالية **انك انت السميع** لجميع المسموعات التي من
جملتها دعاونا **العليم** بكل المعلومات التي من زمرتها نياتنا في جميع اعمالنا والجملة تعليل لاستدعاء
التقبل لا من حيث ان كونه تعالى سميعا لدعائهما عليما بنياتهما مصحح للتقبل في الجملة بل من حيث ان علمه
تعالى بصحة نياتهما مصحح للتقبل في الجملة بل من حيث ان علمه تعالى بصحة نياتهما واخلاصهما في اعمالهما
مستدع بموجب الوعد تفضلا وتوكيد الجملة لغرض كمال قوة يقينهما بمضمونها وقصر معنى السمع والعلم
عليه تعالى لاظهار اختصاص دعائهما به تعالى وانقطاع رجائهما عما سواه بالكلية واعلم ان اول ما جرى
من الامور المحكية هو الابتلا وما يتبعه ثم دعا البلد به والامر وما يتعلق به ثم رفع قواعد البيت وما
يتلوه ثم جعله مثابة الناس والامر بتطهيره ولعل تغيير الترتيب الوقوعي في الحكاية لنظم الشؤون
الصادرة عن جنابه تعالى في سلك مستقل ونظم الامور الواقعة من جهة ابرهيم عليه السلام واسمعيل
عليه السلام من الافعال والاقوال في سلك آخر واما قوله تعالى ومن كفر الى آخره فانما وقع في تضاعيف
الاحوال المتعلقة بابرهيم لاقتضاء المقام واستجاب ما سبق من الكلام ذلك بحيث لم يكن بد منه
اصلا كما ان وقوع قوله عليه السلام ومن ذريتي في خلال كلامه سبحانه **ربنا واجعلنا مسلمين لك**
مخلصين لك او مستسلمين من اسلم اذا استسلم وانقاد وايا ما كان فالمطلوب الزيادة والثبات
على ما كان عليه من الاخلاص والاذعان وقرئ مسلمين على صيغة الجمع بادخال هاجر معهما في الدعا او لان
التثنية من مراتب الجمع **ومن ذريتنا امة مسلمة لك** اي واجعل بعض ذريتنا وانما خصهم بالدعا لانهم احق
بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح الاتباع وانما خص به بعضهم لما علما ان منهم ظلمة وان الحكمة الالهية
لا تقتضي اتفاق الكل على الاخلاص والاقبال على الله عز وجل فان ذلك مما يخل بامر المعاش ولذلك قيل
لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل اراد بالامة المسلمة امة محمد صلى الله عليه وسلم وقد جوز ان يكون من تبعيضية
قدمت على المبين وفصل بها بين العاطف والمعطوف كما في قوله ومن الارض مثلهن والاصل وامة مسلمة
لك من ذريتنا **وارنا** من الرؤية بمعنى الابصار او بمعنى التعريف اي بصرنا او عرفنا **مناسكنا** اي متعبداتنا
في الحج ومذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة
وقرئ ارنا قياسا على فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها وقرئ بالاختلاس

وتب علينا

وتب علينا استتابة لذريتهما وحكايتها عنهما لترغيب الكفرة في التوبة والايمان او توبة لهما عما
فرط منهما سهوا ولعلهما قالاه هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما **انك انت التواب الرحيم** وهو تعليل الدعا
ومزيد استدعا بل لاجابة قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له فليدع الله بما يناسبه من اسمائه وصفاته
ربنا وابعث فيهم في الامة المسلمة **رسولا منهم** اي من انفسهم فان البعث فيهم لا يستلزم البعث ولم يبعث
من ذريتهما غير النبي عليه الصلوة والسلام فهو الذي اجيب به دعوتهما عليهما السلام روي انه قيل له
قد استجيب لك وهو في آخر الزمان قال عليه الصلوة والسلام انا دعوة ابي ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا
امي وتخصيص ابرهيم عليه الصلوة والسلام بالاستجابة له لما انه الاصل في الدعا واسمعيل تبع له عليه
السلام **يتلوا عليهم اياتك** يقرا عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من البينات **ويعلمهم** بحسب قوتهم النظرية **الكتاب**
اي القران **والحكمة** وما تكمل به نفوسهم من الاحكام الشرعية والمعارف الحقية **ويزكيهم** بحسب قوتهم
العملية اي يطهرهم عن دنس الشرك وفنون المعاصي **انك انت العزيز** الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد
الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تعليل للدعاء واجابة المسؤول فان الحكمة
مقتض لافاضة ما تقتضيه الحكمة من الامور التي من جملتها بعث الرسول ووصف العزة مستدع
لامتناع وجود المانع بالمرة **ومن يرغب عن ملة ابرهيم** انكار واستبعاد لان يكون في العقلاء من يرغب
عن ملته التي هي الحق الصريح والدين الصحيح اي لا يرغب عن ملته الواضحة الغرا **الا من سفه نفسه** اي
اذلها واستمهنها واستخف بها وقيل خسر نفسه وقيل اوبق نفسه او اهلك او جهل نفسه قال المبرد
وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما ورد في الخبر الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس
وقيل معناه ضل من قبل نفسه وقيل اصله سفه نفسه بالرفع فنصب على التمييز نحو غبن رايه والم راسه
ونحو قوله • وتأخذ بعده بذناب عيش • اجب الظهر ليس له سنام • وقوله • وما قومي بثعلبة بن عبس
ولا بفزارة الشعر الرقابا • وذلك انه اذا رغب عما لا يرغب عنه احد من العقلاء فقد بالغ في اذلال
نفسه واذا لتها حيث خالف بها كل نفس عاقلة روي ان عبد الله بن سلام دعى ابني اخيه سلمة ومهاجر
الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التورية اني باعث من ولد اسماعيل نبيا اسمه احمد
فمن امن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر فنزلت **ولقد
اصطفيناه في الدنيا** اي اخترناه بالنبوة والحكمة من بين سائر الخلق واصله اتخاذ صفوة الشيء كما ان اصل
الاختيار اتخاذ خيره واللام لجواب قسم محذوف والواو اعتراضية والجملة مقررة لمضمون ما قبلها اي
وبالله لقد اصطفيناه وقوله تعالى **وانه في الآخرة لمن الصالحين** اي من المشهود لهم بالثبات على الاستقامة والخير
والصلاح معطوف عليها داخل في حيز القسم موكد لمضمونها مقرر لما تقرر ولا حاجة الى جعلها اعتراضا
آخر او حالا مقدرة فان من كان صفوة للعباد في الدنيا مشهودا له بالصلاح في الآخرة كان حقيقا
بالاتباع لا يرغب عن ملته الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر والتامل وايثار
الاسمية لما ان انتظامه في زمرة صالحي اهل الارض امر مستمر في الدارين لا انه يحدث في الآخرة
والتاكيد في اللام لما ان الامور الاخروية خفية عن المخاطبين فحاجتها الى التاكيد اشد من الامور التي
تشاهد آثارها وكلمة في متعلقة بالصالحين على ان اللام للتعريف وليست بموصولة حتى يلزم
تقديم بعض الصلة عليها على انه قد يغتفر في الظرف ما لا يغتفر في غيره كما في قوله • ربيته حتى اذا تمعددا
كان جزائي بالعصا ان اجلدا • او بمحذوف من لفظه اي وانه لصالح في الآخرة لمن الصالحين او من غير
لفظه اي اعني في الآخرة نحو ذلك بعد رعيا وقيل هي متعلقة باصطفيناه على ان في النظم الكريم
تقديما وتاخيرا تقديره ولقد اصطفيناه في الدنيا والآخرة وانه لمن الصالحين **اذ قال له** ظرف لاصطفينا

لما ان المتوسط ليس باجنبي بل هو مقرر له لان اصطفاه في الدنيا انما هو للنبوة وما يتعلق بصلاح
الاخرة او تعليل له او منصوب باذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتقف على انه المصطفى الصالح المستحق
للامامة والتقدم وانه ما نال الا بالمباشرة الى الاذعان والانقياد لما امر به واخلاص سره على احسن
ما يكون حين قال له ربه اسلم اي لربك قال اسلمت لرب العالمين وليس الامر على حقيقته بل هو تمثيل والمعنى
اخطر بباله دلايل التوحيد المودية الى المعرفة الداعية الى الاسلام من الكواكب والقمر والشمس وقيل اسلم
اي اذعن واطع وقيل اثبت على ما انت عليه من الاسلام والاخلاص اي استقم وفوض امورك الى الله
تعالى فالامر على حقيقته والالتفات مع التعرض لعنوان الربوبية والاضافة اليه عليه السلام لاظهار
مزيد اللطف والاعتناء بتربيته واضافة الرب في جوابه عليه السلام الى العالمين للايذان بكمال قوة اسلامه
عليه السلام حيث ايقن حين النظر بشمول ربوبيته للعالمين قاطبة لا لنفسه وحده كما هو المامور به
ووصى بها ابرهيم بنيه ويعقوب شروع في بيان تكميله لغيره اثر بيان كماله في نفسه وفيه توكيد لوجوب
الرغبة في ملته عليه السلام والتوصية التقدم الى الغير بما فيه خير وصلاح للمسلمين من فعل او قول
واصلها الوصلة يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله كان الموصي يصل فعله بفعل الوصي والضمير
في بها للملة او قوله اسلمت لرب العالمين بتاويل الكلمة كما عبر بها عن قوله تعالى انني براء مما تعبدون الا الذي
فطرني في قوله عز وجل وجعلها كلمة باقية في عقبه وقرئ اوصى والاول ابلغ ويعقوب عطف على ابرهيم
اي وصى بها هو ايضا بنيه وقرئ بالنصب عطفا على بنيه يا بني على اضمار القول عند البصريين ومتعلق
بوصى عند الكوفيين لانه في معنى القول كما في قوله • رجلان من ضبة اخبرانا • انا راينا رجلا عريانا • فهو
عند الاولين بتقدير القول وعند الاخرين متعلق بالاخبار الذي هو في معنى القول وقرئ ان يا بني
وبنو ابرهيم كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل اربعة وعشرين وكانوا بنو
يعقوب اثني عشر روبيل وشمعون ولاوي ويهوذا ولسيسوخور وزبولون ودونا وتفتونا وكودا
واوسير وبنيامين ويوسف عليهم الصلوة والسلام ان الله اصطفى لكم الدين دين الاسلام الذي
هو صفوة الاديان ولا دين غيره عنده تعالى فلا تموتن الا وانتم مسلمون ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال
الاسلام والمقصود الامر بالثبات على الاسلام الى حين الموت اي فاثبتوا عليه ولا تفارقوه ابدا كقولك
لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وان حقه
ان لا يحل بهم فانه يجب ان يحذروه غاية الحذر ونظيره مت وانت شهيد روي ان اليهود قالوا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب اوصى باليهودية يوم مات فنزلت ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت
ام منقطعة مقدرة ببل والهمزة والخطاب لاهل الكتاب الراغبين عن ملة ابرهيم عليه الصلوة والسلام وشهداء
جمع شهيد او شاهد بمعنى الحاضر واذ ظرف لشهداء والمراد بحضور الموت حضور اسبابه وتقديم يعقوب
عليه السلام للاهتمام به اذ المراد بيان كيفية وصيته لبنيه بعد ما بين ذلك اجمالا ومعنى بل للاضراب والانتقال
عن توبيخهم على رغبتهم من ملة ابرهيم عليه الصلوة والسلام الى توبيخهم على افترائهم على يعقوب عليه السلام
باليهودية حسب ما حكي عنهم واما تعميم الافتراء هاهنا لسائر الانبياء عليهم السلام كما قيل فيا باه تخصيص يعقوب
عليه السلام بالذكر وما سياتي من قوله عز وجل ام يقولون ان ابرهيم الى اخره ومعنى الهمزة انكار وقوع الشهود
عند احتضاره عليه السلام وتبكيتهم اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر اي ما كنتم حاضرين عند احتضاره
عليه السلام وقوله لبنيه ما تعبدون من بعدي اي اي شيء تعبدونه بعد موتي فمن اين لكم ان تدعوا عليه عليه
السلام ما تدعون رجما بالغيب وعند هذا تم التوبيخ والانكار والتبكيت ثم بين ان الامر قد جرى حينئذ على
خلاف ما زعموا وانه عليه السلام اراد بسؤاله ذلك تقرير بنيه على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على

الثبات عليهما اذ به تتم وصيته بقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون وما يسال به كل شيء ما لم يعرف فاذا
عرف به خص به العقلاء بما اذا استيل عن شيء بعينه وان سيل عن وصفه قيل ما زيد افقيه ام طبيب بقوله
تعالى قالوا استيناف وقع جوابا عن حكاية سؤال يعقوب عليه السلام كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك
فقيل قالوا نعبد الهك واله اباءك ابرهيم واسمعيل واسحق حسبما كان مراد ابيهم عليهم السلام
بالسؤال اي نعبد الاله المتفق على وجوده والهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل من اباءه تغليبا للاب
والجد لقوله عليه السلام عم الرجل صنو ابيه وقوله عليه السلام للعباس هذا بقية اباءي وقرئ ابيك
على انه جمع بالواو والنون كما في قوله • فلما تبين اصواتنا • بكين وفديننا بالابينا • وقد سقطت النون
بالاضافة او مفرد وابرهيم عطف بيان له واسمعيل واسحق معطوفان على ابيك الها واحدا بدل من اله اباءك
كقوله تعالى بالناصية ناصية كاذبة وفايدته التصريح بالتوحيد ودفع التوهم الناشي من تكرر المضاف
لتعذر العطف على المجرور او نصب على الاختصاص ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او من مفعوله
او منهما معا ويحتمل ان يكون اعتراضا محققا لمضمون ما سبق تلك امة مبتدا وخبر والاشارة
الى ابرهيم ويعقوب وبنيهما الموحدين والامة هي الجماعة التي تومها فرق الناس اي يقصدونها ويقتدون
بها قد خلت صفة للخبر اي مضت بالموت او انفردت عمن عداها واصله صارت الى الخلاء وهي الارض
التي لا انيس بها لها ما كسبت جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب او صفة اخرى لامة او حال من
الضمير في خلت وما موصولة او موصوفة والعايد اليها محذوف اي لها ما كسبته من الاعمال الصالحة
المحكية لا تتخطاها الى غيرها فان تقديم المسند يوجب قصر المسند عليه كما هو المشهور ولكم ما كسبتم
عطف على نظيرها على الوجه الاول وجملة مبتداة على الوجهين الاخيرين اذ لا رابط فيهما ولا بد منه
في الصفة ولا مقارنة في الزمان ولا بد منها في الحال اي لكم ما كسبتموه لا ما كسبه غيركم فان تقديم
المسند قد يقصد به قصره على المسند اليه كما قيل في قوله تعالى لكم دينكم ولي دين اي ولي ديني لا دينكم
وحمل الجملة الاولى على هذا القصر على معنى ان اولئك لا ينفعهم الا ما كسبوا كما قيل مما لا يساعده المقام
اذ لا يتوهم متوهم انتفاعهم بكسب هؤلاء حتى يحتاج الى بيان امتناعه وانما الذي يتوهم انتفاع هؤلاء
بكسبهم فبين امتناعه بان اعمالهم الصالحة مخصوصة بهم لا تتخطاهم الى غيرهم وليس لهؤلاء الا ما كسبوا
فلا ينفعهم انتسابهم اليهم وانما ينفعهم اتباعهم لهم كما قال عليه السلام يا بني هاشم لا ياتيني الناس باعمالهم
وتاتوني بانسابكم ولا تسألون عما كانوا يعملون ان اجري السؤال على ظاهره فالجملة مقررة لمضمون ما مر
من الجملتين تقريرا ظاهرا وان اريد به مسببه اعني الجزاء فهو لتعميم الاثبات الحكم بالطريق البرهاني في ضمن قاعدة
كلية هذا وقد جعل السؤال عبارة عن المواخذة والموصول عن السيات فقيل لا تواخذون بسياتهم كما لا تثابون
بحسناتهم ولا ريب في انه مما لا يليق بشان التنزيل كيف لا وهم منزهون من كسب السيات فمن اين يتصور
تحميلها على غيرهم حتى يتصدى لبيان انتفاعه وقالوا شروع في بيان فن اخر من فنون كفرهم وهو اضلالهم لغيرهم
اثر بيان ضلالهم في انفسهم والضمير لاهل الكتابين على طريقة الالتفات الموجب لاستحباب حالهم
لابعادهم من مقام المخاطبة والاعراض عنهم وتعديد جناياتهم عند غيرهم اي قالوا للمومنين كونوا هودا
او نصارى ليس هذا القول مقولا لكلهم او لان طايفة كانت من الطايفتين بل هو موزع اليهما على وجه
خاص يقتضيه حالهما اقتضا مغنيا عن التصريح اي قالت اليهود كونوا هودا والنصارى كونوا نصارى
فعل بالنظم الكريم ما فعل بقوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى اعتمادا على ظهور
المرام تهتدوا جواب للامر ان تكونوا كذلك تهتدوا قل خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي قل لهم
على سبيل الرد عليهم وبيان ما هو الرد لديهم وارشادهم اليه بل ملة ابرهيم اي لا نكون كما تقولون

تتمم لما سبق جار مجرى النتيجة له وايا ما كان فالمراد
تخييب المخاطبين وقطع اطماعهم الفارغة عن الانتفاع
بحسنات الامة الخالية وانما اطلق م

بل يكون اهل ملته عليه السّلام وقيل بل نتبع ملته عليه السّلام وقد جوز ان يكون المعنى بل اتبعوا انتم ملته عليه السّلام وكونوا اهل ملته وقرئ بالرفع اي بل ملتنا او امرنا ملته او نحن ملته اي اهل ملته **حنيفا** اي مائلا عن الباطل الى الحق وهو حال من المضاف اليه كما رايت وجه هند قايمة وفي قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا الى آخره **وما كان من المشركين** تعرض بهم وايذان ببطلان دعويهم اتباعه عليه السّلام مع اشراكهم بقولهم العزير بن الله والمسيح بن الله **قولوا** خطاب للمومنين بعد خطابه عليه السّلام برد مقالتهم الشنعاء على الاجمال وارشادهم الى طريق التوحيد والايمان على ضرب من التفصيل اي قولوا لهم بمقابلة ما قالوا تحقيقا وارشادا اصمينا لهم اليه **امنا بالله وما انزل الينا** يعني القرآن قدم على سائر الكتب الالهية مع تاخره عنها نزولا لاختصاصه بنا وكونه سببا للايمان بها **وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط** الصحف وان كانت نازلة الى ابرهيم عليه السّلام لكن من بعده عليهم حيث كانوا متعبدين بتفاصيلها داخلين تحت احكامها جعلت منزلة اليهم كما جعل القرآن منزلا الينا والاسباط جمع سبط وهو الحافد والمراد بهم حفدة يعقوب عليه السّلام او ابناؤه الاثني عشر وذراريهم فانهم حفدة ابرهيم عليه السّلام واسحق **وما اوتي موسى وعيسى** من التورية والانجيل وساير المعجزات الظاهرة الباهرة بايديهما حسبما فصل في التنزيل الجليل وايراد الايتاء لما اشير اليه من التعميم وتخصيصهما بالذكر لما ان الكلام مع اليهود والنصارى **وما اوتي النبيون** اي من جملة المذكورين وغيرهم **من ربهم** من الايات البينات والمعجزات الباهرات **لا نفرق بين احد منهم** كدأب اليهود والنصارى امنوا ببعض وكفروا ببعض وانما اعتبر عدم التفريق بينهم مع ان الكلام فيما اوتوه لاستلزام عدم التفريق بينهم بالتصديق والتكذيب لعدم التفريق بين ما اوتوه وهمزة احد اما اصلية فهو اسم موضوع لمن يصلح ان يخاطب يستوي فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمونث ولذلك صح دخول بين عليه كما في المثل المال بين الناس ومنه ما في قوله صلّى الله عليه وسلم ما احلت الغنايم لاحد سواد الروس غيركم حيث وصف بالجمع واما مبدلة من الواو فهو بمعنى واحد وعمومه لوقوعه في حيز النفي وصحة دخول بين عليه باعتبار معطوف قد حذف لظهوره اي بين احد منهم وبين غيره كما في قول النابغة • فما كان بين الخير لو جاء سالما • ابو حجر الا ليال قلايل • اي بين الخير وبيني وفيه من الدلالة صريحا على تحقق عدم التفريق بين كل فرد منهم وبين من عداه كائنا من كان ما ليس في ان يقال لا نفرق بينهم والجملة حال من الضمير في امنا وقوله عز وجل **ونحن له مسلمون** اي مخلصون ومذعنون حال اخرى منه او عطف على امنا **فان امنوا** الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ما تقدم من ايمان المخاطبين على الوجه المحرر ومظنة لاهل الكتابين لما انه مشتمل على ما هو مقبول عندهم **بمثل ما امنتم به** اي بما امنتم به على الوجه الذي فصل على ان المثل مقحم كما في قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي عليه ويعضده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه بما في امنتم وقراءة ابي رضي الله عنه بالذي امنتم به ويجوز ان يكون الباء للاستعانة على ان المومن به محذوف لظهوره بمرور انفا وعلى ان الفعل يجري مجرى اللازم اي فان آمنوا بما هو مفصلا او فان فعلوا الايمان بشهادة مثل شهادتكم وان يكون الاولى زايدة والثانية صلة لامنتم وما مصدرية اي فان امنوا ايمانا مثل ايمانكم بما ذكر مفصلا وان يكونا للملابسة اي فان امنوا ملتبسين به او فان امنوا ايمانا ملتبسا بمثل ما امنتم ايمانا ملتبسا به من الاذعان والاخلاص وعدم التفريق بين الانبياء عليهم الصّلوة والسّلام فان ما وجد منهم وصدر عنهم من الشهادة والاذعان وغير ذلك مثل للمؤمنين لا عينه بخلاف المومن به فانه لا يتصور فيه التعدد **فقد اهتدوا** الى الحق واصابوه كما اهتديتم وحصل بينكم الاتحاد والاتفاق واما ما قيل من ان المعنى فان تحروا الايمان بطريق يهدي الى الحق مثل طريقكم فقد اهتدوا فان وحدة المقصد لا تعدد الطريق

فيأباه

فيأباه ان مقام تعيين الحق وارشادهم اليه بعينه لا يلايم تجويز ان يكون له طريق آخر وراءه **وان تولوا** اي اعرضوا عن الايمان كان الوجه المذكور فان اخلوا بشيء من ذلك كان امنوا ببعض وكفروا ببعض كما هو دينهم وديدنهم **فانما هم في شقاق** المشاقة والشقاق من الشق كالمخالفة والخلاف من الخلف والمعاداة من العدوة اي الجانب فان احد المخالفين يعرض عن الاخر صورة او معنى ويوليه خلفه ويأخذ في شق غير شقه وعدوة غير عدوته والتنوين للتفخيم اي هم مستقرون في خلاف عظيم بعيد عن الحق وهذا لدفع ما يتوهم من احتمال الوفاق بسبب ايمانهم ببعض ما آمن به المؤمنون والجملة الاسمية للدلالة على ثباتهم واستقرارهم في ذلك واما بتاويل فاعلموا انما هم في شقاق هذا هو الذي يستدعيه فخامة شأن التنزيل وقد قيل قوله تعالى فان امنوا الى آخره من باب التعجيز والتبكيت على منهاج قوله تعالى فأتوا بسورة من مثله والمعنى فان حصلوا دينا آخر مثل دينكم مماثلا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا وان لا امكان له فلا امكان لاهتدايهم ولا ريب في انه لا يليق بجمل النظم الكريم عليه ولما دل تنكير الشقاق على امتناع الوفاق وان ذلك مما يودي الى الجدال والقتال لا محالة عقب ذلك بتسلية رسول الله صلّى الله عليه وسلم وتفريح المؤمنين بوعد النصر والغلبة وضمان التاييد والاعزاز بالسين الدالة على تحقق الوقوع البتة فقيل **فسيكفيكهم الله** اي سيكفيك شقاقهم فان الكفاية لا تتعلق بالاعيان بل بالافعال وقد انجز عز وعلا وعده الكريم بقتل بني قريظة وسبيهم واجلاء بني النظير وتلوين الخطاب وتجريده للنبي صلّى الله عليه وسلم مع ان ذلك كفاية منه سبحانه للكل لما انه الاصل والعمدة في ذلك وللايذان بان القيام بامور الحروب وتحمل المون والمشاق ومقاسات الشدايد في مناهضة الاعداء من وظايف الروسا فنعمته تعالى في الكفاية والنصر في حقه عليه السّلام اتم واكمل **وهو السميع العليم** تذييل لما سبق من الوعد وتوكيد له والمعنى انه تعالى يسمع ما تدعونه ويعلم ما في نيتك من اظهار الدين فيستجيب لك ويوصلك الى مرادك او وعيد للكفرة اي يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرونه في قلوبهم مما لا خير فيه وهو معاقبهم عليه ولا يخفى ما فيه من تاكيد الوعد السابق فان وعيد الكفرة وعد للمؤمنين **صبغة الله** والصبغة من الصبغ كالجلسة من الجلوس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ عبر بها عن الايمان بما ذكر على الوجه الذي فصل لكونه تطهيرا للمؤمنين من اوصاف الكفر وحلية تزينهم باثار الجملة وتتداخل في قلوبهم كما ان شأن الصبغ بالنسبة الى الثوب كذلك وقيل للمشاكلة التقديرية فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويزعمون انه تطهير لهم وبه يتحقق نصرانيتهم واضافتها الى الله تعالى مع اسناده فيما سلف الى ضمير المتكلمين للتشريف والايذان بانها عطية منه سبحانه لا يستقل العبد بتحصيلها فهي اذا مصدر موكد كقوله تعالى امنا داخل معه في حيز قوله قولوا منتصب عنه انتصاب وعد الله عما تقدمه لكونه بمثابة فعله كانه قيل اصبغنا الله صبغة وقيل هي منصوبة بفعل الاغراء اي الزموا صبغة الله وانما وسط الشرطيتان ما بعدها اعتناء ببيان انه الايمان الحق وبه الاهتداء ومسارعة الى تسليته عليه السّلام **ومن احسن من الله** مبتدا وخبر والاستفهام للانكار والنفي وقوله تعالى **صبغة** نصب على التمييز من احسن منقول من المبتدا والتقدير ومن صبغته احسن من صبغته تعالى والتفضيل جار بين الصبغتين اي لا بين فاعليهما اي لا صبغة احسن من صبغته على معنى انها احسن من كل صبغة على ما اشير اليه في قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى منع مساجد الله الى آخره وحيث كان مدار التفضيل على تعميم الحسن الحقيقي والفرضي المبني على زعم الكفرة لم يلزم منه ان يكون في صبغة غيره تعالى في الجملة حسن والجملة اعتراضية مقررة لما في صبغة الله من البهجة والابتهاج **ونحن له** اي لله الذي اولانا تلك النعمة الجليلة **عابدون** شكرا لها ولساير نعمه وتقديم الظرف للاهتمام ورعاية الفواصل وهو

عطف على امناد اخل معه تحت الامر وايثار الاسمية للاشعار بدوام العبادة او على فعل الاغرا بتقدير القول اي الزموا صبغة الله وقولوا نحن له عابدون فقوله تعالى ومن احسن من الله صبغة حينئذ تجري مجرى التعليل للاغرا قل اتحاجوننا تجريد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم عقب الكلام الداخل تحت الامر الوارد بالخطاب العام من ان المامور به من الوظايف الخاصة به عليه السلام وقرئ بادغام النون والهمزة للانكار والتوبيخ اي اتجادلوننا في الله في دينه وتدعون ان دينه الحق هو اليهودية والنصرانية وتبنون دخول الجنة والاهتداء عليها ويقولون تارة لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وتارة كونوا هودا او نصارى تهتدوا وهو ربنا وربكم جملة حالية وكذا ما عطف عليها اتجادلوننا والحال انه لا وجه للمجادلة اصلا لان تعالى ربنا اي مالك امرنا وامركم ولنا اعمالنا الحسنة الموافقة لامره ولكم اعمالكم السيئة المخالفة لحكمه ونحن له تعالى مخلصون في تلك الاعمال لا نبتغي بها الا وجهه فاني لكم المحاجة وادعاء حقية ما انتم عليه والطمع في دخول الجنة بسببه ودعوة الناس اليه وكلمة ام في قوله تعالى ام يقولون اما معادلة للهمزة في قوله تعالى اتحاجوننا داخل في حيز الامر على معنى اي الامرين تاتون اقامة الحجة وتنوير البرهان على حقيقة ما انتم عليه والحال ما ذكر ام التشبث بذيل التقليد والافترا على الانبياء وتقولون ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى فنحن بهم مقتدون والمراد انكار للامرين والتوبيخ عليهما واما منقطعة مقدرة ببل والهمزة دالة على الاضراب والانتقال من التوبيخ على المحاجة الى التوبيخ على الافترا على الانبياء عليهم السلام وقرئ ام يقولون على صيغة الغيبة فهي منقطعة لا غير داخلة تحت الامر واردة من جهته تعالى توبيخا لهم وانكارا عليهم لا من جهته عليه السلام على نهج الالتفات كما قيل واما ما قيل من ان المعنى اتحاجوننا في شان الله واصطفايه نبيا من العرب دونكم لما روي ان اهل الكتاب قالوا ان الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت ومعنى قوله تعالى وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم لانه لا اختصاص له تعالى بقوم دون آخرين يصيب برحمته من يشاء من عباده فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كما اكرمكم باعمالكم كانه الزمهم على كل مذهب ينتحونه الحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله تعالى على من يشاء فالكل فيه سواء فاما افاضة حق على المستحقين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص فكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله تعالى في اعطايها فلنا ايضا اعمالنا ونحن له مخلصون اي لا انتم فمنع عدم ملايمته لسياق النظم الكريم وسياقه لاسيما على تقدير كون كلمة ام معادلة للهمزة غير صحيح في نفسه لما ان المراد بالاعمال من الطرفين ما اشير اليه من الاعمال الصالحة والسيئة ولا ريب في ان امر الصلاح والسوء يدور على موافقة الدين المبني على البعثة ومخالفته فكيف يتصور امتياز تلك الاعمال في استحقاق النبوة واستعدادها المتقدم على البعثة بمراتب قل انتم اعلم ام الله اعادة الامر ليس لمجرد تاكيد التوبيخ وتشديد الانكار عليهم بل للايذان بان ما بعده ليس متصلا بما قبله بل بينهما كلام للمخاطبين مترتب على ما سبق مستتبع لما لحق قد ضرب عنه الذكر صفحا لظهوره وهو تصريحهم بما وبخوا عليه من الافترا على الانبياء عليهم السلام كما في قوله تعالى ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون قال فما خطبكم ايها المرسلون وقوله عز وجل قال ااسجد لمن خلقت طينا قال ارايتك هذا الذي كرمت علي فان تكرير قال في الموضعين وتوسيطه بين قولي قائل واحد للايذان بان بينهما كلاما لصاحبه متعلقا بالاول وعلة للثاني بالتبعية والاستتباع كما حرر في محله اي كذبهم في ذلك وبكتهم قايلا ان الله يعلم وانتم لا تعلمون وقد نفى عن ابرهيم عليه السلام كلا الامرين حيث قال ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله تعالى وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه عليه السلام اتباعه في الدين

وفاقا

وفاقا فكيف تقولون ما تقولون سبحان الله عما تصفون ومن اظلم انكار لان يكون احد اظلم ممن كتم شهادة ثابتة عنده كاينة من الله وهي شهادته تعالى عليه عليه السلام بالحنيفية والبراءة من اليهودية والنصرانية حسبما تلي انفا فعنده صفة لشهادة وكذا من الله جيء لتعليل الانكار وتاكيده فان ثبوت الشهادة عنده كونها من جانب الله تعالى من اقوى الدواعي الى اقامتها واشد الزواجر عن كتمانها وتقديم الاول مع انه متاخر في الوجود لمراعاة طريقة الترقي من الادنى الى الاعلى والمعنى انه لا احد اظلم من اهل الكتاب حيث كتموا الشهادة واثبتوا نقيضها بما ذكر من الافترا وتعليق الاظلمية بمطلق الكتمان للايماء الى ان مرتبة من يردها ويشهد بخلافها خارجة عن دائرة البيان او لا احد اظلم منا لو كتمناها فالمراد بكتمانها عدم اضافتها في مقام المحاجة وفيه تعريض بغاية اظلمية اهل الكتاب على نحو ما اشير اليه وفي اطلاق الشهادة مع ان المراد بها ما ذكر من الشهادة المعينة تعريض بكتمانها شهادة الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم في التورية والانجيل وما الله بغافل عما تعملون من فنون السيئات فيدخل فيها كتمانهم لشهادته سبحانه وافتراؤهم على الانبياء عليهم السلام دخولا اوليا اي هو محيط بجميع ما تاتون وما تذرون فيعاقبكم بذلك اشد عقاب وقرئ عما يعملون على صيغة الغيبة فالضمير اما لمن كتم باعتبار المعنى واما لاهل الكتاب وقوله تعالى ومن اظلم الى اخر الاية مسوق من جهته تعالى لوصفهم بغاية الظلم وتهديدهم بالوعيد تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في الزجر عما هم عليه من الافتخار بالاباء والاتكال على اعمالهم وقيل الخطاب السابق وهذا لنا تحذيرا عن الافتنان بهم وقيل المراد بالامة الاولى الانبياء عليهم السلام وبالثانية اسلاف اليهود سيقول السفهاء اي الذين خفت احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن التدبر والنظر من قولهم ثوب سفيه اذا كان خفيف النسج وقيل السفيه البهات الكذاب المتعمد على خلاف ما يعلم وقيل الظلوم الجهول والمراد بالسفهاء هم اليهود على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد قالوه انكارا للنسخ وكراهة للتحويل حيث كانوا يانسون بموافقته عليه السلام لهم في القبلة وقيل المنافقون وهو الانسب بقوله عز وجل الا انهم هم السفهاء ولكن وانما قالوه لمجرد الاستهزاء والطعن لا لاعتقادهم حقية القبلة الاولى وبطلان الثانية اذ ليس كلهم من اليهود وقيل هم المشركون ولم يقولوه كراهة للتحويل الى مكة بل طعنا في الدين فانهم كانوا يقولون رغب عن قبلة ابائه ثم رجع اليها وليرجعن الى دينهم ايضا وقيل هم القادحون في التحويل منهم جميعا فيكون قوله تعالى من الناس اي من الكفرة لبيان ان ذلك القول المحكي لم يصدر عن كل فرد من تلك الطوايف الثلاث بل عن اشقيائهم المعتادين للخوض في فنون الفساد وهو الاظهر اذ لو اريد بهم طايفة مخصوصة منهم لما كان لبيان كونهم من الناس مزيد فايدة وتخصيص سفهائهم بالذكر لا يقتضي تسليم الباقين للتحويل وارتضاءهم اياه بل عدم التفوه بالقدح مطلقا او بالعبادة المحكية ما ولاهم اي اي شيء صرفهم والاستفهام للانكار والنفي عن قبلتهم القبلة فعلة من المقابلة كالوجهة من المواجهة وهي الحالة التي يقابل الشيء غيره عليها كالجلسة للحالة التي يقع عليها الجلوس يقال لا قبلة له ولا دبرة اذا لم يهتد لجهة امره غلب على الجهة التي يستقبلها الانسان في الصلاة والمراد بها هاهنا بيت المقدس واضافتها الى ضمير المسلمين ووصفها بقوله تعالى التي كانوا عليها اي ثابتين مستمرين على التوجه اليها ومراعاتها واعتقاد حقيقتها مما ينادي الانصراف عنه فان اريد بالقايلين اليهود فمدار الانكار كراهتهم للتحويل عنها وزعمهم انها خطا وان اريد بهم المشركون فمداره مجرد القصد الى الطعن في الدين والقدح في احكامه واظهار ان كلا التوجه اليها والانصراف عنها واقع بغير داع لا لكراهتهم الانصراف عنها والتوجه الى مكة وتعليق الانكار بما ولاهم عنها لا بما وجههم الى غيرها مع تلازمهما في الوجود لما ان ترك الدين القويم ابعد عن العقول انكار سببه

ادخل للايمان بان المنكرين هم اليهود بناء على ان المنكر عندهم هو التحول عن خصوص بيت المقدس الذي هو القبلة الحقة عندهم لا التوجه الى خصوصية قبلة اخرى وهم المشركون بناء على ان المنكر عندهم ترك القبلة القديمة على وجه الطعن والقدح لا التوجه الى الكعبة لانه الحق عندهم فانه بمعزل من ذلك كيف والمنافقون من احد الفريقين لا محالة والاخبار بذلك قبل الوقوع قبل كونه من دلايل النبوة حيث وقع كما اخبر لتوطين النفوس واعداد ما يبكتهم فان مفاجات المكروه على النفس اشق واشد والجواب العتيد لشغب الخصم الالد ادفع وقوله عز وجل قل لله المشرق والمغرب استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا اقول عند ذلك فقيل قل لله المشرق والمغرب الى آخره اي لله تعالى ناحيتا الارض اي الجهات كلها ملكا وملكا وتصرفا فلا اختصاص لناحية منها لذاتها لكونها قبلة دون ما عداها بل انما هو بامر الله سبحانه ومشيته يهدي من يشاء اي يهديه لمشيته تابعة للحكم الحقية التي لا يعلمها الا هو الى صراط مستقيم موصل الى سعادة الدارين وقد هدانا الى ذلك حيث امرنا بالتوجه الى بيت المقدس تارة والى الكعبة اخرى حسبما يقتضيه مشيته المقارنة لحكم البته ومصالح خفية وكذلك جعلناكم توجيه الخطاب الى المؤمنين بين الخطاب من المختصين بالرسول عليه السلام لتاييد ما في مضمون الكلام الى التشريف وذلك اشارة الى مصدر جعلناكم لا الجعل آخر مفهوم مما سبق كما قيل وتوجيه الكاف مع القصد الى المؤمنين لما ان المراد مجرد الفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعين المخاطبين وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل وكمال تميزه وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة والكاف لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير جعلناكم امة وسطا جعلا كاينا مثل ذلك الجعل فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار وتقسير المصدر المؤكد لا نعتاله اي في ذلك الجعل البديع جعلناكم امة وسطا لا جعلا آخر ادنى منه والوسط في الاصل اسم لما يستوي نسبة الجوانب اليه كمركز الدائرة ثم استعير للخصال المحمودة البشرية لكن لا لان نظر الاطراف يتسارع اليها الخلل والاعوار والاوساط محمية محوطة كما قيل واستشهد بقول ابن اوس الطائي كانت هي الوسط المحمي واكتنفت بها الحوادث حتى اصبحت طرفا فان تلك العلاقة بمعزل من الاعتبار في هذا المقام اذ لا ملابسة بينها وبين اهلية الشهادة التي جعلت غاية للجعل المذكور بل لكون تلك الخصال اوساطا للخصال الذميمة المكتنفة بها في طرفي الافراط والتفريط كالعفة التي طرفاها الفجور والخمود وكالشجاعة التي طرفاها التهور والجبن وكالحكمة التي طرفاها الجربزة والبلادة وكالعدالة التي هي كيفية متشابهة حاصلة من اجتماع تلك الاوساط المحفوفة باطرافها ثم اطلق على المتصف بها مبالغة كانه نفسها وسوي فيه بين المفرد والجمع والمذكر والمؤنث رعاية لجانب الاصل كدأب سائر الاسماء التي يوصف بها وقد روعيت ههنا نكتة رايقة هي ان الجعل المشار اليه عبارة عما تقدم ذكره من هدايته تعالى الى الحق الذي عبر عنه بالصراط المستقيم الذي هو الطريق السوي الواقع في وسط الطرق الجائرة عن القصد الى الجوانب فانا اذا فرضنا خطوطا كثيرة واصلة بين نقطتين متقابلتين فالخط المستقيم هو الخط الواقع في وسط تلك الخطوط المنحنية ومن ضرورة كونه وسطا بين الطرق الجائرة كون الامة المهدية اليه امة وسطا بين الامم السالكة الى تلك الطرق الزايغة اي متصفة بالخصال الحميدة حيادا وعدولا مزكين بالعلم والعمل لتكونوا شهداء على الناس بان الله تعالى قد اوضح السبيل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا وذكروا وافهموا من ذكر وهي غاية للجعل المذكور مترتبة عليه فان العدالة كما اشير اليه حيث كانت هي الكيفية المتشابهة الناشية عن العفة التي هي فضيلة القوة

الشهوية البهيمية والشجاعة التي هي فضيلة القوة الغضبية السبعية والحكمة التي هي فضيلة القوة العقلية الملكية المشار الى رتبتها بقوله عز وعلا ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا كان المتصف بها واقفا على الحقايق المودعة في الكتاب المبين المنطوي على احكام الدين واحكام الامم اجمعين حاويا لشرايط الشهادة عليهم روي ان الامم يوم القيمة يجحدون بتبليغ الانبياء عليهم السلام فيطالبهم الله تعالى بالبينة وهو اعلم اقامة للحجة على المنكرين وزيادة لخزاهم بان كذبهم من بعدهم من الامم فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فتقول الامم من اين عرفتم فيقولون عرفنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بالنبي صلى الله عليه وسلم ويسال عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا وكلمة الاستعلا لما في الشهيد من معنى الرقيب والمهيمن وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا في ما لا يقبل فيه الشهادة الا من العدول والاخيار وتقديم الظرف للدلالة على اختصاص شهادته عليه السلام بهم وما جعلنا القبلة التي كنت عليها افرد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ومن لى ان مضمون الكلام من الاسرار الحقيقية بان يخص معرفته به عليه السلام وليس الموصول الثاني كما في قوله جعلت الطين خزفا فينبغي ان يكون المفعول الاول هو الموصول والثاني هو القبلة فكلام صناعي يتساق اليه الذهن بحسب النظر الجليل ولكن التامل اللايق يهدي الى العكس فان المقصود افادة ليس جعل الجهة قبلة لا غير كما يفيده ما ذكر بل هو جعل القبلة المحققة لوجود هذه الجهة دون غيرها والمراد بالموصول هي الكعبة فانه عليه السلام كان يصلي اليها اولا ثم لما هاجر امر بالصلوة الى الصخرة تالفا لليهود او هي الصخرة لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما من ان قبلته عليه السلام بمكة كانت بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه وعلى هذه الرواية لا يمكن ان يراد بالقبلة الاولى الكعبة واما الصخرة فتاتي ارادتها على الروايتين والمعنى على الاول وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها اولا اي وهي الكعبة الى الوقت وهي على الثاني وما جعلنا اي التي كنت عليها قبل هذا الوقت وهي الصخرة الا لنعلم استثناء مفرغ من اعم العلل اي وما جعلنا ذلك الشيء من الاشياء الا لنمتحن الناس اي نعاملهم معاملة من يمتحنهم ونعلم حينئذ من يتبع الرسول في التوجه الى ما امر به من الدين او القبلة والالتفات الى الغيبة مع ايراده عليه السلام بعنوان الرسالة للاشعار بعلة الاتباع ممن ينقلب على عقبيه يرتد عن دين الاسلام او لا يتوجه الى القبلة الجديدة او لنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاول ما رددناك الا لنعلم الثابت على الاسلام وناكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه والمراد بالعلم ما يدور عليه فلك الجزاء من العلم الحالي اي ليتعلق علمنا به موجودا بالفعل وقيل المراد علم الرسول عليه السلام والمؤمنين واسناده اليه سبحانه وتعالى لما انهم خواصه او لتمييز الثابت على المتزلزل كقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز الذي هو مسبب عنه ويشهد له قراءة ليعلم على بناء المجهول من صيغة الغيبة والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق لما في من من معنى الاستفهام او مفعوله الثاني ممن ينقلب الى آخره اي لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة اي شاقة ثقيلة وان هي المخففة من الثقيلة دخلت على ناسخ المبتدا والخبر واللام هي الفارقة بينها وبين النافية كما في قوله تعالى ان كان وعد ربنا لمفعولا وزعم الكوفيون انها نافية واللام بمعنى الا اي ما كانت الا كبيرة والضمير الذي هو اسم كان راجع الى ما دل عليه قوله تعالى وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة او التولية او التحويل او الردة او القبلة وقرئ لكبيرة على ان كان مزيدة كما في قوله • واخوان لنا كانوا كرام • واصله وان هي لكبيرة

علما

عند ذلك

كقوله ان ربنا المنطلق الا على الذين هدى الله اي الى سر الاحكام الشرعية المبنية على الحكم والمصالح
اجمالا وتفصيلا وهم المهديون الى الصراط المستقيم اي الثابتون على الاسلام واتباع الرسول
عليه السلام وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ما صح وما استقام له ان يضيع ثباتكم على الايمان بل شكر
صنيعكم واعد لكم الثواب العظيم وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة وصلاتكم اليها لما روي انه عليه
الصلوة والسلام لما توجه الى الكعبة قالوا كيف حال اخواننا الذين مضوا وهم يصلون الى بيت
المقدس فنزلت واللام في ليضيع اما متعلقة بالخبر المقدر لكان كما هو راي البصرية وانتصاب
الفعل بعدها بان المقدرة اي ما كان الله مريدا او متصديا لان يضيع الى آخره ففي توجيه النفي الى
ارادة الفعل تاكيد ومبالغة ليست في توجيهه الى نفسه واما مزيدة للتاكيد ناصبة للفعل بنفسها
كما هو راي الكوفية ولا يقدح في ذلك زيادتها كما لا يقدح زيادة حروف في علمها وقوله تعالى
ان الله بالناس لرؤف رحيم تحقيق وتقرير للحكم وتعليل له كان اتصافه عز وجل بهما يقتضي لا محالة ان
لا يضيع اجورهم ولا يدع ما فيه صلاحهم والباء متعلقة برؤف وتقديمه على رحيم مع كونه ابلغ
منه لما مر في وجه تقديم الرحمن على الرحيم وقيل الرحمة اكثر من الرافة في الكمية لانها عبارة عن ايصال
النعم الصافية عن الالام والرحمة ايصال النعم مطلقا وقد تكون مع الالم كقطع العضو المتاكل
وقرئ روف بغير مد كندس قد نرى تقلب وجهك في السماء تردده وتصرف نظرك في جهتها مطلقا
للوحي وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقع في روعه ويتوقع من ربه عز وجل ان يحوله
الى الكعبة لانها قبلة ابرهيم عليه السلام وادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة
اليهود فكان يراعي نزول جبريل عليه السلام بالوحي بالتحويل فلنولينك قبلة الفاء للدلالة على سببية
ما قبلها لما بعدها وهي في الحقيقة داخلة على قسم محذوف يدل عليه اللام الصلوة والسلام اي فوالله
لنولينك اي لنعطينكها ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اي صيرته واليا له او لنجعلنك
على ان نصب قبله بحذف الجار اي الى قبلة وقيل هو متعد الى مفعولين ترضاها تحبها وتشتاق
اليها لمقاصد دينية وافقت مشيئته تعالى وحكمته فول وجهك الفاء لتفريع الامر بالتولية على
الوعد الكريم وتخصيص التولية بالوجه لما انه مدار التوجه ومعياره وقيل المراد به كل البدن اي فاصرفه
شطر المسجد الحرام اي نحوه وهو نصب على الظرفية من ول او على نزع الخافض او على انه مفعول ثان
له وقيل الشطر في الاصل اسم لما انفصل من الشيء ودار شطور اذا كانت منفصلة عن الدور ثم استعمل
لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اي يحرم فيه القتال او ممنوع من الظلمة ان يتعرضوه وفي
ذكر المسجد الحرام دون الكعبة ايذان بكفاية مراعاة الجهة لان مراعاة العين من البعيد حرجا عظيما بخلاف
القريب روي عن البراء بن عازب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فصلى نحو
بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل
قتال بدر بشهرين ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من
صلوة الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال
فسمي المسجد مسجد القبلتين وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره خص الرسول صلى الله عليه وسلم بالخطاب
تعظيما لجنابه وتعظيما باسعاف مرامه ثم عمم الخطاب للمؤمنين مع التعرض لاختلاف اماكنهم
تاكيدا للحكم وتصريحا بعمومه لكافة العباد من كل حاضر وباد وحثا للامة على المتابعة وحيث ما
شرطية وكنتم في محل الجزم بها وقوله تعالى فولوا جوابها وتكون هي منصوبة على الظرفية بكنتم نحو
قوله تعالى ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وان الذين اوتوا الكتاب فريق اليهود والنصارى ليعلمون

انه اي التحويل او التوجه المفهوم من التولية الحق لا غير لعلمهم بان عادته سبحانه وتعالى جارية على
تخصيص كل شريعة بقبلة ومعاينتهم لما هو مسطور في كتبهم من انه عليه السلام يصلي الى القبلتين
كما يشعر بذلك التعبير عنهم بالاسم الموصول بايتاء الكتاب وان مع اسمها وخبرها ساد مسد مفعولي
يعلمون او مسد مفعوله الواحد على ان العلم بمعنى المعرفة وقوله تعالى من ربهم متعلق بمحذوف وقع
حالا من الحق اي كائنا من ربهم او صفة له على راي من يجوز حذف الموصول مع صلته اي الكائن من ربهم
وما الله بغافل عما تعملون وعد ووعيد للفريقين والخطاب للكل تغليبا وقرئ على صيغة الغيبة فهو
وعيد لاهل الكتاب ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب وضع الموصول موضع الضمير للايذان بكمال سوء حالهم
من العناد مع تحقق ما ينبئ عنه من الكتاب الناطق بحقيته ما كابروا في قوله تعالى بكل اية على حقية
التحويل واللام موطئة للقسم وقوله تعالى ما تبعوا قبلتك جواب للقسم المضمر ساد مسد جواب الشرط
والمعنى انهم ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها الحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا وتجريد الخطاب للنبي
عليه الصلاة والسلام بعد تعميمه للامة لما ان المحاجة والاتيان بالاية من الوظائف الخاصة به عليه
الصلاة والسلام وقوله تعالى وما انت بتابع قبلتهم جملة معطوفة على الجملة الشرطية لا على جوابها
مسوق لقطع اطماعهم الفارغة حيث قالت اليهود لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجوا ان يكون صاحبنا
الذي كنا ننتظره تقريرا له عليه السلام وطمعا في رجوعه وايثار الجملة الاسمية للدلالة على دوام
مضمونها واستمراره وافراد قبلتهم مع تعددها باعتبار اتحادها في البطلان ومخالفة الحق ولئلا
يتوهم ان مدار النفي هو البطلان وقرئ بتابع قبلتهم على الاضافة وما بعضهم بتابع قبلة بعض فان
اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى اختلف كل فريق في ما هو فيه
ولئن اتبعت اهواءهم الزائغة المخالفة من بعد ما جاءك من العلم ببطلانها وحقية ما انت عليه وهذه الشرطية
واردة على منهاج التهييج والالهاب للثبات على الحق اي ولئن اتبعت اهواءهم فرضا انك اذا لمن
الظالمين وفيه لطف للسامعين وتحذير لهم عن متابعة الهوى فان من ليس بشانه ذلك اذا
نهي عنه ورتب على فرض وقوعه ما رتب من الانتظام في سلك الراسخين في الظلم فما ظن من ليس
كذلك واذا حرف جواب وجزا توسطت بين اسم ان وخبرها لتقرير ما بينهما من النسبة اذ حدها
ان يتقدم او يتاخر فلم يتقدم لئلا يتوهم انها تقرير النسبة التي بين الشرط وجوابه المحذوف لان المذكور
جواب القسم ولم يتاخر لرعاية الفواصل ولقد بولغ في التاكيد من وجوه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا
على اقتفائه وتحذيرا من متابعة اليهود واستعظاما لصدور الذنب من الانبياء عليهم السلام
الذين اتيناهم الكتاب اي علماؤهم اذ هم العمدة في ايتائه ووضع الموصول موضع المضمر مع قرب العهد
للاشعار بعلية ما في حيز الصلة للحكم والضمير المنصوب في قوله تعالى يعرفونه للرسول عليه
السلام والالتفات الى الغيبة للايذان بان المراد ليس معرفتهم له عليه السلام من حيث ذاته ونسبه
الزاهر بل من حيث كونه مسطورا في الكتاب منعوتا فيه بالنعوت التي من جملتها انه عليه السلام يصلي
الى القبلتين كانه قيل الذين اتيناهم الكتاب يعرفون من وصفناه فيه وبهذا يظهر جزالة النظم الكريم
وقيل هو اضمار قبل الذكر للاشعار بفخامة شانه عليه الصلاة والسلام وانه علم معلوم بغير اعلام
فتامل وقيل الضمير للعلم او سببه الذي هو الوحي او القران او التحويل والاول هو الاولى وقوله تعالى كما يعرفون
ابناءهم اي يعرفونه عليه السلام باوصافه الشريفة المكتوبة في كتابهم لا يشتبه عليهم كما لا يشتبه
ابناؤهم وتخصيصهم بالذكر دون ما يعم البنات لكونهم اعرف عندهم منهن بسبب كونهم احب اليهم
عن عمر رضي الله عنه انه سال عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به

مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك فيه انه بني واما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر راسه
رضي الله عنهما وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون هم الذين كابروا وعاندوا الحق والباقون هم الذين
امنوا منهم فانهم يظهرون الحق ولا يكتمونه واما الجهلة منهم فليست لهم معرفة بالكتاب ولا بما في تضاعيفه
فما هم بصدد الاظهار ولا بصدد الكتم وانما كفرهم على وجه التقليد الحق بالرفع على انه مبتدا
وقوله تعالى من ربك خبره واللام للعهد والاشارة الى ما عليه النبي عليه السلام او الى الحق الذي يكتمونه
او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله تعالى كالذي انت عليه لا غيره كالذي عليه اهل الكتاب او
على خبر مبتدا محذوف اي هو الحق وقوله تعالى من ربك اما حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب
على انه بدل من الاول او مفعول ليعلمون وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
من اظهار اللطف به عليه السلام ما لا يخفى فلا تكونن من الممترين اي الشاكين في كتمانهم عالمين به وقيل
في انه من ربك وليس المراد به نهي الرسول عليه السلام من الشك فيه لانه غير متوقع منه عليه السلام
وليس بقصد واختيار بل اما تحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر او امر الامة باكتساب المعارف
المزيحة للشك على الوجه الابلغ ولكل اي ولكل امة من الامم على ان التنوين عوض من المضاف اليه وجهة
اي قبلة وقد قرئ كذلك او لكل قوم من المسلمين جانب من جوانب الكعبة هو موليها احد المفعولين
محذوف اي موليها وجهه او الله موليها وقرئ ولكل وجهة بالاضافة والمعنى ولكل وجهة الله موليها
اهلها واللام مزيدة للتاكيد وجبر ضعف العامل وقرئ مولاها اي تلك الجهة فاستبقوا الخيرات
اي تسابقوا اليها بنزع الجار كما في قوله • تناءى عليكم آل حرب ومن يمل • سواكم فاني مهتد غير مائل •
وهو ابلغ من الامر بالمسارعة لما فيه من الحث على احراز قصب السبق والمراد بالخيرات جميع انواعها
من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين والفاضلات من الجهات وهي المسامتة للكعبة
اينما تكونوا يات بكم الله جميعا اي في اي موضع تكونوا من موافق او مخالف مجتمع الاجزا او متفرقها
يحشركم الله تعالى الى المحشر للجزاء واينما تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم او اينما
تكونوا من الجهات المختلفة المقابلة يجعل صلواتكم كانها صلوة الى جهة واحدة ان الله على كل شيء قدير
فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع فهو تعليل للحكم السابق ومن حيث خرجت تاكيد لحكم التحويل
وتصريح بعدم تفاوت الامر في حالتي السفر والحضر ومن متعلقة بقوله فول او بمحذوف عطف
هو عليه اي من اي مكان خرجت اليه للسفر فول وجهك عند صلواتك شطر المسجد الحرام او
افعل ما امرت به من اي مكان خرجت اليه فول الى آخره وانه اي هذا الامر للحق من ربك اي الثابت
الموافق للحكمة وما الله بغافل عما تعملون فيجازيكم بذلك احسن جزاء فهو وعد للمؤمنين وقرئ يعملون
على صيغة الغيبة فهو وعيد للكافرين ومن حيث خرجت اليه في اسفارك ومغازيك من المنازل
القريبة والبعيدة فول وجهك شطر المسجد الحرام الكلام فيه كما مر انفا وحيث ما كنتم من اقطار
الارض مقيمين او مسافرين حسبما يعرب عنه ايثار كنتم على خرجتم فان الخطاب عام لكافة
المؤمنين المنتشرين في الافاق الحاضرين والمسافرين فلو قيل وحيث ما خرجتم لما تناول الخطاب
المقيمين في الاماكن المختلفة من حيث اقامتكم فيها فولوا وجوهكم في محالكم شطره والتكرير لما
ان القبلة لها شان خطير والنسخ من مظان الشبهة والفتنة فبالحري ان يؤكد مرة عقب اخرى
مع انه قد ذكر في كل مرة حكمة مستقلة لئلا يكون للناس عليكم حجة متعلقة بقوله تعالى فولوا او
بمحذوف يدل عليه الكلام كانه قيل فعلنا ذلك لئلا الى آخره والمعنى ان التولية عن الصخرة تدفع احتجاج
اليهود فان المنعوت في التورية من اوصافه ان يحول الى الكعبة واحتجاج المشركين بانه يدعي ملة ابرهيم

مولى

ويخالف

وتخالف قبلته الا الذين ظلموا منهم وهم اهل مكة اي لئلا يكون لاحد من الناس الا المعاندين منهم الذين يقولون
ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده او بدا له فرجع الى قبلة ابائه ويوشك ان يرجع الى دينهم
وتسمية هذه الكلمة الشنعاء حجة مع انها افحش الاباطيل من قبيل ما في قوله تعالى حجتهم داحضة حيث كانوا
يسوقونها مساق الحجة وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة راسا كالذي في قوله •
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب • ضرورة ان لا حجة للظالم وقرئ الا الذين
بحرف التنبيه على انه استيناف فلا تخشوهم فان مطاعنهم لا تضركم شيئا واخشوني فلا تخالفوا امري
ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون علة لمحذوف يدل عليه النظم الكريم اي وامرتكم بما مر لاتمامي النعمة عليكم لما
انه نعمة جليلة ولارادتي اهتداءكم لما انه صراط مستقيم مؤد الى سعادة الدارين كما في قوله عز وجل يهدي من
يشاء الى صراط مستقيم وفي التعبير عن الارادة بكلمة لعل الموضوعة للترجي على طريقة التبعية من الدلالة
على كمال العناية بالهداية ما لا يخفى او عطف على علة مقدرة اي واخشوني لاحفظكم منهم ولاتم الى آخره او على
قوله تعالى لئلا يكون الى آخره وتوسيط قوله تعالى فلا تخشوهم الى آخره بينهما للمسارعة الى التسلية والتثبيت
وفي الخبر تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله عنه تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم
متصل بما قبله والظرف الاول متعلق بالفعل وقدم على مفعوله الصريح لما في صفاته من الطول والظرف الثاني
متعلق بمضمر وقع صفة لرسولا مبينة لتمام النعمة اي ولاتم نعمتي عليكم في امر القبلة او في الاخرة اتماما كائنا
كاتمامي لها بارسال رسول كائن منكم فان ارسال الرسول لا سيما المجانس لهم نعمة لا يكافؤها نعمة قط •
وقيل متصل بما بعده اي كما ذكرتكم بالارسال فاذكروني الى آخره وايثار صيغة المتكلم مع الغير بعد التوحيد
فيما قبله افتنان وجريان على سنن الكبرياء يتلوا عليكم اياتنا صفة ثانية لرسولا كاشفة لكمال النعمة •
ويزكيكم عطف على يتلوا اي يحملكم على ما تصيرون به ازكياء ويعلمكم الكتاب والحكمة صفة اخرى مرتبة في الوجود
على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها المتفرع
على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتبة على التلاوة للايذان بان كلا من الامور المترتبة
نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعي ترتيب الوجود كما في قوله تعالى وابعث فيهم رسولا
منهم يتلوا عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم لتبادر الفهم
كون الكل نعمة واحدة كما مر نظيره في سورة البقرة وهو السر في التعبير عن القران تارة بالايات واخرى
بالكتاب والحكمة رمزا الى انه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فيه شمول الحكمة لما في تضاعيف
الاحاديث الشريفة من الشرائع وقوله عز وجل ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون صريح في ذلك فان الموصول مع
كونه عبارة عن الكتاب والحكمة قطعا قد عطف تعليمه على تعليمها وما ذلك الا لتفصيل فنون النعم في مقام
يقتضيه كما في قوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ قوله نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا
والمراد بعدم علمهم انه ليس من شانهم ان يعلموه بالفكر والنظر وغير ذلك من طرق العلم لانحصار الطريق
في الوحي فاذكروني الفاء للدلالة على ترتب الامر على ما قبله من موجباته اي اذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب
وهو تحريض على الذكر مع الاشعار بما يوجبه ويقتضيه تنشيطا لهم وحثا على مراعاة ما يعقبه من الامر •
استعينوا في كل ما تاتون وما تذرون بالصبر على الامور الشاقة على ان النفس التي من جملتها معاداة
الكفرة ومقابلتهم المؤدية الى مقاتلتهم والصلوة التي هي ام العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة
رب العالمين ان الله مع الصابرين تعليل للامر بالاستعانة بالصبر خاصة لما ان المحتاج الى التعليل واما
الصلوة فحيث كانت عند المؤمنين اجل المطالب كما ينبئ عنه قوله عليه السلام وجعلت قرة عيني في
الصلاة لم يفتقر الامر بالاستعانة بها الى التعليل ومعنى المعية الولاية الدائمة المستتبعة للنصر

واشكروا لي ما انعمت به عليكم من النعم ولا تكفرون بجحدها
وعصيان ما امرتكم به يا ايها الذين امنوا وصفهم بالايمان اثر تعدادها د ما يوجبه

واجابة الدعوة ودخول مع الصابرين لما انهم المباشرون للصبر حقيقة فهم متبعون من تلك
الحيثية ولا تقولوا عطف على استعينوا الى آخره مسبوق لبيان ان لا غائلة للمامور به وان الشهادة
التي ربما يودي اليها الصبر حيوة ابدية لمن يقتل في سبيل الله اموات اي هم اموات بل احياء اي بل هم احياء
ولكن لا تشعرون بحياتهم وفيه رمز الى انها ليست مما يشعر به بالمشاعر الظاهرة من الحيوة الجسمانية
وانما هي امر روحاني لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن رضي الله عنه ان الشهداء احياء عند
الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على آل فرعون غدوا وعشيا
فيصل اليهم الالم والوجع قلت رايت في المنام سنة تسع وثلاثين وتسعماية اني ازور شهداء احد
رضي الله عنهم وانا اتلو هذه الاية وما في سورة آل عمران واردها متفكرا في امرهم وفي نفسي ان حياتهم
روحانية لا جسمانية فبينما انا على ذلك اذ رايت شابا منهم قاعدا في قبره تام الجسم كامل الخلقة
في احسن ما يكون من الهيئة والمنظر ليس عليه شيء من اللباس قد بدا منه ما فوق السرة والباقي في
القبر والحال اني اعلم يقينا ان ذلك ايضا لم يظهر لكونه عورة فنظرت الى وجهه فرايته ينظر الي متبسما
كانه ينبهني على ان الامر بخلاف رايي فسبحان من علت كلمته وجلت حكمته قيل الاية نزلت في
شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر قائمة بانفسها متغايرة لما
يحس من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين رضي الله عنهم اجمعين وبه
نطقت الايات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء بذلك لما يستدعيه مقام التحريض على مباشرة
مبادي الشهادة لاختصاصهم بمزيد القرب من الله تعالى ولنبلونكم لنصيبنكم اصابة من يختبر احوالكم
اتصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء بشيء من الخوف والجوع اي بقليل من ذلك فان ما وقاهم عنه
اكثر بالنسبة الى ما اصابهم بالف مرة وكذا ما يصيب به معانديهم وانما اخبر به قبل الوقوع ليوطنوا
عليه نفوسهم ويزداد يقينهم عند مشاهدتهم له حسبما اخبر وليعلموا انه شيء له عاقبة حميدة
ونقص من الاموال والانفس والثمرات عطف على شيء وقيل على الخوف وعن الشافعي رحمه الله اذا مات ولد
العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي وهو اعلم فيقولون نعم فيقول عز وجل اقبضتم ثمرة
فؤاده فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله عز وجل
ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا
لله وانا اليه راجعون الخطاب للنبي عليه الصلوة والسلام او لكل من يتاتى له البشارة والمصيبة
ما يصيب الانسان من مكروه لقوله عليه الصلاة والسلام كل شيء يوذي المؤمن فهو مصيبة وليس
الصبر هو الاسترجاع باللسان بل بالقلب بان يتصور ما خلق له وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله تعالى
عليه ويرى ان ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه فيهون ذلك على نفسه ويستسلم والمبشر به محذوف
دل عليه ما بعده اولئك اشارة الى الصابرين باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت ومعنى البعد فيه
للايذان بعلو درجتهم عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلوة من الله سبحانه وتعالى المغفرة والرحمة وجمعها
للتنبيه على كثرتها وتنوعها والجمع بينها وبين الرحمة للمبالغة كما في قوله تعالى رافة ورحمة ورؤف رحيم
والتنوين فيهما للتفخيم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لاظهار مزيد العناية بهم
اي اولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت الجليلة عليهم فنون الرافة الفائضة من مالك امورهم
ومبلغهم الى كمالاتهم اللائقة عن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته
واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه واولئك اشارة اليهم اما باعتبار [illegible] والتكرير لاظهار
كمال العناية بهم واما باعتبار حيازتهم لما ذكر من الصلوات والرحمة المترتب على الاعتبار الاول فعلى

قلبه

الاول

الاول المراد بالاهتداء في قوله عز وجل هم المهتدون هو الاهتداء للحق والصواب مطلقا والاهتداء
لما ذكر من الاسترجاع والاستسلام خاصة لما انه متقدم عليهما فلا بد لنا خبرتها هو نتيجة لهما من داع وجيه
وليس بظاهر والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله كانه قيل واولئك هم المختصون بالاهتداء لكل حق وصواب
ولذلك استرجعوا واستسلموا لقضاء الله تعالى وعلى الثاني هو الاهتداء والفوز بالمطالب والمعنى اولئك
هم الفائزون بمباغيهم الدينية والدنيوية فان من نال رافة الله تعالى ورحمته لم يفته مطلب ان الصفا
والمروة علمان لجبلين بمكة المعظمة كالصمان والمقطم من شعائر الله من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة
فمن حج البيت او اعتمر الحج في اللغة القصد والاعتمار الزيارة غلبا في الشريعة على قصد البيت وزيارته
على الوجهين المعروفين كالبيت والنجم في الاعيان وحيث اظهر البيت وجب تجريدهما عن التعلق به فلا جناح
عليه ان يطوف بهما اي في ان يطوف بهما اصله يتطوف قلبت التاء طاء فادغمت الطاء في الطاء وفي ايراد صيغة
التفعل ايذان بان من حق الطائف ان يتكلف في الطواف ويبذل جهده وهذا الطواف واجب عندنا وعند مالك
والشافعي رحمهما الله ركن وايراده بعدم الجناح المشعر بالتخيير لما انه كان في عهد الجاهلية على الصفا
صنم يقال له اساف وعلى المروة آخر اسمه نائلة وكانوا اذا سعوا بينهما مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسر الاصنام
تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت وقيل هو تطوع ويعضده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه
فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما ومن تطوع خيرا اي فعل فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض عليه من
حج او عمرة او طواف وخيرا حينئذ نصب على انه صفة لمصدر محذوف اي تطوعا خيرا او على حذف
الجار وايصال الفعل اليه او على تضمين معنى فعل وقرئ يطوع واصله يتطوع مثل يطوف وقرئ ومن يتطوع
بخير فان الله شاكر اي مجاز على الطاعة عبر عن ذلك بالشكر مبالغة في الاحسان الى العباد عليم
مبالغ في العلم بالاشياء فيعلم مقادير اعمالهم وكيفياتها فلا ينقص من اجورهم شيئا وهو علة لجواب
الشرط قائم مقامه كانه قيل ومن تطوع خيرا جازاه الله واثابه فان الله شاكر عليم ان الذين يكتمون قيل نزلت
في احبار اليهود الذين كتموا ما في التورية من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من الاحكام
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة والحسن والسدي والربيع والاصم رضي الله عنهم
انها نزلت في اهل الكتاب من اليهود والنصارى وقيل نزلت في كل من كتم شيئا من احكام الدين لعموم الحكم
للكل والاولى هو الاول فان عموم الحكم لا يابى خصوص السبب والكتمان ترك اظهار الشيء قصدا
مع مساس الحاجة اليه وتحقق الداعي الى اظهاره وذلك قد يكون بمجرد ستره واخفائه وقد يكون بازالته
ووضع شيء آخر في موضعه وهو الذي فعله هؤلاء ما انزلنا من البينات من الآيات الواضحة الدالة على امر
محمد صلى الله عليه وسلم والهدى اي والايات الهادية الى كنه امره ووجوب اتباعه والايمان به عبر عنها
بالمصدر مبالغة ولم يجمع مراعاة للاصل وهي المرادة بالبينات ايضا والعطف لتغاير العنوان كما في
قوله عز وجل هدى للناس وبينات من الهدى وقيل المراد بالهدى الادلة العقلية وبيانه الانزال والنقل
من بعد ما بيناه للناس متعلق بيكتمون والمراد بالناس الكل لا الكاتمون فقط واللام متعلقة ببيناه وكذا
الظرف في قوله تعالى في الكتاب فان تعلق جارين بفعل واحد عند اختلاف المعنى مما لا ريب في جوازه
او الاخير متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعوله اي كائنا في الكتاب وتبيينه لهم تلخيصه وايضاحه بحيث
يتلقاه كل احد منهم من غير ان يكون له فيه شبهة وهذا عنوان مغاير لكونه بينا في نفسه وهدى موكدا
لقبح الكتم او تفهيمه لهم بواسطة موسى عليه السلام والاول انسب بقوله تعالى في الكتاب والمراد بكتمه
ازالته ووضع غيره في موضعه فانهم محوا نعته عليه الصلاة والسلام وكتبوا مكانه ما يخالفه كما ذكرناه
في تفسير قوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم الآية اولئك اشارة اليهم باعتبار ما وصفوا به

للاشعار بعلية لما حاق بهم وما فيه من معنى البعد للايذان بترامي اجرامهم وبعد منزلتهم في الفساد يلعنهم
الله اي يطردهم ويبعدهم من رحمته والالتفات الى الغيبة باسم اظهار الذات الجامع للصفات لتربية المهابة
وادخال الروعة والاشعار بان مبدا صدور اللعن عنه سبحانه صفة المغاير لما هو مبدا الانزال والتبيين
من وصف الجمال والرحمة ويلعنهم اللاعنون اي الذين يتاتى منهم اللعن اي الدعاء عليهم باللعن من الملائكة ومؤمني
الثقلين والمراد دوام اللعن واستمراره وعليه يدور الاستثناء المتصل في قوله تعالى الا الذين تابوا اي عن الكتمان
واصلحوا اي ما افسدوا من الكلام المحرف وكتبوا مكانه ما كانوا ازالوه عند التحريف وبينوا للناس معانيه فانه غير الاصلاح
المذكور او بينوا لهم ما وقع منهم اولا واخرا فانه ادخل الى ارشاد الناس الى الحق وصرفهم عن طريق الضلال الذي كانوا
اوقعوهم فيه او بينوا توبتهم ليمحوا به سمة ما كانوا عليه ويقتدي بهم اضرابهم وحيث كانت هذه التوبة المقرونة
بالاصلاح والتبيين مستلزمة للتوبة عن الكفر مبينة حلها لم يصرح بالايمان وقوله تعالى فاولئك اشارة الى
الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة للاشعار بعليته للحكم والفاء لتاكيد ذلك اتوب عليهم اي بالقبول
وافاضة المغفرة والرحمة وقوله تعالى وانا التواب الرحيم اي المبالغ في قبول التوبة ونشر الرحمة اعتراض تذييلي محقق
لمضمون ما قبله والالتفات الى التكلم للافتنان في النظم الكريم مع ما فيه من التلويح والرمز الى ما مر من اختلاف المبدا
في فعلية السابق واللاحق ان الذين كفروا جملة مستانفة سيقت لتحقيق بقاء اللعن فيما وراء الاستثناء وتاكيد
دوامه واستمراره على غير التائبين حسبما يفيده الكلام والاقتصار على ذكر الكفر في الصلة من غير تعرض لعدم التوبة
والاصلاح والتبيين مبني على ما اشير اليه فكما ان وجود تلك الامور الثلاثة مستلزمة للايمان الموجب لعدم الكفر
كذلك وجود الكفر مستلزم لعدمها جميعا اي ان الذين على الكفر المستتبع للكتمان وعدم التوبة وماتوا وهم كفار
لا يرعوون عن حالتهم الاولى اولئك الكلام فيه كما فيما قبله عليهم اي مستقر عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ممن يعتد
بلعنتهم وهذا بيان لدوامها الثبوتي بعد بيان دوامها التجددي وقيل الاول لعنتهم احياء وهذا لعنتهم امواتا
وقرئ والملائكة والناس اجمعون عطف على محل اسم الله لانه فاعل في المعنى كقوله اعجبني ضرب زيد وعمرو بريد من
اضرب زيد وعمرو كانه قيل اولئك عليهم ان لعنهم الله والملائكة الى اخره وقيل هو فاعل لفعل مقدر اي ويلعنهم
الملائكة خالدين فيها اي في اللعنة او في النار على انها اضمرت من غير ذكر تفخيما لشانها وتهويلا لامرها لا يخفف عنهم العذاب
اما مستانف لبيان كثرة عذابهم من حيث الكيف اثر بيان كثرته من حيث الكم او حال من الضمير في خالدين على وجه
التداخل او من الضمير في عليهم على طريقة الترادف ولا هم ينظرون عطف على ما قبله جار فيه ما جرى فيه وايثار
الجملة الاسمية لافادة النفي واستمراره اي لا يمهلون ولا يؤجلون ولا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر
رحمة والهكم خطاب عام لكافة المستحق منكم للعبادة اله واحد اي فرد في الالوهية لا صحة لتسمية غيره الها
اصلا لا اله الا هو خبر ثان للمبتدا او اعتراض وايا ما كان فهو مقرر للوحدانية ومزيح لما عسى يتوهم ان في الوجود
الها لكن لا يستحق العبادة الرحمن الرحيم خبران اخران للمبتدا او لمبتدا محذوف وهو تقرير للتوحيد فانه تعالى
حيث كان موليا لجميع النعم اصولها وفروعها جليلها ودقيقها وكان ما سواه كائنا ما كان مفتقرا اليه في وجوده
وما يتفرع عليه من كمالاته تحققت وحدانيته بلا ريب وانحصر استحقاق العبادة فيه قطعا قيل كان للمشركين
حول الكعبة المكرمة ثلثمائة وستون صنما فلما سمعوا هذه الاية تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فات باية نعرف
بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات والارض اي في ابداعهما على ما هما عليه مع ما فيهما من تعاجيب العبر وبدائع صنائع
يعجز عن فهمها عقول البشر وجمع السموات لما هو المشهور من انها طبقات متخالفة الحقائق دون الارض واختلاف
الليل والنهار اي اعتقابهما وكون كل منهما خلفا للآخر كقوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة واختلاف كل
منهما في انفسهما ازديادا وانتقاصا على ما قدره الله تعالى والفلك التي تجري في البحر عطف على ما قبله وتانيثه اما
بتاويل السفينة او لانه جمع فان ضمة الجمع مغايرة لضمة الواحد في التقدير اذ الاولى كما في حمر والثانية كما في قفل وقرئ

بضم

بضم اللام بما ينفع الناس اي ملتبسة بالذي ينفعهم مما يحمل فيها من انواع المنافع او لنفعهم وما انزل الله
من السماء من ماء عطف على الفلك وتاخيره عن ذكرها مع كونه اعم منها نفعا لما فيه من مزيد تفصيل وقيل
المقصود الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه
ولذلك قدم على ذكر المطر والسحاب لان منشاهما البحر في غالب الامور ومن الاولى ابتدائية والثانية بيانية وايا ما
كان فتاخيرها لما مر مرارا من التشويق والمراد بالسماء الفلك او السحاب او جهة العلو فاحيا به الارض بانواع
النبات والازهار وما عليها من الاشجار بعد موتها باستيلاء اليبوسة عليها حسبما تقتضيه طبيعتها كما
يؤذن به ايراد الموت في مقابلة الاحيا وبث فيها فرق ونشر من كل دابة من العقلاء وغيرهم والجملة معطوفة
على انزل داخلة تحت حكم الصلة وقوله تعالى فاحيا الى اخره متصل بالمعطوف عليه بحيث كانا في حكم شيء
واحد كانه قيل وما انزل في الارض من ماء وبث فيها الى اخره او على احيا بحذف الجار والمجرور العائد الى
الموصول وان لم يتحقق الشرائط المعهودة كما في قوله • وان لساني شهدة يشتفى بها • ولكن على من صبه الله علقم •
وقوله • لعل الذي اصعدتني ان تردني • الى الارض ان لم يقدر الخير قادره • على معنى فاحيا بالماء الارض وبث
فيها من كل دابة فانهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا وتصريف الرياح عطف على ما انزل اي تقليبها من مهب
الى اخر او حال الى اخرى وقرئ على الافراد والسحاب عطف على تصريف او الرياح وهو اسم جنس واحده
سحابة سمي بذلك لانسحابه في الجو المسخر بين السماء والارض صفة للسحاب باعتبار لفظه وقد يعتبر
معناه فيوصف بالجمع كما في قوله تعالى سحابا ثقالا وتسخيره تقليبه في الجو بواسطة الرياح حسبما تقتضيه
مشيئة الله تعالى ولعل تاخير الرياح في الذكر عن جريان الفلك وانزال الماء مع انعكاس الترتيب
الخارجي لما مر في قصة البقرة من الاشعار باستقلال كل من الامور المعدودة في كونها اية ولو روعي الترتيب
الخارجي لربما توهم كون المجموع المترتب بعضه على بعض اية واحدة لايات اسم ان دخلته اللام لتاخره
عن خبرها والتنكير للتفخيم كما وصفنا اي ايات عظيمة كثيرة دالة على القدرة القاهرة والحكمة الباهرة
والرحمة الواسعة المقتضية لاختصاص الالوهية به سبحانه لقوم يعقلون اي يتفكرون فيها وينظرون
اليها بعيون العقول وفيه تعريض بجهل المشركين الذين اقترحوا على النبي صلى الله عليه وسلم اية
تصدقه في قوله تعالى والهكم اله واحد ويسجل عليهم بسخافة العقول والا فمن تامل في تلك الايات
وجد كلا منها ناطقة بوجوده تعالى ووحدانيته وسائر صفاته الكمالية الموجبة لتخصيص العبادة به
تعالى واستغنى بها عن سائرها فان كل واحد من الامور المعدودة قد وجد على وجه خاص من الوجوه الممكنة
دون ما عداه مستتبعا لاثار معينة متعال عن معارضة الغير اذ لو كان معه اخر يقدر على ما يقدر
عليه لزم اما اجتماع المؤثرين على اثر واحد والتمانع المؤدي الى فساد العالم ومن الناس من يتخذ من دون الله
بيان لكمال ركاكة اراء المشركين اثر تقرير وحدانيته سبحانه وتحرير الايات الباهرة الملجئة الى الاعتراف
بها القاضية باستحالة ان يشارك شيء من الموجودات في صفة من صفات الكمال فضلا عن المشاركة
في صفة الالوهية والكلام في اعرابه كما فصل في قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم
الاخر الى اخره ومن دون الله متعلق بيتخذ اي من الناس من يتخذ من دون الله ذلك الاله الواحد الذي
ذكرت شؤونه الجليلة وايثار الاسم الجليل لعينيه تعالى بالذات غب تعيينه بالصفات اندادا
اي امثالا وهم رؤساؤهم الذين يتبعونهم فيما ياتون ويذرون لا سيما في الاوامر والنواهي كما
يفصح عنه ما سياتي من وصفهم بما لا يوصف به الا العقلاء والمحبة ميل القلب من الحب استعير من
المتبعين وقيل هي الاصنام وارجاع ضمير العقلاء اليها في قوله عز وعلا يحبونهم مبني على ارائهم الباطلة
في شانها من وصفهم بما لا يوصف به الا العقلاء والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق

تصريف

منها الحب لانه اصابها ورسخ فيها والفعل منها حب على حد لكن الاستعمال المستفيض على احب
حبا ومحبة فهو محب وذاك محبوب ومحب قليل وحاب اقل منه ومحبة العبد لله سبحانه
ارادة طاعته في اوامره ونواهيه والاعتنا بتحصيل مراضيه فمعنى يحبونهم يطيعونهم ويعظمونهم
والجملة في حيز النصب اما صفة للانداد او حال من فاعل يتخذ وجمع باعتبار معنى من كما ان افراده باعتبار
لفظها كحب الله مصدر تشبيهي اي نعت لمصدر موكد للفعل السابق ومن قضية كونه مبنيا
للفاعل كونه ايضا كذلك والظاهر اتحاد فاعليهما فانهم كانوا يقرون به تعالى ويتقربون اليه فالمعنى
يحبونهم حبا كائنا كحبهم لله تعالى اي يسوون بينه تعالى وبينهم في الطاعة والتعظيم وقيل فاعل
الحب المذكور هم المومنون فالمعنى حبا كائنا كحب المومنين له تعالى فلا بد من اعتبار المشابهة
بينهما في اصل الحب لا في وصفه كما او كيفا لما سيأتي من التفاوت البين وقيل هو مصدر
من المبني للمفعول اي كما يحب الله تعالى ويعظم وانما استغني عن ذكر من يحبه لانه غير ملبس وانت
خبير بانه لا مشابهة بين محبتهم لاندادهم وبين محبته تعالى فالمصير حينئذ ما اسلفناه في تفسير
قوله عز وجل كما سئل موسى من قبل واظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار لتربية المهابة وتفخيم
المضاف وابانة قبح ما ارتكبوه والذين امنوا اشد حبا لله جملة مبتداة جيء بها توطية لما يعقبها من بيان
رخاوة حبهم وكونه حسرة عليهم والمفضل عليه محذوف اي المومنون اشد حبا له تعالى منهم لاندادهم
ومآله ان حب اولئك له تعالى اشد من حب هولاء لاندادهم وفيه من الدلالة على كون الحب مصدرا
من المبني للفاعل ما لا يخفى وانما لم يجعل المفضل عليه حبهم لله تعالى لما ان المقصود بيان انقطاعه
وانقلابه بغضا وذلك انما يتصور في حبهم لاندادهم لكونه منوطا بمبان فاسدة ومبادٍ هو بها
يزول بزوالها قيل ولذلك كانوا يعدلون عنها عند الشدائد الى الله سبحانه وتعالى وكانوا يعبدون
صنما اياما فاذا وجدوا آخر رفعوه اليه وقد اكلت باهلة الهها في عام المجاعة وكان من حيس
وانت خبير بان مدار ذلك اعتبار اختلال حبهم لها في الدنيا وليس الكلام فيه بل في انقطاعه في
الآخرة عند ظهور حقيقة الحال ومعاينة الاهوال كما سيأتي بل اعتباره مخل بما يقتضيه مقام
المبالغة في بيان قبح ما ارتكبوه وغاية عظم ما اقترفوه وايثار الاظهار في موضع الاضمار لتفخيم
الحب والاشعار بعلته ولو يرى الذين ظلموا اي باتخاذ الانداد ووضعها موضع المعبود اذ يرون
العذاب المعد لهم يوم القيمة اي لو علموا اذ يعاينونه وانما اوثرت صيغة المستقبل لجريانها مجرى الماضي في
الدلالة على التحقق في اخبار علام الغيوب ان القوة لله جميعا ساد مسد مفعولي يرى وان الله شديد
العذاب عطف عليه وفائدته المبالغة في تهويل الخطب وتفظيع الامر فان اختصاص القوة به
سبحانه وتعالى لا يوجب شدة العذاب لجواز تركه عفوا مع القدرة عليه وجواب لو محذوف
للايذان بخروجه عن دائرة البيان اما لعدم الاحاطة بكنهه واما لضيق العبارة عنه واما لايجاب
ذكره ما لا يستطيعه المعبر والمستمع من الضجر او التفجع عليه اي لو علموا اذ رأوا العذاب قد حل بهم
ولم ينقذهم منه احد من اندادهم ان القوة لله جميعا فلا دخل لاحد في شيء اصلا لوقعوا في الحسرة والندم
فيما لا يكاد يوصف وقرئ ولو ترى بالتاء الفوقانية على ان الخطاب للرسول صلى الله عليه
وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب فالجواب حينئذ لرأيت امرا لا يوصف من الهول والفظاعة
وقرئ اذ يرون على البناء للمفعول وان الله شديد العقاب على الاستئناف واضمار القول اذ تبرأ
الذين اتبعوا بدل من يرون اي تبرأ الرؤسا من الذين اتبعوا من الاتباع بان اعترفوا ببطلان
ما كانوا يدعونه في الدنيا ويدعونهم اليه من فنون الكفر والضلال واعتزلوا عن مخاطبتهم وقابلوهم

باللعن

باللعن كقول ابليس اني كفرت بما اشركتمون من قبل وقرئ بالعكس اي تبرأ الاتباع من الروسا والواو
في قوله عز وجل ورأوا العذاب حالية وقد مضمرة وقيل عاطفة على تبرأ والضمير في رأوا للموصولين
جميعا وتقطعت بهم الاسباب والوصل التي كانت بينهم من التبعية والمتبوعية والاتفاق على الملة الزائغة
والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذي يرتقى به الشجرة ونحوها والجملة معطوفة على
تبرأ وتوسيط الحالية بينهما للتنبيه على علة التبري وقد جوز عطفها على الجملة الحالية وقال الذين
اتبعوا حين عاينوا تبرأ الرؤسا منهم وندموا على ما فعلوا من اتباعهم لهم في الدنيا لو ان لنا كرة فنتبرأ
منهم هنالك كما تبرؤا منا اليوم كذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده لا الى شيء آخر مفهوم مما
سبق وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته مع كمال تميزه عما عداه
وانتظامه في سلك الامور المشاهدة والكاف مقحمة لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحله
النصب على المصدرية اي ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم اي ندامات
شديدة فان الحسرة شدة الندم والكمد وهو تألم القلب وانحساره عما يؤلمه واشتقاقها من
قولهم بعير حسير اي منقطع القوة وهي ثالث مفاعيل يرى ان كان من رؤية القلب والا فهي حال
والمعنى ان اعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا حسرات مكان اعمالهم وما هم بخارجين من النار
كلام مستانف لبيان حالهم بعد دخولهم النار والاصل وما يخرجون والعدول الى الاسمية لافادة
دوام الخروج والضمير للدلالة على قوة امرهم فيما اسند اليهم كما في قوله هم يفرشون اللبد كل طمرة
واجرد سباق يبذ المغاليا يا ايها الناس كلوا مما في الارض اي بعض ما فيها من اصناف الماكولات
التي من جملتها ما حرموه افترآء على الله من الحرث والانعام قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت
في قوم من ثقيف وبني عامر بن صعصعة وخزاعة وبني مدلج حرموا على انفسهم ما حرموا من الحرث
والبحائر والسوائب والوصائل والحام وقوله تعالى حلالا حال من الموصول اي كلوه حال كونه حلالا
او مفعول لكلوا على ان من ابتدائية وقد جوز كونه صفة لمصدر موكد اي اكلا حلالا ويؤيد الاولين
قوله تعالى طيبا فانه صفة له ووصف الاكل به غير معتاد وقيل نزلت في قوم من المومنين حرموا
على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس ويرده قوله عز وجل ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تقتدوا به
في اتباع الهوى فانه صريح في ان الخطاب للكفرة كيف لا وتحريمه الحلال على نفسه تزهدا ليس من اتباع
خطوات الشيطان فضلا عن كونه تقولا وافترآء على الله تعالى وان الذي نزل فيهم ما في سورة المائدة
من قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم الاية وقرئ خطوات بسكون الطاء
وهما لغتان في جمع خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كانها
على الواو وبفتحتين على انها جمع خطوة وهي المرة من الخطو انه لكم عدو مبين تعليل للنهي اي ظاهر
العداوة عند ذوي البصيرة وان كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك سمي وليا في قوله تعالى اولياؤهم
الطاغوت انما يامركم بالسوء والفحشاء استئناف لبيان كيفية عداوته وتفصيل لفنون شره وافساده
وانحصار معاملته معهم في ذلك والسوء في الاصل مصدر ساءه يسوءه سوءا ومساءة اذا احزنه يطلق على
جميع المعاصي سواء كانت من اعمال الجوارح وافعال القلوب لاشتراك كلها في انها تسوء صاحبها والفحشاء
اقبح انواعها واعظمها مساءة وان تقولوا على الله ما لا تعلمون عطف على الفحشاء اي وبان تفتروا على الله
بانه حرم هذا وذلك ومعنى ما لا تعلمون ان الله امر به وتعليق امرهم بقولهم على الله ما لا يعلمون وقوعه
منه تعالى لا بقولهم عليه ما لا يعلمون عدم وقوعه منه تعالى مع ان حالهم ذلك للمبالغة في الزجر
فان التحذير من الاول مع كونه في القبح والشناعة دون الثاني تحذير عن الثاني على ابلغ وجه واكده وللا

ومهم

بانّ العاقل يجب عليه ان يقول على الله ما لا يعلم وقوعه منه تعالى مع الاحتمال فضلاً عن ان يقول عليه
ما يعلم عدمه وقوعه منه تعالى قالوا وفيه دليل على المنع من اتباع الظنّ راساً واما اتباع المجتهد لما ادي
اليه ظنّه فمستند الى مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله التفات الى
الغيبة تسجيلاً بكمال ضلالهم وايذاناً بايجاب تعداد ما ذكر من جناياتهم لصرف الخطاب عنهم وتوجيهه الى
العقلاء وتفصيل مساوي احوالهم على نهج المثابة اي اذا قيل لهم على وجه النصيحة والارشاد اتبعوا
كتاب الله الذي انزله قالوا لا نتبعه بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا اي وجدنا هم عليه اما على الظرف متعلق بمحذوف
وقع حالاً من اباءنا والفينا متعد الى واحد واما على انه مفعول ثان له مقدم على الاول نزل في المشركين
امروا باتباع القران وسائر ما انزل الله من الحجج الظاهرة والبينات الباهرة جنحوا للتقليد والموصول
اما عبارة عما سبق من اتخاذ الانداد وتحريم الطيبات ونحو ذلك واما باق على عمومه وما ذكر داخل فيه
دخولاً اولياً وقيل نزلت في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلّى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا
بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا لانهم كانوا خيراً منا واعلم فعلى هذا يعم ما انزل الله تعالى التورية لانها ايضا
تدعوا الى الاسلام وقوله عزّ وعلا اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيا ولا يهتدون استيناف مسوق من جهته تعالى
رداً لمقالتهم الحمقاء واظهار البطلان ارائهم والهمزة للانكار الواقع واستقباحه والتعجب منه لا الانكار
الوقوع كالتي في قوله تعالى اولو كنا كارهين وكلمة لو في امثال هذا المقام ليست لبيان انتفاء الشيء في
الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه بل هو لبيان
تحقق ما يفيده الكلام السابق بالذات او بالواسطة من الحكم الموجب والمنفي على كل حال مفروض من
الاحوال المقارنة له على الاجمال بان حالها على بعدها منه واشدها منافاة له ليظهر ثبوته او انتفاؤه
مع ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان
يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء على سائر الاحوال المغايرة لها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء
الاحوال المغايرة لها وهذا معنى قولهم ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتنا
لجميع الاحوال المغايرة لها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال وهذا المعنى ظاهر
في الخبر الموجب والنفي والامر كما في قولك احسن اليه ولو اساء اليك ولا تهنه ولو اهانك لبقائه على حاله
واما فيما نحن فيه ففيه نوع خفاء ناشئ من ورود الانكار عليه لكن الاصل في الكل واحد الا ان كلمة لو
في الصورة المذكورة ومتعلقه بنفس الفعل المذكور قبلها وان ما يقصد بيان تحققه على كل حال
هو نفس مدلوله وان الجملة حال من ضميره او مما يتعلق به وان ما في حيز لو باق على ما هو عليه من
الاستبعاد غالبا بخلاف ما نحن فيه لما ان كلمة لو متعلقة فيه بفعل مقدر يقتضيه المذكور وانما
يقصد بيان تحققه على كل حال هو مدلوله لا مدلول المذكور من حيث هو مدلوله وان الجملة حال مما
يتعلق به لا مما يتعلق بالمذكور من حيث هو متعلق به وان المقصود الاصلي انكار مدلوله باعتبار مقا
للحالة المذكورة واما مقارنته لغيرها لتوسيع الدائرة وان ما في حيز لو لا يقصد استبعاده في نفسه بل يقصد
الاشعار بانه امر محقق الا انه اخرج مخرج الاستبعاد معاملة مع المخاطبين على معتقدهم ليلا يلبسوا
من التصريح بنسبة ابائهم الى كمال الجهالة والضلالة لجلد النمر فيركبوا متن الفساد ومبالغة في الاذكار
من جهة ان اتباعهم لابائهم كان منكرا مستقبحا عند احتمال كون ابائهم ذكوا احتمالا بعيدا فلان يكون منكرا
عند تحقق ذلك اولى والتقدير اتتبعون ذلك لو لم يكن اباؤهم لا يعقلون شيا من الدين ولا يهتدون
للصواب ولو كانوا كذلك والجملة في حيز النصب على الحالية من اباءهم على طريقة قوله تعالى ان اتبع
ملة ابرهيم حنيفا كانه قيل اتتبعون دين ابائهم حال كونهم غافلين وجاهلين ضالين انكارا لما افاده

كلامهم

كلامهم من الامتناع على اي حالة كانت من الحالتين فيرانه اكتفى بذكر الحالة الثانية تنبيها على انها
هي الواقعة في نفس الامر وتعويلاً على اقتضائها بينما فان اتباعهم الذي تعلق به الانكار حين تحقق
مع كون ابائهم جاهلين ضالين فلان يتحقق مع كونهم غافلين ومهتدين اولى ان قلت الانكار
المستفاد من الاستفهام الانكاري منزلة النفي ولا ريب في ان الاولوية في صورة النفي معتبرة
بالنسبة الى النفي الا ترى ان الاولى بالتحقيق فيما ذكر من مثال النفي عند الحاجة المسكوت عنها وهي حالة
كون ابائهم غافلين ومهتدين انكار الاتباع لا نفسه اذ هو الذي يدل عليه اتتبعون الى اخره فلم
اختلف الحال بينهما قلت لما ان مناط الاولوية هو الحكم الذي اريد بيان تحققه على كل حال
وذلك في مثال النفي عدم الاعطاء المستفاد من الفعل المنفي المذكور واما فيما نحن فيه فهو نفس
الاتباع المستفاد من الفعل المقدر اذ هو الذي يقتضيه الكلام السابق اعني قولهم بل نتبع الى اخره
واما الاستفهام فخارج عنه وارد عليه الانكار ما يفيده او سيصلح ما يقتضيه لانه من تمامه كما في
صورة النفي وكذا الحال فيما اذا كانت الهمزة لانكار الوقوع ونفيه مع كونه بمنزلة صريح النفي كما سياتي
تحققه في قوله تعالى اولو كنا كارهين وقيل الواو حالية ولكن التحقيق ان المعنى يرد على معنى العطف
في سائر اللغات ايضا ومثل الذين كفروا جملة ابتدائية واردة لتقرير ما قبلها بطريق التصوير وفيها
مضاف قد حذف لدلالة ما قبل عليه ووضع الموصول موضع الضمير الراجع الى ما يرجع اليه الضمائر السابقة
لذمهم بما في حيز الصلة وللاشعار بعلية ما اثبت لهم من الحكم والتقدير مثل ذلك القائل وحالة الحقيقة
وغرابتها ان تسمى مثلاً وتسير في الافاق فيما ذكر من دعوة ابائهم الى اتباع الحق وعدم رفعهم اليه راسا
لانهماكهم في التقليد واخلادهم الى ما هم عليه من الضلالة وعدم فهمهم من جهة الداعي الى الدعا من
عنوان يلقوا اذهانهم الى ما يلقى اليهم كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء من البهائم فانها لا تسمع الا صوت
الراعي وهتفه بها من غير فهم لكلام اصلا وقيل انما حذف المضاف الى الموصول الثاني لدلالة كلمة ما عليه
فانها عبارة عنه مشعرة مع ما في حيز الصلة بما هو مدار التمثيل اي مثل الذين كفروا فيما ذكر من ابائهم كما هم فيما
هم فيه وعدم التدبر فيما القي اليهم من الايات كمثل البهائم الذي ينعق بها وهي لا تسمع منه الا جرس النغمة
ودوي الصوت وقيل المراد تمثيلهم في اتباع ابائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها كالبهائم التي تسمع
ولا تفهم ما تحته وقيل تمثيلهم في دعائهم الاصنام كالناعق في نعقه على البهائم وهذا يغني عن الاصنام لكن
لا يساعده قوله الا دعاء ونداء فان الاصنام بمعزل من ذلك وقد عرفت ان حسن التمثيل فيما افاده الطرفين
صم بكم عمي بالرفع على الذم اي هم صم الى اخره فهم لا يعقلون شيا فان طريق التعقل هي التدبر في
مبادي الامور المعقولة والتامل في ترتيبها وذلك انما يحصل باستماع ايات الله ومشاهدة حججه الواضحة
والمفاوضة مع من يوخذ منه العلوم فاذا كانوا صما بكما عميا فقد استد عليهم ابواب التعقل وطرق الفهم
بالكلية يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم اي من مستلذاته واشكروا لله الذي رزقكموها والالتفات
لتربية المهابة ان كنتم اياه تعبدون فان عبادته تعالى لا تتم الا بالشكر وعن النبي صلّى الله عليه وسلم
يقول الله عزّ وجلّ اني والانس والجن في نبإ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر انما حرم عليكم الميتة
اي اكلها والانتفاع بها وهي التي ماتت على غير ذكاة والسمك والجراد خارجان عنها بالعرف او استثناء الشرع
خروج الطحال من الدم والدم ولحم الخنزير انما خص لحمه مع ان سائر اجزائه ايضا في حكمه لانه معظم
ما يوكل من الحيوان وسائر اجزائه بمنزلة التابع له وما اهل به لغير الله اي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم
والاهلال اصله روية الهلال لكن لما جرت العادة برفع الصوت بالتكبير عندها سمي اهلالا ثم قيل لرفع
الصوت وان كان لغيره فمن اضطر غير باغ بالاستئثار على مضطر اخر ولا عاد سد الرمق والجوعة وقيل

غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق وعلى هذا لا يباح للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي
وقول احمد رحمهما الله فلا اثم عليه في تناوله ان الله غفور لما فعل رحيم بالرخصة ان قيل كلمة انما يفيد قصر الحكم
على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلنا المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته على حالة
الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشيا ما لم تضطروا اليها ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب المشتمل على فنون
الاحكام التي من جملتها احكام المحللات والمحرمات حسبما ذكر انفا وقال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في
رؤساء اليهود حين كتموا [نعت النبي صلى الله عليه وسلم] ويشترون به اي ياخذون بدله ثمنا قليلا عوضا حقيرا وقد مر سر التعبير عن ذلك
بالثمن الذي هو وسيلة في عقود المعاوضة وقوله تعالى اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في
حيز الصلة من الوصفين الشنيعين المميزين لهم عمن عداهم اكمل تمييز الجاعلين اياهم بحيث كانوا حاضرين مشاهدون
على ما هم عليه وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية بعد منزلتهم في الشر والفساد وهو مبتدا خبره قوله
تعالى ما ياكلون في بطونهم الا النار والجملة خبر لان او اسم الاشارة مبتدا ثان او بدل من الاول والخبر
ما ياكلون الى آخره ومعنى اكلهم النار انهم ياكلون ما يستتبع النار ويستلزمها فكانه عين النار واكله اكلها كقوله
اكلت دما ان لم ارعك بضرة • بعيدة مهوى القرط طيبة النشر • او ياكلون في المآل يوم القيمة عين النار
عقوبة على اكلهم الرشا في الدنيا وفي بطونهم متعلق بياكلون وفايدته تاكيد الاكل وتقرير ببيان مقر الماكول
وقيل معناه ملء بطونهم كما في قوله اكل في بطنه واكل في بعض بطنه ومنه كلوا في بعض بطنكم تعفوا • فان
زمانكم زمن خميص • فلا بد الى الالتجا في تعليقه بمحذوف وقع حالا مقدرة من النار مع تقدمه على حرف
الاستثناء والا فتعليقه بياكلون يؤدي الى قصر ما ياكلونه الى الشبع على النار والمقصود قصر ما ياكلونه مطلقا
ولا يكلمهم الله يوم القيمة عبارة عن غضبه العظيم عليهم وتعريض بحرمانهم ما اتيح للمؤمنين من فنون الكرامات
السنية والزلفى ولا يزكيهم لا يثني عليهم ولهم مع ما ذكر عذاب اليم مولم اولئك اشارة الى ما اشير اليه
بنظيره بالاعتبار المذكور خاصة لا مع ما يتلوه من احوالهم الفظيعة اذ لا دخل لها في حكم الرأي يراد اثباته
هاهنا فان المقصود تصويرهم باشروه من المعاملة بصورة قبيحة تنفر منها الطباع ولا يتعاطاها
عاقل اصلا ببيان حقيقة ما نبذوه واطرحوه وكنه ما اخذوه وابدا فظاعة تعاطيه وهو مبتدا خبره الموصول
اي اولئك المشترون بكتاب الله عز وجل ثمنا قليلا ليس مشترين للثمن وان قل بل هم الذين اشتروا بالنسبة
الى الدنيا الضلالة التي ليست مما يمكن ان تشترى قطعا بالهدى الذي ليس من قبيل ما يبذل بمقابلته شيء
وان جل والعذاب اي اشتروا بالنظر الى الآخرة العذاب الذي لا يتوهم كونه مما يشترى بالمغفرة الذي
يتنافس فيها المتنافسون فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم الهائلة التي هي ملابستهم بما يوجب النار
ايجابا قطعيا كانه عينها وما عند سيبويه نكرة تامة مفيدة بمعنى التعجب مرفوعة بالابتدا وتخصيصها
كتخصيص شر في شر اهر ذا ناب خبرها ما بعدها اي شيء ما عظيم جعلهم صابرين على النار وعند الفرا
استفهامية وما بعدها خبرها اي اي شيء اصبرهم على النار وقيل هي موصولة وقيل موصوفة بما
بعدها والخبر محذوف اي الذي اصبرهم على النار امر عجيب فظيع ذلك اي العذاب بان الله نزل الكتاب
اي جنس الكتاب بالحق اي ملتبسا به فلا جرم يكون من يرفضه بالتكذيب والكتمان ويركب متن
الجهل والغواية مبتلى بمثل هذا من افانين العذاب وان الذين اختلفوا في الكتاب اي في جنس الكتاب
الالهي بان امنوا ببعض كتب الله تعالى وكفروا ببعضها او في التوراة بان امنوا ببعض اياتها وكفروا
ببعض كالآيات المغيرة المشتملة على نعت النبي صلى الله عليه وسلم ونعوته الكريمة فمعنى الاختلاف
التخلف عن طريق الحق او الاختلاف في تاويلها او القرآن بان قال بعضهم سحر وبعضهم اساطير كما حكى
عن المفترين لفي شقاق بعيد • عن الحق والصواب مستوجب لاشد العذاب ليس البر ان تولوا

اي م

وجوهكم

وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر اسم جامع لمراضي الخصال والخطاب لاهل الكتابين فانهم كانوا اكثروا خوضا
في امر القبلة حين حولت الى الكعبة وكان كل فريق يدعي خيرية التوجه الى قبلته من القطرين المذكورين و
تقديم المشرق على المغرب مع تاخر زمان الملة النصرانية اما لرعاية ما بينهما من الترتيب المتفرع على ترتيب
الشروق والغروب واما لان توجه اليهود الى المغرب ليس لكونه مغربا بل لكون بيت المقدس من المدينة
المنورة واقعا في جانب الغرب فقيل لهم ليس البر ما ذكرتم من التوجه الى تينك الجهتين على ان البر خبر
ليس مقدم على اسمها كما في قوله • سلي ان جهلت الناس عني وعنهم • فليس سواء عالم وجهول • وقوله
اليس عظيما ان تلم ملمة • وليس علينا في الخطاب معول • وانما اختير ذلك لما ان المؤول اعرف من المحلى باللام
لانه يشبه الضمير من حيث انه لا يوصف ولا يوصف به والاعرف احق بالاسمية لان في الاسم طولا فلو روعي
الترتيب المعهود لفات تجاوب اطراف النظم الكريم وقرئ برفع البر على انه اسمها وهو اقوى بحسب المعنى لان كل
فريق يدعي ان البر هذا فيجب ان يكون البر موافقا لدعواهم وما ذلك الا ان يكون البر اسما كما يفصح عنه جعله مخبرا
عنه في الاستدراك بقوله عز وجل ولكن البر من آمن بالله وهو تحقيق للحق بعد بيان بطلان الباطل وتفصيل
لخصال البر مما لا يختلف باختلاف الشرايع وما يختلف باختلافها ولكن البر المعهود الذي يحق ان يهتم بشانه
ويجد في تحصيله بر من آمن بالله وحده ايمانا بريئا من شائبة الاشراك لا ايمان اليهود والنصارى المشركين
بقولهم عزير ابن الله وقولهم المسيح ابن الله واليوم الآخر اي على ما هو عليه لا كما يزعمون من ان النار لا تمسهم
الا اياما معدودة وان اباءهم الانبياء يستشفعون لهم ففيه تعريض بان ايمان اهل الكتابين حيث لم يكن
كما ذكر في الوجه الصحيح لم يكن ايمانا وفي تعليق الامرين بهما من اول الامر عقيب نفيه عن التوجه الى المشرق
والمغرب من الجزالة ما لا يخفى كانه قيل ولكن البر هو التوجه الى المبدا والمعاد الذين هما المشرق والمغرب
في الحقيقة والملائكة اي وآمن بهم وبانهم عباد مكرمون متوسطون بينه تعالى وبين انبيائه بالقاء الوحي
وانزال الكتب والكتاب اي بجنس الكتاب الذي من افراده الفرقان الذي نبذوه وراء ظهورهم وفيه تعريض
بكتمانهم نعوت النبي صلى الله عليه وسلم واشترائهم بما انزل الله ثمنا قليلا والنبيين جميعا من غير تفرقة بين احد
منهم كما فعله اهل الكتابين ووجه توسيط الكتاب بين حملة الوحي وبين النبيين واضح وسيأتي في قوله تعالى
كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وآتى المال على حبه • حال من الضمير في آتى والضمير المجرور للمال اي اتاه
كائنا على حب المال كما في قوله صلى الله عليه وسلم حين سئل اي الصدقة افضل قال ان تؤتيه وانت صحيح شحيح
وقول ابن مسعود رضي الله عنه ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت
الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل الضمير لله سبحانه وتعالى اي اتاه كائنا من محبته تعالى لا على
قصد الشر والفساد ففيه نوع تحذير وتعريض لباذلي الرشا واخذيها لتغيير التوراة وقيل للمصدر اي كائنا
على حب الايتاء ذوي القربى مفعول اول لآتى قدم عليه مفعول الثاني اعني المال للاهتمام به او لان في
الثاني مع ما عطف عليه طولا لو روعي لفات تجاوب الاطراف في الكلام وهو الذي اقتضى تقديم الحال ايضا
وقيل هو المفعول الثاني واليتامى اي المحاويج منهم على ما يدل عليه الحال وتقديم ذوي القربى عليهم لما
ان صدقة صدقة وصلة والمساكين جمع مسكين وهو الدائم السكون لما ان الحاجة اسكنته بحيث لا حراك به او دائم
السكون الى الناس وابن السبيل اي المسافر سمي به لملازمته اياه كما سمي القاطع ابن الطريق وقيل الضيف
والسائلين اي الذين الجاتهم الحاجة والضرورة الى السؤال قال عليه السلام اعطوا السائل ولو جاء على فرس
وفي الرقاب اي وضعه في فك الرقاب بمعاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في فك الاسارى وقيل
في ابتياع الرقاب واعتاقها ايا ما كان فالعدول عن ذكرهم بعنوان مصحح للمالكية كالذين من قبلهم اما للايذان
بعدم قرار ملكهم فيما اتوا كما في الوجهين الاولين او بعدم ثبوته راسا كما في الوجه الاخير واما للاشعار برسوخهم

آيتاه

الذين

في الاستحقاق والحاجة لما آل في الطريقة المنبئة عن محالهم لما يؤتى واقام الصلوة في المفروضة منها واتى الزكوة اي المفروضة على ان المراد لما مر من ايتاء المال المتنفل بالصدقات قدم على الفريضة مبالغة في الحث عليه او المراد بهما المفروضة والاول لبيان المصارف والثاني لبيان وجوب الاداء والموفون بعهدهم عطف على من آمن فانه في قوة ان يقال ومن اوفى بعهدهم وايثار صيغة الفاعل للدلالة على وجوب استمرار الوفاء والمراد بالعهد ما لا يحرم حلالا ولا يحلل حراما من العهود الجارية فيما بين الناس وقوله تعالى اذا عاهدوا للايذان بعدم كونه من ضروريات الدين والصابرين نصب على الاختصاص غير سبكه عما قبله تنبيها على فضيلة ومزيته وهو في الحقيقة معطوف على ما قبله قال ابو علي اذا ذكرت صفات المدح والذم وخولف في بعضها الاعراب فقد خولف للافتنان ويسمى ذلك قطعا لان تغيير المألوف يدل على زيادة ترغيب في استماع المذكور ومزيد اهتمام بشانه كما مر في صدر السورة وقد قرئ والصابرون كما قد قرئ والموفين في البأساء اي في الفقر والشدة والضراء اي المرض والزمانة وحين البأس اي وقت مجاهدة في مواطن الحراب وزيادة الحين للاشعار بوقوعه احيانا وسرعة انقضائه اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بالنعوت الجميلة المعدودة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من التنبيه على علو طبقتهم وسمو رتبتهم الذين صدقوا اي في الدين واتباع الحق وتحري البر حيث لم تغيرهم الاحوال ولا تزلزلهم الاهوال واولئك هم المتقون عن الكفر وسائر الرذائل وتكرير الاشارة لزيادة تنويه شانهم وتوسيط الضمير للاشارة الى انحصار التقوى فيهم والآية الكريمة كما ترى حاوية لجميع الكمالات البشرية ومنها تصريحا وتلويحا لما انها مع تكثرها وتشعب شجونها منحصرة في خلال ثلاث صحة الاعتقاد وحسن العبادة وتهذيب النفس وقد اشير الى الاولى بتهذيب النفس بالايمان بما فصل والى الثانية بايتاء المال والى الثالثة باقامة الصلوة الى آخر ولذلك وصف الحائزون لها بالصدق نظرا الى ايمانهم واعتقادهم وبالتقوى اعتبارا بمعاشرتهم مع الخلق ومعاملتهم مع الحق واليه يشير قوله صلى الله عليه وسلم من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان يا ايها الذين آمنوا شروع في بيان بعض الاحكام الشرعية على وجه التلافي لما فرط من المخلين بما ذكر من اصول الدين وقواعده التي بني عليها اساس المعاش والمعاد كتب عليكم اي فرض ولزم عند مطالبة صاحب الحق فلا يقدح فيه قدرة الولي على العفو فان الوجوب انما اعتبر بالنسبة الى الحكام والقاتلين القصاص في القتلى اي بسبب قتلهم كما في قوله صلى الله عليه وسلم ان امراة دخلت النار في هرة ربطتها اي بسبب رباطها اياها الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى كان في الجاهلية بين حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتساووا وليس فيها دلالة على عدم قتل الحر بالعبد عند الشافعي ايضا لان اعتبار المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص بالذكر وجه سوى اختصاص الحكم بالمنطوق وقد رأيت الوجه ها هنا وانما يتمسك في ذلك هو ومالك رحمهما الله تعالى لما روي عن علي رضي الله عنه ان رجلا قتل عبده فجلده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفاه ولم يقده وبما روي عنه رضي الله عنه انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذي عهد ولا حر بعبد وبان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير وبالقياس على الاطراف وعندنا يقتل الحر بالعبد لقوله تعالى ان النفس بالنفس فان شريعة من قبلنا اذا قصت علينا من غير دلالة على نسخها فالعمل بها واجب على انها شريعة لنا ولان القصاص يعتمد المساواة في العصمة وهي بالدين او بالدار وهما سيان فيهما وقرئ كتب على البناء للفاعل ونصب القصاص فمن عفي له من اخيه شيء اي شيء من العفو لان عفي لازم وفائدته الاشعار بان بعض العفو بمنزلة كله في اسقاط وهو الواقع ايضا في العادة اذ كثيرا ما يقع العفو من بعض الاولياء فهو شيء من العفو

وقيل

وقيل معنى عفي ترك وشيء مفعوله وهو ضعيف اذ لم يثبت عفاه بمعنى تركه بل اعفاه وحمل العفو على المحو كما في قول من قال ديار عفاها جور كل معاند وقوله عفاه كل حنان كثير الوبل هطال ليكون المعنى فمن محي له من اخيه شيء صرف للعبارة المبتذا ولم ترد في الكتاب والسنة عن معناها المشهور المعهود الى ما ليس بمعهود فيهما ولا في استعمال الناس فانهم لا يستعملون في باب الجنايات الا فيما ذكر من قبل وعفى يعدى بعن الى الجاني والذنب قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا تعدى الى الذنب قيل عفوت لفلان عما جنى كان قيل فمن عفي له عن جنايته من جهة اخيه يعني ولي الدم وايراده بعنوان الاخوة الثابتة بينهما بحكم كونهما من بني آدم عليه السلام لتحريك سلسلة الرقة والعطف فاتباع بالمعروف فالامر اتباع او فليكن اتباع والمراد وصية العافي بالمسامحة ومطالبة الدية بالمعروف من غير تعنيف وقوله عز وجل واداء اليه باحسان حث على ان يؤديها باحسان من غير مماطلة وبخس ذلك اي ما ذكر من الحكم تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل والنفع وقيل كتب على اليهود القصاص وحده وحرم عليهم العفو والدية وعلى النصارى العفو على الاطلاق وحرم عليهم القصاص والدية وخيرت هذه الامة بين الثلاث تيسيرا عليهم وتنزيلا للحكم على حسب المنازل فمن اعتدى بعد ذلك بان قتل غير القاتل بعد ورود هذا الحكم او قتل القاتل بعد العفو او اخذ الدية فله باعتبار عذاب اليم اما في الدنيا فبالاقتصاص بما قتله بغير حق واما في الآخرة فبالنار ولكم في القصاص حيوة بيان لمحاسن الحكم المذكور على وجه بديع لا ينال غايته حيث جعل الشيء محلا لضده وعرف القصاص ونكر الحيوة ليدل على ان في هذا الجنس نوعا من الحيوة عظيما لا يبلغه الوصف وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيتسبب لحيوة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون فيكون ذلك سببا لحياتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثاني تخصيص وقيل المراد بالحيوة هي الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه في الدنيا ولم يؤاخذ به في الآخرة والظرفان اما خبران لحيوة او لاحدهما والآخر صلة له او حال من المستكن فيه وقرئ في القصص اي فيما قص عليكم من حكم القتل حيوة او في القرآن حيوة للقلب يا اولي الالباب ذوي العقول الخالصة عن شوب الاوهام خوطبوا بذلك بعد ما خوطبوا بعنوان الايمان تنشيطا لهم الى التامل في حكمة القصاص لعلكم تتقون اي تتقون انفسكم من المساهلة في امره والاهمال في المحافظة عليه والحكم به والاذعان له او من القصاص فتكفوا عن القتل المودي اليه كتب عليكم بيان لحكم آخر من الاحكام المذكورة اذا حضر احدكم الموت اي حضر اسبابه وظهر اماراته او دنى نفسه من الحضور وتقديم المفعول لافادة كمال تمكن الفاعل عند النفس وقت وروده عليها ان ترك خيرا اي مالا اقل ما لا كثيرا لما روي عن علي رضي الله عنه ان رجلا له مولى اراد ان يوصي وله سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا لشيء يسير فاتركه لعيالك وعن عائشة رضي الله عنها ان رجلا اراد الوصية وله عيال واربعمائة دينار فقالت لا ارى فيه فضلا واراد آخر ان يوصي فسالته كم مالك قال ثلاثة آلاف درهم قالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا لشيء يسير فاتركه لعيالك الوصية للوالدين والاقربين مرفوع بكتب اخر عما بينهما لما مر مرارا وايثار تذكير الفعل مع جواز تانيثه ايضا للفصل او على تاويل ان يوصي او الايصاء وكذلك ذكر الضمير في قوله تعالى فمن بدله بعد ما سمعه واذا ظرف محض والعامل فيه كتب لكن لا من حيث تعلقه بهم تعلقا فعليا مستتبعا لوجوب الاداء كما ينبئ عنه البناء للمفعول وكلمة الايجاب ولا مساغ لجعل العامل من الوصية لتقدمه عليها وقيل هو مبتدا خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كما في قوله ومن يفعل الحسنات الله يشكرها ورد بانه ان صح فمن ضرورة الشعر ومعنى كتب فرض وهذا الحكم في بدء الاسلام ثم نسخ عند نزول آية المواريث بقوله عليه

الصلوة والسلام ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث فانه وان كان من اخبار الاحاد لكن
حيث تلقته الامة بالقبول انتظم في سلك التواتر في صلاحيته للنسخ عند ائمتنا على ان المحققين ان
الناسخ حقيقة هي اية المواريث وانما الحديث مبين لجهة نسخها ببيان انه تعالى قد كتب عليكم ان
توصوا الى الوالدين والاقربين حقوقهم بحسب استحقاقهم ولا تعيين لمقادير انصبائهم بل فوض ذلك
الى ارائهم حيث قال **بالمعروف** اي بالعدل فالان قد دفع ذلك الحكم عنكم وتولى لتبيين طبقات استحقاق
كل واحد منهم وتعيين مقادير حقوقهم بالذات واعطى كل ذي حق حقه منهم الذي يستحقه بحكم القرابة
من غير نقص ولا زيادة ولا يدع ثمة فيه شيئا مدخلا لرايكم اصلا حسبما يعرب عنه الجملة المنفية
بلا النافية للجنس وتصديرها بكلمة التنبيه اذا تحققت هذا ظهر لك ان ما قيل من ان اية المواريث
لا تعارضه بل تحققه وتؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الاحاد
وتلقي الامة اياها بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما اوصى به الله تعالى
من توريث الوالدين والاقربين بقوله تعالى يوصيكم الله او بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوصى الله به
تعالى عليهم بمعزل من التحقيق وكذا ما قيل من ان الوصية للوارث كانت واجبة بهذه الاية من غير تعيين
لانصبائهم فلما نزلت اية المواريث بيانا للانصباء بلفظ الايصاء فهم منها تنبيه النبي صلى الله عليه وسلم
ان المراد منه هذه الوصية التي كانت واجبة كانه قيل ان الله تعالى بنفسه اوصى تلك الوصية ولم يفوضها
اليكم فقام الميراث مقام الوصية فكان هذا معنى النسخ لا ان فيها دلالة على دفع ذلك الحكم فان مدلول اية الوصية
حيث كان تفويضا للامر الى راي المكلفين على الاطلاق وتسمية الخروج عن عهدة التكليف باداء ما ادى اليه
ارائهم بالمعروف فتكون اية المواريث الناطقة بمراتب الاستحقاق وتفصيل مقادير الحقوق القاطعة
بامتناع الزيادة والنقص بقوله تعالى فريضة من الله ناسخة لها رافعة لحكمها مما لا يشتبه على احد وقوله
تعالى **حقا على المتقين** مصدر موكد اي حق ذلك حقا **فمن بدله** اي غيره من الاوصياء والشهود **بعد ما سمعه**
اي بعد ما وصل اليه وتحقق لديه **فانما اثمه** اي اثم الايصاء المغير او اثم التبديل **على الذين يبدلونه** لانهم
خانوا وخالفوا حكم الشرع ووضع الموصول موضع الضمير الراجع الى من لتاكيد الايذان بعلية ما في حيز
الصلة الاولى وايثار الجمع بالاشعار لتعدد المبدلين انواعا او كثرتهم افرادا والايذان بشمول الاثم لجميع
الافراد **ان الله سميع عليم** وعيد شديد للمبدلين **فمن خاف من موص** اي توقع وعلم من قولهم اخاف ان
يرسل السماء **وقرئ** موص **جنفا** اي ميلا في الخطأ في الوصية **او اثما** اي تعمدا للحيف **فاصلح بينهم**
اي بين الموصى لهم باجرائهم على منهاج الشريعة **فلا اثم عليه** اي في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف
الاول **ان الله غفور رحيم** وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم
يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام بيان لحكم اخر من الاحكام الشرعية وتكرير النداء لاظهار مزيد الاعتناء
به والصيام والصوم في اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس ومنه قوله تعالى اني نذرت للرحمن صوما
فلن اكلم اليوم الاية **وقيل** هو الامساك عن الشيء مطلقا ومنه صامت الريح اي امسكت عن الهبوب
والفرس اي امسكت عن العدو وقال خيل صيام وخيل غير صائمة . تحت العجاج واخرى تعلك اللجما .
وفي الشريعة هو الامساك مع النية نهارا عن المفطرات المعهودة التي هي معظم ما تشتهيه
النفس **كما كتب** في حيز النصب على نعت المصدر المؤكد اي كتبا كائنا كما كتب او على انه حال من المصدر
المعرفة اي كتب عليكم الصيام الكتب مشبها بما كتب فما على الوجهين مصدرية او على انه نعت لمصدر
من لفظ الصيام اي صوما مماثلا للصوم المكتوب على من قبلكم فما موصولة او على انه حال منه اي على كونه
مماثلا لما كتب **على الذين من قبلكم** من الانبياء عليهم الصلوة والسلام والامم من لدن ادم عليه السلام

وفيه

وفيه تاكيد للحكم وترغيب وتطييب لانفس المخاطبين به فان الشاق اذا عم سهل عمله والمراد بالمماثلة
اما المماثلة في اصل الوجوب واما في الوقت والمقدار كما روي ان صوم رمضان كان مكتوبا على
اليهود والنصارى اما اليهود فقد تركته وصامت يوما من السنة زعموا انه يوم غرق فرعون
وكذبوا في ذلك فانه كان يوم عاشوراء واما النصارى فصاموا رمضان حتى صادفوا حرا شديدا فاجتمعت
اراء علمائهم على تعيين فصل واحد بين الشتاء والصيف فجعلوه في الربيع وزادوا عليه عشرة ايام
كفارة لما صنعوا فصار اربعين ثم مرض ملكهم او وقع فيهم موتان فزادوا عشرة ايام فصار خمسين
لعلكم تتقون اي المعاصي فان الصوم يكسر الشهوة الداعية اليها كما قال عليه السلام فعليه بالصوم
فان الصوم له وجاء او تتقون الاخلال باداءه لاصالته او تصلون بذلك الى رتبة التقوى **اياما**
معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا والمراد
بها اما رمضان او ما وجب في بدء الاسلام ثم نسخ به من صوم عاشوراء وثلاثة ايام من كل شهر وانتصابه
ليس بالصيام كما قيل لوقوع الفصل باجنبي بل بمضمر دل عليه اعني صوموا اما على الظرفية او المفعولية
اتساعا **وقيل** بقوله تعالى كتب على احد الوجهين وفيه ان الايام ليست محلا له بل للمكتوب فلا يتحقق
الظرفية ولا المفعولية المتفرعة عليها اتساعا **فمن كان منكم مريضا** اي مرضا يضره الصوم او يعسر معه
او على سفر مستمر عليه وفيه تلويح ورمز الى ان من سافر في اثناء اليوم لم يفطر **فعدة** اي فعليه
صوم عدة ايام المرض والسفر **من ايام اخر** ان افطر فحذف الشرط والمضاف ثقة بالظهور **وقرئ** اي
فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة **وقيل** على الوجوب واليه ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة رضي
الله عنه **وعلى الذين يطيقونه** اي وعلى المطيقين للصيام ان افطروا **فدية** اي اعطاء فدية وهي **طعام**
مسكين وهي نصف صاع من بر او صاع من غيره عند اهل العراق ومد عند اهل الحجاز وكان ذلك في بدء
الاسلام لما انه قد فرض عليهم الصوم وما كانوا متعودين له فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية
وقرئ يطوقونه اي يكلفونه او يقلدونه ويتطوقونه بادغام التاء في الطاء ويطيقونه بمعنى يتطوقونه
واصلهما يطيوقونه من فيعل وتفيعل من الطوق فادغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء كقولهم تدير المكان وما بها
ديار وفيه وجهان احدهما نحو معنى يطيقونه والثاني يكلفونه او يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز
وحكم هؤلاء الافطار والفدية وهو حينئذ غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا معنى يطيقونه اي يصومونه
جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم **فمن تطوع خيرا** فزاد في الفدية **فهو** اي التطوع او الخير الذي تطوعه **خير**
له وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وتحملوا على انفسكم وتجهدوا طاقتكم او المرخصون في الافطار
من المرضى والمسافرين **خير لكم** من الفدية او من تطوع الخير او منهما او من التاخير الى ايام اخر والالتفات
الى الخطاب للحث والتنشيط **ان كنتم تعلمون** اي ما في صومكم مع تحقق المبيح للافطار من الفضيلة والجواب
محذوف ثقة لظهوره اي اخترتموه او سارعتم اليه **وقيل** معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان
الصوم خير من ذلك **شهر رمضان** مبتدأ سيأتي خبره او خبر لمبتدأ محذوف اي ذلك شهر رمضان **وقرئ**
بالنصب على اضمار صوموا وعلى انه مفعول تصوموا وبدل من ايام معدودات ورمضان مصدر رمض
اي احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف والنون كما
قيل ابن داية للغراب فقوله عليه السلام من رمضان الحديث وارد على حذف المضاف للامن من
الالتباس وانما سمي بذلك اما لارتماضهم فيه من الجوع والعطش او لارتماض الذنوب بالصيام فيه
او لوقوعه في ايام رمض الحر عند نقل اسماء الشهور عن اللغة القديمة **الذي انزل فيه القرآن** خبر للمبتدأ على الوجه
الاول وصفة لشهر رمضان على الوجوه الباقية ومعنى انزل فيه ابتداء انزاله فيه وكان ذلك ليلة القدر

اوانزل فيه جملة الى سماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض حسبما تقتضيه المشيئة الربانية اوانزل
في شانه القرآن وهو قوله عز وجل كتب عليكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابرهيم عليه
السلام في اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين منه والانجيل لثلاث عشرة والقران
لاربعة وعشرين هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان حال من القران اي انزل حال كونه هداية
للناس بما فيه من الاعجاز وغيره وايات واضحة مرشدة الى الحق فارقة بين الحق والباطل بما فيه من
الحكم والاحكام فمن شهد منكم الشهر اي حضر فيه ولم يكن مسافرا ووضع الظاهر موضع الضمير للتعظيم
والمبالغة في البيان والفاء للتفريع او لتضمن المبتدا معنى الشرط او زايدة على تقدير كون شهر رمضان
مبتدا والموصول صفة له وهذه الجملة خبر له وقيل هي جوابيه كانه قيل لما كتب عليكم الصيام في ذلك
الشهر فمن حضر فيه فليصمه اي فليصم فيه بحذف الجار وايصال الفعل الى المجرور اتساعا وقيل
من شهد منكم هذا الشهر فليصمه على انه مفعول به كقوله شهدت الجمعة اي صلاتها فيكون ما بعده
مخصصا له كانه قيل ومن كان مريضا وان كان مقيما حاضرا فيه او على سفر وان كان صحيحا فعدة
من ايام اخر اي فعليه صيام ايام اخر لان المريض والمسافر ممن شهد الشهر ولعل التكرير لذلك
او لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه يريد الله بهذا الترخيص بكم اليسر ولا يريد بكم العسر لغاية
رافته وسعة رحمته ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون علل لفعل محذوف يدل عليه
ما سبق اي ولهذه الامور شرع ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر وامر المرخص له بمراعاة العدة
ولتكبروا علة ما علمه من كيفية القضا ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وتعدية فعل
التكبير بعلى لتضمنه معنى الحمد كانه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ويجوز ان تكون معطوفة
على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعلمون ولتكملوا ويجوز عطفها على اليسر اي يريد
بكم لتكملوا الى اخره كقوله تعالى يريدون ليطفئوا نور الله الى اخره والمعنى بالتكبير تعظيمه تعالى بالحمد
والثنا عليه وقيل تكبير يوم العيد وقيل التكبير عند الاهلال وما يحتمل المصدرية والموصولية
اي هدايته اياكم او على الذي هداكم اليه وقرئ ولتكملوا بالتشديد واذا سالك عبادي عني في تلوين
الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى من تشريفه ودفع فاني قريب
اي فقل اني قريب وهي تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب
مكانه روي ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه
فنزلت اجيب دعوة الداع اذا دعان تقرير للقرب وتحقيق له ووعد للداعي بالاجابة فليستجيبوا لي
اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعوني لمهماتهم وليؤمنوا بي امر بالثبات على ما هم عليه
لعلهم يرشدون راجين اصابة الرشد اي الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها ولما امرهم الله تعالى
بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظايف التكبير والشكر عقبه بهذه الاية الكريمة
الدالة على انه تعالى خبير باحوالهم سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تاكيدا له وحثا
عليه ثم شرع في بيان احكام الصيام فقال احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم روي ان المسلمين
كانوا اذا امسوا حل لهم الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا العشاء الاخرة او يرقدوا ثم ان عمر
رضي الله عنه باشر بعد العشاء فندم واتى النبي عليه الصلوة والسلام واعتذر اليه فقام رجال
فاعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام الليلة التي يصبح منها صايما والرفث
كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدي بالى لتضمنه
معنى الافضاء والانهاء وايثاره ههنا لاستقباح ما ارتكبوه ولذلك سمي خيانة وقرئ الرفوث

وتقديم الظرف القايم مقام الفاعل لما مر مرارا من التشويق فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس
مترقبة اليه فيتمكن عندها وقت وروده فضل تمكن هن لباس لكم وانتم لباس لهن استيناف مبين لسبب
الاحلال وهو صعوبة التعبير عنهن مع شدة المخالطة وكثرة الملابسة بهن وجعل كل من الرجل والمراة لباسا
للاخر لاعتناقهما واشتمال كل منهما على الاخر بالليل قال اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت وكانت عليه لباسا
اولان كلا منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم استيناف اخر
مبين لما ذكر من السبب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب ومعنى تختانون تظلمونها بتعريضها
للعقاب وتنقيص حظها من الثواب فتاب عليكم عطف على علم اي تاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه وعفا
عنكم اي محا اثره عنكم فالآن لما نسخ التحريم باشروهن المباشرة الزاق البشرة بالبشرة كني بها عن
الجماع الذي يستلزمها وفيه دليل على جواز نسخ الكتاب بالسنة وابتغوا ما كتب الله لكم اي واطلبوا ما
قدره الله لكم واثبته في اللوح من الولد وفيه ان المباشرة ينبغي ان يكون غرضه الولد فان الحكمة
في خلق الشهوة وشرع النكاح للولد لا لقضاء الشهوة وفيه نهي عن العزل وقيل عن غير الماتى
والتقدير وابتغوا المحل الذي كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من
الخيط الاسود من الفجر شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه من غلس الليل بخيطين
ابيض واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه ولذلك
خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان يكون من للتبعيض فانه ما يبدو بعض الفجر وما روي
انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين ابيض واسود وطفقوا ياكلون ويشربون حتى
يتبينا لهم فنزلت فلعل ذلك كان قبل دخول رمضان وتاخير البيان الى وقت الحاجة جايز او لا
اكتفوا اولا باشتهارهما في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وتجويز المباشرة الى الصبح دلالة على جواز
تاخير الغسل اليه وصحة صوم من اصبح جنبا ثم اتموا الصيام الى الليل بيان لاخر وقته ولا
تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد اي معتكفون فيها والمراد بالمباشرة الجماع وعن قتادة كان
الرجل يدخل المسجد فيعتكف فيخرج الى امراته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وقيل دليل
على ان الاعتكاف يكون في المسجد غير مختص ببعض دون بعض وان الوطي فيه حرام ومفسد له
لان النهي في العبادات يوجب الفساد تلك حدود الله اي الاحكام المذكورة حدود وضعها
الله تعالى لعباده فلا تقربوها فضلا عن تجاوزها نهي ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل مبالغة
في النهي عن تخطيها كما قال صلى الله عليه وسلم ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه فمن حام حول
الحمى يوشك ان يقع فيه ويجوز ان يراد بحدود الله محارمه ومناهيه كذلك اي مثل ذلك التبيين البليغ
يبين الله اياته الدالة على الاحكام التي شرعها للناس لعلهم يتقون مخالفة اوامره ونواهيه ولا تاكلوا
اموالكم بينكم بالباطل نهي عن اكل بعضهم اموال بعض على خلاف حكم الله عز وجل بعد النهي عن اكل اموال انفسهم
في نهار رمضان اي لا ياكل بعضكم اموال بعض بالوجه الذي لم يبحه الله تعالى وبين نصب على الظرفية
او الحالية من اموالكم وتدلوا بها الى الحكام عطف على المنهي عنه او نصب باضمار ان والادلاء الالقاء ولا
تلقوا حكومتها الى الحكام لتاكلوا بالتحاكم اليها فريقا من اموال الناس بالاثم بما يوجب اثما كشهادة الزور
واليمين الفاجرة او ملتبسين بالاثم وانتم تعلمون انكم مبطلون فان ارتكاب المعاصي مع العلم بها اقبح
روي ان عبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بان يحلف امرؤ القيس فهم به فقرا عليه الصلاة والسلام ان الذين يشترون
بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الاية فارتدع عن اليمين وسلم عبدان الارض وروي انه اختصم

اليه خصمان فقال عليه السلام انما انا بشر مثلكم وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض
فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشي من حق اخيه فانما اقضي له قطعة من نار فبكيا فقال
كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتواخيا ثم اذهبا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه
يسلونك عن الاهلة ساله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو رقيقا كالخيط ثم يزيد
حتى يستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدي **قل هي مواقيت للناس والحج** كانوا قد سالوه عليه الصلوة
والسلام عن الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدل امره امر الله العزيز الحكيم ان يجيبهم بان الحكمة الظاهرة في
ذلك ان يكون معالم للناس في عباداتهم لا سيما الحج فان الوقت مراعي فيه ادا وقضا وكذا في معاملاتهم
على حسب ما يتفقون عليه والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان
المدة المطلقة امداد حركة الفلك من مبداها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة الى الماضي والحال
والمستقبل والوقت الزمان المفروض لامر **وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها** كانت الانصار اذا احرموا لم يدخلوا
دارا ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون ويخرجون من نقب او فرجة وراها ويعدون ذلك برا فبين لهم
انه ليس ببر فقيل **ولكن البر من اتقى** اي بر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سالوا عن
الامرين او انه لما ذكر انها مواقيت للحج ذكر عقيبه ما هو من افعالهم في الحج استطرادا او انهم لما سالوا عما لا يعنيهم
ولا يتعلق بعلم النبوة فانه عليه الصلوة والسلام بعث لبيان الشرايع لا لبيان حقايق الاشيا وتركوا السوال
عما لا يعنيهم ويختص بعلم الرسالة عقب بذكره جواب ما سالوا عنه تنبيها على ان اللايق بهم ان يسالوا مثل
ذلك ويهتموا بالعلم واريد به التنبيه عن تعكيسهم في السؤال وكونه من قبيل دخول البيت من ورائه والمعنى
وليس البر بان تعكسوا في مسايلكم ولكن البر من اتقى ذلك ولم يجتري على مثله **واتوا البيوت من ابوابها** اذ ليس في
العدول بر وباشروهن والامور على وجوهها **واتقوا الله** في تغيير احكامه او في جميع اموركم امر به للتصريح
بعد بيان البر من اتقى اظهار الزيادة اعتناء بشان التقوى وتمهيدا لقوله تعالى **لعلكم تفلحون** اي لكي
تظفروا بالبر والهدى **وقاتلوا في سبيل الله** اي جاهدوا لاعزاز دينه واعلاء كلمته وتقديم الظرف على
المفعول لابراز كمال العناية بشان المقدم **الذين يقاتلونكم** قيل كان ذلك قبل ما امروا بقتال المشركين
كافة المقاتلين والمحاجزين **وقيل** معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع ذلك منهم دون غيرهم من
المشايخ والصبيان والرهابنة والنساء او الكفرة جميعا فان الكل بصدد قتال المسلمين ويويد الاول
ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صد عام الحديبية صالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة شرفها
الله تعالى ثلاثة ايام فرجع لعمرة القضا فخاف المسلمون ان لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم والشهر
الحرام وكرهوا ذلك فنزلت ويعضده ايراده في اثناء بيان احكام الحج **ولا تعتدوا** بابتداء القتال او بقتال
المعاهد والمفاجاة به من غير دعوة بالمثلثة **وقيل** من نهيتم عن قتله من النساء والصبيان ومن يجري
مجراهم **ان الله لا يحب المعتدين** اي لا يريد بهم الخير وهو تعليل للنهي **واقتلوهم حيث ثقفتموهم** اي حيث
وجدتموهم من حل وحرم واصل الثقف الحذق في ادراك الشي علما او عملا وفيه معنى الغلبة ولذلك استعمل
فيها قال فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود **واخرجوهم من حيث اخرجوكم** اي من مكة وقد
فعل بهم ذلك يوم الفتح بمن لم يسلم من كفارها **والفتنة اشد من القتل** اي من المحنة التي يفتتن بها الانسان
كالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام تعبها وبقاء تالم النفس بها **وقيل** شركهم في الحرم وصدهم لكم عنه
اشد من قتلكم اياهم فيه **ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام** اي لا تفاتحوهم بالقتل هناك ولا تهتكوا حرمة المسجد الحرام
حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم ثمة **فاقتلوهم** فيه ولا تبالوا بقتالهم ثمة لانهم الذين هتكوا حرمته فاستحقوا اشد
العذاب وفي العدول عن صيغة المفاعلة التي بها ورد النهي والشرط عدة بالنصر والغلبة **وقرئ** ولا تقتلوهم

حتى يقتلوكم فان قتلوكم فاقتلوهم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا بنو سعد **كذلك جزاء الكافرين** يفعل بهم
مثل ما فعلوا بغيرهم **فان انتهوا** عن الكفر والقتال بعد ما ارادوا قتالكم **فان الله غفور رحيم** يغفر لهم ما قد سلف
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة اي شرك **ويكون الدين لله** اي خالصا ليس للشيطان فيه نصيب **فان انتهوا** بعد مقاتلتكم
عن الشرك **فلا عدوان الا على الظالمين** اي فلا تعتدوا عليهم اذ لا يحسن الظلم الا لمن ظلم فوضع العلة موضع الحكم وتسمية
الجزا بالعدوان للمشاكلة كما في قوله عز وجل فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او انكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس
الحال عليكم والفا الاولى للتعقيب والثانية للجزا **الشهر الحرام بالشهر الحرام** قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة
فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء في ذي القعدة ايضا وكراهتهم القتال فيه هذا الشهر الحرام بذاك الشهر الحرام
وهتكه بهتكه فلا تبالوا به **والحرمات قصاص** اي كل ذي حرمة وهي ما يجب المحافظة عليها يجري فيه القصاص فلما ذهبوا
حرمة شهركم في الصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة فاقتلوهم ان قاتلوكم كما قال تعالى **فمن اعتدى عليكم
فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم** وهو فذلكة مقررة لما قبلها **واتقوا الله** في شان الانتصار واحذروا ان
تعتدوا الى ما لم يرخص لكم **واعلموا ان الله مع المتقين** فيحرسهم ويصلح شونهم بالنصر والتمكين **وانفقوا في سبيل الله**
امر بالجهاد في المال بعد ما امر به بالنفس اي لا تمسكوا كل الامساك **ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة** بالاسراف
وتضييع وجه المعاش او بالكف عن الغزو والانفاق فيه فان ذلك مما يقوي العدو ويسلطهم عليكم
ويويده **ما روي** عن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه انه قال لما اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا الى
اهالينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت او بالامساك وحب المال فانه يودي الى الهلاك المويد ولذلك
سمي البخل هلاكا وهو في الاصل انتهاء الشي في الفساد والالقا وطرح الشي وتعديته بالى لتضمنه معنى
الانتها والباء مزيدة والمراد بالايدي الانفس والتهلكة مصدر كالتضرة والتسرة وهي والهلك والهلاك
واحد اي لا توقعوا انفسكم في الهلاك **وقيل** معناها لا تجعلوها اخذة او لا تلقوا بايديكم انفسكم اليها
فحذف المفعول **واحسنوا** اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا على الفقرا **ان الله يحب المحسنين** اي يريد بهم
الخير وقوله تعالى **واتموا الحج والعمرة لله** بيان لوجوب اتمام افعالهما عند التصدي لادائهما وارشاد
للناس الى تدارك ما عسى يعتريهم من العوارض المخلة لذلك من الاحصار ونحوه من غير تعرض لحالهما
في انفسهما من الوجوب وعدمه كما في قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل فانه بيان لوجوب مد الصيام
الى الليل من غير تعرض لوجوب اصله وانما هو بقوله تعالى كتب عليكم الصيام الاية الا انه كما ان وجوب
الحج بقوله تعالى ولله على الناس حج البيت الاية فان الامر باتمام فعل من الافعال ليس امرا باصله ولا
مستلزما له اصلا فليس فيه دليل على وجوب العمرة قطعا وادعاء ان الامر باتمامهما امر بانشائهما تامين
كاملين حسبما يقتضيه قراءة واقيموا الحج والعمرة وان الامر للوجوب ما لم يدل على خلافه دليل
مما لا اسداد له ضرورة ان ليس البيان مقصورا على افعال الحج المفروض حتى يتصور ذلك بل الحق ان
تلك القراءة ايضا محمولة على المشهورة ناطقة بوجوب اقامة افعالهما كما ينبغي من غير تعرض لحالهما في
انفسهما فالمعنى اكملوا اركانهما وشرايطهما وساير افعالهما المعروفة شرعا لوجه الله تعالى من غير اخلال منكم
بشي منها هذا وقد قيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك **روي** ذلك عن علي وابن عباس رضي الله عنهم
وقيل ان تفرد لكل واحد منهم سفرا كما قال محمد حجة كوفية وعمرة كوفية افضل **وقيل** هو جعل نفقتهما
حلالا **وقيل** ان تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشي من الاغراض الدنيوية وايا ما كان فلا تعرض للاية الكريمة
لوجوب العمرة اصلا واما **ما روي** عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ان العمرة لقرينة الحج وقول
عمر رضي الله عنه هديت لسنة نبيك حين قال له رجل وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت
بهما وفي رواية اهللت بهما جميعا فبمعزل من افادة الوجوب مع كونه معارضا **بما روي** عن جابر رضي

الله عنه انه قال يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن ان تعتمر خير لك وبقوله عليه الصلوة والسلام
الحج جهاد والعمرة تطوع فنذبر فان احصرتم اي منعتم من الحج يقال حصره العدو واحصره اذا حبسه ومنعه
من المضي لوجهة مثل صده واصده والمراد منع العدو عند مالك والشافعي لقوله تعالى فاذا امنتم ونزوله في
الحديبية ولقول ابن عباس رضي الله عنهما لا احصار الا احصار العدو وكل منع من العدو او مرض وغيرهما عند ابي
حنيفة رضي الله عنه لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من كسر او عرج فعليه الحج من قابل فما استيسر من الهدي
اي فعليكم او قالوا احب ما استيسر او فاهدوا ما استيسر والمعنى المحرم اذا احصر واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدي
تيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر وعندنا يبعث الى الحرم ويجعل للمبعوث يوم امان فاذا
جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله تعالى ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي
المبعوث الى الحرم بلغ مكانه الذي يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل ذبحه
فيه حلا كان او حرما ومرجعهم في ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذبح عام الحديبية بها وهو من الحل
قلنا كان محصره عليه الصلاة والسلام طرف الحديبية الذي الى اسفل مكة وهي من الحرم وعن الزهري ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم نحر هديه في الحرم وقال الواقدي الحديبية هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة
والمحل بالكسر يطلق على المكان والزمان والهدي جمع هدية كجدي وجدية وقرئ من الهدي جمع هدية كمطي ومطية
فمن كان منكم مريضا مرضا محوجا الى الحلق او به اذى من راسه كجراحة وقمل ففدية اي فعليه فدية ان حلق من صيام
او صدقة او نسك بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روي انه صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن عجرة لعلك
اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلاثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او انسك شاة
والفرق ثلاثة اصع فاذا امنتم اي الاحصار او كنتم في حال امن او سعة فمن تمتع بالعمرة الى الحج اي فمن انتفع
بالتقرب الى الله تعالى بالعمرة قبل الانتفاع تقربه بالحج في اشهره وقيل من استمتع بعد التحلل من عمرته
باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدي اي فعليه دم استيسر عليه بسبب التمتع
وهو دم جبران بذبحه اذا احرم بالحج ولا ياكل منه عند الشافعي وعندنا هو كالاضحية فمن لم يجد الهدي فصيام
ثلاثة ايام في الحج اي في اشهره بين الاحرامين وقال الشافعي في ايام الاشتغال باعماله بعد الاحرام وقبل
التحلل والاحب ان يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه فلا يصح يوم النحر وايام التشريق وسبعة اذا رجعتم اي
نفرتم وفرغتم من اعماله وفي احد قولي الشافعي رضي الله عنه اذا رجعتم الى اهليكم وقرئ وسبعة بالنصب عطفا
على محل ثلاثة ايام تلك عشرة فذلكة الحساب وفايدتها ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كما في قولك جالس الحسن
وابن سيرين وان لم يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لا يعرف الحساب وان المراد بالسبعة
هو العدد المخصوص دون الكثرة كما يراد بها ذلك ايضا كاملة صفة موكدة بعشرة تفيد المبالغة في المحافظة على العدد
او مبينة لكمال العشرة فانها اول عدد كامل اذ به ينتهي الاحاد وتتم مراتبها او مفيدة تفيد كمال بدليتها من الهدي
ذلك اشارة الى ان التمتع عندنا وعلى الحكم المذكور عند الشافعي رضي الله عنه لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام
وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عند الشافعي ومن كان مسكنه وراء الميقات عندنا واهل الحل عند طاوس
وغير اهل مكة عند مالك رحمه الله عليه واتقوا الله في المحافظة على كل اوامره ونواهيه لا سيما في الحج واعلموا ان الله
شديد العقاب لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية
المهابة وادخال الروعة الحج اي وقته اشهر معلومات معروفات بين الناس هو شوال وذي العقدة وعشر
ذي الحجة عندنا وتسعة بليلة النحر عند الشافعي وكله عند مالك ومدار الخلاف ان المراد بوقته وقت احرامه
او وقت اعماله ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة في بقية ذي
الحجة وابو حنيفة وان صح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمي شهران وبعض شهر اشهرا اقامة للبعض

مقام

مقام الكل واطلاقا للجمع على ما فوق الواحد وصيغة جمع المذكر في غير العقلاء يجي بالالف والتاء فمن
فرض فيهن الحج اي اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن بالتلبية او بسوق الهدي فلا رفث ولا فسوق اي لا
جماع او فلا فحش من الكلام ولا خروج عن حدود الشرع بارتكاب المحظورات وقيل بالسباب والتنابذ بالالقاب
ولا جدال اي لا جدال مع الخدم والرفقة في الحج اي في ايامه والاظهار في مقام الاضمار لاظهار كمال الاعتنا
بشانه والاشعار بعلة الحكم فان زيارة البيت المعظم والتقرب بها الى الله عز وجل من موجبات ترك الامور
المذكورة وايثار النفي للمبالغة في النهي والدلالة على ان ذلك حقيق بان لا يكون فان ما كان منكرا مستقبحا
في نفسه ففي تضاعيف الحج اقبح كلبس الحرير في الصلوة والتطريب بقراءة القران لانه خروج في مقتضى
الطبع والعادة الى محض العبادة وقرئ الاولان بالرفع على معنى لا يكون رفث ولا فسوق والثالث بالفتح
على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك لان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام
فارتفع الخلاف بان امروا بان يقفوا ايضا بعرفات وما تفعلوا من خير يعلمه الله فيجزي به خير جزاء وهو حث
على فعل الخيرات والنهي عن الشر وتزودوا فان خير الزاد التقوى اي تزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد
وقيل نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا
ان يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال والتثقيل على الناس واتقوني يا اولي الالباب فان قضية اللب استشعار
خشية الله عز وجل وتقواه ثم امر ان يكون المقصود بذلك هو الله تعالى فيتبرأ من كل شيء سواه وهو
مقتضى العقل المعري عن شوائب الهوى فلذلك خص بهذا الخطاب اولوا الالباب ليس عليكم جناح ان
تبتغوا فضلا من ربكم عطاء ورزقا منه اي الربح في التجارة وقيل كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية
يقيمونها ايام مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تاثموا منه فنزلت فاذا افضتم من عرفات
اي دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف في
دفعت الى البصرة وعرفات جمع سمي به كاذرعات وانما نون وكسر وفيه علمية وتانيث لما ان تنوين الجمع تنوين
المقابلة لا تنوين التمكن ولذلك يجمع مع اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف
وهنا ليس كذلك او لان التانيث اما بالتاء المذكورة وليست تاء التانيث وانما هي مع الالف التي قبلها
علامة جمع المونث او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا سبيل اليه لان المذكورة تابى تقديرها لما انها كالبدل منها
لاختصاصها بالمونث كتاء بنت وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عليه السلام فلما ابصره عرفه او لان
جبريل عليه السلام كان يدور به في المشاعر فلما راه قال عرفت او لان آدم عليه السلام وحوا التقتا
فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وهو من الاسماء المرتجلة الا ان يجعل جمع عارف قيل وفيه
دليل على وجوب الوقوف بها لان الافاضة لا يكون الا بعده وهي مامور بها لقوله تعالى ثم افيضوا وقد
قال عليه السلام الحج عرفة او مقدمة للذكر المامور به وفيه نظر اذ الذكر غير واجب والامر به غير مطلق
فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلوة العشائين عند المشعر الحرام وهو جبل يقف عليه الامام
ويسمى قزح وقيل بين ماز مي عرفة ووادي محسر ويؤيد الاول ما روي جابر انه عليه السلام لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة
بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا فيه وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه
معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام ما يليه ويقرب منه افضل والا فالمزدلفة
كلها موقف الا وادي محسر واذكروه كما هداكم اي كما علمكم او اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة الى
المناسك وغيرها وما مصدرية وان كنتم من قبله من قبل ما ذكر من هدايته اياكم لمن الضالين غير العالمين
بالايمان والطاعة وان هي المخففة واللام هي الفارقة وقيل هي نافية واللام بمعنى الا كما في قوله عز وعلا
وان نظنك لمن الكاذبين ثم افيضوا من حيث افاض الناس اي من عرفة لا من مزدلفة والخطاب لقريش

ان تبتغوا اي لان تبتغوا اي تطلبوا

لما كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الا الى كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناس بكسر السين اي الناسي على ان يراد به آدم عليه السلام من قوله تعالى فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا الله ان الله غفور رحيم يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فهو تعليل للاستغفار او للامر به فاذا قضيتم مناسككم عبادتكم المتعلقة بالحج وفرغتم منها فاذكروا الله كذكركم اباءكم اي فاكثروا من ذكره تعالى وبالغوا في ذلك كما تفعلوا بذكر ابائكم ومفاخرهم وايامهم وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر ابائهم ومحاسن ايامهم او اشد ذكرا اما مجرور معطوف على الذكر بجعله ذاكرا على المجاز ومعنى ما ذكروا الله ذكرا كاينا مثل ذكر اباكم او كذكر اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا ومنصوب بالعطف على اباءكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشد مذكورية من ابائكم او بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد ذكرا لله منكم لابائكم فمن الناس تفصيل للذاكرين الى من لا يطلب بذكر الله الا الدنيا والى من يطلب به خير الدارين والمراد به الحث على الاكثار والانتظام في سلك الآخرين من يقول اي في ذكره ربنا آتنا في الدنيا اي اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا خاصة وما له في الآخرة من خلاق اي من حظ ونصيب لاقتصار همته على الدنيا فهو بيان لحاله في الآخرة او من طلب خلاق فهو بيان لحاله في الدنيا وتاكيد لقصر دعائه على المطالب الدنيوية ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة هي الصحة والكفاف والتوفيق للخير وفي الآخرة حسنة على الثواب والرحمة وقنا عذاب النار بالعفو والمغفرة روي عن علي رضي الله عنه ان الحسنة في الدنيا المراة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار المراة السوء وعن الحسن رضي الله ان الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المودية الى النار اولئك اشارة الى الفريق الثاني باعتبار اتصافهم من ذكر من النعوت الجليلة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الاشارة الى علو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وقيل اليهما معا والتنوين في قوله تعالى لهم نصيب مما كسبوا على الاول للتفخيم وعلى الثاني للتنويع اي لكل نوع منهم نصيب من جنس ما كسبوا ومن اجله كقوله تعالى مما خطاياهم اغرقوا او مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه وتسمية الدعا كسبا لما انه من الاعمال وقوله تعالى والله سريع الحساب يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة فاحذروا من الاخلال بطاعة من هذا شان قدرته او يوشك ان يقيم القيمة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات واكتساب الحسنات وقوله عز وجل واذكروا الله في ايام معدودات هي ايام التشريق فمن تعجل اي استعجل في النفر فان التفعل والاستفعال يجيئان لازمين ومتعديين يقال تعجل في الامر واستعجل فيه وتعجله واستعجله والاول اوفق للتاخير كما في قوله قد يدرك المتاني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل وقوله تعالى في يومين اي في تمام يومين بعد يوم النحر وهو يوم القر ويوم الروس واليوم بعده ينفر اذا فرغ من رمي الجمار وقوله عز وجل فلا اثم عليه بتعجيله ومن تاخر في النفر حتى رمى في اليوم الثالث قبل الزوال او بعده وعند الشافعي بعده فقط فلا اثم عليه بما صنع من التاخر والمراد التخيير بين التعجيل والتاخير ولا يقدح فيه افضلية الثاني وانما ورد بنفي الاثم تصريحا بالرد على اهل الجاهلية حيث كانوا مختلفين فمن مؤثم للمتعجل ومؤثم للمتاخر وقوله تعالى لمن اتقى خبر لمبتدا محذوف اي الذي ذكر من التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتاخر والاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتى لا يتضرر بترك ما يهمه منها واتقوا الله في مجامع اموركم بفعل الواجبات وترك المحظورات ليعبا بكم وتنتظمون في سلك المغتنمين بالاحكام المذكورة والرخص او احذروا الاخلال بما ذكر من الاحكام وهو الانسب

بقوله عز وجل واعلموا انكم اليه تحشرون اي للجزاء على اعمالكم بعد الاحياء والبعث واصل الحشر الجمع وضم المتفرق وهو تاكيد للامر بالتقوى وموجب للامتثال به فان من علم بالحشر والمحاسبة والجزاء كان ذلك من اقوى الدواعي الى ملازمة التقوى ومن الناس من يعجبك قوله تجريد للخطاب وتوجيه له اليه عليه السلام وهو كلام مبتدا سيق لبيان تحزب الناس في شان التقوى الى حزبين وتعيين مآل كل منهما ومن موصولة او موصوفة واعرابه كما بين في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر اي ومنهم من يروقك كلامه ويعظم موقعه في نفسك لما تشاهد فيه من ملايمة الفحوى ولطف الادا والتعجب حيرة تعرض للانسان بسبب عدم الشعور بسبب ما يتعجب منه في الحيوة الدنيا متعلق بقوله تعالى ما يقوله في حق الحيوة الدنيا ومعناها فان الذي يريده بما يدعيه من الايمان ومحبة الرسول عليه السلام وفيه اشارة الى ان له قولا آخر ليس بهذه الصفة اي يعجبك منه قوله في الدنيا بحلاوته وفصاحته لا في الآخرة لما انه يظهر هناك كذبه وقبحه وقيل لما يرهقه من الحبسة واللكنة وانت خبير بانه لا مبالغة حينئذ في سوء حاله فان ماله بيان حسن كلامه في الدنيا وقبحه في الآخرة وقيل معنى في الحيوة الدنيا اي لا يصدر منها فيها الا القول الحسن ويشهد الله على ما في قلبه اي بحسب ادعائه حيث يقول الله يعلم ان ما في قلبي موافق لما في لساني وهو عطف على يعجبك وقرئ ويشهد الله فالمراد بما في قلبه ما فيه حقيقة ويوبده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه على ان كلمة على لكون المشهود به مضرا فالجملة اعتراضية وقرئ ويستشهد الله وهو الد الخصام اي اشد العداوة والخصومة للمسلمين على ان الخصام مصدر واضافة الالد اليه بمعنى في كقولهم ثبت الغدر او اشد الخصوم لهم خصومة على انه جمع خصم كصعب وصعاب قيل نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعي الاسلام والمحبة وقيل في المنافقين والجملة حال من الضمير المجرور في قوله او في المستكن في يشهد وعطف على ما قبلها على القراءتين المتوسطتين واذا تولى اي من مجلسك وقيل اذا صار واليا سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعله الاخنس بثقيف حيث بيتهم واحرق زرعهم واهلك مواشيهم او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله بشومه القطر فيهلك الحرث والنسل وقرئ الحرث والنسل باسناد الهلاك اليهما عطفا على سعى وقرئ بفتح اللام وهي لغة فيه وقرئ على البناء للمفعول وهي لغة والله لا يحب الفساد اي لا يرتضيه ويبغضه ويغضب على من يتعاطاه وهو اعتراض تذييلي واذا قيل له على نهج العظة والنصيحة اتق الله واترك ما تباشره من الفساد والنفاق واحذر سوء منقلبه اخذته العزة بالاثم اي حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذي نهي عنه لجاجا وعنادا من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه او الزمته اياه فحسبه جهنم مبتدا وخبر اي كافيه جهنم وقيل جهنم فاعل لحسبه ساد مسد خبره وهو مصدر بمعنى الفاعل وقرئ لاعتماده على الفاء الرابطة للجملة بما قبلها وقيل حسب اسم فعل ماض اي كفته جهنم ولبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف لظهوره وتعينه والمهاد الفراش وقيل ما يوطا للجنب والجملة اعتراض ومن الناس من يشري نفسه مبتدا وخبر كما مر اي يبيعها ببذلها في الجهاد ومشاق الطاعات وتعريضها للمهالك في الحروب او يامر بالمعروف وينهى عن المنكر وان ترتب عليه القتل ابتغاء مرضات الله اي طلبا للرضا وهذا كمال التقوى وايراده تقسيما للاول من حيث ان ذلك يانف من الامر بالتقوى وهذا يامر بذلك وان ادى الى الهلاك وقيل نزلت في صهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال اني شيخ كبير ان كنت معكم لما انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوا منه ماله واتى المدينة فيشري حينئذ بمعنى يشتري لجريان الحال على صورة الشري والله رؤوف بالعباد ولذلك يكلفهم التقوى ويعرضهم للثواب والجملة اعتراض تذييلي يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم اي الاستسلام

والطاعة وقيل الاسلام وقرئ بفتح السين وهي لغة فيه وبفتح اللام ايضا وقوله تعالى كافة
حال من الضمير في ادخلوا او من السلم او منهما معا كما في قوله خرجت بها تمشي تجر وراءنا * على اثرينا ذيل
مرط مرجل * وهي في الاصل اسم للجماعة تكف مخالفيها ثم استعملت في معنى جميعا وتاؤها ليست للتانيث
حتى تحتاج الى جعل السلم مؤنثا مثل الحرب كما في قوله عز وجل وان جنحوا للسلم فاجنح لها وفي قوله
السلم تاخذ منها ما رضيت به * والحرب يكفيك من انفاسها جرع * وانما هي للنقل كما في عامة وخاصة
وقاطبة والمعنى استسلموا لله واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين او ادخلوا في الاسلام
بكليته ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني اهل الكتاب كانهم كانوا يراعون بعض احكام دينهم القديم
بعد اسلامهم او في شرائع الله تعالى كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب كلهم
ووصفهم بالايمان اما على طريقة التغليب واما بالنظر الى ايمانهم القديم او في شعب الاسلام واحكامه
كلها فلا تخلوا بشيء منها والخطاب للمسلمين وانما خوطب اهل الكتاب بعنوان الايمان مع انه لا يصح الايمان
الا بما كلفوه الآن ايذانا بان ما يدعونه لا يتم بدونه ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفرق والتفريق
او بمخالفة ما امرتم به انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة او مظهرها وهو تعليل للنهي والانتهاء فان
زللتم اي عن الدخول في السلم وقرئ بكسر اللام وهي لغة فيه من بعد ما جاءتكم البينات الآيات والحجج
القاطعة الدالة على حقيقته الموجبة للدخول فاعلموا ان الله عزيز غالب على امره لا يعجزه الانتقام منكم حكيم
لا يترك ما تقتضيه الحكمة من مؤاخذة المجرمين المستعصين على اوامره هل ينظرون استفهام انكاري
في معنى النفي اي ما ينتظرون بما يفعلون من العناد والمخالفة في الامتثال بما امروا به والانتهاء عما
نهوا عنه الا ان ياتيهم الله اي امره وبأسه او ياتيهم بامره فحذف المأتي به لدلالة الحال عليه والالتفات
الى الغيبة للايذان بان سوء صنيعهم موجب للاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لمن عداهم من اهل الانصاف
على طريقة المباثة وايراد الانتظار للاشعار بانهم لانهماكهم فيما هم فيه من موجبات العقوبة كانهم
طالبون لها مترقبون لوقوعها في ظلل جمع ظلة كقلل في جمع قلة وهي ما اظلك وقرئ في ظلال
كقلال في جمع قلة من الغمام اي السحاب الابيض وانما ياتيهم العذاب فيه لما انه مظنة الرحمة فاذا اتى
منه عطف على الاسم الجليل اي وياتيهم الملائكة فانهم وسائط في اتيان امره تعالى بل هم الآتون ببأسه
على الحقيقة وتوسيط الظرف بينهما للايذان بان الآتي اولا من جنس ما يلابس الغمام ويترتب عليه عادة
وان الملائكة وان كان اتيانهم مقارنا لما ذكر من الغمام لكن ذلك ليس بطريق الاعتياد وقرئ بالجر عطفا
على ظلل او الغمام والملائكة وقضي الامر اي اتم اهلاكهم وفرغ منه وهو عطف على ياتيهم داخل في حيز
الانتظار وانما عدل الى صيغة الماضي دلالة على تحققه فكانه قد كان او جملة مستانفة جيء بها انباء عن وقوع
مضمونها وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة والى الله لا الى غيره ترجع الامور بالتانيث على البناء للمفعول
من الرجع وقرئ بالتذكير وعلى البناء للفاعل بالتانيث من الرجوع سل بني اسرائيل الخطاب للرسول
صلى الله عليه وسلم او لكل احد من اهل الخطاب والمراد بالسؤال تبكيتهم وتقريعهم بذلك وتقرير لمجيء
البينات كم آتيناهم من آية بينة معجزة ظاهرة على ايدي الانبياء عليهم الصلوة والسلام او آية ناطقة بحقية
الاسلام المامور بالدخول فيه وكم خبرية او استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية او الرفع
بالابتداء على حذف العائد من الخبر وآية مميزها ومن يبدل نعمة الله التي هي آياته الباهرة فانها سبب
للهدى الذي هو اجل النعم وتبديلها جعلها سببا للضلالة وازدياد الرجس او تحريفها وتاويلها
الزائغ من بعد ما جاءته ووصلت اليه وتمكن من معرفتها والتصريح بذلك مع ان التبديل لا يتصور
قبل المجيء للاشعار بانهم قد بدلوها بعد ما وقفوا على تفاصيلها كما في قوله عز وجل ثم يحرفونه من بعد

ما عقلوه وهم يعلمون وقيل تقديره فبدلها ومن يبدل وانما حذف للايذان بعدم الحاجة الى التصريح به لظهوره
فان الله شديد العقاب تعليل للجواب كانه قيل ومن يبدل نعمة الله عاقبه اشد عقوبة فانه شديد العقاب
واظهار الاسم لتربية المهابة زين للذين كفروا الحيوة الدنيا اي حسنت في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى
تهالكوا عليها وتهافتوا فيها معرضين عن غيرها والتزيين من حيث الخلق والايجاد مسند الى الله تعالى كما
يعرب عنه القراءة على البناء للفاعل اذ ما من شيء الا وهو خالقه وكل من الشيطان والقوى الحيوانية
وما في الدنيا من الامور البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض ويسخرون من الذين آمنوا عطف على زين
وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على استمرار السخرية منهم وهم فقراء المؤمنين كعمار وبلال وصهيب
رضي الله عنهم كانوا يسترذلونهم ويستهزؤن بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن ابتدائية فكانهم
جعلوا السخرية مبتداة منهم والذين اتقوا هم الذين آمنوا بعينهم وانما ذكروا بعنوان التقوى للايذان بان
اعراضهم عن الدنيا للاتقاء عنها لكونها مخلة بتبتلهم الى جناب القدس شاغلة عنه فوقهم يوم القيمة
لانهم في اعلى عليين وهم في اسفل سافلين او لانهم في اوج الكرامة وهم في حضيض الذل والمهانة او
لانهم يتطاولون عليهم في الآخرة فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الجملة معطوفة على ما قبلها وايثار الاسمية
للدلالة على دوام مضمونها والله يرزق من يشاء اي في الدارين بغير حساب بغير تقدير فيوسع في الدنيا
استدراجا تارة وابتلاء اخرى كان الناس امة واحدة متفقين على الحق ودين الاسلام وكان ذلك بين
آدم وادريس او نوح عليهم السلام او بعد الطوفان فبعث الله النبيين اي فاختلفوا فبعث الله الى
آخره وهي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وقد حذف تعويلا على ما ذكر عقيبه مبشرين ومنذرين عن كعب
الذي علمته من عدد الانبياء عليهم الصلوة والسلام مائة واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلاثمائة
وثلاثة عشر والمذكور في القرآن ثمانية وعشرون وقيل كان الناس امة واحدة متفقة على الكفر
والضلال في فترة ادريس او نوح فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والاول هو الانسب بالنظم الكريم
وانزل معهم الكتاب اي جنس الكتاب او مع كل واحد منهم ممن له كتاب الخاص به لا مع كل واحد منهم على
الاطلاق اذ لم يكن لبعضهم كتاب وانما كانوا ياخذون بكتب من عداهم وعموم النبيين لا ينافي خصوص
الضمير العائد اليه بمعونة المقام بالحق حال من الكتاب اي ملتبسا بالحق او متعلق بانزل كقوله عز وعلا
وبالحق انزلناه وبالحق نزل ليحكم اي الكتاب او الله سبحانه وتعالى او كل واحد من النبيين بين الناس
اي المذكورين والاظهار في موضع الاضمار لزيادة التعيين فيما اختلفوا فيه اي في الحق الذي اختلفوا
فيه وفيما التبس عليهم وما اختلف فيه اي في الحق او الكتاب المنزل ملتبسا به والواو حالية الا الذين اوتوه
اي الكتاب المنزل لازالة الاختلاف وانا احتر السياق والتعيين على الانزال بالايتا للتنبيه من اول الامر
على كمال تمكنهم من الوقوف على ما في تضاعيفه من الحق فان الانزال لا يفيد تلك الفائدة اي عكس
الامر حيث جعلوا ما انزل لازالة الاختلاف سببا لاستحكامه ورسوخه من بعد ما جاءتهم البينات
اي رسخت في عقولهم ومن متعلقة بمحذوف يدل عليه الكلام اي فاختلفوا وما اختلفوا فيه الا الى
آخره وقيل بالملفوظ بناء على عدم منع الا عنه كما في قولك ما قام الا زيد يوم الجمعة بغيا بينهم متعلق بما
تعلقت به من اي اختلفوا بغيا وتهالكا على الدنيا فهدى الله الذين آمنوا بالكتاب لما اختلفوا فيه اي للحق
الذي اختلف فيه من اختلف من الحق بيان لما وفي ابهامه اولا وتفسيره ثانيا ما لا يخفى من التفخيم باذنه
بامره او بتيسيره ولطفه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم موصل الى الحق وهو اعتراض مقرر لمضمون ما
سبق ام حسبتم خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين حثا لهم على الثبات
على المصابرة على مخالفة الكفرة وتحمل المشاق من جهتهم اثر بيان اختلاف الامم على الانبياء عليهم

الصلوة والسلام وقد بين مثال اختلافهم وما لقي من الانبياء ومن معهم من قبلهم من مكابدة الشدائد
ومقاسات الهموم وان عاقبة امرهم النصر وام منقطعة والهمزة فيه للانكار والاستبعاد اي بل
حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم من الانبياء ومن معهم من المؤمنين اي والحال انه
لم ياتكم مثله بعد ولم تبتلوا بما ابتلوا به من الاحوال الهايلة التي هي مثل في الفظاعة والشدة وهو متوقع
ومنتظر مستهم استيناف وقع جوابا عما ينساق اليه الذهن كانه قيل كيف كان مثلهم فقيل مستهم
الباسآء اي الشدة من الخوف والفاقة والضرآء اي الالام والامراض وزلزلوا اي ازعجوا ازعاجا شديدا
بما دهمهم من الاهوال والافزاع حتى يقول الرسول والذين امنوا معه اي انتهى امرهم من الشدة الى حيث اضطرهم
الضجرة الى ان يقول الرسول وهو اعلم الناس بشؤن الله تعالى واوثقهم بنصره والمقتدون باثاره
المستضيئون بانواره متى اي متى ياتي نصر الله طلبا وتمنيا له واستطالة المدا لشدة والعنا وقرى
حتى يقول بالرفع على انه حكاية حال ماضية وهذا كما ترى غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية
كيف لا والرسل على علو كعبهم في الثبات والاصطبار حيث عيل صبرهم وبلغوا هذا المبلغ من الضجر والضجيج
علم ان الامر بلغ الى غاية لا مطمح وراها الا ان نصر الله قريب على تقدير القول اي فقيل لهم حينئذ ذلك
اسعافا لمرامهم والمراد بالقرب القرب الزماني وايثار الجملة الاسمية على الفعلية المناسبة لما قبلها وتصديرها
بحرف التاكيد والتنبيه والتاكيد للدلالة على تحقق مضمونها وتقرره ما لا يخفى واختيار الوعد بالنصر
لما انه في حكم انشاء الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والاقتصار على حكايتها دون حكاية نفس النصر
مع تحققه للايذان بعدم الحاجة الى ذلك لاستحالة الخلف ويجوز ان يكون هذا واردا من جهته
تعالى عند الحكاية على نهج الاعتراض واردا عند وقوع المحكي وفيه رمز الى ان الوصول الى جانب القدس لا
يتسنى الا برفض اللذات ومكابدة المشاق كما ينبئ عنه قوله عليه الصلوة والسلام حفت الجنة بالمكاره
وحفت النار بالشهوات يسئلونك ماذا ينفقون اي من اصناف اموالهم قل ما انفقتم من خير ما اما شرطية
واما موصولة حذف العايد اليها اي ما انفقتموه من خير اي خير كان ففيه تجويز الانفاق من جميع
انواع الاموال الا انه جعل من جملة ما في حيز الشرط او الصلة وابرز في معرض البيان المصروف حيث قيل
فللوالدين والاقربين للايذان بان الاهم بيان المصارف المعدودة لان الاعتداد بالانفاق بحسب
وقوعه في موقعه وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ هم له مال عظيم فقال
يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت واليتامى اي المحتاجين منهم والمساكين وابن السبيل
ولم يتعرض للسائلين والرقاب اما اكتفا بما ذكر في المواقع الاخر واما بناء على دخولهم تحت عموم قوله تعالى
وما تفعلوا من خير فانه شامل لكل خير واقع في اي مكان كان فان الله به عليم فيوفي ثوابه وليس في الاية ما ينافيه
فرض الزكوة لينسخ به كما نقل عن السدي كتب عليكم القتال بنيا الفعل للمفعول ورفع القتال اي قتال للكفرة
وقرى بنائه للفاعل وهو الله تعالى ونصب القتال وقرى كتب عليكم القتل اي قتل الكفرة وقوله تعالى
وهو كره لكم حالية اي والحال انه مكروه لكم طبعا على ان الكره مصدر وصف به المفعول مبالغة او بمعنى
المفعول كالخبز بمعنى المخبوز وقرى بالفتح على انه بمعنى المضموم كالضعف والضعف او على انه بمعنى الاكراه
مجازا كانهم اكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم وعسى ان تكرهوا شيا وهو خير لكم وهو جميع ما
كلفوه من الامور الشاقة التي من جملتها القتال فان النفوس تكرهه وتنفر عنه والجملة اعتراضية
دالة على ان في القتال خيرا لهم وعسى ان تحبوا شيا وهو شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه من الامور المستلذة وهو
معطوف على ما قبله لا محل لها من الاعراب والله يعلم ما هو خير لكم فلذلك يامركم به وانتم لا تعلمون اي لا تعلمونه
ولذلك تكرهونه اي والله يعلم ما هو خير وشر لكم وانتم لا تعلمونها فلا تتبعوا في ذلك رايكم يسئلونك عن

حكاية

الشهر

الشهر الحرام روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش على سرية في جمادى الاخرة قبل قتال
بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا
العير بما فيها من تجارة الطائف وكان ذلك اول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الاخرة فقالت قريش
استحل محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخائف ويبذعر الناس فيه الى معايشهم فوقف رسول الله صلى الله
عليه وسلم العير وعظم ذلك على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه
وسلم العير والاسارى وعظم ذلك على اصحاب السرية وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت اخذ رسول
الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة والمعنى يسئلونك الكفار او المسلمون عن القتال في الشهر الحرام على ان قوله
عز وجل قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وتنكيره لما ان سوالهم كان عن مطلق القتال الواقع في الشهر
الحرام المعهود ولذلك لم يقل يسئلونك عن القتال في الشهر الحرام وقرى عن قتال فيه بتكرير العامل كما في
قوله تعالى للذين استضعفوا لمن امن منهم وقرى قتل فيه قل في جوابهم قتال فيه كبير جملة من مبتدا
وخبر محلها النصب بقل وانما جاز وقوع قتال مبتدا مع كونه نكرة لتخصصه اما بالوصف ان تعلق الظرف
بمحذوف وقع صفة له اي قتال كائن فيه واما بالعمل ان تعلق به وانما اوثر التنكير احترازا عن توهم التعيين وايذانا
بان المراد مطلق القتال الواقع فيه اي قتال كان عن عطا انه سئل عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله ما
يحل للناس ان يقاتلوا في الحرم ولا في الشهر الحرام الا ان تقاتلوا فيه وما نسخت واكثر الاقاويل انها منسوخة
بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وصد عن سبيل الله مبتدا قد تخصص بالعمل فيما بعده اي ومنع
عن الاسلام الموصل العبد الى الله تعالى وكفر به عطف على صد عامل فيما بعده مثله اي وكفر بالله تعالى وحيث
كان الصد عن سبيل الله تعالى فردا من افراد الكفر به تعالى لم يقدح العطف المذكور في حسن قوله تعالى
والمسجد الحرام على سبيل الله تعالى لانه ليس باجنبي محض وقيل هو ايضا معطوف على صد بتقدير المضاف
اي وصد المسجد الحرام واخراج اهله منه وهو النبي عليه السلام والمومنون اكبر اي من المسجد
الحرام وهو عطف على وكفر به اكبر عند الله خبر للاشياء المعدودة اي كبائر السائلين اكبر
عند الله مما عفوا بالسؤال وهو ما فعلته السرية خطا وبناء على الظن وافعل يستوي فيه الواحد
والجمع والمذكر والمونث والفتنة اي ما ارتكبوه من الاخراج والشرك وصد الناس عن الاسلام
ابتداء وبقاء اكبر من القتل اي افظع من قتل الحضرمي ولا يزالون يقاتلونكم بيان لاستحكام عداوتهم
واصرارهم على الفتنة في الدين حتى يردوكم عن دينكم الحق الى دينهم الباطل واضافة الدين اليهم
لتذكير تاكيد ما بينهما من العلاقة الموجبة لامتناع الافتراق ان استطاعوا اشارة الى تصلبهم في
الدين وثبات قدمهم فيه كانه قيل وانى لهم ذلك ومن يرتدد منكم عن دينه تحذير من الارتداد ومن يفعل
ذلك باضلالهم واغوائهم فيمت وهو كافر بان لم يرجع الى الاسلام وفيه ترغيب الى الرجوع الى
الاسلام بعد الارتداد فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيزه من الارتداد والموت
عليه وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الشر والفساد والجمع بالنظر الى المعنى اي اولئك
المصرون على الارتداد الى حين الموت حبطت اعمالهم الحسنة التي كانوا عملوها في حالة الاسلام حبوطا
لا تلافي له قطعا في الدنيا والاخرة بحيث لم يبق لها حكم من الاحكام الدنيوية والاخروية واولئك
الموصوفون بما ذكر سابقا ولاحقا من القبائح اصحاب النار اي ملابسوها وملازموها هم فيها خالدون
كاب سائر الكفرة ان الذين امنوا نزلت في اصحاب السرية لما ظهر منهم انهم اسلموا من الاثم فلا
اجر لهم والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله كرر الموصول مع ان المراد بهما واحد لتفخيم شان الهجرة والجهاد
فكانهما مستقلان في تحقيق الرجا اولئك المنعوتون بالنعوت الجميلة المذكورة يرجون بما لهم

من مبادي الفوز رحمت الله اي ثوابه اثبت لهم الرجا دون الفوز بالمرجو للايذان بانهم علموا بان
العمل غير موجب للاجر وانما هو على طريق التفضل فيه سبحانه لان في فوزهم اشتباها والله غفور مبالغ في
مغفرة ما فرط من عباده خطا رحيم يجزلهم الاجر والثواب والجملة اعتراض محقق لمضمون ما قبلها
يسلونك عن الخمر والميسر تواردت في شان الخمر اربع ايات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون
منه سكرا ورزقا حسنا فطفق المسلمون يشربونها ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة رضوان الله
عليهم قالوا افتنا يا رسول الله في الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه الاية فشربها قوم وتركها آخرون
ثم دعي عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا فسكروا فقام احدهم فقرا قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون
فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى الاية فقل من يشربها ثم دعي عتبان بن مالك سعد بن ابي وقاص
في نفر فلما سكروا تفاخروا وتناشدوا الاشعار حتى انشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري
بلحي بعير فشجه موضحة فشكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا
فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر رضي الله عنه انتهينا يا رب وعن علي
رضي الله عنه لو وقعت قطرة منها في بير فبنيت بها منارة لم اوذن عليها ولو وقعت في بحر ثم جف
فنبت فيه الكلا لم ارعه وعن ابن عمر رضي الله عنه لو ادخلت اصبعي فيها لم تتبعني وهذا هو الايمان والتقا
حقا رضوان الله تعالى عليهم اجمعين والخمر مصدر خمره اي ستره سمي به من عصير العنب ما غلا واشتد
وقذف بالزبد لتغطيتها العقل والتمييز كانها نفس الستر كما سميت سكرا لانها تسكرهما اي تحجزهما والميسر
مصدر ميمي من يسر كالموعد والمرجع يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه اما من اليسر لانه اخذ المال بيسر
من غير كد وتعب واما من اليسار لانه سلب له وصفته انه كانت لهم عشرة اقداح هي الازلام والاقلام
والفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل منها نصيب
معلوم من جزور ينحرونها ويجزونها عشرة اجزاء وقيل ثمانية وعشرين الا الثلاثة هي المنيح والسفيح
والوغد للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلاثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى
سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يد عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل
قدحا فمن خرج له قدح من ذوات الانصبا اخذ النصيب المعين لها ومن خرج له من تلك الثلاثة غرم
ثمن الجزور مع حرمانه وكانوا يدفعون تلك الانصبا الى الفقرا ولا ياكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون
من لا يدخل فيه ويسمونه البرم وفي حكمه جميع انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال اياكم وهاتين الكعبتين المشومتين فانهما ميسر العجم وعن علي كرم الله وجهه ان النرد
والشطرنج من الميسر وعن ابن سيرين رضي الله عنه كل شيء فيه خطر فهو من الميسر والمعنى يسلونك
عن حكمهما وما في تعاطيهما قل فيهما اثم كبير اي في تعاطيهما لما ان الاول مسلبة للعقول التي هي قطب
الدين والدنيا مع كون كل منهما متلفة للاموال ومنافع للناس من كسب المطرب والتلذذ ومصاحبة
الفتيان وتشجيع الجبان وتقوية الطبيعة وقري اثم كثير بالمثلثة وفي تقديم بيان اثمه ووصفه
بالكبر وتاخير ذكر منافعه مع تخصيصها بالناس من الدلالة على غلبة الاولى ما لا يخفى على ما نطق به
قوله تعالى واثمهما اكبر من نفعهما اي والمفاسد المترتبة على تعاطيهما اعظم من الفوائد المترتبة عليه وقري
اقرب من نفعهما ويسلونك ماذا ينفقون عطف على يسلونك عن الخمر الى آخره عطف القصة على القصة اي اي
شيء ينفقونه قيل هو عمرو بن الجموح ايضا سال اولا من اي جنس ننفق من اجناس الاموال فلما بين جواز
الانفاق من جميع الاجناس سال ثانيا من اي اصنافها ننفق امن خيارها ام من غيرها او سال عن مقدار
ما ننفقه فقيل قل العفو بالنصب اي ينفقون العفو او انفقوا العفو وقري بالرفع على ان ما استفهامية

وذا موصولة

وذا موصولة صلتها ينفقون اي الذي ينفقونه العفو قال الواقدي اصل العفو في اللغة الزيادة
قال القفال العفو ما سهل وتيسر مما فضل للكفاية وهو قول عطا والسدي وكانت الصحابة
رضي الله عنهم يكسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفضل وروي ان رجلا اتى
النبي صلى الله عليه وسلم ببيضة من ذهب اصابها من بعض المغانم فقال خذها مني صدقة فاعرض
عنه فكرر ذلك مرارا حتى قال عليه الصلوة والسلام هاتها فاخذها فحذفها عليه حذفا لو اصابته
لشجته ثم قال ياتي احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غني كذلك
اشارة الى مصدر الفعل الآتي وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه في الفضل مع كمال
تميزه وانتظامه بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة والكاف لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من
الفخامة وافراد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين باعتبار القبيل او الفريق او لعدم القصد الى
تعيين المخاطب كما مر ومحله النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي مثل ذلك البيان الواضح الذي
هو عبارة عما مضى في اجوبة الاسئلة المارة يبين الله لكم الايات الدالة على الاحكام الشرعية المذكورة
لا بيانا ادنى منه وقد مر بيان تحقيقه في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وتبيين الايات
تنزيلها مبينة الفحوى واضحة المدلول لا انه تعالى يبينها بعد ان كانت مشتبهة ملتبسة وصيغة
الاستقبال لاستحضار الصورة لعلكم تتفكرون لكي تتفكروا فيها وتقفوا على مقاصدها وتعملوا
بما في تضاعيفها وقوله تعالى في الدنيا والآخرة متعلق اما بيبين اي يبين لكم فيما يتعلق بالدنيا والآخرة
الايات واما بمحذوف وقع حالا من الايات اي يبينها كائنة فيهما اي مبينة لاحوالكم المتعلقة بهما وانما
قدم عليه التعليل لمزيد الاعتنا بشان التفكر واما بقوله تعالى تتفكرون في الامور المتعلقة بالدنيا
والآخرة في الاحكام في اجوبة الاسئلة المارة فتختارون منها ما يصلح لكم فيهما وتجتنبون عن غيره
وهذا التخصيص المناسب لمقام تعداد الاحكام الجزئية ويجوز التعميم لجميع الامور المتعلقة بالدنيا
والآخرة فذلك حينئذ اشارة الى ما مر من البيانات والمراد بالايات غير ما ذكر والمعنى مثل ذلك البيان
الوارد في الاسئلة المذكورة يبين الله لكم الايات والدلايل لعلكم تتفكرون فيهما وتدرون ما يضركم
حسب ما تقتضيه تلك الايات المبينة ويسلونك عن اليتامى عطف على ما قبله من نظيره روي
انه لما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الاية تحاما الناس عن مخالطة اليتامى وتعهد اموالهم
فشق عليهم ذلك فذكروا للنبي عليه الصلوة والسلام فنزلت قل اصلاح لهم خير اي التعرض لاحوالهم
واموالهم على طريق الاصلاح خير من مجانبتهم اتقاء وان تخالطوهم وتعاشروهم على وجه ينفعهم فاخوانكم
اي فهم اخوانكم اي في الدين الذي هو اقوى من العلاقة النسبية ومن حقوق الاخوة ومواجبها
المخالطة بالاصلاح والنفع وقد حمل المخالطة على المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح العلم بمعنى المعرفة
المتعدية الى واحد ومن لتضمنه معنى التمييز اي يعلم من يفسد في امورهم عند المخالطة اي من يقصد
بمخالطتهم الخيانة والافساد مميزا له من يصلح فيها او يقصد الاصلاح فيجازي كلا منهما بعمله ففيه
وعد ووعيد خلا ان في تقديم المفسد مزيد تهديد وتاكيد للوعيد ولو شاء الله لاعنتكم اي لو شاء
ان يعنتكم اي يكلفكم ما يشق عليكم من العنت وهي المشقة لفعل ولم يجوز لكم مداخلتهم ان الله عزيز
غالب على امره لا يعز عليه امر من الامور التي من جملتها اعناتكم وهو تعليل لمضمون الشرطية وقوله
عز وجل حكيم اي فاعل لافعاله حسبما تقتضيه الحكمة الداعية الى بناء التكليف على اساس الطاقة
دليل على ما يفيده كلمة لو من انتفاء مقدمها ولا تنكحوا المشركات اي لا تتزوجوهن وقري بضم التاء
من الانكاح اي لا تزوجوهن من المسلمين حتى يؤمن والمراد بهن اما ما يعم الكتابيات ايضا حسبما يقتضيه

عموم التعليلين الآتيين لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله
سبحانه عما يشركون فالاية منسوخة بقوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واما غير الكتابيات
فهي ثابتة وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن ابي مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها اناسا
من المسلمين وكان يهوى امراة في الجاهلية اسمها عناق فاتته فقالت الا تخلوا فقال ويحك ان الاسلام
حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستامره فنزلت
ولامة مؤمنة تعليل للنهي عن مواصلتهن وترغيب في مواصلة المومنات صدر بلام الابتدا الشبيهة بلام
القسم في افادة التاكيد مبالغة في الحمل على الانزجار واصله امة اموة حذف واوها على غير قياس وعوض
عنه تاء التانيث ودليل كون لامها واوا رجوعها في الجمع قال الكلبي . اما الاما فلا يدعونني ابدا . اذا ما دعي بنو
الاموان بالعار . وصدورها في المصدر يقال هي امة بينة الاموة واقرت له بالاموة وقد وقعت مبتدا
لما فيها من لام الابتدا او لوصف اي ولامة مومنة مع ما بها من خساسة الرق وقلة الخطر خير بحسب الدين
والدنيا من مشركة اي امراة مشركة مع ما لها من شرف الحرية ورفعة الشان ولو اعجبتكم قد مر ان كلمة لو في
امثال هذه المواقع ليست لبيان انتفاء الشي في الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة
بدلالة ما قبلها عليه من انصباب المعنى على تقديره بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم على كل
حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة ليظهر ثبوته مع
ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشي متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا
يذكر معه شي من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة
لجميع الاحوال المغايرة لها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على وجه الاجمال كانه قيل لو لم يعجبكم
او اعجبتكم والجملة في حيز النصب على الحالية من مشركة اذ المال ولامة مومنة خير من امراة مشركة حال عدم
اعجابها اياكم بجمالها ومالها ونسبها وبغير ذلك من مبادي الاعجاب وموجبات الرغبة فيها اي على كل حال
وقد اقتصر على ذكر ما هو اشد منافاة للخيرية تنبيها على انها حيث تحققت معه فلان تتحقق مع غيره اولى
وقيل الواو حالية وليس بواضح وقيل اعتراضية وليس بسديد والحق انها عاطفة مستتبعة لما ذكر من
الاعتبار اللطيف نعم يجوز ان يكون الجملة الاولى مع ما عطف عليها مستانفة مقررة لمضمون ما قبلها
فتدبر ولا تنكحوا المشركين من الانكاح والمراد بهم الكفار على الاطلاق لما اي لا تزوجوا منهم المومنات سواء كن
حراير او اماء حتى يومنوا وتتركوا ما هم فيه من الكفر ولعبد مومن مع ما به من ذل المملوكية خير من مشرك
مع ما له من عز المالكية ولو اعجبكم بما فيه من دواعي الرغبة فيه الراجعة الى ذاته وصفاته اولئك استيناف
مقرر لمضمون التعليلين المارين اي اولئك المذكورين من المشركات والمشركين يدعون من يقارنهم
ويعاشرهم الى النار اي الى ما يودي اليها من الكفر والفسوق فلا بد من اجتناب عن مقارنتهم ومقاربتهم
والله يدعو بواسطة عباده المومنين من يقارنهم الى الجنة والمغفرة اي الى اعتقاد الحق والعمل
الصالح الموصل اليهما وتقديم الجنة على المغفرة مع ان حق التحلية ان تقدم على التخلية لرعاية مقابلة
النار ابتداء باذنه متعلق بيدعو اي يدعو ملتبسا بتوفيقه الذي من جملته ارشاد المومنين لمقارنيهم
الى الخير ونصيحتهم اياهم فهم احقاء بالمواصلة ويبين اياته المشتملة على الاحكام الفائقة والحكم
الرائقة للناس لعلهم يتذكرون اي لكي يتذكروا ويعملوا بما فيها فيفوزوا بما دعوا اليه من الجنة والغفران
هذا وقد قيل يعني والله يدعو اولياء الله وهم المومنون على حذف المضاف واقامة المضاف اليه
مقامه تشريفا لهم وانت خبير بان الضمير في المعطوف على الخبر اعني قوله تعالى ويبين لله فيلزم التفكيك
وقيل معناه والله يدعو باحكامه المذكورة الى الجنة والمغفرة فانها موصولة لمن عمل بها اليهما وهذا

وان كان مستدعيا لاتحاد مرجع الضميرين الكائنين في الجملتين المتعاطفتين الواقعتين خبرا
للمبتدا لكن يفوت حينئذ حسن المقابلة بينه وبين قوله تعالى اولئك يدعون الى النار ولكن الطريق
الاسلم ما اوضحناه اولا وايراد التذكر ها هنا للاشعار بانه واضح لا يحتاج الى التفكر كما في الاحكام
السابقة ويسلونك عن المحيض عطف على ما تقدم من مثله ولعل حكاية هذه الاسئلة الثلاثة
بالعطف لوقوع الكل عند السؤال عن الخمر وحكاية ما عداها بغير عطف لوقوع كل من ذلك في وقت
على حدة والمحيض مصدر من حاضت كالمجيء والمبيت روي ان اهل الجاهلية كانوا لا يساكنون الحيض
ولا يواكلوهن كفعل اليهود والمجوس واستمر الناس على ذلك الى ان سال عن ذلك ابو الدحداح في
نفر من الصحابة رضي الله عنهم فنزلت قل هو اذى اي شي يستقذر منه ويوذي من يقربه نفرة منه
وكراهة له فاعتزلوا النساء في المحيض اي فاجتنبوا مجامعتهن في حالة الحيض قيل اخذ المسلمون بظاهر
الاعتزال فاخرجوهن من بيوتهن فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة
فان آثرناهن هلك سائر اهل وان استاثرنا هلكت الحيض فقال صلى الله عليه وسلم انما امرتم
ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى
يجامعوهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يفرطون في الاعتزال فامر المسلمون بالاقتصاد
بين الامرين ولا تقربوهن حتى يطهرن تاكيد لحكم الاعتزال وتنبيه على ان المراد به عدم قربانهن لا
عدم القرب منهن وبيان لغايته وهو انقطاع الدم عند ابي حنيفة فان كان ذلك في اكثر المدة حل
القربان كما انقطع والا فلا بد من الاغتسال او من مضي وقت صلوة وعند الشافعي لا بد ان يغتسلن بعد
الانقطاع كما يفصح عنه القراءة بالتشديد وينبئ عنه قوله عز وجل فاذا تطهرن فان التطهر
هو الاغتسال فاتوهن من حيث امركم الله من المأتى الذي حلله لكم وهو القبل ان الله يحب التوابين
بما عسى يندر منهم من ارتكاب بعض ما نهوا عنه ومن سائر الذنوب ويحب المتطهرين المتنزهين
عن الفواحش والاقذار وفي ذكر التوبة اشعار بمساس الحاجة اليها بارتكاب بعض الناس لما نهوا عنه
وتكرير الفعل لمزيد العناية بامر التطهر نساؤكم حرث لكم اي مواضع حرث لكم شبهن بها لما بين
ما يلقى في ارحامهن وبين البذور من المشابهة من حيث ان كلا منهما مادة لما يحصل منه فاتوا حرثكم
لما عبر عنهن بالحرث عبر عن مجامعتهن بالاتيان وهو بيان لقوله تعالى فاتوهن من حيث امركم الله
انى شئتم من اي جهة شئتم روي ان اليهود كانوا يزعمون ان من اتى امراته في قبلها من دبرها ياتي
ولده احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقدموا لانفسكم اي ما يدخر لكم الثواب
وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية عند المباشرة واتقوا الله بالاجتناب عن معاصيه التي من
جملتها ما عد من الامور واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا ما تنتفعون به حينئذ واجتنبوا اقتراف
ما تفتضحون به وبشر المومنين الذين تلقوا ما امروا به من الاوامر والنواهي بحسن القبول والامتثال
بما يقصر عنه البيان من الكرامة والنعيم المقيم اي كل ما يبشر به من الامور التي تسر بها القلوب
وتقر بها العيون وفيه ما في تلوين الخطاب وجعل المبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم من المبالغة
في تشريف المومنين ما لا يخفى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم قيل نزلت في عبد الله بن رواحة
حين حلف ان لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته وقيل في الصديق رضي
الله عنه حين حلف ان لا ينفق على مسطح لخوضه في حديث الافك والعرضة فعلة بمعنى مفعول
كالقبضة والغرفة تطلق على ما يعرض دون الشي فيصير حاجزا منه كما يقال فلان عرضة للخير على
المعرض للامر كما في قوله . فلا تجعلوني عرضة للوائم . والمعنى على الوجه الاول لا تجعلوا الله مانعا

الامور الحسنة التي تحلفون على تركها وعبّر عنها بالايمان لملابستها بها كما في قوله عليه السلام لعبد
الله بن سمرة اذا حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا منها فات الذي هو خير وكفر عن يمينك وقوله تعالى
ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس عطف بيان لايمانكم او بدل منها لما عرفت انها عبارة عن الامور
المحلوف عليها واللام في لايمانكم متعلقة بالفعل او بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض اي لا تجعلوا الله
لبركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس عرضة اي برزخا حاجزا بان تحلفوا به تعالى على تركها ولا تجعلوه تعالى
عرضة اي شيئا يعترض الامور المذكورة ويحجزها بما ذكر من الحلف به تعالى على تركها وقد جوز ان يكون
اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا الى آخره بالفعل او بعرضة فيكون الايمان بمعناها وانت خبير بانه يؤدي
الى الفصل بين العامل ومعموله باجنبي وعلى الوجه الثاني لا تجعلوا معرضا لايمانكم تبتذلونه بكثرة الحلف
به ولذلك ذم من نزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين باشنع المذام وجعل الحلاف مقدمها وان تبروا حينئذ
علة للنهي اي ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا لان الحلاف تجري على الله سبحانه وتعالى غير معظم له فلا يكون
برا متقيا ثقة بين الناس فيكون بمعزل من التوسط في اصلاح ذات البين والله سميع يسمع ايمانكم عليم
يعلم نياتكم فحافظوا على ما كلفتموه لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو ما سقط من الكلام عن درجة
الاعتبار والمراد به في الايمان ما لا عقد معه ولا قصد كما ينبئ عنه قوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما
عقدتم الايمان وهو المعني بقوله عز وجل ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وقد اختلف فيه فعندنا هو
ان يحلف على شيء يظنه ما حلف عليه ثم يظهر خلافه فانه لا قصد فيه الى الكذب وعند الشافعي هو قول
العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم من اخطار الحلف بالبال فالمعنى على الاول لا يؤاخذكم الله
اي لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه احدكم ظانا انه صادق فيه ولكن يعاقبكم بما اقترفت قلوبكم من
اثم القصد الى الكذب في اليمين وذلك في الغموس وعلى الثاني لا يلزمكم الكفارة بما لا قصد معه الى اليمين
ولكن يلزمكموها بما نوت قلوبكم وقصدت به اليمين ولم يكن كسب اللسان فقط والله غفور حيث لم
يؤاخذكم باللغو مع كونه ناشئا من عدم التثبت وقلة المبالاة حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة والجملة اعتراض
مقرر لمضمون قوله تعالى لا يؤاخذكم الى آخره وفيه ايذان بان المراد بالمؤاخذة المعاقبة لا ايجاب الكفارة
اذ هي التي تتعلق بها المغفرة والحلم دونه للذين يؤلون من نسائهم الايلاء الحلف وحقه ان يستعمل بعلى
واستعماله بمن لتضمينه معنى البعد اي للذين يحلفون متباعدين من نسائهم ويحتمل ان يراد لهم من نسائهم
تربص اربعة اشهر كقولك لي منك كذا وقرئ الوا من نسائهم وقرئ يقسمون من نسائهم والايلاء من المرأة
ان يقول والله لا اقربك اربعة اشهر فصاعدا على التقييد بالاشهر او لا اقربك على الاطلاق ولا يكون فيما دون
دون ذلك وحكمه ان فاء اليها في المدة بالوطي ان امكن او بالقول ان عجز عنه صح الفيء وحنث القادر ولزمته
كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وان مضت الاربعة اشهر بانت بتطليقة والتربص الانتظار والتوقف
اضيف الى الظرف اتساعا اي لهم ان ينتظروا في هذه المدة من غير مطالبة بفيء او طلاق فان فاءوا ان رجعوا
من اليمين بالحنث فالفاء للتفصيل كما اذا قلت انا نزيلكم هذا الشهر فان حمدتكم اللبث عندكم الى آخره والالم
اللبث الا ريثما احول فان الله غفور رحيم يغفر للمولي بفيئته التي هي كتوبته اثم حنثه عند تكفيره وما قصد
بالايلاء من ضرار المرأة وان عزموا الطلاق واجمعوا عليه فان الله سميع بما جرى منهم من الطلاق وما يتعلق
به من الدمدمة والمقاولة التي لا يخلو عنها الحال عادة عليم بنياتكم وفيه من الوعيد على الاصرار وترك
الفيئة ما لا يخفى والمطلقات اي ذوات الاقراء من الحرائر المدخول بهن لما قد بين ان لا عدة على غير
المدخول بها وان من لا تحيض لصغر او كبر او حمل بالاشهر ووضع الحمل وان عدة الامة قرآن او شهران
يتربصن خبر في معنى الامر مفيد للتاكيد باشعاره بان المامور به مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى الاتيان

به فكانهن امتثلوا بالامر بالتربص فخبر به موجودا متحققا وبناؤه على المبتدا مفيد لزيادة تاكيده
بانفسهن الباء للتعدية اي يقمعنها ويحملنها على ما لا تشتهيه بل يشق عليها من التربص وفيه مزيد حث
لهن على ذلك لما فيه من الانباء عن الاتصاف بما يستنكف منه من كون نفوسهن طوامح الى الرجال فيحملن
ذلك على الاقدام على الاتيان بما امرن به ثلاثة قروء نصب على الظرفية او المفعولية بتقدير مضاف
اي يتربصن مدة ثلاثة قروء او يتربصن مضي ثلاثة قروء وهو جمع قرء والمراد به الحيض بدليل قوله
عليه الصلوة والسلام دعي الصلوة ايام اقرائك وقوله عليه السلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها
حيضتان وقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر ولان المقصد
الاصلي من العدة استبراء الرحم ومداره الحيض دون الطهر ويقال اقرأت المرأة اذا حاضت وقوله تعالى
فطلقوهن لعدتهن وهي الحيض الثلاث وايراد جمع الكثرة في مقام جمع القلة بطريق الاتساع فان ايراد
كل من الجمعين مكان الآخر شائع ذائع وقرئ ثلاثة قرو بغير همزة ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن
من الحيض والولد استعجالا في العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل على قبول قولهن في ذلك نفيا واثباتا
ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر جواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله دلالة واضحة اي فلا يجترئن
على ذلك فان قضية الايمان بالله تعالى واليوم الآخر الذي يقع فيه الجزاء والعقوبة منافية له قطعا
وبعولتهن البعولة جمع بعل وهو في الاصل السيد المالك والتاء لتانيث الجمع كالحزونة والسهولة
او مصدر بتقدير مضاف اي اهل بعولتهن اي ازواجهن الذين طلقوهن طلاقا رجعيا كما ينبئ عنه
التعبير عنهم بالبعولة والضمير لبعض افراد المطلقات احق بردهن اي ملكهم بالرجعة اليهن
في ذلك اي في زمان التربص وصيغة التفضيل لافادة ان الرجل اذا اراد الرجعة والمرأة تاباه
وجب ايثار قوله على قولها لان لها ايضا حقا في الرجعة ان ارادوا اي الازواج بالرجعة اصلاحا
لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن ولم يريدوا مضارتهن وليس المراد به شرطية قصد الاصلاح بصحة
الرجعة بل هو الحث عليه والزجر من قصد الضرار ولهن عليهم من الحقوق مثل الذي لهم عليهن
بالمعروف من الحقوق التي يجب مراعاتها ويتحتم المحافظة عليها وللرجال عليهن درجة اي زيادة في الحق
لان حقوقهم في انفسهن وحقوقهن في المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها او مزية في الفضل
لانهم قوامون عليهن حراس لهن ولما في ايديهن يشاركوهن فيما هو الغرض من الزواج ويستبدون بفضيلة
الرعاية والانفاق والله عزيز يقدر على الانتقام ممن يخالف احكامه حكيم تنطوي شرائعه على الحكم
والمصالح الطلاق هو بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم والمراد به الرجعي لما ان السابق الاقرب حكمه
ولما روي انه عليه الصلوة والسلام سئل عن الثالثة وهو مبتدا بتقدير مضاف خبره ما بعده اي عدد الطلاق
الذي يستحق الزوج فيه الرد والرجعة حسبما بين آنفا مرتان اي اثنان وايثار ما ورد به النظم الكريم
عليه للايذان بان حقهما ان يقعا مرة بعد مرة لا دفعة واحدة وان كان حكم الرد ثابتا حينئذ ايضا فامساك
اي فالحكم بعدهما امساك لهن بالرجعة بمعروف اي بحسن عشرة ولطف معاملة او تسريح باحسان
بالطلقة الثالثة كما روي عن النبي عليه الصلوة والسلام او بعدم الرجعة الى ان تنقضي العدة فتبين
وقيل المراد به الطلاق الشرعي وبالمرتين مطلق التكرير لا التثنية بعينها كما في قوله تعالى ارجع البصر كرتين
اي كرة بعد كرة والمعنى ان التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع بين التطليقتين
او الثلاث فان ذلك بدعة عندنا وقوله تعالى فامساك الى آخره حكم مبتدا وتخيير مستانف والفاء
فيه للترتيب على التعليم كانه قيل اذا علمتم كيفية التطليق فامركم احد الامرين ولا يحل لكم ان تاخذوا منهن
بمقابلة الطلاق مما آتيتموهن شيئا اي من الصدقات وتخصيصها بالذكر وان شاركها في الحكم

سائر اموالهن اما لرعاية العادة او للتنبيه على انه اذا لم يحل لهم ان ياخذوا ما اتوهن بمقابلة البضع عن
خروجه عن ملكهم فلان لا يحل ان ياخذوا مما لا تعلق له بالبضع اولى واحرى وقيل اي نزرا يسيرا فضلا
عن الكثير وتقديم الظرف عليه لما مر مرارا والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم الامرون
بهما عند المرافعة وقيل عند الازواج وما بعده من الحكام وذلك مما لا يشوش النظم الكريم على القراءة المشهورة
الا ان يخافا اي الزوجات وقرئ يظنا وهو مؤيد لتفسير الظن بالخوف الا يقيما حدود الله الا ان لا يراعيا
مواجب احكام الزوجية وقرئ يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته من الضمير بدل الاشتمال وقرئ
تخافا وتقيما بتاء الخطاب فان خفتم ايها الحكام الا يقيما اي الزوجات حدود الله بمشاهدة بعض
الامارات والمخايل فلا جناح عليهما اي على الزوجين فيما افتدت به لا على الزوج في اخذ ما افتدت به
ولا عليها في اعطائه اياه روي ان جميلة بنت عبد الله بن ابي بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس
فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اعيب عليه
في دين ولا خلق ولكن اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرايته اقبل في عدة
فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة كان اصدقها اياها
تلك اي الاحكام المذكورة حدود الله فلا تعتدوها بالمخالفة والرفض ومن يتعد حدود الله فاولئك
المعتدون والجمع باعتبار معنى الموصول هم الظالمون اي لانفسهم بتعريضها لسخط الله وعقابه ووضع
الاسم الجليل في المواضع الثلاثة الاخيرة موضع الضمير لتربية المهابة وادخال الروعة وتعقيب النهي بالوعيد
للمبالغة في التهديد فان طلقها اي بعد الطلقتين السابقتين فلا تحل له هي من بعد اي من بعد
هذا الطلاق حتى تنكح زوجا غيره اي حتى تتزوج غيره فان النكاح ايضا يسند الى كل منهما وتعلق بظاهره
من اقتصر على العقد والجمهور على اشتراط الاصابة لما روي ان امراة رفاعة قالت لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وان ما معه مثل هدبة الثوب
فقال عليه السلام اتريدين ان ترجعي الى رفاعة قالت نعم قال عليه السلام لا الا ان تذوقي عسيلته
ويذوق من عسيلتك ومثله يجوز الزيادة على الكتاب وقيل النكاح بمعنى الوطي والعقد مستفاد من
لفظ الزوج والحكمة من هذا التشريع الردع عن المسارعة الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلاثا والرغبة فيها
والنكاح بشرط التحليل مكروه عندنا ويروى عدم الكراهة فيما لم يكن الشرط مصرحا به وفاسد عند الاكثرين
لقوله عليه السلام لعن الله المحلل والمحلل له فان طلقها اي الزوج الثاني فلا جناح عليهما اي على الزوج
الاول ان يتراجعا اي يرجع كل منهما الى الآخر بالعقد ان ظنا ان يقيما حدود الله التي وجب مراعاتها على الزوجين
من الحقوق ولا وجه لتفسير الظن بالعلم لما ان العواقب غير معلومة ولان ان الناصبة للتوقع المنافي
للعلم ولذلك لا يكاد يقال علمت ان يقوم زيد وتلك اشارة الى الاحكام المذكورة الى هنا حدود الله اي احكامه
المعينة المحمية من التعرض لها بالتغيير والمخالفة يبينها بهذا البيان اللائق او سيبينها فيما سياتي بناء
على ان بعضها يلحقه زيادة كشف وبيان بالكتاب والسنة والجملة خبر ثان عند من يجوز كونه جملة كما في قوله
تعالى فاذا هي حية تسعى او حال من حدود الله والعامل معنى الاشارة لقوم يعلمون اي يفهمون وتخصيصهم
بالذكر مع عموم الدعوة والتبليغ لما انهم المنتفعون بالبيان اولان ما سيلحق بعض النصوص من البيان لا يقف
عليه الا الراسخون في العلم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي آخر عدتهن فان الاجل كما ينطلق على ما ينطلق
على منتهاها والبلوغ هو الوصول الى الشيء وقد يقال للدنو منه اتساعا وهو المراد هاهنا لقوله عز وجل
فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف اذ لا امكان للامساك بعد تحقق بلوغ الاجل اي فراجعوهن بغير
ضرار او خلوهن حتى ينقضي اجلهن باحسان من غير تطويل وهذا كما ترى اعادة للحكم في بعض صوره اعتناء

بشانه ومبالغة في ايجاب المحافظة عليه ولا تمسكوهن ضرارا تاكيد للامر بالامساك بمعروف وتوضيح
لمعناه وزجر صريح عما كانوا يتعاطونه اي لا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة
اذا شارفت انقضاء الاجل يراجعها لا لرغبة فيها بل ليطول عليها العدة فنهي عنه بعد ما امر بضده
لما ذكر وضرارا نصب على العلة والحالية لا تمسكوهن للمضارة او مضارين واللام في قوله تعالى
لتعتدوا متعلق بضرارا اي لتظلموهن بالالجاء الى الافتداء ومن يفعل ذلك اي ما ذكر من الامساك
المودي الى الظلم وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد منزلته في الشر والفساد فقد ظلم نفسه ضمن
ظلمه لهن بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا آيات الله المنطوية على الاحكام المذكورة او جميع آياته
وهي داخلة فيها دخولا اوليا هزوا اي مهزوا بها بان تعرضوا عنها وتتهاونوا في المحافظة على ما
في تضاعيفها من الاحكام والحدود لقولهم لمن يجد في الامور انت هازئ كانه نهي عن الهزء بها
واريد ما يستلزمه من الامر بتلقيها بالجد والعمل بما فيها وان رعوها حق رعايتها والا
فقد اخذتموها هزوا ولعبا ويجوز ان يراد به النهي عن الامساك ضرارا فان الرجعة بلا رغبة فيها
عمل بموجب آيات الله تعالى بحسب الظاهر دون الحقيقة وهي معنى الهزء وقيل كان الرجل ينكح
ويطلق ويعتق ثم يقول انما كنت العب فنزلت ولذلك قال عليه الصلوة والسلام ثلاث جدهن
جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والعتاق واذكروا نعمت الله عليكم حيث هداكم الى ما فيه
سعادتكم الدينية والدنيوية اي قابلوها بالشكر والقيام بحقوقها والظرف متعلق بمحذوف
وقع حالا من نعمت الله اي كائنة عليكم او صفة لها على راي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته
اي الكائنة عليكم ويجوز ان يتعلق بنفسها ان اريد بها الانعام لانها اسم مصدر كنبات من انبت ولا
يقدح في عمله تاء التانيث لانه مبني عليها كما في قوله فلولا رجاء النصر منك ورهبة عقابك قد كانوا لنا
كالموارد وما انزل عليكم عطف على نعمت الله وما موصولة حذف عائدها من الصلة ومن قوله تعالى من الكتاب
والحكمة بيانية اي من القرآن والسنة او القرآن الجامع للعنوانين على ان الوصف لتغاير الوصفين كما في
قوله الى الملك القرم وابن الهمام وفي ابهامه اولا ثم في بيانه من التفخيم ما لا يخفى وفي افراده بالذكر
مع كونه اول ما دخل في النعمة المامور بذكرها ابانة لخطره ومبالغة في الحث على مراعاة ما ذكر قبله من
الاحكام يعظكم به اي بما انزل حال من فاعل انزل او من مفعوله او منهما معا واتقوا الله في شان المحافظة
عليه والقيام بحقوقه الواجبة واعلموا ان الله بكل شيء عليم فلا يخفى عليه شيء مما تاتون وما تذرون
فيواخذكم بافانين العذاب واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن بيان لحكم ما كانوا يفعلونه
عند بلوغ الاجل حقيقة بعد بيان حكم ما كانوا يفعلونه عند المشارفة اليه والعضل الحبس والتضييق
ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها ولم يخرج والمراد المنع والخطاب اما للاولياء لما روي
انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته جميلة ان ترجع الى زوجها الاول بالنكاح وقيل
نزلت في جابر بن عبد الله حين عضل ابنة عم له واسناد التطليق اليهم لتسببهم فيه كما ينبئ عنه تصديهم
للعضل ولعل التعرض لبلوغ الاجل مع جواز التزوج بالزوج الاول قبله ايضا لوقوع العضل المذكور
حينئذ وليس فيه دلالة على ان ليس للمراة ان تزوج نفسها والا لما احتيج الى نهي الاولياء عن العضل
لما ان النهي لدفع الضرر عنهن فانهن وان قدرن على تزويج انفسهن للنهي يحترزن عن ذلك مخافة
اللوم والقطيعة واما للازواج حيث كانوا يعضلون مطلقاتهم ولا يدعونهن يتزوجن ظلما وقسرا
الحمية الجاهلية واما للناس كافة فان اسناد ما فعله واحد منهم الى الجميع شائع مستفيض والمعنى
اذا وجد فيكم طلاق فلا يقع فيما بينكم عضل سواء كان ذلك من قبل الاولياء او من جهة الازواج او

من غيرهم وفيه تهويل لامر العضل وتحذير منه وايذان بان وقوع ذلك بين ظهرانيهم وهم ساكتون
عنه بمنزلة صدوره عن الكل في استتباع الائمة وسراية الغائلة **ان ينكحن** من ان ينكحن فمحله النصب
عند سيبويه والفرا والجر عند الخليل على الخلاف المشهود **وقيل** هو بدل اشتمال من الضمير المنصوب
في تعضلوهن وفيه دلالة على صحة النكاح بعبارتهن **ازواجهن** اي يريد بهم المطلقون فالزوجية
اما باعتبار ماكان واما باعتبار مايكون والا فلا اعتبار الاخير **اذا تراضوا** ظرف لا تعضلوا وصيغة
التذكير باعتبار باعتبار تغلب الخطاب على النسا والتقييد به لانه المعتاد لا لتجويز المنع قبل تمام التراضي
وقيل ظرف لان ينكحن وقوله تعالى **بينهم** للتراضي مفيد لرسوخه واستحكامه **بالمعروف** الجميل عند
الشرع المستحسن عند الناس والباء اما متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل تراضوا او نعتا لمصدر
محذوف اي تراضيا كائنا بالمعروف واما بتراضوا اي تراضوا بما يحسن في الدين والمروة وفيه اشعار
بان المنع من التزوج بغير كفوء او بما دون مهر المثل ليس من باب العضل **ذلك** اشارة الى ما فصل
من الاحكام ومافيه من معنى البعد لتعظيم المشار اليه والخطاب بجميع المكلفين كما في بعده والتوحيد اما
باعتبار كل واحد منهم واما بتاويل القبيل والفريق واما لان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي
دون تعيين المخاطبين او للرسول عليه السلام كما في قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء للدلالة على
ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يعرفه احد **يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر** فيسارع
الى الاستنا باوامره ونواهيه اجلالا له وخوفا من عقابه وقوله تعالى منكم اما متعلق بكان عند من
يجوز عملها في الظرف وشبهها واما بمحذوف وقع حالا من فاعل يؤمن اي كائنا منكم **ذلكم** اي الاتعاظ
به والعمل بمقتضاه **ازكى لكم** اي انمى وانفع **واطهر** من الادناس والاثام واوضار الذنوب **والله يعلم**
ما فيه الزكا والطهر **وانتم لا تعلمون** ذلك او والله يعلم ما فيه صلاح اموركم من الاحكام والشرايع التي من
جملتها ما بينه هاهنا وانتم لا تعلمونها فدعوا ارايكم وامتثلوا بامره تعالى ونهيه في كل ما تاتون
وما تذرون **والوالدات يرضعن اولادهن** شروع في بيان احكام المتعلقات باولادهن خصوصا واشتراكا
وهو امر اخرج مخرج الخبر مبالغة في الحمل على تحقق مضمونه ومعناه الندب او الوجوب ان خص بمادة
عدم قبول الصبي ثدي الغير او فقدان الظئر او عجز الوالد عن الاستيجار والتعبير عنهن بالعنوان المذكور
لهز عطفهن نحو اولادهن والحكم عام للمطلقات وغيرهن **وقيل** خاص بهن اذ الكلام فيهن **حولين
كاملين** التاكيد لصفة الكمال لبيان ان تقدير تحقيقي لا تقريبي مبني على المسامحة المعتادة **لمن اراد ان يتم
الرضاعة** اي الوالد فان الوالد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضي لوجوب
الارضاع ومؤنة المرضعة عليه **رزقهن وكسوتهن** اجرتهن واختلف في استيجار الام وهو غير
جائز وعندنا ما دامت في النكاح او المعتدة جائز عند الشافعي **بالمعروف** حسبما يراه الحاكم ويفي به
وسعه **لا تكلف نفس الا وسعها** تعليل لايجاب المؤن بالمعروف او تفسير للمعروف وهو نص على انه تعالى
لا يكلف العبد ما لا يطيقه وذلك لا ينافي امكانه **لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده** تفصيل لما
قبله وتقرير له اي لا يكلف كل واحد منهما الاخر ما لا يطيقه ولا يضاره بسبب ولده **وقرئ** لا يضار
بالرفع بدلا من لا تكلف واصله على القراتين لا تضارر بالكسر على البناء للفاعل وبالفتح على البنا للمفعول
وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضار والباء من صلته اي لا يضر الوالدان بالولد فيفرط في تعهده
ويقصر فيما ينبغي له **وقرئ** لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على
انه من ضاره يضيره واضافة الولد الى كل منهما لاستعطافهما اليه وللتنبيه على انه جدير بان يتفقا على
استصلاحه ولا ينبغي ان يضر به او يتضار بسببه **وعلى الوارث مثل ذلك** عطف على قوله تعالى وعلى المولود

بيان لما توجه اليه الحكم اي ذلك لمن اراد ان يتم الرضاعة [illegible]
لا على [illegible] ان النقص [illegible] متعلق بمن يرضع فان الاحب عليه
الارضاع لا للنفقة [illegible]
وعلى المولود له ع

له رزقهن الى آخره وما بينهما تعليل او تفسير معترض والمراد وارث الصبي ممن كان ذا رحم منه **وقيل**
عصابته **وقال** الشافعي هو وارث الاب وهو الصبي اي ومن المرضعة من ماله عند موت الاب
ولا نزاع فيه واما الكلام فيما اذا لم يكن للصبي مال **وقيل** الباقي من الابوين من قوله عليه الصلاة والسلام
واجعله الوارث منا وذلك اشارة الى ما وجب على الاب من الرزق والكسوة **فان ارادا** اي الوالدان
فصالا اي فطاما من الرضاع **قيل** تمام الحولين والتنكير للايذان بانه فصال غير معتاد **عن تراض**
متعلق بمحذوف ينساق اليه الذهن اي صادرا عن تراض **منهما** اي من الوالدين لا من احدهما فقط
لاحتمال اقدامه على ما يضر بالولد بان تمل المراة الارضاع ويبخل الاب باعطاء الاجرة **وتشاور** في شان
الولد وتفحص عن احواله واجماع منهما على استحقاقه للفطم والتشاور من المشورة وهو استخراج الراي
من شرب العسل اذا استخرجته وتنكيرهما للتفخيم **فلا جناح عليهما** في ذلك لما ان تراضيهما انما يكون
بعد استقرار رايهما واجتهادهما على ان اصلاح الولد في الفطام وقل ما يتفقان على الخطا **وان اردتم** بيان
لحكم عدم اتفاقهما على الفطام والالتفات الى خطاب الاباء لهزهم الى الامتثال بما امروا به **ان تسترضعوا
اولادكم** محذوف المفعول الاول استغناء عنه اي ان تسترضعوا المراضع اولادكم تحذف حرف
الجر ايضا كما في قوله تعالى واذا كالوهم اي كالوا لهم **فلا جناح عليكم** اي في الاسترضاع **اذا سلمتم** اي
الى المراضع **ما آتيتم** اي ما اردتم ايتاه كما في قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وفيه
مزيد بعث لهم الى التسليم **بالمعروف** متعلق بسلمتم اي بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط
لدلالة المذكور عليه وليس التسليم شرطا للصحة والجواز بل هو ندب الى ما هو الاليق والاولى فان المراضع
اذا اعطين ما قدر لهن ناجزا يدا بيد كان ذلك ادخل في استصلاح شؤون الاطفال **واتقوا الله** في شان
مراعات الاحكام المذكورة **واعلموا ان الله بما تعملون بصير** فيجازيكم بذلك واظهار الاسم الجليل في موضع
الاضمار لتربية المهابة وفيه من الوعيد والتهديد ما لا يخفى **والذين** على حذف المضاف اي وازواج
الذين **يتوفون منكم** اي يقبض ارواحهم بالموت فان التوفي هو القبض يقال توفيت مالي من فلان
واستوفيته منه اي اخذته وقبضته والخطاب لكافة الناس بطريق التلوين **ويذرون ازواجا يتربصن
بانفسهن اربعة اشهر وعشرا** او على حذف العايد الى المبتدا في الخبر اي يتربصن بعدهم كما في قولهم السمن
منوان بدرهم اي منوان منه **وقرئ** يتوفون بفتح الياء اي يستوفون اجالهم وتانيث العشر باعتبار
الليالي لانها غرر الشهور والايام ولذلك تراهم لا يكادون يستعملون التذكير في مثله اصلا حتى انهم يقولون
صمت عشرا ومن البين في قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ولعل الحكمة في هذا التقدير ان الجنين اذا كان
ذكرا يتحرك غالبا لثلاثة اشهر وان كانت انثى تتحرك لاربعة فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر
استظهارا اذ ربما تضعف الحركة فلا تحس بها وعموم اللفظ يقتضي تساوي المسلمة والكتابية والحرة
والامة في هذا الحكم ولكن القياس يقتضي التنصيف في الامة وقوله تعالى واولات الاحمال خص الحامل
منه **وعن** علي وابن عباس رضي الله عنهما انها تعتد باقصى الاجلين احتياطا **فاذا بلغن اجلهن** اي
انقضت عدتهن **فلا جناح عليكم** ايها الائمة الحكام والمسلمون جميعا **فيما فعلن في انفسهن** من
التزين والتعرض للخطاب وسائر ما يحرم على المعتدة **بالمعروف** بالوجه الذي لا ينكره الشرع وفيه اشارة
الى انهن لو فعلن ما ينكره الشرع فعليهم ان يكفوهن عن ذلك والا فعليهم الجناح **والله بما تعملون خبير**
فلا تعملوا خلاف ما امرتم به **ولا جناح عليكم** خطاب للكل **فيما عرضتم به** التعريض والتلويح ابهام المقصود
بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتك لاسلم عليك واصله امالة الكلام عن نهجه الى عرض
منه او جانب والكناية هي الدلالة على شيء بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد

[illegible] الصبي [illegible] وقيل [illegible]
فاذا قرات القرآن فاستعذ بالله [illegible]
[illegible] قوله تعالى [illegible] ع

للمضاف من خطبة النساء الخطبة بالكسر كالقعدة والجلسة ما يفعله الخاطب من الطلب والاستلطاف
بالقول والفعل فقيل هي ماخوذة من الخطب اي الشان الذي له خطر لما انها شان من الشؤن ونوع
من الخطوب وقيل من الخطاب لانها نوع مخاطبة تجري من جانب الرجل وجانب المراة والمراد بالنساء
المعتدات للوفاة والتعريض لخطبتهن ان يقول انك لجميلة او صالحة او نافقة ومن غرضي ان اتزوج ونحو
ذلك مما يوهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح او اكننتم في انفسكم
اي اضمرتم في قلوبكم ولم تذكروه تصريحا ولا تعريضا علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت
عنهن ولا عن اظهار الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ لهم على قلة التثبت ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك
عن محذوف دل عليه ستذكرونهن فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا بل اكتفوا بما رخص لكم من
التعريض والتعبير عن النكاح بالسر لان مسببه الذي هو الوطي مما يسر وايثاره على اسمه للايذان بانه
مما ينبغي ان يستر ويكتم وحمله على الوطي ربما يوهم الرخصة في المحظور الذي هو التصريح بالنكاح
وقيل انتصاب سرا على الظرفية اي لا تواعدوهن في السر على ان المراد بذلك المواعدة بما يستهجن وفيه
ما فيه الا ان تقولوا قولا معروفا استثنا مفرغ مما يدل عليه النهي اي لا تواعدوهن مواعدة ما الا مواعدة
معروفة غير منكرة شرعا وهي ما يكون بطريق التعريض والتلويح او الا مواعدة بقول معروف او لا تواعدوهن
شيا من الاشيا الا بان تقولوا قولا معروفا وقيل هو استثنا منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه
الى جعل التعريض موعودا وليس كذلك ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم الامر اذا قصده قصدا جازما
وحقيقة القطع بدليل قوله عليه السلام لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروي لمن لم يبيت
الصيام والنهي منه مبالغة في النهي عن مباشرة عقد النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله اي العدة المكتوبة
المفروضة اخرها وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح اي لا تبرموها ولا تلزموها ولا تقدموا عليها
فيكون نهيا عن نفس الفعل لا عن قصده واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من ذوات الصدور التي من جملتها
العزم على ما نهيتم عنه فاحذروه الاجتناب عن العزم ابتداء واقلاعا عنه بعد تحققه واعلموا ان الله
غفور يغفر لمن يقلع عن عزمه خشية منه تعالى حليم لا يعاجلكم بالعقوبة فلا تستدلوا بتاخيرها
على ان ما نهيتم عنه من العزم ليس يستتبع المواخذة واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لادخال
الروع لا جناح عليكم لا تبعة من مهر وهو الاظهر وقيل من وزر اذ لا بدعة في الطلاق قبل المسيس
وقيل كان النبي عليه السلام يكثر النهي عن الطلاق فظن ان فيه جناحا فنفي ذلك ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن
اي ما لم تجامعوهن وقري تماسوهن بضم التاء في جميع المواقع اي مدة مسيسكم اياهن على ان ما مصدرية
ظرفية بتقدير المضاف ونقل ابو البقا انها شرطية بمعنى ان فيكون من باب اعتراض الشرط على الشرط
فيكون الثاني قيدا للاول كما في قولك ان تاتني ان تحسن الي اكرمك اي ان تاتني محسنا الي والمعنى ان
طلقتموهن غير ماسين لهن وهذا المعنى اقعد من الاول ان ما الظرفية انما يحسن موقعها فيما اذا
كان الظرف امرا ممتدا منطبقا على ما اضيف اليها من المدة او الزمان كما في قوله تعالى خالدين فيها ما
دامت السموات والارض وقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ولا يخفى ان التطليق ليس كذلك
وتعليق الظرف بنفي الجناح ربما يوهم امكان المسيس بعد الطلاق فالوجه ان يقدم الحال مكان الزمان
والمدة او تفرضوا لهن فريضة اي الا ان تفرضوا لهن فريضة او حتى تفرضوا لهن عند العرض مهرا على ان
فريضة فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية وانتصابه على المفعولية ويجوز
ان يكون مصدرا صيغة واعرابا والمعنى انه لا تبعة على المطلق بمطالبة اهل اصلا اذا كان الطلاق قبل المسيس
على كل حال الا في حال تسمية المهر فان عليه حينئذ نصف المسمى وفي حال تسميته عليه المتعة لا نصف

مهر

مهر المثل واما اذا كان بعد المساس فعليه في صورة التسمية تمام المسمى وفي صورة عدمها تمام مهر
المثل وقيل كلمة او عاطفة لمدخولها على ما قبلها من الفعل المجزوم على معنى ما لم يكن منكم مسيس ولا فرض
مهر ومتعوهن عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة
جبر ايحاش الطلاق وهي درع وملحفة وخمار على حسب الحال كما يفصح عنه قوله تعالى على الموسع قدره
وعلى المقتر قدره اي ما يليق بحال كل منهما وقري بسكون الدال وهي جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب
مبينة لقدر المتعة بالنظر الى حال المطلق ايسارا واقتارا او حال من فاعل متعوهن بحذف الرابط
اي على الموسع منكم الى آخره او جعل الالف واللام عوضا عن المضاف اليه عند من يجوزه او على موسعكم
الى آخره وهذا اذا لم يكن مهر مثلها اوفر من ذلك فان كان اقل فلها الاقل من مهر المثل ومن المتعة
ولا ينقص من خمسة دراهم متاعا اي تمتيعا بالمعروف اي بالوجه الذي يستحسنه الشريعة والمروة
حقا صفة لمتاعا او مصدر موكد اي حق ذلك حقا على المحسنين الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة
الى الامتثال او الى المطلقات بالتمتع بالمعروف وانما سموا محسنين اعتبارا للمشارفة ترغيبا وتحريضا وان
طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة اي وان طلقتموهن قبل المسيس حال كونكم مسمين لهن فيما
سبق اي عند النكاح مهرا على الجملة حال من فاعل طلقتموهن ويجوز ان يكون حالا من مفعوله لتحقق الرابط
بالنسبة اليهما ونفس الفرض من المبني للفاعل او للمفعول وان لم يقارن حالة التطليق لكن اتصاف المطلق
بالفارضية فيما سبق مما لا ريب في مقارنته لها وكذا الحال في اتصاف المطلقة بكونها مفرضا فيما سبق
فنصف ما فرضتم اي فلهن نصف ما سميتم لهن من المهر او الجواب عليكم وهذا نص في ان المنفي في الصورة
السابقة انما هو تبعة المهر وقري بالنصب اي فادوا نصف ما فرضتم ولعل تاخير حكم التسمية مع انها الاصل في
العقد والاكثر في الوقوع لما ان الاية الكريمة نزلت في انصاري تزوج امراة من بني حنيفة وكانت
مفوضة فطلقها قبل الدخول بها فتخاصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عليه السلام
امتعها ولو بقلنسوتك الا ان يعفون استثنا مفرغ من اعم الاحوال اي فلهن نصف
المفروض معينا في كل حال الا حال عفوهن فانه يسقط ذلك حينئذ بعد وجوبه وظاهر الصيغة في نفسها
تحتمل التذكير والتانيث وانما الفرق في الاعتبار والتحقيق فان الواو في الاولى ضمير والنون علامة
الرفع وفي الثانية لام الفعل والنون ضمير الفعل مبني ولذلك لم يوثر فيه ان تاثيره فيما عطف على محله في قوله
تعالى او يعفو بالنصب وقري بسكون الواو الذي بيده عقدة النكاح اي يترك الزوج المالك العقد
وحله ما يعود اليه من نصف المهر الذي ساقه اليها كاملا على ما هو المعتاد تكرما فان ترك حقه عليها عفو
بلا شبهة او سمي ذلك عفوا في صورة عدم السوق مشاكلة او تغليبا لحال السوق على حال عدمه فرجع الاستثنا
حينئذ الى منع الزيادة في المستثنى منه كما انه في الصورة الاولى الى منع النقصان فيه اي فلهن هذا
العقد بلا نقصان ولا زيادة في جميع الاحوال الا في حال عفوهن فانه حينئذ لا يكون لهن المقدار المذكور
بل ينتفي ذلك او ينحط او في عفو حال الزوج فانه حينئذ يكون لهن الزيادة على ذلك القدر هذا على التفسير
الاول واما على التفسير الثاني فلا بد من المصير الى جعل الاستثنا منقطعا لان في صورة عفو الزوج لا يتصور
الوجوب عليه هذا عندنا وفي القول القديم عند الشافعي رحمه الله ان المراد عفو الولي الذي بيده عقدة
نكاح الصغيرة وهذا ظاهر الماخذ خلا ان الاول الانسب بقوله عز وجل وان تعفوا اقرب للتقوى الى آخره
فان اسقاط حق الصغيرة ليس في شيء من التقوى وعن جبير بن مطعم انه تزوج امراة وطلقها قبل الدخول
واكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو وقري بالياء ولا تنسوا الفضل بينكم اي لا تتركوا ان يتفضل
بعضكم على بعض كالشي المنسي وقري بكسر الواو والخطاب في الفعلين للرجال والنساء جميعا بطريق التغليب

ان الله بما تعملون بصير فلا يكاد يضيع ما عملتم من التفضل والاحسان حافظوا على الصلوات اي داوموا
عليها داٮٮها الاوقاتها من غير اخلال بشيء منها كما ينبئ عنه صيغة المفاعلة المفيدة للمبالغة ولعل الامر بها في
بيان تضاعيف احكام الازواج والاولاد قبل الاتمام للايذان بانها حقيقة بكمال الاعتناء بشانها والمثابرة
عليها من غير اشتغال عنها بشانهم بل بشان انفسهم ايضا كما يفصح عنه الامر بها في حالة الخوف ولذلك امر
بها في خلال بيان ما يتعلق بهم من الاحكام الشرعية المتاكدة الاخذ بعضها بحجزة بعض والصلوة الوسطى
اي المتوسطة بينها او الفضلى عنها وهي صلوة العصر لقوله عليه السلام يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة
الوسطى صلاة العصر ملا الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام انها الصلوة التي شغل عنها سليمان بن داود
عليهما السلام وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها بتجاراتهم ومكاسبهم واجتماع ملائكة الليل وملائكة
النهار حينئذ وقيل هي صلوة الظهر لانها في وسط النهار وكانت اشق الصلوة عليهم لما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يصليها بالهاجرة فكانت افضلها لقوله عليه السلام افضل العبادات احمزها وقيل
هي صلوة الفجر لانها بين صلاتي الليل والنهار والواقعة في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة كصلوة العصر
وقيل صلوة المغرب لانها متوسطة من حيث العدد ومن حيث الوقوع بين صلاتي الليل والنهار ووتر
النهار ولا ينقص في السفر وقيل هي صلوة العشاء لانها بين الجهريتين الواقعتين في طرفي الليل وعن
عائشة رضي الله عنها وابن عباس رضي الله عنهما انه عليه افضل الصلوة والسلام كان يقرأ والصلوة الوسطى
فصلوة العصر وقرئ بالنصب على المدح وقرئ الوسطى وقوموا لله اي في الصلوة قانتين ذاكرين له في
القيام لان القنوت هو الذكر فيه وقيل هو اكمال الطاعة واتمامها بغير اخلال بشيء من اركانها وقيل خاشعين
قال ابن المسيب المراد به القنوت في الصبح فان خفتم من عدو وغيره فرجالا جمع راجل كقيام وقائم
او رجل بمعنى راجل وقرئ بضم الراء مع التخفيف وبضمها مع التشديد ايضا او ركبانا جمع راكب اي فصلوا
راكبين حسبما يقتضيه الحال ولا تخلوا بها ما امكن الوقوف في الجملة وقد جوز الشافعي اداءها على المسابقة
ايضا فاذا امنتم بزوال العدو فاذكروا الله اي فصلوا صلوة الامن عبر عنها بالذكر لانه معظم اركانها كما علمكم
متعلق بمحذوف وقع وصف المصدر محذوف اي ذكرا كائنا كما علمكم او كتعليمه اياكم ما لم تكونوا تعلمون
من كيفية الصلوة بالصلوة والمراد بالتشبيه ان يكون الصلوة المؤداة موافقة لما علمه الله تعالى وايرادها
بذلك العنوان لتذكير النعمة او اشكروا الله تعالى شكرا يوازي تعليمه اياكم ما لم تكونوا تعلمونه من الشرايع والاحكام
التي من جملتها كيفية اقامة الصلوة حالتي الخوف والامن هذا وفي ايراد الشرطية الاولى بكلمة ان المفيدة لمشكوكية
وقوع الخوف وندرته وتصدير الشرطية الثانية بكلمة اذا المنبئة من تحقق وقوع الامن وكثرته مع الايجاز في
جواب الاولى والاطناب في جواب الثانية المبنيين على تنزيل مقام المامور وقوع المامور به فيهما منزلة مقام
وقوع الامن تنزيلا مستدعيا لاجراء مقتضى المقام الاول في كل منهما مجرى مقتضى المقام الثاني من الجزالة
ولطف الاعتبار ما فيه عبرة لاولي الابصار والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا عود الى بيان بقية الاحكام
المفصلة فيما سلف اثر بيان احكام وسطت بينها لما اشير اليه من الحكمة الداعية الى ذلك وصية لازواجهم
اي يوصون او ليوصوا اوليك كتب الله عليهم وصية ويؤيد هذا قراءة من قرأ كتب عليكم الوصية لازواجكم
وقرئ بالرفع على تقدير مضاف في المبتدا والخبر اي حكم الذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية
لازواجهم او والذين يتوفون منكم ويذرون اهل وصية لازواجهم او كتب عليهم وصية او عليهم وصية
وقرئ متاع لازواجهم بدل وصية متاعا الى الحول منصوب بيوصون ان اضمرته والا فبالوصية
او بمتاع على القراءة الاخيرة غير اخراج بدل منه او مصدر مؤكد كما في قولك هذا القول غير ما تقول او حال
من ازواجهم اي غير مخرجات والمعنى يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل الاحتضار لازواجهم بان يمتعن

بعدهم

حولا بالنفقة والسكنى وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله تعالى اربعة اشهر وعشرا فانه وان كان
متقدما في التلاوة متاخرا في النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع او الثمن وكذلك السكنى عندنا وعند
الشافعي باقية فان خرجن عن منزل الازواج باختيارهن فلا جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن في انفسهن
من معروف لا ينكره الشرع كالتزيين والتطيب وترك الحداد والتعرض للخطاب وفيه دلالة على ان
المحظور اخراجها عند ارادة القرار وملازمة مسكن الزوج والحداد من غير ان يجب عليها ذلك
وانها كانت مخيرة بين الملازمة مع اخذ النفقة وبين الخروج مع تركها والله عزيز غالب على امره يعاقب
من يخالفه حكيم يراعي في احكامه مصالح عباده وللمطلقات سواء كن مدخولا بهن اولا متاع
اي مطلق المتعة الشاملة للواجبة والمستحبة واوجبها سعيد بن جبير وابو العالية والزهري للكل
وقيل المراد بالمتاع العدة وقيل اللام للعهد والمراد غير المدخول بهن والتكرير للتاكيد بالمعروف شرعا
وعادة حقا على المتقين اي مما لا ينبغي كذلك اي مثل ذلك البيان الواضح يبين الله لكم اياته الدالة على
احكامه التي شرعها على عباده لعلكم تعقلون لكي تفهموا ما فيها وتعملوا بموجبها الم تر تقرير لمن سمع
بقصتهم من اهل الكتاب وارباب الاخبار وتعجيب من شانهم البديع فان سماعهم لها بمنزلة الرؤية النظرية
او لكل احد ممن له حظ من الكتاب ايذانا بان قصتهم من الشهرة والشيوع بحيث يحق لكل احد ان يحمل على
الاقرار برؤيتهم وسماع قصتهم ويتعجب بها وان لم يكن ممن راهم او سمع بقصتهم فان هذا الكلام قد جرى
مجرى المثل في مقام التعجيب لما انه شبه حال غير الرائي لشيء عجيب بحال الرائي له بناء على ادعاء ظهور
امره وجلائه بحيث استوى في ادراكه الشاهد والغائب ثم اجري الكلام معه كما يجري مع الرائي قصد
الى المبالغة في شهرته وعراقته في التعجب وتعدية الرؤية بالى في قوله تعالى الى الذين خرجوا من ديارهم على
تقدير كونها بمعنى الابصار باعتبار معنى النظر وعلى تقدير كونها ادراكا قلبيا لتضمين معنى الوصول
والانتهاء على معنى الم ينته علمك اليهم وهم الوف اي الوف كثيرة قيل عشرة الاف وقيل سبعون
الفا وقيل ثلاثون والجملة حال من ضمير خرجوا وقوله عز وجل حذر الموت مفعول له روي ان اهل
داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا منها هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا
ويعلموا ان لا مفر من حكم الله عز وجل سلطانه وقضائه وقيل مر عليهم حزقيل بعد زمان طويل وقد
عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى شدقه واصابعه تعجبا مما راى منهم فاوحى الله اليه ناد
فيهم ان قوموا باذن الله تعالى فنادى فاذا هم قيام يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا
انت وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذر الموت فاماتهم الله ثمانية ايام
ثم احياهم وقوله عز وجل فقال لهم الله موتوا اما عبارة من تعلق ارادته تعالى بموتهم دفعة واما تمثيل لاماتته
تعالى اياهم ميتة واحدة في اقرب وقت وادناه واسرع زمان واوحاه بامر امر مطاع لمامور مطيع كما في
قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ثم احياهم عطف اما على مقدر يستدعيه المقام
اي فماتوا ثم احياهم وانما حذف للدلالة على الاستغناء عن ذكره عن الامانة وفيه تشجيع للمسلمين على
الجهاد والتعرض لاسباب الشهادة وان الموت حيث لم يكن منه بد ولم ينفع منه المفر اولى ان يكون
في سبيل الله تعالى ان الله لذو فضل على الناس قاطبة اما الاولئك فقد احياهم الله ليعتبروا بما جرى عليهم فيفوزوا
بالسعادة العظمى واما الذين سمعوا قصتهم فقد هداهم الى مسلك الاعتبار والاستبصار ولكن
اكثر الناس لا يشكرون اي لا يشكرون فضله كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار واظهار
الناس في مقام الاضمار لمزيد التشنيع وقاتلوا في سبيل الله عطف على مقدر يعينه ما قبله كانه
قيل فاشكروا فضله بالاعتبار بما قص عليكم وقاتلوا في سبيل الله لما علمتم ان الفرار لا ينجي من الحمام

وان المقدر لامرد له وان كان قد حان الاجل فموت في سبيل الله والانصر عزيز وثواب واعلموا ان الله سميع
يسمع مقالة السابقين والمتخلفين عليم بما يضمرونه في انفسهم وهو من وراء الجزاء خيرا او شرا
فسارعوا الي الامتثال واحذروا المخالفة والمساهلة من ذا الذي يقرض الله من استفهامية مرفوعة
المحل بالابتداء وذا خبره والموصول صفة له او بدل منه واقراض الله تعالي مثل لتقديم العمل العاجل
طلبا للثواب الآجل والمراد هاهنا اما الجهاد الذي هو عبارة عن بذل النفس والمال في سبيل الله عز
وجل ابتغاء لمرضاته واما مطلق العمل الصالح المنتظم له انتظاما اوليا قرضا حسنا اي اقراضا مقرونا
بالاخلاص وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا فيضاعفه له بالنصب علي جواب الاستفهام حملا علي
المعني فانه في معني ايقرضه وقرئ بالرفع اي يضاعف له اجره وجزاءه جعل ذلك مضاعفة له
بناء علي ما بينهما من المناسبة بالسببية والمسببية ظاهرا وصيغة المغالبة للمبالغة وقرئ
فيضعفه بالرفع والنصب اضعافا جمع ضعف ونصبه علي انه حال من الضمير المنصوب او مفعول
بان يضمن المضاعفة معني التصيير او مصدر موكد علي ان الضعف اسم للمصدر وجمع للتنويع كثيرة
لا يعلم قدرها الا الله تعالي وقيل الواحد بسبعمائة والله يقبض ويبسط اي يقتر علي بعض ويوسع
علي بعض او يقتر تارة ويوسع اخري حسبما يقتضيه مشيئته المبنية علي الحكم والمصالح فلا تبخلوا عليه بما
يوسع عليكم كيلا يبدل احوالكم ولعل تاخير البسط عن القبض في الذكر للايماء الي انه يعقبه في الوجود
تسلية للفقرا وقرئ يبسط بالصاد لمجاورة الطاء واليه ترجعون فيجازيكم علي ما قدمتم من الاعمال
خيرا او شرا الم تر تقرير وتعجيب كما سبق قطع عنه للايذان باستقلاله في التعجب مع ان له مزيد ربط
بما وسط بينهما من الامر بالقتال الي الملاء من بني اسرائيل الملا من القوم وجوههم واشرافهم وهو اسم للجماعة
لا واحد له من لفظه كالرهط والقوم سمي بذلك لما انهم يملون العيون مهابة والمجالس بها او لانهم
مليون بما ينبغي منهم ومن تبعيضية وما في قوله تعالي من بعد موسي ابتدائية وعاملها مقدر وقع حالا
من الملا اي كائنين بعض بني اسرائيل من بعد وفاة موسي عليه السلام ولا ضير في اتحاد الحرفين لفظا عند
اختلافهما معني اذ قالوا منصوب بمضمر يستدعيه المقام اي الم تر الي قصة الملاء او حديثهم حين قالوا
لنبي لهم هو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليه السلام وقيل شمعون بن صفية بن علقمة من ولد
لاوي بن يعقوب عليهما السلام وقيل شمويل بن بال بن علقمة وهو بالعبرانية اسماعيل قال مقاتل هو من
نسل هارون عليه السلام وقال مجاهد اشمويل بن هلقايا ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله اي انهض للقتال
معنا اميرا نصدر في تدبير امر الحرب عن رايه وقيل قرئ نقاتل بالرفع علي انه حال مقدرة اي ابعثه لنا
مقدرين القتال او استيناف مبني علي السؤال وقرئ يقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا علي الجواب للامر
والوصف لملكا قال استيناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قال لهم النبي
حينئذ فقيل قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا فصل بين عسيتم وخبره بالشرط للاعتناء به اي هل
قاربتم الا تقاتلوا كما اتوقعه منكم والمراد تقرير ان المتوقع كائن وانما لم يذكر في معرض الشرط ما التمسوه
بان قيل هل عسيتم ان ابعث لكم الي آخره مع انه اظهر تعلقا بكلامهم بل ذكر كتابة القتال عليهم للمبالغة
في بيان تخلفهم عنه فانهم اذا لم يقاتلوا عند فرضية القتال عليهم بايجاب الله تعالي فلان لا يقاتلوا عند
عدم فرضيته اولي فلان ايراد ما ذكروه ربما يوهم ان سبب تخلفهم عن القتال هو المبعوث لا نفس القتال
وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة قالوا استيناف كما سبق وما لنا الا نقاتل اي اي سبب لنا
الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي والحال انه قد عرض لنا ما يوجب القتال ايجابا قويا من الاخراج
عن الديار والاوطان والاغتراب عن الاهل والاولاد وافراد الابناء بالذكر لمزيد تقوية اسباب القتال

وذلك ان جالوت راس العمالقة وملكهم وهو جبار من اولاد عمليق بن عاد كان هو ومن معه من العمالقة يسكنون
ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وظهر واعلي بني اسرائيل واخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من ابناء
ملوكهم اربعمائة واربعين نفسا وضربوا عليهم الجزية واخذوا توراتهم فلما كتب عليهم القتال بعد سوال النبي
عليه السلام ذلك وبعث الملك تولوا اي اعرضوا وتخلفوا لكن لا في الابتداء الامر بل بعد مشاهدة كثرة
العدو وشوكته كما سيجي تفصيله وانما ذكرها هنا مآل امرهم اجمالا اظهارا لما بين قولهم وفعلهم من التنافي والتباين
الا قليلا منهم وهم الذين اكتفوا بالغرفة من النهر وجاوزوه وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر بعدد اهل بدر والله عليم
بالظالمين وعيد لهم علي ظلمهم بالتولي عن القتال وترك الجهاد وتنافي اقوالهم وافعالهم والجملة اعتراض تذييلي
وقال لهم نبيهم شروع في تفصيل ما جري بينه عليه السلام وبينهم من الاقوال والافعال اثر الاشارة الاجمالية الي مصير
حالهم اي قال لهم بعدما اوحي اليه الوحي ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت علم عبري كداود وجعله فعلوتا
من الطول يأباه منع صرفه وملكا حال منه روي انه عليه الصلاة والسلام لما دعا ربه ان يجعل لهم ملكا اتي
بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قالوا استيناف كما مر اني يكون له الملك علينا اي من اين
يكون له الملك علينا وكيف يكون ذلك ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال الواو الاولي حالية والثانية
عاطفة جامعة للجملتين في الحكم اي كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق التملك لوجود من هو احق منه ولعدم
ما يتوقف عليه الملك من المال وسبب هذا الاستبعاد ان النبوة كانت بسبط معين من اسباط بني
اسرائيل وهو سبط لاوي بن يعقوب عليهما السلام وسبط الملك بسبط يهودا ومنه داود وسليمان
عليهما السلام ولم يكن طالوت من احد هذين السبطين بل من ولد بنيامين قيل كان راعيا وقيل دباغا وقيل
سقا قال ان الله اصطفاه عليكم لما استبعدوا تملكه بسقوط نسبه وبفقره رد عليهم ذلك اولا بان ملاك الامر
هو اصطفاء الله وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان العمدة فيه وفور العلم ليتمكن به معرفة
الامور السياسية وجسامة البدن ليعظم خطره في القلوب ويقدر علي مقاومة الاعداء ومكابدة الحروب
وقد خصه الله منهما بحظ وافر وذلك قوله عز وعلا وزاده بسطة في العلم اي العلم المتعلق بالملك او به وبالديانات ايضا
وقيل قد اوحي الله اليه وهو نبي والجسم قيل بطول القامة فانه كان اطول من غيره برأسه
ومنكبيه حتي ان الرجل القائم كان يمد يده فينال راسه وقيل بالجمال وقيل بالقوة والله يؤتي ملكه من يشاء لما انه
مالك الملك والملكوت فعال لما يريد فله ان يؤتيه من يشاء من عباده والله واسع يوسع علي الفقير ويغنيه عليم
بمن يليق بالملك ممن لا يليق به واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وقال لهم نبيهم توسيطه فيما بين قوليه المحكيين
عنه عليه السلام للاشعار بعدم اتصال احدهما بالآخر وتخلل كلام من جهة المخاطبين متفرع علي السابق مستتبع
للاحق كانهم طلبوا منه عليه السلام اية تدل علي انه تعالي اصطفي طالوت وملكه عليهم روي انهم قالوا ما آية
ملكه فقال ان آية ملكه ان ياتيكم التابوت اي الصندوق وهو فعلوت من التوب الذي هو الرجوع لما انه لا يزال يرجع
اليه ما يخرج عنه وتاؤه مزيدة لغير التانيث كملكوت ورهبوت والمشهور انه يوقف علي تائه من غير ان تقلب
هاء ومنهم من يقلبها اياها والمراد به صندوق التوراة وقد كان رفعه الله تعالي بعد وفاة موسي سخطا علي بني
اسرائيل لما عصوا واعتدوا فلما طلب القوم من نبيهم آية تدل علي ملك طالوت قال لهم ان آية ملكه ان ياتيكم التابوت
التابوت من السماء والملائكة يحفظونه فاتاهم كما وصف والقوم ينظرون اليه حتي نزل عند طالوت وهذا
قول ابن عباس رضي الله عنهما وقال ارباب الاخبار ان الله تعالي انزل علي آدم تابوتا فيه تماثيل الانبياء
عليهم الصلاة والسلام من اولاده وكان من عود الشمشاد نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين فكان عند آدم الي
ان توفي وتوارثه اولاده واحدا بعد واحد الي ان وصل الي يعقوب عليه السلام ثم بقي في ايدي بني اسرائيل الي ان وصل
الي موسي عليه الصلاة والسلام فكان يضع فيه التوراة وكان اذا قاتل قدمه فكانت تسكن اليه نفوس بني

اسرائيل وكان عنده الى ان توفي ثم تداولته بنو اسرائيل وكانوا اذا اختلفوا في شيء تحاكموا فيكلمهم ويحكم
بينهم وكانوا اذا حضروا القتال يقدمونه بين ايديهم ويستفتحون به على عدوهم وكانت الملائكة تحمله
فوق العسكر ثم يقاتلون العدو فاذا سمعوا من التابوت صيحة استيقنوا بالنصر فلما عصوا وافسدوا
سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوه وجعلوه في موضع البول والغائط فلما اراد
الله ان يملك طالوت سلط الله عليهم البلاء حتى ان كل من بال عنده ابتلي بالبواسير وهلكت من بلادهم
خمس مداين فعلم الكفار ان ذلك بسبب استهانتهم بالتابوت فاخرجوه وجعلوه على ثورين فاقبل الثوران
يسيران وقد وكل بهما اربعة من الملائكة يسوقونهما حتى اتوا منزل طالوت فلما سألوا نبيهم البينة على ملك
طالوت قال لهم نبيهم ان اية ملكه انكم تجدون التابوت في داره فلما وجدوه عنده ايقنوا بملكه فيه
سكينة من ربكم اي في اتيانه سكون لكم وطمانينة كائنة من ربكم او في التابوت ما تسكنون اليه وهو
التورية المودعة فيه بناء على ما مر من ان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فتسكن اليه نفوس بني اسرائيل
وقيل السكينة كانت صورة من زبرجد او ياقوت له راس وذنب كراس الهر وذنبه فيرف التابوت
نحو العدو وهم يمضون معه واذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي رضي الله عنه كان له وجه
كوجه الانسان وفيها ريح هفافة وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون هي رضاض الالواح وعصى موسى وثيابه
وشيء من التورية وكان قد رفعه الله بعد وفات موسى عليه السلام وآلهما ابناؤهما او انفسهما والآل
مقحم لتفخيم شانهما او انبياء بني اسرائيل تحمله الملائكة حال من التابوت اي ان اية ملكه اتيانه حال كونه
محمولا للملائكة وقد مر كيفية ذلك ولعل حمل الملائكة على الرواية الاخيرة عبارة عن سوقهم للثورين الحاملين
له ان في ذلك اشارة الى ما ذكر من شان التابوت فهو من تمام كلام النبي عليه السلام لقومه او الى
نقل القصة وحكايتها فهو ابتداء كلام من جهة الله تعالى جيء به قبل تمام القصة اظهارا لكمال العناية وافراد حرف
الخطاب مع تعدد المخاطبين على التقديرين بتاويل الفريق او غيره كما سلف لاية عظيمة لكم دالة على ملك
طالوت او على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث اخبر بهذه التفاصيل على ما هي عليه من غير سماع من البشر
ان كنتم مؤمنين اي مصدقين بتمليكه عليكم او بشيء من الآيات وان شرطية والجواب محذوف ثقة بما
قبله وقيل هي بمعنى اذ فلما فصل طالوت بالجنود اي انفصل بهم من بيت المقدس والاصل فصل نفسه ولما
اتحد فاعله ومفعوله شاع استعماله محذوف المفعول حتى نزل منزلة القاصر كانفصل وقيل فصل فصولا
وقد جوز كونه اصلا براسه ممتازا من المتعدي بمصدره كوقف وقوفا ووقفه وقفا كصده صدودا
وصده صدا ورجع رجوعا ورجعه رجعا والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من طالوت اي ملتبسا بهم
ومصاحبا لهم وروي انه قال لقومه لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا
متزوج بامراة لم يبن عليها ولا ابتغي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه مما اختاره ثمانون الفا وكان
الوقت قيظا فسلكوا مفازة فسالوا الله تعالى ان يجري لهم نهرا فبعد ما ظهر له ما تعلقت به مشيئته
تعالى من جهة النبي عليه السلام او بطريق الوحي عند من يقول بنبوته قال ان الله مبتليكم بنهر بفتح الهاء
وقري بسكونها فمن شرب منه اي ابتداء شربه منه بان كرع لا بان الشرب منه حقيقة فليس مني اي من جملتي
واشياعي المؤمنين وقيل ليس متصلا بي ومتحدا معي من قولهم فلان مني كانه بعضه لكمال اختلاطهما ومن
لم يطعمه اي لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ماكولا كان او مشروبا او غيرهما قال وان شئت حرمت النساء سواكم
وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا اي نوما الا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله تعالى فمن شرب
منه فليس مني وانما اخر عن الجملة الثانية لابراز كمال العناية بها ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون
الكروع والغرفة ما يغرف وقيل بفتح الغين على انها مصدر والباء متعلقة بمحذوف وقع صفة لغرفة اي غرفة

كاينة بيده يروى ان الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه واداوته واما الذين شربوا فقد اسودت شفاههم وغلبهم
العطش فشربوا منه عطف على مقدر يقتضيه المقام اي فابتلوا به فشربوا منه الا قليلا منهم وهو المشار اليهم
فيما سلف بالاستثناء من التولي وقري الا قليل ميلا الى جانب المعنى واعراضا عن رعاية اللفظ جانبا فان
قوله تعالى فشربوا منه في قوة ان يقال فلم يطيعوه فحقه ان يرد الاستثناء مرفوعا كما في قول الفرزدق
وعض زمان يا ابن مروان لم يدع * من المال الا مسحتا او مجلف * فان قوله لم يدع في حكم لم يبق فلما
جاوزه اي النهر هو اي طالوت والذين امنوا معه عطف على الضمير المتصل المؤكد بالمنفصل والظرف متعلق
بجاوز لا بامنوا وقيل الواو حالية والظرف متعلق بمحذوف وقع خبرا من الموصول كانه قيل فلما جاوزه
والحال ان الذين امنوا كائنون معه وهم اولئك القليل وفيه اشارة الى ان من عداهم بمعزل من الايمان
قالوا اي من معه من المؤمنين لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده اي بمحاربتهم ومقاومتهم فضلا عن
ان يكون لنا غلبة عليهم لما شاهدوا منهم من الكثرة قيل كانوا مائة الف مقاتل شاكي السلاح قال استيناف
مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال مخاطبوهم فقيل قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله قيل اي الخلص منهم الذين يتيقنون
لقاء الله تعالى بالبعث ويتوقعون ثوابه وافرادهم بذلك الوصف لا ينافي ايمان الباقين فان درجات
المؤمنين في التيقن والتوقع متفاوتة او الذين يعلمون انهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله تعالى وقيل
الموصول عبارة عن المؤمنين كافة والضمير في قالوا للمتخلفين عنهم كانهم قالوه اعتذارا عن التخلف والنهر بينهما
كم من فئة قليلة اي فرقة وجماعة من الناس من فاوت راسه اذا شققتها او فاء اليه اذا رجع فوزنها على الاول فعة وعلى
الثاني فلة غلبت فئة كثيرة كم خبرية كانت او استفهامية مفيدة للتكثير وهي في حيز الرفع بالابتداء خبرها غلبت اي كثير
من الفئات الكثيرة باذن الله اي بحكمه وتيسيره فان دوران كافة الامور على مشيئته تعالى فلا يذل من نصره وان
قل عدده ولا يعز من خذله وان كثر اسبابه وعدده وقد روعي في الجواب نكتة بديعة حيث لم يقل الفئات بعينه
كثيرة حسبما وقع في كلام اصحابهم مبالغة في رد مقالتهم وتسكين قلوبهم هذا كما ترى جواب ناش من كمال ثقتهم
بنصر الله وتوفيقه ولا دخل في ذلك لظن لقاء الله تعالى بالبعث لا سيما بالاستشهاد فان العلم به ربما يورث
الياس من الغلبة ولا لتوقع ثوابه تعالى ولا ريب في ان ما ذكر في حيز الصلة ينبغي ان يكون مدارا للحكم الوارد على
الموصول لا من اقل ان يكون وصفا ملائما له فلعل المراد بلقائه تعالى لقاء نصره وتاييده عبر عنه بذلك
مبالغة كما عبر عن مقارنة نصره تعالى بمقارنته سبحانه حيث قيل والله مع الصابرين فان المراد به معية نصره
وتوفيقه حتما وحملها على المعية بالاثابة كما فعل يأباه بابائهم قالوا تتميما لجوابهم وتاييدا له بطريق الاعتراض
التذييلي تشجيعا لاصحابهم وتثبيتا لهم على الصبر المودي الى الغلبة ولا تعلق له بما ذكر من المعية بالاثابة قطعا
وكذا الحال اذا جعل ذلك ابتداء كلام من جهة الله تعالى جيء به تقريرا لكلامهم والمعنى قال الذين يظنون او
يعلمون من جهة النبي او من جهة التابوت والسكينة انهم ملاقوا الله العزيز كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة
باذن الله تعالى نحن ايضا نغلب جالوت وجنوده وايراد خبر ان اسما مع ان اللقاء مستقبل للدلالة على تقرره
وتحققه ولما برزوا اي ظهر طالوت ومن معه من المؤمنين وصاروا الى براز من الارض في موطن الحرب لجالوت
وجنوده وشاهدوا ما هم عليه من العدد والعدد وايقنوا انهم غير مطيقين بهم عادة قالوا اي جميعا عند
تقوي قلوب الفريق الاول منهم بقول الفريق الثاني متضرعين الى الله تعالى مستعينين به ربنا افرغ
علينا صبرا على مقاسات شدايد الحرب واقتحام موارده الصعبة وفي التوسل بوصف الربوبية المنبئة
عن التبليغ الى الكمال وايثار الافراغ المنبي عن الكثرة وتنكير الصبر المفصح عن التفخيم من الجزالة ما لا يخفى
وثبت اقدامنا في مداحض القتال ومزال النزال وثبات القدم عبارة عن كمال القوة والرسوخ عند
المقارعة وعدم التزلزل عن المقاومة لا مجرد التقرر في حيز واحد وانصرنا على القوم الكافرين بقهرهم

وهزمهم ووضع الكافرين موضع الضمير العايد الى جالوت وجنوده للاشعار بعلية النصر عليهم ولقد
راعوا في الدعاء ترتيبا بديعا حيث قدموا سؤال افراغ الصبر الذي هو ملاك الامر ثم سوال تثبيت القدم
المتفرع عليه ثم سؤال النصر الذي هو الغاية القصوى **فهزموهم** اي كسروهم بلا شك **باذن الله**
بنصره وتاييده اجابة لدعائهم وايثار هذه الطريقة على قوله تعالى فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب
الاخرة الى آخره للمحافظة على مضمون قولهم غلبت فئة كثيرة باذن الله **وقتل داود جالوت** كان ايشا
ابو داود معه ستة من بنيه وكان داود عليه السلام سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله الى
نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه وجاء معه ابيه وجاء وقد مر في طريقه بثلاثة احجار قال له
كل منهم احملنا فانك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته **قيل** لما ابطى على ابيه خبر اخوته في المصاف
ارسل داود اليهم ليأتيه بخبرهم فاتاهم في المصاف وقد برز جالوت بنفسه الى البراز ولا يكاد يبارزه
احد وكان ظله ميلا فقال داود لاخوته اما فيكم من يخرج الى هذا الاقلف فوجموا فجاء ناحية اخرى
ليس فيها اخوته وقد مر به طالوت وهو يحرض الناس على القتال فقال له داود ما تصنعون بمن يقتل هذا
الاقلف قال طالوت انكحه بنتي واعطيه نصف شطر ملكي فبرز له داود فرماه بما معه من الاحجار
بالمقلاع فاصابه في صدره فنفذت الاحجار منه وقتلت بعده ناسا كثيرا **وقيل** انما كلمه الاحجار عند
بروزه لجالوت في المعركة فانجز له طالوت ما وعده **وقيل** انه حسده واخرجه من مملكته ثم ندم على ما
صنعه فذهب يطلبه الى ان قتل وملك داود عليه السلام واعطي النبوة وذلك قوله تعالى **واتاه الله
الملك** اي ملك بني اسرائيل من مشارق الارض المقدسة ومغاربها **والحكمة** اي النبوة ولم يجتمع في بني
اسرائيل الملك والنبوة قبله الا له بل كان الملك في سبط والنبوة في سبط وما اجتمعوا قبله على ملك
قط **وعلمه مما يشاء** اي مما يشاء الله تعالى تعليمه اياه الا مما يشاء داود عليه السلام كما قيل لان معظم ما
علمه الله تعالى اياه مما لا يكاد يخطر ببال احد ولا يقع في امنية احد بشر ليتمكن من طلبه ومشيئته كالسرد
بالانة ومنطق الطير والدواب ونحو ذلك من الامور الخفية **ولولا دفع الله الناس بعضهم** الذين يباشرون
الشر والفساد **ببعض** آخر ردهم عما هم عليه بما قدره الله تعالى من القتل كما في القصة المحكية او غيره
وقرئ دفاع الله على ان صيغة المغالبة للمبالغة **لفسدت الارض** وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها
من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الارض ويصلحها **وقيل** لولا ان الله تعالى ينصر المسلمين على الكفار
لفسدت الارض بعيثهم وقتلهم المسلمين او لو لم يدفعهم بالمسلمين لعم الكفر ونزلت السخطة فاستؤصل
اهل الارض قاطبة **ولكن الله ذو فضل** عظيم لا يقادر قدره **على العالمين** كافة وهذا اشارة الى قياس
استثنائي مؤلف من وضع نقيض المقدم منتج لنقيض التالي خلا انه قد وضع موضعه ما يستتبعه
ويستوجبه اعني كونه تعالى ذا فضل على العالمين ايذانا بانه تعالى متفضل في ذلك الدفع من غير ان
يجب عليه ذلك وان فضله تعالى غير منحصر فيه بل هو فرد من افراد فضله العظيم كانه قيل ولكنه تعالى
يدفع فساد بعضهم ببعض فلا تفسد الارض وينتظم به مصالح العالم وينصلح احوال الامم **تلك** اشارة
الى ما سلف من حديث الالوف وخبر طالوت على التفصيل المرقوم وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو
شان المشار اليه **آيات الله** المنزلة من عنده تعالى والجملة مستانفة وقوله تعالى **نتلوها عليك بالحق**
اي بواسطة جبريل عليه السلام اما حال من الآيات والعامل معنى الاشارة واما جملة مستانفة لا محل
لها من الاعراب **وقرئ** في حيز النصب على انه حال من مفعول نتلوها اي ملتبسة باليقين الذي لا
يرتاب فيه احد من اهل الكتاب وارباب التواريخ لما يجدونها موافقة لما في كتبهم او من فاعله اي نتلوها
عليك ملتبسين بالحق والصواب او من الضمير المجرور اي ملتبسا بالحق والصدق **وانك لمن المرسلين**

اي

اي من جملة الذين ارسلوا الى الامم لتبليغ رسالاتنا واجراء اوامرنا واحكامنا عليهم فان هذه المعاملة لا تجري
بيننا وبين غيرهم فهي شهادة منه سبحانه برسالته عليه الصلوة والسلام اثر بيان ما يستوجبها والتاكيد
من مقتضيات مقام الجاحدين **تلك الرسل** استيناف فيه رمز الى انه عليه الصلوة والسلام من افاضل
الرسل العظام عليهم الصلوة والسلام اثر بيان كونه من جملتهم والاشارة الى الجماعة الذين من جملتهم النبي
عليه الصلوة والسلام فاللام في الرسل للاستغراق وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم
وقيل الى الذين ذكرت قصصهم في السورة **وقيل** الى الذين ثبت علمه عليه السلام بهم **فضلنا بعضهم على بعض**
في مراتب الكمال بان خصصناه بمآثر جليلة خلا عنها غيره **منهم من كلم الله** تفصيل للتفضيل
المذكور اجمالا اي فضله بان كلمه تعالى بغير سفير وهو موسى عليه الصلوة والسلام حيث كلمه ليلة الحيرة
وفي الطور **وقرئ** كلم اللهَ بالنصب على المكالمة فانه كلم الله تعالى كما انه تعالى كلمه ويؤيده كليم الله بمعنى مكالمه
وايراد الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة والرمز الى ما بين التكليم والرفع وبين ما سبق من مطلق
التفضيل وما لحق من ايتاء البينات والتاييد بروح القدس من التفاوت **ورفع بعضهم درجات** اي ومنهم
من رفعه الى غيره من الرسل المتفاوتين في معارج الفضل بدرجات قاصية ومراتب نائية وتغيير الاسلوب
لتربية ما بينهم من اختلاف الحال في درجات الشرف والظاهر انه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ينبئ عنه
الاخبار بكونه عليه الصلوة والسلام منهم فان ذلك في قوة بعضهم فانه قد خص بالدعوة العامة والحجج الجمة
والمعجزات المستمرة والآيات المتعاقبة بتعاقب الدهور والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر
والابهام لتفخيم شانه وللاشعار بانه العلم الفرد الغني عن التعيين **وقيل** انه ابرهيم عليه الصلاة والسلام
حيث خصه الله بكرامة الخلة **وقيل** ادريس عليه الصلوة والسلام حيث رفعه الله تعالى مكانا عليا
وقيل اولوا العزم من الرسل عليهم الصلوة والسلام **وآتينا عيسى بن مريم البينات** الآيات الباهرة والمعجزات
الظاهرة من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات والانجيل **وايدناه** اي قويناه **بروح
القدس** بضم الدال **وقرئ** بسكونها اي بالروح المقدسة كقولك رجل صدق وهي روح عيسى عليه الصلوة
والسلام وانما وصف بالقدس للكرامة او لانه عليه الصلوة والسلام لم تضمه الاصلاب ولا الارحام الطوامث
وقيل بجبريل عليه الصلوة والسلام كما مر وافراده عليه السلام بما ذكر لرد ما بين اهل الكتابين في شانه عليه
الصلوة والسلام من التفريط والافراط والآية ناطقة بان الانبياء عليهم الصلوة والسلام متفاوتة الاقدار
فيجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع **ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم** اي جاؤا من بعد الرسل من الامم المختلفة
اي لو شاء الله عدم اقتتالهم ما اقتتلوا بان جعلهم متفقين على اتباع الرسل المتفقة على كلمة الحق فمفعول المشيئة
محذوف لكونه محذوف لكونه مضمون الجزاء على القاعدة المعروفة **وقيل** تقديره لو شاء هدى للناس
جميعا ما اقتتل الى آخره وليس بذلك **من بعد ما جاءتهم** من جهة اولئك الرسل **البينات** المعجزات الواضحة والآيات
الظاهرة الدالة على حقيقة الموجبة لاتباعهم الزاجرة عن الاعراض عن سننهم المؤدي الى الاقتتال فمن متعلقة
باقتتل **ولكن اختلفوا** استدراك من الشرطية اشير به الى قياس استثنائي مؤلف من وضع نقيض مقدمها منتج
لنقيض تاليها الا انه وضع فيه الاختلاف موضع نقيض المقدم المترتب عليه للايذان بان الاقتتال ناشئ
من قبلهم لا من جهته تعالى ابتداء كانه قيل ولكن لم يشأ الله عدم اقتتالهم لانهم اختلفوا اختلافا فاحشا
فمنهم من آمن اي بما جاءت به اولئك الرسل من البينات وعملوا به **ومنهم من كفر** بذلك كفرا لا ارعواء
له عنه فاقتضى الحكمة عدم مشيئته تعالى لعدم اقتتالهم فاقتتلوا بموجب اقتضاء احوالهم **ولو شاء الله** عدم
اقتتالهم بعد هذه المرتبة ايضا من الاختلاف والشقاق المستتبعين للقتال بسبب العادة **ما اقتتلوا**
وما نبض منهم عرق التطاول والتعادي لما ان الكل تحت ملكوته تعالى فالتكرير ليس للتاكيد كما ظن بل للتنبيه

على ان اختلافهم ذلك ليس موجبا لعدم مشيئته تعالى لعدم اقتتالهم كما يفهم ذلك من وضعه
في الاستدراك موضعه بل هو سبحانه مختار في ذلك حتى لو شاء بعد ذلك عدم اقتتالهم
ما اقتتلوا كما يفصح عنه الاستدراك بقوله تعالى **ولكن الله يفعل ما يريد** اي من الامور الوجودية والعدمية
التي من جملتها عدم مشيئته عدم اقتتالهم فان الترك ايضا من جملة الافعال اي يفعل ما يريد حسبما يريد
من غير ان يوجبه عليه موجب او يمنعه مانع وفيه دليل بين على الحوادث تابعة لمشيئته تعالى خيرا
كان او شرا ايمانا كان او كفرا **يا ايها الذين آمنوا انفقوا** في سبيل الله **مما رزقناكم** اي شيئا مما رزقناكموه على
ان ما موصولة حذف عايدها والتعرض لوصوله منه تعالى للحث على الانفاق كما في قوله تعالى وانفقوا
مما جعلكم مستخلفين فيه والمراد به الانفاق الواجب بدلالة ما بعده من الوعيد **من قبل ان ياتي يوم لا بيع
فيه ولا خلة ولا شفاعة** كلمة من متعلقة بما تعلقت به اختها ولا ريب فيه لاختلاف معانيهما فان الاولى
تبعيضية وهذه لابتداء الغاية اي انفقوا بعض ما رزقناكم من قبل ان ياتي يوم لا تقدرون على تلافي
ما فرطتم فيه اذ لا تبايع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه او تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يسامحكم به
اخلاؤكم او يعينوكم عليه ولا شفاعة الا من اذن له الرحمن او رضي له قولا حتى تتوسلوا بشفعاء يشفعون
لكم في حط ما في ذمتكم وانما رفعت الثلاثة مع قصد التعميم لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة
او شفاعة وقرئ بفتح الكل **والكافرون** اي والتاركون للزكوة وايثاره عليه للتغليظ والتهديد كما في قوله
تعالى ومن كفر مكان ومن لم يحج وللايذان بان ترك الزكوة من صفات الكفار قال تعالى وويل للمشركين
الذين لا يؤتون الزكوة **هم الظالمون** اي الذين ظلموا انفسهم بتعريضها للعقاب ووضعوا المال في غير
موضعه وصرفوه الى غير وجهه **الله لا اله الا هو** مبتدا وخبر اي هو المستحق للعبودية لا غير وفي اضمار خبر
لا مثل في الوجود او يصح ان يوجد خلاف للنحاة معروف **الحي** الباقي الذي لا سبيل عليه للموت او
الفناء وهو اما خبر ثان او خبر مبتدا محذوف او بدل من لا اله الا هو او بدل من الله او صفة له وبعض
القراءة بالنصب على المدح لاختصاصه بالنعت **القيوم** فيعول من قام بالامر اذا حفظه اي دائم القيام
بتدبير الخلق وحفظه وهو القائم بذاته المقيم لغيره **لا تاخذه سنة ولا نوم** السنة ما يتقدم النوم من
الفتور قال عدي بن رقاع • وسنان اقصده النعاس فرنقت • في عينه سنة وليس بنائم • والنوم
حالة تعرض للحيوان من استرخاء عصب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف مشاعر
الظاهر عن الاحساس راسا والمراد بيان انتفاء اعتراض شيء منهما له سبحانه لعدم كونهما من شانه تعالى
لانهما قاصران بالنسبة الى القوة الالهية فانه بمعزل من مقام التنزيل ولا سبيل الى حمل النظم الكريم على
طريقة المبالغة والترقي بناء على ان القادر على دفع السنة قد لا يقدر على دفع النوم القوي كما في قولكم
فلان يقظ لا تغلبه سنة ولا نوم وانما تاخير النوم للمحافظة على ترتيب الوجود الخارجي وتوسيط كلمة لا للتنصيص
على شمول النفي لكل منهما كما في قوله تعالى ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة الاية واما التعبير عن
الاعتراء والعروض بعدم الاخذ فللمراعاة الواقع اذ عروض السنة والنوم لمعروضهما انما يكون بطريق
الاخذ والاستيلاء **وقيل** هو من باب التكميل والجملة تاكيد لما قبلها من كونه تعالى حيا قيوما فان
من يعتريه احدهما يكون في الحياة قاصرا في الحفظ والتدبير **وقيل** استيناف موكد لما سبق **وقيل**
حال موكدة من الضمير المستكن في القيوم **له ما في السموات وما في الارض** تقرير لقيوميته تعالى واحتجاج
على تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما ما هو اعم من اجزائهما الداخلة فيهما ومن الامور الخارجة عنهما
المتمكنة فيهما من العقلاء وغيرهم **من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه** بيان لكبرياء شانه وانه لا يدانيه احد
ليقدر على تغيير ما يريده شفاعة وضراعة فضلا عن ان يدافعه عنادا او مناقضة **يعلم ما بين ايديهم وما**

خلفهم اي ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي وامور
الدنيا وامور الآخرة او بالعكس او ما يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه والضمير لما في السموات والارض
تغليب ما فيهما من العقلاء على غيرهم او لما دل عليه من ذا الذي من الملائكة والانبياء عليهم السلام **ولا
يحيطون بشيء من علمه** اي من معلوماته **الا بما شاء** ان يعلموه عطفه على ما قبله لما انهما جميعا دليل على تفرده
تعالى بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته **وسع كرسيه السموات والارض** الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل
من مقعد القاعد وكانه منسوب الى الكرسي الذي هو الملبد وليس ثمه كرسي ولا قاعد ولا قعود وانما هو
تمثيل لعظمة شانه عز وجل وسعة سلطانه واحاطة علمه بالاشياء قاطبة على طريقة قوله تعالى وما قدروا
الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه **وقيل** كرسيه مجاز عن علمه
اخذا من كرسي العالم **وقيل** عن ملكه اخذا من كرسي الملك كلما كان اعظم يكون عظمة القاعد اكثر واوفر وعبر
عن شمول علمه او عن بسطة ملكه وسلطانه بسعة كرسيه واحاطته بالاقطار العلوية والسفلية **وقيل**
هو جسم بين يدي العرش المحيط للسموات السبع لقوله عليه السلام اما السموات السبع والارضون
السبع مع الكرسي كحلقة ملقاة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على الحلقة ولعله
الفلك الثامن **وعن** الحسن البصري انه العرش **ولا يؤده** اي لا يثقله ولا يشق عليه **حفظهما** اي حفظ
السموات والارض وانما لم يتعرض لذكر ما فيهما لان حفظهما مستتبع لحفظه **وهو العلي** المتعالي بذاته
عن الاشباه والانداد **العظيم** الذي يستحقر بالنسبة اليه كل ما سواه ولما تري من انطواء هذه الاية الكريمة على
امهات المسائل الالهية المتعلقة بالذات العلية والصفات الجلية فانها ناطقة بانه تعالى موجود منفرد
بالالهية متصف بالحيوة واجب الوجود لذاته موجد لغيره ولما ان القيوم هو القائم بذاته المقيم لغيره منزه
عن التحيز والحلول مبرا عن التغير والفتور ولا مناسبة بينه وبين الاشباح ولا يعتريه ما يعتري النفوس
والارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد لا يشفع عنده الا من
اذن له فيه والعالم وحده بجميع الاشياء جليها وخفيها واسع الملك والقدرة لكل ما من شانه ان يملك ويقدر
عليه لا يشق عليه شاق ولا يشغله شان عن شان متعال عما يناله الاوهام عظيم لا تحده الافهام تفردت
بفضائل رايقة وخواص فايقة خلت عنها اخواتها قال صلى الله عليه وسلم ان اعظم اية في القران اية الكرسي
من قراها بعث الله له ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سياته الى الغد من تلك الساعة وقال عليه الصلوة
والسلام ما قرئت هذه الاية في دار الا هجرتها الشياطين ثلاثين ليلة ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة
يا علي علمها ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت اية اعظم منها وقال عليه السلام من قرا اية الكرسي دبر كل صلوة
مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه آمنه
الله من نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وقال عليه السلام سيد البشر آدم عليه السلام وسيد العرب
محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة
وسيد الكلام القران وسيد القران سورة البقرة وسيد البقرة اية الكرسي وتخصيص سيادته عليه السلام للعرب
بالذكر في اثناء تعداد السادات الخاصة لا يدل ما دلت عليه الاخبار المستفيضة وانعقد عليه الاجماع من سيادته
عليه السلام لجميع افراد البشر **لا اكراه في الدين** جملة مستانفة جيء بها اثر بيان تفرده سبحانه وتعالى بالشؤن
الجليلة الموجبة للايمان به وحده ايذانا بان من حق العاقل ان لا يحتاج الى التكليف والالزام بل يختار الدين الحق
من غير تردد وتلعثم **وقيل** هو خبر في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين فقيل هو منسوخ بقوله تعالى جاهد الكفار
والمنافقين واغلظ عليهم **وقيل** خاص باهل الكتاب حيث حصنوا انفسهم باداء الجزية **روي** انه كان لانصاري
من بني سالم ابنان تنصرا قبل مبعثه عليه الصلاة والسلام ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى

علي نقي مح

حتى تسلما فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فخلاهما قد تبين الرشد من الغي استيناف تعليل
صدر بكلمة التحقيق لزيادة تقرير مضمونه كما في قوله عز وجل قد بلغت من لدني عذرا اي قد تبين ماذكر من نعوته
تعالى التي يمتنع توهم اشتراك غيره في شيء منها الايمان الذي هو الرشد الموصل الى السعادة الابدية من الكفر
الذي هو الغي المؤدي الى الشقاوة السرمدية فمن يكفر بالطاغوت هو بناء مبالغة من الطغيان كالملكوت والجبروت
قلب مكان عينه ولامه فقيل هو الاصل مصدر واليه ذهب الفارسي وقيل اسم جنس مفرد مذكر وانما الجمع
والتانيث للارادة الالهية وهو مذهب سيبويه وهو جمع وهو مذهب المبرد وقيل يستوي فيه الافراد
والجمع والتذكير والتانيث اي فمن يعمل اثر ما تميز الحق من الباطل الحجج الواضحة والايات البينة ويكفر بالشيطان
او بالاصنام او بكل ما عبد من دون الله تعالى او صد عن عبادته تعالى لما تبين له كونه بمعزل من استحقاق العبادة
ويؤمن بالله وحده لما شاهد من نعوته الجليلة المقتضية لاختصاص الالوهية الموجبة الايمان والتوحيد
وتقديم الكفر بالطاغوت على الايمان به تعالى لتوقفه عليه فان التخلية قبل التحلية فقد استمسك بالعروة الوثقى اي
بالغ في التمسك بها كانه وهو ملتبس به يطلب من نفسه الزيادة فيه والثبات عليه لا انفصام لها الفصم
الكسر بغير ابانة كما ان القصم هو الكسر بابانة ونفي الاول يدل على انتفاء الثاني بالاولوية والجملة اما استيناف
مقرر لما قبلها من وثاقة العروة واما حال من العروة والعامل استمسك ومن الضمير المستتر في الوثقى وهما
في حيز الجزاء كاين لها والكلام تمثيل مبني على تشبيه الهيئة العقلية المنتزعة من ملازمة الاعتقاد الحق الذي لا يحتمل
اصلا لثبوته بالبراهين النيرة القطعية بالهيئة الحسية المنتزعة من التمسك بالحبل المحكم المأمون انقطاعه
فلا استعارة في المفردات ويجوز ان يكون العروة الوثقى مستعارة للاعتقاد الحق الذي لا يحتمل اصلا لثبوته
الذي هو الايمان والتوحيد لا للنظر الصحيح المؤدي اليه كما قيل فانه غير مذكور في حيز الشرط والاستمساك
بها مستعار لما ذكر من الملازمة او ترشيحا للاستعارة والله سميع بالاقوال عليم بالعقائد والعزائم والجملة
اعتراض تذييلي حامل على الايمان رادع من الكفر والنفاق بما فيه من الوعد والوعيد الله ولي الذين امنوا اي معينهم
او متولي امورهم والمراد بهم الذين ثبت في علمه تعالى ايمانهم مآلا او حالا يخرجهم تفسير للولاية او خبر ثان
عند من يجوز كونه جملة او حال من الضمير في ولي من الظلمات التي هي اعم من ظلمات الكفر والمعاصي وظلمات الشبه
بل مما في بعض مراتب العلوم الاستدلالية نوع ضعف وخفا بالقياس الى مراتبها القوية الجليلة بل مما في
جميع مراتبها بالنظر الى مرتبة العيان كما سيعرف الى النور الذي يعم نور الايمان ونور الايقان ونور العيان اي
يخرج بهدايته وتوفيقه كل واحد منهم من الظلمة التي وقع فيها الى ما يقابلها من النور وافراد النور لوحدة الحق
كما ان جمع الظلمات لتعدد فنون الضلال والذين كفروا اي الذين ثبت في علمه تعالى كفرهم اولياؤهم الطاغوت
اي الشياطين وسائر المضلين عن طريق الحق فالموصول مبتدا واولياؤهم مبتدا ثان والطاغوت خبره والجملة
خبر للاول والجملة الحاصلة معطوفة على ما قبلها ولعل تغيير السبك للاحتراز عن وضع الطاغوت في مقابلة
الاسم الجليل ولقصد المبالغة بتكرير الاسناد مع الايماء الى التباين بين الفريقين من كل وجه حتى من جهة
التعبير ايضا يخرجونهم بالوساوس وغيرها من طرق الاضلال والاغواء من النور الفطري الذي جبل
عليه الناس كافة او من نور البينات التي يشاهدونها من جهة النبي عليه الصلاة والسلام لتنزيل تمكنهم من
الاستضاءة بها منزلة نفسها الى الظلمات ظلمات الكفر والانهماك في الغي وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن
الاسلام والجملة تفسير لولاية الطاغوت وخبر ثان كما مر واسناد الاخراج من حيث السببية الى الطاغوت
لا يقدح في اسناده من حيث الخلق الى قدرته سبحانه اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافهم بما في حيز
الصلة وما يتبعه من القبائح اصحاب النار اي ملابسوها وملازموها بسبب ما لهم من الجرائم هم فيها
خالدون ماكثون ابدا الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه استشهاد على ما ذكر من ان الكفرة اولياؤهم الطاغوت

وتقرير

وتقرير له على طريقة قوله الم تر انهم في كل واد يهيمون كما ان ما بعده استشهاد على ولايته تعالى للمؤمنين
وتقريرها وانما بدئ بهذا لرعاية الاقتران بينه وبين مدلوله ولاستقلاله بامر عجيب حقيق بان يصدر به
المقال وهو اجتراؤه على المحاجة في الله تعالى وما اتى به في اثنائها من العظيمة المنادية بكمال حماقته ولان
فيما بعده تعددا وتفصيلا يورث تقديمه انتشار النظم الكريم على انه قد اشير في تضاعيفه الى هداية
الله تعالى ايضا بواسطة ابرهيم عليه الصلاة والسلام فان ما يحكى عنه من الدعوة الى الحق وادحاض حجة
الكافر من اثار ولايته تعالى وهمزة الاستفهام لانكار النفي وتقرير المنفي اي الم تنظر او الم ينته علمك الى
هذا الطاغوت المارد كيف تصدى لاضلال الناس واخراجهم من النور الى الظلمات اي قد تحققت الرؤية
وتقررت بناء على ان امره من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على احد ممن له حظ من الخطاب فظهر ان الكفرة اولياؤهم
الطاغوت وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام تشريف له وايذان
بتاييده في المحاجة ان اتاه الله الملك اي لان اتاه اياه حيث ابطره ذلك وحمله على المحاجة او حاج لاجله وضعا
للمحاجة التي هي اقبح وجوه الكفر موضع ما يجب عليه الشكر كما يقال عاديتني لان احسنت اليك او وقت ان اتاه
الله الملك وهو حجة على من منع من ايتاء الله الملك للكافر اذ قال ابرهيم ظرف لحاج او بدل من اتاه الله على الوجه
الاخير ربي الذي يحيي ويميت بفتح ياء ربي وقرئ بحذفها روي انه عليه الصلاة والسلام لما كسر الاصنام
سجنه ثم اخرجه فقال من ربك الذي تدعو اليه قال ربي الذي يحيي ويميت اي يخلق الحياة والموت في الاجساد
قال استيناف مبني على السؤال كانه قيل كيف حاجه في هذه المقالة القوية الحقة فقيل قال انا احيي
واميت انه دعا برجلين فقتل احدهما واطلق الآخر فقال ذلك قال ابرهيم استيناف كما سلف كانه قيل
فماذا قال ابرهيم لمن في هذه المحاجة المرتبة من المحاجة وبما افحمه فقيل قال فان الله ياتي بالشمس من المشرق
حسبما تقتضيه مشيئته فات بها من المغرب ان كنت قادرا على مثل مقدوراته تعالى لم يلتفت عليه السلام
الى ابطال مقالة اللعين ايذانا بان بطلانها من الجلاء والظهور بحيث لا يكاد يخفى على احد وان التحدي لابطالها
من قبيل السعي في تحصيل الحاصل واتى بمثال لا يجد اللعين فيه مجالا للتمويه والتلبيس فبهت الذي كفر
اي صار مبهوتا وقرئ على بناء الفاعل على ان الموصول مفعوله اي فغلب ابرهيم الكافر وايراد الكفر
في حيز الصلة للاشعار بعلة الحكم والتنصيص على كون المحاجة كفرا والله لا يهدي القوم الظالمين تذييل مقرر
لمضمون ما قبله اي لا يهدي الذين ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب المخلد بسبب اعراضهم عن قبول الهداية
الى مناهج الاستدلال او الى سبيل النجاة او الى طريق الجنة يوم القيمة او كالذي مر على قرية استشهاد
على ما ذكر من ولايته تعالى للمؤمنين وتقرير له معطوف على الموصول السابق وايثار او الفاذة على الواو
والحاجة للاحتراز عن توهم اتحاد المستشهد من اول الامر والكاف اما اسمية كما اختاره قوم جيء بها للتنبيه
على تعدد الشواهد وعدم انحصارها فيما ذكر كما في قولك الفعل الماضي مثل نصر واما زائدة كما ارتضاه
اخرون والمعنى او لم تر الى مثل الذي مر على قرية كيف هداه الله تعالى واخرجه من ظلمة الاشتباه الى نور
العيان والشهود اي قد رايت ذلك وشاهدته فاذا الاديب ان الله تعالى ولي الذين امنوا الى اخره
هذا وما جعل الهمزة لمجرد التعجيب على ان يكون المعنى في الاول الم تنظر الى الذي حاج الى اخره اي انظر
اليه وتعجب من امره وفي او ارايت مثل الذي مر على قرية الى اخره ايذانا بان حاله وما جرى عليه في الغرابة
بحيث لا يرى له مثل كما استقر عليه الجمهور دفع غير خليق بجزالة التنزيل وفخامة شان الجليل فتدبر والمار هو
عزير بن شرحيل قاله قتاده والربيع وعكرمه وناجية بن كعب وسليمان بن بريدة والضحاك والسدي وقيل
هو ارميا بن حلقيا من سبط هرون عليه السلام قاله وهب وعبيدالله بن عمر وقيل ارميا هو الخضر
بعينه وقال مجاهد كان المار رجلا كافرا بالبعث وهو بعيد والقرية بيت المقدس قاله وهب

دعكرمة والربيع وقيل هو دير هرقل على شط الدجلة وقال الكلبي هي دير سيراباد وقال السدي هي دير
سلماباد والاول هو الاظهر والاشهر روي ان بني اسرائيل لما بلغوا في تعاطي الشر والفساد وجاوزوا في
العتو والطغيان كل حد معتاد سلط الله عليهم بخت نصر البابلي فسار اليهم في ستمائة الف راية حتى وطئ
الشام وخرب بيت المقدس وجعل بني اسرائيل اثلاثا ثلث منهم قتلهم وثلث منهم اقرهم بالشام وثلث
منهم سباهم وكانوا مائة الف غلام يافع وغير يافع فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل ملك منهم
اربعة اغلمة وكان عزير من جملتهم فنجاه الله منهم بعد حين فمر على حمار ببيت المقدس فرآه على اقطع مراى
واوحش منظر وذلك قوله تعالى وهي خاوية على عروشها اي ساقطة على سقوفها بان سقطت العروش ثم
الحيطان من خوى البيت اذا سقط ومن خوت الارض اذا تهدمت والجملة حال من ضمير مر او قرية قال
اي تلهفا عليها وتشوقا الى عمارتها مع استشعار الياس عنها انى يحيي هذه الله وهي على ما يرى من الحالة العجيبة
المباينة للحيوة وتقديمها على الفاعل للاعتناء بها من حيث ان الاستبعاد ناشئ من جهتها لا من جهة الفاعل
وانى نصب على الظرفية ان كانت بمعنى متى وعلى الحالية من هذه ان كانت بمعنى كيف والعامل يحيي واياما كان
فالمراد استبعاد عمارتها بالبناء والسكان من بقايا اهلها الذين تفرقوا بايدي سبا وغيرهم وانما عبر عنها
بالاحيا الذي هو محكم في البعد عن الوقوع عادة تهويلا للخطب وتاكيدا للاستبعاد كما انه لاجله عبر عن خرابها
بالموت حيث قيل بعد موتها وحيث كان هذا التعبير معربا عن استبعاد الاحيا بعد الموت على ابلغ وجه
واكده اراه الله تعالى ابعد الامرين في نفسه ثم في غيره ثم اراه ما استبعده صريحا مبالغة في ازاحة
ما عسى يختلج في خلده وما حمل فيها احيا على احياء اهلها فيأباه التعرض لحال القرية دون حالهم والاقتصار
على ذكر موتهم دون كونهم ترابا او عظاما مع كونه ابعد في الاستبعاد لشدة مباينته للحيوة وغاية بعده عن
قبولها على انه لم يتعلق ارادته تعالى باحيائهم كما تعلقت بعمارتها ومعاينة المار لها كما ستحيط به خبرا فاماته الله
والبثه على الموت مائة عام روي انه لما دخل القرية ربط حماره فطاف بها ولم ير بها احدا فقال ما قال
وكانت اشجارها قد اثمرت فتناول من التين والعنب وشرب من عصيره ونام فاماته الله تعالى في منامه
وهو شاب واماتت حماره وبقيت تينه وعنبه وعصيره عنده ثم اعمى الله تعالى عنه عيون الخلق فلم يره
احد فلما مضى من موته سبعون سنة وجه الله تعالى ملكا عظيما من ملوك فارس يقال له يوشك الى
بيت المقدس ليعمره ومعه الف قهرمان مع كل قهرمان ثلاثمائة الف عامل فجعلوا يعمرونه واهلك
الله تعالى بخت نصر ببعوضة دخلت دماغه ونجى الله من بقي من بني اسرائيل وردهم الى بيت المقدس وتراجع
اليه من تفرق منهم في الاكناف فعمروه في ثلثين سنه وكثروا وكان كاحسن ما كانوا عليه فلما تمت
المائة من موت عزير احياه الله تعالى وذلك قوله تعالى ثم بعثه وايثاره على احياه للدلالة على سرعة
وسهولة تاتيه على البارى تعالى كانه بعثه من النوم وللايذان بانه اعاده كهيئته بعد موته عاقلا فاهما
مستعدا للنظر والاستدلال قال استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال بعد بعثه فقيل
قال كم لبثت ليظهر له عجزه عن الاحاطة بشؤنه تعالى وان احياءه ليس بعد مدة يسيرة ربما يتوهم
انه هين في الجملة بل بعد مدة طويلة وينحسم به مادة استبعاده بالمرة ويطلع في تضاعيفه على امر
آخر من بدايع آثار قدرته تعالى وهو ابقاء الغذا المسارع الى الفساد بالطبع على ما كان عليه دهرا طويلا
من غير تغير ما وكم نصب على الظرفية مميزها محذوف اي كم وقتا لبثت والقايل هو الله تعالى او ملك
مأمور بذلك من قبله قيل نودي من السما يا عزير كم لبثت بعد الموت قال لبثت يوما او بعض يوم
قاله بناء على التقريب والتخمين واستقصارا لمدة لبثه واما ما يقال انه مات ضحى وبعث بعد المائة
قبل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما فالتفت اليها فرأى منها بقية فقال او بعض يوم على وجه

الاضراب

الاضراب فبمعزل من التحقيق اذ لا وجه للجزم بتمام اليوم ولو بناء على حسبان الغروب لتحقق النقصان
من اوله قال استيناف كما سلف بل لبثت مائة عام عطف على مقدر اي ما لبثت ذلك القدر بل هذا المقدار
فانظر لتعاين امرا آخر من دلائل قدرتنا الى طعامك وشرابك لم يتسنه اي لم يتغير في هذه المدة المتطاولة
مع تداعيه الى الفساد روي انه وجد تينه وعنبه كما جنى وعصيره كما عصر والجملة المنفية حال
بغير واو كقوله تعالى لم يمسسهم سوء اما من الطعام والشراب وافراد الضمير لجريانهما مجرى
الواحد كالغذاء واما من الاخير اكتفاء بدلالة حال الاول ويؤيده قراءة من قرأ وهذا شرابك لم يتسنه
والهاء اصلية او هاء سكت واشتقاقه من السنة لما ان لامها هاء او واو وقيل اصله يتسنن من
الحمأ المسنون فقلبت نونه حرف علة كما في تقضي البازي وقد جوز ان يكون معنى لم يتسنه لم يمر
عليه السنون التي مرت لا حقيقة بل تشبيها اي هو على حاله كانه لم يلبث مائة عام وقرئ لم يسنه بادغام
التاء في السين وانظر الى حمارك نخرة عظامه وتفرقت وتقطعت اوصاله وتمزقت ليتبين لك ما ذكر
من لبثك المديد وتطمئن به نفسك وقوله عز وجل ولنجعلك آية للناس عطف على مقدر متعلق بفعل
مقدر قبله بطريق الاستيناف مقرر لمضمون ما سبق اي فعلنا ما فعلنا من احيائك بعد ما ذكر من
لبثك المديد لتعاين ما استبعدته من الاحياء بعد دهر طويل ولنجعلك آية للناس الموجودين
في هذا القرن بان يشاهدوك من اهل القرون الخالية ويأخذوا منك ما طوي عنهم منذ احقاب
من علم التوراة كما سيأتي او متعلق بفعل مقدر بعده اي ولنجعلك آية لهم على الوجه المذكور فعلنا
ما فعلنا فهو على التقديرين دليل على ما ذكر من اللبث المديد ولذلك قرن بينه وبين النظر الى حماره
وتكرير الامر في قوله تعالى وانظر الى العظام مع ان المراد عظام الحمار ايضا لما ان المأمور به اولا
هو النظر اليها من حيث دلالتها على ما ذكر من اللبث المديد وثانيا هو النظر اليها من حيث يعتريها
الحياة ومباديها اي وانظر الى عظام الحمار لتشاهد كيفية الاحيا في غيرك بعد ما شاهدت
نفسه في نفسك كيف ننشزها بالزاي المعجمة اي نرفع بعضها الى بعض ونردها الى اماكنها من
الجسد فنركبها تركيبا لائقا بها وقال الكسائي نلينها ونعظمها ولعل من فسره بنحييها اراد
بالاحيا هذا المعنى وكذا من قرأ ننشرها بالراء من انشر الله تعالى الموتى اي احياها لا معناه
الحقيقي لقوله تعالى ثم نكسوها لحما اي نسترها به كما يستر الجسد باللباس واما من قرأ ننشرها
بفتح النون وضم الشين فلعله اراد به ضد الطي كما قال الفراء فالمعنى كيف نبسطها والجملة اما حال من
العظام اي وانظر اليها مركبة مكسوة لحما او بدل اشتمال اي وانظر الى العظام كيفية انشازها
وبسط اللحم عليها ولعل عدم التعرض لكيفية نفخ الروح لما انها مما لا يقتضي الحكمة بيانه روي انه
نودي ايتها العظام البالية ان الله يأمرك ان تجتمعي فاجتمع كل جزء منها باجزائها التي ذهب بها الطير
والسباع وطارت بها الرياح من كل سهل وجبل فانضم بعضها الى بعض والتصق كل عضو بما يليق
به الضلع بالضلع والذراع محلها والرأس موضعها ثم الاعصاب والعروق ثم انبسط عليه اللحم
ثم الجلد ثم خرجت منه الشعور ثم نفخ فيه الروح فاذا هو قائم ينهق فلما تبين له اي ما دل عليه الامر
بالنظر اليه من كيفية الاحياء بمشاهدته والفاء للعطف على مقدر يستدعيه الامر المذكور وانما حذف
للايذان بظهور تحققه واستغنائه عن الذكر وللاشعار بسرعة وقوعه كما في قوله عز وجل فلما رآه
مستقرا عنده بعد قوله انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك كانه قيل فانشزها الله وكساها
لحما فنظر اليها فتبين له كيفيته فلما تبين له ذلك اي اتضح اتضاحا تاما قال اعلم ان الله على كل شيء قدير
من الاشيا التي من جملتها ما شاهده في نفسه وفي غيره من تعاجيب الآثار قدير لا يستعصي عليه

امر من الاموات وايثار صيغة المضارع للدلالة على ان علمه بذلك مستمر نظرا الى اصله لم يتغير
ولم يتبدل بالعيان وصفه وفيه اشعار بانه انما قال ما قال بناء على ان الاستبعاد العادي واستعظاما
للامر وقد قيل فاعل تبين مضمر يفسره مفعول اعلم اي فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير فقدر وقري
تبين له على صيغة المجهول وقري قال اعلم وقيل اعلم على صيغة الامر وروي انه ركب حماره واتى
محلته وانكره الناس وانكر الناس وانكر المنازل فانطلق على وهم منه حتى اتى منزله فاذا
هو بعجوز عمياء مقعدة قد ادركت زمن عزير فقال لها يا هذه هذا منزل عزير قالت نعم واين ذكر عزير قد
فقدناه منذ كذا وكذا فبكت بكاء شديدا قال فاني عزير قالت سبحان الله انى يكون ذلك قال قد اماتني الله مائة
عام ثم بعثني قالت ان عزيرا كان رجلا مستجاب الدعوة فادع الله لي يرد علي بصري حتى اراك فدعا به ومسح
بين عينيها فصحتا فاخذ بيدها فقال لها قومي باذن الله فقامت صحيحة كانها نشطت من عقال فنظرت اليه فقالت
اشهد انك عزير فانطلقت الى محلة بني اسرائيل وهم في انديتهم وكان في المجلس ابن لعزير وقد بلغ مائة وثماني
عشر سنة وبنو بنيه شيوخ فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت انظروا فاني بدعائه رجعت الى هذه
الحالة فنهض الناس فاقبلوا اليه فقال ابنه كان لابي شامة سوداء بين كتفيه مثل الهلال فكشف فاذا هو كذلك
وقد كان قتل بخت نصر ببيت المقدس من قراء اربعين الف رجل ولم يكن يومئذ بينهم نسخة من التورية ولا احد
يعرف التورية فقراها عليهم عن ظهر قلبه من غير ان يخرم منها حرفا فقال رجل من اولاد المسبيين ممن ورد
بيت المقدس بعد مهلك بخت نصر حدثني ابي عن جدي انه دفن التورية يوم سبينا في خابية في كرم فان
اريتموني كرم جدي اخرجتها لكم فذهبوا الى كرم جده ففتشوها فوجدوها فعارضوها بما املى عليهم عزير من
ظهر القلب فما اختلفا في حرف واحد فعند ذلك قالوا هو ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا واذ قال ابرهيم
دليل اخر على ولايته تعالى للمؤمنين واخراجهم من الظلمات الى النور وانما لم يسلك به مسلك الاستشهاد
كما قيل بان يقال او كالذي قال رب الى اخره لجريان ذكره عليه السلام في اثناء المحاجة ولانه لا دخل لنفسه عليه
السلام في اصل الدليل كاحياء عزير عليه السلام فان ما جرى عليه من احيائه بعد مائة عام من جملة الشواهد
على قدرته تعالى وهدايته والظرف منتصب بمضمر صرح بمثله في قوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء اي
واذكروا وقت قوله عليه السلام وما وقع حينئذ من تعاجيب صنع الله عز وجل لتقف على ما مر من ولايته تعالى
وهدايته وتوجيه الامر بالذكر في امثال هذه المواقع الى الوقت دون ما وقع فيه من الواقعات مع انها المقصودة
بالتذكير لما ذكر غير مرة من المبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان
الوقت مشتمل عليها منفصلة فاذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها بحيث لا يشذ عنها شيء مما ذكر عند الحكاية
ولم يذكر كانها مشاهدة عيانا رب كلمة استعطاف قدمت بين يدي الدعاء مبالغة في استدعاء الاجابة ارني
من الرؤية البصرية المتعدية الى واحد وبدخول همزة النقل طلبت مفعولا اخر هو الجملة الاستفهامية المعلقة
لها فانها تعلق كما يعلق النظر البصري اي اجعلني مبصرا كيف تحيي الموتى بان تحييها وانا انظر اليه وكيف في محل النصب
على التشبيه بالظرف عند سيبويه والحال عند الاخفش والعامل فيها تحيي اي في اي حال تحيي قال القرطبي الاستفهام
بكيف انما هو سؤال عن حال شيء متقرر الوجود عند السائل والمسؤول فالاستفهام هاهنا عن هيئة الاحياء
المتقرر عند السائل اي بصرني كيفية احيائك للموتى وانما ساله عليه السلام ليتاكد يقينه بالعيان ويزداد
قلبه اطمئنانا على اطمئنان واما ما قيل من ان نمرود لما قال انا احيي واميت قال عليه السلام ان احياء الله برد الارواح
الى الاجسام فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر على ان يقول نعم فانتقل الى تقرير اخر ثم سال ربه ان يريه ذلك فيأباه
تعليل السؤال بالاطمئنان قال استئناف كما مر غير مرة اولم تؤمن عطف على مقدر اي الم تعلم ولم تؤمن باني قادر
على الاحياء كيف اشاء حتى تسألني اياه قاله عز وجل وهو اعلم بانه عليه السلام اثبت الناس ايمانا واقواهم يقينا

يجيب بما اجاب به فيكون ذلك لطفا للسامعين قال بلى علمت وامنت بانك قادر على الاحياء على اي
كيفية شئت ولكن سالت ما سالت ليطمئن قلبي بمضامة العيان الى الايمان والايقان وازداد بصيرة بمشاهدة
على كيفية معاينة قال فخذ الفاء لجواب شرط محذوف اي ان اردت ذلك فخذ اربعة من الطير قيل هو اسم
جمع طائر كركب وسفر وقيل جمع كتاجر وتجر وقيل هو مصدر سمي به الجنس وقيل هو تخفيف طير بمعنى
طائر كهين في هين ومن متعلقة بخذ او بمحذوف وقع صفة لاربعة اي اربعة كائنة من الطير قيل هو طاوس
وديك وغراب وحمامة وقيل نسر بدل الاخير وتخصيص الطير بذلك لانه اقرب الى الانسان واجمع
لخواص الحيوان ولسهولة ما يفعل به من التجزية والتفريق وغير ذلك فصرهن من صاره يصوره اي اماله وقري
بكسر الصاد من صاره يصيره اي املهن واضممهن وقري فصرهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره
يصره ويصره اذا جمعه وقري فصرهن من التصرية بمعنى الجمع اي اجمعهن اليك لتتاملها وتعرف شانها مفصلا
حتى تعلم بعد الاحياء ان جزءا من اجزائها لم ينتقل من موضعه الاول اصلا وروي انه امر بان يذبحها وينتف
ريشها ودماءها ولحومها ويمسك رؤوسها ثم امر بان يجعل اجزاءها على الجبال وذلك قوله تعالى ثم اجعل على
كل جبل منهن جزءا اي جزئهن وفرق اجزاءهن على ما بحضرتك من الجبال قيل كانت اربعة اجبل وقيل سبعة
فجعل على كل جبل ربعا او سبعا من كل طائر وقري جزءا بضمتين وجزا بالتشديد بطرح همزته تخفيفا ثم تشديده
عند الوقف ثم اجراء الوصل مجرى الوقف ثم ادعهن يأتينك في حيز الجزم على انه جواب الامر ولكنه بني لاتصاله
بنون جمع المؤنث سعيا اي ساعيات مسرعات او ذوات سعي طيرانا او مشيا وانما اقتصر على حكاية اوامره
عز وجل من غير تعرض لامتثاله عليه الصلوة والسلام ولا لما ترتب عليه من عجائب الاثار قدرته تعالى كما روي
انه عليه الصلاة والسلام نادى فقال تعالين باذن الله تعالى فجعل كل جزء منهن يطير الى صاحبه حتى صارت
جثثا ثم اقبلن الى رؤوسهن فانضمت كل جثة الى رأسها فعادت كل واحدة منهن الى ما كانت عليه من الهيئة للايذان
بان ترتب تلك الامور على الاوامر الجليلة واستحالة تخلفها عنها من الجلاء والظهور بحيث لا حاجة له الى
الذكر اصلا وناهيك بالقصة دليلا على فضل الخليل ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الادب في السؤال
حيث اراه الله ما ساله في الحال على ايسر ما يكون من الوجوه واري عزيرا ما اراه بعد ما اماته مائة عام
عليهما السلام واعلم ان الله عزيز غالب على امره لا يعجز عن شيء عما يريده حكيم ذو حكمة بالغة في افعاله فليس
بناء افعاله على الاسباب العادية لعجزه عن ايجادها بطريق اخر خارق للعادات بل لكونه متضمنا للحكم والمصالح
مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله اي في وجوه الخيرات من الواجب والنفل كمثل حبة لا بد من تقدير
مضاف في احد الجانبين اي مثل نفقتهم كمثل حبة انبتت سبع سنابل اي اخرجت سنبلة فانشعب منها سبع
لكل واحدة منها سنبلة في كل سنبلة مائة حبة كما يشاهد ذلك في الذرة والدخن في الاراضي المغلة بل اكثر من
ذلك واسناد الانبات الى الحبة مجازي كاسناده الى الارض والربيع وهذا التمثيل تصوير للاضعاف
كانها حاضرة بين يدي الناظر والله يضاعف تلك المضاعفة او فوقها الى ما شاء الله تعالى لمن يشاء اي
يضاعف له بفضله على حسب حال المنفق من اخلاص وتعبه ولذلك تتفاوت مراتب الاعمال في مقادير
الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة عليم بنية المنفق ومقدار انفاقه وكيفية تحصيل
ما انفقه الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله جملة مبتداة جيء بها لبيان كيفية الانفاق الذي بين فضله
بالتمثيل المذكور ثم لا يتبعون ما انفقوا اي ما انفقوه او انفاقهم منا ولا اذى المن ان يعتد على
من احسن اليه باحسانه ويريه انه اوجب بذلك عليه حقا والاذى ان يتطاول عليه بسبب انعامه عليه
وانما قدم المن لكثرة وقوعه وتوسيط كلمة لا للدلالة على شمول النفي لاتباع كل واحد منهما وثم لاظهار علو رتبة
المعطوف وقيل نزلت في عثمان رضي الله عنه حين جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها

وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه حتى اتى النبي صلى الله عليه وسلم باربعة الاف درهم صدقة ولم يكن يخطر ببالهما شيء من المن والاذى **لهم اجرهم** اي حسبما وعدلهم في ضمن التمثيل وهو جملة من مبتدا وخبر وقعت خبرا من الموصول وفي تكرير الاسناد وتقييد الاجر بقوله تعالى **عند ربهم** من التأييد والتشريف ما لا يخفى وتخلية الخبر عن الفاء المفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها للايذان بان ترتيب الاجر على ما ذكر من الانفاق وترك اتباع المن والاذى امر بين لا يحتاج الى التصريح بالسببية واما ايهام انهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا فيأباه مقام الترغيب في الفعل والحث عليه **ولا خوف عليهم** في الدارين من لحوق مكروه من المكاره **ولا هم يحزنون** لفوات مطلوب من المطالب قل وجل اي لا يعتريهم ما يوجبه لا انه يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا انه لا يعتريهم خوف وحزن اصلا بل يستمرون على النشاط والسرور كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله تعالى وهيبته واستقصار الجد والسعي في اقامة حقوق العبودية من خواص الخواص والمقربين والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهم كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام **قول معروف** اي كلام جميل تقبله القلوب ولا تنكره يرد به السائل من غير اعطاء شيء **ومغفرة** اي ستر لما وقع من السائل من الالحاح في المسألة وعفو مما يثقل على المسؤول وصفح عنه واغماض الابتداء بالنكرة في الاول لاختصاصها بالوصف وفي الثاني للعطف او بالصفة المقدرة اي ومغفرة كائنة من المسؤول **خير** للسائل **من صدقة يتبعها اذى** لكونها مشوبة بضرر ما يتبعها وخلوص الاولين من الضرر والجملة مستأنفة مقررة لاعتبار ترك المن والاذى وتفسير المغفرة بنيل مغفرة من الله تعالى بسبب الرد الجميل او بعفو السائل بناء على اعتبار الخيرية بالنسبة الى المسؤول يؤدي الى ان يكون في الصدقة الموصوفة بالنسبة خير في الجملة مع بطلانها بالمرة **والله غني** لا يحوج الفقراء الى تحمل مؤنة المن والاذى ويرزقهم من جهة اخرى **حليم** لا يعاجل اصحاب المن والاذى بالعقوبة لا انهم يستحقونها بسببهما والجملة تذييل لما قبلها مشتمل على الوعد والوعيد مقرر لاعتبار الخيرية بالنسبة الى السائل قطعا **يا ايها الذين امنوا** اقبل عليهم بالخطاب اثر بيان ما بين بطريق الغيبة مبالغة في ايجاب العمل بموجب النهي **لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى** اي لا تحبطوا اجرها بواحد منهما **كالذي** في محل النصب اما على انه نعت لمصدر محذوف اي لا تبطلوها مشابهين الذين ينفقون اموالهم اي الذي يبطل انفاقه بالريا **وقيل** من ضمير المصدر المقدر على ما هو راي سيبويه وانتصاب رئاء اما على انه علة لينفق او لاجل رياهم او على انه حال من فاعله اي ينفق ماله مرائيا والمراد به المنافق لقوله تعالى **ولا يؤمن بالله واليوم الاخر** حتى يرجو ثوابا ويخشى عقابا **فمثله** الفاء لربط ما بعدها بما قبلها اي فمثل المرائي في الانفاق وحالته العجيبة **كمثل صفوان** اي حجر املس **عليه تراب** اي شيء يسير منه **فاصابه وابل** اي مطر عظيم القطر **فتركه صلدا** املس ليس عليه شيء من الغبار اصلا **لا يقدرون على شيء مما كسبوا** لا ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون له ثوابا قطعا كقوله تعالى فجعلناه هباء منثورا والجملة استيناف مبني على السؤال كانه قيل فما يكون حالهم حينئذ فقيل لا يقدرون الى اخره ومن ضرورة كون مثلهم كما ذكر كون مثل من يشبههم وهم اصحاب المن والاذى كذلك والضميران الاخيران للموصول باعتبار المعنى كما في قوله عز وجل وخضتم كالذي خاضوا لما ان المراد به الجنس والجمع او الفريق كما ان الضمائر الاربعة السابقة له باعتبار اللفظ **والله لا يهدي القوم الكافرين** الى الخير والرشاد والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله وفيه تعريض بان كلا من الريا والمن والاذى من خصائص الكفار ولا بد للمؤمنين ان يجتنبوها **الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله** اي لطلب رضاه **وتثبيتا من انفسهم** اي وتثبيت انفسهم على الايمان فمن تبعيضية كما في قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله تعالى فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه فقد ثبتها كلها او تصديقا

للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم فمن ابتدائية كما في قوله تعالى حسدا من عند انفسهم ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم عند المؤمنين انها صادقة الايمان مخلصة فيه ويعضده قراءة من قرا وتبيينا من انفسهم وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق للمنفق وتزكية النفس عن البخل وحب المال الذي هو راس كل خطيئة **كمثل جنة بربوة** الربوة بالحركات وقد قرئ بها المكان المرتفع اي مثل نفقتهم في الزكاة كمثل بستان كائن بمكان مرتفع مأمون من ان يصطلمه البرد للطافة هوائه بهبوب الرياح الملطفة له فان اشجار الربى تكون احسن منظرا وازكى ثمرا واما الاراضي المنخفضة فقلما تسلم ثمارها من البرد لكثافة هوائها بركود الرياح وقرئ كمثل حبة **اصابها وابل** مطر عظيم القطر **فاتت اكلها** ثمرتها وقرئ بسكون الكاف تخفيفا **ضعفين** اي مثلي ما كانت تثمر في سائر الاوقات بسبب ما اصابها من الوابل والمراد بالضعف المثل وفيه اربعة امثال ونصبه على الحال من اكلها اي مضاعفا **فان لم يصبها وابل فطل** اي فطل يكفيها لجودتها وكرم منبتها ولطافة هوائها **وقيل** فيصيبها طل هو المطر الصغير القطر وقيل فالذي يصيبها طل والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله لا يضيع بحال وان كانت تتفاوت باعتبار ما يقارنها من الاحوال ويجوز ان يعتبر التمثيل بين حالهم باعتبار ما صدر عنهم من النفقة الكثيرة والقليلة وبين الجنة المعهودة باعتبار ما اصابها من المطر الكثير واليسير فكما ان كل واحد من المطرين يضعف اكلها فكذلك نفقتهم جلت او قلت بعد ان يطلب بها وجه الله تعالى زاكية زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عند الله تعالى **والله بما تعملون بصير** لا يخفى عليه شيء منه وهو ترغيب في الاخلاص مع تحذير من الريا ونحوه **ايود احدكم** الود حب الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل استعمالها والهمزة لانكار الوقوع كما في قوله اضرب ابي لا لانكار الواقع كما في قولك اتضرب اباك على ان مناط الانكار ليس جميع ما تعلق به الود بل انما هو اصابة الاعصار وما يتبعها من الاحراق **ان تكون له جنة** وقرئ جنات **من نخيل واعناب** اي كائنة منهما على ان يكون الاصل والركن فيها هذين الجنسين الشريفين الجامعين لفنون المنافع والباقي من المستتبعات لا على ان لا يكون غيرهما كما ستعرفه والجنة تطلق على الاشجار الملتفة المتكاثرة قال زهير • كان عيني في غربي مقتلة • من النواضح تسقي جنة سحقا • وعلى الارض المشتملة عليها والاول هو الانسب بقوله عز وجل **تجري من تحتها الانهار** اذ على الثاني لا بد من تقدير مضاف اي من تحت اشجارها وكذا لا بد من جعل اسناد الاحتراق اليها فيما سياتي مجازيا والجملة في محل الرفع على انها صفة جنة كما ان قوله تعالى من نخيل واعناب كذلك او في محل النصب على انها حال منها لانها موصوفة **له فيها من كل الثمرات** الظرف الاول خبر والثاني مبتدا قائمة مقامه اي له رزق من كل الثمرات كما في قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم اي وما منا احد الى اخره وليس المراد بالثمرات العموم بل انما هو التكثير كما في قوله تعالى واوتيت من كل شيء **واصابه الكبر** اي كبر السن الذي هو مظنة شدة الحاجة الى منافعها ومنه كمال العجز عن تدارك اسباب المعاش والواو حالية اي قد اصابه الكبر **وله ذرية ضعفاء** حال من الضمير في اصابه الكبر والحال ان له ذرية صغارا لا يقدرون على الكسب وترتيب مبادي المعاش **وقرئ** ضعاف **فاصابها اعصار** اي ريح عاصفة تنشد ريح في الارض ثم تنعكس منها ساطعة الى السماء على هيئة العمود **فيه نار** شديدة **فاحترقت** عطف على فاصابها وهذا كما ترى تمثيل لحال من يعمل اعمال البر والحسنات ويضم اليها ما يحبطها من القوادح ثم يجدها يوم القيمة عند كمال حاجته الى ثوابها هباء منثورا في التحسر والتاسف عليها **كذلك** توحيد الكاف مع كون المخاطب جمعا كما قد مر وجهه مرارا اي مثل ذلك البيان الواضح الجاري في الظهور مجرى الامور المحسوسة **يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون** كي تتفكروا فيها وتعتبروا بما فيها من العبر وتعملوا بموجبها **يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم** بيان لحال ما ينفق منه اثر بيان اصل الانفاق وكيفيته اي انفقوا من حلال

ما كسبتم وجياده لقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ومما اخرجنا لكم من الارض اي من طيبات ما اخرجنا لكم من الحبوب والثمار والمعادن فحذف لدلالة ما قبله عليه ولا تيمموا بفتح التاء واصله لا تتيمموا وقرئ بضمها وقرئ ولا تاموا والكل بمعنى لا تقصدوا اي لا تقصدوا الخبيث اي الردي الخسيس وهو كالطيب من الصفات الغالبة لا تذكر موصوفاتها منه تنفقون الجار متعلق بتنفقون والضمير للخبيث والتقديم للتخصيص والجملة حال من فاعل تيمموا اي لا تقصدوا الخبيث قاصرين الانفاق عليه او من الخبيث اي مختصا به الانفاق وايا ما كان فالتخصيص لتوبيخهم بما كانوا يتعاطونه من انفاق الخبيث خاصة لا لتسويغ انفاقه مع الطيب عن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه وقيل متعلق بمحذوف وقع حالا من الخبيث والضمير للمال المدلول عليه بحسب المقام او للموصولين على طريقة قوله • كانه في الجلد توليع البهق • او للثاني وتخصيصه بذلك لما ان التفاوت فيه اكثر وتنفقون حال من الفاعل المذكور اي لا تقصدوا الخبيث كائنا من المال او مما كسبتم ومما اخرجنا لكم منفقين اياه وقوله تعالى ولستم باخذيه حال على كل حال من واو تنفقون اي تنفقون والحال انكم لا تاخذونه في معاملاتكم في وقت من الاوقات او بوجه من الوجوه الا ان تغمضوا فيه اي الا وقت اغماضكم فيه او الا باغماضكم وهو عبارة عن المسامحة بطريق الكناية او الاستعارة يقال اغمض بصره اذا غضه وقرئ على البناء للمفعول على معنى الا ان تحملوا على الاغماض وتدخلوا فيه وتوجدوا مغمضين وقرئ تغمضوا وتغمضوا بضم الميم وكسرها وقيل تم الكلام عند قوله تعالى ولا تيمموا الخبيث ثم استونف فقيل على طريقة التوبيخ والتقريع منه تنفقون والحال انكم لا تاخذونه الا اذا اغمضتم فيه ومآله الاستفهام الانكاري فكانه قيل امنه تنفقون الى آخره واعلموا ان الله غني عن انفاقكم وانما يامركم به لمنفعتكم وفي الامر بان يعلموا ذلك مع ظهور علمهم به توبيخ لهم على ما يصنعون من اعطاء الخبيث وايذان بان ذلك من آثار الجهل بشانه تعالى فان اعطاء مثله انما يكون عادة عند اعتقاد المعطي ان الآخذ محتاج الى ما يعطيه مضطر اليه حميد مستحق للحمد على نعمه العظام وقيل حامد بقبول الجيد والاثابة عليه الشيطان يعدكم الفقر الوعد هو الاخبار بما سيكون من جهة المخبر مرتبا على شيء من زمان او غيره يستعمل في الشر استعماله في الخير قال الله تعالى النار وعدها الله الذين كفروا اي يعدكم في الانفاق ويقول ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا وانما عبر عن ذلك بالوعد مع ان الشيطان لم يوصف مجيء الفقر الى جهته للايذان بمبالغته في الاخبار بتحقق مجيئه كانه نزله في تقرره لوقوع منزلة افعاله الواقعة بحسب ارادته او لوقوعه في مقابلة وعده تعالى على طريقة المشاكلة بضم الفاء والسكون وبضمتين وبفتحتين ويامركم بالفحشاء اي بالخصلة الفحشاء اي ويغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الآمر للمامور على فعل المامور به والعرب تسمي البخيل فاحشا قال طرفة بن العبد • ارى الموت يعتام الكرام ويصطفي • عقيلة مال الفاحش المتشدد • وقيل بالمعاصي والسيئات والله يعدكم اي في الانفاق مغفرة لذنوبكم والجار في قوله تعالى منه متعلق بمحذوف وهو صفة لمغفرة مؤكدة لفخامتها التي افادها تنكيرها اي مغفرة كائنة منه عز وجل وفضلا صفة محذوفة لدلالة المذكور عليها كما في قوله تعالى فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ونظائره اي فضلا كائنا منه تعالى اي خلفا مما انفقتم زائدا عليه في الدنيا وفيه تكذيب للشيطان وقيل ثوابا في الآخرة والله واسع قدرة وفضلا فيحقق ما وعدكم به من المغفرة واخلاف ما تنفقونه عليم مبالغ في العلم فيعلم انفاقكم فلا يكاد يضيع اجركم او يعلم ما

سيكون من المغفرة والفضل فلا احتمال للخلف في الوعد والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله يؤتي الحكمة قال مجاهد الحكمة هي القرآن والعلم والفقه روي عن ابن نجيح انها الاصابة في القول والعمل وعن ابرهيم النخعي انها معرفة معاني الاشياء وفهمها وقيل هي حقائق الاشياء وقيل هي الاقدام على الافعال الحسنة الصائبة وعن مقاتل انها تفسر في القرآن باربعة اوجه فتارة بمواعظ القرآن واخرى بما فيه من عجائب الاسرار ومرة بالعلم والفهم واخرى بالنبوة ولعل الانسب بالمقام ما ينتظم الاحكام المبنية في تضاعيف الآيات الكريمة في احد الوجهين الاولين ومعنى ايتائها تبيينها والتوفيق للعلم والعمل بها اي يبينها ويوفق للعلم والعمل بها من يشاء من عباده ان يؤتيها اياه بموجب سعة فضله واحاطة علمه كما آتاكم ما بينه في ضمن الآي من الحكم البالغة التي يدور عليها فلك منافعكم فاغتنموها وسارعوا الى العمل بها والموصول مفعول اول ليؤتي قدم عليه الثاني للعناية به والجملة مستانفة مقررة لمضمون ما قبلها ومن يؤت الحكمة على بناء المفعول وقرئ على البناء للفاعل اي ومن يؤته الله الحكمة والاظهار في مقام الاضمار لاظهار الاعتناء بشانها وللاشعار بعلة الحكم فقد اوتي خيرا كثيرا اي اي خير كثير فانه قد حيز له خير الدارين وما يذكر اي وما يتعظ بما اوتي من الحكمة او وما يتفكر فيها الا اولوا الالباب اي العقول الخالصة من شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى وفيه من الترغيب في المحافظة على الاحكام الواردة في شان الانفاق ما لا يخفى والجملة اما حال او اعتراض تذييلي وما انفقتم من نفقة بيان لحكم كلي شامل لجميع افراد النفقات وما في حكمها اثر بيان حكم ما كان منها في سبيل الله وما اما شرطية او موصولة حذف عائدها من الصلة اي وما انفقتموه من نفقة اي اي نفقة كانت في حق او باطل في سر او علانية قليلة او كثيرة او نذرتم من نذر اي نذر كان في طاعة او معصية بشرط او بغير شرط متعلق بالمال او بالافعال كالصيام والصلوة ونحوهما فان الله يعلمه الفاء على الاول داخلة في الجواب وعلى الثاني مزيدة في الخبر وتوجيه الضمير مع تعدد متعلق العلم لاتحاد المرجع بناء على كون العطف بكلمة او كما في قولك زيد او عمرو اكرمته ولا يقال اكرمتهما وهنا صير الى التاويل في قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما يعاد الضمير تارة الى المقدم رعاية للاولية كما في قوله عز وعلا واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها واخرى الى المؤخر رعاية للقرب كما في هذه الآية الكريمة وفي قوله تعالى ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا وحمل النظم على تاويلهما بالمذكور ونظائره او على حذف الاول ثقة بدلالة الثاني عليه كما في قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله وقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف ونحوهما مما عطف فيه بالواو الجامعة تعسف مستغنى عنه نعم يجوز ارجاع الضمير الى ما على تقدير كونها موصولة وتصدير الجملة بان لتاكيد مضمونها افادة لتحقيق الجزاء اي فانه تعالى يجازيكم عليه البتة ان خيرا فخير وان شرا فشر فهو ترغيب وترهيب ووعد ووعيد وما للظالمين بالانفاق والنذر في المعاصي او بمنع الصدقات وعدم الوفاء بالنذور او بانفاق الخبيث او بالرياء والمن والاذى وغير ذلك مما ينتظمه معنى الظلم الذي هو عبارة عن وضع الشيء في غير موضعه الذي يحق ان يوضع فيه من انصار اي اعوان ينصرونهم من باس الله وعقابه لا شفاعة ولا مدافعة وايراد صيغة الجمع لمقابلة الظالمين اي وما للظالمين من نصير من الانصار والجملة استيناف مقرر لما قبله من الوعيد مفيد لفظاعة حال من يفعل ما يفعل من الظالمين بتحصيل الاعوان ورعاية الخلان ان تبدوا الصدقات فنعما هي نوع تفصيل لبيان ما اجمل في الشرطية وبيان له ولذلك ترك بينهما اي ان تظهروا الصدقات فنعم شيء

ابداوها وبعدان لم يكن رياء وسمعة وقرى بفتح النون وكسر العين على الاصل وقرى بكسر
النون وسكون العين وقرى بكسر النون واخفاء حركة العين وهذا في الصدقات المفروضة
واما في صدقة التطوع فالاخفاء افضل وهي الذي اريد بقوله تعالى وان تخفوها اي تعطوها خفية
وتؤتوها الفقرا ولعل التصريح بايتائها الفقراء مع انه واجب في الابداء ايضا لما ان الاخفا
مظنة الالتباس والاشتباه فان الغني ربما يدعي الفقر او يقدم على قبول الصدقة سرا ولا
يفعل ذلك عند الناس فهو خير لكم اي فالاخفاء خير لكم من الابدا وهذا في التطوع ومن لم يعرف
المال واما في الواجب فالامر بالعكس لدفع التهمة عن ابن عباس رضي الله عنهما صدقة السر في
التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين
ضعفا ونكفر عنكم من سياتكم اي والله يكفر او الاخفا ومن تبعيضية اي شيا من سيا تكم كما ستر توها
وقيل مزيدة على راي الاخفش وقرى بالتاء مرفوعا مجزوما على ان الفعل للصدقات وقرى بالنون
مرفوعا عطفا على محل ما بعد الفاء او على انه خبر مبتدا محذوف اي ونحن نكفر او على انها جملة مبتداة من
فعل وفعل وقرى مجزوما عطفا على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط والله بما تعملون من الاسرار والاعلان
خبير فهو ترغيب في الاسرار ليس عليك هداهم اي لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الاتيان
بما امروا به من المحاسن والانتهاء عما نهوا عنه من القبائح المعدودة وانما الواجب عليك الارشاد الى
الخير والحث عليه والنهي عن الشر والردع عنه بما اوحي اليك من الايات والذكر الحكيم ولكن الله يهدي
هداية خاصة موصلة الى المطلوب حتما من يشاء هدايته الى ذلك ممن يتذكر بما ذكر ويتبع الحق ويختار
الخير والجملة معترضة جي بها على طريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
مع الالتفات الى الغيبة فيما بين الخطابات المتعلقة بالمكلفين مبالغة في حملهم على الامتثال فان
الاخبار بعدم وجوب تدارك امرهم على النبي عليه السلام موذن بوجوبه عليهم حسبما ينطق به ما بعده
من الشرطية وقيل لما كثروا فقراء المسلمين نهى رسول الله عليه السلام المسلمين عن التصدق على المشركين
كي يحملهم الحاجة على الدخول في الاسلام فنزلت اي ليس عليك من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل دخولهم
في الاسلام فلا التفات حينئذ في الكلام وضمير الغيبة للمعهودين من فقراء المشركين بل فيه تلوين فقط
وقوله تعالى وما تنفقوا من خير على الاول التفات من الغيبة الى خطاب المكلفين لزيادة هزهم نحو الامتثال
وعلى الثاني تلوين للخطاب بتوجيهه اليهم وصرفه عن النبي عليه السلام وما شرطية جازمة لتنفقوا
منتصبة به على المفعولية ومن تبعيضية متعلقة بمحذوف وقع صفة لاسم الشرط مبينة ومخصصة
له اي اي شي تنفقوا كائن من مال فلانفسكم اي فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا على من اعطيتموه
ولا تؤذوه ولا تنفقوا من الخبيث او فنفعه الديني لكم لا لغيركم من الفقراء حتى تمنعوه ممن لا ينتفع
به من حيث الدين من فقراء المشركين وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله منه عم العلل اذا عم الاحوال اي ليست
نفقتكم لشي من الاشيا الا ابتغاء وجه الله او ليست في حال من الاحوال الا ابتغاء وجه الله فما بالكم تمنون
بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله تعالى وقيل هي نفي في معنى النهي وما تنفقوا من خير
يوف اليكم اي اجره وثوابه اضعافا مضاعفة حسبما فصل فيما قبل فلا عذر لكم في ان ترغبوا عن انفاقه
على احسن الوجوه واجملها فهو تاكيد وبيان للشرطية السابقة ويوف اليكم ما يخلفه وهو من نتايج
دعائه عليه السلام بقوله اللهم اجعل للمنفق خلفا وللممسك تلفا وقيل حجت اسما بنت ابي بكر رضي
الله عنها فاتتها امها تسالها وهي مشركة فابت ان تعطيها وعن سعيد بن جبير انهم كانوا ينفقون ان
يرضخوا لقراباتهم من المشركين وروي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار في اليهود ورضاع

كانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام فلما اسلموا كرهوا ان ينفعوهم فنزلت وهذا في غير الواجب
واما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكافر وان كان ذميا وانتم لا تظلمون لا تنقصون شيا مما وعدتم من الثواب
المضاعف او من الخلف للفقراء متعلق بمحذوف ينساق اليه الكلام كما في قوله عز وجل في تسع
ايات الى فرعون اي اعمدوا للفقرا واجعلوا ما تنفقونه للفقرا او صدقاتكم للفقرا
الذين احصروا في سبيل الله بالغزو والجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض اي ذهابا
فيها للكسب والتجارة وقيل اهل الصفة رضوان الله عليهم اجمعين كانوا نحوا من اربعمائة
من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والجهاد وكانوا يخرجون
في كل سرية بعثها رسول الله عليه السلام يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف اي من اجل
تعففهم عن المسئلة تعرفهم بسيماهم اي تعرف فقرهم واضطرارهم بما تعاين منهم
من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول عليه السلام او لكل احد من له حظ من الخطاب
مبالغة في بيان وضوح فقرهم لا يسئلون الناس الحافا اي الحاحا وهو ان يلازم السائل
المسئول حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده والمعنى لا يسالونهم
شيا وان سالوا لحاجة اضطرتهم اليه لم يلحوا وقيل هو نفي لكلا الامرين جميعا على طريقة قوله
على لاحب لا يهتدى لمناره اي لا منار ولا اهتداء وما تنفقوا من خير فان الله به عليم فيجازيكم
بذلك احسن جزاء فهو ترغيب في التصدق ولا سيما على هولاء الذين ينفقون اموالهم بالليل
والنهار سرا وعلانية اي يعمرون الاوقات والاحوال بالخير والصدقة وقيل نزلت في الصديق
رضي الله عنه حيث تصدق باربعين الف دينار عشرة الاف دينار بالليل وعشرة بالنهار
وعشرة سرا وعشرة علانية وقيل في علي رضي الله عنه حين لم يكن عنده الا اربعة دراهم
فتصدق بكل واحد منها على وجه من الوجوه المذكورة ولعل تقديم الليل على النهار والسر على
العلانية للايذان بمزية الاخفا على الاظهار وقيل في رباط الخيل والانفاق عليها فلهم اجرهم
عند ربهم خبر للموصول والفا للدلالة على سببية ما قبلها لما بعدها وقيل للعطف والخبر
محذوف اي ومنهم الذين الخ ولذلك جاز الوقف على علانية ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
تقدم تفسيره الذين ياكلون الربوا اي ياخذونه والتعبير عنه بالاكل لما انه معظم ما قصد به
ولشيوعه في المطعومات مع ما فيه من زيادة تشنيع لهم وهو الزيادة في المقدار او في
الاجل حسبما فصل في كتب الفقه وانما كتب بالواو كالصلوة على لغة من يفخم في امثالها
وزيدت الالف تشبيها بواو الجمع لا يقومون اي من قبورهم اذا بعثوا الا كما يقوم الذي
يتخبطه الشيطان اي الا قياما كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط
الانسان فيصرع والخبط الضرب بغير استواء كخبط العشواء من المس اي الجنون وهذا
ايضا من زعماتهم ان الجني يمسه فيختلط عقله فلذلك يقال جن الرجل وهو متعلق بما قبله
من الفعل المنفي اي لا يقومون من المس الذي بهم بسبب اكلهم الربوا او بيقوم او يتخبطه فيكون
نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال عقولهم بل لان الله تعالى اربى في بطونهم
ما اكلوا من الربوا فاثقلهم فصاروا مخبلين ينهضون ويسقطون تلك سيماهم يعرفون بها
عند اهل الموقف ذلك اشارة الى ما ذكر من حالهم وما في اسم الاشارة من معنى البعد
للايذان بفظاعة المشار اليه بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اي ذلك العقاب بسبب اكلهم
الربوا وبيعوا او يتخبطه نظموا الربا والبيع في سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه

استحلاله وقالوا يجوز بيع درهم بدرهمين كما يجوز بيع ما قيمته درهم بدرهمين بل جعلوا الربوا
اصلا في الحل وقاسوا به البيع مع وضوح الفرق بينهما فان احد الدرهمين في الاول ضايع حتما
والثاني منجبر بمساس الحاجة الى السلعة او بتوقع رواجها واحل الله البيع وحرم الربوا انكار من جهته
الله تعالى لتسويتهم وابطال القياس لوقوعه في مقابلة النص مع ما اشير اليه من عدم الاشترا[ك]
في المناط والجملة ابتدائية لا محل لها من الاعراب فمن جاءه موعظة اي فمن بلغه وعظ وزجر
كالنهي عن الربا وقرئ جاءته من ربه متعلق بجاءه او بمحذوف وقع صفة لموعظة والتعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة للاشعار بكون مجيء الموعظة للتربية فانتهى عطف على جاءه اي فاتعظ
بلا تراخ وتبع النهي فله ما سلف اي ما تقدم اخذه التحريم لا يسترد منه وما مرتفع بالظرف
ان جعلت من موصولة والابتدا ان جعلت شرطية على راي سيبويه لعدم اعتماد الظرف
على ما قبله وامره الى الله يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل
يحكم في شانه ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد الى تحليل الربا فاولئك اشارة الى من عاد والجمع باعتبا[ر]
اللفظ وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الشر والفساد اصحاب النار اي ملازموها
هم فيها خالدون ماكثون ابدا والجملة مقررة لما قبلها يمحق الله الربوا اي يذهب بركته ويهلك
المال الذي يدخل فيه ويربي الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيها ويزيد المال الذي اخرجت
منه الصدقة روي عن علي رضي الله عنه ان الله يقبل الصدقة ويربيها كما يربي احدكم مهره وعنه
عليه السلام ما نقصت زكوة من مال قط والله لا يحب لا يرضى لان الحب مختص بالتوابين كل كفار
مصر على تحليل المحرمات اثيم منهمك في ارتكابه ان الذين امنوا بالله ورسوله وبما جاءهم به
وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة واتوا الزكوة تخصيصهما بالذكر مع اندراجهما في الصالحات لانافتهما على
سائر الاعمال الصالحة على طريقة ذكر جبريل وميكال عقيب الملائكة عليهم السلام لهم اجرهم
جملة من مبتدا وخبر واقعة خبر لان اي لهم اجرهم الموعود لهم وقوله تعالى عند ربهم حال من اجرهم
وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم مزيد لطف وتشريف لهم ولا خوف عليهم
من مكروه آت ولا هم يحزنون من محبوب فات يا ايها الذين امنوا اتقوا الله اي قوا انفسكم عقابه
وذروا ما بقي من الربوا اي واتركوا بقايا ما شرطتم منه على الناس تركا كليا ان كنتم مؤمنين على الحقيقة
فان ذلك مستلزم لامتثال ما امرتم به البتة وهو شرط حذف جوابه ثقة بما قبله اي ان
كنتم مؤمنين فاتقوه وذروا الى آخره روي انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند
المحل بالمال والربا فنزلت فان لم تفعلوا اي ما امرتم به من الاتقاء وترك البقايا اما مع حرمته
واما مع الاعتراف بها فاذنوا بحرب من الله ورسوله اي فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم به اما على الاول
فكحرب المرتدين واما على الثاني فكحرب البغاة وقرئ فاذنوا اي فاعلموا غيرهم وقيل هو من
الاذن وهو الاستماع فانه من طرق العلم وقرئ فايقنوا وهو مقيد لقراءة العامة وتنكير
حرب للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لها موكدة لفخامتها اي بنوع من الحرب
عظيم لا يقادر قدره كاين من عند الله تعالى ورسوله روي انها لما نزلت قالت ثقيف لا يد
لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء مع الايمان بحرمتها بعد ما سمعتموه من الوعيد
فلكم رؤس اموالكم تاخذونها كملا لا تظلمون غرماءكم باخذ الزيادة ولا تظلمون عطف على ما قبله
اي لا تظلمون انتم من قبلهم بالمطل والنقص ومن ضرورة تعليق هذا الحكم بتوبتهم عدم ثبوته
عند عدمها لان عدمها ان كان مع انكار الحرمة فهم مرتدون وما لهم المكسوب في حال الردة

في

فيء للمسلمين عند ابي حنيفة رحمه الله وكذا سائر اموالهم عند الشافعي وعندنا هو لورثتهم ولا شيء لهم على
كل حال وان كان مع الاعتراف بها فان كان لهم شوكة فهم على شرف القتل لم تسلم لهم رؤسهم فكيف برؤس اموالهم
والا فكذلك عند ابن عباس رضي الله عنه فانه يقول من عامل الربوا يستتاب والا ضرب عنقه واما عند غيره
فهم محبوسون الى ان يظهر توبتهم لا يمكنون من التصرفات اصلا فما لم يتوبوا لم يسلم لهم شيء من اموالهم بل انما يسلم
بموتهم لورثتهم وان كان ذو عسرة اي ان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة على ان كان تامة وقرئ ذا عسرة على انها ناقصة
فنظرة اي فالحكم نظرة او فعليكم نظرة او فليكن نظرة وهي الانظار والامهال وقرئ فناظره اي فالمستحق ناظره اي
منتظره او فصاحب نظرته على طريق النسب وقرئ فناظره امرا من المفاعلة اي فسامحه بالنظرة الى ميسرة اي الى
يسار وقرئ بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة كما في قوله
واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وان تصدقوا بحذف احدى التائين وقرئ بتشديد الصاد اي وان تصدقوا
على معسر غرمائكم بالابراء خير لكم اي اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تاخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه فهو ندب
الى ان تصدقوا برؤس اموالهم كلا او بعضا على غرمائهم المعسرين كقوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى
المراد بالتصدق الانظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة
ان كنتم تعلمون جوابه محذوف اي ان كنتم تعلمون انه خير لكم عملتموه واتقوا يوما هو يوم القيمة وتنكيره للتفخيم
والتهويل وتعليق الاتقاء به للمبالغة في التحذير عما فيه من الشدائد والاهوال ترجعون فيه على البناء للمفعول
من الرجع وقرئ على البناء للفاعل من الرجوع والاول ادخل في التهويل وقرئ بالياء على طريق الالتفات وقرئ
تردون وكذا تصيرون الى الله لمحاسبة اعمالكم ثم توفى كل نفس من النفوس والتعميم للمبالغة وفي تهويل اليوم
اي تعطى كملا ما كسبت اي جزاء ما عملت من خير او شر وهم لا يظلمون حال من كل نفس تفيد ان المعاقبين
وان كانت عقوباتهم مؤبدة غير مظلومين في ذلك لما انه من قبل انفسهم وجمع الضمير لانه انسب بحال الجزاء
كما ان الافراد اوفق بحال الكسب عن ابن عباس رضي الله عنهما انها آخر آية نزل بها جبريل عليه السلام وقال
ضعها في راس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدى وعشرين يوما
وقيل احدى وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلث ساعات يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين شروع في بيان
حال المداينة الواقعة في تضاعيف المعاوضات الجارية فيما بينهم ببيع السلع بالنقود بعد بيان حال الربوا
اي اذا داين بعضكم بعضا وعامله نسيئة معطيا او آخذا وفائدة ذكر الدين دفع توهم كون التداين بمعنى المجازاة و
التنبيه الى تنوعه الى الحال والموجل وانه الباعث على الكتبة وتعيين المرجع للضمير المنصوب المتصل بالامر
الى اجل متعلق بتداينتم او بمحذوف وقع صفة لدين مسمى بالايام او الاشهر ونظايرهما مما يفيد العلم ويرفع
الجهالة لا بالحصاد والدياس ونحوهما مما لا يرفعها فاكتبوه اي الدين باجله لانه اوثق وادفع للنزاع
والجمهور على استحبابه وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح
السلف وليكتب بينكم كاتب بيان لكيفية الكتابة المامور بها وتعيين لمن يتولاها اثر الامر بها اجمالا وحذف
المفعول اما لتعينه او للقصد الى ايقاع نفس الفعل اي ليفعل الكتابة وقوله تعالى بينكم للايذان بان الكاتب
ينبغي ان يتوسط بين المتداينين ويكتب كلامهما ولا يكتفي بكلام احدهما وقوله تعالى بالعدل متعلق بمحذوف
هو صفة لكاتب اي كاتب كاين بالعدل اي وليكن المتصدي للكتابة من شانه ان يكتب بالسوية من غير ميل الى
احد الجانبين لا يزيد ولا ينقص وهو امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء كتابه موثوقا به معدلا بالشرع
ويجوز ان يكون حالا منه اي ملتبسا بالعدل وقيل متعلق بالفعل اي اي فليكتب بالحق ولا ياب كاتب
اي ولا يمتنع احد من الكتاب ان يكتب كتاب الدين كما علمه الله على طريقة فاضلة من كتبة الوثائق او كما بينه بقوله
تعالى بالعدل او ولا ياب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله تعالى بتعليم الكتابة كقوله تعالى واحسن كما احسن الله

٤

اليك فليكتب تلك الكتابة المعلّمة امر بها بعد النهي عن ابائها تاكيدا لها ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر على ان
يكون النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق الاملال من الاملاء اي وليكن
المملي من عليه الحق لانه المشهود عليه فلا بد ان يكون هو المقر وليتق الله ربه جمع بين الاسم الجليل والنعت الجليل
للمبالغة في التحذير اي وليتق المملي دون الكاتب كما قيل لقوله تعالى ولا يبخس منه اي من الحق الذي عليه على
الكاتب شيئا فانه الذي يتوقع منه البخس خاصة واما الكاتب فيتوقع منه الزيادة كما يتوقع منه النقص فلو
اريد نهيه لنهي عن كليهما وقد فعل ذلك حيث امر بالعدل وانما شدد في تكليف المملي حيث جمع فيه بين الامر
بالاتقا والنهي عن البخس لما فيه من الدواعي الى المنهي عنه فان الانسان مجبول على دفع الضرر عن نفسه و
تخفيف ما في ذمته بما امكن فان كان الذي عليه الحق صرح بذلك في موضع الاضمار لزيادة الكشف والبيان
لا لان الامر والنهي لغيره سفيها ناقص العقل مبذرا مجازفا او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل
هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه بخرس او عمى او جهل او غير ذلك من العوارض فليملل وليه اي الذي
يلي امره ويقوم مقامه من قيم او وكيل او مترجم بالعدل اي من غير نقص ولا زيادة لم يكلف بغير ما كلف
به من عليه الحق لانه من يتوقع الزيادة كما يتوقع منه البخس واستشهدوا شهيدين اي اطلبوهما ليتحملا الشهادة
على ما جرى بينكما من المداينة وتسميتهما شهيدين لتنزيل المشرف منزلة الكائن من رجالكم متعلق باستشهدوا
ومن ابتدائية او بمحذوف وقع صفة لشهيدين ومن تبعيضية اي شهيدين كائنين من رجال المسلمين الاحرار
اذ الكلام في معاملاتهم فان خطابات الشرع لا تنتظم العبيد بطريق العبارة كما بين في موضعه واما اذا كانت
المداينة بين الكفرة او كان من عليه الحق كافرا فيجوز استشهاد الكافر عندنا فان لم يكونا اي الشهيدان
جميعا على طريقة نفي الشمول لا شمول النفي رجلين اما لاعوازهما او لسبب اخر من الاسباب فرجل
وامراتان اي فليشهد رجل وامراتان او فرجل وامراتان يكفون وهذا فيما عدا الحدود والقصاص
عندنا وفي الاموال خاصة عند الشافعي رحمة الله عليه ممن ترضون متعلق بمحذوف وقع صفة لرجل وامراتان
اي كائنون مرضيين عندكم وتخصيصهم بالوصف المذكور مع تحقق اعتباره في كل شهيد لقلة اتصاف
النساء به وقيل نعت لشهيدين اي كائنين ممن ترضون ورد بانه يلزم الفصل بينهما بالاجنبي وقيل
بدل من رجالكم بتكرير العامل ورد بما ذكر من الفصل وقيل متعلق بقوله تعالى فاستشهدوا فيلزم الفصل
بين اشتراط المراتين وبين تعليله وقوله عز وجل من الشهداء متعلق بمحذوف وقع حالا من الضمير
المحذوف الراجع الى الموصول اي ممن ترضونهم كائنين من بعض الشهداء لعلمكم بعدالتهم وثقتكم بهم
وادراج النساء في الشهداء بطريق التغليب ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى تعليل لاعتبار العدد في
النساء والعلة في الحقيقة اي التذكير ولكن الضلال لما كان سببا له نزل منزلته كما في قولك اعددت
السلاح ان يجيء عدو فادفعه كانه قيل لاجل ان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت الشهادة بان نسيتها ولعل
ايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال ان تضل احداهما فتذكرها الاخرى لتاكيد الابهام والمبالغة في
الاحتراز عن توهم اختصاص الضلال باحداهما بعينها والتذكير بالاخرى وقرئ فتذكر من الاذكار
وقرئ فتذاكر وقرئ ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع كقوله تعالى ومن عاد فينتقم الله ولا يأب
الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او لتحملها وتسميتهم شهداء قبل التحمل لما مر من تنزيل المشارف منزلة
الواقع وما مزيدة عن قتادة انه كان الرجل يطوف في الحواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم احد فنزلت
ولا تسأموا اي لا تملوا من كثرة مداينتكم ان تكتبوه اي الدين او الحق او الكتاب وقيل كني به عن الكسل
الذي هو صفة المنافق كما ورد في قوله تعالى واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى وقد قال النبي صلى الله عليه
وسلم لا يقول المؤمن كسلت صغيرا او كبيرا حال من الضمير اي حال كونه صغيرا او كبيرا او قليلا او كثيرا

او مجملا او مفصلا الى اجله متعلق بمحذوف وقع حالا من الهاء في تكتبوه اي مستقرا في الذمة الى وقت حلوله
الذي اقر به المديون ذلكم اشارة الى ما امر به من الكتب والخطاب للمؤمنين اقسط اي اعدل عند الله اي في
حكمه تعالى واقوم للشهادة اي اثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام فانه قياسي عند سيبويه
او من قاسط بمعنى ذي قسط وقويم وانما صحت الواو في اقوم كما صحت في التعجب لجموده وادنى الا ترتابوا واقرب
الى انتفاء ريبتكم في جنس الدين وقدره واجله وشهوده ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها استثناء منقطع
من الامر بالكتابة اي لكن وقت كون تداينكم او تجارتكم تجارة حاضرة بحضور البدلين تديرونها بينكم بتعاطيهما يدا بيد
فليس عليكم جناح الا تكتبوها اي فلا باس بان لا تكتبوها لبعده عن التنازع والنسيان وقرئ برفع تجارة على انها
اسم كان وحاضرة صفتها وتديرونها خبرها او على انها تامة واشهدوا اذا تبايعتم اي هذا التبايع او مطلقا لانه احوط
والاوامر الواردة في الاية الكريمة للندب عند الجمهور وقيل للوجوب ثم اختلف في احكامها ونسخها ولا يضار كاتب
ولا شهيد نهي عن المضارة محتمل للبناءين كما ينبئ عنه قراءة من قرأ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة
والتغيير والتحريف في الكتبة والشهادة او نهي الطالب عن الضرار بهما بان يعجلهما عن مهمهما او يكلفهما الخروج عما
حد لهما او لا يعطي الكاتب جعله وقرئ بالرفع على انه نفي في معنى النهي وان تفعلوا ما نهيتم عنه من الضرار فانه
اي فعلكم ذلك فسوق اي خروج عن الطاعة متلبس بكم واتقوا الله في مخالفة اوامره ونواهيه التي من جملتها
نهيه عن المضارة ويعلمكم الله احكامه المتضمنة لمصالحكم والله بكل شيء عليم فلا يكاد يخفى عليه حالكم وهو مجازيكم
بذلك كرر لفظ الجلالة في الجمل الثلاث لادخال الروعة وتربية المهابة وللتنبيه على استقلال كل منها على حياله
فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بالانعام والثالثة تعظيم لشانه تعالى وان كنتم على سفر اي مسافرين
او متوجهين اليه ولم تجدوا كاتبا في المداينة وقرئ كتابا وكتبا وكتابا فرهان مقبوضة اي فالذي يستوثق
به او فعليكم او فليؤخذ او فالمشروع رهان مقبوضة وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في شرعية الارتهان
كما حسبه مجاهد والضحاك لانه صلى الله عليه وسلم رهن درعه في المدينة من يهودي بعشرين صاعا من شعير
اخذه لاهله بل لاقامة التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتبة في السفر الذي هو مظنة اعوازها وانما لم
يتعرض لحال الشاهد لما انه في حكم الكاتب توثقا واعوازا والجمهور على وجوب القبض في تمام الرهن غير مالك
وقرئ فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ بسكون الهاء تخفيفا فان امن بعضكم بعضا اي بعض
الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه واستغنى بامانته عن الارتهان وقرئ فان اومن بعضكم اي امنه الناس ووصفوه
بالامانة قيل فيكون انتصاب بعضا حينئذ على نزع الخافض اي على متاع بعض فليؤد الذي اؤتمن وهو المديون
وانما عبر عنه بذلك العنوان لتعينه طريقا للاعلام وحمله على الاداء امانته اي دينه وانما سمي امانة لائتمانه
عليه بترك الارتهان به وقرئ ايتمن بقلب الهمزة ياء وقرئ بادغام الياء في التاء وهو خطأ لان المنقلبة
من الهمزة لا تدغم لانها في حكمها وليتق الله ربه في رعاية حقوق الامانة وفي الجمع بين عنوان الالوهية
وصفة الربوبية من التاكيد والتحذير ما لا يخفى ولا تكتموا الشهادة ايها الشهود او المديونون اي شهادتكم على
انفسكم عند المعاملة ومن يكتمها فانه اثم قلبه اثم خبر ان وقلبه مرتفع به على الفاعلية كانه قيل يأثم قلبه او مرتفع
بالابتداء واثم خبر مقدم والجملة خبر ان واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان مما اقترفه ونظيره نسبة الزناء
الى العين والاذن او للمبالغة لانه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال كانه قيل تمكن الاثم في نفسه وملك
اشرف مكان فيه وفاق سائر ذنوبه عن ابن عباس رضي الله عنه ان اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله تعالى
فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وقرئ قلبه بالنصب كما في سفه نفسه وقرئ اثم قلبه
اي جعله اثما والله بما تعملون عليم فيجازيكم به ان خيرا فخير وان شرا فشر لله ما في السموات وما في الارض من
الامور الداخلة في حقيقتهما والخارجة عنهما المتمكنة فيهما من اولي العلم وغيرهم اي كلها له تعالى خلقا وملكا وتصرفا

لاشركة لغيره في شيء منها بوجه من الوجوه وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ من السوء والعزم عليه بان تظهروه للناس بالقول او بالفعل أَوْ تُخْفُوهُ بان تكتموه منهم ولا تظهروه باحد الوجهين ولا يندرج فيه ما لا يخلو عنه البشر من الوساوس واحاديث النفس التي لا عقد ولا عزيمة فيها اذ التكليف بحسب الوسع يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ يوم القيمة وهو حجة على منكري الحساب من المعتزلة والروافض وتقديم الجار والمجرور على الفاعل للاعتناء به واما تقديم الابداء على الاخفاء على عكس في قوله عز وجل قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله فلما ان المعلق بما في انفسهم هاهنا هو المحاسبة والاصل فيها اعمال البادية واما العلم فتعلقه بها كتعلقه بالاعمال الخافية كيف لا وعلمه سبحانه بمعلوماته متعال من ان يكون بطريق حصول الصورة بل وجود كل شيء في نفسه في اي طور كان علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة خلا ان مرتبة الاخفاء متقدمة على مرتبة الابداء اذ ما من شيء يبدي الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر في النفس فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية وقد مر في تفسير قوله تعالى او لا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فَيَغْفِرُ بالرفع على الاستيناف اي فهو يغفر بفضله لِمَنْ يَشَاءُ ان يغفر له وَيُعَذِّبُ بعدله مَنْ يَشَاءُ ان يعذبه حسبما تقتضيه مشيته المبنية على الحكم والمصالح وتقديم المغفرة على التعذيب لتقدم رحمته على غضبه وقرئ بجزم الفعلين عطفا على جواب الشرط وقرئ بالجزم من غير فاء على انهما بدل من الجواب بدل البعض او الاشتمال ونظير الجزم على البدلية من الشرط في قوله متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا وادغام الراء في اللام لحن وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تذييل مقرر لمضمون ما قبله فان كمال قدرته تعالى على جميع الاشياء موجب لقدرته سبحانه على ما ذكر من المحاسبة وما فرع عليه من المغفرة والتعذيب آمَنَ الرَّسُولُ لما ذكر في الفاتحة السورة الكريمة ان ما انزل الى الرسول صلى الله عليه وسلم من الكتاب العظيم الشان هدى للمتصفين بما فصل هناك من الصفات الفاضلة التي من جملتها الايمان به وبما انزل قبله من الكتب الالهية وانهم حائزون لاثرتي الهدى والفلاح من غير تعيين لهم بخصوصهم ولا تصريح بتحقق اتصافهم بها اذ ليس فيما يذكر في حيز الصلة حكم بالفعل وعقب ذلك ببيان حال من كفر به من المجاهرين والمنافقين ثم شرح في تضاعيفها من فنون الشرائع والاحكام والمواعظ والحكم واخبار سوالف الامم وغير ذلك ما يقتضي الحكمة شرحه عين في خاتمتها المتصفون بها وحكم باتصافهم بها على طريق الشهادة لهم من جهته عز وجل بكمال الايمان وحسن الطاعة وذكر صلى الله عليه وسلم بطريق الغيبة مع ذكره هناك بطريق الخطاب لما ان حق الشهادة الباقية على مر الدهور ان لا يخاطب بها المشهود له ولم يتعرض هاهنا لبيان فوزهم بمطالبهم التي من جملتها ما حكى عنهم من الدعوات الاتية ايذانا بانه امر محقق غني عن التصريح به لا سيما بعد ما نص عليه فيما سلف وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة المنبئة عن كونه عليه السلام صاحب كتاب مجيد وشرع جديد تمهيد لما يعقبه من قوله تعالى بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ ومزيد توضيح لاندراجه في الرسل المؤمن بهم عليهم السلام والمراد بما انزل اليه ما يعم كله وكل جزء من اجزائه ففيه تحقيق لكيفية ايمانه صلى الله عليه وسلم وتعيين لعنوانه اي آمن عليه السلام بكل ما انزل مِنْ رَبِّهِ ايمانا تفصيليا متعلقا بجميع ما فيه من الشرائع والاحكام والقصص والمواعظ واحوال الرسل والكتب وغير ذلك من حيث انه منزل منه تعالى واما الايمان بحقية احكامه وصدق اخباره ونحو ذلك فمن فروع الايمان به من الحيثية المذكورة وفي هذا الاجمال احال لمحله عليه السلام واشعار بان تعلق ايمانه بتفاصيل ما انزل اليه واحاطته بجميع ما انطوى عليه من الظهور بحيث لا حاجة الى ذكره اصلا وكذا في التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام تشريف له تنبيه على ان انزاله اليه تربية وتكميل له صلى الله عليه وسلم وَالْمُؤْمِنُونَ اي الفريق المعروفون بهذا الاسم فاللام عهدية لا موصولة لافضائها الى خلو الكلام عن الجدوى وهو مبتدا وقوله عز وجل كُلٌّ مبتداء ثان وقوله تعالى آمَنَ خبره والجملة للمبتداء الاول والرابط بينهما الضمير الذي ناب منابه التنوين وتوحيد الضمير في آمن مع

رجوعه الى كل المؤمنين لما ان المراد بيان ايمان كل فرد فرد منهم من غير اعتبار الاجتماع كما اعتبر ذلك في قوله تعالى وكل اتوه داخرين وتغيير سبك النظم الكريم عما قبله لتاكيد الاشعار بما بين ايمانه عليه السلام المبني على المشاهدة والعيان وبين ايمانهم الناشي عن الحجة والبرهان من التفاوت البين والاختلاف الجلي كانهما متخالفان من كل وجه حتى في هيئة التركيب الدال عليهما وما فيه من تكرير الاسناد لما في الحكم بايمان كل واحد منهما على الوجه الاتي من نوع خفاء محوج الى التقوية والتاكيد اي كل واحد منهم آمن بِاللَّهِ وحده من غير شريك له في الالوهية والمعبودية وَمَلَائِكَتِهِ اي من حيث انهم عباد مكرمون له تعالى من شانهم التوسط بينه تعالى وبين الرسل بانزال الكتب والقاء الوحي فان مدار الايمان بهم ليس خصوصيات ذواتهم في انفسهم بل هو اضافتهم اليه تعالى من الحيثية المذكورة كما يلوح به الترتيب في النظم وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ اي من حيث مجيئها من عنده تعالى لارشاد الخلق الى ما شرع لهم من الدين بالاوامر والنواهي لكن لا على الاطلاق بل على ان كل واحد من تلك الكتب منزل منه تعالى الى رسول معين من اولئك الرسل عليهم السلام حسبما فصل في قوله تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم الاية ولا على ان مناط الايمان خصوصية ذلك الكتاب او ذلك الرسول بل على ان الايمان بالكل مندرج في الايمان بالكتاب المنزل الى الرسول صلى الله عليه وسلم مستند اليه لما تلي من الاية الكريمة ولا على ان احكام الكتب السالفة وشرائعها باقية بالكلية ولا على ان الباقي منها معتبر بالاضافة اليها بل على ان احكام كل واحد منها كانت حقة ثابتة الى ورود كتاب آخر ناسخ له وان ما لم ينسخ منها الى الان من الشرائع والاحكام ثابتة من حيث انها من احكام هذا الكتاب المصون عن النسخ الى يوم القيمة وانما لم يذكرها هنا الايمان باليوم الاخر كما ذكر في قوله تعالى ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين لاندراجه في الايمان بكتبه وقرئ وكتابه على ان المراد به القران او جنس الكتاب كما في قوله تعالى فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب والفرق بينه وبين الجمع انه شايع في افراد الجنس والجمع في جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب وهذا نوع تفصيل كما اجمل في قوله عز وجل بما انزل اليه من ربه اقتصر عليه ايذانا بكفايته في الايمان الاجمالي المتحقق في كل فرد من افراد المومنين من غير نفي الزيادة ضرورة اختلاف طبقاتهم وتفاوت ايمانهم بالامور المذكورة في مراتب التفصيل تفاوتا فاحشا فان الاجمال في الحكاية لا يوجب الاجمال في المحكي كيف لا وقد اجمل في حكاية ايمانه عليه السلام بما انزل اليه من ربه مع بداهة كونه متعلقا بتفاصيل ما فيه من الجلايل والدقايق ثم ان الامور المذكورة من حيث كانت من الامور الغيبية التي لا يوقف عليها الا من جهة العليم الخبير كان الايمان بها مصدقا لما ذكر في صدر السورة الكريمة من الايمان بالغيب واما الايمان بكتبه تعالى فاشارة الى ما في قوله يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك هذا هو اللايق بشان التنزيل والحقيق بمقدار الجليل وقد جوز ان يكون قوله تعالى والمومنون معطوفا على الرسول فيوقف عليه والضمير الذي عوض عنه التنوين راجع الى المعطوفين معا كانه قيل امن الرسول والمومنون بما انزل اليه من ربه ثم فصل ذلك وقيل كل واحد من الرسول والمومنين امن بالله الى اخره خلا انه قدم المومن به على المعطوف اعتناء بشانه وايذانا باصالته عليه السلام في الايمان به ولا يخفى انه مع خلوه عما في الوجه الاول من كمال اجلال شانه عليه السلام وتفخيم ايمانه مخل بجزالة النظم الكريم لانه ان حمل كل من الايمانين على ما يليق بشانه عليه السلام من حيث الذات ومن حيث التعلق بالتفاصيل استحال اسنادهما الى غيره عليه السلام وضاع التكرير وان حملا على ما يليق بشان احاد الامة كان ذلك حطا لرتبته العلية عليه السلام واما حملهما على ما يليق بكل واحد ممن نسبا اليه من الاحاد ذاتا وتعلقا بان يحملا بالنسبة الى الرسول صلى الله عليه وسلم على الايمان العياني المتعلق بجميع التفاصيل وبالنسبة الى احاد الامة على الايمان المكتسب من جهته عليه السلام اللايق بحالهم في الاجمال والتفصيل فاعتساف بين ينبغي تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله وقوله

تعالى لا نفرق بين احد من رسله في حيز النصب بقول مقدر على صيغة الجمع رعاية لجانب المعنى منصوب على انه حال
من ضمير آمن او مرفوع على انه خبر اخر لكل اي يقولون لا نفرق بينهم بان نؤمن ببعض منهم ونكفر باخرين بل نؤمن بصحة رسالة
كل واحد منهم قيدوا به ايمانهم تحقيقا للحق وتخطئة لاهل الكتابين حيث اجمعوا على الكفر بالرسول صلى الله عليه وسلم واستقلت
اليهود بالكفر بعيسى عليه السلام ايضا على ان مقصودهم الاصلي ابراز ايمانهم بما كفروا به من رسالته عليه السلام لاظهار
موافقتهم لهم فيما آمنوا به وهذا كما ترى صريح في ان القائلين احاد المؤمنين خاصة اذ لا يمكن ان يسند اليه عليه السلام
ان يقول لا نفرق بين احد من رسله وهو يريد به اظهار ايمانه برسالة نفسه وتصديقه في دعواها وعدم التعرض لنفي التفريق
بين الكتب لاستلزام المذكور اياه وان ما لم يعكس ومع التحقق اللازم من الطرفين لما ان الاصل في تفريق المفرقين هو
الرسل وكفرهم بالكتب متفرع على كفرهم بهم وقرئ بالياء على اسناد الفعل الى كل وقرئ لا يفرقون حملا على المعنى كما في
قوله تعالى وكل اتوه داخرين فالجملة نفسها حال من الضمير المذكور وقيل خبر ثان لكل كما قيل في القول المقدر فلا بد من
اعتبار الكلية بعد النفي دون العكس اذ المراد شمول النفي لا نفي الشمول في همزة احد وفي دخول بين عليه قدم تفصيله
عند قوله تعالى لا نفرق بين احد منهم وفيه من الدلالة صريحا على تحقق عدم التفريق بين كل فرد فرد منهم وبين من عداه كائنا
من كان ما ليس في ان يقال لا نفرق بين رسله وايثار اظهار الرسل عن الاضمار الواقع مثله في قوله تعالى وما اوتي النبيون
من ربهم لا نفرق بين احد منهم اما للاحتراز عن توهم اندراج الملائكة في الحكم او للاشعار بعلة عدم التفريق او للايماء الى عنوانه
لان المعتبر عدم التفريق من حيث الرسالة دون سائر الحيثيات الخاصة وقالوا عطف على آمن وصيغة الجمع باعتبار
جانب المعنى وهو حكاية لامتثالهم بالاوامر اثر حكاية ايمانهم سمعنا اي فهمنا ما جاءنا من الحق وتيقنا بصحته واطعنا
ما فيه من الاوامر والنواهي وقيل سمعنا اجبنا دعوتك واطعنا امرك غفرانك ربنا اي اغفر لنا غفرانك او نسألك
غفرانك ذنوبنا المتقدمة او ما لا يخلو عنه البشر في التقصير في مراعاة حقوقك وتقديم ذكر السمع والطاعة على
على طلب الغفران لما ان تقديم الوسيلة على المسئول ادعى للاجابة والقبول والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليهم
للمبالغة في التضرع والجؤار واليك المصير اي اليك الرجوع بالموت والبعث لا الى غيرك وهو تذييل لما قبله للحاجة
الى المغفرة لما ان الرجوع للحساب والجزاء وقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها جملة اي مستانفة مستقلة جيء
بها اثر حكاية تلقيهم بتكاليفه تعالى بحسن الطاعة اظهارا لما له تعالى عليهم في ضمن التكليف من محاسن آثار الفضل والرحمة
ابتداء لا بعد السؤال كما سيجيء هذا وقد روي انه لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله
الاية اشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتوه عليه السلام ثم بركوا على الركب فقالوا اي رسول
الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلاة والصيام والحج والجهاد وقد نزل اليك هذه الاية ولا نطيقها فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قالوا سمعنا واطعنا غفرانك
ربنا واليك المصير فقراها القوم فانزل الله عز وجل آمن الرسول بما انزل اليه من ربه الى قوله تعالى غفرانك ربنا
واليك المصير فسئوا لهم الغفران المعلق بمشيئته عز وجل في قوله فيغفر لمن يشاء ثم انزل الله تعالى لا يكلف الله
نفسا الا وسعها تهوينا للخطب عليهم ببيان ان المراد بما في انفسهم ما عزموا عليه من السوء خاصة لا ما يعم الخواطر
التي لا يستطاع الاحتراز عنها والتكليف الزام ما فيه كلفة ومشقة والوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه اي سنته
تعالى انه لا يكلف نفسا من النفوس الا ما يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها دون مدى الطاقة والمجهود فضلا منه
تعالى ورحمته لهذه الامة كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقرئ وسعها بالفتح وهذا يدل على عدم
وقوع التكليف بالمحال لا على امتناعه وقوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت للترغيب في المحافظة على مواجب
التكليف والتحذير عن الاخلال بها ببيان ان تكليف كل نفس مع مقارنته بنعمة التخفيف والتيسير يتضمن مراعاة منفعة
زائدة وانها تعود اليها لا الى غيرها ويستتبع الاخلال به مضرة تحيق بها لا بغيرها فان اختصاص منفعة الفعل
بفاعله من اقوى الدواعي الى تحصيله واختصاص مضرته به من اشد الزواجر عن مباشرته اي لها ثواب ما كسبت

من الخير

من الخير الذي كلفت فعله لا لغيرها استقلالا او اشتراكا ضرورة شمول كلمة ما لكل جزء من اجزاء مكسوبها وعليها لا على
غيرها باحد الطريقين المذكورين عقاب ما اكتسبت من الشر الذي كلفت تركه وايراد الاكتساب في جانب الشر لما فيه
من اعمال ناشئ من اعتناء النفس بتحصيل الشر وسعيها في طلبه ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا شروع في
حكاية بقية دعواتهم اثر بيان سر التكليف اي لا تؤاخذنا بما صدر عنا من الامور المؤدية الى النسيان او الخطاء من
من تفريط وقلة مبالات ونحوهما مما يدخل تحت التكليف او بانفسهما من حيث ترتبهما على ما ذكرنا ومطلقا اذ لا امتناع في
المؤاخذة بهما عقلا فان المعاصي كالسموم فكما ان تناولهما ولو سهوا او خطاء مؤد الى الهلاك فتعاطي المعاصي ايضا لا
يبعد ان يفضي الى العقاب وان لم يكن عن عزيمة ووعده تعالى بعدمه لا يوجب استحالة وقوعه فان ذلك من آثار فضله
ورحمته كما ينبئ عنه الرفع في قوله عليه السلام رفع عن امتي الخطا والنسيان وقد روي ان اليهود كانوا اذا نسوا شيئا
عجلت لهم العقوبة فدعاؤهم بعد العلم بتحقق الموعود للاستدامة والاعتداد بالنعمة في ذلك كما في قوله تعالى ربنا
واتنا ما وعدتنا على رسلك ربنا ولا تحمل علينا اصرا عطف على ما قبله وتوسيط النداء بينهما لابراز مزيد الضراعة
والاصر العبء الثقيل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه مكانه والمراد به التكاليف الشاقة وقيل الاصر الذنب
الذي لا توبة له فالمعنى اعصمنا من اقترافه وقرئ آصارا وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة قوله تعالى كما
حملته على الذين من قبلنا في حيز النصب على انه صفة لمصدر المحذوف اي حملا مثل حملك اياه على من قبلنا
او على انه صفة لاصرا اي اصرا مثل الاصر الذي حملته على من قبلنا وهو ما كلفه بنو اسرائيل من بخع النفس في
التوبة وقطع موضع النجاسة وخمسين صلاة في يوم وليلة وصرف ربع المال للزكاة وغير ذلك من التشديدات
فانهم كانوا اذا اتوا بخطيئة حرم عليهم من الطعام بعض ما كان حلالا لهم قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم
طيبات احلت لهم وقد عصم الله عز وجل بفضله ورحمته هذه الامة عن امثال ذلك وانزل في شانهم ويضع عنهم
اصرهم والاغلال التي كانت عليهم وقال عليه السلام بعثت بالحنيفية السهلة السمحة وعن العقوبات التي عوقب
بها الاولون من المسخ والخسف وغير ذلك قال عليه السلام رفع عن امتي الخسف والمسخ والغرق ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به
عطف على ما قبله او استعفاء من العقوبات التي لا تطاق بعد الاستعفاء عما يؤدي اليها التفريط فيه من التكليف الشاقة
التي لا يكاد من كلفها يخلو عن التفريط فيها كانه قيل لا تكلفنا تلك التكاليف ولا تعاقبنا بتفريطنا في المحافظة عليها
فيكون التعبير عن انزال العقوبات بالتحميل باعتبار ما يؤدي اليها وقيل هو تكرير للاول وتصوير للاصر بصورة
ما لا تستطاع مبالغة وقيل هو استعفاء من التكليف بما لا تفي به الطاقة البشرية حقيقة فيكون دليلا على جوازه
عقلا والا لما سال التخلص عنه والتشديد ههنا الى تعدية الفعل الى مفعول ثان واعف عنا اي امح ذنوبنا
واغفر لنا واستر عيوبنا ولا تفضحنا على رؤس الاشهاد وارحمنا وتعطف بنا وتفضل علينا وتقديم طلب العفو
والمغفرة على طلب الرحمة لما ان التخلية سابقة على التحلية انت مولانا سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا او متولي
امورنا فانصرنا على القوم الكافرين فان من حق المولى ان ينصر عبده ومن يتولى امره على الاعداء والمراد به عامة
الكفرة وفيه اشارة الى ان اعلاء كلمة الله والجهاد في سبيل الله تعالى حسبما امر في تضاعيف السورة الكريمة غاية
مطالبهم روي انه صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل دعوة قد فعلت وعنه عليه السلام
انزل الله تعالى آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي عام من قراهما بعد العشاء الاخرة
اجزاتاه عن قيام الليل وعنه عليه السلام من قرا آيتين من سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال السورة التي يذكر فيها البقرة
كما قال عليه السلام السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها
البطلة قيل وما البطلة قال صلى الله عليه وسلم السحرة • والله اعلم بالصواب • واليه المرجع والمآب •

سورة آل عمران مدنية اياتها مائتان كلماتها ثلاثة آلاف واربعمائة وثمانون

كفناه وهو حجة على من استكره ان يقول سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم **الم الله لا اله الا هو** قد سلف ان ما لا يكون من هذه الفواتح مفردة كصاد وقاف ونون ولا
موازنة المفرد كحم وطس ويس الموازنة لقابيل وهابيل وكطسم الموازنة لدارابجرد حسبما ذكره سيبويه في الكتاب
فطريق التلفظ بها الحكاية فقط ساكنة الاعجاز على الوقف سواء جعلت اسماء او مسرودة على نمط التعديد وان لزمها
التقاء الساكنين لما انه مغتفر في باب الوقف قطعا فحق هذه الفاتحة ان يوقف عليها ثم يبدأ بما بعدها كما فعله ابو بكر
رواية عن عاصم واما ما فيها من الفتح على القراءة المشهورة فانما هي حركة همزة الجلالة القيت على الميم لتدل على ثبوتها
اذ ليس اسقاطها للدرج بل للتخفيف فهي لبقاء حركتها في حكم الثابت المبتدا به والميم بكون الحركة لغيرها في حكم الوقف
على السكون دون الحركة كما توهم واعترض بانه غير معهود في الكلام **وقيل** هي حركة لالتقاء السواكن التي هي الياء
والميم ولام الجلالة بعد سقوط همزتها وانت خبير بان سقوطها مبني على وقوعها في الدرج وقد عرفت ان سكون الميم
وقفي موجب لانقطاعها عما بعدها مستدع لثبات الهمزة على حالها لاسيما في الحروف والاسماء المبنية على السكون
فان حقها الاتصال بما بعدها وضعا واستعمالا فيسقط بها همزة الوصل ويحرك اعجازها لالتقاء الساكنين ثم
ان جعلت مسرودة على نمط التعديد فلا محل لها من الاعراب كسائر الفواتح وان جعلت اسما للسورة فمحلها اما الرفع
على انها خبر مبتدا محذوف واما النصب على اضمار فعل يليق بالمقام كاذكر او اقرأ او نحوهما واما الرفع بالابتداء او
النصب بتقدير فعل القسم او الجر بتقدير حرفه فلا مساغ لشيء منها لما ان ما بعدها غير صالح للخبرية ولا للاقسام عليه
فان الاسم الجليل مبتدا وما بعده خبره والجملة مستانفة اي هو المستحق للمعبودية لا غير وقوله عز وجل **الحي القيوم** خبر
اخر له او لمبتدا محذوف اي هو الحي القيوم لا غير **وقيل** هو صفة للمبتدا او بدل منه او من الخبر الاول او هو الخبر وما
قبله اعتراض بين المبتدا والخبر مقرر لما يفيده الاسم الجليل او حال منه وايا ما كان فهو كالدليل على اختصاص استحقاق
المعبودية به سبحانه وتعالى لما مر من ان معنى الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للموت والفناء ومعنى القيوم الدائم القيام
بتدبير الخلق وحفظه ومن ضرورة اختصاص ذينك الوصفين به تعالى اختصاص استحقاق المعبودية به تعالى لاستحالة
تحققه بدونهما وقد روي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الاعظم في ثلث سور في سورة البقرة الله لا اله
الا هو الحي القيوم وفي آل عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم **ويروي** ان عيسى
عليه السلام كان اذا اراد احياء الموتى يدعو يا حي يا قيوم ويقال ان آصف بن برخيا حين اتى بعرش بلقيس دعا بذلك
وقرئ الحي القيام وهذا رد على من زعم ان عيسى عليه السلام كان ربا فانه يروى ان وفد نجران قدموا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكانوا ستين راكبا فيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم ثلثة منهم اكابر اليهم يؤول امرهم احدهم
اميرهم وصاحب مشورتهم العاقب واسمه عبد المسيح وثانيهم وزيرهم ومشيرهم السيد واسمه الايهم وثالثهم حبرهم
واسقفهم وصاحب مدارسهم ابو حارثة بن علقمة احد بني بكر بن وائل وقد كان ملوك الروم شرفوه وموّلوه واكرموه
لما شاهدوا من علمه واجتهاده في دينهم وبنوا له كنائس فلما خرجوا من نجران ركب ابو حارثة بغلته وكان اخوه كرز بن
علقمة الى جنبه فبينا بغلة ابي حارثة تسير اذ عثرت فقال كرز تعسا للابعد يريد به رسول الله عليه السلام فقال له
ابو حارثة بل تعست امك فقال كرز ولم يا اخي قال انه والله النبي الذي كنا ننتظره فقال له فما يمنعك عنه وانت تعلم هذا
قال لان هؤلاء الملوك اعطونا اموالا كثيرة واكرمونا فلو امنا به لاخذوا منا كلها فوقع ذلك في قلب كرز واضمر الى ان
اسلم فكان يحدث بذلك فاتوا المدينة ثم دخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلوة العصر عليهم ثياب الحبرات
جبب واردية فاخرة يقول بعض من رآهم من اصحابه عليه السلام ما راينا وفدا مثلهم وقد حانت صلوتهم فقاموا ليصلوا
في المسجد فقال عليه السلام دعوهم فصلوا الى المشرق ثم تكلم اولئك الثلاثة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
تارة عيسى هو الله لانه كان يحيي الموتى ويبرئ الاسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيطير
وتارة اخرى هو ابن الله اذ لم يكن له اب يعلم وتارة اخرى انه ثالث ثلثة لقوله تعالى فعلنا وقلنا ولو كان واحدا لقال
فعلت فقال لهم رسول الله عليه السلام اسلموا قالوا اسلمنا قبلك قال عليه السلام كذبتم يمنعكم من الاسلام دعاؤكم

وكم

لله تعالى

لله تعالى ولدا قالوا ان لم يكن ولدا لله فمن ابوه فقال عليه السلام الستم تعلمون انه لا يكون ولد الا ويشبه اباه
فقالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى ياتي عليه الفنا قالوا بلى قال عليه السلام الستم تعلمون
ان ربنا قيوم على كل شيء يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال عليه السلام فهل يملك عيسى من ذلك شيئا قالوا لا فقال عليه
السلام الستم تعلمون ان الله تعالى لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء قالوا بلى قال عليه السلام فهل
يملك عيسى من ذلك شيئا الا ما علم قالوا لا قال عليه السلام الستم تعلمون ان ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء
وان ربنا لا ياكل ولا يشرب ولا يحدث قالوا بلى قال عليه السلام الستم تعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل
المرأة ووضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم الطعام ويشرب ويحدث الحدث
قالوا بلى قال عليه السلام فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فابوا الا جحودا فانزل الله عز وجل من اول السورة
الى نيف وثمانين اية تقريرا لما احتج به عليه السلام عليهم واجاب به عن شبههم وتحقيقا للحق الذي فيه يمترون
نزل عليك الكتاب اي القرآن عبر عنه باسم الجنس ايذانا بكمال تفوقه على بقية الافراد في حيازة كمالات الجنس
كانه هو الحقيق بان يطلق عليه اسم الكتاب دون ما عداه كما يلوح به التصريح باسمي التورية والانجيل وصيغة
التفعيل للدلالة على التنجيم وتقديم الظرف على المفعول لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر والجملة
اما مستانفة او خبر اخر من الاسم الجليل او هي الخبر وقوله تعالى لا اله الا هو الحي القيوم اعتراض او حال وقوله
عز وجل الحي القيوم صفة او بدل كما مر وقرئ نزل عليك الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب فالظاهر حينئذ
ان يكون مستانفة **وقيل** يجوز كونها خبرا بحذف العائد اي نزل الكتاب من عنده **بالحق** حال من الفاعل او
المفعول اي نزل محقا في تنزيله على ما هو عليه او ملتبسا بالعدل في احكامه او بالصدق في اخباره التي من جملتها
خبر التوحيد وما يليه وفي وعده ووعيده او بما تحقق انه من عند الله تعالى من الحجج البينة **ومصدقا** حال من الكتاب
بالاتفاق على تقدير كون قوله تعالى بالحق حالا من فاعل نزل واما على تقدير حاليته من الكتاب فهو عند من يجوز تعدد
الحال بلا عطف ولا بدلية حال منه بعد حال واما عند من يمنعه فقد قيل انه حال من محل الحال الاولى على
البدلية **وقيل** من المستكن في الجار والمجرور لانه حينئذ يتحمل ضمير القيامه مقام عامله المتحمل له فيكون حالا
متداخلة وعلى كل حال مؤكدة وفائدة تقييد التنزيل بها حث اهل الكتابين على الايمان بالمنزل وتنبيههم
على وجوبه فان الايمان بالمصدق موجب للايمان بما يصدقه حتما **لما بين يديه** مفعول لمصدقا واللام
دعامة لتقوية العمل نحو فعال لما يريد اي مصدقا لما قبله من الكتب السالفة وفيه ايماء الى حضورها وكمال
ظهور امرها بين الناس وتصديقه اياها في الدعوة الى الايمان والتوحيد وتنزيه الله عز وجل عما لا يليق
بشانه الجليل والامر بالعدل والاحسان وكذا في انباء الانبياء والامم الخالية وكذا في نزول على النعت
المذكور فيها وكذا في الشرائع التي لا تختلف باختلاف الامم والاعصار ظاهر لا ريب فيه واما في الشرائع
المختلفة باختلافهما فمن حيث ان احكام كل واحد منها واردة حسبما الحكمة التشريعية بالنسبة الى خصوصيات
الامم المكلفة بها مشتملة على المصالح اللائقة بشانهم **وانزل التورية والانجيل** تعيين لما بين يديه وتبيين
لرفعة محله تاكيدا لما قبله وتمهيدا لما بعده اذ بذلك يترقى شان ما يصدقه رفعة ونباهة ويزداد في
القلوب قبولا ومهابة ويتفاحش حال من كفر بهما في الشناعة واستتباع ما سيذكر من العذاب الشديد
والانتقام اي انزلهما جملة على موسى وعيسى عليهما السلام وانما لم يذكرا لان الكلام في الكتابين لا فيمن
انزلا عليه وهما اسمان اعجميان الاول عبري والثاني سرياني وقد قرأ بعض القراء بفتح همزة الانجيل فان
افعيل ليس من ابنية العرب والتصدي لاشتقاقهما من الوري والنجل تعسف **من قبل** متعلق بانزل
اي انزلهما من قبل تنزيل الكتاب والتصريح به مع ظهور الامر للمبالغة في البيان **هدى للناس** في حيز النصب
على انه علة للانزال اي انزلهما لهداية الناس او على انه حال منهما اي انزلهما حال كونهما هدى لهم والافراد

لما انه مصدر جعلا نفس الهدى مبالغة اي حذف منه المضاف اي ذوي هدى ثم ان اريد هدايتهما
بجميع ما فيهما من حيث هو جميع فالمراد بالناس الامم الماضية من حين نزولهما الى زمان نسخهما وان
اريد هدايتهما على الاطلاق وهو الانسب بالمقام فالناس على عمومه لما ان هدايتهما بما عدا الشرايع
المنسوخة من الامور التي يصدقهما القران فيها ومن جملتها البشارة بنزوله ومبعث النبي صلى الله
عليه وسلم يعم الناس قاطبة **وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ** الفرقان في الاصل مصدر كالغفران اطلق على الفاعل مبالغة
والمراد به هاهنا اما جنس الكتب الالهية عبر عنها بوصف شامل لما ذكر منها وما لم يذكر على طريق التتميم
بالتعميم اثر تخصيص بعض مشاهيرها بالذكر كما في قوله عز وجل فانبتنا فيها حبا وعنبا الى قوله تعالى
وفاكهة واما نفس الكتب المذكورة اعيد ذكرها بوصف خاص لم يذكر فيما سبق على طريقة العطف بتكرير
لفظ الانزال تنزيلا للتغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي كما في قوله عز وجل فلما جاء امرنا نجينا هودا
والذين معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ واما الزبور فانه مشتمل على المواعظ الفارقة بين الحق
والباطل الداعية الى الخير والرشاد الزاجرة عن الشر والفساد وتقديم الانجيل عليه مع تاخره عنه
نزولا لقوة مناسبته التورية في الاشتمال على الاحكام والشرايع وشيوع اقترانهما في الذكر او
القران نفسه ذكر بنعت مادح له بعد ما ذكر باسم الجنس تعظيما لشانه ورفعا لمكانه وقد بين اولا
تنزيله التدريجي الى الارض وثانيا انزاله الدفعي الى السماء الدنيا او اريد بالانزال القدر المشترك العاري
عن قيد التدريج وعدمه واما المعجزات المقرونة بانزال الكتب المذكورة الفارقة بين الحق والباطل **إِنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ** وضع موضع الضمير العايد الى ما فصل من الكتب المذكورة او منها ومن المعجزات
الايات مضافة الى الاسم الجليل تعيينا لحيثية كفرهم وتهويلا لامرهم وتاكيدا لاستحقاقهم العذاب
الشديد وايذانا بان ذلك الاستحقاق لا يشترط فيه الكفر بالكل بل يكفي فيه الكفر ببعض منها والمراد بالموصول
اما اهل الكتابين وهو الانسب بمقام المحاجة معهم او جنس الكفرة وهم داخلون فيه دخولا اوليا اي ان
الذين كفروا بما ذكر من الايات الناطقة بالحق لا سيما بتوحيده تعالى وتنزيهه عما لا يليق بشانه الجليل كلا
او بعضا مع ما بها من النعوت الموجبة للايمان بها بان كذبوا بالقران اصالة وبساير الكتب الالهية تبعا لما
ان تكذيب المصدق موجب لتكذيب ما يصدقه حتما واصالة ايضا بان كذبوا باياتها الناطقة بالتوحيد
والتنزيه واياتها المبشرة بنزول القران ومبعث النبي صلى الله عليه وسلم وغيروها **لَهُمْ** بسبب كفرهم بها
عَذَابٌ مرتفع اما على الفاعلية من الجار والمجرور او على الابتداء والجملة خبر ان والتنوين للتفخيم اي اي عذاب
عذاب **شَدِيدٌ** لا يقادر قدره وهو وعيد جيء به اثر تقرير امر التوحيد الذاتي والوصفي والاشارة الى ما ينطق بذلك
من الكتب الالهية حملا على القبول والاذعان وزجرا عن الكفر والعصيان **وَاللَّهُ عَزِيزٌ** لا يغالب يفعل ما يشاء ويحكم
ما يريد **ذُو انتِقَامٍ** عظيم خارج عن افراد جنسه وهو افتعال من النقمة وهي السطوة والتسلط يقال انتقم منه اذا عاقبه
بجنايته والجملة اعتراض تذييلي مقرر للوعيد ومؤكد له **إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ** استيناف كلام
سيق لبيان سعة علمه تعالى واحاطته بجميع ما في العالم من الاشياء التي من جملتها ما صدر عنهم من الكفر والفسوق
سرا وجهرا اثر بيان كمال قدرته وعزته وتربية لما قبله من الوعيد وتنبيها على ان الوقوف على بعض المغيبات كما كان في
عيسى عليه السلام بمعزل من بلوغ الصفات الالهية وانما عبر عن علمه عز وجل بما ذكر بعدم خفائه عليه كما في قوله
سبحانه وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء ايذانا بان علمه تعالى بمعلوماته وان كانت في اقصى الغايات
الخفية ليس من شانه ان يكون على وجه يمكن ان يقارنه شائبة خفاء بوجه من الوجوه كما في علوم المخلوقين بل هو
في غاية الوضوح والجلاء والجملة المنفية خبر لان وتكرير الاسناد لتقوية الحكم وكلمة في متعلقة بمحذوف وقع
صفة لشيء مؤكدة لعمومه المستفاد من وقوعه في سياق النفي اي لا يخفى عليه شيء ما كائن في الارض ولا في السماء

اعم

اعم من ان يكون ذلك بطريق الاستقرار فيهما او الجزئية منهما وقيل متعلقة بيخفى وانما عبر بهما عن كل العالم
لانهما قطراه وتقديم الارض على السماء لاظهار الاعتناء بشان احوال اهلها وتوسيط حرف النفي بينهما للدلالة على
الترقي من الادنى الى الاعلى باعتبار القرب والبعد منا المستدعيين للتفاوت بالنسبة الى علومنا وقوله عز وجل
هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ جملة مستانفة ناطقة ببعض احكام قيوميته تعالى وجريان احوال
الخلق في اطوار الوجود حسب مشيئته المبنية على الحكم البالغة مقررة لكمال علمه زيادة بيان لتعلقه تعالى بالاشيا
قبل دخولها تحت الوجود ضرورة وجوب علمه تعالى بالصور المختلفة المترتبة على التصوير المترتب على المشيئة قبل
تحققها بالمراتب وكلمة في متعلقة بيصوركم او بمحذوف وقع حالا من ضمير المفعول اي يصوركم وانتم في
الارحام مضغ وكيف معمول ليشاء والجملة في محل النصب على الحالية اما من فاعل يصوركم اي كائنا على
مشيئته تعالى اي مريدا او من مفعوله يصوركم اي يصوركم كائنين على مشيئته تعالى تابعين لها في قبول الاحوال
المتغايرة من كونكم نطفا ثم علقا ثم مضغا غير مخلقة ثم مخلقة وفي الاتصاف بالصفات المختلفة من الذكورة و
الانوثة والحسن والقبح وغير ذلك من الصفات وفيه من الدلالة على بطلان زعم من زعم ربوبية عيسى عليه
السلام وهو من جملة ابناء النواسيت المتقلبين في هذه الاطوار على مشيئة البارئ عز وعلا وكمال ركاكة
عقولهم ما لا يخفى وقرئ تصوركم على صيغة الماضي من التفعل اي صوركم لنفسه وعبادته **لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ**
اذ لا يتصور بشيء مما ذكر من الشؤون العظيمة الخاصة بالالوهية احد ليتوهم الوهيته **الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** المتناهي
في القدرة والحكمة ولذلك يخلقكم على ما ذكر من النمط البديع **هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ** شروع في ابطال
شبههم الناشئة عما نطق به القران في نعت عيسى عليه السلام بطريق الاستيناف اثر بيان اختصاص الربوبية
ومناطها به سبحانه وتعالى تارة بعد اخرى وكون كل من عداه مقهورا تحت ملكوته تابعا لمشيئته وقيل
ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تزعم يا محمد كلمة الله وروح منه قال عليه السلام بلى
قالوا فحسبنا ذلك فنعى عليهم بغيهم وفتنتهم وبين ان الكتاب مؤسس على اصول رصينة وفروع
مبنية عليها ناطقة بالحق قاضية ببطلان ما هم عليه من الضلال والمراد بالانزال القدر المشترك المجرد عن
الدلالة على قيد التدريج وعدمه ولام الكتاب للعهد وتقديم الظرف عليه لما اشير اليه فيما قبل من الاعتناء
بشانه بشارته عليه السلام بتشريف الانزال عليه ومن التشويق الى ما انزل فان النفس عند تاخير ما حقه
التقديم لا سيما بعد الاشعار برفعة شانه او بمنفعة تبقى مترقبة له فيتمكن لديها عند وروده عليها فضل
تمكن وليتصل به تقسيمه الى قسميه **مِنْهُ آيَاتٌ** الظرف خبر وايات مبتدا او بالعكس بتاويل مر تحقيقه
في قوله تعالى ومن الناس من يقول الاية والاول اوفق بقواعد الصناعة والثاني ادخل في جزالة المعنى اذ المقصود
الاصلي انقسام الكتاب الى القسمين المعهودين لا كونهما من الكتاب فتدبر والجملة مستانفة او في حيز النصب
على الحالية من الكتاب اي هو الذي انزل الكتاب كائنا على هذه الحال اي منقسما الى محكم ومتشابه او الظرف هو الحال
وحده وايات مرتفع به على الفاعلية **مُّحْكَمَاتٌ** صفة ايات اي قطعية الدلالة على المعنى المراد محكمة العبارة
محفوظة من الاحتمال والاشتباه **هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ** اي اصل فيه وعمدة يرد اليها غيرها فالمراد بالكتاب كله والاضافة
بمعنى في كما في واحد العشرة لا بمعنى اللام فان ذلك يؤدي الى كون الكتاب عبارة عما عدا المحكمات والجملة اما صفة
لما قبلها او مستانفة وانما افرد الام مع تعدد الايات لما ان المراد بيان اصلية كل واحدة منها او بيان ان الكل
بمنزلة اية واحدة كما في قوله تعالى وجعلناها وابنها اية للعالمين وقيل اكتفى بالمفرد عن الجمع كما في قول الشاعر
بها جيف الحسرى فاما عظامها فبيض واما جلدها فصليب اي واما جلودها **وَأُخَرُ** نعت لمحذوف معطوف
على ايات اي وايات اخر وهي جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول من الاخر او من اخر من قوله تعالى **مُتَشَابِهَاتٌ**
صفة لاخر وفي الحقيقة صفة لمحذوف اي محتملات لمعان متشابهة لا يمتاز بعضها من بعض في استحقاق الارادة

بها ولا يتضح الامر الا بالنظر الدقيق • والتامل الانيق • فالتشابه في الحقيقة وصف لتلك المعاني وصف به
الايات على طريقة وصف الذات بوصف المدلول وقيل لما كان من شان الامور المتشابهة ان يعجز العقل عن
التمييز بينها سمي كل ما لا يهتدي اليه العقل متشابها وان لم يكن ذلك بسبب التشابه كما ان المشكل في الاصل ما
دخل في اشكاله وامثاله ولم يعلم بعينه ثم اطلق على كل غامض وان لم يكن غموضه من تلك الجملة وانما جعل ذلك
كذلك ليظهر فضل العلماء ويزداد حرصهم على الاجتهاد في تدبرها وتحصيل العلوم التي نيط بها استنباط ما اريد
بها من الاحكام الحقة فينالوا بها وباتعاب القرائح في استخراج مقاصدها الرائقة • ومعانيها اللائقة
المدارج العلية • ويعرجوا بالتوفيق بينها وبين المحكمات من اليقين والاطمئنان الى المعارج القاصية واما قوله
عز وجل الر كتاب احكمت اياته فمعناه انها حفظت من اعتراء الخلل او من النسخ او ايدت بالحجج القاطعة الدالة
على حقيقتها او جعلت حكيمة لانطوائها على الجلائل الحكم البالغة ودقائقها وقوله تعالى كتابا متشابها مثاني
معناه متشابه الاجزاء اي يشبه بعضها بعضا في صحة المعنى وجزالة النظم وحقيقة المدلول فَأَمَّا الَّذِينَ
فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ • اي ميل عن الحق الى الاهواء الباطلة قال الراغب الزيغ الميل عن الاستقامة الى احد الجانبين
وفي جعل قلوبهم مقر الزيغ مبالغة في عدولهم عن سنن الرشاد • واصرارهم على الشر والفساد فَيَتَّبِعُونَ مَا
تَشَابَهَ مِنْهُ معرضين عن المحكمات اي يتعلقون بظاهر المتشابه من الكتاب او بتاويل باطل لا تحريا للحق بعد
الايمان بكونه من عند الله تعالى بل ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ اي طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس
ومناقضة المحكم بالمتشابه كما نقل عن الوفد وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ اي وطلب ان يؤولوه حسب ما يشتهونه من التاويلات
الزائغة والحال انهم بمعزل من تلك الرتبة وذلك قوله عز وجل وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ اي
فانه حال من ضمير يتبعون باعتبار العلة الاخيرة اي يتبعون المتشابه بها لابتغاء تاويله والحال مخصوص به
تعالى وبمن وفقه له من عباده الراسخين في العلم اي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ولم يتزلزلوا في مزال الاقدام
وفي تعليل الاتباع بابتغاء تاويله دون نفس تاويله وتجريد التاويل عن الوصف بالصحة او الحقية ايذان بانهم
ليسوا من التاويل في شي وانما يتبعونه ليس بتاويل اصلا الا انه تاويل غير صحيح قد يعذر صاحبه ومن وقف على الا
الله فسر المتشابه بما استاثر الله عز وجل بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد
الزبانية او بما دل القاطع على عدم ارادة ظاهره ولم يدل على ما هو المراد به يَقُولُونَ آمَنَّا اي بالمتشابه وعدم
التعرض لايمانهم بالمحكم لظهوره او بالكتاب والجملة على الاول استيناف موضح لحال الراسخين او حال منه وعلى
الثاني خبر لقوله تعالى والراسخون وقوله تعالى كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا من تمام المقول مقرر لما قبله ومؤكد له اي
كل واحد منه ومن المحكم او كل واحد من متشابهه ومحكمه منزل من عنده لا مخالفة بينهما او امنا به وبحقيته
على مراده تعالى وَمَا يَذَّكَّرُ حق التذكر قوله تعالى إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ • اي العقول الخالصة عن الركون الى
الاهواء الزائغة وهو تذييل سيق من جهته تعالى مدحا للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما
به استعدوا للاهتداء الى تاويله من تجرد العقل عن غواشي الحس وتعلق الاية الكريمة بما قبلها من حيث انها
جواب عما تشبثت به النصارى من نحو قوله تعالى وكلمته القاها الى مريم وروح منه على وجه الاجمال ويجي
الجواب المفصل بقوله ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا
من تمام مقالة الراسخين اي لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتاويل لا ترتضيه قال صلى الله عليه
وسلم قلب ابن ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل
معناه لا تبتلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا اي الى الحق والتاويل الصحيح هو الايمان بالقسمين
وبعد نصب بلا تزغ على الظرف واذ في محل الجر باضافته اليه خارج من الظرفية اي بعد وقت هدايتك ايانا
وقيل انه بمعنى ان وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ كلا الجارين متعلق بهب وتقديم الاول لما مر مرارا ويجوز تعلق

الثاني بمحذوف هو حال من المفعول اي كائنة من لدنك ومن لابتداء الغاية المجازية ولدن في الاصل ظرف بمعنى
اول غاية زمان او مكان او غيرهما من الذوات نحو من لدن زيد وليست مرادفة لعند اذ قد يكون فضلة وكذا
لدي وبعضهم يخصها بظرف المكان وتضاف الى صريح الزمان كما في قوله • تنفض المهد في ظهيري • من لدن الظهر الى العصر
ولا تقطع عن الاضافة بحال واكثر ما تضاف الى المفردات وقد تضاف الى ان وصلتها كما في قوله ولم تقطع اصلا من لدن
اي ولينا قرابة ذي رحم ولا حق مسلم • اي من لدن ولايتك ايانا • وقد تضاف الى الجملة الاسمية كما في قوله • تذكر
نعمان لدن انت يافع والى الجملة الفعلية ايضا كما في قوله لزمنا لدن سالمتمونا وفاتكم فلا يك منكم للخلاف جنوح
وقلنا تخلوا عن من كما في البيتين الاخيرين رَحْمَةً واسعة تزلفنا اليك ونفوز بها عندك او توفيقا للثبات على
الحق وتاخير المفعول الصريح عن الجارين لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقدم
اذا اخر تبقى النفس مترقبة لوروده لا سيما عند الاشعار بكونه من المنافع بالام فاذا ورد ها تمكن عندها فضل
تمكن إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ • تعليل للسؤال او للاعطاء المسئول وانت اما مبتدا او فصل او تاكيد لاسم ان والاطلاق
الوهاب ليتناول كل موهوب وفيه دلالة على ان الهدى والضلال من قبله تعالى وانه متفضل بما ينعم على عباده
من غير ان يجب عليه شي رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ اي لحساب يوم او لجزاء يوم حذف المضاف واقيم
مقامه المضاف اليه تهويلا له وتفظيعا لما يقع فيه لَا رَيْبَ فِيهِ اي في وقوعه ووقوع ما فيه من الحشر والحساب
والجزاء ومقصودهم بهذا عرض كمال افتقارهم الى الرحمة وانها المقصد الاسنى عندهم والتاكيد لاظهار ما هم
عليه من كمال الطمانينة وقوة اليقين باحوال الاخرة إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ • تعليل لمضمون الجملة المؤكدة
او لانتفاء الريب والتاكيد لما مر واظهار الاسم الجليل مع الالتفات لابراز كمال التعظيم والاجلال الناشي
من ذكر اليوم المهيب الهائل بخلاف ما في اخر السورة الكريمة فانه مقام طلب الانعام كما سياتي وللاشعار
بعلة الحكم فان الالوهية منافية للاخلاف وقد جوز ان يكون الجملة مسوقة من جهته تعالى لتقرير قول الراسخين
والميعاد مصدر كالميقات واستدل به الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو بدلائل
منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اثر ما بين الدين الحق والتوحيد وذكر احوال الكتب
الناطقة به وشرح شان القران العظيم وكيفية ايمان العلماء الراسخين به شرع في بيان من كفر به والمراد
بالموصول جنس الكفرة الشامل لجميع الاصناف وقيل وفد نجران او اليهود من قريظة والنضير او مشركوا
العرب لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ اي لن تنفعهم وقرئ بالتذكير وبسكون الياء جدا في استثقال الحركة على حروف اللين
أَمْوَالُهُمْ التي يبذلونها في جلب المنافع ودفع المضار وَلَا أَوْلَادُهُمْ الذين بهم يتناصرون في الامور المهمة وعليهم
يعولون في الخطوب الملمة وتاخير الاولاد عن الاموال مع توسيط حرف النفي بينهما اما لعراقة الاولاد في كشف
الكروب ولان الاموال اول عدة يفزع اليها عند نزول الخطوب مِنَ اللَّهِ من عذابه تعالى شَيْئًا اي شيئا
من الاغناء وقيل كلمة من بمعنى البدل والمعنى بدل رحمة الله او بدل طاعته كما في قوله تعالى ان الظن لا يغني من
الحق شيئا او بدل الحق ومنه قوله ولا ينفع ذا الجد منك الجد اي لا ينفعه جده بدلك اي بدل رحمتك كما في
قوله تعالى وما اموالكم واولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى وانت خبير بان احتمال اسد اموالهم واولادهم مسد
رحمته تعالى او طاعته مما لا يخطر ببال احد حتى يتصدى لنفيه والاول هو الاليق بتفظيع حال الكفرة وتهويل
امرهم والانسب لما بعده من قوله تعالى وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ • ومن قوله تعالى فاخذهم الله اي اولئك
المتصفون بالكفر حطب النار وحصبها الذي تسعر به فان اريد بيان حالهم عند التسعير فايثار الجملة الاسمية
للدلالة على تحقق الامر وتقرره والا فهو للايذان بان حقية حالهم ذلك وان احوالهم الظاهرة بمنزلة العدم
فهم حال كونهم في الدنيا وقود النار باعيانهم وفيه من الدلالة على كمال ملابستهم بالنار ما لا يخفى وهم يحتمل الابتداء
وان يكون ضمير الفصل والجملة اما مستانفة مقررة لعدم الاغناء او معطوفة على خبر ان واياما كان ففيها تعيين

للعذاب الذي بين ان اموالهم واولادهم لا تغني عنهم منه شيا وقري وقود النار بضم الواو وهو مصدر اي
اهل وقودها **كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ** الداب مصدر داب في العمل اذا كدح فيه وتعب غلب استعماله في معني الشان
والحال والعادة ومحل الكاف الرفع علي انه خبر لمبتدا محذوف وقد جوز النصب بلن تغني او بالوقود اي لم تغني
عنهم كالم تغن عن اوليك او توقد بهم النار كما توقد بهم وانت خبير بان المذكور في تفسير الداب انما هو التكذيب
والاخذ من غير تعرض لعدم الاغناء لا سيما علي تقدير كون من بمعني البدل كما هو راي المجوز ولا لايقاد النار
فيحمل علي التعليل وهو خلاف الظاهر علي انه يلزم الفصل بين العامل والمعمول بالاجنبي علي تقدير النصب بلن
تغني وهو قوله تعالي واوليك هم وقود النار الا ان يجعل استينافا لا معطوفا علي خبر ان فالوجه هو الرفع علي الخبرية
اي داب هولاء في الكفر وعدم النجاة من اخذ الله تعالي وعذابه كعذاب ال فرعون **وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ** اي من قبل ال فرعون
من الامم الكافرة فالموصول في محل الجر عطفا علي ما قبله وقوله تعالي **كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا** بيان وتفسير لدابهم الذي
فعلوا علي طريقة الاستيناف المبني علي السوال كانه قيل كيف كان دابهم فقيل كذبوا باياتنا وقوله تعالي **فَأَخَذَهُمُ
اللَّهُ** تفسير لدابهم الذي فعل بهم اي فاخذهم الله وعاقبهم ولم يجدوا من باس الله تعالي محيصا فداب هولاء
الكفرة ايضا كدابهم **بِذُنُوبِهِمْ** كذبوا الي اخره حال من ال فرعون والذين من قبلهم علي اضمار قد اي داب هولاء كداب
اوليك وقد كذبوا الي اخره واما كونه خبرا من الموصول كما قيل فمما يذهب برونق النظم الكريم والالتفات الي
المتكلم اولا للجري علي سنن الكبريا والي الغيبة ثانيا باظهار الجلالة لتربية المهابة وادخال الروعة **وقيل**
اي اريد بها تكذيبهم بالايات فالباء للسببية جي بها تاكيدا لما يفيده الفاء من سببية ما قبلها لما بعدها وان اريد
بها سايرذنوبهم فالباء للملابسة جي بها للدلالة علي ان لهم ذنوبا اخراي فاخذهم متلبسين بذنوبهم غير تايبين
عنها كما في قوله تعالي وتزهق انفسهم وهم كافرون والذنب في الاصل التلو والتابع وسمي الجريمة ذنبا لانها تتلو اي
تتبع عقابها فاعلها **وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ** وتذييل مقرر لمضمون ما قبله من الاخذ وتكملة له **قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا**
المراد بهم اليهود لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان يهود المدينة لما شاهدوا غلبة رسول الله صلي الله عليه
وسلم علي المشركين يوم بدر قالوا والله انه النبي الامي الذي بشرنا به موسي عليه السلام وفي التورية نعته وهموا
باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتي ننظر الي وقعة له اخري فلما كان يوم احد شكوا وقد كان بينهم وبين رسول الله
صلي الله عليه وسلم عهد الي مدة فنقضوه وانطلق كعب بن الاشرف في ستين راكبا الي اهل مكة فاجمعوا امرهم علي
قتال رسول الله صلي الله عليه وسلم فنزلت **وعن** سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه ان النبي
صلي الله عليه وسلم لما اصاب قريشا ببدر ورجع الي المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع فحذرهم ان ينزل
بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك لقيت يوما اغمارا لا علم لهم في الحرب فاصبت منهم فرصة لان قاتلتنا لعلمت
انا نحن الناس فنزلت اي قل لهم **سَتُغْلَبُونَ** البتة عن قريب في الدنيا وقد صدق الله عز وجل وعده بقتل قريظة
واجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية علي من عداهم وهو من اوضح شواهد النبوة واما ما روي عن مقاتل
من انها نزلت قبل بدر وان الموصول عبارة عن مشركي مكة ولذلك قال لهم النبي عليه السلام يوم بدر ان الله
غالبكم وحاشركم الي جهنم وبيس المهاد فيودي الي انقطاع الاية الكريمة عما بعدها لنزوله بعد وقعة بدر **وَتُحْشَرُونَ
إِلَى جَهَنَّمَ** وقري الفعلان بالياء انه عليه السلام امر بان يحكي لهم ما اخبر الله تعالي به من وعيدهم بعبارته كانه
قيل ادّ اليهم هذا القول **وَبِئْسَ الْمِهَادُ** اما من تمام ما يقال لهم او استيناف لتهويل جهنم وتفظيع حال اهلها والمخصوص
بالذم محذوف اي وبيس المهاد جهنم او ما مهدوه لانفسهم **قَدْ كَانَ لَكُمْ** جواب قسم محذوف وهو من تمام
القول المامور به جي به لتقرير مضمون ما قبله وتحقيقه والخطاب لليهود ايضا والظرف خبر كان علي انها ناقصة
ولتوسطها بينها وبين اسمها ترك التانيث كما في قوله ان امرا اغره منكن واحدة بعدي وبعدك في الدنيا المغرور
وعلي ان التانيث ها هنا غير حقيقي او هو متعلق بكان علي انها تامة وانما قدم علي فاعلها لما مر مرارا من الاعتناء

بما قدم

بما قدم والتشويق الي ما اخر اي والله قد كان لكم ايها المغترون بعددهم وعددهم **آيَةٌ** عظيمة دالة علي صدق
ما اقول لكم ستغلبون **فِي فِئَتَيْنِ** اي فرقتين او جماعتين فان المغلوبة منهما كانت مدلة بكثرتها معجبة بعزتها
وقد لقيها ما لقيها فسيصيبكم ما يصيبكم ومحل الظرف الرفع علي انه صفة لاية **وقيل** النصب علي الخبرية
لكان والظرف الاول متعلق بمحذوف وقع حالا من اية **الْتَقَتَا** في حيز الجر علي انه صفة فيتين اي تلاقيا
بالقتال يوم بدر **فِئَةٌ** بالرفع خبر مبتدا محذوف اي احديهما فية كما في قوله اذا مت كان الناس حزبين شامت
واخر مثن بالذي كنت اصنع اي احدهما شامت والاخر مثن وقوله حتي اذا ما استقل النجم في غلس
وغودر البقل ملوي ومحصود والجملة مع ما عطف عليها مستانفة لتقرير ما في الفيتين من الاية وقوله
تعالي **تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** في محل الرفع علي انه صفة فية كانه قيل فية مومنة ولكن ذكر مكانه من احكام الايمان
ما يليق بالمقام مدحا لهم واعتدادا بقتالهم وايذانا بانه المدار في تحقيق الاية وهي روية القليل كثيرا وقري
يقاتل علي تاويل الفية بالقوم او الفريق **وَأُخْرَى** نعت لمبتدا محذوف معطوف علي ما حذف من الجملة الاولي
اي وفية اخري وانما نكرت والقياس تعريفها كقرينتها لوضوح ان التفريق لنفس المستثني المقدم ذكره وعدم
الحاجة الي التعريف وقوله تعالي **كَافِرَةٌ** خبر المبتدا المحذوف وانما توصف هذه الفية بما يقابل صفة
الفية الاولي اسقاطا لقتالهم عن درجة الاعتبار وايذانا بانهم لم يتصدوا للقتال لما اعتراهم من الرعب
والهيبة **وقيل** كل من المتعاطفين بدل من الضمير في التقتا وما بعدهما صفة فلا بد من ضمير محذوف عايد الي
المبدل منه مسوغ لوصف البدل بالجملة العارية عن ضميره اي فية منهما تقاتل الي اخره وفية اخري كافرة وقيل
كل منهما مبتدا محذوف الخبر اي منهما فية تقاتل الي اخره وقري فية بالجر علي البدلية من فيتين بدل البعض من كل
وقد عرفت انه لا بد من ضمير عايد الي المبدل منه ويسمي بدلا تفصيليا كما في قول كثير عزة وكنت كذي رجلين رجل صحيحة
ورجل رمي فيها الزمان فشلت وقري فية الي اخره بالنصب علي المدح او الذم او علي الحالية من ضمير التقتا
كانه قيل التقتا مومنة وكافرة فيكون فية واخري توطية لما هو الحال حقيقة اذ المقصود بالذكر وصفاهما
كما في قولك جاني زيد رجلا صالحا **يَرَوْنَهُمْ** اي يري الفية الاخيرة الفية الاولي وايثار الصيغة الجمع للدلالة
علي شمول الروية لكل واحد واحد من احاد الفية والجملة في محل الرفع علي انها صفة للفية الاخيرة او مستانفة
مبينة لكيفية الاية **مِثْلَيْهِمْ** اي مثلي عدد الرايين قريبا من الفين اذ كانوا قريبا من الف كانوا تسعماية وخمسين
مقاتلا راسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وفيهم ابو سفيان وابو جهل وكان فيهم من الخيل والابل ماية فرس
وسبعماية بعير ومن اصناف الاسلحة عدد لا يحصي **عن** محمد بن ابي الفرات عن سعد بن اوس انه قال اسر
المشركون رجلا من المسلمين فسالوه كم كنتم قال ثلثماية وبضعة عشر قالوا ما كانوا نراكم الا تضعفون علينا او مثلي عدد
المرئيين اي ستماية ونيفا وعشرين حيث كانوا ثلثماية وثلاثة عشر رجلا سبعة وسبعون من المهاجرين ومايتان
وستة وثلثون من الانصار رضوان الله تعالي عليهم اجمعين وكان صاحب راية رسول الله صلي الله عليه وسلم
من المهاجرين علي بن ابي طالب رضي الله تعالي عنه وصاحب راية الانصار سعد بن عبادة الخزرجي رضي الله
عنه وكان في العسكر تسعون بعيرا احدهما للمقداد بن عمرو والاخر لمرثد بن ابي مرثد وست ادرع وثمانية
سيوف وجميع من استشهد يومئذ من المسلمين اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار رضوان
الله عليهم اجمعين اراهم الله عز وجل كذلك مع قلتهم ليهابوهم ويجتنبوا عن قتالهم مددا لهم منه سبحانه كما امدهم
بالملايكة عليهم السلام وكان ذلك عند التقاء الفيتين بعد ان قللهم في اعينهم عند تراءيهم ليجترءوا عليهم ولا
يهربوا من اول الامر حين ينجيهم الهرب **وقيل** تري الفية الاولي الفية الاخيرة مثلي انفسهم مع كونهم ثلاثة
امثالهم ليثبتوا ويطمئنوا بالنصر الموعود في قوله تعالي ان يكن منكم ماية صابرة يغلبوا مائتين والاول هو
الاولي لان روية المثلين غير متعينة من جانب المومنين بل قد وقعت روية المثل بل اقل منه ايضا فانه روي

ابن مسعود رضي الله قال قد نظرنا الى المشركين فرايناهم يضعفون علينا ثم نظرنا اليهم فما رايناهم يزيدون علينا
رجلا واحدا ثم قللهم الله تعالى في اعيننا حتى رايناهم عددا يسيرا اقل من انفسنا قال ابن مسعود رضي الله تعالى
عنه لقد قللوا في اعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا منهم رجلا فقلنا كم
كنتم قال الفا فلو اريد روية المومنين المشركين اقل من عددهم في نفس الامر كما في سورة الانفال لكانت رويتهم اياهم
اقل من انفسهم احق بالذكر في كونها اية من رويتهم مثليهم على ان ايانة آثار قدرته تعالى حكمته للكفرة بارائتهم القليل
كثيرا والضعيف قويا والقاء الرعب في قلوبهم بسبب ذلك ادخل في كونها اية لهم وحجة عليهم واقرب الى
اعتراف المخاطبين بذلك لكثرة مخالطتهم الكفرة المشاهدين للحال وكذا تعلق الفعل بالفاعل اشد من تعلقه
بالمفعول فجعل اقرب المذكورين السابقين فاعلا وابعدهما مفعولا سواء جعل الجملة صفة او مستانفا اولى من
العكس هذا ما يقتضيه من جزالة التنزيل على قراءة الجمهور ولا ينبغي جعل الخطاب لمشركي مكة كما قيل اما ان جعل الوعيد
عبارة عن هزيمة بدر كما صرحوا به فظاهر لاستحالة به واما ان جعل عبارة عن هزيمة اخرى فلان الفئة التي شاهدت
تلك الاية الهايلة هم المخاطبون حينئذ فالتعبير عنهم بفئة مبهمة تارة وموصوفة اخرى ثم اسناد المشاهد
اليها مع كون اسنادها الى المخاطبين اوقع في الزام الحجة وادخل في التبكيت مما لا داعي اليه بهذا تبين حال جعل
الخطاب الثاني للمومنين واما قراءة ترونهم بتاء الخطاب فظاهر وان اقتضى توجيه الخطاب الثاني الى المشركين
لكنه ليس بنص في ذلك لانه وان اندفع به المحذور الاخير فالاول باق بحاله فلعل روية المشركين نزلت منزلة
روية اليهود لما بينهم من الاتحاد في الكفر والاتفاق في الكلمة لاسيما بعد ما وقع بينهم بواسطة كعب بن
الاشرف من العهد والميثاق فاسندت الروية اليهم مبالغة في البيان وتحقيقا لعروض مثل تلك الحالة لهم
فتدبر وقيل المراد جميع الكفرة ولا ريب في صحته وسداده وقرئ يرونهم وترونهم على البناء للمفعول من الاراءة
اي يريهم او يريكم الله تعالى كذلك **رَأْيَ الْعَيْنِ** مصدر موكد ليرونهم ان كان الروية بصرية او مصدر تشبيهي
ان كانت الروية قلبية اي روية ظاهرة مكشوفة جارية مجرى روية العين **وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ** اي يقوي **بِنَصْرِهِ
مَنْ يَشَاءُ** اي يويد من غير توسط الاسباب العادية كما ايد الفئة المقاتلة في سبيله بما ذكر من النصر وهو من
تمام القول المامور به **إِنَّ فِي ذَلِكَ** اشارة الى ما ذكر من روية القليل كثيرا المستتبعة لغلبة القليل العديم العدة
على الكثير الشاكي السلاح وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه في الفضل **لَعِبْرَةً** العبرة
فعل في العبور كالركبة من الركوب والجلسة من الجلوس والمراد بها الاتعاظ فانه نوع من العبور اي لعبرة عظيمة
كائنة **لِأُولِي الْأَبْصَارِ** لذوي العقول والبصائر **وقيل** لمن ابصرهم وهو اما من تمام الكلام الداخل تحت
القول مقرر لما قبله بطريق التذييل واما وارد من جهته تعالى تصديقا لمقالته صلى الله عليه وسلم **زُيِّنَ لِلنَّاسِ**
كلام مستانف سيق لشان حقارة الحظوظ الدنيوية باصنافها وتزهيد الناس فيها وتوجيه رغباتهم
الى ما عند الله تعالى اثر بيان عدم نفعها للكفرة الذين كانوا يتعززون بها والمراد بالناس الجنس **حُبُّ الشَّهَوَاتِ**
الشهوة نزوع النفس الى ما تريد والمراد ههنا المشتهيات عبر عنها بالشهوات مبالغة في كونها مشتهاة
مرغوبا فيها كانها نفس الشهوات او ايذانا بانهماكهم في حبها بحيث احبوا شهواتها كما في قوله تعالى اني احببت
حب الخير او استرذالها فان الشهوة مسترذلة مذمومة من صفات البهائم والمزين هو الباري سبحانه وتعالى
اذ هو الخالق لجميع الافعال والدواعي والحكمة في ذلك ابتلاؤهم قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها
لنبلوهم الاية فانها ذريعة لنيل سعادة الدارين عند كون تعاطيها على نهج الشريعة الشريفة ووسيلة الى بقاء
النوع وايثار صيغة المبني للمفعول للجري على سنن الكبرياء وقرئ على البناء للفاعل **وقيل** المزين هو الشيطان
لما ان مساق الاية الكريمة على ذمها وفرق الجبائي بين المباحات واسند تزيينها اليه تعالى وبين المحرمات فنسب
تزيينها الى الشيطان **مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ** في محل النصب على انه حال من الشهوات وهي مفسرة لها في المعنى وقيل

من بيان

من بيان الجنس وتقديم النساء على البنين لعراقتهن في معنى الشهوة فانهن حبائل الشيطان وعدم التعرض
للبنات لعدم الاضطراد في حبهن **وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ** جمع قنطار وهو المال الكثير **وقيل** مائة الف دينار
وقيل ملؤ مسك ثور وقيل سبعون الفا وقيل اربعون الف مثقال وقيل ثمانون الفا وقيل مائة رطل وقيل الف
ومائتا مثقال وقيل الف دينار وقيل مائة من ومائة رطل ومائتا مثقال ومائة درهم وقيل دية النفس
واختلف في ان وزنه فعلال ولفظ المقنطرة ماخوذ منه للتاكيد كقولهم بدرة مبدرة وقيل المقنطرة المحكمة
المحصنة وقيل الكثير المنضد بعضها على بعض او المدفون وقيل المضروبة المنقوشة **مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ**
بيان للقناطير او حال **وَالْخَيْلِ** عطف على القناطير **قيل** هي جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط والواحد
فرس وقيل واحده خايل وهو مشتق من الخيلاء **الْمُسَوَّمَةِ** اي المعلمة من الوسمة وهي العلامة او المرعية من اسام
الدابة وسومها اذا ارسلها وسيبها للراعي او المطهمة التامة الخلقة **وَالْأَنْعَامِ** اي الابل والبقر والغنم **وَالْحَرْثِ**
اي الزرع مصدر بمعنى المفعول **ذَلِكَ** اي ما ذكر من الاشياء المعهودة **مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** اي ما يتمتع به
في الحيوة الدنيا اياما قلائل فتفنى سريعا **وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ** حسن المرجع وفيه دلالة على انه ليس فيما عدد
عاقبة حميدة وفي تكرير الاسناد بجعل الجلالة مبتدا واسناد الجملة الظرفية اليه زيادة تاكيد وتفخيم ومزيد اعتنا
بالترغيب فيما عند الله من الترغيب والترهيب من النعيم المقيم والتزهيد في ملاذ الدنيا وطيباتها الفانية **قُلْ
أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ** اثر ما بين من شان مزخرفات الدنيا ذكر ما عنده تعالى من حسن المآب اجمالا امر النبي صلى الله عليه
وسلم لتفصيل ذلك المجمل للناس مبالغة في الترغيب والخطاب للجميع والهمزة للتقرير اي اخبركم بما هو فضل مما
هو خير مما فصل من تلك المستلذات المزينة لكم وابهام الخير لتفخيم شانه والتشويق اليه وقوله تعالى
لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ استيناف مبين لذلك المبهم على ان جنات مبتدا والجار مع المجرور خبرا وعلى ان جنات مرتفع به
على الفاعلية عند من لا يشترط في ذلك اعتماد الجار على ما فصل في محله والمراد بالتقوى هو التبتل الى الله تعالى
والاعراض عما سواه على ما ينبئ عنه النعوت الاتية وتعليق حصول الجنات وما بعدها من فنون الخيرات
بر للترغيب في تحصيله والثبات عليه وعند نصب على الحالية من جنات او متعلق بما تعلق به الجار من نفع
الاستقرار مفيد لكمال رتبة الجنات وسمو طبقاتها والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المتقين
لاظهار مزيد اللطف بهم **وقيل** اللام متعلقة بخير وكذا الظرف وجنات خبر لمبتدا محذوف والجملة مبينة
لخير ويويده قراءة **جَنَّاتٍ** بالجر على البدلية من خير ولا يخفى ان تعليق الاخبار والبيان بما هو خير لطائفة
ربما يوهم ان هناك خيرا اخر لاخرين **تَجْرِي** في محل الرفع او الجر صفة لجنات على حسب القراءتين **مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ** متعلق بتجري فان اريد بالجنات نفس الاشجار كما هو الظاهر فجريانها تحتها ظاهر وان اريد بها مجموع الارض
والاشجار فهو باعتبار جزئها الظاهر تفصيله كما مر مرارا **خَالِدِينَ فِيهَا** حال مقدرة من المستكن في الذين والعامل
ما فيه من معنى الاستقرار **وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ** عطف على جنات اي مبراة مما يستقذر من النساء من الاحوال
البدنية والطبيعية **وَرِضْوَانٌ** التنوين للتفخيم وقوله تعالى **مِنَ اللَّهِ** متعلق بمحذوف وقع له صفة موكدة لما افاده
التنوين من الفخامة اي رضوان لا يقادر قدره كائن من الله عز وجل وقرئ بضم الراء **وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**
وباعمالهم فيثيب ويعاقب حسبما يليق بها او بصير باحوال الذين اتقوا ولذلك اعد لهم ما ذكر وفيه اشعار
بانهم المستحقون للتسمية باسم العبد **الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا** في محل الرفع على انه خبر مبتدا محذوف
كانه قيل من اولئك المتقون الفائزون بهذه الكرامات السنية فقيل هم الذين الى اخره او النصب على المدح
او الجر على انه صفة للمتقين او للعباد او بدل من احدهما وقوله تعالى بصير حينئذ معترضة وتاكيد الجملة
لاظهار ان ايمانهم ناشئ من وفور الرغبة وكمال النشاط وفي ترتيب الدعاء بقولهم **فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا
عَذَابَ النَّارِ** على مجرد الايمان دلالة على كفايته في استحقاق المغفرة والوقاية من النار وقوله تعالى

الصابرين هو على تقدير كون الموصول في محل الرفع منصوب على المدح باضمار اعني واما على تقدير كونه في محل النصب
او الجر فهو نعت له والمراد هو الصبر بالصبر على مشاق الطاعات وعلى البأساء والضراء وحين البأس والصادقين
في اقوالهم ونياتهم وعزائمهم والقانتين المداومين على الطاعات المواظبين على العبادات والمنفقين اموالهم في
سبيل الله تعالى والمستغفرين بالاسحار قال مجاهد وقتادة والكلبي اي المصلين بالاسحار وعن زيد بن اسلم هم الذين يصلون
الصبح في جماعة وقال الحسن مدوا الصلوة الى السحر ثم استغفروا وقال نافع كان ابن عمر رضي الله عنهما يحيي الليلة
ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول لا فيعاود الصلوة فاذا قلت نعم فقد يستغفر الله ويدعو حتى يصبح وعن الحسن
كانوا يصلون في اول الليل حتى اذا كان السحر اخذوا في الدعاء والاستغفار وتخصيص الاسحار بالاستغفار
لان الدعاء فيه اقرب الى الاجابة اذ العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروح اجمع لا سيما بالمتهجدين
وتوسط الواو بين الصفات المعدودة على استقلال كل منها وكمالهم فيها ولتغاير الموصوفين بها قوله تعالى شهد
الله انه بفتح الهمزة اي بانه او على انه لا اله الا هو اي بين وحدانيته بنصب الدلائل التكوينية في
الافاق والانفس وانزال الايات التشريعية الناطقة بذلك عبر عنه بالشهادة على طريقة الاستعارة
ايذانا بقوته في قوله في اثبات المطلوب واشعارا بانكار المنكر وقرئ انه بكسر الهمزة اما باجراء شهد
مجرى قال واما بجعل الجملة اعتراضا وايقاع الفعل على قوله تعالى ان الدين الى آخره على قراءة ان بفتح الهمزة
كما سيأتي وقرئ شهداء الله بالنصب على انه حال من المذكورين او على المدح وبالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف
وما له الرفع على المدح اي هم شهداء الله وهو اما جمع شهيد كظرفاء في جمع ظريف او جمع شاهد كشعراء في
جمع شاعر والملئكة عطف على الاسم الجليل بحمل الشهادة على معنى مجازي شامل للاقرار والايمان بطريق
العموم المجازي اي اقروا بذلك واولوا العلم اي امنوا به واحتجوا عليه بما ذكر من الادلة التكوينية و
التشريعية قيل المراد بهم الانبياء عليهم السلام وقيل المهاجرون والانصار وقيل علماء مؤمني اهل
الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل جميع علماء المؤمنين الذين عرفوا وحدانية الله تعالى بالدلائل القاطعة
وارتفاعهما على القراءتين الاخيرتين قيل بالعطف على الضمير في شهداء لوقوع الفصل بينهما وانت خبير بان ذلك
على قراءة النصب على الحالية يؤدي الى تقييد حال المذكورين بشهادة الملئكة واولوا العلم وليس فيه كبير فائدة
فالوجه حينئذ كون ارتفاعهما بالابتدائية والخبر محذوف بدلالة الكلام عليه اي والملئكة واولوا العلم شهداء
بذلك وليك ان تحمل القراءتين على المدح نصبا ورفعا فحينئذ يحسن العطف على المستتر على كل حال قائما بالقسط
اي مقيما للعدل في جميع موارده بيانا لكماله تعالى في افعاله اثر بيان كماله في ذاته وانتصابه على الحالية من
الله كما في قوله تعالى وهو الحق مصدقا وانما جاز افراده مع عدم جواز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله تعالى
ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة ولعل تاخيره عن المعطوفين للدلالة على علو رتبتهما وقرب منزلتهما والمسارعة
الى اقامة شهود التوحيد اعتناء بشانه ورفعا لمحله وهو السر في تقديمه على المعطوفين مع ما فيه من
الايذان باصالته تعالى في الشهادة به كما مر في قوله تعالى آمن الرسول بما انزل اليه من ربه او من هو وهو الاوجه
والعامل فيها معنى الجملة اي تفرد واحقه لانها حال مؤكدة او على المدح وقيل على انه صفة للمنفي اي لا اله
قائما الى آخره والفصل بينهما من قبيل توسعاتهم وهذا مندرج في المشهود به اذا جعل صفة او حالا من الضمير
او نصبا على المدح منه وقرئ القائم بالقسط على البدلية من هو فيلزم الفصل بينهما كما في الصفة او على انه
خبر مبتدأ محذوف وقرئ قيما بالقسط لا اله الا هو تكرير للتاكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد
والحكم به بعد اقامة الحجة وليجري عليه قوله تعالى العزيز الحكيم فيعلم انه المنعوت بهما ووجه الترتيب
تقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما على البدلية من الضمير او الوصفية لفاعل شهد او الخبرية
لمبتدأ مضمر وقد روي في فضلها انه عليه السلام قال يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله عز وجل ان

لعبدي هذا

لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة وهو دليل على فضل علم اصول الدين
وشرف اهله روي عن سعيد بن جبير انه كان حول البيت ثلثمائة وستون صنما فلما نزلت هذه الاية
الكريمة خررن سجدا وقيل نزلت في نصارى نجران وقال الكلبي قدم على النبي صلى الله عليه وسلم حبران من احبار
الشام فلما ابصرا المدينة قال احدهما ما اشبه هذه المدينة بصفة النبي الذي يخرج في آخر الزمان
فلما دخلا عليه عليه السلام عرفاه بالصفة فقالا له عليه السلام انت محمد قال عليه السلام نعم
قالا وانت احمد قال عليه السلام انا احمد ومحمد قالا فانا نسألك عن شيء فان اخبرتنا به امنا بك
وصدقناك قال عليه السلام سلا فقالا اخبرنا عن اعظم شهادة في كتاب الله عز وجل فانزل الله تعالى
هذه الاية فاسلم الرجلان ان الدين عند الله الاسلام جملة مستأنفة مؤكدة للاولى اي لا دين مرضيا لله
تعالى سوى الاسلام الذي هو التوحيد والتدرع بالشريعة الشريفة وعن قتادة انه شهادة ان لا اله
الا الله والاقرار بما جاء من عند الله وقرئ ان الدين عند الله للاسلام وقرئ ان الدين الى آخره على انه بدل
من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة او على ان شهد واقع
عليه على تقدير قراءة انه بالكسر كما اشير اليه وما اختلف الذين اوتوا الكتاب نزلت في اليهود والنصارى
حين تركوا الاسلام الذي جاء به محمد عليه السلام وانكروا نبوته والتعبير عنهم بالموصول وجعل ايتاء الكتاب
صلة له لزيادة تقبيح حالهم فان الاختلاف مع اوتي ما يزيله ويقطع شأفته في غاية القبح والسماجة قوله عز
وجل الا من بعد ما جاءهم العلم استثناء مفرغ من اعم الاحوال واعم الاوقات اي وما اختلفوا في حال من
الاحوال او في وقت من الاوقات الا بعد ان علموا بانه الحق الذي لا محيد عنه او بعد ان علموا حقيقة الامر و
تمكنوا من العلم بها بالحجج النيرة والايات الباهرة وفيه من الدلالة على ترامي حالهم في الضلالة ما لا مزيد عليه
فان الاختلاف بعد حصول تلك المرتبة مما لا يصدر عن العاقل وقوله تعالى بغيا بينهم اي حسدا كائنا
بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء وفي الامر تشنيع اثر تشنيع ومن يكفر بآيات الله اي باياته الناطقة
بما ذكر من ان الدين عند الله هو الاسلام ولم يعمل بمقتضاها او باية كانت من اياته تعالى على ان تدخل فيها ما نحن
فيه دخولا اوليا فان الله سريع الحساب قائم مقام جواب الشرط علة له اي ومن يكفر بايات الله تعالى
فانه يجازيه ويعاقبه عن قريب فانه سريع الحساب اي يأتي حسابه عن قريب او يتم ذلك بسرعة واظهار
الجلالة لتربية المهابة وادخال الروعة وفي ترتيب العقاب على مطلق الكفر باياته من غير تعرض لخصوصية
ما هم من كون كفرهم بعد ايتاء الكتاب وحصول الاطلاع على ما فيه وكون ذلك للبغي دلالة على كمال شدة
عقابهم فان حاجوك اي في كون الدين عند الله الاسلام او جادلوك فيه بعد ما اقمت عليهم الحجج فقل اسلمت
وجهي اي اخلصت نفسي وقلبي وجملتي وانما عبر عنها بالوجه لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى
والمشاعر ومجمع معظم ما يقع به العبادة من السجود والقراءة وبه يحصل التوجه الى كل شيء لله اي لا
اشرك به فيها غيره وهو الدين القويم الذي قامت عليه الحجج ودعت اليه الايات والرسل عليهم السلام
ومن اتبعن عطف على المتصل في اسلمت وحسن ذلك لمكان الفصل الجاري مجرى التاكيد بالمنفصل اي
واسلم من اتبعني او مفعول معه وقل للذين اوتوا الكتاب اي من اليهود والنصارى وضع الموصول موضع
الضمير لرعاية التقابل بين وصفي المتعاطفين والاميين اي الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب ءاسلمتم
متبعين لي كما فعل المؤمنون فانه قد اتاكم من البينات ما يوجبه ويقتضيه لا محالة فهل اسلمتم وعلمتم
بقضيتها وانتم على كفركم بعد كما يقول من لخص لصاحبه المسئلة ولم يدع من طرق التوضيح والبيان مسلكا
الا سلكه فهل فهمتها على منهاج قوله تعالى فهل انتم منتهون اثر تفصيل الصوارف عن تعاطي الخمر
والميسر وفيه من استقصارهم وتعنتهم وتفسيرهم بالمعاندة وقلة الانصاف وتوبيخهم بالبلادة وكلة

التوبيخ ما لا يخفى **فان اسلموا** اي كما اسلمتم وانما لم يصرح به كما في قوله تعالى فان امنوا بمثل ما امنتم به تحاميا عن
اطلاق اسم الاسلام على شيء آخر بالكلية **فقد اهتدوا** اي فازوا بالحظ الاوفر ونجوا عن مهاوي الضلال **وان
تولوا** اي اعرضوا عن الاتباع وقبول الاسلام **فانما عليك البلاغ** قايم مقام الجواب اي لم يضروك شيئا
اذ ما عليك الا البلاغ وقد فعلت على ابلغ وجه **روي** ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرى هذه الاية
على اهل الكتاب قالوا اسلمنا فقال عليه الصلاة والسلام لليهود اتشهدون ان عيسى كلمة الله وعبده ورسوله
فقالوا معاذ الله وقال عليه الصلاة والسلام للنصارى اتشهدون ان عيسى عبد الله ورسوله فقالوا معاذ الله
ان يكون عبدا وذلك قوله عز وجل وان تولوا **والله بصير بالعباد** عالم بجميع احوالهم وهو تذييل فيه وعد ووعيد
ان الذين يكفرون بايات الله اي اية كانت فيدخل فيهم الكافرون بالايات الساطعة بحقيقة الاسلام على الوجه
الذي مر تفصيله دخولا اوليا **ويقتلون النبيين** بغير حق هم اهل الكتاب قتل اولوهم الانبياء عليهم السلام وقتلوا
اتباعهم وهم راضون بما فعلوه وكانوا قاتلهم الله تعالى حائمين حول قتل النبي عليه السلام لولا ان عصم الله عز
وجل ساحته المنيعة وقد اشير اليه بصيغة الاستقبال وقرئ بالتشديد للتكثير والتقييد بغير حق للايذان
بانه كان عندهم ايضا بغير حق **ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس** اي بالعدل ولعل تكرير الفعل للاشعار
بما بين القتلين من التفاوت او باختلافهما في الوقت **عن** ابي عبيدة ابن الجراح قلت يا رسول الله اي الناس اشد
عذابا يوم القيمة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف ونهى عن المنكر ثم قراها ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو
اسرائيل ثلثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروهم
بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من اخر النهار وقرئ ويقاتلون الذين **فبشرهم بعذاب اليم** خبر ان
والفاء لتضمن اسمها معنى الشرط فانها بالنسخ لا تغير معنى الابتداء بل تزيده تاكيدا وكذا الحال في النسخ بان المفتوحة
كما في قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وكذا النسخ بلكن كما في قوله فوالله ما فارقتكم عن ملالة
ولكن ما يقضى فسوف يكون وانما يتغير معنى الابتداء في النسخ بليت ولعل وقد ذهب سيبويه والاخفش الى منع
دخول الفاء عند النسخ مطلقا فالخبر عندهما قوله تعالى **اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة** كما في قولك
الشيطان فاحذره عدو مبين وعلى الاول هو استيناف واسم الاشارة مبتدا وما فيه من معنى البعد للدلالة
على ترامي امرهم في الضلال وبعد منزلتهم في فظاعة الحال والموصول بما في حيز صلته خبره اي اولئك المتصفون
بتلك الصفات القبيحة او المبتلون باسواء الحال الذين بطلت اعمالهم التي عملوها من البر والحسنات
ولم يبق لها اثر في الدارين بل بقي لهم اللعنة والخزي في الدنيا وعذاب اليم في الاخرة وما لهم من ناصرين
ينصرونهم من باس الله وعذابه في احدى الدارين وصيغة الجمع لرعاية ما وقع في مقابلته لا لنفي تعدد الانصار
من كل واحد منهم كما في قوله تعالى وما للظالمين من انصار الم تر تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من
يتاتى منه الرؤية من حال اهل الكتاب وسوء صنيعهم وتقرير لما سبق من ان اختلافهم في الاسلام انما كان
بعد ما جاءهم العلم بحقيته اي الم تنظر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اي التورية على ان اللام للعهد وحمله
على جنس الكتب الالهية تطويل للمسافة اذ تمام التقريب حينئذ تكون التورية من جملتها لان مدار التشنيع
والتعجيب انما هو اعراضهم عن المحاكمة الى ما دعوا اليه وهم لم يدعوا الا الى التورية والمراد بما اوتوه
منها ما بين لهم فيها من العلوم والاحكام التي من جملتها ما علموه من نعوت النبي عليه السلام وحقية الاسلام
والتعبير عنه بالنصيب للاشعار بكمال اختصاصه بهم وكونه حقا من حقوقهم التي يجب مراعاتها والعمل بموجبها
وما فيه من التنكير للتفخيم وحمله على التحقير لا يساعده مقام المبالغة في تقبيح حالهم **يدعون الى كتاب الله**
الذين اوتوا نصيبا منه وهو التورية والاظهار في مقام الاضمار لايجاب الاجابة واضافته الى الاسم الجليل
لتشريفه وتاكيد وجوب المراجعة اليه والجملة استيناف مبين لمحل التعجب مبني على سوال نشأ من صدر الكلام

كانه قيل ماذا يصنعون حتى ينظر اليهم فقيل يدعون الى كتاب الله تعالى وقيل حال من الموصول **ليحكم بينهم**
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مدارسهم فدعاهم الى الايمان فقال له نعيم بن عمرو والحارث
ابن زيد على اي دين انت قال عليه الصلاة والسلام على ملة ابرهيم قالا ان ابرهيم كان يهوديا قال عليه السلام
هلما ان بيننا وبينكم التورية فهلموا اليها فابيا **وقيل** نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه وقيل كتاب الله القران
فانهم قد علموا انه كتاب الله لم يشكوا فيه وقرئ ليحكم على بناء المجهول فيكون الاختلاف بينهم بان اسلم بعضهم
كعبد الله بن سلام واضرابه وعاداهم الاخرون **ثم يتولى فريق منهم** استبعاد لتوليهم بعد علمهم بوجوب الرجوع
اليه **وهم معرضون** اما حال من فريق لتخصصه بالصفة اي يتولون من المجلس وهم معرضون بقلوبهم او
اعتراض اي وهم قوم ديدنهم الاعراض عن الحق والاصرار على الباطل **ذلك** اشارة الى ما مر من التولي والاعراض
وهو مبتدا خبره قوله تعالى **بانهم** اي حاصل بسبب انهم قالوا لن تمسنا النار باقتراف الذنوب وركوب
المعاصي **الا اياما معدودات** وهي مقدار عبادتهم العجل ورسخ اعتقادهم على ذلك وهونوا عليهم الخطوب
وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من قولهم ذلك وما اشبهه من قولهم ان اباءنا الانبياء يشفعون لنا
وان الله تعالى وعد يعقوب عليه السلام ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم ولذلك ارتكبوا ما ارتكبوا
من القبائح **فكيف** رد لقولهم المذكور وابطال لاغترارهم باستعظام ما سيدهمهم وتهويل ما سيحيق بهم
من الاهوال اي فكيف يكون حالهم **اذا جمعناهم ليوم** اي لجزاء يوم **لا ريب فيه** اي في وقوعه ووقوع ما
فيه **روي** ان اول راية ترفع يوم القيمة من رايات الكفر راية اليهود فيفضحهم الله عز وجل على رؤس الاشهاد
ثم يامر بهم الى النار **ووفيت كل نفس ما كسبت** اي جزاء ما كسبت من غير نقص اصلا كما يزعمون وانما وضع المكسوب
موضع جزائه للايذان بكمال الاتصال والتلازم بينهما كانهما شيء واحد وفيه دلالة على ان العبادة لا تحبط
وان المؤمن لا يخلد في النار لان توفيه جزاء ايمانه وعمله لا يكون في النار ولا قبل دخولها فاذن هي بعد الخلاص
منها **وهم** اي كل الناس المدلول عليهم بكل نفس **لا يظلمون** بزيادة عذاب او بنقص ثواب بل يصيب كلا منهم
مقدار ما كسبه **قل اللهم** الميم عوض عن حرف النداء ولذلك لا يجتمعان وهذا من خصائص الاسم الجليل
كدخولها عليه مع حرف التعريف وقطع همزته ودخول تاء القسم عليه **وقيل** اصله يا الله امنا بخير اي
اقصدنا به فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته **مالك الملك** اي مالك جنس الملك
على الاطلاق ملكا حقيقيا بحيث تتصرف فيه كيف ما تشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وتعذيبا واثابة
من غير مشارك ولا ممانع وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية **تؤتي الملك** بيان لبعض
وجوه التصرف الذي يستدعيه مالكية الملك وتحقيق لاختصاصها به تعالى حقيقة وكون مالكية غيره بطريق
المجاز كما ينبئ عنه ايثار الايتاء الذي هو مجرد الاعطاء على التمليك المؤذن بثبوت المالكية حقيقة **من تشاء**
اي ايتاءه اياه **وتنزع الملك ممن تشاء** اي نزعه منه فالملك الاول حقيقي عام ومملوكيته حقيقة والاخران
مجازيان خاصان ونسبتهما الى صاحبهما مجازية الملك الاول عام والاخران بعضان منه فتامل **وقيل** المراد
بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى اخرين **وتعز من تشاء** اي تعزه في الدنيا او في الاخرة او فيهما بالنصر
والتوفيق **وتذل من تشاء** اي تذله في احدهما او فيهما من غير ممانعة من الغير ولا مدافعة **بيدك الخير** تعريف الخير
للتعميم وتقديم الخبر للتخصيص اي بقدرتك الخير كله لا بقدرة احد من غيرك تتصرف فيه قبضا وبسطا
حسبما تقتضيه مشيئتك وتخصيص الخير بالذكر لما انه مقتضى بالذات واما الشر فمقتضى بالعرض اذ ما
من شر جزئي الا وهو متضمن لخير كلي او لان في حصول الشر دخلا لصاحبه في الجملة لانه من اجزية الاعمال
واما الخير ففضل محض او لرعاية الادب او لان الكلام فيه فانه روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط
الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة من اهل المدينة اربعين ذراعا واخذوا يحفرونه خرج من بطن الخندق

بحجر كالتل لما يعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء عليه السلام واخذ منه
المعول فضرب بها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها كان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه
المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور
الحمر في ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني جبريل عليه السلام ان امتي ظاهرة
على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة
ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم تحفرون الخندق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت انك على كل شيء قدير
تعليل لما سبق وتحقيق له تولج الليل في النهار اي تدخله فيه بتعقيبه اياه بنقص الاول وزيادة الثاني
وتولج النهار في الليل على احد الوجهين وتخرج الحي من الميت اي تنشئ الحيوانات من موادها او من النطفة
وقيل تخرج المؤمن من الكافر وتخرج الميت من الحي اي تخرج النطفة من الحيوان وقيل تخرج الكافر
من المؤمن وترزق من تشاء بغير حساب قال ابو عباس المقري ورد لفظ الحساب في القرآن على ثلثة اوجه
بمعنى التعب قال الله تعالى وترزق من تشاء بغير حساب وبمعنى المطالبة قال تعالى فامنن او امسك بغير
حساب وبمعنى العدد قال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب والباء متعلقة بمحذوف وقع
حالا من فاعل ترزق او من مفعوله وفيه دلالة على ان من قدر على امثال هاتيك الافاعيل العظام المحيرة
للعقول والافهام فقدرته على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم اهون من كل
هين عن علي رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فاتحة الكتاب واية الكرسي وايتان
من آل عمران شهد الله انه لا اله الا هو الى قوله ان الدين عند الله الاسلام وقل اللهم الى قوله بغير حساب
معلقات ما بينهن وبين الله تعالى حجاب قلن يا رب تهبطنا الى ارضك والى من يعصيك قال الله عز وجل اني
حلفت انه لا يقرأكن احد دبر صلاة الا جعلت الجنة مثواه على ما كان منه واسكنته في حظيرة القدس و
نظرت اليه بعيني كل يوم سبعين مرة وقضيت له سبعين حاجة ادناها المغفرة واجرته من كل عدو وحاسد
ونصرته عليهم وفي بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني
جعلتهم لهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم
عليكم وهو معنى قوله عليه السلام كما تكونوا يولى عليكم لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة
او صداقة جاهلية ونحوهما من اسباب المصادقة والمعاشرة كما في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي
وعدوكم اولياء وقوله لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء حتى لا يكون حبهم ولا بغضهم الا لله تعالى وعن
الاستعانة بهم في الغزو وسائر الامور الدينية من دون المؤمنين في موضع الحال اي متجاوزين المؤمنين
اليهم استقلالا واشتراكا وفيه اشارة الى انهم الاحقاء بالموالاة وان في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة
ومن يفعل ذلك اي اتخاذهم اولياء والتعبير عنه بالفعل للاختصار او لايهام الاستهجان بذكره فليس من الله
اي من ولايته تعالى في شيء يصح ان يطلق عليه اسم الولاية فان موالاة المتعادين مما لا يكاد يدخل تحت
الوقوع قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب فالجملة اعتراضية وقوله تعالى
الا ان تتقوا على صيغة الخطاب بطريق الالتفات استثناء مفرغ من اعم الاحوال والعامل فعل النهي
معتبرا فيه الخطاب كانه قيل لا تتخذوهم اولياء ظاهرا وباطنا في حال من الاحوال الا اتقائكم منهم اي من جهتهم
تقية اي اتقاء او شيئا يجب اتقاؤه على ان المصدر واقع موقع المفعول فانه يجوز اظهار الموالاة حينئذ
مع اطمئنان النفس بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا واظهار ما في الضمير كما قال
عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا واصل تقية وقية ثم ابدلت الواو تاء كتخمة وتهمة وقلبت الياء
الفا وقرئ تقية ويحذركم الله نفسه اي ذاته المقدسة فان جواز اطلاق لفظ النفس مرادا به الذات عليه

سبحانه

سبحانه بلا مشاكلة مما لا كلام فيه عند المتقدمين وقد صرح بعض محققي المتاخرين بعدم الجواز وان اريد
به الذات الا مشاكلة وفيه من التهديد ما لا يخفى عظمه وذكر النفس للايذان بان له عقابا هائلا لا يؤبه دونه
بما يحذر من الكفرة والى الله المصير تذييل مقرر لمضمون ما قبله ومحقق لوقوعه حتما قل ان تخفوا ما في صدوركم
من الضمائر التي من جملتها ولاية الكفرة او تبدوه فيما بينكم قوله تعالى يعلمه الله فيؤاخذكم بذلك عند مصيركم
اليه وتقديم الاخفاء على الابداء قد مر سره في قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه وقوله تعالى يعلم ما يسرون
وما يعلنون ويعلم ما في السموات وما في الارض كلام مستانف غير معطوف على جواب الشرط وهو من باب ايراد
العام بعد الخاص تاكيدا له وتقريرا والله على كل شيء قدير فيقدر على عقوبتكم بما لا مزيد عليه ان لم تنتهوا عما
نهيتم عنه واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة وتهويل الخطب وهو تذييل لما قبله مبين
لقوله تعالى ويحذركم الله نفسه بان ذاته المقدسة المتميزة عن سائر الذوات المتصفة بما لا يتصف بشيء
منها من العلم الذاتي المتعلق بجميع المعلومات متصفة بالقدرة الذاتية الشاملة لجميع المقدورات بحيث
لا يخرج من ملكوته شيء قط يوم تجد كل نفس ما عملت اي من النفوس المكلفة ما عملت من خير محضرا عندها بامر الله تعالى
وفيه من التهويل ما ليس في حاضرا وما عملت من سوء عطف على ما عملت والاحضار معتبر فيه ايضا الا انه
خص بالذكر في الخير للاشعار بكون الخير مرادا بالذات وكون احضار الشر من مقتضيات الحكمة التشريعية تود
عامل في الظرف والمعنى تود وتتمنى يوم تجد صحائف اعمالها من الخير والشر او اجزيتها محضرة لو ان بينها وبينه
اي بين ذلك اليوم امدا بعيدا لغاية هوله وفي اسناد الودادة الى كل نفس سواء كان لها عمل سيئ او لا بل كانت
متمحضة في الخير من الدلالة على كمال فظاعة ذلك اليوم وهول مطلعه ما لا يخفى اللهم انا نعوذ بك من ذلك
ويجوز ان يكون انتصاب يوم على المفعولية باضمار اذكروا وتود اما حال من كل نفس او استئناف مبني على السؤال
اي اذكروا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير وشر محضرا وادت ان بينها وبينه امدا بعيدا وكان سائلا قال حين
امروا بذكر ذلك اليوم فماذا يكون اذ ذاك فقيل تود لو ان بينها الخ او تجد مقصور على ما عملت من خير وتود خبر ما
عملت من سوء ولا تكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت فحينئذ يجوز كونها شرطية لكن الحمل على الخبر اوقع معنى
لانها حكاية حال ماضية واوفق للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه تكرير لما سبق واعادة له لكن لا للتاكيد فقط
لا بل لافادة ما يفيده قوله عز وجل والله رؤف بالعباد من ان تحذيره تعالى من رافته بهم ورحمته الواسعة او ان
رافته بهم لا تمنع تحقق ما حذروه من عقابه وان تحذيره ليس مبنيا على تناسي صفة الرافة بل هو متحقق مع تحققها
ايضا كما في قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم فالجملة على الاول اعتراض وعلى الثاني حال وتكرير الاسم الجليل
لتربية المهابة قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني المحبة ميل النفس الى شيء لكمال ادركته فيه بحيث يحملها على ما يقربها اليه
والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله عز وجل وان كل ما يراه كمالا من نفسه او من غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه
الا لله وفي الله وذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه اليه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة
لاتباع الرسول عليه الصلاة والسلام في عبادته والحرص على مطاوعته يحببكم الله اي يرضى عنكم ويغفر لكم ذنوبكم
اي يكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عنه بالمحبة بطريق الاستعارة
او المشاكلة والله غفور رحيم لمن يتحبب اليه بطاعته ويتقرب اليه باتباع نبيه عليه الصلاة والسلام فهو تذييل مقرر
لما قبله مع زيادة وعد الرحمة ووضع الاسم الجليل موضع الضمير للاشعار باستتباع وصف الالوهية للمغفرة والرحمة
روي انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا انا نعبد المسيح حبا لله
تعالى وقيل في اقوام زعموا على عهده صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله تعالى فامروا ان يجعلوا لقولهم مصداقا من
العمل وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم وقف على قريش وهم في المسجد الحرام يسجدون
للاصنام وقد علقوا عليها بيض النعام وجعلوا في اذانها الشنوف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش

لقد خالفتم ملة ابرهيم واسمعيل عليهما السلام فقالت قريش انما نعبدها حبا لله تعالى ليقربونا الى الله زلفى فقال الله
تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام قل ان كنتم تحبون الله تعالى وتعبدون الاصنام لتقربكم اليه فاتبعوني اي اتبعوا
شريعتي وسنتي يحببكم الله فانا رسوله اليكم وحجته عليكم قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول اي في جميع الاوامر والنواهي و
يدخل في ذلك الطاعة في اتباع النبي عليه الصلاة والسلام دخولا اوليا وايثار الاظهار على الاضمار بطريق الالتفات
لتعيين حيثية الاطاعة والاشعار بعلتها فان الطاعة المامور بها اطاعته عليه الصلاة والسلام من حيث انه رسول
الله لا من حيث ذاته ولا ريب في ان عنوان الرسالة من موجبات الاطاعة ودواعيها فان تولوا اما من تمام مقول
القول فهي صيغة المضارع المخاطب بحذف احدى التائين اي تتولوا واما كلام متفرع عليه مسوق من جهته تعالى
وهي صيغة الماضي الغايب وفي ترك ذكر احتمال الطاعة كما في قوله تعالى فان اسلموا تلويح الى انه غير محتمل منهم فان الله لا يحب
الكافرين نفي المحبة كناية عن بغضه تعالى لهم وسخطه عليهم اي لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وايثار الاظهار على الاضمار لتعميم
الحكم لكل الكفرة والاشعار بعلته فان سخطه تعالى عليهم بسبب كفرهم والايذان بان التولي عن الطاعة كفر وبان محبته عز وجل
مخصوصة بالمومنين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابرهيم وآل عمران على العالمين • لما بين الله عز وجل ان الدين المرضي عنده
هو الاسلام والتوحيد وان اختلاف اهل الكتابين فيه انما هو للبغي والحسد وان الفوز برضوانه ومغفرته ورحمته
منوط باتباع الرسول عليه الصلاة والسلام وطاعته شرع في تحقيق رسالته وكونه من اهل بيت النبوة القديمة
فبدا ببيان جلالة اقدار الرسل عليهم الصلاة والسلام كافة واتبعه ذكر مبداء ذكر عيسى عليه السلام وامه وكيفية
دعوته للناس الى التوحيد والاسلام تحقيقا للحق وابطالا لما عليه اهل الكتابين في شانهما من الافراط والتفريط ثم
بين بطلان محاجتهم في ابرهيم عليه الصلاة والسلام وادعائهم الانتما الى ملته ونزه ساحته العلية عما هم عليه من
اليهودية والنصرانية ثم نص على ان جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام دعاة الى عبادة الله عز وجل وحده وطاعته
منزهون عن احتمال الدعوة الى عبادة انفسهم او غيرهم من الملائكة والنبيين وان اممهم قاطبة مامورون بالايمان
بمن جاءهم من رسول مصدق لما معهم تحقيقا لوجوب الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وكتابه المصدق لما
بين يديه من التورية والانجيل وتحتم الطاعة له حسبما ياتي تفصيله وتخصيص آدم عليه السلام بالذكر بانه ابو البشر
ومنشاء النبوة وكذا حال نوح عليه السلام فانه آدم الثاني واما ذكر آل ابرهيم فلترغيب المعترفين باصطفائهم في الايمان
بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم واستمالتهم نحو الاعتراف باصطفائه بواسطة كونه من زمرتهم مع ما مر من التنبيه
على كونه عليه الصلاة والسلام عريقا من زمرة المصطفين الاخيار واما ذكر آل عمران مع اندراجهم في آل ابرهيم
فلاظهار مزيد الاعتناء بتحقيق امر عيسى عليه الصلاة والسلام لكمال رسوخ الخلاف في شانه فان نسبة الاصطفاء الى
الاب الاقرب ادل على تحققه في الآل وهو الداعي الى اضافة الآل الى ابرهيم دون نوح وآدم عليهما الصلاة والسلام
والاصطفا اخذ ما صفا من الشيء كالاستصفا مثل به اختياره تعالى اياهم بالنفوس القدسية وما يليق بها من
الملكات الروحانية والكمالات الجسمانية المستتبعة للرسالة في نفس المصطفاء كما في كافة الرسل عليهم الصلاة
والسلام او فيمن يلابسه وينشاء منه كما في مريم وقيل اصطفى آدم عليه السلام بان خلقه بيده في احسن
تقويم وبتعليم الاسماء واسجاد الملائكة اياه واسكان الجنة واصطفى نوحا عليه السلام بكونه اول من نسخ الشرايع
اذ لم يكن قبل ذلك تزويج المحارم حراما وباطالة عمره وجعل ذريته هم الباقين واستجابة دعوته في حق الكفرة
والمومنين وحمله على متن الماء والمراد بآل ابرهيم اسمعيل واسحق والانبياء من اولادهما الذين من جملتهم النبي
صلى الله عليه وسلم واما اصطفاؤه نفسه عليه السلام فمفهوم من اصطفائهم بطريق الاولوية وعدم التصريح
به للايذان بالغناء عنه لكمال شهرة امره في الخلة وكونه امام الانبياء وقدوة الرسل عليهم الصلاة والسلام
وكون اصطفا آله بدعوته بقوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الاية ولذلك قال عليه الصلاة والسلام انا دعوة
ابي ابرهيم وبآل عمران عيسى وامه مريم ابنة عمران بن ماثان بن العازار بن ابي هود بن وديب بابل بن سايلان

ابن يوحنا

ابن يوحيا بن اوشا بن اموزد بن مشك بن حادفا بن احاد بن يونان بن خوديا بن يوزان بن ساقط بن ايشاء
ابن عزريا بن راجيعم بن سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ابن ايشا بن عويل بن سلمون بن باعر
ابن يحشون بن عمينا ذب بن دام بن حصروم فارض ابن يهوذا بن يعقوب عليه السلام وقيل موسى وهرون عليهما
السلام ابن عمران بن يصهر بن يافث بن لاوي بن يعقوب عليه السلام وبين العمرانين الف وثمانماية سنة
فيكون اصطفاء عيسى عليه السلام بالاندراج في آل ابرهيم والاول هو الاظهر لدليل تعقيبه بقصة مريم
واصطفاء موسى وهرون عليهما السلام بالانتظام في سلك آل ابرهيم انتظاما ظاهرا والمراد بالعالمين
اهل زمان كل واحد منهم اي اصطفا كل واحد على عالمي زمانهم ذرية نصب على البدلية من الاولين او على الحالية
منهما وقد مر بيان اشتقاقها في قوله تعالى ومن ذريتي وقوله تعالى بعضها من بعض في محل النصب على انه صفة
لذرية اي اصطفى الاولين حال كونهم ذرية متسلسلة متشعبة البعض من البعض في النسب كما ينبي
عنه التعرض لكونهم ذرية وقيل بعضها من بعض في الدين فالاستمالة على الوجه تقريبية وعلى الثاني برهانية
والله سميع لاقوال العباد عليم باعمالهم البادية والخافية فيصطفي لخدمته من تظهر استقامته قولا
وفعلا على نهج قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها اذ قالت امرأة
عمران في حيز النصب على المفعولية بفعل مقدر على طريقة الاستيناف لتقرير اصطفاء آل عمران وبيان
كيفيته اي اذكر لهم وقت قولها الى آخر وقد مر مرارا وجه توجيه التذكير الى الاوقات مع ان المقصود تذكير
ما وقع فيها من الحوادث وقيل هو منصوب على الظرفية لما قبله اي سميع لقولها المحكي عليهم بضميرها المنوي
وقيل هو ظرف لمعنى الاصطفاء المدلول عليه باصطفى المذكور كانه قيل واصطفى آل عمران اذ قالت الى آخر
فكان عطف الجمل دون عطف المفردات على المفردات ليلزم كون اصطفاء الكل في ذلك الوقت وامرأة عمران
هي حنة بنت فاقود جدة عيسى عليه الصلاة والسلام وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهرون
عليهما السلام فظن ان المراد زوجته وليس بذاك فان قضية كفالة زكريا عليه السلام قاضية بانها
زوجة عمران بن ماثان لانه عليه السلام كان معاصرا له وقد تزوج ايشاع اخت حنة ام يحيى عليه السلام
واما قوله عليه السلام في شان يحيى وعيسى عليهما السلام هما ابنا خالة فقيل تاويله ان الاخت كثيرا ما
تطلق على بنت الاخت وبهذا الاعتبار جعلا عليهما السلام ابني خالة وقيل كانت ايشاع اخت حنة من الام واخت
مريم من الاب على ان عمران نكح اولا ام حنة فولدت له ايشاع ثم نكح حنة بناء على حل النكاح ثابت في شريعتهم
فولدت مريم فكانت ايشاع اخت مريم من الاب وخالتها من الام لانها اخت حنة من الام وروي انها كانت
عجوزا عاقرا فبينما هي ذات يوم في ظل شجرة اذ رات طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته وقالت اللهم ان
لك علي نذرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وكان هذا النذر مشروعا عندهم
في الغلمان ثم هلك عمران وهي حامل حينئذ فقولها رب اني نذرت لك ما في بطني لا بد من حمله على
التكرير لتاكيد نذرها واخراجه عن صورة التعليق الى هيئة التنجيز والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن افاضة
ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة الى ضميرها لتحريك سلسلة الاجابة ولذلك قيل اذا اراد العبد ان يستجاب
له دعاؤه فليدعوا الله بما يناسب من اسمائه وصفاته وتاكيد الجملة لابراز وفور الرغبة في مضمونها وتقديم
الجار والمجرور لكمال الاعتناء به وانما عبر عن الولد بما لابهام امره وقصوره عن درجة العقلاء محررا اي معتقا
لخدمة بيت المقدس لا يشغله شان آخر ومخلصا للعبادة ونصبه على الحالية من الموصول والعامل فيه نذرت
وقيل من ضميره في الصلة والعامل معنى الاستقرار فانها في قوة ما استقر في بطني ولا يخفى ان المراد تقييد
فعلها بالتحرير ليحصل به التقرب اليه تعالى لا تقييد ما لا دخل لها فيه لا الاستقرار في بطنها فتقبل مني اي
ما نذرته والتقبل اخذ الشيء على وجه الرضا وهذا في الحقيقة استدعاء للولد اذ لا يتوصل القبول بدون

تحقق المقبول بل للولد الذكر لعدم قبول الانثى **انك انت السميع** بجميع المسموعات التي من جملتها تضرعي ودعاي **العليم**
بكل المعلومات التي من زمرتها ما في ضميري لا غير وهو تعليل لاستدعاء القبول لا من حيث ان كونه تعالى سميعا لدعائها
عليما بما في ضميرها مصحح للتقبل في الجملة بل من حيث ان علمه تعالى بصحة نيتها واخلاصها مستدع لذلك تفضلا واحسانا وتاكيد
الجملة لغرض قوة يقينها بمضمونها وقصر صفتي السمع والعلم عليه تعالى لغرض اختصاص دعائها به تعالى وانقطاع حبل رجائها
عما عداه بالكلية مبالغة في الضراعة والابتهال **فلما وضعتها** اي ما في بطنها وتانيث الضمير لما انه بدل منه لما ان المقام
يستدعي ظهور انوثته واعتباره في حيز الشرط اذ عليه يترتب جواب لما اعني قوله **قالت رب اني وضعتها انثى** لا على
وضع ولد ما كانه قيل فلما وضعت بنتا قالت الى آخره **وقيل** تانيثه لان ما في بطنها كان انثى في علم الله تعالى او لانه مأول
بالجبلة او النفس او النسمة وانت خبير بان اعتبار شيء مما ذكر في حيز الشرط لا يكون مدار الترتيب الجواب عليه وقوله
تعالى انثى حال مؤكدة من الضمير او بدل منه وتانيثه للمسارعة الى عرض ما دهمها من خيبة الرجاء او لما مر من التأويل بالجبلة
او النسمة فالحال حينئذ مبينة وانما قالته تحزنا وتحسرا على خيبة رجائها وعكس تقديرها لما كانت ترجوا ان تلد ذكرا
ولذلك نذرته محررا للسدانة والتاكيد للرد على اعتقادها الباطل **والله اعلم بما وضعت** تعظيم من جهته تعالى لموضوعها
وتفخيم لشانه وتجهيل لها بقدره اي والله اعلم بالشيء الذي وضعته وما علق به من عظائم الامور وجعلها وابنها اية
للعالمين فهي غافلة عن ذلك والجملة اعتراضية وقرئ وضعت على خطاب الله تعالى لها اي انك لا تعلمين قدر هذا الموهوب
وما اودع الله فيه من علو الشان وسمو المقدار وقرئ وضعت على صيغة التكلم مع الالتفات من الخطاب الى الغيبة
اظهار الغاية الاجلال فيكون ذلك منها اعتذارا الى الله تعالى حيث اتت بمولود لا يصلح لما نذرته من السدانة او تسلية
لنفسها على معنى لعل الله تعالى فيه سرا وحكمة ولعل هذه الانثى خير من الذكر فوجه الالتفات حينئذ ظاهر وقوله تعالى
وليس الذكر كالانثى اعتراض آخر مبين لما في الاول من تعظيم الموضوع ورفع منزلته واللام في الذكر والانثى للعهد
اي ليس الذكر الذي كانت تطلبه وتتخيل فيه كمالا قصاراه ان يكون كواحد من السدنة كالانثى التي وهبت لها فان دائرة
علمها وامنيتها لا تكاد تحيط بما فيها من جلايل الامور هذا على القراءتين الاولين واما على التفسير الاخير للقراءة
الاخيرة فمعناه وليس الذكر كهذه الانثى في الفضيلة بل ادنى منها واما على التفسير الاول لها فمعناه تاكيد الاعتذار
ببيان ان الذكر ليس كالانثى في الفضيلة والمزية وصلاحية خدمة المتعبدات فانهن بمعزل من ذلك فاللام للجنس
وقوله **واني سميتها مريم** عطف على اني وضعتها انثى وغرضها من عرضها على علام الغيوب التقرب اليه تعالى
واستدعاء العصمة لها فان مريم في لغتهم بمعنى العابدة قال القرطبي معناه خادم الرب واظهار انها غير راجعة عن
نيتها وان كان ما وضعته انثى وانها وان لم تكن خليقة بسدانة بيت المقدس فلتكن من العابدات فيه **واني
اعيذها بك** عطف على اني سميتها وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار اي اجيرها بحفظك وقرئ بفتح ياء المتكلم
في المواضع التي بعدها همزة مضمومة الا في موضعين بعهدي اوف وآتوني افرغ **وذريتها** عطف على الضمير
وتقديم الجار والمجرور عليه لابراز كمال العناية به **من الشيطان الرجيم** اي المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة
النبي صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مسه الا مريم وابنها
ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود بحيث لا يتأثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمهما ببركة هذه
الاستعاذة **فتقبلها** اي اخذ مريم ورضي بها في النذر مكان الذكر **ربها** مالكها ومبلغها الى كمالها اللائق وفيه
من تشريفها ما لا يخفى **بقبول حسن** قيل الباء زائدة والقبول مصدر مؤكد للفعل السابق بحذف الزوائد اي تقبلها
قبولا حسنا وانما عدل عن الظاهر للايذان بمقارنة التقبل لكمال الرضى وموافقته للعناية الذاتية فان صيغة التفعل
مشعرة بحسب اصل الوضع بالتكليف وكون الفعل على خلاف طبع الفاعل وان كان المراد بها في حقه تعالى ما يترتب
عليه من كمال قوة الفعل وكثرته **وقيل** القبول ما يقبل به الشيء كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد وهو اختصاصه
تعالى اياها باقامتها مقام الذكر في النذر ولم تقبل قبلها انثى او بان تسلمها من امها عقيب الولادة قبل ان تنشأ

وتصلح للسدانة **روي** ان حنة حين ولدتها لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون
وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب
قربانهم فان بني ماثان كانت رؤس بني اسرائيل وملوكهم **فقال** لانهم وجدوا امرها وامر عيسى عليه السلام
في الكتب الالهية فقال زكرياء عليه السلام انا احق بها عندي خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين
فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفا قلم زكرياء عليه السلام ورسبت اقلامهم فتكفلها **وقيل** هو مصدر
وفيه مضاف مقدر اي فتقبلها بذي قبول اي بامر ذي قبول حسن وقيل تقبل بمعنى استقبل كتقضى بمعنى استقصى
وتعجل بمعنى استعجل اي استقبلها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن **وانبتها** مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع احوالها
نباتا حسنا مصدر مؤكد للفعل المذكور بحذف الزوائد وقيل لفعل مضمر موافق له تقديره فنبتت نباتا حسنا **وكفلها
زكرياء** اي جعلها عليه السلام كافلا لها وضامنا لمصالحها قائما بتدبير امورها لا على طريقة الوحي بل على ما ذكر من
التفصيل فان رغبته عليه السلام في كفالتها وطفو قلمه ورسوب اقلامهم وغير ذلك من الامور الجارية بينهم كلها من
اثار قدرته تعالى وقرئ اكفلها وقرئ زكرياء بالنصب والمد وقرئ بتخفيف الفاء وكسرها ورفع زكرياء ممدودا وقرئ
وتقبلها ربها وانبتها وكفلها على صيغة الامر في الكل ونصب ربها على الدعاء اي فاقبلها يا ربها وربها تربية حسنة
واجعل زكرياء كافلا لها فهو تعيين لجهة التربية **قيل** بنى عليه السلام لها محرابا في المسجد اي غرفة يصعد اليها بسلم
وقيل المحراب اشرف المجالس ومقدمها كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب
روي انه لا يدخل عليها الا هو وحده واذا خرج غلق عليها سبعة ابواب **كلما دخل عليها زكرياء المحراب** تقديم الظرف
على الفاعل لاظهار كمال العناية بامرها ونصب المحراب على التوسع وكلمة كلما ظرف على ان ما مصدرية والزمان
محذوف او نكرة موصوفة معناها الوقت والعائد محذوف والعامل فيها جوابها اي كل زمان دخوله عليها او
كل وقت دخل عليها فيه **وجد عندها رزقا** اي نوعا منه غير معتاد اذ كان ينزل ذلك من الجنة وكان يجد عندها في الصيف
فاكهة الشتاء وفي الشتاء فاكهة الصيف ولم ترضع ثديا قط قال استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال زكرياء
عليه السلام عند مشاهدة هذه الاية فقيل **قال يا مريم انى لك هذا** اي من اين يجيء لك هذا الذي لا يشبه ارزاق
الدنيا والابواب مغلقة دونك وهو دليل على جواز الكرامة للاولياء ومن انكرها جعل هذا ارهاصا وتاسيسا لرسالة
عيسى عليه السلام واما جعله معجزة لزكرياء فيأباه اشتباه الامر عليه وانما خاطبها عليه السلام بذلك مع كونها بمعزل
من رتبة الخطاب لما علم بمشاهدة انها مؤيدة من عند الله تعالى بالعلم والقدرة **قالت** استيناف كما قبله
كانه قيل فماذا اصنعت مريم وهي صغيرة ولا قدرة لها على فهم السؤال ورد الجواب فقيل قالت **هو من عند الله** فلا تعجب ولا
تستبعد **ان الله يرزق من يشاء** ان يرزقه **بغير حساب** بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا منه تعالى وهو تعليل
لكونه من عند الله اما من تمام كلامها فيكون في النصب واما من كلامه عز وجل فهو مستانف **روي** ان فاطمة الزهراء
رضي الله عنها اهدت الى رسول الله عليه الصلاة والسلام رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها فقال هلمي يا بنية
فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فقال لها انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب
فقال عليه السلام الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة بني اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين رضوان الله تعالى
عليهم اجمعين وجمع اهل بيته فاكلوا وشبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت على جيرانها **هنالك** كلام مستانف وقصة
مستقلة سيقت في تضاعيف حكاية مريم لما بينهما من قوة الارتباط وشدة الاشتباك مع ما في ايرادها من تقرير
ما سيقت له حكايتها من بيان اصطفاء آل عمران فان فضائل بعض الاقرباء على فضائل الاخرين وهنا ظرف مكان
واللام للدلالة على البعد والكاف للخطاب اي في ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم في المحراب او في ذلك الوقت
اذ يستعار هنا وثمه وحيث للزمان **دعا زكرياء ربه** لما رأى كرامة مريم على الله تعالى ومنزلتها منه تعالى رغب في ان
يكون له من ايشاع ولد مثل ولدها حنة في النجابة والكرامة على الله تعالى وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت منه كذلك

لماداي الفواكه في غير اوانها تنبّه لجواز ولادة العجوز العاقر من الشيخ الفاني فاقبل على الدعاء من غير
تاخير كما ينبي عنه تقديم الظرف على الفعل لا على معنى ان ذلك كان هو الموجب للاقبال على الدعاء فقط بل كان جزاء
اخيرا من العلة التامة التي من جملتها كبر سنه عليه السلام وضعف قواه وخوف مواليه حسبما فصل في
سورة مريم قال تفسير للدعاء وبيان لكيفيته لا محل له من الاعراب رب هب لي من لدنك كلا الجارين متعلق بهب
لاختلاف معنيهما فاللام صلة له ومن لابتداء الغاية مجازا اي اعطني من محض قدرتك من غير وسط معتاد
ذرية طيبة كما وهبتها لحنة والجوزان يتعلق من بمحذوف وقع حالا من ذرية اي كائنة من لدنك والذرية
النسل تقع على الواحد والجمع والذكر والانثى والمراد ها هنا ولد واحد فالتانيث في الصفة كما في لفظ
الموصوف كما في قول من قال • ابوك خليفة ولدته اخرى • وانت خليفة ذاك الكمال • هذا اذا لم يقصد به واحد معين
اما اذا قصد به المعين امتنع اعتبار اللفظ نحو طلحة وحمزة فلا يجوز ان يقال جاء الطلحة وذهبت حمزة انك سميع
الدعاء اي مجيبه وهو تعليل لما قبله وتحريك لسلسلة الاجابة فنادته الملائكة كان المنادي جبريل عليه السلام كما تفصح
قراءة من قرا فناداه جبريل والجمع كما في قولهم فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وماله غير فرس وثوب قال الزجاج اي اتاه النداء
من هذا الجنس الذين هم الملائكة وقيل لما كان جبريل عليه السلام رئيسهم عبر عنه باسم الجماعة تعظيما له وقيل
الرئيس لا بد له من اتباع فاسند النداء الى الكل مع كونه صادرا عنه خاصة وقرئ فناديه بالامالة وهو قائم جملة حالية
من مفعول النداء مقررة لما افاده الفاء من حصول البشارة عقيب الدعاء وقوله تعالى يصلي اما صفة لقائم او خبر ثان
عند من يرى تعدده عند كون الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى او حال اخرى منه على القول بتعددها بلا عطف
ولا بدلية او حال من المستكن في قائم وقوله تعالى في المحراب اي في المسجد او في غرفة مريم متعلق بيصلي او بقائم على تقدير
كون يصلي حالا من ضمير قائم لان العامل فيه وفي الحال حينئذ شيء واحد فلا يلزم الفصل بالاجنبي كما يلزم على التقادير الباقية ان الله
يبشرك بيحيى اي بان الله وقرئ بكسر الهمزة على تقدير القول واجراء النداء مجراه لكونه نوعا منه وقرئ يبشرك
من الابشار ويبشرك من الثلاثي واياما كان ينبغي ان يكون هذا الكلام الى اخره محكيا بعبارته من الله تعالى على منهاج قوله تعالى
يا عبادي الذين اسرفوا الى اخره كما يلوح به مراجعته عليه السلام في الجواب اليه تعالى بالذات لا بواسطة الملك والعدول
عن اسناد التبشير الى نون العظمة حسبما وقع في سورة مريم للجري على سنن الكبرياء كما في قول الخلفاء امير المومنين يرسم لك
كذا وللايذان بان ما حكي هناك من النداء والتبشير وما يترتب عليه من المحاورة كان كل ذلك بتوسط الملك بطريق الحكاية منه
تعالى لا بالذات كما هو المتبادر وبهذا يتضح اتحاد المعنى في السورتين الكريمتين فتامل ويحيى انما سمي يحيى لان الله احيا به عقر امه
وقال قتادة لان الله تعالى احيا قلبه بالايمان وقال القرطبي كان اسمه في الكتاب الاول حيا ولا بد من تقدير مضاف يعود اليه الجار
ويحيى اسم اعجمي وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انما سمي يحيى لان الله
احيا به عقر امه اي بولادة يحيى فان التبشير لا يتعلق بالاعيان مصدقا حال مقدرة من يحيى بكلمة من الله • اي بعيسى عليه
السلام وانما سمي كلمة لانه وجد بكلمة كن من غير اب فشابه البديعيات التي هي عالم الامر ومن لابتداء الغاية مجازا متعلقة
بمحذوف وقع صفة لكلمة اي بكلمة كائنة منه تعالى قيل هو اول من آمن به وصدق بانه كلمة الله وروح منه وقال السدي
لقيت ام يحيى ام عيسى عليه السلام فقالت يا مريم اشعرت بحبلي فقالت مريم وانا ايضا حبلى قالت فاني وجدت ما في بطني يسجد
لما في بطنك فذلك قوله مصدقا بكلمة الى اخره وقال ابن عباس ان يحيى اكبر من عيسى عليهما السلام بستة اشهر وقيل بثلاث
سنين وقيل قبل رفع عيسى عليه السلام بمدة يسيرة وعلى كل تقدير يكون بين ولادة يحيى وبين البشارة بها زمان مديد لما ان
مريم ولدت وهي بنت ثلث عشرة سنة او بنت عشر سنين وقيل بكلمة من الله اي بكتاب الله سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة
لقصيدته وسيدا عطف على مصدقا اي يسود قومه ويفوقهم في الشرف وكان فائقا للناس قاطبة فانه
لم يلم بخطيئة ولم يهم بمعصية فيا لها من سيادة ما اسناها وحصورا عطف على ما قبله من حصر النفس وحبسها في الشهوات
مع القدرة روي انه مر في صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا عطف على ما قبله

مرتب على ما عداه من الخصال الحميدة من الصالحين اي ناشئا منهم لانه كان من اصلاب الانبياء وكائنا من جملة المشهورين
بالصلاح كما في قوله تعالى وانه في الاخرة لمن الصالحين والمراد بالصلاح ما فوق الصلاح الذي لا بد منه في منصب
النبوة التي من اقاصي مراتبه وعليه مبني دعاء سليمان عليه السلام وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين قال
استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال زكريا حينئذ فقيل قال رب لم يخاطب الملك المنادي له مع انه
المباشر للخطاب وان كان ذلك بطريق الحكاية عنه تعالى بل جرى على نهج دعائه السابق مبالغة في التضرع والمناجاة
وجدا في التبتل اليه تعالى واحترازا عما عسى يوهم خطاب الملك من توهم ان علمه سبحانه بما يصدر عنه يتوقف على توسطه
كما يتوقف وقوف البشر عما يصدر عنه سبحانه على توسطه في عامة الاحوال وان لم يتوقف عليه في بعضها انى
يكون لي غلام فيه دلالة على انه خبر بكونه غلاما عند التبشير كما في قوله تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى وانى بمعنى
كيف او من اين وكان تامة وانى واللام متعلقان بها وتقديم الجار على الفاعل لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم
والتشويق الى ما اخر اي كيف او من اين يحدث لي غلام ويجوز ان يتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من غلام اذ لو تاخر
كان صفة له او ناقصة واسمها ظاهر وخبرها اما انى واللام متعلقة بمحذوف كما مر او هو الخبر وانى منصوب
على الظرفية وقد بلغني الكبر حال من ياء المتكلم اي ادركني كبر السن من حيث كونه من طلائع الموت طالب للانسان
لا يكاد يتركه وقيل كان له تسع وتسعون سنة وقيل اثنتان وتسعون سنة وقيل مائة وعشرون سنة وقيل ستون
وقيل خمس وستون وقيل سبعون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون ولامرأته ثمانون او تسعون وامرأتي
عاقر اي ذات عقر وهو ايضا حال من ياء لي عند من يجوز تعدد الحال او من ياء بلغني اي كيف يكون لي ذلك والحال
اني وامراتي على حالة منافية له كل المنافاة وانما قال عليه السلام مع سبق دعائه بذلك وقوة يقينه بقدرة الله تعالى
عليه لا سيما بعد مشاهدته عليه السلام الشواهد السالفة استعظاما لقدرة الله تعالى وتعجبا منها واستعدادا بنعمته
عز وجل عليه في ذلك لا استبعادا له وقيل بل كان ذلك الاستبعاد حيث كان بين الدعاء والبشارة ستون سنة
وكان قد نسي دعاه وهو بعيد وقيل كان ذلك استفهاما عن كيفية حدوثه قال استئناف كما سلف كذلك اشارة الى
مصدر يفعل وقوله عز وجل الله يفعل ما يشاء اي ما يشاء ان يفعله من تعاجيب الافاعيل الخارقة للعادات فالله
مبتدا ويفعل خبره والكاف في محل النصب على انها في الاصل نعت لمصدر محذوف اي الله يفعل ما يشاء ان يفعله
فعلا مثل ذلك الفعل العجيب والصنع البديع الذي هو خلق الولد من شيخ فان وعجوز عاقر فقدم على العامل لافادة القصر
بالنسبة الى ما هو ادنى من المشار اليه واعتبرت الكاف مقحمة لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة وقدم تحقيقه
في تفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا او على انها حال من ضمير المصدر المقدر معرفة اي يفعل الفعل كائنا
مثل ذلك او في محل الرفع على انها خبر والجلالة مبتدا اي على نحو هذا الشان البديع شان الله تعالى ويفعل ما يشاء
بيان لذلك الشان المبهم او كذلك خبر لمبتدا محذوف اي الامر كذلك وقوله تعالى الله يفعل ما يشاء بيان له قال
رب اجعل لي آية اي علامة تدلني على تحقق المسؤول ووقوع الحبل وانما سالها لان العلوق امر خفي لا يوقف عليه
فاراد ان يطلعه الله تعالى عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة من حين حصولها بالشكر ولا يؤخره الى ان يظهر ظهورا معتادا
ولعل هذا السؤال وقع بعد البشارة بزمان مديد اذ به يظهر ما ذكر من كون التفاوت بين سن يحيى وعيسى عليهما السلام
بستة اشهر او بثلاث سنين لان ظهور العلامة كان عقيب تعيينها لقوله تعالى في سورة مريم فخرج على قومه من
المحراب فاوحى اليهم الاية اللهم الا ان تكون المحاورة بين زكريا ومريم في حالة كبرها وقد عدت من جملة من تكلم
في الصغر بموجب قولها المحكي والجعل ابداعي واللام متعلقة به والتقديم لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق
الى ما اخر او بمحذوف وقع حالا من آية وقيل هو بمعنى التصيير المستدعي لمفعولين اولهما آية وثانيهما لي والتقديم لانه
لا مسوغ لكون آية مبتدا عند انحلال الجملة الى مبتدا وخبر سوى تقديم الجار فلا يتغير حالهما بعد دخول الناسخ
قال آيتك الا تكلم الناس اي ان لا تقدر على تكليمهم ثلاثة ايام • اي متوالية لقوله تعالى في سورة مريم

ثلث ليال سويا مع القدرة على الذكر والتسبيح وانما جعلت اية ذلك لتخليص المدة لذكر الله تعالى وشكره قضاء لحق
النعمة كانه قيل اية حصول المطلوب ووصول النعمة ان تحبس لسانك الا عن شكرها واحسن الجواب ما اشتق من السؤال
الا رمزا اي اشارة بيد او راس او نحوهما واصله التحرك يقال ارتمز اي تحرك ومنه قيل للبحر الراموز وهو استثناء منقطع
لان الاشارة ليست من قبيل الكلام او متصل على ان المراد بالكلام ما فهم منه المرام ولا ريب في كون الرمز من ذلك
القبيل وقرئ رمزا بفتحتين على انه جمع رامز كخدم وبضمتين على انه جمع رموز كرسل على انه حال منه ومن الناس
معا بمعنى مترامزين كقوله • متى ما تلقني فردين ترجف • روانف اليتيك وتستطارا واذكر ربك اي في ايام
الحبسة شكرا لحصول التفضل والانعام كما يؤذن به التعرض لعنوان الربوبية كثيرا اي ذكرا كثيرا او زمانا كثيرا
وسبح اي سبحه اي وافعل التسبيح بالعشي اي من الزوال الى الغروب وقيل من العصر الى ذهاب صدر الليل والابكار
من طلوع الفجر الى الضحى قيل المراد بالتسبيح الصلاة بدليل تقييده بالوقت كما في قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون
وحين تصبحون وقيل الذكر اللساني كما ان المراد بالذكر القلبي وقرئ الابكار بفتح الهمزة على انه جمع بكر كسحر واسحار
واذ قالت الملائكة شروع في شرح بقية احكام اصطفاء آل عمران اثر الاشارة الى نبذ من فضائل بعض اقاربهم
اعني زكرياء ويحيى عليهما السلام لاستدعاء المقام اياها حسبما اشير اليه وقرئ بتذكير الفعل والمراد بالملائكة
جبريل عليه السلام وقد مر ما فيه من الكلام مرارا واذ منصوب بمضمر معطوف على المضمر السابق عطف القصة على القصة
وقيل معطوف على الظرف السابق اعني قوله اذ قالت امراة عمران منصوب بناصبه فقد برائي واذكر ايضا من شواهد
اصطفائهم وقت قول الملائكة عليهم السلام يا مريم وتكرير التذكير للاشعار بمزيد الاعتناء بما يحكى من احكام الاصطفاء
والتنبيه على استقلالها وانفرادها عن الاحكام السابقة فانها من احكام التربية الجسمانية اللائق بحال صغر
مريم وهذه من باب التربية الروحانية بالتكاليف الشرعية المتعلقة بحال كبرها قيل كلموها شفاها كرامة لها
او ارهاصا لنبوة عيسى عليه السلام لمكان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امراة وقيل الهموها ان الله اصطفاك
اولا حيث تقبلك من امك بقبول حسن ولم يتقبل غيرك انثى ورباك في حجر زكرياء عليه السلام ورزقك من رزق
الجنة وخصك بالكرامات السنية وطهرك اي مما يستقذر من الاحوال والافعال ومما قذفك به اليهود بانطاق
الطفل واصطفاك اخرا على نساء العالمين بان وهب لك عيسى عليه السلام من غير اب ولم يكن ذلك لاحد من النساء وجعلكما
اية للعالمين فعلى هذا ينبغي ان يكون تقديم حكاية هذه المقاولة على حكاية بشارتها بعيسى عليه السلام لما مر مرارا
من التنبيه على ان كلا منهما مستحق للاستقلال بالتذكير ولو روعي الترتيب الخارجي لتبادر كون الكل شيئا واحدا وقيل
المراد بالاصطفائين واحد والتذكير للتاكيد وتبيين من اصطفاها عليهن فحينئذ لا اشكال في ترتيب النظم الكريم
اذ يحمل في الاصطفاء على ما ذكر اولا ويجعل هذه المقاولة قبل بشارتها بعيسى عليه السلام ايذانا بكونها قبل ذلك
متوفرة على الطاعات والعبادات حسبما امرت بها مجتهدة فيها مقبلة على الله متبتلة اليه منسلخة عن الاحكام البشرية
مستعدة لفيضان الروح عليها يا مريم تكرير النداء للايذان بان المقصود بالخطاب ما يرد بعده وان ما قبله من تذكير
النعم كان تمهيد الذكره وترغيبا في العمل بموجبه اقنتي لربك اي قومي في الصلاة او اطيلي القيام فيها له تعالى
والتعرض لعنوان ربوبيته تعالى لها للاشعار بعلة وجوب الامتثال بالامر واسجدي واركعي مع الراكعين امرت
بالصلاة بالجماعة بذكر اركانها مبالغة في ايجاب رعايتها وايذانا بفضيلة كل منها واصالته وتقديم السجود على الركوع
اما لكون الترتيب في شريعتهم كذلك واما لكون السجود افضل اركان الصلاة واقصى مراتب الخضوع ولا يقتضي ذلك
كون الترتيب الخارجي كذلك بل اللائق به الترقي من الادنى الى الاعلى واما ليقترن اركعي بالراكعين للاشعار بان
من لا ركوع في صلاتهم ليسوا مصلين واما ما قيل من ان الواو لا توجب الترتيب فغايته التصحيح لا الترجيح وتجريد الامر
بالركنين الاخرين عما قيد به الاول لما ان المراد بتقييد الامر بالصلاة بذلك وقد فعل حيث قيد به الركن الاول منها
وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعات كما في قوله تعالى امن هو قانت اناء الليل ساجدا او قائما وبالسجود الصلاة

لما مر انه

لما مر من انه افضل اركانها وبالركوع والخشوع والاخبات قيل لما امرت بذلك قامت في الصلاة حتى ورمت قدماها
وسالت دما وقيحا ذلك اشارة الى ما سلف من الامور البديعة وما فيه من معنى البعد للتنبيه على علو شان المشار اليه
وبعد منزلته في الفضل وهو مبتدا خبره قوله تعالى من انباء الغيب اي من الانباء المتعلقة بالغيب والجملة مستانفة
لا محل لها من الاعراب وقوله تعالى نوحيه اليك جملة مستقلة مبينة للاولى وقيل الخبر هو الجملة الثانية ومن
انباء الغيب اما هو متعلق بنوحيه او حال من ضميره اي نوحي من انباء الغيب او نوحيه حال كونه من جملة انباء الغيب
وصيغة الاستقبال للايذان بان الوحي لم ينقطع بعد وما كنت لديهم اي وما كنت لديهم اي عند الذين اختلفوا
وتنازعوا في تربية مريم وهو تقرير وتحقيق لكونه وحيا على طريقة التهكم بمنكريه كما في قوله تعالى وما كنت
بجانب الغربي الاية وما كنت ثاويا في اهل مدين الاية فان طريق معرفة امثال هاتيك الحوادث والواقعات اما
المشاهدة واما السماع وعدمه محقق عندهم فبقي احتمال المعاينة المستحيلة ضرورة فنفيت تهكما بهم اذ يلقون اقلامهم
ظرف للاستقرار العامل في لديهم واقلامهم اقداحهم التي اقترعوا بها قيل اقترعوا باقلامهم التي كانوا يكتبون بها
التوراة تبركا ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اي يلقونها ينظرون او ليعلموا ايهم يكفل
مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون اي في شانها تنافسا في كفالتها حسبما ذكر فيما سبق وتكرير ما كنت لديهم مع تحقق
المقصود بعطف اذ يختصمون على اذ يلقون كما في قوله عز وجل نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ
هم نجوى للدلالة على ان كل واحد من عدم حضوره عليه السلام عند القاء الاقلام وعدم حضوره عند الاختصام
مستقل بالشهادة على نبوته عليه السلام لا سيما اذا اريد باختصامهم تنازعهم قبل الاقتراع فان تغير الترتيب في الذكر
مؤكد له اذ قالت الملائكة شروع في قصة عيسى عليه الصلاة والسلام وهو بدل من واذ قالت الملائكة منصوب
بناصبه وما بينهما اعتراض جيء به تقريرا لما سبق وتنبيها على استقلاله وكونه حقيقا بان يعد على حياله من شواهد
النبوة وترك العطف بينهما بناء على اتحاد المخاطب والمخاطب وايذانا بتقارن الخطابين وتقاربهما في الزمان وقيل
منصوب بمضمر معطوف على ناصبه وقيل بدل من اذ يختصمون كانه قيل وما كنت حاضرا في ذلك الزمان المديد الذي وقع
في طرف منه اختصام وفي طرف اخر هذا الخطاب اشعارا باحاطته عليه السلام بتفاصيل احوال مريم من اولها الى اخرها
والقائل جبرائيل عليه السلام وايراد صيغة الجمع لما مر يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه من لابتداء الغاية مجازا متعلقة
بمحذوف وقع صفة لكلمة اي بكلمة كائنة منه عز وجل اسمه ذكر الضمير الراجع الى الكلمة لكونها عبارة عن مذكر وهو مبتدا
خبره المسيح وقوله تعالى عيسى بدل منه او عطف بيان وقيل خبر اخر وقيل خبر مبتدا محذوف وقيل منصوب
باضمار اعني مدحا ابن مريم صفة لعيسى وقيل المراد بالاسم ما به يتميز المسمى عن سواه فالخبر حينئذ مجموع الثلاثة
اذ هو المميز له عليه السلام تمييزا عن جميع من عداه والمسيح لقبه وهو من الالقاب المشرفة كالصديق واصله بالعبرية
مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب من ايشوع والتصدي لاشتقاقهما من المسح والعيس وتعليله بانه عليه السلام
مسح بالبركة او بما يطهره من الذنوب او مسحه جبريل عليهما السلام او مسح الارض ولم يقم في موضع او كان
يمسح ذا العاهة فيبرئ او بانه كان لونه عيس اي بياض يعلوه حمرة من قبيل الرقم على الماء وانما قيل ابن مريم مع كون
الخطاب لها تنبيها على انه يولد من غير اب فلا ينسب الا الى امه وبذلك فضلت على نساء العالمين وجيها في الدنيا
والاخرة الوجيه ذو الجاه وهو القوة والمنعة والشرف وهو حال مقدرة من كلمة فانها وان كانت نكرة لكنها صالحة
لان ينتصب بها الحال وتذكيرها باعتبار المعنى والوجاهة في الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفي الاخرة الشفاعة
وعلو الدرجة في الجنة ومن المقربين اي من الله عز وجل وقيل هو اشارة الى رفعه الى السماء وصحبة الملائكة
وهو عطف على الحال الاول وقد عطف عليه السلام قوله تعالى ويكلم الناس في المهد وكهلا اي يكلمهم حال كونه
طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي اي يسوى من مضجعه وقيل
انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وفي ذكر احواله المختلفة المتنافية اشارة الى انه بمعزل من الالوهية ٥

ومن الصالحين حال اخرى من كلمة معطوفة على الاحوال السالفة او من الضمير في تكلم قالت استيناف مبني على السوال كانه قيل فماذا قالت مريم حين قالت لها الملائكة ما قالت فقيل قالت متضرعة الى ربها رب انى يكون اي كيف يكون او من اين يكون لي ولد على وجه الاستبعاد العادي والتعجب واستعظام قدرة الله عز وجل وقيل على وجه الاستفهام والاستفسار بانه بالتزوج او بغيره ويكون اما تامة وانى واللام متعلقان بها وتاخير الفاعل عن الجار لما مر من الاعتنا بالمقدم والتشويق الى المؤخر ويجوز ان يتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من ولدا ذلو تاخر لكان صفة له واما ناقصة واسمها ولد وخبرها اما انى واللام متعلقة بمضمر وقع حالا كما مر او خبر وانى نصب على الظرفية وقوله تعالى ولم يمسسني بشر جملة حالية محققة للاستبعاد اي والحال اني على حالة منافية للولادة قال استيناف كما سلف والقائل هو الله تعالى وجبرئيل عليه السلام كذلك الله يخلق ما يشاء الكلام في اعرابه كما مر في قصة زكرياء عليه السلام بعينه خلا ان ايراد يخلق ها هنا مكان يفعل هناك لما ان ولادة العذرا من غير ان يمسها بشر ابدع واغرب من ولادة عجوز عاقر من شيخ فان فكان الخلق المنبي عن الاختراع انسب بهذا المقام من مطلق الفعل ولذلك عقب ببيان كيفيته فقيل اذا قضى امرا من الامور اي اراد شيئا كما في قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا واصل القضاء الاحكام اطلق على الارادة الالهية القطعية المتعلقة بوجود الشيء لايجابها اياه البتة وقيل الامر ومنه قوله تعالى وقضى ربك فانما يقول له كن لا غير فيكون من غير ريث وهو كما ترى تمثيل لكمال قدرته تعالى وسهولة تاتي المقدورات حسبما تقتضيه لا عن مشيئته وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم فيها من طاعة المامور المطيع للامر القوي المطاع وبيان لانه تعالى كما يقدر على خلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد معتادة يقدر على خلقها دفعة من غير حاجة الى شيء من الاسباب والمواد ويعلمه الكتاب اي الكتابة او جنس الكتب الالهية والحكمة اي العلوم وتهذيب الاخلاق والتورية والانجيل افردهما بالذكر على تقدير كون المراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة لزيادة فضلهما وانافتهما على غيرهما والجملة عطف على يبشرك او على وجيها او على يخلق او هو كلام مبتدا سيق تطييبا لقلبها وازاحة لما اهمها من خوف اللائمة لما علمت انها تلد من غير زواج وقرى ونعلمه بالنون ورسولا الى بني اسرائيل منصوب بمضمر يعود اليه المعنى معطوف على يعلمه اي ويجعله رسولا الى بني اسرائيل كلهم وقال بعض اليهود انه كان مبعوثا الى قوم مخصوصين ثم قيل كان رسولا حال الصبا وقيل بعد البلوغ وكان اول انبياء بني اسرائيل واخرهم عيسى عليه السلام وقيل اولهم موسى واخرهم عيسى عليهم السلام وقوله تعالى اني قد جئتكم معمول لرسولا لما فيه من معنى النطق اي رسولا ناطقا باني الى اخره وقيل منصوب بمضمر معمول لقول مضمر معطوف على يعلمه اي ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم الى اخره وقيل معطوف على الاحوال السابقة ولا يقدح فيه كونهما في حكم الغيبة مع كون هذا في حكم المتكلم لما عرفت من ان فيه معنى النطق كانه قيل حال كونه وجيها ورسولا ناطقا باني الى اخره وقرى ورسول بالجر عطفا على كلمة والباء في قوله تعالى باية متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل الفعل اي انى جئتكم ملتبسا بحجة دالة على ان هذه الملابسة والتنوين للتفخيم دون الوحدة لظهور تعددها وكثرتها وقرى بايات او بجئتكم على انها للتعدية ومن في قوله تعالى من ربكم لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لاية اي قد جئتكم ملتبسا باية عظيمة كائنة من ربكم او اتيتكم اية عظيمة كائنة منه تعالى والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتاكيد ايجاب الامتثال بما سياتي من الاوامر وقوله تعالى اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير بدل من قوله تعالى اني قد جئتكم ومحله النصب على نزع الجار عند سيبويه والفراء والجر على راي الخليل والكسائي او بدل من اية وقيل منصوب بفعل مقدر اي اعني اني الى اخره وقيل مرفوع على انه خبر مبتداء محذوف اي هي اني اخلق لكم وقرى بكسر الهمزة على الاستيناف اي اقدر لكم لاجل تحصيل ايمانكم ودفع تكذيبكم اياي من الطين شيئا مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير وقرى فانفخ فيها على ان الضمير للهيئة المقدرة اي اخلق لكم من الطين هيئة كهيئة الطير

فانفخ فيها فيكون طيرا حيا طيارا كسائر الطيور باذن الله بامره تعالى اشار الى ذلك ان احياءه من الله تعالى لا منه قيل لم يخلق غير الخفاش روي انه عليه السلام لما ادعى النبوة واظهر المعجزة طالبوه بخلق خفاش فاخذ طينا وصوره ونفخ فيه فاذا هو يطير بين السماء والارض قال وهب كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عن اعينهم سقط ميتا ليتميز من خلق الله تعالى قيل انما طلبوا خلق الخفاش لانه اكمل الطير خلقا وابلغ دلالة على القدرة لان له ثديا واسنانا وهي تحيض وتطهر وتلد كسائر الحيوانات ويضحك كما يضحك الانسان ويطير بغير ريش ولا يبصر في ضوء النهار ولا في ظلمة الليل وانما يرى في ساعتين ساعة بعد المغرب وساعة بعد طلوع الفجر وقيل خلق انواعا من الطير وابرئ الاكمه اي الذي ولد اعمى او الممسوح العين والابرص المبتلى بالبرص لم تكن العرب تنفر من شيء نفرتها منه ويقال له الوضح ايضا وتخصيص هذين الدائين لانهما مما اعيا الاطباء وكانوا في غاية الحذاقة في زمنه عليه السلام فاراهم الله تعالى المعجزة من ذلك الجنس روي انه ربما كان يجتمع عليه من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى عليه السلام وما يداويه الا بالدعاء واحيي الموتى باذن الله كرره مبالغة في دفع وهم من توهم فيه اللاهوتية قال الكلبي كان عيسى يحيي الموتى بيا حي يا قيوم احيى عازر وكان صديقا له فعاش وولد له ومر على ابن عجوز ميت فدعا الله تعالى فانزل عن سريره حيا ورجع الى اهله وبقي وبنت العاشر احياها وولدت بعد ذلك فقالوا انك تحيي من كان قريب العهد من الموتى ولعلهم لم يموتوا اصابتهم سكتة فاحي لنا سام بن نوح فقال دلوني على قبره ففعلوا فقام على قبره فدعا الله عز وجل فقام من قبره وقد شاب راسه فقال عليه السلام كيف شبت ولم يكن في زمانكم شيب قال يا روح الله لما دعوتني سمعت صوتا يقول اجب روح الله فظننت ان الساعة قد قامت فمن هول ذلك شبت فساله عن النزع فقال يا روح الله انه مرارته لم تذهب من حنجرتي وكان بينه وبينه اكثر من اربعة الاف سنة وقال للقوم صدقوه فانه نبي فامن به بعضهم وكذبه اخرون فقالوا هذا سحر فارنا اية فقال يا فلان اكلت كذا وكذا يا فلان خبي لك كذا وذلك قوله وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم اي بالمغيبات من احوالكم التي لا تشكون فيها وقرئ بالذال والتخفيف ان في ذلك اشارة الى ما ذكر من الامور العظام لاية عظيمة وقرئ لايات لكم دالة على صحة رسالتي دلالة واضحة ان كنتم مؤمنين جواب الشرط محذوف لانصباب المعنى اليه او دلالة المذكور عليه اي انتفعتم بها او ان كنتم ممن ياتي منهم الايمان دلتكم على صحة رسالتي والايمان بها ومصدقا لما بين يدي من التورية عطف على المضمر الذي تعلق به قوله تعالى باية اي قد جئتكم باية الى اخره ومصدقا لما بين الى اخره او على رسولا على الاوجه الثلاث فان مصدقا فيه معنى النطق كما في رسولا اي ويجعله مصدقا ناطقا باني اصدق الى اخره او ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم الى اخره او حال كونه مصدقا ناطقا باني اصدق الى اخره او منصوب باضمار فعل دل عليه قد جئتكم اي وجئتكم مصدقا الى اخره وقوله من التورية اما حال من الموصول والعامل مصدقا واما من ضمير المستتر في الظرف الواقع صلة والعامل الاستقرار الضمير في الظرف او نفس الظرف لقيامه مقام الفعل ولاحل لكم معمول لمضمر دل عليه ما قبله اي وجئتكم لاحل لكم وقيل عطف على معنى مصدقا كقولهم جئته معتذرا ولاجتلب رضاه كانه قيل جئتكم لاصدق ولاحل الى اخره وقيل عطف على باية اي جئتكم باية من ربكم ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم اي في شريعة موسى عليه السلام من الشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت قيل احل لهم من السمك والطير ما لا خصيصة له واختلف في احلال السبت وقرئ حرم على تسمية الفاعل وهو ما بين يدي الله عز وجل وقرئ حرم بوزن كرم وهذا يدل على ان شرعه كان ناسخا لبعض احكام التورية ولا يخل ذلك بكونه مصدقا لها لما ان النسخ في الحقيقة بيان تخصيص في الازمان وتاخير المفعول من الجار والمجرور لما مر مرارا من المبادرة الى ما ذكر مما يسر المخاطبين والتشويق الى ما اخر وجئتكم باية من ربكم شاهدة على صحة رسالتي وقرئ بايات فاتقوا الله في عدم قبولها ومخالفة مدلولها واطيعون فيما امركم به وانهاكم عنه بامر الله تعالى وتلك الاية هي قوله ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فانه الحق الصريح الذي اجمع عليه الرسل قاطبة فيكون اية بينة على انه عليه السلام من جملتهم وقرئ ان الله بالفتح بدلا من اية او وقد جئتكم باية من الله ربي وربكم وقوله تعالى فاتقوا الله واطيعون اعتراض

والظاهر انه تكرير لما سبق اي قد جئتكم باية بعد اية مما ذكرت لكم من خلق الطير وابراء الاكمه والاحياء والانباء بالخفيات
وبغيره من ولادتي بغير اب ومن كلامي في المهد ومن غير ذلك والاول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب
عليه بالفاء قوله تعالى فاتقوا الله واطيعون اي لما جئتكم بالمعجزات الباهرة والايات الظاهرة فاتقوا الله في المخالفة و
اطيعون فيما ادعوكم اليه ومعنى قراءة من فتح ولان الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله تعالى لايلاف قريش ثم شرع في الدعوة واشار
اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربي وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد وقال
فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العملية فانه بلازم الطاعة التي هي الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك بان
بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه السلام قل امنت ثم استقم **فلما احس عيسى
منهم الكفر** شروع في بيان مآل احواله عليه اثر ما اشير الى طرق منها بطريق النقل عن الملائكة والفاء فصيحة تفصح عن تحقق
جميع ما قالت الملائكة عليهم السلام وخروجه من القوة الى الفعل حسبما شرحته كما في قوله تعالى فلما راه مستقرا عنده بعد
قوله انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك كانه قيل فحملته فولدته فكان كيت وكيت وقال ذيت وذيت وانما لم يذكر اكتفاء
بحكاية الملائكة وايذانا بعدم الخلف وبقيته عما فصل في الموضع الاخر واما عدم فطم بقية احواله عليه السلام في سلك
النقل فاما للاعتناء بامرها او لعدم مناسبتها لمقام البشرية لما فيها من ذكر مقاساته عليه السلام للشدائد ومعاناته
للمكايد والمراد بالاحساس الادراك القوي الجاري مجرى المشاهدة وبالكفر اصرارهم عليه وعتوهم ومكابرتهم فيه مع
العزيمة على قتله عليه السلام كما ينبئ عنه الاحساس فانه انما يستعمل في امثال هذه المواقع عند كون متعلقه امرا محذورا
مكروها كما في قوله عز وجل فلما احسوا باسنا اذا هم منها يركضون وكلمة من متعلقة باحس والضمير المجرور لبني اسرائيل
اي ابتداء الاحساس من جهتهم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر غير مرة من الاعتناء به والتشويق
الى المؤخر **وقيل** متعلقة بمحذوف وقع حالا من الكفر **قال** اي لخلص اصحابه لا لجميع بني اسرائيل لقوله تعالى كما قال
عيسى بن مريم للحواريين الاية وقوله تعالى فامنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة ليس نصا في توجيه الخطاب
الى الكل بل يكفي فيه بلوغ الدعوة اليهم **من انصاري** الانصار جمع نصير كاشراف جمع شريف **الى الله** متعلق
بمحذوف وقع حالا من الياء في انصاري متوجها الى الله ملتجئا اليه او بانصاري متضمنا معنى الاضافة كانه قيل
من الذين يضيفون انفسهم الى الله عز وجل ينصرونني كما ينصرني **وقيل** الى بمعنى في اي في سبيل الله وقيل بمعنى
اللام وقيل مع **قال** استئناف مبني على سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل ماذا قالوا في جوابه عليه السلام فقيل قال
الحواريون جمع حواري يقال فلان حواري فلان اي صفوته وخاصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه
الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن ونقائهن سمي به اصحاب عيسى عليه السلام لخلوص نياتهم ونقاء
سرائرهم **وقيل** لما عليهم من اثار العبادة وانوارها **وقيل** كانوا ملوكا يلبسون البيض وذلك ان واحدا من
الملوك صنع طعاما وجمع الناس عليه وكان عيسى عليه السلام على قصعة لا يزال ياكل منها لا تنقص فذكروا
ذلك للملك فاستدعاه عليه السلام فقال له من انت قال عيسى بن مريم عليهما السلام فترك ملكه فتبعه مع
اقاربه فاولئك هم الحواريون **وقيل** كانوا صيادين يصطادون السمك يلبسون الثياب البيض فيهم شمعون ويعقوب
ويوحنا فمر بهم عيسى عليه السلام فقال لهم انتم تصيدون السمك فان اتبعتموني صرتم بحيث تصيدون الناس
بالحياة الابدية قالوا من انت قال عيسى بن مريم عليهما السلام عبد الله ورسوله فطلبوا منه المعجزة وكان شمعون
قد رمى شبكته تلك فما اصاد شيئا فامره عليه السلام بالقائها في الماء مرة اخرى ففعل فاجتمع في الشبكة من
السمك ما كادت تتمزق واستعانوا باهل سفينة اخرى وملاوا السفينتين فعند ذلك امنوا بعيسى عليه
السلام **وقيل** كانوا اثني عشر رجلا امنوا به عليه السلام واتبعوه وكانوا اذا جاعوا قالوا جعنا يا روح الله فيضرب بيده
الارض فيخرج منها لكل واحد رغيفان واذا عطشوا قالوا عطشنا فيضرب بيده الارض فيخرج منها الماء فيشربون
فقالوا من افضل منا قال عليه السلام من يعمل بيده وياكل من كسبه فصاروا يغسلون الثياب بالاجرة فسموا حواريين

وقيل

وقيل ان امه سلمته الى صباغ فاراد الصباغ يوما ان يشتغل ببعض مهماته فقال له عليه السلام هنا ثياب مختلفة قد
جعلت لكل واحد منها علامة معينة فاصبغها بتلك الالوان فغاب فجعل عليه السلام كلها في جب واحد وقال كوني
باذن الله كما اريد فرجع الصباغ فساله فاخبره بما صنع فقال افسدت علي الثياب قال قم فانظر فجعل يخرج ثوبا احمر وثوبا
اخضر وثوبا اصفر الى ان اخرج الجميع على احسن ما يكون حسبما كان يريد فتعجب منه الحاضرون وامنوا به عليه السلام
وهم الحواريون قال القفال ويجوز ان يكون بعض هؤلاء الحواريين الاثني عشر من الملوك وبعضهم من صيادي
السمك وبعضهم من القصارين وبعضهم من الصباغين والكل سموا بالحواريين بانهم كانوا انصار عيسى عليه السلام
واعوانه المخلصين في طاعته ومحبته **نحن انصار الله** اي انصار دينه ورسوله **امنا بالله** استئناف جار مجرى العلة
لما قبله فان الايمان به تعالى موجب لنصرة دينه والذب عن اوليائه والمحاربة مع اعدائه **واشهد بانا مسلمون**
مخلصون في الايمان منقادون لما تريد منا من نصرتك طلبوا منه عليه السلام الشهادة بذلك يوم القيمة يوم يشهد
الرسل عليهم السلام لاممهم وعليهم ايذانا بان مرمى غرضهم السعادة الاخروية **ربنا امنا بما انزلت** تضرع الى الله
عز وجل وعرض حالهم عليه تعالى بعد عرضها على الرسول مبالغة في اظهار امرهم **واتبعنا الرسول** اي في كل ما ياتي
ويذر من امور الدنيا فيدخل فيه الاتباع في النصرة دخولا اوليا **فاكتبنا مع الشاهدين** اي مع الذين يشهدون بوحدانيتك
او مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او مع امة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم شهداء على الناس قاطبة وهو
حال من مفعول اكتبنا **ومكروا** اي الذين علم عيسى عليه السلام كفرهم من اليهود بان وكلوا به من يقتله غيلة
ومكر الله بان رفع عيسى عليه السلام والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه في الاصل حيلة
يجلب بها غيره الى مضرة لا يمكن اسناده اليه سبحانه الا بطريق المشاكلة **روي** عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ملك
بني اسرائيل لما قصد قتله عليه السلام امر جبرائيل عليه السلام ان يدخل بيتا فيه روزنة فرفعه جبريل عليه السلام
من تلك الروزنة الى السماء فقال الملك لرجل خبيث منهم ادخل عليه فاقتله فدخل البيت فالقى الله عز وجل شبهه
عليه فخرج يخبرهم انه ليس في البيت فقتلوه وصلبوه **وقيل** انه عليه السلام جمع الحواريين ليلة واوصاهم ثم
قال ليكفرن بي احدكم قبل ان يصيح الديك ويبيعني بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه
فاتى احدهم فقال لهم ما تجعلون لي ان دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فاخذها ودلهم عليه فالقى الله
عز وجل شبه عيسى عليه السلام ورفعه الى السماء فاخذوا المنافق وهو يقول انا دليلكم فلم يلتفتوا الى قوله و
صلبوه ثم قالوا وجهه يشبه وجه عيسى عليه السلام وبدنه يشبه بدن صاحبنا فان كان هذا عيسى فاين صاحبنا
وان كان صاحبنا فاين عيسى فوقع بينهم قتال عظيم **وقيل** لما صلب المصلوب جاءت مريم عليها السلام ومعها امراة
ابراها الله تعالى من الجنون بدعاء عيسى وجعلتا تبكيان على المصلوب فانزل الله عيسى فجاءهما فقال عليه السلام
علام تبكيان قالتا عليك فقال ان الله تعالى رفعني ولم يصبني الا خير وان هذا شيء شبه لهم قال محمد بن اسحق ان
اليهود عذبوا الحواريين بعد رفع عيسى عليه السلام ولقوا منهم الجهد فبلغ ذلك ملك الروم وكان ملك اليهود
من رعيته فقيل له ان رجلا من بني اسرائيل ممن تحت امرك كان يخبرهم انه رسول الله واراهم احياء الموتى وابراء الاكمه
والابرص وفعل وفعل فقال لو علمت ذلك ما خليت بينهم وبينه ثم بعث الى الحواريين فانتزعهم من ايديهم وسالهم
عن عيسى عليه السلام فاخبروه فبايعهم على دينهم وانزل المصلوب فغيبه واخذ الخشبة فاكرمها ثم غزا بني اسرائيل
وقتل منهم خلقا عظيما ومنه ظهر اصل النصرانية في الروم ثم جاء بعده ملك اخر يقال له ططيوس وغزا بيت
المقدس بعد رفع عيسى بنحو من اربعين سنة فقتل وسبى ولم يترك في مدينة بيت المقدس حجرا على حجر فخرج عند
ذلك قريظة الى الحجاز قال اهل التواريخ حملت مريم بعيسى عليهما السلام وهي بنت ثلث عشرة سنة وولدته ببيت
لحم من ارض اوري شلم لمضي خمس وستين سنة من غلبة اسكندر على ارض بابل واوحى الله تعالى اليه على راس
ثلثين سنة ورفعه اليه من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلث وثلثين سنة وعاشت امه

بعد رفعه ست سنين والله خير الماكرين اقواهم مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب و
اظهار الجلالة في موضع الاضمار لتربية المهابة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله اذ قال الله ظرف لمكر الله او لمضمر نحو
وقع ذلك يا عيسى اني متوفيك اي مستوفي اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما لك من قتلهم او قابضا لك من الارض
من توفيت مالي او متوفيك نايما اذ روي انه رفع وهو نايم وقيل مميتك في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك
الان اي مميتك من الشهوات العايقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله تعالى سبع ساعات ثم رفعه الى
السماء واليه ذهبت النصارى قال القرطبي والصحيح ان الله رفعه من غير وفاة ولا نوم كما قال الحسن وابن زيد وهو اختيار الطبري
وهو الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما واصل القصة ان اليهود لما عزموا على قتله عليه السلام اجتمع الحواريون وهم
اثنى عشر رجلا في غرفة فدخل عليهم المسيح من مشكوة الغرفة فاخبرهم ابليس جمع اليهود فركب منهم اربعة الاف رجل فاخذوا ابواب
الغرفة فقال المسيح للحواريين ايكم يخرج ويقتل ويكون معي في الجنة فقال واحد منهم انا يا نبي الله فالقى عليه مدرعة من صوف وعمامة
من صوف وناوله عكازة والقي عليه شبه عيسى عليه السلام فخرج على اليهود فقتلوه وصلبوه واما عيسى فكساه الله الريش
والبسه النور وقطع عنه شهوة المطعم والمشرب وذلك قوله تعالى اني متوفيك فطار مع الملايكة ثم ان اصحابه لما راوا ذلك
تفرقوا ثلث فرق فقالت فرقة كان فينا ابن الله ما شاء الله ثم رفعه اليه وهم النسطورية وقالت فرقة اخرى منهم كان فينا
عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه اليه وهولاء هم المسلمون فتظاهرت عليهم الفرقتان الكافرتان فقتلوهم فلم يزل الاسلام
منطمسا الى ان بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ورافعك الي اي الى محل كرامتي ومقر ملايكتي ومطهرك من الذين كفروا
اي من سوء جوارهم وخبث صحبتهم ودنس معاشرتهم وجاعل الذين اتبعوك قال قتادة والربيع والشعبي ومقاتل والكلبي هم
اهل الاسلام الذين صدقوه واتبعوا دينه من امة محمد صلى الله عليه وسلم ومن يسير بسيرتهم من اليهود فان اهل الاسلام
دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من النصارى فوق الذين كفروا وهم الذين مكروا به عليه السلام ومن يسير بسيرتهم من
اليهود فان اهل الاسلام فوقهم ظاهرين بالعزة والمنعة والحجة وقيل هم الحواريون فينبغي ان تحمل فوقيتهم على فوقية المسلمين
بحكم الاتحاد في الاسلام والتوحيد وقيل هم الروم وقيل هم النصارى فالمراد بالاتباع مجرد الادعا والمحبة والا فاولئك
الكفرة بمعزل من اتباعه عليه السلام الى يوم القيمة غاية للجعل وللاستقرار المقدر في الظرف لا على المعنى ان الجعل والفوقية
ينتهي حينئذ ويتخلص الكفرة من الذلة على معنى ان المسلمين يعلونهم الى تلك الغاية فاما بعدها فيفعل الله تعالى بهم ما
يريد ثم الي مرجعكم الى رجوعكم بالبعث وثم للتراخي وتقديم الجار والمجرور للقصر المفيد لتاكيد الوعد والوعيد
والضمير لعيسى عليه السلام وغيره من المتبعين له والكافرين به على تغليب المخاطب على الغايب في ضمن الالتفات فانه
ابلغ في التبشير والانذار فاحكم بينكم يومئذ اثر رجوعكم الي فيما كنتم فيه تختلفون من امور الدين وفيه متعلق بتختلفون
وتقديمه عليه لرعاية الفواصل فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا تفسير للحكم الواقع بين الفريقين وتفصيل الكيفية
والبداية ببيان حال الكفرة لما ان مساق الكلام لتهديدهم وزجرهم عما هم عليه من الكفر والعناد وقوله تعالى في الدنيا
والاخرة متعلق باعذبهم لا بمعنى ايقاع كل واحد من التعذيبين في الدنيا والتعذيب في الاخرة واحداثهما يوم القيمة بل بمعنى
اتمام مجموعهما وقيل ان المرجع اعم من الدنيوي والاخروي وقوله تعالى يوم القيمة غاية للفوقية لا للجعل والرجوع
متراخ عن الجعل وهو غير محدود لا على الفوقية المحدودة على نهج قولك ساعرك سكنى هذا البيت شهرا ثم اخلع عليك بخلعة
لم تاخر الخلع عن الاعادة لا عن الشهر وما لهم من ناصرين يخلصونهم من عذاب الله في الدارين وصيغة الجمع لمقابلة ضمير
الجمع اي ليس لواحد منهم ناصر واحد واما الذين امنوا بما ارسلت به وعملوا الصالحات كما هو ديدن المومنين فيوفيهم
اجورهم اي يعطيهم اياها كاملة ولعل الالتفات الى الغيبة للايذان بما بين مصدري التعذيب والاثابة من
الاختلاف من حيث الجلال والجمال وقرئ فنوفيهم جريا على سنن العظمة والكبرياء والله لا يحب الظالمين
اي يبغضهم فان هذه الكناية ناشية في جميع اللغات جارية مجرى الحقيقة وايراد الظلم للاشعار بانهم بكفرهم معتدون
متجاوزون عن الحدود وواضعون الكفر مكان الشكر والايمان والجملة تذييل لما قبله مقرر لمضمونه ذلك اشارة الى ما

سلف

سلف من نبأ عيسى عليه السلام وما فيه من معنى البعد للدلالة على عظم شان المشار اليه وبعد منزلته في الشرف وعلى كونه
في ظهور الامر ونباهة الشان بمنزلة المشاهد المعاين وهو مبتداء وقوله عز وجل نتلوه خبره وقوله تعالى عليك
متعلق بنتلوه وقوله من الايات حال من الضمير المنصوب او خبر بعد خبر او هو الخبر وما بينهما حال من اسم الاشارة او
ذلك خبر لمبتداء مضمر اي الامر ذلك ونتلوه حال كما مر وصيغة الاستقبال اما لاستحضار الصورة او على معناها اذ التلاوة
لم تتم بعد والذكر الحكيم اي المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع من تطرق الخلل اليه والمراد به القران فمن تبعيضية او بعض
مخصوص منه فمن بيانية وقيل هو اللوح المحفوظ فمن ابتدائية ان مثل عيسى اي شانه البديع النظم لغرابته في سلك
الامثال عند الله اي في تقديره وحكمه كمثل ادم اي كحاله العجيبة التي لا يرتاب فيها مرتاب ولا ينازع فيها منازع خلقه
من تراب تفسير لما ابهم في المثل وتفصيل لما اجمل فيه وتوضيح للتمثيل ببيان وجه الشبه بينهما وحسم لمادة شبه الخصوم
فان انكار خلق عيسى عليه بلا اب ممن اعترف بخلق ادم عليه السلام بغير اب وام مما لا يكاد يصح والمعنى خلق قالبه من تراب ثم
قال له كن اي انشاه بشرا كما في قوله تعالى ثم انشاناه خلقا اخر او قدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز كون ثم لتراخي
الاخبار لا للتراخي المخبر به فيكون حكاية حال ماضية روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك تشتم
صاحبنا قال وما اقول قالوا تقول انه عبد قال اجل هو عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا
هل رايت انسانا من غير اب فحيث سلمت انه لا اب له من البشر وجب ان يكون ابوه هو الله فقال عليه السلام ان ادم عليه
السلام ما كان له اب ولا ام ولم يلزم من ذلك كونه ابنا لله سبحانه وتعالى فكذا حال عيسى عليه السلام الحق من ربك خبر
مبتداء محذوف اي هو الحق اي ما قصصنا عليك من نبأ عيسى عليه السلام وامه والظرف اما حال اي كاينا من ربك او
خبر ثان اي كاين منه تعالى وقيل هما مبتداء وخبر اي الحق المذكور من الله تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى
المخاطب لتشريفه عليه والايذان بان تنزيل هذه الايات الحقة الناطقة بكنه الامر تربية له صلى الله عليه وسلم ولطف به
فلا تكن من الممترين في ذلك الخطاب اما للنبي عليه السلام على طريقة الالهاب والتهييج لزيادة التثبيت والاشعار بان
الامتراء في المحذورية بحيث ينبغي ان ينهى عنه من لا يكاد يمكن صدوره عنه فكيف بمن هو بصدد الامتراء واما لكل من له
صلاحية الخطاب فمن حاجك اي من النصارى اذ هم المتصدون للمحاجة فيه اي في شان عيسى عليه السلام وامه زعما
منهم انه ليس على الشان المحكي من بعد ما جاءك من العلم اي ما يوجبه ايجابا قطعيا من الايات البينات وسمعوا ذلك منك فلم
يرعووا وتمادوا على ما هم عليه من الغي والضلال فقل لهم تعالوا اي هلموا بالراي والعزيمة ندع ابناءنا وابناءكم اكتفى بهم عن
ذكر البنات لظهور كونهم اعز منهن واما النساء فتعلقهن من جهة اخرى ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اي ليدع كل
منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحملهم عليها وتقديمهم على النفس في اثناء المباهلة
التي هي من باب المهالك ومظان التلف مع ان الرجل يخاطر لهم بنفسه ويحارب دونهم للايذان بكمال امنه صلى
الله عليه وسلم وتمام ثقته بامره وقوة يقينه بانه لن يصيبهم في ذلك شايبة مكروه اصلا وهو السر في تقديم جانبه
عليه السلام على جانب المخاطبين في كل من المقدم والموخر مع رعاية الاصل في الصيغة فان غير المتكلم تبع له في الاسناد
ثم نبتهل اي نتباهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصلها الترك من قولهم بهلت الناقة
اي تركتها بلا صراب فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف على نبتهل مبين لمعناه روي انهم لما دعوا الى المباهلة
قالوا حتى نرجع وننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رايهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى
ان محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن
فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين اخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها رضي الله عنهم
اجمعين وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو شاء الله تعالى
ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيمة فقال يا ابا القاسم

رأينا أن لا نباهلك وأن نقرك على دينك وتثبت على ديننا قال صلى الله عليه وسلم فاذا أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم
ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين فأبوا قال اني اناجزكم الحرب فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا
ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدي اليك كل عام الفي حلة الف في صفر والف في رجب وثلثين درعا عادية من حديد
فصالحهم على ذلك وقال والذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم
الوادي نارا ولاستأصل نجران واهله حتى الطير على رؤس الشجر وما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا **ان هذا** اي ما قص
من نبأ عيسى وامه **لهو القصص الحق** دون ما عداه من اكاذيب النصارى فهو ضمير الفصل دخلته اللام لكونه اقرب الى المبتدأ
وقرئ لهو بسكون الهاء والقصص خبر ان والحق صفته او مبتدأ الخبر والجملة خبر لان **وما من اله الا الله** صرح فيه بمن الاستغراق
تأكيدا للرد على النصارى في تثليثهم **وان الله لهو العزيز** القادر على جميع المقدورات **الحكيم** المحيط بالمعلومات لا احد يشاركه
في القدرة والحكمة ليشاركه في الالوهية **فان تولوا** عن التوحيد وقبول الحق والذي قص عليك بعد ما عاينوا تلك الحجج
النيرة والبراهين الساطعة **فان الله عليم بالمفسدين** اي بهم وانما وضع موضعه ما وضع للايذان بان الاعراض عن التوحيد
والحق الذي لا محيد عنه بعد ما قامت به الحجج افساد للعالم وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى **قل يا اهل الكتاب** امر بخطاب
اهل الكتابين **وقيل** بخطاب وفد نجران وقيل بخطاب يهود المدينة **تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم** لا يختلف فيها الرسل
والكتب وهي **ان لا نعبد الا الله** اي نوحده بالعبادة ونخلص فيها **ولا نشرك به شيئا** ولا نجعل غيره شريكا له في الاستحقاق
للعبادة ولا نراه اهلا لان يعبد **ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله** بان يقولوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله ولا
نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحريم والتحليل لان كلا منهم بعضنا بشر مثلنا **روي** انه لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم
اربابا من دون الله قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله فقال عليه الصلاة والسلام اليس كانوا يحلون لكم و
يحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال عليه الصلاة والسلام هو ذاك **فان تولوا** عما دعوتهم اليه من التوحيد وترك
الاشراك **فقولوا** اي قل لهم انت والمؤمنون **اشهدوا بانا مسلمون** اي لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون دونكم او
اعترفوا بانكم كافرون لما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل عليهم السلام **تنبيه** انظر الى ما روعي في هذه القصة
من المبالغة في الارشاد وحسن التدرج في المحاجة حيث بين اولا احوال عيسى عليه السلام وما توارد عليه من الاطوار
المنافية للالهية ثم ذكر كيفية دعوته للناس الى التوحيد والاسلام فلما ظهر عنادهم دعوا الى المباهلة بنوع من
الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض انقياد دعوا الى ما اتفق عليه عيسى والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما ظهر عدم
اجابتهم ايضا امر بان يقال لهم اشهدوا بانا مسلمون **يا اهل الكتاب** من اليهود والنصارى **لم تحاجون في ابرهيم**
اي في ملته وشريعته تنازعت اليهود والنصارى في ابرهيم عليه السلام وزعم كل منهم انه عليه السلام منهم وترافعوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والمعنى لم تدعون انه عليه السلام كان منكم **وما انزلت التورية** على موسى عليه السلام
والانجيل على عيسى عليه السلام **الا من بعده** حيث كان بينه وبين موسى عليهما السلام الف سنة وبين موسى عليه
السلام وعيسى عليه السلام الفا سنة فكيف يمكن ان يتفوه به عاقل **افلا تعقلون** اي الا تتفكرون فلا تعقلون
بطلان مذهبكم او اتقولون ذلك فلا تعقلون بطلانه **ها انتم هؤلاء** جملة من مبتدأ وخبر صدرت بحرف التنبيه ثم
بينت بجملة مستانفة اشعارا بكمال غفلتهم اي انتم هؤلاء الاشخاص الحمقى حيث حاججتم **فيما لكم به علم** في الجملة حيث
وجدتموه في التورية والانجيل **فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم** اصلا اذ لا ذكر لدين ابرهيم في احد الكتابين قطعا
وقيل ها انتم اصله أانتم على الاستفهام للتعجب قلبت الهمزة هاء **والله يعلم** ما حاججتم فيه او كل شيء فيه خلافه
ذلك دخولا اوليا **وانتم لا تعلمون** اي محل النزاع او شيئا من الاشياء من جملتها ذلك **ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا**
تصريح بما نطق به البرهان المقرر **ولكن كان حنيفا** اي مائلا عن العقائد الزائغة كلها **مسلما** اي منقادا لله
تعالى وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا لزم الاشتراك الالزام **وما كان من المشركين** تعريض بانهم مشركون بقولهم
العزير ابن الله والمسيح ابن الله ورد لادعاء المشركين انهم على ملة ابرهيم عليه السلام **ان اولى الناس بابرهيم** اي اقربهم

اليه واخصهم به **للذين اتبعوه** اي في زمانه **وهذا النبي والذين آمنوا** لموافقتهم في اكثر ما شرع لهم على الاصالة وقرئ
والنبي بالنصب عطفا على الضمير في اتبعوه وبالجر عطفا على ابرهيم **والله ولي المؤمنين** ينصرهم ويجازيهم الحسنى بايمانهم
وتخصيص المؤمنين بالذكر لتثبيت الحكم في النبي عليه السلام بدلالة النص **ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم** جملة حالية
نزلت في اليهود حين دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى **وما يضلون الا انفسهم** جيء بها للدلالة على كمال
رسوخ المخاطبين وثباتهم على ما هم عليه من الدين القويم اي وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا اليهم لما انه
يضاعف به عذابهم **قيل** وما يضلون الا امثالهم ويأباه قوله **وما يشعرون** اي باختصاص وباله وضرره بهم **يا اهل
الكتاب لم تكفرون بآيات الله** اي بما نطقت به التورية والانجيل ودلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم **وانتم تشهدون**
اي والحال انكم تشهدون انها آيات الله او بالقرآن وانتم تشهدون نعته في الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه حق
يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل بتحريفكم وابراز الباطل في صورته او بالتقصير في التمييز بينهما وقرئ تلبسون
بالتشديد وتلبسون بفتح الباء اي تلبسون الحق بالباطل كما في قوله عليه السلام كلابس ثوبي زور **وتكتمون الحق**
اي نبوة محمد عليه السلام ونعته **وانتم تعلمون** اي حقيته **وقالت طائفة من اهل الكتاب** وهم رؤساؤهم ومفسدوهم
لاعقابهم **آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا** اي اظهروا الايمان بالقرآن المنزل عليهم **وجه النهار** اي اوله على
المؤمنين **واكفروا** اي اظهروا ما انتم عليه من الكفر به **آخره** مرائين لهم انكم آمنتم به بادي الرأي من غير تأمل
ثم تأملتم فيه فوقفتم على خلل رأيكم الاول فرجعتم عنه **لعلهم** اي المؤمنين **يرجعون** عما هم عليه من الايمان
به كما رجعتم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة آمنوا بما
انزل عليهم من الصلاة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم اعلم منا
وقد رجعوا فيرجعون **وقيل** هم اثنا عشر رجلا من احبارهم حين تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار و
يقولوا آخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا عليه السلام بالنعت الذي ورد في التورية لعل اصحابه
يشكون فيه **ولا تؤمنوا** اي لا تقروا بتصديق قلبي **الا لمن تبع دينكم** اي لاهل دينكم او لا تظهروا ايمانكم وجه
النهار الا لمن كان على دينكم من قبل فان رجوعهم ارجى واهم **قل ان الهدى هدى الله يهدي به من يشاء** الى الايمان ويثبته
عليه **ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم** متعلق بمحذوف اي دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او بلا تؤمنوا
اي ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه للمسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين
لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض مفيد لكون كيدهم غير مجد لطائل او خبر ان على ان
هدى الله بدل من الهدى وقرئ ان يؤتى على الاستفهام التقريعي وهو مؤيد للوجه الاول اي الان يؤتى احد الى
آخره دبرتم وقرئ ان على انها نافية فيكون من كلام الطائفة اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى
احد مثل ما اوتيتم **او يحاجوكم عند ربكم** عطف على ان يؤتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم
عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير احد لانه في معنى الجمع اذ المراد بهم غير اتباعهم **قل ان الفضل بيد الله يؤتيه
من يشاء والله واسع عليم** رد لهم وابطال لما زعموه بالحجة الباهرة **يختص برحمته** اي يجعل رحمته مقصورة على
من يشاء والله ذو الفضل العظيم كلاهما تذييل لما قبله مقرر لمضمونه **ومن اهل الكتاب** شروع في بيان خيانتهم في
المال بعد بيان خيانتهم في الدين والجار والمجرور في محل الرفع على الابتداء حسبما مر تحقيقه في تفسير قوله ومن
الناس من يقول الى آخره خبر وقوله تعالى **من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك** على ان المقصود بيان اتصافهم بمضمون
الجملة الشرطية لا لكونهم ذوات المذكورين كانه قيل بعض اهل الكتاب بحيث ان تأمنه بقنطار اي بمال كثير يؤده
اليك كعبد الله بن سلام استودعه القرشي الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه **ومنهم من ان تأمنه بدينار
لا يؤده اليك** كفنحاص بن عازوراء استودعه قرشي آخر دينارا فجحده **وقيل** المأمونون على الكثير النصارى اذ
الغالب فيهم الامانة والخائنون في القليل اليهود اذ الغالب فيهم الخيانة **الا ما دمت عليه قائما** استثناء

مفرغ من اعم الاحوال او الاوقات اي لا يؤده اليك في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات الا في حال دوام
قيامك او في وقت دوام قيامك علي راسه مبالغا في مطالبته بالتقاضي واقامة البينة **ذلك** اشارة الي ترك الاداء
المدلول عليه بقوله تعالي لا يؤده وما فيه من معني البعد للايذان بكمال غلوهم في الشر والفساد **بانهم** اي بسبب انهم
قالوا ليس علينا في الاميين اي في شان من ليس من اهل الكتاب **سبيل** اي عتاب ومواخذة **ويقولون علي الله الكذب**
بادعائهم ذلك **وهم يعلمون** انهم كاذبون مفترون علي الله تعالي وذلك لانه استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل
في التورية في حقهم حرمة **وقيل** عامل اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث
تركتم دينكم وزعموا انه كذلك في كتابهم **وعن** النبي صلي الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من
شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الي البر والفاجر **بلي** اثبات لما نفوه بلي عليهم فيهم سبيل
وقوله تعالي **من اوفي بعهده واتقي فان الله يحب المتقين** استيناف مقرر للجملة التي سدت بلي مسدها والضمير المجرور
لمن او لله تعالي وعموم المتقين ناب مناب الراجع من الجزاء الي من ومشعر بان التقوي ملاك الامر عام للوفاء
وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهي **ان الذين يشترون** اي يستبدلون ياخذون **بعهد الله** اي بدل
ما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول صلي الله عليه وسلم والوفاء بالامانات **وايمانهم** وبما حلفوا به من قولهم لنؤمنن
به ولننصرنه **ثمنا قليلا** هو حطام الدنيا **اولئك** الموصوفون بتلك الصفات القبيحة **لا خلاق** لا نصيب **لهم**
في الآخرة من نعيمها **ولا يكلمهم الله** اي بما يسرهم او بشيء اصلا وانما يقع ما يقع من السؤال والتوبيخ والتقريع في
اثناء الحساب من الملائكة عليهم السلام او لا ينتفعون بكلمات الله تعالي واياته والظاهر انه كناية عن شدة غضبه وسخطه
نعوذ بالله من ذلك لقوله تعالي **ولا ينظر اليهم يوم القيمة** فانه مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم متفرع علي
الكناية في حق من يجوز عليه النظر لان من اعتد بالانسان التفت اليه واعار نظر عينيه ثم كثر حتي صار عبارة عن الاعتداد و
الاحسان وان لم يكن ثمة نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر بمجرد المعني الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر
ويوم القيمة متعلق بالفعلين وفيه تهويل للوعيد **ولا يزكيهم** اي لا يثني عليهم او لا يطهرهم من وضر الاوزار **ولهم**
عذاب اليم علي ما فعلوه من المعاصي **قيل** انها نزلت في ابن رافع ولبابة بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب حرفوا التورية
وبدلوا نعت رسول الله صلي الله عليه وسلم واخذوا الرشوة علي ذلك **وقيل** نزلت في الاشعث بن قيس حيث كان بينه
وبين رجل نزاع في بئر فاختصما الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال له شاهداك او يمينه فقال الاشعث بن قيس
اذا يحلف ولا يبالي فقال صلي الله عليه وسلم من حلف علي يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان ٥
وقيل في رجل اقام سلعته في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يكن اشتراها به **وان منهم** اي من اليهود المحرفين
لفريقا ككعب بن الاشرف ومالك بن الصيف واضرابهما **يلوون السنتهم بالكتاب** اي يفتلونها بقراءته فيميلونه
من المنزل الي المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلوون بالتشديد ويلون بقلب الواو المضمومة همزة
ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها علي ما قبلها من الساكن **لتحسبوه** اي المحرف المدلول عليه بقوله تعالي يلوون
الي اخره وقرئ بالياء والضمير للمسلمين **من الكتاب** اي من جملته وقوله تعالي **وما هو من الكتاب** حال من الضمير المنصوب
اي والحال انه ليس منه في نفس الامر وفي اعتقادهم ايضا **ويقولون** مع ما ذكر من التحريف علي طريقة التصريح
لا بالتورية والتعريض **هو** اي المحرف **من عند الله** اي منزل من عند الله **وما هو من عند الله** حال من الضمير
المبتداء في الخبر اي والحال انه ليس من عنده تعالي في اعتقادهم ايضا وفيه من المبالغة في تشنيعهم وتقبيح امرهم
وكمال جراءتهم ما لا يخفي واظهار الاسم الجليل والكتاب في محل الاضمار للتهويل لما اقدموا عليه من القول **ويقولون**
علي الله الكذب وهم يعلمون انهم كاذبون ومفترون علي الله تعالي وهو تاكيد وتسجيل عليهم بالكذب علي الله تعالي
والتعمد فيه **وعن** ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود الذين قدموا علي كعب بن الاشرف وغيروا التورية وكتبوا
كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلي الله عليه وسلم ثم اخذت قريظة ما كتبوا فخلطوه بالكتاب الذي عندهم

ما كان

وما كان لبشر بيان لافترائهم علي الانبياء عليهم السلام حيث قال نصاري نجران ان عيسي عليه السلام امرنا ان نتخذه
ربا حاشاه عليه السلام وابطال له اثر بيان افترائهم علي الله سبحانه وابطاله اي ما صح وما استقام لاحد وانما قيل لبشر اشعارا
بعلة الحكم فان البشرية منافية للامر الذي اسند الكفرة اليهم **ان يؤتيه الله الكتاب** الناطق بالحق الامر بالتوحيد
الناهي عن الاشراك **والحكم** الفهم والعلم او الحكمة وهي السنة **والنبوة ثم يقول** ذلك البشر بعد ما شرفه الله عز
وجل بما ذكر من التشريفات وعرفه الحق واطلعه علي شؤونه العالية **للناس كونوا عبادا لي** الجار متعلق بمحذوف
هو صفة عبادا كائنين لي **من دون الله** متعلق بلفظ عبادا لما فيه من معني الفعل او صفة ثانية ويحتمل الحالية لتخصص
النكرة بالوصف اي متجاوزين الله تعالي سواء كان ذلك استقلالا او اشتراكا فان التجاوز متحقق فيهما حتما **قيل** ان ابا رافع
القرظي والسيد النجراني قالا لرسول الله صلي الله عليه وسلم اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان يعبد غير الله
تعالي وان نامر بعبادة غيره تعالي فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت **وقيل** قال رجل من المسلمين يا رسول الله نسلم
عليك كما نسلم بعضنا علي بعض افلا نسجد لك قال عليه السلام لا ينبغي لاحد من دون الله تعالي ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا
الحق لاهله **ولكن** اي ولكن يقول **كونوا ربانيين** الرباني منسوب الي الرب بزيادة الالف والنون كاللحياني والرقباني
وهو الكامل في العلم والعمل الشديد التمسك بطاعة الله ودينه **بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون** اي بسبب مثابرتكم
علي تعليم الكتاب ودراسته اي قراءته فان جعل خبر كان مضارعا لافادة الاستمرار التجددي وتكرير بما كنتم للايذان باستقلال
كل من الاستمرار التعليم واستمرار القراءة بالفضل وتحصيل الربانية وتقديم التعليم علي الدراسة لزيادة شرفه
عليها او لان الخطاب الاول لرؤسائهم والاول الثاني لمن دونهم وقرئ تعلمون بمعني عالمين وتدرسون من التدريس
وتدرسون من الادراس بمعني التدريس كاكرم بمعني كرم ويجوز كون القراءة المشهورة ايضا بهذا المعني علي تقدير بما
تدرسونه علي الناس **ولا يامركم ان تتخذوا الملئكة والنبيين اربابا** بالنصب عطف علي ثم يقول ولا مزيدة لتاكيد معني
النفي في قوله تعالي ما كان لبشر اي ما كان لبشر ان يستنبئه الله تعالي يامر الناس بعبادة نفسه او يامر باتخاذ الملئكة والنبيين
اربابا وتوسيط الاذكار بين المعطوفين للمسارعة الي تحقيق الحق ببيان ما يليق بشانه ويحق صدوره عنه اثر تنزيهه
عما لا يليق به ويمتنع صدوره عنه واما ما قيل من انها غير مزيدة علي معني انه ليس له ان يامر بعباده ولا يامر باتخاذه اكفاء
اربابا بل ينهي عنه وهو ادني من العبادة وقرئ بالرفع علي الاستيناف ويحتمل الحال **ايامركم بالكفر** انكار لما نفي عن
البشر والضمير له وقوله سبحانه **بعد اذ انتم مسلمون** وهذا دليل علي الخطاب للمسلمين وهم المستاذنون للسجود
له عليه السلام **واذ اخذ الله ميثاق النبيين** منصوب بمضمر خوطب به النبي صلي الله عليه وسلم اي اذكر وقت اخذه
تعالي ميثاقهم **لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه** وقيل هو علي ظاهره
واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم بذلك اولي واحري **وقيل** معناه اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغني بذكرهم
عن ذكرهم **وقيل** اضافة الميثاق الي النبيين اضافته الي الفاعل والمعني واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء
علي اممهم **وقيل** المراد اولاد النبيين علي حذف المضاف وهم بنوا اسرائيل وسماهم نبيين تهكما بهم لانهم كانوا
يقولون نحن اولي بالنبوة من محمد صلي الله عليه وسلم لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام في لما موطئة للقسم
لان اخذ الميثاق الاستحلاف وما يحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط ويحتمل الخبرية
وقرئ لما بالكسر علي ان ما مصدرية اي لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب ثم لمجيء رسول الله صلي الله عليه وسلم مصدق
اخذ الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه او موصولة والمعني اخذه للذي اتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما
بمعني حين اتيتكم او لمن اجل ما اتيتكم علي ان اصله لمن بالادغام فحذف احدي الميمات الثلثة استقلالا **قال** اي الله
تعالي بعد ما اخذ الميثاق **ءاقررتم** بما ذكر **واخذتم علي ذلكم اصري** اي عهدي سمي به لانه يؤصر اي يشد وقرئ بضم
الهمزة وهي اما لغة فيه كعبر وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به **قالوا** استيناف مبني علي السؤال كانه قيل فما
ذا قالوا عند ذلك **فقيل** قالوا **اقررنا** وانما لم يذكر اخذهم الاصر اكتفاء بذلك **قال** تعالي **فاشهدوا** اي

ان يسجد صح

هم

فليشهد وا بعضكم على بعض الاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ اى وانا ايضا على اقراركم
ذلك وتشاهدكم شاهد ادخال مع على المخاطبين لما انهم المباشرون الشهادة حقيقة وفيه من التاكيد والتحذير ما لا
يخفى فَمَن تَوَلَّىٰ اى اعرض عما ذكر بَعْدَ ذَٰلِكَ الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فمعنى البعد في اسم
الاشارة لتفخيم الميثاق فَأُولَٰئِكَ اشارة الى من والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد في تولى باعتبار اللفظ وما فيه
من معنى البعد للدلالة على ترامي امرهم في السوء وبعد منزلتهم في الشر والفساد اى فاولئك المتولون المتصفون
بالصفات القبيحة هُمُ الْفَاسِقُونَ المتمردون الخارجون عن الطاعة من الكفرة والفاسق من كل طائفة من كان
متجاوزا عن الحد أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ عطف على مقدر اى يتولون فيبغون غير دين الله وتقديم المفعول لانه المقصود
بالانكار او على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار وقرئ بتاء الخطاب على تقدير وقل لهم وَلَهُ أَسْلَمَ
مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جملة حالية مفيدة لوكادة الانكار طَوْعًا وَكَرْهًا اى طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين
بالسيف ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت او مختارين كالملائكة والمؤمنين
والمسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون على الامتناع عما قضي عليهم وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ اى من فيهما والجمع باعتبار المعنى
وقرئ بتاء الخطاب والجملة اما معطوفة على ما قبلها منصوبة على الحالية واما مستانفة سيقت للتهديد والوعيد
قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ امر للرسول صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه ومن معه من المؤمنين بالايمان بما ذكر وجميع
الضمير في قوله تعالى وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وهو القران لما انه منزل عليهم ايضا بتوسط تبليغه اليهم او لان المنسوب
الى واحد من الجماعة قد ينسب الى الكل او عن نفسه ومن فقط وهو الانسب لما بعده والجمع لاظهار قدره عليه
الصلاة والسلام ورفعة محله بامره ان يتكلم عن نفسه على ديدن الملوك ويجوز ان يكون الامر عاما والافراد لتشريفه
صلى الله عليه وسلم والايذان بانه عليه الصلاة والسلام اصل في ذلك كما في قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء وَمَا أُنزِلَ
عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ من الصحف والنزول كما يعدى بالى لانتهائه الى الرسل يعدى بعلى
لانه من فوق ومن رام الفرق بان على لكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والى لكون الخطاب للمؤمنين ففيه تعسف الا ترى
الى قوله تعالى بما انزل اليك الى آخره وقوله امنوا بالذي انزل على الذين امنوا الى آخره وانما قدم المنزل على الرسول عليه الصلاة
والسلام على ما انزل على سائر الرسل عليهم الصلاة والسلام مع تقدمه عليه نزولا لانه المعرف له والعيار عليه والاسباط
جمع سبط وهو الحافد والمراد بهم حفدة يعقوب عليه السلام وابناؤه الاثنا عشر وذراريهم فانهم حفدة ابرهيم عليه الصلاة
والسلام وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ من التورية والانجيل وسائر المعجزات الظاهرة بايديهما كما ينبئ عنه ايثار الايتاء على
الانزال الخاص بالكتاب وتخصيصهما بالذكر لما ان الكلام مع اليهود والنصارى وَالنَّبِيُّونَ عطف على موسى وعيسى عليهما
السلام اى وبما اوتي النبيون من المذكورين وغيرهم مِن رَّبِّهِمْ من الكتب والمعجزات لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ كدأب اليهود
والنصارى امنوا ببعض وكفروا ببعض بل نؤمن بصحة نبوة كل منهم وبحقية ما انزل اليهم في زمانهم وعدم التعرض لنفي التفرق
بين الكتب لاستلزام المذكور اياه وقد مر تفصيله في تفسير قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله وهمزة احد اما اصلية
فهو اسم موضوع لمن يصلح ان يخاطب يستوي فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ولذلك صح دخول بين
عليه كما في مثل المال بين الناس واما مبدلة من الواو فهو بمعنى واحد وعمومه لوقوعه في حيز النفي وصحة دخول
بين عليه باعتبار معطوف قد حذف لظهوره اى بين احد منهم وغيره كما في قول النابغة فما كان بين الخير اذ جاء سالما
ابو حجر الا ليال قلائل اى بين الخير وبيني وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ اى منقادون او مخلصون له تعالى انفسنا لا نجعل له
شريكا فيها وفيه تعريض بايمان اهل الكتاب فانه بمعزل من ذلك وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ اى غير التوحيد والانقياد
لحكم الله تعالى كدأب المشركين صريحا والمدعين للتوحيد مع اشراكهم كاهل الكتابين دِينًا ينتحل اليه وهو
نصب على انه مفعول ليبتغ وغير الاسلام حال منه لما انه كان صفة له فلما قدمت عليه انتصب حالا او هو المفعول
ودينا تمييز لما فيه من الابهام او بدل من غير الاسلام فَلَن يُقْبَلَ ذلك منه ابدا بل يرد اشد رد واقبحه وقوله

تعالى وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ اما حال من ضمير المجرور واستئناف لا محل له من الاعراب اى من الواقعين في
الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران بابطال الفطرة السليمة التي
فطر الناس عليها وفي ترتيب الرد والخسران على مجرد الطلب دلالة على ان حال من تدين بغير الاسلام واطمان بذلك
افظع واقبح واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفي قبول كل دين يغايره لا
قبول كل ما يغايره كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ الى الحق قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ قيل هم عشرة رهط ارتدوا بعد ما امنوا ولحقوا
بمكة وقيل هم يهود قريظة والنضير ومن دان بدينهم كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ان كانوا مؤمنين به قبل مبعثه
وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ استبعاد لان يهديهم الله تعالى فان الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في
الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي وانكار له وذلك يقتضي ان لا يقبل توبة المرتد وقوله تعالى وشهدوا عطف
على ايمانهم باعتبار انحلاله الى جملة فعلية كما في قوله تعالى ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا
فانه في قوة ان يقال بعد ان امنوا او حال من ضمير كفروا باضمار قد وهو دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة
الايمان وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ اى الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف
من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه والجملة اعتراضية او حالية أُولَٰئِكَ اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما مر من
الصفات الشنيعة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا وهو مبتدأ وقوله تعالى جَزَاؤُهُمْ مبتدأ ثان وقوله
تعالى أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خبره والجملة خبر لاولئك وهذا يدل بمنطوقه على جواز لعنهم
وبمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق بينهم وبين غيرهم انهم مطبوع على قلوبهم ممنوعون من الهدى آيسون
من الرحمة راسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون او الكل فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن
لا يعرف الحق بعينه خَالِدِينَ فِيهَا في اللعنة والعقوبة او النار وان لم تذكر لدلالة الكلام عليها لَا يُخَفَّفُ
عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ اى يمهلون إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ اى من بعد الارتداد وأصلحوا اى
ما افسدوا او دخلوا في الصلاح فان الله غفور رحيم فيقبل توبتهم ويتفضل عليهم وهو تعليل لما دل عليه
الاستثناء وقيل نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان يسلوا هل لي من توبة
فارسل اليه اخوه الجلاس الاية فرجع الى المدينة فتاب إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا كاليهود بعيسى
والانجيل بعد الايمان بموسى عليه السلام والتورية ثم ازدادوا كفرا حيث كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران
وكفروا به عليه الصلاة والسلام بعد ما امنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار عليه والطعن فيه والصد
عن الايمان ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بهم ريب المنون او
نرجع اليه فننافقه باظهار الايمان لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ لانهم لا يتوبون الا عند اشرافهم على الهلاك فكني عن
عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا في شانهم وابرازا لحالهم في صورة الايسين من الرحمة او لان توبتهم لا تكون الا
نفاقا لارتدادهم وازديادهم كفرا ولذلك لم يدخل فيه الفاء وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ الثابتون على الضلال
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ لما كان الموت على الكفر سببا
لامتناع قبول الفدية زيدت الفاء هنا للاشعار به وملء الشيء ما يملؤه وذهبا تمييز وقرئ بالرفع على انه بدل
من ملء او خبر المحذوف ولو افتدى محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا
او به تصدق في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الاخرة او المراد ولو افتدى بمثله كقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا
ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين في حكم شيء واحد أُولَٰئِكَ اشارة الى المذكورين
باعتبار اتصافهم بالصفات الشنيعة المذكورة لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ مولم اسم الاشارة مبتدأ والظرف خبره ولا
اعتماده على المبتدأ ارتفع به عذاب اليم على الفاعلية وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ في دفع العذاب عنهم او في تخفيفه
ومن مزيدة للاستغراق وصيغة الجمع لمراعاة الضمير اى ليس لواحد منهم ناصر واحد لَن تَنَالُوا الْبِرَّ من ناله

نيلا اذا اصابه والخطاب للمؤمنين وهو كلام مستأنف سيق لبيان ما ينفع المؤمنين ويقبل منهم اثر بيان ما
لا ينفع الكفرة ولا يقبل منهم اي لن تبلغوا حقيقة البر الذي يتنافس فيه المتنافسون ولن تدركوا شاوه ولن تلحقوا
بزمرة الابرار او لن تنالوا بر الله تعالى وهو ثوابه ورحمته ورضاه وجنته حَتّٰى تُنْفِقُوا اي في سبيل الله عز وجل رغبة
فيما عنده ومن في قوله تعالى مِمَّا تُحِبُّونَ تبعيضية ويؤيده قراءة من قرأ بعض ما تحبون وقيل بيانية وما موصولة
او موصوفة اي مما تشتهون ويعجبكم من كرائم اموالكم واحبها اليكم كما في قوله تعالى انفقوا من طيبات ما كسبتم او مما
يعمها وغيرها من الاعمال والمهجة على ان المراد بالانفاق مطلق البذل وفيه من الايذان بعزة منال البر ما لا يخفى
وكان السلف رضي الله تعالى عنهم اجمعين اذا احبوا شيئا جعلوه لله عز وجل وروي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال
يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحا فضعها يا رسول الله حيث اراك الله فقال صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذاك
مال رابح او رائح فاني ارى ان تجعلها في الاقربين فقسمها في اقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه
في سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد فكان زيدا وجد في نفسه وقال انما اردت ان اتصدق
به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان الله تعالى قد قبلها منك وقيل فيه دلالة على ان انفاق احب الاموال
على اقرب الاقارب افضل وكتب عمر رضي الله تعالى عنه الى ابي موسى الاشعري رضي الله عنه ان يشتري له جارية
من سبي جلولاء يوم فتحت مداين كسرى فلما جاءت اعجبته فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما
تحبون فاعتقها وروي ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كانت لزوجته جارية بارعة الجمال وكان عمر راغبا فيها متمنيا
وكان قد طلبها منها مرارا فلم تعطها اياه ثم لما ولي الخلافة زينتها وارسلتها اليه فقالت قد وهبتكها يا امير المؤمنين
فلتخدمك قال من اين ملكتها قالت جئت بها من بيت ابي عبد الملك ففتش عن كيفية تملكه اياها فقيل انه كان على فلان
العامل ديون فلما توفي اخذت من تركته ففتش عن حال العامل واحضر ورثته وارضاهم جميعا باعطاء المال ثم توجه
الى الجارية وكان يهواها هوى شديدا فقال انت حرة لوجه الله تعالى قالت لم يا امير المؤمنين وقد ازحت عن امرها
كل شبهة قال لست اذا ممن نهى النفس عن الهوى وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ ما شرطية جازمة لتنفقوا منصوبة به على
المفعولية ومن تبعيضية متعلقة بمحذوف وهو صفة لاسم الشرط اي اي شيء تنفقوا كائن من الاشياء فان
المفرد في مثل هذا الموضع واقع موقع الجمع وقيل محل الجار والمجرور النصب على التمييز اي اي شيء تنفقوا طيب
تحبونه او خبيث تكرهونه فَإِنَّ اللّٰهَ بِهِ عَلِيمٌ تعليل لجواب الشرط واقع موقعه اي فيجازيكم بحسبه جيدا كان
او رديا فانه تعالى عليم بكل شيء تنفقونه علما كاملا لا يخفى عليه شيء من ذاته وصفاته وتقديم الجار والمجرور لرعاية
الفواصل وفيه من الترغيب في انفاق الجيد والتحذير عن انفاق الردي ما لا يخفى كُلُّ الطَّعَامِ اي كل افراد المطعوم
او كل انواعه كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرٰائِيلَ اي حلالا لهم فان الحل مصدر نعت به ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر
والمؤنث كما في قوله تعالى لا هن حل لهم إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرٰائِيلُ عَلٰى نَفْسِهِ استثناء متصل من اسم كان اي كان كل المطعومات
حلالا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل اي يعقوب عليه السلام على نفسه وهو لحوم الابل والبانها قيل كان به وجع
النساء فنذر لئن شفي لا ياكل احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه وقيل فعل ذلك للتداوي باشارة الاطباء
واحتج به من جوز للنبي الاجتهاد وللمانع ان يقول كان ذلك باذن الله تعالى فيه كتحريمه ابتداء مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرٰيةُ
متعلق بقوله تعالى كان حلا ولا ضير في توسيط الاستثناء بينهما وقيل متعلق بحرم وفيه ان تقييد تحريمه عليه السلام
بقبلية تنزيل التورية ليس فيه مزيد فائدة اي كان ما عدا المستثنى حلالا لهم قبل ان تنزل التورية مشتملة على تحريم
ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وهو رد على اليهود في دعويهم البراءة عما نعي عليهم قوله تعالى فبظلم
من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الايتين بان قالوا
لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابرهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت
على من قبلنا وتبكيت لهم في منع النسخ والطعن في دعوى الرسول صلى الله عليه وسلم موافقة لابرهيم عليه السلام

تحليله

بتحليله لحوم الابل والبانها قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرٰيةِ فَاتْلُوهَا امر عليه السلام بان يحاجهم بكتابهم الناطق بان التحريم
ما حرم عليهم تحريم حادث مترتب على ظلمهم وبغيهم كلما ارتكبوا معصية من المعاصي التي اقترفوها حرم عليهم نوع من
الطيبات عقوبة لهم ويكلفهم اخراجه وتلاوته ليبكتهم ويلقمهم الحجر ويظهر كذبهم واظهار اسم التورية لكون الجملة
كلاما مع اليهود ومنقطعا عما قبله وقوله تعالى ان كنتم صادقين اي في دعواكم انه تحريم قديم وجواب الشرط محذوف
لدلالة المذكور عليه إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فأتوا بالتورية فاتلوها فان صدقكم مما يدعوكم الى ذلك البتة روي انهم
لم يجسروا على اخراج التورية فبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك من الحجة النيرة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم
وجواز النسخ الذي يجحدونه ما لا يخفى والجملة مستانفة مقررة لما قبلها فَمَنِ افْتَرٰى عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ اي اختلقه عليه
سبحانه بزعمه انه حرم ما ذكر قبل نزول التورية على بني اسرائيل ومن تقدمهم من الامم من بعد ذلك من بعد ما ذكر
من امرهم باحضار التورية وتلاوتها وما ترتب عليه من التبكيت والالزام والتقييد به للدلالة على كمال القبح فَأُولٰئِكَ
اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة والجمع باعتبار معناه كما ان الافراد في الصلة باعتبار لفظه وما فيه
من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الضلال والطغيان اي فاولئك المصرون على الافتراء بعد ما ظهرت حقيقة
الحال وضاقت عليهم حلبة المحاجة والجدال هُمُ الظَّالِمُونَ المفرطون في الظلم والعدوان المبعدون فيهما والجملة
مستانفة لا محل لها من الاعراب مسوقة من جهته تعالى لبيان كمال عتوهم وقيل هي في محل النصب داخل تحت القول
عطفا على قوله تعالى فأتوا بالتورية قُلْ صَدَقَ اللّٰهُ اي ظهر وثبت صدقه تعالى فيما انزل في شان التحريم وقيل
في قوله تعالى ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا الى آخره او في كل شان وهو داخل في ذلك دخولا اوليا وفيه تعريض
بكذبهم الصريح فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرٰهِيمَ اي ملة الاسلام التي هي في الاصل ملة ابرهيم عليه الصلاة والسلام فانكم
ما كنتم متبعين لملته كما تزعمون او فاتبعوا مثل ملته حتى تتخلصوا عن اليهودية التي اضطرتكم الى التحريف والمكابرة
وتلفيق الاكاذيب لتسوية الاغراض الدنية الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات محللة لابرهيم عليه السلام ومن
تبعه والفاء للدلالة على ان ظهور صدقه تعالى موجب للاتباع وترك ما كانوا عليه حَنِيفًا اي مائلا عن
الاديان الزائغة كلها وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اي في امر من امور دينهم اصلا وفرعا وفيه تعريض باشراك اليهود
وتصريح بانه عليه الصلاة والسلام ليس بينه وبينهم علاقة دينية قطعا والغرض بيان ان النبي عليه الصلاة
والسلام على دين ابرهيم عليه الصلاة والسلام في الاصول لانه لا يدعو الا الى التوحيد والبراءة عن كل معبود
سواه سبحانه وتعالى والجملة تذييل لما قبلها إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ شروع في بيان كفرهم ببعض آخر من شعائر
ملة ابرهيم عليه الصلاة والسلام اثر بيان كفرهم بكون كل المطعومات حلالا له عليه السلام روي انهم قالوا بيت
المقدس اعظم من الكعبة لانه مهاجر الانبياء عليهم الصلاة والسلام وفي الارض المقدسة وقال المسلمون بل
الكعبة اعظم فبلغ ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت اي ان اول بيت وضع للعبادة وجعل متعبدا
لهم والواضع هو الله تعالى ويؤيده القراءة على البناء للفاعل وقوله تعالى لَلَّذِي بِبَكَّةَ خبر لان وانما اخبر بالمعرفة
مع كون اسمها نكرة لتخصصها بتبيين الاضافة والوصف بالجملة بعدها اي للبيت الذي ببكة اي فيها وفي ترك
الموصوف من التفخيم ما لا يخفى وبكة لغة في مكة فان العرب تعاقب بين الباء والميم كما في قولهم ضربة لازب
ولازم والنميط والنبيط في اسم موضع بالدهناء وقولهم امر راتب وراتم وسبد راسه وسمدها واغبطت الحمى
واغمطت وهي علم للبلد الحرام من بكه اذا زحمه لازدحام الناس فيه وعن قتادة يبكي الناس بعضهم بعضا او لانها تبك
اعناق الجبابرة اي تدقها لم يقصدها جبار الا قصمه الله تعالى عز وجل وقيل بكة اسم لبطن مكة وقيل موضع
البيت وقيل للمسجد نفسه ومكة اسم للبلد كله وايد هذا بان التباك وهو الازدحام انما يقع عند الطواف
وقيل مكة اسم للمسجد والمطاف وبكة اسم للبلد لقوله تعالى للذي ببكة مباركا وروي انه عليه الصلاة والسلام
سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل

اول من بناه ابرهيم عليه السلام وقيل آدم عليه السلام وقد استوفينا ما فيه من الاقاويل في سورة البقرة وقيل
اول بيت بالشرف لا بالزمان مباركا كثير الخير والنفع لما يحصل لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله من
الثواب وتكفير الذنوب وهو حال من المستكن في الظرف لان التقدير للذي ببكة هو والعامل فيه ما قدر في الظرف
من فعل الاستقرار وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه ايات عجيبة دالة على عظيم قدرته تعالى وبالغ
حكمته كما قال فيه ايات بينات واضحات كانحراف الطيور عن موازات البيت على مدا الاعصار ومخالطة ضوارى
السباع الصيد في الحرم من غير تعرض لها وقهر الله تعالى لكل جبار قصده بسوء كاصحاب الفيل والجملة مفسرة
للهدى او حال اخرى مقام ابرهيم اي اثر قدميه عليه في الصخرة التي كان عليه الصلاة والسلام يقوم عليها
وقت رفع الحجارة لبناء الكعبة عند ارتفاعه او عند غسل راسه على ما روي انه عليه السلام جاء زائرا من الشام
الى مكة فقالت له امراة اسماعيل عليه السلام انزل حتى اغسل راسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه
الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسل شق راسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الاخر فبقي اثر قدميه عليه
وهو اما مبتدا حذف خبره اي منها مقام ابرهيم عليه السلام او بدل من ايات بدل البعض من الكل او عطف بيان
اما وحده باعتبار كونه بمنزلة ايات كثيرة لظهور شانه وقوة دلالته على قدرة الله تعالى وعلى نبوة ابرهيم عليه السلام
كقوله تعالى ان ابرهيم كان امة قانتا او باعتبار اشتماله على ايات كثيرة فان كل واحد من اثر قدميه في صخرة صما وغوصه
فيها الى الكعبين والانة بعض الصخور دون بعض وابقائه دون سائر ايات الانبياء عليهم السلام وحفظه مع كثرة
الاعداء الوف سنة اية مستقلة ويؤيده القراءة على التوحيد وان بما يفهم من قوله تعالى ومن دخله كان امنا
فانه وان كان جملة مستانفة ابتدائية او شرطية لكنها في قوة ان يقال وامن من دخله فتكون بحسب المعنى والمال
معطوفة على مقام ابرهيم عليه السلام ولا يخفى ان الاثنين نوع من الجمع فيكفي بذلك او يحمل على انه ذكر من تلك الايات
اثنتان وطوى ذكر ما عداهما دلالة على كثرتها ومعنى امنا من دخله امنه من التعرض له كما في قوله تعالى اولم يروا
انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة ابرهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد امنا وكان
الرجل لو جر كل جريرة ثم لجا الى الحرم لم يطلب وعن عمر رضي الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته
حتى يخرج منه ولذلك قال ابو حنيفة رحمه الله من لزمه القتل في الحل بقصاص او ردة او زنا فالتجا الى الحرم
لم يتعرض له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل امنه من النار وعن النبي
صلى الله عليه وسلم من مات في احد الحرمين بعث يوم القيمة امنا وعنه عليه الصلاة والسلام الحجون والبقيع
يوخذ باطرافها وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود رضي الله عنه وقف
رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله تعالى من هذه البقعة
ومن حرم مكة كله سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في
سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من
النهار تباعدت منه جهنم مائتي عام ولله على الناس حج البيت جملة من مبتداء هو حج البيت وخبره هو
لله وقوله تعالى على الناس متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار او بمحذوف هو حال من الضمير المستكن
في الجار والعامل فيه ذلك الاستقرار ويجوز ان يكون على الناس هو الخبر ولله متعلق بما تعلق به الخبر
ولا سبيل الى ان يتعلق بمحذوف هو حال من الضمير المستكن في على الناس لاستلزامه تقديم الحال على
العامل المعنوي وذلك مما لا مساغ له عند الجمهور وقد جوزه ابن مالك اذا كانت هي ظرفا او حرف جر وعاملها
كذلك بخلاف الظرف وحرف الجر فانهما يتقدمان على عاملهما المعنوي واللام في البيت للعهد وحجة قصد
للزيارة على الوجه المخصوص المعهود وكسر الحاء لغة نجد وقيل هو اسم للمصدر وقرئ بفتحها من استطاع اليه
سبيلا في محل الجر على انه بدل من الناس بدل البعض مخصص لعمومه فالضمير العائد الى المبدل منه محذوف

اي من استطاع منهم وقيل بدل الكل ان المراد بالناس هو البعض المستطيع فلا حاجة الى الضمير وقيل في محل الرفع
على انه خبر مبتدا مضمر اي هم من استطاع الى اخره وقيل في حيز النصب بتقدير اعني وقيل كلمة من شرطية والجزاء
محذوف لدلالة المذكور عليه وكذا العائد الى الناس اي من استطاع منهم اليه سبيلا فلله عليه حج البيت وقد رجح
هذا بكون ما بعده شرطية والضمير المجرور في اليه راجع الى البيت او الى الحج والجار متعلق بالسبيل قدم عليه اهتماما
بشانه كما في قوله عز وجل فهل الى خروج من سبيل وهل الى مرد من سبيل لما فيه من معنى الافضاء والايصال
كيف لا وهو عبارة عن الوسيلة من مال او غيره فانه قد روى انس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال السبيل الزاد والراحلة وهو المراد بما روي انه عليه السلام فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة وهكذا
روي عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وعليه اكثر العلماء خلا ان الشافعي رحمه الله اخذ بظاهره فاوجب الاستنابة
على الزمن القادر على اجرة من ينوب عنه والظاهر ان عدم تعرضه عليه السلام لصحة البدن لظهور الامر كيف لا
والمفسر في الحقيقة هو السبيل الموصل لنفس المستطيع الى البيت وذا لا يتصور بدون الصحة وعن ابن الزبير انه
على قدر القوة ومذهب مالك ان الرجل اذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة
من لا يقدر على السفر وقد يقدر عليه من لا راحلة له ولا زاد وعن الضحاك انه اذا قدر ان يوجر نفسه فهو مستطيع
ومن كفر وضع من كفر موضع من لم يحج تاكيدا للوجوب وتشديدا على تاركه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام من مات
ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه عليه الصلاة والسلام قال في
خطبته ايها الناس ان الله فرض الحج على من استطاع اليه سبيلا ومن لم يفعل فليمت على اي حال شاء يهوديا او مجوسيا
او نصرانيا فان الله غني عن العالمين وعن عبادتهم وحيث كان من كفر من جملتهم داخلا فيها دخولا اوليا اكتفى بذلك عن
الضمير الرابط بين الشرط والجزاء ولقد حازت الاية الكريمة من فنون الاعتبارات المعربة عن كمال الاعتناء بامر الحج
والتشديد على تاركه ما لا مزيد عليه حيث اوثرت صيغة الخبر الدالة على التحقيق وابرزت في صورة الجملة الاسمية
الدالة على الثبات والاستمرار على وجه يفيد انه حق واجب لله سبحانه في ذمم الناس لا انفكاك لهم عن اداءه و
الخروج عن عهدته وسلك بهم مسلك التعميم ثم التخصيص والابهام ثم التبيين والاجمال ثم التفصيل لما في ذلك من مزيد
تحقيق وتقرير وعبر عن تركه بالكفر الذي لا اقبح وراءه وجعل جزاؤه استغناؤه تعالى المؤذن بشدة المقت وعظم
السخط لا عن تاركه فقط فانه قد ضرب عنه صفحا اسقاطا له عن درجة الاعتبار واستهجانا بذكره بل عن جميع العالمين
ممن فعل وترك ليدل على نهاية شدة الغضب هذا وقال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن وعطا رضي الله عنهما ومن كفر اي جحد
فرض الحج وزعم انه ليس بواجب وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود فانهم قالوا الحج الى مكة غير واجب وروي
انه لما نزلت قوله تعالى ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان
الله كتب عليكم الحج فحجوا فامنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا
نحجه فنزل ومن كفر وعن النبي صلى الله عليه وسلم حجوا قبل ان لا تحجوا فانه هدم البيت مرتين ويرفع الى السماء في الثالثة
وروي حجوا قبل ان لا تحجوا يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود رضي الله عنه حجوا هذا البيت قبل ان تنبت في البادية
شجرة لا تاكل منها دابة الا نفقت وعن عمر رضي الله عنه لو ترك الناس الحج ما نوظروا قل يا اهل الكتاب هم
اليهود والنصارى وانما خوطبوا بعنوان اهلية الكتاب الموجبة للايمان به وبما يصدقه من القرآن العظيم مبالغة
في تقبيح حالهم في كفرهم بهما وقوله تعالى لم تكفرون بايات الله توبيخ وانكار لان يكون لكفرهم بها سبب من الاسباب
وتحقيق لما يوجب الامتناع عنه بالكلية والمراد باياته ما يعم الايات القرانية التي من جملتها ما تلي في شان الحج وغيره
وما في التورية والانجيل من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى والله شهيد على ما تعملون حال من فاعل
تكفرون مفيدة لتشديد التوبيخ وتاكيد الانكار واظهار الجلالة في موقع الاضمار لتربية المهابة وتهويل الخطب
وصيغة المبالغة في شهيد للتشديد في الوعيد وكلمة ما اما عبارة عن كفرهم او هي على عمومها وهو داخل فيها دخولا

وروى ابن عمر رضي الله عنهما ان رجلا قال يا رسول الله ما السبيل قال الزاد والراحله صح

جميع م

اوليا والمعنى لاي سبب تكفرون بايات الله عز وجل والحال انه تعالى مبالغ في الاطلاع على اعمالكم وفي مجازاتكم عليها ولا ريب في ان ذلك يسد جميع انحاء ما تأتونه ويقطع اسبابه بالكلية قل يا اهل الكتاب امر بتوبيخهم بالاضلال اثر توبيخهم بالضلال والتكرير للمبالغة في حمله عليه السلام على تقريعهم وتوبيخهم وترك عطفه على الامر السابق للايذان باستقلالهما كما ان قطع قوله تعالى لم تصدون عن قوله لم تكفرون للاشعار بان كل واحد من كفرهم وصدهم شناعة على حيالها مستقلة في استتباع الائمة والتقريع وتلوين الخطاب بعنوان اهلية الكتاب لتاكيد الاستقلال وتشديد التشنيع فان ذلك العنوان كما يستدعي الايمان بما هو مصدق لما معهم يستدعي ترغيب الناس فيه فصدهم عنه في اقصى مراتب القباحة ولكون صدهم في بعض الصور بتحريف الكتاب والكفر بالايات الدالة على نبوته عليه الصلاة والسلام وقرئ تصدون مواصلة لتصدون عن سبيل الله اي دينه الحق الموصل الى السعادة الابدية وهو التوحيد وملة الاسلام من آمن مفعول قدم عليه الجار والمجرور للاهتمام به كانوا يغشون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم ويقولون ان صفته عليه الصلاة والسلام ليست في كتابهم ولا تقدمت البشارة به عندهم وقيل اتت اليهود الاوس والخزرج فذكروهما ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا الى ما كانوا فيه تبغونها على اسقاط الجار وايصال الفعل الى الضمير كما في قوله • فتولي غلامهم ثم نادي • اظليما اصيد لكم ام حمارا • بمعنى اصيد لكم اي تطلبون لسبيل الله التي هي اقوم السبل عوجا اعوجاجا بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيه ميلا عن الحق بنفي النسخ وتغيير صفة الرسول صلى الله عليه وسلم عن وجهها ونحو ذلك والجملة حال من فاعل تصدون وقيل من سبيل الله وانتم شهداء حال من فاعل تصدون باعتبار تقييده بالحال الاولى او من فاعل تبغونها اي والحال انكم شهداء تشهدون بانها سبيل الله لا يحوم حولها شائبة اعوجاج وان الصد عنها اضلال قال ابن عباس رضي الله عنهما اي شهداء ان في التورية ان دين الله الذي لا يقبل غيره هو الاسلام او وانتم عدول فيما بينكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا او عظائم الامور وما الله بغافل عما تعملون • اعتراض تذييلي فيه تهديد ووعيد شديد قيل لما كان صدهم للمؤمنين بطريق الخفية ختمت الاية الكريمة بما يحسم مادة حيلتهم من احاطة علمه تعالى باعمالهم كما ان كفرهم بايات الله تعالى لما كان بطريق العلانية ختمت الاية السابقة بشهادته تعالى على ما تعملون يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين • تلوين للخطاب وتوجيه له الى المؤمنين تحذيرا لهم عن طاعة اهل الكتاب والافتتان بفتنتهم اثر توبيخهم بالاغواء والاضلال ردعا لهم عن ذلك وتعليق الرد بطاعة فريق منهم للمبالغة في التحذير عن طاعتهم وايجاب الاجتناب عن مصاحبتهم بالكلية فانه في قوة ان يقال لا تطيعوا فريقا الى آخره كما ان بنيهم التوبيخ فيما قبله للمبالغة في الزجر للمحافظة على سبب النزول فانه روي ان نفرا من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاش بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الحسد للمسلمين فغاضه ما رأى منهم من تألف القلوب واتحاد الكلمة واجتماع الراي بعد ما كان بينهم ما كان من العداوة والشنآن فامر شابا يهوديا كان معه بان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وكان ذلك يوما عظيما اقتتل فيه الحيان وكان الظفرية للاوس وينشدهم ما قيل فيه من الاشعار ففعل فتفاخر القوم وتغاضبوا حتى تواثبوا وقالوا السلاح السلاح فاجتمع من القبيلتين خلق عظيم فعند ذلك جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد ان اكرمكم بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الامام الواحدي اصطفوا للقتال فنزلت الاية الى قوله تعالى لعلكم تهتدون فجاء النبي صلى الله عليه وسلم قال حتى قام بين الصفين فقرأهن ورفع صوته ولما سمع صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم انصتوا له وجعلوا يستمعون له ولما فرغ القوا السلاح وعانق بعضهم بعضا وجعلوا يبكون وقوله تعالى كافرين اما مفعول ثان ليردوكم على تضمين الرد معنى التصيير كما في قوله • رمى الحدثان نسوة آل سعد • بمقدار سمدن له سمودا • فرد شعورهن السود بيضا • ورد وجوههن البيض سودا • وحال من مفعوله والاول ادخل في التنزيه المؤمنين عن

مع علمه الحاجز صح

نسبتهم الى الكفر لما فيه من التصريح بكون الكفر المفروض بطريق القسر وايراد الظرف اليه ضرورة سبق الخطاب هو ان المؤمنين واستحالة تحقق الرد الى الكفر بدون سبق الايمان مع توسطه بين المفعولين لاظهار كمال شناعة الكفر وغاية بعده من الوقوع اما لزيادة قبحه الصارف للعاقل عن مباشرته او لممانعة الايمان له كانه قيل بعد ايمانكم الراسخ وفيه من تثبيت المؤمنين ما لا يخفى فكيف تكفرون استفهام انكاري بمعنى انكار الوقوع كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد الى آخره لا بمعنى انكار الواقع كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا الى آخره وفي توجيه الانكار والاستبعاد الى كيفية الكفر من المبالغة ما ليس في توجيهه الى نفسه بان يقال اتكفرون لان كل موجود لا بد ان يكون وجوده على حال من الاحوال فاذا نكر ونفي جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده بالكلية على الطريق البرهاني وقوله عز وجل وانتم تتلى عليكم آيات الله جملة وقعت حالا من ضمير المخاطبين في تكفرون موكدة للانكار والاستبعاد بما فيها من الشؤون الداعية الى الثبات على الايمان الرادعة عن الكفر وقوله تعالى وفيكم رسوله معطوف عليها داخل في حكمها فان تلاوة آيات الله عليهم وكون رسوله بين اظهرهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم بتحقيق الحق وازاحة الشبه من اقوى الزواجر عن الكفر وعدم اسناد التلاوة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم للايذان باستقلال كل منهما في الباب ومن يعتصم بالله اي ومن يتمسك بدينه الحق الذي بينه باياته على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الاسلام والتوحيد المعبر عنه فيما سبق بسبيل الله فقد هدي جواب للشرط وقد لافادة معنى التحقق كان الهدى قد حصل فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع فيه ظاهر فان المعتصم به تعالى متوقع الهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للندى الى صراط مستقيم موصل الى المطلوب والتنوين للتفخيم والوصف بالاستقامة للتصريح بالرد على الذين يبغون له عوجا وهذا وان كان هو دينه الحق في الحقيقة والاهتداء اليه هو الاعتصام به بعينه لكن لما اختلف الاعتباران وكان العنوان الاخير مما يتنافس فيه المتنافسون ابرز في معرض الجواب للحث والترغيب على طريقة قوله تعالى فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز يا ايها الذين آمنوا تكرير الخطاب بعنوان الايمان تشريف اثر تشريف اتقوا الله الاتقاء افتعال من الوقاية وهي فرط الصيانة حق تقاته اي حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم كما في قوله تعالى واتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رضي الله عنه هو ان يطاع ولا يعصى ويذكر ولا ينسى ويشكر ولا يكفر وقد روي مرفوعا اليه عليه الصلاة والسلام وقيل هو ان لا تأخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او ابنه او ابيه وقيل هو ان ينزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازات وقد مر تحقيق الحق في ذلك عند قوله عز وجل هدى للمتقين والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتاد اصلها وقية قلبت واوها المضمومة تاء كما في تهمة وتخمة وياؤها المفتوحة الفاء ولا تموتن الا وانتم مسلمون اي مخلصون انفسكم لله عز وجل لا تجعلون فيها شركة لما سواه اصلا كما في قوله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا تموتن على حال من الاحوال الا حال تحقق اسلامكم وثباتكم عليه كما ينبئ عنه الجملة الاسمية ولو قيل الا مسلمين لم يفد فائدتها والعامل في الحال ما قبل الا بعد النقض وظاهر النظم الكريم وان كان نهيا عن الموت المقيد بقيد هو الكون على حال غير حال الاسلام لكن المقصود هو النهي عن ذلك القيد عند الموت المستلزم للامر بضده الذي هو الكون على حال الاسلام حينئذ وحيث كان الخطاب للمؤمنين كان المراد ايجاب الثبات على الاسلام الى الموت وتوجيه النهي الى الموت للمبالغة في النهي عن قيده المذكور فان النهي عن المقيد في امثاله نهي عن القيد ورفع له عن اصله بالكلية مفيد ما لا يفيده النهي عن نفس القيد فان قولك لا تصل الا وانت خاشع يفيد من المبالغة في ايجاب الخشوع في الصلوة ما لا يفيده قولك لا تترك الخشوع في الصلوة لما ان هذا نهي عن ترك الخشوع فقط وذاك نهي عنه وعما يقارنه ومفيد لكون الخشوع هو العمدة في الصلوة وان الصلوة بدونه حقها ان لا تفعل وفيه نوع تحذير عما وراء الموت وقوله عز وجل واعتصموا بحبل الله اي بدين الاسلام او بكتابه لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي الى صراط مستقيم • اما تمثيل للحالة

ع

من استظهارهم به ووثوقهم بحمايته بالحالة الحاصلة من تمسك المتدلي من مكان رفيع بحبل وثيق مامون الانقطا
من غير اعتبار مجاز في المفردات واما استعارة للحبل لما ذكر من الدين او الكتاب والاعتصام ترشيح لها
او مستعار للوثوق به والاعتماد عليه **جَمِيعًا** حال من فاعل اعتصموا اي مجتمعين في الاعتصام **وَلَا تَفَرَّقُوا** اي
لا تتفرقوا بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او كما كنتم متفرقين في الجاهلية يحارب بعضكم بعضا او لا
تحدثوا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة التي انتم عليها **وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ** مصدر مضاف الى الفاعل وقوله
تعالى وقيل متعلق به او بمحذوف وقع حالا منه وقوله تعالى **إِذْ كُنْتُمْ** ظرف له او للاستقرار في عليكم اي اذكروا
انعامه عليكم او اذكروا انعامه مستقرا عليكم وقت كونكم **أَعْدَاءً** في الجاهلية بينكم الاحن والعداوات والحروب
المتواصله وقيل هم الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام فوقعت بين اولادهما العداوة والبغضاء وتطاولت
الحروب فيما بينهم مائة وعشرين سنة **فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ** بتوفيقكم للاسلام **فَأَصْبَحْتُمْ** اي فصرتم **بِنِعْمَتِهِ**
التي هي ذلك التاليف **إِخْوَانًا** خبر اصبحتم اي اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة في الله متراحمين متناصحين
متفقين على كلمة الحق وقيل معنى فاصبحتم فدخلتم في الصباح فالباء حينئذ متعلق بمحذوف وقع حالا
من الفاعل وكذا اخوانا اي فاصبحتم ملتبسين بنعمته حال كونكم اخوانا **وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ** شفاء
الحفرة وشفتها حرفها ان كنتم مشرفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت على تلك الحالة لوقعتم
فيها **فَأَنْقَذَكُمْ** بان هديكم للاسلام **مِنْهَا** الضمير للحفرة او للنار او للشفاء والتانيث للمضاف اليه
كما في قوله ٭ كما شرقت صدر القناة من الدم ٭ او لانه بمعنى الشفة فان شفاء البير جانبها كالجانب والجانبة
واصله شفو قلبت الواو الفا في المذكر وحذفت في المونث **كَذَلِكَ** اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وما
فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل وكمال تميزه به عما عداه وانتظامه
بسببه في سلك الامور المشاهدة والكاف مقحمة لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها النصب
على انها صفة لمصدر محذوف اي مثل ذلك التبيين الواضح **يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ** اي دلايله **لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**
طلبا لثباتكم على الهدى وازدياد كم فيه **وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ** امرهم الله سبحانه وتعالى بتكميل الخير
واشارة اثر امرهم بتكميل النفس وتهذيبها لما قبله من الاوامر والنواهي تثبيتا للكل على مراعاة ما فيها من الاحكام
بان يقوم بعضهم بمواجبها ويحافظ على حقوقها وحدودها ويذكرها الناس كافة ويزعجهم على الاخلال بها
والجمهور على اسكان لام الامر وقد قرئ بكسرها على الاصل وهو من كان التامة ومن تبعيضية متعلقة بالامر
او بمحذوف وقع حالا من الفاعل وهو امة ويدعون صفتها اي ليوجد منكم امة داعية الى الخير والامة هي الجماعة
التي يومها فرق الناس اي يقصدونها ويقتدون بها او من الناقصة وامة اسمها ويدعون خبرها اي ولتكن
منكم جماعة داعين الى الخير واياما كان فتوجيه الخطاب الى الكل مع اسناد الدعوة الى البعض لتحقيق معنى فرضيتها
على الكفاية وانها واجبة على الكل لكن بحيث ان اقامها البعض سقطت عن الباقين ولو اخل بها الكل اثموا جميعا
لا بحيث يتحتم على الكل اقامتها على ما ينبئ عنه قوله عز وجل وما كان المومنون لينفروا كافة الاية ولانها من عظائم الامور
وعزايمها التي لا يتولاها الا العلماء باحكامه تعالى ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها فان من لا يعلمها يوشك ان يامر
بمنكر وينهى عن معروف ويغلظ في مقام اللين ويلين في مقام الغلظة وينكر على من لا يزيده الانكار الا التمادي والاصرار
وقيل من بيانية كما في قوله تعالى وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم الاية والامر من كان الناقصة والمعنى
كونوا امة يدعون الاية كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس الاية ولا يقتضي ذلك كون الدعوة فرض عين فان الجهاد
في فروض الكفاية مع ثبوته بالخطابات العامة والدعاء الى الخير عبارة عن الدعاء الى ما فيه صلاح ديني ودنيوي فعطف
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه بقوله تعالى **وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ** مع اندراجهما فيه من باب
العطف الخاص على العام لاظهار فضلهما وانافتهما على ساير الخيرات كعطف جبريل وميكائيل على الملئكة عليهم السلام

غن الحق صح

وحذف

١٢٧

وحذف المفعول الصريح من الافعال الثلاثة اما للايذان بظهوره اي يدعون الناس ويامرونهم وينهونهم واما
للقصد الى ايجاد نفس الفعل كما في قولك فلان يعطي ويمنع اي يفعلون الدعاء الى الخير والامر بالمعروف والنهي
عن المنكر **أُولَئِكَ** اشارة الى الامة المذكورة باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الفاضلة وكمال تميزهم بذلك
عمن عداهم وانتظامهم بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو طبقتهم وعلو منزلتهم
في الفضل والافراد في كاف الخطاب اما لان المخاطب كل من يصلح للخطاب واما لان التعيين غير مقصود اي اوليك الموصوفون
بتلك الصفات الكاملة **هُمُ الْمُفْلِحُونَ** اي هم الاخصاء بكمال الفلاح وهم ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة ويوكد
ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدا خبره المفلحون والجملة خبر لاوليك وتعريف المفلحون اما للعهد او للاشارة
الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين روي ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل
عن خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم للرحم وعنه عليه الصلاة والسلام
من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعنه عليه السلام والذي
نفسي بيده لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليوشكن الله ان يبعث عليكم عذابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجاب
لكم وعن علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وسب الفاسقين وغضب لله
وغضب الله له والامر بالمعروف في الوجوب والندب تابع للمامور به واما النهي عن المنكر فواجب كله لان جميع
ما انكره الشرع حرام والعاصي يجب عليه النهي عما ارتكبه اذ يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك احدهما وجوب
شيء منهما والتوبيخ في قوله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم انما هو على نسيان انفسكم لا على امرهم
بالبر وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا** هم اهل الكتابين حيث تفرقت اليهود فرقا
والنصارى فرقا واختلفوا باستخراج التاويلات الزايغة وكتم الايات الناطقة وتحريفها بما اخلدوا اليه من
حطام الدنيا الدنية **مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ** اي الايات الواضحة المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه واتحاد الكلمة
فالنهي متوجه الى المتصدين للدعوة اصالة والى اعقابهم تبعا ويجوز تعميم الموصول للمختلفين من الامم السالفة
المشار اليهم بقوله عز وجل وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات وقيل هم المبتدعة من هذه
الامة وقيل هم الحرورية وعلى كل تقدير فالمنهي عنه انما الاختلاف في الاصول دون الفروع الا ان يكون مخالفا للنصوص
البينة والاجماع لقوله عليه الصلاة والسلام اختلاف امتي رحمة وقوله عليه الصلاة والسلام من اجتهد فاصاب
فله اجران ومن اخطاه فله اجر واحد **وَأُولَئِكَ** اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما في حيز الصلة وهو
مبتدا وقوله تعالى **لَهُمْ** خبره وقوله تعالى عذاب اليم مرتفع بالظرف على الفاعلية لاعتماده على المبتدا او مبتدا
او الظرف خبره والجملة خبر للمبتداء الاول وفيه من التاكيد والمبالغة في وعيد المتفرقين والتشديد في تهديد المتشبهين
بهم ما لا يخفى **يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ** اي وجوه كثيرة وقرئ تبياض **وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ** كثيرة وقرئ تسواد وعن عطا
تبيض وجوه المهاجرين والانصار وتسود وجوه بني قريظة والنضير ويوم منصوب على انه ظرف للاستقرار في
لهم اي لثبوت العذاب العظيم بهم او على انه مفعول المضمر خوطب به المومنون تحذيرا لهم عن عاقبة التفرق
بعد مجيء البينات وترغيبا في الاتفاق على التمسك بالدين اي اذكروا يوم تبيض الوجوه الى آخره وبياض الوجه
وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكابة الخوف فيه وقيل يوسم اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة
واشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك **فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ** تفصيل لاحوال
الفريقين بعد الاشارة اليها اجمالا وتقديم بيان هولاء لما ان المقام مقام التحذير عن التشبه بهم مع ما فيه
من الجمع بين الاجمال والتفصيل والافضاء الى ختم الكلام بحسن حال المومنين كما بدئ بذلك عند الاجمال
أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ على ارادة القول اي فيقال لهم ذلك والهمزة للتوبيخ والتعجب من حالهم والظاهر انهم اهل
الكتابين وكفرهم بعد ايمانهم كفرهم برسول الله بعد ايمان اسلافهم وايمان انفسهم به قبل مبعثه عليه السلام

اوجميع الكفرة حيث كفروا بعد ما اقروا بالتوحيد يوم الميثاق اوبعد ما تمكنوا من الايمان بالنظر الصحيح والدلايل
الواضحة والايات البينة وقيل المرتدون وقيل اهل البدع والاهواء والفاء في قوله عز وجل فذوقوا العذاب اي العذاب
المعهود الموصوف بالعظم للدلالة على ان الامر بذوق العذاب على طريق الاهانة مترتب على كفرهم المذكور كما ان في قوله تعالى
بما كنتم تكفرون صريح في ان نفس الذوق معلل بذلك والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرار كفرهم
او على مضيه في الدنيا واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله اعني الجنة والنعيم المخلد عبر عنها بالرحمة تنبيها على ان
المومن وان استغرق عمره في طاعة الله تعالى فانه لا يدخل الجنة الا برحمته تعالى وقرئ ابياضت كما قرئ اسوادت هم فيها
خالدون استيناف وقع جوابا عن سوال نشاء من السياق كانه قيل كيف تكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون
عنها ولا يموتون وتقديم الظرف للمحافظة على رؤس الاي ذلك اشارة الى الايات المشتملة على تنعيم الابرار وتعذيب
الكفار ومعنى البعد للايذان بعلو شانها وسمو مكانها في الشرف وهو مبتدا قوله تعالى ايات الله خبره وقوله تعالى
نتلوها جملة حالية من الايات والعامل فيها معنى الاشارة اوهي الخبر وايات الله بدل من اسم الاشارة والالتفات
الى التكلم بنون العظمة مع كون التلاوة على لسان جبريل عليه السلام لابراز كمال العناية بالتلاوة وقرئ يتلوها على
اسناد الفعل الى ضميره تعالى وقوله تعالى عليك متعلق بنتلوها وقوله تعالى بالحق حال موكدة من فاعل نتلوها
او من مفعوله اي ملتبسين او ملتبسة بالحق والعدل ليس في حكمها شايبة جور بنقص ثواب المحسن او بزيادة عقاب المسيء
او بالعقاب من غير جرم بل كل ذلك موفى لهم حسب استحقاقهم باعمالهم لموجب الوعد والوعيد وقوله تعالى وما
الله يريد ظلما للعالمين تذييل مقرر لمضمون ما قبله على ابلغ وجه واكده فان تنكير الظلم وتوجيه النفي الى ارادته
بصيغة المضارع دون نفسه وتعليق الحكم بآحاد الجمع المعروف والالتفات الى الاسم الجليل اشارة بعلة الحكم بيان لكمال
نزاهته عز وجل عن الظلم بما لا مزيد عليه اي ما يريد فردا من افراد الظلم الفرد من افراد العالمين في وقت من الاوقات فضلا
عن ان يظلمهم فان المضارع كما يفيد الاستمرار في الاثبات يفيده في النفي بحسب المقام كما ان الجملة الاسمية تدل
بمعونة المقام على دوام الثبوت وعند دخول حرف النفي تدل على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام وفي سبك الجملة نوع
ايماء الى التعريض بان الكفرة هم ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب الخالد كما في قوله تعالى ان الله لا يظلم الناس شيا ولكن
الناس انفسهم يظلمون ولله ما في السموات وما في الارض اي له تعالى وحده من غير شركة اصلا ما فيهما من المخلوقات
الفايتة للحصر ملكا وخلقا احياء واماتة واثابة وتعذيبا وايراد كلمة ما اما لتغليب غير العقلاء على العقلاء واما
لتنزيلهم منزلة غيرهم اظهارا لحقارتهم في مقام بيان عظمته تعالى والى الله اي الى حكمه وقضايه لا الى غيره شركة
واستقلالا ترجع الامور اي امورهم فيجازي كلا منهم بما وعد له واوعد من غير دخل في ذلك لاحد قط والجملة مقررة لمضمون
ما ورد في جزاء الفريقين وقيل هي معطوفة على ما قبلها مقررة لمضمونه فان كون العالمين عبيده تعالى ومخلوقه ومرزوقه
يستدعي ارادة الخير بهم كنتم خير امة كلام مستانف سيق لتثبيت المومنين على ما هم عليه من الاتفاق على الحق والدعوة
الى الخير وكنتم من كان الناقصة التي تدل على تحقق شيء بصفة في الزمان الماضي من غير دلالة على عدم سابق او لاحق كما في
قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم كذلك في علم الله او في اللوح او فيما بين الامم السالفة وقيل معناه انتم
خير امة اخرجت للناس صفة لامة واللام متعلقة باخرجت اي اظهرت لهم وقيل بخير امة اي كنتم خير الناس
للناس فهو صريح في ان الخيرية بمعنى النفع للناس وان فهم ذلك من الاخراج لهم ايضا اي اخرجت لاجلهم ومصلحتهم قال
ابو هريرة رضي الله عنه معناه كنتم خير الناس للناس تاتون بهم في السلاسل فتدخلونهم في الاسلام وقال قتادة هم امة محمد
صلى الله عليه وسلم لم يامر نبي قبله بالقتال فهم يقاتلون الكفار فيدخلونهم في الاسلام فهم خير امة اخرجت للناس
تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استيناف مبين لكونهم خير امة كما يقال زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم
ويقوم بمصالحهم او خبر ثان لكنتم وصيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار وخطاب المشافهة وان كان خاصا بمن شاهد
الوحي من المومنين لكن حكمه عام للكل قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد امة محمد صلى الله عليه وسلم وقال

الزجاج

لاصحاب هم

الزجاج اصل هذا الخطاب لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعم سائر امته وروي الترمذي عن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده
انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس انتم تتمون سبعين امة وانتم خيرها واكرمها
على الله تعالى وظاهر ان المراد بكل امة اوايلهم واواخرهم لا اوايلهم فقط فلا بد ان يكون اعقاب هذه الامة ايضا داخلة
في الحكم وكذا الحال فيما روي ان مالك بن الصيف ووهب بن يهود اليهوديين مرا بنفر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
فيهم ابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة رضي الله تعالى عنهم اجمعين فقالا لهم نحن افضل منكم وديننا
خير مما تدعوننا اليه وروي سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما كنتم خير امة الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى المدينة وروي عن الضحاك انهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة الرواة والدعاة الذين امر
الله المسلمين بطاعتهم وتومنون بالله اي ايمانا متعلقا بكل ما يجب ان يومن به من رسول وكتاب وحساب وجزاء
وانما لم يصرح به تفصيلا لظهور انه الذي يومن به المومنون وللايذان بانه الايمان بالله تعالى حقيقة وان ما خلا عن شيء
من ذلك كايمان اهل الكتاب ليس من الايمان به تعالى في شيء قال تعالى ويقولون نومن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان
يتخذوا بين ذلك سبيلا اوليك هم الكافرون حقا وانما اخر ذلك عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع تقدمه عليهما
وجودا ورتبة لان دلالتهما على خيريتهم للناس اظهر من دلالته عليها وليقترن به قوله تعالى ولو امن اهل الكتاب لكان
خيرا لهم اي لو امنوا كايمانكم لكان ذلك خيرا لهم مما هم عليه من الرياسة واستتباع العوام ولازدادت رياستهم وتمتعهم
بالحظوظ الدنيوية مع الفوز بما وعدوه على الايمان من ايتاء الاجر مرتين وقيل مما هم فيه من الكفر فالخيرية انما هي
باعتبار زعمهم وفيه ضرب تهكم بهم وانما لم يتعرض للمومن به اصلا للاشعار بظهور انه الذي يطلق عليه اسم
الايمان لا يذهب الوهم الى غيره ولو فصل المومن به ههنا او فيما قبل لربما فهم ان لاهل الكتاب ايضا ايمانا في
الجملة لكن ايمان المومنين خير منه وهيهات ذلك منهم المومنون جملة مستانفة سيقت جوابا عما نشأ من
الشرطية الدالة على انتفاء الخيرية لانتفاء الايمان عنهم كانه قيل هل منهم من امن او كلهم على الكفر فقيل منهم المومنون
المعهودون الفايزون بخير الدارين كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر الخارجون عن
الحدود لن يضروكم الا اذى استثناء مفرغ من المصدر العام اي لن يضروكم ابدا ضررا ما الا ضررا اذى لا يبالي به
من الطعن والتهديد لا اثر له وان يقاتلوكم يولوكم الادبار اي ينهزموا من غير ان ينالوا منكم شيا من قتل واسر
ثم لا ينصرون عطف على الشرطية وثم للتراخي في الرتبة اي لا ينصرون من جهة احد ولا يمنعون منكم قتلا واخذا
وفيه تثبيت لمن امن منهم فانهم كانوا يوذونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم وبشارة لهم بانهم لا
يقدرون على ان يتجاوزوا الاذى بالقول الى ضرر يعبأ به مع انه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وان عاقبة امرهم
الخذلان والذل وانما لم يعطف نفي منصوريتهم على الجزاء لان المقصود هو الوعد بنفي النصر مطلقا ولو عطف عليه لكان
مقيدا بمقابلتهم كتولية الادبار وثم بين الوعدين كانه قيل ثم شانهم الذي اخبركم عنه وابشركم به انهم مخذولون
منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعد ذلك بجناح ولا يقومون على ساق ولا يستقيم لهم امر وكان كذلك حيث
لقي بنو قريظة والنضير وبنو قينقاع ويهود خيبر ما لقوا ضربت عليهم الذلة اي هدر النفس والمال والاهل او ذل
التمسك بالباطل اينما ثقفوا اي وجدوا الا بحبل من الله وحبل من الناس استثناء من اعم الاحوال اي ضربت عليهم
الذلة ضرب القبة على من هي عليه في جميع الاحوال الا حال كونهم معتصمين بذمة الله او كتابه الذي اتاهم وذمة المسلمين
او بذمة الاسلام واتباع سبيل المومنين وباءو بغضب من الله اي رجعوا به مستوجبين له والتنكير للتفخيم والتهويل
ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لغضب موكدة لما افاده التنكير من الفخامة والهول اي كاين من الله عز وجل وضربت
عليهم المسكنة فهي محيطة بهم من جميع جوانبهم واليهود كذلك في غالب الحال مساكين تحت ايدي المسلمين او النصارى
ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة عليهم والبوء بالغضب العظيم بانهم كانوا يكفرون بايات الله اي
ذلك الذي ذكر كاين بسبب كفرهم المستمر بايات الله الناطقة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وتحريفهم لها وبساير الايات

القرآنية ويقتلون الانبياء بغير حق اي في اعتقادهم ايضا واسناد الفعل اليهم مع انه فعل اسلافهم لرضاهم به كما ان التحريف مع كونه من اضلال احبارهم ينسب الى كل من يسير بسيرتهم ذلك اشارة الى ما ذكر من الكفر والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون اي كائن بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله تعالى على الاستمرار فان الاصرار على الصغائر يفضي الى مباشرة الكبائر والاستمرار عليها يؤدي الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة والمسكنة في الدنيا واستيجاب الغضب في الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع من حيث المؤاخذة ليسوا سواء جملة مستأنفة سيقت تمهيدا لتعداد محاسن مؤمني اهل الكتاب وتذكيرا لقوله تعالى منهم المؤمنون والضمير في ليسوا لاهل الكتاب جميعا لا للفاسقين منهم خاصة وهو اسم ليس وخبره سواء وانما افرد لانه في الاصل مصدر والمراد بنفي المساواة نفي المشاركة في الاصل اتصافا بالقبايح المذكورة لا نفي المساواة في مراتب الاتصاف بها مع تحقق المشاركة في الاصل الاتصاف بها اي ليس جميع اهل الكتاب متشاركين في الاتصاف بما ذكر من القبايح والابتلاء بما يترتب عليها من العقوبات وقوله تعالى من اهل الكتاب امة قائمة استيناف مبين لكيفية عدم تساويهم ومزيل لما فيه من الابهام كما ان ما سبق من قوله تعالى تأمرون بالمعروف الآية مبين لقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس ووضع اهل الكتاب موضع الضمير العائد اليهم لتحقيق ما به الاشتراك بين الفريقين والايذان بان تلك الامة ممن اوتي نصيبا وافرا من الكتاب لا من اراذلهم والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت العود فقام بمعنى استقام وهم الذين اسلموا منهم كعبد الله بن سلام وثعلبة بن سعيد واسيد بن عبيد واضرابهم وقيل هم اربعون رجلا من اهل نجران واثنان وثلثون من الحبشة وثلثة من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام وصدقوا محمدا عليه الصلاة والسلام وكان من الانصار فيهم عدة قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم منهم اسعد بن زرارة والبراء بن عازب ومحمد بن مسلمة وابو قيس صرمة بن انس كانوا موحدين يغتسلون من الجنابة ويقومون بما يعرفون من شرايع الحنفية حتى بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم فصدقوه ونصروه وقوله تعالى يتلون آيات الله في محل الرفع على انه صفة اخرى لامة وقيل في محل النصب على انه حال منها لتخصصها بالنعت والعامل فيه الاستقرار الذي يتضمنه الجار او من ضميرها في قائمة او من المستكن في الجار لوقوعه خبر الامة والمراد بآيات الله القرآن وقوله تعالى آناء الليل ظرف ليتلون اي في ساعاته جمع اني بزنة عصا او اني بزنة معا او اني بزنة ظبي او اني بزنة نحي او اِنو بزنة جرو وهم يسجدون اي يصلون اذ لا تلاوة في السجود وقال عليه الصلاة والسلام الا اني نهيت ان اقرأ راكعا وساجدا وتخصيص السجود بالذكر من بين ساير اركان الصلاة لكونه ادل على كمال الخضوع والتصريح بتلاوتهم آيات الله في الصلوة مع انها مشتملة عليها قطعا لزيادة تحقيق المخالفة وتوضيح عدم المساواة بينهم وبين الذين وصفوا آنفا بالكفر بها وهو السر في تقديم هذا النعت على نعت الايمان والمراد بصلوتهم التهجد اذ هو ادخل في مدحهم وفيه يتسنى لهم التلاوة فانها في المكتوبة وظيفة الامام واعتبار حالهم عند الصلوة على الانفراد يباه مقام المدح وهو الانسب بالعدول عن ايرادها باسم الجنس المتبادر منه الصلوات المكتوبة وبالتعبير عن وقتها بالآناء المبهمة وقيل صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرها ليلة ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرئ هذه الآية وايراد الجملة الاسمية للدلالة على الاستمرار وتكرير الاسناد لتقوية الحكم وتأكيده وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والجملة حال من فاعل يتلون وقيل هي مستأنفة والمعنى انهم يقومون تارة ويسجدون اخرى يبتغون الفضل والرحمة بانواع ما يكون في الصلوة من الخضوع لله عز وجل كما في قوله تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقيل المراد بالسجود وهو الخضوع كما في قوله ولله يسجد ما في السموات والارض يؤمنون بالله واليوم الآخر صفة اخرى لامة مبينة لمباينتهم اليهود من جهة اخرى اي يؤمنون بهما على الوجه الذي نطق به الشرع والاطلاق للايذان بالغنى عن التقييد لظهور انه الذي يطلق عليه الايمان بهما لا يذهب الوهم الى غيره وللتعريض بان ايمان اليهود بهما مع قولهم عزير بن الله وكفرهم ببعض الكتب والرسل ووصفهم اليوم الآخر بخلاف صفته ليس من الايمان بهما في شيء

اصلا ولو قيد بما ذكر لربما توهم ان المنهي عنهم هو القيد المذكور مع جواز اطلاق الايمان على ايمانهم بالاصل وهيهات يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر صفات اخر بان لامة اجريت عليهم تحقيقا لمخالفتهم اليهود في الفضائل المتعلقة بتكميل الغير اثر بيان مباينتهم لهم في الخصائص المتعلقة بتكميل النفس وتعريضا بمداهنتهم في الاحتساب بل بتعكيسهم في الامر باضلال الناس وصدهم عن سبيل الله فانه امر بالمنكر ونهي عن المعروف ويسارعون في الخيرات صفة اخرى لامة جامعة لفنون المحاسن المتعلقة بالنفس وبالغير والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب في الامر سارع في توليه والقيام به والفور على التراخي اي يبادرون مع كمال الرغبة في فعل اصناف الخيرات اللازمة والمتعدية وفيه تعريض بتباطؤ اليهود فيها بل بمبادرتهم الى الشرور وايثار كلمة في على ما وقع في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة الآية للايذان بانهم مستقرون في اصل الخير متقلبون في فنونه المرتبة في طبقات الفضل لا انهم خارجون عنها منتهون اليها واولئك اشارة الى الامة باعتبار اتصافهم بما فصل من النعوت الجليلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم في الفضل وايثاره على الضمير للاشعار بعلة الحكم والمدح اي اولئك المنعوتون بتلك الصفات الفاضلة بسبب اتصافهم بها من الصالحين اي من جملة من صلحت احوالهم عند الله عز وجل واستحقوا رضاه وثناءه وما تفعلوا من خير كائنا ما كان مما ذكر او لم يذكر فلن تكفروه اي لن يعدموا ثوابه البتة عبر عنه بذلك كما عبر عن توفية الثواب بالشكر اظهارا لكمال تنزهه سبحانه وتعالى عن ترك اثابتهم بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبايح وتعديته الى مفعولين بتضمين معنى الحرمان وايثار صيغة البناء للمفعول للجري على سنن الكبرياء وقرئ الفعلان على صيغة الخطاب والله عليم بالمتقين تذييل مقرر لمضمون ما قبله فان علمه تعالى باحوالهم يستدعي توفية اجورهم لا محالة والمراد بالمتقين اما الامة المعهودة وضع موضع الضمير العائد اليهم مدحا لهم وتعيينا لعنوان تعلق العلم بهم واشعارا بمناط اثابتهم وهو التقوى المنطوي على الخصائص السالفة واما جنس المتقين عموما وهم مندرجون تحت حكمه اندراجا اوليا ان الذين كفروا اي بما يجب ان يؤمن به وقال ابن عباس رضي الله عنهما هم بنو قريظة والنضير فان معاندتهم كانت لاجل المال وقيل هم مشركو قريش فان ابا جهل كان كثير الافتخار بماله وقيل ابو سفيان واصحابه فانه انفق مالا كثيرا على الكفار يوم بدر واحد وقيل هم الكفار كافة فانهم فاخروا بالاموال والاولاد حيث قالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين فرد الله عز وجل وقال لن تغني عنهم اي لن تدفع عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله اي من عذابه شيئا اي شيئا يسيرا منه اي شيئا من الاغناء واولئك اصحاب النار اي مصاحبوها على الدوام وملازموها هم فيها خالدون ابدا مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا بيان لكيفية عدم اغناء اموالهم التي كانوا يعولون عليها في جلب المنافع ودفع المضار ويعلقون بها اطماعهم الفارغة وما موصولة اسمية حذف عائدها اي حال ما ينفقه الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء وخوفا وقصته العجيبة التي تجري مجرى المثل في الغرابة كمثل ريح فيها صر اي برد شديد فانه في الاصل مصدر وان شاع اطلاقه على الريح الباردة كالصرصر وقيل كلمة في تجريدية كما في قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي فباؤا بغضب من الله تعالى وانما وصفوا بذلك لان الاهلاك عن سخط اشد وافظع فاهلكته عقوبة لهم ولم تدع منه اثرا ولا عثيرا والمراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه وذهابه بالكلية من غير ان يعود اليهم نفع ما بحرث كفار ضربته صر فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما بوجه من الوجوه وهو من التشبيه المركب الذي مر تفصيله في تفسير قوله تعالى كمثل الذي استوقد نارا ولذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يراد مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح او مثل ما ينفقون مثل كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرئ تنفقون وما ظلمهم الله بما بين من ضياع ما انفقوا من الاموال ولكن انفسهم يظلمون لما انهم اضاعوها بانفاقها على ما لا ينبغي وتقديم المفعول لرعاية الفواصل لا للتخصيص اذ الكلام في الفعل باعتبار تعلقه بالفاعل لا بالمفعول اي ما ظلمهم الله ولكن ظلموا انفسهم وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقد جوز ان يكون المعنى وما ظلم الله تعالى اصحاب الحرث باهلاكه ولكنهم ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة ويأباه انه قد مر التعرض له تصريحا

واشعارا وقرئ لكن بالتشديد على ان انفسهم اسمها ويظلمون خبرها والعايد محذوف للفاصلة اي ولكن انفسهم يظلمونها واما
تقديره ضمير الشان فلا سبيل اليه لاختصاصه بالشعر ضرورة كما في قوله تعالى لكن من يبصر جفونك يعشق يا ايها الذين امنوا
لا تتخذوا بطانة بطانة الرجل ووليجته من يعرفه اسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال عليه الصلاة
والسلام الانصار شعار والناس دثار قال ابن عباس رضي الله عنهما كان رجال من المؤمنين يواصلون اليهود لما بينهم
من القرابة والصداقة والحلف فانزل الله تعالى هذه الاية وقال مجاهد نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يواصلون المنافقين
فنهوا عن ذلك ويؤيده قوله تعالى واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل وهي صفة المنافق واياما كان فالحكم عام
للكفرة كافة من دونكم اي من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف وقع صفة لبطانة اي كاينة من دونكم مجاوزة
لكم لا يألونكم خبالا جملة مستانفة مبينة لحالهم يقال داعية الى الاجتناب عنهم او صفة لبطانة يقال الا في الامر
اذا قصر فيه ثم استعمل الى معدي الى مفعولين في قولهم لا آلوك نصحا ولا آلوك جهدا على تضمين معنى المنع والنقص والخبال
والفساد اي لا يقصرون لكم في الفساد ودوا ما عنتم اي تمنوا عنتكم اي مشقتكم وشدة ضرركم وهو ايضا استيناف
موكد للنهي موجب لزيادة الاجتناب عن المنهي عنه قد بدت البغضاء من افواههم استيناف آخر مفيد لمزيد الاجتناب
عن المنهي عنه اي قد ظهرت البغضاء في كلامهم لما انهم لا يتمالكون مع مبالغتهم في ضبط انفسهم وتحاملهم عليها ان
ينفلت من السنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين وقرئ قد بدا البغضاء والافواه جمع فم واصله فوه ولام هاء يدل على ذلك
جمعه على افواه وتصغيره على فويه والنسبة اليه فوهي وما تخفي صدورهم اكبر مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار
قد بينا لكم الايات الدالة على وجوب الاخلاص في الدين وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون
اي او كنتم من اهل العقل او ان كنتم تعقلون ما بين لكم من الايات والجواب محذوف لدلالة المذكور عليه ها انتم
هؤلاء جملة من مبتداء وخبر صدرت بحرف التنبيه اظهارا لكمال العناية بمضمونها اي انتم هؤلاء المخطئون
في موالاتهم وقوله تعالى تحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم في ذلك وهو خبر ثان لانتم او خبر لاولاء والجملة خبر
لانتم كقولك انت زيد تحبه او صلة له او حال والعامل معنى الاشارة ويجوز ان ينتصب اولاء بفعل يفسره ما بعده
ويكون الجملة خبرا وتؤمنون بالكتاب كله اي بجنس الكتاب جميعا وهو حال من ضمير المفعول في لا يحبونكم والحال
انكم تؤمنون بكتابهم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم واذا لقوكم
قالوا امنا نفاقا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ اي من اجله تاسفا وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفي سبيلا
قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام واهله ان يهلكوا به او باشتداده الى ان
يهلكهم ان الله عليم بذات الصدور فيعلم ما في الصدور كم من العداوة والبغضاء والحنق وهو يحتمل ان يكون من المقول
اي وقيل لهم ان الله تعالى عليم بما هو اخفى مما تخفونه من عض الانامل غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى لا تتعجب من اطلاعي
اياك على اسرارهم فاني عليم بذات الصدور وقيل هو امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطيب النفس وقوة الرجاء
والاستبشار بوعد الله تعالى ان يهلكوا غيظا باعزاز الاسلام واذلالهم به من غير ان يكون ثمة قول كانه قيل حدث
نفسك بذلك ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان لتناهي عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم من خير
ومنفعة وشمتوا بما اصابهم من ضر وشدة وذكر المس مع الحسنة والاصابة مع السيئة اما للايذان بان مدار مساءتهم
ادنى مراتب اصابة الحسنة ومناط فرحهم تمام اصابة السيئة واما لان المس مستعار لمعنى الاصابة وان تصبروا
اي على عداوتهم او على مشاق التكليف وتتقوا ما حرم الله تعالى عليكم ونهاكم عنه لا يضركم كيدهم مكرهم وحيلهم
التي دبروها لاجلكم وقرئ لا يضركم بكسر الضاد وجزم الراء على جواب الشرط من ضاره يضيره بمعنى ضره يضره
وضم الراء في القراءة المشهورة للاتباع كضمة مد شيئا نصب على المصدرية اي لا يضركم شيئا من الضرر بفضل الله
وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولان المجد في الامر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون جريا على الخصم ان الله
بما تعملون في عداوتكم من الكيد محيط علما فيعاقبهم على ذلك وقرئ بالتاء الفوقانية اي بما تعملون من الصبر

والتقوى

والتقوى فيجازيكم بما انتم اهله واذ غدوت كلام مستانف سيق للاستشهاد بما فيه من عدم الصبر والتقوى للضرر
على ان وجودهما مستتبع لما وعد من النجاة عن مضرة كيد الاعداء واذ انتصب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي عليه الصلاة
والسلام خاصة مع عموم الخطاب فيما قبله وما بعده له وللمؤمنين لاختصاص مضمون الكلام به عليه الصلوة والسلام اي
واذكر لهم وقت غدوك ليتذكروا ما وقع فيه من الاحوال الناشية عن عدم الصبر فيعلموا انهم لو لزموا الصبر والتقوى لا يضرهم
كيد الكفرة وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصود بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها
واستحضار الحادثة بتفاصيلها كما سلف بيانه في تفسير قوله تعالى واذ قال ربك الى اخره والمراد به خروجه عليه الصلوة والسلام
الى احد وكان ذلك من منزل عايشة رضي الله عنها وهو المراد بقوله تعالى من اهلك اي من عند اهلك تبوئ المؤمنين اي
تنزلهم او تسوي لهم مقاعد ويؤيده من قرأ تبوي للمومنين والجملة حال من فاعل غدوت لكن لا على انها حال مقدرة اي ناويا
قاصدا للتبوئة كما قيل بل على ان المقصود تذكير الزمان الممتد المتسع لابتداء الخروج والتبوئة وما يترتب عليهما اذ هو المذكر
للقصة وانما عبر عنه بالغدو الذي هو الخروج غدوة مع كون خروجه عليه الصلوة والسلام بعد صلاة الجمعة كما استغرقه
اذ حينئذ وقت التبوئة التي هي العمدة في الباب اذ المقصود بتذكير الوقت تذكير مخالفتهم لامر النبي صلى الله عليه وسلم وتركهم
من اختيارهم المعينة لهم عند التبوئة وعدم صبرهم وبهذا يتبين خلل راي من احتج به على جواز اداء صلوة الجمعة قبل الزوال
واللام في قوله تعالى للقتال اما متعلقة بتبوئ اي لاجل القتال واما بمحذوف وقع صفة لمقاعد اي كاينة ومقاعد
القتال اماكنه ومواقفه فان استعمال المقعد والمقام بمعنى المكان اتساعا شايع ذايع كما في قوله تعالى في مقعد صدق وقوله
تعالى قبل ان تقوم من مقامك روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه
ودعا عبد الله بن ابي سلول ولم يكن دعاه قبل ذلك فاستشاره فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا
تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان
اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة فان رجعوا رجعوا خائبين وقال
بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء الكلاب لا يرون انا قد جبنا عنهم وقال عليه الصلوة والسلام اني قد رايت في منامي
بقرا مذبحة حولي فاولتها خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلمة فاولته هزيمة ورايت كاني ادخلت يدي في درع حصينة
فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة فدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر واكرمهم الله تعالى بالشهادة
يومئذ اخرج بنا الى اعدائنا وقال النعمان بن مالك الانصاري رضي الله عنه يا رسول الله لا تحرمني الجنة فوالذي بعثك
لادخلن الجنة ثم قال بقول اشهد ان لا اله الا الله واني لا افر من الزحف فلم يزالوا به عليه الصلوة والسلام حتى دخل
فلبس لامته فلما راوه كذلك ندموا وقالوا بيسما صنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي ياتيه فقالوا يا رسول
الله ما رايت فقال ما ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلوة الجمعة واصبح بالشعب من
احد يوم السبت للنصف من شوال لسنة ثلث من الهجرة فمشى على رجليه فجعل يصف اصحابه للقتال فكانما يقوم منهم
العوج ان راى صدرا خارجا قال تاخر فكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وامر عبد الله بن جبير
على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل لا ياتونا من ورائنا ولا تبرحوا من مكانكم فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم والله سميع
لاقوالكم عليم بضمائركم والجملة اعتراض للايذان بانه قد صدر عنهم هناك من الاقوال والافعال ما لا ينبغي صدوره
منهم اذ همت بدل من اذ غدوت مبين لما هو المقصود بالتذكير او ظرف لسميع عليم على معنى انه تعالى جامع بين سماع
الاقوال والعلم بالضماير في ذلك الوقت اذ لا وجه لتقييد كونه تعالى سميعا عليما بذلك الوقت قال الفراء معنى قولك
ضربت واكرمت زيدا ان زيدا منصوب بهما وانهما تسلطا معا طايفتان منكم ان تفشلا متعلق بهمت والباء محذوفة
اي بان تفشلا اي تجبنا وتضعفا وهما حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان من عسكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا الف رجل وقيل تسعماية وخمسين وعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتح ان
صبروا فلما قاربوا عسكر الكفرة وكانوا ثلثة الاف انخذل عبد الله بن ابي بثلث الناس فقال يا قوم علام نقتل انفسنا

استشاع

اصنع

واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري فقال انشدكم الله تعالى في نبيكم وانفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم
فهمّ الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله تعالى فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنه
اضمروا ان يرجعوا معه فعزم الله لهم الرشد فثبتوا والظاهر انهما كانت الاهمة وحديث نفس فلما تخلو النفس عنه عند
الشدائد **والله وليهما** اي عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة والجملة اعتراض ويجوز ان يكون حالا من فاعل همت او من ضميره في
تفشلا مفيد لاستبعاد فشلهما او همهما به مع كونهما في ولاية الله عز وجل وقرئ والله وليهم كما في قوله تعالى وان طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا **وعلى الله** وحده دون ما عداه مطلقا استقلالا واشتراكا **فليتوكل المؤمنون** في جميع امورهم فانه
حسبهم واظهار الاسم الجليل للتبرك به والتعليل فان الالوهية من موجبات التوكل عليه واللام في المؤمنين للجنس فيدخل
فيه الطائفتان دخولا اوليا وفيه اشعار بان وصف الايمان من دواعي التوكل وموجباته **ولقد نصركم الله ببدر**
جملة مستانفة سيقت لايجاب الصبر والتقوى بتذكير ما ترتب عليهما من النصر او تذكير ما ترتب على عدمهما من الضرر
وقيل لايجاب التوكل على الله بتذكير ما يوجبه وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل اسمه بدر بن كلدة فسمي باسمه وقيل
سمي به لصفائه كالبدر واستدارته وقيل هو اسم الموضع او الوادي وكانت وقعة بدر في السابع عشر من شهر رمضان سنة
اثنتين من الهجرة **وانتم اذلة** حال من مفعول نصركم واذلة جمع ذليل وانما جمع جمع قلة للايذان باتصافهم حينئذ بوصفي
القلة والذلة اذ كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وكان ضعف حالهم في الغاية خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد
ولم يكن في العسكر الا فرس واحد وقيل فرسان لمقداد ومرثد وتسعون بعيرا وست ادرع وثمانية سيوف وكان العدو
زهاء الف ومعهم مائة فرس وشكة وشوكة **فاتقوا الله** اقتصر على الامر بالتقوى مع كونه مشفوعا بالصبر فيما سبق
وما لحق للاشعار باصالته وكون الصبر من مبادئه اللازمة له ولذلك قدم عليه في الذكر وفي ترتيب الامر بالتقوى على
الاخبار بالنصر ايذانا بان نصرهم المذكور كان بسبب تقواهم اي اذا كان الامر كذلك فاتقوا الله كما اتقيتم يومئذ **لعلكم
تشكرون** اي راجين ان تشكروا ما ينعم عليكم بتقواكم من النصرة كما شكرتم فيما قبل او لعلكم ينعم الله عليكم بالنصر كما فعل ذلك
من قبل فوضع الشكر موضع سببه الذي هو الانعام **اذ تقول** تلوين للخطاب بتخصيصه برسول الله صلى الله عليه وسلم
بتشريفه والايذان بان وقوع النصر كان ببشارته عليه الصلاة والسلام واذ ظرف لنصركم قدم عليه الامر بالتقوى
لاظهار كمال العناية والمراد به الوقت الممتد به الذي وقع فيه ما ذكر بعده وما طوي ذكره تعويلا على شهادة الحال مما يتعلق
بوجود النصر وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها اي نصركم وقت قولك **للمؤمنين** حين اظهروا
العجز عن المقابلة قال الشعبي بلغ المؤمنين ان كرز بن جابر المحاربي يريد ان يمد المشركين فشق ذلك على المؤمنين فنزل
حينئذ ثم حكي هاهنا • **لن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة الاف** الكفاية سد الخلة والقيام بالامر والامداد في الاصل
اعطاء الشيء حالا بعد حال قال المفضل ما كان منه بطريق التقوية والاعانة يقال فيه امده يمده امدادا وما كان بطريق
الزيادة يقال فيه مده يمده مدا ومنه والبحر يمده من بعده سبعة ابحر وقيل المد في الشر كما في قوله تعالى ويمدهم في
طغيانهم يعمهون وقوله ونمد له من العذاب مدا والامداد في الخير كما في قوله تعالى وامددناكم باموال وبنين والتعرض
لعنوان الربوبية هاهنا وفيما سياتي مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار العناية بهم والاشعار بعلية الامداد
والمعنى انكار عدم كفاية الامداد بذلك المقدار ونفيه وكلمة لن للاشعار بانهم كانوا حينئذ كالآيسين من النصر لضعفهم
وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم **من الملائكة** بيان او صفة لالاف او لما اضيف اليه اي كائنين من الملائكة **منزلين**
صفة لثلاثة الاف وقيل حال من الملائكة وقرئ منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج قيل امدهم الله تعالى اولا
بالف ثم صاروا ثلثة الاف ثم خمسة الاف وقرئ مبنيا للفاعل من الصيغتين اي منزلين النصر **بلى** ايجاب لما بعد لن
وتحقيق له اي بلى يكفيكم ذلك ثم وعدهم الزيادة بشرط الصبر والتقوى حثا لهم عليهما وتقوية لقلوبهم فقال **ان
تصبروا** على لقاء العدو ومناهضتهم **وتتقوا** معصية الله ومخالفة نبيه عليه الصلوة والسلام **ويأتوكم** اي المشركون
من فورهم هذا اي من ساعتهم هذه وهو في الاصل مصدر فارت القدر اي اشتد غليانها ثم استعير للسرعة ثم اطلق

على كل

على كل حالة لاريب فيها اصلا ووصفه بهذا التاكيد السرعة بزيادة تعيينه وتقريبه ونظم اتيانهم بسرعة في سلك شرطي
الامداد المستتبعين له وجودا اعني الصبر والتقوى مع تحقق الامداد لا محالة سواء اسرعوا او ابطؤا لتحقيق سرعة الامداد
لا لتحقيق اصله او لبيان تحققه على اي حال فرض على ابلغ وجه واكد بتعليقه بابعد النقادير ليعلم تحققه على سائرها
بالطريق الاولى فان هجوم الاعداء واتيانهم بسرعة من مظان عدم لحوق المدد عادة فعلق به تحقق الامداد ايذانا بانه حيث
تحقق مع ما ينافيه عادة فلان يتحقق بدونه اولى واحرى كما اذا اردت وصف درع بغاية الحصانة تقول ان لبستها وبادرت
بها الاعداء فضربوك بايدٍ شداد وسيوف حداد لم تتاثر منها قطعا **يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملئكة مسومين** من
التسويم الذي هو اظهار سيماء الشيء اي معلمين انفسهم او خيلهم فقد روي انهم كانوا بعمائم بيض قد ارسلوها بين اكتافهم
وقال هشام بن عروة عمائم صفر وقال قتادة الا جبريل عليه الصلاة والسلام فانه كان بعمامة صفراء على مثال الزبير بن العوام
وروي انهم كانوا على خيل بلق قال عروة بن الزبير كانت الملائكة على خيل بلق عليهم عمائم بيض قد ارسلوها بين اكتافهم وقال هشام
ابن عروة عمائم صفر وقال قتادة والضحاك كانوا قد اعلموا بالعهن في نواصي الخيل واذنابها وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لاصحابه رضي الله عنهم تسوموا فان الملائكة قد تسومت وقرئ مسومين على البناء للمفعول ومعناه معلمين من جهته سبحانه
وتعالى وقيل مسومين من التسويم بمعنى الاسامة **وما جعله الله** كلام مستانف غير داخل في حيز القول مسوق من
جنابه تعالى الى بيان ان الاسباب الظاهرة بمعزل من التاثير وان حقيقة النصر مختص به عز وجل ليثق به المؤمنون ولا يقنطوا
منه عند فقدان اسبابه واماراته معطوف على فعل مقدر ينسحب عليه الكلام • ويستدعيه النظام • فان الاخبار
بوقوع النصر على الاطلاق وتذكير وقته وحكاية الوعد بوقوعه على وجه مخصوص هو الامداد بالملائكة مرة بعد اخرى و
تعيين وقته فيما مضى مقتضي لوقوعه حينئذ قضاء قطعيا لكن لم يصرح به تعويلا على تعاضد الدلائل وتاخر الامارات
والمخايل وايذانا بكمال الغنى عنه بل احترازا عن شائبة التكرير او عن ايهام احتمال الخلف في الوعد المحتوم كانه قيل عقيب
قوله تعالى يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين فامدكم به وما جعله الله الى آخره والجعل متعد الى واحد هو
الضمير العائد الى مصدر ذلك الفعل المقدر واما عوده الى المصدر المذكور اعني قوله تعالى ان يمدكم او الى المصدر المدلول
عليه بقوله تعالى يمددكم كما قيل فغير حقيق بجزالة التنزيل لان الهيئة البسيطة متقدمة على المركبة فبيان العلة الغائية
لوجود الامداد كما هو المراد بالنظم الكريم حقه ان يكون بعد بيان وجوده في نفسه ولا ريب في ان المصدرين المذكورين
غير معتبرين من حيث الوجود والوقوع كمصدر الفعل المقدر حتى يتصدى لبيان احكام وجودهما بل الاول معتبر من حيث
الكفاية والثاني من حيث الوعد على ان الاول هو الامداد بثلثة الاف والواقع هو الامداد بخمسة الاف وقوله تعالى **الا
بشرى لكم** استثناء مفرغ من اعم العلل وتلوين الخطاب لتشريف المؤمنين وللايذان بانهم المحتاجون الى البشارة
وتسكين القلوب بتوفيق الاسباب الظاهرة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم غني عنه بما له من التاييد الروحاني اي
وما جعل امدادكم بانزال الملئكة عيانا لشيء من الاشياء الا للبشرى لكم بانكم تنصرون **ولتطمئن قلوبكم به** اي
بالامداد وتسكن اليه كما كانت السكينة لبني اسرائيل كذلك فكلاهما علة غائية للجعل وقد نصب الاول لاجتماع شرائطه
من اتحاد الفاعل والزمان وكونه مصدرا مسوقا للتعليل وبقي الثاني على حاله لفقدانها وقيل للاشارة ايضا الى
اصالته في العلية واهميته في نفسه كما في قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وفي قصر الامداد عليهما
اشعار بان الملائكة عليهم السلام لم يباشروا يومئذ القتال وانما كان امدادهم بتقوية قلوب المباشرين بتكثير السواد
ونحوه كما هو راي بعض السلف رحمهم الله وقيل الجعل متعد الى اثنين وقوله تعالى الا بشرى لكم استثناء من اعم المفاعيل
اي وما جعله الله تعالى شيئا من الاشياء الا بشارة لكم فاللام في قوله تعالى ولتطمئن متعلقة بمحذوف تقديره و
لتطمئن قلوبكم به فعل ذلك **وما النصر** اي حقيقة النصر على الاطلاق فيندرج في حكمه النصر المعهود اندراجا
اوليا **الا من عند الله** اي الا كائن من عنده تعالى من غير ان يكون فيه شركة من جهة الاسباب والعدد وانما هي مظاهر
له بطريق جريان سنته تعالى او وما النصر المعهود الا من عنده تعالى لا من عند الملائكة فانهم بمعزل من التاثير

وانما قصاري امرهم ماذكر من البشارة وتقوية القلوب العزيز اي الذي لا يغالب في حكمه وقضيته واجراء
هذا الوصف عليه تعالى للاشعار بعلة اختصاص النصر به تعالى كما ان وصفه تعالى بقوله الحكيم اي الذي يفعل
كل ما يفعل حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة للايذان بعلة جعل النصر بانزال الملائكة عليهم السلام فان ذلك
من مقتضيات الحكم البالغة ليقطع متعلق بقوله تعالى ولقد نصركم وما بينهما تحقيق وبيان لكيفية وقوعه
والمقصور على التعليل بما ذكر من البشرى والاطمئنان انما هو الامداد بالملائكة على الوجه المذكور فلا يقدح ذلك
في تعليل اصل النصر بالقطع وما عطف عليه او بما تعلق به الخبر في قوله عز وجل وما النصر الا من عند الله على تقدير كونه
عبارة عن النصر المعهود وقد اشير الى ان المعلل بالبشارة والاطمئنان انما هو الامداد الصوري لا ما في ضمنه من
النصر المعنوي الذي هو ملاك الامر واما تعلقه بنفس النصر كما قيل فمع ما فيه من الفصل بين المصدر ومعموله
باجنبي هو الخبر مخل بسداد المعنى كيف لا ومعناه قصر النصر المخصوص المعلل بعلل معينة على الحصول من جهته تعالى وليس
المراد الا قصر حقيقة النصر والنصر المعهود على ذلك لقد نصركم الله يومئذ او من النصر الظاهر عند امداد الملائكة
الا ثابت من عند الله ليقطع اي يهلك وينقص طرفا من الذين كفروا اي طائفة منهم بقتل واسر وقد وقع ذلك
حيث قتل من رؤسائهم وصناديدهم سبعون واسر سبعون او يكبتهم اي يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فان الكبت
شدة غيظ او وهن يقع في القلب من كبته بمعنى كبده اذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وقيل الكبت الاصابة
بمكروه وقيل هو الصرع للوجه واليدين فالتاء حينئذ غير مبدلة واو للتنويع فينقلبوا خائبين اي فينهزموا
منقطعي الامال غير فائزين من مبتغاهم بشيء كما في قوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ليس
لك من الامر شيء اعتراض وسط بين المعطوف عليه المتعلق بالعاجل والمعطوف المتعلق بالاجل لتحقيق
ان لا تاثير للمنصور اثر بيان ان لا تاثير للناصرين وتخصيص النفي برسول الله صلى الله عليه وسلم على طريق تلوين الخطاب
للدلالة على الانتفاء من غيره بالطريق الاولى وانما خص الاعتراض بموقعه لان ما قبله من القطع والكبت من مظان
ان يكون فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولساير مباشري القتال مدخل في الجملة او يتوب عليهم او يعذبهم
عطف على يكبتهم والمعنى ان مالك امرهم على الاطلاق هو الله عز وجل نصركم عليهم ليهلكهم اي يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا
او يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم شيء انما انت عبد مامور بانذارهم وجهادهم والمراد بتعذيبهم التعذيب الشديد
الاخروي المخصوص باشد الكفرة كفرا والا فمطلق التعذيب الاخروي متحقق في الفريقين الاولين ايضا ونظم التوبة
والتعذيب المذكور في سلك العلة الغائية للنصر المترتبة عليه في الوجود من حيث ان قبول توبتهم فرع تحققها
الناشي من علمهم بحقية الاسلام بسبب الغلبة لاهله المترتبة على النصر وان تعذيبهم بالعذاب المذكور مترتب على اصرارهم
على الكفر بعد تبين الحق على الوجه المذكور هذا وقيل ان عتبة بن ابي وقاص شج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد وكسر
رباعيته فجعل عليه الصلاة والسلام يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى ابي حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو يقول كيف
يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت ليس لك من الامر الاية كانه نوع معاتبة على انكاره عليه
الصلاة والسلام لفلاحهم وقيل اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه بان منهم من يؤمن فقوله تعالى
او يتوب عليهم حينئذ معطوف على الامر او على شيء باضمار ان اي ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم
شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم ونقل عن الفرا وابن الانباري ان او بمعنى الا ان والمعنى ليس لك من امرهم شيء الا ان
يتوب الله عليهم فتفرح بهم او يعذبهم فتشتفي منهم وايا ما كان فهو كلام مستانف سيق لبيان بعض الامور المتعلقة بغزوة
احد اثر بيان بعض ما يتعلق بغزوة بدر لما بينهما من التناسب الظاهر لان كلا منهما مبني على اختصاص الامر كله بالله
تعالى ومبني على سلبه عمن سواه واما تعلق كل القصة بغزوة احد على ان قوله تعالى اذ تقول بدل ثان من اذ غدوت
وان ما حكي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقع يوم احد وان الامداد الموعود كان مشروطا بالصبر والتقوى فلما لم
يفعلوا لم يتحقق الموعود كما قيل فلا يساعده النظم الكريم اما اولا فلان المشروط بالصبر والتقوى انما هو الامداد

بخمسة الاف لا بثلاثة الاف مع انه لم يقع الامداد يومئذ ولو بملك واحد واما ثانيا فلانه كان ينبغي حينئذ ان ننعى
عليهم جناياتهم وحرمانهم لتلك النعمة الجليلة ودعوى ظهوره مع عدم دلالة السباق والسياق عليه بل مع دلالتهما على خلافه
مما لا يكاد يسمع واما ثالثا فلانه لا سبيل الى جعل الضمير في قوله تعالى وما جعله الله الى آخره الى الامداد الموعود لانه لم
يتحقق فكيف يبين علته الغائية ولا الى الوعد به على معنى انه تعالى انما جعل ذلك الوعد لبشارتكم واطمئنان قلوبكم
فلم تفعلوا ما شرط عليكم من الصبر والتقوى فلم يقع انجاز الموعود لكن اثره انما هو مجرد الاشارة والاطمئنان وقد حصلا
واما النصر الحقيقي فليس ذلك الا من عنده تعالى وجعله استينافا مقررا لعدم وقوع الامداد على معنى ان النصر الموعود [مخصوص]
به تعالى فلا ينصر من خالف امره بترك الصبر والتقوى اعتساف بين يجب تنزيه التنزيل عن امثاله على ان قوله تعالى ليقطع طرفا
الاية متعلق حينئذ بما تعلق به قوله تعالى من عند الله من الثبوت والاستقرار ضرورة ان تعلقه بقول الله تعالى ولقد نصركم
الله ببدر الاية مع كون ما بينهما من التفصيل متعلقا بوقعة احد من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه فلا بد من اعتبار وجود النصر
قطعا لان تفصيل الاحكام المترتبة على وجود شيء بصدد بيان انتفائه مما لم يعهد في كلام الناس فضلا عن كلام المجيد فالحق
الذي لا محيد عنه ان قول الله عز وجل اذ تقول ظرف لنصركم وان ما حكي في الثانية الى قوله تعالى خائبين متعلق بيوم بدر
قطعا وما بعده محتمل للوجهين المذكورين وقوله سبحانه جل وعلا فانهم ظالمون تعليل على كل حال لقوله تعالى او
يعذبهم مبين لكون ذلك من جهتهم وجزاء لظلمهم ولله ما في السموات وما في الارض كلام مستانف سيق لبيان اختصاص
ملكوت كل الكائنات به عز وجل اثر بيان اختصاص طرف من ذلك به سبحانه تقريرا لما سبق وتكملة له وتقديم الجار للقصر
وكلمة ما شاملة للعقلاء ايضا تغليبا اي له ما فيهما من الموجودات خلقا وملكا لا مدخل فيه لاحد اصلا فله الامر كله
يغفر لمن يشاء اي يغفر له مشيئة مبنية على الحكم والمصالح ويعذب من يشاء اي يعذبه بعدله مشيئة كذلك وايثار
كلمة من في الموضعين لاختصاص المغفرة والتعذيب بالعقلاء وتقديم المغفرة على التعذيب للايذان بسبق رحمته تعالى
غضبه وبانها من مقتضيات الذات دونه فانه من مقتضيات سيئات العصاة وهو صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد
بالتوبة وعدمها كالمنافي له والله غفور رحيم تذييل مقرر لمضمون قوله تعالى يغفر لمن يشاء مع زيادة وفي تخصيص
التذييل به دون قرينته من الاعتناء بشان المغفرة والرحمة ما لا يخفى يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربوا كلام مبتدأ
مشتمل على ما هو ملاك الامر في كل باب لا سيما في باب الجهاد من التقوى والطاعة وما بعدهما من الامور المذكورة على
نهج الترغيب والترهيب جيء به في تضاعيف القصة مسارعة الى ارشاد المخاطبين الى ما فيه وايذانا بكمال وجوب المحافظة
عليه فيما هم فيه من جهاد فان الامور المذكورة فيه مع كونها مناطا للفوز في الدارين على الاطلاق وعمدة في امر الجهاد
عليها يدور فلك النصرة والغلبة كيف لا ولو حافظوا على الصبر والتقوى وطاعة الرسول عليه الصلاة والسلام لما لقوا
ما لقوا ولعل ايراد النهي عن الربوا في اثنائها لما ان الترغيب في الانفاق في السراء والضراء الذي عمدته الانفاق في سبيل
الجهاد متضمن للترغيب في تحصيل المال فكان مظنة مبادرة الناس الى طرق الاكتساب ومن جملتها الربوا فنهوا عن
ذلك والمراد باكله اخذه وانما عبر عنه بالاكل لما انه معظم ما يقصد بالاخذ ولشيوعه في الماكولات مع ما فيه من زيادة
تشنيع وقوله عز وجل اضعافا مضاعفة ليس لتقييد النهي بل لمراعاة ما كانوا عليه من العادة توبيخا لهم بذلك اذ كان
الرجل يربي الى اجل فاذا جاء قال للمدين زدني في المال حتى ازيدك في الاجل فيفعل وهكذا عند محل كل اجل فيستغرق بالشيء الطفيف
ماله بالكلية ومحله النصب على الحالية من الربوا وقرئ مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه من الامور التي من جملتها
الربوا لعلكم تفلحون راجين للفلاح واتقوا النار التي اعدت للكافرين بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي ما يتعاطونه
كان ابو حنيفة رحمه الله يقول هي اخوف اية في القرآن حيث اوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في
اجتناب محارمه واطيعوا الله في كل ما امركم به ونهاكم عنه والرسول الذي يبلغكم اوامره ونواهيه لعلكم
ترحمون راجين لرحمته عقب الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة وايراد لعل في الموضعين
للاشعار بعزة منال الفلاح والرحمة قال محمد بن اسحق هذه الاية معاتبة للذين عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

بسببها

الامداد

حين امرهم بما امرهم يوم احد وسارعوا عطف على اطيعوا وقرئ بغير واو على وجه الاستيناف اي بادروا واقبلوا
وقرئ سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة اي ما يؤدي اليهما وقيل الى الاسلام وقيل الى التوبة وقيل الى الاخلاص
وقيل الى الجهاد وقيل الى اداء جميع الواجبات وترك جميع المنهيات فيدخل فيها ما امر من المامور بها والمنهي
عنها دخولا اوليا وتقديم المغفرة على الجنة لما ان التخلية متقدمة على التحلية ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لمغفرة
اي كائنة من ربكم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار مزيد اللطف بهم وقوله تعالى
عرضها السموات والارض اي كعرضهما صفة لجنة وتخصيص العرض بالذكر للمبالغة في وصفها بالسعة والبسطة
على طريقة التمثيل فان العرض في العادة ادنى من الطول وعن ابن عباس رضي الله عنهما كسبع سموات وسبع ارضين
ان وصل بعضها ببعض اعدت للمتقين في حيز الجر على انه صفة اخرى لجنة او في محل النصب على الحالية منها لتخصصها
اي بالصفة اي هيئت لهم وقيل دليل على ان الجنة مخلوقة الآن وانها خارجة عن هذا العالم الذين ينفقون في
محل الجر على انه نعت للمتقين مادح لهم او بدل منه او بيان او في حيز النصب والرفع على المدح ومفعول ينفقون محذوف
ليتناول كل ما يصلح للانفاق او متروك بالكلية كما في قولك يعطي ويمنع في السراء والضراء في حالتي الرخاء والشدة
واليسر والعسر او في احوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة او مضرة لا يخلون في حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل
او كثير والكاظمين الغيظ عطف على الموصول والعدول الى صيغة الفاعل للدلالة على الاستمرار واما الانفاق
فحيث كان امرا متجددا عبر عنه بما يفيد الحدوث والتجدد والكظم الحبس يقال كظم غيظه اي حبسه قال المبرد
تأويله انه كتمه على امتلاء منه يقال كظمت السقاء اذا ملأته وشددت عليه اي الممسكين عليه الكافين عن امضائه
مع القدرة عليه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو قادر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا
والعافين عن الناس اي التاركين عقوبة من استحق مؤاخذته روي انه ينادي مناد يوم القيمة اين الذين كانت
اجورهم على الله تعالى فلا يقوم الا من عفى وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصم الله
وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت وفي هذين الوصفين اشعار بكمال حسن موقع عفوه عليه الصلاة والسلام عن الرماة
وترك مؤاخذتهم بما فعلوا من مخالفة امره عليه الصلاة والسلام وترك ما عزم عليه من مجازاة المشركين بما فعلوا بحمزة
حيث قال حين رآه قد مثل به لامثلن بسبعين مكانك والله يحب المحسنين واللام اما للجنس وهم داخلون فيه
دخولا اوليا واما للعهد عبر عنهم بالمحسنين ايذانا بان النعوت المعدودة من باب الاحسان الذي هو الاتيان
بالاعمال على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره عليه السلام بقوله ان
تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها والذين مرفوع على الابتداء
وقيل مجرور معطوف على ما قبله من صفات المتقين وقوله تعالى والله يحب المحسنين اعتراض بينهما مشير الى ما بينهما
من التفاوت فان درجة الاولين من التقوى اعلى من درجة هؤلاء وحظهم اوفى من حظهم او على نفس المتقين فيكون
التفاوت اكثر واظهر اذا فعلوا فاحشة اي فعلة بالغة في القبح كالزناء او ظلموا انفسهم بان اتوا ذنبا اي
ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة والفاحشة ما يتعدى الى الغير وظلم النفس ما ليس
كذلك قيل قال المؤمنون يا رسول الله كانت بنو اسرائيل اكرم على الله تعالى منا كان احدهم اذا اذنب اصبحت كفارة
ذنبه مكتوبة في عتبة داره افعل كذا فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل ان نبهان التمار اتته امرأة حسناء تطلب
منه تمرا فقال لها هذا التمر ليس بجيد وفي البيت اجود منه فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله
فتركها وندم على ذلك فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك فنزلت وقيل جرى مثل هذه بين انصاري و
ثقفي كان بينهما مؤاخاة فندم الانصاري وحثا على رأسه التراب وهام على وجهه وجعل يسيح في الجبال تائبا
مستغفرا ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت وايا ما كان فاطلاق اللفظ ينتظم ما فعله الرماة انتظاما اوليا
ذكروا الله تذكروا حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء او وعيده او حكمه او عقابه فاستغفروا لذنوبهم بالتوبة

والندم

والندم والفاء للدلالة على ان ذكره تعالى مستتبع للاستغفار لا محالة ومن يغفر الذنوب استفهام انكاري
والمراد بالذنوب جنسها كما في قولك فلان يلبس الثياب ويركب الخيل لا كلها حتى يخل بما هو المقصود من استحالة
صدور مغفرة فرد منها عن غيره تعالى وقوله تعالى الا الله بدل من الضمير المستكن في يغفر اي لا يغفر جنس الذنوب
احد الا الله خلا ان دلالة الاستفهام على الانتفاء اقوى وابلغ لايذانه بان كل احد ممن يتعظ من الخطاب يعرف ذلك
الانتفاء فيسارع الى الجواب به والمراد به وصفه سبحانه وتعالى بغاية سعة الرحمة وعموم المغفرة والجملة معترضة
بين المعطوفين او بين الحال وصاحبها لتقرير الاستغفار والحث عليه والاشعار بالوعد بالقبول ولم يصروا عطف
على فاستغفروا وتأخيره عنه مع تقدم عدم الاصرار على الاستغفار رتبة لاظهار الاعتناء بشأن الاستغفار واستحقاقه
للمسارعة اليه عقيب ذكره سبحانه وتعالى او حال من فاعله اي ولم يقيموا او غير مقيمين على ما فعلوا اي ما فعلوه
من الذنوب فاحشة كانت او ظلما او على فعلهم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ما اصر من استغفر وان عاد
في اليوم سبعين مرة وانه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وهم يعلمون حال من فاعل يصروا اي لم يصروا
على ما فعلوا وهم عالمون بقبحه وبالنهي عنه والوعيد عليه والتقييد بذلك لانه قد يعذر من لا يعلم ذلك اذا لم يكن عن
تقصير في تحصيل العلم به اولئك اشارة الى المذكورين اخيرا باعتبار اتصافهم بما مر من الصفات الحميدة وما فيه من
معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم في الفضل وهو مبتدأ قوله تعالى جزاؤهم بدل اشتمال منه وقوله تعالى
مغفرة خبر له وجزاؤهم مبتدأ ثان ومغفرة خبره والجملة خبر لاولئك لقوله تعالى والذين اذا فعلوا الى آخره على الوجه
الاول وهو الاظهر الانسب بنظم المغفرة المنبئة عن سابقة الذنب في سلك الجزاء او على وجهي الاخيرين يكون قوله
تعالى اولئك الى آخره جملة مستأنفة مبينة لما قبلها كاشفة عن حال كلا الفريقين المحسنين والتائبين ولم يذكر من
اوصاف الاولين ما فيه شائبة الذنب حتى يذكر في مطلع الجزاء الشامل لهما المغفرة وتخصيص الاشارة بالاخرين مع
اشتراكهما في حكم اعداد الجنة لهما تعسف ظاهر من ربهم متعلق بمحذوف وقع صفة لمغفرة مؤكدة لما افادها
التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائنة من جهته تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى
ضميرهم للاشعار بعلة الحكم والتشريف وجنات تجري من تحتها الانهار عطف على مغفرة والتنكير المشعر بكونها ادنى
من الجنة السابقة مما يؤيد رجحان الوجه الاول خالدين فيها حال مقدرة من الضمير في جزاؤهم لانه مفعول به في المعنى
لانه في قوة يجزيهم الله جنات خالدين فيها ولا مساغ لان يكون حالا من جنات تجري في اللفظ وهي لاصحابها في المعنى اذ لو كان كذلك
لبرز الضمير ونعم اجر العاملين المخصوص بالمدح محذوف اي ونعم اجر العاملين ذلك اي ما ذكر من المغفرة والجنات
والتعبير عنهما بالاجر المشعر بانهما يستحقان بمقابلة العمل وان كان بطريق التفضل لمزيد الترغيب في الطاعات
والزجر عن المعاصي والجملة تذييل مختص بالتائبين حسب اختصاص التذييل السابق بالاولين وناهيك بمضمونها دليلا على ما بين
الفريقين من التفاوت البين والتباين البين شتان بين المحسنين الفائزين بمحبة الله تعالى وبين العاملين الحائزين
لاجرتهم وعمالتهم قد خلت من قبلكم سنن رجوع الى تفصيل بقية القصة بعد تمهيد مبادي الرشد والصلاح وترتيب مقدماتها
والفلاح والخلو المضي والسنن الوقائع وقيل الامم والظرف اما متعلق بخلت او بمحذوف وقع حالا من سنن اي قد مضت
من قبل زمانكم او كائنة من قبلكم وقائع سنها الله تعالى في الامم المكذبة كما في قوله تعالى وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا
الى آخره والفاء في قوله تعالى فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين للدلالة على سببية خلوها للسير والنظر
والامر بهما وقيل المعنى على الشرط اي ان شككتم فسيروا الى آخره وكيف خبر مقدم لكان معلق لفعل النظر والجملة في محل النصب
بعد نزع الخافض لان الاصل استعماله بالجار هذا اشارة الى ما سلف من قوله تعالى قد خلت الى آخره بيان للناس اي تبيين
لهم على ان اللام متعلقة بالمصدر او كائن لهم على انها متعلقة بمحذوف وقع صفة له وتعريف الناس للعهد وهم المكذبون اي
هذا ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب فان الامر بالسير والنظر وان كان خاصا بالمؤمنين لكن العمل بموجبه غير
مختص بواحد دون واحد ففيه حمل للمكذبين ايضا على ان ينظروا في عواقب من قبلهم من اهل التكذيب ويعتبروا بما يعاينوا

من اثاردمارهم وان لم يكن الكلام مسوقا لهم وهدي وموعظة اي وزيادة بصيرة وموعظة لكم وانما قيل للمتقين
للايذان بعلة الحكم فان مدار كونه هدي وموعظة لهم وانما هو تقواهم ويجوز ان يراد بالمتقين الصائرون الي التقوي
والهدي والموعظة علي ظاهرهما اي هذا بيان لمال امر الناس وسوء مغبته وهداية لمن اتقي منهم وزجرهم عماهم عليه من التكذيب
فان يراد به مايعمهم وغيرهم من المتقين بالفعل واريد بالهدي والموعظة ايضا مايعم ابتداءهما والزيادة فيهما وانما قدم كونه
بيانا للمكذبين مع انه غير مسوق له علي كونه هدي وموعظة للمتقين مع انه المقصود بالسياق لان اول مايترتب علي مشاهدة
اثار هلاك اسلافهم ظهور حال اخلافهم واما زيادة الهدي ان اصله فامر مرتب عليه وتخصيص البيان للناس مع شموله
للمتقين ايضا لما ان المراد به مجرد البيان العاري عن الهدي والعظة والاقتصار عليهما في جانب المتقين مع ترتبهما علي البيان
لما انهما المقصد الاصلي ويجوز ان يكون تعريف الناس للجنس اي هذا بيان للناس كافة وهدي وموعظة للمتقين منهم
خاصة وقيل كلمة هذا اشارة الي ما يخص من امر المتقين والتائبين والمصرين وقوله تعالى قد خلت الاية اعتراض للبعث
علي الايمان ومايستحق به ماذكر من اجر العاملين وانت خبير بان الاعتراض لابد ان يكون مقررا لمضمون ما وقع في خلاله و
معاينة آثار هلاك المكذبين مما لاتعلق له بحال احد الاصناف الثلثه للمؤمنين وان كان باعثا علي الايمان زاجرا عن
التكذيب وقيل اشارة الي القرآن ولايخفي بعده ولاتهنوا ولاتحزنوا تشجيع للمؤمنين وتقوية لقلوبهم وتسلية عما اصابهم
يوم احد من القتل والقرح وكان قد قتل يومئذ خمسة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ومصعب بن عمير
صاحب راية رسول الله صلي الله عليه وسلم وعبد الله بن جحش بن عمة رسول الله صلي الله عليه وسلم وعثمان بن شماس وسعد
مولي عتبة رضي الله عنهم ومن الانصار سبعون رجلا رضوان الله عليهم اجمعين اي لاتضعفوا عن الجهاد بما نالكم من الجراح
ولاتحزنوا علي ما قتل منكم وانتم الاعلون جملة حالية من فاعل الفعلين اي والحال انكم الاعلون الغالبون دون عدوكم فان مصير
امرهم الي الدمار حسبما شاهدتم من احوال اسلافهم فهو تصريح بالوعد بالنصرة والغلبة بعد الاشعار به فيما سبق و
انتم المعهودون بغاية علو الشان لما انكم علي الحق وقتالكم لله عز وجل وقتلاكم في الجنة وهم علي الباطل وقتالهم للشيطان و
قتلاهم في النار وقيل وانتم الاعلون حالا منهم حيث من اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم ان كنتم مؤمنين
متعلق بالنهي او بالاعلون وجوابه محذوف لدلالة مايتعلق به عليه اي وان كنتم مؤمنين فلاتهنوا ولاتحزنوا فان الايمان
يوجب قوة القلب والثقة بصنع الله تعالى وعدم المبالاة باعدائه او ان كنتم مؤمنين فانتم الاعلون فان الايمان يقتضي
العلو لامحالة وان كنتم مصدقين بوعد الله تعالى فانتم الاعلون واما ماكان فالمقصود تحقيق المعلق بناء علي تحقق المعلق
به كما في قول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني اجري ولذلك قيل معناه اذ كنتم مؤمنين وقيل معناه ان بقيتم علي الايمان
إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ القرح بالفتح والضم لغتان كالضعف والضعف وقد قرئ بهما وقيل هو
بالفتح الجراح وبالضم آلمها وقرئ بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد والطرد والمعني ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم
قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فانتم احق بان لاتضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا
يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر رسول الله صلي الله عليه وسلم قتلوا منهم نيفا
وعشرين رجلا منهم صاحب لوائهم وجرحوا عددا كثيرا وعقروا عامة خيلهم بالنبل وَتِلْكَ الْأَيَّامُ اشارة الي الايام الجارية فيما
بين الامم الماضية والآتية كافة لا الي الايام المعهودة خاصة من يوم بدر ويوم احد بل هي داخلة فيها دخولا اوليا
والمراد بها اوقات الظفر والغلبة نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ونصرفها بينهما نديل لهولاء تارة اخري ولهولاء اخري كقول من قال
فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر والمداولة كالمعاودة يقال داولته بينهم فتداولوه اي عاودته فتعاوره
واسم الاشارة مبتداء والايام اما صفة او بدل منه او عطف بيان له فنداولها خبره او خبر فنداولها حال من الايام والعامل
معني اسم الاشارة او خبر بعد خبر وصيغة المضارع الدالة علي التجدد والاستمرار للايذان بان تلك المداولة سنة مسلوكة
فيما بين الامم قاطبة سابقتها ولاحقتها وفيه ضرب من التسلية وقوله عز وجل وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا اما من باب التمثيل
اي ليعاملكم معاملة من يريد ان يعلم المخلصين الثابتين علي الايمان من غيرهم او العلم فيه مجاز عن التميز بطريق اطلاق اسم

السبب

السبب علي المسبب اي ليتميز الثابتين علي الايمان من غيرهم كما في قوله تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين علي ما انتم
عليه حتي يميز الخبيث من الطيب او هو علي حقيقته معتبر من حيث تعلقه بالمعلوم من حيث انه موجود بالفعل اذ هو
الذي يدور عليه فلك الجزاء لا من حيث انه موجود بالقوة واطلاق الايمان مع ان المراد هو الرسوخ والاخلاص فيه
للايذان بان اسم الايمان لاينطلق علي غيره والالتفات الي الغيبة باسناده الي اسم الذات المستجمع لنعوت الجلال
والاشعار بان صدور كل واحد مما ذكر بصدد التعليل من افعاله تعالى باعتبار منشاء معين من صفاته تعالى مغاير لمنشأ
الآخر والجملة علة لما هو من افراد مطلق المداولة التي نطق بها قوله عز وجل نداولها بين الناس من المداولة المعهودة
بين فريق المؤمنين والكافرين واللام متعلقة بما دل عليه المطلق من الفعل المقيد بالوقوع بالفريقين المذكورين
او بنفس الفعل المطلق باعتبار وقوعه بينهما والجملة معطوف علي علة اخري لها معتبرة اما علي الخصوص والتعيين
محذوفة للدلالة المذكورة عليها لكونها من مباديها كانه قيل نداولها بينكم وبين عدوكم ليظهر امركم وليعلم
الي آخره فان ظهور اعمالهم وخروجها من القوة الي الفعل من مبادي تميزهم عن غيرهم ومواجب تعلق العلم الازلي
بها من تلك الحيثية وكذا الحال في باب التمثيل فتامل واما علي العموم والابهام للتنبيه علي ان العلل غير
منحصرة فيما عدد من الامور وان العبد يسوء ما يجري عليه من النوائب ولايشعر بان لله تعالى في ذلك من
الالطاف الخفية ما لايخطر بالبال كانه قيل نداولها بينكم ليكون من المصالح كيت وكيت وليعلم الي آخره وفيه من
التاكيد للتسلية ومزيد التبصرة ما لايخفي وتخصيص البيان بعلته هذا الفرد من مطلق المداولة دون ساير افرادها
الجارية فيما بين بقية الامم تعيينا او ابهاما لعدم تعلق الغرض العلمي ببيانها ولك ان تجعل المحذوف المبهم
عبارة عن علل ساير افرادها للاشارة اجمالا الي ان كل فرد من افرادها له علة داعية اليه كانه قيل نداولها بين
الناس كافة ليكون كيت وكيت من الحكم الداعية الي تلك الافراد وليعلم الي آخره فاللام الاولي متعلقة بالفعل
المطلق باعتبار تقييده بتلك الافراد والثانية باعتبار تقييده بالفرد المعهود وقيل هي متعلقة بمحذوف
مؤخر تقديره وليعلم الله الذين امنوا فعل ذلك وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ جمع شهيد اي ويكرم ناسا منكم بالشهادة
وهم شهداء احد فمن ابتدائية او تبعيضية متعلقة بيتخذ او بمحذوف وقع حالا من الشهداء او جمع شاهد اي
ويتخذ منكم شهودا معدلين بما ظهر منهم من الثبات علي الحق والصبر علي الشدائد وغير ذلك من شواهد الصدق
ليشهدوا علي الامم يوم القيمة فمن بيانية لان تلك الشهادة وظيفة الكل دون المستشهدين فقط واياما كان
ففي لفظ الاتخاذ المبني علي الاصطفاء والتقريب من تشريفهم وتفخيم شانهم ما لايخفي وقوله تعالى وَاللَّهُ
لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ اعتراض مقرر لمضمون ما قبله وفي نفي المحبة كناية عن البغض وفي ايقاعه علي الظالمين تعريض
بمحبته تعالى لمقابليهم والمراد بهم اما غير الثابتين علي الايمان فالتقرير من حيث بعضه تعالى لهم مزيد وامي اخراج
المخلصين المصطفين للشهادة من بينهم واما الكفرة الذين اديل لهم فالتقرير من حيث ان ذلك ليس بطريق النصرة
فانها مختصة باولياء الله تعالى لما ذكر من الفوائد العائدة الي المؤمنين وقوله تعالى وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا اي
ليصفيهم ويطهرهم عن الذنوب عطف علي يتخذ وتكرير اللام لتذكير التعليل لوقوع الفصل بينهما بالاعتراض
واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لابراز مزيد الاعتناء بشان التمحيص وهذه الامور الثلثة علل للمداولة
المعهودة باعتبار كونها علي المؤمنين قدمت في الذكر لانها المحتاجة الي البيان ولعل تاخير العلة الاخيرة
عن الاعتراض لئلا يتوهم اندراج المذنبين في الظالمين او ليقترن بقوله تعالى وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ فان التمحيص
فيه محو الاثار وازالة الاوضار كما ان المحق عبارة عن النقص والاذهاب قال المفضل هو ان يذهب الشئ بالكلية
حتي لايري منه شئ ومنه قوله تعالى يمحق الله الربوا اي يستاصله وهذه علة للمداولة باعتبار كونها علي الكافرين
والمراد بهم الذين حاربوا رسول الله صلي الله عليه وسلم يوم احد واصروا علي الكفر وقد محقهم الله تعالى جميعا
أَمْ حَسِبْتُمْ كلام مستانف سيق لبيان ما هي الغاية القصوي من المداولة والنتيجة لما ذكر من تميز المخلصين

وتجبيهم واتخاذ الشهداء واظهار عزة منا ها والخطاب للذين انهزموا يوم احد وام منقطعة وما فيها من
كلمة بل للاضراب عن التسلية ببيان العلل فيما لقوا من الشدة الى تحقيق انها من مبادي الفوز بالمطلب الاسني
والهمزة للانكار والاستبعاد اي بل احسبتم ان تدخلوا الجنة وتفوزوا بها وقوله تعالى ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم
حال من ضمير تدخلوا موكدة للانكار فان رجاء الاجر بغير عمل ممن يعلم انه منوط به مستبعد عند العقول وعدم العلم
كناية عن عدم المعلوم لما بينهما من اللزوم المبني على لزوم تحقق الاول لتحقق الثاني ضرورة استحالة تحقق شيء
بدون علمه تعالى به وايثارها على التصريح للمبالغة في تحقيق المعنى المراد فانها اثبات لعدم جهادهم بالبرهان
وللايذان بان مدار ترتيب الجزاء على الاعمال انما هو علم الله تعالى بها كانه قيل والحال انه لم يوجد الذين جاهدوا
منكم وانما وجه النفي الى الموصوفين مع ان المنفي هو الوصف فقط وكان يكفي ان يقال ولما يعلم الله جهادكم كناية عن
معنى ولما جاهدوا للمبالغة في بيان انتفاء الوصف وعدم تحققه اصلا وفي كلمة لما ايذان بان الجهاد متوقع منهم
فيما يستقبل الا انه غير معتبر في تاكيد الانكار وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذفت النون او على طريقة
اتباع الميم لما قبلها في الحركة لابقاء تفخيم اسم الله تعالى ومنكم حال من الذين ويعلم الصابرين منصوب باضمار ان
على ان الواو للجمع كما في قولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن اي لا يكون منك اكل السمك وشرب اللبن والمعنى ام
حسبتم ان تدخلوا الجنة والحال انه لم يتحقق منكم الجهاد والصبر اي الجمع بينهما وايثار اسم الفاعل على الموصول
للدلالة على ان المعتبر هو الاستمرار على الصبر وللمحافظة على الفواصل وقيل مجزوم معطوف على المجزوم قبله قد
حرك لالتقاء الساكنين بالفتح للخفة والاتباع كما مر ويويده القراءة بالكسر على ما هو الاصل في تحريك الساكن
وقرئ يعلم بالرفع على ان الواو للحال وصاحبها الموصول والمبتدأ محذوف اي وهو يعلم الصابرين كانه قيل
ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت اي تمنون الحرب فانها من مبادي الموت او الموت بالشهادة
والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال شهداء
بدر من الكرامة فالحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج ثم ظهر منهم خلاف ذلك من قبل ان تلقوه متعلق
بتمنون مبين لسبب اقدامهم على التمني اي من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا هوله وشدته وقرئ تلاقوه فقد رايتموه
اي ما تتمنونه من اسباب الموت او الموت بمشاهدة اسبابه وقوله تعالى وانتم تنظرون حال من ضمير المخاطبين
وفي ايثار الرؤية على الملاقات وتقييدها بالنظر مزيد مبالغة في مشاهدتهم له والفاء فصيحة كانه قيل
ان كنتم صادقين في تمنيكم ذلك فقد رايتموه ومعاينتم له حين قتل بين ايديكم من قتل من اخوانكم واقاربكم وشاهدتموه
ان تقتلوا فلم فعلتم ما فعلتم وهو توبيخ لهم على تمنيهم الحرب وتسببهم لها ثم جبنهم وانهزامهم لا على تمني الشهادة
بناء على تضمنها لغلبة الكفار لما ان مطلب من يتمناه نيل كرامة الشهداء من غير ان يخطر بباله شيء غير ذلك
فلا يستحق العتاب من تلك الجهة وما محمد الا رسول مبتدا وخبر ولا عمل لما بالاتفاق لانتقاض نفيه بالا وقوله
تعالى قد خلت من قبله الرسل صفة لرسول مبينة عن كونه في شرف الخلو فان خلو مشاركيه في منصب الرسالة
من شواهد خلوه لا محالة كانه قيل قد خلت من قبله مثاله فيخلو كما خلوا والقصر قلبي فانهم لما انقلبوا على اعقابهم
فكانهم اعتقدوا انه عليه الصلاة والسلام رسول لا كسائر الرسل في انه يخلو كما خلوا ويجب التمسك بدينه بعده
كما يجب التمسك بدينهم بعدهم فرد عليهم بانه ليس الا رسولا كسائر الرسل سيخلو كما خلوا ويجب التمسك بدينه كما
يجب التمسك بدينهم وقيل هو قصر افراد فانهم لما استعظموا عدم بقائه عليه السلام لهم نزلوا منزلة المستبعدين
لهلاكه كانهم يعتقدون فيه عليه الصلوة والسلام وصفين الرسالة والبعد من الهلاك فرد عليهم بانه مقصور
على الرسالة لا يتجاوزها الى البعد عن الهلاك فلا بد حينئذ من جعل قوله تعالى قد خلت كلاما مبتدا مسوقا لتقرير
برائته عليه السلام من الهلاك وبيان كونه اسوة لمن قبله من الرسل عليهم الصلاة والسلام وايا ما كان فالكلام خرج
على خلاف مقتضى الظاهر افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم انكار لارتدادهم وانقلابهم عن الدين لخلوه بموت او

قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة للانكار ان يجعلوا خلو
رسل قبله سببا للانقلاب بعد وفاته مع كونه سببا في الحقيقة لثباتهم على الدين وايراد الموت بكلمة ان مع العلم
به البتة لتنزيل المخاطبين منزلة المترددين فيه لما ذكر من استعظامهم اياه وهكذا الحال في سائر الموارد فان
كلمة ان في كلام الله عز وجل لا تجري على ظاهرها قط ضرورة علمه تعالى بالوقوع او اللاوقوع بل تحمل على اعتبار حال
السامع او امر آخر يناسب المقام وتقديم تقدير الموت مع ان تقدير القتل هو الذي ثار منه الفتنة وعظم فيه
المحنة لما ان الموت في شرف الوقوع فزجر الناس عن الانقلاب عنده وحملهم عن التثبت هناك اهم ولان الوصف
الجامع بينه وبين الرسل عليهم الصلوة والسلام هو الخلو بالموت دون القتل روي انه لما التقى الفئتان حمل ابو
دجانة في نفر من المسلمين على المشركين فقاتل قتالا شديدا وقاتل علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قتالا عظيما حتى التوى
سيفه وكذا سعد بن ابي وقاص فقتلوا جماعة من المشركين وهزموهم فلما نظر الرماة اليهم ورأوا انهم قد انهزموا
اقبلوا على النهب ولم يلتفتوا الى نهي اميرهم عبد الله بن جبير فلم يبق منهم عنده الا ثمانية نفر فلما راهم خالد بن
الوليد قد اشتغلوا بالغنيمة حمل عليهم في مائتين وخمسين فارسا من المشركين من قبل الشعب وقتلوا من بقي من الرماة
ودخلوا خلف اقضية المسلمين ففرقوهم وهزموهم وحملوا على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتلوهم
حتى اصيب هناك نحو ثلثين رجلا كل منهم يجثو بين يديه ويقول وجهي لوجهك وفاء نفسي لنفسك فداء وعليك سلام
الله غير مودع ورمى عبد الله بن قميئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه الكريم
فذب عنه مصعب بن عمير رضي الله عنه وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قميئة وهو يزعم انه قتل النبي صلى الله
عليه وسلم فقال قتلت محمدا وصرخ صارخ قيل انه ابليس الا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول
صلى الله عليه وسلم يدعو الي عباد الله قال كعب بن مالك كنت اول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين
فناديت باعلى صوتي يا معشر المسلمين هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانحاز اليه ثلثون من اصحابه وحموه
حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابي ياخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال الناس من المنافقين
لو كان نبيا ما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال انس بن النضر وهو عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان
رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحيوة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا كراما
على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابرا اليك مما جاء هؤلاء ثم شد سيفه وقاتل حتى قتل
وتجويزهم لقتله عليه الصلوة والسلام مع قوله تعالى والله يعصمك من الناس لما ان كل اية ليس يسمعها كل احد ولا
كل من يسمعها يستحضرها في كل مقام لا سيما في مثل ذلك المقام الهائل وقد غفل عمر رضي الله عنه عن هذه الاية
الكريمة عند وفاته صلى الله عليه وسلم وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب
موسى بن عمران فغاب عن قومه اربعين ليلة ثم رجع والله ليرجعن رسول الله ولاقطعن ايدي رجال وارجلهم
يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات ولم يكن ذلك الى ان قام ابو بكر رضي الله عنه فحمد الله عز وجل
واثنى عليه ثم قال من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ثم تلا وما محمد
الا رسول الاية قال الراوي والله كان الناس لم يعلموا ان هذه الاية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تلاها
ابو بكر وقال عمر رضي الله عنه والله ما هو الا ان سمعت ابا بكر رضي الله عنه يتلوها فعقرت حتى تخلني رجلاي وعرفت
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات ومن ينقلب على عقبيه بادباره عما كان يقبل عليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم من امر الجهاد وغيره وقيل بارتداده عن الاسلام وما ارتد يومئذ احد من المسلمين الا ما كان من المنافقين فلن
يضر الله بما فعل من الانقلاب شيئا من الضرر وانما يضر نفسه بتعريضها للسخط والعذاب وسيجزي الله
الشاكرين اي الثابتين على دين الاسلام الذي هو اجل نعمه واعز معروف سموا بذلك لان الثبات عليه شكر له
وعرفان لحقه وفيه ايماء الى كفران المنقلبين وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد بهم الطايعون لله

تعالى من المهاجرين والانصار وعن علي رضي الله عنه ابو بكر واصحابه وعنه رضي الله عنه قال ابو بكر من الشاكرين
ومن احباء الله تعالى واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لابراز مزيد الاعتناء بشان جزائهم **وما كان لنفس
ان تموت** كلام مستانف سيق للتنبيه على خطابهم فيما فعلوا حذرا من قتلهم وبناء على الارجاف بقتله صلى الله
عليه وسلم ببيان ان موت كل نفس منوط بمشيئة الله عز وجل لا يكاد يقع بدون تعلقها به وان خوضت موارد الحتوف
واقتحمت مضايق كل هائل مخوف وقد اشير بذلك الى انها لم تكن متعلقة بموتهم في الوقت الذي حذروه فيه
ولذلك لم يقبلوا حينئذ لاحجامهم عن مباشرة القتال وكلمة كان ناقصة اسمها ان تموت وخبرها الظرف على انه متعلق
بمحذوف وقوله تعالى **الا باذن الله** استثناء مفرغ من اعم الاسباب اي وما كان الموت حاصلا لنفس من النفوس
بسبب من الاسباب الا بمشيئة الله تعالى على ان الاذن مجاز منها لكونها من لوازمه او الا باذنه لملك الموت
في قبض روحها وسوق الكلام مساق التمثيل بتصوير الموت بالنسبة الى النفوس بصورة الافعال الاختيارية التي
لا ينبغي للفاعل ايقاعها والاقدام عليها بدون اذنه تعالى وبتنزيل اقدامها مباديه اعني القتال منزلة الاقدام
على نفسه للمبالغة في تحقيق المرام فان موتها حيث استحال وقوعه عند اقدامها عليه او على مباديه وسعيها
في ايقاعه فلان يستحيل عند عدم ذلك اولى واظهر وفيه من التحريض على القتال ما لا يخفى **كتابا** مصدر موكد لمضمون
ما قبله اي كتبه الله كتابا **مؤجلا** موقتا بوقت معلوم لا يتقدم ولا يتاخر ولو ساعة **وقرئ** موجلا بالواو وبدل
الهمزة على قياس التخفيف وبعد تحقيق ان مدار الموت والحيوة محض مشيئة الله تعالى عز وجل من غير ان يكون فيه
مدخل لاحد اصلا اشير الى ان توفية ثمرات الاعمال دائرة على ارادتهم ليصرفوها عن الاعراض الدنية الى المطالب
السنية فقيل **ومن يرد** اي بعمله **ثواب الدنيا نؤته** بنون العظمة على طريق الالتفات **منها** اي من ثوابها ما نشاء
ان نؤتيه اياه كما في قوله عز وجل من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وهو تعريض بمن شغلتهم الغنائم
يومئذ وقد مر تفصيله **ومن يرد** اي بعمله **ثواب الآخرة نؤته منها** اي من ثوابها ما نشاء من الاضعاف حسبما جرى به
الوعد الكريم **وسنجزي الشاكرين** نعمة الاسلام الثابتين عليه الصادقين لما آتاهم الله تعالى من القوى والقدر الى ما
خلقت هي لاجله من طاعة الله عز وجل لا يلويهم عن ذلك صارف اصلا والمراد بهم اما المجاهدون المعهودون
من الشهداء وغيرهم واما جنس الشاكرين وهم داخلون فيه دخولا اوليا والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله
ووعد بالمزيد عليه وفي تصديرها بالسين وابهام الجزاء من التاكيد والدلالة على فخامة شان الجزاء وكونه بحيث
يقصر عنه البيان ما لا يخفى **وقرئ** الافعال الثلثة بالياء **وكاين** كلام مبتدأ ناع عليهم تقصيرهم وسوء صنيعهم
في صدودهم عن سنن الربانيين المجاهدين في سبيل الله مع الرسل الخالية عليهم السلام وكاين لفظة مركبة من كاف
التشبيه واي حدث فيها بعد التركيب معنى التكثير كما حدث في كذا وكذا والنون تنوين اثبت في الخط على غير قياس
وفيها خمس لغات هي احداهن والثانية كائن مثل كاعن والثالثة كاين مثل كعين والرابعة كيان بياء ساكنة بعدها
همزة مكسورة وهي قلب ما قبلها والخامسة كان مثل كعن وقد قرئ بكل منها ومحلها الرفع بالابتداء وقوله تعالى
من نبي تمييز لها لانها مثل كم الخبرية وقد جاء تمييزها منصوبا كما في قوله اطرد الياس بالرجاء فكاين آلما حم يسره
بعد عسر وقوله تعالى **قاتل معه ربيون كثير** خبرها على ان الفعل مسند الى الظاهر والرابط هو الضمير المجرور في
معه **وقرئ** قتل على صيغة المبني للمفعول مخففة ومشددة والربي منسوب الى الرب كالرباني وكسر الراء
من تغييرات النسب **وقرئ** بضمها وبفتحها ايضا على الاصل **وقيل** منسوب الى الربة وهي الجماعة اي كثير
من الانبياء قاتل معه لاعلاء كلمة الله واعزاز دينه علماء اتقياء او عابدون او جماعات كثيرة فالظرف متعلق بقاتل
او بمحذوف وقع حالا من فاعله كما في القراءتين الاخيرتين تعين اذ الاحتمال فيهما لتعلقه بالفعل اي قتلوا او قتلوا كائنين
معه في القتال لا في القتل قال سعيد بن جبير رضي الله عنه ما سمعنا بنبي قتل في القتال وقال الحسن البصري
وجماعة من العظماء لم يقتل نبي في حرب قط وقيل الفعل مسند الى ضمير النبي عليه الصلاة والسلام والظرف

متعلق

متعلق بمحذوف وقع حالا منه والرابط هو الضمير المجرور الراجع اليه وهذا واضح على القراءة المشهورة بلا خلاف اي كم
من نبي قاتل كائنا معه في القتال ربيون كثير اما على القراءتين الاخيرتين فغير ظاهر لا سيما على قراءة التشديد وقد جوز
بعضهم وابن بان مدار التوبيخ انخذالهم للارجاف بقتله صلى الله عليه وسلم اي كم من نبي قتل كائنا معه في القتل او في
القتال ربيون الى آخره وقوله تعالى **فما وهنوا** عطف على قاتل على ان المراد به عدم الوهن المتوقع من القتال كما في قولك
وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر فان الاتيان بالشيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا
عليه بحسب الظاهر لكنه بحسب الحقيقة صنع جديد مصحح لدخول الفاء المرتبة له على ما قبله اي فما فتروا وما
انكسرت همتهم لما اصابهم في اثناء القتال وهو علة للمنفي دون النفي فهم يشعر بعليته قوله تعالى **في سبيل الله**
فان ذلك في سبيله عز وجل مما يقوي قلوبهم ويزيل وهنهم وما موصولة او موصوفة فان جعل الضميران
كون
لجميع الربيين فهي عبارة عما عدا القتل من الجراح وسائر المكاره المعترية للكل وان جعلا للبعض الباقين بعد
ما قتل الآخرون كما هو الانسب بمقام التوبيخ المنخزلين بعد ما استشهد الشهداء فهي عبارة عما ذكر مع ما
اعتراهم من قتل اخوانهم من الخوف والحزن وغير ذلك هذا على القراءة المشهورة واما على القراءتين الاخيرتين
فان اسند الفعل الى الربيين فالضميران للباقين منهم حتما وان اسند الى ضمير النبي عليه كما هو الانسب بالتوبيخ
على الانخزال بسبب الارجاف بقتله صلى الله عليه وسلم فهما للباقين ايضا ان اعتبر كون الربيين مع النبي صلى الله
عليه وسلم في القتل وللجميع ان اعتبر كونهم معه في القتال **وما ضعفوا** عن العدو **وقيل** عن الجهاد وقيل في الدين
وما استكانوا اي وما خضعوا للعدو واصله استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريد والالف
من اشباع الفتحة او استكون من الكون لانه يطلب ان يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم من الوهن والانكسار
عند استيلاء الكفرة عليهم والارجاف بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين
واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بابن ابي المنافق في طلب الامان من ابي سفيان **والله يحب الصابرين** اي على
مقاحمة الشدائد ومعاناة المكاره في سبيل الله فينصرهم ويعظم قدرهم والمراد بالصابرين اما المعهودون والاظهار
في موضع الاضمار للثناء عليهم بحسن الصبر والاشعار بعلة الحكم واما الجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا والجملة
تذييل لما قبلها **وما كان قولهم** كلام مبين لمحاسنهم القولية معطوف على ما قبله من الجمل المبينة لمحاسنهم الفعلية وقولهم
بالنصب خبر لكان واسمها ان وما بعدها في قوله تعالى **الا ان قالوا** والاستثناء مفرغ من اعم الاشياء اي ما كان
قولهم عند لقاء العدو واقتحام مضايق الحرب واصابة ما اصابهم من فنون الشدائد والاهوال شيئا من الاشياء
الا ان قالوا **ربنا اغفر لنا ذنوبنا** اي صغائرنا **واسرافنا في امرنا** اي تجاوزنا الحد في ركوب الكبائر اضافوا الذنوب
والاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين براء من التفريط في جنب الله تعالى هضما واستقصارا لهممهم واسنادا
لما اصابهم الى اعمالهم وقدموا الدعاء بمغفرتها على ما هو الاهم بحسب الحال من الدعاء بقولهم **وثبت اقدامنا** اي
في مواطن الحرب بالتقوية والتاييد من عندك او ثبتنا على دينك الحق **وانصرنا على القوم الكافرين** تقريبا له الى
حيز القبول فان الدعاء المعروف بالخضوع الصادر عن زكاء وطهارة اقرب الى الاستجابة والمعنى لم يزالوا مواظبين
على هذا الدعاء من غير ان يصدر عنهم قول يوهم شائبة الجزع والخور والتزلزل ومراصد الدين وفيه من التعريض بالمنهزمين
ما لا يخفى وقرأ ابن كثير وعاصم في رواية عنهما برفع قولهم على انه الاسم والخبر ان وما في حيزها اي كان قولهم حينئذ
شيئا من الاشياء الا هذا القول المنبئ عن احاسن المحاسن وهذا كما ترى اقعد بحسب المعنى واوفق بمقتضى المقام
لما ان الاخبار بكون قولهم المطلق خصوصية قولهم المحكي عنهم مفصلا كما تفيده قراءتهما اكثر افادة للسامع من الاخبار
بكون خصوصية قولهم المذكور قولهم لما ان مصب الفائدة وموقع البيان في الجمل الخبرية هو الخبر فالاحق بالخبرية
ما هو اكثر افادة واظهر دلالة على الحدث واوفر اشتمالا على نسب خاصة بعيدة من الوقوع في الخارج وفي
ذهن السامع ولا يخفى ان ذلك ههنا في ان مع ما في حيزها اتم واكمل واما ما تفيده الاضافة من النسبة المطلقة

الاجمالية فحيث كانت سهلة الحصول خارجا وذهنا كان حقها ان تلاحظه ملاحظة اجمالية وتجعل عنوانا للموضع
لامقصودا بالذات في باب البيان وانما اختار الجمهور ما اختاروه ولا لقاعدة صناعية هي انه اذا اجتمع معرفتان فالاعرف
منهما احق بالاسمية ولا ريب في اعرفية ان فالوا لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث ولانه يشبه المضمر من حيث
انه لا يوصف ولا يوصف به وقولهم مضافا الى مضمر فهو بمنزلة العلم فتامل **فَآتَاهُمُ اللّٰهُ** بسبب دعائهم ذلك **ثَوَابَ
الدُّنْيَا** اي النصر والغنيمة والعز والذكر الجميل **وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ** الحسن وهو الجنة والنعيم المخلد وتخصيص وصف
الحسن به للايذان بفضله وزينته وانه المعتد به عنده تعالى **وَاللّٰهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** تذييل مقرر لمضمون جملة ما قبله
فان محبة الله تعالى عبارة عن رضاه عنه واراده الخيرية فهي مبدا لكل سعادة واللام اما للعهد وانما وضع المظهر موضع
ضمير المعهودين للاشعار بان ما حكي عنهم من الافعال والاقوال من باب الاحسان واما للجنس وهم داخلون فيه دخولا
اوليا وهذا انسب بمقام ترغيب المؤمنين في تحصيل ما حكي عنهم من المناقب الجليلة **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** شروع في زجرهم
من متابعة الكفار ببيان استتباعها لخسران الدنيا والآخرة اثر ترغيبهم في الاقتداء بانصار الانبياء عليهم الصلوة والسلام
ببيان افضائه الى فوزهم بسعادة الدارين وتصدير الخطاب بالنداء والتنبيه لاظهار الاعتناء بما في حيزه ووصفهم بالايمان
لتذكير حالهم وتثبيتهم عليها باظهار مباينتها لحال اعدائهم كما ان وصف المنافقين بالكفر في قوله تعالى **إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا**
لذلك قصدا الى مزيد التنفير عنهم والتحذير عن طاعتهم قال علي رضي الله عنه نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة
ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم فوقوع قوله تعالى **يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ** جوابا للشرط مع كونه في قوله تعالى ان يقال ان
تطيعوهم في قولهم ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم يدخلوكم في دينهم باعتبار كونه تمهيدا لقوله تعالى **فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ**
اي للدنيا والآخرة غير فائزين بشيء منهما واقعين في العذاب الخالد على ان الارتداد على العقب علم في انعكاس الامر وفي مثل
الحور بعد الكور **وقيل** المراد بهم اليهود والنصارى حيث كانوا يستغوون ويوقعون لهم الشبه في الدين ويقولون لو
كان نبيا حقا لما غلب ولما اصابه واصحابه ما اصابهم وانما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما له ويوما عليه وقيل ابو
سفيان واصحابه والمراد بطاعتهم استيمانهم والاستكانة لهم **وقيل** الموصول على عمومه والمعنى نهي المؤمنين عن
طاعتهم في امر من الامور حتى لا يستجروهم الى الارتداد عن الدين فلا حاجة على هذه التقادير الى ما مر من البيان **بَلِ اللّٰهُ مَوْلَاكُمْ**
اضراب عما تفهم من مضمون الشرطية كانه قيل فليسوا انصارا لكم حتى تطيعوهم بل الله ناصركم لا غيره فاطيعوه واستعينوا به
عن موالاتهم **وقرئ** بالنصب كانه قيل فلا تطيعوهم بل اطيعوا الله مولاكم نصب على انه صفة له **وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ**
فخصوه بالاستعانة **سَنُلْقِي** بنون العظمة على طريقة الالتفات جريا على سنن الكبرياء لتربية المهابة **وقرئ** بالياء
والسين لتاكيد الالقاء **فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ** بسكون العين **وقرئ** بضمها على الاصل وهو ما قذف في قلوبهم من
الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ولهم القوة والغلبة **وقيل** ذهبوا الى مكة فلما كانوا ببعض
الطريق قالوا ما صنعنا شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستاصلوهم فعند ذلك القى الله تعالى في قلوبهم
الرعب فامسكوا فلا بد من كون نزول الآية في تضاعيف الحرب او عقيب انقضائه **وقيل** هو ما القي في قلوبهم من
الرعب يوم الاحزاب **بِمَا أَشْرَكُوا بِاللّٰهِ** متعلق بنلقي دون الرعب وما مصدرية اي بسبب اشراكهم به تعالى فانه
من موجبات خذلانهم ونصر المؤمنين عليهم وكلاهما من دواعي الرعب **مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ** اي باشراكهم **سُلْطَانًا** اي
حجة سميت به لوضوحها وانارتها ولقوتها او لحدتها ونفوذها وذكر عدم تنزيلها مع استحالة تحققها
في نفسها من قبيل قوله ولا ترى الضب بها ينجحر اي لا ضب ولا انجحار وفيه ايذان بان المتبع في الباب هو البرهان
السماوي دون الآراء والاهواء الباطلة **وَمَأْوَاهُمُ** بيان لاحوالهم في الآخرة اثر بيان احوالهم في الدنيا وهي الرعب
اي يأوون اليه في الآخرة **النَّارُ** لا ملجأ لهم غيرها **وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ** اي مثواهم وانما وضع موضعه المظهر
المذكور للتغليظ والتعليل والاشعار بانهم في اشراكهم ظالمون واضعون للشيء في غير موضعه والمخصوص بالذم
محذوف اي بئس مثوى الظالمين النار في جعلها مثواهم بعد جعلها مأواهم نوع رمز الى خلودهم فيها فان المثوى

مكان

مكان الاقامة المنبئة على المكث واما المأوى فهو المكان الذي يأوي اليه الانسان **وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّٰهُ وَعْدَهُ**
نصب على انه مفعول ثان لصدق صريحا **وقيل** بنزع الجار اي في وعده نزلت حين قال ناس من المؤمنين عند رجوعهم
الى المدينة من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله تعالى بالنصر وهو ما وعدهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من النصر حيث
قال للرماة لا تبرحوا من مكانكم فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وقد كان كذلك فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم
والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمين على آثارهم يقتلونهم قتلا ذريعا وذلك قوله تعالى **إِذْ تَحُسُّونَهُمْ** اي
تقتلونهم قتلا كثيرا فاشيا من حسه اذا ابطل حسه وهو ظرف لصدقكم وقوله تعالى **بِإِذْنِهِ** اي بتيسيره وتوفيقه
لتحقيق ان قتلهم بما وعدهم الله تعالى من النصر **وقيل** هو ما وعدهم بقوله تعالى ان تصبروا وتتقوا الآية وقد مر تحقيق
ان ذلك كان يوم بدر كيف لا والموعود بما ذكر امداده عز وجل بانزال الملائكة عليهم السلام وتقييد صدق وعده تعالى بوقت
قتلهم باذنه تعالى صريح في ان الموعود هو النصر المعنوي والتيسير لا الامداد بالملائكة **وقيل** ما هو ما عدل تعالى
بقوله تعالى سنلقي الى آخره وانت خبير بان القاء الرعب كان عند تركهم القتال ورجوعهم من غير سبب او بعد ذلك
في الطريق على اختلاف الروايتين واياما كان فلا سبيل الى كونه معنيا بقوله تعالى **حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ** اي جبنتم وضعف رأيكم
او ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف القلب **وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ** فقال بعض الرماة حين انهزم المشركون ولوا هاربين
والمسلمون على اعقابهم قتلا وضربا فتركوا رفقاءهم بعد هذا وقال اميرهم عبد الله بن جبير رضي الله عنه لا نخالف
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبت مكانه في نفر دون العشرة من اصحابه ونفر الباقون المنهب وذلك قوله
تعالى **وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ** اي من الظفر والغنيمة وانهزام العدو فلما رآه المشركون ذلك حملوا عليهم من قبل
الشعب وقتلوا امير الرماة ومن معه من اصحابه حسبما فصل في تفسير قوله تعالى فان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم
جواب اذا محذوف وهو منعكم نصره **وقيل** هو امتحنكم ويرده جعل الابتلاء غاية للصرف على منع الصبر **وقيل** هو
انقسمتم الى قسمين كما ينبئ عنه قوله تعالى **مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا** وهم الذين تركوا المركز واقبلوا على النهب **وَمِنْكُمْ مَنْ
يُرِيدُ الْآخِرَةَ** وهم الذين ثبتوا مكانهم حتى نالوا شرف الشهادة هذا على تقدير كون اذا شرطية وحتى ابتدائية
داخلة على الجملة الشرطية **وقيل** اذا اسم كما في قولهم اذا يقوم زيد اذا يقوم عمرو وحتى حرف جر بمعنى الى متعلقة بقوله
تعالى صدقكم باعتبار تضمنه لمعنى النصر كانه قيل لقد نصركم الله الى وقت فشلكم وتنازعكم الى آخره على هذا قوله تعالى
ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ عطف على ذلك وعلى الاول عطف على الجواب المحذوف كما اشير اليه والجملتان الظرفيتان اعتراض
بين المتعاطفين اي كفكم حتى حالت الحال ودالت الدولة وفيه من اللطف بالمسلمين ما لا يخفى **لِيَبْتَلِيَكُمْ** اي يعاملكم
معاملة من يمتحنكم بالمصائب ليظهر ثباتكم على الايمان عندها **وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ** تفضلا ولما علم من ندمكم على المخالفة
وَاللّٰهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ تذييل مقرر لمضمون ما قبله ومؤذن بان ذلك بالعفو بطريق التفضيل والاحسان
لا بطريق الوجوب عليه اي شانه ان يتفضل عليهم بالعفو وهو متفضل عليهم في جميع الاحوال اذ بل عليهم اذ الابتلاء
ايضا رحمة والتنكير للتفخيم والمراد بالمؤمنين المخاطبون والاظهار في موقع الاضمار للتشريف والاشعار بعلة الحكم واما
الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا **إِذْ تُصْعِدُونَ** متعلق بصرفكم او بقوله تعالى ليبتليكم او بمقدر كاذكروا
والاصعاد الذهاب والابعاد في الارض **وقرئ** تصعدون من الثلاثي او في الجبل **وقرئ** تصعدون من التفعل
بطرح احدى التائين **وقرئ** يصعدون بالالتفات الى الغيبة **وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ** اي لا تلتفتون الى ما وراءكم
ولا يقف واحد منكم لواحد **وقرئ** تلون بواو واحدة بقلب الواو المضمومة همزة وحذفها تخفيفا **وقرئ**
يلوون كيصعدون **وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ** كان صلى الله عليه وسلم يدعوهم الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة
وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة للايذان بان دعوته عليه السلام كانت بطريق الرسالة من جهته سبحانه
وتعالى اشباعا في توبيخ المنهزمين **فِي أُخْرَاكُمْ** في ساقتكم وجماعتكم الاخرى **فَأَثَابَكُمْ** عطف على صرفكم اي
فجازاكم الله تعالى بما صنعتم **غَمًّا** موصولا **بِغَمٍّ** من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل

وفي رواية اخرى لا تبرحوا
عن هذا المكان فانا لا نزال
غالبين ما دمتم في هذا المكان

الرسول صلى الله عليه وسلم وفوت الغنيمة فالتنكير للتكثير او غمًّا بمقابلة غم اذ غممتم رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعصيانكم له لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ اي لتتمرنوا على الصبر في الشدائد فلا تحزنوا على نفع
فات او ضر آت وقيل لا زائدة والمعنى لتاسفوا على ما فاتكم من الجراح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير
في اثابكم للرسول عليه الصلاة والسلام اي واساكم في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل به ولم يثربكم
على عصيانكم تسلية لكم وتنفيسا عنكم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر وما اصابكم من الجراح وغير ذلك وَاللَّهُ خَبِيرٌ
بِمَا تَعْمَلُونَ اي باعمالكم وبما قصدتم بها ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ عطف على قوله تعالى فاثابكم والخطاب للمومنين حقا مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ
اي الغم المذكور والتصريح بتاخر الانزال عنه مع دلالة ثم عليه وعلى تراخيه عنه لزيادة البيان وتذكير عظم النعمة
كما في قوله تعالى ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا الاية أَمَنَةً اي امنا نصب على المفعولية وقوله تعالى نُعَاسًا بدل
منها او عطف بيان او هو المفعول وامنة حال منه مقدمة عليه او مفعوله او حال من المخاطبين على تقدير
مضاف اي ذوي امنة او على انه جمع امن كبار وبررة وقرئ بسكون الميم كانها مرة من الامن وتقديم الظرفين
على المفعول الصريح لما مر غير مرة من الاعتناء بشان المقدم والتشويق الى المؤخر وتخصيص الخوف من بين فنون الغم
بالازالة لانه المهم عندهم حينئذ لما ان المشركين لما انصرفوا كانوا يتوعدون المسلمين بالرجوع فلم يامنوا كرتهم
وكانوا تحت الحجف متاهبين للقتال فانزل الله تعالى عليهم الامنة فاخذهم النعاس قال ابن عباس رضي الله
عنهما امنهم يومئذ بنعاس غشاهم بعد خوف وانما ينعس من امن والخائف لا ينام وقال الزبير رضي الله عنه
كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم حين اشتد الخوف فانزل الله علينا النوم والله اني لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس
يغشاني ما اسمعه الا كالحلم يقول لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا وقال ابو طلحة رحمه الله رفعت راسي يوم
احد فجعلت لا ارى احدا من القوم الا وهو يميد تحت حجفته من النعاس قال وكنت ممن القي عليه النعاس يومئذ فكان
السيف يسقط من يدي فآخذه ثم يسقط السوط من يدي فآخذه وفيه دلالة على ان من المؤمنين من لم يلق عليه النعاس
كما ينبئ عنه قوله عز وجل يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وقال ابن عباس رضي الله عنهما هم المهاجرون وعامة الانصار ولا يقدح ذلك
في عموم الانزال للكل والجملة في محل النصب على انها صفة لنعاسا وقرئ بالتاء على انها صفة لامنة وفيه ان الصفة حقها
ان تتقدم على البدل وعطف البيان وان لا يفصل بينهما وبين الموصوف بالمفعول له وان المعهود ان يحدث عن البدل دون
المبدل منه وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ اي اوقعتهم في الهموم والاحزان او ما يهمهم الا هم انفسهم وقصد خلاصها من قولهم
اهمني الشيء اي كان من همي وقصدي والقصر مستفاد بمعونة المقام وطائفة مبتدا وما بعدها اما خبرها وانما جاز
ذلك مع كونها نكرة لاعتمادها على واو الحال كما في قوله • سرينا ونجم قد اضاء فمذ بدا • محياك اخفى ضوءه كل شارق •
او لوقوعها في موقع التفصيل كما في قوله • اذا ما بكى من خلفها انصرفت له • بشق وشق عندنا لم يحول • واما صفتها والخبر
محذوف اي ومعكم طائفة او وهناك طائفة تقديره ومنكم طائفة وفيه انه يقتضي دخول المنافقين في الخطاب
بانزال الامنة وايا ما كان فالجملة اما حالية مبينة لفظاعة الهول موكدة لعظم النعمة في الخلاص كما في قوله تعالى اولم
يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم واما مستانفة مسوقة لبيان حال المنافقين وقوله عز وجل يَظُنُّونَ بِاللَّهِ
حال من ضمير اهمتهم او من طائفة لتخصيصها بالصفة او صفة اخرى لها او خبر بعد خبر او استئناف مبين لما قبله وقوله
تعالى غَيْرَ الْحَقِّ • في حكم الخبر المصدر اي يظنون به تعالى غير الظن الحق الذي يجب ان يظن به سبحانه وقوله تعالى ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ
بدل منه وهو الظن المختص بالملة الجاهلية والاضافة كما في حاتم الجود ورجل صدق وقوله تعالى يَقُولُونَ بدل من يظنون
لما ان مسالتهم كانت صادرة عن الظن اي يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم على صورة الاسترشاد هَلْ لَنَا مِنَ
الْأَمْرِ اي من امر الله تعالى ووعده من النصر والظفر مِنْ شَيْءٍ اي من نصيب قط او هل لنا من التدبير من شيء وقوله
تعالى قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ اي الغلبة بالحجة لله تعالى ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون او ان التدبير كله لله تعالى
فانه تعالى قد دبر الامر كما جرى في سابق قضائه فلا مرد له وقرئ كله بالرفع على الابتداء وقوله تعالى يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ اي

يضمرون فيها او يقولون فيما بينهم بطريق الخفية مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ استئناف او حال من ضمير يقولون وقوله تعالى
قل ان الامر الى آخره اعتراض بين الحال وصاحبها اي يقولون ما يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون للنصر مبطنين الانكار
والتكذيب وقوله تعالى يَقُولُونَ استئناف وقع جوابا عن سؤال نشا مما قبله كانه قيل اي شيء يخفون فقيل يحدثون انفسهم
او يقولون بعضهم لبعض فيما بينهم خفية لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ كما وعد محمد صلى الله عليه وسلم من ان الغلبة لله تعالى ولاوليائه
وان الامر كله لله او لو كان لنا من التدبير والراي شيء مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا اي غلبنا او ما قتل من قتل منا في هذه المعركة على ان
النفي راجع الى نفس القتل لا الى وقوعه فيها فقط او لما برحنا من منازلنا كما رواه ابن ابي وبولغ تعيين مكان القتل وكذا
قوله تعالى قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ اي لو لم تخرجوا الى احد وقعدتم بالمدينة كما تقولون لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ اي في اللوح
المحفوظ بسبب من الاسباب الداعية الى البروز إِلَى مَضَاجِعِهِمْ اي الى مصارعهم التي قدر الله تعالى قتلهم فيها وقتلوا
هنالك البتة ولم تنفع العزيمة على الاقامة بالمدينة قطعا فان قضاء الله تعالى لا يرد وحكمه لا يعقب وفيه مبالغة
في رد مقالتهم الباطلة حيث لم يقتصر على تحقيق نفس القتل كما في قوله تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت بل عين مكانه ايضا ولا
ريب في تعيين زمانه ايضا لقوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون ويروى ان ملك الموت حضر مجلس
سليمان عليه السلام فنظر الى رجل من اهل المجلس نظرة هائلة فلما قام قال الرجل من هذا قال سليمان عليه السلام ملك الموت
قال ارسلني مع الريح الى عالم آخر فاني رايت منه مرأى هائلا فامرها عليه السلام فالقته في قطر سحيق من اقطار العالم فما
لبث ان عاد ملك الموت الى سليمان عليه السلام فقال كنت امرت بقبض روح ذلك الرجل في هذه الساعة في ارض كذا
فلما وجدته في مجلسك قلت متى يصل هذا اليها وقد ارسلته بالريح الى ذلك المكان فوجدته هناك فقضى امر الله في زمانه
ومكانه من غير اخلال بشيء من ذلك وقرئ كتب على البناء للفاعل ونصب القتل وقرئ كتب عليهم القتال وقرئ لبرز
بالتشديد على البناء للمفعول وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ اي ليعاملكم معاملة من يبتلي ما في صدوركم من الاخلاص والنفاق
ويظهر ما فيها من السرائر وهو علة لفعل مقدر قبلها معطوفة على علل لها اخرى مطوية للايذان بكثرتها كانه قيل
فعل ما فعل لمصالح جمة وليبتلي الخ وجعلها عللا لبرز ياباه الذوق السليم فان مقتضى المقام بيان حكمة ما وقع يومئذ
من الشدة والهول لا بيان حكمة البروز المفروض او لفعل مقدر بعدها اي وللابتلاء المذكور فعل ما فعل لا لعدم العناية
بامر المومنين ونحو ذلك وتقدير الفعل مقدما خال عن هذه المزية وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ من مخفيات الامور ويكشفها
او يخلصها من الوساوس وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ اي السرائر والضمائر الخفية التي لا تكاد تفارق الصدور بل تلازمها
وتصاحبها والجملة اما اعتراض للتنبيه على ان الله تعالى غني عن الابتلاء وانما يبرز صورة الابتلاء لتمرين المومنين
واظهار حال المنافقين او حال من متعلق الفعلين اي فعل للابتلاء والتمحيص والحال انه تعالى غني عنهما محيط بخفيات
الامور وفيه وعد ووعيد إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وهم الذين انهزموا يوم احد حسبما مرت حكايتهم ه
إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ اي انما كان بسبب انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا من الذنوب والمعاصي
التي هي مخالفة امر النبي صلى الله عليه وسلم وترك المركز والحرص على الغنيمة او الحيوة فحرموا التاييد وقوة القلب
وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك بذنوب تقدمت لهم فان المعاصي يجر بعضها الى بعض كالطاعة وقيل استزلهم
بذنوب سبقت منهم وكرهوا القتل قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ لتوبتهم واعتذارهم
إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ للذنوب رَحِيمٌ لا يعاجل بعقوبة المذنب ليتوب والجملة تعليل لما قبلها على سبيل التحقيق وفي
اظهار الجلالة تربية للمهابة وتاكيد للتعليل يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وهم المنافقون القائلون لو كان لنا من
الامر شيء ما قتلنا ههنا وانما ذكر في صدر الصلة كفرهم تصريحا بمباينة حالهم لحال المومنين وتنفيرا عن مماثلتهم
اثر ذي اثر وقوله تعالى وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ تعيين لوجه الشبه والمماثلة التي نهوا عنها اي قالوا لاجلهم وفي
حقهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم نسبا او مذهبا إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ اي سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها و
ايثار اذا المفيدة لمعنى الاستقبال على اذ المفيدة لمعنى المضي لحكاية الحال الماضية اذ المراد بها الزمان المستمر

المنتظم للحال الذي يدور امر استحضار الصورة قال الزجاج اذ ههنا تنوب عما مضى من الزمان وما يستقبل •
يعني انها لمجرد الوقت او يقصد بها الاستمرار وظرفيتها لقولهم انما هي باعتبار ما وقع فيها بل التحقيق انها ظرف
له لا لقولهم كانه قيل قالوا لاجل ما اصاب اخوانهم حين ضربوا الى آخره او كانوا اي اخوانهم غزا جمع غاز كعفى جمع
عاف قال • ومغبرة الآفاق خاشعة الصوى • لها قلب عفى الحياض اجون وقرى بتخفيف الزاء على حذف التاء من
غزاة وافراد كونهم غزاة بالذكر مع اندراجه تحت الضرب في الارض لانه المقصود بيانه في المقام وذكر الارض
توطية له وتقييد به لكثرة وقوعه على انه قد يوجد بدون الضرب في الارض اذ المراد به السفر البعيد وانما لم يقل
او غزوا للايذان باستمرار اتصافهم بعنوان كونهم غزاة او بانقضاء ذلك اي كانوا غزا فيما مضى وقوله تعالى لو كانوا
عندنا اي مقيمين ما ماتوا وما قتلوا مفعول لقالوا ودليل على ان هناك مضمرا قد حذف ثقة به اي اذا ضربوا في
الارض فماتوا او كانوا غزا فقتلوا وليس المقصود بالنهي عدم مماثلتهم في النطق بهذا القول بل في الاعتقاد بمضمونه
والحكم بموجبه كما انه المنكر على قائله الا يرى الى قوله عز وجل ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم فانه الذي جعل حسرة
فيها قطعا واليه اشير بذلك كما نقل عن الزجاج انه اشارة الى ظنهم انهم لو لم يحضروا القتال لم يقتلوا وتعلقه بقالوا
ليس باعتبار نطقهم بذلك القول بل باعتبار ما فيه من الحكم والاعتقاد واللام لام العاقبة كما في قوله تعالى ليكون
لهم عدوا وحزنا اي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم والمراد بالتعليل المذكور بيان عدم ترتب فائدة
ما على ذلك اصلا وقيل هو تعليل للنهي بمعنى لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول او اعتقاده ليجعل الله تعالى
حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم فذلك كما مر اشارة الى ما دل عليه قلوبهم من الاعتقاد ويجوز ان
يكون اشارة الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مضادتكم
لهم في القول والاعتقاد مما يغمهم ويغيظهم والله يحيي ويميت رد لقولهم الباطل اثر بيان غائلته اي هو المؤثر في
الحياة والممات وحده من غير ان يكون للاقامة والسفر مدخل في ذلك فانه تعالى قد يحيي المسافر والغازي مع اقتحامهما
موارد الموت ويميت المقيم والقاعد مع حيازتهما لاسباب السلامة والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم
وقرئ بالياء على انه وعيد للذين كفروا وما يعملون عام متناول لقولهم المذكور ومنشاه الذي هو اعتقادهم ولما ترتب
على ذلك من الاعمال ولذلك تعرض لعنوان البصر لا لعنوان السمع واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة
والقاء الروعة والمبالغة في التهديد والتشديد في الوعيد ولئن قتلتم في سبيل الله او متم شروع في تحقيق ان ما يحذرون
ترتبه على الغزو والسفر من القتل والموت في سبيل الله تعالى ليس مما ينبغي ان يحذر بل مما يجب ان يتنافس فيه المتنافسون
اثر ابطال ترتبه عليهما واللام هي الموطئة للقسم وما في قوله تعالى لمغفرة من الله ورحمة لام الابتداء والتنوين في الموضعين
للتعليل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة للمبتداء وقد حذفت صفة رحمة لدلالة المذكور عليها والجملة جواب للقسم
ساد مسد جواب الشرط والمعنى ان السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل اصلا ولئن وقع ذلك بامر الله تعالى
لنفحة يسيرة من مغفرة ورحمة كائنتين من الله تعالى بمقابلة ذلك خير مما يجمعون اي الكفرة من منافع الدنيا وطيباتها
مدة اعمارهم وعن ابن عباس رضي الله عنه خير من طلاع ذهبة حمراء وقرئ بالتاء اي مما تجمعون انتم لو لم تموتوا والاقتصار
على بيان خيريتهما من ذلك بلا تعرض للاخبار بحصولهما لهم للايذان بعدم الحاجة اليه بناء على استحالة التخييب منه تعالى
بعد الاطماع وقد قيل لابد من حذف آخر اي لمغفرة لكم من الله الى آخره وحينئذ ايضا يكون اخراج المقدر مخرج الصفة دون الخبر
لنحو ما ذكر من ادعاء الظهور والغنى عن الاخبار وتغيير الترتيب الواقع في قولهم ما ماتوا وما قتلوا المبني على كثرة الوقوع وقلته
للمبالغة في الترغيب في الاجتهاد ببيان زيادة مزية القتل في سبيل الله وانافته في استجلاب المغفرة والرحمة وفيه دلالة
واضحة على ما مر من ان المقصود بالنهي انما هو عدم مماثلتهم في الاعتقاد بمضمون القول المذكور والعمل بموجبه لا في النطق به
واضلال الناس به ولئن متم او قتلتم اي على اي وجه اتفق هلاككم حسب تعلق الارادة الالهية وقرئ متم بالكسر
الميم من مات يمت لا الى الله اي المعبود بالحق العظيم الشان الواسع الرحمة الجزيل الاحسان تحشرون لا الى غيره

فيوفي

فيوفي اجوركم ويجزل لكم عطاءكم والكلام في لا في الجملة كما مر في اختها فبما رحمة من الله لنت لهم تلوين للخطاب وتوجيه له
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والفاء لترتيب مضمون الكلام على ما ينبئ عنه السياق من استحقاقهم اللائمة و
التعنيف بموجب الجبلة البشرية او من سعة ساحة مغفرته تعالى ورحمته والباء متعلقة بلنت قدمت عليه للقصر
وما مزيدة للتوكيد او نكرة ورحمة بدل منها مبين لابهامها والتنوين للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لرحمة
اي فبرحمة عظيمة لهم كائنة من الله تعالى وهي ربطه على جاشه وتخصيصه بمكارم الاخلاق ولو كنت لين الجانب
لهم وعاملتهم بالرفق والتلطف بهم حيث اغتممت لهم بعد ما كان منهم ما كان من مخالفة امرك واسلامك
للعدو ولو لم تكن كذلك بل كنت فظا جافيا بالمعاشرة قولا وفعلا وقال الراغب • الفظ هو الكريه الخلق وقال
الواحدي هو الغليظ الجانب السيء الخلق غليظ القلب قاسيه وقال الكلبي فظا في القول غليظ القلب في الفعل لانفضوا
من حولك لتفرقوا من عندك ولم يسكنوا اليك وترددوا في مهاوي الردى والفاء في قوله عز وجل فاعف عنهم لترتيب
العفو والامر به على ما قبله اي اذا كان الامر كما ذكر فاعف عنهم فيما يتعلق بحقوقك كما عفا الله عنهم واستغفر لهم فيما
يتعلق بحقوقه تعالى اتماما للشفقة عليهم او كمالا للبر بهم وشاورهم في الامر اي في امر الحرب اذ هو المعهود او فيه
وفي امثاله مما يجري فيه المشاورة عادة استظهارا بارائهم وتطييبا لقلوبهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة
وقرئ وشاورهم في بعض الامر فاذا عزمت اي عقيب المشاورة على شيء واطمأنت به نفسك فتوكل على الله
في امضاء امرك على ما هو ارشد لك واصلح فان علمه مختص به تعالى وقرئ فاذا عزمت على صيغة التكلم اي عزمت
لك على شيء وارشدتك اليه فتوكل على الله ولا تشاور بعد ذلك احدا والالتفات لتربية المهابة وتعليل
التوكل والامر به فان عنوان الالوهية الجامعة لجميع صفات الكمال مستدع للتوكل عليه تعالى والامر به ان الله
يحب المتوكلين عليه تعالى فينصرهم ويرشدهم الى ما فيه خيرهم وصلاحهم والجملة تعليل للتوكل عليه تعالى وقوله تعالى
ان ينصركم الله فلا غالب لكم جملة مستانفة سيقت بطريق تلوين الخطاب تشريفا للمؤمنين لايجاب توكلهم عليه
تعالى وحثهم على الالتجاء اليه وتحذيرهم عما يفضي الى خذلانه اي ان ينصركم كما نصركم يوم بدر فلا احد يغلبكم
على طريق نفي الجنس المنتظم لنفي جميع افراد الغالب ذاتا وصفة ولو قيل فلا يغلبكم احد لدل على نفي الصفة فقط
ثم المفهوم من ظاهر النظم الكريم وان كان نفي مغلوبيتهم من غير تعرض لنفي المساواة ايضا وهو الذي يقتضيه
المقام لكن المفهوم منه فهما قطعيا هو نفي المساواة واثبات الغالبية للمخاطبين فاذا قلت لا اكرم من فلان
ولا افضل منه فالمفهوم منه حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وهذا امر مطرد في جميع اللغات ولا
اختصاص له بالتصريح بل هو مطرد فيما ورد على طريق الاستفهام الانكاري كما في قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله
كذبا في مواقع كثيرة من التنزيل ومما هو نص قاطع فيما ذكرنا ما وقع في سورة هود حيث قيل بعد ما في حقهم لا
جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون فان كونهم اخسر من كل خاسر يستدعي قطعا كونهم اظلم من كل ظالم وان يخذلكم
كما فعله يوم احد وقرئ يخذلكم من اخذله اذا جعله مخذولا فمن ذا الذي ينصركم استفهام انكاري مفيد
لانتفاء الناصر ذاتا وصفة بطريق المبالغة من بعده اي من بعد خذلانه تعالى على معنى اذا جاوزتموه وعلى الله
فليتوكل المؤمنون تقديم الجار والمجرور على الفعل لافادة قصره عليه تعالى والفاء لترتيبه او ترتيب الامر به على ما
مر من غلبة المخاطبين على تقدير نصرته تعالى لهم ومغلوبيتهم على تقدير خذلانه تعالى اياهم فان العلم بذلك
مما يقتضي قصر التوكل عليه تعالى لا محالة والمراد بالمؤمنين اما الجنس والمخاطبون داخلون فيه دخولا اوليا
واما هم خاصة بطريق الالتفات وايا ما كان ففيه تشريف لهم بعنوان الايمان اشتراكا واستقلالا وتعليل
لحتم التوكل عليه تعالى فان وصف الايمان مما يوجبه قطعا وما كان لنبي اي وما صح لنبي من الانبياء عليهم
الصلاة والسلام والاستفهام له ان يغل اي يخون في المغنم فان النبوة تنافيه منافاة بينة يقال غل شيئا
من المغنم يغل غلولا او اغل اغلالا اذا اخذ خفية والمراد اما تنزيه ساحة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما ظن به

وسلم

الرماة يوم احد حين تركوا المركز وافاضوا في الغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ
شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم كما لم يقسمها يوم بدر فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم الم اعهد اليكم يا بني آدم
ان لا تتركوا المركز حتى ياتيكم امري فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال صلى الله عليه وسلم بل ظننتم انا نغل ولا نقسم بينكم
واما المبالغة في النهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما روي انه بعث طلايع فغنم النبي صلى الله عليه وسلم بعدهم غنايم
فقسمها بين الحاضر ولم يترك للطلايع شيئا فنزلت والمعنى ما كان لنبي ان يعطي قوما من العسكر ويمنع اخرون بل عليه ان
يقسم بين الكل بالسوية وعبر عن حرمان بعض الغزاة بالغلول تغليظا وانما قيل من المراد تنزيهه عليه الصلاة والسلام عما
تفوه به بعض المنافقين اذ روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم اخذها فبعيد جدا وقرئ على البناء للمفعول والمعنى ما كان له ان يوجد غالا ان ينسب الى الغلول ومن يغلل
يأت بما غل يوم القيمة يأت بالذي غله بعينه يحمله على عنقه كما ورد في الحديث الشريف وروي انه صلى الله عليه وسلم قال
الا لا اعرفن احدكم ياتي ببعير له رغاء وبقرة لها خوار وشاة لها ثغاء فينادي يا محمد يا محمد فاقول لا املك من الله
شيئا فقد بلغتك او يات بما احتمل من اثمه ووباله ثم توفى كل نفس ما كسبت اي تعطى وافيا جزاء ما كسبت خيرا او شرا
او يسيرا وضع المكسوب موضع جزائه تحقيقا للعدل ببيان ما بينهما من تمام التناسب كما وكيفا كانهما شيء واحد
وفي اسناد التوفية الى كل كاسب وتعليقها بكل مكسوب مع ان المقصود بيان حال الغال عند اتيانه بما غله يوم
القيمة من الدلالة على فخامة شان اليوم وهول مطلعه والمبالغة في بيان فظاعة حال الغال ما لا يخفى فانه حين وفي
كل كاسب جزاء بما كسبه ولم ينقص منه شيء وان كان جرمه في غاية القلة والحقارة فلان لا ينقص من جزاء الغال شيء
وجرمه من اعظم الجرائم اظهر واجلى وهم اي كل الناس المدلول عليهم بكل نفس لا يظلمون بزيادة عقاب او بنقص ثواب
افمن اتبع رضوان الله اي سعى في تحصيله وانتحى نحوه حيثما كان بفعل الطاعات وترك المنكرات كالنبي ومن يسير بسيرته
كمن باء اي رجع بسخط عظيم لا يقادر قدره كائن من الله تعالى بسبب معاصيه كالغال ومن يدين بدينه والمراد التاكيد
نفي الغلول من النبي صلى الله عليه وسلم وتقريره بتحقيق المباينة الكلية بينه وبين الغال حيث وصف كل منهما بنقيض ما
وصف به الاخر فقوله بل رضوانه تعالى بسخطه والاتباع بالبوء والجمع بين الهمزة والفاء لتوجيه الانكار الى ترتب توهم
المماثلة بينهما والحكم بها على ما ذكر من حال الغال كانه قيل ابعد ظهور حاله لكون من ترقى الى اعلى عليين كمن تردى
الى اسفل سافلين واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لادخال الروعة وتربية المهابة ومأويه جهنم كلام مستانف
مسوق لبيان مآل امر من باء بسخطه تعالى واما معطوف على قوله تعالى كمن باء بسخط عطف الجملة الاسمية على الفعلية
وايا ما كان فلا محل له من الاعراب وبئس المصير اعتراض تذييلي والمخصوص بالذم محذوف اي وبئس المصير جهنم
والفرق بينه وبين المرجع ان الاول يعتبر فيه الرجوع على خلاف الحالة الاولى بخلاف الثاني هم راجع الى الموصولين
باعتبار المعنى درجات عند الله اي طبقات متفاوتة في علمه وحكمه شبهوا في تفاوت الاحوال وتباينها بالدرجات
مبالغة وايذانا بان بينهم تفاوتا ذاتيا كالدرجات او ذوو درجات والله بصير بما يعملون من الاعمال ودرجاتها فيجازيهم
بحسبها لقد من الله جواب قسم محذوف اي والله لقد من الله اي انعم على المومنين اي من قومه عليه الصلوة والسلام
اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم اي من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفقهوا كلامه بسهولة ويكونون واقفين على حاله
في الصدق والامانة مفتخرين به وفي ذلك شرف لهم عظيم قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقرئ من انفسهم
اي اشرفهم فانه عليه السلام كان من اشرف قبايل العرب وبطونها وقرئ لمن من الله على المومنين اذ بعث الى اخره
على انه خبر لمبتدا محذوف اي منه اذ بعث الى اخره او على ان اذ في محل الرفع على الابتداء بمعنى لمن من الله على المومنين
وقت بعثه وتخصيصهم بالامتنان مع عموم نعمة البعثة للاسود والاحمر لما من مزيد انتفاعهم بها وقوله تعالى
من انفسهم متعلق بمحذوف وقع صفة لرسولا اي كائنا من انفسهم وقوله تعالى يتلوا عليهم اياته صفة اخرى اي يتلوا
عليهم القران بعد ما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي ويزكيهم عطف على يتلوا اي يطهرهم من

دنس الطبايع وسوء العقايد واوضار الاوزار ويعلمهم الكتاب والحكمة اي القران والسنة وهو صفة اخرى لرسولا مترتبة
في الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها المتفرع
على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للايذان بان كل واحد من الامور المترتبة نعمة
جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعي ترتيب الوجود كما في قوله تعالى ربنا وابعث فيهم رسولا يتلوا عليهم
اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم لتبادر الى الفهم عد الجميع نعمة على حدة ولا يقدح في ذلك شمول الحكمة
لما في مطاوي الاحاديث الكريمة من الشرايع كما سلف في سورة البقرة وان كانوا من قبل اي من قبل بعثته عليه الصلاة
والسلام وتزكيته وتعليمه لفي ضلال مبين اي بين لا ريب في كونه ضلالا وان هي المخففة من ان المثقلة وضمير الشان
محذوف واللام فارقة بينها وبين النافية والظرف الاول لغو متعلق بكان والثاني خبرها وهي مع خبرها خبر لان المخففة
التي حذف اسمها اعني ضمير الشان وقيل هي نافية واللام بمعنى الا اي وما كانوا من قبل الا في ضلال مبين وايا ما كان
فالجملة اما حال من الضمير المنصوب في يعلمهم او مستانفة وعلى التقديرين فهي مبينة لكمال النعمة وتمامها اولما
اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا كلام مبتدا مسوق لابطال بعض ما صدر عنهم من الظنون الفاسدة و
الاقاويل الباطلة الناشئة منها اثر ابطال بعض اخر منها والهمزة للتقريع والتقرير والواو عاطفة لمدخولها
على محذوف قبلها ولما ظرف لقلتم مضاف الى ما بعده وقد اصبتم في محل الرفع على انه صفة لمصيبة والمراد بها ما اصابهم
يوم احد من قتل سبعين منهم وبمثليها ما اصاب المشركين يوم بدر من قتل سبعين منهم واسر سبعين وانى هذا مقول
قلتم وتوسيط الظرف وما يتعلق به بينه وبين الهمزة مع انه المقصود انكاره والمعطوف بالواو وحقيقة لتاكيد التنكير
وتشديد التقريع فان فعل القبيح في غير وقته اقبح والانكار على فاعله ادخل والمعنى احين اصابكم من المشركين نصف ما
قد اصابهم منكم قبل ذلك جزعتم وقلتم من اين اصابنا هذا وقد تقدم الوعد بالنصر على توجيه الانكار والتقريع الى صدور
ذلك القول عنهم في ذلك الوقت خاصة بناء على كونه مظنة له داعيا الى عدمه فان كون مصيبة عدوهم ضعف مصيبتهم
مما يهون الخطب ويورث السلوة او افعلتم ما فعلتم ولما اصابتكم غائلته قلتم انى هذا على توجيه الانكار الى استبعادهم
الحادثة مع مباشرتهم لسببها وتذكير اسم الاشارة في انى هذا مع كونه اشارة الى المصيبة ليس لكونها عبارة عن القتل ونحوه
بل لما ان اشارتهم ليست الا الى ما شاهدوه في المعركة من حيث هو من غير ان يخطر ببالهم تسمية باسم ما فضلا عن تسمية
باسم المصيبة وانما هي عند الحكاية وقوله عز وجل قل هو من عند انفسكم امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يجيب
عن سوالهم الفاسد اثر تحقيق فساده بالانكار والتقريع وتبكيتهم ببيان ما نالهم انما نالهم من جهتهم تركهم المركز وحرصهم
على الغنيمة وقيل باختيارهم الخروج من المدينة وياباه ان الوعد بالنصر كان بعد ذلك كما ذكر عند قوله تعالى ولقد
صدقكم الله وعده الاية وان عمل النبي صلى الله عليه وسلم بموجبه قد دفع الخطر عنه وخفف جنايتهم فيه على اختيار
الخروج والاصرار عليه كان ممن اكرمهم الله بالشهادة يومئذ واين هم من التفوه بمثل هذه الكلمة وقيل باخذهم
الفداء يوم بدر قبل ان يوذن لهم والاول هو الاظهر الاقوى وربما يعضده توسيط الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم
بين الخطابين المتوجهين الى المومنين وتفويض التبكيت اليه عليه السلام فان التوبيخ للفاعل على الفعل اذا كان ممن نهاه
عنه كان اشد تاثيرا ان الله على كل شيء قدير ومن جملته النصر عند الطاعة والخذلان عند المخالفة وحيث خرجتم عن
الطاعة اصابكم منه تعالى ما اصابكم والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها داخل تحت الامر وما اصابكم رجوع الى
خطاب المومنين اثر خطابه عليه السلام لسر يقتضيه وارشادهم الى حقيقة الحق فيما سالوا عنه وبيان لبعض
ما فيه من الحكم والمصالح ودفع لما عسى يتوهم من قوله تعالى هو من عند انفسكم من استقلالهم في وقوع الحادثة والعدول
عن الاضمار الى ما ذكر للتهويل وزيادة التقرير ببيان وقته بقوله تعالى يوم التقى الجمعان اي جمعكم وجمع المشركين
فباذن الله اي فهو كاين بقضائه وتخليته الكفار وسمي ذلك اذنا لكونها من لوازمه وليعلم المومنين عطف على قوله
تعالى فباذن الله عطف السبب على المسبب والمراد بالعلم التمييز والاظهار فيما بين الناس وليعلم الذين نافقوا

عطف على ما قبله من مثله واعادة الفعل لتشريف المؤمنين وتنزيههم عن الانتظام في قرن المنافقين وللايذان باختلاف حال العلم بحسب التعلق بالفريقين فانه متعلق بالمؤمنين على نهج تعلقه السابق وبالمنافقين على وجه جديد وهو السر في ايراد الاول بصيغة اسم الفاعل المنبئة عن الاستمرار والاخرين بموصول صلته فعل دال على الحدوث والمعنى وما اصابكم يومئذ فهو كائن ليميز الثابتين على الايمان والذين اظهروا النفاق **وَقِيلَ لَهُمْ** عطف على نافقوا داخل معه في حيز الصلة او كلام مبتداء قال ابن عباس رضي الله عنهما هم عبد الله بن ابي واصحابه حيث انصرفوا يوم احد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم عبد الله ابن عمرو بن حرام اذكركم الله ان تخذلوا الكم نبيكم وقومكم ودعاهم الى القتال وذلك قوله تعالى **تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا** قال السدي ادفعوا عنا العدو بتكثير سوادنا ان لم تقاتلوا معنا وقيل وادفعوا عن اهلكم وبلدكم وحريمكم ان لم تقاتلوا في سبيل الله تعالى وترك العطف بين تعالوا وقاتلوا لما ان المقصود بهما واحد وهو الثاني وذكر الاول توطية له وترغيب فيه لما فيه من الدلالة على التظاهر والتعاون قالوا استيناف وقع جوابا عن سوال ينسحب عليه الكلام كانه قيل فماذا صنعوا حين خيروا بين الخصلتين المذكورتين فقالوا **قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ** اي لو نحن نعلم قتالا ونقدر عليه وانما قالوا دخلا واستهزاء وانما عبر عن نفي القدرة على القتال بنفي العلم به لما ان القدرة على الافعال الاختيارية مستلزمة للعلم بها او لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم ولكن ما انتم بصدده ليس بقتال اصلا وانما هو القاء النفس الى التهلكة وفي جعلهم التالي مجرد الاتباع دون القتال الذي هو المقصود بالدعوة دليل على كمال تثبطهم عن القتال حيث لا ترضى نفوسهم بجعله تاليا للمقدم مستحيل الوقوع **هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ** الضمير مبتداء واقرب خبره واللام في الكفر وللايمان متعلقة به وكذا يومئذ ومنهم وعدم جواز تعلق حرفين متحدين لفظا ومعنى بعامل واحد بلا عطف او بدلية انما هو فيما عدا افعل التفضيل من العوامل لاتحاد حيثية عملها واما افعل التفضيل فحيث دل على اصل الفعل وزيادة جرى مجرى عاملين كانه قيل قربهم للكفر زائد على قربهم للايمان وقيل تعلق الجارين به لشبههما بالظرفين اي هم للكفر يوم اذ قالوا ما قالوا اقرب منهم للايمان فانهم كانوا قبل ذلك يتظاهرون بالايمان وما ظهرت منهم امارة موذنة بكفرهم فلما انخذلوا عن عسكر المسلمين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الايمان المظنون بهم وقربوا من الكفر وقيل هم لاهل الكفر اقرب منهم لاهل الايمان لان تقليل سواد المسلمين بالانخذال تقوية للمشركين وقوله تعالى **يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ** جملة مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها وذكر الافواه والقلوب تصوير لنفاقهم وتوضيح لمخالفة ظاهرهم لباطنهم وما عبارة عن القول والمراد به اما نفس الكلام الظاهر في نفي اللسان تارة وفي القلب اخرى فالمثبت والمنفي متحدان ذاتا وان اختلفا مظهرا واما القول الملفوظ فقط فالمنفي حينئذ منشاه الذي لا ينفك عنه القول اصلا وانما عبر عنه ابانة لما بينهما من شدة الاتصال اي يتفوهون بقول لا وجود له او لمنشائه على الوجه الثاني في قلوبهم من الاباطيل التي من جملتها ما حكي عنهم آنفا فانهم اظهروا فيه امرين ليس في قلوبهم شيء منهما احدهما عدم العلم بالقتال والآخر الاتباع على تقدير العلم به وقد كذبوا فيهما كذبا بينا حيث كانوا عالمين به غير نادمين للاتباع بل كانوا مصرين مع ذلك على الانخذال عازمين على الارتداد وقوله عز وجل **وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ** زيادة تحقيق لكفرهم ونفاقهم ببيان اشتغال قلوبهم بما يخالف افواههم من فنون الشر والفساد اثر بيان خلوها عما يوافقها وصيغة التفضيل لما ان بعض ما يكتمونه من احكام النفاق وذم المؤمنين وتخطئة ارائهم والشماتة بهم وغير ذلك يعلمه المؤمنون على وجه الاجمال وان تفاصيل ذلك وكيفياته مختصة بالعلم الالهي **الَّذِينَ قَالُوا** مرفوع على انه بدل من واو يكتمون او خبر لمبتداء محذوف وقيل مبتداء خبره قل فادرؤا بحذف العائد تقديره قل لهم الى آخره او منصوب على الذم او على انه نعت للذين نافقوا او بدل منه وقيل مجرور على انه بدل من ضمير افواههم او قلوبهم كما في قوله • على جوده لضن بالماء حاتم • والمراد بهم عبد الله بن ابي واصحابه **لِإِخْوَانِهِمْ** اي لاجلهم وهم من قتل يوم احد من جنسهم او من قاربهم في النسب من بعض الشهداء **وَقَعَدُوا** حال من ضمير قالوا بتقدير قد اي قالوا وقد قعدوا عن القتال بالانخذال **لَوْ أَطَاعُونَا** اي في امرنا اياهم ووافقونا في ذلك ما قتلوا كما لم نقتل وفيه ايذان بانهم امروهم بالانخذال حين انخذلوا واغووهم كما غووا وجعل القعود على ما استقر ابن ابي عند المشاورة من الاقامة بالمدينة ابتداء وجعل الاطاعة عبارة عن قبول رايه والعمل به يرده كون الجملة

حالية فانها التقييد ما فيه العصيان والمخالفة مع ابن ابي ليس من القاعدين فيها بذلك المعنى على ان تخصيص عدم الطاعة بما ينادي باختصاص الامر بها بهم فيستحيل ان يحمل على ما خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم عند المشاورة قل تبكيتا لهم واظهارا لكذبهم **فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ** جواب الشرط قد حذف تعويلا على ما بعده من قوله تعالى **إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** كما انه شرط حذف جوابه لدلالة الجواب المذكور عليه اي ان كنتم صادقين فيما ينبئ عنه قولكم من انكم قادرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت الذي كتب عليكم معلقا بسبب خاص موقتا بوقت معين بدفع سببه فان اسباب الموت في امكان المدافعة بالحيل وامتناعها سواء وانفسكم اعز عليكم من اخوانكم وامرها اهم لديكم من امرهم والمعنى ان عدم قتلكم كان بسبب انه لم يكن مكتوبا عليكم لا بسبب انكم دفعتموه بالقعود مع كتابته عليكم فان ذلك مما لا سبيل اليه بل قد يكون القتال سببا للنجاة والقعود موديا الى الموت روي انه مات يوم قالوا ما قالوا سبعون منافقا وقيل ادرءوا ان كنتم صادقين في مضمون الشرطية والمعنى انهم لو اطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين فقوله تعالى فادرءوا عن انفسكم الموت استهزاء بهم اي ان كنتم رجالا دفاعين اسباب الموت فادرءوا جميع اسبابه حتى لا تموتوا كما درأتم في زعمكم هذا السبب الخاص **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا** كلام مستأنف مسوق لبيان ان القتل الذي يحذرونه ويحذرون الناس منه مما يحذر بل هو اجل المطالب التي يتنافس فيها المتنافسون اثر بيان ان الحذر لا يغني ولا يجدي وقرئ ولا تحسبن بكسر السين والمراد بهم شهداء احد وكانوا سبعين رجلا اربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ومصعب ابن عمير وعثمان بن شهاب وعبد الله بن جحش وباقيهم من الانصار رضوان الله تعالى عليهم اجمعين والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب وقرئ بالياء على الاسناد الى ضميره عليه الصلاة والسلام او ضمير من يحسب وقيل الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف لانه في الاصل مبتداء جائز الحذف عند القرينة والتقدير ولا تحسبنهم الذين قتلوا امواتا اي لا يحسبن الذين قتلوا انفسهم امواتا على ان المراد من توجيه النهي اليهم تنبيه السامعين على انهم احياء ان يسلوا بذلك ويبشروا بالحيوة الابدية والكرامة السنية والنعيم المقيم لكن لا في جميع اوقاتهم بل عند ابتداء القتل اذ بعد تبين حالهم لهم لا يبقى لاعتبار تسليتهم وتبشيرهم فائدة ولا لتنبيه السامعين وتذكيرهم وجه وقرئ قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين **بَلْ أَحْيَاءٌ** اي بل هم احياء وقرئ منصوبا اي بل احسبهم احياء على ان الحسبان بمعنى اليقين كما في قوله • حسبت التقى والجود خير تجارة • رباحا اذا ما المرء اصبح ناقلا • على انه وارد على طريق المشاكلة **عِنْدَ رَبِّهِمْ** في محل الرفع على انه خبر ثان للمبتداء المقدر او صفة لاحياء او في محل النصب على انه حال من الضمير في احياء وقيل هو ظرف لاحياء او للفعل بعده والمراد بالعندية التقرب والزلفى وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم مزيد تكرمة لهم **يُرْزَقُونَ** اي من الجنة وفيه تاكيد لكونهم احياء وتحقيق لمعنى حياتهم قال الامام الواحدي الاصح في حيوة الشهداء ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من ان ارواحهم في اجواف طيور خضر وانهم يرزقون وياكلون ويتنعمون وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر تدور في انهار الجنة وروي ترد انهار الجنة الى آخره وتاكل من ثمارها وتسرح من الجنة حيث شاءت وتاوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش وفيه دلالة على ان روح الانسان جسم لطيف لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتالمه والتذاذه ومن قال بتجرد النفوس البشرية يقول المراد ان نفوس الشهداء تتمثل طيرا خضرا او تتعلق بها فتلتذ بما ذكر وقيل المراد انها تتعلق بالافلاك والكواكب فتلتذ بذلك وتكتسب زيادة كمال **فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ** وهو شرف الشهادة والفوز بالحيوة الابدية والزلفى من الله عز وجل والتمتع بالنعيم المخلد عاجلا **وَيَسْتَبْشِرُونَ** يسرون بالبشارة **بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ** اي باخوانهم الذين لم يقتلوا بعد في سبيل الله فيلحقوا بهم **مِنْ خَلْفِهِمْ** متعلق بيلحقوا والمعنى انهم بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم او بمحذوف وقع حالا من فاعل يلحقوا اي لم يلحقوا بهم حال كونهم متخلفين عنهم باقين في الدنيا **أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** بدل من الذين بدل اشتمال مبين لكون استبشارهم بحال اخوانهم لا بذواتهم وان هي المخففة من ان واسمها ضمير الشان المحذوف وخبرها الجملة المنفية اي فيستبشرون بما تبين لهم من حسن حال اخوانهم الذين

خوانهم

تركوتهم وهوانهم عند قتلهم يفوزون بحيوة ابدية لا يكدرها خوف وقوع محذوف ولا حزن فوات مطلوب او لا خوف
عليهم في الدنيا من القتل فانه عين الحيوة التي يجب ان يرغب فيها فضلا عن ان تخاف وتحذر اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك
لا انه يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والمراد بيان دوام انتفاء الخوف والحزن لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهم
كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا فان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام
يستبشرون بنعمة كرر ليبان ان الاستبشار المذكور ليس بمجرد عدم الخوف والحزن بل به وبما يقارنه من نعمة عظيمة
لا يقادر قدرها وهي ثواب اعمالهم وقد جوز ان يكون الاول متعلقا بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم بيانا لبعض
ما اجمل في قوله تعالى فرحين بما اتيهم الله من فضله متعلق بمحذوف وقع صفة لنعمة موكدة لما افادها التنكير من الفخامة
الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائنة منه تعالى وفضل اي زيادة عظيمة كما في قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة
وان الله لا يضيع اجر المؤمنين بفتح ان عطف على فضل منتظم معه في سلك المستبشر به والمراد بالمؤمنين اما الشهداء
والتعبير عنهم بالمؤمنين للايذان بسمو رتبة الايمان وكونه مناط ما نالوه من السعادة واما كافة اهل الايمان من
الشهداء وغيرهم ذكرت توفية اجورهم على ايمانهم وعدت من جملة ما يستبشر به الشهداء بحكم الاخوة في الدين
وقرئ بكسرها على انه استيناف معترض دال على ان ذلك اجرهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة لا اجر
لها وفيه من الحث على الجهاد والترغيب في الشهادة والبعث على ازدياد الطاعة وبشرى المؤمنين بالفلاح ما لا يخفى
الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح صفة مادحة للمؤمنين لا مخصصة او نصب على المدح او رفع على الابتداء والخبر قوله
تعالى للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود من الجمع بين الوصفين المدح والتعليل لا التقييد
لان المستجيبين كلهم محسنون ومتقون روي ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا من الروحاء ندموا
وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد ان يرهبهم ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه
للخروج في طلب ابي سفيان وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى
بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم
الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت الذين قال لهم الناس يعني الركب الذين استقبلوهم
من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعي واطلاق الناس عليه لما انه من جنسهم وكلامه كلامهم يقال فلان يركب الخيل
ويلبس الثياب وماله سوى فرس فرد وغير ثوب واحد او لانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه ان الناس قد
جمعوا لكم فاخشوهم روي ان ابا سفيان نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال
صلى الله عليه وسلم ان شاء الله تعالى فلما كان القابل خرج ابو سفيان في اهل مكة حتى نزل من الظهران فالقى
الله تعالى في قلبه الرعب وبدا له ان يرجع فمر به ركب من بني عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل
بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك فالتزم له عشرا من الابل
وضمنها منه سهيل بن عمرو فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون للخروج فقال اتوكم في دياركم فلم يفلت منكم احد الا
شريد افترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عليه الصلاة والسلام والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج
معي احد فخرج في سبعين راكبا كلهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل قيل هي الكلمة التي قالها ابرهيم حين القي
في النار فزادهم ايمانا الضمير المستكن للمقول او المصدر قال او لفاعله ان اريد به نعيم وحده والمعنى انهم لم يلتفتوا الى
ذلك بل ثبت يقينهم بالله تعالى وازدادوا اطمئنانا واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو دليل
على ان الايمان يتفاوت زيادة ونقصانا فان ازدياد اليقين بالالف وكثرة التأمل وتناصر الحجج مما لا ريب فيه
ويعضده قول ابن عمر رضي الله عنه قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل
صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وقالوا حسبنا الله اي محسبنا الله وكافينا من احسبه اذا كفاه والدليل
على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا في قولك هذا رجل حسبك ونعم الوكيل اي نعم الموكول اليه والمخصوص

بالمدح

بالمدح محذوف اي الله عز وجل فانقلبوا عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي فخرجوا اليهم ووافوا الموعد
روي انه عليه السلام وافى بجيشه بدرا واقام بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا كثيرا ولما
قوله تعالى بنعمة متعلقة بمحذوف وقع حالا من الضمير في فانقلبوا والتنوين للتفخيم اي فرجعوا من مقصدهم ملتبسين
بنعمة عظيمة لا يقادر قدرها وقوله عز وجل من الله متعلق بمحذوف وقع حالا من الضمير في فانقلبوا صفة لنعمة
موكدة لفخامتها الذاتية التي يفيدها التنكير بالفخامة الاضافية اي كائنة من الله تعالى وهي العافية والثبات
على الايمان والزيادة فيه وحذر العدو منهم وفضل اي ربح في التجارة وتنكيره ايضا للتفخيم لم يمسسهم سوء
حال اخرى من الضمير في فانقلبوا او من المستكن في الحال كانه قيل سالمين حال كونهم سالمين عن السوء والحال اذا كان
مضارعا منفيا بلم وفيه ضمير ذي الحال جاز فيه دخول الواو كما في قوله تعالى قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء وعدمه
كما في هذه الاية الكريمة وفي قوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا في كلما اتوا من قول وفعل
واتبعوا رضوان الله حيث ذو تفضل عليهم بالتثبت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة والجهاد والتصلب في الدين
واظهار الجراءة على العدو وحفظهم عن كل ما يسوؤهم عن اصابة النفع الجليل وفيه تحسير لمن تخلف عنهم واظهار
لخطاء رأيهم حيث حرموا انفسهم ما فاز به هؤلاء وروي انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله عز وجل ثواب
الغزو ورضي عنهم انما ذلكم اشارة الى المثبط او الى من حمله على التثبيط والخطاب للمؤمنين وهو مبتدأ وقوله تعالى
الشيطان اما خبره وقوله تعالى يخوف اولياءه جملة مستانفة مبينة لشيطنته او حال كما في قوله تعالى فتلك
بيوتهم خاوية بما ظلموا الى اخره واما صفته والجملة خبره ويجوز ان يكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف اي
انما ذلكم قول الشيطان اي ابليس والمستكن في يخوف اما للمقدر واما للشيطان بحذف الراجع الى المقدر اي يخوف
به والمراد باوليائه اما ابو سفيان واصحابه فالمفعول الاول محذوف اي يخوفكم اولياءه كما هو قراءة ابن
عباس وابن مسعود رضي الله عنهما ويؤيده قوله تعالى فلا تخافوهم اي اولياءه وخافون في مخالفة امري واما القاعدون
فالمفعول الثاني محذوف اي يخوفهم الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والضمير البارز في فلا تخافوهم للناس
الثاني اي فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجبنوا وخافون فجاهدوا مع رسولي وسارعوا الى ما يامركم به والخطاب
لفريقي الخارجين والقاعدين والفاء لترتيب النهي او الانتهاء على ما قبلها فان كون المخوف شيطانا مما يوجب عدم
الخوف والنهي عنه ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ايثار خوف الله عز وجل على خوف غيره ويستدعي الامن من شر الشيطان
واوليائه ولا يحزنك تلوين للخطاب وتوجيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتشريفه بتخصيصه بالتسلية
والايذان باصالته في تدبير امور الدين والاهتمام بشؤنه الذين يسارعون في الكفر اي يقعون فيه سريعا لغاية
حرصهم عليه وشدة رغبتهم فيه وايثار كلمة في على ما وقع في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة الاية للاشعار باستقرارهم
في الكفر ودوام ملابستهم له في مبتداء المسارعة ومنتهاها كما في قوله تعالى اولئك يسارعون في الخيرات فان
ذلك موذن بملابستهم في الخيرات وتقلبهم في فنونها في طرفي المسارعة وتضاعيفها واما ايثار كلمة الى في قوله
تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم الى اخره فان المغفرة والجنة منتهى المسارعة وغايتها والمراد بالموصول المنافقون
من المتخلفين وطائفة من اليهود حسبما عين في قوله تعالى يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من
الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا وقيل قوم ارتدوا عن الاسلام والتعبير عنهم للاشعار
بما في حيز الصلة اي مظنة وجود المنهي عنه واعترائه لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي لا يحزنوك بمسارعتهم في
الكفر ومبادرتهم الى تمشية احكامه ومظاهرتهم وتوجيه النهي الى مسارعتهم مع ان المقصود نهيه عليه السلام عن
التأثر منهم للمبالغة في ذلك لما ان النهي عن التأثير نهي عن اصله ونفي له بالمرة وقد يوجه النهي الى اللازم والمراد هو
النهي عن الملزوم كما في قولك لا ارينك ههنا وقرئ لا يحزنك من احزن المنقول من حزن بكسر الزاء والمعنى واحد
وقيل معنى حزنه جعل فيه حزنا كما في دهنه اي جعل فيه دهنا ومعنى احزنه جعله حزينا وقيل معنى حزنه اي احدث له

الذي هو الفوز بخير الدارين والله ذو فضل عظيم صح

دهم

الحزن ومعنى احزن عرضه للحزن انهم لن يضروا الله تعليل للنهي وتكميل للتسلية بتحقيق نفي ضررهم ابدا اي لن يضروا بذلك
اولياء الله البته وتعليق نفي الضرر به تعالى لتشريفهم والايذان بان مضارتهم بمنزلة مضارته سبحانه وفيه مزيد
مبالغة في التسلية وقوله تعالى شيئا في حيز النصب على المصدرية اي شيئا من الضرر والتنكير لتاكيد ما فيه من القلة
والحقارة وقيل على نزع الجار اي بشيء ما اصلا وقيل المعنى لا ينقصوا بذلك من ملكه تعالى وسلطانه شيئا كما روي
ابو ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان اولكم واخركم وجنكم وانسكم كانوا على افجر قلب رجل منكم ما
نقص من ملك الله جناح بعوضة والاول هو الانسب بمقام التسلية والتعليل يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الاخرة
استيناف مبين لسر ابتلائهم بما هم فيه من الانهماك في الكفر وفي ذكر الارادة من الايذان بكمال خلوص الداعي الى
حرمانهم وتعذيبهم حيث تعلقت بهما ارادت ارحم الراحمين ما لا يخفى وصيغة الاستقبال للدلالة على دوام
الارادة واستمرارها اي يريد الله بذلك ان لا يجعل لهم في الاخرة حظا من الثواب ولذلك تركهم في طغيانهم
يعمهون الى ان يهلكوا على الكفر ولهم مع ذلك الحرمان الكلي عذاب عظيم لا يقادر قدره قيل لما دلت المسارعة
في الشيء على عظم شانه وجلالة قدره عند المسارع وصف عذابه بالعظيم رعاية للمناسبة وتنبيها على حقارة ما سارعوا
فيه وخساسته في نفسه والجملة اما مبتدا مبينة لحظهم من العقاب اثر بيان ان لا شيء لهم من الثواب واما حال
من الضمير في لهم اي يريد الله حرمانهم من الثواب معدا لهم عذاب عظيم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان اي اخذوه بدلا
منه رغبة فيما اخذوه واعراضا عما تركوه وقد مر تحقيق القول في هذه الاستعارة في تفسير قوله عز وجل اولئك
الذين اشتروا الضلالة بالهدى مستوفى لن يضروا الله شيئا تفسير كما مر غير ان فيه تعريضا ظاهرا باقتصار
الضرر عليهم كانه قيل وانما يضرون انفسهم فان جعل الموصول عبارة عن المسارعين المعهودين بان يراد بالاشتراء
الكفر بالايمان ايثاره عليه اما باخذه بدلا من الايمان الحاصل بالفعل كما هو حال المرتدين او بالقوة القريبة منه
الحاصلة بمشاهدة دلائله في التوراة كما هو شان اليهود ومنافقيهم فالتكرير لتقرير الحكم وتاكيده ببيان علته
بتغيير عنوان الوضع فان ما ذكر في حيز الصلة من الاشتراء المذكور صريح في لحوق ضرره بانفسهم وعدم تعديه الى غيرهم
اصلا كيف لا وهو علم في الخسران الكلي والحرمان الابدي دال على كمال سخافة عقولهم وركاكة ارائهم فكيف يتاتى
منهم ما يتوقف على قوة الحزم ورزانة الراي ورصانة التدبير من مضارة حرب الله تعالى وهي اعز من الابلق
الفرد وامنع من عقاب الجو وان اجري الموصول على عمومه بان يراد بالاشتراء المذكور القدر المشترك الشامل
للمعنيين المذكورين ولاخذ الكفر بدلا مما نزل منزلة نفس الايمان من الاستعداد القريب الحاصل بمشاهدة الوحي
الناطق وملاحظة الدلائل المنصوبة في الافاق والانفس كما هو داب جميع الكفرة فالجملة مقررة لمضمون
ما قبلها تقريرا للقواعد الكلية لما اندرج تحتها من جزئيات الاحكام هذا وقد جوز كون الموصول الاول عاما
للكفار والثاني خاصا بالمعهودين وانت خبير بانه مع خلوه عن النكت المذكورة مما لا يليق بفخامة التنزيل
لما ان صدور المسارعة في الكفر بالمعنى المذكور وكونها مظنة لايراث الحزن لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما
يفهم من النهي عنه انما يتصور ممن علم اتصافه بها واما ما لا يعرف حاله من الكفرة الكائنين في الاماكن
البعيدة فاسناد المسارعة المذكورة اليهم واعتبار كونها من مبادي حزنه عليه الصلاة والسلام مما لا وجه له
وقوله تعالى ولهم عذاب اليم جملة مبتداة مبينة لكمال فظاعة عذابهم بذكر غاية ايلامه بعد ذكر نهاية
عظمه قيل لما جرت العادة باغتباط المشتري بما اشتراه وسروره بتحصيله عند كون الصفقة رابحة وبتالمه
عند كونها خاسرة وصف عذابهم بالايلام مراعاة لذلك ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم عطف على قوله تعالى
ولا يحزنك الذين الاية والفعل المسند الى الموصول وان بما في حيزها سادة مسد مفعوليه عند سيبويه لتمام
المقصود بها وهو تعلق الفعل القلبي بالنسبة بين المبتدا والخبر ومسد احدهما والاخر محذوف عند الاخفش وما
مصدرية او موصولة حذف عائدها ووصلها في الكتابة لاتباع الامام اي لا يحسبن الكافرون ان املاءنا لهم وان

ما نمليه لهم خير لانفسهم او لا يحسبن الكافرون الخيرية املاءنا لهم او خيرية ما نمليه لهم ثابتة او واقعة ومالهم
نهيهم عن السرور بظاهر املائه تعالى لهم بناء على حسبان خيريته لهم وتحذيرهم ببيان انه شر بحت وضرر محض
كما ان مال المعطوف عليه نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن الحزن بظاهر حال الكفرة بناء على توهم الضرر من قبلهم
وتسلية له عليه السلام بعجزهم عن ذلك بالكلية والمراد بالموصول اما جنس الكفرة فيندرج تحت حكمه الكلي احكام
المعهودين خاصة فايثار الاظهار على الاضمار لرعاية المقارنة الدائمة بين الصلة وبين الاملاء الذي هو عبارة
عن امهالهم وتخليتهم وشانهم دهرا طويلا فان المقارن له دائما انما هو الكفر المستمر لا المسارعة المذكورة ولا الاشتراء
المذكور فانهما من الاحوال المتجددة المنقضية في تضاعيف الكفر المستمر وقرئ لا تحسبن بالتاء والخطاب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو الانسب بمقام التسلية او لكل من يتاتى منه الحسبان قصدا الى اشاعة فظاعة حالهم
والموصول مفعول وانما نملي لهم اما بدل منه وحيث كان التعويل على البدل وهو ساد مسد المفعولين كما في قوله تعالى
ام تحسب ان اكثرهم يسمعون اقتصر على مفعول واحد كما في قولك جعلت المتاع بعضه فوق بعض واما مفعول
ثان بتقدير مضاف اما فيه اي لا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او في المفعول الاول اي
لا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم ومعنى التفضيل باعتبار زعمهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما استيناف
مبين لحكمة الاملاء وما كافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ بفتح الهمزة ههنا على ايقاع
الفعل عليه وكسرها فيما سبق على انه اعتراض بين الفعل ومعموله مفيد لمزيد الاعتناء بابطال الحسبان ورده
على معنى لا يحسبن الكافرون ان املاءنا لهم لازدياد الاثم حسبما هو شانهم بل انما هو لتلافي ما فرط منهم بالتوبة
والدخول في الايمان ولهم في الاخرة عذاب مهين لما تضمن الاملاء التمتع بطيبات الدنيا وزينتها وذلك مما
يستدعي التعزز والتجبر وصف عذابهم بالاهانة ليكون جزاؤهم جزاء وفاقا والجملة اما مبتداة مبينة لحالهم في
الاخرة اثر بيان حالهم في الدنيا واما حال من الواو اي ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين وهذا متعين على
القراءة الاخيرة ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه كلام مستانف مسوق لوعد المؤمنين ووعيد المنافقين
بالعقوبة الدنيوية التي هي الفضيحة والخزي اثر بيان عقوبتهم الاخروية والمراد بالمؤمنين المخلصون واما الخطاب
فقد قيل انه لجمهور المصدقين من اهل الاخلاص واهل النفاق ففيه التفات في ضمن التلوين والمراد بما هم عليه
اختلاط بعضهم ببعض في اجراء احكام الاسلام عليهم اذ هو القدر المشترك بين الفريقين وقيل انه للكفار و
المنافقين وهو قول ابن عباس والضحاك ومقاتل والكلبي رضي الله عنهم اجمعين واكثر المفسرين ففيه تلوين
فقط ولعل المنافقين عطف تفسيري للكفار والا فلا شركة بين المؤمنين والمجاهرين في امر من الامور والمراد بما هم
عليه ما مر من القدر المشترك فانه كما يجوز نسبته الى الفريقين معا في ذلك حتى لا يتركوا عليه وقيل انه للمؤمنين
خاصة وهو قول اكثر اهل المعاني ففيه تلوين والالتفات كما مر والتعرض لايمانهم قيل الخطاب للاشعار بعلة
الحكم والمراد بما هم عليه ما مر غير مرة والاول هو الاقرب واليه جنح المحققون من اهل التفسير لكونه صريحا في كون المراد
بما هم عليه ما ذكر من القدر المشترك بين الفريقين من حيث هو مشترك بينهما بخلاف القولين الاخيرين فانهما بمعزل
من ذلك كيف لا والمفهوم مما عليه المنافقون وهو الكفر والنفاق ومما عليه المؤمنون هو الايمان والاخلاص لا
القدر المشترك بينهما ولئن فهم ذلك فانما يفهم من حيث الانتساب الى احدهما لا من حيث الانتساب اليهما
معا وعليه يدور امر الاختلاط المحوج الى الافراز واللام في ليذر اما متعلقة بالخبر المقدر لكان كما هو راي البصرية
وانتصاب الفعل بعدها بان المقدرة اي ما كان الله مريدا او متصديا لان يذر المؤمنين الى الخ ففيه توجيه
النفي الى ارادة الفعل تاكيد ومبالغة ليست في توجيهه الى نفسه واما مزيدة للتاكيد ناصبة للفعل بنفسها كما هو
راي الكوفية ولا يقدح في ذلك زيادتها كما لا يقدح زيادة حرف الجر في عملها وقوله عز وجل حتى يميز الخبيث
من الطيب غاية لما يفيده النفي المذكور كانه قيل ما يتركهم الله على ذلك الاختلاط بل يقدر الامور ويرتب الاسباب

بيانهم

حتى يعزل المنافق من المؤمن وفي التعبير عنهما بما ورد به النظم الكريم تسجيل على كل منهما بما يليق به واشعار بعلة الحكم
وافراد الخبيث والطيب مع تعدد ما اريد بكل منهما وتكثره لاسيما بعد ذكر ما اريد باحدهما اعني المؤمنين بصيغة الجمع
للايذان بان مدار افراز احد الفريقين من الاخر هو اتصافهما بوصفهما لا خصوصية ذاتهما وتعدد احادهما كما في مثل
قوله تعالى ذلك ادنى ان لا تعولوا ونظيره قوله تعالى تذهل كل مرضعة عما ارضعت حيث قصد الدلالة على الاتصاف
بالوصف من غير تعرض لكون الموصوف من العقلاء او غيرهم وتعليق الميز بالخبيث المعبر به عن المنافق مع ان المتبادر مما
سبق من عدم ترك المؤمنين على الاختلاط تعليقه بهم وافرازهم عن المنافقين لما ان الميز الواقع بين الفريقين انما هو
بالتصرف في المنافقين وتغييرهم من حال الى حال مغايرة للاولى مع بقاء المؤمنين على ما كانوا عليه من اصل الايمان
وان ظهر مزيد اخلاصهم لا بالتصرف فيهم وتغييرهم من حال الى حال اخرى مع بقاء المؤمنين على ما هم عليه من الاستنار ولان
فيه مزيد تاكيد للوعيد كما اشير اليه في قوله تعالى والله يعلم المفسد من المصلح وانما لم ينسب عدم الترك اليهم لما انه مشعر بالاعتناء
بشان من نسب اليه فان المتبادر منه عدم الترك على حاله من ملايمة كما يشهد به الذوق السليم وقرئ حين تميز من التميز
وقوله تعالى **وما كان الله ليطلعكم على الغيب** تمهيد لبيان الميز الموعود على طريق تجريد الخطاب للمخلصين تشريفا لهم وقوله عز
وجل **ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء** اشارة الى كيفيته ووقوعه على سبيل الاجمال والاظهار اسم الجليل في الموضعين لتربية
المهابة فالمعنى ما كان الله ليترك المخلصين على الاختلاط بالمنافقين بل يرتب المبادي حتى يخرج المنافقين من بينهم
وما يفعل ذلك باطلاعكم على ما في قلوبهم من الكفر والنفاق ولكنه تعالى يوحي الى رسوله عليه الصلاة والسلام فيخبره بذلك
وبما ظهر منهم من الاقوال والافعال حسبما حكى عنهم بعضه فيما سلف فيفضحهم على رؤس الاشهاد ويخلصكم من خسة
الشركاء وسوء جوارهم والتعرض للاجتباء للايذان بان الوقوف على مثال تلك الاسرار الغيبية لا يتاتى الا ممن رشحه
الله لمنصب جليل تقاصرت عنه همم الامم واصطفاه على الجماهير لارشادهم وتعميم الاجتباء لسائر الرسل عليهم
السلام للدلالة على ان شانه عليه الصلاة والسلام في هذا الباب امر مبين له اصل اصيل جار على سنة الله المسلوكة
فيما بين الرسل الخالية عليه وتعميم الامر في قوله تعالى **فآمنوا بالله ورسله** مع ان سوق النظم الكريم الايمان بالنبي عليه
الصلاة والسلام لايجاب الايمان به بالطريق البرهاني والاشعار بان ذلك مستلزم للايمان بالكل لانه مصدق
لما بين يديه من الرسل وهم شهداء بصحة نبوته عليه الصلاة والسلام والمامور به الايمان بكل ما جاء به
عليه الصلاة والسلام فيدخل فيه تصديقه عليه فيما اخبر من احوال المنافقين دخولا اوليا هذا هو الذي يقتضيه
جزالة النظم الكريم وقد جوز ان يكون المعنى لا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بان يكلفكم التكاليف
الصعبة التي لا يصبر عليها الا الخلص الذين امتحن الله قلوبهم كبذل الارواح في الجهاد وانفاق الاموال في
سبيل الله تعالى فيجعل ذلك عيارا على عقايدكم وشاهدا بضمايركم حتى يعلم بعضكم بما في قلب بعض بطريق
الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذات الصدور فان ذلك مما استاثر الله تعالى به وانت خبير بان
الاستدراك باجتباء الرسل المنبي عن مزيد مرتبتهم وفضل معرفتهم على الخلق اثر بيان قصور رتبتهم عن الوقوف
على خفايا السرائر صريح في ان المراد اظهار تلك السرائر بطريق الوحي لا بطريق التكليف بما يؤدي الى خروج اسرارهم
عن رتبة الخفا واقرب من ذلك حمل الاية الكريمة على ان يكون مسوقة لبيان الحكمة في املائه تعالى للكفرة اثر بيان
شريته لهم فالمعنى ما كان الله ليذر المخلصين على الاختلاط ابدا كما تركهم كذلك الى الان لسر يقتضيه بل يفرز
عنهم المنافقين ولذلك فعله يومئذ حيث خلى الكفرة وشانهم فابرز لهم صورة الغلبة فاظهر من في قلوبهم مرض
ما فيها من الخبايث وافتضحوا على رؤس الاشهاد وقيل قال الكافرون ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن
يكفر فنزلت **وان تؤمنوا** اي بما ذكر حق الايمان **وتتقوا** اي عدم مراعاة حقوقه او النفاق **فلكم** بمقابلة ذلك
الايمان والتقوى **اجر عظيم** لا يبلغ كنهه **ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم** بيان لحال البخل وخامة
عاقبته وتخطية لاهله في توهم خيريته حسب بيان حال الاملاء وايراد ما بخلوا به بعنوان ايتاء الله تعالى اياه

من فضله للمبالغة في بيان سوء صنيعهم فان ذلك من موجبات بذله في سبيله كما في قوله تعالى وانفقوا
مما جعلكم مستخلفين فيه والفعل المسند الى الموصول والمفعول الاول محذوف لدلالة الصلة عليه وضمير الفصل
راجع اليه اي لا يحسبن الباخلون بما آتاهم الله من فضله من غير ان يكون لهم مدخل فيه او استحقاق له هو خيرا
لهم من انفاقه وقيل الفعل مسند الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم والى ضمير من يحسب والمفعول الاول هو الموصول
بتقدير مضاف والثاني ما ذكر كما هو كذلك على قراءة الخطاب اي ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله
هو خيرا لهم بل هو شر لهم التنصيص على شريته مع انفهامها من نفي خيريته للمبالغة في ذلك والتنوين للتفخيم وقوله
تعالى **سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة** بيان لكيفية شريته اي سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق على انه
حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه للايذان بكمال المناسبة بينهما وروي عن النبي عليه الصلاة والسلام
انه قال ما من رجل لا يؤدي زكوة ماله الا جعل الله له شجاعا في عنقه يوم القيامة وقيل يجعل ما بخل من الزكوة حية
في عنقه تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر راسه ويقول انا مالك **ولله** وحده لا لاحد غيره استقلالا او اشتراكا
ميراث السموات والارض ما يتوارثه اهلهما من مال وغيره من الرسالات التي يتوارثها اهل السموات فما لهم يبخلون عليه
بملكه ولا ينفقونه في سبيله او انه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه في سبيله تعالى عند هلاكهم وتبقى عليهم
الحسرة والندامة **والله بما تعملون** من المنع والبخل **خبير** فيجازيكم على ذلك واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار
لتربية المهابة والالتفات للمبالغة في الوعيد والاشعار باشتداد غضب الرحمن الناشي من ذكر قبايحهم وقرئ
بالياء على الظاهر **لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء** قالت اليهود لما سمعوا من ذا الذي يقرض الله قرضا
حسنا وروي انه صلى الله عليه وسلم كتب مع ابي بكر رضي الله عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام واقام
الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا قال فنحاص ان الله فقير حين سالنا القرض فلطم ابو بكر رضي
الله عنه في وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وجحد ما قاله فنزلت والجمع حينئذ مع كون القايل واحدا لرضى الباقين بذلك والمعنى انه لم يخف عليه
تعالى واعد له من العقاب كفاه والتعبير عنه بالسماع للايذان بانه من الشناعة العظيمة والسماجة بحيث لا يرضى
قايله بان يسمعه سامع والتوكيد القسمي للتشديد في التهديد والمبالغة في الوعيد **سنكتب ما قالوا** اي سنكتب
ما قالوه من العظيمة الشنعاء في صحايف الحفظة او سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه ولا نهمله كما يثبت المكتوب
والسين للتاكيد اي لن يفوتنا ابدا تدوينه واثباته لكونه في غاية العظم والهول كيف لا وهو كفر بالله تعالى
واستهزاء بالقران العظيم والرسول الكريم ولذلك عطف عليه قوله تعالى **وقتلهم الانبياء** ايذانا بانهما في
العظم اخوان وتنبيها على انه ليس باول جريمة ارتكبوها بل لهم فيه سوابق وان من اجترا على قتل الانبياء عليهم
السلام لم يستبعد منه امثال هذه العظايم والمراد بقتلهم الانبياء رضاهم بفعل اسلافهم وقوله تعالى
بغير حق متعلق بمحذوف وقع حالا من قتلهم اي كاينا بغير حق في اعتقادهم ايضا كما هو في نفس الامر
وقرئ سيكتب على البناء للفاعل وسيكتب على البناء للمفعول وقتلهم بالرفع **ونقول ذوقوا عذاب الحريق** اي وننتقم
منهم بعد الكتبة بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق كما اذاقوا المسلمين الغصص وفيه من المبالغات ما لا يخفى
وقرئ ويقول بالياء ويقال على البناء للمفعول **ذلك** اشارة الى العذاب المذكور وما فيه من معنى البعد للدلالة
على عظم شانه وبعد منزلته في الهول والفظاعة وهو مبتدا خبره قوله تعالى **بما قدمت ايديكم** اي بسبب ما
اقترفتموه من قتل الانبياء والتفوه بمثل تلك العظيمة وغيرها من المعاصي والتعبير عن الانفس بالايدي لما
ان عامة افاعيلها تزاول بهن ومحل ان في قوله تعالى **وان الله ليس بظلام للعبيد** الرفع على انه خبر مبتدا
محذوف والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها اي والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب
من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة اهل السنة

فضلا عن كونه بالغا لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصوير بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم
كما يعبر عن ترك الاثابة على الاعمال باضاعتها مع ان الاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها وصيغة
المبالغة لتاكيد هذا المعنى بابراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب في صورة المبالغة في الظلم وقيل هي لرعاية جمعية
العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده وظلام للعبيد على انها للمبالغة كما لا كيفا هذا وقد قيل محل ان الجر بالعطف على ما قدمت
وسببيته للعذاب من حيث ان نفي الظلم مستلزم للعدل المقتضي لاثابة المحسن ومعاقبة المسيء وفساده ظاهر فان ترك
التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب حسبما ذكره القائل في سورة الانفال
وقيل سببيته ذنوبهم لعذابهم مقيدة بانضمام انتفاء ظلمه تعالى اليها اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم وانت
خبير بان امكان تعذيبه تعالى لعبده بغير ذنب بل وقوعه لا ينافي كون تعذيب هؤلاء الكفرة بسبب ذنوبهم حتى يحتاج
الى اعتبار عدمه معه وانما يحتاج الى ذلك ان لو كان المدعي ان جميع تعذيباته تعالى بسبب ذنوب المعذبين الذين قالوا
نصب او رفع على الذم وهم كعب بن الاشرف ومالك بن صيفي وحيي بن اخطب وفنحاص بن عازورا ووهب بن يهودا ان الله
عهد الينا امرنا في التورية واوصانا ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار كما كان عليه امر انبياء بني اسرائيل حيث
كان يقرب بالقربان فيقوم النبي عليه السلام فيدعو فتنزل نار من السماء فتاكله اي تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا
من مفترياتهم واباطيلهم فان اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات سواء ولما كان
محصل كلامهم الباطل ان عدم ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم لعدم اتيانه بما قالوا ولو تحقق الاتيان به لتحقق الايمان
رد عليهم بقوله تعالى قل اي تبكيتا لهم واظهارا لكذبهم قد جاءكم رسل كثيرة العدد كبيرة المقدار من قبلي بالبينات اي
المعجزات الواضحة وبالذي قلتم بعينه من القربان الذي تاكله النار فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين اي فيما يدل عليه
كلامكم من انكم تؤمنون لرسول ياتيكم بما اقترحتموه فان زكرياء ويحيى وغيرهما من الانبياء عليهم السلام قد جاؤكم بما قلتم
في معجزات اخر فما لكم لم تؤمنوا لهم حتى اجترأتم على قتلهم فان كذبوك شروع في تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم
اثر ما اوحي اليه ما يحزنه عليه السلام من مقالات الكفرة من المشركين واليهود وقوله تعالى فقد كذب رسل من قبلك
تعليل لجواب الشرط اي فقد كذب الى آخره ومن متعلقة بكذب او بمحذوف هو صفة لرسل اي كائنة من قبلك جاؤا
بالبينات اي المعجزات الواضحات صفة لرسل والزبر جمع الزبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرته اذا حسنته
وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته الى زجرته والكتاب المنير قيل ان التورية والانجيل والزبور والكتاب في عرف
القران ما يتضمن الشرايع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة المواقع وقرئ وبالزبر باعادة الجار
دلالة على انها مغايرة بالذات للبينات كل نفس ذائقة الموت وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت بالتنوين
وعدمه كما في قوله ولا ذاكرا الله الا قليلا وانما توفون اجوركم اي يعطون اجزية اعمالكم على التمام والكمال يوم القيمة اي يوم
قيامكم من القبور وفي لفظة التوفية اشارة الى بعض اجورهم يصل اليهم قبله كما ينبئ عنه قوله عليه السلام القبر
روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فمن زحزح عن النار اي بعد عنها يومئذ ونحي والزحزحة في الاصل تكرير
الزح وهو الجذب بعجلة وادخل الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبي صلى الله عليه
وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الاخر ويوتى الى الناس
ما يحب ان يؤتى اليه وما الحيوة الدنيا اي لذاتها وزخارفها الا متاع الغرور شبهت بالمتاع الذي يدلس به على المستام
ويغر حتى يشتريه وهذا لمن اثرها على الاخرة فاما من طلب بها الاخرة فهي له متاع بلاغ والغرور اما مصدر او جمع
غار لتبلون شروع في تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين عما سيلقونه من جهة الكفرة
من المكاره اثر تسليتهم عما قد وقع منهم ليوطنوا انفسهم على احتماله عند وقوعه ويستعدوا للقائه ويقابلوه بحسن
الصبر والثبات فان هجوم الاوجال مما يزلزل اقدام الرجال والاستعداد للمكروب مما يهون الخطوب واصل الابتلاء
الاختبار اي تطلب الخبرة بحال المختبر بتعريضه لامر يشق عليه غالبا ملابسته او مفارقته وذلك انما يتصور

حقيقة

نفي

حقيقة ممن لا وقوف له على عواقب الامور واما من جهة العليم الخبير فلا يكون الا مجازا من تمكينه للعبد من اختيار احد
الامرين قبل ان يرتب عليه شيئا هو من مباديه العادية كما مر والجملة جواب قسم محذوف اي والله لتبلون اي لتعاملن معاملة
المختبر ليظهر ما عندكم من الثبات على الحق والاعمال الحسنة وفائدة التوكيد اما تحقيق معنى الابتلاء تهوينا للخطب
واما تحقيق وقوع المبتلى به مبالغة في الحث على ما اريد منهم من التهيؤ والاستعداد في اموالكم بما يقع فيها من ضروب
الافات المؤدية الى هلاكها واما انفاقها في سبيل الخير مطلقا فلا يليق نظمه في سلك الابتلاء لما انه من باب
الاضعاف لا من قبيل الاتلاف وانفسكم بالقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من اصناف المتاعب والمخاوف والشدائد
ونحو ذلك وتقديم الاموال لكثرة وقوع الهلكة فيها ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اي من قبل ايتائكم القران
وهم اليهود والنصارى عبر عنهم بذلك للاشعار بمدار الشقاق والايذان بان بعض ما يسمعونه منهم مستند على زعمهم
الى الكتاب كما في قوله تعالى ان الله عهد الينا الى آخره والتصريح بالقبلية لتاكيد الاشعار وتقوية المدار فان قدم نزول
كتابهم مما يؤيد تمسكهم به ومن الذين اشركوا اذى كثيرا من الطعن في الدين المنيف والقدح في احكام الشرع الشريف
وصد من اراد ان يؤمن وتخطئة من آمن وما كان من كعب بن الاشرف واضرابه من هجاء المؤمنين وتحريض المشركين
على مضادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك مما لا خير فيه وان تصبروا اي على تلك الشدائد والبلوى
عند ورودها وتقابلوها بحسن التحمل وتتقوا اي تتبتلوا الى الله تعالى بالكلية معرضين عما سواه بالمرة بحيث
تساوي عندكم وصول المحبوب ولقاء المكروه فان ذلك اشارة الى الصبر والتقوى وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو درجتهما وبعد منزلتهما وتوحيد حرف الخطاب اما باعتبار كل واحد منهما من المخاطبين واما لان المراد بالخطاب
مجرد التنبيه من غير ملاحظة خصوصية احوال المخاطبين من عزم الامور من معزوماتها التي يتنافس فيها المتنافسون
اي مما يجب ان يعزم عليه كل احد لما فيه من كمال المزية والشرف او مما عزم الله تعالى عليه وامر به وبالغ فيه
يعني ان ذلك عزمة من عزمات الله لا بد ان تصبروا وتتقوا والجملة تعليل لجواب الشرط واقع موقعه كانه قيل
وان تصبروا وتتقوا فهو خير لكم او فقد فعلوا او فقد احسنتم او فقد اصبتم فان ذلك الى آخره ويجوز ان يكون ذلك
اشارة الى صبر المخاطبين وتقواهم فالجملة حينئذ جواب الشرط وفي ابراز الامر بالصبر والتقوى في صورة
الشرطية من اظهار كمال اللطف بالعباد ما لا يخفى واذ اخذ الله كلام مستانف سيق لبيان بعض اذياتهم
وهو كتمانهم ما في كتابهم من شواهد نبوته عليه الصلاة والسلام وغيرها واذ منصوب على المفعولية بمضمر
امر به النبي عليه الصلاة والسلام خاصة بطريق تجريد الخطاب اثر الخطاب الشامل له عليه السلام وللمؤمنين
لكون مضمونه من الوظائف الخاصة به عليه السلام وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث
مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها على ما مر بيانه في تفسير قوله واذ قال ربك للملائكة اني
جاعل الى آخره اي اذكر وقت اخذه تعالى ميثاق ميثاق الذين اوتوا الكتاب وهم علماء اليهود والنصارى ذكروا بعنوان
ايتاء الكتاب مبالغة في تقبيح حالهم لتبيننه حكاية لما خوطبوا به والضمير للكتاب وهو جواب لما ينبئ عنه اخذ
الميثاق كانه قيل لهم بالله لتبيننه للناس ولتظهرن جميع ما فيه من الاحكام والاخبار التي من جملتها امر
نبوته صلى الله عليه وسلم وهو المقصود بالحكاية وقرئ بالياء لانهم غيب ولا تكتمونه عطف على الجواب وانما لم
يؤكد بالنون لكونه منفيا كما في قولك والله لا يقوم زيد وقيل اكتفي بالتاكيد في الاول لانه تاكيد له وقيل هو حال
من ضمير المخاطبين اما على اضمار مبتدا بعد الواو اي وانتم لا تكتمونه واما على راي من جوز دخول الواو على المضارع
المنفي عند وقوعه حالا اي لتبيننه غير كاتمين والنهي عن الكتمان بعد الامر بالبيان اما للمبالغة في ايجاب المامور به واما
لان المراد بالبيان المامور به ذكر الايات الناطقة بنبوته عليه الصلاة والسلام وبالكتمان المنهي عنه القاء التاويلات
الزائغة والشبهات الباطلة وقرئ بالياء كما قبله فنبذوه النبذ الرمي والابعاد اي طرحوا ما اخذ منهم من الميثاق
الموثق بفنون التاكيد والقوة وراء ظهورهم ولم يراعوه ولم يلتفتوا اليه اصلا فان نبذ الشيء وراء الظهر مثل في

الاستهانة به والاعراض عنه بالكلية كما ان جعله نصب العين علم في كمال العناية به وفيه من الدلالة على تحتم
بيان الحق على علماء الدين واظهار ما منحوه من العلم للناس اجمعين وحرمة كتمانه لغرض من الاغراض الفاسدة
او طمع في غرض من الاغراض الفانية الكاسدة ما لا يخفى وعن النبي عليه السلام من كتم علما عن اهله الجم
بلجام من نار وعن طاوس انه قال لوهب بن منبه اني ارى الله سوف يعذبك بهذه الكتب وقال والله لو كنت
نبيا فكتمت العلم لرايت ان الله سيعذبك وعن محمد بن كعب لا يحل لاحد من العلماء ان يسكت على علمه ولا
يحل لجاهل ان يسكت على جهله حتى يسال وعن علي رضي الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ
على اهل العلم ان يعلموا واشتروا به اي بالكتاب الذي امروا ببيانه ونهوا عن كتمانه فان ذكر نبذ الميثاق يدل
على ذلك دلالة واضحة وايقاع الفعل على الكل مع ان المراد به كتم بعضه كدلائل نبوته عليه السلام ونحوها
لما ان ذلك كتم للكل به اذ بتم الكتمان كما ان رفض بعض اركان الصلوة رفض لكلها او بمنزلة كتم الكل من حيث انهما
سيان في الشناعة واستجرار العقاب كما في قوله تعالى وان لم تفعل فما بلغت رسالته والاشتراء مستعار
لاستبدال متاع الدنيا بما كتموا اي تركوا ما امروا به واخذوا بدله ثمنا قليلا اي شيئا تافها حقيرا من حطام
الدنيا واعراضها في تصوير هذه المعاملة لاسيما بالاشتراء المؤذن بالرغبة في الماخوذ والاعراض عن المعطى و
التعبير عن المشترى الذي هو العمدة في العقد والمقصود بالمعاملة بالثمن الذي شانه ان يكون وسيلة اليه وجعل
الكتاب الذي حقه ان يتنافس المتنافسون مصحوبا بالباء الداخلة على الالات والوسائل من نهاية الجزالة والدلالة على
كمال فظاعة حالهم وغاية قبحها بايثارهم الدني الحقير على الشريف الخطير وتعكيسهم بجعلهم المقصد الاصلي وسيلة
والوسيلة مقصدا ما لا يخفى جلالة شانه ورفعة مكانه فبئس ما يشترون ذلك الثمن ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل
بئس ويشترون صفة والمخصوص بالذم محذوف اي بئس شيئا يشترون ذلك الثمن لا تحسبن الخطاب لرسول الله
عليه الصلاة والسلام او لكل احد ممن يصلح له الذين يفرحون بما اتوا اي بما فعلوا كما في قوله تعالى انه كان وعده ماتيا ويدل
عليه قراءة ابي يفرحون بما فعلوا وقرئ بما اتوا بمعنى اعطوا وبما اوتوا اي اوتوه من علم التورية قال ابن عباس رضي الله عنهما
هم اليهود حرفوا التورية وفرحوا بذلك واحبوا ان يوصفوا بالديانة والفضل وروي ان رسول الله عليه الصلوة و
السلام سال اليهود عن شيء مما في التورية فكتموا الحق واخبروه بخلافه وراوه انهم صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا
بما فعلوا وقيل فرحوا بكتمان النصوص الناطقة بنبوته عليه الصلوة والسلام واحبوا ان يحمدوا بانهم متبعون ملة
ابرهيم عليه الصلوة والسلام فالموصول عبارة عن المذكورين او عن مشاهيرهم موضوع موضع ضميرهم والجملة مسوقة
لبيان ما يستتبعه اعمالهم المحكية من العقاب الاخروي اثر بيان قباحتها وقد ادمج فيها بيان بعض اخر من شناعتهم
وهو اصرارهم على ما هم عليه من القبايح وفرحهم بذلك ومحبتهم لان يوصفوا بما ليس فيهم من الاوصاف الجميلة
وقد نظم ذلك في سلك الصلة التي حقها ان تكون معلومة الثبوت للموصول عند المخاطب ايذانا بشهرة اتصافهم
بذلك وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم راوا المصلحة في ذلك واستحمدوا به وقيل هم المنافقون
كافة وهو الانسب بظاهر قوله تعالى ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا لشهرة انهم كانوا يفرحون بما فعلوا من اظهار الايمان و
قلوبهم مطمئنة بالكفر ويستحمدون الى المسلمين بالايمان وهم عن فعله بالف منزل وكانوا يظهرون محبة المؤمنين
وهم في غاية القاصية من العداوة فالموصول عبارة عن طايفة معهودة من المذكورين وغيرهم لان اكثر المنافقين كانوا
من اليهود ولعل الاولى اجراء الموصول على عمومه شاملا لكل من ياتي بشيء من الحسنات فيفرح به فرح اعجاب ويود
ان يمدحه الناس بما هو عار منه من الفضايل منتظما للمعهودين انتظاما اوليا وايا ما كان فهو مفعول اول لتحسبن
وقوله تعالى فلا تحسبنهم تاكيد له والفاء زايدة والمفعول الثاني قوله تعالى بمفازة من العذاب اي ملتبسين بنجاة منه
على ان المفازة مصدر ميمي ولا يضر تانيثها بالتاء لما انها مبنية عليها وليست للدلالة على الوحدة كما في قوله ٭
فلولا رجاء النصر منك ورهبة عقابك قد كان بالموارد ولا سبيل الى جعلها اسم مكان على ان الجار متعلق بمحذوف

وقع صفة

وقع صفة لها اي بمفازة كائنة من العذاب لانها ليست من العذاب وتقدير فعل خاص يصح به المعنى بمفازة منجية من العذاب
مع كونه خلاف الاصل تعسف مستغنى عنه وقرئ بضم الباء في الفعلين على ان الخطاب شامل للمؤمنين ايضا وقرئ بياء
الغيبة وفتح الباء فيهما على ان الفعل له عليه السلام او لكل واحد ممن يتاتى منه الحسبان ومفعولاه كما ذكر وقرئ بضم
الباء في الثاني فقط على ان الفعل للموصول والمفعول الاول محذوف لكونه عين الفاعل والثاني بمفازة اي لا يحسبن الذين
يفرحون انفسهم فائزين وقوله تعالى فلا تحسبنهم تاكيد للاول والفاء زائدة كما مر ويجوز ان يحمل الفعل الاول على حذف
المفعولين اختصارا لدلالة مفعول الثاني عليهما على عكس ما في قوله باي كتاب او سنة ترى حبهم عارا علي وتحسب حيث حذف
فيه مفعولا الثاني لدلالة مفعولي الاول عليهما او على ان الفعل الاول للرسول صلى الله عليه وسلم ولكل حاسب ومفعوله
الاول الموصول والثاني محذوف لدلالة مفعول الفعل الثاني عليه والفعل الثاني مسند الى ضمير الموصول والفاء للعطف
لظهور تفرع عدم حسبانه عليه الصلوة والسلام ومفعولاه الضمير المنصوب وقوله تعالى بمفازة وتصدير الوعيد بنهيهم
عن الحسبان المذكور للتنبيه على بطلان ارائهم الركيكة وقطع اطماعهم الفارغة حيث كانوا يزعمون انهم ينجون بما صنعوا من
عذاب الاخرة كما نجوا به من المواخذة الدنيوية وعليه كان مبنى فرحهم واما نهيه عليه الصلوة والسلام فللتعريض بحسبانهم
المذكور لا لاحتمال وقوع الحسبان من جهته عليه الصلوة والسلام ولهم عذاب اليم بعد ما اشير الى عدم نجاتهم من مطلق
العذاب حقق ان لهم فردا منه لا غاية له في المدة والشدة كما يلوح به الجملة الاسمية والتنكير التفخيمي والوصف ولله اي
خاصة ملك السموات والارض اي السلطان القاهر فيهما بحيث يتصرف فيهما وفيما فيهما كيفما يشاء ويريد ايجادا واعداما
احياء واماتة تعذيبا واثابة من غير ان يكون لغيره شائبة دخل في شيء من ذلك بوجه من الوجوه فالجملة مقررة لما
قبلها وقوله تعالى والله على كل شيء قدير تقرير لاختصاص ملك العالم الجسماني المعبر عنه بقطريه به سبحانه وتعالى
فان كونه تعالى قادرا على الكل بحيث لا يشذ من ملكوته شيء من الاشياء يستدعي كون ما سواه كائنا ما كان مقدورا له
ومن ضرورته اختصاص القدرة به تعالى واستحالة ان يشاركه شيء من الاشياء في القدرة على شيء من الاشياء فضلا
عن المشاركة في ملك السموات والارض وفيه تقرير لما مر من ثبوت العذاب الاليم لهم وعدم نجاتهم منه اثر تقرير
واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة والاشعار بمناط الحكم فان شمول القدرة لجميع الاشياء
من احكام الالوهية مع ما فيه من الاشعار باستقلال كل من الجملتين بالتقرير ان في خلق السموات جملة مستانفة
سيقت لتقرير ما سبق من اختصاصه تعالى بالسلطان القاهر والقدرة التامة صدرت بكلمة التاكيد اعتناء
بتحقيق مضمونها اي في انشائها على ما هي عليه في ذواتها وصفاتها من الامور التي يحار في فهم اجلاها العقول
والارض على ما هي ذاتا وصفة واختلاف الليل والنهار اي في تعاقبهما في وجه الارض وكل منهما خلفة للاخر بحسب
طلوع الشمس وغروبها التابعين لحركات السموات وسكون الارض او في تفاوتهما بازدياد كل منهما بانتقاص الاخر
وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة الينا قربا وبعدا بحسب الازمنة او في اختلافهما وتفاوتهما
بحسب الامكنة اما في الطول والقصر فان البلاد القريبة من القطب الشمالي ايامها الصيفية اطول ولياليها
الصيفية اقصر من ايام البلاد البعيدة منها ولياليها واما في انفسها فان كروية الارض تقتضي ان يكون بعض
الاوقات في بعض الاماكن ليلا وفي مقابله نهارا وفي بعضها صباحا وفي بعضها ظهرا او عصرا او غير ذلك والليل
قيل انه اسم جنس يفرق بينه وبين واحده بالتاء كتمر وتمرة والليالي جمع جمع والصحيح انه مفرد ولا يحفظ له جمع
والليالي جمع ليلة وهو جمع غريب كانهم توهموا انها ليلاة كما في كيكة وكياكي كانها جمع كيكاة والنهار اسم لما بين طلوع الفجر
وغروب الشمس قاله الراغب وقال ابن فارس هو ضياء ما بينهما وتقديم الليل على النهار اما لانه الاصل فان غرر الشهور
تظهر في الليالي واما لتقدمه في الخليقة حسبما ينبئ عنه قوله تعالى واية لهم الليل نسلخ منه النهار اي نزيله عنه
فيخلفه لايات اسم ان دخلته اللام لتاخره عن خبرها والتنكير للتفخيم كما وكيفا اي لايات كثيرة عظيمة لا يقادر قدرها
دالة على تعاجيب شؤونه التي من جملتها ما مر من اختصاص الملك العظيم والقدرة التامة سبحانه وعدم التعرض لما

كون

ذكر في سورة البقرة من الفلك والمطر وتصريف الرياح والسحاب لما ان المقصود ههنا بيان استبداده تعالي بما
ذكر من الملك والقدرة فاكتفي بمعظم الشواهد الدالة علي ذلك واما هناك فقد قصد في ضمن بيان اختصاصه تعالي
بالالوهية بيان اتصافه تعالي بالرحمة الواسعة فنظمت دلايل الفضل والرحمة في سلك دلايل التوحيد فان ما
فصل هناك من ايات رحمته تعالي كما انه من ايات الوهيته ووحدته **لأُولِي الْأَلْبَابِ** اي لذوي العقول المجلوة الخالصة
عن شوايب الحس والوهم المجردين عن العلايق النفسانية المتخلصين عن العوايق الظلمانية المتاملين في احوال
الحقايق واحكام النعوت المراقبين في اطوار الملك واسرار الملكوت المتفكرين في بدايع صنايع الملك الخلاق
المتدبرين في روايع حكمه المودعة في الانفس والافاق الناظرين الي العالم بعين الاعتبار والشهود المتفحصين عن
حقيقة سر الحق في كل موجود مثابرين علي مراقبته وذكراه غير ملتفتين الي شيء مما سواه الا من حيث انه مراة
لمشاهدة جماله واله لملاحظة صفات كماله فان كل من ظهر في مظاهر الابداع وحضر محاضر التكوين و
الاختراع سبيل سوي الي عالم التوحيد ودليل قوي علي الصانع المجيد ناطق بايات قدرته فهل من سامع
داع ومخبر بانشاء علمه وحكمه فهل له من داع يكلم الناس علي قدر عقولهم ويردجوابهم بحسب معقولهم
يحاورتارة باوضح عبارة ويلوح اخري بالطف اشارة مراعيا في الجواب ابهامهم وتصريحهم وان من شيء
الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم فتامل في هذه الشؤن والاسرار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار
عن عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال هل لك يا عايشة ان تاذني لي الليلة في عبادة ربي
فقلت يا رسول الله اني لاحب قربك واحب هواك قد اذنت لك فقام الي قربة من ماء في البيت فتوضا ولم يكثر
من صب الماء ثم قام يصلي فقراء من القران وجعل يبكي حتي بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله تعالي واثني عليه وجعل
يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتي رايت دموعه قد بلت الارض فاتاه بلال يوذنه بصلاة الغداة فراه يبكي فقال له يا رسول
الله اتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال ومالي لا ابكي وقد
انزل الله تعالي علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض الي اخره ثم قال ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها وروي ويل لمن
لاكها بين فكيه ولم يتاملها وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر
الي السماء ثم يقول ان في خلق السموات والارض الي اخره **الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ** الموصول اما موصول باولي الالباب مجرور
علي انه نعت كاشف له بما في حيز الصلة واما مفعول عنه مرفوع او منصوب علي المدح او مرفوع علي انه خبر لمبتداء
محذوف وقيل هو مرفوع علي الابتداء والخبر هو القول المقدر قبل قوله تعالي ربنا وفيه من تفكيك النظم الجليل
ما لا يخفي واياما كان فقد اشير بما في حيز الصلة ان المراد بهم الذين لا يغفلون عنه تعالي في عامة اوقاتهم لاطمئنان
قلوبهم بذكره واستغراق سرايرهم في مراقبته لما ايقنوا بان كل ما سواه فايض منه وعايد اليه فلا يشاهدون حالا
من الاحوال في انفسهم واليه اشير بقوله عز وجل **قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ** ولا في الافاق واليه اشير بما بعد
الا وهم يعاينون في ذلك شانا من شؤنه تعالي فالمراد به ذكره تعالي مطلقا سواء كان ذلك من حيث الذات او من
حيث الصفات والافعال وسواء قارنه الذكر اللساني اولا واما ما يحكي عن ابن عمر وعروة ابن الزبير وجماعة من
الصحابة رضي الله عنهم من انهم خرجوا يوم العيد الي المصلي فجعلوا يذكرون الله تعالي فقال بعضهم اما قال الله تعالي
يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا يذكرون الله علي اقدامهم فليس مرادهم تفسير الاية وتحقيق مصداقها علي التعيين
وانما ارادوا به التبرك بنوع موافقة لها في ضمن الاتيان بفرد من افراد مدلولها واما حمل الذكر علي الصلوة في هذه الاحوال
حسب الاستطاعة كما قال عليه السلام لعمران بن الحصين صل قايما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلي جنب
تومي ايماء فمما لا يساعده سياق النظم الجليل ولا سياقه والقيام والقعود جمع قايم وقاعد كنيام ورقود جمع
نايم وراقد وانتصابهما علي الحالية من ضمير يذكرون اي يذكرونه قايمين وقاعدين وقوله تعالي وعلي جنوبهم متعلق
بمحذوف معطوف علي الحالين اي وكاينين علي جنوبهم اي مضطجعين والمراد تعميم الذكر للاوقات كما مر وتخصيص

الاحوال المذكورة بالذكر ليس لتخصيص الذكر بها بل لانها الاحوال المعهودة التي لا يخلو عنها الانسان غالبا **وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ** عطف علي يذكرون منتظم معه في حيز الصلة فلا محل له من الاعراب وقيل محله النصب علي انه معطوف علي الاحوال السابقة
وليس بظاهر وهو بيان لتفكرهم في افعاله سبحانه اثر بيان تفكرهم في ذاته تعالي علي الاطلاق واشارة الي نتيجته التي تودي اليها من
من معرفة احوال المعاد حسبما نطقت به السنة الرسل وايات الكتاب فكما انها تشريعية هادية للخلق الي معرفته تعالي ووجوب
طاعته كذلك المخلوقات ايات تكوينية مرشدة لهم الي ذلك فالاولي منبهات لهم علي الثانية ودواع الي الاستشهاد بها كهذه
الاية الكريمة ونحوها مما ورد في مواقع غير محصورة من التنزيل والثانية مويدات للاولي وشواهد دالة علي صحة مضمونها وحقيقة
مكنونها فان من تامل في تضاعيف خلق العالم علي هذا النمط البديع قضي باتصاف خالقه تعالي بجميع ما نطقت به الرسل والكتب من
الوجوب الذاتي والوحدة الذاتية والملك القاهر والقدرة التامة والعلم الشامل والحكمة البالغة وغير ذلك من صفات الكمال وحكم بان
من قدر علي انشايه بلا مثال يحتذيه او قانون ينتحيه فهو علي اعادته بالبعث اقدر وحكم بان ذلك ليس الا لحكمة باهرة هي جزاء
المكلفين بحسب استحقاقهم المنوط باعمالهم اي علومهم واعتقاداتهم التابعة لانظارهم فيما نصب لهم من الحجج والدلايل و
الامارات والمخايل وساير اعمالهم المتفرعة علي ذلك فان العمل غير مختص بعمل الجوارح بل متناول للعمل القلبي بل هو اشرف افراده
لما ان الكل من القلب والقالب عملا خاصا به ومن قضيته كون الاول اشرف من الثاني كون عمله ايضا اشرف من عمله كيف لا ولا
عمل بدون معرفته تعالي التي هي اول الواجبات علي العباد والغاية القصوي من الخلق علي ما نطق به قوله عز وجل وما خلقت
الانس والجن الا ليعبدون اي ليعرفون كما اعرب عنه قوله عليه الصلوة والسلام كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت
الخلق لاعرف وانما طريقها النظر به التفكر فيما ذكر من شؤنه تعالي وقد روي عنه عليه السلام انه قال لا تفضلوني علي يونس
ابن متي فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله تعالي ولذلك قال عليه الصلوة والسلام
لا عبادة مثل التفكر وقد عرفت انه مستتبع لتحقيق ما جاءت به الشريعة الحقة والا لما فسر النبي عليه الصلوة والسلام قوله
تعالي وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه علي الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا بقوله عليه الصلوة والسلام
ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله تعالي فان التورع عن محارمه سبحانه موقوف علي معرفة الحلال والحرام المنوطة بالكتاب
والسنة فحينئذ يتصادق الايات التكوينية ويتوافق الادلة العقلية والسمعية وهو السر في حكم نظم ما حكي عن المتفكرين
من الامور المستدعية للايمان بالشريعة في سلك نتيجة تفكرهم كما ستقف عليه واظهار خلق السموات والارض مع
كفاية الاضمار لابراز كمال العناية ببيان حالهم والايذان بكون تفكرهم علي وجه التحقيق التفصيل وعدم التعرض لاداء

ج

اختلاف الملوين في سلك التفكر مع ذكره فيما سلف اما للايذان بظهور اندراجه فيه لما ان ذلك من الاحوال التابعة
لاحوال السموات والارض كما اشير اليه واما للاشعار بمسارعتهم الي الحكم بالنتيجة بمجرد تفكرهم في بعض الايات من غير
حاجة الي بعض اخر منها في اثبات المطلوب والخلق مصدر علي حاله اي يتفكرون في انشايهما وابداعهما بما فيهما من
عجايب المصنوعات وقيل بمعني المخلوق علي ان الاضافة بمعني في اي يتفكرون فيما خلق فيهما اعم من ان يكون بطريق
الجزئية منهما او بطريق الحلول فيهما او علي انها بيانية **رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا** كلمة هذا اشارة الي السموات والارض
متضمنة لضرب من التعظيم كما في قوله تعالي ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم والتذكير لما انهما باعتبار تعلق الخلق بهما
في معني المخلوق او الي الخلق علي تقدير كونه بمعني المخلوق وباطلا اما صفة لمصدر موكد محذوف او حال من المفعول به
اي ما خلقت هذا المخلوق البديع العظيم الشان عبثا عاريا عن الحكمة خاليا عن المصلحة كما ينبي عنه اوضاع الغافلين عن ذلك
المعرضين عن التفكر فيه بل منتظما لحكم جليلة ومصالح عظيمة من جملتها ان يكون مدار المعايش العباد ومنارا يرشدهم
الي معرفة احوال المبدا والمعاد حسبما افصح عنه الرسل والكتب الالهية كما حققته مفصلا والجملة بتمامها في
حيز النصب بقول مقدر هو علي تقدير كون الموصول نعتا لاولي الالباب استيناف مبني لنتيجة التفكر ومدلول الايات
ناشي مما سبق فان النفس عند سماع تخصيص الايات المصونة في خلق العالم باولي الالباب ثم وصفهم بذكر الله تعالي و
التفكر في مجال تلك الايات تبقي مترقبة لما يظهر منهم من اثارها واحكامها كانه قيل فماذا يكون عند تفكرهم في ذلك

وما ذا يترتب عليه من النتيجة فقيل يقولون كيت وكيت مما ينبئ عن وقوفهم على سر الخلق المودي الى معرفة صدق الرسل
وحقية الكتب الناطقة بتفاصيل الاحكام الشرعية على التفصيل الذي وقفت عليه واما جعله حالا من المستكن والفعل
كما اطبق عليه الجمهور فمما لا يساعده جزالة النظم الكريم لما ان ما في حيز الصفة وما هو قيد له حقه ان يكون من مبادي
الحكم الذي اجري عليه الموصول ودواعي ثبوته له كذكرهم لله عز وجل في عامة اوقاتهم وتفكرهم في خلق السموات والارض
فانهما مما يودي الى اجتلاء تلك الايات والاستدلال بها على المطلوب ولا ريب في ان قولهم في ذلك ليس من مبادي الاستدلال
المذكور بل من نتايجها المترتبة عليه فاعتباره قيدا لما في حيز الصلة مما لا يليق بشان التنزيل الجليل نعم هو حال من ذلك
على تقدير كون الموصول مرفوعا او منصوبا على المدح او مرفوعا على انه خبر لمبتداء محذوف اذ لا اشتباه في ان قولهم
ذلك من مبادي مدحهم ومحاسن مناقبهم وفي ابراز هذا القول في معرض الحال دون الخبر اشعار بمقارنته لتفكرهم
من غير تلعثم وتردد في ذلك وقوله تعالى **سُبْحَانَكَ** اي تنزيها لك مما لا يليق بك من الامور التي من جملتها خلق ما لا حكمة
فيه اعتراض موكد لمضمون ما قبله وممد لما بعده من قوله تعالى **فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** فان معرفة سر خلق العالم وما فيه من
الحكمة البالغة والغاية الحميدة والقيام بما يقتضيه من الاعمال الصالحة وتنزيه الصانع تعالى عن العبث من دواعي
الاستعاذة مما يحيق بالمخلين بذلك من وجهين احدهما الوقوف على تحقق العذاب فالفاء لترتيب الدعاء على ما ذكر
والثاني الاستعداد لقبول الدعاء فالفاء لترتيب المدعو اعني الوقاية على ذلك كانه قيل واذ قد عرفنا سرك واطعنا امرك
ونزهناك عما لا ينبغي لك فقنا عذاب النار الذي هو جزاء الذين لا يعرفون ذلك **رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ** مبالغة في
استدعاء الوقاية وبيان لسببه وتصدير الجملة بالنداء للمبالغة في التضرع والتفرع والجوار وتاكيدها لاظهار كمال
اليقين بمضمونها والايذان بشدة الخوف واظهار النار في موضع الاضمار لتهويل امرها وذكر الادخال في مورد العذاب
لتعيين كيفيته وتبيين غاية فظاعته قال الواحدي للاخزاء معان متقاربة يقال اخزاه الله اي ابعده وقيل اهلكه وقيل
فضحه قال ابن الانباري الخزي لغة الهلاك بتلف او بانقطاع حجة او بوقوع في بلاء والمعنى فقد اخزيته خزيا لا غاية وراءه
كقولهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك اي المرعى الذي لا مرعى بعده وفيه من الاشعار بفظاعة العذاب الروحانية
ما لا يخفى وقوله تعالى **وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ** تذييل لاظهار نهاية فظاعة حالهم ببيان خلود عذابهم بفقدان من ينصرهم
ويقوم بتخليصهم وغرضهم تاكيد الاستدعاء ووضع الظالمين موضع ضمير المدخلين لذمهم والاشعار بتعليل دخولهم
النار بظلمهم ووضعهم الاشياء في غير مواضعها وجمع الانصار بالنظر الى جميع الظالمين اي ما لظالم من الظالمين
نصير من الانصار والمراد به من ينصر بالمدافعة والقهر وليس في الاية دلالة على نفي الشفاعة على ان المراد بالظالمين
هم الكفار **رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ** حكاية لدعاء اخر لهم مبني على تاملهم في الدليل السمعي بعد حكاية دعائهم
السابق المبني على التفكر في الادلة العقلية وتصدير مقدمة الدعاء بالنداء لاظهار كمال الضراعة والابتهال والتاكيد
للايذان بصدور المقال عنهم بوفور الرغبة وكمال النشاط والمراد بالنداء الدعاء وتعديته بالى لتضمنها معنى الانتهاء وباللام
لاشتمالها على معنى الاختصاص والمراد بالمنادي الرسول صلى الله عليه وسلم وتنوينه للتفخيم وايثاره على الداعي للدلالة
على كمال اعتنائه بشان الدعوة وتبليغها الى الداني والقاصي لما فيه من الايذان برفع الصوت وينادي صفة لمناديا
عند الجمهور كما في قولك سمعت رجلا يقول كيت وكيت ولو كان معرفة لكان حالا منه كما اذا قلت سمعت زيدا يقول الى
اخره ومفعول ثان لسمعنا عند الفارسي واتباعه وهذا اسلوب بديع يصار اليه للمبالغة في تحقيق السماع والايذان
بوقوعه بلا واسطة عند صدور المسموع عن المتكلم وللتوسل الى تفصيله واستحضار صورته وقد اختص النظم الكريم
بمزية زايدة على ذلك حيث عبر عن المسموع منه بالمنادي ثم وصف بالنداء للايمان على طريقة قولك سمعت متكلما يتكلم
بالحكمة لما ان التفسير بعد الابهام والتقييد بعد الاطلاق اوقع عند النفس واجدر بالقبول قيل المنادي القران العظيم
أَنْ آمِنُوا اي امنوا على ان تفسيرية او بان امنوا على انها مصدرية **بِرَبِّكُمْ** بمالككم ومتولي اموركم ومبلغكم الى الكمال
وفي اطلاق الايمان ثم تقييده تفخيم لشانه **فَآمَنَّا** اي فامتثلنا بامره واجبنا نداءه **رَبَّنَا** تكرير للتضرع واظهار لكمال

الخضوع

الخضوع وعرض الاعتراف بربوبيته مع الايمان والفاء في قوله تعالى **فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا** اي كبايرنا فان الايمان يجب
ما قبله **وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا** اي صغايرنا فانها مكفرة عن مجتنب الكباير **وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ** اي مخصوصين بصحبتهم مغتنمين
بجوارهم معدودين من زمرتهم وفيه اشعار بانهم كانوا يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار
جمع بار او بر كاصحاب وارباب **رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ** حكاية لدعاء اخر لهم مسبوق بما قبله معطوف عليه لتاخر التحلية عن
التخلية وتكرير النداء لما مر مكررا والمراد بالموعود الثواب وعلى اما متعلقة بالوعد كما في قولك وعد الله الجنة على الطاعة
اي وعدتنا على تصديق رسلك او بمحذوف وقع صفة لمصدر موكد محذوف اي وعدتنا وعدا كاينا على السنة رسلك وقيل
التقدير منزلا على رسلك او محمولا على رسلك ولا يخفى ان تقدير الافعال الخاصة في مثل هذه المواقع تعسف وجمع الرسل
مع ان المنادي هو الرسول صلى الله عليه وسلم وحده لما ان دعوته عليه الصلوة والسلام لا سيما في باب التوحيد وما اجمع عليه
الكل من الشرايع منطوية على دعوة الكل فتصديقه تصديق لهم عليهم الصلوة والسلام كيف لا وقد اخذ منهم الميثاق بالايمان
به عليه الصلوة والسلام لقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم الاية وكذا الموعود على لسانه من الثواب
موعود على السنة الكل وايثار الجمع لاظهار كمال الثقة بانجاز الموعود بناء على كثرة الشهود **وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ** قصدوا
بذلك تذكير وعده تعالى بقوله يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه مظهرين انهم ممن امن معه رجاء للانتظام في سلكهم
يومئذ وقوله تعالى **إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ** تعليل لتحقيق ما نظموا في سلك الدعاء وهذه الدعوات وما في تضاعيفها
من كمال الضراعة والابتهال ليست لخوفهم من اخلاف الميعاد بل لخوفهم من ان لا يكونوا من جملة الموعودين بتغير الحال
وسوء الخاتمة والمال فمرجعها الى الدعاء بالتثبيت او للمبالغة في التعبد والخشوع والميعاد الوعد وعن ابن عباس رضي
الله عنهما انه البعث بعد الموت وفي الاثار من حزبه امر فقال ربنا ربنا خمس مرات انجاه الله مما يخاف واعطاه مما اراد وقرا
هذه الاية **فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ** الاستجابة بمعنى الاجابة وقال تاج القراء الاجابة عامة والاستجابة خاصة باعطاء المسئول
وتتعدى باللام وبنفسها كما في قوله • فلم يستجبه عند ذاك مجيب • وهو عطف على الاستيناف المقدر فيما سلف
مترتب على ما في حيزه من الادعية كما ان قوله عز وجل ثم قيل للذين ظلموا الى اخره عطف على قيل المقدر قبل الان اي قيل لهم
الان امنتم به ثم قيل الاية وكما ان قوله تعالى في سورة الاعراف ونطبع على قلوبهم معطوف على ما دل عليه اولم يهد لهم
كانه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع الى اخره ولا ضير في اختلافهما صيغة المستقبل هناك للدلالة على الاستمرار المناسب
لمقام الدعاء وصيغة الماضي ههنا للايذان بتحقق الاستجابة وتقررها كما لا ضير في الاختلاف بين قوله تعالى اذ تستغيثون
ربكم وبين ما عطف عليه من قوله تعالى فاستجاب لكم كما سياتي ويجوز ان يكون معطوفا على مضمر يلساق اليه الذهن
اي دعوا بهذه الادعية فاستجاب الى اخره واما على تقدير كون المقدر حالا فهو عطف على يتفكرون باعتبار مقارنته
لما وقع حالا من فاعله اعني قوله ربنا ربنا الى اخره فان الاستجابة مترتبة على دعواتهم لا على مجرد تفكرهم وحيث كانت
هي من اوصافهم الجميلة المترتبة على اعمالهم بالاخرة استحقت الانتظام في سلك محاسنهم المعدودة في اثناء مدحهم
واما على تقدير كون الموصول نعتا لاولي الالباب فلا مساغ لهذا العطف اصلا لما عرفت من ان حق ما في حيز
الصلة ان يكون من مبادي جريان الحكم على الموصول وقد عرفت ان دعواتهم السابقة ليست كذلك فاين الاستجابة
المتاخرة عنها وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم من تشريفهم واظهار
اللطف بهم ما لا يخفى **أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ** اي باني وهكذا قرا ابي والباء للسببية كانه قيل فاستجاب لهم ربهم بسبب
انه لا يضيع عمل عامل منهم اي سنته السنية مستمرة على ذلك والالتفات الى التكلم والخطاب لاظهار كمال الاعتناء بشان
الاستجابة وتشريف الداعين بشرف الخطاب والمراد تاكيدها ببيان سببها والاشعار بان مدارها اعمالهم التي قدموها
على الدعاء لا مجرد الدعاء وتعميم الوعد لساير العاملين وان لم يبلغوا درجة اولي الالباب لتاكيد استجابة الدعوات
المذكورة والتعبير عن ترك الاثابة بالاضاعة مع انه ليس باضاعة حقيقة اذ الاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من
تخلفه عنها ضياعها لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه من القبايح وابراز الاثابة

في معرض الامور الواجبة عليه وقرئ بكسر الهمزة على ارادة القول اي قايلا اني الى آخره فلا التفات حينئذ وقرئ لا اضيع بالتشديد
ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة العامل اي عامل كاين منكم وقوله تعالى من ذكر او انثى بيان لعامل وتاكيد لعمومه وقوله تعالى
بعضكم من بعض جملة معترضة مبينة لسبب انتظام النساء في سلك الرجال في الوعد فان كون كل منهما من الاخر لتشعبهما من
اصل واحد ولفرط الاتصال بينهما اولاتفاقهما في الدين والعمل مما يستدعي الشركة والاتحاد في ذلك روي ان ام سلمة رضي
الله عنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني اسمع الله تعالى يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت قوله تعالى فالذين
هاجروا الخ ضرب تفصيل لما اجمل في العمل وتعداد لبعض احاسن افراده على وجه المدح والتعظيم اي فالذين هاجروا الشرك
والاوطان والعشاير للدين وقوله تعالى واخرجوا من ديارهم على الاول عبارة عن نفس الهجرة وعلى الثاني عن كيفيتها وكونها بالقسر
والاضطرار واوذوا في سبيلي اي بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وهو متناول لكل اذية نالتهم من قبل المشركين وقاتلوا اي
الكفار في سبيل الله تعالى وقتلوا استشهدوا في القتال وقرئ بالعكس لما ان الواو لا يستدعي الترتيب اولان المراد
قتل بعضهم وقتال آخرين اذ ليس المعنى على اتصاف كل فرد من افراد الموصول المذكور بكل واحد مما ذكر في حيز الصلة بل على اتصاف الكل
بالكل في الجملة سواء كان ذلك باتصاف كل فرد من الموصول بواحد من الاوصاف المذكورة او باثنين منها او باكثر اما بطريق
التوزيع او بطريق حذف بعض الموصولات من البين كما هو راي الكوفيين كيف لا ولو اديرالحكم على اتصاف كل فرد بالكل لكان قد
اضيع عمل من اتصف بالبعض وقرئ قتلوا بالتشديد لاكفرن عنهم سيئاتهم جواب قسم محذوف اي والله لاكفرن والجملة
القسمية خبر للمبتدأ الذي هو الموصول وهذا تصريح بوعد ما ساله الداعون وبخصوصه بعد ما وعد ذلك عموما وقوله
تعالى ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار اشارة الى ما عبر عنه الداعون فيما قبل بقولهم واتنا ما وعدتنا على رسلك وتفسير
له ثوابا مصدر موكد لما قبله فان تكفير السيات وادخال الجنة في معنى الاثابة وقوله تعالى من عند الله متعلق بمحذوف
هو صفة له مبينة لشرفه اي لاثيبنهم اثابة كاينة او تثويبا كاينا من عنده تعالى بالغا الى الرتبة القاصية من الشرف
وقوله تعالى والله عنده حسن الثواب اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله والاسم الجليل مبتدأ خبره عنده وحسن
الثواب مرتفع بالظرف على الفاعلية لاعتماده على المبتدأ او هو مبتدأ ثان والظرف خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول والعندية
عبارة عن الاختصاص به تعالى مثل كونه بقدرته تعالى وفضله بحيث لا يقدر عليه غيره بحال شيء يكون بحضرة احد لا يد
عليه لغيره فالاختصاص مستفاد من التمثيل سواء جعل عنده خبرا مقدما لحسن الثواب اولا وفي تصدير الوعد الكريم
بعدم اضاعة العمل ثم تعقيبه بمثل هذا الاحسان الذي لا يقادر قدره من لطف المسلك المنبئ عن عظم شان المحسن ما لا
يخفى لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد بيان لقبح ما اوتي الكفرة من حظوظ الدنيا وكشف حقارة شانها وسوء مغبتها اثر بيان
حسن ما اوتي المومنون من الثواب والخطاب للنبي عليه الصلوة والسلام على ان المراد تثبيته على ما هو عليه كقوله تعالى ولا
تطع المكذبين او على ان المراد نهي المؤمنين كما يوجه الخطاب الى مدارة القوم ورؤسائهم والمراد افناؤهم ولكل احد ممن يصلح
للخطاب من المؤمنين والنهي للمخاطب وانما جعل للتقلب منهم مثلا للتبسط في المكاسب والمتاجر والزراع روي ان بعض
المومنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله تعالى فيما نرى من الخير وقد اهلكنا من الجوع والجهد
فنزلت وقرئ لا يغرنك بالنون الخفيفة متاع قليل خبر لمبتدأ محذوف اي هو متاع قليل لا قدر له في جنب ما ذكر من ثواب
الله تعالى قال عليه الصلوة والسلام ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع فاذا الاجدى
وجوده لواجده ولا يضر فقدانه لفاقده ثم ماواهم اي مصيرهم الذي ياوون اليه لا يبرحونه جهنم التي لا يوصف عذابها
وقوله تعالى وبئس المهاد ذم لها وايذان بان مصيرهم اليها مما جنته انفسهم وكسبته ايديهم والمخصوص بالذم محذوف
اي بئس ما مهدوا لانفسهم جهنم لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها بيان لكمال حسن حال المومنين
غب بيان قبح حال الكافرين وتكرير له اثر تقرير مع زيادة خلودهم في الجنات ليتم بذلك سرورهم ويزداد تبجحهم ويتكامل به
سوء حال الكفرة وايراد التقوى في حيز الصلة للاشعار بكون الخصال المذكورة من باب التقوى والمراد به الاتقاء من الشرك
والمعاصي فالموصول مبتدأ والظرف خبره وجنات مرتفع به على الفاعلية لاعتماده على المبتدأ او الظرف خبر لجنات والجملة

خبر الموصول

خبر للموصول وخالدين اي في الجنات حال مقدرة من الضمير او من جنات لتخصصها بالوصف والعامل ما في الظرف من معنى
الاستقرار من عند الله وقرئ بسكون الزاء وهو ما يعد للنازل من طعام وشراب وغيرهما قال ابو الشعر الضبي شعر
وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا * جعلنا القنا والمرهفات له نزلا * وانتصابه على الحالية من جنات لتخصصها بالوصف و
العامل فيه ما في الظرف من الاستقرار وقيل هو مصدر موكد كانه قيل رزقا او عطاء من عند الله تعالى وما عند الله خير اي مبتدأ
وخبر وقوله تعالى للابرار متعلق بمحذوف هو صفة لخير اي ما عنده تعالى من الامور المذكورة الدائمة خير كاين للابرار اي مما
يتقلب فيه الفجار من المتاع القليل الزائل والتعبير عنهم بالابرار للاشعار بان الصفات المعدودة من اعمال البر كما انها من
قبيل التقوى والجملة تذييل لما قبلها وان من اهل الكتاب لمن يومن بالله جملة مستانفة سيقت لبيان ان اهل الكتاب ليس كلهم
كمن حكيت هناتهم من نبذ الميثاق وتحريف وغير ذلك بل منهم من له مناقب جليلة قيل هم عبد الله بن سلام واصحابه وقيل
هم اربعون من اهل نجران واثنان وثلثون من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل المراد به اصحمة النجاشي فانه
لما مات نعاه جبريل عليه السلام الى النبي عليه الصلوة والسلام فقال عليه الصلوة والسلام اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات
بغير ارضكم فخرج الى البقيع فنظر الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا
الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وليس على دينه فنزلت وانما دخلت لام الابتداء على اسم ان لفصل الظرف بينهما كما في
قوله تعالى وان منكم لمن ليبطئن وما انزل اليكم من القران وما انزل اليهم من الكتابين وتاخير ايمانهم بهما عن ايمانهم بالقران في
الذكر مع ان الامر بالعكس في الوجود لما انه عيار ومهيمن عليهما فان ايمانهم بهما انما يعتبر بتبعية ايمانهم له اذ لا عبرة باحكامهما
المنسوخة وما لم ينسخ منهما انما يعتبر من حيث ثبوته بالقران ولتعلق ما بعده بهما والمراد بايمانهم بهما ايمانهم بهما من غير تحريف
ولا كتم كما هو ديدن المحرفين واتباعهم من العامة خاشعين لله حال من فاعل يومن والجمع باعتبار المعنى لا يشترون بايات
الله ثمنا قليلا تصريح بمخالفتهم للمحرفين والجملة حال كما قبله ونظمها في سلك محاسنهم ليس من حيث عدم الاشتراء
فقط بل لتضمن ذلك لاظهار ما في الكتابين من شواهد نبوته اولئك اشارة اليهم من حيث اتصافهم بما عد من
صفاتهم الحميدة وما فيه من معنى البعد للدلالة على علو رتبتهم وبعد منزلتهم في الشرف والفضيلة وهو مبتدأ
خبره قوله تعالى لهم اجرهم اي المختص بهم الموعود لهم بقوله تعالى اولئك يوتون اجرهم مرتين وقوله تعالى يوتكم كفلين
من رحمته مرتفع بالظرف على الفاعلية او على الابتداء والظرف خبره والجملة خبر لاولئك وقوله تعالى عند ربهم نصب
على الحالية من اجرهم والمراد به التشريف كالصفة ان الله سريع الحساب لنفوذ علمه بجميع الاشياء فهو عالم بما يستحقه كل
عامل من الاجر من غير حاجة الى تامل والمراد بيان سرعة وصول الاجر الموعود اليهم يا ايها الذين آمنوا اثر ما بين في تضاعيف
السورة الكريمة من فنون الحكم والاحكام ختمت بما يوجب المحافظة عليها فقيل اصبروا اي على مشاق الطاعات وغير
ذلك من المكاره والشدائد وصابروا اي غالبوا اعداء الله بالصبر في مواطن الحروب واعدى عدوكم بالصبر عن مخالفة
الهوى وتخصيص المصابرة بالامر بعد الامر بمطلق الصبر لكونها اشد منه واشق ورابطوا اي اقيموا في الثغور رابطين
خيلكم فيها مترصدين للغزو مستعدين له قال تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي عليه
الصلوة والسلام من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوة
الا لحاجة واتقوا الله في مخالفة امره على الاطلاق فيندرج فيه ما ذكر في تضاعيف السورة الكريمة اندراجا اوليا
لعلكم تفلحون كي تنتظموا في زمرة المفلحين الفائزين بكل مطلوب الناجين عن كل الكروب عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة آل عمران اعطي بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وسلم والملائكة حتى تغرب الشمس والحمد لله رب العالمين وصلى الله على جميع الانبياء والمرسلين

سورة النساء مدنية آياتها [illegible]

كلماتها ٢٨٦ — فيها ١٠٦٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس خطاب يعم حكمه المكلفين عند النزول ومن سينتظم في سلكهم من الموجودين حينئذ

والحادثين بعد ذلك الى يوم القيمة عند انتظامهم فيه لكن لا بطريق الحقيقة فان خطاب المشافهة لا يتناول القاصرين
عن درجة التكليف الا عند الحنابلة بل اما بطريق تغليب الفريق الاول على الاخرين واما بطريق تعميم حكمه لهما بدليل خارجي
فان الاجماع منعقد على ان الامة مكلف بما كلف به اوائلها كما ينبئ عنه عليه الصلوة والسلام الحلال ما جرى على لساني
الى يوم القيمة والحرام ما جرى على لساني الى يوم القيمة وقد فصل في موضعه واما الامم الدارجة قبل النزول فلا حظ لهم
في الخطاب لاختصاص الاوامر والنواهي بمن يتصور منه الامتثال واما ادراجهم في خطاب ما عداها مما له دخل في تاكيد
التكليف وتقوية الايجاب فستعرف حاله ولفظ الناس ينتظم الذكور والاناث حقيقة واما صيغة جمع المذكر في قوله
تعالى اتقوا ربكم فواردة على طريق التغليب لعدم تناولها حقيقة للاناث عند غير الحنابلة واما ادخالهن في الامر بالتقوى
بما ذكر من الدليل الخارجي وان كان فيه مراعاة جانب الصيغة لكنه يستدعي تخصيص لفظ الناس ببعض افراده والمامور
به اما مطلق التقوى التي هي التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك واما التقوى فيما يتعلق بحقوق ابناء الجنس اي اتقوه
في مخالفة اوامره ونواهيه على الاطلاق او في مخالفة تكاليفه الواردة هاهنا وايا ما كان فالتعرض لعنوان الربوبية
المنبئة عن المالكية والتربية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتأييد الامر وتاكيد ايجاب الامتثال به على طريقة الترغيب
والترهيب وكذا وصف الرب بقوله تعالى الذي خلقكم من نفس واحدة فان خلقه تعالى اياهم على هذا النمط البديع لا نبائه
عن قدرة شاملة لجميع المقدورات التي من جملتها عقابهم على معاصيهم وعن نعمة كاملة لا يقادر قدرها من اقوى الدواعي
الى الاتقاء من موجبات نقمته واتم الزواجر عن كفران نعمته وكذا جعله تعالى اياهم صنوانا مفرعة من ارومة واحدة هي
نفس ادم عليه السلام من موجبات نعمته الاحتراز عن الاخلال بمراعاة ما بينهم من حقوق الاخوة وتعميم الخطاب في
ربكم وخلقكم للامم السالفة ايضا مع اختصاصه فيما قبله بالمامورين بناء على ان تذكير شمول ربوبيته تعالى وخلقه
للكل من موكدات الامر بالتقوى وموجبات الامتثال به تفكيك للنظم الكريم مع استغناء عنه لان خلقه تعالى للمامورين
من نفس ادم عليه السلام حيث كان بوساطة ما بينهم وبينه عليه السلام من الاباء والامهات كان التعرض لخلقهم
متضمنا للتعرض لخلق الوسائط جميعا وكذا التعرض لربوبيته تعالى لهم متضمن للتعرض لربوبيته تعالى لاصولهم
قاطبة لا سيما وقد نطق به قوله عز وجل الذي وخلق منها زوجها فانه ما عطف عليه صريح في ذلك وهو معطوف اما على
مقدر ينبئ عنه سوق الكلام لان تفريع الفروع من اصل واحد يستدعي انشاء ذلك الاصل لا محالة كانه قيل خلقكم من
نفس واحدة خلقها اولا وخلق منها زوجها الى اخره وهو استيناف مسوق لتقرير وحدة المبدا وبيان كيفية
خلقهم منه وتفصيل ما اجمل اولا او صفة لنفس مفيدة لذلك واما على خلقكم داخل معه في حيز الصلة
مقرر ومبين لما ذكر واعادة الفعل مع جواز عطف مفعوله على مفعول الفعل الاول كما في قوله تعالى يا ايها
الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم الى اخره لاظهار ما بين الخلقين من التفاوت فان الاول
بطريق التفريع من الاصل والثاني بطريق الانشاء من المادة فانه تعالى خلق حواء من ضلع ادم عليه السلام روي
انه عز وجل لما خلقه عليه السلام واسكنه الجنة القى عليه النوم فبينما هو نائم بين النائم واليقظان خلق
حواء من ضلع من اضلاعه اليسرى فلما انتبه وجدها عنده وتاخير ذكر خلقها عن ذكر خلقهم لما ان تذكير خلقهم
ادخل في تحقيق ما هو المقصود من حملهم على الامتثال بالامر بالتقوى من تذكير خلقها وتقديم الجار والمجرور
للاعتناء ببيان مبدئيته عليه السلام لها مع ما فيه من التشويق الى المؤخر كما مر مرارا وايرادها بعنوان الزوجية
تمهيدا لما بعده من التناسل وبث منهما اي نشر من تلك النفس وزوجها المخلوقة منها بطريق التوالد
والتناسل رجالا كثيرا نعت لرجالا موكدا لما افاده التنكير من الكثرة والافراد باعتبار معنى الجمع او العدد
وقيل هو نعت لمصدر موكد للفعل اي بثا كثيرا ونساء اي كثيرة وترك التصريح بها للاكتفاء بالوصف المذكور
وايثارهما على ذكورا واناثا لتاكيد الكثرة والمبالغة فيها بترشيح كل فرد من الافراد المبثوثة لمبدئية غيره
وقرئ وخالق وباث على حذف المبتدا اي وهو خالق وباث واتقوا الله الذي تساءلون به تكرير للامر وتذكير لبعض

اخو من موجبات الامتثال سؤال بعضهم بعضا بالله تعالى بان يقولوا اسالك بالله وانشدك الله على سبيل الاستعطاف
يقتضي الاتقاء من مخالفة اوامره ونواهيه وتعليق الاتقاء بالاسم الجليل لمزيد التاكيد والمبالغة في الحمل على
الامتثال بتربية المهابة وادخال الروعة ولوقوع التساؤل به لا بغيره من اسمائه تعالى وصفاته وتساءلون اصله
تتساءلون فطرحت احدى التائين تخفيفا وقرئ بادغام تاء التفاعل في السين لتقاربهما في الهمس وقرئ تساءلون
من الثلاثي اي تساءلون به غيركم وقد فسر به القراءة الاولى والثانية وحمل صيغة التفاعل على اعتبار الجمع كما في
قولك رايت الهلال وترايناه وبه فسر عمر يتساءلون على وجه وقرئ تسلون بنقل حركة الهمزة الى السين والارحام بالنصب
عطفا على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا وينصره قراءة تساءلون به وبالارحام فانهم كانوا يقرنونها في السؤال
والمناشدة بالله عز وجل يقولون اسالك بالله وبالرحم او عطفا على الاسم الجليل اي اتقوا الله والارحام وصلوها ولا تقطعوها
فان قطيعتها مما يجب ان يتقى وهو قول مجاهد وقتادة والسدي والضحاك والفراء والزجاج وقد جوز الواحدي نصبه على الاغراء
والزموا الارحام وصلوها وقرئ بالجر عطفا على الضمير المجرور وبالرفع على انه مبتدا محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك
اي مما يتقى او يتساءل به ولقد نبه سبحانه وتعالى حيث قرنها باسم الجليل على ان صلتها بمكان منه كما في قوله تعالى ان
لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وعنه عليه الصلوة والسلام الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله
ومن قطعني قطعه الله ان الله كان عليكم رقيبا اي مراقبا وصيغة مبالغة من رقب يرقب رقبا ورقوبا ورقبانا اذا احد
النظر لامر يريد تحقيقه اي حافظا مطلعا على جميع ما يصدر عنكم من الافعال والاقوال وعلى ما في ضمائركم من النيات
مريدا لمجازاتكم بذلك وهو تعليل للامر ووجوب الامتثال به واظهار الاسم الجليل لتاكيده وتقديم الجار والمجرور
لرعاية الفواصل وآتوا اليتامى اموالهم شروع في تفصيل موارد الاتقاء ومظانه بتكليف ما يقابلها امرا ونهيا وعقيب الامر
بنفسه مرة بعد اخرى وتقديم ما يتعلق باليتامى لاظهار كمال العناية بامرهم ولملابستهم بالارحام اذ الخطاب للاولياء
والاوصياء وقلما يفوض الوصاية الى الاجانب واليتيم من مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة وجمعه
على يتامى اما لانه لما جرى مجرى الاسماء جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى او لانه لما كان من وادي الآفات جمع على يتمى
ثم جمع يتمى على يتامى والاشتقاق يقتضي صحة اطلاقه على الكبار ايضا واختصاصه بالصغار مبني على العرف واما قوله
عليه الصلوة والسلام لا يتم بعد الحلم فتعليم للشريعة لا تعيين لمعنى اللفظ اي لا يجري على اليتيم بعده حكم الايتام والمراد
بايتاء اموالهم قطع المخاطبين اطماعهم الفارغة عنها وكف اكفهم الخاطفة عن اختزالها وتركها على حالها غير متعرض لها
بسوء حتى تاتيهم وتصل اليهم سالمة كما ينبئ عنه ما بعده من النهي عن التبدل والاكل لا الاعطاء بالفعل فانه مشروط
بالبلوغ وايناس الرشد على ما ينطق به قوله تعالى حتى اذا بلغوا الاية وانما عبر عما ذكر بالايتاء مجازا للايذان بانه ينبغي
ان يكون مرادهم بذلك ايصالها اليهم لا مجرد ترك التعرض لها فالمراد بهم اما الصغار على ما هو المتبادر والامر خاص بمن
يتولى امرهم من الاولياء والاوصياء وشمول حكمه لاولياء من كان بالغا عند نزول الاية بطريق الدلالة دون العبارة
واما من جرى عليه اليتيم في الجملة مجازا اعم من ان يكون كذلك عند النزول او بالغا فالامر شامل لاولياء الفريقين صيغة
موجب عليهم ما ذكر من حفظ اموالهم والتحفظ عن اضاعتها مطلقا واما وجوب الدفع الى الكبار فمستفاد مما سياتي من
الامر به وقيل المراد بهم الصغار وبالايتاء الاعطاء في الزمان المستقبل وقيل اطلق اسمهم على الكبار بطريق الاتساع لقرب
عهدهم باليتم حثا للاولياء على المسارعة الى دفع اموالهم اليهم اول ما بلغوا قبل ان يزول عنهم اسمهم المعهود فالايتاء بمعنى
الاعطاء بالفعل ويابا هما ما سياتي من قوله تعالى وابتلوا اليتامى الى اخره فان ما فيه من الامر بالدفع وارد على وجه التكليف
الابتدائي لا على وجه تعيين وقته او بيان شرطه فقط كما هو مقتضى القولين واما تعميم الاسم للصغار والكبار مجازا بطريق
التغليب مع تعميم الايتاء للايتاء حالا وللايتاء مالا وتعميم الخطاب لاولياء كلا الفريقين على ان من بلغ منهم فوليه مامور
بالدفع اليه بالفعل وان من لم يبلغ بعد فوليه مامور بالدفع اليه عند بلوغه رشيدا فمع ما سبق تكلف لا يخفى فالانسب
ما تقدم من حمل ايتاء اموالهم اليهم على ما يودي اليه من ترك التعرض لها بسوء كما يلوح به التعبير عن الاعطاء بالفعل

بالدفع سوآء اريد باليتامي الصغار اوما يعم الصغار والكبار حسبما ذكر آنفا واما ما روي من ان رجلا من غطفان كان معه مال
كثير لابن اخ له فلما بلغ طلب منه ماله فمنعه فنزلت فلما سمعها قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير
فغير قادح في ذلك لما ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب **وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ** نهي عن اخذ مال اليتيم على الوجه المذكور
بعد النهي الضمني عن اخذه على الاطلاق وتبدل الشيء بالشيء واستبداله به اخذ الاول بدل الثاني بعد ان كان حاصلا له او في
شرف الحصول يستعملان ابدا بافضائهما الى الحاصل بانفسهما والى الزائل بالباء كما في قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالايمان
وقوله تعالى اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير واما التبديل فيستعمل تارة كذلك كما في قوله تعالى وبدلناهم بجنتيهم
جنتين الى آخره واخرى بالعكس كما في قولك بدلت الحلقة بالخاتم اذا اذبتها خاتما نص عليه الازهري وتارة اخرى بافضائه الى
مفعوليه بنفسه كما في قوله يبدل الله سيئاتهم حسنات والمراد بالخبيث والطيب ان كان هو الحلال والحرام فالمنهي عنه استبدال
مال اليتيم بمال انفسهم مطلقا كما قاله الفراء والزجاج **وقيل** معناه لا تذروا اموالكم الحلال وتاكلوا الحرام من اموالهم
فالمنهي عنه اكل ماله مكان مالهم المحقق او المقدر **وقيل** هو اختزال ماله مكان حفظه وايا ما كان فانما عبر عنهما بهما تنفيرا
عما اخذوه وترغيبا فيما اعطوه وتصويرا لمعاملتهم بصورة ما لا يصدر عن العاقل وان كان هو الردي والجيد فمورد النهي
ما كانوا عليه من اخذ الجيد من مال اليتيم واعطاء الردي من مال انفسهم وبه قال سعيد بن المسيب والنخعي والزهري والسدي
وتخصيص هذه المعاملة بالنهي لخروجها مخرج العادة لا لاباحة ما عداها واما التعبير عنها بتبدل الخبيث بالطيب مع
انها تبديله به او تبدل الطيب بالخبيث فللايذان بان الاولياء حقهم ان يكونوا في المعاوضات عاملين لليتيم لا لانفسهم
مراعين لجانبه قاصدين لجلب المجلوب اليه مشتريا كان او ثمنا لا لسلب المسلوب عنه **وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ** نهي عن
منكر اخر كانوا يتعاطونه اي لا تاكلوها مضمومة الى اموالكم ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وقد خص من
ذلك مقدار اجر المثل عند كون الولي فقيرا انه اي الاكل المفهوم من النهي كان حوبا اي ذنبا عظيما **وقري** بفتح الحاء
وهو مصدر حاب حوبا **وقري** حوبا وهو ايضا مصدر كقال قولا وقالا **كَبِيرًا** مبالغة في بيان عظم ذنب الاكل المذكور
كانه قيل من كبار الذنوب العظيمة لا من افنائها **وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ** الاقساط العدل **وقري** بفتح التاء فقيل هو من قسط
اي جار ولا مزيد كما في قوله تعالى لئلا يعلم **وقيل** هو بمعنى اقسط فان الزجاج حكى ان قسط يستعمل استعمال اقسط والمراد
بالخوف العلم كما في قوله تعالى فمن خاف من موص جنفا عبر عنه بذلك ايذانا بكون المعلوم مخوفا محذورا لا معناه الحقيقي
لان الذي علق به الجواب هو العلم بوقوع الجور المخوف لا الخوف منه والا لم يكن الامر شاملا لمن يصر على الجور ولا يخافه
وهذا شروع في النهي عن منكر اخر كانوا يباشرونه متعلق بانفس اليتامى اصالة وباموالهم تبعا عقيب النهي عما
يتعلق باموالهم خاصة وتاخيره عنه لقلة وقوع المنهي عنه بالنسبة الى الاول ونزوله منه منزلة المركب من المفرد
وذلك انهم كانوا يتزوجون من يحل لهم من اليتامى اللاتي يلونهن لكن لا لرغبة فيهن بل في مالهن ويسيئون في الصحبة
والمعاشرة ويتربصون بهن ان يمتن فيرثوهن فهذا قول الحسن **وقيل** هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها
وجمالها ويريد ان ينكحها بادنى من سنة نسائها فهوا ان ينكحوهن الا ان تقسطوا لهن في اكمال الصداق وامروا ان
ينكحوا ما سواهن من النساء وهذا قول الزهري رواية عن عروة عن عائشة واما اعتبار اجتماع عدد كثير منهن كما اطبق
عليه اكثر اهل التفسير حيث قالوا كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال او يكون وليها فيتزوجها ظنا بها عن غيره فربما
اجتمعت عنده عشر منهن الى آخره فلا يساعده الامر بنكاح غيرهن فان المحذور حينئذ يندفع بتقليل عددهن اي وان
خفتم ان لا تعدلوا في حق اليتامى اذا تزوجتم بهن باساءة العشرة او بنقص الصداق **فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ** ما موصولة او
موصوفة ما بعدها صلتها او صفتها واوثرت على من ذهابا الى الوصف وايذانا بانه المقصود بالذات والغالب في الاعتبار
الابناء على ان الاناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء لاخلاله بمقام الترغيب فيهن وقراء ابن ابي عبلة من طاب ومن
في قوله عز وجل **مِنَ النِّسَاءِ** بيانيه **وقيل** تبعيضية والمراد بهن غير اليتامى بشهادة قرينة المقام اي فانكحوا من استطابتها
نفوسكم من الاجنبيات وفي ايثار الامر بنكاحهن على النهي عن نكاح اليتامى مع انه المقصود بالذات مزيد لطف في استنزالهم

عزذلك

عن ذلك فان النفس مجبولة على الحرص على ما منعت منه كما ان وصف النساء بالطيب على الوجه الذي اشير اليه فيه مبالغة
في الاستمالة اليهن والترغيب فيهن وكل ذلك للاعتناء بصرفهم عن نكاح اليتامى وهو السر في توجيه النهي الضمني الى
النكاح المترقب مع ان سبب النزول هو النكاح المحقق لما فيه من المسارعة الى دفع الشر قبل وقوعه فرب واقع لا يرفع والمبالغة
في بيان حال النكاح المحقق فان محظورية المترقب حيث كانت للجور المترقب فيه فمحظورية المحقق مع تحقق الجور فيه اولى
وقيل المراد بالطيب الحل اي ما حل لكم شرعا لان ما استطابوه شامل للمحرمات ولا مخصص بمن عداهن وفيه فرار من محذور
ووقوع فيما هو افظع منه لان ما حل لهم مجمل وقد تقرر ان النص تردد بين الاجمال والتخصيص يحمل على الثاني لان العام المخصوص
حجة في غير محل التخصيص والمجمل ليس بحجة قبل ورود البيان اصلا ولئن جعل قوله تعالى حرمت عليكم الى آخره دالا على التفصيل
بناء على ادعاء تقدمه في التنزيل فليجعل دالا على التخصيص **مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ** معدولة عن اعداد مكررة غير منصرفة لما فيها من
العدلين عدلها عن صيغتها وعدلها عن تكررها **وقيل** للعدول والصفة فانها بنيت صفات وان لم يكن اصولها كذلك وقري
وثلث وربع على القصر من ثلاث ورباع ومحلهن النصب على انها حال من فاعل طاب مؤكدة لما افاده وصف الطيب من الترغيب
فيهن والاستمالة اليهن بتوسيع دائرة الاذن اي فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا
واربعا اربعا حسبما تريدون على معنى ان لكل واحد منهم ان يختار اي عدد شاء من الاعداد المذكورة لان بعضها لبعض منهم
وبعضها لبعض اخر كما في قولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة ولو افردت لفهم
منه تجويز الجمع بين تلك الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت بكلمة او لفات تجويز الاختلاف في العدد هذا وقد قيل
في تفسير الاية الكريمة لما نزلت الاية في اليتامى وما في اكل اموالهم من الحوب الكبير اخذ الاولياء يتحرجون من ولايتهم
خوفا من لحوق الحوب بترك الاقساط مع انهم كانوا لا يتحرجون من ترك العدل في حقوق النساء حيث كان تحت الرجل
منهم عشر منهن فقيل لهم ان خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ترك العدل بين النساء
فقللوا عدد المنكوحات لان من تحرج من ذنب او تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تائب عنه
وقيل كانوا لا يتحرجون من الزناء وهم يتحرجون من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزناء
فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات ولا يخفى انه لا يساعدهما جزالة النظم الكريم لابتنائهما على تقدم
نزول الاية الاولى وشيوعها بين الناس مع ظهور توقف حكمها على ما بعدها من قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء الى قوله
وكفى بالله حسيبا **فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا** اي فيما بينهن ولو في اقل الاعداد المذكورة كما خفتموه في حق اليتامى او كما لم تعدلوا في
حقهن او كما لا تعدلوا فيما فوق هذه الاعداد **فَوَاحِدَةً** اي فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا الجمع بالكلية
وقري بالرفع اي فالمقنع واحدة او فحسبكم واحدة **أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ** اي من السراري بالغة ما بلغت من مراتب
العدد وهو عطف على واحدة على ان اللزوم والاختيار فيه بطريق التسري لا بطريق النكاح كما فيما عطف عليه
لاستلزامه ورود ملك النكاح على ملك اليمين بموجب اتحاد المخاطبين في الموضعين بخلاف ما سيأتي في قوله
تعالى ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات فمن ما ملكت ايمانكم وما في القراءة المشهورة للايذان بقصور
رتبتهن عن رتبة فان المامور بالنكاح هناك غير المخاطبين بملك اليمين وانما سوى في السهولة واليسر بين الحرة
الواحدة وبين السراري من غير حصر في عدد لقلة تبعتهن وخفة مونتهن وعدم وجوب القسم فيهن **وقري** او من ملكت
ايمانكم وما في القراءة المشهورة للايذان بقصور رتبتهن عن رتبة العقلاء **ذَٰلِكَ** اشارة الى اختيار الواحدة و
التسري ذلك **أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا** العول الميل من قولهم عال الميزان عولا اذا مال وعال في الحكم اي جار والمراد
ههنا الميل المحظور المقابل للعدل اي ما ذكر من اختيار الواحدة والتسري اقرب بالنسبة الى ما عداهما
من ان لا تميلوا ميلا محظورا لانتفائه راسا بانتفاء محله في الاول وانتفاء خطره في الثاني بخلاف اختيار العدد
في المهاير فان الميل المحظور متوقع فيه لتحقق المحل الخطر ومن ههنا تبين ان مدار الامر هو عدم العول لا تحقق
العدل كما قيل وقد فسر بان لا يكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم اي مانهم فعبر عن كثرة العيال

بكثرة المؤنة على طريق الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعولوا من اعال الرجال اذا كثر عياله ووجه كون التسوي مظنة قلة العيال مع جواز الاستكثار من السراري انه يجوز العزل عنهن بغير رضاهن ولا كذلك المهاير والجملة مستانفة جارية مما قبلها مجرى التعليل ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ﴾ اي اللاتي امر بنكاحهن ﴿صَدُقَاتِهِنَّ﴾ جمع صدقة كسمرة وهي المهر وقرئ بسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمها على الوجه وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة ﴿نِحْلَةً﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وابن جريج وابن زيد فريضة من الله تعالى لانها مما فرضه الله تعالى في النحلة اي الملة والشرعة والديانة فانتصابها على الحالية من الصدقات اي اعطوهن حال كونها فريضة منه تعالى وقال الزجاج تدينا فانتصابها على انها مفعول له اي اعطوهن ديانة وشرعة وقال الكلبي نحلة اي هبة وعطية من الله عز وجل وتفضلا منه عليهن فانتصابه على الحالية منها ايضا وقيل عطية من جهة الازواج من نحله كذا اي اعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلا والتعبير عن ايتاء المهور بالنحلة مع كونها واجبة على الازواج لافادة معنى الايتاء عن كمال الرضى وطيب الخاطر وانتصابها على المصدرية لان الايتاء والنحلة بمعنى الاعطاء كانه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة اي اعطوهن مهورهن عن طيبة انفسكم او على الحالية من ضمير اتوا اي اتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء او من الصدقات اي منحولة معطاة عن طيبة الانفس بالخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا ياخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئا لك النافجة لمن يولد له بنت يعنون باخذ مهرها فتنفج به مالك اي تعظمه ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ﴾ الضمير للصدقات وتذكيره لاجرائه مجرى ذلك فانه قد يشار به الى المتعدد كما في قوله عز وجل قل اونبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات المعدودة وقد روي عن رؤبة حين قيل له في قوله • فيها خطوط من سواد وبلق • كانه في الجلد توليع البهق • ان اردت الخطوط ينبغي ان تقول كانها وان اردت سواد البلق ينبغي ان تقول كانهما قال لكني اردت كان ذاك او للصدقات او بالواقع موقعه صدقاتهن كانه قيل واتوا النساء صدقاتهن كما في قوله تعالى فاصدق واكن حيث عطف اكن على ما دل عليه المذكور ووقع موقعه كانه قيل فاصدق واكن واللام متعلقة بالفعل وكذا عن لكن بتضمينه معنى التجافي والتجاوز ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء اي كائن من الصداق وفيه بعث لهن الى التقليل الموهوب ﴿نَفْسًا﴾ تمييز والتوحيد لما ان المقصود بيان الجنس اي ان وهبن لكم شيئا من الصداق متجافيا عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن الى البذل من شكاسة اخلاقكم وسوء معاشرتكم لكن عدل عن لفظ الهبة والسماحة الى ما عليه النظم الكريم ايذانا بان العمدة في الامر انما هو طيب النفس وتجافيها عن الموهوب بالمرة ﴿فَكُلُوهُ﴾ اي فخذوا ذلك الشيء الذي طابت به نفوسهن وتصرفوا فيه تملكا وتخصيص الاكل بالذكر لانه معظم وجوه التصرفات المالية ﴿هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ وقيل صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا يتنغص فيه وقيل الهنيء الذي يلذه الآكل والمريء ما يحمد عاقبته وقيل ما ينساغ في مجراه الذي هو المريء وهو ما بين الحلقوم الى فم المعدة سمي بذلك لمروء الطعام فيه اي انسياغه ونصبهما على انهما صفتان للمصدر اي اكلا هنيئا مريئا او على انهما حال من الضمير المنصوب اي كلوه وهو هنيء مريء وقد يوقف على كلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء وعلى انهما صفتان اقيمتا مقام المصدرين على الدعاء كانه قيل هنأ مرأ وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة في الاباحة وازالة التبعة وقرئ ان اناسا كانوا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساقه اليها فنزلت ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ رجوع الى بقية الاحكام المتعلقة باموال اليتامى وتفصيل ما اجمل فيما سبق من شرط ايتائها ووقته وكيفيته اثر بيان بعض الاحكام المتعلقة بانفسهن اعني نكاحهن وبيان بعض الحقوق المتعلقة بغيرهن من الاجنبيات من حيث النفس ومن حيث المال استطرادا والخطاب للاولياء نهوا ان يؤتوا المبذرين من اليتامى اموالهم مخافة ان يضيعوها وانما اضيفت اليهم وهي لليتامى لا نظرا الى كونها تحت ولايتهم كانه قيل فانه غير مصحح لاتصافها بالوصف الآتي بل تنزيلا لاختصاصها باصحابها منزلة اختصاصها بالاولياء فكان اموالهم عين اموالهم لما بينهم وبينهم من الاتحاد الجنسي والنسبي مبالغة في حملهم على المحافظة عليها كما في قوله تعالى

ولا تقتلوا

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ اي لا يقتل بعضكم بعضا حيث عبر عن بني نوعهم بانفسهم مبالغة في زجرهم عن قتلهم فكان قتلهم قتل انفسهم وقد ايد ذلك حيث عبر عن جعلها مناطا لمعاش اصحابها بجعلها مناطا لمعاش الاولياء فقيل ﴿الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ اي جعلها الله شيئا تقومون به وتنتعشون على حذف المفعول الاول فلو ضيعتموه لضعتم ثم زيد في المبالغة حتى جعل ما به القيام قياما فكانها في انفسها قيامكم وانتعاشكم وقيل انما اضيفت الى الاولياء لانها من جنس ما يقيم الناس معايشهم حيث لم يقصد بها الخصوصية الشخصية بل الجنسية التي هي معنى ما يقام به المعاش ويميل اليه القلوب ويدخر لاحتياج الاوقات وهي بهذا الاعتبار لا يختص باليتامى وانت خبير بان ذلك بمعزل من حمل الاولياء على المحافظة المذكورة كيف لا والوحدة الجنسية المالية ليست مختصة بما بين اموال اليتامى واموال الاولياء بل هي متحققة بين اموالهم واموال الاجانب فاذا الاوجه لاعتبارها اصلا وقرئ اللاتي واللواتي وقرئ قيما بمعنى قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا وقرئ قواما بكسر القاف وهو ما يقام به الشيء او مصدر قاوم بفتحها ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾ اي واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا وتربحوا حتى تكون نفقاتهم من الارباح لا من صلب المال وقيل الخطاب لكل احد كائنا من كان والمراد نهيه عن ان يفوض امر ماله الى من لا رشد له من نسائه واولاده ووكلائه وغير ذلك ولا يخفى ان ذلك مخل بجزالة النظم الكريم ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ اي كلاما لينا تطيب به نفوسهم وعن سعيد بن جبير ومجاهد وابن جريج عدوهم عدة جميلة بان تقولوا اذا صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم وكل ما سكنت اليه النفس لحسنه شرعا وعقلا من قول او عمل فهو معروف وما انكرته لقبحه شرعا وعقلا فهو منكر ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى﴾ شروع في تعيين وقت تسليم اموال اليتامى اليهم وبيان شرطه بعد الامر بايتائها على الاطلاق والنهي عنه عند كون اصحابها سفهاء اي واختبروا من ليس منهم بين السفه قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين والاهتداء الى ضبط المال وحسن التصرف فيه وجربوهم بما يليق بحالهم فان كانوا من اهل التجارة فبان تعطوهم من المال ما يتصرفون فيه بيعا وابتياعا وان كانوا ممن له ضياع واهل وخدم فبان تعطوهم منه ما يصرفونه الى نفقة عبيدهم وخدمهم واجرائهم وسائر مصارفهم حتى يتبين لكم كيفية احوالهم ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ بان يحتلموا لانهم يصلحون عنده للنكاح ﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ﴾ اي شاهدتم وقرئ احستم بمعنى احسستم كما في قول من قال • خلا ان العتاق من المطايا • احسن به وهن اليه شوس ﴿مِنْهُمْ رُشْدًا﴾ اي اهتداء الى وجوه التصرفات من غير عجز وتبذير وتقديم الجار والمجرور على المفعول للاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والاعتداد بمبدايته له والتنوين للدلالة على كفاية رشد في الجملة وقرئ بفتح الراء والشين وبضمهما ﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ من غير تاخير عن حد البلوغ وفي ايثار الدفع على الايتاء الوارد في اول الامر ايذان بتفاوتهما بحسب المعنى كما اشير اليه فيما سلف ونظم الآية الكريمة ان حتى هي التي تقع بعدها الجمل كالتي في قوله • فما زالت القتلى تمج دماءها • بدجلة حتى ماء دجلة اشكل • وما بعدها جملة شرطية جعلت غاية للابتلاء وفعل الشرط بلغوا وجوابه الشرطية الثانية كانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وظاهر الآية الكريمة ان من بلغ غير رشيد اما بالتبذير او بالعجز لا يدفع اليه ماله ابدا وبه اخذ ابو يوسف ومحمد رحمهما الله وقال ابو يوسف ينتظر الى خمس وعشرين سنة لان البلوغ بالسن ثماني عشرة سنة فاذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير احوال الانسان لما قاله عليه السلام مروهم بالصلوة لسبع دفع اليه ماله اونس منه رشد او لم يونس ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا﴾ اي مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون في انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها من ايدينا والجملة تاكيد للامر بالدفع وتقرير لها وتمهيد لما بعدها من قوله تعالى ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ اي من كان من الاولياء والاوصياء غنيا فليتنزه من اكلها وليقتنع بما آتاه الله تعالى من الغنى والرزق اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله ﴿وَمَنْ كَانَ﴾ من الاولياء والاوصياء ﴿فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بقدر حاجته الضرورية واجرة سعيه وخدمته وفي لفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف ما يدل على ان للوصي حقا لقيامه عليها عن النبي عليه الصلوة والسلام ان رجلا قال له ان في حجري يتيما افآكل من ماله قال بالمعروف غير متاثل مالا ولا واق مالك بماله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان ولي اليتيم قال افاشرب من لبن ابله قال وان كنت تبغي ضالتها وتلوط حوضها

الهمية ويترك لفسه مفرطا

من مال الله عز وجل

وتهنا جرباها وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب وعن محمد بن كعب يتقرم كما يتقرم الاجير فيما لا بد منه وعن الشعبي ياكل من ماله بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضي وعن مجاهد يستلف فاذا ايسر ادى وعن سعيد بن جبير ان شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب واخذ القوت ولا يجاوزه فان ايسر قضاه وان اعسر فهو في حل وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اني انزلت نفسي منزلة والي اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف واذا ايسرت قضيت واستعفف ابلغ من عفت كانه يطلب زيادة العفة فاذا دفعتم اليهم اموالهم بعدما راعيتم الشرائط المذكورة وتقديم الجار على المفعول الصريح للاهتمام فاشهدوا عليهم بانهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم لما ان ذلك ابعد من التهمة وانفى للخصومة وادخل في الامانة وبراءة الساحة وان لم يكن ذلك واجبا عند اصحابنا وان الوصي مصدق في الدفع مع اليمين خلافا لمالك والشافعي رحمهما الله تعالى وكفى بالله حسيبا اي محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم به ولا تجاوزوا ما حد لكم للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون شروع في بيان احكام المواريث بعد بيان احكام اموال اليتامى المنتقلة اليهم بالارث والمراد بالاقربين المتوارثون منهم ومن في مما متعلقة بمحذوف وقع صفة لنصيب اي لهم نصيب كائن مما ترك وقد جوز تعلقها بنصيب وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون ايراد حكمهن على الاستقلال دون الدرج في تضاعيف احكامهم بان يقال للرجال والنساء الخ للاعتناء بامرهن والايذان باصالتهن في استحقاق الارث والاشارة من اول الامر الى تفاوت ما بين نصيبي الفريقين والمبالغة في ابطال حكم الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة روي ان اوس بن ثابت الانصاري خلف زوجته ام كحة وثلث بنات فزوى ابناء عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله تعالى فنزلت فارسل اليهما ان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين فلا تفرقا من مال اوس شيئا حتى يبين فنزلت يوصيكم الله الخ فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي لابني العم وهو دليل على جواز تاخير البيان عن الخطاب وقوله تعالى مما قل منه او كثر بدل من ما الاخير باعادة الجار واليها يعود الضمير المجرور وهذا البدل مراد في الجملة الاولى ايضا محذوف للتعويل على المذكور وفائدته دفع توهم اختصاص بعض الاموال ببعض الورثة كالخيل والات الحروب للرجال وتحقيق ان لكل من الفريقين حقا من كل ما جل ودق نصيبا مفروضا نصب على انه مصدر مؤكد كقوله تعالى فريضة من الله كانه قيل قسمة مفروضة او على الحالية اذ المعنى ثبت لهم نصيب كائن مما ترك الوالدان والاقربون حال كونه مفروضا او على الاختصاص اي اعني نصيبا مقطوعا مفروضا واجبا لهم وفيه دليل على الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه واذا حضر القسمة اي قسمة التركة وانما قدمت مع كونها مفعولا لانها المبحوث عنها ولان في الفاعل تعددا فلو روعي الترتيب يفوت تجاذب اطراف الكلام اولوا القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين من الاجانب فارزقوهم منه اي اعطوهم شيئا من المال المقسوم المدلول عليه بالقسمة وقيل الضمير لما وهو امر ندب كلف به البالغون من الورثة تطييبا لقلوب الطوائف المذكورة وتصدقا عليهم وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسخه وقولوا لهم قولا معروفا وهو ان تدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ويعتذروا من ذلك ولا يمنوا عليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم امر للاوصياء بان يخشوا الله تعالى ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او لمن حضر المريض من العواد عند الايصاء بان يخشوا ربهم او يخشوا اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوا ان يضر بهم بصرف المال عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للموصين ان ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية ولو بما في حيزها صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ورثة ضعافا

خافوا

خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاد نفسه وتهديد للمخالف بحال اولاده وقرئ ضعفاء وضعافى وضعافى فليتقوا الله في ذلك والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها وليقولوا قولا سديدا امرهم بالتقوى التي هي غاية الخشية بعد ما امرهم بها مراعاة للمبدأ والمنتهى اذ لا نفع للاول بدون الثاني ثم امرهم ان يقولوا لليتامى مثل ما يقولوا لاولادهم بالشفقة وحسن الادب او للمريض ما يصده عن الاسراف في الوصية وتضييع الورثة وتذكره التوبة وكلمة الشهادة او لحاضري القسمة عذرا ووعدا حسنا او يقولوا في الوصية ما لا يؤدي الى تجاوز الثلث ان الذين ياكلون اموال اليتامى استيناف جيء به لتقرير مضمون ما فصل من الاوامر والنواهي ظلما اي على وجه الظلم او ظالمين انما ياكلون في بطونهم اي ملء بطونهم نارا اي ما يجر الى النار ويؤدي اليها وعن ابي بردة انه قال صلى الله عليه وسلم يبعث الله قوما من قبورهم تتاجج من افواههم نارا فقيل منهم فقال عليه الصلوة والسلام الم تر ان الله تعالى يقول ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا اي سيدخلون نارا هائلة مبهمة الوصف وقرئ بضم الياء مخففا ومشددا من الاصلاء والتصلية يقال صلى النار قاسى حرها وصليته شويته واصليته وصليته القيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا الهبتها روي ان آكل مال اليتيم يبعث يوم القيمة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان ياكل مال اليتيم في الدنيا وروي انه لما نزلت هذه الاية ثقل ذلك على الناس فاحترزوا عن مخالطة اليتامى بالكلية فصعب الامر على اليتامى فنزل قوله تعالى وان تخالطوهم الاية يوصيكم الله شروع في تفصيل احكام المواريث المجملة في قوله عز وجل للرجال نصيب الى اخره واقسام الورثة ثلثة قسم لا يسقط بحال وهم الاباء والاولاد والازواج فهؤلاء قسمان والثالث الكلام اي يامركم ويعهد اليكم في اولادكم اي في اولاد كل واحد منكم اي في شان ميراثهم بدئ بهم لانهم اقرب الورثة الى الميت واكثرهم بقاء بعد المورث للذكر مثل حظ الانثيين جملة مستانفة جيء بها لتبيين الوصية وتفسيرها وقيل محلها النصب بيوصيكم على ان المعنى يفرض عليكم ويشرع لكم هذا الحكم وهذا قريب مما راه الفراء فانه يجري ما كان بمعنى القول من الافعال مجراه في حكاية الجملة بعده ونظيره قوله تعالى وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة الاية وقوله تعالى للذكر لا بد له من ضمير عائد الى الاولاد محذوف ثقة بظهوره كما في قولهم السمن منوان بدرهم اي للذكر منهم وقيل الالف واللام قائم مقامه والاصل لذكرهم ومثل صفة لموصوف محذوف اي للذكر منهم حظ مثل حظ الانثيين والبداية ببيان حكم الذكر لاظهار مزيته على الانثى كما انها المناط في تضعيف حظه وايثار اسمي الذكر والانثى على ما ذكر اولا من الرجال والنساء للتنصيص على استواء الكبار والصغار من الفريقين في الاستحقاق من غير دخل للبلوغ والكبر في ذلك اصلا كما زعم اهل الجاهلية حيث كانوا لا يورثون الاطفال كالنساء فان كن اي الاولاد والتانيث باعتبار الخبر وهو قوله تعالى نساء اي خلصا ليس معهن ذكر فوق اثنتين خبر ثان او صفة لنساء اي نساء زائدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك اي المتوفى المدلول عليه بقرينة المقام وان كانت اي المولودة واحدة اي امراة واحدة ليس معها اخ ولا اخت وعدم التعرض للموصوف لظهوره مما سبق فلها النصف مما ترك وقرئ واحدة على كان التامة واختلف في الثنتين فقال ابن عباس حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الجمهور حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد بقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع اخيها الاقوى منها في الاستحقاق فلان تستحقه مع مثلها اولى واحرى وان البنتين امس رحما من الاختين وقد فرض الله لهما الثلثين حيث قال فلهما الثلثان مما ترك ولابويه اي لابوي الميت غير النظم الكريم لعدم اختصاص حكمه بما قبله من الصور لكل واحد منهما بدل منه بتكرير العامل وسط بين المبتداء الذي هو قوله تعالى السدس وبين خبره الذي هو لابويه ونقل الخبرية اليه تنصيصا على استحقاق كل منهما السدس وتاكيدا له بالتفصيل بعد الاجمال وقرئ السدس بسكون الدال تخفيفا وكذلك الثلث والربع والثمن مما ترك متعلق بمحذوف وقع حالا من السدس والعامل الاستقرار المعتبر في الخبر اي كائنا مما ترك المتوفى ان كان له ولد ابن ذكرا كان او انثى واحدا او متعددا

غير ان الاب في صورة الانوثة بعد ما اخذ فرضه المذكور باخذ ما بقي من ذوي الفروض بالعصوبة فان لم يكن له ولد ولا ولد ابن
وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك والباقي للاب وان لم يذكر لعدم الحاجة اليه لانه لما فرض انحصار الوارث في ابويه
وعين نصيب الام علم ان الباقي للاب وتخصيص جانب الام بالذكر واحالة جانب الاب على دلالة الحال مع حصول البيان
بالعكس ايضا لما ان حظها اخصر واستحقاقه اتم واوفر لانه استحقها بطريق العصوبة دون الفرض هذا اذا لم يكن معهما احد
الزوجين اما اذا كان معهما ذلك فللام ثلث ما بقي بعد فرض احدهما لا ثلث الكل كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما فانه يفضي
الى تفضيل الام على الاب مع كونه اقوى منها في الارث بدليل اضعافه عليها عند انفرادهما عن احد الزوجين وكونه صاحب فرض
وعصبة وذلك خلاف وضع الشرع فان كان له اخوة اي عدد ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كان من جهة الابوين او
من جهة احدهما وسواء كانوا ذكورا او اناثا او مختلطين وسواء كان لهم ميراث او كانوا محجوبين بالاب فلامه السدس واما
السدس الذي حجبوها عنه فهو للاب عند وجوده ولهم عند عدمه وعليه الجمهور وعند ابن عباس رضي الله عنهما انه لهم على
كل حال خلا ان هذا الحجب عنده لا يتحقق بما دون الثلث وبالاخوات الخلص وقرئ فلامه بكسر الهمزة اتباعا لما قبلها
من بعد وصية خبر مبتداء محذوف والجملة متعلقة لما تقدم جميعا لا بما يليها وحده اي هذه الانصباء للورثة من بعد
اخراج وصية يوصي بها اي الميت وقرئ مبنيا للمفعول مخففا ومبنيا للفاعل مشددا وفائدة الوصف الترغيب في الوصية
والندب اليها او دين عطف على وصية الا انه غير مقيد بما قيدت به من الوصف بل هو مطلق يتناول ما ثبت بالبينة
والاقرار في الصحة وايثار او المفيدة للاباحة على الواو للدلالة على تساويهما في الوجوب وتقدمهما على القسمة مجموعين او
مفردين وتقديم الوصية على الدين ذكرا مع تاخرها عنه حكما لاظهار كمال العناية بتنفيذها لكونها مظنة للتفريط
في ادائها ولاطرادها بخلاف الدين اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا الخطاب للورثة فاباؤكم مبتداء وابناؤكم
عطف عليه ولا تدرون خبره وايهم مبتداء واقرب خبره ونفعا نصب على التمييز منه وهو منقول من الفاعلية كانه قيل
ايهم اقرب لكم نفعه والجملة في حيز النصب بلا تدرون والجملة الكبيرة الاعتراضية لوجوب تنفيذ الوصية اي اصولكم وفروعكم
الذين يتوفون لا تدرون ايهم انفع لكم امن يوصي ببعض ماله فيعرضكم لثواب الاخرة بتنفيذ وصيته ام من لا يوصي بشيء
فيوفر عليكم عرض الدنيا وليس المراد بنفي الدراية عنهم بيان اشتباه الامر عليهم وكون النفعية كل من الاول والثاني في حيز
الاحتمال عندهم من غير رجحان احدهما على الاخر كما في قوله عليه الصلاة والسلام مثل امتي مثل المطر لا يدرى اوله خير ام
آخره فان ذلك بمعزل من افادة التاكيد المذكور والترغيب في تنفيذ الوصية بل تحقيق انفعية الاول في ضمن التعريض بان لهم
اعتقادا بانفعية الثاني مبنيا على عدم الدراية وقد اشير الى ذلك حيث عبر عن الانفعية باقربية النفع تذكيرا لمناط
زعمهم وتعيينا لمنشا خطائهم ومبالغة في الترغيب المذكور بتصوير الثواب الآجل بصورة العاجل لما ان الطباع
مجبولة على حب الخير الحاضر كانه قيل لا تدرون ايهم انفع لكم فتحكمون نظرا الى ظاهر الحال وقرب المنال بانفعية الثاني
مع ان الامر بخلافه فان ثواب الاخرة لتحقق وصوله الى صاحبه ودوام تمتعه به مع غاية قصر مدة ما بينهما من الحجب
الدنيا اقرب واحضر وعرض الدنيا لسرعة نفاده وفنائه ابعد واقصى وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى لا تعلمون من انفع
لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم عاجلا واجلا فتحروا في شانهم ما اوصاكم الله تعالى به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض
وحرمان بعض روي ان احد المتوالدين اذا كان ارفع درجة من الاخر في الجنة سال ان يرفع اليه صاحبه فيرفع اليه
بشفاعته قيل فالجملة الاعتراضية حينئذ مؤكدة لامر القسمة وانت خبير بانه مشعر بان مدار الارث ما ذكر
اقربية النفع مع انه العلاقة النسبية فريضة من الله نصبت نصب مصدر مؤكد لفعل محذوف اي فرض الله ذلك فرضا
وبقوله تعالى يوصيكم الله فانه في معنى يامركم ويفرض عليكم ان الله كان عليما اي بالمصالح والرتب حكيما في كل ما قضى وقدر
فيدخل فيه الاحكام المذكورة دخولا اوليا ولكم نصف ما ترك ازواجكم من المال شروع في بيان احكام القسم الثاني من الورثة ووجه
تقديم حكم ميراث الرجال مما لا حاجة الى ذكره ان لم يكن لهن ولد اي ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها وان سفل ذكرا كان
او انثى واحدا كان او متعددا لان لفظ الولد ينتظم الجميع منكم او من غيركم والباقي لورثتهن من ذوي الفروض لترتيب والعصبات

اوغيرهم ولبيت المال ان لم يكن لهن وارث اخر اصلا فان كان لهن ولد على نحو ما فصل والفاء ما بعدها على ما قبلها فان ذكر تقدير عدم
الولد وبيان حكمه مستتبع لتقدير وجوده وبيان حكمه فلكم الربع مما تركن من المال والباقي للباقين من الورثة من بعد وصية متعلق بكلتا الصورتين
لا بما يليه وحده يوصين بها في محل الجر على انه صفة لوصية وفائدتها ما مر من ترغيب الميت في الوصية وحث الورثة على
تنفيذها او دين عطف على وصية سواء كان ثبوته بالبينة او بالاقرار وايثار او على الواو لما مر من الدلالة على تساويهما في
الوجوب والتقدم على القسمة وكذا تقديم الوصية على الدين ذكرا لما ذكر من ابراز كمال العناية بتنفيذها ولهن الربع مما تركتم ان لم
يكن لكم ولد على التفصيل المذكور آنفا والباقي لبقية ورثتكم من اصحاب الفروض والعصبات او ذوي الارحام او لبيت المال ان
لم يكن لكم وارث اخر اصلا فان كان لكم ولد على النحو الذي فصل في قوله تعالى فلهن الثمن مما تركتم من المال والباقي للباقين من بعد وصية
توصون بها او دين الكلام فيه كما فصل في نظيره فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما فرض للمراءة كما في النسب لمزيته عليها وشرفه
الظاهر ولذلك اختص بتشريف الخطاب وهكذا قياس كل رجل وامراءة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى منه الا اولاد
الام والمعتق والمعتقة ويستوي الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن وان كان رجل شروع في بيان احكام القسم
الثالث من الورثة المحتمل للسقوط ووجه تاخيره عن الاولين بين والمراد بالرجل الميت وقوله تعالى يورث على البناء للمفعول
من ورث لا من اورث خبر كان اي يورث منه كلالة الكلالة في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء
استعيرت للقرابة من غير جهة الوالد والولد لضعفها بالاضافة الى قرابتهما وتطلق على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من
ليس بوالد ولا ولد من المخلفين بمعنى ذي كلالة كما تطلق القرابة على ذوي القرابة وقد جوز كونها صفة كالهجاجة والفقاقة
للاحمق فنصبها اما على انه مفعول اي يورث منه لاجل القرابة المذكورة او على انها حال من ضمير يورث اي حال كونه
ذا كلالة ليس له والد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل مخففا ومشددا فانتصاب كلالة اما على انها حال من ضمير
الفعل والمفعول محذوف اي يورث وارثه حال كونه ذا كلالة واما على انها مفعول به اي يورث ذا كلالة واما على
انها مفعول له اي يورث لاجل الكلالة او امراءة عطف على رجل مقيد بما قيد به اي او امراءة تورث كذلك ولعل فصل
ذكرها عن ذكره للايذان بشرفه واصالته في الاحكام وله اي للرجل ففيه تاكيد للايذان المذكور حيث لم يتعرض
لها بعد جريان ذكرها ايضا وقيل الضمير لكل منهما اخ او اخت اي من الام فحسب وقد قرئ كذلك فان احكام بني
الاعيان والعلات هي التي ذكرت في اخر السورة الكريمة والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير يورث او من
رجل على تقدير كون يورث صفة له ومساقها لتصوير المسئلة وذكر الكلالة لتحقيق جريان الحكم المذكور وان كان مع
من ذكر ورثة اخرى بطريق الكلالة واما جريانه في صورة وجود الام والجدة مع ان قرابتهما ليست بطريق الكلالة فبالاجماع
فلكل واحد منهما من الاخ والاخت السدس من غير تفضيل للذكر على الانثى لان الادلاء الى الميت بمحض الانوثة فان كانوا اكثر من ذلك
اي اكثر من الاخ والاخت المنفردين بواحد او باكثر والفاء لما مر من ان ذكر احتمال الانفراد مستتبع لذكر احتمال التعدد
فهم شركاء في الثلث يقتسمونه بالسوية والباقي لبقية الورثة من اصحاب الفروض والعصبات هذا واما تجويز ان يكون يورث
في القراءة المشهورة مبنيا للمفعول من اورث على ان المراد به الوارث والمعنى وان كان رجل يجعل وارثا لاجل الكلالة او ذا كلالة
غير والد او ولد ولذلك الوارث اخ او اخت فلكل واحد من ذلك الوارث واخيه او اخته السدس فان كانوا اكثر من
ذلك اي من الاثنين بان كانوا ثلثة او اكثر فهم شركاء في الثلث الموزع للاثنين لا يزاد عليه شيء بمعزل من السداد اما
اولا فلان المعتبر على ذلك التقدير انما هي الاخوة بين الوارث وبين شريكه في الارث من اخيه او اخته لا ما بينه وبين
مورثه من الاخوة التي عليها يترتب حكم الارث وبها يتم تصوير المسئلة وانما المعتبر بينهما الوارثة بطريق الكلالة وهي عامة
لجميع صور القرابات التي لا تكون بالاولاد ومن ادعى اختصاصها بالاخوة لام متمسكا بالاجماع على ان المراد بالكلالة
ههنا اولاد الام فقد اعترف ببطلان رايه من حيث لا يحتسب كيف لا ومبناه انما هو الاجماع على ان المراد بالاخوة
في قوله تعالى له اخ او اخت هو الاخوة لام خاصة حسبما شهدت به القراءة المحكية والاية الاتية في اخر السورة
الكريمة ولولا ان الرجل عبارة عن الميت والاخوة معتبرة بينه وبين ورثته لما امكن كون الكل اولاد الام ثم ان

الكلالة كما نبهت عليه باقية على اطلاقها ليس فيها شائبة اختصاص باولاد الام فضلا عن الاجماع على ذلك والا
لاقتصر البيان على حكم صورة انحصار الورثة فيهم وانما الاجماع فيما ذكر من ان المراد بالاخ والاخت من كان لام خاصة
وانت خبير بان ذلك في قوة الاجماع على ان يورث لامن اورث فتدبر واما ثانيا فلانه يقتضي ان يكون المعتبر في استحقاق
الورثة للفرض المذكور اخوة بعضهم لبعض من جهة الام فقط لما ذكر من الاجماع مع ثبوت الاستحقاق على تقدير الاخوة من
الجهتين واما ثالثا فلان حكم صورة انفراد الوارث عن الاخ والاخت يبقى حينئذ غير مبين وليس من ضرورة كون حظ كل منهما
السدس عند الاجتماع كونه كذلك عند الانفراد الا يرى ان حظ كل من الاختين الثلث عند الاجتماع والنصف عند الانفراد واما رابعا
فلان تخصيص احد الورثة بالمورث وجعل غيره تبعا له فيه مع اتحاد الكل في الاداء الى المورث مما لا عهد به من بعد وصية يوصى بها او دين
الكلام فيه كالذي مر في نظايره خلا ان الدين هنهنا موصوف بوصف الوصية جريا على قاعدة تقييد المعطوف بما قيد به المعطوف
عليه لاتفاق الجمهور على اعتبار عدم المضارة فيه ايضا وذلك انما يتحقق فيما يكون ثبوته بالاقرار في المرض كانه قيل او دين
يوصى به غير مضار حال من فاعل فعل مضمر يدل عليه المذكور وما حذف من المعطوف اعتمادا كما عليه ان رجال في قوله
عز وجل يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال على قراءة المبني للمفعول فاعل لفعل ينبئ عنه المذكور والمحذوف اكتفاء به على قراءة
البناء للفاعل اي يوصي بما ذكر من الوصية والدين حال كونه غير مضار للورثة بما زاد على الثلث او بكون الوصية لقصد الاضرار
بهم دون القربة وبان يقر في المرض بدين كاذبا وتخصيص هذا القيد بهذا الورثة مظنة لتفريط الميت في حقهم وصية
من الله مصدر مؤكد لفعل محذوف وتنوينه للتفخيم ومن متعلقة بمضمر وقع صفة له مؤكدة لفخامته الذاتية بالفخامة
الاضافية اي يوصيكم بذلك وصية كائنة من الله كقوله تعالى فريضة من الله ولعل السر في تخصيص كل منهما بمحله الاشعار
لما بين الاحكام المتعلقة بالاصول والفروع بين الاحكام المتعلقة بغيرهم من التفاوت حسب تفاوت الفريضة والوصية
وان كانت كلتاهما واجبة المراعاة او منصوب بغير مضار على انه مفعول به فانه اسم فاعل معتمد على ذي الحال او منفي
معنى فيعمل في المفعول الصريح ويعضده القراءة بالاضافة اي غير مضار لوصية الله وعهده لا في شان الاولاد فقط كما قيل
اذ لا تعلق لهم بالمقام بل في شان الورثة المذكورة ها هنا فان الاحكام المفصلة كلها مندرجة تحت قوله تعالى يوصيكم
الله جارية مجرى تفسيره وبيانه ومضارتها الاخلال بحقوقهم ونقصها بما ذكر من الوصية بما زاد على الثلث والوصية
لقصد الاضرار دون القربة والاقرار بالدين كاذبا وايقاعها على الوصية مع انها واقعة على الورثة حقيقة كما في قوله
يا سارق الليلة اهل الدار للمبالغة في الزجر عنها باخراجها مخرج مضارة امر الله تعالى ومضادته وجعل الوصية عبارة
عن الوصية بالثلث فما دونه يقتضي ان يكون غير مضار حالا من ضمير الفعل المتعلق بالوصية فقط وذلك يؤدي الى الفصل
بين الحال وعاملها باجنبي هو المعطوف على وصية مع انه لا يحسم به مادة المضارة لبقاء الاقرار بالدين على اطلاقه
والله عليم بالمضارة وغيرها حليم لا يعاجل بالعقوبة فلا تغتروا بالامهال وايراد الاسم الجليل مع كفاية الاضمار لادخال
الروعة وتربية المهابة تلك اشارة الى الاحكام التي تقدمت في شؤون اليتامى والمواريث وغيرها حدود الله اي شرايعه
المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها ومن يطع الله ورسوله اي في جميع الاوامر والنواهي التي من جملتها ما فصل ههنا و
اظهار الاسم الجليل لما ذكر آنفا يدخله جنات نصب على الظرفية عند الجمهور وعلى المفعولية عند الاخفش تجري من تحتها
الانهار صفة لجنات منصوبة حسب انتصابها خالدين فيها حال مقدرة من مفعول يدخله وصيغة الجمع بالنظر
الى جمعيته من بحسب المعنى كما ان افراد الضمير الى افراده لفظا وذلك اشارة الى ما مر من دخول الجنات الموصوفة
بما ذكر على وجه الخلود وما فيه من معنى البعد للايذان بكمال علو درجته الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه وصف الفوز
وهو الظفر بالخير بالعظم اما باعتبار متعلقه او باعتبار ذاته فان الفوز بالعظيم عظيم والجملة اعتراضية ومن يعص
الله ورسوله ولو في بعض الاوامر والنواهي قال مجاهد فيما اقتص من المواريث وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله
عنهم من لم يرض بقسم الله ويتعد ما قال الله قال الكلبي يعني ومن يكفر بقسمة المواريث والاستظهار في موضع
الاضمار للمبالغة في الزجر بتهويل الامر وتربية المهابة ويتعد حدوده شرايعه المحدودة في جميع الاحكام فيدخل فيها ما نحن

حدوده استحلالا

فيه دخولا اوليا يدخله

فيه دخولا اوليا يدخله وقرئ بنون العظمة في الموضعين نارا اي عظيمة هائلة لا يقادر قدرها خالدا فيها حال كما
سبق ولعل ايثار الافراد ههنا نظرا الى ظاهر اللفظ واختيار الجمع هناك نظرا الى المعنى للايذان بان الخلود في دار الثواب
بصفة الاجتماع اجلب للانس كما ان الخلود في دار العذاب بصفة الانفراد اشد في استجلاب الوحشة وله عذاب مهين
اي وله مع هذا الحريق الجسماني عذاب آخر مبهم لا يعرف كنهه وهو العذاب الروحاني كما يؤذن به وصفه والجملة حالية
واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم شروع في بيان بعض آخر من الاحكام المتعلقة بالنساء اثر بيان احكام المواريث واللاتي
جمع التي بحسب المعنى دون اللفظ وقيل جمع على غير قياس والفاحشة الفعلة القبيحة اريد بها الزنا لزيادة قبحه
والاتيان الفعل والمباشرة يقال اتى الفاحشة اي فعلها وباشرها وكذا جابها ورهقها وغشيها وقرئ بالفاحشة
فالاتيان بمعناه المشهور ومن متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل يأتين اي اللاتي يفعلن الزنا كاينات من نسائكم
اي من ازواجكم كما في قوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم وقوله تعالى من نسائكم اللاتي دخلتم بهن وبه قال السدي
فاستشهدوا عليهن اربعة منكم خبر للموصول والفاء للدلالة على سببية ما في حيز الصلة للحكم اي فاطلبوا ان يشهد
عليهن باتيانها اربعة من رجال المؤمنين واحرارهم فان شهدوا عليهن بذلك فامسكوهن في البيوت اي فاحبسوهن
فيها واجعلوها سجنا عليهن حتى يتوفاهن الى ان يستوفي ارواحهن الموت وفيه تهويل للموت وابرازه في صورة
من يتولى قبض الارواح وتوفيها او يتوفاهن ملائكة الموت او يجعل الله لهن سبيلا اي يشرع لهن حكما خاصا بهن ولعل التعبير
عنه بالسبيل للايذان بكونه طريقا مسلوكا فليس فيه دلالة على كونه اخف من الحبس كما قاله ابو مسلم واللذان يأتيانها منكم
هما الزاني والزانية بطريق التغليب قال السدي اريد بهما البكران منهما كما ينبئ عنه كون عقوبتهما اخف من الحبس
المخلد وبذلك يندفع التكرار خلا انه يبقى حكم الزاني المحصن بهما لاختصاص العقوبة الاولى بالمحصنات وعدم ظهور
الحاقه باحد الحكمين دلالة لخفاء الشركة في المناط فآذوهما اي بالتوبيخ والتقريع وقيل بالضرب بالنعال
ايضا وظاهر ان اجراء هذا الحكم ايضا انما يكون بعد الثبوت لكن ترك ذكره تعويلا على ما ذكر آنفا فان تابا عما فعلا
من الفاحشة بسبب ما لقيا من زواجر الاذية وقوارع التوبيخ كما ينبئ عنه الفاء واصلحا اي عمالهما فاعرضوا عنهما
بقطع الاذية والتوبيخ فان التوبة والصلاح مما يمنع استحقاق الذم والعقاب وقد جوز ان يكون الخطاب للشهود
الواقفين على هناتهما ويراد بالايذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع الى الولاة وبالاعراض عنهما ترك التعرض لهما
بالرفع اليهم قيل كانت عقوبة الفريقين المذكورين في اوائل الاسلام على ما مر من التفصيل ثم نسخ بالحد لما روي ان
النبي عليه الصلوة والسلام قال خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا الثيب يرجم والبكر يجلد وقيل هذه الاية
سابقة على الاولى نزولا وكانت عقوبة الزناة مطلقا الاذى ثم الحبس ثم الجلد والرجم وقد جوز ان يكون الامر بالحبس
غير منسوخ بان يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصي بامساكهن في البيوت والتعرض للرجال
ولا يخفى انه مما لا يساعده النظم الكريم وقال ابو مسلم وقد عزاه الى مجاهد ان الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين
وما في سورة النور في الزناة والزواني متمسكا بالمذكور في الاولى صيغة الاناث خاصة وفي الثانية صيغة الذكور
ولا ضرورة الى المصير الى التغليب على انه لا امكان له في الاولى ويأباه الامر باستشهاد الاربعة فانه غير معهود في
الشرع فيما عدا الزنا ان الله كان توابا مبالغ في قبول التوبة رحيما واسع الرحمة وهو تعليل للامر بالاعراض انما التوبة
على الله استيناف مسوق لبيان ان قبول التوبة من الله تعالى ليس على اطلاقه كما ينبئ عنه وصفه تعالى بكونه
توابا رحيما بل هو مقيد بما سينطق به النص الكريم فقوله تعالى التوبة مبتداء وقوله تعالى للذين يعملون السوء خبره
وقوله تعالى على الله متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار فان تقديمها الجار والمجرور على عامله المعنوي مما لا نزاع
في جوازه وكذا الظرف او بمحذوف وقع حالا من ضمير المبتداء المستكن فيما تعلق به الخبر على راي من جوز تقديم الحال
على عاملها المعنوي عند كونها ظرفا او حرف جر كما سبق في تفسير قوله تعالى ولله على الناس حج البيت واياما كان
فمعنى كون التوبة عليه سبحانه صدور القبول عنه تعالى وكلمة على للدلالة على التحقق البتة بحكم جري العادة و سبق

بعدما قامت الحد صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت صح

الوعد حتى كانه من الواجبات عليه سبحانه وهذا مراد من قال كلمة على بمعنى من وقيل هي بمعنى عند وعن الحسن يعني التوبة
التي اوجب الله تعالى على نفسه بفضله قبولها وهذا يشير الى ان قوله تعالى على نفسه بفضله قبولها وهذا يشير
الى ان قوله تعالى على الله صفة للتوبة بتقدير متعلقه معرفة على راي من جوز حذف الموصول مع بعض صلته
اي انما التوبة الكائنة على الله تعالى والمراد بالسوء المعصية صغيرة كانت او كبيرة وقيل الخبر على الله وقوله
تعالى للذين متعلق بما تعلق به الخبر او بمحذوف وقع حالا من الضمير المستكن في متعلق الخبر وليس فيه ما في الوجه
الاول من تقديم الحال على العامل المعنوي الا ان الذي يقتضيه المقام ويستدعيه النظام هو الاول لما ان ما
قبله من وصفه تعالى بكونه توابا رحيما انما يقتضي بيان اختصاص قبول التوبة منه تعالى بالمذكورين وذلك انما
يكون بجعل قوله تعالى للذين الى آخره خبر الا بجري الى قوله وليست التوبة للذين يعملون السيات فانه ناطق بما قلنا
كانه قيل انما التوبة لهؤلاء لا لهؤلاء بجهالة متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يعملون اي يعملون السوء ملتبسين
بها اي جاهلين سفهاء او بيعملون على ان الباء سببية اي يعملون به بسبب الجهالة لان ارتكاب الذنب مما يدعو
اليه الجهل وليس المراد به عدم العلم بكونه سوء بل عدم التفكر في العاقبة كما يفعله الجاهل قال قتاده اجمع
اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم فروا ان كل شيء عصي به ربه فهو جهالة عمدا كان او خطا وعن مجاهد من عصى الله
تعالى فهو جاهل حتى ينزع من جهالته وقال الزجاج يعني بقوله بجهالة اختيارهم اللذة الفانية على الباقية ثم
يتوبون من قريب اي من زمان قريب وهو ما قبل حضور الموت كما ينبي عنه ما سياتي من قوله تعالى حتى اذا حضر الى
آخره فانه صريح في ان وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا يقبل فيه التوبة فبقي ما وراءه في حيز القبول وعن ابن
عباس رضي الله عنهما قبل ان ينزل به سلطان الموت وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن ابرهيم النخعي
ما لم يوخذ بكظمه وهو مجرى النفس وروى ابو ايوب عن النبي عليه الصلوة والسلام ان الله يقبل توبة
العبد ما لم يغرغر وعن عطاء ولو قبل موته بفواق ناقة وعن الحسن ان ابليس قال حين اهبط الى الارض
وعزتك لا افارق ابن آدم ما دام روحه في الجسد فقال تعالى وعزتي لا اغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر ومن تبعيضية
اي يتوبون بعض زمان قريب كانه سمي ما بين وجود المعصية وبين حضور الموت زمانا قريبا ففي اي جزء تاب من اجزاء
هذا الزمان فهو قريب تائب فاولئك اشارة الى المذكورين من حيث اتصافهم بما ذكر وما فيه من معنى البعد لاعتبار
كونهم بانقضاء ذكرهم في حكم البعيد والخطاب للرسول عليه الصلاه والسلام او لكل احد ممن يصلح للخطاب وهو مبتداء
خبره قوله تعالى يتوب الله عليهم وما فيه من تكرير الاسناد لتقوية الحكم وهذا وعد بقبول توبتهم اثر بيان ان التوبة
لهم والفاء للدلالة على سببيتها للقبول وكان الله عليما حكيما مبالغا في العلم والحكمة فيبني احكامه وافعاله على
اساس الحكمة والمصلحة والجملة اعتراضية مقررة لمضمون ما قبلها واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار للاشعار
بعلة الحكم فان الالوهية منشاء لاتصافه تعالى بصفات الكمال وليست التوبة للذين يعملون السيات تصريح بما
فهم من قصر القبول على توبة من تاب من قريب وزيادة تعيين له ببيان ان توبة من عداهم بمنزلة العدم وجمع
السيات باعتبار تكرر وقوعها في الزمان المديد لا لان المراد بها جميع انواعها وبما مر من السوء نوع منها حتى اذا
حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن حتى حرف ابتداء والجملة الشرطية بعدها غاية لما قبلها اي قبول التوبة للذين
يعملون السيات الى حضور موتهم وقولهم حينئذ اني تبت وذكر الآن لمزيد تعيين الوقت وايثار قال على تاب
لاسقاط ذلك عن درجة الاعتبار والتحاشي عن تسميته توبة ولا الذين يموتون وهم كفار عطف على الموصول
الذي منه قبله اي ليس قبول التوبة لهؤلاء ولا لهؤلاء مع انه لا توبة لهم راسا مبالغة في بيان عدم
قبول توبة المسوفين وايذانا بان وجودها كعدمها بل في تكرير حرف النفي في المعطوف خاصة واما الفساق وحدهم
وتسميتهم في الجملة الحالية كفارا للتغليظ كما في قوله تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين واما ما يعم الفريقين جميعا
فالتسمية حينئذ للتغليب ويجوز ان يراد بالاول الفسقة وبالثاني الكفرة قضية مبالغة اخرى اولئك اشارة الى

الفريقين وما فيه من معنى البعد للايذان بترامي حالهم في الفظاعة وبعد منزلتهم في السوء وهو مبتدا خبره اعتدنا لهم
اي هيانا لهم عذابا اليما تكرير الاسناد لما مر من تقوية الحكم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء
بكون العذاب معدا لهم وتنكير العذاب ووصفه للتفخيم الذاتي والوصفي يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها كان الرجل اذا
مات قريبه يلقي ثوبه على امراته او على خبائها ويقول ارث امراته كما ارث ماله فيصير بذلك احق بها من كل احد ثم ان شاء تزوج
بالصداق الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها ولم يعطها منه شيئا وان شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها
وان ذهبت المراة الى اهلها قبل القاء الثوب فهي احق بنفسها فنهوا عن ذلك وقيل لهم لا يحل لكم ان تاخذوهن بطريق الارث على
زعمكم كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك او مكروهات عليه وقيل كانوا يمسكوهن حتى يمتن ويرثوا منهن فقيل لهم لا يحل
لكم ذلك وهن غير راضيات بامساككم وقرئ كرها بضم الكاف وهو لغة كالضعف وكان الرجل اذا تزوج امراة ولم تكن من
حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر وضيق عليها لتفتدي منه بمالها وتختلع فقيل لهم ولا تعضلوهن عطفا على ترثوا ولا
لتاكيد النفي والخطاب للازواج والعضل والحبس والتضييق ومنه عضلت المراة بولدها اذا اختنقت رحمها فخرج بعضه وبقي
بعضه اي ولا ان تضيقوا عليهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن اي من الصداق بان يدفعن اليكم بعضه اضطرارا فتاخذوه منهن
وانما لم يتعرض لفعلهن ايذانا بكونه بمنزلة العدم لصدوره عنهن اضطرارا وانما عبر عن ذلك بالذهاب به لا بالاخذ ولا بالذهاب
للمبالغة في تقبيحه ببيان تضمنه لامرين كل منهما محظور شنيع الاخذ والاذهاب لانه عبارة عن الذهاب مستصحبا به
الا ان ياتين بفاحشة مبينة على صيغة الفاعل من بين بمعنى تبين وقرئ على صيغة المفعول وعلى صيغة الفاعل من ابان
بمعنى تبين اي بينة القبح من النشوز وشكاسة الخلق وايذاء الزوج واهله بالايذاء والسلاطة ويعضده قراءة
ابي الا ان يفحشن عليكم وقيل الفاحشة الزناء وهو استثناء من اعم الاحوال او اعم الاوقات او اعم العلل اي
ولا يحل لكم عضلهن في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات او لعلة من العلل الا في حال اتيانهن بفاحشة او الا في
وقت اتيانهن بها او لاتيانهن بها فان السبب حينئذ يكون من جهتهن وانتم معذورون في طلب الخلع وعاشروهن
بالمعروف خطاب للذين يسيئون العشرة معهن والمعروف ما لا ينكره الشرع والمروة والمراد ههنا النصفة
في المبيت والنفقة والاجمال في المقال ونحو ذلك فان كرهتموهن وسئمتم صحبتهن بمقتضى الطبيعة من غير ان يكون
من قبلهن ما يوجب ذلك من الامور المذكورة فلا تفارقوهن بمجرد كراهة النفس واصبروا على معاشرتهن
فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا علة للجزاء اقيمت مقامه للايذان بقوة استلزامها اياه كانه قيل فان
كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه وعسى تامة رافعة
لما بعدها مستغنية عن تقدير الخبر اي فقد قرب كراهتكم شيئا وجعل الله فيه خيرا كثيرا فان النفس ربما تكره ما
هو اصلح في الدين واحمد عاقبة وادنى الى الخير وتحب ما هو بخلافه فليكن نظركم الى ما فيه خير وصلاح دون ما هوى
انفسكم وذكر الفعل الاول مع الاستغناء عنه والخصال العلية في الثاني للتوسل الى تعميم مفعوله ليفيد ان
ترتيب الخير الكثير من الله تعالى ليس مخصوصا بمكروه دون مكروه بل هو سنة الهية جارية على الاطلاق حسب اقتضاء
الحكمة وان ما نحن فيه مادة من موادها وفيه من المبالغة في الحمل على ترك المفارقة وتعميم الارشاد ما لا يخفى وقرئ ويجعل
مرفوعا على انه خبر لمبتداء محذوف والجملة حالية وتنوين خيرا للتفخيم الذاتي ووصفه بالكثرة لبيان فخامته الوصفية
والمراد به ههنا الولد الصالح وقيل الالفة والمحبة وان اردتم استبدال زوج اي تزوج امراة ترغبون فيها مكان زوج
ترغبون عنها بان تطلقوهن وآتيتم احداهن اي احدى الزوجات فان المراد بالزوجات هو الجنس والجملة حالية
باضمار قد لا معطوفة على الشرط اي وقد آتيتم التي تريدون ان تطلقوها قنطارا اي مالا كثيرا فلا تاخذوا منه اي
من ذلك القنطار شيئا يسيرا فضلا عن الكثير اتاخذونه بهتانا واثما مبينا استيناف مسوق لتقرير النهي والتنفير
عن المنهي عنه والاستفهام للانكار والتوبيخ اتاخذوا باهتين وآثمين او للبهتان والاثم فان احدهم كان اذا
تزوج امراة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجيها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا

عن ذلك والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب عليه ويدهشه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسرها ههنا
بالظلم وقوله عز وجل وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ انكار لاخذه اثر انكار وتنفير عنه غب تنفير وقد بولغ فيه حيث وجه الانكار الى
كيفية الاخذ ايذانا بانه لا سبيل له الى التحقق والوقوع اصلا لان ما يدخل تحت الوجود لا بد ان يكون على حال من
من الاحوال فاذا لم يكن لشيء حال اصلا لم يكن له حظ من الوجود قطعا وقوله عز وجل وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ حال من فاعل
تاخذونه مفيدة لتاكيد النكير وتقرير الاستبعاد اي على اي حال او في اي حال تاخذونه والحال انه قد جرى بينكم
وبينهن احوال منافية له من الخلوة وتقرر المهر وثبوت حق خدمتهن لكم وغير ذلك وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا عطف على ما
قبله داخل في حكمه اي اخذن منكم عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والمعاشرة او ما اوثق الله تعالى عليهم بقوله تعالى
فامساك بمعروف او تسريح باحسان او ما اشار اليه النبي عليه الصلوة والسلام اخذتموهن بامانة الله تعالى واستحللتم
فروجهن بكلمة الله وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ شروع في بيان من يحرم نكاحها من النساء ومن لا يحرم وانما خص هذا
النكاح بالنهي ولم ينظم في سلك نكاح المحرمات الآتية مبالغة في الزجر عنه حيث كانوا مصرين على تعاطيه
قال ابن عباس رضي الله عنهما وجمهور المفسرين كان اهل الجاهلية يتزوجون بازواج ابائهم فنهوا عن ذلك واسم الاباء
ينتظم الاجداد مجازا فيثبت حرمة ما نكحوها نصا واجماعا ويستقل في اثبات هذه الحرمة نفس النكاح اذا كان
فاسدا فلا بد في اثباتها من الوطء او ما يجري مجراه من التقبيل واللمس بشهوة ونحوهما بل هو المثبت لها في الحقيقة
حتى لو وقع شيء من ذلك بحكم ملك اليمين او بالوجه المحرم يثبت به الحرمة عندنا خلافا للشافعي في المحرم اي لا
تنكحوا التي نكحها اباؤكم وايثار ما على من للذهاب الى الوصف وَقِيلَ ما مصدرية على ارادة المفعول من المصدر من النساء
بيان لما نكح على الوجهين إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ استثناء مما نكح مفيد للمبالغة في التحريم باخراج الكلام مخرج التعليق بالمحال
على طريقة قوله ٭ ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ٭ بهن فلول من قراع الكتايب ٭ والمعنى لا تنكحوا حلايل ابائكم الا
من سلفت منهن والمقصود سد طريق الاباحة بالكلية ونظيره قوله تعالى حتى يلج الجمل في سم الخياط وَقِيلَ هو استثناء
مما يستلزمه النهي ويستوجبه مباشرة المنهي عنه كانه قيل لا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء فانه موجب للعقاب
الا ما قد مضى هو استثناء منقطع معناه لكن ما قد سلف لا مواخذة عليه لانه مقرر وبابهما قوله تعالى
إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا فانه تعليل للنهي وبيان لكون المنهي عنه غاية القبح مبغوضا اشد البغض وانه لم يزل في حكم الله وعلمه
موصوفا بذلك ما رخص فيه لامة من الامم فلا يلائم ان يتوسط بينهما ما يهون امره من ترك المواخذة على ما سلف منه
وَسَاءَ سَبِيلًا في كلمة ساء قولان احدهما انها جارية مجرى بئس في الذم والعمل ففيها ضمير مبهم يفسره ما بعده والمخصوص
بالذم محذوف تقديره وساء سبيلا ذلك النكاح كقوله تعالى بئس للشراب اي ذلك الماء وثانيهما انها كساير الافعال
وفيها ضمير يعود الى ما عاد اليه ضمير انه وسبيلا تمييز والجملة اما مستانفة لا محل لها من الاعراب او معطوفة على
خبر كان محكية بقول مضمر هو المعطوف في الحقيقة تقديره ومقولا في حقه ساء سبيلا فان السنة
الامم كافة لم تزل ناطقة بذلك في الاعصار والامصار قِيلَ مراتب القبح ثلث القبح العقلي والقبح الشرعي
والقبح العادي وقد وصف الله تعالى هذا النكاح بكل ذلك فقوله تعالى فاحشة مرتبة القبح العقلي وقوله تعالى
ومقتا مرتبة قبحه الشرعي وقوله تعالى وساء سبيلا مرتبة قبحه العادي وما اجتمع فيه هذه المراتب فقد بلغ اقصى
مراتب القبح حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ ليس المراد تحريم
ذواتهن بل نكاحهن وما يقصد به من التمتع بهن وبيان امتناع ورود ملك النكاح عليهن وانتفاء محليتهن له راسا واما
حرمة التمتع بهن بملك اليمين في المواد التي يتصور فيها قرار الملك كما في بعض سباق المعطوفات على تقدير رقهن
فثابتة بدلالة النص لاتحاد المدار الذي هو عدم محلية ابضاعهن للملك لا بعبارته بشهادة النظم الكريم وسياقه
وانما يوجب المدار امتناع ورود ملك اليمين عليهن راسا ولا حرمة سببه الذي هو العقد وما يجري مجراه كما اوجب
حرمة عقد النكاح وامتناع ورود حكمه عليهن لان مورد ملك اليمين ليس هو البضع الذي هو مورد ملك النكاح

حتى يفوت

حتى يفوت بفوات محليته له كملك النكاح فانه حيث كان مورده ذلك فات بفوات محليته له قطعا وانما مورده
الرقبة الموجودة في كل رقيق فيتحقق بتحقق محله حتما ثم يزول بوقوع العتق في المواد التي سبب حرمتها محض القرابة
النسبية كالمذكورات ويبقى في البواقي على حاله مستتبعا لجميع احواله المقصودة منه شرعا واما حل الوطء فليس من
تلك الاحكام فلا ضير في تخلفه عنه كما في المجوسية والامهات تعم الجدات وان علون والبنات يتناول بناتهن وان
سفلن والاخوات ينتظمن الاخوات من الجهات الثلث وكذا الباقيات كل كل انثى ولدها من ولد والدك والخالة
كل انثى ولدها من ولد والدتك قريبا او بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت تتناول القربى والبعدى وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ
وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ نزل الله تعالى الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما للرضيع والمراضعة اختا وكذلك زوج
المرضعة ابوه وابواه جداه واخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته واخواته لابيه
وام المرضعة جدته واختها خالته وكل من ولدها من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وامه ومن ولدها من غيره
فهم اخوته واخواته ومنه قوله عليه الصلاة والسلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وهو حكم كلي جار على عمومه
واما ام اخيه واخت ابنه وام ام ابنه وام عمه وام خاله لاب فليست حرمتهن من جهة النسب حتى تحل بعمومه
ضرورة حلهن في صور الرضاع بل من جهة المصاهرة الا ترى ان الاولى موطوءة ابيه والثانية بنت موطوءته
والثالثة ام موطوءته والرابعة موطوءة جده الصحيح والخامسة موطوءة جده الفاسد وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ شروع في
بيان المحرمات من جهة المصاهرة اثر بيان المحرمات من جهة الرضاعة التي لها لحمة كلحمة النسب والمراد بالنساء
المنكوحات على الاطلاق سواء كن مدخولات بهن او لا وعليه جمهور العلماء وَقَدْ رُوِيَ عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال في رجل تزوج امراة ثم طلقها قبل ان يدخل بها انه لا باس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها وعن عمر
وعمران بن الحصين ان الام تحرم بنفس العقد وعن مسروق هي مرسلة فارسلوا ما ارسل الله وَعَنِ ابن عباس
رضي الله عنهما ابهموا ما ابهم الله خلا انه روي عنه وَعَنْ علي وزيد وابن عمر وابن الزبير رضي الله عنهم انهم قرؤوا
وامهات نسائكم اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ وعن جابر روايتان وَعَنْ سعيد بن المسيب عن زيد انه اذا ماتت عنده فاخذ
ميراثها كره ان يخلف على امها واذا طلقها قبل ان يدخل بها فان شاء فعل اقام الموت في ذلك مقام الدخول كما قام
مقامه في باب المهر والعدة ويلحق بهن الموطوآت بوجه من الوجوه المعدودة فيما سبق والممسوسات ونظايرهن
والامهات تعم الجدات حسبما ذكر وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ الربايب جمع ربيبة فعيل بمعنى مفعول والتاء للنقل
الى الاسمية والربيب ولد المراة من اخر سمي به لانه يربه غالبا كما يرب ولده وان لم يكن ذلك امرا مطردا وهو المعنى
بكونهن في الحجور فان شانهن الغالب المعتاد ان يكن في حضانة امهاتهن تحت حماية ازواجهن لا كونهن كذلك بالفعل
وفايدة وصفهن بذلك تقوية علة الحرمة وتكميلها كما انها النكتة في ايرادهن باسم الربايب دون بنات النساء فان
كونهن بصدد احتضانهم لهن وفي شرف التقلب في حجورهم وتحت حمايتهم وتربيتهم مما يقوي الملابسة والشبهة
بينهن وبين اولادهم ويستدعي اجراءهن مجرى ابنائهم لا تقييد الحرمة بكونهن في حجورهن بالفعل كما روي عن علي رضي الله عنه
وبه اخذ داود ومذهب جمهور العلماء ما ذكر ولا لخلاف ما في قوله تعالى مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فانه لتقييدها به قطعا فان
كلمة من متعلقة بمحذوف وقع حالا من ربايبكم او من ضميرها المستكن في الظرف لانه لما وقع صلة تحمل ضميرا اي وربايبكم
اللاتي استقررن في حجوركم كاينات من نسائكم الخ ولا مساغ لجعله حالا من امهات او مما اضيفت هي اليه خاصة وهو
بين لا سترة به ولا معا ماذكروا ولا ضرورة ان حاليته من ربايبكم او من ضميرها يقتضي كون كلمة من ابتدائية وحاليته
من امهات او نسائكم يستدعي كونها بيانية وادعاء كونها اتصالية منتظمة لمعنى الابتداء والبيان او جعل الموصول صفة
للنسائين مع اختلاف عامليهما مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله مع انه سعي في اسكات ما نطق به النبي عليه الصلوة
والسلام واتفق عليه الجمهور حسبما ذكر فيما قبل واما ما نقل من القراءة فضعيفة بالرواية وعلى تقدير الصحة محمولة
على النسخ ومعنى الدخول بهن ادخالهن الستر والباء للتعدية وهي كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب وفي

والعمة

حكم اللمس ونظايره كما مرّ فان لم تكونوا اي فيما قبل دخلتم بهن اصلا فلا جناح عليكم اي في نكاح الربايب وهو تصريح
بما اشعر به ما قبله والفاء الاولى لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان بيان حكم الدخول مستتبع لبيان حكم عدمه وحلائل
ابنائكم اي زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها للزوج او لحلولها في محله وقيل لحل كل منهما ازار صاحبه وفي حكمهن
مزنياتهم ومن يجري مجراهن من الممسوسات ونظايرهن وقوله تعالى الذين من اصلابكم لاخراج الادعياء دون ابناء الاولاد
والابناء من الرضاع فانهم وان سفلوا في حكم الابناء الصلبية وان تجمعوا بين الاختين في حيز الرفع عطفا على ما قبله من
المحرمات والمراد به جمعهما في النكاح لا في ملك اليمين واما جمعهما في الوطي بملك اليمين فملحق به بطريق الدلالة
لاتحادهما في المدار ولقوله عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجمعن ماءه في رحم اختين بخلاف
نفس ملك اليمين فانه ليس في معنى النكاح في الافضاء الى الوطي ولا مستلزما له ولذلك يصح شراء المجوسية دون
نكاحها حتى لو وطيهما لا يحل له وطي احديهما حتى يحرم عليه الاخرى لان المنكوحة موطوءة حكما فكانه جمعهما وطاء
واسناد الحرمة الى جمعها لا الى الثانية منهما بان يقال واخوات نسائكم للاحتراز عن افادة الحرمة المؤبدة كما في المحرمات
السابقة ولكونه بمعزل عن الدلالة على حرمة الجمع بينهما على سبيل المعية ويشترك في هذا الحكم الجمع بين المرأة وعمتها
ونظايرها فان مدار حرمة الجمع بين الاختين افضاؤه الى قطع ما امر الله بوصله وذلك متحقق في الجمع بين هؤلاء
بل اولى فان العمة والخالة بمنزلة الام وقوله صلى الله عليه وسلم لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها ولا على ابنة اخيها
ولا على ابنة اختها من قبيل بيان التفسير لا بيان التغيير وقيل هو مشهور يجوز به الزيادة على الكتاب الا ما قد سلف
استثناء منقطع اي لكن ما قد مضى لا تؤاخذون به ولا على سبيل الى جعله متصلا لقصد التاكيد والمبالغة كما مر في
ما سلف لان قوله تعالى ان الله كان غفورا رحيما تعليل لما افاده الاستثناء فيتحتم الانقطاع وقال عطا والسدي
معناه الا ما كان من يعقوب عليه السلام فانه جمع بين ليا ام يهودا وبين راحيل ام يوسف ولا يساعده التعليل لما
ان ما فعله يعقوب عليه السلام كان حلالا في شريعته وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان اهل الجاهلية يحرمون
ما حرم الله تعالى الا امراة الاب والجمع بين الاختين وروي هشام بن عبد الله عن محمد بن الحسن رحمه الله انه قال كان
اهل الجاهلية يعرفون هذه المحرمات الا اثنين نكاح امراة الاب والجمع بين الاختين الا ترى انه قد عقب النهي
عن كل منهما بقوله تعالى الا ما قد سلف وهذا يشير الى كون الاستثناء فيهما على سنن واحد ويأباه اختلاف التعليلين
والمحصنات بفتح الصاد وهن ذوات الازواج احصنهن التزوج او الازواج او الاولياء اي اعففهن عن الوقوع
في الحرام وقرئ على صيغة اسم الفاعل فانهن احصن فروجهن عن غير ازواجهن واحصن ازواجهن وقيل الصيغة للفاعل
على القراءة الاولى ايضا وفتح الصاد محمول على الشذوذ كما في نظيره ملقح ومسهب من القح واسهب قيل قد
ورد الاحصان في القران بازاء اربعة معان الاول التزوج كما في هذه الاية الثاني العفة كما في قوله تعالى محصنين
غير مسافحين الثالث الحرية كما في قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات والرابع الاسلام كما في قوله
تعالى فاذا احصن قيل في تفسيره اي اسلمن وهي معطوفة على المحرمة السابقة وقوله تعالى من النساء متعلق بمحذوف
وقع حالا منها اي كاينات من النساء وفايدته تاكيد عمومها او دفع توهم شمولها للرجال بناء على كونها صفة للانفس كما
توهم توهمه مكي الا ما ملكت ايمانكم استثناء من المحصنات استثناء النوع من الجنس اي مملوكاتكم واسناد الملك
الى الايمان لما ان سببه الغالب الصفقة الواقعة بها وقد اشتهر ذلك في الارقاء لاسيما في اناثهم وهن المرادة
ههنا رعاية للمقابلة بينه وبين ملك النكاح الوارد على الحرائر والتعبير عنهن بما لاسقاطهن بما فيهن من قصور
الرق عن رتبة العقلاء وهي اما عامة حسب عموم صلتها فان الاستثناء حينئذ ليس لاخراج جميع افرادها من حكم
التحريم بطريق شمول النفي بل بطريق نفي الشمول المستلزم لاخراج بعضها اي حرمت عليكم المحصنات على الاطلاق الا
المحصنات اللاتي ملكتموهن فانهن ليس من المحرمات على الاطلاق بل فيهن من لا يحرم نكاحهن في الجملة وهن المسبيات بغير
ازواجهن او مطلقا حسب اختلاف الرايين واما خاصة بالمذكورات فالمعنى حرمت عليكم المحصنات اللاتي سبين

فان نكاحهن

فان نكاحهن مشروع في الجملة لغير ملاكهن واما حلهن لهم بحكم ملك اليمين فمفهوم بدلالة النص لاتحاد المناط
لا بعبارته لما عرفت ان مساق النظم الكريم لبيان حرمة التمتع بالمحرمات المعدودة بحكم ملك النكاح وانما ثبوت حرمة التمتع
بهن بحكم ملك اليمين بطريق دلالة النص وذلك مما لا يجري فيه الاستثناء قطعا واما ما عداهن من ذوات الازواج مع
تحقق الفرقة بينهن وبين ازواجهن قطعا بالتباين او بالسبي على اختلاف الرايين فمبني على اعتقاد الناس كانوا حينئذ
غافلين عن الفرقة الا يرى ما روي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه قال اصبنا يوم اوطاس سبايا لهن ازواج
فكرهن ان نقع عليهن فسألنا النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية عنه قلنا يا رسول الله كيف نقع على نساء قد عرفنا انسابهن
وازواجهن فنزلت والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم فاستحللناهن وفي رواية اخرى عنه ونادى منادي رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا لا توطأ حامل حتى تضع ولا حايل حتى تحيض فاباح وطأهن بعد الاستبراء وليس في ترتيب
هذا الحكم على نزول الاية الكريمة ما يدل على كونها مسوقة له فان ذلك انما يتوقف على افادتها له بوجه من وجوه الدلالة
لا على افادتها بطريق العبارة او نحوها هذا وقد روي عن ابي سعيد رضي الله عنه انه قال انها نزلت في نساء كن يهاجرن
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن ازواج فيتزوجهن بعض المسلمين ثم تقدم ازواجهن مهاجرين فنهى عن نكاحهن
والمحصنات حينئذ عبارة عن مهاجرات يتحقق او يتوقع من ازواجهن الاسلام والمهاجرة ولذلك لم يزل عنهن اسم
الاحصان والنهي لتحريم المحقق وتعرف حال المتوقع والا فيما عداهن بمعزل من الحرمة واستحقاق اطلاق الاسم
عليهن كيف لا وحين انقطعت العلاقة بين المسبية وزوجها مع اتحادهما في الدين فلان ينقطع ما بين المهاجرة و
زوجها احق واولى كما يفصح عنه قوله عز وجل فان علمتموهن مومنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم
يحلون لهن كتاب الله مصدر مؤكد اي كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا وفرضه فرضا وقيل منصوب على الاغراء
بفعل مضمر اي الزموا كتاب الله وعليكم متعلق اما بالمصدر واما بمحذوف وقع حالا منه وقيل هو اغراء اخر مؤكد لما
قبله قد حذف مفعوله لدلالة المذكور عليه او بنفس عليكم على راي من جوز تقديم المنصوب في باب الاغراء كما
في قوله • يا ايها المائح دلوي دونكا • اني رايت الناس يحمدونكا وقرئ كتب الله بالجمع والرفع اي هذه فرائض الله
عليكم وقرئ كتب الله بلفظ الفعل واحل لكم عطف على حرمت عليكم الى اخره وتوسط قوله تعالى كتاب الله عليكم بينهما
للمبالغة في الحمل على المحافظة على المحرمات المذكورة وقرئ على صيغة المبني للفاعل فيكون معطوفا على الفعل المقدر
وقيل بل على حرمت الى آخره فانهما جملتان متقابلتان مؤسستان للتحريم والتحليل المنوطين بامر الله ولا ضير في اختلاف
المسند اليه بحسب الظاهر لا سيما بعدما اكدت الاولى بما يدل على ان المحرم هو الله تعالى ما وراء ذلكم اشارة الى ما
ذكر من المحرمات المعدودة اي احل لكم نكاح ما سواهن انفرادا او جمعا ولعل ايثار اسم الاشارة المتعرض لوصف
المشار اليه وعنوانه على الضمير المتعرض للذات فقط لتذكير ما في كل واحدة منهن من العنوان الذي عليه يدور حكمه
الى اخره فيفهم مشاركة في معناها لهن فيها بطريق الدلالة فان حرمة الجمع بين المرأة وعمتها وبين خالتها ليست
بطريق العبارة بل بطريق الدلالة كما سلف وقيل ليس المراد بالاحلال مطلقا اي على جميع الاحوال حتى يرد انه
يلزم منه حل الجمع بين المرأة وعمتها وبين خالتها بطريق الجمع الا يرى ان حرمة نكاح المعتدة والمطلقة ثلثا والخامسة
ونكاح الامة على الحرة ونكاح الملاعنة لا يقدح في حل نكاحهن بعد العدة وبعد التحليل وبعد تطليق الرابعة وانقضاء
العدة وبعد تطليق الحرة وبعد اكذاب الملاعن نفسه وانت خبير بان الحل يجب ان يتعلق ههنا بما تعلق به الحرمة
فيما سلف وقد تعلق هناك بالجمع فلا بد ان يتعلق بالحل ههنا به ايضا ان تبتغوا متعلق بالفعلين المذكورين
على انه مفعول له لكن لا باعتبار ذاتهما بل باعتبار بيانهما واظهارهما اي بين لكم تحريم المحرمات المعدودة واحلال
ما سواهن ارادة ان تبتغوا باموالكم والمفعول محذوف اي تبتغوا النساء او متروك اي تفعلوا الابتغاء باموالكم
بصرفها الى مهورهن او بدل اشتمال من ما وراء ذلكم بتقدير ضمير المفعول محصنين حال من فاعل تبتغوا والاحصان
العفة وتحصين النفس عن الوقوع فيما يوجب اللوم والعقاب غير مسافحين حال ثانية او حال من الضمير في

محصنين والسفاح الزنا والفجور من السفح الذي هو صب المني سمي به لانه الغرض منه ومفعول الفعلين محذوف وفي محصنين فروجكم غير مسافحين الزواني وهي في الحقيقة حال موكدة لان المحصنين غير مسافحين البتة وما في قوله عز وجل فما استمتعتم به منهن اما عبارة عن النساء او وما يتعلق بهن من الافعال وعلى التقديرين فهي اما كشرطية ما بعدها شرطها واما الموصولة ما بعدها صلتها وايا ما كان فهي مبتدا خبرها على تقدير كونها شرطية اما فعل الشرط او جوابه او كلاهما على الخلاف المعروف وعلى تقدير كونها موصولة قوله تعالى فاتوهن اجورهن والفاء لتضمن الموصول معنى الشرط على تقدير كونهما عبارة عن النساء فالعايد الى المبتدا هو الضمير المنصوب في فاتوهن سواء كانت شرطية او موصولة ومن بيانية او تبعيضية محلها النصب على الحالية من الضمير المجرور في به والمعنى فاي فرد استمتعتم به حال كونه من جنس النساء او بعضهن اجورهن وقد روعي تارة جانب اللفظ فافرد الضمير واخرى جانب المعنى فجمع ثانيا وثالثا واما على تقدير كونها عبارة عما يتعلق بهن فمن ابتدائية متعلقة بالاستمتاع والعايد الى المبتدا محذوف والمعنى اي فعل استمتعتم به من جهتهن من نكاح او خلوة او نحوهما او فالفعل الذي استمتعتم به عنهن من قبلهن من الافعال المذكورة فاتوهن اجورهن لاجله او بمقابلته والمراد بالاجور المهور فانها اجور ابضاعهن فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او نعت لمصدر اي ايتاء مفروضا او مصدر موكد اي فرض ذلك فريضة اي لهن عليكم ولا جناح عليكم اي لا اثم عليكم فيما تراضيتم به من الحط عن المهر او الابراء منه على طريقة قوله عز وجل فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه اثر قوله تعالى الا ان يعفون وتعميمه للزيادة على المسمى لا يساعده رفع الجناح من الرجال لانها ليست مظنة الجناح الا ان يجعل الخطاب للازواج تغليبا فان اخذ الزيادة على المسمى مظنة الجناح على الزوج وقيل فيما تراضيتم به من نفقة ونحوها وقيل من مقام او فراق ولا يساعده قوله تعالى من بعد الفريضة اذ لا تعلق لهما بالفريضة الا ان يكون الفراق بطريق المخالفة وقيل نزلت في المتعة التي هي النكاح الى وقت معلوم من يوم او اكثر سميت بذلك لان الغرض منها مجرد الاستمتاع بالمراة واستمتاعها بما يعطى وقد ابيحت ثلثة ايام حين فتحت مكة شرفها الله تعالى لما نسخت لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة وقيل ابيح مرتين وحرم مرتين وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه رجع عن القول بجوازه عند موته وقال اللهم اني اتوب اليك من قولي بالمتعة وقولي في الصرف ان الله كان عليما بمصالح العباد حكيما فيما شرع لهم من الاحكام ولذلك شرع لكم هذه الاحكام اللايقة بحالكم ومن لم يستطع منكم طولا من اما شرطية ما بعدها شرطها وموصولة ما بعدها صلتها والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يستطيع اي حال كونه منكم وقوله تعالى طولا اي غنى وسعة اي اعتلاء ونيلا واصله الزيادة والفضل مفعول ليستطيع وقوله عز وجل ان ينكح المحصنات المومنات واما مفعول صريح لطولا فان اعمال المصدر المنون شايع ذايع كما في قوله او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة كانه قيل ومن لم يستطع منكم ان ينال نكاحهن واما بتقدير حرف الجر اي ومن لم يستطع منكم غنى الى نكاحهن او لنكاحهن فالجار في محل النصب صفة لطولا موصلا اليه او كاينا له او على نكاحهن على ان الطول بمعنى القدرة في القاموس الطول والطايل والطايلة الفضل والقدرة والغنى والسعة ومحل ان بعد حذف الجار النصب عند سيبويه والفرا وجر عند الكسايي والاخفش واما بدل من طولا لان الطول فضل والنكاح قدرة واما مفعولا ليستطيع وطولا مصدر مركب له لانه بمعناه او الاستطاعة هي الطول او تمييز اي ومن لم يستطع منكم نكاحهن استطاعة او من جهة الطول والغنا لا من جهة الطبيعة والمزاج فان عدم الاستطاعة من تلك الجهة لا تعلق له بالمقام والمراد بالمحصنات الحراير بدليل مقابلتهن بالمملوكات فان حريتهن احصنتهن من ذل الرق والابتذال وغيرهن من صفات القصور والنقصان وقوله عز وعلا فمن ما ملكت ايمانكم اما جواب للشرط او خبر للموصول والفاء لتضمنه معنى الشرط والجار متعلق بفعل مقدر حذف مفعوله وما موصولة اي

من بعد الفريضة وقوله تعالى

فلينكح امراة او امة من النوع الذي ملكته ايمانكم وهو في الحقيقة متعلق بمحذوف وقع صفة لذلك المفعول المحذوف ومن تبعيضية اي فلينكح امراة كاينة من ذلك النوع وقيل من زايدة والموصول مفعول للفعل المقدر اي فلينكح ما ملكت ايمانكم وقوله تعالى من فتياتكم المومنات في محل النصب على الحالية من الضمير المقدر في ملكت الراجع الى ما وقيل هو المفعول للفعل المقدر على زيادة من ومما ملكت متعلق بنفس الفعل ومن لابتداء الغاية او بمحذوف وقع حالا من فتياتكم ومن للتبعيض اي فلينكح فتياتكم كاينات لبعض ما ملكت ايمانكم والمومنات صفة لفتياتكم على كل تقدير وقيل هو المفعول للفعل المقدر ومما ملكت على ما تقدم انفا ومن فتياتكم حالا من العايد المحذوف وظاهر النظم الكريم يفيد عموم عدم جواز نكاح الامة للمستطيع كما ذهب اليه الشافعي رحمه الله وعدم جواز نكاح الامة الكتابية اصلا كما هو راي اهل الحجاز وقد جوزهما ابو حنيفة رحمه الله متمسكا بالعمومات فيحمل الشرط والوصف هو الافضلية ولا نزاع فيها لاحد وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ومما وسع الله على هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية وان كان موسرا وقوله تعالى والله اعلم بايمانكم جملة معترضة جيء بها لتانيسهم بنكاح الاماء واستنزالهم من رتبة الاستنكاف منهم ببيان ان مناط التفاضل ومدار التفاخر هو الايمان دون الاحساب والانساب على ما نطق به قوله عز وجل يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبايل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم والمعنى انه تعالى اعلم منكم بمراتبكم في الايمان الذي به ينتظم احوال العباد وعليه يدور فلك المصالح في المعاش والمعاد ولا تعلق له بخصوص الحرية والرق فرب امة يفوق ايمانها ايمان الحراير وقوله تعالى بعضكم من بعض ان اريد به الاتصال من حيث الدين فهو بيان لتناسبهم من تلك الحيثية اثر بيان تفاوتهم في ذلك وان اريد به الاتصال من حيث النسب فهو اعتراض اخر موكد للتانيس من جهة اخرى والخطاب في الموضعين اما لمن كان في الخطاب الذي يعقبه قد روعي فيما سبق جانب اللفظ وههنا جانب المعنى والالتفات للاهتمام بالترغيب والتانيس واما لغيرهم من المسلمين كالخطابات السابقة لحصول الترغيب بخطابهم ايضا وايا ما كان فاعادة الامر بالنكاح على وجه الخطاب كما في قوله تعالى فانكحوهن مع انفهامه من قوله تعالى فمما ملكت ايمانكم حسبما ذكر لزيادة الترغيب في نكاحهن وتقييده بقوله تعالى باذن اهلهن وتصديره بالفاء للايذان بترتبه على ما قبله اي واذ وقد وقفتم على جلية الامر فانكحوهن باذن مواليهن ولا ترفعوا عنهن وفي اشتراط اذن الموالي دون مباشرتهم للعقد اشعار بجواز مباشرتهن له واتوهن اجورهن اي مهورهن بالمعروف متعلق باتوهن اي ادوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار والجاء الى الاقتضاء واللز حسبما يقتضيه الشرع والعادة ومن ضرورته ان يكون الاداء اليهن باذن الموالي فيكون ذكر ايتايهن لبيان جواز الاداء اليهن لا لكون المهور لهن وقيل اتوا مواليهن فحذف المضاف واصله واوصل الفعل الى المضاف اليه محصنات حال من مفعول فانكحوهن اي حال كونهن عفايف عن الزنا غير مسافحات حال موكدة اي غير مجاهرات به ولا متخذات اخدان عطف على مسافحات ولا لتاكيد ما في غير من معنى النفي والخدن الصاحب قال ابو زيد الاخدان الاصدقاء على الفاحشة والواحد خدن وخدين والجمع للمقابلة بالانقسام على معنى ان لا يكون لواحدة منهن خدن لا على معنى ان لا يكون لها اخدان اي غير مجاهرات بالزنا ولا مسترات له وكان الزنا في الجاهلية منقسما الى هذين القسمين فاذا احصن اي بالتزويج وقرئ على البناء للفاعل اي احصن فروجهن او ازواجهن فان اتين بفاحشة اي فعلن فاحشة وهي الزنا فعليهن اي فثابت عليهن شرعا نصف ما على المحصنات اي الحراير الابكار من العذاب من الحد الذي هو جلد ماية فنصفه خمسون كما هو كذلك قبل الاحصان فالمراد بيان عدم تفاوت حدهن بالاحصان كتفاوت حد الحراير فالفاء في فان اتين جواب اذا والثانية جواب ان فالشرط الثاني مع جوابه مترتب على وجود الاول كما في قولك اذا اتيتني فان اكرمتك فعبدك حر ذلك اي نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم اي لمن خاف وقوعه في الاثم الذي يودي اليه غلبة الشهوة واصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر يعتري الانسان بعد صلاح حاله والاضرار العظم من موافقة الماثم بارتكاب افحش القبايح وقيل اريد به الحد لانه اذا هويها يخشى ان يواقعها فيحد والاول هو اللايق بحال المومن دون الثاني لايهامه ان المحذور عنده الحد لا ما يوجبه وان تصبروا اي عن نكاحهن متعففين كافين انفسكم عما

تشبيه من المعاصي خير لكم من نكاحهن وان سبقت كلمة الرخصة فيه لما فيه من تعريض الولد للرق قال عمر رضي الله
عنه ايما حر تزوج بامة فقد ارق نصفه وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه ما نكاح الامة من الزناء الا قريب ولان حق المولى
فيها اقوى فلا تخلص للزوج خلوص الحرائر ولان المولى يقدر على استخدامها كيف ما يريد في السفر والحضر وعلى بيعها للبا
والحاضر وفيه اختلال لحال الزوج واولاده مالا مزيد عليه ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله ذل
ومهانة سارية الى الناكح والعزة هي اللائقة بالمؤمنين فلان مهرها لمولاها فلا تقدر على التمتع به ولا على هبته للزوج
ولا ينتظم امر المنزل وقد قال عليه الصلوة والسلام الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت والله غفور مبالغ في
المغفرة فيغفر لمن لم يصبر عن نكاحهن ما في ذلك من الامور المنافية لحال المؤمنين رحيم مبالغ في الرحمة ولذلك رخص
لكم في نكاحهن يريد الله ليبين لكم استيناف مسوق لتقرير ما سبق من الاحكام وبيان كونها جارية على مناهج المهتدين
من الانبياء والصالحين قيل اصل النظم الكريم يريد الله ان يبين لكم فزيدت اللام لتاكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة
ومفعول يبين محذوف ثقة بشهادة السباق والسياق اي يريد الله ان يبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالحكم وافاضل
اعمالكم او ما يتعبد كم به من الحلال والحرام وقيل مفعول يريد محذوف تقديره يريد الله تشريع ما شرع من التحريم
والتحليل لاجل التبيين لكم وهذا مذهب البصريين ويعزى الى سيبويه وقيل ان اللام بنفسها ناصبة للفعل من غير
اضمار وهي وما بعدها مفعول للفعل المتقدم فان اللام قد تقام مقام ان في فعل الارادة الامر فيقال لاذهب وان اذهب
وامرتك لتقوم وان تقوم قال الله تعالى يريدون ليطفئوا نور الله وفي موضع يريدون ان يطفئوا وقال تعالى وامرنا
لنسلم وفي موضع وامرت ان اسلم وفي آخر وامرت لاعدل بينكم اي ان اعدل بينكم وهذا مذهب الكوفيين ومنعه البصريون
وقالوا ان وظيفة اللام هي الجر والنصب فيما قالوا باضمار اي امرنا بما امرنا لنسلم ويريدون مما يريدون ليطفئوا نور الله
وفي موضع يريدون وقيل يؤول الفعل الذي قبل اللام بمصدر مرفوع بالابتداء ويجعل ما بعده خبرا له كما في تسمع بالمعيدي
خير من ان تراه اي ان تسمع به ويعزى هذا الراي الى بعض البصريين ويهديكم سنن الذين من قبلكم من الانبياء والصالحين
لتقتدوا بهم ويتوب عليكم اذ ابتم اليه تعالى عما يقع منكم من التقصير والتفريط في مراعاة ما كلفتموه من الشرايع
فان المكلف قلما يخلو من تقصير يستدعي تلافيه بالتوبة ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما يردعكم عن المعاصي
ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة لسياتكم وليس الخطاب لجميع المكلفين حتى يتخلف مراده تعالى عن ارادته
فيمن لم يتب منهم بل لطايفة معينة حصلت لهم هذه التوبة والله عليم مبالغ في العلم بالاشياء التي من جملتها ما
شرع لكم من الاحكام حكيم مراع في جميع افعاله الحكمة والمصلحة والله يريد ان يتوب عليكم جملة مبتداة مسوقة لبيان
كمال منفعة ما اراد الله تعالى وكما صرح ما يريد الفجرة لا لبيان ارادته تعالى لتوبته عليهم حتى يكون من باب التكرير
للتقرير ولذلك غير الاسلوب الى الجملة الاسمية دلالة على دوام الارادة ولم يفعل ذلك في قوله تعالى ويريد الذين
يتبعون الشهوات للاشارة الى الحدوث والايماء الى كمال المباينة بين مضموني الجملتين كما مر في قوله تعالى الله ولي
الذين امنوا الاية والمراد بمتبعي الشهوات الفجرة فان اتباعها الايتمار لها واما المتعاطي لما سوغه الشرع من المشتهيات
دون غيره فهو متبع له لا لها وقيل هم اليهود والنصارى وقيل هم المجوس حيث كانوا يحلون الاخوات من الاب
وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله تعالى قالوا فانكم تحلون بنت الخال وبنت العمة ومع ان العمة والخالة
عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ وبنات الاخت فنزلت ان تميلوا عن الحق بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال
المحرمات وتكونوا زناة مثلهم وقرئ بالياء التحتانية والضمير للذين يتبعون الشهوات ميلا عظيما اي بالنسبة الى
ميل من اقترف خطيئة على ندرة بلا استحلال يريد الله ان يخفف عنكم بما مر من الرخص وما في عهدتكم من مشاق التكاليف
والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب وخلق الانسان ضعيفا عاجزا عن مخالفة هواه غير قادر على مقابلة دواعيه وقواه
حيث لا يصبر عن اتباع الشهوات ولا يستخدم قواه في مشاق الطاعات وعن الحسن رضي الله عنه ان المراد ضعف الخلقة
ولا يساعده المقام فان الجملة اعتراض تذييلي مسوق لتقرير ما قبله من التخفيف بالرخصة في نكاح الاماء وليس

لضعف

لضعف البنية مدخل في ذلك وانما الذي يتعلق به التخفيف في العبادات الشاقة وقيل المراد به ضعفه في امر النساء خاصة
حيث لا يصبر عنهن وعن سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من بني آدم قط الا اتاهم من قبل النساء فقد اتى علي ثمانون سنة
وذهبت احدى عيني وانا اعشو بالاخرى وانا اخوف ما اخاف على فتنة النساء وقرا ابن عباس رضي الله عنهما وخلق الانسان
على البناء للفاعل والضمير لله عز وجل وعنه رضي الله عنه ثماني ايات في سورة النساء هن خير لهذه الامة مما طلعت عليه
الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله
لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه
ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل شروع في بيان بعض المحرمات المتعلقة بالاموال
والانفس اثر بيان المحرمات المتعلقة بالابضاع وتصدير الخطاب بالنداء والتنبيه لاظهار كمال العناية بمضمونه والمراد بالباطل
ما يخالف الشرع كالغصب والسرقة والخيانة والقمار وعقود الربو وغير ذلك مما لم يبحه الشرع اي لا ياكل بعضكم اموال بعض
بغير طريق شرعي الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع وعن متعلقة بمحذوف وقع صفة لتجارة اي الا ان تكون التجارة
تجارة صادرة عن تراض كما في قوله • اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا • اي اذا كان اليوم يوما الى آخره او ان يكون الاموال اموال
تجارة وقرئ تجارة بالرفع على ان كان تامة اي ولكن اقصد وا كون تجارة عن تراض اي وقوعها او ولكن وجود تجارة عن تراض
غير منهي عنه وتخصيصها بالذكر من بين سائر اسباب الملك لكونها معظمها واغلبها وقوعها واوفقها لذوي المروة والمراد
بالتراضي مراضاة المتبايعين بما تعاقدوا عليه في حال المبايعة وقت الايجاب والقبول عندنا وعند الشافعي رحمه الله وقت
الافتراق عن مجلس العقد ولا تقتلوا انفسكم اي من كان من جنسكم من المؤمنين فان كلهم كنفس واحدة وعن الحسن رحمه
الله لا تقتلوا اخوانكم والتعبير عنهم بالانفس للمبالغة في الزجر عن قتلهم بتصويره بصورة ما لا يكاد يفعله عاقل او
لا تهلكوا انفسكم بتعريضها للعقاب باقتران ما يفضي اليه فانه القتل الحقيقي لها كما يشعر به ايراده عقيب النهي عن اكل الحرام
فيكون مقررا للنهي السابق وقيل لا تقتلوا انفسكم بالبخع كما يفعله بعض الجهلة او بارتكاب ما يؤدي الى القتل من الجنايات
وقيل بالقائها في التهلكة وايد بما روي عن عمرو بن العاص انه تاول بالتيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي عليه الصلوة
والسلام وقرئ لا تقتلوا بالتشديد للتكثير وقد جمع في التوصية بين حفظ النفس وحفظ المال لما انه شقيقها
من حيث انه سبب لقوامها وتحصيل كمالاتها واستيفاء فضايلها وتقديم النهي عن التعرض له لكثرة وقوعه ان الله
كان بكم رحيما تعليل للنهي بطريق الاستيناف اي مبالغا في الرحمة والرافة ولذلك نهاكم عنها فان في ذلك رحمة
عظيمة لكم بالزجر عن المعاصي وللذين هم في معرض التعرض لهم بحفظ اموالهم وانفسهم وقيل معناه انه كان بكم يا امة
محمد رحيما حيث امر بني اسرائيل بقتلهم انفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم ولم يكلفكم تلك التكاليف الشاقة
ومن يفعل ذلك اشارة الى القتل خاصة او بما قبله من اكل الاموال وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها في
الفساد عدوانا وظلما اي افراطا في التجاوز عن الحد واتيانا بما لا يستحقه وقيل اريد بالعدوان التعدي على الغير
وبالظلم الظلم على النفس بتعريضها للعقاب ومحلها النصب على الحالية او على العلية اي معتديا وظالما او للعدوان
والظلم وقرئ عدوانا بكسر العين فسوف نصليه جواب للشرط اي ندخله وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون
من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله تعالى او لذلك من حيث انه سبب للصلي نارا
اي نارا مخصوصة هايلة شديدة العذاب وكان ذلك اي اصلاؤه النار على الله يسيرا لتحقق الداعي وعدم الصارف
واظهار الاسم الجليل لطريق الالتفات لتربية المهابة وتاكيد الاستقلال الاعتراض التذييلي ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه
اي كبائر الذنوب التي نهاكم الشرع عنها مما ذكر ها هنا وما لم يذكر وقرئ بكبير على ارادة الجنس نكفر عنكم بنون
العظمة على طريق الالتفات وقرئ بالياء بالاسناد اليه تعالى والتكفير اماطة المستحق من العقاب بثواب ازيد
او بتوبة اي نغفر لكم سيئاتكم صغائركم ونمحها عنكم قال المفسرون الصلوة الى الصلوة والجمعة الى الجمعة
ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن من الصغائر اذا اجتنب الكبائر واختلف في الكبائر والاقرب ان الكبيرة

كل ذنب رتب الشارع عليه الحد او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبي صلى الله عليه وسلم انها سبع الاشراك
بالله تعالى وقتل النفس التي حرمها الله تعالى وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربو والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن
علي رضي الله عنه التعرب بعد الهجرة مكان عقوق الوالدين وزاد ابن عمر السحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس رضي الله
عنهما ان رجلا قال له الكباير سبعة قال هي الى سبعماية اقرب منها الى سبعة وروي عنه الى سبعين اذ لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة
مع الاستغفار وقيل اريد بها انواع الشرك لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك وقيل صغر الذنوب
وكبرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها وبحسب فاعلها بل بحسب الاوقات والاماكن ايضا فاكبر الكباير الشرك واصغر الصغاير
حديث النفس وما بينهما وسايط يصدق عليه الامران فمن عن له الامران منهما ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكف عن اكبرهما
كفر عنه ما ارتكبه لما استحق على اجتناب الاكبر من الثواب **وندخلكم مدخلا** بضم الميم اسم مكان هو الجنة **كريما** اي حسنا مرضيا
او مصدر ميمي اي ادخالا مع كرامة وقرئ بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر ونصبه على الثاني بفعل مقدر مطاع للمذكور
اي ندخلكم فتدخلون مدخلا او دخولا كريما كما في قوله • وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع • من المال الا مسحت او مجلف • اي لم يدع
فلم يبق الا مسحت الى اخره **ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض** ولعل ايثار الابهام عليه للتفادي عن المواجهة بما يشق قال القفال
لما نهاهم الله تعالى عن اكل اموال الناس بالباطل وقتل الانفس عقبه بالنهي عما يودي اليه الطمع في اموالهم
وتمنيها وقيل نهاهم اولا عن التعرض لاموالهم بالجوارح ثم عن التعرض لها بالقلب على سبيل الحسد لتطهير اعمالهم
الظاهرة والباطنة فالمعنى لا تتمنوا ما اعطى الله تعالى بعضكم من الامور الدنيوية كالجاه والمال وغير ذلك مما يجري فيه
التنافس دونكم فان ذلك قسمة من الله تعالى صادرة عن تدبير لايق باحوال العباد مترتب على الاحاطة بجلايل شونهم
ودقايقها فعلى كل احد من المفضل عليهم ان يرضى بما قسم له ولا يتمنى حظ المفضل ولا يحسده عليه لما انه معارضة
لحكم القدر المؤسس على الحكم البالغة لا لان عدمه خير له ولا لانه لو كان خلاف لكان مفسدة له كما قيل اذ لا
يساعده ما سياتي من الامر بالسوال من فضله تعالى فانه ناطق لان المنهي عنه تمني نصيب الغير لا تمني ما زاد
على نصيبه مطلقا هذا وقد قيل لما جعل الله في الميراث للذكر مثل حظ الانثيين قالت النساء نحن احوج ان يكون لنا
سهمان وللرجال سهم واحد لانا ضعفا وهم اقويا واقدر على طلب المعاش منا فنزلت وهذا هو الانسب بتعليل
النهي بقوله عز وجل **للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن** فانه صريح في جريان التمني بين فريقي الرجال و
النساء ولعل صيغة المذكر في النهي لما عبر عنهن بالبعض والمعنى لكل من الفريقين في الميراث نصيب معين المقدار
مما اصابه بحسب استعداده وقد عبر عنه بالاكتساب على طريقة الاستعارة التبعية المبنية على تشبيه اقتضاء حاله
لنصيبه باكتسابه تاكيدا لاستحقاق كل منهما لنصيبه وتقوية لاختصاصه به بحيث لا يتخطاه الى غيره فان ذلك مما
يوجب الانتهاء عن التمني المذكور وقوله تعالى **واسئلوا الله من فضله** عطف على النهي وتوسيط التعليل بينهما لتقرير
الانتهاء مع ما فيه من الترغيب في الامتثال بالامر كانه قيل لا تتمنوا ما يختص بغيركم من نصيب المكتسب له واسالوا
الله تعالى من خزاين نعمه التي لا نفاد لها وحذف المفعول الثاني للتعميم اي واسالوه ما تريدون فانه تعالى يعطيكموه
او لكونه معلوما من السياق اي واسالوه مثله وقيل من زايدة والتقدير واسالوا فضله وقد جاء في الحديث
لا يتمنين احدكم مال اخيه ولكن ليقل اللهم ارزقني اللهم اعطني مثله وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سلوا الله من فضله فانه يحب ان يسال وافضل العبادة انتظار الفرج وحمل
النصيب على الاجر الاخروي وابقاء الاكتساب على حقيقته بجعل سبب النزول ما روي ان ام سلمة رضي الله
تعالى عنها قالت ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم على ان المعنى لكل من
الفريقين نصيب خاص به من الاجر مترتب على عمله فللرجال اجر بمقابلة ما يليق بهم من الاعمال كالجهاد ونحوه
وللنساء اجر بمقابلة ما يليق بهن من الاعمال كحفظ حقوق الازواج ونحوه فلا تتمن النساء خصوصية اجر الرجال
وليسالن من خزاين رحمته تعالى ما يليق بحالهن من الاجر لا يساعده سياق النظم الكريم المتعلق بالمواريث وفضايل

الرجال **ان الله كان بكل شيء عليما** ولذلك جعل الناس على طبقات ورفع بعضهم على بعض درجات حسب مراتب استعدادا
الفايضة عليهم بموجب المشية المبنية على الحكم الابية **ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان** جملة مبتداة مقررة لمضمون
ما قبلها ولكل مفعول ثان لجعلنا قدم عليه لتاكيد الشمول ودفع توهم تعلق الجعل بالبعض دون البعض كما في
قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا اي ولكل تركة جعلنا ورثة متفاوتة في الدرجة يلونها ويحرزون منها
انصبا وهم بحسب استحقاقهم المنوط بما بينهم وبين المورث من العلاقة ومما ترك بيان لكل قد فصل بينهما بما عمل فيه
كما فصل في قوله تعالى قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض بين لفظ الجلالة وبين صفته بالعامل فيما اضيف اليه
اعني غير او لكل قوم جعلناهم موالي اي وراثا نصيب معين مغاير لنصيب قوم اخرين مما ترك الوالدان والاقربون على
ان جعلنا موالي صفة لكل والضمير الراجع اليه محذوف والكلام مبتدا وخبر على طريقة قولك لكل من خلقه الله انسانا
من رزق الله اي حظ منه واما ما قيل من ان المعنى لكل احد جعلنا موالي مما ترك اي وراثا منه على ان من صلة موالي لانه في
معنى الوارث وفي ترك ضمير مستكن عايد الى كل وقوله تعالى الوالدان والاقربون استيناف مفسر للموالي كانه قيل منهم
فقيل الوالدان الى اخره ففيه تفكيك للنظم الكريم لان بيان الموالي بما ذكر يفوت الابهام المصحح لاعتبار التفاوت بينهم
وبه يتحقق الانتظام كما اشير اليه في تقرير الوجهين الاولين مع ما فيه من خروج الاولاد من الموالي اذ لا يتناولهم الاقربون
كما لا يتناول الوالدين **والذين عاقدت ايمانكم** هم موالي الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله
تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وعند ابي حنيفة رحمه الله اذا اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يرثه ويعقل
عنه صح وعليه عقله وله ارثه ان لم يكن له وارث اصلا واسناد العقد الى الايمان لان المعتاد هو المماسحة بها
عند العقد والمعنى عقدت ايمانكم عهودهم فحذف العهود واقيم المضاف اليه مقامه ثم حذف وقرئ عقدت
بالتشديد وعاقدت بمعنى عاقدتهم ايمانكم وما ستحموهم وهو مبتدا متضمن لمعنى الشرط ولذلك صدر الخبر اعني قوله
تعالى **فاتوهم نصيبهم** بالفاء او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او مرفوع معطوف على الوالدان
والاقربون وقوله تعالى فاتوهم الى اخره جملة مبينة للجملة قبلها ومؤكدة لها والضمير للموالي **ان الله كان على كل شيء** من
الاشياء التي من جملتها الايتاء والمنع **شهيدا** ففيه وعد ووعيد **الرجال قوامون على النساء** كلام مستانف مسوق لبيان
سبب استحقاق الرجال الزيادة في الميراث تفصيلا اثر بيان تفاوت استحقاقهم اجمالا وايراد الجملة الاسمية
والخبر على صيغة المبالغة للايذان لعراقتهم في الاتصاف بما اسند اليهم ورسوخهم فيه اي شانهم القيام عليهن
بالامر والنهي قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين موهبي وكسبي فقيل **بما فضل الله بعضهم على بعض** الباء سببية
متعلقة بقوامون او بمحذوف وقع حالا من ضميره وما مصدرية والضمير البارز لكلا الفريقين تغليبا اي قوامون
عليهن بسبب تفضيل الله تعالى اياهم عليهن او متلبسين بتفضيله تعالى الى اخره ووضع البعض موضع الضميرين
للاشعار بغاية ظهور الامر وعدم الحاجة الى التصريح بالمفضل والمفضل عليه اصلا بمثل ذلك لم يصرح بما به التفضيل
من صفاته كماله التي هي كمال العقل وحسن التدبير ورزانة الراي ومزية القوة في الاعمال والطاعات ولذلك
خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعاير والشهادة في جميع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحو ذلك
وبما انفقوا من اموالهم الباء متعلقة بما تعلقت به الاولى وما مصدرية او موصولة حذف عايدها من الصلة ومن تبعيضية
او ابتدائية متعلقة بانفقوا او بمحذوف وقع حالا من العايد المحذوف اي بسبب انفاقهم من اموالهم او بسبب
ما انفقوه من المهر والنفقة روي ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار رضي الله عنهم نشزت عليه امراته حبيبة
بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكى فقال الرسول عليه الصلوة
والسلام لتقتص منه فنزلت فقال عليه الصلوة والسلام اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير **فالصالحات**
شروع في تفصيل احوالهن وبيان كيفية القيام عليهن بحسب اختلاف احوالهن اي فالصالحات منهن **قانتات**
اي مطيعات لله تعالى قايمات بحقوق الازواج **حافظات للغيب** اي بمواجب الغيب اي لما يجب عليهن حفظه

تم والأقربون صح

في حال غيبة الازواج من الفروج والاموال عن النبي صلي الله عليه وسلم خير النسآء امراة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها
اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلي الاية وقيل الاسرار هم واضافة المال اليها للاشعار بان ماله
في حق التصرف في حكم مالها كما في قوله تعالي ولا تؤتوا السفهآء اموالكم الاية بما حفظ الله ما مصدرية اي بحفظه الله تعالي
اياهن بالامر بحفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له او موصولة اي بالذي حفظ الله لهن عليهم من المهر و
النفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقري بما حفظ الله بالنصب علي حذف المضاف اي بالامر الذي حفظ حق الله
وطاعته وهو التعفف والشفقة علي الرجال واللاتي تخافون نشوزهن خطاب للازواج وارشاد لهم الي طريق القيام عليهن
والخوف حالة تحصل في القلب عند حدوث امر مكروه او عند الظن او العلم بحدوثه وقد يراد به احدهما اي تظنون عصيانهن
وترفعهن عن مطاوعتكم من النشز وهو المرتفع من الارض فعظوهن فانصحوهن بالترغيب والترهيب واهجروهن بعد ذلك
ان لم ينفع الوعظ والنصيحة في المضاجع اي في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف ولا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع
وقيل المضاجع المبايتات اي لا تبايتوهن وقري في المضجع وفي المضطجع واضربوهن ان لم ينجع بما فعلتم من العظة والهجران
ضربا غير مبرح ولا شاين فان اطعنكم بذلك كما هو الظاهر لانه منتهي ما يعد زاجرا فلا تبغوا عليهن سبيلا بالتوبيخ والاذية
اي فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان التايب من الذنب كمن لا ذنب له ان الله كان عليا كبيرا
فاحذروه فانه تعالي اقدر عليكم منكم علي من تحت ايديكم او انه تعالي علي علو شانه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم عند
توبتكم وانتم احق بالعفو عن ازواجكم عند اطاعتهن لكم او انه تعالي ويكبر ان يظلم احدا او ينقص حقه وعدم التعرض
لطاعتهن للايذان بان ذلك ليس مما ينبغي ان يتحقق او يفرض تحققه وان الذي يتوقع منهن ويليق بشانهن لا سيما
بعد ما كان من الزواجر هو الاطاعة ولذلك صدرت الشرطية بالفآء المنبية عن سببية ما قبلها لما بعدها وان خفتم
شقاق بينهما تلوين للخطاب وتوجيه له الي الحكام وارد علي بنآء الامر علي التقدير المسكوت عنه اعني عدم الاطاعة
المودية الي المخاصمة والمرافعة اليهم والشقاق المخالفة اما لان كلا منهما يريد ما يشق علي الاخر واما لان كلا منهما
في شق اي جانب غير شق الاخر والخوف ههنا بمعني العلم قاله ابن عباس رضي الله عنهما والجزم بوجود الشقاق لا ينافي
بعث الحكمين لانه لرجآء ازالته لا لتعرف وجوده بالفعل وقيل بمعني الظن وضمير التثنية للزوجين وان لم يجر ذكرهما
لجري ما يدل عليهما واضافة الشقاق الي الظرف اما علي اجرائه مجري المفعول به كما في قوله يا سارق الليلة
او مجري الفاعل كما في قولك نهارك صايم اي ان علمتم او ظننتم تاكد المخالفة بحيث لا يهتدي الزوج علي ازالتها فابعثوا
اي الي الزوجين لاصلاح ذات البين حكما رجلا وسطا صالحا للحكومة والصلاح من اهله من اهل الزوج وحكما علي
صيغة الاول من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وهذا علي وجه الاستحباب ولو نصبا
من الاجانب جاز واختلف في انهما هل يليان الجمع والتفريق ان رايا ذلك فقيل لهما ذلك وهو المروي عن علي رضي
الله عنه وبه قال الشعبي وعن الحسن يجمعان ولا يفرقان وقال مالك لهما ان يتخالفا ان كان الصلاح فيه
ان يريدا اي الحكمان اصلاحا اي ان قصدوا اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله
تعالي يوفق الله بينهما يوقع بين الزوجين الموافقة والالف والقي في نفوسهما المودة والرافة وعدم التعرض لذكر
عدم ارادتهما الاصلاح لما ذكر من الايذان بان ذلك ليس مما ينبغي ان يفرض صدوره عنهما وان الذي يليق بشانهما ويتوقع
منهما هو ارادة الاصلاح وفيه مزيد ترغيب للحكمين في الاصلاح وتحذير عن المساهلة كيلا ينسب اختلال الامر الي عدم ارادتهما
فان الشرطية الناطقة بدوران وجود التوفيق علي وجود الارادة منبية عن دوران عدمه علي عدمها وقيل كلا الضميرين للحكمين
اي ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما فيتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل كلاهما للزوجين اي ان ارادا اصلاح ما بينهما من
الشقاق اوقع الله تعالي بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه علي ان من اصلح نيته فيما توخاه وفقه الله لمبتغاه ان الله كان
عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا كلام مبتدا مسوق
لبيان الاحكام المتعلقة بحقوق الوالدين والاقارب ونحوهم اثر بيان الاحكام المتعلقة بحقوق الازواج صدر بما

يتعلق

يتعلق بحقوق الله عز وجل التي هي اكد الحقوق واعظمها تنبيها علي جلالة شان حقوق الوالدين بنظمهما في سلكها كما في ساير
المواقع وشيا نصب علي انه مفعول اي لا تشركوا به شيا من الاشياء صنما او غيره او علي انه مصدر اي لا تشركوا به شيا
من الاشراك جليا او خفيا وبالوالدين احسانا اي احسنوا بهما احسانا وبذي القربي اي بصاحب القرابة من اخ او عم او خال
او نحو ذلك واليتامي والمساكين من الاجانب والجار ذي القربي اي الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال
بنسب او دين وقري بالنصب علي الاختصاص تعظيما لحق الجار ذي القربي والجار الجنب اي البعيد والذي لا قرابة له وعنه
صلي الله عليه وسلم الجيران ثلاثة فجار له ثلاث حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار
وحق الاسلام وجار له حق واحد هو حق الجوار وهو الجار من اهل الكتاب وقري الجار الجنب والصاحب بالجنب اي الرفيق
في امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجانبك ومنهم من قعد بجنبك في مسجد او مجلس او غير
ذلك من ادني صحبة التالف بينك وبينه وقيل هي المراة وابن السبيل هو المسافر المنقطع به او الضيف وما ملكت
ايمانكم من العبيد والاماء ان الله لا يحب من كان مختالا اي متكبرا يانف عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم فخورا
يتفاخر عليهم والجملة تعليل للامر السابق الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل بضم البآء وسكون الخآء وقري بفتح الاول
وبفتحهما وبضمهما والموصول بدل من قوله من كان او نصب علي الذم او رفع عليه اي هم الذين او مبتدا خبره محذوف تقديره
الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون احقاء بكل ملامة ويكتمون ما اتاهم الله من فضله اي من المال والغني او من نعوته
صلي الله عليه وسلم التي بينها لهم في التورية وهو انسب بامرهم للناس بالبخل فان احبارهم كانوا يكتمونها واعتدنا للكافرين
عذابا مهينا وضع الظاهر موضع المضمر اشعارا بان من هذا شانه فهو كافر بنعمة الله تعالي ومن كان كافرا بنعمة الله تعالي
فله عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والاية نزلت في طايفة من اليهود كانوا يقولون للانصار بطريق النصيحة لا
تنفقوا اموالكم فانا نخشي عليكم الفقر وقيل في الذين كتموا نعت رسول الله صلي الله عليه وسلم والجملة اعتراض تذييلي
مقرر لما قبلها والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس للفخار وليقال لهم ما اسخاهم وما اجودهم لا لابتغاء وجه الله تعالي وهو
عطف علي الذين يبخلون او علي الكافرين وانما شاركوهم في الذم والوعيد لان البخل والسرف الذي هو الانفاق فيما لا
ينبغي من حيث انهما طرفا تفريط وافراط سواء في القبح واستتباع اللايمة والذم ويجوز ان يكون العطف بناء علي اجراء
التغاير الوصفي مجري التغاير الذاتي كما في قوله ٠ الي الملك القرم وابن الهمام ٠ وليث الكتيبة في المزدحم ٠ او مبتدا خبره
محذوف يدل عليه قوله تعالي ومن يكن الي اخره كانه قيل والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر
ليتحروا بالانفاق مراضيه تعالي وثوابه وهم مشركوا مكة المنفقوا اموالهم في عداوة رسول الله صلي الله عليه وسلم
وقيل المنافقون ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا اي فقرينهم الشيطان وانما حذف للايذان بظهوره واستغنائه عن
التصريح والمراد به ابليس واعوانه حيث حملوهم علي تلك القبايح وزينوها لهم كما في قوله تعالي ان المبذرين كانوا اخوان
الشياطين ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان الشيطان يقرن بهم في النار وماذا عليهم لو امنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم الله اي علي
من نوع من الطوايف ابتغآء لوجه الله وانما لم يصرح به تعويلا علي التفصيل السابق واكتفآء بذكر الايمان بالله واليوم
الاخر فانه يقتضي ان يكون الانفاق لابتغآء وجهه تعالي وطلب ثوابه اي وما الذي عليهم او واي تبعة ووبال
عليهم في الايمان بالله والانفاق في سبيل الله وهو توبيخ لهم علي الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد في الشيء بخلاف
ما هو عليه وتحريض علي التفكر لطلب الجواب لعله يودي بهم الي العلم بما فيه من الفوايد الجليلة والعوايد
الجميلة وتنبيه علي ان المدعو الي امر لا ضرر فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا كان فيه منافع لا تحصي و
تقديم الايمان بهما لاتمته في نفسه ولعدم الاعتداد بالانفاق بدونه واما تقديم انفاقهم رئاء الناس علي عدم
ايمانهم بهما مع كون المؤخر اقبح من المقدم فلرعاية المناسبة بين انفاقهم ذلك وبين ما قبله من بخلهم وامرهم
للناس به وكان الله بهم وباحوالهم المحققة عليما فهو وعيد لهم بالعقاب او باعمالهم المفروضة فهو بيان لاثابته
تعالي اياهم لو كانوا قد امنوا وانفقوا كما ينبي عنه قوله تعالي ان الله لا يظلم مثقال ذرة المثقال مفعال من الثقل كالمقدار

من العذر وانتصابه على انه نعت للمفعول قائم مقامه سواء كان الظلم بمعنى النقص او بمعنى وضع الشيء في غير موضعه
اي لا ينقص من الاجر ولا يزيد في العقاب شيئا مقدار ذرة او على انه نعت للمصدر المحذوف نايب منابه اي لا يظلم ظلما
مقدار ذرة وهي النملة الصغيرة او كل جزء من اجزاء الهباء في الكوة وهو الانسب بمقام المبالغة فان قلته في الثقل اظهر
من قلة النمل فيه وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ادخل يده في التراب ثم نفخ فيه فقال كل واحد من هولاء ذرة وان
تك حسنة اي وان تك مثقال ذرة حسنة انث لتانيث الخبر او لاضافته الى الذرة وحذف النون من غير قياس
شبيها بحروف العلة وتخفيفا لكثرة الاستعمال وقرئ حسنة بالرفع على ان كان تامة يضاعفها اي يضاعف ثوابها
جعل ذلك مضاعفة لنفس الحسنة تنبيها على كمال الاتصال بينهما كانهما واحد وقرئ يضعفها وكلاهما واحد وقرئ
نضاعفها بنون العظمة على طريقة الالتفات عن عثمان النهدي انه قال لابي هريرة رضي الله عنه بلغني عنك انك
تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يعطي عبده المؤمن بالحسنة يعطيه الف الف حسنة
قال ابو هريرة لا بل سمعته صلى الله عليه وسلم يقول يعطيه الفي الفي حسنة ثم تلا هذه الاية الكريمة والمراد الكثرة
لا التحديد ويؤت من لدنه ويعط صاحبها من عنده على نهج التفضيل زايدا على ما وعد في مقابلة العمل اجرا عظيما عطاء
جزيلا وانما سماه اجرا لكونه تابعا للاجر مزيدا عليه فكيف محلها اما الرفع على انه خبر لمبتداء محذوف واما النصب بفعل محذوف
على التشبيه بالحال كما هو راي سيبويه او على التشبيه بالظرف كما هو مذهب الاخفش اي فكيف حال هولاء الكفرة
من اليهود والنصرى وغيرهم او كيف يصنعون اذا جئنا يوم القيمة من كل امة من الامم بشهيد يشهد عليهم بما كانوا
عليه من فساد العقايد وقبايح الاعمال وهو نبيهم كما في قوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم والعامل
في الظرف مضمون المبتدا والخبر من هول الامر وعظم الشان او الفعل المقدر من متعلقه بجينا وجينا بك يا محمد
على هولاء اشارة الى الشهداء المدلول عليهم بما ذكر شهيدا تشهد على صدقهم لعلمك بعقايدهم لاستجماع شرعك
بمجامع قواعدهم وقيل الى المكذبين المستفهم عن حالهم تشهد عليهم بالكفر والعصيان كما تشهد ساير الانبياء
على اممهم وقيل الى المؤمنين كما في قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يومئذ يود
الذين كفروا وعصوا الرسول استيناف لبيان حالهم التي اشير الى شدتها وفظاعتها بقوله تعالى فكيف فان اريد بهم
المكذبون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فالتعبير عنهم بالموصول لا سيما بعد الاشارة اليهم بهولاء ليفهم بما في
حيز الصلة والاشعار بعلة ما اعتراهم من الحال الفظيعة والامر الهايل وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة
لتشريفه وزيادة تقبيح حال مكذبيه فان حق الرسول ان يؤمن به ويطاع لا ان يكفر به ويعصى وان اريد بهم جنس الكفرة
فهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا والمراد بالرسول حينئذ الجنس المنتظم للنبي صلى الله عليه وسلم انتظاما اوليا
وايا ما كان ففيه من تهويل الامر وتفظيع الحال ما لا يقادر قدره وقوله تعالى وعصوا عطف على كفروا داخل معه
في الصلة والمراد معاصيهم المغايرة لكفرهم ففيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرايع في حق المواخذة
وقيل حال من ضمير كفروا وقيل صلة موصول اخر اي يودي في ذلك اليوم الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الرسول
والذين كفروا وقد عصوا الرسول والذين كفروا والذين عصوا الرسول ولو في قوله تعالى لو تسوى بهم الارض ان جعلت مصدرية
فالجملة مفعول ليود اي يودون ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى وقيل يودون انهم لم يبعثوا ولم يخلقوا
وكانهم والارض سواء وقيل تصير البهايم ترابا فيودون حالها وان جعلت جارية على بابها فالمفعول محذوف لدلالة
الجملة عليه اي يودون بتسوية الارض بهم وجواب لو ايضا محذوف ايذانا بغاية ظهوره اي لسروا بذلك وقوله تعالى
ولا يكتمون الله حديثا عطف على يود اي ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون
ان يدفنوا في الارض وهم لا يكتمون منه تعالى حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ عنوا انهم اذا قالوا
ذلك ختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض وقرئ تسوى
على ان اصله تتسوى فادغم التاء في السين وقرئ تسوى بحذف التاء الثانية يقال سويته فتسوى يا ايها الذين

امنوا لا تقربوا

امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون لما نهوا فيما سلف من الاشراك به تعالى نهوا ههنا عما يودي اليه من
حيث لا يحتسبون فانه روي ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا حين كان الخمر مباحة فدعى نفرا من الصحابة
رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلوة المغرب فتقدم احدهم ليصلي بهم فقرا اعبد
ما تعبدون فنزلت وتصدير الكلام بحرف النداء والتنبيه للمبالغة في حملهم على العمل بموجب النهي وتوجيه
النهي الى قربان الصلاة مع ان المراد هو النهي عن اقامتها للمبالغة في ذلك وقيل المراد النهي عن قربان المساجد كقوله
عليه الصلوة والسلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم ويا باه قوله تعالى حتى تعلموا ما تقولون فالمعنى لا تقيموها
في حالة السكر حتى تعلموا قبل الشروع ما تقولون اذ بتلك التجربة يظهر انهم يعلمون ما سيقرؤونه في الصلاة وحمل ما
تقولون على ما في الصلوة يستدعي متقدم الشروع فيها على غاية النهي وحمل العلم على ما بالقوة على معنى حتى تكونوا بحيث
تعلمون ما ستقرؤونه في الصلوة تطويل بلا طايل لان تلك الحيثية انما تظهر بما ذكر من التجربة على ان ايتاء ما تقولون حينئذ
يكون عاريا من الدواعي وقيل المراد بالسكر سكر النعاس وغلبة النوم وايا ما كان فليس مرجع النهي هو المقيد مع
بقاء القيد مرخصا بحاله بل انما هو القيد مع بقاء المقيد على حاله ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا كانه قيل
يا ايها الذين امنوا لا تسكروا في اوقات الصلوة وقد روي انهم كانوا بعد ما نزلت الاية لا يشربون الخمر في اوقات
الصلوة فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون ولا جنبا عطف على
قوله وانتم سكارى فانه في حيز النصب كانه قيل لا تقربوا الصلوة سكارى ولا جنبا والجنب من اصابه الجنابة
يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لجريانه مجرى المصدر الا عابري سبيل استثناء مفرغ من اعم الاحوال
محل النصب على انه حال من ضمير لا تقربوا باعتبار تقييده بالحال الثانية دون الاولى والعامل فيه فعل النهي اي
لا تقربوا الصلوة جنبا في حال من الاحوال الا حال كونكم مسافرين على معنى ان في حالة السفر ينتهي حكم النهي اي
لا تقربوا لكن لا بطريق شمول النفي لجميع صورها بل بطريق نفي الشمول في الجملة من غير دلالة على انتفاء خصوصية البعض
ولا على ثبوت نقيضه لا كليا ولا جزئيا فان الاستثناء لا يدل على ذلك عبارة نعم يشير الى مخالفة حكم ما بعده لما قبله
اشارة اجمالية يكتفى بها في المقامات الخطابية لا في اثبات الاحكام الشرعية فان ملاك الامر في ذلك انما هو الدليل
وقد ورد عقيبه على طريقة البيان وقيل هو صفة لجنبا على ان الا بمعنى غير اي الاجنبا غير عابري سبيل
ومن حمل الصلوة على مواضعها فسر العبور بالاجتياز بها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي رحمه الله
وعندنا لا يجوز ذلك الا ان يكون الماء او الطريق فيه وقيل ان رجالا من الانصار كانت ابوابهم في المسجد وكان
يصيبهم الجنابة ولا يجد وهم الا في المسجد فرخص لهم ذلك حتى تغتسلوا غاية للنهي عن قربان الصلوة حالة
الجنابة ولعل تقديم الاستثناء عليه للايذان من اول الامر بان حكم النهي في هذه الصورة ليس على الاطلاق
كما في صورة السكر تشويقا الى البيان وروما لزيادة تقرره في الاذهان وفي الاية الكريمة اشارة الى ان المصلي حقه ان
يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه وان يزكي نفسه عما يدنسها ولا يكتفي بادني مراتب التزكية عند امكان اعاليها وان كنتم مرضى
شروع في تفصيل ما اجمل في الاستثناء وبيان ما هو في حكم المستثنى من الاعذار والاقتصار فيما قبل على استثناء
السفر مع مشاركة الباقي له في حكم الترخيص للاشعار بانه العذر الغالب المبني على الضرورة التي يدور عليها امر الرخصة
كانه قيل ولا جنبا الا مضطرين واليه يرجع ما قيل من انه جعل عابري سبيل كناية عن مطلق المعذورين والمراد بالمرض
ما يمنع من استعمال الماء مطلقا سواء كان ذلك بتعذر الوصول اليه او بتعذر استعماله او على سفر عطف على مرضى
اي او كنتم على سفر ما طال او قصر وايرادهم صريحا مع سبق ذكرهم بطريق الاستثناء لبناء الحكم الشرعي عليه وبيان
كيفيته فان الاستثناء كما اشير اليه بمعزل من الدلالة على ثبوته فضلا عن الدلالة على كيفيته وتقديم المرض
للايذان باصالته واستقلاله باحكام لا توجد في غيره كالاجتهاد باستعمال الماء ونحوه او جاء احد منكم من الغائط هو
المكان الغاير المطمئن والمجيء منه كناية عن الحدث لان المعتاد ان من يريده يذهب اليه ليواري بشخصه عن اعين

الناس واسناد المجي منه الى واحد منهم من المخاطبين دونهم للتفادي عن التصريح بنسبتهم الى ما يستحيى منه او يستهجن التصريح به وكذا وكذلك ايثار الكناية فيما عطف من قوله عز وجل **أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ** على التصريح بالاجماع ونظمهما في سلك سببي سقوط الطهارة والمصير الى التيمم مع كونهما سببي وجوبها ليس باعتبار انفسهما بل باعتبار قيدهما المستفاد من قوله تعالى **فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً** بل هو السبب في الحقيقة وانما ذكرا تمهيدا له وتنبيها على انه سبب للرخصة بعد انعقاد سبب الطهارة الصغرى والكبرى كانه قيل ولم تكونوا مرضى او مسافرين بل كنتم فاقدين للماء بسبب من الاسباب مع تحقق ما يوجب استعماله وتخصيص ذكره بهذه الصورة مع انه معتبر في صورة المرض والسفر ايضا لندرة وقوعها فيها واستغنائهما عن ذكره اما لان الجنابة معتبرة فيهما قطعا فيعلم من حكمهما حكم الحدث الاصغر بدلالة النص لان تقدير النظم لا تقربوا الصلوة في حال الجنابة الا حال كونكم مسافرين فان كنتم كذلك كنتم مرضى الى اخره واما لما قيل من ان عموم اعواز الماء في حق المسافر غالب والعجز عن استعمال الماء القائم مقام عدمه في حق المريض مغن عن ذكره لفظا وما قيل من ان هذا القيد راجع الى الكل وان قيد وجوب التطهر المكنى عنه بالمجي من الغائط والملامسة معتبر في الكل مما لا يساعده النظم الكريم **فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا** فتعمدوا شيئا من وجه الارض طاهرا قال الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا او غيره وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي لا بد من ان يعلق باليد شي من التراب **فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ** الى المرافق لما روي انه عليه الصلوة والسلام تيمم ومسح يديه الى مرفقيه ولانه بدل من الوضوء فيتقدر بقدره **إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا** تعليل للترخيص والتيسير وتقرير لهما فان من عادته المستمرة ان يعفو عن الخاطئين ويغفر للمذنبين لا بد ان يكون ميسرا لا معسرا وقيل هو كناية عنهما فان الرخصة والمسامحة من روادف العفو وتوابع الغفران **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ** كلام مستانف مسوق لتعجيب المومنين من سوء حالهم والتحذير عن موالاتهم والخطاب لكل من يتاتى منه الروية من المومنين وتوجيهه اليه ههنا مع توجهه فيما بعد الى الكل معا للايذان بكمال شهرة شناعة حالهم وانها بلغت من الظهور الى حيث يتعجب منها كل من يراها والروية بصرية اي الم تنظر اليهم فانهم احقاء بان تشاهدهم وتتعجب من احوالهم ويجوز كونها قلبية على ان الى لتضمنها معنى الانتهاء كما في قوله تعالى الم تر الى ربك والمعنى الم ينته علمك اليهم فان الفعل ياباه مقام تشهير شنايعهم وان نظمها في سلك الامور المشاهدة والمراد بهم احبار اليهود وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في حبرين من احبار اليهود كانا ياتيان راس المنافقين عبد الله بن ابي ورهطه يثبطانهم عن الاسلام وعنه رضي الله عنه ايضا انها نزلت في رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم كانا اذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لويا لسانهما وعاباه والمراد بالكتاب هو التورية وحمله على جنس الكتاب المنتظم لها انتظاما اوليا تطويل للمسافة وبالذي اوتوه ما بين لهم فيها من الاحكام والعلوم التي من جملتها ما علموه من نعوت النبي عليه الصلوة والسلام وحقية الاسلام والتعبير عنه بالنصيب المنبي عن كونه حقا من حقوقهم التي يجب مراعاتها والمحافظة عليها للايذان بكمال ركاكة ارائهم حيث ضيعوه تضييعا وتنوينه تفخيمي مويد للتشنيع عليهم والتعجيب من حالهم فالتعبير عنهم بالموصول للتنبيه بما في حيز الصلة على كمال شناعتهم والاشعار بمكان ما طوي ذكره في المعاملة المحكية عنهم من الهدي الذي هو احد العوضين وكلمة من متعلقة اما باوتوا او بمحذوف وقع صفة لنصيبا مبينة لفخامته الاضافية اثر بيان فخامته الذاتية اي نصيبا كائنا من الكتاب وقوله عز وجل **يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ** قيل هو حال مقدرة من واو اوتوا ولا ريب في ان اعتبار تقدير اشترائهم المذكور في الايتاء مما لا يليق بالمقام **وَقِيلَ** حال من الموصول اي الم تنظر اليهم حال اشترائهم الى اخره والذي يقتضيه جزالة النظم الكريم انه استيناف مبين لمناط التشنيع ومدار التعجيب المفهومين من صدر الكلام على وجه الاجمال والابهام مبني على سوال نشأ منه كانه قيل ماذا يصنعون حتى ينظر اليهم فقيل ياخذون الضلالة ويتركون الهداية وانما طوي ذكر المتروك لغاية ظهور الامر لا سيما بعد الاشعار المذكور والتعبير عن ذلك بالاشتراء الذي هو عبارة عن استبدال السلعة بالثمن اي اخذها بدلا منه اخذا ناشئا عن الرغبة فيها والاعراض عنه للايذان

بكمال رغبتهم في الضلالة التي حقها ان يعرض عنها كل الاعراض واعراضهم عن الهداية التي تنافس فيها المتنافسون وفيه من التسجيل على نهاية سخافة عقولهم وغاية ركاكة ارائهم ما لا يخفى حيث صورت حالهم بصورة ما لا يكاد يتعاطاه احد ممن له ادنى تمييز وليس المراد بالضلالة جنسها الحاصل لهم من قبل حتى يتخلف عنها الاشتراء المبني عن تاخرها عنه بل هو فردها الكامل وهو عنادهم وتماديهم في الكفر بعد ما علموا بشان النبي عليه السلام وتيقنوا بحقية دينه وانه هو النبي العربي المبشر به في التورية ولا ريب ان هذه المرتبة لم تكن حاصلة لهم قبل ذلك وقد مر في اوائل سورة البقرة **وَيُرِيدُونَ** عطف على يشترون شريك له في بيان محل التشنيع والتعجيب وصيغة المضارع فيهما للدلالة على الاستمرار التجددي فان تجدد حكم اشترائهم المذكور وتكرار العمل بموجبه في قوة تجدد نفسه وتكرره اي لا يكتفون بضلال انفسهم بل يريدون بما فعلوا من كتمان نعوته صلى الله عليه وسلم **أَنْ تَضِلُّوا** انتم ايضا ايها المومنون **السَّبِيلَ** المستقيم الموصل الى الحق **وَاللَّهُ أَعْلَمُ** اي منكم **بِأَعْدَائِكُمْ** جميعا ومن جملتهم هولاء وقد اخبركم بعداوتهم لكم وما يريدون بكم لتكونوا على حذر منهم ومن مخالطتهم او هو اعلم بحالهم ومآل امرهم بل جملة معترضة لتقرير ارادتهم المذكورة **وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا** في جميع اموركم ومصالحكم **وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا** في كل المواطن فثقوا واكتفوا بولايته ونصرته ولا تتولوا غيره ولا تبالوا بهم وبما يسامون بكم من السوء فانه تعالى يكفيكم مكرهم وشرهم ففيه وعد ووعيد والباء مزيدة في فاعل كفى لتاكيد الاتصال الاسنادي بالاتصال الاضافي وتكرير الفعل في الجملتين مع اظهار الجلالة في مقام الاضمار لا سيما في الثاني لتقوية استقلالهما المناسب للاعتراض وتاكيد لغاية عز وجل في كل من الولاية والنصرة والاشعار بعليتهما فان الالوهية من موجباتهما لا محالة **مِنَ الَّذِينَ هَادُوا** قيل هو بيان لاعدائكم وما بينهما اعتراض وفيه انه لا وجه لتخصيص علمه سبحانه بطائفة من اعدائهم لا سيما في معرض الاعتراض الذي حقه العموم والاطلاق وانتظام ما هو المقصود في المقام انتظاما اوليا كما اشير **وَقِيلَ** هو صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا كما في قوله تعالى فمن ينصرني من الله وفيه ما فيه من تحجير واسع نصرته عز وجل لا داعي الى وضع الموصول موضع ضمير الاعداء لان ما في حيز الصلة ليس بوصف ملائم للنصر **وَقِيلَ** هو خبر مبتدا محذوف وقع قوله تعالى **يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ** صفة له اي من الذين هادوا قوم او فريق يحرفون الى اخره وفيه انه يقتضي كون الفريق السابق بمعزل من التحريف الذي هو المصداق لاشترائهم في الحقيقة فالذي يليق بشان التنزيل الجليل انه بيان للموصول الاول المتناول بحسب المفهوم لاهل الكتابين وقد وسط بينهما ما وسط لمزيد الاعتناء ببيان محل التشنيع والتعجيب والمسارعة الى تنفير المومنين وتحذيرهم عن مخالطتهم والاهتمام على الثقة بالله عز وجل والاكتفاء بولايته ونصرته وان قوله تعالى يحرفون وما عطف عليه بيان لاشترائهم المذكور وتفسير لفنون ضلالتهم وقد روعيت في النظم الكريم طريقة التفسير بعد الابهام والتفصيل اثر الاجمال روما لزيادة تقرير يقتضيه الحال والكلم اسم جنس واحده الكلمة كتمر وتمرة وتذكير ضميره باعتبار افراده لفظا وجمعه مواضعه باعتبار تعدده معنى **وَقُرِئَ** بكسر الكاف وسكون اللام جمع الكلمة تخفيف كلمة وقرئ يحرفون الكلام والمراد به ههنا اما ما في التورية خاصة واما ما هو اعم منه ومما سيحكي عنهم من الكلمات المعهودة الصادرة عنهم في اثناء المحاورة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا مساغ لارادة تلك الكلمات خاصة بان يجعل عطف قوله تعالى **وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا** الى آخره على ما قبله عطفا تفسيريا على ما تقف على سره فان اريد به الاول كما هو راي الجمهور فتحريفه ازالته عن مواضعه التي وضعه الله تعالى فيها من التورية كتحريفهم في نعت النبي عليه الصلوة والسلام اسمر ربعة عن موضعه في التورية بان وضعوا مكانه آدم طوال وكتحريفهم الرجم بوضعهم بدله الحد او صرفه عن المعنى الذي انزل الله تعالى فيه الى ما لا صحة له بالتاويلات الزائغة الملائمة لشهواتهم الباطلة وان اريد به الثاني فلا بد من ان يراد بمواضعه ما يليق به مطلقا سواء كان ذلك بتعيينه تعالى صريحا كمواضع ما في التورية او بتعيين العقل والدين كمواضع غيره وايا ما كان فقولهم سمعنا وعصينا ينبغي ان يجري على اطلاقه من غير تقييد بزمان او مكان ولا يخصص بمادة دون مادة بل وان يحمل على ما هو اعم من القول الحقيقي ومما يترجم عنه عنادهم ومكابرتهم ليندرج فيه ما نطقت السنة حالهم عند تحريف التورية فان من لا يتفوه بتلك العظيمة لا يكاد يتجاسر على مثل هذه

الجناية والاجملة ما قالوه في مجلس النبي عليه الصلوة والسلام من القبايح خاصة يستدعي اختصاص حكم الشرطية
الاتية وما بعدها بهم من غير تعريض لتحريفهم التورية مع انه معظم جناياتهم المعدودة ومن هيهنا كشف للبس
الموعود فتامل اي يقولون في كل امر مخالف لاهوايهم الفاسدة سواء كان بمحضر النبي صلى الله عليه وسلم او لا بلسان المقال
او الحال سمعنا وعصينا عنادا وتحقيقا للمخالفة وقوله تعالى واسمع غير مسمع عطف على سمعنا وعصينا داخل تحت
القول اي ويقولون ذلك في اثناء مخاطبته عليه الصلوة والسلام خاصة وهو كلام ذو وجهين محتمل للشر بان يحمل على
معنى اسمع حال كونك غير مسمع كلاما اصلا بصمم او موت اي مدعوا عليك بلا سمعت او غير مسمع كلاما ترضاه فحينئذ
يجوز ان يكون نصبه على المفعولية وللخير بان يحمل على اسمع منا غير مسمع مكروها كانوا يخاطبون به النبي عليه الصلوة
والسلام استهزاء به مظهرين له عليه الصلوة والسلام ارادة المعنى الاخير وهم مضمرون في انفسهم المعنى الاول
مطمئنون به وراعنا عطف على اسمع غير مسمع اي ويقولون في اثناء خطابهم له عليه الصلوة والسلام هذا ايضا يوردون
كلا من العظايم الثلاث في مواقعها وهو ايضا كلمة ذات وجهين محتملة للخير على معنى ارقبنا وانتظرنا نكلمك وللشر
بحملها على السب بالرعونة اي الحمق باجرايها مجرى ما يشبهها من كلمة عبرانية او سريانية كانوا يتسابون بها وهي
راعنا كانوا يخاطبونه عليه الصلاة والسلام بذلك ينوون الشتيمة والاهانة ويظهرون التوقير والاحترام
ومصيرهم الى مسلك النفاق في القولين الاخيرين مع تصريحهم بالعصيان في الاول لما قالوا من ان جميع الكفرة
كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء وقيل كانوا يقولون الاول فيما بينهم وقيل
يجوز ان لا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يومنوا به جعلوا كانهم نطقوا به ليا بالسنتهم اي فتلا بها وصرفا للكلام عن
نهجه الى نسبة السب حيث وضعوا غير مسمع موضع لا اسمعت مكروه واجروا راعنا المشابهة لراعينا مجرى
انظرنا او فتلا بها وضما ما يظهرونه من الدعاء والتوقير الى ما يظهرونه من السب والتحقير وطعنا في الدين
اي قدحا فيه بالاستهزاء والسخرية وانتصابهما على العلية ليقولون باعتبار تعلقه بالقولين الاخيرين اي يقولون
ذلك لصرف الكلام عن وجهه الى السب والطعن في الدين او على الحالية اي لاوين وطاعنين في الدين ولو انهم عند
ما سمعوا شيئا من اوامر الله ونواهيه قالوا بلسان المقال او بلسان الحال مكان قولهم سمعنا وعصينا سمعنا
واطعنا انما اعيد سمعنا مع انه متحقق في كلامهم وانما الحاجة الى وضع اطعنا مكان عصينا لا للتنبيه على عدم
اعتباره بل على اعتباره بعدمه كيف لا وسماعهم سماع الرد ومرادهم بحكايته اعلام ان عصيانهم للامر بعد سماعه والوقوف
عليه فلا بد من ازالته واقامة سماع القبول مقامه واسمع اي لو قالوا عند مخاطبة النبي عليه الصلوة والسلام
بدل قولهم اسمع غير مسمع وانظرنا اي ولو قالوا ذلك بدل قولهم راعنا ولم يدسوا تحت كلامهم شرا وفسادا اي لو ثبت
انهم قالوا هذا مكان ما قالوا من الاقوال لكان قولهم ذلك خيرا لهم مما قالوا واقوم اي اعدل واشد في نفسه
وصيغة التفضيل اما على بابها واعتبار اصل في المفضل عليه بناء على اعتقادهم او بطريق التهكم واما بمعنى اسم الفاعل
وانما قدم في البيان حاله بالنسبة اليهم على حاله في نفسه لان همهم مقصورة على ما ينفعهم ولكن لعنهم الله بكفرهم
اي ولكن لم يقولوا ذلك واستمروا على كفرهم فخذلهم الله تعالى وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم بذلك فلا يؤمنون
بعد ذلك الا قليلا قيل اي لا ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو الايمان ببعض الكتب والرسل الا زمانا قليلا وهو زمان
الاحتضار فانهم يومنون حين لا ينفعهم الايمان قال تعالى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته وكلاهما ليس
بايمان قطعا وقد يجوز ان يراد بالقلة العدم بالكلية على طريقة قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى
اي كان الايمان المعدوم ايمانا فهم يحدثون شيئا من الايمان فهو في المعنى تعليق بالمحال وانت خبير بان الكل ياباه ما يعقبه
من الامر بالايمان بالقران الناطق بهذا لافضائه حينئذ الى التكليف بالمحال الذي هو ايمانهم بعدم ايمانهم المستمر
اما على وجه الاخير فظاهر واما على الاولين فلان امرهم بالايمان المنجز بجميع الكتب والرسل تكليف لهم بايمانهم بعد
ايمانهم ببعض الكتب والرسل وبعد ايمانهم الى وقت الاحتضار فالوجه ان يحمل القليل على من يومن بعد ذلك لكن لا

تجعل المستثنى منه ضمير الفاعل في لا يومنون لافضائه وقوع ايمان من لعنه الله تعالى وخذله مع ما فيه من نسبة القراء الى
الاتفاق على غير المختار بل يجعله ضمير المفعول في لعنهم اي ولكن لعنهم الله الا فريقا قليلا فانه تعالى لم يلعنهم فلم ينسد
عليهم باب الايمان وقد امن بعد ذلك فريق من الاحبار كعبد الله بن سلام واضرابه كما سياتي يا ايها الذين اوتوا الكتاب تلوين
للخطاب وتوجيه له اما الى من حكيت احوالهم واقوالهم خاصة بطريق الالتفات ووصفهم تارة بايتاء الكتاب اي التورية
واخرى بايتاء نصيب منها لتوفية كل من المقامين حظه فان المقصود فيما سبق بيان اخذهم الضلالة بما اوتوه
بمقابلتها بالتحريف وليس ما ازالوه بذلك كلها حتى يوصفوا بايتائه بل هو بعضها فوصفوا بايتائه واما هيهنا فالمقصود
تاكيد ايجاب الامتثال بالامر الذي يعقبه والتحذير عن مخالفته من حيث ان الايمان بالمصدق موجب للايمان بما يصدقه
والكفر بالثاني مقتضي للكفر بالاول قطعا ولا ريب في ان المحذور عندهم انما هو لزوم الكفر بالتورية بنفسها لا ببعضها
وذلك انما يتحقق بجعل القران مصدقا لكلها وان كان مناط التصديق بعضا منها ضرورة ان تصديق البعض مصدق
المتضمن له حتما واما اليهم والى غيرهم قاطبة وهو الاظهر واياما كان فتفصيل ما فصل لما كان من مظان اقلاع
كل من الفريقين عما كانوا عليه من الضلالة عقب ذلك بالامر بالمبادرة الى سلوك محجة الهداية مشفوعا بالوعيد
الشديد على المخالفة فقيل امنوا بما نزلنا من القران عبر عنه بالموصول تشريفا له بما في حيز الصلة وتحقيقا لكونه من
عنده عز وجل مصدقا لما معكم من التورية عبر عنها بذلك للايذان بكمال وقوفهم على حقيقة الحال فان المعية المستدعية
لدوام تلاوتها وتكرر المراجعة اليها من موجبات العثور على ما في تضاعيفها المودي الى العلم بكون القران مصدقا
بها ومعنى تصديقه اياها نزوله حسبما نعت لهم فيها او كونه موافقا لها في القصص والمواعيد والدعوة الى التوحيد
والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش واما ما يتراءى من مخالفته لها في جزئيات الاحكام بسبب تفاوت
الامم والاعصار فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي عين الموافقة من حيث ان كلا منهما حق بالاضافة الى عصره
متضمن للحكمة التي عليها يدور فلك التشريع حتى لو تاخر نزول المتقدم لنزل على وفق المتاخر ولو تقدم نزول
المتاخر لوافق المتقدم قطعا ولذلك قال عليه الصلوة والسلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي من قبل
ان نطمس وجوها متعلق بالامر مفيد للمسارعة الى الامتثال به والجد في الانتهاء من مخالفته بما فيه من الوعيد
الشديد الوارد على ابلغ وجه واكده حيث لم يعلق وقوع المتوعد به بالمخالفة ولم يصرح بوقوعه عندها تنبيها
على ان ذلك امر محقق غني عن الاخبار وانه على شرف الوقوع متوجه نحو المخاطبين وحسن استدعائهم الى الايمان واصل
الطمس محو الاثار وازالة الاعلام اي امنوا من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونزيل اثارها قاله ابن عباس رضي الله عنهما
بجعلها كخف البعير وكحافر الدابة وقاله قتادة والضحاك نعميها كقوله تعالى فطمسنا اعينهم وقيل نجعلها
منابت الشعر كوجوه القردة فنردها على ادبارها فنجعلها واقفيتها مطموسة مثلها فالفاء للتسبيب او ننكسها
بعد الطمس فنردها الى موضع الاقفاء والاقفاء الى موضعها وقد اكتفى بذكر اشدهما فالفاء للتعقيب وقيل المراد
بالوجوه الوجهاء على ان الطمس بمعنى مطلق التغيير اي من قبل ان نغير احوال وجهائهم فنسلب اقبالهم ووجاهتهم
ونكسوهم صغارا وادبارا او نردهم من حيث جاءوا منه وهي اذرعات الشام فالمراد بذلك اجلاء بني النضير ولا
يخفى انه لا يساعده مقام تشديد الوعيد وتعميم التهديد للجميع فالوجه ما سبق من الوجوه وقد اختلف في
ان الوعيد فقيل كان قبل وقوعه في الدنيا او في الاخرة فقيل كان يوقع في الدنيا ويويده ما روي ان عبد
الله بن سلام لما قدم من الشام وقد سمع هذه الاية اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان ياتي اهله فاسلم
وقال يا رسول الله ما كنت ارى ان اصل اليك حتى يتحول وجهي الى قفائي وفي رواية جاء الى النبي صلى الله عليه
وسلم ويده على وجهه واسلم وقال ما قال وكذا ما روي ان عمر رضي الله عنه قرا هذه الاية على كعب الاحبار
فقال كعب يا رب امنت يا رب اسلمت مخافة ان يصيبها وعيدها ثم اختلفوا فقيل انه منتظر بعد ولا بد من
طمس في اليهود ومسخ وهو قول المبرد وفيه انصراف العذاب الموعود عن اوائلهم وهم الذين باشروا اسباب نزوله

وفي تنكير الوجوه المفيد للتكثير تهويل للخطب وفي ابهامها لطف بالمخاطبين ع

وهو موجبات طوله حيث شاهدوا شواهد النبوة في رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبوه وفي التوراة
محرفوها واصروا على الكفر والضلالة وتعلق بهم خطاب المشافهة بالوعيد ثم نزوله على من وجد بعد مئات
من السنين من اعقابهم الضالين باضلالهم العاملين بما مهدوا من قوانين الغواية بعيد من حكمة الله العزيز
الحكيم وقيل ان الوعيد كان مشروطا بعدم الايمان وقد آمن من احبارهم المذكوران واضرابهما فلم يقع وفيه
ان اسلام بعضهم ان لم يكن سببا لتاكد نزول العذاب على الباقين لتشديدهم النكير والعناد بعد ازدياد الحق وضوحا
وقيام الحجة عليهم بشهادة اماثلهم العدول فلا اقل من ان لا يكون سببا لرفعه عنهم وقيل الوعيد كان بوقوع
احد الامرين كما ينطق به قوله تعالى او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت فان لم يقع الامر الاول فلا نزاع في وقوع الامر
الثاني كيف لا وهم ملعونون بكل لسان في كل زمان وتفسيره اللعن بالمسخ ليس بمقرر البتة وانت خبير بان المتبادر
من اللعن المشبه بلعن اصحاب السبت هو المسخ وليس في عطفه على الطمس والرد على الادبار شائبة دلالة على عدم
ارادة المسخ ضرورة انه تغيير مغاير لما عطف عليه على ان المتوعد به لا بد ان يكون امرا حادثا مترتبا على الوعيد
محذورا عندهم ليكون مزجرة عن مخالفة الامر ولم يعهد انه وقع عليهم لعن بهذا الوصف انما الواقع عليهم ما تداولته
الالسنة من اللعن المستمر لذي القوم وهو بمعزل من صلاحية ان يكون محكما بهذا الوعيد ومزجرة للعنيد وقيل انما
كان الوعيد بوقوع ما ذكر في الآخرة عند الحشر وسيقع فيها لا محالة احد الامرين او كلاهما على سبيل التوزيع واما ما روي
عن عبد الله بن سلام وكعب رضي الله عنهما فمبني على الاحتياط اللائق بشانهما والحق ان النظم الكريم ليس بنص في
احد الوجهين بل المتبادر منه بحسب المقام هو الاول لانه ادخل في الزجر وعليه مبني ما روي عن الحبرين لكن لما
لم يتضح وقوعه علم ان المراد هو الثاني والله تعالى اعلم واياما كان فلعل السر في تخصيصهم بهذه العقوبة من بين
العقوبات مراعاة المشاكلة بينهما وبين ما اوجبها من جناياتهم التي هي التحريف والتغيير والله هو العليم الخبير
وكان امر الله اي ما امر به كائنا ما كان او امره بايقاع شيء ما من الاشياء مفعولا نافذا كائنا لا محالة فيدخل
فيه ما اوعدهم به دخولا اوليا فالجملة اعتراض تذييلي مقرر لما سبق ووضع الاسم الجليل موضع الضمير بطريق الالتفات
لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية ما فيه الاعتراض من الاستقلال ان الله لا يغفر ان يشرك به كلام مستانف مسوق
لتقرير ما قبله من الوعيد وتاكيد وجوب الامتثال بالامر بالايمان ببيان استحالة المغفرة بدونه فانهم كانوا
يفعلون ما يفعلون من التحريف ويطمعون في المغفرة كما في قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون
عرض هذا الادنى اي على التحريف ويقولون سيغفر لنا والمراد بالشرك مطلق الكفر المنتظم لكفر اليهود انتظاما اوليا
فان الشرع قد نص على اشراك اهل الكتاب قاطبة وقضى بخلود اصناف الكفرة في النار ونزوله في حق اليهود كما قال
مقاتل وهو الانسب لسياق النظم الكريم وسياقه لا يقتضي اختصاصه بكفرهم بل يكفي اندراجه فيه قطعا بل لا وجه له
اصلا لاقتضائه جواز مغفرة ما دون كفرهم في الشدة من انواع الكفر اي لا يغفر الكفر لمن اتصف به بلا توبة وايمان
لان الحكمة التشريعية مقتضية لسد باب الكفر وجواز مغفرته بلا ايمان مما يؤدي الى فتحه ولان ظلمات الكفر
والمعاصي انما يسترها نور الايمان فمن لم يكن له ايمان لم يكن له مغفرة من الكفر والمعاصي ويغفر ما دون ذلك
عطف على خبر ان وذلك اشارة الى الشرك وما فيه من معنى البعد مع قرب في الذكر للايذان ببعد درجته وكونه
في اقصى مراتب القبح اي ويغفر ما دونه في القبح من المعاصي صغيرة كانت او كبيرة تفضلا منه واحسانا من غير
توبة عنها لكن لا لكل واحد بل لمن يشاء اي لمن يشاء ان يغفر له ممن اتصف به فقط لا بما فوقه فان مغفرتهما لمن اتصف
بهما سواء في استحالة الدخول تحت المشيئة المبنية على الحكمة التشريعية فان اختصاص مغفرتهما لمعاصي من
غير توبة باهل الايمان من متممات الترغيب فيه والزجر عن الكفر ومن علق المشيئة بكلا الفعلين وجعل الموصول الاول
عبارة عمن لم يتب والثاني عمن تاب فقد ضل سبيل الصواب كيف لا وان مساق النظم الكريم لاظهار كمال عظم جريمة
الكفر وامتيازه عن سائر المعاصي ببيان استحالة مغفرته وجواز مغفرتها فلو كان الجواز على تقدير التوبة لم يظهر

بينهما

بينهما فرق للاجماع على مغفرتهما بالتوبة ولم يحصل ما هو المقصود من الزجر البليغ عن الكفر والطغيان والحمل على
التوبة والايمان ومن يشرك بالله اظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لزيادة تقبيح الاشراك وتفظيع حال من يتصف
به فقد افترى اثما عظيما اي افترى واختلق مرتكبا اثما لا يقادر قدره ويستحقر دونه جميع الآثام فلا تتعلق به
المغفرة قطعا الم تر الى الذين يزكون انفسهم تعجيب من حالهم المنافية لما هم عليه من الكفر والطغيان والمراد بهم اليهود الذين
يقولون نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس من اليهود جاؤوا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
هل على هؤلاء ذنب قال عليه الصلاة والسلام لا قالوا ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا
بالليل كفر عنا بالنهار اي انظر اليهم فتعجب من ادعائهم انهم ازكياء عند الله تعالى مع ما هم عليه من الكفر والمأثم
العظيم او من ادعائهم التكفير مع استحالة ان يغفر للكافر شيء من كفره او معاصيه وفيه تحذير من اعجاب المرء
بنفسه وبعمله بل الله يزكي من يشاء عطف على مقدر ينساق اليه الكلام كانه قيل هم لا يزكونها في الحقيقة لكذبهم
وبطلان اعتقادهم بل الله يزكي من يشاء تزكيته ممن يستأهلها من المرتضين من عباده المؤمنين اذ هو العليم
الخبير بما ينطوي عليه البشر من المحاسن والمساوي وقد وصفهم بما هم متصفون به من القبائح واصل التزكية
نفي ما يستقبح بالفعل او بالقول ولا يظلمون عطف على جملة قد حذفت تعويلا على دلالة الحال وايذانا بانها غنية
عن الذكر اي يعاقبون بتلك الفعلة القبيحة ولا يظلمون في ذلك العقاب فتيلا اي ادنى ظلم واصغره
وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل في القلة والحقارة وقيل التقدير يثاب المزكون ولا ينقص
من ثوابهم اصلا ولا يساعده مقام الوعيد انظر كيف يفترون على الله الكذب كيف نصب اما على التشبيه بالظرف
او بالحال على الخلاف المشهور بين سيبويه والاخفش والعامل يفترون وبه يتعلق على اي في اي حال او على اي
حال يفترون عليه تعالى الكذب والمراد بيان شناعة تلك الحال وكمال فظاعتها والجملة في محل النصب بعد نزع الخافض
والنظر متعلق بهما وهو تعجيب اثر التعجيب وتنبيه على ان ما ارتكبوه متضمن لامرين عظيمين موجبين للتعجيب
ادعاؤهم الاتصاف بما هم متصفون بنقيضه وافتراؤهم على الله سبحانه وتعالى فان ادعاءهم الزكاة
عنده تعالى متضمن لادعائهم قبول الله وارتضاءه اياهم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ولكن هذا اشنع من الاول
جرما واعظم قبحا لما فيه من نسبته تعالى سبحانه تعالى الى ما لا يستحيل عليه بالكلية من قبول الكفر وارتضائه
لعباده ومغفرة كفر الكافر وسائر معاصيه وجه النظر الى كيفية تشديد التشنيع وتاكيدا للتعجيب والتصريح
بالكذب مع ان الافتراء لا يكون الا كذبا للمبالغة في تقبيح حالهم وكفى به اي بافترائهم هذا من حيث هو افتراء
عليه تعالى مع قطع النظر عن مقارنته لتزكية انفسهم وسائر آثامهم العظام اثما مبينا ظاهرا بينا كونه اثما والمعنى
كفى ذلك وحده في كونهم اشد اثما من كل كفار اثيم او في استحقاقهم لاشد العقوبات لما مر سره وجعل الضمير
لزعمهم مما لا مساغ له لا خلاله بنا ولا الافتراء فتدبر الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب تعجيب من حال اخرى لهم
ووصفهم بما ذكر من ايتاء النصيب لما مر من منافاته لما صدر عنهم من القبائح وقوله عز وجل يؤمنون بالجبت والطاغوت
استئناف مبين لمادة التعجب مبني على سؤال ينساق اليه الكلام كانه قيل ماذا يفعلون حتى ينظر اليهم فقيل يؤمنون
الى آخره والجبت الاصنام وكل ما عبد من دون الله وقيل اصله الجبس وهو الذي لا خير عنده فابدل السين تاء
وقيل الجبت الساحر بلغة الحبشة والطاغوت الشيطان وقيل هو في الاصل كل ما يطغي الانسان روي ان حيي
ابن اخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة في سبعين راكبا من اليهود ليحالفوا قريشا على مخالفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه عليه الصلاة والسلام فقالوا انتم اهل
كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نامن مكركم فاسجدوا لالهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم
بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا ابليس فيما فعلوا وقال ابو سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب
ونحن اميون لا نعلم فاينا اهدى طريقا نحن ام محمد فقال ماذا يقول محمد قال يامر بعبادة الله تعالى وحده وينهى

عن السرايد قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني وذكروا افعالهم قال
انتم اهدي سبيلا وذلك قوله تعالى وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا اي لاجلهم وفي حقهم هَؤُلَاءِ يعنونهم أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا
سَبِيلًا اي اقوم دينا وارشد طريقا وايرادهم بعنوان الايمان ليس من قبل القايلين بل من جهة الله تعالى لتعريفها
لهم بالوصف الجميل وتخطية لمن رجح عليهم المتصفين باقبح القبايح أُولَئِكَ اشارة الى القايلين وما فيه من معنى
البعد مع قربهم في الذكر للاشعار ببعد منزلتهم في الضلالة وهو مبتدا خبره قوله تعالى الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ اي ابعدهم
عن رحمته وطردهم والجملة مستانفة لبيان حالهم واظهار مصيرهم ومالهم وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ اي يبعده عن رحمته
فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا يدفع عنه عذابا دنيويا كان او اخرويا لا بشفاعة ولا بغيرها وفيه تنصيصهم على حرمانهم مما طلبوا
من قريش وفي كلمة لن وتوجيه الخطاب الى كل احد يتسنى له الخطاب وتوحيد النصير منكرا والتعبير عن عدمه
بعدم الوجدان المبني عن سبق الطلب مسندا الى المخاطب العام من الدلالة على حرمانهم الابدي بالكلية ما لا يخفى
أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ شروع في بعض اخر من قبايحهم فام منقطعة وما فيها من بل للاضراب والانتقال من ذمهم
بتزكيتهم انفسهم وغيرها مما حكي عنهم بادعايهم نصيبا من الملك وبخلهم المفرط وشحهم البالغ والهمزة للانكار
ان يكون لهم ما يدعونه وابطال ما زعموا ان الملك سيصير اليهم وقوله تعالى فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا بيان لعدم
استحقاقهم له بل لاستحقاقهم الحرمان منهم بسبب انهم من البخل والدناءة بحيث لو اوتوا شيئا من ذلك لما
اعطوا الناس منه اقل قليل ومن حق من اوتي الملك ان يوثر الغير بشيء منه فالفاء للسببية الجزائية بشرط
محذوف اي ان جعل لهم نصيب منه فاذا لا يؤتون الناس بمقدار نقير وهو ما في ظهر النواة من النقرة يضرب به
المثل في القلة والحقارة وهذا هو البيان الكاشف عن كنه حالهم واذا كان شانهم كذلك وهم ملوك فما ظنك
بهم وهم اذلاء متفاقرون ويجوز ان لا يكون الهمزة لانكار الوقوع بل لانكار الواقع والتوبيخ عليه اي بعد منكرا
غير لايق بالوقوع على ان الفاء للعطف والانكار متوجه الى مجموع المعطوفين على معنى ان لهم نصيب وافر
من الملك حيث كانوا اصحاب اموال وبساتين وقصور مشيدة كالملوك فلا يؤتون الناس نقيرا كما تقول
لغني لا يراعي اباه الك هذا القدر من المال فلا تنفق على ابيك شيئا وفايدة اذا تاكيد الانكار والتوبيخ حيث
يجعلون ثبوت النصيب سببا للمنع مع كونه سببا للاعطاء وهي ملغاة عن العمل كانه قيل فلا يؤتون الناس اذا
وقرئ فاذا لا يؤتوا على اعمالها أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ منقطعة ايضا مفيدة للانتقال عن توبيخهم بما سبق الى توبيخهم
بالحسد الذي هو شر الرذايل واقبحها لا سيما على ما هم بمعزل من استحقاقه واللام في الناس للعهد والاشارة
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وال المؤمنين جملة على الجنس ايذانا بحيازتهم للكمالات البشرية قاطبة فكانهم هم
الناس لا غير لا يلايمه ذكر حديث ابرهيم فان ذلك لتذكير ما بين الفريقين من العلاقة الموجبة لاشتراكهما في
استحقاق الفضل والهمزة لانكار الواقع واستقباحه فانهم كانوا يطمعون ان يكون النبي عليه الصلوة و
السلام الموعود منهم فلما خص الله تعالى بتلك الكرامة غيرهم حسدوهم اي بل يحسدونهم عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ
مِنْ فَضْلِهِ يعني النبوة والكتاب وازدياد العز والنصر يوما فيوما وقوله تعالى فَقَدْ آتَيْنَا تعليل للانكار والاستقباح
والزام لهم بما هو مسلم عندهم وحسم لمادة حسدهم واستبعادهم المبنيين عن توهم عدم استحقاق المحسود
لما اوتي من الفضل ببيان استحقاقه له بطريق الوراثة كابرا عن كابر واجراء الكلام على سنن الكبرياء بطريق
الالتفات لاظهار كمال العناية بالامر والمعنى ان حسدهم المذكور في غاية القبح والبطلان فانا قد آتينا من قبل
هذا آلَ إِبْرَاهِيمَ الذين هم اسلاف محمد عليه الصلوة والسلام الْكِتَابَ وَالنُّبُوَّةَ اي النبوة وَآتَيْنَاهُمْ مع ذلك مُلْكًا عَظِيمًا
اي لا يقدر قدره فكيف يستبعدون نبوته عليه الصلاة والسلام ويحسدونه على ايتانها وتكرير الايتاء لما
يقتضيه مقام التفصيل مع الاشعار بما بين النبوة والملك من المغايرة فان اريد به الايتاء بالذات فالمراد بال
ابرهيم انبياؤهم عليهم الصلوة والسلام خاصة والضمير المنصوب في الفعل الثاني لبعضهم اما بحذف المضاف

او بطريق الاستخدام لما ان الملك لم يورث كلهم قال ابن عباس رضي الله عنهما الملك في آل ابرهيم ملك يوسف وداود
عليهما السلام وان اريد به وغيره وغير ما يعمه من الايتاء وبالواسطة وهو اللايق بالمقام والاوفق لما قبله من نسبة
ايتاء الفضل الى الناس فالمراد بال ابرهيم كلهم فان تشريف البعض بما ذكر من ايتاء النبوة والملك تشريف
للكل لاعتنايهم باثاره واقتباسهم من انواره وفي تفصيل ما اوتوه وتكرير الفعل ووصف الملك بالعظم وتنكيره
التفخيمي من تاكيد الالزام وتشديد الانكار ما لا يخفى هذا هو المتبادر من النظم الكريم واليه جنح جمهور ايمة
التفسير لكن الظاهر حينئذ ان يكون قوله تعالى فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ حكاية لما صدر عن اسلافهم عقيب
وقوع المحكي من غير ان يكون له دخل في الالزام الذي سيق له الكلام اي فمن جنس هولاء الحاسدين وابائهم
من آمن بما اوتي آل ابرهيم ومنهم من اعرض عنه واما جعل الضميرين لما ذكر من حديث آل فيستدعي تراخي الاية
الكريمة عما قبلها ولا كيف لا وحكاية ايمانهم بالحديث المذكور واعراضهم عنه بصيغة الماضي انما يتصور بعد
وقوع الايمان والاعراض المتاخرين عن سماع الحديث المتاخر عن نزوله وكذا جعلهما لرسول الله صلى الله عليه
وسلم اذ الظاهر بيان حالهم بعد هذا الالزام وحمل على حكاية حالهم السابقة لا يساعده الفاء المرتبة لما
بعدها على ما قبلها ولا يبعد كل البعد ان يكون الهمزة لتقرير حسدهم وتوبيخهم بذلك ويكون قوله تعالى
فقد آتينا الاية تعليلا له بدلالته على اعراضهم عما اوتي آل ابرهيم وان لم يذكر كونه بطريق الحسد كانه
قيل بل يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله ولا يؤمنون به وذلك دينهم المستمر فانا قد آتينا آل ابرهيم
ما آتينا فمنهم اي من جنسهم من آمن بما آتيناهم ومنهم من اعرض عنه ولم يؤمن به والله سبحانه اعلم وفيه
لرسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا نارا مسعرة يعذبون بها والجملة تذييل لما قبلها إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا بِآيَاتِنَا ان اريد بهم الذين كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم فالمراد بالايات اما القران او ما يعم كله و
بعضه او ما يعم ساير معجزاته ايضا وان اريد بهم الجنس المتناول لهم تناولا اوليا فالمراد بالايات ما يعم المذكورات
وساير شواهد الحق اوتيها الانبياء عليهم الصلوة والسلام سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا قال سيبويه سوف كلمة تذكر للتهديد
والوعيد وينوب عنها السين وقد تذكران في الوعد فيفيدان التاكيد اي ندخلهم نارا عظيمة هايلة كُلَّمَا نَضِجَتْ
جُلُودُهُمْ احترقت وكلما ظرف زمان والعامل فيه من قبيل بدلناهم نحو فامنا الامن قبيل يبدل الله سيأتهم حسنات
اي اعطيناهم مكان كل جلد محترق عند احتراقه جلدا جديدا مغايرا للمحترق صورة وان كان عينه مادة بان يزال عنه
الاحتراق ليعود احساسه للعذاب والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير نصليهم وقد جوز كونها صفة لنارا
على حذف العايد اي كلما نضجت فيها جلودهم فمعنى قوله تعالى لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ليدوم ذوقه ولا ينقطع كقولك
للعزيز اعزك الله وَقِيلَ يخلق مكانه جلدا اخر والعذاب للنفس العاصية لا لالة ادراكها قَالَ ابن عباس
رضي الله عنهما يبدلون جلودا بيضا كامثال القراطيس وَرُوِيَ ان هذه الاية قرئت عند عمر رضي الله عنه فقال
للقاري اعدها فاعاده وكان عنده معاذ بن جبل فَقَالَ معاذ عندي تفسيرها يبدل في ساعة مائة مرة فقال
عمر رضي الله عنه هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وَقَالَ الحسن تاكلهم النار كل يوم سبعين الف
مرة كلما اكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا وَرَوَى ابو هريرة عن النبي عليه الصلوة والسلام ان بين منكبي
الكافر مسيرة ثلثة ايام للراكب المسرع وَعَنْ ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ضرس الكافر او ناب الكافر مثل احد وغلظ جلده مسيرة ثلثة ايام والتعبير عن ادراك العذاب بالذوق ليس لبيان
قلته بل لبيان ان احساسهم في المرة الاخيرة باالعذاب في كل مرة كاحساس الذايق بالمذوق من حيث انه لا يدخله نقصان
بدوام الملابسة او للاشعار بمرارة العذاب مع ايلامه او للتنبيه على شدة تاثيره من حيث ان القوة الذايقة
اشد الحواس تاثيرا وعلى سرايته للباطن ولعل السر في تبديل الجلود مع قدرته تعالى على ابقاء ادراك العذاب
وذوقه بحاله مع الاحتراق ومع ابقاء ابدانهم على حالها مصونة عن الاحتراق ان النفس ربما تتوهم زوال

بدلناهم جلودا غيرها م

الادراك بالاحتراق ولا تستبعد كل الاستبعاد ان تكون مصونة من التألم والعذاب صيانة بدنها عن
الاحتراق إن الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريده ولا يمانعه احد حكيما يعاقب من يعاقبه على وفق حكمته
والجملة تعليل لما قبلها من الاصلاء والتبديل واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتهويل الامر وتربية
المهابة وتعليل الحكم فان عنوان الالوهية مناط لجميع صفات كماله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات عقب بيان
سوء حال الكفرة ببيان حسن حال المؤمنين تكميلا للمساءة الاولين ومسرة الآخرين اي الذين آمنوا بآياتنا
وعملوا بمقتضياتها وهو مبتدأ خبره قوله تعالى سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار وقرئ سيدخلهم بالياء ردا على الاسم
الجليل وفي السين تاكيد للوعد خالدين فيها ابدا حال مقدرة من الضمير المنصوب في سندخلهم وقوله عز وعلا لهم
فيها ازواج مطهرة اي مما في نساء الدنيا من الاحوال المستقذرة البدنية والادناس الطبيعية في محل النصب
على انه حال من جنات او حال ثانية من الضمير المنصوب او على انه صفة لجنات بعد صفة وفي محل الرفع على
انه خبر للموصول بعد خبر وندخلهم ظلا ظليلا اي فينانا لا جوب فيه دائما لا تنسخه شمس اللهم ارزقنا ذلك
بفضلك وكرمك يا ارحم الراحمين والظليل صفة مشتقة من لفظ الظل للتاكيد كما في ليل اليل ويوم ايوم وقرئ
يدخلهم بالياء وهو عطف على سيدخلهم لا على انه غير الادخال الاول بالذات بل بالعنوان كما في قوله تعالى
ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها
في تصدير الكلام بكلمة التحقيق واظهار الاسم الجليل وايراد الامر على صورة الاخبار من الفخامة وتاكيد وجوب
الامتثال به والدلالة على الاعتناء بشأنه ما لا مزيد عليه وهو خطاب يعم حكمه المكلفين قاطبة كما ان الامانات
تعم جميع الحقوق المتعلقة بذممهم من حقوق الله تعالى وحقوق العباد سواء كانت فعلية او قولية او اعتقادية
وان ورد في شأن عثمان بن طلحة بن عبد الدار سادن الكعبة المعظمة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين دخل مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وابى ان يدفع المفتاح اليه وقال
علمت رسول الله صلى الله عليه وسلم لم امنعه فلوى علي بن ابي طالب يده واخذه منه وفتح ودخل النبي صلى الله عليه
وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأل العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فامر عليا ان
يرده الى عثمان ويعتذر اليه فقال عثمان لعلي رضي الله عنه اكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله
في شأنك قرآنا فقرأ عليه الآية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فهبط
جبرائيل عليه السلام واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السدانة في اولاد عثمان ابدا وقرئ الامانة
على التوحيد والمراد الجنس لا العموم وقيل هو مراد للدلالة باداء الحقوق المتعلقة بذممهم من المناصب
وغيرها الى مستحقيها كما ان في قوله تعالى وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل امرا لهم بايصال الحقوق المتعلقة بذمم
الغير الى اصحابها وحيث كان المأمور به ههنا مختصا بوقت المرافعة قيد به بخلاف المأمور به اولا فانه لما
يتعلق بوقت دون وقت اطلق اطلاقا فقوله تعالى ان تحكموا عطف على ان تؤدوا وقد فصل بين العاطف والمعطوف
بالظرف المعمول له عند الكوفيين ولمقدر يدل هو عليه عند البصريين لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها عندهم
اي ان تحكموا اذا حكمتم الى آخره وقوله تعالى بالعدل متعلق بتحكموا او بمقدر وقع حالا من فاعله اي ملتبسين
بالعدل والانصاف إن الله نعما يعظكم به ما اما منصوبة موصوفة بيعظكم به او مرفوعة موصولة به كانه قيل نعم شيئا
يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف اي نعما يعظكم به ذلك وهو المأمور به من اداء الامانات والعدل في الحكومات
وقرئ نعما بفتح النون والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها متضمنة لمزيد لطف بالمخاطبين وحسن استدعاء
لهم الى الامتثال بالامر واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة إن الله كان سميعا باقوالكم بصيرا بافعالكم فهو
وعد ووعيد واظهار الجلالة لما ذكر آنفا فان فيه تاكيدا لكل من الوعد والوعيد يا ايها الذين آمنوا بعدما امر
الولاة بطريق العموم او بطريق الخصوص باداء الامانات والعدل في الحكومات امر سائر الناس بطاعتهم

لكن لا مطلقا

لكن لا مطلقا بل في ضمن طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم حيث قال أطيعوا الله و
أطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم وهم امراء الحق وولاة العدل كالخلفاء الراشدين ومن يقتدي بهم من
المهتدين واما امراء الجور فبمعزل من استحقاق العطف على الله تعالى والرسول عليه الصلوة
والسلام لوجوب الطاعة لهم وقيل هم علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر
منهم لعلمه الذين يستنبطونه ويأباه قوله تعالى فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله اذ ليس للمقلد ان ينازع
المجتهد في حكمه الا ان يجعل الخطاب لاولي الامر بطريق الالتفات وفيه بعد وتصدير الشرطية بالفاء
لترتيبها على ما قبلها فان بيان حكم طاعة اولي الامر عند موافقتها لطاعة الله تعالى وطاعة الرسول
عليه الصلوة والسلام يستدعي بيان حكمها عند المخالفة اي ان اختلفتم انتم واولو الامر منكم في امر
من امور الدين فراجعوا فيه الى كتاب الله والرسول اي الى سنته وقد استدل به منكر القياس وهو في الحقيقة
دليل على حجيته كيف لا ورد المختلف فيه الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو
المعنى بالقياس ويؤيده الامر به بعد الامر بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله عليه الصلوة والسلام فانه يدل
على ان الاحكام ثلثة ثابت بالكتاب وثابت بالسنة وثابت بالرد اليهما بالقياس إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر
متعلق بالامر الاخير الوارد في محل النزاع اذ هو المحتاج الى التحذير من المخالفة وجواب الشرط محذوف
عند جمهور البصريين ثقة بدلالة المذكور عليه اي كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فردوه الى آخره
فان الايمان بهما يوجب ذلك اما الايمان بالله تعالى فظ واما الايمان باليوم الآخر فلما فيه من العقاب
على المخالفة ذلك اي الرد المأمور به خير لكم واصلح وأحسن في نفسه تأويلا اي عاقبة ومآلا وتقديم خيريته
لهم على احسنيته في نفسه لما مر من تعلق انظارهم بما ينفعهم والمراد بيان اتصافه في نفسه بالخيرية
الكاملية والحسن الكامل في حد ذاته من غير اعتبار فضله على شيء يشاركه في اصل الخيرية كما ينبئ عنه
التحذير السابق ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك تلوين للخطاب
وتوجيه له الى الرسول عليه الصلوة والسلام تعجيبا له من حال الذين يخالفون ما مر من الامر المحتوم ولا
يطيعون الله ولا رسوله ووصفهم بادعاء الايمان بالقرآن وبما انزل من قبله اعني التورية لتاكيد التعجيب
وتشديد التوبيخ والاستقباح ببيان كمال المباينة بين دعواهم وبين ما صدر عنهم وقرئ الفعلان
على البناء للفاعل وقوله عز وجل يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت استئناف سيق لبيان محل التعجيب مبني على
سؤال نشأ من صدر الكلام كانه قيل ماذا يفعلون فقيل يريدون الى آخره روي عن ابن عباس رضي الله
عنهما ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب
ابن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودي فلم يرض به المنافق فدعاه
الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال اليهودي قضى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه فقال
رضي الله عنه للمنافق اهكذا قال نعم فقال عمر مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب
عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله تعالى ورسوله فنزلت فهبط جبرائيل عليه
السلام وقال ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انت الفاروق فالطاغوت
كعب بن الاشرف سمي به لافراطه في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم او على التشبيه بالشيطان
والتسمية باسمه او جعل اختيار التحاكم الى غير النبي عليه الصلوة والسلام على التحاكم اليه الى الشيطان وقال
الضحاك المراد بالطاغوت كهنة اليهود وسحرتهم وعن الشعبي ان المنافق دعا خصمه الى كاهن في جهينة
فتحاكما اليه وعن السدي ان الحادثة وقعت في قتيل بين بني قريظة والنظير فتحاكم المسلمون من الفريقين
الى النبي عليه الصلوة والسلام وابى المنافقون منهما الا التحاكم الى ابي بردة الكاهن الاسلمي فتحاكموا اليه

فيكون الاقتصار حينئذ في معرض التعجب والاستقباح على ذكر ارادة التحاكم دون نفسه مع وقوعه ايضا للتنبيه
على ان ارادته مما يقضي منه العجب ولا ينبغي ان يدخل تحت الوقوع فما ظنك بنفسه وهذا انسب بوصف المنافقين
بادعاء الايمان بالتورية فانه كان يقتضي كونهم من منافقي اليهود يقتضي كون ما صدر عنهم من التحاكم ظاهرا
لمنافاة لادعاء الايمان بالتورية وليس التحاكم الى كعب بن الاشرف بهذه المثابة من الظهور وايضا فالمتبادر من
قوله تعالى وقد امروا ان يكفروا به كونهم مامورين بكفره في الكتابين وما ذاك الا الشيطان واولياؤه المشهورون بتوليه
كالكهنة ونظائرهم لان من عداهم ممن لم يشتهر بذلك وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع كما في قوله تعالى
اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم والجملة حال من ضمير يريدون مفيدة لتاكيد التعجب وتشديد الاستقباح كالوصف السابق
وقوله عز وعلا ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا عطف على يريدون داخل في حكم التعجب فان اتباعهم لمن يريد اضلالهم واعراضهم
عمن يريد هدايتهم اعجب من كل عجيب وضلالا اما مصدر موكد للفعل المذكور بحذف الزوائد كما في قوله تعالى فانبته
الله نباتا حسنا اي اضلالا بعيدا واما مصدر لفعل المدلول عليه بالمذكور اي فيضلون وايا ما كان فوصف بالبعد
الذي نعت موصوفه للمبالغة وفيه قوله تعالى واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول تكملة لمادة التعجب ببيان
اعراضهم صريحا عن التحاكم الى كتاب الله تعالى ورسوله عليه الصلوة والسلام اثر بيان اعراضهم عن ذلك في
ضمن الطاغوت وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل تخفيفا كما في قولهم ما باليت بالة اصلها بالية كعافية
كما قالوا في اية ان اصلها ايية فحذفت اللام ووقعت واو الجمع بعد اللام في تعالى فضمت فصار تعالوا ومنه قول اهل
مكة للمراة تعالي بكسر اللام وعليه قول ابي فراس الحمداني ° ايا جارتا ما انصف الدهر بيننا ° تعالي اقاسمك الهموم تعالي
رايت المنافقين اظهار المنافقين في مقام الاضمار للتسجيل عليهم بالنفاق وذمهم به والاشعار بعلة الحكم والروية
بصرية وقوله تعالى يصدون عنك حال من المنافقين صدودا الروية قلبية والجملة مفعول ثان لها والاول هو الا نسب
لظهور حالهم وقوله تعالى وقيل مصدر موكد لفعله اي يعرضون عنك اعراضا واي اعراض عنه وقيل هو
اسم للمصدر الذي هو الصد والاظهر انه مصدر لصد اللازم والصد مصدر للمتعدي يقال صد عنه صدودا
اي اعرض عنه وصده عنه صدا اي منعه منه وقوله تعالى فكيف شروع في بيان غائلة جناياتهم المحكية ووخامة
عاقبتها اي كيف يكون حالهم قوله تعالى اذا اصابتهم مصيبة اي وقت اصابة المصيبة اياهم بافتضاحهم بظهور
نفاقهم قوله تعالى بما قدمت ايديهم بسبب ما عملوا من الجنايات التي من جملتها التحاكم الى الطاغوت والاعراض عن حكمك
ثم جاؤك للاعتذار عما صنعوا من القبائح وهو عطف على اصابتهم والمراد تفظيع حالهم وتهويل ما دهمهم من الخطب
واعتراهم من شدة الامر عند اصابة المصيبة وعند المجيء الى الاعتذار يحلفون بالله حال من فاعل جاؤك ان اردنا الا احسانا وتوفيقا
اي ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك الا الفصل بالوجه الحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفة ذلك ولا تسخطا
لحكمك فلا تواخذنا بما فعلنا وهذا وعيد لهم على ما فعلوا وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني
الاعتذار وقيل جاء اولياء المنافق يطلبون بدمه وقد اهدره الله تعالى فقالوا ما اردنا ما اراد صاحبنا
المقتول بالتحاكم الى عمر رضي الله عنه الا ان يحسن اليه ويوفق بينه وبين خصمه اولئك اشارة الى المنافقين وما
فيه من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتهم في الكفر والنفاق وهو مبتدا خبره الذين يعلم الله ما في قلوبهم اي من فنون
الشرور والفسادات المنافية لما اظهروا لك من الاكاذيب فاعرض عنهم جواب شرط محذوف اي اذا كان حالهم
كذلك فاعرض عن قبول معذرتهم وقيل عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم ولا تظهر لهم علمك بما في بواطنهم
ولا تهتك سترهم حتى يبقوا على وجل وحذر وعظهم اي ازجرهم عن النفاق والكيد وقل لهم في انفسهم في حق
انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على الشرور التي يعلمها الله تعالى او في انفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم سارا
بالنصيحة لانها في السر انجع قولا بليغا موثرا واصلا الى كنه المراد مطابقا لما سبق من المقصود فالظرف على
التقديرين متعلق بالامر وقيل متعلق ببليغا على راي من يجيز تقديم معمول الصفة على الموصوف اي قولا

قولا بليغا

التحاكم اليهم

قولا بليغا في انفسهم موثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعارا وهو التوعد
بالقتل والاستيصال والايذان بان ما في قلوبهم من مكنونات الشر والنفاق غير خاف على الله تعالى وان ذلك مستوجب
لاشد العقوبات وانما هذه المكافاة والتاخير لاظهارهم الايمان والطاعة واضمارهم الكفر ولئن اظهروا الشقاق
وبرزوا باشخاصهم من نفق النفاق ليمسنهم العذاب ان الله شديد العقاب وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله كلام
مبتدا جيء به تمهيدا لبيان خطائهم في الاشتغال بستر جناياتهم بالاعتذار بالاباطيل وعدم تلافيها بالتوبة
اي وما ارسلنا رسولا من الرسل لشيء من الاشياء الا ليطاع بسبب اذنه تعالى في طاعته وامره المرسل اليهم بان
يطيعوه ويتبعوه لانه مؤد عنه تعالى فطاعته طاعة الله تعالى ومعصيته معصيته تعالى من يطع الرسول
فقد اطاع الله او بتيسير الله تعالى وتوفيقه في طاعته ولو انهم اذ ظلموا انفسهم وعرضوها للعذاب على عذاب النفاق
بترك طاعتك والتحاكم الى غيرك جاؤك من غير تاخير كما يفصح عنه تقديم الظرف متوسلين بك في التنصل
عن جناياتهم القديمة والحادثة ولم يزدادوا جناية على جناية بالقصد الى سترها بالاعتذار الباطل والايمان
الفاجرة فاستغفروا الله بالتوبة والاخلاص وبالغوا في التضرع اليك حتى انتصبت شفيعا لهم الى الله تعالى
واستغفرت لهم وانما قيل واستغفر لهم الرسول على طريقة الالتفات تفخيما لشان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان شفاعته في حيز القبول لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه مبالغا في قبول توبتهم
والتفضل عليهم بالرحمة وان فسر الوجدان بالمصادفة فقوله كان تعالى توابا حالا ورحيما بدلا منه او حالا من الضمير
فيه وايا ما كان ففيه فضل ترغيب للسامعين في المسارعة الى التوبة والاستغفار ومزيد تنديم لاولئك
المنافقين على ما صنعوا لما ان ظهور تباشير قبول التوبة وحصول الرحمة ومشاهدتهم لاثارهما نعمة زائدة عليهما
موجبة لكمال الرغبة في تحصيلهما وتمام الحسرة على فواتهما فلا وربك اي فوربك ولا مزيدة لتاكيد معنى القسم
لا لتاكيد النفي في جوابه اعني قوله تعالى لا يؤمنون لانها تزاد في الاثبات ايضا كما في قوله تعالى فلا اقسم بمواقع
النجوم ونظائره حتى يحكموك اي يتحاكموا اليك ويترافعوا اليك وانما جيء بصيغة التحكيم مع انه عليه الصلاة
والسلام حاكم بامر الله تعالى ابدانا بان حقهم ان يجعلوه عليه الصلوة والسلام حكما فيما بينهم ويرضوا
بحكمه وان قطع النظر عن كونه حاكما على الاطلاق فيما شجر بينهم اي فيما اختلف بينهم من الامور واختلط ومنه
الشجر لتداخل اغصانه ثم لا يجدوا عطف على مقدر ينساق اليه الكلام اي فتقضي بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم
حرجا مما قضيت اي ضيقا مما قضيت اي مما قضيت به او من قضائك وقيل شكا من اجله اذ الشاك في ضيق
من امره ويسلموا اي ينقادوا لامرك ويذعنوا له تسليما تاكيد للفعل بمنزلة تكريره اي تسليما تاما بظاهرهم
وباطنهم يقال سلم لامر الله واسلم له بمعنى وحقيقته سلم نفسه له واسلمها اذ جعلها سالمة له خالصة اي ينقادوا
لحكمك انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم قيل نزلت في شان المنافق واليهودي وقيل في شان الزبير
ورجل من الانصار حين اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل
فقال عليه الصلوة والسلام اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب الانصاري وقال لان كان ابن عمتك
فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر واستوف حقك
ثم ارسله الى جارك كان قد اشار الى الزبير براي فيه سعة له وللخصم فلما احفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم
استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال لمن القضاء فقال الانصاري قضى لابن عمته ولوى
شدقه ففطن يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حياة موسى عليه الصلوة والسلام فدعانا الى
التوبة منه وقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت
ابن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم مني الصدق لو امرني محمد ان اقتل نفسي لقتلتها وروي انه قال

ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان من امتي رجالا الايمان اثبت من
الجبال الرواسي فنزل في شان هولاء ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم اي لو اوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا على بني اسرائيل من قتلهم
انفسهم او خروجهم من ديارهم حين استتابتهم من عبادة العجل وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا في معنى امرنا ما فعلوه
اي المكتوب المدلول عليه بكتبنا او احد مصدري الفعلين الا قليل منهم اي الا اناس قليل منهم وهم المخلصون من المؤمنين
وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك وقيل معنى اقتلوا انفسكم تعرضوا
بها للقتل بالجهاد وهو بعيد وقرئ الا قليلا بالنصب على الاستثناء او الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من
متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته والانقياد لما يراه ويحكم به ظاهرا وباطنا وسميت اوامر الله تعالى ونواهيه
مواعظ لاقترانها بالوعد والوعيد لكان اي فعلهم ذلك خيرا لهم عاجلا واجلا واشد تثبيتا لهم على الايمان وابعد
من الاضطراب فيه او اشد تثبيتا لثواب اعمالهم واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما جواب لسوال كانه قيل وماذا يكون بعد التثبيت
فقيل واذا لو ثبتوا لاتيناهم فان اذا جواب وجزاء ولهديناهم صراطا مستقيما يصلون بسلوكه الى عالم القدس ويفتح لهم
ابواب الغيب قال عليه الصلوة والسلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ومن يطع الله والرسول كلام مستانف فيه
فضل ترغيب في الطاعة ومزيد تشويق اليها ببيان ان نتيجتها اقصى ما ينتهي اليه همم الامم وارفع ما يمتد اليه اعناق
عزائمهم من مجاورة اعظم الخلائق مقدارا وارفعهم منارا متضمن لتفسير ما ابهم في جواب الشرطية السابقة
وتفصيل ما اجمل فيه والمراد بالطاعة هو الانقياد التام والامتثال الكامل بجميع الاوامر والنواهي فاولئك اشارة الى
المطيعين والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في فعل الشرط باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع القرب في الذكر
للايذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف وهو مبتدا خبره مع الذين انعم الله عليهم والجملة جواب للشرط وترك
ذكر المنعم به للاشعار بقصور العبارة عن تفصيله وبيانه من النبيين بيان للمنعم عليه والتعرض لمعية سائر الانبياء
عليهم الصلوة والسلام مع ان الكلام في بيان حكم طاعة نبينا عليه الصلوة والسلام لجريان ذكرهم في سبب النزول
مع ما فيه من الاشارة الى ان طاعته عليه الصلوة والسلام متضمنة لطاعتهم لاشتمال شريعته على شرائعهم التي
لا تتغير بتغير الاعصار روي ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله ان صرنا الى الجنة
تفضلنا بدرجات النبوة فلا نراك وقال الشعبي جاء رجل من الانصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي
فقال ما يبكيك يا فلان فقال يا رسول الله بالله الذي لا اله الا هو لانت احب الي من نفسي واهلي ومالي وولدي
واني لاذكرك وانا في اهلي فياخذني مثل الجنون حتى اراك وذكرت موتي وانك ترفع مع النبيين واني ان دخلت
الجنة كنت في منزلة ادنى من منزلتك فلم يرد النبي عليه الصلوة والسلام جوابا فنزلت وروي ان ثوبان مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب له عليه الصلوة والسلام قليل الصبر عنه فاتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل
جسمه وعرف الحزن في وجهه فساله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع غير اني
اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك فذكرت الاخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني
عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا
فنزلت فقال عليه الصلوة والسلام والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده
والناس اجمعين وحكي ذلك عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم وروي ان انسانا قال يا رسول الله الرجل يحب
قوما ولما يلحق بهم قال عليه الصلوة والسلام المرء مع من احب والصديقين اي المتقدمين في تصديقهم المبالغين
في الصدق والاخلاص في الاقوال والافعال وهم افاضل اصحاب الانبياء عليهم الصلوة والسلام واماثل خواصهم المقربين
كابي بكر الصديق رضي الله عنه والشهداء الذين بذلوا ارواحهم في طاعة الله تعالى واعلاء كلمته والصالحين
الصارفين اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته وليس المراد بالمعية الاتحاد في الدرجة ولا مطلق الاشتراك
في دخول الجنة بل كونهم فيها بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الاخر وزيارته متى اراد وان بعد ما بينهما من المسافة

وحسن اولئك رفيقا الرفيق الصاحب ماخوذ من الرفق وهو لين الجانب واللطافة في المعاشرة قولا وفعلا فان جعل
اولئك اشارة الى النبيين ومن بعدهم على ان ما فيه من معنى البعد لما مر مرارا فرفيقا اما تمييز او حال على معنى انهم وصفوا
بالحسن من جهة كونهم رفقاء للمطيعين او حال كونهم رفقاءهم وافراده لما انه كالصديق والخليط والرسول يستوي فيه
الواحد والمتعدد او لانه اريد حسن كل واحد منهم رفيقا وان جعل اشارة الى المطيعين فهو تمييز على معنى انهم وصفوا
بحسن الرفيق من النبيين ومن بعدهم لا بنفس الحسن فلا يجوز دخول من عليه كما يجوز في الوجه الاول والجملة تذييل
مقرر لما قبله مؤكد للترغيب والتشويق قيل فيه معنى التعجب كانه قيل وما احسن اولئك رفيقا ولاستقلاله
بمعنى التعجب قرئ وحسن بسكون السين ذلك اشارة الى ما للمطيعين من عظيم الاجر ومزيد الهداية ومرافقة
هولاء المنعم عليهم او الى فضلهم ومزيتهم وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الشرف
وهو مبتدا وقوله تعالى الفضل صفته وقوله تعالى من الله خبره اي ذلك الفضل العظيم من الله تعالى لا من
غيره او الفضل خبره ومن الله متعلق بمحذوف وقع حالا منه والعامل فيه معنى الاشارة اي ذلك الذي ذكر
فضل كائنا من الله تعالى لان اعمال المكلفين توجيه وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه وبمقادير الفضل واستحقاق
اهله يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم الحذر والحذر واحد كالاثر والاثر والشبه والشبه اي تيقظوا واحترزوا من العدو
ولا تمكنوه من انفسكم يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كانه جعل الحذر الته التي يقي بها نفسه وقيل
هو ما يحذر به من السلاح والحزم اي استعدوا للعدو وقوله تعالى فانفروا بكسر الفاء وقرئ بضمها اي اخرجوا
الى الجهاد عند خروجكم ثبات جمع ثبة وهي الجماعة من الرجال فوق العشرة ووزنها في الاصل فعلة كحطمة حذفت لامها
وعوض منها تاء التانيث وهل هي واو او ياء فيه قولان قيل انها مشتقة من ثبا يثبو كحلا يحلو اي اجتمع
وقيل من تثبيت على الرجل اذا اثنيت عليه كانك جمعت محاسنه وتجمع ايضا على ثبين جبرا لما حذف من عجزها
ومحلها النصب على الحالية اي انفروا جماعات متفرقة سرية بعد سرية او انفروا جميعا اي مجتمعين
كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا بانفسكم الى التهلكة وان منكم لمن ليبطئن اي ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد
من بطا بمعنى ابطا كعتم بمعنى اعتم والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم المؤمنين منهم والمنافقين
والمبطئون منافقوهم الذين تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد او ليبطئن غيره ويثبطنه من بطا منقولا من بطؤ
كثقل من ثقل كما بطا ابن ابي ناسا يوم احد والاول انسب لما بعده واللام الاولى للابتداء دخلت على اسم
ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن في ليبطئن
والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن فان اصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة قال اي المبطئ فرحا بصنعه وحامدا
لرايه قد انعم الله علي اي بالقعود اذ لم اكن معهم شهيدا اي حاضرا في المعركة فيصيبني ما اصابهم والفاء في الشرطية
لترتيب مضمونها على ما قبلها فان ذكر التبطئة مستتبع لذكر ما يترتب عليها كما ان نفس التبطئة مستدعية
لشيء ينتظر المبطئ وقوعه ولئن اصابكم فضل كفتح وغنيمة من الله متعلق باصابكم او بمحذوف وقع صفة لفضل
اي فضل كائن من الله تعالى ونسبة اصابة الفضل الى جناب الله تعالى دون اصابة المصيبة من العادات الشريفة
التنزيلية كما في قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين وتقديم الشرطية الاولى لما ان مضمونها لمقصدهم اوفق
واثر نفاقهم فيها اظهر ليقولن ندامة على تثبطه وقعوده وتهالكا على حطام الدنيا وتحسرا على فواته وقرئ
ليقولن بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من وقوله تعالى كان لم تكن بينكم وبينه مودة اعتراض وسط بين الفعل ومفعوله
الذي هو يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما لئلا يفهم من مطلع كلامه ان تمنيه لمعية المؤمنين لنصرتهم ومظاهرتهم
حسبما يقتضيه ما في البين من المودة بل هو للحرص على المال كما ينطق به اخره وليس اثبات المودة في البين بطريق
التحقيق بل بطريق التهكم وقيل الجملة التشبيهية حال من ضمير ليقولن مثبتا بمن لا مودة بينكم وبينه وقيل
هي داخلة في المقول اي يقول المبطئ لمن يثبطه من المنافقين وضعفة المؤمنين كان لم تكن بينكم وبين محمد

صلى الله عليه وسلم مودة حيث لم يستصحبكم في الغزو حتى تفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم وغرضه القاء العداوة
بينهم وبينه عليه الصلوة والسلام وتاكيدها وكان مخففة من الثقيلة واسمه الضمير الشان وهو محذوف وقرئ
لم يكن بالياء والمنادي في ليتني محذوف اي يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع وقوله تعالى فافوز نصب على جواز
التمني وقرئ بالرفع على انه خبر مبتداء محذوف اي فانا افوز في ذلك الوقت او على انه معطوف على كنت داخل
معه تحت التمني فليقاتل في سبيل الله قدم الظرف على الفاعل للاهتمام به الذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة اي يبيعونها
بها وهم المؤمنون فالجواب شرط مقدر اي ان بطاء هؤلاء عن القاتل فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم في
طلب الاخرة او الذين يشترونها ويختارونها على الاخرة وهم المبطئون فالفاء للتعقيب اي ليتركوا ما كانوا عليه
من التثبط والنفاق وليعقبوه بالقتال في سبيل الله ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه بنون العظمة اجرا عظيما
لا يقادر قدره وتعقيب القتال باحد الامرين للاشعار بان المجاهد حقه ان يوطن نفسه باحدي الحسنيين
ولا يخطر بباله القسم الثالث اصلا وتقديم القتل للايذان بتقدمه في استيجاب الاجر روي ابو هريرة رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تكفل الله تعالى لمن جاهد في سبيله لا يخرجه الا جهاد في سبيله وتصديق
كلمته ان يدخله الجنة او يرجعه الى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من اجر وغنيمة وما لكم خطاب للمامورين
بالقتال على طريقة الالتفات مبالغة في التحريض عليه وتاكيدا للوجوب وهو مبتدا وخبر وقوله عز وجل لا تقاتلون في
سبيل الله حال عاملها ما في الظرف من معنى الفعل والاستفهام للانكار والنفي اي شيء لكم غير مقاتلين اي لا عذر
لكم في تركه والمستضعفين عطف على اسم الله تعالى اي في سبيل المستضعفين وهو تخليصهم عن الاسر وصونهم عن
العدو او على السبيل بحذف المضاف اي في خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فان سبيل الله
يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المؤمنين من ايدي الكفرة اعظمها واخصها من الرجال والنساء والولدان بيان
للمستضعفين او حال منهم وهم المسلمون الذين بقوا بمكة بصد المشركين او لضعفهم عن الهجرة مستذلين
ممتحنين وانما ذكر الولدان معهم تكميلا للاستعطاف واستجلاب الرحمة وتنبيها على تناهي ظلم المشركين
بحيث بلغ اذاهم الصبيان لارغام ابائهم وامهاتهم وايذانا باجابة الدعاء الاتي واقتراب زمان الخلاص
ببيان شركتهم في التضرع الى الله تعالى كل ذلك في الحث على القتال وقيل المراد بالولدان العبيد والاماء
اذ يقال لهما الوليد والوليدة وقد غلب الذكور على الاناث فاطلق الولدان على الولائد ايضا الذين محله الجر
على انه صفة للمستضعفين او لما في حيز البيان او النصب على الاختصاص يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها
بالشرك الذي هو ظلم عظيم وباذية المسلمين وهي مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما اسند اليه فان اسم الفاعل
والمفعول اذا اجري على غير من هو له كان كالفعل في التذكير والتانيث بحسب ما عمل فيه واجعل لنا من لدنك وليا كلا
الجارين متعلق باجعل لاختلاف معنيهما وتقديم المجرورين على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بهما وابراز
الرغبة في المؤخر بتقديم احواله فان التاخير عما حقه التقديم عما هو من احواله المرغبة فيه كما يورث
شوق السامع الى وروده ينبئ عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتنائه بحصوله لا محالة وتقديم اللام على من للمسارعة
الى ابراز كون المسؤل نافعا لهم مرغوبا فيه لديهم ويجوز ان يتعلق كلمة من بمحذوف وقع حالا من وليا قدمت
عليه لكونه نكرة وكذا الكلام في قوله تعالى واجعل لنا من لدنك نصيرا قال ابن عباس رضي الله عنهما ول علينا واليا
من المؤمنين يوالينا ويقوم بمصالحنا ويحفظ علينا ديننا وشرعنا وينصرنا على اعدائنا ولقد استجاب الله تعالى
دعاءهم حيث يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي واعز ناصر ففتح مكة على يد نبيه عليه
الصلوة والسلام فتولاهم اي تول ونصرهم اي نصرة ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا
اعز اهلها وقيل المراد واجعل لنا من لدنك ولاية ونصرة اي كن انت ولينا وناصرنا وتكرير الفعل ومتعلقه للمبالغة
في التضرع والابتهال الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله كلام مبتداء سيق لترغيب المؤمنين في القتال وتشجيعهم ببيان كمال

قوتهم

قوتهم بامداد الله تعالى ونصرته وغاية ضعف اعدائهم اي المؤمنون انما يقاتلون في دين الله الحق الموصل لهم الى الله تعالى وفي
اعلاء كلمته فهو وليهم وناصرهم لا محالة والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت اي فيما يوصلهم الى الشيطان فلا ناصر لهم سواه
والفاء في قوله تعالى فقاتلوا اولياء الشيطان لبيان استتباع ما قبلها لما بعدها وذكرهم بهذا العنوان للدلالة على ان ذلك
نتيجة لقتالهم في سبيل الشيطان والاشعار بان المؤمنين اولياء الله تعالى لما ان قتالهم في سبيله وكل ذلك لتاكيد رغبة
المؤمنين في القتال وتقوية عزائمهم عليه فان ولاية الله تعالى علم في العزة والقوة كما ان ولاية الشيطان مثل في الذل
والضعف كانه قيل اذا كان الامر كذلك فقاتلوا يا اولياء الله اولياء الشيطان ثم صرح بالتعليل فقيل ان كيد الشيطان
كان ضعيفا اي في ذاته فكيف بالقياس الى قدرة الله تعالى ولم يتعرض لبيان قدرة جنابه تعالى ايذانا بظهورها
قالوا فائدة ادخال كان في امثال هذه المواقع التاكيد ببيان انه منذ كان كذلك فالمعنى ان كيد الشيطان منذ كان موصوفا
بالضعف الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من احجامهم عن القتال مع انهم كانوا قبل
ذلك راغبين فيه حراصا عليه بحيث كانوا يباشرون كما ينبئ عنه الامر بكف الايدي فان ذلك مشعر بكونهم بصدد
بسطها الى العدو بحيث يكادون يسطون بهم قال الكلبي ان جماعة من اصحاب النبي عليه الصلوة والسلام منهم
عبد الرحمن بن عوف والزبير والمقداد بن اسود الكندي وقدامة بن مظعون الجمحي وسعد بن ابي وقاص الزهري
رضي الله عنهم كانوا يلقون من المشركين بمكة قبل الهجرة اذى شديدا فيشكون ذلك الى النبي عليه الصلوة والسلام
ويقولون ايذن لنا في قتالهم ويقول لهم النبي عليه الصلوة والسلام كفوا ايديكم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة فاني لم اومر
بقتالهم وبناء القول للمفعول مع ان القائل هو النبي عليه الصلاة والسلام للايذان بكون ذلك بامر الله تعالى
ولان المقصود بالذات والمعتبر في التعجيب انما هو كمال رغبتهم في القتال وكونهم بحيث احتاجوا الى النهي عنه وانما
ذكر في حيز الصلة الامر بكف الايدي لتحقيقه وتصويره على طريق الكناية فلا يتعلق ببيان خصوصية الامر غرض
وكانوا في مدة اقامتهم بمكة مستمرين على تلك الحالة فلما هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة
وامروا بالقتال في وقعة بدر كرهه بعضهم وشق ذلك عليه لكن لا شكا في الدين ولا رغبة عنه بل نفورا عن الاخطار
بالارواح وخوفا من الموت بموجب الجبلة البشرية وذلك قوله تعالى فلما كتب عليهم القتال وهو عطف على قوله قيل
لهم كفوا ايديكم باعتبار مدلوله الكنائي اذ حينئذ يتحقق التباين بين مدلولي المعطوفين وعليه يدور امر التعجب
كانه قيل الم تر الى الذين كانوا حراصا على القتال فلما كتب عليهم كرهه بعضهم وقوله تعالى اذا فريق منهم يخشون الناس
جواب لما على ان فريق مبتدا ومنهم متعلق بمحذوف وقع صفة له ويخشون خبره وتصديره باذا المفاجاة لبيان
مسارعتهم الى الخشية اثر ذي اثير من غير تلعثم وتردد فاجاء فريق منهم ان يخشوا الكفار ان يقتلوهم ولعل توجيه
التعجيب الى الكل مع صدور الخشية عن بعضهم للايذان بانه كان ينبغي ان يصدر عن احدهم ما ينافي حالتهم الاولى
وقوله تعالى كخشية الله مصدر مضاف الى المفعول محله النصب على انه حال من فاعل يخشون اي يخشونهم
مشبهين لاهل خشية الله تعالى او اشد خشية عطف عليه بمعنى او اشد خشية من اهل خشية الله او على انه مصدر
مؤكد على جعل الخشية ذات خشية مبالغة كما في جد جده اي يخشونهم خشية مثل خشية الله بعضهم كخشية
الله وخشية بعضهم اشد منها واما للابهام على السامع وهو قريب مما في قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون
وقالوا عطف جواب لما اي فلما كتب عليهم القتال فاجاء فريق منهم خشية الناس وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال في هذا
الوقت لا على وجه الاعتراض على حكمه تعالى والانكار لايجابه بل على طريق تمني التخفيف لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة
في مدة الكفاف واستمهالا الى وقت اخر حذرا عن الموت وقد جوز ان يكون هذا مما نطقت به السنة حالهم من غير ان
يتفوهوا به صريحا قل اي تزهيدا لهم فيما يؤملون بالقعود من المتاع الفاني وترغيبا فيما ينالونه بالقتال من
النعيم الباقي متاع الدنيا اي ما يتمتع وينتفع به قليل سريع التقضي وشيك الانصرام وان اخرتم الى ذلك
الاجل والاخرة اي ثوابها الذي من جملته الثواب المنوط بالقتال خير اي لكم من ذلك القتال القليل لكثرته وعدم

او خشية اشد من خشية الله
واياما كان فكلمة او اما للتنويع
على معنى ان خشية صح صح
صح

انقطاعه وصفائه عن الكدورات وانما قيل لمن اتقى حثا لهم على اتقاء العصيان والاخلال بمواجب التكليف ولا تظلمون فتيلا عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي تجزون فيها ولا تنقصون ادنى شيء من اجور اعمالكم التي من جملتها مسعاتكم في شان القتال فلا ترغبوا عنه والفتيل ما في شق النواة من الخيط يضرب به المثل في القلة والحقارة وقرئ يظلمون بالياء اعادة للضمير الى ظاهر من اينما تكونوا يدرككم الموت كلام مبتدا مسوق من قبله تعالى بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المخاطبين اعتناء بالزامهم اثر بيان حقارة الدنيا وعلو شان الاخرة بواسطته عليه الصلوة والسلام فلا محل له من الاعراب او في محل النصب داخل تحت القول المامور به اي اينما تكونوا في الحضر والسفر يدرككم الموت الذي لاجله تكرهون القتال زعما منكم انه من مظانه وتحبون القعود عنه على زعم انه منجاة منه وفي لفظ الادراك اشعار بانهم في الهرب من الموت وهو مجد في طلبهم وقرئ بالرفع على حذف الفاء كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها او على اعتبار وقوع اينما كنتم في موقع اينما تكونوا او على انه كلام مبتدا واينما تكونوا متصل بلا تظلمون اي لا تنقصون شيئا مما كتب من اجالكم اينما تكونوا في ملاحم الحروب ومعارك الخطوب ولو كنتم في بروج مشيدة في حصون رفيعة او قصور محصنة وقال السدي وقتادة بروج السماء يقال شاد البناء واشاده وشيده رفعه وقرئ مشيدة بكسر الياء وصفا لها بفعل فاعلها مجازا كما في قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه او طلاه بالشيد وهو الجص وجواب لو محذوف اعتمادا على دلالة ما قبله عليه اي لو كنتم في بروج مشيدة يدرككم الموت والجملة معطوفة على اخرى مثلها اي لو لم تكونوا في بروج مشيدة ولو كنتم الى اخره وقد اطرد حذفها لدلالة المذكورة عليها دلالة واضحة فان الشيء اذا تحقق عند وجود المانع فلان يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في لو الوصلية من التاكيد والمبالغة وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله كلام مبتدا جيء به عقيب ما حكي عن المسلمين لما بينهما من المناسبة في اشتمالهما على اسناد ما يكرهونه الى بعض الامور وكراهتهم له سبب ذلك والضمير لليهود والمنافقين روي انه كان قد بسط عليهم الرزق فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فدعاهم الى الايمان فكفروا امسك عنهم بعض الامساك فقالوا ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم هذا الرجل واصحابه وذلك قوله تعالى وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك اي وان تصبهم نعمة ورخاء نسبوها الى الله وان تصبهم بلية من جدب وغلاء اضافوها اليك كما حكي عن اسلافهم بقوله تعالى وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه فامر النبي عليه الصلوة والسلام ان يرد زعمهم الباطل ويرشدهم الى الحق ويلقمهم الحجر ببيان اسناد الكل اليه تعالى على الاجمال اذ لا يجترون على معارضة امر الله تعالى حيث قال قل كل من عند الله اي كل واحد من النعمة والبلية من جهة الله تعالى خلقا وايجادا من غير ان يكون لي مدخل في وقوع شيء منهما بوجه من الوجوه كما تزعمون بل وقوع الاولى منه تعالى بالذات تفضلا ووقوع الثانية بواسطة ذنوب من ابتلي بها عقوبة كما سياتي بيانه فهذا الجواب المجمل في معنى ما قيل ردا على اسلافهم من قوله تعالى الا انما طائرهم عند الله تعالى لا عند غيره حتى يسندوها اليه ويطيروا به وقوله تعالى فما لهؤلاء القوم كلام معترض بين المبين وبيانه مسوق من جهته تعالى لتعييرهم بالجهل وتقبيح حالهم والتعجيب من كمال عنادهم والفاء ترتيبية على ما قبله وقوله تعالى لا يكادون يفقهون حديثا حال من هؤلاء والعامل فيها ما في الظرف من معنى الاستقرار اي وحيث كان الامر كذلك فاي شيء حصل لهم حال كونهم بمعزل من ان يفقهوا حديثا او استئناف مبني على سوال نشا من الاستفهام كانه قيل ما بالهم وماذا يصنعون حتى يتعجب منه او يسال عن سببه فقيل لا يكادون يفقهون حديثا اصلا فيقولون ما يقولون اذ لو فقهوا شيئا من ذلك لفهموا هذا النص وما في معناه وما هو وضح منه من النصوص القرانية الناطقة بان الكل فائض من عند الله تعالى وان النعمة منه تعالى بطريق التفضل والاحسان والبلية بطريق العقوبة على ذنوب العباد لا سيما النص الوارد عليهم في صحف موسى وابرهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر اخرى ولم يسندوا جناية انفسهم الى غيرهم وقوله تعالى ما اصابك من حسنة بيان للجواب المامور به واجراؤه على لسان النبي صلى الله عليه وسلم

ثم سوق البيان من جهته عز وجل بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى كل احد من الناس والالتفات لمزيد الاعتناء به والا برد مقالتهم الباطلة والايذان بان مضمونه مبني على حكمة دقيقة خفية بان يتولى بيان علام الغيوب وتوجيه الخطاب الى كل واحد منهم دون كلهم كما في قوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم للمبالغة في التحقيق بقطع احتمال سببية معصية بعضهم لعقوبة الاخرين اي ما اصابك من نعمة من النعم فمن الله اي فهي منه تعالى بالذات تفضلا واحسانا من غير استيجاب لها من قبلك كيف وان كل ما يفعله المرء من الطاعات التي يفرض كون ذريعة الى اصابة نعمة ما فهي بحيث لا تكاد تكافي نعمة صيانته المقارنة لادائها ولا نعمة اقداره تعالى اياه على ادائها فضلا عن استيجاب نعمة اخرى ولذلك قال عليه الصلوة والسلام ما احد يدخل الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا وما اصابك من سيئة اي بلية من البلايا فمن نفسك اي فهي منها بسبب اقترافها المعاصي الموجبة لها وان كانت من حيث الايجاد منتسبة اليه تعالى نازلة من عنده عقوبة كقوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفوا عن كثير وعن عايشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما قبله وما بعده لكن لا لبيان حاله عليه الصلاة والسلام بل لبيان حال الكفرة بطريق التصوير ولعل ذلك لاظهار كمال السخط والغضب عليهم والاشعار بانهم لفرط جهلهم وبلادتهم بمعزل من استحقاق الخطاب لا سيما بمثل هذه الحكمة الانيقة وارسلناك للناس رسولا بيان لجلالة منصبه عليه الصلاة والسلام ومكانته عند الله تعالى بعد بيان بطلان زعمهم الفاسد في حقه عليه الصلوة والسلام بناء على جهلهم بشانه الجليل وتعريف الناس للاستغراق والجار متعلق برسولا قدم عليه للاختصاص الناظر الى قيد العموم اي مرسلا لكل الناس لا لبعضهم فقط كما في قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس واما بالفعل ورسولا حال موكدة وقد جوز ان يكون مصدرا موكدا كما في قوله لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول اي بارسال بمعنى رسالة وكفى بالله شهيدا اي على رسالتك بنصب المعجزات التي من جملتها هذا النص الناطق والوحي الصادق والالتفات لتربية المهابة وتقوية الشهادة والجملة اعتراض تذييلي من يطع الرسول فقد اطاع الله بيان لاحكام رسالته عليه الصلوة والسلام اثر بيان تحقيقها وثبوتها وانما كان كذلك لان الامر والناهي في الحقيقة هو الله تعالى وانما هو عليه الصلوة والسلام مبلغ لامره ونهيه فمرجع الطاعة وعدمها هو الله تعالى روي انه عليه الصلاة والسلام قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون الا تسمعون ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى ان يعبد غير الله ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم فنزلت والتعبير عنه عليه الصلاة والسلام بالرسول دون الخطاب للايذان بان مناط كون طاعته عليه الصلاة والسلام طاعة له تعالى ليس خصوصية ذاته عليه الصلاة والسلام بل حيثية رسالته واظهار لتربية المهابة وتاكيد وجوب الطاعة بذكر عنوان الالوهية وحمل الرسول على الجنس المنتظم له عليه الصلاة والسلام انتظاما اوليا ياباه تخصيص الخطاب به عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا وجواب الشرط محذوف والمذكور تعليل له اي ومن اعرض عن الطاعة فاعرض عنه انما ارسلناك رسولا مبلغا لا حفيظا مهيمنا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم بحسبها وحفيظا حال من الكاف وعليهم متعلق به قدم عليه رعاية للفاصلة وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان الافراد في تولى باعتبار لفظه ويقولون شروع في بيان معاملتهم مع الرسول عليه الصلوة والسلام بعد بيان وجوب طاعته اي يقولون اذا امرتهم بشيء طاعة اي امرنا وشاننا طاعة او منا طاعة والاصل النصب على المصدر والرفع للدلالة على الثبات كسلام فاذا برزوا من عندك اي خرجوا من مجلسك بيت طائفة منهم اي من القائلين المذكورين وهم روساؤهم غير الذي تقول اي زورت طائفة منهم وسوت خلاف ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة لانهم مصرون على الرد والعصيان وانما يظهرون ما يظهرون على وجه النفاق او خلاف ما قلت لها والتبييت اما من البيتوتة لانه قضاء الامر وتدبيره بالليل يقال هذا امر بيت بليل واما من بيت الشعر لان الشاعر يدبره ويسويه وتذكير الفعل لان

هتمام

دتهم

تانيث الطايفة غير حقيقي وقرئ بادغام التاء في الطاء لقرب المخرج واسناده الى طايفة منهم لبيان المتصدون له بالذات والباقون اتباع لهم في ذلك لا لان الباقين ثابتون على الطاعة والله يكتب ما يبيتون اي يكتبه في جملة ما يوحى اليك فيطلعك على اسرارهم ولا يحسبوا ان مكرهم يخفى عليكم فيجدون بذلك الى الاضرار بكم سبيلا او يثبته في صحايفهم فيجازيهم عليه وايا ما كان فالجملة اعتراضية فاعرض عنهم اي لا تبال بما صنعوا او تجاف عنهم ولا تتصد للانتقام منهم والفاء السببية ما قبلها لما بعدها وتوكل على الله في كل ما تاتي وما تذر لاسيما في شانهم واظهار الجلالة في مقام الاضمار للاشعار بعلة الحكم وكفى بالله وكيلا فيكفيك معرتهم وينتقم لك منهم والاظهار هاهنا ايضا لما مر والتنبيه على استقلال الجملة واستغنايها عما عداها من كل وجه افلا يتدبرون القرآن انكار واستقباح لعدم تدبرهم القرآن واعراضهم عن التامل فيما فيه من موجبات الايمان وتدبر الشيء والنظر في ادباره وما يؤول اليه في عاقبته ومنتهاه ثم استعمل في كل تفكر ونظر والفاء للعطف على مقدر اي اعرضون عن القرآن فلا يتاملون فيه ليعلموا كونه من عند الله تعالى بمشاهدة ما فيه من الشواهد التي من جملتها هذا الوحي الصادق والنص الناطق بنفاقهم المحكي على ما هو عليه ولو كان اي القرآن من عند غير الله كما يزعمون لوجدوا فيه اختلافا كثيرا بان يكون بعض اخباره غير مطابق للواقع اذ لا علم بالامور الغيبية ماضية كانت او مستقبلة لغيره سبحانه وحيث كان كلها مطابقة للواقع تعين كونه من عنده تعالى قال الزجاج ولولا انه من عند الله تعالى لكان ما فيه من الاخبار بالغيب مما يسره المنافقون وما يبيتونه مختلفا بعضه حق وبعضه باطل لان الغيب لا يعلمه الا الله وقال ابو بكر الاصم ان هؤلاء المنافقين كانوا يتواطئون في السر على انواع كثيرة من الكيد والمكر وكان الله تعالى يطلع الرسول عليه الصلوة والسلام على ذلك ويخبره بها مفصلة فقيل لهم ان ذلك لو لم يحصل باخبار الله تعالى لما اطرد الصدق فيه ولوقع فيه الاختلاف فلما لم يقع ذلك قط علم انه باعلامه تعالى هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم واما حمل الاختلاف على التناقض وتفاوت النظم في البلاغة بان كان بعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعاني وبعضه على معنى فاسد غير ملتيم وبعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته كما جنح اليه الجمهور فمما لا يساعده السياق ولا السباق ومن رام التقريب وقال لعل ذكره هاهنا للتنبيه على ان اختلاف ما سبق من الاحكام ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف في الحكم والمصالح المقتضية لذلك فقد ابعد عن الحق بمراحل واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به يقال اذاع السر واذاع به اي اشاعه وافشاه وقيل معنى اذاعوا به فعلوا به الاذاعة وهو ابلغ من اذاعوه وهو كلام مسوق لدفع ما عسى يتوهم في بعض المواد من شائبة الاختلاف بناء على عدم فهم المراد ببيان ان ذلك لعدم وقوفهم على معنى الكلام لا لتخلف مدلوله عنه وذلك ان ناسا من ضعفة المسلمين الذين لا خبرة لهم بالاحوال كانوا اذا اخبرهم الرسول عليه الصلوة والسلام بما اوحي اليه من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة يذيعونه من غير فهم لمعناه ولا ضبط لفحواه على حسب ما كانوا يفهمونه ويحملونه عليه من المحامل وعلى تقدير الفهم قد يكون ذلك مشروطا بامور تفوت بالاذاعة فلا يظهر اثره المتوقع فيكون ذلك منشا لتوهم الاختلاف فنعى عليهم ذلك وقيل ولو ردوه اي ذلك الامر الذي جاءهم الى الرسول اي عرضوه على رايه عليه الصلوة والسلام مستكشفين لمعناه وما ينبغي لهم من التدبير والالتفات لما ان عنوان الرسالة من موجبات الرد والمراجعة الى رايه عليه الصلوة والسلام والى اولي الامر منهم وهم كبار الصحابة البصراء في الامور رضي الله عنهم لعلمه اي لعلم الرادون معناه وتدبيره وانما وضع موضع ضميرهم الموصول فقيل الذين يستنبطونه منهم للايذان بانه ينبغي ان يكون قصدهم برده اليهم استكشاف معناه واستيضاح فحواه اي لعلمه اولئك الرادون الذين يستنبطونه اي يتلقونه ويستخرجون علمه وتدبيره منهم اي من جهة الرسول عليه الصلوة والسلام واولو الامر من صحابته رضي الله عنهم ولما فعلوا في حقه ما فعلوه فلم يقع فيه ما وقع من الاستباه وتوهم الاختلاف وقيل لعلمه الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها فكلمة من في منهم بيانية وقيل انهم كانوا اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول

الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم من امن وسلامة او خوف وخلل اذاعوا به وكانت اذاعتهم مفسدة ولو ردوا ذلك الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اولي الامر لعلم تدبيرها اخبروا به الذين يستنبطونه اي يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله صلى الله عليه وسلم واولي الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء او على خوف فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداء فيعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر وفوضوه اليهم وكانوا كان لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطونه تدبيره كيف يدبرونه وما ياتون وما يذرون وقيل كانوا يسمعون من افواه المنافقين شيئا من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود ذلك وبالا على المومنين ولو ردوه الى الرسول صلى الله عليه وسلم والى اولي الامر وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما يذاع او لا يذاع لعلم صحته وهل هو مما يذاع او لا يذاع هؤلاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول والى اولي الامر اي يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم فسياق النظم الكريم حينئذ لجنايات تلك الطايفة وسوء تدبيرهم اثر بيان جنايات المنافقين ومكرهم والخطاب في قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته للطايفة المذكورة على طريقة الالتفات اي لولا فضله تعالى عليكم ورحمته بارشادكم الى طريق الحق الذي هو المراجعة في مظان الاشتباه الى الرسول صلى الله عليه وسلم والى اولي الامر لاتبعتم الشيطان وعملتم باراء المنافقين فيما تاتون وما تذرون ولم تهتدوا الى سنن الصواب الا قليلا وهم اولوا الامر الواقفون على اسرار الكتاب الراسخون في معرفة احكامه فالاستثناء منقطع وقيل لولا فضله تعالى عليكم ورحمته بارسال الرسول وانزال الكتاب لاتبعتم الشيطان وبقيتم على الضلالة الا قليلا منكم قد تفضل عليه بعقل راجح اهتدى به الى طريق الحق والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان كقس بن ساعدة الايادي وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل واضرابهم فالخطاب للكل والاستثناء متصل وقيل المراد بالفضل والرحمة النصرة والظفر بالاعداء اي ولولا حصول النصر والظفر على التواتر والتتابع لاتبعتم الشيطان وتركتم الدين الا قليلا منكم وهم اولوا البصاير النافذة والنيات القوية والعزايم الماضية من افاضل المومنين الواقفين على حقية الدين البالغين الى درجة حق اليقين المستغنين عن مشاهدة اثار حقيته من الفتح والظفر وقيل الا اتباعا قليلا فقاتل في سبيل الله تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الالتفات وهو جواب شرط محذوف ينساق اليه النظم الكريم اي اذا كان الامر كما حكي من عدم طاعة المنافقين وكيدهم وتقصير الاخرين في مراعاة احكام الاسلام فقاتل انت وحدك غير مكترث بما فعلوا وقوله تعالى لا تكلف الا نفسك اي الا فعل نفسك استيناف مقرر لما قبله فان اختصاص تكليفه عليه الصلوة والسلام بفعل نفسه من موجبات مباشرته للقتال وحده وفيه دلالة على ان ما فعلوا من التثبط لا يضره عليه الصلوة والسلام ولا يؤاخذ به وقيل هو حال من فاعل قاتل اي فقاتل غير مكلف الا نفسك وقرئ لا تكلف بالجزم على النهي وقيل على جواب الامر وقرئ بنون العظمة اي لا نكلفك الا فعل نفسك لا على معنى لا نكلف احدا الا نفسك وحرض المومنين عطف على الامر السابق داخل في حكمه فان كون حال الطايفتين كما حكي يستدعي الامر بالقتال وحده وبتحريض خلص المومنين والتحريض على الشيء الحث عليه والترغيب فيه قال الراغب كانه في الاصل ازالة الحرض وهو ما لا خير فيه ولا يعتد به اي رغبهم في القتال ولا تعنف بهم وانما لم يذكر المحرض عليه لغاية ظهوره وقوله تعالى عسى الله ان يكف باس الذين كفروا عدة منه تعالى محققة الانجاز بكف شدة الكفرة ومكروههم فان ما صدر بلعل وعسى مقرر الوقوع من جهته تعالى وقد كان كذلك حيث روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واعد ابا سفيان بعد حرب احد موسم بدر الصغرى في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعا الناس الى الخروج فكرهه بعضهم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين راكبا ووافوا الموعد فالقى الله تعالى في قلوب الكفرة الرعب فرجعوا من الظهران ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وافى بجيشه بدرا واقام بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا كثيرا وقد مر في سورة آل عمران والله اشد باسا اي من قريش واشد تنكيلا اي تعذيبا وعقوبة تنكل من يشاهدها عن مباشرة ما يؤدي اليها والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبلها واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية استقلال

الجملة وتكرير الخبر لتاكيد التشديد وقوله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها اي من ثوابها جملة مستانفة
سيقت لبيان ان له عليه الصلوة والسلام فيما امر به من تحريض المومنين حظا موفورا فان الشفاعة هي التوسط بالقول
في وصول شخص الى منفعة من المنافع الدنيوية او الاخروية او خلاصه عن مضرة ما كذلك من الشفع كان المشفوع له
كان فردا فجعله الشفيع شفعا والحسنة منها ما كانت من امر مشروع روعي بها حق مسلم ابتغاء لوجه الله تعالى
من غير ان يتضمن غرضا من الاغراض الدنيوية واي منفعة اجل مما قد حصل للمومنين بتحريضه عليه الصلوة والسلام
على الجهاد من المنافع الدنيوية والاخروية واي مضرة اعظم مما تخلصوا عنه بذلك من التثبط عنه ويندرج فيها الدعا
للمسلم فانه شفاعة الى الله تعالى وعليه ساق اية التحية الاتية روي انه عليه الصلوة والسلام قال من دعا لاخيه
المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال الملك ولك مثل ذلك وهذا بيان مقدار نصيب الموعود ومن يشفع شفاعة سيئة
وهي ما كانت بخلاف الحسنة يكن له كفل منها اي نصيب من وزرها مساو لها في المقدار من غير ان ينقص منه شيء
وكان الله على كل شيء مقيتا اي مقتدرا من اقات على الشيء اذا اقتدر عليه او شهيدا حفيظا واشتقاقه من القوت فانه
يقوي البدن ويحفظه والجملة تذييل مقرر لما قبلها على كلا المعنيين واذا حييتم بتحية ترغيب في فرد شايع من افراد
الشفاعة الحسنة اثر ما رغب فيها على الاطلاق وحذر عما يقابلها من الشفاعة السيئة وارشاد الى توفية حق
الشفيع وكيفيته اداء فان تحية الاسلام من المسلم شفاعة منه لاخيه الى الله تعالى والتحية مصدر حيي اصلها
تحيية كتسمية من سمى واصل الاصل تحيي بثلاث يا ات فحذفت الاخيرة وعوض عنها تاء التانيث وادغمت الاولى
في الثانية بعد نقل حركتها الى الحاء قال الراغب اصل التحية بالحياة وطولها ثم استعملت في كل دعاء وكانت العرب
اذا لقي بعضهم بعضا يقول حياك الله ثم استعملها الشرع في السلام وهي تحية الاسلام وقال تعالى تحيتهم
فيها سلام وقال تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال فسلموا على انفسكم تحية من عند الله قالوا في السلام مزية على التحية
لما انه دعاء بالسلامة عن الافات الدينية والدنيوية وهي مستلزمة لطول الحيوة وليس في الدعاء بطول الحيوة ذلك
ولان السلام من اسمائه تعالى فالبداية بذكره مما لا ريب في فضله ومزيته اي اذا سلم عليكم من جهة المومنين
فحيوا باحسن منها اي بتحية احسن منها بان تقولوا وعليكم السلام ورحمة الله ان اقتصر المسلم على الاول وبان تزيدوا
وبركاته ان جمعهما المسلم وهي النهاية لانتظامها لجميع فنون المطالب التي هي السلامة عن المضار ونيل المنافع ودوامها
ونماؤها اوردوها اي اجيبوها بمثلها روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال
وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال الاخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني
فاين ما قال الله تعالى وتلا الاية فقال عليه السلام انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله وجواب
التسليم واجب وانما التخيير بين الزيادة وتركها وعن النخعي ان السلام سنة والرد فريضة وعن ابن عباس
رضي الله عنهما واجب وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس
وردت عليه الملائكة ولا يرد في الخطبة وتلاوة القران جهرا ورواية الحديث وعند دراسة العلم والاذان
والاقامة ولا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري في الحمام و
غيره وقالوا يسلم الرجل على امراته لا على الاجنبية والسنة ان يسلم الماشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب
الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والقليل على الكثير واذا التقيا ابتدرا وعن ابي حنيفة رضي الله عنه لا يجهر
بالرد يعني الجهر الكثير وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم اي وعليكم
ما قلتم حيث كان يقول بعضهم السام عليكم وروي لا تبدءوا اليهود بالسلام وان بدءوك فقل وعليك وعن
الحسن انه يجوز ان يقول للكافر وعليك السلام دون زيادة وقيل التحية بالاحسن عند كون المسلم مسلما
ورد مثلها عند كونه كافرا ان الله كان على كل شيء حسيبا فيحاسبكم على كل شيء من اعمالكم التي من جملتها ما امرتم
به من التحية فحافظوا على مراعاتها حسبما امرتم به الله لا اله الا هو مبتدا وخبر قوله تعالى ليجمعنكم الى يوم القيمة

جواب قسم

جواب قسم محذوف اي والله ليحشرنكم من قبوركم الى حساب يوم القيمة وقيل الى بمعنى في والجملة القسمية اما مستانفة
لا محل لها من الاعراب او خبر ثان للمبتدا او هي الخبر ولا اله الا هو اعتراض وقوله تعالى لا ريب فيه اي في يوم القيمة
او في الجمع حال من اليوم او صفة للمصدر اي جمعا لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا انكار لان يكون احد اصدق منه تعالى
في وعده وسائر اخباره وبيان لاستحالته كيف لا والكذب محال عليه سبحانه دون غيره فما لكم مبتدا وخبر
والاستفهام للانكار والنفي والخطاب لجميع المومنين لكن ما فيه من معنى التوبيخ متوجه الى بعضهم وقوله تعالى
في المنافقين متعلق اما بما يتعلق به الخبر اي اي شيء كائن لكم فيهم اي في امرهم وشانهم فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه لا بما يدل عليه قوله تعالى فئتين من معنى الافتراق اي فما لكم تفترقون في المنافقين واما بمحذوف
وقع حالا من فئتين اي كائنتين في المنافقين لانه في الاصل صفة فلما قدمت انتصبت حالا كما هو شان صفات
النكرات على الاطلاق او من الضمير في تفترقون وانتصاب فئتين عند البصريين على الحالية من المخاطبين والعامل فيها
لكم من معنى الفعل كما في قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين وعند الكوفيين على خبرية كان مضمرة اي فما لكم في
المنافقين كنتم فئتين والمراد انكار ان يكون للمخاطبين شيء مصحح لاختلافهم في امر المنافقين وبيان وجوب القول
بكفرهم واجرائهم مجرى المجاهرين بالكفر في جميع الاحكام وذكرهم بعنوان النفاق باعتبار وصف السابق روي انهم قوم
من المنافقين استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم
يزالوا راحلين مرحلة فمرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في امرهم وقيل هم قوم هاجروا من مكة الى المدينة
ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على دينك وما اخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق الى
بلدنا وقيل هم ناس اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
احد ثم رجعوا وياباه ما سياتي من هجرتهم غاية للنهي عن توليهم وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على السرح وقتلوا
راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرده ما سياتي من الايات الناطقة بكيفية المعاملة معهم من السلم والحرب
وهولاء قد اخذوا وقد فعل بهم ما فعل من المثلة والقتل ولم ينقل في امرهم اختلاف المسلمين والله اركسهم حال من المنافقين
مفيدة لتاكيد الانكار السابق واستبعاد وقوع المنكر ببيان وجود النافي بعد بيان عدم الداعي وقيل من ضمير المخاطبين
والرابط من الواو اي شيء يدعوكم الى الاختلاف في كفرهم مع تحقق ما يوجب اتفاقكم على كفرهم وان الله تعالى قد ردهم
في الكفر كما كانوا بما كسبوا بسبب ما كسبوه من الارتداد واللحوق بالمشركين والاحتيال على رسول الله صلى الله عليه وسلم
والعايد محذوف وقيل ما مصدرية اي بكسبهم وقيل معنى ركسهم نكسهم بان صيرهم للنار واصل الركس رد الشيء
مقلوبا وقرئ ركسهم مشددة وركسهم ايضا مخففا اتريدون ان تهدوا من اضل الله تجريد للخطاب وتخصيص له بالقائلين بايمانهم
من الفئتين وتوبيخ لهم على زعمهم ذلك واشعار بانه يودي الى محاولة المحال الذي هو هداية من اضله الله تعالى
وذلك لان الحكم بايمانهم وادعاء اهتدائهم وهم بمعزل من ذلك سعي في هدايتهم وارادة لها ووضع الموصول موضع
ضمير المنافقين لتشديد الانكار وتاكيد استحالة الهداية بما ذكر في حيز الصلة وتوجيه الانكار الى الارادة
لا الى متعلقها بان يقال اتهدون الى اخره للمبالغة في انكاره ببيان انه مما لا يمكن ارادته فضلا عن امكان
نفسه وحمل الهداية والاضلال على الحكم بهما ياباه قوله عز وجل ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا اي ومن قوله يخلق
فيه الضلال كائنا من كان فلن تجد له سبيلا من السبل فضلا عن ان تهديه وفيه من الافصاح عن كمال الاستحالة
ما ليس في قوله تعالى ومن يضلل الله فما له من هاد ونظائره وحمل اضلاله تعالى على حكمه وقضائه بالضلال
مخل بحسن المقابلة بين الشرط والجزاء وتوجيه الخطاب الى كل واحد من المخاطبين للاشعار بشمول عدم الوجدان للكل على
طريقة التفصيل والجملة اما حال من فاعل تريدون او تهدوا والرابط هو الواو واعتراض تذييلي مقرر للانكار السابق و
مؤكد لاستحالة الهداية فحينئذ يجوز ان يكون الخطاب لكل احد ممن يصلح له من المخاطبين اولا ومن غيرهم ودوا لو
تكفرون كلام مستانف مسوق لبيان غلوهم وتماديهم في الكفر وتصديهم لاضلال غيرهم اثر بيان كفرهم وضلالهم

في انفسهم وكلمة لو مصدرية غنية عن الجواب وهي مابعدها نصب على المفعولية اي ودوا ان تكفروا وقوله تعالى كما كفروا نصب على انه نعت لمصدر محذوف كفرا مثل كفرهم او حال من ضمير ذلك المصدر كما هو راي سيبويه وقوله تعالى فتكونون سواء عطف على تكفرون ادخل في حكمه اي ودوا ان تكفروا فتكونون سواء مستوين في الكفر والضلال وقيل كلمة لو على بابها وجوابها محذوف كمفعول ودوا والتقدير ودوا كفركم لو تكفرون كما كفروا لسروا بذلك فلا تتخذوا منهم اولياء الفاء جواب شرط محذوف وجمع اولياء المراعاة جمعية المخاطبين وليا واحدا منهم اي اذا كان حالهم ما ذكر من ودادة كفركم فلا توالوهم حتى يهاجروا في سبيل الله اي حتى يؤمنوا ويحققوا ايمانهم بالهجرة كائنة لله تعالى ورسوله عليه الصلوة والسلام لا لغرض من اغراض الدنيا فان تولوا اي عن الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة فخذوهم اذا قدرتم عليهم واقتلوهم حيث وجدتموهم من الحل والحرم فان حكمهم حكم سائر المشركين اسرا وقتلا ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا اي جانبوهم مجانبة كلية ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة ابدا الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله تعالى فخذوهم واقتلوهم اي الا الذين يتصلون وينتهون واما قوم عاهدوكم ولم تحاربوكم وهم الاسلميون كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت خروجه الى مكة قد وادع هلال بن الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال ولجا اليه فله من الجوار مثل الذي لهلال وقيل هم بنو بكر بن زيد مسناه وقيل هم خزاعة او جاؤكم عطف على الصلة اي والذي جاؤكم كافين من قتالكم وقتال قومهم استثناء من المامور باخذهم وقتلهم فريقان احدهما من ترك المحاربين ولحق بالمعاهدين والاخر من اتى المؤمنين وكف عن قتال الفريقين او على صفة قوم كانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او الى قوم كافين عن القتال لكم والقتال عليكم والاول هو الاظهر لما سياتي من قوله تعالى فان اعتزلوكم الى اخره فانه صريح في ان كفهم عن القتال احد سببي استحقاقهم لنفي التعرض لهم وقرا جاؤكم بغير عاطف على انه صفة بعد صفة او بيان ليصلون او استيناف حصرت صدورهم حال باضمار قد بدليل انه قد قرئ حصرة صدورهم وحصرات صدورهم وحاصرات صدورهم وقيل صفة لموصوف محذوف وهو حال من فاعل جاؤا اي جاؤكم قوما حصرت صدورهم وقيل هو بيان لجاؤكم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم اي عن يقاتلوكم او لان يقاتلوكم كرها وكراهة ان يقاتلوكم الى اخره ولو شاء الله لسلطهم عليكم جملة مبتداة جارية مجرى التعليل لاستثناء الطائفة الاخيرة من حكم الاخذ والقتل ونظمهم في سلك الطائفة الاولى الجارية مجرى المعاهدين مع عدم تعلقهم بنا ولا بمن عاهدونا كالطائفة الاولى اي ولو شاء الله لسلطهم عليكم ببسط صدورهم وتقوية قلوبهم وازالة الرعب عنها فلقاتلوكم عقيب ذلك ولم يكفوا عنكم واللام جواب لو على التكرير والابدال من الاولى وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد فان اعتزلوكم ولم يتعرضوا لكم فلم يقاتلوكم مع ما علمتم من تمكنهم من ذلك بمشية الله عز وجل والقوا اليكم السلم الانقياد والاستسلام وقرئ بسكون اللام فما جعل الله لكم عليهم سبيلا طريقا بالاسر وبالقتل فان مكافتهم عن قتالكم وان يقاتلوا قومهم ايضا والقاءهم اليكم السلم وان لم يعاهدوكم كافية في استحقاقهم لعدم تعرضهم جكم لهم ستجدون اخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم هم قوم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليامنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهدهم ليامنوا قومهم وقيل هم بنوا عبد الدار وكان ديدنهم ما ذكر كلما ردوا الى الفتنة اي دعوا الى الكفر وقتال المسلمين اركسوا فيها قلبوا فيها اقبح قلب واشنعه وكانوا فيها شرا من كل عدو وشرير فان لم يعتزلوكم بالكف عن التعرض لكم بوجه ما ويلقوا اليكم السلم بالكف عن التعرض اي لم يلقوا الصلح والعهد بل نبذوه اليكم ويكفوا ايديهم اي لم يكفوها عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم اي تمكنتم منهم واولئك الموصوفون بما عدد من الصفات القبيحة جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة في الايقاع بهم قتلا وسلبا لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر واضرارهم باهل الاسلام او تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم في اخذهم وقتلهم وما كان لمؤمن اي وما صح له ولا كان بحاله ان يقتل مؤمنا بغير حق فان الايمان زاجر عن ذلك

الاخطا

الا عفو ولا والتقدير وما كان لمومن ان يقتل مومنا عمدا ولا خطاء وقيل صح

الا خطأ فانه ربما يقع لعدم دخول الاحتراز عنه بالكلية تحت الطاقة البشرية وانتصابه اما على انه حال اي ما كان له ان يقتله لعلة من العلل الا للخطاء او على انه صفة للمصدر اي الا قتلا خطا وقيل ما كان نفي في معنى النهي والاستثناء منقطع اي لكن ان قتله خطاء فجزاؤه ما يذكر والخطا ما لا يضامه القصد الى الفعل او الى الشخص ولا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به محظور كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل باسلامه وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة روي ان عياش ابن ابي ربيعة وكان اخا ابي جهل لامه اسلم وهاجر الى المدينة خوفا من اهله وذلك قبل هجرة النبي صلى الله عليه فاقسمت امه لا تاكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحارث بن زيد بن ابي انيسة فاتياه وهو في اطم ففتل منه ابو جهل في الذروة والغارب وقال اليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر امك وانت على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فسحا من المدينة كتفاه وجلده كل واحد منهما مائة جلدة فقال للحارث هذا اخي فمن انت يا حارث قال ايش على ان وجدتك خاليا ان اقتلك وقدما به على امه فحلفت لا يحل كتافه او يرتد ففعل بلسانه ثم هاجر بعد ذلك واسلم الحارث وهاجر فلقيه العباس بظهر قبا ولم يشعر باسلامه فانحى عليه فقتله ثم اخبر باسلامه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قتلته ولم اشعر باسلامه فنزلت ومن قتل مؤمنا خطا فتحرير رقبة اي فعليه او فواجبه تحرير رقبة اي اعتاق نسمة عبر عنها كما يعبر عنه بالراس مؤمنة محكوم باسلامها وان كانت صغيرة ودية مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول الضحاك بن سفيان الكلابي كتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرني ان اورث امراة اشيم الضبابي من عقل زوجها الا ان يصدقوا اي يتصدق اهله عليه سمي العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وقرئ الا ان يتصدقوا وهو متعلق باهله او بمسلمة اي تجب الدية او يسلمها الى اهله الا وقت تصدقهم عليه فهو في محل النصب على الظرفية او الحال كونهم متصدقين عليه فهو حال من الاهل او القاتل فان كان اي المقتول من قوم عدو لكم كفار محاربين وهو مؤمن ولم يعلم به القاتل لكونه بين اظهر قومه بان اسلم فيما بينهم ولم يفارقهم او بان اتاهم بعد ما فارقهم لمهم من المهمات فتحرير رقبة مؤمنة اي فعلى قاتله الكفارة دون الدية اذ لا وراثة بينه وبين اهله لانهم محاربون وان كان اي المقتول المؤمن من قوم كفرة اي عهد موقت او مؤبد فدية اي فعلى قاتله دية مسلمة الى اهله من اهل الاسلام ان وجد ولعل تقديمها هنا مع تاخيرها فيما سلف للاشعار بالمسارعة الى تسليم الدية تحاشيا عن توهم نقض الميثاق وتحرير رقبة مؤمنة كما هو حكم سائر المسلمين ولعل افراده بالذكر مع اندراجه في حكم ما سبق من قوله تعالى ومن قتل مؤمنا الى اخره لبيان ان كونه فيما بين المعاهدين لا يمنع وجوب الدية كما منعه كونه فيما بين المحاربين وقيل المراد بالمقتول الذمي او المعاهد لئلا يلزم التكرار بلا فائدة ولا التوريث بين الكافر والمسلم وقد عرفت لزومها فمن لم يجد اي رقبة ليحررها بان لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها من الثمن فصيام شهرين متتابعين لم يتخلل بين يومين من ايامهما افطار توبة نصب على انه مفعول له اي شرع لكم ذلك توبة اي قبولا لها من تاب الله عليه اذا قبل توبته او مصدر مؤكد لفعل محذوف اي تاب عليكم توبة وقيل على انه حال من الضمير المجرور في عليه بحذف المضاف اي فعليه صيام شهرين ذا توبة وقوله تعالى من الله متعلق بمحذوف وقع صفة توبة اي كائنة منه تعالى وكان الله عليما بجميع الاشياء التي من جملتها حاله حكيما في كل ما شرع وقضى من الشرائع والاحكام التي من جملتها ما شرعه في شانه ومن يقتل مؤمنا متعمدا لما بين حكم القتل خطا وفصل اقسامه الثلثة عقب ذلك ببيان القتل عمدا في خلا ان حكمه الدنيوي لما بين في سورة البقرة اقتصر هنا على حكم الاخروي روي ان مقيس بن صبابة الكناني وقد اسلم هو واخوه هشام فوجد اخاه قتيلا في بني النجار فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر له القصة فارسل النبي عليه الصلوة والسلام معه الزبير بن عياض الفهري وكان من اصحاب بدر الى بني النجار يامرهم بتسليم القاتل الى مقيس ليقتص منه ان علموه وباداء الدية ان لم يعلموه فقالوا سمعا وطاعة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم

ما نعلم له قاتلا ولكننا نودي ديته فاتوه بمائة من الابل فانصرفا راجعين الى المدينة حتى اذا كانا ببعض الطريق اتى
الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال اتقبل دية اخيك فيكون سبة عليك اقتل الذي معك فيكون نفسا بنفس
وفضل الدية ففعل الفهري فرماه بصخرة فشدخه ثم ركب بعيرا من الابل وساق بقيتها راجعا الى مكة كافرا وهو
يقول ٭ قتلت به فهرا وحملت عقله ٭ سراة بني النجار اصحاب فارع ٭ وادركت ثاري واضطجعت موسدا ٭ وكنت الى
الاوثان اول راجع ٭ فنزلت وهو الذي استثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ممن امنه فقتل وهو
متعلق باستار الكعبة وقوله تعالى متعمدا حال من فاعل يقتل وروي عن الكسائي سكون التاء كانه فر من توالي
الحركات فجزاؤه الذي يستحقه بجنايته جهنم خالدا فيها حال مقدرة من فاعل فعل مقدر يقتضيه المقام كانه
قيل فجزاؤه جهنم يدخلها خالدا فيها وقيل هو حال من ضمير يجزيها وقيل من مفعول جازاه وايد ذلك بانه انسب بعطف
ما بعده عليه لموافقته له صيغة ولا يخفى ان ما تقدم للحال او للعطف عليه حقه ان يكون مما يقتضيه المقام
اقتضاء ظاهرا او يدل عليه الكلام دلالة بينة وظاهر ان كون جزائه ما ذكر وقوع الجزاء البتة كما ستقف عليه حتى
يقدر يجزاها اذ جازاه بطريق الاخبار عن وقوعه واما قوله تعالى وغضب الله عليه فعطف على مقدر يدل عليه الشرطية
دلالة واضحة كانه قيل بطريق الاستيناف تقريرا وتاكيدا لمضمونها حكم الله بان جزاءه ذلك وغضب عليه اي
انتقم منه ولعنه اي ابعده من الرحمة بجعل جزائه ما ذكر وقيل هو وما بعده معطوف على الخبر بتقدير ان
وحمل الماضي على معنى المستقبل كما في قوله تعالى ونفخ في الصور ونظائره اي فجزاؤه جهنم وان يغضب الله عليه
الى اخره واعد له في جهنم عذابا عظيما لا يقادر قدره ولما جرى في الاية الكريمة من التهديد والتشديد والوعيد الاكيد
وفنون الابراق والارعاد وقد تاديت بما روي من الاخبار الشداد كقوله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي
بيده لزوال الدنيا اهون عند الله من قتل مؤمن وقوله عليه الصلوة والسلام لو ان رجلا قتل بالمشرق واخر
رضي بالمغرب لاشرك في دمه وقوله عليه الصلوة والسلام من اعان على قتل بشطر كلمة جاء يوم القيمة مكتوب
بين عينيه آيس من رحمة الله ونحو ذلك من القوارع تمسكت الخوارج والمعتزلة بها في خلود من قتل
المؤمن عمدا في النار ولا تمسك لهم فيها لا لما قيل من انها في حق المستحل كما هو راي عكرمة واضرابه بدليل
انها نزلت في مقيس بن ضبابة الكناني المرتد حسبما مرت حكايته فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص
السبب بل لان المراد بالخلود هو المكث الطويل لا الدوام لتظاهر النصوص الناطقة بان عصاة المؤمنين
لا يدوم عذابهم وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه لا توبة لقاتل المؤمن عمدا وكذا ما روي عن سفيان
ان اهل العلم كانوا اذا سئلوا قالوا لا توبة له محمول على الاقتداء بسنة الله تعالى في التشديد والتغليظ و
عليه يحمل ما روي عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ابى الله ان يجعل لقاتل المؤمن توبة كيف لا وقد روي عن ابن
عباس رضي الله عنهما ان رجلا ساله القاتل المؤمن توبة قال لا وساله آخر القاتل المؤمن توبة قال نعم قيل له قلت
لذلك كذا ولهذا كذا قال كان الاول لم يقتل بعد فقلت ما قلت كيلا يقتل وكان هذا قد قتل فقلت له ما قلت
لئلا ييأس وقد روي عنه جواز المغفرة بلا توبة ايضا حيث قال في قوله تعالى فجزاؤه جهنم الاية هي جزاؤه فان شاء
عذبه وان شاء غفر له وروي مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هو جزاؤه ان جازاه وبه قال عون بن عبد الله
وابن صالح قالوا قد يقول الانسان لمن يزجره عن امر ان فعلته فجزاؤك القتل والضرب ثم ان لم يجازه بذلك لم يكن
ذلك منه كذبا قال الواحدي والاصل في ذلك ان الله عز وجل يجوز ان يخلف الوعيد وان امتنع ان يخلف الوعد
بهذا وردت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث انس رضي الله عنه انه عليه الصلاة والسلام قال من
وعده الله على عمله ثوابا فهو منجزه له ومن اوعده على عمله عقابا فهو بالخيار والتحقيق انه لا ضرورة الى تفريع ما
نحن فيه على الاصل المذكور لانه اخبار منه تعالى بان جزاءه ذلك لا بانه يجزيه بذلك كيف لا وقد قال الله عز وجل وجزاء
سيئة سيئة مثلها ولو كان هذا اخبارا بانه تعالى يجزي كل سيئة بمثلها لعارض قوله تعالى ويعفو عن كثير يا ايها الذين امنوا

لآية

اثر ما بين حكم القتل بقسميه وان يتصور صدوره عن المؤمن انما هو القتل خطأ شرع في التحذير عما يؤدي اليه من قلة المبالاة
في الامور اذا ضربتم في سبيل الله اي سافرتم للغزو ولما في اذا من معنى الشرط صدر قوله تعالى فتبينوا بالفاء اي
فاطلبوا بيان الامر في كل ما تأتون وما تذرون ولا تعجلوا فيه بغير تدبر وروية وقرئ فتثبتوا اي اطلبوا اثبات وقوله
عز وجل ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم نهي عما هو نتيجة لترك المامور به وتعيين لمادة مهمة من المواد التي يجب فيها
وقرئ السلم بغير الف وبكسر السين وسكون اللام اي لا تقولوا بغير تامل لمن حياكم بتحية الاسلام او لمن القى اليكم مقاليد
الاستسلام والانقياد لست مؤمنا وانما اظهرت ما اظهرت متعوذا بل اقبلوا منه ما اظهره وعاملوه بموجبه وقرئ مؤمنا
بالفتح اي مبذولا لك الامان وهذا انسب بالقراءتين الاخيرتين والاقتصار على ذكر تحية الاسلام في القراءة الاولى مع
كونها مقرونة بكلمتي الشهادة كما سيأتي في سبب النزول للمبالغة في النهي والتنبيه على كمال ظهور خطائهم لبيان
ان تحية الاسلام كانت كافية في المكافة والانزجار عن التعرض لصاحبها فكيف وهي مقرونة بهما وقوله تعالى تبتغون
عرض الحيوة الدنيا حال من فاعل لا تقولوا منبئ عما يحملهم على العجلة وترك التاني لكن لا على ان يكون النهي راجعا الى القيد
فقط كما في قولك لا تطلب العلم تبتغي به الجاه بل اليهما جميعا اي لا تقولوا له ذلك حال كونكم طالبين لماله الذي
هو حطام سريع النفاد وقوله تعالى فعند الله مغانم كثيرة تعليل للنهي عن ابتغاء ماله بما فيه من الوعد الضمني كانه
قيل لا تبتغوا ماله فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها فيغنيكم عن ارتكاب ما ارتكبتموه وقوله تعالى كذلك كنتم من
قبل فمن الله عليكم تعليل للنهي عن القول المذكور ولعل تاخيره لما فيه نوع تفصيل ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف
النظم الكريم مع ما فيه من مراعاة المقارنة بين التعليل السابق وبين ما علل به كما في قوله تعالى يوم تبيض وجوه
وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم الى اخره وتقديم خبر كان للقصر المفيد لتاكيد المشابهة بين طرفي
التشبيه وذلك اشارة الى الموصوف باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة والفاء في فمن للعطف على كنتم اي مثل
ذلك الذي القى اليكم السلام كنتم انتم ايضا في مبادي اسلامكم لا يظهر منكم للناس غير ما ظهر منه لكم من تحية
الاسلام ونحوها فمن الله عليكم بان قبل منكم تلك المرتبة وعصم بها دماءكم واموالكم ولم يامر بالتفحص عن سرائركم
والفاء في قوله تعالى فتبينوا فصيحة اي اذا كان الامر كذلك فاطلبوا بيان هذا الامر البين وقيسوا حاله
بحالكم وافعلوا به ما فعل بكم في اوايل اموركم من قبول ظاهر الحال من غير وقوف على تواطئ الظاهر والباطن هذا
هو الذي يقتضيه جزالة التنزيل ٭ ويستدعيه فخامة شانه الجليل ٭ ومن حسب ان المعنى اول ما دخلتم في
الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطاة قلوبكم
لالسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة وبالاشتهار والتقدم فيه وان صرتم اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين
في الاسلام كما فعل بكم وان تعتبروا ظاهر الاسلام في المكافاة ولا تقولوا ان تقدما بعد عن الحق لان المراد كما عرفت
بيان ان تخصيص الدماء والاموال حكم مترتب على ما فيه المماثلة بينه وبينهم من مجرد التفوه بكلمة الشهادة و
اظهار ان ترتيبه عليه في حقهم يقتضي ترتبه عليه في حقه ايضا الزاما لهم واظهارا لخطائهم ولا يخفى
ان ذلك انما يتاتى بتيسر منه تعالى عليهم المترتب على كونهم مثله بتحصين دمائهم واموالهم حسبما ذكر حتى يظهر عندهم
وجوب تحصين دمه وماله ايضا لحكم المشاركة فيما يوجبه وحيث لم يفعل ذلك بل فسر بما فسر به لم يبق في
النظم الكريم ما يدل على ترتب تحصين دمائهم واموالهم على ما ذكر فمن اين له ان يقول فحصنت دماءكم
واموالكم حتى يتاتى البيان وارتكاب تقدير بناء على اقتضاء ما ذكر في تفسير المن اياه بناء على اساس واه
كيف لا وان ما ذكره بصدد التفسير وان كان امرا متفرعا على ما فيه المماثلة مبنيا عليه في حقهم لكنه ليس بحكم
اريد اثباته في حقه بناء على ثبوته في حقهم كالتحصين المذكور حتى يستحق ان يتعرض ولا يامر له دخل في وجوب
اعتبار ظاهر الاسلام من داخليه فيه حتى يصح نظمه في سلك ما فرع عليه قوله فعليكم ان تفعلوا الى اخره و
حمل الكلام على معنى انكم في اول الامر كنتم مثله في قصور الرتبة في الاسلام فمن الله عليكم وبلغكم هذه المرتبة

الاشتهار صح

العالية منه فلا تستقصروا حالته نظرا الى حالتكم هذه بل اعتدوا بها نظرا الى حالتكم السابقة برده ان قتله لم يكن لاستقصاد
اسلامه بل لتوهم عدم مطابقة قلبه للسانه فان الاية الكريمة نزلت في شان مرداس بن نهيك من اهل فدك وكان قد اسلم
ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم غالب بن فضالة الليثي فهربوا الا مرداس لثقته باسلامه
فلما راى الخيل الجا غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله
السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد واستاق غنمه فاخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه
ارادة ما معه فقال اسامة انه قال بلسانه دون قلبه وفي رواية انما قالها خوفا من السلاح فقال عليه السلام هلا
شققت عن قلبه وفي رواية افلا شققت عن قلبه ثم قرا الاية على اسامة فقال يا رسول الله استغفر لي فقال فكيف فقال
بلا اله الا الله قال اسامة فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيدها حتى وددت ان لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر لي
وقال اعتق رقبة **وقيل** نزلت في رجل قال يا رسول الله كما تطلب القوم وقد هزمهم الله فقصدت رجلا فلما احس بالسيف
قال اني مسلم فقتلته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلت مسلما قال انه كان متعوذا **فقال** عليه السلام افلا شققت
عن قلبه **ان الله كان بما تعملون** من الاعمال الظاهرة والخفية وبكيفياتها **خبيرا** فيجازيكم بحسبها ان خيرا فخير وان شرا فشر
فلا تتهافتوا في القتل واحتاطوا فيه والجملة تعليل لما قبلها بطريق الاستيناف **وقرئ** بفتح ان على انها معمولة لتبينوا
وعلى حذف لام التعليل **لا يستوي القاعدون** بيان لتفاوت طبقات المؤمنين بحسب تفاوت درجات مساعيهم في الجهاد
بعدما مر من الامر به وتحريض المؤمنين عليه ليأنف القاعد عنه ويترفع بنفسه عن انحطاط رتبته فيهتز له رغبة في ارتفاع
طبقته والمراد بهم الذين اذن لهم في القعود عن الجهاد اكتفاء بغيرهم **قال** ابن عباس رضي الله عنه هم القاعدون
عن بدر والخارجون اليها وهو الظاهر الموافق لتاريخ النزول لما روي عن مقاتل من انهم الخارجون الى تبوك فانه مما لا
يوافقه التاريخ ولا يساعده الحال اذ لم يكن للمتخلفين يومئذ هذه الرخصة وقوله تعالى **من المؤمنين** متعلق بمحذوف
وقع حالا من القاعدين اي كائنين من المؤمنين وفائدته الايذان من اول الامر بعدم اخلال وصف القعود بايمانهم
والاشعار بعلة استحقاقهم لما سيأتي من الحسنى **غير اولي الضرر** بالرفع صفة للقاعدون لجريانه مجرى النكرة حيث لم
يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه **وقرئ** بالنصب على انه حال منه او استثناء وبالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل
منه والضرر المرض والعاهة من عمى او عرج او زمانة او نحوها وفي معناه العجز عن الاهبة **عن** زيد بن ثابت رضي الله
عنه انه قال كنت الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان
ترضها ثم سري عنه فقال اكتب فكتبت لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال ابن ام مكتوم وكان
اعمى يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك ثم سري عنه فقال اكتب
لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر **والمجاهدون** ايرادهم بهذا العنوان دون الخروج المقابل
لوصف المعطوف عليه كما وقع في عبارة ابن عباس رضي الله عنهما وكذا تقييد المجاهدة بكونها **في سبيل الله باموالهم
وانفسهم** لمدحهم بذلك والاشعار بعلة استحقاقهم لعلو الرتبة مع ما فيه من حسن موقع السبيل
في مقابلة القعود وتقديم القاعدين في الذكر للايذان من اول الامر بان القصور الذي ينبئ عنه عدم الاستواء
من جهتهم لا من جهة مقابليهم فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا
وان جاز اعتباره هل يستوي الاعمى والبصير ام هل يستوي الظلمات والنور الى غير ذلك واما قوله تعالى بحسب قصور
القاصر وعليه قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لان صلته ملكة لصلة
المفضول وقوله عز وجل **فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة** استيناف مسوق لتفصيل ما بين الفريقين
من التفاضل المفهوم من ذكر عدم استوائهما اجمالا ببيان كيفيته وكميته مبني على سؤال ينساق اليه المقال كانه
قيل كيف وقع ذلك فقيل فضل الله الى آخره واما تقدير ما هم لا يستوون فانما يليق بجعل الاستيناف تعليلا لعدم
الاستواء مسوقا لاثباته وفيه تعكيس ظاهر فان الذي يحق ان يكون مقصودا بالذات انما هو بيان تفاضل الفريقين

علي درجات متفاوتة واما عدم استوائهما فقصارى امره ان يكون توطية لذكره ولام المجاهدين والقاعدين للعهد
فقيد كون الجهاد في سبيل الله معتبر في الاول كما ان قيد عدم الضرر معتبر في الثاني ودرجة نصب على المصدرية لوقوعها
موقع المرة من التفضيل اي فضل الله تفضيلة او على نزع الخافض اي بدرجة **وقيل** على التمييز **وقيل** على الحالية
من المجاهدين اي ذوي درجة وتنوينها للتفخيم وقوله تعالى **وكلا** مفعول اول لما بعده قدم عليه لافادة القصر
تاكيدا للوعد اي كل واحد من المجاهدين والقاعدين **وعد الله الحسنى** اي المثوبة الحسنى وهي الجنة لا احدهما فقط
كما في قوله تعالى وارسلناك للناس رسولا على ان اللام متعلقة برسولا والجملة اعتراض جيء به تداركا لما عسى يوهمه
تفضيل الفريقين على الاخر من حرمان المفضول وقوله عز وجل **وفضل الله المجاهدين على القاعدين** عطف على قوله تعالى فضل الله الى
آخره واللام في الفريقين معينة لهما عن ذكر القيود التي تركت على سبيل التدريج وقوله تعالى **اجرا عظيما** مصدر مؤكد
لفضل على انه بمعنى آجر وايثاره على ما هو مصدر من فعله للاشعار بكون ذلك التفضيل اجرا لاعمالهم او مفعول
ثان له بتضمينه معنى الاعطاء اي اعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما **وقيل** انه منصوب بنزع الخافض اي
فضلهم باجر وقوله تعالى **درجات** بدل من اجرا بدل الكل مبين لكمية التفضيل وقوله تعالى **منه** متعلق بمحذوف
وقع صفة لدرجات دالة على فخامتها وجلالة قدرها اي درجات كائنة منه تعالى قال ابن محيريز هي سبعون
درجة ما بين كل درجتين عدو الفرس الجواد المضمر سبعين خريفا **قال** السدي هي سبعمائة درجة **وعن** ابي هريرة
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة مائة درجة اعدها الله تعالى للمجاهدين في سبيله بين
الدرجتين ما بين السماء والارض ويجوز ان يكون انتصاب درجات على المصدرية كما في قولك ضربته اسواطا اي
ضربات كانه قيل فضلهم تفضيلات وقوله تعالى **ومغفرة** بدل من اجرا بدل البعض لان بعض الاجر ليس من باب
المغفرة اي مغفرة لما يفرط منهم من الذنوب التي لا يكفرها سائر الحسنات التي يأتي بها القاعدون ايضا حتى تعد
من خصائصهم وقوله تعالى **ورحمة** بدل الكل من اجرا مثل درجات ويجوز ان يكون انتصابهما باضمار فعلهما اي غفر لهم
مغفرة ورحمهم رحمة هذا ولعل تكرير التفضيل بطريق العطف المبني عن المغايرة وتقييده تارة بدرجة واخرى
بدرجات مع اتحاد المفضل والمفضل عليه حسبما يقتضيه الكلام ويستدعيه حسن الانتظام اما التنزيل للاختلاف
العنواني بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات منزلة الاختلاف الذاتي تمهيدا لسلوك طريقة الابهام
ثم التفسير روما لمزيد التحقيق والتقرير كما في قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا
ونجيناهم من عذاب غليظ كانه **وقيل** فضل الله المجاهدين على القاعدين درجة لا يقادر قدرها ولا يبلغ كنهها
وحيث كان تحقق هذا التباين البعيد بينهما موهما لحرمان القاعدين **وقيل** وكلا وعد الله الحسنى ثم اريد تفسير
ما افاده التنكير بطريق الابهام بحيث يقطع احتمال كونه للوحدة فقيل ما قيل ولله در شان التنزيل واما
للاختلاف بالذات بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات على ان المراد بالتفضيل الاول ما خولهم الله تعالى عاجلا
في الدنيا من الغنيمة والظفر والذكر الجميل الحقيق بكونه درجة واحدة وبالتفضيل الثاني ما انعم به في الآخرة
من الدرجات العالية الفائتة للحصر كما ينبئ عنه تقديم الاول وتاخير الثاني وتوسيط الوعد بالجنة بينهما
كانه قيل فضلهم عليهم في الدنيا درجة واحدة وفي الآخرة درجات لا تحصى وقد وسط بينهما في الذكر ما هو متوسط
بينهما في الوجود اعني الوعد بالجنة توضيحا لحالهما ومسارعة الى تسلية المفضول والله سبحانه اعلم هذا
ما بين المجاهدين وبين القاعدين غير اولي الضرر واما اولوا الضرر فهم مساوون للمجاهدين عند القائلين
بمفهوم الصفة وبان الاستثناء من النفي اثبات واما عند من لا يقول بذلك فلا دلالة لعبارة النص عليه وقد
روي **عن** رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد خلفتم في المدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا
معكم وهم الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت افئدتهم تهوي الى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر
او غيره وبعبارة اخرى ان في المدينة لاقواما ما سرتم من مسير ولا قطعتم من واد الا كانوا معكم فيه قالوا يا رسول

وهم بالمدينة قال نعم وهم بالمدينة حبسهم العذر قالوا هذه المساواة مشروطة بشريطة اخرى سوى الضرر قد ذكرت
في قوله تعالى ليس على الضعفاء ولا على المرضى الى قوله تعالى اذا نصحوا لله ولرسوله **وقيل** القاعدون الاول هم الاضراء
والثاني غيرهم وفيه من تفكيك النظم الكريم ما لا يخفى ولا ريب في ان الاضراء افضل من غيرهم درجة كما لا ريب في انهم
دون المجاهدين بحسب الدرجة الدنيوية **وكان الله غفورا رحيما** تذييل مقرر لما وعد من المغفرة والرحمة **ان الذين**
توفاهم الملئكة بيان لحال القاعدين عن الهجرة اثر بيان حال القاعدين عن الجهاد وتوفيهم يحتمل ان يكون ماضيا ويؤيده
قراءة من قرأ توفتهم وان يكون مضارعا قد حذف منه احدى التائين واصله تتوفيهم على حكاية الحال الماضية
والقصد الى استحضار صورتها ويعضده قراءة من قرأ توفيهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله تعالى يوفي الملائكة
انفسهم فيتوفونها اى يمكنهم من استيفائها فيستوفونها **ظالمي انفسهم** حال من ضمير توفاهم فانه وان كان مضافا
الى المعرفة الا انه نكرة في الحقيقة لان المعنى على الانفصال وان كان موصولا في اللفظ كما في قوله تعالى غير محلي الصيد
وهديا بالغ الكعبة وثاني عطفه اي محلين الصيد وبالغا الكعبة وثانيا عطفه كانه قيل ظالمين انفسهم وذلك
بترك الهجرة واختيار مجاورة الكفرة الموجبة للاخلال بامور الدين فانها نزلت في ناس من مكة قد اسلموا ولم يهاجروا
حين كانت الهجرة فريضة **قالوا** اي الملئكة عليهم السلام للمتوفين تقريرا لهم بتقصيرهم في اظهار اسلامهم
واقامة احكامه من الصلوة ونحوها وتوبيخا لهم بذلك **فيم كنتم** اي في اي شيء كنتم من امور دينكم **قالوا** استيناف
مبني على سوال نشأ من حكاية سوال الملائكة كانه قيل فماذا قالوا في الجواب فقيل قالوا متجانفين عن الاقرار الصريح
بما هم فيه من التقصير متعللين بما يوجبه على زعمهم **كنا مستضعفين في الارض** اي في ارض مكة عاجزين عن القيام
بمواجب الدين فيما بين اهلها قالوا ابطالا لتعللهم وتبكيتا لهم **الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها** الى قطر
آخر منها تقدرون فيه على اقامة امور الدين كما فعله من هاجر الى المدينة والحبشة واما حمل تعللهم على اظهار
العجز عن الهجرة وجعل جواب الملائكة تكذيبا لهم وردا عليهم بل لا بد من بيان استطاعتهم ايضا حتى يتم التبكيت وقيل
كانت الطائفة المذكورة قد خرجوا مع المشركين الى بدر منهم قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة
واشباههما فقتلوا فيها فضربت الملائكة وجوههم وادبارهم وقالوا لهم ما قالوا فيكون قيل ذلك منهم تقريعا
وتوبيخا لهم بما كانوا فيه من مساعدة الكفرة بانتظامهم في عسكرهم ويكون جوابهم بالاستضعاف تعللا بانهم كانوا مقهورين
تحت ايديهم وانهم اخرجوهم كارهين فرد عليهم بانهم كانوا بسبيل من الخلاص عن قهرهم متمكنين من المهاجرة **فاولئك** الذين حكيت
احوالهم الفظيعة **ماويهم** اي في الآخرة **جهنم** كما ان ماويهم في الدنيا دار الكفر لتركهم الفريضة المحتومة فما واهم مبتدأ
وجهنم خبره والجملة خبر لاولئك وهذه الجملة خبر ان والفاء فيه لتضمن اسمها معنى الشرط وقوله تعالى فيم كنتم حال من
الملئكة باضمار قد عند من يشترطه او هو الخبر والعائد منه محذوف اى قالوا لهم والجملة المصدرة بالفاء معطوفة
عليه مستنتجة منه ومما في حيزه من قوله تعالى قالوا كنا الى آخره وقوله تعالى **وساءت مصيرا** اى مصيرهم جهنم وفي الاية
الكريمة ارشاد الى وجوب المهاجرة من موضع لا يتمكن الرجل من اقامة امور دينه باي سبب كان **وعن** النبي عليه الصلوة
والسلام من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجب له الجنة وكان رفيق ابيه ابرهيم ونبيه محمد عليهما
الصلوة والسلام **الا المستضعفين** استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والاشارة اليه ومن في قوله تعالى
من الرجال والنساء والولدان متعلقة بمحذوف وقع حالا من المستضعفين اي كائنين منهم وذكر الولدان ان اريد بهم المماليك
والمراهقون ظاهر واما ان اريد بهم الاطفال فللمبالغة في امر الهجرة وايهام انها بحيث لو استطاعها غير المكلفين
لوجبت عليهم والاشعار بانه لا محيص لهم عنها البتة يجب عليهم كانهم بلغوا حتى كانها واجبة عليهم قبل البلوغ لو استطاعوا
وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت وقوله تعالى **لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا** صفة للمستضعفين
فان ما فيه من اللام ليس للتعريف او حال منه او من الضمير المستكن فيه **وقيل** تفسير لنفس المستضعفين لكثرة
وجوه الاستضعاف واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة ومباديها واهتداء السبيل معرفة طريق الموضع المهاجر

اليه بنفسه او بدليل **فاولئك** اشارة الى المستضعفين بما ذكر من صفات العجز **عسى الله ان يعفو عنهم** جيء بكلمة الاطماع
ولفظ العفو ايذانا بان الهجرة من تاكيد الوجوب بحيث ينبغي ان يعد تركها ممن تحقق عدم وجوبها عليه ذنبا
يجب طلب العفو عنه رجاء وطمعا لا جزما وقطعا **وكان الله عفوا غفورا** تذييل مقرر لما قبله **ومن يهاجر في سبيل الله**
يجد في الارض مراغما كثيرا ترغيب في المهاجرة وتأنيس لها اي يجد فيها متحولا ومهاجرا وانما عبر عنه بذلك تأكيدا للترغيب
لما فيه من الاشعار بكون ذلك المتحول بحيث يصل فيه المهاجر من الخير والنعمة الى ما يكون سببا لرغم انف قومه
الذين هاجرهم والرغم الذل والهوان واصله لرغم انف قومه والرغم الانف بالرغام وهو التراب **وقيل** يجد
فيها طريقا يراغم بسلوكه قومه بمفارقتهم على رغم انوفهم **وسعة** اي من الرزق **ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله**
ورسوله ثم يدركه الموت اي قبل ان يصل الى المقصد وان كان ذلك خارج بابه كما ينبئ عنه ايثار الخروج من بيته على
المهاجرين وهو عطف على فعل الشرط وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف **وقيل** هو حركة الهاء الى الكاف
على نية الوقف كما في قوله من عنزي سبني لم اضربه وقرئ بالنصب على اضمار ان كان في قوله والحق بالحجاز فاستريحا
فقد وقع اجره على الله اي ثبت ذلك عنده تعالى ثبوت الامر الواجب **روي** ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما بعث بالايات المتقدمة الى مسلمي مكة قال جندب بن ضمرة لبنيه وكان شيخا كبيرا احملوني فاني لست
من المستضعفين واني لا اهتدي الطريق والله لا ابيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها الى المدينة
فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على
ما بايعك رسولك فمات حميدا فبلغ خبره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لو توفي بالمدينة لكان اتم اجرا
فنزلت قالوا كل هجرة في غرض ديني من طلب علم او حج او جهاد او نحو ذلك فهي هجرة الى الله عز وجل والى رسوله
صلى الله عليه وسلم **وكان الله غفورا** مبالغا في المغفرة فيغفر له ما فرط منه من الذنوب التي من جملتها القعود
عن الهجرة الى وقت الخروج **رحيما** مبالغا في الرحمة فيرحمه باكمال ثواب هجرته **واذا ضربتم في الارض** شروع في بيان
كيفية الصلوة عند الضرورات من السفر ولقاء العدو والمطر والمرض وفيه تاكيد لعزيمة المهاجر على المهاجرة
وترغيب له فيها لما فيه من تخفيف المؤنة اي اذا سافرتم اي مسافرة كانت ولذلك لم يقيد بما قيد به المهاجرة **فليس**
عليكم جناح اي حرج ومأثم **ان تقصروا** اي في ان تقصروا والقصر خلاف المد يقال قصرت الشيء اذا جعلته قصيرا
بحذف اجزائه او اوصافه فمتعلق القصر حقيقة انما هو ذلك الشيء لا بعضه فانه متعلق الحذف دون القصر
وعلى هذا فقوله تعالى **من الصلوة** ينبغي ان يكون مفعولا لتقصروا على زيادة من حسبما رآه الاخفش واما على تقدير
ان تكون تبعيضية ويكون المفعول محذوفا كما هو رأي سيبويه اي شيئا من الصلوة فينبغي ان يصار الى
وصف الجزء بصفة الكل او يراد بالقصر معنى الحبس يقال قصرت الشيء اذا حبسته او يراد بالصلوة الجنس
ليكون المقصود بعضا منها وهي الرباعيات اي فليس عليكم جناح في ان تقصروا بعض الصلوة بتنصيفها
وقرئ تقصروا من الاقصار وتقصروا من التقصير والكل بمعنى وادنى مدة السفر الذي يتعلق به القصر عند
ابي حنيفة رحمه الله مسيرة ثلثة ايام ولياليها بسير الابل ومشي الاقدام بالاقتصاد وعند الشافعي رحمه الله
مسيرة يومين وظاهر الاية الكريمة التخيير وافضلية الاتمام وبه تعلق الشافعي رحمه الله وبما روي عن النبي
عليه الصلوة والسلام انه اتم في السفر **وعن عايشة** رضي الله عنها انها اتمت تارة وقصرت اخرى وعن
عثمان رضي الله عنه انه كان يتم ويقصر وعندنا يجب القصر لا محالة خلا ان بعض مشايخنا سماه عزيمة و
بعضهم رخصة اسقاط بحيث لا مساغ للاتمام لا رخصة ترفيه اذ لا معنى للتخيير بين الاخف والاثقل وهو
قول عمر وعلي وابن عباس وابن عمر وجابر رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وبه قال الحسن وعمر بن عبد العزيز
وقتادة وهو قول مالك وهو مروي عن عمر رضي الله عنه صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر وعلى لسان نبيكم
عليه الصلوة والسلام وعن انس خرجنا مع النبي عليه الصلوة والسلام من المدينة الى مكة فكان يصلي

اصحاب

بيان مفعوله

ركعتين ركعتين حتى رجعنا الى المدينة وعن عمران بن حصين ما رايت النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في السفر الا
الا ركعتين وصلى بمكة ركعتين ثم قال اتموا فانا قوم سفر وحين سمع ابن مسعود ان عثمان رضي الله تعالى عنه
صلى بمنى اربع ركعات استرجع ثم قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ركعتين وصليت مع ابي بكر
رضي الله عنه بمنى ركعتين وصليت مع عمر رضي الله عنه بمنى ركعتين فليت حظي من اربع ركعات ركعتان متقبلتان
وقد اعتذر عثمان رضي الله عنه عن اتمامه انه تاهل بمكة **وعن الزهري** انه انما اتم لانه ازمع الاقامة بمكة وعن
عايشة رضي الله عنها اول ما فرضت الصلوة ركعتين ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر وفي صحيح البخاري
انما قالت فرض الله الصلوة ركعتين ركعتين في الحضر والسفر فاقرت صلوة السفر وزيد في الصلوة الحضر **واما
ما روي** من الاتمام فقد اعتذرت عنه وقالت انا ام المومنين فحيث حللت فهي داري وانما ورد ذلك بنفي الجناح
لما انهم الفوا الاتمام فكانوا مظنة ان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا في القصر فصرح بنفي الجناح عنهم ليطيب به نفوسهم ويطمئنوا
اليه كما في قوله تعالى فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما مع ان ذلك الطواف واجب عندنا وركن عند
الشافعي رحمه الله وقوله تعالى **ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا** جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان خفتم ان يتعرضوا
لكم بما تكرهونه من القتال وغيره فليس عليكم جناح الى آخره وهو شرط معتبر في شرعية ما يذكر بعده من صلوة الخوف
المودات بالجماعة واما في حق مطلق القصر فلا اعتبار له اتفاقا لتظاهر السنن على مشروعيتها حسبما وقفت
على تفاصيلها وقد ذكر الطحاوي في شرح الآثار مسندا الى يعلى بن امية انه قال قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه
انما قال الله فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا وقد امن الناس فقال عمر رضي
الله عنه عجبت مما عجبت منه فسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته
وفيه دليل على عدم جواز الاكمال لان التصدق بما لا يحتمل التمليك اسقاط محض لا يحتمل الرد كما حقق في موضعه ولا يتوهم
انه مخالف للكتاب لان التقييد بالشرط عندنا انما يدل على ثبوت الحكم عند وجود الشرط واما عدمه عند عدمه
فساكت عنه فان وجد له دليل ثبت عنده ايضا والا يبقى على حاله لعدم تحقق دليله لا لتحقق دليل عدمه وناهيك
ما سمعت من الادلة الواضحة واما عند القايلين بالمفهوم فلانه انما يدل على نفي الحكم عند عدم الشرط اذا لم يكن له فائدة
اخرى وقد خرج الشرط هاهنا مخرج الاغلب كما في قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا بل نقول
ان الاية الكريمة مجملة في حق مقدار القصر وكيفيته وفي حق ما يتعلق به من الصلوات وفي مقدار مدة الضرب
الذي نيط به القصر فكل ما ورد منه صلى الله عليه وسلم من القصر في حال الامن وتخصيصه بالرباعيات على وجه
التنصيف وبالضرب في المدة المعينة بيان لاجمال الكتاب وقد قيل ان قوله تعالى ان خفتم الى آخره متعلق بما بعده
من صلوة الخوف منفصل عما قبله فانه روي عن ابي ايوب الانصاري رحمه الله انه قال نزل قوله تعالى واذا ضربتم
في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ثم سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد حول فنزل ان خفتم
الى آخره اي ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فليس عليكم جناح الى آخره وقد قرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم
على انه مفعول له لما دل عليه الكلام كانه قيل شرع لكم ذلك كراهة ان يفتنكم الى آخره فان استمرار الاشتغال
بالصلوة مظنة لاقتدارهم على ايقاع الفتنة وقوله تعالى **ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا** تعليل لذلك باعتبار تعلله
بما ذكر ولما يفهم من الكلام من كون فتنتهم متوقعة فان كمال عداوتهم للمومنين من موجبات التعرض لهم بسوء وقوله
تعالى **واذا كنت فيهم** بيان لما قبله من النص المجمل الوارد في مشروعية القصر بطريق التفريع وتصوير لكيفيته عند
الضرورة التامة وتخصيص البيان بهذه الصورة مع الاكتفاء فيما عداها بالبيان بطريق السنة لمزيد حاجة
اليه لما فيها من كثرة التغيير عن الهيات الاصلية ومن هاهنا ظهر لك ان مورد النص الشريف هي المقصورة وحكم ما
عداها مستفاد من حكمها والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التجريد وبظاهره يتعلق من لا يرى صلوة
الخوف بعده صلى الله عليه وسلم ولا يخفى ان الايمة بعده نوابه عليه الصلوة والسلام قوام بما كان يقوم به فيتناولهم

حكم الخطاب الوارد له عليه الصلوة والسلام كما في قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة وقد روي ان سعيد بن العاص
لما اراد ان يصلي بطبرستان صلوة الخوف قال من شهد منكم صلوة الخوف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام حذيفة بن
اليمان فوصف له ذلك فصلى بهم كما وصف وكان ذلك بحضرة الصحابة رضي الله عنهم فلم ينكره احد فحل محل الاجماع
وروي في السنن انهم غزوا مع عبد الرحمن بن سمرة كابل فصلى بهم صلوة الخوف **فاقمت لهم الصلوة** اي اردت ان تقيم بهم
الصلوة **فلتقم طايفة منهم معك** بعد ان جعلتهم طايفتين ولتقف طايفة الاخرى بازاء العدو ليحرسكم منهم وانما لم
يصرح به لظهوره وليأخذوا اي الطايفة القايمة معك **اسلحتهم** اي لا يضعوها ولا يلقوها وانما عبر عن
ذلك بالاخذ للايذان بالاعتناء باستصحابها كانهم ياخذونها ابتداء **فاذا سجدوا** اي القايمون معك و
اتموا الركعة **فليكونوا من ورائكم** اي فلينصرفوا الى مقابلة العدو للحراسة **ولتات طايفة اخرى لم يصلوا** بعد وهي
الطايفة الواقفة تجاه العدو للحراسة وانما لم تعرف لما انها لم تذكر فيما قبل **فليصلوا معك** الركعة الباقية
ولم يبين في الاية الكريمة حال الركعة الباقية لكل من الطايفتين وقد بين ذلك بالسنة **حيث روي** عن ابن
عمر رضي الله عنهما وابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم حين صلى صلوة الخوف صلى بالطايفة
الاولى ركعة وبالطايفة الاخرى ركعة كما في الاية ثم جاءت الطايفة الاولى وذهبت هذه الى مقابلة العدو
حتى قضت الاولى الركعة الاخرى بلا قراءة وسلموا ثم جاءت الطايفة الاخرى وقضوا الركعة الاولى بقراءة حتى
صار لكل طايفة ركعتان **وليأخذوا** اي هذه الطايفة **حذرهم واسلحتهم** لعل زيادة الامر بالحذر في هذه المرة لكونها
مظنة لوقوف الكفرة على كون الطايفة القايمة مع النبي عليه الصلوة والسلام في شغل شاغل واما قبلها فربما
يظنونهم قايمين للحراب وتكليف كل من الطايفتين بما ذكر لما ان الاشتغال بالصلوة مظنة لالقاء السلاح والاعراض
عن غيرها ومظنة لهجوم العدو كما ينطق به قوله تعالى **ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة** فانه استيناف
مسوق لتعليل الامر المذكور والخطاب للفريقين بطريق الالتفات اي تمنوا ان ينالوا منكم غرة وينتهزوا فرصة
فيشدوا عليكم شدة واحدة والمراد بالامتعة ما يتمتع به في الحرب لا مطلقا وهذا الامر للوجوب لقوله تعالى **ولا جناح
عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم** حيث رخص لهم في وضعها اذا ثقل عليهم استصحابها بسبب مطر
او مرض وامروا مع ذلك بالتيقظ والاحتياط وقيل **وخذوا حذركم** لئلا يهجم العدو عليهم غيلة **وروي الكلبي** عن ابي صالح
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا محاربا وبني انمار فنزلوا ولا يرون من العدو احدا فوضع الناس اسلحتهم وخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة له وقد وضع سلاحه حتى قطع الوادي والسماء ترش فحال الوادي بينه عليه الصلوة
والسلام وبين اصحابه فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصر به غورث بن الحرث المحاربي **فقال** قتلني الله ان لم
اقتلك ثم انحدر من الجبل ومعه السيف فلم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قايم على راسه وقد سل سيفه
من غمده **فقال** يا محمد من يعصمك مني الآن **فقال** رسول الله صلى الله عليه وسلم الله عز وجل ثم قال اللهم اكفني غورث
ابن الحرث بما شئت ثم اهوى بالسيف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضربه فاكب لوجهه من زلخة زلخها بين
كتفيه وندر سيفه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذه ثم قال يا غورث من يمنعك مني الآن قال لا احد قال
عليه السلام تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله واعطيك سيفك قال لا ولكن اشهد ان لا اقاتلك ابدا
ولا اعين عليك عدوا فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه **فقال** غورث والله لانت خير مني **فقال**
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا احق بذلك منك فرجع غورث الى اصحابه فقص عليهم قصته فامن بعضهم **قال**
وسكن الوادي فقطع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اصحابه واخبرهم بالخبر وقوله تعالى **ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا**
تعليل للامر اي اعد لهم عذابا مهينا بان يخذلهم وينصركم عليهم فاهتموا باموركم ولا تهملوا في مباشرة الاسباب كي يحل
بهم عذابه بايديكم **وقيل** لما كان الامر بالحذر من العدو موهما لتوقع غلبته واعتزازه نفى ذلك بان الله تعالى ينصرهم
ويهين عدوهم لتقوى قلوبهم **فاذا قضيتم الصلوة** صلوة الخوف اي اديتموها على وجه المبين وفرغتم منها **فاذكروا**

الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم اي فدرا ومواعلى ذكره تعالى وحافظوا على مراقبته ومناجاته ودعائه في جميع الاحوال حتى في حال
المسايفة والقتال كما في قوله تعالى اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون فاذا اطمانتم سكنت قلوبكم
من الخوف وامنتم بعد ما وضعت الحرب اوزارها فاقيموا الصلوة اي الصلوة التي دخل وقتها حينئذ اي ادوها بتعديل
اركانها ومراعات شرايطها وقيل المراد بالذكر في الاحوال الثلثة الصلوة فيها اي فاذا اردتم اداء الصلوة فصلوا
قياما عند المسايفة وقعودا جاثين على الركب عند المرامات وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح فاذا اطمانتم في الجملة فاقضوا
ما صليتم في تلك الاحوال التي هي احوال القلق والانزعاج وهو راي الشافعي رحمه الله وفيه من البعد ما لا يخفى ان الصلوة
كانت على المومنين كتابا موقوتا اي فرضا موقتا قال مجاهد وقته الله تعالى عليهم فلا بد من اقامتها في حالة الخوف
ايضا على الوجه المشروع وقيل مفروضا مقدرا في الحضر اربع ركعات وفي السفر ركعتين فلا بد ان تودى في
كل وقت حسبما قدر فيه ولا تهنوا في ابتغاء القوم اي لا تضعفوا ولا تتوانوا في طلب الكفار بالقتال والتعرض لهم وبالجواب
وقوله تعالى ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون تعليل للنهي وتشجيع لهم اي ليس ما
تقاسونه من الالام مختصا بكم بل هو مشترك بينكم وبينهم ثم انهم يصبرون على ذلك فما لكم لا تصبرون مع انكم
اولى به منهم حيث ترجون من الله من اظهار دينكم على ساير الاديان ومن الثواب في الاخرة ما لا يخطر ببالهم وقرئ
ان تكونوا بفتح الهمزة اي لا تهنوا لان تكونوا تالمون وقوله تعالى فانهم تعليل للنهي عن الوهن لاجله والاية نزلت في
بدر الصغرى وكان الله عليما مبالغا في العلم فيعلم اعمالكم وضمايركم حكيما في ما يامر وينهى فجدوا في الامتثال
بذلك فان فيه عواقب حميدة انا انزلنا اليك الكتاب بالحق روي ان رجلا من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق
ابن بني ظفر سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه فخباها عند زيد
ابن السمين اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق
حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر
انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالوه ان يجادل عن صاحبهم وشهدوا ببراءته وسرقة اليهودي
فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل فنزلت وروي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حايطا بمكة ليسرق
اهله فسقط الحايط عليه فقتله وقيل نزل على رجل من بني سليم من اهل مكة يقال له الحجاج بن علاط فنقب بيته
فسقط عليه حجر فلم يستطع الدخول ولا الخروج فاخذ ليقتل فقيل دعه فانه قد لجا اليك فتركه واخرجوه من مكة
فالتحق بتجار من قضاعة نحو الشام فنزلوا منزلا فسرق بعض متاعهم وهرب فاخذوه ورموه بالحجارة حتى قتلوه وقيل
انه ركب سفينة الى جدة فسرق فيها كيسا فيه دنانير فاخذوا القي في البحر لتحكم بين الناس بما اراك الله اي بما عرفك واوحى
به اليك ولا تكن للخاينين اي لاجلهم والذب عنهم وهم طعمة ومن يعينه من قومه او هو ومن يسير بسيرته
خصيما مخاصما للبرآء اي لا تخاصم اليهود لاجلهم والنهي معطوف على امر ينسحب عليه النظم الكريم كانه قيل
فاحكم به ولا تكن الى اخره واستغفر الله مما هممت به تعويلا على شهادتهم ان الله كان غفورا رحيما مبالغا في المغفرة
والرحمة لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم اي يخونونها بالمعصية كقوله تعالى علم الله انكم كنتم
تختانون انفسكم جعلت معصية العصاة خيانة منهم لانفسهم كما جعلت ظلما لها لرجوع ضررها اليهم والمراد
بالموصول اما طعمة وامثاله واما هو ومن عاونه وشهد ببراءته من قومه فانهم شركاء له في الاثم والخيانة
ان الله لا يحب من كان خوانا مفرطا في الخيانة مصرا عليها اثيما منهمكا فيه وتعليق عدم المحبة الذي هو كناية عن البغض
والسخط بالمبالغ في الخيانة والاثم ليس لتخصيصه بل لبيان افراط طعمة وقومه فيهما يستخفون من الناس
يستترون منهم حياء وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من الله اي لا يستحيون منه سبحانه وهو احق
ان يستحيى منه ويخاف من عقابه وهو معهم عالم بهم وباحوالهم فلا طريق الى الاستخفاء منه سوى ترك ما
يستقبحه ويوخذ عليه اذ يبيتون يدبرون ويزورون ما لا يرضى من القول من رمي البري والحلف الكاذب

وشهادة الزور وكان الله بما يعملون من الاعمال الظاهرة والخافية محيطا لا يعزب عنه شئ منها ولا يفوت
ها انتم هؤلاء تلوين للخطاب وتوجيه له اليهم بطريق الالتفات ايذانا بان تعديد جناياتهم يوجب
مشافهتهم بالتوبيخ والتقريع والجملة مبتدا وخبر وقوله تعالى جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا جملة مبينة لوقوع
اولاء خبرا ويجوز ان يكون اولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم الى اخره صلة والمجادلة اشد المخاصمة والمعنى
هبوا انكم خاصمتم عن طعمة وامثاله في الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة فمن يخاصم عنهم يومئذ عند تعذيبهم
وعقابهم ام من يكون عليهم وكيلا حافظا ومحاميا من باس الله تعالى وانتقامه ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء به غيره كما فعل
طعمة بقتادة واليهودي او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل بالسوء ما دون الشرك وبالظلم الشرك
وقيل هما الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة الصادقة يجد الله غفورا لذنوبه كاينة ما كانت رحيما
متفضلا عليه وفيه مزيد ترغيب لطعمة وقومه في التوبة والاستغفار لما ان مشاهدة التايب لاثار المغفرة
والرحمة نعمة زايدة كاخرى ومن يكسب اثما من الاثام فانما يكسبه على نفسه بحيث لا يتعدى ضرره ووباله الى
غيره فليحترز عن تعريضها للعقاب والعذاب عاجلا واجلا وكان الله عليما مبالغا في العلم حكيما مراعيا للحكمة
في كل ما قدر وقضى ولذلك لا يحمل وازرة وزر اخرى ومن يكسب خطيئة صغيرة وما لا عمد فيه من الذنوب وقرئ
من يكسب بكسر الكاف وتشديد السين واصله يكتسب او اثما كبيرة او ما كان من عمد ثم يرم به بريا اي
اي يقذف به ويسنده وتوحيد الضمير مع تعدد ما كان لو وتذكيره لتغليب الاثم على الخطيئة كانه قيل ثم يرم
باحدهما وقرئ يرم بهما وقيل الضمير للكسب المدلول عليه بقوله تعالى يكسب وثم للتراخي في الرتبة بريا
اي مما رماه به ليحمله عقوبته العاجلة كما فعله طعمة بزيد فقد احتمل اي بما فعل من تحميل جرمه على البري
بهتانا وهو الكذب على الغير بما يبهت منه ويتحير عند سماعه لفظاعته وهوله وقيل هو الكذب الذي يتحير
في عظمه واثما مبينا اي بينا فاحشا وهو صفة لاثما وقد اكتفى في بيان عظم البهتان بالتنكير التفخيمي كانه قيل
بهتانا لا يقادر قدره واثما مبينا على ان وصف الاثم بما ذكر بمنزلة وصف البهتان به لانهما عبارة عن امر واحد
هو رمي البري بجنايته منه نفسه قد عبر عنه بهما تهويلا لامره وتفظيعا لحاله فمدار العظم والفخامة كون المرمي به
للرامي فان رمي البري بجناية ما خطيئة كانت او اثما بهتان واثم في نفسه اما كونه بهتانا فظاهر واما كونه
اثما فلان كون الذنب بالنسبة الى من فعله خطيئة كانت او اثما لا يلزم منه كونه بالنسبة الى من نسبه الى البري
منه ايضا كذلك بل لا يجوز ذلك قطعا كيف لا وهو كذب محرم في جميع الاديان فهو في نفسه بهتان واثم لا
محالة ويكون تلك الجناية للرامي يتضاعف ذلك شدة ويزداد قبحا لكن لا لانضمام جنايته المكسوبة الى رمي
البري والا لكان الرمي بغير جنايته مثله في العظم ولا بمجرد اشتماله على تبرية نفسه الخاطئة والا لكان الرمي
بغير جنايته مع تبرية نفسه كذلك في العظم بل لاشتماله على قصد تحميل جنايته على البري واجراء عقوبتها عليه
كما ينبئ عنه ايثار الاحتمال على الاكتساب ونحوه لما فيه من الايذان بانعكاس تقديره مع ما فيه من الاشعار بثقل الوزر
وصعوبة الامر نعم بما ذكر من انضمام كسبه وتبرية نفسه الى رمي البري يزداد الجناية قبحا لكن تلك الزيادة وصف
للمجموع لا للاثم ولولا فضل الله عليك ورحمته باعلامك ما هم عليه بالوحي وتنبيهك على الحق وقيل بالنبوة والعصمة
لهمت طايفة منهم اي من بني ظفر وهم الذابون عن طعمة وقد جوز ان يكون المراد بالطايفة كلهم ويكون الضمير راجعا
الى الناس وقيل هم وفد بني ثقيف قدموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا جئناك لنبايعك على ان لا نكسر
اصنامنا ولا نعشر فردهم صلى الله عليه وسلم ان يضلوك اي بان يضلوك عن القضاء بالحق مع علمهم بكنه الامر
والجملة جواب لولا وانما نفى همهم مع ان المنفي انما هو تاثيره فقط ايذانا بانتفاء اثره بالكلية وقيل المراد هو
الهم المؤثر ولا ريب في انتفائه حقيقة وقيل الجواب محذوف اي لاضلوك وقوله عز وجل لهمت جملة مستانفة
لقد همت طايفة الى اخره وما يضلون الا انفسهم لاقتصار وبال مكرهم عليهم من غير ان يصيبك منه شئ والجملة اعترا

وقوله تعالى وما يضرونك من شيء عطف عليه ومحل الجار والمجرور النصب على المصدرية اي وما يضرونك شيئا
من الضرر لما انه تعالى عاصمك واما ما خطر ببالك فكان عملا منك بظاهر الحال ثقة باقوال القايلين من
غير ان يخطر ببالك ان الحقيقة على خلاف ذلك وانزل الله عليك الكتاب والحكمة اي القرآن الجامع بين العنوانين وقيل المراد
بالحكمة السنة وعلمك بالوحي من خفيات الامور التي من جملتها وجوه ابطال كيد المنافقين او من امور الدين واحكام
الشرع ما لم تكن تعلم ذلك الى وقت التعليم وكان فضل الله عليك عظيما اذ لا فضل اعظم من النبوة العامة والرياسة
التامة لا خير في كثير من نجويهم اي في كثير من تناجي الناس الا من امر اي الا في نجوى من امر بصدقة او معروف وقيل
المراد بالنجوى المتناجون بطريق المجاز وقيل النجوى جمع نجي نقله الكرماني واياما كان فالاستثناء متصل ويجوز
الانقطاع ايضا على معنى لكن من امر بصدقة الى آخره ففي نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل
فينتظم اصناف وفنون اعمال البر وقد فسر هاهنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع على ان المراد بالصدقة
الصدقة الواجبة او اصلاح بين الناس عند وقوع المشاقة والمعاداة بينهم من غير ان يجاوز في ذلك حدود الشرع الشريف
وبين اما متعلق بنفس اصلاح تقول اصلحت بين القوم او بمحذوف هو صفة له اي كائن بين الناس عن ابي ايوب
الانصاري رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له الا ادلك على صدقة خير لك من حمر النعم
فقال بلى يا رسول الله قال تصلح بين الناس اذا تفاسدوا وتقرب بينهم اذا تباعدوا قالوا ولعل السر في افراد
هذه الاقسام الثلثة بالذكر ان عمل الخير المتعدي الى الناس اما لايصال المنفعة او لدفع المضرة والمنفعة
اما جسمانية كاعطاء المال واليه الاشارة بقوله عز وجل الا من امر بصدقة واما روحانية واليه الاشارة
بالامر بالمعروف واما دفع الضرر فقد اشير اليه بقوله تعالى او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك اشارة الى
الامور المذكورة اعني الصدقة والمعروف والاصلاح فانه يشار به الى متعدد وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد
بها للايذان ببعد منزلتها ورفعة شانها وترتيب الوعد على فعلها اثر بيان خيريته بالطريق الاولى لما ان مدار
حسن الامر وقبحه حسن المامور به وقبحه فحيث ثبت خيرية الامر بالامور المذكورة فخيرية فعلها اثبت وفيه تحريض
الامر بها على فعلها واشارة الى الامر بها كانه قيل ومن يامر بها والكلام في ترتب الوعد على فعلها كالذي مر في الخيرية
فان استتباع الامر بها للاجر العظيم انما هو لكونه ذريعة الى فعلها فاستتباعه له اولى واحق ابتغاء مرضاة الله علة
للفعل والتقييد به لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا لغير ذلك لم يستحق به غير الحرمان فسوف نؤتيه بنون
العظمة على الالتفات وقرئ بالياء اجرا عظيما يقصر عنه الوصف ومن يشاقق الرسول التعرض لعنوان الرسالة لاظهار
كمال شناعة ما اجترؤا عليه من المشاقة والمخالفة وتعليل الحكم الآتي بذلك من بعد ما تبين له الهدى ظهر له الحق
بالوقوف على المعجزات الدالة على نبوته ويتبع غير سبيل المؤمنين اي غير ما هم مستمرون عليه من عقد وعمل وهو
الدين القيم نوله ما تولى اي نجعله واليا لما تولاه من الضلال ونخذله بان نخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم
اي ندخله اياها وقرئ بفتح النون من صلاه وساءت مصيرا اي جهنم وفيه دلالة على حجية الاجماع وحرمة مخالفته
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قد مر تفسيره فيما سبق وهو تكرير للتاكيد والتشديد او لقصة
طعمة وقد مر موته كافرا وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان شيخا من العرب جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وامنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اواقع
المعاصي جراءة على الله تعالى وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر فما ترى حالي عند الله
تعالى فنزلت ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها من الصواب
والاستقامة كما انه افتراء واثم عظيم ولذلك جعل الجزاء في هذه الشرطية فقد ضل الى آخره وفيما سبق فقد
افترى اثما عظيما حسبما يقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه ان يدعون اي ما يعبدون من دونه عز وجل
الا اناثا هي اللات والعزى ومناة ونحوها عن الحسن انه لم يكن من احياء العرب حي الا كان لهم صنم يعبدونه

يسمونه انثى بني فلان قيل لانهم كانوا يلبسونها انواع الحلي ويزينونها على هيئات النسوان وقيل المراد الملائكة لقولهم
الملائكة بنات الله وقيل تسميتها اناثا لتانيث اسمائها او لانها في الاصل جماد والجمادات تؤنث من حيث انها ضاهت
الاناث لانفعالها وايرادها بهذا الاسم للتنبيه على فرط حماقة عبدتها وتناهي جهلهم جمع الانثى كرباب وربى وقرئ
على التوحيد وانثى ايضا على انه جمع انيث كقليب وقلب او جمع اناث كثمار وثمر وقرئ وثنا وانثى بالتخفيف و
التثقيل جمع وثن كقولك اسد واسد واسد على الاصل وقلب الواو الفا نحو اجوه في وجوه وان يدعون وما يعبدون بعبادتها
الا شيطانا مريدا اذ هو الذي امرهم بعبادتها واغراهم عليها فكانت طاعتهم له عبادة والمريد والمارد هو الذي لا يعلق بخير
واصل التركيب للملامسة ومنه صرح ممرد وشجرة مرداء التي تناثر ورقها لعنه الله صفة ثانية لشيطان وقال لاتخذن من
عبادك نصيبا مفروضا عطف على الجملة المتقدمة اي شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله تعالى وهذا القول الشنيع الصادر عنه
عند اللعن ولقد برهن على ان عبادة الاصنام غاية الضلال بطريق التعليل بان ما يعبدونها ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا
وذلك ينافي الالوهية غاية المنافات ثم استدل عليه بان ذلك عبادة للشيطان وهو افظع الضلال من وجوه ثلثة الاول
انه منهمك في الغي لا يكاد يعلق بشيء من الخير والهدى فيكون طاعته ضلالا بعيدا من الحق والثاني انه ملعون لضلالته
فلا يستتبع مطاوعته سوى اللعن والضلال والثالث انه في غاية السعي في اهلاكهم واضلالهم فموالاة من هذا شانه غاية
الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اي نصيبا قدر وفرض من قولهم فرض له في العطاء ولاضلنهم ولامنينهم
الاماني الباطلة كطول الحياة ولا بعث ولا عقاب ونحو ذلك ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام اي فليقطعن بموجب امري و
يشقنها من غير تلعثم في ذلك ولا تاخير وذلك ما كانت العرب تفعل بالبحائر والسوائب ولامرنهم فليغيرن ممتثلين به
خلق الله عن نهجه صورة او صفة وينتظم فيه ما قيل من فقاء عين الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر ونحو ذلك
وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في البهائم لمكان الحاجة في الموضعين محذوف ثقة بدلالة
وهذه الجمل المحكية عن اللعين مما نطق به لسانه مقالا او حالا وما فيها من اللامات كلها للقسم والمامور به النظم عليه
ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله بايثار ما يدعو اليه على ما امر الله تعالى به ومجاوزته عن طاعة الله تعالى الى طاعته فقد
خسر خسرانا مبينا لانه ضيع راس ماله بالكلية واستبدل بمكانه من الجنة مكانه من النار يعدهم اي ما لا يكاد
ينجز ويمنيهم اي الاماني الفارغة او يفعل لهم الوعد والتمنية على طريقة فلان يعطي ويمنع والضميران لمن والجمع
باعتبار معناها كما ان الافراد في يتخذ وخسر باعتبار لفظها وما يعدهم الشيطان الا غرورا وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر
وهذا الوعد اما بالقاء الخواطر الفاسدة او بالسنة اوليائه وغرورا اما مفعول ثان للوعد او مفعول لاجله او نعت لمصدر
محذوف اي وعدا ذا غرور او مصدر على غير لفظ المصدر لان يعدهم في قوة يغرهم بوعده والجملة اعتراض وعدم التعرض
للتمنية لانها باب من الوعد اولئك اشارة الى اولياء الشيطان وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الخسران
وهو مبتدأ وقوله تعالى ماويهم مبتدأ ثان وقوله تعالى جهنم خبر للثاني والجملة خبر للاول ولا يجدون عنها محيصا
اي معدلا ومهربا من حاص الحمار اذا عدل وقيل خلصا ونجا وقيل الحيص الروغان بنفور وعنها متعلق بمحذوف وقع
حالا من محيصا اي كائنا عنها ولا مساغ لتعلقه بمحيصا اما اذا كان اسم مكان فظاهر واما اذا كان مصدرا فلانه لا
يعمل فيما قبله والذين امنوا وعملوا الصالحات مبتدأ خبره قوله تعالى سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
قرن وعيد الكفرة بوعد المؤمنين وزيادة لسرور هؤلاء ومساءة اولئك وعد الله حقا اي وعده وعدا وحق ذلك حقا فالاول
موكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية وعد والثاني موكد لغيره ويجوز ان ينتصب الموصول بمضمر يفسره ما بعده
وينتصب وعد الله بقوله تعالى سندخلهم لانه في معنى نعدهم ادخال جنات الى آخره وحقا على انه حال من المصدر ومن
اصدق من الله قيلا جملة موكدة بليغة والمقصود من الاية معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة لقرنائه بوعد الله
تعالى الصادق لاوليائه والمبالغة في تاكيده ترغيبا للعباد في تحصيله والقيل مصدر كالقول والقال قال
ابن السكيت القيل والقال اسمان لا مصدران ونصبه على التمييز وقرئ باشمام الصاد وكذا كل صاد ساكنة بعدها

يقولون في اصنامهم من بنات الله وقيل لانهم كانوا صح

دال ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب اي ليس ما وعد الله من الثواب يحصل باما نيكم ايها المسلمون ولا اماني اهل الكتاب
وانما يحصل بالايمان والعمل الصالح ولعل نظم اماني اهل الكتاب في سلك اماني المسلمين مع ظهور حالها للايذان بعدم
بعدم اجداء اماني المسلمين اصلا كما في قوله تعالى ولا الذين يموتون وهم كفار كما سلف وعن الحسن ليس الايمان بالتمني ولكن
ما وقر في القلب وصدقه العمل ان قوما الهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن
بالله وكذبوا لو احسنوا الظن لاحسنوا العمل وقيل ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا
قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن اولى بالله منكم فقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم المرسلين وكتابنا يقضي على الكتب
المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب للمشركين ويؤيده تقدم ذكرهم اي ليس الامر باماني المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار
وقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء المسلمون لنكونن خيرا منهم واحسن حالا وقولهم لاوتين مالا وولدا ولا اماني اهل الكتاب
وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك بقوله
تعالى من يعمل سوءا يجز به عاجلا واجلا لما روي انه لما نزل قال ابو بكر رضي الله عنه فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اما تحزن او تمرض اما يصيبك البلاء قال بلى يا رسول الله قال هو ذلك ولا يجد له
من دون الله اي مجاوزا لموالاة الله ونصرته وليا يواليه ولا نصيرا ينصره في دفع العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات اي
بعضها وشيئا منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها من ذكر او انثى في موضع الحال من المستكن في
يعمل ومن للبيان او من الصالحات فمن للابتداء كاينة من ذكر الى آخره وهو مؤمن حال شرط اقتران العمل بها في
استدعاء الثواب المذكور تنبيها على انه لا اعتداد به دونه فاولئك اشارة الى من بعنوان اتصافه بالايمان و
العمل الصالح والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة
من الاشعار بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته في الشرف يدخلون الجنة وقرئ يدخلون مبنيا للمفعول من الادخال
ولا يظلمون نقيرا اي لا ينقصون شيئا حقيرا من ثواب اعمالهم فان النقير علم في القلة والحقارة واذا لم ينقص ثواب المطيع فلا
لان يزاد عقاب العاصي اولى واحرى كيف لا والمجازي ارحم الراحمين وهو السر في الاقتصار على ذكره عقيب الثواب ومن احسن دينا
ممن اسلم وجهه لله اي اخلص نفسه له تعالى لا يعرف ربا سواه وقيل بذل له وجهه في السجود وقيل اخلص عمله له عز وجل
وقيل فوض امره اليه تعالى وهذا انكار واستبعاد لان يكون احد احسن دينا ممن فعل ذلك ومساويا له وان لم يكن سبك
التركيب متعرضا لانكار المساواة ونفيها يرشدك اليه العرف المطرد والاستعمال الناشي فانه اذا قيل من اكرم من فلان او لا
افضل فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وعليه مساق قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى ونظايره ودينا
نصب على التمييز من احسن منقول من المبتدا والتقدير ومن دينه احسن من دين من اسلم الى آخره فالتفضيل في الحقيقة
جار بين الدينين لا بين صاحبيهما ففيه تنبيه على ان ذلك اقصى ما تنتهي اليه القوة البشرية وهو محسن اي آت
بالحسنات تارك للسيئات او آت بالاعمال الصالحة على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها
الذاتي وقد فسره عليه السلام بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة حال من فاعل اسلم واتبع
ملة ابرهيم الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها وقبولها حنيفا مائلا عن الاديان الزايغة وهو حال من فاعل اتبع
او من ابرهيم واتخذ الله ابرهيم خليلا اصطفاه وخصه بكرامات تشبه كرامات الخليل عند خليله واظهاره عليه السلام
في موقع الاضمار لتفخيم شانه والتنصيص على ان الممدوح وتاكيد استقلال الجملة الاعتراضية والخلة من الخلال
فانه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر او من الخل وهو الطريق في
الرمل فانهما يترافقان في الطريقة او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما متوافقان في الخصال وفايدة الاعتراض جمة من
من جملتها الترغيب في اتباع ملته عليه السلام فان من بلغ من الزلفى عند الله عز وجل مبلغا مصححا لتسميته خليلا
حقيق بان يكون اتباع طريقته اهم ما يمتد اليه اعناق الهمم واشرف ما يرمق نحوه احداق الامم قيل انه عليه
السلام بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابرهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت

ولكنه يريدها

ولكنه يريدها للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس من الشدة فرجع غلمانه عليه السلام فاجتازوا ببطحاء لينة فملاوا منها
الغرائر حياء من الناس وجاؤوا بها الى منزل ابرهيم عليه السلام والقوها فيه وتفرقوا وجاء احدهم فاخبر ابرهيم بالقصة
فاغتم لذلك غما شديدا لا سيما لاجتماع الناس ببابه رجاء الطعام فغلبته عيناه وعمدت سارة الى الغرائر فاذا فيها اجود
ما يكون من الحواري واختبزت وفي رواية فاطعمت الناس واستنبه ابرهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من اين لكم
فقالت سارة من خليلك فقال بل من عند الله عز وجل فسماه الله تعالى خليلا ولله ما في السموات وما في الارض جملة مبتداة سيقت
لتقرير وجوب طاعته تعالى على اهل السموات والارض ببيان ان جميع ما فيهما من الموجودات له تعالى خلقا وملكا لا يخرج
من ملكوته شيء منها فيجازي كلا بموجب اعماله خيرا وشرا وقيل لبيان ان اتخاذه عز وجل لابرهيم خليلا ليس لاحتياجه
سبحانه الى ذلك في شان من شؤونه كما هو داب الآدميين فان مدار خلتهم افتقار بعضهم الى بعض في مصالحهم بل لمجرد
تكرمته وتشريفه وقيل لبيان ان الخلة لا تخرجه عن رتبة العبودية وقيل لبيان ان اصطفاءه عليه الصلوة والسلام
للخلة بمحض مشيئته تعالى اي له تعالى ما فيهما جميعا يختار منهما ما يشاء لمن يشاء وقوله عز وعلا وكان الله بكل شيء محيطا
تذييل مقرر لمضمون ما قبله على الوجوه المذكورة فان احاطته تعالى علما وقدرة بجميع الاشياء التي من جملتها ما فيهما
من المكلفين واعمالهم مما يقرر ذلك اكمل تقرير ويستفتونك في النساء اي في حقهن على الاطلاق كما ينبئ عنه الاحكام
الآتية لا في حق ميراثهن خاصة فانه صلى الله عليه وسلم قد سئل عن احوال كثيرة مما يتعلق بهن فما بين حكمه فيما
سلف اجل بيانه على ما ورد في ذلك من الكتاب وما لم يبين حكمه بعد بين ههنا وذلك قوله تعالى قل الله يفتيكم
فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب باسناد الافتاء الذي هو تبيين المبهم وتوضيح المشكل اليه والى ما تلي من الكتاب فيما سبق باعتبارين
على طريقة قولك اغناني زيد وعطاؤه بعطف ما على المبتدا او ضميره في الخبر لمكان الفصل بالمفعول والجار و
المجرور وايثار صيغة المضارع للايذان باستمرار التلاوة ودوامها وفي الكتاب اما متعلق بيتلى او بمحذوف
وقع حالا من المستكن فيه اي يتلى كاينا فيه ويجوز ان يكون ما يتلى عليكم مبتدا وفي الكتاب خبره على المراد به اللوح
المحفوظ والجملة معترضة مسوقة لبيان عظم شان المتلو عليهم وان العدل في الحقوق المبينة فيه من عظايم
الامور التي يجب مراعاتها والمحافظة عليها مما يتلى حينئذ متناول لما تلي وما سيتلى ويجوز ان يكون مجرورا على القسم
المنبئ عن تعظيم المقسم فيه وتفخيمه كانه قيل قل الله يفتيكم فيهن واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب والمراد بقوله
تعالى يفتيكم بيانه السابق واللاحق ولا مساغ لعطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا ومعنى وقوله تعالى في
يتامى النساء على الوجه الاول وهو الاظهر متعلق بيتلى اي ما يتلى عليكم في شانهن وعلى الاخيرين بدل من فيهن وهذه
الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه وقرئ ييامى على قلب همزة ايامى ياء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن
اي ما فرض لهن من الميراث وغيره وترغبون عطف على الصلة عطف جملة مثبتة على جملة منفية وقيل حال
من فاعل تؤتونهن بتاويل وانتم ترغبون ولا ريب في انه لا يظهر لتقييد عدم الايتاء بذلك فايدة الا اذا اريد بما
كتب لهن صداقهن ان تنكحوهن اي في ان تنكحوهن لكن لا لاجل التمتع بهن بل لاكل مالهن او في ان تنكحوهن بغير اكمال
الصداق وذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها من انها اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد
ان ينكحها بادنى من سنة نسائها فنهوا ان ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن في اكمال الصداق او عن ان ينكحوهن وذلك ما روي
عنها رضي الله عنها انها يتيمة يرغب وليها عن نكاحها ولا ينكحها فيعضلها طمعا في ميراثها وفي رواية عنها
هو الرجل يكون عنده يتيمة هو وليها ووارثها وشريكها في المال حتى في العذق فيرغب ان ينكحها او يكره ان يزوجها
رجلا فيشركه في ماله بما شركته فيعضلها فالمراد بما كتب لهن على الوجه الاول والاخير ميراثهن وبما يتلى في حقهن
قوله تعالى وآتوا اليتامى اموالهم وقوله تعالى ولا تاكلوها ونحوهما من النصوص الدالة على عدم التعرض لاموالهم
وعلى الوجه الثاني صداقهن وبما يتلى فيهن قوله تعالى وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى الآية والمستضعفين من الولدان
عطف على يتامى النساء وما يتلى في حقهم قوله تعالى يوصيكم الله الى آخره وقد كانوا في الجاهلية لا يورثونهم

كلا لا يورثون النساء وانما يورثون الرجال القوام بالامور روي ان عيينة بن حصين الفزاري جاء الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال اخبرنا انك تعطي الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة
فقال صلى الله عليه وسلم كذلك امرت وان تقوموا لليتامى بالقسط بالجر عطف على ما قبله وما يتلى في حقهم قوله تعالى ولا
تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم انه كان ونحو ذلك مما لا يكاد يحصر هذا على تقدير كون في
يتامى النساء متعلقا بيتلى واما على تقدير كونه بدلا من فيهن فالوجه نصبه عطفا على موضع فيهن اي يفتيكم
ان تقوموا ويجوز نصبه باضمار فعل اي وهو خطاب للولاة او للاولياء والاوصياء وما تفعلوا في حقوق المذكورين
من خير حسبما امرتم به او وما تفعلون من خير على الاطلاق فيندرج فيه ما يتعلق بهم اندراجا اوليا فان الله كان به عليما
فيجازيكم بحسبه وان امراة خافت شروع في بيان ما لم يتبين فيما سلف من الاحكام اي ان توقعت امراة من بعلها نشوزا
اي تجافيا عنها وترفعا من صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها او اعراضا بان يقل محادثتها ومؤانستها لما يقتضي ذلك
من الدواعي والاسباب فلا جناح عليهما حينئذ ان يصلحا بينهما صلحا اي ان يصلحا بينهما بان تحط المهر وبعضه او
القسم كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت ان يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبت يومها لعائشة
او بان تهب له شيئا تستميله وقرئ يصالحا من تصالحا ويصلحا من يصطلحا ويصالحا من المفاعلة وصلحا اما
منصوب بالفعل المذكور على كل تقدير اي فيصلح حالهما وبينهما ظرف للفعل او حال من صلحا والتعرض لنفي الجناح عنهما
مع انه ليس من جانبها الاخذ الذي هو المظنة للجناح لبيان ان هذا الصلح ليس من قبيل الرشوة المحرمة للمعطي والآخذ
والصلح خير اي من الفرقة او من سوء العشرة او من الخصومة فاللام للعهد او هو خير من الخيور فاللام للجنس والجملة اعتراض
مقرر لما قبله وكذا قوله تعالى واحضرت الانفس الشح اي جعلت حاضرة له مطبوعة عليه لا تنفك عنه ابدا فلا المراة
تسمح بحقوقها من الرجل ولا الرجل يجود بحسن المعاشرة مع دمامتها فان فيه تحقيقا للصلح وتقريرا له بحث كل منهما
عليه لكن لا بالنظر الى حال نفسه فان ذلك يستدعي التمادي في المماكسة والشقاق بل بالنظر الى حال صاحبه فان شح
نفس الرجل وعدم ميلها من حالتها الجبلية بغير استمالته مما يحمل المراة على بذل بعض حقوقها اليه لاستمالته و
كذا شح نفسها بحقوقها مما يحمل الرجل على ان يقتنع من قبلها بشيء يسير ولا يكلفها بذل الكثير فيتحقق بذلك الصلح
وان تحسنوا في العشرة وتتقوا النشوز والاعراض وان تعاضدت الاسباب الداعية اليهما فتصبروا على ذلك مراعاة
لحقوق الصحبة ولم تضطروهن الى بذل شيء من حقوقهن فان الله كان بما تعملون خبيرا اي من الاحسان والتقوى
او بما تعملون جميعا فيدخل فيه ذلك دخولا اوليا خبيرا فيجازيكم ويثيبكم على ذلك البتة لاستحالة ان يضيع
اجر المحسنين وفي خطاب الازواج والتعبير عن رعاية حقوقهن بالاحسان ولفظ التقوى المنبي عن
كون النشوز والاعراض مما يتوقى منه وترتيب الوعد الكريم عليه من لطف الاستمالة والترغيب في حسن
المعاملة ما لا يخفى روي انها نزلت في عمرة بنت محمد بن مسلمة وزوجها سعد بن الربيع تزوجها وهي شابة فلما علاها
الكبر تزوج شابة وآثرها عليها وجفاها فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكت اليه ذلك وقيل نزلت في ابي
السائب كانت له امراة قد كبرت وله منها اولاد فاراد ان يطلقها ويتزوج غيرها فقالت لا تطلقني ودعني على اولادي
واقسم لي من كل شهرين ان شئت وان شئت فلا تقسم لي فقال ان كان يصلح ذلك فهو احب الي فاتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فنزلت ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء اي محال ان تقدروا على ان تعدلوا بينهن بحيث لا
يقع ميلكم الى جانب احديهن في شان من الشؤون البتة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه
فيعدل ثم يقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك وفي رواية وانت اعلم بما لا املك
يعني فرط محبته لعائشة رضي الله عنها ولو حرصتم اي على اقامة العدل وبالغتم في ذلك فلا تميلوا كل الميل اي فلا تجوروا
على المرغوب عنها كل الجور واعدلوا ما استطعتم فان عجزكم عن حقيقة العدل انما يصح عدم تكليفكم بها لا بما دونها من المراتب
الداخلة تحت استطاعتكم فتذروها اي التي ملتم عنها كالمعلقة التي ليست ذات بعل ولا مطلقة وقرئ كالمسجونة وفي

الحديث من كانت له امراتان يميل مع احداهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما كنتم تفسدون من امورهن
وتتقوا الميل فيما يستقبل فان الله كان غفورا يغفر لكم ما فرط منكم من الميل رحيما يتفضل عليكم برحمته وان يتفرقا وقرئ
يتفارقا اي وان يفارق كل واحد منهما صاحبه بان لم يتفق بينهما وفاق بوجه ما من الصلح وغيره يغن الله كلا منهما
اي يجعله مستغنيا عن الآخر ويكفه مهماته من سعته من غناه وقدرته وفيه زجرهما عن المفارقة رغما لصاحبه
وكان الله واسعا حكيما مقتدرا متقنا في افعاله واحكامه وقوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض اي من الموجودات
كائنا ما كان من الخلائق وارزاقهم وغير ذلك جملة مستانفة منبهة على كمال سعته وعظم قدرته ولقد وصينا الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم اي امرناهم في كتابهم وهم اليهود والنصارى ومن قبلهم من الامم واللام في الكتاب للجنس ومن متعلقة
بوصينا او باوتوا واياكم عطف على الموصول ان اتقوا الله اي وصينا كلا منكم ومنهم بان اتقوا الله على ان ان مصدرية
حذف عنها الجار ويجوز ان يكون مفسرة لان التوصية في معنى القول فقوله تعالى وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض
حينئذ من تتمة القول المحكي اي ولقد قلنا لهم ولكم اتقوا الله وان تكفروا الى آخر الآية وعلى تقدير كون ان مصدرية
مبني لكلام ارادة القول اي امرناهم واياكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا الآية وقيل هي جملة مستانفة
خوطب بها هذه الامة واياما كان فالمترتب على كفرهم ليس مضمون قوله تعالى فان الله الآية بل هو الامر بعلمه كانه
قيل وان تكفروا فاعلموا ان لله ما في السموات وما في الارض من الخلائق قاطبة مفتقرون اليه في الوجود وسائر النعم
المتفرعة عليه لا يستغنون عن فيضه طرفة عين فحقه ان يطاع ولا يعصى ويتقى عقابه ويرجى ثوابه وقد قرر ذلك بقوله
تعالى وكان الله غنيا اي عن الخلق وعبادتهم حميدا محمودا في ذاته حمدوه او لم يحمدوه فلا يتضرر بكفرهم ومعاصيهم
كما لا ينتفع بشكرهم وتقواهم وان ما وصيهم بالتقوى لرحمته لا لحاجته ولله ما في السموات وما في الارض كلام مبتدا مسوق
للمخاطبين توطية لما بعده من الشرطية غير داخل تحت القول المحكي اي له سبحانه وتعالى وما بينهما من الخلائق
خلقا وملكا يتصرف فيهم كيف ما يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وكفى بالله وكيلا في تدبير امور الكل وكل الامور
فلا بد ان يتوكل عليه لا على احد سواه ان يشأ يذهبكم ايها الناس اي يفنكم ويستاصلكم بالمرة ويات اي ويوجد دفعة
مكانكم قوما باخرين من البشر او خلقا آخرين مكان الانس ومفعول المشية محذوف لكونه مضمون الجزاء اي ان
يشاء افناكم وايجاد آخرين يذهبكم الى آخره ان ابقاكم على ما انتم عليه من العصيان انما هو لكمال غنائه عن طاعتكم ولعدم
تعلق مشيته المبنية على الحكم البالغة بافنائكم لا لعجزه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا وكان الله على ذلك اي
افنائكم بالمرة وايجاد آخرين دفعة مكانكم قديرا بليغ القدرة وفيه لا سيما في توسيط الخطاب بين الجزاء وما عطف
عليه من تشديد التهديد ما لا يخفى وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب اي ان يشاء
يمتكم ويات بناس آخرين يوالونه فمعناه معنى قوله تعالى فان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم وروي
انها لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد ابناء فارس من كان يريد ثواب
الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة اي فعنده تعالى ثوابهما له ان اراده فما له يطلب اخسهما
فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة او ليطلب اشرفهما فان من جاهد خالصا لوجه الله
لم تخطيه الغنيمة وله في الآخرة جنة كلا شي او فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريد كقوله تعالى ومن كان
يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه الآية وكان الله سميعا بصيرا عالما بجميع المسموعات والمبصرات فيندرج فيهما ما صدر
عنهم من الاقوال والاعمال المتعلقة بمراداتهم اندراجا اوليا يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط مبالغين في العدل
واقامة القسط في جميع الامور مجتهدين في ذلك حق الاجتهاد شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله
تعالى وهو خبر ثان وقيل حال ولو على انفسكم اي ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها على ان الشهادة عبارة
عن الاخبار بحق الغير سواء كان ذلك عليه او على ثالث او بان تكون الشهادة مستتبعة لضرر ينالكم من جهة المشهود
عليه او الوالدين والاقربين اي ولو كانت على والديكم واقاربكم ان يكن اي المشهود عليه غنيا يبتغي العادة رضاه

الأرض

وتبقي سخطه او فقيرا يترحم عليه غالبا وقري ان يكن غني او فقير علي ان كان تامة وجواب الشرط محذوف لدلالة قوله
تعالي فالله اولي بهما عليه اي فلا تمتنعوا عنها طلبا لرضي الغني او ترحما علي الفقير فان الله تعالي اولي بجنسي الغني والفقير
المدلول عليهما بما ذكر ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها وقري اولي بهم فلا تتبعوا الهوي ان تعدلوا اي مخافة
ان تعدلوا عن الحق فان اتباع الهوي من مظان الجور الذي حقه ان يخاف ويحذر وقيل كراهة ان تعدلوا بين الناس او ارادة
ان تعدلوا عن الحق وان تلووا اي السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل بان تاتوا بها لا علي وجهها وقري ان تلووا من
من الولاية والتصدي اي وان وليتم اقامة الشهادة او تعرضوا اي عن اقامتها راسا فان الله كان بما تعملون من لي الالسنة
والاعراض بالكلية او من جميع الاعمال التي من جملتها ما ذكر خبيرا فيجازيكم لا محالة علي ذلك فهو علي القراءة المشهورة
وعيد محض وعلي القراءة الاخيرة متضمن للوعد يا ايها الذين امنوا خطاب لكافة المسلمين فمعني قوله تعالي امنوا بالله ورسوله
والكتاب الذي نزل علي رسوله والكتاب الذي انزل من قبل اثبتوا علي الايمان بذلك وداوموا عليه وازدادوا فيه طمانينة
ويقينا او امنوا بما ذكر مفصلا بناء علي ان ايمان بعضهم اجمالي والمراد بالكتاب الثاني الجنس المنتظم لجميع الكتب السماوية
لقوله تعالي وكتبه وبالايمان به الايمان بان كل كتاب من تلك الكتب منزل منه تعالي علي رسول معين لارشاد امته
الي ما شرع لهم من الدين بالاوامر والنواهي لكن لا علي ان احكام تلك الكتب وشرايعها باقية بالكلية ولا علي ان الباقي منها
معتبر بالاضافة اليها بل علي ان الايمان بالكل مندرج تحت الايمان بالكتاب المنزل علي رسوله وان احكام كل منها كانت حقة
ثابتة الي ورود ما نسخها وان ما لم ينسخ منها الي الان من الشرايع والاحكام ثابتة من حيث انها من احكام هذا الكتاب
الجليل المصون عن النسخ والتبديل كما مر في تفسير خاتمة سورة البقرة وقري نزل وانزل علي البناء للمفعول وقيل
هو خطاب لمومني اهل الكتاب لما ان عبد الله بن سلام وابن اخته وابن اخيه مسلمة واسد واسيد ابني كعب وثعلبة
ابن قيس ويامين ابن يامين اتوا رسول الله صلي الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله انا نومن بك وبكتابك وبموسي والتورية
وعزير ونكفر بما سواهم من الكتب والرسل فقال عليه الصلاة والسلام بل امنوا بالله ورسوله محمد وكتابه القران وبكل
كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت فامنوا كلهم فامرهم بالايمان بالكتاب المتناول للتورية مع انهم مومنون بها
من قبل ليس لكون المراد بالايمان ما يعم انشاءه والثبات عليه ولا لان متعلق الامر حقيقة هو الايمان بما عداها
كانه قيل امنوا بالكل ولا تخصوا بالبعض بل لان المامور به انما هو الايمان بها في ضمن الايمان بالقران علي الوجه الذي
الذي اشير اليه انفا لا ايمانهم السابق ولان فيه حملا لهم علي التورية بينهما وبين ساير الكتب في التصديق لاشتراك
الكل فيما يوجبه وهو النزول من عند الله تعالي وقيل خطاب لاهل الكتابين لا لبعض دون بعض وامر كل طايفة
بالايمان بكتابه في ضمن الامر بالايمان بجنس الكتاب لما ذكر وقيل هو للمنافقين فالمعني امنوا بقلوبكم لا بالسنتكم فقط
ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر اي بشيء من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا بعيدا عن المقصد بحيث لا
يكاد يعود الي طريقه وزيادة الملايكة واليوم الاخر في جانب الكفر لما ان بالكفر باحدها لا يتحقق الايمان اصلا وجمع
الكتب والرسل لما ان الكفر بكتاب او برسول كفر بالكل وتقديم الرسل فيما سبق لذكر الكتاب بعنوان كونه منزلا عليه وتقديم
الملايكة والكتب علي الرسل لانهم وسايط بين الله عز وجل وبين الرسل في انزال الكتب ان الذين امنوا قال قتادة هم اليهود
امنوا بموسي ثم كفروا بعبادتهم العجل ثم امنوا عند عوده اليهم ثم كفروا بعيسي والانجيل ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد
عليه الصلاة والسلام وقيل قوم تكرر منهم الارتداد واصروا علي الكفر وازدادوا تماديا في الغي لم يكن الله ليغفر
لهم ولا ليهديهم سبيلا لما انه يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا علي الايمان فان قلوبهم قد ضربت علي الكفر
وتمرنت علي الردة وكان الايمان عندهم اهون شيء وادونه لا انهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان
محذوف اي مريدا ليغفر لهم وقوله عز وجل بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما يدل علي ان المراد بالمذكورين الذين امنوا في الظاهر
نفاقا وكفروا في السر مرة بعد اخري ثم ازدادوا كفرا ونفاقا ووضع بشر موضع انذر تهكما بهم الذين يتخذون الكافرين اوليا
في محل النصب او الرفع علي الذم بمعني اريد بهم الذين وهم الذين وقيل نصب علي انه صفة للمنافقين وقوله تعالي من

دون المومنين

دون المومنين حال من فاعل يتخذون اي يتخذون الكفرة انصارا متجاوزين ولاية المومنين وكانوا يوالونهم
ويقول بعضهم لبعض لا يتم امر محمد صلي الله عليه وسلم فتولوا اليهود ايبتغون عندهم العزة انكار لرايهم وابطال له و
بيان لخيبته وقطع لاطماعهم الفارغة والجملة معترضة مقررة لما قبلها اي يطلبون بموالاة الكفرة القوة والغلبة
قال الواحدي اصل العزة الشدة ومنه قيل للارض الشديدة الصلبة الصلة عزاز وقوله تعالي فان العزة لله جميعا
تعليل لما يفيده الاستفهام الانكاري من بطلان رايهم وخيبة رجايهم فان انحصار جميع افراد العزة والغلبة وقال ولله
العزة ولرسوله وللمومنين يقضي ببطلان التعزز بغيره سبحانه واستحالة الانتفاع به وقيل هو جواب شرط محذوف
كانه قيل ان تبتغوا عندهم عزة فان العزة لله وجميعا حال من المستكن في قوله تعالي لله لاعتماده علي المبتدا وقد نزل عليكم
في الكتاب خطاب للمنافقين بطريق الالتفات مفيد لتشديد التوبيخ الذي يستدعيه تعداد جناياتهم وقري مبنيا
للمفعول من التنزيل والانزال ونزل ايضا مخففا والجملة حال من ضمير يتخذون ايضا مفيدة لكمال قباحة حالهم
ونهاية استعصايهم عليه سبحانه ببيان انهم فعلوا ما فعلوا من موالاة الكفرة مع تحقق ما يمنعهم عن ذلك
وهو ورود النهي الصريح عن مجالستهم المستلزم للنهي عن موالاتهم علي ابلغ وجه واكده اثر بيان انتفاء ما يدعوهم
اليه بالجملة المعترضة كانه قيل تتخذونهم اولياء والحال انه تعالي قد نزل عليكم قبل هذا بمكة في الكتاب اي القران
الكريم ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزا بها فلا تقعدوا معهم حتي يخوضوا في حديث غيره وذلك قوله
تعالي واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم الاية وهذا يقتضي الانزجار عن مجالستهم في تلك الحالة القبيحة
فكيف بموالاتهم والاعتضاد بهم وان هي المخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف والجملة الشرطية خبرها
وقوله تعالي يكفر بها حال من ايات الله وقوله تعالي ويستهزا بها عطف عليه داخل في حكم الحالية واضافة
الايات الي الاسم الجليل لتشريفها وابانة خبرها وتهويل امر الكفر بها اي نزل عليكم في الكتاب انه اذا سمعتم ايات
الله مكفورا بها ومستهزا بها وفيه دلالة علي ان المنزل علي النبي صلي الله عليه وسلم وان خوطب به خاصة منزل
علي الامة وان مدار الاعراض عنهم هو العلم بخوضهم في الايات ولذلك عبر عن ذلك تارة بالروية واخري بالسماع
وان المراد بالاعراض اظهار المخالفة بالقيام عن مجالستهم لا الاعراض بالقلب او بالوجه فقط والضمير في معهم
للكفرة المدلول عليهم بقوله تعالي يكفر بها ويستهزا بها انكم اذا مثلهم جملة مستانفة سيقت لتعليل النهي
غير داخلة تحت التنزيل واذا ملغاة عن العمل لوقوعها بين المبتدا والخبر اي لا تقعدوا معهم في ذلك الوقت
انكم ان فعلتموه كنتم مثلهم في الكفر واستتباع العذاب وافراد المثل لانه كالمصدر وللاستغناء بالاضافة
الي الجمع وقري شاذا مثلهم بالفتح لاضافته الي غير متمكن كما في قوله تعالي مثل ما انكم تنطقون وقيل هو منصوب
علي الظرفية اي في مثل حالهم وقوله تعالي ان الله جامع الكافرين والمنافقين في جهنم جميعا تعليل لكونهم مثلهم في
الكفر ببيان ما يستلزمه من شركتهم لهم في العذاب والمراد بالمنافقين اما المخاطبون وقد وضع موضع ضميرهم
المظهر تسجيلا بنفاقهم وتعليلا للحكم بماخذ الاشتقاق واما الجنس وهم داخلون تحته دخولا اوليا و
تقديمهم علي الكافرين لتشديد الوعيد علي المخاطبين ونصب جميعا مثل ما قبله الذين يتربصون بكم تلوين للخطاب
وتوجيه له الي المومنين بتعديد بعض اخر من جنايات المنافقين وقبايحهم وهو اما بدل من الذين يتخذون
او صفة للمنافقين فقط اذ هم المتربصون دون الكافرين او مرفوع او منصوب علي الذم اي ينتظرون امركم
وما يحدث لكم من ظفر او اخفاق والفاء في قوله تعالي فان كان لكم فتح من الله لترتيب مضمونه علي ما قبلها فان
حكاية تربصهم مستتبعة لحكاية ما يقع بعد ذلك كما ان نفس التربص يستدعي شيئا ينتظره المتربص وقوعه
قالوا اي لكم الم نكن معكم اي مظاهرين لكم فاسهموا لنا في الغنيمة وان كان للكافرين نصيب من الحرب فانها سجال
قالوا اي للكفرة الم نستحوذ عليكم اي الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم فابقينا عليكم ونمنعكم من المومنين بان
ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم ومرضوا في قتالكم وتوانينا في مظاهرتكم والا لكنتم نهبة للمو

فهاتوا نصيبا لنا مما اصبتم وتسمية ظفر المسلمين فتحا وما للكافرين نصيبا لتعظيم شان المسلمين وتخسير حظ الكافرين وقرئ ويمنعكم باضمار ان فالله يحكم بينكم يوم القيمة حكما يليق بشان كل منكم من الثواب والعقاب واما في الدنيا فقد اجرى على من تفوه بكلمة الاسلام حكمه ولم يضع السيف على من تكلم بها نفاقا ولن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا حينئذ كما قد يجعل ذلك في الدنيا بطريق الابتلاء والاستدراج او في الدنيا على ان المراد بالسبيل الحجة ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم كلام مبتدا سيق لبيان طرف آخر من قبائح اعمالهم اي يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطال نقيضه والله تعالى فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم في الدنيا معصومي الدماء والاموال واعد لهم في الاخرة الدرك الاسفل من النار وقد مر التحقيق في صدر سورة البقرة وقيل يعطون على الصراط نورا كما يعطى المومنون فيمضون بنورهم ثم يطفا نورهم ويبقى نور المومنين فينادي انظرونا نقتبس من نوركم واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ بفتح الكاف وهما جمعا كسلان قوله تعالى يراؤن الناس ليحسبوهم مومنين والمراءاة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يري غيره عمله وهو يريه استحسانه والجملة اما استيناف مبني على سوال نشا من الكلام كانه قيل فماذا يريدون بقيامهم اليها فقيل يراؤن الى اخره او حال من ضمير قاموا ولا يذكرون الله الا قليلا عطف على يراؤن اي لا يذكرونه سبحانه الا ذكرا قليلا وهو ذكرهم باللسان فانه بالاضافة الى الذكر بالقلب قليل والا زمانا قليلا او لا يصلون الا قليلا لانهم لا يصلون الا بمرأى من الناس وذلك قليل وقيل لا يذكرونه تعالى في الصلوة الا قليلا عند التكبير والتسليم وقوله تعالى مذبذبين بين ذلك حال من فاعل يراؤن او منصوب على الذم وذلك اشارة الى الايمان والكفر المدلول عليهما بمعونة المقام اي مرددين بينهما متحيرين قد ذبذبهم الشيطان وحقيقة المذبذب ما يذب ويدفع عن كلا الجانبين مرة بعد اخرى وقرئ بكسر الذال اي مذبذبين قلوبهم او دينهم او رايهم او هو بمعنى متذبذبين كما جاء صلصل بمعنى تصلصل وفي مصحف ابن مسعود رضي الله عنه متذبذبين وقرئ مدبدبين بالدال غير المعجمة وكان المعنى اخذ بهم تارة في دبة اي طريقة واخرى في اخرى لا الى هولاء ولا الى هولاء اي لا منسوبين الى المومنين ولا منسوبين الى الكافرين او لا صائرين الى الاولين ولا الى الاخرين فمحله النصب على انه حال من ضمير مذبذبين او على انه بدل منه او بيان تفسير له ومن يضلل الله لعدم استعداده للهداية والتوفيق فلن تجد له سبيلا موصلا الى الحق والصواب فضلا عن ان تهديه اليه والخطاب لكل من يصلح له كاينا من كان يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المومنين نهوا عن موالاة الكفرة صريحا وان كان في بيان حال المنافقين مزجرة عن ذلك مبالغة في الزجر والتحذير اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا اي تريدون بذلك ان تجعلوا لله عليكم حجة بينة على انكم منافقون فان موالاتهم اوضح ادلة النفاق او سلطانا يسلط عليكم عقابه وتوجيه الانكار الى الارادة دون متعلقها بان يقال اتجعلون الى اخره للمبالغة في انكاره وتهويل امره ببيان انه مما لا يصدر عن العاقل ارادته فضلا عن صدوره نفسه كما في قوله عز وجل ام تريدون ان تسألوا رسولكم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وهو الطبقة التي في قعر جهنم وانما كان كذلك لانهم اخبث الكفرة حيث ضموا الى الكفر الاستهزاء بالاسلام واهله خداعهم واما قوله عليه السلام ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان ونحوه فمن باب التشديد والتغليظ مبالغة في الزجر وتسمية طبقاتها السبع دركات لكونها متداركة متتابعة بعضها تحت بعض وقرئ بفتح الراء وهو لغة كالسطر والسطر ويعضده ان جمعه ادراك ولن تجد لهم نصيرا يخلصهم منه والخطاب كما سبق الا الذين تابوا اي عن النفاق وهو استثناء من المنافقين بل من ضميرهم في الخبر واصلحوا ما افسدوا من احوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله اي وثقوا به وتمسكوا بدينه واخلصوا دينهم اي جعلوه خالصا لله لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من

معنى

معنى البعد للايذان ببعد المنزلة وعلو الطبقة مع المومنين اي المومنين المعهودين الذين لم يصدر عنهم نفاق اصلا منذ امنوا والا فهم ايضا مومنون اي معهم في الدرجات العالية من الجنة وقد بين ذلك بقوله تعالى وسوف يوت الله المومنين اجرا عظيما لا يقادر قدره فيساهمونهم فيه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم استيناف مسوق لبيان ان مدار تعذيبهم وجودا وعدما انما هو كفرهم لا شيء اخر فيكون مقررا لما قبله من اثابتهم عند توبتهم وما استفهامية مفيدة للنفي على ابلغ وجه واكده اي اي شيء يفعل الله سبحانه بعذابكم ايتشفى به من الغيظ ام يدرك به الثار ام يستجلب نفعا او يستدفع به ضررا كما هو شان الملوك وهو الغني المتعالي عن امثال ذلك وانما هو امر يقتضيه كفركم فاذا زال ذلك بالايمان والشكر انتفى التعذيب لا محالة وتقديم الشكر على الايمان لما انه طريق موصل اليه فان الناظر يدرك اولا ما عليه من النعم الانفسية والافاقية فيشكر شكرا مبهما ثم يترقى الى معرفة المنعم فيومن به وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه وكان الله شاكرا الشكر من الله سبحانه هو الرضا باليسير من طاعة عباده واضعاف الثواب بمقابلته عليما مبالغا في العلم بجميع المعلومات التي من جملتها شكركم وايمانكم فيستحيل ان لا يوفيكم اجوركم لا يحب الله الجهر بالسوء من القول عدم محبته تعالى لشيء كناية عن سخطه والباء متعلقة بالجهر ومن بمحذوف وقع حالا من السوء اي لا يحب الله تعالى ان يجهر احد بالسوء كاينا من القول الا من ظلم اي الا جهر من ظلم بان يدعو على ظالمه او يتظلم منه ويذكره بما فيه من السوء فان ذلك غير مسخوط عنده سبحانه وقيل هو ان يبدأ بالشتيمة فيرد على الشاتم ولمن انتصر بعد ظلمه الاية وقيل ضاف رجل قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب على الشكاية فنزلت وعن علي الا من ظلم على البناء للفاعل فالاستثناء منقطع اي ولكن الظالم يرتكب ما لا يحبه الله تعالى فيجهر بالسوء وكان الله سميعا بجميع المسموعات فيندرج فيها كلام المظلوم والظالم عليما بجميع المعلومات التي من جملتها حال المظلوم والظالم فالجملة مقررة لما يفيده الاستثناء ان تبدوا خيرا اي خير كان من الاقوال والافعال او تخفوه او تعفوا عن سوء مع ما سوغ لكم من مواخذة المسيء والتنصيص عليه مع اندراجه في ابداء الخير واخفائه لما انه الحقيق بالبيان وانما ذكرا بداء الخير واخفاءه بطريق التسبيب له كما ينبئ عنه قوله عز وجل فان الله كان عفوا قديرا فان ايراده في معنى الشرط يدل على ان العمدة هو العفو مع القدرة اي كان مبالغا في العفو مع كمال قدرته على المواخذة وقال الحسن يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله تعالى وقال الكلبي هو اقدر على عفو ذنوبكم منكم على عفو ذنوب من ظلمكم وقيل عفوا عمن عفا قديرا على ايصال الثواب اليه ان الذين يكفرون بالله ورسله اي يودي اليه مذهبهم ويقتضيه رايهم لا انهم يصرحون بذلك كما ينبئ عنه قوله تعالى ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله اي بان يومنوا به تعالى ويكفروا بهم لكن لا بان يصرحوا بالايمان به تعالى وبالكفر بهم قاطبة بل بطريق الالتزام كما يحكيه قوله تعالى ويقولون نومن ببعض ونكفر ببعض اي نومن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم كما قالت اليهود نومن بموسى والتورية وعزير ونكفر بما وراء ذلك وما ذلك الا كفر بالله تعالى ورسله وتفريق بين الله تعالى ورسله في الايمان لانه تعالى قد امرهم بالايمان بجميع الانبياء وما من نبي من الانبياء الا وقد اخبر قومه بحقية دين نبينا صلى الله عليه وعليهم اجمعين فمن كفر بواحد منهم فقد كفر بالكل وبالله تعالى من حيث لا يحتسب ويريدون بقولهم ذلك ان يتخذوا بين ذلك اي بين الايمان والكفر سبيلا يسلكونه مع انه لا واسطة بينهما قطعا اذ الحق لا يختلف وماذا بعد الحق الا الضلال اولئك الموصوفون بالصفات القبيحة هم الكافرون الكاملون في الكفر لا عبرة بما يدعونه ويسمونه ايمانا اصلا حقا مصدر مؤكد لمضمون الجملة اي حق ذلك اي كونهم كاملين في الكفر حقا او صفة لمصدر الكافرين اي هم الذين كفروا كفرا حقا اي ثابتا يقينا لا ريب فيه واعتدنا للكافرين اي لهم وانما وضع المظهر مكان المضمر ذما لهم وتذكيرا لوصفهم او لجميع الكافرين وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا عذابا مهينا سيذوقونه عند حلوله والذين امنوا بالله ورسله على الوجه الذي بين في تفسير قوله تعالى يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله

الاية ولم يفرقوا بين احد منهم بان يومنوا ببعضهم ويكفروا باخرين كما فعله الكفرة ودخول بين على احد قد مر تحقيقه في سورة البقرة بما لا مزيد عليه اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة سوف يوتيهم اجورهم الموعودة لهم وتصديره بسوف لتاكيد الوعد والدلالة على انه كاين لا محالة وان تراخي وقري نوتيهم بنون العظمة وكان الله غفورا لما فرط منهم رحيما مبالغا في الرحمة عليهم بتضعيف حسناتهم يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء نزلت في احبار اليهود حين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فاتنا بكتاب من السماء جملة كما اتي به موسى عليه السلام وقيل كتابا محررا بخط سماوي على اللوح كما نزلت التورية او كتابا نعاينه حين ينزل او كتابا الينا باعيانا بانك رسول الله وما كان مقصدهم بهذه العظيمة الا التحكم والتعنت قال الحسن ولو سالوه لكي يتبينوا الحق لاعطاهم وفيما اتاهم كفاية فقد سالوا موسى اكبر من ذلك جواب شرط مقدر اي ان استكبرت ما سالوه منك فقد سالوا موسى شيئا اكبر منه وقيل تعليل للجواب اي فلا تبال بسوالهم فقد سالوا موسى اكبر منه وهذه المسئلة وان صدرت عن اسلافهم لكنهم لما كانوا مقتدين بهم في كل ما ياتون وما يذرون اسندت اليهم في ذلك عرقا راسخا وان ما اقترحوا عليك ليس اول جهالاتهم فقالوا ارنا الله جهرة اي ارناه نره جهرة اي عيانا او مجاهرين معاينين له والفاء تفسيرية فاخذتهم الصاعقة اي النار التي جاءت من السماء فاهلكتهم وقري الصعقة بظلمهم اي بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسوالهم لما يستحيل في تلك الحالة التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الروية مطلقا ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات اي المعجزات التي اظهرها لفرعون من العصا واليد البيضاء وفلق البحر وغيرها لا التورية لانها لم تنزل عليهم بعد فعفونا عن ذلك ولم نستاصلهم وكانوا احقاء به قيل هذا استدعاء لهم الى التوبة كانه قيل ان اولئك الذين اجرموا تابوا فعفونا عنهم فتوبوا انتم ايضا حتى نعفو عنكم واتينا موسى سلطانا مبينا سلطانا ظاهرا عليهم حيث امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن معصيتهم ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم اي بسبب ميثاقهم ليعطوه على ما روي انهم امتنعوا عن قبول شريعة التورية فرفع الله عليهم الطور فقبلوها او ليخافوا فلا ينقضوه على ما روي انهم هموا بنقضه فرفع الله تعالى عليهم الجبل فخافوا واقلعوا عن النقض وهو الانسب بما سياتي من قوله عز وجل واخذنا منهم ميثاقا غليظا وقلنا لهم على لسان موسى عليه الصلوة والسلام والطور مظل عليهم ادخلوا الباب قال قتادة كنا نحدث انه باب من ابواب بيت المقدس وقيل هو ايليا وقيل هو اريحا وقيل هو اسم قرية وقيل باب القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسى عليه السلام سجدا اي متطامنين خاضعين وقلنا لهم لا تعدوا اي لا تظلموا باصطياد الحيتان في السبت وقري لا تعتدوا ولا تعدوا بفتح العين وتشديد الدال على ان اصله تعتدوا فادغمت التاء في الدال لتقاربهما في المخرج بعد نقل حركتها الى العين واخذنا منهم على الامتثال بما كلفوه ميثاقا غليظا موكدا وهو العهد الذي اخذه الله عليهم في التورية قيل انهم اعطوا الميثاق على انهم ان هموا بالرجوع عن الدين فالله تعالى يعذبهم باي انواع العذاب اراد فبما نقضهم ميثاقهم ما مزيدة للتاكيد او نكرة تامة ونقضهم بدل منها والباء متعلقة بفعل محذوف اي فبسبب نقضهم ميثاقهم ذلك فعلنا بهم ما فعلنا من اللعن والمسخ روي انهم اعتدوا في السبت في عهد داود عليه السلام فلعنوا ومسخوا قردة وخنازير وغيرهما من العقوبات النازلة عليهم او على اعقابهم وقيل متعلقة بحرمنا على ان قوله تعالى فبظلم بدل من قوله تعالى فبما وما عطف عليه فيكون التحريم معللا بالكل ولا يخفى ان قولهم انا قتلنا المسيح وقولهم على مريم البهتان متاخر عن التحريم ولا مساغ لتعلقها بما دل عليه قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم لانه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة قوله تعالى وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاره وكفرهم بايات الله اي بالقران او بما في كتابهم وقتلهم الانبياء بغير حق كزكرياء ويحيى عليهما السلام وقولهم قلوبنا غلف جمع اغلف اي هي مغشاة باغشية جبلية لا يكاد يصل اليها ما جاء به محمد عليه الصلوة والسلام او تخفيف غلف جمع غلاف اي هي اوعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره قاله ابن عباس رضي الله عنهما وعطا وقال الكلبي

يعنون

يعنون ان قلوبنا بحيث لا يصل اليها حديث الا وعته ولو كان في حديثك خير لوعته ايضا بل طبع الله عليها بكفرهم كلام معترض بين المعطوفين جيء به على وجه الاستطراد مسارعة الى رد زعمهم الفاسد اي ليس كفرهم وعدم وصول الحق الى قلوبهم لكونها غلفا بحسب الجبلة بل الامر بالعكس حيث ختم الله عليها بسبب كفرهم او ليست قلوبهم كما زعموا بل هي مطبوع عليها بسبب كفرهم فلا يومنون الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام واضرابه او الا ايمانا قليلا لا يعبا به وبكفرهم اي بعيسى عليه السلام وهو عطف على قولهم واعادة الجار لطول ما بينهما بالاستطراد وقد جوز عطفه على بكفرهم فيكون هو وما عطف عليه من اسباب الطبع وقيل هذا المجموع معطوف على مجموع ما قبله وتكرير ذكر الكفر للايذان بتكرر كفرهم حيث كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم الصلاة والسلام وقولهم على مريم بهتانا عظيما لا يقادر قدره حيث نسبوها الى ما هي عنه بالف منزل وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله نظم لهم قولهم هذا في سلك جناياتهم التي نعيت عليهم ليس لمجرد كونه كذبا بل لتضمنه لابتهاجهم بقتل النبي والاستهزاء به فان وصفهم له عليه السلام بعنوان الرسالة انما هو بطريق التهكم به كما في قوله تعالى يا ايها الذي نزل عليه الذكر الى اخره ولا ابابير عن ذكرهم له عليه السلام بالوجه القبيح على ما قيل من ان ذلك وضع للذكر الجميل من جهته تعالى مكان ذكرهم القبيح وقيل هو نعت له عليه السلام من جهته تعالى مدحا له عليه السلام ورفعا لمحله واظهارا لغاية جراتهم في تصديهم لقتله ونهاية وقاحتهم في افتخارهم ذلك وما قتلوه وما صلبوه حال او اعتراض ولكن شبه لهم روي ان رهطا من اليهود سبوه عليه السلام وامه فدعا عليهم فمسخهم الله تعالى قردة وخنازير فاجمعت اليهود على قتله فاخبره الله تعالى بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى بان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم انا فالقى الله تعالى عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافق عيسى عليه السلام فلما ارادوا قتله قال انا ادلكم عليه فدخل بيت عيسى عليه الصلوة والسلام فرفع عليه السلام والقي شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون انه عيسى عليه السلام وقيل ان ططيانوس اليهودي دخل بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله تعالى عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى عليه السلام فاخذ وقتل وامثال هذه الخوارق لا تستبعد في عصر النبوة وقيل ان اليهود لما هموا بقتله عليه السلام فرفعه الله تعالى الى السماء خاف روساء اليهود من وقوع الفتنة بين عوامهم فاخذوا انسانا وقتلوه وصلبوه ولبسوا على الناس واظهروا لهم انه هو المسيح وما كانوا يعرفونه الا بالاسم لعدم مخالطته عليه السلام لهم الا قليلا وشبه مسند الى الجار والمجرور كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول او في الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثمة مقتولا وان الذين اختلفوا فيه اي في شان عيسى عليه السلام فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد اخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعني الى السماء انه رفع الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت لفي شك منه لفي تردد والشك كما يطلق على ما لم يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك اكد بقوله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع اي لكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي تسكن اليه النفس جزما كان او غيره فالاستثناء حينئذ متصل وما قتلوه يقينا اي قتلا يقينا كما زعموا بقولهم انا قتلنا المسيح وقيل معناه وما علموه يقينا كما في قول من قال • كذاك يخبر عنها العالمات بها • وقد قتلت بعلمي ذلكم يقنا • من قولهم قتلت الشيء وخبرته اذا بالغ علمك فيه وفيه تهكم بهم لاشعاره بعلمهم في الجملة وقد نفي ذلك عنهم بالكلية بل رفعه الله اليه رد وانكار لقتله واثبات لرفعه وكان الله عزيزا لا يغالب فيما يريد حكيما في جميع افعاله فيدخل فيها تدبيراته تعالى في امر عيسى عليه السلام دخولا اوليا وان من اهل الكتاب اي من اليهود والنصارى الا ليومنن به قبل موته جملة قسمية وقعت صفة لموصوف محذوف اليه يرجع الضمير الثاني والاول لعيسى عليه الصلوة والسلام اي وما

من اهل الكتاب احد الا ليومنن بعيسى عليه السلام قبل ان تزهق روحه بانه عبد الله ورسوله ولات حين ايمان لانقطاع
وقت التكليف ويعضده انه قرئ ليومنن به قبل موتهم بضم النون لما ان احدا في معنى الجمع وعن ابن عباس رضي
الله عنهما انه فسر كذلك فقال له عكرمة فان اتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه
قال فان خر من فوق بيت او احترق او اكله سبع قال يتكلم بها في الهوي ولا تخرج روحه حتى يومن به وعن شهر بن
حوشب قال لي الحجاج اية ما قراتها الا تخالج في نفسي شيء منها يعني هذه الاية وقال اني اوتي بالاسير اليهودي
او النصراني فاضرب عنقه فلا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهودي اذا حضره الموت ضربت الملايكة دبره
ووجهه وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت انه عبد نبي ويقول للنصراني اتاك عيسى
نبيا فزعمت انه الله او ابن الله فيومن انه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان متكيا فاستوى
جالسا فنظر الي وقال ممن قلت حدثني محمد بن علي ابن الحنفية فاخذ ينكت الارض بقضيبه ثم قال لقد اخذتها
من عين صافية والاخبار بحالهم هذه وعيد لهم وتحريض على المسارعة الى الايمان به قبل ان يضطروا اليه مع انتفاء
جدواه وقيل كلا الضميرين لعيسى عليه السلام والمعنى وما من اهل الكتاب الموجودين عند نزول عيسى احد
الا ليومنن به قبل موته روي انه عليه السلام ينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب
الا يومن به حتى يكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام ويهلك الله تعالى في زمانه الدجال ويقع الامنة حتى
ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذياب مع الغنم ويلعب الصبيان مع الحيات ويلبث في الارض
اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه وقيل الضمير الاول يرجع الى الله تعالى وقيل الى محمد
صلى الله عليه وسلم ويوم القيمة يكون اي عيسى عليه الصلاة والسلام عليهم على اهل الكتاب شهيدا فيشهد على
اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فبظلم من الذين هادوا لعل ذكرهم
بهذا العنوان للايذان بكمال عظم ظلمهم بتذكير وقوعه بعد ما هادوا اي تابوا من عبادة العجل مثل تلك التوبة
الهائلة المشروطة ببخع النفوس اثر بيان عظمه في حد ذاته بالتنوين التفخيمي اي فبسبب ظلم عظيم خارج عن
حدود الاشباه والاشكال صادر عنهم حرمنا عليهم طيبات احلت لهم ولمن قبلهم لا لشيء غيره كما زعموا فانهم كانوا كلما
ارتكبوا معصية من المعاصي التي اقترفوها يحرم عليهم نوع من الطيبات التي كانت محللة لهم ولمن تقدمهم من
اسلافهم عقوبة لهم وكانوا مع ذلك يفترون على الله سبحانه ويقولون لسنا باول من حرمت عليه وانما كانت
محرمة على نوح وابرهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا فكذبهم الله عز وجل في مواقع كثيرة وبكتهم بقوله تعالى
كل الطعام كان حلا لبني اسرايل الا ما حرم اسرايل على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم
صادقين اي في ادعايكم انه تحريم قديم روي انه عليه السلام لما كلفهم اخراج التورية لم يجسر احد على اخراجها
لما ان كون التحريم بظلمهم كان مسطورا فيها فبهتوا وانقلبوا صاغرين وبصدهم عن سبيل الله كثيرا اي ناسا كثيرا
او صدا كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه فان الربوا كان محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على ان النهي يدل على حرمة
المنهي عنه واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة وساير الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم اي للمصرين على الكفر لا لمن
تاب وآمن من بينهم عذابا اليما سيذوقونه في الآخرة كما ذاقوا في الدنيا عقوبة التحريم لكن الراسخون في العلم منهم
استدراك من قوله واعتدنا الى آخره وبيان لكون بعضهم على خلاف حالهم عاجلا وآجلا اي لكن الثابتون
في العلم منهم المتقنون المستبصرون فيه غير التابعين للظن كاوليك الجهلة والمراد بهم عبد الله بن سلام
واصحابه والمومنون اي منهم وصفوا بالايمان بعد ما وصفوا بما يوجبه من الرسوخ في العلم بطريق العطف المبني
على المغايرة بين المعطوفين تنزيلا للاختلاف العنواني منزلة الاختلاف الذاتي وقوله تعالى يومنون بما
انزل اليك وما انزل من قبلك حال من المومنين مبينة لكيفية ايمانهم وقيل اعتراض موكد لما قبله وقوله
عز وجل والمقيمين الصلوة نصب باضمار فعل تقديره واعني المقيمين الصلوة على ان الجملة معترضة بين

ان

المبتداء

المبتداء والخبر وقيل هو عطف على ما انزل اليك على ان المراد بهم الانبياء اي يؤمنون بالكتب وبالانبياء او الملائكة
قاله مكي اي ويؤمنون بالملائكة الذين صفتهم اقامة الصلوة لقوله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقيل
عطف على الكاف في اوليك اي يؤمنون بما انزل اليك والى المقيمين الصلوة وهم الانبياء وقيل على الضمير المجرور
في منهم اي لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلوة وقرى بالرفع على انه معطوف على المومنون بناء على ما
مر من تنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي وكذا الحال فيما سياتي من المعطوفين فان قوله تعالى والموتون الزكوة
عطف على المومنون مع اتحاد الكل ذاتا وكذا الكلام في قوله تعالى والمومنون بالله واليوم الآخر فان المراد بالكل مومنوا
اهل الكتاب قد وصفوا اولا بكونهم راسخين في العلم الكتاب ايذانا بان ذلك موجب للايمان حتما وان من عداهم انما بقوا
مصرين على الكفر لعدم رسوخهم فيه ثم بكونهم مؤمنين بجميع الكتب المنزلة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام ثم بكونهم
عاملين بما فيها من الشرايع والاحكام واكتفي من بينها بذكر اقامة الصلوة وايتاء الزكوة المستتبعين لساير العبادات البدنية
والمالية ثم بكونهم مؤمنين بالمبداء والمعاد تحقيقا لحيازتهم الايمان بقطريه واحاطتهم به من طرفيه وتعريضا
بان من عداهم من اهل الكتاب ليسوا بمومنين بواحد منهما حقيقة فانهم بقولهم عزير ابن الله مشركون بالله سبحانه
وبقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة كافرون باليوم الاخر وقوله تعالى اوليك اشارة اليهم باعتبار اتصافهم
بما عد من الصفات الجميلة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتداء و
قوله تعالى سنوتيهم اجرا عظيما خبره والجملة خبر للمبتداء الذي هو الراسخون وما عطف عليه والسين لتاكيد الوعد
وتنكير الاجر للتفخيم هذا ما انسب بتجاذب طرفي الاستدراك حيث اوعد الاولون بالعذاب الاليم ووعد الاخرون
بالاجر العظيم كانه قيل اثر قوله تعالى واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما لكن المومنون منهم سنوتيهم اجرا عظيما
واما ما جنح اليه الجمهور من جعل قوله تعالى يومنون بما انزل اليك الى آخره خبر المبتداء ففي كمال السداد خلا انه غير
متعرض لتقابل الطرفين وقرى سيوتيهم بالياء مراعاة لظاهر قوله تعالى والمؤمنون بالله انا اوحينا اليك كما اوحينا
الى نوح والنبيين من بعده جواب لاهل الكتاب عن سوالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج
عليهم بانه ليس بدعا من الرسل وانما شانه في حقيقة الارسال واصل الوحي كشان ساير مشاهير الانبياء الذين لا
ريب لاحد في نبوتهم والكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي ايحاء مثل ايحاينا الى نوح او على انه حال
من ذلك المصدر المقدر معرفا كما هو راي سيبويه اي اوحينا الايحاء حال كونه مشبها بايحاينا الى آخره ومن بعده
متعلق باوحينا وانما بدئ بنوح عليه السلام لانه ابو البشر واول نبي شرع الله تعالى على لسانه الشرايع والاحكام
واول نبي عذبت امته لردهم دعوته وقد اهلك الله بدعائه اهل الارض واوحينا الى ابرهيم عطف على اوحينا الى
نوح داخل معه في حكم التشبيه اي وكما اوحينا الى ابرهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وهم اولاد يعقوب عليه السلام
وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان خصوا بالذكر مع ظهور انتظامهم في سلك النبيين تشريفا لهم واظهارا لفضلهم
كما في قوله تعالى من كان عدوا لله وملايكته وجبريل وميكال وتصريحا بمن ينتمي اليهم من الانبياء وتكرير الفعل
لمزيد تقرير الايحاء والتنبيه على انهم طايفة خاصة مستقلة بنوع مخصوص من الوحي وآتينا داود زبورا ه
قال القرطبي كان فيه ماية وخمسون سورة ليس فيها حكم من الاحكام وانما هي حكم ومواعظ والتحميد والتمجيد والثناء على الله
عز وجل وقرى بضم الزاي وهو جمع زبر بمعنى مزبورا والجملة عطف على اوحينا داخل في حكمه لان ايتاء الزبور من
باب الايحاء اي وكما آتينا داود زبورا وايثاره على واوحينا الى داود لتحقيق المماثلة في امر خاص هو ايتاء الكتاب بعد
تحقيقها في مطلق الايحاء ثم اشير الى تحقيقها في امر لازم لهما لزوما كليا وهو الارسال فان قوله تعالى ورسلا
نصب بمضمر يدل عليه اوحينا معطوف عليه داخل معه في حكم التشبيه كما قبله اي وكما ارسلنا رسلا لما يفسره قوله
تعالى قد قصصناهم عليك اي وقصصنا رسلا كما قالوا وفرعوا عليه ان قوله تعالى قد قصصناهم على الوجه الاول
منصوب على انه صفة لرسلا وعلى الوجه الثاني لا محل له من الاعراب فانه مما لا سبيل اليه كما ستقف عليه وقرى

بدفع رسل وقوله تعالى قبل متعلق بقصصنا اي قصصنا من قبل هذه السورة او اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك
عطف على رسلا منصوب بناصبه وقيل ابن عادل كلاهما منصوب بنزع الخافض والتقدير كما اوحينا الى نوح والى
رسل الى اخره والحق ان يكون انتصابهما بارسلنا فان فيه تحقيقا للمماثلة بين شانه صلى الله عليه وسلم وبين شئون من
يعترفون بنبوته من الانبياء عليهم السلام في مطلق الايحاء ثم في ايتاء الكتاب ثم في الارسال فان قوله تعالى انا اوحينا
اليك منتظم بمعنى اتيناك وارسلناك حتما كانه قيل انا اوحينا اليك ايحاء مثل ما اوحينا الى نوح ومثل ما اوحينا
الى ابرهيم ومن بعده اتيناك الفرقان ايتاء مثل ما آتينا داود زبورا وارسلناك ارسالا مثل ما ارسلنا قد قصصنا
عليك من قبل ورسلا اخرين لم نقصصهم عليك من غير تفاوت بينك وبينهم في حقيقة الايحاء واصل الارسال
فما للكفرة يسالونك شيا لم يعطه احد من هولاء الرسل عليهم السلام ومن هنا اتضح ان رسلا لا يمكن نصبه بقصصنا
فان ناصبه يجب ان يكون معطوفا على اوحينا داخلا معه في حكم التشبيه الذي عليه يدور فلك الاحتجاج على الكفرة
ولا ريب ان قصصنا لا تعلق له بشيء من الايحاء والايتاء حتى يمكن اعتباره في ضمن قوله تعالى انا اوحينا اليك ثم يعتبر
بينه وبين المذكور مماثلة مصححة للتشبيه على ان تقديره في رسلا الاول يقتضي تقدير نفيه في الثاني وذلك
اشد استحالة واظهر بطلانا وكلم الله موسى برفع الجلالة ونصب موسى وقرى على القلب وقوله تعالى تكليما
مصدر موكد رافع لاحتمال المجاز قال الفراء العرب تسمي ما وصل الى الانسان كلاما باي طريق وصل ما لم يوكد بالمصدر
فاذا اكد به لم يكن الا حقيقة الكلام والجملة اما معطوفة على قوله تعالى انا اوحينا اليك عطف على القصة لا على
آتينا وما عطف عليه واما حال بتقدير قد كما ينبئ تغيير الاسلوب بالالتفات والمعنى ان التكليم بغير واسطة منتهى
مراتب الوحي خص به موسى من بينهم فلم يكن ذلك قادحا في نبوة سائر الانبياء فكيف يتوهم كون نزول التورية عليه
عليه الصلاة والسلام جملة قادحا في صحة نبوة من انزل عليه الكتاب مفصلا مع ظهور ان نزولها كذلك لحكم
مقتضية لذلك من جملتها ان بني اسرائيل كانوا في العناد وشدة الشكيمة بحيث لو لم يكن نزولها كذلك لما امنوا
بها ومع ذلك ما امنوا بها الا بعد اللتيا والتي وقد فضل الله تعالى نبينا محمدا عليه الصلاة والسلام بان اعطاه
مثل ما اعطى كل واحد منهم صلى الله عليهم وسلم تسليما كثيرا رسلا مبشرين ومنذرين نصب على المدح او باضمار ارسلنا
او على الحال بان يكون رسلا موطيا لما بعده او على البدلية من رسلا الاول اي مبشرين لاهل الطاعة بالجنة و
منذرين للعصاة بالنار لئلا يكون للناس على الله حجة اي معذرة يعتذرون بها قايلين لولا ارسلت الينا رسولا
فيبين لنا شرايعك ويعلمنا ما لم نكن نعلم من احكامك لقصور القوة البشرية عن ادراك جزئيات المصالح وعجز اكثر
الناس عن ادراك كلياتها كما في قوله عز وجل ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع
اياتك الاية وانما سميت حجة مع استحالة ان يكون لاحد عليه سبحانه حجة في فعل من افعاله بل له ان يفعل ما يشاء كما
يشاء للتنبيه على ان المعذرة في القبول عنده تعالى بمقتضى كرمه ورحمته لعباده بمنزلة الحجة القاطعة التي لا مرد
لها ولذلك قال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا قال النبي صلى الله عليه وسلم ما احد اغير من الله عز وجل لذلك حرم
الفواحش ما ظهر منها وما بطن وما احد احب اليه المدح من الله تعالى لذلك مدح نفسه وما احد احب اليه العذر
من الله تعالى لذلك ارسل الرسل وانزل الكتب فاللام متعلقة بارسلنا وقيل مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان
وللناس خبرها وعلى الله متعلق بمحذوف وقع حالا من حجة اي كاينة على الله او هو الخبر وللناس حال على الوجه المذكور
ويجوز ان يتعلق كل منهما بما تعلق به الاخر الذي هو الخبر ولا يجوز التعلق بحجة لان معمول المصدر لا يتقدم عليه وقوله
تعالى بعد الرسل اي بعد ارسالهم وتبليغ الشرايع الى الامم على السنتهم متعلق بحجة او بمحذوف وقع صفة لها
لان الظروف يوصف بها الاحداث كما يخبر بها عنها نحو القتال يوم الجمعة وكان الله عزيزا لا يغالب في امر من اموره
ومن قضيته الامتناع عن الاجابة الى مسئلة المتعنتين حكيما في جميع افعاله التي من جملتها ارسال الرسل وانزال
الكتب فان تعدد الرسل والكتب واختلافها في كيفية النزول وتغايرها في بعض الشرايع والاحكام انما هو

لتفاوت طبقات الامم في الاحوال التي عليها يدور فلك التكليف فكما انه سبحانه وتعالى براهم على انحاء شتى والمواد
متباينة حسبما يقتضيه الحكم التكوينية كذلك تعبدهم بما يليق بشانهم ويقتضيه احوالهم المختلفة واستعداداتهم
المتغايرة من الشرايع والاحكام حسبما يستدعيه الحكمة التشريعية وراعى في ارسال الرسل وانزال الكتب وغير ذلك
من الامور المتعلقة بمعاشهم ومعادهم ما فيه مصلحتهم فسوال تنزيل الكتاب جملة اقتراح فاسد اذ حينئذ يتعاقب
التكاليف فيثقل على المكلف قبولها والخروج عن عهدتها واما التنزيل المنجم الواقع حسب الامور الداعية اليه فهو ايسر
قبولا واسهل امتثالا لكن الله يشهد بتخفيف النون ورفع الجلالة وقرى بتشديد النون ونصب الجلالة وهو استدراك
عما يفهم مما قبله كانه لما تعنتوا عليه بما سبق من السوال واحتج بقوله تعالى انا اوحينا الى اخره قيل انهم لا يشهدون
بذلك لكن الله يشهد بما انزل اليك على البناء للفاعل وقرى على بناء المفعول والباء صلة للشهادة اي يشهد بحقية
ما انزل اليك من القران المعجز الناطق بنبوتك وقيل لما انزل قوله تعالى انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك
بهذا فنزل ولكن الله يشهد وقوله تعالى انزله بعلمه اي ملتبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو تاليفه على نمط
بديع يعجز عنه كل بليغ او بعلمه بحال من انزله عليه واستعداده لاقتباس الانوار القدسية او بعلمه الذي يحتاج
اليه الناس في معاشهم ومعادهم فالجار والمجرور على الاولين حال من الفاعل وعلى الثالث من المفعول والجملة في
موقع تفسير لما قبلها وقرى نزله وقوله تعالى والملئكة يشهدون اي بذلك مبتداء وخبر والجملة عطف على ما قبلها
وقيل حال من مفعول انزله والملائكة يشهدون بصدقه وحقيته وكفى بالله شهيدا على صحة نبوتك حيث نصب
لها معجزات باهرة وحججا ظاهرة مغنية عن الاستشهاد بغيرها ان الذين كفروا اي بما انزله الله تعالى وشهد به
او بكل ما يجب الايمان به وهو داخل فيه دخولا اوليا والمراد بهم اليهود حيث كفروا به وصدوا عن سبيل الله وهو
دين الاسلام من اراد سلوكه بقولهم ما نعرف صفة محمد في كتابنا وقرى صدوا مبنيا للمفعول قد ضلوا بما فعلوا
من الكفر والصد عن طريق الحق ضلالا بعيدا لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون اعرق في الضلال وابعد
من الاقلاع عنه ان الذين كفروا اي بما ذكر انفا وظلموا اي محمدا صلى الله عليهم وسلم بانكار نبوته وكتمان نعوته الجليلة
ووضع غيرها مكانها والناس بصدهم عما فيه صلاحهم في المعاش والمعاد لم يكن الله ليغفر لهم لاستحالة تعلق المغفرة
بالكافر ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم لعدم استعدادهم للهداية الى الحق والاعمال الصالحة التي هي طريق الجنة
والمراد بالهداية المفهومة من الاستثناء بطريق الاشارة خلقه الله تعالى لاعمالهم السيئة المودية بهم الى جهنم عند صرف
قدرتهم واختيارهم الى اكتسابها او سوقهم اليها يوم القيمة بواسطة الملائكة والطريق على عمومه والاستثناء
متصل وقيل خاص بطريق الحق والاستثناء منقطع خالدين فيها حال مقدرة من الضمير المنصوب والعامل فيهما ما
دل عليه الاستثناء دلالة واضحة كانه قيل يدخلهم جهنم خالدين فيها الى اخره وقوله تعالى ابدا نصب على الظرفية رافع
لاحتمال الخلود على المكث الطويل وكان ذلك اي جعلهم خالدين في جهنم على الله يسيرا لاستحالة ان يتعذر عليه شيء
من مراداته تعالى يا ايها الناس بعد ما حكى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلل اليهود بالاباطيل واقتراحهم الباطل تعنتا
ورد عليهم ذلك بتحقيق نبوته عليه السلام وتقرير رسالته ببيان ان شانه عليه السلام في امر الوحي والارسال كشئون
من يصرحون بنبوته من مشاهير الانبياء عليهم الصلوة والسلام واكد ذلك بشهادته سبحانه وشهادة الملائكة امر المكلفين
كافة على طريق تلوين الخطاب بالايمان بذلك امرا مشفوعا بالوعد بالشفاعة والوعيد على الرد تنبيها على ان الحجة قد لزمت
ولم يبق لاحد بعد ذلك عذر في عدم القبول وقوله عز وجل قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم تكرير للشهادة وتقرير لحقية
المشهود به وتمهيد لما يعقبه من الامر والايمان وايراده صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة لتاكيد وجوب طاعته والمراد
هو القران الكريم والباء متعلقة بجاءكم فهي للتعدية او بمحذوف وقع حالا من الرسول اي ملتبسا بالحق ومن
ايضا متعلقة واما بالفعل واما بمحذوف وهو حال من الحق اي جاءكم به من عنده تعالى او جاءكم بالحق من
عنده تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين للايذان بان ذلك لتربيتهم وتبليغهم

الى كمالهم اللايق بهم ترغيبا لهم في الامتثال بما بعده من الامر والفاء في قوله عز وعلا فامنوا للدلالة على ايجاب ما قبلها
لما بعدها اي فامنوا به وبما جاءكم من الحق وقوله تعالى خيرا لكم منصوب على انه مفعول لفعل واجب الاضمار كما هو راي الخليل
وسيبويه اي اقصدوا وايتوا امرا خيرا لكم مما انتم فيه من الكفر او على انه نعت لمصدر محذوف كما هو راي الفراء اي امنوا ايمانا
خيرا لكم او على انه خبر كان المضمرة الواقعة جوابا للامر لا لجزاء الشرط الصناعي وهو راي الكسائي وابي عبيدة اي الان خيرا لكم
وان تكفروا اي تصروا وتستمروا على الكفر به فان لله ما في السموات والارض من الموجودات سواء كان داخلة في حقيقتهما وبذلك
يعلم حال انفسهما على ابلغ وجه واكده او خارجة عنهما مستقرة فيهما من العقلاء وغيرهم فيدخل في جملتهم المخاطبون
دخولا اوليا اي كلها له عز وجل خلقا وملكا وتصرفا لا يخرج من ملكوته وقهره شيء منها فمن هذا شانه فهو قادر على تعذيبكم
بكفركم لا محالة او فمن كان كذلك فهو غني عنكم وعن غيركم لا يتضرر بكفركم ولا ينتفع بايمانكم وقيل فمن كان كذلك فله عبيد
يعبدونه وينقادون لامره وكان الله عليما مبالغا في العلم فهو عالم باحوال الكل فيدخل في ذلك علمه تعالى بكفركم دخولا اوليا حكيما
مراعيا للحكمة في جميع افعاله التي من جملتها تعذيبه تعالى اياهم بكفرهم يا اهل الكتاب تجريد للخطاب وتخصيص له بالنصارى زجرا
لهم عما هم عليه من الكفر والضلال لا تغلوا في دينكم بالافراط في رفع شان عيسى عليه السلام وادعاء الوهيته واما غلو اليهود
في حط رتبته عليه السلام ورميهم بانه ولد لغير رشدة فقد نعي عليهم ذلك فيما سبق ولا تقولوا على الله الا الحق اي لا تصفوه
بما يستحيل اتصافه به من الحلول والاتحاد واتخاذ الصاحبة والولد بل نزهوه عن جميع ذلك انما المسيح قد مر تفسيره في
سورة ال عمران وقرئ بكسر الميم وتشديد السين كالسكيت على صيغة المبالغة وهو مبتدا وقوله تعالى عيسى بدل
منه او عطف بيان له وقوله تعالى ابن مريم صفة له مفيدة لبطلان ما وصفوه عليه السلام به من بنوته تعالى
وقوله تعالى رسول الله خبر مبتدا والجملة مستانفة مسوقة لتعليل النهي عن القول الباطل المستلزم للامر بضده
اعني الحق اي انه مقصور على مرتبة الرسالة لا يتخطاها وكلمته عطف على رسول الله اي مكون بكلمته وامره الذي هو
كن من غير واسطة اب ولا نطفة القاها الى مريم اي اوصلها اليه وحصلها فيها بنفخ جبريل عليه السلام وقيل
اعلمها اياها واخبرها بها بطريق البشارة وذلك قوله تعالى ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم قيل
الجملة حال من ضميره عليه السلام المستكن فيما دل عليه وكلمته من معنى المشتق الذي هو العامل فيها وقد مقدرة معها
وروح منه قيل هو الذي نفخ جبريل في درع مريم فحملت باذن الله تعالى سمي النفخ روحا لانه ريح يخرج من الروح ومن
لابتداء الغاية مجازا لا تبعيضية كما زعمت النصارى يحكى ان طبيبا حاذقا نصرانيا للرشيد ناظر علي بن حسين الواقدي
المروزي ذات يوم فقال له ان في كتابكم ما يدل على ان عيسى عليه السلام جزء منه تعالى وتلا هذه الاية فقرا الواقدي
وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه فقال اذا يلزم ان يكون جميع تلك الاشياء جزءا منه سبحانه وتعالى
علوا كبيرا فانقطع النصراني فاسلم وفرح الرشيد فرحا شديدا ووصل الواقدي بصلة فاخرة وهي متعلقة بمحذوف وقع صفة
لروح اي كائنة من جهته تعالى جعلت منه تعالى وان كانت بنفخ جبريل عليه السلام لكون النفخ بامره سبحانه وقيل
سمي روحا لاحيائه الاموات وقيل لاحياء به القلوب كما سمي به القران لذلك في قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك
روحا من امرنا وقيل اريد بالروح الوحي الذي اوحي الى مريم بالبشارة وقيل جرت العادة بانهم اذا ارادوا وصف
شيء بغاية الطهارة والنظافة قالوا انه روح فلما كان عيسى عليه السلام متكونا من النفخ لا من النطفة وصف بالروح
وتقديم كونه عليه السلام رسول الله تعالى في الذكر مع تاخره عن كونه كلمته تعالى وروحا منه في الوجود لتحقيق الحق
من اول الامر بما هو نص فيه غير محتمل للتاويل وتعيين مال ما يحتمل وسد باب التاويل الزائغ فامنوا بالله وخصوه بالالوهية
ورسله اجمعين وصفوهم بالرسالة ولا تخرجوا بعضهم عن سلكهم بوصف الالوهية ولا تقولوا ثلثة اي الالهة ثلثة اي الله
والمسيح ومريم كما ينبئ عنه قوله تعالى انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله او الله ثلثة ان صح انهم يقولون
الله جوهر واحد ثلثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون بالاول الذات
وحل الوجود وبالثاني العلم وبالثالث الحيوة انتهوا اي عن التثليث خيرا لكم قد مر وجه انتصابه انما الله اله واحد

اي بالذات

اي بالذات منزه عن التعدد بوجه من الوجوه فالله مبتدا واله خبره وواحد نعت اي منفرد في الهيته سبحانه
ان يكون له ولد اي اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد او سبحوه تسبيحا من ذلك فانه انما يتصور فيمن يماثله شيء
ويتطرق اليه فناء والله سبحانه منزه عن امثاله وقرئ ان يكون اي سبحانه ما يكون له ولد له ما في السموات وما
في الارض جملة مستانفة مسوقة لتعليل التنزيه وتقريره اي له ما فيهما من الموجودات خلقا وملكا وتصرفا لا يخرج
من ملكوته شيء من الاشياء التي من جملتها عيسى عليه السلام فكيف يتوهم كونه ولدا له تعالى وكفى بالله وكيلا اليه
يكل كل الخلق امورهم وهو غني عن العالمين فاني يتصور في حقه اتخاذ الولد الذي هو شان العجزة المحتاجين في تدبير
امورهم الى من يخلفهم ويقوم مقامهم لن يستنكف المسيح استيناف مقرر لما سبق من التنزيه والاستنكاف
الانفة والترفع من نكفت الدمع اذا نحيته عن وجهك بالاصبع اي لن يانف ولن يترفع ان يكون عبدا لله اي
عن ان يكون عبدا له تعالى مستمرا على عبادته وطاعته حسبما هو وظيفة العبودية كيف وان ذلك اقصى مراتب
الشرف والاقتصار على ذكر عدم استنكافه عليه السلام عنه مع ان شانه عليه السلام المباهاة به كما يدل عليه
احواله ويفصح عنه اقواله الا يرى ان اول مقالة قالها للناس قوله اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا
لوقوعه في موقع الجواب عما قاله الكفرة روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا
قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله تعالى
قالوا بلى فنزلت وهو السر في جعل المستنكف عنه كونه عليه السلام عبد الله تعالى دون ان يقال عن عبادة الله
ونحو ذلك مع افادة فائدة جليلة هي كمال نزاهته عليه السلام عن الاستنكاف بالكلية فان كونه عبد الله تعالى
حالة مستمرة غير مستلزمة للدوام يكفي في اتصاف موصوفها بها تحققها مرة فعدم الاستنكاف عنها لا يستلزم
عدم الاستنكاف عن دوامها والملئكة المقربون عطف على المسيح اي ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا عبيدا لله
قيل اريد بالملائكة كل واحد منهم لم يحتج الى التقدير واحتج بالاية من زعم فضل الملائكة على الانبياء عليهم الصلوة
والسلام وقال مساقه لرد النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي ان يكون المعطوف اعلى درجة
من المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم مستلزما لعدم استنكافه عليهم الصلوة والسلام واجيب بان مناط كفر
النصارى ورفعهم له عليه الصلوة والسلام عن رتبة العبودية لما كان اختصاصه عليه السلام وامتيازه عن
سائر افراد البشر بالولادة من غير اب وبالعلم بالمغيبات وبالرفع الى السماء عطف على عدم استنكافه عن عبوديته
تعالى عدم استنكاف من هو اعلى درجة فيما ذكر فان الملائكة مخلوقون من غير اب ولا ام وعالمون بما لا يعلمه البشر
من المغيبات ومقامهم السموات العلى ولا نزاع لاحد في علو درجتهم من هذه الحيثية وانما النزاع في علوها من
حيث كثرة الثواب على الطاعات وبان الاية ليست للرد على النصارى فقط بل على عبدة الملائكة ايضا فلا اتجاه لما
قالوا حينئذ وان سلم اختصاصها بالرد على النصارى فلعله اريد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير والتفضيل
لا باعتبار التكبير والتفضيل كما في قولك اصبح الامير لا يخالفه رئيس ولا مرؤس ولئن سلم ارادة التفضيل ففاية
الامر الدلالة على افضلية المقربين منهم وهم الكروبيون الذين حول العرش او من هو اعلى منهم رتبة من الملائكة
عليهم السلام على المسيح من الانبياء عليهم السلام وليس يلزم من ذلك فضل احد الجنسين على الاخر مطلقا و
هل التشاجر الا فيه ومن يستنكف عن عبادته اي عن طاعته فيشمل جميع الكفرة لعدم طاعتهم له تعالى وانما جعل
المستنكف عنه ها هنا عبادته تعالى لا ما سبق لتعليق الوعيد بوصف ظاهر الثبوت للكفرة فان عدم طاعتهم
له تعالى مما لا سبيل لهم الى انكاره اصلا فهم به فان قيل لم عبر عن عدم طاعتهم له تعالى بالاستنكاف عنها مع ان
ذلك منهم كان بطريق انكار كون الامر من جهته تعالى لا بطريق الاستنكاف قلنا لانهم كانوا يستنكفون عن طاعة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل هو الا الاستنكاف عن طاعة الله عز وجل اذ لا امر له عليه الصلاة والسلام
سوى امره تعالى ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ويستكبر الاستكبار الانفة عما لا ينبغي ان يونف عنه واصله

طلب الكبر لنفسه بغير استحقاق له لا المعنى طلب تحصيله مع اعتقاد عدم حصوله فيه بمعنى عد نفسه كبيرا او اعتقا
كذلك وانما عبّر عنه بما يدل على الطلب للايذان بان ماله محض الطلب بدون حصول المطلوب وقد عبّر عن ذلك بنفس
الطلب في قوله تعالى يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا فانهم ما كانوا يطلبون ثبوت العوج لسبيل الله مع اعتقا دهم
لاستقامتها بل كانوا يعدونها معوجة ويحكمون بذلك ولكن عبّر عن ذلك بالطلب لما ذكر من الاشعار بان ليس
هناك شيء سوى الطلب والاستكبار دون الاستنكاف المنبئ عن توهم لحوق العار والنقص عن المستنكف عنه فسيحشرهم
اليه جميعا اي المستنكفين ومقابليهم المدلول عليهم بذكر عدم استنكاف المسيح والملائكة عليهم السلام وقد ترك
ذكر احد الفريقين في المفصل تعويلا على انباء التفصيل عنه وثقة بظهور اقتضاء حشر احدهما لحشر الاخر ضرورة
عموم الحشر للخلائق كافة كما ترك ذكر احد الفريقين في التفصيل عند قوله تعالى فاما الذين امنوا بالله الاية مع
عموم الخطاب لهما اعتمادا على ظهور اقتضاء اثابة احدهما العقاب الاخر ضرورة شمول الجزاء للكل وقيل الضمير
للمستنكفين وهناك مقدر معطوف عليه والتقدير فسيحشرهم وغيرهم وقيل المعنى فسيحشرهم اليه يوم يحشر
العباد لمجازاتهم وفيه ان الانسب بالتفصيل الآتي اعتبار حشر الكل في الاجمال على نهج واحد فسيحشرهم بكسر
الشين وهي لغة وقري فسنحشرهم بنون العظمة بطريق الالتفات فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات بيان لحال الفريق
المطوي ذكره في الاجمال على بيان حال ما يقابله ابانة لفضله ومسارعة الى بيان كون حشره ايضا معتبرا في الاجمال
وايراده بعنوان الايمان والعمل الصالح لا بوصف عدم الاستنكاف المناسب لما قبله وما بعده للتنبيه على انه
المستتبع لما يعقبه من الثواب فيوفيهم اجورهم من غير ان ينقص منها شيئا اصلا ويزيدهم من فضله بتضعيفها اضعافا
مضاعفة وباعطاء ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واما الذين استنكفوا اي عن عبادته عز وجل و
استكبروا فيعذبهم بسبب استنكافهم واستكبارهم عذابا اليما لا يحيط به الوصف ولا يجدون لهم من دون الله وليا
يلي امورهم وتدبير مصالحهم قوله تعالى ولا نصيرا ينصرهم من بأسه تعالى وينجيهم من عذابه يا ايها الناس تلوين
للخطاب وتوجيه الى كافة المكلفين اثر بيان بطلان ما عليه الكفرة من فنون الكفر والضلال والزامهم بالبراهين
القاطعة التي تخر لها صم الجبال وازاحة شبهتهم الواهية بالبينات الواضحة وتنبيه لهم على ان الحجة قد تمت
فلم يبق بعد ذلك علة لمتعلل ولا عذر لمعتذر قد جاءكم اي وصل اليكم وتقرر في قلوبكم بحيث لا سبيل لكم الى الانكار
برهان البرهان ما برهن به على المطلوب والمراد به القران الدال على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم المثبت لما
فيه من الاحكام التي من جملتها ما اشير اليه مما اثبته الايات الكريمة من حقية الحق وبطلان الباطل روي عن
ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم عبر عنه به لما معه من المعجزات التي تشهد بصدقه وقيل
هي المعجزات التي اظهرها وقيل هو دين الحق الذي اتى به وقوله تعالى من ربكم اما متعلق بجاءكم او بمحذوف وقع صفة
مشرفة لبرهان موكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كاين منه تعالى على ان من
لابتداء الغاية مجازا وقد جوز على الثاني كونها تبعيضية بحذف المضاف اي كاين من براهين ربكم والتعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار اللطف بهم والايذان بان مجيئه لهم لتربيتهم وتكميلهم وانزلنا اليكم
نورا مبينا اريد به ايضا القران الكريم عبر عنه تارة بالبرهان لما اشير اليه آنفا واخرى بالنور المنير بنفسه المنور
لغيره ايذانا بانه بين بنفسه مستغن في ثبوت حقيته وكونه من عند الله عز وجل باعجازه غير محتاج الى غير
مبين لغيره من الامور المذكورة واشعارا بهدايته للخلق واخراجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان وقد
سلك به مسلك العطف المبني على تغاير الطرفين تنزيلا للمغايرة العنوانية منزلة المغايرة الذاتية وعبّر
عن ملابسته للمخاطبين تارة بالمجيء المسند اليه المنبئ عن كمال قوته في البرهانية كانه يجيء بنفسه فيثبت احكامه
من غير ان يجيء به احد ويجيء على شبه الكفرة بالابطال واخرى بالانزال الموقع عليه الملائم لحيثيته كونه نورا توقيرا
له باعتبار كل واحد من عنوانيه حظه اللائق به واسناد انزاله اليه تعالى بطريق الالتفات لكمال تشريفه هذا

على تقدير

على تقدير كون البرهان عبارة عن القران العظيم واما على تقدير كونه عبارة عن الرسول صلى الله عليه وسلم او عن المعجزات
الظاهرة على يده او عن دين الحق فالامر هين وقوله تعالى اليكم متعلق بانزلنا فان انزاله بالذات وان كان الى
النبي صلى الله عليه وسلم لكنه منزل اليهم ايضا بواسطته عليه الصلوة والسلام وانما اعتبر حاله بالواسطة
دون حاله بالذات كما في قوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب لتحكم بين الناس ونظاير لاظهار كمال اللطف بهم والتصريح
بوصوله اليهم مبالغة في الاعذار وتقديمه على المفعول الصريح مع ان حقه التاخر عنه لما مر غير مرة من
الاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر للمحافظة على الاي الكريمة فاما الذين امنوا بالله حسبما يوجبه البرهان
الذي اتاهم واعتصموا به اي عصموا به انفسهم مما يرديها من زيغ الشيطان وغيره فسيدخلهم في رحمة منه
وفضل قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هي الجنة وما يتفضل عليهم مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر وعبّر عن افاضة الفضل بالادخال على طريقة قوله ٭ وعلفتها تبنا وماء باردا ٭ حتى غدت همالة
عيناها ٭ وتنوين رحمة وفضل تفخيمي ومنه متعلق بمحذوف وقع صفة مشرفة لرحمة ويهديهم اليه اي الى الله
عز وجل وقيل الى الموعود وقيل الى عبادته صراطا مستقيما هو الاسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في
الاخرة وتقديم ذكر الوعد بادخال الجنة على الوعد بالهداية اليها على خلاف الترتيب في الوجود بين الموعودين للمسارعة
الى التبشير بما هو المقصد الاصلي قيل انتصاب صراطا على انه مفعول الفعل محذوف ينبئ عنه يهديهم اي
يعرفهم صراطا مستقيما يستفتونك اي في الكلالة مستغنى عن ذكره بوروده في قوله تعالى قل الله يفتيكم في الكلالة
وقد مر تفسيرها في مطلع السورة الكريمة والمستفتي جابر بن عبد الله رضي الله عنه يروى انه اتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم في طريق مكة عام حجة الوداع فقال ان لي اختا فكم آخذ من ميراثها ان ماتت وقيل
كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني كلالة فكيف اصنع في مالي وروي عنه رضي
الله عنه قال دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مريض لا اعقل فتوضا وصب من وضوئه علي فعقلت
فقلت يا رسول الله لمن الميراث وانما يرثني كلالة فنزلت وقوله تعالى ان امرؤ هلك استيناف مبين للفتيا
وارتفع امرؤ بفعل يفسره المذكور وقوله تعالى ليس له ولد صفة له وقيل وحال من الضمير في هلك
والولد مفسر للمحذوف غير مقصود في الكلام اي ان هلك امرؤ غير ذي ولد ذكرا كان او انثى واقتصر على ذكر
عدم الولد مع ان عدم الوالد ايضا معتبر في الكلالة ثقة بظهور الامر ولا له تفصيل الورثة عليه وقوله تعالى وله
اخت عطف على قوله تعالى ليس له ولدا وحال والمراد بالاخت من ليست لام فقط فان فرضها السدس وقد مر
بيانه في السورة الكريمة فلها نصف ما ترك اي بالفرض والباقي للعصبة اولها بالرد ان لم يكن له عصبة وهو اي
المرء المفروض يرثها اي اخته المفروضة ان فرض هلاكها مع بقائه ان لم يكن لها ولد ذكرا كان او انثى فالمراد
بارثها احراز جميع مالها اذ هو المشروط بانتفاء الولد بالكلية لا ارثها في الجملة فانه يتحقق مع وجود بنتها
وليس في الاية ما يدل على سقوط الاخوة بغير الولد ولا على عدم سقوطهم وانما دلت على سقوطهم مع الاب
السنة الشريفة فان كانتا اثنتين عطف على الشرطية الاولى اي اثنتين فصاعدا فلهما الثلثان مما ترك الضمير
لمن يرث بالاخوة والتانيث والتثنية باعتبار المعنى وقيل وفائدة الاخبار عنها باثنتين مع دلالة الف
التثنية على الاثنينية التنبيه على ان المعتبر في اختلاف الحكم هو العدد دون الصغر والكبر وغيرهما وان
كانوا اي من يرث بطريق الاخوة اخوة اي مختلطة رجالا ونساء بدل من اخوة والاصل وان كانوا اخوة واخوات
فغلب المذكر على المونث فللذكر اي فللذكر منهم مثل حظ الانثيين يقتسمون التركة على طريقة التعصيب
وهذا آخر ما نزل من كتاب الله في الاحكام روي ان الصديق رضي الله عنه قال في خطبته ان الاية التي
انزلها الله تعالى في سورة النساء في الفرائض فاولها في الولد والوالد وثانيها في الزوج والزوجة والاخوة من
الام والاية التي ختم الله بها السورة في الاخوة والاخوات لابوين او لاب والاية التي ختم الله بها سورة الانفال

اتوهمها في اولي الارحام يبين الله لكم اي حكم الكلالة او احكامه وشرايعه التي من جملتها حكمها ان تضلوا اي كراهة
ان تضلوا في ذلك وهذا راي البصريين صرح به المبرد وذهب الكسائي والفراء وغيرهما من الكوفيين الى تقدير اللام ولا
وطرح ان اي لئلا تضلوا وقال الزجاج هو مثل قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا اي لئلا تزولا وقال
ابو عبيدة رويت للكسائي حديث ابن عمر رضي الله عنهما وهو لا يدعون احد منكم على ولده ان يوافق من الله اجابة اي لئلا يوافق
فاستحسنه والبس ما ذكر من الاية والحديث نصا فيما ذهب اليه الكسائي واضرابه فان التقدير فيهما عند البصريين كراهة
ان تزولا وكراهة ان يوافق الاخر وقيل هناك حذف ولا تقدير وانما هو مفعول يبين اي يبين لكم ضلالكم الذي من شانكم
اذا خليتم وطباعكم لتحرزوا عنه وتحروا خلافه وانت خبير بان ذلك انما يليق بما اذا كان بيانه تعالى على طريقة تعيين مواقع
الخطاء والضلال من غير تصريح بما هو الحق والصواب وليس كذلك والله بكل شيء من الاشياء التي من جملتها احوالكم المتعلقة
بمحياكم ومماتكم عليم مبالغ في العلم فيبين لكم ما فيه مصلحتكم ومنفعتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النساء
فكانه تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم

سورة المائدة وهي مائة وعشرون اية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود الوفاء القيام بموجب العقد وكذا الايفاء والعقد هو العهد الموثق المشبه
بعقد الحبل ونحوه والمراد بالعقود ما يعم جميع ما الزمه الله تعالى عباده وعقد عليهم من التكاليف والاحكام الدينية
وما يعقدونه فيما بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به او يحسن دينا بان يحمل الامر على معنى
يعم الوجوب والندب امر بذلك اولا على وجه الاجمال ثم شرع في تفصيل الاحكام التي امر بالايفاء بها وبدئ بما يتعلق
بضروريات معايشهم فقيل احلت لكم بهيمة الانعام البهيمة كل ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان كثوب الخز وافرادها
لارادة الجنس اي احل لكم اكل البهيمة من الانعام وهي الازواج الثمانية المعدودة في سورة الانعام والحق بها الظباء
وبقر الوحش ونحوها وقيل هي المرادة بالبهيمة ههنا لتقدم بيان حل الانعام والاضافة لما بينهما من المشابهة والمماثلة
في الاجترار وعدم الانياب وفايدتها الاشعار بعلة الحكم المشتركة بين المضافين كانه قيل احلت لكم البهيمة المشبهة
بالانعام التي بين احلالها فيما سبق المماثلة لها في مناط الحكم وتقديم الجار والمجرور على القايم مقام الفاعل لما مر
مرارا من اظهار العناية بالمقدم لما فيه من تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى
النفس مترقبة الى وروده فيتمكن عندها فضل تمكن الا ما يتلى عليكم استثناء من بهيمة الانعام اي الا محرم
ما يتلى من قوله تعالى حرمت عليكم الميتة ونحوه او الا ما يتلى عليكم اية تحريمه غير محلي الصيد اي الاصطياد في البر او
اكل صيده ونصب على الحالية من ضمير لكم ومعنى عدم احلالهم له تقرير حرمته عملا واعتقادا وهو شايع في الكتاب
والسنة وقوله تعالى وانتم حرم اي محرمون حال من الضمير في محلي وفايدة تقييد احلال بهيمة الانعام بما ذكر
من عدم احلال الصيد حال الاحرام على تقدير كون المراد بها الظباء ونظايرها ظاهرة لما ان احلالها غير مطلق
كانه قيل احلت لكم الصيد حال كونكم ممتنعين عنه عند احرامكم واما على التقدير الاول ففايدته اتمام النعمة واظهار
الامتنان باحلالها بتذكير احتياجهم اليه فان حرمة الصيد في حالة الاحرام من مظان حاجتهم الى احلال غيره
حينئذ كانه قيل احلت لكم الانعام مطلقا حال كونكم ممتنعين عن تحصيل ما يغنيكم عنها في بعض الاوقات محتاجين
الى احلالها وفي اسناد عدم الاحلال اليهم بالمعنى المذكور مع حصول المراد بان يقال غير محلل لكم او محرما عليكم الصيد
حال احرامكم مزيد تربية للامتنان وتقرير للحاجة ببيان علتها القريبة فان تحريم الصيد عليهم انما يوجب حاجتهم
الى الاحلال اذا لم يحلوه عنه باعتقاد تحريمهم له عملا واعتقادا مع ما في ذلك من وصفهم بما هو اللايق بهم ان الله يحكم ما يريد
من الاحكام حسبما يقتضيه مشيته المبنية على الحكم البالغة فيدخل فيها ما ذكر من التحليل والتحريم دخولا اوليا ومعنى
الايفاء بها الجريان على موجبها عقدا وعملا والاجتناب عن تحليل المحرمات وتحريم بعض المحللات كالبحيرة ونظايرها

الآتي سياقها في بيانها يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعاير الله لما بين حرمة احلال الاحرام الذي هو من شعاير الحج عقب ذلك
ببيان حرمة احلال سائر الشعاير واضافتها الى الله عز وجل لتشريفها وتهويل الخطب في احلالها وهي جمع شعيرة
وهي اسم لما اشعر اي جعل شعارا وعلما للنسك من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والافعال التي هي علامات
الحاج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعي والحلق والنحر واحلالها ان يتهاونوا بحرمتها وان يحال بينها وبين المتنسكين
بها ويحدثوا في اشهر الحج ما يصدون به الناس عن الحج وقيل المراد بها دين الله تعالى لقوله تعالى ومن يعظم شعاير الله اي دينه
وقيل حرمات الله وقيل فرايضه التي حدها لعباده واحلالها الاخلال بها والاول انسب بالمقام ولا الشهر الحرام اي
لا تحلوه بالقتال فيه وقيل بالنسيء والاول هو الاولى بحال المؤمنين والمراد به شهر الحج وقيل الاشهر الاربعة الحرم
والافراد لارادة الجنس ولا الهدي بان يتعرض له بالغصب او بالمنع من بلوغ محله وهو ما اهدي الى الكعبة من ابل
او بقر او شاة جمع هدية كجدي وجدية قوله تعالى ولا القلايد هي جمع قلادة وهي ما يقلد به الهدي من نعل او لحاء
شجر ليعلم به انه هدي فلا يتعرض له والمراد النهي عن التعرض لذوات القلايد من الهدي وهي البدن وعطفها على
الهدي مع دخولها فيه لمزيد التوصية بها لمزيتها على ما عداها كما عطف جبريل وميكال على الملايكة عليهم السلام
كانه قيل والقلايد منه خصوصا والنهي عن التعرض لنفس القلايد مبالغة في النهي عن التعرض لاصحابها على معنى لا تحلوا
قلايدها فضلا عن ان تحلوها كما نهي عن ابداء الزينة بقوله تعالى ولا يبدين زينتهن مبالغة في النهي عن ابداء مواقعها
ولا امين البيت الحرام اي لا تحلوا قوما قاصدين زيارته بان تصدوهم عن ذلك باي وجه كان وقيل هناك مضاف محذوف
اي قتال قوم او اذى قوم امين الى اخره وقرئ ولا امي البيت الحرام بالاضافة وقوله عز وجل يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا
حال من المستكن في امين لا صفة له لان المختار ان اسم الفاعل اذا وصف بطل عمله اي قاصدين زيارته حال كونهم
طالبين ان يثيبهم الله تعالى ويرضى عنهم وتنكير فضلا ورضوانا للتفخيم ومن ربهم متعلق بنفس الفعل او بمحذوف
وقع صفة لفضلا مغنية عن وصف ما عطف عليه بها اي فضلا كاينا من ربهم ورضوانا كذلك والتعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لتشريفهم والاشعار بحصول مبتغاهم وقرئ تبتغون على الخطاب فالجملة حال
من ضمير المخاطبين في لا تحلوا على ان المراد بيان منافاة حالهم هذه للمنهي عنه لا تقييد النهي بها واضافة الرب الى
ضمير الامين للايماء الى اقتصار التشريف عليهم وحرمان المخاطبين عنه وعن نيل المبتغى وفي ذلك وقرئ تعليل النهي
وتاكيده والمبالغة في استنكاف المنهي عنه ما لا يخفى ومن ههنا قيل ان المراد بالامين هم المسلمون خاصة وبه تمسك
من ذهب الى ان الاية محكمة وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سورة المايدة من اخر القران نزولا فاحلوا
حلالها وحرموا حرامها وقال الحسن رحمه الله عليه ليس فيها منسوخ وعن ابي ميسرة فيها ثماني عشرة فريضة وليس
فيها منسوخ وقيل هم المشركون خاصة لانهم محتاجون الى نهي المؤمنين عن احلالهم دون المؤمنين على ان حرمة احلالهم
ثابتة بطريق دلالة النص ويؤيدها ان الاية نزلت في الحطم بن ضبيعة البكري وقد كان اتى المدينة فخلف خيله خارجها
ودخل على النبي صلى الله عليه وسلم وحدث ووعد ان ياتي باصحابه فيسلموا ثم خرج من عنده عليه السلام فمر بسرح
المدينة فاستاقه فلما كان في العام القابل خرج من اليمامة حاجا في حجاج بكر بن وايل ومعه تجارة عظيمة
وقد قلد الهدي فسال المسلمون النبي صلى الله عليه وسلم بينهم وبينه فاباه النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله
عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعاير الله الاية وفسر الفضل بطلب الرزق بالتجارة وما ابتغاء الرضوان بانهم
كانوا يزعمون انهم على سداد من دينهم وان الحج يقربهم الى الله تعالى فوصفهم الله تعالى بظنهم وذلك الظن
الفاسد وان كان بمعزل من استتباع رضوانه تعالى لكن لا يبعد في كونه مدارا لحصول بعض مقاصدهم الدنيوية
وخلاصهم عن المكاره العاجلة لاسيما في ضمن مراعاة حقوق الله تعالى وتعظيم شعايره وقال قتادة هو ان يصلح
معايشهم في الدنيا ولا يعجل لهم العقوبة فيها وقيل هم المسلمون والمشركون لما روي عن ابن عباس رضي الله
عنهما ان المسلمين والمشركين كانوا يحجون جميعا فنهى الله المسلمين ان يمنعوا احدا عن حج البيت بقوله تعالى لا تحلوا

الاية ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام وقوله تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد
الله وقال مجاهد والشعبي لا نحلوا انسخ بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ولا ريب في تناول الامين المشركين
قطعا اما استقلالا واما اشتراكا لما سيأتي من قوله تعالى ولا يجرمنكم شنان قوم الى اخره فتعين النسخ كلا او بعضا
ولابد في الوجه الاخير من تفسير الفضل والرضوان بما يناسب الفريقين فقيل ابتغاء الفضل اي الرزق للمومنين و
للمشركين عامة ابتغاء الرضوان للمومنين خاصة ويجوز ان يكون الفضل على اطلاقه شاملا للفضل الاخروي ايضا و
يختص ابتغاؤه بالمومنين واذا حللتم فاصطادوا تصريح بما اشير اليه بقوله تعالى وانتم حرم من انتهاء حرمة الصيد
بانتفاء موجبها والامر للاباحة بعد الحظر كانه قيل واذا حللتم فلا جناح عليكم في الاصطياد وقرئ احللتم وهو لغة
في حل وقرئ بكسر الفاء بالقاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا ولا يجرمنكم نهي عن احلال قوم من الا
خصوا به مع اندراجهم في النهي عن احلال الكل كافة لاستقلالهم بامور ربما يتوهم كونها مصححة لاحلالهم
داعية اليه وجرم جار مجرى كسب في المعنى وفي التعدي الى مفعول واحد والى اثنين يقال جرم ذنبا نحو كسبه و
جرمته ذنبا نحو كسبته اياه خلا ان جرم يستعمل غالبا في كسبه الاخير فيه وهو السبب في ايثاره ههنا على الثاني
وقد ينقل الاول الى كل منهما بالهمزة الى معنى الثاني فيقال اجرمته ذنبا واكسبته اياه وعليه قراءة من قرأ يجرمنكم
بضم الياء شنان قوم بفتح النون وقرئ بسكونها وكلاهما مصدر اضيف الى مفعوله لا الى فاعله كما قيل وهو شدة
البغض وغاية المقت ان صدوكم متعلق بالشنان باضمار لام العلة اي لان صدوكم عام الحديبية عن المسجد الحرام
عن زيارته والطواف به للعمرة وهذه اية بينة في عموم آمين للمشركين قطعا وقرئ ان صدوكم على انه شرط
معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم قد برز الصد المحقق فيما سبق في معرض المفروض للتوبيخ والتنبيه على ان
حقه ان لا يكون ووقوعه الا على سبيل الفرض والتقدير ان تعتدوا اي عليهم وانما حذف تعويلا على ظهوره وايماء
الى ان المقصد الاصلي من النهي مع صدور الاعتداء عن المخاطبين محافظة على تعظيم المشاعر لا منع وقوعه على القوم
مراعاة لجانبهم وهو ثاني مفعولي يجرمنكم اي لا يكسبنكم شدة بغضكم لهم لصدهم اياكم عن المسجد الحرام اعتداءكم
عليهم وانتقامكم منهم للتشفي وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للشنان عن كسب الاعتداء للمخاطبين لكنه في
الحقيقة نهيهم عن الاعتداء على ابلغ وجه واكده فان النهي عن اسباب الشيء ومباديه المؤدية اليه نهي عنه
بالطريق البرهاني وابطال لسببيته وقد توجه النهي الى المسبب ويراد النهي عن السبب كما في قوله لا ارينك
ههنا يريد به نهي مخاطبه عن الحضور لديه ولعل تأخير هذا النهي عن قوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا مع ظهور
تعلقه بما قبله للايذان بان حرمة الاعتداء لا تنتهي بالخروج عن الاحرام كانتهاء حرمة الاصطياد به بل هي باقية
ما لم ينقطع علاقتهم عن الشعائر بالكلية وبذلك يعلم بقاء حرمة التعرض لسائر الامين بالطريق الاولى وتعاونوا
على البر والتقوى لما كان الاعتداء غالبا بطريق التظاهر والتعاون امروا اثر ما نهوا عنه بان يتعاونوا على كل ما هو
من باب البر والتقوى ومتابعة الامر ومجانبة الهوى فدخل فيه ما نحن بصدده من التعاون على العفو والاغضاء عما
منهم دخولا اوليا ثم نهوا عن التعاون في كل ما هو من مقولة الظلم والمعاصي بقوله تعالى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان
فاندرج فيه النهي عن التعاون على الاعتداء والانتقام بالطريق البرهاني واصل لا تعاونوا لا تتعاونوا فحذف
منه احدى التاءين تخفيفا وانما اخر النهي عن الامر مع تقدم التخلية على التحلية مسارعة الى ايجاب ما هو مقصود
بالذات فان المقصود من ايجاب ترك التعاون على الاثم والعدوان انما هو تحصيل التعاون على البر والتقوى ثم امروا
بقوله تعالى واتقوا الله بالاتقاء في جميع الامور التي من جملتها مخالفة ما ذكر من الاوامر والنواهي فثبت وجوب
الاتقاء فيها بالطريق البرهاني ثم علل ذلك بقوله تعالى ان الله شديد العقاب اي لمن لا يتقيه فيعاقبكم لا محالة ان لم
تتقوه واظهار الاسم الجليل لما مر مرارا من ادخال الروعة وتربية المهابة وتقوية استقلال الجملة حرمت
عليكم الميتة شروع في بيان المحرمات التي اشير اليها بقوله تعالى الا ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير

ذبح والدم اي المسفوح منه لقوله تعالى او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونه
لم يحرم من قد دله اي فصد له ولحم الخنزير وما اهل لغير الله اي رفع الصوت لغير الله عند ذبحه كقولهم باسم
اللات والعزى والمنخنقة اي التي ماتت بالخنق والموقوذة التي قتلت بالضرب بالخشب ونحوه من وقذته اذا ضربته
والمتردية اي التي تردت من علو او الى بئر فماتت والنطيحة اي التي نطحتها اخرى فماتت بالنطح والتاء للنقل وقرئ
والمنطوحة وما اكل السبع اي ما اكل منه السبع فمات وقرئ بسكون الباء وقرئ واكيل السبع وفيه دليل
على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما صادته لم يحل الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكوته وفيه بقية حياة يضطرب اضطراب
المذبوح وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والذكوة في الشرع بقطع الحلقوم والمري بمحدد وما ذبح على النصب
قيل هو مفرد وقيل جمع نصاب وقرئ بسكون الصاد وايما كان فهو واحد الانصاب وهي احجار كانت منصوبة
حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هي الاصنام وان تستقسموا بالازلام جمع زلم وهو القدح اي وحرم
عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاث اقداح مكتوب على احدها امرني ربي وعلى الثاني
نهاني ربي والثالث غفل فان خرج الامر مضوا على ذلك وان خرج الناهي اجتنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها
مرة اخرى فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح على الانصباء
ذلكم اشارة الى الاستقسام بالازلام ومعنى البعد فيه للاشارة الى بعد منزلته في الشر فسق تمرد وخروج
عن الحد ودخول في علم الغيب وضلال باعتقاد انه طريق اليه وافتراء على الله سبحانه ان كان هو المراد بقولهم
ربي وشرك وجهالة ان كان هو الصنم وقيل ذلكم اشارة الى تناول المحرمات المعدودة لان معنى تحريمها تحريم
تناولها اليوم اللام للعهد والمراد به الزمان الحاضر وما يتصل به من الازمنة الماضية والاتية وقيل يوم نزولها
وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة عرفة حجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على العضباء فكادت
عضد الناقة تندق بثقلها فبركت وايا ما كانت فهو منصوب على انه ظرف بقوله تعالى يئس الذين كفروا من دينكم
اي من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث وغيرها او من ان يغلبوكم عليه لما شاهدوا من ان الله عز وجل
وفي بوعده حيث اظهره على الدين كله وهو الانسب بقوله تعالى فلا تخشوهم اي ان يظهروا عليكم واخشون
اي واخلصوا الى الخشية اليوم اكملت لكم دينكم بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقائد
والتوقيف على اصول الشرايع وقوانين الاجتهاد وتقديم الجار والمجرور للايذان من اول الامر بان الاكمال لمنفعتهم
ومصلحتهم كما في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك وعليكم في قوله تعالى واتممت عليكم نعمتي متعلق باتممت لا بنعمتي
لان المصدر لا يتقدم عليه معموله وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرارا اي اتممتها بفتح مكة ودخولها آمنين
ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكها والنهي عن حج المشرك وطواف العريان او باكمال الدين والشرايع او باكمالها
والتوفيق قيل اتممت عليكم نعمتي انجزت لكم وعدي بقولي ولاتم نعمتي عليكم ورضيت لكم الاسلام دينا اي اخترته
لكم من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رجلا من اليهود قال له يا امير
المومنين اية في كتابكم تقرؤنها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال اي اية قال اليوم اكملت
لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي الاية قال عمر رضي الله عنه قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي انزلت على النبي
عليه الصلاة والسلام وهو قائم بعرفة يوم الجمعة اشار رضي الله عنه الى ان ذلك اليوم عيد لنا وروي انه لما
نزلت هذه الاية بكى عمر رضي الله عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر قال ابكاني انا كنا في زيادة من
ديننا فاذا كمل فانه لا يكمل شيء الا نقص فقال عليه الصلاة والسلام صدقت فكانت هذه الاية نعي رسول الله صلى
الله عليه وسلم فما لبث بعد ذلك الا احدا وثمانين يوما فمن اضطر متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما
يوجب ان يجتنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضي
اي فمن اضطر الى تناول شيء من هذه المحرمات في مخمصة اي مجاعة يخاف معها الموت او مباديه غير متجانف لاثم

غير مايل ومنحرف اليه بان ياكلها متلذذا او مجاوز احق الرخصة او ينتزعها من مضطر اخر لقوله تعالي
غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يواخذه بذلك يسئلونك ماذا احل لهم شروع في تفصيل المحللات الذي ذكر
بعضها علي وجه الاجمال اثر بيان المحرمات كانهم سالوا عنها عند بيان اضدادها ولتضمن السوال معني القول
اوقع علي الجملة فماذا مبتدا واحل لهم خبره وضمير الغيبة لما ان يسالون بلفظ الغيبة كما يعتبر حال المحكي
عنه فيقال اقسم زيد لافعلن يعتبر حال الحاكي فيقال اقسم زيد ليفعلن والمسئول ما احل لهم من المطاعم
قل احل لكم الطيبات اي ما لم تستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر عنه كما في قوله تعالي ويحل لهم الطيبات ويحرم
عليهم الخبايث وما علمتم من الجوارح عطف علي الطيبات بتقدير المضاف علي ان ما موصولة والعايد محذوف
اي صيد ما علمتموه او مبتدا علي ان ما شرطية والجواب فكلوا وقد جوز كونها مبتدا علي تقدير كونها موصولة ايضا
والخبر كلوا وانما دخلته الفاء تشبيها للموصول باسم الشرط ومن الجوارح حال من الموصول او ضمير المحذوف والجوارح
الكواسر من سباع البهايم والطير وقيل سميت بها لانها تجرح الصيد غالبا مكلبين اي معلمين لها الصيد
والمكلب مودب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لان التاديب كثير ما يقع فيه او لان كل سبع
يسمي كلبا لقوله عليه السلام في حق عتبة بن ابي لهب حين اراد سفر الشام فغاظ النبي فقال عليه السلام
اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد وانتصابه علي الحالية من فاعل علمتم وفايدتها المبالغة في التعليم
لما ان اسم الكلب لا يقع فيه الا علي النحرير في علمه وقري مكلبين والمعني واحد تعلمونهن حال ثانية منه او
حال من ضمير مكلبين او استيناف مما علمكم الله من الحيل وطرق التعليم والتاديب كان العلم به الهام من الله تعالي
او مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه او مما عرفكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره
وانصرافه بدعايه وامساك الصيد عليه وعدم اكله منه فكلوا مما امسكن عليكم قد مر فيما سبق ان هذه
الجملة علي تقدير كون ما شرطية جواب الشرط وعلي تقدير كونها موصولة مرفوعة علي الابتداء خبرها واما
علي تقدير كونها عطفا علي الطيبات فهي جملة متفرعة علي بيان حل صيد الجوارح المعلمة مبينة للمضاف المقدر
الذي هو المعطوف وبه يتعلق الاحلال حقيقة ومشيرة الي نتيجة التعليم واثره داخلة تحت الامر فالفاء فيها
كما في قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به ومن تبعيضية لما ان البعض مما لا يتعلق به الاكل كالجلود والعظام
والريش وغير ذلك وما موصولة او موصوفة حذف عايدها وعلي متعلقة بامسكن اي فكلوا بعض ما امسكنه
وهو عدم الاكل في سباع الطير لما ان تاديبها الي هذه الدرجة متعذر وقال اخرون لا يشترط وهو الذي لم
ياكلن منه واما ما اكلن منه فهو مما امسكنه علي انفسهن لقوله عليه الصلاة والسلام لعدي بن حاتم وان اكل
منه فلا تاكل انما امسك علي نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط ذلك وقد روي عن
سلمان وسعد بن ابي وقاص وابي هريرة رضي الله عنهم انه اذا اكل الكلب ثلثيه وبقي ثلثه وقد ذكرت اسم الله تعالي
فكل واذكروا اسم الله عليه الضمير لما في ما علمتم اي سموا عليه عند ارساله او لما امسكن اي سموا عليه اذا ادركتم ذكاته
واتقوا الله في شان محرماته ان الله سريع الحساب سريع اتيان حسابه او سريع تمامه اذا شرع فيه يتم في اقرب
ما يكون من الزمان والمعني علي التقديرين انه يواخذكم سريعا في كل ما جل ودق واظهار الاسم الجليل في موقع
الاضمار لتربية المهابة وتعليل الحكم اليوم احل لكم الطيبات قيل المراد بالايام الثلثة وقت واحد وانما كرر للتاكيد
ولاختلاف الاحداث الواقعة حسن تكريره والمراد بالطيبات ما مر وطعام الذين اوتوا الكتاب اي اليهود
والنصاري واستثني علي رضي الله عنه تعالي نصاري بني تغلب وليسوا علي النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب
الخمر وبه اخذ الشافعي رضي الله عنه والمراد بطعامهم ما يتناول من ذبايحهم وغيرها حل لكم اي حلال
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه سئل عن ذبايح نصاري العرب فقال لا باس وهو قول عامة التابعين
وبه اخذ ابو حنيفة واصحابه وحكم الصابيين حكم اهل الكتاب عنده وقال صاحباه هما صنفان صنف

ملاقا عدم الاكل في سباع الطير

يقرون

يقرون الزبور ويعبدون الملائكة وصنف لا يقرون كتابا ويعبدون النجوم فهولاء ليسوا من اهل الكتاب
واما المجوس فقد سن بهم سنة اهل الكتابين في اخذ الجزية منهم دون اكل ذبايحهم ونكاح نسايهم لقوله صلي الله
وسلم سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسايهم ولا اكلي ذبايحهم وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم
ولو حرم عليهم لم يجز ذلك والمحصنات من المومنات رفع علي انه مبتدا حذف خبره لدلالة ما تقدم عليه اي حل لكم ايضا
والمراد بهن الحراير والعفايف وتخصيصهن بالذكر للبعث علي ما هو الاولي لا لنفي ما عداهن فان نكاح الاماء المسلمات
صحيح بالاتفاق وكذا نكاح غير العفايف منهن واما الاماء الكتابيات فهن كالمسلمات عند ابي حنيفة رحمه الله خلافا
للشافعي والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اي هن ايضا حل لكم وان كن حربيات وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا يحل
الحربيات اذا اتيتموهن اجورهن اي مهورهن وتقييد الحل باتيانها لتاكيد وجوبها والحث علي الاولي وقيل المراد
باتيانها التزامها واذا ظرفية عاملها حل المحذوف وقيل شرطية حذف جوابها اي اذا اتيتموهن اجورهن حللن
لكم محصنين حال من فاعل اتيتموهن اي حال كونكم اعفاء بالنكاح وكذا قوله تعالي غير مسافحين وقيل هو حال
من ضمير محصنين وقيل صفة لمحصنين اي غير مجاهرين بالزنا ولا متخذي اخدان اي ولا مسرين به والخدن الصديق
يقع علي الذكر والانثي وهو اما مجرور عطفا علي مسافحين باعتبار اوجهه الثلثة ومن يكفر بالايمان اي من ينكر
شرايع الاسلام التي من جملتها ما بين ههنا من الاحكام المتعلقة بالحل والحرمة ويمتنع عن قبولها فقد حبط
عمله الصالح الذي عمله قبل ذلك وهو في الاخرة من الخاسرين هو مبتدا من الخاسرين خبره وفي متعلقة بما تعلق
به الخبر من الكون المطلق وقيل بمحذوف دل عليه المذكور اي خاسر في الاخرة وقيل بالخاسرين علي ان الالف
واللام للتعريف لا موصولة لان ما عداها لا يعمل فيما قبلها وقيل يغتفر في الظرف ما لا يغتفر في غيره كما في قوله شعر
ربيته حتي اذا تمعددا كان جزائي بالعصا ان اجلدا يا ايها الذين امنوا شروع في بيان الشرايع المتعلقة بدينهم
بعد بيان ما يتعلق بدنياهم اذا قمتم الي الصلوة اي اردتم القيام اليها كما في قوله تعالي فاذا قرات القران
فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها مجازا للايجاز والتنبيه علي ان من اراد الصلوة
حقه ان يبادر اليها بحيث لا ينفك عن ارادتها واذا قصدتم الصلوة اطلاقا لاسم احد لازميها علي لازمها
الاخر وظاهر الاية الكريمة يوجب الوضوء علي كل قايم اليها وان لم يكن محدثا لما ان الامر للوجوب قطعا والاجماع
علي خلافه وقد روي ان النبي صلي الله عليه وسلم صلي الصلوة الخمس يوم الفتح بوضوء واحد فقال عمر له
صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عليه السلام عمدا فعلته يا عمر يعني بيانا للجواز وحمل الامر بالنسبة الي غير
المحدث علي الندب مما لا مساغ فالوجه ان الخطاب خاص بالمحدثين بقرينة دلالة الحال واشتراط الحدث
في التيمم الذي هو بدله وما نقل عن النبي صلي الله عليه وسلم والخلفاء رضي الله عنهم من انهم كانوا يتوضون
لكل صلاة فلا دلالة فيه لانهم كانوا يفعلونه بطريق الوجوب اصلا كيف لا وما روي عنه صلي الله عليه وسلم
من قوله من توضا علي طهر كتب الله له عشر حسنات صريح في ان ذلك كان منهم بطريق الندب وما قيل كان
كان ذلك اول الامر ثم نسخ يرده قوله عليه الصلاة والسلام المايدة من اخر القران نزولا فاحلوا حلالها وحرموا
حرامها فاغسلوا وجوهكم اي امروا عليها الماء ولا حاجة الي الدلك خلافا لمالك وايديكم الي المرافق الجمهور علي
علي دخول المرفقين في المغسول ولذلك قيل الي بمعني مع كما في قوله تعالي ويزدكم قوة الي قوتكم وقيل هي انما
تفيد معني الغاية مطلقا واما دخولها في الحكم او خروجها منه فلا دلالة لها عليه وانما هو امر يدور علي الدليل
الخارجي كما في حفظت القران من اوله الي اخره وقوله تعالي فنظرة الي ميسرة فان الدخول في الاول والخروج في
الثاني متيقن بناء علي تحقق الدليل وحيث لم يتحقق في الاية وكانت الايدي متناولة للمرافق حكم بدخولها فيها
احتياطا وقيل الي من حيث افادتها للغاية تقتضي خروجها لكن لما لم تتميز الغاية ههنا عن ذي الغاية وجب
ادخالها احتياطا وامسحوا برءوسكم الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل ومسحت

بالمنديل انها لا تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكانه قيل فالصقوا المسح بروسكم ولا يقتضي الاستيعاب كالو يقتضيه
ما لو قيل وامسحوا روسكم فانه كقوله تعالى فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء في القدر الواجب فاوجب الشافعي اقل
ما ينطلق عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة ببيان رسول الله عليه الصلاة والسلام حيث مسح على ناصيته وقدر
بربع الراس ومالك مسح الكل اخذا بالاحتياط **وارجلكم الى الكعبين** بالنصب عطفا على وجوهكم ويويده السنة الشايعة
وعمل الصحابة وقول اكثر الايمة والتحديد اذ المسح لم يعهد محدودا **وقرى** بالجر على الجوار ونظيره في القران كثير كقوله
تعالى عذاب يوم اليم ونظايره للنحاة في ذلك باب مفرد وفايدته التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد في صب الماء عليها
ويغسلها غسلا قريبا من المسح وفي الفصل بينه وبين اخواته ايماء الى افضلية الترتيب **وقرى** بالرفع وارجلكم مغسولة
وان كنتم جنبا فاطهروا اي فاغتسلوا **وقرى** فاطهروا اي فطهروا ابدانكم وفي تعليق الامر بالطهارة الكبرى بالحدث
الاكبر اشارة الى اشتراط الامر بالطهارة الصغرى **وان كنتم مرضى** مرضا يخاف به الهلاك او ازدياده باستعمال الماء
او على سفر اي مستقرين عليه قوله تعالى **او جاء احد منكم من الغايط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا**
فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه من لابتداء الغاية **وقيل** للتبعيض وهي متعلقة بامسحوا **وقرى** فامّوا صعيدا طيبا وقد مر تفسير الاية
الكريمة مشبعا في سورة النساء فليراجع اليه ولعل التكرير ليتصل الكلام في انواع الطهارة **ما يريد الله** اي ما يريد
بالامر بالطهارة للصلوة او بالامر بالتيمم وقوله تعالى **ليجعل عليكم من حرج** من ضيق في الامتثال به **ولكن يريد** ما يريد بذلك
ليطهركم اي لينظفكم او ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء مكفر لها وليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء فمفعول
يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة **وقيل** مزيدة والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج في باب الطهارة
حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء **وليتم** بشرعه ما هو مطهرة
لابدانكم ومكفرة لذنوبكم **نعمته عليكم** في الدين او ليتم برخصته انعامه عليكم بعزايمه **لعلكم تشكرون** نعمته ومن
لطايف الاية الكريمة انها مشتملة على سبعة امور مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب
وغير المستوعب باعتبار غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وان آلتهما مايع وجامد وموجبهما حدث اصغر
واكبر وان المبيح للعدول الى البدل مرض او سفر وان الموعود عليها تطهير الذنوب واتمام النعمة **واذكروا نعمة الله**
عليكم بالاسلام لتذكركم المنعم وترغبكم في شكره **وميثاقه الذي واثقكم به** اي عهده المؤكد الذي اخذه عليكم وقوله تعالى
اذ قلتم سمعنا واطعنا ظرف لواثقكم به او لمحذوف وقع حالا من الضمير المجرور في به او من ميثاقه اي كاينا وقت قولكم سمعنا واطعنا
وفايدة التقييد به تاكيد وجوب مراعاته بتذكير قبولهم والتزامهم بالمحافظة عليه وهو الميثاق الذي اخذه على المسلمين
حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في حال العسر واليسر والمنشط والمكره **وقيل** هو الميثاق
الواقع ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان واضافته اليه تعالى مع صدوره عنه صلى الله عليه وسلم لكون المرجع اليه
تعالى كما نطق به قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله **وقال** مجاهد هو الميثاق الذي اخذه الله تعالى على عباده
حين اخرجهم من صلب آدم عليه السلام **واتقوا الله** في نسيان نعمته ونقض ميثاقه او في كل ما تاتون وما تذرون
فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا **ان الله عليم بذات الصدور** اي بمخفياتها الملابسة لها ملابسة تامة مصححة لاطلاق
الصاحب عليها فيجازيكم عليها فما ظنكم بجليات الاعمال والجملة اعتراض وتعليل للامر بالاتقاء واظهار الاسم
الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة **يا ايها الذين آمنوا** شروع في
بيان الشرايع المتعلقة بما يجري بينهم وبين غيرهم اثر بيان ما يتعلق بانفسهم **كونوا قوامين لله** مقيمين لاوامره ممتثلين
لها معظمين لها مراعين لحقوقها **شهداء بالقسط** اي بالعدل **ولا يجرمنكم** اي لا يحملنكم **شنآن قوم** اي شدة بغضكم
لهم **على ان لا تعدلوا** فلا تشهدوا في حقوقهم بالعدل او فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية
ونقض عهد تشفيا وغير ذلك **اعدلوا هو** اي العدل **اقرب للتقوى** الذي امرتم به صرح لهم بالامر بالعدل وبين
انه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان وجوب العدل في حق الكفار بهذه

المثابة فما ظنك بوجوبه في حق المسلمين **واتقوا الله** امر بالتقوى اثر ما بين ان العدل اقرب له اعتناء بشانه و
تنبيها على انه ملاك الامر **ان الله خبير بما تعملون** من الاعمال فيجازيكم بذلك وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما
قيل ان الاول نزل في المشركين وهذا في اليهود او لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفاء نائرة الغيظ والجملة تعليل
لما قبلها واظهار الجلالة لما مر مرات وحيث كان مضمونها مبنيا على الوعد والوعيد عقب بالوعد لمن يحافظ على طاعته
وبالوعيد لمن يخل بها فقيل **وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات** التي من جملتها العدل والتقوى **لهم مغفرة واجر عظيم** حذف
ثاني مفعولي وعد استغناء عنه بهذه الجملة فانه استيناف مبين له **وقيل** الجملة في موقع المفعول فان الوعد
ضرب من القول فكانه قيل وعدهم هذا القول **والذين كفروا وكذبوا باياتنا** التي من جملتها ما تليت من النصوص الناطقة
بالامر بالعدل والتقوى **اولئك** الموصوفون بما ذكر من الكفر وتكذيب الايات **اصحاب الجحيم** ملابسوها ملابسة
مؤبدة من السنة السنية القرانية شفع الوعد بالوعيد والجمع بين الترغيب والترهيب ايفاء لحق الدعوة بالتبشير
والانذار **يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم** تذكير لنعمة الانجاء من الشر اثر تذكير نعمة ايصال الخير الذي هو نعمة
الاسلام وما يتبعها من الميثاق وعليكم متعلق بنعمة او بمحذوف وقع حالا منها وقوله تعالى **اذ هم قوم** على الاول ظرف
لنفس النعمة وعلى الثاني لما تعلق به عليكم ولا سبيل الى كونه ظرفا لاذكروا لتنافي زمانيهما اي اذكروا انعامه تعالى
عليكم او اذكروا نعمته كاينة عليكم في وقت همهم **ان يبسطوا اليكم ايديهم** اي بان يبطشوا بكم بالقتل والاهلاك
يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح للمسارعة
الى بيان رجوع ضرر البسط وغايلته اليهم حالا لهم من اول الامر على الاعتداد بنعمة دفعه كما ان تقديم لكم في قوله عز
وجل هو الذي خلق لكم ما في الارض للمبادرة الى بيان كون المخلوق من منافعهم تعجيلا للمسرة **فكف ايديهم عنكم**
عطف على هم وهو النعمة التي اريد تذكيرها وذكر الهم للايذان بوقوعها عند مزيد الحاجة اليها والفاء للتعقيب المفيد
لتمام النعمة وكمالها واظهار ايديهم في موضع الاضمار لزيادة التقرير اي منع ايديهم ان تمد اليكم عقيب همهم بذلك
لان كفها عنكم بعد ما مدوها اليكم وفيه من الدلالة على كمال النعمة من حيث انها لم تكن مشوبة بضرر الخوف
والانزعاج الذي قلما يعري عنه الكف بعد المد ما لا يخفى مكانه وذلك ما روي ان المشركين راوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه بعسفان في غزوة ذي انمار وهي غزوة ذات الرقاع وهي الغزوة السابعة من مغازيه
عليه السلام قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندم المشركون الا كانوا قد اكبوا عليهم فقالوا ان لهم صلوة بعدها هي
احب اليهم من ابايهم وابنايهم يعنون صلاة العصر وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا اليها فرد الله تعالى كيدهم بان انزل
صلاة الخوف **وقيل** هو ما روي ان رسول الله عليه الصلوة والسلام اتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلي رضي الله
عنهم يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري خطاء يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى
نطعمك ونعطيك ما سالت فاجلسوه في صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه
فامسك الله تعالى يده ونزل جبريل عليه السلام فاخبره فخرج عليهما **وقيل** هو ما روي انه صلى الله عليه
وسلم نزل منزلا وتفرق اصحابه في العضاه يستظلون بها فعلق رسول الله عليه الصلاة والسلام سيفه
بشجرة فجاء اعرابي فاخذه وسله فقال من يمنعك مني فقال عليه السلام الله تعالى فاسقطه جبريل من يده فاخذه
الرسول عليه السلام فقال من يمنعك مني فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله **واتقوا**
الله عطف على اذكروا اي اتقوه في رعاية حقوق نعمته ولا تخلوا بشكرها او في كل ما تاتون وما تذرون فيدخل
فيه ما ذكر دخولا اوليا **وعلى الله** اي عليه تعالى خاصة دون غيره استقلالا او اشتراكا **فليتوكل المومنون** فانه
يكفيهم في ايصال كل خير ودفع كل شر والجملة تذييل مقرر لما قبله وايثار صيغة امر الغايب واسنادها الى المومنين
لايجاب التوكل على المخاطبين بالطريق البرهاني وللايذان بان ما وصفوا به عند الخطاب من وصف الايمان داع
الى ما امروا به من التوكل والتقوى رادع عن الاخلال بهما واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتعليل الحكم

وتقوية استقلال الجملة التذييلية ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل كلام مستانف مشتمل علي ذكر بعض ما صدر عن بني
اسرائيل من الخيانة ونقض الميثاق وما ادي اليه ذلك مسوق لتقرير المؤمنين علي ذكر نعمة الله تعالي ومراعاة حق
الميثاق الذي واثقهم به وتحذيرهم من نقضه او لتقرير ما ذكر من الهم بالبطش وتحقيقه علي تقدير كون ذلك
من بني قريظة حسبما مر من الرواية ببيان ان الغدر والخيانة عادة لهم قديمة توارثوها من اسلافهم واظهار
الاسم الجليل لتربية المهابة وتفخيم الميثاق وتهويل الخطب في نقضه مع ما فيه من رعاية حق الاستيناف المستدعي
للانقطاع عما قبله والالتفات في قوله عز وجل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا للجري علي سنن الكبرياء او لان البعث كان
بواسطة موسي عليه الصلاة والسلام كما سياتي وتقديم الجار والمجرور علي المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام
بالمقدم والتشويق الي المؤخر والنقيب فعيل بمعني فاعل مشتق من النقب وهو التفتيش ومنه قوله تعالي فنقبوا
في البلاد سمي بذلك لتفتيشه عن احوال القوم واسرارهم قال الزجاج واصله من النقب وهو الثقب الواسع
روي ان بني اسرائيل لما استقروا بمصر بعد مهلك فرعون امرهم الله عز وجل بالمسير الي اريحا ارض الشام
وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها واني
ناصركم وامر موسي عليه الصلوة والسلام ان ياخذ من كل سبط نقيبا امينا يكون كفيلا علي قومه بالوفاء بما
امروا به توثقة عليهم فاختار النقباء واخذ الميثاق علي بني اسرائيل وتكفل لهم النقباء وسار بهم فلما دنا من
ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون فراوا اجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم بما راوا وقد نهاهم
موسي عليه الصلوة والسلام عن ذلك فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوقنا نقيب سبط يهودا ويوشع بن نون نقيب
سبط افرايم بن يوسف الصديق عليه السلام قيل لما توجه النقباء الي ارضهم للتجسس لقيهم عوج بن عنق وكان طوله
ثلاث الاف وثلثمائة وثلاثة وثلثين ذراعا وقد عاش ثلاث الاف سنة وكان علي راسه حزمة حطب فاخذهم وجعلهم
في الحزمة وانطلق بهم الي امراته وقال انظري الي هولاء الذين يزعمون انهم يريدون قتالنا فطرحهم بين يديها
وقال الا اطحنهم برجلي فقالت لا بل خل عنهم حتي يخبروا قومهم بما راوا ففعل فجعلوا يتعرفون احوالهم وكان لا
يحمل عنقود عنبهم الا خمسة رجال او اربعة فلما خرج النقباء قال بعضهم لبعض ان اخبرتم بني اسرائيل
بخبر القوم ارتدوا عن نبي الله ولكن اكتموه الا عن موسي وهرون عليهما السلام فيكونان ما يريان رايهما
فاخذ بعضهم علي بعض الميثاق ثم انصرفوا الي موسي عليه السلام وكان معهم حبة من عنبهم وقر رجل فنكثوا
عهدهم وجعل كل منهم ينهي سبطه عن قتالهم ويخبرهم بما راي الا كالبا ويوشع وكان معسكر موسي عليه
السلام فرسخا في فرسخ فجاء عوج حتي نظر اليهم ثم رجع الي الجبل فقور منه صخرة عظيمة علي قدر العسكر
ثم حملها علي راسه ليطبقها عليهم فبعث الله تعالي الهدهد فقور من الصخرة وسطها المحاذي لراسه
فانثقبت فوقعت في عنق عوج وطوقته فصرعته واقبل موسي عليه السلام وطوله عشرة اذرع وكذا طول
العصا فترامي في السماء عشرة اذرع فما اصاب العصا الا كعبه وهو مصروع فقتله قالوا فاقبلوا جماعة ومعهم
الخناجر حتي جزوا راسه وقال الله اي لبني اسرائيل فقط اذ هم المحتاجون الي ما ذكر من الترغيب والترهيب كما ينبئ عنه
الالتفات مع ما فيه من تربية المهابة وتاكيد ما يتضمنه الكلام من الوعد اني معكم اي بالعلم والقدرة والنصرة لا
بالنصر فقط فان تنبيههم علي علمه تعالي بكل ما ياتون وما يذرون وعلي كونهم تحت قدرته وملكوته مما يحملهم
علي الجد في الامتثال بما امروا والانتهاء عما نهوا عنه كانه قيل اني معكم اسمع كلامكم وارى اعمالكم واعلم ضمائركم
فاجازيكم بذلك هذا وقد قيل المراد بالميثاق هو الميثاق بالايمان والتوحيد وبالنقباء ملوك بني اسرائيل الذين
ينقبون احوالهم ويلون امورهم بالامر والنهي واقامة العدل وهو الانسب بقوله تعالي لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة
وامنتم برسلي اي بجميعهم واللام موطئة للقسم المحذوف وتاخير الايمان عن اقامة الصلوة وايتاء الزكوة
مع كونهما من الفروع المترتبة عليه لما انهم كانوا معترفين بوجوبهما مع ارتكابهم لتكذيب بعض الرسل عليهم

السلام

السلام والمراعاة المقارنة بينه وبين قوله تعالي وعزرتموهم اي نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب وقيل التعظيم و
التوقير والثناء بخير وقرئ عزرتموهم بالتخفيف واقرضتم الله بالانفاق في سبيل الخير بالتصدق او بالصدقات
المندوبة وقوله عز وعلا قرضا حسنا اما مصدر مؤكد وارد علي غير صيغة المصدر كما في قوله تعالي فتقبلها ربها
بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا او مفعول ثان لاقرضتم علي انه اسم للمال المقرض وقوله تعالي لاكفرن عنكم سياتكم
جواب للقسم المدلول عليه باللام ساد مسد جواب الشرط ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار عطف علي ما قبله داخل
معه في حكم الجواب متاخر عنه في الحصول ايضا ضرورة تقدم التخلية علي التحلية فمن كفر اي برسلي او
بشيء مما عدد في حيز الشرط والفاء لترتيب بيان حكم من كفر ببيان علي حكم من امن تقوية للترغيب بالترهيب بعد
ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم الموجب للايمان قطعا منكم متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل كفر
ولعل تغيير السبك حيث لم يقل وان كفرتم عطفا علي الشرطية السابقة لاخراج كفر الكل عن حيز الاحتمال واسقاط
من كفر عن رتبة الخطاب وليس المراد احداث الكفر بعد الايمان خلا انه قصد بايراد ما يدل علي الحدوث بيان ترقيهم
في مراتب الكفر فان الاتصاف بشيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب
العنوان فعل جديد وضع حادث فقد ضل سواء السبيل اي وسط الطريق الواضح ضلالا لا بينا واخطا خطاء فاحشا
لا عذر معه اصلا بخلاف من كفر قبل ذلك اذ ربما يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة فبما نقضهم ميثاقهم
الباء سببية وما مزيدة لتوكيد الكلام وتمكينه في النفس اي بسبب نقضهم ميثاقهم المؤكد لا بشيء اخر استقلالا
وانضماما لعناهم طردناهم وابعدناهم من رحمتنا او مسخناهم قردة وخنازير او اذللناهم بضرب الجزية عليهم وتخصيص
البيان بما ذكر مع ان حقه ان يبين بعد بيان تحقق نفس اللعن والنقض بان يقال مثلا فنقضوا ميثاقهم فلعناهم
ضرورة تقدم علية الشيء البسيط علي علية المركبة للايذان بان تحقيقهما امر جلي غني عن البيان وانما المحتاج الي
ذلك ما بينهما من السببية والمسببية وجعلنا قلوبهم قاسية بحيث لا تتاثر عن الايات والنذر وقيل مليناهم
ولم نعاجلهم بالعقوبة حتي قست او خذلناهم ومنعناهم الالطاف حتي صارت كذلك وقرئ قسية وهي اما مبالغة
قاسية واما بمعني ردية من قولهم درهم قسي اي ردي اذا كان مغشوشا له يبس وخشونة وقرئ بكسر القاف اتباعا
لها بالسين يحرفون الكلم عن مواضعه استيناف لبيان مرتبة قساوة قلوبهم فانه لا مرتبة اعظم مما يصحح الاجتراء
علي تغيير كلام الله عز وجل والافتراء عليه وصيغة المضارع للدلالة علي التجدد والاستمرار وقيل حال من مفعول
لعناهم ونسوا حظا اي تركوا نصيبا وافرا مما ذكروا به من التورية او من اتباع محمد صلي الله عليه وسلم وقيل حرفوا
التورية وزلت اشياء منها عن حفظهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قد ينسي المرء بعض العلم بالمعصية وتلا
هذه الاية ولا تزال تطلع علي خائنة منهم اي خيانة علي انها مصدر كلاغية وكاذبة او فعلة خائنة اي ذات خيانة او
طائفة خائنة او شخص خائن علي ان التاء للمبالغة او نفس خائنة ومنهم متعلق بمحذوف وقع صفة لها خلا ان
من علي الوجهين الاولين ابتدائية اي علي خيانة او علي فعلة خائنة كائنة منهم صادرة عنهم وعلي الوجوه الباقية
تبعيضية والمعني ان الغدر والخيانة عادة مستمرة لهم ولاسلافهم بحيث لا يكادون يتركونها او يكتمونها فلا تزال
تري ذلك منهم الا قليلا منهم استثناء من الضمير المجرور في منهم علي الوجوه كلها وقيل من خائنة علي الوجوه الثلثة
الاخيرة والمراد بهم الذين امنوا منهم كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل من خائنة علي الوجه الثاني والمراد بالقليل الفعل
القليل ومن ابتدائية كما مر اي الا فعلا قليلا كائنا منهم فاعف عنهم واصفح اي ان تابوا وامنوا او عاهدوا والتزموا
الجزية وقيل مطلق نسخ باية السيف ان الله يحب المحسنين تعليل للامر وحث علي الامتثال به وتنبيه علي ان العفو
علي الاطلاق من باب الاحسان ومن الذين قالوا انا نصاري اخذنا ميثاقهم بيان لقبائح النصاري وخياناتهم ومن متعلقة
باخذنا اذ التقدير واخذنا من الذين قالوا انا نصاري ميثاقهم وتقديم الجار والمجرور للاهتمام به ولان ذكر حال
احدي الطائفتين مما يوقع في ذهن السامع ان حال الاخري ماذا فكانه قيل ومن الطائفة الاخري ايضا اخذنا ميثاقهم

وقيل هي متعلقة بمحذوف وقع خبراً لمبتدأ محذوف قامت صفته او من صلته مقامه اي ومنهم قوم اخذنا ميثاقهم وضمير ميثاقهم راجع الى الموصوف المقدر واما في الوجه الاول فراجع الى الموصول وقيل راجع الى بني اسرائيل اي اخذنا من هولاء ميثاق اولئك اي مثل ميثاقهم من الايمان بالله تعالى والرسل وبما يتفرع على ذلك من افعال الخير وانما نسب تسميتهم نصارى الى انفسهم دون ان يقال ومن النصارى ايذانا بانهم في قولهم نحن انصار الله بمعزل من الصدق وانما هو تقول محض منهم وليسوا من نصرة الله تعالى في شيء او اظهارا لكمال سوء صنيعهم ببيان التناقض بين اقوالهم وافعالهم فان ادعاءهم لنصرته تعالى يستدعي ثباتهم على طاعته تعالى ومراعاة ميثاقه فنسوا عقيب اخذ الميثاق من غير تلعثم حظا وافرا مما ذكروا به في تضاعيف الميثاق من الايمان بالله تعالى وغير ذلك حسبما مر آنفا وقيل هو ما كتب عليهم في الانجيل من ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فتركوه ونبذوه وراء ظهورهم واتبعوا اهواءهم فاختلفوا وتفرقوا نسطورية ويعقوبية وملكانية انصارا للشيطان فاغرينا اي الزمنا والصقنا من غري بالشيء اذا لزمه ولصق به واغراه غيره ومنه الغراء وقوله تعالى بينهم اما ظرف لاغرينا او متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعوله اي اغرينا العداوة والبغضاء كائنة بينهم ولا سبيل الى جعله ظرفا لهما لان المصدر لا يعمل فيما قبله وقوله تعالى الى يوم القيمة اما غاية للاغراء او للعداوة والبغضاء اي يتعادون ويتباغضون الى يوم القيمة حسبما يقتضيه اهواؤهم المختلفة وآراؤهم الزائغة المؤدية الى التفرق الى الفرق الثلاث فضمير بينهم لهم خاصة وقيل لهم ولليهود اي اغرينا العداوة والبغضاء بين اليهود والنصارى وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون وعيد شديد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده ساخبرك بما فعلت اي يجازيهم بما عملوا على الاستمرار من نقض الميثاق ونسيان الحظ الوافر مما ذكروا به وسوف لتأكيد الوعيد والالتفات اي ذكر الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة لتشديد الوعيد والتعبير عن العمل بالصنع للايذان برسوخهم في ذلك وعن المجازاة بالتنبيه للتنبيه على انهم لا يعلمون حقيقة ما يعملونه من الاعمال السيئة واستتباعها للعذاب فيكون ترتيب العذاب عليها في افادة العلم بحقيقة حالها بمنزلة الاخبار بها يا اهل الكتاب التفات الى خطاب الفريقين على ان الكتاب جنس شامل للتورية والانجيل اثر بيان احوالهما من الخيانة وغيرها من فنون القبائح ودعوة لهم الى الايمان برسول الله عليه الصلاة والسلام والقران وايرادهم بعنوان اهلية الكتاب لانطواء الكلام المصدر به على ما يتعلق بالكتاب وللمبالغة في التشنيع فان اهلية الكتاب من موجبات مراعاته والعمل بمقتضاه وبيان ما فيه من الاحكام وقد فعلوا من الكتم والتحريف ما فعلوا وهم يعلمون قد جاءكم رسولنا الاضافة للتشريف والايذان بوجوب اتباعه وقوله تعالى يبين لكم حال من رسولنا وايثار الجملة الفعلية على غيرها للدلالة على تجدد البيان اي قد جاءكم رسولنا وايثار الجملة الفعلية على غيرها للدلالة حال كونه مبينا لكم على التدريج حسبما تقتضيه المصلحة كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب اي التورية والانجيل كبعثة محمد عليه الصلاة والسلام وآية الرجم في التورية وبشارة عيسى باحمد عليهما الصلاة والسلام في الانجيل وتاخير كثيرا من الجار والمجرور لما مر مرارا من اظهار العناية بالمقدم لما فيه من تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر لما ان ما حقه التقديم اذا اخر لا سيما مع الاشعار بكونه من منافع المخاطب تبقى النفس مترقبة الى وروده فيتمكن عندها اذا ورد فضل تمكن ولان في المؤخر ضرب تفصيل ربما يخل تقديمه بتجاذب اطراف النظم الكريم فان مما يتعلق بمحذوف وقع صفة لكثيرا وما موصولة اسمية وما بعدها صلتها والعائد اليها محذوف ومن الكتاب متعلق بمحذوف هو حال من العائد المحذوف والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرارهم على الكتم والاخفاء اي يبين لكم كثيرا من الذي تخفونه على الاستمرار حال كونه من الكتاب الذي انتم اهله والمتمسكون به ويعفو عن كثير اي ولا يظهر كثيرا مما تخفونه اذا لم تدع اليه داعية دينية صيانة لكم عن زيادة الافتضاح كما يفصح عنه التعبير عن عدم الاظهار بالعفو وفيه حث لهم على عدم الاخفاء ترغيبا وترهيبا والجملة معطوفة على الجملة الحالية داخلة في حكمها وقيل يعفو عن كثير منكم ولا يؤاخذه وقوله تعالى قد جاءكم من الله نور

جملة مستانفة

جملة مستانفة مسوقة لبيان ان فائدة مجيء الرسول ليست منحصرة فيما ذكر من بيان ما كانوا يخفونه بل له منافع لا تحصى ومن الله متعلق بجاء ومن لابتداء الغاية مجازا او بمحذوف وقع حالا من نور واياما كان فهو صريح بما يشعر به اضافة الرسول من مجيئه من جنابه عز وجل وتقديم الجار والمجرور على الفاعل للمسارعة الى بيان كون المجيء من جهته العالية والتشويق الى الجائي ولان فيه نوع طول يخل تقديمه بتجاذب اطراف النظم الكريم كما في قوله تعالى وجاءك في هذه الحق وموعظة للمؤمنين وتنوين نور للتعظيم والمراد به وبقوله تعالى وكتاب مبين القران اما فيه من كشف ظلمات الشرك والشك وابانة ما خفي على الناس من الحق او الاعجاز البين والعطف لتنزيل المغايرة بالعنوان منزلة المغايرة بالذات وقيل المراد بالاول هو الرسول عليه السلام وبالثاني القران يهدي به الله توحيد الضمير المجرور لاتحاد المرجع بالذات او لكونهما في حكم الواحد او اريد يهدي بما ذكر وتقديم الجار والمجرور للاهتمام واظهار الجلالة لاظهار كمال الاعتناء بامر الهداية ومحل الجملة الرفع على انها صفة ثانية لكتاب او النصب على الحالية منه لتخصصه بالصفة من اتبع رضوانه اي رضاه بالايمان به ومن موصولة او موصوفة سبل السلام اي طرق السلامة والنجاة من العقاب او سبل الله تعالى وهو شريعته التي شرعها للناس قيل هو مفعول ثان ليهدي والحق انه انتصب بنزع الخافض على طريقة قوله تعالى واختار موسى قومه وانما يعدى الى الثاني بالى او باللام كما في قوله تعالى ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم ويخرجهم الضمير لمن والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد في اتبع باعتبار اللفظ من الظلمات اي ظلمات فنون الكفر والضلال الى النور الى الايمان باذنه بتيسيره او بارادته ويهديهم الى صراط مستقيم هو اقرب الى الله تعالى ومؤد اليه لا محالة وهذه الهداية عين الهداية الى سبل السلام وانما عطفت عليها تنزيلا للتغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي كما في قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم اي لا غير كما يقال الكرم هو التقوى وهم اليعقوبية والقائلون بانه يحل تعالى في بدن انسان معين او في روحه وقيل لم يصرح به احد منهم لكن حيث اعتقدوا اتصافه بصفات الله تعالى الخاصة وقد عرفوا بان الله تعالى موجود فلزمهم القول بانه المسيح لا غير وقيل لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا هو واحد لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم قل اي تبكيتا لهم واظهارا لبطلان قولهم الفاسد والقاما لهم الحجر والفاء في قوله تعالى فمن يملك من الله شيئا فصيحة ومن استفهامية للانكار والتوبيخ والملك الضبط والحفظ التام عن حزم ومن متعلقة به على حذف المضاف اي ان كان الامر كما تزعمون فمن يمنع من قدرته تعالى وارادته شيئا وحقيقته فمن يستطيع ان يمسك شيئا منها ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا ومن حق من يكون الها ان لا يتعلق به ولا بشان من شؤونه بل بشيء من الموجودات قدرة غيره بوجه من الوجوه فضلا عن ان يعجز عن دفع شيء منها عند تعلقها باهلاكه فلما كان عجزه بينا لا ريب فيه ظهر كونه بمعزل مما يقولون في حقه والمراد بالاهلاك الاماتة والاعدام مطلقا لا بطريق السخط والغضب واظهار المسيح على الوجه الذي نسبوا اليه الالوهية ومقام الاضمار لزيادة التقرير والتنصيص على انه من تلك الحيثية بعينها داخل تحت قهره وملكوته تعالى ونفي المالكية المذكورة بالاستفهام الانكاري عن كل احد مع تحقق الالزام والتبكيت بنفيها عن المسيح فقط بان يقال فهل يملك من الله شيئا ان اراد الخ لتحقيق نفي الالوهية عن كل ما عداه سبحانه واثبات المطلوب في ضمنه بالطريق البرهاني فان انتفاء المالكية المستلزم لاستحالة الالوهية متى ظهر بالنسبة الى الكل ظهر بالنسبة الى المسيح على ابلغ وجه واكمل فيظهر استحالة الالوهية قطعا وتعميم ارادة الاهلاك للكل مع حصول ما ذكر من التحقيق بقصرها عليه بان يقال فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان لا يقدر احد على دفع ما اريد به فضلا عن دفع ما اريد بغيره وللايذان بان المسيح اسوة لسائر المخلوقات في كونه عرضة للهلاك كما انه اسوة لها فيما ذكر من العجز وعدم استحقاق الالوهية وتخصيص امه بالذكر مع اندراجها في ضمن من في الارض لزيادة تاكيد عجز المسيح ولعل نظمها في سلك من فرض ارادة اهلاكهم مع تحقق هلاكها قبل ذلك لتاكيد التبكيت وزيادة تقرير مضمون

وذكري

يهلك المسيح لتهويل الخطب واظهار كمال العجز ببيان ان الكل تحت قهره تعالى وملكوته
صح

الكلام بجعل حالها انموذجا لحال بقية من فرض اهلاكه كانه قيل قل فمن يملك من الله شيا ان اراد ان يهلك المسيح وامه
ومن في الارض وقد اهلك امه فهل مانعه احد فكذا حال من عداها من الموجودين وقوله تعالى ولله ملك السموات والارض وما بينهما
اي ما بين قطر العالم الجسماني لا بين وجه الارض ومقعر فلك القمر فقط فيتناول ما في السموات من الملائكة الملكه وما
في اعماق الارض والبحار من المخلوقات تنصيص على كون الكل تحت قهره تعالى وملكوته اثر الاشارة الى كون البعض اي من في
الارض كذلك اي له تعالى وحده ملك جميع الموجودات والتصرف المطلق فيها ايجادا واعداما واحياء وامانة لا لاحد سواه
استقلالا ولا اشتراكا فهو تحقيق لاختصاص الالوهية به تعالى اثر بيان انتفائها عن كل ما سواه وقوله تعالى يخلق
ما يشاء جملة مستانفة مسوقة لبيان بعض احكام الملك والالوهية على وجه يزيح ما اعتراهم من الشبهة في امر
المسيح لولادته من غير اب وخلق الطير واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص اي يخلق ما يشاء من انواع الخلق والايجاد
على ان ما نكرة موصوفة محلها النصب على المصدرية لا على المفعولية كانه قيل يخلق اي خلق يشاؤه فتارة يخلق من غير اصل
كخلق السموات والارض واخرى من اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل ليس من جنسه كخلق آدم وكثير من الحيوانات ومن اصل
يجانسه اما من ذكر وحده كخلق حوى او انثى وحدها كخلق عيسى عليه السلام او منهما كخلق سائر الناس ويخلق بلا توسط شيء
من المخلوقات كخلق عامة المخلوقات وقد يخلق بتوسط مخلوق آخر كخلق الطير على يد عيسى عليه السلام معجزة له واحياء
الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك فيجب ان ينسب كله اليه تعالى لا الى من اجرى ذلك على يده والله على كل شيء قدير
اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله واظهار الاسم الجليل للتعليل وتقوية استقلال الجملة وقالت اليهود والنصارى
نحن ابناء الله واحباؤه حكاية لما صدر عن الفريقين من الدعوى الباطلة وبيان لبطلانها بعد ذكر ما صدر عن احدهما وبيان بطلانه
اي قالت اليهود نحن اشياع ابنه عزير وقالت النصارى نحن اشياع ابنه المسيح كما قيل لاشياع ابي حبيب وهو عبد الله
ابن الزبير الحبيبيون وكما يقول اقارب الملوك عند المفاخرة وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم
دعا جماعة من اليهود الى دين الاسلام وخوفهم بعقاب الله تعالى فقالوا كيف تخوفنا به ونحن ابناء الله واحباؤه
وقيل ان النصارى يتلون في الانجيل ان المسيح قال لهم اني ذاهب الى ابي وابيكم وقيل ارادوا ان الله تعالى كالاب
لنا في الحنو والعطف ونحن كالابناء له في القرب والمنزلة وبالجملة انهم كانوا يدعون ان لهم فضلا ومزية عند الله تعالى
على سائر الخلق فرد عليهم ذلك وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل اي الزاما لهم وتبكيتا فلم يعذبكم بذنوبكم اي ان
صح ما زعمتم فلاي شيء يعذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ وقد اعترفتم بانه تعالى سيعذبكم في الآخرة بالنار اياما بعدد
ايام عبادتكم العجل ولو كان الامر كما زعمتم لما صدر عنكم ما صدر ولما وقع عليكم ما وقع وقوله تعالى بل انتم بشر عطف
على مقدر ينسحب عليه الكلام اي لستم كذلك بل انتم بشر ممن خلق اي من جنس من خلقه الله تعالى من غير مزية لكم
عليهم يغفر لمن يشاء اي يغفر له من اولئك المخلوقين وهم الذين امنوا به تعالى وبرسله ويعذب من يشاء اي يعذبه
منهم وهم الذين كفروا به وبرسله مثلكم ولله ملك السموات والارض وما بينهما من الموجودات لا ينتمي اليه سبحانه شيء منها
الا بالمملوكية والعبودية والمقهورية تحت ملكوته يتصرف فيهم كيف يشاء ايجادا واعداما احياء وامانة واثابة
وتعذيبا فاني لهم ادعاء ما زعموا واليه المصير في الآخرة خاصة لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فيجازي كلا من المحسن والمسيء
بما يستدعيه عمله من غير صارف يثنيه ولا عاطف يلويه يا اهل الكتاب تكرير للخطاب بطريق الالتفات ولطف في
الدعوة قد جاءكم رسولنا يبين لكم حال من رسولنا وايثاره على مبينا لما مر فيما سبق اي يبين لكم الشرايع والاحكام
الدينية المقرونة بالوعد والوعيد ومن جملتها ما بين في الآيات السابقة من بطلان اقاويلكم الشنعاء وما سيأتي
من اخبار الامم السالفة وانما حذف تعويلا على ظهور ان مجيء الرسول لبيان ما لم يفعل لكم البيان ويبذله لكم في كل ما تحتاجون
فيه الى البيان من امور الدين واما تقديره مثل ما سبق في قوله تعالى كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كما قيل فمع كونه
تكريرا من غير فائدة يرده قوله عز وجل على فترة من الرسل فان فتور الارسال وانقطاع الوحي انما يحوج الى بيان الشرايع
والاحكام لا الى بيان ما كتموه وعلى فترة متعلق بجاءكم على الظرفية كما في قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك

سليمان

سليمان اي جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحي ومزيد احتياج الى بيان الشرايع والاحكام الدينية
او بمحذوف وقع حالا من ضمير يبين او من ضمير لكم اي يبين لكم ما ذكر حال كونه على فترة من الرسل او حال كونكم عليها احوج
ما كنتم الى البيان ومن الرسل متعلق بمحذوف وقع صفة لفترة اي كائنة من الرسل مبتدئة من جهتهم وقوله تعالى ان
تقولوا تعليل لمجيء الرسول بالبيان على حذف المضاف اي كراهة ان تقولوا معتذرين عن تفريطكم في مراعات احكام الدين
ما جاءنا من بشير ولا نذير وقد انطمست آثار الشرايع السابقة وانقطعت اخبارها وزيادة من في الفاعل للمبالغة
في نفي المجيء وتنكير بشير ونذير للتقليل وهذا كما ترى يقتضي بان المقدر او المنوي فيما سبق هو الشرايع والاحكام
لا كيف ما كانت بل مشفوعة بما ذكر من الوعد والوعيد وقوله تعالى فقد جاءكم بشير ونذير متعلق بمحذوف ينبئ عنه
الفاء الفصيحة ويبين انه معلل به وتنوين بشير ونذير للتفخيم اي لا تعتذروا بذلك فقد جاءكم بشير اي بشير
ونذير اي نذير والله على كل شيء قدير فيقدر على الارسال تترى كما فعله بين موسى وعيسى عليهما السلام حيث كان بينهما
الف وسبعمائة سنة والف نبي وعلى الارسال بعد الفترة كما فعله بين عيسى ومحمد عليهما السلام حيث كان بينهما ستمائة
سنة او خمسمائة وتسع وستون سنة او خمسمائة وست واربعون سنة واربعة انبياء على ما روي الكلبي ثلثة
من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي وقيل لم يكن بعد عيسى الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
الانسب بما في تنوين فترة من التفخيم اللائق بمقام الامتنان عليهم بان الرسول قد بعث اليهم عند كمال حاجتهم
اليه بسبب مضي دهر طويل بعد انقطاع الوحي ليلتجئوا اليه ويعدوه اعظم نعمة من الله تعالى وفتح باب الى الرحمة
وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا بانه لم يرسل اليهم من ينبههم عن غفلتهم واذ قال موسى لقومه جملة مستانفة مسوقة
لبيان ما فعلت بنوا اسرائيل بعد اخذ الميثاق منهم وتفصيل كيفية نقضهم له وتعلقه بما قبله من حيث ان ما ذكر
فيه من الامور التي وصف النبي عليه السلام بيانها بقوله تعالى يبين لكم كثيرا الآية ومن حيث اشتماله على انتفاء
فترة الرسل فيما بينهم واذ نصب على انه مفعول لفعل مقدر خوطب به النبي عليه الصلوة والسلام بطريق تلوين
الخطاب وصرفه عن اهل الكتاب ليعدد عليهم ما صدر عن بعضهم من الجنايات اي واذكر لهم وقت قول موسى لقومه
ناصحا لهم ومستميلا لهم باضافتهم اليه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما
وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما
وقع فيه تفصيلا فاذا استحضر كان ما وقع فيه حاضرا بتفاصيله كانه مشاهد عيانا وعليكم متعلق بنفس
النعمة اذا جعلت مصدرا او بمحذوف وقع حالا منها اذا جعلت اسما اي اذكروا انعامه تعالى عليكم في وقت جعله
واذكروا نعمته تعالى كائنة عليكم وكذا اذ في قوله تعالى اذ جعل فيكم انبياء اي اذكروا انعامه تعالى عليكم في وقت جعله
واذكروا نعمته تعالى كائنة عليكم في وقت جعله فيما بينكم من اقاربكم انبياء ذوي عدد كثير واولي شان خطير حيث لم
يبعث من امة من الامم ما بعث من بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا عطف على جعل فيكم داخل في حكمه اي جعل فيكم
او منكم ملوكا كثيرة فانه قد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء وانما حذف الظرف تعويلا على ظهور الامر او جعل
الكل في مقام الامتنان عليهم ملوكا لما ان اقارب الملوك يقولون عند المفاخرة نحن الملوك وانما لم يسلك ذلك
المسلك فيما قبله لما ان منصب النبوة من عظم الخطر وعزة المطلب وصعوبة المنال ليس بحيث يليق ان ينسب
اليه ولو مجازا من ليس ممن اصطفاه الله له وقيل كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله فسمي انقاذهم
ملكا وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار وقيل من له بيت وخدم وقيل من له مال لا يحتاج معه
الى تكلف الاعمال وتحمل المشاق وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام
وانزال المن والسلوى وغير ذلك مما آتاهم الله تعالى من الامور العظام والمراد بالعالمين الامم الخالية الى
زمانهم وقيل من عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة كرر النداء بالاضافة التشريفية اهتماما بشان
الامر ومبالغة في حثهم على الامتثال به والارض هي ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء ومسكن

بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل على ما وقع فيه

المؤمنين وقيل هي الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل هي الشام التي كتب الله لكم
اي كتب في اللوح انها تكون مسكنا لكم ان آمنتم واطعتم لقوله تعالى لهم بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم وقوله تعالى ولا
ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين فان ترتيب الخيبة والخسران على الارتداد يدل على اشتراط الكتب بالمجاهدة المترتبة على
الايمان والطاعة قطعا اي لا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة والجار والمجرور متعلق بمحذوف هو حال من فاعل
ترتدوا ويجوز ان يتعلق بنفس الفعل قيل لما سمعوا احوالهم من النقباء بكوا وقالوا يا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل
لنا راسا ينصرف بنا الى مصر او لا ترتدوا عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق بالله تعالى وقوله تعالى فتنقلبوا اما مجزوم
عطفا على ترتدوا او منصوب على جواب النهي والخسران خسران الدين والدنيا لا سيما دخول ما كتب لهم قالوا استئناف
مبني على سؤال نشأ من مساق الكلام كانه قيل فماذا قالوا بمقابلة امره ونهيه قالوا غير ممتثلين بذلك
يا موسى ان فيها قوما جبارين متغلبين لا يتأتى منازعتهم ولا يتسنى مناصبتهم والجبار العاتي الذي يجبر الناس ويقسرهم
الناس كائنا من كان على ما يريد كائنا من كان فعال من جبر على الامر بمعنى اجبره عليه وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها من غير
صنع من قبلنا فانه لا طاقة لنا باخراجهم منها بسبب من الاسباب التي لا تعلق لنا بها فان يخرجوا منها فانا داخلون
حينئذ اتوا بهذه الشرطية مع كون مضمونها مفهوما مما سبق من توقيت عدم الدخول بخروجهم منها تصريحا
بالمقصود وتنصيصا على ان امتناعهم من دخولها ليس الا لمكانهم فيها واتوا في الجزاء بالجملة الاسمية المصدرة
بحرف التحقيق دلالة على تقرر الدخول وثباته عند تحقق الشرط لا محالة واظهارا لكمال الرغبة فيه وفي الامتثال
بالامر قال رجلان استئناف كما سبق كانه قيل هل اتفقوا على ذلك او خالفهم البعض فقيل من الذين يخافون
اي يخافون الله تعالى دون العدو ويتقونه في مخالفة امره ونهيه وبه قرأ ابن مسعود رضي الله عنه وفيه
تعريض بان من عداهما لا يخافونه تعالى بل يخافون العدو اي منهم في النسب لا في الخوف وهما يوشع بن نون وكالب
ابن يوقنا من النقباء وقيل هما رجلان من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى عليه الصلوة والسلام قالوا حينئذ
لبني اسرائيل والموصول عبارة عن الجبابرة واليهم يعود العائد المحذوف اي من الذين يخافونهم بنوا اسرائيل
ويعضده قراءة من قرأ يخافون على صيغة المبني للمفعول اي المخوفين وعلى الاول يكون هذا من الاخافة من ان
الذين يخوفون من الله تعالى بالتذكير او يخوفهم الوعيد انعم الله عليهما اي بالتثبيت وربط الجاش والوقوف
على شؤونه تعالى والثقة بوعده او بالايمان وهو صفة ثانية لرجلان او اعتراض وقيل حال من الضمير في يخافون
او من رجلان لتخصصه بالصفة اي قالا مخاطبين لهم ومشجعين ادخلوا عليهم الباب اي باب بلدهم وتقديم الجار
والمجرور عليه للاهتمام به لان المقصود انما هو دخول الباب وهم في بلدهم اي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق
وامنعوهم من البروز الى الصحراء لئلا يجدوا للحراب مجالا فاذا دخلتموه اي باب بلدهم وهم فيه قوله تعالى فانكم غالبون
من غير حاجة الى القتال فانا قد رأيناهم وشاهدنا ان قلوبهم ضعيفة وان كانت اجسامهم عظيمة فلا تخشوهم
واهجموا عليهم في المضايق فانهم لا يقدرون فيها على الكر والفر وقيل انما حكما بالغلبة لما علماها من جهة
موسى عليه السلام ومن قوله تعالى كتب الله لكم او لما علماه من سنته تعالى في نصرة رسله وما عهدا من صنعه لموسى
عليه السلام من قهر اعدائه والاول انسب بتعليق الغلبة بالدخول وعلى الله تعالى خاصة فتوكلوا بعد ترتيب الاسباب
ولا تعتمدوا عليها فانها بمعزل من التاثير وانما التاثير من عند الله العزيز القدير ان كنتم مؤمنين اي مؤمنين به تعالى
مصدقين لوعده فان ذلك مما يوجب التوكل عليه حتما قالوا استئناف كما سبق اي قالوا غير مبالين بهما وبمقالتهما
مخاطبين لموسى عليه السلام اظهارا لاصرارهم على القول الاول وتصريحا بمخالفتهم له عليه السلام يا موسى انا لن ندخلها
اي ارض الجبابرة فضلا عن دخول بابهم وهم في بلدهم ابدا اي دهرا طويلا ما داموا فيها اي في ارضهم وهو بدل من ابدا
بدل البعض او عطف بيان فاذهب الفاء فصيحة اي فاذا كان الامر كذلك فاذهب انت وربك فقاتلا اي فقاتلاهم
انما قالوا ذلك استهانة واستهزاء به سبحانه وبرسوله وعدم مبالاة بهما وقصدوا ذهابهما حقيقة كما ينبئ عنه

غاية جهلهم

غاية جهلهم وقسوة قلوبهم وقيل ارادوا ارادتهما وقصدهما كما تقول كلمته فذهب يجيبني كانهم قالوا فاريدا
قتالهم واقصداهم وقيل التقدير فاذهب انت وربك يعينك ولا يساعده قوله تعالى فقاتلا ولم تذكروا هرون
ولا الرجلين كانهم لم يجزموا بذهابهم او لم يعبؤا بقتالهم وقوله تعالى انا ههنا قاعدون يؤيد الوجه الاول وارادوا
بذلك عدم التقدم لا عدم التاخر قال عليه السلام لما راى منهم ما راى من العناد على طريقة البث والحزن
والشكوى الى الله تعالى مع رقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة رب اني لا املك الا نفسي واخي
عطف على نفسي وقيل على الضمير في اني على معنى اني لا املك الا نفسي وان اخي لا يملك الا نفسه وقيل على الضمير
في لا املك للفصل فافرق بيننا يريد نفسه واخاه والفاء لترتيب الفرق او الدعاء به على ما قبله وبين القوم
الفاسقين الخارجين عن طاعتك المصرين على عصيانك بان تحكم لنا بما نستحقه وعليهم بما يستحقونه
وقيل بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال فانها اي الارض المقدسة والفاء لترتيب ما بعدها
على ما قبلها من الدعاء محرمة عليهم تحريم منع لا تحريم تعبد لا يدخلونها ولا يملكونها لان كتابتها لهم كانت
مشروطة بالايمان والجهاد وحيث نكصوا على ادبارهم حرموا ذلك وانقلبوا خاسرين وقوله تعالى اربعين سنة
ان جعل ظرفا لمحرمة يكون التحريم موقتا لا مؤبدا فلا يكون مخالفا لظاهر قوله تعالى كتب الله لكم فالمراد بتحريمها
عليهم انه لا يدخلها احد منهم في هذه المدة لكن لا بمعنى ان كلهم يدخلونها بعدها بل بعضهم ممن بقي حسبما روي
ان موسى عليه السلام سار بمن بقي من بني اسرائيل الى اريحا وكان يوشع بن نون على مقدمته ففتحها واقام بها
ما شاء الله تعالى ثم قبض عليه السلام وقيل لم يدخلها احد ممن قال لن ندخلها ابدا وانما دخلها مع موسى
عليه السلام النواشي من ذرياتهم فالموقت بالاربعين في الحقيقة تحريمها على ذرياتهم وانما جعل تحريما عليهم
لما بينهما من العلاقة التامة المتاخمة للاتحاد وقوله تعالى يتيهون في الارض اي يتحيرون في البرية استئناف لبيان
كيفية حرمانهم او حال من ضمير عليهم وقيل الظرف متعلق بيتيهون فيكون التيه موقتا والتحريم مطلقا قيل
كانوا ستمائة الف مقاتل وكان طول البرية تسعين فرسخا وقد تاهوا في ستة فراسخ او تسعة فراسخ في ثلثين فرسخا
وقيل في ستة فراسخ في اثني عشر فرسخا روي انهم كانوا كل يوم يسيرون جادين حتى اذا امسوا اذا هم بحيث ارتحلوا وكان
الغمام يظلهم من حر الشمس ويطلع بالليل عمود من نور يضيء لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا يطول شعورهم
واذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله وهذه الانعامات عليهم مع انهم معاقبون لما ان عقابهم
بطريق العرك والتاديب قيل موسى وهرون عليهما السلام معهم ولكن كان ذلك لهما روحا وسلامة كالنار
لابرهيم عليه السلام وملائكة العذاب عليهم وروي ان هرون عليه السلام مات في التيه ومات موسى بعده فيه بسنة
ودخل يوشع اريحا بعد موته بثلاثة اشهر ولا يساعده ظاهر النظم الكريم فانه تعالى بعد ما قبل دعوته على بني
اسرائيل وعذبهم بالتيه بعيد ان ينجي بعض المدعو عليهم او ذراريهم ويقدروا فانهما في محل العقوبة ظاهرا وان كان
ذلك لهما منزل روح وراحة وقد قيل انهما لم يكونا معهم في التيه وهو الانسب بتفسير الفرق بالمباعدة
ومن قال بانهما كانا معهم فيه فقد فسر الفرق بما ذكر من الحكم بما يستحقه كل فريق فلا تأس فلا تحزن على القوم
الفاسقين روي انه عليه السلام ندم على دعائه عليهم فقيل لا تندم ولا تحزن عليهم فانهم احقاء بذلك لفسقهم
واتل عليهم عطف على مقدر يتعلق به قوله تعالى واذ قال موسى ويتعلقه به من حيث انه تمهيد لما سيأتي من جنايات
بني اسرائيل بعد ما كتب عليهم ما كتب وجاءتهم الرسل بما جاءت به من البينات نبأ ابني آدم هما قابيل وهابيل
ونقل عن الحسن والضحاك انهما رجلان من بني اسرائيل بقرينة آخر القصة وليس كذلك اوحى الله عز وجل
الى آدم عليه السلام ان يزوج كلا منهما توامة الآخر وكانت توامة قابيل اجمل واسمها اقليما فحسد عليها اخاه وسخط
وزعم ان ذلك ليس من عند الله تعالى بل من جهة آدم فقال لهما عليه السلام قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوجها ففعلا
فنزلت نار على قربان هابيل فاكلته ولم تتعرض لقربان قابيل فازداد قابيل حسدا وسخطا وفعل ما فعل بالحق متعلق

بمحذوف وقع صفة لمصدر محذوف اي تلاوة ملتبسة بالحق والصحة او حالا من فاعل اتل ومن مفعوله اي ملتبسا انت او نبأهما بالحق والصدق حسبما تقرر في كتب الاولين اذ قربا قربانا منصوب بالنبأ ظرف له اي اتل قصتهما ونبأهما في ذلك الوقت وقيل بدل منه على حذف المضاف اي اتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت ورد عليه بان اذ لا يضاف الا الى الجمل والزمان كوقتئذ وحينئذ والقربان اسم لما يتقرب به الى الله تعالى من نسيكة او صدقة كالحلوان اسم لما يحلى اي يعطى وتوحيده لما انه في الاصل مصدر وقيل تقديره اذ قرب كل منهما قربانا فتقبل من احدهما هو هابيل قيل كان هو صاحب ضرع وقرب جملا سمينا فنزلت نار فاكلته ولم يتقبل من الآخر هو قابيل قيل هو كان صاحب زرع وقرب ارداء ما عنده من القمح فلم تتعرض له النار اصلا قال استئناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كانه قيل فماذا قال من لم يتقبل قربانه فقيل قال لاخيه لتضاعف سخطه وحسده بما ظهر فضله عليه عند الله عز وجل لاقتلنك اي والله لاقتلنك بالنون المشددة وقرئ بالمخففة قال استئناف كما قبله اي قال الذي تقبل قربانه لما راى ان حسده لقبول قربانه وعدم قبول قربان نفسه انما يتقبل الله اي القربان من المتقين لا من غيرهم وانما تقبل قرباني ورد قربانك لما فينا من التقوى وعدمه اي انما اوتيت من قبل نفسك لا من قبلي فلم تقتلني خلا انه لم يصرح بذلك بل سلك مسلك التعريض حذرا من تهييج غضبه وحملا له على التقوى والاقلاع عما نواه ولذلك اسند الفعل الى الاسم الجليل لتربية المهابة ثم صرح بتقواه على وجه يستدعي سكون غضبه لو كان له عقل وازع حيث قال بطريق التاكيد لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك حيث صدر الشرطية باللام الموطئة للقسم وقدم الجار والمجرور على المفعول الصريح ايذانا من اول الامر برجوع ضرر البسط وغائلته اليه ولم يجعل جواب القسم الساد مسد جواب الشرط جملة فعلية موافقة لما في الشرط فعلية موافقة لما في الشرط بل اسمية مصدرة بما الحجازية المفيدة لتاكيد النفي بما في حيزها من الباء للمبالغة في اظهار براءته عن بسط اليد ببيان استمراره على نفي البسط كما في قوله تعالى وما هم بمؤمنين وقوله تعالى وما هم بخارجين منها فان الجملة الاسمية الايجابية كما تدل بمعونة المقام على دوام الثبوت كذلك السلبية تدل بمعرفته على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام وذلك باعتبار الدوام والاستمرار بعد اعتبار النفي لا قبله حتى يرد النفي على المقيد بالدوام فيرفع قيده اي والله لئن باشرت قتلي حسبما اوعدتني به وتحقق ذلك منك ما انا بفاعل مثله لك في وقت من الاوقات ثم علل ذلك بقوله اني اخاف الله رب العالمين وفيه من ارشاد قابيل الى خشية الله تعالى على ابلغ وجه واكده ما لا يخفى كانه قال اني اخاف الله تعالى ان بسطت يدي اليك لاقتلك ان يعاقبني وان كان ذلك مني لدفع عداوتك عني فما ظنك بحالك وانت البادي العادي وفي وصفه تعالى بربوبية العالمين تاكيد للخوف قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم خوفا من الله تعالى لان القتل للدفع لم يكن مباحا حينئذ وقيل تحريا لما هو الافضل حسبما قال صلى الله عليه وسلم كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل ويأباه التعليل بخوفه تعالى الا ان يدعى ان ترك الاولى عنده بمنزلة المعصية في استتباع الغائلة مبالغة في التنزه وقوله تعالى اني اريد ان تبوء باثمي واثمك تعليل آخر لامتناعه عن المعارضة على انه غرض متاخر عنه كما ان الاول باعث متقدم عليه وانما لم يعطف عليه تنبيها على كفاية كل منهما في العلية والمعنى اني اريد باستسلامي لك وامتناعي عن التعرض لك ان ترجع باثمي اي بمثل اثمي لو بسطت يدي اليك وباثمك ببسط يدك الي كما في قوله صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم اي على البادي عين اثم سبه ومثل سب صاحبه بحكم كونه سببا له وقيل معنى باثمي اثم قتلي ومعنى باثمك اثمك الذي لاجله لم يتقبل قربانك وكلاهما نصبا على الحالية اي ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعل مراده بالذات انما هو عدم ملابسته للاثم لا ملابسة اخيه له وقيل المراد بالاثم عقوبته ولا ريب في جواز ارادته عقوبة العاصي ممن علم انه لا يرعوي عن المعصية اصلا ويأباه قوله عز وعلا فتكون من اصحاب النار فان كونه منهم انما يترتب على رجوعه

بالاثمين لا على ابتلائه بعقوبتهما وحمل العقوبة على نوع آخر يترتب عليها العقوبة النارية يرده قوله تعالى وذلك جزاء الظالمين فانه صريح في ان كونه من اصحاب النار تمام العقوبة وكمالها والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها ولقد سلك في صرفه عما نواه من الشر كل مسلك من العظة والتذكير بالترغيب تارة والترهيب اخرى فما اورثه ذلك الا الاصرار على الغي والانهماك في الفساد فطوعت له نفسه قتل اخيه اي وسعته وسهلته من طاع له المرتع اذا اتسع وترتيب التطويع على ما حكي من مقالات هابيل مع تحققه قبلها ايضا كما يفصح عنه قوله لاقتلنك لما ان بقاء الفعل بعد تقرر ما يزيله من الدواعي السوقية وان كان استمرارا عليه بحسب الظاهر لكنه في الحقيقة امر حادث وصنع جديد كما في قوله وعظته فلم يتعظ اولان هذه المرتبة من التطويع لم تكن حاصلة قبل ذلك بناء على تردده في قدرته على القتل لما انه كان اقوى منه وانما حصلت بعد وقوفه على استسلام هابيل وعدم معارضته له والتصريح باخوته لكمال تقبيح ما سولته نفسه وقرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل او على ان قتل اخيه كانه نفسه الى الاقدام عليه فطاوعته ولم تمتنع وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله فقتله قيل لم يدر قابيل كيف يقتل هابيل فتمثل ابليس واخذ طايرا ووضع راسه على حجر ثم شدخها بحجر آخر فتعلم منه فرضخ راس هابيل بين حجرين وهو مستسلم لا يستعصي عليه وقيل اغتاله وهو نائم وكان لهابيل يوم قتل عشرون سنة واختلف في موضع قتله فقيل عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم وقيل في جبل بود ولما قتله تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمل في جراب على ظهره اربعين يوما وقيل سنة حتى اروح وعكفت عليه الطيور والسباع تنتظر متى يرمي به فتاكله فاصبح من الخاسرين دينا ودنيا فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه روي انه تعالى بعث غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه حفرة فالقاه فيها والمستكن في يريه لله تعالى او للغراب واللام على الاول متعلقة بيبعث حتما وعلى الثاني بيبحث ويجوز تعلقها بيبعث ايضا وكيف حال من ضمير يواري والجملة ثاني مفعولي يري والمراد بسوءة اخيه جسده الميت قال استئناف هي كلمة جزع وتحسر والالف بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة اعجزت ان اكون اي عن ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوءة اخي تعجب من عدم اهتدائه الى ما اهتدى اليه الغراب وقوله تعالى فاواري بالنصب عطف على اكون وقرئ بالرفع اي فانا اواري فاصبح من النادمين اي على قتله لما كابد فيه من التحير في امره وحمله على رقبته مدة طويلة وروي انه لما قتله اسود جسده وكان ابيض فساله آدم عليه السلام عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا قال بل قتلته ولذلك اسود جسدك ومكث آدم بعده مائة سنة لا يضحك وقيل لما قتل قابيل هابيل هرب الى عدن من ارض اليمن فاتاه ابليس فقال انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يخدمها ويعبدها فان عبدتها ايضا حصل مقصودك فبنى بيت نار فعبدها وهو اول من عبد النار من اجل ذلك شروع فيما هو المقصود بتلاوة النبأ من بيان بعض آخر من جنايات بني اسرائيل ومعاصيهم وذلك اشارة الى عظم شان القتل وافراط قبحه المفهومين مما ذكر في تضاعيف القصة من استعظام هابيل له وكمال اجتنابه عن مباشرته وان كان ذلك بطريق الدفع عن نفسه واستسلامه لان يقتل خوفا من عقابه وبيان استتباعه لتحمل القاتل لاثم المقتول ومن كون قابيل بمباشرته من جملة الخاسرين دينهم ودنياهم ومن ندامته على فعله مع ما فيه من العتو وشدة الشكيمة وقساوة القلب والاجل في الاصل مصدر اجل شرا اذا جناه استعمل في تعليل الجنايات كما في قولهم من جراك فعلته من ان جررته وجنيته ثم اتسع فيه واستعمل في كل تعليل وقرئ من اجل بكسر الهمزة وهي لغة فيه وقرئ من اجل بحذف الهمزة والقاء فتحها على النون ومن لابتداء الغاية متعلقة بقوله تعالى كتبنا على بني اسرائيل وتقديمها عليه للقصر اي من ذلك ابتداء الكتب ومنه نشأ لا من شيء آخر اي قضينا عليهم وبينا انه من قتل نفسا واحدة من النفوس بغير نفس اي بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص او فساد

مبني على سوال نشاء من سوق الكلام كانه قيل فماذا قال عند مشاهدة حال الغراب فقيل قال يا ويلتي صح

في الارض اي فساد يوجب اهدار دمها وهو عطف على ما اضيف اليه غير على معنى نفي كلا الامرين معا كما في
قولك من صلى بغير وضوء او تيمم بطلت صلوته لا نفي احدهما كما في قولك من صلى بغير وضوء او ثوب بطلت صلوته ومدار
الاستعمالين اعتبار ورود النفي على ما يستفاد من كلمة او من الترديد بين الامرين المنبئ عن التخيير والاباحة واعتبار العكس
ومناط الاعتبارين اختلاف حال ما اضيف اليه غير من الامرين بحسب اشتراط نقيض الحكم بتحقق احدهما واشتراطه بتحققهما
معا ففي الاول يرد النفي على الترديد الواقع بين الامرين قبل وروده فيفيد نفيهما معا وفي الثاني يرد الترديد على النفي فيفيد
نفي احدهما حتما اذ ليس قبل ورود النفي ترديد حتى يتصور عكسه وتوضيحه ان كل حكم شرط بتحقق احد شيئين مثلا فنقيضه
مشروط بانتفائهما معا وكل حكم شرط بتحققهما معا فنقيضه مشروط بانتفاء احدهما ضرورة ان نقيض كل شيء مشروط
بنقيض شرطه ولا ريب في ان نقيض الايجاب الجزئي كما في الحكم الاول هو السلب الكلي ونقيض الايجاب الكلي كما في
الحكم الثاني هو رفعه المستلزم للسلب الجزئي فثبت اشتراط نقيض الاول بانتفائهما معا واشتراط نقيض الثاني
بانتفاء احدهما ولما كان الحكم في قولك من صلى بوضوء او تيمم صحت صلوته مشروطا بتحقق احدهما مبهما كان نقيضه
في قولك من صلى بغير وضوء او تيمم بطلت صلوته مشروطا بنقيض الشرط المذكور البتة وهو انتفاؤهما معا فتعين
ورود النفي المستفاد من غير على الترديد الواقع بين الوضوء والتيمم بكلمة او فانتفى تحققهما معا ضرورة عموم
النفي الوارد على المبهم وعلى هذا يدور ما قالوا انه اذا قيل جالس العلماء او الزهاد ثم ادخل عليه لا الناهية امتنع فعل
الجمع نحو ولا تطع منهم آثما او كفورا اذ المعنى لا تفعل احدهما واما قولك من صلى بوضوء وثوب صحت صلوته فحيث كان
الحكم فيه مشروطا بتحقق كلا الامرين كان نقيضه في قولك من صلى بغير وضوء او ثوب بطلت صلوته مشروطا
بنقيض الشرط المذكور وهو انتفاء احدهما فتعين ورود الترديد على النفي فافاد نفي احدهما ولا يخفى ان اباحة
القتل مشروطة باحد ما ذكر من القتل والفساد ومن ضرورته اشتراط حرمته بانتفائهما معا فتعين ورود النفي
على الترديد لا محالة كانه قيل من قتل نفسا بغير احدهما **فكانما قتل الناس جميعا** فمن قال في تفسيره او بغير فساد
فقد ابعد عن توفية النظم الكريم حقه وما في كانما كافة مهيئة لوقوع الفعل بعدها وجميعا حال من الناس او
تاكيد ومناط التشبيه اشتراك الفعلين في هتك حرمة الدماء والاستعصاء على الله تعالى وتجسير الناس على
القتل في استتباع القود واستجلاب غضب الله تعالى وعذابه العظيم **ومن احياها** اي تسبب لبقاء واحدة
موصوفة بعدم ما ذكر من القتل والفساد في الارض اما بنهي قاتلها عن قتلها او استنقاذها
من سائر اسباب الهلكة بوجه من الوجوه **فكانما احيا الناس جميعا** وجه التشبيه ظاهر والمقصود تهويل امر
القتل وتفخيم شان الاحياء بتصوير كل منهما بصورة لائقة به في ايجاب الرهبة والرغبة ولذلك صدر
النظم الكريم بضمير الشان المنبئ عن كمال شهرته ونباهته وتبادره الى الاذهان عند ذكر الضمير الموجب
لزيادة تقرره بعد ابهامه في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن
مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده فضل تمكن كانه قيل ان الشان الخطير هذا **ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات**
جملة مستقلة غير معطوفة على كتبنا اكدت بالتاكيد القسمي وحرف التحقيق لكمال العناية بتحقق مضمونها
وانما لم يقل ولقد ارسلنا اليهم رسلنا الى آخره للتصريح بوصول الرسالة اليهم فانه ادل على تناهيهم في العتو
والمكابرة اي وبالله لقد جاءتهم رسلنا حسبما ارسلناهم بالآيات الواضحة الناطقة بتقرير ما كتبنا عليهم
تاكيدا لوجوب مراعاته وتاييدا لتحتم المحافظة عليه **ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك** اي بعد ما ذكر من الكتب
وتاكيد الامر بارسال الرسل تترى وتجديد العهد مرة بعد اخرى ووضع اسم الاشارة موضع الضمير للايذان
بكمال تميزه وانتظامه بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايماء الى علو درجته
وبعد منزلته في عظم الشان وثم للتراخي في الرتبة والاستبعاد **في الارض** متعلق بقوله تعالى **لمسرفون**
وكذا الظرف المتقدم ولا يقدح فيه توسط اللام بينه وبينهما لانها لام الابتداء وحقها الدخول على المبتداء

وانما دخولها

وانما دخولها على الخبر لكان ان فهي في حيزها الاصلي حكما والاسراف في كل امر التباعد عن حد الاعتدال مع عدم مبالاة
اي مسرفون في القتل غير مبالين به ولما كان اسرافهم في امر القتل مستلزما لتفريطهم في شان الاحياء وجودا
وذكرا وكان هو اقبح الامرين وافظعهما اكتفي بذكره في مقام التشنيع **انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله** كلام مستانف
سيق لبيان حكم نوع من انواع القتل وما يتعلق به من الفساد باخذ المال ونظائره وتعيين موجبه العاجل والآجل
اثر بيان عظم شان القتل بغير حق وادرج فيه بيان ما اشير اليه اجمالا من الفساد المبيح للقتل قيل ان يحاربون رسوله
وذكر الله تعالى للتمهيد والتنبيه على رفعة محله عنده عز وجل ومحاربة اهل شريعته وسالكي طريقته من المسلمين محاربة
له عليه السلام فيعم الحكم من يحاربهم ولو بعد اعصار بطريق العبارة دون الدلالة والقياس لان ورود النص ليس
بطريق خطاب المشافهة حتى يختص حكمه بالمكلفين عند النزول فيحتاج في تعميمه لغيرهم الى دليل آخر وقيل جعل
محاربة المسلمين محاربة لله تعالى ورسوله تعظيما لهم والمعنى يحاربون اولياءهما واصل الحرب السلب والمراد
ههنا قطع الطريق وقيل المكابرة بطريق اللصوصية وان كانت في مصر **ويسعون في الارض** عطف على يحاربون
والجار والمجرور متعلق به وقوله تعالى **فسادا** اما مصدر وقع موقع الحال من فاعل يسعون اي مفسدين او
مفعول له اي للفساد او مصدر مؤكد ليسعون لانه في معنى يفسدون على انه مصدر من افسد بحذف الزوائد
او اسم مصدر نزلت الآية في قوم هلال بن عويمر الاسلمي وكان وادعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يعينه
ولا يعين عليه ومن اتاه من المسلمين فهو آمن لا يهاج ومن مر بهلال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو آمن
لا يهاج فمر قوم من بني كنانة يريدون الاسلام بناس من قوم هلال ولم يكن هلال يومئذ شاهدا فقطعوا عليهم
وقتلوهم واخذوا اموالهم وقيل نزلت في العرنيين وقصتهم مشهورة وقيل في قوم من اهل الكتاب بينهم وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فنقضوا العهد وقطعوا السبيل وافسدوا في الارض ولما كانت المحاربة و
الفساد على مراتب متفاوتة ووجوه شتى من القتل بدون اخذ المال ومن القتل مع اخذه واخذه بدون قتل ومن
الاخافة بدون قتل واخذ شرعت لكل مرتبة من تلك المراتب عقوبة معينة بطريق التوزيع فقيل **ان يقتلوا**
اي حدا من غير صلب ان افردوا القتل ولو عفا الاولياء لا يلتفت الى ذلك لانه حق الشرع ولا فرق بين ان
يكون القتل بآلة جارحة او لا **او يصلبوا** اي مع القتل ان جمعوا بين القتل والاخذ بان يصلبوا احياء وتبعج بطونهم برمح
الى ان يموتوا وفي ظاهر الرواية ان الامام مخير ان شاء اكتفى بذلك وان شاء قطع ايديهم وارجلهم من خلاف
وقتلهم وصلبهم وصيغة التفعيل في الفعلين للتكثير وقرئ بالتخفيف فيهما **او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف** اي ايديهم
اليمنى وارجلهم اليسرى ان اقتصروا على اخذ المال من مسلم او ذمي وكان في المقدار لو قسم عليهم اصاب كلا منهم عشرة
دراهم او ما يساويها قيمة اما قطع ايديهم فلاخذ المال واما قطع ارجلهم فلاخافة الطريق بتفويت امنه **او ينفوا
من الارض** ان لم يفعلوا غير الاخافة والسعي للفساد والمراد بالنفي عندنا هو الحبس فانه نفي عن وجه الارض بدفع
شرهم عن اهلها ويعزرون ايضا لمباشرتهم منكر الاخافة وازالة الامن وعند الشافعي رحمه الله عليه النفي من بلد الى
بلد لا يزال يطلب وهو هارب فزعا وقيل هو النفي عن بلده فقط وكانوا ينفونهم الى دهلك وهو بلد في اقصى تهامة
وناصع وهو بلد من بلاد الحبشة **ذلك** اي ما فصل من الاحكام والاجزية قيل هو مبتداء وقوله **لهم خزي** جملة
من خبر مقدم على المبتداء وقوله تعالى **في الدنيا** متعلق بمحذوف وقع صفة لخزي او متعلق بخزي على الظرفية
والجملة في محل الرفع على انها خبر لذلك وقيل خزي خبر لذلك ولهم متعلق بمحذوف وقع حالا من خزي لانه في الاصل
صفة له فلما قدم انتصب حالا وفي الدنيا اما صفة لخزي او متعلق به على ما مر والخزي الذل والفضيحة **ولهم في
الآخرة عذاب عظيم** لا يقادر قدره لغاية عظم جناياتهم فقوله تعالى لهم خبر مقدم وعذاب مبتداء مؤخر وفي
الآخرة متعلق بمحذوف وقع حالا من عذاب لانه في الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا اي كائنا في الآخرة **الا
الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم** استثناء مخصوص بما هو من حقوق الله تعالى كما ينبئ عنه قوله عز وجل **فاعلموا ان الله**

غفور رحيم أمّا ما هو من حقوق الاولياء من القصاص ونحوه فاليهم ذلك ان شاءوا عفوا وان احبّوا استوفوا وانما اسقط بالتوبة وجوب استيفائه لا جوازه وعن علي رضي الله عنه ان الحرث بن بدر جاء تائبا بعد ما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة يا ايها الذين امنوا اتقوا الله لما ذكر عظم شان القتل والفساد وبيّن حكمهما واشير في تضاعيف ذلك الى مغفرته تعالى لمن تاب من جنايته امر المؤمنون ان يتقوه تعالى في كل ما يأتون وما يذرون بترك ما يجب اتقاؤه من المعاصي التي من جملتها ما ذكر من القتل والفساد وبفعل الطاعات التي من زمرتها السعي في احياء النفوس ودفع الفساد والمسارعة الى التوبة والاستغفار وابتغوا اي اطلبوا لانفسكم اليه اي الى ثوابه والزلفى منه الوسيلة هي فعيلة بمعنى ما يتوسل به ويتقرب الى الله تعالى من فعل الطاعات وترك المعاصي من وسل الى كذا اي تقرب اليه بشيء واليه متعلق بها قدّم عليها للاهتمام به وليست بمصدر حتى لا يعمل فيما قبلها ولعل المراد بها الاتقاء المأمور به فانه ملاك الامر كله كما اشير اليه وذريعة لنيل كل خير ومنجاة من كل ضر فالجملة حينئذ جارية مما قبلها مجرى البيان والتأكيد او مطلق الوسيلة وهو داخل فيها دخولا اوليا وقيل الجملة الاولى امر بترك المعاصي والثانية امر بفعل الطاعات وحيث كان في كل من ترك المعاصي المشتهاة للنفس وفعل الطاعات المكروهة لها كلفة ومشقة عقب الامر بهما بقوله تعالى وجاهدوا في سبيله بمحاربة اعدائه البارزة والكامنة لعلكم تفلحون بنيل مرضاته والفوز بكراماته ان الذين كفروا كلام مبتدأ مسوق لتأكيد وجوب الامتثال بالاوامر السابقة وترغيب المؤمنين في المسارعة الى تحصيل ما امر به عز وجل قبل القضاء اوانه ببيان استحالة توسل الكفار يوم القيمة باقوى الوسائل الى النجاة من العذاب فضلا عن نيل الثواب لو ان لهم اي لكل واحد منهم كما في قوله تعالى ولو ان لكل نفس ظلمت الى اخره لا لجميعهم اذ ليس في ذلك هذه المرتبة من تهويل الامر وتفظيع الحال ما في الارض اي من اصناف اموالها وذخائرها وسائر منافعها قاطبة وهو اسم ان ولهم خبرها ومحلها الرفع بلا خلاف لانه عند سيبويه رفع على الابتداء لا حاجة فيه الى الخبر لاشتمال صلتها على المسند والمسند اليه وقد اختصت من بين سائر ما يؤول بالاسم بالوقوع بعد لو وقيل الخبر محذوف ثم قيل يقدر مقدما اي لو ثابت كون ما في الارض لهم وقيل يقدر موخرا اي لو كون ما في الارض لهم ثابت وعند المبرد والزجاج والكوفيين رفع على الفاعلية والفعل مقدر بعد لو اي لو ثبت ان لهم ما في الارض وقوله تعالى جميعا توكيد للموصول او حال منه ومثله بالنصب عطف عليه معه ظرف وقع حالا من المعطوف والضمير راجع الى الموصول وفائدته التصريح بفرض كينونتهما لهم بطريق المعية لا بطريق التعاقب تحقيقا لكمال فظاعة الامر مع ما فيه من نوع اشعار بكونهما شيئا واحدا وتمهيدا لافراد الضمير الراجع اليهما واللام في قوله تعالى ليفتدوا به متعلقة بما تعلق به خبر ان اعني الاستقرار المقدر في لهم وبالخبر المقدر عند من يرى تقديره مقدما او موخرا وبالفعل المقدر بعد لو على راي المبرد ومن نحا نحوه ولا ريب في ان مدار الافتداء بما ذكر هو كونه لهم لا ثبوت كونه لهم وان كان مستلزما له والباء في به متعلقة بالافتداء والضمير راجع الى الموصول ومثله معه وتوحيده اما لما اشير اليه واما لاجرائه مجرى اسم الاشارة كانه قيل بذلك كما في قوله كانه في الجلد توليع البهق اي كان ذلك وقيل هو راجع الى الموصول والعائد الى المعطوف اعني مثله محذوف كما حذف الخبر من قيار في قوله فاني وقيار بها لغريب اي وقيار ايضا غريب وقد جوز ان يكون نصب ومثله على انه مفعول معه ناصبه الفعل المقدر بعد لو تفريعا على مذهب المبرد ومن راى رايه وانت خبير بانه يودي الى كون الرافع للفاعل غير الناصب للمفعول معه لان المعنى على اعتبار المعية بين ما في الارض ومثله في الكينونة لهم لا في ثبوت تلك الكينونة وتحققها ولا مساغ لجعل ناصبه الاستقرار المقدر في لهم لما ان سيبويه قد نص على ان اسم الاشارة وحرف الجر المتضمن للاستقرار لا يعملان في المفعول وان قوله هذا لك واياك قبيح وان جوزه بعض النحاة في الظرف وحرف الجر وقوله تعالى من عذاب يوم القيمة متعلق بالافتداء ايضا اي لو ان ما في الارض ومثله ثابت لهم ليجعلوه فدية لانفسهم من العذاب الواقع يومئذ ما تقبل منهم ذلك وهو جواب لو وترتيبه على كون ذلك لهم لاجل افتدائهم به من غير ذكر الافتداء بان يقال وافتدوا به مع ان الرد والقبول انما يترتب

عليه لا على مباديه للايذان بانه امر محقق الوقوع غني عن الذكر وانما المحتاج الى الغرض قد دلتهم على ما ذكروا للمبالغة في تحقق الرد وتخييل انه وقع قبل الافتداء على منهاج ما في قوله تعالى انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما راه مستقرا عنده حيث لم يقل فاتى به فراه فلما الى اخره وما في قوله تعالى وقالت اخرج عليهن فلما راينه اكبرنه من غير ذكر خروجه عليه السلام عليهن ودهشتهن له والجملة الامتناعية بحالها خبر ان الذين كفروا والمراد تمثيل لزوم العذاب لهم واستحالة نجاتهم بوجه من الوجوه المحققة والمفروضة وعن النبي عليه الصلوة والسلام يقال للكافر ارايت لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال قد سئلت ايسر من ذلك وهو كلمة الشهادة وقوله تعالى ولهم عذاب اليم تصريح بما اشير اليه بعد قبول فديتهم لزيادة تقريره وبيان هوله وشدته قيل محله النصب على الحالية وقيل الرفع عطفا على خبر ان وقيل عطف على ان الذين فلا محل له كالمعطوف عليه يريدون ان يخرجوا من النار استيناف مسوق لبيان حالهم في اثناء مكابدة العذاب مبني على سؤال نشأ مما قبله كانه قيل فكيف يكون حالهم او ماذا يصنعون فقيل يريدون الى اخره وقد بيّن في تضاعيفه ان عذابهم عذاب النار قيل انهم يقصدون ذلك ويطلبون المخرج فيلفحهم لهب النار ويرفعهم الى فوق فهناك يريدون الخروج ولات حين مناص وقيل يكادون يخرجون منها لقوة النار وزيادة دفعها اياهم وقيل يتمنون ويريدونه بقلوبهم وقوله عز وجل وما هم بخارجين منها اما حال من فاعل يريدون او اعتراض واياما كان فايثار الجملة الاسمية على الفعلية مصدرة بما الحجازية الدالة بما في حيزها من الباء على تاكيد النفي لبيان كمال سوء حالهم باستمرار عدم خروجهم منها فان الجملة الاسمية الايجابية كما تفيد بمعونة المقام دوام الثبوت تفيد السلبية ايضا بمعونته دوام النفي لا نفي الدوام كما مر في قوله تعالى ما انا بباسط الى اخره وقرئ ان يخرجوا على بناء المفعول من الاخراج ولهم عذاب مقيم تصريح بما اشير اليه انفا من عدم تناهي مدته بعد بيان مدته والسارق والسارقة شروع في بيان حكم السرقة الصغرى بعد بيان احكام الكبرى وقد عرفت اقتضاء الحال لايرادها توسط بينهما من المقال ولما كانت السرقة معهودة من النساء كالرجال صرح بالسارقة ايضا مع ان المعهود في الكتاب والسنة ادراج النساء في الاحكام الواردة في شان الرجال بطريق الدلالة لمزيد الاعتناء بالبيان والمبالغة في الزجر وهو مبتدأ خبره عند سيبويه محذوف تقديره وفيما يتلى عليكم او وفيما فرض عليكم السارق والسارقة اي حكمهما وعند المبرد قوله تعالى فاقطعوا ايديهما والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط اذ المعنى الذي سرق والتي سرقت وقرئ بالنصب وفضلها سيبويه على قراءة الرفع لان الانشاء لا يقع خبرا الا باضمار وتاويل والسرقة اخذ مال الغير خفية وانما توجب القطع اذا كان الاخذ من حرز والماخوذ يساوي عشرة دراهم فما فوقها مع شروط فصّلت في موقعها والمراد بايديهما ايمانهما كما يفصح عنه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه والسارقون والسارقات فاقطعوا ايمانهم ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله تعالى فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام الجارحة ولذلك ذهب الخوارج الى ان المقطوع هو المنكب والجمهور على انه الرسغ لانه عليه الصلوة والسلام اتي بسارق فامر بقطع يمينه منه جزاء نصب على انه مفعول له فاقطعوا للجزاء او مصدر موكد لفعله الذي يدل عليه فاقطعوا اي فجازوهما جزاء وقوله تعالى بما كسبا على الاول متعلق بجزاء وعلى الثاني بفاقطعوا وما مصدرية اي بسبب كسبهما او موصولة اي بسبب ما كسباه من السرقة التي تباشر بالايدي وقوله تعالى نكالا مفعولا له ايضا على البدلية من جزاء لانهما من نوع واحد وقيل القطع معلل بالجزاء والقطع المعلل معلل بالنكال فهو منصوب بجزاء على طريقة الاحوال المتداخلة فانه علة للجزاء والجزاء علة للقطع كما اذا قلت ضربته تاديبا احسانا اليه فان الضرب معلل بالتاديب والتاديب معلل بالاحسان وقد اجاز ذلك في قوله عز وجل ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ان يكون بغيا مفعولا له ناصبه ان يكفروا ثم قالوا ان قوله تعالى ان ينزل الله تعالى مفعول له ناصبه بغيا على ان التنزيل علة للبغي والبغي علة للكفر وقوله تعالى من الله تعالى متعلق بمحذوف وقع صفة لنكالا اي نكالا كائنا منه تعالى والله عزيز غالب على امره يمضيه كيف يشاء من غير ند ينازعه ولا ضد يمانعه حكيم في شرائعه لا يحكم الا بما يقتضيه الحكمة والمصلحة ولذلك شرع في هذه الشرائع المنطوية على فنون الحكم والمصالح فمن تاب من السراق الى الله تعالى من بعد

ظلمه الذي هو سرقته والتصريح به مع ان التوبة لا يتصور قبله لبيان عظم نعمته تعالى بتذكير عظم جنايته واصلح اي امره
بالتفصي عن تبعات ما باشره والعزم على ترك المعاودة اليها فان الله يتوب عليه اي يقبل توبته فلا يعذبه في الآخرة واما القطع
فلا يسقط بالتوبة عندنا لان فيه حق المسروق منه ويسقط عند الشافعي في احد قوليه ان الله غفور رحيم مبالغ في المغفرة
والرحمة ولذلك يقبل توبته وهو تعليل لما قبله واظهار الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم وتاييد استقلال الجملة وكذا
في قوله عز وجل الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض فان عنوان الالوهية مدار احكام ملكوتهما والجار والمجرور خبر مقدم
وملك السموات والارض مبتداء والجملة خبر لان وهي مع ما في حيزها سادة مسد مفعولي تعلم عند الجمهور وما فيه
من تكرير الاسناد لتقوية الحكم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين وقيل لكل احد صالح للخطاب والاستفهام
الانكاري لتقرير العلم والمراد به الاستشهاد بذلك على قدرته تعالى على ما سياتي من التعذيب والمغفرة على ابلغ وجه
واتمه اي الم تعلم ان الله تعالى له السلطان القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمان للقدرة التامة على التصرف
الكلي فيهما وفيما فيهما ايجادا واعداما واحياء واماتة الى غير ذلك حسبما تقتضيه مشيئته يعذب من يشاء تعذيبه ويغفر لمن يشاء
اي يغفر له من غير نقص يساهمه ولا ضد يزاحمه وتقديم التعذيب على المغفرة لمراعاة ما بين سببيهما من الترتيب
والجملة اما تقرير لكون ملكوت السموات والارض له سبحانه او خبر آخر لان والله على كل شيء قدير فيقدر على ما ذكر من
التعذيب والمغفرة والاظهار في موقع الاضمار لما مر مرارا والجملة تذييل مقرر لما قبلها يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون
في الكفر خوطب صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة للتشريف والاشعار بما يوجب عدم الحزن والمسارعة في الشيء الوقوع
فيه بسرعة ورغبة وايثار كلمة في على كلمة الى الواقعة في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الآية للايماء الى
انهم مستقرون في الكفر لا يبرحونه وانما ينتقلون بالمسارعة عن بعض فنونه واحكامه الى بعض آخر منها كاظهار موالاة
المشركين وابراز آثار الكيد للاسلام ونحو ذلك كما في قوله تعالى اولئك يسارعون في الخيرات فانهم مستمرون على الخير
مسارعون في انواعه وافراده والتعبير عنهم بالموصول للاشارة بما في حيز صلته الى مدار الحزن وهذا وان كان بحسب
الظاهر نهيا للكفرة عن ان يحزنوه عليه الصلوة والسلام عن التاثر من ذلك والمبالاة به على ابلغ وجه واكده فان النهي عن
اسباب الشيء ومباديه الموذية اليه نهي عنه بطريق البرهان وقلع له من اصله وقد توجه النهي الى المسبب ويراد به
النهي عن السبب كما في قوله لا ارينك ههنا يريد به نهيا مخاطبه عن الحضور بين يديه وقرئ لا يحزنك من احزنه منقول من
حزن بكسر الزاء وقيل يسرعون يقال اسرع فيه الشيب اي وقع فيه سريعا اي لا تحزن ولا تبال بتهافتهم في الكفر
بسرعة وقوله تعالى من الذين قالوا آمنا بافواههم بيان للمسارعين في الكفر وقيل متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل
يسارعون وقيل من الموصول اي كائنين من الذين الى آخره والباء متعلقة بقالوا لا بآمنا وقوله تعالى ولم تؤمن
قلوبهم جملة حالية من ضمير قالوا وقيل عطف على قالوا وقوله تعالى ومن الذين هادوا عطف على من الذين قالوا الى
آخره وبه يتم بيان المسارعين في الكفر بتقسيمهم الى قسمين المنافقين واليهود فقوله تعالى سماعون للكذب خبر لمبتداء
محذوف راجع الى الفريقين او الى المسارعين واما رجوعه الى الذين هادوا فمخل بعموم الوعيد الآتي ومباديه للكل كما
ستقف عليه وكذا جعل قوله ومن الذين الى آخره خبرا على ان قوله سماعون صفة لمبتداء محذوف اي ومنهم قوم سماعون
الى آخره لادائه الى اختصاص ما عدد من القبائح وما يترتب عليها من الغوائل الدنيوية والاخروية بهم فالوجه ما
ذكر اولا اي هم سماعون واللام اما لتقوية العمل واما لتضمين السماع معنى القبول واما لام كي والمفعول محذوف
في المعنى هم مبالغون في سماع الكذب وفي قبول ما يفتريه احبارهم من الكذب على الله سبحانه وتحريف كتابه او
سماعون اخباركم واحاديثكم ليكذبوا عليكم بان يمسخوها بالزيادة والنقص والتبديل والتغيير او اخبار الناس
واقوالهم الدائرة فيما بينهم ليكذبوا فيها بان يرجفوا بقتل المومنين وانكسار سراياهم ونحو ذلك بما فيه ضرر
بهم وايا ما كان فالجملة مستانفة جارية مجرى التعليل للنهي فان كونهم سماعين للكذب على الوجوه المذكورة
وابتناء امورهم على ما لا اصل له من الاباطيل والاراجيف مما يقتضي عدم المبالاة بهم وترك الاعتداد بما ياتون

وما يذرون للقطع بظهور بطلان اكاذيبهم واختلال ما بنوا عليها من الافاعيل الفاسدة المودية الى الخزي والعذاب كما سياتي
وقرئ سماعين للكذب بالنصب على الذم وقوله تعالى سماعون لقوم آخرين خبر ثان للمبتداء المقدر مقرر للاول ومبين
لما هو المراد بالكذب على الوجهين الاولين واللام في مثل ما في سمع الله لمن حمده في الرجوع الى معنى من اي قبل منه حمده والمعنى
مبالغون في قبول كلام قوم آخرين واما كونها لام التعليل واما بمعنى سماعون منه عليه السلام لاجل قوم آخرين وجههم
عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منه عليه السلام او كونها متعلقة بالكذب على ان سماعون الثاني تكرير للتاكيد بمعنى سماعون ليكذبوا
القوم آخرين فلا يكاد يساعده النظم الكريم اصلا وقوله تعالى لم ياتوك صفة اخرى لقوم اي لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك
تكبرا وافراطا في البغضاء وقيل هم يهود خيبر والسماعون بنو قريظة وقوله تعالى يحرفون الكلم من بعد مواضعه صفة اخرى وصفوا
اولا بمغايرتهم للسماعين تنبيها على استقلالهم واصالتهم في الراي والتدبير ثم بعدم حضورهم مجلس الرسول عليه الصلوة
والسلام ايذانا بكمال طغيانهم في الضلال ثم باستمرارهم على التحريف بيانا لافراطهم في العتو والمكابرة والاجتراء على الافتراء
على الله عز وجل وتعيينا للكذب الذي يسمعه السماعون اي يميلونه ويزيلونه عن مواضعه بعد ان وضعه الله تعالى فيها اما
لفظا باهماله او تغيير وصفه واما بحمله على غير المراد واجرائه في غير مورده وقيل الجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب ناعية
عليهم شنايعهم وقيل خبر مبتداء محذوف راجع الى القوم وقوله تعالى يقولون كالجملة السابقة في الوجوه المذكورة
ويجوز ان يكون حالا من ضمير يحرفون واما تجويز كونها صفة لسماعون او حالا من الضمير فيه فمما لا سبيل اليه اصلا كيف لا
وان مقول القول ناطق بان قائله ممن لا يحضر مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم والمخاطب به ممن يحضره فكيف يمكن ان
يقول السماعون المترددون اليه عليه الصلوة والسلام لمن لا يحوم حوله عليه السلام قطعا وادعاء قول السماعين لاعقابهم
المخاطبين للمسلمين تعسف ظاهر مخل بجزالة النظم الكريم والحق الذي لا محيد عنه ان المحرفين والقائلين هم القوم الآخرون
اي يقولون لاتباعهم السماعين لهم عند القائهم اليهم اقاويلهم الباطلة مشيرين الى كلامهم الباطل ان اوتيتم من جهة الرسول
صلى الله عليه وسلم هذا فخذوه واعملوا بموجبه فانه الحق وان لم تؤتوه بل اوتيتم غيره فاحذروا اي فاحذروا قبوله واياكم
واياه في ترتيب الامر بالحذر على مجرد عدم ايتاء المحرف من المبالغة في التحذير ما لا يخفى روي ان شريفا من خيبر زنى
بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم في التورية فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الى بني قريظة ليسألوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال ان امركم بالتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا تقبلوا وارسلوا الزانيين
معهم فامرهم بالرجم فابوا ان ياخذوا به فقال جبريل عليه السلام اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له عليه
السلام فقال عليه السلام هل تعرفون شابا ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودي
على وجه الارض بما انزل الله على موسى بن عمران في التورية قال فارسلوا اليه ففعلوا فاتاهم فقال له النبي
عليه الصلوة والسلام انت ابن صوريا قال نعم قال عليه الصلاة والسلام انت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون
قال اترضون به حكما قالوا نعم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي
فلق البحر وانجاكم واغرق آل فرعون وظلل عليكم الغمام وانزل عليكم المن والسلوى ورفع فوقكم الطور وانزل عليكم
التورية فيها حلاله وحرامه هل تجدون في كتابكم الرجم على من احصن قال نعم والذي ذكرتني به لولا خشيت ان
يحرقني التورية ان كذبت او غيرت ما اعترفت لك ولكن كيف هي في كتابك يا محمد قال عليه الصلاة والسلام اذا
شهد اربعة رهط عدول انه ادخل فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم قال ابن صوريا والذي انزل
التورية على موسى هكذا انزل الله في التورية على موسى عليه السلام فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته
ان ينزل علينا العذاب ثم سال رسول الله عليه الصلوة والسلام عن اشياء كان يعرفها من اعلامه فقال اشهد ان
لا اله الا الله وانك رسول الله النبي الامي العربي الذي بشر به المرسلون وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما
عند باب المسجد ومن يرد الله فتنته اي ضلالته او فضيحته كائنا من كان فيندرج فيه المذكورون اندراجا اوليا وعدم
التصريح بكونهم كذلك للاشعار بكمال الظهور واستغنائه عن ذكره فلن تملك له فلن تستطيع له من الله شيئا في دفعها والجملة

مستانفة معترضة لما قبلها ومبينة لعدم انفكاكهم عن القبايح المذكورة ابدا اولئك اشارة الى المذكورين من المنافقين
واليهود وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفساد وهو مبتدا خبره قوله تعالى الذين لم يرد
الله ان يطهر قلوبهم اي من رجس الكفر وخبث الضلالة لانهماكهم واصرارهم عليها واعراضهم عن صرف اختيارهم الى تحصيل
الهداية بالكلية كما ينبئ عنه وصفهم بالمسارعة في الكفر اولا وشرح فنون ضلالتهم اخرا والجملة استيناف مبين لكون ارادته
تعالى لفتنتهم منوطة بسوء اختيارهم وقبح صنيعهم الموجب لها لا واقعة منه تعالى ابتداء لهم في الدنيا خزي اما المنافقون
فخزيهم فضيحتهم وهتك سترهم بظهور نفاقهم فيما بين المسلمين واما خزي اليهود فالذل والجزية والافتضاح بظهور كتمهم
في كتمان نص التورية وتنكير خزي للتفخيم وهو مبتداء ولهم خبره وفي الدنيا متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار وكذا
الحال في قوله تعالى ولهم في الاخرة اي مع الخزي الدنيوي عذاب عظيم هو الخلود في النار وضمير لهم في الجملتين للمنافقين
واليهود جميعا لا لليهود خاصة كما قيل وتكرير لهم مع اتحاد المرجع لزيادة التقرير والتاكيد والجملتان استيناف مبني على
سوال نشاء من تفصيل احوالهم وافعالهم الموجبة للعقاب كانه قيل فما لهم من العقوبة فقيل لهم في الدنيا الاية سماعون
للكذب خبر اخر للمبتداء المقدر كرر تاكيدا لما قبله وتمهيدا لما بعده من قوله تعالى اكالون للسحت وهو ايضا خبر اخر للمقدر
وارد على طريقة الذم او بناء على ان المراد بالكذب ما يفعله الراشون عند الاكالين والسحت بضم السين وسكون الحاء في
الاصل كل ما لا يحل كسبه وقيل هو الحرام مطلقا من سحته اذا استاصله سمي به لانه مسحوت البركة والمراد به ههنا
اما الرشى التي كان ياخذها المحرفون على تحريفهم وسائر احكامهم الزائغة وهو المشهود او ما كان ياخذه فقراؤهم من اغنيائهم
من المال ليقيموا على اليهودية كما قيل واما مطلق الحرام المنتظم لما ذكر انتظاما اوليا وقرئ للسحت بضم السين والحاء
وبفتحهما وبفتح السين وسكون الحاء وبكسر السين وسكون الحاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل لحم انبته السحت
فالنار اولى به فان جاؤك لما بين تفاصيل امورهم الواهية واحوالهم المختلة الموجبة لعدم المبالاة بهم وبافاعيلهم حسبما
امر به عليه الصلوة والسلام خوطب عليه السلام ببعض ما يبتني عليه من الاحكام بطريق التفريع والفاء فصيحة اي
واذا كان حالهم كما شرح فان جاؤك متحاكمين اليك فيما شجر بينهم من الخصومات فاحكم بينهم او اعرض عنهم غير مبال بهم ولا خايف
من جهتهم اصلا وهذا كما ترى تخيير له صلى الله عليه وسلم بين الامرين فقيل هو في امر خاص هو ما ذكر من زنا المحصن
وقيل في قتيل قتل من اليهود في بني قريظة والنضير فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بنو قريظة
اخواننا بنو النضير ابونا واحد وديننا واحد ونبينا واحد واذا قتلوا منا قتيلا لم يرضوا بالقود واعطونا سبعين
وسقا من تمر واذا قتلنا منهم قتلوا القاتل واخذوا منا الضعف مائة واربعين وسقا من تمر وان كان القتيل امراة
قتلوا بها الرجل منا وبالرجل منهم الرجلين منا وبالعبد منهم الحر منا فاقض بيننا فجعل عليه السلام الدية سواء وقيل
هو عام في جميع الحكومات ثم اختلفوا فمن قايل انه ثابت وهو المروي عن عطاء والنخعي والشعبي وقتادة وابي بكر
الاصم وابي مسلم وقايل انه منسوخ وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما والحسن ومجاهد وعكرمة رضي الله عنهم
وقال ابن عباس لم ينسخ من المائدة الا ايتان قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله نسخها قوله تعالى اقتلوا المشركين وقوله
تعالى فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم نسخها قوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله وعليه مشايخنا وان تعرض
عنهم بيان لحال الامرين اثر تخييره عليه السلام بينهما وتقديم حال الاعراض للمسارعة الى بيان انه لا ضرر فيه
حيث كان مظنة الضرر لما انهم كانوا لا يتحاكمون اليه عليه الصلاة والسلام الا لطلب الايسر والاهون عليهم
فاذا اعرض عنهم وابى الحكومة بينهم شق ذلك عليهم فيشتد عداوتهم ومضادتهم له عليه الصلوة والسلام فامنه الله عز وجل
بقوله فلن يضروك شيئا من الضرر فان الله عاصمك من الناس وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل الذي امرت به كما حكمت
بالرجم ان الله يحب المقسطين ومن ضرورته ان يحفظهم عن كل مكروه ومحذور وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله
تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه والحال ان الحكم منصوص عليه في كتابهم الذي يدعون الايمان به وتنبيه
على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما هو اهون عليهم وان لم يكن ذلك حكم الله

علي زعمهم فقوله تعالى وعندهم التورية حال من فاعل يحكمونك وقوله تعالى فيها حكم الله حال من التورية ان جعلت مرتفعة
بالظرف وان جعلت مبتداء فهو حال من ضميرها المستكن في الخبر وقيل استيناف مسوق لبيان ان عندهم ما يغنيهم عن التحكيم
وتانيثها لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم كموماة ودوداة ثم يتولون عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجب وثم للتراخي
في الرتبة وقوله تعالى من بعد ذلك اي من بعد ما حكموك تصريح بما علم قطعا لتاكيد الاستبعاد والتعجب والتراخي في
الرتبة وقوله تعالى ثم يتولون اي ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم من بعد ما رضوا بحكمك وقوله تعالى وما اولئك
بالمؤمنين تذييل مقرر لفحوى ما قبله ووضع اسم الاشارة موضع ضميرهم للقصد الى احضارهم في الذهن بما وصفوا
به من القبايح ايماء الى علة الحكم والى انهم قد تميزوا بذلك عن غيرهم اكمل تميز حتى انتظموا في سلك الامور المشاهدة وما
فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في العتو والمكابرة اي وما اولئك الموصوفون بما ذكر بالمؤمنين اي بكتابهم لاعراضهم
عنه اولا وعن حكمك الموافق له ثانيا او بهما وقيل وما اولئك بالكاملين في الايمان تهكما بهم انا انزلنا التورية كلام مستانف
سيق لبيان علو شان التورية ووجوب مراعاة احكامها وانها لم تزل مرعية فيما بين الانبياء ومن يقتدي بهم كابرا
عن كابر مقبولة لكل احد من الحكام والمتحاكمين محفوظة عن المخالفة والتبديل تحقيقا لما وصف به المحرفون من عدم
ايمانهم بها وتقريرا لكفرهم وظلمهم وقوله تعالى فيها هدى ونور حال من التورية فان ما فيها من الشرايع والاحكام
من حيث ارشادها للناس الى الحق الذي لا محيد عنه هدى ومن حيث اظهارها وكشفها ما استبهم من الاحكام
وما يتعلق بها من الامور المستورة بظلمات الجهل نور وقوله تعالى يحكم بها النبيون اي انبياء بني اسرائيل وقيل
موسى ومن بعده من الانبياء جملة مستانفة مبينة لرفعة رتبتها وسمو طبقتها وقد جوز كونه حالا من التورية فيكون
حالا مقدرة اي يحكمون باحكامها ويحملون الناس عليها وبه تمسك من ذهب ان شريعة من قبلنا شريعة لنا ما لم تنسخ
وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من الاعتناء بشان المقدم والتشويق الى المؤخر لان في المؤخر وما يتعلق به نوع
طول ربما يخل تقديمه بتجاوب النظم الكريم وقوله تعالى الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين على سبيل المدح دون التخصيص
لكن لا للقصد الى مدحهم بذلك حقيقة فان النبوة اعظم من الاسلام قطعا فيكون وصفهم به بعد وصفهم بها تنزلا من الاعلى
الى الادنى بل لتنويه شان الصفة فان ابراز وصف في معرض مدح العظماء مبني عن عظم قدر الوصف لا محالة كما في وصف
الانبياء بالصلاح ووصف الملائكة بالايمان عليهم السلام ولذلك قيل اوصاف الاشراف اشراف الاوصاف وفيه رفع لشان
المسلمين وتعريض باليهود وبانهم بمعزل من الاسلام والاقتداء بدين الانبياء عليهم الصلوة والسلام لا سيما ملاحظة ما وصفوا
به في قوله تعالى للذين هادوا وهو متعلق بيحكم اي يحكمون فيما بينهم واللام لبيان اختصاص الحكم بهم اعم من ان يكون لهم
او عليهم كانه قيل لاجل الذين هادوا واما للايذان بنفعه على المحكوم عليه ايضا باسقاط التبعة عنه واما للاشعار
بكمال رضاهم به وانقيادهم له كانه امر نافع لكلا الفريقين ففيه تعريض بالمحرفين وقيل اللام للذين هادوا وعليهم فحذف
ما حذف لدلالة ما ذكر عليه وقيل هو متعلق بانزلنا وقيل بهدى ونور وفيه فصل بين المصدر ومعموله وقيل متعلق
بمحذوف وقع صفة لهما اي هدى ونور كاينان للذين هادوا والربانيون والاحبار اي الزهاد والعلماء من ولد
هرون الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود وعن ابن عباس رضي الله عنهما الاحبار هم الفقهاء
واحدهم حبر بالفتح والكسر والثاني افصح وهو رأي الفراء ماخوذ من التحبير والتحسين فانهم يحبرون العلم ويزينونه و
يبينونه وهو عطف على النبيون اي هم ايضا يحكمون باحكامها وتوسيط المحكوم لهم بين المعطوف للايذان بان الاصل
في الحكم بها وحمل الناس على ما فيها هم النبيون وانما الربانيون والاحبار خلفاء ونواب لهم في ذلك كما ينبئ عنه قوله تعالى
بما استحفظوا اي بالذي استحفظوه من جهة النبيين وهو التورية حيث سألوهم ان يحفظوها من التغيير والتبديل
على الاطلاق ولا ريب في ان ذلك منهم عليهم السلام استخلاف لهم في اجراء احكامها من غير اخلال بشيء منها وفي ابهامها
اولا ثم بيانها بقوله تعالى من كتاب الله من تفخيمها واجلالها ذاتا واضافة وتاكيد ايجاب حفظها والعمل بما فيها ما لا
يخفى وايرادها بعنوان الكتاب للايماء الى ايجاب حفظها من التغيير من جهة الكتابة والباء الداخلة على الموصول متعلقة

يحكم لكن لا على انها صلة له كالتي في قوله تعالى بها للزوم تعلق حرفي جر متحدي المعنى بفعل واحد بل على انها سببية اي
ويحكم الربانيون والاحبار ايضا بسبب ما حفظوه **وقيل** حسبما وصاهم انبياؤهم وسألوهم ان يحفظوه وليس
المراد سببيته لحكمهم ذلك سببية من حيث الذات بل من حيث محفوظا فان تعليق حكمهم بالموصول مشعر بسببية الحفظ المترتب
لا محالة على ما في حيز الصلة من الاستحفاظ له **وقيل** الباء صلة لفعل مقدر معطوف على قوله تعالى يحكم بها النبيون عطف جملة
اي ويحكم الربانيون والاحبار بحكم كتاب الله الذي سألهم انبياؤهم ان يحفظوه من التغيير **وكانوا عليه شهداء** اي رقباء يحمونه من
ان يحوم حوله التغيير والتبديل بوجه من الوجوه فتغيير الاسلوب لما ذكر من المزايا **وقيل** بما استحفظوا بدل من قوله تعالى بها
باعادة العامل وهو بعيد وكذا تجويز كون الضمير في استحفظوا للانبياء والربانيين والاحبار جميعا على ان الاستحفاظ من
جانب الله تعالى اي كلفهم الله تعالى ان يحفظوه ويكونوا عليه شهداء وقوله تعالى **فلا تخشوا الناس** خطاب لرؤساء اليهود
وعلمائهم بطريق الالتفات واما حكام المسلمين فيتناولهم النهي بطريق الدلالة دون العبارة والفاء لترتيب النهي على ما فصل
من حال التورية وكونها معتنى بشأنها فيما بين الانبياء ومن يقتدي بهم من الربانيين والاحبار المتقدمين عملا وحفظا فان
ذلك مما يوجب الاجتناب عن الاخلال بوظايف مراعاتها والمحافظة عليها باي وجه كان فضلا عن التحريف والتغيير ولما كان
مدار جراءتهم على ذلك خشية ذي سلطان او رغبة في الحظوظ الدنيوية نهوا عن كل منهما صريحا اي اذا كان شأنها كما ذكر
فلا تخشوا الناس كائنا من كان واقتدوا في مراعاة احكامها وحفظها بمن قبلكم من الانبياء واشياعهم **واخشون** في الاخلال
بحقوق مراعاتها فكيف بالتعرض لها بسوء **ولا تشتروا باياتي** الاشتراء استبدال سلعة بالثمن اي اخذها بدلا منه
لا بذل الثمن لتحصيلها **كما قيل** ثم استعير لاخذ شيء بدلا مما كان له عينا كان او معنى اخذا منوطا بالرغبة فيما اخذ
والاعراض عما اعطى وبذكما فصل في تفسير قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فالمعنى لا تستبدلوا
باياتي التي فيها بان تخرجوها منها او تتركوا العمل بها وتأخذوا لانفسكم بدلا منها **ثمنا قليلا** من الرشوة والجاه وساير الحظوظ
الدنيوية فانها وان جلت قليلة مسترذلة في نفسه لا سيما بالنسبة الى ما فات عنهم بترك العمل بها وانما عبر عن
المشتري الذي هو العمدة في عقود المعاوضة والمقصد الاصلي بالثمن الذي شأنه ان يكون وسيلة لتحصيله وابرز
الايات التي حقها ان يتنافس فيها المتنافسون في معرض الاثمان والوسايط حيث قرنت بالباء التي تصحب الوسايل
ايذانا بما لغتهم في التعكيس بان جعلوا المقصد الاقصى وسيلة والوسيلة الادنى مقصدا **ومن لم يحكم بما انزل الله** كائنا
من كان دون المخاطبين خاصة فانهم مندرجون فيه اندراجا اوليا اي من لم يحكم بذلك مستهينا به منكرا له كما يقتضيه
ما فعلوه من تحريف ايات الله اقتضاء بينا **فاولئك** اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد فيما سبق
باعتبار لفظها **هم الكافرون** لاستهانتهم به وهم اما ضمير الفصل ومبتدأ ما بعده خبره والجملة خبر لاولئك وقد مر
تفصيله في مطلع سورة البقرة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها ابلغ تقرير وتحذير عن الاخلال به اشد تحذير
حيث علق فيه الحكم بالكفر بمجرد ترك الحكم بما انزل الله فكيف وقد انضم اليه الحكم بخلافه لا سيما مع مباشرة ما
نهوا عنه من تحريفه ووضع غيره موضعه وادعاء انه من عند الله تعالى ليشتروا به ثمنا قليلا **وكتبنا** عطف على انزلنا
التورية **عليهم** اي الذين هادوا **وقرئ** وانزل الله على بني اسرائيل **فيها** اي في التورية **ان النفس بالنفس** اي تقاد
اذا قتلتها بغير حق **والعين** تفقأ **بالعين** اذا فقئت بغير حق **والانف** يجدع **بالانف** المقطوع بغير حق **والاذن** تصلم **بالاذن**
المقطوعة ظلما **والسن** تقلع **بالسن** المقلوعة بغير حق **والجروح قصاص** اي ذات قصاص اذا كانت بحيث يعرف المساواة
عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت **وقرئ** وان الجروح قصاص **وقرئ** والعين الى اخره
بالرفع عطفا على محل ان النفس لان المعنى كتبنا عليهم النفس بالنفس اما لاجراء كتبنا مجرى قلنا واما لان معنى الجملة التي هي
قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب كما يقع عليه القراءة تقول كتبت الحمد لله وقرأت سورة انزلناها **فمن تصدق**
اي من المستحقين **به** اي بالقصاص اي فمن عفا عنه والتعبير عنه بالتصدق للمبالغة في الترغيب فيه **فهو** اي التصدق
كفارة له اي للمتصدق يكفر الله تعالى بها ذنوبه **وقيل** للجاني اذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط ما لزمه **وقرئ** فهو كفارة

له اي فالمتصدق كفارته التي يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شيء وهو تعظيم لما فعل كقوله تعالى فاجره على الله **ومن لم**
يحكم كائنا من كان فيتناول من لا يرى قتل الرجل بالمرأة من اليهود تناولا بينا **بما انزل الله** من الاحكام والشرايع كائنا من كان فيدخل
فيها الاحكام المحكية دخولا اوليا **فاولئك هم الظالمون** المبالغون في الظلم المتعدون لحدوده تعالى الواضعون للشيء في غير
موضعه والجملة تذييل مقرر لايجاب العمل بالاحكام المذكورة **وقفينا على آثارهم** شروع في بيان احكام الانجيل اثر بيان
احكام التورية وهو عطف على انزلنا التورية اي آثار النبيين المذكورين يقال قفيته بفلان اذا اتبعته اياه فحذف المفعول
لدلالة الجار والمجرور عليه اي قفيناهم **بعيسى بن مريم** اي ارسلناه عقبهم **مصدقا لما بين يديه من التورية** حال من عيسى عليه
السلام **وآتيناه الانجيل** عطف على قفينا **وقرئ** بفتح الهمزة **فيه هدى ونور** كما في التورية وهو في محل النصب على انه حال من
الانجيل اي كائنا فيه ذلك **كانه قيل** مشتملا على هدى ونور وتنوين هدى ونور للتفخيم ويندرج في ذلك شواهد نبوته صلى
الله عليه وسلم **ومصدقا لما بين يديه من التورية** عطف عليه داخل في حكم الحالية وتكرير ما بين يديه من التورية لزيادة التقرير
وهدى وموعظة للمتقين عطف على مصدقا منتظم معه في سلك الحالية جعل كله هدى بعد ما جعل مشتملا عليه حيث قيل
فيه هدى وتخصيص كونه هدى وموعظة للمتقين لانهم المهتدون بهداه والمنتفعون بجدواه **وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه**
امر مبتدأ لهم بان يحكموا او يعملوا بما فيه من الامور التي من جملتها دلايل رسالته صلى الله عليه وسلم وشواهد نبوته وما
قررته الشريعة الشريفة من احكامه واما احكامه المنسوخة فليس الحكم بها حكما بما انزل الله فيه بل هو ابطال وتعطيل له اذ
هو شاهد بنسخها وانتهاء وقت العمل بها لان شهادته بصحة ما ينسخها من الشريعة شهادة بنسخها وبان احكامه ما
قررته تلك الشريعة التي شهد بصحتها كما سيأتي في قوله تعالى يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التورية والانجيل
الاية **وقيل** هو حكاية للامر الوارد عليهم بتقدير فعل معطوف على آتيناه اي وقلنا ليحكم اهل الانجيل الى آخره **وقرئ** وان ليحكم
على ان موصولة بالامر كما في قولك امرته بان قم **كانه قيل** وآتيناه الانجيل وامرنا بان يحكم اهل الانجيل الى آخره **وقرئ** على
صيغة المضارع ولام التعليل على انها متعلقة بمقدر كانه قيل وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه آتيناه اياه وقد عطف على هدى
وموعظة على انهما مفعول لهما **كانه قيل** وللهدى والموعظة آتيناه اياه وللحكم بما انزل الله فيه **ومن لم يحكم بما انزل الله** منكرا
مستهينا به **فاولئك هم الفاسقون** المتمردون الخارجون عن الايمان والجملة تذييل مقرر لمضمون الجملة السابقة ومؤكد لوجوب
الامتثال بالامر وفيه دلالة على ان الانجيل مشتمل على الاحكام وان عيسى عليه السلام كان مستقلا بالشرع مأمورا بالعمل بما
فيه من الاحكام قلت او كثرت لا بما في التورية خاصة وحمله على معنى وليحكم بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التورية
خلاف الظاهر **وانزلنا اليك الكتاب** اي الفرد الكامل الحقيق بان يسمى كتابا على الاطلاق لحيازته جميع الاوصاف الكمالية لجنس
الكتاب السماوي وتفوقه على بقية افراده وهو القرآن الكريم فاللام للعهد والجملة عطف على انزلنا وما عطف عليه وقوله
تعالى **وقيل** متعلق بمحذوف وقع حالا مؤكدة من الكتاب اي ملتبسا بالحق والصدق **وقيل** من فاعل انزلنا **وقيل** من الكاف
في اوليك وقوله تعالى **مصدقا لما بين يديه** حال من الكتاب اي حال كونه مصدقا لما تقدمه اما من حيث انه نازل حسبما
نعت فيه او من حيث انه موافق له في القصص والمواعيد والدعوة الى الحق والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش
واما ما يتراءى من مخالفته له في بعض جزئيات الاحكام المتغيرة بسبب تغير الاعصار فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي
موافقة لها من حيث ان كلا من تلك الاحكام حق بالاضافة الى عصره متضمن لحكمة التي عليها يدور امر الشريعة وليس في المتقدم
دلالة على ابدية احكامه المنسوخة حتى يخالفه الناسخ المتأخر وانما يدل على مشروعيتها مطلقا من غير تعرض لبقائها
وزوالها بل نقول هو ناطق بزوالها لما ان النطق بصحة ما ينسخها نطق بنسخها وزوالها وقوله تعالى من الكتاب بيان لما
واللام للجنس والمراد هو الكتاب السماوي وهو ههنا العنوان جنس براسه وان كان في نفسه نوعا مخصوصا من مدلول
لفظ الكتاب وعن هنا قالوا اللام للعهد اذ ذلك لا ينتهي الى الخصوصية الفردية بل الخصوصية النوعية التي هي اخص
من مطلق الكتاب وهو ظاهر ومن الكتاب السماوي ايضا حيث بما عدا القرآن **ومهيمنا عليه** اي رقيبا على ساير الكتب المحفوظة
عن التغيير لانه يشهد لها بالصحة والثبات ويقرر اصول شرايعها وما يتأبد من فروعها ويعين احكامها المنسوخة ببيان انتهاء

الى الحق صح

مشروعيتها المستفادة من تلك الكتب وانقضاء وقت العمل بها ولا ريب في ان تمييز احكامها الباقية على المشروعية
ابدا عما انتهى وقت مشروعيته وخرج عنها من احكام كونه مهيمنا عليها وقرئ ومهيمنا عليه على صيغة المفعول اي هو من عليه
وحفظ من التغيير والتبديل كقوله عز وجل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والحافظ اما من جهته تعالى كما في قوله تعالى انا
نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون والحفاظ في الاعصار والامصار والفاء في قوله تعالى فاحكم بينهم لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان
كون القرآن العظيم حقا مصدقا لما قبله من الكتب المنزلة على الامم مهيمنا عليه من موجبات الحكم المأمور به اي اذا كان
شان القرآن كما ذكر فاحكم بين اهل الكتابين عند تحاكمهم اليك بما انزل الله اي بما انزله اليك فانه مشتمل على جميع الاحكام
الشرعية الباقية في الكتب الالهية وتقديم بينهم للاعتناء ببيان تعميم الحكم لهم ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه
على علية ما في حيز الصلة للحكم والالتفات باظهار الاسم الجليل لتربية المهابة والاشعار بعلة الحكم ولا تتبع اهواءهم الزائغة
عما جاءك من الحق الذي لا محيد عنه وعن متعلقة بلا تتبع على تضمين معنى العدول ونحوه كانه قيل ولا تعدل عما جاءك من
الحق متبعا اهواءهم وقيل بمحذوف وقع حالا من فاعله اي لا تتبع اهواءهم عادلا عما جاءك وفيه ان ما وقع حالا لا بد ان
يكون فعلا عاما ووضع الموصول موضع ضمير الموصول الاول للايماء بما في حيز الصلة من مجيء الحق الى ما يوجب كمال الاجتناب
عن اتباع الاهواء وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا كلام مستأنف جيء به لحمل اهل الكتابين من معاصريه عليه السلام
على الانقياد لحكمه عليه الصلوة والسلام بما انزل الله اليه من القرآن الكريم ببيان انه هو الذي كلفوا العمل به دون
غيره من الكتابين وانما الذي كلفوا العمل بهما من مضى قبل نسخهما من الامم السالفة والخطاب بطريق التلوين والالتفات
للناس كافة لكن لا للموجودين خاصة بل للماضين ايضا بطريق التغليب واللام متعلقة بجعلنا المتعدي لواحد وهو اخبار
بجعل ماض لا انشاء وتقديمها عليه للتخصيص ومنكم متعلق بمحذوف وقع صفة لما عوض عنه تنوين كل ولا ضير في
توسط جعلنا بين الصفة والموصوف كما في قوله تعالى اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات الى آخره والمعنى لكل امة كائنة
منكم ايها الامم الباقية والخالية جعلنا اي عينا ووضعنا شرعة ومنهاجا خاصين بتلك الامة لا تكاد امة تتخطى
شرعتها التي عينت لها فالامة التي كانت من مبعث موسى الى مبعث عيسى عليهما الصلوة والسلام شرعتهم التورية
والتي كانت من مبعث عيسى الى مبعث النبي عليهما الصلوة والسلام شرعتهم الانجيل واما انتم ايها الموجودون فشرعتكم
الفرقان ليس الا فآمنوا به واعملوا بما فيه والشرعة والشريعة هي الطريقة الى الماء شبه بها الدين لكونه سبيلا
موصولا الى ما هو سبب للحيوة الابدية كما ان الماء سبب للحيوة الفانية والمنهاج الطريق الواضح في الدين من نهج
الامر اذا وضح وقرئ شرعة بفتح الشين قيل فيه دليل على انا غير متعبدين بشرائع من قبلنا والتحقيق انا متعبدون
باحكامها الباقية من حيث انها احكام شرعتنا لا من حيث انها شرعة للاولين ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة متفقة على دين
واحد في جميع الاعصار من غير اختلاف بينكم وبين من قبلكم من الامم في شيء من الاحكام الدينية ولا نسخ ولا تحويل
ومفعول المشيئة محذوف تعويلا على دلالة الجزاء عليه اي لو شاء الله ان يجعلكم امة واحدة لجعلكم الى آخره وقيل
المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم متعلق بمحذوف يستدعيه النظام اي ولكن لم يشأ
ذلك اي ان يجعلكم امة واحدة بل شاء ما عليه السنة الالهية الجارية فيما بين الامم ليعاملكم معاملة من يبتليكم فيما آتاكم
من الشرايع المختلفة المناسبة لاعصارها وقرونها هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها بمقتضى المشيئة
الالهية المبنية على اساس الحكم البالغة والمصالح النافعة لكم في معاشكم ومعادكم او تزيغون عن الحق وتتبعون الهوى
وتستبدلون المضرة بالجدوى وتشترون الضلالة بالهدى وبهذا اتضح ان مدار عدم المشيئة المذكورة ليس مجرد الابتلاء
بل العمدة في ذلك ما اشير اليه من انطواء الاختلاف على ما فيه مصالحهم معاشا ومعادا كما ينبئ عنه قوله عز وعلا فاستبقوا
الخيرات اي اذا كان الامر كما ذكر فسارعوا الى ما هو خير لكم في الدارين من العقائد الحقة والاعمال الصالحة المندرجة في
القرآن الكريم وابتدروها انتهازا للفرصة واحرازا لسابقة الفضل والتقدم ففيه من تاكيد الترغيب في الاذعان للحق
وتشديد التحذير عن الزيغ ما لا يخفى وقوله تعالى الى الله مرجعكم استئناف مسوق مساق التعليل لاستباق الخيرات بما

فيه من الوعد والوعيد وقوله تعالى جميعا حال من ضمير الخطاب والعامل فيه اما المصدر المنحل الى حرف مصدري وفعل
مبني للفاعل او مبني للمفعول واما الاستقرار المقدر في الجار فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون اي فيفعل بكم من الجزاء الفاصل
بين المحق والمبطل ما لا يبقى لكم معه شائبة شك فيما كنتم تختلفون فيه في الدنيا وانما عبر عن ذلك بما ذكر لوقوعه موقع
ازالة الاختلاف التي هي وظيفة الاخبار وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عطف على الكتاب اي انزلنا عليك الكتاب والحكم بما
فيه والتعرض لعنوان انزاله تعالى اياه لتاكيد وجوب الامتثال بالامر او على الحق اي انزلناه بالحق وبان احكم وحكاية
انزال الامر بهذا الحكم بعد ما مر من الامر الصريح بذلك تاكيد وتمهيد لما يعقبه من قوله تعالى واحذرهم ان يفتنوك عن
بعض ما انزل الله اليك اي يصرفوك عن بعضه ولو كان اقل قليل بتصوير الباطل بصورة الحق واظهار الاسم الجليل لتاكيد
الامر بتهويل الخطب وان بصلته بدل اشتمال من ضميرهم اي احذر فتنتهم او مفعول له اي احذرهم مخافة ان يفتنوك
واعادة ما انزل الله لتاكيد التحذير بتهويل الخطب روي ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد فلعلنا نفتنه عن دينه
فذهبوا اليه عليه الصلاة والسلام فقالوا يا ابا القاسم قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم
وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك فنزلت فان تولوا
اي اعرضوا عن الحكم بما انزل الله تعالى وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم اي بذنب توليهم عن حكم الله
عز وجل وانما عبر عنه بذلك ايذانا بان لهم ذنوبا كثيرة هذا مع كمال عظمه واحد من جملتها وفي هذا الابهام تعظيم للتولي
كما في قوله او يرتبط بعض النفوس حمامها يريد به نفسه اي نفسا كبيرة ونفسا اي نفس وان كثيرا منهم لفاسقون
اي متمردون في الكفر مصرون عليه خارجون عن الحدود المعهودة وهو اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله افحكم
الجاهلية يبغون انكار وتعجيب من حالهم وتوبيخ لهم والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي ايتولون عن حكمك
فيبغون حكم الجاهلية وتقديم المفعول للتخصيص المفيد لتاكيد الانكار والتعجيب لان التولي عن حكمه صلى الله عليه وسلم
وطلب حكم آخر منكر عجيب وطلب حكم الجاهلية اقبح واعجب والمراد بالجاهلية اما الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى
الموجبة للميل والمداهنة في الاحكام فيكون تعييرا لليهود بانهم مع كونهم اهل كتاب وعلم يبغون حكم الجاهلية التي هي
هوى وجهل لا يصدر عن كتاب ولا يرجع الى وحي واما اهل الجاهلية وحكمهم ما كانوا عليه من التفاضل فيما بين القتلى
حيث روي ان بني النضير لما تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خصومة قتل وقعت بينهم وبين بني قريظة طلبوا
اليه عليه الصلوة والسلام ان يحكم بينهم بما كان عليه اهل الجاهلية من التفاضل فقال عليه السلام القتلى سواء فقال
بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت وقرئ برفع الحكم على انه مبتدأ ويبغون خبره والراجع محذوف حذفه في قوله تعالى
اهذا الذي بعث الله رسولا وقد استضعف ذلك في غير الشعر وقرئ بتاء الخطاب اما بالالتفات لتشديد التوبيخ
واما بتقدير القول اي قل لهم افحكم الجاهلية وقرئ بفتح الحاء والكاف اي افحاكما كحكام الجاهلية ومن احسن من الله حكما انكار
لان يكون احد حكمه احسن من حكمه تعالى او مساويا له وان كان ظاهر السبك غير متعرض لنفي المساواة وانكارها وقد مر
تفصيله في تفسير قوله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله لقوم يوقنون اي عندهم واللام كما في هيت لك اي هذا الاستفهام
لهم فانهم الذين يتدبرون الامور بانظارهم فيعلمون يقينا ان حكم الله عز وجل احسن الاحكام واعدلها يا ايها الذين آمنوا
خطاب يعم حكمه كافة المؤمنين من المخلصين وغيرهم وان كان سبب وروده بعضا منهم كما سياتي ووصفهم بعنوان
الايمان لحملهم من اول الامر على الانزجار عما نهوا عنه بقوله عز وجل لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فان تذكير اتصافهم
بعد صفات الفريقين من اقوى الزواجر عن موالاتهما اي لا يتخذ احد منكم احدا منهم وليا بمعنى لا تصافوهم ولا تعاشروهم
مصافاة الاحباب ومعاشرتهم لا بمعنى لا تجعلوهم اولياء لكم حقيقة فانه امر ممتنع في نفسه لا يتعلق به النهي بعضهم اولياء
بعض اي بعض كل فريق من ذينك الفريقين اولياء بعض آخر من ذلك الفريق لا من الفريق الآخر وانما اوثر الاجمال في
البيان تعويلا على ظهور المراد لوضوح انتفاء الموالاة بين فريقي اليهود والنصارى راسا والجملة مستأنفة مسوقة
لتعليل النهي وتاكيد ايجاب الاجتناب عن المنهي عنه اي بعضهم اولياء بعض متفقون على كلمة واحدة في كل ما ياتون ويذرون

ومن ضرورة اجماع الكل على مناصبتكم ومضارتكم بحيث يسومونكم السوء ويبغونكم الغوائل فكيف يتصور بينكم وبينهم
موالاة وقوله تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم حكم مستنتج منه فان انحصار الموالاة فيما بينهم يستدعي كون من يواليهم
منهم ضرورة ان الاتحاد في الدين الذي عليه يدور امر الموالاة حيث لم يكن بكونهم ممن يواليهم من المؤمنين تعين ان يكون
ذلك ويكون من يواليهم منهم وفيه زجر شديد للمؤمنين عن اظهار صورة الموالاة لهم وان لم تكن موالاة في الحقيقة وقوله
تعالى ان الله لا يهدي القوم الظالمين تعليل لكون من يتولاهم منهم اي لا يهديهم الى الايمان بل يخليهم وشأنهم فيقعون في الكفر و
الضلالة وانما وضع المظهر موضع ضميرهم تنبيها على ان توليهم ظلم لما انه تعريض لانفسهم للعذاب الخالد ووضع للشيء
في غير موضعه وقوله تعالى فترى الذين في قلوبهم مرض بيان لكيفية توليهم واشعار بسببه وما يؤول اليه امرهم والفاء للايذان
بترتبه على عدم الهداية والخطاب اما للرسول صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين واما لكل احد ممن له اهلية له وفيه مزيد
تشنيع للتشنيع اي لا يهديهم بل يذرهم وشأنهم فتراهم الى آخره وانما وضع موضع الضمير الموصول ليشار بما في حيز صلته الى ان
ما ارتكبوه من التولي بسبب ما في قلوبهم من مرض النفاق ورخاوة العقد في الدين وقوله تعالى يسارعون فيهم حال من الموصول
والرؤية بصرية وقيل مفعول ثان والرؤية قلبية والاول هو الانسب بظهور نفاقهم اي تراهم مسارعين في موالاتهم
وانما قيل فيهم مبالغة في بيان رغبتهم فيها وتهالكهم عليها وايثار كلمة في على كلمة الى للدلالة على انهم مستقرون في الموالاة
وانما مسارعتهم من بعض مراتبها الى بعض آخر كما في قوله تعالى اولئك يسارعون في الخيرات لا انهم خارجون عنها متوجهون
اليها كما في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة وقرئ فيرى بياء الغيبة على ان الضمير لله سبحانه وقيل لمن
يصح منه الرؤية وقيل الفاعل هو الموصول والمفعول هو الجملة على حذف المصدرية والرؤية قلبية اي ويرى القوم الذين
في قلوبهم مرض ان يسارعوا فيهم فلما حذفت ان انقلب الفعل مرفوعا كما في قولهم من قال ٭ الا ايها الزاجري احضر الوغى ٭
وان اشهد اللذات هل انت مخلدي ٭ والمراد بهم عبد الله بن ابي واضرابه الذين كانوا يسارعون في موادة اليهود ونصارى
نجران وكانوا يعتذرون الى المؤمنين بانهم لا يأمنون ان يصيبهم صروف الزمان ونكبته وقوله تعالى يقولون نخشى ان تصيبنا
دائرة وهو حال من ضمير يسارعون والدائرة من الصفات الغالبة التي لا يذكر معها موصوفها اي يدور علينا
دائرة من دوائر الدهر ودولة من دولته بان ينقلب الامر ويكون الدولة للكفار وقيل نخشى ان يصيبنا مكروه من
مكاره الدهر كالجدب والقحط فلا يعطون الميرة والقرض روي ان عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ان لي موالي من اليهود كثيرا عددهم واني ابرأ الى الله ورسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال
عبد الله بن ابي اني رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من ولاية موالي وهم يهود بني قينقاع ولعله يظهر للمؤمنين انه يريد بالدوائر
المعنى الاخير ويضمر في نفسه المعنى الاول وقوله عز وجل فعسى الله ان يأتي بالفتح رد من جهة الله تعالى لعللهم الباطلة
وقطع لاطماعهم الفارغة وتبشير للمؤمنين بالظفر فان عسى منه سبحانه وعد محتوم لما ان الكريم اذا اطمع اطعم لا
محالة فما ظنك باكرم الاكرمين وان يأتي في محل النصب على انه خبر عسى وهو رأي الاخفش او على انه مفعول به وهو رأي
سيبويه لئلا يلزم الاخبار عن الجثة بالحدث في قولك عسى زيد ان يقوم والمراد بالفتح فتح مكة قاله الكلبي والسدي
وقال الضحاك فتح قرى اليهود من خيبر وفدك وقال قتادة ومقاتل هو القضاء الفصل بنصره عليه الصلاة والسلام
على من خالفه واعزاز الدين او امر من عنده بقطع شأفة اليهود من القتل والاجلاء فيصبحوا اي اولئك المنافقون
المتعللون بما ذكر وهو عطف على يأتي داخل معه في حيز خبر عسى وان لم يكن فيه ضمير يعود الى اسمها فان فاء السببية
مغنية عن ذلك فانها تجعل الجملتين كجملة واحدة على ما اسروا في انفسهم نادمين وهو ما كانوا يكتمونه في انفسهم من
الكفر والشك في امره صلى الله عليه وسلم وتعليق الندامة به لا بما كانوا يظهرونه من موالاة الكفرة لما انه الذي
كان يحملهم على الموالاة ويغريهم عليها فدل ذلك على ندامتهم عليها باصلها وسببها ويقول الذين آمنوا كلام مبتدأ
مسوق لبيان كمال سوء حال الطائفة المذكورة وقرئ بغير واو على انه جواب سؤال نشأ مما سبق كأنه قيل
فماذا يقول المؤمنون حينئذ وقرئ يقول بالنصب عطفا على فيصبحوا وقيل على ما يأتي باعتبار المعنى كأنه قيل

فعسى ان يأتي الله بالفتح ويقول الذين آمنوا والاول اوجه لان هذا القول انما يصدر عن المؤمنين عند ظهور ندامة
المنافقين لا عند اتيان الفتح فقط والمعنى ويقول الذين آمنوا مخاطبين لليهود مشيرين الى المنافقين الذين كانوا يوالونهم
ويرجون دولتهم ويظهرون لهم غاية المحبة وعدم المفارقة عنهم في السراء والضراء عند مشاهدتهم لخيبة رجائهم
وانعكاس تقديرهم لوقوع ضد ما كانوا يترقبونه ويتعللون به تعجيبا للمخاطبين من حالهم وتعريضا بهم اهؤلاء الذين
اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم اي بالنصرة والمعونة كما قالوا فيما حكي عنهم وان قوتلتم لننصرنكم فاسم الاشارة مبتدأ
وما بعده خبره والمعنى انكار ما فعلوه واستبعاده وتخطئتهم في ذلك او يقول بعض المؤمنين لبعض مشيرين الى
المنافقين ايضا اهؤلاء الذين اقسموا للكفرة انهم لمعكم فالخطاب في معكم لليهود على التقديرين الا انه على الاول
من جهة المؤمنين وعلى الثاني من جهة المقسمين وهذه الجملة لا محل لها من الاعراب انها تفسير وحكاية لمعنى اقسموا
لكن لا بالفاظهم والا لقيل انا معكم وجهد الايمان اغلظها وهو في الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير
واقسموا بالله يجهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه ولا يبالي بتعريفه لفظا لانه مؤول بنكرة
اي مجتهدين في ايمانهم او على المصدر اي اقسموا اقسام اجتهاد في اليمين وقوله تعالى حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين
اما جملة مستأنفة مسوقة من جهته تعالى لبيان مآل ما صنعوه من ادعاء الولاية والاقسام على المعية في المنشط و
المكره اثر الاشارة الى بطلانه بالاستفهام الانكاري واما خبر ثان للمبتدأ عند من يجوز كونه جملة كما في قوله تعالى فاذا
هي حية تسعى او هو الخبر والموصول مع ما في حيز صلته صفة لاسم الاشارة فالاستفهام حينئذ للتقرير وفيه معنى
التعجب كأنه قيل ما احبط اعمالهم فما اخسرهم والمعنى بطلت اعمالهم التي عملوها في شأن موالاتكم وسعوا في ذلك
سعيا بليغا حيث لم تكن لكم دولة فينتفعوا بما صنعوا من المساعي وتحملوا من مكابدة المشاق وفيه من الاستهزاء بالمنافقين
والتقريع للمخاطبين ما لا يخفى وقيل قاله بعض المؤمنين مخاطبا لبعض تعجيبا من سوء حال المنافقين واغتباطا بما من
الله تعالى على انفسهم من التوفيق للاخلاص اهؤلاء الذين اقسموا لكم باغلاظ الايمان انهم اولياؤكم ومعاضدوكم على
الكفار بطلت اعمالهم التي كانوا يتكلفونها في رأي اعين الناس وانت خبير بان ذلك الكلام من المؤمنين انما يليق بما لو
اظهر المنافقون حينئذ خلاف ما كانوا يدعونه ويقسمون عليه من ولاية المؤمنين ومعاضدتهم على الكفار فظهر
كذبهم وافتضحوا بذلك على رؤوس الاشهاد وبطلت اعمالهم التي كانوا يتكلفون في رأي اعين المؤمنين ولا ريب في انهم [illegible]
استدعاء واكثر اقساما منهم قبل ذلك فضلا عن ان يظهروا خلاف ذلك وانما الذي يظهر منهم الندامة على ما صنعوا
وليس ذلك علامة ظاهرة الدلالة على كفرهم وكذبهم في ادعائهم فانهم يدعون ان ليست ندامتهم الا على ما اظهروا
من موالاة الكفرة خشية اصابة الدائرة يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه وقرئ يرتدد بالفك على لغة الحجاز والادغام
لغة تميم لما نهى فيما سلف عن موالاة اليهود والنصارى وبين ان موالاتهم مستدعية للارتداد عن الدين وفصل مصير
امر من يواليهم من المنافقين شرع في بيان حال المرتدين على الاطلاق وهذا من الكائنات التي اخبر عنها القرآن قبل
وقوعها روي انه ارتد عن الاسلام احدى عشرة فرقة ثلث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو مدلج ورئيسهم
ذو الحمار وهو الاسود العنسي كان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده فاخرج منها عمال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فكتب عليه الصلاة والسلام الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فاهلكه الله على يدي فيروز الديلمي بيته
فقتله واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ليلة قتل فسر به المسلمون وقبض عليه الصلوة والسلام من
الغد واتى خبره في آخر شهر ربيع الاول وبنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده
والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر رضي الله عنه بجنود المسلمين وقتل على يدي وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه وكان يقول
قتلت في جاهليتي خير الناس وفي اسلامي شر الناس وبنو اسد قوم طلحة بن خويلد تنبأ فبعث ابو بكر رضي الله عنه

خالد بن الوليد فانهزم بعد القتال الى الشام فاسلم وحسن اسلامه وشيع في عهد ابي بكر رضي الله عنه • فزارة قوم عيينة بن حصين وغطفان
قوم قرة بن سلمة القشيري • وبنو سليم قوم الفجاءة ابن عبد ياليل • وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة • وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر
المتنبية التي زوجت نفسها من مسيلمة الكذاب • وفيها يقول ابو العلاء المعري في كتاب استغفر واستغفري • امنت سجاح ووالاها
مسيلمة • كذابة في بني الدنيا وكذاب • وكندة قوم الاشعث بن قيس • وبنو بكر بن وائل بالبحرين • قوم الحطم بن زيد وكفى الله
تعالى امرهم على يدي ابي بكر وفرقة واحدة في عهد عمر رضي الله عنه • غسان قوم جبلة بن الايهم نصرته اللطمة وسيرته الى بلاد
الروم وقصته مشهورة وقوله عز وجل **فسوف يات الله** جواب الشرط والعائد الى اسم الشرط محذوف اي فسوف يات الله
مكانهم بعد اهلاكهم **بقوم يحبهم** اي يريد بهم خير الدنيا والاخرة ومحل الجملة الجر على انها صفة لقوم وكذا قوله تعالى **ويحبونه**
اي يريدون طاعته ويتحرزون عن معاصيه معطوف عليها داخل في حكمها قيل هم اليمن **لما روي** ان النبي صلى الله عليه وسلم اشار
الى موسى الاشعري وقال قوم هذا **وقيل** هم الانصار وقيل هم الفرس **لما روي** ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عنهم فضرب بيده الكريمة
على عاتق سلمان وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الايمان معلقا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس **وقيل** هم الفان من النخع وخمسة
الاف من كندة وثلثة الاف من افناء الناس جاهدوا يوم القادسية **اذلة على المؤمنين** جمع ذليل لا ذلول فان جمعه ذلل اي ارقاء
ورحماء متذللين متواضعين لهم واستعماله بعلى اما لتضمين معنى العطف والحنو او للتنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على
المؤمنين خافضون لهم اجنحتهم او لرعاية المقابلة بينه وبين ما في قوله تعالى **اعزة على الكافرين** اي اشداء متغلبين عليهم من عز
اذا غلبه كما في قوله عز وجل اشداء على الكفار رحماء بينهم وهما صفتان اخريان لقوم ترك بينهما العاطف للدلالة على استقلالهم
بالاتصاف بكل منهما **قيل** دليل على صحة تاخير الصفة الصريحة من الجملة والظرف كما في قوله تعالى وهذا كتاب انزلناه مبارك
وقوله تعالى ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث وقوله تعالى ما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث وما ذهب اليه من لا يجوز من ان قوله
تعالى يحبهم ويحبونه كلام معترض وان مبارك خبر بعد خبر او خبر لمبتدا محذوف وان من ربهم ومن الرحمن حالان مقدمان
من ضمير محدث تكلف لا يخفى **وقرئ** اذلة اعزة بالنصب على الحالية من قوم لتخصصه بالصفة **يجاهدون في سبيل الله** صفة
اخرى لقوم مترتبة على ما قبلها مبينة مع على ما بعدها لكيفية عزتهم او حال من الضمير في اعزة **ولا يخافون لومة لائم** عطف
على يجاهدون بمعنى انهم جامعون بين المجاهدة في سبيل الله وبين التصلب في الدين وفيه تعريض بالمنافقين فانهم اذا خرجوا في جيش
المسلمين خافوا اولياءهم اليهود فلا يكادون يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم **وقيل** هو حال من فاعل يجاهدون بمعنى انهم
يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين واعترض عليه بانهم نصوا على ان المضارع المنفي بلا او ما كالمثبت في عدم جواز
الواو والحال له واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغة لا يخفى **ذلك** اشارة الى ما تقدم من الاوصاف الجليلة وما فيه
من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها في الفضل **فضل الله** اي لطفه واحسانه لانهم مستقلون في الاتصاف بها **يؤتيه من يشاء**
ايتاءه اياه ويوفقه لكسبه وتحصيله حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة **والله واسع** الفواضل والالطاف **عليم** مبالغ في العلم
بجميع الاشياء التي من جملتها من هو من اهل الفضل والتوفيق والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله واظهار الاسم الجليل للاشعار
بالعلة وتاكيدا لاستقلال الجملة الاعتراضية **انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا** لما نهاهم الله عز وجل عن موالاة الكفرة وعلله
بان بعضهم اولياء بعض لا يتصور ولايتهم للمؤمنين وبين ان من يتولاهم يكون من جملتهم بين ههنا من وليهم بطريق قصر
الولاية عليه **كانه قيل** لا تتخذوهم اولياء لان بعضهم اولياء بعض وليسوا باوليائكم انما اولياؤكم الله ورسوله والمؤمنون
فاختصوهم بالموالاة ولا تتخطوهم الى الغير وانما افرد الولي مع تعدده للايذان بان الولاية اصالة لله تعالى وولايته عليه الصلاة والسلام
وكذا ولاية المؤمنين بطريق التبعية لولايته عز وجل **الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة** صفة للذين امنوا لجريانه مجرى الاسم
او بدل منه او نصب على المدح او رفع عليه **وهم راكعون** حال من فاعل الفعلين اي يعملون ما ذكر من اقامة الصلوة وايتاء
الزكوة وهم خاشعون ومتواضعون لله تعالى **وقيل** هو حال مخصوصة بايتاء الزكوة والركوع ركوع الصلوة والمراد بيان
كمال رغبتهم في الاحسان ومسارعتهم اليه **روي** انها نزلت في علي رضي الله عنه حين ساله سائل وهو راكع فطرح اليه
خاتمه كانه كان مرجا في خنصره غير محتاج في اخراجه الى كثير عمل يؤدي الى فساد الصلوة ولفظ الجمع حينئذ لترغيب الناس

في مثل

عن غير الصريح

في مثل فعله رضي الله عنه وفيه دلالة على ان الصدقة التطوع تسمى زكوة **ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا** اوثر الاظهار على ان
يقال ومن يتولهم رعاية لما مر من نكتة بيان اصالته تعالى في الولاية كما سياتي عنه قوله تعالى **فان حزب الله هم الغالبون**
حيث اضيف الحزب اليه تعالى خاصة وهو ايضا من باب وضع الظاهر موضع الضمير العائد الى من اي فانهم الغالبون لكنهم
جعلوا حزب الله تعالى تعظيما لهم واثباتا لغلبتهم بالطريق البرهاني **كانه قيل** ومن يتول هؤلاء فانهم حزب الله وحزب الله هم
الغالبون **يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا** ولعبا روي ان رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث اظهرا الاسلام ثم نافقا
وكان رجال من المؤمنين يوادونهما فنهوا عن موالاتهما ورتب النهي على وصف يعمهما وغيرهما تعميما للحكم وتنبيها على العلة وايذانا
بان من هذا شانه جدير بالمعاداة فكيف بالموالاة **من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم** بيان للمستهزئين والتعرض لعنوان ايتاء
الكتاب لبيان كمال شناعتهم وغاية ضلالتهم لما ان ايتاء الكتاب رادع لهم عن استهزاء الدين المؤسس على الكتاب المصدق
لكتابهم **والكفار** اي المشركين خصوا به لتضاعف كفرهم وهو عطف على الموصول الاول وفيه اشعار بانهم ليسوا بمستهزئين
كما ينبئ عنه تخصيص الخطاب باهل الكتاب في قوله تعالى يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الاية **وقرئ** بالجر عطفا على
الموصول الاخير ويعضده قراءة ابي ومن الكفار وقراءة عبد الله ومن الذين اشركوا • ايضا فهم من جملة المستهزئين **اولياء**
وجانبوهم كل المجانبة **واتقوا الله** في ذلك بترك موالاتهم او بترك المناهي على الاطلاق فيدخل فيه ترك موالاتهم دخولا
اوليا **ان كنتم مؤمنين** اي حقا فان قضية الايمان توجب الاتقاء لا محالة **واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها** اي الصلوة او المناداة
ففيه دلالة على شرعية الاذان **هزوا ولعبا** بيان لاستهزائهم بحكم خاص من احكام الدين بعد بيان استهزائهم بالدين
على الاطلاق اظهارا لكمال شقاوتهم **روي** ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله يقول
احرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار واهله نيام فتطايرت منها شرارة في البيت فاحرقته واهله جميعا **ذلك**
اي الاستهزاء المذكور **بانهم** بسبب انهم **قوم لا يعقلون** فان السفه يؤدي الى الجهل بمحاسن الحق والهزء به ولو كان لهم عقل
في الجملة لما اجترءوا على تلك العظيمة **قل** امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق تلوين الخطاب بعد نهي المؤمنين عن تولي
المستهزئين بان يخاطبهم ويبين ان الدين منزه عما يصحح صدور ما صدر عنهم من الاستهزاء ويظهر لهم سبب ما ارتكبوه
ويلقمهم الحجر اي قل لاولئك الفجرة **يا اهل الكتاب** وصفوا باهلية الكتاب تمهيدا لما سياتي من تبكيتهم والزامهم بكفرهم
بكتابهم **هل تنقمون منا** من نقم منه كذا اذا عابه وانكره وكرهه ينقمه من حد ضرب **وقرئ** بفتح القاف من حد
علم وهي ايضا لغة اي ما تعيبون وما تنكرون منا **الا ان امنا بالله وما انزل الينا** من القران المجيد **وما انزل من قبل** اي من
قبل انزاله من التورية والانجيل المنزلين عليكم وسائر الكتب الالهية **وان اكثركم فاسقون** اي متمردون خارجون عن الايمان
بما ذكر فان الكفر بالقران مستلزم للكفر بما يصدقه لا محالة وهو عطف على ان امنا على انه مفعول له لتنقمون والمفعول
الذي هو الدين محذوف ثقة بدلالة ما قبله وما بعده عليه دلالة واضحة فان اتخاذ الدين هزوا ولعبا عين نقمة وانكاره و
الايمان بما فصل عين الدين الذي نقموه خلا انه ابرز في معرض علة نقمهم له تسجيلا عليه بكمال المكابرة والتعكيس
حيث جعلوه موجبا لنقمه مع كونه في نفسه موجبا لقبوله وارتضائه فالاستثناء من اعم العلل اي ما تنقمون منا ديننا
لعلة من العلل الا لان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل من كتبكم ولان اكثركم متمردون غير مؤمنين بواحد مما ذكر
حتى لو كنتم مؤمنين بكتابكم الناطق بصحة كتابنا لامنتم به واسناد الفسق الى اكثرهم لانهم الحاملون لاعقابهم على التمرد والعناد
وقيل عطف عليه على انه مفعول لتنقمون لكن لا على المستثنى مجموع المعطوفين بل هو ما يلزمهما من المخالفة **كانه قيل**
ما تنقمون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون عنه **وقيل** على حذف المضاف اي واعتقاد ان اكثركم فاسقون
وقيل عطف على ما اي ما تنقمون منا الا ان امنا بالله وما انزل الينا وبانكم فاسقون **وقيل** عطف على علة محذوفة اي
لقلة انصافكم ولان اكثركم فاسقون **وقيل** الواو بمعنى مع اي ما تنقمون منا الا الايمان مع ان اكثركم فاسقون **وقيل**
هو منصوب بفعل مقدر دل عليه المذكور اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون **وقيل** هو مرفوع على الابتداء والخبر
محذوف اي وفسقكم معلوم او ثابت والجملة حالية او معترضة **وقرئ** بالمكسورة والجملة مستانفة مبينة لكون

هم

اكثرهم فاسقين متمردين قل هل انبئكم بشر من ذلك لما امر بالزامهم وتبكيتهم ببيان ان مدار نقمهم للدين انما هو اشتماله على
ما يوجب ارتضاءه عندهم ايضا وكفرهم بما هو مسلم لهم امر عليه السلام عقيبه بان مكنهم ببيان ان الحقيق بالنقم والعيب
حقيقة ما هم عليه من الدين المحرف وينعي عليهم في ضمن البيان جناياتهم وما حاق بهم من تبعاتها وعقوباتها على منهاج
التعريض لئلا يحملهم التصريح بذلك على ركوب متن المكابرة والعناد ويخاطبهم قبل البيان بما ينبئ عن عظيم شان
المبين ويستدعي اقبالهم على تلقيه من الجملة الاستفهامية المسوقة الى التحريض والتنبيه المشعر بكونه امرا خطيرا
لما ان النبأ هو الخبر الذي له شان وخطر وحيث كان مناط النقم بشرية المنقوم حقيقة او اعتقادا وكان مجرد
النقم غير مفيد لشريته البتة قيل بشر من ذلك ولم يقل بانقم من ذلك تحقيقا بشريته ما سيذكر وزيادة تقرير
لها وقيل انما قيل ذلك لوقوعه في عبارة المخاطبين حيث اتى نفر من اليهود فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن دينه فقال عليه الصلوة والسلام اومن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فحين سمعوا ذكر عيسى عليه السلام
قالوا لا نعلم شرا من دينكم وانما اعتبر الشرية بالنسبة الى الدين وهو منزه عن شائبة البشرية بالكلية مجاراة معهم
على زعمهم الباطل المنعقد على كمال شريته ليثبت ان دينهم شر من كل شر اي هل اخبركم بما هو شر في الحقيقة مما تعتقدونه
شرا وان كان في نفسه خيرا محضا مثوبة عند الله اي جزاء ثابتا في حكمه وقرئ مثوبة وهي لغة فيها كمشورة ومشورة
وهي مختصة بالخير كما ان العقوبة مختصة بالشر وانما وضعت ههنا موضعها على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع
ونصبها على التمييز من بشر وقوله عز وجل من لعنه الله وغضب عليه خبر لمبتدأ محذوف بتقدير مضاف قبله مناسب
لما اشير اليه بكلمة ذلك اي دين من لعنه الله او بتقدير مضاف قبلها مناسب اي بشر من اهل ذلك والجملة على
على التقديرين استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الجملة الاستفهامية اما على حالها وهو الظاهر المناسب
لبيان النظم الكريم واما باعتبار التقدير فيها فكانه قيل ما الذي هو شر من ذلك فقيل هو دين من لعنه الله الى
اخره وقيل في السؤال من ذا الذي هو شر من اهل ذلك فقيل هو من لعنه الله ووضع الاسم الجليل موضع الضمير
لتربية المهابة وادخال الروعة وتهويل امر اللعن وما تبعه والموصول عبارة عن المخاطبين حيث ابعدهم الله تعالى
من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الايات وسنوح البينات وجعل منهم القردة والخنازير اي مسخ
بعضهم قردة وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار مائدة عيسى عليه السلام وقيل كلا المسخين في اصحاب السبت
مسخت شبابهم قردة وشيوخهم خنازير وجمع الضمير الراجع الى الموصول منهم باعتبار معناه كما ان افراد الضميرين الاولين
باعتبار لفظه وايثار وضعه موضع ضمير الخطاب المناسب لانبئكم للقصد الى اثبات الشرية بما عدد في حيز صلته من
الامور الهائلة الموجبة لها على الطريقة البرهانية مع ما فيه من الاحتراز عن تهييج لجاجهم وعبد الطاغوت عطف على صلة
من وافراد الضمير لما مر وكذا عبد الطاغوت على قراءة البناء للمفعول ورفع الطاغوت وكذا عبد الطاغوت بمعنى صار معبودا
فالراجع الى الموصول محذوف على القراءتين اي عبد فيهم او بينهم وتقديم اوصافهم المذكورة بصدد اثبات شرية دينهم
على وصفهم هذا مع ان الاصل المستتبع لها الوجود وان دلالته على شريته بالذات لان عبادة الطاغوت عين دينهم البين
البطلان ودلالتها عليها بطريق الاستدلال بشرية الاثار على شرية ما يوجبها من الاعتقاد والعمل اما للقصد الى تبكيتهم
من اول الامر بوصفهم بما لا سبيل لهم الى الجحود لا بشريته وفظاعته ولا باتصافهم به واما للايذان بان استقلال كل من
المقدم والموخر بالدلالة على ما ذكر من الشرية ولو روعي ترتيب الوجود وقيل من عبد الطاغوت ولعنه الله وغضب عليه
الى اخره لربما فهم ان علة الشرية هو المجموع وقرئ عابد الطاغوت وكذا عبد الطاغوت بالاضافة على انه نعت كفطن ويقظ
وكذا عبدة الطاغوت وكذا عبد الطاغوت بالاضافة على انه جمع عابد كخدم او على ان اصله عبدة حذفت تاؤه للاضافة
بالنصب في الكل عطفا على القردة والخنازير وقرئ عبد الطاغوت بالجر عطفا على من بناء على انه مجرور بتقدير المضاف
وقد قيل انه مجرور على انه بدل من شر على احد الوجهين المذكورين في تقدير المضاف فانت خبير بان ذلك مع افضائه
اخلاء النظم الكريم عن الحكم بالمذكورة بالمرة مما لا سبيل اليه قطعا ضرورة ان المقصود الاصلي ليس مضمون الجملة الاستفهامية

بل هي كما مر مقدمة سبقت امام المقصود لهز المخاطبين وتوجيه اذهانهم نحو تلقي ما يلقى اليهم عقيبها بجملة خبرية مواففة
في الكيفية للسؤال الناشئ منها وهو المقصود افادته وعليه يدور فلك الالزام والتبكيت حسبما شرح فاذا جعل الموصول
بما في حيز صلته من تتمة الجملة الاستفهامية فاين الذي يلقى اليهم عقيبها جوابا عما نشأ منها من السؤال ليحصل به
الالزام والتبكيت واما الجملة الاتية فبمعزل من صلاحية الجواب كيف لا ولا بد من موافقته في الكيفية للسؤال الناشئ
من الجملة الاستفهامية وقد عرفت ان السؤال الناشئ منها يستدعي وقوع الشر من تتمة المخبر عنه لا خبرا كما في الجملة
وسيتضح ذلك مزيد اتضاح باذن الله تعالى والمراد بالطاغوت العجل وقيل الكهنة وكل من اطاعوه في معصية الله تعالى
فيعم الحكم دين النصارى ايضا ويتضح وجه تأخير ذكر عبادته عن العقوبات المذكورة اذ لو قدمت عليها لتوهم اشتراك
الفريقين في تلك العقوبات ولما كان مآل ما ذكر بصدد التبكيت ان ما هو شر مما نقموه دينهم او ان من هو شر من اهل
ما نقموه انفسهم بحيث ما قدر من المضافين وكانت الشرية على كلا الوجهين من تتمة الموضوع غير ما هو مقصود الاثبات
لدينهم او لانفسهم عقب ذلك باثبات ما لهم على وجه يشعر بعليه ما ذكر من القبائح لثبوتها لهم بجملة مستأنفة مسوقة
من جهته سبحانه شهادة عليهم بكمال الشرارة والضلال او داخلة تحت الامر تأكيدا للالزام وتشديدا للتبكيت فقيل
اولئك شر مكانا فاسم الاشارة عبارة عمن ذكرت صفاتهم الخبيثة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في
الشرارة اي اولئك الموصوفون بتلك القبائح شر مكانا قيل مكانهم سقر ليكون ابلغ في الدلالة على شرارتهم وقيل
شر مكانا اي منصرفا واضل عن سواء السبيل عطف على شر مقرر له اي اكثر ضلالا عن الطريق المستقيم وفيه دلالة على
كون دينهم شرا محضا بعيدا عن الحق لان ما يسلكونه من الطريق دينهم فاذا كانوا اضل كان دينهم ضلالا مبينا لا غاية
ورائه وصيغة التفضيل في الموضعين للزيادة مطلقا لا بالاضافة الى من يشاركهم في اصل الشرارة والضلال
واذا جاؤكم قالوا امنا نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهرون له الايمان
نفاقا فالخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والجمع للتعظيم او له مع من عنده من المسلمين اي اذا جاؤكم اظهروا الاسلام
وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به اي يخرجون من عندك ملتبسين بالكفر وبه حالان من فاعل دخلوا وخرجوا وقد دخلت
لتقريب الماضي من الحال ليصح ان يقع حالا وافادت ايضا بما فيها من معنى التوقع ان امارات النفاق كانت لائحة وكان
الرسول عليه الصلوة والسلام يظنه ويتوقع ان يظهره الله تعالى ولذلك قيل والله اعلم بما كانوا يكتمون اي من الكفر
وفيه وعيد شديد لهم وترى خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب والرؤية بصرية
كثيرا منهم من اليهود والمنافقين وقوله تعالى يسارعون في الاثم حال من كثيرا وقيل مفعول ثان والرؤية قلبية
والاول انسب بحالهم وظهور نفاقهم والمسارعة المبادرة والمباشرة للشيء بسرعة وايثار كلمة في على كلمة
الى الواقعة في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة الى اخره لما ذكر في قوله تعالى وترى كثيرا منهم يسارعون فيهم والمراد بالاثم
الكذب على الاطلاق وقيل الحرام وقيل كلمة الشرك وقولهم عزير ابن الله وقيل ما هو مختص بهم من الاثام
والعدوان اي الظلم المتعدي الى الغير او مجاوزة الحد في المعاصي واكلهم السحت اي الحرام خصه في الذكر مع اندراجه
في الاثم للمبالغة في التقبيح لبئس ما كانوا يعملون اي لبئس شيئا كانوا يعملون والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل
للدلالة على الاستمرار لولا ينهاهم الربانيون والاحبار قال الحسن الربانيون علماء الانجيل والاحبار علماء التورية
وقيل كلهم في اليهود وهو تخصيص للذين يقتدى بهم افناؤهم ويعلمون قباحة ما هم فيه وسوء مغبته على نهي
اسافلهم عن ذلك مع توبيخ لهم على تركه عن قولهم الاثم واكلهم السحت مع علمهم بقبحهما وشاهدتهما لمباشرتهم لهما
لبئس ما كانوا يصنعون وهذا ابلغ مما قيل في حق عامتهم لما ان العمل لا يبلغ درجة الصنع ما لم يتدرب فيه صاحبه
ولم يحصل فيه مهارة تامة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسنة اقبح من مواقعة المعصية لان النفس تلتذ
بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ ذم وفيه مما ينعى على العلماء توانيهم في النهي عن المنكرات
ما لا يخفى وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها اشد اية في القران وعن الضحاك ما في القران اية اخوف عندي

منها وقالت اليهود قال ابن عباس وعكرمة والضحاك ان الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر
الناس مالا واخصبهم ناحية فلما عصوا الله تعالى بان كفروا برسول الله وكذبوه كف عنهم ما بسط عليهم فعند ذلك
قال فنحاص بن عازورا يد الله مغلولة وحيث لم ينكر عليه الآخرون ورضوا به سيقت تلك العظيمة الى الكل كما يقال
بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم وارادوا بذلك لعنهم الله تعالى انه سبحانه وتعالى ممسك يقتر بالرزق
فان كلا من غل اليد وبسطها مجاز عن محض البخل والجود من غير قصد في ذلك الى اثبات يد وغل او بسط الا يرى انهم
يستعملونه حيث لا يتصور فيه ذلك كما في قوله • جاد الحمى بسط اليدين بوابل • شكرت نداه تلاعه ووهاده • ولقد
سلك لبيد هذا المسلك السديد حيث قال • وغداة ريح قد شهدت وقرة • اذ اصبحت بيد الشمال زمامها • فانه انما
اراد بذلك اثبات القدرة التامة للشمال على التصرف في القرة • كيفما تشاء على طريقة المجاز من غير ان يخطر بباله ان
يثبت لها يدا ولا للقرة زماما واصله كناية فيمن يجوز عليه ارادة المعنى الحقيقي كما مر في قوله تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيمة
في سورة آل عمران وقيل ارادوا ما حكي عنهم بقوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء غلت ايديهم
دعاء عليهم بالبخل المذموم والمسكنة او بالفقر والنكد او بغل الايدي حقيقة بان يكونوا اسارى مغلولين ويسحبوا الى
النار باغلالها في الآخرة فيكون المطابقة حينئذ من حيث اللفظ وملاحظة المعنى الاصلي كما في سبني سب الله دابره
ولعنوا عطف على الدعاء الاول اي ابعدوا من رحمة الله تعالى بما قالوا اي بسبب ما قالوا من الكلمة الشنعاء
وقيل كلاهما خبر بل يداه مبسوطتان عطف على مقدر يقتضيه المقام اي كلا ليس كذلك بل هو في غاية ما يكون
من الجود واليه اشير بتثنية اليد فان اقصى ما ينتهي اليه همم الاسخياء ان يعطوا ما يعطونه بكلتا يديهم وقيل التثنية
للتنبيه على سخيه يقال لنعمتي الدنيا والآخرة وقيل على اعطائه اكراما وعلى اعطائه استدراجا ينفق كيف يشاء جملة مستأنفة
واردة لتاكيد كمال جوده وللتنبيه على سر ما ابتلوا به من الضيق الذي اتخذوه من غاية جهلهم وضلالهم ذريعة الى الاجتراء
على تلك الكفرة العظيمة والمعنى ان ذلك ليس لقصور في فيضه بل لان انفاقه تابع لمشيئته المبنية على الحكم التي يدور
عليها امر المعاش والمعاد وقد اقتضت الحكمة بسبب ما فيهم من شؤم المعاصي ان يضيق عليهم كما يشير اليه ما سياتي من
قوله تعالى ولو انهم اقاموا التورية والانجيل الآية كيف ظرف يشاء والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير ينفق اي
ينفق كائنا على اي حال يشاء اي كائنا على مشيئته اي مريدا وترك ذكر ما ينفقه لقصد التعميم وليزيدن كثيرا منهم وهم
علماؤهم ورؤساؤهم ما انزل اليك من القرآن المشتمل على هذه الآيات وتقديم المفعول للاعتناء به وتخصيص الكثير منهم
بهذا الحكم لما ان بعضهم ليس كذلك من ربك متعلق بانزل كما ان اليك كذلك وتأخيره عنه مع ان حق المبتداء ان يتقدم
على المنتهى لاقتضاء الاهتمام ببيان المنتهى لان مدار الزيادة هو النزول اليه عليه الصلوة والسلام كما في قوله تعالى وانزل
اليكم من السماء ماء والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلوة والسلام لتشريفه عليه السلام
طغيانا وكفرا مفعول ثان للزيادة اي ليزيدنهم طغيانا على طغيانهم وكفرا على كفرهم القديمين اما من حيث الشدة
والغلو واما من حيث الكم الكثرة اذ كلما نزلت آية كفروا بها ويزداد طغيانهم وكفرهم بحسب المقدار كما ان الطعام الصالح
للاصحاء يزيد المرضى مرضا والقينا بينهم اي بين اليهود فان بعضهم جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مرجئة وبعضهم
مشبهة العداوة والبغضاء بينهم فلا يكاد توافق قلوبهم ولا يتطابق اقوالهم والجملة مبتداءة مسوقة لازاحة ما عسى يتوهم
من ذكر طغيانهم وكفرهم من الاجتماع على امر يؤدي الى الاضرار بالمسلمين قيل العداوة اخص من البغضاء لان كل عدو
مبغض بلا عكس كلي الى يوم القيمة متعلق بالقينا وقيل بالبغضاء كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله تصريح بما اشير
اليه من عدم وصول غائلة ما هم فيه الى المسلمين اي كلما ارادوا محاربة الرسول صلى الله عليه وسلم ورتبوا مباديها وركبوا
في ذلك متن كل صعب وذلول ردهم الله تعالى وقهرهم او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التورية
سلط الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم
المسلمين وللحرب اما صلة لاوقدوا او متعلق بمحذوف وقع صفة لنارا اي كائنة للحرب ويسعون في الارض فسادا

اي يجتهدون في الكيد للاسلام واهله واثارة الشر والفتنة فيما بينهم مما يغاير ما عبر عنه بايقاد نار الحرب وفسادا اما
مفعول له او في موقع المصدر اي يسعون للفساد او يسعون سعي فساد والله لا يحب المفسدين ولذلك اطفى نائرة افساد
واللام اما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا واما للعهد ووضع المظهر مقام الضمير للتعليل وبيان كونهم راسخين
في الافساد ولو ان اهل الكتاب اي اليهود والنصارى على ان المراد بالكتاب الجنس المنتظم للتورية والانجيل وانما ذكروا
بذلك العنوان تاكيدا للتشنيع فان اهلية الكتاب توجب ايمانهم به واقامتهم له لا محالة وكفرهم به وعدم اقامتهم له وهم
اهله اقبح من كل قبيح واشنع من كل شنيع ومفعول قوله تعالى امنوا محذوف ثقة بظهوره مما سبق من قوله تعالى هل تنقمون منا
الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون وما لحق من قوله تعالى ولو انهم اقاموا التورية الى آخره
اي لو انهم مع ما صدر عنهم من فنون الجنايات قولا وفعلا امنوا بما نعي عليهم الايمان به فيندرج فيه ايمانهم برسول
الله صلى الله عليه وسلم واما ارادة ايمانهم به عليه الصلوة والسلام خاصة فيأباها المقام لان ما ذكر فيما سبق وما لحق
بكفرهم به عليه الصلوة والسلام انما ذكر مشفوعا بكفرهم بكتابهم ايضا قصدا الى الالزام والتبكيت ببيان ان الكفر به
عليه الصلوة والسلام مستلزم للكفر بكتابهم فحمل الايمان ههنا على الايمان به عليه السلام خاصة مخل بتجاوب
اطراف النظم الكريم واتقوا ما عددنا من معاصيهم التي من جملتها مخالفة كتابهم لكفرنا عنهم سيئاتهم التي اقترفوها وان
كانت في غاية العظم ونهاية الكثرة ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم مع ذلك جنات النعيم وتكرير اللام لتاكيد الوعد
وفيه تنبيه على كمال عظم ذنوبهم وكثرة معاصيهم وان الاسلام يجب ما قبله من التبعات وان جلت وجاوزت كل حد
معهود ولو انهم اقاموا التورية والانجيل بمراعاة ما فيهما من الاحكام التي من جملتها شواهد نبوة النبي صلى الله عليه وسلم
ومبشرات بعثته فان اقامتهما انما تكون بذلك بمراعاة جميع ما فيهما من الاحكام لانتساخ بعضها بنزول القرآن فليست
مراعاة الكل من اقامتهما في شيء وما انزل اليهم من ربهم من القرآن المجيد المصدق لكتبهم وايراده بهذا العنوان للايذان
بوجوب اقامته عليهم لنزوله اليهم وللتصريح ببطلان ما كانوا يدعونه من عدم نزوله الى بني اسرائيل وتقديم اليهم لما مر
من قبل وفي اضافة الرب الى ضميرهم مزيد لطف بهم في الدعوة الى الاقامة وقيل المراد بما انزل اليهم كتب انبياء بني
اسرائيل مثل كتاب شعيا وكتاب حبقوق وكتاب دانيال فانها مملوة بالبشارة لمبعثه صلى الله عليه وسلم لاكلوا من فوقهم
ومن تحت ارجلهم اي لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات السماء والارض بان تكثر ثمرات الاشجار وغلال الزروع
او بان يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنوا ما تهدل منها من رؤس الاشجار ويلتقطوا ما تساقط منها على الارض وقيل
المراد المبالغة في شرح السعة والخصب لا تعيين الجهتين كانه قيل لاكلوا من كل جهة ومفعول اكلوا محذوف لقصد التعميم
او للقصد الى نفس الفعل كما في قوله • فلان يعطي ويمنع • ومن في الموضعين لابتداء الغاية وفي هاتين الشرطيتين من
حثهم على ما ذكر من الايمان والتقوى والاقامة بالوعد بنيل سعادة الدارين وزجرهم عن الاخلال به بما ذكر لبيان افضائه
الى الحرمة عنها وتنبيههم على ان ما اصابهم من الضنك والضيق انما هو من شؤم جناياتهم لا لقصور في فيض الفياض
لاما يخفي منهم امة مقتصدة جملة مستأنفة مبنية على سؤال نشأ من مضمون الجملتين المصدرتين بحرف الامتناع
الدالتين على انتفاء الايمان والاتقاء واقامة الكتب المنزلة من اهل الكتاب كانه قيل هل كلهم كذلك مصرون على عدم
الايمان الى آخره فقيل منهم امة مقتصدة اما على انهم مبتداء باعتبار مضمونه اي بعضهم امة واما بتقدير الموصوف اي
بعض كائن منهم كما مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله الآية اي طائفة معتدلة وهم المؤمنون منهم كعبد الله
ابن سلام واصحابه وثمانية واربعون من النصارى وقيل طائفة حالهم امم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثير منهم
مبتداء لتخصصه بالصفة خبره ساء ما يعملون اي مقول في حقهم هذا القول اي بئسما يعملون وفيه معنى التعجب
اي ما اسوء عملهم من العناد والمكابرة وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط في العداوة وهم الاجلاف المتعصبون
ككعب بن الاشرف واشباهه والروم يا ايها الرسول نودي عليه الصلوة والسلام بعنوان الرسالة تشريفا له
وايذانا بانها من موجبات الاتيان بما امر به من تبليغ ما اوحي اليه بلغ ما انزل اليك اي جميع ما انزل اليك من الاحكام

وما يتعلق بها كائنا ما كان وفي قوله تعالى من ربك اي مالك امرك ومبلغك الى كمالك اللائق بك عدة ضمنية بحفظه عليه
الصلوة والسلام وكلاءته اي بلغه غير مراقب في ذلك احدا ولا خائف ان ينالك مكروه ابدا وان لم تفعل اي ما امرت به
من تبليغ الجميع بالمعنى المذكور كما ينبئ عنه قوله تعالى فما بلغت رسالته فان ما لا يتعلق به الاحكام اصلا من الاسرار الخفية ليست
مما يقصد بتبليغه الى الناس اي فما بلغت شيئا من رسالته واتصلت بما شرفت به من عنوان الرسالة بالمرة لما ان بعضها
ليس اولى بالاداء من بعض فاذا لم تؤد بعضها فكانك غفلت اداها جميعا كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها
لادلاء كل منها بما يدل بغيرها وكونها لذلك في حكم شيء واحد ولا ريب في ان الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير
مؤمن به ولان كتمان بعضها اضاعة لما ادي منها كترك بعض اركان الصلوة فان غرض الدعوة ينتقض بذلك وقيل فكانك
ما بلغت شيئا منها كقوله تعالى فكانما قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب
روي فما بلغت رسالاتي وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان كتمت آية لم تبلغ رسالاتي وروي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعثني الله برسالاته فضقت به ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وذلك
قوله تعالى والله يعصمك من الناس فانه كما ترى عدة كريمة بعصمته من لحوق ضررهم بروحه العزيز باعثة له عليه الصلاة والسلام
كان يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم فقال انصرفوا يا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس وقوله تعالى ان الله لا
يهدي القوم الكافرين تعليل لعصمته تعالى له عليه الصلوة والسلام اي لا يمكنهم مما يريدون بك من الاضرار وايراد الآية
الكريمة في تضاعيف الآيات الواردة في حق اهل الكتاب لما ان الكل قوادح يسوء الكفار سماعها ويشق على الرسول صلى الله
عليه وسلم مشافهتهم بها وخصوصا ما يتلوها من النص الناعي عليهم كمال ضلالهم ولذلك اعيد الامر فقيل قل يا اهل الكتاب
مخاطبا للفريقين لستم على شيء اي دين يعتد به ويليق بان يسمى شيئا لظهور بطلانه ووضوح فساده وفي هذا التعبير
من التحقير والتصغير ما لا غاية وراءه حتى تقيموا التورية والانجيل اي تراعوهما وتحافظوا على ما فيهما من الامور التي من جملتها
دلائل رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم وشواهد نبوته فان اقامتهما انما تكون بذلك واما مراعاة احكامهما المنسوخة
فليست من اقامتهما في شيء بل هي تعطيل لهما ورد لشهادتهما لانهما شاهدان بنسخها وانتهاء وقت العمل بها لان شهادتهما
بصحته ما ينسخها شهادة بنسخها وخروجها عن كونها من احكامهما وان احكامهما ما قرره النبي الذي بشر فيهما ببعثته
وذكر في تضاعيفهما نعوته فاذن اقامتهما ببيان شواهد النبوة والعمل بما قررته الشريعة من الاحكام كما يفصح عنه قوله تعالى
وما انزل اليكم من ربكم اي القرآن المجيد بالايمان به اقامة الجميع لا يتاتى بغير ذلك وتقديم اقامة الكتابين على اقامته
مع انها المقصودة بالذات لرعاية حق الشهادة واستنزالهم عن رتبة الشقاق وايراده بعنوان الانزال اليهم كما مر من
التصريح بانهم مامورون باقامته والايمان لا به كما يزعمون من اختصاصه بالعرب وفي اضافة الرب الى ضميرهم ما اشير
اليهم من اللطف في الدعوة وقيل المراد بما انزل اليهم كتب انبياء بني اسرائيل كما مر وقيل الكتب الالهية باسرها آمرة
بالايمان لمن صدقته المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان جماعة من اليهود
قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تقر ان التورية حق من عند الله تعالى فقال عليه السلام بلى فقالوا انا
مؤمنون بها ولا نؤمن بغيرها فنزلت وقوله تعالى وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا جملة مستانفة
مبنية لشدة شكيمتهم وغلوهم في المكابرة والعناد وعدم افادة التبليغ نفعا وتصديرها بالقسم لتاكيد مضمونها وتحقيق
مدلولها والمراد بالكثير المذكور علماؤهم ورؤساؤهم ونسبة الانزال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نسبته فيما مر
اليهم للانباء عن انسلاخهم عن تلك النسبة فلا تأس على القوم الكافرين اي لا تتاسف ولا تحزن عليهم لافراطهم في
الطغيان والكفر بما تبلغه اليهم فان غائلته آيلة اليهم وتبعته حائقة بهم لا تتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك
عنهم ووضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالرسوخ في الكفر ان الذين آمنوا كلام مستانف مسوق لترغيب من
عدا المذكورين في الايمان والعمل الصالح اي الذين آمنوا بالسنتهم فقط وهم المنافقون وقيل اعم من ان يواطئها قلوبهم
اولا والذين هادوا اي دخلوا في اليهودية والصابئون والنصارى جمع نصران وقد مر تفصيله في سورة البقرة وقوله تعالى

والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التاخير عما في حيز ان والتقدير ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى
حكمهم كيت وكيت والصابئون كذلك كقوله فاني وقيار بها لغريب وقوله والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق خلا انه
وسط بين اسم ان وخبرها دلالة على ان الصابئين مع ظهور ضلالهم وزيغهم عن الاديان كلها حيث قبلت توبتهم ان صح منهم
الايمان والعمل الصالح فغيرهم اولى بذلك وقيل الجملة الآتية خبر للمبتدا المذكور وخبر ان مقدر كما في قوله نحن بما عندنا وانت بما
عندك راض والراي مختلف وقيل والنصارى مرفوع على الابتداء كقوله تعالى والصابئون عطفا عليه وهو مع خبره عطف على الجملة
المصدرة بان ولا مساغ لعطفه على محل ان واسمها لاشتراط ذلك بالفراغ عن الخبر والا لارتفع الخبر بان والابتداء معا واعتذر
عنه بان ذلك اذا كان المذكور خبرا لهما واما اذا كان خبر المعطوف محذوفا فلا محذور فيه ولا على الضمير في هادوا لعدم
التاكيد والفصل ولاستلزامه كون الصابئين هودا وقرئ والصابيون بياء صريحة تخفيف الهمزة وقرئ والصابون
وهو من صبا يصبو لانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات في دينهم وقرئ والصابئين وقرئ يا ايها الذين آمنوا والذين هادوا
والصابئون وقوله تعالى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا اما في محل الرفع على انه مبتدا خبره فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط وجمع الضمائر الاخيرة باعتبار معنى الموصول كما ان افراد ما في صلته باعتبار لفظه والجملة
خبر ان والعائد الى اسمها محذوف اي من آمن منهم واما في محل النصب على انه بدل من اسم ان وما عطف عليه والخبر قوله تعالى
فلا خوف عليهم والفاء كما في قوله عز وجل ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم الآية فالمعنى على تقدير
كون المراد بالذين آمنوا المنافقين وهو الاظهر من احدث من هذه الطوائف ايمانا خالصا بالمبدا والمعاد على الوجه اللائق لا كما
يزعم اهل الكتاب فان ذلك بمعزل من ان يكون ايمانا بهما وعمل عملا صالحا حسبما يقتضيه الايمان بهما فلا خوف عليهم حين يخاف
الكفار العقاب ولا هم يحزنون حين يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء
دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما مر مرارا ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام
والاستمرار بحسب المقام واما على تقدير كون المراد بالذين آمنوا مطلق المتدينين بدين الاسلام المخلصين منهم والمنافقين
فالمراد بمن آمن من اتصف منهم بالايمان الخالص بالمبدا والمعاد على الاطلاق سواء كان ذلك بطريق الثبات والدوام
عليه كما هو شان المخلصين او بطريق احداثه وانشائه كما هو حال من عداهم من المنافقين وسائر الطوائف وفائدة التعميم
للمخلصين المبالغة في ترغيب الباقين في الايمان ببيان تاخرهم في الاتصاف به غير مخل بكونهم اسوة لاولئك الاقدمين الاعلام
وانما قيل المعنى ما كان منهم في دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدا والمعاد عاملا بمقتضى شرعه فمما لا سبيل اليه
اصلا كما مر تفصيله في سورة البقرة لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل كلام مبتدا مسوق لبيان بعض آخر من جناياتهم المنادية
باستبعاد الايمان منهم اي وبالله لقد اخذنا ميثاقهم بالتوحيد وسائر الشرائع والاحكام المكتوبة عليهم في التورية
وارسلنا اليهم رسلا ذوي عدد كثير واولي شان خطير ليقرروهم على مراعاة حقوق الميثاق ويطلعوهم على ما ياتون
وما يذرون في دينهم ويتعهدونهم بالعظة والتذكير وقوله تعالى كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم جملة شرطية مستانفة
وقعت جوابا عن سؤال نشا من الاخبار باخذ الميثاق وارسال الرسل وجواب الشرط محذوف كانه قيل فماذا فعلوا بالرسل
فقيل كلما جاءهم رسول من اولئك الرسل بما لا تحبه انفسهم المنهمكة في الغي والفساد من الاحكام الحقة والشرائع
عصوه وعادوه وقوله تعالى فريقا كذبوا وفريقا يقتلون جواب مستانف عن استفسار كيفية ما اظهروه من آثار المخالفة
المفهومة من الشرطية على طريقة الاجمال كانه قيل كيف فعلوا بهم فقيل فريقا منهم كذبوهم من غير ان يتعرضوا لهم
بشيء آخر من المضار وفريقا آخر منهم لم يكتفوا بتكذيبهم بل قتلوهم ايضا وانما اوثر عليه صيغة المضارع على حكاية الحال
الماضية لاستحضار صورتها الهائلة للتعجيب منها والتنبيه على ان ذلك ديدنهم المستمر والمحافظة على رؤوس الآي
الكريمة وتقديم فريقا في الموضعين للاهتمام به وتشويق السامع الى ما فعلوا بهم لا للقصر هذا واما جعل الشرطية
صفة لرسلا كما ذهب اليه الجمهور فلا يساعده المقام اصلا ضرورة ان الجملة الخبرية اذا جعلت صفة او صلة ينسخ
ما فيها من الحكم وتجعل عنوانا للموصوف وتتمة في اثبات امر آخر له ولذلك يجب ان يكون الوصف معلوم الانتساب

الي الموصوف عند السامع قبل جعله وصفا له ومن هٰهنا قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات
ولا ريب في ان ما سيق له النظم انما هو بيان انهم جعلوا كل من جاءهم من رسل الله تعالي عرضة للقتل والتكذيب حسبما يفيده
جعلها استينافا على ابلغ وجه واكده لا بيان انه تعالي ارسل اليهم رسلا موصوفين بكون كل منهم كذلك كما هو مقتضي
جعلها صفة **وحسبوا ان لا تكون فتنة** اي حسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم من الله تعالي بما اتوا من الداهية الدهيا و
الخطة الشنعاء بلاء وعذاب **وقرئ** لا تكون بالرفع على ان ان هي المخففة من ان واسمها ضمير الشان المحذوف واصله انه لا
يكون فتنة وتعليق وقت الحسبان بها للتحقيق لتنزيله منزلة العلم لكمال قوته وان بما في حيزها ساد مسد مفعوليه
فعموا عطف على حسبوا والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها اي امنوا باس الله تعالي فتمادوا في فنون الغي
والفساد وعموا عن الدين بعد ما هداهم الرسل الي معالمه الظاهرة وبينوا لهم مناهجه الواضحة **وصموا** عن استماع
الحق الذي القوه عليهم لذلك فعلوا بهم ما فعلوا وهذا اشارة الي المرة الاولي من مرتي افساد بني اسرائيل حين خالفوا
احكام التورية وركبوا المحارم وقتلوا شعيا وارميا عليهما السلام لا الي عبادتهم العجل **كما قيل** فانها وان كانت معصية
عظيمة ناشئة عن كمال العمي والصمم لكنها في عصر موسي عليه السلام ولا تعلق لها بما حكي عنهم مما فعلوا بالرسل الذين
جاؤهم بعده عليه السلام باعصار **ثم تاب الله عليهم** حين تابوا ورجعوا عما كانوا عليه من الفساد بعد ما كانوا ببابل
دهرا طويلا تحت قهر بخت نصر اساري في غاية الذل والمهانة فوجه الله تعالي ملكا عظيما من ملوك فارس الي بيت
المقدس فعمره ونجا بقايا بني اسرائيل من اسر بخت نصر بعد مهلكه وردهم الي وطنهم وتراجع من تفرق منهم في الاكناف
فعمروه ثلثين سنة فكثروا وكانوا باحسن ما كانوا عليه **وقيل** لما ورث بهمن بن اسفنديار الملك من جده گشتاسف
القي الله عز وجل في قلبه شفقة عليهم فردهم الي الشام وملك عليهم دانيال عليه السلام فاستولوا على من كان فيها
من اتباع بخت نصر فقامت فيه الانبياء فرجعوا الي احسن ما كانوا عليه من الحال وذلك قوله تعالي ثم رددنا لكم الكرة
عليهم **واما ما قيل** ان المراد قبول توبتهم من عبادة العجل فقد عرفت ان ذلك لا تعلق له بالمقام ولم يسند التوبة اليهم
كسائر احوالهم من الحسنات والعمي والصمم تجافيا عن التصريح بنسبة الخير اليهم وانما اشير اليها في ضمن بيان توبته
تعالي عليهم تمهيدا لبيان نقضهم اياها بقوله تعالي **ثم عموا وصموا** وهو اشارة الي المرة الاخرة من مرتي افسادهم
وهو اجتراؤهم على قتل زكريا ويحيي وقصدهم قتل عيسي عليه السلام لا الي طلبهم الرؤية **كما قيل** لما عرفت سر
فان فنون الجنايات الصادرة عنهم لا تكاد تتناهي خلا ان الحصار ما حكي عنهم هٰهنا في المرتين وترتبه على حكاية ما
فعلوا بالرسل عليهم الصلوة والسلام يقضي بان المراد ما ذكرناه والله عنده علم الكتاب **وقرئ** عموا وصموا بالضم على
تقدير عماهم الله وصمهم اي رماهم وضربهم بالعمي والصمم كما يقال ركبته اذا ضربته بالركبة وركبته اذا
ضربته بركبتك واما تقدير الموصوف اي بعض كاين منهم كما مر في قوله ومن الناس من يقول امنا بالله الاية
اي طائفة وقوله تعالي **كثير منهم** بدل من الضمير في الفعلين **وقيل** خبر مبتدا محذوف اي اولئك كثير منهم **والله
بصير بما يعملون** اي بما عملوا وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورتها الفظيعة ورعاية
للفواصل والجملة تذييل اشير به الي بطلان حسبانهم المذكور ووقوع العذاب من حيث لم يحتسبوا اشارة
اجمالية يكتفي بها تعويلا على ما فصل تفصيلا في سورة بني اسرائيل والمعني حسبوا ان لا يصيبهم عذاب فعلوا
ما فعلوا من الجنايات العظيمة المستوجبة لاشد العقوبات والله بصير بتفاصيلها فكيف لا يؤاخذهم بها ومن اين
لهم ذلك الحسبان الباطل ولقد وقع ذلك في المرة الاولي حيث سلط الله عليهم بخت نصر عامل لهراسب على
بابل **وقيل** جالوت الجزري **وقيل** سنحاريب من اهل نينوي والاول هو الاظهر فاستولي على بيت المقدس
فقتل من اهله اربعين الفا ممن يقرا التورية وذهب بالبقية الي ارضه فبقوا هناك على اقصي ما يكون من الذل
والنكد الي ان احدثوا توبة صحيحة فردهم الله عز وجل الي ما حكي عنهم من حسن الحال ثم عادوا الي المرة الاخرة من الافساد
فبعث الله تعالي عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه خودرود **وقيل** خردوس ففعل بهم ما فعل

قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسالهم فقالوا دم قربان لم يقبل منا **فقال** ما صدقوني
فقتل عليه الوفا منهم **ثم قال** ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيي عليه السلام **فقال** بمثل هذا ينتقم
الله تعالي منكم **ثم قال** يا يحيي قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله تعالي قبل ان لا يبقي احد
منهم فهدا **لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم** شروع في تفصيل قبائح النصاري وابطال اقوالهم الفاسدة بعد
تفصيل قبائح اليهود وهؤلاء هم الذين قالوا ان مريم ولدت الٰهًا **قيل** هم الملكانية والمار يعقوبية خاصة قالوا
معني هذا ان الله تعالي حل في ذات عيسي واتحد بذاته تعالي الله عن ذلك علوا كبيرا **قيل** حال من فاعل قالوا
بتقدير قد مفيدة لمزيد تقبيح حالهم ببيان تكذيبهم للمسيح وعدم انزجارهم عما اصروا عليه بما اوعدهم به اي قالوا
ذلك **وقد قال المسيح** مخاطبا **يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم** فاني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم **انه** اي الشان
من يشرك بالله اي شيئا في عبادته او فيما يختص به من صفات الالوهية **فقد حرم الله عليه الجنة** فلن يدخلها ابدا كما
لا يصل المحرم عليه الي المحرم فانها دار الموحدين واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتهويل الامر وتربية المهابة
وماويه النار فانها هي المعدة للمشركين وهذا بيان لابتلائهم بالعقاب اثر بيان حرمانهم الثواب **وما للظالمين من انصار**
اي ما لهم من احد ينصرهم بانقاذهم من النار اما بطريق المغالبة او بطريق الشفاعة والجمع لمراعاة المقابلة بالظالمين
واللام اما للعهد والجمع باعتبار معني من كما ان الافراد في الضمائر الثلثة باعتبار لفظها واما للجنس وهم داخلون فيه
دخولا اوليا ووضعه على الاول موضع الضمير للتسجيل عليهم بانهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق والجملة تذييل
مقرر لما قبله وهو اما من تمام كلام عيسي عليه السلام واما وارد من جهته تعالي تاكيدا لمقاله عليه السلام وتقريرا
لمضمونها **وقيل** انه من كلامه عز وجل على ان معناه انهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسي عليه
السلام فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم ورده انكره وان كانوا معظمين له بذلك ورافعين من مقداره
او من قول عيسي عليه السلام على معني لا ينصركم احد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول
وانت خبير بان التعبير عما حكي عنه عليه السلام من مقابلة لقولهم الباطل بصريح الرد والانكار والوعيد بحرمان
الجنة ودخول النار بمجرد عدم مساعدته على ذلك ونفي نصرته له مع خلوه عن الفائدة تصوير للقوي بصورة الضعيف
وتهوين للخطب في مقام تهويله ربما يوهم ذلك بحسب الظاهر ما لا يليق بشانه عليه السلام من توهم المساعدة و
النصرة لا سيما مع ملاحظة قوله وان كانوا معظمين له الي آخره الا ان يحمل الكلام على التهكم بهم كذا الحال على تقدير
كونها من تمام كلامه عليه السلام فان زجره اياهم عن قولهم الفاسد بما ذكر من عدم الناصر والمساعد بعد زجره
اياهم بما مر من الرد الاكيد والوعيد الشديد بمعزل من الافادة والتاثير ولا سبيل منها الي الاعتذار بالتهكم
لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة شروع في بيان كفر طائفة اخري منهم ومعني قولهم ثالث ثلثة ورابع اربعة
ونحو ذلك احد هذه الاعداد مطلقا لا الثالث والرابع خاصة ولذلك منع الجمهور ان ينصب ما بعده بان
يقال ثالث ثلثة ورابع اربعة وانما ينصبه اذا كان ما بعده دونه بمرتبة كما في قولك عاشر تسعة وتاسع ثمانية

سبحانه و

قيل انهم يقولون ان الالهية مشتركة بين الله تعالي وعيسي ومريم وكل واحد من هؤلاء اله ويؤكده قوله
تعالي للمسيح انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فقوله تعالي ثالث ثلثة اي احد ثلثة الهة
وهو المتبادر من ظاهر قوله تعالي **وما من اله الا اله واحد** اي والحال انه ليس في الوجود ذات واجب مستحق
للعبادة من حيث انه مبدا جميع الموجودات الا اله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن
مزيدة للاستغراق **وقيل** انهم يقولون الله جوهر واحد ثلثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح
القدس وانهم يريدون بالاول الذات **وقيل** الوجود وبالثاني العلم وبالثالث الحيوة فمعني قوله تعالي وما من اله الا
اله واحد بالذات منزه عن شائبة التعدد بوجه من الوجوه **وان لم ينتهوا عما يقولون** من الكفر الشنيع ولم يوحدوه
وقوله تعالي **ليمسن الذين كفروا** جواب قسم محذوف ساد مسد جواب الشرط اي والله ان لم ينتهوا ليمسنهم وانما

وضع موضع ضميرهم الموصول لتكرير الشهادة عليهم بالكفر فمن في قوله تعالى منهم بيانية اوليمسن الذين بقوا منهم على ما
كانوا عليه من الكفر فمن تبعيضية وانما جيء بالفعل المبني على الحدوث تنبيها على ان الاستمرار عليه بعد ورود ما ينعى عليه بالقلع
من نص عيسى عليه السلام وغيره كفر جديد وغلو زائد على ما كانوا عليه من اصل الكفر عذاب اليم اي نوع شديد الالم
من العذاب وهمزة الاستفهام في قوله تعالى افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه لانكار الواقع واستبعاده لا لانكار الوقوع
وفيه تعجب من اصرارهم والفاء عطف على مقدر يقتضيه المقام اي الا ينتهون عن تلك العقايد الزايغة والاقاويل
الباطلة افلا يتوبون الى الحق ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عما نسبوه اليه من الاتحاد والحلول فمدار الانكار
والتعجب عدم الانتهاء وعدم التوبة معا او يسمعون هذه الشهادات المكررة والتشديدات المقررة فلا يتوبون
عقيب ذلك فمدارهما عدم التوبة عقيب تحقق ما يوجبها من سماع تلك القوارع الهايلة وقوله عز وجل
والله غفور رحيم جملة حالية من فاعل يستغفرونه موكدة الانكار والتعجب من اصرارهم على الكفر وعدم مسارعتهم
الى الاستغفار اي والحال انه تعالى مبالغ في المغفرة فيغفر لهم عند استغفارهم ويمنحهم من فضله ما المسيح
ابن مريم الا رسول استيناف مسوق لتحقيق الحق الذي لا محيد عنه وبيان حقيقية حاله عليه السلام وحال امه
بالاشارة اولا الى اشرف ما لهما من نعوت الكمال التي بها صار من زمرة اكمل افراد الجنس واخرا الى الوصف المشترك
بينهما وبين جميع افراد البشر بل افراد الحيوان استنزالا لهم بطريق التدريج عن رتبة الاصرار على ما تقولوا عليهما وارشادا لهم الى التوبة
والاستغفار اي هو مقصور على الرسالة لا يكاد يتخطاها وقوله تعالى قد خلت من قبله الرسل صفة لرسول منبئة عن اتصافه بما ينافي
الالوهية فان خلو الرسل السالفة عليهم السلام منذر بخلوه المقتضي لاستحالة الوهيته اي ما هو الا رسول كالرسل الخالية من
قبله خصه الله تعالى ببعض من الايات كما خص كلا منهم ببعض اخر منها فان احياء الموتى على يده فقد احيا العصا في يد موسى وجعلت
حية تسعى وهو منه وان خلق من غير اب فقد خلق ادم من غير اب ولا ام وهو اغرب منه وكل ذلك من جنابه عز وجل وانما
موسى وعيسى مظاهر لشونه وافعاله وامه صديقة اي وما امه ايضا الا كساير النساء اللاتي يلازمن الصدق والتصديق
ويبالغن في الاتصاف به فما رتبتهما الا رتبة بشرين احدهما نبي والاخر صحابي فمن اين لكم ان تصفوهما بما لا يوصف به
ساير الانبياء وخواصهم كانا ياكلان الطعام استيناف مبني لما اشير اليه من كونهما كساير افراد البشر في الاحتياج الى
ما يحتاج اليه كل فرد من افراده بل افراد الحيوان وقوله عز وجل انظر كيف نبين لهم الايات تعجيب من حال الذين يدعون
لهما الربوبية ولا يرعوون عن ذلك بعد ما بين لهم حقيقة حالهما بيانا لا يحوم حوله شايبة ريب كيف معمول
التبيين والجملة في حيز النصب متعلقة لينظر اي انظر كيف نبين لهم الايات الباهرة المنادية ببطلان ما تقولوا
عليها من ليكاد تسمعه صم الجبال ثم انظر انى يوفكون اي كيف يصرفون عن استماعها والتامل فيها والكلام فيه كما
في ما قبله وتكرير الامر بالنظر للمبالغة في التعجيب وثم لاظهار ما بين العجبين من التفاوت اي ان بياننا للايات امر
بديع في بابه بالغ لاقاصي الغايات القاصية من التحقيق والايضاح واعراضهم عنها مع انتفاء ما يصححه بالمرة وتعاضد
ما يوجب قبولها اعجب وابدع قل امر له صلى الله عليه وسلم بالزامهم وتبكيتهم اثر تعجيبه من احوالهم اتعبدون من دون الله
اي متجاوزين اياه وتقديم على قوله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا لما مر مرارا من ان الاهتمام بالمقدم والتشويق
الى الموخر والموصول عبارة عن عيسى عليه السلام وايثار ما على كلمة من لتحقيق ما هو المراد من كونه بمعزل من الالوهية
راسا ببيان انتظامه عليه السلام في سلك الاشياء التي لا قدرة لها على شيء اصلا وهو عليه السلام وان
كان يملك بتمليكه تعالى اياه لكنه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر به الله تعالى من البلايا والمصايب وما
ينفع به من الصحة وتقديم الضر على النفع لان التحرز عنه اهم من تحري النفع ولان ادنى درجات التاثير دفع
الشر ثم جلب الخير وقوله تعالى والله هو السميع العليم حال من فاعل تعبدون موكد للانكار والتوبيخ ومقرر
للالزام والتبكيت والرابط هو الواو اي اتشركون بالله تعالى ما لا يقدر على شيء من ضركم ونفعكم والحال ان
الله تعالى هو المختص بالاحاطة التامة بجميع المسموعات والمعلومات التي من جملتها ما انتم عليه من الاقوال الباطلة

والعقايد الزايغة والاعمال السيئة بالقدرة الباهرة على جميع المقدورات التي من جملتها مضاركم ومنافعكم في
الدنيا والاخرة قل يا اهل الكتاب تلوين للخطاب وتوجيه له الى فريقي اهل الكتاب بطريق الالتفات بعد ابطال مسلك
كل منهما على لسان النبي صلى الله عليه وسلم للمبالغة في زجرهم عما سلكوه من المسلك الباطل وارشادهم الى الامم
السالفة لا تغلوا في دينكم اي لا تجاوزوا الحد وهو نهي للنصارى عن رفع عيسى عن رتبة الرسالة الى ما تقولوا في
حقه من العظيمة ولليهود عن وضعهم له عليه السلام عن رتبة العلية الى ما تقولوا عليه من الكلمة الشنعاء وقيل
هو خاص بالنصارى كما في سورة النساء فذكرهم بعنوان اهلية الكتاب لتذكيران الانجيل ايضا نهاهم عن الغلو وقوله
عز وجل غير الحق نصب على انه نعت لمصدر محذوف اي لا تغلوا في دينكم غلوا غير الحق اي غلوا باطلا او حال من ضمير
الفاعل اي لا تغلوا في دين الحق او من دينكم اي لا تغلوا في دينكم حال كونه باطلا وقيل نصب على الاستثناء المتصل
وقيل على المنقطع ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل هم واسلافهم وايمتهم الذين قد ضلوا من الفريقين او من
النصارى على القولين قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم في شريعتهم واضلوا كثيرا اي قوما كثيرا ممن شايعهم في
الزيغ والضلال او اضلالا كثيرا والمفعول محذوف وضلوا عن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وتوضيح محجة الحق
وتبيين مناهج الاسلام عن سواء السبيل حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم من مقتضى
العقل والثاني الى ضلالهم عما جاء به الشرع لعن الذين كفروا اي لعنهم الله عز وجل او بناء الفعل للمفعول على
الكبرياء من بني اسرائيل متعلق بمحذوف وقع حالا من الموصول او من فاعل كفروا وقوله تعالى على لسان داود وعيسى
ابن مريم متعلق بلعن اي لعنهم الله تعالى في الزبور والانجيل على لسانهما وقيل ان اهل الايلة لما اعتدوا في السبت
دعا عليهم داود عليه السلام وقال اللهم العنهم واجعلهم اية فمسخهم الله قردة واصحاب المايدة لما كفروا قال
عيسى عليه السلام اللهم عذب من كفر بعد ما اكل من المايدة عذابا لم تعذب به احدا من العالمين والعنهم كما لعنت اصحاب السبت
فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة الاف رجل ما فيهم امراة ولا صبي ذلك اشارة الى اللعن المذكور وايثاره على الضمير
للتنبيه على كمال ظهوره وامتيازه عن نظايره وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد
للايذان بكمال فظاعته وبعد درجته في الشناعة والهول وهو مبتدا خبره قوله تعالى بما عصوا وكانوا يعتدون
والجملة مستانفة واقعة موقع الجواب عما نشا من الكلام كانه قيل باي سبب وقع ذلك فقيل ذلك اللعن
الهايل الفظيع بسبب عصيانهم واعتدايهم المستمر كما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل وقوله
تعالى كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه فانه استيناف مفيد لاستمرار عدم التناهي عن المنكر ولا يمكن استمرار
الا باستمرار تعاطي المنكرات وليس المراد بالتناهي ان ينهى كل واحد منهم الاخر عما يفعله من المنكر كما هو المعنى
المشهور لصيغة التفاعل بل مجرد صدور النهي عن اشخاص متعددة من غير اعتبار ان يكون كل واحد منهم ناهيا
ومنهيا معا كما في تراءى الهلال وقيل التناهي بمعنى الانتهاء يقال تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع عنه وتركه
فالجملة حينئذ مفسرة لما قبلها من المعصية والاعتداء ومفيدة لاستمرارهما صريحا وعلى الاول مفيدة لاستمرار انتفاء
النهي عن المنكر بان لا يوجد فيما بينهم من يتولاه في وقت من الاوقات ومن ضرورته استمرار فعل المنكر حسبما سبق
وعلى كل تقدير فيما يفيده تنكير المنكر من الوحدة نوعية لا شخصية فلما تقدم في وصفه بالفعل الماضي في
تعلق النهي له لما ان متعلق الفعل انما هو فرد من افراد ما يتعلق به النهي والانتهاء من مطلق المنكر باعتبار
تحققه في ضمن اي فرد كان من افراده على ان المعنى المعتبر انما هو بالنسبة الى زمان النزول لا الى زمان النهي حتى يلزم
كون النهي بعد الفعل فلا حاجة الى تقدير المعاودة او المثل او جعل الفعل عبارة عن الارادة على ان المعاودة
كالنهي لا تتعلق بالمنكر المفعول فلا بد من المصير الى احد ما ذكر من الوجهين او الى تقدير المثل او الى جعل الفعل
عبارة عن ارادته وفي كل ذلك تعسف لا يخفى لبيس ما كانوا يفعلون تقبيح لسوء اعمالهم وتعجيب منه بالتوكيد القسمي
كيف وقد اداهم الى ما شرح من اللعن الكبير وليس في نسبته بذلك دلالة على خروج كفرهم عن سببية الاشارة

الى سببية له فيما سبق من قوله تعالى لعن الذين كفروا فان اجراء الحكم على الموصول مشعر بعلية ما في حيز الصلة
له لما انما ذكر في حيز السببية مشتمل على كفرهم ايضا ترى كثيرا منهم اي من اهل الكتاب ككعب بن الاشرف واخوانه
حيث خرجوا الى مشركي مكة ليتفقوا على محاربة النبي صلى الله عليه وسلم والروية بصرية وقوله تعالى يتولون الذين كفروا
حال من كثيرا لكونه موصوفا اي يوالون المشركين بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمومنين وقيل من منافقي اهل
الكتاب يتولون اليهود وهو قول ابن عباس ومجاهد والحسن وقيل يوالون المشركين ويصافونهم لبيس ما قدمت لهم انفسهم اي
لبيس شيئا قدموا ليردوا عليه يوم القيمة ان سخط الله عليهم هو المخصوص بالذم على حذف المضاف واقامة المضاف
اليه مقامه بينهما على كمال التعلق والارتباط بينهما كانهما شيء واحد ومبالغة في الذم اي موجب سخطه تعالى ومحله
الرفع على الابتداء والجملة قبله خبره والرابط عند من يشترطه هو العموم اذ لا حاجة اليه لان الجملة عين المبتدا او على انه
خبر لمبتداء محذوف ينبي عنه الجملة المتقدمة كانه قيل ما هو او اي شيء هو فقيل هو ان سخط الله عليهم وقيل المخصوص
بالذم محذوف وما اسم تام معرفة في محل رفع بالفاعلية لفعل الذم وقدمت لهم انفسهم جملة في محل الرفع على انها
صفة للموصوف بالذم قايمة مقامه والتقدير لبيس الشيء شيء قدمته لهم انفسهم فقوله تعالى ان سخط الله عليهم بدل
من شيء المحذوف وهذا مذهب سيبويه وفي العذاب اي عذاب جهنم هم خالدون ابد الابدين ولو كانوا اي الذين
يتولون المشركين من اهل الكتاب يومنون بالله والنبي اي نبيهم وما انزل اليه من الكتاب او لو كان المنافقون يومنون
بالله ونبينا ايمانا صحيحا ما اتخذوهم اي المشركين او اليهود اولياء فان الايمان بما ذكر رادع عن توليهم قطعا
ولكن كثيرا منهم فاسقون خارجون عن الدين والايمان بالله ونبيهم وكتابهم او متمردون في النفاق مفرطون فيه
لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا جملة مستانفة مسوقة لتقرير ما قبلها
من قبايح اليهود وعراقتهم في الكفر وساير احوالهم الشنيعة اي من جملتها موالاتهم للمشركين اكدت بالتوكيد
القسمي اعتناء ببيان تحقق مضمونها والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد صالح له ايذانا
بان حالهم مما لا يخفى على احد من الناس والوجدان متعد الى اثنين احدهما اشد الناس والثاني اليهود وما
عطف عليه وقيل بالعكس لانهما في الاصل مبتداء وخبر ومصب الفايدة هو الخبر لا المبتداء ولا ضير في التقدم
والتاخير اذا دل على الترتيب دليل ههنا دليل واضح عليه وهو ان المقصود بيان كون الطايفتين اشد الناس
عداوة للمومنين لا كون اشدهم عداوة لهم الطايفتين المذكورتين وانت خبير بانه بمعزل من الدلالة على ذلك
كيف لا والافادة في الصورة الثانية اتم واكمل مع خلوها عن تعسف التقديم والتاخير اذ المعنى انك ان قصدت
ان تعرف من اشد الناس عداوة للمومنين وتتبعت احوال الطوايف طرا في احطت بالديهم خبرا وبالغت في
تعرف احوالهم الظاهرة والباطنة وسعيت في تطلب ما عندهم من الامور البارزة والكامنة لتجدن الاشد
تينك الطايفتين لا غير فتامل واللام الداخلة على الموصول متعلقة بعداوة مقوية لعملها ولا يضر كونها مونثة بالتاء
لانها مبنية عليها كما في قوله ورهبة عقابك وقيل متعلقة بمحذوف هو صفة لعداوة اي كاينة للذين امنوا
وصفهم الله بذلك لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى وقربهم الى التقليد وبعدهم عن
التحقيق وتمرنهم على التمرد والاستعصاء على الانبياء والاجتراء على تكذيبهم ومناصبتهم وفي تقديم اليهود على
المشركين بعد لزهما في قرن واحد اشعار بتقدمهم عليهم في العداوة كما ان في تقديمهم عليهم في قوله تعالى ولتجدنهم
احرص الناس على حيوة ومن الذين اشركوا ايذانا بتقدمهم في الحرص ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا اعيد الموصول مع صلته
دوما لزيادة التوضيح والبيان الذين قالوا انا نصارى عبر عنهم بذلك اشعارا بقرب مودتهم حيث يدعون انهم انصار
الله واوداء اهل الحق وان لم يظهروا اعتقاد حقيقة الاسلام وعلى هذه النكتة مبنى الوجه الثاني في تفسير
قوله تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم والكلام في مفعولي لتجدن وتعلق اللام كالذي سبق
والعدول عن جعل ما فيه التفاوت وبين الفريقين شيئا واحدا قد تفاوتا فيه بالشدة والضعف او بالقرب

والبعد بان يقال اخرا ولتجدن اضعفهم عداوة الى اخره او بان يقال اولا لتجدن ابعد الناس مودة الى اخره للايذان
بكمال تباين ما بين الفريقين من التفاوت ببيان ان احدهما في اقصى مراتب احد النقيضين والاخر في اقرب مراتب
النقيض الاخر ذلك اي كونهم اقرب مودة للمومنين بان منهم اي بسبب ان منهم قسيسين وهم علماء النصارى
وعبادهم ورؤساؤهم والقسيس صيغة مبالغة من تقسس الشيء اذا تتبعه وطلبه بالليل سموا به لمبالغتهم في
تتبع العلم قاله الراغب وقيل القس بفتح القاف تتبع الشيء ومنه سمي عالم النصارى قسيسا لتتبعه العلم بلغة
الروم وقيل ضيعت النصارى الانجيل وما فيه وبقي منهم رجل يقال له قسيسا لم يبدل دينه فمن راعى هديه
ودينه قيل له قسيس ورهبانا هو جمع راهب كراكب وركبان وفارس وفرسان وقيل يطلق على الواحد وعلى
الجمع وانشد فيه قول من قال • لو عاينت رهبان دير في قلل • لاقبل الرهبان يعدو ونزل • والرهب التقيد
في الصومعة قال الراغب الرهبانية الغلو في التقيد من فرط الخوف والتنكير لافادة الكثرة ولا بد من اعتبارها
في القسيسين ايضا اذ هي التي تدل على مودة جنس النصارى للمومنين فان اتصاف افراد كثيرة لجنس بخصلة مظنة
لاتصاف الجنس بها والا فمن اليهود ايضا قوم مهتدون الا ترى الى عبد الله بن سلام واضرابه قال تعالى من اهل الكتاب
امة قايمة يتلون ايات الله اناء الليل وهم يسجدون الى اخره لكنهم لما لم يكونوا في الكثرة كالذين من النصارى لم يتعد حكمهم
الى جنس اليهود وانهم لا يستكبرون عطف على ان منهم اي وبانهم لا يستكبرون عن قبول الحق اذا فهموه ويتواضعون ولا يتكبرون
كاليهود وهذه الخصلة شاملة لجميع افراد الجنس فسببيتها لاقربيتهم مودة للمومنين واضحة وفيه دليل على ان التواضع
والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمود وان كان ذلك من كافر واذا سمعوا ما انزل الى الرسول عطف على لا يستكبرون
اي ذلك بسبب انهم لا يستكبرون وان اعينهم تفيض من الدمع عند سماع القران وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة
خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم ابائهم اياه ترى اعينهم تفيض من الدمع اي تمتلي بالدمع فاستعير له الفيض
الذي هو الانصباب عن امتلاء مبالغة او جعلت اعينهم من فرط البكا كانها تفيض بانفسها مما عرفوا من الحق من الاولى
لابتداء الغاية والثانية لتبيين الموصول اي ابتداء الفيض ونشاه من معرفة الحق وحصل من اجله وسببه
ويحتمل ان يكون الثانية تبعيضية لان ما عرفوه بعض الحق وحيث ابكاهم ذلك فما ظنك بهم لو عرفوا كله وقراوا
القران واحاطوا بالسنة وقرى ترى اعينهم على صيغة المبني للمفعول يقولون استيناف مبني على سوال نشا
من حكاية حالهم عند سماع القران كانه قيل ماذا يقولون فقيل يقولون ربنا امنا بهذا او بمن انزل هذا
عليه او بهما وقيل حال من الضمير في عرفوا او من الضمير المجرور في اعينهم لما ان المضاف جزوه كما في قوله تعالى ونزعنا
ما في صدورهم من غل اخوانا فاكتبنا مع الشاهدين اي الذين شهدوا بانه حق او بنبوته او مع امته الذين هم شهداء على
الامم يوم القيمة وانما قالوا لانهم وجدوا ذكرهم في الانجيل وما لنا لا نومن بالله وما جاءنا من الحق كلام مستانف قالوه
تحقيقا لايمانهم وتقريرا له بانكار سبب انتفايه ونفيه بالكلية على ان قوله لا نومن حال من الضمير في لنا والعامل
ما فيه من الاستقرار اي اي شيء حصل لنا غير مومنين على توجيه الانكار والنفي الى السبب والمسبب جميعا كما في
قوله تعالى وما لي لا اعبد الذي فطرني ونظايره الى السبب فقط مع تحقق المسبب كما في قوله تعالى فما لهم لا يومنون
وامثاله فان همزة الاستفهام كما تكون تارة لانكار الواقع كما في اتضرب اباك واخرى لانكار الوقوع كما في اضرب
ابي كذلك ما الاستفهامية قد تكون لانكار سبب الواقع ونفيه فقط كما في الاية الثانية وقوله تعالى ما لكم
لا ترجون لله وقارا فيكون مضمون الجملة الحالية محققا فان كلا من عدم الايمان وعدم الرجا امر محقق قد انكر ونفي
سببه وقد تكون لانكار سبب الوقوع ونفيه فيسريان الى المسبب ايضا كما في الاية الاولى فيكون مضمون الجملة
الحالية مفروضا قطعا فان عدم العبادة امر مفروض حتما وقوله تعالى ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين حال
اخرى من الضمير المذكور بتقدير مبتدع والعامل فيها هو العامل في الاولى مقيدا بها اي اي شيء يحصل لنا غير مومنين
ونحن نطمع في صحبة الصالحين او من الضمير في لا نومن على معنى انهم انكروا على انفسهم عدم ايمانهم مع انهم يطمعون

في صحبة المؤمنين وقيل معطوف على نؤمن على معنى ومالنا نجمع بين ترك الايمان وبين الطمع المذكور فاثابهم الله بما قالوا اي عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اي معتقده وقري فاتاهم الله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين اي الذين احسنوا النظر والعمل والذين اعتادوا الاحسان في الامور والايات الاربع روي انها نزلت في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه فقراه ثم دعا جعفر بن ابي طالب والمهاجرين معه واحضر القسيسين والرهبان فامر جعفر ان يقرا عليهم القران فقرا سورة مريم فبكوا وامنوا بالقران وقيل نزلت في ثلاثين او سبعين رجلا من قومه وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرا عليهم سورة مريم فبكوا وامنوا والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم عطف التكذيب بايات الله تعالى على الكفر مع انه ضرب منه لان القصد الى بيان المكذبين وذكرهم بمقابلة المصدقين بها جميعا بين الترغيب والترهيب يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم اي ما طاب ولذ منه كانه لما تضمن ما سلف من مدح النصارى على ترغيب وترهيب للمومنين في كسر النفس ورفض الشهوات عقب ذلك بالنهي عن الافراط في الغالب اي لا تمنعوها انفسكم كمنع التحريم او لا تقولوا حرمناها على انفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيمة لاصحابه يوما فبالغ واشبع الكلام في الانذار فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين وان لا يناموا على الفرش وان لا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت ولا تعتدوا اي ولا تتعدوا حدود ما احل الله لكم الى ما حرم عليكم او لا تسرفوا في تناول الطيبات او جعل تحريم الطيبات اعتداء وظلما فنهى عن مطلق الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها دخولا اوليا لوروده عقيبه او اريد ولا تعتدوا بذلك ان الله لا يحب المعتدين تعليل لما قبله وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اي ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله فحلالا مفعول كلوا ومما رزقكم الله حال منه تقدمت عليه لكونه نكرة او متعلق بكلوا ومن ابتدائية او هو المفعول وحلالا حال من الموصول او من عائده المحذوف او صفة لمصدر محذوف اي اكلا حلالا وعلى الوجوه كلها لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون تاكيد للوصية بما امر به فان الايمان به تعالى يوجب المبالغة في التقوى والانتهاء عما نهى عنه لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم وهو عندنا ان يحلف على شيء يظن انه كذلك وليس كما يظن به وهو قول مجاهد قيل كانوا حلفوا على تحريم الطيبات على ظن انه قربة فلما نزل النهي قالوا فكيف بايماننا فنزلت وعند الشافعي رحمه الله ما يبدو من المرء من غير قصد كقوله لا والله وبلى والله وهو قول عائشة رضي الله عنها وفي ايمانكم صلة يؤاخذكم او اللغو لانه مصدر او حال منه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان اي بتعقيدكم الايمان وتوثيقها عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتموها اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقري بالتخفيف وقري عاقدتم بمعنى عقدتم فكفارته اي فكفارة نكثه وهي الفعلة التي من شانها ان تكفر الخطيئة وتسترها واستدل بظاهرها على جواز التكفير قبل الحنث وعندنا لا يجوز ذلك لقوله عليه الصلوة والسلام من حلف على يمين وراى غيرها خيرا فليات الذي هو خير ثم ليكفر عن يمينه اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم اي من اقصده في النوع او المقدار وهو نصف صاع من بر لكل مسكين ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما كائنا من اوسط ما تطعمون او الرفع على انه بدل من اطعام واهلون جمع اهل كارضون جمع ارض وقري اهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها في الحالات الثلاث كالالف وهو ايضا جمع اهل كالاراضي في جمع ارض والليالي في جمع ليل وقيل جمع اهلاة او كسوتهم عطف على اطعام او على محل من اوسط على تقدير كونه بدلا من اطعام وهو ثوب يغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص ورداء وازار

210

وقري بضم الكاف وهي لغة كقدوة في قدوة واسوة في اسوة وقري او كاسوتهم على ان الكاف في محل الرفع تقديره او اطعامهم كاسوتهم بمعنى او كمثل ما تطعمون اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم ان لم تطعموهم الاوسط او تحرير رقبة اي اعتاق انسان كيف ما كان وشرط الشافعي فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى او ايجاب احدى الخصال مطلقا وخيار التعيين للمكلف فمن لم يجد اي شيئا من الامور المذكورة فصيام اي فكفارته صيام ثلثة ايام والتتابع شرط عندنا لقراءة ثلثة ايام متتابعات والشافعي لا يرى السؤال حجة ذلك اي الذي ذكر كفارة ايمانكم اذا حلفتم اي وحنثتم واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها كما يشعر به قوله سبحانه اذا حلفتم وقيل بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خيرا وبان تكفروها اذا حنثتم وقيل احفظوها كيف حلفتم بها ولا تنسوها تهاونا بها كذلك اشارة الى مصدر الفعل الاتي لا الى تبيين اخر مفهوم مما سبق والكاف مقحمة لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحله في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير يبين الله تبيينا كاملا مثل ذلك التبيين فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار نفس المصدر لا نعتا له وقد مر تفصيله في قوله تعالى كذلك جعلناكم امة وسطا اي ذلك البيان البديع يبين الله لكم اياته اعلام شريعته واحكامه لا بيانا ادنى منه وتقديم لكم على المفعول لما مر مرارا لعلكم تشكرون نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب اي الاصنام المنصوبة للعبادة والازلام سلف تفسيرها في اوائل السورة الكريمة رجس قذر تعاف عنه العقول وافراده لانه خبر الخمر وخبر المعطوفات محذوف ثقة بالمذكور او المضاف محذوف اي شان الخمر والميسر الى اخره من عمل الشيطان في محل الرفع على انه صفة رجس اي كائن من عمله لانه مسبب من تسويله وتزيينه فاجتنبوه اي الرجس او ما ذكر لعلكم تفلحون اي راجين فلاحكم وقيل لكي تفلحوا بالاجتناب عنه وقد مر تحقيقه في تفسير قوله لعلكم تتقون في سورة البقرة ولقد اكد تحريم الخمر والميسر في هذه الاية الكريمة بفنون التاكيد حيث صدرت الجملة بانما وقرنا بالاصنام والازلام وسميا رجسا من عمل الشيطان تنبيها على ان تعاطيهما شر بحت وامر بالاجتناب عن عينهما وجعل ذلك سببا يرجى منه الفلاح فيكون ارتكابهما خيبة ومحقة ثم قرن ذلك ببيان ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر وهو اشارة الى مفاسدهما الدنيوية ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة اشارة الى مفاسدهما الدينية وتخصيصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال للتنبيه على ان المقصود بيان حالهما وذكر الاصنام والازلام للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة والشر لقوله عليه الصلوة والسلام شارب الخمر كعابد الوثن وتخصيص الصلوة في الافراد مع دخولها في الذكر للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان لما انها عماده ثم ان الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من اصناف الصوارف فقيل فهل انتم منتهون ايذانا بان الامر في الزجر والتحذير وكشف ما فيهما من المفاسد والشرور قد بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت بالكلية واطيعوا الله واطيعوا الرسول عطف على اجتنبوه اي اطيعوهما في جميع ما امرا به ونهيا عنه واحذروا اي مخالفتهما في ذلك فيدخل فيه مخالفة امرهما ونهيهما في الخمر والميسر دخولا اوليا فان توليتم اي اعرضتم عن الامتثال بما امرتم به من الاجتناب عن الخمر والميسر وعن طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم والاحتراز عن مخالفتهما فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه وخرج عن عهدة الرسالة اي خروج وقامت عليكم الحجة وانتهت الاعذار وانقطعت العلل وما بقي بعد ذلك الا العقاب وفيه من عظم التهديد وشدة الوعيد ما لا يخفى واما ما قيل من ان المعنى فاعلموا انكم لم تضروا بتوليكم الرسول لانه ما كلف الا البلاغ المبين بالايات وقد فعل وانما ضررتم انفسكم حين اعرضتم عما كلفتموه فلا يساعده المقام اذ لا يتوهم منهم ادعاء انهم بتوليهم يضرونه صلى الله عليه حتى يرد عليهم بانهم لا يضرونه وانما يضرون انفسهم ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح اي اثم

لام

تم

واطيعوا الله

تم

وحرج فيما طعموا اي تناولوا اكلا وشربا فان استعماله في الشرب ايضا مستفيض منه قوله تعالى ومن لم يطعمه فانه مني قيل لما نزل الله تعالى تحريم الخمر بعد غزوة الاحزاب قال رجال من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اصيب فلان يوم بدر وفلان يوم احد وهم يشربونها ونحن نشهد انهم في الجنة وفي رواية اخرى لما نزل تحريم الخمر والميسر قالت الصحابة رضي الله عنهم يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر وياكلون مال الميسر وفي رواية اخرى قال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله كيف باخواننا الذين ماتوا وقد شربوا الخمر وفعلوا القمار فنزلت وليست كلمة ما في ما طعموا عبارة عن المباحات خاصة والا لزم تقيد اباحتها باتقاء ما عداها من المحرمات لقوله تعالى اذا ما اتقوا واللازم منتف بالضرورة بل هي على عمومها موصولة كانت او موصوفة وانما تخصصت بذلك القيد الطارئ عليها والمعنى ليس عليهم جناح فيما تناولوه من الماكول والمشروب كائنا ما كان اذا اتقوا ان يكون في ذلك شيء من المحرمات والا لم يكن نفي الجناح في كل ما طعموه بل في بعضه ولا محذور فيه اذ اللازم منه تقيد اباحة الكل بان لا يكون فيه محرم لا تقيد اباحة بعضه باتقاء بعض آخر منه كما هو اللازم من الاول وامنوا وعملوا الصالحات اي واستمروا على الايمان والاعمال الصالحة وقوله تعالى ثم اتقوا عطف على اتقوا داخل معه في حيز الشرط اي اتقوا ما حرم عليهم بعد ذلك مع كونه مباحا فيما سبق وامنوا اي بتحريمه وتقديم الاتقاء عليه اما للاعتناء به او لانه الذي يدل على التحريم الحادث الذي هو المؤمن به او واستمروا على الايمان ثم اتقوا اي ما حرم عليهم بعد ذلك مما كان مباحا من قبل على ان المشروط بالاتقاء في كل مرة اباحة كل ما طعموه في ذلك الوقت لا اباحة كل ما طعموه قبله لانتساخ اباحة بعضه واحسنوا اي عملوا الاعمال الحسنة الجميلة المنتظمة لجميع ما ذكر من الاعمال القلبية والقالبية وليس تخصيص هذه المراتب بالذكر لتخصيص الحكم بها بل لبيان التعدد والتكرر بالغا ما بلغ والمعنى انهم اذا اتقوا المحرمات واستمروا على ما هم عليه من الايمان والاعمال الصالحة وكانوا في طاعة الله ومراعاة اوامره ونواهيه بحيث كلما حرم عليهم شيء من المباحات اتقوه ثم وثم فلا جناح عليهم فيما طعموه في كل مرة من المطاعم والمشارب اذ ليس فيها شيء محرم عند طعمه وانت خبير بان ما عدا اتقاء المحرمات من الصفات الجميلة المذكورة لا دخل لها في انتفاء الجناح وانما ذكرت في حيز اذا شهادة باتصاف الذين سئل عن حالهم بها ومدحا لهم بذلك وحمدا لاحوالهم وقد اشير الى ذلك حيث جعلت تلك الصفات تبعا للاتقاء في كل مرة تمييزا بينها وبين ما له دخل في الحكم فان مساق النظم الكريم بطريق العبارة وان كان لبيان حال المتصفين بما ذكر فيما سياتي بقضية كلمة اذا ما لكنه قد اخرج مخرج الجواب عن حال الماضين لاثبات الحكم في حقهم في ضمن التشريع الكلي على الوجه البرهاني بطريق دلالة النص بناء على كمال اشتهارهم بالاتصاف بها كانه قيل ليس عليهم جناح فيما طعموه اذا كانوا في طاعته تعالى مع ما لهم من الصفات الحميدة بحيث كلما امروا بشيء تلقوه بالامتثال وانما كانوا يتعاطون الخمر والميسر في حياتهم لعدم تحريمها اذ ذاك ولو حرما في عصرهم لاتقوهما بالمرة هذا وقد قيل التكرير باعتبار الاوقات الثلثة او باعتبار الحالات الثلث استعمال الانسان بالتقوى بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله عز وجل ولذلك جيء بالاحسان في الكرة الثالثة بدل الايمان اشارة الى ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم في تفسيره او باعتبار المراتب الثلث المبدا والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغي ان يترك المحرمات توقيا من العقاب والشبهات توقيا من الوقوع في الحرام وبعض المباحات حفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة وقيل التكرير لمجرد التاكيد كما في قوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ونظائره وقيل المراد بالاول اتقاء الكفر وبالثاني اتقاء الكبائر وبالثالث اتقاء الصغائر ولا ريب في انه لا تعلق لهذه الاعتبارات بالمقام فاحسن التامل والله يحب المحسنين تذييل مقرر لمضمون ما قبله ابلغ تقرير يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله جواب قسم محذوف اي والله ليعاملنكم معاملة من يختبركم ليتعرف احوالكم بشيء من الصيد اي من صيد البر ماكولا او غير ماكول ما عدا المستثنيات من الفواسق فاللام للعهد نزلت عام الحديبية ابتلاهم

الله تعالى بالصيد وهم محرمون كانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث كانوا متمكنين من صيدها اخذا بايديهم وطعنا برماحهم وذلك قوله تعالى تناله ايديكم ورماحكم فهموا باخذها فنزلت وروي ان عن لهم حمار وحش فحمل عليه ابو اليسر ابن عمرو فطعنه برمحه وقتله فقيل له قتلته وانت محرم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وساله عن ذلك فانزل الله تعالى الاية فالتاكيد القسمي في ليبلونكم انما هو لتحقيق انما وقع من عدم توحش الصيد عنهم ليس الا الابتلاء لا لتحقيق وقوع المبتلى به كما لو كان النزول قبل الابتلاء وتنكير شيء للتحقير المؤذن بان ذلك ليس من الفتن الهائلة التي تزل فيها اقدام الراسخين كالابتلاء بقتل الانفس واتلاف الاموال وانما هو من قبيل ما ابتلي به اهل الايلة من صيد البحر وفائدته التنبيه على ان من لم يثبت في مثل هذا كيف يثبت في شدائد المحن فمن في قوله تعالى من الصيد بيانية قطعا اي بشيء حقير هو الصيد وجعلها تبعيضية يقتضي اعتبار قلته وحقارته بالنسبة الى كل الصيد لا بالنسبة الى عظائم البلايا فيعرى الكلام عن التنبيه المذكور وليعلم الله من يخافه بالغيب اي ليتميز الخائف من عقابه الاخروي وهو غائب مترقب لقوة ايمانه فلا يتعرض للصيد ممن لا يخافه كذلك لضعف ايمانه فيقدم عليه وانما عبر عن ذلك بعلم الله تعالى اللازم له ايذانا بمدار الجزاء ثوابا وعقابا فانه ادخل في حملهم على الخوف وقيل المعنى ليتعلق علمه تعالى بمن يخافه بالفعل فان علمه تعالى بانه سيخافه وان كان متعلقا به قبل خوفه لكن تعلقه بانه خائف بالفعل وهو الذي يدور عليه امر الجزاء انما يكون عند تحقق الخوف بالفعل وقيل هناك مضاف محذوف والتقدير ليعلم اولياء الله وقرئ ليعلم من الاعلام على حذف المفعول الاول اي ليعلم الله تعالى عباده الى آخره والعلم على القراءتين متعد الى واحد واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وادخال الروعة فمن اعتدى بعد ذلك اي بعد بيان ما وقع ابتلاء من جهته تعالى لما ذكر من الحكمة لا بعد تحريمه او النهي عنه كما قال بعضهم اذ النهي والتحريم ليس امرا حادثا ترتب عليه الشرطية بالفاء ولا بعد الابتلاء كما اختاره الاخرون لان نفس الابتلاء لا يصلح مدارا لتشديد العقاب بل ربما يتوهم كونه عذرا مسوغا لتحقيقه وانما الموجب للتشديد بيان كونه ابتلاء لان الاعتداء بعد ذلك مكابرة صريحة وعدم مبالاة بتدبير الله تعالى وخروج عن طاعته والخلاء عن خوفه وخشيته بالكلية اي فمن تعرض بعد ما بينا ان ما وقع من كثرة الصيد وعدم توحشه منهم ابتلاء مؤد الى تمييز المطيع من العاصي فله عذاب اليم لما ذكر من انه مكابرة محضة ولان من لا يملك زمام نفسه ولا يراعي حكم الله تعالى في امثال هذه البلايا الهينة لا يكاد يراعيه في عظائم المداحض والمراد بالعذاب الاليم عذاب الدارين قال ابن عباس رضي الله عنهما يوسع ظهره وبطنه جلدا وينزع ثيابه يا ايها الذين امنوا شروع في بيان ما يتدارك به الاعتداء من الاحكام اثر بيان ما يلحقه من العذاب والتصريح بالنهي في قوله تعالى لا تقتلوا الصيد وانتم حرم مع كونه معلوما لا سيما قوله تعالى غير محلي الصيد وانتم حرم لتاكيد الحرمة وترتيب ما يعقبه عليه واللام في الصيد للعهد حسبما سلف وحرم جمع حرام وهو المحرم وان كان في الحل وفي حكمه من في الحرم وان كان حلالا كردح جمع رداح والجملة حال من فاعل لا تقتلوا اي لا تقتلوا وانتم محرمون ومن قتله اي الصيد المعهود وذكر القتل في الموضعين دون الذبح للايذان بكونه في حكم الميتة وقيل متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل قتله اي كائنا منكم متعمدا حال منه ايضا اي ذاكرا لاحرامه عالما بحرمة قتل ما يقتله والتقييد بالتعمد مع ان محظورات الاحرام يستوي فيه العمد والخطاء لما ان الاية نزلت في المتعمد كما مر من قصة ابي اليسر ولان الاصل فعل التعمد والخطا لاحق به للتغليظ وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطا وعن سعيد بن جبير رحمه الله لا ارى في الخطا شيئا اخذا باشتراط التعمد في الاية وهو قول داود وعن مجاهد والحسن ان المراد بالتعمد هو تعمد القتل مع نسيان الاحرام اما اذا قتله عمدا وهو ذاكر لاحرامه فلا حكم عليه وامره الى الله عز وجل لانه اعظم من ان يكون له كفارة فجزاء مثل ما قتل برفعهما اي فعليه جزاء مماثل لما قتله وقرئ برفع الاول ونصب الثاني على اعمال المصدر وقرئ بجر الثاني على اضافته الى مفعوله وقرئ فجزاؤه مثل ما قتل على الابتداء والخبرية

وقري بنصبهما على تقدير فليجز جزاء وفعليه ان يجزي جزاء مثل ما قتل والمراد به عند ابي حنيفة وابي يوسف المثل باعتبار
القيمة يقوم الصيد حيث صيد او في اقرب الاماكن اليه فان بلغت قيمته قيمة هدي تخير الجاني بين ان يشتري بها
ما قيمته قيمة الصيد فيهدي به الى الحرم وبين ان يشتري بها طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من
غيره وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما فان فضل ما لا يبلغ طعام مسكين تصدق به او صام عنه يوما
كاملا اذ لم يعهد في الشرع صوم ما دونه فيكون قوله تعالى من النعم بيانا للهدي المشتري بالقيمة على احد وجوه
التخيير فان من فعل ذلك يصدق عليه انه جزي بمثل ما قتل من النعم وعند مالك والشافعي ومن يرى رايهما هو المثل
باعتبار الخلقة والهيئة لان الله اوجب مثل المقتول مقيدا بالنعم فمن اعتبر المثل بالقيمة فقد خالف النص وعن
الصحابة رضي الله عنهم انهم اوجبوا في النعامة بدنة وفي الظبي شاة وفي حمار الوحش بقرة وفي الارنب عناقا
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الضبع صيد وفيه شاة اذا قتله المحرم ولنا ان النص وجب المثل والمثل المطلق
في الكتاب والسنة واجماع الامة والمعقول يراد به اما المثل صورة ومعنى واما المثل معنى واما المثل صورة بلا
معنى فلا اعتبار له في الشرع اصلا واذ لم يكن ارادة الاول اجماعا تعينت ارادة الثاني لكونه معهودا في الشرع
كما في حقوق العباد الا يرى ان المماثلة بين افراد نوع واحد مع كونها في غاية القوة والظهور لم يعتبرها الشرع
ولم يجعل الحيوان عند الاتلاف مضمونا بفرد آخر من نوعه مماثل له في عامة الاوصاف بل مضمونا بقيمته مع ان النصوص
عليه في امثاله انما هو المثل كقوله تعالى فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم فحيث لم تعتبر تلك المماثلة القوية مع
تيسير معرفتها وسهولة مراعاتها فلان لا تعتبر ما بين افراد انواع مختلفة من المماثلة الضعيفة الخفية مع
صعوبة ماخذها وتعسر المحافظة عليها اولى واحرى لان القيمة قد اريدت فيما لا نظير له اجماعا فلم يبق غيرها
مرادا اذ لا عموم للمشترك في مواقع الاثبات والمراد بالمروي ايجاب النظير باعتبار القيمة لا باعتبار العين ثم موجب
الاصلي للجناية والجزاء المماثل للمقتول انما هو قيمته لكن لا باعتبار ان يعمد الجاني اليها فيصرفها الى المصارف
ابتداء بل باعتبار ان يجعلها معيارا فيقدر بها احدى الخصال الثلث فيقيمها مقامها فقوله تعالى مثل ما قتل
وصف لازم للجزاء غير مفارق عنه بحال واما قوله تعالى من النعم فوصف له معتبر في ثاني الحال بناء على وصفه
الاول الذي هو الهيئة ولما بعده من الطعام والصيام فحقهما ان يعطفا على الوصف المفارق لا على الوصف
اللازم فضلا عن العطف على الموصوف كما سياتي باذن الله ومما يرشدك الى ان المراد بالمثل هو القيمة قوله عز وجل
يحكم به اي بمثل ما قتل ذوا عدل منكم اي حكمان عادلان من المسلمين لكن لا لان التقويم هو الذي يحتاج الى النظر و
الاجتهاد من العدول دون الاشياء المشاهدة التي يستوي في معرفتها كل احد من الناس فان ذلك ناشئ من الغفلة
عما ارادوا به بما به المماثلة بل لان ما جعلوه مدارا للمماثلة بين الصيد وبين النعم من ضرب مشاكلة ومضاهاة في
بعض الاوصاف والهيئات مع تحقق التباين بينهما في بقية الاحوال مما لا يهتدي اليه من اساطين ائمة الاجتهاد
وصناديد اهل الهداية والارشاد الا الموئدون بالقوة القدسية الا يرى ان الامام الشافعي اوجب في
قتل الحمامة شاة بناء على ما اثبت بينهما من المماثلة من حيث ان كلا منهما تعب وتهدر مع ان النسبة بينهما من
سائر الحيثيات كما بين الضب والنون فكيف يفوض معرفة امثال هذه الدقائق الغوامض الى راي عدلين
من احاد الناس على ان الحكم بهذا المعنى انما يتعلق بالانواع لا بالاشخاص فبعدما عين بمقابلة كل نوع من انواع
الصيد ونوع من انواع النعم تم الحكم ولا يبقى عند وقوع خصوصيات الحوادث حاجة الى حكم اصلا وقري
يحكم به ذو عدل على ارادة جنس العادل دون الوحدة وقيل بل على ارادة الامام والجملة صفة الجزاء او حال
منه لتخصصه بالصفة وقوله تعالى هديا حال مقدر من الضمير في به او من جزاء لما ذكر من تخصصه بالصفة
او بدل من مثل فيمن نصبه او من محله فيمن جر او نصب على المصدر اي يهديه هديا والجملة صفة اخرى لجزاء
بالغ الكعبة صفة لهديا لان الاضافة غير حقيقية طعام مساكين عطف على محل من النعم على انه خبر مبتدا

اوكفارة

محذوف

محذوف والجملة صفة ثانية لجزا كما اشير اليه وقوله طعام مساكين عطف على بيان لكفارة عند من
لا يخصه بالمعارف او بدل منه او خبر مبتدا محذوف اي هي طعام مساكين وقوله تعالى او عدل ذلك صياما
عطف على طعام الى آخره كانه قيل فعليه جزاء مماثل للمقتول هو من النعم او طعام مساكين او صيام ايام
بعددهم فحينئذ يكون المماثلة وصفا لازما للجزاء ويقدر به الهدي والطعام والصيام اما الاولان
فبلا واسطة اما الثالث فبواسطة الثاني فيختار الجاني كلا منهما بدلا من الآخرين هذا وقد قيل ان قوله تعالى
او كفارة طعام عطف على جزاء فلا يبقى حينئذ في النظم الكريم ما يقدر به الطعام والصيام والالتجاء
الى القياس على الهدي تعسف لا يخفى هذا على قراءة جزاء بالرفع وعلى سائر القراءات فقوله تعالى او كفارة
خبر مبتدا محذوف والجملة معطوفة على جملة هو من النعم وقري او كفارة طعام مساكين بالاضافة
لتبيين نوع الكفارة وقري طعام مسكين على ان التبيين يحصل بالواحد الدال على الجنس وقري او
عدل بكسر العين والفرق بينهما ان عدل الشيء ما عدل له من غير جنسه كالصوم والاطعام وعدله ما عدل
به في المقدار كان المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز
للعدل والخيار في ذلك للجاني عند ابي حنيفة وابي يوسف وللحكمين عند محمد ليذوق وبال امره متعلق بالاستقرار
في الجار والمجرور اي فعليه جزاء ليذوق الى آخره وقيل بفعل يدل عليه الكلام كانه قيل شرع ذلك عليه ليذوق
وبال امره اي سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام والوبال في الاصل المكروه والضرر الذي ينال في
العاقبة من عمل سوء لثقله ومنه قوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا ومنه الطعام الوبيل وهو الذي لا
تستمرئه المعدة عفا الله عما سلف من قتل الصيد محرما قبل ان تسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل عما سلف منه في الجاهلية لانهم كانوا متعبدين بشرايع من قبلهم وكان الصيد فيها محرما ومن عاد
الى قتل الصيد بعد النهي عنه وهو محرم فينتقم الله منه خبر مبتدا محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه
ولذلك دخلت الفاء كقوله تعالى فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا اي فلذلك لا يخاف الى آخره
وقوله تعالى فمن كفر فامتعه قليلا اي فانا امتعه والمراد بالانتقام التعذيب في الآخرة واما الكفارة فعن
عطاء وابرهيم وسعيد بن جبير والحسن انها واجبة على العائد وعن ابن عباس رضي الله عنه وعنهم
وشريح ان الكفارة عليه تعلقا بالظاهر والله عزيز غالب لا يغالب ذو انتقام شديد فينتقم ممن
اصر على المعصية والاعتداء احل لكم الخطاب للمحرمين صيد البحر اي ما يصاد في المياه كلها بحرا كان او
نهرا وغديرا وهو ما لا يعيش الا في الماء ماكولا كان او غير ماكول وطعامه اي ما يطعم من صيده وهو
تخصيص بعد تعميم والمعنى احل لكم التعرض لجميع ما يصاد في المياه والانتفاع به واكل ما يوكل منه وهو السمك
عندنا وعند ابي ليلى جميع ما يصاد فيه على ان تفسير الآية عنده احل لكم صيد حيوان البحر وان تطعموه وقري
وطعمه وقيل صيد البحر ما صيد فيه وطعامه ما قذفه او نضب عنه متاعا لكم نصب على انه مفعول
له مختص بالطعام كما ان نافلة في قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة حال مختصة بيعقوب
عليه السلام اي احل لكم طعامه تمتيعا للمقيمين منكم ياكلونه طريا وللسيارة منكم يتزودونه قديدا وقيل
على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر اي متعكم فيه متاعا وقيل مؤكد لمعنى احل لكم فانه في قوة متعكم به
تمتيعا كقوله تعالى كتاب الله عليكم وحرم عليكم صيد البر وقري على بناء الفعل للفاعل ونصب صيد البر
والبحر وهو ما يفرخ فيه وان كان يعيش في الماء في بعض الاوقات كطير الماء ما دمتم حرما اي محرمين
وقري بكسر الدال من دام وظاهره يوجب حرمة ما صاده الحلال على المحرم وان لم يكن له فيه مدخل
وهو قول عمر وابن عباس رضي الله عنهما وعن ابي هريرة وعطا ومجاهد وسعيد بن جبير انه يحل له اكل ما
صاده الحلال وان صاده لاجله اذا لم يشر اليه ولم يدل عليه وكذا ما ذبحه قبل احرامه وهو مذهب

ابي حنيفة لان الخطاب للمحرمين فكانه قيل وحرم عليكم ما صدتم في البر فيخرج منه مصيد غيرهم وعند الشافعي ومالك
واحمد لا يباح له ما صيد **واتقوا الله** فيما نهاكم عنه او في جميع المعاصي التي من جملتها ذلك **الذي اليه تحشرون** لا الى
غيره حتى يتوهم الخلاص من اخذه تعالى بالالتجاء اليه **جعل الله الكعبة** قال مجاهد سميت الكعبة كعبة لكونها مكعبة
مربعة **وقيل** لانفرادها من البناء **وقيل** لارتفاعها من الارض ونتوها **البيت الحرام** عطف بيان على جهة المدح دون
التوضيح كما تجي الصفة كذلك **وقيل** مفعول ثان لجعل وقوله تعالى **قياما للناس** نصب على الحال ويرده عطف على ما
بعده على المفعول الاول كما سيجي بل هذا هو المفعول الثاني **وقيل** الجعل بمعنى الانشاء والخلق وهو حال كما مر ومعنى
كونه قياما لهم انه مدار لقيام امر دينهم ودنياهم اذ هو سبب لانتعاشهم في امور معاشهم ومعادهم يلوذ به
الخائف ويامن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار **وقرى** قيما على انه مصدر على وزن
شبع اعل عينه بما اعل في فعله **والشهر الحرام** اي الذي يؤدي فيه الحج وهو ذو الحجة **وقيل** جنس الشهر الحرام وهو وما
بعده عطف على الكعبة فالمفعول الثاني محذوف ثقة بما مر اي وجعل الشهر الحرام **والهدي والقلايد** ايضا قياما لهم
والمراد بالقلايد ذوات القلايد وهي البدن خصت بالذكر لان الثواب فيها اكثر وبهاء الحج بها اظهر **ذلك** اشارة
الى الجعل المذكور خاصة او مع ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره ۰ ومحله النصب بفعل مقدر يدل عليه السياق
وهو العامل في اللام بعده اي شرع ذلك **لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض** فانه تشريع هذه الشرايع المستتبعة
لدفع المضار الدينية والدنيوية قبل وقوعها وجلب المنافع الاولوية والاخروية من اوضح الدلايل على حكمة الشارع
وعدم خروج شيء من علمه المحيط وقوله تعالى **وان الله بكل شيء عليم** تعميم اثر تخصيص للتاكيد ويجوز ان يراد بما
في السموات والارض الاعيان الموجودة فيهما وبكل شيء الامور المتعلقة بتلك الموجودات من العوارض والاحوال
التي هي من قبيل المعاني **اعلموا ان الله شديد العقاب** وعيد لمن انتهك محارمه او اصر على ذلك وقوله تعالى **وان الله غفور
رحيم** وعد لمن حافظ على مراعاة حرماته تعالى او اقلع عن الانتهاك بعد تعاطيه ووجه تقديم الوعيد ظاهر **ما على
الرسول الا البلاغ** تشديد في ايجاب القيام بما امر به اي الرسول قد اتى بما وجب عليه من التبليغ بما لا مزيد عليه
وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم من بعد في التفريط **والله يعلم ما تبدون وما تكتمون** فيؤاخذكم بذلك
نقيرا وقطميرا **قل لا يستوي الخبيث والطيب** حكم عام في نفي المساوات عند الله تعالى بين الردي من الاشخاص و
الاعمال والاموال وبين جيدها قصد به الترغيب في جيد كل منها والتحذير عن رديها وان كان سبب النزول
شريح بن ضبيعة البكري الذي في تفسير قوله يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعاير الله **وقيل** نزل في رجل سال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الخمر كانت تجارتي واني استفدت من بيعها مالا فهل ينفعني من ذلك المال
ان عملت فيه بطاعة الله تعالى **فقال** النبي صلى الله عليه وسلم ان انفقته في حج او جهاد او صدقة لم يعدل
جناح بعوضة ان الله تعالى لا يقبل الا الطيب **وقال** عطاء والحسن رحمهما الله الخبيث والطيب الحرام والحلال
وتقديم الخبيث في الذكر للاشعار من اول الامر بان القصور الذي ينبي عنه الاستواء فيه لا في مقابله فان مفهوم
عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب الزايد زيادة الزايد لكن المتبادر
اعتباره بحسب قصور القاصر كما في قوله تعالى قل هل يستوي الاعمى والبصير الى غير ذلك واما قوله تعالى هل يستوي
الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لما ان صلته ملكة الصلة المفضول **ولو اعجبك كثرة الخبيث**
اي وان سرك كثرته والخطاب لكل واحد من الذين امر النبي صلى الله عليه وسلم بخطابهم والواو لعطف الشرطية على
مثلها المقدر اي لو لم تعجبك كثرة الخبيث ولو اعجبتك وكلتاهما في موقع الحال من فاعل لا يستوي اي لا يستويان
كاينين على كل حال مفروض كما في قولك احسن الى فلان وان اساء اليك اي احسن اليه ان لم يسي اليك وان اساء
اليك اي كاينا على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة فان الشي
اذا تحقق مع المعارض فلان يتحقق بدونه اولى وعلى هذا السر يدور ما في لو وان الوصليتين من المبالغة والتاكيد

وجواب لو محذوف في الجملتين لدلالة ما قبلها عليه وسياتي تمام تحقيقه في مواقع عديدة باذن الله عز وجل **فاتقوا
الله يا اولي الالباب** في تحري الخبيث وان كثر واثروا عليه الطيب وان قل فان مدار الاعتبار هو الجودة والرداءة لا الكثرة
والقلة فالمحمود القليل خير من المذموم الكثير بل كلما كثر الخبيث كان اخبث لعلكم تفلحون راجين ان تنالوا الفلاح
يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشياء هو اسم جامع على راي الخليل وسيبويه وجمهور البصريين كطرفاء وقصباء اصله
شياء بهمزتين بينهما الف فقلبت الكلمة بتقديم لامها على فايها فصار وزنها لفعاء ومنعت الصرف لالف التانيث
الممدودة **وقيل** هو جمع شيء على انه مخفف من شيء كهين مخفف من هين والاصل اشياء كاهوناء بزنة افعلاء
فاجتمعت همزتان لام الكلمة والتي للتانيث اذ الالف كالهمزة فخففت الهمزة بان قلبت ياء لانكسار ما قبلها فصار
اشيايا فاجتمعت ياآن اوليهما عين الكلمة فخففت تخفيفا فصارت اشياء فوزنها افلاء ومنعت الصرف لالف
التانيث **وقيل** انما حذفت من اشياء الياء المنقلبة من الهمزة التي هي لام الكلمة وفتحت الياء المكسورة لتسلم
الف الجمع فوزنها افعاء وقوله تعالى **ان تبد لكم تسؤكم** صفة لاشياء داعية الى الانتهاء عن السؤال عنها وحيث كانت
المساءة في هذه الشرطية معلقة بابدايها لا بالسؤال عنها عقبت بشرطية اخرى ناطقة باستلزام السؤال عنها لابدايها
الموجب للمحذور قطعا فقيل **وان تسالوا عنها حين ينزل القران تبد لكم** اي تلك الاشياء الموجبة للمساءة بالوحي كما ينبي
عنه تقييد السؤال بحين التنزيل والمراد بها ما يشق عليهم ويغمهم من التكاليف الصعبة التي لا يطيقون بها
والاسرار الخفية التي يفتضحون بظهورها ونحو ذلك مما لا خير فيه فكما ان السؤال عن الامور الواقعة مستتبع لابدايها
كذلك السؤال عن تلك التكاليف مستتبع لايجابها عليهم بطريق التشديد لاساءتهم الادب واجترائهم على
المسئلة والمراجعة وتجاوزهم عما يليق بشانهم من الاستسلام لامر الله عز وجل من غير بحث فيه ولا تعرض
لكيفية وكمية اي لا تكثروا مسئلة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما لا يعنيكم من نحو تكاليف شاقة عليكم ان
افتاكم بها وكلفكم اياها حسبما اوحي اليه لم تطيقوا بها ونحو بعض امور مستورة تكرهون بروزها وذلك
مثل ما روي عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه انه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله
تعالى واثنى عليه ثم قال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فقام رجل من بني اسد يقال له عكاشة بن محصن **وقيل**
هو سراقة بن مالك **فقال** افي كل عام يا رسول الله فاعرض عنه حتى اعاد مسئلته ثلث مرات **فقال** رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويحك وما يومنك ان اقول نعم والله لو اقول نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم
لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سوالهم واختلافهم على انبيايهم فاذا امرتكم بامر فخذوا
منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه **ومثل ما روي** عن انس وعن ابي هريرة رضي الله عنهما انه سئل
الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء حتى احفوه من المسئلة فقام عليه الصلوة والسلام مغضبا خطيبا
فحمد الله تعالى واثنى عليه **فقال** سلوني فوالله لا تسالوني عن شيء ما دمت في مقامي هذا الا بينته لكم فاشفق
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان يكون بين يدي امر قد حضر **قال** انس رضي الله عنه فجعلت التفت يمينا
وشمالا فلا اجد رجلا الا وهو لاف راسه في ثوبه يبكي فقام رجل من قريش من بني سهم يقال له عبد الله بن
حذافة اذا لاحى الرجال يدعى الى غير ابيه وقال يا نبي الله من ابي **فقال** عليه الصلوة والسلام ابوك حذافة بن قيس
الزهري وقام آخر وقال اين ابي **قال** عليه الصلاة والسلام في النار **ثم قام** عمر رضي الله عنه فقال رضينا
بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا وبنيا نعوذ بالله تعالى من الفتن انا حديثو عهد بجاهلية وشرك
فاعف عنا يا رسول الله فسكن غضبه صلى الله عليه وسلم **عفا الله عنها** استيناف مسوق لبيان ان نهيهم
عنها لم يكن لمجرد صيانتهم عن المسئلة بل لانها في نفسها معصية مستتبعة للمواخذة وقد عفي عنها وفيه من حثهم
على الجد في الانتهاء عنها ما لا يخفى وضمير عنها للمسئلة المدلول عليها بلا تسالوا اي عفا الله تعالى عن مسايلكم
السالفة حيث لم يفرض عليكم الحج في كل عام جزاء بمسئلتكم وتجاوز عن عقوبتكم الاخروية بساير مسايلكم فلا

تعودوا الى مثلها واما جعله صفة اخرى لاشياء على ان الضمير لها بمعنى لا تسالوا عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلفكم
اياها فمما لا سبيل اليه اصلا لاقتضائه ان يكون الحج قد فرض اولا في كل عام ثم نسخ بطريق العفو وان يكون ذلك معلوما
للمخاطبين ضرورة ان حق الوصف ان يكون معلوم الثبوت للموصوف عند المخاطب قبل جعله وصفا له وكلاهما ضروري
الانتفاء قطعا على انه يستدعي اختصاص النهي بمسائلة الحج ونحوها ان سلم وقوعها مع ان النظم الكريم صريح في انه مسوق
للنهي عن السوال عن الاشياء التي يسوءهم ابداؤها سواء كانت من قبيل الاحكام والتكاليف الموجبة لمساءتهم باساتها وايجابها
بسبب السوال عقوبة وتشديدا كمسئلة الحج لولا عفوه تعالى عنها او من قبيل الامور الواقعة قبل السوال الموجبة
للمساءة بالاخبار بها كمسئلة من قال اين ابي ان قلت تلك الاشياء غير موجبة للمساءة البتة بل هي محتملة للايجاب
المسرة ايضا لان ايجابها للاولى ان كان من حيث وجودها فهي من حيث عدمها موجبة للاخرى قطعا وليست احدى
الحيثيتين محققة عند السائل وانما غرضه من السوال ظهورها كيف كانت بل ظهورها بحيثية ايجابها للمسرة فلم عبر
عنها بحيثية ايجابها للمساءة قلت للتحقيق المنهي عنه كما ستعرفه مع ما فيه من تاكيد النهي وتشديده لان تلك
الحيثية هي الموجبة للانتهاء والانزجار لا حيثية ايجابها للمساءة مستلزم لابدائها البتة كما مر فلم تتخلف الابداء
عن السوال في مسئلة الحج حيث لم يفرض في كل عام قلنا لوقوع السوال قبل ورود النهي وما ذكر في الشرطية انما هو
السوال الواقع بعد وروده اذ هو الموجب للتغليظ والتشديد ولا تخلف فيه ان قيل ما ذكرته انما يتمشى فيما اذا كان
السوال عن الامور المترددة بين الوقوع وعدمه كما ذكر من التكاليف الشاقة واما اذا كان عن الامور الواقعة قبله
فلا يكاد يتمشى لان ما يتعلق به الابداء هو الذي وقع في نفس الامر ولا مرد له سواء كان السوال قبل النهي او بعده
وقد يكون الواقع ما يوجب المسرة كما في مسئلة عبد الله بن حذافة فيكون هو الذي يتعلق به الابداء لا غير فيتعين
التخلف حتما قلنا لا احتمال للتخلف فضلا فضلا عن التعين فان المنهي عنه في الحقيقة انما هو السوال عن الاشياء الموجبة
للمساءة الواقعة في نفس الامر قبل السوال كسوال من قال اين ابي لان ما يعمها وغيرها مما ليس بواقع لكنه محتمل للوقوع
عند المكلفين حتى يلزم التخلف في صورة الوقوع وجملة الكلام ان مدلول النظم الكريم بطريق العبارة انما هو النهي
عن السوال عن الاشياء التي يوجب ابداؤها المساءة البتة اما بان يكون تلك الاشياء بعرضية الوقوع
فتبدى عند السوال بطريق الانشاء عقوبة وتشديدا كما في صورة كونها من قبيل التكاليف الشاقة واما بان يكون
واقعة في نفس الامر قبل السوال فتبدى عنده بطريق الاخبار بها فالتخلف ممتنع في الصورتين معا ومنشاء
توهمه عدم الفرق بين المنهي عنه وبين غيره بناء على عدم امتياز ما هو موجود او بعرضية الوجود من تلك الاشياء
في نفس الامر وما ليس كذلك عند المكلفين وملاحظتهم للكل باحتمال الوجود والعدم وفائدة هذا الابهام الانتهاء
من تلك الاشياء على الاطلاق وحذارا ابداء المكروه **والله غفور رحيم** اعتراض تذييلي مقرر لعفوه تعالى اي مبالغ
في مغفرة الذنوب والاغضاء عن المعاصي ولذلك عفا عنكم ولم يواخذكم بعقوبة ما فرط منكم **قد سالها قوم** اي سالوا
هذه المسئلة لكن لا عينها بل مثلها في كونها محظورة ومستتبعة للوبال وعدم التصريح بالمثل للمبالغة في التحذير
من قبلكم متعلق بسالها **ثم اصبحوا بها** اي بسببها او بمرجوعها **كافرين** فان بني اسرائيل كانوا يستفتون انبياءهم
في اشياء فاذا امروا بها تركوها فهلكوا **ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام** رد وابطال لما ابتدعه اهل الجاهلية
حيث كانوا اذا انتجت الناقة خمسة ابطن اخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وحرموا ركوبها ودرها ولا تطرد من
ماء ولا مرعى وكان يقول الرجل اذا برئت من مرضي او قدمت من سفري فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم
الانتفاع بها **وقيل** كان الرجل اذا اعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث اذا ولدت الشاة انثى فهي لهم
واذا ولدت ذكرا فهو لالهتهم فان ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لالهتهم واذا انتج من صلب
الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى ما جعل ما شرع وما
وضع ولذلك عدي الى مفعول واحد هو بحيرة وما عطف عليها ومن مزيدة لتاكيد النفي فان الجعل التكويني كما يجيء تارة

للمسرة ولا حيثية ترددها بين الايجابين ان قيل الشرطية الثانية ناطقة بان السوال عن تلك الاشياء الموجبة ...

متعديا الى مفعولين واخرى الى واحد كذلك الجعل التشريعي يجيء مرة متعديا الى مفعولين كما في قوله تعالى
جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس واخرى الى واحد كما في الاية **ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب**
حيث يفعلون ما يفعلون ويقولون الله امرنا بهذا وامامهم عمرو بن لحي فانه اول من فعل هذه الافاعيل الباطلة
هذا شان رؤسائهم وكبارهم **واكثرهم** وهم اراذلهم الذين يتبعونهم من معاصري رسول الله صلى الله عليه
وسلم كما يشهد به سياق النظم الكريم **لا يعقلون** انه افتراء باطل حتى يخالفوهم ويهتدوا الى الحق بانفسهم فيبقون
في اسر التقليد وهذا بيان لقصور عقولهم وعجزهم عن الاهتداء بانفسهم وقوله عز وجل **واذا قيل لهم** اي للذين
عبر عنهم باكثرهم على سبيل الهداية والارشاد **تعالوا الى ما انزل الله** من الكتاب المبين للحلال والحرام **والى الرسول** الذي
انزل هو عليه لتقفوا على حقيقة الحال وتميزوا الحرام من الحلال **قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا** بيان لعنادهم
واستعصائهم على الهادي الى الحق وانقيادهم للداعي الى الضلال **اولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون** قيل
الواو للحال دخلت عليها الهمزة للانكار والتعجيب اي احسبهم ذلك ولو كان اباؤهم جهلة ضالين **وقيل** للعطف
على شرطية اخرى مقدرة قبلها وهو الاظهر والتقدير احسبهم ذلك او يقولون هذا القول لو لم يكن اباؤهم
لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب ولو كانوا لا يعلمون الى اخره وكلتاهما في موقع الحال اي احسبهم
ما وجدوا عليه اباءهم كائنين على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى في الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية
عليها دلالة واضحة كيف لا وان الشيء اذا تحقق عند المانع فلان يتحقق عند عدمه اولى كما في قولك احسن
الى فلان وان اساء اليك اي احسن اليه وان لم يسئ اليك وان اساء اي احسن اليه كائنا على كل حال مفروض
وقد حذفت الاولى لدلالة الثانية عليها دلالة ظاهرة اذ الاحسان حيث امر به عند المانع فلان يؤمر به عند
عدمه اولى وعلى هذا السر يدور ما في ان ولو الوصليتين من المبالغة والتاكيد وجواب لو محذوف لدلالة
ما سبق عليه اي لو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون حسبهم ذلك او يقولون ذلك وما في لو من معنى
الامتناع والاستبعاد انما هو بالنظر الى زعمهم لا الى نفس الامر وفائدة المبالغة في الانكار والتعجيب ببيان
ان ما قالوه موجب للانكار والتعجيب اذا كان كون ابائهم جهلة ضالين في حيز الاحتمال البعيد فكيف اذا
كان ذلك واقعا لا ريب فيه وقيل مآل الوجهين واحد لان الجملة المقدرة حال فكيف ما عطف عليها وانت
خبير بان الحال على الوجه الاخير مجموع الجملتين لا الاخيرة فقط وان الواو للعطف لا للحال وقد مر التحقيق
في قوله تعالى اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون فتدبر **يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم** اي الزموا امر انفسكم
واصلاحها **وقرئ** بالرفع على الابتداء اي واجبة عليكم انفسكم وقوله عز وجل **لا يضركم من ضل اذا اهتديتم** اما
مجزوم على انه جواب للامر او نهي مؤكد له وانما ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة
اذ الاصل لا يضرركم ويؤيده القراءة بفتح الراء لا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره
واما مرفوع على انه كلام مستانف في موقع التعليل لما قبله ويعضدها قراءة من قرا لا يضيركم اي لا يضركم ضلال
من ضل اذا كنتم مهتدين ولا يتوهمن ان فيه رخصة في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع استطاعتهما
كيف لا ومن جملة الاهتداء ان ينكر على المنكر حسبما تفي به الطاقة قال صلى الله عليه وسلم من راى منكم منكرا
فاستطاع ان يغيره فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه **وقد روي** ان الصديق رضي
الله عنه قال يوما على المنبر يا ايها الناس انكم تقرءون هذه الاية وتضعونها غير موضعها ولا تدرون ما هي
واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا راوا منكرا فلم يغيروا عمهم الله بعقاب
فامروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ولا تغتروا بقول الله عز وجل يا ايها الذين امنوا الاية فيقول احدكم
علي نفسي والله لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليستعملن الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب
ثم ليدعون خياركم فلا يستجاب لهم **وعنه** صلى الله عليه وسلم ما من قوم عمل فيهم منكر او سن فيهم قبيح

قراءة من قرأ مهم

فلم يغيّروه ولم ينكروه الا وحق على الله ان يعمّهم بالعقوبة جميعا ثم لا يستجاب لهم والاية نزلت لما كان المومنون
يتحسّرون على الكفرة وكانوا يتمنون ايمانهم وهم من الضلال بحيث لا يكادون يرعوون عنه بالامر والنهي وقيل كان
الرجل اذا اسلم لاموه وقالوا له سفهت اباءك وضللتهم اي نسبتهم الى السفاهة والضلال فنزلت تسلية
له بان ضلال اباءه لا يضره ولا يشينه الى الله لا الى احد سواه مرجعكم رجوعكم يوم القيمة جميعا بحيث لا يتخلف
عنه احد من المهتدين وغيرهم فينبئكم بما كنتم تعملون في الدنيا من اعمال الهداية والضلال فهو وعد ووعيد للفريقين وتنبيه
على ان احدا لا يواخذ بعمل غيره يا ايها الذين امنوا استيناف مسوق لبيان الاحكام المتعلقة بامور دينهم ودنياهم
وتصديره بحرف النداء والتنبيه لاظهار كمال العناية بمضمونه وقوله عز وجل شهادة بينكم بالرفع والاضافة
الى الظرف وتوسعا اما باعتبار جريانها بينهم او باعتبار تعلقها بما يجري بينهم من الخصومات مبتداء وقوله
تعالى اذا حضر احدكم الموت اي شارفه وظهرت علائمه ظرف لها وتقديم المفعول لافادة كمال تمكن الفاعل عند
النفس وقت وروده عليها فانه ادخل في تهويل امر الموت وقوله تعالى حين الوصية بدل منه لا ظرف للموت
كما توهم ولا لحضوره كما قيل فان في الابدال تنبيها على ان الوصية من المهمات المقررة التي لا ينبغي ان يتهاون
بها المسلم ويذهل عنها وقوله تعالى اثنان خبر للمبتدأ بتقدير المضاف اي شهادة بينكم حينئذ شهادة اثنين
او فاعل الشهادة بينكم على ان خبرها محذوف اي فيما نزل عليكم او ليشهد بينكم اثنان وقرئ شهادة بالرفع
والتنوين والاعراب كما سبق وقرئ الشهادة بالنصب والتنوين على ان عاملها مضمر هو الفاعل في اثنان
ايضا اي ليقيم شهادة بينكم اثنان ذوا عدل منكم اي من اقاربكم لانهم اعلم باحوال الميت وانصح له واقرب
الى تحري ما هو اصلح له وقيل من المسلمين وهما صفتان لاثنان او اخران عطف على اثنان تابع له فيما
ذكر من الخبرية والفاعلية اي او شهادة اخرين وان يشهد بينكم اخران وليقيم شهادة بينكم اخران
وقوله تعالى من غيركم صفة لاخران اي كائنان من غيركم اي من الاجانب وقيل من اهل الذمة وقد كان
ذلك في بدء الاسلام لعزة وجود المسلمين لا سيما في السفر ثم نسخ وعن مكحول انه نسخها قوله تعالى
واشهدوا ذوي عدل منكم ان انتم مرفوع بمضمر يفسره ما بعده تقديره اي ضربتم فلما حذف الفعل
انفصل الضمير وهذا راي جمهور البصريين وذهب الاخفش والكوفيون الى انه مبتداء بناء على جواز وقوع المبتدأ
بعد ان الشرطية كجواز وقوعه بعد اذا فقوله تعالى ضربتم في الارض اي سافرتم فيها لا محل له من الاعراب
عند الاولين لكونه مفسرا ومرفوع على الخبرية عند الباقين وقوله تعالى فاصابتكم مصيبة الموت عطف على الشرط
وجوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان سافرتم فقاربكم الاجل حينئذ وما معكم من الاقارب او من
اهل الاسلام من يتولى امر الشهادة كما هو الغالب المعتاد في الاسفار فليشهد اخران او فاستشهدوا اخرين
او فالشاهدان اخران كما قيل والانسب ان يقدر عين ما سبق اي فاخران على معنى شهادة بينكم شهادة
اخرين او فان يشهد اخران على الوجوه المذكورة ثمه وقوله تعالى تحبسونهما استيناف وقع جوابا عما نشا
من اشتراط العدالة كانه قيل فكيف نصنع ان ارتبنا بالشاهدين فقيل تحبسونهما اي تقفونهما وتصبرونهما
للتحليف من بعد الصلوة وقيل هو صفة لاخران والشرط بجوابه المحذوف اعتراض فايدته الدلالة على ان اللائق
اشهاد الاقارب او اهل الاسلام واما اشهاد الاخرين فعند الضرورة الملجئة اليه وانت خبير بانه يقتضي
اختصاص الحبس بالاخرين مع شموله للاولين ايضا قطعا على ان اعتبار اتصافهما بذلك يا باه مقام الامر
باشهادهما اذ ما له فاخران شانهما الحبس والتحليف وان امكن اتمام التقريب باعتبار قيد الارتياب بهما كما
يفيده اعتراض الاتي والمراد بالصلوة صلوة العصر وعدم تعيينها لتعيينها عندهم بالتحليف بعدها لانه وقت
اجتماع الناس وتصادم ملايكة الليل وملايكة النهار ولان جميع اهل الاديان يعظمونه ويجتنبون
فيه الحلف الكاذب وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم وقد حلف من حلف كما سياتي وقيل بعد اي

صلوة

صلوة كانت لانها داعية بالنطق الى الصدق وناهية عن الكذب والزور ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فيقسمان
بالله عطف على تحبسونهما وقوله تعالى ان ارتبتم شرطية محذوفة الجواب لدلالة ما سبق من الحبس والاقسام عليه
سيقت من جهته تعالى معترضة بين القسم وجوابه للتنبيه على اختصاص الحبس والتحليف بحال الارتياب اي ان ارتاب
بهما الوارث منكم بخيانة واخذ شيء من التركة فاحبسوهما وحلفوهما بالله وقوله عز وجل لا نشتري به ثمنا جواب
للقسم وليس هذا من قبيل ما اجتمع فيه قسم وشرط فاكتفي بذكر جواب سابقهما عن جواب الاخر كما هو الواقع غالبا فان
ذلك انما يكون عند سد جواب السابق مسد جواب اللاحق لاتحاد مضمونهما كما في قولك والله ان اتيتني لاكر
ولا ريب في استحالة ذلك هاهنا لان القسم وجوابه كلاهما وقد عرفت ان الشرط من جهته عز وجل والاشتراء هو الا
السلعة بالثمن اي اخذها بدلا منه لا بذله لتحصيلها كما قيل وان كان مستلزما له فان المعتبر في عقد الشرى ومفهومه
هو الجلب دون السلب المعتبر في عقد البيع ثم استعير لاخذ شيء بازالة ما عنده عينا كان او معنى على وجه الرغبة
في الماخوذ والاعراض عن الزايل كما هو المعتبر في المستعار منه حسبما مر تفصيله في تفسير قوله تعالى اولئك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى والضمير في به لله والمعنى لا نأخذ لانفسنا بدلا من الله اي من حرمته عرضا من الدنيا بان نهتكها ونزيلها
بالحلف الكاذب اي لا نحلف بالله كاذبين لاجل المال وقيل الضمير للقسم فلا بد من تقدير مضاف اليه اي لا نستبدل
بصحة القسم بالله اي لا ناخذ بدلا منها عرضا من الدنيا بان نزيل عنه وصف الصدق ونصفه بالكذب اي لا نحلف كاذبين
كما ذكروا الا فلا سداد للمعنى سواء اريد به القسم الصادق او الكاذب اما ان اريد به الكاذب فلانه يفوت حينئذ ما هو
المعتبر في الاستعارة من كون الزايل شيئا مرغوبا فيه عند الحالف لحرمة اسم الله تعالى ووصف الصحة والصدق في
القسم ولا ريب في ان القسم الكاذب ليس كذلك واما ان اريد به الصادق فانه وان امكن ان يتوسل باستعماله الى عرض
الدنيا كالقسم الكاذب لكن لا محذور فيه واما التوسل اليه بترك استعماله فلا امكان له هاهنا حتى يصح التبري فيه منه
وانما يتوسل اليه باستعمال القسم الكاذب وليس استعماله من لوازم ترك استعمال الصادق كما في صورة تقدير
المضاف فان ازالة وصف الصدق عن القسم مع بقاء الموصوف مستلزمة لثبوت وصف الكذب له البتة فتامل
وقوله تعالى ولو كان اي المقسم له المدلول عليه بفحوى الكلام ذا قربى اي قريبا منا تاكيد لتبريهم من الحلف كاذبا ومبالغة
في التنزه عنه كانهما قالا لا ناخذ لانفسنا بدلا من حرمة اسمه تعالى مالا ولو انضم اليه رعاية جانب الاقرباء فكيف اذا
لم يكن كذلك وصيانة انفسهما وان كانت اهم من رعاية الاقرباء لكنها ليست ضميمة للمال بل هي راجعة اليه وجواب لو
محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه اي لا نشتري به ثمنا والجملة معطوفة على اخرى مثلها كما فصل في تفسير قوله ولو
اعجبك الى اخره وقوله عز وجل ولا نكتم شهادة الله اي الشهادة التي امرنا الله تعالى باقامتها معطوف على نشتري به داخل
معه في حكم القسم وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتداء آلله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام
منه وبغير مد كقولهم الله لافعلن انا اذا لمن الاثمين اي ان كتمناها وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها
على اللام وادغام النون فيها فان عثر اي اطلع بعد التحليف على انهما استحقا اثما حسبما اعترفا به بقولهما انا اذا لمن
الاثمين اي فعلا ما يوجب اثما من تحريف وكتم بان ظهر بايديهما شيء من التركة فاخران اي رجلان اخران وهو
مبتداء خبره يقومان مقامهما ولا محذور في الفصل بالخبر بين المبتداء وبين وصفه الذي هو الجار والمجرور بعده
اي يقومان مقام الذين عثر على خيانتهما وليس المراد بمقامهما مقام اداء الشهادة التي تولياها ولم يؤدياها كما هي
بل هو مقام الحبس والتحليف على الوجه المذكور لاظهار الحق وابراز كذبهما فيما ادعيا من استحقاقهما لما في ايديهما
من الذين استحق على البناء للفاعل على قراءة ابن عباس وابي رضي الله عنهم اي من اهل الميت الذين استحق عليهم الاوليان
من بينهم اي الاقربان الى الميت الوارثان له الاحقان بالشهادة اي باليمين كما ستعرفه ومفعول استحق محذوف
اي استحقا عليهم ان يجردوهما للقيام بها لانها حقهما ويظهرا بهما كذب الكاذبين وهما في الحقيقة الاخران القايمان مقام الاولين
على وضع المظهر مقام المضمر وقرئ على البناء للمفعول وهو الاظهر اي من الذين استحق عليهم الاثم اي جنى عليهم وهم اهل الميت وعشيرته

متك
ستدلال

ضرورة جواز تركهما معا حتى
يتصور جعل ما اخذ باستعماله
ماخوذا بترك استعمال
الصادق صح

فالاوليان مرفوع على انه خبر لمحذوف كانه قيل ومن هم فقيل الاوليان او هو بدل من الضمير في يقومان او من اخران وقد جوز ارتفاعه باستحق على حذف المضاف اي استحق عليهم انتداب الاولين منهم للشهادة وقرئ الاولين على انه صفة للذين الى آخره مجرور او منصوب على المدح ومعنى الاولية التقدم على الاجانب في الشهادة لكونهم احق بها وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح وقرئ الاولان فيقسمان بالله عطف على يقومان لشهادتنا المراد بالشهادة اليمين كما في قوله تعالى فشهادة احدهم اربع شهادات بالله اي ليميننا على انهما كاذبان فيما ادعيا من الاستحقاق مع كونها حقة صادقة في نفسها احق بالقبول من شهادتهما اي من يمينهما مع كونها كاذبة في نفسها لما انه قد ظهر للناس استحقاقهم للاثم ويميننا منزهة عن الريب والريبة فصيغة التفضيل مع انه لا حقية في يمينهما راسا انما هي لامكان قبولها في الجملة باعتبار احتمال صدقهما في ادعاء تملكهما لما ظهر في ايديهما وما اعتدينا عطف على جواب القسم اي ما تجاوزنا فيها الحق او ما اعتدينا عليهما بابطال حقهما انا اذا لمن الظالمين استيناف مقرر لما قبله اي انا اذا اعتدينا في يميننا لمن الظالمين انفسهم بتعريضها لسخط الله وعذابه بسبب هتك حرمة الله تعالى او لمن الواضعين الحق في غير موضعه ومعنى النظم الكريم ان المحتضر ينبغي ان يشهد على وصيته عدلين من ذوي نسبه او دينه فان لم يجدهما بان كان في سفر فآخرين من غيرهم ثم ان وقع ارتياب بهما اقسما على انهما ما كتما من الشهادة ولا من التركة شيئا بالتغليظ في الوقت فان اطلع بعد ذلك على كذبهما بان ظهر بايديهما شيء من التركة وادعيا تملكه من جهة الميت حلف الورثة وعمل بايمانهم ولعل تخصيص الاثنين لخصوص الواقعة فانه روي ان تميم بن اوس الداري وعدي بن يزيد خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بزيل بن ابي مريم مولى عمرو بن العاص وكان مسلما مهاجرا فلما قدما الشام مرض بزيل فكتب كتابا فيه جميع ما معه وطرحه في متاعه ولم يخبرهما بذلك واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه فوجدا فيه اناء من فضة وزنه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه ودفعا المتاع الى اهله فاصابوا فيه الكتاب فطلبوا منهما الاناء فقالا ما ندري انما اوصى الينا بشيء وامرنا ان ندفعه اليكم ففعلنا وما لنا بالاناء من علم فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل يا ايها الذين آمنوا الآية فاستحلفهما بعد صلوة العصر عند المنبر بالله الذي لا اله الا هو انا لم نختن شيئا مما دفع ولا كتمنا فحلفا على ذلك فخلى صلى الله عليه وسلم سبيلهما ثم ان الاناء وجد بمكة فقال من بيده اشتريته من تميم وعدي لما طالت المدة اظهراه فبلغ ذلك بني سهم فطلبوه منهما فقالا كنا اشتريناه من بزيل فقالوا الم نقل لكما هل باع صاحبنا من متاعه شيئا فقلتما لا قالا ما كان لنا بينة فكرهنا ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قوله عز وجل فان عثر الآية فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي وداعة السهميان فحلفا بالله بعد العصر انهما كذبا وخانا فدفع الاناء اليهما وفي رواية الى اولياء الميت واعلم انهما ان كانا وارثين لبزيل فلا نسخ الا في وصف اليمين فان الوارث لا يحلف على البتات والا فهو منسوخ ذلك كلام مستانف سيق لبيان ان ما ذكر مستتبع للمنافع وارد على مقتضى الحكمة والمصلحة اي الذي تقدم تفصيله ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها اي اقرب الى ان يودي الشهود الشهادة على وجهها الذي تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة خوفا من العذاب الاخروي وهذه كما ترى حكمة شرعية التحليف بالتغليظ المذكور وقوله تعالى او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم بيان لحكمة شرعية رد اليمين على الورثة معطوف على مقدر ينبئ عنه المقام كانه قيل ذلك ادنى بان ياتوا بالشهادة على وجهها ويخافوا عذاب الآخرة بسبب اليمين الكاذبة او يخافوا الافتضاح على رؤس الاشهاد بابطال ايمانهم والعمل بايمان الورثة فينزجروا عن الخيانة المؤدية اليه فاي الخوفين وقع حصل المقصود الذي هو الاتيان بالشهادة على وجهها وقيل هو عطف على ياتوا على معنى ان ذلك اقرب الى ان ياتوا بالشهادة على وجهها او الى ان يخافوا الافتضاح برد اليمين على الورثة فلا يحلفوا على موجب شهادتهم ان لم ياتوا بها على وجهها فيظهر كذبهم بنكولهم واما ما قيل من ان المعنى ذلك اقرب الى حصول الامرين اللذين ايهما وقع كان فيه الصلاح اداء الشهادة على الصدق والامتناع عن ادائها على الكذب فيأباه المقام اذ لا تعلق له بالحادثة اصلا ضرورة ان الشاهد مضطر فيها الى

الجواب فالامتناع عن الشهادة الكاذبة مستلزم للاتيان بالصادقة قطعا فليس هناك امران ايهما وقع كان فيه الصلاح حتى يتوسط بينهما كلمة او وانما يتاتى ذلك في شهود لم يتهموا بخيانة على ان اضافة الامتناع عن الشهادة الكاذبة الى خوف رد اليمين على الورثة ونسبة الاتيان بالصادقة الى غيره مع ان ما يقتضي احدهما يقتضي الآخر لا محالة تحكم يجب فتامل واتقوا الله في مخالفة احكامه التي من جملتها هذا الحكم واسمعوا ما تؤمرون به كائنا ما كان سمع طاعة وقبول والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن الطاعة اي فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم فاسقين قوله تعالى والله لا يهدي القوم الفاسقين الى الجنة او الى ما فيه نفعهم يوم يجمع الله الرسل نصب على انه بدل اشتمال من مفعول اتقوا لما بينهما من الملابسة فان مدار البدلية ليس ملابسة الظرفية والمظروفية ونحوها فقط بل هو تعلق ما مصحح لانتقال الذهن من المبدل منه الى البدل بوجه اجمالي كما فيما نحن فيه فان كونه تعالى خالق الاشياء كافة مالك يوم الدين خاصة كاف في الباب مع ان الامر بتقوى الله تعالى يتبادر منه الى الذهن ان المتقى اي شان من شؤونه واي فعل من افعاله وقيل هناك مضاف محذوف به يتحقق الاشتمال اي اتقوا عقاب الله فحينئذ يجوز انتصابه بمنه بطريق الظرفية وقيل منصوب بمضمر معطوف على اتقوا وما عطف اليه اي واحذروا اي واذكروا يوم الى آخره فان تذكر ذلك اليوم الهائل مما يضطرهم الى تقوى الله عز وجل وتلقي امره بسمع الاجابة والطاعة وقيل هو ظرف لقوله تعالى لا يهدي اي لا يهديهم يومئذ الى طريق الجنة كما يهدي اليه المؤمنين وقيل منصوب بقوله تعالى واسمعوا بحذف مضاف اي اسمعوا خبر ذلك اليوم وقيل منصوب بفعل مؤخر قد حذف للدلالة على ضيق العبارة عن شرحه وبيانه لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة التامة والدواهي العامة كانه قيل يوم يجمع الله الرسل ويقول الى آخره يكون من الاحوال والاهوال ما لا يفي ببيانه نطاق المقال واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة وتشديد التهويل وتخصيص الرسل بالذكر ليس لاختصاص الجمع بهم دون الامم كيف لا وذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وقد قال الله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم بل لابانة شرفهم واصالتهم والايذان بعدم الحاجة الى التصريح بجمع غيرهم بناء على ظهور كونهم اتباعا لهم ولاظهار سقوط منزلتهم وعدم لياقتهم بالانتظام في سلك جمع الرسل كيف لا وهم عليهم السلام يجمعون على وجه الاجلال واولئك يسحبون على وجوههم بالاغلال فيقول لهم مشيرا الى خروجهم عن عهدة الرسالة كما ينبغي حسبما يعرب عنه تخصيص السؤال بجواب الامم اعرابا واضحا والا لصدر الخطاب بان يقال هل بلغتم رسالاتي وما ذا في قوله عز وجل ماذا اجبتم عبارة عن مصدر الفعل فهو نصب على المصدرية اي اي اجابة اجبتم من جهة اممكم اجابة قبول او اجابة رد وقيل عبارة عن الجواب فهو في محل النصب بعد حذف الجار عنه اي باي جواب اجبتم وعلى التقديرين ففي توجيه السؤال عما صدر عنهم وهم شهود الى الرسل عليهم السلام كسؤال الموؤدة مجحضر من الوائد والعدول عن اسناد الجواب اليهم بان يقال ماذا اجابوا من الانباء عن كمال تحقير شانهم وشدة الغيظ والسخط عليهم ما لا يخفى قالوا استيناف مبني على سؤال نشاء من سوق الكلام كانه قيل فماذا يقول الرسل عليهم الصلاة والسلام هنالك فقيل يقولون لا علم لنا وصيغة الماضي للدلالة على التقرر والتحقق كما في قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف ونظائرهما وانما يقولون ذلك تفويضا للامر الى علمه تعالى واحاطته بما اعتراهم من جهتهم من مقاساة الاهوال ومعاناة الهموم والاوجال وعرضا لعجزهم عن بيانه لكثرته وفظاعته انك انت علام الغيوب تعليل لذلك اي فتعلم ما اجابوا واظهروا لنا وما لم نعلمه مما اضمروه في قلوبهم وفيه اظهار للشكاية ورد الى علمه تعالى بما لقوا من قبلهم من الخطوب وكابدوا من الكروب والالتجاء الى ربهم في الانتقام منهم وقيل المعنى لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة ورد ذلك بانهم يعرفونهم بسيماهم فكيف يخفى عليهم امرهم وانت خبير بان مرادهم حينئذ ان بعضهم كانوا في زمانهم على الحق ثم صاروا وعن ابن عباس ومجاهد والسدي رضي الله عنهم انهم يفزعون من اول الامر ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعد ما ثابت اليهم حلومهم بالشهادة على اممهم ولا يلايمه التعليل المذكور وقيل المراد به المبالغة في تحقيق فضيحتهم وقرئ علام الغيوب بالنصب على النداء او الاختصاص بالمدح على ان الكلام قد تم عند قوله انت اي انك انت المنعوت

بنعوت كمالك المعروف بذلك اذ قال الله ياعيسى بن مريم شروع في بيان ماجرى بينه وبين واحد من الرسل المجموعين
من المفاوضة على التفصيل اثر بيان ماجرى بينه وبين الكل على وجه الاجمال ليكون ذلك كالانموذج لتفاصيل احوال
الباقين وتخصيص شان عيسى عليه الصلوة والسلام بالبيان تفصيلا من بين شئون سائر الرسل عليهم السلام
مع دلالتها على كمال هول ذلك اليوم ونهاية سوء حال المكذبين بالرسل لما ان شانهم عليهم السلام متعلق بكلا الفريقين
من اهل الكتاب الذين نعيت عليهم في السورة الكريمة جناياتهم فتفصيله اعظم عليهم واجلب لحسرتهم وندامتهم
وافت في اعضادهم وادخل في صرفهم عن غيهم وعنادهم واذ بدل من يوم يجمع الله الى آخره وصيغة الماضي لما ذكر
من الدلالة على تحقق الوقوع واظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار لما مر من المبالغة في التهويل وكلمة على في قوله
تعالى اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك متعلقة بنفس النعمة ان جعلت مصدرا اي اذكر انعامي عليكما او بمحذوف هو حال
منها ان جعلت اسما اي اذكر نعمتي كائنة عليكما وليس المراد بامره عليه السلام يومئذ بذكر النعمة المنتظمة في
سلك التعديد تكليفه عليه السلام شكرها والقيام بمواجبها ولات حين تكليف مع خروجه عليه السلام عن
عهدة الشكر في اوانه اي خروج بل اظهار امره عليه السلام بتعداد تلك النعم حسبما بينه الله سبحانه اعتدادا
بها وتلذذا بذكرها على رؤس الاشهاد ليكون حكاية ذلك على ما انبأ عنه النظم الكريم توبيخا ومزجرة للكفرة المختلفين
في شانه عليه السلام افراطا وتفريطا وابطالا لقولهما جميعا اذ ايدتك ظرف لنعمتي اي اذكر انعامي عليكما
وقت تاييدي لك او حال منها اي اذكرها كائنة وقت تاييدي لك وقرئ ايدتك والمعنى واحد اي قويتك
بروح القدس بجبريل عليه السلام لتثبيت الحجة او بالكلام الذي يحيى به الدين واضافته الى القدس لانه سبب
الطهر عن اوضار الآثام او يحيى به الموتى او النفوس حيوة ابدية وقيل الارواح مختلفة الحقائق فمنها طاهرة
نورانية ومنها خبيثة ظلمانية ومنها مشرقة ومنها كدرة ومنها حرة ومنها نذلة وكانت روحه طاهرة
مشرقة نورانية علوية واياما كان فهو نعمة عليهما تكلم الناس في المهد وكهلا استئناف مبين لتاييده عليه السلام
او حال من الكاف وذكر تكليمه عليه السلام او حال من الكاف في المهد وذكر تكليمه عليه السلام في حال الكهولة
لبيان ان كلامه عليه الصلاة والسلام في تينك الحالتين كان على نسق واحد بديع صادرا عن كمال العقل مقارنا
لرزانة الراي والتدبير وبه استدل على انه عليه السلام سينزل من السماء لما انه عليه السلام رفع قبل الكهولة
قال ابن عباس رضي الله عنهما ارسله الله تعالى وهو ابن ثلثين سنة ومكث في رسالته ثلثين شهرا ثم رفعه
الله تعالى اليه واذ علمتك الكتاب عطف على قوله تعالى اذ ايدتك منصوب بما نصبه اي اذكر نعمتي عليكما وقت
تعليمي لك الكتاب والحكمة اي جنسهما والتورية والانجيل خصا بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة اظهارا لشرفهما
وقيل الكتاب الخط والحكمة الكلام والمحكم الصواب واذ تخلق من الطين كهيئة الطير اي تصور منه هيئة مماثلة لهيئة
الطير باذني بتسهيلي وتيسيري لا على ان يكون الخلق صادرا عنه عليه السلام حقيقة بل على ان يظهر ذلك على
يده عليه الصلاة والسلام مع كون الخلق حقيقة لله تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى فتنفخ فيها اي في الهيئة المصورة
فتكون اي تلك الهيئة طيرا باذني فان اذنه تعالى لو لم يكن عبارة عن تكوينه تعالى للطير بمحض تيسير مع صدور
الفعل حقيقة عمن اسند اليه لكان هذا مكونا من جهة الهيئة وتكرير قوله باذني في الطير مع كونه شيئا واحدا
للتنبيه على ان كلا من التصوير والنفخ امر معظم ولا يترتب عليه شئ الا باذنه وتبرئ الاكمه والابرص باذني عطف على تخلق
واذ تخرج الموتى باذني عطف على اذ تخلق اعيد فيه اذ لكون اخراج الموتى من قبورهم لا سيما بعد ما صارت رميما
معجزة باهرة ونعمة جليلة حقيقة بتذكيره وفيها صريحا وقيل اخرج سام بن نوح ورجلين وجارية وتكرير
قوله باذني في المواضع الاربعة للاعتناء بتحقيق الحق ببيان ان تلك الخوارق ليست من قبل عيسى عليه السلام بل من جهته
سبحانه قد اظهرها على يده معجزة له ونعمة خصها به واما ذكره في سورة آل عمران لما ان ذلك موضع الاخبار
وهذا موضع تعداد النعم واذ كففت بني اسرائيل عنك عطف على اذ تخرج اي منعت اليهود الذين ارادوا بك

السوء

السوء عن التعرض لك اذ جئتهم بالبينات بالمعجزات الواضحة مما ذكر وما لم يذكر كالاخبار بما ياكلون وما يدخرون
في بيوتهم ونحو ذلك وهو ظرف لكففت لكن لا باعتبار المجئ بها فقط بل باعتبار ما يعقبه من قوله تعالى فقال
الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين فان قولهم ذلك مما يدل على انهم قصدوا اغتياله عليه السلام المحوج الى الكف اي كففتهم
عنك حين قالوا ذلك عند مجيئك اياهم بالبينات وانما وضع موضع ضميرهم الموصول لذمهم بما في حيز الصلة
وكلمة من بيانية وهذا اشارة الى ما جاء به والتذكير لان اشارتهم الى ما راوه من نفس المسمى من حيث هو او
من حيث هو سحر لا من حيث هو مسمى بالبينات وقرئ ان هذا الا ساحر عليم فهذا حينئذ اشارة الى عيسى عليه
السلام واذ اوحيت الى الحواريين عطف على ما قبله من اخواته الواقعة ظروفا للنعمة التي امر بذكرها وهي وان كانت
في الحقيقة عين ما يفيده الجمل التي اضيف اليها تلك الظروف من التاييد بروح القدس وتعليم الكتاب والحكمة
وسائر الخوارق المعدودة لكنها لمغايرتها لها بعنوان منبئ عن غاية الاحسان امر بذكرها من تلك الحيثية وجعلت عاملة
في تلك الظروف لكفاية المغايرة الاعتبارية في تحقيق ما اعتبر في مدلول كلمة اذ من تعدد النسبة فانه ظرف
موضوع لزمان نسبتين ماضيتين واقعتين فيه احدهما معلومة الوقوع فيه للمخاطب دون الاخرى فيراد
افادة وقوع اتصاله فيضاف الى الجملة المفيدة للنسبة الاولى ويجعل ظرفا معمولا للنسبة الثانية ثم قد تكون المغايرة
بين النسبتين في الذات كما في قولك اذكر احساني اليك اذا احسنت الى تريد تنبيه المخاطب على وقوع احسانك اليه
وهما نسبتان متغايرتان بالذات وقد يكون بالاعتبار كما في قولك اذكر احساني اليك اذ منعتك من المعصية
تريد تنبيهه على كون منعه منها احسانا اليه لا على احسان آخر واقع حينئذ ومن هذا القبيل عامة ما وقع
في التنزيل من قوله تعالى يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا الآية وقوله تعالى يا ايها
الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم الى غير ذلك من النظائر
ومعنى ايحائه تعالى اليهم امره اياهم في الانجيل على لسانه عليه السلام وقيل الهامه تعالى اياهم كما في قوله تعالى
واوحينا الى ام موسى وان في قوله تعالى ان آمنوا بي وبرسولي مفسرة لما في الايحاء من معنى القول وقيل مصدرية
وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة للتنبيه على كيفية الايمان به عليه السلام كانه قيل آمنوا بوحدانيتي
في الالوهية والربوبية وبرسالة رسولي ولا تزيلوه عن حيزه حطا ولا رفعا وقوله تعالى قالوا استيناف مبني
على سؤال نشأ من سوق الكلام كانه قيل فماذا قالوا حين اوحي اليهم ذلك فقيل قالوا آمنا اي بما ذكر من
وحدانيته تعالى وبرسالة رسوله كما يوذن به قولهم واشهد باننا مسلمون اي مخلصون في ايماننا من اسلم
وجهه لله وهذا القول منهم بمقتضى وحيه تعالى وامره لهم بذلك نعمة جليلة كسائر النعم الفائضة
عليه عليه السلام وكل ذلك نعمة على والدته ايضا روي انه عليه السلام لما علم انه سيؤمر بذكر هاتيك النعم
العظام جعل يلبس الشعر وياكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد يقول لكل يوم رزقه ولم يكن له بيت فيخرب ولا ولد
فيموت اين ما امسى بات اذ قال الحواريون كلام مستانف مسوق لبيان بعض ما جرى بينه وبين قومه من
منقطع عما قبله كما ينبئ عنه الاظهار في موضع الاضمار واذ منصوب بمضمر خوطب به النبي بطريق التلوين
والالتفات لكن لا لان الخطاب السابق لعيسى عليه السلام فانه ليس بخطاب وانما هو حكاية خطاب بل لان
الخطاب لمن خوطب بقوله تعالى واتقوا الله الآية فتامل كانه قيل للنبي عليه السلام عقيب حكاية ما صدر
عن الحواريين من المقالة المعدودة من نعم الله الفائضة على عيسى عليه السلام اذكر للناس وقت قولهم
الى آخره وقيل هو ظرف لقالوا اريد به التنبيه على ان ادعاهم الايمان والاخلاص لم يكن عن تحقيق
وايقان ولم يساعده النظم الكريم يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء اختلف في انهم هل كانوا
مؤمنين اولا فقيل كانوا كافرين شاكين في قدرة الله تعالى على ما ذكروا وفي صدق عيسى عليه السلام
كاذبين في دعوى الايمان والاخلاص وقيل كانوا مؤمنين وسؤالهم للاطمئنان والتنبيه لا لا انا

الشك وهل يستطيع سوال عن الفعل دون القدرة عليه تعبيرا عنه بلازمه وقيل الاستطاعة علي ما تقتضيه الحكمة
والارادة لا علي ما يقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يستطيع ربك بمعنى هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب بمعنى
اجاب وقري هل تستطيع ربك اي سوال ربك والمعنى هل تساله ذلك من غير صارف يصرفك عنه وهي قراءة علي وعايشة
وابن عباس رضي الله عنهم وسعيد بن جبير في آخرين والمايدة الخوان الذي عليه الطعام من ماده اذا اعطاه ورفده كانها
ومعاذ
تميد من تقدم اليها ونظيره قولهم شجرة مطعمة وقال ابو عبيد هي فاعلة بمعنى مفعول كعيشة راضية قال استيناف
مبني علي سوال ناشي مما قبله كانه قيل فماذا قال لهم عيسى عليه السلام حين قالوا ذلك فقيل قال اتقوا الله اي من
امثال هذا السوال ان كنتم مومنين اي بكمال قدرته تعالى وبصحة نبوتي وان صدقتم في ادعاء الايمان والاسلام فان
ذلك مما يوجب التقوي والاجتناب عن مثل هذه الاقتراحات وقيل امرهم بالتقوي ليصير ذلك ذريعة لحصول
السوال كقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
وابتغوا اليه الوسيلة قالوا استيناف كما سبق نريد ان ناكل منها تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الي السوال اي لسنا
نريد بالسوال ازاحة شبهتنا في قدرته سبحانه علي تنزيلها او في صحة نبوتك حتي يقدح ذلك في الايمان والتقوي
بل نريد ان ناكل منها اي اكل تبرك وقيل اكل حاجة وتمتع وتطمئن قلوبنا بكمال قدرته تعالى وان كنا مومنين به من قبل
فان انضمام علم المشاهدة الي العلم الاستدلالي مما يوجب ازدياد الطمانينة وقوة اليقين ونعلم اي علما يقينا لا يحوم
حوله شايبة شبهة اصلا وقري ليعلم علي البناء للمفعول ان قد صدقتنا ان هي المخففة من ان المثقلة وضمير الشان محذوف
اي ونعلم انه قد صدقتنا في دعوي النبوة وان الله تعالى يجيب دعوتنا وان كنا عالمين بذلك من قبل ونكون عليها من الشاهدين
نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني اسرائيل ليزداد المومنون منهم بشهادتنا طمانينة ويقينا ويومن بسببها
كفارهم او من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر وعليها متعلق بالشاهدين ان جعل اللام للتعريف وبيان لما
يشهدون عليه ان جعلت موصولة كانه قيل علي اي شيء يشهدون فقيل عليها فان ما يتعلق بالصلة لا يتقدم علي
الموصول او هو حال من اسم كان او هو متعلق بمحذوف يفسره من الشاهدين قال عيسى ابن مريم لما راي عليه الصلوة
والسلام ان لهم غرضا صحيحا في ذلك وانهم لا يقلعون عنه ازمع علي استدعايها واستنزالها واراد ان يلزمهم
الحجة بكمالها روي انه عليه الصلاة والسلام اغتسل ولبس المسح وصلي ركعتين فطاطا راسه وغض بصره ثم قال
اللهم ربنا ناداه سبحانه تعالى مرتين مرة بوصف الالوهية الجامعة لجميع الكمالات ومرة بوصف الربوبية المبنية
علي التربية اظهارا لغاية التضرع ومبالغة في الاستدعاء انزل علينا تقديم الظرف علي قوله تعالى مايدة
لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الي المؤخر وقوله سبحانه من السماء متعلق بانزل او بمحذوف هو
صفة لمايدة واسم تكون ضميرا اي كاينة من السماء نازلة منها وقوله تعالى تكون لنا عيدا في محل النصب علي انه
صفة لمايدة واسم تكون ضمير المايدة وخبرها اما عيدا ولنا حال منه او من ضمير يكون عند من يجوز اعمالها في
الحال واما لنا وعيدا حال من الضمير في لنا لانه وقع خبرا فيحمل ضميرا او من ضمير تكون عند من يري ذلك اي
يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وانما اسند ذلك الي المايدة لان شرف اليوم مستعار من شرفها وقيل العيد
السرور العايد ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقري تكن بالجزم علي جواب الامر كما في قوله تعالى فهب لي من لدنك
وليا يرثني خلا ان قراءة الجزم هناك متواترة وههنا من الشواذ لاولنا واخرنا بدل من لنا باعادة العامل
اي عيدا للمتقدمين منا ومتاخرينا روي انها نزلت يوم الاحد ولذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل للروساء منا
والاتباع وقيل ناكل منها اولنا واخرنا وقري لاولنا واخرانا بمعنى الامة والطايفة واية عطف علي عيدا
منك متعلق بمحذوف هو صفة الاية اي كاينة منك دالة علي كمال قدرتك وصحة نبوتي وارزقنا اي المايدة
او الشكر عليها وانت خير الرازقين تذييل جار مجري التعليل اي خير من يرزق لانه خالق الارزاق ومعطيها
بلا عوض وفي اقباله عليه الصلوة والسلام علي الدعاء بتكرير الدعاء المنبي عن كمال الضراعة والابتهال وزيادة

مالم يخطر ببال السايلين من الامور الداعية الي الاجابة والقبول دلالة واضحة علي انهم كانوا مومنين وان سوالهم كان لتحصيل
الطمانينة كما في قول ابرهيم عليه الصلوة والسلام رب ارني كيف تحيي الموتي والا لما قبل اعتذارهم بما ذكروه ولما اضاف
اليه من عنده ما يوكده ويقربه الي القبول قال الله استيناف كما سبق اني منزلها عليكم وورود الاجابة منه تعالى بصيغة
التفعيل المبنية عن التكثير مع كون الدعاء منه عليه الصلوة والسلام بصيغة الافعال لاظهار كمال اللطف والاحسان كما في
قوله تعالى قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب الي اخره بعد قوله تعالى لين انجيتنا من هذه الي اخره مع ما فيه من مراعاة ما وقع
من عبارة السايلين وفي تصدير الجملة بكلمة التحقيق وجعل خبرها اسما تحقيق للوعد وايذان بانه تعالى منجزه لا محالة
من غير صارف يثنيه ولا مانع يلويه واشعار بالاستمرار اي اني منزل المايدة عليكم مرات كثيرة وقري بالتخفيف وقيل
الانزال والتنزيل بمعنى واحد فمن يكفر بعد اي بعد تنزيلها منكم متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يكفر فاني اعذبه بسبب
كفره بعد معاينة هذه الاية الباهرة عذابا اسم مصدر بمعنى التعذيب وقيل مصدر بحذف الزوايد وانتصابه
علي المصدرية بالتقديرين المذكورين وجوز ان يكون مفعولا به علي الاتساع وقوله تعالى لا اعذبه في محل النصب علي انه
صفة لعذابا والضمير له اي اعذبه تعذيبا لا اعذب مثل ذلك التعذيب احدا من العالمين اي من عالمي زمانهم
او من العالمين جميعا قيل لما سمعوا هذا الوعيد الشديد خافوا ان يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا لا نريدها فلم
تنزل وبه قال مجاهد والحسن والصحيح الذي عليه جماهير الامة ومشاهير الايمة انها قد نزلت روي انه عليه
الصلوة والسلام لما دعا بما دعا واجيب بما اجيب اذا بسفرة حمراء نزلت بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة
من تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكي عيسى عليه الصلوة والسلام وقال اللهم اجعلني من
الشاكرين اللهم اجعلها رحمة للعالمين ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام وتوضا وصلي وبكي ثم كشف المنديل وقال
بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها
من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة علي واحد منها زيتون وعلي الثاني عسل وعلي الثالث سمن
وعلي الرابع جبن وعلي الخامس قديد فقال شمعون راس الحواريين يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الاخرة قال
ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله تعالى بالقدرة العالية كلوا ما سالتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقال
يا روح الله لو اريتنا من هذه الاية اية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله تعالى فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت
مشوية ثم طارت المايدة ثم عصوا فمسخوا قردة وخنازير وقيل كانت تاتيهم اربعين يوما غبا يجتمع عليها الفقرا
والاغنياء والصغار والكبار ياكلون حتى اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم ياكل منها فقير الا غني مدة عمره
ولا مريض الا بري ولم يمرض ابدا ثم اوحي الله تعالى الي عيسى عليه الصلوة والسلام ان اجعل مايدتي في الفقراء والمرضى
دون الاغنياء والاصحاء فاضطربوا لذلك فمسخ منهم من مسخ فاصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكناسات
وياكلون العذرة في الحشوش فلما راي الناس ذلك فزعوا الي عيسى عليه الصلوة والسلام وبكوا علي الممسوخين
فلما ابصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكت وجعلت تطيف به عليه الصلوة والسلام وجعل يدعوهم باسمايهم
واحدا بعد واحد فيبكون ويشيرون بروسهم فلا يقدرون علي الكلام فعاشوا ثلثة ايام ثم هلكوا روي عن ابن
عباس رضي الله عنهما ان عيسى عليه الصلوة والسلام قال لهم صوموا ثلثين يوما ثم سلوا الله ما شيتم يعطكم ثم صاموا
فلما فرغوا قالوا انا لو عملنا لاحد فقضينا عمله لاطعمنا وسالوا الله تعالى مايدة فاقبلت الملايكة بمايدة يحملونها
عليها سبعة ارغفة وسبعة احوات حتى وضعتها بين ايديهم فاكل منها اخر الناس كما اكل اولهم قال كعب نزلت
منكوسة تطير بها الملايكة بين السماء والارض عليها كل الطعام الا اللحم وقال قتادة كان عليها ثمر من ثمار الجنة
وقال عطية العوفي نزلت من السماء سمكة فيها طعم كل شيء وقال الكلبي ومقاتل نزلت سمكة وخمسة ارغفة
فاكلوا ما شاء الله والناس الف ونيف فلما رجعوا الي قراهم ونشروا الحديث ضحك منهم من لم يشهدوا وقالوا
ويحكم انما سحر اعينكم فمن اراد الله به الخير ثبته علي بصيرته ومن اراد فتنته رجع الي كفره فمسخوا خنازير فمكثوا

كذلك ثلثة ايام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم يأكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ **وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ** معطوف على
اذ قال الحواريون منصوب بما نصبه من المضمر المخاطب به النبي صلى الله عليه وسلم او بمضمر مستقل معطوف على ذلك
اي اذكر للناس وقت قول الله تعالى له عليه الصلوة والسلام في الاخرة توبيخا للكفرة وتبكيتا لهم باقراره عليه السلام
على رؤس الاشهاد بالعبودية وامره لهم بعبادته عز وجل وصيغة الماضي لما مر من الدلالة على التحقق والوقوع **ءَأَنْتَ**
قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ الاتخاذ اما متعد الى مفعولين فالهين ثانيهما واما الى واحد فهو حال من المفعول
وليس مدار اصل الكلام ان القول متيقن والاستفهام لتعيين القائل كما هو المتبادر من ايلاء الهمزة المبتدا على
الاستعمال الناشي وعليه قوله تعالى ءانت فعلت هذا بالهتنا ونظائره بل على ان المتيقن هو الاتخاذ والاستفهام
لتعيين انه بامره عليه السلام ام من تلقاء انفسهم كما في قوله تعالى ءانتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل
وقوله تعالى من دون الله متعلق بالاتخاذ ومحله النصب على انه حال من فاعله اي متجاوزين الله او بمحذوف هو صفة
لالهين اي كائنين من دون الله تعالى واياما كان فالمراد اشراكهما به سبحانه كما في قوله تعالى من دون الله اندادا
وقوله عز وجل ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله سبحانه وتعالى عما
يشركون اذ به يتاتى التوبيخ ويتسنى التقريع والتبكيت ومن توهم ان ذلك بطريق الاستقلال ثم اعتذر عنه بان
النصارى يعتقدون ان المعجزات التي ظهرت على يد عيسى ومريم عليهما السلام لم يخلقها الله تعالى بل هما خلقاها فصح
انهم اتخذوهما في حق بعض الاشياء الهين مستقلين ولم يتخذوه تعالى الها في حق ذلك البعض فقد ابعد عن الحق
بمراحل واما من تعمق فقال ان عبادته تعالى مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده تعالى مع عبادتهما كانه عبدها
ولم يعبده تعالى فقد غفل عما يجديه واشتغل بما لا يعنيه كداب من قبله فان توبيخهم انما يحصل بما يعتقدونه
ويعترفون به صريحا لا بما يلزمه بضرب من التاويل واظهار الاسم الجليل لكونه في حيز القول المسند الى عيسى عليه
السلام **قَالَ** استيناف مبني على سؤال نشا من صدر الكلام كانه قيل فماذا يقول عيسى حينئذ فقيل يقول وايثار
صيغة الماضي لما مر مرارا **سُبْحَانَكَ** علم للتسبيح وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه وفيه من المبالغة في التنزيه
من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب والابعاد في الارض ومن جهة النقل الى صيغة التفعيل ومن جهة
العدول من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر
مع الفعل ما لا يخفى اي انزهك تنزيها لائقا بك من ان اقول ذلك او من ان يقال في حقك ذلك واما تقديره من ان
يكون لك شريك في الالوهية فلا يساعده سياق النظم الكريم وسباقه وقوله تعالى **مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ**
استيناف مقرر للتنزيه ومبين للمنزه منه وما عبارة عن القول المذكور اي ما يستقيم وما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق
لي ان اقوله وايثار ليس على الفعل المنفي لظهور دلالته على استمرار انتفاء الحقيقة وافادة التاكيد بما في حيزه من
الباء فان اسمه ضمير العايد الى ما وخبره بحق والجار والمجرور فيما بينهما للتبيين كما في قولك سقيا لك ونحوه وقوله
تعالى **إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ** استيناف مقرر لعدم صدور القول المذكور عنه بالطريق البرهاني فان صدوره عنه
مستلزم لعلمه تعالى به قطعا فحيث انتفى علمه تعالى به انتفى صدوره عنه حتما ضرورة لان عدم اللازم مستلزم
لعدم الملزوم **تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي** استيناف جار مجرى التعليل لما قبله كانه قيل لانك تعلم ما اخفيه في نفسي فكيف
بما اعلنه وقوله تعالى **وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ** بيان للواقع واظهار لقصوره اي ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله
تعالى ما في نفسك للمشاكلة **وقيل** المراد بالنفس هو الذات ونسبة المعلومات اليها لما انها مرجع الصفات
التي من جملتها العلم المتعلق بها فلم يكن كنسبتها الى الحقيقة وقوله تعالى **إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ** تعليل لمضمون
الجملتين منطوقا ومفهوما وقوله تعالى **مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ** استيناف مسوق لبيان ما صدر عنه وقد ادرج
فيه عدم صدور القول المذكور عنه على ابلغ وآكد حيث حكم بانتفاء جميع الاقوال المغايرة للمامور به فدخل
فيه انتفاء صدور المذكور دخولا اوليا اي ما امرتهم الا بما امرتني به وانما قيل ما قلت لهم نزولا على قضية

حسن

حسن الادب ومراعاة لما ورد في الاستفهام وقوله تعالى **أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ** تفسير للمامور به **وقيل** عطف
بيان للضمير في به **وقيل** بدل منه وليس من شرط البدل طرح المبدل منه مطلقا ليلزم بقاء الموصول بلا عائد
وقيل خبر مضمر ومفعوله مثل هو او اعني **وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا** رقيبا اراعي احوالهم على العمل بموجب امرك وامنعهم عن المخالفة
او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان **مَا دُمْتُ فِيهِمْ** ما مصدرية ظرفية تقدر بمصدر مضاف اليه زمان ودمت
صلتها اي كنت شهيدا عليهم مدة دوامي فيما بينهم **فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي** بالرفع الى السماء كما في قوله تعالى اني متوفيك
ورافعك الي فان التوفي اخذ الشيء وافيا والموت نوع منه قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت
في منامها **كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ** لا غيرك فانت ضمير او تاكيد **وقرئ** الرقيب بالرفع على انه خبر انت والجملة خبر لكان
وعليهم متعلق به اي انت كنت الحافظ لاعمالهم والمراقب فمنعت من اردت عصمته عن المخالفة بالارشاد الى الدلائل
والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزال الايات وخذلت من خذلت من الضالين فقالوا ما قالوا **وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**
اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وفيه ايذان بانه تعالى كان هو الشهيد على الكل حين كونه عليه السلام فيما بينهم وعلى
متعلقه بشهيد والتقديم لمراعاة الفاصلة **إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ** وقد استحقوا ذلك حيث عبدوا غيرك
وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ اي القوي القادر على جميع المقدورات ومن جملتها الثواب والعقاب **الْحَكِيمُ** الذي لا
يريد ولا يفعل الا ما فيه حكمة ومصلحة فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت ففضل
وعدم غفران الشرك انما هو بمقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمنع الترديد بالنسبة الى فرقتين والمعنى ان
تعذب من كفر منهم وان تغفر لهم اي لمن آمن منهم **قَالَ اللَّهُ** كلام مستانف ختم به حكاية ما حكي مما يقع يوم يجمع
الله الرسل عليهم السلام واشير الى نتيجته وماله اي يقول الله تعالى يومئذ عقيب جواب عيسى عليه الصلوة
والسلام مشيرا الى صدقه في ضمن بيان حال الصادقين الذين هو في زمرتهم وصيغة الماضي لما مر في نظائره مرارا
وقوله تعالى **هَٰذَا** اشارة الى ذلك اليوم وهو مبتدا وخبره ما بعده اي هذا اليوم الذي حكي بعض ما يقع فيه
اجمالا وبعضه تفصيلا **يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ** بالرفع والاضافة والمراد بالصادقين كما ينبئ عنه الاسم المستمرون في
الدارين على الصدق في الامور الدينية التي معظمها التوحيد الذي نحن بصدده والشرائع والاحكام المتعلقة به
من الرسل الناطقين بالحق والصدق الداعين الى ذلك وبه يحصل الشهادة بصدق عيسى ومن الامم المصدقين
لهم المقتدين بهم عقلا وعملا وبه يتحقق المقصود بالحكاية من ترغيب السامعين من الايمان برسول الله صلى الله عليه
وسلم لا كل من صدق في اي شيء كان ضرورة ان الجاني المعترف في الدنيا بجنايته يومئذ اعترافه وصدقه
صِدْقُهُمْ اي صدقهم فيما ذكر من امور الدين في الدنيا اذ هو المستتبع للنفع يومئذ واعتبار استمراره في الدارين
مع انه لا حاجة اليه كما عرفت ولا دخل له في استتباع النفع والجزاء مما لا وجه له وهذه القراءة هي التي طبق
عليها الجمهور وهي الاليق بسياق النظم الكريم وسباقه وقد قرئ يوم بالنصب اما انه ظرف لقال فهذا حينئذ
اشارة الى قوله تعالى انت قلت الى آخره واما اسم على انه خبر لهذا فهو حينئذ اشارة الى جواب عيسى عليه الصلوة
والسلام الى هذا الجواب منه عليه السلام واقع يوم ينفع الى آخره او الى السؤال والجواب معا **وقيل** هو خبر
ولكنه بني على الفتح وليس بصحيح لانه مضاف الى متمكن **وقرئ** يوم بالرفع والتنوين كقوله تعالى واتقوا يوما
لا تجزي الاية **لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا** استيناف مسوق لبيان النفع المذكور كانه قيل ما
لهم من النفع فقيل لهم نعيم دائم وثواب خالد وقوله تعالى **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** استيناف آخر لبيان انه عز وجل افاض
عليهم غير ما ذكر من الجنات ما لا قدر لها عنده وهو رضوانه الذي لا غاية وراءه كما ينبئ عنه قوله تعالى ورضوان من الله اكبر
منه حتى يمد اليه اعناق الهمم **ذَٰلِكَ** اشارة الى نيل رضوانه تعالى **وقيل** الى نيل الكل **هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** لما
ان عظم شان الفوز تابع لعظم شان المطلوب الذي تعلق به الفوز وقد عرفت ان لا مطلب وراء ذلك اصلا
وقوله تعالى **لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** تحقيق للحق وتنبيه على كذب النصارى وفساد ما زعموا في حق المسيح

ورضوانه
صح

وامه اي له تعالى خاصه ملك السموات والارض وما من العقلاء وغيرهم يتصرف فيهما كيف يشاء ايجادا واعداما واحياء
وامانة وامرا ونهيا من غير ان يكون لشيء من الاشياء مدخل في ذلك في ايثار ما علامن المختصة بالعقلاء على تقديرتنا وها للكل
مراعاة للاصل واشارة الى تساوي الفريقين في استحالة الربوبية حسب تساويهما في تحقق المربوبية وعلى تقدير
اختصاصها بغير العقلاء تنبيه على كمال قصورهم عن رتبة الالوهية واهانة بهم بتغليب غيرهم عليهم وهو على كل شيء من
الاشياء قدير مبالغ في القدرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه
عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا والله اعلم واحكم بالصواب واليه المرجع والمآب

سورة الانعام وهي مائة وخمس وستون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله تعلق الحمد المعروف بلام الحقيقة اولا باسم الذات الذي عليه يدور كافة ما يوجبه من صفات
الكمال واليه يؤل جميع نعوت الجلال والجمال للايذان بانه عز وجل هو المستحق له بذاته لما مر من اقتضاء اختصاص الحقيقة به
سبحانه لاقتصار جميع افرادها عليه بالطريق البرهاني ووصفه تعالى ثانيا بما ينبئ عن تفصيل بعض موجباته المنتظمة
في سلك الاجمال من عظائم الاثار وجلائل الافعال من قوله عز وجل الذي خلق السموات والارض للتنبيه على استحقاقه تعالى
واستقلاله به باعتبار افعاله العظام والاثار الجسام ايضا وتخصيص خلقهما بالذكر لاشتمالهما على جملة الاثار العلوية
والسفلية وعامة الالاء الجلية والخفية التي اجلها نعمة الوجود الكافية في ايجاب حمده تعالى على كل موجود فكيف بما يتفرع
عليها من فنون النعم الانفسية والافاقية المنوط بها مصالح العباد في المعاش والمعاد اي انشأهما على ما هما عليه من النمط الفائق
والطراز اللائق منطويتين على انواع البدائع واصناف الروائع على ما يتحير فيه العقول والافكار من تعاجيب العلل
والاثار تبصرة وذكرى لاولي الابصار وجمع السموات لظهور تعدد طبقاتها واختلاف اثارها وحركاتها وتقديمها
لشرفها وعلو مكانها وتقدمها وجودا على الارض كما هي وجعل الظلمات والنور عطف على خلق مترتب عليه لكون جعلهما
مسبوقا بخلق منشأهما ومحلهما اخل معه في حكم الاشعار بعلة الحمد فكما ان خلق السموات والارض وما فيهما لكونه
اثرا عظيما ونعمة جليلة موجب لاختصاص الحمد بخالقهما جل وعلا كذلك جعل الظلمات والنور لكونه امرا خطيرا ونعمة عظيمة
مقتضي لاختصاصه بجاعلهما والجعل هو الانشاء والابداع كالخلق خلا ان ذلك مختص بانشاء التكوين وفيه معنى التقدير
والتسوية وهذا تمام له كما في الاية الكريمة والتشريعي ايضا كما في قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة الاية واياما كان ففيه
انباء عن ملابسة مفعوله بشيء اخر بان يكون فيه او له او منه او نحو ذلك ملابسة مصححة لان يتوسط بينهما شيء من
الظروف لغوا كان او مستقرا لكن لا على ان يكون عمدة في الكلام بل قيدا فيه كما في قوله عز وجل وجعل بينهما برزخا
وقوله تعالى وجعل فيها رواسي وقوله تعالى واجعل لنا من لدنك وليا الاية فان كل واحد من هذه الظروف
اما متعلق بنفس الجعل او بمحذوف وقع حالا من مفعوله تقدمت عليه لكونه نكرة واياما كان فهو قيد في الكلام حتى
اذا اقتضى الحال وقوعه عمدة فيه يكون الجعل متعديا الى اثنين هو ثانيهما كما في قوله تعالى يجعلون اصابعهم في اذانهم
وربما يشتبه الامر فيظن انه عمدة فيه وهو في الحقيقة قيد باحد الوجهين كما سلف في قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة
حيث قيل ان الظرف مفعول ثان لجاعل وقد اشير هنا لك الى ان الذي يقتضيه الذوق السليم ويقتضي به جزالة
النظم الكريم انه متعلق بجاعل او بمحذوف وقع حالا من المفعول وان المفعول الثاني هو خليفة والاول محذوف على
ما مر تفصيله وجمع الظلمات لظهور كثرة اسبابها ومحالها عند الناس ومشاهدتهم لها على التفصيل وتقديمها
على النور لتقدم الاعدام على الملكات مع ما فيه من حسن رعاية المقابلة بين القرينتين وقوله تعالى ثم الذين كفروا
بربهم يعدلون معطوف على الجملة السابقة الناطقة بما مر من موجبات اختصاصه تعالى بالحمد المستدعي لاقتصار العبادة
عليه كما تحقق في تفسير الفاتحة الكريمة مسوق لانكار ما عليه الكفرة واستبعاده من مخالفتهم لمضمونها واجترائهم
على ما يقضي ببطلانه بداهة العقول والمعنى انه تعالى مختص باستحقاق الحمد والعبادة باعتبار ذاته وباعتبار ما فصل

من شؤونه

من شؤونه العظيمة الخاصة به الموجبة لقصر الحمد والعبادة باعتبار عليه ثم هؤلاء الكفرة لا يعملون بموجبه ويعدلون به
سبحانه اي يسوون به غيره في العبادة التي هي اقصى غايات الشكر الذي راسه الحمد مع كون كل ما سواه مخلوقا له غير متصف
بشيء من مبادي الحمد وكلمة ثم لاستبعاد الشرك بعد وضوح ما ذكر من الايات التكوينية القاضية ببطلانه لا بعد
بيانه بالايات التنزيلية والموصول عبارة عن طائفة الكفار جار مجرى الاسم لهم من غير ان يجعل كفرهم بما يوجب الايمان
كلا او بعضا عنوانا للموضوع فان ذلك مخل باستبعاد ما اسند اليهم من الاشراك والباء متعلقة بيعدلون ووضع
الرب موضع ضميره تعالى لزيادة التشنيع والتقبيح والتقديم لمزيد الاهتمام والمسارعة الى تحقيق مدار الانكار والاستبعاد
والمحافظة على الفواصل لظهوره او توجيه الانكار الى نفس الفعل بتنزيله منزلة اللازم ايذانا بانه المدار في الاستبعاد
والاستنكار لا خصوصية المفعول هذا هو الحقيق بجزالة التنزيل والخليق بفخامة شانه الجليل واما جعل الجملة صلة
لكفروا على ان يعدلون من العدول والمعنى ان الله تعالى حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون
فيكفرون نعمته فيرده ان كفرهم به تعالى لا سيما باعتبار ربوبيته تعالى لهم اشد شناعة واعظم جناية من عدولهم
عن حمده عز وجل لتحققه مع اغفاله ايضا فجعل اهون الشرين عمدة في الكلام مقصودة الافادة واخراج اعظمهما مخرج
القيد المفروغ عنه مما لا عهد له في الكلام السديد فكيف في النظم التنزيلي هذا وقد قيل انه معطوف على خلق
السموات والمعنى انه تعالى خلق ما خلق مما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم به يعدلون به سبحانه ما لا يقدر على شيء
منه لكن لا على قصد انه صلة مستقلة ليكون بمنزلة ان يقال الحمد لله الذي خلق السموات والارض عدلوا به بل على
انه داخل تحت الصلة بحيث يكون الكل صلة واحدة كانه قيل الحمد لله الذي كان منه تلك النعم العظام ثم
من الكفرة الكفر وانت خبير بان ما ينتظم في سلك الصلة المنبئة عن موجبات حمده عز وجل حقه ان يكون
له دخل في ذلك الانباء ولو في الجملة ولا ريب في ان كفرهم بمعزل عنه وادعاء ان له دخلا فيه لدلالته على كمال الجود
كانه قيل الحمد لله الذي انعم بمثل هذه النعم العظام على من لا يحمده تعسف لا يساعده النظام وتعكيس يا باه المقام كيف
لا وسياق النظم الكريم كما يفصح عنه الايات الاتية تشنيع للكفرة وتوبيخ لهم ببيان غاية اساءتهم مع نهاية احسانه تعالى
اليهم لا بيان نهاية احسانه تعالى اليهم مع غاية اساءتهم في حقه تعالى كما يقتضيه الادعاء المذكور وبهذا اتضح انه لا سبيل الى جعل
المعطوف من روادف المعطوف عليه لما ان حق الصلة ان يكون غير مقصودة الافادة فما ظنك بما هو من روادفها وقد عرفت
ان المعطوف هو الذي سيق له الكلام فتامل وكن على الحق المبين هو الذي خلقكم من طين استيناف مسوق لبيان بطلان
كفرهم بالبعث مع مشاهدتهم لما يوجب الايمان به اثر بيان بطلان اشراكهم به تعالى مع معاينتهم لموجبات توحيده
وتخصيص خلقهم بالذكر من بين سائر دلائل صحة البعث من ان ما ذكر من خلق السموات والارض من اوضحها واظهرها كما ورد
في قوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم لما ان محل النزاع بعثهم فدلالة بدء خلقهم
على ذلك اظهر وهم بشؤون انفسهم اعرف والتعامي عن الحجة النيرة اقبح والالتفات لمزيد التشنيع والتوبيخ اي ابتداء
خلقكم منه فان المادة الاولى للكل لما انه منشأ ادم عليه الصلوة والسلام الذي هو اصل البشر وانما نسب هذا الخلق
الى المخاطبين لا الى ادم عليه الصلوة والسلام وهو المخلوق منه حقيقة بان يقال هو الذي خلق اباكم ادم الى اخره مع كفاية
علمهم بخلقه عليه الصلوة والسلام منه في ايجاب الايمان بالبعث وبطلان الاشراك لتوضيح منهاج القياس وللمبالغة
في ازاحة الاشتباه والالتباس مع ما فيه من تحقيق الحق والتنبيه على حكمة خفية هي ان كل فرد من افراد البشر له
حظ من انشائه عليه الصلوة والسلام منه حيث لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على
على فطرة سائر احاد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان اثارها على الكل فكان خلقه عليه الصلوة والسلام من الطين
خلقا لكل احد من فروعه منه ولما كان خلقه عليه الصلوة والسلام على هذا النمط الساري الى جميع افراد ذريته ابدع من
ان يكون من ان يكون ذلك مقصورا على نفسه كما هو المفهوم من نسبة الخلق المذكور اليه وادل على عظم قدرة الخلاق
العليم وكمال علمه وقدرته وكان ابتداء حال المخاطبين اولى بان يكون معيارا لانتهائها فعل ما فعل ولله در شان التنزيل

وعلى هذا السر مدار قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم الاية وقوله تعالى ولقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا
كما سيأتي وقيل المعنى خلق اباءكم منه على حذف المضاف وقيل معنى خلقهم منه خلقهم من النطفة الحاصلة من
الاغذية المتكونة من الارض واياما كان ففيه من وضوح الدلالة على كمال قدرته تعالى على البعث ما لا يخفى فان من قدر على احياء
ما لم يشم رايحة الحياة قط كان على احياء ما قارنها مدة اظهر قدرة ثم قضى اي كتب لموت كل واحد منكم اجلا خاصا
به اي حدا معينا من الزمان يفنى عند حلوله لا محالة وكلمة ثم يؤذن بتفاوت ما بين خلقهم وبين تقدير اجالهم حسبما
تقتضيه الحكم البالغة واجل مسمى اي حد معين لبعثكم جميعا وهو مبتداء لتخصصه بالصفة كما في قوله تعالى
ولعبد مومن ولوقوعه في موقع التفصيل كما في قول من قال اذا ما بكى من خلفها انصرفت له بشق وشق عندنا لم يحول
وتنوينه لتفخيم شانه وتهويل امره ولذلك اوثر تقديمه على الخبر الذي هو عنده مع ان الشايع المستفيض هو التاخير
كما في قولك عندي كلام حق ولي كتاب نفيس كانه قيل واي اجل مسمى مثبت معين في علمه لا يتغير ولا يقف على وقت حلوله
احد لا مجملا ولا مفصلا واما اجل الموت فمعلوم اجمالا وتقريبا بناء على ظهور اماراته او على ما هو المعتاد في اعمار
الانسان وتسميته اجلا انما هي باعتبار كونه غاية لمدة لبثهم في القبور لا باعتبار كونه مبداء لمدة القيمة كما ان مدار التسمية
في الاجل الاول هو كونه اخر مدة الحيوة لا كونه اول مدة الممات لما ان الاجل في اللغة عبارة عن اخر المدة لا عن اولها وقيل
الاجل الاول ما بين الخلق والموت والثاني ما بين الموت والبعث من البرزخ فان الاجل كما يطلق على اخر المدة يطلق على
كلها وهو الاوفق لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى قضى لكل احد اجلين اجلا من مولده الى موته واجلا
من موته الى مبعثه فان كان برا تقيا وصولا للرحم زيد له من اجل البعث في اجل العمر وان كان فاجرا قاطعا للرحم نقص
من اجل العمر وزيد في اجل البعث وذلك قوله سبحانه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب الى اخره
فمعنى عدم تغيير الاجل حينئذ عدم تغير اخره والاول هو الاشهر الاليق بتفخيم الاجل الثاني المنوط باختصاصه بعلمه
تعالى والانسب بتهويله المبني على مقارنته للطامة الكبرى فان كون بعضه معلوما للخلق ومضيه من غير ان
يقع فيه شيء من الدواهي كما يستلزمه الحمل على المعنى الثاني مخل بذلك قطعا ومعنى زيادة الاجل ونقصه فيما روي
تاخير الاجل الاول وتقديمه ثم انتم تمترون استبعاد واستنكار لامترائهم في البعث بعد معاينتهم لما ذكر من
الحجج الباهرة الدالة عليه اي تمترون في وقوعه وتحققه في نفسه مع مشاهدتكم في انفسكم من الشواهد ما
يقطع مادة الامتراء بالكلية فان من قدر على افاضة الجود وما يتفرع عليها من العلم والقدرة وساير الكمالات البشرية
على مادة غير مستعدة بشيء منها اصلا كان اوضح اقتدارا على افاضتها على مادة قد استعدت لها وقارنتها مدة ومن هنا
تبين ان ما قيل من ان الاجل الاول هو النوم والثاني هو الموت وان الاول اجل الماضين والثاني اجل الباقين او ان الاول
مقدار ما مضى من عمر كل احد والثاني مقدار ما بقي منه مما لا وجه له اصلا لما رايت من ان مساق النظم الكريم استبعاد
امترائهم في البعث الذي عبر عن وقته بالاجل المسمى فحيث اريد به احد ما ذكر من الامور الثلثة ففي اي شيء يمترون
ووصفهم بالامتراء الذي هو الشك وتوجيه الاستبعاد اليه مع انهم جازمون بانتفاء البعث مصرون على الكار
كما ينبئ عنه قولهم أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون ونظايره للدلالة على ان جزمهم المذكور في اقصى مراتب الاستبعاد
والاستنكار وهو الله جملة من مبتداء وخبر معطوفة على ما قبلها مسوقة لبيان شمول احكام الهيته تعالى لجميع
المخلوقات واحاطة علمه بتفاصيل احوال العباد واعمالهم المودية الى الجزاء اثر الاشارة الى تحقق المعاد في تضاعيف
بيان كيفية خلقهم وتقدير اجالهم وقوله تعالى في السموات وفي الارض متعلق بالمعنى الوصفي الذي ينبئ عنه الاسم
الجليل اما باعتبار اصل اشتقاقه وكونه علما للمعبود بالحق كانه قيل وهو المعبود فيهما واما باعتبار انه اسم اشتهرت بها
اشتهرت به الذات من صفات الكمال فلوحظ منها ما يقتضيه المقام من المالكية الكلية والتصرف الكامل حسبما
يقتضيه المشية المبنية على الحكم البالغة فعلق به الظرف من تلك الحيثية فصار كانه قال وهو المالك او
المتصرف المدبر فيهما كما في قوله تعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وليس المراد بما ذكر من الاعتبارين ان

الاسم

الاسم الجليل يحمل على معناه اللغوي او على معنى المالك او المتصرف او نحو ذلك بل مجرد ملاحظة احد المعاني المذكورة
في ضمنه كما لوحظ مع اسم الاسد في قوله اسد علي الى اخره ما اشتهر به من وصف الجراءة التي اشتهر بها مسماه فجرى مجرى
جري علي وبهذا تبين ان ما قيل بصدد التصوير والتفسير اي هو المعروف بذلك في السموات وفي الارض او هو المعروف
المشتهر في الصفات الكمالية او هو المعروف بالالهية فيهما او نحو ذلك بمعزل من التحقيق فان المعتبر مع الاسم هو
نفس الوصف الذي اشتهر به اذ هو الذي يقتضيه المقام حسبما بين انفا لا اشتهاره به الا يرى ان كلمة علي في المثال المذكور
لا يمكن تعليقها باشتهار الاسم بالجراءة قطعا وقيل هو متعلق بما يفيده التركيب الحصري من التوحد والتفرد
كانه قيل وهو المتوحد بالالهية فيهما وقيل بما تقرر عند الكل من اطلاق هذا الاسم عليه تعالى خاصة كانه قيل
وهو الذي يقال له الله فيهما لا يشرك به شيء في هذا الاسم على الوجه الذي سبق من اعتبار معنى التوحيد او القول
في فحوى الكلام بطريق الاستتباع لا على حمل الاسم الجليل على معنى الموحد بالالهية او على تقدير القول وقد جوز ان
يكون الظرف خبرا ثانيا على ان كونه سبحانه فيهما عبارة عن كونه تعالى مبالغا في العلم بما فيهما بناء على تنزيل علمه
المقدس عن حصول الصور والاشباح لكونه حضوريا منزلة كونه تعالى فيهما وتصويره على طريقة التمثيل المبني على
تشبيه حاله علمه تعالى بما فيهما بحاله كونه تعالى فيهما فان العالم اذا كان في مكان كان عالما بما فيه على وجه لا يخفى عليه
منه شيء فعلى هذا يكون قوله عز وجل يعلم سركم وجهركم اي ما اسررتموه وما جهرتم من الاقوال وما اسررتموه
وما اعلنتموه كاينا ما كان من الاقوال والاعمال بيانا وتقريرا لمضمونه وتحقيقا للمعنى المراد منه وتعليق علمه عز وجل
بما ذكر خاصة مع شموله لجميع ما فيهما حسبما يفيده الجملة السابقة لانسياق النظم الكريم الى بيان حال المخاطبين وكذا
على الوجه الثاني فان ملاحظة الاسم الجليل من حيث المالكية الكلية والتصرف الكامل الجاري على النمط المذكور
مستتبعة لملاحظة علمه المحيط فيكون هذا بيانا وتقريرا له بلا ريب واما على اوجه الثلثة الباقية فلا سبيل الى كونه بيانا
لكن لا كما قيل لا دلالة لاستواء السر والجهر في علمه تعالى على ما اعتبر فيهما من المعبودية والاختصاص بهذا الاسم اذ ربما
يعبد ويخص به من ليس له كمال العلم فانه باطل قطعا اذ المراد بما ذكر هو المعبودية بالحق والاختصاص بالاسم الجليل
ولا ريب في انهما مما لا يتصور فيمن ليس له كمال العلم بديهة بل لان ما ذكر من العلم غير معتبر في مدلول شيء من المعبودية
بالحق والاختصاص بالاسم حتى يكون هذا بيانا له وبهذا تبين انه ليس ببيان على الوجه الثاني ايضا لما ان التوحد بالالهية
لا يعتبر في مفهومه العلم الكامل ليكون هذا بيانا له بل هو معتبر فيما صدق عليه الموحد وذلك غير كاف في البيانية
وقيل هو خبر بعد خبر عند من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى وقيل هو الخبر والاسم
الجليل بدل من هو وبه يتعلق الظرف المتقدم ويكفي في ذلك كون المعلوم فيهما كما في قولك رميت الصيد في الحرم
اذا كان هو فيه وانت خارجه ولعل جعل سرهم وجهرهم فيهما لتوسيع الدايرة وتصوير انه لا يعزب عن علمه شيء
فيهما في اي مكان كان لا لانهما قد يكونان في السموات ايضا وتعميم الخطاب لاهلها تعسف لا يخفى ويعلم ما تكسبون
اي ما تفعلونه لجلب نفع او دفع ضر من الاعمال المكتسبة بالقلوب او الجوارح سرا او علانية وتخصيصها بالذكر مع
مع اندراجها في ما سبق على التفسير الثاني للسر والجهر لاظهار كمال الاعتناء بها لانها التي يتعلق بها الجزاء وهو
وهو السر في اعادة يعلم وما تاتيهم من اية من ايات ربهم كلام مستانف وارد لبيان كفرهم بايات ربهم واعراضهم عنها
بالكلية بعد ما بين في الاية الاولى اشراكهم بالله سبحانه واعراضهم عن بعض ايات التوحيد وفي الاية الثانية
امتراؤهم في البعث واعراضهم عن بعض اياته والالتفات للاشعار بان ذكر قبايحهم قد اقتضى ان يضرب عنهم الخطاب
صفحا وتعدد جناياتهم لغيرهم ذما لهم وتقبيحا لحالهم فما نافية وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية او للدلالة
على الاستمرار المتجدد ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية تبعيضية واقعة مع مجرورها صفة لاية واضافة
الايات الى اسم الرب المضاف الى ضميرهم لتفخيم شانها المستتبع لتهويل ما اجترؤا عليه في حقها والمراد بها اما
الايات التنزيلية فاتيانها نزولها والمعنى ما ينزل اليهم اية من الايات القرانية التي من جملتها هاتيك الايات الناطقة

بما فصل من بدائع صنع الله عز وجل المبنية على جريان احكام الالوهية على كافة الكائنات واحاطة علمه بجميع احوال الخلق
واعمالهم الموجبة للاقبال عليها والايمان بها **الا كانوا عنها معرضين** اي على وجه التكذيب والاستهزاء كما ستقف عليه واما
الآيات التكوينية الشاملة للمعجزات وغيرها من تعاجيب المصنوعات فاتيانها ظهورها لهم والمعنى ما يظهر لهم آية من الآيات
التكوينية من جملتها ما ذكر من جلائل شؤونه الشاهدة بوحدانيته تعالى الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر الصحيح فيها المؤدي
الى الايمان بمكونها وايثار كانوا على ان يقال الا اعرضوا عنها كما وقع مثله في قوله تعالى وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر
مستمر للدلالة على استمرارهم على الاعراض حسب استمرار الآيات وعن متعلقة بمعرضين قدمت عليه مراعاة للفواصل والجملة
في محل النصب على انها حال من مفعول تأتي او من فاعله المتخصص بالوصف لاشتمالها على ضمير كل منهما وايا ما كان ففيها دلالة
بينة على كمال مسارعتهم الى الاعراض وايقاعهم له في آن الاتيان كما يفصح عنه كلمة لما في قوله عز وجل **فقد كذبوا بالحق لما جاءهم**
فان الحق عبارة عن القرآن الذي اعرضوا عنه حين اعرضوا عن كل آية آية منه عبر عنه بذلك ابانة لكمال قبح ما فعلوا به فان تكذيب
الحق مما لا يتصور صدوره عن احد والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها لكن لا على انه شيء مغاير له في الحقيقة واقع
عقيبه او حاصل بسببه بل على ان الاول هو عين الثاني حقيقة وانما الترتيب بحسب التغاير الاعتباري وقد لتحقيق ذلك
المعنى كما في قوله تعالى فقد جاءوا ظلما وزورا بعد قوله تعالى وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم
آخرون فان ما جاءوه اي فعلوه من الظلم والزور هين قولهم المحكي لكنه لما كان مغايرا له مفهوما واشنع منه حالا
رتب عليه بالفاء ترتيب اللازم على الملزومات تهويلا لامره كذلك مفهوم التكذيب بالحق حيث كان اشنع من مفهوم
الاعراض المذكور اخرج مخرج اللازم البين البطلان فرتب عليه بالفاء اظهارا لغاية بطلانه ثم قيد ذلك بكونه بلا
تأمل تأكيدا لشناعته وتمهيدا لبيان ان ما كذبوا به اثر ذي اثير له عواقب جليلة ستبدو لهم البتة والمعنى انهم حيث
اعرضوا عن تلك الآيات عند اتيانها فقد كذبوا بما لا يمكن تكذيبه اصلا من غير ان يتدبروا في حاله ومآله ويقفوا
على ما في تضاعيفه من الشواهد الموجبة **فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون** العاجلة التي نطقت بها
آيات الوعيد وفي لفظ الانباء ايذان بغاية العظم لما ان النبأ لا يطلق الا على خبر عظيم الوقع وحملها على العقوبات الآجلة
او على ظهور الاسلام وعلو كلمته يأباه الآيات الآتية وسوف لتأكيد مضمون الجملة وتقريره اي فسيأتيهم البتة
وان تأخر مصداق انباء الشيء الذي كانوا يكذبون به قبل من غير ان يتدبروا في عواقبه وانما قيل يستهزءون ايذانا
بان تكذيبهم كان مقرونا بالاستهزاء كما اشير اليه هذا على ان يراد بالآيات الآيات القرآنية وهو الاظهر واما
ان يراد بها الآيات التكوينية فالفاء داخلة على علة جواب شرط محذوف والاعراض على حقيقته كأنه قيل ان
كانوا معرضين عن تلك الآيات فلا تعجب فقد فعلوا ما هو اعظم من الاعراض حيث كذبوا بالحق الذي هو اعظم الآيات
ولا مساغ لحمل الآيات في هذا الوجه على كلها اصلا واما ما قيل من ان المعنى انهم لما كانوا معرضين عن الآيات كلها
كذبوا بالقرآن فمما ينبغي تنزيه التنزيل عن امثاله **الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن** استئناف مسوق لتعيين ما هو
المراد بالانباء التي سيأتيهم وتقرير اتيانها بطريق الاستشهاد وهمزة الانكار لتقرير الرؤية وهي عرفانية
مستدعية لمفعول واحد وكم استفهامية كانت او خبرية معلقة لها عن العمل مفيدة للتكثير سادة مع ما في حيزها
مسد مفعولها منصوبة باهلكنا على المفعولية على انها عبارة عن الاشخاص ومن قرن مميز لها على انه عبارة عن
اهل عصر من الاعصار سموا بذلك لاقترانهم برهة من الدهر كما في قوله صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني ثم الذين
يلونهم الحديث **وقيل** هو عبارة عن مدة من الزمان والمضاف محذوف اي من اهل قرن واما انتصابها على المصدرية
او على الظرفية على انها عبارة عن المصدر او عن الزمان فمتعسف ظاهر ومن الاولى ابتدائية متعلقة باهلكنا اي
لم يعرفوا بمعاينة الآثار وسماع الاخبار كم امة اهلكنا من قبل اهل مكة اي من قبل خلقهم او من قبل زمانهم على حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه كعاد وثمود واضرابهم وقوله تعالى **مكناهم في الارض** استئناف لبيان كيفية
الاهلاك وتفصيل مباديه مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كأنه قيل كيف كان ذلك فقيل مكناهم الى آخره

وقيل

وقيل هو صفة لقرن لما ان النكرة مفتقرة الى مخصص فاذا وليها ما يصلح مخصصا لها تعين وصفيته لها وان تخير
بان تنوينه التفخيمي مغن له عن استدعاء الصفة على ان ذلك مع اقتضائه ان يكون مضمونه ومضمون ما عطف
عليه من الجمل الاربع امرا مفروغا عنه غير مقصود بسياق النظم الكريم مؤد الى اختلال النظم الكريم كيف لا والمعنى
حينئذ الم يروا كم اهلكنا قبلهم من قرن موصوفين بكذا وكذا وباهلكنا اياهم بذنوبهم وانه بين الفساد وتمكين
الشيء في الارض جعله قارا فيها ولما لزمه جعلها مقرا له ورد الاستعمال بكل منهما فقيل تارة مكنه في الارض ومنه
قوله تعالى ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه واخرى مكن له في الارض ومنه قوله تعالى انا مكنا له في الارض حتى اجري
كل منهما مجرى الآخر ومنه قوله تعالى **ما لم نمكن لكم** بعد قوله تعالى مكناهم في الارض كأنه قيل في الاول مكنا
لهم وفي الثاني ما لم نمكن لكم وما نكرة موصوفة بما بعدها من الجملة المنفية والعائد محذوف محلها النصب على المصدرية
اي مكناهم تمكينا لم نمكنه لكم والالتفات لما في مواجهتهم بضعف الحال من مزيد بيان لشأن الفريقين ولدفع الاشتباه
من اول الامر عن مرجعي الضميرين **وارسلنا السماء** اي المطر والسحاب والمظلة لانها مبدأ المطر **عليهم** متعلق بارسلنا
مدرارا اي مغزارا حال من السماء **وجعلنا الانهار** اي صيرناها وقوله تعالى **تجري من تحتهم** مفعول ثان لجعلنا
وانشأناها فهو حال من مفعوله ومن تحتهم متعلق بتجري وفيه من الدلالة على كونها مسخرة لهم مستمرة على الجريان
على الوجه المذكور ما ليس في ان يقال واجرينا الانهار من تحتهم وليس المراد بتعداد هاتيك النعم العظام الفائضة
عليهم بعد ذكر تمكينهم بيان عظم جناياتهم في كفرانها واستحقاقهم بذلك لاعظم العقوبات بل بيان حيازتهم لجميع
اسباب نيل المآرب ومبادي الامن والنجاة من المكاره والمعاطب وعدم اغناء ذلك عنهم شيئا والمعنى اعطيناهم من البسطة
في الاجسام والامتداد في الاعمار والسعة من الاموال والاستظهار باسباب الدنيا في استجلاب المنافع واستدفاع
المضار ما لم نعط اهل مكة ففعلوا ما فعلوا **فاهلكناهم بذنوبهم** اي اهلكنا كل قرن من تلك القرون بسبب ما يخصهم
من الذنوب فما اغنى عنهم تلك العدد والاسباب فسيحل بهؤلاء مثل ما حل بهم من العذاب وهذا كما ترى آخر ما به الاستشهاد
والاعتبار واما قوله سبحانه **وانشأنا من بعدهم** اي احدثنا من بعد اهلاك كل قرن **قرنا آخرين** بدلا من الهالكين
فلبيان كمال قدرته تعالى وسعة سلطانه وان ما ذكر من اهلاك الامم الكثيرة لم ينقص من ملكه شيئا بل كلما اهلك امة
انشأ بدلها اخرى **ولو نزلنا عليك** جملة مستأنفة سيقت بطريق تلوين الخطاب لبيان شدة شكيمتهم في المكابرة
وما يتفرع عليها من الاقاويل الباطلة اثر بيان اعراضهم عن آيات الله تعالى وتكذيبهم بالحق واستحقاقهم بذلك
لنزول العذاب ونسبة التنزيل ههنا اليه عليه الصلوة والسلام مع نسبة اتيان الآيات ومجيء الحق فيما سبق
اليهم للاشعار بقدحهم في نبوته عليه الصلوة والسلام في ضمن قدحهم فيما نزل عليه صريحا **وقال** الكلبي ومقاتل
نزلت في النضر بن الحارث وعبد الله بن ابي امية ونوفل بن خويلد حيث قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نؤمن
لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه اربعة من الملائكة يشهدون انه من عند الله تعالى وانك رسوله **كتابا**
بان جعل اسما كالامام فقوله تعالى **في قرطاس** متعلق بمحذوف وقع صفة له اي كتابا كائنا في صحيفة وان جعل
مصدرا بمعنى المكتوب فهو متعلق بنفسه **فلمسوه** اي الكتاب **وقيل** القرطاس وقوله تعالى **بايديهم** مع
ظهور ان اللمس لا يكون عادة الا بالايدي لزيادة التعيين ودفع احتمال التجوز الواقع في قوله تعالى وانا لمسنا السماء
اي تفحصنا اي فمسوه بايديهم بعدما رأوه باعينهم بحيث لم يبق لهم في شأنه اشتباه ولم يقدروا على الاعتذار بتسكير
الابصار **لقال الذين كفروا** اي لقالوا وانما وضع الموصول موضع الضمير للتنصيص على اتصافهم بما في حيز الصلة
من الكفر الذي لا يخفى حسن موقعه باعتبار مفهومه اللغوي ايضا **ان هذا** اي ما هذا مشيرا الى ذلك الكتاب
الا سحر مبين اي بين كونه سحرا تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره كما هو دأب المفحم المحجوج وديدن المكابر
اللجوج **وقالوا لولا انزل عليه ملك** شروع في قدحهم في نبوته عليه الصلوة والسلام صريحا بعد ما اشير الى قدحهم
فيها ضمنا **وقيل** هو معطوف على جواب لو وليس بذاك كما ان تلك المقالة الشنعاء ليست مما يقدر صدوره عنهم

على تقدير تنزيل لكتاب المذكور بل هي من اباطيلهم المحققة ومزخرفاتهم الملفقة التي يتعللون بها كلما ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل اي هلا انزل عليه عليه الصلوة والسلام ملك بحيث نراه ويكلمنا انه نبي حسبما نقل عنهم فيما روي عن الكلبي ومقاتل رضي الله عنهما ونظيره قولهم لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ولما كان مدار هذا الاقتراح على شيئين انزال الملك كما هو وجعله معه عليه الصلوة والسلام نذيرا اجيب عنه بان ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الوجود اصلا لاشتماله على امرين متباينين لا يجتمعان في الوجود لما ان وجود انزال الملك على صورته يقتضي انتفاء جعله نذيرا وجعله نذيرا يستدعي عدم انزاله على صورته لا محالة وقد اشير الى الاول بقوله تعالى ولو انزلنا ملكا لقضي الامر اي ولو انزلنا ملكا على هيئته حسبما اقترحوه والحال انه من هول المنظر بحيث انه تضيق بمشاهدته قوي الاحاد البشرية الا يرى ان الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين كانوا يشاهدون الملائكة ويفاوضونهم على الصور البشرية كضيف ابرهيم ولوط وخصم داود عليهم الصلوة والسلام الى غير ذلك وحيث كان شانهم كذلك وهم مؤيدون بالقوى القدسية فما ظنك بمن عداهم من العوام فلو شاهدوه كذلك لقضي امر هلاكهم بالكلية واستحال جعله نذيرا وهو مع كونه خلاف مطلوبهم مستلزم لاخلاء العالم عما عليه يدور نظام الدنيا والاخرة من ارسال الرسل وتاسيس الشرايع وقد قال سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وفيه كما ترى ايذان بانهم في ذلك الاقتراح كالباحث عن حتفه بظلفه وان عدم الاجابة اليه للابقاء عليهم وبناء الفعل الاول في الجواب للفاعل الذي هو نون العظمة مع كونه في السؤال مبنيا للمفعول لتهويل الامر وتربية المهابة وبناء الثاني للمفعول للجري على سنن الكبرياء وكلمة ثم في قوله تعالى ثم لا ينظرون اي لا يمهلون بعد نزوله طرفة عين فضلا عن ان ينذروا به كما هو المقصود بالانزال للتنبيه على تفاوت ما بين قضاء الامر وعدم الانظار فان مفاجاة العذاب اشد من نفس العذاب واشق وقيل في سبب اهلاكهم انهم اذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورته وهي اية لا شيء ابين منها ثم لم يومنوا لم يكن بد من هلاكهم وقيل انهم اذا راوه يزول الاختيار الذي هو قاعدة التكليف فيجب اهلاكهم والى الثاني بقوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا على ان الضمير الاول للنذير المفهوم من فحوى الكلام بمعونة المقام وانما لم يجعل للملك المذكور قبله بان يعكس ترتيب المفعولين ويقال ولو جعلناه نذيرا لجعلناه رجلا لتحقيق ان مناط ابراز الجعل الاول في معرض الفرض والتقدير ومدار استلزامه للثاني هو ملكية النذير لا نذيرية الملك لان الجعل حقه ان يكون مفعوله الاول مبتداء والثاني خبرا لكونه بمعنى التصيير المنقول من صار الداخل على المبتداء او الخبر ولا ريب في ان مصب الفائدة ومدار اللزوم بين طرفي الشرطية محمول المقدم لا موضوعه فحيث كانت امتناعية اريد بها انتفاء الجعل الاول لاستلزامه المحذور الذي هو الجعل الثاني وجب ان يجعل مدار الاستلزام في الاول مفعولا ثانيا لا محال ولذلك جعله مقابله في الجعل الثاني للملك لا لما رجع اليه الاول والمعنى لو جعلنا النذير الذي اقترحوه ملكا لمثلنا ذلك الملك رجلا لما مر من عدم استطاعة الاحاد لمعاينة الملك على هيكله وفي ايثار رجلا على بشر ايذان بان الجعل بطريق التمثيل لا بطريق قلب الحقيقة وتعيين لما يقع به التمثيل وقوله تعالى وللبسنا عليهم عطف على جواب لو مبني على الجواب الاول وقرئ بحذف لام الجواب اكتفاء بما في المعطوف عليه يقال لبست الامر على القوم البسه اذا اشبهته وجعلته مشكلا عليهم واصله الستر بالثوب وقرئ الفعلان بالتشديد للمبالغة اي ولخلطنا عليهم بتمثيله رجلا ما يلبسون على انفسهم حينئذ بان يقولوا له انما انت بشر ولست بملك ولو استدل على ملكيته بالقران المعجز الناطق بها او بمعجزات اخر غير ملجئة الى التصديق لكذبوه كما كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم ولو اظهر لهم صورته الاصلية لزم الامر الاول والتعبير عن تمثيله تعالى رجلا باللبس اما لكونه في صورة اللبس او لكونه سببا للبسهم او لوقوعه في صحبته بطريق المشاكلة وفيه تاكيد لاستحالة جعل النذير ملكا كانه قيل لو جعلناه ملكا لفعلنا ما لا يليق بشاننا من لبس الامر عليهم وقد جوز ان يكون المعنى وللبسنا

عليهم مثل ما يلبسون على انفسهم الساعة في ايات الله البينة ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يلقاه من قومه وفي تصدير الجملة بلام القسم وحرف التحقيق من الاعتناء بها ما لا يخفى وتنوين رسل للتفخيم والتكثير ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لرسل اي وبالله لقد استهزئ برسل اولي شان خطير وذوي عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه فحاق عقيبه اي احاط او نزل او حل او نحو ذلك فان معناه يدور على الشمول واللزوم ولا يكاد يستعمل الا في الشر والحيق ما يشتمل على الانسان من مكروه فعله وقوله تعالى بالذين سخروا منهم اي استهزؤا بهم من اولئك الرسل عليهم الصلوة والسلام متعلق بحاق وتقديمه على فاعله الذي هو قوله تعالى ما كانوا به يستهزءون للمسارعة الى بيان لحوق الشر بهم وما اما موصولة مفيدة للتهويل اي فاحاط بهم الذي كانوا يستهزءون به حيث اهلكوا لاجله واما مصدرية اي فنزل بهم وبال استهزائهم وتقديم الجار والمجرور على الفعل لرعاية الفواصل قل سيروا في الارض بعد بيان ما فعلت الامم الخالية وما فعل بهم خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بانذار قومه وتذكيرهم باحوالهم الفظيعة تحذيرا عما هم عليه وتكملة للتسلية بما في ضمنه من العدة اللطيفة بانه سيحيق بهم مثل ما حاق باضرابهم الاولين وقد انجز ذلك يوم بدر اي انجاز اي سيروا في الارض لتعرفوا احوال اولئك الامم ثم انظروا اي تفكروا كيف كان عاقبة المكذبين وكلمة ثم اما لان النظر في اثار الهالكين لا يتسنى الا بعد انتهاء السير الى اماكنهم واما للابانة ما بينهما من التفاوت في مراتب الوجوب وهو الاظهر فان وجوب السير ليس الا لكونه وسيلة الى النظر كما يفصح عنه العطف بالفاء في قوله عز وجل فانظروا والاية واما ان الامر الاول لاباحة السير للتجارة ونحوها والثاني لايجاب النظر في اثارهم وثم لتباعد ما بين الواجب والمباح فلا يناسب المقام وكيف معلقة لفعل النظر ومحل الجملة النصب بنزع الخافض اي تفكروا في انهم كيف اهلكوا بعذاب الاستيصال والعاقبة مصدر كالعافية ونحوها وهي منتهى الامر وماله ووضع المكذبين موضع المستهزئين لتحقيق ان مدار اصابة ما اصابهم هو التكذيب لينزجر السامعون عنه لا عن الاستهزاء فقط مع بقاء التكذيب بحاله بناء على توهم انه المدار في ذلك قل لهم بطريق الالجاء والتبكيت لمن ما في السموات والارض من العقلاء وغيرهم اي لمن الكائنات جميعا خلقا وملكا وتصرفا وقوله تعالى قل لله تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يتاتى لاحد ان يجيب بغيره كما نطق به قوله عز وجل ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قوله تعالى كتب على نفسه الرحمة جملة مستانفة داخلة تحت الامر ناطقة بشمول رحمته الواسعة لجميع الخلق شمول ملكه وقدرته للكل مسوقة لبيان انه تعالى رءوف بعباده لا يعجل عليهم بالعقوبة ويقبل منهم التوبة والانابة وان ما سبق ذكره وما لحق من احكام الغضب ليس من مقتضيات ذاته تعالى بل من جهة الخلق كيف لا ومن رحمته ان خلقهم على الفطرة السليمة وهداهم الى معرفته وتوحيده بنصب الايات الانفسية والافاقية وارسال الرسل وانزال الكتب المشحونة بالدعوة الى موجبات رضوانه والتحذير من مقتضيات سخطه وقد بدلوا فطرة الله تبديلا واعرضوا عن الايات بالمرة وكذبوا بالكتب واستهزؤا بالرسل وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون ولولا شمول رحمته لسلك بهؤلاء ايضا مسلك الغابرين ومعنى كتب الرحمة على نفسه انه تعالى قضاها واوجبها بطريق التفضل والاحسان على ذاته المقدسة بالقصد لا بتوسط شيء اصلا وقيل هو ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما قضى الله تعالى الخلق كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتي غلبت غضبي وعن عمر رضي الله عنه انه قال لكعب ما اول شيء ابتداه تعالى من خلقه فقال كعب كتب الله كتابا لم يكتبه بقلم ولا مداد كتابه الزبرجد واللؤلؤ والياقوت اني انا الله لا اله الا انا سبقت رحمتي غضبي ومعنى سبق الرحمة وغلبتها انها اقدم تعلقا بالخلق واكثر وصولا اليه مع انها من مقتضيات الذات المقتضية للخير وفي التعبير عن الذات بالنفس حجة على من ادعى ان لفظ النفس لا يطلق على الله تعالى وان اريد به الذات لا مشاكلة لما ترى من انتفاء المشاكلة ههنا بنوعيها وقوله تعالى ليجمعنكم الى يوم القيمة جواب قسم محذوف والجملة استيناف مسوق للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اي والله ليجمعنكم في القبور مبعوثين

او محشورين الى يوم القيمة فيجازيكم على شرككم وسائر معاصيكم وان امهلكم بموجب رحمته ولم يعاجلكم بالعقوبة
الدنيوية وقيل الى بمعنى اللام اي ليجمعنكم ليوم القيمة كقوله تعالى انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه اي في اليوم
او في الجمع وقوله تعالى الذين خسروا انفسهم اي بتضييع راس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم والاستعداد
القريب الحاصل من مشاهدة الرسول عليه الصلوة والسلام واستماع الوحي وغير ذلك من آثار الرحمة في موضع النصب
او الرفع على الذم اي اعني الذين الى آخره او هم الذين الى آخره او هو مبتداء والخبر قوله تعالى فهم لا يؤمنون والفاء لتضمن
المبتداء معنى الشرط والاشعار بان عدم ايمانهم بسبب خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم
والانهماك في التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع من الايمان والجملة تذييل مسوق
من جهته تعالى لتقبيح حالهم غير داخل تحت الامر وله اي لله عز وجل خاصة ما سكن في الليل والنهار نزل الملوان
منزلة المكان فعبر من نسبة الاشياء الزمانية اليهما بالسكنى فيهما وتعديه بكلمة في كما في قوله عز وجل وسكنتم
في مساكن الذين ظلموا انفسهم او السكون مقابل الحركة والمراد ما سكن فيهما او تحرك فاكتفى باحد الضدين عن الآخر
وهو السميع البالغ في سماع كل مسموع العليم البالغ في العلم بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء من الاقوال والافعال
قل لهم بعد ما بكتهم بما سبق من الخطاب اغير الله اتخذ وليا اي معبودا بطريق الاستقلال والاشتراك وانما
سلطت الهمزة على المفعول الاول لا على الفعل ايذانا بان المنكر هو اتخاذ غير الله وليا لا اتخاذ الولي مطلقا كما في
قوله تعالى اغير الله ابغي ربا وقوله تعالى افغير الله تامروني اعبد الى آخره فاطر السموات والارض اي مبدعهما بالجر
صفة للجلالة مؤكدة للانكار لانه بمعنى الماضي ولذلك قرئ فطر ولا يضر الفصل بينهما بالجملة لانها ليست باجنبية
اذ هي عاملة في عامل الموصوف او بدل فان الفصل بينه وبين المبدل منه اسهل لان البدل على نية تكرير العامل
وقرئ بالرفع والنصب على المدح عن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت معنى الفاطر حتى اختصم الي اعرابيان
في بير فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها وهو يطعم ولا يطعم اي يرزق الخلق ولا يرزق وتخصيص الطعام
بالذكر لشدة الحاجة اولانه معظم ما يصل الى المرزوق من الرزق ومحل الجملة النصب على الحالية فان مضمونها
مقرر لوجوب اتخاذه سبحانه وتعالى وليا وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس القراءة الاولى ايضا على ان
الضمير لغير الله والمعنى اشرك بمن هو فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وبنيانها للفاعل على
ان الثاني بمعنى يستطعم او على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله تعالى يقبض ويبسط قل بعد بيان
اتخاذ غيره تعالى وليا مما يقضي ببطلانه بديهة العقول اني امرت من جنابه عز وجل ان اكون اول من اسلم وجهه
لله مخلصا له لان النبي امام امته في الاسلام كقوله تعالى وبذلك امرت وانا اول المسلمين وقوله تعالى سبحانك
تبت اليك وانا اول المؤمنين ولا تكونن من المشركين اي وقيل لي لا تكونن من المشركين اي في امر من امور الدنيا
معناه امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك ويجوز عطفه على الامر قل اني اخاف ان عصيت ربي اي بمخالفة امره
ونهيه اي عصيان كان فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا وفيه بيان لكمال اجتنابه عليه السلام من المعاصي على الاطلاق
وقوله تعالى عذاب يوم عظيم اي عذاب يوم القيمة مفعول اخاف والشرطية معترضة بينهما والجواب محذوف
لدلالة ما قبله عليه وفيه قطع لاطماعهم الفارغة وتعريض بانهم عصاة مستوجبين للعذاب العظيم من يصرف
عنه على البناء للمفعول اي العذاب وقرئ على البناء للفاعل والضمير لله سبحانه وقد قرئ بالاظهار والمفعول
محذوف وقوله تعالى يومئذ ظرف للصرف اي في ذلك اليوم العظيم وقد جوز ان يكون هو المفعول على قراءة البناء
للفاعل بحذف المضاف اي عذاب يومئذ فقد رحمه اي نجاه وانعم عليه وقيل فقد ادخل الجنة كما في قوله
فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز والجملة مستانفة مؤكدة لتهويل العذاب وضمير عنه ورحمه لمن وهو
عبارة عن غير العاصي وذلك اشارة الى الصرف او الرحمة لانها مؤولة بان مع الفعل وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو درجته وبعد مكانه من الفضل وهو مبتداء وخبره قوله تعالى الفوز المبين اي الظاهر كونه فوزا وهو الظفر

بالبغية والالف واللام لقصر على ذلك وان يمسسك الله بضر اي ببلية كمرض او فقر ونحو ذلك فلا كاشف له الا هو
وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير ومن جملة ذلك فيقدر عليه فيمسك به ويحفظه عليك
من غير ان يقدر على دفعه او رفعه احد كقوله تعالى فلا راد لفضله وحمله على تاكيد الجوابين يأباه الفاء تذكر
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال اهدي للنبي صلى الله عليه وسلم بغلة اهداها له كسرى فركبها بحبل
من شعر ثم اردفني خلفه ثم سار بي مليا ثم التفت فقال يا غلام فقلت لبيك يا رسول الله فقال احفظ الله يحفظك
احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة واذا سالت فاسال الله واذا استعنت فاستعن
بالله قد مضى القلم بما هو كائن فلو جهد الخلائق ان ينفعوك بما لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه ولو جهدوا ان
يضروك بما لم يكتب الله عليك ما قدروا عليه واذا استطعت ان تعمل بالصبر مع اليقين فافعل فان لم تستطع فان
في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر وان مع الكرب فرجا وان مع العسر يسرا وهو القاهر فوق عباده
تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم في كل ما يفعله ويامر به الخبير باحوال عباده وخفايا امورهم
واللام في المواضع الثلاثة للقصر قل اي شيء اكبر شهادة روي ان قريشا قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد
قد سالنا عنك اليهود والنصارى ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك انك رسول الله فنزلت
فاي مبتداء واكبر خبره وشهادة نصب على التمييز قل الله امر له صلى الله عليه وسلم بان يتولى الجواب بنفسه اما
للايذان بتعينه وعدم قدرتهم على ان يجيبوا بغيره او لانهم ربما يتلعثمون فيه لا لترددهم في انه اكبر من كل شيء
بل في كونه شهيدا في هذا الشان وقوله تعالى شهيد خبر مبتداء محذوف اي هو شهيد بيني وبينكم ويجوز ان
يكون الله شهيد بيني وبينكم هو الجواب لانه اذا كان هو الشهيد بينه وبينهم كان اكبر شيء شهادة له عليه الصلاة
والسلام وتكرير البين لتحقيق المبالغة واوحي الي اي من جهته تعالى هذا القران الشاهد بصحة رسالتي لانذركم
به بما فيه من الوعيد والاقتصار على ذكر الانذار لما ان الكلام مع الكفرة ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين اي لانذركم
به يا اهل مكة وسائر من بلغه من الاسود والاحمر او من الثقلين او لانذركم به ايها الموجودون ومن سيوجد الى يوم
القيمة وهو دليل على ان احكام القران تعم الموجودين يوم نزوله ومن سيوجد بعد الى يوم القيمة خلا ان ذلك بطريق
العبادة في الكل عند الحنابلة بالاجماع وعندنا في غير الموجودين وفي غير المكلفين حينئذ كما مر في اول سورة النساء
اينكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى تقرير لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد بذلك وان شهدتم به فانه باطل
صرف قل تكرير للامر للتوكيد انما هو اله واحد اي بل اشهد انه تعالى لا اله الا هو وانني بريء مما تشركون من الاصنام
او من اشراككم الذين آتيناهم الكتاب جواب عما سبق من قولهم لقد سالنا عنك اليهود والنصارى اخبر عن عين رأي
الشهيد مسارعة الى الزامهم بالجواب عن تحكمهم بقولهم فارنا من يشهد لك الى آخره والمراد بالموصول اليهود والنصارى
وبالكتاب الجنس المنتظم للتورية والانجيل وايرادهم بعنوان ايتاء الكتاب للايذان بمدار ما اسند اليهم بقوله تعالى يعرفونه
اي يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة الكتابين بحليته ونعوته المذكورة فيهما كما يعرفون ابناءهم بحلاهم
حيث لا يشكون في ذلك اصلا روي ان رسول الله لما قدم المدينة قال عمر رضي الله عنه لعبد الله بن سلام انزل الله
تعالى على نبيه هذه الاية الكريمة وكيف هذه المعرفة قال يا عمر لقد عرفته فيكم حين رايته كما عرفت ابني ولانا اشد
معرفة بمحمد مني بابني لاني لا ادري ما صنع النساء واشهد انه حق من الله تعالى الذين خسروا انفسهم من اهل الكتابين
والمشركين بان ضيعوا فطرة الله التي فطر الناس عليها واعرضوا عن البينات الموجبة للايمان بالكلية فهم لا يؤمنون
لما انهم مطبوع على قلوبهم ومحل الموصول الرفع على الابتداء وخبره الجملة المصدرة بالفاء لما فيه من الشبه بالموصول
وقيل على انه خبر مبتداء محذوف اي هم الذين خسروا الى آخره وقيل على انه خبر نعت للموصول الاول وقيل
النصب على الذم فقوله تعالى فهم لا يؤمنون على الوجه الاخير عطف على جملة الذين آتيناهم الكتاب الى آخره ومن اظلم
ممن افترى على الله كذبا بوصفهم النبي المنعوت في الكتابين بخلاف اوصافه صلى الله عليه وسلم فانه افتراء على الله

سبحانه ويقولهم الملئكة بنات الله وقولهم هولاء شفعاونا عند الله ونحو ذلك وهو انكار واستبعاد لان يكون احد اظلم
ممن فعل ذلك او مساويا له وان كان سبك التركيب غير متعرض لانكار المساواة ونفيها يشهد به العرف الفاشي والاستعمال
المطرد فانه اذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل من فلان فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل الا يرى الى
قوله عز وجل لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون بعد قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا الى آخره والسر في ذلك
ان النسبة بين الشيئين انما يتصور غالبا لا سيما في باب المغالبة بالتفاوت زيادة ونقصانا فاذا لم يكن احدهما ازيد
يتحقق النقصان لا محالة **او كذب باياته** كان كذبوا بالقرآن الذي من جملته الاية الناطقة بانهم يعرفونه عليه السلام
كما يعرفون ابناءهم وبالمعجزات وسموها سحرا وحرفوا التورية وغيروا نعوته عليه الصلاة والسلام فان ذلك تكذيب
باياته تعالى وكلمته او للايذان بان كلا من الافتراء والتكذيب وحده بالغ غاية الافراط في الظلم فكيف وهم جمعوا بينهما
فاثبتوا ما نفاه الله تعالى ونفوا ما اثبته الله قاتلهم الله انى يوفكون **انه** الضمير للشان ومدار وضعه موضعه
ادعاء شهرته المغنية عن ذكره وفايدة تصدير الجملة به للايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريره في
الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده
له فضل تمكن فكانه قيل ان الشان الخطير هذا **لا يفلح الظالمون** اي لا ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب واذا كان
حال الظالمين هذا فما ظنك بمن في الغاية القاصية من الظلم **ويوم نحشرهم جميعا** منصوب على الظرفية بمضمر موخر
قد حذف ايذانا بضيق العبارة عن شرحه وبيانه وايماء الى عدم استطاعة السامعين السماعة لكمال فضاعة ما يقع
فيه من الطامة والداهية التامة كانه قيل ويوم نحشرهم جميعا **ثم نقول لهم** ما نقول يكون من الاحوال والاهوال
ما يحيط به دائرة المقال وتقدير صيغة الماضي للدلالة على التحقيق وحسن موقع عطف قوله تعالى ثم لم تكن
الى اخره عليه **وقيل** منصوب على المفعولية بمضمر مقدم اي واذكر لهم للتخويف والتحذير يوم نحشرهم الى آخره
وقيل وليتقوا او ليحذروا يوم نحشرهم الى اخره والضمير للكل وجميعا حال منه **وقرئ** يحشرهم جميعا ثم يقول
بالياء فيهما **للذين اشركوا** اي يقول لهم خاصة للتوبيخ والتقريع على رؤوس الاشهاد قوله تعالى **اين شركاؤكم** اي الهتكم
التي جعلتموها شركاء لله سبحانه وتعالى واضافتها اليهم لما ان شركتها ليست الا بتسميتهم وتقولهم الكاذب كما
ينبئ عنه قوله تعالى **الذين كنتم تزعمون** اي تزعمونها شركاء فحذف المفعولان معا وهذا السوال المنبئ عن غيبة
الشركاء مع عموم الحشر لها لقوله تعالى احشروا الذين ظلموا الى اخره وغيره ذلك من النصوص انما يقع بعد ما جرى
بينها وبينهم من التبري من الجانبين وتقطع ما بينهم من الاسباب والعلايق حسبما يحكيه قوله تعالى فزيلنا بينهم
ونحو من الايات الكريمة اما بعدم حضورها حينئذ في الحقيقة بابعادها من ذلك الموقف واما بتنزيل عدم
حضورها بعنوان الشركة والشفاعة منزلة عدم حضورها في الحقيقة اذ ليس السوال عنها من حيث انها شركاء
كما يعرب عنه الوصف بالموصول ولا ريب في ان عدم الوصف يوجب عدم الموصوف من حيث هو موصوف
فهي من حيث هي شركاء غايبة لا محالة وان كانت حاضرة من حيث ذواتها اصناما كانت او غيرها واما ما يقال
من انه يحال بينها وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها فيروا مكان خزيهم
وحسرتهم وربما يشعر بعدم شعورهم بحقيقة الحال وعدم انقطاع حبال رجايهم عنها بعد وقد عرفت انهم شاهدوها
قبل ذلك وانصرمت عروق اطماعهم عنها بالكلية على انها معلومة لهم من حين الموت والابتلاء بالعذاب في البرزخ
وانما الذي يحصل يوم الحشر الانكشاف الجلي واليقين القوي المرتب على المحاضرة والمحاورة **ثم لم تكن فتنتهم**
بتانيث الفعل ورفع فتنتهم على انه اسم له والخبر الا ان قالوا **وقرئ** بنصب فتنتهم على انها الخبر والاسم الا
ان قالوا والتانيث في الخبر على قولهم من كانت امك **وقرئ** بالتذكير مع رفع الفتنة ونصبها ورفعها انسب
بحسب المعنى والجملة عطف على ما قدر عاملا في يوم نحشرهم كما اشير اليه فيما سلف والاستثناء مفرغ من اعم الاشياء
وفتنتهم اما كفرهم مرادا به عاقبته اي لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه مدة اعمارهم وافتخروا به شيئا من الاشياء

لاجحوده والتبرؤ عنه بان يقولوا **والله ربنا ما كنا مشركين** وانما جوابهم عبر عنه بالفتنة لانه كذب ووصفه تعالى بربوبيته
لهم للمبالغة في التبرؤ عن الاشراك **وقرئ** ربنا على النداء فهو لاظهار الضراعة والابتهال في استدعاء قبول المعذرة
وانما يقولون ذلك مع علمهم بانه بمعزل من النفع راسا من فرط الحيرة والدهش وحمله على معنى ما كنا مشركين عند انفسنا
وما علمنا في الدنيا انا على خطاء في معتقدنا مما لا ينبغي ان يتوهم اصلا فانه مما يوهم ان لهم عذرا وان لهم قدرة على
الاعتذار في الجملة وذلك مخل بكمال هول اليوم قطعا على انه قد قضي ببطلانه قوله تعالى **انظر كيف كذبوا على انفسهم** فانه
تعجيب من كذبهم الصريح بانكار صدور الاشراك عنهم في الدنيا اي انظر كيف كذبوا على انفسهم في قولهم ذلك فانه امر
عجيب في الغاية واما حمله على كذبهم في الدنيا فمخل بجبت تنزيه ساحة التنزيل عنه قوله تعالى **وضل عنهم ما كانوا يفترون**
عطف على كذبوا داخل معه في حكم التعجب وما مصدرية او موصولية قد حذف عايدها المعنى انظر كيف كذبوا باليمين
الفاجرة المغلظة على انفسهم بانكار صدور ما صدر عنهم وكيف ضل عنهم اي زال وذهب افتراؤهم او ما كانوا يفترونه
من الاشراك حتى نفوا صدوره عنهم بالكلية وتبرؤا عنه بالمرة **وقيل** ما عبارة عن الشركاء وايقاع الافتراء عليها مع
انه في الحقيقة واقع على احوالها من الالهية والشركة والشفاعة ونحوها للمبالغة في امرها كانها نفس المفترى
وقيل الجملة كلام مستانف غير داخل في حيز التعجب **ومنهم من يستمع اليك** كلام مبتداء مسوق لحكاية ما صدر في
الدنيا عن بعض المشركين من احكام الكفر ثم بيان ما سيصدر عنهم يوم الحشر تقريرا لما قبله وتحقيقا لمضمونه
والضمير للذين اشركوا ومحل الظرف الرفع على انه مبتداء باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف كما في قوله تعالى
ومنا دون ذلك اي وجمع منا الى آخره ومن موصولة او موصوفة محلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعضهم
او وبعض منهم الذي يستمع اليك او فريق يستمع اليك على ان مناط الافادة اتصافهم بما في حيز الصلة او الصفة
لا كونهم ذوات اوليك المذكورين وقد مر في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول الى اخره **روي** انه اجتمع ابو
سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
للنضر وكان صاحب اخبار فقال والذي جعلها بنية ما ادري ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين
فقال ابو سفيان اني لاراه حقا فقال ابو جهل كلا فنزلت **وجعلنا على قلوبهم اكنة** من الجعل بمعنى الانشائية وعلى
متعلقة به وضمير قلوبهم راجع الى من وجمعيته بالنظر الى معناها كما ان افراد ضمير يستمع بالنظر الى لفظها وقد روعي
جانب المعنى في قوله تعالى ومنهم من يستمعون اليك الاية والاكنة جمع كنان وهو ما يستر به الشيء وتنوينها للتفخيم
والجملة اما مستانفة للاخبار بما تضمنه من الختم او حال من فاعل يستمع باضمار قد عند من يقدرها قبل الماضي
الواقع حالا اي يستمعون اليك وقد القينا على قلوبهم اغطية كثيرة لا يقادر قدرها خارجة مما يتعارفه الناس
ان يفقهوه اي كراهة ان يفقهوا ما يستمعونه من القرآن المدلول عليه بذكر الاستماع ويجوز ان يكون مفعولا
لما ينبئ عنه الكلام اي منعناهم ان يفقهوه **وفي آذانهم وقرا** صمما وثقلا مانعا من سماعه والكلام فيه كما في
قوله تعالى على قلوبهم اكنة وهذا تمثيل معرب عن كمال جهلهم بشؤون النبي صلى الله عليه وسلم وفرط نبو قلوبهم
عن فهم القرآن الكريم ومج اسماعهم له وقد مر تحقيقه في اول سورة البقرة **وقيل** حكاية هو لما قالوا قلوبنا
في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر الاية وانت خبير بان مرادهم بذلك الاخبار بما اعتقدوه في حق القرآن
والنبي صلى الله عليه وسلم جهلا وكفرا من اتصافهما باوصاف مانعة من التصديق والايمان ككون القرآن
سحرا او شعرا او اساطير الاولين وقس عليه ما تخيلوه في حق النبي عليه الصلوة والسلام لا الاخبار بان هناك
امرا وراء ذلك قد حال بينهم وبين ادراكه حايل من قبلهم حتى يمكن حمل النظم الكريم على ذلك **وان يروا كل اية**
من الايات القرانية اي يشاهدوها بسماعها **لا يؤمنوا بها** على عموم النفي لا على نفي العموم اي كفروا
بكل واحدة لعدم اجتلابهم اياها كما هي لما مر من حالهم **حتى اذا جاؤك يجادلونك** حتى هي التي تقع بعدها
الجمل والجملة هي قوله تعالى اذا جاؤك **يقول الذين كفروا** وما بينهما حال من فاعل جاؤا وانما وضع الموصول

موضع الضمير ذمًا لهم بما في حيز الصلة واشعارا بعلة الحكم اي بلغوا من التكذيب والمكابرة الى انهم اذا جاؤك
يجادلونك لا يكتفون بمجرد عدم الايمان بما سمعوا من الآيات الكريمة بل يقولون ان هذا اي ما هذا الا اساطير الاولين
فان اعداد احسن الحديث واصدقه الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه من قبيل الاباطيل والخرافات
رتبة من الكفر لا غاية وراءها ويجوز ان يكون حتى جارة واذا ظرفية بمعنى وقت مجيئهم ويجادلونك حال كما سبق
وقوله تعالى يقول الذين كفروا الى آخره تفسير للمجادلة والاساطير جمع اسطورة او اسطارة او جمع اسطار
وهو جمع سطر بالتحريك واصل الكل السطر بمعنى الخط وهم ينهون عنه الضمير المرفوع للمذكورين والمجرور للقرآن
اي لا يقتنعون بما ذكر من تكذيبه وعده من قبيل الاساطير بل ينهون الناس عن استماعه لئلا يقفوا على حقيته
فيؤمنوا به وينأون عنه اي يتباعدون عنه بانفسهم اظهارا لغاية نفورهم عنه وتاكيدا لنهيهم عنه فان اجتناب
الناهي عن المنهي عنه من متممات النهي ولعل ذلك هو السر في تاخير النأي عن النهي وقيل الضمير المجرور للنبي عليه
الصلوة والسلام وقيل المرفوع لابي طالب ولعل جمعيته باعتبار استتباعه لاتباعه فانه كان ينهى قريشا
عن التعرض لرسول الله عليه الصلوة والسلام وينأى عنه فلا يؤمن به وروي انهم اجتمعوا اليه وارادوا برسول
الله عليه الصلوة والسلام سوءا فقال • والله لن يصلوا اليك بجمعهم • حتى اوسد في التراب دفينا • فاصدع بامرك
ما عليك غضاضة • وابشر بذاك وقر منه عيونا • ودعوتني وعلمت انك ناصح • ولقد صدقت وكنت ثم امينا •
وعرضت دينا لا محالة انه • من خير اديان البرية دينا • لولا الملامة او حذار مسبة • لوجدتني سمحا بذاك مبينا •
فنزلت وان يهلكون اي ما يهلكون بما فعلوا من النهي والنأي الا انفسهم بتعريضها لاشد العذاب وافظعه
عاجلا وآجلا وهو عذاب الضلال والاضلال وقوله تعالى وما يشعرون حال من ضمير يهلكون اي يقصرون
الاهلاك على انفسهم والحال انهم ما يشعرون اي لا يشعرون باهلاكهم انفسهم ولا باقتصار ذلك عليها من غير
ان يضروا بذلك شيا من القرآن والرسول عليه الصلوة والسلام والمؤمنين وانما عبر عنه بالاهلاك مع ان المنفي
من غيرهم مطلق الضرر اذ غاية ما يؤدي اليه ما فعلوا من القدح في القرآن الكريم الممانعة في تمشي احكامه
وظهور امر الدين للايذان بان ما يحيق بهم هو الهلاك لا الضرر المطلق على ان مقصدهم لم يكن مطلق الممانعة
فيما ذكر بل كانوا يبغون الغوائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ويجوز ان يكون الاهلاك معتبرا بالنسبة
الى الذين يضلونهم بالنهي فقصره على انفسهم حينئذ مع شموله للفريقين مبني على تنزيل عذاب الضلال عند عذاب
الاضلال منزلة العدم ولو ترى اذ وقفوا على النار شروع في حكاية ما سيصدر عنهم يوم القيمة من القول المناقض لما
صدر عنهم في الدنيا من القبائح المحكية مع كونه كاذبا في نفسه والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل
احد من اهل المشاهدة والعيان قصدا الى بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الشناعة والفظاعة الى حيث لا
يختص استغرابها براء دون راء ممن اعتاد مشاهدة الامور العجيبة بل كل من يتأتى بالرؤية يتعجب من هولها
وفظاعتها وجواب لو محذوف ثقة بظهوره وايذانا بقصور العبارة عن تفصيله وكذا مفعول ترى لدلالة ما
في حيز الظرف عليه اي لو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها لرايت ما لا يساعده التعبير وصيغة
الماضي للدلالة على التحقق او حين يطلعون عليها اطلاعا وهي تحتهم او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها من قولهم
وقفته على كذا اذا فهمته وعرفته وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا فقالوا يا ليتنا نرد
اي الى الدنيا تمنيا للرجوع والخلاص وهيهات ولات حين مناص ولا نكذب بآيات ربنا اي بآياته الناطقة باحوال
النار واهوالها الآمرة باتقائها اذ هي التي تخطر حينئذ ببالهم ويتحسرون على ما فرطوا في حقها او بجميع آياته المنتظمة
لتلك الآيات انتظاما اوليا ونكون من المؤمنين بها العاملين بمقتضاها حتى لا نرى هذا الموقف الهائل ونكون
من فريق المؤمنين الناجين من العذاب • الفائزين بحسن المآب • ونصب الفعلين على جواب التمني باضمار ان
بعد الواو واجراؤها مجرى الفاء ويؤيده قراءة ابن مسعود وابن اسحق رضي الله عنهما فلا نكذب والمعنى ان رددنا

لم نكذب

لم نكذب ونكون من المؤمنين وقيل ينسبك من ان المصدرية ومن الفعل بعدها مصدر ويقدر قبله مصدر
متوهم فيعطف هذا عليه كانه قيل ليت لنا ردا وانتفاء تكذيب وكونا من المؤمنين وقرئ برفعهما على انه كلام
مستانف كقوله دعني ولا اعود اي وانا لا اعود تركتني او لم تتركني او عطف على نرد او حال من ضميره فيكون داخلا
في حكم التمني كالوجه الاخير للنصب وتعلق التكذيب الآتي به لما تضمنه من العدة بالايمان وعدم التكذيب كمن قال
ليتني رزقت مالا فاكافيك على صنيعك فانه متمن في معنى الواعد فلو رزق مالا ولم يكافئ صاحبه يكون مكذبا
لا محالة وقرئ برفع الاول ونصب الثاني وقد مر وجههما بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل اضراب عما ينبئ عنه
التمني من الوعد بتصديق الآيات والايمان بها اي ليس ذلك عن عزيمة صادقة ناشئة عن رغبة في الايمان وشوق
الى تحصيله والاتصاف به بل لانه ظهر لهم في موقفهم ذلك ما كانوا يخفونه في الدنيا من الداهية الدهيا وظنوا
انهم مواقعوها فلحوقها وهول مطلعها قالوا ما قالوا والمراد بها النار التي وقفوا عليها اذ هي التي سيق الكلام
لتهويل امرها وتعجيب من فظاعة حال الموقوفين عليها وباخفائها تكذيبهم بها فان التكذيب بالشيء كفر به واخفاء
له لا محالة وايثاره على صريح التكذيب الوارد في قوله عز وجل هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون وقوله تعالى هذه
النار التي كنتم بها تكذبون مع كونه انسب بما قبله من قولهم ولا نكذب بآيات ربنا لمراعاة ما في مقابلته من البدو
وهذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم واما ما قيل من ان المراد بما يخفون كفرهم ومعاصيهم او قبائحهم
وفضائحهم التي كانوا يكتمونها من الناس فتظهر في صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم او شركهم الذي يجحدون
به في بعض مواقف القيمة بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين ثم يظهر بما ذكر من شهادة الجوارح عليهم او ما اخفاه
رؤساء الكفرة عن اتباعهم من امر البعث والنشور او كتمه علماء اهل الكتابين من صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم
ونعوته الشريفة عن عوامهم على ان الضمير المجرور للعوام والمرفوع للخواص او كفرهم الذي اخفوه من المؤمنين والضمير
المجرور للمؤمنين والمرفوع للمنافقين فبعد الاغضاء عما في كل منها من الاعتساف والاختلال لا سبيل الى شيء من ذلك
اصلا لما عرفت من ان سوق النظم الشريف لتهويل امر النار وتفظيع حال اهلها وقد ذكر وقوفهم عليها واشير الى انه
اعتراهم عند ذلك من الخوف والخشية والحيرة والدهشة ما لا يحيط به الوصف ورتب عليه تمنيهم المذكور بالفاء القاضية
بسببية ما قبلها لما بعدها فاسقاط النار بعد ذلك من تلك السببية وهي في نفسها ادهى الدواهي وازجر الزواجر
واسنادها الى شيء من الامور المذكورة التي دونها في الهول والزجر مع عدم جريان ذكرها ثمة امر يجب تنزيه
ساحة التنزيل عن امثاله واما ما قيل من ان المراد جزاء ما كانوا يخفون فمن قبيل دخول البيوت من ظهورها وابوابها
مفتوحة فتامل ولو ردوا اي من موقفهم ذلك الى الدنيا حسبما تمنوه وغاب عنهم ما شاهدوه من الاهوال
لعادوا لما نهوا عنه من فنون القبائح التي من جملتها التكذيب المذكور ونسوا ما عاينوه بالكلية لاقتصار
انظارهم على الشاهد دون الغائب وانهم لكاذبون اي لقوم ديدنهم الكذب في كل ما ياتون وما يذرون وقالوا
عطف على عادوا داخل في حيز الجواب وتوسيط قوله تعالى وانهم لكاذبون بينهما لانه اعتراض مسوق لتقرير ما
افاده الشرطية من كذبهم المخصوص ولو اخر لاوهم ان المراد تكذيبهم في انكارهم البعث والمعنى لو ردوا الى الدنيا
لعادوا لما نهوا عنه وقالوا ان هي اي ما الحيوة الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين بعد ما فارقناها كان لم يروا
ما رأوا من الاحوال التي اولها البعث والنشور ولو ترى اذ وقفوا على ربهم الكلام فيه كالذي مر في نظيره خلا ان الوقوف
ها هنا مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده للعقاب وقيل عرفوا ربهم حق
التعريف وقيل وقفوا على جزاء ربهم وقوله تعالى قال استيناف مبني على سؤال نشأ من كلام السابق كانه قيل فماذا
قال لهم ربهم فقيل قال اليس هذا مشيرا الى ما شاهدوه من البعث وما يتبعه من الامور العظام بالحق تقريعا
لهم على تكذيبهم لذلك وقولهم عند سماع ما يتعلق به ما هو بحق وما هو الا اباطيل قالوا استيناف كما سبق بلى
وربنا اكدوا اعترافهم باليمين اظهارا لكمال يقينهم بحقيته وايذانا بصدور ذلك عنهم بالرغبة والنشاط طمعا

في نفخة قال استيناف كأنه قيل فذوقوا العذاب الذي عاينتموه والفاء لترتيب التعذيب على اعترافهم بحقية ما كفروا به
في الدنيا لكن لا على ان مدار التعذيب هو اعترافهم بذلك بل هو كفرهم السابق بما اعترفوا بحقيته الآن كما نطق به قوله عز
وجل بما كنتم تكفرون اي بسبب كفركم في الدنيا بذلك او بكل ما يجب الايمان به فيدخل كفرهم به دخولا اوليا ولعل
هذا التوبيخ والتقريع انما يقع بعد ما وقفوا على النار فقالوا ما قالوا اذ الظاهر انه لا يبقى بعد هذا الامر الا العذاب
قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله هم الذين حكيت احوالهم لكن وضع الموصول موضع الضمير للايذان بتسبب خسرانهم بما في
حيز الصلة من التكذيب بلقائه تعالى بقيام الساعة وما يترتب عليه من البعث واحكامه المتفرعة عليه من البعث واستمرارهم
على ذلك فان كلمة حتى في قوله تعالى حتى اذا جاءتهم الساعة غاية لتكذيبهم لا لخسرانهم فانه ابدي لا حد له بغتة البغت والبغتة
مفاجأة الشيء بسرعة من غير شعور به يقال بغته بغتا وبغتة اي فجأة وانتصابها اما على انها مصدر واقع موقع
الحال من فاعل جاءتهم اي مباغتة او من مفعوله اي مبغوتين واما على انه مصدر مؤكد على غير المصدر فان جاءتهم
في معنى بغتتهم كقولهم اتيته ركضا او مصدر مؤكد لفعل محذوف وقع حالا من فاعل جاءتهم اي جاءتهم الساعة تبغتهم
بغتة قالوا جواب اذا يا حسرتنا تعالي فهذا اوانك والحسرة شدة الندم وهذا التحسر وان كان يعتريهم عند الموت
لكن لما كان ذلك من مبادي الساعة سمي باسمها ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته
او جعل مجيء الساعة بعد الموت كالواقع بغير فترة لسرعته قوله تعالى على ما فرطنا فيها اي على تفريطنا في شان الساعة
وتقصيرنا في مراعاة حقها والاستعداد لها بالايمان بها واكتساب الاعمال الصالحة كما في قوله تعالى على ما
فرطت في جنب الله وقيل الضمير للحيوة الدنيا وان لم يجر لها ذكر لكونها معلومة والتفريط التقصير في الشيء
مع القدرة على فعله وقيل هو التضييع وقيل الفرط السبق ومنه الفارط ومعنى فرط خلى السبق لغيره فالتضعيف
فيه للسلب كما في جلدت البعير وقوله تعالى وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم حال من فاعل قالوا فائدته الايذان بان عذابهم
ليس مقصورا على ما ذكر من الحسرة على ما فات وزال بل يقاسون مع ذلك تحمل الاوزار الثقال والايماء الى ان تلك
الحسرة من الشدة بحيث لا تزول فلا تنسى بما يكابدونه من فنون العقوبات والسر في ذلك ان العذاب الروحاني
اشد من الجسماني نعوذ برحمة الله عز وجل منهما والوزر في الاصل الحمل الثقيل سمي الاثم والذنب لغاية ثقله
على صاحبه وذكر الظهور كذكر الايدي في قوله تعالى فبما كسبت ايديكم فان المعتاد حمل الاوزار على الظهور كما ان
المالوف هو الكسب بالايدي والمعنى انهم يتحسرون على ما لم يعملوا من الحسنات والحال انهم يحملون اوزار ما عملوا
من السيئات الا ساء ما يزرون تذييل مقرر لما قبله وتكملة له اي بئس شيئا يزرونه وزرهم وما الحيوة الدنيا الا
لعب ولهو لما حقق فيما سبق ان وراء الحيوة الدنيا حياة اخرى يلقون فيها من الخطوب ما يلقون في هذه
حال تينك الحياتين في انفسهما واللعب عمل يشغل النفس وينفرها عما ينتفع به واللهو صرفها عن الجد الى الهزل
والمعنى اما على حذف المضاف او على جعل الحيوة الدنيا نفس اللعب واللهو مبالغة كما في قول الخنساء • فانما هي اقبال
وادبار اي وما اعمال الدنيا اي الاعمال المتعلقة بها من حيث هي هي او وما هي من حيث انها محل الكسب تلك
الاعمال الا لعب يشغل الناس ويلهيهم بما فيه من منفعة سريعة الزوال • ولذة وشيكة الاضمحلال • عما يعقبهم
منفعة جليلة باقية • ولذة حقيقية غير متناهية • من الايمان والعمل الصالح وللدار الآخرة التي هي محل الحيوة
الاخرى خير للذين يتقون الكفر والمعاصي لان منافعها خالصة عن المضار ولذاتها غير منغصة بالالام مستمرة
على الدوام افلا يعقلون ذلك حتى تتقوا ما انتم عليه من الكفر والعصيان والفاء للعطف على مقدر اي اتغفلون
او لا تتفكرون فلا تعقلون وقرئ يعقلون على الغيبة قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون استيناف مسوق
لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن الذي يعتريه مما حكي عن الكفرة من الاصرار على التكذيب والمبالغة
فيه ببيان انه عليه السلام بمكانة من الله عز وجل وان ما يفعلون في حقه فهو راجع اليه تعالى في الحقيقة وانه ينتقم
منهم لا محالة اشد انتقام وكلمة قد لتاكيد العلم بما ذكر المفيد لتاكيد الوعيد كما في قوله تعالى قد يعلم ما انتم عليه وقوله

تعالى

تعالى قد يعلم الله المعوقين ونحوهما باخراجها الى معنى التكثير حسبما يخرج اليه ربما في مثل قوله • وان تمس مهجور
الفناء فربما • اقام به الوفود وفود • جريا على سنن العرب عند قصد الافراط في التكثير تقول لبعض قواد العساكر
كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي وعنده مقانب جمة يريد بذلك التمادي في تكثير فرسانه
ولكنه يروم اظهار براءته من التزيد وابراز انه ممن يقلل كثير ما عنده فضلا عن تكثير القليل وعليه قوله عز وجل
ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وهذه طريقة انما تسلك عند كون الامر من الوضوح بحيث لا يحوم حوله
شائبة ريب حقيقة كما في الايات الكريمة المذكورة او ادعاء كما في البيت وقوله • قد اترك القرن مصفرا انامله
وقوله • ولكنه قد يهلك المال نائله • والمراد بكثرة علمه تعالى لكثرة تعلقه وهو متعد الى اثنين وما بعده ساد مسدهما
واسم ان ضمير شان وخبرها الجملة المفسرة له والموصول فاعل يحزنك وعائده محذوف اي الذي يقولونه وهو
ما حكي عنهم من قولهم ان هذا الا اساطير الاولين ونحو ذلك وقرئ ليحزنك من احزن المنقول من حزن اللازم وقوله
تعالى فانهم لا يكذبونك تعليل لما يشعر به الكلام السابق من النهي من الاعتداد بما قالوا لكن لا بطريق التسلي عنه
وعدم هينا والاقبال التام على ما هو اهم منه من استعظام جحودهم بايات الله عز وجل كما قيل فانه مع كونه بمعزل
عن التسلية بالكلية مما يوهم كون حزنه صلى الله عليه وسلم لخاصة نفسه بل بطريق التسلي بما يفيده من بلوغه عليه
السلام في جلالة القدر ورفعة المحل والزلفى من الله عز وجل الى حيث لا غاية وراءه حيث لم يقتصر على جعل تكذيبه
عليه الصلوة والسلام تكذيبا لاياته سبحانه على طريقة قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله بل نفى تكذيبهم عنه عليه
الصلوة والسلام واثبت لاياته سبحانه تعالى على طريقة قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ايذانا بكمال
القرب واضمحلال شؤونه عليه الصلاة والسلام في شان الله عز وجل نعم فيه استعظام لجناياتهم مبني عن عظم عقوبتهم
كانه قيل لا تعتد به وكله الى الله تعالى لانهم في تكذيبهم ذلك لا يكذبونك في الحقيقة ولكن الظالمين بايات الله يجحدون اي ولكنهم
بايات الله تعالى يكذبون فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالرسوخ في الظلم الذي جحودهم هذا فن من فنونه والالتفات
الى الاسم الجليل لتربية المهابة واستعظام ما اقدموا عليه من جحود اياته تعالى وايراد الجحود في مورد التكذيب للايذان
بان اياته تعالى من الوضوح بحيث يشاهد صدقها كل احد وان من ينكرها فانما ينكرها بطريق الجحود الذي هو عبارة عن الانكار
مع العلم بخلافه كما في قوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم وهو المعني بقول من قال انه نفي ما في القلب اثباته
واثبات ما في القلب نفيه والباء متعلقة بيجحدون يقال جحد حقه وبحقه اذا انكره وهو يعلمه وقيل هي لتضمين
الجحود معنى التكذيب واياما كان فتقديم الجار والمجرور للقصر وقيل المعنى فانهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون
بالسنتهم ويعضده ما روي ان الاخنس بن شريق قال لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب
فانه ليس عندنا احد غيرنا فقال له والله ان محمدا لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة
والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يسمى الامين فعرفوا انه لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يجحدون وقيل فانهم لا يكذبونك لانك عندهم الصادق
الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون بايات الله كما روي ان ابا جهل كان يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما نكذبك
انك عندنا لصادق ولكنا نكذب ما جئتنا به فنزلت وكان صدق المخبر عند الخبيث بمطابقة خبره لاعتقاده والاول
هو الذي يستدعيه الجزالة التنزيلية وقرئ لا يكذبونك من الاكذاب فقيل كلاهما بمعنى واحد كاكثر وكثر
وانزل ونزل وهو الاظهر وقيل اكذبه وجده كاذبا ونقل عن الكسائي ان العرب تقول كذبت الرجل اي نسبت
الكذب اليه واكذبته اي نسبت الكذب الى ما جاء به لا اليه وقوله تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك افتنان في تسليته
عليه الصلوة والسلام فان عموم البلية ربما يهون امرها بعض تهوين وارشاد له عليه الصلاة والسلام الى الاقتداء
بمن قبله من الرسل الكرام • عليهم الصلوة والسلام • في الصبر على ما اصابهم من اممهم من فنون الاذية وعدة ضمنية
له عليه الصلوة والسلام بمثل ما منحوه من النصر وتصدير الكلام بالقسم لتاكيد التسلية وتنوين رسل للتفخيم والتكثير

ومن اما متعلقة بكذبت او بمحذوف وقع صفة لرسل اي وبالله لقد كذبت من قبل تكذيبك رسل اولوا شان خطير
وذوو عدد كثير او كذبت رسل كانوا من زمان قبل زمانك **فصبروا على ما كذبوا** ما مصدرية وقوله تعالى **واوذوا** عطف
على ما كذبوا داخل في حكمه فانسبك منهما مصدران من المبني للمفعول اي فصبروا على تكذيبهم وايذائهم فتاسّ بهم واصطبر
على ما نالك من قومك والمراد بايذائهم اما عين تكذيبهم وما يقارنه من فنون الايذاء لم يصرح به ثقة باستلزام التكذيب
اياه غالبا وايا ما كان ففيه تاكيد للتسلية **وقيل** عطف على صبروا **وقيل** على كذبت **وقيل** هو استيناف وقوله
تعالى **حتى اتاهم نصرنا** غاية للصبر وفيه ايذان بان نصره تعالى اياهم امر مقرر لا مرد له وانه متوجه اليهم لا بد من
اتيانه البتة والالتفات الى نون العظمة لابراز الاعتناء بشان النصر وقوله تعالى **ولا مبدل لكلمات الله** اعتراض مقرر
لما قبله من اتيان نصره اياهم والمراد بكلماته تعالى ما ينبئ عنه قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين
انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقوله تعالى كتب الله لاغلبن انا ورسلي من المواعيد السابقة
عليهم السلام الدالة على نصرة رسول الله ايضا لا نفس الايات المذكورة ونظائرها فان الاخبار بعدم تبدلها انما يفيد
عدم تبدل المواعيد الواردة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة دون المواعيد السابقة للرسل عليهم الصلوة
والسلام ويجوز ان يراد بكلماته تعالى جميع كلماته التي من جملتها تلك المواعيد الكريمة ويدخل فيها المواعيد الواردة
في حقه عليه الصلوة والسلام دخولا اوليا والالتفات الى الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية من
موجبات ان لا يغالبه احد في فعل من الافعال ولا يقع منه تعالى خلف في قول من الاقوال وقوله تعالى **ولقد
جاءك من نبإ المرسلين** جملة قسمية جيء بها لتحقيق ما منحوا من النصر وتاكيد ما في ضمنه من الوعد لرسول الله صلى الله
عليه وسلم او لتقرير جميع ما ذكر من تكذيب الامم وما يترتب عليه من الامور والجار والمجرور في محل الرفع على انه
فاعل اما باعتبار مضمونه اي بعض نبإ المرسلين او بتقدير الموصوف اي بعض من نبإ المرسلين كما في تفسير قوله تعالى
ومن الناس من يقول امنا بالله الاية وايا ما كان فالمراد بنبائهم عليهم الصلوة والسلام على الاول نصره تعالى اياه بعد اللتيا
والتي وعلى الثاني ما جرى بينهم عليهم الصلوة والسلام وبين اممهم على ما ينبئ عنه قوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا
الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم الباساء والضراء وزلزلوا الاية **وقيل** في محل النصب على
الحالية من المستكن في جاء العائد الى ما يفهم من الجملة السالفة اي ولقد جاءك هذا الخبر كائنا من نبإ المرسلين
وان كان كبر عليك اعراضهم كلام مستانف مسوق لتاكيد ايجاب الصبر المستفاد من التسلية ببيان انه امر لا محيد
عنه اصلا اي ان كان عظم عليك وشق اعراضهم عن الايمان بما جئت من القران الكريم حسبما يفصح عنه ما حكي
من تسميتهم له اساطير الاولين وتنائيهم عنه ونهيهم الناس عنه **وقيل** ان الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف
اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في محضر من قريش فقالوا يا محمد ائتنا باية من عند الله كما كانت الانبياء تفعل وانا نصدقك
فابى الله ان ياتيهم باية مما اقترحوا فاعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق ذلك عليه لما انه عليه الصلوة و
السلام كان شديد الحرص على ايمان قومه فكان اذا سالوه اية يود ان ينزلها تعالى طمعا في ايمانهم فنزلت فقوله تعالى اعراضهم
مرتفع بكبر وتقديم الجار والمجرور عليه لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والجملة في محل النصب
على انها خبر لكان مفسرة لاسمها الذي هو ضمير الشان ولا حاجة الى تقدير قد **وقيل** اسم كان اعراضهم وكبر
جملة فعلية في محل النصب على انها خبرها مقدم على اسمها لانه فعل رافع لضمير مستتر كما هو المشهور وعلى التقديرين
قوله عز وجل **فان استطعت** الخ شرطية اخرى محذوفة الجواب وقعت جوابا للشرط الاول والمعنى ان شق عليك
اعراضهم عن الايمان بما جئت به من البينات وعدم عدهم لها من قبيل الايات واحببت ان تجيبهم الى ما سالوا اقتراحا
فان استطعت **ان تبتغي نفقا** اي سربا ومنفذا **في الارض** تنفذ فيه الى جوفها **او سلما** اي مصعدا **في السماء**
تعرج به فيها **فتاتيهم** منهما **باية** مما اقترحوه فافعل وقد جوز ان يكون ابتغاؤهما نفس الاتيان بالاية فالفاء في فتاتيهم
حينئذ تفسيرية وتنوين اية للتفخيم اي فان استطعت تبتغيهما فتجعل ذلك اية لهم فافعل والظرفان متعلقان

الآفي

بمحذوف هما نعتان نفقا وسلما والاول لمجرد التاكيد اذ النفق لا يكون الا في الارض وبتبتغي وقد جوز تعلقهما
بمحذوف وقع حالا من فاعل تبتغي نفقا كائنا في الارض او سلما كائنا في السماء وفيه من الدلالة على تبالغ حرصه
عليه الصلوة والسلام على اسلام قومه وترامِيه الى حيث لو قدر على ان ياتي باية من تحت الارض او من فوق
السماء لفعل رجاء لايمانهم ما لا يخفى وايثار الابتغاء على الاتخاذ ونحوه للايذان بان ما ذكر من النفق والسلم
مما لا يستطاع ابتغاؤه فكيف باتخاذه **ولو شاء الله لجمعهم على الهدى** اي لو شاء الله تعالى ان يجمعهم على ما انتم عليه
من الهدى لفعله بان يوفقهم للايمان فيؤمنوا معكم ولكن لم يشأ لعدم صرف اختيارهم الى جانب الهدى
مع تمكنهم التام منه ومشاهدتهم للايات الداعية اليه لانه تعالى لم يوفقهم له مع توجههم الى تحصيله
وقيل لو شاء الله لجمعهم عليه بان ياتيهم باية ملجئة اليه ولكن لم يفعله لخروجه عن الحكمة وقوله تعالى **فلا تكونن
من الجاهلين** نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان عليه من الحرص الشديد على اسلامهم والميل الى اتيان ما يقترحونه
من الايات طمعا في ايمانهم مرتب على بيان عدم تعلق مشيئته تعالى بهدايتهم والمعنى اذا عرفت انه تعالى
لم يشأ هدايتهم وايمانهم باحد الوجهين فلا تكونن بالحرص الشديد على اسلامهم او الميل الى نزول مقترحاتهم
من الجاهلين بدقائق شؤونه تعالى التي من جملتها ما ذكر من عدم تعلق مشيئته تعالى بايمانهم اما اختيارا فلعدم
توجههم اليه واما اضطرارا فلخروجه عن الحكمة التشريعية المؤسسة على الاختيار ويجوز ان يراد بالجاهلين
على الوجه الثاني المقترحون ويراد به بالنهي منعه عليه الصلوة والسلام من المساعدة على اقتراحهم وايرادهم
بعنوان الجهل دون الكفر ونحوه لتحقيق مناط النهي الذي هو الوصف الجامع بينه عليه الصلاة والسلام
وبينهم **انما يستجيب الذين يسمعون** تقرير لما مر من ان على قلوبهم اكنة مانعة من الفقه وفي اذانهم وقرا
حاجزا من السماع وتحقيق لكونهم بذلك من قبيل الموتى لا يتصور منهم الايمان البتة والاستجابة الاجابة المقارنة
للقبول اي انما يقبل دعوتك الى الايمان الذين يسمعون ما يلقى اليهم سماع فهم وتدبر دون الموتى الذين هؤلاء
منهم كقوله انك لا تسمع الموتى وقوله تعالى **والموتى يبعثهم الله** تمثيل لاختصاصه تعالى بالقدرة على توفيقهم
للايمان باختصاصه تعالى بالقدرة على بعث الموتى من القبور **وقيل** بيان لاستمرارهم على الكفر وعدم
اقلاعهم عنه اصلا على ان الموتى مستعار للكفرة بناء على تشبيه جهلهم بموتهم اي وهؤلاء الكفرة يبعثهم الله
تعالى من قبورهم **ثم اليه يرجعون** للجزاء فحينئذ يستجيبون واما قبل ذلك فلا سبيل اليه **وقرئ** يرجعون
على البناء للفاعل من رجع رجوعا والمشهور اوفق بحق المقام لانبائه عن كون مرجعهم اليه تعالى بطريق الاضطرار
وقالوا لولا نزل عليه اية من ربه حكاية لبعض اخر من اباطيلهم بعد حكاية ما قالوا في حق القران الكريم وبيان ما
يتعلق به والقائلون رؤساء قريش **وقيل** الحارث بن عامر بن نوفل واصحابه لقد بلغت الضلالة والطغيان
الى حيث لم يقتنعوا بما شاهدوا من البينات التي تخر لها صم الجبال حتى اجترؤا على ادعاء انها ليست من قبيل الايات
وانما هي ما اقترحوه من الخوارق الملجئة او المعقبة للعذاب كما قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا
حجارة من السماء الاية والتنزيل بمعنى الانزال كما ينبئ عنه القراءة بالتخفيف فيما سياتي وما يفيده التعرض لعنوان
ربوبيته تعالى من الاشعار بالعلية انما هو بطريق التعريض بالتهكم من جهتهم واطلاق الاية في قوله تعالى
قل ان الله قادر على ان ينزل اية مع ان المراد بها ما هو من الخوارق المذكورة لا اية ما من الايات لفساد المعنى مجاراة
معهم على زعمهم ويجوز ان يراد بها اية موجبة لهلاكهم كانزال ملائكة العذاب ونحوه على ان تنوينها للتفخيم و
التهويل كما ان اظهار الاسم الجليل لتربية المهابة مع ما فيه من الاشعار بعلة القدرة الباهرة والاقتصار في الجواب
على بيان قدرته تعالى على تنزيلها مع انها في حيز الانكار للايذان بان عدم تنزيله تعالى اياها مع قدرته عليه لحكمة
بالغة يجب معرفتها وهم غافلون كما ينبئ عنه الاستدراك بقوله تعالى **ولكن اكثرهم لا يعلمون** اي ليسوا من اهل العلم
على ان المفعول مطرح بالكلية او لا يعلمون شيئا على انه محذوف مدلول عليه بقرينة المقام والمعنى انه تعالى

قادر على ان ينزل اية من ذلك او اية واية اية ولكن اكثرهم لا يعلمون فلا يدرون ان عدم تنزيلها مع ظهور قدرته عليه
لما ان في تنزيلها قلعا لاساس التكليف المبني على قاعدة الاختيار او استيصالا لهم بالكلية فيقترحونها جهلا
ويتخذون تنزيلها ذريعة الى التكذيب وتخصيص عدم العلم باكثرهم لما ان بعضهم واقفون على حقيقة الحال وانما
يفعلون مكابرة وعنادا وقوله تعالى **وما من دابة في الارض** كلام مستانف مسوق لبيان كمال قدرته عز وجل وشمول
علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه تعالى قادر على تنزيل الاية وانما لا ينزلها محافظة على حكمه البالغة وزيادة
وزيادة من لتاكيد الاستغراق وفي متعلقة بمحذوف هو وصف لدابة مفيد لزيادة التعميم كانه قيل وما فرد من
افراد الدواب يستقر في قطر من اقطار الارض وكذا زيادة الوصف في قوله تعالى **ولا طائر يطير بجناحيه** مع ما
فيه من زيادة التقرير اي ولا طائر من الطيور يطير في ناحية من نواحي الجو بجناحيه كما هو المشاهد المعتاد وقرئ
ولا طائر بالرفع عطفا على محل الجار والمجرور كانه قيل وما دابة ولا طائر **الا امم** اي طوائف متخالفة والجمع باعتبار
المعنى كانه قيل وما من دواب ولا طير الا امم **امثالكم** اي كل امة منها مثلكم في ان احوالها محفوظة وامورها
متقنة ومصالحها مرعية جارية على سنن السداد منتظمة في سلك التقديرات الالهية والتدبيرات الربانية
ما فرطنا في الكتاب من شيء يقال فرط الشيء اي ضيعه وتركه **قال** ساعدة بن جؤية معه سقاء لا يفرط حمله
اي لا يتركه ولا يفارقه ويقال فرط في الشيء اي اهمل ما ينبغي ان يكون فيه واغفله قوله تعالى في الكتاب اي في القران
على الاول ظرف لغو وقوله تعالى من شيء مفعول لفرطنا ومن مزيدة للاستغراق اي ما تركنا في القران شيئا
من الاشياء المهمة التي من جملتها بيان انه تعالى مراع لمصالح جميع مخلوقاته على ما ينبغي وعلى الثاني مفعول
للفعل ومن شيء في موضع المصدر اي ما جعلنا الكتاب مفرطا فيه شيئا من التفريط بل ذكرنا فيه كل ما لا بد من
ذكره وايا ما كان فالجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها **وقيل** الكتاب اللوح فالمراد بالاعتراض الاشارة
الى ان احوال الامم مستقصاة في اللوح غير مقصورة على هذا القدر المجمل **وقرئ** فرطنا بالتخفيف وقوله تعالى
ثم الى ربهم يحشرون بيان لاحوال الامم المذكورة في الاخرة بعد بيان احوالها في الدنيا وايراد ضميرها على صيغة
جمع العقلاء لاجرائها مجراهم والتعبير عنها بالامم اي مالك امورهم يحشرون يوم القيمة كدابكم لا الى غيره فيجازيهم
فينصف بعضهم من بعض حتى يبلغ من عدله ان ياخذ للجماء من القرناء **وقيل** حشرها موتها واباه مقام تهويل
الخطب وتفظيع الحال وقوله تعالى **والذين كذبوا باياتنا** متعلق بقوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء والموصول
عبارة عن المعهودين في قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك الايات ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده اي اوردنا
في القران جميع الامور المهمة وازحنا به العلل والاعذار والذين كذبوا باياتنا التي هي منه **صم** لا يسمعونها سمع
تدبر وفهم فلذلك يسمعونها اساطير الاولين ولا يعدونها من الايات ويقترحون غيرها **وبكم** لا يقدرون على
ان ينطقوا بالحق ولذلك لا يستجيبون دعوتك بها وقوله تعالى **في الظلمات** اي في ظلمات الكفر وظلمات الجهل
والعناد والتقليد اما خبر ثان للمبتدا على انه عبارة عن العمى كما في قوله تعالى صم بكم عمي واما متعلق بمحذوف وقع حالا
من المستكن في الخبر كانه قيل ضالون كائنين في الظلمات او صفة لبكم اي بكم كائنون في الظلمات والمراد به بيان كمال
عراقتهم في الجهل وسوء الحال فان الاصم الابكم اذا كان بصيرا ربما يفهم شيئا باشارة غيره وان لم يفهمه بعبارته
وكذا يشعر غيره بما في ضميره بالاشارة وان كان معزولا عن العبارة واما اذا كان مع ذلك اعمى او كان في الظلمات
فينسد عليه باب الفهم والتفهيم بالكلية وقوله تعالى **من يشاء الله يضلله** تحقيق للحق وتقرير لما سبق من حالهم
ببيان انهم من اهل الطبع لا يتاتى منهم الايمان اصلا فمن مبتدا خبره ما بعده ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة
المستمرة من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وانتفاء الغرابة في تعلقها به اي من يشاء الله اضلاله
اي يخلق فيه الضلال يضلله اي يخلقه فيه لكن لا ابتداء بطريق الجبر من غير ان يكون له دخل في ذلك بل عند
صرف اختياره الى كسبه وتحصيله وقس عليه قوله تعالى **ومن يشاء يجعله على صراط مستقيم** لا يضل من ذهب اليه

ولا نزال من يثبت قدمه عليه **قل ارايتكم** امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبكتهم ويلقمهم الحجر بما لا
سبيل لهم الى النكير والكاف حرف جيء به لتاكيد الخطاب لا محل له من الاعراب ومبنى التركيب وان كان على الاستخبار
عن الرؤية قلبية كانت او بصرية لكن المراد به الاستخبار عن متعلقها اي اخبروني **ان اتاكم عذاب الله** حسبما
اتى الامم السابقة من انواع العذاب الدنيوي **او اتتكم الساعة** التي لا محيص عنها البتة **اغير الله تدعون** هذا
مناط الاستخبار ومحط التبكيت وقوله تعالى **ان كنتم صادقين** متعلق بارايتكم مؤكد للتبكيت كاشف عن كذبهم وجواب
الشرط محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه اي ان كنتم صادقين على ان اصنامكم الهة كما انها دعواكم المعروفة او ان
كنتم قوما صادقين فاخبروني اغير الله تدعون ان اتاكم فان صدقهم باي معنى كان من موجبات اخبارهم بدعائهم غيره
سبحانه واما جعل الجواب ما يدل عليه قوله تعالى اغير الله تدعون اعني فادعوه على ان الضمير لغير الله فمخل بجزالة
النظم الكريم كيف لا والمطلوب منهم انما هو الاخبار بدعائهم غيره تعالى عند اتيان ما ياتي لا انفس دعائهم اياه وقوله
تعالى **بل اياه تدعون** عطف على جملة منفية ينبئ عنها الجملة التي تعلق بها الاستخبار انباء جليا كانه قيل لا غيره تعالى
تدعون بل اياه تدعون وقوله تعالى **فيكشف ما تدعون اليه** اي الى كشفه عطف على تدعون اي فيكشفه اثر دعائكم
وقوله تعالى **ان شاء** اي ان شاء كشفه لبيان ان قبول دعائهم غير مطرد بل هو تابع لمشيته المبنية على حكم خفية
قد استاثر الله تعالى بعلمها فقد يقبله كما في بعض دعواتهم المتعلقة بكشف العذاب الدنيوي وقد لا يقبله كما في بعض
اخر منها وفي جميع ما يتعلق بكشف العذاب الاخروي الذي من جملته الساعة وقوله تعالى **وتنسون ما تشركون**
اي تتركون ما تشركون به تعالى من الاصنام تركا كليا عطف على تدعون ايضا وتوسيط الكشف بينهما مع تقارنهما
وتاخر الكشف عنهما لاظهار كمال العناية بشان الكشف والايذان بترتبه على الدعاء خاصة وقوله تعالى **ولقد ارسلنا**
كلام مستانف مسوق لبيان ان منهم من لا يدعو الله تعالى عند اتيان العذاب ايضا لتماديهم في الغي والضلال لا يتاثرون
بالزواجر التكوينية كما لا يتاثرون بالزواجر التنزيلية وتصديره بالجملة القسمية لاظهار مزيد الاهتمام بمضمونه
ومفعول ارسلنا محذوف لما ان مقتضى المقام بيان حال المرسل اليهم لا حال المرسلين اي وبالله لقد ارسلنا رسلا **الى**
امم كثيرة **من قبلك** اي كائنة من زمان قبل زمانك **فاخذناهم** اي فكذبوا رسلهم فاخذناهم **بالباساء** اي
بالشدة والقهر **والضراء** اي الضر والافات وهما صيغتا تانيث لا مذكر لهما **لعلهم يتضرعون** اي لكي يدعوا الله
تعالى في كشفها بالتضرع والتذلل ويتوبوا اليه من كفرهم ومعاصيهم **فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا** اي فلم يتضرعوا
بعد ذلك حينئذ مع تحقق ما يستدعيه **ولكن قست قلوبهم** استدراك عما قبله اي فلم يتضرعوا اليه تعالى برقة
القلوب والخضوع مع تحقق ما يدعوهم اليه ولكن ظهر منهم نقيضه حيث قست قلوبهم اي استمرت على ما هي عليه
من القساوة او ازدادت قساوة **وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون** من الكفر والمعاصي فلم يخطروا ببالهم ان ما اعتراهم من
الباساء والضراء ما اعتراهم الا لاجله **وقيل** الاستدراك لبيان انه لم يكن لهم في ترك التضرع عذر سوى قسوة
قلوبهم والاعجاب باعمالهم التي زينها الشيطان لهم وقوله تعالى **فلما نسوا ما ذكروا به** عطف على مقدر ينساق
اليه النظم الكريم اي فانهمكوا فيه ونسوا ما ذكروا من الباساء والضراء فلما نسوه **فتحنا عليهم ابواب كل شيء** من
فنون النعماء على منهاج الاستدراج **لما روي** انه عليه الصلوة والسلام قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرئ فتحنا
بالتشديد للتكثير وفي ترتيب الفتح على النسيان المذكور اشعار بان التذكير في الجملة غير خال عن النفع وحتى في قوله تعالى
حتى اذا فرحوا بما اوتوا هي التي يبتدا بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية كما في قوله تعالى حتى اذا جاء امرنا
الاية ونظائره وهي مع ذلك غاية لقوله تعالى فتحنا او لما يدل هو عليه كانه قيل ففعلوا ما فعلوا حتى اذا اطمانوا بما
اتيح لهم بطروا واشروا **اخذناهم بغتة** اي نزل بهم عذابنا فجاة لتكون اشد عليهم وقعا وافظع هولا **فاذا هم**
مبلسون متحسرون غاية الحسرة ايسون من كل خير وفي الجملة الاسمية دلالة على استمرارهم على تلك
الفظيعة **فقطع دابر القوم الذين ظلموا** الى اخرهم بحيث لم يبق منهم احد من دبر دبرا ودبورا اي تبعه ومنه

الظاهر موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم فان هلاكهم بسبب ظلمهم الذي هو وضع الكفر موضع الشكر واقامة
المعاصي مقام الطاعات **والحمد لله رب العالمين** على ما جرى عليهم من النكال فان اهلاك الكفار والعصاة من حيث
انه تخليص لاهل الارض من شوم عقايدهم الفاسدة واعمالهم الخبيثة نعمة جليلة مستجلبة للحمد لاسيما مع ما فيه من
اعلاء كلمة الحق التي نطقت بها رسلهم عليهم السلام **قل ارايتم** امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتكرير التبكيت عليهم
وتثنية الالزام بعد تكملة الالزام الاول ببيان انه امر مستمر لم يزل جاريا في الامم وهذا ايضا استخبار عن متعلق الروية
وان كان بحسب الظاهر استخبارا عن نفس الروية **ان اخذ الله سمعكم وابصاركم** بان اصمكم واعماكم بالكلية **وختم على قلوبكم** بان
غطى عليها ما لا يبقى لكم معه عقل وفهم اصلا وتصيرون مجانين ويجوز ان يكون الختم عطفا تفسيريا للاخذ المذكور فان السمع
والبصر طريقان للقلب منهما يرد ما يرده من المدركات فاخذهما سد لبابه بالكلية وهو السر في تقديم اخذهما على ختمها
واما تقديم السمع على الابصار فلانه مورد الايات القرانية وافراده لما ان اصله المصدر وقوله تعالى **من اله** مبتداء
وخبر من استفهامية وقوله عز وجل **غير الله** صفة للخبر وقوله تعالى **ياتيكم به** اي بذلك على ان الضمير مستعار لاسم
الاشارة او بما اخذ وختم عليه صفة اخرى له والجملة متعلق الروية ومناط الاستخبار اي اخبروني ان سلب الله
مشاعركم من اله غيره تعالى ياتيكم بها وقوله تعالى **انظر كيف نصرف الايات** تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من عدم
تاثرهم بما عاينوا من الايات الباهرة اي انظر كيف نكررها ونقررها مصروفة من اسلوب الى اسلوب تارة بترتيب
المقدمات العقلية وتارة بطريق الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير **ثم هم يصدفون** عطف على نصرف
داخل في حكمه وهو العمدة في التعجيب وثم لاستبعاد صدوفهم اي اعراضهم عن تلك الايات بعد تصريفها على هذا
النمط البديع الموجب للاقبال عليها **قل ارايتكم** تبكيت اخر بالجائهم الى الاعتراف باختصاص العذاب بهم **ان اتاكم عذاب الله**
اي عذابه العاجل الخاص بكم كما اتى من قبلكم من الامم **بغتة** اي فجاءة من غير ان يظهر مخايل الاتيان وحيث تضمن هذا المعنى
الخفيه قوبل بقوله تعالى **او جهرة** اي بعد ظهور اماراته وعلايمه **وقيل** ليلا ونهارا لما ان الغالب فيما اتى ليلا
البغتة وفيما اتى نهارا الجهرة **وقرئ** بغتة وجهرة وهما في موضع المصدر اي اتيان بغتة او اتيان جهرة وتقديم
البغتة لكونه اهول وافظع وقوله تعالى **هل يهلك** متعلق الاستخبار والاستفهام للتقرير اي قل لهم تقريرا
لهم باختصاص الهلاك بهم اخبروني ان اتاكم عذابه تعالى حسبما تستحقونه فهل يهلك بذلك العذاب الا انتم اي
هل يهلك غيركم ممن لا يستحقه وانما وضع موضعه **الا القوم الظالمون** تسجيلا عليهم بالظلم وايذانا بان مناط اهلاكهم
ظلمهم الذي هو وضعهم الكفر موضع الايمان **وقيل** المراد بالظالمين الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا **قال**
الزجاج هل يهلك الا انتم ومن اشبهكم ويأباه تخصيص الاتيان بهم **وقيل** الاستفهام بمعنى النفي فمتعلق الاستخبار
حينئذ محذوف كانه قيل اخبروني ان اتاكم عذابه تعالى بغتة او جهرة ماذا يكون الحال **ثم قيل** بيانا لذلك
ما يهلك الا القوم الظالمون اي ما يهلك بذلك العذاب الخاص بكم الا انتم فمن قيد الهلاك بهلاك التعذيب
والسخط لتحقيق الحصر باخراج غير الظالمين لما انه ليس بطريق التعذيب والسخط بل بطريق الاثابة ورفع الدرجة فقد اهمل
ما يجديه واشتغل بما لا يعنيه واخل بجزالة النظم الكريم **وقرئ** هل يهلك من الثاني **وما نرسل المرسلين** كلام
مستانف مسوق لبيان وظايف منصب الرسالة على الاطلاق وتحقيق ما في عهدة الرسل عليهم الصلوة والسلام واظهار
ان ما يقترحون الكفرة عليه عليه الصلوة والسلام مما لا يتعلق بالرسالة اصلا وصيغة المضارع لبيان ان ذلك امر
مستمر جرت عليه العادة الالهية وقوله تعالى **الا مبشرين ومنذرين** حالان مقدرتان من المرسلين اي ما نرسلهم
الا مقدرا تبشيرهم وانذارهم نفيها معنى العلة الغائية قطعا اي ليبشروا قومهم بالثواب على الطاعة وينذروهم
بالعقاب على اي ليخبروهم بالخبر السار والخبر الضار دينويا كان او اخرويا من غير ان يكون لهم دخل ما في وقوع المخبر
اصلا وعليه يدور القصر والالزام ان لا يكون بيان الشرايع والاحكام من وظايف الرسالة والفاء في قوله تعالى
فمن امن واصلح لترتيب ما بعدها على ما قبلها ومن موصولة والفاء في قوله تعالى **فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**

لشبه

لشبه الموصول بالشرط اي لا خوف عليهم من العذاب الذي انذروه دينويا كان او اخرويا ولا هم يحزنون بفوات
ما بشروا به من الثواب العاجل والاجل وتقديم نفي الخوف لمراعاة حق المقام وجميع الضماير الثلثة الراجعة الى من باعتبار
معناها كما ان افراد الضميرين السابقين باعتبار لفظها اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك الا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا
يحزنون والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما تقرر في
موضعه من ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام الا يرى ان الجملة الاسمية
تدل بمعونة المقام على استمرار الثبوت فاذا دخل عليها حرف النفي دلت على استمرار الانتفاء لا على انتفاء الاستمرار
كذلك المضارع الخالي عن حرف النفي يفيد استمرار الثبوت فاذا دخل عليه حرف النفي يفيد استمرار الانتفاء لا انتفاء الاستمرار
ولا يبعد في ذلك فان قولك ما زيدا ضربت مفيد لاختصاص النفي لا لنفي الاختصاص كما بين في محله وقوله عز وجل **والذين
كذبوا** عطف على من امن داخل في حكمه وقوله تعالى **باياتنا** اشارة الى ما نطق به الرسل عليهم الصلوة والسلام عند
التبشير والانذار ويبلغونه الى الامم من اياته تعالى وان من امن باياته تعالى فقد امن بها ومن كذب به تعالى فقد كذب بها
وفيه من الترغيب في الايمان به والتحذير عن تكذيبه ما لا يخفى والمعنى ما نرسل المرسلين الا ليخبروا اممهم من جهتنا
بما سيقع منا من الامور السارة والضارة لا ليوقعوها استقلالا لا من تلقاء انفسهم او استدعاء من قبلنا حتى يقترحوا
عليهم ما يقترحون فاذا كان الامر كذلك فمن امن بما اخبروا به من قبلنا تبشيرا او انذارا في ضمن اياتنا واصلح ما يجب
اصلاحه من اعماله او دخل في الصلاح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا باياتنا التي بلغوها عند التبشير
والانذار **يمسهم العذاب** اي العذاب الذي انذروه عاجلا او اجلا او حقيقة العذاب وجنسه المنتظم له انتظاما اوليا
بما كانوا يفسقون اي بسبب فسقهم المستمر الذي هو الاصرار على الخروج عن التصديق والطاعة **قل لا اقول لكم
عندي خزاين الله** استيناف مبني على ما اسس من السنة الالهية في شان ارسال الرسل وانزال الكتب مسوق لا
ظهار تبريه عليه الصلوة والسلام عما يدور عليه مقترحاتهم اي قل للكفرة الذين يقترحون عليك تارة تنزيل
الايات واخرى غير ذلك لا ادعي ان خزاين مقدوراته تعالى مفوضة الى اتصرف فيها كيف اشاء استقلالا او استدعاء
حتى تقترحوا على تنزيل الايات وانزال العذاب او قلب الجبال ذهبا او غير ذلك مما يليق بشان الالهية وجعل هذا تبريا عن دعوى
الالهية مما لا وجه له قطعا وقوله تعالى **ولا اعلم الغيب** عطف على محل عندي خزاين الله ولا ادعي ايضا اني اعلم الغيب
من افعاله تعالى حتى تسالوني عن وقت الساعة او وقت نزول العذاب او نحوهما **ولا اقول لكم اني ملك** حتى تكلفوني
من الافاعيل الخارقة للعادات ما لا يليق به البشر من الرقي في السماء ونحوها او تعدوا عدم اتصافي بصفاتهم قادحا في
امري كما ينبي عنه قولهم مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق والمعنى لا ادعي شيئا من هذه الاشياء الثلثة
حتى تقترحوا على ما هو من اثارها واحكامها وتجعلوا عدم اجابتي الى ذلك دليلا على عدم صحة ما ادعيه من الرسالة
التي لا تعلق لها بشيء مما ذكر قطعا بل انما هي عبارة عن تلقي الوحي من جهة الله عز وجل والعمل بمقتضاه حسبما ينبي عنه
قوله تعالى **ان اتبع الا ما يوحى الي** لا على معنى تخصيص اتباعه عليه الصلوة والسلام بما يوحى اليه دون غيره بتوجيه القصر
الى المفعول بالقياس الى مفعول اخر كما هو الاستعمال الشايع الوارد على توجيه القصر الى ما يتعلق بالفعل باعتبار النفي
في الاصل والاثبات في القيد بل على معنى تخصيص حاله عليه الصلوة والسلام باتباع ما يوحى اليه بتوجيه القصر الى نفس
الفعل بالقياس الى ما نفاه من الافعال لكن لا باعتبار النفي والاثبات معا في خصوصيته فان ذلك غير ممكن قطعا بل
باعتبار النفي فيما يتضمنه من مطلق الفعل والاثبات فيما يقارنه من المعنى المخصوص فان كل فعل من الافعال الخاصة
كنصر مثلا ينحل عند التحقيق الى معنى مطلق هو مدلول لفظ الفعل والى معنى خاص يقومه فان معناه فعل النصر
يرشدك الى ذلك قولهم معنى فلان يعطي ويمنع يفعل الاعطاء والمنع فمورد القصر في الحقيقة ما يتعلق بالفعل باعتبار توجيه
النفي الى الاصل والاثبات الى القيد كانه قيل ما افعل الا اتباع ما يوحى الي من غير ان يكون لي مدخل ما في الوحي
او في الموحى بطريق الاستدعاء او بوجه اخر من الوجوه اصلا **قل هل يستوي الاعمى والبصير** مثل للضال والمهتدي

على الاطلاق والاستفهام انكاري والمراد انكار استواء من لا يعلم ما ذكر من الحقائق ومن يعلمها وفيه من الاشعار بكمال
ظهورها ومن التنفير عن الضلال والترغيب في الاهتداء ما لا يخفى وتكرير الامر لتثنية التبكيت وتاكيد الالزام وقوله
تعالى **افلا تتفكرون** تقريع وتوبيخ داخل تحت الامر والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الا تسمعون هذا
الكلام الحق فلا تتفكرون فيه او اتسمعونه فلا تتفكرون فيه فمناط التوبيخ في الاول عدم الامرين معا وفي الثاني عدم التفكر
مع تحقق ما يوجبه **وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم** بعد ما حكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الكفرة قوما لا
يتعظون بتصريف الايات الباهرة • ولا يتاثرون بمشاهدة المعجزات القاهرة • قد افنيت مشاعرهم بالكلية والتحقوا
بالاموات وقرر ذلك بان كرر عليهم من فنون التبكيت والالزام ما يلقمهم الحجر اي القام • فابوا الا الاباء والتكبر • وما نجع
فيهم عظة ولا تذكير • ما افادهم الانذار الا الاصرار على الانكار • امر صلى الله عليه وسلم بتوجيه الانذار الى من يتوقع منهم في
الجملة وهم المجوزون منهم للحشر على الوجه الآتي سواء كانوا جازمين باصله كاهل الكتاب وبعض المشركين المعترفين
بالبعث المترددين في شفاعة ابائهم الانبياء كالاولين او في شفاعة الاصنام كالاخرين او مترددين فيهما معا كبعض الكفرة
الذين يعلم من حالهم اذا سمعوا بحديث البعث يخافون ان يكون حقا واما المنكرون للحشر راسا والقائلون به القاطعون
بشفاعة ابائهم او بشفاعة الاصنام فهم خارجون ممن امر بانذارهم وقد قيل هم المفرطون في الاعمال من المؤمنين
ولا يساعده سياق النظم الكريم ولا سباقه بل فيه ما يقتضي استحالة صحته كما ستقف عليه والضمير المجرور لما يوحى
او لما دل عليه من القرآن والمفعول الثاني للانذار او للعذاب الاخروي المدلول عليه بما في حيز الصلة واما مطلق العذاب
الذي ورد به الوعيد والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية المطلقة والتصرف الكلي لتربية المهابة وتحقيق
المخافة وقوله تعالى **ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع** في حيز النصب على الحالية من ضمير يحشروا ومن متعلقة بمحذوف
وقع حالا من اسم ليس لانه في الاصل صفة له فلما قدم عليه انتصب حالا خلا ان الحال الاولى لاخراج الحشر الذي لم
يقيد بها عن حيز الخوف وتحقيق ان ما نيط به الخوف هو الحشر على تلك الحالة لا الحشر كيف ما كان ضرورة ان
المعترفين الجازمين بنصرة غيره تعالى بمنزلة المتكونين له في عدم الخوف الذي عليه يدور امر الانذار واما الحال الثانية
فليست لاخراج الولي الذي لم يقيد بها عن حيز الانتفاء لفساد المعنى لاستلزامه ثبوت ولايته تعالى لهم كما في قوله تعالى
وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير بل لتحقيق مدار خوفهم وهو فقدان ما علقوا به رجاءهم وذلك انما هو ولاية غيره
سبحانه وتعالى كما في قوله تعالى ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه اولياء والمعنى انذر به
الذين يخافون ان يحشروا غير منصورين من جهة انصارهم على زعمهم ومن هذا اتضح ان لا سبيل الى كون المراد بالخائفين
المفرطين من المؤمنين اذ ليس لهم ولي سواه تعالى ليخافوا الحشر بدون نصرته عز وجل وقوله تعالى **لعلهم يتقون** تعليل
للامر اي انذرهم لكي يتقوا الكفر والمعاصي او حال من ضمير الامر اي انذرهم راجيا تقواهم او من الموصول اي انذرهم مرجوا
منهم التقوى **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي** لما امر عليه الصلوة والسلام بانذار المذكورين لينتظموا في سلك
المتقين نهي عليه الصلوة والسلام عن كون ذلك بحيث يؤدي الى طردهم روي ان رؤساء المشركين قالوا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم لو طردت هؤلاء الاعبد وارواح جبابهم يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان واضرابهم
جلسنا اليك وحادثناك فقال عليه السلام ما انا بطارد المؤمنين فقالوا فاقمهم عنا اذا جئنا فاذا قمنا فاقعدهم
معك ان شئت فقال عليه الصلاة والسلام نعم طمعا في ايمانهم وروي ان عمر رضي الله عنه قال له عليه الصلوة
والسلام لو فعلت حتى ننظر الى ما يصيرون وقيل ان عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدي والحارث
ابن نوفل وقرظة بن عبيد وعمرو بن نوفل واشراف بني عبد مناف من اهل الكفر اتوا ابا طالب فقالوا يا ابا طالب لو ان
ابن اخيك محمدا يطرد موالينا وحلفاءنا وهم عبيدنا وعتقاؤنا كان اعظم في صدورنا وادنى لاتباعنا اياه فاتى ابو طالب
الى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه بالذي كلموه فقال عمر رضي الله عنه لو فعلت ذلك حتى ننظر ما الذي يريدون والى
ما يصيرون وقال سلمان وخباب فينا نزلت هذه الآية جاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وذووهم

من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم جالسا مع ناس من ضعفاء المؤمنين فلما راوهم حوله عليه الصلوة والسلام
حقروهم فاتوه عليه الصلوة والسلام فقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر المسجد ونفيت عنا هؤلاء وارواح جبابهم لجالسناك
وحدثناك واخذنا عليك فقال عليه الصلوة والسلام ما انا بطارد المؤمنين قالوا فانا نحب ان تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به
العرب فضلنا فان وفود العرب تاتيك فنستحيي ان ترانا مع هؤلاء الاعبد فاذا نحن جئناك فاقمهم فاذا نحن فرغنا فاقعد معهم ان شئت
قال عليه الصلوة والسلام نعم قالوا فاكتب لنا كتابا فدعا بالصحيفة وبعلي رضي الله عنه ليكتب ونحن قعود في ناحية فنزل
جبريل عليه السلام بالآية فرمى عليه الصلوة والسلام بالصحيفة ودعانا فاتيناه وجلسنا عنده وكنا ندنو منه حتى تمس ركبتنا
ركبته وكان يقوم عنا اذا اراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا الى ان نقوم عنه وقال الحمد
لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي اصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم معكم المحيا ومعكم الممات والمراد بذكر
الوقتين الدوام وقيل صلاة الفجر والعصر وقرئ بالغدوة وقوله تعالى **يريدون وجهه** حال من ضمير يدعون اي يدعونه تعالى
مخلصين له فيه وتقييده به لتاكيد عليته للنهي فان الاخلاص من اقوى موجبات الاكرام المضاد للطرد وقوله تعالى **ما عليك من حسابهم
من شيء** اعتراض وسط بين النهي وجوابه تقريرا له ودفعا لما عسى يتوهم كونه مسوغا لطردهم من اقاويل الطاعنين في دينهم كدأب
قوم نوح حيث قالوا ما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الراي اي ما عليك شيء من حساب ايمانهم واعمالهم الباطنة
حتى تتصدى له وتبني على ذلك ما تراه من الاحكام وانما وظيفتك حسبما هو شان منصب النبوة اعتبار ظواهر الاعمال
واجراء الاحكام على موجبها واما بواطن الامور فحسابها على العليم بذات الصدور كقوله تعالى ان حسابهم الا على ربي وذكر
قوله تعالى **وما من حسابك عليهم من شيء** مع ان الجواب قد تم بما قبله للمبالغة في بيان انتفاء كون حسابهم عليه الصلوة
والسلام بنظمه في سلك ما لا شبهة فيه اصلا وهو انتفاء كون حسابه عليه السلام عليهم على طريقة قوله تعالى لا يستاخرون
ساعة ولا يستقدمون واما ما قيل من ان ذلك لتنزيل الجملتين منزلة جملة واحدة لتادية معنى واحد على نهج قوله تعالى ولا تزر
وازرة وزر اخرى فغير حقيق بجلالة شان التنزيل وتقديم عليك في الجملة الاولى للقصد الى ايراد النفي على اختصاص
حسابهم به عليه الصلوة والسلام اذ هو المدعي الى تصديقهم عليه الصلوة والسلام لحسابهم وقيل الضمير للمشركين
والمعنى انك لا تؤاخذ بحسابهم حتى يهمك ايمانهم ويدعوك الحرص عليه الى ان تطرد المؤمنين وقوله تعالى **فتطردهم**
جواب النفي وقوله تعالى **فتكون من الظالمين** جواب النهي وقد جوز عطفه على فتطردهم على طريقة التسبيب وليس بذاك
وكذلك فتنا بعضهم ببعض استئناف مبين لما نشا عنه ما سبق من النهي وذلك اشارة الى مصدر ما بعده من الفعل الذي هو
عبارة عن تقديمه تعالى لفقراء المؤمنين في امر الدين بتوفيقهم للايمان مع ما هم عليه في امر الدنيا من كمال سوء الحال وما
فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته في الكمال والكاف مقحمة لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة
ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر مؤكد محذوف والتقدير فتنا بعضهم ببعض فتونا كائنا مثل ذلك الفتون
ثم قدم على الفعل لافادة القصر المفيد لعدم القصور فقط واعتبرت الكاف مقحمة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا له
والمعنى ذلك الفتون الكامل البديع فتنا اي ابتلينا بعض الناس ببعضهم لا فتونا غيره حيث قدمنا الاخرين في امر الدين
على الاولين المتقدمين عليهم في امر الدنيا تقدما كليا واللام في قوله تعالى **ليقولوا** للعاقبة اي ليقول البعض الاولون
مشيرين الى الاخرين محقرين لهم نظرا الى ما بينهما من التفاوت الفاحش الدنيوي وتعاميا عما هو مناط التفضيل حقيقة
اهؤلاء من الله عليهم من بيننا بان وفقهم لاصابة الحق ولما يسعدهم عنده تعالى من دوننا ونحن المقدمون والرؤساء
وهم العبيد والفقراء وغرضهم بذلك انكار وقوع المن راسا على طريقة قولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه لا تحقير الممنون
عليهم مع الاعتراف بوقوعه بطريق الاعتراض عليه تعالى وقوله تعالى **اليس الله باعلم بالشاكرين** رد لقولهم ذلك وابطال
له واشارة الى ان مدار استحقاق الانعام معرفة شان النعمة والاعتراف بحق المنعم والاستفهام لتقرير علمه البالغ
بذلك اي اليس الله باعلم بالشاكرين لنعمه حتى يستبعدوا انعامه عليهم وفيه من الاشارة الى ان اولئك الضعفاء
عارفون لحق نعمة الله تعالى في تنزيل القرآن والتوفيق للايمان شاكرون له تعالى على ذلك مع التعريض بان القائلين

بمعزل من ذلك كله على ما لا يخفى واذا جاءك الذين يومنون باياتنا هم الذين نهي عن طردهم وصفوا بالايمان بايات الله عز وجل كما
وصفوا بالمداومة على عبادته تعالى تنبيها على احرازهم لفضيلتي العلم والعمل وتاخير ذلك الوصف مع تقدمه على الوصف الاول
لما ان مدار الوعد بالرحمة والمغفرة هو الايمان بها كما ان مناط النهي عن الطرد فيما سبق هو المداومة على العبادة وقوله تعالى فقل سلام
عليكم امر بتبشيرهم بالسلامة عن كل مكروه بعد انذار مقابليهم وقيل بتبليغ سلامه تعالى اليهم وقيل ان يبداهم
بالسلام وقوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة اي قضاها واوجبها على ذاته المقدسة بطريق التفضل والاحسان بالذات لا بتوسط
شيء ما اصلا تبشير لهم بسعة رحمته تعالى وبنيل المطالب اثر تبشيرهم بالسلامة عن المكاره وقبوله التوبة منهم وفي التعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم اظهار اللطف بهم والاشعار بعلة الحكم وقيل ان قوما جاءوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا
انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت وقوله تعالى انه من عمل منكم سوءا بدل من الرحمة وقرئ بكسر انه على
انه تفسير للرحمة بطريق الاستيناف وقوله تعالى بجهالة حال من فاعل عمل اي عمله وهو جاهل بحقيقة ما يتبعه من المضار
والتقييد بذلك الايذان بان المومن لا يباشر ما يعلم انه يودي الى الضرر او عمله ملتبسا بجهالة ثم تاب من بعده اي من بعد عمله
او من بعد سفهه واصلح ما افسده تداركا وعزما على ان لا يعود اليه ابدا فانه غفور رحيم اي فامره انه غفور رحيم وقرئ
فانه بالكسر على انه استيناف وقع في صدر الجملة الواقعة خبر المن على انها موصولة او جوابا لها على انها شرطية وكذلك نفصل
الايات قد مر اتفاما فيه من الكلام اي هذا التفصيل البديع نفصل الايات في صفة اهل الطاعة واهل الاجرام المصرين منهم
والاوابين ولتستبين سبيل المجرمين بتانيث الفعل بناء على تانيث الفاعل وقرئ بالتذكير بناء على تذكيره فان السبيل
مما يذكر ويونث وهو عطف على علة محذوفة للفعل المذكور لم يقصد تعليله بها بعينها وانما قصد الاشعار بان له فوائد جمة
من جملتها ما ذكر او علة لفعل مقدر هو عبارة عن المذكور فيكون مستانفا اي ولتستبين سبيلهم نفعل ما نفعل من التفصيل
وقرئ بنصب السبيل على ان الفعل متعد وتاوه للخطاب اي ولتستوضح انت يا محمد سبيل المجرمين فتعاملهم بما يليق به
قل اني نهيت امر صلى الله عليه وسلم بالرجوع الى مخاطبة المصرين على الشرك اثر ما امر بمعاملة من عداهم من اهل الانذار
والتبشير بما يليق بحالهم اي قل لهم قطعا لاطماعهم الفارغة عن ركونه عليه السلام اليهم وبيانا لكون ما هم عليه من الدين هوى
محضا وضلالا بحتا اني صرفت وزجرت بما نصب لي من الادلة وانزل علي من الايات في امر التوحيد ان اعبد الذين تدعون
اي عن عبادة ما تعبدونه من دون الله كائنا ما كان قل كرر الامر مع قرب العهد اعتناء بشان المامور به او ايذانا
باختلاف القولين من حيث ان الاول حكاية لما من جهته تعالى من النهي والثاني حكاية لما من جهته عليه الصلوة والسلام
من الانتهاء عما ذكر من عبادة ما يعبدونه وانما قيل لا اتبع اهواءكم استجهالا لهم وتنصيصا على انهم فيما هم فيه تابعون
لاهواء باطلة وليسوا على شيء مما ينطلق عليه الدين اصلا واشعارا بما يوجب النهي والانتهاء وقوله تعالى قد ضللت اذا
استيناف موكد لانتهائه عما نهي عنه مقرر لكونهم في غاية الضلال والغواية اي ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت وقوله تعالى
وما انا من المهتدين عطف على ما قبله والعدول الى الجملة الاسمية للدلالة على الدوام والاستمرار اي دوام النفي واستمراره
لا نفي الدوام والاستمرار كما مر مرارا اي وما انا في شيء من الهدى حتى اكون في عدادهم وقوله تعالى قل اني على بينة
تحقيق للحق الذي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان لاتباعه اياه اثر ابطال الباطل الذي عليه الكفرة وبيان
اتباعهم له والبينة الحجة الواضحة التي تفصل بين الحق والباطل والمراد بها القران والوحي وقيل هي الحجج العقلية او
ما يعمها ولا يساعده المقام والتنوين للتفخيم وقوله تعالى من ربي متعلق بمحذوف هو صفة لبينة موكدة لما افاده
التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية او لضميره عليه الصلوة والسلام من التشريف ورفع المنزلة ما لا يخفى
وقوله تعالى وكذبتم به اما جملة مستانفة او حالية بتقدير قد او بدونه جيء بها لاستقباح مضمونها واستبعاد
وقوعه مع تحقق ما يقتضي عدمه من غاية وضوح البينة والضمير المجرور للتنبيه والتذكير باعتبار المعنى المراد والمعنى اني
بينة عظيمة كائنة من ربي وكذبتم بها وبما فيها من الاخبار التي من جملتها الوعيد بمجيء العذاب وقوله تعالى ما عندي ما
تستعجلون به استيناف مبين لخطائهم في شان ما جعلوه منشاء لتكذيبهم بها وهو عدم مجيء ما وعد فيها من العذاب

الذي كانوا

الذي كانوا يستعجلونه من العذاب الموعود في القران ويجعلون تاخره ذريعة الى تكذيبه في حكمي وقدرتي حتى اجيء به و
اظهر لكم صدقه اي ليس امره بمفوض الي ان الحكم اي ما الحكم في ذلك تعجيلا وتاخيرا او ما الحكم في جميع الاشياء فيدخل
فيه ما ذكر دخولا اوليا الا لله وحده من غير ان يكون لغيره دخل ما فيه بوجه من الوجوه وقوله تعالى يقص الحق اي
يتبعه بيان لشؤونه تعالى في الحكم الموعود او في جميع احكامه المنتظمة له انتظاما اوليا اي لا يحكم الا بما هو حق
فيثبت حقية التاخير وقرئ يقضي فانتصاب الحق حينئذ على المصدرية اي يقضي القضاء الحق على المفعولية
اي يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع اذا صنعها واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكانه يمنع الباطل
هذا هو الذي يستدعيه جزالة التنزيل وقد قيل ان المعنى اني من معرفة ربي وانه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد
صدق وكذبتم به انتم حيث اشركتم به تعالى غيره وانت خبير بان مساق النظم الكريم فيما سبق وما لحق على وصفهم بتكذيب
ايات الله تعالى بسبب عدم مجيء العذاب الموعود فيها فتكذيبهم به سبحانه في امر التوحيد مما لا تعلق له بالمقام
اصلا قل لو ان عندي اي في قدرتي ومكنتي ما تستعجلون به من العذاب الذي ورد به الوعيد بان يكون امره مفوضا
الي من جهته تعالى لقضي الامر بيني وبينكم اي بان ينزل ذلك عليكم اثر استعجالكم بقولكم متى هذا الوعد ونظائره وفي
بناء الفعل للمفعول من الايذان بتعين الفاعل الذي هو الله سبحانه وتهويل الامر ومراعاة حسن الادب ما لا يخفى فما قيل في
تفسيره لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي وتخلصت منكم سريعا بمعزل من توفية المقام حقه وقوله تعالى والله اعلم بالظالمين
اعتراض مقرر لما افاده الجملة الامتناعية من انتفاء كون امر العذاب مفوضا اليه عليه الصلوة والسلام المستتبع لانتفاء
قضاء الامر وتعليل له والمعنى والله اعلم بحال الظالمين وبانهم مستحقون للامهال بطريق الاستدراج لتشديد
العذاب ولذلك لم يفوض الامر الي فلم يقض الامر بتعجيل العذاب والله اعلم وعنده مفاتح الغيب بيان لاختصاص
المقدورات الغيبية به تعالى من حيث العلم اثر بيان كلها له تعالى من حيث القدرة والمفاتح اما جمع مفتح بفتح الميم
وهو المخزن فهو مستعار لمكان الغيب كانها مخازن خزنت فيها الامور الغيبية تغلق عليها وتفتح واما جمع مفتح بكسرها
وهو المفتاح ويويده قراءة من قرا مفاتيح الغيب فهو مستعار لما يتوصل الى تلك الامور بناء على الاستعارة الاولى
اي عنده تعالى خاصة خزائن غيوبه او ما يتوصل به اليها وقوله عز وجل لا يعلمها الا هو تاكيد لمضمون ما قبله وايذان
بان المراد هو الاختصاص من حيث العلم لا من حيث القدرة والمعنى ان ما يستعجلونه من العذاب ليس مقدورا لي
حتى الزمكم بتعجيله ولا معلوما لدي لاخبركم بوقت نزوله بل هو مما يختص به تعالى قدرة وعلما فينزله حسبما تقتضيه
مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وقوله تعالى ويعلم ما في البر والبحر بيان لتعلق علمه تعالى بالمشاهدات
اثر بيان تعلقه بالمغيبات تكملة له وتنبيها على ان الكل بالنسبة الى علمه المحيط سواء في الجلاء اي يعلم ما فيهما من الموجودات
مفصلة على اجناسها وانواعها وتكثر افرادها وقوله تعالى وما تسقط من ورقة الا يعلمها بيان لتعلقه باحوال المتغيرة
بعد بيان تعلقه بذواتها فان تخصيص حال السقوط بالذكر ليس الا بطريق الاكتفاء بذكرها عن ذكر سائر الاحوال كما
ان ذكر حال الورقة وما عطف عليها خاصة دون سائر احوال سائر ما فيهما من فنون الموجودات الفائتة للحصر باعتبار
انها انموذج لاحوال سائرها وقوله تعالى ولا حبة عطف على ورقة وقوله تعالى في ظلمات الارض متعلق بمحذوف
هو صفة لحبة مفيدة لكمال نفوذ علمه تعالى اي ولا حبة كائنة في بطون الارض الا يعلمها وكذا قوله تعالى ولا
رطب ولا يابس معطوفان عليها في حكمها وقوله تعالى الا في كتاب مبين على انه عبارة عن اللوح المحفوظ وقرئ
الاخيران بالرفع عطف على محل من ورقة وقيل رفعهما بالابتداء والخبر الا في كتاب مبين وهو الانسب بالمقام
لشمول الرطب واليابس حينئذ لما ليس من شانه السقوط وقد نقل قراءة الرفع في ولا حبة وهو الذي يتوفيكم بالليل
اي ينيمكم فيه على الاستعارة التوفي من الاماتة للانامة لما بين الموت والنوم من المشاركة في زوال الاحساس
والتمييز واصله قبض الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار اي ما كسبتم فيه والمراد بالليل والنهار الجنس المتحقق
في كل فرد من افرادهما اذ بالتوفي والبعث الموجودين فيهما يتحقق قضاء الاجل المسمى المرتب عليهما لا في بعضها والمراد

عن معارضة الحق او الخصم عن التعدي على صاحبه وهو خير الفاصلين اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله مشير الى ان قص الحق ههنا بطريق خاص هو الفصل بين الحق والباطل صح

بعلمه تعالى ذلك علمه قبل الجرح كما يلوح به تقديم ذكره على البعث اي يعلم ما يجرحون بالنهار وصيغة الماضي للدلالة
على التحقق وتخصيص التوفي بالليل والجرح بالنهار مع تحقق كل منهما فيما خص بالآخر للجري على سنن العادة ثم يبعثكم فيه
اي يوقظكم في النهار عطف على يتوفيكم وتوسيط قوله تعالى ويعلم الى آخره بينهما لبيان ما في بعثهم من عظيم الاحسان
اليهم بالتنبيه على ان ما يكتسبونه من السيئات مع كونه موجبة لابقائهم على التوفي بل لاهلاكهم بالمرة يفيض
عليهم الحيوة ويمهلهم كما ينبي عنه كلمة التراخي كانه قيل هو الذي يتوفاكم في جنس الليالي ثم يبعثكم في جنس النهار
مع علمه بما يجترحون فيها ليقضى اجل مسمى معين لكل فرد بحيث لا يكاد يتخطى فيه احد ما عين له طرفة ثم اليه
مرجعكم اي رجوعكم بالموت لا الى غيره اصلا ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازات باعمالكم التي كنتم تعملونها في تلك
الليالي والايام وقيل الخطاب مخصوص بالكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل كاسبون للآثام بالنهار وانه
تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور في شان ما قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار
ليقضي الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم وفيه ما لا يخفى من التكلف والاختلال لافضائه
الى كون البعث معللا بقضاء الاجل المضروب وهو القاهر فوق عباده اي المتصرف في امورهم لا غيره يفعل بهم ما
يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وتعذيبا واثابة الى غير ذلك ويرسل عليكم خاصة ايها المكلفون حفظة
من الملئكة وهم الكرام الكاتبين وعليكم متعلق بيرسل لما فيه من معنى الاستيلاء وتقديمه على المفعول الصريح
لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل متعلق بمحذوف هو حال من حفظة اذ لو تأخر لكان صفة
اي كائنين عليكم وقيل متعلق بحفظة والمحفوظ محذوف على كل حال اي يرسل عليكم ملائكة يحفظون اعمالكم
كائنا ما كان وفي ذلك حكمة جليلة ونعمة جميلة لما ان المكلف اذا علم ان اعماله تحفظ عليه وتعرض على رؤس الاشهاد
كان ذلك ازجر له عن تعاطي المعاصي والقبائح وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم
احتشامه من خدمه الواقفين على احواله وحتى في قوله تعالى حتى اذا جاء احدكم الموت هي التي يبتدأ بها الكلام وهي
مع ذلك تجعل ما بعدها من الجملة الشرطية غاية لما قبلها كانه قيل ويرسل عليكم حفظة يحفظون اعمالكم مدة حياتكم
حتى اذا انتهت مدة احدكم كائنا من كان وجاءه اسباب الموت ومباديه توفته رسلنا الآخرون المفوض اليهم
ذلك وهم ملك الموت واعوانه وانتهى هناك حفظة الحفظة وقرئ توفاه ماضيا او مضارعا بطرح احدى
التائين وهم اي الرسل لا يفرطون بالتواني والتاخير وقرئ مخففا من الافراط اي لا يجاوزون ما حد لهم من
الافراط اي لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة او نقصان والجملة حال من رسلنا وقيل مستانفة سيقت لبيان اعتنائهم
بما امروا به وقوله تعالى ثم ردوا عطف على توفته والضمير للكل المدلول عليه باحدكم وهو السر في مجيئه بطريق
الالتفات تغليب والافراد اولا والجمع آخرا لوقوع التوفي على الانفراد والرد على الاجتماع اي ثم ردوا بعد البعث
بالحشر الى الله اي الى حكمه وجزائه في موقف الحساب مولاهم اي مالكهم الذي يلي امورهم على الاطلاق
لا ناصرهم كما في قوله تعالى وان الكافرين لا مولى لهم الحق الذي لا يقضي الا بالعدل وقرئ بالنصب على المدح
الا له الحكم يومئذ صورة ومعنى لا لاحد غيره بوجه من الوجوه وهو اسرع الحاسبين يحاسب جميع الخلائق في
اسرع زمان واصغره لا يشغله حساب عن حساب ولا شان عن شان وفي الحديث انه تعالى يحاسب الكل في
مقدار حلب شاة قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر اي قل لهم بانحطاط شركائهم عن رتبة الالهية من ينجيكم من شدائدها
الهائلة التي تبطل الحواس وتدهش العقول ولذلك استعير لها الظلمات المبطلة لحاسة البصر يقال لليوم
الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب او من الخسف في البر والغرق في البحر وقرئ ينجيكم من الانجاء والمعنى واحد
وقوله تعالى تدعونه نصب على الحالية من مفعول ينجيكم اي من ينجيكم حال كونكم داعين له او من فاعله اي من
ينجيكم منها حال كونه مدعوا من جهتكم وقوله تعالى تضرعا وخفية اما حال من فاعل تدعون او مصدر موكد
له اي تدعونه متضرعين جهارا ومسرين او تدعونه دعاء اعلان او اخفاء وقرئ خفية بكسر الخاء وقوله

عز وجل

لئن انجيتنا حال من الفاعل ايضا على تقدير القول اي تدعونه قائلين لئن انجيتنا من هذه الشدة والورطة التي عبر عنها بالظلمات
لنكونن من الشاكرين اي الراسخين في الشكر المداومين عليه لاجل هذه النعمة او جميع النعماء التي من جملتها هذه وقرئ
لئن انجانا مراعاة لقوله تعالى تدعونه قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب امر عليه السلام بتقرير الجواب مع كونه من وظائفهم
للايذان بانه متعين عندهم ولبناء قوله تعالى ثم انتم تشركون عليه اي الله وحده ينجيكم مما تدعونه الى كشفه من
الشدائد المذكورة وغيرها من الغموم والكرب ثم انتم بعد ما تشاهدون هذه النعم الجليلة تشركون بعبادته تعالى
غيره وقرئ ينجيكم بالتخفيف وقوله تعالى قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا استئناف مسوق لبيان انه تعالى هو
القادر على القائهم في المهالك اثر بيان انه هو المنجي لهم منها وفيه وعيد ضمني بالعذاب لاشراكهم المذكور على طريقة
قوله عز وجل اأمنتم ان يخسف بكم جانب البر الى قوله تعالى ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى الاية وعليكم متعلق
بيبعث وتقديمه على مفعوله الصريح للاعتناء به والمسارعة الى بيان كون المبعوث مما يضرهم ولتهويل امر المؤخر
وقوله تعالى من فوقكم متعلق به ايضا او بمحذوف وقع صفة لعذابا اي عذابا كائنا من جهة الفوق كما فعل بمن فعل
من قوم لوط واصحاب الفيل واضرابهم او من تحت ارجلكم اي من جهة السفل كما فعل بفرعون وقارون وقيل من فوقكم
اكابركم ورؤسائكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم وكلمة او لمنع الخلو دون الجمع فلا منع لما كان من المجتمعين معا كما فعل
بقوم نوح او يلبسكم شيعا يخلطكم فرقا متحزبين على اهواء شتى كل فرقة مشايعة لامام فينشب بينكم القتال فيختلطوا
في الملاحم كقول الحماسي وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدي ويذيق بعضكم بأس بعض عطف على
يبعث وقرئ بنون العظمة على طريق الالتفات لتهويل الامر والمبالغة في التحذير والبعض الاول الكفار والآخر
المؤمنون ففيه وعد ووعيد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عند قوله تعالى عذابا من فوقكم اعوذ بوجهك
وعند قوله تعالى او من تحت ارجلكم اعوذ بوجهك وعند قوله تعالى او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض
هذا اهون او هذا ايسر وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال سألت ربي ان لا يبعث على امتي عذابا من فوقهم
او من تحت ارجلهم فاعطاني ذلك وسألته ان لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني ذلك انظر كيف نصرف الآيات من حال
الى حال لعلهم يفقهون كي يفقهوا ويقفوا على جلية الامر فيرجعوا عما هم عليه من المكابرة والعناد وكذب به اي
بالعذاب الموعود او القرآن المجيد الناطق بمجيئه قومك اي المعاندون منهم ولعل ايرادهم بهذا العنوان للايذان
بكمال سوء حالهم فان تكذيبهم بذلك مع كونهم من قومه عليه الصلوة والسلام مما يقضي بغاية عتوهم ومكابرتهم وتقديم
الجار والمجرور على العامل لما مر مرارا من اظهار الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقوله تعالى وهو الحق حال من
ضمير المجرور اي كذبوا به والحال انه الواقع لا محالة او انه الكتاب الصادق في كل ما نطق به وقيل هو استئناف وايا ما
كان ففيه دلالة على عظم جنايتهم ونهاية قبحها قل لهم قل منبها على ما يؤول اليه امرهم وعلى انك قد اديت ما عليك
من وظائف الرسالة لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الي امركم لامنعكم من التكذيب واجبركم على التصديق انما انا لكم
منذر وقد خرجت عن العهدة حيث اخبرتكم بما سترونه لكل نبأ اي لكل شيء ينبأ به من الانباء التي من جملتها عذابكم
او لكل خبر من الاخبار التي من جملتها خبر مجيئه مستقر اي وقت استقرار ووقوع البتة او وقت استقرار
بوقوع مدلوله وسوف تعلمون اي حال نبأكم في الدنيا او في الآخرة او فيهما معا وسوف للتأكيد كما في قوله
تعالى ولتعلمن نبأه بعد حين واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا اي بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها كما هو
دأب قريش ودينهم فاعرض عنهم بترك مجالسهم والقيام عنهم وقوله تعالى حتى يخوضوا في حديث غيره غاية
للاعراض اي استمر على الاعراض الى ان يخوضوا في حديث غير آياتنا والتذكير باعتبار كونها حديثا فان وصف
الحديث بمغايرتها مشيرا الى اعتبارها بعنوان الحديثية وقيل باعتبار كونه قرآنا واما ينسينك الشيطان
بان يشغلك فتنسى النهي فتجالسهم ابتداء وبقاء وقرئ ينسينك من التنسية فلا تقعد بعد الذكرى اي بعد
تذكر النهي مع القوم الظالمين اي معهم فوضع المظهر موضع المضمر نعيا عليهم انهم بذلك الخوض ظالمون واضعو

بعلمه تعالى ذلك علمه قبل الجرح كما يلوح به تقديم ذكره على البعث اي يعلم ما يجرحون بالنهار وصيغة الماضي للدلالة
على التحقق وتخصيص التوفي بالليل والجرح بالنهار مع تحقق كل منهما فيما خص بالآخر للجري على سنن العادة ثم يبعثكم فيه
اي يوقظكم في النهار عطف على يتوفيكم وتوسيط قوله تعالى ويعلم الى آخره بينهما لبيان ما في بعثهم من عظيم الاحسان
اليهم بالتنبيه على ان ما يكتسبونه من السيئات مع كونه موجبة لابقائهم على التوفي بل لاهلاكهم بالمرة يفيض
عليهم الحيوة ويمهلهم كما ينبي عنه كلمة التراخي كانه قيل هو الذي يتوفاكم في جنس الليالي ثم يبعثكم في جنس النهار
مع علمه بما يستجرحون فيها ليقضى اجل مسمى معين لكل فرد بحيث لا يكاد يتخطى فيه احد ما عين له طرفة ثم اليه
مرجعكم اي رجوعكم بالموت لا الى غيره اصلا ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازات باعمالكم التي كنتم تعملونها في تلك
الليالي والايام وقيل الخطاب مخصوص بالكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل كاسبون للآثام بالنهار وانه
تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور في شان ما قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار
ليقضى الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم وفيه ما لا يخفى من التكلف والاختلال لافضائه
الى كون البعث معللا بقضاء الاجل المضروب وهو القاهر فوق عباده اي المتصرف في امورهم لا غيره يفعل بهم ما
يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وتعذيبا واثابة الى غير ذلك ويرسل عليكم خاصة ايها المكلفون حفظة
من الملائكة وهم الكرام الكاتبين وعليكم متعلق بيرسل لما فيه من معنى الاستيلاء وتقديمه على المفعول الصريح
لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل متعلق بمحذوف هو حال من حفظة اذ لو تأخر لكان صفة
اي كائنين عليكم وقيل متعلق بحفظة والمحفوظ محذوف على كل حال اي يرسل عليكم ملائكة يحفظون اعمالكم
كائنا ما كان وفي ذلك حكمة جليلة ونعمة جميلة لما ان المكلف اذا علم ان اعماله تحفظ عليه وتعرض على رؤس الاشهاد
وكان ذلك ازجر له عن تعاطي المعاصي والقبائح وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم
احتشامه من خدمه الواقفين على احواله وحتى في قوله تعالى حتى اذا جاء احدكم الموت هي التي يبتدأ بها الكلام وهي
مع ذلك تجعل ما بعدها من الجملة الشرطية غاية لما قبلها كانه قيل ويرسل عليكم حفظة يحفظون اعمالكم مدة حياتكم
حتى اذا انتهت مدة احدكم كائنا من كان وجاء اسباب الموت ومباديه توفته رسلنا الآخرون المفوض اليهم
اليهم ذلك وهم ملك الموت واعوانه وانتهى هناك حفظة الحفظة وقرئ توفاه ماضيا او مضارعا بطرح احدى
التائين وهم اي الرسل لا يفرطون بالتواني والتاخير وقرئ مخففا من الافراط اي لا يجاوزون ما حد لهم من
الافراط اي لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة او نقصان والجملة حال من رسلنا وقيل مستأنفة سيقت لبيان اعتنائهم
بما امروا به وقوله تعالى ثم ردوا عطف على توفته والضمير للكل المدلول عليه باحدكم وهو السر في مجيئه بطريق
الالتفات تغليب والافراد اولا والجمع آخرا لوقوع التوفي على الانفراد والرد على الاجتماع اي ثم ردوا بعد البعث
بالحشر الى الله اي الى حكمه وجزائه في موقف الحساب موليهم اي مالكهم الذي يلي امورهم على الاطلاق
لا ناصرهم كما في قوله تعالى وان الكافرين لا مولى لهم الحق الذي لا يقضي الا بالعدل وقرئ بالنصب على المدح
الا له الحكم يومئذ صورة ومعنى لا لاحد غيره بوجه من الوجوه وهو اسرع الحاسبين يحاسب جميع الخلائق في
اسرع زمان واقصره لا يشغله حساب عن حساب ولا شان عن شان وفي الحديث انه تعالى يحاسب الكل في
مقدار حلب شاة قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر اي قل لهم بانحطاط شركائهم عن رتبة الالهية من ينجيكم من شدائد
الهائلة التي تبطل الحواس وتدهش العقول ولذلك استعير لها الظلمات المبطلة لحاسة البصر يقال لليوم
الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب او من الخسف في البر والغرق في البحر وقرئ ينجيكم من الانجاء والمعنى واحد
وقوله تعالى تدعونه نصب على الحالية من مفعول ينجيكم اي من ينجيكم حال كونكم داعين له او من فاعله اي من
ينجيكم منها حال كونه مدعوا من جهتكم وقوله تعالى تضرعا وخفية اما حال من فاعل تدعون او مصدر موكد
له اي تدعونه متضرعين جهارا ومسرين او تدعونه دعاء اعلان واخفاء وقرئ خفية بكسر الخاء وقوله

لئن انجيتنا حال من الفاعل ايضا على تقدير القول اي تدعون قائلين لئن انجيتنا من هذه الشدة الورطة التي عبر عنها بالظلمات
لنكونن من الشاكرين اي الراسخين في الشكر المداومين عليه لاجل هذه النعمة او جميع النعماء التي من جملتها هذه وقرئ
لئن انجانا مراعاة لقوله تعالى تدعونه قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب امر عليه السلام بتقرير الجواب مع كونه من وظائفهم
للايذان بانه متعين عندهم ولبناء قوله تعالى ثم انتم تشركون عليه اي الله وحده ينجيكم مما تدعونه الى كشفه من
الشدائد المذكورة وغيرها من الغموم والكرب ثم انتم بعد ما تشاهدون هذه النعم الجليلة تشركون بعبادته تعالى
غيره وقرئ ينجيكم بالتخفيف وقوله تعالى قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا استئناف مسوق لبيان انه تعالى هو
القادر على القائهم في المهالك اثر بيان انه هو المنجي لهم منها وفيه وعيد ضمني بالعذاب لاشراكهم المذكور على طريقة
قوله عز وجل أفأمنتم ان يخسف بكم جانب البر الى قوله تعالى ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى الآية وعليكم متعلق
بيبعث وتقديمه على مفعوله الصريح للاعتناء به والمسارعة الى بيان كون المبعوث مما يضرهم ولتهويل امر المؤخر
وقوله تعالى من فوقكم متعلق به ايضا او بمحذوف وقع صفة لعذابا اي عذابا كائنا من جهة الفوق كما فعل بمن فعل
من قوم لوط واصحاب الفيل واضرابهم او من تحت ارجلكم اي من جهة السفل كما فعل بفرعون وقارون وقيل من فوقكم
اكابركم ورؤسائكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم وكلمة او لمنع الخلو دون الجمع فلا منع لما كان من الجهتين معا كما فعل
بقوم نوح او يلبسكم شيعا اي يخلطكم فرقا متحزبين على اهواء شتى كل فرقة مشايعة لامام فينشب بينكم القتال فيختلطوا
في الملاحم كقول الحماسي وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدي ويذيق بعضكم بأس بعض عطف على
يبعث وقرئ بنون العظمة على طريقة الالتفات لتهويل الامر والمبالغة في التحذير والبعض الاول الكفار والآخر
المؤمنون ففيه وعد ووعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عند قوله تعالى عذابا من فوقكم اعوذ بوجهك
وعند قوله تعالى او من تحت ارجلكم اعوذ بوجهك وعند قوله تعالى او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض
هذا اهون او هذا ايسر وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال سألت ربي ان لا يبعث على امتي عذابا من فوقهم
او من تحت ارجلهم فاعطاني ذلك وسألته ان لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني ذلك انظر كيف نصرف الآيات من حال
الى حال لعلهم يفقهون كي يفقهوا ويقفوا على جلية الامر فيرجعوا عما هم عليه من المكابرة والعناد وكذب به اي
بالعذاب الموعود او القرآن المجيد الناطق بمجيئه قومك اي المعاندون منهم ولعل ايرادهم بهذا العنوان للايذان
بكمال سوء حالهم فان تكذيبهم بذلك مع كونهم من قومه عليه الصلوة والسلام مما يقضي بغاية عتوهم ومكابرتهم وتقديم
الجار والمجرور على العامل لما مر مرارا من اظهار الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقوله تعالى وهو الحق حال من
ضمير المجرور اي كذبوا به والحال انه الواقع لا محالة او انه الكتاب الصادق في كل ما نطق به وقيل هو استئناف وايا ما
كان ففيه دلالة على عظم جنايتهم ونهاية قبحها قل لهم قل منبها على ما يؤول اليه امرهم وعلى انك قد اديت ما عليك
من وظائف الرسالة لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الي امركم لامنعكم من التكذيب واجبركم على التصديق انما انا
منذر وقد خرجت عن العهدة حيث اخبرتكم بما سترونه لكل نبأ اي لكل شيء ينبأ به من الانباء التي من جملتها عذابكم
او لكل خبر من الاخبار التي من جملتها خبر مجيئه مستقر اي وقت استقرار ووقوع البتة او وقت استقرار
بوقوع مدلوله وسوف تعلمون اي حال نبأكم في الدنيا او في الآخرة او فيهما معا وسوف للتأكيد كما في قوله
تعالى ولتعلمن نبأه بعد حين واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا اي بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها كما هو
داب قريش وديدنهم فاعرض عنهم بترك مجالستهم والقيام عنهم وقوله تعالى حتى يخوضوا في حديث غيره غاية
للاعراض اي استمر على الاعراض الى ان يخوضوا في حديث غير آياتنا والتذكير باعتبار كونها حديثا فان وصف
الحديث بمغايرتها مشيرا الى اعتبارها بعنوان الحديثية وقيل باعتبار كونه قرآنا واما ينسينك الشيطان
بان يشغلك فتنسى النهي فتجالسهم ابتداء وبقاء وقرئ ينسينك من التنسية فلا تقعد بعد الذكرى اي بعد
تذكر النهي مع القوم الظالمين اي معهم فوضع المظهر موضع المضمر نعيا عليهم انهم بذلك الخوض ظالمون واضعون

للتكذيب والاستهزاء موضع التصديق والتعظيم راسخون في وما على الذين يتقون روي عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان المسلمين حين نهوا عن مجالستهم عند خوضهم في الايات قالوا لين كنا نقوم كلما استهزؤا بالقران لم نستطع ان نجلس في البيت
الحرام او نطوف بالبيت فنزلت اي ما على الذين يتقون قبائح اعمال الخائضين واحوالهم من حسابهم اي مما يحاسبون
عليه من الجرائر من شيء اي شيء ما على انه في محل الرفع على انه مبتدأ وما تميمية او اسم لها وهي حجازية ومن مزيدة للاستغراق
ومن حسابهم حال منه وعلى الذين يتقون في محل الرفع على انه خبر للمبتداء او لما الحجازية على راي من لا يجيز اعمالها في الخبر المقدم
مطلقا او في محل النصب على راي من يجوز اعمالها في الخبر المقدم عند كونه ظرفا او حرف جر ولكن ذكرى استدراك من نفي
السابق اي ولكن عليهم ان يذكروهم ويمنعوهم عما هم عليه من القبائح بما امكن من العظة والتذكير ويظهروا لهم الكراهة
والنكير ومحل ذكرى اما النصب على انه مصدر موكد للفعل المحذوف اي عليهم ان يذكروهم تذكيرا والرفع على انه مبتدأ
محذوف الخبر اي عليهم ذكرى لعلهم يتقون اي يجتنبون الخوض حياء او كراهة لمساءتهم وقد جوز كون الضمير للموصول
اي يذكرونهم رجاء ان يثبتوا على تقواهم او يزدادوها وذر الذين اتخذوا دينهم الذي كلفوه وامروا باقامته مواجبه
لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزؤا او بنوا امر دينهم على ما يكاد يتعاطاه العاقل بطريق الجد وانما يصدر عنه
لو صدر بطريق اللعب واللهو كعبادة الاصنام وتحريم البحائر والسوائب ونحو ذلك والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم
واقوالهم وقيل هو تهديد لهم كقوله تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا الاية وغرتهم الحيوة الدنيا واطمأنوا بها زعموا ان
لا حيوة بعدها ابدا وذكر به اي بالقران من يصلح للتذكير ان تبسل نفس بما كسبت اي لئلا تبسل كقوله تعالى ان تضلوا
الاية او مخافة ان تبسل او كراهة ان تبسل نفوس كثيرة كما في قوله تعالى علمت نفس ما احضرت وترتهن بسوء عملها
واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته لا تفلت منه او لانه ممتنع والباسل الشجاع لامتناعه
من قرنه وهذا بسل عليك اي حرام ممنوع وقد جوز ان يكون الضمير المجرور في به راجعا الى الابسال مع عدم جريان
ذكره كما في ضمير الشان وكون الجملة بدلا منه مفسرا لما في الابهام اولا والتفسير ثانيا من التفخيم وزيادة التقرر
كما في قوله • على جوده لضن بالماء حاتم • بجر حاتم على انه بدل من ضمير جوده فالمعنى وذكر بارتهان النفوس ان
تبسل نفوس كثيرة كما في قوله تعالى علمت نفس ما احضرت جودة النفوس وحبسهما بما كسبت وقوله تعالى ليس لها
من دون الله ولي ولا شفيع استئناف مسوق للاخبار بذلك وقيل في محل النصب على انه حال من ضمير كسبت
وقيل في محل الرفع على انه وصف ومن دون الله متعلق بمحذوف هو حال من ولي كما بين في تفسير قوله تعالى وانذر
به الاية وقيل هو خبر لليس فيكون لها حينئذ متعلقا بمحذوف على التبيان وان تعدل اي ان تفد تلك
النفس كل عدل اي كل فداء على انه مصدر موكد لا يوخذ منها على اسناد الفعل الى الجار والمجرور لا الى ضمير
العدل كما في قوله تعالى ولا يوخذ منها عدل فانه المفدى لا المصدر كما نحن فيه اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافهم
بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في سوء الحال ومحله الرفع على الابتداء والخبر قوله
تعالى الذين ابسلوا بما كسبوا والجملة مستانفة سيقت اثر تحذيرهم من الابسال المذكور لبيان انهم المبتلون بذلك اي اولئك
المتخذون دينهم لعبا ولهوا المغترون بالحيوة الدنيا هم الذين ابسلوا بما كسبوا من القبائح وقوله تعالى لهم شراب من
حميم استيناف آخر مبين لكيفية الابسال المذكور وعاقبته مبني على سوال نشا من الكلام كانه قيل ماذا لهم حين
ابسلوا بما كسبوا فقيل لهم شراب من ماء مغلي يتجرجر في بطونهم ويتقطع به امعاؤهم وعذاب اليم بنار تشتعل
بابدانهم بما كانوا يكفرون اي بسبب كفرهم المستمر في الدنيا وقد جوز ان يكون لهم شراب الى آخره حالا من ضمير ابسلوا
وترتيب ما ذكر من العذابين على كفرهم مع انهم معذبون بسائر معاصيهم ايضا حسبما ينطق به قوله تعالى بما كسبوا لانه
العمدة في ايجاب العذاب والاهم في باب التحذير او اريد بكفرهم ما هو اعم منه ومن مستتبعاته من المعاصي والسيئات هذا
وقد جوز ان يكون اولئك اشارة الى النفوس المدلول عليها بنفس محله الرفع بالابتداء والموصول الثاني صفة او بدل منه
ولهم شراب الى آخره والجملة مسوقة لبيان تبعة الابسال قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا نزلت في ابي بكر

ولكن

رضي الله عنه

رضي الله عنه حين دعا ابنه عبد الرحمن الى عبادة الاصنام فتوجيه الامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للايذان بما
بينهما من الاتصال والاتحاد تنويها لشأن الصديق رضي الله عنه اي انعبد متجاوزين عبادة الله الجامع لجميع صفات
الالوهية التي من جملتها القدرة على النفع والضر ما لا يقدر على نفعنا اذا عبدناه ولا على ضرنا اذا تركناه وادنى مراتب
المعبودية القدرة على ذلك وقوله تعالى ونرد على اعقابنا عطف على ندعو داخل في حكم الانكار والنفي اي ونرد الى الشرك
والتعبير عنه بالرد على الاعقاب لزيادة تقبيحه بتصويره بصورة ما هو علم في القبح مع ما فيه من الاشارة الى كون الشرك
حالة قد تركت ونبذت وراء الظهر وايثار نرد على نرتد لتوجيه الانكار الى الارتداد من غير راد ليس في حيز الاحتمال
ليحتاج الى نفيه وانكاره وقوله تعالى بعد اذ هدانا الله اي الى الاسلام وانقذنا من الشرك متعلق بنرد مسوق
لتاكيد النكير لا لتحقيق معنى الرد وتصويره فقط والا لكفى ان يقال بعد ما اهتدينا كانه قيل ونرد الى الشرك باضلال
المضل بعد اذ هدانا الله الذي لا هادي سواه وقوله تعالى كالذي استهوته الشياطين في محل النصب على انه حال من مرفوع نرد اي
انرد على اعقابنا مشبهين بالذي استهوته مردة الجن واستغوته الى المهامه والمهالك او على انه نعت لمصدر محذوف اي انرد
ردا مثل رد الذي استهوته الى آخره والاستهواء الاستفعال من هوى في الارض اذا ذهب فيها كانها طلبت هويه وحرصت
عليه وقرئ استهواه بالف ممالة وقوله تعالى في الارض اما متعلق باستهوته او بمحذوف هو حال من مفعوله اي
كائنا في الارض وكذا قوله تعالى حيران حال منه على انها بدل من الاولى او حال ثانية عند من يجيزها او من الذي او من
المستكن في الظرف اي تائها ضالا عن الجادة لا يدري ما ذا يصنع وقوله تعالى له اصحاب جملة في محل النصب على انها صفة
لحيران او حال من الضمير فيه او مستانفة سيقت لبيان حال وقوله تعالى يدعونه الى الهدى صفة لاصحاب اي لذلك
المستهوي رفقة يهدونه الى الطريق المستقيم تسميته له بالمصدر مبالغة كانه نفس الهدى ائتنا على ارادة القول على انه
بدل من يدعونه او حال من فاعله اي يقولون ائتنا وفيه اشارة الى انهم مهتدون ثابتون على الطريق المستقيم وان من يدعونه
ليس ممن يعرف الطريق المستقيم ليدعى الى اتيانه وانما يدرك سمت الداعي ومورد النعيق فقط قل ان هدى الله الذي هدانا اليه
وهو الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال محض وغي بحت كقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال ونحوه وتكرير
الامر للاعتناء بشان المامور به ولان ما سبق الى الزجر عن الشرك وهذا حث على الاسلام وهو توطية لما بعده فان اختصاص
الهدى بهداه تعالى مما يوجب الامتثال بالاوامر الواردة بعده وامرنا عطف على ان هدى الله هو الهدى داخل تحت القول
واللام في لنسلم لرب العالمين لتعليل الامر المحكي وتعيين ما اريد به من الاوامر الثلاثة كما في قوله تعالى قل لعبادي الذين
امنوا يقيموا الصلوة وينفقوا الاية كانه قيل امرنا وقيل لنا اسلموا لاجل ان نسلم وقيل هي بمعنى الباء اي امرنا بان
نسلم وقيل زائدة اي امرنا ان نسلم على حذف الباء وقوله تعالى وان اقيموا الصلوة واتقوه اي الله تعالى في مخالفة امره
عطف على نسلم على الوجوه الثلاثة على ان المصدرية اذا وصلت بالامر تجيء وهو عن معنى الامر نحو تجرد الصلة الفعلية
عن معنى المضي والاستقبال فالمعنى على الاول امرنا اي قيل لنا اسلموا واقيموا الصلوة واتقوا الله لاجل ان نسلم ونقيم
الصلوة ونتقيه تعالى وعلى الاخيرين امرنا بان نسلم ونقيم الصلوة ونتقيه تعالى والتعرض لوصف الربوبية تعالى للعالمين
لتعليل الامر وتاكيد وجوب الامتثال به كما ان قوله تعالى وهو الذي اليه تحشرون جملة مستانفة موجبة للامتثال بما امر
به من الامور الثلاثة وهو الذي خلق السموات والارض اريد بخلقهما خلق ما فيهما ايضا وعدم التصريح بذلك لظهور اشتمالهما
على جميع العلويات والسفليات وقوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خلق او من مفعوله او صفة
لمصدره الموكد له اي قائما بالحق او ملتبسا بالحق او خلقا ملتبسا به قوله تعالى ويوم يقول كن فيكون قوله الحق استيناف
لبيان ان خلقه تعالى لما ذكر من السموات والارض ليس مما يتوقف على مادة او مدة بل يتم بمحض الامر التكويني من غير توقف
على شيء آخر اصلا وان ذلك الامر المتعلق بكل فرد فرد من افراد المخلوقات في حين معين من افراد الاحيان حق في نفسه متضمن
للحكمة ويوم ظرف لمضمون جملة قوله الحق والواو بحسب المعنى داخل عليها وتقديمه عليها للاعتناء به من حيث انه
مدار الحقية وترك ذكر المفعول له للثقة بغاية ظهوره والمراد بالقول كلمة كن تحقيقا او تمثيلا كما هو المشهور فالمعنى

برد الغرض بمخالفة المضلين وقطع الاطماعهم الفارغة وايذانا بان الارتداد
صح

وامر المتعلق بكل شيء يريد خلقه من الاشياء في حين تعلقه به لا قبله ولا بعده من افراد الاحيان الحق المشهود له بالحقية المعروف بها هنا وقد قيل قوله مبتداء والحق صفته ويوم يقول خبر مقدما عليه كقولك يوم الجمعة القتال والنصابه بمعنى الاستقرار وحاصل المعنى وقوله الحق كاين حين يقول لشيء من الاشياء كن فيكون ذلك الشيء وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات او على الضمير في واتقوه او بمحذوف دل عليه الحق وقوله الحق مبتداء وخبرا وفاعل يكون على معنى حين يقول له الحق كن فيكون والمراد حين يكون الاشياء ويحدثها او حين تقوم القيمة فيكون التكوين حشر الاجساد واحياها فتامل حق التامل وله الملك يوم ينفخ في الصور تفيد اختصاص الملك به تعالى بذلك اليوم مع عموم الاختصاص بجميع الاوقات لغاية ظهور ذلك بانقطاع العلايق المجازية في الجملة كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار عالم الغيب والشهادة اي هو عالمها وهو الحكيم في ما يفعله الخبير بجميع الامور الجلية والخفية واذ قال ابرهيم منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم معطوف على قل اندعوا لا على اقيموا كما قيل لفساد المعنى واذكر لهم بعد ما انكرت عليهم عبادة ما لا يقدر على نفع وضر وحققت ان الهدى هو هدى الله تعالى وما يتبعه من شؤنه تعالى وقت قول ابرهيم الذي يدعون انهم على ملته موبخا لابيه آزر على عبادة الاصنام فان ذلك مما يبكتهم وينادي بفساد طريقتهم وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة لما مر مرارا من ان المبالغة في ايجاب ذكرها وازر ترنة آدم وعابر وعازر وفالع وكذلك تارخ ذكره محمد بن اسحق والضحاك والكلبي وكان من قرية من سواد الكوفة ومنع صرفه للعجمة والعلمية وقيل اسمه بالسريانية تارخ وازر لقبه المشهور وقيل اسم صنم لقب هو به للزوم عبادته فهو عطف بيان لابيه او بدل منه وقال الضحاك معناه الشيخ الهرم وقال الزجاج الخطي وقال الفراء وسليمان التيمي المعوج فهو نعت له كما اذا جعل مشتقا من الازر والوزر واريد به عابد آزر على حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه وقرئ آزر على النداء وهو دليل العلمية اذ لا يحذف حرف النداء الا من الاعلام اتتخذ متعدا الى مفعولين هما اصناما آلهة اي تجعلها لنفسك آلهة اي تجعلها لنفسك آلهة على توجيه الانكار الى اتخاذ الجنس من غير اعتبار الجمعية وانما ايراد صيغة الجمع باعتبار الوقوع وقرئ آزر بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاء ساكنة وراء منونة منصوبة وهو اسم صنم ومعناه اتعبد ازرا ثم قيل تتخذ اصناما آلهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل تحت الانكار لكونه بيانا له وقيل الازر القوة والمعنى لاجل القوة والمظاهرة تتخذ اصناما آلهة انكار التعزز بها على طريقة قوله عز وجل ايبتغون عندهم العزة اني اراك وقومك الذين يتبعونك في عبادتها في ضلال عن الحق مبين اي عن كونه ضلالا لا اشتباه فيه اصلا والرؤية اما علمية فالظرف مفعولها الثاني واما بصرية فهو حال من المفعول والجملة تعليل للانكار والتوبيخ وكذلك نري ابرهيم هذه الاراءة من الرؤية البصرية المستعارة للمعرفة ونظر البصيرة اي عرفناه وبصرناه وصيغة الاستقبال حكاية للحال الماضية لاستحضار صورتها وذلك اشارة الى مصدر نري لا الى اراءة اخرى مفهومة من قوله تعالى اني اراك وما فيه من البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه منزلته في الفضل وكمال تميزه بذلك وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة والكاف لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير نري ابرهيم اراءة كاينة مثل تلك الاراءة وقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار المشار اليه نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اي في ذلك التبصير البديع تبصره عليه السلام ملكوت السموات والارض اي ربوبيته تعالى ومالكيته لهما وسلطانه القاهر عليهما وكونهما بما فيهما مربوبا ومملوكا له تعالى لا تبصيرا آخر ادنى منه والملكوت مصدر على زنة المبالغة كالرهبوت والجبروت ومعناه الملك العظيم والسلطان القاهر ثم هل هو مختص بملك الله عز سلطانه او لا فقيل الاول هو الاظهر وبه قال الراغب وقيل ملكوتهما عجايبهما وبدايعهما وروي انه كشف له عليه الصلوة والسلام عن السموات والارض حتى العرش واسفل الارضين وقيل اياتهما وقيل ملكوت الشمس والقمر والنجوم وملكوت الارض الجبال والاشجار

المجازية الكائنة في الدنيا المصححة للمالكية صح

السموات

والبحار

والبحار وهذه الاقوال لا تقتضي ان تكون الاراءة بصرية اذ ليس المراد باراءة ما ذكر من الامور الحسية مجرد تمكينه عليه الصلوة والسلام من ابصارها ومشاهدتها في انفسها بل اطلاعه عليه الصلوة والسلام على حقايقها وتعريفها من حيث دلالتها على شؤنه عز وجل ولا ريب في ان ذلك ليس مما يدركه حسا كما ينبئ عنه اسم الاشارة المفصح عن كون المشار اليه امرا بديعا فان الاراءة البصرية المعتادة بمعزل من تلك المثابة وقرئ ترى بالتاء واسناد الفعل الى الملكوت اي تبصره عليه الصلوة والسلام دلايل الربوبية واللام في قوله تعالى وليكون من الموقنين متعلق بمحذوف موخر والجملة اعتراض مقرر لما قبلها اي وليكون من زمرة الراسخين في الايقان البالغين درجة اليقين عن معرفة الله تعالى فعلنا ما فعلنا من التبصير البديع المذكور لا لامر آخر فان الوصول الى تلك الغاية القاصية كان ترتب على ذلك التبصير لا عينه وليس القصر لبيان انحصار فايدته في ذلك كيف لا وارشاد الخلق والزام المشركين كما سيأتي من فوايده بلا مرية بل لبيان انه الاصل الاصيل والباقي من مستتبعاته وقيل هي متعلقة بالفعل السابق والجملة معطوفة على علة اخرى محذوفة ينسحب عليها الكلام اي ليستدل بها وليكون الى آخره فينبغي ان يراد بملكوتهما بدايعهما واياتهما لان الاستدلال من غايات اراءتها لا من غايات اراءة النفس الربوبية وقوله تعالى فلما جن عليه الليل على الاول وهو الحق المبين عطف على قال ابرهيم داخل تحت ما امر بذكره بالامر بذكر وقته وما بينهما اعتراض مقرر لما سبق وما لحق فان تعريفه عليه الصلوة والسلام ربوبيته ومالكيته للسموات والارض وما فيهما وكون الكل مقهورا تحت ملكوته مفتقرا اليه في الوجود وسائر ما يترتب عليه من الكمالات وكونه من الراسخين في معرفة شؤنه تعالى الواصلين الى ذروة عين اليقين مما يقضي بان الحكم عليه الصلوة والسلام باستحالة الهية ما سواه سبحانه من الاصنام والكواكب وعلى الثاني هو تفصيل لما ذكر من اراءة ملكوت السموات والارض وبيان لكيفية استدلاله عليه الصلوة والسلام ووصوله الى رتبة الايقان ولما جن عليه ستره بظلامه وقوله تعالى راء كوكبا جواب لما فان رؤيته انما يتحقق بزوال نور الشمس عن الحس وهذا صريح في انه لم يكن في ابتداء الطلوع بل كان غيبته عن الحس بطريق الاضمحلال بنور الشمس والتحقيق انه كان قريبا من الغروب كما ستعرفه وقيل كان ذلك الكوكب هو الزهرة وقيل هو المشتري وقوله تعالى قال هذا ربي استيناف نشاء من الشرطية السابقة المنفرقة على بيان اراءته عليه الصلوة والسلام ملكوت السموات والارض فان ذلك مما يحمل السامع على استكشاف ما ظهر منه عليه السلام من آثار تلك الاراءة واحكامها كانه قيل فما صنع عليه السلام حين راي الكوكب فقيل قال على سبيل الوضع والفرض هذا ربي مجاراة مع ابيه وقومه الذين كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فان المستدل على فساد قول يحكيه على راي خصمه ثم يكر عليه بالابطال ولعل سلوك هذه الطريقة في بيان استحالة ربوبية الكوكب دون بيان استحالة الهية الاصنام لما ان هذا اخفى بطلانا واستحالة من الاول فلو صدع بالحق من اول الامر كما فعله في حق عبادة الاصنام لتمادوا في المكابرة والعناد ولجوا في طغيانهم يعمهون وقيل قاله عليه السلام على وجه النظر والاستدلال وكان ذلك في زمان مراهقته واول اوان بلوغه وهو مبني على تفسير الملكوت باياتهما وعطف قوله تعالى ليكون على ما ذكر من العلة المقدرة وجعل قوله تعالى فلما جن الى آخره تفصيلا لما ذكر من الاراءة وبيانا لكيفية الاستدلال وانت خبير بان كل ذلك مما يخل بجزالة النظم الكريم الجليل وجلالة منصب الخليل عليه السلام فلما افل اي غرب قال لا احب الافلين اي الارباب المنتقلين من مكان الى مكان متغيرين من حال الى حال المحتجبين بالاستار فانهم بمعزل من استحقاق الربوبية قطعا فلما راي القمر بازغا اي مبتديا في الطلوع اثر غروب الكواكب قال هذا ربي على الاسلوب السابق فلما افل كما افل النجم قال لئن لم يهدني ربي الى جنابه الذي هو الحق الذي لا محيد عنه لاكونن من القوم الضالين فان شيئا مما رايته لا يليق بالربوبية وهذا مبالغة منه عليه السلام في اظهار النصفة ولعله كان اذ ذاك في موضع كان في جانبه الغربي جبل شامخ يستره

مبني على سؤال صح

الآ

الكوكب والقمر وقت الظهر من النهار او بعده بقليل وكان الكوكب قريباً منه وافقه الشرق في مكشوف اولاد
فطلوع القمر بعد افول الكوكب ثم افوله قبل طلوع الشمس كما ينبئ عنه قوله تعالى **فلما راى الشمس بازغة** اي مبتدأ
في الطلوع مما لا يكاد يتصور **قال** اي على النهج السابق **قال هذا ربي** وانما لم يؤنث لما ان المشار اليه والمحكوم
عليه بالربوبية هو الجرم المشاهد من حيث هو لا من حيث هو مسمى باسم من الاسامي فضلا عن حيثية
تسميته بالشمس ولتذكير الخبر وصيانة الرب عن وصمة التانيث وقوله تعالى **هذا اكبر** تاكيد لما رامه عليه
الصلوة والسلام من اظهار النصفة مع اشارة حقيقية الى فساد دينهم من جهة اخرى ببيان ان الاكبر احق
بالربوبية من الاصغر **فلما افلت** هي ايضا كما افل الكوكب والقمر **قال** مخاطبا للكل صادعا بالحق بين اظهرهم
يا قوم اني بري مما تشركون اي من الذين تشركونه من الاجرام المحدثة المتغيرة من حال الى اخرى المسخرة لمحدثها ومن اشراككم
وترتيب هذا الحكم ونظمه على الافول دون البزوغ والظهور من ضروريات صورة الاحتجاج على هذا المساق
الحكيم فان كلا منهما وان كان في نفسه انتقالا منافيا للاستحقاق معروضه للربوبية قطعا لكن لما كان الاول حالة
موجبة لظهور الاثار والاحكام ملايمة لتوهم الاستحقاق في الجملة رتب عليها الحكم الاول على الطريقة المذكورة
وحيث كان الثاني حالة مقتضية لانطماس الاثار وبطلان الاحكام المنافيين للاستحقاق المذكور منافاة بينة
يكاد يعترف بها كل مكابر عنيد رتب عليها ما رتب ثم لما تبرأ عليه الصلوة والسلام منهم توجه الى مبدع هذه المصنوعات
ومنشيها فقال **اني وجهت وجهي للذي فطر السموات** التي هذه الاجرام التي تعبدونها من اجزايها **والارض** التي تعب
هي فيها **حنيفا** اي مايلا عن الاديان الباطلة والعقايد الزايغة كلها **وما انا من المشركين** في شيء من الافعال والاقوال
وحاجه قومه اي شرعوا في مغالبته في امر التوحيد **قال** استيناف وقع جوابا عن سوال نشأ من حكاية
محاجتهم كانه قيل فماذا قال عليه الصلوة والسلام حين حاجوه فقيل قال منكرا لما اجترأوا عليه من محاجته عليه
الصلوة والسلام مع قصورهم عن تلك الرتبة وعزة المطلب وقوة الخصم **اتحاجوني في الله** بادغام نون الجمع
في نون الوقاية **وقرئ** بحذف الاولى وقوله تعالى **وقد هدان** حال من ضمير المتكلم موكدة للانكار فان كونه
عليه الصلوة والسلام مهديا من جهة الله عز وجل ومويدا من عنده مما يوجب استحالة محاجته عليه الصلوة والسلام
اي تجادلونني في شانه تعالى ووحدانيته والحال انه تعالى هداني الى الحق بعد ما سلكت طريقكم بالعرض والنقد وبين
وبطلانها تبيينا تاما كما شاهدتموه وقوله تعالى **ولا اخاف ما تشركون به** جواب عما خوفوه عليه الصلوة والسلام
في اثناء المحاجة من اصابة مكروه من جهة اصنامهم كما قال لهود عليه السلام قومه ان نقول الا اعتراك بعض
الهتنا بسوء ولعلهم فعلوا ذلك حين فعل عليه الصلاة والسلام بالهتهم ما فعل وما موصولة اسمية حذف
عايدها وقوله تعالى **الا ان يشاء ربي شيئا** استثناء مفرغ من اعم الاوقات اي اخاف ما تشركون به سبحانه
من معبوداتكم في وقت من الاوقات الا في وقت مشيته تعالى شيئا من اصابة مكروه بي من جهتها وذلك انما
هو من جهته تعالى من غير دخل لالهتكم فيه اصلا وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه
الصلوة والسلام اظهار منه لانقياده لحكمه سبحانه وتعالى واستسلام لامره واعترافه بكونه تحت ملكوته وربوبيته
تعالى وقوله تعالى **وسع ربي كل شيء علما** كانه تعليل للاستثناء اي احاط بكل شيء علما فلا يبعد ان يكون في علمه
تعالى ان يحيق بي مكروه من قبلها بسبب من الاسباب وفي الاظهار في موضع الاضمار تاكيد للمعنى المذكور
واستلذاذ بذكره تعالى **افلا تتذكرون** اي اتعرضون عن التامل في ان الهتكم جمادات غير قادرة على شيء ما
من نفع ولا ضر فلا تتذكرون انها غير قادرة على اضراري وفي ايراد التذكير دون التفكر ونظايره اشارة الى ان
امر اصنامهم مركوز في العقول لا يتوقف الا على التذكر وقوله تعالى **وكيف اخاف ما اشركتم** استيناف مسوق
لنفي الخوف عنه عليه الصلوة والسلام بحسب زعم الكفرة بالطريق الالزامي كما سياتي بعد نفيه عنه بحسب
الواقع في نفس الامر والاستفهام لانكار الوقوع ونفيه بالكلية كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند الله

وعند رسوله

وعند رسوله الاية لا لانكار الواقع واستبعاده مع وقوعه كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله الى اخره وفي توجيه
الانكار الى كيفية الخوف من المبالغة ما ليس في توجهه الى نفسه بان يقال اخاف لما ان كل موجود يجب ان يكون
وجوده على حال من الاحوال وكيفية من الكيفيات قطعا فاذا انتفى جميع احواله وكيفياته فقد انتفى وجوده من جميع
الجهات بالطريق البرهاني وقوله عز وجل **ولا تخافون انكم اشركتم بالله** حال من ضمير اخاف بتقدير مبتداء والواو كافية
في الربط من غير حاجة الى الضمير العايد الى ذي الحال وهو مقرر لانكار الخوف ونفيه عنه عليه الصلوة والسلام ومفيد
لاعترافهم بذلك فانهم حيث لم يخافوا في محل الخوف فلان لا يخاف عليه الصلوة والسلام في محل الامن اولى واحرى اي وكيف
اخاف انا ما ليس في حيز الخوف اصلا وانتم لا تخافون غايلة ما هو اعظم المخوفات واهولها وهو اشراككم بالله الذي ليس
كمثله شيء في الارض ولا في السماء ما هو من جملة مخلوقاته وانما عبر عنه بقوله تعالى **ما لم ينزل به** اي باشراكه **عليكم**
سلطانا على طريقة التهكم مع الايذان بان الامور الدينية لا يقول فيها الا على الحجة المنزلة من عند الله تعالى وفي
تعليق الخوف الثاني باشراكهم منه من المبالغة ومراعاة حسن الادب ما لا يخفى هذا واما ما قيل من ان قوله تعالى
ولا تخافون الى اخره معطوف على اخاف داخل في حكم الانكار والتعجب مما لا سبيل اليه اصلا لافضائه الى فساد
المعنى قطعا كيف لا وقد عرفت ان الانكار بمعنى النفي بالكلية فيؤول المعنى الى نفي الخوف عنه عليه الصلاة والسلام
ونفي نفيه عنهم وانه بين الفساد وحمل الانكار في الاول على معنى نفي الوقوع وفي الثاني على استقباح الواقع مما لا مساغ
له على ان قوله تعالى **فاي الفريقين احق بالامن** ناطق ببطلانه حتما فانه كلام مرتب على انكار خوفه عليه الصلوة والسلام في محل
الامن مع تحقق عدم خوفهم في محل الخوف مسوق لالجايهم الى الاعتراف باستحقاقه عليه الصلوة والسلام لما هو
عليه من الامن وبعدم استحقاقهم لما هم عليه وانما جيء بصيغة التفضيل المشعرة باستحقاقهم له في الجملة
لاستنزالهم عن رتبة المكابرة والاعتساف بسوق الكلام على سنن الانصاف والمراد بالفريقين الفريق الامن في
محل الامن والفريق الامن في محل الخوف فايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال فاينا احق بالامن انا ام انتم لتاكيد
الالجاء الى الجواب الحق بالتنبيه على علة الحكم والتفادي عن التصريح بتخطيتهم لا لمجرد الاحتراز عن تزكية النفس
ان كنتم تعلمون المفعول اما محذوف تعويلا على معونة المقام اي كنتم تعلمون من احق بذلك او قصد
الى التعميم ان كنتم تعلمون شيأ واما متروك بالكلية اي ان كنتم من اولي العلم وجواب الشرط محذوف اي
فاخبروني **الذين امنوا** استيناف من جهته تعالى مبين للجواب الحق الذي لا محيد عنه اي الفريق الذين امنوا
ولم يلبسوا ايمانهم ذلك اي لم يخلطوه **بظلم** اي بشرك كما يفعله الفريق المشركون حيث يزعمون انهم يؤمنون
بالله عز وجل وان عبادتهم الاصنام من تتمات ايمانهم واحكامه لكونها لاجل التقريب والشفاعة كما قالوا انما
نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وهذا معنى الخلط **اولئك** اشارة الى الموصول من حيث اتصافه بما في حيز
الصلة وفي الاشارة اليه بعد وصفه بما ذكر ايذان بانهم تميزوا بذلك عن غيرهم وانتظموا في سلك الامور
المشاهدة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف وهو مبتداء ثان وقوله تعالى
لهم الامن جملة من خبر مقدم ومبتداء موخر وقعت خبرا لاولئك وهو مع خبره خبر للمبتداء الاول الذي هو
الموصول ويجوز ان يكون اولئك بدلا من الموصول او عطف بيان له ولهم خبرا للموصول ويجوز ان يكون اولئك
مبتدا ثانيا ولهم خبره والامن فاعلا والجملة خبرا للموصول اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الايمان الخالص
عن شوب الشرك لهم الامن فقط **وهم مهتدون** الى الحق ومن عداهم في ضلال مبين **روي** انه لما نزلت
الاية شق ذلك على الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وقالوا اينا لم يظلم نفسه **فقال** صلى الله عليه وسلم
ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان به ان
يصدق بوجود الصانع الحكيم و~~لقد~~ يخلط بهذا التصديق الاشراك بالله وليس من قضية الخلط بقاء الاصل
بعد الخلط حقيقة **وقيل** المراد بالظلم المعصية التي تفسق صاحبها والظاهر هو الاول لوروده مورد

الجواب عن حال الفريقين وتلك اشارة الى ما احتج به ابرهيم عليه الصلوة والسلام من قوله تعالى اتحاجوني الى قوله
تعالى مهتدون وما في اسم الاشارة من معنى البعد لتفخيم شان المشار اليه والاشعار بعلو طبقته وسمو منزلته في الفضل
وهو مبتداء وقوله تعالى حجتنا خبره وفي اضافتها الى نون العظمة من التفخيم ما لا يخفى وقوله تعالى آتيناها ابرهيم
اي ارشدناه اليها او علمناه اياها في محل النصب على انه حال من حجتنا والعامل فيها معنى الاشارة كما في قوله تعالى
فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا او في محل الرفع على انه خبر ثان او هو الخبر وحجتنا بدل او بيان للمبتداء وابرهيم مفعول
اول لآتينا قدم عليه الثاني لكونه ضميرا وقوله تعالى على قومه متعلق بحجتنا ان جعل خبرا لتلك او بمحذوف
ان جعل بدلا اي آتيناه ابرهيم حجة على قومه وقيل بقوله آتينا نرفع بنون العظمة وقرئ بالياء
على طريقة الالتفات وكذا الفعل الآتي درجات اي رتبا عظيمة عالية من العلم والحكمة وانتصابها على المصدرية
او الظرفية او على نزع الخافض اي الى درجات او على التمييز والمفعول قوله تعالى من نشاء وتاخيره على الوجوه
الثلاثة الاخيرة لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ومفعول المشيئة محذوف اي من نشاء رفعه حسبما
تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على ان ذلك سنة مستمرة جارية فيما
بين المصطفين الاخيار غير مختصة بابرهيم عليه الصلوة والسلام وقرئ بالاضافة الى من والجملة مستانفة
مقررة لما قبلها لا محل لها من الاعراب وقيل هي في محل النصب على انها حال من فاعل آتينا اي حال كوننا رافعين
الى آخره ان ربك حكيم في كل ما فعل من رفع وخفض عليم بحال من يرفعه واستعداده له على مراتب متفاوتة
والجملة تعليل لما قبلها وفي وضع الرب مضافا الى ضميره عليه الصلوة والسلام موضع نون العظمة بطريق
الالتفات في تضاعيف بيان احوال ابرهيم عليه الصلوة والسلام اظهار المزيد لطف وعناية به عليه الصلوة
والسلام ووهبنا له اسحق ويعقوب عطف على قوله تعالى وتلك حجتنا الى آخره فان عطف كل من الجملة الفعلية
والاسمية على الاخرى مما لا نزاع في جوازه ولا مساغ لعطفه على آتيناها لان له محلا من الاعراب نصبا ورفعا
حسبما بين من قبل فلو عطف هذا عليه لكان في حكمه من الحالية والخبرية المستدعيين للرابط ولا سبيل اليه
هاهنا كلا مفعول لما بعده وتقديمه عليه للقصر لكن لا بالنسبة الى غيرهما مطلقا بل بالنسبة الى احدهما
اي كل واحد منهما هدينا لا احدهما دون الآخر وترك ذكر المهدي اليه لظهور انه الذي اوتي ابرهيم وانهما مقتديان
به ونوحا منصوب بمضمر يفسره هدينا من قبل اي من قبل ابرهيم عدهداه نعمة على ابرهيم عليهما السلام لان شرف
الوالد سار الى الولد ومن ذريته الضمير لابرهيم لان مساق النظم الكريم لبيان شؤونه العظيمة من ايتاء الحجة ورفع
الدرجات وهبة الاولاد الانبياء وابقاء هذه الكرامة في نسله الى يوم القيمة كل ذلك لالزام من ينتمي الى ملته
عليه الصلوة والسلام من المشركين واليهود وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابرهيم عليه
الصلوة والسلام فلو كان الضمير له لاختص بالمعدودين في هذه الآية والتي بعدها واما المذكورون في الآية الثالثة
فعطف على نوحا وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان هؤلاء الانبياء كلهم مضافون الى ذرية ابرهيم وان كان
منهم من لم يلحقه بولاد من قبل ام ولا اب لان لوطا ابن اخي ابرهيم والعرب تجعل العم ابا كما اخبر الله تعالى عن ابناء
يعقوب انهم قالوا نعبد الهك واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق مع ان اسمعيل عم يعقوب داود
وسليمان منصوبان بمضمر مفهوم كما سبق كذا ما عطف عليهما او بما يتعلق به من ذريته وتقديمه على المفعول الصريح
للاهتمام بشانه مع ما في المفاعيل من نوع طول ربما يخل تاخيره بتجاوب النظم الكريم اي وهدينا من ذريته
داوود وسليمان وايوب هو ابن اموص من اسباط عيص بن اسحق ويوسف وموسى وهرون او بمحذوف وقع
حالا من المذكورين اي وهديناهم حال كونهم من ذريته وكذلك اشارة الى ما يفهم من النظم الكريم من جزاء
ابرهيم عليه الصلوة والسلام ومحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير نجزي
المحسنين جزاء مثل ذلك الجزاء والتقديم للقصر وقد مر تحقيقه مرارا والمراد بالمحسنين وبمماثلة جزا

لجزايه عليه الصلوة والسلام مطلق المشابهة في مقابلة الاحسان بالاحسان والمكافاة بين الاعمال والاجزية
من غير حصر لا المماثلة من كل وجه ضرورة ان الجزاء بكثرة اولاد الانبياء مما اختص به ابرهيم عليه الصلوة والسلام
والاوجه ان لام المحسنين للعهد وذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وهو عبارة عما اوتي المذكورون من
فنون الكرامات وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقته والكاف لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة
ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير ونجزي المحسنين المذكورين جزاء كائنا
مثل ذلك الجزاء فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار المشار اليه
نفس المصدر المشار اليه لا نعتا له اي وذلك الجزاء البديع نجزي المحسنين المذكورين لا جزاء آخر ادنى منه
والاظهار في موضع الاضمار للثناء عليهم بالاحسان الذي هو عبارة عن الاتيان بالاعمال الحسنة على الوجه
اللائق الذي هو حسنها الوصفي المقارن لحسنها الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله
كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة اعتراض مقرر لما قبلها وزكريا وهو ابن آذن ويحيى ابنه وعيسى
هو ابن مريم وفيه دليل بين على ان الذرية تتناول اولاد البنات والياس قيل هو ادريس جد نوح فيكون البيان
مخصوصا بمن في الآية الاولى وقيل هو من اسباط هرون اخي موسى عليه الصلوة والسلام كل اي كل واحد
من اولئك المذكورين من الصالحين اي من الكاملين في الصلاح الذي هو عبارة من الاتيان بما ينبغي والتحرز
عما لا ينبغي والجملة اعتراض جيء به للثناء عليهم بالصلاح واسمعيل واليسع هو ابن اخطوب بن العجوز وقرئ
والليسع وهو على القراتين علم اعجمي دخل عليه اللام ولا اشتقاق له ويقال انه يوشع بن نون وقيل
انه مفعول من مضارع وسع واللام كما في يزيد في قول من قال • رايت الوليد بن اليزيد مباركا • شديد
باعباء الخلافة كاهله ويونس وهو ابن متى ولوطا هو ابن هاران بن اخي ابرهيم عليه السلام
وكلا اي وكل واحد من هؤلاء المذكورين فضلنا بالنبوة لا بعضهم دون بعض على العالمين على عالمي
عصرهم والجملة اعتراض كاختيها وقوله تعالى ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم اما متعلق بما تعلق به من ذريته
ومن ابتدائية والمفعول محذوف اي وهدينا من آبائهم وذرياتهم واخوانهم جماعات كثيرة واما معطوفا على
كلا ومن تبعيضية اي وفضلنا بعض آبائهم الى آخره واجتبيناهم عطف على فضلنا اي اصطفيناهم وهديناهم
الى صراط مستقيم تكرير للتاكيد وتمهيد لبيان ما هدوا اليه ذلك اشارة الى ما يفهم من النظم الكريم
من مصادر الافعال المذكورة وقيل الى ما دانوا به وما في ذلك من معنى البعد لما مر مرارا هدى الله
الاضافة للتشريف يهدي به من يشاء من عباده وهم المستعدون للهداية والارشاد وفيه اشارة الى انه
تعالى متفضل بالهداية ولو اشركوا اي هؤلاء المذكورون لحبط عنهم مع فضلهم وعلو طبقاتهم ما كانوا
يعملون من الاعمال المرضية الصالحة فكيف بمن عداهم وهم هم واعمالهم اعمالهم اولئك اشارة الى
المذكورين من الانبياء الثمانية عشر والمعطوفين عليهم عليهم السلام باعتبار اتصافهم بما ذكر من الهداية
وغيرها من النعوت الجليلة الثابتة لهم وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة من الايذان بعلو طبقتهم وبعد
منزلتهم في الفضل والشرف وهو مبتدا خبره قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب اي جنس الكتاب المتحقق
في ضمن اي فرد كان من افراد الكتب السماوية والمراد بايتائه التفهيم التام بما فيه من الحقائق والتمكين
من الاحاطة بالجلايل والدقايق اعم من ان يكون ذلك بالانزال ابتداء او بالايراث بقاء فان المذكورين لم ينزل
على كل واحد منهم كتاب معين والحكم اي الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق والصواب والنبوة اي
الرسالة فان يكفر بها اي بهذه الثلثة او بالنبوة الجامعة للباقين هؤلاء اي كفار قريش فانهم بكفرهم
برسول الله صلى الله عليه وسلم وما انزل اليه من القران كافرون بما يصدقه جميعا وتقديم الجار والمجرور
على الفاعل لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فقد وكلنا بها اي امرنا بمراعاتها

ووفقنا للايمان والقيام بحقوقها قوما ليسوا بها بكافرين في وقت من الاوقات بل مستمرون على الايمان بها
فان الجملة الاسمية الايجابية كما تفيد دوام الثبوت كذلك السلبية تفيد دوام النفي بمعونة المقام لا
نفي الدوام كما حقق في مقامه قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد هم الانصار واهل المدينة وقيل
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقيل كل مؤمن من بني آدم وقيل الفرس فان كلا من هؤلاء الطوائف موفقون
للايمان بالانبياء والكتب المنزلة اليهم عاملون بما فيها من اصول الشرايع وفروعها الباقية في شريعتنا
وبه يتحقق الخروج عن عهدة التوكيل والتكليف دون المنسوخة منها فانها بانتساخها خارجة عن كونها
من احكامها وقد مر تحقيقه في سورة المائدة وقيل هم الانبياء المذكورون فالمراد بالتوكيل الامر بما هو اعم
من اجراء احكامها كما هو شانهم في حق كتابهم ومن اعتقاد حقيتها كما هو شانهم في حق سائر الكتب التي من جملتها
القران الكريم وقيل هم الملائكة فالتوكيل هو الامر بانزالها وحفظها واعتقاد حقيتها وايا ما كان فتنكير
قوما للتفخيم والباء الاولى صلة لكافرين قدمت عليه محافظة على الفواصل والثانية لتاكيد النفي واما تقديم
صلة وكلنا على مفعوله الصريح فلما ذكر آنفا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر ولان فيه نوع طول
ربما يؤدي تقديمه الى الاخلال بتجاوب النظم الكريم او الى الفصل بين الصفة والموصوف وجواب الشرط
محذوف يدل عليه المذكور اي فان يكفر بها هؤلاء فلا اعتداد به اصلا فقد وفقنا للايمان بها قوما فخاما
ليسوا بكافرين بها قطعا بل مستمرون على الايمان بها والعمل بما فيها نفي ايمانهم بها مندرجة عن ايمان هؤلاء ومن
هذا تبين ان الوجه ان يكون المراد بالقوم احدى الطوائف المذكورة اذ بايمانهم بالقران والعمل باحكامه يتحقق الغنية
عن ايمان الكفرة به والعمل باحكامه واما الانبياء والملائكة عليهم السلام فايمانهم به ليس من قبيل ايمان احاد
الامة كما اشير اليه اولئك اشارة الى الانبياء المذكورين وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم وهو مبتدا
خبره قوله تعالى الذين هدى الله اي الى الحق والنهج المستقيم والالتفات الى الاسم الجليل للاشعار بعلو الهداية
فبهديهم اقتده اي فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد بغيرهم والمراد بهداهم طريقتهم في الايمان بالله تعالى
وتوحيده واصول الدين دون الشرايع القابلة للنسخ فانها بعد النسخ لا تبقى هدى والهاء في اقتده للوقف
حقها ان تسقط في الدرج واستحسن اثباتها فيه ايضا اجراء له مجرى الوقف واقتداء بالامام وقرئ
باشباعها على انها كناية المصدر قل لا اسئلكم عليه اي على القران او على التبليغ فان مساق الكلام يدل
عليهما وان لم يجر ذكرهما اجرا من جهتكم كما يسال له من قبلي من الانبياء وهذا من جملة ما امر عليه السلام بالاقتداء
بهم فيه ان هو اي ما القران الا ذكرى للعالمين اي عظة وتذكيرا لهم كافة من جهته سبحانه فلا
يختص بقوم دون آخرين وما قدروا الله لما بين شان القران العظيم وانه نعمة جليلة منه تعالى على كافة الامم
حسبما ينطق به قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين عقب ذلك ببيان عظمهم اياها وكفرهم بها
على وجه سرى ذلك الى الكفر بجميع الكتب الالهية واصل القدر السبر والحزر يقال قدر الشيء يقدره
بالضم قدرا اذا سبره وحزره ليعرف مقداره ثم استعمل في معرفة الشيء في مقداره واحواله واوصافه
حق قدره نصب على المصدرية وهو في الاصل صفة للمصدر اي قدره الحق فلما اضيف الى موصوفه
انتصب على ما كان ينتصب اليه موصوفه اي ما عرفوه تعالى حق معرفته في اللطف بعباده والرحمة عليهم
ولم يراعوا حقوقه تعالى في ذلك بل اخلوا بها اخلالا اذ قالوا منكرين لبعثة الرسل وانزال الكتب كافرين
بنعمته الجليلة فيهما ما انزل الله على بشر من شيء فنفي معرفتهم بقدره سبحانه كناية عن حطهم لقدره الجليل
ووصفهم له تعالى بنقيض نعته الجميل كما ان نفي المحبة في مثل ان الله لا يحب الكافرين كناية عن البغض والسخط
والا فنفي معرفة قدره تعالى يتحقق مع عدم التعرض لحط بل مع السعي في تحصيل المعرفة كما في قول من يناجي ربه مستقصرا
لمعرفته وعبادته سبحانك ما عرفناك حق معرفتك • وما عبدناك حق عبادتك • او ما عرفوه حق معرفته

في السخط على الكفار وشدة بطشه تعالى بهم حسبما نطق به القران حين اجترءوا على هذه العظيمة الشنعاء فالنفي
بمعناه الحقيقي والقائلون هم اليهود وقد قالوه مبالغة في انكار انزال القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالزموا
ما لا سبيل لهم الى انكاره اصلا حيث قيل قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى اي قل لهم ذلك على طريقة التبكيت والقام الحجر
وروي ان مالك بن الصيف من احبار اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذي
انزل التورية على موسى هل تجد فيها ان الله تعالى يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من مالك
الذي تطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر رضي الله عنه فقال ما انزل الله على بشر من شيء
فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقيل هم المشركون والزامهم بانزال التورية لما انه كان عندهم من
المشاعر الذائعة ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم ووصف الكتاب بالموصول لتعظيمه
لزيادة التقرير وتشديد التبكيت وكذا تقييده بقوله تعالى نورا وهدى فان كونه بينا بنفسه ومبينا
لغيره مما يؤكد الالزام اي تاكيد وانتصابه على الحالية من الكتاب والعامل انزل او من الضمير في به والعامل
جاء واللام في قوله تعالى للناس اما متعلق بهدى او بمحذوف هو صفة له اي هدى كائنا للناس والمراد
بهذا مجرد الزامهم الاعتراف بانزال التورية فقط بل بانزال القران ايضا فان الاعتراف بانزالها مستلزم للاعتراف
بانزاله قطعا لما فيها من الشواهد الناطقة وقد نعى عليهم ما فعلوا بها من التحريف والتغيير حيث قيل تجعلونه
قراطيس اي تضعونه في قراطيس مقطعة • وورقات مفرقة • بحيث الجاد بناء على تشبيه القراطيس
بالظرف اليهم او تجعلونه نفس القراطيس المقطعة وفيه زيادة توبيخ لهم بسوء صنيعهم كانهم اخرجوه من جنس الكتاب
ونزلوه منزلة القراطيس الخالية عن الكتابة والجملة كما سبق وقوله تعالى تبدونها صفة لقراطيس وقوله تعالى
وتخفون كثيرا معطوف عليه والعائد الى الموصوف محذوف اي كثيرا منها وقيل كلام مبتداء لا محل له من الاعراب
والمراد بالكثير نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وسائر ما كتموه من احكام التورية وقرئ الافعال الثلاثة بالياء
حملا على قالوا وما قدروا وقوله تعالى وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم قيل هو حال من فاعل تجعلونه باضمار قد او بدونه
على اختلاف الرايين قلت فينبغي ان تجعل ما عبارة عما اخذوه من الكتاب من العلوم والشرايع ليكون التقييد
بالحال مفيدا لتاكيد التوبيخ وتشديد التشنيع فان ما فعلوه بالكتاب من التفريق والتقطيع لما ذكر من الابداء
والاخفاء شنيع في نفسه ومع ملاحظة كونه ماخذا لعلومهم ومعارفهم اشنع واعظم لا عما
تلقوه من جهة النبي صلى الله عليه وسلم زيادة على ما في التورية وبيانا لما التبس عليهم وعلى ابائهم من مشكلاتها
حسبما ينطق به قوله تعالى ان هذا القران يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون كما قالوا لان تلقيهم
لذلك من القران الكريم ليس مما يزجرهم عما صنعوا بالتورية اما ما ورد فيه زيادة على ما فيها فلانه لا تعلق
له بها نفيا ولا اثباتا واما ما ورد بطريق البيان فلان مدار ما فعلوا بها من التبديل والتحريف ليس ما وقع فيها
من التباس الامر واشتباه الحال حتى يقلعوا عن ذلك بايضاحه وبيانه فيكون الجملة حينئذ حالية عن تاكيد
التوبيخ فلا يستحق ان يقع موقع الحال بل على الوجه حينئذ ان يكون استينافا مقررا لما قبلها من مجيء الكتاب
بطريق التكملة والاستطراد والتمهيد لما يعقبه من مجيء القران ولا سبيل الى جعل ما عبارة عما كتموه من احكام
التورية كما يفصح عنه قوله تعالى قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب فان ظهوره وان
كان من جهة لهم عن الكتم مخافة الافتضاح ومصححا لوقوع الجملة في موقع الحال لكن ذلك مما يعلمه الكاتمون حتما
هذا وقد قيل الخطاب لمن آمن من قريش كما في قوله تعالى لتنذر قوما ما انذر اباؤهم وقوله تعالى قل الله امر
لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يجيب عنهم اشعارا بتعين الجواب بحيث لا محيد عنه وايذانا بانهم افحموا
ولم يقدروا على التكلم اصلا ثم ذرهم في خوضهم في باطلهم الذي يخوضون فيه ولا عليك بعد الزام الحجة و
القام الحجر يلعبون حال من الضمير الاول والظرف صلة للفعل المقدم او المؤخر او متعلق بمحذوف هو حال

من مفعول الاول او من فاعل الثاني ومن ضمير الثاني لانه فاعل في الحقيقة والظرف متصل بالاول
وهذا كتاب انزلناه تحقيق لنزول القران الكريم بعد تقرير انزال ما بشر به من التورية وتكذيب لهم في كلمتهم
الشنعاء اثر تكذيب مبارك اي كثير الفوايد وجم المنافع مصدق الذي بين يديه من التورية لنزوله حسبما وصف
فيها او الكتب التي قبلها فانه مصدق للكل في اثبات التوحيد والامر به ونفي الشرك والنهي عنه وفي ساير
اصول الشرايع التي لا تنسخ ولتنذر ام القرى عطف على ما دل عليه مبارك اي للبركات ولانذارك اهل مكة
وانما ذكرت باسمها المنبي عن كونها اعظم القرى شانا وقبلة لاهلها وقاطبة لاهل الارض ايذانا بان انذار اهلها
اصل مستتبع لاهل الارض كافة وقرئ لينذر بالياء على ان الضمير للكتاب ومن حولها من اهل المدر والوبر
في المشارق والمغارب والذين يؤمنون بالآخرة وبما فيها من فانين العذاب يؤمنون به اي بالكتاب لانهم يخافون
العاقبة ولا يزال الخوف يحملهم على النظر والتامل حتى يؤمنون به وتخصيص محافظتهم على الصلوة بالذكر
من بين ساير العبادات التي لا بد للمؤمنين من ادائها للايذان بانافتها من بين ساير الطاعات وكونها اشرف
العبادات بعد الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم انه تعالى بعثه نبيا كمسيلمة الكذاب والاسود العنسي
او اختلف عليه احكاما من الحل والحرمة كعمرو بن لحي ومتابعيه اي هو اظلم من كل ظالم وان كان سبك
التركيب على نفي الاظلم منه وانكاره من غير تعرض لنفي المساوي وانكاره فان الاستعمال الناشي من قولك
من افضل من زيد او لا اكرم منه على انه افضل من كل فاضل واكرم من كل كريم وقد تم تمام الكلام فيه
او قال اوحي الي من جهته تعالى ولم يوح اليه شيء اي والحالة انه لم يوح اليه شيء اصلا كعبد الله بن سعد
ابن ابي سرح كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما
بلغ ثم انشاناه خلقا آخر قال عبد الله تبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان ثم قال
عليه السلام اكتبها كذلك فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا فقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن
كان كاذبا فقد قلت كما قال ومن قال سانزل مثل ما انزل الله كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون
حذف مفعول ترى لدلالة الظرف عليه اي ولو ترى الظالمين اذ هم في غمرات الموت اي شدايده من غمره
اذا غشيه والملائكة باسطوا ايديهم لقبض ارواحهم كالمتقاضي الملظ الملح يبسط يده الى من عليه الحق ويعنف
عليه في المطالبة من غير امهال وتنفيس او باسطوها بالعذاب قايلين اخرجوا انفسكم اي اخرجوا ارواحكم
الينا من اجسادكم او خلصوا انفسكم من العذاب اليوم اي وقت الامانة او الممتد بعده الى ما لا نهاية له
تجزون عذاب الهون اي العذاب المتضمن لشدة واهانة فاضافته الى الهون وهو الهوان لعراقته فيه
بما كنتم تقولون على الله غير الحق كاتخاذ الولد له ونسبة الشريك اليه وادعاء النبوة والوحي كاذبا وكنتم عن
اياته تستكبرون فلا تتاملون فيها ولا تؤمنون بها ولقد جئتمونا للحساب فرادى منفردين عن الاموال
والاولاد وغير ذلك مما آثرتموه من الدنيا او من الاعوان والاصنام التي كنتم تزعمون انها شفعاؤكم
وهو جمع فرد والالف للتانيث وقرئ فراد كرجال وفراد كثلث وفردى كسكرى كما خلقناكم اول مرة
بدلا من فرادى على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد او حال ثانية عند من يجوز تعددها او حال من الضمير
في فرادى اي مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة مصدر جئتمونا اي مجيئا كخلقنا لكم اول مرة
وتركتم ما خولناكم تفضلنا عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم ما قدمتم منه شيئا ولم تحملوا
نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء اي شركاء الله في الربوبية واستحقاق العبودية لقد تقطع بينكم
اي وقع التقطع بينكم كما يقال جمع بين الشيئين اي اوقع الجمع بينهما وقرئ بالرفع على اسناد الفعل الى الظرف
كما يقال قوبل امامكم وخلفكم او على ان البين اسم للفصل والوصل اي تقطع وصلكم وقرئ ما بينكم وضل
عنكم اي ضاع وغاب ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء ان الله فالق الحب والنوى شروع

نذارك

وهم على صلوتهم يحافظون صح

في تقرير

في تقرير بعض افاعيله تعالى الدالة على كمال علمه وقدرته ولطف صنعه وحكمته اثر تقرير ادلة التوحيد والفلق الشق
بابانة اي شاق الحب بالنبات والنوى بالشجر فقيل المراد به الشق الذي في الحبوب والنوى اي خالقهما كذلك
كما في قولك ضيق فم الركية ووسع اسفلها وقيل الفلق بمعنى الخلق قال الواحدي ذهبوا بفالق مذهب يخرج
الحي من الميت اي يخرج ما ينمو من الحيوان والنبات مما لا ينمو من النطفة والحب او الجملة مستانفة مبينة لما قبلها
وقيل خبر ثان لان قوله تعالى ويخرج الميت النطفة والحب من الحي كالحيوان والنبات عطف على فالق الحب
لا على يخرج على الوجه الاول لان اخراج الميت من الحي ليس من قبيل فلق الحب والنوى ذلكم القادر العظيم الشان هو
الله المستحق للعبادة وحده فانى تؤفكون فكيف تصرفون عن عبادته الى غيره ولا سبيل اليه اصلا فالق الاصباح خبر
آخر لان او لمبتدا محذوف والاصباح مصدر سمي به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على انه جمع صبح اي خالق عمود الفجر
عن بياض النهار واسفاره او فالق ظلمة الاصباح وهي الغلس الذي يلي الصبح وقرئ فالق بالنصب على المدح وجاعل
الليل سكنا يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمأن اليه استئناسا به او يسكن فيه الخلق
من قوله تعالى ليسكنوا فيه وقرئ جاعل الليل فانتصاب سكنا بفعل دل عليه جاعل وقيل بنفسه على ان المراد به
الجعل المستمر في الازمنة المتجددة حسب تجددها لا الجعل الماضي فقط وقيل اسم الفاعل من الفعل المتعدي الى اثنين
يعمل في الثاني وان كان بمعنى الماضي لانه لما اضيف الى الاول تعين نصبه للثاني لتعذر الاضافة بعد ذلك والشمس والقمر
معطوفان على الليل وعلى القراءة الاخيرة قيل هما معطوفان على محله والاحسن نصبهما حينئذ بفعل مقدر وقد قرئا
بالجر والرفع ايضا على الابتداء والخبر محذوف اي مجعولان حسبانا اي على ادوار مختلفة يحسب بها الاوقات التي نيط
بها العبادات والمعاملات او محسوبان حسبانا والحسبان بالضم مصدر حسب ذلك اشارة الى جعلهما كذلك
وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته اي ذلك التسيير البديع تقدير العزيز الغالب
القاهر الذي لا يستعصي عليه شيء من الاشياء التي من جملتها تسييرهما على الوجه المخصوص العليم بجميع المعلومات التي
من جملتها ما في ذلك التسيير من المنافع والمصالح المتعلقة بمعاش الخلق ومعاده وهو الذي جعل لكم النجوم شروع في بيان
نعمته تعالى في الكواكب اثر بيان نعمته تعالى في النيرين والجعل متعد الى واحد واللام متعلق به وتاخير المفعول الصريح
عن الجار والمجرور لما مر غير مرة من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر اي انشاها وابدعها لاجلكم فقوله تعالى
لتهتدوا بها بدل من المجرور باعادة العامل بدل اشتمال كما في قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا والتقدير
جعل لكم النجوم لاهتدائكم لكن لا على ان غاية خلقها اهتداؤهم فقط بل على طريقة افراد بعض منافعها وغاياتها بالذكر
حسبما يقتضيه المقام وقد جوز ان يكون مفعولا ثانيا للجعل وهو بمعنى التصيير اي جعلها كائنة لاهتدائكم في اسفاركم
عند دخولكم المفاوز او البحار كما ينبئ عنه قوله تعالى في ظلمات البر والبحر اي في ظلمات الليل في البر والبحر واضافتها
اليهما للملابسة فان الحاجة الى الاهتداء بها انما يتحقق عند ذلك او مشتبهات الطرق عبر عنها بالظلمات على طريقة
الاستعارة قد فصلنا الايات اي بينا الايات المتلوة المذكورة لنعمه التي هذه النعمة من جملتها او الايات التكوينية
الدالة على شؤونه تعالى مفصلة لقوم يعلمون اي معاني الايات المذكورة ويعملون بموجبها او يتفكرون في الايات التكوينية
فيعلمون حقيقة الحال وتخصيص التفصيل بهم مع عمومه للكل لانهم المنتفعون به وهو الذي انشاكم من نفس واحدة تذكير
لنعمة اخرى من نعمه تعالى دالة على عظيم قدرته ولطيف صنعه وحكمته اي انشاكم مع كثرتكم من نفس آدم عليه الصلوة
والسلام فمستقر ومستودع اي فلكم استقرار في الاصلاب او فوق الارض واستيداع فيما ذكروا التعبير عن كونهم في
الاصلاب او فوق الارض بالاستقرار لانهما مقرهم الطبيعي كما ان التعبير عن كونهم في الارحام او تحت الارض لما ان كلا
منهما ليس بمقرهم الطبيعي وقد حمل الاستيداع على كونهم في الاصلاب وليس بواضح وقرئ مستقر بكسر القاف
اي فمنكم مستقر ومنكم مستودع فان الاستقرار منا بخلاف الاستيداع قد فصلنا الايات المبينة لتفاصيل خلق البشر
من هذه الاية ونظايرها لقوم يفقهون غوامض الدقايق باستعمال الفطنة وتدقيق النظر فان لطايف صنع الله

بنيئة

عز وجل في اطوار تخليق بني آدم مما يحار في فهمه الالباب وهو السر في ايثار يفقهون على يعلمون كما ورد في شان النجوم وهو
الذي انزل من السماء ماء تذكير لنعمة اخرى من نعمه تعالى منبئة عن كمال قدرته تعالى وسعة رحمته اي انزل من السحاب او من سمت
السماء ماء خاصا هو المطر وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا فاخرجنا به التفت الى التكلم اظهارا
لكمال العناية بشان ما انزل الماء لاجله اي فاخرجنا بعظمتنا بذلك الماء مع وحدته نبات كل شيء من الاشياء التي من شانها
النمو من اصناف النجم والشجر وانواعهما المختلفة في الكم والكيف والخواص والآثار اختلافا متفاوتا في مراتب الزيادة والنقصان
حسبما ينفصح عنه قوله تعالى يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل وقوله تعالى فاخرجنا منه خضرا شروع في
تفصيل ما اجمل من الاخراج وقد بدئ بتفصيل حال النجم اي فاخرجنا من النبات الذي لا ساق له شيئا غضا اخضر يقال شيء
اخضر وخضر كاعور وعور واكثر ما يستعمل الخضر فيما يكون خضرته خلقية وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة وقوله
تعالى نخرج منه صفة لخضرا وصيغة المضارع لاستحضار الصورة لما فيها من الغرابة اي نخرج من ذلك الخضر حبا
متراكبا هو السنبل المنتظم للحبوب المتراكبة بعضها فوق بعض على هيئة مخصوصة وقرئ يخرج منه حب متراكب
وقوله تعالى ومن النخل شروع في تفصيل حال الشجر اثر بيان حال النجم فقوله تعالى ومن النخل خبر مقدم وقوله تعالى من
طلعها بدل منه باعادة العامل كما في قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله والطلع
شيء يخرج من النخل كانه نعلان مطبقان والحمل بينهما منضود وقوله تعالى قنوان مبتدا اي وحاصله من طلع النخل
قنوان ويجوز ان يكون الخبر محذوفا لدلالة اخرجنا عليه اي ومخرجه من طلع النخل قنوان ومن قرأ يخرج منه حب متراكب
كان قنوان عنده معطوفا على حب وقيل المعنى واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان او ومن النخل شيء من طلعها
قنوان وهو جمع قنو وهو عنقود النخلة كصنو وصنوان وقرئ بضم القاف كذيب وذيبان وبفتحها ايضا على
انه اسم جمع لان فعلان ليس من ابنية الجمع دانية سهلة المجتنى قريبة من القاطف فانها وان كانت صغيرة
ينالها القاعد تاتي بالثمر لا ينتظر الطول او ملتفة متقاربة والاقتصار على ذكرها لدلالتها على مقابلها كقوله
تعالى سرابيل تقيكم الحر ولزيادة النعمة فيها وجنات من اعناب عطف على نبات كل شيء اي واخرجنا به جنات كائنة
من اعناب وقرئ جنات بالرفع على الابتداء اي ولكم او ثمة جنات وقد جوز عطفه على قنوان كائنة وقيل وحاصله
او مخرجه من النخل قنوان وجنات من نبات اعناب ولعل زيادة الجنات هاهنا من غير اكتفاء بذكر اسم الجنس
كما فيما تقدم وما تاخر لما ان الانتفاع بهذا الجنس لا يتاتى غالبا الا عند اجتماع طائفة من افراده والزيتون والرمان
منصوبان على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم او على العطف على نبات وقوله تعالى مشتبها وغير متشابه
حال من الزيتون اكتفي به عن حال ما عطف عليه كما يكتفي بخبر المعطوف عليه عن خبر المعطوف في نحو قوله تعالى والله و
رسوله احق ان يرضوه وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك وقد جوز ان يكون حالا من الرمان
لقربه ويكون المحذوف حال الاول والمعنى بعضه متشابها وبعضه غير متشابه في الهيئة والمقدار واللون والطعم
وغير ذلك من الاوصاف الدالة على كمال قدرة صانعها وحكمة منشئها ومبدعها انظروا الى ثمره اذا اثمر اي انظروا
اليه نظر اعتبار واستبصار اذا اخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا لا يكاد ينتفع به وقرئ الى ثمره وينعه اي والى
حال نضجه كيف يصير الى كماله اللائق به ويكون شيئا جامعا للمنافع جمة والينع في الاصل مصدر ينعت الثمرة
اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهي لغة فيه وقرئ يانعه ان في ذلكم اشارة الى
ما امر بالنظر اليه وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته لآيات لقوم
يومنون اي لآيات عظيمة او كثيرة دالة على وجود القادر الحكيم ووحدته فان حدوث هاتيك الاجناس المختلفة
والانواع المتشعبة من اصل واحد وانتقالها من حال الى حال على نمط بديع يحار في فهمه الالباب لا يكاد يكون الا
باحداث صانع يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته من الوجوه الممكنة على غيره ولا يعوقه عن ذلك ضد يناويه
او ند يقاويه ولذلك عقب بتوبيخ من اشرك به والرد عليه حيث قيل وجعلوا لله شركاء اي جعلوا في اعتقادهم

حال

الذي شانه

الذي شانه ما فصل في تضاعيف هذه الآيات الجليلة شركاء الجن اي الملائكة حيث عبدوهم وقالوا الملائكة بنات
الله وسموا جنا لاجتنانهم تحقيرا لشانهم بالنسبة الى مقام الالوهية او الشياطين حيث اطاعوهم دون الله تعالى او عبدوا
الاوثان بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو راي الثنوية
ومفعولا جعلوا قوله تعالى شركاء الجن قدم ثانيهما على الاول لاستعظام ان يتخذ الله سبحانه شريكا ما كائنا ما كان ولله
متعلق بشركاء قدم عليه للنكتة المذكورة وقيل هما لله شركاء والجن بدل من شركاء مفسر نص عليه الفراء وابو اسحق
او منصوب بمضمر وقع جوابا عن سوال مقدر نشأ من قوله تعالى وجعلوا لله شركاء كانه قيل من جعلوه شركاء لله تعالى
فقيل الجن اي جعلوا الجن ويويده قراءة ابي حيوة ويزيد بن قطيب الجن بالرفع على تقدير هم الجن في جواب من قال من الذين
جعلوهم شركاء لله تعالى وقد قرئ بالجر على ان الاضافة للتبيين وخلقهم حال من فاعل جعلوا بتقدير قد وبدونه على
اختلاف الرايين موكدة لما في جعلهم ذلك من كمال القباحة والبطلان باعتبار علمهم بمضمونها اي وقد علموا انه تعالى خالقهم
وقيل الضمير للشركاء اي والحال انه تعالى خلق الجن فكيف يجعلون مخلوقه شريكا له تعالى وقرئ خلقهم عطفا على
الجن اي وما يخلقونه من الاصنام او على شركاء اي وجعلوا له اختلاقهم الافك حيث نسبوه اليه تعالى وخرقوا له اي
افتعلوا وافتروا له يقال خلق الافك واختلقه وخلقه واخترقه بمعنى وقرئ خرقوا بالتشديد للتكثير وقرئ
وحرفوا له اي زوروا بنين وبنات فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت طائفة من العرب
الملائكة بنات الله بغير علم اي بحقيقة ما قالوه من خطاء او صواب بل رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية
او بغير علم بمرتبة ما قالوه وانه من الشناعة والبطلان بحيث لا يقادر قدره والباء متعلقة بمحذوف هو حال من فاعل خرقوا
او نعت لمصدر موكد له اي خرقوا ملتبسين بغير علم او خرقا كائنا بغير علم سبحانه استيناف مسوق لتنزيهه عز وجل عما
نسبوه اليه وسبحان علم للتسبيح الذي هو التبعيد عن السوء اعتقادا وقولا اي اعتقاد البعد عنه والحكم به من سبح
في الارض والماء اذا ابعد فيهما وامعن ومنه فرس سبوح اي واسع الجري وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه اي
اسبح سبحانه اي انزهه عما لا يليق به عقدا وعملا تنزيها خاصا به حقيقا بشانه وفيه مبالغة من جهة الاشتقاق من
السبح ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول عن المصدر الدال على الجنس الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما العلم
المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران لانه سمع له
فعل من الثلاثي كما ذكر في القاموس اريد به التنزه التام والتباعد الكلي ففيه مبالغة من حيث اسناد التنزه الى ذات المقدس
اي تنزه تنزها لائقا به وهو الانسب بقوله عز وجل وتعالى فانه معطوف على الفعل المضمر لا محالة ولما في السبحان وتعالى
من معنى التباعد قيل عما يصفون اي متباعدا عما يصفونه من ان له شريكا او ولدا بديع السموات والارض اي مبدعهما
ومخترعهما بلا مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه فان البديع كما يطلق على المبتدع يطلق على المبدع نص عليه ائمة اللغة
كالصريخ بمعنى المصرخ وقد جاء بدعه كمنعه بمعنى انشأه كابتدعه على ما ذكر في القاموس وغيره ونظيره السميع بمعنى
المسمع في قوله امن ريحانة الداعي السميع وقيل هو من اضافة الصفة المشبهة الى الفاعل للتخفيف بعد نصبه
تشبيها لها باسم الفاعل كما هو المشهور اي بديع سمواته وارضه من بدع اذا كان على نمط عجيب وشكل فائق وحسن رائق
او الى الظرف كما في قولهم ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير فيهما والاول هو الوجه والمعنى انه تعالى مبدع لقطري العالم
العلوي والسفلي بلا مادة فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال بالمرة والوالد عنصر الولد منفعل بانتقال مادته عنه
فكيف يمكن ان يكون له ولد وقرئ بديع بالنصب على المدح وبالجر على انه بدل من الاسم الجليل او من الضمير المجرور
في سبحانه على راي من يجيزه وارتفاعه في القراءة المشهورة على انه خبر مبتدا محذوف او فاعل تعالى والاظهار في موقع
الاضمار لتعليل الحكم وتوسيط الظرف بينه وبين الفعل للاهتمام ببيانه او مبتدا خبره قوله تعالى انى يكون له ولد
وهو على الاولين جملة مستقلة مسوقة كما قبلها لبيان استحالة ما نسبوه اليه تعالى وتقرير تنزهه عنه وقوله تعالى
ولم تكن له صاحبة حال موكدة للاستحالة المذكورة فان انتفاء ان يكون له تعالى صاحبة مستلزم لانتفاء ان يكون

له ولد ضرورة استحالة وجود الولد بلا والدة وان امكن وجوده بلا والد وانتفاء الاول مما لا ريب فيه لاحد فمن
ضرورة انتفاء الثاني اي من اين او كيف يكون له ولد كما زعموا والحال انه ليس له على زعمهم ايضا صاحبة يكون الولد منها
وقرئ لم يكن بتذكير الفعل للفصل او لان الاسم ضمير له تعالى والخبر هو الظرف وصاحبة مرتفع به على الفاعلية لاعتماده
على المبتدا او الظرف خبر مقدم وصاحبة مبتدا موخر والجملة خبر للكون وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون الاسم ضمير الشان
لصلاحية الجملة حينئذ لان تكون مفسرة لضمير الشان لا على الوجه الاول لما بين في موضعه ان ضمير الشان لا يفسر الا بجملة
صريحة وقوله تعالى وخلق كل شيء اما جملة مستانفة اخرى سيقت لتحقيق ما ذكر من الاستحالة او حال اخرى مقررة لها
اي انى يكون له ولد والحال انه خلق كل شيء انتظمه التكوين والايجاد من الموجودات التي من جملتها ما سموه ولدا له سبحانه
وتعالى فكيف يتصور ان يكون المخلوق ولدا لخالقه وهو بكل شيء من شانه ان يعلم كائنا ما كان مخلوقا او غير مخلوق
كما ينبئ عنه ترك الاضمار الى الاظهار عليم مبالغ في العلم ازلا وابدا حسبما يعرب عنه العدول الى الجملة الاسمية فلا
يخفى عليه خافية مما كان ومما سيكون من الذوات والصفات والاحوال التي من جملتها ما يجوز عليه تعالى وما لا يجوز من
المحالات التي ما زعموه فرد من افرادها والجملة استيناف مقرر لمضمون ما قبلها من الدلائل القاطعة ببطلان مقالتهم الشنعاء
التي اخترعوها بغير علم ذلكم اشارة الى المنعوت بما ذكر من جلائل النعوت وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو شان المشار
اليه وبعد منزلته في العظمة والخطاب للمشركين المعهودين بطريق الالتفات وهو مبتدا وقوله تعالى الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء
اخبار اربعة مترادفة اي ذلك الموصوف بتلك الصفات العظيمة هو الله المستحق للعبادة خاصة مالك امركم لا شريك له اصلا
خالق كل شيء مما كان ومما سيكون فلا تكرار اذ المعتبر في عنوان الموضوع انما هو خالقيته لما كان فقط كما ينبئ عنه صيغة الماضي
وقيل الخبر هو الاول والبواقي ابدال وقيل الاسم الجليل بدل من المبتداء والبواقي اخبار وقيل يقدر لكل من الاخبار
الثلاثة مبتداء وقيل يجعل الكل بمنزلة اسم واحد وقوله تعالى فاعبدوه حكم مترتب على مضمون الجملة فان من جمع هذه الصفات
كان هو المستحق للعبادة خاصة وقوله تعالى وهو على كل شيء وكيل عطف على الجملة المتقدمة اي هو مع ما فصل من الصفات الجليلة
متولي امور جميع مخلوقاته التي انتم من جملتها فكلوا اموركم اليه وتوسلوا بعبادته الى نجاح مآربكم الدنيوية والاخروية لا
تدركه الابصار البصر حاسة النظر وقد تطلق على العين من حيث انها محلها وادراك الشيء عبارة عن الوصول اليه والاحاطة به
اي لا يصل اليه الابصار ولا تحيط به كما قال سعيد بن المسيب وقال عطا كلت ابصار المخلوقين عن الاحاطة به
فلا متمسك فيه لمنكري الروية على الاطلاق وقد روي عن ابن عباس ومقاتل رضي الله عنهما لا تدركه الابصار في الدنيا
وهو يرى في الاخرة وهو يدرك الابصار اي يحيط بها علمه اذ لا تخفى عليه خافية وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا تدركه
الابصار ويجوز ان يكون تعليلا للحكمين السابقين على طريقة اللف اي لا تدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار
لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها قوله تعالى قد جاءكم بصائر من ربكم
استيناف وارد على لسان النبي صلى الله عليه وسلم والبصائر جمع بصيرة وهو النور الذي يستبصر النفس كما ان البصر نور به
تبصر العين والمراد بها الايات الواردة ههنا او جميع الايات المنتظمة لها انتظاما اوليا ومن لابتداء الغاية مجازا سواء تعلقت بجاء
او بمحذوف هو صفة لبصائر والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار كمال اللطف بهم اي قد جاءكم
من جهة مالككم ومبلغكم الى الكمال اللائق بكم من الوحي الناطق بالحق والصواب ما هو كالبصائر للقلوب او قد جاءكم بصائر
كائنة من ربكم فمن ابصر اي بتلك البصائر وآمن بها فلنفسه اي فلنفسه ابصر او فابصاره لنفسه لان نفعه مخصوص بها
ومن عمي اي ومن لم يبصر الحق بعد ما ظهر له بتلك البصائر ظهورا بينا وضل عنه وانما عبر عنه بالعمى تقبيحا له وتنفيرا عنه
فعليها اي فعليها عمي او فعماه عليها او وبال عماه وما انا عليكم بحفيظ وانما انا منذر والله هو الذي يحفظ اعمالكم ويجازيكم
عليها وكذلك نصرف الايات اي مثل ذلك التصريف البديع نصرف الايات الدالة على الشرائع الرائقة الكاشفة عن الحقائق الفائقة
لا تصريفا ادنى منه وقوله تعالى وليقولوا درست علة لفعل قد حذف تعويلا على دلالة السياق عليه اي وليقولوا درست نفعل
ما نفعل من التصريف المذكور واللام للعاقبة والواو اعتراضية وقيل هي عاطفة على علة محذوفة واللام متعلقة بنصرف

اي مثل ذلك التصريف نصرف الايات لنلزمهم الحجة وليقولوا الى آخره وقيل اللام لام الامر وينصره القراءة بسكون اللام
كانه قيل وكذلك نصرف الايات وليقولوا هم ما يقولون فانهم لا اعتناء بهم ولا اعتداد بقولهم وهذا امر معناه الوعيد
والتهديد وعدم الاكتراث بقولهم ورد عليه ان ما بعده يا باه ومعنى درست قرات وتعلمت وقرئ دارست اي دارست
العلماء ودرست اي قدمت هذه الايات وعفت كما قالوا اساطير الاولين ودرست بضم الراء مبالغة في درست
اي اشتد دروسها ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت من عفاه ودارست وفسروها بدارست اليهود
محمدا صلى الله عليه وسلم وجاز الاضمار لاشتهارهم بالدراسة وقد جوز اسناد الفعل الى الايات وهو في الحقيقة لاهلها
اي دارس اهل الايات وحملتها محمدا صلى الله عليه وسلم وهم اهل الكتاب ودرس اي درس محمد ودارسات على هي دارسات
اي قديمات او ذوات درس كعيشة راضية وقوله تعالى ولنبينه عطف على ليقولوا واللام على الاصل لان التبيين غاية
التصريف والضمير للايات باعتبار المعنى او للقران وان لم يذكر او للمصدر اي ولنفعل التبيين واللام في قوله تعالى لقوم
يعلمون متعلقة بالتبيين وتخصيصه لما انهم المنتفعون به قال ابن عباس رضي الله عنهما هم اولياؤه الذين
هداهم الى سبيل الرشاد ووصفهم بالعلم للايذان بغاية جهل الاولين وخلوهم عن العلم بالمرة اتبع ما اوحي اليك من ربك
لما حكي عن المشركين قدحهم في تصريف الايات عقب ذلك بامره عليه الصلوة والسلام بالثبات على ما هو عليه وعدم
الاعتناء بهم وباباطيلهم اي دم على ما انت عليه من اتباع ما اوحي اليك من الشرائع والاحكام التي عمدتها التوحيد وفي
التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلوة والسلام من اظهار اللطف به ما لا يخفى وقوله تعالى
لا اله الا هو اعتراض بين الامرين المتعاطفين موكد لايجاب اتباع الوحي لا سيما في امر التوحيد وقد جوز ان يكون
حالا من ربك اي منفردا بالالوهية واعرض عن المشركين لا تحتفل بهم وباقاويلهم الباطلة التي من جملتها ما حكي
عنهم آنفا ومن جعله منسوخا باية السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله اي عدم اشراكهم حسبما
هو القاعدة المستمرة في حذف مفعول المشيئة من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء ما اشركوا وهذا
دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر لكن لا بمعنى انه تعالى يمنعه عنه مع توجهه اليه بل بمعنى انه تعالى لا يريده منه
لعدم صرف اختياره الجزئي نحو الايمان واصراره على الكفر والجملة اعتراض موكد للاعراض وكذا قوله تعالى وما جعلناك
عليهم حفيظا اي رقيبا مهيمنا من قبلنا تحفظ عليهم اعمالهم وكذا قوله تعالى وما انت عليهم بوكيل من جهتهم تقوم
بامورهم وتدبر مصالحهم وعليهم في الموضعين متعلق بما بعده قدم عليه للاهتمام به او لرعاية الفواصل ولا
تسبوا الذين يدعون من دون الله اي لا تشتموهم من حيث عبادتهم لالهتهم كان تقولوا تبا لكم ولما تعبدونه مثلا فيسبوا الله
عدوا تجاوزا عن الحق الى الباطل بان يقولوا لكم مثل قولكم لهم بغير علم اي بجهالة بالله تعالى وبما يجب ان يذكر
به وقرئ عدوا يقال عدا يعدو عدوا وعدوا وعداء وعدوانا روي انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
عند نزول قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك وقيل
كان المسلمون يسبونهم فنهوا عن ذلك لئلا يستتبع سبهم سبه سبحانه وتعالى وفيه ان الطاعة اذا ادت الى معصية
راجحة وجب تركها فان ما يودي الى الشر شر كذلك اي مثل ذلك التزيين القوي زينا لكل امة عملهم من الخير
والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا او تخذيلا ويجوز ان يراد بكل امة امم الكفرة اذ الكلام فيهم
وبعملهم شرهم وفسادهم والمشبه به تزيين سب الله لهم ثم الى ربهم مالك امرهم مرجعهم اي رجوعهم بالبعث
بعد الموت فينبئهم من غير تاخير بما كانوا يعملون في الدنيا على الاستمرار من السيئات المزينة لهم وهو وعيد
بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده ساخبرك بما فعلت وفيه نكتة سرية مبنية على حكمة ابية وهي ان كل
ما يظهر في هذه النشاة من الاعيان والاعراض فانما يظهر بصورة مستعارة مخالفة لصورته الحقيقية التي
تظهر في النشاة الاخرة فان المعاصي سموم قاتلة قد برزت في الدنيا بصورة تستحسنها نفوس العصاة
كما نطقت به هذه الاية وكذا الطاعات فانها مع كونها احسن الاحاسن قد ظهرت عندهم بصورة مكروهة ولذلك

قال عليه الصلوة والسلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فاعمال الكفرة قد برزت لهم في
هذه النشاءة بصورة مزينة يستحسنها الغواة ويستحبها الطغاة وستظهر في النشاءة الاخرة بصورتها
الحقيقية بالاخبار بها لما ان كلا منهما سبب للعلم بحقيقتها كما هي فليتدبر قوله تعالى واقسموا بالله روي ان قريشا
اقترحوا بعض ايات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان فعلت بعض ما تقولون اتصدقونني فقالوا نعم واقسموا
لين فعلته لنومنن جميعا فسال المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعاء فنزلت وقوله تعالى جهد ايمانهم مصدر
في موقع الحال اي اقسموا به تعالى جاهدين في ايمانهم لين جاءتهم اية من مقترحاتهم او من جنس الايات وهو الانسب
بحالهم في المكابرة والعناد وترامي امرهم في العتو والفساد حيث كانوا لا يعدون ما يشاهدونه من المعجزات
القاهرة من جنس الايات ليومنن بها وما كان مرمى غرضهم في ذلك الا التحكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
في طلب المعجزة وعدم الاعتداد بما شاهدوا منه من البينات الحقيقية بان تقطع بها الارض وتسير بها الجبال قل انما
الايات اي كلها فيدخل فيها ما اقترحوه دخولا اوليا عند الله تعالى اي امرها في حكمه وقضايه خاصة يتصرف
فيها حسب مشيته المبنية على الحكم البالغة لا تتعلق بها ولا بشان من شونها قدرة احد ولا مشية لا استقلالا
ولا اشتراكا بوجه من الوجوه حتى يمكنني ان اتصدى لاستنزالها بالاستدعاء وهذا كما ترى سد لباب الاقتراح على ابلغ
وجه واحسنه ببيان علو شان الايات وصعوبة منالها وتعاليها من ان يكون عرضة للسوال والاقتراح واما
ما قيل من ان المعنى انما الايات عند الله تعالى لا عندي فكيف اجيبكم اليها او اتيكم بها او هو القادر عليها لا انا حتى اتيكم
بها فلا مناسبة له بالمقام كيف لا وليس مقترحهم مجيها بغير قدرة الله تعالى واراد حتى يجابوا بذلك وقوله
تعالى وما يشعركم انها اذا جاءت لا يومنون كلام مستانف غير داخل تحت الامر مسوق من جهته لبيان الحكمة الداعية
الى ما اشعر به الجواب السابق من عدم مجي الايات خوطب به المسلمون اما خاصة بطريق التلوين لما كانوا راغبين في
نزولها طمعا في اسلامهم واما معه عليه الصلوة والسلام بطريق التعميم لما روي عنه عليه الصلوة والسلام من الهم
بالدعاء وقد بين فيه ان ايمانهم فاجرة وايمانهم مما لا يدخل تحت الوجود وان اجيب الى ما سالوه وما استفهامية
انكارية لكن لا على ان مرجع الانكار هو وقوع المشعر به بل هو نفس الاشعار مع تحقق المشعر به في نفسه اي واي
شي يعلمكم ان الاية التي تقترحونها اذا جاءت لا يومنون بل يبقون على ما كانوا عليه من الكفر والعناد اي لا تعلمون ذلك
فتتمنون مجيها طمعا في ايمانهم فكانه بسط عذر من جهة المسلمين في تمنيهم نزول الايات وقيل لا مزيد فيتوجه
الانكار الى الاشعار والمشعر به جميعا اي اي شي يعلمكم ايمانهم عند مجي الايات حتى تتمنوا مجيها طمعا في ايمانهم
فيكون تخطية لراي المسلمين وقيل ان بمعنى لعل يقال ادخل السوق انك تشتري اللحم وعنك وعلك
ولعلك كلها بمعنى ويويده انه قري لعلها اذا جاءت لا يومنون على ان الكلام قد تم قبله والمفعول الثاني
يشعركم محذوف كما في قوله تعالى وما يدريك لعله يزكي والجملة استيناف لتعليل الانكار وتقريره اي اي شي
يعلمكم حالهم وما سيكون عند مجي الايات لعلها اذا جاءت لا يومنون بها فما لكم تتمنون مجيها فان تمنيه انما
يليق بما اذا كان ايمانهم بها محققا الوجود عند مجيها لا مرجو العدم وقري انها بالكسر على انه استيناف حسبما
سبق مع زيادة تحقيق لعدم ايمانهم وقري لا تومنون بالفوقانية فالخطاب في وما يشعركم للمشركين وقري
وما يشعرهم انها اذا جاءت لا يومنون فمرجع الانكار اقدام المشركين على الاقسام المذكور مع جهلهم بحال قلوبهم
عند مجي الايات وبكونها حينيذ كما هي الان ونقلب افيدتهم وابصارهم عطف على لا يومنون داخل في حكم ما يشعركم
مقيد بما قيد به اي وما يشعركم انا نقلب افيدتهم عن ادراك الحق فلا يفقهونه وابصارهم عن اجتلايه فلا
يبصرونه لكن لا مع توجهها اليه واستعدادها لقبوله بل لكمال نبوها عنه واعراضها بالكلية ولذلك
اخر ذكره عن ذكر عدم ايمانهم اشعارا باصالتهم في الكفر وحسما لتوهم ان عدم ايمانهم ناشي من تقليبه تعالى مشاعرهم
بطريق الاجبار كما لم يومنوا به اي بما جاء من الايات اول مرة اي عند ورود الايات السابقة والكاف في

الحقيقة المنكرة الهايلة فعند ذلك يعرفون ان اعمالهم ماذا فعبر عن اظهارها بصورها صح

محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف منصوب بلا يومنون وما مصدرية اي لا يومنون بل يكفرون كفرا كائنا
ككفركم اول مرة وتوسيط تقليب الافيدة والابصار بينهما لانه من متممات عدم ايمانهم ونذرهم عطف على
لا يومنون داخل في حكم الاستفهام الانكاري مقيد بما قيد به مبين لما هو المراد بتقليب الافيدة والابصار
ومعرب عن حقيقته بانه ليس على ظاهره بان يقلب الله سبحانه مشاعرهم عن الحق في توجههم اليه واستعدادهم
له بطريق الاجبار بل بان يخليهم وشانهم بعد ما علم فساد استعدادهم وفرط نفورهم عن الحق وعدم تاثير اللطف فيهم
اصلا ويطبع على قلوبهم حسبما يقتضيه استعدادهم كما اشرنا اليه وقوله تعالى في طغيانهم متعلق بنذرهم وقوله
تعالى يعمهون حال من الضمير المنصوب في نذرهم اي ندعهم في طغيانهم متحيرين لا نهديهم هداية المومنين او
مفعول ثان لنذرهم اي نصيرهم عامهين وقري يقلب ويذر بالياء على اسنادهما الى ضمير الجلالة وقري تقلب
بالتاء والبناء للمفعول على اسناده الى افيدتهم ولو اننا نزلنا اليهم الملايكة تصريح بما اشعر به قوله عز وجل
وما يشعركم انها اذا جاءت لا يومنون من الحكمة الداعية الى ترك الاجابة الى ما اقترحوه من الايات اثر بيان انها
في حكمه تعالى وقضايه المبني على الحكم البالغة لا مدخل لاحد في امرها بوجه من الوجوه وبيان لكذبهم في ايمانهم
الفاجرة البالغة وجه واكده اي ولو اننا لم نقتصر على ايتاء ما اقترحوه ههنا من اية واحدة من الايات بل نزلنا
اليهم الملايكة كما سالوه بقولهم لولا انزل علينا الملايكة وقولهم لوما تاتينا بالملايكة وكلمهم الموتى وشهدوا
بحقيقة الايمان بعد ان احييناهم حسبما اقترحوه بقولهم فاتوا باباينا وحشرنا اي جمعنا عليهم كل شي قبلا
بضمتين وقري بسكون الباء اي كفلا بصحة الامر وصدق النبي صلى الله عليه وسلم على انه جمع قبيل بمعنى الكفيل
كرغيف ورغف وعضب وعضب وهو الانسب بقوله تعالى او تاتي بالله والملايكة قبيلا اي لو لم نقتصر على ما
اقترحوه بل زدنا على ذلك بان احضرنا لديهم كل شي يتاتى منه الكفالة والشهادة بما ذكر لا فرادى بل بطريق المعية
او جماعات على انه جمع قبيل هم جمع قبيلة وهو الاوفق لعموم كل شي وشموله للانواع والاصناف اي حشرنا كل شي
نوعا نوعا وصنفا صنفا وفوجا فوجا وانتصابه على الحالية وجمعه باعتبار الكل المجموعي اللازم للافرادي او مقابلة
وعيانا على انه مصدر كقبلا وقد قري كذلك وانتصابه على الوجهين على انه مصدر في موقع الحال وقد نقل
عن المبرد وجماعة من اهل اللغة ان الاخير بمعنى الجهة كما في قولك لي قبل فلان حق وان انتصابه على الظرفية ما كانوا
ليومنوا بها اي ما صح وما استقام لهم الايمان لتماديهم في العصيان وغلوهم في التمرد والطغيان واما سبق
القضاء عليهم بالكفر فمن الاحكام المترتبة على ذلك حسبما ينبي عنه قوله تعالى ونذرهم في طغيانهم يعمهون وقوله
تعالى الا ان يشاء الله استثناء مفرغ من اعم الاحوال والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة اي
ما كانوا ليومنوا بعد اجتماع ما ذكر من الامور الموجبة للايمان في حال من الاحوال الداعية اليه المتممة لموجباته
المذكورة الا في حال مشيته تعالى لايمانهم او من اعم العلل اي ما كانوا ليومنوا لعلة من العلل المعدودة وغيرها
الا لمشيته تعالى وايا ما كان فليس المراد بالاستثناء بيان ان ايمانهم على خطر الوقوع بناء على كون مشيته تعالى
ايضا كذلك بل بيان استحالة وقوعه بناء على استحالة وقوعها كانه قيل ما كانوا ليومنوا الا ان يشاء الله وهيهات
ذلك وحالهم حالهم بدليل ما سبق من قوله ونقلب افيدتهم الاية كيف لا وقوله عز وجل ولكن اكثرهم يجهلون
استدراك من مضمون الشرطية بعد ورود الاستثناء لا قبله ولا ريب في ان الذي يجهلونه سواء اريد بهم المسلمون
وهو الظاهر او المقسمون ليس عدم ايمانهم بلا مشية الله تعالى كما هو اللازم من حمل النظم الكريم على المعنى الاول
فانه ليس مما يعتقد الاولون لا مما يدعيه الاخرون بل انما هو عدم ايمانهم لعدم مشيته ايمانهم ومرجعه الى جهلهم
بعدم مشيته اياه فالمعنى ان حالهم كما شرح ولكن اكثر المسلمين يجهلون عدم ايمانهم عند مجي الايات لجهلهم عدم مشيته
تعالى لايمانهم فيتمنون مجيها طمعا فيما لا يكون فالجملة مقررة لمضمون قوله تعالى وما يشعركم الى اخره على القراءة
المشهورة او ولكن اكثر المشركين يجهلون عدم ايمانهم عند مجي الايات لجهلهم عدم مشيته تعالى لايمانهم حينيذ فيقسمون

بالله جهد ايمانهم على ما لا يكاد يكون فالجملة على القراءة السابقة بيان مبدأ لمنشأ خطاء المقسمين ومناط اقسامهم وتقرير له وعلى قراءة لا تؤمنون بتاء الفوقانية وكذا على قراءة وما يشعرهم انها اذا جاءتهم لا يؤمنون **وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا** كلام مبتدأ مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يشاهد من عداوة قريش له عليه الصلوة والسلام وما بنوا عليها مما لا خير فيه من الاقاويل والافاعيل ببيان ان ذلك ليس مختصا بك بل هو امر ابتلي به كل من سلف من الانبياء عليهم الصلوة والسلام ومحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر محذوف اشير اليه بذلك منصوب بفعله المحذوف وما مصدرية والتقديم على الفعل المذكور للقصر المفيد للمبالغة اي مثل ذلك الجعل الذي جعلها في حقك حيث جعلنا لك عدوا يضادونك فلا يؤمنون ويبغونك الغوائل ويدبرون في ابطال امرك مكايد جعلنا لكل نبي تقدمك عدوا فعلوا بهم ما فعل بك اعداؤك لا جعلا انقص منه وفيه دليل على ان عداوة الكفرة للانبياء عليهم الصلوة والسلام بخلقه تعالى للابتلاء **شياطين الجن والانس** اي مردة الفريقين على ان الاضافة بمعنى من البيانية **وقيل** هي اضافة الصفة الى الموصوف والاصل الانس والجن الشياطين وقيل هي بمعنى اللام اي الشياطين للانس والتي للجن وهو بدل من عدوا والجعل متعد الى واحد او الى اثنين وهو اول مفعولية قدم عليه الثاني مسارعة الى بيان العداوة واللام على التقديرين متعلقة بالجعل او بمحذوف هو حال من عداوة وقوله تعالى **يوحي بعضهم الى بعض** كلام مستأنف مسوق لبيان احكام عداوتهم وتحقيق وجه الشبه بين المشبه والمشبه به او حال من الشياطين او نعت لعدوا وجمع الضمير باعتبار المعنى فانه عبارة عن الاعداء كما في قوله • اذا انا لم انفع صديقي بوده • فان عدوي لم يضرهم بغضي • والوحي عبارة عن الايماء والقول السريع اي يلقي ويوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس او بعض كل من الفريقين الى بعض آخر **زخرف القول** اي المموه منه المزين الباطل ظاهره وباطنه من زخرفه اذا زينه **غرورا** مفعولا له ليوحي اي ليغروهم او مصدر في موقع الحال اي غارين او مصدر مؤكد لفعل مقدر هو حال من فاعل يوحي اي يغرون غرورا **ولو شاء ربك** رجوع الى بيان الشؤون الجارية بينه عليه الصلاة والسلام وبين قومه المفهومة من حكاية ما جرى بين الانبياء عليهم الصلاة والسلام وبين اممهم كما ينبئ عنه الالتفات والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلوة والسلام المعربة عن كمال اللطف في التسلية اي ولو شاء ربك عدم الامور المذكورة لا ايمانهم **كما قيل** فان القاعدة المستمرة ان مفعول المشية انما يحذف عند وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وهو قوله تعالى **ما فعلوه** اي ما فعلوا ما ذكر من عداوتك وايحاء بعضهم الى بعض منهم مزخرفات الاقاويل الباطلة المتعلقة بامرك خاصة لا بما يعمه وامور الانبياء عليهم الصلوة والسلام ايضا كما قيل فان قوله تعالى **فذرهم وما يفترون** صريح في ان المراد بهم الكفرة المعاصرون له صلى الله عليه وسلم اي اذا كان ما فعلوه من احكام عداوتك من فنون المفاسد بمشيته تعالى فاتركهم وافتراءهم او وما يفترونه من انواع المكايد فان لهم في ذلك عقوبات شديدة ولك عواقب حميدة لابتناء مشيته تعالى على الحكم البالغة البتة **ولتصغى اليه** اي الى زخرف القول وهو على الوجه الاول علة اخرى للايحاء معطوفة على غرورا وما بينهما اعتراض وانما لم ينصب لفقد شرطه اذ الغرور فعل الموحي وصغو الافئدة فعل الموحى اليه اي يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول ليغروهم به ولتميل اليه **افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة** انما خص بالذكر عدم ايمانهم بالآخرة دون ما عداها من الامور التي يجب الايمان بها وهم بها كافرون اشعارا بما هو المدار في صغو افئدتهم الى ما يلقى اليهم فان لذات الآخرة محفوفة في هذه النشأة بالمكاره والآمها مزينة بالشهوات فالذين لا يؤمنون بها وباحوال ما فيها لا يدرون ان وراء تلك المكاره لذات ودون هذه الشهوات آلاما وانما ينظرون الى ما بدا لهم في الدنيا بادي الرأي فهم مضطرون الى حب الشهوات التي من جملتها مزخرفات الاقاويل • ومموهات الاباطيل • واما المؤمنون بها فحيث كانوا واقفين على حقيقة الحال • ناظرين الى عواقب الامور • لم يتصور منهم الميل الى تلك المزخرفات لعلمهم ببطلانها ووخامة

عاقبتها

عاقبتها واما على الوجهين الاخرين فهو علة لفعل محذوف يدل عليه المقام اي وليكون ذلك جعلنا ما جعلنا والمعتبر له جعلوا اللام لام العاقبة او لام القسم او لام الامر وضعفه في غاية الظهور **وليرضوه** لانفسهم بعدما مالت اليه افئدتهم **وليقترفوا** اي يكتسبوا بموجب ارتضائهم له **ما هم مقترفون** له من القبائح التي لا يليق ذكرها **افغير الله ابتغي حكما** كلام مستأنف وارد على ارادة القول والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه الكلام اي قل لهم اميل الى زخارف الشياطين فابتغي حكما غير الله يحكم بيننا ويفصل المحق منا من المبطل **وقيل** ان مشركي قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا وبينك حكما من احبار اليهود او من اساقفة النصارى ليخبرنا عنك بما في كتابهم من امرك فنزلت واسناد الابتغاء المنكر الى نفسه عليه الصلوة والسلام لا الى المشركين كما في قوله تعالى افغير دين الله يبغون مع انهم الباغون لاظهار كمال النصفة او لمراعاة قولهم اجعل بيننا وبينك حكما وغير اما مفعول ابتغي وحكما حال منه واما بالعكس وايا ما كان فتقديمه على الفعل الذي هو المعطوف بالفاء حقيقة كما اشير اليه للايذان بان مدار الانكار هو ابتغاء غيره تعالى حكما لا مطلق الابتغاء **وقيل** حكما تمييز لما في غير من الابهام كقولهم ان لنا غيرها ابلا قالوا الحكم ابلغ من الحاكم وادل على الرسوخ لما انه لا يطلق الا على العادل وعلى من تكرر منه الحكم بخلاف الحاكم وقوله تعالى **وهو الذي انزل اليكم الكتاب** جملة حالية مؤكدة للانكار ابتغاء غيره تعالى حكما ونسبة الانزال اليهم خاصة مع ان مقتضى المقام اظهار تساوي نسبته الى المتحاكمين لاستمالتهم نحو المنزل واستنزالهم الى قبول حكمه بايهام قوة نسبته اليهم اي غيره تعالى ابتغي حكما والحال انه هو الذي انزل اليكم وانتم امة امية لا تدرون ما تأتون وما تذرون القرآن الناطق بالحق والصواب الحقيق بان يخص باسم الكتاب **مفصلا** اي مبينا فيه الحق والباطل والحلال والحرام وغير ذلك من الاحكام بحيث لم يبق في امر الدين شيء من التخليط والابهام فاي حاجة بعد ذلك الى الحكم وهذا كما ترى صريح في ان القرآن الكريم كاف في امر الدين مغن عن غيره ببيانه وتفصيله واما ان يكون لاعجازه دخل في ذلك **كما قيل** وقوله تعالى **والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق** كلام مستأنف غير داخل تحت القول المقدر مسوق من جهته تعالى لتحقيق حقية الكتاب الذي نيط به امر الحكمية وتقرير كونه منزلا من عنده عز وجل ببيان ان الذين وثقوا بهم ورضوا بحكمهم حسبما نقل آنفا من علماء اليهود والنصارى عالمون بحقيته ونزوله من عنده تعالى وفي التعبير عن التورية والانجيل باسم الكتاب ايماء الى ما بينهما وبين القرآن من المجانسة المقتضية للاشتراك في الحقية والنزول من عنده تعالى مع ما فيه من الايجاز وايراد الطائفتين بعنوان ايتاء الكتاب للايذان بانهم علموه من جهة كتابهم حيث وجدوه حسبما نعت فيه وعاينوه موافقا له في الاصول وما لا يختلف من الفروع ومخبرا عن امور لا طريق الى معرفتها سوى الوحي والمراد بالموصول اما علماء الفريقين فالمراد بالايتاء هو التفهيم بالفعل واما الكل وهم داخلون فيه دخولا اوليا فهو اعم مما ذكر ومن التفهيم بالقوة ولا ريب في ان الكل متمكنون من ذلك **قيل المراد** مؤمنوا اهل الكتاب **وقرئ** منزل من الانزال والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلوة والسلام لتشريفه والباء في قوله تعالى **بالحق** متعلق بمحذوف وقع حالا من الضمير المستكن في منزل اي ملتبسا بالحق **فلا تكونن من الممترين** اي في انهم يعلمون ذلك لما لا تشاهد منهم آثار العلم واحكام المعرفة فالفاء لترتيب النهي على الاخبار بعلم اهل الكتاب بشأن القرآن وفي انه منزل من ربك بالحق فيكون من باب التهييج والالهاب كقوله ولا تكونن من المشركين **وقيل** الخطاب في الحقيقة للامة وان كان له عليه الصلاة والسلام صورة **وقيل** الخطاب لكل احد على معنى ان الادلة قد تعاضدت وتظاهرت فلا ينبغي لاحد ان يمتري فيه والفاء على هذه الوجوه لترتيب النهي على نفس علمهم بحال القرآن **وتمت كلمات ربك** شروع في بيان كمال الكتاب المذكور من حيث ذاته اثر بيان كماله من حيث اضافته اليه تعالى بكونه منزلا منه بالحق وتحقيق ذلك بعلم اهل الكتاب به وانما عبر عنه بالكلمة لانها الاصل في الاتصاف بالصدق والعدل وبها يظهر الآثار من الحكم **وقرئ** كلمات ربك **صدقا وعدلا** مصدران نصبا على الحال **وقيل** على التمييز **وقيل** على العلة وقوله تعالى **لا مبدل لكلماته** اما استئناف مبين لفضلها على غيرها اثر بيان فضلها في نفسها واما حال اخرى من فاعل تمت على ان الظاهر مغن عن الضمير الرابط والمعنى انها بلغت الغاية القاصية صدقا في الاخبار والمواعيد وعدلا في الاقضية والاحكام لا احد يبدل شيئا من

ذلك بما هو اصدق واعدل ولا بما هو مثله فكيف يتصور ابتغاء حكم غيره تعالى وهو السميع لكل ما يتعلق به السمع العليم
بكل ما يمكن ان يعلم فيدخل في ذلك اقوال المتحاكمين واحوالهم الظاهرة والباطنة دخولا اوليا هذا وقد قيل المعنى لا
احد يقدر على ان يحرفها كما فعل بالتورية فيكون ضمانا لها من الله عز وجل بالحفظ كقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
او لا نبي ولا كتاب بعدها فينسخها وان تطع اكثر من في الارض لما تحقق اختصاصه تعالى بالحكمية لاستقلاله بما يوجبها
من نزول الكتاب الكامل الفاصل بين الحق والباطل وتمام صدق كلامه وكمال عدالة احكامه وامتناع وجود من يبدل
شيا منها واستبداده تعالى بالاحاطة التامة بجميع المسموعات والمعلومات عقب ذلك ببيان ان الكفرة متصفون
بنقايض تلك الكمالات من النقايص التي هي الضلال والاضلال واتباع الظنون الفاسدة الناشي من الجهل والكذب
على الله سبحانه ابانة لكمال مباينة حالهم لما يرومونه وتحذيرا عن الركون اليهم والعمل بارائهم والمراد بمن في الارض الناس
وباكثرهم الكفار وقيل اهل مكة والارض ارضها اي ان تطعهم بان جعلت منهم حكما يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل
اليه او عن الشريعة التي شرعها لعباده ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان اباهم كانوا على الحق فهم على اثارهم يهتدون
او جهالاتهم وارائهم الباطلة على ان المراد بالظن ما يقابل العلم والجملة استيناف مبني على سوال نشاء من شرطية كانه
قيل كيف يضلون وقيل لا يتبعون في امور دينهم الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيا فيضلوا ضلالا مبينا
ولا ريب في ان الضال المتصدي للارشاد انما يرشد غيره الى مسلك نفسه فهم ضالون مضلون وقوله تعالى وان هم
الا يخرصون عطف على ما قبله داخل في حكمه اي يكذبون على الله سبحانه فيما ينسبون اليه تعالى كاتخاذ الولد وجعل
عبادة الاوثان ذريعة اليه تعالى وتحليل الميتة وتحريم البحاير ونظايرها او يقدرون انهم على شيء واني لهم ذلك ودونه
مناط العيوق وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين تقرير لمضمون الشرطية وما
بعدها وتاكيد لما يفيده من التحذير اي هو اعلم بالفريقين فاحذر ان تكون من الاولين ومن موصولة او موصوفة في
محل النصب لا بنفس اعلم فان افعل التفضيل لا ينصب الظاهر في مثل هذه الصور بل بفعل دل عليه هو او استفهامية
مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ يضل بضم الياء على ان من فاعل ليضل ومفعوله
محذوف ومحلها النصب باذكر من الفعل المقدر اي هو اعلم يعلم من يضل الناس فيكون تاكيدا للتحذير عن طاعة الكفرة
واما ان الفاعل هو الله تعالى من منصوبه بما ذكر اي يعلم من يضله او مجرورة باضافة اعلم اليها اي اعلم المضلين من قوله
تعالى ومن يضلل الله او من قولك اضللته اذا وجدته ضالا فلا يساعده السباق والسياق والتفضيل في العلم بكثرته
واحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مترتب على النهي
عن اتباع المضلين الذين من جملة اضلالهم تحريم الحلال وتحليل الحرام وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تعبدون
الله فما قتله الله احق ان تاكلوه مما قتلتم انتم فقيل للمسلمين كلوا مما ذكر اسم الله تعالى خاصة على ذبحه لا مما ذكر عليه
اسم غيره فقط او مع اسمه تعالى او مات حتف انفه ان كنتم باياته التي من جملتها الايات الواردة في هذا الشان مومنين
فان الايمان بها يقتضي استباحة ما احله الله والاجتناب عما حرمه وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه
وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه انكار لان يكون لهم شيء يدعوهم الى الاجتناب عن اكله ما ذكر عليه اسم الله
تعالى من البحاير والسوايب ونحوها وقوله تعالى وقد فصل لكم الى اخره جملة حالية موكدة للانكار كما في قوله تعالى
وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي واي سبب حاصل لكم في ان لا تاكلوا مما ذكر اسم
الله عليه اي واي غرض يحملكم على ان لا تاكلوا ويمنعكم من اكله والحال انه قد فصل لكم ما حرم عليكم بقوله تعالى قل لا اجد
فيما اوحي الي محرما الى اخره فبقي ما عدا ذلك على الحل بقوله تعالى حرمت عليكم الميتة لانها مدنية واما التاخر في التلاوة
فلا يوجب التاخر في النزول وقرئ الفعلان على البناء وقرئ الاول على البناء للفاعل والثاني للمفعول الا ما
اضطررتم اليه مما حرم فانه ايضا حلال حينئذ وان كثيرا اي من الكفار ليضلون الناس بتحريم الحلال وتحليل
الحرام كعمرو بن لحي واضرابه وقرئ يضلون باهوائهم الزائغة وشهواتهم الباطلة بغير علم مقتبس من

الشريعة

الشريعة الشريفة مستندا الى الوحي ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين لحدود الحق الى الباطل والحلال الى الحرام
وذروا ظاهر الاثم وباطنه اي ما يعلن من الذنوب وما يسر او ما يعمل منها بالجوارح وما يعمل بالقلب وقيل
الزنا في الحوانيت واتخاذ الاخدان ان الذين يكسبون الاثم اي يكسبونه من الظاهر والباطن سيجزون بما كانوا
يقترفون كاينا ما كان فلا بد من اجتنابهما والجملة تعليل للامر ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم
متروك التسمية عمدا كان او نسيانا واليه ذهب داود وعن احمد بن حنبل مثله وقال مالك والشافعي بخلافه
لقوله عليه الصلاة والسلام ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه وفرق ابو حنيفة رحمه الله بين العمد
والنسيان واوله بالميتة او بما ذكر عليه اسم غيره تعالى لقوله تعالى وانه لفسق فان الفسق ما اهل به لغير الله
والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل المدلول عليه بلا تاكلوا والجملة مستانفة وقيل حالية وان الشياطين
ليوحون الى اوليائهم المراد بالشياطين ابليس وجنوده فايحاؤهم وسوستهم الى المشركين وقيل فرقة المجوس
فايحاؤهم الى اوليائهم ما انهوا الى قريش بالكتاب ان محمدا واصحابه يزعمون ان ما يقتلونه حلال وما يقتله
الله حرام ليجادلوكم بالوساوس الشيطانية او بما نقل من اباطيل المجوس وهو يؤيد التاويل بالميتة وان اطعتموهم
في استحلال الحرام وساعدتموهم على اباطيلهم انكم لمشركون ضرورة ان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه
في دينه فقد اشرك به تعالى بل اثره عليه سبحانه او من كان ميتا وقرئ ميتا على الاصل فاحييناه تمثيل مسوق
لتنفير المسلمين عن طاعة المشركين اثر تحذيرهم عنها بالاشارة الى انهم مستضيئون بانوار الوحي الالهي والمشركين
خايضون في ظلمات الكفر والطغيان فكيف يعقل اطاعتهم بهم والهمزة للانكار والنفي والواو لعطف الجملة الاسمية
على مثلها الذي يدل عليه الكلام اي انتم مثلهم ومن كان ميتا فاعطيناه الحيوة وما يتبعها من القوي المدركة والمحركة
وجعلنا له مع ذلك من الخارج نورا عظيما يمشي به اي بسببه والجملة استيناف مبني على سوال نشاء من الكلام
كانه قيل فما ذا يصنع بذلك النور فقيل يمشي به في الناس اي فيما بينهم امنا من جهتهم او صفة له كمن مثله اي
صفته العجيبة وهو مبتدا وقوله تعالى في الظلمات خبره على ان المراد بهما اللفظ لا المعنى كما في قولك زيد صفته اسم
وهذه الجملة صلة لمن وهي مجرورة بالكاف وهي مع مجرورها خبر لمن الاولى وقوله تعالى ليس بخارج منها حال من
المستكن في الظرف وقيل من الموصول اي خارج منها بحال وهذا كما ترى مثل اريد به من بقي في الضلالة بحيث لا
يفارقها اصلا كما ان الاول مثل اريد به من خلقه الله تعالى على فطرة الاسلام وهداه بالايات البينة الى طريق الحق
يسلكه كيف يشاء لكن لا على ان يدل على كل واحد من هذه المعاني بما يليق به من الالفاظ الواردة في المثلين بواسطة
تشبيهه بما يناسبه من معانيها فان الفاظ المثل باقية في معانيها الاصلية بل على انه قد انتزعت من الامور المتعددة
المعتبرة في كل واحد من جانبي المثلين هيات على حدة ومن الامور المتعددة المذكورة في كل واحد من جانبي المثلين هيات على
حدة فشبهت بهما الاوليان ونزلتا منزلتهما فاستعمل فيهما ما يدل على الاخريين بضرب من التجوز وقد اشير في تفسير قوله
تعالى ختم الله على قلوبهم الاية الى ان التمثيل قسم براسه لا سبيل الى جعله من باب الاستعارة حقيقة وان الاستعارة
التمثيلية من عبارات المتاخرين نعم قد يجري ذلك على سنن الاستعارة بان لا يذكر المشبه كهذين التمثيلين ونظايرهما
وقد يجري على منهاج التشبيه كما في قوله وما الناس الا كالديار واهلها بها يوم حلوها وغدوا بلاقع كذلك اي
مثل ذلك التزيين البليغ زين اي من جهة الله عز وجل بطريق الخلق عند اتباع الشياطين او من جهة الشياطين بطريق
الزخرفة والتسويل للكافرين التابعين للوساوس الشيطانية الاخذين بالمزخرفات التي يوحونها اليهم ما كانوا
يعملون ما استمروا على عمله من فنون الكفر والمعاصي التي من جملتها ما حكي عنهم من القبايح فانها لو لم تكن مزينة لهم
لما اصروا عليها ولما جادلوا بها الحق وقيل الاية نزلت في حمزة رضي الله عنه وابي جهل وقيل في عمر
او عثمان رضي الله عنهما وابي جهل وكذلك جعلنا في كل قرية قيل معناه كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها على تقديم
المفعول الثاني والظرف لغوا وهما الظرف واكابر على ان مجرميها بدل او مضاف اليه فان افعل التفضيل اذا اضيف

انهم يتبعون ما امر الله ثم يزعمون مع

سبحانه ويقولهم الملئكة بنات الله وقولهم هولاء شفعاونا عند الله ونحو ذلك وهوانكار واستبعاد لان يكون احد اظلم
ممن فعل ذلك اومساويا له وان كان سبك التركيب غير متعرض لانكار المساواة ونفيها يشهد به العرف الفاشي والاستعمال
المطرد فانه اذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل من فلان فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل الا يرى الى
قوله عز وجل لاجرم انهم في الاخرة هم الاخسرون بعد قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا الى آخره والسر في ذلك
ان النسبة بين الشيئين انما يتصور غالبا لاسيما في باب المغالبة بالتفاوت زيادة ونقصانا فاذا لم يكن احدهما ازيد
يتحقق النقصان لا محالة او كذب باياته كان كذبوا بالقرآن الذي من جملته الاية الناطقة بانهم يعرفونه عليه السلام
كما يعرفون ابناءهم وبالمعجزات وسموها سحرا وحرفوا التورية وغيروا نعوته عليه الصلاة والسلام فان ذلك تكذيب
باياته تعالى وكلمته او للايذان بان كلا من الافتراء والتكذيب وحده بالغ غاية الافراط في الظلم فكيف وهم جمعوا بينهما
فاثبتوا ما نفاه الله تعالى ونفوا ما اثبته الله قاتلهم الله انى يوفكون انه الضمير للشان ومدار وضعه موضع
ادعاء شهرته المغنية عن ذكره وفايدة تصدير الجملة به للايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريره في
الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده
له فضل تمكن فكانه قيل ان الشان الخطير هذا لا يفلح الظالمون اي لا ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب واذا كان
حال الظالمين هذا فما ظنك بمن في الغاية القاصية من الظلم ويوم نحشرهم جميعا منصوب على الظرفية بمضمر موخر
قد حذف ايذانا بضيق العبارة عن شرحه وبيانه وايماء الى عدم استطاعة السامعين السامعة لكمال فضاعته ما يقع
فيه من الطامة والداهية التامة كانه قيل ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول لهم ما نقول يكون من الاحوال والاهوال
ما يحيط به دايرة المقال وتقدير صيغة الماضي للدلالة على التحقيق ويحسن موقع عطف قوله تعالى ثم لم تكن
الى آخره عليه وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم اي واذكر لهم للتخويف والتحذير يوم نحشرهم الى آخره
وقيل وليتقوا او ليحذروا يوم نحشرهم الى آخره والضمير للكل وجميعا حال منه وقرى يحشرهم جميعا ثم يقول
بالياء فيهما للذين اشركوا اي يقول لهم خاصة للتوبيخ والتقريع على رؤس الاشهاد قوله تعالى اين شركاؤكم اي الهتكم
التي جعلتموها شركاء لله سبحانه وتعالى واضافتها اليهم لما ان شركتها ليست الا بتسميتهم وتقولهم الكاذب كما
ينبئ عنه قوله تعالى الذين كنتم تزعمون اي تزعمونها شركاء فحذف المفعولان معا وهذا السوال المبني عن غيبة
الشركاء مع عموم الحشر لها لقوله تعالى احشروا الذين ظلموا الى آخره وغير ذلك من النصوص انما يقع بعد ما جرى
بينها وبينهم من التبري من الجانبين وتقطع ما بينهم من الاسباب والعلايق حسبما يحكيه قوله تعالى فزيلنا بينهم
ونحوه من الايات الكريمة اما بعدم حضورها حينئذ في الحقيقة بابعادها من ذلك الموقف واما بتنزيل عدم
حضورها بعنوان الشركة والشفاعة منزلة عدم حضورها في الحقيقة اذ ليس السوال عنها من حيث انها شركاء
كما يعرب عنه الوصف بالموصول ولا ريب في ان عدم الوصف يوجب عدم الموصوف من حيث هو موصوف
فهي من حيث هي شركاء غايبة لا محالة وان كانت حاضرة من حيث ذواتها اصناما كانت او غيرها واما ما يقال
من انه يحال بينها وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها فيروا مكان خزيهم
وحسرتهم وربما يشعر بعدم شعورهم بحقيقة الحال وعدم انقطاع حبال رجايهم عنها بعد وقد عرفت انهم شاهدوها
قبل ذلك وانصرمت عروة اطماعهم عنها بالكلية على انها معلومة لهم من حين الموت والابتلاء بالعذاب في البرزخ
وانما الذي يحصل يوم الحشر الانكشاف الجلي واليقين القوي المرتب على المحاضرة والمحاورة ثم لم تكن فتنتهم
بتانيث الفعل ورفع فتنتهم على انه اسم له والخبر الا ان قالوا وقرى بنصب فتنتهم على انها الخبر والاسم الا
ان قالوا والتانيث في الخبر على قولهم من كانت امك وقرى بالتذكير مع رفع الفتنة ونصبها ورفعها انسب
بحسب المعنى والجملة عطف على ما قد عاملا في يوم نحشرهم كما اشير اليه فيما سلف والاستثناء مفرغ من اعم الاشياء
وفتنتهم اما كفرهم مرادا به عاقبته اي لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه مدة اعمارهم وافتخروا به شيئا من الاشياء

لاجحوده والتبرء عنه بان يقولوا والله ربنا ما كنا مشركين وانما جوابهم عبر عنه بالفتنة لانه كذب ووصفه تعالى بربوبيته
لهم للمبالغة للتبرء عن الاشراك وقرى ربنا على النداء فهو لاظهار الضراعة والاجتهاد في استدعاء قبول المعذرة
وانما يقولون ذلك مع علمهم بانه بمعزل من النفع راسا من فرط الحيرة والدهش وحمله على معنى ما كنا مشركين عند انفسنا
وما علمنا في الدنيا انا على خطاء في معتقدنا مما لا ينبغي ان يتوهم اصلا فانه مما يوهم ان لهم عذرا وان لهم قدرة على
الاعتذار في الجملة وذلك مخل بكمال هول اليوم قطعا على انه قد قضى ببطلانه قوله تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم فانه
تعجيب من كذبهم الصريح بانكار صدور الاشراك عنهم في الدنيا اي انظر كيف كذبوا على انفسهم في قولهم ذلك فانه امر
عجيب في الغاية واما حمله على كذبهم في الدنيا فمخل بجب تنزيه ساحة التنزيل عنه قوله تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون
عطف على كذبوا داخل معه في حكم التعجب وما مصدرية او موصولية قد حذف عايدها المعنى انظر كيف كذبوا باليمين
الفاجرة المغلظة على انفسهم بانكار صدور ما صدر عنهم وكيف ضل عنهم اي زال وذهب افتراؤهم او ما كانوا يفترونه
من الاشراك حتى نفوا صدوره عنهم بالكلية وتبرؤا عنه بالمرة وقيل ما عبارة عن الشركاء وايقاع الافتراء عليها مع
انه في الحقيقة واقع على احوالها من الالهية والشركة والشفاعة ونحوها للمبالغة في امرها كانها نفس المفترى
وقيل الجملة كلام مستانف غير داخل في حيز التعجب ومنهم من يستمع اليك كلام مبتداء مسوق لحكاية ما صدر في
الدنيا عن بعض المشركين من احكام الكفر ثم بيان ما سيصدر عنهم يوم الحشر تقرير لما قبله وتحقيقا لمضمونه
والضمير للذين اشركوا ومحل الظرف الرفع على انه مبتداء باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف كما في قوله تعالى
ومنا دون ذلك اي وجمع منا الى آخره ومن موصولة او موصوفة محلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعضهم
او وبعض منهم الذي يستمع اليك او فريق يستمع اليك على ان مناط الافادة اتصافهم بما في حيز الصلة او الصفة
لا كونهم ذوات اوليك المذكورين وقد مر في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول الى آخره روي انه اجتمع ابو
سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
للنضر وكان صاحب اخبار فقال والذي جعلها بنية ما ادري ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين
فقال ابو سفيان اني لاراه حقا فقال ابو جهل كلا فنزلت وجعلنا على قلوبهم اكنة من الجعل بمعنى الانشاية وعلى
متعلقة به وضمير قلوبهم راجع الى من وجمعيته بالنظر الى معناها كما ان افراد ضمير يستمع بالنظر الى لفظها وقد روعي
جانب المعنى في قوله تعالى ومنهم من يستمعون اليك الاية والاكنة جمع كنان وهو ما يستر الشيء وتنوينها للتفخيم
والجملة اما مستانفة للاخبار بما تضمنه من الختم او حال من فاعل يستمع باضمار قد عند من يقدرها قبل الماضي
الواقع حالا اي يستمعون اليك وقد القينا على قلوبهم اغطية كثيرة لا يقادر قدرها خارجة مما يتعارفه الناس
ان يفقهوه اي كراهة ان يفقهوا ما يستمعونه من القرآن المدلول عليه بذكر الاستماع ويجوز ان يكون مفعولا
لما ينبئ عنه الكلام اي منعناهم ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا صمما وثقلا مانعا من سماعه والكلام فيه كما في
قوله تعالى على قلوبهم اكنة وهذا تمثيل معرب عن كمال جهلهم بشؤن النبي صلى الله عليه وسلم وفرط نبو قلوبهم
عن فهم القرآن الكريم ومج اسماعهم له وقد مر تحقيقه في اول سورة البقرة وقيل حكاية هولما قالوا قلوبنا
في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر الاية وانت خبير بان مرادهم بذلك الاخبار بما اعتقدوه في حق القرآن
والنبي صلى الله عليه وسلم جهلا وكفرا من اتصافهما باوصاف مانعة من التصديق والايمان ككون القرآن
سحرا او شعرا او اساطير الاولين وقس عليه ما تخيلوه في حق النبي عليه الصلوة والسلام لا الاخبار بان هناك
امرا وراء ذلك قد حال بينهم وبين ادراكه حايل من قبلهم حتى يمكن حمل النظم الكريم على ذلك وان يروا كل اية
من الايات القرآنية اي يشاهدوها بسماعها لا يومنوا بها على عموم النفي لا على نفي العموم اي كفروا
بكل واحدة لعدم اجتلائهم اياها كما هي لما مر من حالهم حتى اذا جاؤك يجادلونك حتى هي التي تقع بعدها
الجمل والجملة هي قوله تعالى اذا جاؤك يقول الذين كفروا وما بينهما حال من فاعل جاؤا وانما وضع الموصول

موضع الضمير ذماً لهم بما في حيز الصلة واشعاراً بعلة الحكم اي بلغوا من التكذيب والمكابرة الى انهم اذا جاؤك
مجادلين لك لا يكتفون بمجرد عدم الايمان بما سمعوا من الايات الكريمة بل يقولون ان هذا اي ما هذا الا اساطير الاولين
فان اعداد حسن الحديث واصدقه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه من قبيل الاباطيل والخرافات
رتبة من الكفر لا غاية وراءها ويجوز ان يكون حتى جارة واذا ظرفية بمعنى وقت مجيئهم ويجادلونك حال كما سبق
وقوله تعالى يقول الذين كفروا الى آخره تفسير للمجادلة والاساطير جمع اسطورة او اسطارة او جمع اسطار
وهو جمع سطر بالتحريك واصل الكل السطر بمعنى الخط وهم ينهون عنه الضمير المرفوع للمذكورين والمجرور للقران
اي لا يقتنعون بما ذكر من تكذيبه وعده من قبيل الاساطير بل ينهون الناس عن استماعه لئلا يقفوا على حقيته
فيؤمنوا به وينأون عنه اي يتباعدون عنه بانفسهم اظهاراً لغاية نفورهم عنه وتاكيداً لنهيهم عنه فان اجتناب
الناهي عن المنهي عنه من متممات النهي ولعل ذلك هو السر في تاخير النأي عن النهي وقيل الضمير المجرور للنبي عليه
الصلوة والسلام وقيل المرفوع لابي طالب ولعل جمعيته باعتبار استتباعه لاتباعه فانه كان ينهى قريشاً
عن التعرض لرسول الله عليه الصلوة والسلام وينأى عنه فلا يؤمن به وروي انهم اجتمعوا اليه وارادوا برسول
الله عليه الصلوة والسلام سوءاً فقال • والله لن يصلوا اليك بجمعهم • حتى اوسد في التراب دفينا • فاصدع بامرك
ما عليك غضاضة • وابشر بذاك وقر منه عيونا • ودعوتني وعلمت انك ناصح • ولقد صدقت وكنت ثم امينا •
وعرضت دينا لا محالة انه • من خير اديان البرية دينا • لولا الملامة او حذار مسبة • لوجدتني سمحاً بذاك مبينا •
فنزلت وان يهلكون اي ما يهلكون بما فعلوا من النهي والنأي الا انفسهم بتعريضها لاشد العذاب وافظعه
عاجلاً وآجلاً وهو عذاب الضلال والاضلال وقوله تعالى وما يشعرون حال من ضمير يهلكون اي يقتصرون
الاهلاك على انفسهم والحال انهم ما يشعرون اي لا يشعرون باهلاكهم انفسهم ولا باقتصار ذلك عليها من غير
ان يضروا بذلك شيأ من القران والرسول عليه الصلوة والسلام والمؤمنين وانما عبر عنه بالاهلاك مع ان المنفي
من غيرهم مطلق الضرر اذ غاية ما يؤدي اليه ما فعلوا من القدح في القران الكريم الممانعة في تمشي احكامه
وظهور امر الدين للايذان بان ما يحيق بهم هو الهلاك لا الضرر المطلق على ان مقصدهم لم يكن مطلق الممانعة
فيما ذكر بل كانوا يبغون الغوائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ويجوز ان يكون الاهلاك معتبراً بالنسبة
الى الذين يضلونهم بالنهي فقصره على انفسهم حينئذ مع شموله للفريقين مبني على تنزيل عذاب الضلال عند عذاب
الاضلال منزلة العدم ولو ترى اذ وقفوا على النار شروع في حكاية ما سيصدر عنهم يوم القيمة من القول المناقض لما
صدر عنهم في الدنيا من القبائح المحكية مع كونه كاذباً في نفسه والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل
احد من اهل المشاهدة والعيان قصداً الى بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الشناعة والفظاعة الى حيث لا
يختص استقراؤها براء دون راء ممن اعتاد مشاهدة الامور العجيبة بل كل من يأتي بالرؤية يتعجب من هولها
وفظاعتها وجواب لو محذوف ثقة بظهوره وايذاناً بقصور العبارة عن تفصيله وكذا مفعول ترى لدلالة ما
في حيز الظرف عليه اي لو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها لرايت ما لا يساعده التعبير وصيغة
الماضي للدلالة على التحقق او حين يطلعون عليها اطلاعاً وهي تحتهم او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها من قولهم
وقفته على كذا اذا فهمته وعرفته وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفاً فقالوا يا ليتنا نرد
اي الى الدنيا تمنياً للرجوع والخلاص وهيهات ولات حين مناص ولا نكذب بايات ربنا اي بآياته الناطقة باحوال
النار واهوالها الآمرة باتقائها اذ هي التي تخطر حينئذ ببالهم ويتحسرون على ما فرطوا في حقها او بجميع آياته المنتظمة
لتلك الايات انتظاماً اولياً ونكون من المؤمنين بها العاملين بمقتضاها حتى لا نرى هذا الموقف الهائل ونكون
من فريق المؤمنين الناجين من العذاب • الفائزين بحسن المآب • ونصب الفعلين على جواب التمني باضمار ان
بعد الواو واجرائها مجرى الفاء ويؤيده قراءة ابن مسعود وابن اسحق رضي الله عنهما فلا نكذب والمعنى ان رددنا

لم نكذب

لم نكذب ونكون من المؤمنين وقيل ينسبك من ان المصدرية ومن الفعل بعدها مصدر ويقدر قبله مصدر
متوهم فيعطف هذا عليه كانه قيل ليت لنا رداً وانتفاء تكذيب وكونا من المؤمنين وقرئ برفعهما على انه كلام
مستانف كقوله دعني ولا اعود اي وانا لا اعود تركتني او لم تتركني او العطف على نرد او حال من ضمير فيكون داخلاً
في حكم التمني كالوجه الاخير للنصب وتعلق التكذيب الآتي به لما تضمنه من العدة بالايمان وعدم التكذيب كمن قال
ليتني رزقت مالاً فاكافئك على صنيعك فانه متمن في معنى الواعد فلو رزق مالاً ولم يكافئ صاحبه يكون مكذباً
لا محالة وقرئ برفع الاول ونصب الثاني وقد مر وجههما بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل اضراب عما ينبئ عنه
التمني من الوعد بتصديق الايات والايمان بها اي ليس ذلك عن عزيمة صادقة ناشئة عن رغبة في الايمان وشوق
الى تحصيله والاتصاف به بل لانه ظهر لهم في موقفهم ذلك ما كانوا يخفونه في الدنيا من الداهية الدهياء وظنوا
انهم مواقعوها فلحوقها وهول مطلعها قالوا ما قالوا والمراد بها النار التي وقفوا عليها اذ هي التي سبق لها الكلام
لتهويل امرها وتعجيب من فظاعة حال الموقوفين عليها وباخفائها تكذيبهم بها فان التكذيب بالشيء كفر به واخفاء
له لا محالة وايثاره على صريح التكذيب الوارد في قوله عز وجل هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون وقوله تعالى هذه
النار التي كنتم بها تكذبون مع كونه انسب بما قبله من قولهم ولا نكذب بايات ربنا لمراعاة ما في مقابلته من البدو
وهذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم واما ما قيل من ان المراد بما يخفون كفرهم ومعاصيهم او قبائحهم
وفضائحهم التي كانوا يكتمونها من الناس فتظهر في صحفهم بشهادة جوارحهم عليهم او شركهم الذي يجحدون
به في بعض مواقف القيمة بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين ثم تظهر بما ذكر من شهادة الجوارح عليهم او ما اخفاه
رؤساء الكفرة عن اتباعهم من امر البعث والنشور او كتمه علماء اهل الكتابين من صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم
ونعوته الشريفة عن عوامهم على ان الضمير المجرور للعوام والمرفوع للخواص او كفرهم الذي اخفوه من المؤمنين والضمير
المجرور للمؤمنين والمرفوع للمنافقين فبمعزل من الاعتضاد عما في كل منها من الاعتساف والاختلال لا سبيل الى شيء من ذلك
اصلاً لما عرفت من ان سوق النظم الشريف لتهويل امر النار وتفظيع حال اهلها وقد ذكر وقوفهم عليها واشير الى انه
اعتراهم عند ذلك من الخوف والخشية والحيرة والدهشة ما لا يحيط به الوصف ورتب عليه تمنيهم المذكور بالفاء القاضية
بسببية ما قبلها لما بعدها فاسقاط النار بعد ذلك من تلك السببية وهي في نفسها ادهى الدواهي وازجر الزواجر
واسنادها الى شيء من الامور المذكورة التي دونها في الهول والزجر مع عدم جريان ذكرها ثمة امر يجب تنزيه
ساحة التنزيل عن امثاله واما ما قيل من ان المراد جزاء ما كانوا يخفون فمن قبيل دخول البيوت من ظهورها وابوابها
مفتوحة فتأمل ولو ردوا اي من موقفهم ذلك الى الدنيا حسبما تمنوه وغاب عنهم ما شاهدوه من الاهوال
لعادوا لما نهوا عنه من فنون القبائح التي من جملتها التكذيب المذكور ونسوا ما عاينوه بالكلية لاقتصار
انظارهم على الشاهد دون الغائب وانهم لكاذبون اي لقوم ديدنهم الكذب في كل ما يأتون وما يذرون وقالوا
عطف على عادوا داخل في حيز الجواب وتوسيط قوله تعالى وانهم لكاذبون بينهما لانه اعتراض مسوق لتقرير ما
افاده الشرطية من كذبهم المخصوص ولو اخر لاوهم ان المراد تكذيبهم في انكارهم البعث والمعنى لو ردوا الى الدنيا
لعادوا لما نهوا عنه وقالوا ان هي اي ما الحيوة الا حيوتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين بعد ما فارقناها كان لم يروا
ما رأوا من الاحوال التي اولها البعث والنشور ولو ترى اذ وقفوا على ربهم الكلام فيه كالذي مر في نظيره خلا ان الوقوف
ها هنا مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده للعقاب وقيل عرفوا ربهم حق
التعريف وقيل وقفوا على جزاء ربهم وقوله تعالى قال استيناف مبني على سؤال نشأ من الكلام السابق كانه قيل فما
ذا قال لهم ربهم فقيل قال اليس هذا مشيراً الى ما شاهدوه من البعث وما يتبعه من الامور العظام بالحق تقريعاً
لهم على تكذيبهم لذلك وقولهم عند سماع ما يتعلق به ما هو بحق وما هو الا اباطيل قالوا استيناف كما سبق بلى
وربنا اكدوا اعترافهم باليمين اظهاراً لكمال تيقنهم بحقيته وايذاناً بصدور ذلك عنهم بالرغبة والنشاط طمعاً

في نفخة قال استيناف كامر فذوقوا العذاب الذي عاينتموه والفآء لترتيب التعذيب على اعترافهم بحقيقة ما كفروا به
في الدنيا لكن لا على ان مدار التعذيب هو اعترافهم بذلك بل هو كفرهم السابق بما اعترفوا بحقيته الآن كما نطق به قوله عز
وجل بما كنتم تكفرون اي بسبب كفركم في الدنيا بذلك او بكل ما يجب الايمان به فيدخل كفرهم به دخولا اوليا ولعل
هذا التوبيخ والتقريع انما يقع بعد ما وقفوا على النار فقالوا واما قالوا اذ الظاهر انه لا يبقى بعد هذا الامر الا العذاب
قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله هم الذين حكيت احوالهم لكن وضع الموصول موضع الضمير للايذان بتسبب خسرانهم بما في
حيز الصلة من التكذيب بلقايه تعالى بقيام الساعة وما يترتب عليه من البعث واحكامه المتفرقة عليه من البعث واستمرارهم
على ذلك فان كلمة حتى في قوله تعالى حتى اذا جاءتهم الساعة غاية لتكذيبهم لا لخسرانهم فانه ابدي لا حد له بغتة البغت والبغتة
مفاجات الشيء بسرعة من غير شعور به يقال بغته بغتا وبغتة اي فجاة وانتصابها اما على انها مصدر واقع موقع
الحال من فاعل جاءتهم اي مباغتة او من مفعوله اي مبغوتين واما على انه مصدر مؤكد على غير المصدر فان جاءتهم
في معنى بغتتهم كقولهم اتيته ركضا او مصدر مؤكد لفعل محذوف وقع حالا من فاعل جاءتهم اي جاءتهم الساعة تبغتهم
بغتة قالوا جواب اذا يا حسرتنا تعالي فهذا اوانك والحسرة شدة الندم وهذا التحسر وان كان يعتريهم عند الموت
لكن لما كان ذلك من مبادي الساعة سمي باسمها ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته
او جعل مجي الساعة بعد الموت كالواقع بغير فترة لسرعته قوله تعالى على ما فرطنا فيها اي على تفريطنا في شان الساعة
وتقصيرنا في مراعات حقها والاستعداد لها بالايمان بها واكتساب الاعمال الصالحة كما في قوله تعالى على ما
فرطت في جنب الله وقيل الضمير للحيوة الدنيا وان لم يجر لها ذكر لكونها معلومة والتفريط التقصير في الشيء
مع القدرة على فعله وقيل هو التضييع وقيل الفرط السبق ومنه الفارط ومعنى فرط خلى السبق لغيره فالتضعيف
فيه للسلب كما في جلدت البعير وقوله تعالى وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم حال من فاعل قالوا فايدته الايذان بان عذابهم
ليس مقصورا على ما ذكر من الحسرة على ما فات وزال بل يقاسون مع ذلك تحمل الاوزار الثقال والايماء الى ان تلك
الحسرة من الشدة بحيث لا تزول فلا تنسى بما يكابدونه من فنون العقوبات والسر في ذلك ان العذاب الروحاني
اشد من الجسماني نعوذ برحمة الله عز وجل منهما والوزر في الاصل الحمل الثقيل سمي الاثم والذنب لغاية ثقله
على صاحبه وذكر الظهور كذكر الايدي في قوله تعالى فبما كسبت ايديكم فان المعتاد حمل الاوزار على الظهور كما ان
المالوف هو الكسب بالايدي والمعنى انهم يتحسرون على ما لم يعملوا من الحسنات والحال انهم يحملون اوزار ما عملوا
من السيئات الا ساء ما يزرون تذييل مقرر لما قبله وتكملة له اي بيس شيئا يزرون وزرهم وما الحيوة الدنيا الا
لعب ولهو لما حقق فيما سبق ان وراء الحيوة الدنيا حياة اخرى يلقون فيها من الخطوب ما يلقون في هذه
حال تينك الحياتين في انفسهما واللعب عمل يشغل النفس ويفترها عما ينتفع به واللهو صرفها عن الجد الى الهزل
والمعنى اما على حذف المضاف او على جعل الحيوة الدنيا نفس اللعب واللهو مبالغة كما في قول الخنساء • فانما هي اقبال
وادبار • اي وما اعمال الدنيا اي الاعمال المتعلقة بها من حيث هي هي او وما هي من حيث انها محل الكسب تلك
الاعمال الا لعب يشغل الناس ويلهيهم بما فيه من منفعة سريعة الزوال • ولذة وشيكة الاضمحلال • عما يعقبهم
منفعة جليلة باقية • ولذة حقيقية غير متناهية • من الايمان والعمل الصالح وللدار الآخرة التي هي محل الحيوة
الاخرى خير للذين يتقون الكفر والمعاصي لان منافعها خالصة عن المضار ولذاتها غير منغصة بالالام مستمرة
على الدوام افلا يعقلون ذلك حتى تتقوا ما انتم عليه من الكفر والعصيان والفاء للعطف على مقدر اي اتغفلون
او لا تتفكرون فلا تعقلون وقرئ يعقلون على الغيبة قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون استيناف مسوق
لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن الذي يعتريه مما حكي عن الكفرة من الاصرار على التكذيب والمبالغة
فيه ببيان انه عليه السلام بمكانة من الله عز وجل وان ما يفعلون في حقه فهو راجع اليه تعالى في الحقيقة وانه ينتقم
منهم لا محالة اشد انتقام وكلمة قد لتاكيد العلم بما ذكر المفيد لتاكيد الوعيد كما في قوله تعالى قد يعلم ما انتم عليه وقوله

تعالى

تعالى قد يعلم الله المعوقين ونحوهما باخراجها الى معنى التكثير حسبما يخرج اليه ربما في مثل قوله • وان تمس مهجور
الفناء فربما • اقام به الوفود وفود • جريا على سنن العرب عند قصد الافراط في التكثير تقول لبعض قواد العساكر
كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي وعنده مقانب جمة يريد بذلك التمادي في تكثير فرسانه
ولكنه يروم اظهار براءته عن التزيد واظهار انه ممن يقلل كثير ما عنده فضلا عن تكثير القليل وعليه قوله عز وجل
ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وهذه طريقة انما تسلك عند كون الامر من الوضوح بحيث لا يحوم حوله
شايبة ريب حقيقة كما في الايات الكريمة المذكورة او ادعاء كما في البيت وقوله • قد انزل القران مصفرا اناملهم
وقوله • ولكنه قد يهلك والمال نايله • والمراد بكثرة علمه تعالى لكثرة تعلقه وهو متعد الى اثنين وما بعده ساد مسدهما
واسم ان ضمير شان وخبرها الجملة المفسرة له والموصول فاعل يحزنك وعايده محذوف اي الذي يقولونه وهو حال
ما حكي عنهم من قولهم ان هذا الا اساطير الاولين ونحو ذلك وقرئ ليحزنك من احزن المنقول من حزن اللازم وقوله
تعالى فانهم لا يكذبونك تعليل لما يشعر به الكلام السابق من النهي من الاعتداد بما قالوا لكن لا بطريق التساهل عنه
وعدم هينا والاقبال التام على ما هو اهم منه من استعظام جحودهم بايات الله عز وجل كما قيل فانه مع كونه بمعزل
عن التسلية بالكلية مما يوهم كون حزنه صلى الله عليه وسلم لخاصة نفسه بل بطريق التسلي بما يفيد من بلوغه عليه
السلام في جلالة القدر ورفعة المحل والزلفى من الله عز وجل الى حيث لا غاية وراءه حيث لم يقتصر على جعل تكذيبه
عليه الصلوة والسلام تكذيبا لاياته سبحانه على طريقة قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله بل نفى تكذيبهم عنه عليه
الصلوة والسلام واثبت لاياته سبحانه تعالى على طريقة قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ايذانا بكمال
القرب واضمحلال شؤونه عليه الصلاة والسلام في شان الله عز وجل نعم فيه استعظام لجنايتهم مبني عن عظم عقوبتهم
كانه قيل لا تعتد به وكله الى الله تعالى لانهم في تكذيبهم ذلك لا يكذبونك في الحقيقة ولكن الظالمين بايات الله يجحدون اي ولكنهم
بايات الله تعالى يكذبون فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالرسوخ في الظلم الذي جحودهم هذا فن من فنونه والالتفات
الى الاسم الجليل لتربية المهابة واستعظام ما اقدموا عليه من جحود اياته تعالى وايراد الجحود في مورد التكذيب للايذان
بان اياته تعالى من الوضوح بحيث يشاهد صدقها كل احد وان من ينكرها فانما ينكرها بطريق الجحود الذي هو عبارة عن الانكار
مع العلم بخلافه كما في قوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم وهو المعنى بقول من قال انه نفي ما في القلب ثباته
واثبات ما في القلب نفيه والباء متعلقة بيجحدون يقال جحد حقه وبحقه اذا انكره وهو يعلمه وقيل هي لتضمين
الجحود معنى التكذيب وايا ما كان فتقديم الجار والمجرور للقصر وقيل المعنى فانهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون
بالسنتهم ويعضده ما روي ان الاخنس بن شريق قال لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب
فانه ليس عندنا احد غيرنا فقال له والله ان محمدا لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة
والنبوة فماذا يكون لساير قريش فنزلت وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يسمى الامين فعرفوا انه لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يجحدون وقيل فانهم لا يكذبونك لانك عندهم الصادق
الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون بايات الله كما روي ان ابا جهل كان يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما نكذبك
انك عندنا لصادق ولكنا نكذب ما جئتنا به فنزلت وكان صدق الخبر عند الخبيث بمطابقة جزم لاعتقاده والاول
هو الذي يستدعيه الجزالة التنزيلية وقرئ لا يكذبونك من الاكذاب فقيل كلاهما بمعنى واحد كاكثر وكثر
وانزل ونزل وهو الاظهر وقيل اكذبه وجده كاذبا ونقل عن الكسائي ان العرب تقول كذبت الرجل اي نسبت
الكذب اليه واكذبته اي نسبت الكذب الى ما جاء به لا اليه وقوله تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك افتنان في تسليته
عليه الصلوة والسلام فان عموم البلية ربما يهون امرها بعض تهوين وارشاد له عليه الصلاة والسلام الى الاقتداء
بمن قبله من الرسل الكرام • عليهم الصلوة والسلام • في الصبر على ما اصابهم من اممهم من فنون الاذية وعدة ضمنية
له عليه الصلوة والسلام بمثل ما منحوه من النصر وتصدير الكلام بالقسم لتاكيد التسلية وتنوين رسل للتفخيم والتكثير

ومن اما متعلقة بكذبت او بمحذوف وقع صفة لرسل اي وبالله لقد كذبت من قبل تكذيبك رسل اولو شان خطير
وذو عدد كثير او كذبت رسل رسل كانوا من زمان قبل زمانك **فصبروا على ما كذبوا** ما مصدرية وقوله تعالى **واوذوا** عطف
على ما كذبوا داخل في حكمه فانسبك منهما مصدران من المبني للمفعول اي فصبروا على تكذيبهم وايذائهم فتاسّ بهم واصطبر
على ما نالك من قومك والمراد بايذائهم اما عين تكذيبهم وما يقارنه من فنون الايذاء لم يصرح به ثقة باستلزام التكذيب
اياه غالبا واياما كان ففيه تاكيد للتسلية **وقيل** عطف على صبروا **وقيل** على كذبت **وقيل** هو استيناف وقوله
تعالى **حتى اتاهم نصرنا** غاية للصبر وفيه ايذان بان نصره تعالى اياهم امر مقرر لا مرد له وانه متوجه اليهم لا بد من
اتيانه البتة والالتفات الى نون العظمة لابراز الاعتناء بشان النصر وقوله تعالى **ولا مبدل لكلمات الله** اعتراض مقرر
لما قبله من اتيان نصره اياهم والمراد بكلماته تعالى ما ينبئ عنه قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين
انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقوله تعالى كتب الله لاغلبن انا ورسلي من المواعيد السابقة
عليهم السلام الدالة على نصره رسول الله ايضا لا نفس الايات المذكورة ونظايرها فان الاخبار بعدم تبدلها انما يفيد
عدم تبدل المواعيد الواردة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة دون المواعيد السابقة للرسل عليهم الصلوة
والسلام ويجوز ان يراد بكلماته تعالى جميع كلماته التي من جملتها تلك المواعيد الكريمة ويدخل فيها المواعيد الواردة
في حقه عليه الصلوة والسلام دخولا اوليا والالتفات الى الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية من
موجبات ان لا يغالبه احد في فعل من الافعال ولا يقع منه تعالى خلف في قول من الاقوال وقوله تعالى **ولقد
جاءك من نبأ المرسلين** جملة قسمية جيء بها لتحقيق ما منحوا من النصر وتاكيد ما في ضمنه من الوعد لرسول الله صلى الله
عليه وسلم او لتقرير جميع ما ذكر من تكذيب الامم وما يترتب عليه من الامور والجار والمجرور في محل الرفع على انه
فاعل اما باعتبار مضمونه اي بعض نبأ المرسلين او بتقدير الموصوف اي بعض من نبأ المرسلين كما في تفسير قوله تعالى
ومن الناس من يقول آمنا بالله الاية واياما كان فالمراد بنبائهم عليهم الصلوة والسلام على الاول نصره تعالى اياه بعد اللتيا
والتي وعلى الثاني ما جرى بينهم عليهم الصلوة والسلام وبين اممهم على ما ينبئ عنه قوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا
الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم الباساء والضراء وزلزلوا الاية **وقيل** في محل النصب على
الحالية من المستكن في جاء العايد الى ما يفهم من الجملة السالفة اي ولقد جاءك هذا الخبر كائنا من نبأ المرسلين
وان كان كبر عليك اعراضهم كلام مستانف مسوق لتاكيد ايجاب الصبر المستفاد من التسلية ببيان انه امر لا محيد
عنه اصلا اي كان عظم عليك وشق اعراضهم عن الايمان بما جئت من القران الكريم حسبما يفصح عنه ما حكي
من تسميتهم له اساطير الاولين وتنائيهم عنه ونهيهم الناس عنه **وقيل** ان الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف
اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في محضر من قريش فقالوا يا محمد ائتنا باية من عند الله كما كانت الانبياء تفعل وانا نصدقك
فابى الله ان ياتيهم باية مما اقترحوا فاعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق ذلك عليه لما انه عليه الصلوة و
السلام كان شديد الحرص على ايمان قومه فكان اذا سالوه اية يود ان ينزلها تعالى طمعا في ايمانهم فنزلت فقوله تعالى اعراضهم
مرتفع بكبر وتقديم الجار والمجرور عليه لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والجملة في محل النصب
على انها خبر لكان مفسرة لاسمها الذي هو ضمير الشان ولا حاجة الى تقدير قد **وقيل** اسم كان اعراضهم وكبر
جملة فعلية في محل النصب على انها خبر لها مقدم على اسمها لانه فعل رافع الضمير مستتر كما هو المشهور وعلى التقديرين
قوله عز وجل **فان استطعت** الخ شرطية اخرى محذوفة الجواب وقعت جوابا للشرط الاول والمعنى ان شق عليك
اعراضهم عن الايمان بما جئت به من البينات وعدم عدهم لها من قبيل الايات واحببت ان تجيبهم الى ما سالوا اقتراحا
فان استطعت **ان تبتغي نفقا** اي سربا ومنفذا **في الارض** تنفذ فيه الى جوفها **او سلما** اي مصعدا **في السماء**
تعرج به فيها **فتاتيهم** منهما **باية** مما اقترحوه فافعل وقد جوز ان يكون ابتغاؤهما نفس الاتيان بالاية فالفاء في فتاتيهم
حينئذ تفسيرية وتنوين اية للتفخيم اي فان استطعت تبتغيهما فتجعل ذلك اية لهم فافعل والظرفان متعلقان

بمحذوف هما نعتان نفقا وسلما او الاول لمجرد التاكيد اذ النفق لا يكون الا في الارض وتبتغي وقد جوز تعلقهما
بمحذوف وقع حالا من فاعل تبتغي نفقا كاينا في الارض او سلما كاينا في السماء وفيه من الدلالة على تبالغ حرصه
عليه الصلوة والسلام على اسلام قومه وترامية الى حيث لو قدر على ان ياتي باية من تحت الارض او من فوق
السماء لفعل رجاء لايمانهم ما لا يخفى وايثار الابتغاء على الاتخاذ ونحوه للايذان بان ما ذكر من النفق والسلم
مما لا يستطاع ابتغاؤه فكيف باتخاذه **ولو شاء الله لجمعهم على الهدى** اي لو شاء الله تعالى ان يجمعهم على ما انتم عليه
من الهدى لفعله بان يوفقهم للايمان فيؤمنوا معكم ولكن لم يشأ لعدم صرف اختيارهم الى جانب الهدى
مع تمكنهم التام منه ومشاهدتهم للايات الداعية اليه لانه تعالى لم يوفقهم له مع توجههم الى تحصيله
وقيل لو شاء الله لجمعهم عليه بان ياتيهم باية ملجئة اليه ولكن لم يفعله لخروجه عن الحكمة وقوله تعالى **فلا تكونن
من الجاهلين** نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان عليه من الحرص الشديد على اسلامهم والميل الى اتيان ما يقترحونه
من الايات طمعا في ايمانهم مرتب على بيان عدم تعلق مشيئته تعالى بهدايتهم والمعنى اذا عرفت انه تعالى
لم يشأ هدايتهم وايمانهم باحد الوجهين فلا تكونن بالحرص الشديد على اسلامهم او الميل الى نزول مقترحاتهم
من الجاهلين بدقايق شؤونه تعالى التي من جملتها ما ذكر من عدم تعلق مشيئته تعالى بايمانهم اما اختيارا فلعدم
توجههم اليه واما اضطرارا فلخروجه عن الحكمة التشريعية المؤسسة على الاختيار ويجوز ان يراد بالجاهلين
على الوجه الثاني المقترحون ويراد به بالنهي منعه عليه الصلوة والسلام من المساعدة على اقتراحهم وايرادهم
بعنوان الجهل دون الكفر ونحوه لتحقيق مناط النهي الذي هو الوصف الجامع بينه عليه الصلاة والسلام
وبينهم **انما يستجيب الذين يسمعون** تقرير لما مر من ان على قلوبهم اكنة مانعة من الفقه وفي اذانهم وقرا
حاجزا من السماع وتحقيق لكونهم بذلك من قبيل الموتى لا يتصور منهم الايمان البتة والاستجابة الاجابة المقارنة
للقبول اي انما يقبل دعوتك الى الايمان الذين يسمعون ما يلقى اليهم سماع فهم وتدبر دون الموتى الذين هؤلاء
منهم كقوله انك لا تسمع الموتى وقوله تعالى **والموتى يبعثهم الله** تمثيل لاختصاصه تعالى بالقدرة على توفيقهم
للايمان باختصاصه تعالى بالقدرة على بعث الموتى من القبور **وقيل** بيان لاستمرارهم على الكفر وعدم
اقلاعهم عنه اصلا على ان الموتى مستعار للكفرة بناء على تشبيه جهلهم بموتهم اي وهؤلاء الكفرة يبعثهم الله
تعالى من قبورهم **ثم اليه يرجعون** للجزاء فحينئذ يستجيبون واما قبل ذلك فلا سبيل اليه **وقرئ** يرجعون
على البناء للفاعل من رجع رجوعا والمشهور اوفق بحق المقام لانبائه عن كون مرجعهم اليه تعالى بطريق الاضطرار
وقالوا لولا نزل عليه اية من ربه حكاية لبعض اخر من اباطيلهم بعد حكاية ما قالوا في حق القران الكريم وبيان ما
يتعلق به والقايلون رؤساء قريش **وقيل** الحارث بن عامر بن نوفل واصحابه لقد بلغت الضلالة والطغيان
الى حيث لم يقنعوا بما شاهدوا من البينات التي تخر لها صم الجبال حتى اجترؤا على ادعاء انها ليست من قبيل الايات
وانما هي ما اقترحوه من الخوارق الملجئة او المعقبة للعذاب كما قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا
حجارة من السماء الاية والتنزيل بمعنى الانزال كما ينبئ عنه القراءة بالتخفيف فيما سياتي وما يفيده التعرض لعنوان
ربوبيته تعالى من الاشعار بالعلية انما هو بطريق التعريض بالتهكم من جهتهم واطلاق الاية في قوله تعالى
قل ان الله قادر على ان ينزل اية مع ان المراد بها ما هو من الخوارق المذكورة لا اية ما من الايات لفساد المعنى مجاراة
معهم على زعمهم ويجوز ان يراد بها اية موجبة لهلاكهم كانزال ملائكة العذاب ونحوه على ان تنوينها للتفخيم و
التهويل كما ان اظهار اسم الجليل لتربية المهابة مع ما فيه من الاشعار بعلة القدرة الباهرة والاقتصار في الجواب
على بيان قدرته تعالى على تنزيلها مع انها في حيز الانكار للايذان بان عدم تنزيله تعالى اياها مع قدرته عليه لحكمة
بالغة يجب معرفتها وهم غافلون كما ينبئ عنه الاستدراك بقوله تعالى **ولكن اكثرهم لا يعلمون** اي ليسوا من اهل العلم
على ان المفعول مطرح بالكلية او لا يعلمون شيئا على انه محذوف مدلول عليه بقرينة المقام والمعنى انه تعالى

قادر على ان ينزل اية من ذلك او اية واىّ اية ولكن اكثرهم لا يعلمون فلا يدرون ان عدم تنزيلها مع ظهور قدرته عليه
لما ان في تنزيلها قلعا لاساس التكليف المبنى على قاعدة الاختيار واوا ستيصالا لاهم بالكلية فيقترحونها جهلا
ويتخذون تنزيلها ذريعة الى التكذيب وتخصيص عدم العلم باكثرهم لما ان بعضهم واقفون على حقيقة الحال وانما
يفعلون مكابرة وعنادا وقوله تعالى وما من دابة في الارض كلام مستانف مسوق لبيان كمال قدرته عز وجل وشمول
علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه تعالى قادر على تنزيل الاية وانما لا ينزلها محافظة على حكمه البالغة وزيادة
من لتاكيد الاستغراق وفي متعلقة بمحذوف هو وصف لدابة مفيد لزيادة التعميم كانه قيل وما فرد من
افراد الدواب يستقر في قطر من اقطار الارض وكذا زيادة الوصف في قوله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه مع ما
فيه من زيادة التقرير اي ولا طائر من الطيور يطير في ناحية من نواحي الجو بجناحيه كما هو المشاهد المعتاد وقرئ
ولا طائر بالرفع عطفا على محل الجار والمجرور كانه قيل وما دابة ولا طائر الا امم اي طوائف متخالفة والجمع باعتبار
المعنى كانه قيل وما من دواب ولا طير الا امم امثالكم اي كل امة منها مثلكم في ان احوالها محفوظة وامورها
متقنة ومصالحها مرعية جارية على سنن السداد منتظمة في سلك التقديرات الالهية والتدبيرات الربانية
ما فرطنا في الكتاب من شيء يقال فرط الشيء اي ضيعه وتركه قال ساعدة بن جوية معه سقاء لا يفرط حمله
اي لا يتركه ولا يتاركه ويقال فرّط في الشيء اي اهمل ما ينبغي ان يكون فيه واغفله وقوله تعالى في الكتاب اي في القرآن
على الاول ظرف لغو وقوله تعالى من شيء مفعول لفرطنا ومن مزيدة للاستغراق اي ما تركنا في القرآن شيئا
من الاشياء المهمة التي من جملتها بيان انه تعالى مراع لمصالح جميع مخلوقاته على ما ينبغي وعلى الثاني مفعول
للفعل ومن شيء في موضع المصدر اي ما جعلنا الكتاب مفرطا فيه شيئا من التفريط بل ذكرنا فيه كل ما لابد من
ذكره وايا ما كان فالجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها وقيل الكتاب اللوح فالمراد بالاعتراض الاشارة
الى ان احوال الامم مستقصاة في اللوح غير مقصورة على هذا القدر المجمل وقرئ فرطنا بالتخفيف وقوله تعالى
ثم الى ربهم يحشرون بيان لاحوال الامم المذكورة في الآخرة بعد بيان احوالها في الدنيا وايراد ضميرها على صيغة
جمع العقلاء لاجرائها مجراهم والتعبير عنها بالامم اي الى مالك امورهم يحشرون يوم القيامة كدابكم لا الى غيره فيجازيهم
فينصف بعضهم من بعض حتى يبلغ من عدله ان ياخذ للجماء من القرناء وقيل حشرها موتها وياباه مقام تهويل
الخطب وتفظيع الحال وقوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا متعلق بقوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء والموصول
عبارة عن المعهودين في قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك الايات ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده اي اوردنا
في القرآن جميع الامور المهمة وازحنا به العلل والاعذار والذين كذبوا بآياتنا التي هي منه صم لا يسمعونها سمع
تدبر وفهم فلذلك يسمعونها اساطير الاولين ولا يعدون من الآيات ويقترحون غيرها وبكم لا يقدرون على
ان ينطقوا بالحق ولذلك لا يستجيبون دعوتك بها وقوله تعالى في الظلمات اي في ظلمات الكفر او ظلمات الجهل
والعناد والتقليد اما خبر ثان للمبتدأ على انه عبارة عن العمى كما في قوله تعالى صم بكم عمي واما متعلق بمحذوف وقع حالا
من المستكن في الخبر كانه قيل ضالون كائنين في الظلمات او صفة لبكم اي بكم كائنون في الظلمات والمراد به بيان كمال
عراقتهم في الجهل وسوء الحال فان الاصم الابكم اذا كان بصيرا ربما يفهم شيئا باشارة غيره وان لم يفهمه بعبارته
وكذا يشعر غيره بما في ضميره بالاشارة وان كان معزولا عن العبارة واما اذا كان مع ذلك اعمى او كان في الظلمات
فينسد عليه باب الفهم والتفهيم بالكلية وقوله تعالى من يشاء الله يضلله تحقيق للحق وتقرير لما سبق من حالهم
ببيان انهم من اهل الطبع لا يتأتى منهم الايمان اصلا فمن مبتدأ خبره ما بعده ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة
المستمرة من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وانتفاء الغرابة في تعلقها به اي من يشاء الله اضلاله
اي يخلق فيه الضلال يضلله اي يخلقه فيه لكن لا ابتداء بطريق الجبر من غير ان يكون له دخل في ذلك بل عند
صرف اختياره الى كسبه وتحصيله وقس عليه قوله تعالى ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم لا يضل من ذهب اليه

ولا يزال من يثبت قدمه عليه قل ارأيتكم امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبكتهم ويلقمهم الحجر بما لا
سبيل لهم الى النكير والكاف حرف جيء به لتاكيد الخطاب لا محل له من الاعراب ومبنى التركيب وان كان على الاستخبار
عن الرؤية قلبية كانت او بصرية لكن المراد به الاستخبار عن متعلقها اي اخبروني ان اتاكم عذاب الله حسبما
اتى الامم السابقة من انواع العذاب الدنيوي او اتتكم الساعة التي لا محيص عنها البتة اغير الله تدعون هذا
مناط الاستخبار ومحط التبكيت وقوله تعالى ان كنتم صادقين متعلق بارأيتكم مؤكد للتبكيت كاشف عن كذبهم وجواب
الشرط محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه اي ان كنتم صادقين على ان اصناما الهة كما انها دعواكم المعروفة او ان
كنتم قوما صادقين فاخبروني اغير الله تدعون ان اتتكم فان صدقهم باي معنى كان من موجبات اخبارهم بدعائهم غيره
سبحانه واما جعل الجواب ما يدل عليه قوله تعالى اغير الله تدعون اعني فادعوه على ان الضمير لغير الله فمخل بجزالة
النظم الكريم كيف لا والمطلوب منهم انما هو الاخبار بدعائهم غيره تعالى عند اتيان ما يأتي لا نفس دعائهم اياه وقوله
تعالى بل اياه تدعون عطف على جملة منفية ينبئ عنها الجملة التي تعلق بها الاستخبار انباء جليا كانه قيل لا غيره تعالى
تدعون بل اياه تدعون وقوله تعالى فيكشف ما تدعون اليه اي الى كشفه عطف على تدعون اي فيكشفه اثر دعائكم
وقوله تعالى ان شاء اي ان شاء كشفه لبيان ان قبول دعائهم غير مطرد بل هو تابع لمشيئته المبنية على حكم خفية
قد استاثر الله تعالى بعلمها فقد يقبله كما في بعض دعواتهم المتعلقة بكشف العذاب الدنيوي وقد لا يقبله كما في بعض
اخر منها وفي جميع ما يتعلق بكشف العذاب الاخروي الذي من جملته الساعة وقوله تعالى وتنسون ما تشركون
اي تتركون ما تشركون به تعالى من الاصنام تركا كليا عطف على تدعون ايضا وتوسيط الكشف بينهما مع تقارنهما
وتاخر الكشف عنهما لاظهار كمال العناية بشان الكشف والايذان بترتبه على الدعاء خاصة وقوله تعالى ولقد ارسلنا
كلام مستانف مسوق لبيان ان منهم من لا يدعو الله تعالى عند اتيان العذاب ايضا لتماديهم في الغي والضلال لا يتاثرون
بالزواجر التكوينية كما لا يتاثرون بالزواجر التنزيلية وتصديره بالجملة القسمية لاظهار مزيد الاهتمام بمضمونه
ومفعول ارسلنا محذوف لما ان مقتضى المقام بيان حال المرسل اليهم لا حال المرسلين اي وبالله لقد ارسلنا رسلا الى
امم كثيرة من قبلك اي كائنة من زمان قبل زمانك فاخذناهم اي فكذبوا رسلهم فاخذناهم بالبأساء اي
بالشدة والفقر والضراء اي الضر والآفات وهما صيغتا تانيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون اي لكي يدعوا الله
تعالى في كشفها بالتضرع والتذلل ويتوبون اليه من كفرهم ومعاصيهم فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا اي فلم يتضرعوا
بعد ذلك حينئذ مع تحقق ما يستدعيه ولكن قست قلوبهم استدراك عما قبله اي فلم يتضرعوا اليه تعالى برقة
القلوب والخضوع مع تحقق ما يدعوهم اليه ولكن ظهر منهم نقيضه حيث قست قلوبهم اي استمرت على ما هي عليه
من القساوة او ازدادت قساوة وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون من الكفر والمعاصي فلم يخطروا ببالهم ان ما اعتراهم من
البأساء والضراء ما اعتراهم الا لاجله وقيل الاستدراك لبيان انه لم يكن لهم في ترك التضرع عذر سوى قسوة
قلوبهم والاعجاب باعمالهم التي زينها الشيطان لهم وقوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به عطف على مقدر ينساق
اليه النظم الكريم اي فانهمكوا فيه ونسوا ما ذكروا من البأساء والضراء فلما نسوه فتحنا عليهم ابواب كل شيء من
فنون النعماء على منهاج الاستدراج لما روي انه عليه الصلاة والسلام قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرئ فتّحنا
بالتشديد للتكثير وفي ترتيب الفتح على النسيان المذكور اشعار بان التذكير في الجملة غير خال عن النفع وحتى في قوله تعالى
حتى اذا فرحوا بما اوتوا هي التي يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية كما في قوله تعالى حتى اذا جاء امرنا
الآية ونظائره وهي مع ذلك غاية لقوله تعالى فتحنا او لما يدل هو عليه كانه قيل ففعلوا ما فعلوا حتى اذا اطمأنوا بما
اتيح لهم وبطروا واشروا اخذناهم بغتة اي نزل بهم عذابنا فجأة ليكون اشد عليهم وقعا وافظع هولا فاذا هم
مبلسون متحسرون غاية الحسرة آيسون من كل خير وفي الجملة الاسمية دلالة على استمرارهم على تلك
الفظيعة فقطع دابر القوم الذين ظلموا الى آخرهم بحيث لم يبق منهم احد من دبره دبرا ودبورا اي تبعه ومنه

الظاهر موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم فان هلاكهم بسبب ظلمهم الذي هو وضع الكفر موضع الشكر واقامة المعاصي مقام الطاعات **والحمد لله رب العالمين** على ما جرى عليهم من النكال فان اهلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شوم عقايدهم الفاسدة واعمالهم الخبيثة نعمة جليلة مستجلبة للحمد لا سيما مع ما فيه من اعلاء كلمة الحق التي نطقت بها رسلهم عليهم السلام **قل ارايتم** امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتكرير التبكيت عليهم وتثنية الالزام بعد تكملة الالزام الاول ببيان انه امر مستمر لم يزل جاريا في الامم وهذا ايضا استخبار عن متعلق الروية وان كان بحسب الظاهر استخبارا عن نفس الروية **ان اخذ الله سمعكم وابصاركم** بان اصمكم واعماكم بالكلية **وختم على قلوبكم** بان غطى عليها بما لا يبقى لكم معه عقل وفهم اصلا وتصيرون مجانين ويجوز ان يكون الختم عطفا تفسيريا للاخذ المذكور فان السمع والبصر طريقان للقلب منهما يرد ما يرده من المدركات فاخذهما سد لبابه بالكلية وهو السر في تقديم اخذهما على ختمها واما تقديم السمع على الابصار فلانه مورد الايات القرانية وافراده لما ان اصله المصدر وقوله تعالى **من اله** مبتداء وخبره استفهامية وقوله عز وجل **غير الله** صفة للخبر وقوله تعالى **يأتيكم به** اي بذلك على ان الضمير مستعار لاسم الاشارة او بما اخذ وختم عليه صفة اخرى له والجملة متعلق الروية ومناط الاستخبار اي اخبروني ان سلب الله مشاعركم من اله غيره تعالى يأتيكم بها وقوله تعالى **انظر كيف نصرف الايات** تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من عدم تاثرهم بما عاينوا من الايات الباهرة اي انظر كيف نكررها ونقررها مصروفة من اسلوب الى اسلوب تارة بترتيب المقدمات العقلية وتارة بطريق الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير **ثم هم يصدفون** عطف على نصرف داخل في حكمه وهو العمدة في التعجيب وثم لاستبعاد صدوفهم اي اعراضهم عن تلك الايات بعد تصريفها على هذا النمط البديع الموجب للاقبال عليها **قل ارايتكم** تبكيت آخر بالجائهم الى الاعتراف باختصاص العذاب بهم **ان اتاكم عذاب الله** اي عذابه العاجل الخاص بكم كما اتى من قبلكم من الامم **بغتة** اي فجاءة من غير ان يظهر مخايل الاتيان وحيث تضمن هذا المعنى الخفية قوبل بقوله تعالى **او جهرة** اي بعد ظهور اماراته وعلائمه **وقيل** ليلا ونهارا لما ان الغالب فيما اتى ليلا البغتة وفيما اتى نهارا الجهرة **وقرئ** بغتة وجهرة وهما في موضع المصدر اي اتيان بغتة او اتيان جهرة وتقديم البغتة لكونه اهول وافظع وقوله تعالى **هل يهلك** متعلق الاستخبار والاستفهام للتقرير اي قل لهم تقريرا لهم باختصاص الهلاك بهم اخبروني ان اتاكم عذابه تعالى حسبما تستحقونه فهل يهلك بذلك العذاب الا انتم اي هل يهلك غيركم ممن لا يستحقه وانما وضع موضعه **الا القوم الظالمون** تسجيلا عليهم بالظلم وايذانا بان مناط اهلاكهم ظلمهم الذي هو وضعهم الكفر موضع الايمان **وقيل** المراد بالظالمين الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا **قال** الزجاج هل يهلك الا انتم ومن اشبهكم وياباه تخصيص الاتيان بهم **وقيل** الاستفهام بمعنى النفي فمتعلق الاستخبار حينئذ محذوف كانه قيل اخبروني ان اتاكم عذابه تعالى بغتة او جهرة ماذا يكون الحال **ثم قيل** بيانا لذلك ما يهلك الا القوم الظالمون اي ما يهلك بذلك العذاب الخاص بكم الا انتم فمن قيد الهلاك بهلاك التعذيب والسخط لتحقيق الحصر باخراج غير الظالمين لما انه ليس بطريق التعذيب والسخط بل بطريق الاثابة ورفع الدرجة فقد اهمل ما يجديه واشتغل بما لا يعنيه واخل بجزالة النظم الكريم **وقرئ** هل يهلك من الثاني **وما نرسل المرسلين** كلام مستانف مسوق لبيان وظايف منصب الرسالة على الاطلاق وتحقيق ما في عهدة الرسل عليهم الصلوة والسلام واظهار ان ما يقترحون الكفرة عليه عليه الصلوة والسلام مما لا يتعلق بالرسالة اصلا وصيغة المضارع لبيان ان ذلك امر مستمر جرت عليه العادة الالهية وقوله تعالى **الا مبشرين ومنذرين** حالان مقدرتان من المرسلين اي ما نرسلهم الا مقدرا تبشيرهم وانذارهم ففيها معنى العلة الغائية قطعا اي ليبشروا قومهم بالثواب على الطاعة وينذروهم بالعقاب على اي ليخبروهم بالخبر السار والخبر الضار دينويا كان او اخرويا من غير ان يكون لهم دخل ما في وقوع الخبر اصلا وعليه يدور القصر والالزام ان لا يكون بيان الشرايع والاحكام من وظايف الرسالة والفاء في قوله تعالى **فمن آمن واصلح** لترتيب ما بعدها على ما قبلها ومن موصولة والفاء في قوله تعالى **فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**

لشبه

لشبه الموصول بالشرط اي لا خوف عليهم من العذاب الذي انذروه دنيويا كان او اخرويا ولا هم يحزنون بفوات ما بشروا به من الثواب العاجل والآجل وتقديم نفي الخوف لمراعاة حق المقام وجميع الضماير الثلثة الراجعة الى من باعتبار معناها كما ان افراد الضميرين السابقين باعتبار لفظها اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك الا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما تقرر في موضعه من ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام الا يرى ان الجملة الاسمية تدل بمعونة المقام على استمرار الثبوت فاذا دخل عليها حرف النفي دلت على استمرار الانتفاء لا على انتفاء الاستمرار كذلك المضارع الخالي عن حرف النفي يفيد استمرار الثبوت فاذا دخل عليه حرف النفي يفيد استمرار الانتفاء لا انتفاء الاستمرار ولا بعد في ذلك فان قولك ما زيدا ضربت مفيد لاختصاص النفي لا لنفي الاختصاص كما بين في محله وقوله عز وجل **والذين كذبوا** عطف على من آمن داخل في حكمه وقوله تعالى **باياتنا** اشارة الى ما نطق به الرسل عليهم الصلوة والسلام عند التبشير والانذار ويبلغونه الى الامم من آياته تعالى وان من آمن باياته تعالى فقد آمن به ومن كذب به تعالى فقد كذب بها وفيه من الترغيب في الايمان به والتحذير عن تكذيبه ما لا يخفى والمعنى ما نرسل المرسلين الا ليخبروا اممهم من جهتنا بما سيقع منا من الامور السارة والضارة لا ليوقعوها استقلالا لا من تلقاء انفسهم او استدعاء من قبلنا حتى يقترحوا عليهم ما يقترحون فاذا كان الامر كذلك فمن آمن بما اخبروا به من قبلنا تبشيرا او انذارا في ضمن آياتنا واصلح ما يجب اصلاحه من اعماله او دخل في الصلاح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا باياتنا التي بلغوها عند التبشير والانذار **يمسهم العذاب** اي العذاب الذي انذروه عاجلا او آجلا او حقيقة العذاب وجنسه المنتظم له انتظاما اوليا **بما كانوا يفسقون** اي بسبب فسقهم المستمر الذي هو الاصرار على الخروج عن التصديق والطاعة **قل لا اقول لكم عندي خزاين الله** استيناف مبني على ما اسس من السنة الالهية في شان ارسال الرسل وانزال الكتب مسوق لاظهار تبريه عليه الصلوة والسلام عما يدور عليه مقترحاتهم اي قل للكفرة الذين يقترحون عليك تارة تنزيل الايات واخرى غير ذلك لا ادعي ان خزاين مقدوراته تعالى مفوضة الي اتصرف فيها كيف اشاء استقلالا او استدعاء حتى تقترحوا علي تنزيل الايات وانزال العذاب او قلب الجبال ذهبا او غير ذلك مما يليق بشاني وجعل هذا تبريا عن دعوى الالهية مما لا وجه له قطعا وقوله تعالى **ولا اعلم الغيب** عطف على محل عندي خزاين الله ولا ادعي ايضا اني اعلم الغيب من افعاله تعالى حتى تسالوني عن وقت الساعة او وقت نزول العذاب او نحوهما **ولا اقول لكم اني ملك** حتى تكلفوني من الافاعيل الخارقة للعادات ما لا يطيق به البشر من الرقي في السماء ونحوها او تعدوا عدم اتصافي بصفاتهم قادحا في امري كما ينبئ عنه قولهم مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق والمعنى لا ادعي شيئا من هذه الاشياء الثلثة حتى تقترحوا علي ما هو من آثارها واحكامها وتجعلوا عدم اجابتي الى ذلك دليلا على عدم صحة ما ادعيه من الرسالة التي لا تعلق لها بشيء مما ذكر قطعا بل انما هي عبارة عن تلقي الوحي من جهة الله عز وجل والعمل بمقتضاه حسبما ينبئ عنه قوله تعالى **ان اتبع الا ما يوحى الي** لا على معنى تخصيص اتباعه عليه الصلوة والسلام بما يوحى اليه دون غيره بتوجيه القصر الى المفعول بالقياس الى مفعول آخر كما هو الاستعمال الشايع الوارد على توجيه القصر الى ما يتعلق بالفعل باعتبار النفي في الاصل والاثبات في القيد بل على معنى تخصيص حاله عليه الصلوة والسلام باتباع ما يوحى اليه بتوجيه القصر الى نفس الفعل بالقياس الى ما يغايره من الافعال لكن لا باعتبار النفي والاثبات معا في خصوصيته فان ذلك غير ممكن قطعا بل باعتبار النفي فيما يتضمنه من مطلق الفعل والاثبات فيما يقارنه من المعنى المخصوص فان كل فعل من الافعال الخاصة كنصر مثلا ينحل عند التحقيق الى معنى مطلق هو مدلول لفظ الفعل والى معنى خاص يقومه فان معناه فعل النصر يرشدك الى ذلك قولهم معنى فلان يعطي ويمنع يفعل الاعطاء والمنع فمورد القصر في الحقيقة ما يتعلق بالفعل بتوجيه النفي الى الاصل والاثبات الى القيد كانه قيل ما افعل الا اتباع ما يوحى الي من غير ان يكون لي مدخل ما في الوحي او في الموحى بطريق الاستدعاء او بوجه آخر من الوجوه اصلا **قل هل يستوي الاعمى والبصير** مثل للضال والمهتدي

على الاطلاق والاستفهام انكاري والمراد انكار استواء من لا يعلم ما ذكر من الحقايق ومن يعلمها وفيه من الاشعار بكمال ظهورها ومن التنفير عن الضلال والترغيب في الاهتداء ما لا يخفى وتكرير الامر لتثنية التبكيت وتاكيد الالزام وقوله تعالى **افلا تتفكرون** تقريع وتوبيخ داخل تحت الامر والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الا تسمعون هذا الكلام الحق فلا تتفكرون فيه او اتسمعونه فلا تتفكرون فيه فمناط التوبيخ في الاول عدم الامرين معا وفي الثاني عدم التفكر مع تحقق ما يوجبه **وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم** بعد ما حكى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الكفرة قوما لا يتعظون بتصريف الايات الباهرة ولا يتأثرون بمشاهدة المعجزات القاهرة قد افنيت مشاعرهم بالكلية والتحقوا بالاموات وقرر ذلك بان كرر عليهم من فنون التبكيت والالزام ما يلقمهم الحجر اي القام فابوا الا الاباء والتكبر وما نجع فيهم عظة ولا تذكير ما افادهم الانذار الا الاصرار على الانكار امر صلى الله عليه وسلم بتوجيه الانذار الى من يتوقع منهم في الجملة وهم المجوزون منهم للحشر على الوجه الاتي سواء كانوا جازمين باصله كاهل الكتاب وبعض المشركين المعترفين بالبعث المترددين في شفاعة ابائهم الانبياء كالاولين او في شفاعة الاصنام كالاخرين او مترددين فيهما معا كبعض الكفرة الذين يعلم من حالهم اذا سمعوا بحديث البعث يخافون ان يكون حقا واما المنكرون للحشر راسا والقائلون به القاطعون بشفاعة ابائهم او بشفاعة الاصنام فهم خارجون ممن امر بانذارهم **وقد قيل** هم المفرطون في الاعمال من المومنين ولا يساعده سياق النظم الكريم ولا سباقه بل فيه ما يقتضي باستحالة صحته كما ستقف عليه والضمير المجرور لما يوحى او لما دل عليه من القران والمفعول الثاني للانذار او للعذاب الاخروي المدلول عليه بما في حيز الصلة واما مطلق العذاب الذي ورد به الوعيد والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية المطلقة والتصرف الكلي لتربية المهابة وتحقيق المخافة وقوله تعالى **ليس لهم من دونه من ولي ولا شفيع** في حيز النصب على الحالية من ضمير يحشروا ومن متعلقة بمحذوف وقع حالا من اسم ليس لانه في الاصل صفة له فلما قدم عليه انتصب حالا الا ان الحال الاولى لاخراج الحشر الذي لم يقيد بها عن حيز الخوف وتحقيق ان ما نيط به الخوف هو الحشر على تلك الحالة لا الحشر كيف ما كان ضرورة ان المعترفين الجازمين بنصرة غيره تعالى بمنزلة النكوين له في عدم الخوف الذي عليه يدور امر الانذار واما الحال الثانية فليست لاخراج الولي الذي لم يقيد بها عن حيز الانتفاء لفساد المعنى لاستلزامه ثبوت ولايته تعالى لهم كما في قوله تعالى وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير بل لتحقيق مدار خوفهم وهو فقدان ما علقوا به رجاءهم وذلك انما هو ولاية غيره سبحانه وتعالى كما في قوله تعالى ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه اولياء والمعنى انذر به الذين يخافون ان يحشروا غير منصورين من جهة انصارهم على زعمهم ومن هنا اتضح ان لا سبيل الى كون المراد بالخائفين المفرطين من المومنين اذ ليس لهم ولي سواه تعالى ليخافوا الحشر بدون نصرته عز وجل وقوله تعالى **لعلهم يتقون** تعليل للامر اي انذرهم لكي يتقوا الكفر والمعاصي او حال من ضمير الامر اي انذرهم راجيا تقواهم او من الموصول اي انذرهم مرجوا منهم التقوى **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي** لما امر عليه الصلوة والسلام بانذار المذكورين لينتظموا في سلك المتقين نهى عليه الصلوة والسلام عن كون ذلك بحيث يؤدي الى طردهم **روي** ان رؤساء المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو طردت هؤلاء الاعبد وارواح جبابهم يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان واضرابهم جلسنا اليك وحادثناك **فقال** عليه السلام ما انا بطارد المومنين فقالوا فاقمهم عنا اذا جئنا فاذا قمنا فاقعدهم معك ان شئت **فقال** عليه الصلاة والسلام نعم طمعا في ايمانهم **وروي** ان عمر رضي الله عنه قال له عليه الصلوة والسلام لو فعلت حتى ننظر الى ما يصيرون **وقيل** ان عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدي والحارث ابن نوفل وقرظة بن عبيد وعمرو بن نوفل واشراف بني عبد مناف من اهل الكفر اتوا ابا طالب فقالوا يا ابا طالب لو ان ابن اخيك محمدا يطرد موالينا وحلفاءنا وهم عبيدنا وعتقاؤنا كان اعظم في صدورنا وادنى لاتباعنا اياه فاتى ابو طالب الى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه بالذي كلموه **فقال** عمر رضي الله عنه لو فعلت ذلك حتى ننظر ما الذي يريدون والى ما يصيرون **وقال** سلمان وخباب فينا نزلت هذه الاية جاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وذووهم

من المؤلفة

من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم جالسا مع ناس من ضعفاء المومنين فلما راوهم حوله عليه الصلوة والسلام حقروهم فاتوه عليه الصلوة والسلام فقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر المسجد ونفيت عنا هؤلاء وارواح جبابهم لجالسناك وحدثناك واخذنا عليك **فقال** عليه الصلوة والسلام ما انا بطارد المومنين قالوا فانا نحب ان تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا فان وفود العرب تاتيك فنستحيي ان ترانا مع هؤلاء الاعبد فاذا نحن جئناك فاقمهم فاذا نحن فرغنا فاقعد معهم ان شئت **قال** عليه الصلوة والسلام نعم **قالوا** فاكتب لنا كتابا فدعا بالصحيفة وبعلي رضي الله عنه ليكتب ونحن قعود في ناحية فنزل جبريل عليه السلام بالاية فرمى عليه الصلوة والسلام بالصحيفة ودعانا فاتيناه وجلسنا عنده وكنا ندنو منه حتى تمس ركبتنا ركبته وكان يقوم عنا اذا اراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا الى ان نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي اصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم معكم المحيا ومعكم الممات والمراد بذكر الوقتين الدوام **وقيل** صلاة الفجر والعصر **وقرئ** بالغدوة وقوله تعالى **يريدون وجهه** حال من ضمير يدعون اي يدعونه تعالى مخلصين له فيه وتقييده لتاكيد عليته للنهي فان الاخلاص من اقوى موجبات الاكرام المضاد للطرد وقوله تعالى **ما عليك من حسابهم من شيء** اعتراض وسط بين النهي وجوابه تقريرا له ودفعا لما عسى يتوهم كونه مسوغا لطردهم من اقاويل الطاعنين في دينهم كدأب قوم نوح حيث قالوا ما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الراي اي ما عليك شيء من حساب ايمانهم واعمالهم الباطنة حتى تتصدى له وتبني على ذلك ما تراه من الاحكام وانما وظيفتك حسبما هو شان منصب النبوة اعتبار ظواهر الاعمال واجراء الاحكام على موجبها واما بواطن الامور فحسابها على العليم بذات الصدور كقوله تعالى ان حسابهم الا على ربي وذكر قوله تعالى **وما من حسابك عليهم من شيء** مع ان الجواب قد تم بما قبله للمبالغة في بيان انتفاء كون حسابهم عليه الصلوة والسلام بنظمه في سلك ما لا شبهة فيه اصلا وهو انتفاء كون حسابه عليه السلام عليهم على طريقة قوله تعالى لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون واما ما قيل من ان ذلك لتنزيل الجملتين منزلة جملة واحدة لتادية معنى واحد على نهج قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى فغير حقيق بجلالة شان التنزيل وتقديم عليك في الجملة الاولى للقصد الى ايراد النفي على اختصاص حسابهم به عليه الصلوة والسلام اذ هو المدعي الى تصديقهم عليه الصلوة والسلام لحسابهم **وقيل** الضمير للمشركين والمعنى انك لا تؤاخذ بحسابهم حتى يهمك ايمانهم ويدعوك الحرص عليه الى ان تطرد المومنين وقوله تعالى **فتطردهم** جواب النفي وقوله تعالى **فتكون من الظالمين** جواب النهي وقد جوز عطفه على فتطردهم على طريقة التسبيب وليس بذاك **وكذلك فتنا بعضهم ببعض** استيناف مبين لما نشا عنه ما سبق من النهي وذلك اشارة الى مصدر ما بعده من الفعل الذي هو عبارة عن تقديمه تعالى لفقراء المومنين في امر الدين بتوفيقهم للايمان مع ما هم عليه في امر الدنيا من كمال سوء الحال وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته في الكمال والكاف مقحمة لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر موكد محذوف والتقدير فتنا بعضهم ببعض فتونا كائنا مثل ذلك الفتون ثم قدم على الفعل لافادة القصر المفيد لعدم القصور فقط واعتبرت الكاف مقحمة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا له والمعنى ذلك الفتون الكامل البديع فتنا اي ابتلينا بعض الناس ببعضهم لا فتونا غيره حيث قدمنا الاخرين في امر الدين على الاولين المتقدمين عليهم في امر الدنيا تقدما كليا واللام في قوله تعالى **ليقولوا** للعاقبة اي ليقول البعض الاولون مشيرين الى الاخرين محقرين لهم نظرا الى ما بينهما من التفاوت الفاحش الدنيوي وتعاميا عما هو مناط التفضيل حقيقة **اهؤلاء من الله عليهم من بيننا** بان وفقهم لاصابة الحق ولما يسعدهم عنده تعالى من دوننا ونحن المقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء وغرضهم بذلك انكار وقوع المن راسا على طريقة قولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه لا تحقير الممنون عليهم مع الاعتراف بوقوعه بطريق الاعتراض عليه تعالى وقوله تعالى **اليس الله باعلم بالشاكرين** رد لقولهم ذلك وابطال له واشارة الى ان مدار استحقاق الانعام معرفة شان النعمة والاعتراف بحق المنعم والاستفهام لتقرير علمه البالغ بذلك اي اليس الله باعلم بالشاكرين لنعمه حتى يستبعد انعامه عليهم وفيه من الاشارة الى ان اولئك الضعفاء عارفون لحق نعمة الله تعالى في تنزيل القران والتوفيق للايمان شاكرون له تعالى على ذلك مع التعريض بان القائلين

بمعزل من ذلك كله على ما لا يخفى واذا جاءك الذين يومنون باياتنا هم الذين نهي عن طردهم وصفوا بالايمان بايات الله عز وجل كما
وصفوا بالمداومة على عبادته تعالى تنبيها على احرازهم لفضيلتي العلم والعمل وتاخير ذلك الوصف مع تقدمه على الوصف الاول
لما ان مدار الوعد بالرحمة والمغفرة هو الايمان بها كما ان مناط النهي عن الطرد فيما سبق هو المداومة على العبادة وقوله تعالى فقل سلام
عليكم امر بتبشيرهم بالسلامة عن كل مكروه بعد انذار مقابليهم وقيل بتبليغ سلامه تعالى اليهم وقيل ان يبداهم
بالسلام وقوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة اي قضاها واوجبها على ذاته المقدسة بطريق التفضل والاحسان بالذات لا بتوسط
شيء ما اصلا تبشير لهم بسعة رحمته تعالى وبنيل المطالب اثر تبشيرهم بالسلامة عن المكاره وقبوله التوبة منهم وفي التعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم اظهار اللطف بهم والاشعار بعلة الحكم وقيل ان قوما جاوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا
انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيا فانصرفوا فنزلت وقوله تعالى انه من عمل منكم سوءا بدل من الرحمة وقرئ بكسر انه على
انه تفسير للرحمة بطريق الاستيناف وقوله تعالى بجهالة حال من فاعل عمل اي عمله وهو جاهل بحقيقة ما يتبعه من المضار
والتقييد بذلك الايذان بان المومن لا يباشر بالعلم انه يودي الى الضرر او عمله ملتبسا بجهالة ثم تاب من بعده اي من بعد عمله
او من بعد سفهه واصلح ما افسده تداركا وعزما على ان لا يعود اليه ابدا فانه غفور رحيم اي فامره انه غفور رحيم وقرئ
فانه بالكسر على انه استيناف وقع في صدر الجملة الواقعة خبرا لمن على انها موصولة او جوابا لها على انها شرطية وكذلك نفصل
الايات قد مر آنفا ما فيه من الكلام اي هذا التفصيل البديع نفصل الايات في صفة اهل الطاعة واهل الاجرام المصرين منهم
والاوابين ولتستبين سبيل المجرمين بتانيث الفعل بناء على تانيث الفاعل وقرئ بالتذكير بناء على تذكيره فان السبيل
مما يذكر ويونث وهو عطف على علة محذوفة للفعل المذكور لم يقصد تعليله بها بعينها وانما قصد الاشعار بان له فوايد جمة
من جملتها ما ذكر او علة لفعل مقدر هو عبارة عن المذكور فيكون مستانفا اي ولتستبين سبيلهم نفعل ما نفعل من التفصيل
وقرئ بنصب السبيل على ان الفعل متعد وتاوه للخطاب اي ولتستوضح انت يا محمد سبيل المجرمين فتعاملهم بما يليق به
قل اني نهيت امر صلى الله عليه وسلم بالرجوع الى مخاطبة المصرين على الشرك اثر ما امر بمعاملة من عداهم من اهل الانذار
والتبشير بما يليق بحالهم اي قل لهم قطعا لاطماعهم الفارغة عن ركونه عليه السلام اليهم وبيانا لكون ما هم عليه من الدين هوى
محضا وضلالا بحتا اني صرفت وزجرت بما نصب لي من الادلة وانزل علي من الايات في امر التوحيد ان اعبد الذين تدعون
اي عن عبادة ما تعبدونه من دون الله كاينا ما كان لهم قل كرر الامر مع قرب العهد اعتناء بشان المامور به او ايذانا
باختلاف القولين من حيث ان الاول حكاية لما من جهته تعالى من النهي والثاني حكاية لما من جهته عليه الصلوة والسلام
من الانتهاء عما ذكر من عبادة ما يعبدونه وانما قيل لا اتبع اهواءكم استجهالا لهم وتنصيصا على انهم فيما هم فيه تابعون
لاهواء باطلة وليسوا على شيء مما ينطلق عليه الدين اصلا واشعارا بما يوجب النهي والانتهاء وقوله تعالى قد ضللت اذا
استيناف موكد لانتهايه عما نهي عنه مقرر لكونهم في غاية الضلال والغواية اي ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت وقوله تعالى
وما انا من المهتدين عطف على ما قبله والعدول الى الجملة الاسمية للدلالة على الدوام والاستمرار اي دوام النفي واستمراره
لا نفي الدوام والاستمرار كما مر مرارا اي وما انا في شيء من الهدى حتى اكون في عدادهم وقوله تعالى قل اني على بينة
تحقيق للحق الذي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان لاتباعه اياه اثر ابطال الباطل الذي عليه الكفرة وبيان
اتباعهم له والبينة الحجة الواضحة التي تفصل بين الحق والباطل والمراد بها القران والوحي وقيل هي الحجج العقلية او
ما يعمها ولا يساعده المقام والتنوين للتفخيم وقوله تعالى من ربي متعلق بمحذوف هو صفة لبينة موكدة لما افاده
التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية الى ضميره عليه الصلوة والسلام من التشريف ورفع المنزلة ما لا يخفى
وقوله تعالى وكذبتم به اما جملة مستانفة او حالية بتقدير قد او بدونه جي بها لاستقباح مضمونها واستبعاد
وقوعه مع تحقق ما يقتضي عدمه من غاية وضوح البينة والضمير المجرور للتنبيه والتذكير باعتبار المعنى المراد والمعنى اني
بينة عظيمة كاينة من ربي وكذبتم بها وبما فيها من الاخبار التي من جملتها الوعيد بمجي العذاب وقوله تعالى ما عندي ما
تستعجلون به استيناف مبين لخطائهم في شان ما جعلوه منشا لتكذيبهم بها وهو عدم مجي ما وعد فيها من العذاب

الذي كانوا

الذي كانوا يستعجلونه من العذاب الموعود في القران ويجعلون تاخره ذريعة الى تكذيبه في حكمي وقدرتي حتى اجيء به و
اظهر لكم صدقه اي ليس امره يفوض الي ان الحكم اي ما الحكم في ذلك تعجيلا وتاخيرا او ما الحكم في جميع الاشياء فيدخل
فيه ما ذكر دخولا اوليا الا لله وحده من غير ان يكون لغيره دخل ما فيه بوجه من الوجوه وقوله تعالى يقص الحق اي
يتبعه بيان لشونه تعالى في الحكم الموعود او في جميع احكامه المنتظمة له انتظاما اوليا اي لا يحكم الا بما هو حق
فيثبت حقية التاخير وقرئ يقضي فانتصاب الحق حينئذ على المصدرية اي يقضي القضاء الحق على المفعولية
اي يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع اذا صنعها واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكانه يمنع الباطل
هذا هو الذي يستدعيه جزالة التنزيل وقد قيل ان المعنى اني من معرفة ربي وانه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد
صدق وكذبتم به انتم حيث اشركتم به تعالى غيره وانت خبير بان مساق النظم الكريم فيما سبق وما لحق على وصفهم بتكذيب
ايات الله تعالى بسبب عدم مجي العذاب الموعود فيها فتكذيبهم به سبحانه في امر التوحيد مما لا تعلق له بالمقام
اصلا قل لو ان عندي اي قدرتي ومكنتي ما تستعجلون به من العذاب الذي ورد به الوعيد بان يكون امره مفوضا
الي من جهته تعالى لقضي الامر بيني وبينكم اي بان ينزل ذلك عليكم اثر استعجالكم بقولكم متى هذا الوعد ونظايره وفي
بناء الفعل للمفعول من الايذان بتعين الفاعل الذي هو الله سبحانه وتهويل الامر ومراعاة حسن الادب ما لا يخفى فما قيل في
تفسيره لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي وتخلصت منكم سريعا بمعزل من توفية المقام حقه وقوله تعالى والله اعلم بالظالمين
اعتراض مقرر لما افاده الجملة الامتناعية من انتفاء كون امر العذاب مفوضا اليه عليه الصلوة والسلام المستتبع لانتفاء
قضاء الامر وتعليل له والمعنى والله اعلم بحال الظالمين وبانهم مستحقون للامهال بطريق الاستدراج لتشديد
العذاب ولذلك لم يفوض الامر الي فلم يقض الامر بتعجيل العذاب والله اعلم وعنده مفاتح الغيب بيان لاختصاص
المقدورات الغيبية به تعالى من حيث العلم اثر بيان كلها له تعالى من حيث القدرة والمفاتح اما جمع مفتح بفتح الميم
وهو المخزن فهو مستعار لمكان الغيب كانها مخازن خزنت فيها الامور الغيبية تغلق عليها وتفتح واما جمع مفتح بكسرها
وهو المفتاح ويويده قراءة من قرا مفاتيح الغيب فهو مستعار لما يتوصل الى تلك الامور بناء على الاستعارة الاولى
اي عنده تعالى خاصة خزاين غيوبه او ما يتوصل به اليها وقوله عز وجل لا يعلمها الا هو تاكيد لمضمون ما قبله وايذان
بان المراد هو الاختصاص من حيث العلم لا من حيث القدرة والمعنى ان ما يستعجلونه من العذاب ليس مقدورا لي
حتى الزمكم بتعجيله ولا معلوما لدي لاخبركم بوقت نزوله بل هو مما يختص به تعالى قدرة وعلما فينزله حسبما تقتضيه
مشيته المبنية على الحكم والمصالح وقوله تعالى ويعلم ما في البر والبحر بيان لتعلق علمه تعالى بالمشاهدات
اثر بيان تعلقه بالمغيبات تكملة له وتنبيها على ان الكل بالنسبة الى علمه المحيط سواء في الجلاء اي يعلم ما فيهما من الموجودات
مفصلة على اجناسها وانواعها وتكثر افرادها وقوله تعالى وما تسقط من ورقة الا يعلمها بيان لتعلقه باحوال المتغيرة
بعد بيان تعلقه بذواتها فان تخصيص حال السقوط بالذكر ليس الا بطريق الاكتفاء بذكرها عن ذكر ساير الاحوال كما
ان ذكر حال الورقة وما عطف عليها خاصة دون ساير احوال ساير ما فيهما من فنون الموجودات الفاينة للحصر باعتبار
انها انموذج لاحوال سايرها وقوله تعالى ولا حبة عطف على ورقة وقوله تعالى في ظلمات الارض متعلق بمحذوف
هو صفة لحبة مفيدة لكمال نفوذ علمه تعالى اي ولا حبة كاينة في بطون الارض الا يعلمها وكذا قوله تعالى ولا
رطب ولا يابس معطوفان عليها في حكمها وقوله تعالى الا في كتاب مبين على انه عبارة عن اللوح المحفوظ وقرئ
الاخيران بالرفع عطف على محل من ورقة وقيل رفعهما بالابتداء والخبر الا في كتاب مبين وهو الانسب بالمقام
لشمول الرطب واليابس حينئذ لما ليس من شانه السقوط وقد نقل قراءة الرفع في ولا حبة وهو الذي يتوفيكم بالليل
اي ينيمكم فيه على الاستعارة التوفي من الاماتة للانامة لما بين الموت والنوم من المشاركة في زوال الاحساس
والتمييز واصله قبض الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار اي ما كسبتم فيه والمراد بالليل والنهار الجنس المتحقق
في كل فرد من افرادهما اذ بالتوفي والبعث الموجودين فيها يتحقق قضاء الاجل المسمى المرتب عليهما لا في بعضهما والمراد

عن معارضة الحق او الخصم عن التعدي على
صاحبه وهو خير الفاصلين اعتراض
تذييلي مقرر لمضمون ما قبله
مشير الى ان قص الحق
ههنا بطريق خاص
هو الفصل بين
الحق و
الباطل
صح

بعلمه تعالى ذلك علمه قبل الجرح كما يلوح به تقديم ذكره على البعث اي يعلم ما يجرحون بالنهار وصيغة الماضي للدلالة
على التحقق وتخصيص التوفي بالليل والجرح بالنهار مع تحقق كل منهما فيما خص بالآخر للجري على سنن العاده ثم يبعثكم فيه
اي يوقظكم في النهار عطف على يتوفيكم وتوسيط قوله تعالى ويعلم الى آخره بينهما لبيان ما في بعثهم من عظيم الاحسان
اليهم بالتنبيه على ان ما يكتسبونه من السيئات مع كونه موجبة لابقائهم على التوفي بل لاهلاكهم بالمرة يفيض
عليهم الحيوة ويمهلهم كما ينبي عنه كلمة التراخي كانه قيل هو الذي يتوفاكم في جنس الليالي ثم يبعثكم في جنس النهار
مع علمه بما يستجرحون فيها ليقضى اجل مسمى معين لكل فرد بحيث لا يكاد يتخطى فيه احد ما عين له طرفة ثم اليه
مرجعكم اي رجوعكم بالموت لا الى غيره اصلا ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازات باعمالكم التي كنتم تعملونها في تلك
الليالي والايام وقيل الخطاب مخصوص بالكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل كاسبون للآثام بالنهار وانه
تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور في شان ما قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار
ليقضي الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم وفيه ما لا يخفى من التكلف والاختلال لافضائه
الى كون البعث معللا بقضاء الاجل المضروب وهو القاهر فوق عباده اي المتصرف في امورهم لا غيره يفعل بهم ما
يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وتعذيبا واثابة الى غير ذلك ويرسل عليكم خاصة ايها المكلفون حفظة
من الملئكة وهم الكرام الكاتبين وعليكم متعلق بيرسل لما فيه من معنى الاستيلاء وتقديمه على المفعول الصريح
لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل متعلق بمحذوف هو حال من حفظة اذ لو تأخر لكان صفة
اي كائنين عليكم وقيل متعلق بحفظة والمحفوظ محذوف على كل حال اي يرسل عليكم ملائكة يحفظون اعمالكم
كائنا ما كان وفي ذلك حكمة جليلة ونعمة جميلة لما ان المكلف اذا علم ان اعماله تحفظ عليه وتعرض على رؤس الاشهاد
وكان ذلك ازجر له عن تعاطي المعاصي والقبايح وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم
احتشامه من خدمة الواقفين على احواله وحتى في قوله تعالى حتى اذا جاء احدكم الموت هي التي يبتدأ بها الكلام وهي
مع ذلك تجعل ما بعدها من الجملة الشرطية غاية لما قبلها كانه قيل ويرسل عليكم حفظة يحفظون اعمالكم مدة حياتكم
حتى اذا انتهت مدة احدكم كائنا من كان وجاءه اسباب الموت ومباديه توفته رسلنا الآخرون المفوض اليهم
ذلك وهم ملك الموت واعوانه وانتهى هناك حفظة الحفظة وقرئ توفاه ماضيا او مضارعا بطرح احدى
التائين وهم اي الرسل لا يفرطون بالتواني والتاخير وقرئ مخففا من الافراط اي لا يجاوزون ما حد لهم من
الافراط اي لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة او نقصان والجملة حال من رسلنا وقيل مستانفة سيقت لبيان اعتنائهم
بما امروا به وقوله تعالى ثم ردوا عطف على توفته والضمير للكل المدلول عليه باحدكم وهو السر في مجيئه بطريق
الالتفات تغليب والافراد اولا والجمع آخرا لوقوع التوفي على الانفراد والرد على الاجتماع اي ثم ردوا بعد البعث
بالحشر الى الله اي الى حكمه وجزائه في موقف الحساب موليهم اي مالكهم الذي يلي امورهم على الاطلاق
لا ناصرهم كما في قوله تعالى وان الكافرين لا مولى لهم الحق الذي لا يقضي الا بالعدل وقرئ بالنصب على المدح
الا له الحكم يومئذ صورة ومعنى لا لاحد غيره بوجه من الوجوه وهو اسرع الحاسبين يحاسب جميع الخلائق في
اسرع زمان واصغره لا يشغله حساب عن حساب ولا شان عن شان وفي الحديث انه تعالى يحاسب الكل في
مقدار حلب شاة قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر اي قل لهم بانحطاط شركائهم عن رتبة الالهية من ينجيكم من شدائدها
الهائلة التي تبطل الحواس وتدهش العقول ولذلك استعير لها الظلمات المبطلة لحاسة البصر يقال لليوم
الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب او من الخسف في البر والغرق في البحر وقرئ ينجيكم من الانجاء والمعنى واحد
وقوله تعالى تدعونه نصب على الحالية من مفعول ينجيكم اي من ينجيكم حال كونكم داعين له او من فاعله اي من
ينجيكم منها حال كونه مدعوا من جهتكم وقوله تعالى تضرعا وخفية اما حال من فاعل تدعون او مصدر موكد
له اي تدعونه متضرعين جهارا ومسرين او تدعونه دعاء اعلان واخفاء وقرئ خفية بكسر الخاء وقوله

عز وجل

لئن انجيتنا حال من الفاعل ايضا على تقدير القول اي تدعون قائلين لئن انجيتنا من هذه الشدة والورطة التي عبر عنها بالظلمات
لنكونن من الشاكرين اي الراسخين في الشكر المداومين عليه لاجل هذه النعمة او جميع النعماء التي من جملتها هذه وقرئ
لئن انجانا مراعاة لقوله تعالى تدعونه قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب امر عليه السلام بتقرير الجواب مع كونه من وظائفهم
للايذان بانه متعين عندهم ولبناء قوله تعالى ثم انتم تشركون عليه اي الله وحده ينجيكم مما تدعونه الى كشفه من
الشدائد المذكورة وغيرها من الغموم والكرب ثم انتم بعد ما تشاهدون هذه النعم الجليلة تشركون بعبادته تعالى
غيره وقرئ ينجيكم بالتخفيف وقوله تعالى قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا استئناف مسوق لبيان انه تعالى هو
القادر على القائهم في المهالك اثر بيان انه هو المنجي لهم منها وفيه وعيد ضمني بالعذاب لاشراكهم المذكور على طريقة
قوله عز وجل اأمنتم ان يخسف بكم جانب البر الى قوله تعالى ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى الآية وعليكم متعلق
بيبعث وتقديمه على مفعوله الصريح للاعتناء به والمسارعة الى بيان كون المبعوث مما يضرهم ولتهويل امر المؤخر
وقوله تعالى من فوقكم متعلق به ايضا او بمحذوف وقع صفة لعذابا اي عذابا كائنا من جهة الفوق كما فعل بمن فعل
من قوم لوط واصحاب الفيل واضرابهم او من تحت ارجلكم اي من جهة السفل كما فعل بفرعون وقارون وقيل من فوقكم
اكابركم ورؤسائكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم وكلمة او لمنع الخلو دون الجمع فلا منع لما كان من الجهتين معا كما فعل
بقوم نوح او يلبسكم شيعا يخلطكم فرقا متحزبين على اهواء شتى كل فرقة مشايعة لامام فينشب بينكم القتال فتختلطوا
في الملاحم كقول الحماسي وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدي ويذيق بعضكم باس بعض عطف على
يبعث وقرئ بنون العظمة على طريق الالتفات لتهويل الامر والمبالغة في التحذير والبعض الاول الكفار والآخر
المومنون ففيه وعد ووعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عند قوله تعالى عذابا من فوقكم اعوذ بوجهك
وعند قوله تعالى او من تحت ارجلكم اعوذ بوجهك وعند قوله تعالى او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض
هذا اهون او هذا ايسر وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال سألت ربي ان لا يبعث على امتي عذابا من فوقهم
او من تحت ارجلهم فاعطاني ذلك وسألته ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعني ذلك انظر كيف نصرف الآيات من حال
الى حال لعلهم يفقهون كي يفقهوا ويقفوا على جلية الامر فيرجعوا عما هم عليه من المكابرة والعناد وكذب به اي
بالعذاب الموعود او القرآن المجيد الناطق بمجيئه قومك اي المعاندون منهم ولعل ايرادهم بهذا العنوان للايذان
بكمال سوء حالهم فان تكذيبهم بذلك مع كونهم من قومه عليه الصلوة والسلام مما يقضي بغاية عتوهم ومكابرتهم وتقديم
الجار والمجرور على العامل لما مر مرارا من اظهار الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقوله تعالى وهو الحق حال من
ضمير المجرور اي كذبوا به والحال انه الواقع لا محالة او انه الكتاب الصادق في كل ما نطق به قل هو استئناف واياما
كان ففيه دلالة على عظم جنايتهم ونهاية قبحها قل لهم قل منبها على ما يؤول اليه امرهم وعلى انك قد اديت ما عليك
من وظائف الرسالة لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الي امركم لامنعكم من التكذيب واجبركم على التصديق انما انا
منذر وقد خرجت عن العهدة حيث اخبرتكم بما سترونه لكل نبأ اي لكل شيء ينبأ به من الانباء التي من جملتها عذابكم
او لكل خبر من الاخبار التي من جملتها خبر مجيئه مستقر اي وقت استقرار ووقوع البتة او وقت استقرار
بوقوع مدلوله وسوف تعلمون اي حال نبأكم في الدنيا او في الآخرة او فيهما معا وسوف للتاكيد كما في قوله
تعالى ولتعلمن نبأه بعد حين واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا اي بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها كما هو
داب قريش ودينهم فاعرض عنهم بترك مجالستهم والقيام عنهم وقوله تعالى حتى يخوضوا في حديث غيره غاية
للاعراض اي استمر على الاعراض الى ان يخوضوا في حديث غير آياتنا والتذكير باعتبار كونها حديثا فان وصف
الحديث بمغايرتها مشيرا الى اعتبارها بعنوان الحديثية وقيل باعتبار كونه قرآنا واما ينسينك الشيطان
بان يشغلك فتنسى النهي فتجالسهم ابتداء وبقاء وقرئ ينسينك من التنسية فلا تقعد بعد الذكرى اي بعد
تذكر النهي مع القوم الظالمين اي معهم فوضع المظهر موضع المضمر نعيا عليهم انهم بذلك الخوض ظالمون واضعون

للتكذيب والاستهزاء موضع التصديق والتعظيم راسخون في **وما على الذين يتقون** روي عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان المسلمين حين نهوا عن مجالستهم عند خوضهم في الايات قالوا لين كنا نقوم كلما استهزؤا بالقران لم نستطع ان نجلس في البيت
الحرام او نطوف بالبيت فنزلت اي ما على الذين يتقون قبايح اعمال الخايضين واحوالهم **من حسابهم** اي مما يحاسبون
عليه من الجرايم **من شيء** اي شيء ما على انه في محل الرفع على انه مبتدأ وما تميمية او اسم لها وهي مجا زيدة ومن مزيدة للاستغراق
ومن حسابهم حال منه وعلى الذين يتقون في محل الرفع على انه خبر للمبتداء او لما الحجازية على راي من لا يجيز اعمالها في الخبر المقدم
مطلقا او في محل النصب على راي من يجوز اعمالها في الخبر المقدم عند كونه ظرفا او حرف جر **ولكن ذكري** استدراك من نفي
السابق اي ولكن عليهم اي يذكروهم ويمنعوهم عما هم عليه من القبايح بما امكن من العظة والتذكير ويظهروا لهم الكراهة
والنكير ومحل ذكري اما النصب على انه مصدر موكد للفعل المحذوف اي عليهم ان يذكروهم تذكيرا والرفع على انه مبتدأ
محذوف الخبر اي عليهم ذكري **لعلهم يتقون** اي يجتنبون الخوض حياء او كراهة لمساءتهم وقد جوز كون الضمير للموصول
اي يذكرونهم رجاء ان يثبتوا على تقواهم او يزدادوها **وذر الذين اتخذوا دينهم** الذي كلفوه وامروا باقامة مواجبه
لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزؤا او بنوا امر دينهم على ما يكاد يتعاطاه العاقل بطريق الجد وانما يصدر عنه
لو صدر بطريق اللعب واللهو كعبادة الاصنام وتحريم البحاير والسوايب ونحو ذلك والمعني اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم
واقوالهم **وقيل** هو تهديد لهم كقوله تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا الاية **وغرتهم الحيوة الدنيا** واطمانوا بها زعموا ان
لا حيوة بعدها ابدا **وذكر به** اي بالقران من يصلح للتذكير **ان تبسل نفس بما كسبت** اي لئلا تبسل كقوله تعالى ان تضلوا
الاية او مخافة ان تبسل او كراهة ان تبسل نفوس كثيرة كما في قوله تعالى علمت نفس ما احضرت وترتهن بسوء عملها
واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته لا تفلت منه او لانه ممتنع والباسل الشجاع لامتناعه
من قرنه وهذا بسل عليك اي حرام ممنوع وقد جوز ان يكون الضمير المجرور في به راجعا الى الابسال مع عدم جريان
ذكره كما في ضمير الشان ويكون الجملة بدلا منه مفسرا لما في الابهام اولا والتفسير ثانيا من التفخيم وزيادة التقرر
كما في قوله ۔ على جوده لضن بالماء حاتم ۔ بجرحاتم على انه بدل من ضمير جوده فالمعني وذكر بارتهان النفوس ان
تبسل نفوس كثيرة كما في قوله تعالى علمت نفس ما احضرت جودة النفوس وحبسها بما كسبت وقوله تعالى **ليس لها
من دون الله ولي ولا شفيع** استيناف مسوق للاخبار بذلك **وقيل** في محل النصب على انه حال من ضمير كسبت
وقيل في محل الرفع على انه وصف ومن دون الله متعلق بمحذوف هو حال من ولي كما بين في تفسير قوله تعالى وانذر
به الاية **وقيل** هو خبر لليس فيكون لها حينئذ متعلقا بمحذوف على البيان **وان تعدل** اي ان تفد تلك
النفس **كل عدل** اي كل فداء على انه مصدر موكد **لا يوخذ منها** على اسناد الفعل الي الجار والمجرور لا الي ضمير
العدل كما في قوله تعالى ولا يوخذ منها عدل فانه المفدي لا المصدر كما نحن فيه **اوليك** اشارة الي الموصول باعتبار اتصافه
بما في حيز الصلة وما فيه من معني البعد للايذان ببعد درجتهم في سوء الحال ومحله الرفع على الابتداء والخبر قوله
تعالى **الذين ابسلوا بما كسبوا** والجملة مستانفة سيقت اثر تحذيرهم من الابسال المذكور لبيان انهم المبتلون بذلك اي اوليك
المتخذون دينهم لعبا ولهوا المغترون بالحيوة الدنيا هم الذين ابسلوا بما كسبوا من القبايح وقوله تعالى **لهم شراب من
حميم** استيناف آخر مبين لكيفية الابسال المذكور وعاقبته مبني على سوال نشا من الكلام كانه قيل ماذا لهم حين
ابسلوا بما كسبوا فقيل لهم شراب من ماء مغلي يتجرجر في بطونهم ويتقطع به امعاؤهم **وعذاب اليم** بنار تشتعل
بابدانهم **بما كانوا يكفرون** اي بسبب كفرهم المستمر في الدنيا وقد جوز ان يكون لهم شراب الي اخره حالا من ضمير ابسلوا
وترتيب ما ذكر من العذابين على كفرهم مع انهم معذبون بساير معاصيهم ايضا حسبما ينطق به قوله تعالى بما كسبوا لانه
العمدة في ايجاب العذاب والاهم في باب التحذير او اريد بكفرهم ما هو اعم منه ومن مستتبعاته من المعاصي والسيات هذا
وقد جوز ان يكون اوليك اشارة الي النفوس المدلول عليها بنفس محله الرفع بالابتداء والموصول الثاني صفة او بدل منه
ولهم شراب الي آخره والجملة مسوقة لبيان تبعة الابسال **قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا** نزلت في ابي بكر

ولكن

رضي الله عنه

رضي الله عنه حين دعا ابنه عبد الرحمن الي عبادة الاصنام فتوجيه الامر الي رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للايذان بما
بينهما من الاتصال والاتحاد تنويها لشان الصديق رضي الله عنه اي انعبد متجاوزين عبادة الله الجامع لجميع صفات
الالوهية التي من جملتها القدرة على النفع والضر ما لا يقدر على نفعنا اذا عبدناه ولا على ضرنا اذا تركناه وادني مراتب
المعبودية القدرة على ذلك وقوله تعالى **ونرد على اعقابنا** عطف على ندعو داخل في حكم الانكار والنفي اي ونرد الي الشرك
والتعبير عنه بالرد على الاعقاب لزيادة تقبيحه بتصويره بصورة ما هو علم في القبح مع ما فيه من الاشارة الي كون الشرك
حالة قد تركت ونبذت وراء الظهر وايثار نرد على نرتد لتوجيه الانكار الي الارتداد من غير راد ليس في حيز الاحتمال
ليحتاج الي نفيه وانكاره وقوله تعالى **بعد اذ هدانا الله** اي الي الاسلام وانقذنا من الشرك متعلق بنرد مسوق
لتاكيد النكير لا لتحقيق معني الرد وتصويره فقط والا لكفي ان يقال بعد اذ اهتدينا كانه قيل ونرد الي الشرك باضلال
المضل بعد اذ هدانا الله الذي لا هادي سواه وقوله تعالى **كالذي استهوته الشياطين** في محل النصب على انه حال من مرفوع نرد اي
انرد على اعقابنا مشبهين بالذي استهوته مردة الجن واستغوته الي المهامه والمهالك او على انه نعت لمصدر محذوف اي انرد
ردا مثل رد الذي استهوته الي آخره والاستهواء الاستفعال من هوي في الارض اذا ذهب فيها كانها طلبت هويه وحرصت
عليه **وقري** استهواه بالف ممالة وقوله تعالى **في الارض** اما متعلق باستهوته او بمحذوف هو حال من مفعوله اي
كائنا في الارض وكذا قوله تعالى **حيران** حال منه على انها بدل من الاولي حال ثانية عند من يجيزها او من الذي او من
المستكن في الظرف اي تايها ضالا عن الجادة لا يدري ما يصنع وقوله تعالى **له اصحاب** جملة في محل النصب على انها صفة
لحيران او حال من الضمير فيه او مستانفة سيقت لبيان حال وقوله تعالى **يدعونه الي الهدي** صفة لاصحاب اي لذلك
المستهوي رفقة يهدونه الي الطريق المستقيم تسميته له بالمصدر مبالغة كانه نفس الهدي **ايتنا** على ارادة القول على انه
بدل من يدعونه او حال من فاعله اي يقولون ايتنا وفيه اشارة الي انهم مهتدون ثابتون على الطريق المستقيم وان من يدعونه
ليس ممن يعرف الطريق المستقيم ليدعي الي اتيانه وانما يدرك سمت الداعي ومورد النعيق فقط **قل ان هدي الله** الذي هدانا اليه
وهو الاسلام **هو الهدي** وحده وما عداه ضلال محض ۔ وغي بحت ۔ كقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال ونحوه وتكرير
الامر للاعتناء بشان المامور به ولان ما سبق الي الزجر عن الشرك وهذا حث على الاسلام وهو توطية لما بعده فان اختصاص
الهدي بهداه تعالى مما يوجب الامتثال بالاوامر الواردة بعده **وامرنا** عطف على ان هدي الله هو الهدي داخل تحت القول
واللام في **لنسلم لرب العالمين** لتعليل الامر المحكي وتعيين ما اريد به من الاوامر الثلاثة كما في قوله تعالى قل لعبادي الذين
امنوا يقيموا الصلوة وينفقوا الاية كانه قيل امرنا **وقيل** لنا اسلموا لاجل ان نسلم **وقيل** هي بمعني الباء اي امرنا بان
نسلم **وقيل** زايدة اي امرنا ان نسلم على حذف الباء وقوله تعالى **وان اقيموا الصلوة واتقوه** اي الله تعالى في محل القرامر
عطف على نسلم على الوجوه الثلاثة على ان المصدرية اذا وصلت بالامر يتجرد عن معني الامر نحو تجرد الصلة الفعلية
عن معني المضي والاستقبال فالمعني على الاول امرنا **اي قيل لنا** اسلموا واقيموا الصلوة واتقوا الله لاجل ان نسلم ونقيم
الصلوة ونتقيه تعالى وعلى الاخيرين امرنا بان نسلم ونقيم الصلوة ونتقيه تعالى والتعرض لوصف الربوبية تعالى للعالمين
لتعليل الامر وتاكيد وجوب الامتثال به كما ان قوله تعالى **وهو الذي اليه تحشرون** جملة مستانفة موجبة للامتثال بما امر
به من الامور الثلاثة **وهو الذي خلق السموات والارض** اريد بخلقهما خلق ما فيهما ايضا وعدم التصريح بذلك لظهور اشتمالهما
على جميع العلويات والسفليات وقوله تعالى **بالحق** متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خلق او من مفعوله او صفة
لمصدره الموكد له اي قايما بالحق او ملتبسا بالحق او خلقا ملتبسا به قوله تعالى **ويوم يقول كن فيكون قوله الحق** استيناف
لبيان ان خلقه تعالى لما ذكر من السموات والارض ليس مما يتوقف على مادة او مدة بل يتم بمحض الامر التكويني من غير توقف
على شيء آخر اصلا وان ذلك الامر المتعلق بكل فرد فرد من افراد المخلوقات في حين معين من افراد الاحيان حق في نفسه متضمن
للحكمة ويوم ظرف لمضمون جملة قوله الحق والواو بحسب المعني داخل عليها وتقديمه عليها للاعتناء به من حيث انه
مدار الحقية وترك ذكر المفعول له للثقة بغاية ظهوره والمراد بالقول كلمة كن تحقيقا او تمثيلا كما هو المشهور فالمعني

برد الغنم بمجانحة لغة
المضلين وقطعا لاطماعهم
الفارغة وابدانا بانا
الارتداد
صح

وامر المتعلق بكل شيء يريد خلقه من الاشياء في حين تعلقه به لا قبله ولا بعده من افراد الاحيان الحق المشهود له بالحقية المعروف
بها هنا وقد قيل قوله مبتداء والحق صفته ويوم يقول خبره مقدما عليه كقولك يوم الجمعة القتال والنصاب بمعنى الاستقرار
وحاصل المعنى وقوله الحق كاين حين يقول لشيء من الاشياء كن فيكون ذلك الشيء وقيل يوم منصوب بالعطف على
السموات او على الضمير في واتقوه او بمحذوف دل عليه الحق وقوله الحق مبتداء وخبر او فاعل يكون على معنى حين يقول لقوله
الحق كن فيكون والمراد حين يكون الاشياء ويحدثها او حين تقوم القيمة فيكون التكوين حشر الاجساد واحياها فتامل حق التامل
وله الملك يوم ينفخ في الصور تفيد اختصاص الملك به تعالى بذلك اليوم مع عموم الاختصاص بجميع الاوقات لغاية ظهور
ذلك بانقطاع العلايق المجازية في الجملة كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار عالم الغيب والشهادة اي هو
عالمها وهو الحكيم في ما يفعله الخبير بجميع الامور الجلية والخفية واذ قال ابرهيم منصوب على المفعولية بمضمر
خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم معطوف على قل اندعوا لا على اقيموا كما قيل لفساد المعنى واذكر لهم بعد ما انكرت عليهم
عبادة ما لا يقدر على نفع وضر وحققت ان الهدى هو هدى الله تعالى وما يتبعه من شؤونه تعالى وقت قول ابرهيم
الذي يدعون انهم على ملته موبخا لابيه آزر على عبادة الاصنام فان ذلك مما يبكتهم وينادي بفساد طريقتهم وتوجيه
الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة لما مر مرارا من ان المبالغة في ايجاب ذكرها
وازد لرنة آدم وعابر وعازر وفالع وكذلك تارخ ذكره محمد بن اسحق والضحاك والكلبي وكان من قرية من سواد الكوفة
ومنع صرفه للعجمة والعلمية وقيل اسمه بالسريانية تارخ وآزر لقبه المشهور وقيل اسم صنم لقب هو به للزومه
عبادته فهو عطف بيان لابيه او بدل منه وقال الضحاك معناه الشيخ الهرم وقال الزجاج الخطي وقال
الفراء وسليمان التيمي المعوج فهو نعت له كما اذا جعل مشتقا من الازر والوزر واريد به عابد آزر على حذف المضاف واقام
المضاف اليه مقامه وقرئ آزر على النداء وهو دليل العلمية اذ لا يحذف حرف النداء الا من الاعلام اتتخذ متعديا الى
معمولين هما اصناما آلهة اي تجعلها لنفسك آلهة اي تجعلها لنفسك آلهة على توجيه الانكار الى اتخاذ الجنس
من غير اعتبار الجمعية وانما ايراد صيغة الجمع باعتبار الوقوع وقرئ آزر بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام
وزاء ساكنة وراء منونة منصوبة وهو اسم صنم ومعناه اتعبد آزر ثم قيل تتخذ اصناما آلهة تثبيتا لذلك
وتقريرا وهو داخل تحت الانكار لكونه بيانا له وقيل الازر القوة والمعنى لاجل القوة والمظاهرة تتخذ اصناما
آلهة انكارا لتعززه بها على طريقة قوله عز وجل ايبتغون عندهم العزة اني اراك وقومك الذين يتبعونك في
عبادتها في ضلال عن الحق مبين اي ظاهر كونه ضلالا لا اشتباه فيه اصلا والرؤية اما علمية فالظرف مفعولها
الثاني واما بصرية فهو حال من المفعول والجملة تعليل للانكار والتوبيخ وكذلك نري ابرهيم هذه الاراءة من
الرؤية البصرية المستعارة للمعرفة ونظر البصيرة اي عرفناه وبصرناه وصيغة الاستقبال حكاية للحال الماضية
لاستحضار صورتها وذلك اشارة الى مصدر نري لا الى اراءة اخرى مفهومة من قوله تعالى اني اراك وما
فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه منزلته في الفضل وكمال تميزه بذلك وانتظامه بسببه في سلك الامور
المشاهدة والكاف لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف
واصل التقدير نري ابرهيم اراءة كائنة مثل تلك الاراءة وقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة
المذكورة فصار المشار اليه نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اي في ذلك التبصير البديع نبصره عليه السلام ملكوت
السموات والارض اي ربوبيته تعالى ومالكيته لهما وسلطانه القاهر عليهما وكونهما بما فيهما مربوبا ومملوكا له
تعالى لا تبصيرا آخر ادنى منه والملكوت مصدر على زنة المبالغة كالرهبوت والجبروت ومعناه الملك العظيم
والسلطان القاهر ثم هل هو مختص بملك الله عز سلطانه اولا فقيل الاول هو الاظهر وبه قال الراغب
وقيل ملكوتهما عجائبهما وبدائعهما روي انه كشف له عليه الصلوة والسلام عن السموات والارض حتى
العرش واسفل الارضين وقيل اياتهما وقيل ملكوت الشمس والقمر والنجوم وملكوت الارض الجبال والاشجار

والبحار

والبحار وهذه الاقوال لا تقتضي ان تكون الاراءة بصرية اذ ليس المراد باراءة ما ذكر من الامور الحسية مجرد تمكينه عليه
الصلوة والسلام من ابصارها ومشاهدتها في انفسها بل اطلاعه عليه الصلوة والسلام على حقايقها وتعريفها من حيث دلالتها
على شؤونه عز وجل ولا ريب في ان ذلك ليس مما يدركه حسا كما ينبئ عنه اسم الاشارة المفصح عن كون المشار اليه امرا
بديعا فان الاراءة البصرية المعتادة بمعزل من تلك المثابة وقرئ ترى بالتاء واسناد الفعل الى الملكوت اي يبصره
عليه الصلوة والسلام دلايل الربوبية واللام في قوله تعالى وليكون من الموقنين متعلق بمحذوف موخر والجملة اعتراض
مقرر لما قبلها اي وليكون من زمرة الراسخين في الايقان البالغين درجة اليقين عن معرفة الله تعالى فعلنا ما
فعلنا من التبصير البديع المذكور لا لامر آخر فان الوصول الى تلك الغاية القاصية كمال مترتب على ذلك التبصير لا عينه
وليس القصر لبيان انحصار فائدته في ذلك كيف لا وارشاد الخلق والزام المشركين كما سياتي من فوائده بلا مرية
بل لبيان انه الاصل الاصيل والباقي من مستتبعاته وقيل هي متعلقة بالفعل السابق والجملة معطوفة على
علة اخرى محذوفة ينسحب عليها الكلام اي ليستدل بها وليكون الخ فينبغي ان يراد بملكوتهما بدايعهما واياتهما
لان الاستدلال من غايات اراءتها لا من غايات اراءة نفس الربوبية وقوله تعالى فلما جن عليه الليل على الاول
وهو الحق المبين عطف على قال ابرهيم داخل تحت ما امر بذكره بالامر بذكر وقته وما بينهما اعتراض مقرر لما سبق
وما لحق فان تعريفه عليه الصلوة والسلام ربوبيته ومالكيته للسموات والارض وما فيهما وكون الكل مقهورا
تحت ملكوته مفتقرا اليه في الوجود وسائر ما يترتب عليه من الكمالات وكونه من الراسخين في معرفة شؤونه تعالى
الواصلين الى ذروة عين اليقين مما يقضي بان الحكم عليه الصلوة والسلام باستحالة الهية ما سواه سبحانه
من الاصنام والكواكب وعلى الثاني هو تفصيل لما ذكر من اراءة ملكوت السموات والارض وبيان لكيفية استدلاله
عليه الصلوة والسلام ووصوله الى رتبة الايقان ولما جن عليه ستره بظلامه وقوله تعالى رأى كوكبا جواب
لما فان رؤيته انما يتحقق بزوال نور الشمس عن الحس وهذا صريح في انه لم يكن في ابتداء الطلوع بل كان غيبته عن
الحس بطريق الاضمحلال بنور الشمس والتحقيق انه كان قريبا من الغروب كما ستعرفه وقيل كان ذلك الكوكب
هو الزهرة وقيل هو المشتري وقوله تعالى قال هذا ربي استئنافا نشاء من الشرطية السابقة المنعقدة
على بيان اراءته عليه الصلوة والسلام ملكوت السموات والارض فان ذلك مما يحمل السامع على استكشاف
ما ظهر منه عليه السلام من آثار تلك الاراءة واحكامها كانه قيل فماذا صنع عليه السلام حين رأى الكوكب
فقيل قال على سبيل الوضع والفرض هذا ربي مجاراة مع ابيه وقومه الذين كانوا يعبدون الاصنام والكواكب
فان المستدل على فساد قول يحكيه على راي خصمه ثم يكر عليه بالابطال ولعل سلوك هذه الطريقة في بيان
استحالة ربوبية الكوكب دون بيان استحالة الهية الاصنام لما ان هذا اخفى بطلانا واستحالة من الاول
فلو صدع بالحق من اول الامر كما فعله في حق عبادة الاصنام لتمادوا في المكابرة والعناد ولجوا في طغيانهم
يعمهون وقيل قاله عليه السلام على وجه النظر والاستدلال وكان ذلك في زمان مراهقته واول
اوان بلوغه وهو مبني على تفسير الملكوت باياتهما وعطف قوله تعالى ليكون على ما ذكر من العلة المقدرة
وجعل قوله تعالى فلما جن الخ تفصيلا لما ذكر من الاراءة وبيانا لكيفية الاستدلال وانت خبير بان كل ذلك
مما يخل بجزالة النظم الكريم الجليل وجلالة منصب الخليل عليه السلام فلما افل اي غرب قال لا
احب الآفلين اي الارباب المنتقلين من مكان الى مكان متغيرين من حال الى حال المحتجبين بالاستار
فانهم بمعزل من استحقاق الربوبية قطعا فلما رأى القمر بازغا اي مبتدئا في الطلوع اثر غروب
الكواكب قال هذا ربي على الاسلوب السابق فلما افل كما افل النجم قال لئن لم يهدني ربي الى جنابه
الذي هو الحق الذي لا محيد عنه لاكونن من القوم الضالين فان شيئا مما رايته لا يليق بالربوبية وهذا مبالغة
منه عليه السلام في اظهار النصفة ولعله كان اذ ذاك في موضع كان في جانبه الغربي جبل شامخ يستره

مبني على سؤال مع

الكوكب والقمر وقت الظهر من النهار او بعده بقليل وكان الكوكب قريبا منه وافقه السر في مكشوف اولا او
فطلوع القمر بعد افول الكوكب ثم افوله قبل طلوع الشمس كما ينبئ عنه قوله تعالى فلما راى الشمس بازغة اي مبتدا
في الطلوع مما لا يكاد يتصور قال اي على النهج السابق قال هذا ربي وانما لم يؤنث لما ان المشار اليه والمحكوم
عليه بالربوبية هو الجرم المشاهد من حيث هو لا من حيث هو مسمى باسم من الاسامي فضلا عن حيثية
تسميته بالشمس ولتذكير الخبر وصيانة الرب عن وصمة التانيث وقوله تعالى هذا اكبر تاكيد لما رامه عليه
الصلوة والسلام من اظهار النصفة مع اشارة حقيقة الى فساد دينهم من جهة اخرى ببيان ان الاكبر احق
بالربوبية من الاصغر فلما افلت هي ايضا كما افل الكوكب والقمر قال مخاطبا للكل صادعا بالحق بين اظهرهم
يا قوم اني بريء مما تشركون اي من الذين تشركونه من الاجرام المحدثة المتغيرة من حال الى اخرى المسخرة لمحدثها او من اشراككم
وترتيب هذا الحكم ونظمه على الافول دون البزوغ والظهور من ضروريات صورة الاحتجاج على هذا المساق
الحكيم فان كلا منهما وان كان في نفسه انتقالا منافيا لاستحقاق معروضه للربوبية قطعا لكن لما كان الاول حالة
موجبة لظهور الاثار والاحكام ملائمة لتوهم الاستحقاق في الجملة رتب عليها الحكم الاول على الطريقة المذكورة
وحيث كان الثاني حالة مقتضية لانطماس الاثار وبطلان الاحكام المنافيين للاستحقاق المذكور منافاة بينة
يكاد يعترف بها كل مكابر عنيد رتب عليها ما رتب ثم لما تبرا عليه الصلوة والسلام منهم توجه الى مبدع هذه المصنوعات
ومنشيها فقال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات التي هذه الاجرام التي يعبدونها من اجزايها والارض التي يعبب
هي فيها حنيفا اي مايلا عن الاديان الباطلة والعقايد الزايغة كلها وما انا من المشركين في شيء من الافعال والاقوال
وحاجه قومه اي شرعوا في مغالبته في امر التوحيد قال استيناف وقع جوابا عن سوال نشا من حكاية
محاجتهم كانه قيل فماذا قال عليه الصلوة والسلام حين حاجوه فقيل قال منكرا لما اجترؤا عليه من محاجته عليه
الصلوة والسلام مع قصورهم عن تلك الرتبة وعزة المطلب وقوة الخصم اتحاجوني في الله بادغام نون الجمع
في نون الوقاية وقرئ بحذف الاولى وقوله تعالى وقد هدان حال من ضمير المتكلم موكدة للانكار فان كونه
عليه الصلوة والسلام مهديا من جهة الله عز وجل ومويدا من عنده مما يوجب استحالة محاجته عليه الصلوة والسلام
اي تجادلونني في شانه تعالى ووحدانيته والحال انه تعالى هداني الى الحق بعد ما سلكت طريقكم بالعرض والنقد وبينت
وبطلانها تبيينا تاما كما شاهدتموه وقوله تعالى ولا اخاف ما تشركون به جواب عما خوفوه عليه الصلوة والسلام
في اثناء المحاجة من اصابة مكروه من جهة اصنامهم كما قال لهود عليه السلام قومه ان نقول الا اعتراك بعض
الهتنا بسوء ولعلهم فعلوا ذلك حين فعل عليه الصلاة والسلام بالهتهم ما فعل وما موصولة اسمية حذف
عايدها وقوله تعالى الا ان يشاء ربي شيئا استثناء مفرغ من اعم الاوقات اي اخاف ما تشركون به سبحانه
من معبوداتكم في وقت من الاوقات الا في وقت مشيته تعالى شيئا من اصابة مكروه بي من جهتها وذلك انما
هو من جهته تعالى من غير دخل لالهتكم فيه اصلا وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه
الصلوة والسلام اظهار منه لانقياده لحكمه سبحانه وتعالى واستسلام لامره واعترافه بكونه تحت ملكوته وربوبيته
تعالى وقوله تعالى وسع ربي كل شيء علما كانه تعليل للاستثناء اي احاط بكل شيء علما فلا يبعد ان يكون في علمه
تعالى ان يحيق بي مكروه من قبلها بسبب من الاسباب وفي الاظهار في موضع الاضمار تاكيد للمعنى المذكور
واستلذاذ بذكره تعالى افلا تتذكرون اي اتعرضون عن التامل في ان الهتكم جمادات غير قادرة على شيء ما
من نفع ولا ضر فلا تتذكرون انها غير قادرة على اضراري وفي ايراد التذكير دون التفكر ونظايره اشارة الى ان
امر اصنامهم مركوز في العقول لا يتوقف الا على التذكر وقوله تعالى وكيف اخاف ما اشركتم استيناف مسوق
لنفي الخوف عنه عليه الصلوة والسلام بحسب زعم الكفرة بالطريق الالزامي كما سياتي بعد نفيه عنه بحسب
الواقع في نفس الامر والاستفهام لانكار الوقوع ونفيه بالكلية كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند الله

وعند رسوله

وعند رسوله الاية لا لانكار الواقع واستبعاده مع وقوعه كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله الى اخره وفي توجيه
الانكار الى كيفية الخوف من المبالغة ما ليس في توجهه الى نفسه بان يقال اخاف لما ان كل موجود يجب ان يكون
وجوده على حال من الاحوال وكيفية من الكيفيات قطعا فاذا انتفى جميع احواله وكيفياته فقد انتفى وجوده من جميع
الجهات بالطريق البرهاني وقوله عز وجل ولا تخافون انكم اشركتم بالله حال من ضمير اخاف بتقدير مبتدا والواو كافية
في الربط من غير حاجة الى الضمير العايد الى ذي الحال وهو مقرر لانكار الخوف ونفيه عنه عليه الصلوة والسلام ومفيد
لاعترافهم بذلك فانهم حيث لم يخافوا في محل الخوف فلان لا يخاف عليه الصلوة والسلام في محل الامن اولى واحرى اي وكيف
اخاف انا ما ليس في حيز الخوف اصلا وانتم لا تخافون غايلة ما هو اعظم المخوفات واهولها وهو اشراككم بالله الذي ليس
كمثله شيء في الارض ولا في السماء ما هو من جملة مخلوقاته وانما عبر عنه بقوله تعالى ما لم ينزل به اي باشراكه عليكم
سلطانا على طريقة التهكم مع الايذان بان الامور الدينية لا يقول فيها الا على الحجة المنزلة من عند الله تعالى وفي
تعليق الخوف الثاني باشراكهم منه من المبالغة ومراعاة حسن الادب ما لا يخفى هذا واما ما قيل من ان قوله تعالى
ولا تخافون الى اخره معطوف على اخاف داخل في حكم الانكار والتعجب مما لا سبيل اليه اصلا لافضائه الى فساد
المعنى قطعا كيف لا وقد عرفت ان الانكار بمعنى النفي بالكلية فيؤل المعنى الى نفي الخوف عنه عليه الصلاة والسلام
ونفي نفيه عنهم وانه بين الفساد وحمل الانكار في الاول على معنى نفي الوقوع وفي الثاني على استبعاد الواقع مما لا مساغ
له على ان قوله تعالى فاي الفريقين احق بالامن ناطق ببطلانه حتما فانه كلام مرتب على انكار خوفه عليه الصلوة والسلام في محل
الامن مع تحقق عدم خوفهم في محل الخوف مسوق لالجايهم الى الاعتراف باستحقاقه عليه الصلوة والسلام لما هو
عليه من الامن وبعدم استحقاقهم لما هم عليه وانما جيء بصيغة التفضيل المشعرة باستحقاقهم له في الجملة
لاستنزالهم عن رتبة المكابرة والاعتساف بسوق الكلام على سنن الانصاف والمراد بالفريقين الفريق الامن في
محل الامن والفريق الامن في محل الخوف فايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال فاينا احق بالامن انا ام انتم لتاكيد
الالجاء الى الجواب الحق بالتنبيه على علة الحكم والتفادي عن التصريح بتخطيتهم لا لمجرد الاحتراز عن تزكية النفس
ان كنتم تعلمون المفعول اما محذوف تعويلا على معونة المقام اي كنتم تعلمون من احق بذلك او قصد
الى التعميم ان كنتم تعلمون شيا واما متروك بالكلية اي ان كنتم من اولي العلم وجواب الشرط محذوف اي
فاخبروني الذين امنوا استيناف من جهته تعالى مبين للجواب الحق الذي لا محيد عنه اي الفريق الذين امنوا
ولم يلبسوا ايمانهم ذلك اي لم يخلطوه بظلم اي بشرك كما يفعله الفريق المشركون حيث يزعمون انهم يومنون
بالله عز وجل وان عبادتهم الاصنام من تتمات ايمانهم واحكامه لكونها لاجل التقريب والشفاعة كما قالوا انما
نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وهذا معنى الخلط اولئك اشارة الى الموصول من حيث اتصافه بما في حيز
الصلة وفي الاشارة اليه بعد وصفه بما ذكر ايذان بانهم تميزوا بذلك عن غيرهم وانتظموا في سلك الامور
المشاهدة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف وهو مبتدا ثان وقوله تعالى
لهم الامن جملة من خبر مقدم ومبتدا موخر وقعت خبرا لاولئك وهو مع خبره خبر للمبتدا الاول الذي هو
الموصول ويجوز ان يكون اولئك بدلا من الموصول او عطف بيان له ولهم خبرا للموصول ويجوز ان يكون اولئك
مبتدا ثانيا ولهم خبره والامن فاعلا والجملة خبر للموصول اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الايمان الخالص
عن شوب الشرك لهم الامن فقط وهم مهتدون الى الحق ومن عداهم في ضلال مبين روي انه لما نزلت
الاية شق ذلك على الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال صلى الله عليه وسلم
ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان به ان
يصدق بوجود الصانع الحكيم و يخلط بهذا التصديق الاشراك بالله وليس من قضية الخلط بقاء الاصل
بعد الخلط حقيقة وقيل المراد بالظلم المعصية التي تفسق صاحبها والظاهر هو الاول لوروده مورد

الجواب عن حال الفريقين **وتلك** اشارة الى ما احتج به ابرهيم عليه الصلوة والسلام من قوله تعالى اتحاجوني الى قوله
تعالى مهتدون وما في اسم الاشارة من معنى البعد لتفخيم شان المشار اليه والاشعار بعلو طبقته وسمو منزلته في الفضل
وهو مبتداء وقوله تعالى **حجتنا** خبره وفي اضافتها الى نون العظمة من التفخيم ما لا يخفى وقوله تعالى **آتيناها ابرهيم**
اي ارشدناه اليها او علمناه اياها في محل النصب على انه حال من حجتنا والعامل فيها معنى الاشارة كما في قوله تعالى
فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا او في محل الرفع على انه خبر ثان او هو الخبر وحجتنا بدل او بيان للمبتداء وابرهيم مفعول
اول لآتينا قدم عليه الثاني لكونه ضميرا وقوله تعالى **على قومه** متعلق بحجتنا ان جعل خبرا لتلك او بمحذوف
ان جعل بدلا اي آتينا ابرهيم حجة على قومه **وقيل** بقوله آتينا **نرفع** بنون العظمة **وقرى** بالياء
على طريقة الالتفات وكذا الفعل الآتي **درجات** اي رتبا عظيمة عالية من العلم والحكمة وانتصابها على المصدرية
او الظرفية او على نزع الخافض اي الى درجات او على التمييز والمفعول قوله تعالى **من نشاء** وتاخيره على الوجوه
الثلاثة الاخيرة لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ومفعول المشية محذوف اي من نشاء رفعه حسبما
تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على ان ذلك سنة مستمرة جارية فيما
بين المصطفين الاخيار غير مختصة بابرهيم عليه الصلوة والسلام **وقري** بالاضافة الى من والجملة مستانفة
مقررة لما قبلها لا محل لها من الاعراب **وقيل** هي في محل النصب على انها حال من فاعل آتينا اي حال كوننا رافعين
الى آخره **ان ربك حكيم** في كل ما فعل من رفع وخفض **عليم** بحال من يرفعه واستعداده له على مراتب متفاوتة
والجملة تعليل لما قبلها وفي وضع الرب مضافا الى ضميره عليه الصلوة والسلام موضع نون العظمة بطريق
الالتفات في تضاعيف بيان احوال ابرهيم عليه الصلوة والسلام اظهار لمزيد لطف وعناية به عليه الصلوة
والسلام **ووهبنا له اسحق ويعقوب** عطف على قوله تعالى وتلك حجتنا الى آخره فان عطف كل من الجملة الفعلية
والاسمية على الاخرى مما لا نزاع في جوازه ولا مساغ لعطفه على آتيناها لان له محلا من الاعراب نصبا ورفعا
حسبما بين من قبل فلو عطف هذا عليه لكان في حكمه من الحالية والخبرية المستدعيين للرابط ولا سبيل اليه
ههنا **كلا** مفعول لما بعده وتقديمه عليه للقصر لكن لا بالنسبة الى غيرهما مطلقا بل بالنسبة الى احدهما
اي كل واحد منهما **هدينا** لا احدهما دون الآخر وترك ذكر المهدي اليه لظهور انه الذي اوتي ابرهيم وانهما مقتديان
به **ونوحا** منصوب بمضمر يفسره **هدينا من قبل** اي من قبل ابرهيم عد هداه نعمة على ابرهيم عليهما السلام لان شرف
الوالد سار الى الولد **ومن ذريته** الضمير لابرهيم لان مساق النظم الكريم لبيان شؤنه العظيمة من ايتاء الحجة ورفع
الدرجات وهبته لاولاد الانبياء وابقاء هذه الكرامة في نسله الى يوم القيمة كل ذلك لالزام من ينتمي الى ملته
عليه الصلوة والسلام من المشركين واليهود **وقيل** لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابرهيم عليه
الصلوة والسلام فلو كان الضمير له لاختص بالمعدودين في هذه الاية والتي بعدها واما المذكورون في الاية الثالثة
فعطف على نوحا **وروي** عن ابن عباس رضي الله عنهما ان هؤلاء الانبياء كلهم مضافون الى ذرية ابرهيم وان كان
منهم من لم يلحقه بولاد من قبل ام ولا اب لان لوطا ابن اخي ابرهيم والعرب تجعل العم ابا كما اخبر الله تعالى عن ابناء
يعقوب انهم قالوا نعبد الهك واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق مع ان اسمعيل عم يعقوب **داود
وسليمان** منصوبان بمضمر مفهوم كما سبق كما عطف عليهما او بما يتعلق من ذريته وتقديمه على المفعول الصريح
للاهتمام بشانه مع ما في المفاعيل من نوع طول ربما يخل تاخيره بتجاوب النظم الكريم اي وهدينا من ذريته
داود وسليمان **وايوب** هو ابن اموص من اسباط عيص بن اسحق **ويوسف وموسى وهرون** او بمحذوف وقع
حالا من المذكورين اي وهديناهم حال كونهم من ذريته **وكذلك** اشارة الى ما يفهم من النظم الكريم من جزاء
ابرهيم عليه الصلوة والسلام ومحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير **نجزي
المحسنين** جزاء مثل ذلك الجزاء والتقديم للقصر وقد مر تحقيقه مرارا والمراد بالمحسنين وبمماثلة جزا

الجزاء

لجزايه عليه الصلوة والسلام مطلق المشابهة في مقابلة الاحسان بالاحسان والمكافاة بين الاعمال والاجزية
من غير بخس لا المماثلة من كل وجه ضرورة ان الجزاء بكثرة الاولاد الانبياء مما اختص به ابرهيم عليه الصلوة والسلام
والاقرب ان لام المحسنين للعهد وذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وهو عبارة عما اوتي المذكورون من
فنون الكرامات وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقته والكاف لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة
ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير ونجزي المحسنين المذكورين جزاء كاينا
مثل ذلك الجزاء فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار المشار اليه
نفس المصدر المشار اليه لا نعتا له اي وذلك الجزاء البديع نجزي المحسنين المذكورين لا جزاء آخر ادنى منه
والاظهار في موضع الاضمار للثناء عليهم بالاحسان الذي هو عبارة عن الاتيان بالاعمال الحسنة على الوجه
اللايق الذي هو حسنها الوصفي المقارن لحسنها الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله
كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة اعتراض مقرر لما قبلها **وزكريا** وهو ابن آذن **ويحيى** ابنه **وعيسى**
هو ابن مريم وفيه دليل بين على ان الذرية تتناول اولاد البنات **والياس** قيل هو ادريس جد نوح فيكون البيان
مخصوصا بمن في الاية الاولى **وقيل** هو من اسباط هرون اخي موسى عليه الصلوة والسلام **كل** اي كل واحد
من اولئك المذكورين **من الصالحين** اي من الكاملين في الصلاح الذي هو عبارة من الاتيان بما ينبغي والتحرز
عما لا ينبغي والجملة اعتراض جيء به للثناء عليهم بالصلاح **واسمعيل واليسع** هو ابن اخطوب بن العجوز **وقري**
والليسع وهو على القراءتين علم اعجمي دخل عليه اللام ولا اشتقاق له ويقال انه يوشع بن نون **وقيل**
انه مفعول من مضارع وسع واللام كما في يزيد في قول من قال • رايت الوليد بن اليزيد مباركا • شديد
باعباء الخلافة كاهله **ويونس** وهو ابن متى **ولوطا** هو ابن هاران بن اخي ابرهيم عليه السلام
وكلا اي وكل واحد من هؤلاء المذكورين **فضلنا** بالنبوة لا بعضهم دون بعض **على العالمين** على عالمي
عصرهم والجملة اعتراض كاختيها وقوله تعالى **ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم** اما متعلق بما تعلق به من ذريته
ومن ابتدائية والمفعول محذوف اي وهدينا من آبائهم وذرياتهم واخوانهم جماعات كثيرة واما معطوفا على
كلا ومن تبعيضية اي وفضلنا بعض آبائهم الى آخره **واجتبيناهم** عطف على فضلنا اي اصطفيناهم **وهديناهم
الى صراط مستقيم** تكرير للتاكيد وتمهيد لبيان ما هدوا اليه **ذلك** اشارة الى ما يفهم من النظم الكريم
من مصادر الافعال المذكورة **وقيل** الى ما دانوا به وما في ذلك من معنى البعد لما مر مرارا **هدى الله**
الاضافة للتشريف **يهدي به من يشاء من عباده** وهم المستعدون للهداية والارشاد وفيه اشارة الى انه
تعالى متفضل بالهداية **ولو اشركوا** اي هؤلاء المذكورون **لحبط عنهم** مع فضلهم وعلو طبقاتهم **ما كانوا
يعملون** من الاعمال المرضية الصالحة فكيف بمن عداهم وهم هم واعمالهم اعمالهم **اولئك** اشارة الى
المذكورين من الانبياء الثمانية عشر والمعطوفين عليهم عليهم السلام باعتبار اتصافهم بما ذكر من الهداية
وغيرها من النعوت الجليلة الثابتة لهم وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة من الايذان بعلو طبقتهم وبعد
منزلتهم في الفضل والشرف وهو مبتداء خبره قوله تعالى **الذين آتيناهم الكتاب** اي جنس الكتاب المتحقق
في ضمن اي فرد كان من افراد الكتب السماوية والمراد بايتائه التفهيم التام بما فيه من الحقايق والتمكين
من الاحاطة بالجلايل والدقايق اعم من ان يكون ذلك بالانزال ابتداء او بالايراث بقاء فان المذكورين لم ينزل
على كل واحد منهم كتاب معين **والحكم** اي الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق والصواب **والنبوة** اي
الرسالة **فان يكفر بها** اي بهذه الثلاثة او بالنبوة الجامعة للباقيين **هؤلاء** اي كفار قريش فانهم بكفرهم
برسول الله صلى الله عليه وسلم وما انزل اليه من القران كافرون بما يصدقه جميعا وتقديم الجار والمجرور
على الفاعل لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر **فقد وكلنا بها** اي امرنا بمراعاتها

ووفقنا للايمان والقيام بحقوقها قوما ليسوا بها بكافرين في وقت من الاوقات بل مستمرون على الايمان بها
فان الجملة الاسمية الايجابية كما تفيد دوام الثبوت كذلك السلبية تفيد دوام النفي بمعونة المقام لا
نفي الدوام كما حقق في مقامه قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد هم الانصار واهل المدينة وقيل
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقيل كل من آمن من بني آدم وقيل الفرس فان كلا من هؤلاء الطوائف موفقون
للايمان بالانبياء والكتب المنزلة اليهم عاملون بما فيها من اصول الشرايع وفروعها الباقية في شريعتنا
وبه يتحقق الخروج عن عهدة التوكيل والتكليف دون المنسوخة منها فانها بانتساخها خارجة عن كونها
من احكامها وقد مر تحقيقه في سورة المائدة وقيل هم الانبياء المذكورون فالمراد بالتوكيل الامر بما هو اعم
من اجراء احكامها كما هو شانهم في حق كتابهم ومن اعتقاد حقيتها كما هو شانهم في حق سائر الكتب التي من جملتها
القرآن الكريم وقيل هم الملائكة فالتوكيل هو الامر بانزالها وحفظها واعتقاد حقيتها وايا ما كان فتنكير
قوما للتفخيم والباء الاولى صلة لكافرين قدمت عليه محافظة على الفواصل والثانية لتاكيد النفي واما تقديم
صلة وكلنا على مفعوله الصريح فلما ذكر آنفا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر ولان فيه نوع طول
ربما يؤدي تقديمه الى الاخلال بتجاوب النظم الكريم او الى الفصل بين الصفة والموصوف وجواب الشرط
محذوف يدل عليه المذكور اي فان يكفر بها هؤلاء فلا اعتداد به اصلا فقد وفقنا للايمان بها قوما فخاما
ليسوا بكافرين بها قطعا بل مستمرون على الايمان بها والعمل بما فيها ففي ايمانهم بها مندوحة عن ايمان هؤلاء ومن
هنا تبين ان الوجه ان يكون المراد بالقوم احدى الطوائف المذكورة اذ بايمانهم بالقرآن والعمل باحكامه يتحقق الغنية
عن ايمان الكفرة به والعمل باحكامه واما الانبياء والملائكة عليهم السلام فايمانهم به ليس من قبيل ايمان آحاد
الامة كما اشير اليه اولئك اشارة الى الانبياء المذكورين وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم وهو مبتدأ
خبره قوله تعالى الذين هدى الله اي الى الحق والنهج المستقيم والالتفات الى الاسم الجليل للاشعار بعلو الهداية
فبهداهم اقتده اي فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد بغيرهم والمراد بهداهم طريقتهم في الايمان بالله تعالى
وتوحيده واصول الدين دون الشرايع القابلة للنسخ فانها بعد النسخ لا تبقى هدى والهاء في اقتده للوقف
حقها ان تسقط في الدرج واستحسن اثباتها فيه ايضا اجراء له مجرى الوقف واقتداء بالامام وقرئ
باشباعها على انها كناية المصدر قل لا اسألكم عليه اي على القرآن او على التبليغ فان مساق الكلام يدل
عليهما وان لم يجر ذكرهما اجرا من جهتكم كما لم يسأله من قبلي من الانبياء وهذا من جملة ما امر عليه السلام بالاقتداء
بهم فيه ان هو اي ما القرآن الا ذكرى للعالمين اي عظة وتذكيرا لهم كافة من جهته سبحانه فلا
يختص بقوم دون آخرين وما قدروا الله لما بين شان القرآن العظيم وانه نعمة جليلة منه تعالى على كافة الامم
حسبما ينطق به قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين عقب ذلك ببيان عظم ابائهم اياها وكفرهم بها
على وجه سرى ذلك الى الكفر بجميع الكتب الالهية واصل القدر السبر والحزر يقال قدر الشيء يقدره
بالضم قدرا اذا سبره وحزره ليعرف مقداره ثم استعمل في معرفة الشيء في مقداره واحواله واوصافه
حق قدره نصب على المصدرية وهو في الاصل صفة للمصدر اي قدره الحق فلما اضيف الى موصوفه
انتصب على ما كان ينتصب اليه موصوفه اي ما عرفوه تعالى حق معرفته في اللطف بعباده والرحمة عليهم
ولم يراعوا حقوقه تعالى في ذلك بل اخلوا بها اخلالا اذ قالوا منكرين لبعثة الرسل وانزال الكتب كافرين
بنعمته الجليلة فيهما ما انزل الله على بشر من شيء فنفي معرفتهم بقدره سبحانه كناية عن حطهم لقدره الجليل
ووصفهم له تعالى بنقيض نعته الجميل كما ان نفي المحبة في مثل ان الله لا يحب الكافرين كناية عن البغض والسخط
والا فنفي معرفة قدره تعالى يتحقق مع عدم التعرض لحط بل مع السعي في تحصيل المعرفة كما في قول من يناجي ربه مستقصرا
لمعرفته وعبادته سبحانك ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق عبادتك او ما عرفوه حق معرفته

في السخط على الكفار وشدة بطشه تعالى بهم حسبما نطق به القرآن حين اجترؤوا على هذه العظيمة الشنعاء فالنفي
بمعناه الحقيقي والقائلون هم اليهود وقد قالوه مبالغة في انكار انزال القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالزموا
ما لا سبيل لهم الى انكاره اصلا حيث قيل قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى اي قل لهم ذلك على طريقة التبكيت والقام الحجر
وروي ان مالك بن الصيفي من احبار اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذي
انزل التورية على موسى هل تجد فيها ان الله تعالى يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من مالك
الذي تطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر رضي الله عنه فقال ما انزل الله على بشر من شيء
فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقيل هم المشركون والزامهم انزال التورية لما انه كان عندهم من
المشاهير الذائعة ولذلك كانوا يقولون لو انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم ووصف الكتاب بالوصول اليهم
لزيادة التقرير وتشديد التبكيت وكذا تقييده بقوله تعالى نورا وهدى فان كونه بينا بنفسه ومبينا
لغيره مما يؤكد الالزام اي تاكيد وانتصابهما على الحالية من الكتاب والعامل انزل او من الضمير في به والعامل
جاء واللام في قوله تعالى للناس اما متعلق بهدى او بمحذوف هو صفة له اي هدى كائنا للناس والمراد
بهذا مجرد الزامهم الاعتراف بانزال التورية فقط بل بانزال القرآن ايضا فان الاعتراف بانزالها مستلزم للاعتراف
بانزاله قطعا لما فيها من الشواهد الناطقة وقد نعى عليهم ما فعلوا بها من التحريف والتغيير حيث قيل تجعلونه
قراطيس اي تضعونه في قراطيس مقطعة وورقات مفرقة بحذف الجار بناء على تشبيه القراطيس
بالظرف المبهم او تجعلونه نفس القراطيس المقطعة وفيه زيادة توبيخ لهم بسوء صنيعهم كانهم اخرجوه من جنس الكتاب
ونزلوه منزلة القراطيس الخالية عن الكتابة والجملة كما سبق وقوله تعالى تبدونها صفة لقراطيس وقوله تعالى
وتخفون كثيرا معطوف عليه والعائد الى الموصوف محذوف اي كثيرا منها وقيل كلام مبتدأ لا محل له من الاعراب
والمراد بالكثير نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وسائر ما كتموه من احكام التورية وقرئ الافعال الثلاثة بالياء
حملا على قالوا وما قدروا وقوله تعالى وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم قيل هو حال من فاعل تجعلونه باضمار قد او بدونه
على اختلاف الرأيين قلت فينبغي ان يجعل ما عبارة عما اخذوه من الكتاب من العلوم والشرايع ليكون التقييد
بالحال مفيدا لتاكيد التوبيخ وتشديد التشنيع فان ما فعلوه بالكتاب من التفريق والتقطيع لما ذكر من الابداء
والاخفاء شناعة عظيمة في نفسها ومع ملاحظة كونه ماخذا لعلومهم ومعارفهم اشنع واعظم لا عما
تلقوه من جهة النبي صلى الله عليه وسلم زيادة على ما في التورية وبيانا لما التبس عليهم وعلى آبائهم من مشكلاتها
حسبما ينطق به قوله تعالى ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون كما قالوا لان تلقيهم
لذلك من القرآن الكريم ليس مما يزجرهم عما صنعوا بالتورية اما ما ورد فيه زيادة على ما فيها فلانه لا تعلق
له بها نفيا ولا اثباتا واما ما ورد بطريق البيان فلان مدار ما فعلوا بها من التبديل والتحريف ليس ما وقع فيها
من التباس الامر واشتباه الحال حتى يقلعوا عن ذلك بايضاحه وبيانه فيكون الجملة حينئذ حالية عن تاكيد
التوبيخ فلا يستحق ان يقع موقع الحال بل على الوجه حينئذ ان يكون استينافا مقررا لما قبلها من مجيء الكتاب
بطريق التكملة والاستطراد والتمهيد لما يعقبه من مجيء القرآن ولا سبيل الى جعل ما عبارة عما كتموه من احكام
التورية كما يفصح عنه قوله تعالى قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب فان ظهوره وان
كان مزجرة لهم عن الكتم مخافة الافتضاح ومصححا لوقوع الجملة في موقع الحال لكن ذلك مما يعلمه الكاتمون حتما
هذا وقد قيل الخطاب لمن آمن من قريش كما في قوله تعالى لتنذر قوما ما انذر آباؤهم وقوله تعالى قل الله امر
لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يجيب عنهم اشعارا بتعين الجواب بحيث لا محيد عنه وايذانا بانهم افحموا
ولم يقدروا على التكلم اصلا ثم ذرهم في خوضهم في باطلهم الذي يخوضون فيه ولا عليك بعد الزام الحجة و
القام الحجر يلعبون حال من الضمير الاول والظرف صلة للفعل المقدم او المؤخر او متعلق بمحذوف هو حال

من مفعول الاول او من فاعل الثاني او من ضمير الثاني لانه فاعل في الحقيقة والظرف متصل بالاول
وهذا كتاب انزلناه تحقيق لنزول القران الكريم بعد تقرير انزال ما بشر به من التورية وتكذيب لهم في كلمتهم
الشنعاء اثر تكذيب مبارك اي كثير الفوايد وجم المنافع مصدق الذي بين يديه من التورية لنزوله حسبما وصف
فيها او الكتب التي قبلها فانه مصدق للكل في اثبات التوحيد والامر به ونفي الشرك والنهي عنه وفي سائر
اصول الشرايع التي لا تنسخ ولتنذر ام القرى عطف على ما دل عليه مبارك اي للبركات ولانذارك اهل مكة
وانما ذكرت باسمها المنبي عن كونها اعظم القرى شانا وقبلة لاهلها وقاطبة لاهل الارض ايذانا بان انذار اهلها
اصل مستتبع لانذار اهل الارض كافة وقرئ لينذر بالياء على ان الضمير للكتاب ومن حولها من اهل المدر والوبر
في المشارق والمغارب والذين يؤمنون بالاخرة وبما فيها من افانين العذاب يؤمنون به اي بالكتاب لانهم يخافون
العاقبة ولا يزال الخوف يحملهم على النظر والتامل حتى يؤمنون به وتخصيص محافظتهم على الصلوة بالذكر
من بين ساير العبادات التي لا بد للمومنين من ادائها للايذان بانافتها من بين ساير الطاعات وكونها اشرف
العبادات بعد الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم انه تعالى بعثه نبيا كمسيلمة الكذاب والاسود العنسي
او اختلف عليه احكاما من الحل والحرمة كعمرو بن لحي ومتابعيه اي هو اظلم من كل ظالم وان كان سبك
التركيب على نفي الاظلم منه وانكاره من غير تعرض لنفي المساوي وانكاره فان الاستعمال الناشي من قولك
من افضل من زيد ولا اكرم منه على انه افضل من كل فاضل واكرم من كل كريم وقد تم تمام الكلام فيه
او قال اوحي الي من جهته تعالى ولم يوح اليه اي والحالة انه لم يوح اليه شيء اصلا كعبد الله بن سعد
ابن ابي سرح كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما
بلغ ثم انشاناه خلقا اخر قال عبد الله تبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان ثم قال
عليه السلام اكتبها كذلك فشك عبد الله وقال لين كان محمد صادقا فقد اوحي الي كما اوحي اليه ولين
كان كاذبا فقد قلت كما قال ومن قال سانزل مثل ما انزل الله كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون
حذف مفعول ترى لدلالة الظرف عليه اي ولو ترى الظالمين اذ هم في غمرات الموت اي شدايده من غمره
اذا غشيه والملايكة باسطوا ايديهم لقبض ارواحهم كالمتقاضي الملظ الملح يبسط يده الى من عليه الحق ويعنف
عليه في المطالبة من غير امهال وتنفيس او باسطوها بالعذاب قايلين اخرجوا انفسكم اي اخرجوا ارواحكم
الينا من اجسادكم او خلصوا انفسكم من العذاب اليوم اي وقت الاماتة او الممتد بعده الى ما لا نهاية له
تجزون عذاب الهون اي العذاب المتضمن لشدة واهانة فاضافته الى الهون وهو الهوان لعراقته فيه
بما كنتم تقولون على الله غير الحق كاتخاذ الولد له ونسبة الشريك اليه وادعاء النبوة والوحي كاذبا وكنتم عن
اياته تستكبرون فلا تتاملون فيها ولا تؤمنون بها ولقد جيتمونا للحساب فرادى منفردين عن الاموال
والاولاد وغير ذلك مما اثرتموه من الدنيا او من الاعوان والاصنام التي كنتم تزعمون انها شفعاؤكم
وهو جمع فرد والالف للتانيث وقرئ فراد كرجال وفراد كثلث وفردى كسكرى كما خلقناكم اول مرة
بدل من فرادى على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد او حال ثانية عند من يجوز تعددها او حال من الضمير
في فرادى اي مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة مصدر جيتمونا اي مجيا كخلقنا لكم اول مرة
وتركتم ما خولناكم تفضلنا عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الاخرة وراء ظهوركم ما قدمتم منه شيا ولم تحملوا
نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء اي شركاء الله في الربوبية واستحقاق العبودية لقد تقطع بينكم
اي وقع التقطع بينكم كما يقال جمع بين الشيئين اي اوقع الجمع بينهما وقرئ بالرفع على اسناد الفعل الى الظرف
كما يقال قوتل امامكم وخلفكم او على ان البين اسم للفصل والوصل اي تقطع وصلكم وقرئ ما بينكم وضل
عنكم اي ضاع وغاب ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء ان الله فالق الحب والنوى شروع

نذارك

وهم على صلوتهم يحافظون صح

في تقرير بعض افاعيله تعالى الدالة على كمال علمه وقدرته ولطف صنعه وحكمته اثر تقرير ادلة التوحيد والفلق الشق
بابانة اي شاق الحب بالنبات والنوى بالشجر وقيل المراد به الشق الذي في الحبوب والنوى اي خالقهما كذلك
كما في قولك ضيق فم الركية ووسع اسفلها وقيل الفلق بمعنى الخلق قال الواحدي ذهبوا بفالق مذهب فاطر يخرج
الحي من الميت اي يخرج ما ينمو من الحيوان والنبات مما لا ينمو من النطفة والحب او الجملة مستانفة مبينة لما قبلها
وقيل خبر ثان لان قوله تعالى ومخرج الميت من الحي كالحيوان والنبات النطفة والحب عطف على فالق الحب
لا على يخرج على الوجه الاول لان اخراج الميت من الحي ليس من قبيل فلق الحب والنوى ذلكم القادر العظيم الشان هو
الله المستحق للعبادة وحده فانى تؤفكون فكيف تصرفون عن عبادته الى غيره ولا سبيل اليه اصلا فالق الاصباح خبر
اخر لان او لمبتدا محذوف والاصباح مصدر سمي به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على انه جمع صبح اي خالق عمود الفجر
عن بياض النهار واسفاره او فالق ظلمة الاصباح وهي الغلس الذي يلي الصبح وقرئ فالق بالنصب على المدح وجاعل
الليل سكنا يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمان اليه استيناسا به او يسكن فيه الخلق
من قوله تعالى لتسكنوا فيه وقرئ جاعل الليل فانتصاب سكنا بفعل دل عليه جاعل وقيل بنفسه على ان المراد به
الجعل المستمر في الازمنة المتجددة حسب تجددها لا الجعل الماضي فقط وقيل اسم الفاعل من الفعل المتعدي الى اثنين
يعمل في الثاني وان كان بمعنى الماضي لانه لما اضيف الى الاول تعين نصبه للثاني لتعذر الاضافة بعد ذلك والشمس والقمر
معطوفان على الليل وعلى القراءة الاخيرة قيل هما معطوفان على محله والاحسن نصبهما حينئذ بفعل مقدر وقد قريا
بالجر والرفع ايضا على الابتداء والخبر محذوف اي مجعولان حسبانا اي على ادوار مختلفة يحسب بها الاوقات التي نيط
بها العبادات والمعاملات او محسوبان حسبانا والحسبان بالضم مصدر حسب ذلك اشارة الى جعلهما كذلك
وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته اي ذلك التسيير البديع تقدير العزيز الغالب
القاهر الذي لا يستعصي عليه شيء من الاشياء التي من جملتها تسييرهما على الوجه المخصوص العليم بجميع المعلومات التي
من جملتها ما في ذلك التسيير من المنافع والمصالح المتعلقة بمعاش الخلق ومعاده وهو الذي جعل لكم النجوم شروع في بيان
نعمته تعالى في الكواكب اثر بيان نعمته تعالى في النيرين والجعل متعد الى واحد واللام متعلق به وتاخير المفعول الصريح
عن الجار والمجرور لما مر غير مرة من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر اي انشاها وابدعها لاجلكم فقوله تعالى
لتهتدوا بها بدل من المجرور باعادة العامل بدل اشتمال كما في قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا والتقدير
جعل لكم النجوم لاهتدايكم لكن لا على ان غاية خلقها اهتداؤهم فقط بل على طريقة افراد بعض منافعها وغاياتها بالذكر
حسبما يقتضيه المقام وقد جوز ان يكون مفعولا ثانيا للجعل وهو بمعنى التصيير اي جعلها كاينة لاهتدايكم في اسفاركم
عند دخولكم المفاوز او البحار كما ينبئ عنه قوله تعالى في ظلمات البر والبحر اي في ظلمات الليل في البر والبحر واضافتها
اليهما للملابسة فان الحاجة الى الاهتداء بها انما يتحقق عند ذلك او مشتبهات الطرق عبر عنها بالظلمات على طريقة
الاستعارة قد فصلنا الايات اي بينا الايات المتلوة المذكورة لنعمه التي هذه النعمة من الجملة او الايات التكوينية
الدالة على شؤنه تعالى مفصلة لقوم يعلمون اي معاني الايات المذكورة ويعملون بموجبها او يتفكرون في الايات التكوينية
فيعلمون حقيقة الحال وتخصيص التفصيل بهم مع عمومه للكل لانهم المنتفعون به وهو الذي انشاكم من نفس واحدة تذكير
لنعمة اخرى من نعمه تعالى دالة على عظيم قدرته ولطيف صنعه وحكمته اي انشاكم مع كثرتكم من نفس آدم عليه الصلوة
والسلام فمستقر ومستودع اي فلكم استقرار في الاصلاب او فوق الارض واستيداع فيما ذكر والتعبير عن كونهم في
الاصلاب او فوق الارض بالاستقرار لانهما مقرهم الطبيعي كما ان التعبير عن كونهم في الارحام او تحت الارض لما ان كلا
منهما ليس بمقرهم الطبيعي وقد حمل الاستيداع على كونهم في الاصلاب وليس بواضح وقرئ مستقر بكسر القاف
اي فمنكم مستقر ومنكم مستودع فان الاستقرار منا بخلاف الاستيداع قد فصلنا الايات المبينة لتفاصيل خلق البشر
من هذه الاية ونظايرها لقوم يفقهون غوامض الدقايق باستعمال الفطنة وتدقيق النظر فان لطايف صنع الله

بنيته

عز وجل في اطوار تخليق بني آدم مما يحار في فهمه الالباب وهو السر في ايثار يفقهون على يعلمون كما ورد في شان النجوم **وهو الذي انزل من السماء ماء** تذكير لنعمة اخرى من نعمه تعالى منبئة عن كمال قدرته تعالى وسعة رحمته اي انزل من السحاب او من سمت السماء ماء خاصا هو المطر وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا **فاخرجنا به** التفت الى التكلم اظهارا لكمال العناية بشان ما انزل الماء لاجله اي فاخرجنا بعظمتنا بذلك الماء مع وحدته **نبات كل شيء** من الاشياء التي من شانها النمو من اصناف النجم والشجر وانواعهما المختلفة في الكم والكيف والخواص والاثار اختلافا متفاوتا في مراتب الزيادة والنقصان حسبما يفصح عنه قوله تعالى يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل وقوله تعالى **فاخرجنا منه خضرا** شروع في تفصيل ما اجمل من الاخراج وقد بدي بتفصيل حال النجم اي فاخرجنا من النبات الذي لا ساق له شيئا غضا اخضر يقال شيء اخضر وخضر كاعور وعور واكثر ما يستعمل الخضر فيما يكون خضرته خلقية وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة وقوله تعالى **نخرج منه** صفة لخضرا وصيغة المضارع لاستحضار الصورة لما فيها من الغرابة اي نخرج من ذلك الخضر **حبا متراكبا** هو السنبل المنتظم للحبوب المتراكبة بعضها فوق بعض على هيئة مخصوصة **وقرئ** يخرج منه حب متراكب وقوله تعالى **ومن النخل** شروع في تفصيل حال الشجر اثر بيان حال النجم فقوله تعالى ومن النخل خبر مقدم وقوله تعالى **من طلعها** بدل منه باعادة العامل كما في قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجوا الى آخره والطلع شيء يخرج من النخل كانه نعلان مطبقان والحمل بينهما منضود وقوله تعالى **قنوان** مبتدا اي وحاصله من طلع النخل قنوان ويجوز ان يكون الخبر محذوفا لدلالة اخرجنا عليه اي ومخرجه من طلع النخل قنوان ومن قرأ يخرج منه حب متراكب كان قنوان عنده معطوفا على حب **وقيل** المعنى واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان او ومن النخل شيء من طلعها قنوان وهو جمع قنو وهو عنقود النخلة كصنو وصنوان **وقرئ** بضم القاف كذيب وذيبان وبفتحها ايضا على انه اسم جمع لان فعلان ليس من ابنية الجمع **دانية** سهلة المجتنى قريبة من القاطف فانها وان كانت صغيرة ينالها القاعد تاتي بالثمر لا ينتظر الطول او ملتفة متقاربة والاقتصار على ذكرها لدلالتها على مقابلها كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر ولزيادة النعمة فيها **وجنات من اعناب** عطف على نبات كل شيء اي واخرجنا به جنات كائنة من اعناب **وقرئ** جنات بالرفع على الابتداء اي ولكم او ثمة جنات وقد جوز عطفه على قنوان كائنة **وقيل** وحاصله او مخرجه من النخل قنوان وجنات من نبات اعناب ولعل زيادة الجنات هاهنا من غير اكتفاء بذكر اسم الجنس كما فيما تقدم وما تاخر لما ان الانتفاع بهذا الجنس لا يتاتى غالبا الا عند اجتماع طائفة من افراده **والزيتون والرمان** منصوبان على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم او على العطف على نبات وقوله تعالى **مشتبها وغير متشابه** حال من الزيتون اكتفي به عن حال ما عطف عليه كما يكتفي بخبر المعطوف عليه عن خبر المعطوف في نحو قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك وقد جوز ان يكون حالا من الرمان لقربه ويكون المحذوف حال الاول والمعنى بعضه متشابها وبعضه غير متشابه في الهيئة والمقدار واللون والطعم وغير ذلك من الاوصاف الدالة على كمال قدرة صانعها وحكمة منشئها ومبدعها **انظروا الى ثمره اذا اثمر** اي انظروا اليه نظر اعتبار واستبصار اذا اخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا لا يكاد ينتفع به **وقرئ** الى ثمره **وينعه** اي والى حال نضجه كيف يصير الى كماله اللائق به ويكون به شيئا جامعا للمنافع جمة والينع في الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت **وقيل** جمع يانع كتاجر وتجر **وقرئ** بالضم وهي لغة فيه **وقرئ** يانعه **ان في ذلكم** اشارة الى ما امر بالنظر اليه وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته **لايات لقوم يؤمنون** اي لايات عظيمة او كثيرة دالة على وجود القادر الحكيم ووحدته فان حدوث هاتيك الاجناس المختلفة والانواع المتشعبة من اصل واحد وانتقالها من حال الى حال على نمط بديع يحار في فهمه الالباب لا يكاد يكون الا باحداث صانع يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته من الوجوه الممكنة على غيره ولا يعوقه عن ذلك ضد يناويه او ند يقاويه ولذلك عقب بتوبيخ من اشرك به والرد عليه حيث قيل **وجعلوا لله شركاء** اي جعلوا في اعتقادهم

حال

الذي شانه

الذي شانه ما فصل في تضاعيف هذه الايات الجليلة شركاء **الجن** اي الملائكة حيث عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسموا اجنة لاجتنانهم تحقيرا لشانهم بالنسبة الى مقام الالوهية او الشياطين حيث اطاعوهم دون الله تعالى او عبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو راي الثنوية ومفعولا جعلوا قوله تعالى شركاء الجن قدم ثانيهما على الاول لاستعظام ان يتخذ الله سبحانه شريك ما كائنا ما كان ولله متعلق بشركاء قدم عليه للنكتة المذكورة **وقيل** هما لله شركاء والجن بدل من شركاء مفسر نص عليه الفراء وابو اسحق او منصوب بمضمر وقع جوابا عن سؤال مقدر نشأ من قوله تعالى وجعلوا لله شركاء كانه قيل من جعلوه شركاء لله تعالى فقيل الجن اي جعلوا الجن ويؤيده قراءة ابي حيوة ويزيد بن قطيب الجن بالرفع على تقدير هم الجن في جواب من قال من الذي جعلوه شركاء لله تعالى وقد قرئ بالجر على ان الاضافة للتبيين **وخلقهم** حال من فاعل جعلوا بتقدير قد وبدونه على اختلاف الرايين مؤكدة لما في جعلهم ذلك من كمال القباحة والبطلان باعتبار علمهم بمضمونها اي وقد علموا انه تعالى خالقهم **وقيل** الضمير للشركاء اي والحال انه تعالى خلق الجن فكيف يجعلون مخلوقه شريكا له تعالى **وقرئ** خلقهم عطفا على الجن اي وما يخلقونه من الاصنام او على شركاء اي وجعلوا له اختلاقهم الافك حيث نسبوه اليه تعالى **وخرقوا له** اي افتعلوا وافتروا له يقال خلق الافك واختلقه وخلقه واخترقه بمعنى **وقرئ** خرقوا بالتشديد للتكثير **وقرئ** وحرفوا له اي زوروا **بنين وبنات** فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت طائفة من العرب الملائكة بنات الله **بغير علم** اي بحقيقة ما قالوه من خطا او صواب بل رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية او بغير علم بمرتبة ما قالوه وانه من الشناعة والبطلان بحيث لا يقادر قدره والباء متعلقة بمحذوف هو حال من فاعل خرقوا او نعت لمصدر مؤكد له اي خرقوا ملتبسين بغير علم او خرقا كائنا بغير علم **سبحانه** استئناف مسوق لتنزيهه عز وجل عما نسبوه اليه وسبحانه علم للتسبيح الذي هو التبعيد عن السوء اعتقادا وقولا اي اعتقاد البعد عنه والحكم به من سبح في الارض والماء اذا ابعد فيهما وامعن ومنه فرس سبوح اي واسع الجري وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه اي اسبح سبحانه اي انزهه عما لا يليق به عقدا وعملا تنزيها خاصا به حقيقا بشانه وفيه مبالغة من جهة الاشتقاق من السبح ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول عن المصدر الدال على الجنس الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل **وقيل** هو مصدر كغفران لانه سمع له فعل من الثلاثي كما ذكر في القاموس اريد به التنزه التام والتباعد الكلي ففيه مبالغة من حيث اسناد التنزه الى الذات المقدسة اي تنزه تنزها لائقا به وهو الانسب بقوله عز وجل **وتعالى** فانه معطوف على الفعل المضمر لا محالة ولما في السبحان والتعالي من معنى التباعد قيل **عما يصفون** اي متباعدا عما يصفونه من ان له شريكا او ولدا **بديع السموات والارض** اي مبدعهما ومخترعهما بلا مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه فان البديع كما يطلق على المبتدع يطلق على المبدع نص عليه ائمة اللغة كالصريخ بمعنى المصرخ وقد جاء بدعه كمنعه بمعنى انشاه كابتدعه على ما ذكر في القاموس وغيره ونظيره السميع بمعنى المسمع في قوله امن ريحانة الداعي السميع **وقيل** هو من اضافة الصفة المشبهة الى الفاعل للتخفيف بعد نصبه تشبيها لها باسم الفاعل كما هو المشهور اي بديع سمواته وارضه من بدع اذا كان على نمط عجيب وشكل فائق وحسن رائق او الى الظرف كما في قولهم ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير فيهما والاول هو الوجه والمعنى انه تعالى مبدع لقطري العالم العلوي والسفلي بلا مادة فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال بالمرة والوالد عنصر الولد منفعل بانتقال مادته عنه فكيف يمكن ان يكون له ولد **وقرئ** بديع بالنصب على المدح وبالجر على انه بدل من الاسم الجليل او من الضمير المجرور في سبحانه على راي من يجيزه وارتفاعه في القراءة المشهورة على انه خبر مبتدا محذوف او فاعل تعالى والاظهار في موقع الاضمار لتعليل الحكم وتوسيط الظرف بينه وبين الفعل للاهتمام ببيانه او مبتدا خبره قوله تعالى **انى يكون له ولد** وهو على الاولين جملة مستقلة مسوقة كما قبلها لبيان استحالة ما نسبوه اليه تعالى وتقرير تنزهه عنه وقوله تعالى **ولم تكن له صاحبة** حال مؤكدة للاستحالة المذكورة فان انتفاء ان يكون له تعالى صاحبة مستلزم لانتفاء ان يكون

له ولد ضرورة استحالة وجود الولد بلا والدة وان امكن وجوده بلا والد وانتفاء الاول مما لا ريب فيه لاحد فمن
ضرورة انتفاء الثاني اي من اين او كيف يكون له ولد كما زعموا والحال انه ليس له على زعمهم ايضا صاحبة يكون الولد منها
وقرئ لم يكن بتذكير الفعل للفصل اولان الاسم ضمير الله تعالى والخبر هو الظرف وصاحبة مرتفع به على الفاعلية لاعتماده
على المبتدا او الظرف خبر مقدم وصاحبة مبتدا مؤخر والجملة خبر للكون وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون الاسم ضمير الشان
لصلاحية الجملة حينئذ لان تكون مفسرة لضمير الشان لا على الوجه الاول لما بين في موضعه ان ضمير الشان لا يفسر الا بجملة
صريحة وقوله تعالى وخلق كل شيء اما جملة مستانفة اخرى سيقت لتحقيق ما ذكر من الاستحالة او حال اخرى مقررة لها
اي انى يكون له ولد والحال انه خلق كل شيء انتظمه التكوين والايجاد من الموجودات التي من جملتها ما سموه له ولدا سبحانه
وتعالى فكيف يتصور ان يكون المخلوق ولدا لخالقه وهو بكل شيء من شانه ان يعلم كائنا ما كان مخلوقا او غير مخلوق
كما ينبئ عنه ترك الاضمار الى الاظهار عليم مبالغ في العلم ازلا وابدا حسبما يعرب عنه العدول الى الجملة الاسمية فلا
يخفى عليه خافية مما كان ومما سيكون من الذوات والصفات والاحوال التي من جملتها ما يجوز عليه تعالى وما لا يجوز من
المحالات التي ما زعموه فرد من افرادها والجملة استيناف مقرر لمضمون ما قبلها من الدلائل القاطعة ببطلان مقالتهم الشنعاء
التي افتروها عليها بغير علم ذلكم اشارة الى المنعوت بما ذكر من جلائل النعوت وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو شان المشار
اليه وبعد منزلته في العظمة والخطاب للمشركين المعهودين بطريق الالتفات وهو مبتدا وقوله تعالى الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء
اخبار اربعة مترادفة اي ذلك الموصوف بتلك الصفات العظيمة هو الله المستحق للعبادة خاصة مالك امركم لا شريك له اصلا
خالق كل شيء مما كان ومما سيكون فلا تكرار اذ المعتبر في عنوان الموضوع انما هو خالقيته لما كان فقط كما ينبئ عنه صيغة الماضي
وقيل الخبر هو الاول والبواقي ابدال وقيل الاسم الجليل بدل من المبتدا والبواقي اخبار وقيل يقدر لكل من الاخبار
الثلاثة مبتدا وقيل يجعل الكل بمنزلة اسم واحد وقوله تعالى فاعبدوه حكم مترتب على مضمون الجملة فان من جمع هذه الصفات
كان هو المستحق للعبادة خاصة وقوله تعالى وهو على كل شيء وكيل عطف على الجملة المتقدمة اي هو مع ما فصل من الصفات الجليلة
متولي امور جميع مخلوقاته التي انتم من جملتها فكلوا اموركم اليه وتوسلوا بعبادته الى نجاح مآربكم الدنيوية والاخروية لا
تدركه الابصار البصر حاسة النظر وقد تطلق على العين من حيث انها محلها وادراك الشيء عبارة عن الوصول اليه والاحاطة به
اي لا تصل اليه الابصار ولا تحيط به كما قال سعيد بن المسيب وقال عطا كلت ابصار المخلوقين عن الاحاطة به
فلا متمسك فيه لمنكري الرؤية على الاطلاق وقد روي عن ابن عباس ومقاتل رضي الله عنهما لا تدركه الابصار في الدنيا
وهو يرى في الآخرة وهو يدرك الابصار اي يحيط بها علمه اذ لا تخفى عليه خافية وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا تدركه
الابصار ويجوز ان يكون تعليلا للحكمين السابقين على طريقة اللف اي لا تدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار
لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها وقوله تعالى قد جاءكم بصائر من ربكم
استيناف وارد على لسان النبي صلى الله عليه وسلم والبصائر جمع بصيرة وهو النور الذي تستبصر به النفس كما ان البصر نور به
تبصر العين والمراد بها الآيات الواردة ههنا او جميع الآيات المنتظمة اوليا ومن لابتداء الغاية مجازا سواء تعلقت بجاء
او بمحذوف هو صفة لبصائر والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار كمال اللطف بهم اي قد جاءكم
من جهة مالككم ومبلغكم الى الكمال اللائق بكم من الوحي الناطق بالحق والصواب ما هو كالبصائر للقلوب او قد جاءكم بصائر
كائنة من ربكم فمن ابصر اي بتلك البصائر وآمن بها فلنفسه اي فلنفسه ابصر او فابصاره لنفسه لان نفعه مخصوص بها
ومن عمي اي ومن لم يبصر الحق بعد ما ظهر له بتلك البصائر ظهورا بينا وضل عنه وانما عبر عنه بالعمى تقبيحا له وتنفيرا عنه
فعليها اي فعليها عمي او فعماه عليها او وبال عماه وما انا عليكم بحفيظ وانما انا منذر والله هو الذي يحفظ اعمالكم ويجازيكم
عليها وكذلك نصرف الآيات اي مثل ذلك التصريف البديع نصرف الآيات الدالة على الشرائع الرائقة الكاشفة عن الحقائق الفائقة
لا تصريفا ادنى منه وقوله تعالى وليقولوا درست علة لفعل قد حذف تعويلا على دلالة السياق عليه اي وليقولوا درست نفعل
ما نفعل من التصريف المذكور واللام للعاقبة والواو اعتراضية وقيل هي عاطفة على علة محذوفة واللام متعلقة بنصرف

انتظاما صح

اي مثل

اي مثل ذلك التصريف نصرف الآيات لنلزمهم الحجة وليقولوا الى آخره وقيل اللام لام الامر وينصره القراءة بسكون اللام
كانه قيل وكذلك نصرف الآيات وليقولوا هم ما يقولون فانهم لا اعتناء بهم ولا اعتداد بقولهم وهذا امر معناه الوعيد
والتهديد وعدم الاكتراث بقولهم ورد عليه ان ما بعده يأباه ومعنى درست قرأت وتعلمت وقرئ دارست اي دارست
العلماء ودرست اي قدمت هذه الآيات وعفت كما قالوا اساطير الاولين ودرست بضم الراء مبالغة في درست
اي اشتد دروسها ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت من عفاه ودارست وفسروها بدارست اليهود
محمدا صلى الله عليه وسلم وجاز الاضمار لاشتهارهم بالدراسة وقد جوز اسناد الفعل الى الآيات وهو في الحقيقة لاهلها
اي دارس اهل الآيات وحملتها محمدا صلى الله عليه وسلم وهم اهل الكتاب ودرس اي درس محمد ودارسات على هي دارسات
اي قديمات او ذوات درس كعيشة راضية وقوله تعالى ولنبينه عطف على ليقولوا واللام على الاصل لان التبيين غاية
التصريف والضمير للآيات باعتبار المعنى او للقرآن وان لم يذكر او للمصدر اي ولنفعل التبيين واللام في قوله تعالى لقوم
يعلمون متعلقة بالتبيين وتخصيصه بهم لما انهم المنتفعون به قال ابن عباس رضي الله عنهما هم اولياؤه الذين
هداهم الى سبيل الرشاد ووصفهم بالعلم للايذان بغاية جهل الاولين وخلوهم عن العلم بالمرة اتبع ما اوحي اليك من ربك
لما حكي عن المشركين قدحهم في تصريف الآيات عقب ذلك بامره عليه الصلوة والسلام بالثبات على ما هو عليه وعدم
الاعتناء بهم وباباطيلهم اي دم على ما انت عليه من اتباع ما اوحي اليك من الشرائع والاحكام التي عمدتها التوحيد وفي
التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلوة والسلام من اظهار اللطف به ما لا يخفى وقوله تعالى
لا اله الا هو اعتراض بين الامر والمتعاطفين مؤكد لايجاب اتباع الوحي لا سيما في امر التوحيد وقد جوز ان يكون
حالا من ربك اي منفردا بالالوهية واعرض عن المشركين لا تحتفل بهم وباقاويلهم الباطلة التي من جملتها ما حكي
عنهم آنفا ومن جعله منسوخا باية السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله اي عدم اشراكهم حسبما
هو القاعدة المستمرة في حذف مفعول المشيئة من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء ما اشركوا وهذا
دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر لكن لا بمعنى انه تعالى يمنعه عنه مع توجهه اليه بل بمعنى انه تعالى لا يريده منه
لعدم صرف اختياره الجزئي نحو الايمان واصراره على الكفر والجملة اعتراض مؤكد للاعراض وكذا قوله تعالى وما جعلناك
عليهم حفيظا اي رقيبا مهيمنا من قبلنا تحفظ عليهم اعمالهم وكذا قوله تعالى وما انت عليهم بوكيل من جهتهم تقوم
بامورهم وتدبر مصالحهم وعليهم في الموضعين متعلق بما بعده قدم عليه للاهتمام به او لرعاية الفواصل ولا
تسبوا الذين يدعون من دون الله اي لا تسبوهم من حيث عبادتهم لآلهتهم كأن تقولوا تبا لكم ولما تعبدونه مثلا فيسبوا الله
عدوا تجاوزا عن الحق الى الباطل بان يقولوا لكم مثل قولكم لهم بغير علم اي بجهالة بالله تعالى وبما يجب ان يذكر
به وقرئ عدوا يقال عدا يعدو عدوا وعدوا وعداء وعدوانا روي انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
عند نزول قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك وقيل
كان المسلمون يسبونهم فنهوا عن ذلك لئلا يستتبع سبهم سبه سبحانه وتعالى وفيه ان الطاعة اذا ادت الى معصية
راجحة وجب تركها فان ما يؤدي الى الشر شر كذلك اي مثل ذلك التزيين القوي زينا لكل امة عملهم من الخير
والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا او تخذيلا ويجوز ان يراد بكل امة امم الكفرة اذ الكلام فيهم
وبعملهم شرهم وفسادهم والمشبه به تزيين سب الله لهم ثم الى ربهم مالك امرهم مرجعهم اي رجوعهم بالبعث
بعد الموت فينبئهم من غير تأخير بما كانوا يعملون في الدنيا على الاستمرار من السيئات المزينة لهم وهو وعيد
بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده سأخبرك بما فعلت وفيه نكتة سرية مبنية على حكمة ابية وهي ان كل
ما يظهر في هذه النشأة من الاعيان والاعراض فانما يظهر بصورة مستعارة مخالفة لصورته الحقيقية التي
يظهر في النشأة الآخرة فان المعاصي سموم قاتلة قد برزت في الدنيا بصورة تستحسنها نفوس العصاة
كما نطقت به هذه الآية وكذا الطاعات فانها مع كونها احسن الاحاسن قد ظهرت عندهم بصورة مكروهة ولذلك

قال عليه الصلوة والسلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فاعمال الكفرة قد برزت لهم في هذه النشاءة بصورة مزينة يستحسنها الغواة ويستحبها الطغاة وستظهر في النشاءة الاخرة بصورتها الحقيقية بالاخبار بها لما ان كلا منهما سبب للعلم بحقيقتها كما هي فليتدبر قوله تعالى واقسموا بالله روي ان قريشا اقترحوا بعض ايات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان فعلت بعض ما تقولون اتصدقونني فقالوا نعم واقسموا لئن فعلته لنؤمنن جميعا فسال المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعاء فنزلت وقوله تعالى جهد ايمانهم مصدر في موقع الحال اي اقسموا به تعالى جاهدين في ايمانهم لئن جاءتهم اية من مقترحاتهم او من جنس الايات وهو الانسب بحالهم في المكابرة والعناد وترامي امرهم في العتو والفساد حيث كانوا لا يعدون ما يشاهدونه من المعجزات القاهرة من جنس الايات ليؤمنن بها وما كان مرمى غرضهم في ذلك الا التحكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلب المعجزة وعدم الاعتداد بما شاهدوا منه من البينات الحقيقية بان تقطع بها الارض وتسير بها الجبال قل انما الايات اي كلها فيدخل فيها ما اقترحوه دخولا اوليا عند الله تعالى اي امرها في حكمه وقضايه خاصة يتصرف فيها حسب مشيئته المبنية على الحكم البالغة لا تتعلق بها ولا بشان من شؤنها قدرة احد ولا مشية لا استقلالا ولا اشتراكا بوجه من الوجوه حتى يمكنني ان اتصدى لاستنزالها بالاستدعاء وهذا كما ترى سد لباب الاقتراح على ابلغ وجه واحسنه ببيان علو شان الايات وصعوبة منالها وتعاليها من ان يكون عرضة للسؤال والاقتراح واما ما قيل من ان المعنى انما الايات عند الله تعالى لا عندي فكيف اجيبكم اليها او اتيكم بها او هو القادر عليها لا انا حتى اتيكم بها فلا مناسبة له بالمقام كيف لا وليس مقترحهم مجيئها بغير قدرة الله تعالى واراده حتى يجابوا بذلك وقوله تعالى وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون كلام مستانف غير داخل تحت الامر مسوق من جهته لبيان الحكمة الداعية الى ما اشعر به الجواب السابق من عدم مجيء الايات خوطب به المسلمون اما خاصة بطريق التلوين لما كانوا راغبين في نزولها طمعا في اسلامهم واما معه عليه الصلوة والسلام بطريق التعميم لما روي عنه عليه الصلوة والسلام من الهم بالدعاء وقد بين فيه ان ايمانهم فاجرة وايمانهم مما لا يدخل تحت الوجود وان اجيب الى ما سالوه وما استفهامية انكارية لكن لا على ان مرجع الانكار هو وقوع المشعر به بل هو نفس الاشعار مع تحقق المشعر به في نفسه اي واي شيء يعلمكم ان الاية التي تقترحونها اذا جاءت لا يؤمنون بل يبقون على ما كانوا عليه من الكفر والعناد اي لا تعلمون ذلك فتتمنون مجيئها طمعا في ايمانهم فكانه بسط عذر من جهة المسلمين في تمنيهم نزول الايات وقيل لا مزيدة فيتوجه الانكار الى الاشعار والمشعر به جميعا اي اي شيء يعلمكم ايمانهم عند مجيء الايات حتى تتمنوا مجيئها طمعا في ايمانهم فيكون تخطية لراي المسلمين وقيل ان بمعنى لعل يقال ادخل السوق انك تشتري اللحم وعنك وعلك ولعلك كلها بمعنى ويويده انه قري لعلها اذا جاءت لا يومنون على ان الكلام قد تم قبله والمفعول الثاني ليشعركم محذوف كما في قوله تعالى وما يدريك لعله يزكي والجملة استيناف لتعليل الانكار وتقريره اي اي شيء يعلمكم حالهم وما سيكون عند مجيء الايات لعلها اذا جاءت لا يؤمنون بها فما لكم تتمنون مجيئها فان تمنيه انما يليق بما اذا كان ايمانهم بها محققا لوجود عند مجيئها لا مرجو العدم وقري انها بالكسر على انه استيناف حسبما سبق مع زيادة تحقيق لعدم ايمانهم وقري لا تؤمنون بالفوقانية فالخطاب في وما يشعركم للمشركين وقري وما يشعرهم انها اذا جاءت لا يؤمنون فمرجع الانكار اقدام المشركين على الاقسام المذكور مع جهلهم بحال قلوبهم عند مجيء الايات وبكونها حينئذ كما هي الان ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف على لا يؤمنون داخل في حكم ما يشعركم مقيد بما قيد به اي وما يشعركم انا نقلب افئدتهم عن ادراك الحق فلا يفقهونه وابصارهم عن اجتلائه فلا يبصرونه لكن لا مع توجهها اليه واستعدادها لقبوله بل لكمال نبوها عنه واعراضها بالكلية ولذلك اخر ذكره عن ذكر عدم ايمانهم اشعارا باصالتهم في الكفر وحسما لتوهم ان عدم ايمانهم ناشي من تقليبه تعالى مشاعرهم بطريق الاجبار كما لم يؤمنوا به اي بما جاء من الايات اول مرة اي عند ورود الايات السابقة والكاف في

الحقيقة المنكرة الهايلة فعند ذلك يعرفون ان اعمالهم ما ذا لتغير عن اظهارها بصورها صح

محل النصب

محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف منصوب بلا يؤمنون وما مصدرية اي لا يؤمنون بل يكفرون كفرا كائنا ككفرهم اول مرة وتوسيط تقليب الافئدة والابصار بينهما لانه من متممات عدم ايمانهم ونذرهم عطف على لا يؤمنون داخل في حكم الاستفهام الانكاري مقيد بما قيد به مبين لما هو المراد بتقليب الافئدة والابصار ومعرب عن حقيقته بانه ليس على ظاهره بان يقلب الله سبحانه مشاعرهم عن الحق في توجههم اليه واستعدادهم له بطريق الاجبار بل بان يخليهم وشانهم بعد ما علم فساد استعدادهم وفرط نفورهم عن الحق وعدم تاثير اللطف فيهم اصلا ويطبع على قلوبهم حسبما يقتضيه استعدادهم كما اشرنا اليه وقوله تعالى في طغيانهم متعلق بنذرهم وقوله تعالى يعمهون حال من الضمير المنصوب في نذرهم اي ندعهم في طغيانهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين او مفعول ثان لنذرهم اي نصيرهم عامهين وقري يقلب ويذر بالياء على اسنادهما الى ضمير الجلالة وقري تقلب بالتاء والبناء للمفعول على اسناده الى افئدتهم ولو اننا نزلنا اليهم الملئكة تصريح بما اشعر به قوله عز وجل وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون من الحكمة الداعية الى ترك الاجابة الى ما اقترحوه من الايات اثر بيان انها في حكمه تعالى وقضائه المبني على الحكم البالغة لا مدخل لاحد في امرها بوجه من الوجوه وبيان لكذبهم في ايمانهم الفاجرة البالغة وجه واكده اي ولو اننا لم نقتصر على ايتاء ما اقترحوه ههنا من اية واحدة من الايات بل نزلنا اليهم الملائكة كما سالوه بقولهم لولا انزل علينا الملائكة وقولهم لوما تاتينا بالملائكة وكلمهم الموتى وشهدوا بحقيقة الايمان بعد ان احييناهم حسبما اقترحوه بقولهم فاتوا باباينا وحشرنا اي جمعنا عليهم كل شيء قبلا بضمتين وقري بسكون الباء اي كفلاء بصحة الامر وصدق النبي صلى الله عليه وسلم على انه جمع قبيل بمعنى الكفيل كرغيف ورغف وعضب وعصب وهو الانسب بقوله تعالى او تاتي بالله والملائكة قبيلا اي لو لم نقتصر على ما اقترحوه بل زدنا على ذلك بان احضرنا لديهم كل شيء يتاتى منه الكفالة والشهادة بما ذكر لا فرادي بل بطريق المعية او جماعات على انه جمع قبيل هو جمع قبيلة وهو الاوفق لعموم كل شيء وشموله للانواع والاصناف اي حشرنا كل شيء نوعا نوعا وصنفا صنفا وفوجا فوجا وانتصابه على الحالية وجمعه باعتبار الكل المجموعي اللازم الافرادي او مقابلا عيانا على انه مصدر كقبلا وقد قري كذلك وانتصابه على الوجهين على انه مصدر في موقع الحال وقد نقل عن المبرد وجماعة من اهل اللغة ان الاخير بمعنى الجهة كما في قولك لي قبل فلان حق وانتصابه على الظرفية ما كانوا ليؤمنوا بها اي ما صح وما استقام لهم الايمان لتماديهم في العصيان وغلوهم في التمرد والطغيان واما سبق القضاء عليهم بالكفر فمن الاحكام المترتبة على ذلك حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ونذرهم في طغيانهم يعمهون وقوله تعالى الا ان يشاء الله استثناء مفرغ من اعم الاحوال والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروع اي ما كانوا ليومنوا بعد اجتماع ما ذكر من الامور الموجبة للايمان في حال من الاحوال الداعية اليه المتممة لموجباته المذكورة الا في حال مشيئته تعالى لايمانهم او من اعم العلل اي ما كانوا ليومنوا لعلة من العلل المعدودة وغيرها الا لمشيئته تعالى واياما كان فليس المراد بالاستثناء بيان ان ايمانهم على خطر الوقوع بناء على كون مشيئته تعالى ايضا كذلك بل بيان استحالة وقوعه بناء على استحالة وقوعها كانه قيل ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله وهيهات ذلك وحالهم حالهم بدليل ما سبق من قوله ونقلب افئدتهم الاية كيف لا وقوله عز وجل ولكن اكثرهم يجهلون استدراك من مضمون الشرطية بعد ورود الاستثناء لا قبله ولا ريب في ان الذي يجهلونه سواء اريد بهم المسلمون وهو الظاهر او المقسمون ليس عدم ايمانهم بلا مشية الله تعالى كما هو اللازم من حمل النظم الكريم على المعنى الاول فانه ليس مما يعتقد الاولون لا مما يدعيه الاخرون بل انما هو عدم ايمانهم لعدم مشيئته ايمانهم ومرجعه الى جهلهم بعدم مشيئته اياه فالمعنى ان حالهم كما شرح ولكن اكثر المسلمين يجهلون عدم ايمانهم عند مجيء الايات لجهلهم عدم مشيئته تعالى لايمانهم فيتمنون مجيئها طمعا فيما لا يكون فالجملة مقررة لمضمون قوله تعالى وما يشعركم الى اخره على القراءة المشهورة او ولكن اكثر المشركين يجهلون عدم ايمانهم عند مجيء الايات لجهلهم عدم مشيئته تعالى لايمانهم حينئذ فيقسمون

بالله جهد ايمانهم على ما لا يكاد يكون فالجملة على القراءة السابقة بيان مبدأ لمنشأ خطاء المقسمين ومناط اقسامهم
وتقرير له وعلى قراءة لا تؤمنون بتاء الفوقانية وكذا على قراءة وما يشعرهم انها اذا جاءتهم لا يؤمنون **وكذلك جعلنا لكل
نبي عدوا** كلام مبتداء مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يشاهده من عداوة قريش له عليه
الصلوة والسلام وما بنوا عليها مما لا خير فيه من الاقاويل والافاعيل ببيان ان ذلك ليس مختصا بك بل هو امر ابتلي
به كل من سلف من الانبياء عليهم الصلوة والسلام ومحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر محذوف اشير اليه
بذلك منصوب بفعله المحذوف وما مصدرية والتقديم على الفعل المذكور للقصر المفيد للمبالغة اي مثل ذلك الجعل
الذي جعلناه في حقك حيث جعلنا لك عدوا يضادونك فلا يؤمنون ويبغونك الغوائل ويدبرون في ابطال
امرك مكايد جعلنا لكل نبي تقدمك عدوا فعلوا بهم ما فعل بك اعداك لا جعلا انقص منه وفيه دليل على ان
عداوة الكفرة للانبياء عليهم الصلوة والسلام بخلقه تعالى للابتلاء **شياطين الجن والانس** اي مردة الفريقين
على ان الاضافة بمعنى من البيانية **وقيل** هي اضافة الصفة الى الموصوف والاصل الانس والجن الشياطين وقيل
هي بمعنى اللام اي الشياطين التي للانس والتي للجن وهو بدل من عدوا والجعل متعد الى واحد او الى اثنين وهو اول
مفعولية قدم عليه الثاني مسارعة الى بيان العداوة واللام على التقديرين متعلقة بالجعل او بمحذوف هو حال
من عداوة وقوله تعالى **يوحي بعضهم الى بعض** كلام مستانف مسوق لبيان احكام عداوتهم وتحقيق وجه الشبه
بين المشبه والمشبه به او حال من الشياطين او نعت لعدوا وجمع الضمير باعتبار المعنى فانه عبارة عن الاعداء
كما في قوله ۞ اذا انا لم انفع صديقي بوده ۞ فان عدوي لم يضرهم بغضي ۞ والوحي عبارة عن الايماء والقول السريع
اي يلقي ويوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس او بعض كل من الفريقين الى بعض آخر **زخرف القول** اي
المموه منه المزين الباطل ظاهره وباطنه من زخرفه اذا زينه **غرورا** مفعولا له ليوحي اي ليغروهم او مصدر
في موقع الحال اي غارين او مصدر مؤكد لفعل مقدر هو حال من فاعل يوحي اي يغرون غرورا **ولو شاء ربك**
رجوع الى بيان الشئون الجارية بينه عليه الصلاة والسلام وبين قومه المفهومة من حكاية ما جرى بين
الانبياء عليهم الصلاة والسلام وبين اممهم كما ينبئ عنه الالتفات والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميره عليه الصلوة والسلام المعربة عن كمال اللطف في التسلية اي ولو شاء ربك عدم الامور المذكورة
لا ايمانهم **كما قيل** فان القاعدة المستمرة ان مفعول المشيئة انما يحذف عند وقوعها شرطا وكون مفعولها
مضمون الجزاء وهو قوله تعالى **ما فعلوه** اي ما فعلوا ما ذكر من عداوتك وايحاء بعضهم الى بعض منهم مزخرفات
الاقاويل الباطلة المتعلقة بامرك خاصة لا بما يعمه وامور الانبياء عليهم الصلوة والسلام ايضا كما قيل فان قوله
تعالى **فذرهم وما يفترون** صريح في ان المراد بهم الكفرة المعاصرون له صلى الله عليه وسلم اي اذا كان ما فعلوه من
احكام عداوتك من فنون المفاسد بمشيئته تعالى فاتركهم وافتراءهم او وما يفترونه من انواع المكايد فان لهم
في ذلك عقوبات شديدة ولك عواقب حميدة لابتناء مشيئته تعالى على الحكم البالغة البتة **ولتصغى اليه** اي
الى زخرف القول وهو على الوجه الاول علة اخرى للايحاء معطوفة على غرورا وما بينهما اعتراض وانما لم ينصب
لفقد شرطه اذ الغرور فعل الوحي وصغو الافئدة فعل الموحى اليه اي يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول ليغروهم
به ولتميل اليه **افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة** انما خص بالذكر عدم ايمانهم بالآخرة دون ما عداها من الامور التي يجب
الايمان بها وهم بها كافرون اشعارا بما هو المدار في صغو افئدتهم الى ما يلقى اليهم فان لذات الآخرة محفوفة في
هذه النشاءة بالمكاره والآلام ۞ مزينة بالشهوات فالذين لا يؤمنون بها وباحوال ما فيها لا يدرون ان وراء تلك
المكاره لذات ودون هذه الشهوات آلاما وانما ينظرون الى ما بدا لهم في الدنيا بادي الراي فهم مضطرون الى
حب الشهوات التي من جملتها مزخرفات الاقاويل ۞ وموهات الاباطيل ۞ واما المؤمنون بها فحيث كانوا واقفين
على حقيقة الحال ۞ ناظرين الى عواقب الامور ۞ لم يتصور منهم الميل الى تلك المزخرفات لعلمهم ببطلانها ووخامة

عاقبتها

عاقبتها واما على الوجهين الآخرين فهو علة لفعل محذوف يدل عليه المقام اي وليكون ذلك جعلنا ما جعلنا و
المعتبر له جعلوا اللام لام العاقبة او لام القسم او لام الامر وضعفه في غاية الظهور **وليرضوه** لانفسهم بعد ما مالت
اليه افئدتهم **وليقترفوا** اي يكتسبوا بموجب ارتضائهم له **ما هم مقترفون** له من القبائح التي لا يليق ذكرها **افغير الله ابتغي حكما**
كلام مستانف وارد على ارادة القول والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه الكلام اي قل لهم اميل الى زخارف
الشياطين فابتغي حكما غير الله يحكم بيننا ويفصل المحق منا من المبطل **وقيل** ان مشركي قريش قالوا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اجعل بيننا وبينك حكما من احبار اليهود او من اساقفة النصارى ليخبرنا عنك بما في كتابهم من امرك فنزلت
واسناد الابتغاء المنكر الى نفسه عليه الصلوة والسلام لا الى المشركين كما في قوله تعالى افغير دين الله يبغون مع انهم
الباغون لاظهار كمال النصفة او لمراعاة قولهم اجعل بيننا وبينك حكما وغير اما مفعول ابتغي وحكما حال منه واما بالعكس
وايا ما كان فتقديمه على الفعل الذي هو المعطوف بالفاء حقيقة كما اشير اليه للايذان بان مدار الانكار هو ابتغاء غيره تعالى
حكما لا مطلق الابتغاء **وقيل** حكما تمييز لما في غير من الابهام كقولهم ان لنا غيرها ابلا قالوا الحكم ابلغ من الحاكم وادل على الرسوخ
لما انه لا يطلق الا على العادل وعلى من تكرر منه الحكم بخلاف الحاكم وقوله تعالى **وهو الذي انزل اليكم الكتاب** جملة حالية مؤكدة للانكار
ابتغاء غيره تعالى حكما ونسبة الانزال اليهم خاصة مع ان مقتضى المقام اظهار تساوي نسبته الى المتحاكمين لاستمالتهم نحو المنزل
واستنزالهم الى قبول حكمه بايهام قوة نسبته اليهم اي غيره تعالى ابتغي حكما والحال انه هو الذي انزل اليكم وانتم امة امية لا
تدرون ما تاتون وما تذرون القرآن الناطق بالحق والصواب الحقيق بان يخص باسم الكتاب **مفصلا** اي مبينا فيه الحق والباطل
والحلال والحرام وغير ذلك من الاحكام بحيث لم يبق في امر الدين شيء من التخليط والابهام فاي حاجة بعد ذلك الى الحكم
وهذا كما ترى صريح في ان القرآن الكريم كاف في امر الدين مغن عن غيره ببيانه وتفصيله واما ان يكون لاعجازه دخل في ذلك
كما قيل وقوله تعالى **والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق** كلام مستانف غير داخل تحت القول المقدر مسوق من
جهته تعالى لتحقيق حقية الكتاب الذي نيط به امر الحكمية وتقرير كونه منزلا من عنده عز وجل ببيان ان الذين وثقوا بهم
ورضوا بحكمهم حسبما نقل آنفا من علماء اليهود والنصارى عالمون بحقيته ونزوله من عنده تعالى وفي التعبير عن التورية والانجيل
باسم الكتاب ايماء الى ما بينهما وبين القرآن من المجانسة المقتضية للاشتراك في الحقية والنزول من عنده تعالى مع ما فيه
من الايجاز وايراد الطائفتين بعنوان ايتاء الكتاب للايذان بانهم علموه من جهة كتابهم حيث وجدوه حسبما نعت فيه
وعاينوه موافقا له في الاصول وما لا يختلف من الفروع ومخبرا عن امور لا طريق الى معرفتها سوى الوحي والمراد بالموصول
اما علماء الفريقين وهو الظاهر فالايتاء هو التفهيم بالفعل واما الكل وهم داخلون فيه دخولا اوليا فهو اعم مما ذكر
ومن التفهيم بالقوة ولا ريب في ان الكل متمكنون من ذلك **قيل المراد** مؤمنوا اهل الكتاب **وقرئ** منزل من
الانزال والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلوة والسلام للتشريف والباء في قوله تعالى **بالحق**
متعلق بمحذوف وقع حالا من الضمير المستكن في منزل اي ملتبسا بالحق **فلا تكونن من الممترين** اي في انهم يعلمون ذلك لما
لا تشاهد منهم آثار العلم واحكام المعرفة فالفاء لترتيب النهي على الاخبار بعلم اهل الكتاب بشأن القرآن وفي انه منزل
من ربك بالحق فيكون من باب التهييج والالهاب كقوله ولا تكونن من المشركين **وقيل** الخطاب في الحقيقة للامة
وان كان له عليه الصلاة والسلام صورة **وقيل** الخطاب لكل احد على معنى ان الادلة قد تعاضدت وتظاهرت فلا ينبغي
لاحد ان يمتري فيه والفاء على هذا الوجه لترتيب النهي على نفس علمهم بحال القرآن **وتمت كلمات ربك** شروع في بيان
كمال المذكور من حيث ذاته اثر بيان كماله من حيث اضافته اليه تعالى بكونه منزلا منه بالحق وتحقيق ذلك بعلم اهل الكتاب
به وانما عبر عنه بالكلمة لانها الاصل في الاتصاف بالصدق والعدل وبها يظهر الآثار من الحكم **وقرئ** كلمات ربك **صدقا
وعدلا** مصدران نصبا على الحال **وقيل** على التمييز **وقيل** على العلة وقوله تعالى **لا مبدل لكلماته** اما استيناف
مبين لفضلها على غيرها اثر بيان فضلها في نفسها واما حال اخرى من فاعل تمت على ان الظاهر مغن عن الضمير الرابط
والمعنى انها بلغت الغاية القاصية صدقا في الاخبار والمواعيد وعدلا في الاقضية والاحكام لا احد يبدل شيئا من

ذلك بما هو اصدق واعدل ولا بما هو مثله فكيف يتصور ابتغاء حكم غيره تعالى وهو السميع لكل ما يتعلق به السمع العليم بكل ما يمكن ان يعلم فيدخل في ذلك اقوال المتحاكمين واحوالهم الظاهرة والباطنة دخولا اوليا هذا وقد قيل المعنى لا احد يقدر على ان يحرفها كما فعل بالتورية فيكون ضمانا لها من الله عز وجل بالحفظ كقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون او لا نبي ولا كتاب بعدها فينسخها وان تطع اكثر من في الارض لما تحقق اختصاصه تعالى بالحكمية لاستقلاله بما يوجبها من نزول الكتاب الكامل الفاصل بين الحق والباطل وتمام صدق كلامه وكمال عدالة احكامه وامتناع وجود من يبدل شيئا منها واستبداده تعالى بالاحاطة التامة بجميع المسموعات والمعلومات عقب ذلك ببيان ان الكفرة متصفون بنقائض تلك الكمالات من النقائص التي هي الضلال والاضلال واتباع الظنون الفاسدة الناشئة من الجهل والكذب على الله سبحانه ابانة لكمال مباينة حالهم لما يرومونه وتحذيرا عن الركون اليهم والعمل بارائهم والمراد بمن في الارض الناس واكثرهم الكفار وقيل اهل مكة والارض ارضها اي ان تطعهم بان جعلت منهم حكما يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل اليه او عن الشريعة التي شرعها لعباده ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان اباهم كانوا على الحق فهم على اثارهم يهتدون او جهالاتهم وارائهم الباطلة على ان المراد بالظن ما يقابل العلم والجملة استيناف مبني على سوال نشاء من شرطية كانه قيل كيف يضلون وقيل لا يتبعون في امور دينهم الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا فيضلوا اضلالا لاميما ولا ريب في ان الضال المتصدي للارشاد انما يرشد غيره الى مسلك نفسه فهم ضالون مضلون وقوله تعالى وان هم الا يخرصون عطف على ما قبله داخل في حكمه اي يكذبون على الله سبحانه فيما ينسبون اليه تعالى كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان ذريعة اليه تعالى وتحليل الميتة وتحريم البحائر ونظائرها او يقدرون انهم على شيء واني لهم ذلك ودونه مناط العيوق وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين تقرير لمضمون الشرطية وما بعدها وتاكيد لما يفيده من التحذير اي هو اعلم بالفريقين فاحذر ان تكون من الاولين ومن موصولة او موصوفة في محل النصب لا بنفس اعلم فان افعل التفضيل لا ينصب الظاهر في مثل هذه الصور بل بفعل دل عليه هو او استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ يضل بضم الياء على ان من فاعل يضل ومفعوله محذوف ومحلها النصب بما ذكر من الفعل المقدر اي هو اعلم يعلم من يضل الناس فيكون تاكيدا للتحذير عن طاعة الكفرة واما ان الفاعل هو الله تعالى ومن منصوبة بما ذكر اي يعلم من يضله او مجرورة باضافة اعلم اليها اي اعلم المضلين من قوله تعالى ومن يضلل الله او من قولك اضللته اذا وجدته ضالا فلا يساعده السباق والسياق والتفضيل في العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مترتب على النهي عن اتباع المضلين الذين من جملة اضلالهم تحريم الحلال وتحليل الحرام وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تعبدون الله فما قتله الله احق ان تاكلوه مما قتلتم انتم فقيل للمسلمين كلوا مما ذكر اسم الله تعالى خاصة على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره فقط او مع اسمه تعالى او مات حتف انفه ان كنتم باياته التي من جملتها الايات الواردة في هذا الشان مؤمنين فان الايمان بها يقتضي استباحة ما احله الله والاجتناب عما حرمه وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه انكار لان يكون لهم شيء يدعوهم الى الاجتناب عن اكل ما ذكر عليه اسم الله تعالى من البحائر والسوائب ونحوها وقوله تعالى وقد فصل لكم الى اخره جملة حالية موكدة للانكار كما في قوله تعالى وما لنا ان لا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي واي سبب حاصل لكم في ان لا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه اي واي غرض يحملكم على ان لا تاكلوا ويمنعكم من اكله والحال انه قد فصل لكم ما حرم عليكم بقوله تعالى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الى اخره فبقي ما عدا ذلك على الحل بقوله تعالى حرمت عليكم الميتة لانها مدنية واما التاخر في التلاوة فلا يوجب التاخر في النزول وقرئ الفعلان على البناء وقرئ الاول على البناء للفاعل والثاني للمفعول الا ما اضطررتم اليه مما حرم فانه ايضا حلال حينئذ وان كثيرا اي من الكفار ليضلون الناس بتحريم الحلال وتحليل الحرام كعمرو بن لحي واضرابه وقرئ يضلون باهوائهم الزائغة وشهواتهم الباطلة بغير علم مقتبس من

الشريعة الشريفة مستندا الى الوحي ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين لحدود الحق الى الباطل والحلال الى الحرام وذروا ظاهر الاثم وباطنه اي ما يعلن من الذنوب وما يسر او ما يعمل منها بالجوارح وما يعمل بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت او اتخاذ الاخدان ان الذين يكسبون الاثم اي يكسبونه من الظاهر والباطن سيجزون بما كانوا يقترفون كائنا ما كان فلا بد من اجتنابهما والجملة تعليل للامر ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم متروك التسمية عمدا كان او نسيانا واليه ذهب داود وعن احمد بن حنبل مثله وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله عليه الصلاة والسلام ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه وفرق ابو حنيفة رحمه الله بين العمد والنسيان واوله بالميتة او بما ذكر عليه اسم غيره تعالى لقوله تعالى وانه لفسق فان الفسق ما اهل به لغير الله والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل المدلول عليه بلا تاكلوا والجملة مستانفة وقيل حالية وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم المراد بالشياطين ابليس وجنوده فايحاؤهم وسوستهم الى المشركين وقيل مردة المجوس فايحاؤهم الى اوليائهم ما انهوا الى قريش بالكتاب ان محمدا واصحابه يزعمون ان ما يقتلونه حلال وما يقتله الله حرام ليجادلوكم بالوساوس الشيطانية او بما نقل من اباطيل المجوس وهو يؤيد التاويل بالميتة وان اطعتموهم في استحلال الحرام وساعدتموهم على اباطيلهم انكم لمشركون ضرورة ان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد اشرك به تعالى بل اثر عليه سبحانه او من كان ميتا وقرئ ميتا على الاصل فاحييناه تمثيل مسوق لتنفير المسلمين عن طاعة المشركين اثر تحذيرهم عنها بالاشارة الى انهم مستضيئون بانوار الوحي الالهي والمشركين خائضون في ظلمات الكفر والطغيان فكيف يعقل اطاعتهم بهم والهمزة للانكار والنفي والواو لعطف الجملة الاسمية على مثلها الذي يدل عليه الكلام اي انتم مثلهم ومن كان ميتا فاعطيناه الحيوة وما يتبعها من القوى المدركة والمحركة وجعلنا له مع ذلك من الخارج نورا عظيما يمشي به اي بسببه والجملة استيناف مبني على سوال نشاء من الكلام كانه قيل فماذا يصنع بذلك النور فقيل يمشي به في الناس اي فيما بينهم امنا من جهتهم او صفة له كمن مثله اي صفته العجيبة وهو مبتدا وقوله تعالى في الظلمات خبره على ان المراد بهما اللفظ لا المعنى كما في قولك زيد صفته اسم وهذه الجملة صلة لمن وهي مجرورة بالكاف وهي مع مجرورها خبر لمن الاولى وقوله تعالى ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف وقيل من الموصول اي خارج منها بحال وهذا كما ترى مثل اريد به من بقي في الضلالة بحيث لا يفارقها اصلا كما ان الاول مثل اريد به من خلقه الله تعالى على فطرة الاسلام وهداه بالايات البينة الى طريق الحق يسلكه كيف يشاء لكن لا على ان يدل على كل واحد من هذه المعاني بما يليق به من الالفاظ الواردة في المثلين بواسطة تشبيهه بما يناسبه من معانيها فان الفاظ المثل باقية في معانيها الاصلية بل على انه قد انتزعت من الامور المتعددة المعتبرة في كل واحد من جانبي المثلين هيئات على حدة ومن الامور المتعددة المذكورة في كل واحد من جانبي المثلين هيئات على حدة فشبهت بهما الاوليان ونزلتا منزلتهما فاستعمل فيهما ما يدل على الاخريين بضرب من التجوز وقد اشير في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم الاية الى ان التمثيل قسم براسه لا سبيل الى جعله من باب الاستعارة حقيقة وان الاستعارة التمثيلية من عبارات المتاخرين نعم قد يجري ذلك على سنن الاستعارة بان لا يذكر المشبه كهذين التمثيلين ونظائرهما وقد يجري على منهاج التشبيه كما في قوله • وما الناس الا كالديار واهلها • بها يوم حلوها وغدوا بلاقع كذلك اي مثل ذلك التزيين البليغ زين اي من جهة الله عز وجل بطريق الخلق عند ايحاء الشياطين او من جهة الشياطين بطريق الزخرفة والتسويل للكافرين التابعين للوساوس الشيطانية الاخذين بالمزخرفات التي يوحونها اليهم ما كانوا يعملون ما استمروا على عمله من فنون الكفر والمعاصي التي من جملتها ما حكي عنهم من القبائح فانها لو لم تكن مزينة لهم لما اصروا عليها ولما جادلوا بها الحق وقيل الاية نزلت في حمزة رضي الله عنه وابي جهل وقيل في عمر او عثمان رضي الله عنهما وابي جهل وكذلك قيل معناه كما جعلنا في كل قرية في مكة اكابر مجرميها على تقديم المفعول الثاني والظرف لغوا وهما الظرف واكابر على ان مجرميها بدل او مضاف اليه فان افعل التفضيل اذا اضيف

انهم يتبعون ما امر الله ثم يزعمون صح
صح

جاز الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكبر مجرميها وقيل اكابر مجرميها مفعوله الاول والثاني ليمكروا فيها
ولا يخفى ان اي معنى يراد من هذه المعاني لابد ان يكون مشهورا التحقق عند الناس معهودا فيما بينهم حتى يصلح ان يصرف
الاشارة عن سياق النظم الكريم وتوجه اليه ويجعل مقياسا لنظاير باخراجه مخرج المصدر التشبيهي وظاهر ان
الامر ليس كذلك ولا سبيل الى توجيهها الى ما يفهم من قوله تعالى كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وان كان المراد
بهم اكابر مكة لان مآل المعنى حينئذ بعد اللتيا والتي كما جعلنا اعمال اهل مكة مزينة لهم جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها
الى اخره فاذا الاقرب ان ذلك اشارة الى الكفرة المعهودين باعتبار اتصافهم والافراد بتاويل الفريق والمذكور
محل الكاف النصب على انه المفعول الثاني لجعلنا قدم عليه لافادة التخصيص كما في قوله تعالى كذلك كنتم من قبل
الاية والاول اكابر مجرميها والظرف لغوا اي مثل اوليك الكفرة الذين هم صناديد مكة ومجرموها جعلنا في كل
قرية اكابرها المجرمين اي جعلنا هم متصفين بصفات المذكورين مزينا لهم اعمالهم مصرين على الباطل مجادلين
به الحق ليمكروا فيها اي ليفعلوا المكر فيها وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى وما يمكرون الا بانفسهم
اعتراض على سبيل الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والوعيد للكفرة اي وما يحيق غايلة مكرهم الا بهم وما
يشعرون حال من ضمير يمكرون مع اعتبار ورود الاستثناء على النفي اي وانما يمكرون بانفسهم والحال انهم ما
يشعرون بذلك اصلا بل يزعمون انهم يمكرون بغيرهم وقوله تعالى واذا جاءتهم اية رجوع الى بيان حال مجرمي
اهل مكة بعد ما بين بطريق التسلية ان حال غيرهم ايضا كذلك وان عاقبة مكر الكل ما ذكر فان العظيمة المنقولة
انما صدرت عنهم لا عن سائر المجرمين اي اذا جاءتهم اية بواسطة الرسول صلى الله عليه وسلم قالوا لن نؤمن حتى نؤتى
مثل ما اوتي رسل الله قال ابن عباس رضي الله عنهما حتى يوحى الينا ويأتينا جبرائيل عليه السلام فيخبرنا ان محمدا
صادق كما قالوا او تأتي بالله والملائكة قبيلا وعن الحسن البصري مثله وهذا كما ترى صريح في ان ما علق بايتاء ما
اوتي الرسل عليهم الصلوة والسلام هو ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما انزل اليه ايمانا حقيقيا كما هو المتبادر
منه عند الاطلاق خلا انه يستدعي ان يحمل ما اوتي رسل الله على مطلق الوحي ومخاطبة جبرائيل عليه السلام في الجملة
وان يصرف الرسالة في قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته عن ظاهرها وتحمل على رسالة جبرائيل عليه السلام بالوحي
المذكور ويراد بجعلها تبليغها الى المرسل اليه لا وضعها في موضعها الذي هو الرسول ليأتي كونه جوابا عن اقتراحهم
وردا لهم بان يكون معنى الاقتراح لن نؤمن بكون تلك الاية نازلة من عند الله تعالى الى الرسول حتى يأتينا جبرائيل بالذات
عيانا كما يأتي الرسل فيخبرنا بذلك ومعنى الرد الله اعلم من يليق بارسال جبرائيل عليه السلام اليه لامر من الامور
لهم يريانهم بمعزل من استحقاق ذلك التشريف وفيه من التمحل ما لا يخفى وقال مقاتل نزلت في ابي جهل
حين قال زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به
ولا نتبعه ابدا حتى يأتينا وحي كما يأتيه وقال الضحاك سال كل واحد من القوم ان يخص بالرسالة والوحي كما اخبر
الله تعالى عنهم في قوله بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة ولا يخفى ان كل واحد من القوم انما يخص بالرسالة
والوحي كما اخبر الله تعالى عنهم في قوله بل يريد كل امرئ من هذين القولين وان كان مناسبا للرد المذكور لكنه
يقتضي ان يراد بالايمان المعلق بايتاء ما اوتي الرسل مجرد تصديقهم برسالته صلى الله عليه وسلم في الجملة
من غير شمول لكافة الناس وان كان يكون كلمة حتى في قول اللعين حتى يأتينا وحي كما يأتيه الى اخره غاية لعدم
الرضا لا لعدم الاتباع فانه مقرر على تقديري ايتاء الوحي وعدمه فالمعنى لن نؤمن برسالته اصلا حتى نؤتى نحن
من الوحي والنبوة مثل ما اوتيه رسل الله او ايتاء مثل ايتاء رسل الله واما ما قيل من ان الوليد بن المغيرة قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا
وولدا فنزلت فلا تعلق له بكلامهم المردود الا ان يراد بالايمان المعلق بما ذكر مجرد الايمان بكون الاية النازلة
وحيا صادقا لا الايمان بكونها نازلة اليه عليه السلام فيكون المعنى واذا جاءتهم اية نازلة الى الرسول قالوا لن

نؤمن يؤتوها

نؤمن بنزولها من عند الله حتى يكون نزولها الينا لا اليه لانا نحن المستحقون دونه فان ملخص معنى قوله لو كانت
النبوة حقا الى اخره لو كان ما تزعمه من النبوة حقا لكنت انا النبي لا انت واذا لم يكن الامر كذلك فليست بحق وماله
تعليق الايمان بحقية النبوة بكون نفسه نبيا ومثل ما اولى نصب على انه نعت لمصدر محذوف وما مصدرية
اي حتى نؤتاها ايتاء مثل ايتاء رسل الله واضافة الايتاء اليهم لانهم منكرون لايتائه عليه الصلوة والسلام
وحيث نصب على المفعولية توسعا لا انيفس اعلم لما عرفت من انه لا يعمل في الظاهر بل بفعل هو دل عليه
اي هو اعلم يعلم الموضع الذي يضعها فيه والمعنى ان منصب الرسالة ليس مما ينال بكثرة المال والولد وتعاضد
الاسباب والعدد وانما تنال بفضايل نفسانية يخصها الله تعالى من يشاء من خلص عباده وقرئ رسالته
سيصيب الذين اجرموا استينافا خرناع عليهم ما سيلقونه من فنون الشر بعد ما نعى عليهم حرمانهم مما املوه
والسين للتاكيد ووضع الموصول موضع الضمير للاشعار بان اصابة ما يصيبهم لاجرامهم المستتبع لجميع الشرور
والقبايح اي يصيبهم البتة مكان ما تمنوه وعلقوا به اطماعهم الفارغة من عزة النبوة وشرف الرسالة
صغار اي ذلة وحقارة بعد كبرهم عند الله يوم القيمة وقيل من عند الله وعذاب شديد في الاخرة
او في الدنيا بما كانوا يمكرون اي بسبب مكرهم المستمر او بمقابلته وحيث كان هذا من معظم مواد اجرامهم
صرح بسببيته فمن يرد الله ان يهديه اي يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان يشرح صدره للاسلام فيتسع له ويفسح
وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهياة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه اشار صلى الله عليه
وسلم حين سئل فقال نور يقذفه الله تعالى في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك من امارات
يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والاعراض عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله ومن يرد
ان يضله اي يخلق فيه الضلال لصرف اختياره اليه يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق
فلا يكاد يدخله الايمان وقرئ ضيقا بالتخفيف وحرجا بكسر الراء اي شديد الضيق والاول مصدر وصف
به مبالغة كانما يصعد ما هذه مهياة لدخوله كان على الجملة الفعلية في السماء مثبتة للمبالغة في ضيق
صدره بمن يزاول ما لا يكاد يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما هو خارج عن دائرة الاستطاعة وفيه
تنبيه على ان الايمان يمتنع منه كما يمتنع منه الصعود وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق
وتباعدا في الهرب منه واصل يصعد يتصعد وقد قرئ به وقرئ يصاعد واصله يتصاعد كذلك
اي مثل ذلك الجعل الذي هو جعل الصدر حرجا على الوجه المذكور يجعل الله الرجس اي العذاب والخذلان
قال مجاهد الرجس ما لا خير فيه وقال الزجاج الرجس اللعنة في الدنيا والعذاب في الاخرة على
الذين لا يؤمنون اي عليهم ووضع الموصول موضع المضمر للاشعار بان جعله تعالى معلل بما في حيز الصلة
من كمال نبوهم عن الايمان واصرارهم على الكفر وهذا اي البيان الذي جاء به القران او الاسلام او ما سبق من التوفيق
والخذلان صراط ربك اي طريقه الذي ارتضاه او عادته وطريقته والذي اقتضته حكمته وفي التعرض
لعنوان الربوبية ايذان بان تقويم ذلك الصراط للتربية واضافة الكمال مستقيما لا عوج فيه او عادلا
مضطردا وهو حال موكدة كقوله تعالى وهو الحق مصدقا والعامل فيه معنى الاشارة قد فصلنا الايات
بيناها مفصلة لقوم يذكرون يتذكرون ما في تضاعيفها فيعلمون ان كل ما يحدث من الحوادث خيرا كان
او شرا فانما يحدث بقضاء الله تعالى وخلقه وانه عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم وتخصيص القوم
المذكورين بالذكر لانهم المنتفعون بتفصيل الايات لهم دار السلام اي للمتذكرين دار السلامة من كل المكاره
وهي الجنة عند ربهم اي في ضمانه او ذخيرة له عنده لا يعلم كنهها غيره تعالى وهو وليهم اي مولاهم
وناصرهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم الصالحة او متوليهم بجزائها يتولى ايصاله اليهم ويوم نحشرهم
جميعا منصوب بمضمر اما على المفعولية او الظرفية وقرئ بنون العظمة على الالتفات لتهويل الامر

والضمير المنصوب لمن يحشر من الثقلين اي واذكر يوم نحشر الثقلين قايلا يا معشر الجن اويوم نحشرهم ونقول يا معشر
الجن يكون من الاحوال والاهوال ما لا يساعد الوصف لفظاعته والمعشر الجماعة والمراد بمعشر الجن الشياطين
قد استكثرتم من الانس اي من اغوايهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر الامير
من الجنود وهذا بطريق التوبيخ والتقريع وقال اولياؤهم اي الذين اطاعوهم ومن في قوله تعالى من الانس اما لبيان
الجنس اي اولياء وهم الذين هم من الانس او متعلقة بمحذوف هو حال من اولياؤهم اي كائنين من الانس ربنا
استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها وقيل بان القوا اليهم من
الاراجيف والسحر والكهانة والجن والانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم بقبول ما القوا اليهم وقيل
استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز والمخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم قادرون
على اجارتهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا وهو يوم القيمة قالوه اعترافا بما فعلوا من طاعة الشياطين واتباع الهوى
وتكذيب البعث واظهارا للندامة عليها وتحسرا على حالهم واستسلاما لربهم ولعل الاقتصار على حكاية كلام الضالين
للايذان بان المضلين قد افحموا بالمرة فلم يقدروا على التكلم اصلا قال استيناف مبني على سؤال نشأ من حكاية
كلامهم كانه قيل فماذا قال الله حينئذ فقيل قال النار مثويكم اي منزلكم اي ذات ثواكم كما ان دار السلام مثوى المؤمنين
خالدين فيها حال والعامل مثواكم اي جعل مصدرا ومعنى الاضافة انه جعل مكانا الا ما شاء الله قال ابن عباس رضي
الله عنهما استثنى الله تعالى قوما قد سبق في علمه انهم يسلمون ويصدقون النبي عليه الصلوة والسلام وهذا مبني
على ان الاستثناء ليس من المحكي وما بمعنى من وقيل الا الاوقات ينقلون فيها من النار الى الزمهرير فقد
روي انهم يدخلون فيه من الزمهرير فيتمايز بعض اوصالهم من بعض فيتعاوون ويطلبون الرد الى الجحيم وقيل
يفتح لهم وهم في النار باب الى الجنة فيسرعون نحوه حتى اذا صاروا اليه سد عليهم الباب وعلى التقديرين في الاستثناء تهكم
بهم وقيل الا ما شاء الله قبل الدخول كانه قيل النار مثواكم ابدا الا امهالكم ولا يخفى بعده ان ربك حكيم في افاعيله
عليم باحوال الثقلين واعمالهم وبما يليق بها من الجزاء وكذلك اي مثل ما سبق من تمكين الجن من اغواء الانس و
اضلالهم نولي بعض الظالمين من الانس بعضا آخر منهم اي نجعلهم بحيث يتولونهم بالاغواء والاضلال او نجعل بعضهم
قرناء بعض في العذاب كما كانوا كذلك في الدنيا عند اقتراف ما يؤدي اليه من القبايح بما كانوا يكسبون بسبب ما كانوا
مستمرين على كسبه من الكفر والمعاصي يا معشر الجن والانس شروع في حكاية ما سيكون من توبيخ المعشرين
وتقريعهم بتفريطهم فيما يتعلق بخاصة انفسهم اثر حكاية توبيخ معشر الجن باغواء الانس والاضلالهم وبيان مال
امرهم الم ياتكم اي في الدنيا رسل اي من عند الله عز وجل لكن لا على ان ياتي كل رسول كل واحد من الامم بل على ان ياتي
كل امة رسول خاص بها اي الم ياتي كل فريق منكم رسول معين وقوله تعالى منكم متعلق بمحذوف وقع صفة لرسل اي
كائنة من جملتكم لكن لا على انهم من جنس الفريقين معا بل من الانس خاصة وانما جعلوا منهما اما لتاكيد وجوب اتباعهم والايذان
بتقاربهما ذاتا واتحادهما تكليفا وخطابا كانهما جنس واحد ولذلك يمكن احدهما من اضلال الاخر واما لان المراد
بالرسل ما يعم رسل الرسل وقد ثبت ان الجن قد استمعوا القرآن وانذروا به قومهم حيث نطق به قوله تعالى واذ صرفنا
اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الى قوله تعالى ولوا الى قومهم منذرين وقوله تعالى يقصون عليكم اياتي صفة اخرى
لرسل محققة لما هو المراد من ارسال الرسل من التبليغ والانذار وقد حصل ذلك بالنسبة الى الثقلين وينذرونكم بما
في تضاعيفها من القوارع لقاء يومكم هذا يوم الحشر الذي قد عاينوا فيه ما اعد لهم من افانين العقوبات الهائلة
قالوا استيناف مبني على سوال نشأ من الكلام السابق كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك التوبيخ الشديد فقيل قالوا
شهدنا على انفسنا اي باتيان الرسل وانذارهم وبمقابلتهم اياهم بالكفر والتكذيب وباستحقاقهم بسبب ذلك
العذاب المخلد حسبما فصل في حكاية جوابهم عن سوال الخزنة النار حيث قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل
الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير وقد اجمل ههنا في الحكاية كما اجمل في حكاية جوابهم حيث قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب

على الكافرين وقوله تعالى وغرتهم الحيوة الدنيا مع ما عطف عليه اعتراض لبيان ما اداهم في الدنيا الى ارتكابهم للقبايح التي
ارتكبوها والجاءهم الى الاعتراف في الآخرة بالكفر واستيجاب العذاب وذم لهم بذلك اي واغتروا في الحيوة الدنيا الدنية واللذات
الخسيسة الفانية واعرضوا عن النعيم المقيم الذي بشرت به الرسل واجترؤا على ارتكاب ما يجرهم الى العذاب المؤبد الذي
انذروهم اياه وشهدوا في الآخرة على انفسهم انهم كانوا في الدنيا كافرين اي بالايات والنذر التي اتى بها الرسل على
التفصيل المذكور آنفا واضطروا الى الاستسلام لاشد العذاب كما ينبي عنه ما حكي عنهم بقوله تعالى وقالوا لو كنا نعقل او
نسمع ما كنا في اصحاب السعير وفيه من تحسيرهم وتحذير السامعين عن مثل صنيعهم ما لا مزيد عليه ذلك اشارة
الى ما ذكر من شهادتهم على انفسهم بالكفر واستيجاب العذاب والخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام بطريق التلوين
وهو مبتداء خبره قوله تعالى ان لم يكن ربك مهلك القرى بحذف اللام على ان ان مصدرية او مخففة من ان وضمير الشان
الذي هو اسمها محذوف وقوله تعالى بظلم متعلق اما بمهلك اي بسبب ظلم او بمحذوف وقع حالا من القرى
اي ملتبسة بظلم فان ملابسة اهلها للظلم ملابسة للقرية بواسطتهم واما كونه حالا من ربك او من ضميره في مهلك
كما قيل فياباه ان غفلة اهلها ماخوذة في معنى الظلم وحقيقته لا محالة فلا يحسن تقييده بقوله تعالى واهلها غافلون
والمعنى ذلك ثابت لانتفاء كون ربك او لان الشان لم يكن ربك مهلك القرى بسبب اي ظلم فعلوه من افراد الظلم
قبل ان ينهوا عنه وينبهوا على بطلانه برسول وكتاب وان قضى به بديهة العقول وينذروا عاقبة جناياتهم اي لاجل
انتفاء كونه تعالى معذبا لهم قبل ارسال الرسل وانزال الكتب لما امكن التوبيخ بما ذكر ولما شهدوا على انفسهم بالكفر
واستيجاب العذاب ولاعتذروا بعدم اتيان الرسل كما في قوله تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا
لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى وانما علل بما ذكر بانتفاء مطلق التعذيب من غير بعث
الرسل اتم على ما نطق به قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا لبيان كمال نزاهته سبحانه وتعالى عن كلا التعذيبين
الدنيوي والاخروي معا من غير انذار على ابلغ وجه واكرم حيث اقتصر على نفي التعذيب الدنيوي عنه تعالى ليثبت
نفي التعذيب الاخروي عنه تعالى على الوجه البرهاني بطريق الاولوية فانه تعالى حيث لم يعذبهم بعذاب يسير منقطع
بدون انذار فلان لا يعذبهم بعذاب شديد مخلد اولى واجلى ولو علل بما ذكر من نفي التعذيب لانصرف بحسب المقام
الى ما فيه الكلام من نفي التعذيب الاخروي ونفي التعذيب الدنيوي غير متعرض له لا صريحا ولا دلالة ضرورة ان
نفي الاعلى لا يدل على نفي الادنى ولان ترتيب التعذيب الدنيوي على الانذار عند عدم تاثر المنذرين منه معلوم
مشاهد عند السامعين فيستدلون بذلك على ان التعذيب الاخروي ايضا كذلك فينزجرون عن الاخلال بمواجب
الانذار اشد انزجار هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم واما جعل ذلك اشارة الى ارسال الرسل عليهم
الصلوة والسلام وانذارهم وخبرا لمبتداء محذوف كما اطبق عليه الجمهور فبمعزل من مقتضى المقام والله سبحانه اعلم
ولكل اي من المكلفين من الثقلين درجات متفاوتة وطبقات متباينة مما عملوا من اعمالهم صالحة كانت او سيئة
فان اعمالهم درجات في انفسها او من جزاء اعمالهم فان كل جزاء مرتبة معينة لهم او من اجل اعمالهم وما ربك بغافل
عما يعملون فيخفى عليه عمل من اعمالهم او قدر ما يستحقون بها من ثواب وعقاب وقرئ بالتاء تغليبا للمخاطب
على الغيبة وربك الغني مبتداء وخبر اي هو المعروف بالغنى عن كل ما سواه كائنا من كان وما كان فيدخل فيه غناه
عن العباد وعن عبادتهم وفي التعرض لوصف الربوبية في الموصفين لا سيما في الثاني لكونه موقع الاضمار
الى ضميره عليه الصلاة والسلام من اظهار اللطف به عليه الصلاة والسلام وتنزيه ساحته عن توهم
شمول الوعيد الاتي لها ايضا ما لا يخفى وقوله تعالى ذو الرحمة خبر آخر او هو الخبر والغني صفة اي يترحم
عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على ان ما سلف ذكره من الارسال ليس لنفعه بل
لترحم على العباد وتمهيد لقوله تعالى ان يشا يذهبكم اي ما به حاجة اليكم ايها العصاة وفي تلوين الخطاب من
تشديد الوعيد ما لا يخفى ويستخلف من بعدكم اي من بعد اذهابكم ما يشاء من الخلق وايثار ما على من لاظهار كمال

الكبرياء واسقاطهم من رتبة العقلاء كما انشاكم من ذرية قوم اخرين اي من نسل قوم اخرين لم يكونوا علي مثل صفتكم وهم
اهل سفينة نوح عليه الصلوة والسلام لكنه ابقاكم ترحما عليكم وما في كما مصدرية ومحل الكاف النصب علي انه مصدر تشبيهي
علي غير المصدر فان يستخلف في معني ينشئ كانه قيل وينشئ انشاء كانشائكم الي اخره او نعت لمصدر الفعل المذكور اي يستخلف
استخلافا كائنا كانشائكم الي اخره والشرطية استيناف مقرر لمضمون ما قبلها من الغني والرحمة انما توعدون اي الذي
توعدونه من البعث وما يتفرع عليه من الامور الهائلة وصيغة الاستقبال للدلالة علي الاستمرار التجددي لات
لواقع لا محالة كقوله تعالي ان ما توعدون لواقع وايثاره عليه لبيان كمال سرعته وقوعه بتصويره بصورة طالب حثيث لا
يفوته هارب حسبما يعرب قوله تعالي وما انتم بمعجزين اي بفائتين ذلك وان ركبتم في الهرب متن كل صعب وذلول كما ان
ايثار صيغة الفاعل علي المستقبل للايذان بكمال قرب الاتيان والمراد به بيان دوام الانتفاء لا بيان انتفاء دوام الاعجاز
فان الجملة الاسمية كما تدل علي دوام الثبوت تدل بمعونة المقام اذا دخل عليها حرف النفي علي دوام الانتفاء لا علي انتفاء
الدوام كما حقق في موضعه قل يا قوم اعملوا علي مكانتكم اثر ما بين لهم حالهم وما لهم بطريق الخطاب امر رسول الله صلي
الله عليه وسلم بطريق التلوين بان يواجههم بتشديد التهديد وتكرير الوعيد ويظهر لهم ما هو عليه من غاية التصلب
في الدين ونهاية الوثوق بامره وعدم المبالاة بهم اي اعملوا علي غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانه اذا تمكن ابلغ
التمكن او علي جهتكم وحالتكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة ومقام ومقامة وقري مكاناتكم والمعني اثبتوا
علي كفركم ومعاداتكم اني عامل ما امرت به من الثبات علي الاسلام والاستمرار علي الاعمال الصالحة والمصابرة وايراد
التهديد بصيغة الامر مبالغة في الوعيد كان المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر علي ما يودي اليه وتسجيل
بان المهدد لا يأتي منه الا الشر كالذي امر به بحيث لا يجد الي التفصي عنه سبيلا فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار
سوف لتاكيد مضمون الجملة والعلم عرفاني ومن استفهامية معلقة لفعل العلم محلها الرفع علي الابتداء وتكون باسمها
وخبرها خبرها وهي مع خبرها في محل النصب لسدها مسد مفعول تعلمون اي فسوف تعلمون اينا تكون له العاقبة الحسني
التي خلق الله تعالي لها هذه الدار واما موصولة فمحلها النصب علي انها مفعول لتعلمون اي فسوف تعلمون الذي له
عاقبة الدار وفيه مع الانذار انصاف في المقال وتنبيه علي كمال وثوق المنذر بامره وقري بالياء لان تانيث العاقبة
غير حقيقي انه اي الشان لا يفلح الظالمون وضع الظلم موضع الكفر ايذانا بان امتناع الفلاح يترتب علي اي فرد كان من
افراد الظلم فما ظنك بالكفر الذي هو اعظم افراده وجعلوا شروع في تقبيح احوالهم الفظيعة بحكاية اقوالهم وافعالهم
الشنيعة وهم مشركوا العرب كانوا يعينون اشياء من حرث ونتاج منه واشياء منهما لالهتهم فاذا رأوا ما جعلوه لله تعالي
زاكيا ناميا يزيد في نفسه خيرا رجعوا فجعلوه لالهتهم وما جعلوه لالهتهم تركوه متعللين بان الله تعالي غني وما ذاك الا
لحب الهتهم وايثارهم لها والجعل اما متعد الي واحد فالجاران في قوله تعالي لله مما ذرأ متعلقان به ومن في قوله تعالي
من الحرث والانعام بيان لما وفيه تنبيه علي فرط جهالتهم حيث اشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر علي شيء ثم رجحوه
عليه بان جعلوا الزكي له اي عينوا له تعالي مما خلقه من الحرث والانعام نصيبا يصرفونه الي الضيفان والمساكين وتاخير
من المجرورين لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الي المؤخر واما الي مفعولين اولهما مما ذرأ علي ان من تبعيضية
اي جعلوا بعض ما خلقه نصيبا له وما قيل من ان الاول نصيبا والثاني لله لا يساعده سداد المعني وحكاية جعلهم
له تعالي نصيبا تدل علي انهم جعلوا لشركائهم ايضا نصيبا ولم يذكر اكتفاء بقوله تعالي فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا
وقري بضم الزاء وهي لغة فيه وانما قيد به الاول للتنبيه علي انه في الحقيقة ليس بجعل الله تعالي غير مستتبع لشيء
من الثواب كالتطوعات التي يبتغي بها وجه الله تعالي لا لما قيل من انه للتنبيه علي ان ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم الله به
به تعالي فان ذلك مستفاد من الجعل ولذلك لم يقيد به الثاني ويجوز ان يكون تمهيدا لما بعده علي معني ان قولهم هذا لله مجرد
زعم منهم لا يعملون بمقتضاه الذي هو اختصاصه به تعالي فقوله تعالي فما كان لشركائهم فلا يصل الي الله وما كان لله
فهو يصل الي شركائهم بيان وتفصيل له اي فما عينوه لشركائهم فلا يصرف الي الوجوه التي يصرف اليها ما عينوه لله تعالي من

قري الضيفان والتصدق علي المساكين به ما عينوه لله تعالي اذا وجدوه زاكيا يصرف الي الوجوه التي يصرف اليها ما عينوه
لالهتهم من انفاق عليهم بذبح نسايك عندها والاجراء علي سدنتها ونحو ذلك ساء ما يحكمون فيما فعلوا من ايثار الهتهم
علي الله تعالي وعملهم بما لم يشرع لهم وما بمعني الذي والتقدير ساء الذي يحكمون حكمهم فيكون حكمهم مبتدا وما قبله
الخبر وحذف لدلالة يحكمون عليه وكذلك اي ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربان بين الله وبين الهتهم
او مثل ذلك التزيين البليغ المعهود من الشياطين زين لكثير من المشركين قتل اولادهم بوادهم ونحرهم لالهتهم كان الرجل يحلف
في الجاهلية لئن ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب وهو مشهور شركاؤهم اي اولياؤهم من الجن او من
السدنة وهو فاعل زين اخر عن الظرف والمفعول له لما مر غير مرة وقري علي البناء للمفعول ورفع قتل وجر اولادهم ورفع شركاؤهم
باضمار فعل دل عليه زين كانه لما قيل زين لهم قتل اولادهم قيل من زينه فقيل زينه شركاؤهم ليردوهم اي يهلكوهم
بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا ما كانوا عليه من دين اسمعيل عليه الصلاة والسلام او ما وجب عليهم ان يتدينوا به
واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة ولو شاء الله اي عدم فعلهم ذلك ما فعلوه اي
ما فعل المشركون ما زين لهم من القتل او الشركاء التزيين او الارداء واللبس او الفريقان جميع ذلك علي اجراء الضمير مجري اسم
الاشارة فذرهم وما يفترون الفاء فصيحة اي اذا كان ما فعلوه بمشية الله تعالي فدعهم وافتراءهم او وما يفترونه من الافك
فان في ما شاء الله تعالي حكما بالغة انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب اليم وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفي وقالوا حكاية
لنوع آخر من انواع كفرهم هذه اشارة الي ما جعلوه لالهتهم والتانيث للخبر انعام وحرث حجر اي حرام فعل بمعني مفعول
كالذبح يستوي فيه الواحد والكثير والذكر والانثي لان اصله المصدر ولذلك وقع صفة لانعام وحرث وقري حجر
بالضم وبضمتين وحرج اي ضيق واصله حرج وقيل هو مقلوب من حجر لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان
من الرجال دون النساء والجملة صفة اخري لانعام وحرث بزعمهم متعلق بمحذوف هو حال من فاعل قالوا اي قالوا
ملتبسين بزعمهم الباطل من غير حجة وانعام خبر مبتدا محذوف والجملة معطوفة علي قوله تعالي هذه انعام الي اخره اي قالوا
مشيرين الي طائفة اخري من انعامهم وهذه انعام حرمت ظهورها يعنون بها البحائر والسوائب والحوامي وانعام وهذه انعام
كما مر وقوله تعالي لا يذكرون اسم الله عليها صفة لانعام لكنه غير واقع في كلامهم المحكي كنظائره بل مسوق من جهته تعالي تعيينا للموصوف
وتمييزا له عن غيره كما في قوله تعالي وقولهم انا قتلنا المسيح عيسي بن مريم رسول الله علي احد التفاسير كانه قيل وانعام ذبحت
علي الاصنام فانها التي لا يذكر عليها اسم الله وانما يذكر عليها اسم الاصنام وقيل لا يحجون عليها فان الحج لا يعري عن ذكر الله
وقال مجاهد كانت لهم طائفة من انعامهم لا يذكرون اسم الله عليها ولا في شيء من شانها لا ان ركبوا ولا ان حلبوا ولا ان
نتجوا ولا ان باعوا ولا ان حملوا افتراء عليه نصب علي المصدر اما علي ان ما قالوه تقول علي الله تعالي واما علي تقدير عامل
من لفظه اي افتروا افتراء والجار متعلق بقالوا او بافتروا المقدر او بمحذوف هو صفة له لا بافتراء لان المصدر المؤكد
لا يعمل او علي الحال من فاعل قالوا اي مفترين او علي العلة اي للافتراء فالجار متعلق به سيجزيهم بما كانوا يفترون
اي بسببه او بدله وفي ابهام الجزاء من التهويل ما لا يخفي وقالوا حكاية لفن اخر من فنون كفرهم ما في بطون هذه الانعام
يعنون به اجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا حلال لهم خاصة والتاء للنقل الي الاسمية او للمبالغة او لان الخالصة
مصدر كالعاقبة وقع موقع الخالص مبالغة او بحذف المضاف اي ذو خالصة او للتانيث بناء علي ان ما عبارة
عن الاجنة والتذكير في قوله تعالي ومحرم علي ازواجنا اي جنس ازواجنا وهن الاناث باعتبار اللفظ وفيه كما ترى
حمل للنظم الكريم علي خلاف المعهود الذي هو الحمل علي اللفظ اولا وعلي المعني ثانيا كما في قوله تعالي ومنهم من يستمع اليك
وجعلنا علي قلوبهم الي اخره ونظائره واما العكس فقد قالوا انه لا نظير له في القران وهذا الحكم منهم ان ولد ذلك
حيا وهو الظاهر المعتاد وان يكن ميتة اي ولدت ميتة اي الذكور فهم والاناث فيه اي فيما بطون الانعام وقيل
المراد بالميتة ما يعم الذكر والانثي فغلب علي شركاء ياكلون منه جميعا وقري خالصة بالنصب علي انه مصدر
موكد والخبر لذكورنا او حال من الضمير الذي في الظرف لا من الذي في ذكورنا ولا من الذكور لانه لا يتقدم علي العامل المعنوي

الذي هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة القتل اليه مفعولا بينهما بمفعوله وقري علي البناء للمفعول منه

ولا على صاحبه الجر ود وقرئ خالصة بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما او مبتداء ثان سيجزيهم وصفهم اي
جزاء وصفهم الكذب على الله تعالى في امر التحليل والتحريم من قوله تعالى وتصف السنتهم الكذب انه حكيم عليم تعليل للوعد
بالجزاء فان العليم الحكيم بما صدر عنهم لايكاد يترك جزاهم الذي هو من مقتضيات الحكمة قد خسر الذين قتلوا اولادهم جواب قسم
محذوف وقرئ بالتشديد وهم ربيعة ومضر واضرابهم من العرب كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر اي خسروا دينهم
ودنياهم سفها بغير علم متعلق بقتلوا على انه علة له لخفة عقلهم وجهلهم بان الله هو الرزاق لهم ولاولادهم او نصب
على الحال ويؤيده انه قرئ سفهاء او مصدر وحرموا ما رزقهم الله من البحاير والسوايب ونحوها افتراء على الله نصب على
احد الوجوه المذكورة واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لاظهار كمال عتوهم وطغيانهم قد ضلوا عن الطريق المستقيم وما
كانوا مهتدين اليه وان هدوا بفنون الهدايات وما كانوا مهتدين من الاصل لسوء سيرتهم فالجملة حينئذ اعتراض على الاول
عطف على ضلوا وهو الذي انشأ جنات معروشات تمهيد لما سياتي من تفصيل احوال الانعام اي هو الذي انشاهن من غير شركة لاحد
في ذلك بوجه من الوجوه والمعروشات ما عرشه من الكروم على ما يحملها وغير معروشات وهي الملقيات على وجه الارض
وقيل المعروشات ما غرسه الناس وعرشوه وغير المعروشات ما نبتت في البوادي والجبال والنخل والزرع عطف
على جنات اي انشاهما مختلفا اكله وقرئ اكله بسكون الكاف اي ثمره الذي يوكل في الهيئة والكيفية والضمير
اما للنخل والزرع داخل في حكمه او للزرع والباقي مقيس عليه او للجميع على تقدير اكل ذلك او كل واحد منها ومختلفا حال مقدرة
اذ ليس ذلك وقت الانشاء والزيتون والرمان اي انشاهما وقوله تعالى متشابها وغير متشابه نصب على الحالية اي تشابه
بعض افرادهما في اللون والهيئة او الطعم ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره اي من ثمر كل واحد من ذلك اذا اثمر وان
لم يدرك ولم يينع بعد وقيل فايدته رخصة المالك في الاكل منه قبل اداء حق الله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده اريد
ما كان يتصدق به يوم الحصاد بطريق الوجوب من غير تعين المقدار لا الزكاة المقدرة فانها فرضت بالمدينة والسورة
مكية وقيل الزكوة والاية مدنية والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت الاداء وليعلم
ان الوجوب بالادراك لا بالتصفية وقرئ يوم حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه ولا تسرفوا اي في التصدق كما
روي عن ثابت بن قيس انه صرم خمسماية نخلة ففرق ثمرها كلها ولم يدخل منه شيا الى منزله كقوله تعالى
ولا تبسطها كل البسط الاية انه لا يحب المسرفين اي لا يرتضي اسرافهم ومن الانعام حمولة وفرشا شروع في تفصيل
حال الانعام وابطال ما تقولوا على الله تعالى في شانها بالتحريم والتحليل وهو عطف على مفعول انشاء ومن متعلقة
به اي وانشاء من الانعام ما يحمل عليه الاثقال وما يفرش للذبح او ما يفرش المصنوع من شعره وصوفه ووبره وقيل
الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الارض كانها فرش مفروش عليها كلوا مما رزقكم الله ما عبارة عما ذكر من الحمولة
والفرش ومن تبعيضية اي كلوا بعض ما رزقكم الله تعالى حلاله وفيه تصريح بان انشاءها لاجلهم ومصلحتهم ولا تتبعوا
في امر التحليل والتحريم بتقليد اسلافكم المجازفين في ذلك من تلقاء انفسهم المفترين على الله سبحانه خطوات الشيطان
فان ذلك منهم باغواء الشيطان واستتباعه اياهم انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية ازواج الزوج ما معه
آخر من جنسه يزاوجه ويحصل منهما النسل والمراد بها الانواع الاربعة وايرادها بهذا العنوان وهذا العدد تمهيد لما
سبق له الكلام من الانكار المتعلق بتحريم كل واحد من الذكر والانثى وبما في بطنها وهو بدل من حمولة وفرشا منصوب
بما نصبهما وجعله مفعولا لكلوا على ان قوله تعالى ولا تتبعوا الاية معترض بينهما او حالا من ما بمعنى مختلفة او متعددة
يا باه جزالة النظم الكريم لظهور انه مسوق لتوضيح حال الانعام بتفصيلها اولا الى حمولة وفرش ثم تفصيلها
الى ثمانية ازواج حاصلة من تفصيل الاولى الى الابل والبقر وتفصيل الثاني الى الضان والمعز ثم تفصيل كل من الاقسام
الاربعة الى ذكر وانثى كل ذلك لتحرير المواد التي تقولوا فيها عليه سبحانه وتعالى بالتحليل والتحريم ثم تبكيتهم باظهار
كذبهم وافترائهم في كل مادة من تلك المواد بتوجيه الانكار اليها مفصلة واثنين في قوله تعالى من الضان اثنين بدل
من ثمانية ازواج منصوب بناصبه وهو العامل في من اي انشاء من الضان زوجين الكبش والنعجة وقرئ

اثنان

اثنان على الابتداء والضان اسم جنس كالابل وجمعه ضئين كامير او جمع ضاين كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة ومن
المعز اثنين عطف على مثله شريك له في حكمه اي وانشاء من المعز زوجين التيس والمعز وقرئ بفتح العين
وهو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ ومن المعزي وهذه الازواج الاربعة تفصيل للفرش ولعل
تقديمها في التفصيل مع تاخر اصلها في الاجمال لكون هذين النوعين عرضة للاكل الذي هو معظم ما يتعلق به الحل
والحرمة وهو السر في الاقتصار على الامر به في قوله تعالى كلوا مما رزقكم الله من غير تعرض للحمل والركوب وغير ذلك
مما حرموه في السايبة واخواتها قل تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اثر تفصيل انواع
الانعام التي انشاها اي قل تبكيتا لهم واظهارا لانقطاعهم عن الجواب الذكرين من ذينك النوعين وهما الكبش والتيس
حرم اي الله عز وجل كما تزعمون انه هو المحرم ام الانثيين وهما النعجة والمعز ونصب الذكرين والانثيين
بحرم وهو موخر عنهما بحسب المعنى وان توسط بينهما صورة وكذا قوله تعالى اما اشتملت عليه ارحام الانثيين اي ام
ماحملت اناث النوعين حرم ذكرا كان او انثى وقوله تعالى نبئوني بعلم الى اخره تكرير للالزام وتنبيه للتبكيت والافحام
اي اخبروني بامر معلوم من جهة الله تعالى من الكتاب او اخبار الانبياء يدل على انه تعالى حرم شيا مما ذكر او
تنبئون بتنبيه ملتبسه بعلم صادر عنه ان كنتم صادقين اي في دعوى التحريم عليه سبحانه وتعالى وقوله
تعالى ومن الابل اثنين عطف على قوله تعالى من الضان اثنين عطف رابد على قوله تعالى من الضان اثنين اي
وانشاء من الابل اثنين هما الجمل والناقة ومن البقر اثنين ذكرا وانثى قل افحاما لهم في امر هذين النوعين
النوعين ايضا منهما الذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين من ذينك النوعين والمعنى انكار ان الله سبحانه حرم
عليهم شيا من الانواع الاربعة واظهار كذبهم في ذلك وتفصيل ما ذكر من الذكور والاناث وما في بطونها للمبالغة
في الرد عليهم بايراد الانكار على كل مادة من مواد افتراءهم فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة
واولادها كيف ما كان تارة اخرى مسندين ذلك كله الى الله سبحانه وانما عقب تفصيل واحد من نوعي الصغار
ونوعي الكبار بما ذكر من الامر بالاستفهام والانكار مع حصول التبكيت بايراد الامر عقيب تفصيل الانواع
الاربعة بان يقال قل الذكور حرم ام الاناث اما اشتملت عليه ارحام الاناث لما في التثنية والتكرير من
المبالغة في التبكيت والالزام وقوله تعالى ام كنتم شهداء تكرير للافحام كقوله تعالى نبئوني بعلم وام منقطعة
ومعنى الهمزة الانكار والتوبيخ ومعنى بل الاضراب على التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ بوجه آخر اي بل اكنتم حاضرين
مشاهدين اذ وصاكم الله بهذا اي حين وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم حسبما يعود
اليه مذهبكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة والسماع وفيه من تركيك عقولهم والتهكم بهم ما لا يخفى
فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون لذلك او عمرو بن لحي
ابن قمعة وهو المؤسس لهذا الشر او الكل لاشتراكهم في الافتراء عليه سبحانه وتعالى اي فاي فريق اظلم
من فريق افتروا الى آخره ولا يقدح في اظلمية الكل كون بعضهم مخترعين له وبعضهم مقتدين بهم والفاء لترتيب
ما بعدها على ما سبق من تبكيتهم وافترائهم اي اظلم من كل ظالم وان كان المنفي صريحا الاظلمية دون المساواة
كما مر غير مرة ليضل الناس متعلق بالافتراء بغير علم متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل افترى اي افترى عليه
تعالى جاهلا بصدور التحريم عنه تعالى وانما وصفوا بعدم العلم بذلك مع انهم عالمون بعدم صدوره عنه تعالى
ايذانا بخروجهم في الظلم عن الحدود والنهايات فان من افترى عليه تعالى وهو يعلم انه لم يصدر عنه ويجوز ان
يكون حالا من فاعل يضل اي ملتبسا بغير علم بما يؤدي بهم اليه ان الله لا يهدي القوم الظالمين كائنا ما كان الى ما فيه
صلاح حالهم عاجلا او آجلا واذا كان هذا حال المتصفين بالظلم في الجملة فما ظنك بمن هو في اقصى غايات
قل امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الزام المشركين وتبكيتهم وبيان انه يتقولونه في امر التحريم
افتراء بحيث لا اصل له قطعا بان يبين لهم ما حرمه عليهم وفي قوله تعالى لا اجد فيما اوحي الي محرما ايذان بان

للانتفاع

بغير علم لصدوره عنه تعالى مع احتمال
الصدور عنه اذا كان اظلم من كل ظالم فما
ظنك بمن هو في اقصى غايات من
افترى عليه تعالى صح
صح

مناط الحل والحرمة هو الوحي وانه عليه الصلوة والسلام قد تتبع جميع ما اوحي اليه وتفحص عن المحرمات ولم يجد
غير ما فصل وفيه مبالغة في بيان انحصارها في ذلك ومحرما صفة لمحذوف اي لا اجد ريثما تصفحت الي طعاما محرما
من المطاعم التي حرموها على طاعم اي اي طاعم كان من ذكر او انثى ردا على قولهم محرم على ازواجنا وقوله تعالى
يطعمه لزيادة التقرير الا ان يكون اي ذلك الطعام ميتة وقرئ تكون بالتاء لتانيث الخبر وقرئ ميتة
بالرفع على ان كان تامة وقوله تعالى او دما مسفوحا عطفا على ان مع ما في حيزه اي الا وجود ميتة او دما مسفوحا
اي مصبوبا كالدماء التي في العروق لا كالطحال والكبد او لحم خنزير فانه اي الخنزير رجس اي لحمه قذر
لتعوده اكل النجاسة او خبيث او فسقا عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض مقرر لحرمته اهل لغير الله به
صفة له موضحة اي ذبح على اسم الاصنام وانما سمي ذلك فسقا لتوغله في الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا
له لاهل وهو عطف على يكون والمستكن راجع الى ما رجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر اي اصابته الضرورة
الداعية الى اكل الميتة بوجه من الوجوه المضطر غير باغ في ذلك على مضطر آخر مثله ولا عاد قدر الضرورة
فان ربك غفور رحيم مبالغ في المغفرة والرحمة لا يؤاخذه بذلك وليس التقييد بالحال الاولى لبيان
انه لو وجد القيد لتحقق الحرمة المبحوث عنها بل للتحذير من حرام آخر هو اخذه حق مضطر آخر فان من اخذ لحم
الميتة من يد مضطر آخر فاكله فان حرمته ليست باعتبار كونه لحم الميتة بل باعتبار كونه حقا للمضطر الآخر
واما الحال الثانية فلتحقق زوال الحرمة المبحوث عنها قطعا فان التجاوز عن القدر الذي يسد به
الرمق حرام من حيث انه لحم الميتة وفي التعرض لوصفي المغفرة والرحمة ايذان بان المعصية باقية
لكنه تعالى يغفر له ويرحمه والآية محكمة لانها تدل على انه عليه الصلوة والسلام لم يجد فيما اوحي اليه الى
تلك الغاية غيره ولا ينافيه ورود التحريم بعد ذلك في شئ آخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب
بخبر الواحد ولا على حل الاشياء التي هي غيرها الا مع الاستصحاب وعلى الذين هادوا خاصة لا على من عداهم من
الاولين والآخرين حرمنا كل ذي ظفر اي كل ما له اصبع من الابل والسباع والطيور وقيل كل ذي مخلب وحافر
وسمي الحافر ظفرا مجازا والمسبب على الظلم هو تعميم التحريم حيث كان بعض ذوات الظفر حلالا لهم
فلما ظلموا عم التحريم كلها وهذا تحقيق لما سلف من حصر المحرمات فيما فصل وابطال ما يخالفه من فرية اليهود
وتكذيبهم في ذلك لانهم كانوا يقولون لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابرهيم ومن
بعدهما حتى انتهى الامر الينا ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما لا لحومهما فانها باقية على الحل والشحوم
الثروب وشحوم الكلى والاضافة لزيادة الربط الا ما حملت ظهورهما استثناء من الشحوم مخرج لما علق
من الشحم بظهورهما عن حكم التحريم او الحوايا عطف على ظهورهما اي ما حملت حوايا
وهي جمع حاوية او حاوياء كقاصعاء وقواصع او حوية كسفينة وسفاين او ما اختلط بعظم عطف على ما حملت
وهو شحم الالية لاختلاطه بالعظم لاتصاله بعجب الذنب وقيل هو كل شحم متصل بالعظم من الاضلاع
وغيرها ذلك اشارة الى الجزاء والتحريم فهو على الاول نصب على انه مصدر مؤكد لما بعده وعلى الثاني
انه مفعول ثان له اي ذلك التحريم جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وهو قتلهم الانبياء بغير حق واكلهم
الربوا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل كقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم
طيبات احلت لهم وكانوا كلما اتوا بمعصية عوقبوا بتحريم شئ مما احل لهم وهم ينكرون ذلك ويدعون
انها لم تزل محرمة على الامم فرد عليهم ذلك واكد بقوله تعالى وانا لصادقون اي في جميع اخبارنا التي
من جملتها هذا الخبر ولقد القمهم الحجر قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل
على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين روي انه عليه الصلوة
والسلام لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية كيف بين فيها جميع ما يحذرون بيانا

واضحا فان كذبوك فيما الضمير لليهود لانهم اقرب ذكرا ولذكر المشركين بعد ذلك بعنوان الاشراك وقيل
للمشركين فالمعنى على الاول ان كذبتك اليهود في الحكم المذكور واصروا على ما كانوا عليه من ادعاء قدم التحريم فقل
لهم ربكم ذو رحمة واسعة لا يؤاخذكم بكل ما تأتونه من المعاصي ويمهلكم على بعضها ولا يرد بأسه بالكلية عن
القوم المجرمين فلا تنكروا ما وقع منه تعالى من تحريم بعض الطيبات عليكم عقوبة وتشديدا وعلى الثاني فان كذبوك
المشركون فيما فصل من احكام التحليل والتحريم فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لا يعاجلكم بالعقوبة على تكذيبكم فلا تغتروا
بذلك فانه امهال لا اهمال وقيل ذو رحمة للمطيعين وذو بأس شديد على المجرمين فاقيم مقامه قوله تعالى ولا
يرد بأسه الى آخره لتضمنه التنبيه على انزال البأس عليهم مع الدلالة على انه لاحق بهم البتة من غير صارف يصرفه عنهم
اصلا سيقول الذين اشركوا حكاية لفن آخر من كفرهم واخبار قبل وقوعه حسبما اخبر به كما يحكيه قوله تعالى عند
وقوعه وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من شئ صريح في انه من عند الله تعالى لو شاء الله ما اشركنا اي لو شاء خلاف
ذلك مشيئة ارتضاء لما فعلنا الاشراك ولا اباؤنا ولا حرمنا من شئ ارادوا به ان ما فعلوه حق مرضي عند الله تعالى لا
الاعتذار من ارتكاب هذه القبائح بارادة الله تعالى اياها منهم حتى ينهض فيهم به دليلا للمعتزلة الى آخر قوله تعالى
كذلك كذب الذين من قبلهم اي مثل ما كذبك هؤلاء في انه تعالى منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب متقدموهم
الرسل فانه فيما قلنا عطف اباؤنا على ضمير المتصل بلا حتى ذاقوا بأسنا الذي انزلنا عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم من علم
من امر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم فتخرجوه لنا اي فتظهروه لنا ان تتبعون الا الظن اي ما تتبعون الا
الظن الباطل الذي لا يغني من الحق شيئا وان انتم الا تخرصون تكذبون على الله عز وجل وليس فيه دلالة على المنع
من اتباع الظن على الاطلاق بل فيما يعارضه قطعي قل فلله الحجة البالغة الفاء جواب شرط محذوف اي واذا قد
عرفت ظهر ان لا حجة لكم فلله الحجة البالغة اي البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والثبات او بلغ بها
صاحبها الحجة على دعواه والمراد الكتاب والرسول وهي من الحج بمعنى القصد كأنها تقصد اثبات الحكم وتطلبه فلو
شاء هدايتكم جميعا لهديكم اجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن لم يشاء هداية الكل بل هداية البعض
الصارفين هممهم الى سلوك طريق الحق وضلال آخرين صرفوا اختيارهم الى خلاف ذلك من غير صارف يلويهم و
لا عاطف يثنيهم قل هلم شهداءكم اي احضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف على لغة اهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع
على لغة بني تميم على رأي الجمهور وقد خالفهم البعض في فعليته وليس بشئ واصله عند البصريين ها لم من لم اذا قصد حذفت
الالف لتقدير السكون في اللام فانه الاصل وعند الكوفيين هل ام فحذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد
لان هل لا تدخل على الامر ويكون متعديا كما في الآية ولازما كما في قولهم تعال الينا الذين يشهدون ان الله حرم هذا وهم
قدوتهم الذين ينصرون قولهم وانما امروا باستحضارهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه لا متمسك
لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة ووصفوا بما يدل على انهم شهداء معروفون بالشهادة لهم وبنصرة
مذهبهم فان شهدوا بعد ما حضروا ان الله حرم هذا فلا تشهد معهم اي لا تصدقهم فانه كذب بحت وافتراء
صرف وبين لهم فساده فان تسليمه منهم موافقة لهم في الشهادة الباطلة ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا من وضع
المظهر مقام المضمر للدلالة على ان من كذب بايات الله تعالى وعدل به غيره متبع للهوى لا غير وان من اتبع الحجة
لا يكون الا مصدقا بها والذين لا يؤمنون بالآخرة كعبدة الاوثان عطف على الموصول الاول بطريق عطف الصفة
مع اتحاد الموصوف كما في قوله • الى ماجد القوم وابن الهمام • وليث الكتيبة في المزدحم • فان من يكذب
بايات الله تعالى لا يؤمن بالآخرة وبالعكس وهم بربهم يعدلون اي يجعلون له عديلا عطف على لا يؤمنون والمعنى
لا تتبع اهواء الذين يجمعون بين تكذيب آيات الله وبين الكفر بالآخرة والاشراك به سبحانه لكن لا على
ان يكون مراد النهي الجمع المذكور بل على ان اولئك جامعون لها متصفون بكلها بظهور عجزهم عن اخراج شئ يتمسك
به في ذلك واحضار شهداء يشهدون بما ادعوا في امر التحريم بعد ما كلفوه مرة بعد اخرى عجزا بينا قل امر

رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبين لهم من المحرمات ما يقتضي الحال بيانه على اسلوب الحكم ايذانا بان حقهم
الاجتناب عن هذه المحرمات واما الاطعمة المحرمة فقد بينت بقوله تعالى قل لا اجد الاية وقوله تعالى تعالوا امر
من التعالي والاصل فيه ان يقوله من كان في مكان عال لمن هو في اسفل منه ثم اتسع فيه بالتعميم كما ان الغنيمة في الاصل اصابة
الغنم من العدو ثم استعملت في اصابة كل ما يصاب منهم اتساعا ثم في الفوز بكل مطلب من غير مشقة اتل جواب الامر
وقوله تعالى ما حرم ربكم منصوب به على ان ما موصولة والعايد محذوف اي اقرأ الذي حرمه ربكم اي الايات المشتملة
عليه او مصدرية اي الايات المشتملة على تحريمه او بحرم على انها استفهامية والجملة مفعول لاتل لان التلاوة من باب
القول كانه قيل قل اي شيء حرم ربكم عليكم متعلق بحرم على كل حال وقيل باتل والاول انسب بمقام الاعتناء بايجاب
الانتهاء عن المحرمات المذكورة وهو السنة في التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم فان تذكير كونه ربا
لهم ومالكا لامرهم على الاطلاق من اقوى الدواعي الى انتهائهم عما نهاهم عنه اشد انتهاء وان في قوله تعالى ان لا تشركوا به
مفسرة لفعل التلاوة المتعلق بما حرم ولا ناهية كما ينبئ عنه عطف ما بعده من الاوامر والنواهي عليه وليس من ضرورة
كون المعطوف عليه تفسيرا لتلاوة المحرمات بحسب منطوقه كون المعطوفات ايضا كذلك حتى يمتنع انتظام الاوامر
في سلك العطف عليه بل يكفي في ذلك كونها تفسيرا لها باعتبار لوازمها التي هي النواهي المتعلقة باضداد ما تعلقت
هي به فان الامر بالشيء مستلزم للنهي عن ضده بل هو عينه عند البعض كان الاوامر ذكرت وقصد لوازمها فان عطف
الاوامر على النواهي الواقعة بعد ان المفسرة لتلاوة المحرمات مع القطع بان المامور به لا يكون محرما دليل واضح على ان
التحريم راجع الى الاضداد على الوجه المذكور فكانه قيل اتل ما حرم ربكم ان لا تشركوا ولا تسيئوا الى الوالدين خلا
انه قد اخرج مخرج الامر بالاحسان اليهما بين النهيين المكتنفين له للمبالغة في ايجاب مراعات حقوقهما فان
مجرد ترك الاساءة اليهما غير كاف في قضاء حقوقهما ولذلك عقب به النهي عن الاشراك الذي هو اعظم المحرمات
واكبر الكبائر ههنا وفي سائر المواقع وقيل ان ناصبة ومحلها النصب بعليكم على انه للاغراء وقيل النصب على
البدلية من ما حرم وقيل من عائدها المحذوف على ان لا زائدة وقيل الجر بتقدير اللام وقيل الرفع بتقدير المتلو
ان لا تشركوا والمحرم ان تشركوا بزيادة لا وقيل والذي عليه التعويل هو الاول لامور من جملتها ان في اخراج
المفسر على صورة النهي مبالغة في بيان التحريم وقوله تعالى شيئا نصب على المصدرية والمفعولية اي لا تشركوا به
شيئا من الاشراك او شيئا من الاشياء وبالوالدين اي واحسنوا بهما احسانا وقد مر تحقيقه ولا تقتلوا اولادكم
تكليف متعلق بحقوق الاولاد عقب به التكليف المتعلق بحقوق الوالدين اي لا تقتلوهم بالواد من املاق اي من
اجل فقر كما في قوله تعالى خشية املاق وقيل هذا في الفقر الناجز وذا في المتوقع وقوله تعالى نحن نرزقكم واياهم
استيناف مسوق لتعليل النهي وابطال سببيته لما اتخذ سببا لمباشرة المنهي عنه وضمان منه تعالى
لارزاقهم اي نحن نرزق الفريقين لا انتم فلا تخافون الفقر بناء على عجزكم عن تحصيل الرزق وقوله تعالى ولا تقربوا
الفواحش كقوله تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة الاية الا انه جيء ههنا بصيغة الجمع قصدا الى النهي
عن انواعها ولذلك ابدل عنها قوله تعالى ما ظهر منها وما بطن اي ما يفعل منها علانية في الحوانيت كما هو داب اراذلهم
وما يفعل سرا باتخاذ الاخدان كما هو عادة اشرافهم وتعليق النهي بقربانها اما للمبالغة في الزجر عنها لقوة الدواعي
اليها واما لان قربانها داع الى مباشرتها وتوسيطها بين النهي عن قتل الاولاد والنهي عن القتل مطلقا كما وقع في سورة
بني اسرائيل باعتبار انها مع كونها في نفسها جناية عظيمة في حكم قتل الاولاد والزنى في حكم الاخدان وقد قال
النبي عليه الصلوة والسلام في حق العزل ذاك واد خفي تبين ان حمل الفواحش على الكبائر مطلقا وتفسير ما ظهر منها
وما بطن بما فسر به ظاهر الاثم وباطنه فيما سلف من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه ولا تقتلوا النفس التي حرم الله اي
حرم قتلها بان عصمها بالاسلام او بالعهد فيخرج منها الحربي وقوله تعالى الا بالحق استثناء مفرغ من اعم الاحوال
اي لا تقتلوها في حال من الاحوال الا حال ملابستكم بالحق الذي هو امر الشرع بقتلها وذلك بالكفر بعد الايمان

والزنا بعد

والزنا بعد الاحصان وقتل النفس المعصومة او من اعم الاسباب اي لا تقتلوها بسبب من الاسباب الا بسبب الحق
وهو ما ذكر او من اعم المصادر اي لا تقتلوها قتلا ما الا قتلا كائنا بالحق وهو القتل باحد الامور المذكورة ذلكم اشارة الى
ما ذكر من التكاليف الخمسة وما في ذلك من معنى البعد للايذان بعلو طبقاتها من بين التكاليف الشرعية وهو مبتداء
وقوله تعالى وصاكم به اي امركم به ربكم امرا مؤكدا خبره والجملة استيناف جيء به تجديدا للعهد وتاكيدا لايجاب
المحافظة على ما كلفوه ولما كانت المنهي عنها مما يقضي بديهة العقول بقبحها فصل الاية الكريمة بقوله تعالى لعلكم
تعقلون اي تستعملون عقولكم التي تعقل نفوسكم وتحبسها عن مباشرة القبائح المذكورة ولا تقربوا مال اليتيم
توجيه النهي الى قربانه لما مر من المبالغة في النهي عن اكله ولاخراج القربان النافع عن حكم النهي بطريق الاستثناء
اي لا تتعرضوا له بوجه من الوجوه الا بالتي هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن بالكون من الحفظ والتمييز ونحو
ذلك للاولياء والاوصياء لقوله تعالى حتى يبلغ اشده فانه غاية لما يفهم من الاستثناء لا للنهي كانه قيل احفظوه
حتى يصير بالغا رشيدا فحينئذ سلموه اليه كما في قوله تعالى فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم والاشد
جمع شدة كنعمة وانعم او شد ككلب واكلب او شد كصر واصر وقيل هو مفرد كآنك واوفوا الكيل والميزان بالقسط اي
بالعدل والتسوية لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا تعسر عليها وهو اعتراض جيء به عقيب الامر بالعدل
للايذان بان مراعاة العدل كما هو عسير كانه قيل عليكم بما في وسعكم وما وراءه معفو عنكم واذا قلتم قولا في حكاية
او شهادة او نحوهما فاعدلوا فيه ولو كان اي المقول له او عليه ذا قربى اي ذا قرابة منكم ولا تميلوا نحوهم اصلا
وقد مر تحقيق في مثل هذا الموضع مرارا وبعهد الله اوفوا اي ما عهد اليكم من الامور المعدودة او اي عهد كان فيدخل
فيه ما ذكر دخولا اوليا او ما عاهدهم الله عليه من الايمان وتقديمه للاعتناء بشانه ذلكم اشارة الى ما فصل من
التكاليف ومعنى البعد لما ذكر فيما قبل وصاكم به امركم به امرا مؤكدا لعلكم تذكرون تتذكرون ما في تضاعيفه
وتعملون بمقتضاه وقرئ بتشديد الذال وهذه احكام عشرة لا تختلف باختلاف الامم والاعصار وعن
ابن عباس رضي الله عنهما هذه ايات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وهي محرمات على بني آدم كلهم وهن
ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب الاحبار والذي نفس كعب بيده ان هذه
الايات لاول شيء في التورية بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا الايات وان هذا صراطي اشارة الى ما ذكر في الايتين
من الامر والنهي قاله مقاتل وقيل الى ما ذكر في السورة فانها باسرها في اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة
وقرئ صراطي بفتح الياء ومعنى اضافته الى ضميره عليه الصلوة والسلام انتهاؤه اليه عليه الصلوة والسلام من
حيث السلوك لا من حيث الوضع كما في صراط الله والمراد بيان ان ما فصل من الاوامر والنواهي غير مختصة بالمتلو
عليهم بل متعلقة به عليه الصلوة والسلام ايضا وانه عليه الصلوة والسلام مستمر على العمل بها ومراعاتها وقوله
تعالى مستقيما حال مؤكدة ومحل ان مع ما في حيزها الجر بحذف لام العلة اي ولان هذا صراطي مسلكي مستقيما
فاتبعوه كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا وتعليل اتباعه بكونه صراطه عليه الصلوة والسلام
لا بكونه صراط الله تعالى مع انه في نفسه كذلك من حيث ان سلوكه عليه الصلوة والسلام فيه داع للخلق الى الاتباع
اذ بذلك يتضح عندهم كونه صراط الله عز وجل وقرئ بكسر الهمزة على الاستيناف وقرئ ان هذا مخففة
من ان على ان اسمها الذي هو ضمير الشان محذوف وقرئ سراطي وقرئ هذا صراطي وقرئ وهذا صراط
ربكم وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الاديان المختلفة او طرق البدع والضلالات فتفرق بكم بحذف احدى
التائين والباء للتعدية اي فتفرقكم حسب تفرقها ايادي سبا فهو كما ترى ابلغ من تفرقكم كما قيل من ان ذهب
به لما فيه من الدلالة على الاستصحاب ابلغ من اذهبه عن سبيله اي سبيل الله الذي لا عوج فيه ولا حرج
وهو دين الاسلام الذي ذكر بعض احكامه وقيل هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان وفيه تنبيه على ان
صراطه عليه الصلوة والسلام عين سبيل الله تعالى ذلكم اشارة الى ما مر من اتباع سبيله تعالى وترك

اتباع سائر السبل **وصاكم به لعلكم تتقون** اتباع سبل الكفر والضلالة **ثم آتينا موسى الكتاب** كلام مسوق من جهته
تعالى تقريرا للوصية وتحقيقا لها وتمهيدا لما يعقبه من ذكر انزال القرآن المجيد كما ينبئ عنه تغير الاسلوب بالالتفات
الى التكلم معطوف على مقدر يقتضيه المقام • ويستدعيه النظام كانه قيل بعد قوله تعالى ذلكم وصاكم به بطريق
الاستئناف تصديقا له وتقريرا لمضمونه فعلنا ثم آتيناه كما ان قوله تعالى ونطبع على قلوبهم معطوف على ما يدل عليه
معنى اولم يهد لهم كانه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع واما عطف على ذلك وصاكم به ونظمه معه في سلك الكلام
الملقن كما اجمع عليه الجمهور فمما لا يليق بجزالة النظم الكريم فتدبر وثم للتراخي في الاخبار كما في قولك بلغني
ما صنعت اليوم ثم ما صنعت امس اعجب او للتفاوت في الرتبة كانه قيل ذلكم وصاكم به قديما ثم اعظم من ذلك
انا آتينا موسى التورية فان ايتاها مشتملة على الوصية المذكورة وغيرها اعظم من التوصية بها فقط **تماما** لكل
امنة والنعمة اي اتماما لهما على انه مصدر اتم بحذف الزوائد **على الذي احسن** اي على من احسن القيام كائنا من كان
من كان ويؤيده **انه قرئ** على الذين احسنوا وتماما على المحسنين او على الذي احسن تبليغه وهو موسى عليه السلام
او تماما على ما احسنه اي موسى عليه الصلاة والسلام اي اجاده من العلم والشرائع اي زيادة على علمه للتتميم **وقرئ**
بالرفع على انه خبر محذوف اي على الذي هو احسن وارضاه او آتينا موسى الكتاب تماما اي تاما كاملا على احسن ما
يكون عليه الكتب **وتفصيلا لكل شيء** وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه في الدين وهو عطف على تماما ونصبهما اما
على العلية او على المصدرية كما يشير اليه او على الحالية وكذا قوله تعالى **وهدى ورحمة لعلهم** وضمير لعلهم لبني اسرائيل
المدلول عليهم بذكر موسى عليه الصلوة والسلام وايتاء الكتاب والباء في قوله تعالى **بلقاء ربهم** متعلقة بقوله تعالى
يؤمنون قدمت عليه محافظة على الفواصل **قال** ابن عباس رضي الله عنهما كي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب
والعذاب **وهذا** الذي تليت عليكم اوامره ونواهيه اي القرآن **كتاب** عظيم الشان لا يقادر قدره وقوله
تعالى **انزلناه مبارك** اي كثير المنافع دينا ودنيا صفتان لكتاب وتقديم وصف الانزال مع كونه غير صريح لان
الكلام   او خبران اخران لاسم الاشارة اي انزلناه مشتملا على فنون الفوائد الدينية والدنيوية التي
فصلت عليكم طائفة منها والفاء في قوله تعالى **فاتبعوه** لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان عظم شان
الكتاب في نفسه وكونه منزلا من جنابه عز وجل مستتبعا للمنافع الدينية والدنيوية موجب لاتباعه اي
اي ايجاب **واتقوا** مخالفته **لعلكم ترحمون** بواسطة اتباعه والعمل بموجبه **ان تقولوا** علة لانزلناه المدلول
عليه بالمذكور لا لنفسه للزوم الفصل حينئذ بين العامل والمعمول باجنبي وهو مبارك صفة كان او خبرا
اي انزلناه كذلك كراهة ان تقولوا يوم القيمة لو لم ننزله **انما انزل الكتاب** الناطق بتلك الاحكام العامة
لكل الامم **على طائفتين** كائنتين **من قبلنا** وهم اليهود والنصارى وتخصيص الانزال بكتابيهما لانهما اللذان اشتهرا
فيما بين الكتب السماوية بالاشتمال على الاحكام المذكورة **وان كنا** ان هي المخففة من ان واللام فارقة بينها وبين
النافية وضمير الشان محذوف وارادهم بذلك دفع ما يرد عليهم من ان نزوله عليهما لا ينافي عموم احكامه
فلم لم تعملوا باحكامها العامة وان كنا **عن دراستهم لغافلين** لا ندري ما في كتابهم اذ لم يكن على لغتنا حتى نتلقى منه
منه تلك الاحكام العامة ونحافظ عليها وان لم يكن منزلا علينا وبهذا تبين ان معذرتهم هذه مع انهم غير مامورين
بما في الكتابين لاشتمالهما على الاحكام المذكورة المتناولة لكافة الامم كما ان قطع تلك المعذرة بانزال القرآن
لاشتماله ايضا عليها لا على سائر الشرائع والاحكام فقط **او تقولوا** عطف على تقولوا **وقرئ** كلاهما بالياء
على الالتفات من خطاب فاتبعوه وان تقولوا **لو انا انزل علينا الكتاب** كما انزل عليهم **لكنا اهدى منهم** الى الحق الذي
هو المقصد الاقصى والى ما في تضاعيفه من جلائل الاحكام والشرائع ودقائقها لحدة اذهاننا وثقابة
البابنا ولذلك تلقفنا من فنون العلم كالقصص والاخبار • والخطب والاشعار • ونحو ذلك طرفا صالحا
ونحن اميون وقوله تعالى **فقد جاءكم** متعلق بمحذوف ينبئ عنه الفاء الفصيحة اما معلل براي لا تعتذروا

بذلك

بذلك فقد جاءكم الى آخره واما شرط له اي صدقتم فيما كنتم تعدون من انفسكم من كونكم اهدى من الطائفتين
على تقدير نزول الكتاب عليكم فقد حصل ما فرضتم وجاءكم بينة واي بينة اي حجة واضحة لا يكتنه كنهها وقوله
تعالى **من ربكم** متعلق بجاءكم او بمحذوف هو صفة لبينة اي بينة كائنة منه تعالى وايا ما كان ففيه دلالة
على فضلها في الاختيار كما ان في تنوينها التفخيمي دلالة على فضلها الذاتي وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة
الى ضميرهم مزيد تاكيد لايجاب الاتباع **وهدى ورحمة** عطف على بينة وتنوينهما ايضا تفخيمي عبر عن القرآن
بالبينة ايذانا بكمال تمكنهم من دراسته ثم بالهدى والرحمة تنبيها على انه مشتمل على ما اشتمل عليه التورية من هداية
الناس ورحمتهم بل هدى من الهداية والرحمة **فمن اظلم** الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان مجيء القرآن
المشتمل على الهدى والرحمة موجب لغاية اظلمية من يكذبه اي واذا كان الامر كذلك فمن اظلم **ممن كذب بآيات الله**
وضع الموصول موضع ضميرهم بطريق الالتفات تنصيصا على اتصافهم بما في حيز الصلة واشعارا بعلة الحكم
واسقاطا لهم عن رتبة الخطاب وعبر عما جاءهم بآيات الله تهويلا للامر وتنبيها على ان تكذيب اي آية كانت من آيات
الله تعالى كاف في الاظلمية فكيف بتكذيب القرآن المنطوي على الكل والمعنى انكار ان يكون احد اظلم ممن فعل ذلك او
مساويا له وان لم يكن سبك التركيب متعرضا للانكار المساواة ونفيها فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل منه
فالمراد به حتما بحكم العرف الناشي والاستعمال المطرد انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وقد مر مرارا **وصدف عنها**
اي صرف الناس عنها فجمع بين الضلال والاضلال **سنجزي الذين يصدفون** الناس عن آياتنا وعيدلهم ببيان جزاء
اضلالهم ايضا ووضع الموصول موضع الضمير لتحقيق مناط الجزاء **سوء العذاب** اي العذاب السيء الشديد النكاية **بما**
كانوا يصدفون اي بسبب ما كانوا يفعلون الصدف والصرف على التجدد والاستمرار وهذا تصريح بما اشعر به
اجراء الحكم على الموصول من علية ما في حيز الصلة له **هل ينظرون** استئناف مسوق لبيان انه لا يتاتى منهم الايمان
بانزال ما ذكر من البينات والهدى وانهم لا يرعون عن التمادي في المكابرة واقتراح ما ينافي الحكمة التشريعية من الآيات
الملجئة وان الايمان عند اتيانها مما لا فائدة له اصلا مبالغة في التبليغ والانذار وازاحة العلل والاعذار اي ما
ينتظرون **الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي ربك** حسبما اقترحوا بقولهم لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا وبقولهم
او ياتي بالله والملائكة قبيلا وبقولهم لولا انزل عليه ملك ونحو ذلك او الا ان ياتيهم العذاب او ياتي امر ربك بالعذاب
والانتظار محمول على التمثيل كما يجيء **وقرئ** ياتيهم بالياء لان تانيث الملائكة غير حقيقي **او ياتي بعض آيات ربك** اي
غير ما ذكر كما اقترحوا بقولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ونحو ذلك من عظائم الآيات التي علقوا بها ايمانهم
والتعبير عنها بالبعض للتهويل والتفخيم كما ان اضافة الآيات في الموضعين الى اسم الرب المبني عن المالكية الكلية
لذلك واضافته الى ضميره صلى الله عليه وسلم للتشريف **وقيل** المراد بالملائكة ملائكة الموت وباتيانه سبحانه
وتعالى اتيان كل آية بمعنى آيات القيمة والهلاك الكلي بقرينة ما بعده من اتيان بعض آياته تعالى على ان المراد به اشراط
الساعة التي هي الدخان ودابة الارض وخسف بالمشرق وخسف بالمغرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها وياجوج
وماجوج ونزول عيسى عليه السلام ونار تخرج من عدن كما نطق به الحديث الشريف المشهور وحيث لم يكن اتيانه
هذه الامور مما ينتظرونه كاتيان ما اقترحوه من الآيات فان تعليق ايمانهم باتيانها انتظار منهم له ظاهرا حمل الانتظار
على التمثيل المبني على تشبيه حالهم في الاصرار على الكفر والتمادي في العناد الى ان تاتيهم تلك الامور الهائلة التي
لا بد لهم من ايمان عند مشاهدتها البتة بحال المنتظرين لها وانت خبير بان النظم الكريم سياقه المبني عن
تماديهم في تكذيب آيات الله تعالى وعدم الاعتداد بها وسياقه الناطق بعدم نفع الايمان عند اتيان ما ينتظرونه
يستدعي ان يحمل ذلك على امور هائلة مخصوصة بهم اما بان تكون عبارة عما اقترحوه او عن عقوبات مترتبة على
جناياتهم كاتيان ملائكة العذاب واتيان امره تعالى بالعذاب وهو الانسب لما سياتي من قوله تعالى قل انتظروا
انا منتظرون واما حمله على ما ذكر من اتيان ملائكة الموت واتيان كل آيات القيمة وظهور اشراط الساعة مع

شمول اتيانها لكل بر وفاجر واشتمال غايلتها على كل مؤمن وكافر فمما لا يساعده المقام على ان بعض اشراط الساعة ليس مما ينسد به باب الايمان والطاعة نعم يجوز حمل بعض الاية في قوله عز وجل **يوم ياتي بعض ايات ربك** على ما يعم مقدماتهم وغيرها من الدواهي العظام السالبة للاختيار الذي عليه فلك التكليف فانه بمنزلة الكبرى من الشكل الاول فتنتج الثوب بدخول ما ينتظرونه في ذلك دخولا اوليا ويعم منصوب بقوله تعالى **لا ينفع** فان امتناع ما بعد لا فيما قبلها عنده وقوعها جواب القسم **وقرئ** يوم بالرفع على الابتداء والخبر هو الجملة والعايد محذوف اي لا ينفع فيه **نفسا** من النفوس **ايمانها** حينئذ لانكشاف وكون الامر عيانا ومدار قبول الايمان ان يكون بالغيب كقوله تعالى فلم يكن ينفعهم ايمانهم لما راوا **وقرئ** لا تنفع بالتاء الفوقانية لاكتساب الايمان من ملابسة المضاف تانيثا وقوله تعالى **لم تكن امنت من قبل** اي من قبل اتيان بعض الايات صفة لنفسا فصل بينهما بالفاعل لاشتمالها على ضمير الموصوف ولا ضمير فيه لانه غير اجنبي منه لاشتراكهما في العامل وقوله تعالى **او كسبت في ايمانها خيرا** عطف على امنت بايراد الترديد على النفي المفيد لكفاية احد النفيين في عدم النفي حينئذ والايمان حينئذ نفسا لم تقدم ايمانها او قدمته ولم تكسب فيه خيرا ومن ضرورة اشتراط النفع بتحقق الامرين اي الايمان المقدم والخير المكتسب فيه معا بمعنى ان النافع هو تحققهما والايمان الموجب لغو وتحصيل للحاصل لا انه هو النافع وتحققها شرط في نفعه كما لو كان المقدم غير الموجب فان قولك لا ينفع الصوم والصدقة من لم يؤمن قبلهما معناه انهما ينفعانه عند وقوعها بعد الايمان بالدين وقد استدل به اهل الاعتزال على عدم اعتبار الايمان المجرد عن الاعمال وليس بناهض ضرورة صحة حمله على نفي الترديد المستلزم لعموم المفيد بمنطوقه لاشتراط عدم النفع بعدم الامرين معا وبمفهومه لاشتراط النفع بتحقق احدهما بطريق منع الخلو دون الانفصال الحقيقي والمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا لم يصدر عنها من قبل احد الامرين اما الايمان المجرد والخير المكسوب فيه فيتحقق النفع بايهما كان حسبما ينطق به النصوص الكريمة من الايات والاحاديث **وما قيل** ان عدم الايمان السابق مستلزم لعدم كسب الخير فيه بالضرورة فيكون ذكره تكرارا بلا فايدة على ان الموجب للخلود في النار هو العدم الاول من غير ان يكون للثاني دخل ما في ذلك قطعا فيكون ذكره بصدد بيان ما يوجب الخلود لغوا من الكلام مبني على توهم ان المقصود بوصف النفس بالعدمين المذكورين مجرد بيان ايجابهما للخلود فيها وعدم الايمان الحادث في ايجابها عنه وليس كذلك والا لكفى في البيان ان يقال لا ينفع نفسا ايمانها الحادث بل المقصد الاصلي من وصفها بذينك العدمين في اثناء بيان عدم نفع الايمان الحادث تحقيق ان موجب النفع احدى ملكيتها اعني الايمان السابق والخير المكسوب فيه بما ذكر من الطريقة والترغيب في تحصيلها في ضمن التحذير من تركها ولا سبيل الى ان يقال كما ان عدم الاول مستقل في ايجاب الخلود في النار فيلغو ذكر عدم الثاني كذلك وجود مستقل في ايجاب الخلاص عنها فيكون ذكر الثاني لغوا لما انه قياس مع الفارق كيف لا وان الخلود فيها امر لا يتصور فيه تعدد العلل واما الخلاص عنها مع دخول الجنة فله مراتب بعضها مرتب على نفس الايمان وبعضها على فروعه المتفاوتة كما وكيفا وان لم يقصد على بيان ما يوجب الزايد ايضا ارشادا الى تحري الاعلى وتنبيها على كفاية الادنى واقناطا للكفرة عما علقوا به اطماعهم الفارغة في اعمال البر التي عملوها في الكفر من صلة الارحام واعتاق الرقاب وفك العناة واغاثة الملهوفين وقرى الاضياف وغير ذلك مما هو من باب المكارم ببيان ان كل ذلك لغو بحت لابتنائه على غير اساس حسبما نطق به قوله تعالى والذين كفروا اعمالهم كرماد اشتدت به الريح الاية ونحو ذلك من النصوص الكريمة وان الايمان الحادث كما لا ينفعهم وحده لا ينفعهم انضمام اعمالهم السابقة واللاحقة ولك ان تقول المقصود بوصف النفس بما ذكر من العدمين التعريض بحال الكفرة في تمردهم وتفريطهم في كل واحد من الامرين الراضين عليهم وان كان وجوب احدهما منوطا بالاخر كما في قوله عز وجل فلا صدق ولا صلى تسجيلا لكمال طغيانهم وايذانا بتضاعف عقابهم لما تقرر من ان الكفار مخاطبون بفروع الشرايع في حق المواخذة كما ينبئ عنه

المنفي لانه لا ينفع صح

قوله تعالى

قوله تعالى فويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة اذا تحققت هذا وقفت على ان الاية الكريمة احق بان تكون حجة على المعتزلة من ان تكون حجة لهم هذا وقد قيل انها من باب اللف التقديري اي لا ينفع نفسا ايمانها ولا كسبها في الايمان ما لم تكن امنت من قبل او كسبت فيه وليس بواضح فان معنى اللف التقديري ان يكون المقدر من متممات الكلام ومقتضيات المقام قد ترك ذكره تعويلا على دلالة الملفوظ واقتضائه اياه كما مر في تفسير قوله تعالى ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فانه قد طوى في المفصل ذكر حشر المؤمنين ثقة بانباء التفصيل عنه اعني قوله تعالى فاما الذين امنوا الاية ولا ريب في ان ما قدر هاهنا ليس مما يستدعيه قوله تعالى او كسبت في ايمانها خيرا ولا هو من مقتضيات المقام لانه ليس مما وعدوه وعلقوه باتيان ما ذكر من الايات كالايمان حتى يرد عليهم ببيان عدم نفعه ان ذلك مشعر بان لهم بعد ما اصابهم من الدواهي ما اصابهم بقاء على السلامة وزمانا يأتي منهم الكسب والعمل فيه وفيه من الاخلال بمقام تهويل الخطب وتفظيع الحال ما لا يخفى وقد اوجب عن الاستدلال بوجوه اخر قصاري امرها اسقاط الاية الكريمة عن رتبة المعارضة للنصوص القطعية المتون القوية الدالة على ما ذكر من كفاية الايمان المجرد عن العمل في الانجاء من العذاب الخالد ولو بعد اللتيا والتي لما تقرر من ان الظني بمعزل من معارضة القطعي **قل** لهم بعد بيان حقيقة الحال على وجه **انتظروا** ما تنتظرون من اتيان احد الامور الثلثة لتروا اي شيء تنتظرون **انا منتظرون** لنشاهد ما يحل بكم من سوء العاقبة وفيه تاييد لكون المراد بما ينتظرونه اتيان ملائكة العذاب او اتيان امره تعالى بالعذاب كما اشير اليه وعدة ضمنية لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون بمعاينتهم لما يحيق بالكفرة من العقاب ولعل ذلك هو الذي شاهدوه يوم بدر والله سبحانه اعلم **ان الذين فرقوا دينهم** استيناف لبيان احوال اهل الكتابين اثر بيان حال المشركين بددوه و بعضوه فتمسك بكل بعض منه فرقة منهم **وقرئ** فارقوا اي باينوا فان ترك بعضه وان كان باخذ بعض اخر منه ترك للكل ومفارقة لهم **وكانوا شيعا** اي فرقا بشيع كل فرقة اماما لها **قال** عليه الصلوة والسلام افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلهم في الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى اثنتين وسبعين فرقة كلهم في الهاوية الا واحدة وستفترق امتي على ثلث وسبعين فرقة كلهم في الهاوية الا واحدة واستثناء الواحدة من فرق كل من اهل الكتابين انما هو بالنظر الى العصر الماضي قبل النسخ واما بعده فالكل في الهاوية وان اختلفت اسبابه فمعنى قوله تعالى **لست منهم في شيء** لست من البحث عن تفرقهم والتعرض لمن يعارضك منهم بالمناقشة والمواخذة **وقيل** من قتالهم في شيء سوى تبليغ الرسالة واظهار شعاير الدين الحق الذي امرت بالدعوة اليه فيكون منسوخا باية السيف وقوله تعالى **انما امرهم الى الله** تعليل للنفي المذكور اي يتولى وحده امر اولهم واخرهم ويدبره كيف يشاء حسبما تقتضيه الحكمة يواخذهم في الدنيا متى شاء ويامركم بقتالهم اذا اراد **قيل** المفرقون اهل البدع والاهواء الزايغة من هذه الامة ويرده انه عليه الصلوة والسلام ما مور بمواخذتهم والاعتداد بان معنى لست منهم في شيء حينئذ انت بريء منهم ومن مذهبهم وهم مراد منك يا باه التعليل المذكور **ثم ينبئهم** يوم القيمة **بما كانوا يفعلون** عبر عن اظهاره بالتنبئة لما بينهما من الملابسة في انهما سببان للعلم تنبيها على انهم كانوا جاهلين بحال ما ارتكبوه غافلين عن سوء عاقبته اي يظهر لهم على رؤوس الاشهاد ويعلمهم اي شيء شنيع كانوا يفعلونه في الدنيا على الاستمرار ويرتب عليها ما يليق به من الجزاء وقوله تعالى **من جاء بالحسنة فله عشر امثالها** استيناف مبين لمقادير اجزية العاملين وقد صدر ببيان اجزية المحسنين المدلول عليهم بذكر اضدادهم **قال** عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما يريد من عمل من المصدقين حسنة كتبت له عشر حسنات امثالها فضلا من الله تعالى **وقرئ** عشر بالتنوين امثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وبسبعماية وبغير حساب ولذلك **قيل** المراد بذكر العشر بيان الكثرة لا الحصر في العدد الخاص **ومن جاء بالسيئة** اي بالاعمال السيئة كائنا من كان من العاملين **فلا يجزى الا مثلها**

بحكم الوعد واحدة بواحدة **وهم لا يظلمون** بنقص الثواب وزيادة العقاب **قل انني هداني ربي** امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبين لهم ما هو عليه من الدين الحق الذين يدعون انهم عليه وقدحا لقوم بالكلية وتصدير الجملة بحرف التحقيق لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلوة والسلام لمزيد تشريفه اي قل لاولئك المفرقين ارشدني ربي بالوحي وبما نصب في الافاق والانفس من الايات التكوينية **الى صراط مستقيم** موصل الى الحق وقوله تعالى **دينا** بدل من صراط فان محله النصب كما في قوله تعالى ويهديك صراطا مستقيما او مفعول لفعل مضمر يدل عليه المذكور **قيما** مصدر نعت به مبالغة والقياس قوما كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام **وقرئ** قيما وهو من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة وان كان هو ابلغ منه باعتبار الصيغة **ملة ابرهيم** عطف بيان لدينا **حنيفا** حال من ابرهيم اي مائلا عن الاديان الباطلة وقوله تعالى **وما كان من المشركين** اعتراض مقرر لنزاهته عليه الصلوة والسلام عما عليه المفرقون لدينه من عقد وعمل اي ما كان منهم في امر من امور دينهم اصلا وفرعا صرح بذلك ردا على الذين يدعون انهم على ملته عليه الصلوة والسلام من اهل مكة واليهود والمشركين بقولهم عزير ابن الله والنصارى بقولهم المسيح ابن الله والمشركين بقولهم الملائكة بنات الله **قل ان صلوتي ونسكي** اعيد الامر لما ان المامور به متعلق بفروع الشرائع وما سبق باصولها اي عبادتي كلها **وقيل** وذبحي جمع بينه وبين الصلوة كما في قوله تعالى فصل لربك وانحر **وقيل** صلوتي وحجي **ومحياي ومماتي** اي وما انا عليه في حيوتي واكون عليه عند موتي من الايمان والطاعة او طاعة الحيوة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير **وقرئ** محيا بسكون الياء اجراء للوصل مجرى الوقف **لله رب العالمين لا شريك له** خاصة له لا اشرك فيها غيره **وبذلك** اشارة الى الاخلاص وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل اي بذلك الاخلاص **امرت** لا بشيء غيره قوله تعالى **وانا اول المسلمين** لبيان مسارعته عليه الصلوة والسلام الى الامتثال بما امر به وان ما امر به ليس من خصائصه عليه الصلوة والسلام بل الكل مامورون به يقتدي به عليه الصلوة والسلام من اسلم منهم **قل اغير الله ابغي ربا** آخر فاشركه في العبادة **وهو رب كل شيء** جملة حالية مؤكدة للانكار اي والحال ان كل ما سواه مربوب له مثلي فكيف يتصور ان يكون شريكا له في العبودية **ولا تكسب كل نفس الا عليها** كانوا يقولون للمسلمين اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم اما بمعنى ليكتب علينا ما عملتم من الخطايا لا عليكم وبمعنى لنحمل يوم القيمة ما كتب عليكم من الخطايا فهذا رد له بالمعنى الاول اي لا يكون جناية نفس من النفوس الا عليها ومحال ان يكون صدورها عن شخص وقرارها حتى يتاتى ما ذكرتم وقوله تعالى **ولا تزر وازرة وزر اخرى** رد له بالمعنى الثاني اي لا تحمل يومئذ نفس حاملة حمل نفس اخرى حتى يصح قولكم **ثم الى ربكم مرجعكم** تلوين للخطاب وتوجيه له الى الكل لتاكيد الوعد وتشديد الوعيد اي مالك امركم ربكم رجوعكم يوم القيمة **فينبئكم** يومئذ **بما كنتم فيه تختلفون** ببيان الرشد من الغي وتمييز الحق من الباطل قوله تعالى **وهو الذي جعلكم خلائف الارض** حيث خلفتم الامم السالفة او يخلف بعضكم بعضا او جعلكم خلفاء الله تعالى في ارضه تتصرفون فيها على ان الخطاب عام **ورفع بعضكم** في الشرف والغنى **فوق بعض درجات** كثيرة متفاوتة **ليبلوكم فيما اتيكم** من المال والجاه اي ليعاملكم معاملة من يبتليكم لينظر ماذا تعملون من الشكر وضده **ان ربك** تجريد الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع اضافة اسم الرب الى ضميره عليه الصلوة والسلام لابراز مزيد اللطف به صلى الله عليه وسلم **سريع العقاب** اي عقابه سريع الاتيان لمن لم يراع حقوق ما اتاه الله تعالى ولم يشكره لان كل آت قريب او سريع التمام عند ارادته لتعاليه عن استعمال المبادي والالات **وانه لغفور رحيم** لمن راعاها كما ينبغي وفي جعل خبر هذه الجملة من الصفات الذاتية الواردة على بناء المبالغة موكدا باللام مع جعل خبر الاولى صفة جارية على غير من هي له من التنبيه على انه غفور رحيم بالذات مبالغ فيهما فاعل للعقوبة بالعرض مسامح فيها ما لا يخفى والله تعالى اعلم **عن** رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت على سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرا الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك

السبعون الف بعدد كل اية من سورة الانعام يوما وليلة والله تعالى اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

سورة الاعراف وهي مائتان وست ايات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **المص** اما مسرود على نمط التعديد باحد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الاعراب واما اسم للسورة فمحل الرفع على انه خبر مبتدا محذوف والتقدير هذا المص اي مسمى به وتذكير اسم الاشارة بعنى تانيث المسمى لما ان الاشارات من حيث انه مسمى بالاسم المذكور لا من حيث انه مسمى بالسورة وانما صحت الاشارة اليه مع عدم سبق ذكره لما انه باعتبار كونه بصدد الذكر صار في الحكم الحاضر المشاهد وقوله تعالى **كتاب** على الوجه الاول خبر مبتدا محذوف وهو ما ينبئ عنه تعديد الحروف كانه قيل المؤلف من جنس هذه الحروف مراد به التورية كتاب الى آخره واسم اشارة اشير به اليه تنزيل لحضور المؤلف منه منزلة حضور نفس المؤلف اي هذا كتاب الى آخره وعلى الوجه الثاني خبر بعد خبر جيء به اثر بيان كونه مترجما باسم بديع مبني عن غرابته في نفسه ابانة لجلالة محله ببيان كونه فردا من افراد الكتب الالهية حائزا للكمالات المختصة بها وقد جوز كونه خبرا عنه والمص مبتدا اي المسمى بالمص كتاب وقد عرفت ما فيه من ان ما يجعل عنوانا للموضع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه عند المخاطب واذ لا عهد بالتسمية قبل فحقها الاخبار بها **انزل اليك** من جهته تعالى بني الفعل للمفعول جريا على سنن الكبرياء وايذانا بالاستغناء عن التصريح بالفاعل لغاية ظهور تعينه وهو السر في ترك ذكر مبتداء الانزال كما في قوله تعالى بلغ ما انزل اليه من ربك ونظائره والجملة صفة للكتاب مشرفة له ولمن انزل اليه وجعله خبرا له على معنى كتاب عظيم الشان انزل اليك خلاف الاصل **فلا يكن في صدرك حرج** اي شك كما في قوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك خلا انه عبر عنه بما يلازمه من الحرج فان الشاك يعتريه ضيق الصدر كما ان المتيقن يعتريه انشراحه وانفساحه مبالغة في تنزيه ساحته عليه الصلوة والسلام عن نسبة الشك اليه ولو في ضمن النهي فانه من الاحوال القلبية التي يستحيل اعتراؤه اياه صلى الله عليه وسلم وما قد يقع من نسبته اليه في ضمن النهي فعلى طريقة التهييج والالهاب والمبالغة في التنفر والتحرز بايهام ان ذلك من القبيح والشرية بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه اصلا فكيف بمن يمكن ذلك منه والتنوين للتحقير والجار في قوله تعالى **منه** متعلق بحرج يقال حرج منه اي ضاق به صدره او بالمحذوف وقع صفة له اي حرج كائن منه اي لا يكن فيك شك ما في حقيته او في كونه كتابا منزلا اليك من عنده تعالى فالفاء على الاول لترتيب النهي او الانتهاء على مضمون الجملة فانه مما يوجب انتفاء الشك فيما ذكر بالكلية وحصول اليقين به قطعا واما على الثاني فهي لترتيب ما ذكر على الاخبار بذلك لا على نفسه فتدبر وتوجيه النهي عن الشيء مما يوهم امكان صدور المنهي عنه عن المنهي واما للمبالغة في النهي فان وقوع الشك في صدره عليه الصلوة والسلام لا تصافه به عليه الصلوة والسلام والنهي عن السبب نهي عن المسبب بالطريق البرهاني ونفي له عن اصله بالمرة كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم شنان قوم الاية وليس هذا من قبيل لا اريتك ههنا فان المنهي هناك وارد على المسبب مرادا به النهي عن السبب فيكون المال نهيه صلى الله عليه وسلم عن تعاطي ما يورث الحرج فتامل **وقيل** الحرج على حقيقته اي لا يكن فيك ضيق صدر من تبليغه مخافة ان يكذبوك او ان تقصر في القيام بحقه فانه عليه الصلاة والسلام كان يخاف تكذيب قومه واعراضهم عنه فكان يضيق صدره من الاداء ولا ينبسط له فامنه الله تعالى ونهاه عن المبالاة بهم فالفاء حينئذ للترتيب على مضمون الجملة او على الاخبار به فان كلا منهما موجب للاقدام على التبليغ وزوال الخوف قطعا وان كان ايجاب الثاني بواسطة الاول قوله تعالى **لتنذر به** اي بالكتاب المنزل متعلق بانزل وما بينهما اعتراض توسط بينهما تقريرا لما قبله وتمهيدا لما بعده دفعا لتوهم ان صدور الشك هو الانزال للانذار **وقيل** متعلق بالنهي فان انتفاء الشك في كونه منزلا من عنده تعالى موجب للانذار قطعا وكذا انتفاء الخوف منهم او العلم بانه موفق للقيام بحق موجب للتجاسر على ذلك وانت خبير بانه لا يتاتى على التفسير الاول لان تعليل النهي عن الشك بما ذكر من الانذار والتذكير مع ايهامه لامكان صدوره عنه عليه الصلوة والسلام مشعر بان النهي عنه ليس محذورا لذاته بل لافضائه

الي فوات الانذار والتذكير لاقل بان ذلك معظم غايته ولا ريب في فساده واما على التفسير الثاني فانما ياتي التعليل بالانذار
لا بتذكير المومنين اذ ليس فيه شايبة فوت حتى يجعل غاية لانتفائه وقوله تعالى **وذكرى للمومنين** في حيز النصب باضمار فعله معطوفا
على تنذر اي وتذكر المومنين تذكيرا او الجر عطفا على محل ان تنذر اي للانذار والتذكير **وقيل** مرفوع عطفا على كتاب او خبر
لمبتدا محذوف وتخصيص التذكير بالمومنين للايذان باختصاص الانذار بالكفرة اي لتنذر به المشركين وتذكر المومنين وتقديم
الانذار لانه اهم بحسب المقام **اتبعوا ما انزل اليكم** كلام مستانف خوطب به كافة المكلفين بطريق التلوين وامروا باتباع
ما امر النبي عليه الصلوة والسلام عليه بتبليغه بطريق الانذار والتذكير وجعله منزلا اليهم بواسطة الانزال اليه عليه
الصلوة والسلام اثر ذكر ما يصحبه من الانذار والتذكير لتاكيد وجوب اتباعه وقوله تعالى **من ربكم** متعلق بانزل على ان
من لابتداء الغاية مجازا او بمحذوف وقع حالا من الموصول او من ضميره في الصلة وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة
الى ضمير المخاطبين مزيد لطف بهم وترغيب لهم في الامتثال بما امروا به وتاكيد لوجوبه وجعل ما انزل ههنا عاما للسنة القولية
والفعلية بعيد نعم يعمهما حكمه بطريق الدلالة لا بطريق العبارة ولما كان اتباع ما انزل الله تعالى اتباعا له تعالى عقب الامر
بذلك بالنهي عن اتباع غيره تعالى فقيل **ولا تتبعوا من دونه** اي من دون ربكم الذي انزل اليكم ما يهديكم الى الحق ومحله النصب
على انه حال من فاعل فعل النهي اي لا تتبعوا متجاوزين الله تعالى **اولياء** من الجن والانس فان تقبلوا منهم ما يلقونه
اليكم بطريق الوسوسة والاغواء من الاباطيل ليضلوكم عن الحق ويحملوكم على البدع والاهواء الزايغة او من اولياء
قدم عليه لكونه نكرة اذ لو اخر عنه لكان صفة له اي اولياء كاينة عنه تعالى **وقيل** الضمير للموصول على حذف
المضاف في اولياء اي ولا تتبعوا من دون ما انزل اباطيل اولياء كانه قيل ولا تتبعوا من دون دين ربكم دين اولياء
وقرئ ولا تبتغوا من دون دين ربكم دين اولياء **وقرئ** ولا تبتغوا كما في قوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام
دينا وقوله تعالى **قليلا ما تذكرون** بحذف احدى التائين وتخفيف الذال **وقرئ** بتشديدها على ادغام التاء
المهموسة في الذال المجهورة **وقرئ** يتذكرون على صيغة الغيبة وقليلا نصب اما بما بعده على انه نعت
لمصدر محذوف مقدم للقصر او لزمان كذلك محذوف وما مزيدة لتاكيد القلة اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا
تذكرون لا كثيرا حيث لا تتاثرون بذلك ولا تعملون بموجبه وتتركون دين الله تعالى وتتبعون غيره ويجوز ان
يراد بالقلة العدم كما قيل في قوله تعالى فقليلا ما يومنون والجملة اعتراض تذييلي مسوق لتقبيح حال المخاطبين و
الالتفات على القراءة الاخيرة للايذان بما اقتضاه سوء حالهم في عدم الامتثال بالامر والنهي صرف الخطاب عنهم
وحكاية جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة واما نصب على انه حال من فاعل لا تتبعوا وما مصدرية مرتفعة به اي لا
تتبعوا من دونه اولياء قليلا تذكركم لكن لا على توجيه النهي الى المقيد فقط كما في قوله تعالى ولا تقربوا الصلوة
وانتم سكارى بل الى المقيد والقيد جميعا وتخصيصه بالذكر لمزيد تقبيح حالهم بجمعهم بين المنكرين **وكم من قرية اهلكناها**
شروع في انذارهم بما جرى بين الامم الماضية بسبب اعراضهم عن اتباع دين الله تعالى واصرارهم على اتباع دين
اوليائهم وكم خبرية للتكثير في موضع رفع على الابتداء كما في قولك زيد ضربته والخبر هو الجملة بعدها ومن قرية
تمييز والضمير في اهلكناها راجع الى معنى كم اي كثير من القرى اهلكناها وفي موضع نصب باهلكناها كما في قوله
تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر والمراد باهلاكها كما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة اي اردنا اهلاكها **فجاءها**
اي فجاء اهلها **باسنا** اي عذابنا **بياتا** مصدر بمعنى الفاعل واقع موقع الحال اي بايتين كقوم لوط **او هم**
قايلون عطف عليه او قايلين من القيلولة نصف النهار كقوم شعيب وانما حذف الواو من الحال المعطوفة
على اختها استثقالا لاجتماع العاطفين فان واو الحال حرف عطف قد استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير كما في
جاءني زيد هو فارس فانه غير فصيح وتخصيص الحالين بالعذاب لما ان نزول المكروه عند الغفلة والدعة افظع
وحكايته للسامعين ازجر وادع عن الاغترار باسباب الامن والراحة ووصف الكل بوصفي البيات والقيلولة
مع ان بعض المهلكين بمعزل فيها لا سيما القيلولة للايذان بكمال غفلتهم وامنهم **فما كان دعواهم** اي دعاؤهم

واستغاثتهم

واستغاثتهم ربهم او ما كانوا يدعون من ربهم ويتمنونه من مذهبهم **اذ جاءهم باسنا** عذابنا وعاينوا اماراته **الا ان قالوا**
جميعا **انا كنا ظالمين** الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وشهادتهم ببطلانه تحسرا عليه وندامة وطمعا في الخلاص وهيهات
ولات حين مناص **فلنسئلن الذين ارسل اليهم** بيان لعذابهم الاخروي اثر بيان عذابهم الدنيوي خلا انه قد تعرض لبيان
مبادي احوال المكلفين جميعا لكونه ادخل في التهويل والفاء لترتيب الاحوال الاخروية على الدنيوية ذكرا حسب ترتبها
عليها وجودا اي لنسئلن الامم قاطبة قايلين ماذا اجبتم المرسلين **ولنسئلن المرسلين** عما اجيبوا قال تعالى يوم يجمع
الله الرسل فيقول ماذا اجبتم والمراد بالسؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والذي نفي بقوله تعالى ولا يسال عن ذنوبهم
المجرمون سوال الاستعلام اول الامر في موقف الحساب والثاني سوال الحساب **فلنقصن عليهم** اي على الرسل حين
يقولوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب او عليهم وعلى المرسل اليهم جميعا ما كانوا عليه **بعلم** اي عالمين بظواهرهم
وبواطنهم او بمعلوماتهم **وما كنا غايبين** عنهم في حال من الاحوال فيخفى علينا شيء من اعمالهم واحوالهم والجملة تذييل
مقرر لما قبلها **والوزن** اي وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها وجيدها ورديها ورفعه على الابتداء وقوله
تعالى **يومئذ** خبره وقوله تعالى **الحق** صفته اي والوزن الحق ثابت يوم ان يكون السوال والقص **وقيل** خبر
مبتدا او محذوف كانه قيل ما ذلك الوزن فقيل الحق اي العدل السوي **وقرئ** القسط واختلف في كيفية الوزن
والجمهور على ان صحايف الاعمال هي التي توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلايق اظهارا للمعدلة وقطعا
للمعذرة كما يسالهم عن اعمالهم فيعترف بها السنتهم وجوارحهم وتشهد عليهم الانبياء والملايكة والاشهاد وكما
يثبت في صحايفهم فيقرؤونها في موقف الحساب **ويؤيده ما روي** ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر له تسعة
وتسعون سجلا مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فتطيش
السجلات وتثقل البطاقة **وقيل** يوزن الاشخاص لما روي عنه عليه الصلاة والسلام انه لياتي العظيم السمين
يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة **وقيل** الوزن عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل وبه قال مجاهد
والاعمش والضحاك واختاره كثير من المتاخرين بناء على ان استعمال لفظ الوزن في هذا المعنى شايع في اللغة
والعرف بطريق الكناية قالوا ان الميزان انما يراد به التوصل الى معرفة مقادير الشيء ومقادير اعمال العباد لا يمكن
اظهارها بذلك لانها اعراض قد فنيت وعلى تقدير بقائها لا تقبل الوزن **وقيل** ان الاعمال ظاهرة في هذه النشاة
بصور عرضية تبرز في النشاة الاخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح حتى ان الذنوب والمعاصي تتجسم
هناك وتتصور بصورة النار وعلى ذلك حمل قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله تعالى والذين ياكلون اموال
اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وكذا قوله عليه الصلاة والسلام في حق من يشرب من اناء الذهب والفضة
انما يجرجر في بطنه نار جهنم ولا بعد في ذلك الا ترى ان العلم يظهر في عالم المثال على صورة اللبن كما لا يخفى على من
له خبرة باحوال الحضرات الخمس **وقد روي عن** ابن عباس رضي الله عنهما انه يؤتى بالاعمال الصالحة على صورة
حسنة وبالاعمال السيئة على صور قبيحة فتوضع في الميزان فان قيل ان المكلف يوم القيمة اما مومن بالله تعالى
منزه عن الجحود فيكفيه حكمه تعالى بكيفيات الاعمال وكمياتها وما شاكله فلا يسلم حينئذ ان رجحان بعض الاعمال
على بعض بخصوصيات راجعة الى تلك الاعمال بل يستند الى اظهار الله تعالى اياه على ذلك الوجه فما الفايدة في الوزن
اجيب بانه ينكشف الحال يومئذ ويظهر جميع الايات بحقايقها على ما هي عليه وباوصافها واحوالها في انفسها
من الحسن والقبح وغير ذلك وتخلع عن الصور المستعارة التي بها ظهرت في الدنيا فلا يبقى لاحد ممن يشاهدها
شبهة في انها هي التي كانت في الدنيا بعينها وان كل واحد منها قد ظهر في هذه النشاة بصورته الحقيقية المستتبعة لصفاتها
ولا يخطر بباله خلاف ذلك وقوله تعالى **فمن ثقلت موازينه** تفصيل للاحكام المترتبة على الوزن والموازين اما جمع ميزان
او جمع موزون على ان المراد به ما له وزن وقدر وهو الحسنات فان رجحان احدهما مستلزم لرجحان الاخرى اي فمن رجحت
موازينه التي توزن بها حسناته واعماله التي قد دوزنه **وعن** الحسن البصري وحق لميزان توضع فيه الحسنات

ان يثقل وحول الميزان توضع فيه السيئات ان يخف فاوليك اشارة الي الموصول باعتبار اتصافهم بثقل الموازين فالجمعية
باعتبار معناه كما ان جمع الموازين لذلك واما ضمير موازينه فراجع اليه باعتبار لفظه ومافيه من معني البعد للايذان
بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل والشرف هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب وهم ضمير فصل يفصل بين الخبر
والصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه اومبتداء خبره المفلحون والجملة خبر اوليك وتعريف
المفلحون للدلالة علي انهم الناس الذين بلغك انهم مفلحون في الاخرة واشارة الي ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين
وخصايصهم ومن خفت موازينه موازين اعماله او اعماله التي لاوزن لها ولا اعتداد بها وهي اعماله السيئة فاوليك
اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بتلك الصفة القبيحة والجمعية ومعني البعد لما مر آنفا في نظيره وهو مبتداء خبره
الذين خسروا انفسهم اي ضيعوا الفطرة السليمة التي فطروا عليها وقد ايدت بالايات البينة وقوله تعالي بما كانوا
باياتنا يظلمون متعلق بخسروا وما مصدرية وبا باياتنا متعلق بيظلمون علي معني التكذيب قدم عليه لمراعاة الفواصل
والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة علي استمرار الظلم في الدنيا اي فاوليك الموصوفون بخفة الموازين
الذين خسروا انفسهم بسبب تكذيبهم المستمر باياتنا ظالمين ولقد مكناكم في الارض لما امر الله سبحانه اهل مكة باتباع
ما انزل اليهم ونهاهم عن اتباع غيره وبين لهم وخامة عاقبته بالاهلاك والعذاب المخلد في الاخرة ذكرهم ما افاض
عليهم من فنون النعم الموجبة للشكر ترغيبا في الامتثال بالامر والنهي اثر ترهيب اي جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا
او مكناكم فيها واقدرناكم علي التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش المعايش جمع معيشة وهي ما يعاش به من
المطاعم والمشارب وغيرها او ما يتوصل به الي ذلك والوجه في قراءته اخلاص الياء وعن ابن عامر انه همزة
تشبيها له بصحايف ومداين والجعل بمعني الابداع اي انشانا وابدعنا لمصالحكم ومنافعكم فيها اسبابا تعيشون
بها وكل واحد من الظرفين متعلق به او بمحذوف وقع حالا من مفعوله المنكر اذ لو تاخر لكان صفة له وتقديمهما
علي المفعول مع ان حقهما التاخر عنه لما مر غير مرة من الاعتناء بشان المقدم والتشويق الي المؤخر فان النفس عند
تاخير ما حقه التقديم لاسيما عند كون المقدم منبيا علي منفعته للسامع تتبع مترقبة لورود المؤخر فيتمكن فيها
عند الورود فضل تمكن واما تقديم اللام علي في فلانه المنبئ عما ذكر من المنفعة فالاعتناء بشانه اتم والمسارعة
الي ذكره اهم هذا وقد قيل ان الجعل متعد الي مفعولين ثانيهما احد الظرفين علي انه مستقر قدم علي
الاول والظرف الاخر اما لغو متعلق بالجعل او بالمحذوف الواقع حالا من المفعول الاول كما مر وانت خبير بانه لا
فايدة تعتد في الاخبار بجعل المعايش حاصلة لهم او حاصلة في الارض وقوله تعالي قليلا ما تشكرون اي تلك
النعم تذييل مسوق لبيان سوء حال المخاطبين وتحذيرهم وبقية الكلام فيه عين ما مر في تفسير قوله تعالي قليلا
ما تذكرون ولقد خلقناكم ثم صورناكم تذكير لنعمة عظيمة فايضة الي آدم عليه السلام سارية الي ذريته موجبة لشكرهم
كافة وتاخيره عن تذكير ما وقع بعده من نعمة التمكين في الارض اما لانها فايضة علي المخاطبين بالذات وهذه بالواسطة
واما للايذان بان كلا منهما نعمة مستقلة مستوجبة للشكر علي حيالها فان رعاية الترتيب الوقوعي ربما يودي الي توهم
عد الكل نعمة واحدة كما ذكر في قصة البقرة وتصدير الجملتين بالقسم وحرف التحقيق لاظهار كمال العناية بمضمونها
وانما نسب الخلق والتصوير الي المخاطبين مع ان المراد بهما خلق آدم عليه السلام وتصويره حتما توفية لمقام الامتنان
حقه وتاكيد الوجوب الشكر عليهم بالرمز الي ان لهم حظا من خلقه عليه السلام وتصويره لما انه ليسا من الخصايص المقصورة
عليه السلام بل من الامور السارية الي ذريته جميعا اذ الكل مخلوق في ضمن خلقه علي نمط ومصنوع علي مشاكلته فكانهم
الذي تعلق بر خلقه وتصويره اي خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه ابدع تصوير واحسن تقويم سار اليكم
جميعا ثم قلنا للملايكة اسجدوا لآدم صريح في انه ورد بعد خلقه عليه السلام وتسويته ونفخ الروح فيه امر منجز
لا الامر المتعلق الوارد قبل ذلك بقوله تعالي فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وهو المراد بما حكي
بقوله تعالي واذ قلنا للملئكة اسجدوا لآدم الاية في سورة البقرة وسورة بني اسرائيل وسورة الكهف وسورة

طه من غير تعرض لوقته وكلمة ثم ههنا يقتضي تراخيه عن التصوير من غير تعرض لبيان ما يجري بينهما من الامور وقد بيّنا في
سورة البقرة ان ذلك ظهور فضل آدم عليه السلام بعد المحاورة المسبوقة بالاخبار باستخلافه عليه السلام حسبما
نطق به قوله عز وجل واذ قال ربك للملايكة اني جاعل في الارض خليفة الي قوله وما كنتم تكتمون فان ذلك ايضا من جملة
ما ينتظر به الامر المعلق من التسوية ونفخ الروح وعدم ذكره عند الحكاية لا يقتضي عدم ذكره عند وقوع المحكي كما ان عدم
ذكر الامر المعلق عند حكاية الامر المنجز لا يستلزم من عدم مسبوقيته به فان حكاية كلام واحد علي اساليب مختلفة
يقتضيها المقام ليست بعزيزة في الكلام العزيز فلعله القي الي الملايكة عليهم السلام جميع ما يتوقف عليه الامر
المنجز اجمالا بان قيل مثلا اني خالق بشرا من كذا وكذا وجاعل اياه خليفة في الارض فاذا سويته فنفخت فيه
من روحي وتبين لكم فضله فقعوا له ساجدين فخلقه فسواه فنفخ فيه من روحه فقالوا عند ذلك ما قالوا
او القي اليهم خبر الخلافة بعد تحقق الشرايط المذكورة بان قيل اثر نفخ الروح اني جاعل هذا خليفة في الارض
فهنالك ذكروا في حقه عليه الصلاة والسلام ما ذكروا فايده الله تعالي بتعليم الاسماء فشاهدوا منه عليه
السلام ما شاهدوا فعند ذلك ورد الامر المنجز اعتناء بشان المامور به وايذانا بوقته وقد حكي بعض الامور
المذكورة في بعض المواطن وبعضها في بعضها اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في موطن آخر والذي يرفع غشاوة
الاشتباه عن البصاير السليمة انه في سورة ص من قوله تعالي اذ قال ربك للملايكة الايات من قوله اذ يختصمون
فيما قبل من قوله ما كان لي من علم بالملاء الاعلي اذ يختصمون اي بكلامهم عند اختصامهم ولا ريب في ان المراد بالملا الاعلي
الملايكة وآدم عليهم السلام حسبما اتفق عليه جمهور المفسرين وباختصامهم ما جري بينهم في شان الخلافة من التقاول
الذي من جملته ما صدر عنه عليه السلام من الانباء بالاسماء ومن قضية البدلية وقوع الاختصام المذكور في تضاعيف
ما شرح فيه مفصلا من الامر المعلق وما علق به من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه وما ترتب عليه من سجود الملايكة
وعناد ابليس ولعنه واخراجه من بين الملايكة وما جري بعده من الافعال والاقوال اذ ليس تمام الاختصام بعد
سجود الملايكة ومكابرة ابليس وطرده من البين لما عرفت من انه احد المختصمين كما انه ليس قبل الخلق ضرورة فاذا هو
بعد نفخ الروح وقبل السجود باحد الطريقين المذكورين والله تعالي اعلم فسجدوا اي الملايكة عليهم السلام
بعد الامر من غير تلعثم الا ابليس استثناء متصل لما انه كان جنيا مفردا مغمورا بالوف من الملايكة متصفا
بصفاتهم فغلبوا عليه في فسجدوا ثم استثني استثناء واحد منهم او لان من الملايكة جنسا يتوالدون يقال لهم
الجن كما مر في سورة البقرة فقوله تعالي لم يكن من الساجدين اي لم يسجد لآدم كلام مستانف مبين لكيفية
عدم السجود المفهوم من الاستثناء فان عدم السجود قد يكون للتامل ثم يقع وبه علم انه لم يقع قط وقيل
منقطع فحينئذ يكون متصلا بما بعده اي لكن ابليس لم يكن من الساجدين قال استيناف مسوق
للجواب عن سوال نشا من حكاية عدم سجوده كانه قيل فما ذا قال الله تعالي حينئذ وبه يظهر وجه الالتفات
الي الغيبة اذ لا وجه لتقدير السوال علي وجه المخاطبة وفيه فايدة اخري حينئذ للاشعار بعدم تعلق
المحكي بالمخاطبين كما في حكاية الخلق والتصوير ما منعك ان لا تسجد اي ان تسجد كما وقع في سورة ص ولا مزيدة
موكدة لمعني الفعل الذي دخلت عليه كما في قوله تعالي لئلا يعلم اهل الكتاب منبهة علي ان الموبخ عليه ترك
السجود وقيل الممنوع عن شيء مصروف الي خلافه فالمعني الي ان تسجد اذ امرتك قيل فيه دلالة علي ان
مطلق الامر للوجوب والفور وفي سورة الحجر يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين وفي سورة ص ما منعك
ان تسجد لما خلقت بيدي واختلاف العبارات عند الحكاية يدل علي ان اللعين قد ادمج في معصية واحدة
ثلاث معاص مخالفة الامر ومفارقة الجماعة والاباء عن الانتظام في سلك اوليك المقربين والاستكبار
مع تحقير آدم عليه السلام فقد وبخ حينئذ علي كل واحدة منها لكن اقتصر عند الحكاية في كل موطن علي ما
ذكر فيه اكتفاء بما ذكر في مواطن اخر واشعارا بان كل واحدة منها كافية في التوبيخ واظهار بطلان ما ارتكبه

وقد تركت حكاية التوبيخ راسا في سورة البقرة وسورة بني اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه **قال** استيناف كما سبق
مبني على السوال الذي نشاء من حكاية التوبيخ كانه قيل فماذا قال اللعين عند ذلك قال **انا خير منه** متجانفا عن تطبيق
جوابه على السوال بان يقول منعني كذا مدعيا لنفسه بطريق الاستيناف شيا من الاستلزام لمنعه من السجود على زعمه مشعرا
بان من شانه هذا لا يحسن ان يسجد لمن دونه فكيف يحسن ان يومر به كما ينبي عنه ما في سورة الحجر من قوله لم اكن لاسجد
لبشر خلقته من صلصال من حماء مسنون فهو اول من اسس بنيان التكبر واخترع القول بالحسن والقبح العقليين وقوله
تعالى **خلقتني من نار وخلقته من طين** تعليل لما ادعاه من فضله عليه ولقد اخطاء اللعين حيث خص الفضل بما هو من جهة
العنصر وزل عنه ما من جهة الفاعل كما انباء عنه قوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي بغير واسطة على
وجه الاعتناء به وما من جهة الصورة كما نبه عليه قوله تعالى ونفخت فيه من روحي وما من جهة الغاية وهو ملاك
الامر ولذلك امر الملايكة بسجوده عليه السلام حين ظهر لهم انه اعلم منهم بما يدور عليه امر الخلافة في الارض وان
له خواص ليست لغيره وفي الاية دليل على الكون والفساد وان الشياطين اجسام كاينة ولعل اضافة خلق البشر الى الطين
والشياطين الى النار باعتبار الجزء الغالب **قال** استيناف كما سلف والفاء في قوله تعالى **فاهبط منها** لترتيب الامر
على ما ظهر من اللعين من مخالفة الامر وتعليله بالاباطيل واصراره على ذلك اي فاهبط من الجنة والاضمار قبل ذكرها
لشهرة كونه من سكانها **قال** ابن عباس رضي الله عنهما كانوا في عدن لا في جنة الخلد **وقيل** من زمرة الملايكة المقربين
فان الخروج من زمرتهم هبوط واي هبوط وفي سورة الحجر فاخرج منها واما ما قيل من ان المراد الهبوط من السماء
فيرده ان وسوسته لادم عليه السلام كانت بعد هذا الطرد فلا بد ان يحمل على احد الوجهين قطعا ويكون وسوسته
على الوجه الاول بطريق النداء من باب الجنة **كما روي عن** الحسن البصري وقوله تعالى **فما يكون لك** اي فما
يصح ولا يستقيم لك ولا يليق بشانك قوله تعالى **ان تتكبر فيها** اي في الجنة او في زمرة الملايكة تعليل للامر بالهبوط
فان عدم صحة ان يتكبر فيها علة للامر المزبور فانها مكان المطيعين الخاشعين ولا دلالة فيه على جواز التكبر في
غيرها وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة دلالة وانه تعالى انما طرده لتكبره لا لمجرد عصيانه وقوله تعالى **فاخرج**
تاكيد للامر بالهبوط متفرع على علته قوله تعالى **انك من الصاغرين** تعليل للامر بالخروج مشعر بانه لتكبره اي من الاذلاء
واهل الهوان على الله تعالى وعلى اوليائه لتكبره **وعن** عمر رضي الله عنه من تواضع لله رفع الله حكمته **وقال**
انتعش نعشك الله ومن تكبر وعدا طوره رهصه الله تعالى الى الارض **قال** استيناف كما مر مبني على سوال نشاء
مما قبله كانه قيل فماذا قال اللعين بعد ما سمع هذا الطرد المؤكد فقيل قال **انظرني** اي امهلني ولا تمتني **الى
يوم يبعثون** اي ادم وذريته للجزاء بعد فنائهم وهو وقت النفخة الثانية واراد اللعين بذلك ان يجد فسحة
من اغوائهم ويأخذ منهم ثاره وينجو من الموت لاستحالته بعد البعث **قال** استيناف كما سلف **انك من المنظرين**
وورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما ساله الاخرين على وجه يشعر بان السايل تبع لهم في ذلك صريح
في انه اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص به اجابة لدعايه وان استنظاره كان طلبا لتاخير الموت
اذ به يتحقق كونه من جملتهم لا لتاخير العقوبة **كما قيل** اي انك من جملة الذين اخرت اجالهم ازلا حسبما يقتضيه
الحكمة التكوينية الى وقت فناء غير ما استثناه الله تعالى من الخلايق وهو النفخة الاولى وقت البعث الذي هو
المسئول وقد ترك التوقيت للايجاز ثقة بما وقع في سورة الحجر وص كما ترك ذكر النداء والفاء في الاستنظار
والانظار تعويلا على ما ذكر فيهما بقوله عز وجل رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم
وفي انظاره ابتلاء للعباد وتعريض للثواب ان قلت لا ريب في ان الكلام المحكي له عند صدوره من المتكلم حالة مخصوصة
يقتضي وروده على وجه خاص من وجوه النظم بحيث لو اخل بشيء من ذلك سقط الكلام عن رتبة البلاغة البتة فالكلام
الواحد المحكي على وجوه شتى ان اقتضى الحال وروده على وجه معين من تلك الوجوه الواردة عند الحكاية فذلك الوجه للمطابق
لمقتضى الحال والبالغ الى رتبة البلاغة دون ما عداه من الوجوه اذا تمهد هذا فنقول لا يخفى ان استنظار اللعين

انما صدر عنه مرة واحدة لا غير فمقامه ان اقتضى اظهار الضراعة وترتيب الاستنظار على ما حاق به من اللعن والطرد
على نهج استدعاء الجبر في مقابلة الكسر كما هو المتبادر من قوله رب فانظرني حسبما حكي عنه في السورتين فما حكي
ههنا بمعزل من المطابقة لمقتضى الحال فضلا عن العروج الى معارج الاعجاز قلنا مقام استنظاره مقتض لما ذكر من
اظهار الضراعة وترتيب الاستنظار على الحرمان المدلول عليه بالطرد والرجم وكذا مقام الانظار مقتض لترتيب الاخبار
بالانظار على الاستنظار وقد طبق الكلام عليه في تلك السورتين و في كل واحد من مقام الحكاية والمحكي جميعا حظه واما
ههنا فحيث اقتضى مقام الحكاية مجرد الاخبار بالاستنظار والانظار صيغة سيقت الحكاية على نهج الايجاز والاختصار
من غير تعرض لبيان كيفية كل منهما عند المخاطبة والحوار **ان قلت** فاذا لا يكون ذلك نقلا للكلام على ما هو عليه
ولا مطابقا لمقتضى المقام قلنا الذي يجب اعتباره في نقل الكلام انما هو اصل معناه ونفس مدلوله الذي يفيده واما
كيفية افادته له فليس مما يجب مراعاته عند النقل البتة بل قد تراعى وقد لا تراعى حسب اقتضاء المقام ولا يقدح
في اصل الكلام تجريده عنها بل قد يراعى عند نقله كيفيات وخصوصيات لم يراعها المتكلم اصلا ولا يخل ذلك بكون
المنقول اصل المعنى الا ترى ان جميع المقالات المنقولة في القران الكريم انما يحكى بكيفيات واعتبارات لا يكاد يقدر
على مراعاتها من تكلم بها حتما والا لامكن صدور الكلام المعجز عن البشر فيما اذا كان المحكي كلاما واما عدم مطابقته لمقتضى
الحال فمنشاؤه الغفلة عما يوجب توفير مقتضاه من الاحوال فان ملاك الامر هو مقام الحكاية واما مقام وقوع
المحكي فان كان مقتضاه موافقا لمقتضى مقام الحكاية يوفي كل واحد من المقامين حقه كما في سورة الحجر وسورة ص
فان مقام الحكاية فيهما لما كان مقتضيا لبسط الكلام وتفصيله على الكيفيات التي وقع عليها روعي حق المقامين معا
واما في هذه السورة الكريمة فحيث اقتضى مقام الحكاية الايجاز روعي جانبه الا ترى ان المخاطب المنكر اذا كان ممن
لا يفهم الا اصل المعنى وجب على المتكلم ان يجرد كلامه عن التاكيد وساير الخواص والمزايا التي يقتضيها المقام ويخاطبه
بما يناسبه من الوجوه لكنه مع ذلك يجب ان يقصد معنى زايدا يفهمه سامع اخر بليغ هو تجريده عن الخواص رعاية
لمقتضى حال المخاطب في الفهم وبذلك يرتقي كلامه عن رتبة اصوات الحيوانات كما حقق في مقامه فاذا وجب مراعاة
مقام الحكاية مع افضايها الى تجريد الكلام عن الخواص والمزايا بالمرة فما ظنك بوجوب مراعاته مع تحلية الكلام بمزايا
اخر يرتقي بها الى مرتبة الاعجاز لا سيما اذا وفي حق مقام وقوع المحكي في السورتين الكريمتين وكان هذا الايجاز
مبنيا عليه وثقة به **قال** استيناف كما مر **فبما اغويتني** الباء للقسم كما في قوله تعالى فبعزتك لاغوينهم
اجمعين فان اغواءه تعالى اياه اثر من اثار قدرته وعزته وحكم من احكام سلطانه تعالى فمآل الاقسام بهما واحد فلعل
اللعين اقسم بهما جميعا فحكي تارة قسمه باحدهما واخرى بالاخر والفاء لترتيب مضمون الجملة على الانظار وما
مصدرية اي فاقسم باغوائك اياي **لاقعدن لهم** او للسببية على ان الباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا بقوله
لاقعدن لهم كما في الوجه الاول فان اللام تصد عن ذلك اي فبسبب اغوائك اياي لاجلهم اقسم بعزتك لاقعدن
لادم وذريته ترصدا بهم كما يقعد القطاع للقطع على السابلة **صراطك المستقيم** الموصل الى الجنة وهو دين الاسلام
فالقعود مجاز متفرع على الكناية وانتصابه على الظرفية كما في قوله كما عسل الطريق الثعلب **وقيل** على نزع الجار تقدير
على صراطك كقوله ضرب زيد الظهر والبطن **ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم**
اي من الجهات الاربع التي يعتاد هجوم العدو منها مثل قصده اياهم للتزيين والاضلال من اي وجه تيسر باتيان
العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يذكر الفوق والتحت **وعن** ابن عباس رضي الله عنهما من بين ايديهم من قبل الاخرة
ومن خلفهم من جهة الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم من بين ايديهم من حيث يعلمون
ويقدرون على التحرز عنه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر
لهم ان يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم ومن حيث لا يتيسر لهم ذلك وانما عدي الفعل
الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الاخرين بحرف المجاوزة فان الاتي منهما كالمنحرف المتجافي

عنهم المانع على عرضهم ونظيره جلست عن يمينه **ولا تجد اكثرهم شاكرين** اي مطيعين وانما قاله ظنا لقوله تعالى ولقد صدق
عليهم ابليس ظنه لما راى منهم مبداء الشر متعددا ومبداء الخير واحدا **وقيل** سمعه من الملايكة عليهم السلام **قال** استينافا
كما سلف مرارا **اخرج منها** اي من الجنة او من السماء او من بين الملايكة **مذءوما** اي مذموما من ذامه اذا ذمه
وقرى مذوما كمسول في مسئول او كمكول في مكيل من ذامه يذيمه ذيما **مدحورا** مطرودا **لمن تبعك**
منهم اللام موطية للقسم وجوابه **لاملان جهنم منكم اجمعين** وهو ساد مسد جواب الشرط **وقرى** لمن تبعك بكسر
اللام على انه خبر لاملان على معنى لمن تبعك هذا الوعيد او علة لاخرج لاملان جواب قسم محذوف ومعنى منكم منهم
ومنك على تغليب المخاطب **ويا آدم** اي وقلنا كما وقع في سورة البقرة وتصدير الكلام بالنداء للتنبيه على الاهتمام
بتلقي المامور به وتخصيص الخطاب به عليه السلام للايذان باصالته في تلقي الوحي وتعاطي المامور به **اسكن انت
وزوجك الجنة** هو من السكنى الذي هو عبارة عن اللبث والاستقرار والاقامة لا من السكون الذي هو ضد الحركة
وانت ضمير اكد به المستكن في اسكن ليصح العطف عليه والفاء في قوله تعالى **فكلا من حيث شئتما** لبيان المراد بما في
سورة البقرة في قوله تعالى وكلا منها رغدا حيث شئتما من ان ذلك كان جمعا مع الترتيب وقوله تعالى من حيث شئتما
في معنى منها حيث شئتما ولم يذكر ههنا وتوجيه الخطاب اليهما لتعميم التشريف والايذان بتساويهما في مباشرة
المامور به فان حوا اسوة له عليه السلام في حق الاكل بخلاف السكنى فانها تابعة له فيه ولتعليق النهي بها صريحا
في قوله تعالى **ولا تقربا هذه الشجرة وقرى** هذي وهو الاصل لتصغيره على زيادة الهاء بدل من الياء **فتكونا من
الظالمين** اما جزم على العطف او نصب على الجواب **فوسوس لهما الشيطان** اي فعل الوسوسة لاجلهما او تكلم لهما كلاما
خفيا متداركا متكررا وهي في الاصل الصوت الخفي كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس الحلي وقد سبق بيان كيفية وسوسته
في سورة البقرة **ليبدي لهما** اي ليظهر لهما واللام للعاقبة او للغرض على انه اراد بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف
عورتيهما ولذلك عبر عنهما بالسوءة وفيه دليل على ان كشف العورة في الخلوة وعند الزوج مستهجن في الطباع **ما ووري
عنهما من سوءاتهما** ما غطي وستر عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وانما لم يقلب الواو
المضمومة همزة في المشهور كما قلبت في اويصل تصغير واصل لان الثانية مدة **وقرى** سواتهما بحذف الهمزة والقاء
حركتها على الواو وبقلبها واوا وادغام الواو الساكنة فيها **وقال** عطف على وسوس بطريق البيان **ما نهاكما ربكما عن
هذه الشجرة** عن اكلها **الا ان تكونا ملكين** اي الا كراهة ان تكونا ملكين **او تكونا من الخالدين** الذين لا يموتون او يخلدون
في الجنة وليس فيه دلالة على افضلية الملايكة لما ان من المعلوم ان الحقايق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما في ان يحصل
لهما اوصاف الملايكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك بمعزل من الدلالة على الافضلية
بالمعنى المتنازع فيه **وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين** اي اقسم لهما وصيغة المغالبة للمبالغة **وقيل** اقسما له
بالقبول **وقيل** قالا له اقسم بالله انك لمن الناصحين واقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة **فدليهما** فنزلهما على الاكل
من الشجرة وفيه تنبيه على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية فان التدلية والادلاء ارسال الشي من الاعلى الى
الاسفل **بغرور** بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يقسم بالله كاذبا او متلبسين بغرور **فلما ذاقا الشجرة
بدت لهما سوءاتهما** فلما وجدا طعمها آخذين في الاكل منها اخذتهما العقوبة وشوم المعصية فتهافت عنهما لباسهما
وظهرت لهما عوراتهما **واختلف** في ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا او ظفرا
وطفقا يخصفان طفق من افعال الشروع والتلبس كاخذ وجعل وانشا وعلق وهب وانبرى اي اخذا يرقعان
ويلزقان ورقة فوق ورقة **عليهما من ورق الجنة قيل** كان ذلك ورق التين **وقرى** يخصفان من اخصف اي
يخصفان من التخفيف ويخصفان اصله يختصفان **وناداهما ربهما** مالك امرهما بطريق العتاب والتوبيخ
الم انهكما وهو تفسير للنداء فلا محل له من الاعراب او معمول لقول محذوف اي وقال او قايلا الم انهكما
عن تلكما الشجرة وما في اسم الاشارة من معنى البعد لما انه اشارة الى الشجرة التي نهي عن قربانها **واقل لكما** عطف

من غير حاجة تبيح

على انهكما

على انهكما اي الم اقل لكما **ان الشيطان لكما عدو مبين** وهذا عتاب وتوبيخ على الاغترار بقول العدو كما ان الاول عتاب
على مخالفة النهي **قيل** فيه دليل على ان مطلق النهي للتحريم ولكما متعلق بعدو لما فيه من معنى الفعل او بمحذوف هو حال
من عدو ولم يحك هذا القول ههنا وقد حكي في سورة طه بقوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك الاية **روي** انه تعالى
قال لآدم الم يكن فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة **فقال** بلى وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا من خلقك
يحلف بك كاذبا **قال** فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا فاهبط وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث
فحرث وسقى وحصد ودرس وذرى وعجن وخبز **قالا ربنا ظلمنا انفسنا** اي ضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج من
الجنة **وان لم تغفر لنا** ذلك **وترحمنا لنكونن من الخاسرين** وهو دليل على ان الصغاير يعاقب عليها وان لم تغفر **وقالت**
المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكباير ولذلك حملوا قولهما ذلك على عادات المقربين في استعظام الصغير
من السيآت واستصغار العظيم من الحسنات **قال** استيناف كامر مرارا **اهبطوا** خطاب لآدم وحوا وذريتهما
او لهما ولابليس كرر الامر له تبعا لهما ليعلم انهما قرناء ابدا واخبر عما قال لهم مفرقا كما في قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا
من الطيبات ولم يذكر ههنا قبول توبتهما ثقة بما ذكر في ساير المواضع **بعضكم لبعض عدو** جملة حالية من
فاعل اهبطوا اي متعادين **ولكم في الارض مستقر** اي استقرار او موضع استقرار **ومتاع** اي تمتع وانتفاع **الى
حين** هو حين انقضاء اجالكم **قال** اعيد الاستيناف اما للايذان بعدم اتصال ما بعده بما قبله كما في قوله تعالى
قال فما خطبكم ايها المرسلون اثر قوله تعالى قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون وقوله تعالى قال ارايتك هذا الذي
كرمت علي بعد قوله تعالى قال اسجد لمن خلقت طينا واما للاظهار للاعتناء بمضمون ما بعده من قوله **فيها تحيون وفيها
تموتون ومنها تخرجون** اي للجزاء كقوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى **يا بني آدم**
خطاب للناس كافة وايرادهم بهذا العنوان مما لا يخفى سره **قد انزلنا عليكم لباسا** اي خلقناه لكم بتدبيرات سماوية
واسباب نازلة منها ونظيره وانزل لكم من الانعام الخ وقوله تعالى وانزلنا الحديد وقوله تعالى **يواري سوآتكم** التي
قصد ابليس ابداها من ابويكم حتى اضطرا الى خصف الاوراق وانتم مستغنون عن ذلك **وروي** ان العرب كانوا
يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف بثياب عصينا الله تعالى فيها فنزلت ولعل ذكر قصة آدم للايذان بان انكشاف
العورة اول سوء اصاب الانسان من قبل الشيطان وانه اغواهم في ذلك كما اغوى ابويهم **وريشا** ولباسا يتجملون به
والريش الجمال **وقيل** مالا ومنه تريش الرجل اي تمول **وقرى** رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب **ولباس التقوى**
اي خشية الله تعالى **وقيل** الايمان **وقيل** السمت الحسن **وقيل** لباس الحرب ورفعه بالابتداء خبره جملة
ذلك خير او خبر وذلك صفته كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير **وقرى** ولباس التقوى بالنصب عطفا
على لباسا **ذلك** اي انزال اللباس **من آيات الله** الدالة على عظيم فضله وعميم رحمته **لعلهم يذكرون** فيعرفون
نعمته او يتفطنون فيتورعون عن القبايح **يا بني آدم** تكرير النداء للايذان بكمال الاعتناء بمضمون ما صدر به وايراد
بهذا العنوان مما لا يخفى سببه **لا يفتننكم الشيطان** اي لا يوقعنكم في الفتنة والمحنة بان يمنعكم من دخول الجنة **كما
اخرج ابويكم من الجنة** نعت لمصدر محذوف اي لا يفتننكم فتنة مثل اخراج ابويكم وقد جوز ان يكون التقدير لا يخرجنكم
بفتنته اخراجا مثل اخراجه لابويكم والنهي وان كان متوجها الى الشيطان لكنه في الحقيقة متوجه الى المخاطبين كما في
قولك لا ارينك ههنا وقد مر تحقيقه مرارا **ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما** حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد
النزع اليه للتسبب وصيغة المضارع لاستحضار الصورة وقوله تعالى انه يريكم هو وقبيله اي جنوده وذريته
استيناف لتعليل النهي وتاكيد التحذير منه **من حيث لا ترونهم** من لابتداء غاية الروية وحيث ظرف لمكان انتفاء
الروية ولا ترونهم في محل الجر باضافة الظرف اليه ورويتهم لنا من حيث لا نراهم لا يقتضي امتناع رويتنا لهم مطلقا
واستحالة تمثلهم لنا **انا جعلنا الشياطين** جعل قبيله من جملته فجمع **اولياء للذين لا يؤمنون** اي جعلناهم بما اوجدنا بينهم
من المناسبة وبارسالهم عليهم وتمكينهم من اغوايهم وحملهم على ما سولوا لهم اولياء اي قرناء مسلطين عليهم والجملة تعليل

دهم

اخر للنهي وتاكيد للتحذير اثر تحذير واذا فعلوا فاحشة جملة مبتداءة لا محل لها من الاعراب وقد جوز عطفها على الصلة والفاحشة
الفعلة المتناهية في القبح والتاء لانها مجرات على الموصوف المونث او للنقل من الوصفية الى الاسمية والمراد بها عبادة الاصنام
وكشف العورة في الطواف ونحوهما قالوا جوابا للناهين عنها وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها محتجين بامرين تقليد الاباء
والافتراء على الله تعالى ولعل تقديم المقدم للايذان منهم بان اباءهم انما كانوا يفعلونها بامر الله تعالى بها على ان ضميرا امرنا
لهم ولاباءهم فحينئذ يظهر وجه الاعراض عن الاول في رد مقالتهم بقوله تعالى قل ان الله لا يامر بالفحشاء فلان عادته تعالى جارية
على الامر بمحاسن الاعمال والحث على مراضي الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه عاجلا والعقاب
اجلا عقلي فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سوالين مترتبين
كانه قيل لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها اباءنا فقيل لم فعلها اباوكم فقالوا الله امرنا بها وعلى الوجهين يمنع التقليد
اذا قام الدليل بخلافه لا مطلقا اتقولون على الله ما لا تعلمون من تمام القول المامور به والهمزة لانكار الواقع واستقباحه
وتوجيه الانكار والتوبيخ الى قولهم عليه تعالى ما لا يعلمون صدوره عنه تعالى مع ان بعضهم يعلمون عدم صدوره عنه تعالى مبالغة
في انكار تلك الصورة فان اسناد ما لم يعلم صدوره عنه اليه تعالى اذا كان منكرا فاسناد ما علم صدوره عنه اليه عز وجل
اشد قبحا واحق بالانكار قل امر ربي بالقسط بيان للمامور به اثر نفي ما اسندوا اليه تعالى من الامور المنهي عنها والقسط
العدل وهو الوسط من كل شيء المتجافي عن طرفي الافراط والتفريط واقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير
عادلين الى غيرها او اقيموا وجوهكم نحو القبلة عند كل مسجد في كل وقت سجود او مكان سجود وهو الصلوة او في اي مسجد
حضرتكم الصلوة عنده ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة فان
مصيركم اليه بالاخرة كما بداكم اي انشاكم ابتداء تعودون اليه باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابداء
تقريرا لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بداكم من التراب تعودون اليه وقيل حفاة عراة غرلا تعودون اليه وقيل
كما بداكم مومنا وكافرا يعيدكم فريقا هدى بان وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة بمقتضى القضاء السابق التابع
للمشية المبنية على الحكم البالغة وانتصابه بفعل مضمر يفسره ما بعده اي وخذل فريقا انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله
تعليل لخذلانه او تحقيق لضلالتهم ويحسبون انهم مهتدون فيه دلالة على ان الكافر المخطي والمعاند سواء في استحقاق
الذم وللفارق ان يحمله على المقصر في النظر يا بني ادم خذوا زينتكم اي ثيابكم لمواراة عوراتكم عند كل مسجد
اي طواف او صلوة ومن السنة ان ياخذ الرجل احسن هيئة للصلوة وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلوة
وكلوا واشربوا مما طاب لكم روي ان بني عامر كانوا في ايام حجهم لا ياكلون الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما يعظمون
بذلك حجهم فهم المسلمون بمثله فنزلت ولا تسرفوا بتحريم الحلال او بالتعدي الى الحرام او في الافراط في الطعام
والشره عليه وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطاتك خصلتان سرف ومخيلة فقال علي بن الحسين
ابن واقد جمع الله الطب في نصف الاية كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين اي لا يرتضي فعلهم قل من حرم
زينة الله من الثياب وما يتجمل به التي اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان ومن الحيوان كالحرير والصوف
والمعادن كالدروع والطيبات من الرزق اي من المستلذات من الماكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل في المطاعم
والملابس وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام في من انكاري قل هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا بالاصالة والكفرة
وان شاركوهم فيها فبالتبع خالصة يوم القيمة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحالية وقرئ بالرفع على انه خبر
بعد خبر كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون اي مثل هذا التفصيل نفصل سائر الاحكام لقوم يعلمون ما في تضاعيفها
من المعاني الرائقة قل انما حرم ربي الفواحش اي ما تفاحش قبحه من الذنوب وقيل ما يتعلق منها بالفروج ما ظهر
منها وما بطن بدل من الفواحش اي جهرها وسرها والاثم اي ما يوجب الاثم وهو تعميم بعد تخصيص وقيل
هو شرب الخمر والبغي اي الظلم او الكبر افرد بالذكر للمبالغة في الزجر عنه بغير الحق متعلق بالبغي موكد له معنى
وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لا يدل عليه برهان وان تقولوا على الله

مالا تعلمون

مالا تعلمون بالالحاد في صفاته والافتراء عليه كقولهم والله امرنا بها وتوجيه التحريم الى قولهم عليه
تعالى ما لا يعلمون وقوعه لا الى ما لا يعلمون عدم وقوعه قد مر سره ولكل امة من الامم المهلكة اجل حد معين
من الزمان مضروب لمهلكهم فاذا جاء اجلهم ان جعل الضمير للامم المدلول عليها بكل امة فاظهار الاجل مضافا
اليه لافادة المعنى المقصود الذي هو بلوغ كل امة اجلها الخاص به بها ومجيئه اياها بواسطة اكتساب الاجل بالاضافة
عموما يفيد معنى الجمعية كانه قيل اذا جاءهم اجالهم بان يجي كل واحدة من تلك الامم اجلها الخاص بها وان جعل
لكل امة خاصة كما هو الظاهر فالاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير والاضافة الى الضمير لافادة اكمل التمييز
اي اذا جاءها اجلها الخاص بها لا يستاخرون عن ذلك الاجل ساعة اي شيئا قليلا من الزمان فانها مثل في غاية
القلة منه اي لا يستاخرون اصلا وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم وحرمانهم عن ذلك مع طلبهم له ولا
يستقدمون اي ولا يتقدمون عليه وهو عطف على يستاخرون لكن لا لبيان انتفاء التقدم مع امكانه في
نفسه كالتاخر بل للمبالغة في انتفاء التاخر بنظمه في سلك المستحيل عقلا كما في قوله تعالى وليست التوبة
للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان ولا الذين يموتون وهم كفار فان من مات
كافرا مع ظهور ان لا توبة له راسا قد نظم في عدم القبول في سلك من سوفها الى حضور الموت ايذانا بتساوي وجود
التوبة حينئذ وعدمها بالمرة وقيل المراد بالمجي الدنو بحيث يمكن التقدم في الجملة كمجي اليوم الذي ضرب
لهلاكهم ساعة منه وليس بذاك وتقديم بيان انتفاء الاستيخار لما ان المقصود بالذات بيان عدم خلاصهم
من العذاب واما ما في قوله تعالى ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون من سبق السبق في الذكر فلما ان المراد
هناك بيان سر تاخير اهلاكهم مع استحقاقهم له حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم
الامل فسوف يعلمون فالاهم هناك بيان انتفاء السبق يا بني ادم تلوين للخطاب وتوجيه له الى كافة الناس
اهتماما بشان ما في حيزه اما ياتينكم هي ان الشرطية ضمت اليها ما لتاكيد معنى الشرط ولذلك لزمت فعلها
النون الثقيلة والخفيفة وفيه تنبيه على ان ارسال الرسل امر جائز لا واجب عقلا رسل منكم الجار متعلق بمحذوف
هو صفة لرسل اي كائنون من جنسكم وقوله تعالى يقصون عليكم اياتي صفة اخرى لرسل اي يبينون احكامي
وشرائعي وقوله تعالى فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون جملة شرطية وقعت جوابا للشرط اي فمن اتقى منكم التكذيب
واصلح عمله فلا خوف الى اخره وكذا قوله تعالى والذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
اي والذين كذبوا منكم الى اخره باياتنا والاتقاء في الاول للايذان بان مدار الفلاح ليس مجرد عدم التكذيب بل
هو الاتقاء والاجتناب عنه وادخال الفاء في الجزاء الاول دون الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة في
الوعيد فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته اي تقول عليه ما لم يقله او كذب ما قاله اي هو اظلم من كل
ظالم وقد مر تحقيقه مرارا اولئك اشارة الى الموصول والجمع باعتبار معناه كما ان افراد الفعلين باعتبار
لفظه وما فيه من معنى البعد للايذان بتماديهم في سوء الحال اولئك الموصوفون بما ذكر من الافتراء والتكذيب
ينالهم نصيبهم من الكتاب اي مما كتب لهم من الارزاق والاعمار اي ما اثبت لهم فيه واياما كان فمن لابتداء الغاية
متعلقة بمحذوف وقع حالا من نصيبهم اي ينالهم نصيبهم كائنا من الكتاب وقيل نصيبهم العذاب وسواد
الوجه وزرقة العيون وعن ابن عباس رضي الله عنهما كتب لمن يفتري على الله سواد الوجه قال تعالى ويوم القيمة
ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وقوله تعالى حتى اذا جاءتهم رسلنا اي ملك الموت واعوانه يتوفونهم
اي حال كونهم متوفين لارواحهم يويد الاول فان حتى وان كانت هي التي يبتدا بها الكلام لكنها غاية لما قبلها فلا
بد ان يكون نصيبهم مما يتمتعون بها الى حين وفاتهم ان ينالهم نصيبهم من الكتاب الى ان ياتيهم ملائكة الموت
فاذا جاءتهم قالوا لهم اين ما كنتم تدعون من دون الله اي اين الالهة التي كنتم تعبدونها في الدنيا وما وقعت
موصولة باين في خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة قالوا استيناف وقع جوابا عن سوال نشاء من حكاية

ضافة

وقيل الكتاب اللوح صح

سوال الرسل كانه قيل فما ذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا ضلوا عنا اي غابوا عنا اي لا ندري مكانهم وشهدوا على انفسهم
عطف على قالوا اي اعترفوا على انفسهم انهم كانوا اي في الدنيا كافرين عابدين لما لا يستحق العبادة اصلا حيث شاهدوا
حاله وضلاله ولعله اريد بوقت مجي الرسل وحال التوفي الزمان الممتد من ابتداء المجي والتوفي الى انتهائه يوم الجزاء بناء على
تحقق المجي والتوفي في كل ذلك الزمان بقاء وان كان حدوثهما في اوله فقط او قصد بيان غاية سرعة وقوع البعث والجزاء
كانهما حاصلان عند ابتداء التوفي كما ينبئ عنه قوله عليه السلام من مات فقد قامت قيامته والا فهذا السوال والجواب
وما ترتب عليهما من الامر بدخول النار وما جرى بين اهلها من التلاعن والتقاول انما يكون بعد البعث لا محالة قال
ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم اي كائنين من جملة امم مصاحبين لهم من الجن والانس يعني كفار الامم الماضية
من النوعين في النار متعلق بقوله ادخلوا كلما دخلت امة من الامم السابقة واللاحقة فيها لعنت اختها التي ضلت
بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها جميعا اي تداركوا وتلاحقوا في النار قالت اخراهم دخولا او منزلة وهم الاتباع
لاولاهم اي لاجلهم اذ الخطاب مع الله تعالى لا معهم ربنا هولاء اضلونا سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم فآتهم
عذابا ضعفا اي مضاعفا من النار لانهم ضلوا واضلوا قال لكل ضعف اما القادة فلما ذكر من الضلال والاضلال
واما الاتباع فلكفرهم وتقليدهم ولكن لا تعلمون اي ما لكم وما لكل فريق من العذاب وقرئ بالياء وقالت
اولاهم مخاطبين لاخراهم حين سمعوا جواب الله تعالى لهم فما كان لكم علينا من فضل اي فقد ثبت ان لا فضل لكم
علينا وانا واياكم متساوون في الضلال واستحقاق العذاب فذوقوا العذاب اي العذاب المعهود المضاعف بما
كنتم تكسبون من قول القادة ان الذين كذبوا باياتنا مع وضوحها واستكبروا عنها اي عن الايمان بها والعمل
بمقتضاها لا تفتح لهم ابواب السماء اي لا يقبل ادعيتهم ولا اعمالهم او لا تعرج اليها ارواحهم كما هو شان ادعية
المومنين واعمالهم وارواحهم والتاء في تفتح لتانيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرئ بالتخفيف وبا
لياء وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب على ان الفعل للايات وبالياء على انه لله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج
الجمل في سم الخياط اي حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم فيما هو علم في ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وفي كون الجمل
مما ليس من شانه الولوج في سم الابرة مبالغة في الاستبعاد وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالبقر والجمل كالقفل والجمل
كالصنب والجمل كالحبل وهو الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وقرئ في سم المخيط
وهو الخياط اي ما يخاط به كالحزام والمحزم وكذلك اي ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين اي جنس المجرمين
وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا لهم من جهنم مهاد اي فراش من تحتهم والتنوين للتفخيم ومن تجريدية ومن فوقهم
غواش اي اغطية والتنوين بدل من الاعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواش على الغاء المحذوف
كما في قوله تعالى وله الجوار المنشآت وكذلك ومثل ذلك الجزاء الشديد نجزي الظالمين عبر عنهم بالمجرمين
تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الايات اتصفوا بكل واحد من ذينك الوصفين القبيحين وذكر الجرم مع
الحرمان عن دخول الجنة والظلم مع التعذيب بالنار للتنبيه على انه اعظم الجرائم والجرائر والذين آمنوا اي باياتنا او
بكل ما يجب ان يومن به فيدخل فيه الايات دخولا اوليا وقوله تعالى وعملوا الصالحات اي الاعمال الصالحة التي شرعت
بالايات وهذا بمقابلة الاستكبار عنها لا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض وسط بين المبتدا والذي هو الموصول
والخبر الذي هو جملة اولئك اصحاب الجنة للترغيب في اكتساب ما يودي الى النعيم المقيم ببيان سهولة منا له
وتيسر تحصيله وقرئ لا يكلف نفس واسم الاشارة مبتدا واصحاب الجنة خبره والجملة خبر للمبتدا الاول
واسم الاشارة بدل من المبتدا الاول الذي هو الموصول والخبر اصحاب الجنة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد
منزلتهم في الفضل والشرف هم فيها خالدون حال من اصحاب الجنة وقد جوز كونه حالا من الجنة لاشتماله على
ضميرها والعامل معنى الاضافة او اللام المقدرة او خبر لاولئك على راي من جوزه وفيها متعلق بخالدون ونزعنا
ما في صدورهم من غل اي نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التواد وصيغة

الماضي

الماضي للايذان بتحققه وتقرره وعن علي كرم الله وجهه اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم تجري من تحتهم
الانهار زيادة في لذتهم وسرورهم والجملة حال من الضمير في صدورهم والعامل اما معنى الاضافة واما العامل في المضاف
او حال من فاعل نزعنا وقيل هو مستانفة للاخبار عن صفة احوالهم وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا اي لما جزاوه
هذا وما كنا لنهتدي اي لهذا المطلب الاعلى او المطلب من المطالب التي هذا من جملتها لولا ان هدانا الله ووفقنا له واللام
لتاكيد النفي وجواب لولا محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه ومفعول نهتدي وهدانا الثاني محذوف لظهور مرادا والارادة
التعميم كما اشير اليه والجملة مستانفة او حالية وقرئ ما كنا لنهتدي الى آخره بغير واو على انها مبينة ومفسرة للاولى
لقد جاءت رسل ربنا جواب قسم مقدر قالوه تبجحا واغتباطا بما نالوه وابتهاجا بايمانهم بما جاءتهم الرسل عليهم الصلوة
والسلام والباء في قوله تعالى بالحق اما للتعدية فهي متعلقة بجاءت وللملابسة فهي متعلقة بمقدر وقع حالا
من الرسل اي والله لقد جاءوا بالحق او لقد جاءوا ملتبسين بالحق ونودوا اي نادتهم الملائكة عليهم السلام ان تلكم
الجنة ان مفسرة لما في النداء من معنى القول او مخففة من ان وضمير الشان محذوف ومعنى البعد في اسم الاشارة
اما لانهم نودوا عند رويتهم اياها من مكان بعيد واما لرفع منزلتها وبعد رتبتها واما للاشعار بانها تلك الجنة التي
وعدوها في الدنيا اورثتموها بما كنتم تعملون في الدنيا من الاعمال الصالحة اي اعطيتموها بسبب اعمالكم او بمقا
بلة اعمالكم والجملة حال من الجنة والعامل معنى الاشارة على ان تلكم الجنة مبتدا وخبر والجنة صفة والخبر اورثتموها
ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم لا لمجرد الاخبار بحالهم والاستخبار
عن حال مخاطبيهم ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا حيث نلنا هذا المنال الجليل فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا
حذف المفعول من الفعل الثاني اسقاطا لهم عن رتبة التشريف بالخطاب عند الوعد وقيل لان ما ساءهم
من الموعود لم يكن باسره مخصوصا بهم قالوا نعم اي وجدناه حقا وقرئ بكسر العين وهي لغة فيه فاذن
موذن قيل هو صاحب الصور بينهم اي بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين بان المخففة او المفسرة وقرئ
بان المشددة ونصب لعنة وقرئ ان بكسر الهمزة على ارادة القول او اجراء اذن مجرى قال الذين يصدون
عن سبيل الله صفة مقررة للظالمين او رفع على الذم او نصب عليه ويبغونها عوجا اي يبغون لها عوجا بان يصفوها
بالزيغ والميل عن الحق وهو ابعد شيء منهما والعوج بالكسر في المعاني والاعيان ما لم يكن منتصبا وبالفتح ما كان في
المنتصب كالرمح والحائط وهم بالآخرة كافرون غير معترفين وبينهما حجاب اي بين الفريقين كقوله تعالى
فضرب بينهم بسور او بين الجنة والنار ليمنع وصول اثر احدهما الى الاخرى وعلى الاعراف اي وعلى اعراف
الحجاب واعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع
من الشيء فانه بظهوره اعرف من غيره رجال طائفة من الموحدين قصروا من العمل فيجلسون بين الجنة والنار
حتى يقضي الله تعالى فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء والشهداء والاخيار والعلماء من المومنين
او ملائكة يرون في صورة الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة واهل النار بسيماهم بعلاماتهم التي اعلمهم الله
تعالى بها كبياض الوجه وسواده تفعلا من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او من وسم بالقلب كالجاه من
الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام او بتعليم الملائكة ونادوا اي رجال الاعراف اصحاب الجنة حين رأوهم
ان سلام عليكم بطريق الدعاء والتحية او بطريق الاخبار بنجاتهم من المكاره لم يدخلوها حال من فاعل نادوا او
من مفعوله وقوله تعالى وهم يطمعون حال من فاعل يدخلونها اي نادوهم وهم لم يدخلوها حال كونهم طامعين
في دخولها مترقبين له اي لم يدخلوها وهم في وقت عدم الدخول طامعون واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار
اي الى جهتهم وفي عدم التعرض لتعلق انظارهم باصحاب الجنة والتعبير عن تعلق ابصارهم باصحاب النار بالصرف
اشعار بان التعلق الاول بطريق الرغبة والميل والثاني بخلافه قالوا متعوذين بالله تعالى من سوء حالهم
ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اي في النار وفي وصفهم بالظلم دون ما هم عليه حينئذ من العذاب وسوء الحال

اي الله عز وجل يوم القيمة بالذات او بواسطة الملك صح

على ان تلكم الجنة مبتداء والجنة صفة والخبر اورثتموها صح
صح

بلة

وعدا كالبعث والحساب ونعيم اهل الجنة فانهم قد وجدوا جميع ذلك حقا وان لم يكن وعدا مخصوصا بهم صح صح
صح

الذي هو الموجب للدعاء اشعار بان المحذوف عندهم ليس نفس العذاب فقط بل مع ما يوجبه ويودي اليه من
الظلم ونادى اصحاب الاعراف كرر ذكرهم مع كفاية الاضمار لزيادة التقرير رجالا من روساء الكفار حينئذ وهم
فيما بين اصحاب النار يعرفونهم بسيماهم الدالة على سوء حالهم يومئذ وعلى رياستهم في الدنيا قالوا بدل من نادى
ما اغنى عنكم ما استفهامية للتوبيخ والتقريع او نافية جمعكم اى اتباعكم واشياعكم او جمعكم للمال وما كنتم
تستكبرون ما مصدرية اى ما اغنى عنكم جمعكم واستكباركم المستمر عن قبول الحق او على الحق وهو الانسب
بما بعده وقرئ تستكثرون من الكثرة اى من الاولاد والجنود اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم
للرجال والاشارة الى ضعفاء المسلمين الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا ويحلفون صريحا انهم لا يدخلون الجنة
او يفعلون ما ينبئ عن ذلك كما في قوله تعالى اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال ادخلوا الجنة تلوين للخطاب
وتوجيه له الى اولئك المذكورين اى ادخلوا الجنة على رغم انوفهم لا خوف عليكم بعد هذا ولا انتم تحزنون او قيل لاصحاب
الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله تعالى بعد ان حبسوا وشاهدوا احوال الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا و
الاظهر ان لا يكون المراد باصحاب الاعراف المقصرين في العمل لان هذه المقالات وما تفرع هي عليه من المعرفة لا يليق
بمن تتغير حاله بعد وقيل لما عيروا اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله تعالى او
الملئكة ردا عليهم اهؤلاء وقرئ ادخلوا ودخلوا على الاستيناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا في حقهم لا خوف
عليكم ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة بعد ان استقر بكل من الفريقين القرار واطمانت بهم الدار ان افيضوا
علينا من الماء اى صبوه وفيه دلالة على ان الجنة فوق النار او مما رزقكم الله من سائر الاشربة ليلائم الافاضة
او من الاطعمة على ان الافاضة عبارة عن الاعطاء بكثرة قالوا استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا
ان الله حرمهما على الكافرين اى منعهما منهم منعا كليا فلا سبيل الى ذلك قطعا الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم
البحيرة والسائبة ونحوهما والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم الى ما لا يحسن ان يصرف اليه واللعب طلب
الفرح بما لا يحسن ان يطلب وغرتهم الحيوة الدنيا بزخارفها العاجلة فاليوم ننساهم نفعل بهم ما يفعل الناسى بالمنسى
من عدم الاعتداد بهم وتركهم في النار تركا كليا والفاء في فاليوم فصيحة وقوله تعالى كما نسوا لقاء يومهم هذا في محل
النصب على انه نعت لمصدر محذوف اى ننساهم نسيانا مثل نسيانهم لقاء يومهم هذا لم يخطروه ببالهم ولم
يستعدوا له وقوله تعالى وما كانوا باياتنا يجحدون عطف على ما نسوا اى وكما كانوا منكرين بانها من عند الله تعالى
انكارا مستمرا ولقد جئناهم بكتاب فصلناه اى بينا معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ والضمير للكفرة قاطبة
والمراد بالكتاب الجنس او للمعاصرين منهم والكتاب هو القران على علم حال من فاعل فصلنا اى عالمين بوجه
تفصيله حتى جاء حكيما او من مفعوله اى مشتملا على علم كثير وقرئ فضلناه اى على سائر الكتب عالمين بفضله
هدى ورحمة حال من المفعول لقوم يؤمنون لانهم المغتنمون باثاره المقتبسون من انواره هل ينظرون الا تاويله
اى ما ينظرون هؤلاء الكفرة بعدم ايمانهم به الا ما يؤول اليه امره من تبين صدقه بظهور ما اخبر به من الوعد
والوعيد يوم ياتي تاويله وهو يوم القيمة يقول الذين نسوه من قبل اى تركوه ترك المنسى من قبل اتيان تاويله
قد جاءت رسل ربنا بالحق اى قد تبين انهم قد جاؤا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اى اليوم ويدفعوا عنا العذاب
او نرد اى هل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا او لان او بمعنى الى ان فعلى الاول المسؤل احد
الامرين اما الشفاعة لرفع العذاب او الرد الى الدنيا وعلى الثاني ان يكون لهم شفعاء لاحد الامرين او لامر واحد هو
الرد فنعمل بالنصب على انه جواب الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع اى فنحن نعمل غير الذي كنا نعمل اى في الدنيا
قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم التي هي راس مالهم الى الكفر والمعاصي وضل عنهم ما كانوا يفترون اى ظهر بطلان
ما كانوا يفترون من ان الاصنام شركاء الله تعالى وشفعاؤهم يوم القيمة ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض
في ستة ايام شروع في بيان مبداء الفطرة اثر بيان معاد الكفرة اى ان خالقكم ومالككم الذي خلق الاجرام

العلوية والسفلية في ستة اوقات كقوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره او في مقدار ستة ايام فان المتعارف ان اليوم
زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم تكن هي حينئذ وفي خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ابداعها دفعة دليل على الاختيار واعتبار
للنظار وحث على التاني في الامور ثم استوى على العرش اى استوى امره واستولى وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش
صفة لله تعالى بلا كيف والمعنى انه تعالى استوى على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش
الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل
الملك يغشي الليل النهار اى يغطيه به ولم يذكر العكس للعلم به او لان اللفظ يحتملهما ولذلك وقرئ بالتشديد
للدلالة على التكرار يطلبه حثيثا اى يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شيء والحثيث فعيل من الحث وهو صفة
مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعنى حاثا اى محثوثا من المفعول والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره اى خلقهن حال
كونهن مسخرات بقضائه وتصريفه وقرئ كلها بالرفع على الابتداء والخبر الا له الخلق والامر فانه الموجد للكل والمتصرف
فيه على الاطلاق تبارك الله رب العالمين اى تعالى بالوحدانية في الالوهية والتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق
الاية الكريمة والله اعلم ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد هو الله تعالى لانه الذي له الخلق
والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالشمس والقمر والنجوم كما اشير
اليه بقوله تعالى فقضاهن سبع سموات في يومين وعمد الى الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات
المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متباينة الاثار والافعال واشار بقوله تعالى وخلق الارض في يومين اى ما في جهة
السفل في يومين ثم انشاء انواع المواليد الثلثة بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله تعالى خلق الارض في
يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام اى مع اليومين الاولين لما فصل في سورة
السجدة ثم لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على سريره فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير
الكواكب وتكوير الليالي والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال تعالى الا له الخلق والامر تبارك الله رب
العالمين ثم امران يدعوه مخلصين متذللين فقال ادعوا ربكم الذي قد عرفتم شؤونه الجليلة تضرعا وخفية اى ذوى تضرع
وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص انه لا يحب المعتدين اى لا يجيب دعوى المجاوزين لما امروا في كل شيء فيدخل فيه
الاعتداء في الدعاء دخولا اوليا وقد نبه به على ان الداعي يجب ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود الى
السماء وقيل هو الصياح في الدعاء والاسهاب فيه وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء
وحسب المرء ان يقول اللهم انى اسئلك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من
قول وعمل ثم قرا انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بالكفر والمعاصي بعد اصلاحها ببعث الانبياء وشرع
الاحكام وادعوه خوفا وطمعا اى ذوى خوف نظرا الى قصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمعا نظرا الى سعة رحمته
ووفور فضله واحسانه ان رحمة الله قريب من المحسنين في كل شيء ومن الاحسان في الدعاء ان يكون مقرونا بالخوف
والطمع وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم وانه صفة لمحذوف اى امر قريب او على تشبيهه بفعيل الذي هو
بمعنى مفعول او الذي مصدر كالنقيض والصهيل او للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره او لاكتسابه
التذكير من المضاف اليه كما ان المضاف يكتسي التانيث من المضاف اليه وهو الذي يرسل الرياح عطف على الجملة
السابقة وقرئ الريح بشرا تخفيف بشر جمع بشير اى مبشرات وقرئ بفتح الباء على انه مصدر بشره
بمعنى باشرات او للبشارة وقرئ نشرا بالنون المضمومة جمع نشور اى ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر
متقاربان بين يدي رحمته قدام رحمته التي هي المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور
تفرقه حتى اذا اقلت اى حملت واشتقاقه من القلة فان المقل للشيء يستقله سحابا ثقالا بالماء جمعه
لانه بمعنى السحاب سقناه اى السحاب وافراد الضمير لافراد اللفظ لبلد ميت اى لاجله ولمنفعته او لاحيائه
او لسقيه وقرئ ميت فانزلنا به الماء اى بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح والتذكير بتاويل المذكور

بنصب الليل ورفع
النهار وقرئ صح

و كذلك قوله تعالى فاخرجنا به و يحتمل ان يعود الضمير الى الماء وهو الظاهر واذا كان للبلد فالباء للالصاق
في الاول والظرفية في الثاني واذا كان لغيره فهي للسببية من كل الثمرات اي من كل انواعها كذلك نخرج الموتى الاشارة
الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد الميت اي كما نحييه باحداث القوة النامية ونطرتها بانواع الثمرات نخرج الموتى
من الاجداث ونحييها برد النفوس الى مواد ابدانها بعد جمعها ونطرتها بالقوى والحواس لعلكم تذكرون بطرح
احدى التائين اي تتذكرون وتعلمون انه من قدر على ذلك قدر على هذا من غير شبهة والبلد الطيب اي الارض
الكريمة التربة يخرج نباته باذن ربه بمشيته وتيسيره وعبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه
لانه اوقعه في مقابلة قوله والذي خبث من البلاد كالسبخة والحرة لا يخرج الا نكدا قليلا عديم النفع ونصبه
على الحال والتقدير والبلد الذي خبث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
فصار مرفوعا مستترا وقرئ لا يخرج الا نكدا اي لا يخرج البلد الا نكدا وقرئ نكدا على المصدر اي ذا نكد و
نكدا للاسكان للتخفيف كذلك اي مثل ذلك التصريف البديع نصرف الايات اي نرددها ونكررها
لقوم يشكرون نعم الله تعالى فيتفكرون فيها ويعتبرون بها وهذا كما ترى مثل لارسال الرسل عليهم الصلوة والسلام
بالشرايع التي هي ماء حيوة القلوب الى المكلفين المنقسمين الى المقتبسين من انوارها والمحرومين من مغانم اثارها
وقد عقب ذلك بما يحققه ويقرره من قصص الامم الخالية بطريق الاستيناف فقيل ولقد ارسلنا نوحا الى قومه
وهي جواب قسم محذوف اي والله لقد ارسلنا الى اخره واطراد استعمال هذه اللام مع قد لكون مدخولها مظنة
للتوقع الذي هو معنى قد فان الجملة القسمية انما تساق لتاكيد المقسم عليها ونوح هو ابن ملك بن متوشلح بن اخنوخ
وهو ادريس عليه السلام قال ابن عباس رضي الله عنه بعث عليه السلام على راس اربعين سنة من عمره
ولبث يدعو قومه تسعماية وخمسين سنه وعاش بعد الطوفان مايتان وخمسين سنة فكان عمره الفا ومايتين
واربعين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن ماية سنه وقيل وهو ابن خمسين سنه وقيل هو ابن مايتين
وخمسين سنة ومكث يدعو قومه تسعماية وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مايتين وخمسين سنة فكان عمره
الفا واربعماية وخمسين سنة قال يا قوم اعبدوا الله اي اعبدوه وحده وترك التقييد به للايذان بانها العبادة
حقيقة واما العبادة بالاشراك فليس من العبادة في شيء وقوله تعالى ما لكم من اله غيره اي من مستحق للعبادة
استيناف سوق لتعليل العبادة المذكورة والامر بها وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله الذي هو الرفع على
الابتداء او الفاعلية وقرئ بالجر باعتبار لفظه وقرئ بالنصب على الاستثناء وحكم غير حكم الاسم الواقع
بعد الا اي ما لكم من اله الا اياه كقولك ما في الدار من احد الا زيدا وغير زيد او من اله ان جعل مبتداء فلكم خبره ما
وخبره محذوف ولكم للتخصيص والتبيين اي ما لكم في الوجود او في العالم اله غير الله اني اخاف عليكم اي ان
لم تعبدوه حسبما امرت به عذاب يوم عظيم وهو يوم القيمة او يوم الطوفان والجملة تعليل للعبادة ببيان
الصارف عن تركها اثر تعليلها ببيان الداعي اليها ووصف اليوم بالعظم لبيان عظم ما يقع فيه وتكميل الانذار
قال الملاء من قومه استيناف مبني على سؤال نشاء من حكاية قوله عليه السلام كانه قيل فماذا قال
عليه السلام في مقابلة نصحه فقيل قال الرؤساء من قومه والاشراف الذين يملؤن صدور المحافل باجرامهم
والقلوب بجلالهم وهيبتهم والابصار بجمالهم وابهتهم انا لنراك في ضلال اي ذهاب عن طريق الحق والصواب
والرؤية قلبية ومفعولاها الضمير والظرف مبين بين كونه ضلالا قال استينافا كما سبق يا قوم ناداهم
باضافتهم اليه استمالة لقلوبهم نحو الحق ليس بي ضلالة اي شيء ما من الضلال قصد عليه السلام تحقيق
الحق في نفي الضلال الواضح كونه ضلالا وقوله تعالى ولكني رسول من رب العالمين استدراك مما قبله باعتبار
ما يستلزمه من كونه في اقصى مراتب الهداية فان رسالة رب العالمين مستلزمة له لا محالة كانه قيل ليس بي
شيء من الضلالة ولكني في الغاية القاصية من الهداية ومن لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف هو صفة

النبات و

لرسول

لرسول موكدة لما يفيده التنوين من الفخامة الاضافية اي رسول واي رسول كاين من رب العالمين ابلغكم
رسالات ربي استيناف مسوق لتقرير رسالته وتفصيل احكامها واحوالها وقيل صفة اخرى لرسول
على طريقة • انا الذي سمتني امي حيدره وقرئ ابلغكم من الابلاغ وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها
او لتنوع معانيها او لان المراد بها ما اوحي اليه والى النبيين من قبله عليه وعليهم الصلوة والسلام وتخصيص
ربوبيته تعالى به صلى الله عليه وسلم بعد عمومها للعالمين للاشعار بعلة الحكم الذي هو تبليغ رسالته تعالى اليهم
فان ربوبيته له تعالى له عليه السلام من موجبات امتثاله بامره تعالى بتبليغ رسالته وانصح لكم عطف على
ابلغكم مبين لكيفية اداء الرسالة وزيادة اللام مع تعدي النصح بنفسه للدلالة على امحاض النصيحة لهم وانها
لمنفعتهم ومصلحتهم خاصة وصيغة المضارع للدلالة على تجدد نصيحته لهم كما يعرب عنه قوله تعالى رب اني دعوت
قومي ليلا ونهارا وقوله تعالى واعلم من الله ما لا تعلمون عطف على ما قبله وتقرير لرسالته عليه السلام اي اعلم
من جهة الله تعالى بالوحي ما لا تعلمونه من الامور الاتية واعلم من شؤنه عز وجل وقدرته القاهرة وبطشه الشديد
على اعدائه وان باسه لا يرد عن القوم المجرمين ما لا تعلمونه قيل كانوا لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا
غافلين امنين لا يعلمون ما علمه نوح عليه السلام بالوحي اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم جواب ورد لما اكتفى عن ذكره
بقولهم انا لنريك في ضلال مبين من قولهم ما نراك الا بشرا مثلنا وقولهم لو شاء الله لانزل ملايكة والهمزة للانكار
والواو للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام كانه قيل استبعدتم وعجبتم من ان جاءكم ذكر اي وحي او موعظة
من مالك اموركم ومربيكم على رجل منكم اي لسان رجل من جنسكم كقوله تعالى ما وعدتنا على رسلك وقلتم
لاجل ذلك ما قلتم من ان الله تعالى لو شاء لانزل ملايكة لينذركم علة للمجيء اي ليحذركم عاقبة الكفر والمعاصي
ولتتقوا عطف على العلة الاولى مترتبة عليها ولعلكم ترحمون عطف على العلة الثانية مترتبة عليها اي و
لتتعلق بكم الرحمة بسبب تقواكم وفايدة حرف الترجي التنبيه على عزة المطلب وان التقوى غير موجب للاثمة
بل هي منوطة بفضل الله تعالى وان المتقي ينبغي ان لا يعتمد على تقواه ولا يامن عذاب الله تعالى فكذبوه فتموا
على تكذيبه في دعوى النبوة وما نزل عليه من الوحي الذي بلغه اليهم وانذرهم بما في تضاعيفه واستمروا على
ذلك هذه المدة المتطاولة بعد ما كرر عليهم الدعوة مرارا • فلم تزدهم دعاؤه الا فرارا • حسبما
نطق بقوله تعالى رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا الايات اذ هو الذي يعقبه الانجاء والاغراق لا مجرد التكذيب
فانجيناه والذين معه من المومنين قيل كانوا اربعين رجلا واربعين امراة وقيل عشرة ابناؤه الثلث
وستة ممن آمن به وقوله تعالى في الفلك متعلق بالاستقرار في الظرف اي استقروا معه في الفلك
او صحبوه فيه او بفعل الانجا انجيناهم في السفينة ويجوز ان يتعلق بمضمر وقع حالا من الموصول او من ضميره
في الظرف واغرقنا الذين كذبوا باياتنا اي استمروا على تكذيبها وليس المراد بهم الملاء المتصدين للجواب
فقط بل كل من اصر على التكذيب منهم ومن اعقابهم وتقديم ذكر الانجاء على الاغراق للمسارعة للاخبار به وللايذان
بسبق الرحمة التي هي مقتضى الذات وتقدمها على الغضب الذي يظهر اثره بمقتضى اجرامهم انهم كانوا قوما عمين
عمي القلوب غير مستبصرين قال ابن عباس رضي الله عنهما عميت قلوبهم عن معرفة التوحيد والنبوة والمعاد
وقرئ عامين والاول ادل على الثبات والقرار والى عاد متعلق بمضمر معطوف على قوله تعالى ارسلنا في
قصة نوح وهو الناصب لقوله تعالى اخاهم اي وارسلنا الى عاد اخاهم اي واحدا منهم في النسب لا في
الدين كقولهم يا اخا العرب وقيل العامل فيهما الفعل المذكور فيما سبق والى عاد معطوف على نوحا والاول
هو الاولى وايا ما كان فلعل تقديم المجرور ها هنا على المفعول الصريح للحذار عن الاضمار قبل الذكر ويرشدك
الى ذلك ما سياتي من قوله تعالى ولوطا الى اخره فان قومه لما لم يعهدوا باسم معروف يقتضي الحال ذكره
عليه السلام مضافا اليهم كما في قصة عاد وثمود ومدين خولف في النظم الكريم بين قصته عليه السلام

وبين القصص الثلث وقوله تعالى هودا عطف بيان لاخاهم وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الحاود بن الجارود
ابن عوض بن ادم بن سام بن نوح عليه السّلام وقيل هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السّلام
ابن عمان بن عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لكلامه واعرف بحاله في صدقه وامانته واقرب الى اتباعه قال
استيناف مبني على سوال نشأ من حكاية ارساله عليه السّلام اليهم كانه قيل فماذا قال لهم فقيل يا قوم
اعبدوا الله اي وحده كما يعرب عنه قوله ما لكم من اله غيره فانه استيناف جار مجرى البيان للعبادة
المامور بها والتعليل لها او للامر بها كانه قيل خصوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئا اذ ليس لكم اله سواه وغيره
بالرفع صفة لاله باعتبار محله وقرئ بالجر حملا له على لفظه افلا تتقون اي انكار واستبعاد لعدم
اتقائهم عذاب الله تعالى بعد ما علموا ما حل بقوم نوح والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي لا تتفكرون
او اتغفلون فلا تتقون فالتوبيخ على المعطوفين معا او اتعلمون ذلك فلا تتقون فالتوبيخ على المعطوف فقط وفي
سورة هود افلا تعقلون ولعله عليه السّلام خاطبهم بكل منهما وقد اكتفي بحكاية كل منهما في موطن عن حكايته في موطن
آخر كما لم يذكر هاهنا ما ذكر هناك من قوله تعالى ان انتم الا مفترون وقس على ذلك حال بقية ما ذكر وما لم يذكر
من اجزاء القصة بل حال نظائره في سائر القصص لا سيما في المحاورات الجارية في الاوقات المتعددة والله اعلم
قال الملاء الذين كفروا من قومه استيناف كما مر وانما وصف الملاء بالكفر اذ لم يكن كلهم على الكفر كما قوم نوح
بل كان منهم من آمن له عليه السّلام ولكن كان يكتم ايمانه كمرثد بن سعد وقيل وصفوا به لمجرد الذم انا لنراك في
سفاهة اي متمكنا في خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت دين آبائك الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون وانا
لنظنك من الكاذبين اي فيما ادعيت من الرسالة قالوا ذلك لعراقتهم في التقليد وحرمانهم من النظر الصحيح
قال مستعطفا لهم ومستجلبا لقلوبهم مع ما سمع منهم ما سمع من الكلمة الشنعاء الموجبة لتغليظ القول والمقابلة
بالسوء يا قوم ليس بي سفاهة اي شيء منها ولا شائبة من شوائبها ولكني رسول من رب العالمين استدراك
مما قبله باعتبار ما يستلزمه ويقتضيه من كونه في الغاية القصوى من الرشد والاناءة فان الرسالة من جهة
رب العالمين موجبة لذلك حتما كانه قيل ليس بي شيء مما تنسبونني اليه ولكني في غاية ما يكون من الرشد والصدق
ولم يصرح بنفي الكذب اكتفاء بما في حيز الاستدراك ومن لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة
لرسول موكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية وقوله تعالى ابلغكم رسالات ربي استيناف
سيق لتقرير رسالته وتفصيل احوالها وقيل صفة اخرى لرسول والكلام في اضافة الرب الى نفسه
اثر بعد اضافته الى العالمين وكذا في جميع الرسالات كالذي مر في قصة نوح عليه السّلام وقرئ ابلغكم
من الابلاغ وانا لكم ناصح امين معروف بالنصح والامانة مشهور بين الناس بذلك والاتيان بالجملة الاسمية
دلالة على الثبات والاستمرار وايذانا بان من هذا حاله لا يحوم حوله شائبة السفاهة او الكذب اوعجبتم
ان جاءكم ذكر من ربكم الكلام كالذي مر في قصة نوح عليه السّلام على رجل منكم اي من جنسكم لينذركم
ويحذركم عاقبة ما انتم عليه من الكفر والمعاصي حتى تنسبونني الى السفاهة والكذب في اجابة الانبياء
صلوات الله عليهم وسلامه من نبأ فهم بما لا خير فيه من امثال تلك الاباطيل بما حكي عنهم من المقالات
الحقة المعربة عن نهاية الحكم والرزانة وكمال الشفقة والرافة هي الدالة على حيازتهم القدح المعلى من مكارم
الاخلاق ما لا يخفى مكانه واذكروا اذ جعلكم خلفاء شروع في بيان ترتيب احكام النصح والامانة والانذار
وتفصيلها واذ منصوب باذكروا على المفعولية دون الظرفية وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع
فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر
ما فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل عليها فاذا استحضر كانت هي حاضرة بتفاصيلها كانها مشاهدة عيانا
ولعله معطوف على مقدر كانه قيل لا تعجبوا من ذلك او تدبروا في امركم واذكروا وقت جعله تعالى اياكم خلفاء

فيه

من بعد قوم

من بعد قوم نوح اي في مساكنهم او في الارض بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل
عالج الى شحر عمان وزادكم في الخلق اي في الابداع والتصوير او في الناس بسطة قامة وقوة فانه لم يكن في زمانهم
مثلهم في عظم الاجرام قال الكلبي والسدي كانت قامة الطويل منهم مائة ذراع وقامة القصير ستين ذراعا
فاذكروا آلاء الله التي انعم بها عليكم من فنون النعماء التي من هذه جملتها وهذا تكرير للتذكير لزيادة التقرير وتعميم
اثر تخصيص لعلكم تفلحون كي يؤديكم ذلك الى الشكر المؤدي الى النجاة من الكروب والفوز بالمطلوب قالوا اجئتنا
مجيبين عن تلك النصائح العظام لنعبد الله وحده اي لنخصه بالعبادة ونذر ما كان يعبد آباؤنا انكروا عليه عليه
السّلام مجيئه لتخصيصه تعالى بالعبادة والاعراض عن عبادة الاوثان انهماكا في التقليد وحبا لما الفوه والفوا اسلافهم
عليه ومعنى المجيء اما مجيئه عليه السّلام عن متعبده ومعتزله واما من السماء على التهكم واما القصد والتصدي
مجازا كما يقال في مقابلة ذهب يشتمني من غير ارادة معنى الذهاب فأتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه
بقوله تعالى افلا تعقلون ان كنت من الصادقين اي في الاخبار بنزول العذاب وجواب ان محذوف لدلالة
المذكور عليه اي فات به قال قد وقع عليكم اي وجب وحق ونزل باصراركم هذا بناء على التنزيل المتوقع منزلة
الواقع كما في قوله تعالى اتى امر الله من ربكم اي من جهته وتقديم الظرف الاول على الثاني مع ان مبدأ الشيء مقدم
على منتهاه للمسارعة الى بيان اصابة المكروه بهم وكذا تقديمهما على الفاعل الذي هو قوله تعالى رجس مع ما فيه
من التشويق الى المؤخر ولان فيه نوع طول بما عطف عليه من قوله تعالى وغضب فربما يخل تقديمها بتجاوب النظم
الكريم والرجس العذاب من الارتجاس الذي هو الاضطراب والغضب ارادة الانتقام وتنوينهما للتفخيم والتهويل
اتجادلونني في اسماء عارية عن المسمى سميتموها اي سميتم بها انتم وآباؤكم انكار واستقباح لانكارهم مجيئه
عليه السلام داعيا لهم الى عبادة الله تعالى وحده وترك عبادة الاصنام اي اتجادلونني في اسماء سميتموها آلهة
ليست هي الا محض الاسماء من غير ان يكون فيها من مصداق الالهية شيء ما لان المستحق للمعبودية بالذات ليس
الا من اوجد الكل وانها لو استحقت لكان ذلك بجعله تعالى اما بانزال آية او نصب حجة وكلاهما مستحيل وذلك قوله
تعالى ما نزل الله بها من سلطان واذ ليس ذلك في حيز الامكان تحقق بطلان ما هم عليه فانتظروا مترتب على
قوله تعالى قد وقع عليكم اي فانتظروا ما تطلبونه بقولكم فأتنا بما تعدنا اني معكم من المنتظرين لما يحل بكم
والفاء في قوله تعالى فانجيناه فصيحة كما في قوله تعالى فانفجرت اي فوقع ما وقع فانجيناه والذين معه
اي في الدين برحمة اي عظيمة لا يقادر قدرها وقوله تعالى منا اي من جهتنا متعلق بمحذوف هو نعت
لرحمة موكدة لفخامتها الذاتية المنفهمة من تنكيرها بالفخامة الاضافية وقطعنا دابر القوم الذين كذبوا اي
استأصلناهم بالكلية ودمرناهم عن آخرهم قوله تعالى وما كانوا مؤمنين عطف على كذبوا داخل في حكم الصلة
اي اصروا على الكفر والتكذيب ولم يرعووا عن ذلك ابدا وتقديم حكاية الانجاء على حكاية الاهلاك قد مر
سره وفيه تنبيه على ان مناط النجاة هو الايمان بالله تعالى وتصديق آياته كما ان مدار البوار هو الكفر والتكذيب
وقصتهم ان عادا قوم كانوا باليمن بالاحقاف وكانوا قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان الى حضرموت
وكانت لهم اصنام يعبدونها صدا وصمود والهباء فبعث الله تعالى اليهم هودا نبيا وكان من اوسطهم و
افضلهم صلاحا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فامسك الله تعالى عنهم القطر ثلث سنين حتى جهدوا وكان
الناس اذا نزل بهم بلاء طلبوا من الله الفرج منه عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم واهل مكة اذ ذاك
العماليق اولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد الى مكة من اماثلهم سبعين
رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذي كان يكتم ايمانه فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر
مكة خارجا من الحرم فانزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم
قينتا معاوية فلما راى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا له اهمه ذلك وقال قد هلك اخوالي

واصهادي وهولاء علي ما هم عليه وكان يستحي ان يكلمهم خشية ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر
ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاويه • الا يا قيل ويحك قم فهينم • لعل الله
يسقينا غماما • فيسقي ارض عاد ان عادا • قد امسوا ما يبينون الكلاما • فلما غنتا به قالوا ان قومكم يتغوثون
من البلاء الذي نزل بهم وقد ابطاتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا
يسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الي الله تعالي سقيتم واظهر اسلامه فقالوا للمعاوية احبس عنا مرثد
لا يقدمن معنا فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشا
الله تعالي سحابات ثلثا بيضا وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال
اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت علي عاد من واد يقال له المغيث فاستبشروا وقالوا هذا عارض ممطرنا
فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمومنون معه فاتوا مكة فعبدوا الله فيها الي ان ماتوا **والي ثمود اخاهم**
صالحا عطف علي ما سبق من قوله تعالي والي عاد اخاهم هودا موافق له في تقديم المجرور علي المنصوب وثمود قبيلة
من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عامر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام **وقيل** انما سموا بذلك لقلة مائهم من
الثمد وهو الماء القليل **وقري** بالصرف بتاويل الحي وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الي وادي القري واخوة
صالح عليه السلام لهم من حيث النسب كهود عليه السلام فانه صالح بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حادر بن ثمود ولما
كان الاخبار بارساله عليه السلام اليهم مظنة لان يسال ويقال فماذا قال لهم قيل جوابا عنه بطريق الاستيناف
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره وقد مر الكلام في نظايره **قد جاءتكم بينة** اي اية ومعجزة ظاهرة شاهدة بنبوتي
وهي من الالفاظ الجارية مجري الابطح والابرق في الاستغناء عن ذكر موصوفها حالة الافراد والجمع كصالح افرادا
وجمعا وكذلك الحسنة والسيئة سواء كانتا صفتين للاعمال المثوبة والحالة من الرخاء والشدة ولذلك اوليتا العوامل
وقوله تعالي **من ربكم** متعلق بجاءتكم او بمحذوف هو صفة لبينة كما مر مرارا والمراد بها الناقة وليس هذا الكلام
منه عليه السلام اول ما خاطبهم اثر دعوتهم الي التوحيد بل انما قاله بعد ما نصحهم وذكرهم بنعم الله تعالي
فلم يقبلوا كلامه وكذبوه الا يري الي ما في سورة هود من قوله تعالي هو انشاكم من الارض واستعمركم فيها الي اخر
الايات **روي** انه لما اهلكت عاد عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الارض وكثروا وعمروا اعمارا طوالا حتي
ان الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا
علي الله تعالي وافسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم
نسبا فدعاهم الي الله تعالي فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وانذرهم وسالوه اية فقال اي اية
تريدون قالوا تخرج معنا الي عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو الهك وندعو الهتنا فان استجيب لك
اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج ودعوا اوثانهم وسالوا الاستجابة فلم تجبهم ثم قال
سيدهم جندع بن عمرو واشار الي صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة اخرج لنا من هذه
الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التي شاكلت البخت فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ
صالح عليه السلام عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتومنن ولتصدقن قالوا نعم فصلي ودعا ربه فتمخضت
الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله تعالي و
عظما وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فامن به جندع ورهط من قومه ومنع اعقابهم ناس من
روسهم ان يومنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعي الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا فاذا كان يومها وضعت
راسها في البير فما ترفعه حتي تشرب كل ما فيها ثم تنفحج فيحتلبون ما شاءوا حتي تمتلي اوانيهم فيشربون ويدخرون
وكانت اذا وقع الحر تصيف بظهر الوادي فيهرب منها انعامهم فتهبط الي بطنه واذا وقع البرد شتت ببطن
الوادي فيهرب مواشيهم الي ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امراتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت

المختار لما اضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرة المواشي فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتي رقي
جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا وكان صالح عليه السلام قال لهم ادركوا الفصيل عسي ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا
عليه فانفجت الصخرة بعد رغايه فدخلها فقال لهم صالح عليه السلام تصبحون غدا وجوهكم مصفرة وبعد غد
وجوهكم محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما راوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه
الله تعالي الي ارض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحي تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من
السماء ورجفة من الارض فتقطعت قلوبهم فهلكوا قوله تعالي **هذه ناقة الله لكم اية** استيناف مسوق لبيان
البينة واضافة الناقة الي الاسم الجليل لتعظيمها ولمجيئها من جهته تعالي بلا اسباب معهودة ووسايط معتادة
ولذلك كانت اية واي اية ولكم بيان لمن هي اية له وانتصاب اية علي الحالية والعامل فيها معني الاشارة ويجوز ان
يكون ناقة الله بدلا من هذه او عطف بيان له او مبتداء ثانيا ولكم خبرا عاملا في اية **فذروها** تفريع علي كونها
اية من ايات الله تعالي فان ذلك مما يوجب التعرض لها **تاكل في ارض الله** جواب الامر اي الناقة ناقة الله
والارض ارض الله تعالي فاتركوها تاكل ما تاكل في ارض ربها فليس لكم ان تحولوا بينها وبينه **وقري** بينة تاكل
بالرفع علي انه في موضع الحال اي اكلة فيها وعدم التعرض للشرب اما للاكتفاء عنه بذكر الاكل او لتعميمه له ايضا
كما في قوله • وعلفتها تبنا وماء باردا • وقد ذكر ذلك في قوله تعالي لها شرب ولكم شرب يوم معلوم **ولا تمسوها**
بسوء نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالشر الشامل لانواع الاذية ونكر السوء مبالغة في النهي اي لا تتعرضوا
لها بشيء مما يسوءها اصلا ولا تطردوها ولا تركبوها اكراما لاية الله تعالي **فياخذكم عذاب اليم** جواب النهي
ويروي ان رسول الله صلي الله عليه وسلم حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية
ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا علي هولاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذي اصابهم **وقال**
عليه الصلوة والسلام لعلي رضي الله عنه يا علي اتدري من اشقي الاولين قال الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح
اتدري من اشقي الاخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك **واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد** اي خلفاء في الارض او
خلفاء لهم كما مر **وبواكم في الارض** اي جعل لكم مباءة ومنزلا في ارض الحجر من الحجاز والشام **تتخذون من سهولها**
قصورا استيناف مبين لكيفية التبوئة اي تبنون في سهولها قصورا رفيعة او تبنون من سهولة الارض
بما تعملون منها من الرهص واللبن والاجر **وتنحتون الجبال** اي الصخور **وقري** تنحتون بفتح الحاء وتنحاتون باشباع
الفتحة كما في قوله • ينباع من ذفري اسيل حرة • والنحت نجر الشيء الصلب فانتصاب الجبل علي المفعولية وانتصاب
قوله تعالي **بيوتا** علي انها حال مقدرة منها كما تقول خط هذا الثوب قميصا **وقيل** انتصاب الجبال علي اسقاط
الجار اي من الجبال وانتصاب بيوتا علي المفعولية وقد جوز ان يضمن النحت معني الاتخاذ فانتصابهما علي المفعولية
قيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء **فاذكروا الاء الله** التي انعم بها عليكم مما ذكر او
جميع الاية التي هذه من جملتها **ولا تعثوا في الارض مفسدين** فان حق الاية تعالي ان تشكر ولا تهمل ولا يغفل عنها
فكيف بالكفر والمضي في الارض بالافساد **قال الملا الذين استكبروا من قومه** اي عتوا وتكبروا استيناف كما سلف
وقري بالواو عطفا علي ما قبله من قوله تعالي قال يا قوم الي آخره واللام في قوله تعالي **للذين استضعفوا**
للتبليغ وقوله تعالي **لمن امن منهم** بدل من الموصول باعادة العامل بدل الكل ان كان ضمير منهم لقومه وبدل البعض
ان كان للذين استضعفوا علي ان من المستضعفين من لم يومن والاول هو الاوجه اذ لا داعي الي توجيه الخطاب
اولا الي جميع المستضعفين مع ان المجاوبة مع المومنين منهم علي ان الاستضعاف مختص بالمومنين اي قالوا للمومنين
الذين استضعفوهم واسترذلوهم **اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه** وانما قالوه بطريق الاستهزاء بهم **قالوا انا**
بما ارسل به مومنون عدلوا عن الجواب الموافق لسوالهم بان يقولوا نعم او نعلم انه مرسل منه تعالي مسارعة
الي تحقيق الحق واظهار ما لهم من الايمان الثابت المستمر الذي ينبي عنه الجملة الاسمية وتنبيها علي ان امر

ادساله من الظهور بحيث لا ينبغي ان يسال عنه وانما الحقيق بالسؤال عنه هو الايمان به قال الذين استكبروا اعيد
الموصول مع صلته مع كفاية الضمير ايذانا بانهم قد قالوا ما قالوه بطريق العتو والاستكبار انا بالذي امنتم به كافرون
وانما لم يقولوا انا بما ارسل به كافرون اظهارا لمخالفتهم اياهم ورد المقالتهم فعقروا الناقة اي نحروها اسند
العقر الى الكل مع ان المباشر بعضهم للملابسة او لان ذلك لما كانوا برضاهم فكانه فعله كلهم وفيه من تهويل
الامر وتفظيعه بحيث اصابت غائلته الكل ما لا يخفى وعتوا عن امر ربهم اي استكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم
صالح عليه السلام من الامر والنهي وقالوا مخاطبين له عليه السلام بطريق التعجيز والافحام على زعمهم يا صالح ايتنا
بما تعدنا اي من العذاب والاطلاق به قطعا ان كنت من المرسلين فان كونك من جملتهم يستدعي صدق ما تقول
من الوعد والوعيد فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة لكن لا اثر ما قالوا بل بعد ما جرى عليهم من مبادي العذاب في
الايام الثلثة حسبما مر تفصيله فاصبحوا في دارهم اي صاروا في ارضهم وبلدهم او في مسكنهم جاثمين
هامدين موتى لا حراك بهم واصل الجثوم البروك يقال الناس جثوم اي قعود لا حراك بهم ولا ينتسبون بنسبة
قال ابو عبيدة الجثوم للناس والطير والبروك للابل والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب
بهم من غير اضطراب وحركة كما يكون عند الموت المعتاد ولا يخفى فيه من شدة الاخذ وسرعة البطش اللهم
انا بك نعوذ من نزول سخطك وحلول غضبك وجاثمين خبر لاصبحوا والظرف متعلق ولا مساغ لكونه خبرا
وجاثمين حالا لافضائه الى كون الاخبار بكونهم في دارهم مقصودا بالذات وكونهم جاثمين قيدا تابعا له غير
مقصود بالذات قيل حيث ذكرت الرجفة وحدت الدار حيث ذكرت الصيحة جمعت لان الصيحة كانت
من السماء فبلوغها اكثر وابلغ من الزلزلة فقرن كل منهما بما هو اليق به فتولى عنهم اثر ما شاهد ما جرى
عليهم تولي مغتم متحسر على ما فاتهم من الايمان متحزنا عليهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم بالترغيب
والترهيب وبذلت فيكم وسعي ولكن لم تقبلوا مني ذلك وصيغة المضارع في قوله تعالى ولكن لا تحبون الناصحين
حكاية حال ماضية اي شانكم الاستمرار على بغض الناصحين وعداوتهم خاطبهم عليه السلام بذلك خطاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل قليب بدر قال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا
وقيل انما تولى عنهم قبل نزول العذاب عند مشاهدته عليه السلام لعلاماته تولي ذاهب عنهم منكر لاصرارهم
على ما هم عليه وروي ان عقرهم الناقة كان يوم الاربعا ونزل بهم العذاب يوم السبت وروي انه خرج في
مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فراى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة
دار وروي انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم قوله تعالى ولوطا منصوب بفعل مضمر معطوف على ما سبق
وعدم التعرض للمرسل اليهم مع ما على المنصوب حسبما وقع فيما سبق وما لحق قد مر بيانه في قصة هود
عليه السلام وهو لوط بن هاران بن تارخ ابن اخي ابرهيم عليهما السلام كان من ارض بابل من العراق مع عمه
ابرهيم عليه السلام فهاجر الى الشام فنزل فلسطين وانزل لوطا الاردن وهي كورة بالشام فارسله الله
تعالى الى اهل سدوم وهو بلد بحمص وقوله تعالى اذ قال لقومه ظرف للمضمر المذكور اي ارسلنا لوطا الى قومه
وقت قوله لهم ولعل تقييد ارساله عليه السلام بذلك لما ان ارساله اليهم لم يكن في اول وصوله اليهم
وقيل هو بدل من لوطا بدل اشتمال على ان انتصابه باذكر اي اذكر وقت قوله عليه السلام لقومه اتاتون
الفاحشة بطريق الانكار التوبيخي التقريعي اي اتفعلون تلك الفعلة المتناهية في القبح المتمادية في
الشرية والسوء ما سبقكم بها ما عملها قبلكم على ان الباء للتعدية كما في قوله عليه السلام سبقك بها عكاشة
من قولك سبقته بالكرة اي ضربتها قبله ومن في قوله تعالى من احد مزيد لتاكيد النفي وافادة معنى الاستغراق وفي
قوله تعالى من العالمين للتبعيض والجملة مستانفة مسوقة لتاكيد النكير وتشديد التوبيخ والتقريع فان
مباشرة القبيح قبيح واختراعه اقبح ولقد انكر الله تعالى عليهم اولا اتيان الفاحشة ثم وبخهم بانهم اول من عملها

فان سبك النظم

فان سبك النظم الكريم وان كان على نفي كونهم مسبوقين من غير تعرض لكونهم سابقين لكن المراد انهم سابقون لكل من عداهم
من العالمين كما مر تحقيقه مرارا في نحو قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او مسوقة جوابا عن سوال مقدر كانه قيل
من جهتهم لم لا ناتيها فقيل بيانا للعلة واظهارا للزاجر ما سبقكم بها احد لغاية قبحها وسوء سبيلها فكيف تفعلونها
قال عمرو بن دينار ما نزا ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط قال محمد بن اسحاق كانت لهم ثمار وقرى لم يكن في الدنيا مثلها
فقصدهم الناس فاذوهم فعرض لهم ابليس في صورة شيخ وقال ان فعلتم بهم كذا وكذا نجوتم منهم فابوا فلما الح الناس عليهم
قصدوهم فاصابوا غلمانا حسانا فاخبثوا فاستحكم فيهم ذلك قال الحسن كانوا لا يفعلون ذلك الا بالغرباء وقال
الكلبي اول من فعل به ذلك الفعل الخبيث ابليس حيث تمثل لهم في صورة شاب جميل فدعاهم الى نفسه ثم عبثوا بذلك العمل
اينكم لتاتون الرجال خبر مستانف لبيان تلك الفاحشة وقرئ بهمزتين صريحتين وبتليين الثانية بغير مد وبمد
ايضا على انه تاكيد للانكار السابق وتشديد للتوبيخ وفي زيادة ان واللام مزيد تقبيح وتقريع كان ذلك امر لا يتحقق صدوره
عن احد فيوكد تاكيدا قويا وفي ايراد لفظ الرجال دون الغلمان والمردان ونحوهما مبالغة في التوبيخ وقوله تعالى شهوة
مفعول له او مصدر في موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمة الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغي له ان يكون الداعي له
الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الشهوة ويجوز ان يكون المراد الانكار عليهم وتقريعهم على اشتهائهم تلك الفعلة
الخبيثة المكروهة كما ينبئ عنه قوله تعالى من دون النساء اي متجاوزين النساء اللاتي هن محال الاشتهاء كما ينبئ عنه قوله تعالى
بل انتم قوم مسرفون اضراب عن الانكار المذكور الى الاخبار بحالهم التي افضت بهم الى ارتكاب امثالها وهي اعتياد الاسراف في كل شيء
او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف اي لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف وما كان جواب قومه اي
المستكبرين منهم المتولين للامر والنهي المتصدين للحل والعقد وقوله تعالى الا ان قالوا استيناف مفرغ من اعم الاشياء
اي ما كان جوابا من جهة قومه شيء من الاشياء الا قولهم اي لبعضهم الاخرين المباشرين للامور معرضين عن مخاطبته
عليه السلام اخرجوهم اي لوطا ومن معه من اهله المومنين من قريتكم اي الا هذا القول الذي يستحيل ان يكون جوابا
لكلام لوط عليه السلام وقرئ برفع جواب على انه اسم كان والا ان قالوا خبرها وهو اظهر وان كان الاول اقوى في الصناعة
لان الاعرف احق بالاسمية واياما كان فليس المراد انه لم يصدر عنهم بصدد الجواب عن مقالات لوط عليه السلام ومواعظه
الا هذه المقالة الباطلة كما هو المتسارع الى الافهام بل انه لم يصدر عنهم في المرة الاخيرة من مرات المحاورات الجارية بينهم وبينه
عليه السلام الا هذه الكلمة الشنيعة والا فقد صدر عنهم قبل ذلك كثير من الترهات حسبما حكي عنهم في سائر السور الكريمة
هو الوجه في نظائره الواردة بطريق القصر وقوله تعالى انهم اناس يتطهرون تعليل للامر بالاخراج ووصفهم بالتطهر للاستهزاء
والسخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش والخبائث والافتخار بما هم فيه من القذارة كما هو ديدن الشطار والدعار فانجيناه واهله
اي المومنين منهم الا امراته استثناء من اهله فانها كانت تسر بالكفر من الغابرين اي الباقين في ديارهم الهالكين فيها
والتذكير للتغليب ولبيان استحقاقها لما يستحقه المباشرون الفاحشة والجملة استيناف وقع جوابا عن سوال نشاء
عن استثنائها من حكم الانجاء كانه قيل فماذا كان حالها فقيل كانت من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا اي نوعا من المطر
عجيبا وقد بينه تعالى بقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل قال ابو عبيدة مطر في الرحمة والمطر في العذاب وقال
الراغب مطر في الخير وامطر في العذاب والصحيح ان امطرنا بمعنى ارسلنا عليهم ارسال المطر قيل كانت الموتفكة
خمس مداين وقيل كانوا اربعة الاف بين الشام والمدينة فامطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف الله
بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل امطر عليهم ثم خسف بهم وروي ان تاجرا منهم
كان في الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه وروي ان امراة لوط التفتت نحو ديارها
فاصابها حجر فماتت فانظر كيف كان عاقبة المجرمين خطاب لكل من يتاتى منه التامل والنظر تعجيبا من حالهم وتحذيرا
من اعمالهم والى مدين اخاهم شعيبا عطف على قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا وما عطف عليه وقد روعي ههنا
ما في المعطوف عليه من تقديم المجرور على المنصوب اي وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابرهيم عليه الصلوة والسلام

شعيب بن ميكاييل بن يشجن بن مدين وقيل شعيب بن ثويب بن مدين وقيل شعيب بن يثرون بن مدين وكان يقال له
خطيب الانبياء عليهم السلام لحسن مراجعته قومه وكانوا اهل بخس للمكاييل والموازين مع كفرهم قال استيناف مبني على
سوال نشاء عن حكاية ارساله اليهم كافة قيل فماذا قال لهم فقيل يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره تفسير مرارا
قد جاءتكم بينة اي معجزة وقوله تعالى من ربكم متعلق بجاءتكم او بمحذوف هو صفة لمفعوله موكدة لفخامته الذاتية المستفادة
من تنكيره بفخامته الاضافية اي بينة عظيمة ظاهرة كائنة من ربكم ومالك اموركم ولم يذكر معجزته عليه السلام في القران العظيم
كما لم يذكر اكثر معجزات النبي عليه الصلوة والسلام فمنها ما روي من محاربة عصا موسى عليه السلام التنين حين دفع اليه غنمه
ومنها ولادة الغنم الدرع خاصة حين وعد ان يكون له الدرع من ولادها ومنها وقوع عصا آدم على يده في المرات السبع
لان كل ذلك قبل ان يستنبأ موسى عليه السلام وقيل البينة مجيئه عليه السلام كما في قوله تعالى يا قوم ارايتم ان كنت على
بينة من ربي اي حجة واضحة وبرهان نير عبر بهما عما اتاه الله تعالى من النبوة والحكمة فاوفوا الكيل اي المكيال كما وقع في
سورة هود ويؤيده قوله تعالى والميزان فان المتبادر منه الالة وان جاز كونه مصدرا كالميعاد وقيل الة الكيل والوزن
على الاضمار والفاء لترتيب الامر على مجيء البينة ويجوز ان يكون عاطفة على اعبدوا فان عبادة الله تعالى موجبة للاجتناب
عن المناهي التي معظمها بعد الكفر البخس الذي كانوا يباشرونه ولا تبخسوا الناس اشياءهم التي يشترونها بها معتمدين على
تمامها اي شيء كان واي مقدار كان فانهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين قال زهير
في كل اسواق العراق اتاوة ٭ وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم ولا تفسدوا في الارض اي بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعد
ما اصلح امرها واهلها الانبياء واتباعهم باجراء الشرائع واصلحوا فيها واضافته اليها كاضافة مكر الليل والنهار ذلكم
خير لكم اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا في الانسانية وحسن الاحدوثة
وما يطلبونه من التكسب والتربح لان الناس اذا عرفوهم بالامانة رغبوا في معاملتهم ومتاجرتهم ان كنتم مومنين اي مصدقين
في قوله هذا ولا تقعدوا بكل صراط توعدون اي بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب
الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا راوا احدا يشرع في شيء منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون
لمن يريد شعيبا انه كذاب لا يفتننك عن دينك ويتوعدون لمن آمن به وقيل يقطعون الطريق وتصدون عن سبيل الله اي
السبيل الذي قعدوا عليه فوضع المظهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه والايمان
بالله او بكل صراط على انه عبارة عن طرق الدين وقوله تعالى من آمن به مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول
توعدون لقيل وتصدونهم وتوعدون حال من الضمير في تقعدوا وتبغونها عوجا اي وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء
الشبه او بوصفها للناس بانها معوجة وهي ابعد شيء من شائبة الاعوجاج واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم بالبركة في النسل
والمال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم الماضية كقوم نوح ومن بعدهم عاد وثمود واضرابهم واعتبروا بهم
وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت به من الشرائع والاحكام وطائفة لم يومنوا اي لم يومنوا به ولم يفعلوا الايمان
فاصبروا حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمومنين ووعيد للكافرين وهو
خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قال الملأ الذين استكبروا من قومه استيناف مبني على سوال ينساق
اليه المقال كانه قيل فماذا قالوا بعد ما سمعوا هذه المواعظ من شعيب عليه عليه السلام فقيل قال اشراف قومه
المستكبرون متطاولين عليه عليه السلام غير مكتفين بمجرد الاستعصاء عليه والامتناع من الطاعة له بل بالغوا من
العتو والاستكبار الى ان قصدوا استبعاده عليه السلام فيما هم فيه واتباعه المومنين واجتروا على اكراههم عليه بوعيد
النفي وخاطبوه عليه السلام بذلك على طريقة التوكيد القسمي لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا نسبة الاخراج اليه عليه
السلام اولا والى المومنين ثانيا بعطفهم عليه تنبيها على اصالته عليه السلام في الاخراج وتبعيتهم له فيه كما ينبئ عنه
قوله تعالى معك فانه متعلق بالاخراج لا بالايمان وتوسيط النداء باسمه العلمي بين المعطوفين لزيادة التقرير
والتهديد الناشية عن غاية الوقاحة والطغيان اي والله لنخرجنك واتباعك من قريتنا بغضا لكم ودفعا لفتنتكم

المترتبة

مرين

المترتبة على المساكنة والجوار وقوله تعالى او لتعودن في ملتنا عطف على جواب القسم اي والله لتكونن احد الامرين
البتة على ان المقصد الاصلي هو العود وانما ذكر النفي والاجلاء لمحض القسر والالجاء كما يفصح عنه عدم تعرضه
عليه السلام لجواب الاخراج كانهم قالوا لا ندعكم فيما بيننا حتى تدخلوا في ملتنا وادخالهم له عليه السلام في
خطاب العود مع استحالة كونه عليه السلام في ملتهم قبل ذلك انما هو بطريق تغليب الجماعة على الواحد وانما لم
يقولوا او لنعيدنكم على طريقتنا قبله لما ان مرادهم ان يعودوا اليها بصورة الطواعية حذار الاخراج باختيار
اهون الشرين لا اعادتهم بسائر وجوه الاكراه والتعذيب قال استيناف كما سبق اي قال عليه السلام
ردا لمقالتهم الباطلة وتكذيبا لهم في ايمانهم الفاجرة او لو كنا كارهين على ان الهمزة لانكار الوقوع ونفيه
لا لانكار الواقع واستقباحه كالتي في قوله تعالى او لو جئتك بشيء مبين ويجوز ان يكون الاستفهام فيه
باقيا على حاله وقد مر مرارا ان كلمة لو في هذا المقام ليست لبيان انتفاء الشيء في الزمن الماضي لانتفاء
غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف تعويلا على دلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية الا عند القصد الى
بيان الاعراب على القواعد الصناعية بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق بالذات وبالواسطة من الحكم
الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة
له ليظهر بثبوته او انتفائه مع ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق
مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة
للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء
الاحوال على سبيل الاجمال وهذا المعنى الظاهر في الخبر الموجب والمنفي والامر والنهي كما في قولك فلان جواد يعطي
ولو كان فقيرا وبخيل لا يعطي ولو كان غنيا وقولك احسن اليه ولو اساء اليك ولا تهنه ولو اهانك لبقائه على حاله
سالما عما يغيره واما فيما نحن فيه ففيه نوع خفاء لتغيره بورود الانكار عليه لكن الاصل في الكل واحد الا ان كلمة
لو في الصور المذكورة متعلقة بنفس الفعل المذكور قبلها وان ما يقصد بيان تحققه على كل حال هو نفس مدلوله
وان الجملة حال من ضميره وهما يتعلق به وان ما في حيز لو مقرر على ما هو عليه من الاستبعاد بخلاف ما نحن فيه
لما ان كلمة لو متعلقة فيه بفعل مقدر يقتضيه المذكور وان ما يقصد بيان تحققه على كل حال هو مدلوله لا مدلول
المذكور وان الجملة حال من ضمير المذكور كما سيأتي وان المقصود الاصلي انكار مدلوله لا من ضمير المذكور من حيث
مقارنته للحالة المذكورة واما تقدير مقارنته لغيرها فلتوسيع الدائرة وان ما في حيز لو لا يقصد استبعاده
في نفسه بل يقصد الاشعار بانه امر مقرر الا انه اخرج مخرج الاستبعاد مبالغة في الانكار من جهة ان العود
مما ينكر عند كون الكراهة امرا مستبعدا فكيف به عند كونها امرا محققا ومعاملة على المخاطبين على معتقدهم
لاستنزالهم من رتبة العناد وليس المراد بالكراهة مجرد كراهة المومنين للعود في ملة الكفرة ابتداء حتى يقال
معلومة لهم فكيف تكون مستبعدة عندهم بل انما هي كراهتهم له بعد وعيد الاخراج الذي جعل قرينا للقتل
في قوله تعالى ولو انا كتبنا عليهم الاية فانهم كانوا يستبعدونها ويطمعون في انهم حينئذ يختارون العود خشية
الاخراج اذ رب مكروه يختار عند حلول ما هو اشر منه وافظع والتقدير انعود فيها لو لم نكن كارهين ولو كنا
كارهين غير مبالين بالاكراه فالجملة في محل النصب على الحالية من ضمير الفعل المقدر حسبما اشير اليه اذ
ماله انعود فيها حال عدم الكراهة وحال الكراهة انكارا لما يفيده كلامهم الشنيعة باطلاقها من العود على اي
حالة كانت غير انه اكتفى بذكر الحالة الثانية التي هي اشد الاحوال منافاة للعود واكثرها بعدا منه تنبيها على
انها هي الواقعة في نفس الامر وثقة باغنائها عن ذكر الاول اغناء واضحا لان العود الذي تعلق به الانكار
حين تحقق مع الكراهة على ما يوجبه كلامهم فلان العناء هو عدم تحقق مع عدمها اولى ان قلت النفي المستفاد
من الاستفهام الانكاري فيما نحن فيه بمنزلة صريح النفي ولا ريب في ان الاولوية هناك معتبرة بالنسبة الى

النفي الا يرى ان الاولى بالتحقق فيما ذكر من مثال النفي عند الحالة السكوت عنها اعني عدم الاعطاء لا نفسه فكان ينبغي ان
يكون الاولى بالتحقق فيما نحن فيه عند عدم الكراهة عدم العود لا نفسه اذ هو الذي يدل عليه قولنا انعود لان في
معنى لا نعود فلم اختلف الحال بينهما **قلت** لما ان مناط الاولوية هو الحكم الذي اريد بيان تحققه على كل حال
وذلك في مثال النفي عدم الاعطاء المستفاد من الفعل المنفي المذكور واما في ما نحن فيه فهو نفس العود المستفاد
من الفعل المقدر اذ هو الذي يقتضيه الكلام السابق اعني قولهم لتعودن وما الاستفهام فخارج عنه وارد
لابطال ما يفيده ونفي ما يقتضيه لا انه من تمامه كما في صورة النفي وتوضيحه ان بين النفيين فرقا معنويا يختلف
به احكامهما التي من جملتها ما ذكر من اعتبار الاولوية في احدهما بالنسبة الى نفسه وفي الاخر بالنسبة الى
متعلقه ولذلك لا يستقيم اقامة احدهما مقام الاخر على وجه الكلية الا يرى انك لو قلت مكان انعود فيها
ولو كنا كارهين لاختل اختلالا فاحشا لان مدلول الاول نفي العود المقيد بحال الكراهة ومدلول الثاني تقييد
العود المنفي بها وذلك لان حرف النفي يباشر نفس الفعل وينفيه وما يذكر بعده يرجع اليه من حيث هو
منفي واما همزة الاستفهام فانها تباشر الفعل بعد تقييده بما بعده لما ان دلالتها على الانكار والنفي ليست
بدلالة وضعية كدلالة حرف النفي حتى يتعلق معناها بنفس الفعل الذي يليها ويكون ما بعده راجعا اليه من حيث
هو منفي بل هو دلالة عقلية مستفادة من سياق الكلام فلا بد ان يكون ما يذكر بعد الفعل من موانعه ودواعي انكاره
ونفيه حتما ليكون قرينة صارفة للهمزة عن حقيقتها الى معنى الانكار والنفي ثم لما كان المقصود نفي الحكم على كل حال مع
الاقتصار على ذكر بعض منها مغن عن ذكر ما عداه لاستلزام تحققه معه تحققه مع غيره بطريق الاولوية وكانت حال
الكراهة عند كونها قيدا لنفس العود كذلك اي مغنيا عن ذكر سائر الاحوال ضرورة ان تحقق العود في حال الكراهة
مستلزم لتحققه في حال عدمها البتة وعند كونها قيدا لنفيه بخلاف ذلك اي غير مغن عن ذكر غيرها ضرورة ان نفي
العود في حال الكراهة لا يستلزم نفيه في غيرها بل الامر بالعكس فان نفيه في حال الارادة مستلزم لنفيه
في حال الكراهة قطعا استقام الاول لافادته نفي العود في الحالين مع الاقتصار على ذكر ما هو مغن عن ذكر الاخرى ولم
يستقم الثاني لعدم افادته اياه على الوجه المذكور اذ قيل فما وجه استقامتهما جميعا عند ذكر المعطوفين حيث
يصح ان يقال لا نعود فيها ولو لم نكن كارهين ولو كنا كارهين مع ان المقدر في حكم الملفوظ **قلنا** وجهها ان
كلا منهما يفيد معنى صحيحا في نفسه لا ان معنى احدهما عين معنى الاخر اذ انهما متلازمان متفقان في جميع
الاحكام كيف لا ومدلول الاول ان العود منتف في الحالين ومدلول الثاني ان العود في الحالين منتف
وكلا المعنيين صحيح في نفسه مصحح لنفي العود في الحالين مع ذكرهما معا غير ان الثاني مصحح لنفي العود في الحالين
مع الاقتصار على ذكر حالة الكراهة على عكس معنى الاول فانه مصحح لنفيه فيهما مع الاقتصار على ذكر حالة الارادة
قد افترينا على الله كذبا اي كذبا عظيما لا يقادر قدره **ان عدنا في ملتكم** التي هي الشرك وجواب الشرط محذوف
لدلالة ما قبله عليه اي ان عدنا في ملتكم **بعد اذ نجانا الله منها** فقد افترينا على الله كذبا عظيما حيث نزعم حينئذ
ان لله تعالى ندا وليس كمثله شيء وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه من الاسلام باطل وان ما كنتم عليه من الكفر
حق واي افتراء اعظم من ذلك **وقيل** انه جواب قسم محذوف حذف عنه اللام تقديره والله قد افترينا الى
آخره **وما يكون لنا** اي وما يصح وما يستقيم لنا **ان نعود فيها** في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات
الا ان يشاء الله اي الا حال مشية الله تعالى او وقت مشيته لعودنا فيها وذلك مما لا يكاد يكون كما ينبي
عنه قوله تعالى **ربنا** فان التعرض لعنوان ربوبيته تعالى لهم مما ينبي عن استحالة مشيته تعالى لارتدادهم قطعا
وكذا قوله تعالى بعد اذ نجانا الله منها فان تنجيته تعالى لهم منها من دلائل عدم مشيته لعودهم فيها **وقيل**
فيه دليل على ان الكفر بمشيته تعالى وايا ما كان فليس المراد بذلك بيان ان العود فيها في حيز الامكان وخطر الوقوع
بناء على كون مشيته تعالى كذلك بل بيان استحالة وقوعها كانه قيل وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله

ربنا هيهات ذلك بدليل ما ذكر من موجبات عدم مشيته تعالى **وسع ربنا كل شيء علما** فهو محيط بكل ما كان وما
سيكون من الاشياء التي من جملتها احوال عباده وعزائمهم ونياتهم وما هو اللائق بكل واحد منهم فمحال من لطفه ان
يشاء عودنا فيها بعد ما نجانا منها مع اعتصامنا به خاصة حسبما ينطق به قوله تعالى **على الله توكلنا** اي اشارة في
ان يثبتنا على ما نحن عليه من الايمان ويتم علينا نعمته بانجائنا من الاشراك بالكلية واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار
للمبالغة في التضرع والجؤار وقوله تعالى **ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق** اعراض عن مقاوضتهم اثر ما ظهر له عليه
السلام انهم من العتو والعناد بحيث لا يتصور منهم الايمان اصلا واقبال على الله تعالى بالدعاء لفصل ما بينه وبينهم
بما يليق بحال كل من الفريقين اي احكم بيننا بالحق والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم
ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه **وانت خير الفاتحين** تذييل مقرر لمضمون ما قبله على المعنيين **وقال
الملأ الذين كفروا من قومه** عطف على قال الملأ الذين الى آخره ولعل هؤلاء غير اولئك المستكبرين ودونهم في الرتبة
شأنهم الوساطة بينهم وبين العامة والقيام بامورهم حسبما يراه المستكبرون ويجوز ان يكونوا عين الاولين
وتغيير الصلة لما ان مدار قولهم هذا هو الكفر كما ان مناط قولهم السابق هو الاستكبار اي قال اشرافهم الذين
اصروا على الكفر لاعقابهم بعد ما شاهدوا صلابة شعيب عليه السلام ومن معه من المؤمنين في الايمان وخافوا
ان يستتبعوا قومهم تثبيطا لهم عن الايمان به وتنفيرا لهم عنه على طريقة التوكيد اي والله **لئن اتبعتم شعيبا**
ودخلتم في دينه وتركتم دين ابائكم **انكم اذا لخاسرون** اي في الدين لاشترائكم الضلالة بهداكم او في الدنيا لفوات ما يحصل
لكم بالبخس والتطفيف واذا حرف جواب وجزاء معترض بين اسم ان وخبرها والجملة سادة مسد جوابي الشرط والقسم الذي
وطأته اللام **فاخذتهم الرجفة** اي الزلزلة وهكذا في سورة العنكبوت وفي سورة هود واخذت الذين ظلموا الصيحة اي
صيحة جبريل عليه السلام ولعلها من مبادي الرجفة فاسند هلاكهم الى السبب القريب تارة والى البعيد اخرى
فاصبحوا في دارهم اي في مدينتهم وفي سورة هود في ديارهم **جاثمين** اي ميتين لازمين لاماكنهم لا براح لهم
منها **الذين كذبوا شعيبا** استيناف لبيان ابتلائهم بشؤم قولهم فيما سبق لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا
معك من قريتنا وعقوبتهم بمقابلته والموصول مبتدأ خبره قوله تعالى **كان لم يغنوا فيها** اي استؤصلوا بالمرة
وصاروا كانهم لم يقيموا بقريتهم اصلا اي عوقبوا بقولهم ذلك وصاروا هم المخرجين من القرية اخراجا لا دخول بعده
ابدا وقوله تعالى **الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين** استيناف آخر لبيان ابتلائهم بعقوبة قولهم الاخير
واعادة الموصول والصلة كما هي لزيادة التقرير والايذان بان ما ذكر في حيز الصلة هو الذي استوجب العقوبتين
اي الذين كذبوه عليه السلام عوقبوا بمقالتهم الاخيرة فصاروا هم الخاسرين للدنيا والدين لا المتبعون له عليه
السلام وبهذا القصر اكتفي عن التصريح بانجائه صلى الله عليه وسلم كما وقع في سورة هود من قوله تعالى ولما جاء امرنا
نجينا شعيبا والذين آمنوا معه الى آخره **فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم** قال عليه السلام ذلك بعد
ما هلكوا تاسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه ذلك فقال **فكيف آسى** اي احزن حزنا شديدا **على قوم كافرين**
مصرين على الكفر ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم و
المعنى لقد بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت وسعي في النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وقرئ
ايسى بامالتين **وما ارسلنا في قرية من نبي** اشارة اجمالية الى احوال بيان سائر الامم اثر بيان الاحوال المذكورة
تفصيلا ومن مزيدة لتاكيد النفي والصفة محذوفة اي من نبي كذب او كذبه عنها **الا اخذنا اهلها** استثناء
مفرغ من اعم الاحوال واخذنا في محل النصب من فاعل ارسلنا والفعل الماضي لا يقع بعد الا باحد الشرطين اما تقدير
قد كما في هذه الآية او مقارنته قد كما في قولك ما زيد الا قد قام والتقدير وما ارسلنا في قرية من القرى المهلكة
نبيا من الانبياء في حال من الاحوال الا حال كوننا آخذين اهلها **بالبأساء** بالبؤس والفقر **والضراء** بالضر
والمرض لكن لا على معنى ان ابتداء الارسال مقارن للاخذ المذكور **لعلهم يضرعون** كي يتضرعوا ويتذللوا ويتوبوا **بدلنا**

عطف على اخذنا داخل في حكمه **مكان السيئة** التي اصابتهم للغاية المذكورة **الحسنة** اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء
والمحنة الرخاء والسعة كقوله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات **حتى عفوا** اي كثروا عددا وعددا من عفا النبات اذا
كثر وتكاثف وابطرتهم النعمة **وقالوا** غيرا واقفين على ان ما اصابهم من الامرين ابتلاء من عند الله تعالى **قد مس اباءنا الضراء
والسراء** كما مسنا ذلك وما هو الا من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء من غير ان يكون هناك داعية تودي
اليهما او تبعة تترتب عليهما ولعل تأخير السراء للاشعار بانها تعقب الضراء فلا ضير فيها **فاخذناهم** اثر ذلك **بغتة**
فجاءة اشد الاخذ وافظعه **وهم لا يشعرون** بذلك ولا يخطرون ببالهم شيئا من ذلك المكاره كقوله تعالى حتى اذا فرحوا
بما اوتوا الآية وليس المراد بالاخذ بغتة اهلاكهم على طرفة عين كاهلاك عاد وقوم لوط بل ما يعمه وما يمضي بين الاخذ
واتمام الاهلاك ايام كدأب ثمود **ولو ان اهل القرى** المدلول عليها بقوله تعالى في قرية **وقيل** هي مكة وما حولها من القرى
وقيل جنس القرى المنتظمة لما ذكرمنها انتظاما اوليا **امنوا** بما اوحي الى انبيائهم معتبرين بما جرى عليهم من الابتلاء
بالضراء والسراء **واتقوا** اي الكفر والمعاصي واتقوا ما انذروا به على السنة الانبياء ولم يصروا على ما فعلوا من القبائح ولم
يحملوا ابتلاء الله تعالى على عادات الدهر وفي **قال** ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وحدوا الله واتقوا الشرك **لفتحنا عليهم
بركات من السماء والارض** لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب ومكان ما اصابهم من فنون العذاب التي بعضها
من السماء وبعضها من الارض **وقيل** المراد المطر **وقرئ** لفتحنا بالتشديد للتكثير **ولكن كذبوا** اي ولكن لم يومنوا
ولم يتقوا وقد اكتفي بذكر الاول لاستلزامه الثاني **فاخذناهم بما كانوا يكسبون** من انواع الكفر والمعاصي التي من جملتها
قولهم قد مس اباءنا الى آخره وهذا الاخذ عبارة عما في قوله فاخذناهم بغتة لا عن الجدب والقحط كما قيل فانهما قد زالا
بتبديل الحسنة مكان السيئة **افامن اهل القرى** اي اهل القرى المذكورة ووضع المظهر موضع المضمر للايذان
بان مدار القبائح امن كل طائفة ما اتاهم من الباس لا امن مجموع الامم فان كل طائفة منهم اصابهم باس خاص بهم
لا يتعداهم الى غيرهم كما سيأتي والهمزة لانكار الواقع واستقباحه لا لانكار الوقوع ونفيه كما قاله ابو
شامة وغيره لقوله تعالى فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون والفاء للعطف على اخذناهم وما بينهما اعتراض
توسط بينهما للمسارعة الى بيان ان الاخذ المذكور مما كسبته ايديهم والمعنى ابعد ذلك الاخذ امن اهل القرى او امن
اهل القرى انكار بعد انكار للمبالغة في التوبيخ والتشديد ولذلك لم يقل افامن اهل القرى ان يأتيهم باسنا بياتا
وهم نائمون **ان يأتيهم باسنا بياتا** اي تبييتا او وقت بيات او مبيتا او مبيتين وهو في الاصل مصدر بمعنى
البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم **وهم نائمون** وضحى وهم يلعبون **وقرئ** او بسكون الواو
على الترديد **او امن اهل القرى ان يأتيهم باسنا ضحى** اي ضحوة النهار وهو في الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت **وهم
يلعبون** اي يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم كانهم يلعبون **افامنوا مكر الله** تكرير
للنكير لزيادة التقرير ومكر الله تعالى استعارة لاستدراجه العبد واخذه من حيث لا يحتسب والمراد به
اتيان باسه تعالى في الوقتين المذكورين ولذلك عطف الاول والثالث بالفاء فان الانكار فيهما متوجه الى
ترتب الامن على الاخذ المذكور واما الثاني فمن تتمة الاول **فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون** اي الذين
خسروا انفسهم واضاعوا فطرة الله التي فطر الناس عليها والاستعداد القريب المستفاد من النظر في
الآيات **اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها** اي يخلفون من خلا قبلهم من الامم المهلكة ويرثون ديارهم
والمراد بهم اهل مكة ومن حولها وتعديته فعل الهداية باللام اما لتنزيلها منزلة اللازم كانه قيل اغفلوا ولم
تفعل الهداية لهم الى آخره واما لانها بمعنى التبيين والمفعول محذوف والفاعل على التقديرين هو الجملة الشرطية
او لم يبين لهم مآل امرهم **ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم** اي ان الشان لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم
او بسبب ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم **وقرئ** نهد بنون العظمة فالجملة مفعولة **ونطبع على قلوبهم** عطف على
ما يفهم من قوله تعالى اولم يهد كانه قيل لا يهتدون او يغفلون عن الهداية او عن التفكر والتأمل او منقطع

عنه

عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى طبعنا لافضائه الى نفي الطبع عنهم لانه في سياق
جواب لو **فهم لا يسمعون** اي اخبار الامم المهلكة فضلا عن التدبر والنظر فيها والاغتنام بما في تضاعيفها من الهدايات
تلك القرى جملة مستانفة جارية مجرى الموكدة لما قبلها من القصص مبينة عن غاية غواية الامم المذكورة وتماديهم
فيها بعدما اتاهم الرسل بالمعجزات الباهرة وتلك اشارة الى قرى الامم المحكية على ان اللام للعهد وهو مبتدأ وقوله
تعالى **نقص عليك من انبائها** خبر وصيغة المضارع للايذان بعدم انقضاء القصة بعد ومن للتبعيض اي بعض اخبارها
التي فيها عظة وتذكير **وقيل** تلك مبتداء والقرى خبر وما بعده حال او خبر بعد خبر عند من يجوز كون الخبر الثاني
فاذا هي حية تسعى وتصدير الكلام بذكر القرى واضافة الانباء اليها مع ان المقصود انباء اهلها والمقصود بيان
احوالهم حسبما يعرب عنه قوله تعالى **ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات** لما ان حكاية هلاكهم بالمرة على وجه الاستيصال
بحيث يشمل اماكنهم ايضا بالخسف بها والرجفة وبقاءها خاوية معطلة اهول وافظع والباء في قوله تعالى بالبينات
متعلقة اما بالفعل المذكور على انها للتعدية واما بمحذوف وقع حالا من فاعله اي ملتبسين بالبينات لكن لا بان
يأتي كل رسول ببينة واحدة بل ببينات كثيرة وخاصة به معينة له حسب اقتضاء الحكمة فان مراعاة الانقسام
الاحاد الى الاحاد انما هي فيما بين الرسل وضمير الامم والجملة مستانفة مبينة لكمال عتوهم وعنادهم اي وبالله لقد
جاء كل امة من تلك الامم المهلكة رسولهم الخاص بهم بالمعجزات البينة المتكثرة المتواردة عليهم الواضحة الدالة على
صحة رسالته الموجبة للايمان حتما وقوله تعالى **فما كانوا ليؤمنوا** بيان من الله تعالى لاستمرار عدم ايمانهم في الزمان
الماضي لا لعدم استمرار ايمانهم وترتيب حالهم هذه على مجيء الرسل بالبينات بالفاء لما ان الاستمرار على فعل من الا
بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه في الحقيقة لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع
حادث نحو وعظته فلم ينزجر ودعوته فلم يجب واللام لتاكيد النفي اي وما صح وما استقام لقوم من اولئك
الاقوام في وقت من الاوقات ان يؤمنوا بل كان ذلك ممتنعا منهم الى ان لقوا لغاية عتوهم وشدة شكيمتهم في
الكفر والطغيان ثم ان كان المحكي عنهم آخر حال كل قوم فالمراد بعدم ايمانهم المذكور ههنا اصرارهم على ذلك بعد اللتيا
والتي وبما اشير اليه بقوله تعالى **بما كذبوا به من قبل** تكذيبهم من لدن مجيء الرسل الى وقت الاصرار والعناد وانما لم
يجعل ذلك مقصودا بالذات كالاول بل جعل صلة للموصول ايذانا بانه بين بنفسه وانما المحتاج الى البيان عدم
ايمانهم بعد تواتر البينات الظاهرة والمعجزات الباهرة التي كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من اصحاب
العقول والموصول الذي تعلق به الايمان والتكذيب سلبا وايجابا عبارة عن جميع الشرائع التي جاء بها كل
رسول اصولها وفروعها وان كان المحكي جميع احوال كل قوم منهم فالمراد بما ذكر اولا كفرهم المستمر من حين مجيء
الرسل الى آخره وبما اشير اليه آخرا تكذيبهم قبل مجيئهم فلا بد من جعل الموصول المذكور عبارة عن اصول الشرائع التي
اجمعت عليها الرسل قاطبة ودعوا اممهم اليها اثر ذي اثر لاستحالة تبديلها وتغيرها مثل ملة التوحيد
ولوازمها ومعنى تكذيبهم بها قبل مجيء رسلهم انهم ما كانوا في زمن الجاهلية بحيث لم يسمعوا كلمة التوحيد قط بل كانت
كل امة من اولئك الامم يتسامعون بها من بقايا من قبلهم فيكذبونها ثم كانت حالهم بعد مجيء رسلهم كحالهم
قبل ذلك كان لم يبعث اليهم احد وتخصيص التكذيب وعدم الايمان بما ذكر من الاصول لظهور حال الباقي بدلالة
النص فانهم حين لم يؤمنوا بما اجمعت عليه الرسل فلان لا يؤمنوا بما تفرد به بعضهم اولى وعدم جعل هذا
التكذيب مقصودا بالذات لما ان مدار العذاب والعقاب هو التكذيب الواقع بعد الدعوة حسبما
يعرب عنه قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وانما ذكر ما وقع قبلها بيانا لعراقتهم في الكفر والتكذيب
وعلى كلا التقديرين فالضمائر الثلاثة متوافقة في المرجع **وقيل** ضمير كذبوا راجع الى اسلافهم فالمعنى فما
كان الابناء ليؤمنوا بما كذب به الاباء ولا يخفى ما فيه من التعسف **وقيل** المراد ما كانوا ليؤمنوا لو احييناهم
بعد اهلاكهم ورددناهم الى دار التكليف بما كذبوا من قبل كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل

فعال

ابآء السببية وما مصدرية اي بسبب تعودهم وتكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل ولا يرد عليه هاهنا
ما ورد في سورة يونس من مخالفة الجمهور بجعل ما المصدرية من قبيل الاسمآء كما هو راي الاخفش وابن السراج ليرجع
الضمير اليه في به كذلك اي مثل ذلك الطبع الشديد المحكم يطبع الله على قلوب الكافرين اي من المذكورين وغيرهم
فلا يكاد يؤثر فيها الايات والنذر وفيه تحذير للسامعين واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة
وادخال الروعة وما وجدنا لاكثرهم اي اكثر الامم المذكورين واللام متعلقة بالوجدان كما في قولك ما وجدت له مالا
اي ما صادفت له مالا ولا لقيته او بمحذوف وقع حالا من قوله تعالى من عهد لانه في الاصل صفة لنكرة فلما قدمت عليها
انتصبت حالا والاصل وما وجدنا عهدا كائنا لاكثرهم ومن مزيدة للاستغراق اي وما وجدنا لاكثرهم من وفاء عهد
فانهم نقضوا ما عاهدوا الله عليه عند مساس البأساء والضراء قائلين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين
تخصيص هذا الشان باكثرهم ليس لان بعضهم كانوا يوفون بعهدهم بل لان بعضهم كانوا لا يعهدون ولا يفون وقيل
المراد بالعهد ما عهد الله تعالى اليهم من الايمان بنصب الايات وانزال الحجج وقيل المراد بالعهد ما عهد الله
تعالى اليهم من الايمان والتقوى بنصب الايات الى هنا وقيل ما عهدوا عند خطاب الست بربكم فالمراد باكثرهم
كلهم وقيل الضمير للناس والجملة اعتراض فان اكثرهم لا يفون بالعهد باي معنى كان وان وجدنا اكثرهم اي
اكثر الامم اي علمناهم كما في قولك وجدت زيدا ذا حفاظ وقيل الاول ايضا كذلك وان مخففة من ان وضمير
الشان محذوف اي ان الشان وجدناهم لفاسقين خارجين عن الطاعة ناقضين للعهد وعند الكوفيين ان ان
نافية واللام بمعنى الا اي ما وجدناهم الا فاسقين ثم بعثنا من بعدهم موسى اي ارسلناه من بعد انقضاء وقائع
الرسل المذكورين عليهم السلام او من بعد هلاك الامم المحكية والتصريح بذلك مع دلالة ثم على التراخي للايذان بان بعثه
عليه السلام جريا على سنن السنة الالهية من ارسال الرسل تترى وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما
مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر باياتنا متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعول بعثنا
او صفة لمصدره اي بعثناه عليه السلام ملتبسا باياتنا او بعثناه بعثا ملتبسا بها وهي الايات التسع المفصلات
التي هي العصا واليد البيضاء والسنون ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم حسبما
ياتي على التفصيل الى فرعون هو لقب لكل من ملك مصر من العمالقة كما ان كسرى لقب لكل من ملك فارس و
قيصر لكل من ملك الروم واسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان وملائه اي اشراف قومه
وتخصيصهم بالذكر مع عموم رسالته عليه السلام لقومه كافة حيث كانوا جميعا مامورين بعبادة رب
العالمين عز سلطانه وترك العظيمة الشنعاء التي كان يدعيها الطاغية وتقبلها منه الفئة الباغية
لاصالتهم في تدبير الامور واتباع غيرهم لهم في الورود والصدور ● اي كفروا بها اجري الظلم مجرى الكفر
لكونهما من واد واحد او ضمن معنى الكفر والتكذيب فظلموا بها اي ظلموا كافرين بها مكذبين اي كفروا بها
مكان الايمان الذي هو من حقها لوضوحها وضع ظلموا موضع كفروا وقيل ظلموا انفسهم
بسببها بان عرضوها للعذاب الخالد وظلموا الناس بصدهم عن الايمان بها والمراد به الاستمرار على الكفر بها
الى ان لقوا من العذاب ما لقوا الا ترى الى قوله تعالى فانظر كيف كان عاقبة المفسدين فكما ان ظلمهم بها مستتبع
لتلك العاقبة الهائلة كذلك حكاية ظلمهم بها مستتبع للامر بالنظر اليها وكيف خبر كان قدم على اسمها لاقتضائه
الصدارة والجملة في حيز النصب باسقاط الخافض اي فانظر بعين عقلك الى كيفية ما فعلنا بهم ووضع
المفسدين موضع ضميرهم للايذان بان الظلم مستلزم للافساد وقال موسى كلام مبتدأ مسوق لتفصيل
ما اجمل فيما قبله من كيفية اظهار الايات وكيفية عاقبة المفسدين يا فرعون اني رسول اي اليك من رب
العالمين على الوجه الذي حكي بيانه حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق جواب على ما ينساق اليه الذهن من
حكاية ظلمهم بالايات من تكذيبهم اياه عليه السلام في دعوى الرسالة وكان اصله حقيق علي ان لا اقول الى الحق

كما هو

كما هو قراءة نافع فغلب للامن من الالباس كما في قول من قال ● وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر ● او لان
ما لزمك فقد لزمته او للاغراق في الوصف بالصدق والمعنى واجب على القول الحق ان اكون انا قائله لا
يرضى الا بمثلي ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص او وضع على موضع البآء لافادة التمكن كقولهم رميت
عن القوس وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة ابي بالبآء وقرئ حقيق ان لا اقول وقوله تعالى قد
جئتكم ببينة من ربكم استئناف مقرر لما قبل من كونه رسولا من رب العالمين وكونه حقيقا بقول الحق
ولم يكن هذا القول منه عليه السلام وما بعده جواب من فرعون اثر ما ذكر هاهنا بل بعد ما جرى بينهما
من المحاورة المحكية بقوله تعالى فمن ربكما الايات وقوله تعالى وما رب العالمين الايات وقد طوي
ذكره هاهنا للايجاز ومن متعلقة اما بجئتكم على انها لابتداء الغاية مجازا واما بمحذوف وقع صفة لبينة
مفيدة لفخامتها الاضافية المؤكدة لفخامتها الذاتية المستفادة من التنوين التفخيمي واضافة اسم الرب الى المخاطبين
بعد اضافته فيما قبله الى العالمين لتاكيد وجوب الايمان بها فارسل معي بني اسرائيل اي فخلهم حتى يذهبوا
معي الى الارض المقدسة التي هي وطن ابائهم وكان قد استعبدهم بعد انقراض الاسباط يستعملهم ويكلفهم الافاعيل
الشاقة فانقذهم الله تعالى بموسى عليه السلام وكان بين اليوم الذي دخل يوسف عليه السلام مصر واليوم
الذي دخله موسى عليه السلام اربعمائة عام والفاء لترتيب الارسال والامر على ما قبله من رسالته عليه السلام
حين قال ما قال فقيل قال ان كنت جئت باية اي من عند من ارسلك كما تدعيه فات بها اي فاحضرها حتى تثبت
بها رسالتك ان كنت من الصادقين في دعواك فان كونك من جملة المعروفين بالصدق يقتضي اظهار الاية
لا محالة فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين اي ظاهر امره لا يشك في كونه ثعبانا وهو الحية العظيمة وايثار الجملة
الاسمية للدلالة على كمال سرعة الانقلاب وثبات وصف الثعبانية فيها كانها في الاصل كذلك روي انه
عليه السلام لما القاها صارت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض
والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون
الفا فصاح فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك خذه وانا اؤمن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه
عليه السلام فعاد عصا ونزع يده اي من جيبه او من تحت ابطه فاذا هي بيضاء للناظرين اي بيضاء
بياضا نورانيا خارجا عن العادة يجتمع عليه النظارة تعجبا من امرها وذلك ما يروى انه راى فرعون يده
وقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا غلب
شعاعه شعاع الشمس وكان عليه السلام شديد الادمة وقيل بيضاء للناظرين لا انها كانت بيضاء في
جبلتها قال الملأ من قوم فرعون اي الاشراف منهم وهم اصحاب مشورته ان هذا لساحر عليم اي مبالغ في علم
السحر ماهر فيه قالوه تصديقا لفرعون وتقريرا لكلامه فان هذا القول بعينه معزي في سورة الشعراء
اليه يريد ان يخرجكم من ارضكم اي من ارض مصر بسحره فماذا تامرون بفتح النون وما في ماذا في محل النصب
على انه مفعول ثان لتامرون بحذف الجار والاول محذوف والتقدير باي شيء تامرونني وهذا من كلام فرعون
كما في قوله تعالى ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب اي فاذا كان كذلك فماذا تشيرون في امره وقيل قال الملأ
عن قبله بطريق التبليغ الى العامة فقوله تعالى قالوا ارجه واخاه على الاول وهو الاظهر حكاية لكلام الملأ
الذين شاورهم فرعون وعلى الثاني لكلام العامة الذين خاطبهم الملأ ويأباه ان الخطاب لفرعون وان المشاورة
ليست من وظائفهم اي اخره واخاه وعدم التعرض لظهور كونه معه حسبما ينادي به الايات الاخر والمعنى
اخر امرهما واصدرهما عنك حتى ترى رايك فيهما وتدبر شانهما وقرئ ارجئه واخاه من ارجاه
وارجاه وارسل في المدائن حاشرين قيل هي مدائن صعيد مصر وكان رؤساء السحرة ومهرتهم باقصى مدائن
الصعيد وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا سبعين ساحرا قد اخذوا السحر من مجوسيين من اهل

نينوى مدينة يونس عليه السلام بالموصل ورد ذلك بان المجوسية ظهرت من زرادست وهو انما جاء بعد
موسى عليه السلام يأتوك بكل ساحر عليم اى ماهر في السحر وقرئ بكل سحار عليم والجملة جواب الامر وجاء السحرة
فرعون بعد ما ارسل اليهم الحاشرين وانما لم يصرح به حسبما في قوله فارسل في المداين حاشرين للايذان
بمسارعة فرعون الى الارسال ومبادرة الحاشرين والسحرة الى الامتثال قالوا استئناف موصول بسوال نشاء
من حكاية مجيء السحرة كانه قيل فماذا قالوا له عند مجيئهم اياه فقيل قالوا مدلين بما عندهم واثقين بغلبتهم ان لنا
لاجرا ان كنا نحن الغالبين بطريق الاخبار بثبوت الاجر وايجابه كانهم قالوا لابد لنا من اجر عظيم او بطريق الاستفهام
التقريري بحذف الهمزة وقرئ باثباتها وقولهم ان كنا لمجرد تعيين مناط ثبوت الاجر لا لترددهم في الغلبة
وتوسيط الضمير وتحلية الخبر باللام للقصر اي ان كنا نحن الغالبين لا موسى قال نعم وقوله تعالى وانكم لمن
المقربين عطف على محذوف سد مسده حرف الايجاب كانه قيل ان لكم لاجرا وانكم مع ذلك لمن المقربين
للمبالغة في الترغيب وروي انه قال لهم تكونون اول من يدخل مجلسي وآخر من يخرج عنه قالوا استئناف كما
مر كانه قيل فماذا فعلوا فقيل قالوا متصدين لشانهم مخاطبين لموسى عليه السلام يا موسى اما ان تلقي ما تلقي اولا
واما ان نكون نحن الملقين اي لما نلقي اولا والفاعلين للالقاء اولا خيروه عليه السلام بالبدء بالالقاء مراعاة
للادب واظهارا للجلادة وانه لا يختلف حالهم بالتقديم والتاخير ولكن كانت رغبتهم في التقديم كما ينبئ عنه
عليه السلام بالبدء بالالقاء مراعاة للادب كما ينبئ عنه تغييرهم للنظم بتعريف الخبر وتوسيط ضمير الفصل
وتاكيد الضمير المتصل قال القوا غير مبال بامرهم اي القوا ما تلقون فلما القوا ما القوا سحروا اعين الناس
بان خيلوا اليهم ما لا حقيقة له واسترهبوهم اي بالغوا في ارهابهم وجاءوا بسحر عظيم في بابه روي
انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كانها حيات ملأت الوادي وركب بعضها بعضا واوحينا الى موسى ان
الق عصاك فاذا هي تلقف ما يافكون الفاء فصيحة اي فالقاها فصارت حية فاذا هي الاية وانما حذف للايذان بمسارعة
موسى عليه السلام الى الالقاء وبغاية سرعة الانقلاب كان لقفها لما يافكون قد حصل متصلا بالامر بالالقاء
وصيغة المضارع استحضار صورة اللقف الهائلة والافك الصرف والقلب عن الوجه المعتاد وما موصولة
او موصوفة والعائد محذوف اي ما يافكونه ويزورونه او مصدرية وهي بمعنى الفعل بمعنى المفعول روي
انه لما القيت تلقفت جميع ما ملأت الوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى عليه السلام فرجعت عصا كما
كانت واعدم الله تعالى بقدرته القاهرة تلك الاجرام العظام او فرقها اجزاء لطيفة قالت السحرة لو كانت
هذه سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق اي فثبت لظهور امره وبطل ما كانوا يعملون اي ظهر بطلان
ما كانوا مستمرين على عمله فغلبوا اي فرعون وقومه هنالك اي في مجلسهم وانقلبوا صاغرين اي صاروا
اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والاول هو الظاهر لقوله تعالى والقي السحرة ساجدين فان
ذلك كان بمحضر فرعون قطعا اي خروا سجدا كانهم القاهم ملق لشدة خرورهم كيف لا وقد بهرهم الحق واضطرهم
الى ذلك قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهرون ابدلوا الثاني من الاول لئلا يتوهم ان مرادهم فرعون عن
ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لما امنت السحرة اتبع موسى من بني اسرائيل ستمائة الف قال فرعون منكرا على
السحرة موبخا لهم على ما فعلوه امنتم له بهمزة واحدة اما على الاخبار المحض المتضمن للتوبيخ او على الاستفهام
التوبيخي بحذف الهمزة كما مر في ان لنا لاجرا وقد قرئ بتحقيق الهمزتين معا وبتحقيق الاولى وتسهيل الثانية
بين بين اي امنتم بالله قبل ان اذن لكم اي بغير ان اذن لكم كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات
ربي لا ان الاذن منه ممكن في ذلك ان هذا لمكر مكرتموه يعني ما صنعتموه ليس مما اقتضى الحال صدوره
عنكم لقوة الدليل وظهور المعجزة بل هي حيلة احتلتموها مع مواطاة موسى في المدينة يعني مصر قبل ان تخرجوا
الى الميعاد روي ان موسى عليه السلام وامير السحرة التقيا فقال له موسى عليه السلام ارايتك ان غلبتك

اتومن بي

اتومن بي وتشهد ان ما جيت به الحق فقال الساحر والله ان غلبتني لاومنن بك وفرعون يسمعهما وهو الذي
نشأ عنه هذا القول لتخرجوا منها اهلها اي القبط وتخلص لك ولبني اسرائيل وهاتان شبهتان القاهما
الى اسماع اعوام القبط عند معاينتهم لارتفاع اعلام المعجزة ومشاهدتهم لخضوع اعناق السحرة لها وعدم
تمالكهم من ان يؤمنوا بها ليمنعهم بها عن الايمان بنبوة موسى عليه السلام بارادة ان ايمان السحرة مبني على المواضعة
بينهم وبين موسى وان غرضهم بذلك لاخراج القوم من المدينة وابطال ملكهم ومعلوم ان مفارقة الاوطان
المالوفة والنعمة المعروفة مما لا يطاق به فجمع اللعين بين شبهتين تثبيتا للقبط على ما هم عليه وتهييجا
لعداوتهم له عليه السلام ثم عقبها بالوعيد ليريهم ان له قوة وقدرة على المدافعة فقال فسوف تعلمون اي عاقبة
ما فعلتم وهذا وعيد ساقه بطريق الاجمال للتهويل ثم عقبه بالتفصيل فقال لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اي من كل
شق طرفا ولاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل اول من سن ذلك فشرعنا به ذلك لقطاع
الطريق تعظيما لجرمهم ولذلك سماه الله تعالى محاربة الله ورسوله قالوا استئناف مسوق للجواب عن سوال ينساق
اليه الذهن كانه قيل فماذا قالت السحرة عند ما سمعوا وعيد فرعون هل تاثروا او تصلبوا فيما هم فيه من الدين فقيل
قالوا ثابتين على ما احدثوا من الايمان انا الى ربنا منقلبون اي بالموت لا محالة فسواء كان ذلك من قبلك او لا
فلا نبالي بوعيدك وانا الى رحمة ربنا وثوابه منقلبون ان فعلت بنا ذلك كانهم استطابوا شغفا على لقاء الله تعالى
وانا جميعا الى ربنا منقلبون فيحكم بيننا وبينك وما تنقم منا اي وما تنكر وتعيب منا الا ان امنا بايات
ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال واصل المفاخر ليس مما يتاتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم اعرضوا
عن مخاطبته اظهارا لما في قلوبهم من العزيمة على ما قالوا وتقريرا ففزعوا الى الله عز وجل ربنا افرغ علينا صبرا
اي افض علينا من الصبر ما يغمرنا كما يغمر الماء او صب علينا ما يطهرنا من وضر الاوزار وادناس الاثار وهو الصبر
على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على ما رزقتنا من الاسلام غير مفتونين من الوعيد فقيل فعل
بهم ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليه لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون وقال الملأ من قوم فرعون مخاطبين
له بعد ما شاهدوا من امر موسى عليه السلام اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض اي في ارض مصر بتغيير الناس
عنك وصرفهم عن متابعتك ويذرك عطف على يفسدوا او جواب الاستفهام بالواو كما في قول الحطيئة الم اك
جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء اي ايكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع
عطفا على اتذر استئنافا او حالا وقرئ بالسكون كانه قيل يفسدوا ويذرك كقوله تعالى فاصدق
واكن والهتك ومعبوداتك قيل انه كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم بان
يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ والهتك اي عبادتك قال مجيبا لهم سنقتل ابناءهم
ونستحيي نساءهم كما كنا نفعل بهم ذلك من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم
انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يديه وقرئ سنقتل بالتخفيف وانا فوقهم قاهرون
كما كنا لم يتغير حالنا اصلا وهم مقهورون تحت ايدينا كذلك قال موسى لقومه تسلية لهم وعدة بحسن
العاقبة حين سمعوا قول فرعون وتضجروا منه استعينوا بالله واصبروا على ما سمعتم من اقاويله الباطلة
ان الارض لله اي ارض مصر او جنس الارض وهي داخلة فيها دخولا اوليا يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين الذين انتم منهم وفيه ايذان بان الاستعانة بالله والصبر من باب التقوى وقرئ والعاقبة
بالنصب عطفا على اسم ان قالوا اي بنو اسرائيل اوذينا اي من جهة فرعون من قبل ان تاتينا
اي بالرسالة يعنون قتل ابنائهم قبل مولد موسى عليه السلام وبعده ومن بعد ما جئتنا اي رسولا يعنون
به ما توعدهم به من اعادة قتل الابناء وسائر ما كان يفعل بهم لعداوة موسى عليه السلام من فنون الجور
والظلم والعذاب واياما كان يستعبدونه به ويمتهنونه فيه من انواع الخدم والمهن كما قيل فليس

مما يلحقهم بواسطته عليه السلام فليس لذكره كثير ملابسة بالمقام قال اي موسى عليه السلام لما راى شدة
جزعهم مما شاهدوه مسليا لهم بالتصريح بما لوح في قوله تعالى ان الارض لله عسى ربكم ان يهلك عدوكم الذي
فعل بكم ما فعل وتوعدكم بما عاد تم ويستخلفكم في الارض اي يجعلكم خلفاء في ارض مصر فينظر كيف تعملون احسنا
ام قبيحا فيجازيكم حسب ما يظهر منكم من الاعمال وفيه تاكيد للتسلية وتحقيق للامر قيل لعل الاتيان بفعل الطمع
لعدم الجزم منه عليه السلام بانهم المستخلفون باعيانهم واولادهم فقد روي ان مصرا انما فتح في زمن داود
عليه السلام ولم يساعده قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها فان المتبادر
استخلاف انفس المستضعفين لا استخلاف اولادهم وانما يجيء فعل الطمع للجري على سنن الكبرياء ولقد اخذنا
آل فرعون بالسنين شروع في بيان مبادي الهلاك الموعود وايذان بانه تعالى لم يمهلهم بعد ذلك ولم يكونوا في
خفض ودعة بل دبت اسباب هلاكهم فتحولوا من حال الى حال الى ان حل بهم عذاب الاستيصال وتصدير
الجملة بالقسم لاظهار الاعتناء بمضمونها والسنون جمع سنة والمراد به عام القحط وفيها لغتان اشهرهما
اجراؤها مجرى المذكر السالم فيرفع بالواو وينصب ويجر بالياء وتحذف نونه بالاضافة واللغة الثانية اجراء
الاعراب على النون ولكن مع الياء خاصة اما باثبات تنوينها او بحذفه قال هي في هذه اللغة مصروفة
عند بني عامر ووجه حذف التنوين للتخفيف وحينئذ لا تحذف النون للاضافة وعلى ذلك جاء قول الشاعر
دعاني من نجد فان سنينه • لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا • وجاء في الحديث اللهم اجعلها عليهم سنين
كسني يوسف وسنينا كسنين يوسف بالوجهين ونقص من الثمرات باصابة العاهات عن كعب يأتي على
الناس زمان لا تحمل النخلة الا ثمرة قال ابن عباس رضي الله عنهما اما السنون كانت لباديتهم واهل مواشيهم
واما نقص الثمرات فكانت في امصارهم لعلهم يذكرون لكي يتذكروا ويتعظوا بذلك ويقفوا على ان
ذلك لاجل معاصيهم وينزجروا عما هم عليه من العتو والعناد قال الزجاج ان احوال الشدة ترقق
القلوب وترغب فيما عند الله عز وجل وفي الرجوع اليه تعالى الا ترى الى قوله تعالى واذا مسه الشر فذو
دعاء عريض وقد مر تحقيق القول في لعل في محلها في تفسير قوله تعالى لعلكم تتقون في اول سورة البقرة وقوله
تعالى فاذا جاءتهم الحسنة بيان لعدم تذكرهم وتماديهم في الغي اي فاذا جاءتهم السعة والخصب وغيرهما من
الخيرات قالوا لنا هذه اي لاجلنا واستحقاقنا لها وان تصبهم سيئة اي جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن معه
اي يتشاءموا بهم ويقولوا ما اصابتنا الا بشؤمهم وهذا كما ترى شاهد بكمال قساوة قلوبهم ونهاية جهلهم
وغباوتهم فان الشدائد ترقق القلوب وتلين العرائك لا سيما بعد مشاهدة الآيات وقد كانوا بحيث لا يؤثر
فيهم شيء منها بل ازدادوا عتوا وعنادا وتعريف الحسنة وذكرها باداة التحقيق للايذان بكثرة وقوعها
وتعلق الارادة بها بالذات كما ان تنكير السيئة وايرادها بحرف الشك للاشعار بندرة وقوعها وعدم تعلق الارادة
بها الا بالعرض وقوله تعالى الا انما طائرهم عند الله استئناف مسوق من قبله تعالى لرد مقالتهم الباطلة
وتحقيق الحق في ذلك وتصديره بكلمة التنبيه لابراز كمال العناية بمضمونه اي ليس سبب خيرهم الا عند الله
تعالى وهو حكمه ومشيئته المتضمنة للحكم والمصالح او ليس سبب شؤمهم وهو اعمالهم السيئة الا عنده
تعالى مكتوبة لديه فانها التي ساقت اليهم ما يسوؤهم لا ما عداها وقرئ انما طيرهم وهو اسم جمع لطائر
وقيل جمع له ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك فيقولون ما يقولون مما حكي عنهم واسناد عدم العلم الى اكثرهم
للاشعار بان بعضهم يعلمون ان ما اصابهم من الخير والشر من جهة الله تعالى او يعلمون ان ما اصابهم من المصائب
والبلايا ليس الا بما كسبت ايديهم ولكن لا يعملون بمقتضاه عنادا واستكبارا وقالوا شروع في بيان بعض آخر مما اخذ
به آل فرعون من فنون العذاب التي هي في نفسها آيات بينات وعدم ارعوائهم مع ذلك عما كانوا عليه من الكفر والعناد
اي قالوا بعدما راوا من شان العصا والسنين ونقص من الثمرات مهما تأتنا به كلمة مهما تستعمل للشرط والجزاء

واصلها ما

واصلها ما الجزائية ضمت اليها ما المزيدة للتاكيد كما ضمت الى ان في اينما تكونوا واما نذهبن بك خلا ان الالف
الاولى قلبت هاء حذرا من تكرير المتجانسين هذا هو الراي السديد وقيل مه كلمة يصوت بها الناهي ضمت اليها
ما الشرطية ومحلها الرفع بالابتداء او النصب بفعل يفسره ما بعدها اي اي شيء تظهر لدينا وقوله تعالى من آية
بيان لمهما وتسميتهم اياها آية لمجاراته على راي موسى عليه السلام واستهزائهم بها وللاشعار بان عنوان كونها
آية لا يؤثر فيهم وقوله تعالى لتسحرنا بها اظهار لكمال الطغيان والغلو فيه وتسميتهم للارشاد الى الحق بالسحر وتسكير
الابصار والضميران المجروران راجعان الى مهما وتذكير الاول لمراعاة جانب اللفظ لابهامه وتانيث الثاني للمحافظة
على جانب المعنى للتنبيه بانه كما في قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده
فما نحن لك بمؤمنين بمصدقين لك ومؤمنين لنبوتك فارسلنا عليهم عقوبة لجرائمهم لا سيما لقولهم هذا الطوفان
اي الماء الذي طاف بهم وغشي اماكنهم وحروثهم من مطر او سيل وقيل هو الجدري وقيل الموتان وقيل
الطاعون والجراد والقمل قيل هو كبار القردان وقيل اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها والضفادع والدم روي
انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يستطيع ان يخرج احد من بيته ودخل الماء بيوتهم فقاموا فيه الى تراقيهم
ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منه قطرة وهي في خلال بيوتهم وفاض الماء على ارضهم وركد فمنعهم من الحرث والتصرف
ودام ذلك سبعة ايام فقالوا ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم فنبت من العشب
والكلا ما لم يعهد قبله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكل زروعهم وثمارهم وابوابهم وسقوفهم وثيابهم
ففزعوا اليه عليه السلام كما ذكر فخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي التي جاءت
منها ولم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فاكل ما ابقته الجراد وكان يقع في اطعمتهم ويدخل بين ثيابهم وجلودهم
فيمصها ففزعوا اليه رابعا وتضرعوا فاخذ عليهم العهد ودعا فكشف الله تعالى عنهم فنقضوا العهد فارسل الله
تعالى عليهم الدم فصارت مياههم دما حتى كان يجتمع القبطي والاسرائيلي على اناء فيكون ما يليه دما وما يلي الاسرائيلي
ماء على حاله ويمص من فم الاسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط الله عليهم الرعاف آيات حال من المنصوبات
المذكورة مبينات لا يشكل على عاقل انها آيات الله تعالى ونقمته وقيل مفرقات بعضها من بعض لامتحان
احوالهم وكان بين كل اثنين منها وكان ابتداء كل واحدة منها اسبوعا وقيل انه عليه السلام لبث فيهم بعدما غلب
السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل فاستكبروا اي عن الايمان بها وكانوا قوما مجرمين جملة معترضة
مقررة لمضمون ما قبلها ولما وقع عليهم الرجز اي العذاب المذكور على التفصيل فاللام للجنس المنتظم لكل واحد
من الآيات المفصلة اي كلما وقع عقوبة من تلك العقوبات قالوا في كل مرة يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك
اي بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهده اليك ان تدعوه فيجيبك كما اجابك في آياتك وهو صلة لادع او
حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك او متعلق بمحذوف دل عليه التماسهم مثل
اسعفنا الى ما نطلب بحق ما عندك او قسم اجيب بقوله تعالى لئن كشفت عنا الرجز الذي وقع علينا لنؤمنن لك
ولنرسلن معك بني اسرائيل اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت الى آخره فلما كشفنا عنهم الرجز الى
اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه فيعذبون بعده او مهلكون اذا هم ينكثون جواب لما اي فلما كشفنا
عنهم فاجؤوا النكث من غير تامل وتوقف فانتقمنا منهم فاردنا ان ننتقم منهم لما اسلفوا من المعاصي والجرائم
فان قوله تعالى فاغرقناهم عين الانتقام منهم فلا يصح دخول الفاء بينهما ويجوز ان يراد مطلق الانتقام والفاء
تفسيرية كما في قوله تعالى فنادى نوح ربه فقال رب الى آخره في اليم في البحر الذي لا يدرك قعره وقيل
من لجته بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين تعليل للاغراق اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بآيات الله تعالى
واعراضهم عنها وعدم تفكرهم فيها بحيث صاروا فيها كالغافلين عنها بالكلية والفاء وان دلت على ترتب الاغراق
على ما قبله من النكث لكنه صرح بالتعليل ايذانا بان مدار جميع ذلك تكذيبهم بآيات الله تعالى والاعراض عنها

ليكون ذلك مزجرة للسامعين عن تكذيب الايات الظاهرة على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم والاعراض
عنها واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون اي بالاستعباد وذبح الابناء والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة
على استمرار الاستضعاف وتجدده وهم بنوا اسرائيل ذكروا بهذا العنوان اظهارا لكمال لطفه تعالى بهم
وعظيم احسانه اليهم في رفعهم من حضيض المذلة الى اوج العزة مشارق الارض ومغاربها اي جانبيها الشرقي
والغربي حيث ملكها بنوا اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا في اكنافها الشرقية والغربية كيف شاؤا
وقوله تعالى التي باركنا فيها اي بالخصب وسعة الارزاق صفة للمشارق والمغارب وقيل للارض وفيه
ضعف للفصل بين الصفة والموصوف بالمعطوف كما في قولك قام ام هند وابوها العاقلة وتمت كلمة ربك الحسنى
وهي وعده تعالى اياهم بالنصر والتمكين كما ينبئ عنه قوله تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض
ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين وقرئ كلمات لتعدد المواعيد ومعنى تمت مضت واستمرت على بني اسرائيل بما صبروا
اي بسبب صبرهم على الشدائد التي كابدوها من جهة فرعون وقومه ودمرنا اي خربنا واهلكنا ما كان يصنع فرعون
وقومه من العمارات والقصور اي فدمرنا الذي كان فرعون يصنعه على ان فرعون اسم كان ويصنع خبر مقدم
والجملة الكونية صلة ما والعايد محذوف وقيل اسم كان ضمير عايد الى ما الموصولة ويصنع مسند الى فرعون
والجملة خبر كان والعايد محذوف ايضا والتقدير ودمرنا الذي كان هو يصنعه فرعون الى آخره وقيل كان
زايدة وما مصدرية والتقدير ما يصنع فرعون الى آخره اي صنعه والعدول الى صيغة المضارع على هذين
القولين لاستحضار الصورة وما كانوا يعرشون من الجنات ومن قومه وقوله تعالى وجاوزنا ببني اسرائيل البحر
شروع في قصة بني اسرائيل وشرح ما احدثوه بعد ان انقذهم الله عز وجل من ملكة فرعون ومن عليهم من النعم
العظام الموجبة للشكر واراهم من الايات الكبار ما تخر له صم الجبال تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم وجاوز بمعنى جاز وقرئ جوزنا بالتشديد
وهو ايضا بمعنى جاز فعدي بالباء اي قطعنا بهم البحر روي انه عبر بهم موسى عليه السلام يوم عاشورا بعد ما
اهلك الله تعالى فرعون فصاموا شكرا لله تعالى فاتوا اي فمروا على قوم قيل كانوا من لخم وقيل من العمالقة
الكنعانيين الذين امر موسى عليه السلام بقتالهم يعكفون على اصنام لهم اي يواظبون على عبادتها ويلازمونها
وقرئ بكسر الكاف قال ابن جريج كانت اصنامهم تماثيل بقر وهو اول شان العجل قالوا عند ما
شاهدوا احوالهم يا موسى اجعل لنا الها مثالا نعبده كما لهم الهة الكاف متعلقة بمحذوف وقع صفة لالها
وما موصولة ولهم صلتها والهة بدل من ما والتقدير اجعل لنا الها كائنا كالذي استقر هو لهم قال انكم قوم
تجهلون تعجب عليه السلام من قولهم هذا اثر ما شاهدوا من الاية الكبرى والمعجزة العظمى فوصفهم
بالجهل المطلق اذ لا جهل اعظم مما ظهر منهم واكده بقوله تعالى ان هؤلاء يعني القوم الذين يعبدون تلك
التماثيل متبر اي مهدم مكسر ما هم فيه اي من الدين الباطل اي يتبر الله تعالى ويهدم دينهم الذي
هم عليه عن قريب ويحطم اصنامهم ويتركها رضاضا وانما جيء بالجملة الاسمية للدلالة على التحقيق وباطل
اي مضمحل بالكلية ما كانوا يعملون من عبادتها وان كان قصدهم بذلك التقرب الى الله تعالى فانه كفر
وليس هذا كما في قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا كما توهم فان المراد به اعمال البر
التي عملوها في الجاهلية فانها في انفسها حسنات لو قارنت الايمان لاستتبعت اجورها وانما بطلت لمقارنتها
الكفر وفي ايقاع هؤلاء اسما لان وتقديم من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الاصنام بانهم هم المعرضون
للتبار وانه لا يعدوهم البتة وانه لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغض اليهم ما احبوا
قال اغير الله ابغيكم الها شروع في بيان شؤون الله تعالى الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى بعد بيان ان
ما طلبوا عبادته مما لا يمكن طلبه اصلا لكونه هالكا باطلا ولذلك وسط بينهما قال مع كون كل منهما كلام

موسى عليه

موسى عليه السلام والاستفهام للانكار والتعجب للتوضيح وادخال الهمزة على غير للايذان بان المنكر
هو كون المبغي غيره تعالى لما انه لاختصاص الانكار بغيره تعالى دون انكار الاختصاص بغيره تعالى و
انتصاب غير على انه مفعول ابغي بحذف اللام اي ابغي لكم اي اطلب لكم غير الله والها اما تمييز او حال او
على الحالية من الها وهو المفعول لابغي على ان الاصل ابغي لكم الها غير الله صفة لالها فلما قدمت صفة النكرة
انتصب حالا وهو فضلكم على العالمين اي والحال انه تعالى خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على ان ما
صنعوا من سوء المعاملة حيث قابلوا تخصيص الله تعالى اياهم من بين امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا
بان عمدوا الى اخس شيء من مخلوقاته تعالى فجعلوه شريكا له تعالى تبا لهم ولما يعبدون واذ انجيناكم تذكير
لهم تذكير من جهته سبحانه بنعمة الانجاء من ملكة فرعون وقرئ انجاكم من التنجية وقرئ
واذ انجيناكم فيكون مسوقا من جهة موسى عليه السلام اي واذكروا وقت انجائنا اياكم من آل فرعون من
هلكهم لا لمجرد تخليصهم من ايديهم وهم على حالهم في المكنة والقدرة بل باهلاكهم بالكلية وقوله تعالى
يسومونكم سوء العذاب من سامه خسفا اي اولاه اياه او كلفه اياه اما استيناف لبيان ما انجاهم منه او
حال من المخاطبين او من آل فرعون او منهما معا لاشتماله على ضميريهما وقوله تعالى يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم
بدل من يسومونكم مبين او مفسر له وفي ذلكم الانجاء او سوء العذاب بلاء اي نعمة او محنة من ربكم من مالك
امركم فان النعمة والنقمة كلتاهما منه تعالى عظيم لا يقادر قدره وواعدنا موسى ثلاثين ليلة روي ان موسى
عليه السلام وعد بني اسرائيل وهم بمصر ان اهلك الله تعالى عدوهم اتاهم بكتاب فيه بيان ما ياتون وما
يذرون فلما هلك فرعون سال موسى عليه السلام ربه الكتاب فامره بصوم ثلاثين يوما هو ما هو شهر ذي
القعدة فلما اتم الثلاثين انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدته
بالسواك وقيل وحى الله اليه اما علمت ان ريح فم الصائم اطيب عندي من ريح المسك فامره الله تعالى بان
يزيد عليها عشرة ايام من ذي الحجة لذلك وذلك قوله تعالى واتممناها بعشر والتعبير عنها بالليالي لانها غرر
الشهور وقيل امره الله تعالى بان يصوم ثلثين يوما وان يعمل فيها بما يقربه من الله تعالى ثم انزلت عليه التوراة
في العشر وكلم فيها وقد اجمل ذكر الاربعين في سورة البقرة وفصل ههنا وواعدنا بمعنى وعدنا وقرئ
كذلك وقيل الصيغة على بابها على تنزيل قبول موسى عليه السلام منزلة الوعد وثلاثين مفعول ثان لواعدنا
بحذف المضاف اي اتمام ثلاثين ليلة فتم ميقات ربه اربعين ليلة اي بالغا اربعين ليلة وقال موسى لاخيه
هرون حين توجه الى المناجاة حسبما امر به اخلفني في قومي وراقبهم فيما ياتون وما
يذرون واصلح ما يحتاج الى الاصلاح من امورهم او كن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين اي لا تتبع من سلك
الفساد ولا تطع من دعاك اليه ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتنا واللام للاختصاص اي اختص مجيئه
بميقاتنا وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملائكة عليهم السلام وفيما روي انه عليه السلام كان يسمع
ذلك من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه تعالى ليس من جنس سماع كلام المحدثين قال رب ارني انظر اليك
اي ارني ذاتك بان تمكنني من رؤيتك او تتجلى لي فانظر اليك واراك وهو دليل على ان رؤيته تعالى جائزة
في الجملة لما ان طلب المستحيل مستحيل من الانبياء عليهم الصلوة والسلام لا سيما ما يقتضي الجهل بشؤون الله
تعالى ولذلك رده بقوله لن تراني دون لن اري ولن اريك ولن تنظر الي تنبيها على انه قاصر عن رؤيته لتوقفها
على معد في الرائي ولم يوجد فيه ذلك بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة خطأ
اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل ذلك حين قالوا اجعل لنا الها وان لا
تتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها اشد خطأ اذ لا
يدل الاخبار بعدم رؤيته اياه على انه تعالى لا يراه ابدا وان لا يراه غيره اصلا فضلا عن ان يدل على استحالتها

لها

ودعوى الضرورة مكابرة اوجهل لحقيقة الرؤية قال استيناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل
فماذا قال رب العزة حيث قال موسى عليه السلام ما قال فقيل قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف
تراني استدراك لبيان انه لا يطيقونها وفي تعليقها باستقرار الجبل ايضا دليل على الجواز ضرورة ان المعلق
بالممكن ممكن والجبل قيل هو جبل الاردن فلما تجلى ربه للجبل اي ظهرت له عظمته وتصدى له اقتداره
وامره وقيل اعطى الجبل حيوة ورؤية حتى رآه جعله دكا مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان كالشك والشق
وقرئ دكاء اي ارضا مستوية ومنه ناقة دكاء التي لا سنام لها وقرئ دكا جمع دكا اي قطعا وخر موسى
صعقا مغشيا عليه من هول ما رآه فلما افاق الافاقة رجوع العقل والفهم الى الانسان بعد ذهابهما
بسبب من الاسباب قال تعظيما لما شاهده سبحانك اي تنزيها لك من ان اسئلك شيئا بغير اذن
منك تبت اليك اي من الجراءة والاقدام على السؤال بغير اذن منك وانا اول المومنين اي بعظمتك وجلالك
وقيل اول من آمن بانك لا ترى في الدنيا وقيل بانه لا يجوز السؤال بغير اذن منك قال يا موسى استيناف
مسوق لتسليته عليه السلام من عدم الاجابة الى سؤال الرؤية كانه قيل ان منعتك الرؤية فقد اعطيتك
من النعم العظام ما لم اعطي احدا من العالمين فاغتنمها وثابر على شكرها اني اصطفيتك اي اخترتك واتخذتك
صفوة وآثرتك على الناس اي المعاصرين لك وهارون وان كان نبيا كان مأمورا باتباعه وما كان كليما
ولا صاحب شرع قوله تعالى على الناس برسالاتي اي باسفار التورية وقرئ برسالتي وبكلامي وبتكليمي
اياك بغير واسطة فخذ ما آتيتك اي اعطيتك من شرف النبوة والحكمة وكن من الشاكرين على ما اعطيت من
جلائل النعم وقيل كان سؤال الرؤية يوم عرفة وكتبنا له في الالواح من كل شيء اي مما يحتاجون اليه من امور دينهم
موعظة وتفصيلا لكل شيء بدل من الجار والمجرور اي كتبنا له كل شيء من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف
في عدد الالواح وفي جوهرها ومقدارها فقيل انها كانت عشرة الواح وقيل سبعة وقيل لوحين وانها
كانت من زمردة جاء بها جبرئيل عليه السلام وقيل من زبرجدة خضراء وياقوتة حمراء وقيل امر الله
تعالى موسى بقطعها من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده وشققها باصابعه وعن الحسن كانت من خشب نزلت
من السماء فيها التورية وان طولها كانت عشرة اذرع وقيل انزلت التورية وهي سبعون وقر بعير يقرأ
الجزء منه في سنة لم يقرأها الا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى عليهم السلام وعن مقاتل كتب في
الالواح اني انا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئا ولا تقطعوا السبيل ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين فخذها
على اضمار قول معطوف على كتبنا اي فقلنا خذها بقوة بجد وعزيمة وقيل هو بدل من قوله تعالى فخذ ما
آتيتك والضمير للالواح او لكل شيء لانه بمعنى الاشياء او للرسالة او للتورية وأمر قومك يأخذوا باحسنها
اي باحسن ما فيها كالعفو والصبر بالاضافة الى الاقتصاص والانتصار وكالاقتصار على طريقة الندب
والحث على اختيار الافضل كما في قوله تعالى واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم او بواجباتها فانها احسن من المباح
وقيل المعنى يأخذوا بها واحسن صلة قال قطرب اي بحسنها وكلها حسن كقوله تعالى ولذكر الله اكبر و
قيل هو ان تحمل الكلمة المحتملة لمعنيين او لمعان على اشبه محتملاتها بالحق واقربها الى الصواب سأريكم دار الفاسقين
تلوين للخطاب وتوجيه له الى قومه عليه السلام بطريق الالتفات حملا لهم على الجد في الامتثال بما امروا به اما
على نهج الوعيد والرهب على ان المراد بدار الفاسقين ارض مصر وديار عاد وثمود واخرابهم فان رؤيتها وهي خالية
موجبة للاعتبار والانزجار عن مثل اعمال اهلها كيلا يحل بهم ما حل باولئك واما على نهج الوعد والترغيب
على ان المراد بدار الفاسقين اما ارض مصر خاصة او مع ارض الجبابرة والعمالقة بالشام فانها ايضا مما ابيح لبني
اسرائيل وكتب لهم حسبما ينطق به قوله تعالى يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ومعنى الاراءة
الادخال بطريق الايراث ويؤيده قراءة من قرأ سأورثكم بالثاء المثلثة كما في قوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون

مشارق

برانی

مشارق الارض ومغاربها وقرئ سأريكم ولعله من اوريت الزند اي سأبينها لكم وقوله تعالى سأصرف عن
آياتي الذين يتكبرون في الارض استيناف لتحذيرهم عن التكبر الموجب لعدم التفكر في الآيات التي من جملتها
ما وعدا آنفا من دار الفاسقين وصرفهم عنها الطبع على قلوبهم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لاظهار
الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ان في المؤخر نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم
اي سأطبع على قلوب الذين يعدون انفسهم كبراء ويرون لهم على الخلائق مزية وفضلا ولا ينتفعون بآياتي
التنزيلية والتكوينية ولا يغتنمون مغانم آثارها فلا يسلكوا مسلكهم ليكونوا امثالهم وقيل المعنى سأصرفهم
عن ابطالها وان اجتهدوا كما اجتهد فرعون في ابطال ما رآه من الآيات فابى الله تعالى الا احقاق الحق وازهاق
الباطل وعلى هذا فالانسب ان يراد بدار الفاسقين ارض الجبابرة والعمالقة المشهورون بالفسق والتكبر
في الارض وباراءتها للمخاطب ان ادخالهم الشام واسكانهم في مساكنهم ومنازلهم حسبما نطق به قوله تعالى
يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ويكون قوله سأصرف عن آياتي الخ جوابا عن سؤال مقدر
ناشئ من الوعد بادخال الشام على ان المراد بالآيات ما تلي آنفا ونظائره وبصرفهم عنها ازالتهم عن مقام
معارضتها وممانعتها لوقوع اخبارها وظهور احكامها وآثارها باهلاكهم على يد موسى عليه السلام
حين سار بعد التيه بمن بقي من بني اسرائيل او بذراريهم على اختلاف الروايتين الى اريحا ويوشع بن نون في
مقدمته ففتحها واستقر بنوا اسرائيل بالشام وملكوا مشارقها ومغاربها كانه قيل كيف يرون دارهم
وهم فيها فقيل سأهلكهم وانما عدل الى الصرف ليزدادوا ثقة بالآيات واطمئنانا بها وقوله تعالى بغير الحق
اما صلة للتكبر اي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل وظلمهم المفرط او متعلق بمحذوف هو حال من فاعله
اي يتكبرون ملتبسين بغير الحق وقوله تعالى وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها عطف على يتكبرون داخل معه في
حكم الصلة والمراد بالآية اما المنزلة فالمراد برؤيتها مشاهدتها بسماعها او ما يعمها وغيرها من المعجزات
فالمراد برؤيتها مطلق المشاهدة المنتظمة للسماع والابصار اي وان شاهدوا كل آية من الآيات لا يؤمنوا بها
على عموم النفي لا على نفي العموم اي كفروا بكل واحدة منها لعدم اجتلائهم اياها كما هي وهذا كما ترى يؤيد الصرف
بمعنى الطبع وقوله تعالى وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا عطف على ما قبله داخل في حكمه اي لا يتوجهون
الى الحق ولا يسلكون سبيله اصلا لاستيلاء الشيطنة عليهم ومطبوعيتهم على الانحراف والزيغ وقرئ
بفتحتين وقرئ الرشاد وفيها لغات كالسقم والسقم والسقام وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا اي يختارونه
لانفسهم مسلكا مستمرا لا يكادون يعدلون عنه لموافقته لاهوائهم الباطلة وافضائه لهم الى شهواتهم ذلك
اشارة الى ما ذكر من تكبرهم وعدم ايمانهم بشيء من الآيات واعراضهم عن سبيل الرشد واقبالهم التام الى سبيل
الغي وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بانهم كذبوا اي حاصل بسبب انهم كذبوا بآياتنا الدالة على بطلان ما اتصفوا
به من القبائح وعلى اضدادها وكانوا عنها غافلين لا يتفكرون فيها ولا بما فعلوا ما فعلوا من الاباطيل ويجوز
ان يكون اشارة الى ما ذكر من الصرف ولا يمنعه الاشعار بعلية ما في حيز الصلة كيف لا وقد مر ان ذلك
في قوله تعالى ذلك بما عصوا الآية يجوز ان يكون اشارة الى ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب العظيم
مع كون ذلك معللا بالكفر بآيات الله صريحا وقيل محل اسم الاشارة النصب على المصدر سأصرفهم عن
الدار الآخرة وذلك الصرف بسبب تكذيبهم بآياتنا وغفلتهم عنها والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة اي وبلقائهم
ما وعده الله تعالى في الآخرة من الجزاء ومحل الموصول الرفع على الابتداء وقوله تعالى حبطت اعمالهم خبره
اي ظهر بطلان اعمالهم التي كانوا عملوها من صلة الارحام واغاثة الملهوفين ونحو ذلك او حبطت بعد
ما كانت مرجوة النفع على تقدير ايمانهم هل يجزون اي لا يجزون الا ما كانوا يعملون اي الا جزاء ما
كانوا يعملونه من الكفر والمعاصي واتخذ قوم موسى من بعده اي من بعد ذهابه الى الطور من حليهم متعلق

بانخذ كالجار الاول لاختلاف معنييهما فان الاول للابتداء والثاني للتبعيض او للبيان والثاني متعلق بمحذوف وقع حالا مما بعده اذ لو تاخر لكان صفة له واضافة الحلي اليهم مع انها كانت للقبط لادنى الملابسة حيث كانوا استعاروها من اربابها قبيل الغرق فبقيت في ايديهم واما انهم ملكوها بعد الغرق فذلك منوط بتملك بني اسرائيل غنائم القبط وهم مستامنون فيما بينهم فلا ينافي عن قولهم حملنا اوزارا من زينة القوم والحلي بضم الحاء وكسر اللام جمع حلي كثدي وثدي وقرئ بكسر الحاء بالاتباع كدلي وقرئ حليهم على الافراد وقوله تعالى عجلا مفعول اتخذ اخر عن المجرور لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم وقيل هو متعد الى اثنين بمعنى التصيير والمفعول الثاني محذوف اي الها وقوله تعالى جسدا بدل من عجلا اي جثة ذو دم ولحم او جسد من ذهب لا روح فيه وقوله تعالى له خوار اي صوت بقر وقرئ بالجيم والهمزة وهو الصياح نعت لعجلا روي ان السامري لما صاغ العجل القى في فمه ترابا من اثر فرس جبرائيل عليه السلام وكان قد اخذه عند فلق البحر او عند توجهه الى الطور فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح في جوفه فيصوت والانسب بما في سورة طه هو الاول وانما نسب اتخاذه اليهم وهو فعله اما لانه واحد منهم او لانهم رضوا به فكانهم فعلوه واما لان المراد بالاتخاذ اتخاذهم اياه الها لا صنعه وجعله الم يروا انه لا يكلمهم[7] استئناف مسوق لتقريعهم وتشنيعهم وتركيك عقولهم وتسفيههم فيما اقدموا اليه من المنكر الذي هو اتخاذه الها وقوله تعالى اتخذوه اي فعلوا ذلك وكانوا ظالمين اي واضعين الاشياء في غير موضعها فلم يكن هذا اول منكر فعلوه والجملة اعتراض تذييلي وتكرير اتخذوه لتثنية التشنيع وترتيب الاعتراض عليه ولما سقط في ايديهم اي ندموا على ما فعلوا غاية الندم فان ذلك كناية عنه فان النادم المتحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على البناء للفاعل بمعنى وقع العض فيها فاليد حقيقة وقال الزجاج معناه سقط الندم في انفسهم اما بطريق الاستعارة بالكناية او بطريق التمثيل ورأوا انهم قد ضلوا اي باتخاذ العجل اي تبينوا بحيث تيقنوا بذلك حتى كانهم راوه باعينهم وتقديم ذكر ندمهم على هذه الرؤية مع كونها متأخرة عنها للمسارعة الى بيانه والاشعار بغاية سرعته كانه سابق على الرؤية قالوا لئن لم يرحمنا ربنا بانزال التوبة المكفرة ويغفر لنا ذنوبنا بالتجاوز عن خطيئتنا وتقديم الرحمة على المغفرة مع ان التخلية حقها ان تقدم على التحلية اما للمسارعة الى ما هو المقصود الاصلي واما لان المراد بالرحمة مطلق ارادة الخير بهم وهو مبدأ لانزال التوبة المكفرة لذنوبهم واللام في لئن موطئة للقسم كما اشير اليه قوله تعالى لنكونن من الخاسرين جواب للقسم وما حكي عنهم من الندم والرؤية والقول وان كان بعد ما رجع موسى عليه الصلوة والسلام اليهم كما ينطق به الآيات الواردة في سورة طه لكن اريد بتقديمه عليه حكاية ما صدر عنهم من القول والفعل في موضع واحد ولما رجع موسى الى قومه شروع في بيان ما جرى من موسى عليه السلام بعد رجوعه من الميقات اثر بيان ما وقع من قومه بعده وقوله تعالى غضبان اسفا حال من موسى عليه السلام والثاني من المستكن في الغضبان والاسف الغضب الشديد وقيل الحزين قال بئسما خلفتموني من بعدي اي بئسما فعلتم من بعد غيبتي حيث عبدتم العجل بعد ما رأيتم فعلي من توحيد الله تعالى ونفي الشركاء عنه واخلاص العبادة له او حملكم على ذلك وكفكم عما طمحت نحوه ابصاركم حيث قلتم اجعل لنا الها كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة المستخلف فالخطاب للعبدة من السامري واشياعه او بئسما قمتم مقامي ولم تراعوا عهدي حيث لم تكفوا العبدة عما فعلوا فالخطاب لهارون ومن معه من المؤمنين كما ينبئ عنه قوله تعالى يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا الا تتبعني افعصيت امري ويجوز ان يكون الخطاب للكل على ان المراد بالخلافة ما يعم الامرين المذكورين وما نكرة موصوفة مفسرة لفاعل بئس المستكن فيه والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم اعجلتم امر ربكم اي تركتموه غير تام على تضمين عجل معنى سبق يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام او اعجلتم امر ربكم الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الامم بعد انبيائهم والقى الالواح طرحها من شدة الغضب

[7] اي الم يروا انه ليس فيه شيء من احكام الالوهية حيث لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا بوجه من الوجوه فكيف اتخذوه الها صح

وفرط الضجر حمية للدين روي ان التورية كانت سبعة اسباع في سبعة الواح فلما القاها انكسرت فرفعت ستة اسباعها التي كان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيها المواعظ والاحكام واخذ براس اخيه بشعر راس اخيه عليهما السلام يجره اليه حال من ضمير اخذ فعله صلى الله عليه وسلم توهم انه قصر في كفهم وهرون كان اكبر منه عليه السلام بثلث سنين وكان حمولا ولذلك كان احب لبني اسرائيل قال اي هارون مخاطبا لموسى عليهما السلام ابن ام بحذف حرف النداء وتخصيص الام بالذكر مع كونهما حقيقة لما ان حق الام اعظم واحق بالمراعاة مع انها كانت مؤمنة وقد قاست فيه المخاوف والشدائد وقرئ بكسر الميم باسقاط تخفيفا كالمنادي المضاف الى الياء وقرئت بالفتح لزيادة التخفيف والتشبيه بخمسة عشر ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ازاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت جهدي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي فلا تشمت بي الاعداء اي فلا تفعل بي ما يكون سببا لشماتتهم بي ولا تجعلني مع القوم الظالمين اي معدودا في اعدادهم بالمؤاخذة او النسبة الى التقصير وهذا يؤيد كون الخطاب للكل اولا تعتقد اني واحد من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم قال استيناف مبني على سؤال نشأ من حكاية اعتذار هرون عليه السلام كانه قيل فما قال موسى عليه السلام عند ذلك فقيل قال رب اغفر لي اي ما فعلت باخي من غير ذنب مقرر من قبله ولاخي انه فرط منه تقصير ما في كفهم عما فعلوه من الذنب العظيم استغفر عليه السلام لنفسه ليرضي اخاه ويظهر للشامتين رضاه لئلا تتم شماتتهم به ولاخيه للايذان بانه محتاج الى الاستغفار حيث كان يجب عليه ان يقاتلهم وادخلنا في رحمتك بمزيد الانعام بعد غفران ما سلف منا وانت ارحم الراحمين فلا غرو في انتظامنا في سلك رحمتك الواسعة في الدنيا والآخرة والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ان الذين اتخذوا العجل اي اعتزوا على اتخاذه واستمروا على عبادته كالسامري واشياعه من الذين اشربوه في قلوبهم كما ينفصح عنه كون الموصول الثاني عبارة عن التائبين فان ذلك صريح في ان الموصول الاول عبارة عن المصرين سينالهم اي في الآخرة غضب اي عظيم لا يقادر قدره مستتبع لفنون العقوبات لما ان جريمتهم اعظم الجرائم واقبح الجرائم وقوله تعالى من ربهم اي مالكهم متعلق بينالهم او بمحذوف هو نعت لغضب مؤكد لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائن من ربهم وذلة في الحيوة الدنيا هي ذلة الاغتراب التي تضرب بها الامثال والمسكنة المنتظمة لهم ولاولادهم جميعا والذلة التي اختص بها السامري من الانفراد عن الناس والابتلاء بلا مساس يروى ان بقاياهم اليوم يقولون ذلك واذا مس احدهم احد غيرهم حما جميعا في الوقت وابراد ما نالهم في حيز السين مع مضيه بطريق تغليب حال الاخلاف على حال الاسلاف وقيل المراد بهم التائبون بالغضب ما امروا به من قتل انفسهم واعتذر عن السين بان ذلك حكاية عما اخبر الله تعالى به موسى عليه السلام حين اخبره بافتتان قومه واتخاذهم العجل بانه سينالهم غضب من ربهم وذلك فيكون سابقا على الغضب وانت خبير بان سياق النظم الكريم وسباقه يابيان عن ذلك نبوءا ظاهرا كيف وقوله تعالى وكذلك نجزي المفترين ينادي على خلافه فانهم شهداء تائبون فكيف يمكن بعد ذلك بالافتراء وايضا اليس يجزي الله تعالى كل المفترين بهذا الجزاء الذي ظاهره قهر وباطنه لطف ورحمة وقيل المراد بهم ابناؤهم المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان تعيير الابناء بافاعيل الآباء مشهور معروف منه قوله تعالى واذ قتلتم نفسا الآية واذ قلتم يا موسى الآية والمراد بالغضب الغضب الاخروي وبالذلة ما اصابهم من القتل والاجلاء وضرب الجزية عليهم وقيل المراد بالموصول المتخذون حقيقة وبالضمير في ينالهم اخلافهم ولا ريب في ان توسيط هؤلاء في تضاعيف بيان حال المتخذين من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه والذين عملوا السيئات اي سيئة كانت ثم تابوا عن تلك السيئات وقوله تعالى من بعدها اي من بعد عملها وآمنوا ايمانا صحيحا خالصا واشتغلوا باقامة ما هو من مقتضياته من الاعمال الصالحة ولم يصروا على ما فعلوا كالطائفة الاولى ان ربك من بعدها اي من بعد تلك التوبة المقرونة بالايمان لغفور للذنوب وان عظمت وكثرت رحيم مبالغ في افاضة فنون الرحمة الدنيوية والاخروية والتعرض لعنوان الربوبية

مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للتشريف ولما سكت عن موسى الغضب شروع في بيان بقية الحكاية اثر ما بين تحزب القوم الى مصر وتايب والاشارة الى مآل كل منهما اجمالا اي لما سكن عنه عليه السلام الغضب باعتذار اخيه وتوبة القوم وهذا صريح في ان ما حكي عنهم من الندم وما يتفرع عليه كان بعد مجيء موسى عليه السلام وفي هذا النظم الكريم من البلاغة والمبالغة بتنزيل الغضب الحامل على ما صدر عنه من الفعل والقول منزلة الآمر بذلك المغري اليه بالتحكم والتشديد وان التعبير عن سكونه بالسكوت ما لا يخفى وقرى سكن وسكت واسكت على ان الفاعل هو الله تعالى او اخوه او التايبون اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها اي فيما نسخ فيها وكتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اي من الالواح المنكسرة هدى اي بيان للحق ورحمة للخلق بارشادهم الى ما فيه الخير والصلاح للذين هم لربهم يرهبون اللام الاولى متعلقة بمحذوف هو صفة للرحمة اي كائنة لهم او هي لام الاجل اي هدى ورحمة لاجلهم والثانية لتقوية عمل الفعل المؤخر كما في قوله تعالى ان كنتم للرؤيا تعبرون او هي ايضا لام العلة والمفعول محذوف اي يرهبون المعاصي لاجل ربهم لا للرياء والسمعة واختار موسى قومه شروع في بيان كيفية استدعاء التوبة وكيفية وقوعها واختار يتعدى الى اثنين ثانيهما مجرور بمن اي اختار من قومه بحذف الجار وايصال الفعل الى المجرور كما في قوله ۞ اخترتك الناس اذ رثت خلائقهم ۞ واعتل من كان يرجى عنده السول ۞ اي اخترت من الناس سبعين رجلا مفعول لاختار اخر عن الثاني لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر لميقاتنا الذي وقتناه بعد ما وقع من قومه ما وقع لا الميقات الكلامي الذي ذكر قبل ذلك كما قيل قال السدي امره الله تعالى بان ياتيه في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه تعالى من عبادة العجل ووعدهم موعدا فاختار من قومه سبعين رجلا ۞ وقال محمد بن اسحق اختارهم ليتوبوا اليه تعالى مما صنعوا ويسئلوا التوبة على من تركوهم وراءهم من قومهم قالوا اختار عليه السلام من كل سبط ستة فزاد اثنان وقال ليتخلفا فتشاجرا فقال عليه السلام ان لمن قعد مثل اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب الباقين وامرهم ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم فخرج الى الطور سينا فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى عليه السلام بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه تعالى يكلم موسى ويامره وينهاه حسبما يشاء وهو الامر بقتل انفسهم توبة فلما اخذتهم الرجفة مما اجترءوا عليه من طلب الرؤية فانه يروى انه لما انكشف الغمام اقبلوا الى موسى عليه السلام وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة اي الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا منها وماتوا ولعلهم ارادوا بقولهم لن نؤمن لك لن نصدقك في ان الآمر بما سمعنا من الامر بقتل انفسهم هو الله تعالى حتى نراه حيث قاسوا رؤيته تعالى على سماع كلامه قياسا فاسدا فحين شاهد موسى عليه السلام تلك الحالة الهائلة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل حين فرطوا في النهي عن عبادة العجل وما فارقوا عبدته حين شاهدوا اصرارهم عليها واياي ايضا حين طلبت منك الرؤية اي لو شئت اهلاكنا بذنوبنا لاهلكتنا حينئذ اراد به تذكر العفو السابق ۞ لاستجلاب العفو اللاحق ۞ فان الاعتراف بالذنب والشكر على النعمة مما يربط العتيد ۞ ويستجلب المزيد ۞ يعني انا كنا مستحقين للاهلاك ولم يكن موانعه الا عدم مشيئتك اياه بحيث لطفت بنا وعفوت عنا تلك الجرائم فلا غرو في ان تعفو عنا هذه الجريمة ايضا وحمل الكلام على التمني يأباه قوله تعالى اتهلكنا بما فعل السفهاء منا اي الذين لا يعلمون تفاصيل شؤنك ولا يتثبتون في المداحض والهمزة اما للانكار ووقوع الاهلاك ثقة بلطف الله تعالى كما قاله ابن الانباري او للاستعطاف كما قاله المبرد اي لا تهلكنا ان هي الا فتنتك استيناف مقرر لما قبله واعتذار عما صنعوا ببيان منشا غلطهم اي ما الفتنة التي وقع فيها السفهاء وقالوا بسببها ما قالوا الا محنتك وابتلاؤك حيث اسمعتهم كلامك فافتتنوا بذلك ولا تثبتوا فطمعوا فيما فوق ذلك تابعين للقياس الفاسد وقوله تعالى تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء اما استيناف مبين لحكم الفتنة او حال من فتنتك اي حال كونها مضلا بها اي تضل بسببها من تشاء اضلاله فلا يهتدي الى التثبت وتهدي من تشاء هدايته الحق فلا يتزلزل في امثالها فيقوى بها ايمانه انت ولينا اي القائم بامورنا الدنيوية

والاخروية وناصرنا وحافظنا لا غيرك فاغفر لنا ما قارفنا من المعاصي والفاء لترتيب الدعاء على ما قبله من الولاية كانه قيل فمن شان المولى المغفرة والرحمة وقيل ان اقدامه على ان يقول ان هي الا فتنتك الى اخره جراءة عظيمة فطلب من الله تعالى غفرانها والتجاوز عنها وارحمنا بافاضة آثار الرحمة الدنيوية والاخروية علينا وانت خير الغافرين اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من الدعاء وتخصيص المغفرة بالذكر لانها الاهم بحسب المقام واكتب لنا اي عين لنا وقيل اوجب وحقق واثبت في هذه الدنيا حسنة اي نعمة وعافية او خصلة حسنة قال ابن عباس رضي الله عنهما اقبل توبتنا وزدنا بالمغفرة والرحمة وفي الآخرة اي واكتب لنا فيها ايضا حسنة وهي المثوبة الحسنى والجنة انا هدنا اليك اي تبنا وانبنا اليك من هاد يهود اذا رجع وقرى بكسر الهاء من هاده يهيده اذا حركه وامال له ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل والمفعول بمعنى املنا انفسنا او ملنا اليك ويجوز ان تكون القراءة المشهورة على بناء المفعول على لغة من يقول عود المريض مع كونها لغة ضعيفة مما لا يليق بشان التنزيل الجليل والجملة استيناف مسوق لتعليل الدعاء فان التوبة مما يوجب قبوله بموجب الوعد المحتوم وتصديرها بحرف التحقيق لاظهار كمال النشاط والرغبة في التوبة والمعنى انا تبنا ورجعنا عما صنعنا من المعصية العظيمة التي جئناك للاعتذار عنها وعما وقع هاهنا من طلب الرؤية فبعيد من فضلك ولطفك ان لا تقبل توبة التائبين قيل لما اخذتهم الرجفة ماتوا جميعا فاخذ موسى صلوات الله عليه يتضرع الى الله تعالى حتى احياهم وقيل رجفوا وكادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف موسى عليه السلام فبكى فكشفها الله تعالى عنهم قال استيناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الكلام كانه قيل فماذا قال الله تعالى عند دعاء موسى عليه السلام فقيل قال عذابي اصيب به من اشاء لعله عز وجل حين جعل توبة عبدة العجل بقتلهم انفسهم ضمن موسى عليه السلام دعاءه التخفيف والتيسير حيث قال واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة اي خصلة حسنة عارية عن المشقة والشدة فان في قتل انفسهم من العذاب والتشديد ما لا يخفى فاجاب تعالى بان عذابي شانه ان اصيب به من اشاء تعذيبه من غير دخل لغيري فيه وهو ممن تناوله مشيئتي ولذلك جعلت توبتهم مشوبة بالعذاب الدنيوي ورحمتي وسعت كل شيء اي شانها ان تسع في الدنيا المؤمن والكافر بل كل ما يدخل تحت المشيئة من المكلفين وغيرهم وقد نال قومك نصيب منها من ضمن العذاب الدنيوي وفي نسبة الاصابة الى العذاب بصيغة المضارع ونسبة السعة الى الرحمة بصيغة الماضي ايذان بان الرحمة مقتضى الذات وان العذاب فبمقتضى معاصي العباد والمشيئة معتبرة في جانب الرحمة ايضا وعدم التصريح بها للاشعار بغاية الظهور الا ترى الى قوله تعالى فساكتبها اي اثبتها واعينها فانه متفرع على اعتبار المشيئة كانه قيل فاذا كان الامر كذلك اي كما ذكر من اصابة عذابي وسعة رحمتي لكل من اشاء فساكتبها كتبة كائنة كما دعوت بقولك واكتب لنا في هذه الى آخره اي ساكتبها خالصة عن مشوبة العذاب الدنيوي للذين يتقون اي الكفر والمعاصي اما ابتداء او بعد ملابستها وفيه تعريض بقومه كانه قيل لا لقومك لانهم غير متقين فيكفيهم ما قدر لهم من الرحمة وان كانت مقارنة للعذاب الدنيوي ويؤتون الزكوة وفيه ايضا تعريض بهم حيث كانت الزكوة شاقة عليهم ولعل الصلوة انما لم تذكر مع انافتها عن سائر العبادات اكتفاء منها بالاتقاء الذي هو عبارة عن فعل الواجبات وترك المنكرات عن آخرها او لان ايراد ايتاء الزكوة لما مر من التعريض والذين هم باياتنا جميعا يؤمنون ايمانا مستمرا من غير اخلال بشيء منها وفيه تعريض بهم وبكفرهم بالآيات العظام التي جاء بها موسى عليه السلام وبما سيجيء بعد ذلك من الآيات البينات كتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك وتكرير الموصول مع ان المراد به عين ما اريد بالموصول الاول دون ان يقال ويؤمنون باياتنا عطف على يؤتون الزكوة كما عطف هو على يتقون لما اشير اليه من القصر بتقديم الجار والمجرور اي هم بجميع آياتنا يؤمنون لا ببعضها دون بعض الذين يتبعون الرسول الذي نوحي اليه كتابا مختصا به النبي اي صاحب المعجزة

وقيل عنوان الرسالة بالنسبة اليه تعالى وعنوان النبوة بالنسبة الى الامة الامي بضم الهمزة نسبة الى الام كانه باق على حالته التي ولدته عليها من امه او الى امة العرب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم انا امة لا نحسب ولا نكتب او الى ام القرى وقرئ بفتح الهمزة اي الذي لم يمارس القراءة والكتابة وقد جمع مع ذلك علوم الاولين والاخرين والموصول بدل من الموصول الاول بدل الكل او منصوب على المدح او مرفوع عليه اي اعني الذين او هم الذين واما جعله مبتداء على ان خبره يامرون او اولئك هم المفلحون فغير سديد الذي يجدونه مكتوبا باسمه ونعته بحيث لا يشكون انه هو ولذلك عدل عن ان يقال يجدون اسمه او وصفه مكتوبا عندهم زيد هذا لزيادة التقرير وان شانه صلى الله عليه وسلم حاضر عندهم لا يغيب عنهم اصلا في التورية والانجيل الذين تعبد بهما بنو اسرائيل سابقا ولاحقا والظرفان متعلقان بيجدونه او بمكتوبا وذكر قبل نزوله من قبيل ما نحن فيه من ذكر النبي صلى الله عليه وسلم والقران الكريم قبل مجيئهما يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر كلام مستانف لا محل له من الاعراب قاله الزجاج متضمن لتفصيل بعض احكام الرحمة التي وعد فيما سبق بكتبها اجمالا فان ما بين فيه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واحلال الطيبات وتحريم الخبائث واسقاط التكاليف الشاقة كلها من اثار الرحمة الواسعة وقيل في محل النصب على انه حال مقدرة من مفعول يجدونه او من النبي او من المستكن في مكتوبا او مفسر لمكتوبا اي لما كتب ويحل لهم الطيبات التي حرمت عليهم بشؤم ظلمهم ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير والربا والرشوة ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم اي يخفف عنهم ما كلفوه من التكاليف الشاقة التي هي من قبيل ما كتب لهم حينئذ من كون التوبة بقتل النفس كتعيين القصاص في العمد والخطاء من غير شرع الدية وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم السبت وعن عطاء انه كانت بنو اسرائيل اذا قاموا يصلون لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها الى السارية ويحبس نفسه على العبادة وقرئ اصرهم واصل الاصر الثقل الذي ياصر صاحبه من الحراك فالذين امنوا به تعليم لكيفية اتباعه صلى الله عليه وسلم وبيان لعلو رتبة متبعيه واغتنامهم بمغانم الرحمة الواسعة في الدارين اثر بيان نعوته الجليلة والاشارة الى ارشاده صلى الله عليه وسلم اياهم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر واحلال الطيبات وتحريم الخبائث اي فالذين امنوا بنبوته واطاعوه في اوامره ونواهيه وعزروه اي عظموه ووقروه واعانوه بمنع اعدائه عنه وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير ونصروه في الدين واتبعوا النور الذي انزل معه اي مع نبوته وهو القران عبر عنه بالنور المبني عن كونه ظاهرا بنفسه ومظهرا لغيره او مظهرا للحقائق كاشفا عنها لمناسبة الاتباع ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوا اي اتبعوا القران المنزل مع اتباعه صلى الله عليه وسلم بالعمل بسنته وبما امر به ونهى عنه او اتبعوا القران مصاحبين له في اتباعه فاولئك اشارة الى المذكورين من حيث اتصافهم بما فصل من الصفات الفاضلة للاشعار بعليتها للحكم وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم في الفضل والشرف اي اولئك المنعوتون بتلك النعوت الجليلة هم المفلحون اي الفائزون بالمطلوب الناجون عن المكروب لا غيرهم من الامم فيدخل فيهم قوم موسى عليه السلام دخولا اوليا حيث لم ينجوا عما في توبتهم من المشقة الهائلة وبه يتحقق التحقيق ويتاتى التوفيق والتطبيق بين دعائه عليه السلام وبين الجواب لا بمجرد ما قيل انه لما دعا لنفسه ولبني اسرائيل اجيب بما هو منطوم على توبيخ بني اسرائيل على استجازتهم الرؤية على الله عز وجل وعلى كفرهم بآياته العظام التي اجراها على يد موسى عليه السلام وعرض بذلك بقوله تعالى والذين هم باياتنا يؤمنون واريد ان يكون استماع اوصاف اعقابهم الذين امنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به كعبد الله بن سلام وغيره من اهل الكتابين لطفا بهم وترغيبا في اخلاص الايمان والعمل الصالح قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم لما حكي ما في الكتابين من نعوت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف من يتبعه من اهلهما

ونيلهم لسعادة الدارين امر صلى الله عليه وسلم ببيان ان تلك السعادة غير مختصة بهم بل شاملة لكل من يتبعه كائنا من كان ببيان عموم رسالته للثقلين مع اختصاص رسالة سائر الرسل صلوات الله وسلامه عليهم باقوامهم وارسال موسى عليه السلام الى فرعون وملائه بالايات التسع انما كان لامرهم بعبادة رب العالمين عز سلطانه وترك العظيمة التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه الفئة الباغية وبارسال بني اسرائيل من الاسر والقسر واما العمل باحكام التورية فمختص ببني اسرائيل جميعا حال من الضمير في اليكم الذي له ملك السموات والارض منصوب او مرفوع على المدح او مجرور على انه صفة للجلالة وان حيل بينهما بما هو متعلق بما اضيف اليه فانه في حكم المتقدم عليه وقوله تعالى لا اله الا هو بيان لما قبله فان من ملك العالم كان هو الاله لا غيره وقوله تعالى يحيي ويميت لزيادة تقرير الوهيته والفاء في قوله تعالى فامنوا بالله ورسوله لتفريع الامر على ما تمهد وتقرر من رسالته صلى الله عليه وسلم وايراد نفسه عليه الصلوة والسلام بعنوان الرسالة على طريقة الالتفات الى الغيبة للمبالغة في ايجاب الامتثال بامره ووصف الرسول بقوله النبي الامي مدحة صلى الله عليه وسلم بهما ولزيادة تقرير امره وتحقيق انه المكتوب في الكتابين ووصفه بقوله تعالى الذي يؤمن بالله وكلماته اي ما انزل اليه والى سائر الرسل صلوات الله وسلامه عليهم من كتبه ووحيه لحمل اهل الكتابين على الامتثال بما امروا به والتصريح بايمانه بايمانه بالله تعالى للتنبيه على ان الايمان به تعالى لا ينفك عن الايمان بكلماته ولا يتحقق الا به وقرئ كلمته على ارادة الجنس او القران بينهما على ان المامور به صلى الله عليه وسلم من حيث انزل عليه القران لا من حيثية اخرى او على ان المراد بها عيسى عليه السلام تعريضا باليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعبا بايمانه واتبعوه اي في كل ما ياتي وما يذر من امور الدين لعلكم تهتدون علة للفعلين او حال من فاعليهما اي رجاء لاهتدائكم الى المطلوب او راجين له وفي تعليقه بهما ايذان بان من صدقه ولم يتبعه بالتزام احكام شريعته فهو بمعزل من الاهتداء مستمر على الغي والضلالة ومن قوم موسى امة كلام مبتداء مسوق ما عسى يوهمه تخصيص كتبه الرحمة والتقوى والايمان والايات بمتبعي رسول الله صلى الله عليه وسلم من حرمان اسلاف قوم موسى عليه السلام من كل خير وبيان ان كلهم ليسوا كما حكيت احوالهم بل منهم امة يهدون الناس بالحق ملتبسين به او يهدونهم بكلمة الحق وبه يعدلون اي في الاحكام الجارية فيما بينهم وصيغة المضارع في الفعلين حكاية الحال الماضية وقيل هم الذين امنوا بالنبي عليه الصلوة والسلام ويابا انه قد مر ذكرهم فيما سلف وقيل ان بني اسرائيل لما بالغوا في العتو والطغيان حتى اصروا على قتل الانبياء عليهم الصلاة والسلام تبرا سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسالوا الله تعالى ان يفرق بينهم وبين اولئك الطاغين ففتح الله تعالى لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم اليوم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وقد ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان جبريل عليه السلام ذهب به ليلة الاسراء نحوهم فكلمهم صلى الله عليه وسلم فقال جبرائيل عليه السلام هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد النبي الامي فامنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى عليه السلام اوصانا من ادرك منكم احمد فليقرا مني عليه السلام فرد محمد على موسى وعيسى عليهما الصلوة والسلام ثم اقراهم عشر سور من القران نزلت بمكة ولم يكن نزلت يومئذ فريضة غير الصلوة والزكوة وامرهم ان يقيموا امكانهم وكانوا يسبتون نامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت هذا وانت خبير بان تخصيصهم بالهداية من بين قومهم مع ان منهم من آمن بجميع الشرائع لا يخلو عن بعد اي لا الامة المذكورة منهم وقرئ بالتخفيف وقوله تعالى وقطعناهم اثنتي عشرة ثاني مفعول قطع لتضمنه معنى التصيير والتذكير والتانيث للحمل على الامة او على القطعة اي صيرناهم اسباطا امما امة او قطعة متميزا بعضها من بعض او حال من مفعوله اي فرقناهم معدودين هذا العدد وقوله واوحينا الى موسى بدل منه ولذا جمع او مميز له على ان كل واحدة من اثنتي عشرة قطعة اسباط الاسباط وقرئ عشرة بكسر الشين وقوله تعالى اذ استسقاه قومه على الاول بدل او نعت لاسباطا على الثاني بدل من اسباطا ان اضرب بعصاك الحجر حين استولى عليهم العطش في التيه الذي وقعوا فيه بسوء صنيعهم لا لمجرد استسقائهم اياه عليه السلام بل باستسقائه عليه السلام لهم قوله تعالى واذ استسقى موسى لقومه

وقوله تعالى الحجر فانبجست منه مفسر لفعل الايحاء وقد مر بيان الحجر في تفسير سورة البقرة اثنتي عشرة عينا
عطف على مقدر ينبغي عليه الكلام قد حذف تعويلا على كمال الظهور وايذانا بغاية مسارعته عليه السلام الى الامتثال
واشعارا بعدم تأثير الضرب حقيقة وتنبيها على كمال سرعة الانبجاس وهو الانفجار كانه حصل اثر الامر قبل تحقق الضرب
كما في قوله تعالى ان اضرب بعصاك الحجر فانفلق اي فضرب فانبجست منه اثنتا عشرة عينا بعدد الاسباط واما ما قيل
من ان التقدير فان ضربت فقد انبجست فغير حقيق بجزالة النظم التنزيلي وقرئ بكسر الشين وفتحها قد علم كل اناس
اي كل سبط عبر عنهم بذلك ايذانا بكثرة كل واحد من الاسباط اي عينهم الخاصة بهم وظللنا اي جعلناها بحيث
تلقي عليهم الغمام ظلها تسير في التيه بسيرهم وتسكن باقامتهم وكان ينزل بالليل عمود من نار يسيرون بضوئه وانزلنا
عليهم المن والسلوى الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع وتبعث
الجنوب عليهم السماني فيذبح الرجل منهم ما يكفيه كلوا من طيبات اي وقلنا لهم كلوا ما رزقناكم اي مستلذاته وما
موصولة كانت او موصوفة عبارة عن المن والسلوى وما ظلمونا رجوع الى سنن الكلام الاول بعد حكاية خطابهم
وهو معطوف على جملة محذوفة للايجاز والاشعار بانه امر محقق غني عن التصريح به اي فظلموا بان كفروا
بتلك النعم الجليلة وما ظلمونا بذلك ولكن كانوا انفسهم يظلمون اذ لا يتخطاهم ضرره وتقديم المفعول لافادة القصر
الذي يقتضيه النفي السابق وفيه ضرب من التهكم بهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على تماديهم
فيما هم فيه من الظلم والكفر واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه
وسلم وايراده على سنن الكبرياء وللايذان بالغنى عن التصريح به لتعيين الفاعل وتغيير النظم بالامر بالذكر للتشديد في التوبيخ
اي اذكر لهم وقت قوله تعالى الى اسلافهم واذ قيل لهم اسكنوا منصوب على المفعولية تقديره سكنت الدار هذه
القرية على الظرفية اتساعا هذه القرية وهي بيت المقدس وقيل اريحا وهي قرية الجبارين وكان فيها قوم
من بقية عاد يقال لهم العمالقة راسهم عوج بن عنق وفي قوله اسكنوا ايذان بان المامور به في سورة البقرة هو
الدخول على وجه السكنى والاقامة ولذلك اكتفي به عن ذكر رغدا في قوله تعالى وكلوا منها اي من مطاعمها وثمارها
على ان من تبعيضية او منها على انها ابتدائية حيث شئتم اي من نواحيها من غير ان يزاحمكم فيها احد فان الاكل
المستمر على هذا الوجه لا يكون الا رغدا واسعا وعطف كلوا على اسكنوا المقارنتهما زمانا بخلاف الدخول فانه
مقدم على الاكل ولذلك قيل فكلوا وقولوا حطة اي مسألتنا او امرك حطة لذنوبنا وهي فعلة من الحط كالجلسة
وادخلوا الباب اي باب القرية سجدا اي متطامنين مخبتين او ساجدين شكرا على اخراجهم من التيه وتقديم
الامر بالدخول على الامر بالقول المذكور في سورة البقرة غير مخل بهذا الترتيب لان المامور به هو الجمع بين الفعلين من
غير اعتبار الترتيب بينهما ثم ان كان المراد بالقرية اريحا فقد روي انهم دخلوها حيث سار اليها موسى
عليه السلام بمن بقي من بني اسرائيل او بذراريهم على اختلاف الروايتين ففتحها كما مر في سورة المائدة واما
ان كان بيت المقدس فقد روي انهم لم يدخلوه في حياة موسى عليه السلام فقيل المراد بالباب باب القبة
التي كانوا يصلون اليها نغفر لكم خطيئاتكم وقرئ خطاياكم كما في سورة البقرة وتغفر لكم خطيئاتكم وخطاياكم
وخطيئتكم على البناء للمفعول سنزيد المحسنين عدة بشيئين بالمغفرة وبالزيادة وطرح الواو هنا للايذان بانه
استئناف مرتب على تقدير سؤال نشأ من الاخبار بالغفران كانه قيل فماذا لهم بعد الغفران فقيل سنزيد
المحسنين وكذلك زيادة منهم زيادة بيان فبدل الذين ظلموا منهم بما امروا به من التوبة والاستغفار حيث
اعرضوا عنه ووضعوا موضعه قولا اخر مما لا خير فيه روي انهم دخلوا زاحفين على استاههم وقالوا مكان
حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا يعنون حنطة حمراء استخفافا بامر الله تعالى واستهزاء بموسى
عليه السلام وقوله تعالى قولا غير الذي قيل لهم نعت لقولا صرح بالمغايرة مع دلالة التبديل عليها قطعا
تحقيقا للمخالفة وتنصيصا على المخالفة من كل وجه فارسلنا عليهم رجزا اثر ما فعلوا من غير تأخير وفي سورة البقرة

على الذين

على الذين ظلموا والمعنى واحد والارسال من فوق فيكون كالانزال عذابا كائنا منها والمراد الطاعون روي انه مات منهم
في ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا من السماء بما كانوا يظلمون بسبب ظلمهم المستمر السابق واللاحق حسبما يفيده
الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لا بسبب التبديل فقط كما يشعر به ترتيب الارسال عليه بالفاء والتصريح بهذا
التعليل لما ان الحكم ههنا على المضمر وفي الموصول بالظلم كما في سورة البقرة واما تعليل بالفسق بعد الاشعار عليه
الظلم فقد مر وجهه هناك والله اعلم واسألهم عطف على المقدر كما في اذ قيل لهم اي واسأل هؤلاء المعاندين لك
سؤال تقريع وتقرير تقديم كفرهم وتجاوزهم لحدود الله تعالى واعلاما لهم بان ذلك مع كونه من علومهم الخفية
التي لا يقف عليها الا من مارس كتبهم قد احاط النبي صلى الله عليه وسلم خبرا واذ ليس ذلك بالتلقي من كتبهم لانه
صلى الله عليه وسلم بمعزل من ذلك تعين انه من جهة الوحي الصريح عن القرية اي عن حالها وخبرها فيما جرى على
اهلها من الداهية الدهيا وهي ايلة قرية بين مدين والطور وقيل هي مدين وقيل طبرية والعرب
تسمي المدينة قرية التي كانت حاضرة البحر اي قريبة منه مشرفة على شاطئه اذ يعدون في السبت اي يتجاوزون
حدود الله بالصيد يوم السبت واذ ظرف للمضاف المحذوف او بدل منه وقيل ظرف لكانت وليس بذاك
اذ لا فائدة في تقييد الكون او الحضور بوقت العدوان وقرئ يعدون واصله يعتدون ويعدون من الاعداد
حيث يعدون آلات الصيد يوم السبت وهم منهيون عن الاشتغال فيه بغير العبادة اذ تأتيهم حيتانهم ظرف ليعدون
او بدل بعد بدل والاول هو الاولى لان السؤال عن عدم واتهم ادخل في التقريع والحيتان جمع حوت قلبت الواو
ياء لانكسار ما قبلها كنون ونينان لفظا ومعنى واضافتها اليهم للاشعار باختصاصها بهم لاستقلالها بما لا يكاد
يوجد في سائر افراد الجنس من الخواص الخارقة للعادة او لان بها الحيتان الكائنة في تلك الناحية وان ما ذكر
من الاتيان وعدمه لاعتبار احوالهم في عدم التعرض يوم السبت يوم سبتهم ظرف لتأتيهم اي ان تأتيهم يوم
تعظيمهم لامر السبت وهو مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت بالتجرد للعبادة وقيل اسم لليوم
والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول قراءة من قرأ يوم اسباتهم وقوله تعالى شرعا جمع شارع
من شرع عليه اذا دنى واشرف وهو حال من حيتانهم اي تأتيهم يوم سبتهم ظاهرة على وجه الماء قريبة من الساحل
ويوم لا يسبتون اي لا يراعون امر السبت لكن بمجرد عدم المراعاة مع تحقق يوم السبت كما هو المتبادر بل مع انتفائهما
معا اي لا سبت ولا مراعاة كما في قوله • ولا ترى الضب بها ينجحر • وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون على
البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت ولا يدار عليهم حكم السبت ولا يؤمرون فيه بما امروا به يوم السبت
لا تأتيهم كما تأتيهم يوم السبت حذارا من صيدهم وتغيير السبك حيث لم يقل ولا تأتيهم يوم لا يسبتون
لا تأتيهم كذلك نبلوهم اي مثل ذلك البلاء العجيب نعاملهم معاملة من نختبرهم ليظهر عدوانهم ونؤاخذهم
به وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها والعجيب منها بما كانوا يفسقون اي بسبب
فسقهم المستمر المدلول عليه بالجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لكن لا في تلك المادة فان فسقهم فيها
لا يكون سببا للبلوى بل بسبب فسقهم المستمر في كل ما يأتون وما يذرون وقيل متصل بما قبله اي لا
تأتيهم مثل ما تأتيهم يوم سبتهم فالجملة بعده حينئذ استئناف مبني على السؤال عن حكمة اختلاف الحيتان
بالاتيان تارة وعدمه اخرى واذ قالت عطف على اذ يعدون مسوق لتماديهم في العدوان وعدم انزجارهم
عنه بعد العظات امة منهم اي جماعة من صلحائهم الذين ركبوا في عظتهم متن كل صعب وذلول حتى يئسوا
من احتمال القبول لآخرين لا يقلعون عن التذكير رجاء النفع والتأثير مبالغة في الاعذار وطمعا في فائدة
الانذار لم تعظون قوما الله مهلكهم اي مخزيهم بالكلية ومطهر الارض منهم او معذبهم عذابا شديدا دون الاستئصال
بالمرة وقيل مهلكهم مخزيهم في الدنيا او معذبهم في الآخرة لعدم اقلاعهم عما كانوا عليه من الفسق والطغيان
والترديد لمنع الخلو ومنع الجمع فانهم مهلكون في الدنيا ومعذبون في الآخرة وايثار صيغة اسم الفاعل مع

ان كلامن الاهلاك والتعذيب مترتب للدلالة على تحققهما وتقررهما البتة كانهما واقعان وانما قالوا مبالغة
في ان الوعظ لا ينجع فيهم او ترهيبا للقوم او سوالا عن حكمة الوعظ ونفعه ولعلهم انما قالوا بمحضر من القوم
مسالهم على الاتعاظ فان بث القول بهلاكهم وعذابهم مما يلقي في قلوبهم الخوف والخشية وقيل المراد
طايفة من الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم وليس بذاك كما ستقف عليه قالوا اي الوعاظ
معذرة الى ربكم اي نعظكم معذرة اليه تعالى على انه مفعول له وهو الانسب بظاهر قولهم لم تعظون او نعتذر
معذرة على انه مصدر لفعل محذوف وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي معذرة اليه تعالى حتى لا
ننسب الى نوع تفريط في النهي عن المنكر وفي اضافة الرب الى ضمير المخاطبين نوع تعريض بالسائلين ولعلهم
يتقون عطف على معذرة اي ورجاء لان يتقوا بعض اتقاء وهذا صريح في ان القايلين لم تعظون الى اخره ليس
من الفرقة الهالكة والا لوجب الخطاب فلما نسوا ما ذكروا به اي تركوا ما ذكرهم به صلحاؤهم ترك الناسي
للشيء واعرضوا عنه اعراضا كليا بحيث لم يخطر ببالهم شيء من تلك المواعظ اصلا انجينا الذين ينهون عن السوء
وهم الفريقان المذكوران لفرح انجائهم فخرج الجواب الذي حقه الترتب على الشرط وهو نسيان المعتدين
المستتبع لاهلاكهم لما ان ما في حيز الشرط شيئان النسيان في التذكر كانه قيل فلما ذكر المذكورون ولم يتذكر
المعتدون انجينا الاولين واخذنا الاخرين واما قصد بالجواب بانجائهم فلما مر مرارا من المسارعة الى بيان
نجاتهم من اول الامر مع ما في المؤخر من نوع طول واخذنا الذين ظلموا بالاعتداء ومخالفة الامر بعذاب بئيس
اي شديد وزنا ومعنا من بئس يبؤس باسا اذا اشتد واو بئيس على وزن فعيل بفتح العين وكسرها و
بيس كحذر وبيس على تخفيف العين ونقل حركتها الى الفاء ككبد في كبد وبيس بقلب الهمزة ياء كذيب في
ذئب وبيس في بئيس بقلب همزته ياء وادغام الياء فيها وبيس على تخفيف بيس كهين في هين وتنكير العذاب
للتفخيم والتهويل بما كانوا يفسقون متعلق باخذنا كالباء الاولى ولا ضير فيه لاختلافهما معنى اي اخذناهم
بما ذكر من العذاب بسبب تماديهم في الفسق الذي هو الخروج عن الطاعة وهو الظلم والعدوان ايضا اجرى الحكم
على الموصول وان اشعر بعلية ما في حيز الصلة له لكنه صرح بالتعليل المذكور ايذانا بان العلة هو الاستمرار
على الظلم والعدوان مع اعتبار كون ذلك خروجا عن طاعة الله تعالى لا نفس الظلم والعدوان والا لما اخر عن ابتداء
المباشرة ساعة ولعله تعالى قد عذبهم شديد دون الاستيصال فلم يقلعوا عما كانوا عليه بل ازدادوا في
الغي فمسخهم بعد ذلك لقوله تعالى فلما عتوا عما نهوا عنه اي تمردوا وتكبروا وابوا ان يتركوا ما نهوا عنه قلنا
لهم كونوا قردة خاسئين صاغرين اذلاء بعداء عن الناس والمراد بالامر هو الامر التكويني لا القولي وترتيب
المسخ على العتو على الانتهاء عما نهوا عنه للايذان بانه ليس لخصوصية الحيتان بل العمدة في ذلك هو مخالفة
الامر والاستعصاء عليه تعالى وقيل المراد بالعذاب البئيس هو المسخ والجملة الثانية تقرير للاولى ٥
روي ان اليهود امروا باليوم الذي امرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت وهو المعني بقوله
تعالى انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه فابتلوا به وحرم عليهم الصيد فيه وامروا بتعظيمه فكانت الحيتان
تاتيهم يوم السبت كانها المخاض لا وجه الماء لكثرتها ولا تاتيهم في ساير الايام فكانوا على ذلك برهة من الدهر
حتى جاءهم ابليس فقال لهم ابليس انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا سهلة الورود صعبة
الصدور ففعلوا فجعلوا يسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلم يقدروا على الخروج منها وياخذونها يوم
الاحد واخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا في خشبة في الساحل ثم شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح
السمك فتطلع من تنوره فقال له اني ارى الله سيعذبك فلما لم يره عذب اخذ يوم السبت القابل حوتين
فلما راوا ان العذاب لا يعاجلهم استمروا على ذلك فصادوا واكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من ستين الفا
فصار اهل القرية اثلاثا ثلث استمروا على النهي وثلث ملوا التذكير وسئموه وقالوا للواعظين لم تعظون

الى اخره

الى اخره وثلث باشروا الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون نحن لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب
وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه السلام فاصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا
ان لهم شانا فعلوا الجدار فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القردة انسابهم من
الانس وهم لا يعرفونها فجعل القرد ياتي نسيبه فيشم ثيابه فيبكي فيقول له نسيبه الم ننهكم فيقول القرد
براسه نعم ثم ماتوا عن ثلاث وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير وعن مجاهد مسخت قلوبهم
وقال الحسن البصري اكلوا والله اوخم اكلة اكلها اهلها اثقلها خزيا في الدنيا واطولها عذابا في الاخرة هاه وايم
الله ما حوت اخذه قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله تعالى اوعدهم موعدا والساعة ادهى وامر
واذ تاذن ربك منصوب على المفعولية بمضمر معطوف على قوله تعالى واسالهم وتاذن بمعنى اذن كما ان توعد بمعنى
اوعد او بمعنى عزم فان العازم على الامر يحدث به نفسه ويجري مجرى القسم كعلم الله وشهد الله فلذلك اجيب
بجوابه حيث قيل ليبعثن عليهم الى يوم القيمة اي واذكر لهم وقت ايجابه تعالى على نفسه ان يسلط على اليهود البتة من
يسومهم سوء العذاب كالاذلال وضرب الجزية وغير ذلك من فنون العذاب وقد بعث الله تعالى عليهم بعد
سليمان عليه السلام بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتلهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقي
منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم ففعل ما فعل ثم ضرب الجزية عليهم فلا تزال مضروبة
الى اخر الدهر ان ربك لسريع العقاب يعاقب في الدنيا وانه لغفور رحيم لمن امن منهم في قطر من اقطارها بحيث لا يخلو
بقعة منها منهم تكثيرا لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة وقوله تعالى وقطعناهم اي فرقنا بني اسرائيل في الارض
وجعلنا كل فرقة امما مفعول ثان لقطعنا او حال من مفعوله منهم الصالحون صفة لامما او بدل منه وهم الذين امنوا
بالمدينة ومن يسير بسيرهم ومنهم دون ذلك اي ناس دون ذلك الوصف اي منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم
وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون عما كانوا فيه من الكفر والمعاصي فخلف
من بعدهم من بعد المذكورين خلف اي بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل
جمع وهو شايع في الشر والخلف بفتح اللام في الخير والمراد به الذين كانوا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورثوا الكتاب اي التورية من اسلافهم يعرفونها ويغفلون عما فيها ياخذون عرض هذا الادنى استيناف مسوق
لبيان ما يصنعون بالكتاب بعد وراثتهم اياه اي ياخذون حطام هذا الشيء الادنى اي الدنيا وهي من الدنو
او الدناءة والمراد به ما كانوا ياخذونه من الرشى في الحكومات على تحريف الكلام وقيل حال من واو ورثوا
ويقولون سيغفر لنا ولا يؤاخذنا الله تعالى بذلك ويتجاوز عنه والجملة تحتمل العطف والحالية والفعل
مسند الى الجار والمجرور او مصدر ياخذون وان ياتهم عرض مثله ياخذوه حال من ضمير في لنا اي يرجون المغفرة
والحال انهم مصرون على الذنب عائدون الى مثله غير تائبين عنه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اي الميثاق
الوارد في الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق عطف بيان للميثاق او متعلق به اي بان لا يقولوا الى اخره والمراد
به الرد عليهم والتوبيخ على بتاتهم القول بالمغفرة بلا توبة والدلالة على انها افتراء وخروج عن ميثاق
الكتاب ودرسوا ما فيه عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض والدار الاخرة
خير للذين يتقون ما فعل هؤلاء افلا يعقلون فيعلمون ذلك فلا يستبدلوا الادنى المؤدي الى العقاب
بالنعيم المخلد وقرئ بالياء وفي الالتفات تشديد الى التوبيخ والذين يمسكون بالكتاب اي يمسكون في
امور دينهم يقال مسك بالشيء وتمسك به قال مجاهد هم الذين امنوا من اهل الكتاب كعبد الله بن
سلام واصحابه تمسكوا بالكتاب الذي جاء به موسى فلم يحرفوه ولم يكتموه ولم يتخذوه ماكلة وقال
عطاء هم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ من الامساك وقرئ تمسكوا واستمسكوا موافقا لقوله
تعالى واقاموا الصلوة ولعل التغيير في المشهور للدلالة على ان التمسك بالكتاب امر مستمر في جميع الازمنة بخلاف

اقامة الصلوة فانها مختصة باوقاتها وتخصيصها بالذكر من بين سائر العبادات لانافتها عليها ومحل الموصول
اما الجر نسقا على الذين يتقون وقوله افلا تعقلون اعتراض مقرر لما قبله واما الرفع على الابتداء والخبر قوله
تعالى انا لا نضيع اجر المصلحين والرابط اما الضمير المحذوف كما هو راي جمهور البصريين والتقدير من المصلحين
منهم واما الالف واللام كما هو راي الكوفيين فانه في حكم مصلحيهم كما في قوله تعالى فان الجنة هي الماوى اي ماويهم
وقوله تعالى مفتحة لهم الابواب اي وابوابها واما العموم في مصلحين فانه من الروابط ومنه نعم الرجل زيد على
احد الوجوه وقيل الخبر محذوف والتقدير والذين يمسكون بالكتاب ماجورون او مثابون وقوله تعالى انا لا نضيع
اعتراض مقرر لما قبله واذ نتقنا الجبل فوقهم اي قلعناه من مكانه ورفعناه عليهم كانه ظلة اي سقيفة وهي كل ما اظلك
وظنوا اي تيقنوا انه واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت في الجو ولانهم كانوا يوعدون به والاطلاق لنظم في
الحكاية لعدم وقوع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لثقلها فرفع الله عليهم الطور وقيل لهم ان
قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم خذوا ما آتيناكم اي وقلنا او قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة
على تحمل مشاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل ولا تتركوه كالمنسي لعلكم تتقون بذلك قبايح الاعمال ورذائل
الاخلاق او راجين ان تنتظموا في سلك المتقين واذ اخذ ربك منصوب بمضمر معطوف على ما انتصبت به
اذ نتقنا مسوق للاحتجاج على اليهود بتذكير الميثاق العام المنتظم للناس كافة وتوبيخهم بنقضه اثر
الاحتجاج عليهم بتذكير ميثاق الطور وتعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود تذكر ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيانه
مرارا اي واذكر لهم اخذ ربك من بني آدم المراد بهم الذين ولدهم كائنا من كان نسلا بعد نسل سوى من لم يولد له بسبب
من الاسباب كالعقم وعدم التزوج والموت صغيرا وايثار الاخذ على الاخراج للايذان بالاعتناء بشان الماخوذ
لما فيه من الانباء على الاحياء والاصطفاء وهو السبب في اسناده الى اسم الرب بطريق الالتفات مع ما فيه من
التمهيد للاستفهام واضافته الى ضميره عليه الصلوة والسلام للتشريف وقوله تعالى من ظهورهم بدل من بني
آدم بدل البعض بتكرير الجار كما في قوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم ومن في الموضعين ابتدائية وفيه مزيد
تقرير لابتنائه على البيان بعد الابهام والتفصيل عقيب الاجمال وتنبيه على ان الميثاق قد اخذ منهم وهم في اصلاب
الآباء ولم يستودعوا في ارحام الامهات وقوله تعالى ذريتهم مفعول اخذ اخر عن المفعول بواسطة الجار
لاشتماله على ضمير راجع اليه ولمراعاة اصالته ومنشائيته ولما مر مرارا من التشويق الى المؤخر وقرئ
ذرياتهم والمراد بهم اولادهم على العموم فيندرج فيهم اليهود المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اندراجا
اوليا كما اندرج اسلافهم في بني آدم كذلك وتخصيصهما باليهود سلفا وخلفا مع ان ما اريد بيانه من بديع صنع
الله تعالى شامل للكل كافة مخل بفخامة التنزيل وجزالة التمثيل واشهدهم على انفسهم اي اشهد كل واحد من
اولئك الذريات الماخوذين من ظهور ابائهم على نفسها لا على غيرها تقريرا لهم بربوبيته التامة وما يستتبعه
من العبودية على الاختصاص وغير ذلك من احكامها وقوله تعالى الست بربكم على ارادة القول اي قائلا الست
بربكم ومالك امركم ومربيكم على الاطلاق من غير ان يكون لاحد مدخل في شان من شؤنكم فينتظم استحقاق
العبودية ويستلزم اختصاصه به تعالى قالوا استيناف مبني على سوال نشاء من الكلام كانه قيل فماذا قالوا
حينئذ فقيل قالوا بلى شهدنا اي على انفسنا بانك ربنا والهنا لا رب لنا غيرك كما ورد في الحديث الشريف
وهذا تمثيل لخلقه تعالى اياهم جميعا مبداء الفطرة مستعدين للاستدلال بالدلائل المنصوبة في الافاق
والانفس المودية الى التوحيد والاسلام كما ينطق به قوله عليه الصلوة والسلام كل مولود يولد على الفطرة
الحديث مبني على تشبيه الهيئة المنتزعة من تعريضه تعالى اياهم بمعرفة ربوبيته بعد تمكينهم منها بما ركز
فيهم من العقول والبصائر ونصب لهم في الافاق والانفس من الدلائل تمكينا تاما ومن تمكنهم منها تمكنا تاما و
تعريضهم لها تعرضا قويا بهيئة منتزعة من حمله تعالى اياهم على الاعتراف بها بطريق الامر ومن مسارعتهم الى

ذلك من غير تلعثم من غير ان يكون هناك اخذ واشهاد وسوال وجواب كما في قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا
طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقوله تعالى ان تقولوا بالتاء على تلوين الخطاب وصرفه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى معاصريه من اليهود تشديدا في الالزام او اليهم والى متقدميهم بطريق التغليب لكن لا من حيث انهم
مخاطبون بقوله تعالى الست بربكم فانه ليس من الكلام المحكي وقرئ بالياء على ان الضمير للذرية وايا ما كان فهو مفعول
له لما قبله من الاخذ والاشهاد اي فعلنا ما فعلنا كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا ايها الكفرة او يقولوا هم يوم القيمة
عند ظهور الامر انا كنا عن هذا اي عن وحدانية الربوبية واحكامها غافلين لم ننتبه فانهم حيث جبلوا على ما
ذكر من التهيؤ التام لتحقيق الحق والقوة القريبة من العقل صاروا محجوجين عاجزين عند الاعتذار بذلك اذ لا
سبيل لاحد الى انكار ما ذكر من خلقهم على الفطرة السليمة وقوله تعالى او تقولوا انما اشرك اباؤنا عطف على تقولوا
واو لمنع الخلو دون الجمع اي هم اخترعوا الاشراك وهم سنوه من قبل من قبل زماننا وكنا نحن ذرية من بعدهم لا
نهتدي الى السبيل ولا نقدر على الاستدلال بالدليل افتهلكنا بما فعل المبطلون من ابائنا المضلين بعد ظهور
انهم المجرمون ونحن عاجزون عن التدبير والاستبداد بالراي او اتواخذنا فتهلكنا الى اخره فان ما ذكر من استعدادهم
الكامل يسد عليهم باب الاعتذار بهذا ايضا فان التقليد عند قيام الدلائل والقدرة على الاستدلال بها مما لا مساغ
له اصلا هذا وقد حملت هذه المقاولة على الحقيقة كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما من انه تعالى لما خلق آدم
عليه السلام مسح ظهره فاخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيمة وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه سئل
عن الاية الكريمة فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عنها فقال ان الله تعالى خلق آدم عليه السلام
ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريته فقال خلقت هولاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره
فاستخرج منه ذريته فقال خلقت هولاء للنار وبعمل اهل النار يعملون وليس المعنى انه تعالى اخرج من ظهره عليه
السلام بالذات بل اخرج من ظهره ابناءه الصلبية ومن ظهورهم ابناءهم الصلبية وهكذا الى اخر السلسلة
لكن لما كان المظهر الاصلي ظهره عليه السلام وكان مساق الحديثين الشريفين بيان حال الفريقين اجمالا من غير
ان يتعلق بذكر الوسائط غرض على نسب اخراج الكل اليه واما الاية الكريمة فحيث كانت مسوقة للاحتجاج على
الكفرة المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان عدم فائدة الاعتذار باسناد الاشراك الى ابائهم اقتضى
الحال نسبة اخراج كل واحد منهم الى ظهر ابيهم من غير تعرض لاخراج الابناء الصلبية لآدم عليه السلام
من ظهره قطعا وعدم بيان الميثاق في حديث عمر رضي الله عنه ليس بيانا لعدمه ولا مستلزما له واما ما
قالوا من ان اخذ الميثاق لاسقاط عذر الغفلة حسبما ينطق به قوله تعالى ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا
غافلين ومعلوم انه غير واقع لغفلتهم في دار التكاليف اذ لا فرد من افراد البشر يذكر ذلك فمردود لكن لا
بما قيل من ان الله تعالى قد اوضح الدلائل على وحدانيته وصدق رسله فيما اخبروا فمن انكره كان معاندا ناقضا
للعهد ولزمته الحجة ونسيانهم وعدم حفظهم لا يسقط الاحتجاج بعد اخبار المخبر الصادق بل بان قوله ان
تقولوا الى اخره ليس مفعولا له لقوله تعالى واشهدهم وما يتفرع عليه من قولهم بلى شهدنا حتى يجب كون
ذلك الاشهاد والشهادة محفوظا لهم في الزامهم بل لفعل مضمر ينسحب عليه الكلام والمعنى فعلنا ما فعلنا من
الامر بذلك الميثاق وبيانه كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا ايها الكفرة يوم القيمة انا كنا غافلين عن ذلك الميثاق
ولم ننتبه عليه في دار التكليف والا لعملنا بموجبه هذا على قراءة الجمهور بالياء فهو مفعول لنفس الامر المضمر
العامل في اذ اخذ والمعنى اذكر لهم الميثاق الماخوذ منهم فيما مضى لئلا يعتذروا يوم القيمة بالغفلة او
بتقليد الاباء هذا على تقدير كون قوله تعالى شهدنا من كلام الذرية وهو الظاهر واما على تقدير كونه من كلامه
تعالى فهو العامل في ان تقولوا ولا محذور اصلا اذ المعنى شهدنا قولكم هذا لئلا تقولوا يوم القيمة الى اخره
لانا نرد لكم ونكذبكم حينئذ وكذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده وما فيه من معنى البعد للايذان

بعلو شان المشار اليه وبعد منزلته والكاف مفخمة موكدة لما افاده اسم الاشارة من الفخامة والتقديم على الفعل لافادة القصر ومحله النصب على المصدرية اي مثل ذلك التفصيل البليغ المستتبع للمنافع الجليلة نفصل الايات المذكورة لاغيرذلك ولعلهم يرجعون وليرجعوا عما هم عليه من الاصرار على الباطل وتقليد الاباء بفعل التفصيل المذكور قالوا وان ابتداء بيان ويجوز ان تكون الثانية عاطفة على مقدر مترتب على التفصيل اي وكذلك نفصل الايات ليقفوا على ما فيها من المرغبات والزواجر وليرجعوا الى الحق واتل عليهم • عطف على المضمر العامل في اذ اخذ وارد على نمطه في الابناء عن الحور بعد الكور والضلالة بعد الهدى اي واتل على اليهود نباء الذي اتيناه اياتنا اي خبر الذي له شان وخطر وهو احد علماء بني اسرائيل وقيل هو بلعم بن باعورا او بلعام بن باعر من الكنعانيين اوتي علم بعض كتب الله تعالى وقيل هو امية بن ابي الصلت وكان قد قرأ الكتب وعلم ان الله مرسل في ذلك الزمان رسولا ورجاء ان يكون هو الرسول فلما بعث الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به والاول هو الانسب بمقالة توبيخ اليهود وبهتانهم فانسلخ منها اي من تلك الايات انسلاخ الجلد من الشاة ولم يخطرها بباله اصلا او اخرج منها بالكلية بان كفر بها ونبذها وراء ظهره وايا ما كان فالتعبير عنه بالانسلاخ المنبي عن اتصال المحيط بالمحاط خلقه وعن عدم الملاقاة بينهما ابدا للايذان بكمال مباينته للايات بعد ان كان بينهما كمال الاتصال فاتبعه الشيطان اي تبعه حتى لحقه وادركه فصار قرينا له وهو المعنى على القراءة فاتبعه من الافتعال وفيه تلويح بانه اشد من الشيطان غواية واتبعه خطواته فكان من الغاوين فصار من زمرة الضالين الراسخين في الغواية بعد ان كان من المهتدين روي ان قومه طلبوا منه ان يدعو على موسى عليه السلام فقال كيف ادعو على من معه الملائكة فلم يزالوا به حتى فعل فبقوا في التيه ويرده ان التيه كان لموسى عليه السلام روحا وراحة وانما عذب به بنو اسرائيل وقد كان ذلك بدعائه عليه السلام عليهم في سورة المائدة ولو شئنا كلام مستانف مسوق لبيان مناط ما ذكر من انسلاخه من الايات • ووقوعه في مهاوي الغوايات • ومفعول المشية محذوف بوقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء على القاعدة المستمرة اي ولو شئنا رفعه لرفعناه اي الى المنازل العالية للابرار العلماء بموجبها لكن لا بمحض مشيتنا من غير ان يكون له دخل في ذلك اصلا فانه مناف للحكمة التشريعية الموسسة على تعليق الاجزية بالافعال الاختيارية للعباد بل مع مباشرته للعمل المودي الى الرفع بصرف اختياره الى تحصيله كما ينبئ عنه بها اي بسبب تلك الايات بان عمل بموجبها فان اختياره وان لم يكن موثرا في حصوله ولا في ترتب الرفع عليه بل كل منهما بخلق الله تعالى لكن خلقه تعالى منوط بذلك البتة حسب جريان العادة الالهية وقد اشير الى ذلك الاستدلال بان اسند الى ما يودي الى نقص التالي اليه حيث قيل ولكنه اخلد الى الارض مع ان الاخلاد اليها ايضا مما لا يتحقق عنه صرف اختياره اليه لا بخلقه تعالى كانه قيل ولو شئنا رفعه بمباشرته لسببه لرفعناه بسبب تلك الايات التي هي اقوى اسباب الرفع لكن لم نشاءه لمباشرته لسبب نقيضه فترك في كل من المقامين ما ذكر من الاخر تعويلا على اشعار المذكور بالمنطوي كما في قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وتخصيص كل من المذكورين بمقامه للايذان بان الرفع مراد له تعالى بالذات وتفضل محض عليه لا دخل فيه لفعله حقيقة كيف لا وجميع افعاله ومباديها من نعمته تعالى وتفضلاته وان نقيضه انما اصابه بسوء اختياره على موجب الوعيد لا بالارادة الذاتية له سبحانه كما قيل في وجه ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر في الاية المذكورة وهو السر في جريان السنة القرانية على اسناد الخير اليه تعالى واضافة الشر الى الغير كما في قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظائره والاخلاد الى الشيء الميل اليه مع الاطمينان به والمراد بالارض الدنيا وقيل السفالة والمعنى لكنه اثر الدنيا الدنية • على المنازل السنية • او الضعة والسفالة على الرفعة والجلالة واتبع هواه معرضا عن تلك الايات الجليلة فانحط ابلغ انحطاط وارتد اسفل سافلين والى ذلك اشير بقوله تعالى فمثله كمثل الكلب لما انه اخس الحيوانات واسفلها وقد مثل حاله باخس احواله

وانها حيث

وانها حيث قيل ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي فحاله التي هي مثل في السوء كصفته في ارذل احواله وهي حال دوام اللهث به في حالتي التعب والراحة فكانه قيل فتردى الى ما لا غاية وراءه في الخسة والرداءة وايثار الجملة الاسمية على الفعلية بان يقال فصار مثله كمثل الكلب الى اخره للايذان بدوام اتصافه بتلك الحالة الخسيسة وكمال استقراره واستمراره عليها والخطاب في فعلي الشرط لكل احد ممن له حظ من الخطاب فانه ادخل في اشاعة فظاعة حاله واللهث ادلاع اللسان بالتنفس الشديد اي هو ضيق الحال مكروب دائم اللهث سواء هيجته وازعجته بالطرد العنيف او تركته على حاله فانه في الكلاب طبع لا يقتدر على نفض الهواء المسخن وجلب الهواء البارد بسهولة لضعف قلبها وانقطاع موادها بخلاف سائر الحيوانات فانها لا تحتاج الى التنفس الشديد ولا يلحقها الكرب والمضايقة الا عند التعب والاعياء والشرطية مع اختها تفسير لما ابهم في المثل وتفصيل لما اجمل فيه وتوضيح للتمثيل ببيان وجه الشبه لا محل له من الاعراب على منهاج قوله تعالى خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون اثر قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم وقيل هي في محل النصب على الحالية من الكلب بناء على خروجها من حقيقة الشرط وتحولهما الى معنى التسوية حسب تحول الاستفهام المتنا فيين اليه في مثل قوله تعالى اانذرتهم ام لم تنذرهم كانه قيل لاهثا في الحالتين وايا ما كان فالاظهر انه تشبيه للهيئة المنتزعة مما اعتراه بعد الانسلاخ من سوء الحال واضطراب القلب ودوام القلق والاضطراب وعدم الاستراحة بحال من الاحوال بالهيئة المنتزعة مما ذكر من حال الكلب وقيل لما دعا بلعم على موسى عليه السلام خرج لسانه فتدلى على صدره وجعل يلهث كالكلب الى ان هلك ذلك اشارة الى ما ذكر من الحالة الخسيسة منسوبة الى الكلب والى المنسلخ وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهما في الخسة والدناءة اي مثل ذلك المثل السيء مثل القوم الذين كذبوا باياتنا وهم اليهود حيث اوتوا في التورية ما اوتوا من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وذكر القرآن المعجز وما فيه فصدقوا وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وانسلخوا من حكم التورية فاقصص القصص القصص مصدر سمي به المفعول كالسلب واللام للعهد والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي اذا تحقق المثل المذكور مثل هؤلاء المكذبين فاقصصه عليهم حسبما اوحي اليك لعلهم يتفكرون فيقفون على جلية الحال • وينزجرون عما هم عليه من الكفر والضلال • ويعلمون انك قد علمته من جهة الوحي فيزدادوا ايقانا بك • والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير المخاطب او على انها مفعول له اي فاقصص القصص راجيا لتفكرهم ساء مثلا استيناف مسوق لبيان كمال قبح حال المكذبين بعد بيان كونه كحال الكلب او المنسلخ وساء بمعنى بئس فاعلها مضمر فيها ومثلا تمييز مفسر له والمخصوص بالذم قوله تعالى القوم الذين كذبوا باياتنا وحيث وجب التصادق بينه وبين الفاعل والتمييز وجب المصير الى تقدير مضاف اما اليه وهو الظاهر اي ساء مثل القوم واعادة القوم موصوفا بالموصول مع كفاية الضمير بان يقال ساء مثلا مثلهم للايذان بان مدار السوء ما في حيز الصلة ولربط قوله تعالى وانفسهم كانوا يظلمون به فانه اما معطوف على كذبوا داخل في حكم الصلة بمعنى اجمعوا بين تكذيب ايات الله تعالى بعدم قيام الحجة عليها وعليهم بها وبين ظلمهم لانفسهم خاصة او منقطع عنه بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان وباله لا يتخطاها وايا ما كان ففي يظلمون لمح الى ان تكذيبهم بالايات متضمن للظلم بها وان ذلك ايضا معتبر في القصر المستفاد من تقديم المفعول من يهدي الله فهو المهتدي لما امر النبي صلى الله عليه وسلم بان يقص قصص المنسلخ على هؤلاء المضلين الذين مثلهم كمثله ليتفكروا فيه ويتركوا ما هم عليه من الاخلاد الى الضلالة ويهتدوا الى الحق عقب ذلك بتحقيق ان الهداية والضلالة من جهة الله تعالى وانما العظة والتذكير من قبيل الوسائط العادية في حصول الاهتداء من غير تاثير لها فيه سوى كونها دواعي الى صرف العبد اختياره الى نحو تحصيله حتما بنظرية خلق الله تعالى اياه كسائر افعال العباد فالمراد بهذه الهداية ما يوجب الاهتداء

قطعا لكن لان حقيقتها الدلالة الموصلة الى البغية البتة بل لانها الفرد الكامل من حقيقة الهداية التي هي
الدلالة الى ما يوصل البغية اي ما من شانه الايصال اليها كما سبق تحقيقه في تفسير قوله تعالى هدى للمتقين
وليس المراد مجرد الاخبار باهتداء من هداه الله تعالى حتى يتوهم عدم الافادة بحسب الظاهر لظهور استلزام هدايته تعالى
للاهتداء ويحمل النظم الكريم على تعظيم شان الاهتداء والتنبيه على انه في كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له
غيره لكفاه بل هو قصر الاهتداء على ما هداه الله تعالى حسبما يقتضيه تعريف الخبر فالمعنى من يهد الله تعالى اي يخلق
فيه الاهتداء على الوجه المذكور فهو المهتدي لا غير كاينا من كان ومن يضلل بان لم يخلق فيه الاهتداء بل خلق
الله فيه الضلالة لصرف اختياره نحوها فاولئك الموصوفون بالضلالة على الوجه المذكور هم الخاسرون اي
الكاملون لا غير وافراد المهتدي نظرا الى لفظ من وجمع الخاسرين نظرا الى معناها للايذان باتحاد منهاج الهدى
وتفرق طرق الضلال ولقد ذرانا كلام مستانف مقرر لمضمون ما قبله بطريق التذييل اي خلقنا لجهنم اي
لدخولها والتعذيب فيها وتقديمه على قوله تعالى كثيرا اي خلقا مع كونه مفعولا به لما في توابعه من نوع طول
يودي توسيطه بينهما وتاخيره عنها الى الاخلال بجزالة النظم الكريم وقوله تعالى من الجن والانس متعلق بمحذوف
هو صفة لكثيرا اي كاينا منهما وتقديم الجن لانهم اعرف من الانس في الاتصاف بما نحن فيه من الصفات واكثر عددا
واقدم خلقا والمراد بهم الذين حقت عليهم الكلمة الازلية بالشقاوة لكن لا بطريق الجبر من غير ان يكون من قبلهم
ما يودي الى ذلك بل لعلمه تعالى بانهم لا يصرفون اختيارهم نحو الحق ابدا بل يصرون على الباطل من غير صارف يلويهم
ولا عاطف يثنيهم من الايات والنذر فبهذا الاعتبار جعل خلقهم معاهم كما نطق به قوله تعالى وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون وقوله تعالى لهم قلوب في محل النصب على انه صفة اخرى لكثيرا وقوله تعالى لا يفقهون
بها في محل الرفع على انه صفة لقلوب موكدة لما يفيده تنكيرها وابهامها من كونها غير معهودة مخالفة لساير
افراد الجنس فاقدة لكماله بالكلية لكن لا بحسب الفطرة حقيقة بل بسبب امتناعهم عن صرفها الى تحصيله
وهذا وصفها بكمال الاغراق في القساوة فانها حيث لم يتات منها الفقه بحال مكانها خلقت غير قابلة له
راسا وكذلك في اعينهم واذانهم وحذف المفعول للتعميم اي لهم قلوب ليس من شانها ان يفقهوا بها شيا مما
من شانه ان يفقه فيدخل فيه ما يليق بالمقام من الحق ودلايله دخولا اوليا وتخفيف بذلك مخل بان فصاح
عن كنه حالهم ولهم اعين لا يبصرون بها الكلام فيه كما فيما عطف هو عليه والمراد بالابصار والسمع الذي ينبغي
ما يختص بالعقلاء بالادراك على ما هو عليه وظيفة الثقلين لا ما يتناول مجرد الاحساس بالشبح والصوت كما
هو وظيفة الانعام اي لا يبصرون بها شيا من المبصرات فيندرج فيه الشواهد التكوينية الدالة على الحق
اندراجا اوليا ولهم اذان لا يسمعون بها اي شيا من المسموعات فيتناول الايات التنزيلية تناولا اوليا واعادة
الخبر في الجملتين المعطوفتين مع انتظام الكلام بان يقال واعين لا يبصرون بها واذان لا يسمعون بها
لتقرير سوء حالهم وفي اثبات المشاعر الثلاثة لهم ثم وصفها بعدم الشعور دون سلبها عنهم ابتداء بان يقال
ليس لهم قلوب يفقهون بها ولا اعين يبصرون بها ولا اذان يسمعون بها من الشهادة بكمال رسوخهم في الجهل
والغواية ما لا يخفى اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات وما فيه من معنى البعد
للايذان ببعد منزلتهم في الضلال اي اولئك الموصوفون بالاوصاف المذكورة كالانعام اي في انتفاء الشعور
على الوجه المذكور او في ان مشاعرهم متوجهة الى اسباب النفس مقصورة عليها بل هم اضل فانها تدرك
ما من شانها ان تدركه من المنافع والمضار مجتهدة في جلبها وسلبها غاية جهدها مع كونها بمعزل من الخلود وهؤلا
ليسوا كذلك حيث لا يميزون بين المنافع والمضار بل يعكسون الامر فيتركون النعيم المقيم ويقدمون على العذاب
الخالد وقيل لانها تعرف صاحبها وتذكره وتطيعه وهؤلاء لا يعرفون ربهم ولا يذكرونه ولا يطيعونه وفي
الخبر كل شيء اطوع لله من بني آدم اولئك المنعوتون بما مر من مثلية الانعام والشرية منها هم الغافلون

الكاملون في الغفلة المستحقون لان يخص بهم هذا الاسم ولا يطلق على غيرهم كيف لا وانهم لا يعرفون من شؤن الله
تعالى ولا شؤن ما سواه شيا فيشركون به سبحانه وليس كمثله شيء وهو السميع البصير اصنامهم التي هي من اخس
مخلوقاته تعالى ولله الاسماء الحسنى تنبيه للمومنين على كيفية ذكره تعالى وكيفية المعاملة مع المخلين بذلك
الغافلين عنه سبحانه وعما لا يليق به من الامور وما لا يليق به اثر بيان غفلتهم العامة وضلالتهم الطامة
والحسنى تانيث الاحسن اي الاسماء التي هي احسن الاسماء واجلها لانبائها عن احسن المعاني واشرفها فادعوه بها
اي فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون في اسمائه الالحاد واللحد الميل والانحراف يقال لحد والحد اذا مال
عن القصد وقرئ يلحدون من الثلاثي اي يميلون في شانها عن الحق الى الباطل اما بان يسموه تعالى بما لا
توقيف فيه او بما يوهم معنى فاسدا كما في قول اهل البدو يا ابا المكارم يا ابيض الوجه يا سخي ونحو ذلك فالمراد
يا ابيض الوجه يا سخي ونحو ذلك فالمراد بالترك المامور به الاجتناب عن ذلك باسمائه ما اطلقوه عليه تعالى و
سموه على زعمهم لا اسماؤه تعالى حقيقة وعلى ذلك يحمل ترك الاضمار بان يقال يلحدون فيها واما بان يعدلوا
عن تسميته تعالى ببعض اسمائه الكريمة كما قالوا وما الرحمن ما نعرف سوى رحمان اليمامة فالمراد بالترك الاجتناب
ايضا وبالاسماء اسماؤه تعالى حقيقة فالمعنى سموه تعالى بجميع اسمائه الحسنى واجتنبوا اخراج بعضها من البين
واما بان يطلقوها على غيره تعالى كما سموا اصنامهم اللهة واما بان يشتقوا من بعضها اسماء اصنامهم كما اشتقوا
اللات من الله والعزى من العزيز فالمراد بالاسماء اسماؤه تعالى حقيقة كما في الوجه الثاني والاظهار في موقع
الاضمار مع التجريد عن الوصف في الكل للايذان بان الحادهم في نفس الاسماء من غير اعتبار الوصف وليس المراد
بالترك حينئذ الاجتناب عن ذلك اذ لا يتوهم صدور مثل هذا الالحاد عن المومنين ليومروا بتركه بل هو الاعراض
عنهم وعدم المبالاة بما فعلوا ترقبا لنزول العقوبة بهم عن قريب كما هو المتبادر من قوله تعالى سيجزون ما كانوا يعملون
فانه استيناف وقع جوابا عن سوال نشا من الامر بعدم المبالاة والاعراض عن المجازاة كانه قيل لم لا يبالي بالحادهم
ولا يتصدى لمجازاتهم فقيل لانهم سينزل بهم عقوبته وتشتفون بذلك عن قريب واما على الوجهين الاولين
فالمعنى اجتنبوا الحادهم كيلا يصيبكم ما اصابهم فانه سينزل بهم عقوبة الحادهم وممن خلقنا امة يهدون
بالحق وبه يعدلون اجمالي لحال من عدى المذكورين من الثقلين الموصوفين بما ذكر من الضلال والالحاد
عن الحق ومحل الظرف الرفع على انه مبتدا اما باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف وما بعده خبره كما مر في
تفسير قوله تعالى ومن الناس الى اخره اي وبعض من خلقنا او وبعض ممن خلقنا امة اي طائفة كثيرة يهدون
الناس ملتبسين بالحق او يهدونهم بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة وبالحق يحكمون في الحكومات
الجارية بينهم ولا يجورون فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا قرا هذه لكم وقد اعطي القوم
مثلها ومن قوم موسى امة الاية وعنه صلى الله عليه وسلم ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى
وروي لا تزال طائفة من امتي على الحق الى ان ياتي امر الله وروي لا تزال من امتي امة قايمة بامر الله تعالى
لا يضرهم من خذلهم حتى ياتي امر الله وهم ظاهرون وفيه من الدلالة على صحة الاجماع ما لا يخفى والاقتصار
عن نعتهم بهداية الناس للايذان بان اهتداءهم في انفسهم امر محقق غني عن التصريح عنه والذين كذبوا باياتنا
شروع في تحقيق الحق الذي يهدي به الهادون وبه يعدل العادلون ويحمل الناس على الاهتداء به على وجه الترتيب
ومحل الموصول الرفع على انه مبتدا خبره ما بعده من الجملة الاستقبالية واضافة الايات الى نون العظمة
لتشريفها واستعظام الاقدام على تكذيبها اي والذين كذبوا باياتنا التي هي معاد الحق ومصداق الصدق
والعدل سنستدرجهم سنستدنيهم البتة الى الهلاك شيا فشيا والاستدراج استفعال من درج اما
بمعنى صعد ثم اتسع فيه فاستعمل في كل نقل تدريجي من حال الى من الاحوال الملايمة للمنتقل الموافقة لهواه
بحيث يزعم ان ذلك ترق في مراقي منافعه مع انه في الحقيقة تردٍ في مهاوي مصارعه فاستدراجه سبحانه

بين ايديهم

اياهم ان تواتر عليهم النعم من انهماكهم في الغي فيحسبوا انها لطف بهم منه تعالى فيزدادوا بطرا وطغيانا لكن لا على
ان المطلوب تدرجهم في مراتب النعم بل هو تدرجهم في مدارج المعاصي الى ان يحق عليهم كلمة العذاب
على افظع حال واشنعها والاول وسيلة اليه وقوله تعالى من حيث لا يعلمون متعلق بمضمر وقع صفة لمصدر
الفعل المذكور اي سنستدرجهم استدراجا كائنا من حيث لا يعلمون انه كذلك بل يحسبون انه اثرة من الله
عز وجل وتقريب منه وقيل لا يعلمون ما يراد بهم واملي لهم عطف على سنستدرجهم غير داخل في حكم السين
لما ان الاملاء هو عبارة عن الامهال والاطالة ليس من الامور التدريجية كالاستدراج الحاصل في نفسه شيئا فشيئا بل
هو فعل يحصل دفعة وانما الحاصل بطريق التدريج آثاره واحكامه لا نفسه كما يلوح به تغيير التعبير بتوحيد الضمير
مع ما فيه من الافتنان المبني على مزيد الاعتناء بمضمون الكلام لابتنائه على تجدد القصد والعزيمة واما ان ذلك
للاشعار بانه بمحض التقدير الالهي والاستدراج بتوسط المدبرات فمبناه دلالة نون العظمة على الشركة في ذلك
والاحتراز عن ايرادها وقوله تعالى لا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم الاية بل بما لا ايرادها في امثال
هذه الموارد بطريق الجريان على سنن الكبرياء ان كيدي متين تقرير للوعيد وتكرير له اي قوي لا يدافع بقوة ولا بحيلة
والمراد به اما الاستدراج والاملاء مع نتيجتهما التي هي الاخذ الشديد على غرة فتسميته كيدا لما ان ظاهره لطف وباطنه
قهر واما نفس ذلك الاخذ فقط فالتسمية لكون مقدماته كذلك واما ان حقيقة الكيد هو الاخذ على خفاء من غير
ان يعتبر فيه اظهار خلاف ما ابطنه فيه مما لا تعويل عليه مع عدم مناسبة المقام ضرورة استدعائه لاعتبار
القيد المذكور حتما اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة كلام مبتدأ مسوق لانكار عدم تفكرهم في شأنه عليه الصلاة والسلام
وجهلهم بحقيقة حاله الموجبة للايمان به وبما انزل عليه من الآيات التي كذبوا بها والهمزة للانكار والتعجب والتوبيخ
والواو للعطف على مقدر يستدعيه سياق النظم الكريم وسباقه وما اما استفهامية انكارية في محل الرفع بالابتداء
والخبر بصاحبهم وما نافية اسمها جنة وخبرها بصاحبهم والجنة من المصادر التي يراد بها الهيئة كالركبة والجلسة و
تنكيرها للتقليل والتحقير والجملة متعلقة بفعل التفكر لكونه من افعال القلوب ومحلها على الوجهين النصب على نزع
الجار اي اكذبوا بها ولم يتفكروا في اي شيء من جنون ما كائنا بصاحبهم الذي هو اعظم الامة الهادية بالحق وعليه
انزلت تلك الآيات او في انه ليس بصاحبهم شيء من جنة حتى يؤديهم التفكر في ذلك الى الوقوف على صدقه وصحة
نبوته فيؤمنوا به وبما انزلت عليه من الآيات وقيل قد تم الكلام عند قوله تعالى اولم يتفكروا اي كذبوا بها ولم
يفعلوا التفكر ثم ابتدئ فقيل اي شيء بصاحبهم من جنة ما على طريقة الانكار والتعجب والتبكيت او قيل
ليس بصاحبهم شيء منها والتعبير عنه صلى الله عليه وسلم عن شائبة ما ذكر ففيه تأكيد للتنكير والتشديد له و
التعرض لنفي الجنون عنه صلى الله عليه وسلم مع وضوح استحالة ثبوته له صلى الله عليه وسلم لما ان المتكلم مما
هو خارق لقضية العقول والعادات لا يصدر الا عمن به مس من الجنون كيف ما اتفق من غير ان يكون له اصل ومعنى
او عمن له تأييد الهي يخبر به عن الامور الغيبية واذ ليس به صلى الله عليه وسلم شائبة الاول تعين انه صلى الله عليه
وسلم مؤيد من عند الله تعالى وقيل انه صلى الله عليه وسلم علا الصفا ليلا فجعل يدعو قريشا فخذا فخذا يحذرهم
بأس الله تعالى فقال قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون بات يصوت الى الصباح فنزلت فالتصريح بنفي الجنون حينئذ
للرد على عظيمتهم الشنعاء والتعبير عنه صلى الله عليه وسلم بصاحبهم وارد على شاكلة كلامهم مع ما فيه من النكتة
المذكورة وقوله تعالى ان هو الا نذير مبين جملة مقررة لمضمون ما قبلها ومبينة لحقيقة حاله صلى الله عليه
وسلم على منهاج قوله تعالى ان هذا الا ملك كريم بعد قوله تعالى ما هذا بشرا اي ما هو صلى الله عليه وسلم
الا مبالغ في الانذار ومظهر له غاية الاظهار ابرازا لكمال الرأفة ومبالغة في الاعذار وقوله تعالى اولم ينظروا
في ملكوت السموات والارض استيناف اخر مسوق للانكار والتوبيخ باخلالهم بالتأمل في الآيات التكوينية
المنصوبة في الآفاق والانفس الشاهدة بصحة مضمون الآيات المنزلة اثر ما نعي عليهم اخلالهم بالتفكر في شأنه

صلى الله عليه وسلم

[هامش: بصاحبهم للايذان بان طول مصاحبتهم له صلى الله عليه وسلم مما يطلعهم على نزاهته صلى الله عليه وسلم]

صلى الله عليه وسلم والهمزة لما ذكر من الانكار والتعجب والتوبيخ والواو للعطف على المقدر المذكور وعلى الجملة المنفية
والملكوت الملك العظيم اي كذبوا بها ولم يتفكروا فيما ذكر ولم ينظروا نظر تأمل فيما يدل عليه السموات والارض
من عظم الملك وكمال القدرة وما خلق الله اي وفيما خلق فيهما على انه عطف على ملكوت وتخصيصه بهما لكمال ظهور
عظم الملك فيهما او في ملكوت ما خلق على انه عطف على السموات والارض والتعميم للاشتراك الكلي في الدلالة
على عظم الملك في الحقيقة وعليه قوله تعالى فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وقوله تعالى من شيء بيان لما
خلق مفيد لعدم اختصاص الدلالة المذكورة بجلائل المصنوعات دون دقائقها والمعنى اولم ينظروا في ملكوت
السموات والارض وما خلق فيهما من جليل ودقيق مما ينطلق عليه اسم الشيء ليدلهم على ذلك العلم بوحدانيته تعالى
وبشأن من شؤونه التي ينطق بها تلك الآيات فهو منواجها لانكارهما في المدلول فان كل فرد من افراد الاكوان
مما عرفوها دليل لائح على الصانع المجيد وسبيل واضح الى عالم التوحيد وقوله تعالى وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم
عطف على ملكوت وان مخففة من ان واسمها ضمير الشان وعسى خبرها مع فاعلها الذي هو ان يكون واسم يكون
ايضا ضمير الشان والخبر قد اقترب اجلهم والمعنى اولم ينظروا في ان الشان عسى ان يكون الشان قد اقترب
اجلهم وقد جوز ان يكون اجلهم وخبرها قد اقترب على انها جملة من فعل وفاعل هو ضمير اجلهم لتقدمه حكما
واياما كان فمناط الانكار والتوبيخ تاخرهم للنظر والتأمل اي لعلهم يموتون عما قريب فما لهم لا يسارعون الى
التدبر في الآيات التكوينية والاضافة الى ضميرهم لملابستهم لها من جهة انكارهم لها وبحثهم عنها وقوله تعالى
فبأي حديث بعده يؤمنون قطع لاحتمال ايمانهم راسا ونفي له بالكلية مرتب على ما ذكر من تكذيبهم بالآيات واخلالهم
بالتفكر والنظر والباء متعلقة بيؤمنون وضمير بعده للآيات على حذف المضاف المفهوم من كذبوا والتذكير
باعتبار كونها قرآنا او بتأويلها بالمذكور واجري الضمير مجرى اسم الاشارة والمعنى كذبوا بها ولم يتفكروا
فيما يوجب قصد تيقظا من احواله صلى الله عليه وسلم واحوال المصنوعات فبأي حديث يؤمنون بعد تكذيبه
صلى الله عليه وسلم ومعه مثل هذه الشواهد القوية كلا وهيهات وقيل الضمير للقرآن والمعنى فبأي
حديث بعد القرآن يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان وقيل هو انكار وتبكيت لهم مرتب
على اخلالهم بالمسارعة الى التأمل فيهما كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الى الايمان بالقرآن
قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وباي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا وقيل الضمير لاجلهم
والمعنى فباي حديث بعد انقضاء اجلهم يؤمنون وقيل للرسول صلى الله عليه وسلم على حذف مضاف اي فباي
حديث بعد حديثه يؤمنون وهو اصدق الناس وقوله تعالى من يضلل الله فلا هادي له استيناف مقرر
لما قبله منبئ عن الطبع على قلوبهم ويذرهم في طغيانهم بالياء والرفع على الاستيناف اي وهو يذرهم وقرئ
بنون العظمة على طريقة الالتفات اي ونحن نذرهم وقرئ بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادي له
كانه قيل من يضلل الله لا يهده احد ويذرهم وقرئ بالجزم بالنون عن نافع وابي عمرو في الشواذ وقوله
تعالى يعمهون اي يترددون ويتحيرون حال من مفعول نذرهم وتوحيد الضمير في حيز النفي نظرا الى
لفظ من وجمعه في حيز الاثبات نظرا الى معناها للتنصيص على شمول النفي والاثبات للكل يسألونك عن الساعة
استيناف مسوق لبيان بعض احكام ضلالهم وطغيانهم اي عن القيامة وهي من الاسماء الغالبة واطلاقها
عليها اما لوقوعها بغتة او لسرعة ما فيها من الحساب او لانها ساعة عند الله تعالى مع طولها في نفسها
قيل ان قوما من اليهود قالوا يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي وكان ذلك
امتحانا منهم مع علمهم انه تعالى قد استأثر بعلمها وقيل السائلون قريش وقوله تعالى ايان مرساها
بفتح الهمزة وقد قرئ بكسرها وهو ظرف زمان متضمن لمعنى الاستفهام ويليه المبتدأ او الفعل المضارع
دون الماضي بخلاف متى حيث يليها كلاهما وقيل اشتقاقه من اي فعل كان منه لان معناه اي وقت

[هامش: الشاهدة بما كذبوا من الآيات القرآنية وقد يجوز ان يكون الاجل اقتراب الساعة صح]

وهو من ارسيت الي الشيء لان البعض اولي الكل مسا ند اليه ومحله الرفع علي انه خبر مقدم ومرساها مبتدا موخر اي
متي ارساوها اي اثباتها وتقديرها فانه مصدر ميمي من ارساه اذا اثبته واقره ولا يكاد يستعمل الا في الشيء الثقيل كما في
قوله تعالي والجبال ارساها ومنه مرساة النفس ومحل الجملة **قيل** الجر علي البدلية من الساعة والتحقيق ان محلها
النصب بنزع الخافض لانها بدل من الجار والمجرور لا من المجرور فقط كانه قيل يسئلونك عن الساعة عن ايان مرساها
وفي تعليق السوال بنفس الساعة اولا وبوقت وقوعها ثانيا تنبيه علي ان المقصد الاصلي من السوال نفسها باعتبار حلولها
في وقتها المعين لا وقتها باعتبار كونه محلا لها وقد سلك هذا المسلك في الجواب الملقن ايضا حيث اضيف العلم
المطلوب بالسوال الي ضميرها فاخبر باختصاصه به عز وجل حيث قيل **قل انما علمها** اي علمها بالاعتبار المذكور **عند ربي**
ولم يقل انما علم وقت ارسائها ومن لم يتنبه لهذه النكتة حمل النظم الكريم علي حذف المضاف والتعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الي ضميره صلي الله عليه وسلم للايذان بان توفيقه صلي الله عليه وسلم للجواب علي الوجه المذكور من باب
التربية والارشاد ومعني كونه عنده تعالي خاصة انه تعالي قد استاثر به بحيث لم يخبر به احدا من ملك مقرب او نبي
مرسل وقوله تعالي **لا يجليها لوقتها الا هو** بيان لاستمرار تلك الحالة الي حين قيامها واقناط كلي عن اظهار امرها
بطريق الاخبار من جهته او من جهة غيره لاقتضاء الحكمة التشريعية اياه فانه ادعي الي الطاعة وازجر عن المعصية
كما ان اخفاء الاجل الخاص للانسان كذلك والمعني لا يكشف عنها ولا يظهر للناس امرها الذي تسئلونني عنه
الا هو بالذات من غير ان يشعر به احد من المخلوقين فيتوسط في اظهاره لهم لكن لا بان يخبرهم بوقتها قبل مجيئه
كما هو المسئول بل بان يقيمها فيشاهدوها عيانا كما يفصح عنه التجلية المنبئة عن الكشف التام المزيل للابهام
بالكلية وقوله تعالي لوقتها اي في وقتها قيد للتجلية بعد ورود الاستثناء عليها لا قبله كانه قيل لا يجليها
الا هو في وقتها الا انه قدم علي الاستثناء للتنبيه من اول الامر علي ان تجليتها ليست بطريق الاخبار بوقتها
بل باظهار عينها في وقتها الذي يسئلون عنه قوله تعالي **ثقلت في السموات والارض** استيناف كما قبله مقرر
لمضمون ما قبله اي كبرت وشقت علي اهلهما من الملئكة والثقلين كل منهم اهمه اخفاؤها وخروجها عن دائرة
العقول **وقيل** عظمت عليهم حيث يشفقون منها ويخافون شدائدها واهوالها **وقيل** ثقلت فيهما اذ لا
يطيقها منهما وما فيهما شيء اصلا والاول هو الانسب بما قبله وبما بعده من قوله تعالي **لا تاتيكم الا بغتة** فانها ايضا
استيناف مقرر لمضمون ما قبله فلا بد من اعتبار الثقل حيث خفاء اي لا تاتيكم الا فجاءة علي غفلة **كما قال**
صلي الله عليه وسلم ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في
سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه **يسئلونك كانك حفي عنها** استيناف مسوق لبيان خطاهم في توجيه السوال
الي رسول الله صلي الله عليه وسلم بناء علي زعمهم انه صلي الله عليه وسلم عالم بالمسئول عنه وان العلم بذلك من
موجب الرسالة اثر بيان خطاهم في اصل السوال باعلام الشان المسئول عنه والجملة التشبيهية في محل النصب
علي انها حال من الكاف جيء بها بيانا لما يدعوهم الي السوال علي زعمهم واشعارا بخطاهم في ذلك اي يسئلونك
مشبها حالك عندهم بحال من هو حفي عنها اي مبالغ في العلم بها فعيل من حفي وحقيقته كانك مبالغ في السوال
عنها فان ذلك في حكم المبالغة في العلم بها لما ان من بالغ في السوال عن شيء والبحث عنه استحكم علمه به
ومبني التركيب علي المبالغة والاستقصاء ومنه احفاء الشارب واحتفاء البقل اي استيصاله والاحفاء في
المسئلة اي الالحاف بها **وقيل** عن متعلق بيسئلونك وقوله تعالي كانك حفي معترض وصلة حفي محذوفة
اي حفي بها وقد قري كذلك **وقيل** هو من الحفاوة بمعني البر والشفقة فان قريشا قالوا له صلي الله عليه
عليه وسلم ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متي والمعني يسئلونك كانك حفي تتحفي بهم فتخصهم بتعليم وقتها
لاجل القرابة وتزوي امرها عن غيرهم ففيه تخطيه لهم من جهتين **وقيل** هو من حفي بالشيء بمعني فرح به
والمعني كانك فرح بالسوال عنها تحبه مع انك كاره له لما انه تعرض لحرم الغيب الذي استاثر الله بعلمه

قل انما

قل انما علمها عند الله امر صلي الله عليه وسلم باعادة الجواب الاول تاكيدا للحكم وتقريرا له واشعارا
بعلمه علي الطريقة البرهانية بايراد اسم الذات المنبئ عن استتباعها لصفات الكمال التي من جملتها العلم وتمهيدا
للتعرض بجهلهم بقوله تعالي **ولكن اكثر الناس لا يعلمون** اي لا يعلمون ما ذكر من اختصاص علمها به تعالي فبعضهم
ينكرونها راسا فلا يعلمون شيئا مما ذكر قطعا وبعضهم يعلمون انها واقعة البتة ويزعمون انك واقف علي وقت
وقوعها فيسئلونك عنها جهلا وبعضهم يدعون ان العلم بذلك من مواجب الرسالة فيتخذون السوال
عنها ذريعة الي القدح في رسالتك والمستثني من هولاء هم الواقفون علي جلية الحال من المومنين واما السائلون
عنها من اليهود بطريق الامتحان فهم منتظمون في سلك الجاهلين حيث لم يعملوا بعلمهم وقوله تعالي **قل لا املك
لنفسي نفعا ولا ضرا** شروع في الجواب عن السوال ببيان عجزه عن علمها اثر بيان عجز الكل عنه وابطال زعمهم
الذي بنوا عليه سوالهم من كونه صلي الله عليه وسلم ممن يعلمها واعادة الامر لاظهار كمال الاعتناء بشان الجواب
والتنبيه علي استقلاله ومغايرته للاول والتعرض لبيان عجزه عما ذكر من النفع والضر لاثبات عجزه عن علمها
بالطريق البرهاني واللام اما متعلق باملك او بمحذوف وقع حالا من نفعا اي لا اقدر لاجل نفسي علي جلب
نفع ما ولا علي دفع ضر ما **الا ما شاء الله** اي املكه من ذلك بان يلهمنيه فيمكنني منه ويقدرني عليه ولكن
ما شاء الله من ذلك كائن فالاستثناء منقطع وهذا ابلغ في اظهار العجز **ولو كنت اعلم الغيب** اي جنس الغيب
الذي من جملته ما بين الاشياء من المناسبات المصححة عادة للسببية والمسببية ومن المباينات المستتبعة
للمدافعة والممانعة **لاستكثرت من الخير** اي لحصلت كثيرا من الخير الذي نيط بتحصيله بالافعال الاختيارية
للبشر بترتيب اسبابه ودفع موانعه **وما مسني السوء** اي السوء الذي يمكن التفصي عنه بالتوقي عن
موجباته والمدافعة بموانعه لا سوء ما فات منه مما لا مدفع له **ان انا الا نذير وبشير** اي ما انا الا عبد
مرسل للانذار والبشارة حيازة ما يتعلق بها من العلوم الدينية والدنيوية لا الوقوف علي الغيوب التي لا علاقة
بينها وبين الاحكام والشريعة وقد كشفت من امر الساعة ما يتعلق به الانذار من مجيئها لا محالة واقترابها واما
تعيين وقتها فليس مما يستدعيه الانذار بل هو مما يقدح فيه لما مر من ان ابهامه ادعي الي الانزجار عن
المعاصي وتقديم النذير فيهما علي البشير لما ان المقام مقام الانذار وقوله تعالي **لقوم يومنون** اما متعلق
بهما جميعا لانهم ينتفعون بالانذار كما ينتفعون بالبشارة واما بالبشير فقط وما يتعلق بالنذير محذوف
اي نذير للكافرين اي الباقين علي الكفر وبشير لقوم يومنون اي في اي وقت كان ففيه ترغيب للكفرة
في احداث الايمان وتحذير عن الاصرار علي الكفر والطغيان **هو الذي خلقكم** استيناف مسوق لبيان كمال
عظم جناية الكفرة في جراتهم علي الاشراك بتذكير مبادي احوالهم المنافية له وايقاع الموصول خبرا لتفخيم
شان المبتدا اي هو علي ذلك العظيم الشان الذي خلقكم جميعا وحده من غير ان يكون لغيره مدخل في ذلك
بوجه من الوجوه **من نفس واحدة** هو آدم عليه الصلاة والسلام وهذا نوع تفصيل لما اشير اليه في مطلع
السورة الكريمة اشارة اجمالية من خلقهم وتصويرهم في ضمن خلق آدم وتصويره وبيان لكيفيته **وجعل** عطف
علي خلقكم داخل في حكم الصلة ولا ضير في تقدمه عليه وجودا لما ان الواو لا تستدعي الترتيب في الوجود
منها اي من جنسها كما في قوله تعالي جعل لكم من انفسكم ازواجا او من جسدها **لما يروي** انه تعالي خلق
حواء من ضلع من اضلاع آدم عليه الصلاة والسلام والاول هو الانسب اذ الجنسية هي الموذية الي الغاية
والاشارة الخبرية والجعل اما بمعني التصيير في قوله تعالي **زوجها** مفعوله الاول والثاني هو الظرف
المقدم واما بمعني الانشاء والظرف متعلق بجعل قدم علي المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم
والتشويق الي الموخر او بمحذوف هو حال من المفعول والاول هو الاولي لقوله تعالي **ليسكن اليها** علة
غائية للجعل باعتبار تعلقه بمفعوله الثاني اي ليستانس بها ويطمئن اليها اطمئنانا مصححا للازدواج

كما يلوح به ذلك تذكير الضمير ويفصح عنه قوله تعالى **فلما تغشاها** اي جامعها **حملت حملا خفيفا** في مبادي الامر
فانه عند كونه نطفة او علقة او مضغة اخف عليها بالنسبة الى ما بعد ذلك من المراتب والتعرض لذكر خفته للاشارة
الى نعمته تعالى عليهم في انشائه تعالى اياهم متدرجين في اطوار الخلق من العدم الى الوجود ومن الضعف الى القوة
فمرت به فاستمرت به كما كانت **قبل** حيث قامت وقعدت واخذت وتركت وعليه قراءة ابن عباس رضي الله عنهما
وقرئ فمرت بالتخفيف وفمارت من المور وهو المجي والذهاب او من المرية اي فظنت الحمل وارتابت **واما ما قيل**
من ان المعنى حملت حملا خف عليها ولم تلق منه ما يلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذية ولم تستثقله كما
تستثقله الحبالى فمرت اي فمضت به الى ميلاده من غير اخداج ولا ازلاق فيرده قوله تعالى **فلما اثقلت** اذ معناه
فلما صارت ذات ثقل بكبر الولد في بطنها ولا ريب في ان الثقل بهذا المعنى ليس مقابلا للخفة بالمعنى المذكور انما
مقابلها الكرب الذي يعتري بعضهن من اول الحمل الى اخره دون بعض اصلا **وقرئ** اثقلت على البناء للمفعول اي
اثقلها حملها **دعوا الله** اي آدم وحواء لما دهمهما امر لم يعهداه ولم يعرفا ماله فاهتما وتضرعا الى الله عز وجل
وقوله تعالى **ربهما** اي مالك امرهما الحقيق بان يخص به الدعاء اشارة الى انهما قد صدرا به دعاءهما كما في قوله
تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الاية ومتعلق الدعاء محذوف تعويلا على شهادة الجملة القسمية به اي دعواه تعالى ان
يؤتيهما صالحا ووعدا بمقابلة الشكر على سبيل التوكيد القسمي وقالا او قائلين **لئن آتيتنا صالحا** اي ولدا من جنسنا
سويا **لنكونن** نحن ومن يتناسل من ذريتنا **من الشاكرين** الراسخين في الشكر على نعمائك التي من جملتها هذه النعمة
وترتيب هذا الجواب على الشرط المذكور لما انهما قد علما ان ما علقا به دعاءهما انموذج لسائر افراد الجنس ومعيار
لها ذاتا وصفة ووجوده مستتبع لوجودها ومن صلاحه مستلزم لصلاحها فالدعاء في حقه متضمن للدعاء في
حق الكل مستتبع له كانهما قالا لئن آتيتنا وذريتنا اولادا صالحة **وقيل** ان ضمير آتيتنا ايضا لهما وللكل من
يتناسل من ذريتهما فالوجه وانت خبير بان نظم الكل في سلك الدعاء الطالة يأباه مقام المبالغة في الاعتناء بشأن
ما هما بصدده واما جعل ضمير لنكونن للكل فلا محذور فيه لان توسيع دائرة الشكر غير مخل بالاعتناء المذكور بل مؤكد له
وايا ما كان فمعنى قوله تعالى **فلما آتاهما صالحا جعلا** اي جعل اولادهما له تعالى **له شركاء** على حذف المضاف واقامة
المضاف اليه مقامه ثقة بوضوح الامر وتعويلا على ما يقتضيه من الشان وكذا الحال في قوله تعالى **فيما آتاهما** اي
فيما آتى اولادهما من الاولاد حيث سموهم بعبد مناف وعبد العزى ونحو ذلك وتخصيص اشراكهم هذا بالذكر
في مقام التوبيخ مع ان اشراكهم بالعبادة اغلظ منه جناية واقدم وقوعا لما ان مساق النظم الكريم لبيان اخلالهم
بالشكر في مقابلة الولد الصالح واول كفرهم في حقه انما هو تسميتهم اياه بما ذكر **وقرئ** شركا اي شركة او
ذوي شركة اي شركاء ان قيل ما ذكر من حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه انما يصار اليه فيما يكون
للفعل ملابسة ما بالمضاف اليه ايضا بسر الله تعالى بسر الله اليه حقيقة او حكما ويتضمن نسبته اليه صورة مزية
يقتضيها المقام كما في مثل قوله تعالى واذ انجيناكم من آل فرعون الاية فان الانجاء منهم مع تعلقه [illegible]
ليس الا باسلاف اليهود وقد نسب الى اخلافهم بحكم سرايته اليهم توفية لمقام الامتنان حقه وكذا قوله
تعالى فلم تقتلون انبياء الله الاية فان القتل حقيقة مع كونه من جنايات آبائهم قد اسند اليهم بحكم رضاهم
به اداء لحق مقام التوبيخ والتبكيت ولا ريب في انهما عليهما السلام بريئان من سراية الجعل المذكور اليهما بوجه
من الوجوه فما وجه اسناده اليهما صورة **قلنا** وجهه للايذان بتركهما الاولى حيث اقدما على نظم
اولادهما في سلك انفسهما والتزما شكرهم في ضمن شكرهما واقسما على ذلك قبل تعرف احوالهم ببيان ان
اخلالهم بالشكر الذي وعداه مؤكدا باليمين بمنزلة اخلالهما به بالذات في استيجاب الحنث والخلف مع ما فيه
من الاشعار بتضاعيف جنايتهم ببيان انهم بجعلهم المذكور اوقعوهما في ورطة الحنث والخلف وجعلوهما
كانهما باشراه بالذات فجمعوا بين الجناية على الله تعالى والجناية عليهما **فتعالى الله عما يشركون** تنزيه فيه معنى التعجب

والفاء للترتيب

والفاء للترتيب على ما فصل من احكام قدرته تعالى وآثار نعمته الزاجرة عن الشرك الداعية الى التوحيد وصيغة الجمع لما
اشير اليه من تعين الفاعل وتنزيه آدم وحواء عن ذلك وما في عما اما مصدرية اي عن اشراكهم او موصولة اي عما
يشركون به سبحانه والمراد باشراكهم اما تسميتهم المذكورة او مطلق اشراكهم المنتظم انتظاما اوليا **وقرئ**
تشركون بتاء الخطاب بطريق الالتفات **وقيل** الخطاب لآل قصي من قريش والمراد بالنفس الواحدة نفس قصي
فانهم خلقوا منه وكان له زوج من جنسه عربية قرشية فطلبا من الله تعالى ولدا صالحا فاعطاهما ثلاثة بنين
فسمياهم عبد مناف وعبد العزى وعبد الدار وضمير يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما واما ما قيل انه لما حملت
حواء اتاها ابليس في صورة رجل فقال لها ما يدريك ما في بطنك لعله بهيمة او كلب او خنزير وما يدريك من اين يخرج
فخافت من ذلك فذكرته لآدم عليه السلام فاهمهما ذلك ثم عاد اليها وقال اني من الله بمنزلة فان دعوته ان يجعله
خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثا في الملائكة فقبلت فلما ولدت سمته
عبد الحارث فمما لا تعويل عليه كيف لا وانه عليه السلام كان علما في علم الاسماء والمسميات فعدم علمه بابليس و
اتباعه اياه في مثل هذا الشان الخطير امر قريب من المحال. والله اعلم بحقيقة الحال **ايشركون** استئناف مسوق
لتوبيخ كافة المشركين واستقباح اشراكهم على الاطلاق وابطاله بالكلية ببيان شان ما اشركوا به سبحانه وتفصيل
احواله القاضية ببطلان ما اعتقدوه في حقه اي ايشركون به تعالى **ما لا يخلق شيئا** اي لا يقدر على ان يخلق
شيئا من الاشياء اصلا ومن حق المعبود ان يكون خالقا لعابده لا محالة وقوله تعالى **وهم يخلقون** عطف على لا يخلق
وايراد الضميرين بجمع العقلاء مع رجوعهما الى المعنى بها من الاصنام انما هو بحسب اعتقادهم فيها واجرائهم لها
مجرى العقلاء وتسميتهم لها آلهة وكذا حال سائر الضمائر الاتية ووصفها بالمخلوقية بنفي الخالقية لابانة
كمال منافاة حالها لما اعتقدوه في حقها واظهار لغاية جهلهم فان اشراك ما لا يقدر على خلق شيء بخالق
وخالق جميع الاشياء مما لا يمكن ان يسوغه من له عقل في الجملة وعدم التعرض لخالقها للايذان بتعينه والاستغناء
عن ذكره **ولا يستطيعون لهم** اي لعبدتهم اذا حزبهم امر مهم. وخطب ملم **نصرا** اي نصرا ما بجلب منفعة او دفع
مضرة **ولا انفسهم ينصرون** اذا اعتراهم حادثة من الحوادث اي لا يدفعونها عن انفسهم وايراد النصر للمشاكلة
وهذا بيان لعجزهم عن ايصال منفعة ما من المنافع الوجودية والعدمية الى عبدتهم وانفسهم بعد بيان عجزهم
عن ايصال منفعة الوجود اليهم والى انفسهم خلا انهم خلقوا هناك بالمخلوقية لكونهم اهلا لهم وههنا لم
يوصفوا بالمنصورية لانهم ليسوا اهلا لها وقوله تعالى **وان تدعوهم الى الهدى** بيان لعجزهم عما هو ادنى
من النصر المنفي عنهم وايسر وهو مجرد الدلالة على المطلوب والارشاد الى طريق حصوله من غير ان يحصله
للطالب والخطاب للمشركين بطريق الالتفات المنبي عن مزيد الاعتناء بامر التوبيخ والتبكيت ان تدعوهم
ايها المشركون الى ان يهدوكم الى ما تحصلون به المطالب او تنجون به عن المكاره **لا يتبعوكم** الى مرادكم
وطلبتكم **وقرئ** بالتخفيف وقوله تعالى **سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون** استئناف مقرر لمضمون ما
قبله ومبين لكيفية عدم الاتباع اي مستو عليكم في عدم الافادة دعاؤكم لهم وسكوتكم البحت فانه لا يتغير
حالكم في الحالتين كما لا يتغير حالهم بحكم الحادثة وقوله تعالى ام انتم صامتون جملة اسمية في معنى
الفعلية معطوفة على الفعلية لانها في قوة ام صمتم عدل عنها للمبالغة في عدم افادة الدعاء ببيان مساواته
للسكوت الدائم المستمر وما قيل ان الخطاب للمسلمين والمعنى وان تدعوا المشركين الى الهدى اي الاسلام لا يتبعوكم
الى آخره لا يساعده سياق النظم الكريم وسياقه اصلا على انه لو كان كذلك لقيل عليهم مكان عليكم كما في قوله
تعالى سواء عليهم أانذرتهم ام لم تنذرهم فان استواء الدعاء وعدمه انما هو بالنسبة الى المشركين لا بالنسبة
الى الداعين فانهم فائزون بفضل الدعوة **ان الذين تدعون من دون الله** تقرير لما قبله من عدم اتباعهم لهم
اي الذين تعبدونهم من دون الله تعالى من الاصنام وتسمونهم آلهة **عباد امثالكم** اي مماثلة لكم لكن لا من

كل وجه بل من حيث انها مملوكة لله عز وجل مسخرة لامره عاجزة عن النفع والضر وتشبيهها بهم في ذلك مع كون
عجزها عنهم اظهر واقوى من عجزهم انما هو لاعترافهم بعجز انفسهم وادعائهم لقدرتها عليهما اذ هو الذي يدعوهم
الى عبادتها والاستعانة بها وقوله تعالى **فادعوهم فليستجيبوا لكم** تحقيق لمضمون ما قبله بتعجيزهم وتبكيتهم
اي فادعوهم في جلب نفع او كشف ضر **ان كنتم صادقين** في زعمكم انهم قادرون على ما انتم عاجزون عنه وقوله
تعالى **الهم ارجل يمشون بها** الى اخره تبكيت اثر تبكيت موكد لما يفيده الامر التعجيزي من عدم الاستجابة ببيان
فقدان آلاتها بالكلية فان الاستجابة من الهياكل الجسمانية انما يتصور اذا كان لها حاسة وقوى محركة ومدركة
وما ليس له شيء من ذلك فهو بمعزل من الافاعيل بالمرة كانه قيل الهم هذه الالات التي بها يتحقق الاستجابة حتى
يمكن استجابتهم لكم وقد وجه الانكار الى كل واحد من هذه الآلات الاربع على حدة تكريرا للتبكيت وتثنية للتقريع
واشعارا بان كل واحد منها بحيالها كاف في الدلالة على استحالة الاستجابة ووصف الارجل بالمشي بها للايذان بان
مدار الانكار هو الوصف وانما وجه الى الارجل بان يقال ايمشون بارجلهم لتحقيقها حيث لم نظهر منها ما نظهر
من سائر الارجل فهي ليست بارجل في الحقيقة وكذا الكلام فيما بعد من الجوارح الثلاث الباقية وكلمة ام في
قوله تعالى **ام لهم ايد يبطشون بها** منقطعة وما فيها من الهمزة لما مر من التبكيت والالزام وبل للاضراب المفيد
للانتقال من فن من التبكيت بعد تمامه الى فن آخر منه لما ذكر من الخزايا والبطش الاخذ بقوة **وقرئ** يبطشون
بضم الطاء وهي لغة فيه والمعنى بل الهم ايد ياخذون بها ما يريدون اخذه وتاخير هذا عما قبله لما ان المشي
حالهم بالنسبة الى الغير واما تقديمه على قوله تعالى **ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها** مع ان الكل سوا
في انها من احوالهم بالنسبة الى الغير فلم اعاد المقابلة بين الايدي والارجل ولان انتفاء المشي والبطش اظهر
والتبكيت بذلك اقوى واما تقديم الاعين فلما انها اشهر من الاذان واظهر عينا واثرا هذا **وقد قرئ**
ان الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم على اعمال ان النافية عمل ما الحجازية اي ما الذين تدعون من دونه
تعالى عبادا امثالكم بل ادنى منكم فيكون قوله تعالى الهم الى اخره تقريرا لنفي المماثلة باثبات القصور والنقصان
قل ادعوا شركاءكم بعد ما بين ان شركاءهم لا يقدرون على شيء ما اصلا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان
يناصبهم للمحاجة ويكر عليهم التبكيت والقام الحجر ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم على **ثم كيدون** جميعا انتم
وشركاؤكم وبالغوا في ترتيب ما تقدرون عليه من مبادي الكيد والمكر **فلا تنظرون** اي فلا تمهلون ساعة بعد
ترتيب مقدمات الكيد فاني لا ابالي بكم اصلا **ان وليي الله الذي نزل الكتاب** تعليل لعدم المبالاة المنفهم
من السوق انفهاما جليا ووصفه تعالى بتنزيل الكتاب للاشعار بدليل الولاية والاشارة الى علة اخرى لعدم
المبالاة كانه قيل لا ابالي بكم وبشركائكم لان وليي الله هو الذي نزل الكتاب الناطق بانه وليي وناصري وبان
شركاءكم لا يستطيعون نصر انفسهم فضلا عن نصركم وقوله تعالى **وهو يتولى الصالحين** تذييل مقرر لمضمون
ما قبله اي ومن عادته ان يتولى الصالحين من عباده وينصرهم ولا يخذلهم **والذين تدعون** اي تعبدونهم
من دونه تعالى او تدعونهم للاستعانة بهم على حسب ما امرتكم به **لا يستطيعون نصركم** اي في امر من الامور
او في خصوص الامر المذكور **ولا انفسهم ينصرون** اذا نابتهم نائبة **وان تدعوهم الى الهدى** اي الى ان يهدوكم الى ما
تحصلون به مقاصدكم على الاطلاق او في خصوص الكيد المعهود **لا يسمعوا** اي دعاءكم فضلا عن المساعدة
والامداد وهذا ابلغ في نفي الاتباع وقوله تعالى **وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون** بيان لعجزهم عن الابصار
بعد بيان عجزهم عن السمع وبه يتم التعليل فلا تكرار اصلا والرؤية بصرية وقوله تعالى ينظرون اليك حال من المفعول
والجملة حال من فاعل ينظرون اي وترى الاصنام رأي العين يشبهون الناظرين اليك ويخيل اليك انهم يبصرون
لما انهم صنعوا لها اعينا مركبة بالجواهر المضيئة المتلألئة وصوروها بصورة من قلب حدقته الى الشيء ينظر
اليه والحال انهم غير قادرين على الابصار وتوحيد الضمير في تراهم مع رجوعه لتوجيه الخطاب الى كل واحد

منهم لا الى

منهم لا الى الكل من حيث هو كل كالخطابات السابقة تنبيها على ان رؤية الاصنام على الهيئة المذكورة لا يتسنى
للكل معا بل لكل من يواجهها **وقيل** ضمير الفاعل في تراهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وضمير المفعول
على حاله **وقيل** للمشركين على ان التعليل قد تم عند قوله لا يسمعوا اي وترى المشركين ينظرون اليك والحال
انهم لا يبصرون اي وان تدعوا ايها المؤمنون المشركين الى الاسلام ولا يلتفتوا اليكم ثم خوطب به صلى الله عليه
وسلم بطريق التجريد بانك تراهم ينظرون اليك والحال انهم لا يبصرونك حق الابصار تنبيها على ان ما فيه صلى الله
عليه وسلم من شواهد النبوة ودلائل الرسالة من الجلاء بحيث لا يكاد يخفى على الناظرين **خذ العفو** بعد ما عد
من اباطيل المشركين وقبائحهم ما لا يطاق حمله امر صلى الله عليه وسلم بمجامع مكارم الاخلاق التي من جملتها الاغضاء
عنهم اي خذ ما عفا لك من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكاة **وامر بالعرف** بالجميل المستحسن من الافعال فانها
قريبة من قبول الناس من غير نكير **واعرض عن الجاهلين** من غير مماراة ولا مكافاة **قيل** لما نزلت سأل رسول الله
صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام فقال لا ادري حتى اسأل ثم رجع **فقال** يا محمد ان ربك امرك ان تصل من
قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك **وعن جعفر الصادق** امر الله تعالى نبيه بمكارم الاخلاق **وروي**
انه لما نزلت الاية الكريمة قال صلى الله عليه وسلم كيف يا رب والغضب فنزل قوله تعالى **واما ينزغنك من الشيطان نزغ**
النزغ والنسغ والنخس بمعنى وسوسته للناس واغواؤهم على المعاصي تعبيرا للسائق لما يسوقه واسناده الى النزغ
من قبيل جد جده اي واما يحملنك من جهته وسوسة ما على خلاف ما امرت به من اعتراء غضب او نحوه **فاستعذ
بالله** فالتجئ اليه تعالى من شره **انه هو السميع** يسمع استعاذتك به قولا **العليم** يعلم تضرعك اليه قلبا
في ضمن القول او بدونه فيعصمك من شره وقد جوز ان يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب على نهج الاستعارة
كما في قول الصديق رضي الله عنه ان لي شيطانا يعتريني ففيه زيادة تنفير وفرط تحذير عن العمل بموجبه وفي الامر
بالاستعاذة بالله تهويل للامر وتنبيه على انه من الغوائل الصعبة التي لا يتخلص من مضرتها الا بالالتجاء
الى حرم عصمته تعالى **وقيل** يعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك عليه او سميع باقوال من اذاك عليم بافعاله فيجازيه
عليها **ان الذين اتقوا** استئناف مقرر لما قبله ببيان ان ما امر به صلى الله عليه وسلم من الاستعاذة بالله تعالى
سنة مسلوكة للمتقين والاخلال بها ديدن الغاوين اي ان الذين اتصفوا بوقاية انفسهم عما يضرها **اذا مسهم
طيف من الشيطان** ادنى لمة منه على ان تنوينه للتحقير وهو اسم فاعل من طاف يطوف كانها تطوف بهم وتدور
حولهم لتوقع او من طاف به الخيال يطيف طيفا اي الم **وقرئ** طيف على انه مصدر او تخفيف من الواو
والياء كهين ولين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره فيما سيأتي **تذكروا** اي الاستعاذة
به تعالى والتوكل عليه **فاذا هم** بسبب ذلك التذكر **مبصرون** مواقع الخطأ ومكايد الشيطان فيحترزون
عنها ولا يتبعونه **واخوانهم** اي اخوان الشياطين وهم المنهمكون في الغي المعرضون عن وقاية انفسهم عن المضار
يمدونهم في الغي اي يكون الشياطين مددا لهم فيه ويعضدونهم بالتزيين والحمل عليه **وقرئ** يمدونهم من
الامداد ويمدونهم كانهم يعينونهم بالتسهيل والاغواء وهؤلاء بالاتباع والامتثال **ثم لا يقصرون** اي لا
يمسكون عن الاغواء حتى يردوهم بالكلية ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اي لا يرعوون عن الغي ولا يقصرون
كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له **واذا لم
تأتهم باية** من القرآن عند تراخي الوحي او باية مما اقترحوه **قالوا لولا اجتبيتها** اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه اي
هلا جمعتها من تلقاء نفسك تقولا يريدون بذلك سائر الايات ايضا كذلك او هلا تلقيتها من ربك استدعاء
قل ردا عليهم **انما اتبع ما يوحى الي من ربي** من غير ان يكون لي دخل ما في ذلك اصلا على معنى تخصيص حاله
صلى الله عليه وسلم باتباع ما يوحى اليه بتوجيه القصر المستفاد من كلمة انما الى نفس الفعل بالنسبة الى مفعوله
الذي كلفوه اياه صلى الله عليه وسلم لا على معنى تخصيص اتباعه صلى الله عليه وسلم بما يوحى اليه بتوجيه القصر

بمعنى صح

الى المفعول بالقياس الى مفعول آخر كما هو الشايع في موارد الاستعمال وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي كانه قيل ما افعل الا اتباع ما يوحى الي منه تعالى وفي التعرض لوصف الربوبية المنبئة عن المالكية والتبليغ الى الكمال اللايق مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم من تشريفه عليه الصلوة والسلام والتنبيه على تاييده ما لا يخفى هذا اشارة الى القران الكريم المدلول عليه بما يوحى الي بصائر من ربكم بمنزلة البصاير للقلوب بها يبصر الحق ويدرك الصواب وقيل حجج بينة وبراهين نيرة ومن متعلقة بمحذوف موصوفة لبصاير مفيدة لفخامتها اي بصاير مفيدة لفخامتها اي بصاير كاينة منه تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لتاكيد وجوب الايمان بها وقوله تعالى وهدى ورحمة عطف على بصاير وتقديم الظرف عليهما وتعقيبه بقوله تعالى لقوم يؤمنون للايذان بان يكون القران بمنزلة البصاير للقلوب متحقق بالنسبة الى الكل وبه تقوم الحجة على الجميع واما كونه هدى ورحمة فمختص بالمؤمنين اذهم المقتبسون من انواره والمقتفون باثاره والجملة من تمام القول المامور به واذا قرئ القرآن فاستمعوا له ارشاد الى طريق الفوز بما اشير اليه من المنافع الجليلة التي ينطوي عليها القران الذي ذكرت شؤونه العظيمة فاستمعوا له استماع تحقق وقبول وانصتوا اي واسكتوا في خلال القراءة وراعوها الى انقضائها تعظيما له وتكميلا للاستماع لعلكم ترحمون اي تفوزون بالرحمة التي هي اقصى غاياته وظاهر النظم الكريم يقتضي وجوب السماع والانصات عند قراءة القران في الصلوة وغيرها وقيل معناه اذا تلا عليكم الرسول القران عند نزوله فاستمعوا وجمهور الصحابة رضي الله عنهم على انه استماع المؤتم وقد روي انهم كانوا يتكلمون في الصلوة فامروا باستماع قراءة الامام والانصات له وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا في المكتوبة وقرا اصحابه رضي الله عنهم خلفه فنزلت واما خارج الصلوة فعامة العلماء على استحبابهما والاية اما من تمام القول المامور به او استيناف من جهته تعالى وقوله تعالى واذكر ربك في نفسك على الاول عطف على قل وعلى الثاني فيه تجريد للخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عام في الاذكار كافة فان الاخفاء ادخل في الاخلاص واقرب من الاجابة تضرعا وخيفة اي متضرعا وخائفا ودون الجهر من القول اي ومتكلما كلاما دون الجهر فانه اقرب الى حسن التفكر بالغدو والاصال متعلق باذكر اي اذكره في وقت الغدوات والعشيات وقرئ والايصال وهو مصدر اصل دخل في الاصيل موافق للغدو ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله تعالى ان الذين عند ربك هم الملئكة عليهم الصلوة والسلام ومعنى كونهم عنده سبحانه وتعالى قربهم من رحمته وفضله لتوفرهم على طاعته تعالى لا يستكبرون عن عبادته بل يؤدونها حسبما امروا به ويسبحونه اي ينزهونه عما لا يليق بجلال كبريائه وله يسجدون اي يخصونه بغاية العبودية والتذلل لا يشركون به شيئا وهو تعريض بسائر المكلفين ولذلك شرع السجود عند قراءته عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرا ابن ادم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويله امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار وعنه صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الاعراف جعل الله بينه وبين ابليس سترا وكان ادم عليه السلام شفيعا له وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه وسلم الى يوم الدين

سورة الانفال وهي خمس وسبعون اية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم يسئلونك عن الانفال النفل الغنيمة سميت به لانها عطية من الله تعالى زايدة على ما هو اصل الاجر في الجهاد من الثواب الاخروي ويطلق على ما يعطى بطريق التنفيل زيادة على السهم من المغنم وقرئ علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون في اللام روي ان المسلمين اختلفوا في غنايم بدر وفي قسمتها فسئلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تقسم ولمن الحكم فيها للمهاجرين ام للانصار ام لهم جميعا وقيل ان الشبان قد ابلوا يومئذ بلاء حسنا فقتلوا سبعين واسروا سبعين فقالوا نحن المقاتلون ولنا الغنايم

وقال الشيوخ

وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها حتى قال سعد بن معاذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما منعنا ان نطلب ما طلب هؤلاء زهادة في الاجر ولا جبن من العدو ولكن كرهنا ان نعري مصافك فيعطف عليك خيل من المشركين فنزلت وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم قد شرط لمن كان له بلاء ان ينفله ولذلك فعل الشبان ما فعلوا من القتل والاسر فسالوه صلى الله عليه وسلم ما شرط لهم فقال الشيوخ المغنم قليل والناس كثيرون وان تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت اصحابك فنزلت والاول هو الظاهر لما ان السؤال استعلام بحكم الانفال بقضية كلمة عن لا استعطاء لنفسها كما نطق به الوجه الاحق وادعاء زيادة عن تعسف ظاهر والاستدلال عليه بقراءة ابن مسعود وسعد بن ابي وقاص وعلي بن الحسين وزيد ومحمد الباقر وجعفر الصادق وعكرمة وعطاء يسئلونك الانفال غير منتهض فان مبناها كما قالوا على الحذف والايصال كما يعرب عنه الجواب بقوله عز وجل قل الانفال لله والرسول اي حكمها مختص به تعالى يقسمها الرسول صلى الله عليه وسلم كيف ما امر به من غير ان يدخل فيه راي احد ولو كان السؤال استعطاء لما كان هذا جوابا له فان اختصاص حكم ما شرط لهم من الانفال بالله والرسول لا ينافي اعطاءها اياهم بل يحققه لانهم انما يسئلونها بموجب شرط الرسول صلى الله عليه وسلم الصادر عنه باذن الله تعالى لا بحكم سبقت ايديهم اليها او نحو ذلك مما يخل بالاختصاص المذكور وحمل الجواب على معنى ان الانفال بالمعنى المذكور مختص برسول الله صلى الله عليه وسلم لا حق فيها للمنفل كاينا من كان مما لا سبيل اليه قطعا ضرورة ثبوت الاستحقاق بالتنفيل وادعاء ان ثبوته بدليل اخر التام لتكرار النسخ من غير علم بالناسخ الاخير ولا مساغ للاخير الى ما ذهب اليه مجاهد وعكرمة والسدي من ان الانفال كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ليس لاحد فيها شيء بهذه الاية فنسخت بقوله تعالى فان لله خمسه وللرسول لما ان المراد بالانفال فيما قالوا هو المعنى الاول حتما كما نطق به قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء الاية على ان الحق انه لا نسخ حينئذ ايضا حسبما قاله عبد الرحمن بن زيد بن اسلم بل بين في صدر السورة الكريمة اجمالا ان امرها مفوض الى الله تعالى ورسوله ثم بين مصارفها وكيفية قسمها على التفصيل وادعاء اقتصار هذا الحكم اعني الاختصاص برسول الله صلى الله عليه وسلم على الانفال المشروطة يوم بدر بجعل اللام للعهد مع بقاء استحقاق المنفل في سائر الانفال المشروطة يا باه مقام بيان الاحكام كما ينبئ عنه اظهار الانفال في موقع الاضمار على ان الجواب عن سؤال الموعود ببيان كونها له صلى الله عليه وسلم خاصة مما لا يليق بشانه الكريم اصلا وقد روي عن سعد بن ابي وقاص انه قال قتل اخي عمير يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه فاعجبني فجئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تعالى شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال صلى الله عليه وسلم ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سعد انك سالتني السيف وليس لي وقد صار لي فاذهب فخذه وهذا كما ترى يقتضي عدم وقوع التنفيل يومئذ والا لكان سؤال السيف يومئذ من سعد بموجب شرطه صلى الله عليه وسلم ووعده لا بطريق الهبة المبتداة وحمل ذلك من سعد على مراعاة الادب مع كون سؤاله بموجب الشرط يرده رده صلى الله عليه وسلم قبل النزول وتعليله بقوله ليس هذا لي لاستحالة ان يعد صلى الله عليه وسلم بما لا يقدر على انجازه واعطاؤه صلى الله عليه وسلم بعد النزول وترتيبه على قوله وقد صار لي ضرورة مناط صيرورته له صلى الله عليه وسلم قوله تعالى الانفال لله والرسول والغرض انه الما نع من اعطاء المسؤول ومما هو نص في الباب قوله عز وجل فاتقوا الله اي اذا كان امر الغنايم لله تعالى ورسوله فاتقوه تعالى واجتنبوا ما كنتم فيه من المشاجرة فيها والاختلاف الموجب لسخطه تعالى او فاتقوه في كل ما تاتون وما تذرون فيدخل فيه ما هم فيه دخولا اوليا ولو كان السؤال طلبا للمشروط لما كان فيه محذور يوجب اتقاءه واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتعليل الحكم واصلحوا ذات بينكم جعل ما بينكم من الحال لملابستها التامة لبينهم صاحبة له كما جعلت الامور المضمرة في الصدور ذات الصدور اي اصلحوا ما بينكم من الاحوال بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم

نفال

الله تعالى وتفضل به عليكم وعن عبادة بن الصامت نزل فينا معشر اصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وسآءت فيه اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا فجعله لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه بين المسلمين على السواء وكان في ذلك تقوى الله تعالى و طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم واصلاح ذات البين وعن عطاء كان اصلاح بينهم ان دعاهم وقال اقسموا غنايمكم بالعدل فقالوا قد اكلنا وانفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض واطيعوا الله ورسوله بتسليم امره ونهيه وتوسيط الامر باصلاح ذات البين بين الامر بالتقوى والامر بالطاعة لاظهار كمال العناية بالاصلاح بحسب المقام وليندرج الامر به بعينه تحت الامر بالطاعة ان كنتم مؤمنين متعلق بالاوامر الثلاثة والجواب محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه او هو الجواب على الخلاف المشهور وايا ما كان فالمقصود تحقيق المعلق بناء على تحقق المعلق به وفيه تنشيط للمخاطبين وحث لهم على المسارعة الى الامتثال والمراد بالايمان كماله اي ان كنتم كاملي الايمان فان كمال الايمان يدور على هذه الخصال الثلاث طاعة الاوامر واتقاء المعاصي واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان انما المؤمنون جملة مستانفة مسوقة لبيان من اريد بالمؤمنين بذكر اوصافهم الجليلة المستتبعة لما ذكر من الثلاث وفيه مزيد ترغيب لهم في الامتثال بالاوامر المذكورة وانما الكاملون في الايمان المخلصون فيه الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اي فزعت بمجرد ذكره من غير ان يذكر هناك ما يوجب الفزع من صفاته وافعاله استعظاما لشانه الجليل وتهيبا منه وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع منها خوفا من عقابه وقرئ وجلت بفتح الجيم وهي لغة فيه وقرئ فرقت اي خافت واذا تليت عليهم اياته اي اية كانت زادتهم ايمانا اي يقينا وطاعة وطمانينة نفس فان تظاهر الادلة وتعاضد الحجج والبراهين موجب لزيادة الاطمينان وقوة اليقين وقيل ان نفس الايمان لا يقبل الزيادة والنقصان انما زيادته باعتبار زيادة المؤمن به فانه كلما نزلت اية صدق المؤمن بها فزاد ايمانه عددا واما نفس الايمان فهو بحاله وقيل باعتبار ان الاعمال تجعل من الايمان فيزيد بزيادتها والاصوب ان نفس التصديق يقبل القوة وهي التي عبر عنها بالزيادة للفرق البين بين يقين الانبياء عليهم الصلاة والسلام وارباب المكاشفات ويقين احاد الامة و عليه مبنى ما قال علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وكذا بين ما قام عليه دليل واحد وما قامت عليه ادلة كثيرة وعلى ربهم مالكهم ومدبر امورهم خاصة يتوكلون يفوضون امورهم لا الى احد سواه والجملة معطوفة على الصلة وقوله تعالى وعلى ربهم يتوكلون مرفوع على انه نعت للموصول الاول او بدل منه او بيان له او منصوب على القطع المبني على المدح ذكر اولا من اعمالهم الحسنة اعمال القلوب من الخشية والاخلاص ثم عقب باعمال الجوارح من الصلوة والصدقة اولئك اشارة الى من ذكرت صفاتهم الحميدة من حيث انهم متصفون بها وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك عمن عداهم اكمل تميز منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الشرف هم المؤمنون حقا لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه ما فصل من فاضل الاعمال القلبية والقالبية وحقا صفة لمصدر محذوف اي اولئك هم المؤمنون ايمانا حقا او مصدر مؤكد للجملة اي حق ذلك حقا كقولك هو عبد الله حقا لهم درجات من الكرامة والزلفى وقيل درجات عالية في الجنة وهو اما جملة مبتداة مبنية على سؤال نشاء من تعداد مناقبهم كانه قيل ما لهم بمقابلة هذه الخصال فقيل لهم كيت وكيت او خبر ثان لاولئك وقوله تعالى عند ربهم اما متعلق بمحذوف وقع صفة لدرجات مؤكدة لما افادها التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائنة عنده تعالى او بما تعلق به الخبر اعني لهم من الاستقرار وفي اضافة الظرف الى الرب المضاف الى ضميرهم مزيد تشريف ولطف بهم وايذان بان ما وعدلهم متيقن الثبوت والحصول مامون الفوت ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم لا ينقضي امده ولا ينتهي عدده وهو ما اعد لهم من نعيم الجنة كما اخرجك ربك من بيتك بالحق الكاف في محل الرفع على انه خبر مبتداء محذوف تقديره الحال كحال اخراجك يعني ان حالهم في كراهتهم لما رايت مع كونه حقا لهم في كراهتهم لخروجك للحرب وهو حق او في محل النصب على انه صفة لمصدر مقدر في قوله تعالى الانفال لله اي الانفال ثبتت لله والرسول مع

الخصال صح

كراهتهم

كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك في المدينة او من المدينة اخراجا ملتبسا بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون اي والحال ان فريقا منهم كارهون للخروج اما لنفرة الطبع عن القتال او لعدم الاستعداد وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو ابن هشام فاخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبر المسلمين فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل مكة خبر خروجهم فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجا النجا على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت اخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لاخيها اني رايت عجبا رايت كان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال ابو جهل ما يرضى رجالهم ان يتنبأوا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجمع اهل مكة وهم النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير وانا قد اعضضناه فمضى بهم الى بدر وبدر مآء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة فنزل جبريل عليه السلام وقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه فقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير احب اليكم ام النفير فقالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند ما غضب النبي صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله تعالى فانا معك حيث ما احببت لا نقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى عليه السلام اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت منا عين تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انا براء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه اباءنا ونساءنا فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا تكون الانصار ترى عليهم نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن عبادة فقال لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال انا قد امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض بنا يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به اعينك فسر بنا على بركة الله تعالى ففرح النبي صلى الله عليه وسلم وبسطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله تعالى وابشروا فان الله وعدني احدى الطائفتين والله لكاني الان انظر الى مصارع القوم وقد روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ من بدر عليك بالعير وليس دونها شيء فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لما قال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك يجادلونك في الحق الذي هو تلقي النفير لايثارهم عليه تلقي العير والجملة استيناف او حال ثانية اي اخرجك في حال مجادلتهم اياك ويجوز ان يكون حالا من الضمير في لكارهون وقوله تعالى بعد ما تبين منصوب بيجادلونك وما مصدرية اي بعد تبين الحق لهم باعلامك انهم ينصرون اينما توجهوا ويقولون ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتاهب وكان ذلك لكراهتهم القتال كانما يساقون الى الموت الكاف في محل النصب على الحالية من الضمير في لكارهون اي مشبهين بالذين يساقون بالعنف والصغار الى القتل وهم ينظرون حال من ضمير يساقون اي والحال انهم ينظرون

الي اسباب الموت وتشاهدونها عيانا وما كانت هذه المرتبة من الخوف والجزع الا لقلة عددهم وعدم تأهبهم وكونهم
رجالة روي انه لم يكن فيهم الا فارسان واذ يعدكم الله احدي الطايفتين كلام مستانف مسوق لبيان جميل صنع الله
عز وجل بالمؤمنين مع ما بهم من قلة الحزم ودناءة الهمة وقصور الراي والخوف والجزع واذ منصوب على المفعولية
بمضمر خوطب به المؤمنون بطريق التلوين والالتفات واحدي الطايفتين مفعول ثان ليعدكم اي واذكروا
وقت وعد الله اياكم احدي الطايفتين وتذكير الوقت مع ان المقصود تذكير ما فيه من الحوادث لما مر مرارا من ان
المبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني لان الوقت مشتمل على
ما وقع فيه الحوادث بتفاصيلها فاذا استحضر كان ما وقع فيه حاضرا مفصلا كانه مشاهد عيانا وقري
يعدكم بسكون الدال تخفيفا وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها وقوله تعالى انها لكم بدل
اشتمال من احدي الطايفتين مبين لكيفية الوعد اي يعدكم ان احدي الطايفتين كائنة لكم مختصة بكم مسخرة
لكم تتسلطون عليها تسلط الملاك وتتصرفون فيهم كيف شئتم وتودون عطف على يعدكم داخل تحت الامر
بالذكر اي تحبون ان غير ذات الشوكة تكون لكم من احدي الطايفتين لا ذات الشوكة وهي النفير ورئيسهم ابو جهل
ومعهم الف مقاتل وغير ذات الشوكة هي العير اذ لم يكن فيها الا اربعون فارسا ورأسهم ابو سفيان والتعبير عنهم بهذا
العنوان للتنبيه على سبب ودادتهم لملاقاتهم وموجب كراهتهم ونفرتهم عن موافاة النفير والشوكة الحدة مستعارة
من واحدة الشوك وشوك القنا سنانها ويريد الله عطف على وتودون منتظم معه في سلك التذكير ليظهر
لهم عظيم لطف الله بهم مع دناءة هممهم وقصور آرائهم اي اذكروا وقت وعده تعالى اياكم احدي الطايفتين وودادتكم
لادناهما وارادته تعالى لاعلاهما وذلك قوله تعالى ان يحق الحق اي يثبته ويعليه بكلماته اي باياته المنزلة في
هذا الشان او باوامره للملائكة بالامداد بما قضى من اسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر وقري بكلمته ويقطع
دابر الكافرين اي آخرهم ويستأصلهم بالمرة والمعنى انتم تريدون سفاسف الامور والله عز وعلا يريد معاليها
وما يرجع الى علو كلمة الحق وسمو رتبة الدين وشتان المرادين قوله تعالى ليحق الحق ويبطل الباطل جملة مستانفة
سيقت لبيان الحكمة الداعية الى اختيار ذات الشوكة ونصرهم عليها مع ارادتهم لغيرها واللام متعلقة بفعل مقدر
مؤخر عنها اي هذه الغاية الجليلة فعل ما فعل لا لشيء آخر وليس فيه تكرار اذ الاول لبيان تفاوت ما بين الارادتين
وهذا لبيان الحكمة الداعية الى ما ذكر ومعنى احقاق الحق وابطال الباطل اذ تستغيثون ربكم بدل من اذ يعدكم معمول
لعامله والمراد تذكير استمدادهم منه تعالى والتجائهم اليه تعالى حين ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وامداده
تعالى حينئذ وقيل متعلق بقوله تعالى ليحق الحق على الظرفية وما قيل من ان قوله تعالى ليحق مستقبل لانه منصوب
بان ولا يمكن عمله في اذ لانه ظرف لماضي ليس بشيء لان كونه مستقبلا انما هو بالنسبة الى زمان ما هو غاية له من
الفعل المقدر لا بالنسبة الى زمان الاستغاثة حتى لا يعمل فيه بل هما في وقت واحد وانما عبر عن زمانها باذ نظرا الى زمان
النزول وصيغة الاستقبال في تستغيثون لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها العجيبة وقيل متعلق
بمضمر مستانف اي اذكروا وقت استغاثتكم وذلك انهم لما علموا انه لا بد من القتال جعلوا يدعون الله تعالى قائلين
اي رب انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين اغثنا وعن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
نظر الي المشركين وهم نحو الف مقاتل والى اصحابه وهم ثلثمائة وبضعة عشر فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم
انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابو بكر
فالقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فاستجاب
لكم عطف على تستغيثون داخل معه في حكم التذكير لما عرفت انه ماض وصيغة الاستقبال لاستحضار
الصورة اني ممدكم اي باني فحذف الجار وسلط عليه الفعل فنصب محله وقري بكسر الهمزة على ارادة القول
او على اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من مقولة القول بالف من الملائكة مردفين اي جاعلين غيرهم من الملائكة

احقاق الحق اظهار حقيته ما
لاجله حقا بعد ان لم يكن كذلك
وكذا حال ابطال الباطل ولو
كره المجرمون اي المشركون
ذلك اي صح
صح

ردفا

ردفا لانفسهم فالمراد بهم رؤساؤهم المستتبعين لغيرهم وقد اكتفى ههنا بهذا البيان الاجمالي وبين في سورة آل
عمران مقدار عددهم وقيل معناه متبعين انفسهم ملائكة آخرين او متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا من
اردفته اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعض المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقري مردفين بفتح الدال اي
متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقري مردفين بكسر الراء وتشديد الدال واصلهما مرتدفين
بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى الساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع وقري
بالآلاف ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة
او الساقة او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روي اخبار تدل على وقوعها
وما جعله الله كلام مستانف سيق لبيان ان الاسباب الظاهرة بمعزل من التاثير وانما التاثير مختص به
عز وجل ليثق به المؤمنون ولا يقنطوا من النصر عند فقدان اسبابه والجعل متعد الى مفعول واحد هو الضمير
العايد الى مصدر فعل مقدر يقتضيه المقام اقتضاء ظاهرا مغنيا عن التصريح به كانه قيل فامدكم بهم
وما جعل امدادكم بهم الا بشري لكم وهو استثناء مفرغ من اعم العلل اي وما جعل امدادكم بانزال الملائكة عيانا
لشيء من الاشياء الا للبشري لكم بانكم تنصرون ولتطمئن به اي بالامداد قلوبكم وتسكن اليه نفوسكم كما
كانت السكينة لبني اسرائيل كذلك فكلاهما مفعول له للجعل وقد نصب الاول لاجتماع شرائطه وبقي الثاني على
حاله لفقدانها وقيل للاشارة الى اصالته في العلية واهميته في نفسه كما قيل في قوله تعالى والخيل والبغال
والحمير لتركبوها وزينة وفي قصر الامداد عليهما اشعار بعدم مباشرة الملائكة للقتال وانما كان امدادهم بتقوية
قلوب المباشرين وتكثير سوادهم ونحوه كما هو راي بعض السلف وقيل الجعل متعد الى اثنين ثانيهما الا بشري
على انه استثناء من اعم المفاعيل اي وما جعله الله شيئا من الاشياء الا بشارة لكم فاللام في ولتطمئن متعلق
بمحذوف مؤخر تقديره ولتطمئن به قلوبكم ما فعل ذلك لشيء آخر وما النصر اي حقيقة النصر على الاطلاق
الا من عند الله اي الكائن من عنده عز وجل من غير ان يكون فيه شركة من جهة الاسباب والعدد وانما هي مظاهر
له بطريق جريان السنة الالهية الا من عند الله اي الكائن من عنده تعالى ان يكون فيه شركة من جهة الاسباب
ان الله عزيز لا يغالب في حكمه ولا ينازع في اقضيته حكيم يفعل كلما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة
والجملة تعليل لما قبلها متضمن للاشعار بان النصر الواقع على الوجه المذكور من مقتضيات الحكم البالغة اذ يغشاكم
اي يجعله غاشيا لكم ومحيطا بكم وهو بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة اخرى وصيغة الاستقبال فيه وفيما
عطف عليه لحكاية الحال الماضية كما في تستغيثون او منصوب باضمار اذكروا وقيل هو متعلق بالنصر او بما
في من عند الله من معنى الفعل او بالجعل وليس بواضح وقري يغشيكم من الاغشاء بمعنى التغشية والفاعل في الوجهين
هو الباري عز وجل وقري يغشاكم على اسناد الفعل الى النعاس وقوله تعالى امنة على القرائتين الاولتين
منصوب على المفعولية بفعل مترتب على الفعل المذكور اي يغشيكم النعاس فتغشون امنا كائنا من الله تعالى لا كلالا
واعياء او على انه مصدر لفعل آخر لذلك اي فتامنون امنا كما في قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا على احدي الوجهين
وقيل منصوب بنفس الفعل المذكور والامنة بمعنى الايمان وعلى القراءة الاخيرة منصوب على العلية
بيغشاكم باعتبار المعنى في حكم تغشون او على انه مصدر لفعل مترتب عليه كما مر وقيل منه كرحمة
وينزل عليكم من السماء ماء تقديم الجار والمجرور على المفعول به لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق
الي المؤخر فان ما حقه التقديم اذا أخر تبقى النفس مترقبة فعند وروده يتمكن عندها فضل تمكن وتقديم
عليكم لما ان بيان كون التنزيل عليهم اهم من بيان كونه من السماء وقري بالتخفيف من الانزال ليطهركم به
اي من الحدث الاصغر والاكبر ويذهب عنكم رجز الشيطان الكلام في تقديم الجار والمجرور كما مر آنفا والمراد برجز
الشيطان وسوسته وتخويفه اياهم من العطش روي انهم نزلوا في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير

ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فتمثل لهم الشيطان فوسوس اليهم وقال انتم يا اصحاب محمد
تزعمون انكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على الحق ما غلبكم هولاء على الماء وما ينتظرون
بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا
واشفقوا فانزل الله تعالى المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي فاغتسلوا وتوضوا وسقوا الركاب وتلبد الرمل الذي كان
بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام • وزالت وسوسة الشيطان • وطابت النفوس • وقويت القلوب • وذلك قوله
تعالى **وليربط على قلوبكم** اي يقويها بالثقة بلطف الله تعالى فيما بعد بمشاهدة طلايعه **ويثبت به الاقدام** لا تسوخ
في الرمل فالضمير للماء كالاول ويجوز ان يكون للربط فان القلب اذا قوي وتمكن فيه الصبر والجراءة لا تكاد تزل القدم
في معارك الحروب **اذ يوحي ربك الى الملئكة** منصوب بمضمر مستانف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق
التجريد حسبما ينطق به الكاف لما ان المامور به مما لا يستطيعه غيره صلى الله عليه وسلم فان الوحي المذكور قبل ظهور
بالوحي المتلو على لسانه صلى الله عليه وسلم ليس من النعم التي يقف عليها عامة الامة كساير النعم السابقة التي امروا
بذكر وقتها بطريق الشكر **وقيل** منصوب بقوله تعالى ويثبت اقدامكم بتقوية قلوبكم وقت ايحائه الى الملايكة وامره
بتثبيتهم اياكم وهو وقت القتال ولا يخفى ان تقييده التثبيت المذكور بوقت مهم عندهم ليس فيه مزيد فايدة واما
انتصابه على انه بدل ثالث من اذ يعدكم كما قيل فيأباه تخصيص الخطاب به صلى الله عليه وسلم مع ما عرفت من ان
المامور به ليس من الوظايف العامة للكل كساير اخواته وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره صلى الله
عليه وسلم من التنويه والتشريف ما لا يخفى والمعنى اذكر وقت ايحائه تعالى الى الملايكة **اني معكم** اي بالامداد والتوفيق
في امر التثبيت فهو بمعنى يوحي **وقرى** بالكسر على ارادة القول واجراء الوحي مجراه وما يشعر به دخول كلمة مع من متبوعية
الملئكة انما هي من حيث انهم المباشرون للتثبيت صورة فلهم الاصالة من تلك الحيثية كما في امثال قوله تعالى
ان الله مع الصابرين قوله تعالى **فثبتوا الذين امنوا** الفاء في فثبتوا لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان امداده تعالى
اياهم من اقوى موجبات التثبيت واختلفوا في كيفية التثبيت فقالت جماعة انما امروا بتثبيتهم بالبشارة وتكثير
السواد ونحوهما مما يقوي به قلوبهم وتصح عزايمهم ونياتهم ويتأكد جدهم في القتال وهو الانسب بمعنى التثبيت
وحقيقته التي هي عبارة عن الحمل على الثبات في موطن الحراب والجد في مقاساة شدايد القتال **وقد روي** انه
كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرف بوجهه فيأتي ويقول اني سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن
ويمشي بين الصفين ويقول ابشروا فان الله ناصركم وقال اخرون امروا بمحاربة اعدايهم وجعلوا قوله تعالى **سالقي في
قلوب الذين كفروا الرعب** تفسيرا لقوله تعالى اني معكم **فاضربوا** الى اخره تفسيرا لقوله تعالى فثبتوا مبينا لكيفية التثبيت
وقد روي عن ابي داود المازني رضي الله عنه وكان ممن شهد بدرا انه قال ابتعت رجلا من المشركين يوم بدر لما
ضربته فوقعت راسه بين يدي قبل ان يصل اليه سيفي **وعن** سهل بن حنيف رضي الله عنه انه قال لقد رايتنا
يوم بدر وان احدنا يشير بسيفه الى المشركين فيقع راسه عن جسده قبل ان يصل اليه السيف وانت خبير بان
قتلهم للكفرة مع عدم ملايمته بمعنى تثبيت المومنين مما لا يقف عليه الامداد بالقاء الرعب فلا يتجه ترتيب
الامر عليه بالفاء وقد اعتذر الاولون بان قوله تعالى سالقي الى اخره ليس بنص فيما ذكر بل يجوز ان يكون ذلك اثر
قوله تعالى فثبتوا الذين امنوا تلقينا للملايكة ما يثبتونهم به كانه قيل قولوا لهم قولي سالقي في قلوب الذين كفروا
الرعب فاضربوا الى اخره فالضاربون هم المومنون واما ما قيل من ان ذلك خطاب منه تعالى للمومنين بالذات
على طريق التلوين فمبناه توهم وروده قبل القتال وانى ذلك والسورة الكريمة انما انزلت بعد تمام الوقعة وقوله
تعالى **فوق الاعناق** اي اعاليها التي هي المذابح والهامات **واضربوا منهم كل بنان** قيل البنان اطراف الاصابع من اليدين
والرجلين **وقيل** الاصابع من اليدين والرجلين **وقال** ابو الهيثم البنان المفاصل وكل مفصل بنانة
قال ابن عباس وابن جريج والضحاك يعني الاطراف اي اضربوهم في جميع الاعضاء من اعاليها الى اسافلها

وقيل المراد بالبنان الاداني • وبفوق الاعناق الاعالي • والمعنى فاضربوا الصناديد والسفلة • وتكرير الامر
بالضرب لمزيد التشديد والاعتناء بامره ومنهم متعلق به او بمحذوف وقع حالا مما بعده **ذلك** اشارة الى ما اصابهم
من العقاب وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجته في الشدة والفظاعة والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
او لكل احد ممن يليق بالخطاب ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله تعالى **بانهم شاقوا الله ورسوله** اي ذلك العقاب
الفظيع واقع عليهم بسبب مشاقتهم ومعاندتهم من لا سبيل الى مغالبته اصلا واشتقاق المشاقة من الشق لما ان كلا
من المشاقين في شق خلاف شق الاخر كما ان اشتقاق المعاداة والمخاصمة من العدوة والخصم اي الجانب لان كلا من
المشاقين المتعادين والمتخاصمين في عدوة وخصم غير عدوة الاخر وخصمه **ومن يشاقق الله ورسوله** الاظهار في
موضع الاضمار لتربية المهابة وكمال شناعة ما اجترءوا عليه والاشعار بعلية الحكم **فان الله شديد العقاب** اما نفس الجزاء
قد حذف منه العايد الى من عند من يلتزمه اي شديد العقاب له او تعليل الجزاء المحذوف اي يعاقبه الله فان الله
شديد العقاب وايا ما كان فالشرطية تكملة لما قبلها وتقرير لمضمونه وتحقيق للسببية بالطريق البرهاني كانه قيل
ذلك العقاب الشديد بسبب مشاقتهم الله تعالى ورسوله وكل من يشاقق الله ورسوله كاينا من كان فله بسبب ذلك
عقاب شديد فاذا لهم بسبب مشاقتهم لهما عقاب شديد واما انه وعيد لهم بما اعد لهم في الاخرة بعد ما حاق بهم
في الدنيا كما قيل فيرده ما بعده من قوله تعالى **ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب النار** فانه مع كونه هو المسوق للوعيد بما
ذكر ناطق بكون المراد بالعقاب المذكور ما اصابهم عاجلا سواء جعل ذلكم اشارة الى نفس العقاب او الى ما يفيده الشرطية
من ثبوت العقاب لهم اما على الاول فلان الاظهر ان محله النصب بمضمر يستدعيه قوله تعالى فذوقوه والواو في قوله
تعالى وان للكافرين الى اخره بمعنى مع فالمعنى باشروا ذلك العقاب الذي اصابكم فذوقوه عاجلا مع ان لكم عذاب النار
اجلا فوضع الظاهر موضع الضمير لتوبيخهم بالكفر وتعليل الحكم به واما على الثاني فلان الاقرب ان محله الرفع على
انه خبر مبتدا محذوف وقوله تعالى وان للكافرين الى اخره معطوف عليه والمعنى حكم الله ذلك اي ثبوت هذا العقاب
لكم عاجلا وثبوت عذاب النار اجلا وقوله تعالى فذوقوه اعتراض وسط بين المعطوفين للتهديد والضمير على الاول
لنفس المشار اليه وعلى الثاني لما في ضمنه وقد ذكر في اعراب الاية الكريمة وجوه اخر مدار الكل على ان المراد بالعقاب
ما اصابهم عاجلا والله سبحانه اعلم **وقري** بالكسر ان على الاستيناف **يا ايها الذين امنوا** خطاب للمومنين بحكم كلي جار
فيما سيقع من الوقايع والحروف وجيء به في تضاعيف القصة اظهارا للاعتناء بشانهم ومبالغة في المحافظة عليه
اذا لقيتم الذين كفروا زحفا الزحف الدبيب يقال زحف الصبي زحفا اذا دب على استه قليلا قليلا سمي به الجيش الدهم
المتوجه الى العدو لانه لكثرته وتكاثفه يرى كانه يزحف وذلك لان الكل يرى كجسم واحد متصل فيحس حركته بالقياس
اليه في غاية البطء وان كان في نفس الامر على غاية العجلة قال قايلهم • وارعن مثل الطود تحسب انهم • وقوف لحاج والركاب
تهملج • ونصبه اما على انه حال من مفعول لقيتم اي زاحفين نحوكم واما على انه مصدر موكد لفعل مضمر هو الحال منه اي
يزحفون زحفا واما كونه حالا من فاعله او منه ومن مفعوله معا كما قيل فيأباه قوله تعالى **فلا تولوهم الادبار** اذ
لا معنى لتقييد النهي عن الادبار بتوجههم السابق الى العدو او بكثرتهم بل توجه العدو اليهم وكثرتهم هو الداعي الى الادبار
عادة والمحوج الى النهي عنه وحمله على الاشعار بما سيكون منهم يوم حنين حيث تولوا مدبرين وهم زحف من الزحف اثنا
عشر الفا بعيد والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وانتم قليل فلا تولوهم ادباركم فضلا عن الفرار بل قابلوهم
وقاتلوهم مع قلتكم فضلا عن ان تدانوهم في العدد او تساووهم **ومن يولهم يومئذ** اي يوم اللقاء **دبره** فضلا عن الفرار
وقري بسكون الباء **الا متحرفا لقتال** اما بالتوجه الى قتال طايفة اخرى اهم من هولاء واما بالفر للكر
بان يخيل عدوه انه منهزم ليغره ويخرجه من بين اعوانه ثم يعطف عليه وحده او مع من في الكمين من اصحابه وهو
باب من خدع الحرب ومكايدها **او متحيزا الى فئة** اي منحازا الى جماعة اخرى من المومنين لينضم اليهم ثم يقاتل
معهم العدو **وعن** ابن عمر رضي الله عنهما ان سرية فروا وانا معهم فلما رجعوا الى المدينة استحيوا ودخلوا البيوت

فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال صلى الله عليه وسلم بل العكارون اي الكرارون من عكر اي رجع
وانا فئتكم وانهزم رجل من القادسية فاتى المدينة الى عمر رضي الله عنه فقال يا امير المؤمنين هلكت فررت
من الزحف فقال رضي الله عنه انا فئتك ووزن متحيز متفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز وانتصابهما
اما على الحالية والا لغو لا عمل لها واما على الاستثناء من المولين اي ومن يولهم دبره الا رجلا منهم متحرفا فقد باء
اي رجع بغضب عظيم لا يقادر قدره ومن في قوله تعالى من الله متعلقة بمحذوف هو صفة لغضب موكدة لما
افاده التنوين من الفخامة والهول بالفخامة الاضافية اي بغضب كائن منه تعالى ومأويه جهنم اي بدل ما
اراد بفراره ان ياوي اليه من ماوي ينجيه من القتل وبئس المصير في ايقاع البوء في موضع جواب الشرط الذي هو
التولية مقرونة بذكر الماوي والمصير من الجزالة ما لا مزيد عليه عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الفرار من
الزحف من اكبر الكبائر وهذا اذا لم يكن العدو اكثر من الضعف لقوله تعالى الان خفف الله عنكم الاية وقيل
الاية مخصوصة باهل بيته والحاضرين معه في الحرب فلم تقتلوهم رجوع الى بيان بقية احكام الوقعة و
احوالها وتقرير ما سبق منها والفاء جواب شرط مقدر يستدعيه ما مر من ذكر امداده وامره بالتثبيت وغير ذلك
كانه قيل اذا كان الامر كذلك فلم تقتلوهم انتم بقوتكم وقدرتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم
والقاء الرعب في قلوبهم ويجوز ان يكون التقدير اذا علمتم ذلك فلم تقتلوهم اي فاعلموا او فاخبركم انكم
تقتلوهم وقيل التقدير ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم على احدى التاويلين لما روي انهم لما انصرفوا
من المعركة غالبين غانمين اقبلوا يتفاخرون يقولون قتلت واسرت وفعلت وتركت فنزلت وقد كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين طلعت قريش من العقنقل قال هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسول الله
اللهم اني اسئلك ما وعدتني فاتاه جبريل عليه السلام فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما
التقى الجمعان قال لعلي رضي الله عنه اعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت
الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وذلك قوله عز وجل وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى تحقيقا
لكون الرمي الظاهر على يده صلى الله عليه وسلم حينئذ من افعاله عز وجل وتجريدا للفعل عن المفعول به لما ان المقصود
الاصلي بيان الرمي نفيا واثباتا اذ هو الذي ظهر منه ما ظهر وهو المنشا لتعجب المرء في نفسه وتكثره الى حيث
اصاب عيني كل واحد من اولئك الامة الجمة شيء من ذلك اي وما فعلت انت يا محمد تلك الرمية المستتبعة
لهذه الاثار العظيمة حقيقة حين فعلتها صورة والا لكان اثرها من جنس اثار الافاعيل البشرية ولكن الله فعلها
اي خلقها حين باشرتها لكن لا على نهج عادته تعالى في افعال العباد بل على وجه غير معتاد ولذلك اثرت هذا التاثير
الخارج عن طوق البشر ودائرة القوى والقدر فمدار اثباتها لله تعالى ونفيها عنه صلى الله عليه وسلم كون اثرها
من افعاله تعالى لا من افعاله صلى الله عليه وسلم وقرئ ولكن الله بالتخفيف في المحلين واللام في وليبلي المؤمنين منه
اي ليعطيهم من عنده بلاء حسنا اي عطاء جميلا غير مشوب بمقاسات الشدائد والمكاره اما متعلقة بمحذوف
او متاخر قالوا واعتراضية اي وللاحسان اليهم بالنصر والغنيمة فعل فعل لا لشيء غير ذلك مما لا يجديهم نفعا واما
برمى قالوا و للعطف على علة محذوفة اي ولكن الله رمى ليمحق الكافرين وليبلي الخ وقوله تعالى ان الله سميع لدعائهم
واحوالهم الداعية الى الاجابة تعليل للحكم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع على انه خبر مبتدا محذوف
وقوله وان الله موهن كيد الكافرين بالاضافة معطوف عليه اي المقصد ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين و
ابطال حيلهم وقيل المشار اليه القتل والرمي والمبتدا الامر اي الامر ذلكم اي القتل فيكون قوله تعالى وان
الله الاية من قبيل عطف البيان وقرئ موهن بالتنوين مخففا ومشددا ونصب كيد الكافرين ان تستفتحوا
خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم بهم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم
انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين اي ان تستنصروا لاعلى الجندين فقد جاءكم الفتح

والرفع

اي للدعاء واستغاثتهم
عليهم

حيث نصر

حيث نصر اعلاهما وقد زعمتم انكم الاعلى فالتهكم في المجيء او فقد جاءكم الهزيمة والقهر فالتهكم في نفس الفتح حيث وضع
موضع ما يقابله وان تنتهوا عما كنتم عليه من الحراب ومعاداة الرسول عليه الصلوة والسلام اي الانتهاء فهو خير لكم
اي من الحراب الذي ذقتم غائلته لما فيه من السلامة من القتل والاسر ومبنى اعتبار اصل الخيرية في المفضل عليه هو التهكم
وان تعودوا الى حرابه صلى الله عليه وسلم نعد لما شاهدتموه من الفتح ولن تغني بالتاء الفوقانية وقرئ بالياء
التحتانية لان تانيث الفئة غير حقيقي وللفصل اي لن تغني ابدا عنكم فئتكم اي جماعتكم التي تجمعونهم وتستغيثون
بهم شيئا من الاغناء او من المضار وقوله تعالى ولو كثرت جملة حالية وقدم التحقيق وان الله مع المؤمنين اي
ولان الله معين للمؤمنين كان ذلك او والامر ان الله مع المؤمنين ويقرب منه بحسب المعنى قراءة الكسر على
الاستيناف وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل والرغبة
عما يرغب فيه الرسول عليه الصلوة والسلام فهو خير لكم من كل شيء لما انه مناط لسعادة الدارين وان تعودوا اليه
نعد عليكم بالانكار وتهييج العدو ولن تغني حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر والامر ان الله مع الكاملين في
الايمان يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا بطرح احدى التائين وقرئ بادغامها عنه اي لا تولوا
عن الرسول فان المراد هو الامر بطاعته والنهي عن الاعراض عنه وذكر طاعته تعالى للتمهيد والتنبيه على ان طاعته
تعالى في طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد وقيل للامر
الذي دل عليه الطاعة وقوله تعالى وانتم تسمعون جملة حالية واردة لتاكيد وجوب الانتهاء عن التولي مطلقا
كما في قوله تعالى ولا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون لا لتقييد النهي عنه بحال السماع كما في قوله تعالى لا تقربوا
الصلوة وانتم سكارى اي لا تولوا عنه والحال انكم تسمعون القران بوجوب طاعته والمواعظ الزاجرة عن مخالفته
سماع فهم واذعان ولا تكونوا تقرير للنهي السابق وتحذير عن مخالفته بالتنبيه على انها مودية الى انتظامهم في
سلك الكفرة بكون سماعهم كلا سماع اي لا تكونوا بمخالفة الامر والنهي كالذين قالوا سمعنا بمجرد الادعاء من غير
فهم واذعان كالكفرة والمنافقين الذين يدعون السماع وهم لا يسمعون حال من ضمير قالوا اي قالوا ذلك
والحال انهم لا يسمعون حيث لا يصدقون ما سمعوه ولا يفهمونه حق فهمه فكانهم لم يسمعوه راسا ان شر
الدواب استيناف مسوق لبيان كمال سوء حال المشبه بهم مبالغة في التحذير وتقريرا للنهي اثر تقرير
اي ان شر من يدب على الارض او شر البهائم عند الله اي في حكمه وقضائه الصم الذين لا يسمعون الحق
البكم الذين لا ينطقون به وصفوا بالصمم والبكم لان ما خلق له الاذن واللسان سماع الحق والنطق به وحيث
لم يوجد فيهم شيء من ذلك صاروا كانهم فاقدون للجارحتين راسا وتقديم الصم على البكم لما ان صممهم متقدم على
تكلمهم فان السكوت عن النطق بالحق من فروع عدم سماعهم له كما ان النطق به من فروع سماعه ثم وصفوا بعدم
التعقل فقيل الذين لا يعقلون تحقيقا لكمال سوء حالهم فان الاصم الابكم اذا كان له عقل ربما يفهم بعض الامور
ويفهمه غيره بالاشارة ويهتدي بذلك الى بعض مطالبه واما اذا كان فاقد العقل ايضا فهو الغاية في الشر
وسوء الحال وبذلك يظهر كونهم شرا من البهائم حيث ابطلوا ما به يمتازون عنها وبه يفضلون على كثير من
خلق الله تعالى فصاروا اخس من كل خسيس ولو علم الله فيهم خيرا شيئا من جنس الخير الذي من جملته صرف
قواهم الى تحري الحق واتباع الهدى لاسمعهم سماع تفهم وتدبر ولو وقفوا على حقيقة الرسول صلى الله
عليه وسلم واطاعوه وامنوا به ولكن لا يعلم فيهم شيئا من ذلك لخلوهم عنه بالمرة فلم يسمعهم لذلك لخلوه عن
الفائدة وخروجه عن الحكمة واليه اشير بقوله تعالى ولو اسمعهم لتولوا اي لو اسمعهم سماع تفهم وهم على الحالة
العارية عن الخير بالكلية لتولوا عما سمعوه من الحق ولم ينتفعوا به قط وارتدوا بعد ما صدقوه وصاروا كانهم
لم يسمعوه اصلا وقوله تعالى وهم معرضون اما حال من ضمير تولوا اي لتولوا على ادبارهم والحال انهم
معرضون عما سمعوه بقلوبهم واما اعتراض تذييلي اي وهم قوم عادتهم الاعراض وقيل كانوا يقولون لرسول الله

صلى الله عليه وسلم اجيء قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونومن بك فالمعنى ولو اسمعهم كلام قصي الى اخره
قيل هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم الا مصعب بن عمير وسويبط بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما
جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فاتلهم الله تعالى فقتلوا جميعا باحد وكانوا اصحاب اللواء وعن ابن جريج
انهم المنافقون وعن الحسن رحمه الله تعالى اهل الكتاب يا ايها الذين امنوا تكرير للنداء مع وصفهم بنعت الايمان
لتنشيطهم الى الاقبال على الامتثال بما يرد بعده من الاوامر وتنبيههم على ان فيهم ما يوجب ذلك استجيبوا لله
والرسول بحسن الطاعة اذا دعاكم اي الرسول اذ هو المباشر لدعوة الله تعالى لما يحييكم من العلوم الدينية التي هي
مناط الحيوة الابدية كما ان الجهل مدار الموت الحقيقي او هي ما حيوة القلب كما ان الجهل موجب موته وقيل
بمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كما في قوله تعالى ولكم في القصاص حيوة روي انه صلى الله
عليه وسلم مر على ابي بن كعب وهو يصلي فدعاه فعجل في صلاته ثم جاء فقال صلى الله عليه وسلم ما منعك من
اجابتي قال كنت في الصلوة قال لم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله والرسول اذا دعاكم الى اخره واختلف فيه فقيل
هذا من خصايصه صلى الله عليه وسلم وقيل لان اجابته صلى الله عليه وسلم لا تقطع الصلوة وقيل
كان ذلك الدعاء لامر لا يحتمل التاخير وللمصلي ان يقطع الصلوة لمثله واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية
قربه تعالى من العبد كقوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه تعالى مطلع على مكنونات القلوب على ما عسى
يغفل عنه صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ادراك المنية فانها حايلة بين المرء وقلبه
او تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه بحيث يفسخ عزايمه ويغير نياته ومقاصده ويحول بينه وبين الكفران اراد
سعادته وتبدل له بالامن خوفا وبالذكر نسيانا وما اشبه ذلك من الامور المعترضة المفوتة للفرصة وقرئ
بين المرء بتشديد الراء على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف وانه اي الله تعالى والشان
اليه تحشرون لا الى غيره فيجازيكم بحسب مراتب اعمالكم فسارعوا الى طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله
عليه وسلم وبالغوا في الاستجابة لهما واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اي لا تختص اصابتها بمن يباشر
الظلم منكم بل تعمه وغيره كاقرار المنكر بين اظهرهم والمداهنة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وافتراق الكلمة
وظهور البدع والتكاسل في الجهاد على ان قوله لا تصيبن الى اخره اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم لا
تصيب الظالم خاصة وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله
تعالى ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه شذوذ لان النون لا تدخل النفي في غير
القسم او النهي على ارادة القول كقول من قال • حتى اذا جن الظلام واختلط • جاؤا بمذق هل رايت الذيب قط •
واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرا لتصيبن وان اختلف المعنى فيهما وقد جوزوا ان يكون نهيا عن التعرض
للظلم بعد الامر باتقاء الذنب فان وباله يصيب الظلم خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجه الاول
للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفايدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح من غيركم واعلموا ان الله شديد العقاب
ولذلك يصيب بالعذاب من لا يباشر سببه واذكروا اذ انتم قليل اي وقت كونكم قليلا في العدد وايثار الجملة
الاسمية للايذان باستمرار ما كانوا فيه من القلة وما يتبعها من الضعف والخوف وقوله تعالى مستضعفون
خبر ثان او صفة لقليل في الارض اي في ارض مكة تحت ايدي قريش والخطاب للمهاجرين او تحت ايدي
فارس والروم والخطاب للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء تحت ايدي الطايفتين وقوله تعالى تخافون ان يتخطفكم
الناس خبر ثالث او صفة ثانية لقليل وصف بالجملة بعد ما وصف بالمفرد او حال من المستكن في
مستضعفون والمراد بالناس على الاول وهو الاظهر اما كفار قريش او كفار عرب لقربهم منهم وشدة عداوتهم
لهم وعلى الثاني فارس والروم اي واذكروا وقت قلتكم وذلتكم وهوانكم على الناس وخوفكم من اختطافهم
فاواكم الى المدينة او جعل لكم ماوى تتحصنون به من اعدائكم وايدكم بنصره على الكفار او بمظاهرة الانصار

اوبامداد

اوبامداد الملائكة ورزقكم من الطيبات من الغنايم لعلكم تشكرون هذه النعمة الجليلة يا ايها الذين امنوا لا
تخونوا الله والرسول اصل الخون النقص كما ان الوفاء التمام واستعماله في ضد الامانة لتضمنه اياه اي لا تخونوهما
بتعطيل الفرايض والسنن او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او في الغلول في الغنايم روي انه صلى الله
عليه وسلم حاصر بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا الصلح كما صالح بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم
باذرعات واريحا من ارض الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه فابوا وقالوا ارسل لنا
ابا لبابة وكان مناصحا لهم لما ان ماله وعياله كان في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم
سعد فاشار الى حلقه انه الذبح فقال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني خنت الله ورسوله
فنزلت فشد نفسه على سارية من سواري المسجد فقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب
الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك
فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه صلى الله عليه وسلم
فحله فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال صلى
الله عليه وسلم يجزيك الثلث ان تتصدق به وتخونوا اماناتكم فيما بينكم وهو مجزوم معطوف على الاول منصوب
على الجواب بالواو وانتم تعلمون انكم تخونون او انتم علماء تميزون الحسن من القبيح واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة
لانها سبب الوقوع في الاثم او العقاب او محنة من الله تعالى ليبلوكم في ذلك فلا يحملنكم حبهما على الخيانة كابي لبابة وان الله
عنده اجر عظيم لمن اثر رضاه تعالى عليهما وراعى حدوده فيهما فنيطوا هممكم بما يوديكم اليه يا ايها الذين امنوا
تكرير للخطاب والوصف بالايمان لاظهار كمال العناية بما بعده والايذان بانه مما يقتضي الايمان مراعاته والمحافظة عليه
كما في الخطابين السابقين ان تتقوا الله اي في كل ما تاتون وما تذرون يجعل لكم بسبب ذلك فرقانا هداية
في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المومنين واذلال الكافرين او مخرجا
من الشبهات او نجاة مما تحذرون في الدارين او ظهورا يشهر امركم وينشر صيتكم من قولهم صبت افعل كذا حتى سطع
الفرقان اي الصبح ويكفر عنكم سياتكم اي يسترها ويغفر لكم ذنوبكم بالعفو والتجاوز عنها وقيل
السيات الصغاير والذنوب الكباير وقيل المراد ما تقدم وما تاخر لانها في اهل بدر وقد غفرها الله تعالى
لهم وقوله تعالى والله ذو الفضل العظيم تعليل لما قبله وتنبيه على ان ما وعده الله تعالى لهم على التقوى تفضل منه واحسان
لا انه مما توجبه التقوى كما اذا وعد السيد عبده انعاما على عمل واذ يمكر بك الذين كفروا منصوب على المفعولية بفعل
مخاطب به النبي صلى الله عليه وسلم معطوف على قوله تعالى واذكروا اذ انتم الى اخره مسوق لتذكير النعم الخاصة
به صلى الله عليه وسلم بعد تذكير النعمة العامة للكل اي واذكر وقت مكرهم بك ليثبتوك بالوثاق ويعضده
قراءة من قرا ليقيدوك او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك
بالتشديد وليبيتوك من البيات او يقتلوك اي بسيوفهم او يخرجوك اي من مكة وذلك انهم لما سمعوا
باسلام الانصار ومبايعتهم له صلى الله عليه وسلم فرقوا واجتمعوا في دار الندوة يتشاورون في امره صلى
الله عليه وسلم فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا
مني رايا ونصحا فقال ابو البختري رايي ان تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه
منها حتى يموت فقال الشيخ بيس الراي ياتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال
هشام بن عمرو رايي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال الشيخ بيس الراي
يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه
ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبايل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل
عقلناه فقال الشيخ صدق هذا الفتى فتفرقوا على رايه فاتى جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم

واخبره الخبر وامره بالهجرة فبيّت عليا رضي الله تعالى عنه على مضجعه وخرج هو مع ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه
الى الغار ويمكرون ويمكر الله اي يرد مكرهم عليهم او يجازيهم عليه او يعاملهم معاملة الماكرين وذلك بان اخرجهم الى
بدر وقلل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم فلقوا منهم ما لقوا والله خير الماكرين لا يعبأ بمكرهم عند مكره واسناد
امثال هذا اليه سبحانه مما يحسن للمشاكلة ولا مساغ له ابتداء ولما فيه من ايهام ما لا يليق به سبحانه وتعالى
واذا تتلى عليهم اياتنا التي حقها ان تخر لها صم الجبال قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا قاله اللعين النضر بن الحارث
واسناده الى الكل لما انه كان رئيسهم وقاضيهم الذي يقولون بقوله ويأخذون برأيه وقيل قاله الذين
الذين ائتمروا في امره صلى الله عليه وسلم في دار الندوة وهذا كما ترى غاية المكابرة ونهاية العناد كيف لا ولو
استطاعوا شيئا من ذلك فما الذي كان يمنعهم من المشيئة وقد تحدوا عشر سنين وقرعوا على العجز وذاقوا من
ذلك الامرين ثم قورعوا بالسيف فلم يعارضوا بما سواه مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا لا سيما في
باب البيان ان هذا الا اساطير الاولين اي ما يسطرونه من القصص واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم هذا تعليل ايضا من اباطيل ذلك اللعين روي انه
لما قال ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبي ويلك انه كلام الله تعالى فقال ذلك والمعنى ان القران ان كان
حقا منزلا من عندك فامطر علينا الحجارة عقوبة على انكارنا او ائتنا بعذاب اليم سواه والمراد منه التهكم واظهار
اليقين والجزم التام على انه ليس كذلك وحاشاه وقرئ الحق بالرفع على انه هو مبتدأ لا فصل وفائدة التعريف
فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا على الوجه الذي يدعيه صلى الله عليه وسلم وهو تنزيله لا الحق مطلقا
لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كالاساطير وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم جواب لكلمتهم الشنعاء وبيان
للموجب لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم واللام لتأكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم عذاب استئصال
والنبي صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم خارج عن عادته تعالى غير مستقيم في حكمه وقضائه والمراد باستغفارهم
في قوله تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اما استغفار من بقي منهم من المؤمنين او قولهم اللهم غفرانك او فرضه
على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله وما كان ربك ليهلك القرى واهلها مصلحون وما لهم الا يعذبهم الله بيان
لاستحقاقهم العذاب بعد بيان المانع ليس من قبلهم اي وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا
يعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام اي وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية وما كانوا اولياءه حال من ضمير يصدون مفيدة لكمال قبح ما صنعوا من الصد
فان مباشرتهم للصد عنه مع عدم استحقاقهم لولايته امر في غاية القبح وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت
والحرم نصد من نشاء وندخل من نشاء ان اولياؤه الا المتقون من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره تعالى ولكن
اكثرهم لا يعلمون ان لا ولاية لهم وفيه اشعار بان منهم من يعلم ذلك ولكنه يعاند وقيل اريد باكثرهم
كلهم كما يراد بالقلة العدم وما كان صلاتهم عند البيت اي دعاؤهم او ما يسمونه صلاة او ما يضعون موضعها
الا مكاء اي صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكى وتصدية اي تصفيقا تفعلة من الصد
او من الصدى على ابدال احد حرفي التضعيف وقرئ صلاتهم بالنصب على انه الخبر لكان ومساق الكلام
لتقرير استحقاقهم العذاب او عدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق بمن هذه صلاته روي انهم كانوا
يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك
اذا اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يصلي يخلطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا فذوقوا العذاب اي
القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب الاخرة واللام تحتمل ان تكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب اليم
بما كنتم تكفرون اعتقادا وعملا ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا
اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر او في ابي سفيان استأجر ليوم احد الفين سوى

من استحاش من العرب وانفق فيهم اربعين اوقية او في اصحاب العير فانه لما اصيب قريش يوم بدر قيل لهم
اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك ثارنا منه ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله صلى الله
عليه وسلم فسينفقونها بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق يوم بدر والثاني
اخبار عن قولهم انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق يوم احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول
لبيان الغرض من الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما لفواتها
من غير حصول المقصود جعل ذاتها حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة ثم يغلبون آخر الامر وان كان الحرب
بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا اي ثبتوا على الكفر واصروا عليه الى جهنم يحشرون اي يساقون لا الى غيرها
ليميز الله الخبيث من الطيب اي الكافر من المؤمن والفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون او يغلبون
او ما انفقه المشركون في عداوته صلى الله عليه وسلم مما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله
ثم تكون عليهم حسرة وقرئ ليميز بالتشديد للمبالغة ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا اي يضم بعضه الى
بعض حتى يتراكموا لفرط ازدحامهم فيجمعه او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كمال الكافرين فيجعله في
جهنم كله اولئك اشارة الى الخبيث اذ هو عبارة عن الفريق او الى المنفقين وما فيه من معنى البعد للايذان
ببعد درجتهم في الخبث اذ هو عبارة عن الفريق هم الخاسرون الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم
قل للذين كفروا هم ابو سفيان واصحابه اي قل لاجلهم ان ينتهوا عما هم فيه من معاداة النبي صلى الله عليه وسلم
بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف من الذنوب وقرئ تغفر لكم ويغفر لكم بالبناء للفاعل وهو الله تعالى
وان يعودوا الى قتاله فقد مضت سنة الاولين الذين تحزبوا على الانبياء عليهم الصلوة والسلام بالتدمير كما جرى
على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم عطف على قل وقد عم الخطاب لزيادة ترغيب المؤمنين في القتال
لتحقيق ما يتضمنه قوله تعالى فقد مضت سنة الاولين من الوعيد حتى لا تكون فتنة اي لا يوجد منهم شرك
ويكون الدين كله لله وتضمحل الاديان الباطلة اما باهلاك اهلها جميعا او برجوعهم عنها خشية القتل
فان انتهوا عن الكفر تبعا لكم فان الله بما يعملون بصير فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وقرئ بتاء الخطاب
اي بما تعملون من الجهاد المحوج لهم الى الاسلام وتعليقه بانتهائهم للدلالة على انهم يثابون بالسببية كما يثاب
المباشر بالمباشرة وان تولوا ولم ينتهوا عن ذلك فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم نعم
المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير لا يغلب من نصره واعلموا انما غنمتم عن الكلبي انها نزلت ببدر وقال
الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة
وما موصولة وعائدها محذوف اي الذي اصبتموه من الكفار عنوة واصل الغنيمة اصابة الغنم من العدو ثم اتسع
واطلق على كل ما اصيب منهم كائنا ما كان وقوله تعالى من شيء بيان للموصول محله النصب على انه حال من عائد
الموصول قصد به الاعتناء بشأن الغنيمة وان لا يشذ عنها شيء اي ما غنمتموه كائنا مما يقع عليه اسم الشيء حتى
الخيط والمخيط خلا ان سلب المقتول للقاتل اذا نفله الامام وان الاسارى يخير فيها وكذا الاراضي المغنومة
وقوله تعالى فان لله خمسه مبتدأ خبره محذوف اي فحق او فواجب ان لله تعالى خمسه وهذه الجملة خبر لان اي
اخره والاولى آكد واقوى في الايجاب لما فيه من تكرار الاسناد كانه قيل ولا بد من ثبات الخمس ولا سبيل
الى الاخلال به وقرئ فلله خمسه بسكون الميم والجمهور على ان ذكر الله للتعظيم كما في قوله تعالى والله ورسوله
احق ان يرضوه والمراد قسمة الخمس على المعطوفين عليه بقوله تعالى وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
واعادة اللام في ذوي القربى دون غيرهم من الاصناف الثلاثة لدفع توهم اشتراكهم في سهم النبي صلى الله عليه
وسلم لمزيد اتصالهم به صلى الله عليه وسلم وهم بنو هاشم وبنو المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل
لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم رضي الله عنهما انهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء اخوتك

بنو هاشم وبنو المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارايت اخواننا
بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا فانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال صلى الله عليه وسلم انهم لم يفارقونا في جاهلية
ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شئ واحد وشبك بين اصابعه صلى الله عليه وسلم وكيفية قسمتها
عندنا انها كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة اسهم سهم له صلى الله عليه وسلم
وسهم للمذكورين من ذوي قرابته وثلاثة اسهم للاصناف الثلثة الباقية واما بعده صلى الله عليه وسلم
فسهمه ساقط وكذا سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم فهم اسوة لسائر الفقراء ولا يعطى اغنياؤهم
فيقسم على الاصناف الثلاثة ويؤيده ما روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه منع بني هاشم الخمس
وقال انما لكم ان يعطى فقيركم ويزوج ايمكم ويخدم من لا خادم له منكم فهو بمنزلة ابن السبيل الغني لا يعطى
من الصدقة شيئا وعن زيد بن علي رضي الله عنهما مثله قال ليس لنا ان نبني منه قصورا ولا نركب منه
البراذين وقيل سهم الرسول صلى الله عليه وسلم لولي الامر بعده واما عند الشافعي رحمه الله تعالى فيقسم على
خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف الى ما كان يصرفه صلى الله عليه وسلم من مصالح المسلمين
كعدة الغزاة من الكراع والسلاح ونحو ذلك وسهم لذوي القربى من اغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل
حظ الانثيين والباقي للفرق الثلاث وعند مالك رحمه الله الامر فيه مفوض الى اجتهاد الامام ان
راى قسمه بين هؤلاء وان راى اعطاه بعضا منهم دون بعض وان راى غيرهم اولى واهم فغيرهم وتعلق
ابو العالية بظاهر الاية الكريمة فقال يقسم ستة اسهم ويصرف سهم الله تعالى الى رتاج الكعبة ثم
يقسم ما بقي على الخمسة لما روي انه صلى الله عليه وسلم كان ياخذ منه قبضة فيجعلها لمصالح الكعبة ثم يقسم ما
بقي على خمسة اسهم وقيل سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم الى سهم الرسول صلى الله عليه وسلم
هذا شان الخمس واما الاخماس الاربعة فيقسم بين الغانمين للراجل سهم وللفارس سهمان عند ابي حنيفة
رحمه الله تعالى وثلاثة اسهم عندنا قال القرطبي لما بين الله تعالى حكم الخمس وسكت عن الباقي دل
ذلك على انه ملك الغانمين وقوله تعالى ان كنتم امنتم بالله متعلق بمحذوف ينبئ عنه المذكور اي ان كنتم امنتم
به تعالى فاعلموا ان الخمس من الغنيمة يجب به التقرب الى الله تعالى فاقطعوا اطماعكم منه واقتنعوا
بالاخماس الاربعة وليس المراد به مجرد العلم بذلك بل العلم المشفوع بالعمل والطاعة لامره تعالى وما انزلنا
عطف على الاسم الجليل اي ان كنتم امنتم بالله وما انزلناه على عبدنا وقرئ عبادنا وهو اسم جمع اريد
به الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون فان بعض ما نزل نازل عليهم بالذات كما ستعرفه يوم الفرقان
يوم بدر سمي به لفرقه بين الحق والباطل وهو منصوب بانزلنا او بامنتم يوم التقى الجمعان اي الفريقان
من المؤمنين والكافرين وهو بدل من يوم الفرقان والمراد ما انزل عليه صلى الله عليه وسلم يومئذ من الوحي
والملئكة والفتح على ان المراد بالانزال مجرد الايصال والتيسير فينتظم الكل انتظاما حقيقيا وجعل الايمان بانزال
هذه الاشياء من موجبات العلم بكون الخمس لله تعالى على الوجه المذكور من حيث ان الوحي ناطق بذلك وان
الملائكة والفتح لما كان من جهته تعالى ان يكون ما حصل بسببهما من الغنيمة مصروفة الى الجهات التي
عينها الله تعالى والله على كل شئ قدير يقدر على نصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل ذلك اليوم
اذ انتم بالعدوة الدنيا بدل ثان من يوم الفرقان والعدوة بالضم شط الوادي وكذا بالفتح والكسر وقد قرئ
بهما ايضا وهم بالعدوة القصوى اي البعدى من المدينة وهي تانيث الاقصى وكان القياس قلب الواو ياء
كالدنيا والعليا مع كونهما من بنات الواو لكن جاءت على الاصل كالقود واستصوب وهو اكثر استعمالا
من القصيا والركب اي العير او قوادها اسفل منكم اي في مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو
نصب على الظرفية واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو و

استظهارهم

واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم
وضعف شان المسلمين وتبات امرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة
تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ولم يكن فيها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله تعالى ولو تواعدتم
لاختلفتم في الميعاد اي لو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم في الميعاد هيبة منهم
وياسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا من الله عز وجل خارقا للعادات فيزدادوا
ايمانا وشكرا وتطمئن نفوسهم بفرض الخمس ولكن جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا
حقيقا بان يفعل من نصر اوليائه وقهر اعدائه ومقدرا في الازل وقوله تعالى ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة
بدل منه او متعلق بمفعولا اي ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن بينة شاهدها لئلا يكون له
حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الايات الواضحة او ليصدر كفر من كفر وايمان من امن عن وضوح بينة على استعارة
الهلاك والحيوة للكفر والايمان والمراد بمن هلك ومن حي المشارف للهلاك والحيوة ومن حاله في علم الله
تعالى الهلاك والحيوة وقرئ ليهلك بالفتح وحيي بفك الادغام حملا على المستقبل وان الله لسميع عليم
اي بكفر من كفر وعقابه وايمان من امن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد
اذ يريكهم الله في منامك قليلا منصوب باذكر او بدل اخر من يوم الفرقان او متعلق بعليم اي يعلم المصالح
اذ يقللهم في عينك في رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو اراكهم
كثيرا لفشلتم اي لجبنتم وهبتم الاقدام ولتنازعتم في الامر اي امر القتال وتفرقت اراؤكم في الفرار
والثبات ولكن الله سلم اي انعم بالسلامة من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها
من الجراءة والجبن والصبر والجزع ولذلك دبر ما دبر واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا منصوب بمضمر خوطب
به الكل بطريق التلوين والتعميم معطوف على المضمر السابق والضميران مفعولا يرى وقليلا حال من الثاني
وانما قللهم في اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه لمن الى جنبه اتراهم سبعين
فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم ويقللكم في اعينهم حتى قال
ابو جهل انما اصحاب محمد اكلة جزور قللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم
حتى راوهم مثليهم لتفاجئهم الكثرة فيبهتوا ويهابوهم وهذه من عظائم ايات تلك الواقعة فان البصر قد يرى
الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما ذلك بصد الله تعالى الابصار عن ابصار بعض
دون بعض مع التساوي في الشرائط ليقضي الله امرا كان مفعولا كرر لاختلاف الفعل المعلل به او لان المراد
بالامر ثمة الالتقاء على الوجه المذكور وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الكفر وحزبه والى الله ترجع الامور
كلها يصرفها كيف ما يريد لا راد لامره ولا معقب لحكمه وهو الحكيم المجيد يا ايها الذين امنوا صدر الخطاب بحرف
النداء والتنبيه اظهارا لكمال الاعتناء بمضمون ما بعده اذا لقيتم فئة اي حاربتم جماعة من الكفرة وانما
لم يوصفوا بالكفر لظهور ان المؤمنين لا يحاربون الا الكفرة واللقاء مما غلب في القتال فاثبتوا اي للقائهم
في مواطن الحرب واذكروا الله كثيرا اي في تضاعيف القتال مستمدين منه مستعينين به مستظهرين
بذكره مترقبين لنصره لعلكم تفلحون اي تفوزون بمرامكم وتظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة
وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي ان لا يشغله عن ذكر الله تعالى وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل اليه بكليته
فارغ البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه في حال من الاحوال واطيعوا الله ورسوله في كل ما تاتون وما تذرون
فيندرج فيه ما امروا به ههنا اندراجا اوليا ولا تنازعوا باختلاف الاراء كما فعلتم ببدر واحد فتفشلوا
جواب للنهي وقيل عطف عليه وتذهب ريحكم بالنصب عطف على جواب النهي وقرئ بالجزم على
تقدير عطف فتفشلوا على النهي اي تذهب دولتكم وشوكتكم فانها مستعارة للدولة من حيث انها

في تتبّع امرها ونفادها مشتبهة بها في هبوبها وجريانها وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لاتكون الا بريح
يبعثها الله تعالى وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور واصبروا على شدائد الحراب ان الله
مع الصابرين بالنصرة والكلاءة وما يفهم من كلمة مع من اصالتهم انما هي من حيث انهم المباشرون للصبر فهم
متبوعون من تلك الحيثية ومعيته تعالى انما هي من حيث الامداد والاعانة ولاتكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بعدما
امروا بما امروا به من محاسن الاعمال ونهوا عما يقابلها من قبائحها والمراد بهم اهل مكة حين خرجوا لحماية العير
بطرا اي فخرا واشرا ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا جحفة اتاهم رسول
ابوسفيان وقال ارجعوا فقد سلمت عيركم فابوا الا اظهار الجلادة فلقوا ما لقوا حسبما ذكر في اوائل السورة الكريمة
فنهي المؤمنون ان يكونوا امثالهم مرائين بطرين وامروا بالتقوى والاخلاص من حيث ان النهي عن الشيء مستلزم
الامر بضده ويصدون عن سبيل الله عطف على بطرا ان جعل مصدرا في موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا له لكن
على تاويل المصدر والله بما يعملون محيط فيجازيهم عليه واذ زين لهم الشيطان اعمالهم منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى
الله عليه وسلم بطريق التلوين اي واذكر وقت تزيين الشيطان اعمالهم في معاداة المؤمنين وغيرها بان وسوس
اليهم وقال لاغالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم اي القى في روعهم وخيل اليهم انهم لايغلبون ولا يطاقون لكثرة
عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر اهدى
الفئتين وافضل الدينين ولكم خبر لاغالب او صفته وليس صلته والا لانتصب كقولك لاضاربا زيدا عندنا فلما
تراءت الفئتان اي تلاقى الفريقان نكص على عقبيه رجع القهقرى اي بطل كيده وعاد ما خيل اليه انه مجيرهم
سبب لهلاكهم وقال اني بريء منكم اني ارى ما لاترون اني اخاف الله اي تبرا منهم ويئس من حالهم لما راى امداد الله تعالى
للمسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الاحنة فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم
ابليس في صورة سراقة بن مالك الكناني وقال لاغالب لكم اليوم من الناس واني مجيركم من كنانة فلما راى الملائكة
تنزل نكص وكان يده في يد الحارث بن هشام فقال له الى اين اتخذلنا في هذه الحالة فقال اني ارى ما لاترون
ودفع في صدر الحارث فانطلق فانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله
ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله اني
اخاف الله اخافه ان يصيبني بمكروه من الملائكة او يهلكني ويكون الوقت هو الوقت الموعود اذ راى فيه ما
لم ير قبله والاول ما قاله الحسن رضي الله عنه واختاره ابن بحر والله شديد العقاب يجوز ان يكون
من كلامه او مستانفا من جهة الله عز وجل اذ يقول المنافقون منصوب بزين او بنكص او بشديد العقاب
والذين في قلوبهم مرض اي الذين لم تطمئن قلوبهم بالايمان بعد وبقي فيها نوع شبهة وقال هم المشركون
وقيل هم المنافقون في المدينة والعطف لتغاير الوصفين كما في قوله • يالهف زيابة للحارث • الصالح
فالغانم فالآيب غر هؤلاء يعنون المؤمنين دينهم حتى تعرضوا لما لا طاقة لهم به في جوارهم للثمانية
وبضعة عشر الى زهاء الف ومن يتوكل على الله جواب لهم من جهته تعالى ورد لمقالتهم فان الله عزيز غالب لا
يذل من توكل عليه واستجار به وان قل حكيم • يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقول • ويحار في فهمه
الباب الفحول • وجواب الشرط محذوف للدلالة المذكورة عليه ولو ترى اي لو رايت فان لو الامتناعية
ترد المضارع ماضيا كما ان ترد الماضي مضارعا والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد
ممن له حظ من الخطاب وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار وكلمة اذ في قوله تعالى
اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ظرف لترى والمفعول محذوف اي ولو ترى الكفرة او حال الكفرة حين يتوفاهم
الملائكة ببدر وتقديم المفعول للاهتمام به وقيل الفاعل ضمير عائد الى الله عز وجل والملائكة مبتدا
وقوله تعالى يضربون وجوههم خبره والجملة حال من الموصول قد استغني فيها بالضمير عن الواو وهو على الاول

حال منه

حال منه او من الملائكة او منهما لاشتماله على ضميرهما وادبارهم اي استاههم او ما اقبل منهم وما ادبر من الاعضاء
وذوقوا عذاب الحريق على ارادة القول معطوفا على يضربون او حالا من فاعله اي ويقولون او قائلين ذوقوا بشارة
بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف للايذان
بخروجه عن حدود البيان اي لرايت امرا فظيعا لايكاد يوصف ذلك اشارة الى ما ذكر من الضرب والعذاب وما
فيه من معنى البعد للاشعار بكونهما في الغاية القاصية من الهول والفظاعة وهو مبتدا خبره بما قدمت ايديكم اي
ذلك الضرب والعذاب واقع بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي ومحل ان في قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد
الرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي فالامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك
بنفي الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعا على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا قد
مر تحقيقه في سورة آل عمران والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها واما ما قيل من انها معطوفة على ما
للدلالة على ان سببيته مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم فليس بسديد لما ان مكان
تعذيبه تعالى لعبيده بغير ذنب بل وقوعه لاينافي كون تعذيب هؤلاء الكفرة المعينة بسبب ذنوبهم حتى يحتاج الى
اعتبار عدمه معه نعم لو كان المدعى كون جميع تعذيباته تعالى بسبب ذنوب المعذبين لاحتيج الى ذلك كداب
آل فرعون في محل الرفع على انه خبر مبتدا محذوف والجملة استئناف مسوق لبيان ما حل بهم من العذاب
بسبب كفرهم لا بشيء آخر من جهة غيرهم بتشبيه حالهم بحال المعروفين بالاهلاك بسبب جرائمهم لزيادة
تقبيح حالهم وللتنبيه على ان ذلك سنة مطردة فيما بين الامم المهلكة اي شانهم الذي استمروا عليه مما عملوا
او فعل بهم من الاخذ كداب آل فرعون المشهورين بقباحة الاعمال وفظاعة العذاب والنكال والذين من قبلهم اي
من قبل آل فرعون من الامم التي فعلوا من المعاصي ما فعلوا ولقوا من العقاب ما لقوا كقوم نوح وعاد واضرابهم من
اهل الكفر والفساد وقوله تعالى كفروا بآيات الله تفسير لدابهم الذي فعلوه ولا لداب فرعون ونحوه كما قيل
فان ذلك معلوم منه بقضية التشبيه وقوله تعالى فاخذهم الله تفسير لدابهم الذي فعل بهم والفاء للبيان
كونه من لوازم جناياتهم وتبعاتها المتفرعة عليها وقوله تعالى بذنوبهم لتاكيد ما افاده الفاء من السببية
مع الاشارة الى ان لهم مع كفرهم ذنوبا اخر لها دخل في استتباع العقاب ويجوز ان يكون المراد بذنوبهم
معاصيهم المتفرعة على كفرهم فيكون الباء للملابسة اي فاخذهم ملتبسين بذنوبهم غير تائبين عنها فدابهم
مجموع ما فعلوا وفعل بهم لا ما فعلوه فقط كما قيل قال ابن عباس رضي الله عنهما ان آل فرعون ايقنوا
ان موسى عليه السلام نبي الله فكذبوه كذلك هؤلاء جاءهم محمد عليه الصلاة والسلام بالصدق فكذبوه فانزل
الله تعالى بهم عقوبته كما انزل بآل فرعون وجعل العذاب من جملة دابهم مع انه ليس مقصودا مداومتهم عليه واعتبارهم
اياه كما هو المعتبر في مدلول الداب اما لتغليب ما فعلوه على ما فعل بهم او لتنزيل مداومتهم عليه لما بينهما من الملابسة
التامة وقوله تعالى ان الله قوي شديد العقاب اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من الاخذ وقوله تعالى ذلك الى آخره
استئناف مسوق لتعليل ما يفيده النظم الكريم من كون ما حل بهم من العذاب منوطا باعمالهم السيئة غير واقع
بلا سابقة ما يقتضيه وهو المشار اليه لا نفس ما حل بهم من العذاب والانتقام كما قيل لانه مع كونه معللا بما ذكر
من كفرهم وذنوبهم لا يتصور تعليله بجريان عادته تعالى تغيير نعمته على قوم قبل تغييرهم لحالهم وتوهم ان السبب
ليس ما ذكر كما هو منطوق النظم الكريم بل ما يستفاد من مفهوم الغاية من جريان عادته تعالى على تغيير نعمتهم عند
تغيير حالهم بناء على تخيل ان المعلل ترتب عقابهم على كفرهم من غير تخلف عنه وكون شططا هائل وابعاد عن
الحق بمراحل فالمعنى ذلك اي ترتب العقاب على اعمالهم السيئة دون ان يقع ابتداء مع قدرته تعالى على
ذلك بان الله اي بسبب انه تعالى لم يك في حد ذاته مغيرا نعمة انعمها اي لم ينبغ له سبحانه ولم يصح
في حكمته ان يكون بحيث يغير نعمة انعم بها على قوم من الاقوام اي نعمة كانت جلت او هانت حتى يغيروا ما

بانفسهم

من الاعمال والاحوال التي كانوا عليها وقت ملابستهم بالنعمة ويتصفوا بما ينافيها سواء كانت احوالهم السابقة مرضية صالحة
او قريبة من الصلاح بالنسبة الى الحادثة كداب هؤلاء الكفرة حيث كانوا قبل البعثة كفرة عبدة اصنام مستمرين على حالة مصححة
لافاضة النعمة الاهمال وسائر النعم الدنيوية عليهم فلما بعث النبي عليه الصلوة والسلام بالبينات غيروها الى اسوا
منها واسخط حيث كذبوه صلى الله عليه وسلم وعادوه ومن تبعه من المؤمنين وتحزبوا عليهم يبغونهم الغوائل فغير الله
تعالى ما انعم به عليهم من نعمة الامهال وعاجلهم بالعذاب والنكال واصل يك يكن فحذفت النون تخفيفا لشبهها بالحروف
اللينة وان الله سميع عليم عطف على ان الله الى اخره داخل معه في حيز التعليل اي وبسبب انه تعالى سميع عليم يسمع ويعلم
جميع ما يأتون وما يذرون من الاقوال والافعال السابقة واللاحقة فيترتب على كل منها ما يليق بها من ابقاء النعمة
وتغيرها وقرئ وان الله بكسر الهمزة فالجملة حينئذ استيناف مقرر لمضمون ما قبلها وقوله تعالى كداب آل فرعون
والذين من قبلهم في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي حتى يغيروا ما بانفسهم تغييرا كائنا كداب آل فرعون
كتغييرهم على ان دابهم عبارة عما فعلوه كما هو الانسب بمفهوم الداب وقوله تعالى كذبوا بآيات ربهم تفسير له بتمامه
وقوله تعالى فاهلكناهم لحادثة ترتب العقوبة عليه الا انه من تمام تفسيره ولا ضير في توسط قوله تعالى وان
الله سميع عليم بينهما كما من نظيره في سورة آل عمران حيث جوز وا انتصاب محل الكاف بان يعني مع ما بينهما من قوله
تعالى واولئك هم وقود النار هنا على تقدير عطف الجملة على ما قبلها واما على تقدير كونها اعتراضا فلا احتياج في
توسطها قطعا وقيل في محل الرفع على انه خبر مبتدا محذوف كما قبله فالجملة حينئذ استيناف آخر مسوق لتقرير
ما سيق له الاستيناف الاول بتشبيه دابهم بداب المذكورين لكن لا بطريق التكرير المحض بل بتغيير العنوان
وجعل الذات في الجانبين عبارة عما يلازم معناه الاول من تغيير الحال وتغيير النعمة اخذا مما نطق به قوله تعالى
ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة الاية اي داب هؤلاء وشانهم الذي هو عبارة عن التغيير بن المذكورين كداب
اولئك حيث غيروا حالهم فغير الله تعالى نعمته عليهم فقوله تعالى كذبوا بآيات ربهم تفسير كدابهم الذي فعلوه من
تغييرهم لحالهم وقوله تعالى فاهلكناهم تفسير لدابهم الذي فعل بهم من تغييره تعالى ما بهم من نعمته واما داب
قريش فمستفاد منه بحكم التشبيه ففيه در سان التنزيل حيث اكتفي في كل من التشبيهين بتفسير احدى الطرفين
واضافة الايات الى الرب المضاف الى ضميرهم لزيادة تقبيح ما فعلوا بها من التكذيب والالتفات الى نون
العظمة في اهلكنا جريا على سنن الكبرياء لتهويل الخطب والكلام في الفاء في قوله تعالى بذنوبهم كالذي مر
وعطف قوله تعالى واغرقنا آل فرعون على اهلكنا مع اندراجه تحته للايذان بكمال هول الاغراق وفظاعته
كعطف جبريل على الملائكة عليهم السلام وكل اي وكل من الفرق المذكورين اي كل من هؤلاء واولئك اي كل من
غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين اي انفسهم بالكفر والمعاصي حيث عرضوها للهلاك او واضعين
للكفر والتكذيب مكان الايمان والتصديق ولذلك اصابهم ما اصابهم ان شر الدواب بعد ما شرح احوال
المهلكين من شرار الكفرة شرع في بيان احوال الباقين منهم وتفصيل احكامهم وقوله تعالى عند الله اي في حكمه
وقضائه الذين كفروا اي اصروا على الكفر ولجوا فيه جعلوا شر الدواب لا شر الناس ايماء على انهم بمعزل من مجانستهم
وانما هم من جنس الدواب ومع ذلك شر من جميع افرادها حسبما نطق به قوله عز وجل ان هم الا كالانعام بل هم
اضل وقوله تعالى فهم لا يؤمنون حكم مترتب على تماديهم في الكفر ورسوخهم فيه وتسجيل عليهم بكونهم من
اهل الطبع لا يلويهم صارف ولا يثنيهم عاطف اصلا جيء به على وجه الاعتراض لا انه عطف على كفروا داخل
في حيز الصلة التي لا حكم فيها بالفعل وقوله تعالى الذين عاهدت منهم بدل من الموصول الاول او عطف بيان له
او نصب على الذم اي عاهدتهم ومن للايذان بان المعاهدة التي هي عبارة عن اعطاء العهد واخذه من الجانبين معتبرة
ها هنا من حيث اخذه عليه الصلوة والسلام عهدهم اذ هو المناط لقباحة ما نعي عليهم من النقض لا اعطاؤه
عليه الصلوة والسلام اياهم عهده كانه قيل الذين اخذت منهم عهدهم وقيل هي للتبعيض لان المباشرة

بالذات للعهد بعضهم لا كلهم ثم ينقضون عهدهم عطف على عاهدت داخل معه في حكم الصلة وصيغة الاستقبال
للدلالة على تجدد النقض وتعدده وكونهم على نيته في كل حال اي ينقضون عهدهم الذي اخذته منهم في كل مرة
اي من مرات المعاهدة اذ هي التي يتوقع فيها عدم النقض ويستقبح وجوده لا من مرات المحاربة كما قيل اذ لا يتوقع
فيها عدم النقض بل لا يتصور اصلا حتى يستقبح فيها وجوده لكونها مظنة لعدمه ولا فائدة في تقييد النقض بالوقوع
في كل مرة من مراتها بل لا صحة له قطعا لان النقض لا يتحقق الا في المرة الواردة على المعاهدة لا في المراتب الواقعة
بعدها بلا معاهدة ولئن سلم ان المراد هي المرات الواقعة اثر المعاهدة يبقى النقض الواقع بلا محاربة كبيع السلاح
ونحوه خارجا من البيان ولئن عد ذلك من المحاربة ولا محيص من لزوم خلو الكلام عن الفائدة بالمرة لان المحاربة
بهذا المعنى عين النقض فيؤول الامر الى ان يقال ينقضون عهدهم في كل مرة من مرات النقض وحمل المحاربة
على محاربة الاعداء مع كونه في غاية البعد والركاكة يستلزم خروج بيدهم بالنقض من البيان وهم لا يتقون حال
من فاعل ينقضون اي يستمرون على النقض والحال انهم لا يتقون سبة الغدر ولا يبالون بما فيه من العار والنار
وقوله تعالى فاما تثقفنهم شروع في بيان احكامهم بعد تفصيل احوالهم والفاء لترتيب ما بعدها على ما
قبلها اي فاذا كان حالهم كما ذكر فاما تصادفنهم وتظفرن بهم في الحرب اي في تضاعيفها فشرد بهم اي ففرق
عن مناصبتك تفريقا عنيفا موجبا للاضطراب والاضطراب ونكل عنها بان يفعل بهم من النكال والتعذيب ما
يوجب ان تنكل من خلفهم اي من وراءهم من الكفرة وفيه ايماء الى انهم بصدد الحراب قريب من هؤلاء
وقرئ شرذ بالذال المعجمة ولعله مقلوب شذ بمعنى فرق وقرئ من خلفهم اي افعل التشريد من وراءهم
.... والمعنى واحد لان ايقاع التشريد في الوراء لا يتحقق الا بتشريد من وراءهم لعلهم يذكرون
يتعظون بما شاهدوا مما نزل بالناقضين فيرتدعوا عن النقض وعن الكفر وقوله تعالى واما تخافن من قوم خيانة
بيان لاحكام المشرفين الى نقض العهد اثر بيان احكام الناقضين له بالفعل والخوف مستعار للعلم اي واما تعلمن
من قوم من المعاهدين نقض عهد فيما سياتي بما لاح لك منهم من دلائل الغدر ومخايل الشر فانبذ اليهم اي
فاطرح اليهم عهدهم على سواء على طريق مستوقصد بان تظهر لهم النقض وتخبرهم اخبارا مكشوفا بانك قد قطعت
ما بينك وبينهم من الوصلة ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد كيلا يكون من قبلك شائبة خيانة اصلا
فالجار متعلق بمحذوف هو حال من النابذ اي فانبذ اليهم ثابتا على سواء وقيل على استواء في العلم بنقض
العهد بحيث يستوي فيه اقصاهم وادناهم او تستوي فيه انت وهم فهو على الاول حال من المنبوذ اليهم
وعلى الثاني من الجانبين ان الله لا يحب الخائنين تعليل للامر بالنبذ اما باعتبار استلزامه للنهي عن المناجزة التي
هي خيانة فيكون تحذيرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم منها واما باعتبار استتباعه للقتال بالآخرة فيكون
حثا له صلى الله عليه وسلم على النبذ اولا وعلى قتالهم ثانيا كانه قيل واما تعلمن من قوم خيانة فانبذ اليهم
ثم قاتلهم ان الله لا يحب الخائنين وهم من جملتهم لما علمت من حالهم ولا تحسبن الذين كفروا اي انفسهم
فحذف للتكرار وقوله تعالى سبقوا اي فاتوا وفلتوا من ان يظفر بهم مفعول ثان ليحسبن والمراد اقناطهم
من الخلاص وقطع اطماعهم الفارغة من الانتفاع بالنبذ والاقتصار على دفع هذا التوهم مع ان مقاومة المؤمنين
بل الغلبة عليهم ايضا مما يتعلق به امانيهم الباطلة للتنبيه على ان ذلك مما لا يحوم حوله وهمهم وحسبانهم
وانما الذي يمكن ان يدور في خلدهم حسبان المناص فقط وقيل الفعل مسند الى احد او الى من خلفهم
والمفعول الاول الموصول المتناول لهم ايضا وقيل هو الفاعل وان محذوفة من سبقوا وهي مع ما في
حيزها سادة مسد المفعولين والتقدير ولا تحسبن الذين كفروا ان سبقوا ويعضده قراءة من قرأ انهم
سبقوا ونظيره في الحذف قوله تعالى ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وقوله تعالى افغير الله تامروني
اعبد الاية قاله الزجاج وقرئ بالتاء على خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي قراءة واضحة

وقرئ ولا تحسب الذين بكسر السين وبفتحها على حذف النون الخفيفة وقوله تعالى انهم لا يعجزون اي لا يفوتون
ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم تعليل للنهي على طريقة الاستيناف وقرئ بفتح الهمزة على حذف لام التعليل
وقيل الفعل واقع عليه ولا زائدة وسبقوا حال بمعنى سابقين اي مفلتين هاربين وهذا على قراءة الخطاب
لازاحة ما عسى يحذر من عاقبة النبذ لما انه ايقاظ للعدو وتمكين لهم من الهرب والخلاص من ايدي المؤمنين وفيه
نفي لقدرتهم على المقاومة والمقابلة على ابلغ وجه واكده كما اشير اليه وقيل نزلت فيمن افلت من قتل المشركين وقرئ
لا يعجزون بكسر النون ولا يعجزون بالتشديد واعدوا لهم توجيه الخطاب الى كافة المؤمنين لما ان المامور به من
وظائف الكل كما ان توجيهه فيما سبق وما لحق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لكون ما في حيزه من وظائفه عليه
اي اعدوا لقتال الذين نبذ اليهم العهد وهيئوا لحرابهم اولقتال الكفار على الاطلاق وهو الانسب بسياق
النظم الكريم ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب كائنا ما كان وعن عقبة بن عامر سمعته عليه
السلام يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا ولعل تخصيصه عليه السلام اياه بالذكر لانافته على نظائره
من القوى ومن رباط الخيل الربط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله تعالى فعال بمعنى مفعول او مصدر سميت
هي به يقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصال او جمع ربط ككعب وكعاب
وكلب وكلاب وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها على جمع رباط وعطفها على القوة مع كونها من جملتها
للايذان بفضلها على بقية افرادها كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة عليهم السلام ترهبون به اي تخوفون
وقرئ ترهبون بالتشديد وقرئ تخوفون به والضمير لما استطعتم او للاعداد وهو الانسب ومحل
الجملة النصب على الحالية من فاعل اعدوا اي اعدوا اي مرهبين به او من الموصول او من عائده المحذوف اي
اعدوا ما استطعتموه مرهبا به عدو الله وعدوكم وهم كفار مكة خصوا بذلك من بين الكفار مع كون الكل
كذلك لغاية عتوهم ومجاوزتهم الحد في العداوة واخرين من دونهم من غيرهم من الكفرة وقيل هم
اليهود وقيل الفرس لا تعلمونهم اي لا تعرفونهم باعيانهم او لا تعلمونهم كما هم عليه من العداوة وهو
الانسب بقوله تعالى الله يعلمهم اي لا غير فان اعيانهم معلومة لغيره تعالى وما تنفقوا من شيء في اعداد
القتال قل او جل في سبيل الله الذي اوضحه الجهاد يوف اليكم اي جزاؤه كاملا وانتم لا تظلمون بترك
الاثابة او بنقص الثواب والتعبير عن تركها بالظلم مع ان الاعمال غير موجبة للثواب حتى يكون ترتيبه عليها
ظلما لبيان كمال نزاهته سبحانه عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وابراز الاثابة
في معرض الامور الواجبة عليه تعالى كما مر في تفسير قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل
منكم وان جنحوا الجنوح الميل ومنه الجناح ويعدى باللام وبالى اي ان مالوا للسلم اي الصلح بوقوع
الرهبة في قلوبهم بمشاهدة ما بكم من الاستعداد واعتاد العتاد فاجنح لها اي للسلم والتانيث لحمله على
على نقيضه بقول من قال ٭ السلم تاخذ منها ما رضيت به ٭ والحرب يكفيك من انفاسها جرع ٭ وقرئ
فاجنح بضم النون وتوكل على الله ولا تخف ان يظهروا لك السلم وجنوحهم مطوية على المكر والكيد انه تعالى
هو السميع فيسمع ما يقولون في خلواتهم من مقالات الخداع العليم ٭ فيعلم نياتهم فيؤاخذهم بما يستحقونه
ويرد كيدهم في نحرهم والاية خاصة باليهود وقيل عامة نسختها اية السيف وان يريدوا ان يخدعوك باظهار
السلم وابطال الحراب فان حسبك الله اي فاعلم بان محسبك الله من شرورهم وناصرك عليهم هو الذي ايدك بنصره
تعليل لكفايته تعالى له عليه الصلاة والسلام فيما سلف على ما ذكر من الوجه البعيد من الوقوع من دلائل تاييده
تعالى فيما سياتي اي هو الذي ايدك بامداده من عنده بلا واسطة كقوله تعالى وما النصر الا من عند الله او بالملائكة
مع خرقه للعادات وبالمؤمنين من المهاجرين والانصار والف بين قلوبهم مع ما كان بينهم قبل ذلك من العصبية
والضغينة والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد ياتلف فيهم قلبان حتى صاروا بتوفيقه تعالى كنفس واحدة

وهذا من ابهر

وهذا من ابهر معجزاته عليه الصلوة والسلام لو انفقت ما في الارض جميعا اي للتاليف بينهم ما الفت بين قلوبهم
استيناف مقرر لما قبله ومبين لعزة المطلب وصعوبة الماخذ اي تناهى التعادي فيما بينهم الى حد لو انفق منفق
في اصلاح ذات البين جميع ما في الارض من الاموال والذخائر لم يقدر على التالف والاصطلاح وذكر القلوب
للاشعار بان التاليف بينهما لا يتسنى وان امكن التاليف ظاهرا ولكن الله الف بينهم قلبا بقدرته البالغة
انه عزيز كامل القدرة والغلبة لا يستعصي عليه شيء مما يريده حكيم ٭ يعلم كيفية تسخير ما يريده وقيل
الاية في الاوس والخزرج كان بينهم احنة لا امد لها ووقائع افنت ساداتهم واعاظمهم ودقت اعناقهم وجماجمهم
فانسى الله عز وجل جميع ذلك والف بينهم بالاسلام حتى تصافوا واصبحوا يرمون عن قوس واحد وصاروا انصارا
يا ايها النبي شروع في بيان كفايته تعالى اياه عليه السلام في جميع اموره وامور المؤمنين او في الامور الواقعة
بينهم وبين الكفرة كافة اثر بيان كفايته تعالى اياه في مادة خاصة وتصدير الجملة بحرفي النداء والتنبيه على مزيد
الاعتناء بمضمونها وايراده عليه الصلوة والسلام بعنوان النبوة للاشعار بعليتها للحكم حسبك الله اي كافيك
في جميع امورك او فيما بينك وبين الكفرة من الحراب ومن اتبعك من المؤمنين في محل النصب على انه مفعول اي كفاك
وكفا اتباعك الله ناصرا كما في قول من قال ٭ فحسبك والضحاك عضب مهند ٭ وقيل في موضع الجر عطفا على
الضمير كما هو راي الكوفيين اي كافيك وكافيهم او في محل الرفع عطفا على اسم الله تعالى اي كفاك الله والمؤمنون
والاية نزلت في البيداء في غزوة بدر قبل القتال وقيل اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلثة وثلثون رجلا
وست نسوة ثم اسلم عمر رضي الله عنه فنزلت ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في اسلام عمر رضي
الله عنه يا ايها النبي بعد ما بين كفايته اياهم بالنصر والامداد امر عليه الصلوة والسلام بترتيب مبادي نصره
وامداده وتكرير الخطاب على الوجه المذكور لاظهار كمال الاعتناء بشان المامور به حرض المؤمنين على القتال اي
بالغ في حثهم عليه وترغيبهم فيه بكل ما امكن من الامور المرغبة التي اعظمها تذكير وعده تعالى بالنصر وحكمه
بكفايته تعالى او بكفايتهم واصل التحريض الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشرف على الموت قال
الراغب كانه في الاصل ازالة الحرض وهو ما لا خير فيه ولا يعتد به قلت فالاوجه ان يجعل الحرض عبارة
عن ضعف القلب الذي هو من باب المرض وقيل معنى تحريضهم تسميتهم حرضا بان يقال اني اراك في هذا
الامر حرضا اي ممرضا فيه لتهييجه الى الاقدام وقرئ حرص بالصاد المهملة وهو واضح ان يكن منكم عشرون
صابرون يغلبوا مائتين وعد كريم منه تعالى بتغليب كل جماعة من المؤمنين على عشرة امثالهم بطريق الاستيناف
بعد الامر بتحريضهم وقوله تعالى وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا مع انفهام مضمونه مما قبله لكون كل منهما عدة
بتاييد الواحد على العشرة لزيادة التقرير المفيدة لزيادة الاطمئنان على انه قد يجري بين الجمعين الكثيرين مع ان
التفاوت في ما بين كل من الجمعين القليل والكثير على نسبة واحدة فبين ان ذلك لا يتفاوت في الصورتين
وقوله تعالى من الذين كفروا بيان للالف وهذا القيد معتبر في المائتين ايضا وقد ترك ذكره تعويلا على ذكره
ههنا كما ترك قيد الصبر ههنا مع كونه معتبرا حتما ثقة بذكره هناك بانهم قوم لا يفقهون ٭ متعلق بيغلبوا
اي بسبب انهم قوم جهلة بالله تعالى وباليوم الاخر لا يقاتلون احتسابا وامتثالا لامر الله تعالى واعلاء لكلمته
وابتغاء لرضوانه كما هو المؤمنون وانما يقاتلون للحمية الجاهلية واتباع خطوات الشيطان ٭ واثارة ثائرة البغي
والعدوان ٭ ولا يستحقون الا القهر والخذلان وامتا ما قيل ان من لا يؤمن بالله واليوم الاخر لا يؤمن بالمعاد
فالسعادة عنده ليست الا هذه الحيوة الدنيا فيشح بها ولا يعرضها للزوال بمزاولة الحروب ٭ واقتحام موارد الخطوب
فيميل الى ما فيه السلامة فيفر فيغلب واما من اعتقد ان لا سعادة في هذه الحيوة الفانية فانما السعادة
هي الحيوة الباقية فلا يبالي بهذه الحيوة الدنيا ولا يقيم لها وزنا فيقدم على الجهاد بقلب قوي وعزم صحيح
فيقدم الواحد من مثله مقام الكثير فكلام حق لكنه لا يلائم المقام الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا

لمكان الوعد السابق متضمنا لايجاب المقاومة الواحد للعشرة وثباتهم لهم كما نقل عن ابن جريج انه كانوا عليهم ان لايفروا ويثبت الواحد للعشرة وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزة في ثلاثين راكبا فلقي ابو جهل في ثلثمائة راكب فقتل عليهم ونجوا منه بعد مدة نسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة في الابتداء ثم كثروا بعد التخفيف والمراد بالضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصر وكانوا متفاوتين في الاهتداء الى القتال لا الضعف في الدين كما قيل وقرئ ضعفا بضم الضاد وهي لغة فيه كالفقر والفقر والمكث والمكث وقيل الضعف بالفتح ما في الراي والعقل وبالضم ما في البدن وقرئ ضعفاء جمع ضعيف والمراد بعلمه تعالى بضعفهم علمه تعالى بهم من حيث هو متحقق بالفعل علمه تعالى به مطلقا كيف لا وهو ثابت في الازل وقوله تعالى فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين تفسير للتخفيف وبيان للتاكيد لكيفيته وقرئ تكن ههنا وفيما سبق بالتاء الفوقانية وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله اي بتيسيره وتسهيله وهذا القيد معتبر ههنا وانما ترك ذكره ثقة بما مر ويقوله تعالى والله مع الصابرين فانه اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله والمراد بالمعية معية نصره وتاييده ولم يتعرض ههنا لحال الكفرة من الخذلان كما لم يتعرض هناك لحال المومنين مع ان مدار الغلبة في الصورتين مجموع الامرين اعني نصر المومنين وخذلان الكفرة اكتفاء بما ذكر في كل مقام عما ترك في المقام الآخر وما يشعر به كلمة مع من متبوعية مدخولها لاصالتهم من حيث انهم المباشرون للصبر كما مر مرارا ما كان لنبي وقرئ للنبي على العهد والاول ابلغ لما فيه من بيان ان ما يذكر سنة مطردة فيما بين الانبياء عليهم الصلوة والسلام اي ما صح وما استقام لنبي من الانبياء عليهم السلام ان تكون له اسرى وقرئ بتانيث الفعل واسارى ايضا حتى يثخن في الارض اي يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض و الجرح اذا اثقله وجعله بحيث لا حراك به ولا براح واصله الثخانة التي هي الغلظ والكثافة وقرئ بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا استيناف مسوق للعتاب اي تريدون حطامها باخذكم الفداء وقرئ يريدون بالياء والله يريد الآخرة اي يريد ثواب الآخرة الذي لا مقدار عنده للدنيا وما فيها او يريدون بسبب نيل الآخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الآخرة على اضمار المضاف كما في قوله اكل امرئ تحسبين امرأ ونارا توقد بالليل نارا والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان ونهى عن اخذ الفداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن بقوله تعالى فاما منا بعد واما فداء لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمومنين روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر قومك واهلك استبقهم لعل ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس و مكني من فلان لنسيب لهم فلنضرب اعناقهم فقال عليه الصلوة والسلام ان الله تعالى ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابرهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت والا تباكيت فقال عليه الصلوة والسلام ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة وروي انه عليه الصلوة والسلام قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا غير عمر وسعد بن معاذ وكان هو ايضا ممن اشار بالاثخان لولا كتاب من الله سبق اي لولا حكم منه تعالى سبق اثباته في اللوح المحفوظ وهو ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر او قوما لم يصرح لهم بالنهي واما ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم فلا يصلح ان يعد من موانع مساس العذاب فان الحل اللاحق مانع حكم الاباحة السابقة على انه قادح في تهويل ما نعي عليهم اخذ الفداء لمسكم اي لاصابكم فيما اخذتم اي لاجل

ما اخذتم

ما اخذتم من الفداء عذاب عظيم لا يقادر قدره فكلوا مما غنمتم روي انهم امسكوا عن الغنائم فنزلت قالوا الفاء للترتيب ما بعدها على سبب محذوف اي قد ابيحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم والاظهر انها للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي دعوه فكلوا مما غنمتم وقيل ما عبارة عن الفدية فانها من جملة الغنائم ويأباه سياق النظم الكريم وسباقه حلالا حال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وفائدته الترغيب في اكلها وقوله تعالى طيبا صفة لحلالا مفيدة لتاكيد الترغيب واتقوا الله اي في مخالفة امره ونهيه ان الله غفور رحيم فيغفر لكم ما فرط منكم من استباحة الفداء قبل ورود الاذن فيه ويرحمكم ويتوب عليكم اذا اتقيتموه يا ايها النبي قل لمن في ايديكم اي في ملكتكم كأن ايديكم قابضة عليهم من الاسارى وقرئ من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا خلوص ايمان وصحة نية يوتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء وقرئ اخذ على البناء للفاعل روي انها نزلت في العباس كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفدي ابني اخيه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال عليه الصلاة والسلام فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها ما ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حادث فهو لك ولعبد الله و لعبيد الله او للفضل فقال العباس ما يدريك فقال اخبرني به ربي قال العباس فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في امرك فاما اذا اخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس بعد حين فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا وان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي يتأول به ما في قوله تعالى ويغفر لكم والله غفور رحيم فانه وعد بالمغفرة مؤكد بما بعده من الاعتراض التذييلي وان يريدوا خيانتك اي نكث ما بايعوك عليه من الاسلام وهذا كلام مسوق من جهته تعالى لتسليته عليه الصلوة والسلام بطريق الوعد له والوعيد لهم فقد خانوا الله من قبل بكفرهم ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه فامكن منهم اي اقدرك عليهم حسبما رايت يوم بدر فان اعادوا الخيانة فاعلم انه سيمكنك منهم ايضا وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء وهو بعيد والله عليم فيعلم ما في نياتهم وما يستحقونه من العقاب حكيم يفعل كل ما يفعله حسبما تقتضيه حكمته البالغة ان الذين امنوا وهاجروا هم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا لله تعالى ولرسوله وجاهدوا باموالهم بان صرفوها الى الكراع والسلاح فانفقوها على المحاويج وانفسهم بمباشرة القتال واقتحام المعارك والخوض في المهالك في سبيل الله متعلق بجاهدوا وقيد لنوعي الجهاد ولعل تقديم الاموال على الانفس لما ان المجاهدة بالاموال اكثر وقوعا واتم دفعا للحاجة حيث لا يتصور المجاهدة بالنفس بلا مجاهدة بالمال والذين آووا ونصروا هم الانصار آووا المهاجرين وانزلوهم منازلهم وبذلوا اليهم اموالهم وآثروهم على انفسهم ولو كانت بهم خصاصة ونصروهم على اعدائهم اولئك اشارة الى الموصوفين بما ذكر من النعوت الفاضلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضيلة وهو المبتدأ وقوله تعالى بعضهم اما بدل منه وقوله تعالى اولياء بعض خبره واما مبتدأ ثان واولياء بعض خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول اي بعضهم اولياء بعض في الميراث وقد كان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله تعالى واولوا الارحام الآية وقيل في النصرة والمظاهرة ويرده قوله تعالى فعليكم النصر بعد نفي موالاتهم والذين آمنوا ولم يهاجروا كسائر المومنين ما لكم من ولايتهم من شيء اي من توليهم في الميراث وان كانوا من اقرب اقاربكم حتى يهاجروا وقرئ بكسر الواو تشبيها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم منهم بينكم وبينهم ميثاق معاهدة فانه لا يجوز نقض عهدهم بنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير ولا تخالفوا امره كيلا يحل بكم عقابه والذين كفروا بعضهم اولياء بعض آخر منهم اي في الميراث او في الموازرة وهذا بمفهومه مفيد لنفي الموارثة والموا

بينهم وبين المسلمين وايجاب المباعدة والمصارمة وان كانوا اقارب الا تفعلوه اي ما امرتم به من التواصل بينكم وتولي بعضكم بعضا حتي التوارث ومن قطع العلايق بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الارض اي تحصل فتنة عظيمة فيها وهي ضعف الايمان وظهور الكفر وفساد كبير في الدارين وقرئ كثير والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا كلام مسوق للثناء عليهم والشهادة لهم بفوزهم القدح المعلي من الايمان مع الموعد الكريم بقوله تعالي لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة له ولا منة فيه فلا تكرار لما ان مساق الاول لايجاب التواصل بينهم والذين امنوا من بعد وهاجروا بعد هجرتكم وجاهدوا معكم في بعض مغازيكم فاولئك منكم اي من جملتكم ايها المهاجرون والانصار وهم الذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الحقهم الله تعالي بالسابقين وجعلهم منهم تفضلا منه وترغيبا في الايمان والهجرة وفي توجيه الخطاب اليهم بطريق الالتفات من تشريفهم ورفع محلهم ما لا يخفي واولوا الارحام بعضهم اولي ببعض من غيرهم في التوريث من الاجانب في كتاب الله اي في حكمه او في اللوح او في القران واستدل به علي توريث ذوي الارحام ان الله بكل شيء عليم ومن جملته ما في تعليق التوارث بالقرابة الدينية اولا وبالقرابة النسبية اخرا من الحكم البالغة عن النبي صلي الله عليه وسلم من قرا سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له وشاهد يوم القيمة وشهدان انه بري من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حياته

سورة التوبة وهي مائة تسع وعشرون اية مدنية

ولها اسماء اخر سورة التوبة والمقشقشة والبحوث والمنقرة والمبعثرة والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيه من ذكر التوبة ومن التبرئة من النفاق والبحث والتنفيش عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويشرد بهم ويدمدم عليهم واشتهارها بهذه الاسماء يقضي بانها سورة مستقلة وليست بعضا من سورة الانفال وادعاء اختصاص الاشتهار بالقايلين باستقلالهما خلاف الظاهر فيكون حكمة ترك التسمية عند النزول نزولها في رفع الامان الذي يابي مقام التصدير بما يشعر بيقائه من ذكر اسمه تعالي مشفوعا بوصف الرحمة كما روي عن ابن عيينة رحمه الله تعالي لا الاشتباه في استقلالها وعدمه كما يحكي عن ابن عباس رضي الله عنهما ولا رعاية ما وقع بين الصحابة رضوان الله تعالي عليهم اجمعين من الاختلاف في ذلك علي ان ذلك ينزع الي القول بان التسمية ليست من القران وانما كتبت للفصل بين السور كما نقل عن قدماء الحنفية وان مناط اثباتها في المصاحف وتركها انما هو راي من تصدي لجمع القران دون التوقيف ولا ريب في ان الصحيح من المذهب انها اية من القران نزلت للفصل والتبرك بها وان لا مجال لراي احد في الاثبات والترك وانما المتبع في ذلك هو الحق والتوفيق ولا مرية في عدم نزولها ههنا والا لامتنع ان يقع في الاستقلال اشتباه واختلاف فهو اما لاتحاد السورتين او لما ذكرنا لا سبيل الي الاول والا لبينه صلي الله عليه وسلم لتحقق مزيد الحاجة الي البيان لتعاضد ادلة الاستقلال من كثرة الايات وطول المدة فيما بين نزولهما فحيث لم يبينه عليه الصلوة والسلام تعين الثاني لان عدم البيان من الشارع في موضع البيان بيان للعدم براءة خبر لمبتدا محذوف وتنوينه للتفخيم وقرئ بالنصب اي اسمعوا براءة ومن في قوله عز وجل من الله ورسوله ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لها ليفيدها زيادة تفخيم وتهويل اي هذه براءة مبتداة من جهة الله ورسوله الي الذين عاهدتم من المشركين فانما لم يذكر ما تعلق به البراءة حسبما ذكر في قوله تعالي ان الله بريء من المشركين اكتفاء بما في حيز الصلة فانه منبئ عنه انباء ظاهرا واحترازا عن تكرير لفظة من وقيل هي مبتدا لتخصصها بالصفة وخبره الي الذين الي اخره والذي يقتضيه جزالة النظم هو الاول لان هذه البراءة امر حادث لم يعهد عند المخاطبين ذاتها ولا عنوان ابتدائها من الله تعالي ورسو

حتي يخرج ذلك العنوان مخرج الصفة لهما ويجعل المقصود بالذات والعمدة في الاخبار شيئا اخر هو وصولها الي المعاهدين وانما الحقيق ان يعتني بافادته حدوث تلك البراءة من جهته تعالي ووصولها اليهم فان حق الصفات قبل علم المخاطب بثبوتها لموصوفاتها ان تكون اخبارا وحق الاخبار بعد العلم بثبوتها لما هي له ان تكون صفات كما حقق في موضعه وقرئ من الله بكسر النون علي ان الاصل في تحريك الساكن الكسر ولكن الوجه هو الفتح في لام التعريف خاصة لكثرة الوقوع والعهد العقد الموثق باليمين والخطاب في عاهدتم للمسلمين وقد كانوا عاهدوا مشركي العرب من اهل مكة وغيرهم باذن الله تعالي واتفاق الرسول صلي الله عليه وسلم فنكثوا الا بني ضمرة وبني كنانة فامر المسلمون بنبذ العهد الي الناكثين وامهلوا الي اربعة اشهر ليسيروا اين شاءوا وانما نسبت البراءة الي الله تعالي ورسوله مع شمولها للمسلمين واشتراكهم في حكمها ووجوب العمل بموجبها وعلقت المعاهدة بالمسلمين خاصة مع كونها باذن الله تعالي واتفاق الرسول عليه الصلوة والسلام للانباء عن تنجزها وتحتمها من غير توقف علي راي المخاطبين لانها عبارة عن انهاء حكم الامان ورفع الخطر المترتب علي العهد السابق عن التعرض للكفرة وذلك منوط بجناب الله عز وجل لانه امر كساير الاوامر الجارية علي حسب حكمة تقتضيها وداعية تستدعيها ترتب عليها اثارها من غير توقف علي شيء اصلا واشتراك المسلمين في حكمها ووجوب العمل بموجبها انما هو علي طريقة الامتثال بالامر لا علي ان يكون لهم مدخل في اتمامها او ترتب احكامها واما المعاهدة فعقد كساير العقود الشرعية لا تتحقق ولا تترتب عليها الاحكام الا بمباشرة المتعاقدين علي وجوه مخصوصة اعتبرها الشرع لم يتصور صدورها عنه سبحانه وانما الصادر عنه في شانها هو الاذن فيها وانما الذي يباشرها ويتولي امرها المسلمون ولا يخفي ان البراءة انما تتعلق بالعهد لا بالاذن فيه فنسبت كل واحدة منهما الي من هو اصل فيها علي ان ذلك تفخيما لشان البراءة وتهويلا لامرها وتسجيلا علي الكفرة بغاية الذل والهوان ونهاية الخزي والخذلان وتنزيها لساحة السبحان والكبرياء عما يوهم شائبة النقص والبداء تعالي الله عن ذلك علوا كبيرا وادراجه عليه السلام في النسبة الاولي واخراجه عن الثانية لتنويه شانه الرفيع واجلال قدره المنيع في كلا المقامين صلي الله عليه وسلم وايثار الجملة الاسمية علي الفعلية كان يقال قد بري الله ورسوله من الدين او نحو ذلك للدلالة علي دوامها واستمرارها وللتوسل علي تهويلها بالتنوين التفخيمي كما اشير اليه فسيحوا السياحة والسيح الذهاب في الارض والسير فيها بسهولة علي مقتضي المشيئة كسيح الماء علي موجب الطبيعة ففيه من الدلالة علي كمال التوسعة والترفيه ما ليس في سيروا ونظائره وزيادة قوله عز وجل في الارض لقصد التعميم لاقطارها من دار الاسلام وغيرها والمراد اباحة ذلك لهم وتخليتهم وشانهم من الاستعداد للحرب او تحصين الاهل والمال او تحصيل المهرب او غير ذلك لا تكليفهم بالسياحة فيها وتلوين الخطاب بصرفه عن المسلمين وتوجيهه اليهم مع الحصول المقصود بصيغة امر الغايب ايضا للمبالغة في الاعلام بالامهال حسما لمادة تعللهم بالغفلة وقطعا لشافة اعتذارهم بعدم الاستعداد وايثار صيغة الامر مع تسني افادة ذلك المعني بطريق الاخبار ايضا كان يقال مثلا فلكم ان تسيحوا او نحو ذلك لاظهار كمال القوة والغلبة وعدم الاكتراث لهم ولا لاستعدادهم فكان ذلك امر مطلوب منهم والفاء لترتيب الامر بالسياحة وما يعقبه علي ما يؤذن به البراءة المذكورة من الحراب علي ان الاول سيحوا مترتب علي نفسه والثاني اعلموا بكلا متعلقيه علي عنوان كونه من الله العزيز لا لترتيب الاول عليه والثاني علي الاول كما في قوله تعالي قل سيروا في الارض فانظروا الي اخره كانه قيل هذه براءة موجبة لقتالكم فاسعوا في تحصيل العدد والاسباب وبالغوا في اعداد العناد من كل باب اربعة اشهر بسياحتكم في اقطار الارض في الطول والعرض وان ركبتم متن كل صعب وذلول واعلموا انكم غير معجزي الله اي لا تفوتونه بالهرب والتحصين وان الله وضع الاسم الجليل موضع المضمر لتربية المهابة وتهويل امر الاخزاء وهو الاذلال بما فيه فضيحة وعار مخزي الكافرين اي مخزيكم ومذلكم في الدنيا بالقتل والاسر وفي الاخرة بالعذاب وايثار الاظهار علي الاضمار لذمهم بالكفر بعد وصفهم بالاشراك والاشعار بان علة الاخزاء هي كفرهم ويجوز ان يكون المراد جنس الكافرين فيدخل فيه المخاطبون دخولا اوليا والمراد بالاشهر الاربعة هي الاشهر الحرم التي علق القتا

بانسلاخها فقيل هي شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر
وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الآخر وجعلت حرما لحرمة قتالهم فيها او لتغليب ذي الحجة والمحرم على البقية
وقيل من عشر ذي القعدة الى عشر من شهر ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسيء
الذي كان فيهم ثم صار في العام القابل في ذي الحجة وذلك قوله عليه الصلوة والسلام ان الزمان استدار كهيئته
يوم خلق الله السموات والارض روي انه صلى الله عليه وسلم امر ابا بكر رضي الله عنه على موسم سنة تسع ثم
اتبعه عليا رضي الله عنه على العضباء ليقرأها على اهل الموسم فقيل له عليه السلام لو بعثت بها الى ابي بكر فقال
عليه الصلوة والسلام لا يودي عني الا رجل مني وذلك لان عادة العرب ان لا يتولى امر العهد والنقض على القبيلة
الا رجل منها فلما دنا علي سمع ابو بكر رضي الله عنه الرغاء فوقف فقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما لحقه قال امير او مامور قال مامور فمضى فلما كان قبل يوم التروية خطب ابو بكر رضي الله عنه
وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم
اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلثين او اربعين اية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك
ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده واذان من الله ورسوله
اي اعلام منهما فعال بمعنى الافعال ورفعه كرفع براءة والجملة معطوفة على مثلها وانما قيل الى الناس اي كافة
لان الاذان غير مختص بقوم دون آخرين كالبراءة الخاصة بالناكثين بل هو شامل لعامة الكفرة وللمؤمنين ايضا يوم
الحج الاكبر هو يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روي انه عليه الصلوة
والسلام وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله عليه
الصلوة والسلام الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر ولان المراد بالحج ما يقع في ذلك
اليوم من اعماله فانه اكبر من باقي الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ولانه ظهر فيه عز المسلمين
وذل المشركين ان الله اي بان وقرئ بالكسر لما ان الاذان فيه معنى القول بريء من المشركين اي المعاهدين الناكثين
ورسوله عطف على المستكن في بريء معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم فان تبتم من الشرك والغدر التفات
من الغيبة الى الخطاب لزيادة تهديد وتشديد والفاء لترتيب مقدم الشرطية على الاذان بالبراءة المزيلة بالوعيد
الشديد المؤذن بلين عريكتهم وانكسار شدة شكيمتهم فهو اي فالتوب خير لكم في الدارين وان توليتم عن التوبة
او ثبتم على التولي عن الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير معجزي الله غير سابقين ولا فائتين وبشر الذين كفروا تلوين للخطاب وصرف
له عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لان البشارة بعذاب اليم وان كانت بطريق التهكم انما تليق بمن يقف على
الاسرار الالهية الا الذين عاهدتم من المشركين استدراك من النبذ السابق الذي اخر فيه القتال اربعة اشهر كانه قيل
لا تمهلوا الناكثين فوق اربعة اشهر لكن الذين عاهدتموهم ثم لم ينكثوا عهدهم فلا تجروهم مجرى الناكثين في المسارعة
الى قتالهم بل اتموا اليهم عهدهم ولا يضر في ذلك تخلل الفاصل بقوله تعالى واذان من الله ورسوله الى آخره لانه
ليس باجنبي بالكلية بل هو امر باعلام تلك البراءة كانه قيل واعلموها وقيل هو استثناء متصل من المشركين الاول
ويرده بقاء الثاني على العموم كونهما عبارة عن فريق واحد وجعله استثناء من الثاني يأباه بقاء الاول كذلك وقيل
هو استدراك من المقدر في فسيحوا اي قولوا لهم سيحوا اربعة اشهر لكن الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم شيئا من
شروط الميثاق ولم يقتلوا منكم احدا ولم يضروكم قط وقرئ بالمعجمة اي لم ينقضوا عهدكم شيئا من النقض وكلمة
ثم للدلالة على ثباتهم على عهدهم مع تمادي المدة ولم يظاهروا اي لم يعاونوا عليكم احدا من اعدائكم كما عدت بنو
بكر على خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فظاهرتهم قريش بالسلاح فاتموا اليهم عهدهم اي ادوا اليهم كملا الى مدتهم
ولا تعاجلوهم بالقتال عند مضي الاجل المضروب للناكثين ولا تعاملوهم معاملتهم قال ابن عباس رضي الله
عنهما بقي لحي من بني كنانة من عهدهم تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم ان الله يحب المتقين تعليل لوجوب الامتثال وتنبيه

كالعطاء بمعنى الاعطاء

على ان مراعاة

على ان مراعاة حقوق العهد من باب التقوى وان التسوية بين الوفي والغادر منافية لذلك وان كان المعاهد مشركا
فاذا انسلخ اي انقضى استعير له من الانسلاخ الواقع بين الحيوان وجلده والاغلب اسناده الى الجلد والمعنى اذا انقضى
الاشهر الحرم وانفصلت عما كانت مشتملة عليه سائرة له انفصال الجلد عن الشاة وانكشفت عنه انكشاف الحجاب
عما وراءه كما ذكره ابو الهيثم من انه يقال اهللنا شهر كذا اي دخلنا فيه ولبسناه فنحن نزداد كل ليلة لباسا منه الى مضي
نصفه ثم نسلخه من انفسنا جزءا حتى نسلخه عن انفسنا كله فينسلخ وانشد • اذا ما سلخت الشهر اهللت مثله • كفى
قاتلا سلخي الشهور واهلالي • وتحقيقه ان الزمان محيط بما فيه من الزمانيات مشتمل عليه اشتمال الجلد للحيوان وكذا
كل جزء من اجزائه الممتد من الايام والشهور والسنين فاذا مضى فكانه انسلخ عما فيه وفيه مزيد لطف لما فيه من التلويح بان
تلك الاشهر كانت حرزا لاولئك المعاهدين عن غوائل ايدي المسلمين فنيط قتالهم بزوالها والمراد بها اما ما مر من الاشهر الاربعة
فقط ووضع المظهر موضع المضمر ليكون ذريعة الى وصفها بالحرمة تأكيدا لما ينبئ عنه اباحة السياحة من حرمة التعرض
لهم مع ما فيه من مزيد الاعتناء بشأنها او هي مع ما فهم من قوله تعالى فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم من تسعة مدة
بقيت لغير الناكثين فعلى الاول يكون المراد بالمشركين في قوله تعالى فاقتلوا المشركين الناكثين خاصة فلا يكون
قتال الباقين مفهوما من عبارة النص بل من دلالته وعلى الثاني مفهوما من العبارة الا انه يكون الانسلاخ
وما نيط به من القتال حينئذ شيئا فشيئا لا دفعة واحدة كانه قيل فاذا تم ميقات كل طائفة فاقتلوهم وحملها
على الاشهر المعهودة الدائرة في كل سنة لا يساعده النظم الكريم واما انه يستدعي بقاء حرمة القتال فيها
اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها فلا اعتداد به لا لانها نسخت بقوله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة كما توهم فانه
رجم بالغيب لانه ان اريد ما في سورة الانفال فانه نزل عقيب غزوة بدر وقد صح ان المراد بالذين كفروا في قوله
تعالى قل للذين كفروا الى آخره ابو سفيان واصحابه وقد اسلم في اوسط رمضان عام الفتح سنة ثمان وسورة
التوبة انما نزلت في شوال سنة تسع وان اريد ما في سورة البقرة فانه ايضا نزل قبل الفتح كما يعرب عنه
ما قبله من قوله اخرجوهم من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل ذلك يوم الفتح فكيف ينسخ به ما نزل بعده
بل لانعقاد الاجماع على انتساخها كاف في الباب من غير حاجة الى كون سنده منقولا الينا وقد صح ان النبي صلى
الله عليه وسلم حاصر الطائف لعشر بقين من المحرم حيث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم اي اسروهم والاخيذ
الاسير واحصروهم اي قيدوهم او امنعوهم من التقلب في البلاد قال ابن عباس رضي الله عنهما حيلوا
بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد اي كل ممر ومجتاز يجتازون منه في اسفارهم وانتصابه
على الظرفية اي ارصدوهم وارقبوهم حتى لا يمروا به وفائدته على التفسير الثاني دفع احتمال ان يراد بالحصر المحاصرة
المعهودة فان تابوا عن الشرك بالايمان عما اضطروا بما ذكر من القتل والاسر والحصر واقاموا الصلوة واتوا الزكوة
تصديقا لتوبتهم وايمانهم واكتفى بذكرهما عن ذكر بقية العبادات البدنية والمالية فخلوا سبيلهم فدعوهم
وشأنهم ولا تتعرضوا لهم بشيء مما ذكر ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما سلف من الكفر والغدر ويثيبهم بايمانهم
وطاعتهم وهو تعليل للامر بتخلية السبيل وان احد شروع في بيان حكم المتصدين لمبادي التوبة من سماع كلام
الله تعالى والوقوف على شعائر الدين اثر بيان حكم التائبين عن الكفر والمصرين عليه وهو مرتفع بشرط مضمر
يفسره الظاهر لا بالابتداء لان ان لا تدخل الا على الفعل من المشركين استجارك بعد انقضاء الاجل المضروب اي
سالك ان يؤمنه ويكون له جارا فاجره اي امنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة ما تدعو
اليه والاقتصار على ذكر السماع لعدم الحاجة الى شيء آخر في الفهم لكونهم من اهل اللسن والفصاحة وحتى سواء كانت
للغاية او للتعليل متعلقة بما عندها لا بقوله تعالى استجارك لانه يودي الى اعمال حتى في المضمر وذلك مما لا يكاد يرتكب
في غير ضرورة الشعر في قوله • فلا والله لا يلفي اناس • فتى حتاك يا ابن ابي زيد • الا ان تعلق الاجارة بسماع
كلام الله تعالى باحد الوجهين يستلزم تعلق الاستجارة ايضا بذلك انما في معناه من امور الدين وما روي

عن علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه انه اتاه رجل من المشركين فقال ان اراد الرجل منا ان يأتي محمدا بعد
انقضاء هذا الاجل لسماع كلام الله تعالى ولحاجة قال لا لان الله تعالى يقول وان احد من المشركين
استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله فالمراد بما فيه من الحاجة على الحاجة المتعلقة بالدين لا ما يعمهما وغيرها من الحاجات
الدنيوية كما يتوهم عنه قوله ان يأتي محمدا فان من يأتيه عليه الصلوة والسلام انما يأتيه للامور المتعلقة
بالدين ثم ابلغه بعد استماعه له ان لم يؤمن مامنه اي مسكنه الذي يأمن فيه وهو دار قومه ذلك
يعني الامر بالاجارة وابلاغ المامن بانهم بسبب انهم قوم لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقته او قوم جهلة
فلا بد من اعطاء الامان حتى يفهموا الحق ولا يبقى لهم معذرة اصلا كيف يكون للمشركين عهد شروع في بيان
تحقيق حقيقة ما سبق من البراءة واحكامها المتفرعة عليها وتبيين الحكمة الداعية الى ذلك والمراد بالمشركين
الناكثون لان البراءة انما هي في شانهم والاستفهام انكاري لا بمعنى انكار الواقع كما في قوله تعالى كيف تكفرون
بالله بل بمعنى انكار الوقوع ويكون من الكون التام وكيف في محل النصب على التشبيه بالحال او
الظرف وقيل من الكون الناقص وكيف خبر يكون قدم على اسمه وهو عهد لاقتضاء الصدارة للمشركين
متعلق بمحذوف وقع حالا من بعهد او بنفسه لانه مصدر اعهد ولو كان موخرا لكان صفة له او يكون عند
من يجوز عمل الافعال الناقصة في الظرف وعند متعلق بمحذوف وقع حالا من بعهد او بنفسه لانه مصدر
او بيكون كما مر ويجوز ان يكون الخبر للمشركين وعند كما ذكرنا ومتعلق بالاستقرار الذي تعلق به للمشركين
ويجوز ان يكون الخبر عند الله وللمشركين اما تبيين واما حال من عهد واما متعلق بيكون او بالاستقرار
الذي تعلق به الخبر ولا يبالي بتقديم معمول الخبر على الاسم لكونه حرف جر وكيف على الوجهين الاخيرين نصب
على التشبيه بالظرف او الحال كما في صورة الكون التام وهو الاولى لان في انكار ثبوت العهد في نفسه
من المبالغة ما ليس في انكار ثبوت العهد في نفسه للمبالغة ما ليس في انكار ثبوته للمشركين لا ثبوته الا
يطلق فرع ثبوته العيني فانتفاء الاصل موجب انتفاء الفرع راسا في توجيه الانكار الى كيفية ثبوت العهد
من المبالغة ما ليس في توجيهه الى ثبوته لان كل موجود يجب ان يكون وجوده على حال من الاحوال قطعا
فاذا انتفى جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهاني اي على اي حال او في اي حال يوجد لهم
عهد معتد به عند الله وعند رسوله سبحانه يراعى حقوقه ويحافظ عليه الى اتمام المدة ولا يتعرض لهم بحسبه قتلا
واخذا واما ان يوسموا به من عذاب الاخرة كما قيل فلا سبيل الى اعتباره اصلا اذ لا دخل للعهد في ذلك الانتفاء
قطعا وان كان مرعيا عند رسوله كعهد غير الناكثين وتكرير كلمة عند للايذان بعدم الاعتداد به عند كل منهما
على حدة الا الذين استدراك من النفي المفهوم من الاستفهام المتبادر شموله لجميع المعاهدين اي لكن
الذين عاهدتم عند المسجد الحرام وهم المستثنون فيما سلف والتعرض لكون المعاهدة عند المسجد الحرام لزيادة
بيان اصحابه والاشعار بسبب وكادتها ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله عز وجل فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم
والفاء لتضمنه معنى الشرط وما اما مصدرية في محل الظرفية الزمانية اي زمان استقامتهم لكم او
فاستقيموا لهم او مرفوعة على الابتداء والعائد محذوف اي زمان استقاموا لكم فيه فاستقيموا لهم فيه
وقيل الاستثناء متصل محل النصب على الاصل او الجر على البدل من المشركين والمراد بهم الجنس المعهود
واياما كان فحكم الامر بالاستقامة ينتهي بانتهاء مدة العهد فلا استقامتهم التي وقتها بوقتها الاستقامة
المامور بها عبارة عن مراعاة حقوق العهد وبعد انقضاء مدته لا عهد ولا استقامة بما لم يصرح به هناك
مع كونه معتبرا قطعا وهو تقييد الاتمام المامور به بتعاليم علما كانوا عليه الوفاء ان الله يحب المتقين
تعليل للامر بالاستقامة والاشعار بان القيام بموجب العهد من احكام التقوى كما مر كيف تكرير لاستنكار ما
من ان يكون للمشركين عهد حقيق بالمراعات عند الله سبحانه وعند رسوله صلى الله عليه وسلم واما ما قيل

تقدير المضاف اي فاستقيموا لهم مدة استقامتهم لكم واما شرطية منصوبة الظرف على الظرفية صح

لاستنكار

من انه لاستبقاء ثباتهم على العهد فكما ترى لان ما يذكر بصدد التعليل للاستبعاد دين عدم ثباتهم على العهد لا انه
شيء يستبعد عنه وانما اعيد الاستنكار والاستبعاد تاكيدا لها وتمهيدا لتعداد العلل الموجبة لهما لاخلال تخلل
ما في البين بالارتباط والتقريب وحذف الفعل المستنكر للايذان بان النفس المستحضرة له مترقبة لوجود
ما يوجد استنكاره ولا الحاجة لكونه معلوما كما في قوله • وخبرتماني انما الموت بالقرى • فكيف وهاتا هضبة وقليب •
على صحيح لا مرجحة اي كيف يكون لهم عهد معتد به عند الله تعالى وعند رسوله وان يظهروا عليكم اي وحالهم
انهم ان يظهروا عليكم اي يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم اي لم يدعوا في شانكم واصل الرقوب النظر بطريق الحفظ
والرعاية ومنه الرقيب ثم استعمل في مطلق الرعاية والمراقبة ابلغ منه كالمراعات وفي نفي الرقوب من المبالغة
ما ليس في نفيها الا ولا ذمة اي حلفا وقيل قرابة ولا عهدا وحقا يعاب اعقابه مع ما سبق لهم من التاكيد
الايمان والمواثيق يعني ان موجب مراعاتها حقوق العهد على كل من المتعاهدين مشروط بمراعاة الاخر لها فاذا لم
يراعها المشركون فكيف تراعونها على سوال قول من قال • علام نقبل منهم فدية وهم • لا فضة قبلوا منا ولا ذهبا •
وقيل الال اسم من اسماء الله تعالى اي لا يرعوا حق الله تعالى وقيل الجوار وماله الحلف لانهم اذا ابما سحوا
تحالفوا رفعوا به اصواتهم للتشهير ولما كان تعليق عدم رعاية العهد بالظفر موهما للرعاية عند عدمه كشف
عن حقيقة شونهم الجلية والخفية بطريق الاستيناف وبين انهم في حالة العجز ايضا ليسوا من الوفاء في شيء وانما
يظهرون مداهنة لاتهامهم وقيل يرضونكم بافواههم حيث يظهرون الوفاء والمصافاة ويعدون لكم بالايمان
والطاعة ويؤكدون ذلك بالايمان الفاجرة ويتعللون عند ظهور خلافه بالمعاذير الكاذبة ونسبة الارضاء الى الافواه
للايذان بان كلامهم مجرد الفاظ يتفوهون بها من غير ان يكون لها مصداق في قلوبهم وتابى قلوبهم ما يفيده كلامهم
واكثرهم فاسقون خارجون عن الطاعة فان مراعاة حقوق العهد من باب الطاعة متمردون ليست لهم مروة
رادعة ولا عقيدة وازعة لا يتسترون كما يتعاطاه بعضهم مما يتفادى عن الغدر ويتعفف عما يجر احدوثة السوء
اشتروا بايات الله اي بايات الامرة بالايفاء بالعهود والاستقامة في كل امر او بجميع اياته فيدخل فيها ما ذكر دخولا
اوليا اي تركوها واخذوا بدلها ثمنا قليلا اي شيئا حقيرا من حطام الدنيا وهو اهواءهم وشهواتهم التي
اتبعوها وما انفقه ابو سفيان من الطعام وصرفه الى الاعراب فصدوا اي اعدلوا ونكبوا من صد صدودا
او صرفوا غيرهم من صد صدا والفاء للدلالة على سببية الاشتراء لذلك عن سبيله اي الدين الحق الذي
لا محيد عنه والاضافة للتشريف او سبيل بيته الحرام حيث كانوا يصدون الحجاج والعمار عنه
انهم ساء ما كانوا يعملون اي بئس ما كانوا يعملونه او عملهم المستمر والمخصوص بالذم محذوف وقد جوز ان يكون كلمة
ساء على اصلها من التصرف لازمة بمعنى قبح او متعدية والمفعول محذوف اي ساءهم الذي يعملونه او عملهم
وقوله عز وعلا لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة نعي عليهم وعدم مراعاة حقوق عهد المؤمنين على الاطلاق فلا تكرار
وقيل هذا في اليهود او في الاعراب المذكورين ومن يحذو حذوهم واما ما قيل من انه تفسير لما
تعالى يعملون والدليل على انه مخصوص بالذم فتشعر باختصاص الذم والسوء بعملهم هذا دون غيره واولئك
الموصوفون بما عدد من الصفات السيئة هم المعتدون المجاوزون الغاية القصوى من الظلم والشرارة فان
تابوا اي عما هم عليه من الكفر وسائر العظائم والفاء للايذان بان تقريرهم بان نعي عليهم من مساويهم
مزجرة عنها ومظنة للتوبة واقاموا الصلوة واتوا الزكوة على الترتيب وعزموا على اقامتها فاخوانكم اي فهم اخوانكم
وقوله تعالى في الدين متعلق باخوانكم لما فيه من معنى الفعل اي فلهم ما لكم وعليهم ما عليكم فعاملوهم معاملة
الاخوان وفيه من استمالتهم واستجلاب قلوبهم ما لا مزيد عليه والاختلاف بين جواب هذه الشرطية
وجواب التي مرت من قبل مع اتحاد الشرط فيهما لما ان الاولى سيقت بعد الحكم عليهم بالاعتداء او شان
فلا بد ان يكون جوابها تحكما بانخلافه البتة ونفصل الايات اي نبينها والمراد بها ما مر من الايات المتعلقة

تحكم

ان الامر القتل ونظائر فوجب ان يكون جوابها امرا بخلاف ذلك وهذه سيقت صح

باحوال المشركين من الناكثين وغيرهم واحكامهم حالتي الكفر والايمان واما جميع الايات فيندرج فيها تلك الايات
اندراجا اوليا لقوم يعلمون اي ما فيها من الاحكام والمواعظ لقوم عالمين وهو اعتراض للحث على التامل في الاحكام
المندرجة في تضاعيفها والمحافظة عليها وان نكثوا عطف على قوله تعالى فان تابوا اي وان لم يفعلوا ذلك بل
نقضوا ايمانهم من بعد عهدهم الموثقة بها واظهروا ما في ضمائرهم من الشر واخرجوه من القوة الى الفعل حسبما
ينبئ عنه قوله تعالى وان يظهروا عليكم لا يرقبوا الاية او ثبتوا على ما هم عليه من النكث لا انهم ارتدوا بعد الايمان
كما قيل وطعنوا في دينكم قدحوا فيه بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام فقاتلوا ائمة الكفر اي فقاتلوهم وانما اوثر
ما عليه النظم الكريم للايذان بانهم صاروا بذلك ذوي رياسة وتقدم في الكفر احقاء بالقتل والقتال وقيل
المراد بائمتهم رؤساؤهم وصناديدهم وتخصيصهم بالذكر اما لاهمية قتلهم او للمنع من مراقبتهم لكونهم مظنة لها او
للدلالة على استيصالهم فان قتلهم غالبا يكون بعد قتل من دونهم وقيل ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والافصح
اخراج الثانية بين بين واما التصريح بالياء فلحن ظاهر عند القراء انهم لا ايمان لهم اي على الحقيقة حيث لا
يراعونها ولا يعدون نقضها محذورا وان اجروها على السنتهم وانما علق النفي بها كالنكث فيما سلف لا بالعهد الموكد
بها لانها العمدة في المواثيق وجعل الجملة تعليلا للامر بالقتال لا يساعد تعليقه بالنكث والطعن لان حالهم
في ان لا ايمان لهم حقيقة بعد النكث والطعن كحالهم قبل ذلك وحمله على معنى عدم بقاء ايمانهم بعد النكث
والطعن مع انه لا حاجة اليه بيانه خلاف الظاهر ولعل الاولى جعلها تعليلا لمضمون الشرط كانه قيل وان نكثوا او
طعنوا اذ لا ايمان لهم حقيقة حتى لا ينكثوها او لاستمرار القتال المامور به المستفاد من سياق الكلام كانه قيل
تقاتلوهم الى ان يؤمنوا انهم لا ايمان لهم حتى يعقد معهم عهد اخر وقرئ بكسر الهمزة على انه مصدر بمعنى اعطاء
الامان اي لا سبيل الى ان تعطوهم امانا بعد ذلك ابدا واما العكس كما قيل فلا وجه لاشعاره بانه معاهدتهم
معا على طريقة ان يكون اعطاء الامان من قبلهم وذلك بين البطلان او بمعنى الاسلام ففي كونه تعليلا للامر بالقتال
اشكال بل استحالة لانه ان حمل على انتفاء الاسلام مطلقا فهو بمعزل من العلية للقتال او الامر كما قيل النكث
والطعن وان حمل على انتفائه فيما سياتي فلا يلائم جعل الانتهاء غاية للقتال فيما سيجيء فالوجه ان يجعل تعليلا
لما ذكر من مضمون الشرط كانه قيل ان نكثوا وطعنوا وهو الظاهر من حالهم لانه لا اسلام لهم حتى يرتدعوا عن
نقض جنس ايمانهم وعن الطعن في دينكم لعلهم ينتهون متعلق بقوله تعالى فقاتلوا اي قاتلوهم ارادة ان
ينتهوا اي ليكن غرضكم من القتال انتهاءهم عما هم عليه من الكفر وسائر العظائم التي يرتكبونها لا ايصال الاذية بهم
كما هو ديدن الموذين الا تقاتلون الهمزة الداخلة على انتفاء مقاتلتهم للانكار والتوبيخ تدل على تحضيضهم على
المقاتلة بطريق حملهم على الاقرار به وبانتفائها كانه امر لا يمكن ان يعترف به طائع لكمال شناعته فيلجاون الى ذلك
ولا يقدرون على الاقرار به فيختارون المقاتلة قوما نكثوا ايمانهم التي حلفوها عند المعاهدة على ان لا يعاونوا
عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول من مكة حين تشاوروا بدار الندوة حسبما ذكر في قوله تعالى
واذ يمكر بك الذين كفروا فيكون نعيا عليهم جناياتهم القديمة وقيل هم اليهود ونكثوا عهد الرسول صلى الله عليه
وسلم وهموا باخراجه من المدينة وهم بدؤوكم بالمعاداة والمقاتلة اول مرة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
جاءهم اولا بالكتاب المبين وتحداهم به فعدلوا عن المحاجة لعجزهم عنها الى المقاتلة او بدؤوا بقتال خزاعة حلفاء النبي
صلى الله عليه وسلم لان اعانة بني بكر عليهم قتال معهم اتخشونهم اي تخشون ان ينالكم منهم مكروه حتى تركوا
قتالهم وتجنبهم او لا تترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الرغبة فيها وتحقق ان من كان على تلك
الصفات السيئة حقيق بان لا يترك مصادمته ويوبخ من فرط فيها فالله احق ان تخشوه بمخالفة امره وترك قتال
اعدائه ان كنتم مؤمنين فان قضية الايمان تخصيص الخشية به تعالى وعدم المبالاة بمن سواه وفيه من
التشديد ما لا يخفى قاتلوهم تجريد للامر بالقتال بعد التوبيخ على تركه ووعد بنصرهم وبتعذيب اعدائهم

واخراجهم

واخراجهم وتشجيع لهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم قتلا واسرا وينصركم عليهم اي يجعلكم جميعا غالبين عليهم
اجمعين ولذلك اخر عن التعذيب والاخزاء ويشف صدور قوم مؤمنين ممن لم يشهد القتال وهم خزاعة قال
ابن عباس رضي الله عنهما هم بطون من اليمن وسبا قدموا مكة فلقوا من اهلها اذى كثيرا فبعثوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال عليه السلام ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم بما كابدوا
من المكاره والمكايد ولقد انجز الله سبحانه جميع ما وعدهم به على اجمل ما يكون فكان اخباره عليه الصلاة والسلام
بذلك قبل وقوعه معجزة عظيمة ويتوب الله على من يشاء كلام مستانف ينبئ عما سيكون من بعض اهل مكة من
التوبة المقبولة بحسب مشيته تعالى المبنية على الحكم البالغة فكان كذلك حيث اسلم ناس منهم وحسن
اسلامهم وقرئ بالنصب باضمار ان ودخول التوبة في جملة ما اجيب به الامر بحسب المعنى فان القتال
كما هو سبب لفل شوكتهم فهو سبب للتدين في امرهم وتوبتهم من الكفر والمعاصي والاختلاف في وجه السببية
غير السبك والله اعلم والله ايثار اظهار الجلالة على الاضمار لتربية المهابة وادخال الروعة عليم لا يخفى عليه
خافية حكيم لا يفعل ولا يامر الا ما فيه حكمة ومصلحة ام حسبتم ام منقطعة جيء بها للدلالة على الانتقال
من التوبيخ السابق الى اخر وما فيها من همزة الاستفهام الانكاري توبيخ لهم على الحسبان المذكور اي بل احسبتم
ان تتركوا على ما انتم عليه ولا تؤمروا بالجهاد ولا تبتلوا بما يمحصكم والخطاب اما لمن شق عليهم القتال من
المؤمنين او للمنافقين ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم الواو حالية ولما للنفي مع التوقع والمراد من نفي العلم
نفي المعلوم بالطريق البرهاني اذ لو شم رائحة الوجود لعلم قطعا فلما لم يعلم لزمه عدمه قطعا اي ام حسبتم
ان تتركوا والحال انه لم يتبين الخلص من المجاهدين منكم من غيرهم وما في لما من التوقع منبئة على ان ذلك سيكون
وفائدة التعبير عما ذكر من عدم التبين بعدم علم الله تعالى ان المقصود هو التبين من حيث كونه متعلقا
للعلم ومدارا للثواب وعدم التعرض لحال المقصرين لما ان ذلك بمعزل من الاندراج تحت ارادة اكرم الاكرمين
ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل في حيز الصلة او حال من فاعله اي جاهدوا حال كونهم من دون الله
ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة اي بطانة وصاحب سر وهو الذي تطلعه على ما في ضميرك من الاسرار الخفية
من الولوج وهو الدخول ومن دون الله متعلق بالاتخاذ ان ابقي على حاله او مفعول ثان له ان جعل بمعنى التصيير
والله خبير بما تعملون اي بجميع اعمالكم وقرئ على الغيبة وهو تذييل مزيح لما عسى يتوهم من ظاهر قوله تعالى
ولما يعلم الى اخره او حال من فاعله او من مفعوله والمعنى ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم والحال انه يعلم جميع
اعمالكم لا يخفى عليه شيء منها ما كان للمشركين اي ما صح وما استقام لهم على معنى نفي الوجود والتحقق لا نفي
الجواز كما في قوله تعالى اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين اي ما وقع وما تحقق لهم ان يعمروا عمارة
معتدا بها مساجد الله اي المسجد الحرام وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها لعامره كعامرها او لان كل ناحية
من نواحيه المختلفة الجهات مسجد على حياله اذ ليس في نواحيها اختلاف الجهة ويؤيده القراءة بالتوحيد وقيل
ما كان لهم ان يعمروا شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس وياباه انهم لا يتصدون لتعمير
سائر المساجد ولا يفتخرون بذلك على انه كون مبني على كون النفي بمعنى نفي الجواز واللياقة دون نفي الوجود شاهدين
على انفسهم بالكفر اي باظهار اثار الشرك من نصب الاوثان حول البيت والعبادة لها فان ذلك شهادة صريحة
على انفسهم بالكفر وان ابوا ان يقولوا نحن كفار كما نقل عن الحسن رحمه الله وهو حال من الضمير في يعمروا اي محال
ان يكونوا ما سوغ عمارة بيت الله مع ملابستهم لما ينافيها ويحبطها من عبادة غيره تعالى فانها ليست من العمارة
في شيء واما ما قيل من ان المعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله تعالى وعبادة
غيره مانعة فليس بعرب عن كيفية المرام فان عدم استقامة الجمع بين المتنافيين انما يستدعي انتفاء احدهما
لا بعينه لا انتفاء العمارة الذي هو المقصود روي ان المهاجرين والانصار اقبلوا على اسارى بدر يعيرونهم

واسلم ناس

بالشرك وتحقق علي رضي الله عنه توبخ العباس بقتال النبي صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم واغلظ له في القول
فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا قال او لكم محاسن قال نعم انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة
ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت اولئك الذين يدعون عمارة المسجد الحرام وما يضاهيها من اعمال البر مما
بهم من الكفر حبطت اعمالهم التي يفتخرون بها بما قارنها من الكفر فصارت هباء منثورا وفي النار هم خالدون
لكفرهم ومعاصيهم وايراد الجملة الاسمية للمبالغة في الدلالة على الخلود والظرف متعلق بالخبر قدم عليه للاهتمام
به ومراعاة الفاصلة وكلتا الجملتين مستانفة لتقرير النفي السابق الاولى من جهة نفي استتباع العذاب والثانية
من جهة نفي استدفاع العذاب انما يعمر مساجد الله الكلام في ايراد صيغة الجمع كما مر في ما مر خلا ان ارادة جمع المساجد
وادراج المسجد الحرام في ذلك غير مخالفة لمقتضى الحال فان الايجاب ليس كالسلب وقد قرئ بالافراد ايضا والمراد
ها هنا ايضا قصر تحقق العمارة ووجوبها على المؤمنين لا قصر جوازها ولياقتها اي انما يصح ويستقيم ان يعمروها
عمارة يعتد بها من آمن بالله وحده واليوم الآخر بما فيه من البعث والحساب والجزاء حسبما نطق به الوحي واقام
الصلوة وآتى الزكوة على ما علم من الدين فيندرج فيه الايمان بنبوة النبي عليه الصلاة والسلام حتما وقيل
هو مندرج تحت الايمان بالله خاصة فان احدا جرى كلمة الشهادة علم للكل اي انما يعمرها من جمع هذه الكمالات العلمية
والعملية والمراد بالعمارة ما يعم مرمة ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج
وادامة العبادة والذكر ودراسة العلوم فيها ونحو ذلك وصيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم الحديث في المسجد ياكل الحسنات كما تاكل البهيمة الحشيش وقال عليه الصلاة والسلام
ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور
ان يكرم زائره وعنه عليه الصلوة والسلام من الف المسجد الفه الله وقال عليه السلام اذا رايتم الرجل
يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان وعن انس رضي الله عنه من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملئكة
وحملة العرش تستغفر له ما دام في ذلك المسجد ضوءه ولم يخش في امور الدين الا الله فعمل بموجب امره
ونهيه غير اخذ له في الله لومة لائم ولا خشية ظالم فيندرج فيه عدم الخشية عند القتال ونحو ذلك واما
الخوف الجبلي من الامور المخوفة وليس من هذا الباب ولا مما يدخل تحت التكليف والخطاب وقيل كانوا
يخشون الاصنام ويرجونها فاريد نفي تلك الخشية عنهم قوله تعالى فعسى اولئك المنعوتون بتلك النعوت
الجميلة ان يكونوا من المهتدين الى مباغيهم من الجنة وما فيها من فنون المطالب العلية وابراز اهتدائهم مع ما
بهم من الصفات السنية في معرض التوقع لقطع اطماع الكفرة عن الوصول الى مواقف الاهتداء والانتفاع
باعمالهم التي يحسبون انهم في ذلك محسنون ولتوبيخهم بقطعهم بانهم مهتدون فان المؤمنين مع ما بهم من
هذه الكمالات اذا كان امرهم دائرا بين لعل وعسى فما بال الكفرة وهم هم واعمالهم اعمالهم وفيه لطف للمؤمنين
وترغيب لهم في ترجيح جانب الخوف على جناح الرجاء والرفض الاعتذار بالله تعالى اجعلتم سقاية الحاج وعمارة
المسجد الحرام اي في الفضيلة وعلو الدرجة كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله . السقاية والعمارة
مصدران لا يتصور تشبيههما بالايمان فلا بد من تقدير مضاف فحينئذ احد الجانبين اي اجعلتم
اهلهما كمن آمن بالله واليوم الآخر ويؤيده قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام او جعلتموهما
كايمان من آمن الى آخره وعلى التقديرين فالخطاب اما للمشركين على طريقة الالتفات وهو المتبادر من تخصيص
ذكر الايمان بجانب المشبه به واما لبعض المؤمنين المؤثرين للسقاية والعمارة ونحوهما على الهجرة والجهاد
ونظائرهما وهو المناسب للاكتفاء في الرد عليهم ببيان عدم مساواتهم عند الله للفريق الثاني وبيان اعظمية
درجتهم عند الله تعالى على وجه يشعر بعدم حرمان الاولين بالكلية وحمل معنى التفضيل بالنسبة الى زعم
الكفرة لا يجدي كثير نفع لانه ان لم يشعر بعدم الحرمان فليس يشعر بالحرمان ايضا اما على الاول فهو توبيخ

للمشركين

قال الله تعالى صح

للمشركين ومداره انكار تشبيه انفسهم من حيث اتصافهم بوصفيهم المذكورين مع قطع النظر عما هم عليه من
الشرك بالمؤمنين من حيث اتصافهم بالايمان والجهاد او على انكار تشبيه وصفيهم المذكورين في حد ذاتهما مع الاغماض
عن مقارنتهما للشرك بالايمان والجهاد واما اعتبار مقارنتهما له كما قيل فياباه المقام كيف لا وقد بين انحباطهما بالكلية
بذلك الاعتبار وكونهما بمنزلة العدم فتوبيخهم بعد ذلك على تشبيههما بالايمان والجهاد ثم رد ذلك بما يشعر بعدم حرمانهم
عن اصل الفضيلة بالكلية كما اشير اليه مما لا يساعده النظم التنزيلي ولو اعتبر ذلك لما احتيج الى تقرير انكار
التشبيه وتاكيده بشيء آخر اذ لا شيء اظهر بطلانا من تشبيه المعدوم بالموجود فالمعنى اجعلتم اهل السقاية
والعمارة في الفضيلة كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيله او اجعلتموهما في ذلك كالايمان والجهاد
وشتان بينهما فان السقاية والعمارة وان كانتا في انفسهما من اعمال البر والخير لكنهما وان خلتا عن القوادح
بمعزل عن صلاحية ان يشبه اهلهما باهل الايمان والجهاد او يشبه نفسهما بنفس الايمان والجهاد وذلك
قوله عز وجل لا يستوون عند الله اي لا يساوي الفريق الاول الثاني من حيث اتصاف كل منهما بوصفيهما ومن
ضرورته عدم التساوي بين الوصفين الاولين وبين الآخرين لانه المدار في التفاوت بين الموصوفين و
اسناد عدم الاستواء الى الموصوفين لان الاهم بيان تفاوتهم وتوجيه النفي ههنا والانكار فيما سلف
الى الاستواء والتشبيه مع ان دعوى المفتخرين بالسقاية والعمارة من المشركين والمؤمنين انما هي الافضلية
دون التساوي والتشابه نفي الافضلية بالطريق الاولى والجملة استيناف لتقرير الانكار المذكور وتاكيده او
حال من مفعول الجعل والرابط هو الضمير كانه قيل اوسويتم بينهم حال كونهم متفاوتين عنده تعالى وقوله
تعالى والله لا يهدي القوم الظالمين حكم عليهم بانهم مع ظلمهم بالاشراك ومعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم ضالون في
هذا الجعل غير مهتدين الى طريق معرفة الحق وتمييز الراجح من المرجوح والظالمون بوضع كل منهما موضع الآخر
وفيه زيادة لتقرير عدم التساوي بينهم وقوله تعالى الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم
وانفسهم استيناف لبيان مراتب فضلهم اثر بيان عدم الاستواء وضلال المشركين وظلمهم وزيادة الهجرة
وتفصيل نوعي الجهاد للايذان بان ذلك من لوازم الجهاد لا انه اعتبر بطريق التدارك امر لم يعتبر
فيما سلف اي هم باعتبار اتصافهم بهذه الاوصاف الجميلة اعظم درجة عند الله اي اعلى رتبة واكثر
كرامة ممن لم يتصف بها كائنا من كان وان حاز جميع ما عداها من الكمالات التي من جملتها السقاية والعمارة
واولئك اي المنعوتون بتلك النعوت الفاضلة وما في اسم الاشارة من معنى البعد للدلالة على
بعد منزلتهم في الرفعة هم الفائزون المختصون بالفوز العظيم او بالفوز المطلق كان فوز من عداهم
ليس بفوز بالنسبة الى فوزهم واما على الثاني فهو توبيخ لمن يؤثر السقاية والعمارة من المؤمنين على الهجرة
والجهاد روي ان عليا رضي الله عنه وكرم الله وجهه قال للعباس رضي الله عنه بعد اسلامه يا عم الا
تهاجرون الا تلحقون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الست في افضل الهجرة اسقي حاج بيت
الله واعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال ما اراني الا تارك سقايتنا فقال عليه السلام اقيموا على سقايتكم
فان لكم فيها خيرا وروي النعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما
ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان اسقي الحاج وقال آخر لا ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان اعمر المسجد الحرام وقال
آخر الجهاد في سبيل الله افضل مما قلتم فزجرهم عمر رضي الله عنه وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليتم استفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفتم
فيه فدخل فانزل الله عز وجل هذه الآية والمعنى اجعلتم اهل السقاية والعمارة من المؤمنين في الفضيلة
والرفعة كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيله او اجعلتموهما كالايمان والجهاد وانما لم يذكر
الايمان في جانب المشبه مع كونه معتبرا فيه قطعا تعويلا على ظهور الامر واشعارا بان مدار انكار التشبيه

بمنزلة صح

هو السقاية والعمارة دون الايمان وانما لم يترك ذكره في جانب المشبه به ايضا تقوية للانكار وتذكيرا لاسباب
الرجحان ومبادي الافضلية وايذانا بكمال التلازم بين الايمان وما تلاه ومعنى عدم الاستوا عند الله تعالى على هذا
التقدير ظاهر وكذا اعظمية درجة الفريق الثاني واما قوله تعالى والله لا يهدي القوم الظالمين فالمراد به عدم
هدايته تعالى لهم الى معرفة الراجح من المرجوح وظلمهم بوضع كل منهما موضع الآخر لا عدم الهداية مطلقا ولا الظلم
عموما والقصر في قوله تعالى واولئك هم الفائزون بالنسبة الى درجة الفريق الثاني او الى الفوز المطلق ادعاء كما مر
والله اعلم يبشرهم وقرئ بالتخفيف ربهم برحمة عظيمة منه ورضوان كبير وجنات عالية لهم فيها في تلك
الجنات نعيم مقيم نعم لا نفاد لها وفي التعرض لعنوان الربوبية تاكيد للمبشر به وتربية له خالدين فيها اي في
الجنات ابدا تاكيد للخلود لزيادة توضيح المراد اذ يراد به المكث الطويل ان الله عنده اجر عظيم لا قدر عنده لاجور
الدنيا وللاعمال التي في مقابلته والجملة استيناف وقع تعليلا لما سبق يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء
نهي لكل فرد من افراد المخاطبين عن موالاة فرد من المشركين بقضية مقابلة الجمع بالجمع الموجبة لانقسام الآحاد
كما في قوله عز وجل وما للظالمين من انصار لا عن موالاة طائفة منهم فان ذلك مفهوم من النظم دلالة لا عبارة
والآية نزلت في المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا آباءنا وابناءنا وعشيرتنا وذهبت تجارتنا وهلكت
اموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل ياتيه ابنه او ابوه او اخوه او بعض اقاربه فلا
يلتفت اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم في ذلك وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة
نهيا عن موالاتهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا يطعم احدكم طعم الايمان حتى يحب في الله ويبغض في الله
اي حتى يحب في الله ابعد الناس ويبغض في الله اقرب الناس اليه ان استحبوا الكفر اي اختاروه على الايمان
واصروا عليه اصرارا لا يرجى معه الاقلاع عنه اصلا وتعليق النهي عن الموالاة بذلك لما انها قبل ذلك ربما يؤدي بهم
الى الاسلام بسبب شعورهم بمحاسن الدين ومن يتولهم اي واحدا منهم كما اشير اليه وافراد الضمير في الفعل
لمراعاة لفظ الموصول وللايذان باستقلال كل واحد منهم في الاتصاف بالظلم لان المراد تولي فرد واحد وكلمة من
في قوله تعالى منكم للجنس لا للتبعيض فاولئك اي اولئك المتولون هم الظالمون بوضعهم الموالاة في غير موضعها
كان ظلم غيرهم كلا ظلم عند ظلمهم قل تلوين للخطاب وامر له صلى الله عليه وسلم بان يثبت المؤمنين ويقوي
عزائمهم على الانتهاء عما نهوا عنه من موالاتهم الآباء والاخوان ويزهدهم فيهم ومن يجري مجراهم من الابناء والازواج
ويقطع علائقهم عن زخارف الدنيا وزينتها على وجه التوبيخ والترهيب ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم لم
يذكر الابناء والازواج فيما سلف لان موالاة الابناء والازواج غير معتاد بخلاف المحبة وعشيرتكم اي اقرباؤكم
ماخوذ من العشرة فانهم جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرئ عشيراتكم وعشائركم واموال اقترفتموها
اي اكتسبتموها وانما وصفت بذلك ايماء الى عزتها عندهم لحصولها بكد اليمين وتجارة اي امتعة اشتريتموها
للتجارة والربح تخشون كسادها بفوات وقت رواجها بغيبتكم عن مكة المعظمة في ايام الموسم ومساكن
ترضونها اي منازل تعجبكم الاقامة فيها من الدور والبساتين والتعرض للصفات المذكورة للايذان بان
اللوم على محبة ما ذكر من زينة الحيوة الدنيا ليس لتناهي ما فيها من مبادي المحبة وموجبات الرغبة فيها وانها
مع ما لها من فنون المحاسن بمعزل عن ان يؤثرها على حبه تعالى وحب رسوله صلى الله عليه وسلم كما في قوله
عز وجل ما غرك بربك الكريم احب اليكم من الله ورسوله بالحب الاختياري المستتبع لاثره الذي هو الملازمة وعدم
المفارقة لا الحب الجبلي الذي لا يخلو عنه البشر فانه غير داخل تحت التكليف الدائر على الطاقة وجهاد
في سبيله نظم حبه في سلك حب الله عز وجل وحب رسوله عليه الصلاة والسلام تنويها لشانه وتنبيها
على انه مما يجب ان يحب فضلا عن ان يكره وايذانا بان محبته راجعة الى محبتهما فان الجهاد عبارة عن قتال اعدائهما
لاجل عداوتهم فمن يحبهما يجب ان يحب قتال من لا يحبهما فتربصوا اي انتظروا حتى ياتي الله بامره عن ابن عباس
رضي الله عنهما

رضي الله عنهما فتح مكة وقيل هي عقوبة عاجلة او آجلة والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن الطاعة في
موالاة المشركين او القوم الفاسقين كافة فيدخل في زمرتهم هؤلاء دخولا اوليا اي لا يرشدهم الى ما هو خير لهم
وفي الآية الكريمة من الوعيد ما لا يكاد يتخلص منه الا من تداركه لطف من ربه والله المستعان لقد نصركم الله الخطاب
للمؤمنين خاصة في مواطن كثيرة من الحروب وهي مواقفها ومقاماتها والمراد بها وقعات بدر وقريظة و
النضير والحديبية وخيبر وفتح مكة ويوم حنين عطف على محل في مواطن بحذف المضاف في احدهما اي
وموطن يوم حنين او في ايام مواطن كثيرة ويوم حنين ولعل التغيير للايماء الى ما وقع فيه من قلة الثبات من اول
الامر وقيل المراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين رضي الله عنه وقيل يوم حنين منصوب بمضمر معطوف
على نصركم اي ونصركم يوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم بدل من يوم حنين ولا منع فيه من عطفه على محل الظرف
بناء على انه لم يكن في المعطوف عليه كثرة ولا اعجاب اذ ليس من قضية العطف مشاركة المعطوفين او منصوب باضمار
اذكر وحنين واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر الفا عشرة آلاف منهم ممن
شهد فتح مكة من المهاجرين والانصار والفان من الطلقاء بين هوازن وثقيف وكانوا اربعة آلاف فيمن ضامهم
من امداد سائر العرب وكانوا الجم الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين اسمه سلمة بن سلام الانصاري لن
نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المشركون وخلوا الذراري
فاكب المسلمون على الغنائم فتنادى المشركون يا حماة السوء اذكروا الفضائح فتراجعوا فادركت المسلمين كلمة الاعجاب
فانكشفوا وذلك قوله عز وعلا فلم تغن عنكم شيئا والاغناء اعطاء ما يدفع به الحاجة اي لم تعطكم تلك الكثرة
ما تدفعون به حاجتكم شيئا من الاغناء وضاقت عليكم الارض بما رحبت اي برحبها وسعتها على ان ما مصدرية
والباء بمعنى مع اي لا تجدون فيها مقرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب ولا يثبتون فيها كمن لا يسعه
مكانه ثم وليتم مدبرين روي انه بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده ليس معه الا عمه
العباس آخذا بلجام بغلته وابن عمه ابو سفيان بن الحارث آخذا بركابه وهو يركض البغلة نحو المشركين وهو
يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب روي انه عليه الصلوة والسلام كان يحمل على الكفار فيفرون ثم
يحملون عليه فيقف لهم فعل ذلك بضع عشرة مرة قال العباس كنت اكف البغلة لئلا تسرع به نحو
المشركين وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق على انه صلى الله عليه وسلم كان في الشجاعة ورباطة الجاش
سباقا للغايات القاصية وما كان ذلك الا لكونه مؤيدا من عند الله العزيز الحكيم فعند ذلك قال يا رب ائتني
بما وعدتني وقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى الانصار فخذا فخذا ثم نادى يا اصحاب الشجرة
يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك وذلك قوله تعالى ثم انزل الله سكينته
على رسوله اي رحمته التي تسكن بها القلوب وتطمئن اليها اطمئنانا كليا مستتبعا للنصر القريب واما
مطلق السكينة فقد كانت حاصلة له عليه الصلاة والسلام قبل ذلك ايضا وعلى المؤمنين عطف على رسوله
وتوسيط الجار بينهما للدلالة على ما بينهما من التفاوت اي المؤمنين الذين انهزموا وقيل على الذين ثبتوا مع
النبي صلى الله عليه وسلم او على الكل وهو الانسب ولا ضير في تحقق اصل السكينة في الثابتين من قبل والتعرض
لوصف الايمان للاشعار بعلية الانزال وانزل جنودا لم تروها اي بابصاركم كما يرى بعضكم بعضا وهم
الملائكة عليهم السلام عليهم البياض على خيول بلق فنظر النبي صلى الله عليه وسلم الى قتال المسلمين فقال هذا حين
حمي الوطيس فاخذ كفا من التراب فرمى به نحو المشركين وقال شاهت الوجوه فلم يبق منهم احد الا امتلات
به عيناه ثم قال عليه الصلاة والسلام انهزموا ورب الكعبة واختلفوا في عدد الملائكة يومئذ فقيل
خمسة آلاف وقيل ثمانية آلاف وقيل ستة عشر الفا وفي قتالهم ايضا وقيل قاتلوا وقيل
لم يقاتلوا الا يوم بدر وانما كان نزولهم لتقوية قلوب المؤمنين بالقاء الخواطر الحسنة وتاييد لهم بذلك

والقاء الرعب في قلوب المشركين قال سعيد بن المسيب حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما
كشفنا المسلمين جعلنا نسوقهم فلما انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء تلقانا رجال بيض الوجوه فقالوا
شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا وركبوا اكتافنا وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك انه فعل
بهم مما ذكر جزاء الكافرين لكفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء ان يتوب عليهم منهم لحكمة
تقتضيه اي يوفقه للاسلام والله غفور يتجاوز عما سلف منهم من الكفر والمعاصي رحيم يتفضل عليهم
ويثيبهم روي ان ناسا منهم جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه على الاسلام وقالوا يا رسول الله
انت خير الناس وابر الناس وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا قيل سبي يومئذ ستة
الاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال عليه السلام ان عندي ما ترون ان خير القول
اصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما اموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ان هؤلاء جاؤنا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان
بيده سبي وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن لا يريد فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب فنعطيه
مكانه قالوا قد رضينا وسلمنا فقال عليه الصلاة والسلام انا لا ندري لعل فيكم من لا يرضى فمروا
عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء انهم قد رضوا يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس وصفوا
بالمصدر مبالغة كانهم عين النجاسة او هم ذوو نجس لخبث باطنهم او لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة
النجس وانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم عن ابن عباس رضي الله
عنهما ان اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا توضأ واهل المذاهب على خلاف
هذين القولين وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم وهو تخفيف نجس ككبد في كبد كانه قيل انما المشركون
جنس نجس او ضرب نجس واكثر ما جاء تابعا لرجس فلا يقربوا المسجد الحرام تفريع على نجاستهم وانما نهي عن
القرب للمبالغة او للمنع عن الدخول مطلقا وقيل المراد المنع عن الحج والعمرة وهو مذهب ابي حنيفة
رحمه الله ويؤيده قوله عز وجل بعد عامهم هذا فان تقييد النهي بذلك يدل على اختصاص المنهي عنه
بوقت من اوقات العام اي لا يحجوا ولا يعتمروا بعد حج عامهم هذا وهو عام تسعة من الهجرة حين امر ابو بكر
رضي الله عنه على الموسم ويدل عليه قول علي رضي الله عنه حين نادى الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ويمنعون
من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عنده وعند الشافعي يمنعون من المسجد الحرام خاصة
وعند مالك يمنعون من جميع المساجد ونهي المشركين ان يقربوا راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم
من ذلك وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك وان خفتم عيلة
اي فقرا بسبب منعهم من الحج وانقطاع ما كانوا يجلبونه اليكم من الارفاق والمكاسب وقرئ عائلة على
انها مصدر كالعافية او حال عائلة فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او من تفضله بوجه آخر فارسل الله
تعالى السماء عليهم مدرارا بها خيرهم واكثر ميرهم واسلم اهل تبالة وجرش فحملوا الى مكة الطعام وما
يعاش به فكان ذلك اعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس
من اقطار الارض وقيل ان يغنيكم مشيئته تعالى تابعة للحكمة الداعية اليها وقيد ذلك بها لينقطع الامال
الى الله تعالى ولان الاغناء ليس مطردا بحسب الافراد والاحوال والاوقات ان الله عليم بمصالحكم حكيم فيما
يعطي ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله امرهم بقتال اهل الكتابين اثر امرهم بقتال المشركين ومنعهم من
ان يحوموا حول ما كانوا يفعلونه من الحج والعمرة غير خائفين من الفاقة المتوهمة من انقطاعهم ونبههم في تضاعيف
ذلك على بعض طرق الاغناء الموعود على الوجه الكلي وارشدهم الى سلوكه ابتغاء لفضله واستيجابا لوعده
والتعبير عنهم بالموصول للايذان بعلية ما في حيز الصلة للامر بالقتال وبانتظامهم بسبب ذلك في سلك

المشركين فان

المشركين فان اليهود مشبهة والنصارى مثلثة فهم بمعزل من ان يؤمنوا بالله سبحانه ولا باليوم الآخر فان علمهم باحوال
الآخرة كلا علم فايمانهم المبني عليه ليس بايمان ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله اي ما ثبت تحريمه بالوحي متلوا وغير متلو
وقيل المراد برسوله الرسول الذي يزعمون اتباعه اي يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ولا يدينون دين
الحق الثابت الذي هو ناسخ لسائر الاديان وهو دين الاسلام وقيل دين الله تعالى من الذين اوتوا الكتاب
من التورية والانجيل فمن بيانية لا تبعيضية حتى يكون بعضهم على خلاف ما نعت حتى يعطوا اي يقبلوا ان يعطوا الجزية
اي ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اي قضاه او لانهم يجزون بها من من عليهم بالاعفاء عن القتل عن يد
حال من الضمير في يعطوا اي عن يد مواتية مطيعة بمعنى منقادين او من يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين
بايدي غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك لم تجب الجزية على الفقير العاجز او عن يد قاهرة عليهم
اي بسبب يد بمعنى عاجزين اذلاء او عن انعام عليهم فان ابقاء مهجتهم بما بذلوا من الجزية نعمة عظيمة عليهم او من الجزية
اي نقدا مسلمة عن يد الى يد وغاية القتال ليست نفس هذا الاعطاء بل قبوله كما اشير اليه وهم صاغرون اي اذلاء وذلك
بان يأتي بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمسلم جالس ويؤخذ بتلبيبه ويقول له اد الجزية وان
كان يؤديها وهي تؤخذ عند ابي حنيفة رحمه الله من اهل الكتاب مطلقا ومن مشركي العجم لا من مشركي العرب
وعند ابي يوسف رحمه الله لا تؤخذ من العربي كتابيا كان او مشركا وتؤخذ من العجمي كتابيا كان او مشركا وعند
الشافعي رحمه الله تؤخذ من جميع اهل الكتاب عربيا او عجميا ولا تؤخذ من اهل الاوثان مطلقا وذهب مالك
والاوزاعي الى انها تؤخذ من جميع الكفار واما المجوس فقد اتفقت الصحابة على اخذ الجزية منهم لقوله عليه الصلاة
والسلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب وروي عن علي رضي الله عنه انه كان لهم كتاب يدرسونه فاصبحوا وقد
اسري على كتابهم فرفع من بين ظهرهم واتفقوا على تحريم ذبيحتهم ومناكحتهم لقوله عليه الصلاة والسلام في
آخر ما نقل من الحديث غير ناكحي نسائهم وآكلي ذبائحهم ووقت الاخذ عند ابي حنيفة رحمه الله عليه اول السنة وتنقطع
بالموت والاسلام ومقدارها على الفقير المعتمل اثنا عشر درهما وعلى المتوسط الحال اربعة وعشرون درهما وعلى
الغني ثمانية واربعون درهما ولا جزية على فقير عاجز عن الكسب ولا على شيخ فان او زمن او صبي او امرأة وعند
الشافعي تؤخذ في آخر السنة من كل واحد دينار غنيا كان او فقيرا له كسب او لم يكن وقالت اليهود جملة مبتدأة
سيقت لتقرير ما مر من عدم ايمان اهل الكتابين بالله سبحانه وانتظامهم بذلك في سلك المشركين عزير ابن الله
مبتدأ وخبر وقرئ بغير التنوين على انه اسم اعجمي كعازر وعيزار منصرف للعجمة والتعريف واما تعليله
بالتقاء الساكنين او بجعل الابن وصفا على ان الخبر محذوف فتعسف مستغنى عنه قيل هو قول قدمائهم
ثم انقطع فحكى الله تعالى عنهم ذلك ولا عبرة بانكار اليهود وقيل قول بعض من كان بالمدينة عن ابن
عباس رضي الله عنهما انه جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ناس منهم وهم سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن
قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص بن عازورا وهو الذي قال ان الله فقير ونحن اغنياء
وسبب هذا القول ان اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى عليه السلام فرفع الله تعالى عنهم التورية ومحاها من
قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسيح في الارض فاتاه جبريل عليه السلام فقال له اين تذهب قال اطلب العلم
فحفظه التورية فاملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع الله التورية في صدره وهو غلام الا
لانه ابنه قال الامام الكلبي لما قتل بخت نصر علماءهم جميعا وكان عزير اذ ذاك صغيرا فاستصغره ولم
يقتله فلما رجع بنو اسرائيل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التورية بعث الله تعالى عزيرا ليجدد
لهم التورية ويكون آية بعد ما اماته مائة عام يقال انه اتاه ملك باناء فيه ماء فسقاه فمثلت في صدره
فلما اتاهم قال لهم اني عزير فكذبوه فقالوا ان كنت كما تزعم فامل علينا التورية ففعل فقالوا ان الله تعالى
لم يقذف التورية في قلب رجل الا انه ابنه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وعن ابن عباس رضي الله عنهما

عنهما ان اليهود اضاعوا التورية وعملوا بغير الحق فانساهم الله التورية ونسخها من صدورهم ورفع التابوت فتضرع
عزير الى الله تعالى وابتهل اليه فعاد حفظ التورية الى قلبه فانذر قومه ثم ان التابوت نزل فعرضوا ما تلاه عزير على ما
فيه فوجدوه مثله فقالوا ما قالوا وقالت النصارى المسيح ابن الله هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون
ولد بغير اب او لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها ذلك اشارة الى ما صدر عنهم
من العظيمتين وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد درجة المشار اليه في الشناعة والفظاعة قولهم بافواههم اما
تاكيد لنسبة القول المذكور اليهم ونفي التجوز عنها واشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الموجود في
الافواه من غير ان يكون له مصداق في الخارج يضاهون اي في الكفر والشناعة وقرئ بغير همزة قول
الذين كفروا اي يشابه قولهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه عند انقلابه مرفوعا قول الذين كفروا من قبل
اي من قبلهم وهم المشركون الذين يقولون الملائكة بنات الله واللات والعزى بنات الله لا قدماؤهم كما قيل اذ لا تعدد
في القول حتى ياتي التشبيه وجعله بين قول الفريقين مع اتحاد المقول ليس فيه مزيد مزية وقيل الضمير للنصارى
اي يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم اقدم منهم وهو ايضا كما ترى فانه يستدعي اختصاص الرد
والابطال بقوله تعالى ذلك قولهم بافواههم لقول النصارى قاتلهم الله دعاء عليهم جميعا بالاهلاك فان من قاتله
الله هلك او تعجب من شناعة قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون من الحق الى الباطل والحال انه لا سبيل اليه اصلا
اتخذوا زيادة تقرير لما سلف من كفرهم بالله تعالى احبارهم وهم علماء اليهود واختلف في واحده قال
الاصمعي لا ادري اهو حبر ام حبر وقال ابو الهيثم بالفتح لا غير وكان ابو الليث وابن السكيت يقولان حبر وحبر
للعالم ذميا كان او مسلما بعد ان كان من اهل الكتاب ورهبانهم وهم علماء النصارى من اصحاب الصوامع اي اتخذ
كل واحد من الفريقين علماءهم لا الكل اربابا من دون الله بان اطاعوهم في تحريم ما احله الله تعالى وتحليل ما حرمه
او بالسجود لهم ونحوه بتسمية اتباع الشيطان عبادة له في قوله تعالى يا ابت لا تعبد الشيطان وقوله تعالى بل
كانوا يعبدون الجن قال عدي بن حاتم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب وكان اذ
ذاك على دين يسمى الركوسية فرقة من النصارى وهو يقرا سورة براءة فقال يا عدي اطرح هذا الوثن فطرحته
فلما انتهى الى قوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قلت يا رسول الله لم يكونوا يعبدونهم
فقال عليه الصلوة والسلام اليس يحرمون ما احل الله فيحرمونه ويحلون ما حرم الله فيستحلونه فقلت
بلى قال فذلك عبادتهم قال الربيع قلت لابي العالية كيف كانت تلك الربوبية في بني اسرائيل
قال انهم ربما وجدوا في كتاب الله تعالى ما يخالف اقوال الاحبار فكانوا ياخذون باقوالهم ويتركون حكم
كتاب الله والمسيح ابن مريم عطف على رهبانهم اي اتخذوه النصارى ربا معبودا بعد ما قالوا انه ابنه تعالى
الله عن ذلك علوا كبيرا وتخصيص الاتخاذ به يشير الى ان اليهود ما فعلوا ذلك بعزير وتاخيره في الذكر مع ان
اتخاذهم له عليه السلام ربا معبودا اقوى من مجرد الاطاعة في امر التحليل والتحريم كما هو المراد باتخاذهم الاحبار
والرهبان اربابا لانه مختص بالنصارى وبنسبته عليه السلام الى امه من حيث دلالتها على عبوديته المنافية للربوبية
للايذان بكمال ركاكة ارائهم والقضاء عليهم بنهاية الجهل والحماقة وما امروا اي والحال ان اولئك الكفرة ما امروا في
كتبهم الا ليعبدوا الها واحدا عظيم الشان هو الله تعالى ويطيعون امره ولا يطيعون امر غيره بخلافه فان ذلك مخل
بعبادته تعالى فان جميع الكتب السماوية متفقة على ذلك قاطبة وقد قال المسيح عليه السلام انه من يشرك بالله
فقد حرم الله عليه الجنة واما اطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وسائر من امر بالله تعالى فهي في الحقيقة اطاعة
الله عز وجل او ولما امر الذين اتخذهم الكفرة اربابا من المسيح والاحبار والرهبان الا ليوحدوا الله تعالى فكيف يصح
ان يكونوا اربابا وهم مامورون مستعبدون مثلهم ولا يقدح في ذلك كون ربوبية الاحبار والرهبان بطريق الاطاعة
فان تخصيص العبادة به تعالى ولا يتحقق الا بتخصيص الطاعة ايضا به تعالى وحيث لم يخصوها به تعالى لم يخصوا العبادة

به سبحانه لا اله الا هو صفة ثانية لالها واستيناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون عن الاشراك به في
العبادة والطاعة يريدون ان يطفئوا نور الله اطفاء النار عبارة عن ازالة لهبها الموجبة لزوال نورها لا عن ازالة نورها
كما قيل لكن لما كان الغرض من اطفاء نار لا يراد بها الا النور كالمصباح ازالة نورها جعل اطفاؤها عبارة عنها ثم شاع
ذلك حتى كان عبارة عن مطلق ازالة النور وان كان لغير النار والسر في ذلك انحصار امكان الازالة في نورها والمراد
بنور الله سبحانه اما حجته النيرة الدالة على وحدانيته وتنزهه عن الشركاء والاولاد او القرآن العظيم الناطق بذلك
اي يريد اهل الكتابين ان يردوا القرآن ويكذبوه فيما نطق به من التوحيد والتنزه عن الشركاء والاولاد والشرائع
التي من جملتها ما خالفوه من امر الحل والحرمة بافواههم باقاويلهم الباطلة الخارجة عنها من غير ان يكون لها مصداق
تنطبق عليه او اصل تستند اليه حسبما حكي عنهم وقيل المراد به نبوة النبي صلى الله عليه وسلم هذا وقد قيل
مثلت حالهم فيما ذكر بحال من يريد طمس نور عظيم منبث في الآفاق بنفخه ويابى الله اي لا يريد الا ان يتم نوره
باعلاء كلمة التوحيد واعزاز دين الاسلام وانما صح الاستثناء المفرغ من الموجب لكونه بمعنى النفي كما اشير اليه
لوقوعه في مقابلة قوله تعالى يريدون وفيه من المبالغة والدلالة على الامتناع ما ليس في نفي الارادة اي لا يريد شيئا
من الاشياء الا اتمام نوره فيندرج في المستثنى منه بقاؤه على ما كان عليه فضلا عن الاطفاء وفي اظهار النور في
مقام الاضمار مضافا الى ضميره عز وجل زيادة اعتناء بشانه وتشريف له على تشريف واشعار بعلة الحكم
ولو كره الكافرون جواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على جملة قبلها مقدرة وكلاهما
في موقع الحال اي لا يريد الله الا اتمام نوره لو لم يكره الكافرون ذلك ولو كره هو اي على كل حال مفروض وقد حذف
الاولى في الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة لان الشيء اذا تحقق عند المانع فلان
يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذا السر يدور ما في ان ولو الوصليتين من التاكيد وقد مر زيادة تحقيق لهذا
مرارا هو الذي ارسل رسوله ملتبسا بالهدى اي القرآن الذي هو هدى للمتقين ودين الحق الثابت وهو
دين الاسلام ليظهره اي رسوله على الدين كله اي على اهل الاديان كلهم او ليظهر الدين الحق على سائر الاد[يان] (هامش: بان)
بنسخه اياها حسبما تقتضيه الحكمة والجملة بيان وتقرير لمضمون الجملة السابقة والكلام في قوله عز وجل
ولو كره المشركون كما فيما سبق خلا ان وصفهم بالشرك بعد وصفهم بالكفر للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول
الى الكفر بالله يا ايها الذين امنوا شروع في بيان حال الاحبار والرهبان في اغوائهم لاراذلهم اثر بيان سوء
حال الاتباع في اتخاذهم لهم اربابا يطيعونهم في الاوامر والنواهي واتباعهم لهم فيما ياتون وما يذرون ان كثيرا
من الاحبار والرهبان لياكلون اموال الناس بالباطل ياخذونها بطريق الرشوة لتغيير الاحكام والشرائع والتخفيف والمسامحة
فيها وانما عبر عن ذلك بالاكل بناء على انه معظم الغرض منه وتقبيحا لحالهم وتنفيرا للسامعين عنهم ويصدون
عن سبيل الله عن دين الاسلام او عن المسلك المقرر في التورية والانجيل الى ما افتروه وحرفوه باخذ الرشى
او يصدون عنه بانفسهم باكلهم الاموال بالباطل والذين يكنزون الذهب والفضة اي يجمعونهما ويحفظونهما
سواء كان ذلك بالدفن او بوجه آخر والموصول عبارة اما عن الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة في
الوصف بالحرص والضن بهما بعد وصفهم بما سبق من اخذ الرشى والبراطيل في الاباطيل واما عن المسلمين
الكانزين غير المنفقين وهو الانسب بقوله عز وجل ولا ينفقونها في سبيل الله فيكون نظمهم في قرن المرتشين
من اهل الكتاب تغليظا ودلالة على كونهم اسوة لهم في استحقاق البشارة بالعذاب الاليم فالمراد
بالانفاق في سبيل الله الزكوة لما روي انه لما نزل كبر ذلك على المسلمين فذكر عمر رضي الله عنه لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تعالى لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم ولقوله
عليه الصلوة والسلام ما ادي زكوته فليس بكنز اي بكنز اوعد عليه فان الوعيد عليه مع عدم الانفاق
فيما امر الله بالانفاق فيه واما قوله عليه الصلاة والسلام من ترك صفراء وبيضاء كوي بها ونحوه

فالمراد بها ما لم يؤد حقه لقوله عليه الصلوة والسلام ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيمة صفحت صفائح من نار فتكوى بها جنبه وجبينه وظهره فبشرهم بعذاب اليم خبر للموصول والفاء لتضمنه معنى الشرط ويجوز ان يكون الموصول منصوبا بفعل يفسره فبشرهم يوم منصوب بعذاب اليم او بمضمر يدل عليه ذلك اي يعذبون او باذكر يحمى عليها في نار جهنم اي يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها واصله تحمى النار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التانيث الى التذكير كما تقول رفعت القصة الى الامير فان طرحت القصة قلت رفع الى الامير وانما قيل عليها والمذكور عليها شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي رضي الله عنه اربعة الاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا الكلام في قوله تعالى ولا ينفقونها وقيل الضمير للاموال والكنوز فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول او للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على ان الذهب كذلك بل اولى فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم لان جمعهم لها وامساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية او لانهم ازوروا عن السائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم او لانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد او لانها اصول الجهات الاربعة التي هي مقاديم البدن ومآخره وجنباه هذا ما كنزتم على ارادة القول لانفسكم لمنفعتها فكان عين مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا العذاب بما كنتم تكنزون اي وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ بضم النون ان عدة الشهور اي عددها عند الله اي في حكمه وهو معمول لها لانها مصدر اثنا عشر خبر لان شهرا تمييز مؤكد كما في قولك عندي من الدنانير عشرون دينارا والمراد الشهور القمرية اذ عليها يدور فلك الاحكام الشرعية في كتاب الله في اللوح المحفوظ او فيما اثبته واوجبه وهو صفة اثنا عشر اي اثنا عشر شهرا مثبتا في كتاب الله تعالى وقوله عز وعلا يوم خلق الله السموات والارض متعلق بما في الجار والمجرور من معنى الاستقرار او بالكتاب ان جعل مصدرا والمعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر منذ خلق الله تعالى الاجرام والحركات والازمنة منها اي من تلك الشهور الاثنى عشر اربعة حرم هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في خطبته في حجة الوداع الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه من الحل او الحرمة وعاد الحج الى ذي الحجة بعد ما كانوا ازالوه من محله بالنسيء الذي احدثوه في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة ابي بكر رضي الله عنه قبلها في ذي القعدة ذلك اي تحريم الاشهر الاربعة المعينة المعدودة وما في ذلك من معنى البعد لتفخيم المشار اليه هو الدين القيم المستقيم دين ابرهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ويكرهون القتال فيها حتى انه لو لقي رجل قاتل ابيه او اخيه لم يهجه وسموا رجبا الاصم ومنصل الاسنة حتى احدثوا النسيء فغيروا فلا تظلموا فيهن انفسكم بهتك حرمتهن وارتكاب ما حرم فيهن والجمهور على ان حرمة القتال فيهن منسوخة وان الظلم ارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها في الحرم وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخت ويؤيد الاول انه عليه الصلوة والسلام حصر طايفا وغزا هوازن لعشرين في شوال وذي القعدة وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة اي جميعا وهو مصدر كف عن الشيء فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال واعلموا ان الله مع المتقين اي معكم بالنصر والامداد فيما تباشرون من القتال وانما وضع المظهر موضع المضمر حثا لهم بالتقوى وحثا للقاصرين عليه وايذانا بانه المراد في النصر وقيل هي بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم انما النسيء هو مصدر نسأه اذا اخره نسأ ونساء ونسيا

نحو مس

نحو مس مسا ومساسا ومسيسا وقرئ بهن جميعا وقرئ بقلب الهمزة ياء وتشديد الياء الاولى فيها كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وربما زادوا في عدد الشهور بان يجعلوها ثلثة عشر او اربعة عشر ليتسع لهم الوقت ويجعلوا اربعة اشهر من السنة حرما ولذلك نص على العدد المعين في الكتاب والسنة اي انما تاخير حرمة شهر الى شهر آخر زيادة في الكفر لانه تحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله فهو كفر آخر مضموم الى كفرهم يضل به الذين كفروا ضلالا على ضلالهم القديم وقرئ على البناء للفاعل من الافعال على ان الفعل لله سبحانه اي يخلق فيهم الضلال عند مباشرتهم لمباديه واسبابه وهو المعنى على القراءة الاولى ايضا وقيل المضلون حينئذ رؤساؤهم والموصول عبارة عن اتباعهم وقرئ يضل بفتح الياء والضاد من ضل يضل ونضل بنون العظمة يحلونه اي الشهر المؤخر عاما من الاعوام ويحرمون مكانه شهرا آخر مما ليس بحرام ويحرمونه اي يحافظون على حرمته كما كانت والتعبير عن ذلك بالتحريم باعتبار احلالهم له في العام الماضي او لاسنادهم له الى آلهتهم كما سيجيء عاما آخر اذ الامر يتعلق بتغيير غرض من اغراضهم قال الكلبي اول من فعل ذلك رجل من كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان اذا هم الناس من الموسم يقوم فيخطب ويقول لا مرد لما قضيت وانا الذي لا اعاب ولا اجاب فيقول له المشركون لبيك ثم يسألونه ان ينسئهم شهرا يغيرون فيه ان صغير العام حراما فاذا قال ذلك حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة والازجة وان قال حلالا عقدوا الاوتار وشدوا الازجة واغاروا وقيل هو جنادة بن عوف الكناني وكان مطاعا في الجاهلية كان يقوم على جمل في الموسم فينادي باعلى صوته ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم يقول في العام القابل ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه وقيل هو رجل من كنانة يقال له القلمس قال قائلهم ومنا ناسئ الشهر القلمس وعن ابن عباس رضي الله عنهما اول من نسأ النسيء عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف والجملة تفسير للضلال او حال من الموصول والعامل عامله ليواطئوا اي ليوافقوا عدة ما حرم الله من الاشهر الاربعة واللام متعلقة بالفعل الثاني او بما يدل عليه مجموع الفعلين فيحلوا ما حرم الله بخصوصه من الاشهر المعينة زين لهم سوء اعمالهم وقرئ على البناء للفاعل وهو الله سبحانه والمعنى جعل اعمالهم مشتهاة للطبع محبوبة للنفس وقيل خذلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا فاستمروا على ذلك والله لا يهدي القوم الكافرين هداية موصلة الى المطلوب البتة وانما يهديهم الى ما يوصل اليه عند سلوكه وهم قد صدوا عنه بسوء اختيارهم فتاهوا في تيه الضلال يا ايها الذين آمنوا رجوع الى حث المؤمنين وتجريد عزائمهم على قتال الكفرة اثر بيان طرف من قبائحهم الموجبة لذلك ما لكم استفهام فيه معنى الانكار والتوبيخ اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم تباطأتم وتقاعستم واصله تثاقلتم وقرئ كذلك اي اي شيء حصل وحاصل لكم او ما تصنعون حين قال لكم النبي صلى الله عليه وسلم انفروا اي اخرجوا الى الغزو في سبيل الله متثاقلين على ان الفعل ماض لفظا مضارع معنى كانه قيل تتثاقلون فالعامل في الظرف الاستقرار المقدر في لكم ومعنى الفعل المدلول عليه بذلك ويجوز ان يعمل فيه الحال اي ما لكم متثاقلين حين قيل لكم انفروا وقرئ اثاقلتم على الاستفهام الانكاري التوبيخي فالعامل في الظرف حينئذ انما هو الاول الى الارض متعلق باثاقلتم على تضمينه معنى الميل والاخلاد اي اثاقلتم مائلين الى الدنيا وشهواتها الفانية عما قليل وكرهتم مشاق الغزو ومتاعبه المستتبعة للراحة الخالدة كقوله تعالى اخلد الى الارض واتبع هواه او الى الاقامة بارضكم ودياركم وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ وقد ادركت ثمار المدينة وطابت ظلالها مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق ذلك عليهم وقيل ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها الا ورى بغيرها الا في غزوة تبوك فانه عليه الصلاة والسلام بين لهم المقصد فيها ليستعدوا لها ارضيتم بالحيوة الدنيا وغرورها من الآخرة اي بدل الآخرة ونعيمها الدائم فما متاع الحيوة الدنيا اظهر في مقام الاضمار لزيادة

فرين

ده

النفير اي فما التمتع بها وبلذائذها في الآخرة اي في جنب الآخرة الا قليل اي مستحقر لا يؤبه له وفي ترشيح
الحيوة الدنيا بما يؤذن بنفاستها ويستدعي الرغبة فيها وتجريد الآخرة عن مثل ذلك مبالغة في بيان حقارة
الدنيا ودناءتها وعظم شان الآخرة وعلوها الا تنفروا اي ان لا تنفروا الى ما استنفرتم اليه يعذبكم اي الله عز
وجل عذابا اليما اي يهلككم بسبب فظيع هائل كقحط ونحوه ويستبدل بكم بعد اهلاككم قوما غيركم وصفهم
بالمغايرة لهم لتاكيد الوعيد والتشديد في التهديد بالدلالة على المغايرة الوصفية والذاتية المستلزمة
للاستيصال اي قوما مطيعين موثرين للآخرة على الدنيا ليسوا من اولادكم ولا ارحامكم كاهل اليمن وابناء فارس
وفيه من الدلالة على شدة السخط ما لا يخفى ولا تضروه شيئا اي لا يقدح تثاقلكم في نصرة دينه اصلا فانه
الغني عن كل شيء في كل شيء وقيل الضمير للرسول صلى الله عليه وسلم فان الله عز وجل وعده بالعصمة والنصرة
وكان وعد الله مفعولا لا محالة والله على كل شيء قدير فيقدر على اهلاككم والاتيان بقوم آخرين الا تنصروه
فقد نصره الله اي ان لم تنصروه فسينصره الله الذي نصره في وقت ضرورة اشد من هذه المرة فحذف الجزاء واقيم
سببه مقامه اي ان لم تنصروه فقد اوجب له النصرة حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره
اذ اخرجه الذين كفروا اي تسببوا لخروجه حيث اذن له عليه الصلوة والسلام في ذلك حين هموا باخراجه
ثاني اثنين حال من ضميره عليه الصلوة والسلام وقرئ بسكون الياء على لغة من يجري الناقص مجرى المقصور
في الاعراب اي احد اثنين من غير اعتبار كونه عليه الصلوة والسلام ثانيا فان معنى قولهم ثالث ثلثة ورابع
اربعة ونحو ذلك احد هذه الاعداد مطلقا لا الثالث والرابع خاصة ولذلك منع الجمهور ان ينصب ما بعده
بان يقال ثالث ثلاثة ورابع اربعة وقد مر في قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة من سورة المائدة
وجعله عليه الصلاة والسلام ثانيهما لمشي الصديق امامه ودخوله في الغار اولا لكنسه وتسوية البساط كما ذكر في
الاخبار بمحل مستغنى عنه اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار ثقب في اعلى
ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلثا اذ يقول بدل ثان او ظرف لثاني لصاحبه
اي الصديق لا تحزن ان الله معنا بالعون والعصمة والمراد بالمعية الولاية الدائمة التي لا يحوم حول صاحبها
شائبة شيء من الحزن وما هو المشهور من اختصاص مع بالمتبوع فالمراد بما فيه من المتبوعية هو المتبوعية في الامر
المباشر روي ان المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه الصلاة والسلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل
لما دخلا الغار بعث الله تعالى حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال عليه الصلاة
والسلام اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد اخذ الله تعالى بابصارهم عنه وفيه
من الدلالة على علو طبقة الصديق رضي الله عنه وسابقة صحبته ما لا يخفى ومن ذلك قالوا من انكر صحبة ابي بكر
رضي الله عنه فقد كفر لانكاره كلام الله تعالى فانزل الله سكينته امنته التي تسكن عندها القلوب عليه على
النبي صلى الله عليه وسلم فالمراد بها ما لا يحوم حوله شائبة الخوف اصلا او على صاحبه اذ هو المنزعج واما النبي
عليه الصلاة والسلام فكان على طمانينة من امره وايده بجنود لم تروها عطف على نصره الله والجنود هم الملائكة
النازلون يوم بدر والاحزاب وحنين وقيل هم الملائكة انزلهم ليحرسوه في الغار ويأباه وصفهم بعدم
رؤية المخاطبين لهم قوله عز وعلا وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني الشرك او دعوة الكفرة فان ذلك الجعل لا يتحقق
بمجرد الانجاء بل بالقتل والاسر ونحو ذلك وكلمة الله اي التوحيد او دعوة الاسلام هي العليا لا يدانيها شيء
وتغيير الاسلوب للدلالة على انها في نفسها كذلك لا يتبدل شانها ولا يتغير حالها دون غيرها من الكلم ولذلك
وسط ضمير الفصل وقرئ بالنصب عطفا على كلمة الذين والله عزيز لا يغالب حكيم في حكمه وتدبيره
انفروا تجريد للامر بالنفور بعد التوبيخ على تركه والانكار على المساهلة فيه وقوله تعالى خفافا وثقالا

حالان من ضمير المخاطبين اي على اي حال كان من يسر او عسر حاصلين باي سبب كان من الصحة والمرض والغنى و
الفقر وقلة العيال وكثرتهم او غير ذلك مما ينتظم لمساعدة الاسباب وعدمها بعد الامكان والقدرة في الجملة
وما ذكر في تفسيرهما من قولهم خفافا لقلة عيالكم وثقالا لكثرتها او خفافا من السلاح وثقالا منه او ركبانا ومشاة
او شبانا وشيوخا او مهازيل وسمانا او صحاحا ومراضا ليس لتخصيص الامرين المتقابلين بالارادة من غير مقارنة
للباقي وعن ابن ام مكتوم انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعلي ان انفر قال عليه الصلاة والسلام نعم
حتى نزل ليس على الاعمى حرج وعن ابن عباس رضي الله عنهما نسخت بقوله عز وجل ليس على الضعفاء ولا على المرضى الاية
وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ايجاب للجهاد بهما ان امكن وباحدهما عند امكانه واعواز الآخر حتى ان من ساعده النفس
والمال يجاهد بهما ومن ساعده المال دون النفس يغزي مكانه من حاله على عكس حاله الى هذا ذهب كثير من العلماء وقيل
هو ايجاب للقسم الاول فقط ذلكم اي ما ذكر من النفير والجهاد وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد
منزلته في الشرف خير لكم اي خير عظيم في نفسه او خير مما يبتغى بتركه من الراحة والدعة وسعة العيش والتمتع بالاموال
والاولاد ان كنتم تعلمون اي تعلمون الخير علمتم انه خير او ان كنتم تعلمون انه خير اذ لا احتمال لغير الصدق في اخبار الله
تعالى فبادروا اليه لو كان صرف للخطاب عنهم وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعديدا لما صدر عنهم
من الهنات فعلا وقولا على طريق المباثة وبيانا لدناءة هممهم وسائر رذائلهم اي لو كان ما دعوا اليه عرضا قريبا
العرض ما عرض لك من منافع الدنيا اي لو كان ذلك غنما سهل المأخذ قريب المنال وسفرا قاصدا ذا قصد بين
القريب والبعيد لاتبعوك في النفير طمعا في الفوز بالغنيمة وتعليق الاتباع بكلا الامرين يدل على عدم
تحققه عند توسط السفر فقط ولكن بعدت عليهم الشقة اي المسافة الشاقة التي تقطع بمشقة وقرئ
بكسر العين والشين وسيحلفون اي المتخلفون عن الغزو وقوله تعالى بالله اما متعلق بسيحلفون او هو
من جملة كلامهم والقول مراد على الوجهين اي سيحلفون بالله اعتذارا عند قفولك قائلين لو استطعنا او سيحلفون
قائلين بالله لو استطعنا الخ اي لو كان لنا استطاعة من جهة القدرة او من جهة الصحة او من جهتهما جميعا حسبما
عن لهم من الكذب والتعلل وعلى التقديرين فقوله تعالى لخرجنا معكم ساد مسد جوابي القسم والشرط جميعا
اما على الثاني فظاهر واما على الاول فلان قولهم لو استطعنا في قوة بالله لو استطعنا لانه بيان لقوله تعالى سيحلفون
بالله وتصديق له والاخبار بما سيكون منهم بعد القفول وقد وقع حسبما اخبر به من جملة المعجزات الباهرة
وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الجمع كما في قوله عز وجل فتمنوا الموت يهلكون انفسهم بدل من
سيحلفون لان الحلف الكاذب اهلاك للنفس ولذلك قال عليه الصلوة والسلام اليمين الفاجرة تدع
الديار بلاقع او حال من فاعله اي مهلكين انفسهم او من فاعل لخرجنا جيء به على طريقة الاخبار عنهم كانه قيل نهلك
انفسنا اي لخرجنا معكم مهلكين انفسنا كما في قولك حلف ليفعلن مكان لافعلن والله يعلم انهم لكاذبون اي
في مضمون الشرطية وفيما ادعوا ضمنا من انتفاء تحقق المقدم حيث كانوا مستطيعين للخروج ولم يخرجوا عفا
الله عنك صريح في انه سبحانه وتعالى قد عفى عنه صلى الله عليه وسلم ما وقع منه عند استئذان المتخلفين
في التخلف معتذرين بعدم الاستطاعة واذنه اعتمادا على ايمانهم ومواثيقهم لخلوها عن المزاحم من ترك الاولى
والافضل الذي هو الثاني والتوقف الى انجلاء الامر وانكشاف الحال وقوله عز وجل لم اذنت لهم اي لاي سبب
اذنت لهم في التخلف حين اعتلوا بعللهم بيان لما اشير اليه بالعفو من ترك الاولى واشارة الى انه ينبغي ان
يكون اموره عليه الصلاة والسلام منوطة باسباب قوية موجبة لها او مصححة وان ما ابرزوه في معرض التعلل
والاعتذار مشفوعا بالايمان كان بمعزل من كونه سببا للايذان قبل ظهور صدقه وكلتا اللامين متعلقة بالاذن
لاختلافهما في المعنى فان الاولى للتعليل والثانية للتبليغ والضمير المجرور لجميع المستأذنين وتوجيه الانكار
الى الاذن باعتبار شموله للكل لا باعتبار تعلقه بكل فرد فرد لتحقق عدم استطاعة بعضهم كما ينبئ عنه قوله سبحانه

حتى يتبين لك الذين صدقوا اي فيما اخبروا به عند الاعتذار من عدم الاستطاعة من جهة المال او من جهة البدن
او من جهتهما معا حسبما عن لهم هناك وتعلم الكاذبين في ذلك فتعامل كلا من الفريقين بما يستحقه وهو بيان
لذلك الاولى الافضل وتخصيص له عليه الصلاة والسلام فان كلمة حتى سواء كانت بمعنى اللام او بمعنى الى
لا يمكن تعلقها بقوله تعالى لم اذنت لهم لاستلزامه ان يكون اذنه عليه الصلوة والسلام لهم معللا او مغيا
بالتبين والعلم ويكون توجه الاستفهام اليه من تلك الحيثية وذلك بين الفساد بل بما يدل عليه ذلك كانه
قيل لم سارعت الى الاذن لهم وهلا تانيت حتى ينجلي الامر كما هو قضية الحزم قال قتادة وعمرو بن ميمون
اثنان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر فيهما بشيء اذنه للمنافقين واخذه الفداء من الاسارى
فعاتبه الله تعالى كما تسمعون وتغيير الاسلوب بان عبر عن الفريق الاول بالموصول الذي صلته فعل دال
على الحدوث وعن الفريق الثاني باسم الفاعل المفيد للدوام للايذان بان ما ظهر من الاولين صدق حادث في
امر خاص غير مصحح لنظمهم في سلك الصادقين وان ما صدر من الاخرين وان كان كذبا حادثا متعلقا بامر
خاص لكنه امر جار على عادتهم المستمرة ناشئ عن رسوخهم في الكذب والتعبير عن ظهور الصدق بالتبين وعما
يتعلق بالكذب بالعلم لما هو المشهور من ان مدلول الخبر هو الصدق والكذب احتمال عقلي فظهور صدقه انما
هو تبين ذلك المدلول وانقطاع احتمال نقيضه بعد ما كان محتملا له احتمالا عقليا واما كذبه فامر حادث لا
دلالة للخبر عليه في الجملة حتى يكون ظهوره تبينا له بل هو نقيض لمدلوله فما يتعلق به يكون علما مستانفا
واسناده الى الضمير عليه الصلاة والسلام لا الى المعلومين ببناء الفعل للمفعول مع اسناد التبين الى الاولين
لما ان المقصود هاهنا علمه عليه الصلاة والسلام بهم ومواخذتهم بموجبه بخلاف الاولين حيث لا مواخذة
عليهم ومن لم يتنبه لهذا قال حتى يتبين لك من صدق في عذره ممن كذب فيه واسناد التبين الى الاولين وتعليق
العلم بالاخرين مع ان مدار الاسناد والتعلق اولا وبالذات هو وصف الصدق والكذب كما اشير اليه لما
ان المقصود هو العلم بكلا الفريقين باعتبار اتصافهما بوصفيهما المذكورين ومعاملتهما بحسب استحقاقهما
لا العلم بوصفيهما بذاتيهما او باعتبار قيامهما بموصوفيهما هنا وفي تصدير الخطاب بشارة العفو دون ما يوهم
العقاب من مراعات جانبه عليه الصلاة والسلام وتعهده بحسن المفاوضة ولطف المراجعة ما لا يخفى
على اولي الالباب قال سفيان بن عيينة انظروا الى هذا اللطف بدأ بالعفو قبل ذكر المعفو ولقد
اخطا واساء الادب وبئسما فعل فيما قال وكتب من زعم ان الكلام كناية عن الجناية وان معناه اخطات وبئسما
فعلت هذا هب انه كناية اليس ايثارها على التصريح بالجناية للتلطيف في الخطاب والتخفيف في العتاب
وهب ان العفو مستلزم للخطاء فهل هو مستلزم لكونه من القبح واستتباع اللائمة بحيث يصحح هذه المرتبة
من المشافهة بالسوء او يسوغ انشاء الاستقباح بكلمة بئسما المنبئة عن بلوغ القبح الى رتبة يتعجب منها ولا
يخفى انه لم يكن في خروجهم مصلحة للدين او منفعة للمسلمين بل كان فيه فساد وخبال حسبما نطق به قوله
تعالى لو خرجوا الى آخره وقد كرهه سبحانه كما يفصح عنه قوله تعالى ولكن كره الله انبعاثهم الاية نعم كان الاولى
تاخير الاذن حتى يظهر كذبهم اثر ذي اثير ويفتضحوا على رؤوس الاشهاد ولا يتمكنوا من التمتع بالعيش على الامن
والدعة ولا يتسنى لهم الابتهاج فيما بينهم بانهم غروه عليه الصلاة والسلام وارضوه بالاكاذيب على انه لم
يتهنا لهم عيش وما قرت لهم عين اذ لم يكونوا على امن واطمينان بل كانوا على خوف من ظهور امرهم وقد كان
لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر تنبيه على انه كان ينبغي ان يستدل باستيذانهم على حالهم ولا يؤذن لهم اي
ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك في ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم وان الخلص منهم يبادرون اليه من غير
توقف على الاذن فضلا عن ان يستاذنوك في التخلف وحيث استاذنك هؤلاء في التخلف كان ذلك مظنة
للتاني في امرهم بل دليلا على نفاقهم وقيل المستاذن فيه محذوف ومعنى قوله تعالى ان يجاهدوا كراهة

ان يجاهدوا

ان يجاهدوا انتم قيل المحذوف هو التخلف والمعنى لا يستاذنك المؤمنون في التخلف كراهة الجهاد فتوجه النهي
الى القيد وبه يمتاز المؤمن من المنافق وهو وان كان في نفسه امرا خفيا لا يوقف عليه بادي الامر لكن عامة احوالهم
لما كانت منبئة عن ذلك جعل امرا ظاهرا معتبرا وقيل هو الجهاد اي لا يستاذنك المؤمنون في الجهاد كراهة
ان يجاهدوا بناء على ان الاستيذان في الجهاد ربما يكون لكراهته ولا يخفى ان الاستيذان في شيء لكراهته
مما لا يقع بل لا يعقل ولو سلم وقوعه فالاستيذان لعلة الكراهة مما لا يمتاز بحسب الظاهر من الاستيذان لعلة
الرغبة ولو سلم فالذي نفي من المؤمنين يجب ان يثبت للمنافقين وظاهر انهم لم يستاذنوا في الجهاد لكراهتهم له
بل انما استاذنوك في التخلف والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين وعدة لهم باجزل
الثواب وتقرير لمضمون ما سبق كانه قيل والله اعلم بانهم كذلك واشعار بان ما صدر عنهم معلل بالتقوى
انما يستاذنك اي في التخلف مطلقا على الاول او لكراهة الجهاد على الثاني الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر
تخصيص الايمان بهما اذ به يتسنى استبدال الحيوة الابدية والنعيم المقيم الحالة بالحيوة الفانية والمتاع الكاسد
وارتابت قلوبهم عطف على الصلة وايثار صيغة الماضي للدلالة على تحقق الريب وتقرره فهم حال كونهم في ريبهم
وشكهم المستقر في قلوبهم يترددون اي يتحيرون فان التردد ديدن المتحير كما ان الثبات ديدن المستبصر والتعبير
عنه بما لا يخفى حسن موقعه ولو ارادوا الخروج يدل على ان بعضهم قالوا عند الاعتذار كنا نريد الخروج لكن
لم نتهيأ له وقد قرب الرحيل بحيث لا يمكننا الاستعداد فقيل تكذيبا لهم لو ارادوه لاعدوا له اي للخروج في وقته
عدة اي اهبة من الزاد والراحلة والسلاح وغير ذلك مما لا بد منه للسفر وقرئ عده بحذف التاء والاضافة
الى ضمير الخروج كما فعل بالعدة من قال واخلفوك عد الامر الذي وعدوا اي عدته وقرئ عدة
بكسر العين وعدة بالاضافة ولكن كره الله انبعاثهم اي نهوضهم للخروج قيل هو استدراك عما يفهم
من مقدم الشرطية فان انتفاء ارادتهم الخروج يستلزم انتفاء خروجهم وكراهة الله انبعاثهم يستلزم تثبيطهم
عن الخروج فكانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا والاتفاق في المعنى لا يمنع الوقوع بين طرفيه لكن بعد
تحقق الاختلاف نفيا واثباتا في اللفظ كقولك ما احسن الى زيد ولكن اساء والاظهر ان يكون استدراكا من نفس
المقدم على نهج ما في الاقيسة الاستثنائية والمعنى لو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن ما ارادوه لما ان الله تعالى
كره انبعاثهم لما فيه من المفاسد التي ستبين فثبطهم اي حبسهم بالجبن والكسل فتثبطوا عنه ولم يستعدوا
له وقيل اقعدوا مع القاعدين تمثيل لالقاء الله تعالى كراهة الخروج في قلوبهم او لوسوسة الشيطان بالامر
بالقعود او هو حكاية قول بعضهم لبعض او هو اذن الرسول عليه الصلوة والسلام لهم في القعود والمراد بالقاعدين
اما المعذورون او غيرهم واياما كان فغير خال عن الذم لو خرجوا فيكم بيان لسر كراهته تعالى لانبعاثهم
اي لو خرجوا مخالطين لكم ما زادوكم اي ما اورثوكم شيئا من الاشياء الا خبالا اي فسادا وشرا فالاستثناء
مفرغ متصل وقيل منقطع وليس بذاك ولا اوضعوا خلالكم اي ولسعوا فيما بينكم بالنمائم والتضريب
وافساد ذات البين من وضع البعير وضعا اذا اسرع واوضعته انا اي حملته على الاسراع والمعنى لا وضعوا
ركائبهم بينكم والمراد بالمبالغة في الاسراع بالنمائم لان الراكب اسرع من الماشي وقرئ ولارفضوا
من رفضت الناقة اسرعت وارفضتها انا وقرئ ولاوفضوا اي اسرعوا يبغونكم الفتنة يحاولون ان يفتنوكم
بايقاع الخلاف فيما بينكم والقاء الرعب في قلوبكم وافساد نياتكم والجملة حال من ضمير اوضعوا او استيناف
وفيكم سماعون لهم اي نمامون يسمعون حديثكم لاجل نقله اليهم او فيكم قوم ضعفة يسمعون للمنافقين اي
يطيعونهم والجملة حال من مفعول يبغونكم او من فاعله لاشتمالها على ضميريهما او مستانفة ولعلهم لم يكونوا
في كمية العدد وكيفية الفساد بحيث يخل مكانهم فيما بينهم من المؤمنين بامر الجهاد اخلالا عظيما ولم يكن فساد
خروجهم معادلا لمنفعته ولذلك لم تقتض الحكمة عدم خروجهم فخرج مع المؤمنين ولكن حيث كان انضمام المنافقين

القاعدين اليهم مستتبعا الخلل كلي كره الله انبعاثهم فلم يتيسر اجتماعهم فاندفع فسادهم ووجه العتاب على الاذن في نفورهم
مع نفرهم لا محالة وتضمن خروجهم لهذه المفاسد انهم لو قعدوا بغير اذن منه عليه الصلوة والسلام لظهر نفاقهم فيما بين
المسلمين من اول الامر ولم يقدروا على مخالطتهم والسعي فيما بينهم بالاراجيف ولم يتيسر لهم التمتع بالعيش الى ان يظهر حالهم
بقوارع الايات القاطعة **والله عليم بالظالمين** علما محيطا بضمائرهم وظواهرهم وما فعلوا فيما مضى وما ياتي منهم فيما سياتي
ووضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالظلم والتشديد في الوعيد والاشعار بترتبه على الظلم ولعله شامل
للفريقين السامعين والقاعدين **لقد ابتغوا الفتنة** لتشتيت شملك وتفريق اصحابك عنك **من قبل** اي يوم احد
حتى انصرف عبد الله بن ابي سلول المنافق بمن معه وقد تخلف بمن معه عن تبوك ايضا بعد ما خرج مع النبي صلى الله
عليه وسلم على الثنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلا من المنافقين ليفتكوا به عليه الصلوة والسلام فردهم الله تعالى
خاسئين **وقلبوا لك الامور** تقليب الامر تصريفه من وجه الى وجه وترديده لاجل التدبير والاجتهاد في المكر والحيلة والتدبير
يقال للرجل المتصرف في وجوه الحيل حول قلب اي اجتهدوا ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا الاراء في ابطال
امرك **وقرئ** بالتخفيف **حتى جاء الحق** اي النصر والتاييد الالهي **وظهر امر الله** غلب دينه وعلا شرعه **وهم
كارهون** والحال انهم كارهون لذلك اي على رغم منهم والايتان لتسلية الرسول عليه الصلوة والسلام والمؤمنين على
تخلف المتخلفين وبيان ما ثبطهم الله تعالى لاجله وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعذارهم للانكار لما
عسى يفوت بالمبادرة الى الاذن وايذانا بان ما فات بها ليس مما لا يكون تلافيه تهوينا للخطب **ومنهم من يقول ائذن لي** في
القعود **ولا تفتني** اي ولا توقعني في الفتنة وهي المعصية والاثم يريد اني متخلف لا محالة اذنت او لم تاذن لي حتى لا
اقع في المعصية بالمخالفة او لا تلقني في التهلكة فاني ان خرجت معك هلك مالي وعيالي لعدم من يقوم بمصالحهم
وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعني نساء الروم
ولكن اعينك بمالي فاتركني **وقرئ** لا تفتني من افتنه بمعنى فتنه **الا في الفتنة** اي في عينها ونفسها وبكمال افرادها الغني
عن الوصف بالكمال الحقيق باختصاص اسم الجنس به **سقطوا** لا في شيء مغاير لها فضلا عن ان يكون مهربا ومخلصا عنها
وذلك بما فعلوا من العزيمة على التخلف والجراءة على الاستئذان بهذه الطريقة الشنعاء ومن القعود بالاذن المبني
عليه وعلى الاعتذارات الكاذبة **وقرئ** بافراد الفعل محافظة على لفظ من وفي تصدير الجملة بحرف التنبيه
مع تقديم الظرف ايذان بانهم وقعوا فيها وهم يحسبون انها منجى من الفتنة زعما منهم ان الفتنة انما هي التخلف
بغير اذن وفي التعبير عن الافتتان بالسقوط في الفتنة تنزيلها منزلة المهواة المهلكة المفصحة عن ترديهم
دركات الردى اسفل سافلين وقوله عز وجل **وان جهنم لمحيطة بالكافرين** وعيد لهم على ما فعلوا معطوف على الجملة
السابقة داخل تحت التنبيه اي جامعة لهم يوم القيمة من كل جانب وايثار الجملة الاسمية للدلالة على الثبات والاستمرار
ومحيطة بهم الان تنزيلا للشيء سيقع عن قريب منزلة الواقع او وضعا لاسباب الشيء موضعه فان مبادي احاطة النار
بهم من الكفر والمعاصي محيطة بهم الان من جميع الجوانب ومن جملتها ما فروا منه وما سقطوا فيه من الفتنة **وقيل**
تلك المبادي المتشكلة بصور الاعمال والاخلاق هي النار بعينها ولكن لا يظهر ذلك في هذه النشاة وانما يظهر عند
تشكلها بصورها الحقيقية في النشاة الاخرة والمراد بالكافرين اما المنافقون وايثار وضع المظهر موضع المضمر
للتسجيل عليهم بالكفر والاشعار بانه معظم اسباب الاحاطة المذكورة واما جميع الكافرين الشاملين للمنافقين
شمولا اوليا **ان تصبك** في بعض مغازيك **حسنة** من الظفر والغنيمة **تسؤهم** تلك الحسنة اي تورثهم مساءة لفرط
حسدهم وعداوتهم لك **وان تصبك** في بعضها **مصيبة** من نوع شدة **يقولوا** متبجحين بما صنعوا حامدين لارائهم
قد اخذنا امرنا اي تلافينا ما يهمنا من الامور يعنون به الاعتزال عن المسلمين والقعود عن الحرب والمداراة
مع الكفرة وغير ذلك من امور الكفر والنفاق قولا وفعلا **من قبل** اي من قبل اصابة المصيبة في وقت تداركه يشيرون
بذلك الى ان المعاملة المذكورة انما تروج عند الكفرة بوقوعها حال قوة الاسلام لا بعد اصابة المصيبة **ويتولوا**

عن مجلس

عن مجلس الاجتماع والتحديث الى اهاليهم او يعرضوا عن النبي صلى الله عليه وسلم **وهم فرحون** بما صنعوا من اخذ الامر
وبما اصاب عليه الصلاة والسلام والجملة حال من الضمير في يقولوا لا في الاخير المقارن الفرح لهما معا وايثار
الجملة الاسمية للدلالة على دوام السرور واسناد الحسنة والمسرة الى نفسهم دون المصيبة بان يقال وان
تصبك مصيبة تسؤهم للايذان باختلاف حالهم حتى عروض المساءة والمسرة بانهم في الاولى مضطرون وفي
الثانية مختارون **قل** بيانا لبطلان ما بنوا عليه مسرتهم من الاعتقاد **لن يصيبنا** ابدا **وقرئ** هل يصيبنا
وهل يصيبنا من فيعل لا من فعل لانه واوي يقال صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب **الا ما كتب الله لنا**
اي اثبته لمصلحتنا الدنيوية والاخروية من النصرة عليكم والشهادة المودية الى النعيم الدائم **هو مولانا** ناصرنا
ومتولي امورنا **وعلى الله** وحده **فليتوكل المؤمنون** التوكل تفويض الامر الى الله والرضى بما فعله وان كان
ذلك بعد ترتيب المبادي العادية والفاء للدلالة والاصل ليتوكل المؤمنون على الله قدم الظرف على الفعل
لافادة القصر ثم ادخل الفاء للدلالة على استيجابه تعالى للتوكل عليه كما في قوله تعالى واياي فارهبون والجملة
ان كانت من تمام الكلام المامور به فاظهار الاسم للتبرك والتلذذ به وان كانت مسوقة من قبله تعالى امرا
للمؤمنين بالتوكل اثر امره صلى الله عليه وسلم بما ذكر فالامر ظاهر وكذا اعادة الامر في قوله عز وجل **قل هل
تربصون بنا** لانقطاع حكم الامر الاول بالثاني وان كان امر الغايب واما على الوجه الاول فهي لابراز كمال
العناية بشان المامور به والاشعار بما بينه وبين ما امر به اولا من الفرق في السياق والتربص التمكث
مع انتظار مجيء شيء خيرا كان او شرا والباء للتعدية واحدى التائين محذوفة اي ما تنتظرون بنا **الا احدى
الحسنيين** اي العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هي حسنى العواقب وهما النصر والشهادة وهذا نوع
بيان لما ابهم في الجواب الاول وكشف لحقيقة الحال باعلام ان ما يزعمونه مضرة للمسلمين من الشهادة انفع
مما يعدونه منفعة من النصر والغنيمة **ونحن نتربص بكم** السوأيين من العواقب اما **ان يصيبكم الله بعذاب**
كما اصاب من قبلكم من الامم المهلكة والظرف صفة عذاب ولذلك حذف فاعله وجوبا **او** بعذاب **بايدينا**
وهو القتل على الكفر **فتربصوا** الفاء فصيحة اي اذا كان الامر كذلك فتربصوا بنا ما هو عاقبتنا **انا معكم
متربصون** ما هو عاقبتكم فاذا لقي كل منا ومنكم ما يتربصه لا تشاهدون الا ما يسرنا ولا نشاهد الا ما يسوءكم
قل انفقوا اموالكم في سبيل الله **طوعا او كرها** مصدران وقعا موقع الفاعل اي طائعين او كارهين وهو
امر في معنى الخبر كقوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم والمعنى انفقتم طوعا او كرها **لن يتقبل منكم** ونظم
الكلام في سلك الامر للمبالغة في بيان تساوي الامرين في عدم القبول كانهم امروا بان يمتحنوا الحال فينفقوا
على الحالين فينظروا هل يتقبل منهم فيشاهدوا عدم القبول وهو جواب جد بن قيس ولكن اعينك بمالي
ونفي التقبل يحتمل ان يكون بمعنى عدم الاخذ منهم وان يكون بمعنى عدم الاثابة عليه وقوله عز وجل **انكم كنتم
قوما فاسقين** اي عاتين متمردين تعليل لرد انفاقهم **وما منعهم ان تقبل منهم** وقرئ بالتحتانية
نفقاتهم الا انهم كفروا بالله **وبرسوله** استثناء من اعم الاشياء اي ما منعهم قبول نفقاتهم منهم شيئا من الاشياء الا كفرهم
وقرئ يقبل على البناء للفاعل وهو الله تعالى **ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى** اي لا ياتونها في حال من
الاحوال الا حال كونهم متثاقلين **ولا ينفقون الا وهم كارهون** لانهم لا يرجون بها ثوابا ولا يخافون على تركها
عقابا فقوله تعالى طوعا اي من غير الزام من جهته صلى الله عليه وسلم لا رغبة او هو فرضي لتوسيع الدائرة قوله
عز وجل **فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم** فان ذلك استدراج لهم ووبال عليهم حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل
انما يريد الله ان يعذبهم بها في الحيوة الدنيا بما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب ويقاسون فيها من الشدائد
والمصائب **وتزهق انفسهم وهم كافرون** فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون ذلك
لهم نقمة واصل الزهوق الخروج بصعوبة **ويحلفون بالله انهم لمنكم** في الدين والاسلام **وما هم منكم**

من عنه

هم

في ذلك ولكنهم قوم يفرقون يخافون ان يفعل بهم ما يفعل بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية ويؤيدونه
بالايمان الفاجرة لو يجدون ملجأ استيناف مقرر لمضمون ما سبق من انهم ليسوا من المسلمين وان التجاءهم
اليهم انما هو اضطرارا حتى انهم لو وجدوا غير ذلك ملجأ اي مكانا حصينا يلجاون اليه من راس جبل وقلعة او جزيرة
وايثار صيغة الاستقبال في الشرط وان كان المعنى على المضي لافادة استمرار عدم الوجدان فان المضارع المنفي الواقع
موقع الماضي نص في افادة انتفاء استمرار الفعل كما هو الظاهر بل قد يفيد استمرار انتفائه ايضا حسبما يقتضيه
المقام فان معنى قولك لو تحسن الي لشكرتك بسبب استمرار انتفاء الاحسان لا انه بسبب انتفاء استمرار
الاحسان فان الشكر يتوقف على وجود الاحسان لا على استمراره كما حقق كما حقق في موضعه او مغارات اي غيرانا
وكهوفا يخفون فيها انفسهم وقرئ بضم الميم من اغار الرجل اذا دخل الغور وقيل هو متعد من اغار اذا
دخل الغور اي امكنة يغيرون فيها اشخاصهم واهليهم ويجوز ان يكون من اغار الثعلب اذا اسرع بمعنى مهارب ومفاز
او مدخلا اي نفقا يندسون فيه وينجحرون وهو مفتعل من الدخول وقرئ مدخلا من الدخول ومدخلا من الادخال
اي مكانا يدخلون فيه انفسهم وقرئ متدخلا ومندخلا من التدخل والاندخال لولوا اي لصرفوا وجوههم
واقبلوا وقرئ لوالوا اي لالتجاوا اليه اي الى احد ما ذكر وهم يجمحون اي يسرعون بحيث لا يردهم من الفرس
الجموح وهو الذي لا يثنيه اللجام وفيه اشعار بكمال عتوهم وطغيانهم وقرئ يجمزون بمعنى يجمحون
ويشتدون ومنه الجماز ومنهم من يلمزك بكسر الميم وقرئ بضمها اي يعيبك سرا وقرئ يلمزك ويلامزك
بالغة في الصدقات اي في شانها وقسمتها فان اعطوا منها بيان لفساد ملومهم وانه لا منشأ له سوى حرصهم
على حطام الدنيا اي ان اعطوا منها قدر ما يريدون رضوا بما وقع من القسمة واستحسنوها وان لم يعطوا منها
ذلك المقدار اذا هم يسخطون اي يفاجئون السخط واذا نائبة مناب فاء الجزاء قيل نزلت الاية في
ابي الجواظ المنافق حيث قال الا ترون الى صاحبكم يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل في ابن
ذي الخويصرة واسمه حرقوص بن زهير التميمي راس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف
قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال عليه الصلوة والسلام ويلك ان لم
اعدل فمن يعدل وقيل هم المؤلفة قلوبهم والاول هو الاظهر ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله اي ما اعطاهم
الرسول صلى الله عليه وسلم من الصدقات طيبي النفوس به وان قل وذكر الله عز وجل للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله
الرسول صلى الله عليه وسلم كان بامره سبحانه وقالوا حسبنا الله اي كفانا فضله وصنعه بنا وما قسم لنا وقوله
تعالى سيؤتينا الله من فضله ورسوله بعد هذا حسبما نرجو ونؤمل انا الى الله راغبون في ان يخولنا فضله والاية
باسرها في حيز الشرط والجواب محذوف بناء على ظهوره اي لكان خيرا لهم انما الصدقات شروع في تحقيق
حقية ما صنعه الرسول صلى الله عليه وسلم من القسمة ببيان المصارف ورد لمقابلة المقالة في ذلك وحسما
لاطماعهم الفارغة المبنية على زعمهم الفاسد ببيان انهم بمعزل عن الاستحقاق اي جنس الصدقات المشتملة
على الانواع المختلفة للفقراء والمساكين اي مخصوصة بهؤلاء الاصناف الثمانية الاتية لا يتجاوزهم الى غيرهم
كانه قيل انما هي لهم لا لغيرهم فما للذين لا علاقة بينها وبينهم يقولون فيها ما يقولون وما سوغهم ان يتكلموا في
قاسمها والفقير من له ادنى شئ والمسكين من لا شئ له هو المروي عن ابي حنيفة رحمة الله عليه وقد قيل
على العكس ولكل منهما وجه يدل عليه والعاملين عليها الساعين في جمعها وتحصيلها والمؤلفة قلوبهم هم اصناف
فمنهم اشراف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستالفهم ليسلموا فيرضخ لهم ومنهم قوم
اسلموا ونياتهم ضعيفة فيؤلف قلوبهم باجزال العطايا كعيينة بن حصين والاقرع بن حابس والعباس
ابن مرداس ومنهم من يترقب باعطائهم اسلام نظرائهم ولعل الصنف الاول كان يعطيهم الرسول صلى الله
عليه وسلم من خمس الخمس الذي هو خالص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشئ منها على قتال الكفار ومانع

الزكوة وقد سقط سهم هؤلاء بالاجماع لان ذلك كان لتكثير سواد الاسلام فلما اعز الله تعالى واعلا كلمته
من ذلك وفي الرقاب اي وللصرف في فك الرقاب بان يعان المكاتبون بشئ منها على اداء نجومهم وقيل
بان يفدا الاسارى وقيل بان يبتاع منها الرقاب فتعتق واياما كان فالعدول عن اللام لعدم ذكرهم
بعنوان مصحح للمالكية والاختصاص كالذين من قبلهم او للايذان بعدم قرار ملكهم فيما اعطوا كما في الوجهين
الاولين او بعدم ثبوته راسا في الوجه الاخير او للاشعار برسوخهم في استحقاق الصدقة لما ان في للظرفية
المنبئة عن احاطتهم بها وكونهم محلها ومركزها والغارمين الذين تدينوا لانفسهم في غير معصية اذا لم يكن لهم
نصاب فاضل عن ديونهم وكذلك عند الشافعي رحمه الله من غرم لاصلاح ذات البين واطفاء النائرة بين القبيلتين
وان كانوا اغنياء وفي سبيل الله اي فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم وابن السبيل اي المسافر المنقطع عن
ماله وتكرير الظرف في الاخيرين للايذان بزيادة فضلهما بالاستحقاق او بما ذكر من ايرادهما بعنوان غير
مصحح للمالكية والاختصاص فهذه مصارف الصدقات فللمتصدق ان يدفع صدقته الى كل واحد منهم وان يقتصر
على صنف منهم لان اللام لبيان انهم مصارف لا يخرج عنهم لا لاثبات الاستحقاق وقد روي ذلك عن ابن عمر
وابن عباس وحذيفة رضي الله عنهم وعند الشافعي رحمه الله لا يجوز الا ان يصرف الى ثلثة من كل الاصناف
فريضة من الله مصدر مؤكد لما دل عليه صدر الاية اي فرض لهم الصدقات فريضة ونقل عن سيبويه
انه منصوب بفعله مقدرا اي فرض الله ذلك فريضة او حال من الضمير المستكن في قوله للفقراء اي انما الصدقات
كائنة لهم حال كونها فريضة اي مفروضة والله عليم باحوال الناس ومراتب استحقاقهم حكيم لا يفعل
الا ما يقتضيه الحكمة من الامور الحسنة التي من جملتها سوق الحقوق الى مستحقيها ومنهم الذين يؤذون النبي
نزلت في فرقة من المنافقين قالوا في حقه عليه الصلوة والسلام ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف
ان يبلغه ذلك فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد نقول ما شئنا ثم ناتيه فننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا
بما نقول انما محمد اذن سامعة وذلك قوله عز وجل ويقولون هو اذن اي يسمع كل ما قيل من غير ان يتدبر
فيه ويميز بين ما يليق بالقبول لمساعدة امارات الصدق له وبين ما لا يليق به وانما قالوه لانه صلى الله عليه وسلم
كان لا يواجههم بسوء ما صنعوا ويصفح عنهم حلما وكرما فحملوه على سلامة القلب وقالوا ما قالوا قل اذن خير لكم
من قبيل رجل صدق في الدلالة على المبالغة في الجود والصلاح كانه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن ويجوز
ان يكون المراد اذن في الخير والحق وفيما ينبغي سماعه وقبوله لا في غير ذلك كما يدل عليه القراءة بالجر عطفا عليه
اي هو اذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله وقرئ اذن بسكون الذال فيهما وقرئ اذن خير على انه صفة
او خبر ثان وقوله عز وجل يؤمن بالله تفسير لكونه اذن خير لهم ان يصدق الله تعالى لما قام عنده من الادلة
الموجبة له وكفى ذلك خيرا للمخاطبين كما انه خير العالمين مما لا يخفى ويؤمن للمؤمنين اي يصدقهم بما علم
فيهم من الخلوص واللام مزيدة للتفرقة بين الايمان المشهور وبين الايمان بمعنى التسليم والتصديق كما في قوله
تعالى انؤمن لك الى اخره وفي قوله تعالى فما آمن لموسى الى آخره ورحمة عطف على اذن خير اي هو رحمة
بطريق اطلاق المصدر على الفاعل للمبالغة للذين آمنوا منكم اي للذين اظهروا الايمان منكم حيث يقبله
منهم لكن لا تصديقا لهم في ذلك بل رفقا بهم وترحما عليهم ولا يكشف اسرارهم ولا يهتك استارهم
واسناد الايمان اليهم بصيغة الفعل بعد نسبته الى المؤمنين بصيغة الفاعل المنبئة على الرسوخ والاستمرار
للايذان بان ايمانهم امر حادث ما له من قرار وقرئ بالنصب على انها علة لفعل دل عليه اذن خير اي ياذن
لكم رحمة والذين يؤذون رسول الله بما نقل منهم من قولهم هو اذن ونحوه وفي صيغة الاستقبال المشعرة
المشعرة بترتب الوعيد على الاستمرار على ما هم عليه اشعار بقبول توبتهم كما افصح عنه قوله تعالى فيما
سياتي فان يتوبوا يك خيرا لهم بما يحتذون عليه من اذيته عليه الصلاة والسلام كما ينبئ عنه بناء الحكم

على الموصول لهم عذاب اليم وهنا اعتراض مسوق من قبله عز وجل على نهج الوعيد غير داخل تحت الخطاب وفي تكرير
الاسناد باثبات العذاب الاليم لهم ثم جعل الجملة خبرا للموصول ما لا يخفى من المبالغة وايراده صلى الله عليه وسلم
بعنوان الرسالة مضافا الى الاسم الجليل لغاية التعظيم والتنبيه على ان اذيته راجعة الى جنابه عز وجل موجبة لكمال السخط
والغضب يحلفون بالله لكم الخطاب للمومنين خاصة وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن ثم ياتونهم فيعتذرون اليهم
ويؤكدون معاذيرهم بالايمان ليعذروهم ويرضواهم ان يحلفون لكم ما قالوا ما نقل اليهم مما يورث ايذاء النبي
صلى الله عليه وسلم واما التخلف عن الجهاد فليس بداخل في هذا الاعتذار ليرضوكم بذلك وافراد ارضائهم بالتعليل
مع ان عمدة اغراضهم ارضاء الرسول عليه الصلاة والسلام وقد قبل عليه الصلاة والسلام ذلك منهم ولم يكذبهم
للايذان بان ذلك بمعزل عن ان يكون وسيلة الى ارضائه عليه الصلاة والسلام انما لم يكذبهم رفقا بهم وسترا لعيوبهم
لا عن رضى بما فعلوا كلما اشير اليه والله ورسوله احق ان يرضوه اي احق بالارضاء ولا يتسنى ذلك الا بالطاعة و
المتابعة وايفاء حقوقه عليه الصلاة والسلام في باب الاجلال والاعظام شهداء ومغيبا واما ما اتوا به من
الايمان الفاجرة فانما يرضى بها من انحصر طرق علمه في الاخبار الى ان يجلي الحق ويزهق الباطل والجملة نصب على الحالية
من ضمير يحلفون لكم اي يحلفون لكم لارضائكم والحال انه تعالى ورسوله احق بالارضاء منكم اي يعرضون عما يهمهم
ويجديهم ويشتغلون بما لا يعنيهم وافراد الضمير في يرضوه اما للايذان بان رضاه عليه الصلاة والسلام مندرج تحت
رضاه سبحانه وارضاءه عليه الصلاة والسلام ارضاءه به تعالى لقوله تعالى من اطاع الرسول فقد اطاع الله واما
لانه مستعار لاسم الاشارة الذي يشار به الى الواحد والمتعدد بتاويل المذكور كما في قول روبة فيها خطوط من
سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق اي كان ذلك لا يقال اي حاجة الى الاستعارة بعد التاويل المذكور لانا نقول
لولا الاستعارة لم يتسنى التاويل لما ان الضمير لا يتعرض الا للذات ما يرجع اليه من غير تعرض لوصف من اوصافه
التي من جملتها المذكورية وانما المتعرض لها اسم الاشارة واما انه عائد الى رسوله عليه الصلاة والسلام والكلام
جملتان حذف خبر الاولى لدلالة خبر الثانية عليه كما ذهب اليه سيبويه ومنه قول من قال نحن بما عندنا وانت
بما عندك راضين والراي مختلف او الى الله على المذكور خبر الجملة الاولى وخبر الثانية محذوف كما هو راي
المبرد ان كانوا مؤمنين جوابه محذوف تعويلا على دلالة ما سبق عليه اي ان كانوا مومنين فليرضوا الله ورسوله
مما ذكر فانهما احق بالارضاء الم يعلموا اي اولئك المنافقون والاستفهام للتوبيخ على ما اقدموا عليه
من العظيمة مع علمهم بسوء ما قبلها وقرئ بالتاء على الالتفات لزيادة التقريع والتوبيخ اي الم يعلموا بما
سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم من فنون القوارع والانذارات انه اي الشان من يحادد الله ورسوله
من الحد كالمشاقة من الشق والمعادات من العدوة بمعنى الجانب فان كل واحد من مباشري كل من الافعال
المذكورة في محل غير محل صاحبه ومن شرطية جوابها قوله تعالى فان له نار جهنم على ان خبره محذوف اي فحق
ان له نار جهنم وقرئ بكسر الهمزة والجملة الشرطية في محل الرفع على انها خبر لان وهي مع ضميرها سادة مسد
مفعولي يعلموا وقيل المعنى فله وان تكرير للاول تاكيدا لطول العهد من باب التاكيد اللفظي المانع للاولى من
العمل ودخول الفاء كما في قول من قال لقد علم الحي اليمانيون انني اذا قلت اما بعد اني خطيبها وقد جوز ان يكون
فان له معطوفا على انه وجواب الشرط محذوف تقديره الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله يهلك فان له الى
اخره ورد بان ذلك انما يجوز عند كون فعل الشرط ماضيا او مضارعا مجزوما بلم خالدا فيها حال مقدرة من الضمير
المجرور ان اعتبر في الظرف ابتداء الاستقرار وحدوثه وان اعتبر مطلق الاستقرار فالامر ظاهر ذلك اشير
الى ما ذكر من العذاب الخالد وبذلك ايذانا ببعد درجته في الهول والفظاعة الخزي العظيم الخزي الذل والهوان
المقارن للفضيحة والندامة وهي من ثمرات نفاقهم حيث يفتضحون على رؤوس الاشهاد لظهورها ولحوق العذاب
الخاص بهم والجملة تذييل لما سبق يحذر المنافقون ان تنزل عليهم في شانهم فان ما نزل في حقهم نازل عليهم

سورة

310

سورة تنبئهم بما في قلوبهم من الاسرار الخفية فضلا عما كانوا يظهرونه فيما بينهم من اقاويل الكفر والنفاق ومعنى
تنبئتها اياهم بما في قلوبهم مع انه معلوم لهم وان المحذور عندهم اطلاع المومنين على اسرارهم لا اطلاع انفسهم
عليها انها تذيع ما كانوا يخفونه من اسرارهم فتنتشر فيما بين الناس فيسمعونها من افواه الرجال مذاعة فكانها تخبرهم
بها او المراد بالتنبئة المبالغة في كون سورة مشتملة على اسرارهم كانها تعلم من احوالهم الباطنة ما لا يعلمونه
فتنبئهم بها وتنعى عليهم قبائحهم وقيل معنى يحذر ليحذر وقيل الضميران الاولان للمومنين والثالث
للمنافقين ولا يبالي بالتفكيك عند ظهور الامر بعود المعنى اليه اي يحذر المنافقون ان تنزل على المومنين سورة
تخبرهم بما في قلوب المنافقين وتهتك عليهم اسرارهم قال ابو مسلم كان اظهار الحذر منهم بطريق الاستهزاء
فانهم كانوا اذا سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر كل شيء ويقول انه بطريق الوحي يكذبونه ويستهزؤن
به ولذلك قيل قل استهزؤا اي افعلوا الاستهزاء وهو امر تهديد ان الله مخرج اي من القوة الى الفعل
او من الكمون الى البروز ما تحذرون اي ما تحذرونه من انزال السورة ومن مخازيكم ومثالبكم المستكنة في
قلوبكم الفاضحة لكم على ملاء الناس والتاكيد لرد انكارهم بذلك لا لدفع ترددهم في وقوع المحذور
اذ ليس حذرهم بطريق الحقيقة ولئن سالتهم عما قالوا ليقولن انما كنا نخوض ونلعب روي انه عليه الصلاة والسلام
كان يسير في غزوة تبوك وبين يديه ركب من المنافقين يستهزؤن بالقران وبالرسول عليه الصلوة والسلام
ويقولون انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح حصون الشام وقصورها هيهات هيهات فاطلع الله تعالى نبيه
على ذلك فقال احبسوا على الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من
امرك ولا من امر اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل غير ملتفت
الى اعتذارهم ناعيا عليهم جناياتهم منزلا لهم منزلة المعترف بوقوع الاستهزاء موبخا لهم على اخطائهم موقع
الاستهزاء ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزؤن حيث عقب حرف التقرير بالمستهزء به ولا يستقيم ذلك الا
بعد تحقق الاستهزاء وثبوته لا تعتذروا لا تشتغلوا بالاعتذار وهو عبارة عن محو اثر الذنب فانه معلوم الكذب
بين البطلان قد كفرتم اظهرتم الكفر بايذاء الرسول عليه الصلاة والسلام والطعن فيه بعد ايمانكم بعد
اظهاركم له ان نعف عن طائفة منكم لتوبتهم واصلاحهم او تجنبهم عن الايذاء والاستهزاء وقرئ يعف
عن اسناد الفعل الى الله سبحانه وقرئ على البناء للمفعول مسندا الى الظرف بتذكير الفعل وبتانيثه
ايضا ذهابا الى المعنى كانه قيل ان ترحم طائفة نعذب بنون العظمة وقرئ بالياء على البناء للفاعل وبا
لتاء
على البناء للمفعول مسندا الى ما بعده طائفة بانهم كانوا مجرمين مقرين على الاجرام وهم غير التائبين ومباشرين
له وهم غير المجتنبين قال محمد بن اسحق الذي عفي عنه رجل واحد هو يحيى بن حمير الاشجعي لما نزلت هذه الاية
تاب عن نفاقه وقال اللهم اني لا ازال اسمع اية تقشعر منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفاتي
قتلا في سبيلك لا يقول احد انا غسلت انا كفنت انا دفنت فاصيب يوم اليمامة فما احد من المسلمين الا عرف
مصرعه غيره المنافقون والمنافقات التعرض لاحوال الاناث للايذان بكمال عراقتهم في الكفر والنفاق بعضهم
من بعض اي متشابهون في البعد والنفاق عن الايمان كابعاض الشيء الواحد بالشخص وقيل اريد به نفي
ان يكونوا من المومنين وتكذيبهم في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله تعالى وما هم منكم وقوله تعالى يامرون
بالمنكر اي بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف اي عن الايمان والطاعة استئناف مقرر لمضمون ما سبق
ومفصح عن مضادة حالهم لحال المومنين او خبر ثان ويقبضون ايديهم اي من المبرات والانفاق في سبيل الله فان
قبض اليد كناية عن الشح نسوا الله اغفلوا ذكره فنسيهم فتركهم من رحمته وفضله وخذلهم والتعبير
عنه بالنسيان للمشاكلة ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون في التمرد والفسق الذي هو الخروج عن الطاعة
والانسلاخ عن كل خير والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير كما في قوله تعالى وعد الله المنافقين والمنافقات

والكفار

اي المجاهرين نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود فيها هي حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عقابها
وعذابها ولعنهم الله اي ابعدهم من رحمته واهانهم في اظهار الاسم الجليل من الايذان لشدة السخط ما لا
يخفى ولهم عذاب مقيم اي نوع من العذاب غير عذاب النار دائم لا ينقطع ابدا وهم عذاب مقيم معهم في
الدنيا لا ينفك عنهم وهو ما يقاسونه من تعب النفاق الذي هم منه في بلية دائمة لا يامنون ساعة من
خوف الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على اسرارهم كالذين من قبلكم التفات من الغيبة الى الخطاب
للتشديد والكاف في محل الرفع على الخبرية اي انتم مثل الذين من قبلكم من الامم المهلكة او في حيز النصب
بفعل مقدر اي فعلتم فعل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا تفسير وبيان لتشبههم بهم
وتمثيل لحالهم بحالهم فاستمتعوا وتمتعوا وفي صيغة الاستفعال ما ليس في التفعل من الاستزادة في
الاستدامة في التمتع بخلاقهم بنصيبهم من ملاذ الدنيا واستقامة من الخلق بمعنى التقدير وهو ما قدر
لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي استمتاعا كاستمتاع
الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم الخسيسة من الشهوات الفانية والتهائهم
عن النظر في العواقب الحقة واللذائذ الحقيقية تمهيد الذم المخاطبين بمشابهتهم اياهم واقتفائهم
اثرهم وخضتم اي دخلتم في الباطل كالذي خاضوا اي كالذين باسقاط النون او كالفوج الذي او كالخوض
الذي خاضوه اولئك اشارة الى المتصفين بالاوصاف المعدودة من المشبهين والمشبه بهم لا الى الفريق
الاخير فقط فان ذلك يقتضي ان يكون حبوط اعمال المشبهين وخسرانهم مفهوما من ضمنا الاصريحا ويؤدي
الى خلو تلوين الخطاب عن الفائدة اذ الظاهر حينئذ اولئكم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل
من يصلح للخطاب اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الافعال الذميمة حبطت اعمالهم ليس المراد بها اعمالهم
المعدودة كما يشعر به التعبير عنهم باسم الاشارة فان مماثلتها غنية عن البيان بل اعمالهم التي كانوا يستحقون بها
اجورا حسنة لو قارنت الايمان اي ضاعت وبطلت بالكلية ولم يترتب عليها اثر في الدنيا والاخرة بطريق
المثوبة والكرامة اما في الاخرة فقط واما في الدنيا فلان ما يترتب على اعمالهم فيها من الصحة والسعة وغير
ذلك حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا
يبخسون ليس ترتبه عليها على طريقة المثوبة والكرامة بل بطريق الاستدراج واولئك اي الموصوفون
بحبوط الاعمال في الدارين هم الخاسرون الكاملون في الخسران في الدارين الجامعون لمباديه واسبابه
طرا فانه قد ذهب رؤس اموالهم التي هي اعمالهم فيها ضرهم ولو ينفعهم قط ولو انها ذهبت فيما لا يضرهم ولا ينفعهم
لكفى به خسرانا وايراد اسم الاشارة في الموضعين للاشعار بعلية الاوصاف المشار اليها بالحبوط والخسران الم ياتهم
اي المنافقين نبأ الذين من قبلهم اي خبرهم الذي شانه وهو ما فعلوا وما فعل بهم والاستفهام للتقرير والتحذير
قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم واصحاب مدين وهم قوم شعيب والموتفكات قريات قوم لوط ائتفكت بهم
اي انقلبت بهم فصار عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين وائتفاكهن
انقلاب احوالهن من الخير الى الشر اتتهم رسلهم بالبينات استيناف لبيان نبائهم فما كان الله ليظلمهم
الفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام اي فكذبوهم فاهلكهم الله فما
ظلمهم بذلك وايثار ما عليه النظم الكريم للمبالغة في تنزيه ساحة السبحان عن الظلم اي ما صح وما
استقام له ان يظلمهم ولكنهم ظلموا انفسهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل في قوله عز وجل ولكن
كانوا انفسهم يظلمون للدلالة على استمرار ظلمهم حيث لم يزالوا يعرضونها للعقاب بالكفر والتكذيب
وتقديم المفعول لمجرد الاهتمام به مع مراعاة المفاصلة من غير قصد الى قصر المظلومية عليهم على راي
من لا يرى التقديم موجبا للقصر فيكون كما في قوله تعالى وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم من غير قصر المظلومية

المظلومية عليهم على راي من لا يرى التقديم موجبا للقصر فيكون كما في قوله تعالى وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم
من غير قصر للظلم على الفاعل والمفعول وسيجيء هذا مزيد بيان في قوله سبحانه ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس
انفسهم يظلمون والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض بيان لحسن حال المؤمنين والمؤمنات حالا ومآلا اثر بيان
قبح حال اضدادهم عاجلا وآجلا والتعبير من نسبة هؤلاء بعضهم الى بعض بالولاية وعن نسبة اولئك بمن الاتصالية
للايذان بان نسبة هؤلاء بطريق القرابة الدينية المنبئة عن العقيدة المستتبعة للآثار من المعونة والنصرة وغير
ذلك ونسبة اولئك بمقتضى الطبيعة والعادة يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر اي جنس المعروف والمنكر المنتظم
لكل خير وشر ويقيمون الصلوة ولا يزالون يذكرون الله سبحانه فهو في مقابلة ما سبق من قوله تعالى نسوا الله
ويؤتون الزكوة بمقابلة قوله تعالى ويقبضون ايديهم ويطيعون الله ورسوله اي في كل امر ونهي وهو مقابلة وصف
المنافقين بكمال الفسق والخروج عن الطاعة اولئك اشارة الى المؤمنين والمؤمنات باعتبار اتصافهم بما سلف
من الصفات الفاضلة وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد درجتهم في الفضل اي اولئك المنعوتون بما فصل
من النعوت الجليلة سيرحمهم الله اي يفيض عليهم آثار رحمته من التأييد والنصرة البتة فان السين مؤكدة
للوقوع كما في قولك سانتقم منك ان الله عزيز تعليل للوعد اي قوي قادر على اعزاز اوليائه وقهر اعدائه حكيم
يبني احكامه على اساس الحكمة الداعية الى ايصال الحقوق من النعمة والنقمة الى مستحقيها من اهل الطاعة واهل المعصية
وهذا وعد للمؤمنين متضمن لوعيد المنافقين كما ان ما سبق في شان المنافقين من قوله فنسيهم ووعيدهم متضمن لوعد
المؤمنين فان منع لطفه تعالى لطف في حق المؤمنين وعد الله المؤمنين والمؤمنات تفصيل لآثار رحمته الاخروية
اثر ذكر رحمته الدنيوية والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير والاشعار بعلية وصف الايمان لحصول ما
تعلق به الوعد وعدم التعرض لذكر ما مر من الامر بالمعروف وغيره للايذان بانه من لوازمه ومستتبعاته اي
وعدهم وعدا شاملا لكل احد منهم على اختلاف طبقاتهم في مراتب الفضل كيفا وكما جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها فان كل واحد منهم فائز بها لا محالة ومساكن طيبة اي وعد بعض الخواص لكل منهم منازل تستطيبها
النفوس او يطيب فيها العيش في الخبر انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر في جنات عدن
هي ابهى اماكن الجنات واسناها عن النبي صلى الله عليه وسلم عدن دار الله لم ترها عين ولم يخطر على قلب بشر
لا يسكنها غير ثلثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك وعن ابن عمر رضي الله
عنهما ان في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج وله خمسة آلاف باب على كل باب خمسة آلاف حورة
لا يدخله الا نبي او صديق او شهيد وعن ابن مسعود رضي الله عنه هي بطنان الجنة فعدن على هذا علم وقيل
هو بمعناه اللغوي اعني الاقامة والخلود فمن جمع العطف الى اختلاف الوصف وتغايره فكانه وصفه اولا بانه
من جنس ما هو اشرف الاماكن المعروفة عندهم من الجنات ذات الانهار الجارية ليميل اليه اسماعهم اول ما يقرع
اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف بطيب العيش معري عن شوائب الكدورات التي لا يكاد يخلو عنها اماكن الدنيا وفيها
ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات في جوار العليين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم
وعدهم بما هو اعلى من ذلك كله فقال ورضوان من الله اي وشيء يسير من رضوانه تعالى اكبر اذ عليه يدور فوز كل
خير وسعادة وبه نياط كل شرف وسيادة ولعل عدم نظمه في سلك الوعد مع عزته في نفسه لانه متحقق في
ضمن كل موعود ولانه مستمر في الدارين روي انه تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى
وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شيء افضل من
ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اشارة الى ما سبق ذكره وما فيه من معنى البعد
للايذان ببعد درجته في العظم والفخامة هو الفوز العظيم دون ما يعده الناس فوزا من حظوظ الدنيا فانها
مع قطع النظر عن فنائها وتغيرها وتنغصها وتكدرها ليست بالنسبة الى ادنى شيء من نعيم الآخرة بمثابة جناح البعوض

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء ونعم ما قال من قال • تالله لو كانت الدنيا باجمعها • تبقي علينا وما من رزقها رغدا • ما كان من حق حر ان يذل لها • فكيف وهي متاع يضمحل غدا يا ايها النبي جاهد الكفار اي المجاهرين منهم بالسيف والمنافقين بالحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم في ذلك ولا ياخذك بهم رافة قال عطاء نسخت هذه الاية كل شيء من العفو والصلح ومأويهم جهنم جملة مستانفة لبيان آجل امرهم اثر بيان عاجله وقيل حالية وبئس المصير تذييل لما قبله والمخصوص بالذم محذوف يحلفون بالله ما قالوا استيناف ببيان ما صدر عنهم من الجرايم الموجبة لما امر من الامر بالجهاد والغلظ عليهم ودخول جهنم روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القران ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمعه من كان منهم معه عليه الصلاة والسلام فقال الجلاس بن سويد منهم لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم ساداتنا واشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس اجل والله ان محمدا لصادق وانت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضر فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم انزل على عبدك ونبيك تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فنزلت وايثار صيغة الاستقبال في يحلفون لاستحضار الصورة او للدلالة على تكرر الحلف وصيغة الجمع في قالوا مع ان القايل هو الجلاس للايذان بان بقيتهم برضاهم بقوله صاروا بمنزلة القائل ولقد قالوا كلمة الكفر على ما حكي آنفا والجملة مع ما عطف عليها اعتراض وكفروا بعد اسلامهم اي واظهروا ما في قلوبهم من الكفر بعد اظهارهم الاسلام وهموا بما لم ينالوا هو الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه توافق خمسة عشر منهم على ان يدفعوه عليه الصلاة والسلام عن راحلته بقودها وحذيفة بن اليمان خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل بقعقعة السلاح فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بقتل عامر لرده على الجلاس وقيل ارادوا ان يتوجوا عبد الله بن ابي سلول وان لم يرض به رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نقموا اي وما انكروا وما عابوا او وما وجدوا ما يورث نقمتهم الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله سبحانه وتعالى وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في غاية ما يكون من ضنك العيش لا يركبون الخيل ولا يجوزون الغنيمة فاثروا بالغنايم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر الف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل ومن اعم العلل اي وما انكروا شيا من الاشياء الا اغناء الله تعالى اياهم او وما انكروا لعلة من العلل الا لاغناء الله اياهم فان يتوبوا مما هم عليه من الكفر والنفاق يك خيرا لهم في الدارين قيل لما تلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجلاس يا رسول الله لقد عرض الله علي التوبة والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته وان يتولوا اي استمروا على ما كانوا عليه من التولي والاعراض عن الدين او اعرضوا عن التوبة بعد هذا العرض يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا اي بالقتل والاسر والنهب وغير ذلك من فنون العقوبات والاخرة بالنار وغيرها من افانين العقاب وما لهم في الارض مع سعتها وتباعد اقطارها وكثرة اهلها المصححة لوجدان ما نفي بقوله عز وجل من ولي ولا نصير ينقذهم من العذاب بالشفاعة او المدافعة ومنهم بيان لقبايح بعض آخر منهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن اي لنؤتين الزكوة وغيرها من الصدقات ولنكونن من الصالحين قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يريد الحج وقري بالنون الخفيفة فيهما قيل نزلت في ثعلبة بن حاطب اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه الصلاة والسلام يا ثعلبة قليل تؤدي حقه خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع من الجماعة والجمعة فسال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا

يسعه

لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسالاه الصدقة واقراه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي فيه الفرايض فقال ما هذه الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى اري رايي وذلك قوله عز وجل فلما اتاهم من فضله بخلوا به اي منعوا حق الله منه وتولوا اي اعرضوا عن طاعة الله سبحانه فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال عليه الصلاة والسلام ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب على راسه فقال عليه الصلوة والسلام هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض عليه الصلاة والسلام فجاء بها الى ابي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها وجاء بها الى عمر رضي الله تعالى عنه في خلافته فلم يقبلها وهلك في خلافة عثمان رضي الله عنه وقيل نزلت فيه وفي سهل بن الحارث وجد بن قيس ومعتب بن قشير والاول هو الاشهر وهم معرضون جملة معترضة اي وهم قوم عادتهم الاعراض او حالية اي تولوا باجرامهم وهم معرضون بقلوبهم فاعقبهم اي جعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا راسخا في قلوبهم الى يوم يلقونه الى يوم الذي يلقون الله تعالى عنده او يلقون فيه جزاء عملهم وهو يوم القيمة وقيل فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم ولا يلايمه قوله عز وجل بما اخلفوا الله ما وعدوه اي بسبب اخلافهم ما وعدوه تعالى من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون اي وبكونهم مستمرين على الكذب في جميع المقالات التي من جملتها وعدهم المذكور وتخصيص الكذب به يؤدي الى تخلية الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل عن المزية فان تسبب الاعقاب المذكور بالاخلاف والكذب يقتضي باسناده الى الله تعالى اذ لا معنى لكونهما سببين لاعقاب البخل النفاق والتحقيق انه لما كانت الفاء الدالة على الترتيب والتفريع منبية عن ترتب اعقاب النفاق المخلد على افعالهم المحكية عنهم من المعاهدة بالتصدق والصلاح والبخل والتولي والاعراض وفيها ما لا دخل له في الترتب المذكور كالمعاهدة ازيح ما في ذلك من الابهام بتعيين ما هو المراد في ذلك والله تعالى اعلم وقرئ بتشديد الدال الم يعلموا اي المنافقون او من عاهد الله تعالى وقري بالتاء الفوقانية خطابا للمؤمنين والهمزة على الاول للانكار والتوبيخ والتهديد اي الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجويهم اي ما اسروا به في انفسهم وما تناجوا فيما بينهم من المطاعن وتسمية الصدقة جزية وغير ذلك مما لا خير فيه وسر تقديم السر على النجوي سيظهر في قوله سبحانه وتعالى وستردون الى عالم الغيب والشهادة وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه شيء من الاشياء حتى اجتروا على ما اجتروا عليه من العظايم واظهار اسم الجلالة في الموقعين لالقاء الروعة وتربية المهابة وفي ايراد العلم المتعلق بسرهم ونجواهم بصيغة الفعل الدال على الحدوث والتجدد والعلم المتعلق بالغيوب الكثيرة الدايمة بصيغة الاسم الدال على الدوام والمبالغة من الفخامة والجزالة ما لا يخفى وعلى الثاني لتقرير علم المؤمنين بذلك وتنبيههم على انه تعالى مواخذهم ومجازيهم بما علم من اعمالهم الذين يلمزون نصب او رفع على الذم ويجوز جره على البدلية من الضمير في سرهم ونجواهم وقري بضم الميم وهي لغة اي يعيبون المطوعين اي المتطوعين المتبرعين من المؤمنين حال من المطوعين وقوله تعالى في الصدقات متعلق بيلمزون روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث الناس على الصدقة فاتى عبد الرحمن بن عوف باربعين اوقية من ذهب وقيل باربعة الاف درهم وقال كان لي ثمانية الاف فاقرضت ربي اربعة وامسكت لعيالي اربعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك له حتى صولحت باحدى رابعة نسائه من ربع الثمن على ثمانين الفا وتصدق عاصم بن عدي بماية وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع من تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من

مهم

جوا

الصدقات فنزلت والذين لا يجدون الا جهدهم عطف على المطوعين اي ويلمزون الذين لا يجدون الا طاقتهم وقرئ
بفتح الجيم وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيه وقيل هو بالضم الطاقة وبالفتح المشقة فيسخرون منهم
عطف على يلمزون اي يهزؤن بهم والمراد بهم الفريق الاخير سخر الله منهم اخبار بمجازاته تعالى اياهم على ما فعلوا من
السخرية والتعبير عنها بذلك للمشاكلة ولهم اي ثابت لهم عذاب اليم التنوين للتهويل والتفخيم وايراد الجملة الا
على الاستمرار استغفر لهم او لا تستغفر لهم اخبار باستواء الامرين الاستغفار لهم وتركه في استحالة المغفرة وتصويره
بصورة الامر للمبالغة في بيان استوائهما كانه عليه الصلوة والسلام امر بامتحان الحال بان يستغفر تارة ويترك
اخرى ليظهر له جلية الامر كما مر في قوله عز وجل قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم ان تستغفر لهم سبعين مرة
فلن يغفر الله لهم بيان لاستحالة المغفرة بعد المبالغة في الاستغفار اثر بيان الاستواء بينه وبين عدمه
روي ان عبد الله بن ابي وكان من المخلصين سال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل
عليه الصلوة والسلام فنزلت فقال صلى الله عليه وسلم محافظة على ما هو الاصل من ان مراتب الاعداد حدود
معينة يخالف حكم كل منها حكم ما فوقها ان الله قد رخص لي فساء زيد على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم
ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعماية في مطلق التكثير لاشتمال السبعة
على جملة اقسام العدد فكانها العدد باسره وقيل هي اكمل الاعداد لجمعها معانيها ولان الستة اول عدد تام لتعادل
اجزائها الصحيحة اذ نصفها ثلثة وثلثها اثنان وسدسها واحد وجملتها ستة وهي مع الواحد سبعة فكانت
كاملة اذ لا مرتبة بعد التمام الا الكمال ثم السبعون غاية الكمال اذ الاحاد غايتها العشرات والسبعماية غاية الغايات
ذلك اشارة الى امتناع المغفرة لهم ولو بعد المبالغة في الاستغفار اي ذلك الامتناع ليس لعدم الاعتداد
باستغفارك بل بانهم اي بسبب انهم كفروا بالله ورسوله كفروا متجاوزا عن الحد كما يلوح به وصفهم بالفسق
في قوله عز وعلا والله لا يهدي القوم الفاسقين فان الفسق في كل شيء عبارة عن التمرد والتجاوز عن حدوده اي لا
يهديهم هداية موصلة الى المقصد البتة لمخالفة ذلك للحكمة التي عليها يدور فلك التكوين والتشريع واما
الهداية بمعنى الدلالة على ما يوصل اليه فهي متحققة لا محالة ولكنهم بسوء اختيارهم لم يقبلوها فوقعوا فيما وقعوا
وهو تذييل مؤكد لما قبله من الحكمة فان مغفرة الكافرين انما هي بالاقلاع عن الكفر والاقبال الى الحق والمنهمك
فيه المطبوع عليه بمعزل من ذلك وفيه تنبيه على ان عذر النبي صلى الله عليه وسلم في استغفاره لهم وهو عدم
ياسه عن ايمانهم حيث لم يعلموا انهم مطبوعون على الغي والاضلال اذ الممنوع هو الاستغفار لهم بعد تبين
حالهم كما سيتلى من قوله عز وجل ما كان للنبي الاية فرح المخلفون اي الذين خلفهم النبي صلى الله عليه وسلم بالاذن
لهم في القعود عند استيذانهم او خلفهم الله بتثبيطه اياهم لما علم في ذلك من الحكمة الخفية او خلفهم كسلهم او
نفاقهم بمقعدهم متعلق بفرح اي بقعودهم وتخلفهم عن الغزو خلاف رسول الله اي خلفه وبعد خروجه
حيث خرج ولم يخرجوا يقال اقام خلاف الحي اي بعدهم ظعنوا ولم يظعن ويؤيده قراءة من قرأ خلف رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانتصابه على انه ظرف بمقعدهم اذ لا فائدة في تقييد فرحهم بذلك وقيل هو بمعنى المخالفة
ويعضده قراءة من قرأ خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بضم الخاء فانتصابه على انه مفعول له والعامل اما
فرح اي فرحوا لاجل مخالفته عليه الصلوة والسلام بالقعود واما مقعدهم اي فرحوا بقعودهم لاجل مخالفته عليه الصلاة
والسلام او على انه حال والعامل احد المذكورين اي فرحوا مخالفين له عليه الصلوة والسلام بالقعود وفرحوا
مخالفين عليه الصلوة والسلام وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله لا ايثارا للدعة والحفظ على طاعة
الله تعالى فقط بل مع ما في قلوبهم من الكفر والنفاق فان ايثار احد الامرين قد يتحقق بادنى رجحان منه من غير
ان يبلغ الاخر مرتبة الكراهية وانما اوثر ما عليه النظم الكريم على ان يقال وكرهوا ان يخرجوا الى الغزو ايذانا
بان الجهاد في سبيل الله مع كونه من اجل الرغائب واشرف المطالب التي يجب ان يتنافس فيه المتنافسون

قد كرهوه كما فرحوا باقبح القبائح الذي هو القعود خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا اي لاخوانهم
تثبيتا لهم على التخلف والقعود وتواصيا فيما بينهم بالشر والفساد وللمؤمنين تثبيطا لهم عن الجهاد ونهيا
عن المعروف واظهارا لبعض العلل الداعية لهم الى ما فرحوا به من القعود فقد جمعوا ثلاث خصال من خصال
الكفر والضلال الفرح بالقعود وكراهية الجهاد ونهي الغير عن ذلك لا تنفروا في الحر فانه لا يستطاع
شدته قل ردا عليهم وتجهيلا لهم نار جهنم التي ستدخلونها بما فعلتم اشد حرا مما تحذرونه من
الحر المعهود وتحذرون الناس منه فما لكم لا تحذرونها وتعرضون انفسكم لها بايثار القعود على النفير
لو كانوا يفقهون اعتراض تذييلي من جهته سبحانه وتعالى غير داخل تحت القول المامور به مؤكد لمضمونه
وجواب اما مقدر اي لو كانوا يفقهون انها كذلك او كيف هي او ان مآلهم اليها لما فعلوا ما فعلوا او لتأثروا بهذا
الالزام واما غير منوي على ان لو لمجرد التمني المبني عن امتناع تحقق مدخولها اي لو كانوا من اهل الفطانة والفقه
كما في قوله عز وجل قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون فليضحكوا قليلا
وليبكوا كثيرا اخبار عن عاجل امرهم واجله عن الضحك القليل والبكاء الطويل المؤدي اليه اعمالهم السيئة التي
من جملتها ما ذكر من الفرح والفاء لسببية ما سبق للاخبار بما ذكر من الضحك والبكاء لا لنفسهما اذ لا يتصور
السببية في الاول اصلا وقليلا وكثيرا منصوبان على المصدرية او الظرفية اي ضحكا قليلا وبكاء كثيرا او زمانا
قليلا او زمانا كثيرا واخرجه في صورة الامر للدلالة على تحتم وقوع المخبر به فان امر الامر المطاع مما لا يكاد يتخلف
عنه المامور به خلا ان المقصود افادته في الاول هو وصف القلة فقط وفي الثاني وصف الكثرة مع الموصوف
يروى ان اهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقا لهم دمع ولا يكتحلون بنوم ويجوز ان يكون الضحك
كناية عن الفرح والبكاء عن الغم وان يكون القلة عبارة عن العدم والكثرة عن الدوام جزاء بما كانوا يكسبون
من فنون المعاصي والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار التجددي ما داموا في الدنيا
وجزاء مفعول له للفعل الثاني اي ليبكوا جزاء او مصدر حذف ناصبه اي يجزون بما ذكر من البكاء الكثير
جزاء بما كسبوا من المعاصي المذكورة فان رجعك الله الفاء لتفريع الامر الاتي على ما بين من امرهم والفعل
من الرجع المتعدي دون الرجوع اللازم اي فان ردك الله تعالى الى طائفة منهم اي الى المنافقين المتخلفين
في المدينة فان تخلف بعضهم انما كان لعذر عائق مع الاسلام او لان بقي من المنافقين المتخلفين بان ذهب بعضهم
بالموت او بالغيبة عن البلد او بان لم يستأذن البعض عن قتال انهم كانوا اثني عشر رجلا قيل فيهم ما قيل
فاستاذنوك للخروج معك الى غزوة اخرى بعد غزوتك هذه فقل اخراجا لهم عن ديوان الغزاة وابعادا
لمحلهم من محفل صحبتك لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا من الاعداء وهو اخبار في معنى النهي للمبالغة وقد
وقع كذلك انكم تعليل لما سلف اي لانكم رضيتم بالقعود اي عن الغزو وفرحتم بذلك اول مرة
هي غزوة تبوك فاقعدوا الفاء لتفريع الامر بالقعود بطريق العقوبة على ما صدر عنهم من الرضى بالقعود
اي اذا رضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا من بعد مع الخالفين اي المتخلفين الذين ديدنهم القعود والتخلف
دائما وقرئ الخلفين على القصر فكان محسوسا منهم عن دفتر المجاهدين ولديهم وقرئ الخلفين عقوبة
لهم اي عقوبة وتذكير اسم التفضيل المضاف الى المؤنث هذا الاكثر الدائر على الالسنة فانك لا تكاد تسمع قائلا
يقول هي كبرى امرأته او اول مرة ولا تصل على احد منهم مات صفة لاحد وانما جيء بصيغة الماضي تنبيها على تحقق
الوقوع لا محالة ابدا متعلق بالنهي او لا تدع ولا تستغفر لهم ابدا ولا تقم على قبره اي لا تقف عليه للدفن
او للزيارة والدعاء روي انه صلى الله عليه وسلم كان يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض رأس
المنافقين عبد الله بن ابي سلول بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتيه فلما دخل عليه الصلاة والسلام اهلك
حب اليهود فقال يا رسول الله بعثت اليك لتستغفر لي لا لتؤنبني وسأله ان يكفنه شعاره الذي يلي جلده

ويصلي عليه فلما مات دعاه ابنه وكان مؤمنا صالحا فاجابه عليه الصلاة والسلام تسلية له ومراعاة لجانبه وارسل اليه قميصه فكفن فيه فلما هم بالصلاة او صلى نزلت وعن عمر رضي الله عنه انه قال لما هلك عبد الله بن ابي سلول ودعاه ليصلي عليه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اتصلي على عدو الله القائل يوم كذا وكذا والقائل يوم كذا وكذا وعددت ايامه الخبيثة فتبسم عليه الصلوة والسلام وصلى عليه ومشى معه وقام على حفرته حتى دفن فوالله ما لبث الا يسيرا حتى نزل ولا تصل الى اخره فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك على منافق ولا قام على قبره وانما لم ينه عن التكفين بقميصه عليه الصلوة والسلام لان الضنة بالقميص كان مخلة بالكرم على انه كان مكافاة لقميصه الذي كان البسه العباس رضي الله عنه حين اسر ببدر والخبر مشهور انهم كفروا بالله ورسوله تعليل للنهي على معنى ان الاستغفار للميت والوقوف على قبره انما يكون للاستمالة وذلك مستحيل في حقهم لانهم استمروا على الكفر بالله وبرسوله مدة حياتهم وماتوا وهم فاسقون اي متمردون في الكفر خارجون عن حدوده كما تبين من معنى الفسق ولا تعجبك اموالهم واولادهم تكرير لما سبق وتقرير لمضمونه للاخبار بوقوعه ويجوز ان يكون هذا في حق فريق الاول او تقديم الاموال في مثل هذه المواقع على الاولاد مع كونهم اعز منها اما لعموم مساس الحاجة اليها بحسب الذات وبحسب الافراد والاوقات فانها مما لا بد منه لكل واحد من الاباء والامهات والاولاد في كل وقت وحين حتى ان من له اولاد ولا مال له فهو واولاده في ضيق ونكال واما الاولاد فانما يرغب فيهم من بلغ مبلغ الابوة واما لان المال مناط لبقاء النفس والاولاد لبقاء النوع واما لانها اقدم في الوجود من الاولاد لان الاجزاء المتفرقة انما تحصل من الاغذية كما سياتي في سورة الكهف انما يريد الله بما متعهم به من الاموال والاولاد ان يعذبهم بها في الدنيا بسبب ما نالهم من المشاق ومكابدتهم الشدائد في شانها وتزهق انفسهم وهم كافرون اي فيموتوا كافرين باشتغالهم بالتمتع بها والالتهاء عن النظر والتدبر في العواقب واذا انزلت سورة من القران ويجوز ان يراد بها بعضها ان امنوا بالله ان مفسرة لما في الانزال من معنى القول والوحي او مصدرية حذف عنها الجار اي بان امنوا وجاهدوا مع رسوله لاعزاز دينه واعلاء كلمته استاذنك اولوا الطول منهم اي ذوا الفضل والسعة والقدرة على الجهاد بدنا ومالا وقالوا عطف تفسيري لاستاذنك مغن عن ذكر ما استاذنوا فيه يعني القعود ذرنا نكن مع القاعدين اي الذين قعدوا عن الغزو لما بهم من عذر رضوا استيناف لبيان سوء صنيعهم وعدم ابائهم لكلا الامرين وان لم يريدوا الاول صريحا بان يكونوا مع الخوالف مع النساء اللاتي شانهن القعود ولزوم البيوت جمع خالفة وقيل الخالفة من لا خير فيه وطبع على قلوبهم فهم بسبب ذلك لا يفقهون ما في الايمان بالله وطاعته في اوامره ونواهيه واتباع رسوله عليه الصلوة والسلام والجهاد من السعادة وما في اضداد ذلك من الشقاوة لكن الرسول والذين امنوا معه بالله وبما جاء من عنده تعالى وفيه ايذان بانهم ليسوا من الايمان بالله في شيء وان لم يعرضوا عنه صريحا اعراضهم عن الجهاد باستيذانهم في القعود جاهدوا باموالهم وانفسهم اي ان تخلف هؤلاء عن الغزو فقد نهد اليه ونهض له من هو خير منهم واخلص نية ومعتقدا واقاموا امر الجهاد بكلا نوعيه كقوله تعالى فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين واولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة لهم بواسطة نعوتهم المذكورة الخيرات اي منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في العقبى وقيل الحور كقوله عز وعلا فيهن خيرات حسان وهي جمع خيرة تخفيف خيرة واولئك هم المفلحون اي الفائزون بالمطلوب لا من حاز بعضا من الحظوظ الفانية عما قليل وتكرير اسم الاشارة تنويه بشانهم ورفع لمكانهم اعد الله لهم استيناف لبيان كونهم مفلحين اي هيا لهم في الاخرة جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها حال مقدرة من الضمير المجرور والعامل اعد ذلك اشارة الى ما فهم من اعداد الله سبحانه لهم الجنات المذكورة من نيل الكرامة العظمى الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم شروع في بيان احوال منافقي الاعراب اثر بيان منافقي اهل المدينة والمعذرون من عذر في الامر اذا قصر فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته

ان يوهم

ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له والمعتذرون بادغام التاء في الذال ونقل حركتها اليه وهم المعتذرون بالباطل وقرئ المعذرون من الاعذار وهو الاجتهاد في العذر والاحتشاد وفيه قيل هم اسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا لجهدا فاذن لنا في التخلف وقيل رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغار اعراب طي على اهالينا ومواشينا فقال عليه الصلوة والسلام سيغنيني الله عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله سبحانه وعن قتادة اعتذروا بالكذب وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم في العين ادغامها في الطاء والزاء والصاد في المطوعين وازكى واصدق وقيل اريد بهم المعتذرون بالصحة وبه فسر المعذرون اي الذين لم يفرطوا في العذر وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وهم منافقون الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا واظهر انهم كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان والطاعة سيصيب الذين كفروا منهم اي من الاعراب او من المعتذرين فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره عذاب اليم بالقتل والاسر في الدنيا والنار في الاخرة ليس على الضعفاء ولا على المرضى كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كمزينة وجهينة وبني عذرة حرج اي اثم في التخلف اذا نصحوا لله ورسوله وهو عبارة عن الايمان بهما والطاعة لهما في السر والعلن في السراء والضراء وتوليهما والحب فيهما والبغض كما يفعل المولى الناصح بصاحبه ما على المحسنين من سبيل استيناف مقرر لمضمون ما سبق اي ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل ومن مزيدة للتاكيد ووضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انتظامهم بنصحهم لله ورسوله في سلك المحسنين او تعليل لنفي الحرج عنهم اي ما على جنس المحسنين من سبيل وهم من جملتهم والله غفور رحيم تذييل مؤيد لمضمون ما ذكر مشيرا الى ان بهم حاجة الى المغفرة وان كان تخلفهم بعذر ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف على المحسنين كما يؤذن به قوله عز وجل فيما سياتي انما السبيل الاية وقيل عطف على الضعفاء وهم البكاؤن سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنسا وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن معقل وعلية بن زيد اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا قد ندبتنا الى الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغز معك فقال صلى الله عليه وسلم لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل ابو موسى الاشعري واصحابه قلت لا اجد ما احملكم عليه حال من الكاف في اتوك باضمار قد وما عامة لما سالوه عليه الصلاة والسلام وغيره فيما يحمل عليه عادة وفي ايثار لا اجد على ليس عندي من تلطيف الكلام وتطييب قلوب السائلين ما لا يخفى كانه عليه الصلوة والسلام يطلب ما يسالونه على الاستمرار فلا يجده تولوا جواب اذا واعينهم تفيض اي تسيل بشدة من الدمع اي دمعا فان من البيانية مع مجرورها في حيز النصب على التمييز وهو ابلغ من يفيض دمعها لافادتها ان العين صارت دمعا فياضا والجملة حالية وقوله عز اسمه حزنا نصب على العلية او الحالية او المصدرية لفعل دل عليه ما قبله اي يفيض للحزن فان الحزن يسند الى العين مجازا كالفيض او تولوا له او حزنين او يحزنون حزنا فيكون هذه الجملة حالا من الضمير في تفيض الا يجدوا على حذف اللام متعلقة بحزنا او تفيض اي لئلا يجدوا ما ينفقون في شراء ما يحتاجون اليه اذا لم يجدوه عندك انما السبيل بالمعاتبة على الذين يستاذنونك في التخلف وهم اغنياء واجدون لاهبة الغزو مع سلامتهم رضوا استيناف تعليل لما سبق كانه قيل ما بالهم استاذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا بان يكونوا مع الخوالف الذين شانهم الضعة والدناءة وطبع الله على قلوبهم اي خذلهم فغفلوا عن وخامة العاقبة فهم بسبب ذلك لا يعلمون ابدا غائلة ما رضوا به وما يستتبعه اجلا لم يعلموا انهم كانوا بضعة وثمانين رجلا فلما رجع عليه الصلاة والسلام اليهم جاؤا يعتذرون اليه بالباطل والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فانهم كانوا يعتذرون اليهم ايضا لا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط اي يعتذرون اليكم في التخلف يعتذرون اليكم اذا رجعتم من الغزو فتهي اليهم وانما لم يقل الى المدينة ايذانا

ليحملهم

بان مدار الاعتذار هو الرجوع الى المدينة فلعل منهم من بادر الى الاعتذار قبل الرجوع اليها **قل** تخصيص
هذا الخطاب برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد تعميم فيما سبق لاصحابه ايضا لما ان الجواب وظيفته عليه
الصلاة والسلام واما اعتذارهم فكان شاملا للمسلمين شمول الرجوع لهم للكل **لا تعتذروا** اي لا تفعلوا الاعتذار
لخبثوا فيها ولا تكلمون او لا تعتذروا بما عندكم من المعاذير واما التعرض لعنوان كذبها فلا يساعده قوله
تعالى **لن نؤمن لكم** اي لن نصدقكم في ذلك ابدا فانه استيناف تعليل للنهي مبني على سوال من قبلهم متفرع على
الدعاء الصدق في الاعتذار كانهم قالوا لم نعتذر فقيل لانا لا نصدقكم ابدا فيكون عبثا اذ لا يترتب عليه غرض
المعتذر وقوله عز وجل **قد نبأنا الله من اخباركم** تعليل لانتفاء التصديق اي اعلمنا بالوحي بعض اخباركم المنافية
للتصديق مما اشتم من الشر والفساد واضمرتموه في ضمائركم وهيا تموه للابراز في معرض الاعتذار من الاكاذيب
وجمع ضمير المتكلم في الموضعين للمبالغة في احسام اطماعهم من التصديق راسا ببيان عدم رواج اعتذارهم
عند احد من المؤمنين اصلا فان تصديق البعض لهم ربما يطمعهم في تصديق الرسول عليه الصلاة والسلام ايضا
بواسطة المصدقين وللايذان بافتضاحهم بين المؤمنين كافة **وسيرى الله عملكم** فيما سيأتي اتتوبون الى الله تعالى
مما انتم فيه من النفاق ام تثبتون وكانه استتابة وامهال للتوبة وتقديم مفعول الرؤية على فاعله من قوله تعالى
ورسوله باختلاف حال الرؤيتين وتفاوتهما وللاشعار بان مدار الوعيد هو علمه عز وجل باعمالهم **ثم تردون** يوم
القيمة **الى عالم الغيب والشهادة** للجزاء بما ظهر منكم من الاعمال ووضع المظهر موضع المضمر لتشديد الوعيد بان علمه
سبحانه وتعالى بجميع اعمالهم الظاهرة والباطنة واحاطته باحوالهم البارزة والكامنة بما يوجب الزجر
العظيم **فينبئكم** عند وقوفكم بين يديه **بما كنتم تعملون** اي بما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من
الاعمال السيئة السابقة واللاحقة على ان ما موصولة والعائد اليها محذوف او بعملكم المستمر على انها مصدرية
والمراد بالتنبئة بذلك المجازاة به وايثارها عليها لمراعاة ما سبق من قوله تعالى قد نبأنا الله الى اخره فان المنبأ
به الاخبار المتعلقة باعمالهم وللايذان بانهم ما كانوا عالمين في الدنيا بحقيقة اعمالهم وانما يعلمونها يومئذ **سيحلفون
بالله لكم** تاكيدا لمعاذيرهم الكاذبة وتقريرا لها والسين للتاكيد والمحلوف عليه محذوف يدل عليه الكلام وهو ما
اعتذروا به من الاكاذيب والجملة بدل من يعتذرون او بيان له **اذا انقلبتم** اي انصرفتم من الغزو **اليهم**
ومعنى الانقلاب هو الرجوع والانصراف مع زيادة الوصول والاستيلاء والفائدة تقييد حلفهم به الايذان
بانه ليس لدفع ما خاطبهم النبي صلى الله عليه وسلم به من قوله تعالى لا تعتذروا الى اخره بل هو امر مبتدا **لتعرضوا**
وتصفحوا عنهم صفح رضا فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم كما يفصح عنه قوله تعالى **لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم** لكن لا
اعراض رضا كما هو خطبتهم بل اعراض اجتناب ومقت كما يعرب عنه قوله عز وجل **انهم رجس** فانه صريح في
ان المراد بالاعراض عنهم اما الاجتناب عنهم لما فيهم من الرجس الروحاني واما ترك استصلاحهم بترك المعاتبة لان
المقصود بها التطهير بالحمل على الانابة ارجاس لا تقبل التطهير فلا يتعرض لهم بها وقوله عز وجل **ومأواهم جهنم**
اما من تمام التعليل فان كونهم من اهل النار من دواعي الاجتناب عنهم وموجبات ترك استصلاحهم باللوم والعتاب
واما التعليل مستقل اي وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا انتم في ذلك **جزاء** نصب على انه مصدر مؤكد
لفعل مقدر من لفظه وقع حالا اي يجزون جزاء ما ولمضمون الجملة السابقة فانها مفيدة لمعنى المجازاة قطعا كانه
قيل يجزون جزاء **بما كانوا يكسبون** في الدنيا من فنون السيئات او على انه مفعول له **يحلفون لكم** بدل مما سبق
وعدم ذكر المحلوف لظهوره اي يحلفون به تعالى **لترضوا عنهم** بحلفهم وتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم
فان ترضوا عنهم حسبما داموا وساعدتموهم في ذلك **فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين** اي فان رضاكم عنهم
لا يجديهم نفعا لان الله ساخط عليهم ولا اثر لرضاكم عند سخطه سبحانه ووضع الفاسقين موضع ضميرهم
للتسجيل عليهم بالخروج عن الطاعة المستوجب لما حل بهم من السخط وللايذان بشمول الحكم لمن شاركهم في

علمه غني بعد مجي هذا البيان على انه عليه الصلاة والسلام يعلم ان فيهم منافقين لا يعلمهم باعيانهم مع كونه خلاف
الظاهر عار عما ذكر من المبالغة وقوله عز وجل **نحن نعلمهم** تقرير لما سبق من مهارتهم في فن النفاق اي لا يقف
على سرائرهم المذكورة في ضمائرهم الا من لا يخفى عليه خافية بحالهم عليه من شدة الاهتمام بابطان الكفر واظهار
الاخلاص وفي تعليق العلم بهم مع ان المقصود بيان تعلقه بحالهم ما مر في تعليق نفيه بهم وقوله عز شانه
سنعذبهم وعيد لهم وتحقيق لعذابهم حسبما علم الله فيهم من موجباته والسين للتاكيد **مرتين** عن ابن
عباس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيبا يوم الجمعة **فقال** اخرج يا فلان فانك منافق
فاخرج ناسا وفضحهم وهذا هو العذاب الاول والثاني اما القتل واما عذاب القبر والاول هو القتل والثاني
هو عذاب القبر والاول اخذ الزكوة لما انهم يعدونها مغرما بحتا والثاني نهك الابدان واتعابها بالطاعات
الفارغة عن الثواب ولعل تكرير عذابهم لما فيهم من الكفر المشفوع بالنفاق المؤكد بالتمرد فيه ويجوز ان يكون المراد
بالمرتين مجرد التكثير كما في قوله تعالى فارجع البصر كرتين اي كرة بعد اخرى **ثم يردون** يوم القيمة **الى عذاب عظيم**
هو عذاب النار وفي تغيير السبك باسناد عذابهم السابق الى نون العظمة حيث اسناد ما قبله من العلم واسناد
ردهم الى عذاب الاخرة اللاحق الى انفسهم ايذان بان ما فيهما لا وان الاول خاص بهم وقوعا وزمانا يتولاه سبحانه
وتعالى والثاني شامل لعامة الكفرة وقوعا وزمانا وان اختلفت طبقات عذابهم **وآخرون** بيان لحال طائفة من
المسلمين ضعيفة الهمم في امور الدين وهو عطف على منافقون اي وممن حولكم ومن اهل المدينة قوم
آخرون **اعترفوا بذنوبهم** التي هي تخلفهم عن الغزو وايثار الدعة عليه والرضى بسوء جوار المنافقين وندموا على ذلك
ولم يعتذروا بالمعاذير الكاذبة ولم يخفوا ما صدر عنهم من الاعمال السيئة كما فعله من اعتاد اخفاء ما فيه
وابراز ما ينافيه من المنافقين الذين اعتذروا بما لا خير فيه من المعاذير المؤكدة بالايمان الفاجرة حسب ديدنهم
المالوف وهم رهط من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سواري المسجد عند ما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين حسب عادته الكريمة وراهم كذلك فسئل عن شانهم
فقيل انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم **فقال** عليه الصلاة والسلام وانا اقسم ان لا احلهم
حتى اومر فيهم فنزلت **خلطوا عملا صالحا** هو ما سبق منهم من الاعمال الصالحة والخروج الى المغازي السابقة
وغيرها وما لحق من الاعتراف بذنوبهم في التخلف عن هذه المرة وتذممهم بندامتهم على ذلك وتخصيصه بالاعتراف
لا يناسب الخلط لا سيما على وجه يؤذن بتوازن المختلطين وكون كل منهما مخلوطا به كما يؤذن بتبديل الواو بالباء
في قوله تعالى **وآخر سيئا** فان قولك خلطت الماء باللبن يقتضي ايراد الماء على اللبن دون العكس بكونه مخلوطا
والاخر بكونه مخلوطا به وترك تلك الدلالة على جعل كل منهما متصفا بالوصفين جميعا وذلك مما لا خفاء فيه بورود
كل من العملين على الاخر مرة بعد اخرى والمراد بالعمل السيء ما صدر عنهم من الاعمال السيئة اولا واخرا **وعن الكلبي**
التوبة والاثم **وقيل** الواو بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاة شاة ودرهما وبمعنى شاة بدرهم **عسى الله ان يتوب** عليهم
اي يقبل توبتهم المفهومة من اعترافهم بذنوبهم **ان الله غفور رحيم** يتجاوز عن سيئات التائب ويتفضل عليه
وهو تعليل لما يفيده كلمة عسى من وجوب القبول فانها للاطماع الذي اكرم الاكرمين ايجابه اي ايجاب
خذ من اموالهم صدقة روي انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها
وطهرنا **فقال** عليه الصلاة والسلام ما امرت ان اخذ من اموالكم شيئا فنزلت وليست الصدقة
المفروضة لكونها مامورا بها **ولما روي انه** صلى الله عليه وسلم اخذ منهم الثلث وترك لهم الثلثين فوقع ذلك
بيانا لما في صدقة من الاجمال وانما هي كفارة لذنوبهم حسبما ينبئ عنه قوله تعالى **تطهرهم** عما تلطخوا به من
اوضار التخلف والتاء للخطاب والفعل مجزوم على انه جواب للامر **وقرئ** بالرفع على انه حال من ضمير
المخاطب في خذ او صفة لصدقة والتاء للخطاب او للصدقة والعائد محذوف ثقة بما بعده **وقرئ** تطهرهم

عليهم

ذلك والمراد به المخاطبين عن الرضى عنهم والاغترار بمعاذيرهم الكاذبة على ابلغ وجه وآكده فان الرضى عمن لا يرضى
عنه الله تعالى مما لا يكاد يصدر عن المومن **وقيل** انما ذلك لئلا يتوهم ان رضى المومنين من دواعي رضى الله تعالى
قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين منافقا **فقال** النبي صلى الله عليه وسلم
للمومنين حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم **وقيل** جاء عبد الله بن ابي يحلف ان لا يتخلف عنه
ابدا **الاعراب** هي صيغة جمع وليست بجمع للعرب **قال** سيبويه لئلا يلزم كون الجمع اخص من الواحد
فان العرب هو هذا الجيل الخاص سواء سكن البوادي ام القرى **واما** الاعراب فلا يطلق الا على من يسكن البوادي
ولهذا نسب الى الاعراب على لفظه **قيل** اعرابي **قال اهل اللغة** رجل عربي وجمعه العرب كما يقال مجوسي
ويهودي ثم يحذف ياء النسب في الجمع **فيقال** المجوس واليهود ورجل اعرابي ويجمع على الاعراب والاعاريب
اي اصحاب البدو **اشد كفرا ونفاقا** من اهل الحضر لجفائهم وقسوة قلوبهم وتوحشهم ونشأهم في معزل من مشاهدة
العلماء ومفاوضتهم وهذا من باب وصف الجنس بوصف بعض افراده كما في قوله تعالى وكان الانسان كفورا اذ
ليس كلهم كما ذكر على ما ستحيط به خبرا **واجدر ان لا يعلموا** اي احق واخلق بان لا يعلموا **حدود ما انزل الله على رسوله**
لبعدهم عن مجلسه صلى الله عليه وسلم وحرمانهم مشاهدة معجزاته ومعاينة ما ينزل عليه من الشرايع في تضاعيف
الكتاب والسنة **والله عليم** باحوال كل من اهل الوبر والمدر **حكيم** فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من العقاب
والثواب **ومن الاعراب** شروع في بيان تشعب جنس الاعراب الى الفريقين وعدم اقتصارهم على الفريق المذكور كما يتراءى
من ظاهر النظم الكريم وشرح لبعض مثالب هؤلاء المتفرعة على الكفر والنفاق بعد بيان تماديهم فيهما وحمل الاعراب
على الفريق المذكور خاصة وان شاعت كون من يحكي حاله بعضا منهم وهم الذين يتصدون للانفاق من اهل النفاق دون
فقرائهم او اعراب اسد وغطفان وتميم كما قيل لكن لا يساعده ما سياتي من قوله تعالى ومن الاعراب من يؤمن بالله
واليوم الآخر فان اولئك ليسوا من هؤلاء قطعا وانما هم من الجنس اي ومن الجنس الاعراب الذي نعت بنعت بعض
افراده **من يتخذ ما ينفق** من المال اي يعد ما يصرفه في سبيل الله ويتصدق به صورة **مغرما** اي غرامة و
خسرانا لازما اذ لا ينفقه احتسابا ورجاء لثواب الله تعالى مغنما وانما ينفقه رياء وتقية فهي غرامة محضة
وما في صيغة الاتخاذ من معنى الاختيار والانتقام بما يتخذ مما هو بالاعتبار عن المنفق من الرياء تقية لا باعتبار ذات
النفقة كونها غرامة **ويتربص بكم الدوائر** اصل الدائرة ما يحيط بالشيء والمراد بها ما لا محيص عنه من مصايب الدهر
اي ينتظر بكم دوائر الدهر ونوبه ودوله ليذهب غلبتكم عليه فيتخلص مما ابتلي به **عليهم دائرة السوء** دعاء عليهم بنحو
ما ارادوا بالمومنين على نهج الاعتراض كقوله سبحانه غلت ايديهم بعد قول اليهود ما قالوا والسوء مصدر ثم اطلق
على كل ضر وشر واضيفت اليه الدائرة ذما كما يقال رجل سوء لان من دارت عليه يذمها وهي من باب اضافة
الموصوف الى صفته **وقيل** معنى الدائرة يقتضي معنى السوء فانما هي اضافة بيان وتاكيد كما قالوا شمس
النهار وطيار راسه **وقرئ** بالضم وهو العذاب كما قيل له سيئة **والله سميع** بما يقولونه عند الانفاق
مما لا خير فيه **عليم** بما يضمرونه من الامور الفاسدة التي من جملتها ان يتربصوا بكم الدوائر وفيه من شدة
الوعيد ما لا يخفى **ومن الاعراب** اي من جنسهم على الاطلاق **من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ** اي يأخذ
لنفسه على وجه الاصطفاء والادخار **ما ينفق** اي ينفقه في سبيل الله تعالى **قربات** اي ذرايع اليها
وللايذان بما بينهما من كمال الاختصاص جعل كانه نفس القربات والجمع باعتبار انواع القربات او افرادها وهي ثاني
مفعولي يتخذ وقوله عز وجل **عند الله** صفتها او ظرف ليتخذ **وصلوات الرسول** اي وسايل اليها فانه عليه
الصلوة والسلام كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم ولذلك سن للمتصدق ان يدعو
للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلي عليه كما فعله صلى الله عليه وسلم حين قال اللهم صل على
آل ابي اوفى فان ذلك منصبه فله ان يتفضل به على من يشاء والتعرض لوصف الايمان بالله واليوم الآخر

من تطهرهم بمعنى طهرهم **وتزكيهم بها** باثبات الياء وهو خبر لمبتدا محذوف ثقة بما بعده والجملة حال من الضمير في
الامر او في جوابه اي فانت تزكيهم بها اي تنميها تلك الصدقة حسناتهم الى مراتب المخلصين واموالهم او تبالغ في تطهيرهم
هذا على قراءة الجزم في تطهرهم واما على قراءة الرفع فسواء جعل التاء للخطاب او للصدقة وكذا جعلت الجملة الاولى
حالا من ضمير المخاطب او صفة للصدقة على الوجهين فالثانية على الاولى حال او صفة من غير حاجة الى تقدير
المبتدا لتوجيه دخول الواو في الجملة الحالية **وصل عليهم** اي واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم **ان
صلواتك** مراعاة لتعدد المدعو لهم **سكن لهم** تسكن نفوسهم اليها وتطمئن قلوبهم بها ويثقون بانه سبحانه
قبل توبتهم والجملة تعليل للامر بالصلوة عليهم **والله سميع** ما صدر منهم من الاعتراف بالذنب والتوبة والدعاء
عليم بما في ضمايرهم من الندم والغم لما فرط منهم ومن الاخلاص في التوبة والدعاء او سميع يجيب دعاءك لهم
عليم بما يقتضيه الحكمة والجملة حينئذ تذييل للتعليل مقرر لمضمونه على الاول تذييل لما سبق من الايتين محقق لما فيهما
الم يعلموا وقرئ بالتاء والضمير اما للتائبين فهو تحقيق لما سبق من قبول توبتهم وتطهير الصدقة وتزكيتها لهم وتقرير
لذلك وتوطين لقلوبهم ببيان ان المتولي لقبول توبتهم واخذ صدقاتهم هو الله سبحانه وان اسند الاخذ والتطهير
والتزكية اليه عليه الصلوة والسلام اي الم يعلم اولئك التائبون **ان الله هو يقبل التوبة** التوبة الصحيحة الخالصة
عن عباده المخلصين فيها ويتجاوز عن سيئاتهم كما يفصح عنه كلمة عن والمراد بهم اما اولئك التائبون ووضع المظهر
في موضع المضمر للاشعار بعلية العبادة لقبولها واما كافة العباد وهم داخلون في ذلك دخولا اوليا **وياخذ الصدقات**
اي يقبل صدقاتهم على ان اللام عوض عن المضاف اليه او جنس الصدقات المندرج تحت صدقاتهم اندراجا اوليا
اي هو الذي يتولى قبول التوبة واخذ الصدقات وما يتعلق بها من التطهير والتزكية وان كنت انت المباشر لها
ظاهرا وفيه من تقرير ما ذكر ورفع شان النبي صلى الله عليه وسلم على نهج قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون
الله على ما لا يخفى **وان الله هو التواب الرحيم** تاكيد عطف عليه وزيادة تقرير لما يقرره مع زيادة معنى ليس فيه اي الم
يعلموا انه المختص ببلوغ الغاية القصوى من قبول التوبة والرحمة وان ذلك سنة مستمرة له وشان دايم والجملتان
في حيز النصب بيعلموا بسد كل واحد منهما مسد مفعوليه واما لغير التائبين من المومنين **فقد روي** انهم قالوا
لما تيب على الاولين هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت اي الم يعلموا ان
التائبين من الخصال الداعية الى التكرمة والتقريب والانتظام في سلك المومنين والتلقي بحسن القبول
والمجالسة فهو ترغيب لهم في التوبة والصدقة وقوله تعالى **وقل اعملوا** زيادة ترغيب لهم في العمل الصالح الذي من
جملته التوبة وللاولين في الثبات على ما هم عليه اي قل لهم بعد ما بان لهم شان التوبة اعملوا ما تشاؤون من الاعمال فظاهره
ترخيص وتخيير وباطنه ترغيب وترهيب وقوله عز وعلا **فسيرى الله عملكم** اي خيرا كان او شرا تعليل لما قبله وتاكيد
للترغيب والترهيب والسين للتاكيد **ورسوله** عطف على الاسم الجليل وتاخيره عن المفعول للاشعار بما بين الرؤيتين
من التفاوت **والمؤمنون** في الخبر لو ان رجلا عمل في صخرة لا باب لها ولا كوة لخرج عمله الى الناس كاينا ما كان والمعنى
ان اعمالكم غير خافية عليهم كما رايتم وتبين لكم ثم ان كان المراد بالرؤية معناها الحقيقي فالامر ظاهر وان اريد بها مآلها من
الجزاء خيرا او شرا فهو خاص بالدنيوي من اظهار المدح والثناء والذكر الجميل والاعزاز ونحو ذلك من الاجزية واضدادها
وستردون اي بعد الموت **الى عالم الغيب والشهادة** في وضع الظاهر موضع المضمر من تهويل الامر وتربية المهابة
ما لا يخفى ووجه تقديم الغيب في الذكر لسعة علمه وزيادة خطره عن الشهادة غني عن البيان **وقيل**
ان الموجودات الغايبة عن الحواس علل او كالعلل للموجودات المحسوسة والعلم بالعلل علة للعلم بالمعلولات
فوجب سبق العلم بالغيب بالشهادة **وعن** ابن عباس رضي الله عنهما الغيب ما يسرونه من الاعمال والشهادة
ما يظهرونه كقوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون التقديم لتحقيق ان نسبة علمه المحيط بالسر والعلن واحد
على ابلغ وجه واكده بايهام ان علمه تعالى بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه كيف لا وعلمه سبحانه بمعلوماته

منهم من

في الفريق الاخير مع ان مساق الكلام لبيان الفرق بين الفريقين في شان اتخاذ ما ينفقان حالا ومآلا وان ذلك
اتخاذه ذريعة الى القربات والصلوات مغن عن التصريح بذلك لكمال العناية بايمانهم وبيان اتصافهم به وزيادة
الاعتناء بتحقيق الفرق بين الفريقين من اول الامر واما الفريق الاول فاتصافهم بالكفر والنفاق معلوم من
سياق النظم الكريم صريحا **الا انها قربة لهم** شهادة لهم من جناب الله تعالى بصحة ما اعتقدوه وتصديق لرجائهم
والضمير لما ينفق والتانيث باعتبار الخبر مع ما مر من تعدده باحد الوجهين والتنكير للتفخيم المغني عن الجمع اي قربة
عظيمة لا يكتنه كنهها وفي ايراد الجملة اسمية وتصديرها بحرفي التنبيه والتحقيق من الجزالة بما لا يخفى والاقتصار
على بيان كونها قربة لهم لانها الغاية القصوى وصلوات الرسول من ذرائعها وقوله تعالى **سيدخلهم الله في رحمته**
وعد لهم باحاطة رحمته الواسعة بهم وتفسير للقربة كما ان قوله عز وجل والله سميع عليم وعيد للاولين عقيب الدعاء
عليهم والسين للدلالة على تحقق ذلك وتقررها البتة وقوله تعالى **ان الله غفور رحيم** تعليل لتحقيق الوعد على نهج
الاستيناف التحقيقي **قيل** هذا في عبد الله ذي البجادين وقومه **وقيل** في بني مقرن من مزينة **وقيل**
في اسلم وغفار وجهينة **وروي** ابو هريرة رضي الله عنه انه قال صلى الله عليه وسلم اسلم وغفار وشيء من جهينة
ومزينة خير عند الله يوم القيمة من تميم واسد بن خزيمة وهوازن وغطفان **والسابقون الاولون من المهاجرين**
بيان لفضائل اشراف المسلمين اثر بيان فضيلة طائفة منهم والمراد بهم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا
بدرا او الذين اسلموا قبل الهجرة **والانصار** اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل بيعة العقبة الثانية
وكانوا سبعين رجلا والذين امنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير **وقرئ** بالضم عطفا على والسابقون
والذين اتبعوهم باحسان اي متلبسين به والمراد به كل خصلة حسنة وهم اللاحقون بالسابقين من الفريقين على
ان من تبعيضية او الذين اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيمة فالمراد بالسابقين جميع المهاجرين والانصار
ومن بيانية **رضي الله عنهم** خبر للمبتدا اي رضي الله عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم **ورضوا عنه** بما نالوا
من رضاه المستتبع لجميع المطالب طرا **واعد لهم** في الاخرة **جنات تجري تحتها الانهار** وقرئ من تحتها كما في سائر
المواقع **خالدين فيها ابدا** من غير انتهاء **ذلك الفوز العظيم** الذي لا فوز وراءه وما في اسم الاشارة من معنى البعد
لبيان بعد منزلتهم في مراتب الفضل وعظم الدرجة من مؤمني الاعراب **وممن حولكم من الاعراب** شروع في بيان
احوال منافقي اهل المدينة ومن حولها من الاعراب بعد بيان حال اهل البادية منهم اي من حول بلدتكم **منافقون**
وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها **ومن اهل المدينة** عطف على ممن حولكم مفرد على
مفرد وقوله تعالى **مردوا على النفاق** اما جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب مسوقة لبيان غلوهم في النفاق
اثر بيان اتصافهم به واما صفة للمبتدا المذكور فصل بينها وبينه بما عطف على خبره واما صفة لمحذوف اقيمت
هي مقامه وهو مبتدا خبره من المدينة قوم مردوا على النفاق كما في قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا والجملة
عطف على الجملة السابقة اي ومن اهل المدينة قوم مردوا على النفاق اي تمهروا فيه من مرن فلان على عمله ومرد
عليه اذا درب به وضري حتى لان عليه ومهر فيه غير ان مرد لا يكاد يستعمل الا في الشر فالتمرد على الوجهين الاولين
شامل للفريقين حسب شمول النفاق وعلى الوجه الاخير خاص بمنافقي اهل المدينة وهو الاظهر والانسب بذكر منافقي
اهل المدينة اولا ثم ذكر منافقي الاعراب المجاورين للمدينة ثم ذكر منافقي اهلها والله تعالى اعلم وقوله تعالى **لا
تعلمهم** بيان لتمردهم اي لا تعرفهم انت لكن لا باعيانهم واسمائهم وانسابهم بل بعنوان نفاقهم يعني انهم بلغوا
من المهارة في النفاق والتنوق في مراعاة التقية والتحامي عن مواقع التهم الى مبلغ يخفى عليك حالهم مع ما انت عليه
من علو الكعب وسمو الطبقة في كمال الفطنة والفراسة وتعليق نفي العلم بهم مع انه متعلق بحالهم مبالغة في
ذلك وايماء الى ان ما هم فيه من صفة النفاق لعراقتهم ورسوخهم فيها صارت بمنزلة ذاتياتهم ومشخصاتهم
بحيث لا يعد من لا يعرفهم لا يعلمهم بتلك الصفة عالما بهم وحمل عدم علمه عليه الصلاة والسلام باعيانهم على عدم

تمنع من ان يكون بطريق حصول الصورة بل وجود كل شيء وتحققه في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى
لا يختلف الحال بين الامور البارزة والكامنة واما للايذان بان مرتبة السر متقدمة على رتبة العلن اذ ما من شيء
يعلن الا وهو او مباديه القريبة او البعيدة مضمرا قبل ذلك في القلب فتعلق علمه تعالى به في حالته الاولى متقدم
على تعلقه به في الثانية **فينبئكم** عقيب الرد الذي هو عبارة عن الامر الممتد الى يوم القيمة **بما كنتم تعملون**
قبل ذلك في الدنيا والمراد بالتنبئة بذلك الجزاء ان خيرا فخير وان شرا فشر فهو وعد ووعيد **وآخرون** عطف
على آخرون قبله اي ومن المتخلفين من اهل المدينة ومن حولها من الاعراب قوم آخرون غير المعترفين المذكورين
مرجون وقرئ مرجؤن من ارجيته وارجاته اي اخرته ومنه المرجئة الذين لا يقطعون بقبول التوبة **لامر
الله** في شانهم **قال** ابن عباس رضي الله عنهما هم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية لم
يسارعوا الى التوبة والاعتذار كما فعل ابو لبابة واصحابه من شد انفسهم على السواري واظهار الغم والجزع
والندم على ما فعلوا فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى اصحابه رضي الله عنهم عن ان يسلموا عليهم ويكلموهم
وكانوا من اصحاب بدر فهجروهم والناس في شانهم على اختلاف فمن قائل هلكوا وقائل عسى الله ان يغفر لهم فصاروا
عندهم مرجئين لامره تعالى **اما يعذبهم** ان بقوا على ما هم عليه من الحال **وقيل** ان اصروا على النفاق وليس بذلك
فان المذكورين ليسوا من المنافقين **واما يتوب عليهم** ان خلصت نيتهم وصحت توبتهم والجملة في محل النصب على
الحالية اي منهم هؤلاء اما معذبين واما متوبا عليهم **وقيل** آخرون مبتدا ومرجون صفته وهذه الجملة خبره
والله عليم باحوالهم **حكيم** فيما فعل بهم من الارجاء وما بعده **وقرئ** والله غفور رحيم **والذين اتخذوا مسجدا**
عطف على ما سبق اي ومنهم الذين او نصب على الذم **وقرئ** بغير واو لانها قصة على حيالها **ضرارا** اي
مضارة للمؤمنين وانتصابه على انه مفعول له او مفعول ثان لاتخذوا او على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر
منصوب على الحالية اي يضارون بذلك ضرارا او انه مصدر بمعنى الفاعل وقع حالا من ضمير اتخذوا اي مضارين
للمؤمنين **روي** ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قبا بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم فيصلي
بهم في مسجدهم فلما فعله عليه الصلاة والسلام حسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا
ونرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيه ويصلي فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام وهو الذي سماه رسول
الله صلى الله عليه وسلم الفاسق وقد قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم
فلم يزل يفعل ذلك الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن يومئذ ولى هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين
ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج محمدا واصحابه من
المدينة فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قبا وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة
المطيرة والشاتية ونحن نحب ان تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة **فقال** صلى الله عليه وسلم اني على جناح
سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله تعالى صلينا فيه **فلما** قفل من غزوة تبوك سالوه عن اتيان
المسجد فنزلت عليه عليه الصلاة والسلام فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن
ووحشي **فقال** لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعلوا وامر ان يتخذ مكانه
كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة وهلك ابو عامر الفاسق بالشام بقنسرين **وكفرا** تقوية للكفر الذي
يضمرونه **وتفريقا بين المؤمنين** الذين كانوا يصلون في مسجد قبا مجتمعين فيغص بهم فارادوا ان يتفرقوا وتختلف
كلمتهم **وارصادا** اعدادا وانتظارا وترقبا **لمن حارب الله ورسوله** وهو الراهب الفاسق اي لاجله حتى يجيء فيصلي
فيه ويظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم **من قبل** متعلق باتخذوا اي اتخذوه من قبل ان ينافقوا
بالتخلف حيث كان بنوه قبل غزوة تبوك او بحارب اي حاربهما قبل اتخاذ هذا المسجد **وليحلفن ان اردنا**
اي ما اردنا ببناء هذا المسجد **الا الحسنى** الا الخصلة الحسنى وهي الصلوة وذكر الله والتوسعة على

المصلين اوالارادة الحسنى قوله عزوجل والله يشهد انهم لكاذبون في حلفهم ذلك لا تقم للصلوة فيه في ذلك
المسجد حسبما دعوت اليه قوله تعالى لمسجد اسس على التقوى يعني مسجد قبا اسّه رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيه ايام مقامه بقبا وهي يوم الاثنين والثلثا والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة وقيل هو
مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وعن ابي سعيد رضي الله سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن المسجد الذي اسس على التقوى فاخذ حصباء فضرب بها الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة
واللام اما للابتداء او للقسم المحذوف اي والله لمسجد وعلى التقديرين فمسجد مبتدا وما بعده صفة وقوله
تعالى من اول يوم من ايام تاسيسه متعلق باسس وقوله عزوجل احق ان تقوم فيه فيه رجال جملة مستانفة
مبنية لاحقية لقيامه عليه الصلاة والسلام فيه من جهة الحال بعد بيان حقيته له من حيث المحل او صفة
اخري للمبتداء او حال من الضمير فيه وعلى كل حال ففيه تحقيق وتقرير لاستحقاق القيام فيه والمراد بكونه
احق نفس كونه حقيقا به اذ لا استحقاق في مسجد الضرار راسا وانما عبّر عنه بصيغة التفضيل لفضله
وكماله في نفسه او الافضلية في الاستحقاق المتناول لما يكون باعتبار زعم الباني ومن يشايعه في الاعتقاد
وهو الانسب بما سياتي يحبون ان يتطهروا من المعاصي والخصال الذميمة لمرضاة الله سبحانه وقيل
من الجنابة فلا ينامون عليها والله يحب المطهرين اي يرضي عنهم ويدنيهم من جنابه ادناء المحب حبيبه
قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قبا فاذا
الانصار جلوس فقال اومومنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر رضي الله عنه يا رسول
الله انهم لمومنون وانا معهم فقال عليه الصلاة والسلام اترضون بالقضاء قالوا نعم فقال صلى الله
عليه وسلم اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال صلى الله عليه وسلم مومنون
ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عزوجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء
وعند الغائط فقالوا نتبع الغائط بالاحجار الثلثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبي صلى الله عليه وسلم فيه
رجال يحبون ان يتطهروا وقري ان يطهروا بالادغام وقيل هو عام في التطهر عن النجاسات كلها
وكانوا يتبعون الماء اثر البول وعن الحسن رضي الله عنه هو التطهر عن الذنوب بالتوبة وقيل يحبون
ان يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن اخرهم افمن اسس بنيانه على بناء الفعل للفاعل والنصب
وقري على البناء للمفعول والرفع وقري اسس بنيانه على الاضافة جمع اساس واساس جمع اس
وقري اساس بنيانه جمع ايضا واس بنيانه وهي جملة مستانفة مبنية بالفتح والكسر لخيرية الرجال
المذكورين من اهل مسجد الضرار والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر اي ابعد ما علم حالهم من اسس
بنيانه ربية على تقوي من الله ورضوان اي على قاعدة محكمة هي التقوي من الله وابتغاء مرضاته بالطاعة
والمراد بالتقوي درجتها الثانية التي هي التوقي عن كل ما يوثم من فعل وترك وقري تقوي بالتنوين
على ان الالف للالحاق دون التانيث خير ام من اسس بنيانه ترك الاضمار للايذان باختلاف البنائين
ذاتا لاختلافهما وصفا واضافة على شفا جرف هار الشفا الحرف والشفير والجرف ما جرفه السيل
اي استاصله واحتفر ما تحته فبقي واهيا يريد الانهدام والهار الهاير المتصدع المشرف الى السقوط من هار
يهور ويهار وهاير قدمت لامه على عينه فصار كغار ورلم وقيل حذفت عينه اعتباطا اي
بغير موجب فجري وجوه الاعراب على لامه فانهار به في نار جهنم مثل ما بنوا عليه امر دينهم في البطلان و
سرعة الانطماس بما ذكر ثم رشح بانهاره في النار ووضع بمقابلة الرضوان تنبيها على ان تاسيس ذلك
على امر يحفظه من النار ويوصله الى الرضوان ومقتضياته التي ادناها الجنة وتاسيس هذا على ما هو بصدد
الوقوع في النار ساعة فساعة ثم مصيرهم اليها لا محالة وقري جرف بسكون الراء والله لا يهدي القوم

الظالمين

الظالمين اي لانفسهم او الواضعين للاشياء في غير مواضعها اي لا يرشدهم الى ما فيه نجاتهم وصلاحهم
ارشادا موجبا له لا محالة واما الدلالة على ما يرشدهم اليه ان استرشدوا به فهو متحقق بلا اشتباه ولا يزال
بنيانهم الذي بنوا البنيان مصدر اريد به المفعول اوصفة بالموصول الذي صلته فعله للايذان بكيفية
بنائهم له وتاسيسه على اوهن قاعدة او هي اساس وللاشعار بعلة الحكم اي لا يزال مسجدهم ذلك مبنيا
ومهدودا ريبة في قلوبهم اي سبب ريبة وشك في الدين كانه نفس الريبة اما حال بنائه فظاهر لما ان
اعتزالهم من المؤمنين واجتماعهم في مجمع على حياله يظهرون فيه ما في قلوبهم من اثار الكفر والنفاق ويديرون
فيه امورهم ويتشاورون في ذلك ويلقي بعضهم الى بعض ما سمعوا من اسرار المؤمنين مما يزيدهم ريبة وشكا
في الدين واما حال هدمه فلما انه رسخ به ما كان في قلوبهم من الشر وضاعفت اثاره واحكامه او سبب ريبة
في امرهم حيث ضعفت قلوبهم وهي اعتقادهم بخفاء امرهم على المؤمنين لانهم اظهروا من امرهم بعد البناء اكثر
مما كانوا يظهرونه قبل ذلك وقت اختلاطهم بالمؤمنين وسادت ظنونهم بانفسهم فلما هدم بنيانهم تضاعف
ذلك الضعف وتقوي وصاروا مرتابين في ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هل يتركهم على ما كانوا عليه من قبل
او يامر بقتلهم ونهب اموالهم وقال الكلبي معنى ريبة حسرة وندامة وقال السدي وحبيب والمبرد
لا يزال هدم بنيانهم حزازا وغيظا في قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم التفعل بحذف احدى التائين اي الا ان تتقطع
قلوبهم قطعا وتتفرق اجزاء بحيث لا يبقى لها قابلية ادراك واضمار قطعا وهو استثناء من اعم الاوقات
واعم الاحوال ومحله النصب على الظرفية اي لا يزال بنيانهم ريبة في كل الاوقات او كل الاحوال الا وقت تقطع
قلوبهم او حال تقطع قلوبهم فحينئذ يسلون عنه واما ما دامت سالمة والريبة باقية فيها فهو تصوير
لامتناع زوال الريبة عن قلوبهم ويجوز ان يكون المراد حقيقة تقطعها عند قتلهم او في القبور او في النار
وقري تقطع على بناء المجهول من التفعيل وعلى البناء للفاعل منه على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم
اي الا ان تقطع انت قلوبهم بالقتل وقري على البناء للمجهول من الثلاثي مذكرا ومونثا وقري الى ان تقطع
قلوبهم والى ان تقطع قلوبهم على الخطاب وقري ولو قطعت قلوبهم على اسناد الفعل مجهولا الى قلوبهم ولو
قطعت قلوبهم على الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب وقيل الا ان يتوبوا
توبة ينقطع بها قلوبهم ندما واسفا تفريطهم والله عليم بجميع الاشياء التي من جملتها ما ذكر من
احوالهم حكيم في جميع احواله التي من جملتها امره الوارد في حقهم ان الله اشتري من المؤمنين انفسهم واموالهم
ترغيب للمؤمنين في الجهاد ببيان فضيلته اثر بيان حال المتخلفين عنه وامر بولغ في ذلك على وجه لا مزيد
عليه حيث عبر عن قبول الله تعالى من المؤمنين انفسهم واموالهم التي بذلوها في سبيله تعالى واثابته
اياهم بمقابلتها الجنة بالشري على طريقة الاستعارة التبعية ثم جعل المبيع الذي هو العمدة والمقصد
في العقد انفس المؤمنين واموالهم والثمن الذي هو الوسيلة في الصفقة الجنة ولم يجعل الامر على
العكس بان يقال ان الله باع الجنة من المؤمنين بانفسهم واموالهم ليدل على ان المقصد في العقد هو
الجنة وما بذله المؤمنون في مقابلتها من الانفس والاموال وسيلة اليها ايذانا بتعلق كمال العناية بهم
وباموالهم ثم انه لم يقل بالجنة بل قيل بان لهم الجنة مبالغة في تقرر وصول الثمن اليهم واختصاصه بهم
كانه قيل بالجنة الثابتة لهم المختصة بهم واما ما يقال من ان ذلك لمدح المؤمنين بانهم بذلوا انفسهم
واموالهم بمجرد الوعد لكمال ثقتهم بوعده تعالى واتمام الاستعارة موقوف على ذلك اذ لو قيل بالجنة لا
كون الشري حقيقة لانها صالحة للعوضية بخلاف الوعد بها فليس بشيء لان مناط دلالة ما عليه النظم
الكريم على الوعد ليس كونه جملة ظرفية مصدرة بان فان ذلك بمعزل من الدلالة على الاستقبال بل هو
الجنة التي يستحيل وجودها في الدنيا ولو سلم ذلك يكون العوض الجنة الموعد دلالة الوعد بها

حتمل

يقاتلون في سبيل الله استيناف لكن لا لبيان ما لاجله الشري ولا لبيان نفس الاشتراء لان قتالهم في
سبيل الله تعالى ليس اشتراء الله تعالى منهم انفسهم واموالهم بل هو بذل لها في ذلك لبيان البيع الذي يستدعيه
الاشتراء المذكور كانه قيل كيف يبيعون انفسهم واموالهم بالجنة فقيل يقاتلون في سبيل الله وهو بذل
منهم لانفسهم واموالهم الى جنة الله سبحانه وتعريض لهما للهلاك وقوله تعالى فيقتلون ويقتلون بيان
لكون القتال في سبيل الله بذلا للنفس وان المقاتل في سبيله باذل لها وان كانت سالمة غانمة فان الاسناد
في الفعلين ليس بطريق اشتراط الجمع بينهما ولا اشتراط الاتصاف باحدهما البتة بل بطريق وصف الكل
بحال البعض فانه يتحقق القتال من الكل سواء وجد الفعلان او احدهما منهم او من بعضهم بل يتحقق ذلك
وان لم يصدر منهم احدهما ايضا كما اذا وجدت المضاربة ولم يوجد القتل من احد الجانبين او لم توجد المضاربة
ايضا فانه يتحقق الجهاد بمجرد العزيمة والنفير وتكثير السواد وتقديم حالة المقاتلة على حالة التولية
للايذان بعدم الفرق بينهما في كونهما مصداقا لكون القتال بذلا للنفس وقرئ بتقديم المبني
للمفعول رعاية لكون الشهادة عريقة في الباب وايذانا بعدم مبالاتهم بالموت في سبيل الله تعالى بكونه احب
اليهم من السلامة كما قيل في حقهم لا يفرحون اذا نالت رماحهم قوما وليسوا مجازيعا اذا نيلوا
لا يقع الطعن الا في نحورهم وما لهم عن حياض الموت تهليل وقيل في يقاتلون الى اخره معنى
الامر كما في قوله تعالى تجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم وعدا عليه مصدر مؤكد لما يدل
عليه كون الثمن مؤجلا حقا نعت لوعدا والظرف حال منه لانه لو تاخر لكان صفة له وقوله تعالى في
التورية والانجيل والقران متعلق بمحذوف وقع صفة لوعدا مثبتا في التورية والانجيل كما هو مثبت
في القران ومن اوفى بعهده من الله اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من حقيقة الوعد على نهج المبالغة في
كونه سبحانه اوفى بالعهد من كل واف فان اخلاف الميعاد مما لا يكاد يصدر عن كرام الخلق مع امكان صدوره
عنهم فكيف بجانب الخلاق الغني عن العالمين جل جلاله وسبك التركيب وان كان على انكار ان يكون اوفى بالعهد
منه سبحانه من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها قطعا فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل منه فالمراد
به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل فاستبشروا التفات الى الخطاب تشريفا لهم على تشريف
وزيادة لسرورهم على سرورهم والاستبشار اظهار السرور والسين فيه ليس للطلب كما في استوقد و
اوقد والفاء لترتيب الاستبشار او الامر به على ما قبله اي فاذا كان كذلك فسروا نهاية السرور
وافرحوا غاية الفرح بما فزتم به من الجنة ببيعكم مع الابتهاج به باعتباره اثر الى الجنة لان المراد
ترغيبهم في الجهاد الذي عبر عنه بالبيع وانما لم يذكر العقد بعنوان الشري لان ذلك من قبل الله سبحانه
لا من قبلهم والترغيب انما يكون فيما يتم من قبلهم وقوله تعالى الذي بايعتم به لزيادة تقرير بيعهم وللاشعار
بكونه مغايرا لسائر البياعات فانه بيع للفاني بالباقي ولان كلا البدلين له سبحانه وتعالى عن الحسن
رضي الله عنه انفسا هو خلقها واموالا هو رزقها روي ان الانصار لما بايعوه عليه الصلوة والسلام
على العقبة قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال
صلى الله عليه وسلم اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيا واشترط لنفسي ان تمنعوني ما تمنعون
منه انفسكم قال فاذا فعلنا فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ومر
برسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابي وهو يقراها قال كلام من قال كلام الله عز وجل قال
بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو واستشهد وذلك الى الجنة التي جعلت ثمنا
بمقابلة ما بذلوا من انفسهم واموالهم هو الفوز العظيم الذي لا فوز اعظم منه وما في ذلك من معنى البعد
اشارة الى بعد منزلة المشار اليه وسمو رتبته في الكلام ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى البيع الذي

امروا

امروا بالاستبشار به وبجعل ذلك كانه نفس الفوز العظيم او يجعل فوزا في نفسه والجملة على الاول تذييل للاية
الكريمة وعلى الثاني لقوله تعالى فاستبشروا ومقرر لمضمونه التائبون رفع على المدح اي هم التائبون يعني
المؤمنين المذكورين كما يدل عليه القراءة بالياء نصبا على المدح ويجوز ان يكون مجرورا على انه صفة للمؤمنين
وقد جوز الرفع على الابتداء والخبر محذوف اي التائبون من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا كقوله تعالى وكلا
وعد الله الحسنى ويجوز ان يكون خبره قوله تعالى العابدون وما بعده خبر بعد خبر اي التائبون من الكفر
على الحقيقة الجامعون لهذه النعوت الفاضلة اي المخلصون في عبادة الله تعالى قوله عز وجل الحامدون
لنعمائه او لما نابهم من السراء والضراء السائحون الصائمون لقوله صلى الله عليه وسلم سياحة امتي الصوم شبه
بها لانه عائق عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية يتوسل بها الى العثور على خفايا الملك والملكوت وقيل
هم السائحون في الجهاد ولطلب العلم الراكعون الساجدون في الصلوة الامرون بالمعروف بالايمان والطاعة
قوله تعالى عز من قائل والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعطف فيه للدلالة على ان المتعاطفين
بمنزلة خصلة واحدة واما قوله تعالى والحافظون لحدود الله اي فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع
علما وعملا وحملا للناس عليه فلئلا يتوهم خصاصة باحد الوجهين وبشر المؤمنين اي الموصوفون بالنعوت
المذكورة ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ملاك الامر هو الايمان وان المؤمن الكامل من كان
كذلك وحذف المبشر به للايذان بخروجه عن حد البيان وفي الخطاب بالاولين اظهار زيادة اعتبار امرهم من
الترغيب والتسلية ما كان قوله تعالى ما كان للنبي والذين امنوا بالله وحده اي ما صح لهم في حكم الله عز وجل
وحكمته وما استقام ان يستغفروا للمشركين به سبحانه ولو كانوا اي المشركين قوله تعالى اولي قربى اي
ذوي قرابة لهم وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على جملة اخرى قبلها محذوفة حذفا
مطردا كما بين في ولو كره الكافرون ونظائره روي انه عليه الصلوة والسلام قال لعمه ابي طالب لما حضرته
الوفاة يا عم قل كلمة احاج لك بها عند الله فابى فقال عليه الصلاة والسلام لا ازال استغفر لك ما لم
انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال اني
استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم يؤذن لي وانزل على الايتين من
بعد ما تبين لهم اي للنبي عليه الصلاة والسلام والمؤمنين انهم اي المشركين اصحاب الجحيم بان ماتوا
على الكفر وانزل الوحي بانهم يموتون على ذلك وما كان استغفار ابرهيم لابيه بقوله واغفر لابي اي بان
توفقه للايمان وتهديه اليه يلوح به تعليله بقوله انه كان من الضالين والجملة استيناف مسوق
لتقرير ما سبق ودفع ما يتراءى بحسب الظاهر من المخالفة وقرئ وما استغفر ابرهيم لابيه وقرئ
وما يستغفر ابرهيم على حكاية الحال الماضية وقوله تعالى الا عن موعدة استثناء مفرغ من اعم العلل
اي لم يكن استغفاره عليه السلام لابيه ازر ناشيا عن شيء من الاشياء الا عن موعدة وعدها ابرهيم عليه
السلام اياه اي اباه وقد قرئ كذلك بقوله لاستغفرن لك وقوله ساستغفر لك ربي بناء على
رجاء ايمانه لعدم تبين حقيقة امره كما ينبئ عنه قوله تعالى فلما تبين له اي لابرهيم عليه السلام بان اوحي
اليه انه مصر على الكفر غير مؤمن ابدا وقيل بان مات على الكفر والاول هو الانسب بقوله تعالى
انه عدو لله فان وصفه بالعداوة مما ياباه حالة الموت تبرأ منه اي تنزه عن الاستغفار له وتجانب
وفيه من المبالغة ما ليس في تركه ونظائره ان ابرهيم لاواه لكثير التاوه وهو كناية عن كمال الرافة ورقة
القلب حليم صبور على الاذية وهو استيناف لبيان ما كان يدعوه عليه السلام الى ما صدر عنه من
الاستغفار وفيه ايذان بان ابرهيم صلوات الله عليه كان اواها حليما فلذلك صدر عنه ما صدر من الاستغفار
قبل التبيين فليس لغيره ان ياسى به في ذلك تاكيدا لوجوب الاجتناب عنه بعد التبيين بانه عليه السلام

بع

تبرأ منه بعد التبيين وهو في كمال رقة القلب والحلم فلا بد ان يكون غيره اكثر منه اجتنابا وتبرءا واما ان
الاستغفار قبل التبيين لو كان غير لما استثنى عن الائتساء به في قوله عز وجل الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك
لقد حقق في سورة مريم باذن الله تعالى وما كان الله ليضل قوما اي ليس من عادته ان يصفهم بالضلال عن طريقة
الحق ويجري عليه احكامه بعد اذ هديهم للاسلام حتى يبين لهم بالوحي صريحا او دلالة ما يتقون اي
ما يجب اتقاؤه من محظورات الدين فلا ينزجروا عما نهوا عنه واما قبل ذلك فلا يسمى ما صدر عنهم ضلالا ولا
يوخذون به فكانه تسلية للذين استغفروا للمشركين قبل ذلك وفيه دليل على ان الغافل غير مكلف بما
يستبد بمعرفته العقل قوله تعالى ان الله بكل شيء عليم تعليل لما سبق اي انه تعالى عليم بجميع الاشياء التي
من جملتها حاجتهم الى بيان قبح ما لا يستقل العقل في معرفته فيبين لهم ذلك كما فعل هاهنا قوله تعالى ان الله
له ملك السموات والارض من غير شريك له فيه قوله تعالى وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لما منعهم من الاستغفار
للمشركين وان كانوا اولي قربى وضمن ذلك التبرء منهم بين لهم ان الله مالك كل موجود ومتولي اموره والغالب
عليه ولا يتأتى لهم نصر ولا ولاية الا منه تعالى ليتوجهوا اليه بشراشرهم متبرئين عما سواه من صديق الا اياه
لقد تاب الله على النبي قال ابن عباس رضي الله عنهما هو العفو عن اذنه للمنافقين في التخلف عنه والمهاجرين
والانصار قيل هو في حق زلات سبقت منهم يوم احد ويوم حنين وقيل المراد فضل التوبة وانه ما من
مؤمن الا وهو محتاج اليها حتى النبي صلى الله عليه وسلم لما في صدور عنه في بعض الاحوال من ترك الاولى
الذين اتبعوه ولم يتخلفوا عنه ولم يخلوا بامر من اوامره في ساعة العسرة اي في وقتها والتعبير عنه
بالساعة لزيادة تعيينه وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقب عشرة على بعير واحد ومن
الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة الى ان اقتسم التمرة اثنان
وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء المتغير وفي عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فروثها
وفي شدة الزمان من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة ووصف المهاجرين والانصار
بما ذكر من اتباعهم له صلى الله عليه وسلم في مثل هاتيك المراتب من الشدة للمبالغة في بيان الحاجة الى التوبة
فان ذلك حيث لم يغنهم عنها فلان لا يستغني عنها غيرهم اولى واحرى قوله عز وجل من بعد ما كاد تزيغ
قلوب فريق منهم بيان لتناهي الشدة وبلوغها الى ما لا غاية وراءها وهو اشراف بعضهم على ان يميلوا الى التخلف
عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي كاد ضمير الشان او ضمير القوم الراجع اليه الضمير في منهم وقرئ بتانيث
الفعل وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعني المتخلفين من المؤمنين كابي لبابة واضرابه ثم تاب
عليهم تكرير للتاكيد وتنبيه على انه يتاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة والمراد انه تاب عليهم لكيدودتهم
قوله سبحانه وتعالى انه بهم رءوف رحيم استئناف تعليل فان صفة الرافة والرحمة من دواعي التوبة والعفو
يجوز كون الاول عبارة عن ازالة الضرر والثاني عن ايصال المنفعة وان يكون احدهما للسوابق والاخر
للواحق قوله تعالى وعلى الثلثة الذين خلفوا اي وتاب الله على الثلثة الذين اخر امرهم على امر ابي لبابة واصحابه
بحيث لم يقبل معذرتهم مثل اولئك ولا ردت ولم يقطع في شانهم بشيء الى ان نزل فيهم الوحي وهم كعب بن
مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية وقرئ خلفوا اي خلفوا الغازين بالمدينة او فسدوا من الخالفة
وخلوف الفم وقرئ خلفوا وقرئ على المخلفين والاول هو الانسب لان قوله تعالى حتى اذا ضاقت عليهم الارض
غاية للتخليف ولا يناسبه الا المعنى الاول اي خلفوا واخر امرهم الى ان ضاقت عليهم الارض قوله تعالى بما رحبت
اي برحبها وسعتها لاعراض الناس عنهم وانقطاعهم عن مفاوضتهم وهو مثل لشدة الحيرة كانه لا يستقر به قرار
ولا تطمئن له دار قوله سبحانه وتعالى وضاقت عليهم انفسهم اي اذا رجعوا الى انفسهم لا يطمئنون بشيء لعدم
الانس والسرور واستيلاء الوحشة والحيرة قوله عز وجل وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه اي اعلموا ان

لاملجأ

لا ملجأ من سخطه تعالى الا الى استغفاره وقوله سبحانه وتعالى ثم تاب عليهم اي وفقهم للتوبة
ليتوبوا او انزل قبول توبتهم ليصيروا من جملة التوابين او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا
على توبتهم قوله سبحانه وتعالى انه هو التواب المبالغ في قبول التوبة كما وكيفا وان كثرت الجنايات
وتعظمت قوله سبحانه وتعالى جل جلاله وعظم شانه الرحيم المتفضل عليهم بفنون الالاء مع استحقاقهم
لافانين العقاب روي ان ناسا من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من بدا
له وكره مكانه فلحق به عليه السلام عن الحسن انه قال بلغني انه كان لاحدهم حائط كان خيرا من مائة الف درهم
فقال يا حائطاه ما خلفني الا ظلك وانتظار ثمارك اذهب وانت في سبيل الله ولم يكن لاخر الا اهله فقال
يا اهلاه ما بطأني ولا خلفني الا الضن بك فلا جرم والله لاكابدن الشدائد حتى الحق برسول الله صلى الله عليه وسلم
فتأبط زاده ولحق به عليه الصلاة والسلام قال الحسن رضي الله عنه كذلك والله المؤمن يتوب
من ذنوبه ولا يصر عليها وعن ابي ذر الغفاري رحمة الله عليه ان بعيره ابطأ به فحمل متاعه على ظهره
واتبع اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا فقال عليه الصلاة والسلام لما رأى سواده كن ابا
ذر فقال الناس هو ذاك فقال عليه الصلاة والسلام رحم الله ابا ذر يمشي وحده ويموت
وحده ويبعث وحده وعن ابي خيثمة انه بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له في الظل و
بسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة
حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح ما هذا بخير فقام ورحل ناقته واخذ سيفه ورمحه
ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة
فكانه ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له ومنهم من بقي لم يلحق به عليه السلام منهم الثلثة
قال كعب لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعد ما ذكرني وقال
يا ليت شعري ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه الا حسن برديه والنظر الى عطفيه فقال ما اعلم الا فضلا واسلاما
ونهى عن كلامنا ايها الثلاثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة
امرنا ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة فاذا انا بنداء من ذروة سلع ابشر يا كعب بن مالك
فخررت ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وتتابعت
البشارة فلبست ثوبي وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون
فقام الي طلحة بن عبيد الله يهرول الي حتى صافحني وقال ليهنك توبة الله عليك فلن انساها لطلحة رضي الله عنهما
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يستنير استنارة القمر ابشر يا كعب بخير يوم مر عليك
منذ ولدتك امك ثم تلا علينا الاية وعن ابي بكر الوراق انه سئل عن التوبة النصوح فقال ان تضيق
على التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب وصاحبيه يا ايها الذين امنوا خطاب عام
يندرج فيه التائبون اندراجا اوليا وقيل لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك خاصة اتقوا الله
في كل ما تأتون وما تذرون فيدخل فيه المعاملة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في امر المغازي دخولا اوليا
وكونوا مع الصادقين في ايمانهم وعهودهم او في دين الله نية وقولا وعملا او في كل شان من الشؤون فيدخل
ما ذكر وتوبتهم وانابتهم فيكون المراد بهم حينئذ هؤلاء الثلثة واضرابهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انه خطاب لمن امن من اهل الكتاب اي كونوا مع المهاجرين والانصار وانتظموا في سلكهم في الصدق
وسائر المحاسن وقرئ من الصادقين ما كان لاهل المدينة ما صح وما استقام لهم ومن حولهم
من الاعراب كمزينة وجهينة واشجع وغفار واضرابهم قوله تعالى ان يتخلفوا عن رسول الله عند توجهه صلى
الله عليه وسلم الى الغزو وقوله تعالى ولا يرغبوا نصب او جزم بانفسهم عن نفسه اي لا يصرفوها عن نفسه

الكريمة ولا يصونوها عما لم يصن عنه نفسه بل يكابد واامعه ما يكابد من الاهوال والخطوب والكلام في
معنى النهي وان كان على صورة الخبر ذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام من وجوب المتابعة بانهم بسبب
انهم لا يصيبهم ظمأ اي عطش يسير ولا نصب ولا تعب ما ولا مخمصة اي مجاعة ما لا يستباح عند
المحرمات من مراتبها فان الظماء والنصب اليسيرين حين لم يخلوا من الثواب فلان لا يخلو ذلك منه اولى
فلا حاجة الى تاكيد النفي بتكرير كلمة لا ويجوز ان يراد بها تلك المرتبة ويكون الترتيب بناء على كثرة الوقوع
وقلته فان الظماء اكثر وقوعا من النصب الذي هو اكثر وقوعا من المخمصة بالمعنى المذكور فتوسط كلمة لا
حينئذ ليس لتاكيد النفي بل للدلالة على استقلال كل واحد منها بالفضيلة والاعتداد به في سبيل الله واعلاء
كلمته ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار اي لا يدوسون بارجلهم وحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم دوسا
او مكانا يدوس ولا ينالون من عدو نيلا مصدر كالقتل والاسر والنهب او مفعول اي شيئا ينال من قبلهم
الا كتب لهم به اي بكل واحد من الامور المعدودة عمل صالح وحسنة مقبولة سيوجبه بحكم الوعد الكريم
للثواب الجميل ونيل الزلفى والتنوين للتفخيم وكون المكتوب عين ما فعلوه من الامور لا يمنع دخول الباء فان
اختلاف العنوان كاف في ذلك ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم تعليل لما سلف من الكتب والمراد
بالمحسنين اما المبحوث عنهم ووضع المظهر لمدحهم والشهادة عليهم بالانتظام في سلك المحسنين
وان اعمالهم من قبيل الاحسان وللاشعار بماخذ الحكم واما جنس المحسنين وهم داخلون فيه دخولا
اوليا ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو تمرة او علاقة سوط ولا كبيرة كما انفق عثمان رضي الله والترتيب
باعتبار ما ذكر من كثرة الوقوع وقلته وتوسيط لا للتنصيص على استبداد كل منهما بالكتب والجزاء لتاكيد
النفي كما في قوله عز وجل ولا يقطعون اي لا يجتازون في مسيرهم واديا وهو في الاصل كل منفرج
من الجبال والاكام يكون منفذا للسيل اسم فاعل من ودى اذا سال ثم شاع في الارض على الاطلاق الا كتب لهم
ذلك اي ثبت لهم ذلك اي فعلوه من الانفاق والقطع ليجزيهم الله بذلك احسن ما كانوا يعملون احسن جزاء
اعمالهم او جزاء احسن اعمالهم وما كان المومنون لينفروا كافة اي ما صح وما استقام لهم ان ينفروا جميعا
لنحو غزو وطلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فان ذلك مخل بامر المعاش فلولا نفر فهلا نفر
من كل فرقة اي طائفة كثيرة منهم كاهل بلدة او قبيلة عظيمة طائفة اي جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين
اي يتكلفوا الفقاهة ويتجشموا مشاق تحصيلها ولينذروا قومهم اي وليجعلوا غاية سعيهم ومرمى غرضهم
من ذلك ارشاد القوم وانذارهم اذا رجعوا اليهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه
في الدين من فروض الكفاية وان يكون غرض المتعلم الاستقامة والاقامة لا الترفع على العباد والتبسط
في البلاد كما هو ديدن ابناء الزمان والله المستعان لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا عما ينذرون
واستدل به على ان اخبار الاحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلثة تفرد وا بقرية طائفة
الى التفقه لينذر قومها كي يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر اخبارهم ما لم يبلغوا التواتر لم يفد ذلك وقد قيل للاية
وجه آخر هو ان المومنين لما سمعوا ما نزل في المتخلفين وسارعوا الى معفرة رغبة ورهبة وانقطعوا عن
التفقه فامروا ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي هو
الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعث فالضمير في ليتفقهوا ولينذروا
لبواقي الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفي رجعوا اليهم بما حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم وقوله
تعالى يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر عليه السلام اولا بانذار
عشيرته فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح قيل هم اليهود حوالى المدينة كبني قريظة والنضير
وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة بالنسبة من العراق وغيره

وليجدوا

وليجدوا فيكم غلظة اي شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين كسخطة وبضمها وهما لغتان فيها واعلموا ان
الله مع المتقين بالعصمة والنصرة والمراد بهم اما المخاطبون ووضع الظاهر موضع الضمير للتنصيص على ان
الايمان والقتال على الوجه المذكور من باب التقوى والشهادة بكونهم من زمرة المتقين واما الجنس وهم داخلون
فيه دخولا اوليا والمراد بالمعية الولاية الدائمة وقد ذكر وجه دخول مع المتبوع في قوله تعالى ان الله معنا واذا
ما انزلت سورة من سور القران فمنهم اي من المنافقين من يقول لاخوانه ليثبتهم على النفاق او
لعوام المومنين وضعفتهم ليصدهم عن الايمان ايكم زادته هذه ايمانا وقرئ بنصب ايكم على تقدير فعل يفسره المذكور
اي ايكم زادت زادته هذه الى آخره وايراد الزيادة مع انه لا ايمان فيهم اصلا باعتبار اعتقاد المومنين حسبما
نطق به قوله تعالى انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا فاما الذين امنوا
جواب من جهته سبحانه وتعالى وتحقيق للحق وتعيين لحالهم عاجلا وآجلا اي فاما الذين امنوا بالله تعالى وبما
جاء من عنده فزادتهم ايمانا بزيادة العلم اليقيني الحاصل من التدبر فيها والوقوف على ما فيها من الحقائق وانضمام
ايمانهم بما فيها من ايمانهم السابق وهم يستبشرون بنزولها وبما فيه من المنافع الدينية والدنيوية واما الذين
في قلوبهم مرض اي كفر وسوء عقيدة فزادتهم رجسا الى رجسهم اي كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها وعقايد
باطلة واخلاقا ذميمة كذلك وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك الى ان يموتوا عليه اولا يرون الهمزة
للانكار والتوبيخ والواو للعطف على مقدر اي لا ينظرون ولا يرون انهم اي المنافقين يفتنون في كل عام
من الاعوام مرة او مرتين والمراد مجرد التكثير لا بيان الوقوع حسب العدد المزبور اي يبتلون بافانين
البليات من المرض والشدة مما يذكر الذنوب والوقوف بين يدي رب العزة فيؤدي الى الايمان به تعالى او
بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعاينون ما ينزل عليه من الايات لا سيما القوارع الزايدة للايمان
الناعية عليهم ما فيهم من القبايح المخزية لهم ثم لا يتوبون عطف على يرون داخل تحت الانكار والتوبيخ وكذا
قوله تعالى ولا هم يذكرون والمعنى ولا يرون افتتانهم الموجب لايمانهم ثم لا يتوبون عما هم عليه من النفاق ولا
هم يتذكرون بتلك الفتن الموجبة للتذكر والتوبة وقرئ بالتاء والخطاب للمومنين والهمزة للتعجيب
اي الا تنظرون ولا ترون لاحوالهم العجيبة التي هي افتتانهم على وجه التتابع وعدم التنبيه لذلك فقوله تعالى
ثم لا يتوبون وما عطف عليه معطوف على يفتنون واذا ما انزلت سورة بيان لاحوالهم عند نزولها وهم
في محفل تبليغ الوحي كما ان الاول بيان لمقالاتهم وهم غايبون عنه نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون
انكارا لها او سخرية بها او غيظا لما فيها من مخازيهم هل يراكم من احد اي قايلين هل احد من المسلمين
لننصرف مظهرين انهم لا يصطبرون على استماعها ويغلب عليهم الضحك فيفتضحون او ترامقوا يتشاورون
في تدبير الخروج والانسلال لواذا يقولون هل يراكم من احد ان قمتم من المجلس وايراد ضمير الخطاب لبعث
المخاطبين على الجد في انتهاز الفرصة فان المرء بشانه اكثر اهتماما منه بشان اصحابه كما في قوله تعالى
وليتلطف ولا يشعرن بكم احدا وقيل المعنى واذا ما انزلت سورة في عيوب المنافقين ثم انصرفوا
عطف على نظر بعضهم والتراخي باعتبار وجدان الفرصة والوقوف على عدم رؤية احد من المومنين اي
انصرفوا جميعا عن محفل الوحي خوفا من الافتضاح او غير ذلك صرف الله قلوبهم اي عن الايمان حسب
انصرافهم عن المجلس والجملة اخبارية او دعائية بانهم اي بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء الفهم
او لعدم التدبر لقد جاءكم الخطاب للعرب رسول اي رسول رسول عظيم الشان من انفسكم من جنسكم
عربي قرشي مثلكم وقرئ بفتح الفاء اي اشرفكم وافضلكم عزيز عليه ما عنتم اي شاق شديد عليه
عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب من نتايج ما سلف من
المجانسة حريص عليكم في ايمانكم وصلاح حالكم بالمومنين منكم ومن غيركم رؤف رحيم قدم

الابلغ منها وهي لرأفة التي هي عبارة عن شدة الرأفة محافظة على الفواصل **فان تولوا** تلوين للخطاب وتوجيه له الى النبي صلى الله عليه وسلم تسلية له اي ان اعرضوا عن الايمان بك **فقل حسبي الله** فانه يكفيك ويعينك عليهم **لا اله الا هو** استئناف مقرر لمضمون ما قبله **عليه توكلت** فلا ارجوا ولا اخاف الا منه **وهو رب العرش العظيم** اي الملك العظيم والجسم الاعظم المحيط الذي ينزل منه الاحكام والمقادير **وقرئ** العظيم بالرفع **وعن** ابي ان اخر ما نزل هاتان الايتان **وعن** النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل القران علي الا اية اية وحرفا حرفا ما خلا سورة البراءة وسورة قل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة عليهم السلام

سورة يونس وهي مائة وتسع اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **الر** تفخيم الراء المفتوحة **وقرئ** بالامالة اجراء للاصليه مجرى المنقلبة من الياء **وقرئ** بين بين وهو اما مسرود على نمط التعديد بطريق التحدي على احد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الاعراب واما اسم للسورة كما عليه اطباق الاكثر فمحله الرفع على انه خبر لمبتداء محذوف اي هذه السورة مسماة بالر وهو اظهر من الرفع على الابتداء لعدم سبق العلم بالتسمية بعد جعلها الاخبار بها لا جعلها عنوان الموضوع لتوقفه على علم المخاطب بالانتساب كما مر والاشارة اليها قبل جريان ذكرها لما انها باعتبار على جناح الذكر وبصدده صارت في حكم الحاضر كما يقال هذا ما اشترى فلان او انتصب بتقدير فعل لائق بالمقام نحو اذكر واقرأ وكلمة **تلك** اشارة اليها اما على تقدير كون الر مسرودا على نمط التعديد فقد نزل حضور مادتها التي هي الحروف المذكورة منزلة ذكرها فاشير اليها كانه قيل هذه الكلمات المؤلفة من جنس هذه الحروف المبسوطة الى اخره واما على تقدير كونه اسما للسورة فقد نوهت بالاشارة اليها بعد تنويهها بتعيين اسمها او الامر بذكرها او بقرائتها وما في اسم الاشارة من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتها في الفخامة ومحله الرفع على انه مبتداء خبره قوله تعالى **ايات الكتاب** وعلى تقدير كون الر مبتداء ثان او بدل من الاول والمعنى هي ايات مخصوصة مترجمة باسم مستقل والمقصود ببيان بعضيتها منه وصفها بما اشتهر اتصافه به من النعوت الفاضلة والصفات الكاملة والمراد بالكتاب اما جميع القران العظيم وان لم ينزل الكل حينئذ اما باعتبار تعينه وتحققه في علم الله عز وجل او في اللوح او باعتبار انه انزل جملة الى السماء الدنيا كما هو المشهور فان فاتحة الكتاب كانت مسماة بهذا الاسم وبام القران في عهد النبوة ولما يحصل المجموع الشخصي يطلق على مجموع ما انزل في كل عصر الا يرى الى **ما روي** عن جابر رضي الله عنه انه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يجمع بين الرجلين من قتلى احد في ثوب واحد ثم يقول ايهم اكثر اخذا للقران فاذا اشير له الى احدهما قدمه في اللحد فان ما يفهمه الناس من القران في ذلك الوقت ويحافظون على التفاوت في اخذه انما هو المجموع النازل حينئذ من غير ملاحظة لتحقق المجموع الشخصي في علم الله سبحانه او في اللوح ولا لنزوله جملة الى سماء الدنيا **الحكيم** ذي الحكمة وصف بها لاشتماله على فنون الحكم الباهرة ونطقه بها او هو من باب وصف الكلام بصفة صاحبه او من باب الاستعارة المكنية المبنية على تشبيه الكتاب بالحكيم الناطق بالحكمة هذا وقد جعل الكتاب عبارة عن نفس السورة وكلمة تلك اشارة الى ما في ضمنها من الاي فانها في حكم الحاضر لا سيما بعد ذكر ما يتضمنها من السورة عند بيان اسمها او الامر بذكرها او بقرائتها وينبغي ان يكون المشار اليه حينئذ كل واحدة منها لا جميعها من حيث هو جميع لانه عين السورة فلا يكون للاضافة فيه وجه ولا لتخصيص الوصف بالمضاف اليه حكمة فلا يتاتى ما قصد من مدح المضاف بما للمضاف اليه من صفات الكمال ولان في بيان اتصاف كل منها بالكمال من المبالغة

اذ ذاك فلا بد من ملاحظة كل من الكتاب والقران باحد الاعتبارات المذكورة واما جميع القران النازل وقتئذ المتفاهم بين الناس اذ ذاك فانه كما يطلق على المجموع الشخصي يطلق. صح

ماليس في بيان اتصاف الكل بذلك والمتبادر من الكتاب عند الاطلاق وان كان كله باحد الوجهين المذكورين لكن صحة اطلاقه على بعضه ايضا مما لا ريب فيها والمعهود المشهور وان كان اتصاف الكل باحد الاعتبارين بما ذكر من نعوت الكمال الا ان شهرة اتصاف كل سورة منه بما اتصف به الكل مما لا ينكر وعليه يدور تحقق مدح السورة بكونها بعضا من القران الكريم اذ لولا ان بعضه منعوت بنعت كله داخل تحت حكمه لما تسنى ذلك وفيه ما لا يخفى من التكلف والتعسف **اكان للناس عجبا** الهمزة لانكار تعجبهم ولتعجيب السامعين منه لكونه في غير محله والمراد بالناس كفار مكة وانما عبر عنهم باسم الجنس من غير تعرض لكفرهم مع انه المدار لتعجبهم كما تعرض له في قوله عز وجل قال الكافرون الى اخره لتحقيق ما فيه الشركة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعيين مدار التعجب في زعمهم ثم تبيين خطائهم واظهار بطلان زعمهم بايراد الانكار والتعجب واللام متعلقة بمحذوف وقع حالا من عجبا **وقيل** بعجبا على التوسع المشهور في الظروف **وقيل** المصدر اذا كان بمعنى اسم الفاعل او اسم المفعول جاز تقديم معموله عليه **وقيل** متعلقة بكان وهو مبني على دلالة كان الناقصة على الحدث قوله تعالى **ان اوحينا** اسم كان قدم عليه خبرها اهتماما بشانه لكونه مدارا للانكار والتعجب وتشويقا الى المؤخر ولان في الاسم ضرب تفصيل ففي مراعاة الاصل نوع اخلال بتجاوب اطراف الكلام **وقرئ** برفع عجب على انه اسم وهو نكرة والخبر ان اوحينا وهو معرفة لان ان مع الفعل في تاويل المصدر المضاف الى المعرفة البينة والمختار حينئذ ان يجعل كان تامة وان اوحينا متعلقا بعجب على حذف حرف التعليل اي احدث للناس عجب لان اوحينا او من ان اوحينا او بدلا من عجب لكن لا على توجيه الانكار والتعجيب الى حدوثه بل الى كونه عجبا فان كون الابدال في حكم تنحيه المبدل منه ليس معناه اهداره بالمرة وانما قيل للناس لا عند الناس للدلالة على انه لهم يتخذونه اعجوبة لهم وفيه من زيادة تقبيح حالهم ما لا يخفى **الى رجل منهم** اي بشر من جنسهم كقولهم ابعث الله بشرا رسولا او من افناءهم من حيث المال لا من عظمائهم كقولهم لولا انزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وكلا الوجهين من ظهور البطلان بحيث لا مزيد عليه اما الاول فلان بعث الملك انما يكون عند كون المبعوث اليهم ملائكة كما قال سبحانه قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا واما عامة البشر فهم بمعزل من استحقاق مفاوضة الملائكة كيف لا وهي منوطة بالتناسب والتجانس فبعث الملك اليهم مزاحم للحكمة التي عليها يدور فلك التكوين والتشريع انما الذي تقتضيه الحكمة ان يبعث الملك من بينهم الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب **واما الثاني** فلما ان مناط الاصطفاء للنبوة والرسالة هو التقدم في الاتصاف بما ذكر من النعوت الجميلة والصفات الجليلة والسبق في احراز الفضائل العلية وحيازة الملكات السنية جبلة واكتسابا ولا ريب لاحد منهم في انه صلى الله عليه وسلم في ذلك الشان في غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية واما التقدم في الرياسة الدنيوية والسبق في نيل الحظوظ الدنية فلا دخل له في ذلك قطعا بل له اخلال به غالبا **قال** عليه الصلوة والسلام لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء **ان انذر الناس** ان مصدرية لجواز كون صلتها امرا كما في قوله تعالى وان اقم وجهك وذلك لان الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر سيان فساغ وقوع الامر والنهي صلة حسب وقوع الفعل فيجرد عند ذلك عن معنى الامر والنهي نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال ووجوب كون الصلة في الموصول الاسمي خبرية انما هو للتوصل بها الى وصف المعارف بالجمل لا القصور في دلالة الانشاء على المصدر او مفسرة اذ للايحاء فيه معنى القول وقد جوز كونها مخففة من المثقلة على حذف ضمير الشان والقول من الخبر والمعنى ان الشان قولنا انذر الناس والمراد به جميع الناس كافة لا ما اريد بالاول وهو النكتة في ايثار الاظهار على الاضمار وكون الثاني عين الاول عند اعادة المعرفة ليس على الاطلاق قوله تعالى **وبشر الذين امنوا** بما اوحيناه وصدقوه **ان لهم** اي بان لهم **قدم صدق** اي سابقة ومنزلة رفيعة

عند ربهم وانما عبر عنه بها اذ بها يحصل السبق والوصول الى المنازل الرفيعة كما يعبر عن النعمة باليد لانها تعطى
بها وقيل مقام صدق والوجه ان الوصول الى المقام انما يحصل بالقدم واضافتها الى الصدق للدلالة على تحققها
وثباتها وللتنبيه على ان مدار ما نالوه من المراتب العلية هو صدقهم فان التصديق لا ينفك عن الصدق قال الكافرون
هم المتعجبون وايرادهم هاهنا بعنوان الكفر لما لا حاجة الى ذكر سببه وترك العاطف لجريانه مجرى البيان للجملة التي
دخل عليها همزة الانكار او لكونه استينافا مبنيا على السؤال كانه قيل ما صنعوا بعد التعجب هل بقوا على التردد والاستبعاد
او قطعوا فيه بشيء فقيل قال الكافرون على طريقة التوكيد ان هذا يعنون به ما اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من القرآن الحكيم المنطوي على الانذار والتبشير لسحر مبين اي ظاهر وقرئ لساحر على ان الاشارة لرسول
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ ما هذا الا سحر مبين وهذا اعتراف من حيث لا يشعرون بان ما عاينوه
خارج عن طوق البشر نازل من جناب خلاق القوى والقدر ولكنهم يسمونه بما قالوا تماديا في العناد كما هو ديدن
المكابر اللجوج ودأب المفحم المحجوج ان ربكم كلام مستأنف سيق لاظهار بطلان تعجبهم المذكور وما بنوا عليه
من المقالة الباطلة عقب الاشارة اليه بالانكار والتعجيب وتحقيق فيه حقيقة ما تعجبوا منه وصحة ما انكروه
بالتنبيه الاجمالي على بعض ما يدل عليهما من شئون الخلق والتقدير واحوال التكوين والتدبير ويرشدهم الى معرفتها
بادنى تذكير لاعترافهم به من غير نكير لقوله تعالى قل رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله قل فانى
تؤفكون وقوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض الى قوله تعالى ومن يدبر الامر فسيقولون الله ان ربكم ومالك
امركم الذي تستعجبون من ان يرسل اليكم رجلا منكم بالانذار والتبشير وتعدون ما اوحي اليه من الكتاب الحكيم سحرا
هو الله الذي خلق السموات والارض وما فيهما من اصول الكائنات في ستة ايام اي في ستة اوقات او في مقدار
ستة ايام معهودة فان نفس اليوم الذي هو عبارة عن زمان كون الشمس فوق الارض مما لا يتصور تحققه
حين لا ارض ولا سماء وفي خلقها مدرجا مع القدرة التامة على ابداعها دفعة دليل على الاختيار واعتبار للنظار
وحثالهم على التأني في الاحوال والاطوار واما تخصيص ذلك بالعدد المعين فامر قد استأثر بعلم ما يستدعيه
علام الغيوب جلت قدرته ودقت حكمته وايثار صيغة الجمع في السموات لما هو المشهور من الايذان بانها
اجرام مختلفة الطباع متباينة الآثار والاحكام ثم استوى على العرش العرش هو الجسم المحيط بسائر الاجسام
سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الاوامر والتدابير منه تنزل وقيل هو الملك ومعنى استواؤه
سبحانه عليه استيلاؤه عليه او استواء امره وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة له سبحانه بلا كيف
والمعنى انه سبحانه استوى على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن التمكن والاستقرار وهذا بيان لجلالة
ملكه وسلطانه بعد بيان عظمة شأنه وسعة قدرته بما مر من خلقه هاتيك الاجرام العظام قوله تعالى
يدبر الامر التدبير النظر في ادبار الامور وعواقبها لتقع على الوجه المحمود والمراد هاهنا التقدير على الوجه
الاتم والاكمل والمراد بالامر امر ملكوت السموات والارض والعرش وغير ذلك من الجزئيات الحادثة شيئا
فشيئا على اطوار شتى وانحاء لا تكاد تحصى من المناسبات والمباينات في الذوات والصفات والازمنة و
الاوقات يقدر ما ذكر من امر الكائنات الذي ما تعجبوا منه من امر البعث والوحي فرد من جملته وشعبة من
دوحته ويهيئ اسباب كل منها حدوثا وبقاء في اوقاتها المعينة ويرتب مصالحها على الوجه الفائق والنمط
اللائق حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير استوى
وقد جوز كونه خبرا ثانيا لان او مستأنفة لا محل لها من الاعراب مبنية على سؤال نشأ من ذكر الاستواء على
العرش مبني عن اجراء احكام الملك على كل حال فايثار صيغة المضارع للدلالة على تجدد التدبير واستمراره وقوله
عز شأنه ما من شفيع بيان لاستبداده سبحانه في التقدير والتدبير ونفي للشفاعة على ابلغ الوجوه فان نفي
جميع افراد الشفيع بمن الاستغراقية يستلزم نفي الشفاعة على اتم الوجوه كما في قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله

وهذا بعد

وهذا بعد قوله تعالى يدبر الامر جار مجرى قوله تعالى وهو يجير ولا يجار عليه عقب قوله تعالى قل من بيده ملكوت
كل شيء قوله عز وجل الا من بعد اذنه استثناء مفرغ من اعم الاوقات اي ما من شفيع يشفع لاحد في وقت من الاوقات
الا بعد اذنه المبني على الحكمة الباهرة وذلك عند كون الشفيع من المصطفين الاخيار والمشفوع له ممن يليق بالشفاعة
كقوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا وفيه من الدلالة على عظمة
جلاله سبحانه ما لا يخفى قوله عز شأنه وعظم سلطانه ذالكم اشارة الى العلوم بتلك العظمة اي ذلك العظيم
الشان المنعوت بما ذكر من نعوت الكمال التي عليها يدور استحقاق الالوهية قوله تعالى الله وقوله عز جلاله وعم نواله
ربكم شان له او بدل منه او خبر ثان لاسم الاشارة وهذا بعد بيان ان ربهم الذي خلق السموات والارض الى آخره لزيادة
التقرير والمبالغة في التذكير ولتفريع الامر بالعبادة عليه بقوله تعالى فاعبدوه اي وحدوه من غير ان تشركوا به شيئا
من ملك او نبي فضلا عن جماد لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وآمنوا بما انزل اليكم افلا تذكرون اي اتعلمون
ان الامر كما فصل فلا تتذكرون ذلك حتى تقفوا على فساد ما انتم عليه فترتدعوا عنه اليه لا الى احد سواه استقلالا
او اشتراكا كما قوله تعالى مرجعكم اي بالبعث كما ينبئ عنه قوله تعالى جميعا فانه حال من الضمير المجرور لكونه فاعلا
في المعنى اي رجوعكم مجتمعين والمراد والجملة كالتعليل لوجوب العبادة قوله سبحانه وتعالى وعد الله مصدر موكد
لنفسه لان قوله عز وجل اليه مرجعكم وعد منه سبحانه بالبعث او لفعل مقدر اي وعد الله وعدا وايا ما كان فهو دليل
على ان المراد بالمرجع هو الرجوع بالبعث لان ما بالموت بمعزل من الوعد كما انه بمعزل من الاجتماع وقرئ
بصيغة الفعل قوله تعالى حقا مصدر آخر مؤكد لما دل عليه الاول قوله سبحانه وتعالى انه يبدؤا الخلق
وقرئ يبدئ قوله عز وجل ثم يعيده وهو استئناف معلل لوجوب المرجع اليه سبحانه وتعالى فان غايته
البدء والاعادة هو جزاء المكلفين باعمالهم حسنة او سيئة وقرئ بالفتح اي لانه ويجوز كونه منصوبا بما
نصب وعد الله اي وعد الله وعدا بدء الخلق ثم اعادته ومرفوعا بما اي لانه ويجوز كونه بما نصب حقا اي حق حقا
بدء الخلق الى آخره قوله سبحانه وتعالى ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط اي بالعدل وهو حال من فاعل
يجزي اي ملتبسا بالعدل وهو حال من فاعل يجزي اي ملتبسا بالعدل او متعلق بيجزي اي ليجزيهم بقسطه
ويوفيهم اجورهم وانما اجمل ذلك ايذانا بانه لا يفي به الحصر او بقسطهم وعدلهم عند ايمانهم ومباشرتهم للاعمال
الصالحة وهو الانسب بقوله عز وجل والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون
فان معناه ويجزي الذين كفروا بسبب كفرهم وتكرير الاسناد بجعل الجملة الظرفية خبرا للموصول لتقوية الحكم
والجمع بين صيغتي الماضي للدلالة على مواظبتهم على الكفر والتغيير النظم الكريم للايذان بكمال استحقاقهم للعقاب
وان التعذيب بمعزل عن الانتظام في سلك العلة الغائية للخلق ابداء واعادة وانما يحيق ذلك بالكفرة على موجب
سوء اختيارهم واما المقصود الاصلي من ذلك فهو الاثابة قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء تنبيه على الاستدلال
على وجوده تعالى ووحدته وعلمه وقدرته وحكمته بآثار صنعه في النيرين بعد التنبيه على الاستدلال بما
مر من ابداع السموات والارض والاستواء على العرش وغير ذلك وبيان لبعض افراد التدبير الذي اشير
اليه اشارة اجمالية وارشاد الى انه حين دبرت امورهم المتعلقة بمعاشهم هذا التدبير الذي اشير اليه
اشارة اجمالية البديع فلان يدبر مصالحهم المتعلقة بالمعاد وارسال الرسول وانزال الكتاب وتبيين
طريق الهدى وتعيين مهاوي الردى اولى واحرى والجعل ان جعل بمعنى الانشاء والابداع فضياء حال
من مفعوله اي خلقها حال كونها ذات ضياء على حذف المضاف او ضياء محضا للمبالغة وان جعل بمعنى التصيير
فهو مفعوله الثاني اي جعلها ضياء على احد الوجهين المذكورين لكن لا بعد ان كانت خالية عن تلك الحالية
بل ابدعها كذلك كما في قولهم ضيق فم الركية ووسع اسفلها والضياء مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط
وسوط وياؤه منقلبة من الواو لانكسار ما قبلها وقرئ ضئاء بهمزتين بينهما الف بتقديم اللام على

العين والقمر نورا الكلام فيه كالكلام في الشمس والضياء اقوى من النور وقيل ما بالذات نور وما بالعرض
نور ففيه اشعار بان نوره مستفاد من الشمس قوله تعالى وقدره اي قدر له وهيأ منازل اي قدر مسيره
في منازل وقدره ذا منازل على تضمين التقدير معنى التصيير وتخصيص القمر بهذا التقدير لسرعة سيره ومعاينة
منازله وتعلق احكام الشريعة وكونه عمدة في تواريخ العرب وقد جعل الضمير لكل منهما وهي ثمانية وعشرون منزلة
ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير فيها من ليلة المستهل
الى الثامنة والعشرين فاذا كان في آخر منازله دق واستقوس ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا نقص الشهر ويكون مقام
الشمس في كل منزلة منها ثلاثة عشر يوما وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسب اليها العرب الانواء المستمطرة
وهي هذه الشرطين • البطين • الثريا • الدبران • الهقعة • الهنعة • الذراع • النثرة • الطرف •
الجبهة • الزبرة • الصرفة • العواء • السماك • الغفر • الزبانا • الاكليل • القلب • الشولة • النعائم •
البلدة • سعد الذابح • سعد بلع • سعد السعود • سعد الاخبية • الفرع المقدم • الفرع المؤخر • الرشا وهو
بطن الحوت لتعلموا اما بتعاقب الليل والنهار المنوطين بطلوع الشمس وغروبها او باعتبار نزول كل منهما في تلك
المنازل لتعلموا عدد السنين التي يتعلق بها غرض علمي لاقامة مصالحكم الدينية والدنيوية والحساب اي حساب
الاوقات على ان الالف واللام عوض عن المضاف اليه في الاشهر والايام وغير ذلك مما نيط به شيء من المصالح
المذكورة وتخصيص العدد بالسنين والحساب بالاوقات لما انه لم يعتبر في السنين المعدودة معنى مغاير لمراتب
الاعداد كما اعتبر في الاوقات المحسوبة وتحقيقه ان الحساب احصاء ما له كمية انفصالية بتكرير امثاله من
حيث يتحصل بطائفة معينة منها حد معين له اسم خاص وحكم مستقل كالسنة المتحصلة من اثني عشر شهرا قد
تحصل كل من ذلك من ثلاثين يوما قد تحصل كل من ذلك من اربع وعشرين ساعة مثلا والعد مجرد احصائه بتكرير امثاله
من غير اعتبار ان يتحصل بذلك شيء كذلك ولما لم يعتبر في السنين المعدودة تحصل حد معين له اسم خاص غير
اسامي مراتب الاعداد وحكم مستقل اضيف اليها العدد وتحصل مراتب الاعداد من العشرات والمئات والالوف
اعتباري لا يجدي في تحصل المعدود نفعا وحيث اعتبر في الاوقات المحسوبة تحصل ما ذكر من المراتب التي لها
اسام خاصة واحكام مستقلة علق بها الحساب وانما الذي يتعلق به العد طائفة منها وتعلقه في ضمن ذلك
بكل واحدة من تلك الطائفة ليس من الحيثية المذكورة اعني حيثية تحصلها من عدة اشهر قد تحصل كل واحد منها
من عدة ايام قد حصل كل منها بطائفة من الساعات فان ذلك وظيفة الحساب بل من حيث انها فرد من تلك الطائفة
المعدودة من غير ان يعتبر معها شيء غير ذلك وتقديم العدد على الحساب مع ان الترتيب بين متعلقيهما وجودا
وعلما على العكس لان العلم المتعلق بعدد السنين علم اجمالي بما تعلق به الحساب تفصيلا وان لم يتحد الجهة
ولان العدد من حيث انه لم يعتبر فيه تحصل امر آخر حسبما حقق آنفا نازل من الحساب الذي اعتبر فيه ذلك
منزلة البسيط من المركب ما خلق الله ذلك اي ما ذكر من الشمس والقمر على ما حكي من الاحوال وفيه ايذان بان
معنى جعلهما على تلك الاحوال والهيئات ليس الا خلقهما كذلك كما اشير اليه ولا يقدح في ذلك ان استفادة
القمر النور من الشمس امر حادث فان المراد بجعله نورا انما هو جعله بحيث يتصف بالنور عند وجود شرائطه لا اتصافه
به بالفعل الا بالحق استثناء مفرغ من اعم الاحوال الفاعل والمفعول اي ما خلق ذلك ملتبسا بشيء من الاشياء
الا ملتبسا بالحق مراعيا لمقتضى الحكمة البالغة او مراعيا فيه ذلك وهو ما اشير اليه اجمالا من العلم باحوال السنين
والاوقات المنوط به امور معاملاتهم وعباداتهم نفصل الايات اي الايات التكوينية المذكورة او جميع الايات
المذكورة دخولا اوليا ونفصل الايات التنزيلية المنبهة على ذلك وقرئ بنون العظمة لقوم يعلمون الحكمة
في ابداع الكائنات فيستدلون بذلك على شؤون مبدعها جل وعلا او يعلمون ما في تضاعيف الايات المنزلة فيؤمنون
بها وتخصيص التفصيل بهم لانهم المنتفعون به ان في اختلاف الليل والنهار تنبيه آخر اجمالي على ما ذكر اي في تعاقبهما

وكون

وكون كل منهما خلفة للآخر بحسب طلوع الشمس وغروبها التابعين لحركات السموات وسكون الارض او في
تفاوتهما في انفسهما بازدياد كل منهما بانتقاص الآخر وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة الينا
قربا وبعدا بحسب الازمنة او في اختلافهما وتفاوتهما بحسب الامكنة اما في الطول والقصر فان البلاد القريبة من
القطب الشمالي ايامها الصيفية اطول ولياليها الصيفية اقصر من ايام البلاد البعيدة منه ولياليها واما في
انفسهما فان كرية الارض تقتضي ان يكون بعض الاوقات في بعض الاماكن ليلا وفي مقابله نهارا وما خلق الله في
السموات والارض من اصناف المصنوعات لآيات عظيمة او كثيرة دالة على وجود الصانع تعالى ووحدته
وكمال علمه وقدرته وبالغ حكمته التي من جملة مقتضياتها ما انكروه من ارسال الرسول وانزال الكتاب والبعث
والجزاء لقوم يتقون خصهم بذلك لان الداعي الى النظر والتدبر انما هو تقوى الله تعالى والحذر من العاقبة فهم
الواقفون على ان جميع المخلوقات آيات دون غيرهم وكاين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون
قوله عز وجل ان الذين لا يرجون لقاءنا بيان لمآل امر من كفر بالبعث واعرض عن البينات الدالة عليه بعد تحقيق ان مرجع الكل
اليه وانه يعيدهم بعد بدئهم للجزاء ثوابا وعقابا وتفصيل بعض الآيات الشاهدة بذلك والمراد بلقاء الله تعالى
اما الرجوع اليه تعالى بالبعث او لقاء الحساب كما في قوله عز وعلا اني ظننت اني ملاق حسابيه واياما كان ففيه
مع الالتفات الى ضمير الجلالة من تهويل الامر ما لا يخفى والمراد بعدم الرجاء عدم التوقع مطلقا المنتظم لعدم
الامل وعدم الخوف فان عدمهما لا يستدعي عدم اعتقاد وقوع المأمول والمخوف اي لا يتوقعون الرجوع الينا
او لقاء حسابنا المؤدي اما الى حسن الثواب او الى سوء العذاب فلا يأملون الاول واليه اشير بقوله عز وجل
ورضوا بالحيوة الدنيا فانه مبني على ايثار الادنى الخسيس على الاعلى النفيس كقوله تعالى ارضيتم بالحيوة الدنيا
من الآخرة ولا يخافون الثاني واليه اشير بقوله عز من قائل واطمأنوا بها اي سكنوا فيها سكون من لا براح له
منها آمنين من اعتراء المزعجات غير مخطرين ببالهم ما يسوءهم من عذابنا وقيل المراد معناه الحقيقي وباللقاء
حسن اللقاء اي لا يأملون حسن لقائنا بالبعث والاحياء بالحيوة الابدية ورضوا بدلا منها ومما فيها من فنون
الكرامات السنية بالحيوة الدنيا الدنية الفانية واطمأنوا بها اي سكنوا اليها مكبين عليها قاصرين مجامع هممهم
على لذائذها وزخارفها من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم وايثار الباء على كلمة الى المبنية على مجرد الوصول
والانتهاء للايذان بتمام الملابسة ودوام المصاحبة والمؤانسة وحمل الرجاء على الخوف فقط يأباه كلمة الرضا بالحيوة
الدنيا فانها مبنية عما ذكر من ترك الاعلى واخذ الادنى واختيار صيغة الماضي في الصلتين الاخيرتين للدلالة
على التحقق والتقرر كما ان صيغة المستقبل في الاولى للايذان باستمرار عدم الرجاء قوله سبحانه وتعالى والذين هم
عن آياتنا المفصلة في صحايف الاكوان حسبما اشير الى بعضها او آياتنا المنزلة المنبهة على الاستشهاد بها
المتفقة معها في الدلالة على حقية ما لا يرجونه من اللقاء المترتب على البعث وعلى بطلان ما رضوا به واطمأنوا
اليه من الحيوة الدنيا غافلون لا يتفكرون فيها اصلا وان نبهوا على ذلك وذكروا بانواع القوارع لانهماكهم
فيما يصدهم عنها من الاحوال المعدودة وتكرير الموصول للتوسل به الى جعل صلته جملة اسمية منبئة عما هم عليه
من استمرار الغفلة ودوامها وتنزيل التغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي ايذانا بمغايرة الوصف الاخير للاوصاف
الاول واستقلاله باستتباع العذاب هذا واما ما قيل من ان العطف اما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان
الوعيد على الجميع بين الذهول عن الآيات رأسا والانهماك في الشهوات بحيث لا يخطر ببالهم الآخرة اصلا واما
لتغاير الفريقين والمراد بالاولين من انكر البعث ولم يرد الا الحيوة الدنيا وبالآخرين من الهاه حب العاجل
عن التأمل في الآجل فكلام ناء عن السداد فتأمل اولئك الموصوفون بما ذكر من صفات السوء مأويهم اي مسكنهم
ومقرهم الذي لا براح لهم منه النار لا ما اطمأنوا بها من الحيوة الدنيا ونعيمها قوله تعالى بما كانوا يكسبون
من الاعمال القلبية المعدودة وما يستتبعه من اصناف المعاصي والسيئات وبكسبهم اياها والجمع بين صيغتي

الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار التجددي والباء متعلقة بمضمون الجملة الاخيرة الواقعة خبرا
عن اسم الاشارة وهو مع خبره خبر لان في قوله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا الى الخ قوله تعالى ان
الذين امنوا اي فعلوا الايمان او امنوا بما يشهد به الايات التي غفل عنها الغافلون او بكل ما يجب ان يومن
به فيندرج فيه ذلك اندراجا اوليا وعملوا الصالحات اي الاعمال الصالحة في انفسها اللايقة بالايمان
وانما ترك ذكر الموصوف لجريانها مجرى الاسماء قوله سبحانه وتعالى يهديهم ربهم اوثر الالتفات تشريفا
لهم باضافة الرب اليهم واشعار بعلة الهداية بايمانهم اي يهديهم بسبب ايمانهم الى ماويهم ومقصدهم
وهي الجنة وانما لم يذكر تعويلا على ظهورها وانسياق النفس اليها لا سيما بملاحظة ما سبق من بيان
الكفرة وماويهم اليه من اعمالهم السيئة ومشاهدة ما لحق من التلويح والتصريح وفي النظم الكريم اشعار
بان مجرد الايمان والعمل الصالح لا يكفي في الوصول الى الجنة بل لا بد بعد ذلك من الهداية الربانية وان الكفر
والمعاصي كافية في دخول النار ثم انه لا نزاع في ان المراد بالايمان الذي جعل سببا لتلك الهداية هو ايمانهم
الخاص المشفوع بالاعمال الصالحة لا الايمان المجرد عنها وما هو اعم منهما الا ان ذلك بمعزل من الدلالة على
خلاف ما عليه اهل السنة والجماعة من ان الايمان الخالي عن العمل الصالح يفضي الى الجنة في الجملة ولا يخلد
صاحبه في النار فان منطوق الاية الكريمة ان الايمان المقرون بالعمل الصالح سبب للهداية الى الجنة واما ان
ان كلما هو سبب لها يجب ان يكون كذلك فلا دلالة لها ولا لغيرها عليه قطعا كيف لا وقوله عز وجل الذين
امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون مناد بخلافه فان المراد بالظلم هو الشرك
كما اطلق عليه المفسرين والمعنى لم يخلطوا ايمانهم بشرك ولئن حمل على ظاهره ايضا يدخل في الاهتداء من امن ولم يعمل
ثم مات قبل ان يظلم بفعل حرام او بترك واجب تجري من تحتهم الانهار اي بين يديهم كقوله سبحانه وهذه الانهار تجري
من تحتي او تجري وهم على سرر مرفوعة وارائك مصفوفة والجملة مستانفة او خبر ثان لان او حال من مفعول
يهديهم ويسددهم الى الاستقامة على سلوك السبيل المودي الى الثواب والجنة وقوله تجري من تحتها الانهار جار
مجرى التفسير والبيان فان التمسك بحبل السعادة في حكم الوصول اليها وقيل يهديهم الى ادراك الحقايق
البديعة بحسب القوة العملية كما قال عليه الصلوة والسلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم في جنات النعيم
خبر اخر او حال اخرى منه او من الانهار او متعلق بتجري او يهدي فالمراد بالمهدي اليه اما منازلهم في الجنة او
ما يريدون فيها دعويهم اي دعاؤهم وهو مبتداء وقوله عز وجل فيها متعلق به وقوله تعالى سبحانك اللهم
خبره اي دعاؤهم هذا الكلام وهو معمول المقدر لا يجوز اظهاره والمعنى اللهم انا نسبحك تسبيحا ولعلهم
يقولونه عند ما عاينوا فيها من تعاجيب قدرته تعالى ونتايج رحمته ورافته ما لا عين رات ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر تقديسا لمقامه تعالى عن شوايب العجز والنقصان وتنزيها لوعده الكريم عن سمات الخلف
وتحيتهم فيها ا التحية التكرمة بالحالة الجليلة اصلها احياك الله حيوة طيبة اي ما يحيي به بعضهم بعضا
او تحية الملئكة اياهم كما في قوله تعالى والملئكة يدخلون عليهم من كل باب سلام او تحية الله عز وجل لهم كما في
قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم سلام اي سلامة عن كل مكروه واخر دعويهم اي خاتمة دعائهم ان الحمد لله
رب العالمين اي يقولون ذلك نعتا له عز وجل بصفات الاكرام اثر نعته تعالى بصفات الجلال اي دعاؤهم
منحصر فيما ذكر اذ ليس لهم مطلب مترقب حتى ينتظموه في سلك الدعاء وان هي المخففة من ان المثقلة اصله
انه الحمد لله فحذف ضمير الشان كما في قوله ان هالك كل من يحفى وينتعل وقرئ ان الحمد لله بالتشديد
ونصب الحمد ولعل توسيط ذكر تحيتهم عند الحكاية بين دعائهم وخاتمته للتوسل الى ضم الحكاية بالتحميد تبركا
مع ان التحية ليست باجنبية على الاطلاق ودعوى كون ترتيب الوقوع ايضا كذلك بان كانوا حين دخلوا الجنة
وعاينوا عظمة الله تعالى وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الافات والفوز

باصناف

باصناف الكرامات اوحياهم بذلك رب العزة فحمدوه تعالى واثنوا عليه باباها اضافة الاخر الى دعويهم وقد جوز ان يكون المراد
بالدعاء العبادة كما في قوله تعالى واعتزلكم وما تدعون الى آخره ايذانا بان لا تكليف في الجنة اي ما عبادتهم الا ان يسبحوه و
يحمدوه وليس ذلك بعبادة انما يلهمونه فينطقون به تلذذا ولا يساعده تعيين الخاتمة ولو يعجل الله للناس هم الذين
لا يرجون لقاء الله تعالى لانكارهم البعث وما يترتب عليه من الحساب والجزاء اشير الى بعض من عظايم معاصيهم المتفرعة
على ذلك وهو استعجالهم بما اوعدوا به من العذاب تكذيبا واستهزاء وايرادهم باسم الجنس لما ان تعجيل الخير لهم ليس
دايرا على وصفهم المذكور اذ ليس كل ذلك بطريق الاستدراج اي لو يعجل الله لهم الشر الذي كانوا يستعجلون به
فانهم كانوا يقولون اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ايتنا بعذاب اليم ونحو
ذلك وقوله تعالى استعجالهم بالخير نصب على انه مصدر تشبيهي وضع موضع مصدر ناصبه دلالة على اعتبار
الاستعجال في جانب المشبه كاعتبار التعجيل في جانب المشبه به واشعار بسرعة اجابته تعالى لهم حتى كان استعجالهم
بالخير نفس تعجيله لهم والتقدير لو يعجل الله لهم الشر عند استعجالهم به تعجيله لهم الخير عند استعجالهم به فحذف
ما حذف تعويلا على دلالة الباقي عليه لقضي اليهم اجلهم لادي اليهم الاجل الذي عين لعذابهم واميتوا واهلكوا
بالمرة وما امهلوا طرفة عين وفي ايثار صيغة المبني على المفعول جري على سنن الكبرياء وقرئ على البناء للفاعل
كما قرئ لقضينا ولختيار صيغة الاستقبال في الشرط وان كان المعنى على المضي لافادة ان عدم قضاء الاجل لاستمرار عدم
التعجيل فان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس بنص في انتفاء استمرار الفعل بل قد يفيد استمرار انتفائه ايضا
بحسب المقام كما حقق في موضعه واعلم ان مدار الافادة في الشرطية ان يكون التالي امرا مغايرا للمقدم في
نفسه مترتبا عليه في الوجود كما في قوله عز وجل لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم فان العنت اي الوقوع في المشقة
والهلاك امر مغاير لطاعته عليه الصلوة والسلام لهم مترتب عليها في الوجود ويكون فردا كاملا من افراده ممتازا
عن البقية بامر يخص كما في الاجوبة المحذوفة في مثل قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على ربهم وقوله تعالى ولو ترى اذ
وقفوا على النار وقوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ونظايرها اي لرايت امرا هايلا فظيعا او نحو ذلك كما في قوله تعالى
ولو يواخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة اذا فسر الجواب بالاستيصال فانه فرد كامل
من مطلق المواخذة قد عبر عنه بما لا مزيد عليه في الدلالة على الشدة والفظاعة فحسن موقعه في معرض التالي للمواخذة
المطلقة واما ما نحن فيه من القضاء فليس بامر مغاير لتعجيل الشر في نفسه وهو ظاهر بل هو اما نفسه او جزء
منه كسائر جزئياته من غير مزية له على البقية اذ لم يعتبر في مفهومه ما ليس في مفهوم تعجيل الشر من الشدة
والهول فلا يكون في ترتيبه عليه وجودا او عدما مزيد فايدة مصححة لجعله تاليا له الحق ان المقدم ليس نفس
التعجيل المذكور بل هو ارادته المستتبعة للقضاء المذكور وجودا وعدما كما في قوله تعالى لو يواخذهم بما كسبوا لعجل
لهم العذاب اي لو يريد مواخذتهم فان تعجيل العذاب لهم نفس المواخذة او جزء منها غير ممتاز عن البقية
فليس في بيان ترتبه عليها وجودا وعدما مزيد فايدة وانما الفايدة في بيان ترتبه على ارادتها حسبما ذكر وايضا
في ترتيب التالي على ارادة المقدم ما ليس في ترتيبه على نفسه من المبالغة وتهويل الامر والدلالة على ان الامور
منوطة بارادته تعالى المبنية على الحكم البالغة فنذر الذين لا يرجون لقاءنا بنون العظمة الدالة على التشديد
في الوعيد وهو عطف على مقدر تنبئ عنه الشرطية كانه قيل لكن لا نفعل ذلك لما يقتضيه الحكم فنتركهم امهالا
واستدراجا في طغيانهم الذي هو عدم رجاء اللقاء وانكار البعث والجزاء وما يتفرع على ذلك من اعمالهم السيئة
ومقالاتهم الشنيعة يعمهون اي يترددون ويتحيرون ففي وضع الموصول موضع الضمير نوع بيان للطغيان
بما في حيز الصلة واشعار بعليته للترك والاستدراج واذا مس الانسان الضر اي جنس الضر من مرض وفقر
وغيرهما من الشدايد اصابة يسيرة دعانا لكشفه وازالته لجنبه حال من فاعل دعا بشهادة ما عطف
عليه من الحالين واللام بمعنى على كما في قوله تعالى يخرون للاذقان اي دعانا كاينا على جنبه مضطجعا قاعدا او قايما

اي في جميع الاحوال بما ذكر وما لم يذكر وتخصيص المعدودات بالذكر لعدم خلو الانسان عنها عادة او دعانا في
جميع احوال مرضه على انه المراد بالضر خاصة مضطجعا عاجزا عن القعود وقاعدا غير قادر على النهوض وقايما
لا يستطيع الحراك فلما كشفنا عنه ضره الذي مسه عنا دعانا حسبما يبني عنه الفاء مر اي مضى واستمر
على طريقته التي كان ينتحيها قبل مساس الضر ونسي حالة الجهد والبلاء وعز على موقف الضراعة والابتهال
وناي بجانبه كان لم يدعنا اي كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان كما في قوله كان لم يكن بين الحجون الى
الصفا • والجملة التشبيهية في محل النصب على الحالية من فاعل مر اي مر مشبها بمن لم يدعنا الى ضر اي الى كشف
ضر مسه وهذا وصف للجنس باعتبار حال بعض افراده ممن هو متصف بهذه الصفات كذلك نصب على
المصدرية وذلك اشارة الى مصدر الفعل الاتي وما فيه من معنى البعد للتفخيم والكاف مقحمة للدلالة على
زيادة فخامة المشار اليه اقحاما لا يكاد يترك في لغة العرب ولا في غيرها • ومن ذلك قولهم • مثلك لا يبخل مكان
انت لا تبخل • اي مثل ذلك التزيين العجيب زين للمسرفين • اي للموصوفين بما ذكر من الصفات الذميمة واسرافهم
لما ان الله تعالى انما اعطاهم القوى والمشاعر ليصرفوها الى مصارفها ويستعملوها فيما خلقت له من العلوم والاعمال
الصالحة فلما صرفوها الى ما لا ينبغي وهي راس مالهم فقد اتلفوها واسرفوا اسرافا ظاهرا والتزيين اما من جهة الله
سبحانه على طريقة التخلية والخذلان • او من الشيطان بالوسوسة والتسويل ما كانوا يعملون • من الاعراض عن
الذكر والدعاء والانهماك في الشهوات وتعلق الاية الكريمة بما قبلها من حيث ان في كل منهما املاء للكفرة على طريقة
الاستدراج بعد الانقاذ من الشر المقدر في الاولى • ومن الضر المقرر في الاخرى ولقد اهلكنا القرون اي القرون
الخالية مثل قوم نوح وعاد واضرابهم ومن قوله تعالى من قبلكم متعلقة باهلكنا اي اهلكناهم من قبل زمانكم
والخطاب لاهل مكة على طريقة الالتفات للمبالغة في تشديد التهديد بعد تاييده بالتوكيد القسمي
لما ظلموا ظرف للاهلاك اي اهلكناهم حين فعلوا الظلم بالتكذيب والتمادي في الغي والضلال من غير
تاخير وجاءتهم رسلهم الواو للحال من ضمير ظلموا وقوله تعالى بالبينات متعلق بجاءتهم على ان الباء للتعدية
او بمحذوف وقع حالا من رسلهم دالة على افراطهم في الظلم وتناهيهم في المكابرة اي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم
رسلهم بالايات البينة الدالة على صدقهم او ملتبسين بها حين لا مجال للتكذيب وقد جوز ان يكون للعطف
على ظلموا فلا محل للجملة عند سيبويه وعند غيره محلها الجر لانها معطوفة على ما هو مجرور باضافة الظرف اليه
وليس الظلم منحصرا في التكذيب حتى يحتاج الى الاعتذار بان الترتيب الذكري لا يجب كونه على وفق الترتيب الوقوعي
كما في قوله تعالى ورفع ابويه على العرش وخروا له الى اخره بل هو محمول على سائر انواع الظلم والتكذيب مشتق
من قوله تعالى وما كانوا ليؤمنوا على ابلغ وجه واكده فان اللام لتاكيد النفي اي وما صح وما استقام لهم ان يؤمنوا
لفساد استعدادهم وخذلان الله تعالى اياهم لعلمه ان الالطاف لا تنجع فيهم والجملة على الاول عطف على ظلموا
لانه اخبار باحداث التكذيب وهذا بالاصرار عليه وعلى الثاني عطف على ما عطف عليه وقيل اعتراض بين
الفعل وما يجري مجرى مصدره التشبيهي اعني قوله تعالى كذلك فان الجزاء المشار اليه عبارة عن مصدره اي
مثل ذلك الجزاء الفظيع اي الاهلاك الشديد الذي هو الاستيصال بالمرة نجزي القوم المجرمين • اي كل طايفة
مجرمة وفيه وعيد شديد • وتهديد اكيد • لاهل مكة لاشتراكهم لاولئك المهلكين في الجرايم والجراير
التي هي تكذيب الرسول والاصرار عليه وتقرير لمضمون ما سبق من قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر
استعجالهم بالخير وقرئ بالياء على الالتفات الى الغيبة وقد جوز ان يكون المراد بالقوم المجرمين اهل مكة
على طريقة وضع الظاهر موضع ضمير الخطاب ايذانا بانهم اعلام في الاجرام وياباه كل الاباء قوله عز وجل ثم جعلناكم
خلايف في الارض من بعدهم فانه صريح في انه ابتداء تعرض لامورهم وان ما بين فيه انما هو مبادي احوالهم
لاختبار كيفيات اعمالهم على وجه يشعر باستمالتهم نحو الايمان والطاعة فمحال ان يكون ذلك اثر بيان منتهى

امرهم وخطابهم ببت القول باهلاكهم لكمال اجرامهم والمعنى ثم استخلفناكم في الارض بعد اهلاك اولئك
القرون التي تسمعون اخبارها وتشاهدون اثارها استخلاف من يختبر لننظر اي لنعامل معاملة من
ينظر كيف تعملون • وهي استعارة بمشيئته وكيف منصوب على المصدرية بتعملون لا بننظر فان ما فيه من
معنى الاستفهام مانع من تقدم عامله عليه اي اي عمل او على الحالية اي على اي حالة تعملون الاعمال اللائقة
بالاستخلاف من اوصاف الحسن كقوله عز وعلا ليبلوكم ايكم احسن عملا ففيه اشعار بان المراد بالذات
والمقصود الاصلي من الاستخلاف انما هو ظهور الكيفيات الحسنة للاعمال الصالحة واما الاعمال السيئة
فبمعزل من ان تصدر عنهم لا سيما بعد ما سمعوا اخبار القرون المهلكة وشاهدوا اثار بعضها فضلا عن
ان ينتظم ظهورها في سلك العلة الغائية للاستخلاف وقيل منصوب على انه مفعول به اي اي عمل
تعملون اخيرا ام شرا فنعاملكم بحسبه فلا يكون في كلمة كيف حينئذ دلالة على ان المعتبر في الجزاء جهات
الاعمال وكيفياتها لا ذواتها كما هو راي القايل بل تكون حينئذ مستعارة لمعنى اي شيء واذا تتلى عليهم
التفات من خطابهم الى الغيبة اعراضا عنهم وتوجيها للخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعديد
جناياتهم المضادة لما اريد منهم بالاستخلاف من تكذيب الرسول والكفر بالايات البينات وغير ذلك كدأب
من قبلهم من القرون المهلكة وصيغة المضارع للدلالة على تجدد جوابهم الاتي حسب تجدد التلاوة
اياتنا • الدالة على حقية التوحيد وبطلان الشرك والاضافة لتشريف المضاف والترغيب في الايمان و
الترغيب عن تكذيبه بينات حال كونها واضحات الدلالة على ذلك وايراد فعل التلاوة مبنيا للمفعول
مسندا الى الايات دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ببنائه للفاعل للاشعار بعدم الحاجة لتعيين التالي
وللايذان بان كلامهم في نفس المتلو دون التالي قال الذين لا يرجون لقاءنا وضع الموصول موضع الضمير
اشعارا بعلية ما في حيز الصلة للعظيمة المحكية عنهم وانهم انما اجترؤوا عليها لعدم خوفهم من عقابه تعالى
يوم اللقاء لانكارهم له ولما هو من مباديه من البعث وذمالهم بذلك اي قالوا لمن يتلوها عليهم وهو رسول
الله صلى الله عليه وسلم وانما لم يذكر ايذانا بتعينه ايت بقران غير هذا اشاروا بهذا الى القران المشتمل على تلك الايات
لا الى نفسها فقط قصدا الى اخراج الكل من البين اي ايت بكتاب اخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث
والحساب والجزاء او ما نكرهه من ذم الهتنا ومعايبها والوعيد على عبادتها او بدله • بتغيير ترتيبه بان تجعل
مكان الاية المشتملة على ذلك اية اخرى خالية عنها وانما قالوه كيدا وطمعا في المساعدة ليتوسلوا به الى
الالزام والاستهزاء به قل لهم ما يكون لي اي ما يصح وما يستقيم لي ولا يمكنني اصلا ان ابدله من تلقاء
نفسي اي من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وقري بفتح التاء وقصر الجواب ببيان امتناع ما اقترحوه
على اقتراحهم والثاني للايذان بان استحالة ما اقترحوه اولا من الظهور بحيث لا حاجة الى بيانها وان التصدي
لذلك مع كونه ضايعا ربما يعد من قبيل المجازاة مع السفهاء اذ لا يصدر مثل ذلك الاقتراح عن العقلاء ولان
ما يدل على استحالة الثاني يدل على استحالة الاول بالطريق الاولى ان اتبع اي ما اتبع في شيء مما اتى واذر
الا ما يوحى الي من غير تغيير له في شيء اصلا على معنى قصر حاله عليه الصلوة والسلام على اتباع ما يوحى اليه
لا قصر اتباعه على ما يوحى اليه كما هو المتبادر من ظاهر العبارة كانه قيل ما افعل الا اتباع ما يوحى الي وقد مر
تحقيق المقام في سورة الانعام وهو تعليل لصدر الكلام فان من شان اتباع الوحي على ما هو عليه لا يستبد بشيء
دونه قطعا وفيه جواب للنقض بنسخ بعض الايات ببعض ورد لما عرضوا به عليه الصلاة والسلام بهذا السؤال
من ان القران كلامه عليه الصلاة والسلام ولذلك قيد التبديل في الجواب بقوله من تلقاء نفسي وسماه
عصيانا عظيما مستتبعا لعصيان عظيم بقوله تعالى اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم • فانه
تعليل لمضمون ما قبله من امتناع التبديل واقتصار امره عليه الصلاة والسلام على اتباع الوحي اي اخاف ان

عصيته تعالى بتعاطي ما ليس لي من التبديل من تلقاء نفسي والاعراض عن اتباع الوحي عذاب يوم عظيم هو يوم القيمة
ويوم اللقاء لا يرجونه وفيه اشعار بانهم استوجبوه بهذا الاقتراح والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى
الى ضميره عليه الصلاة والسلام لتهويل امر العصيان وكمال نزاهته عليه الصلاة والسلام عنه وايراد اليوم بالتنوين
التفخيمي ووصفه بالعظم لتهويل ما فيه من العذاب وتفظيعه ولا مساغ لحمل مقترحهم على التبديل والاتيان
بقران اخر من جهة الوحي بقرينة قوله تعالى ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي بانه لا يتسهل لي ان ابدله بالاستدعاء من
جهة الوحي ما اتبع الا ما يوحى الي من غير صنع ما من الاستدعاء وغيره من قبلي لانه يرده التعليل المذكور لكن لا لان
المقترح حينئذ ليس فيه معصية اصلا كما توهم فان استدعاء تبديل الايات النازلة حسبما تقتضيه الحكمة
التشريعية بعضها ببعض لا سيما بموجب اقتراح الكفرة مما لا ريب في كونه معصية بل لانه ليس فيه معصية
الافتراء مع انها المقصودة بما ذكر في التعليل الا ترى الى ما بعده من الايتين الكريمتين فانه صريح في ان مقترحهم
الاتيان بغير القران وتبديله بطريق الافتراء وان زعمهم في الاصل ايضا كذلك وقوله تعالى **قل لو شاء الله ما تلوته عليكم**
تحقيق لحقية القران وكونه من عند الله تعالى اثر بيان بطلان ما اقترحوا الاتيان به واستحالته عبارة ودلالة
وانما صدر بالامر المستقل مع كونه داخلا تحت الامر السابق اظهارا لكمال الاعتناء بشانه وايذانا باستقلاله
مفهوما واسلوبا فانه برهان دال على كونه بامر الله تعالى ومشيئته كما سياتي وما سبق مجرد اخبار باستحالة ما
اقترحوه ومفعول شاء محذوف ينبئ عنه الجزاء اي غير ذلك كما قيل فان مفعول المشيئة انما يحذف اذا وقعت شرطا
وكان مفعولها مضمون الجزاء ولم يكن في تعلقها به غرابة كما في قوله • ولو شئت ان ابكي دما لبكيته • حيث لم يحذف
لفقدان الشرط الاخير ولان المستلزم للجزاء اعني عدم تلاوته عليه الصلاة والسلام للقران عليهم انما هو مشيئته
تعالى له لا لمشيئته لغير القران والمعنى ان الامر كله منوط بمشيئته تعالى وليس لي منه شيء قط ولو شاء عدم تلاوتي له
عليكم لا بان شاء عدم تلاوتي له من تلقاء نفسي بل بان لم ينزله علي ولم يامرني بتلاوته كما ينبئ عنه ايثار التلاوة على
القراءة ما تلوته عليكم **ولا ادراكم به** اي ولا اعلمكم به بواسطتي والتالي وهو عدم التلاوة والادراء منتف فينتفي
المقدم اعني مشيئة عدم التلاوة ولا يخفى انها مستلزمة لعدم مشيئة التلاوة قطعا فانتفاؤها مستلزم لانتفا
حتما وانتفاء عدم مشيئة التلاوة انما يكون بتحقق مشيئة التلاوة فثبت ان تلاوته عليه الصلاة والسلام للقران
بمشيئته تعالى وامره وانما قيدنا الادراء بكونه بواسطته عليه الصلاة والسلام لان عدم الاعلام مطلقا ليس من لوازم
الشرط الذي هو مشيئة عدم تلاوته عليه السلام الجواز اعلامه بواسطة غيره عليه الصلاة والسلام فلا يجوز نظمه
في سلك الجزاء وفي اسناد عدم الادراء اليه تعالى المنبئ عن استناد الادراء اليه تعالى ايذان بان لا دخل له عليه
في ذلك حسبما يقتضيه المقام **وقرئ** ولا ادراكم بالهمزة فيهما على لغة من يقول اعطات وارضات في
اعطيت وارضيت او على انه من الدرء بمعنى الدفع اي ولا جعلتكم بتلاوته عليكم خصماء تدرؤونني بالجدال ه
وقرئ ولا انذرتكم به **وقرئ** لادراكم بلام الجواب اي ولو شاء الله ما تلوته عليكم انا ولاعلمكم به على لسان
غيري على معنى انه الحق الذي لا محيص عنه لو لم ارسل به انا لارسل به غيري البتة او على معنى انه تعالى يمن على من يشاء
تخصيصي بهذه الكرامة **فقد لبثت فيكم عمرا** تعليل للملازمة المستلزمة لكون تلاوته بمشيئة الله تعالى وامره
حسبما بين انفا لكن لا بطريق الاستدلال عليها بعدم تلاوته عليه الصلاة والسلام فيما سبق بسبب عدم مشيئة الله تعالى
اياه بل بطريق الاستشهاد عليها بما شاهدوه منه عليه الصلاة والسلام في تلك المدة الطويلة من الامور الدالة
على استحالة كون التلاوة من جهته عليه الصلاة والسلام بلا نصب وعمرا نصب على التشبيه بظرف الزمان و
المعنى قد اقمت فيما بينكم دهرا طويلا مديدا مقدار اربعين سنة تحفظون تفاصيل احوالي طرا وتحيطون
بما لدي خبرا **من قبله** اي من قبل نزول القران لا اتعاطى شيئا مما يتعلق به لا من حيث نظمه المعجز ولا من حيث
معناه الكاشف عن اسرار الحقائق واحكام الشرائع **افلا تعقلون** اي الا تلاحظون ذلك فلا تعقلون امتناع

صدون عن مثلي ووجوب كونه منزلا من عند الله العزيز الحكيم فانه غير خاف على من له عقل سليم والحق الذي لا محيد
عنه ان من له ادنى مسكة من العقل اذا تامل في امره صلى الله عليه وسلم وانه نشا فيما بينهم هذا الدهر الطويل
من غير مصاحبة العلماء في شان من الشؤن • ولا مراجعة اليهم في فن من الفنون • ولا مخالطة البلغاء في المفاوضة
والحوار • ولا خوض معهم في انشاء الخطب والاشعار • ثم اتى بكتاب بهرت فصاحته كل فصيح فايق • وبدت بلاغته
كل بليغ رايق • علا نظمه كل منثور ومنظوم • وحوى فحواه بدايع اصناف العلوم • كاشف عن اسرار الغيب وراء
استار الكمون • ناطق باخبار ما كان وما سيكون • مصدق لما بين يديه من الكتب المنزلة • مهيمن عليها في احكامها المجملة
والمفصلة • لا يبقى عنده شائبة اشتباه • في انه وحي منزل من عند الله • هذا الذي اتفقت عليه كلمة الجمهور • و
لكن الانسب بينا الجواب فيما سلف على مجرد امتناع صدور التغيير والتبديل عنه عليه الصلوة والسلام لكونه معصية
موجبة للعذاب العظيم • واقتصار حاله عليه الصلاة والسلام على اتباع الوحي وامتناع الاستبداد بالراي من غير
تعرض هناك ولا ههنا لكون القران في نفسه امرا خارجا عن طوق البشر ولا لكونه عليه الصلاة والسلام غير قادر
على الاتيان بمثله ان يستشهد ههنا على المطلب بما يلايم ذلك من احواله المستمرة في تلك المدة المتطاولة
من كمال نزاهته عليه الصلوة والسلام عما يوهم شائبة الكذب والافتراء عنه في حق احد كائنا من كان كما ينبئ عنه
تعقيبه بتعظيم المفتري على الله تعالى والمعنى قد لبثت فيما بين ظهرانيكم قبل الوحي لا اتعرض لاحد قط بتحكم ولا جدال
ولا احوم حول مقال فيه شائبة شبهة فضلا عما فيه كذب او افتراء الا تلاحظونه فلا تعقلون ان من هذا شانه
المطرد في هذا العهد البعيد مستحيل ان يفتري على الله عز وجل ويتحكم على كافة الخلق بالاوامر والنواهي الموجبة
لسلب الاموال وسفك الدماء ونحو ذلك وان ما اتى به وحي مبين • تنزيل من رب العالمين • وقوله عز وجل **فمن
اظلم ممن افترى على الله كذبا** استفهام انكاري معناه الجحد اي لا احد اظلم منه على معنى انه اظلم من كل ظالم وان كان
سبك التركيب مفيدا لانكار ان يكون احد اظلم منه من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها فانه اذا قيل من افضل
من فلان او لا اعلم منه يفهم منه حتما انه افضل من كل فاضل واعلم من كل عالم وزيادة قوله تعالى كذبا مع ان الافتراء لا
يكون الا كذلك للايذان بان ما اضافوا اليه ضمنا وحملوه عليه الصلاة والسلام عليه صريحا مع كونه افتراء على الله
تعالى كذب في نفسه فرب افتراء يكون كذبه في الاسناد فقط كما اذا اسند ذنب زيد الى عمرو وهذا للمبالغة منه عليه
الصلاة والسلام في التفادي مما ذكر من الافتراء على الله تعالى **او كذب باياته** فكفر بها وهذا تظليم للمشركين
بتكذيبهم للقران وحملهم على انه من جهته عليه الصلاة والسلام والفاء لترتيب الكلام على ما سبق من بيان كون
كون القران بمشيئته تعالى وامره فلا محال لحمل الافتراء على الافتراء باتخاذ الولد والشريك اي واذا كان الامر كذلك
فمن افترى عليه بان يختلق كلاما فيقول هذا من عند الله او يبدل بعض اياته ببعض كما تجوزون ذلك في شاني وكذلك
من كذب باياته تعالى كما تفعلونه اظلم من كل ظالم **انه** الضمير للشان وقع اسما لان والخبر ما يعقبه من الجملة
ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره وفايدة تصديرها به للايذان بفخامة مضمونها مع ما
فيه من زيادة تقريره في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا
لما يعقبه فيتمكن عند وروده عليه فضل تمكن فكانه قيل ان الشان هذا اي **لا يفلح المجرمون** اي لا ينجون
من محذور ولا يظفرون بمطلوب والمراد جنس المجرمين فيندرج فيه المفتري والمكذب اندراجا اوليا
ويعبدون من دون الله حكاية لجناية اخرى لهم نشات عنها جناياتهم الاولى معطوفة على قوله تعالى واذا تتلى عليهم
الاية عطف قصة على قصة من دون متعلق بيعبدون ومحله النصب على الحالية من فاعله اي متجاوزين الله
سبحانه لا بمعنى ترك عبادته بالكلية بل بمعنى عدم الاكتفاء بها وجعلها قرينا لعبادة الاصنام كما يفصح عنه سياق
النظم الكريم **ما لا يضرهم ولا ينفعهم** اي ما ليس من شانه الضر والنفع من الاصنام التي هي جمادات وما موصولة
او موصوفة وتقديم نفي الضر لان ادنى احكام العبادة دفع الضر الذي هو اول المنافع والعبادة امر حادث مسبوق

والالغاز • صدور

بالعدم الذي هو مظنة الضرر فحيث لم يقدر الاصنام على الضر ولم يوجد لاحداث العبادة سبب وقيل
لا يضرهم ان تركوا عبادتها ولا ينفعهم ان عبدوها كان اهل الطايف يعبدون اللات واهل مكة عزى ومناة وهبل واسافا
ونايلة ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله عن النضر بن الحارث اذا كان يوم القيمة يشفع لي اللات قيل انهم كانوا يعتقدون
انه المتولي لكل اقليم روح معين من روح الافلاك فعينوا لذلك الروح صنما معينا من الاصنام واشتغلوا بعبادته
ومقصودهم ذلك الروح يكون عند الاله الاعظم مشتغلا بعبوديته وقيل انهم كانوا يعبدون الكواكب فوضعوا
لها اصناما معينة واشتغلوا بعبادتها قصدا الى عبادة الكواكب وقيل انهم وضعوا طلسمات معينة في تلك
الاصنام ثم تقربوا اليها وقيل انهم وضعوا الاصنام على صور انبيائهم واكابرهم وزعموا انهم متى اشتغلوا بعبادة
هذه التماثيل فان اولئك الاكابر يشفعون لهم عند الله قل تبكيتا لهم اتنبئون الله بما لا يعلم اتخبرونه بما لا وجود له
اصلا وهو كون اصنام شفعاؤهم عند الله تعالى اذ لو لاه لعلمه علام الغيوب وفيه تقريع لهم وتهكم بهم وبما يدعونه
من المحال الذي لا يكاد يدخل تحت الصحة والامكان وقرى اتنبئونه بالتخفيف وقوله تعالى في السموات ولا في
الارض حال من العايد المحذوف في يعلمه موكدة للنفي لان ما لا يوجد فيهما فهو منتف عادة سبحانه وتعالى عما يشركون
عن اشراكهم المستلزم لتلك المقالة الباطلة او عن شركائهم الذين يعتقدونهم شفعاؤهم عند الله تعالى وقرى
تشركون بتاء الخطاب على انه من جملة القول المامور به وعلى الاول هو اعتراض تذييلي من جهته سبحانه وتعالى وما كان
الناس الا امة واحدة بيان لان التوحيد والاسلام ملة قديمة اجتمعت عليها الامم قاطبة فطرة وتشريعا وان
الشرك وفروعه جهالات ابتدعها الغواة خلافا للجمهور وشقا لعصا الجماعة واما حمل اتحادهم على الاتفاق على
الضلال عند الفترة واختلافهم على ما كان منهم من الاتباع والاصرار فمما لا احتمال له اي وما كان الناس كافة من
اول الامر الا متفقين على الحق والتوحيد من غير اختلاف وذلك من عهد آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل
وقيل الى زمن ادريس عليه السلام وقيل الى زمن نوح عليه السلام وقيل من حين الطوفان حين لم
يدع الله من الكافرين ديارا الى ان ظهر بينهم الكفر وقيل من لدن ابرهيم عليه السلام الى ان ظهر عمرو بن لحي
عبادة الاصنام فالمراد بالناس العرب خاصة وهو الانسب بايراد الاية الكريمة اثر حكاية ما حكي عنه من الهنات
وتنزيه ساحة الكبرياء عن ذلك فاختلفوا بان كفر بعضهم وثبت آخرون على ما هم عليه فخالف كل من الفريقين
الاخر لان كلا منهما احدث ملة على حدة من ملل الكفر مخالفة لملة الاخر فان الكلام ليس في ذلك الاختلاف اذ كل منهما
مبطل حينئذ فلا يتصور ان يقضي بينهما بابقاء المحق واهلاك المبطل والفاء التعقيبية لا تنافي امتداد الزمان
الاتفاق اذ المراد بيان وقوع الاختلاف عقيب انصرام مدة الاتفاق لا عقيب حدوث الاتفاق ولولا كلمة
سبقت من ربك بتاخير القضاء بينهم او بتاخير العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيمة فانه يوم الفصل لقضي
بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون. بتمييز الحق عن الباطل بابقاء المحق واهلاك المبطل وصيغة الاستقبال
لحكاية الحال الماضية والدلالة على الاستمرار ويقولون حكاية لجناية اخرى لهم معطوفة على قوله تعالى ويعبدون
وصيغة المضارع لاستحضار صورة مقالتهم الشنعاء وللدلالة على الاستمرار والقايلون اهل مكة لولا انزل
عليه اية من ربه ارادوا اية من الايات التي اقترحوها كانهم لفرط العتو والفساد ونهاية التمادي في المكابرة والعناد
لم يعدوا البينات النازلة عليه عليه الصلاة والسلام من جنس الايات واقترحوا غيرها مع انه قد انزل عليه
من الايات الباهرة والمعجزات المتكاثرة ما يضطرهم الى الانقياد والقبول لو كانوا من ارباب العقول فقل لهم
في الجواب انما الغيب لله اللام للاختصاص العلمي دون التكويني فان الغيب والشهادة في ذلك للاختصاص
سيان والمعنى انما اقترحتموه وزعمتم انه من لوازم النبوة وعلقتم ايمانكم بنزوله من الغيوب المختصة بالله تعالى
لا وقوف لي عليه فانتظروا نزوله اني معكم من المنتظرين اي لما يفعل الله بكم لاجترائكم على مثل هذه العظيمة من
جحود الايات واقتراح غيرها وجعل الغيب عبارة عن الصارف عن انزال الايات المقترحة يأباه ترتيب الامر

بالانتظار

بالانتظار على اختصاص الغيب به تعالى واذا اذقنا الناس رحمة صحة وسعة من بعد ضراء مستهم اي خالطتهم
حتى احسوا بسوء اثرها فيهم واسناد المساس الى الضراء بعد اسناد الاذاقة الى ضمير الجلالة من الاداب
القرانية كما في قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظايره قيل سلط الله تعالى على اهل مكة القحط سبع
سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فطفقوا يطعنون في اياته تعالى ويعادون رسول الله صلى الله عليه
وسلم ويكيدونه وذلك قوله تعالى اذا لهم مكر في اياتنا اي بالطعن فيها وعدم الاعتداد بها والاحتيال في
دفعها واذا الاولى شرطية والثانية جوابها كانه قيل فاجؤوا وقوع المكر منهم وتنكير مكر للتفخيم وفي متعلقة بالاستقرار
الذي يتعلق به اللام قل الله اسرع مكرا اي اعجل عقوبة اي عذابه اسرع وصولا اليكم مما ياتي منكم في دفع الحق
وتسمية العقوبة بالمكر لوقوعها في مقابلة مكرهم وجودا او ذكرا ان رسلنا الذين يحفظون اعمالكم والاضافة
للتشريف يكتبون ما تمكرون اي مكركم او ما تمكرونه وهو تحقيق للانتقام منهم وتنبيه على ان ما دبروا في
اخفائه غير خاف على الحفظة فضلا عن العليم الخبير وصيغة الاستقبال في الفعلين للدلالة على الاستمرار
التجددي والجملة تعليل من جهته تعالى لاسرعية مكره سبحانه وتعالى غير داخل في الكلام الملقن كقوله تعالى
ولو جئنا بمثله مددا فان كتابة الرسل ما يمكرون من مبادي بطلان مكرهم وتخلف اثره عنه بالكلية وفيه
من المبالغة ما لا يوصف وتلوين الخطاب بصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم للتشديد في التوبيخ
وقرى على لفظ الغيبة فيكون حينئذ تعليلا لما ذكر او للامر هو الذي يسيركم كلام مستانف مسوق
لبيان جناية اخرى لهم مبنية على ما مر آنفا من اختلاف حالهم حسب اختلاف ما يعتريهم من السراء والضراء
اي يمكنكم من السير تمكينا مستمرا عند الملابسة به وقبلها في البر مشاة وركبانا وقرى ينشركم من النشر
ومنه قوله تعالى بشرا تنتشرون والبحر اذا كنتم في الفلك اي السفن فانه جمع فلك على زنة اسد جمع
اسد لا على وزن قفل وغاية السير ليست ابتداء ركوبهم فيها بل مضمون الشرطية بتمامه كما ينبئ عنه ايثار
الكون المؤذن بالدوام على الركوب المشعر بالحدوث وجرين اي السفن بهم بالذين فيها والالتفات الى الغيبة
للايذان بما لهم من سوء الحال الموجب للاعراض عنهم كانه يذكر لغيرهم مساوي احوالهم ليتعجبهم منها ويستدعي
منه الانكار والتقبيح وقيل ليس فيه التفات بل معنى قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك اذا كان بعضكم فيها
اذ الخطاب للكل ومنهم المسيرون في البر فالضمير الغايب عايد الى ذلك المضاف المقدر كما في قوله تعالى او
كظلمات في بحر لجي يغشاه اي او كذي ظلمات يغشاه موج بريح طيبة لينة الهبوب موافقة لمقصدهم
وفرحوا بها بتلك الريح لطيبها وموافقتها جاءتها جواب اذا والضمير المنصوب للريح الطيبة اي تلقتها
ما سولت عليها من طرف مخالف لها فان الهبوب على وفقها لا تسمى مجيئا لريح اخرى عادة بل هو اشتداد
للريح الاولى وقيل للفلك والاول بالنسبة الى الفلك والاول اظهر لاستلزامه للثاني من غير عكس
لان الهبوب على طريقة الريح اللينة يعد مجيئا بالنسبة الى الفلك دون الريح اللينة مع انه لا يستتبع تلاطم
الامواج الموجب لمجيئها من كل مكان ولان التهويل في بيان استيلائها على ما فرحوا وعلقوا به حبال رجائهم
اكثر ريح عاصف اي ذات عصف وقيل العصوف مختص بالريح فلا حاجة الى الفارق وقيل
الريح قد يذكر وجاءهم الموج في الفلك من كل مكان اي من امكنة مجيء الموج عادة ولا بعد في مجيئه من
جميع الجوانب ايضا اذ لا يجب ان يكون مجيئه من جهة هبوب الريح فقط بل قد يكون من غيرها بحسب
اسباب تتفق وظنوا انهم احيط بهم اي هلكوا فان ذلك مثل في الهلاك واصله احاطة العدو بالحي
واستدت عليهم مسالك الخلاص دعوا الله بدل من ظنوا بدل اشتمال لما بينهما من الملابسة والتلازم
او استيناف مبني على سوال ينساق اليه الاذهان كانه قيل فماذا صنعوا فقيل دعوا الله مخلصين له الدين
من غير ان يشركوا به شيئا من الهتهم لا مخصصين للدعاء به تعالى فقط بل للعبادة ايضا فانهم بمجرد تخصيص الدعاء

تعالى لا يكونون مخلصين له الدين لئن انجيتنا اللام موطئة للقسم على ارادة القول اي قايلين والله لئن
انجيتنا من هذه الورطة لنكونن البتة بعد ذلك ابدا من الشاكرين لنعمك التي من جملتها هذه النعمة المسؤلة
وقيل الجملة مفعول دعوا لان الدعاء من قبيل القول والاول هو الاولى لاستدعاء الثاني لاقتصار
دعائهم على ذلك فقط وفي قوله لنكونن من الشاكرين من المبالغة في الدلالة على كونهم ثابتين في الشكر مثابرين
عليه منتظمين في سلك المنعوتين بالشكر الراسخين فيه ما ليس في ان يقال لنشكرن فلما انجاهم مما
غشيهم من الكربة والفاء للدلالة على سرعة الاجابة اذا هم يبغون في الارض اي فاجؤا الفساد فيها وسارعوا
اليه مترامين في ذلك متجاوزين عما كانوا عليه من حدود الغيب من قولهم بغى الجرح اذا ترامى الى الفساد وزيادة
في الارض للدلالة على شمول بغيهم لاقطارها وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقوله تعالى بغير
الحق تاكيد لما يفيده البغي او معناه انه بغير الحق عندهم ايضا بان يكون ذلك ظاهرا لا يخفى قبحه على احد
كما في قوله تعالى ويقتلون النبيين بغير الحق واما ما قيل انه للاحتراز عن البغي بحق كتخريب الغزاة ديار الكفرة
وقطع اشجارهم واحراق زروعهم ولا يساعده النظم الكريم لابتنائه على كون البغي بمعنى الفساد صورة الشيء
وابطال منفعته دون ما ذكر من المعنى اللايق بحال المفسدين يا ايها الناس توجيه الخطاب الى اولئك الباغين
للتشديد في التهديد والمبالغة في الوعيد انما بغيكم الذي تتعاطونه وهو مبتدأ وقوله تعالى
على انفسكم خبره اي عليكم في الحقيقة لا على الذين تبغون عليهم وان ظن كذلك وقوله تعالى متاع الحيوة الدنيا
بيان لكون ما فيه من المنفعة العاجلة شيئا غير معتد به سريع الزوال دايم الوبال وهو نصب على انه مصدر
مؤكد لفعل مقدر بطريق الاستيناف اي تتمتعون بالحيوة الدنيا والعامل هو الاستقرار الذي في الخبر
لا نفس البغي فانه يؤدي الى الفصل بين المصدر ومعموله بالخبر ولا يخبر عن الموصول الا بعد تمام صلته وان اجيب
بانه ليس في تقييد كون بغيهم بحال تمتعهم بالحيوة الدنيا معنى يعتد به على انه ظرف زمان نحو مقدم الحاج
اي زمن متاع الحيوة الدنيا وفيه ما مر بعينه وقيل على انه مفعول لفعل دل عليه المصدر اي تبغون
متاع الحيوة الدنيا ولا يخفى انه لا يدل على البغي بمعنى الطلب وجعل المصدر ايضا بمعناه مما يخل بجزالة النظم
الكريم لان الاستيناف لبيان سوء عاقبة ما حكي عنهم من البغي المفسر بالافساد المفرط اللايق بحالهم فاي مناسبة
بينه وبين البغي بمعنى الطلب وجعل الاول ايضا بمعناه مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عنه وقيل انه على
مفعول له اي لاجل متاع الحيوة الدنيا والعامل ما ذكر من الاستقرار وفيه ان المعلل بما ذكر نفس البغي لا
كونه على انفسهم وقيل العامل فيه فعل مدلول عليه بالمصدر اي تبغون لاجل متاع الحيوة الدنيا على
ان الجملة مستانفة وقيل على انه مفعول صريح للمصدر وعلى انفسكم ظرف لبغيكم متعلق به والمراد
بالانفس الجنس والخبر محذوف لطول الكلام والتقدير انما بغيكم على ابناء جنسكم متاع الحيوة الدنيا محذور
وظاهر الفساد ونحو ذلك وفيه ما مر من ابتنائه على ما لا يليق بالمقام من كون البغي بمعنى الطلب نعم لو جعل
نصبه على العلة اي انما بغيكم على ابناء جنسكم لاجل متاع الحيوة الدنيا محذور كما اختاره بعضهم لكان له وجه
في الجملة لكن الحق الذي يقتضيه جزالة التنزيل انما هو الاول وقرئ متاع بالرفع على انه الخبر والظرف
صلة للمصدر او خبر ثان او خبر لمبتدأ محذوف اي هو متاع الحيوة الدنيا كما في قوله عز وجل الا ساعة من نهار
بلاغ اي هذا بلاغ فالمراد بانفسهم على الوجه الاول ابناء جنسهم وانما عبر عنهم بذلك هذا لشفقتهم عليهم
وحثا لهم على ترك ايثار التمتع المذكور على حقوقهم ولا مجال للحمل على الحقيقة لان كون بغيهم وبالا عليهم ليس بثابت
عندهم حسبما يقتضيه ما حكي عنهم ولم يخبر به بعد حتى يجعل من تتمة الكلام ويجعل كونه متاعا مقصود
الافادة على ان عنوان كونه وبالا عليهم قادح في كونه متاعا فضلا عن كونه من مبادي ثبوته للمبتدأ كما هو المتبادر
من السوق واما كون البغي عن ابناء الجنس فمعلوم الثبوت عندهم ومتضمن لمبادي التمتع من اخذ المال

والاستيلاء على الناس وغير ذلك واما على الوجهين الاخيرين فلا موجب للعدول عن الحقيقة فان المبتدأ اما
نفس البغي والضمير العايد اليه من حيث هو لا من حيث كونه وبالا عليهم كما في صورة كون الظرف صلة للمصدر فتدبر
وقرئ متاعا الحيوة الدنيا ام نصب متاعا فعلى ما مر واما نصب الحيوة فعلى انه بدل من متاعا بدل اشتمال وقيل
على انه مفعول به لمتاعا اذ لم يكن انتصابه على المصدرية لان المصدر المؤكد لا يعمل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لا تمكر ولا تعن ماكرا ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلوها وقال محمد بن كعب ثلاث من كن
فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال تعالى انما بغيكم على انفسكم وما يمكرون الا بانفسهم فمن نكث فانما ينكث
على نفسه وعنه صلى الله عليه وسلم اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة وروي
ثنتان يعجلهما الله تعالى في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضي الله عنهما لو بغى جبل على جبل لدك الباغي
ثم الينا مرجعكم عطف على ما مر من الجملة المستانفة المقدرة كانه قيل تتمتعون متاع الحيوة الدنيا ثم ترجعون الينا
وانما غير السبك الى الجملة الاسمية مع تقديم الجار والمجرور للدلالة على الثبات والقصر فننبئكم بما كنتم تعملون
في الدنيا على الاستمرار من البغي وهو وعيد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده ساخبرك بما فعلت وفيه نكتة خفية
مبنية على حكمة الله تعالى وهي ان كل ما يظهر في هذه النشاة من الاعيان والاعراض فانما يظهر بصورة مغايرة لصورته
الحقيقية التي بها يظهر في النشاة الاخرة فان المعاصي مثلا سموم قاتلة قد برزت في الدنيا بصور تستحسنها نفوس
العصاة وكذا الطاعات مع كونها احسن الاحاسن قد ظهرت عندهم بصور مكروهة ولذلك قال عليه الصلوة
والسلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فالبغي في هذه النشاة وان برز بصورة تشتهيها البغاة
وتستحسنها الغواة لتمتعهم به من حيث اخذ المال والتشفي من الاعداء ونحو ذلك لكن ذلك ليس بتمتع في الحقيقة
بل هو تضرر من حيث لا يحتسب وانما يظهر لهم ذلك عند ابراز ما كانوا يعملونه من البغي بصورته الحقيقية المضادة لما
كانوا يشاهدونه على ذلك من الصورة وهو المراد بالتنبئة المذكورة والله سبحانه اعلم انما مثل الحيوة الدنيا
كلام مستانف سيق لبيان شان الحيوة الدنيا وقصر مدة التمتع بها وقرب زمان الرجوع الموعود وقد شبه
حالها العجيبة الشان البديعة المثال المنتظمة لغرابتها في سلك الامثال في سرعة تقضيها وانصرام نعيمها
غب اقبالها واغترار الناس بها بحال ما على الارض من انواع النبات في زوال رونقها ونضارتها فجاءة وذهابها
حطاما لم يبق لها اثر اصلا بعد ما كانت غضة طرية قد التف بعضها ببعض وزينت الارض بالوانها وتفوت
بعد ضعفها بحيث طمع الناس وظنوا انها سلمت من الجوايح وليس المشبه به ما دخله الكاف في قوله عز وجل
كما انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض بل ما يفهم من الكلام فانه من التشبيه المركب مما ياكل الناس والانعام
من البقول والزروع والحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها جعلت الارض في تزينها بما عليها من اصناف
النباتات واشكالها والوانها المختلفة المونقة اخذة زخرفها على طريقة التمثيل بالعروس التي قد اخذت من
الوان الثياب والزين فتزينت بها وازينت اصله تزينت فادغم وقرئ على الاصل وقرئ وازينت
كاغتلت من غير اعلال والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون
من حصدها ودفع غلتها اتاها امرنا جواب اذا اي ضرب زرعها بالجائحة من الافات والعاهات ليلا
او نهارا فجعلناها اي زرعها وساير ما عليها حصيدا اي شبيها بما حصد من اصله كان لم تغن كانه
لم يغن زرعها والمضاف محذوف للمبالغة وقرئ بتذكير الفعل بالامس اي فيما قبل بزمان قريب فان الامس
مثل في ذلك كذلك التفصيل البديع نفصل الايات اي الايات القرانية التي من جملتها هذه الايات المنبهة على احوال
الحيوة الدنيا اي نوضحها ونبينها لقوم يتفكرون في تضاعيفها ويقفون على معانيها وتخصيص تفصيلها
بهم لانهم المنتفعون بها ويجوز ان يراد بالايات ما ذكر في اثناء التمثيل من الكاينات والفاسدات وبتفصيلها تصريفها
على الترتيب المحكي ايجادا واعداما فانها ايات وعلامات يستدل بها من يتفكر فيها على احوال الحيوة الدنيا حالا ومالا والله يدعو

كانه قبل لم تغن انفا كذلك اي مثل ذلك صح

الى دار السلام ترغيب للناس في الحيوة الاخروية الباقية اثر ترغيبهم عن الحيوة الدنيوية الفانية اي يدعوا الناس
جميعا الى دار السلام من كل مكروه وآفة وهي الجنة وانما ذكرت بهذا الاسم لذكر الدنيا بما يقابله من كونها معرضا للآفات
او الى دار الله تعالى تخصيص الاضافة التشريفية بهذا الاسم الكريم للتنبيه على ذلك او الى دار سلم الله تعالى او الملئكة
فيها على من يدخلها او سلم بعضهم على بعض ويهدي من يشاء يهدي هدايته منهم الى صراط مستقيم موصل اليها وهو الاسلام
والتزود بالتقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشية دليل على ان الامر غير الارادة وان من اصر على الضلالة لم يرد
الله رشده للذين احسنوا اي اعمالهم اي عملوها على الوجه اللائق وهو حسنها الوضعي المستلزم لحسنها الذاتي وقد
فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك الحسنى اي المثوبة الحسنى
وزيادة اي وما يزيد على تلك المثوبة تفضلا لقوله عز سمه ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة
عشر امثالها الى سبعماية ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة
اللقا ولا يرهق وجوههم قتر اي لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة اي اثر هوان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم
ما يرهق اهل النار او لا يرهقهم ما يوجب ذلك من الحزن وسوء الحال والتنكير للتحقير اي شيء منهما والجملة مستانفة
لبيان امرهم من المكاره اثر بيان فوزهم بالمطالب والثاني وان اقتضى الاول الا انه ذكر اكتفاء بما ينقذهم الله تعالى برحمته
وتقديم المفعول على الفاعل للاهتمام ببيان ان المصون من الرهق اشرف اعضائهم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه
التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة لوروده فعند وروده عليها تتمكن عندها فضل تمكن ولان في الفاعل ضرب تفصيل
كما في قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقوله عز وجل وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين اولئك
اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بالصفات المذكورة وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم
وسمو طبقتهم اي اولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت الجميلة الفائزون بالمثوبات الناجون عن المكاره اصحاب
الجنة هم فيها خالدون بلا زوال • دايمون بلا انتقال والذين كسبوا السيئات اي الشرك والمعاصي وهو مبتدا
بتقدير المضاف خبره قوله تعالى جزاء سيئة بمثلها اي جزاء الذين كسبوا السيئات ان يجازي سيئة واحدة
بسيئة مثلها لا يزاد عليها كما يزاد في الحسنة وتغيير السبك لمراعاة ما بين الفريقين من كمال التنافي والتباين وايراد
الكسب للايذان بان ذلك انما هو لسوء صنيعهم وبسبب جناياتهم على انفسهم او الموصول معطوف على الموصول
الاول كانه قيل وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها كقولك في الدار زيد والحجرة عمرو وفيه دلالة على ان
المراد بالزيادة الفضل وترهقهم ذلة واي ذلة كما ينبئ عنه التنوين التفخيمي وفي اسناد الرهق الى انفسهم دون وجوههم
ايذان بانها محيطة بهم غاشية لهم جميعا وقرئ يرهقهم بالياء التحتانية ما لهم من الله من عاصم اي لا يعصمهم
احد من سخطه تعالى وعذابه او ما لهم غيره تعالى من يعصمهم كما يكون للمؤمنين وفي نفي العاصم من المبالغة في نفي
العصمة ما لا يخفى والجملة مستانفة او حال من ضمير ترهقهم كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل لفرط سوادها و
ظلمتها مظلما حال من الليل والعامل فيه اغشيت لانه العامل في قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور
والعامل في الموصوف عامل في الصفة او معنى الفعل في من الليل وقرئ قطعا بسكون الطاء وهو طائفة
من الليل قال • افتحي الباب وانظري في النجوم • كم علينا من قطع ليل بهيم • فيجوز كون مظلما صفة له او
حالا منه وقرئ كانما يغشي وجوههم قطع من الليل مظلم والجملة كما قبلها مستانفة او حال من ضمير ترهقهم
اولئك اي الموصوفون بما ذكر من الصفات الذميمة اصحاب النار هم فيها خالدون • وحيث كانت الاية الكريمة
في حق الكفار بشهادة السياق والسياق لم يكن فيها تمسك للوعيدية به ويوم نحشرهم كلام مستانف مسوق
لبيان بعض آخر من احوالهم الفظيعة وتاخيره في الذكر مع تقدمه في الوصف على بعض احوالهم المحكية سابقا للايذان
باستقلال كل من السابق واللاحق بالاعتبار ولو روعي الترتيب الخارجي لعد الكل شيئا واحدا كما مر في قصة
البقرة ولذلك فصل عما قبله ويوم منصوب على المفعولية بمضمر اي انذرهم او ذكرهم وضمير نحشرهم كلا

الفريقين

الفريقين الذين احسنوا والذين كسبوا السيئات لانه المتبادر من قوله تعالى جميعا ومن افراد الفريق الثاني بالذكر في
قوله تعالى ثم نقول للذين اشركوا اي نقول للمشركين من بينهم ولان توبيخهم وتهديدهم على رؤس الاشهاد افظع والاخبار
بحشر الكل في تهويل اليوم ادخل وتخصيص وصف اشراكهم بالذكر في حيز الصلة من بين سائر ما اكتسبوه من السيئات
لابتناء التوبيخ والتقريع عليه مع ما فيه من الايذان بكونه معظم جناياتهم وعمدة سيئاتهم وقيل للفريق الثاني خاصة
فيكون وضع الموصول موضع الضمير لما ذكر انفا مكانكم نصب على انه في الاصل ظرف لفعل اقيم مقامه لا على انه اسم فعل
وحركته حركة بناء كما هو راي الفارسي اي الزموا حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تاكيد للضمير المنتقل اليه من عامله لسده
مسده وشركاؤكم عطف عليه وقرئ بالنصب على ان الواو بمعنى مع فزيلنا من زلت الشيء عن مكانه ازلته اي
ازلته والتضعيف للتكثير لا للتعدية وقرئ فزايلنا بمعناه نحو كلمته وكالمته وهو معطوف على نقول وايثار
صيغة الماضي للدلالة على تحقق المورث لزيادة التوبيخ والتحسير والفاء للدلالة على وقوع التنزيل ومبادرته عقيب
الخطاب من غير مهلة ايذانا بكمال رخاوة ما بين الفريقين من العلاقة والوصلة اي ففرقنا بينهم وقطعنا اقرانهم
والوصل التي كانت بينهم في الدنيا لكن لا من الجانبين بل من جانب العبدة فقط لعدم احتمال شمول الشركاء للشياطين كما
سيجيء فخابت امالهم • وانصرمت عرى اطماعهم • وحصل لهم الياس الكلي من حصول ما كانوا يرجونه من جهتهم والحال
وان كانت معلومة لهم من حين الموت والابتلاء بالعذاب لكن هذه المرتبة من اليقين انما حصلت عند المشاهدة و
المشافهة وقيل المراد بالتنزيل التفريق الحسي اي فباعدنا بينهم بعد الجمع في الموقف وتبرؤ شركائهم منهم ومن
عبادتهم كما في قوله تعالى اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا قالوا وحينئذ في قوله تعالى وقال شركاؤهم
حالية بتقدير كلمة قد عند من يشترطها وبدونها عند غيره لا عاطفة كما في التفسير الاول لاستدعاء المحاورة المحاضرة
الفائتة بالمباعدة وليس في ترتيب التنزيل بهذا المعنى على الامر بلزوم المكان ما في ترتيبه عليه بالمعنى الاول من رونق
النكتة المذكورة لبصارة لاجل رعايتها الى تغيير الترتيب الخارجي فان المباعدة بعد المحاورة حتما واما قطع الاقران والعلا
فليس كذلك بل ابتداؤه حاصل من حين الحشر بل بعض مراتبه حاصل قبله ايضا وانما الحاصل عند المحاورة اقصاها
كما اشير اليه فلا اعتداد بما في تقديمه من التغيير لا سيما مع رعاية ما ذكر من النكتة ولو سلم تاخر جميع مراتبه من المحاورة
فمراعات تلك النكتة كافية في استدعاء تقديمه وتجوز ان تكون حالية على التقدير ايضا والمراد بالشركاء قيل هم
الملائكة وعزير والمسيح وغيرهم ممن عبدوه من اولي العلم ففيه تاييد لرجوع الضمير الى الكل وقولهم ما كنتم ايانا تعبدون
عبارة عن تبريهم من عبادتهم وانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم وشياطينهم الذين اغووهم لانها الامرة لهم بالاشراك
دونهم كقولهم سبحانك انت ولينا من دونهم الاية وقيل الاصنام ينطقها الله الذي انطق كل شيء فتشافههم
مكان الشفاعة التي كانوا يتوقعونها فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم فانه العليم الخبير ان كنا عن عبادتكم لغافلين اي عن
عبادتكم لنا وتركه للظهور وللايذان بكمال الغفلة عنها والغفلة عبارة عن عدم الارتضاء والا فعدم شعور الملائكة
بعبادتهم لهم غير ظاهر وهذا يقطع احتمال كون المراد بالشركاء الشياطين كما قيل فان ارتضاهم باشراكهم مما لا ريب
فيه وان يكونوا مجبرين لهم على ذلك وان مخففة من ان واللام فارقة هنالك اي في ذلك المقام الدهش او في
ذلك الوقت على استعارة ظرف المكان للزمان تبلو اي تختبر وتذوق كل نفس مؤمنة كانت او كافرة سعيدة
او شقية ما اسلفت من العمل وتعاينه بكنهه مستتبعا لاثاره من نفع او ضر وخير او شر واما ما علمت من حالها
من حين الموت والابتلاء بالعذاب في البرزخ فامر مجمل وقرئ نبلو بنون العظمة ونصب كل وابدال ما منه
اي نعامله معاملة من يبلوها ويتعرف احوالها من السعادة والشقاوة باختبار ما اسلفت من الشر فيكون ما
منصوب بنزع الخافض وقرئ تتلو اي تتبع لان عملها هو الذي يهديها الى طريق الجنة او الى طريق النار او
تقرا في صحيفة اعمالها ما قدمت من خير او شر وردوا الضمير للذين اشركوا على انه معطوف على زيلنا وما عطف
عليه وقوله عز وجل هنالك تبلو الى اخره اعتراض في اثناء الحكاية مقرر لمضمونها الى الله اي الى جزائه وعقابه

من العمل ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت

مولهم ربهم الحق اي المتحقق الصادق ربوبيته لاما اتخذوه باطلا وقرئ الحق بالنصب علي المدح كقولهم
الحمد لله اهل الحمد او علي المصدر المؤكد وضل عنهم وضاع اي ظهر ضياعه وضلاله لا انه كان قبل ذلك غير ضال
او ضل في اعتقادهم ايضا ما كانوا يفترون من ان الهتهم تشفع لهم او ما كانوا يدعون انها الهة هذا وجعل الضمير في
ردوا للنفوس المدلول عليها بكل نفس علي انه معطوف علي تبلوا وان العدول الي الماضي للدلالة علي التحقيق والتقرر وان
ايثار صيغة الجمع للايذان بان ردهم الي الله تعالي يكون علي طريقة الاجتماع لا يلايمه التعرض لوصف الحقيقة
في قوله تعالي مولهم الحق فانه للتعريض بالمردودين حسبما اشير اليه ولئن اكتفي فيه بالتعريض ببعضهم او حمل الحق علي
علي معني العدل في الثواب والعقاب فقوله عز وجل وضل عنهم ما كانوا يفترون مما لا مجال فيه للتدارك قطعا فان ما
فيه من الضماير الثلثة للمشركين فيلزم التفكيك حتما وتخصيص كل نفس بالنفوس المشركة مع عموم البلوي لكل ياباه
مقام تهويل المقام والله تعالي اعلم قل لاوليك المشركين الذين حكيت احوالهم ما يودي اليه اعمالهم احتجاجا علي حقية
التوحيد وبطلان ما هم عليه من الاشراك من يرزقكم من السماء والارض اي منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب
سماوية ومواد ارضية وكل واحد منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان كلمة من علي حذف المضاف اي من اهل
السماء والارض ام من يملك السمع والابصار ام منقطعة وما فيها من كلمة بل للاضراب عن الاستفهام الاول لكن علي
طريقة الابطال بل علي وجه الانتقال وصرف الكلام عنه الي استفهام كلام آخر تنبيها علي كفايته فيما هو المقصود اي
من يستطيع خلقهما وتسويتهما علي هذه الفطرة العجيبة او من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالهما من ادني
شيء يصيبهما ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي اي ومن يحيي ويميت او من ينشئ الحيوان من النطفة
والنطفة من الحيوان ومن يدبر الامر اي ومن يلي تدبير العالم جميعا وهو تعميم بعد تخصيص بعض ما اندرج تحته
من الامور الظاهرة بالذكر فسيقولون بلا تلعثم ولا تاخير الله اذ لا مجال للمكابرة لغاية وضوحه والخبر
محذوف اي الله يفعل ما ذكر من الافاعيل لا غيره فقل عند ذلك تبكيتا لهم افلا تتقون الهمزة لانكار عدم
الاتقاء بمعني انكار الواقع كما في انضرب اباك لا بمعني انكار الوقوع كما في اضرب ابي والفاء للعطف علي مقدر ينسحب
عليه النظم الكريم اي اتعلمون ذلك فلا تتقون انفسكم عذابه الذي ذكر لكم بما تتعاطونه من اشراككم به ما لا يشاركه
في شيء مما ذكر من خواص الالهية فذلكم لما تقدم اي ذلكم الذي اعترفتم باتصافه بالنعوت المذكورة وهو مبتدا وقوله
تعالي الله خبره وقوله تعالي ربكم اي مالككم ومتولي اموركم علي الاطلاق بدل منه او بيان له وقوله تعالي الحق
صفة له اي ربكم الثابت ربوبيته والمتحقق الوهيته تحققا لا ريب فيه فماذا يجوز ان يكون الكل اسما واحدا
قد غلب فيه استفهام علي اسم الاشارة وان يكون ذا موصولا بمعني الذي اي ما الذي بعد الحق اي غير بطريق الاستعارة
واظهار الحق اما لان المراد به غير الاول واما لزيادة التقرير ومراعاة كمال المقابلة بينه وبين الضلال والاستفهام
انكاري بمعني انكار الوقوع ونفيه اي ليس غير الحق الا الضلال الذي لا يختاره احد فحيث ثبت ان عبادته من
هو منعوت بما ذكر من النعوت الجميلة حق ظهر ان ما عداها من عبادة الاصنام ضلال محض اذ لا واسطة
بينهما وانما سميت ضلالا مع كونها من اعمال الجوارح باعتبار ابتنائها علي ما هو ضلال من الاعتقاد والراي هذا
علي تقدير كون الحق عبارة عن التوحيد واما علي تقدير كونه عبارة عن الاول فالمراد بالضلال هو الاصنام
لا عبادتها والمعني فماذا بعد الرب الحق الثابت ربوبيته الا الضلال اي الباطل الضايع المضمحل وانما سمي
بالمصدر مبالغة كانه نفس الضلال والضياع وهذا انسب بقوله تعالي وضل عنهم ما كانوا يفترون علي التفسير
فاني تصرفون استفهام انكاري بمعني انكار الواقع واستبعاده والتعجب منه وفيه من المبالغة ما ليس في
توجيه الانكار الي نفس الفعل لان كل موجود لا بد من ان يكون وجوده علي حال من الاحوال قطعا واذا انتفي جميع
احوال وجوده فقد انتفي وجوده علي الطريق البرهاني كما مر مرارا والفاء لترتيب الانكار علي ما قبله اي كيف تصرفون
من الحق الذي لا محيد عنه وهو التوحيد الي الضلال عن السبيل المستبين وهو الاشراك وعبادة الاصنام او من

عبادة ربكم الحق الثابت ربوبيته الي عبادة الباطل الذي سمعتم ضلاله وضياعه وفي الآخرة وفي ايثار صيغة
المبني للمفعول ايذان بان الانصراف من الحق الي الضلال مما لا يصدر عن العاقل بارادته وانما يقع عند وقوعه بالقسر
من جهة صارف خارجي كذلك اي كما حقت الربوبية لله تعالي او كما انه ليس بعد الحق الا الضلال او انهم مصروفون
عن الحق حقت كلمة ربك وحكمه وقضاؤه علي الذين فسقوا اي تمردوا في الكفر وخرجوا من اقصي حدوده انهم
لا يؤمنون بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب قل هل من شركائكم احتجاج آخر علي حقية
التوحيد وبطلان الاشراك باظهار كون شركائهم لم يعطف علي ما قبله بمعزل من استحقاق الالهية ببيان اختصاص
خواصها من بدء الخلق واعادته سبحانه وتعالي وانما لم يعطف علي ما قبله ايذانا باستقلاله في اثبات المطلوب
والسؤال للتبكيت والالزام وقد جعلت حلية الاعادة وتحققها لوضوح مكانها وسطوع برهانها بمنزلة بدء
الخلق فنظمت في سلكه حيث قيل من يبدؤا الخلق ثم يعيده ايذانا بتلازمهما وجودا وعلما يستلزم الاعتراف
به الاعتراف بها وان صدهم عن ذلك ما بهم من المكابرة والعناد ثم امر رسول الله صلي الله عليه وسلم بان يبين
لهم من يفعل ذلك فقيل له قل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده اي هو يفعلهما لا غير كائنا ما كان لا بان ينوب عليه السلام
عنهم في ذلك كما قيل لان القول المامور به غير ما اريد منهم من الجواب وان كان مستلزما له اذ ليس المسؤول عنه من
يبدؤا الخلق ثم يعيده كما في قوله تعالي قل من رب السموات والارض قل الله حتي يكون القول المامور به عين
الجواب الذي اريد منهم ويكون عليه الصلاة والسلام نايبا عنهم في ذلك بل انما هو وجود من يفعل البدء والاعادة
من شركائهم فالجواب المطلوب منهم لا غير نعم امر صلي الله عليه وسلم بان يضمنه مقالته ايذانا بتعينه وتحتمه
واشعارا بانهم لا يجترئون علي التصريح به مخافة التبكيت والقام الحجر لا مكابرة ولجاجا فقدبر واعادة الجملة
في الجواب بتمامها غير محذوفة الخبر كما في الجواب السابق لمزيد التاكيد والتحقيق فانى تؤفكون الافك الصرف
والقلب عن الشيء وقد يخص بالقلب عن الراي وهو الانسب بالمقام اي كيف تقلبون من الحق الي الباطل والكلام
فيه كما ذكر في تصرفون قل هل من شركائكم احتجاج آخر علي ما ذكر جيء به الزاما لهم عقيب الزام والحاما اثر افحام
وفصله عما قبله لما ذكر من الدلالة علي استقلاله من يهدي الي الحق اي بوجه من الوجوه فان ادني مراتب
المعبودية هداية المعبود لعبدته الي ما فيه صلاح امرهم واما تعيين طريق الهداية وتخصيصه بنصب الحجج
وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر كما قيل فمخل بما يقتضيه المقام من كمال التبكيت والالزام فان العجز عن الهداية
علي وجه خاص لا يستلزم العجز عن مطلق الهداية وهدي كما يستعمل بكلمة الي لتضمنه معني الانتهاء يستعمل باللام
للدلالة علي المنتهي غاية للهداية وانما لم يتوجه نحو علي سبيل الاتفاق ولذلك استعمل بها ما اسند الي الله تعالي
حيث قيل قل الله يهدي للحق اي هو يهدي له دون غيره وذلك بما ذكر من نصب الادلة والحجج وارسال
الرسل وانزال الكتب والتوفيق للنظر والتدبر وغير ذلك من فنون الهدايات والكلام في الامر بالسؤال والجواب
كما مر فيما مر افمن يهدي الي الحق وهو الله عز وجل احق ان يتبع ام من لا يهدي بكسر الهاء واصله يهتدي
فادغم وكسرت الهاء لالتقاء الساكنين وقرئ بكسر الياء اتباعا لها لحركة الهاء وقرئ بفتح الهاء
نقلا لحركة التاء اليها اي لا يهتدي بنفسه فضلا عن هداية غيره وفيه من المبالغة ما لا يخفي وانما نفي عنه الاهتداء
مع ان المفهوم مما سبق نفي الهداية لما ان نفيها مستتبع لنفيه غالبا فان من اهتدي الي الحق لا يخلو عن هداية
غيره في الجملة وادناها كونه قدوة له بان يراه فيسلك مسلكه من حيث لا يدري والفاء لترتيب الاستفهام
علي ما سبق من تحقق هدايته تعالي صريحا وعدم هداية شركائهم المفهوم من القصر ومن عدم الجواب المنبيء عن
الجواب بالعدم فان ذلك مما يضطرهم الي الجواب الحق لا لتوجيه الاستفهام الي الترتيب كما يقع في بعض
المواقع فان ذلك مختص بالانكاري كما في قوله تعالي افمن اتبع رضوان الله الي آخره ونحوه والهمزة متاخرة في الاعتبار
وانما تقديمها في الذكر لاظهار عراقتها في اقتضاء الصدارة كما هو راي الجمهور حتي لو كان السؤال بكلمة اي لاخرت

حتما الى برى الي قوله تعالى فاي الفريقين احق بالامن اثر تقدير ما يلجي المشركين الى الجواب من حالهم وحال رسول
الله صلى الله عليه وسلم **وقرئ** لا يهدي بمعنى لا يهتدي لمجيئه لازما ولا يهتدي غيره وصيغة التفضيل
اما على حقيقتها والمفضل عليه محذوف كما اختاره مكي والتقدير افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع ممن لا يهدي
ام من لا يهدي الحق الى الحق واما بمعنى حقيق كما اختاره ابو حيان وايا ما كان فالاستفهام للالزام وان يتبع في محل
النصب او الجر بعد حذف الجار على الخلاف المعروف اي بان يتبع **الا ان يهدى** استثناء مفرغ من اعم الاحوال
اي لا يهتدي او لا يهدي غيره في حال من الاحوال الا حال هدايته تعالى له الى الاهتداء او الى هداية الغير
وهذا حال اشراف شركائهم من الملائكة والمسيح وعزير عليهم السلام **وقيل** المعنى ام من لا يهتدي من الاوثان
الى مكان فينتقل اليه الا ان ينقل اليه او الا ان ينقله الله تعالى من حاله الا ان يجعله حيوانا مكلفا فيهديه
وقرئ الا ان يهدي من التفعيل للمبالغة **فما لكم** اي اي شيء لكم في اتخاذكم هولاء شركاء لله سبحانه
وتعالى والاستفهام للانكار التوبيخي وفيه تعجب من حالهم وقوله تعالى **كيف تحكمون** اي بما يقضي صريح
العقل ببطلانه انكار لحكمهم الباطل وتعجب منه وتشنيع لهم بذلك والفاء لترتيب كلا الانكارين على ما ظهر
من وجوب اتباع الهادي الى الحق ان قلت التبكيت بالاستفهام السابق انما يظهر في حق من يعكس حاله
الصحيح فيحكم باحقية من لا يهتدي بالاتباع دون من يهدي وهم ليسوا حاكمين باحقية شركائهم لذلك
دون الله سبحانه وتعالى بل باستحقاقهما جميعا مع رجحان جانبه تعالى حيث يقولون هولاء شفعاونا عند الله
قلت حكمهم باستحقاقه تعالى للاتباع بطريق الاشتراك حكم منهم بعدم استحقاقه تعالى لذلك بطريق
الاستقلال فصاروا حاكمين باستحقاق شركائهم له من دون الله من حيث لا يحتسبون **وما يتبع اكثرهم** كلام
مبتداء غير داخل في حيز الامر مسوق من قبله تعالى لبيان عدم فهمهم لمضمون ما الحمهم والقمهم الحجر من البرهان
النير الموجب لاتباع الهادي الى الحق الناعي عليهم ببطلان حكمهم وعدم تاثرهم من ذلك لعدم اهتدائهم الى طريق
العلم اصلا اي ما يتبع اكثرهم في معتقداتهم ومحاوراتهم **الا ظنا** واهيا من غير التفات الى فرد من افراد العلم
فضلا عن ان يسلكوا مسالك الادلة الصحيحة الهادية الى الحق المبنية على المقدمات اليقينية الحقة فيفهموا
مضمونها ويقفوا على صحتها وبطلان ما يخالفها من احكامهم الباطلة فيحصل التبكيت والالزام فالمراد بالاتباع
مطلق الاعتقاد الشامل لما يقارن القبول والانقياد وما لا يقارنه وبالقصر ما اشير اليه من ان لا يكون لهم في
اثنائه اتباع لفرد من افراد العلم والتفات اليه ووجه تخصيص هذا الاتباع باكثرهم الاشعار بان بعضهم
قد يتبعون العلم فيقفون على حقية التوحيد وبطلان الشرك لكن لا يقبلونه مكابرة وعنادا فيحصل بالنسبة
اليهم التاثر من البرهان المذكور وان لم يظهروه وكونهم اشد كفرا واكثر عذابا من الفريق الاول لا يقدح فيما
يفهم من فحوى الكلام عرفا من كون اوليك اسوء حالا من غيرهم اذ المعتبر سوء الحال من حيث الفهم والادراك
لا من حيث الكفر والعذاب او وما يتبع اكثرهم مدة عمرهم الا ظنا ولا يتركونه ابدا فان حرف النفي الداخل على
المضارع يفيد استمرار النفي بحسب المقام فالمراد بالاتباع حينئذ هو الاذعان والانقياد والقصر باعتبار
الزمان ووجه تخصيص هذا الاتباع باكثرهم مع مشاركة المعاندين في ذلك التلويح بما سيكون من بعضهم
باتباع الحق والتوبة كما سياتي هنا وقد قيل المعنى وما يتبع اكثرهم في اقرارهم بالله الا ظنا غير مستند الى
برهان عندهم **وقيل** وما يتبع اكثرهم في قولهم للاصنام انها الهة الا ظنا والمراد بالاكثر الجميع فتامل
وقيل الضمير في اكثرهم للناس فلا حاجة الى التكليف **ان الظن لا يغني من الحق** من العلم اليقيني والاعتقاد
الصحيح المطابق للواقع **شيئا** من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه والجملة استيناف
ببيان شان الظن وبطلانه وفيه دلالة على وجوب العلم في الاصول وعدم جواز الاكتفاء بالتقليد **ان الله عليم
بما يفعلون** وعيد لهم على افعالهم القبيحة فيندرج تحتها ما حكي عنهم من الاعراض عن البراهين القاطعة والاتباع

للظنون الفاسدة اندادا اوليا **وقرئ** تفعلون بالالتفات الى الخطاب لتشديد الوعيد **وما كان هذا
القرآن** شروع في شان ردهم للقرآن الكريم اثر بيان ردهم للادلة العقلية المندرجة في تضاعيفه اي
وما صح وما استقام ان يكون هذا القرآن المشحون بفنون الهدايات المستوجبة للاتباع التي من جملتها هاتيك
الحجج البينة الناطقة بحقيقة التوحيد وبطلان الشرك **ان يفترى من دون الله** اي افتراء من الخلق اي
مفترى منهم سمي بالمصدر مبالغة **ولكن تصديق الذي بين يديه** من الكتب الالهية المشهود على صدقها اي مصدقا
لها كيف لا وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد بصحتها ونصبه بانه خبر كان مقدرا او قد جوز كونه
علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله تصديق الى اخره **وقرئ** بالرفع على تقدير المبتداء اي ولكن هو تصديق
الى اخره **وتفصيل الكتاب** عطف عليه نصبا ورفعا اي وتفصيل ما كتب واثبت من الحقائق والشرائع **لا
ريب فيه** خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك اي منتفيا عنه الريب او حال من الكتاب وان كان مضافا
اليه فانه مفعول في المعنى او استيناف لا محل له من الاعراب **من رب العالمين** خبر آخر اي كائنا من رب
العالمين او متعلق بتصديق او تفصيل او بالفعل المعلل بهما ولا ريب فيه اعتراض كما في قولك زيد لا شك
فيه كريم او حال من الكتاب او من الضمير في فيه ومساق الاية الكريمة بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب
اتباعه **ام يقولون افتريه** اي بل يقولوا افتراه محمد صلى الله عليه وسلم والهمزة للانكار الواقع واستبعاده
قل تبكيتا لهم واظهارا لبطلان مقالتهم الفاسدة ان كان الامر كما تقولون **فاتوا بسورة مثله** اي
في البلاغة وحسن الصياغة وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي في العربية والفصاحة اشد تمرنا
مني في النظم والعبارة **وقرئ** بسورة مثله على الاضافة اي بسورة كتاب مثله **وادعوا** للمظاهرة والمعاونة
من استطعتم دعاه والاستعانة به من الهتكم التي تزعمون انها ممدة لكم في المهمات والملمات ومدار الهكم
الذين تلجاون الى رايهم في كل ما تاتون وما تذرون قوله تعالى **من دون الله** متعلق بادعوا ودون جار مجرى اداة
الاستثناء وقد مر تفصيله في قوله تعالى وادعوا شهداءكم من دون الله اي ادعوا سواه تعالى من استطعتم
من خلقه فانه لا يقدر عليه احد واخراجه سبحانه في حكم الدعاء للتنصيص على براءتهم منه تعالى وكونه في عدوة
المضادة والمشاقة لا لبيان استبداده تعالى بالقدرة على ما كلفوه فان ذلك مما يوهم انهم لو دعوه تعالى لاجابهم
اليه **ان كنتم صادقين** اي في اني افتريته فان ذلك مستلزم لامكان الاتيان بمثله وهو ايضا مستلزم
لقدرتكم عليه والجواب محذوف لدلالة المذكور عليه **بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه** اضراب وانتقال عن
اظهار بطلان ما قالوا في حق القرآن العظيم بالتحدي الى اظهاره ببيان انه كلام ناشئ عن جهلهم بشانه الجليل
فما عبارة عن كلمة لا عاقبه من ذكر البعث والجزاء وما يخالف دينهم كما قيل فانه مما يجب تنزيه ساحة التنزيل
عن مثله اي سارعوا الى تكذيبه اثر ذي اثر من غير ان يتدبروا فيه ويقفوا على ما في تضاعيفه من الشواهد
الدالة على كونه كما وصف آنفا ويعلموا انه ليس مما يمكن ان يكون له نظير يقدر عليه المخلوق والتعبير عنه بما
لم يحيطوا بعلمه دون ان يقال بل كذبوا به من غير ان يحيطوا بعلمه او نحو ذلك للايذان بكمال جهلهم به وانهم
لم يعلموه الا بعنوان عدم العلم به وبان تكذيبهم به انما هو بسبب عدم علمهم به لان ارادة الحكم على الموصول
مشعر بعلية ما في حيز الصلة **ولما ياتهم تاويله** عطف على الصلة او حال من الموصول اي ولم يقفوا بعد على
تاويله ولم يبلغ اذهانهم معانيه الرائقة المنبئة عن علو شانه والتعبير عن ذلك باتيان التاويل للاشعار
بان تاويله متوجه الى الاذهان منساق اليها بنفسه او لم ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى
يتبين انه صدق ام كذب والقرآن معجز من جهة النظم والمعنى ومن جهة الاخبار بالغيب وهم قد فاجؤا
تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفكروا في معناه او ينتظروا وقوع ما اخبر به من الامور المستقبلة
ونفي اتيان التاويل بكلمة لما الدالة على التوقع بعد نفي الاحاطة بعلمه بكلمة لم لتاكيد الذم وتشديد التشنيع

فان الشناعة في تكذيب الشيء قبل علمه المتوقع اتيانه اخس منها في تكذيبه قبل علمه مطلقا والمعنى انه كان يجب عليهم ان يتوقفوا الى زمان وقوع المتوقع فلم يفعلوا واما ان المتوقع قد وقع بعدما وتهم استمروا عند ذلك ايضا على ماهم عليه او لا فلا تعرض له هاهنا والاستشهاد عليه بعدم انقطاع الذم او ادعاء ان قولهم افتراه تكذيب بعد التدبير ناشئ من عدم التدبر فتدبر كيف لا وهم لم يقولوا بعد التحدي بل قبله وادعاء كونه مسبوقا بالتحدي الوارد في سورة البقرة يرده انها مدنية وهذه مكية وانما الذي يدل عليه ما سيتلى عليك من قوله تعالى ومنهم من يومن به ومنهم الى اخره قوله تعالى كذلك الى اخره وصف حالهم المحكي وبيان لما يؤدي اليه من العقوبة اي مثل ذلك التكذيب المبني على بادي الراي والمجازفة من غير تدبر وتامل كذب الذين من قبلهم اي فعلوا التكذيب او كذبوا ما كذبوا من المعجزات التي ظهرت على ايدي انبيائهم او كذبوا انبياءهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وهم الذين من قبلهم من المكذبين وانما وضع المظهر موضع المضمر للايذان بكون التكذيب ظلما وبعلته لاصابة ما اصابهم من سوء العاقبة وبدخول هولاء الظالمين في زمرتهم جرما ووعيدا دخولا اوليا وقوله عز وجل ومنهم الى اخره وصف لحالهم بعد اتيان التاويل المتوقع اذ حينئذ يمكن تنويعهم الى المومن به وغير المومن ضرورة امتناع الايمان بشيء من غير علم به واشتراك الكل في التكذيب والكفر به قبل ذلك حسبما افاده قوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اي ومن هولاء المكذبين من يومن به عند الاحاطة بعلمه واتيان تاويله وظهور حقيته بعد ما سوع في المفاوضة واذواقهم فيها فضاءلت دونها او بعد ما شاهدوا وقوع ما اخبر به مرادا ومعنى الايمان به اما الاعتقاد بحقيته فقط اي يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند ويكابر وهولاء هم الذين اشير بقصر اتباع الظن على اكثرهم اليه فيما سلف واما الايمان الحقيقي اي سيؤمن به ويتوب عن الكفر وهم الذين اشير بالقصر المذكور على التفسير الثاني الى انهم سيتبعون الحق كاملا ومنهم من لا يؤمن به اي لا يصدق به في نفسه كما لا يصدق به ظاهرا لفرط غباوته المانعة عن الاحاطة بعلمه كما ينبغي وان كان فوق مرتبة عدم الاحاطة به اصلا او لسخافة عقله واختلال تمييزه وعجزه عن تخليص علومه عن معارضة الظنون والاوهام التي من الغها فيبقى على ما كان عليه من الشك وهذا القدر من الاحاطة بالمرة وهولاء هم الذين اريدوا فيما سلف بقوله عز وجل وما يتبع اكثرهم الا ظنا على التفسير الاول او لا يؤمن به فيما سياتي بل يموت على كفره معاندا كان او شاكا وهم المستمرون على اتباع الظن على التفسير الثاني من غير اذعان للحق وانقياد له وربك اعلم بالمفسدين اي بكلا الفريقين على الوجه الاول بالمعاندين فقط كما قيل لاشتراكهما في اصل الافساد المستدعي لاشتراكهما في الوعيد وبالمصرين الباقين على الكفر على الوجه الثاني من المعاندين والشاكين فان كذبوك اي تموا على تكذيبك واصروا عليه حسبما اخبر عنهم بعد الزام الحجة بالتحدي فقل لي عملي ولكم عملكم اي تبرأ منهم فقد اعذرت كقوله تعالى فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا وتوحيد العمل المضاف اليهم باعتبار الاتحاد النوعي ولمراعاة كمال المقابلة انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون تاكيد لما افاده لام الاختصاص من عدم التعدي جزاء العمل الى غير عامله اي لا تواخذون بعملي ولا اواخذ بعملكم ولما فيه من ايهام المتاركة وعدم التعرض لهم قيل انه منسوخ باية السيف ومنهم من يستمعون اليك بيان لكونهم مطبوعا على قلوبهم بحيث لا سبيل الى ايمانهم وانما جمع ضمير الراجع الى كلمة من رعاية لجانب المعنى كما افرد فيما سياتي محافظة على ظاهر اللفظ ولعل ذلك للايماء الى كثرة المستمعين بناء على عدم التوفيق لاستماع على ما يتوقف عليه النظر من المقابلة وانتفاء الحجاب والظلمة اي ومنهم ناس يستمعون اليك عند قراءتك القران وتعليمك الشرائع افانت تسمع الصم همزة الاستفهام انكارية والفاء عاطفة وليس الجمع بينهما لترتيب انكار الاستماع على الاستماع كما هو راي سيبويه والجمهور على ان يجعل تقديم الهمزة على الفاء لاقتضائها الصدارة كما تقرر في موضعه

الى انهم يعلمون الحق على التفسير الاول كما اشير اليه صح

بل الانكار

بل الانكار ترتبه عليه حسبما هو المعتاد لكن لا بطريق العطف على الفعل المذكور لادائه الى اختلال المعنى لانها اما صلة او صفة واياما كان فالعطف عليه يستدعي دخول المعطوف في حيزه وتوجه الانكار اليه من تلك الحيثية ولا ريب في فساده بل بطريق العطف على مقدر مفهوم من فحوى النظم كانه قيل ايستمعون اليك فانت تسمعهم لا انكار لاستماعهم فانه امر محقق بل انكار لوقوع الاسماع عقيب ذلك وترتبه عليه حسب العادة الكلية بل نفيا لامكانه ايضا كما ينبئ عنه وضع الصم موضع ضميرهم ووصفهم بعدم العقل قوله عز وجل ولو كانوا لا يعقلون ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل ربما تفرس اذا وصل الى صماخه صوت واما اذا اجتمع فقدان السمع والعقل جميعا فقد تم الامر ومنهم من ينظر اليك ويعاين دلائل نبوتك الواضحة افانت اي عقيب ذلك انت مهديهم وانما قيل تهدي العمي ترشيحا لانكار هدايتهم وابرازا لوقوعها في معرض الاستحالة وقد اكد ذلك حيث قيل قوله تعالى ولو كانوا لا يبصرون اي ولو انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك على البصيرة ولذلك يحدث الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق فحيث اجتمع فيهم الحمق والعمى فقد انسد عليهم باب الهدى وجواب لو في الجملتين محذوف لدلالة قوله تعالى افانت تسمع الصم تهدي العمي عليه وكل منهما معطوفة على جملة مقدرة مقابلة لها في الفحوى كلتاهما في موضع الحال من مفعول الفعل السابق اي افانت تسمع الصم لو كانوا يعقلون ولو كانوا لا يعقلون افانت تهدي العمي لو كانوا يبصرون ولو كانوا لا يبصرون اي على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى في الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة فان الشيء اذا تحقق عند تحقق المانع او المانع القوي فلان يتحقق عند عدمه او عند تحقق المانع الضعيف اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في لو وان الوصلتين من التاكيد وقصر الكلام في قوله تعالى ولو كره الكافرون ونظائره مرارا ان الله لا يظلم الناس اشارة الى ما حكي عنهم من عدم اهتدائهم الى طريق الحق وتعطل مشاعرهم من الادراك ليس لامر مستند الى الله عز وجل من خلقهم موفي المشاعر ونحو ذلك بل انما هو من قبلهم اي لا ينقصهم شيئا مما نيط به مصالحهم الدينية والدنيوية وكمالاتهم الاولوية والاخروية من مبادي ادراكاتهم واسباب علومهم من المشاعر الظاهرة والباطنة والارشاد الى الحق بارسال الرسل وانزال الكتب بل يوفيهم ذلك من غير اخلال بشيء اصلا ولكن الناس وقرئ بالتخفيف ورفع الناس وضع الظاهر موضع الضمير لزيادة تعيين وتقرير اي لكنهم بعدم استعمال مشاعرهم فيما خلقت له واعراضهم عن قبول دعوة الحق وتكذيبهم للرسل والكتب انفسهم يظلمون اي ينقصون ما ينقصون مما يخلون به من مبادي كمالهم وذرايع اهتدائهم وانما لم يذكر لما ان مرمى الغرض انما هو قصر الظلم على انفسهم لا بيان ما يتعلق به الظلم والتعبير عن فعلهم بالنقص مع كونه تفويتا بالكلية وابطالا بالمرة لمراعاة جانب قرينته وقوله عز وجل انفسهم اما تاكيد للناس فيكون بمنزلة ضمير الفصل في قوله تعالى وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين في قصر الظالمية عليهم واما مفعول ليظلمون حسبما وقع في سائر المواقع وتقديمه عليه لمجرد الاهتمام به مع مراعاة الفاصلة من غير قصد الى قصر المظلومية عليهم على راي من لا يرى التقديم موجبا للقصر فيكون كما في قوله سبحانه وتعالى وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم من غير قصر للظلم لا على الفاعل ولا على المفعول واما على راي من يراه موجبا له فلعل ايثار قصرها دون قصر الظالمية عليهم للمبالغة في بيان بطلان افعالهم وسخافة عقولهم لما ان اقبح الامرين عند اتحاد الفاعل والمفعول واشدهما انكارا عند العقل ونفرة لدى الطبع واوجبهما حذرا فيه عند كل احد هو المظلومية لا الظالمية على ان قصر الاولى عليهم مستلزم لما تقتضيه ظاهر الحال من قصر الثانية عليهم ضرورة انه اذا لم يظلم احد من الناس الا نفسه يلزم ان لا يظلمه الا نفسه اذ لو ظلمه غيره يلزم كون ذلك الغير ظالما لغير نفسه والمفروض ان لا يظلم احد الا نفسه فاكتفي بالقصر الاول عن الثاني مع رعاية ما ذكر من الفائدة وصيغة المضارع للاستمرار نفيا واثباتا فان حرف النفي اذا دخل على المضارع يفيد بحسب المقام استمرار النفي لا نفي الاستمرار الا يرى ان قولك ما زيدا ضربت يدل على اختصاص النفي وساق الاية

الكريمة الزام الحجة ويجوز ان يكون للوعيد فالمضارع المنفي للاستقبال والمثبت للاستمرار والمعنى ان الله لا يظلمهم
بتعذيبهم يوم القيمة شيئا من الظلم ولكنهم انفسهم يظلمون ظلما مستمرا فان مباشرتهم المستمرة للسيئات الموجبة
للتعذيب عين ظلمهم لانفسهم وعلى الوجهين فالاية الكريمة تذييل لما سبق ويوم نحشرهم منصوب بمضمر وقرئ
بالنون على الالتفات اى اذكرهم او انذرهم يوم نحشرهم كان لم يلبثوا اى كانهم لم يلبثوا الا ساعة من النهار اي
شيئا قليلا منه فانها مثل في غاية القلة وتخصيصها بالنهار لان ساعاته اعرف حالا من ساعات الليل
والجملة في موقع الحال من ضمير المفعول اي نحشرهم مشبهين في احوالهم الظاهرة للناس بمن لم يلبث في
الدنيا ولم يتقلب في نعيمها الا ذلك القدر اليسير فان من اقام بها دهرا وتمتع بمتاعها لا يخلو عن بعض آثار
نعمة واحكام بهجة منافية لما بهم من رثاثة الهيئات وسوء الحال او بمن لم يلبث في البرزخ الا ذلك المقدار
ففائدة التقييد بيان كمال يسر الحشر بالنسبة الى قدرته تعالى ولو بعد دهر طويل واظهار بطلان استبعادهم
وانكارهم بقولهم ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون ونحو ذلك او بيان تمام الموافقة بين
النشأتين في الاشكال والصور فان قلة اللبث في البرزخ من موجبات عدم التبدل والتغير فيكون قوله
عز وجل يتعارفون بينهم بيانا وتقريرا له لان التعارف مع طول العهد ينقلب تناكرا وعلى الاول يكون
استئنافا اي يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتعارفوا الا قليلا وذلك اول ما خرجوا من القبور اذ هم حينئذ
على ما كانوا عليه من الهيئة المتعارفة فيما بينهم ثم ينقطع التعارف لشدة الاهوال المذهلة واعتراء الاحوال
المعضلة المغيرة للصور والاشكال المبدلة لها من حال الى حال قوله تعالى قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله
شهادة من الله سبحانه وتعالى على خسرانهم وتعجب منه وقيل حال من ضمير يتعارفون على ارادة القول
والتعبير عنهم بالموصول مع كون المقام مقام اضمار لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعليته لما اصابهم والمراد
بلقاء الله تعالى ان كان مطلق الحساب والجزاء او حسن اللقاء فالمراد بالخسران الوضيعة والمعنى وضعوا في
تجاراتهم ومعاملاتهم واشترائهم الكفر بالايمان والضلالة بالهدى ومعنى قوله تعالى وما كانوا مهتدين ما كانوا
عارفين باحوال التجارة مهتدين لطرقها وان كان سوء اللقاء فالخسار الهلاك والضلال اى قد ضلوا وهلكوا
بتكذيبهم وما كانوا مهتدين الى طريق النجاة واما نرينك اصله ان نرك وما مزيدة لتاكيد معنى الشرط ومن ثمة
اكد الفعل بالنون اي بنصرتك بان نظهر لك بعض الذي نعدهم اي وعدناهم من العذاب ونعجله في حياتك
فتراه والعدول الى صيغة الاستقبال لاستحضار الصورة او للدلالة على التجدد والاستمرار اي على نعدهم وعدا
متجددا حسبما يقتضيه الحكمة من انذار عقيب انذار وفي تخصيص البعض بالذكر رمز الى العدة باراءة بعض الموعود
وقد اراه يوم بدر او نتوفينك قبل ذلك فالينا مرجعهم اي كيف ما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم
او لا فالينا مرجعهم في الدنيا والاخرة فننجز ما وعدناهم البتة وقيل المذكور جواب للشرط الثاني كانه
قيل فالينا مرجعهم فنريكه في الاخرة وجواب الاول محذوف لظهوره اى فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون
من الافعال السيئة التي حكيت عنهم والمراد بالشهادة اما مقتضاها ونتيجتها من معاقبته تعالى اياهم واما
اقامتها واداؤها بانطاق الجوارح واظهار اسم الجلالة لادخال الروعة وتربية المهابة وتاكيد التهديد
وقرئ ثمة اى هناك ولكل امة من الامم الخالية رسول يبعث اليهم بشريعة خاصة مناسبة
لاحوالهم ليدعوهم الى الحق فاذا جاء رسولهم فبلغهم ما ارسل به فكذبوه وخالفوه قضي بينهم اي بين كل
امة ورسولها بالقسط بالعدل وحكم بنجاة الرسول والمؤمنين به وهلاك المكذبين كقوله تعالى
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا قوله تعالى وهم لا يظلمون في ذلك القضاء المستوجب لتعذيبهم لانه من
نتايج اعمالهم او ولكل امة من الامم يوم القيمة رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم الموقف
ليشهد عليهم بالكفر والايمان كقوله عز وجل وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم ويقولون متى هذا الوعد

استعجالا

استعجالا لما وعدوا من العذاب على طريقة الاستهزاء به والانكار حسبما يرشد اليه الجواب لا طلبا
لتعيين وقت مجيئه على وجه الالزام كما في سورة الملك ان كنتم صادقين اي في انه يأتينا والخطاب للرسول
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الذين يتلون عليهم الايات المتضمنة للوعد المذكور وجواب الشرط محذوف
اعتمادا على ما تقدم حسبما حذف في قوله تعالى فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين فان الاستعجال في قوة
الامر بالاتيان عجلة كانه قيل فليأتنا عجلة ان كنتم صادقين ولما فيه من الاشعار بكون اتيانه بواسطة النبي
صلى الله عليه وسلم قيل قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا اي لا اقدر على شيء منهما بوجه من الوجوه وتقديم الضر لما ان
مساق النظم لاظهار العجز عنه واما ذكر النفع فلتوسيع دائرة تكميله للعجز وما وقع في سورة الاعراف
من تقديم النفع للاشعار باهميته والمقام مقامه والمعنى اني لا املك شيئا من شئوني ردا وايرادا مع ان ذلك
اقرب حصولا فكيف املك شئونكم حتى اتسبب في اتيان عذابكم الموعود الا ما شاء الله استثناء منقطع اي
ولكن ما شاء الله كائن وحمله على الاتصال على معنى الا ما شاء الله ان املكه يأباه مقام التبرؤ عن ان يكون له عليه
الصلاة والسلام دخل في اتيان الوعد فان ذلك يستدعي بيان كون المتنازع فيه مما لا يشاء الله ان يملكه عليه
الصلاة والسلام وجعل ما عبارة عن بعض الاحوال المعهودة المنوطة بالافعال الاختيارية المفوضة الى العباد
على ان يكون المعنى لا املك لنفسي شيئا من الضر والنفع الا ما شاء الله ان املكه منهما من الضر والنفع المرتبين
على الاكل والشرب عدما ووجودا تعسف ظاهر وقوله تعالى لكل امة اجل بيان لما ابهم في الاستثناء وتقييد
لما في القضاء السابق من الاطلاق المشعر بكون المقضي به امرا منجزا غير متوقف على شيء غير مجيء الرسول
وتكذيب الامة اي لكل امة ممن قضي بينهم وبين رسولهم اجل معين خاص بهم لا يتعدى الى امة اخرى مضروب
لعذابهم يحل بهم عند حلوله اذا جاء اجلهم ان جعل الاجل عبارة عن حد معين من الزمان فمعنى مجيئه ظاهر
وان اريد به ما امتد اليه من الزمان فمجيئه عبارة عن انقضائه اذ هناك يتحقق مجيئه بتمامه والضمير ان جعل
للامم المدلول عليها بكل امة فاظهار الاجل مضافا اليه لافادة المعنى المقصود الذي هو بلوغ كل امة اجلها الخاص
به ومجيئه اياها بعينها من بين الامم بواسطة اكتساب الاجل بالاضافة عموما يفيد معنى الجمعية كانه قيل
اذا جاءهم آجالهم بان يجيء لكل واحدة من تلك الامم اجلها الخاص بها وان جعل لكل امة خاصة كما هو الظاهر
فالاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير والاضافة الى الضمير لافادة كمال التعيين اي اذا جاء اجلها الخاص بها
فلا يستاخرون عن ذلك الاجل ساعة اي شيئا قليلا من الزمان فانها مثل في غاية القلة منه اي لا يتاخرون
عنه اصلا وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم عن ذلك مع طلبهم له ولا يستقدمون اي لا يتقدمون عليه
وهو عطف على يستاخرون لكن لا لبيان انتفاء التقدم مع امكانه في نفسه كالتاخر بل للمبالغة في انتفاء
التاخر بنظمه في سلك المستحيل عقلا كما في قوله سبحانه وتعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات
حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فان من مات كافرا مع ظهور
ان لا توبة له راسا قد نظم في عدم قبول التوبة في سلك من سوفها الى حضور الموت ايذانا بتساوي
وجود التوبة حينئذ وعدمها بالمرة كما مر في سورة الاعراف وقد جوز ان يراد بمجيء الاجل دنوه بحيث يمكن
التقدم في الجملة كمجيء اليوم الذي ضرب لهلاكهم ساعة معينة منه لكن ليس في تقييد عدم الاستئخار بدنوه
مزيد فائدة وتقديم بيان انتفاء الاستئخار على بيان انتفاء الاستقدام لان المقصود الاهم بيان عدم خلاصهم
من العذاب ولو ساعة وذلك بالتاخر واما ما في قوله تعالى ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون من سبق
السبق في الذكر فلما ان المراد هناك بيان سر تاخير عذابهم مع استحقاقهم حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ذرهم
ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون فالاهم اذ ذاك بيان انتفاء السبق كما ذكر هناك قل
لهم عما بينت كيفية جريان سنة الله عز وجل فيما بين الامم على الاطلاق ونبهتهم على ان عذابهم امر مقرر

محتوم لا يتوقف الا على مجي اجله المعلوم ايذانا بكمال دنوه وتنزيله منزلة اتيانه حقيقة **ارايتم** اي اخبروني **ان اتاكم عذابه** الذي تستعجلون به قوله عز وجل **بياتا** اي وقت بيات واشتغال بالنوم **او نهارا** عند اشتغالكم بمشاغلكم حسبما عين لكم من الاجل بمقتضى المشية التابعة للحكمة كما عين لساير الامم المهلكة وقوله عز وجل **ماذا يستعجل منه المجرمون** جواب للشرط بحذف الفاء كما في قولك ان اتيتك ماذا تطعمني والمجرمون موضوع موضع الضمير لتاكيد الانكار ببيان مباينة حالهم للاستعجال فان حق المجرم ان يهلك فزعا من اتيان العذاب فضلا عن استعجاله والجملة الشرطية متعلقة بارايتم والمعنى اخبروني ان اتاكم عذابه تعالى اي شي تستعجلون منه سبحانه والشي لا يمكن استعجاله بعد اتيانه والمراد به المبالغة في انكار استعجاله باخراجه عن حيز الامكان وتنزيله في الاستحالة منزلة استعجاله بعد اتيانه بناء على تنزيل تقرر اتيانه ودنوه منزلة اتيانه حقيقة كما اشير وهذا الانكار بمنزلة النهي في قوله عز وجل اتى امر الله فلا تستعجلوه خلا ان التنزيل هناك صريح وهنا ضمني كما في قول من قال لغريمه الذي يتقاضاه حقه ارايتك ان اعطيتك حقك فماذا تطلب مني يريد المبالغة في انكار التقاضي بنظمه في سلك التقاضي بعد الاعطاء بناء على تنزيل تقرره منزلة نفسه وقوله عز وجل **اثم اذا ما وقع آمنتم به** انكار لايمانهم بنزول العذاب بعد وقوعه حقيقة داخل مع ما قبله من انكار استعجالهم به بعد اتيانه حكما تحت القول المامور به اي بعد ما وقع العذاب وحل بكم حقيقة امنتم به حين لا ينفعكم الايمان انكار للتاخير الى هذا الحد وايذانا باستتباعه للندم والحسرة ليقلعوا عما هم عليه من العناد ويتوجهوا نحو التدارك قبل فوت الوقت فتقديم الظرف للقصر **وقيل** ماذا يستعجل منه متعلق بارايتم وجواب الشرط محذوف اي تندموا على الاستعجال او تعرفوا خطاه والشرطية اعتراض مقرر لمضمون الاستفهام **وقيل** الجواب قوله تعالى اثم اذا ما وقع الى آخره والاستفهامية الاولى اعتراض والمعنى اخبروني ان اتاكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ثم جي بكلمة التراخي دلالة على الاستبعاد ثم زيد ادات الشرط دلالة على استقلاله بالاستبعاد وعلى ان الاول كالتمهيد له وجي باذا موكدا بما ترشيحا لمعنى الوقوع وزيادة للتجهيل وانهم لم يومنوا الا بعد ان لم ينفعهم الايمان البته وقوله تعالى **الآن** استيناف من جهته تعالى غير داخل تحت القول ملقن مسوق لتقرير مضمون ما سبق على ارادة القول اي قيل لهم عند ايمانهم بعد وقوع العذاب الآن امنتم به انكارا للتاخير وتوبيخا عليه ببيان انه لم يكن ذلك لعدم سبق الانذار به ولا للتامل والتدبر في شانه ولا لشي آخر مما عسى ان يعد عذرا في التاخير بل كان ذلك على طريق التكذيب والاستعجال به على وجه الاستهزاء **وقرئ** الان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقوله تعالى **وقد كنتم به تستعجلون** اي تكذيبا واستهزاء جملة وقعت حالا من فاعل آمنتم المقدر لتشديد التوبيخ والتقريع وزيادة التنديم والتحسير وتقديم الجار والمجرور على الفعل لمراعاة الفواصل دون القصر وقوله تعالى **ثم قيل** الى آخره تاكيد للتوبيخ والعتاب بوعيد العقاب وهو عطف على ما قدر قبل الآن **للذين ظلموا** اي وضعوا الكفر والتكذيب موضع الايمان والتصديق او ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب والهلاك ووضع الموصول موضع الضمير لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعلية الاصابة ما اصابهم **ذوقوا عذاب الخلد** المولم على الدوام **هل تجزون** اليوم **الا بما كنتم تعملون** في الدنيا من اصناف الكفر والمعاصي التي من جملتها ما مر من الاستعجال **ويستنبئونك** اي يستخبرونك فيقولون على طريقة الاستهزاء والانكار **احق هو** احق خبر مقدم على المبتدا الذي هو الضمير للاهتمام به ويويده قوله تعالى انه لحق او مبتدا والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر والجملة في موقع النصب بيستنبئونك **وقرئ** الحق هو تعريضا بانه باطل كانه قيل اهو الحق لا الباطل او هو الذي سميتموه الحق **قل** لهم غير ملتفت الى استهزائهم مغضيا عما قصدوا وبانيا للامر على اساس الحكمة **اي وربي** اي من حروف الايجاب بمعنى نعم في القسم خاصة كما ان هل

بمعنى

بمعنى قد في الاستفهام خاصة ولذلك يوصل بواو **انه** اي العذاب الموعود **لحق** لثابت البته اكد الجواب باتم وجوه التاكيد حسب شدة انكارهم وقوته وقد زيد تقريرا وتحقيقا بقوله عز اسمه **وما انتم بمعجزين** اي بفايتين العذاب بالهرب وهو لاحق بكم لا محاله وهو اما معطوف على جواب القسم او مستانف سيق لبيان عجزهم عن الخلاص مع ما فيه من التقرير المذكور **ولو ان لكل نفس ظلمت** بالشرك او التعدي على الغير او غير ذلك من اصناف الظلم ولو مرة حسبما يفيده كون الصفة فعلا **ما في الارض** اي ما في الدنيا من خزاينها واموالها ومنافعها قاطبة بما كثرت **لافتدت به** اي لجعلته فدية لها من العذاب من افتدى بمعنى فداه **واسروا** اي النفوس المدلول عليها بكل نفس والعدول الى صيغة الجمع مع تحقق العموم في الافراد ايضا لافادة تهويل الخطب بكون الاسرار بطريق المعية والاجتماع وانما لم يراع ذلك فيما سبق لتحقيق ما يتوخى من فرض كون جميع ما في الارض لكل واحد من النفوس وايثار صيغة جمع المذكر لحمل لفظ النفس على الشخص او لتغليب ذكور مدلوله على اناثه **الندامة** اي ما فعلوا من الظلم اي اخفوها ولم يظهروها لكن لا للاصطبار والتجلد هيهات ولات حين اصطبار بل لانهم بهتوا **لما راوا العذاب** اي عند معاينتهم من فظاعة الحال وشدة الاهوال ما لم يكونوا يحتسبون فلم يقدروا على ان ينطقوا بالشي فلما بمعنى حين منصوب باسروا او حرف شرط حذف جوابه لدلالة ما تقدم عليه **وقيل** اسرها رؤساهم ممن اضلوهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم ولكن الامر اشد من ان يعتريهم هناك شي غير خوف العذاب **وقيل** اسروا الندامة اخلصوها لان اسرارها اخلاصها او لان سر الشي خالصه حيث تخفى وتضن بها ففيه تهكم بهم **وقيل** اظهروا الندامة من قولهم اسر الشي واسره اذا اظهره حين عيل صبره وفني تجلده **وقضي بينهم** اي اوقع القضاء بين الظالمين من المشركين وغيرهم من اصناف اهل الظلم بان اظهر الحق سواء كان من حقوق الله سبحانه او من حقوق العباد من الباطل وعومل كل منهما بما يليق به **بالقسط** بالعدل وتخصيص الظلم بالتعدي وحمل القضاء على مجرد الحكومة بين الظالمين والمظلومين من غير ان يتعرض لحال المشركين وهم اظلم الظالمين لا يساعده المقام فان مقتضاه اما كون الظلم عبارة عن الشرك او عما يدخل فيه دخولا اوليا **وهم** اي الظالمون **لا يظلمون** فيما فعل بهم من العذاب بل هو من مقتضيات ظلمهم ولوازمه الضرورية **الا ان لله ما في السموات والارض** اي ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما وكلمة ما لتغليب غير العقلاء على العقلاء فهو تقرير لكمال قدرته سبحانه على جميع الاشياء وبيان لاندراج الكل تحت ملكوته يتصرف فيه كيف ما شاء ايجادا واعداما واثابة وعقابا **الا ان وعد الله** اظهار الاسم الجليل لتفخيم شان الوعد والاشعار بعلة الحكم وهو اما بمعنى الموعود اي جميع ما وعد به كاينا ما كان فيندرج فيه العذاب الذي استعجلوه وما ذكر في اثنا بيان حاله اندراجا اوليا او بمعناه المصدري اي وعده بجميع ما ذكر فمعنى قوله تعالى **حق** على الاول ثابت واقع لا محالة وعلى الثاني مطابق للواقع وتصدير الجملتين بحرفي التنبيه والتحقيق للتسجيل على تحقق مضمونها المقرر لمضمون ما سلف من الايات الكريمة والتنبيه على وجوب استحضاره والمحافظة عليه **ولكن اكثرهم** لقصور عقولهم واستيلاء الغفلة عليهم والفهم بالاحوال المحسوسة المعتادة **لا يعلمون** ذلك فيقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون **هو يحيي ويميت** في الدنيا من غير دخل لاحد في ذلك **واليه ترجعون** في الآخرة بالبعث والحشر **يا ايها الناس** التفات ورجوع الى استمالتهم نحو الحق واستنزالهم الى قبوله واتباعه غب تحذيرهم من غوايل الضلال بما تلي عليهم من القوارع الناعية عليهم سوء عاقبتهم وايذان بان جميع ذلك مسوق لمصالحهم ومنافعهم **قد جاءتكم موعظة** هي الوعظ والعظة التذكير بالعواقب سواء كان بالزجر والترهيب او بالاستمالة والترغيب وكلمة من في قوله تعالى **من ربكم** ابتدائية متعلقة بجاءتكم او تبعيضية متعلقة بمحذوف وقع صفة لموعظة اي موعظة كاينة من مواعظ ربكم وفي التعرض لعنوان الربوبية من حسن الموقع ما لا يخفى **وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمومنين**

اي كتاب جامع لهذه الفوايد والمنافع فانه كاشف عن احوال الاعمال حسناتها وسياتها مرغب في الاولى
ورادع عن الاخرى ومبين للمعارف الحقة التي هي شفاء لما في الصدور من الادواء القلبية كالجهل والشك والشرك
والنفاق وغيرها من العقايد الزايغة وهاديا الي طريق الحق واليقين بالارشاد الي الاستدلال بالدلايل المنصوبة في الافاق
والانفس وفي مجيئه رحمة للمومنين حيث نجوا به من ظلمات الكفر والضلال الي نور الايمان ، وتخلصوا من دركات
النيران • وارتقوا الي درجات الجنان • والتنكير في الكل للتفخيم قل تلوين للخطاب وتوجيه له الي رسول الله صلي
الله عليه وسلم ليامر الناس بان يغتنموا ما في مجي القران العظيم من الفضل والرحمة بفضل الله وبرحمته المراد بهما اما
ما في مجي القران من الفضل والرحمة واما الجنس وهما داخلان فيه دخولا اوليا والباء متعلقة بمحذوف واصل
الكلام ليفرحوا بفضل الله وبرحمته وتكرير الباء في رحمته للايذان باستقلالها في استيجاب الفرح ثم قدم الجار
والمجرور علي الفعل لافادة القصر ثم ادخل عليه الفاء لافادة معني السببية فصار بفضل الله وبرحمته
فليفرحوا ثم قيل فبذلك فليفرحوا للتاكيد والتقرير ثم حذف الفعل الاول لدلالة الثاني عليه والفاء الاولى
جزائية والثانية للدلالة علي السببية والاصل ان فرحوا بشي فبذلك ليفرحوا لا بشي اخر ثم ادخل الفاء للدلالة
علي السببية ثم حذف الشرط ومعني البعد في اسم الاشارة للدلالة علي بعد درجة فضل الله ورحمته ويجوز
ان يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا ويجوز ان يتعلق الباء بجاءتكم اي جاءتكم موعظة بفضل
الله وبرحمته فبذلك فبمجيئها فليفرحوا وقري فلتفرحوا وقراء ابي فافرحوا وعن ابي بن كعب ان رسول
الله صلي الله عليه وسلم تلى قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام وقيل فضله
الاسلام ورحمته ما وعد عليه هو اي ما ذكر من فضل الله ورحمته ورحمته خير مما يجمعون من حطام
الدنيا وقري تجمعون اي فبذلك فليفرح المؤمنون هو خير مما تجمعون ايها المخاطبون قل ارايتم اي
اخبروني ما انزل الله لكم من رزق ما منصوبة المحل بما بعدها او بما قبلها واللام للدلالة علي ان المراد بالرزق ما
حل لهم وجعله منزلا لانه مقدر في السماء محصل هو او ما يتوقف عليه وجودا او بقاء باسباب سماوية
من المطر والكواكب في الانضاج والتلوين فجعلتم منه اي جعلتم بعضه حراما اي حكمتم بانه حرام
وحلالا اي وجعلتم بعضه حلالا اي حكمتم بحله مع كون كله حلالا وذلك قولهم هذه انعام وحرث حجر
الاية وقولهم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم علي ازواجنا ونحو ذلك وتقديم الحرام لظهور
لظهور اثر الجعل فيه ودوران التوبيخ عليه قل تكرير لتاكيد الامر بالاستخبار اي اخبروني آلله اذن
لكم في ذلك الجعل فانتم فيه ممتثلون بامره تعالي ام علي الله تفترون ام متصلة والاستفهام للتقرير
والتبكيت لتحقق العلم بالشق الاخير قطعا كانه قيل الم ياذن لكم بل تفترون عليه سبحانه فاظهر الاسم الجليل
وقدم علي الفعل دلالة علي كمال قبح افترائهم وتاكيدا للتبكيت اثر تاكيد مع مراعاة الفواصل ويجوز ان يكون
الاستفهام للانكار وام منقطعة ومعني بل فيها الاضراب والانتقال من التوبيخ والزجر بانكار الاذن
الي ما يفيده همزتها من التوبيخ علي الافتراء عليه سبحانه وتقرير وتقديم الجار والمجرور وعلي هذا يجوز ان يكون
للقصر كانه قيل بل اعلي الله خاصة تفترون وما ظن الذين يفترون علي الله الكذب كلام مسوق من قبله تعالي
لبيان هول ما سيلقونه غير داخل تحت القول المامور به والتعبير عنهم بالموصول في موقع الاضمار لقطع احتمال
الشق الاول من الترديد والتسجيل عليهم بالافتراء وزيادة الكذب مع ان الافتراء لا يكون الا كذبا لاظهار
كمال قبح ما افتعلوا وكونه كذبا في اعتقادهم ايضا وكلمة ما استفهامية وقعت مبتدا وظن خبرها ومفعولاه
محذوفان قوله عز وجل يوم القيمة ظرف لنفس الظن اي اي شيء ظنهم في ذلك اليوم يوم عرض الافعال
والاقوال والمجازاة عليها مثقالا بمثقال والمراد تهويله وتفظيعه بهول ما يتعلق به مما يصنع بهم يومئذ
وقيل هو ظرف لما يتعلق به ظنهم اليوم من الامور التي ستقع يوم القيمة تنزيلا له ولما فيه من الاحوال

لكمال

لكمال وضوح امره في التقرر والتحقق منزلة المسلم عندهم اي اي شيء ظنهم لما سيقع يوم القيمة ايحسبون انهم لا
يسألون عن افترائهم او لا يجازون عليه او يجازون جزاء يسيرا ولاجل ذلك يفعلون ما يفعلون كلا انهم لفي اشد
العذاب لان معصيتهم اشد المعاصي ومن اظلم ممن افتري علي الله كذبا وقري علي لفظ الماضي اي اي ظن ظنوا يوم
القيمة وايراد صيغة الماضي لانه كاين فكانه قد كان ان الله لذو فضل اي عظيم لا يكتنه كنهه علي الناس
اي جميعا حيث انعم عليهم بالعقل المميز بين الحق والباطل والحسن والقبيح ورحمهم بانزال الكتب وارسال
الرسل وبين لهم الاسرار التي لا تستقل العقول في ادراكها وارشدهم الي ما يهمهم من امر المعاش والمعاد ولكن
اكثرهم لا يشكرون تلك النعمة الجليلة فلا يصرفون قواهم ومشاعرهم الي ما خلقت له ولا يتبعون دليل العقل
فيما يستبد به ولا دليل الشرع فيما لا يدرك الا به وقد تفضل عليهم ببيان ما سيلقونه يوم القيمة فلا يلتفتون
اليه فيقعون فيما يقعون فهو تذييل كما سبق مقرر لمضمونه وما تكون في شان اي في امر من شان شانه اي
قصدت قصده مصدر بمعني المفعول وما تتلو منه الضمير للشان والظرف صفة لمصدر محذوف اي تلاوة
كاينة من الشان اذ هي معظم شؤونه عليه الصلاة والسلام او للتنزيل والاضمار قبل الذكر لتفخيم شانه ومن ابتدائية
او تبعيضية او لله عز وجل ومن ابتدائية والتي في قوله تعالي من قرآن مزيدة لتاكيد النفي وابتدائية علي الوجه
الاول وبيانية او تبعيضية علي الثاني والثالث ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب اثر تخصيصه بمن هو قدوة الكل
وقد روعي في كل من المقامين ما يليق به حيث ذكر في الاول من الاعمال ما فيه فخامة وجلالة وفي الثاني ما يتناول الجليل
والحقير قوله تعالي الا كنا عليكم شهودا استثناء مفرغ من اعم احوال المخاطبين بالافعال الثلاثة اي ما تلابسون
بشيء منها في حال من الاحوال الا حال كوننا رقباء مطلعين عليه حافظين له اذ تفيضون فيه اي تخوضون و
تندفعون فيه واصل الافاضة الاندفاع بكثرة او بقوة وحيث اريد بالافعال السابقة الحالة المستمرة الدائمة
المقارنة للزمان الماضي ايضا اوثر في الاستثناء صيغة الماضي وفي الظرف كلمة اذ التي تفيد المضارع معني
الماضي وما يعزب عن ربك اي لا يعزب ولا يغيب عن علمه الشامل وفي التعرض لعنوان الربوبية بالاشعار باللطف
ما لا يخفي وقري بكسر الزاء من مثقال ذرة كلمة من مزيدة لتاكيد النفي اي ما يعزب عنه ما يساوي في
الثقل نملة صغيرة او هباء في الارض ولا في السماء اي في دائرة الوجود والامكان فان العامة لا تعرف سواهما
ممكنا ليس في احدهما او متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها والمقصود اقامة البرهان علي
احاطة علمه تعالي بتفاصيلها وقوله تعالي ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين كلام براسه مقرر لما قبله
ولا نافية للجنس واصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقري بالرفع علي الابتداء والخبر ومن عطف علي مثقال ذرة
وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او علي محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا كانه قيل لا يعزب
عن ربك شيء ما لكن جميع الاشياء في كتاب مبين فكيف يعزب عنه شيء منها وقيل يجوز ان يكون
الاستثناء متصلا ويعزب بمعني يبين ويصدر والمعني لا يصدر عنه تعالي شيء الا وهو في كتاب مبين والمراد
بالكتاب المبين اللوح المحفوظ الا ان اولياء الله بيان علي وجه التبشير والوعد لما هو نتيجة لاعمال المومنين
وغاية لما ذكر قبله من كونه تعالي مهيمنا علي نبيه عليه الصلاة والسلام وامته في كل ما ياتون وما يذرون
واحاطة علمه سبحانه بجميع ما في السماء والارض وكون الكل مثبتا في الكتاب المبين بعد ما اشير الي فظاعة
حال المفترين علي الله تعالي يوم القيمة وما سيعتريهم من الهول اشارة اجمالية علي طريقة التهديد والوعيد
وصدرت الجملة بحرف التنبيه والتحقيق لزيادة تقرير مضمونها والولي لغة القريب والمراد باولياء الله
تعالي خلص المؤمنين لقربهم الروحاني منه سبحانه وتعالي كما سيفصح عنه تفسيرهم لا خوف عليهم في الدارين
من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون
ولا يحزنون ولا انه لا يعتريهم خوف وحزن اصلا بل يستمرون علي النشاط والسرور كيف لا واستشعار الخوف

والخشية استعظاما لجلالة الله سبحانه وهيبته واستقصارا للجد والسعي في اقامة حقوق العبودية
من خصايص الخواص والمقربين والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في
الجملة الثانية مضارعا لما مر مرارا من ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الاستمرار والدوام
بحسب المقام وانما لم يعتريهم ذلك لان مقصدهم ليس الا طاعة الله تعالى ونيل رضوانه المستتبع للكرامة
والزلفى وذلك مما لا ريب في حصوله ولا احتمال لفواته بموجب الوعد بالنسبة اليه تعالى واما ما عدا ذلك
من الامور الدنيوية المترددة بين الحصول والفوات فهي بمعزل من الانتظام في سلك مقاصدهم وجودا و
عدما حتى يخافوا من حصول ضارها او يحزنوا بفوات نافعها وقوله عز وجل الذين امنوا اي بكل ما جاء من عند
الله تعالى قوله عز وجل وكانوا يتقون اي يقون انفسهم عما يحق وقايتها عنه من الافعال والتروك وقاية
دايمة حسبما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل بيان وتفسير لهم واشارة الى ما به نالوا ما نالوا على
طريقة الاستيناف المبني على السوال ومحل الموصول الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف كانه قيل من اوليك وما
سبب فوزهم بتلك الكرامة فقيل هم الذين جمعوا بين الايمان والتقوى المفضيين الى كل خير المنجيين عن كل
وقيل محل النصب او الرفع على المدح او على انه وصف مادح للاولياء ولا يقدح في ذلك توسط الخبر
والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة منها الجامعة لما تحتها من مرتبة التوقي عن الشرك التي يفيدها الايمان
ايضا ومرتبة التجنب عن كل ما يوثم من فعل وترك اعني تنزه الانسان عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل
اليه بالكلية وهو التقوى الحقيقي المامور به في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته وبه يحصل
الشهود والحضور والقرب الذي يدور عليه اطلاق الاسم عليه وهكذا كان حال من دخل معه عليه الصلاة
والسلام تحت الخطاب بقوله عز وعلا ولا تعملون من عمل الا انهم في شان التبتل والتنزه درجات متفاوتة
حسب تفاوت درجات استعداداتهم الفايضة عليهم بموجب المشية المبنية على الحكم الابية اقصاها
ما انتهى اليه الانبياء عليهم السلام حتى جمعوا بين رياستي النبوة والولاية ولم يعقهم التعلق بعالم الاشباح
عن الاستغراق في عالم الارواح ولم تصدهم الملابسة بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق لكمال استعداد
نفوسهم الزكية المويدة بالقوة القدسية فملاك امر الولاية هو التقوى المذكور فاولياء الله تعالى هم
المومنون المتقون ويقرب منه ما قيل انهم الذين تولى الله هدايتهم بالبرهان وتولوا القيام بحق عبودية
الله تعالى والدعوة اليه ولا يخالفه ما قيل من انهم الذين يذكر الله برويتهم لما روي عن سعيد بن جبير
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيل من اولياء الله تعالى فقال هم الذين يذكر الله برويتهم اي بسمتهم
واخباتهم وسكينتهم ولا ما قيل من انهم المتحابون في الله لما روي عن عمر رضي الله عنه انه قال سمعت النبي
صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم
القيمة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم فقال هم قوم تحابوا
في الله على غير ارحام منهم ولا اموال يتعاطون فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور ولا يخافون
اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس فان ما ذكر من حسن السمت والسكينة المذكرة لله تعالى والتحاب
في الله سبحانه من الاحكام الدنيوية اللازمة للايمان والتقوى والاثار الخاصة بهما الحقيقة بالتخصيص
بالذكر لظهورها وقربها من افهام الناس وقد اورد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا من ذلك حسبما
يقتضيه مقام الارشاد والتذكير ترغيبا للسايلين او غيرهم من الحاضرين فيما خصه بالذكر هنالك من احكامهما
فلعل الحاضرين اولا كانوا محتاجين الى اصلاح الحال من جهة الاقوال والافعال والملابس ونحو ذلك والحاضرين
ثانيا مفتقرين الى تاليف قلوبهم وعطفها نحو المومنين الذين لا علاقة بينهم وبينهم من جهة النسب والقرابة
وتاكيد ما بينهم من الاخوة الدينية ببيان عظم شانها وارتفاع مكانها وحسن عاقبتها ليراعوا حقوقها

ويجروا

ويجروا من لا يوافقهم في الدين من ارحامهم واما ما ذكر من انه يغبطهم الانبياء فتصوير لحسن حالهم على طريقة التمثيل قال
الكواشي وهذا مبالغة والمعنى لو فرض قوم بهذه الصفة لكانوا هولاء وقيل اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم
بالكرامة وجعل قوله عز وجل الذين امنوا وكانوا يتقون تفسيرا لتوليهم اياه تعالى وقوله عز وعلا لهم البشرى في الحيوة الدنيا
وفي الاخرة تفسيرا لتوليه اياهم ولا ريب في ان اعتبار القيد الاخير في مفهوم الولاية غير مناسب لمقام ترغيب المومنين
في تحصيلها والثبات عليها وارشادهم باثارها ونتايجها بل مخل بذلك اذ التحصيل انما يتعلق بالمقدور والاسترشاد
لا يحصل الا بما علم وجود سببه والقيد المذكور ليس بمقدورهم حتى يحصلوا الولاية بتحصيله ولا بمعلوم لهم عند حصوله
حتى يعرفوا حصول الولاية لهم ويستبشروا بمحاسن اثارها بل تولي الكرامة عين نتيجة الولاية فاعتباره في عنوان
الموضوع ثم الاخبار بعدم الخوف والحزن مما لا يليق بشان التنزيل الجليل فالذي يقتضيه نظمه الكريم ان الاول
تفسير للاولياء حسبما شرح والثاني بيان لما اولاهم من خيرات الدارين بعد بيان انجائهم من شرورهما ومكارههما
والجملة مستانفة كما سبق كانه قيل هل لهم وراء ذلك من نعمة وكرامة فقيل لهم ما يسرهم في الدارين وتقديم الاول
لما ان التخلية سابقة على التحلية مع ما فيه من مراعاة حق المقابلة بين حسن حال المومنين وسوء حال المفترين وتعجيل
ادخال المسرة بتبشير الخلاص عن الاهوال وتوسيط البيان السابق بين بشارة الخلاص عن المحذور والفوز بالمطلوب
لاظهار كمال العناية بتفسير الاولياء مع الايذان بان انتفاء الخوف والحزن لاتقائهم عما يودي اليهما من الاسباب
والبشرى مصدر اريد به المبشر به من الخيرات العاجلة كالنصر والفتح والغنيمة وغير ذلك والاجلة الغنية عن
البيان وايثار الابهام والاجمال للايذان بكونه وراء البيان والتفصيل والظرفان في موقع الحال منه والعامل ما في
الخبر من معنى الاستقرار اي لهم البشرى حال كونها في الحيوة الدنيا وحال كونها في الحيوة الاخرة اي عاجلة واجلة
او من الضمير المجرور اي حال كونهم في الحيوة الى اخره ومن البشرى العاجلة الثناء الحسن والذكر الجميل ومحبة الناس
عن ابي ذر قلت يا رسول الله الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال عليه الصلاة والسلام تلك عاجل
بشرى المومنين هذا وقد قيل البشرى مصدر والظرفان متعلقان به اما البشرى في الدنيا فهي البشارات
الواقعة للمومنين المتقين في غير موضع من الكتاب المبين وعن النبي صلى الله عليه وسلم هي الرويا الصالحة يراها
المومن او ترى له وعنه عليه الصلاة والسلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وعن عطاء لهم البشرى
عند الموت تاتيهم الملايكة بالرحمة قال الله تعالى تتنزل عليهم الملايكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة واما
البشرى في الاخرة فتلقي الملايكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء
الصحايف بايمانهم وما يقرون منها وغير ذلك من البشارات العاجلة فيكون هذه بشارة بما سيقع من البشارات
العاجلة والاجلة المطلوبة لغاياتها لا لذواتها ولا يخفى ان صرف البشارة الناجزة عن المقاصد بالذات الى
وسايلها مما لا يساعده جلالة شان التنزيل الكريم لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله التي من جملتها مواعيده
الواردة بشارة للمومنين المتقين فيدخل فيه البشارات الواردة دخولا اوليا ويثبت امتناع الاخلاف فيها
ثبوتا قطعيا وعلى تقدير كون المراد بالبشرى الرويا الصالحة فالمراد بعدم تبديل كلمات الله تعالى ليس عدم الخلف
بينها وبين نتايجها الدنيوية والاخروية بل عدم الخلف بينها وبين ما دل على ثبوتها ووقوعها فيما سبق
بطريق الوعد من قوله تعالى لهم البشرى فتدبر ذلك اشارة الى ما ذكر من ان لهم البشرى في الدارين قوله تعالى
هو الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه وفيه تفسير بما ابهم فيما سبق وهاتيك الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر
به وتعظيم شانه وليس من شرطه ان يكون بعده كلام متصل بما قبله او هذه تذييل والسابقة اعتراض ولا يحزنك
قولهم تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم عما كان يلقاه من جهتهم من الاذية الناشية من مقالاتهم الموحشة و
تبشير له عليه الصلاة والسلام بانه عز وجل ينصره ويعزه عليهم اثر بيان ان له ولاتباعه امنا من كل محذور وفوزا
بكل مطلوب وقرئ ولا يحزنك من احزن وهو في الحقيقة نهي له عليه الصلاة والسلام عن الحزن كانه يقول

لا تحزن بقولهم ولا تبال بتكذيبهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال امرك وسائر ما يتفوهون به في شانك مما لا خير فيه وانما وجه الي النهي قولهم للمبالغة في نهيه عليه الصلاة والسلام عن الحزن لما ان النهي عن التاثير نهي عن التاثر باصله ونفي له بالمرة وقد يوجه النهي الي اللازم والمراد هو النهي عن الملزوم كما في قولك لا ارينك ههنا وتخصيص النهي عن الحزن بالايراد مع شمول النفي السابق للخوف ايضا لما انه لم يكن فيه عليه الصلاة والسلام شائبة خوف حتي ينهي عنه وربما كان يعتريه عليه الصلوة والسلام في بعض الاوقات نوع حزن فسلي عن ذلك وقوله تعالي **ان العزة** علي طريقة الاستيناف اي الغلبة والقهر **لله جميعا** اي في ملكته وسلطانه لا يملك احد شيئا منها اصلا لا هم ولا غيرهم فهو يقهرهم ويعصمك منهم وينصرك عليهم وقد كان كذلك فهي من جملة المبشرات العاجلة **وقرئ** بفتح ان علي صريح التعليل اي لان العزة لله **هو السميع العليم** يسمع ما يقولون في حقك ويعلم ما يعزمون عليه وهو مكافيهم بذلك **الا ان لله من في السموات ومن في الارض** اي العقلاء من الملائكة والثقلين وتخصيصهم بالذكر للايذان بعدم الحاجة الي التصريح بغيرهم فانه مع شرفهم وعلو طبقتهم اذا كانوا عبيدا له سبحانه مقهورين تحت قدرته وملكته فما عداهم من الموجودات اولي بذلك وهو مع ما فيه من التاكيد لما سبق من اختصاص العزة بالله تعالي الموجب لسلوته عليه الصلاة والسلام وعلم مبالاته بالمشركين وبمقالاتهم تمهيد لما لحق من قوله تعالي **وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء** وبرهان علي بطلان ظنونهم واعمالهم المبنية عليه وما اما نافية وشركاء مفعول يتبع ومفعول يدعون محذوف لظهوره اي ما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء في الحقيقة وان سموها شركاء فاقتصر علي احدهما لظهور دلالته علي الاخر ويجوز ان يكون المذكور مفعول يدعون ويكون مفعول يتبع محذوفا لانفهامه من قوله تعالي **ان يتبعون الا الظن** اي ما يتبعون يقينا انما يتبعون ظنهم الباطل واما موصولة معطوفة علي من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء اي له وشركاؤهم وتخصيصهم بالذكر مع دخولهم فيما سبق عبارة او دلالة للمبالغة في بيان بطلان اتباعهم وفساد ما بنوا عليه من ظنهم شركاء وهم معبودين مع كونهم عبيدا لله سبحانه واما استفهامية اي واي شيء يتبعون اي لا يتبعون شيئا ما يتبعون الا الظن والخيال الباطل كقوله تعالي ما تعبدون الا اسماء سميتموها **وقرئ** تدعون بالتاء فالاستفهام للتبكيت والتوبيخ كانه قيل واي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين تقريرا لكونهم متبعين لله تعالي مطيعين له وتوبيخا لهم علي عدم اقتدائهم بهم في ذلك كقوله تعالي اولئك الذين يدعون يبتغون الي ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب الي الغيبة فقيل ان يتبع هؤلاء المشركون الا الظن ولا يتبعون ما تتبعه الملائكة والنبيون من الحق قوله تعالي **وان هم الا يخرصون** يكذبون فيما ينسبون اليه سبحانه ويحزرون ويقدرون انهم شركاء تقديرا باطلا **هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا** تنبيه علي تفرده تعالي بالقدرة الكاملة والنعمة الشاملة ليدلهم علي توحده سبحانه باستحقاق العبادة وتقرير لما سلف من كون جميع الموجودات الممكنة تحت قدرته وملكته المفصح عن اختصاص العزة به سبحانه والجعل ان كان بمعني الابداع والخلق فمبصرا حال والا فلكم مفعوله الثاني من الجملة الثانية كما ان علة الغائية منها محذوفة اعتمادا علي ما في الاول والتقدير هو الذي جعل لكم الليل مظلما لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتتحركوا فيه لمصالحكم كما سيجي نظيره في قوله تعالي وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله الاية فحذف في كل واحد من الجانبين ما ذكر في الاخر اكتفاء بالمذكور عن المتروك واسناد الابصار الي النهار مجازي كالذي في نهاره صائم **ان في ذلك** اي في جعل كل منهما كما وصف او فيهما وما في اسم الاشارة من معني البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه وعلو رتبته **لايات** اي عجيبة كثيرة وايات اخر غير ما ذكر **لقوم يسمعون** اي هذه الايات المتلوة ونظائرها المنبهة علي تلك الايات التكوينية الامرة بالتامل فيها سماع تدبر واعتبار فيعملون بمقتضاها وتخصيص الايات بهم مع انها منصوبة لمصلحة الكل لما انهم المنتفعون بها **قالوا** شروع في ذكر ضرب اخر من اباطيلهم وبيان بطلانه **اتخذ الله ولدا** اي تبناه **سبحانه** تنزيه وتقديس له عما نسبوا اليه

وتعجيب

وتعجيب من كلمتهم الحمقاء **هو الغني** علي الاطلاق عن كل شيء في كل شيء وهو علة لتنزيهه سبحانه وايذان بان اتخاذ الولد من احكام الحاجة وقوله عز وجل **له ما في السموات وما في الارض** اي من العقلاء وغيرهم تقرير لغناه وتحقيق لمالكيته تعالي لكل ما سواه وقوله عز شانه **ان عندكم من سلطان** اي حجة **بهذا** اي بما ذكر من قولهم الباطل توضيح لبطلانه بتحقيق سلامة ما اقيم من البرهان الساطع عن المعارض فمن في من سلطان زايدة لتاكيد النفي وهو مبتدا والظرف المقدم خبره او مرتفع علي انه فاعل للظرف لاعتماده علي النفي وبهذا متعلق اما بسلطان لانه بمعني الحجة والبرهان واما بمحذوف وقع صفة له واما بما في عندكم من معني الاستقرار كانه قيل ان عندكم في هذا القول من سلطان والالتفات الي الخطاب لمزيد المبالغة في الالزام والافحام وتاكيد ما في قوله تعالي **اتقولون علي الله ما لا تعلمون** من التوبيخ والتقريع علي جهلهم واختلاقهم وفيه تنبيه علي ان كل مقالة لا دليل عليها فهي جهالة وان العقائد لا بد لها من برهان قطعي وان التقليد بمعزل من الاعتداد به **قل** تلوين للخطاب وتوجيه له الي رسول الله صلي الله عليه وسلم ليتبين لهم سوء معبتهم ووخامة عاقبتهم **ان الذين يفترون علي الله الكذب** اي في كل امر فيدخل ما نحن بصدده من الافتراء بنسبة الولد والشريك اليه سبحانه دخولا اوليا **لا يفلحون** اي لا ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب اصلا وتخصيص عدم النجاة والفوز بما يندرج في ذلك من عدم النجاة من النار وعدم الفوز بالجنة لا يناسبه مقام المبالغة في الزجر عن الافتراء عليه سبحانه **متاع في الدنيا** كلام مستانف سيق لبيان ان ما يتراءي فيهم بحسب الظاهر من نيل المطالب والفوز بالحظوظ الدنيوية علي الاطلاق او في ضمن افترائهم بمعزل من ان يكون من جنس الفلاح كانه قيل كيف لا يفلحون وهم في غبطة ونعيم فقيل هو متاع يسير في الدنيا وليس بفوز بالمطلوب ثم اشير الي انتفاء النجاة عن المكروه ايضا بقوله عز وعلا **ثم الينا مرجعهم** اي بالموت **ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون** فيبقون بالشقاء المؤبد بسبب كفرهم المستمر او بكفرهم في الدنيا فاين هم من الفلاح **وقد قيل** المبتدا المحذوف حياتهم او تقلبهم **وقيل** انه افتراؤهم ولا يخفي ان المتاع انما يطلق علي ما يكون مطبوعا عند النفس مرغوبا فيه في نفسه يتمتع وينتفع به وانما عدم الاعتداد به لسرعة زواله ونفس الافتراء عليه سبحانه اقبح القبائح عند النفس فضلا ان يكون مطبوعا عندها وعده كذلك باعتبار اجراء حكم ما يؤدي اليه من رياستهم عليه مما لا وجه له فالوجه ما ذكر اولا وليس ببعيد ما قيل ان المحذوف هو الخبر اي لهم متاع والاية اما مسوقة من جهة الله سبحانه لتحقيق عدم افلاحهم غير داخلة في الكلام المامور به كما يقتضيه ظاهر قوله تعالي ثم الينا وقوله تعالي ثم نذيقهم واما داخلة فيه علي ان النبي عليه الصلاة والسلام مامور بنقله وحكايته عز وجل **واتل عليهم** اي علي المشركين من اهل مكة وغيرهم لتحقيق ما سبق من انهم لا يفلحون وان ما يتمتعون به علي جناح الفوات وانهم مشرفون علي العذاب الخالد **نبا نوح** اي خبره الذي له شان وخطر مع قومه الذين هم اضراب قومك في الكفر والعناد ليتدبروا ما فيه من زوال ما تمتعوا به من النعيم وحلول عذاب الغرق الموصول بالعذاب المقيم لينزجروا بذلك عما هم عليه من الكفر او تنكسر شدة شكيمتهم او يعترف بعضهم بصحة نبوتك بان عرفوا ان ما تتلوه موافقا لما ثبت عندهم من غير مخالفة بينهما اصلا مع علمهم بانك لم تسمع ذلك من احد ليس الا بطريق الوحي وفيه من تقرير ما سبق من كون الكل لله سبحانه واختصاص العزة به تعالي وانتفاء الخوف والحزن من اوليائه عز وعلا قاطبة وتشجيع النبي صلي الله عليه وسلم وحمله علي عدم المبالاة بهم وباقوالهم وافعالهم ما لا يخفي **اذ قال** معمول لنبا او بدل اشتمال واياما كان فالمراد بعض نبائه عليه السلام لا كل ما جري بينه وبين قومه واللام في قوله تعالي **لقومه** للتبليغ **يا قوم ان كان كبر** اي عظم وشق **عليكم مقامي** اي نفسي كما يقال فعلته لمكان فلان اي لفلان ومنه قوله تعالي ولمن خاف مقام ربه اي خاف ربه او قيامي ومكثي بين ظهرانيكم مدة طويلة او قيامي **وتذكيري بايات الله** لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة يقومون علي ارجلهم والجماعة قعود ليظهر حالهم ويسمع مقالهم **فعلي الله توكلت** جواب للشرط اي دمت علي تخصيص التوكل به تعالي ويجوز ان يراد به احداث مرتبة مخصوصة من مراتب التوكل **فاجمعوا امركم** عطف علي الجواب والفاء لترتيب الامر بالاجماع علي التوكل

لا الترتيب نفس الاجماع عليه او هو الجواب وما سبق جمله اعتراضية والاجماع العزم **قيل** هو متعد بنفسه
وقيل فيه حذف وايصال **قال** السدوسي اجمعه الامر افصح من اجمعت عليه **وقال** ابو الهيثم
اجمع امره جعله مجموعا بعد ما كان متفرقا وتفرقه انه يقول مرة افعل كذا واخرى افعل كذا واذا عزم على امر واحد فقد
جمعه اي جعله جميعا **وشركاءكم** بالنصب على ان الواو بمعنى مع كما يدل عليه القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل
تنزيلا للفصل منزلة التاكيد واسناد الاجماع الى الشركاء على طريقة التهكم **وقيل** انه عطف على امركم بحذف المضاف
اي امر شركائكم **وقيل** منصوب بفعل محذوف اي وادعوا شركاءكم **وقد قرئ** كذلك **وقرئ**
فاجمعوا من الجمع اي فاعزموا على امركم الذي تريدون بي من السعي في اهلاكي واجهدوا فيه على اي وجه يمكنكم **ثم لا
يكن امركم** ذلك **عليكم غمة** اي مستورا من غمه اذا ستره بل مكشوفا مشهورا تجاهرونني به فان الستر انما يصار
اليه لسد باب تدارك الخلاص بالهرب او نحوه فحيث استحال ذلك في حقي لم يكن للستر وجه وانما خاطبهم عليه السلام
بذلك اظهارا لعدم المبالاة بهم وانهم لم يجدوا اليه سبيلا وثقة بالله سبحانه وبما وعده من عصمته وكلاءته فكلمة
ثم للتراخي في الرتبة واظهار الامر في موقع الاضمار لزيادة تقرير تقتضيها مقام الامر بالاظهار الذي يستلزمه
النهي عن الستر والاسرار **وقيل** المراد بامرهم ما يعتريهم من جهته عليه السلام من الحال الشديدة عليهم المكروهة
لديهم والغمة الغم كالكربة والكرب وثم للتراخي الزماني والمعنى لا يكن حالكم عليكم غمة وتخلصوا باهلاكي من ثقل مقامي
وتذكيري ولا يخفى انه لا يساعده قوله عز وجل **ثم اقضوا الي ولا تنظرون** اي ادوا الي اي احكموا ذلك الامر الذي
تريدون بي ولا تمهلوني كقوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر او ادوا الي ما هو حق عليكم عندكم من اهلاكي كما يقضي
الرجل غريمه فان توسيط ما يحصل بعد الاهلاك بين الامر بالعزم على مباديه وبين الامر بقضائه من قبيل الفصل
بين الشجر ولحائه **وقرئ** افضوا بالفاء اي انتهوا الي بشركم او ابرزوا الي من افضى اذا خرج الى الفضاء **فان
توليتم** الفاء لترتيب التولي على ما سبق فالمراد به اما الاستمرار عليه واما احداث التولي المخصوص اي ان
اعرضتم عن نصحي وتذكيري اثر ما شاهدتم مني مخايل صحة ما اقول ودلائلها التي من جملتها دعوتي اياكم جميعا الى تحقيق
ما تريدون بي من السوء غير مبال بكم وبما يأتي منكم واحجامكم من الاجابة علما منكم باني على الحق المبين مؤيد من عند الله
العزيز **فما سألتكم** بمقابلة وعظي وتذكيري **من اجر** تؤدونه الي حتى يؤدي ذلك الى توليكم اما اتهاما لكم اياي
بالطمع والسؤال واما لثقل دفع المسئول عليكم او حتى يضر في توليكم المؤدي الى الحرمان فالاول لاظهار بطلان
التولي ببيان عدم ما يصححه والثاني لاظهار عدم مبالاته عليه السلام بوجوده وعدمه وعلى التقديرين فالفاء
الجزائية لسببية الشرط لاعلام مضمون الجزاء لا لنفسه والمعنى ان توليتم فاعلموا ان ليس في مصحح له ولا تاثر
منه قوله عز وجل **ان اجري الا على الله** ينتظم المعنيين جميعا خلا انه على الاول تاكيد وعلى الثاني تعليل لاستغنائه
عليه السلام عنهم اي ما ثوابي على العظة والتذكير الا عليه تعالى يثيبني به آمنتم او توليتم **وامرت ان اكون من المسلمين**
المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره او المستسلمين لكل ما يصيب من البلاء في طاعة الله تعالى **فكذبوه**
فاصروا على ما هم عليه من التكذيب بعد ما الزمهم الحجة وبين لهم المحجة وحققوا ان توليهم ليس لهم سبب غير التمرد
والفساد فلا جرم حقت عليهم كلمة العذاب **فنجيناه ومن معه في الفلك** من المسلمين وكانوا ثمانين **وجعلناهم
خلائف** من الهالكين **واغرقنا الذين كذبوا باياتنا** اي بالطوفان وتاخير ذكره عن ذكر الانجاء والاستخلاف حسبما
وقع في قوله عز وعلا ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة وغير ذلك من
الايات الكريمة لاظهار كمال العناية بشان المقدم ولتعجيل المسرة للسامعين وللايذان بسبق الرحمة التي هي من
مقتضيات الربوبية على الغضب الذي هو من مستتبعات جرائم المجرمين **فانظر كيف كان عاقبة المنذرين**
تهويل لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب بالرسول صلى الله عليه وسلم وتسلية له عليه الصلاة والسلام **ثم بعثنا**
اي ارسلنا **من بعده** اي من بعد نوح عليه السلام **رسلا** التنكير للتفخيم ذاتا ووصفا اي رسلا كراما ذوي عدد

كثير

كثير **الى قومهم** الى اقوامهم لكن لا بان ارسلنا كل رسول منهم الى الاقوام الكل والى قوم ما اي قوم كانوا بل كل رسول
الى قومه خاصة مثل هود الى عاد وصالح الى ثمود وغير ذلك ممن قص منهم ومن لم يقص **فجاؤهم** اي جاء كل رسول
قومه المخصوصين به **بالبينات** اي المعجزات الواضحة الدالة على صدق ما قالوا والباء اما متعلقة بالفعل المذكور
على انها للتعدية او بمحذوف وقع حالا من ضمير جاؤا اي ملتبسين بالبينات لكن لا بان يأتي كل رسول ببينة
واحدة بل ببينات كثيرة خاصة به معينة له حيث اقتضاء الحكمة فان مراعاة انقسام الآحاد انما هي فيما بين ضميري
جاؤهم كما اشير اليه **فما كانوا ليؤمنوا** بيان لاستمرار عدم ايمانهم في الزمان الماضي لا لعدم استمرار ايمانهم كما مر
مثله في هذه السورة الكريمة غير مرة اي فما صح وما استقام لقوم من اولئك الاقوام في وقت من الاوقات ان يؤمنوا
بل كان ذلك ممتنعا منهم لشدة شكيمتهم في الكفر والعناد ثم ان كان المحكي آخر حال كل قوم حسبما يدل عليه حكاية
قوم نوح فالمراد بعدم ايمانهم المذكور ههنا اصرارهم على ذلك بعد اللتيا والتي وبما اشير اليه في قوله عز وجل **بما كذبوا
به من قبل** تكذيبهم من حين مجيء الرسل الى زمان الاصرار والعناد وانما لم يجعل ذلك مقصودا بالذات كالاول حيث جعل
صلة للموصول ايذانا بانه بين بنفسه غني عن البيان وانما المحتاج الى ذلك عدم ايمانهم بعد تواتر البينات
الظاهرة • وتظاهر المعجزات الباهرة • التي كانت تضطرهم الى القبول • لو كانوا من اصحاب العقول • والموصول
الذي تعلق به الايمان والتكذيب سلبا وايجابا عبارة عن جميع الشرائع التي جاء به كل رسول اصولها وفروعها
وان كان المحكي جميع احوال كل قوم منهم فالمراد بما ذكر اولا كفرهم المستمر من حين مجيء الرسل الى آخره وبما اشير
اليه اخرا تكذيبهم قبل مجيئهم فلا بد من كون الموصول المذكور عبارة عن اصول الشرائع التي اجتمعت عليها الرسل قاطبة
ودعوا اممهم اليها اثر ذي اثير لاستحالة تبدلها وتغيرها مثل ملة التوحيد ولوازمها ومعنى تكذيبهم بها قبل مجيء رسلهم
انهم كانوا في زمن الجاهلية بحيث لم يسمعوا بكلمة التوحيد قط بل كان كل قوم من اولئك الاقوام يتسامعون بها
من بقايا من قبلهم كثمود من بقايا عاد وعاد من بقايا قوم نوح عليه السلام فيكذبونها ثم كانت حالتهم بعد مجيء الرسل
كحالتهم قبل ذلك كان لم يبعث اليهم احد وتخصيص التكذيب وعدم الايمان بما ذكر من الاصول لظهور حال الباقي
بدلالة النص فانهم حين لم يؤمنوا بما اجتمعت عليه كافة الرسل فلما تفرد به بعضهم اولى وعدم جعل هذا التكذيب
مقصودا بالذات لما ان ما عليه يدور امر العذاب والعقاب عند اجتماع التكذيبين هو التكذيب الواقع بعد الدعوة
حسبما يعرب عنه قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وانما ذكر ما وقع قبلها بيانا لعراقتهم في الكفر والتكذيب
وعلى التقديرين فالضمائر الثلاثة متوافقة في المرجع **وقيل** ضمير كذبوا راجع الى قوم نوح عليه السلام والمعنى
فما كان قوم الرسل ليؤمنوا بما كذب بمثله قوم نوح ولا يخفى ما فيه من التعسف **وقيل** الباء للسببية اي بسبب
تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل ولا يخفى ان ذلك يؤدي الى مخالفة الجمهور من جعل ما مصدرية
من قبيل الاسماء كما هو راي الاخفش وابن السراج ليرجع اليها الضمير وفي ارجاعه الى الحق بادعاء كونه مركوزا في
الاذهان ما لا يخفى من التعسف **كذلك** اي مثل ذلك الطبع المحكم **نطبع** بنون العظمة **وقرئ** بالياء
على ان الضمير لله سبحانه **على قلوب المعتدين** • المتجاوزين عن الحدود المعهودة في الكفر والعناد • المتجافين عن قبول
الحق وسلوك طريق الرشاد • وذلك بخذلانهم وتخليتهم وشانهم لانهماكهم في الغي والضلال وفي امثالهم هذا دلالة
على ان الافعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد **ثم بعثنا** عطف على قوله تعالى ثم بعثنا من بعده رسلا
الى قومهم عطف قصة على قصة **من بعدهم** اي من بعد اولئك الرسل عليهم السلام **موسى وهرون** خصت
بعثتهما عليهما السلام بالذكر ولم يكتف باندراج خبرهما فيما اشير اليه اشارة اجمالية من اخبار الرسل عليهم
السلام مع اقوامهم واوثر في ذلك ضرب تفصيل ايذانا بخطر شان القصة وعظم وقعها كما في نبأ نوح عليه
السلام **الى فرعون وملائه** اي اشراف قومه وتخصيصهم بالذكر لاصالتهم في اقامة المصالح والمهمات ومراجعة
الكل اليهم في النوازل والملمات **باياتنا** اي ملتبسين بها وهي الايات المفصلات في الاعراف **فاستكبروا** الاستكبار

ادعاء الكبر من غير استحقاق والفاء فصيحة اي فآتيناهم فبلغناهم الرسالة فاستكبر واعن اتباعهما وذلك قول اللعين لموسى عليه السلام الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين **وكانوا قوما مجرمين** اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اي كانوا معتادين لارتكاب الذنوب العظام فان الاجرام موذن لعظيم ومنه الجرم اي الجثة فلذلك اجترؤا على ما اجترؤا عليه من الاستهانة برسالة الله عز وجل وحمل الاستكبار على الامتناع عن قبول الآيات لا يساعده قوله عز وعلا **فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين** فانه صريح في ان المراد باستكبارهم ما وقع منهم قبل مجيء الحق الذي سمعوه سحرا اعني العصا واليد البيضاء كما ينبئ عنه سياق النظم الكريم وذلك اول ما اظهره عليه السلام من الآيات العظام والفاء فيه ايضا فصيحة معربة عما صرح به في مواضع آخر كانه قيل قال موسى قد جئتكم ببينة من ربكم الى قوله تعالى فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه قالوا من فرط عتوهم وعنادهم ان هذا لسحر مبين اي ظاهر كونه سحرا او فائق في بابه واضح فيما بين اضرابه **وقرئ** لساحر **قال موسى** استيناف مبني على سوال ينساق اليه الاذهان كانه قيل فماذا قال لهم موسى حينئذ فقيل قال على طريقة الاستفهام الانكاري التوبيخي **اتقولون للحق** الذي هو ابعد شيء من السحر الذي هو الباطل البحت **لما جاءكم** اي حين مجيئه اياكم ووقوفكم عليه او من اول الامر من غير تامل وتدبر كلا الحالين مما ينافي القول المذكور والقول محذوف ثقة بدلالة ما قبله وما بعده عليه ايذانا وانه مما لا ينبغي ان يتفوه به ولو على نهج الحكاية اي تقولون له ما تقولون من انه سحر يعني به انه مما لا يمكن ان يقوله قائل ويتكلم به متكلم او القول بمعنى العيب والطعن من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول اذا قال بعضهم لبعض ما يسوء ونظيره الذكر في قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم الى آخره فيستغني عن المفعول اي اتعيبونه وتطعنون فيه وعلى الوجهين قوله عز وجل **اسحر هذا** انكار مستانف من جهته عليه السلام لكونه سحرا وتكذيب لقولهم وتوبيخ لهم على ذلك اثر توبيخ وتجهيل بعد تجهيل اما على الاول فظاهر واما على الثاني فوجه ايثار انكار كونه سحرا على انكار كونه معيبا بان يقال مثلا فيه عيب حسبما يقتضيه ظاهر الانكار السابق التصريح بالرد عليهم في خصوصية ما عابوه بعد التنبيه بالانكار السابق على انه ليس فيه شائبة عيب ما وما في هذا من معنى القرب لزيادة تعيين المشار اليه واستحضار ما فيه من الصفات الدالة على كونه آية باهرة من آيات الله تعالى المنادية على امتناع كونه سحرا اي اسحر هذا الذي امره واضح مكشوف وشانه مشاهد معروف بحيث لا يرتاب فيه احد ممن له عين مبصرة وتقديم الخبر للايذان بانه مصب الانكار ولما استلزم كونه سحرا كون من اتى به ساحرا اكد الانكار السابق وما فيه من التوبيخ والتجهيل بقوله عز وجل **ولا يفلح الساحرون** وهو جملة حالية من ضمير المخاطبين والرابط هو الواو بلا ضمير كما في قول **من قال** جاء الشتاء ولست املك عدة وقولك جاء زيد ولم تطلع الشمس اي اتقولون للحق انه سحر والحال انه لا يفلح فاعله اي بمطلوب ولا ينجو من مكروه فكيف يمكن صدوره من مثلي من عند الله العزيز الحكيم الفائزين بكل مطلب الناجين عن كل محذور وقوله تعالى اسحر هذا جملة معترضة بين الحال وصاحبها اكدتها الانكار السابق ببيان استحالة كونه سحرا بالنظر الى ذاته قبل بيان استحالته بالنظر الى صدوره عنه عليه السلام هذا واما تجويز ان يكون الكل مقول القول على ان المعنى اجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون فمما لا يساعده النظم الكريم اصلا اما اولا فلان ما قالوا هو الحكم بانه سحر من غير ان يكون فيه دلالة على ما تعسف فيه من المعنى بوجه من الوجوه فصرف جوابه عليه السلام عن صريح ما خاطبوه به الى ما لا يفهم منه اصلا مما يجب تنزيه النظم التنزيلي عن الحمل على امثاله واما ثانيا فلان التعرض لعدم افلاح السحرة على الاطلاق من وظائف من يتمسك بالحق المبين دون الكفرة المتشبثين باذيال بعض منهم في معارضته عليه السلام ولو كان ذلك من كلامهم لناسب تخصيص عدم الافلاح بمن زعموه ساحرا بناء على غلبة من ياتون به من السحرة واما ثالثا فلان قوله عز وجل **قالوا اجئتنا**

الى آخره مسوق لبيان انه عليه السلام القمهم الحجر وانقطعوا عن الاتيان بكلام له تعلق بكلامه صلوات الله عليه فضلا عن الجواب الصحيح واضطروا الى التشبث بذيل التقليد الذي هو داب كل عاجز محجوج وديدن كل معاند لجوج على انه استئناف وقع جوابا عما قبله من كلامه عليه السلام على طريقة قوله تعالى قال موسى الى آخره حسبما اشير اليه كانه قيل فماذا قالوا لموسى عليه السلام عند ما قال لهم ما قال فقيل قالوا عاجزين عن المحاجة اجئتنا **لتلفتنا** اي لتصرفنا فان الفتل واللفت اخوان **عما وجدنا عليه اباءنا** اي من عبادة الاصنام ولا ريب في ان ذلك انما يتسنى بكون ما ذكر من تتمة كلامه عليه السلام على الوجه الذي شرح اذ على تقدير كونه محكيا من قبلهم يكون جوابه عليه السلام خاليا عن التبكيت الملجئ لهم الى العدول عن سنن المحاجة ولا ريب في انه لا علاقة بين قولهم اجئتنا وبين انكاره عليه السلام لما حكي عنهم مصححة لكونه جوابا عنه **وتكون لكما الكبرياء** اي الملك او التكبر على الناس باستتباعهم **وقرئ** ويكون بالياء التحتانية وكلمة في في قوله تعالى **في الارض** اي ارض مصر متعلقة بتكون او بالكبرياء او بالاستقرار في لكما لوقوعه خبرا او بمحذوف وقع حالا من الكبرياء او من الضمير في لكما لتحمله اياه **وما نحن لكما بمؤمنين** اي بمصدقين فيما جئتما به وتثنية الضمير في هذين الموضعين بعد افراده فيما تقدم من المقامين باعتبار شمول الكبرياء لهما عليهما السلام واستلزام التصديق لاحدهما للتصديق للآخر واما اللفت والمجيء له فحيث كانا من خصائص صاحب الشريعة اسندا الى موسى عليه السلام خاصة **وقال فرعون** توحيد الفعل لان الامر من وظائف فرعون اي قال لملائه يامرهم بترتيب مبادي الزامهما عليهما السلام بالفعل بعد الياس عن الزامهما بالقول **ائتوني بكل ساحر عليم** بفنون السحر حاذق ماهر فيه **وقرئ** سحار **فلما جاء السحرة** عطف على مقدر يستدعيه المقام قد حذف ايذانا بسرعة امتثالهم للامر فرعون كما هو شان الفاء الفصيحة في كل مقام اي فاتوا به فلما جاؤا **قال لهم موسى** لكن لا في ابتداء مجيئهم بل بعد ما قالوا له عليه السلام ما حكي عنهم في السور الاخر من قولهم اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين ونحو ذلك **القوا ما انتم ملقون** اي ملقون له كائنا ما كان من اصناف السحر **فلما القوا** ما القوا من العصي والحبال واسترهبوا الناس وجاؤا بسحر عظيم **قال** لهم **موسى** غير مكترث بهم وبما صنعوا **ما جئتم به السحر** ما موصولة وقعت مبتدأ والسحر خبرها اي هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه من آيات الله سبحانه او هو من جنس السحر بين ان حاله بين لا يعبا به كانه قال ما جئتم به مما لا ينبغي ان يجاء به **وقرئ** السحر على الاستفهام فما استفهامية اي اي شيء جئتم به اهو السحر الذي يعرف حاله كل احد ولا يتصدى له عاقل **وقرئ** ما جئتم به سحر **وقرئ** ما اتيتم به سحر ودلالتهما على المعنى الثاني في القراءة المشهورة اظهر **ان الله سيبطله** اي سيمحقه بالكلية بما يظهر على يدي من المعجزة فلا يبقي له اثرا اصلا وسيظهر بطلانه للناس والسين للتاكيد **ان الله لا يصلح عمل المفسدين** اي عمل جنس المفسدين على الاطلاق فيدخل فيه السحر دخولا اوليا او عملكم فيكون من باب وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالافساد والاشعار بعلية الحكم وليس المراد بعدم اصلاح عملهم عدم جعل فسادهم صلاحا بل عدم اثباته واتمامه اي لا يثبته ولا يكمله ولا يديمه بل يمحقه ويهلكه ويسلط عليهم الدمار والجملة تعليل لما سبق من قوله ان الله سيبطله والكل اعتراض تذييلي وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له **ويحق الله الحق** عطف على قوله تعالى سيبطله اي يثبته ويقويه واظهار الاسم الجليل في مقامين لالقاء الروعة وتربية المهابة **بكلماته** باوامره وقضاياه **وقرئ** بكلمته **ولو كره المجرمون** ذلك والمراد بهم كل من اتصف بالاجرام من السحرة وغيرهم **فما آمن لموسى** معطوف على مقدر قد فصل في مواقع اخراي فالقى عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون الى آخره وانما لم يذكر تعويلا على ذلك وايثارا للايجاز وايذانا بان قوله تعالى ان الله سيبطله مما لا يحتمل الخلف اصلا وعطفه على ذلك بالفاء مع كون عدمه مستمرا من قبيل ما في قوله عز وجل فاتبعوا امر فرعون وما في قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر والسر في ذلك ان الاتيان بالشيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث اي فما آمن له عليه السلام بمشاهدة

تلك الايات القاهرة **الا ذرية من قومه** اي الا اولاد من اولاد قومه بني اسرائيل حيث دعاء الاباء فلم يجيبوه
خوفا من فرعون واجابته طائفة من شبانهم **وقيل** الضمير لفرعون والذرية طايفة من شبانهم امنوا به عليه
السلام او مومن آل فرعون وامراته آسية وخازنه وامراته وماشطته وهو بعيد **علي خوف** اي كائنين علي خوف
عظيم **من فرعون وملايهم** الضمير لفرعون والجمع لما هو المعتاد في ضماير العظماء ولايائه مقام علوه في الفساد
وغلوه في الشر والتسلط علي العباد • اولان المراد به آله كما يقال ربيعة ومضر او للذرية او للقوم اي علي خوف من
فرعون ومن اشراف بني اسرائيل حيث كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلي انفسهم **ان يفتنهم** اي
يعذبهم وهو بدل اشتمال او مفعول خوف فان اعمال المصدر المنكر كثير كما في قوله تعالي واطعام في يوم ذي مسغبة
يتيما او مفعول له بعد حذف اللام واسناد الفعل الي فرعون خاصة لانه الامر بالتعذيب **وان فرعون لعال
في الارض** لغالب في ارض مصر **وانه لمن المسرفين** في الظلم والفساد بالقتل وسفك الدماء او في الكبر والعتو
حتي ادعي الربوبية واسترق اسباط الانبياء والجملتان اعتراض تذييلي موكد لمضمون ما سبق **وقال موسي**
لما راي تخوف المومنين منه **يا قوم ان كنتم امنتم بالله** اي صدقتم به وباياته **فعليه توكلوا** وبه ثقوا ولا تخافوا
احدا غيره فانه كافيكم كل شي وضر **ان كنتم مسلمين** • مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق
الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل عليه تعالي فانه المقتضي له والمشروط بالاسلام وجوده
فانه لا يتحقق مع التخليط ونظيره ان احسن اليك زيد فاحسن اليه ان قدرت عليه **فقالوا** مجيبين له عليه
السلام من غير تلعثم في ذلك **علي الله توكلنا** لانهم كانوا مومنين مخلصين ثم دعوا ربهم قائلين **ربنا
لا تجعلنا فتنة** اي موقع فتنة **للقوم الظالمين** • اي لا تسلطهم علينا حتي يعذبونا او يفتنونا عن ديننا او يفتنوا
بنا ويقولوا لو كان هولاء علي الحق ما اصيبوا وقوله تعالي **ونجنا برحمتك من القوم الكافرين** • دعاء منهم بالانجاء
من سوء جوارهم وشوم مصاحبتهم بعد الانجاء من ظلمهم ولذلك عبر عنهم بالكفر بعد ما وصفوا بالظلم وفي
ترتيب الدعاء علي التوكل تلويح بان الداعي حقه ان يبني دعاءه علي التوكل علي الله تعالي **واوحينا الي موسي واخيه
ان تبوءا** اي مفسرة لان في الوحي معني القول اي اتخذا مباءة **لقومكما بمصر بيوتا** تسكنون فيها وترجعون
اليها للعبادة **واجعلوا** انتما وقومكما **بيوتكم** تلك **قبلة** مصلي **وقيل** مساجد متوجهة نحو القبلة
يعني الكعبة فان موسي عليه السلام كان يصلي اليها **واقيموا الصلوة** اي فيها امروا بذلك في اول امرهم لئلا
يظهر عليهم الكفرة فيوذوهم ويفتنوهم عن دينهم **وبشر المومنين** • بالنصرة في الدنيا اجابة لدعوتهم والجنة
في العقبي انما ثني الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتولاه روساء القوم بتشاور ثم جمع لان
جعل البيوت مساجد والصلوة فيها مما يفعله كل احد لان بشارة الامة وظيفة صاحب الشريعة ووضع
المومنين موضع ضمير القوم لمدحهم بالايمان وللاشعار بان المدار في التبشير **وقال موسي ربنا انك
آتيت فرعون وملاه زينة** اي ما تزين به من اللباس والمراكب ونحوها **واموالا** وانواعا كثيرة من المال
في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم بممارسة احوالهم انه لا يكون غيره كقولك
لعن الله ابليس **وقيل** اللام للعاقبة متعلقة باتيت او للعلة لان ايتاء النعم علي الكفر استدراج
وتثبيت علي الضلال ولانهم لما جعلوها ذريعة الي الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول
تاكيدا وتنبيها علي ان المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله تعالي **ربنا اطمس علي اموالهم** الطمس
المحو **وقري** بضم الميم اي اهلكها **واشدد علي قلوبهم** اي اجعلها قاسية واطبع عليها حتي لا تنشرح للايمان
كما هو قضية شانهم **فلا يومنوا** جواب للدعاء او دعاء بلفظ النهي او عطف علي ليضلوا وما بينهما دعاء معترض
حتي يروا العذاب الاليم • اي يعاينوه ويوقنوا به بحيث لا ينفعهم ذلك اذ ذاك **قال قد اجيبت دعوتكما** يعني
موسي وهرون عليهما السلام لانه كان يومن كما يشعر به اضافة الرب الي ضمير المتكلم مع الغير في المواقع الثلاثة

فاستقيما فاثبتا علي ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة **ولا تتبعان** ولا تستعجلا فان ما طلبتما كائن في وقته لا محالة
روي انه مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة **ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون** • اي بعادات الله سبحانه
في تعليق الامور بالحكم والمصالح او سبيل الجهلة في الاستعجال او عدم الوثوق بوعد الله تعالي **وقري**
بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين ولا تتبعان من تبع ولا تتبعان ايضا **وجاوزنا ببني اسرائيل البحر**
هو من جاوز المكان اذا تخطاه وخلفه والباء للتعدية اي جعلناهم مجاوزين البحر بان جعلناه يبسا وحفظناهم
حتي بلغوا الشط **وقري** جوزنا وهو من التجويز المرادف للمجاوزة لا مما هو بمعني التنفيذ نحو ما وقع في
قول الاعشي كما جوز السكي في الباب فيتق والا لقيل وجوزنا بني اسرائيل في البحر وخلا النظم الكريم عن الدلالة
يا نفصالهم عن البحر وبمقارنة العناية الالهية لهم عند الجواز كما هو المشهور في الفرق بين اذهب وذهب به
فاتبعهم يقال تبعته حتي اتبعته اذا كان سبقك فلحقته اي ادركهم ولحقهم **فرعون وجنوده** حتي تراات
الفئتان وكاد تجتمع الجمعان **بغيا وعدوا** ظلما واعتداء اي باغين وعادين او للبغي والعدوان **وقري**
وعدوا وذلك ان موسي عليه السلام خرج ببني اسرائيل علي حين غفلة من فرعون فلما سمع به تبعهم حتي
لحقهم ووصل الي الساحل وهم قد خرجوا من البحر ومسلكهم باق علي حاله يبسا فسلك بجنوده اجمعين
فلما دخل آخرهم وهم اولهم بالخروج وغشيهم من اليم ما غشيهم **حتي اذا ادركه الغرق** اي لحقه والجمه **قال
امنت انه** اي بانه والضمير للشان **وقري** انه علي الاستيناف بدل من آمنت وتفسير له **لا اله الا
الذي امنت به بنوا اسرائيل** لم يقل كما قاله السحرة آمنا برب العالمين رب موسي وهرون بل عبر عنه تعالي
بالموصول وجعل صلته ايمان بني اسرائيل به تعالي للاشعار برجوعه عن الاستعصاء واتباعه لمن كان يستتبعهم
طمعا في القبول والانتظام معهم في سلك النجاة **وانا من المسلمين** • اي الذين اسلموا نفوسهم لله اي جعلوها
سالمة خالصة له تعالي واراد بهم اما بني اسرائيل خاصة واما الجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا والجملة
علي الاول عطف علي آمنت وايثار الاسمية لادعاء الدوام والاستمرار وعلي الثاني يحتمل الحالية ايضا من ضمير
المتكلم اي امنت مخلصا لله منتظما في سلك الراسخين فيه ولقد كرر المعني الواحد بثلاث عبارات حرصا علي
القبول المفضي الي النجاة • وهيهات هيهات • بعد ما فات • وآني ما هو آت • وقوله عز وجل **الآن**
مقول لقول مقدر معطوف علي قال اي فقيل الآن وهو الي قوله تعالي آية حكاية لما جري منه سبحانه من الغضب
علي المخذول ومقابلة ما اظهر بالرد علي وجه الانكار والتوبيخ علي تاخيره وتعريضه بالعصيان والافساد وغير ذلك
وفي حذف الفعل المذكور وابراز الخبر المحكي في صورة الانشاء من الدلالة علي عظم السخط وشدة الغضب ما لا
يخفي كما يفصح عنه **ما روي** من ان جبريل عليه السلام دس فاه عند ذلك بحال البحر وسده به فانه تاكيد للرد القولي
بالرد الفعلي ولا ينافيه تعليله بمخافة ادراك الرحمة فيما نقله **انه قال** للنبي صلي الله عليه وسلم فلو رايتني
يا محمد وانا آخذ من حال البحر وادسه في فيه مخافة ان يدركه الرحمة اذ المراد بها الرحمة الدنيوية اي النجاة التي
هي طلبة المخذول وليس من ضرورة ادراكها صحة الايمان كما في ايمان قوم يونس عليه السلام حتي يلزم من كراهته
ما لا يتصور في شان جبريل عليه السلام من الرضا بالكفر اذ لا استحالة في ترتب هذه الرحمة علي مجرد التفوه بكلمة
الايمان وان كان ذلك في حال الياس والباس فحمل دسه عليه السلام علي سد باب الاحتمال البعيد لكمال الغيظ
وشدة الحرد فتدبر والله الموفق وهو العامل في الظرف اي يقدر موخرا ليتوجه الانكار والتوبيخ الي تاخير الايمان
الي حد يمتنع قبوله فيه اي الآن تومن حين يئست من الحيوة وايقنت بالممات وقوله عز وعلا **وقد عصيت قبل**
حال من فاعل الفعل المقدر جي به لتشديد التوبيخ والتقريع علي تاخير الايمان الي هذا الآن ببيان انه لم يكن
تاخيره لعدم بلوغ الدعوة اليه ولا للتامل والتدبر في دلائله واياته ولا لشي آخر مما عسي يعد عذرا في التاخير بل
كان ذلك علي طريقة الرد والاستعصاء والافساد فان قوله تعالي **وكنت من المفسدين** • عطف علي عصيت داخل في

هم

خبر الحال اي وكنت من العالين في الضلال والاضلال عن الايمان كقوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فهذا عبارة عن فساده الراجع الى نفسه والسارى الى غيره بالظلم والتعدي
وصد بني اسرايل عن الايمان والاول عن عصيانه الخاص به فاليوم ننجيك ببدنك اي نخرجك مما وقع فيه قومك من قعر
البحر ونجعلك طافيا وفي التعبير عنه بالتنجية تلويح بان مراده بالايمان هو النجاة كما مر وتهكم به اي نلقيك على نجوة
من الارض يراك بنوا اسرايل وقرئ ننحيك من الانحاء بالحاء من التنحية اي نلقيك بناحية الساحل في موضع
الحال من ضمير المخاطب اي ننجيك ملابسا ببدنك فقط لامع روحك كما هو مطلوبك فهو تخييب له وحسم لطمعه
بالمرة او عاريا عن اللباس او كاملا سويا او بدرعك وكانت له درع من الذهب يعرف بها وقرئ بابدانك اي
باجزاء بدنك كلها كقولهم هوي باجرامه او بدروعك كانه كان مظاهرا بينها لتكون لمن خلفك اية لمن وراءك
علامة وهم بنوا اسرايل اذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى يروي انهم لم يصدقوا
موسى عليه السلام حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطرحا على ممرهم من الساحل او تكون لمن ياتي بعدك من
الامم اذا سمعوا مال امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا من الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان وان بلغ الاية
القصوى من عظم الشان • وعلو الكبرياء وقوة السلطان • فهو مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ
لمن خلفك فعلا ماضيا اي لمن خلفك من الجبابرة وقرئ لمن خلقك بالقاف اي لتكون لخالقك اية كسائر
الايات فان افراده سبحانه اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه قصد منه لكشف تزويرك • واماطة
الشبهة في امرك • وبرهان نير على كمال علمه وقدرته وحكمته وارادته وهذا الوجه يحتمل على القراءة المشهورة
ايضا وفي تعليل تنجيته بما ذكر ايذان بانها ليست لاعزازه او لفايدة اخرى عايدة اليه بل لكمال الاستهانة
به وتفضيحه على رؤس الاشهاد وزيادة تفضيح حاله كمن يقتل ثم يجر جسده في الاسواق او يدار براسه
في البلاد واللام الاولى متعلقة بننجيك والثانية بمحذوف وقع حالا من اية اي كاينة لمن خلفك وان كثيرا
من الناس عن اياتنا لغافلون • لا يتفكرون فيها ولا يعباون بها وهو اعتراض تذييلي جيء به عند الحكاية تقريرا
لفحوى الكلام المحكي ولقد بوانا بني اسرائيل كلام مستانف سيق لبيان النعم الفايضة عليهم اثر نعمة الانجا
على وجه الاجمال واخلالهم بشكرها واداء حقوقها اي اسكناهم وانزلناهم بعدما انجيناهم واهلكنا
اعداهم مبوا صدق اي نزولا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ملكوها بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا
في نواحيها حسبما نطق به قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها
التي باركنا فيها ورزقناهم من الطيبات اي اللذائذ فما اختلفوا في امور دينهم حتى جاءهم العلم اي الا بعد
ما جاءهم العلم بقراءتهم التورية وعلمهم باحكامها وفي امر محمد صلى الله عليه وسلم الا من بعد ما علموا
صدق نبوته وتظاهر معجزاته فالمراد بالمختلفين اعقابهم الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم
ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون • فيميز بين المحق والمبطل بالاثابة والتعذيب فان كنت
في شك اي في شك ما يسير على الفرض والتقدير فان مضمون الشرطية انما هو تعليق شيء بشيء من غير تعرض
لامكان شيء منهما كيف لا وقد يكون كلاهما ممتنعا كقوله عز وجل قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين
وقوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك ونظائرهما مما انزلنا اليك من القصص التي من جملتها قصة فرعون
وقومه واخبار بني اسرايل فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك فان ذلك محقق عندهم ثابت في كتبهم حسبما القي
اليك والمراد اظهار نبوته عليه الصلاة والسلام بشهادة الاحبار حسبما هو المسطور في كتبهم وان لم يكن
اليه حاجة اصلا او وصف اهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة نبوته عليه الصلاة والسلام او تهييجه
عليه الصلاة والسلام زيادة تنبيه على ما هو عليه من اليقين لا تجويز صدور الشك منه عليه الصلاة والسلام
ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لا اشك ولا اسأل والمراد بالموصول مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله

ابن سلام

ابن سلام وتميم الداري وكعب واضرابهم وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته او لكل
من يسمع اي ان كنت ايها السامع في شك مما انزلنا اليك على لسان نبينا وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة
في الدين ينبغي ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل العلم وقرئ فاسال الذين يقرؤن الكتب لقد جاءك الحق
الذي لا محيد عنه ولا ريب في حقيته من ربك وظهر ذلك بالايات القاطعة التي لا يحوم حولها شائبة
الارتياب وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام من التشريف ما لا يخفى فلا
تكونن من الممترين بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين • ودم على ذلك كما كنت من قبل ولا تكونن من الذين
كذبوا بايات الله من باب التهييج والالتهاب والمراد به اعلام ان التكذيب من القبح والمحذورية بحيث ينبغي ان
ينهى عنه من لا يتصور امكان صدوره عنه فكيف بمن يمكن اتصافه به وفيه قطع لاطماع الكفرة فتكون بذلك من
الخاسرين انفسا واعمالا ان الذين حقت عليهم شروع في بيان سر اصرار الكفرة على ما هم عليه من الكفر والضلال
اي ثبتت ووجبت بمقتضى المشية المبنية على الحكمة البالغة قوله تعالى كلمة ربك حكمه وقضاؤه بانهم
يموتون على الكفر ويخلدون في النار كقوله تعالى ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين لا
يؤمنون • ابدا اذ لا كذب لكلامه ولا انتقاض لقضائه اي لا يؤمنون ايمانا نافعا واقعا في اوانه فيندرج فيهم
المؤمنون عند معاينة العذاب مثل فرعون باقيا عند الموت فيدخل فيهم المتندمون ولو جاءتهم كل اية واضحة
المدلول • مقبولة لذي العقول • لان سبب ايمانهم وهو تعلق ارادته تعالى به مفقود لكن فقدانه
ليس بمنع منه سبحانه مع استحقاقهم له بل لسوء اختيارهم المتفرع على عدم استعدادهم لذلك قوله عز
وجل حتى يروا العذاب الاليم كداب ال فرعون واضرابهم قوله تعالى عز من قائل فلولا كانت كلام مستانف
بتقرير ما سبق من استحالة ايمان من حقت عليهم كلمته تعالى لسوء اختيارهم مع تمكنهم من التدارك فيكون
الاستثناء الاتي بيانا لكون قوم يونس عليه السلام ممن لم يحق عليه الكلمة لاهتدائهم الى التدارك في وقته ولولا
بمعنى هلا وقرئ كذلك اي فهلا كانت قوله تعالى قرية من القرى المهلكة امنت • قبل معاينة العذاب
ولم يؤخر ايمانها الى حين معاينته كما فعل فرعون وقومه فنفعها ايمانها بان يقبله الله تعالى منها ويكشف
بسببه العذاب عنها الا قوم يونس استثناء منقطع اي لكن قوم يونس لما امنوا اول ما راوا امارة العذاب
ولم يؤخروا الى حلوله قوله تعالى كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا بعدما اظلهم وكاد يحل بهم او يكون الجملة
الجملة في معنى النفي كما يفصح عنه حرف التخصيص فيكون في الاستثناء متصلا اذ المراد بالقرى اهاليها
كانه قيل ما امنت طايفة من الامم العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس عليه السلام فيكون قوله تعالى
لما امنوا استينافا لبيان نفع ايمانهم ويؤيده قراءة الرفع على البدلية ومتعناهم بمتاع الدنيا بعد كشف
العذاب عنهم الى حين مقدر لهم في علم الله سبحانه وقرئ ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى
من ارض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين
ليلة وقيل قال لهم يونس عليه السلام اجلكم اربعون ليلة فقالوا ان راينا اسباب الهلاك
امنا بك فلما مضت خمس وثلثون اغامت السماء غيما اسود هايلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى
مدينتهم ويسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم
وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب واولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج
واظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا الى الله فرحمهم وكشف عنهم وكان ذلك يوم عاشورا يوم الجمعة وعن
ابن مسعود رضي الله عنه بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه
اساس بنائه فيرده الى صاحبه وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما
ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي • ويا حي محيي الموتى • ويا حي لا اله الا انت • فقالوها فكشف عنهم

وعن الفضل بن عياض قالوا ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله
ولا تفعل بنا ما نحن اهله ولو شاء ربك لآمن من في الارض تحقيق لدوران ايمان كافة المكلفين وجودا وعدما على قطب
مشيئته تعالى مطلقا اثر بيان تبعية كفر الكفرة لكلمته ومفعول المشيئة محذوف لوجود ما يقتضيه منه
فوقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وان لا يكون في تعلقها به غرابة كما هو المشهور اي لو شاء
سبحانه ايمان من في الارض من الثقلين لآمن كلهم بحيث لا يشذ عنهم احد جميعا مجتمعين على الايمان لا
يختلفون فيه ولكنه لا يشاؤه لكونه مخالفا للحكمة التي بني عليها اساس التكوين والتشريع وفيه دلالة على
ان من شاء الله تعالى ايمانه يؤمن لا محالة افانت تكره الناس على ما لم يشاء الله تعالى منهم حسبما ينبئ عنه حرف
الامتناع في الشرطية والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام كانه قيل أ ربك لا يشاء ذلك فانت
تكرههم حتى يكونوا مؤمنين فيكون الانكار متوجها الى ترتيب الاكراه المذكور على عدم مشيئته تعالى ويجوز
ان يكون الفاء لترتيب الانكار على عدم مشيئته تعالى بناء على ان الهمزة متاخرة في الاعتبار وانما قدمت
لاقتضائها الصدارة كما هو راي الجمهور وايا ما كان فالمشيئة على اطلاقها اذ لا فائدة بل لا وجه لاعتبار عدم
مشيئة الالجاء خاصة في انكار الترتيب عليه او ترتيب الانكار عليه وفي ايلاء الاسم حرف الاستفهام
ايذان بان الاكراه امر ممكن لكن الشان في المكره من هو وما هو الا هو وحده لا يشارك فيه لانه القادر على ان
يفعل في قلوبهم ما يضطرهم الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر وفيه ايذان باعتبار الالجاء في المشيئة
كما اشير اليه وما كان لنفس بيان لتبعية ايمان النفوس المؤمنة لمشيئته تعالى وجودا بعد بيان الدوران
الكلي عليها وجودا وعدما اي ما صح وما استقام لنفس من النفوس التي علم الله تعالى انها تؤمن ان تؤمن الا
باذن الله اي بتسهيله ومنحه للالطاف وانما خصت النفس بمن ذكر ولم يجعل من قبيل قوله تعالى
وما كان لنفس ان تموت في حال من احوالها الا حال كونها ملابسة باذنه تعالى فلا بد من كون الايمان
مما يؤول اليها حالها كما ان الموت حال لكل نفس بحيث لا محيص لها عنه فلا بد من تخصيص النفس بمن ذكر فان
النفوس التي علم الله انها لا تؤمن ليس لها حال تؤمن فيها حتى يستثنى تلك الحال عن غيرها ويجعل الرجس اي الكفر
بقرينة ما قبله عبر عنه بالرجس الذي هو عبارة عن القبيح المستقذر المستكره لكونه علما في القبيح
والاستكراه وقيل هو العذاب او الخذلان المؤدي اليه وقرئ بنون العظمة وقرئ بالزاء اي
يجعل الكفر ويبقيه على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات او لا يعقلون
دلايله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع فلا يحصل لهم الهداية التي عبر عنها بالاذن فيبقون مغمورين بقبايح
الكفر والضلال او مقهورين بالعذاب والنكال والجملة معطوفة على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم كانه
قيل فياذن لهم بمنح الالطاف ويجعل الى آخره قل مخاطبا لاهل مكة بعثا لهم على التدبر في ملكوت السموات
والارض وما فيهما من تعاجيب الآيات الانفسية والآفاقية ليتضح لك انهم من الذين لا يعقلون وحقت عليهم
الكلمة انظروا اي تفكروا وقرئ بنقل حركة الهمزة الى لام قل ماذا في السموات والارض اي اي
شيء بديع فيهما من عجايب صنعه الدالة على وحدته وكمال قدرته على ان ماذا جعل بالتركيب اسما واحدا
مغلبا فيه الاستفهام على اسم الاشارة فهو مبتداء خبره الظرف ويجوز ان يكون ما مبتداء وذا بمعنى الذي
والظرف صلته والجملة خبر للمبتداء وعلى التقديرين فالمبتدا والخبر في محل النصب باسقاط الخافض وفعل النظر
معلق بالاستفهام وما تغني اي ما تنفع وقرئ بالتذكير الآيات وهي التي عبر عنها بقوله تعالى
ماذا في السموات والارض والنذر جمع نذير على انه فاعل بمعنى منذر او على انه مصدر اي لا تنفع الآيات
والرسل المنذرون او الانذارات قوله تعالى عن قوم لا يؤمنون في علم الله سبحانه وحكمه فما نافية والجملة
اما حالية او اعتراضية ويجوز ان كون ما استفهامية انكارية في موضع النصب على المصدرية اي اي اغناء

تغني

تغني الى آخره فالجملة حينئذ اعتراضية فهل ينتظرون اي مشركوا مكة واضرابهم الا مثل ايام الذين خلوا اي الا يوما
مثل ايام الذين خلوا من قبلهم من مشركي الامم الماضية اي مثل وقايعهم ونزول باس الله بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم
ايام العرب لوقايعها قل تهديدا لهم فانتظروا ما هو عاقبتكم اني معكم من المنتظرين لذلك ثم ننجي رسلنا بالتشديد
وقرئ بالتخفيف وهو عطف على مقدر يدل عليه قوله تعالى مثل ايام الذين خلوا وما بينهما اعتراض جيء به مسارعة
الى التهديد ومبالغة في تشديد الوعيد كانه قيل اهلكنا الامم ثم نجينا رسلنا المرسلة اليهم والذين آمنوا
وصيغة الاستقبال لحكاية الاحوال الماضية لتهويل امرها باستحضار صورها وتاخير حكاية التنجية عن حكاية
الاهلاك على عكس ما في قوله تعالى فنجيناه ومن معه في الفلك الى آخره ونظايره الواردة في مواقع عديدة ليتصل
به قوله عز وعلا كذلك اي مثل ذلك الانجا حقا علينا اعتراض بين العامل والمعمول اي حق ذلك حقا وقيل
بدل من المحذوف الذي ناب عنه كذلك اي انجاء مثل ذلك حق والكاف متعلقة بقوله تعالى ننجي المومنين
اي من كل شدة وعذاب والجملة تذييل لما قبلها مقرر لمضمونه والمراد بالمومنين اما الجنس المتناول للرسل عليهم
السلام واما الاتباع فقط وانما لم يذكر انجاء الرسل ايذانا بعدم الحاجة اليه وايا ما كان ففيه تنبيه على ان مدار
النجاة هو الايمان قل لجمهور المشركين يا ايها الناس اوثر الخطاب باسم الجنس مصدرا بحرف التنبيه تعميما
للتبليغ واظهارا لكمال العناية بشان ما بلغ اليهم قوله تعالى ان كنتم في شك من ديني الذي اعبد الله عز وجل
به وادعوا اليه ولم تعلموا ما هو وما صفته فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله في وقت من الاوقات ولكن اعبد الله
الذي يتوفاكم ثم يفعل بكم ما يفعل من فنون العذاب اي فاعلموا انه تخصيص العبادة به تعالى ورفض عبادة
ما سواه من الاصنام وغيرها مما تعبدونه جهلا وتقديم ترك عبادة الغير على عبادته تعالى لتقدم التخلية على التحلية
كما في كلمة التوحيد وللايذان بالمخالفة من اول الامر وان كنتم في شك من صحة ديني وسداده فاعلموا ان خلاصته
اخلاص العبادة لمن بيده الايجاد والاعدام دون ما هو بمعزل منهما من الاصنام فاعرضوها على عقولكم واجيلوا
فيها افكاركم وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا انه حق لا ريب فيه وفي تخصيص التوفي بالذكر متعلقا
بهم ما لا يخفى من التهديد والتعبير عن علمهم عما هم فيه بالشك مع كونهم قاطعين بعدم الصحة للايذان بان اقصى
ما يمكن عروضه للعاقل في هذا الباب هو الشك في صحته واما القطع بعدمها فمما لا سبيل اليه او ان كنتم في
شك من ثباتي على الدين فاعلموا اني لا اتركه ابدا قوله تعالى وامرت ان اكون من المومنين بما دل عليه العقل
ونطق به الوحي وهو تصريح بان ما عليه من دين التوحيد ليس بطريق العقل الصرف بل بالامداد السماوي و
التوفيق الالهي وحذف حرف الجر من ان يجوز ان يكون من باب حذف المطرد مع ان وان يكون خاصا بفعل الامر
كما في قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به وان اقم وجهك للدين عطف على ان اكون خلا ان صلة ان محكية بصيغة
الامر ولا ضير في ذلك لان مناط جواز اصلها بصيغ الافعال دلالتها على المصدر وذلك لا يختلف بالخبرية و
الطلبية ووجوب كون الصلة خبرية في الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف
الا بالجمل الخبرية وليس الموصول الحرفي كذلك اي وامرت بالاستقامة في الدين والاستبداد فيه بالماموربه
والانتهاء عن المنهي عنه او باستقبال القبلة في الصلوة وعدم الالتفات الى اليمين والشمال قوله تعالى حنيفا
حال من الدين او الوجه اي مايلا عن الاديان الباطلة قوله تعالى ولا تكونن من المشركين عطف على اقم داخل
تحت الامر اي لا تكونن منهم اعتقادا ولا عملا وقوله تعالى ولا تدع عطف على قوله تعالى قل يا ايها الناس غير
داخل تحت الامر وقيل على ما قبله من النهي والوجه هو الاول لان ما بعده من الجمل الى آخر الآيتين متسقة
لا يمكن فصل بعضها عن بعض كما ترى ولا وجه لادراج الكل تحت الامر وهو تاكيد للنهي المذكور وتفصيل لما
اجمل فيه اظهارا لكمال العناية بالامر وكشفا عن وجه بطلان ما عليه المشركون اي لا تدع قوله تعالى من دون الله
استقلالا ولا اشراكا ما لا ينفعك اذا دعوته بدفع مكروه او جلب محبوب ولا يضرك اذا تركته بسلب المحبوب

دفعا او رضا اوبايقاع المكروه وتقديم النفع على الضر عني عن بيان التنبيت **فان فعلت** اي ما نهيت عنه من
دعاء ما لا ينفع ولا يضر كني عنه تنزيها لشانه عليه الصلوة والسلام وتنبيها على رفعة مكانه من ان ينسب اليه
عبادة غير الله سبحانه وتعالى ولو في ضمن الجملة الشرطية **فانك اذا من الظالمين** جزاء للشرط وجواب لسوال من يسال
عن تبعة ما نهي عنه **وان يمسسك الله بضر** تقرير لما اورد في حيز الصلة من سلب النفع من الاصنام وتصوير
لاختصاصه به سبحانه **فلا كاشف له** عنك كاينا من كان وما كان **الا هو** وحده فيثبت عدم كشف الاصنام بالطريق
البرهاني وهو بيان لعدم النفع برفع المكروه المستلزم لعدم النفع بجلب المحبوب استلزاما ظاهرا فان رفع المكروه
ادنى مراتب النفع فاذا انتفى انتفى النفع بالكلية **وان يردك بخير** تحقيق لسلب الضر الوارد في حيز الصلة اي ان
يرد ان يصيبك بخير **فلا راد لفضله** الذي من جملته ما ارادك به من الخير فهو دليل على جواب الشرط لا نفس الجواب
وفيه ايذان بان فيضان الخير منه تعالى بطريق التفضل من غير استحقاق عليه سبحانه اي لا احد يقدر على رده كاينا ما
كان فيدخل فيه الاصنام دخولا اوليا وهو بيان لعدم ضرها برفع المحبوب قبل وقوعه المستلزم لعدم ضرها برفعه
او بايقاع المكروه استلزاما جليا ولعل ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للايذان بان الخير مراد
بالذات وان الضر انما يمسه من يمسه لما يوجبه من الدواعي الخارجية لا بالقصد الاولي او اريد معنى الفعلين في كل من
الضر والخير وانه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فاوجز الكلام بان ذكر في احدهما المس وفي الاخر الارادة
ليدل بما ذكر في كل جانب على ما ترك في الجانب الاخر على انه قد صرح بالاصابة حيث قيل **يصيب به** اظهارا لكمال
العناية بجانب الخير كما ينبئ عنه ترك الاستثناء فيه اي يصيب بفضله الواسع المنتظم لما ارادك به من الخير
وجعل الفضل عبارة عن ذلك الخير بعينه على ان يكون من باب وضع المظهر في موضع المضمر لما ذكر من الفايدة يابا[ه]
قوله عز وجل **من يشاء من عباده** فان ذلك ينادي بعموم الفضل وقوله عز قايلا **وهو الغفور الرحيم** تذييل لقوله
تعالى يصيب به الخ مقرر لمضمونه والكل تذييل للشرطية الاخيرة محقق لمضمونها **قل** مخاطبا لاوليك الكفرة
بعد ما بلغتهم ما اوحي اليك **يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم** وهو القران العظيم المشتمل على محاسن الاحكام
التي من جملتها ما مر انفا من اصول الدين واطلعتم على ما في تضاعيفه من البينات والهدى ولم يبق لكم
عذر **فمن اهتدى** بالايمان به والعمل بما في مكارمه **فانما يهتدي لنفسه** اي منفعة اهتدائه لها خاصة
ومن ضل بالكفر والاعراض عنه **فانما يضل عليها** اي فوبال الضلال مقصور عليها والمراد تنزيه ساحة
الرسالة عن شايبة غرض عايد اليه عليه الصلاة والسلام من جلب نفع او دفع ضر كما يلوح به اسناد المجيء
الى الحق من غير اشعار بكون ذلك بواسطته **وما انا عليكم بوكيل** بحفيظ موكول الي امركم وانما انا بشير
ونذير **واتبع** اعتقادا وعملا وتبليغا **ما يوحى اليك** على نهج التجدد والاستمرار من الحق المذكور المتاكد يوما
فيوما وفي التعبير عن بلوغه اليهم بالمجيء واليه عليه الصلاة والسلام بالوحي تنبيه على ما بين المرتبتين من
التنافي **واصبر** على ما يعتريك من مشاق التبليغ **حتى يحكم الله** بالنصرة عليهم او بالامر بالقتال **وهو خير الحاكمين**
اذ لا يمكن الخطا في حكمه لاطلاعه على السراير اطلاعه على الظواهر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة يونس اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

سورة هود وهي مائة ثلث وعشرون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **الر** محله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف **وقيل** على انه مبتدأ والاول هو الاظهر
كما اشير اليه في سورة يونس عليه السلام او النصب بتقدير فعل يناسب المقام نحو اذكروا واقرأ على تقدير كونه
اسما للسورة على ما عليه الاطباق الاكثر او لا محل له من الاعراب مسرود على نمط التعديد حسبما فصل في اخواته
وقوله تعالى **كتاب** خبر له على الوجه الثاني ولمبتدأ محذوف على الوجوه الباقية قوله تعالى **احكمت اياته**

نظمت

نظمت نظما متقنا لا يعتريه خلل بوجه من الوجوه او جعلت حكيمة لانطوايها على جلايل الحكم البالغة ودقا[يقها]
او منعت من النسخ بمعنى من التغيير مطلقا او ايدت بالحجج القاطعة الدالة على كونها من عند الله عز وجل او على سو
مدلولاتها فالمراد بالايات جميعها او على حقية ما تشتمل عليه من الاحكام الشرعية فالمراد بها بعضها المشتمل
عليها كما اذا فسر الاحكام بالمنع من النسخ بمعنى تبديل الحكم الشرعي خاصة واما تفسيره بالمنع من الفساد اخذا
من قولهم احكمت الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح ففيه ايهام ما لا يكاد يليق بشان الايات
الكريمة من التداعي الى الفساد لولا المانع وفي اسناد الاحكام على الوجوه المذكورة الى ايات الكتاب دون نفسه
لاسيما على الوجوه الشاملة لكل اية منه من حسن الموقع والدلالة على كونه في اقصى غاية ما لا يخفى قوله تعالى
ثم فصلت اي جعلت فصولا من الاحكام والدلايل والمواعظ والقصص او فصل فيها مهمات العباد في المعا[ش]
والمعاد على الاسناد المجازي والتفسير بجعلها اية اية لا يساعده المقام لان ذلك من الاوصاف الاولية لها فلا
يناسب عطفه على احكامها بكلمة التراخي اما المعنيان الاولان فهما وان كانا مع الاحكام زمانا حيث لم تزل
الايات محكمة مفصلة الا انها احكمت او فصلت بعد ان لم تكن كذلك اذ الفعلان من قبيل قولهم سبحان
من صغر البعوض وكبر الفيل الا انهما حيث كانا من صفات الايات باعتبار نسبة بعضها الى بعض على وجه
تستتبع احكاما مخصوصة وآثارا معتدا بها وبملاحظة مصالح العباد ناسب ان يشار الى تراخي رتبتهما
عن رتبة الاحكام وان حمل جعلها اية اية على معنى تفريق بعضها عن بعض يكون من هذا القبيل الا انه ليس
في مثابته في استتباع ما يستتبعه من الاحكام والآثار او فرقت في التنزيل منجمة بحسب المصالح فان اريد
تنزيلها المنجم بالفعل فالتراخي زماني وان اريد جعلها في نفسها بحيث يكون نزولها منجما حسبما يقتضيه
الحكمة والمصلحة فهو رتبي لان ذلك وصف لازم لها حقيق بان يرتب على وصف احكامها **وقرئ**
احكمت اياته ثم فصلت على صيغة التكلم **وعن عكرمة** والضحاك ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل
قوله تعالى **من لدن حكيم خبير** صفة الكتاب وصف لها بعد ما وصف باحكام آياته وتفصيلها الدا[لين]
على علو رتبته من حيث الذات ابانة لجلالة شانه من حيث الاضافة او خبر بعد خبر للمبتدا المذكور او
المحذوف او صلة للفعلين وفي بنائهما للمفعول ثم ايراد الفاعل بعنوان الحكمة البالغة والاحاطة بجلا[يلها]
ودقايقها منكرا بالتنكير التفخيمي وربطهما به لا على النهج المعهود وفي اسناد الافاعيل الى فواعلها مع
رعاية حسن الطباق من الجزالة والدلالة على فخامتها وكونهما على اجل ما يكون ما لا يكتنه كنهه قوله تعالى
ان لا تعبدوا الا الله مفعول له حذف عنه اللام مع فقدان الشرط اعني كونه فعلا لفاعل الفعل
المعلل جريا على سنن القياس المطرد في حذف حرف الجر مع ان المصدرية كانه قيل كتاب احكمت اياته
ثم فصلت لئلا تعبدوا الا الله لتتركوا عبادة غير الله عز وجل وتتمحضوا في عبادته فان الاحكام والتفصيل
على ما فصل من المعاني مما يدعو الى الايمان والتوحيد وما يتفرع عليه من الطاعات قاطبة **وقيل**
ان مفسرة لما في التفصيل من معنى القول اي قيل لا تعبدوا الا الله **انني لكم منه** اي من جهته الله تعالى
نذير انذركم عذابه ان لم تتركوا ما انتم عليه من الكفر وعبادة غير الله تعالى **وبشير** ابشركم بثوابه
ان امنتم به وتمحضتم في عبادته ولما ذكر شؤون الكتاب من احكام اياته وتفصيلها وكون ذلك من قبل الله تعالى
واورد معظم ما نظم في سلك الغاية او الامر من التوحيد وترك الاشراك وسط بينه وبين قرينه
اعني الاستغفار والتوبة ذكر من انزل عليه ذلك الكتاب مرسل من عند الله تعالى لتبليغ احكامه وترجيحها
بالمؤيدات من الوعد والوعيد للايذان بان التوحيد في اقصى مراتب الاهمية حتى افرد بالذكر وانما يجابر
بالخطاب غب الكتاب مع تلويح بانه كما لا يتحقق في نفسه الا مقارنا للحكم برسالته صلى الله عليه وسلم كذلك
في الذكر لا ينفك احدهما عن الاخر وقد روعي في سوق الخطاب بتقديم الانذار على التبشير ما روعي في الكتا[ب]

من تقديم النفي على الاثبات والتحلية ليتجاوب اطراف الكلام ويجوز ان يكون قوله ان لا تعبدوا الا الله كلاما منقطعا عما قبله واردا على لسانه صلى الله عليه وسلم اغراء لهم على اختصاصه تعالى بالعبادة كانه صلى الله عليه وسلم قال ترك عبادة غير الله اي الزموه على معنى اتركوا عبادة غير الله تركا مستمرا انني لكم من جهة الله نذير وبشير اونذير انذركم من عقابه على تقدير استمراركم على الكفر وبشير ابشركم بثوابه على تقدير تركم له وتوحيدكم ولما سبق اليهم حديث التوحيد واوكد ذلك بخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه الانذار والتبشير شرع في ذكر ما هو من تمامه على وجه تفصيل ما اجمل في وصف التبشير والنذير فقيل **وان استغفروا ربكم** وهو معطوف على ان لا تعبدوا على ما ذكر من الوجهين فعلى الاول ان مصدرية لجواز كون صلتها امرا او نهيا كما في قوله تعالى وان اقم وجهك للدين حنيفا لان مدار جواز كونها فعلا انما هو دلالته على المصدر وهو موجود فيهما ووجوب كونها خبرية في صلة الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف بها الا اذا كانت خبرية واما الموصول الحرفي فليس كذلك ولما كان الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر سواء ساغ وقوع الامر والنهي صلة حسب مساغ وقوع الفعل فينجرد عند ذلك عن معنى الامر والنهي نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال **ثم توبوا اليه** عطف على استغفروا والكلام فيه كالكلام فيه والمعنى فعل ما فعل من الاحكام والتفصيل لتخصوا الله بالعبادة وتطلبوا منه ستر ما فرط منكم من الشرك ثم ترجعوا اليه بالطاعة وتستمروا على ما انتم عليه من التوحيد والاستغفار وتستغفروا من الشرك وتتوبوا من المعاصي وعلى الثاني ان مفسرة اي قيل في اثناء تفصيل الايات لا تعبدوا الا الله واستغفروه ثم توبوا اليه والتعرض لوصف الربوبية تلقين للمخاطبين وارشادهم الى طريق الابتهال في السؤال وترشيح لما يعقبه من التمتع وايتاء الفضل بقوله **يمتعكم متاعا حسنا** اي تمتيعا وانتصابه على انه مصدر حذف عنه الزوائد كقوله تعالى انبتكم من الارض نباتا وعلى انه مفعول به وهو اسم لما يتمتع به من منافع الدنيا من الاموال والبنين وغير ذلك والمعنى يعيشكم عيشا مرضيا لا يفوتكم فيه شيء مما تشتهون ولا ينغصه شيء من الكدورات **الى اجل مسمى** مقدر عند الله عز وجل وهو آخر اعماركم ولما كان ذلك غاية لا يطمح وراءها طامح جرى التمتع اليها مجرى التابيد عادة ولا يهلككم بهلاك الاستيصال **ويؤت كل ذي فضل** في الطاعة والعمل **فضله** جزاء فضله اما في الدنيا او في الاخرة وهذه تكملة لما اجمل من التمتع الى اجل مسمى وتبيين لما عسى يعرفهم حكمته من بعض ما يتفق في الدنيا من تفاوت الحال بين العاملين فرب انسان له فضل طاعة وعمل لا يتمتع في الدنيا اكثر مما تمتع آخر دونه في الفضل وربما يكون المفضول اكثر تمتعا فقيل ويعطي كل فاضل جزاء فضله اما في الدنيا كما يتفق في بعض المواد واما في الاخرة وذلك مما لا مرد له وهذا ضرب تفصيل لما اجمل في ما سبق من الاشارة ثم شرع في الانذار فقيل **وان تولوا** اي تتولوا عما القي اليكم من التوحيد والاستغفار والتوبة وانما اخر عن البشارة جريا على سنن تقدم الرحمة على الغضب ولان العذاب قد علق بالتولي عما ذكر من التوحيد والاستغفار والتوبة وذلك يستدعي سابقة ذكره **وقرئ** تولوا من ولي **فاني اخاف عليكم** بموجب الشفقة والرافة او اتوقع **عذاب يوم كبير** هو يوم القيمة وصف بالكبر كما وصف بالعظم في قوله تعالى الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم اما لكونه كذلك في نفسه او وصف بوصف ما يكون فيه كما وصف بالثقل في قوله تعالى ثقلت في السموات والارض **وقيل** يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط اكلوا فيه الجيف وايا ما كان ففي اضافة العذاب اليه تهويل وتفظيع له قوله تعالى **الى الله مرجعكم** رجوعكم بالموت ثم فيندرج في تلك الكلية قدرته على اماتتكم ثم بعثكم وجزائكم فيعذبكم بافانين العذاب وهو تقرير لما سلف من كبر اليوم وتعليل للخوف ولما القي اليهم فحوى الكتاب على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وسيق اليهم ما ينبغي ان يساق من الترغيب والترهيب وقع في ذهن السامع انهم بعد ما سمعوا مثل هذا المقال الذي تخر له صم الجبال هل قابلوه بالاقبال او تمادوا

فيما كانوا

فيما كانوا عليه من الاعراض والضلال فقيل مصدرا بكلمة التنبيه اشعارا بان ما يعقبها من هنا تهم امر يجب ان تفهم ويتعجب منه **الا انهم يثنون صدورهم** يزورون عن الحق وينحرفون عنه اي يستمرون على ما كانوا عليه من التولي والاعراض لان من اعرض عن شيء ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه وهذا معنى جزل مناسب لما سبق وقد نحا نحوه العلامة الزمخشري ولكن حيث لم يصلح القول سببا للاستخفاء في قوله عز وجل **ليستخفوا منه** التجا الى اضمار الارادة حيث قال يريدون ليستخفوا من الله تعالى فلا يطلع رسوله والمومنين على اعراضهم وجعله في قود المعنى اليه من قبيل الاضمار في قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فضرب فانفلق ولا يخفى ان انسياق الذهن الى توسيط الارادة بين ثني الصدر وبين الاستخفاء ليس كانسياقه الى توسيط الضرب بين الامر به وبين الانفلاق ولعل الاظهر ان معناه يعطفون صدورهم على ما فيها من الكفر والاعراض عن الحق وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يكون ذلك مخفيا مستورا فيها كما تعطف الثياب على ما فيها من الاشياء المستورة وانما لم يذكر ذلك استهجانا بذكره او ايماء الى انه ظهور معنى عن ذكره او ليذهب ذهن السامع الى كل ما لا خير فيه من الامور المذكورة فيدخل فيه ما ذكر من توليهم عن الحق الذي القي اليهم دخولا اوليا فحينئذ يظهر وجه كون ذلك سببا للاستخفاء **ويويده ما روي عن** ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في الاخنس بن شريف وكان رجلا حلو المنطق حسن السياق للحديث يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة ويضمر في قلبه ما يضادها **وقال** ابن شداد انها نزلت في بعض المنافقين كان اذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطاطا راسه وغطى وجهه كيلا يراه النبي صلى الله عليه وسلم فكانه انما كان يصنع ما يصنع لانه لو راه النبي صلى الله عليه وسلم لم يمكنه التخلف عن حضور مجلسه والمصاحبة معه وربما يودي ذلك الى ظهور ما في قلبه من الكفر والنفاق **وقرئ** يثنون صدورهم بالياء والتاء من اثنوني افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة **وعن** ابن عباس رضي الله عنهما لتثنوني **وقرئ** تثنون واصله تثنونن تفوعل من الثن وهو ما هش من الكلاء وضعف يريد مطاوعة صدورهم للثني كما يثني الهش من النبات او اراد ضعف ايمانهم ورخاوة قلوبهم **وقرئ** تثني من اثنان افعال منه ثم همز كما قيل ابياضت وادهامت **وقرئ** تثنوي بوزن ترعوي قوله تعالى **الا حين يستغشون ثيابهم** اي يتغطون بها للاستخفاء على ما نقل **عن** ابن شداد او حين ياوون الى فراشهم ويتدثرون بثيابهم فان ما يقع حينئذ حديث النفس عادة الرجل **وقيل** كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويحني ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي قوله تعالى **يعلم ما يسرون** اي يضمرون في قلوبهم **وما يعلنون** اي يستوي بالنسبة الى علمه المحيط سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرون وانما قدم السر على العلن نعيا عليهم من اول الامر ما صنعوا وايذانا باقتضاء وقوع ما يحذرون وتحقيقا للمساواة بين العلمين على ابلغ وجه فكان علمه بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه ونظيره قوله تعالى قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله حيث قدم فيه الاخفاء على الابداء عكس ما وقع في قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله اذ لم يتعلق بالاشعار ان المحاسبة بما يخفونه اولى منها بما يبدونه غرض بل الامر بالعكس واما ههنا فقد تعلق باشعار كون تعلق علمه تعالى بما يسرونه اولى منه بما يعلنونه غرض مهم مع كونهما على السوية كيف لا وعلمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول الصورة بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة واما قوله تعالى واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون فحيث كان واردا بصدد الخطاب مع الملائكة عليهم السلام المنزه مقامهم عن اقتضاء التاكيد والمبالغة في الاخبار باحاطة علمه تعالى بالظاهر والباطن لم يسلك فيه ذلك المسلك مع انه وقع الغيبة عنه بما قبله من قوله عز وجل اني اعلم غيب السموات والارض

ويجوز ان يكون ذلك باعتبار ان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا هو او مباديه قبل
ذلك مضمر فتعلق علمه سبحانه بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية **انه عليم بذات الصدور**
تعليل لما سبق وتقرير له واقع موقع الكبرى من القياس وفي صيغة الفعيل وتحلية الصدور بلام الاستغراق
والتعبير عن الضماير بعنوان صاحبيتها من البراعة ما لا يصفه الواصفون كانه قيل انه مبالغ في الاحاطة
بمضمرات جميع الناس واسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه
ما يسرون وما يعلنون ويجوز ان يراد بذات الصدور القلوب من قوله تعالى ولكن تعمى القلوب التي في
الصدور والمعنى انه عليم بالقلوب واحوالها فلا يخفى عليه سر من اسرارها **وما من دابة في الارض الا على الله رزقها**
غذاؤها اللايق بها من حيث الخلق ومن حيث الايصال اليها بطريق بطريق طبيعي او ارادي لتكفله اياه
تفضلا ورحمة وانما جيء على طريق الوجوب اعتبارا لسبق الوعد وتحقيقا لوصوله اليها البتة وحملا للمتكلفين
على الثقة به تعالى والاعراض عن اتعاب النفس في طلبه **ويعلم مستقرها** محل قرارها في الاصلاب **ومستودعها**
موضعها في الارحام وما يجري مجراها من البيض ونحوها وانما خص كل من الاسمين بما خص به من المحلين لان
النطفة بالنسبة الى الاصلاب في حيزها الطبيعي ومنشاها الخلقي واما بالنسبة الى الارحام وما يجري مجراها
فهي مودعة فيها الى وقت معين ومسكنها من الارض حين وجدت بالفعل مودعها من المواد والمقار حين
كانت بعد بالقوة ولعل تقديم محلها باعتبار حالتها الاخيرة لرعاية المناسبة بينها وبين عنوان كونها دابة
في الارض والمعنى ما من دابة في الارض الا يرزقها الله تعالى حيث كانت من اماكنها يسوقها اليه ويعلم موادها
المتخالفة المندرجة في مراتب الاستعدادات المتفاوتة المنظورة في الاطوار المتباينة ومقارها المتنوعة
ويفيض عليها في كل مرتبة ما يليق بها من مبادي وجودها وكمالاتها المتفرعة عليه وقد فسر المستودع
بأماكنها في الممات ولا يلايمه مقام التكفل بارزاقها **كل** من الدواب ورزقها مستقرها ومستودعها
قوله تعالى **في كتاب مبين** اي مثبت في اللوح المحفوظ البين لمن ينظر فيه من الملايكة عليهم السلام او
المظهر لما اثبت للناظرين وانما انتهى الامر الى انه سبحانه محيط بجميع احوال ما في الارض من المخلوقات التي
لا تكاد تحصى من مبداء فطرتها الى منتهاها اقتضى الحال التعرض لمبداء خلق السموات والارض والحكمة الداعية
الى ذلك فقيل قوله تعالى **وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام** السموات في يومين والارض في يومين
وما عليها من انواع الحيوان والنبات وغير ذلك في يومين حسبما فصل في سورة حم السجدة ولم يذكر خلق
ما في الارض لكونه من تتمات خلقها وهو السر في جعل زمان خلقه تتمة لزمان خلقها في قوله تعالى في اربعة
ايام اي في تتمة اربعة ايام **والمراد** بالايام الاوقات كما في قوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره اي في ستة
اوقات اي في مقدار ستة ايام فان اليوم في المتعارف زمان كون الشمس فوق الارض ولا يتصور
تلك حين لا ارض ولا سماء وفي خلقها مدرجا مع القدرة التامة على خلقها دفعة دليل على انه قادر مختار
واعتبار للنظار وحث على التاني في الامور واما تخصيص ذلك بالعدد المعين فامر استاثر بعلم ما يقتضيه
علام الغيوب جلت حكمته وايثار صيغة الجمع في السموات لما هو المشهور من الاشارة الى كونها اجراما
مختلفة الطبايع ومتفاوتة الاثار والاحكام **وكان عرشه** قبل خلقهما **على الماء** ليس تحته شيء غيره سواء
كان بينهما فرجة او كان موضوعا على متنه كما ورد في الاثر فلا دلالة فيه على امكان الخلاء كيف لا ولو دل
لدل على وجوده لا على امكانه فقط ولا على كون الماء اول ما حدث في العالم بعد العرش وانما يدل على ان
خلقهما اقدم من خلق السموات والارض من غير تعرض للنسبة بينهما **ليبلوكم** متعلقة بخلق اي خلق السموات
والارض وما فيهما من المخلوقات التي من جملتها انتم ورتب فيهما جميع ما تحتاجون اليه من مبادي وجودكم
واسباب معايشكم واودع في تضاعيفها من تعاجيب الصنايع والعبر ما تستدلون به على مطالبكم الدينية

وليعاملكم

وليعاملكم معاملة من يبتليكم **ايكم احسن عملا** فيجازيكم بالثواب والعقاب غب ما تبين المحسن من المسيء وامتازت
درجات افراد كل من الفريقين حسب امتياز طبقات علومهم واعتقاداتهم المترتبة على انظارهم فيما نصب من الحجج
والدلايل والامارات والمخايل ومراتب اعمالهم المتفرعة على ذلك فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك
فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ايكم احسن عملا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله فان لكل من القلب
والقالب عملا مخصوصا به فكان الاول اشرف من الثاني فكذا الحال في عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفة الله عز
وجل الواجبة على العباد اثر ذي اثير وانما طريقها النظر والتفكر في بدايع الصانع الملك الخلاق والتدبر
في اياته البينات المنصوبة في الانفس والافاق ولا طاعة بدون فهم ما في مطاوي الكتاب الحكيم من الاوامر
والنواهي وغير ذلك مما له مدخل في الباب **وقد روي** عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تفضلوني على
يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك لتفكره في امر الله عز وجل الذي
هو عمل القلب لان احدا لا يقدر على ان يعمل في اليوم بجوارحه مثل عمل اهل الارض وتعليق فعل البلوى اي
تعقيبه بحرف الاستفهام لا التعليق المشهور الذي يقتضي عدم ايراد المفعول اصلا مع اختصاصه بافعال
القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر ونظايره ولذلك اجري مجراه بطريق التمثيل والاستعارة
التبعية وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل للفريقين باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح
ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط للايذان بان المراد بالذات والمقصود الاصلي مما ذكر من ابداع تلك البدايع
على ذلك النمط الرايق انما هو ظهور كمال احسان المحسنين وان ذلك لكونه على اتم الوجوه اللايقة واكمل الانحاء
الرايقة يوجب العمل بموجبه بحيث لا يحيد احد عن سننه المستبين بل يهتدي كل فرد الى ما يرشد اليه
من مطلق الايمان والطاعة وانما التفاوت بينهم في مراتبهما بحسب القوة والضعف والكثرة والقلة
واما الاعراض عن ذلك والوقوع في مهاوي الضلال فبمعزل من الاندراج تحت الوقوع فضلا عن ان ينتظم
ظهوره في سلك العلة الغائية لذلك الصنع البديع وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره
من غير مصحح له ولا تقريب ولا يخفى ما فيه من الترغيب في الترقي الى معارج العلوم ومدارج الطاعات
والزجر عن مباشرة نقايضها والله تعالى اعلم **ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت** قضية على ما يوجبه
الابتلاء ليترتب عليه الجزاء المتفرع على ظهور مراتب الاعمال **ليقولن الذين كفروا** ان وجه الخطاب
في قوله تعالى انكم الى جميع المكلفين فالموصول مع صلته للتخصيص اي ليقولن الكافرون منهم وان وجه الى
الكافرين منهم فهو وارد على طريقة الذم **ان هذا الا سحر مبين** اي مثله في الخديعة والبطلان وهذا
اشارة الى القول المذكور او الى القران فان الاخبار عن كونهم مبعوثين وان لم يجب كونه بطريق الوحي المتلو الا انهم
عند سماعهم ذلك تخلصوا الى القران لانبائه عنه في كل موضوع وكونه علما عندهم في ذلك فعمدوا الى تكذيبه وتسميته
سحرا تماديا منهم في العناد وتفاديا عن سنن الرشاد **وقيل** هو اشارة الى نفس البعث ولا يلايمه التسمية
بالسحر فانه انما يطلق على شيء موجود ظاهر الا اصل له في الحقيقة ونفس البعث عندهم معدوم بحت وتعلق الاية
الكريمة بما قبلها اما من حيث ان هذا البعث كما اشير اليه من تتمات الابتلاء المذكور فكانه قيل الامر كما ذكر ومع ذلك
ان اخبرتهم بمقدمة قوية من مقدماته وقضية فرد من تتماته واما من حيث ان البعث خلق جديد فكانه قيل وهو
الذي خلق جميع المخلوقات ابتداء لهذه الحكمة البالغة ومع ذلك ان اخبرتهم بانه يعيدهم تارة اخرى وهو اهون
عليه يقولون ما يقولون فسبحان الله عما يصفون **وقرا** حمزة والكسائي الا ساحر على ان الاشارة الى القايل
او الى القران على اسلوب شعر شاعر **وقري** بالفتح على تضمين قلت معنى ذكرت او على انه بمعنى عنك في علك
اي ولئن قلت لعلكم مبعوثون على ان الرجاء والتوقع باعتبار حال المخاطبين اي توقعوا ذلك ولا تبتوا القول بانكاره
او على انه مجاراة معهم في الكلام على نهج المساعدة لئلا يسارعوا الى اللجاج والعناد ريثما قرع اسماعهم بت القول

ساليب

لا يتلعثمون في الرد ويعدون
ذلك من قبيل ما لا صحة له اصلا
فضلا عن تصديق ما هو
من تتماته منه
صح

بخلاف ما ألفوا والفوا عليه اباءهم من انكار البعث ويكون ذلك ادعى لهم الى التامل والتدبر وما فعلوه قاتلهم الله انى يوفكون ولئن اخرنا عنهم العذاب المترتب على بعثهم او العذاب الموعود في قوله تعالى فان تولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير وقيل عذاب يوم بدر وقيل ابن عباس رضي الله عنهما انه قتل جبريل عليه السلام للمستهزئين والظاهر ان المراد به العذاب الشامل للكفرة دون ما يخص بعضهم على انه لم يكن موعودا يستعجل منه المجرمون الى امة معدودة الى طائفة من الايام قليلة لان ما يحصره العد قليل ليقولن ما يحبسه اي اي شيء يمنعه من المجيء فكانه يريده فيمنعه مانع وانما كانوا يقولونه بطريق الاستعجال استهزاء لقوله تعالى ما كانوا به يستهزؤن ومرادهم انكار المجيء والحبس راسا لا الاعتراف به والاستفسار عن حابسه الا يوم يأتيهم ذلك ليس مصروفا عنهم على معنى انه لا يرفعه رافع ابدا ان اريد به عذاب الآخرة او لا يدفعه عنكم دافع بل هو واقع بكم ان اريد به عذاب الدنيا ويوم منصوب بخبر ليس مقدما عليه واستدل به البصريون على جواز تقديمه على ليس اذ المعمول تابع للعامل فلا يقع الا حيث يقع متبوعه ورد بان الظرف يجوز فيه ما لا يجوز في غيره توسعا وبانه قد يعدم المعمول حيث لا مجال لتقدم العامل كما في قوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر فان اليتيم والسائل مع كونهما منصوبين بالفعلين المجزومين قد تقدما على لا الناهية مع امتناع تقديم الفعلين عليها قال ابو حيان وقد تتبعت جملة من دواوين العرب فلم اظفر بتقديم خبر ليس عليها ولا بتقديم معموله الا ما دل عليه ظاهر هذه الآية الكريمة وقول الشاعر فيابى فما يزداد الا لجاجة وكنت ابيا في الخنا لست اقدم وحاق بهم اي احاط بهم ما كانوا به يستهزؤن اي العذاب الذي كانوا يستعجلون به استهزاء وفي التعبير عنه بالموصول تهويل لمكانه واشعار بعلية ما ورد في حيز الصلة من استهزائهم به لنزوله واحاطته والتعبير عنها بالماضي وارد على عادة الله تعالى في اخباره لانها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شان المخبر وتقرير الوقوع المخبر به ما لا يخفى ولئن اذقنا الانسان منا رحمة اي اعطيناه نعمة من صحة وامن وجدة وغيرها واوصلناها اليه بحيث يجد لذتها ثم نزعناها منه اي سلبناه اياها وايراد النزع للاشعار بشدة تعلقه بها وحرصه عليها انه ليؤس شديد القنوط من روح الله قطوع رجاءه من عود امثالها عاجلا او اجلا بفضل الله تعالى لقلة صبره وعدم توكله عليه وثقته به كفور عظيم الكفران لما سلف من النعم وفيه اشارة الى ان النزع انما كان بسبب كفرانهم بما كانوا يتقلبون فيه من نعم الله عز وجل وتاخيره عن وصف ياسهم مع تقدمه عليه لرعاية الفواصل على ان الياس من فضل الله سبحانه وتعالى وقطع الرجاء عن افاضة امثاله في العاجل وايصال اجره في الآجل من باب الكفران للنعمة السالفة ايضا ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم وجدة بعد عدم وفرج بعد شدة وفي التعبير عن ملابسة الرحمة والنعماء بالذوق المؤذن بلذتهما وكونهما مما يرغب فيه وعن ملابسة الضراء بالمس المشعر بكونها في ادنى ما يطلق عليه اسم الملاقاة من مراتبها واسناد الاول الى الله عز وجل دون الثاني ما لا يخفى من الجزالة والدلالة على ان مراده تعالى انما هو ايصال الخير المرغوب فيه على احسن ما يكون وانه انما يريد بعباده اليسر دون العسر وانما ما لهم من ذلك بسوء اختيارهم نيلا يسيرا كانما يلاصق البشرة من غير تاثير واما نزع الرحمة فانما صدر عنه بقضية الحكمة الداعية الى ذلك وهي كفرانهم بها كما سبق وتنكير الرحمة باعتبار لحوق النزع بها ليقولن ذهب السيئات عني اي المصائب التي تسوءني ولن يعتريني بعد امثالها كما هو شان اولئك الاشرار فان الترقب لورود امثالها مما يكدر السرور وينغص العيش انه لفرح بطر واشر بالنعم مغتر بها فخور على الناس بما اوتي من النعم مشغول بذلك عن القيام بحقها واللام في لئن في الآيات الاربع موطئة للقسم وجوابه ساد مسد جواب الشرط الا الذين صبروا على ما اصابهم من الضراء سابقا ولاحقا ايمانا بالله واستسلاما له وعملوا الصالحات شكرا على آلائه السالفة والآنفة واللام في الانسان اما للاستغراق او للجنس فالاستثناء متصل او للعهد فمنقطع اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافهم بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان

بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل اي اولئك الموصوفون بتلك الصفات الحميدة لهم مغفرة عظيمة لذنوبهم وان جمت واجر ثواب لاعمالهم كبير ووجه تعلق الآيات الثلاث بما قبلهن من حيث ان اذاقة النعماء ومساس الضراء فصل من باب الابتلاء واقع موقع التفصيل من الاجمال الواقع في قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا والمعنى ان كلا من اذاقة النعماء ونزعها مع كونه ابتلاء للانسان ايشكر ام يكفر لا يهدي الى سنن الصواب بل يحيد في كلا الحالتين عنه الى مهاوي الضلال ولا يظهر منه حسن عمل الا من الصابرين الصالحين او من حيث انكارهم بالبعث واستهزائهم بالعذاب بسبب بطرهم وفخرهم كانه قيل انما فعلوا ما فعلوا لان طبيعة الانسان مجبولة على ذلك فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك من البينات الدالة على حقيقة نبوتك المنادية بكونها من الله عز وجل لمن له اذن واعية وضائق به صدرك اي عارض لك ضيق بتلاوته عليهم بتبليغه اليهم في اثناء الدعوة والمحاجة ان يقولوا لان يقولوا تعاميا عن تلك البراهين التي لا يكاد يخفى صحتها على احد ممن له ادنى بصيرة وتماديا في العناد على وجه الاقتراح لولا انزل عليه كنز مال خطير مخزون يدل على صدقه او جاء معه ملك يصدقه قيل قاله عبد الله ابن امية المخزومي وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رؤساء مكة قالوا يا محمد اجعل لنا جبال مكة ذهبا ان كنت رسولا وقال آخرون ائتنا بالملائكة يشهدون بنبوتك فقال لا اقدر على ذلك فنزلت فكانه صلى الله عليه وسلم لما عاين اجتراءهم على اقتراح مثل هذه العظائم غير قانعين بالبينات الباهرة التي كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من ارباب العقول وشاهد ركوبهم من المكابرة متن كل صعب وذلول ومسارعتهم الى المقابلة بالتكذيب والاستهزاء وتسميتها سحرا مثل حاله عليه الصلاة والسلام بحال من يتوقع منه ان يضيق صدره بتلاوة تلك الآيات الساطعة عليهم وتبليغها اليهم فحمل على الحذر منه بما في لعل من الاشفاق فقيل انما انت نذير ليس عليك الا الانذار بما اوحي اليك غير مبال بما صدر عنهم من الرد والقبول والله على كل شيء وكيل يحفظ احوالك واحوالهم فتوكل عليه في جميع امورك فانه فاعل بهم ما يليق بحالهم والاقتصار على النذير في اقصى غاية من اصابة المحز قوله تعالى ام يقولون افتراه اضراب بام المنقطعة عن ذكر ترك اعتدادهم بما يوحى وتهاونهم به وعدم اقتناعهم بما فيه من المعجزات الظاهرة الدالة على كونه من عند الله عز وجل وعلى حقية نبوته صلى الله عليه وسلم وشروع في ذكر ارتكابهم لما هو اشد منه واعظم وما فيها من معنى الهمزة للتوبيخ والانكار والتعجيب والضمير المستكن في افتراه للنبي صلى الله عليه وسلم والبارز لما يوحى اي بل يقولون افتراه وليس من عند الله قل ان كان الامر كما تقولون فأتوا انتم ايضا بعشر سور مثله في البلاغة وحسن النظم وهو نعت لسور اي امثاله وتوحيده اما باعتبار مماثلة كل واحدة منها او لان المطابقة ليست بشرط حتى يوصف المثنى بالمفرد كما في قوله تعالى انؤمن لبشرين مثلنا او للايماء الى ان وجه الشبه ومدار المماثلة في الجميع شيء واحد هو البلاغة المؤدية الى مرتبة الاعجاز فكان الجميع واحد قوله تعالى مفتريات صفة اخرى لسور اخرت عن وصفها بالمماثلة لما يوحى لانها الصفة المقصودة بالتكليف اذ بها يظهر عجزهم وقعودهم عن المعارضة واما وصف الافتراء فلا يتعلق به غرض يدور عليه شيء في مقام التحدي وانما ذكر على نهج المساهلة وارخاء العنان ولانه لو عكس الترتيب لربما توهم ان المراد هو المماثلة في الافتراء والمعنى فأتوا بعشر سور مماثلة له في البلاغة مختلقات من عند انفسكم ان صح اني اختلقته من عندي فانكم اقدر على ذلك مني لانكم عرب فصحاء بلغاء قد مارستم مبادي ذلك من الخطب والاشعار وحفظتم الوقائع والايام وزاولتم اساليب النظم والنثر وادعوا للاستظهار في المعارضة قوله تعالى من استطعتم دعاءه والاستعانة به من آلهتكم التي تزعمون انها ممدة لكم في كل ما تأتون وتذرون والكهنة ومدارهكم الذين تلجأون الى آرائهم في الملمات ليسعدوكم فيها من دون الله متعلق بادعوا اي متجاوزين الله تعالى ان كنتم صادقين في اني افتريته فان ذلك يستلزم امكان الاتيان بمثله وهو ايضا يستلزم قدرتكم عليه والجواب محذوف يدل عليه المذكور فان لم يستجيبوا لكم اي فان لم يفعلوا ما كلفوه من الاتيان بمثله كقوله تعالى فان لم تفعلوا وانما عبر

لتكليف

بع

عنه بالاستجابة ايماء الى انه صلى الله عليه وسلم على كمال امر من امره كان امر له بالاتيان بمثله دعاءهم
الى امر يريد وقوعه والضمير في لكم للرسول عليه الصلاة والسلام والجمع للتعظيم كما في قول من قال
وان شئت حرمت النساء سواكم • وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا • اوله وللمومنين لانهم اتباع له عليه الصلاة
والسلام في الامر بالتحدي وفيه تنبيه لطيف على ان حقهم ان لا ينفكوا عليه ويناصبوا معه لمعارضة المعاندين
كما كانوا يفعلون في الجهاد وارشاد الى ان ذلك مما يفيد الرسوخ في الايمان • والطمانينة في الايقان • ولذلك
رتب عليه قوله عز وجل **فاعلموا** اي اعلموا حين ظهر لكم عجزهم عن المعارضة مع تهالكهم عليها علما يقينا متاخما لعين
اليقين بحيث لا مجال معه لشائبة ريب بوجه من الوجوه كان ما عداه من مراتب العلم ليس بعلم لكن للاشعار
بانحطاط تلك المراتب بل بارتفاع هذه الرتبة وبه يتضح سر ايراد كلمة الشك مع القطع بعدم الاستجابة فان
تنزيل سائر المراتب منزلة العدم مستتبع لتنزيل الجزم بعدم الاستجابة منزلة الشك فيه او اثبتوا او استمروا على
ما كنتم عليه من العلم **انما انزل** ملتبسا **بعلم الله** المخصوص به بحيث لا يحوم حوله العقول والافهام مستندا
بخصائص الاعجاز من جهتي النظم الرائق والاخبار بالغيب **وان لا اله الا هو** اي واعلموا ايضا ان لا شريك له
في الالوهية واحكامها ولا يقدر على ما يقدر عليه احد **فهل انتم مسلمون** اي مخلصون في الاسلام او ثابتون
عليه وهذا من باب التثبيت والترقية الى معارج اليقين ويجوز ان يكون الخطاب في الكل للمشركين من جهة
الرسول عليه الصلاة والسلام داخلا تحت الامر بالتحدي والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم اي فان لم
يستجب الهتكم وسائر من اليهم تجارون في مهماتكم وملماتكم الى المعاونة والمظاهرة فاعلموا ان ذلك خارج عن دائرة
قدرة البشر • وانه منزل من خالق القوى والقدر • فايراد كلمة الشك حينئذ مع الجزم بعدم الاستجابة
من جهة الهتهم تهكم بهم وتسجيل عليهم بكمال سخافة العقل وترتيب الامر بالعلم على مجرد عدم الاستجابة من
حيث انه مسبوق بالدعاء المسبوق بعجزهم واضطرارهم فكانه قيل فان لم يستجيبوا لكم عندما لجأتم اليهم
بعدما اضطررتم الى ذلك • وضاقت عليكم الحيل • وعيت بكم العلل • او من حيث ان من يستمدون بهم اقوى منهم
في اعتقادهم فاذا ظهر عجزهم بعدم استجابتهم وان كان ذلك قبل ظهور عجز انفسهم يكون عجزهم اظهر واوضح
واعلموا ايضا ان الهتكم بمعزل عن رتبة الشركة في الالوهية واحكامها فهل انتم داخلون في الاسلام اذ لم يبق
بعد شائبة شبهة في حقيته وفي بطلان ما كنتم فيه من الشرك فيدخل فيه الاذعان لكون القران من عند
الله تعالى دخولا اوليا ومنقادون للحق الذي هو كون القران من عند الله تعالى وتاركون لما كنتم فيه من
المكابرة والعناد وفي هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال
العذر واقناط من ان يجيرهم الهتهم من باس الله عز سلطانه • وجل شانه • هذا والاول انسب لما سلف من قوله تعالى
وضائق به صدرك ولما سيأتي من قوله تعالى فلا تك في مرية منه واشد ارتباطا بما يعقبه كما ستحيط به خبرا
من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها اي ما يزينها ويحسنها من الصحة والامن والسعة في الرزق وكثرة الاولاد
والرياسة وغير ذلك **والمراد** بالارادة ما يحصل عند مباشرة الاعمال لا مجرد الارادة القلبية لقوله
تعالى **نوف اليهم اعمالهم فيها** وادخال كان عليها للدلالة على استمرارها منهم بحيث لا يكادون يريدون الآخرة
اصلا وليس المراد باعمالهم اعمال كلهم فانه لا يجد كل متمن ما يتمناه • ولا كل احد ينال كل ما يهواه • فان ذلك
منوط بالمشيئة الجارية على قضية الحكمة كما نطق به قوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء
لمن نريد ولا كل اعمالهم بل بعضها الذي يترتب عليه الامور المذكورة بطريق الاجر والجزاء من اعمال البر قد اطلقت
واريد بها ثمرتها والمعنى نوصل اليهم ثمرات اعمالهم في الحيوة الدنيا كاملة **وقرئ** يوف على الاسناد الى
الله عز وجل وتوف بالفوقانية على البناء للمفعول ورفع اعمالهم **وقرئ** نوفي بالتخفيف والرفع لكون
الشرط ماضيا **كقوله** وان اتاه خليل يوم مسغبة • يقول لا غائب مالي ولا حرم **وهم فيها** اي في الحيوة الدنيا

لا يبخسون

لا يبخسون اي لا ينقصون وانما عبر عن ذلك بالبخس الذي هو نقص الحق مع انه ليس لهم شائبة حق فيما اوتوه كما
عبر عن اعطائه بالتوفية التي هي اعطاء الحقوق مع ان اعمالهم بمعزل من كونها مستوجبة لذلك بناء للامر على
ظاهر الحال • ومحافظة على صور الاعمال • ومبالغة في نفي النقص كان ذلك نقص لحقوقهم فلا يدخل تحت الوقوع والصدور
عن الكريم اصلا والمعنى انهم فيها خاصة لا ينقصون ثمرات اعمالهم واجورها نقصا كليا مطردا او لا يحرمونها حرمانا
كليا واما في الآخرة فهم في الحرمان المطلق • والياس المحقق • كما ينطق به قوله تعالى **اولئك** الى آخره فانه اشارة
الى المذكورين باعتبار ارادتهم الحيوة الدنيا او باعتبار توفيتهم اجورهم من غير بخس او باعتبارهما معا وما فيه من
معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في سوء الحال اي اولئك المريدون للحيوة الدنيا وزينتها الموفون فيها ثمرات اعمالهم
من غير بخس **الذين ليس لهم في الآخرة الا النار** لان هممهم كانت مصروفة الى الدنيا واعمالهم مقصورة على تحصيلها وقد
اجتنوا ثمرتها ولم يكونوا يريدون بها شيئا آخر فلا جرم لم يكن لهم في الآخرة الا النار وعذابها المخلد **وحبط ما صنعوا**
فيها اي ظهر في الآخرة حبوط ما صنعوه في الدنيا من اعمال البر اذ شرط الاعتداد بها الاخلاص **وباطل** اي
في نفسه **ما كانوا يعملون** في اثناء تحصيل المطالب الدنيوية ولاجل ان الاول من شانه استتباع الثواب
والاجر وان عدمه لعدم مقارنته للايمان والنية الصحيحة وان الثاني ليس له جهة صالحة قط علق بالاول
الحبوط المؤذن بسقوط اجره بصيغة الفعل المنبئ عن الحدوث وبالثاني البطلان المفصح عن كونه بحيث لا طائل
تحته اصلا بالاسمية الدالة على كون ذلك وصفا لازما ثابتا فيه وفي زيادة كان في الثاني دون الاول ايماء الى
ان صدور اعمال البر منهم وان كان لغرض فاسد ليس في الاستمرار والدوام كصدور الاعمال التي هي من مقدمات
مطالبهم الدنية **وقرئ** وبطل على الفعل اي ظهر بطلانه حيث علم هناك ان ذلك وما يستتبعه من الحظوظ
الدنيوية مما لا طائل تحته او انقطع اثره الدنيوي فبطل مطلقا **وقرئ** وباطلا ما كانوا يعملون على ان ما
ابهامية او في معنى المصدر اي بطل بطلانا ما كانوا يعملون كقوله ولا خارجا من في زور كلام **وعن** انس رضي الله
عنه ان المراد بقوله تعالى من كان يريد الى آخره اليهود والنصارى ان اعطوا سائلا او وصلوا رحما عجل لهم جزاء
ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن **وقيل** هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاسهم لهم في الغنائم وانت خبير بان ذلك انما كان بعد الهجرة والسورة مكية **وقيل**
هم اهل الرياء يقال للقراء منهم اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك وهكذا الغير ممن يعمل اعمال البر لا
لوجه الله تعالى فعلى هذا لا بد من تقييد قوله تعالى ليس لهم الا النار الى آخره بان ليس لهم بسبب اعمالهم الريا
ئية
الا ذلك والذي يقتضيه جزالة النظم الكريم ان المراد به مطلق الكفرة بحيث يندرج فيهم القادحون في القران
العظيم اندراجا اوليا فانه سبحانه وتعالى لما امر النبي العربي صلى الله عليه وسلم والمومنين بان يزدادوا علما ويقينا
بان القران منزل بعلم الله تعالى وبان لا قدرة لغيره على شيء اصلا وهيجهم على الثبات على الاسلام والرسوخ فيه
عند ظهور عجز الكفرة وما يدعون من دون الله تعالى عن المعارضة وتبين انهم ليسوا على شيء في الجملة من نيلهم
الحظوظ العاجلة واستواء بهم على المطالب الدنيوية وبيان ان ذلك بمعزل عن الدلالة عليه ولقد بين ذلك
اي بيان ثم اعيد الترغيب فيما ذكر من الايمان بالقران والتوحيد والاسلام فقيل قوله تعالى **افمن كان على بينة من ربه**
اي برهان نير عظيم الشان يدل على حقية ما رغب في الثبات عليه من الاسلام وهو القران وباعتباره او بتاويل
البرهان ذكر الضمير الراجع اليها في قوله تعالى **ويتلوه** اي يتبعه شاهد يشهد بكونه من عند الله تعالى وهو
الاعجاز في نظمه المطرد في كل مقدار سورة منه او ما وقع في بعض آياته من الاخبار بالغيب وكلاهما وصف تابع له
شاهد بكونه من عند الله عز وجل غير انه على التقدير الاول يكون في الكلام اشارة الى حال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمومنين في تمسكهم بالقران العظيم عند تبين كونه منزلا بعلم الله بشهادة الاعجاز منه اي من القران غير خارج
عنه ومن جهة الله تعالى فان كلا منهما وارد من جهة الله تعالى للشهادة ويجوز على هذا التقدير ان يراد بالشاهد المعجزات

الظاهرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ذلك ايضا من الشواهد التابعة للقران الواردة من جهته
تعالى فالمراد بمن في قوله افمن كان متصف بهذه الصفة الحميدة فيدخل فيه المخاطبون بقوله فاعلموا فهل
انتم دخولا اوليا وقيل مومنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل المراد بالبينة دليل
العقل وبالشاهد القران فالضمير في منه لله عز وجل او البينة القران ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل
عليه السلام او لسان النبي صلى الله عليه وسلم على ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظه والاولى هو
الاول ولما كان المراد بتلو الشاهد للبرهان اقامة الشهادة بصحته وبكونه من عند الله تعالى تابعا له بحيث لا
يفارقه في مشهد من المشاهد فان القران بينة باقية على وجه الدهر مع شاهدها الذي يشهد بامرها
الى يوم القيمة عند كل مومن وجاحد عطف كتاب موسى عليه السلام في قوله عز قايلا ومن قبله كتاب موسى على
فاعله مع كونه مقدما عليه في النزول فكانه قيل افمن كان على بينة من ربه ويشهد به شاهد منه وشاهد اخر
من قبله هو كتاب موسى وانما قدم في الذكر المؤخر في النزول لكونه وصفا لازما غير مفارق عنه ولعراقته
في وصف التلو والتنكير في بينة وشاهد للتفخيم اماما اي موتما به في الدين ومقتدى وفي التعرض لهذا
الوصف بصدد بيان تلو الكتاب ما لا يخفى من تفخيم شان المتلو ورحمة اي نعمة عظيمة على من انزل اليهم
ومن بعدهم الى يوم القيمة باعتبار احكامه الباقية المؤيدة بالقران العظيم وهما حالان من الكتاب اولئك
الموصوفون بتلك الصفة الحميدة وهي الكون على بينة من الله لما ان ذلك عبارة عن مطلق التمسك بها وقد
يكون ذلك بطريق التقليد لمن سلف من عظماء الدين من غير عثور على دقائق الحقائق وصفهم بانهم يؤمنون به
اي يصدقونه حق التصديق حسبما يشهد به الشواهد الحقة المعربة عن حقيته ومن يكفر به اي بالقران
ولم يصدق بتلك الشواهد الحقة من الاحزاب من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فالنار موعده يردها لا محالة حسبما نطق به قوله عز وعلا ليس لهم في الاخرة الا النار وفي
جعلها موعدا اشعار بان له فيها ما لا يوصف من افانين العذاب فلا تك في مرية منه اي في شك من امر
القران وكونه من عند الله عز وجل غب ما شهدت به الشواهد المذكورة وظهر فضل من تمسك به انه الحق من ربك
الذي يربيك في دينك ودنياك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون بذلك اما لقصور انظارهم واختلال
افكارهم واما لعنادهم واستكبارهم فمن في قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه مبتدأ حذف خبره
لاغناء الحال عن ذكره وتقديره افمن كان على بينة كاولئك الذين ذكرت اعمالهم وبين مصيرهم ومالهم
يعني ان بينهما تفاوتا عظيما بحيث لا يكاد يتراءى ناراهما وايراد الفاء بعد الهمزة لانكار ترتب توهم المماثلة
على ذكر من صفاتهم وعدد من هناتهم كانه قيل ابعد ظهور حالهم في الدنيا والاخرة كما وصف يتوهم المماثلة
بينهم وبين من كان على احسن ما يكون في العاجل والآجل كما في قوله تعالى افتتخذتم من دونه اولياء اي ابعد ان
علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه اولياء وقوله تعالى افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى ومن
اظلم ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان نسب ما لا يليق به كقولهم الملائكة بنات الله تعالى الله عن ذلك علوا
كبيرا وقولهم لالهتهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله يعني انهم مع كفرهم بايات الله تعالى مفترون عليه كذبا وهذا
التركيب وان كان سبكه على انكار ان يكون احد اظلم منهم من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها ولكن المقصود
به قصدا مطردا انكار المساواة ونفيها وافادة انهم اظلم من كل ظالم كما ينبئ عنه ما سيتلى من قوله عز وجل لا جرم انهم
في الاخرة هم الاخسرون فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل منه فالمراد منه حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من
كل فاضل اولئك الموصوفون بالظلم البالغ الذي هو الافتراء على الله تعالى وبهذه الاشارة حصلت الغنية عن
اسناد العرض الى اعمالهم واكتفي باسناده اليهم حيث قيل يعرضون لان عرضهم من تلك الحيثية وبذلك العنوان
عرض لاعمالهم على وجه ابلغ فان عرض العامل بعمله افظع من عرض عمله مع غيبته على ربهم الحق وفيه ايماء الى بطلان

بانهم في

بانهم في اتخاذهم اربابا من دون الله عز وجل ويقول الاشهاد عند العرض من الملئكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع
شاهد او شهيد كاصحاب واشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم بالافتراء عليه كان ذلك امر واضح غني عن الشهادة
بوقوعه وانما المحتاج الى الشهادة تعيين من صدر عنه ذلك فلذلك لا يقولون هؤلاء كذبوا على ربهم ويجوز ان يكون
المراد بالاشهاد الحضار وهم جميع اهل الموقف على ما قاله قتادة ومقاتل ويكون قولهم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم
ذما لهم بذلك لا شهادة عليهم كما يشعر به قوله ويقول دون ويشهد الى اخره وتوطية لما يعقبه من قوله الا لعنة
الله على الظالمين بالافتراء المذكور ويجوز ان يكون هذا على الوجه الاول من كلام الله عز وجل وفيه تهويل عظيم لما يحيق بهم من عاقبة
ظلمهم اللهم انا نعوذ بك من الخزي على رؤس الاشهاد الذين يصدون اي كل من يقدرون على صده او يفعلون الصد
عن سبيل الله عن دينه القويم ويبغونها عوجا انحرافا اي يصفونها بذلك وهو ابعد شيء منه او يبغون اهلها ان
ينحرفوا عنها يقال بغيتك خيرا او شرا اي طلبت لك وهذا شامل لتكذيبهم بالقران وقوله انه ليس من عند الله وهم
بالآخرة هم كافرون اي يصفونها بالعوج والحال انهم كافرون بها لا انهم يؤمنون بها ويزعمون انها سبيل الى سواها
يهدون الناس اليه وتكرير الضمير لتاكيد كفرهم واختصاصهم به كان كفر غيرهم ليس بشيء عند كفرهم اولئك
مع ما وصف من احوالهم الموجبة للتدمير لم يكونوا معجزين الله تعالى مفلتين بانفسهم من اخذه لو اراد ذلك
في الارض مع سعتها وان هربوا منها كل مهرب وما كان لهم من دون الله من اولياء ينصرونهم من باسه ولكن اخر
ذلك لحكمة تقتضيه والجمع اما باعتبار افراد الكفرة كانه قيل وما كان لاحد منهم من ولي او باعتبار تعدد ما
كانوا يدعون من دون الله تعالى فيكون ذلك بيانا لحال الهتهم من سقوطها عن رتبة الولاية يضاعف لهم العذاب
استيناف يتضمن حكمة تاخير المؤاخذة وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالتشديد ما كانوا يستطيعون
السمع لفرط تصامهم عن الحق وبغضهم له كانهم لا يقدرون على السمع ولما قبح حالهم في عدم اذعانهم للقران الذي
طريق تلقيه السمع اشد منه في عدم قبولهم لسائر الايات المنوطة بالابصار بالغ في نفي الاول عنهم حيث نفى عنهم الا
واكتفى في الثاني بنفي الابصار فقال وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن ايات الله المبسوطة في الانفس والافاق وهو
استيناف وقع تعليلا لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان لما نفي من ولاية الالهة فان ما لا يسمع ولا يبصر
بمعزل من الولاية وقوله تعالى يضاعف لهم العذاب اعتراض وسط بينهما نعيا عليهم من اول الامر سوء العاقبة اولئك
المنعوتون بما ذكر من القبائح الذين خسروا انفسهم باشتراء عبادة الالهة بعبادة الله عز وجل سلطانه وضل
عنهم ما كانوا يفترون من الالهة وشفاعتها وخسروا ما بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة
والندامة لا جرم فيه ثلاثة اوجه الاول ان لا نافية لما سبق وجرم فعل بمعنى حق وان مع ما في حيزه فاعله
والمعنى لا ينفعهم ذلك الفعل حق انهم في الاخرة هم الاخسرون وهذا مذهب سيبويه والثاني جرم بمعنى كسب وما
بعده مفعوله وفاعله ما دل عليه الكلام اي كسب ذلك خسرانهم فالمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور خسرانهم والثالث
ان لا جرم بمعنى لا بد اي لا بد في الاخرة هم الاخسرون اي ما كان فمعناه انهم اخسر من كل خاسر فتبين انهم اظلم من كل ظالم
وهذه الاية الكريمة كما ترى مقررة لما سبق من انكار المماثلة بين من كان على بينة من ربه وبين من كان يريد الحيوة الدنيا
ابلغ تقرير فانهم حيث كانوا اظلم من كل ظالم واخسر من كل خاسر لم يتصور مماثلة بينهم وبين احد من الظلمة الاخسرين فما
ظنك بالمماثلة بينهم وبين من هو في اعلى مدارج الكمال ولما ذكر فريق الكفار واعمالهم وبين مصيرهم ومالهم شرع في بيان
حال اضدادهم اعني فريق المؤمنين وما يؤول اليه امرهم من العواقب الحميدة تكملة لما سلف من محاسنهم المذكورة في
قوله تعالى فمن كان على بينة من ربه الاية لتتبين ما بينهما من التباين البين حالا ومالا فقيل ان الذين امنوا اي كل
ما يجب ان يؤمن به فيندرج تحته ما نحن بصدده من الايمان بالقران الذي عبر عنه بالكون على بينة من الله وانما يحصل
ذلك باستماع الوحي والتدبر فيه ومشاهدة ما يؤدي الى ذلك في الانفس والافاق او فعلوا الايمان كما في يعطي ويمنع
وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اي اطمانوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخضوع والتواضع من الخبات وهي الارض المطمئنة

مستطاعة

ومعنى انجد دخل في النجد كاتهم وانجد دخل في تهامة ونجد اوليك المنعوتون بتلك النعوت الجميلة في قوله تعالى
اصحاب الجنة هم فيها خالدون دايمون وبعد بيان تباين حاليهما عقلا اريد بيان تباينهما حسا فقيل مثل الفريقين
المذكورين اي حالهما العجيب لان المثل لا يطلق الا على ما فيه غرابة من الاحوال والصفات كالاعمى والاصم والبصير والسميع
اي كحال هولاء فيكون ذواتهم كذواتهم والكلام وان امكن ان يحمل على تشبيه الفريق الاول بالاعمى
والاصم وتشبيه الفريق الثاني بالبصير وبالسميع لكن الادخل في المبالغة والاقرب الى ما يشير اليه لفظ
المثل والانسب بما سبق من وصف الكفرة بعدم استطاعة السمع وبعدم الابصار ان يحمل على تشبيه الفريق
الاول بمن جمع بين العمى والصمم وتشبيه الفريق الثاني بمن جمع بين البصر والسمع على ان يكون الواو في قوله
تعالى والاصم وفي قوله والسميع لعطف الصفة على الصفة كما في قول من قال الى الملك القرم وابن الهمام
وليث الكتيبة في المزدحم وايا ما كان فالظاهر ان المراد بالحال المدلول عليها بلفظ المثل وهي التي يدور عليها
امر التشبيه ما يلايم الاحوال المذكورة المعتبرة في جانب المشبه به من تعامي الفريق الاول عن مشاهدة
ايات الله المنصوبة في العالم والنظر اليها بعين الاعتبار وتصامهم عن استماع ايات القران الكريم وتلقيها بالقبول
حسبما ذكر في قوله تعالى لا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وانما لم يراع هذا الترتيب هاهنا لكون الاعمى
اظهر واشهر في سوء الحال من الاصم ومن استعمال الفريق الثاني لكل من ابصارهم واسماعهم فيما ذكر كما ينبغي المدلول
عليه بما سبق من الايمان والعمل الصالح والاخبات حسبما فسر به فيما مر فلا يكون التشبيه تمثيليا الا بجميع
الاحوال المعدودة لكل من الفريقين بما ذكر وما يودي اليه من العذاب المضاعف والخسران البالغ في احدهما ومن النعيم
المقيم في الاخرة فان اعتبار ذلك ينزع الى كون التشبيه تمثيليا بان ينتزع من حال الفريق الاول في تصامهم وتعاميهم
المذكورين ووقوعهم بسبب ذلك في العذاب المضاعف والخسران الذي لا خسران فوقه هيئة فتشبه بهيئة منتزعة
ممن فقد مشعري البصر والسمع فتخبط في مسلكه فوقع في مهاوي الردى ولم يجد الى مقصده سبيلا وينتزع من حال الفريق
الثاني في استعمال مشاعرهم في ايات الله تعالى حسبما ينبغي وفوزهم بدار الخلود هيئة فتشبه بهيئة منتزعة ممن له
بصر وسمع يستعملهما في مهماته فيهتدي الى سبيله وينال مرامه هل يستويان يعني الفريقين المذكورين و
والاستفهام انكاري مذكر لما سبق من انكار المماثلة في قوله عز وجل افمن كان على بينة الاية مثلا اي حالا وصفة
وهو تمييز من فاعل يستويان افلا تذكرون اي اتشكون في عدم الاستواء وما بينهما من التباين او تغفلون عنه فلا
تتذكرونه بالتامل فيما ضرب لكم من المثل فيكون الانكار واردا على المعطوفين معا او تسمعون هذا فلا تتذكرون
فيكون راجعا الى عدم التذكر بعد ما تحقق ما يوجب وجوده وهو المثل المضروب كما في قوله تعالى افاين مات
او قتل انقلبتم على اعقابكم فان الفاء هناك لانكار الانقلاب بعد تحقق ما يوجب عدمه من علمهم بخلو الرسل
قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم او افلا تعقلون ومعنى الهمزة انكار عدم التذكر واستبعاد صدوره عن
المخاطبين وانه ليس مما يصح ان يقع لا من قبيل الانكار في قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه وقوله تعالى هل يستويان
فان ذلك لنفي المماثلة ولنفي الاستواء ولما بين من السورة الكريمة الى هذا المقام انها كتاب محكم الايات مفصلها نازل
في شان التوحيد وترك عبادة غير الله سبحانه وان الذي انزل عليه نذير وبشير من جهته تعالى وقرر في تضاعيف
ذلك ما له مدخل في تحقيق هذا المرام من الترغيب والترهيب والزام المعاندين بما نفادنهم من الشواهد الحقة
الدالة على كونه من عند الله تعالى وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم مما عراه من ضيق الصدر العارض له من
اقتراحاتهم الشنيعة وتكذيبهم له وتسميتهم للقران تارة سحرا وتارة اخرى مفترى وتثبيته عليه الصلاة والسلام
والمومنين على التمسك به والعمل بموجبه على ابلغ وجه وابدع اسلوب شرع في تحقيق ما ذكر وتقريره بذكر
قصص الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين المشتملة على ما اشتمل عليه فاتحة السورة الكريمة ليتاكد ذلك بطريقين
احدهما ان ما امر به من التوحيد وفروعه مما اطبق عليه الانبياء قاطبة والثاني ان ذلك انما علمه رسول الله

فاتحة

عليه الصلاة

عليه الصلوة والسلام بطريق الوحي فلا يبقى في حقيته كلام اصلا وليتسلى بما يشاهده من معاناة الرسل قبله من همهم
ومقاساتهم الشدايد من جهتهم فقيل ولقد ارسلنا نوحا الى قومه الواو ابتدائية واللام جواب قسم محذوف وحرف
الباء لا الواو كما في سورة الاعراف لئلا يجتمع واوان ولا يكاد يطلق هذا اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع وان
المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح هو ابن لمك بن متوشلخ بن ادريس عليهما السلام وهو اول نبي
بعث بعده قال ابن عباس رضي الله عنهما بعث عليه السلام على راس اربعين من عمره ولبث يدعو قومه
تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة وكان عمره الفا وخمسين سنة وقال مقاتل
بعث وهو ابن مائة سنة وقيل هو ابن خمسين سنة وقيل هو ابن مائتين وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان
مائتين وخمسين سنة فكان عمره الفا واربعمائة وخمسين سنة اني لكم نذير بالكسر على ارادة القول اي فقال
او قايلا وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي بالفتح على اضمار حرف الجر اي ارسلناه ملتبسا بذلك الكلام
وهو اني لكم نذير بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في كان والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا كالاسد واقتصر
على ذكر كونه عليه السلام نذيرا لا لان دعوته عليه السلام كانت بطريق الانذار فقط الا ترى الى قوله عليه السلام
فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا الى اخره بل لانهم لم يغتنموا مغانم ابشاره عليه السلام
مبين ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص عنه لان الانذار اعلام المحذور لا لمجرد التخويف والازعاج
بل للحذر منه فيتعلق بكلا وصفيه ان لا تعبدوا الا الله اي بان لا تعبدوا على ان مصدرية والباء
متعلقة بارسلنا ولا ناهية اي ارسلناه ملتبسا بنهيهم عن الشرك الا انه وسط بينهما بيان بعض اوصافه
واحواله عليه السلام وهو كونه نذيرا مبينا ليكون ادخل في القبول ولم يفعل ذلك في صدر السورة لئلا يفرق
بين الكتاب ومضمونه بما ليس من اوصافه واحواله او مفسرة متعلقة به او بنذيرا او مفعول لمبين وعلى قراءة
الفتح بدل من اني لكم نذير مبين وتعيين لما يوجب وقوع المحذور وتبيين لوجه الخلاص وهو عبادة
الله تعالى وقوله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم تعليل لموجب النهي وتصريح بالمحذور وتحقيق للانذار والمراد
به يوم القيمة او يوم الطوفان ووصفه بالاليم على الاسناد المجازي للمبالغة كما في نحو نهاره صايم وهذه المقالة
وما في معناها مما قاله عليه السلام في اثناء الدعوة على ما عزي اليه في ساير السور لما لم يصدر عنه عليه السلام
مرة واحدة بل كان يكررها في تلك المدة المتطاولة عليهم على ما نطق به قوله تعالى رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا
الايات عطف على فعل الارسال المقارن لها او المقدر بعد جوابهم المعترض لاحوال المومنين الذين اتبعوه عليه
السلام بعد اللتيا والتي القول بالفاء التعقيبية فقيل فقال الملا الذين كفروا من قومه اي الاشراف منهم من قولهم
فلان ملي بكذا اي مطيق له لانهم ملئوا بكفايات الامور ولانهم ملئوا القلوب هيبة والمجالس ابهة او لانهم
ملاء بالاحلام والاراء الصايبة ووصفهم بالكفر لذمهم والتسجيل عليهم بذلك من اول الامر لا لان بعض اشرافهم
ليسوا بكفرة ما نراك الا بشرا مثلنا مرادهم ما انت الا بشر مثلنا ليس فيك مزية تخصك من دوننا بما تدعيه
من النبوة ولو كان كذلك لرايناه لا ان ذلك محتمل ولكن لا نراه وكذا الحال في قولهم وما نراك اتبعك الا الذين
هم اراذلنا بادي الراي فالفعلان من روية العين وقوله تعالى الا بشرا مثلنا حال من المفعول وكذا قوله اتبعك في
موضع الحال منه اما على حاله او بتقدير قد عند من يشترط ذلك ويجوز ان يكون من روية القلب وهو الظاهر
فهما المفعول الثاني وتعلق الراي في الاول بالمثلية لا بالبشرية فقط وانما لم يثبتوا القول بذلك مع جزمهم به
واصرارهم عليه اراءة بان ذلك لم يصدر عنهم جزافا بل بعد التامل في الامر والتدبر فيه ولذلك اقتصروا على ذكر
الظن فيما سياتي وتعرضا من اول الامر براي المتبعين فكان قولهم وما نراك جواب عما يرد عليهم من انه عليه
السلام ليس مثلهم حيث فاز دونهم بنبوته واغتنم اتباعه من له عين تبصر وقلب يدرك فزعموا ان هولاء اراذلنا اي
اخساونا وادانينا جمع ارذل فانه صار بالغلبة جاريا مجرى الاسم كالاكبر والاكابر او جمع اراذل جمع رذل كالاكالب

دا
فهم
كلب

وكلب يعنون انه لاعبرة باتباعهم لك اذ ليس لهم رزانة عقل ولا اصالة راي وقد كان ذلك منهم في بادي الراي اي
ظاهره من غير تعمق من البدو او في اوله من البداء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها **وقد قراه** ابو
عمرو بها وانتصابه على الظرفية على حذف المضاف اي وقت حدوث بادي الراي والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم
مع كونهم اولي الالباب الراجحة لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهر الحيوة الدنيا كان الاشرف عندهم اكثرهم منها حظا و
الارذل من حرمها ولم يفقهوا ان ذلك لا يزن عند الله جناح بعوضة وان النعيم انما هو نعيم الاخرة والاشرف من فاز به
والارذل من حرمه نعوذ بالله تعالى من ذلك **وما نرى لكم** اي لك ولمتبعك فغلب المخاطب على الغائبين **علينا من فضل**
يعنون ان اتباعهم لك لا يدل على نبوتك ولا يجلبكم فضيلة تستتبع اتباعنا لكم واقتصارهم ههنا على ذكر عدم رؤية
الفضل بعد تصريحهم برذالتهم فيما سبق باعتبار حالهم السابق واللاحق ومرادهم انهم كانوا اراذل قبل اتباعهم لك
ولا نرى فيهم وفيك بعد الاتباع فضيلة علينا **بل نظنكم كاذبين** جميعا لكون كلامكم واحدا ودعواكم واحدة او اياك
في دعوى النبوة واياهم في تصديقك واقتصارهم على الظن احترازا منهم عن نسبتهم الى المجازفة ومجاراة معه عليه السلام
بطريق الاراءة على نهج الانصاف **قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة** اي اخبروني وفيه ايماء الى ركاكة رايهم المذكور
على بينة وبرهان ظاهر **من ربي** وشاهد يشهد بصحة دعواي **واتاني رحمة من عنده** هي النبوة ويجوز ان يكون هي
البينة نفسها جيء بها ايذانا بانها مع كونها بينة من الله تعالى رحمة ونعمة عظيمة من عنده فوجه افراد الضمير في
قوله **فعميت عليكم** حينئذ ظاهر وان اريد بها النبوة بالبينة البرهان الدال على صحتها فالافراد لارادة كل واحدة
منهما او لكون الضمير للبينة والاكتفاء بذلك لاستلزام خفائها خفاء النبوة او لتقدير فعل اخر بعد البينة ومعنى
عميت اخفيت **وقرئ** عميت ومعناه خفيت وحقيقته ان الحجة كما تجعل مبصرة وبصيرة تجعل عميا لان الاعمى
لا يهتدي ولا يهدي غيره **وفي قراءة** أُبي فعماها عليكم على الاسناد الى الله عز وجل **انلزمكموها** اي
انكرهكم على الاهتداء بها وهو جواب ارايتم وساد مسد جواب الشرط **وفي قراءة** ابو عمرو باخفاء حركة الميم
وحيث اجتمع ضميران منصوبان وقد قدم اعرفهما جاز في الثاني الوصل والفصل فوصل كما في قوله تعالى عز من قائل
فسيكفيكهم الله **وانتم لها كارهون** لا تختارونها ولا تتاملون فيها ومحصول الجواب اخبروني ان كنت على حجة
ظاهرة الدلالة على صحة دعواي الا انها خافية عليكم غير مسلمة عندكم ايمكننا ان نكرهكم على قبولها وانتم معرضون
عنها غير متدبرين فيها اي لا يكون ذلك وظاهره مشعر بصدوره عنه عليه السلام بطريق اظهار الياس
عن الزامهم والقعود عن محاجتهم كقوله ولا ينفعكم نصحي الخ لكنه محمول على ان مراده عليه السلام ردهم عن
الاعراض عنها وحثهم على التدبر فيها بصرف الانكار الى الالزام حال كراهتهم لها لا الى الالزام مطلقا هذا ويجوز
ان يكون المراد بالبينة دليل العقل الذي هو ملاك الفضل وبحسبه يمتاز افراد البشر بعضها عن بعض وبه نياط
الكرامة عند الله عز وجل والاجتباء بالرسالة وبالكون عليها التمسك به والثبات عليه وبخفائها على الكفرة
على ان يكون الضمير للبينة عدم ادراكهم لكونه عليه السلام عليها وبالرحمة والنبوة التي انكروا اختصاصه
عليه السلام بها بين ظهرانيهم والمعنى انكم زعمتم ان عهدة النبوة لا تنال الا من له فضيلة على سائر الناس مستتبعة
لاختصاصه به دونهم اخبروني ان امتزت عنكم بزيادة مزية وحيازة فضيلة من ربي واتاني بحسبها نبوة من عنده
فخفيت عليكم تلك البينة ولم تصيبوها ولم تنالوها ولم تعلموا حيازتي لها وكوني عليها الى الان حتى زعمتم اني مثلكم
وهي متحققة في نفسها انلزمكم قبول نبوتي التابعة لها والحال انكم كارهون لذلك فيكون الاستفهام للحمل
على الاقرار وهو الانسب بمقام المحاجة وحينئذ يكون كلامه عليه السلام جوابا عن شبهتهم التي ادرجوها في
خلال مقالهم من كونه عليه السلام بشرا قصارى امره ان يكون مثلهم من غير فضل له عليهم وقطعا لساق ارائهم
الركيكة **ويا قوم لا اسالكم عليه** اي على ما قلته في اثناء دعوتكم **مالا** تؤدونه الي بعد ايمانكم واتباعكم لي فيكون
ذلك اجرا لي في مقابلة اهتدائكم **ان اجري الا على الله** الذي يثيبني في الاخرة وفي التعبير عنه حين نسب

الهم بالمال

اليهم بالمال ما لا يخفى من المزية **وما انا بطارد الذين امنوا** جواب عما لوحوا به بقولهم وما نراك اتبعك الا الذين
هم اراذلنا من انه لو اتبعه الاشراف لوافقوهم وان اتباع الفقراء مانع لهم عن ذلك كما صرحوا به في قولهم انؤمن لك
واتبعك الارذلون فكان ذلك التماسا منهم لطردهم وتعليقا لايمانهم به عليه السلام بذلك انفة من الانتظام
معهم في سلك واحد **انهم ملاقوا ربهم** تعليل لامتناعه عليه السلام عن طردهم اي انهم فائزون في الاخرة
بلقاء الله عز وجل كانه قيل لا اطردهم ولا ابعدهم عن مجلسي لانهم مقربون في حضرة القدس والتعرض لوصف الربوبية
لتربية وجوب رعايتهم وتحتم الامتناع عن طردهم او مصدقون في الدنيا بلقاء ربهم موقنون به عالمون انهم
ملاقوه لا محالة فكيف اطردهم وحمله على معنى انهم يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من ايمان صحيح ثابت كما ظهر
لي او على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بناء ايمانهم على بادي الراي من غير نظر وتفكر وما علي ان اشق عن قلوبهم
واتعرف سر ذلك منهم حتى اطردهم ان كان الامر كما تزعمون يأباه الجزم بترتب غضب الله تعالى على طردهم كما سيأتي
وايضا فهم انما قالوا ان اتباعهم لك انما هو بحسب بادي الراي بلا تامل ولا تفكر وهذا لا يكاد يصلح مدارا للطرد
في الدنيا ولا للمؤاخذة في الاخرة غايته ان لا يكونوا في مرتبة الموقنين وادعاء ان بناء الايمان على ظاهر الراي يؤدي
الى الرجوع عنه عند التامل فكانهم قالوا انهم اتبعوك بلا تامل فلا يثبتون على دينك بل يرتدون عنه تعسف لا يخفى
ولكني اراكم قوما تجهلون بكل ما ينبغي ان يعلم ويدخل فيه جهلهم بلقاء الله عز وجل وبمنزلتهم عنده وباستيجاب
طردهم لغضب الله كما سياتي وبركاكة رايهم في التماس ذلك وتوقيف ايمانهم عليه انفة عن الانتظام معهم
في سلك واحد وزعمهم ان الرذالة بالفقر والشرف بالغنى وايثار صيغة الفعل للدلالة على التجدد و
الاستمرار وتسافهون على المؤمنين بنسبتهم الى الخساسة **ويا قوم من ينصرني من الله** بدفع حلول سخطه عني
ان طردتهم فان ذلك امر لا مرد له لكون الطرد ظلما موجبا لحلول السخط قطعا وانما لم يصرح به اشعارا بانه
عن البيان لا سيما عقيب ما قدم ما يلوح به من احوالهم فكانه قيل من يدفع عني غضب الله تعالى ان طردتهم وهم بتلك
المثابة من الكرامة والزلفى كما سيق كما ينبئ عنه قوله تعالى **افلا تذكرون** اي اتستمرون على ما انتم عليه من
الجهل المذكور فلا تتذكرون ما ذكر من حالهم حتى تعرفوا ان ما تاتونه بمعزل عن الصواب ولكون هذه العلة مستقلة
بوجه مخصوص ظاهر الدلالة على وجوب الامتناع عن الطرد افردت عن التعليل السابق وصدرت بيا قوم **ولا اقول**
لكم حين ادعي النبوة قوله تعالى **عندي خزائن الله** اي رزقه وامواله حتى تستدلوا بعدمها على كذبي بقولكم
وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين فان النبوة اعز من ان تنال باسباب دنيوية ودعواها بمعزل عن ادعاء المال
والجاه **ولا اعلم الغيب** اي ولا ادعي في قولي اني لكم نذير مبين اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم علم الغيب حتى تسارعوا
الى الانكار والاستبعاد قوله تعالى **ولا اقول اني ملك** حتى تقولوا ما نراك الا بشرا مثلنا فان البشرية ليست من
موانع النبوة بل من مباديها يعني انكم اتخذتم فقدان هذه الامور الثلاثة ذريعة الى تكذيبي والحال اني لا ادعي
شيئا من ذلك ولا الذي ادعيه يتعلق بشيء منها وانما يتعلق بالفضائل النفسانية التي بها تتفاوت مقادير
البشر **ولا اقول** مساعدة لكم كما تقولون **للذين تزدري اعينكم** اي تستحقرهم وتحتقرهم من زراه اذا عابه
واسناد الازدراء الى اعينهم بالنظر الى قولهم وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا **واما للاشعار** بان ذلك لقصور
نظرهم ولو تدبروا في شانهم ما فعلوا ذلك اي لا اقول في شان الذين استرذلتموهم لفقرهم من المؤمنين **لن**
يؤتيهم الله خيرا في الدنيا او في الاخرة فعسى الله ان يؤتيهم خيري الدارين ان قلت هذا القول ليس مما ينكره
الكفرة ولا مما يتوهمون صدوره عنه عليه السلام اصالة واستتباعا كادعاء الملكية وعلم الغيب وحيازة الخزائن
مما نفاه عليه السلام عن نفسه بطريق التبري والتنزه عنه فمن اي وجه عطف نفيه على نفيها **قلت** من
جهة ان كلا النفيين رد لقياسهم الباطل الذي تمسكوا به فيما سلف فانهم زعموا ان النبوة تستتبع الامور المذكورة
وانها لا تنبغي ممن ليس على تلك الصفات وان العثور على مكانها واغتنام مغانمها ليس من داب الاراذل فاجاب

عليه السلام بنفي ذلك جميعا فكانه قال لا اقول وجود ذلك الاشياء من مواجب البنوة ولا عدم المال والجاه من
موانع الخير الله اعلم بما في انفسهم من الايمان وانما اقتصر على نفي القبول المذكور من انه عليه السلام جازم بان الله
سبحانه وتعالى سيؤتيهم خيرا عظيما في الدارين وانهم على يقين راسخ في الايمان جريا على سنن الانصاف مع القول
واكتفى بمخالفة كلامهم وارشادهم الى مسلك الهداية بان اللايق الى كل احد ان لا يبت القول الا فيما يعلمه
يقينا ويبني امورا على الشواهد الظاهرة ولا يجازف فيما ليس فيه على بينة ظاهرة اني اذا اذا قلت ذلك
لمن الظالمين لهم بحط مرتبتهم ونقص حقوقهم او من الظالمين لانفسهم بذلك فان وباله راجع الى انفسهم وفيه
تعريض بانهم ظالمون في ازدرايهم واسترذالهم وقيل اذا قلت شيئا مما ذكر من ادعاء الملكية وعلم الغيب وحيازة
الخزاين وهو بعيد لان تبعة تلك الاقوال مغنية عن التعليل بلزوم الانتظام في زمرة الظالمين قالوا يا نوح قد جادلتنا
خاصمتنا فاكثرت جدالنا اي اطلته او اتيته بانواعه فان اكثار الجدال يتحقق بعد وقوع اصله فلذلك عطف عليه
بالفاء او اردت ذلك فاكثرته كما في قوله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله ولما حجهم عليه السلام وابرزهم
بينات واضحة المدلول وحججا تتلقاها العقول بالقبول والقمهم الحجر برد شبههم الباطلة ضاقت عليهم الحيل
وعيت بهم العلل وقالوا فاتنا بما تعدنا من العذاب المعجل او العذاب الذي اشير اليه في قوله اني اخاف عليكم
عذاب يوم اليم على تقدير ان لا يكون المراد باليوم يوم القيمة ان كنت من الصادقين فيما تقول قال انما ياتيكم به الله ان شاء
يعني ان ذلك ليس موكولا الي ولا هو مما يدخل تحت قدرتي وانما يتولاه الذي كفرتم به وعصيتموه ياتيكم به عاجلا
او اجلا ان تعلق به مشيئته التابعة للحكمة وفيه ما لا يخفى من تهويل الموعود فكانه قيل الاتيان به امر خارج
عن دايرة القوى البشرية وانما يفعله الله عز وجل وما انتم بمعجزين بالهرب او بالمدافعة كما تدافعونني في الكلام
ولا ينفعكم نصحي النصح كلمة جامعة لكل ما يدور عليه الخير من فعل او قول وحقيقته امحاض ارادة الخير والدلالة عليه
ونقيضه الغش وقيل هو اعلام موقع الغي ليتقى وموضع الرشد ليقتفى ان اردت ان انصح لكم شرط حذف
جوابه لدلالة ما سبق عليه والتقدير ان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي وهذه الجملة دليل على ما حذف من جواب
قوله تعالى ان كان الله يريد ان يغويكم والتقدير ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي
على ما ذهب اليه البصريون من عدم تقديم الجزاء للشرط الاول والجملة جزاء للشرط الثاني وعلى التقدير ترتب الجزاء
متعلق بالشرط الاول وتعلقه به متعلق بالشرط الثاني وهذا الكلام متعلق بقولهم قد جادلتنا فاكثرت جدالنا
صدر منه عليه السلام اظهارا للعجز عن الزامهم بالحجج والبينات لتماديهم في العناد وايذانا بان ما سبق منه
ليس بطريق الجدال والخصام بل بطريق النصيحة لهم والشفقة عليهم وبانه لم يال جهدا في ارشادهم الى الحق وهدايتهم
الى سبيل المستبين وامحاض النصح لهم ولكن لا ينفعهم ذلك عند ارادة الله تعالى لاغوايهم وتقييد عدم نفع النصح
بالارادة انه محقق لا محالة للايذان بان ذلك النصح منه مقارن للارادة والاهتمام به وليتحقق المقابلة بين
ذلك وبين ما وقع بازايه من ارادته تعالى لاغوايهم وانما اقتصر في ذلك على مجرد ارادة الاغواء دون نفسه
حيث قيل ان كان الله يغويكم مبالغة في بيان غلبة جنابه عز وجل حيث دل ذلك على ان نصحه المقارن
للاهتمام به لا يجديهم عند مجرد ارادة الله سبحانه لاغوايهم فكيف عند تحقيق ذلك وخلقه فيهم وزيادة كان
للاشعار بتقدم ارادته تعالى زمانا كتقدمه رتبة وللدلالة على تجددها واستمرارها وانما قدم على هذا الكلام ما
يتعلق بقولهم فاتنا بما تعدنا من قوله انما ياتيكم به الله ان شاء ردا عليهم من اول الامر وتسجيلا عليهم بحلول
العذاب مع ما فيه من اتصال الجواب بالسوال وفيه دليل على ان ارادة الله تعالى يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف
مراده غير واقع وقيل ان معنى ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم وهلك هو ربكم
خالقكم ومالك امركم واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم لا محالة ام يقولون افتراه قال ابن عباس رضي الله عنهما
عنه عليه السلام ومعناه بل ايقول قوم نوح ان نوحا افترى بما جاء به مسندا الى الله عز وجل قل يا نوح

ومعناه بل ايقولوا مشركي مكة افترى رسول الله صلى الله عليه وسلم صح

ان افتريته بالغرض البحت فعلي اجرامي اثمي وبال اجرامي وهو كسب الذنب وقرئ بلفظ الجمع ونصره ان فسر
الاولون باثامي قوله تعالى وانا بريء مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الي فلا وجه لاعراضكم عني ومعاداتكم لي
وقال مقاتل يعني محمدا صلى الله عليه وسلم خبر نوح فكانه انما جيء به في تضاعيف القصة عند سوق
طرف منها تحقيقا لحقيتها وتاكيدا لوقوعها وتشويقا للسامعين الى استماعها لا سيما وقد قص منها طايفة
متعلقة بما جرى بينه عليه السلام وبين قومه من المحاجة وبقيت طايفة مستقلة متعلقة بعذابهم واوحي
الى نوح انه لن يؤمن من قومك اي المصرين على الكفر وهو اقناط له اي من ايمانهم واعلام لكونه كالمحال الذي لا يصح توقعه
الا من قد امن الا من وجد منه ما كان يتوقع من ايمانه وهذا الاستثناء على طريقة قوله الا ما قد سلف فلا
تبتئس بما كانوا يفعلون اي لا تحزن حزن بائس مستكين ولا تغتم بما كانوا يتعاطونه من التكذيب والاستهزاء والافتراء
في هذه المدة الطويلة فقد انتهى افعالهم وحان وقت الانتقام منهم واصنع الفلك ملتبسا باعيننا اي بحفظنا
وكلينا كان معه من الله عز وجل حفاظا وحراسا يكلؤونه باعينهم من التعدي من الكفرة ومن الزيغ في الصنعة ووحينا
اليك كيف تصنعها وتعليمنا والهامنا عن ابن عباس رضي الله عنهما لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله تعالى
اليه ان يصنعها مثل جؤجؤ الطاير والامر للوجوب اذ لا سبيل الى صيانة الروح من الغرق الا به فيجب كوجوبها واللام
اما للعهد بان يحمل على ان هذا مسبوق بوحي الله تعالى اليه عليه السلام انه سيهلكهم بالغرق وينجيه ومن معه
بشيء سيصنعه بامره تعالى ووحيه ومن شانه كيت وكيت واسمه كذا واما للجنس قيل صنعها عليه السلام
في سنتين وقيل في اربعمائة سنة وكانت من خشب الساج وجعلت ثلثة بطون حمل في البطن الاول
الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وفي البطن الاعلى جنس البشر هو ومن
معه مما يحتاجون اليه من الزاد وحمل معه جسد ادم عليه السلام وقيل جعل في الاول الدواب
والوحوش وفي الثاني الانس وفي الاعلى الطير قيل كان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين
ذراعا وسمكها ثلثين ذراعا وقال الحسن طولها الف ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وقيل
ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى
كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال
هذا كعب بن حام قال فضرب بعصاه وقال قم باذن الله فاذا هو قايم ينفض التراب عن راسه وقد شاب
فقال له عليه السلام اهكذا هلكت قال لا مت وانا شاب ولكنني ظننت انها الساعة فمن ثمة
شبت فقال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها الف ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع
وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب والوحوش وطبقة للانس وطبقة للطير ثم قال عد باذن
الله تعالى كما كنت فعاد ترابا ولا تخاطبني في الذين ظلموا اي لا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم وفيه
من المبالغة ما ليس فيما لو قيل ولا تدعني فيهم وحيث كان فيه ما يلوح بما يستتبعه اكد التعليل فقيل انهم مغرقون
اي محكوم عليهم بالاغراق قد مضى به القضاء وجف القلم فلا سبيل الى كفه ولزمتهم الحجة فلم يبق الا ان يجعلوا
عبرة للمعتبرين ومثلا للاخرين ويصنع الفلك حكاية حال ماضية لاستحضار صورتها العجيبة وقيل
تقديره واخذ يصنع الفلك او اقبل يصنعها فاقتصر على يصنع وايا ما كان ففيه ملايمة للاستمرار المفهوم من
الجملة الواقعة حالا من ضميره اعني قوله تعالى وكلما مر عليه ملا من قومه سخروا منه استهزؤوا به لعمله السفينة
اما لانهم ما كانوا يعرفونها ولا كيفية استعمالها والانتفاع بها فتعجبوا من ذلك وسخروا منه واما لانه كان يصنعها
في برية بهما ابعد موضع من الماء وفي وقت عزة شديدة وكانوا يتضاحكون ويقولون يا نوح صرت نجارا بعد
ما كنت نبيا وقيل لانه عليه السلام كان ينذرهم الغرق فلما طال مكثه فيهم ولم يشاهدوا منه عينا ولا اثرا
عدوه من باب المحال ثم لما راوا اشتغاله باسباب الخلاص من ذلك فعلوا ما فعلوا ومدار الجمع انكار ان يكون

لعلمه عليه السلام عاقبة حميدة مع ما فيه من تحمل الشان العظيمة التي لا يكاد تطاق واستجهاله عليه السلام
في ذلك قال ان تسخروا منا مستجهلين لنا فيما نحن فيه فانا نسخر منكم اي نستجهلكم فيما انتم عليه واطلاق السخرية
عليه للمشاكلة وجمع الضمير في منا اما لان سخريتهم منه عليه السلام ولذلك تعرض الجميع للمجازاة في قوله تعالى
فانا نسخر منكم الى اخره فتكافا الكلام من الجانبين وتعليق استجهاله عليه السلام اياهم بما فعلوا من السخرية باعتبار
اظهار ومشافهته عليه السلام اياهم بذلك والا فعدم عليه السلام اياهم جاهلين فيما ياتون ويذرون امر مطرد
لا تعلق له بسخريتهم منه لكنه عليه السلام لم يكن ليتصدى لاظهاره جريا على نهج الاخلاق الحميدة وانما اظهره جزاء
بما صنعوا بعد اللتيا والتي فان سخريتهم كانت مستمرة ومتجددة حسب تجدد مرورهم منه ولم يكن يجيبهم في كل مرة
والا لقيل ويقول ان تسخروا منا الى اخره بل انما اجابهم بعد بلوغ اذاهم الغاية كما يوذن به الاستيناف فكان سائلا
سال فقال فما صنع نوح عند بلوغهم منه هذا المبلغ فقيل قال ان تسخروا منا اي ان تنسبونا فيما
نحن بصدده من التاهب والمباشرة لاسباب الخلاص من العذاب الى الجهل لسخروا منا لاجله فانا ننسبكم اليه فيما
انتم من الاعراض عن استدفاعه بالايمان والطاعة ومن الاستمرار على الكفر والمعاصي والتعرض لحلول سخط الله تعالى
التي من جملتها استجهالكم ايانا وسخريتكم منا والتشبيه في قوله تعالى كما تسخرون اما في مجرد التحقق والوقوع
او في التجدد والتكرر حسبما صدر عن ملاء غب ملاء في الكيفيات والاحوال التي لا يليق بشان النبي عليه السلام
فكلا الامرين واقع في الحال وقيل نسخر منكم في المستقبل سخرية مثل سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق في
الدنيا والحرق في الاخرة ولعل مراده نعاملكم معاملة من يفعل ذلك لان نفس السخرية مما لا يكاد يليق بمنصب
النبوة ومع ذلك لا اسداد له لان حالهم اذ ذاك ليس مما يلائمه السخرية او ما يجري مجراها فتامل فسوف تعلمون
من ياتيه عذاب يخزيه وهو عذاب الغرق ويحل عليه حلول الدين المؤجل عذاب مقيم هو عذاب النار الدائم
وهو تهديد بليغ ومن عبارة عنهم وهي اما استفهامية في حيز الرفع او موصولة في محل النصب بتعلمون وما
في حيزها مسد مفعولين او مفعول واحد ان جعل العلم بمعنى المعرفة ولما كان مدار سخريتهم استجهالهم اياه
عليه السلام في مكابدة المشاق الفادحة لدفع ما لا يكاد يدخل تحت الصحة على زعمهم من الطوفان ومقاساة الشدائد
في بناء السفينة وكانوا يعدونه ويرعدونه باقيل بعد استجهالهم فسوف تعلمون من ياتيه العذاب يعني ان
ما باشره ليس فيه عذاب لاحق بي فسوف تعلمون من المعذب ولقد اصاب العلم بعد استجهالهم مخزي ووصفوا
العذاب بالاخزاء بما في الاستهزاء والسخرية من لحوق الخزي والعار عادة والتعرض لحلول العذاب المقيم
للمبالغة في التهديد وتخصيصها بالمؤجل وايراد الاول بالاتيان في غاية الجزالة حتى اذا جاء امرنا حتى هي
التي يبتدا بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية وهي مع ذلك غاية لقوله ويصنع ما بينهما حال من الضمير فيه
وسخروا منه جواب لكلما وقال استيناف على تقدير سوال سائل كما ذكرناه وقيل هو الجواب
وسخروا منه بدل من مر او صفة لملاء وقد عرفت ان الحق هو الاول لان المقصود بيان تناهيهم في ايذائه
عليه السلام وتحمله لاذيتهم لا مساعدته عليه السلام الى جوابهم كلما وقع منهم ما يوذيه من الكلام وفار
التنور نبع منه الماء وارتفع بشدة كما تفور القدر بغليانها والتنور تنور الخبز وهو قول الجمهور روي
انه قيل لنوح عليه السلام اذا رايت الماء يفور من التنور فاركب ومن معك في السفينة فلما نبع الماء
اخبرته امراته فركب وقيل كان تنور آدم عليه السلام وكان من حجارة فصار الى نوح وانما نبع منه
وهو ابعد شيء من الماء على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان
عمل السفينة في ذلك الموضع او في الهند او في موضع بالشام يقال له عين وردة وعن ابن عباس وعكرمة
والزهري ان التنور وجه الارض وعن قتادة اشرف موضع في الارض اي اعلاه وعن علي رضي الله عنه
فار التنور طلع الفجر قلنا احمل فيها اي في السفينة وهو جواب اذا من كل اي من كل نوع لا بد منه في الارض

سخريتهم من المومنين ايضا او لانهم كانوا يسخرون منهم ايضا الا انه اكتفي بذكر سخريتهم منه عليه السلام صح

لاسباب

زوجين

زوجين الزوج ما له مشاكل من نوعه فالذكر زوج للانثى كما هي زوج له وقد يطلق على مجموعهما فيقابل الفرد ولازالة
ذلك الاحتمال قيل اثنين كل منهما زوج للآخر وقرئ على الاضافة وانما قدم ذلك على اهله وسائر المومنين
لكونه عريقا فيما امر به من الحمل لانه يحتاج الى مزاولة الاعمال منه عليه السلام في تمييز بعضه من بعض وتعيين
الازواج فانه روي انه عليه السلام قال يا رب كيف احمل من كل زوجين اثنين فحشر الله تعالى اليه السباع والطير
وغيرها فجعل يضرب بيديه في كل جنس فيقع الذكر في يده اليمنى والانثى في اليسرى فيجعلها في السفينة واما البشر
فانما يدخل الفلك باختيار فيخف فيه معنى الحمل او لانها انما يحمل بمباشرة البشر وهم انما يدخلونها بعد حملهم اياها
واهلك عطف على زوجين او على اثنين والمراد امراته وبنوه ونساؤهم قوله تعالى الا من سبق عليه القول
بانه من المغرقين بسبب ظلمهم في قوله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا الاية والمراد به ابنه كنعان وامه واعله
فانهما كانا كافرين والاستثناء منقطع ان اريد بالاهل الاهل ايمانا وهو الظاهر كما ستعرفه او متصل ان اريد به
الاهل قرابة ويكفي في صحة الاستثناء المعلومية عند المراجعة الى احوالهم والتفحص عن اعمالهم وجي بعلى لكون السابق
ضارا لهم كما جيء باللام فيما هو نافع لهم في قوله عز وجل ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين وقوله تعالى ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى ومن آمن من غيرهم وافراد الاهل منهم للاستثناء المذكور وايثار صيغة الافراد في
آمن محافظة على لفظ من للايذان بقلتهم كما اعرب عنه قوله اعز قايلا وما آمن معه الا قليل قيل كانوا ثمانية نوح
واهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم وعن ابن اسحاق انهم كانوا خمسة عشر رجال وخمس نسوة وعنه ايضا انهم
كانوا عشرة سوى نساؤهم وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامراة واولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم
فالجميع ثمانية وسبعين نصفهم رجال ونصفهم نساء واعتبار المعية في ايمانهم للايماء الى المعية في مقر الامان
والنجاة وقال اي نوح لمن معه من المومنين كما ينبئ عنه قوله تعالى ان ربي لغفور رحيم ولو رجع الضمير الى
الله تعالى لناسب ان يقال ان ربكم ولعل ذلك بعد ادخال ما امر بحمله في الفلك من الازواج كانه قيل فاحمل
الازواج وادخلها في الفلك وقال للمومنين اركبوا فيها كما ينبي مثله في قوله تعالى وهي تجري بهم والركوب
العلو على شيء متحرك ويتعدى بنفسه واستعماله هاهنا بكلمة في ليس لان المامور به كونهم في جوفها لا فوقها
كما ظن فان اظهر الروايات انه عليه السلام جعل الوحوش ونظايرها في البطن الاسفل والانعام في الاوسط
وركب هو ومن معه في الاعلى بل لرعاية جانب المحلية والمكانية في الفلك والسر فيه ان معنى الركوب العلو
على شيء له حركة اما ارادية كالحيوان او قسرية كالسفينة والعجلة ونحوهما فاذا استعمل في الاول يوفر له حظ
الاصل فيقال ركبت الفرس وعليه قوله عز من قايل والخيل والبغال والحمير لتركبوها وان استعمل في الثاني
يلوح بمحلية المفعول بكلمة في فيقال ركبت في السفينة وعليه الاية الكريمة قوله عز قايلا فاذا ركبوا
في الفلك وقوله تعالى فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها بسم الله متعلق باركبوا حال من فاعله
اي اركبوا مسمين الله تعالى او قايلين بسم الله مجريها ومرسيها نصب على الظرفية اي وقت اجرائها وارسائها
على انهما اسما زمان او مصدران كالاجراء والارساء بحذف الوقت كقولك اتيتك خفوق النجم او اسما
مكان انتصبا بما في بسم الله من معنى الفعل او ارادة القول ويجوز ان يكون بسم الله مجريها ومرسيها مستقلة
من مبتدا وخبر في موضع الحال من ضمير الفلك اي اركبوا فيها مجراة ومرساة باسم الله بمعنى التقدير كقوله
تعالى ادخلوها خالدين او جملة مقتضية على ان نوحا امرهم بالركوب فيها ثم اخبرهم بان اجراها وارساها
باسم الله تعالى فيكونان كلامين له عليه السلام قيل كان عليه السلام اذا اراد ان يجريها يقول باسم الله
تعالى فتجري واذا اراد ان يرسيها يقول باسم الله فترسو ويجوز ان يكون اسم مقحما كما في قوله الى الحول
ثم اسم السلام عليكما ويراد الله اجراها وارساها اي بقدرته وامره وقرئ مجريها ومرسيها على صيغة
الفاعل مجرور المحل صفتين لله عز اسمه ومجراها ومرساها بفتح الميم مصدرين او زمانين او مكانين من جرى ورسا

له

ها

وهم

كوب

قوله تعالى ان ربي لغفور للذنوب والخطايا رحيم لعباده ولذلك نجاكم من هذه الطامة والداهية الثامة
ولولا ذلك لما فعله وفيه دلالة على ان نجاتهم ليست بسبب استحقاقهم لها بل بمحض فضل الله سبحانه وغفرانه
ورحمته على ما عليه راي اهل السنة وهي تجري بهم متعلق بمحذوف دل عليه الامر بالركوب اي فركبوا فيها
مسمين وهي تجري ملتبسة بهم في موج كالجبال وهو ما ارتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة من ذلك كجبل
في ارتفاعها وتراكمها وما قيل ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة تجري في جوفه
كالحوت فغير ثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا او اربعين ذراعا ولئن صح ذلك فهذا
الجريان انما هو قبل ان ينقطع العلاقة بتفاقم الخطب كما يدل عليه قوله تعالى ونادى نوح ابنه فان ذلك انما
يتصور قبل ان ينقطع العلاقة بين السفينة والبر اذ حينئذ يمكن جريان ما جرى بين نوح عليه السلام وبين ابنه
من المفاوضة بالاستدعاء الى السفينة والجواب بالاعتصام بالجبل وقرئ ابنها وابنه بحذف الالف
على ان الضمير لامراته وكان ربيبه وما يقال من انه كان لغير رشدة لقوله تعالى فخانتاهما فارتكاب عظيمة لا يقادر
قدرها فان جناب الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ارفع من ان يشار اليه باصبع الطعن واما المراد
بالخيانة الخيانة في الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف حرفها وانت خبير بانه لا يلائم
الاستدعاء الى السفينة فانه صريح في انه لم يقع من حيوته باس بعد وكان في معزل اي في مكان عزل فيه نفسه عن
ابيه واخوته وقومه بحيث لم يتناول الخطاب باركبوا واحتاج الى النداء المذكور وقيل في معزل من الكفار
قد انفرد عنهم وظن نوح انه يريد مفارقتهم ولذلك دعاه الى السفينة وقيل كان ينافق اباه فظن انه مومن
وقيل يعلم انه كافر الى ذلك الوقت لكنه عليه السلام ظن انه عند مشاهدة تلك الاهوال ينزجر عما
كان عليه ويقبل الايمان وقيل لم يكن الذي تقدم من قوله تعالى الا من سبق عليه القول نصا في كونه
داخلا تحته بل كان كالمجمل فحملته شفقة الابوة على ذلك يا بني قرئ بالفتح اقتصارا عليه من الالف
المبدلة من ياء الاضافة في قولك يا بنيا واسقطت الالف والياء لالتقاء الساكنين لان الراء بعدهما ساكنة
اركب معنا قرأ ابو عمرو والكسائي وحفص بادغام الباء في الميم لتقاربهما في المخرج وانما اطلق الركوب عن
ذكر الفلك لتعينها وللايذان بضيق المقام حيث حال الجريض دون القريض مع اغناء المعية عن ذلك
ولا تكن مع الكافرين اي في المكان وهو وجه الارض خارج الفلك لا في الدين وان كان ذلك مما يوجبه كما يوجب
دكونه معه عليه السلام كونه معه في الايمان لانه عليه السلام بصدد التحذير عن الهلكة فلا يلائمه النهي
عن الكفر قال ساوي الى جبل من الجبال يعصمني بارتفاعه من الماء زعما منه ان ذلك كسائر المياه في ازمنة السيول
وقد بلغ السيل الزبى وجهلا بان ذلك انما كان لاهلاك الكفرة وان لا محيص من ذلك سوى الالتجاء الى ملجا
المؤمنين فلذلك اراد عليه السلام ان يبين له حقيقة الحال ويصرفه عن ذلك الكفر المحال وكان مقتضى
الظاهر ان يجيب بما ينطق على كلامه ويتعرض لنفي ما اثبته للجبل من كونه عاصما له من الماء بان يقول لا
يعصمك منه مفيد النفي وصف العصمة عنه فقط من غير تعرض لنفيه من غيره ولا لنفي الموصوف اصلا
لكنه عليه السلام حيث قال قال لا عاصم اليوم من امر الله سلك طريقة نفي الجنس المنتظم لنفي جميع
افراد العاصم ذاتا وصفة كما في قولهم ليس فيه داع ولا مجيب اي احد من الناس للمبالغة في نفي كون
الجبل عاصما بالوجهين المذكورين وزاد اليوم للتنبيه على انه كسائر الايام التي تقع فيها الوقائع وتلم فيها
الملمات المعتادة التي ربما يتخلص من ذلك بالالتجاء الى بعض الاسباب العادية وعبر عن الماء في محل
اضمار بامر الله اي عذابه الذي اشير اليه حيث قيل حتى اذا جاء امرنا تفخيما لشانه وتهويلا لامره وتنبيها
لابنه على خطابه في تسميته ماء وتوهم انه كسائر المياه التي يتفصى منها بالهرب الى بعض المهارب المعهودة
وتعليلا للنفي المذكور فان امر الله لا يغالب وعذابه لا يرد وتمهيد الحصر العصمة في جناب الله عز جاره بالا

كانه قيل

كانه قيل لا عاصم من امر الله الا هو وانما قيل الا من رحم تفخيما لشانه الجليل بالابهام ثم التفسير وبالاجمال
ثم التفصيل واشعارا بعلية رحمته في ذلك بموجب سبقها على غضبه وكل ذلك لكمال عنايته عليه السلام
بتحقيق ما يتوخاه من نجاة ابنه ببيان شان الداهية وقطع اطماعه الفارغة وصرفه عن التعلل بما لا يغني عنه
شيئا وارشاده الى العياذ بالمعاذ الحق عز جاره وقيل لا مكان يعصم من امر الله الا مكان من رحمه الله وهو
الفلك وقيل معنى لا عاصم لا ذا عصمة الا من رحمه الله تعالى وحال بينهما الموج اي بين نوح وبين ابنه
فانقطع ما بينهما من المجاورة لا بين ابنه وبين الجبل فكان من المغرقين اذ هو انما يتفرع على حيلولة الموج بينه
عليه السلام وبين ابنه لا بينه لانه بمعزل من كونه عاصما وان لم يحل بينه وبين الملتجي اليه موج وفيه دلالة
على هلاك سائر الكفرة على ابلغ وجه فكان ذلك امرا مقرر الوقوع غير مفتقر الى البيان وفي ايراد كان دون
صار مبالغة في كونه منهم قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي اي انشفي استعير له من ازدراد الحيوان ما ياكله
للدلالة على ان ذلك ليس كالنشف المعتاد التدريجي قوله تعالى ماءك اي ما على وجهك من ماء الطوفان دون
المياه المعهودة فيها من العيون والانهار وعبر عنه بالماء بعد ما عبر عنه فيما سلف بامر الله تعالى لان المقام
مقام النقص والتقليل لا مقام التفخيم والتهويل قوله تعالى ويا سماء اقلعي اي امسكي عن ارسال المطر يقال
اقلعت السماء اذا انقطع مطرها واقلعت الحمى اي كفت قوله سبحانه عز وعلا وغيض الماء اي نقص ما بين السماء
والارض من الماء قوله تعالى وقضي الامر اي انجز ما وعد الله تعالى نوحا من اهلاك قومه وانجائه باهله او اتم
الامر واستوت استقرت الفلك قوله تعالى على الجودي هو جبل بالموصل او بالشام او بامد روي
انه عليه السلام ركب في الفلك عاشر رجب ونزل عنها في عاشر المحرم فصام ذلك اليوم شكرا فصار سنة
وقيل بعدا للقوم الظالمين اي هلاكا لهم والتعرض لوصف الظلم للاشعار بعليته للهلاك ولتذكير ما سبق
من قوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون ولقد بلغت الاية الكريمة من مراتب الاعجاز قاصيتها
وملكت من غرر المزايا ناصيتها وقد تصدى لتفصيلها المهرة المتقنون ولعمري ان ذلك فوق ما يصفه
الواصفون فحري بنا ان نوجز الكلام في هذا الباب ونفوض الامر الى تامل اولي الالباب والله عنده علم
الكتاب ونادى نوح ربه اي اراد ذلك بدليل الفاء في قوله تعالى فقال رب ان ابني من اهلي وقد وعدتني
انجاءهم في ضمن الامر بحملهم في الفلك او النداء على الحقيقة والفاء لتفصيل ما فيه من الاجمال وان وعدك الحق
اي وعدك ذلك او ان كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه خلف فيدخل فيه الوعد المعهود دخولا اوليا وانت احكم الحاكمين
لانك اعلمهم واعدلهم او انت اكثر حكمة من ذوي الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع وهذا الدعاء منه
عليه السلام على طريقة دعاء ايوب عليه السلام اذ نادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين قال يا نوح
لما كان دعاؤه عليه السلام بتذكير وعده جل ذكره مبنيا على كون كنعان من اهله نفي اولا كونه منهم بقوله تعالى
انه ليس من اهلك اي ليس منهم اصلا لان مدار الاهلية هو القرابة الدينية ولا علاقة بين المؤمن والكافر او
ليس من اهلك الذين امرتك بحملهم في الفلك لخروجه عنهم بالاستثناء وعلى التقديرين ليس هو من الذين وعد
بانجائهم ثم علل عدم كونه منهم على طريقة الاستيناف التحقيقي بقوله انه عمل غير صالح اصله انه ذو عمل غير
صالح فجعل نفس العمل مبالغة كما في قول الخنساء وانما هي اقبال وادبار وايثار غير صالح على فاسد اما لان الفاسد
ربما يطلق على ما فسدت ومن شانه الصلاح فلا يكون نصا فيما هو من قبيل الفاسد المحض كالقتل والمظالم
واما للتلويح بان نجاة من نجا انما هي لصلاحه وقرأ الكسائي ويعقوب انه عمل غير صالح اي عملا غير
صالح ولما كان دعاؤه عليه السلام مبنيا على ما ذكر من اعتقاد كون كنعان من اهله وقد نفي ذلك وحقق ببيان
علته فرع عن ذلك النهي عن سؤال انجائه الا انه جيء بالنهي على وجه عام يندرج فيه ذلك اندراجا اوليا فقيل
فلا تسألني اذا وقفت على جلية الحال فلا تطلب مني ما ليس لك به علم اي مطلبا لا تعلم يقينا ان حصوله

صواب وموافقة الحكمة على تقدير كون ما عبارة عن المسؤل الذي هو مفعول للسؤال اوظننا لا نعلم انه صواب
على تقدير كونه عبارة عن المصدر الذي هو مفعول مطلق فيكون النهي واردا بصريحه في كل من معلوم الفساد
ومشتبه الحال ويجوز ان يكون المعنى ما ليس لك به علم بانه صواب او غير صواب فيكون النهي واردا في مشتبه
الحال ويفهم منه حال معلوم الفساد بالطريق الاولى وعلى التقديرين فهو عام يندرج تحته ما نحن فيه
كما ذكرنا وهذا كما ترى صريح في ان نداءه عليه السلام ربه عز وجل ليس استفسارا عن سبب عدم انجاء ابنه
مع سبق وعده بانجاء اهله وهو منهم كما قيل فان النهي عن استفسار ما لم غير موافق الحكمة اذ عدم العلم
بالشيء داع الى الاستفسار عنه لا الى تركه بل هو دعاء منه بانجاء ابنه حين حال الموج بينهما ولم يعلم بهلاكه
بعد اما بتقريبه الى الفلك بتلاطم الامواج او بتقريبها اليه وقيل او بانجائه في قلة الجبل وبابا
تذكر الوعد في الدعاء فانه مخصوص بالانجاء في الفلك وقوله لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم ومجرد
حيلولة الموج بينهما لا يستوجب هلاكه فضلا عن العلم به لظهور امكان عصمة الله تعالى اياه برحمته
وقد وعد بانجاء اهله ولم يكن ابنه مجاهرا بالكفر كما ذكرناه حتى لا يجوز عليه السلام ان يدعو الى الفلك اذ
يدعو به لا الخاير واعتزاله عنه عليه السلام وقصد الالتجاء الى الجبل ليس نصا في الاصرار على الكفر لظهور
جواز ان يكون ذلك لجهله بانحصار النجاة في الفلك وزعمه ان الجبل ايضا يجري مجراه او لكراهة الاحتباس
في الفلك بل قوله ساوي الى جبل يعصمني من الماء بعد ما قال له نوح عليه السلام ولا تكن مع الكافرين ربما
يطمعه عليه السلام في ايمانه حيث لم يقل اكون معهم او سناوي او يعصمنا فان افراد نفسه بنسبة الفعلين
المذكورين ربما يشعر بانفراده من الكافرين واعتزاله عنهم وامتثاله ببعض ما امر به نوح عليه السلام الا انه
عليه السلام لو تامل في شانه حق التامل وتفحص عن احواله في كل ما ياتي ويذر لما اشتبه عليه انه ليس بمؤمن
وانه المستثنى من اهله ولذلك قيل اني اعظك ان تكون من الجاهلين فعبر عن ترك الاولى بذلك فلا تسالن بغير ياء
الاضافة وبالنون الثقيلة بياء وبغيرياء قال رب اني اعوذ بك ان اسالك اي اطلب منك من بعد قوله تعالى ما ليس
لي به علم اي مطلوبا لا اعلم ان حصوله مقتضى الحكمة او طلبا لا اعلم انه صواب سواء كان معلوم الفساد او
مشتبه الحال او لا اعلم انه صواب او غير صواب على ما مر وهذه توبة منه عليه السلام مما وقع منه وانما
لم يقل اعود بك منه او من ذلك مبالغة في التوبة واظهارا للرغبة والنشاط فيها وتبركا بذكر ما لقنه الله
تعالى وهو ابلغ من ان يقول اتوب اليك ان اسالك لما فيه من الدلالة على كون ذلك امرا هائلا محذورا
لا محيص منه الا بالعود بالله تعالى وان قدرته قاصرة عن النجاة من المكاره الا بذلك والا تغفر لي ما صدر
عني من السؤال المذكور وترحمني بقبول توبتي اكن من الخاسرين اعمالا بسبب ذلك فان الذهول عن شكر الله
تعالى لا سيما عند هذه النعمة الجليلة التي هي النجاة وهلاك الاعداء والاشتغال بما لا يعني خصوصا بمبادي
خلاص من قيل في شانه انه عمل غير صالح والتضرع الى الله تعالى معاملة غير رابحة وخسران مبين وتاخير ذكر
هذا النداء عن حكاية الامر الوارد على الارض والسماء وما يتلوه من زوال الطوفان وقضاء الامر واستواء الفلك
على الجودي والدعاء بالهلاك على الظالمين مع ان حقه ان يذكر عقيب قوله تعالى فكان من المغرقين حسبما
وقع في الخارج اذ حينئذ يتصور الدعاء بالاجابة لا بعد العلم بالهلاك ليس لما قيل من استقلاله لغرض
مهم هو جعل قرابة الدين هو ماحقة لقرابة النسب وان لا يقدم في الامور الدينية الاصولية الا
نور اليقين قياسا على ما وقع في قصة البقرة من تقديم ذكر الامر بذبحها على ذكر القتيل الذي هو اول القصة
وكان حقها ان يقال واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة فاضربوه ببعضها كما قرر في موضعه
فان تغيير الترتيب هناك للدلالة على كمال سوء الحال لليهود بتعديد جناياتهم المتنوعة وتثنية
التقريع عليهم بكل نوع نوع على حدة فقوله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة

الاخر لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة الى الامتثال وما يتبع ذلك وقوله تعالى واذ قتلتم نفسا
الى الاخر للتقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الامور العظيمة ولو قصت القصة على ترتيبها لفات الغرض
الذي هو تثنية التقريع ولظن ان المجموع تقريع واحد واما ما نحن فيه فليس مما يمكن ان يراعى فيه مثل تلك
النكتة اصلا وما ذكر من جعل القرابة الدينية ماحقة للقرابة النسبية الى الاخر لا يفوت على تقدير سوق
الكلام على ترتيب الوقوع ايضا بل الان ذكر هذا النداء كما ترى مستدع لذكر ما مر من الجواب المستدعي لذكر ما مر
من توبته عليه السلام المودي ذكرها الى ذكر قبولها في ضمن الامر الوارد بنزوله عليه السلام من الفلك بالسلام
والبركات الفايضة عليه وعلى المؤمنين حسبما يجي مفصلا ولا ريب في ان هذه المعاني اخذ بعضها بحجزة بعض
بحيث لا يكاد يفرق الايات الكريمة المنطوية عليها بعضها من بعض وان ذلك انما تتم بتمام القصة ولا
ريب ان ذلك انما يكون بتمام الطوفان فلا جرم اقتضى الحال ذكر تمامها قبل هذا النداء وذلك انما يكون عند ذكر
كون كنعان من المغرقين ولهذه النكتة ازداد حسن موقع الايجاز البليغ وفيه فايدة اخرى هي التصريح بهلاكه من
اول الامر ولو ذكر النداء الثاني عقيب قوله فكان من المغرقين لربما توهم من اول الامر الى ان يرد قوله تعالى انه
ليس من اهلك الى الاخر انه ينجو بدعايه عليه السلام فنص على هلاكه من اول الامر ثم ذكر الامر الوارد على الارض والسما
الذي هو عبارة عن تعلق الارادة الربانية الازلية بما ذكر من الغيض والاقلاع وبين بلوغ امر الله محله وجريان
قضائه ونفوذ حكمته عليهم بهلاك من هلك ونجاة من نجا بتمام الطوفان واستواء الفلك على الجودي فقصت
القصة الى هذه المرتبة وبين ذلك اي بيان ثم تعرض لما وقع في تضاعيف ذلك مما جرى بين نوح وبين رب
العزة جلت حكمته فذكر بعد توبته عليه السلام قبولها بقوله تعالى قيل يا نوح اهبط اي انزل من الفلك
وقرئ بضم الباء بسلام منا ملتبسا بسلامة من المكاره كاينة منا او بسلام وتحية منا عليك كما قال سلام
على نوح في العالمين وبركات عليك اي خيرات نامية في نسلك وما يقوم به معاشك ومعاشهم من انواع
الارزاق وقرئ بركة وهذا اعلام وبشارة من الله تعالى بقبول توبته وخلاصه من الخسران بفيضان
انواع الخيرات عليه في كل ما ياتي وما يذر وعلى امم ناشية ممن معك متشعبة منهم فمن ابتدائية والمراد
الامم المؤمنة المتناسلة ممن معه الى يوم القيمة وامم سنمتعهم اي ومنهم على انه خبر حذف لدلالة ما سبق
عليه فان ايراد الامم المبارك عليهم المتشعبة منهم نكرة يدل على ان بعض من يتشعب منهم ليسوا على صفتهم
يعني ليس جميع من يتشعب منهم مسلما ومباركا عليه بل منهم امم ممتعون في الدنيا معذبون في الاخرة وعلى هذا
لا يكون الكاينون مع نوح عليه السلام مسلما عليهم ومباركا صريحا وانما يفهم ذلك من كونهم مع نوح عليه السلام
ومن كون ذرياتهم كذلك بدلالة النص ويجوز ان يكون من بيانية اي وعلى امم هم الذين معك وانما سموا امما
لانهم امم متحزبة وجماعات متفرقة او لان جميع الامم انما تشعب منهم فحينئذ يكون المراد بالامم المشار اليهم
في قوله تعالى وامم سنمتعهم بعض الامم المتشعبة منهم وهي الامم الكافرة المتناسلة منهم الى يوم القيمة ويبقى
امر الامم المؤمنة الناشية منهم مبهما غير متعرض له ولا مدلول عليه ومع ذلك في دلالة المذكور على الخبر
المحذوف خفاء لان من المذكورة بيانية والمحذوفة تبعيضية او ابتدائية فتامل ثم يمسهم اما في الاخرة
او في الدنيا ايضا منا عذاب اليم عن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى
يوم القيمة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وكافرة وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا
منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل المراد بالامم الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام و
بالعذاب ما نزل بهم تلك اشارة الى قصة نوح عليه السلام اما لكونها بتقضيها في حكم البعيد او للدلالة
على بعد منزلتها وهي مبتدا خبره من انباء الغيب اي من جنسها اي ليست من قبيل ساير الانبياء بل هي
نسيج وحدها منفردة عما عداها او بعضها نوحيها اليك خبر ثان والضمير اي موحاة اليك او هو الخبر ومن

ماقص من

انباء متعلق به بصيغة المضارع لاستحضار الصورة او حال من انباء الغيب اي موحاة اليك ماكنت تعلمها
انت ولا قومك خبر آخر اي مجهولة عندك وعند قومك من قبل هذا اي من قبل ايحائنا اليك واخبارك بها
او من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي او من قبل هذا الوقت او حال من الهاء في نوحيها او الكاف في اليك
اي جاهلا وقومك بها وفي ذكر جهلهم تنبيه على انه عليه الصلاة والسلام لم يتعلمه اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع
كثرتهم لما لم يعلموه فكيف يوخذ منهم قوله تعالى فاصبر متفرع على الايحاء او العلم المستفاد منه المدلول عليه
بقوله ماكنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا اي واذ قد اوحيناها اليك او علمتها بذلك فاصبر على مشاق تبليغ
الرسالة واذية قومك كما صبر نوح عليه السلام على ما سمعته من انواع البلايا في هذه المدة المتطاولة وهذا ناظر الى
ما سبق من قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك الى آخره ان العاقبة بالظفر في الدنيا وبالفوز في الآخرة
للمتقين • كما شاهدته في نوح عليه السلام وقومه ولك فيه اسوة حسنة وهي تسلية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وتعليل للامر بالصبر فان كون العاقبة الحميدة للمتقين وهي في اقصى درجات التقوى والمؤمنون كلهم متقون
مما تسليه عليه الصلاة والسلام ويهون عليه الخطوب ويذهب عنه ما عسى يعتريه من ضيق صدر وهذا على
تقدير ان يراد بالتقوى الدرجة الاولى منه اعني التوقي من العذاب المخلد بالتبري عن الشرك وعليه قوله تعالى و
الزمهم كلمة التقوى ويجوز ان يراد الدرجة الثانية منه وهو ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه
بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى واتقوا الله حق تقاته فان التقوى بهذا المعنى منطو
على الصبر المذكور فكانه قيل فاصبر فان العاقبة للصابرين والى عاد متعلق بمضمر معطوف على قوله تعالى ارسلنا
في قصة نوح عليه السلام وهو الناصب لقوله تعالى اخاهم اي وارسلنا الى عاد اخاهم اي واحدا منهم في
النسب كقوله يا اخا العرب وتقديم المجرور على المنصوب هاهنا للحذر عن الاضمار قبل الذكر وقيل
متعلق بالفعل المذكور فيما سبق واخاهم معطوف على نوحا وقد مر في سورة الاعراف • وقوله تعالى هودا عطف
بيان لاخاهم وكان عليه السلام من جملتهم فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عوص بن ارم بن سام بن نوح
وقيل هود بن شالح بن ارفخشد بن سام بن نوح بن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لكلامه واعرف بحاله
وارغب في اقتفائه قال لما كان ذكر ارساله عليه السلام اليهم مظنة للسؤال عما قال لهم ودعاهم اليه اجيب عنه
بطريق الاستيناف فقيل قال يا قوم اعبدوا الله اي وحده كما ينبئ عنه قوله تعالى ما لكم من اله غيره فانه استيناف
يجري مجرى البيان للعبادة المامور بها كانه قيل خصوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئا اذ ليس لكم من اله سواه وغيره بالرفع
صفة لاله باعتبار محله وقرئ بالجر حملا له على لفظه ان انتم ما انتم باتخاذكم الاصنام شركاء له او
بقولكم ان الله امرنا بعبادتها الا مفترون • تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا يا قوم لا اسألكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني
خاطب به كل نبي قومه ازاحة لما عسى يتوهمونه وامحاضا للنصيحة فانها ما دامت مشوبة بالمطامع بمعزل عن التأثير
وايراد الموصول للتفخيم وجعل الصلة فعل الفطرة لكونه اقدم النعم الفائضة من جناب الله تعالى المستوجبة للشكر
الذي لا يتأتى الا بالجريان على موجب امره الغالب معرضا عن المطالب الدنيوية التي من جملتها الاجر افلا تعقلون
اي اتغفلون عن هذه القضية او لا تتفكرون فيها فلا تعقلونها او اتجهلون كل شيء فلا تعقلون شيئا اصلا فان هذا
مما لا ينبغي ان يخفى على احد من العقلاء ويا قوم استغفروا ربكم اي اطلبوا مغفرته لما سلف منكم من الذنوب بالايمان
والطاعة ثم توبوا اليه اي توسلوا اليه بالتوبة وايضا التبري عن الغير انما يكون بعد الايمان بالله تعالى
والرغبة فيما عنده يرسل السماء اي المطر عليكم مدرارا اي كثير الدرور ويزدكم قوة مضافة ومضمومة الى قوتكم
اي يضاعفها لكم وانما رغبهم بكثرة المطر لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وقد حبس الله تعالى عنهم القطر واعقم
ارحام نسائهم ثلاث سنين فوعدهم عليه السلام كثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل على الايمان والتوبة
ولا تتولوا اي لا تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين • مصرين على ما كنتم عليه من الاجرام قالوا يا هود ما جئتنا ببينة

اي الحجة تدل على صحة دعواك وانما قالوه لفرط عنادهم • وعدم اعتدادهم • بما جاءهم من البينات الفائتة
للحصر وما نحن بتاركي آلهتنا اي بتاركي عبادتها عن قولك اي صادرين عنه اي صادرا تركنا عن ذلك باسناد
حال الوصف الى الموصوف ومعناه التعليل على ابلغ وجه لدلالته على كونه علة فاعلية ولا يفيده الباء واللام
وهذا كقولهم المنقول عنهم في سورة الاعراف اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد اباؤنا وما نحن لك
بمؤمنين اي بمصدقين في شيء مما تأتي وتذر فيندرج تحته ما دعاهم اليه من التوحيد وترك عبادة الالهة
وفيه من الدلالة على شدة الشكيمة وتجاوز الحد في العتو ما لا يخفى ان نقول الا اعتراك اي ما نقول الا قولنا
اعتراك اي اصابك بعض آلهتنا بسوء بجنون لسبك اياها وصدك عن عبادتها وحطك لها عن رتبة الالو
هية والمعبودية بما مر من قولك ما لكم من اله غيره ان انتم الا مفترون والتنكير في سوء للتقليل كانهم لم يبالغوا
في العتو كما ينبئ عنه نسبة ذلك الى بعض آلهتهم دون كلها والجملة مقول القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ
وهذا الكلام مقرر لما مر من قولهم وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين فان اعتقادهم بكونه عليه
السلام كما قالوا وحاشاه عن ذلك يوجب عدم الاعتداد بقوله وعده من قبيل الخرافات فضلا عن التصديق
والعمل بمقتضاه يعنون انا لا نعتقد كلامك الا من قبيل ما لا يحتمل الصدق والكذب من الهذيانات الصادرة
عن المجانين فكيف نصدقه ونؤمن به ونعمل بموجبه ولقد سلكوا في طريقة المخالفة والعناد الى سبيل الترقي
من الادنى الى الاعلى حيث اخبروا اولا عن عدم مجيئه بالبينة مع احتمال كون ما جاء به عليه السلام حجة في نفسه
وان لم يكن واضحة الدلالة على المراد وثانيا عن ترك الامتثال بقوله عليه السلام بقولهم وما نحن بتاركي آلهتنا عن
قولك مع امكان تحقق ذلك بتصديقهم له عليه السلام في كلامه ثم نفوا تصديقهم له عليه السلام بقولهم
وما نحن لك بمؤمنين مع كون كلامه عليه السلام مما يقبل التصديق ثم نفوا عنه تلك المرتبة ايضا حيث قالوا ما
قالوا قاتلهم الله انى يؤفكون قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه اي من اشراككم من دون
الله اي من غير ان ينزل به سلطانا كما قال في سورة الاعراف اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله
بها من سلطان او مما تشركونه من آلهة غير الله اجاب به عن مقالتهم الحمقاء المبنية على اعتقاد كون آلهتهم مما يضر
او ينفع وانها بمعزل من ذلك ولما كان ما وقع منه اولا عليه السلام في حق آلهتهم من كونها بمعزل عن الالوهية
انما وقع في ضمن الامر بعبادة الله تعالى واختصاصه بها وقد شق عليهم ذلك وعدوه مما يورث حتى زعموا انها تصيبه
عليه السلام بسوء مجازاة لصنيعه معها صرح عليه السلام بالحق وصدع به حيث اخبر براءته القديمة
عنها بالجملة الاسمية المصدرة بان واشهد الله تعالى ذلك وامرهم بان يسمعوا ذلك ويشهدوا به استهانة
بهم ثم امرهم بالاجتماع والاحتشاد مع آلهتهم جميعا دون بعض منها حسبما يشعر به قولهم بعض آلهتنا والتعاون
في ايصال الكيد اليه عليه السلام ونهاهم عن الانكاد والامهال في ذلك قوله تعالى فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون
اي ان صح ما لوحتم به من كون آلهتكم مما يقدر على اضرار من ينال منها ويصد عن عبادتها ولو بطريق ضمني فاني بريء منها
فكونوا انتم معها جميعا وباشروا كيدي ثم لا تمهلوني ولا تسامحوني في ذلك فالفاء لتفريع الامر على زعمهم في قدرة
آلهتهم على ما قالوا وعلى البراءة كليهما وهذا من اعظم المعجزات فانه عليه السلام كان رجلا مفردا بين الجم الغفير والجمع
الكثير • من عتاة عاد • الغلاظ الشداد • وقد خاطبهم بما خاطبهم • وحقرهم وآلهتهم • وهيجهم على مباشرة مبادي
المضادة والمضارة • وحثهم على التصدي لاسباب المعازة والمعارة • فلم يقدروا على مباشرة شيء مما كلفوهم وظهر
عجزهم عن ذلك ظهورا بينا كيف لا وقد التجأ الى ركن منيع رفيع • واعتصم بحبل متين حيث قال اني توكلت على الله
ربي وربكم يعني انكم وان بذلتم في مضارتي مجهودكم لا تقدرون على شيء مما تريدون بي فاني متوكل على الله تعالى
وانما جيء بلفظ الماضي لكونه ادل على الانشاء المناسب للمقام • واثق بكلاءته وحفظه عن غوائلكم وهو مالكي ومالككم
لا يصدر عنكم شيء ولا يصيبني امر الا بارادته ومشيئته ثم برهن عليه بقوله تعالى ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها اي الا

هو مالك لها قادر عليها يصرفها كيف يشاء غير مستعصية عليه فان الاخذ بالناصية تمثيل لذلك
ان ربي على صراط مستقيم تعليل لما يدل عليه التوكل عن عدم قدرتهم على اضراره اي هو على الحق والعدل فلا يكاد
يسلطكم علي اذ لا يضيع عنده معتصم ولا يفتات عليه ظالم والاقتصار على اضافة الرب الى نفسه اما بطريق
الاكتفاء لظهور المراد واما لان فايدة كونه تعالى مالكا لهم ايضا راجعة اليه عليه السلام فان تولوا اي
تتولوا بحذف احدى التائين اي ان تستمروا على ما كنتم من التولي والاعراض فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم اي
لم اعاتب على تفريط في الابلاغ وكنتم محجوجين بان بلغكم الحق فابيتم الا التكذيب في الجحود ويستخلف ربي
قوما غيركم استيناف والوعيد لهم بالله تعالى يهلكهم ويستخلف في ديارهم واموالهم قوما اخرين او
عطف على الجواب بالفاء ويؤيده قراءة ابن مسعود بالجزم عطفا على الموضع كانه قيل فان تولوا يعذبكم ربي
ويهلككم ويستخلف مكانكم اخرين وفي اقتصار اضافة الرب عليه عليه السلام رمز الى اللطف به والتدمير
للمخاطبين ولا تضرونه بتوليكم شيئا من الضرر لاستحالة ذلك عليه ومن جزم ويستخلف اسقط منه النون
ان ربي على كل شيء حفيظ اي رقيب مهيمن فلا يخفى عليه من اعمالكم فيجازيكم بحسبها او حافظ مستول على كل
شيء فكيف يضره شيء كيف وهو الحافظ للكل ولما جاء امرنا اي نزل عذابنا وفي التعبير عنه بالامر مضافا الى ضمير
جل جلاله وعن نزوله بالمجيء ما لا يخفى من التفخيم والتهويل او ورود امرنا بالعذاب نجينا هودا والذين امنوا معه وكانوا
اربعة الاف برحمة عظيمة كائنة منا وهي الايمان الذي انعمنا به عليهم بالتوفيق له والهداية اليه ونجيناهم
من عذاب غليظ اي كانت تلك التنجية من عذاب غليظ وهي السموم التي كانت تدخل انوف الكفرة وتخرج من
ادبارهم فتقطعهم اربا اربا وقيل اريد بالثانية التنجية من عذاب الاخرة ولا عذاب اغلظ منه واشد
وهذه التنجية وان لم تكن مقيدة بمجيء الامر لكن جيء بها تكملة للنعمة عليهم وتعريضا بان المهلكين كما عذبوا في
الدنيا بالسموم فهم معذبون في الاخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة او
لان الاشارة الى قبورهم واثارهم جحدوا بايات ربهم كفروا بها بعد ما استيقنوها وعصوا رسله جمع الرسل
مع انه لم يرسل اليهم غير هود عليه السلام تفظيعا لحالهم واظهارا لكمال كفرهم وعنادهم ببيان ان عصيانهم
له عليه السلام عصيان لجميع الرسل السابقين واللاحقين لاتفاق كلمتهم على التوحيد لا نفرق بين احد من رسله
فيجوز ان يراد بالايات ما اتى به هود وغيره من الانبياء عليهم السلام وفيه زيادة ملايمة لما تقدم من جميع الايات
وما تاخر من قوله واتبعوا امر كل جبار عنيد من كبرائهم ورؤسائهم الدعاة الى الضلال والى تكذيب الرسل فكانه قيل
عصوا كل رسول واتبعوا امر كل جبار وهذا الوصف ليس كما سبق من جحود الايات وعصيان الرسل في الشمول لكل
فرد فرد منهم فان الاتباع للامر من اوصاف الاسافل دون الرؤسا وعنيد فعيل من عند عندا وعنودا اذا طغا و
المعنى عصوا من دعاهم الى الهدى واطاعوا من دعاهم الى الردى واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ابعادا عن الرحمة وعن
كل خير اي جعلت اللعنة لازمة لهم وعبر عن ذلك بالتبعية للمبالغة فكانها لا تفارقهم وان ذهبوا كل مذهب
بل تدور معهم حيث ما داروا ولوقوعه في صحبة اتباعهم رؤساءهم يعني انهم لما اتبعوهم اتبعوا ذلك جزا لصنيعهم
جزاء وفاقا ويوم القيمة اي اتبعوا يوم القيمة ايضا لعنة وهي عذاب النار المخلد حذفت لدلالة الاولى عليها وللايذان
بكون كل من اللعنتين نوعا برأسه لم يجتمعا في قرن واحد بان يقال واتبعوا في هذه الدنيا ويوم القيمة لعنة كما في قوله
تعالى واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة ايذانا باختلاف نوعي الحسنتين فان المراد بالحسنة الدنيوية
نحو الصحة والكفاف والتوفيق للخير وبالحسنة الاخروية الثواب والرحمة الا ان عادا كفروا ربهم اي بربهم
اي نعمة ربهم حملا له على نقيض الذي هو الشكر او جحدوه الا بعدا لعاد دعاء عليهم بالهلاك مع كونهم هالكين اي
هلاك تسجيلا عليهم باستحقاق الهلاك واستيجاب الدمار وتكرير حرف التنبيه واعادة عاد للمبالغة في
تفظيع حالهم والحث على الاعتبار بقصتهم قوله تعالى قوم هود عطف بيان لعاد فايدته التمييز عن عاد الثانية

عاد ارم

عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم للبعد بما جرى بينهم وبين هود عليه السلام وهم قومه والى ثمود اخاهم صالحا عطف
على ما سبق من قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا وثمود قبيلة من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام
وقيل انما سموا بذلك لقلة مائهم من الثمد فهو الماء القليل وصالح عليه السلام هو ابن عبيد بن اسف بن ماشح
ابن عبيد بن حادر بن ثمود ولما كان الاخبار بارساله اليهم مظنة ان يسال ويقال ماذا قال لهم قيل جوابا عنه بطريق الاستيناف
قال يا قوم اعبدوا الله اي وحده وعلل ذلك بقوله ما لكم من اله غيره ثم زيد فيما يبعثهم على الايمان والتوحيد ويحثهم على
زيادة الاخلاص بقوله هو انشاكم من الارض اي هو كونكم وخلقكم منها لا غيره فان خلق ادم عليه
السلام منها خلق لجميع افراد البشر منها لما مر مرارا من ان خلقته عليه السلام لم يكن مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا
منطويا على خلق جميع ذرياته التي ستوجد الى يوم القيمة انطواء اجماليا وقيل ان خلق ادم عليه السلام وانشاء مواد
النطف التي منها خلق نسله من التراب انشاء لجميع الخلايق من الارض فتدبر واستعمركم اي من العمر اي عمركم واستبقاكم
فيها او من العمارة اي اقدركم على عمارتها او امركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها
منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين من دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لمن بعدكم فاستغفروه ثم توبوا
اليه فان ما فصل من فنون الاحسان داع الى الاستغفار عما وقع منهم من التفريط والتوبة عما كانوا يباشرونه
من القبايح وقد زيد في بيان ما يوجب ذلك فقيل ان ربي قريب اي قريب الرحمة لقوله تعالى ان رحمة الله قريب من
المحسنين مجيب لمن دعاه وساله وقد روعي في النظم الكريم نكتة حيث قدم ذكر العلة الباعثة المتقدمة
على الامر بالاستغفار والتوبة واخر عنه ذكر الغاية المتاخرة عنهما في الوجود اعني الاجابة قالوا يا صالح قد
كنت فينا مرجوا اي كنا نرجو امنك لما كنا نرى منك من دلايل السداد ومخايل الرشاد ان تكون لنا سيدا او
مستشارا في الامور وعن ابن عباس رضي الله عنهما فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجو ان
تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه قبل هذا الذي باشرته من الدعوة الى التوحيد وترك عبادة الالهة
او قبل هذا الوقت فكانهم لم يكونوا الى الان على ياس من ذلك ولو بعد الدعوة الى الحق فالان قد انصرم عنك
رجاؤنا وقرأ طلحة مرجوءا بالمد والهمزة اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا اي عبدوه والعدول الى صيغة
المضارع لحكاية الحال الماضية واننا لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد وترك عبادة الاوثان وغير ذلك
من الاستغفار والتوبة مريب اي موقع في الريبة من ارابه اي اوقعه في الريبة اي قلق النفس وانتفاء
الطمانينة او من اراب اذا كان ذا ريبة وايا ما كان فالاسناد مجازي والتنوين فيه وفي شك للتفخيم قال يا قوم
اي اخبروني ان كنت في الحقيقة على بينة اي حجة ظاهرة وبرهان وبصيرة من ربي مالكي ومتولي
امري واتاني منه من جهته رحمة نبوة وهذه الامور وان كانت محققة الوقوع لكنها صدرت بكلمة الشك
اعتبارا لحال المخاطبين ورعاية لحسن المحاورة لاستنزالهم من المكابرة قوله تعالى فمن ينصرني من الله اي
ينجيني من عذابه والعدول الى الاظهار لزيادة التهويل والفاء لترتيب انكار النصرة على ما سبق من ايتاء
النبوة وكونه على بينة من ربه على تقدير العصيان حسبما يعرب عنه قوله تعالى ان عصيته اي بالمساهلة
في تبليغ الرسالة والمحاذاة معكم فيما تاتون وتذرون فان العصيان من ذلك شانه ابعد والمواخذة
عليه الزم وانكار نصرته ادخل فما تزيدونني اذا باستتباعكم اياي كما ينبئ عنه قولهم قد كنت فينا مرجوا
قبل هذا اي لا تفيدونني اذ لم يكن فيه اصل الخسران حتى تزيدوه غير تخسير اي غير ان تجعلوني خاسرا
بابطال اعمالي وتعريضي لسخط الله تعالى او فما تزيدونني بما تقولون غير ان انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم
لخاسرون فالزيادة على معناه والفاء لترتيب عدم الزيادة على انتفاء الناصر المفهوم من انكاره على تقدير
العصيان مع تحقق ما ينفيه من كونه عليه السلام على بينة من ربه وايتاء النبوة ويا قوم هذه ناقة الله
الاضافة للتشريف والتنبيه على انها مفارقة لسائر ما يجانسها من حيث الخلقة ومن حيث الخلق لكم اية

كم

ارايتم

معجزة دالة على صدق نبوته وهي حال من ناقة الله والعامل ما في هذه من معنى الفعل ولكم حال من آية متقدمة عليها
لكونها نكرة ولو تأخرت لكانت صفة لها ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا من هذه او عطف بيان ولكم خبرا عاملا
في آية فذروها خلوها وشأنها تأكل في ارض الله ترع نباتها وتشرب ماءها واضافة الارض الى الله عز وجل
للتربية استحقاقها لذلك وتعليل الامر بتركها وشأنها ولا تمسوها بسوء بولغ في النهي عن التعرض لها بما يضرها
حيث نهي عن المس الذي هو من مبادي الاصابة ونكر السوء اي لا تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوها بشيء من
السوء فضلا عن عقرها وقتلها فيأخذكم عذاب قريب اي قريب النزول روي انهم طلبوا منه ان يخرج
من صخرة تسمى الكاتبة ناقة عشراء مخترجة جوفاء وبراء وقالوا ان فعلت ذلك صدقناك فاخذ صالح عليهم مواثيقهم
لئن فعلت ذلك لنؤمنن لك فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن
ناقة عشراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم انتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع بن عمرو في جماعة ومنع
الباقين من الايمان دواب بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب كاهنهم فمكث الناقة مع ولدها ترعى
الشجر وترد الماء غبا فما ترفع راسها من البير حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤا حتى تمتلئ اوانيهم
فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه
فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق عليهم ذلك فعقروها قيل زينت لهم عقرها عنيزة ام غنم وصدقة بنت
المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقي سقبها جبلا اسمه قارة فرغى ثلاثا فقال صالح لهم ادركوا
الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجرت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح
تمتعوا اي عيشوا في داركم اي في منازلكم او في الدنيا ثلثة ايام قيل قال لهم تصبح وجوهكم غدا مصفرة
وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب ذلك اشارة الى ما يدل عليه الامر بالتمتع ثلثة
ايام من نزول العذاب عقيبها والمراد بما فيه من معنى البعد لتفخيمه وعد غير مكذوب اي غير مكذوب فيه
فحذف الجار للاتساع المشهور كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا او غير مكذوب كأن الواعد قال
آتي بك فان وفى به صدقه والا كذبه او وعد غير مكذوب على انه مصدر كالمجلود والمعقول فلما جاء امرنا
اي عذابنا او امرنا بنزوله وفيه ما لا يخفى من التهويل نجينا صالحا والذين آمنوا معه متعلق بنجينا او بآمنوا برحمة
بسبب رحمة عظيمة منا وهي بالنسبة الى صالح النبوة والى المؤمنين الايمان كما مر او ملتبسين برحمة ورأفة
منا ومن خزي يومئذ اي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة كقوله تعالى ونجيناهم من عذاب
غليظ على معنى انه وكانت تلك التنجية تنجية من خزي يومئذ اي من ذله ومهانته او ذلهم او فضيحتهم
يوم القيمة كما فسر به العذاب الغليظ فيما سبق فيكون المعنى ونجيناهم من عذاب يوم القيمة بعد تنجيتنا
اياهم من عذاب الدنيا وعن نافع بالفتح على اكتساء المضاف البناء من المضاف اليه هنا وفي المعارج في
قوله من عذاب يومئذ وقرئ بالتنوين ونصب يومئذ ان ربك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم هو القوي العزيز القادر على كل شيء والغالب عليه لا غيره ولكون الاخبار بتنجية الاولياء لا سيما عند
الانباء بحلول العذاب اهم ذكرها اولا ثم اخبر بهلاك الاعداء فقال واخذ الذين ظلموا عدل عن
المضمر الى المظهر تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بعليته لنزول العذاب بهم الصيحة اي صيحة جبرائيل عليه
السلام وقيل اتتهم من السماء صيحة فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الارض فتقطعت
قلوبهم في صدورهم وفي سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة ولعلها وقعت عقيب الصيحة المستتبعة لتموج
الهوا فاصبحوا اي صاروا في ديارهم اي بلادهم او مساكنهم جاثمين هامدين موتى لا يتحركون والمراد
كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم من غير اضطراب وحركة كما يكون ذلك عند الموت المعتاد ولا
يخفى ما فيه من الدلالة على شدة الاخذ وسرعته اللهم انا نعوذ بك من حلول غضبك قبل

لما راوا

لما راوا العلامات التي بينها صالح عليه السلام من اصفرار وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا الى قتله عليه
السلام فنجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع وهو يوم السبت تحنطوا وتكفنوا بالانطاع
فاتتهم الصيحة فتقطعت قلوبهم فهلكوا كأن لم يغنوا اي كأن لم يقيموا فيها في بلادهم او في مساكنهم وهو
موقع الحال اي اصبحوا جاثمين مماثلين لمن لم يوجد ولم يقم في مقام قط الا ان ثمودا وضع موضع المضمر
لزيادة البيان ونونه ابو بكر هنا وفي النجم وقرأ حفص هنا وفي الفرقان والعنكبوت بغير تنوين كفروا
ربهم صرح بكفرهم مع كونه معلوما مما سبق من احوالهم تقبيحا لحالهم وتعليلا لاستحقاقهم بالدعاء
عليهم بالبعد والهلاك في قوله تعالى الا بعدا لثمود وقرأ الكسائي بالتنوين ولقد جاءت رسلنا ابرهيم وهم
الملئكة عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم جبرائيل عليه السلام وملكان وقيل هم جبرائيل
وميكائيل واسرافيل عليهم السلام وقال الضحاك كانوا تسعة وعن محمد بن كعب جبرائيل ومن
معه سبعة وعن السدي احد عشر على صور الغلمان الوضاء وجوههم وعن مقاتل كانوا اثني عشر ملكا
عليهم السلام وانما اسند اليهم مطلق المجي في قوله تعالى بالبشرى دون الارسال لانهم لم يكونوا مرسلين اليه
عليه السلام بل الى قوم لوط لقوله تعالى انا ارسلنا الى قوم لوط وانما جاؤه لداعية البشرى ولما كان المقصود في
السورة الكريمة ذكر سوء صنيع الامم السالفة مع الرسل المرسلة اليهم ولحوق العذاب بهم بسببه ولم يكن جميع
قوم ابرهيم عليه السلام ممن لحق بهم العذاب بل انما لحق بقوم لوط منهم خاصة غير الاسلوب المطرد فيما سبق من
قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا والى ثمود اخاهم صالحا ثم رجع اليه حيث قيل الى مدين اخاهم شعيبا قوله بالبشرى
اي ملتبسين بها قيل هي مطلق البشرى المنتظمة للبشارة بالولد من سارة لقوله تعالى فبشرناها باسحق
الآية وقوله تعالى وبشرناه بغلام حليم وقوله وبشروه بغلام عليم وللبشارة بعدم لحوق الضرر به لقوله تعالى
فلما ذهب عن ابرهيم الروع وجاءته البشرى لظهور تفرع المجادلة على مجيها كما سيأتي وقيل هي البشارة بهلاك
قوم لوط ويأباه مجادلته عليه السلام في شأنهم والاظهر انها البشارة بالولد وستعرف سر تفرع المجادلة
على ذلك ولما كان الاخبار بمجيئهم بالبشرى مظنة لسؤال السامع بانهم ما قالوا اجيب بانهم قالوا سلاما اي
سلمنا او نسلم عليك سلاما ويجوز ان يكون نصبه بقالوا اي قالوا قولا ذا سلام او ذكروا سلاما قال سلام اي
عليكم سلام او وسلام عليكم حياهم باحسن من تحيتهم وقرئ سلم كحرم في حرام وقرأ ابن ابي عبلة قال
سلاما وعنه انه قرأ بالرفع فيهما فما لبث اي ابرهيم ان جاء بعجل اي في المجي به او ما لبث مجيئه بعجل
حنيذ اي مشوي بالرضف في الاخدود وقيل سمين يقطر ودكه كقوله بعجل سمين من حنذت
الفرس اذا عرقته بالجلال فلما رأى ايديهم لا تصل اليه لا يمدون اليه ايديهم للاكل نكرهم اي انكرهم يقال
نكره واستنكره بمعنى وانما انكرهم لانهم كانوا اذا نزل بهم ضيف ولم يأكل من طعامهم ظنوا انه لم يجي بخير
وقد روي انهم كانوا ينكتون بقداح كانت في ايديهم في اللحم ولا تصل اليه ايديهم وهذا الانكار
منه عليه السلام راجع الى فعلهم المذكور واما انكاره المتعلق بانفسهم فلا تعلق له برؤيته عدم اكلهم
وانما وقع ذلك عند رؤيته لهم لعدم كونهم من جنس ما كان يعهده من الناس الا ترى الى قوله تعالى في
سورة الذاريات سلام قوم منكرون واوجس منهم اي احس او اضمر من جهتهم خيفة لما ظن ان نزولهم
لامر انكره الله تعالى عليه او لتعذيب قومه وانما اخر المفعول الصريح عن الظرف لان المراد الاخبار بانه
عليه السلام اوجس من جهتهم شيئا هو الخيفة لا انه اوجس الخيفة من جهتهم لا من جهة غيرهم وتحقيقه
ان تأخير ما حقه التقديم يوجب ترقب النفس اليه فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن قالوا لا تخف ما قالوه
بمجرد ما رأوه منه مخائل الخوف ازالة له منه بل بعد اظهاره عليه السلام له قال تعالى في سورة الحجر قال
انا منكم وجلون ولم يذكر ذلك ههنا اكتفاء بذلك انا ارسلنا ظاهره انه استيناف في معنى

التعليل للنهي المذكور كما ان قوله تعالى انا نبشرك تعليل لذلك فان ارسالهم الى قوم آخرين يوجب آمنهم من
الخوف اي ارسلنا بالعذاب الى قوم لوط خاصة الا انه ليس كذلك فان قوله تعالى قال فما خطبكم ايها المرسلون
قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين صريح في انهم قالوه جوابا عن سواله عليه السلام وقد اوجز الكلام اكتفاء وامراته قائمة
وراء الستر بحيث تسمع محاورتهم او على رؤسهم للخدمة حسبما هو المعتاد والجملة حال من ضمير قالوا اي قالوه وهي قائمة
تسمع مقالتهم فضحكت سرورا بزوال الخوف او بهلاك اهل الفساد او بهما جميعا وقيل بوقوع الامر حسبما
كانت تقول فيما سلف فانها كانت تقول لابرهيم اضمم اليك لوطا فاني اري ان العذاب نازل بهولاء القوم وقيل
ضحكت حاضت ومنه ضحكت الشجرة اذا سال صمغها وهو بعيد وقرئ بفتح الحاء فبشرناها باسحق اي عقبنا سرورها
بسرور اتم منه على السنة رسلنا ومن وراء اسحق يعقوب بالنصب على انه مفعول لما دل عليه قوله بشرناها اي وهبنا لها
من وراء اسحق يعقوب وقرئ بالرفع على الابتداء خبره الظرف اي من بعد اسحق يعقوب مولودا او موجود وكلا الاسمين داخل
في البشارة كيحيى او واقع في الحكاية بعد ان ولدا فسميا بذلك وتوجيه البشارة هنا اليها مع ان الاصل في ذلك ابرهيم عليه
السلام وقد وجهت اليه حيث قيل وبشرناه بغلام حليم وبشروه بغلام عليم للايذان بان ما بشر به يكون منهما ولكونها عقيمة
حريصة على الولد وقيل استيناف وردجوابا عن سوال من سال وقال فما فعلت اذ بشرت بذلك فقيل قالت يا ويلتى
اصل الويل الخزي ثم شاع في كل امر فظيع والالف مبدلة من ياء الاضافة كما في يالهفا ويا عجبا وقرا الحسن على الاصل واما لها
ابو عمرو وعاصم في رواية ومعناه يا ويلتي احضري فهذا اوان حضورك وقيل هي الف الندبة ويوقف عليها بهاء السكت
قوله تعالى االدوانا عجوز بنت تسعين او تسع وتسعين سنه وهذا هذا الذي تشاهدونه بعلي اي زوجي واصل
البعل القائم بالامر شيخا وكان ابن مائة وعشرين سنه ونصب على الحال والعامل معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انه
خبر مبتدا محذوف او هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلي بدل من اسم الاشارة او بيان له وكلتا الجملتين وقعت
حالا من الضمير الدال لتقرير ما فيه من الاستبعاد وتعليله اي الد وكلانا على حالة منافية لذلك وانما قدمت بيان
حالها على بيان حاله عليه السلام لان مباينة حالها لما ذكر من الولادة اكثر اذ ربما يولد للشيوخ من الشباب واما
العجائز داءهن عقام ولان البشارة متوجهة اليها صريحا لان العكس في البيان ربما يوهم من الامر نسبة المانع
من الولادة الى جانب ابرهيم صلوات الرحمن عليه وفيه ما لا يخفى من المحذور واقتصارها على الاستبعاد على ولادتها
من غير تعرض لحال النافلة لانها المستبعد واما ولادة ولدها فلا يتعلق بها استبعاد ان هذا اي ما ذكر من
حصول الولد من هرمين مثلنا لشئ عجيب بالنسبة الى سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين عباده وهذه الجملة لتعليل
الاستبعاد بطريق الاستيناف التحقيقي ومقصدها استعظام نعمة الله عز وجل عليها في ضمن الاستعجاب العادي لا استبعاد
ذلك بالنسبة الى قدرته سبحانه وتعالى قالوا اتعجبين من امر الله اي قدرته وحكمته او تكوينه او شانه انكروا عليها تعجبها
من ذلك لانها كانت ناشية في بيت النبوة ومهبط الوحي والايات ومظهر المعجزات والامور الخارقة
للعادات فكان حقها ان تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء من امثال هذه الخوارق من الطاف الله تعالى الخفية
ولطائف صنعه الفائضة على كل احد ممن تعلق بذلك مشيته الازلية لا سيما على اهل بيت النبوة التي ليست
مرتبتهم عند الله سبحانه كمراتب سائر الناس وان تسبح الله تعالى وتحمد وتمجد والى ذلك اشار سبقوله تعالى
رحمة الله التي وسعت كل شيء واستتبعت كل خير وانما وضع المظهر موضع المضمر لزيادة تشريفها وبركاته اي خيراته
النامية المتكاثرة في كل باب التي من جملتها هبة الاولاد وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل
لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابرهيم عليه السلام عليكم اهل البيت نصب على المدح او الاختصاص لانهم
اهل بيت خليل الرحمن وصرف الخطاب من صيغة الواحدة الى جميع المذكر لتعميم حكمه لابرهيم عليه السلام ايضا
ليكون جوابهم لها جوابا له ايضا ان خطر بباله مثل ما خطر ببالها والجملة كلام مستانف علل به انكار تعجبها كانه
قيل ليس المقام مقام التعجب فان الله تعالى على كل شئ قدير ولستم باهل بيت النبوة والكرامة والزلفى كسائر الطوائف

بل رحمة

بل رحمته المستتبعة لكل خير الواسعة لكل شيء وبركاته اي خيراته النامية الفائضة منه بواسطة تلك الرحمة
الواسعة لازمة لكم لا تفارقكم انه حميد فاعل ما يستوجب الحمد مجيد كثير الخير والاحسان الى عباده والجملة
لتعليل ما سبق من قوله رحمة الله وبركاته عليكم فلما ذهب عن ابرهيم الروع اي ما اوجس منهم من الخيفة واطمان قوله بعرفانهم
وعرفان سبب مجيئهم والفاء لربط بعض احوال ابرهيم عليه السلام ببعض غب انفصالها بما ليس باجنبي من كل وجه بل له
مدخل تام في السباق والسياق وتاخير الفاعل عن الظرف لانه مصب الفائدة فان بتاخير ما حقه التقديم تبقى النفس
منتظرة الى وروده فيتمكن فيها عند وروده اليها فضل تمكن وجاءته البشرى اي فرغ البشرى بقولهم لا تخف فسببية
ذهاب الخوف ومجي السرور للمجادلة المدلول عليها بقوله تعالى يجادلنا في قوم لوط اي جادل رسلنا في شانهم وعدل
الى صيغة الاستقبال لاستحضار صورتها او طفق يجادلنا ظاهرة واما ان فسرت ببشارة الولد وعا بعها فلعل
سببيتها لها من حيث انها تفيد زيادة اطمينان قلب بسلامته وسلامة اهله كافة ومجادلته اياهم انه قال
لهم حين قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية ارايتم لو كان فيها خمسون رجلا من المومنين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون
قالوا لا قال فثلثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال ارايتم ان كان فيها رجل مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك
قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله ان قيل المتبادر من هذا الكلام ان يكون ابرهيم عليه
السلام قد علم انهم مرسلون لاهلاك قوم لوط قبل ذهاب الروع عن نفسه ولكن لم يقدر على مجادلتهم في
شانهم لاشتغاله بشان نفسه فلما ذهب عنه الروع فرغ لها مع ان ذهاب الروع انما هو قبل العلم بذلك لقوله
تعالى قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط قلنا كان لوط عليه السلام على شريعة ابرهيم عليه السلام وقومه
مكلفين بها فلما راى من الملائكة ما راى خاف على نفسه وعلى كافة امته التي من جملتهم قوم لوط ولا ريب
في تقدم هذا الخوف على قولهم لا تخف واما الذي علمه عليه السلام بعد النهي عن الخوف على قولهم لا تخف فهو
اختصاص قوم لوط بالهلاك لا دخولهم تحت العموم فتامل والله الموفق ان ابرهيم لحليم غير عجول على الانتقام
ممن اساء اليه اواه كثير التاوه على الذنوب والتاسف على الناس منيب راجع الى الله تعالى والمقصود
بتعداد صفاته الجميلة المذكورة بيان ما حمله عليه السلام على ما صدر عنه من المجادلة يا ابرهيم اي قالت الملائكة
يا ابرهيم قوله تعالى اعرض عن هذا الجدال انه اي الشان قد جاء امر ربك اي قدره الجاري على وفق قضائه
الازلي الذي هو عبارة عن الارادة الازلية والعناية الالهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص حسب
تعلقها بالاشياء في اوقاتها وهو المعبر عنه بالقدر وانهم اتيهم عذاب غير مردود لا بجدال ولا بدعاء ولا بغير ما
ولما جاءت رسلنا لوطا قال ابن عباس رضي الله انطلقوا من عند ابرهيم عليه السلام الى لوط عليه السلام وبين القريتين
اربعة فراسخ ودخلوا عليه في صور غلمان مرد حسان الوجوه فلذلك سيء بهم اي ساءه مجيئهم لظنه انهم اناس فخاف
ان يقصدهم قومه ويعجز عن مدافعتهم وقرا نافع وابن عامر والكسائي وابو عمرو سيء وسيئت باشمام السين
الضم وقرئ ان الله تعالى قال للملائكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا
بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرها قال اشهد بالله انها لاشر قرية في الارض عملا
يقول ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امراته فاخبرت به قومها وقالت ان
في بيت لوط رجالا ما رايت مثل وجوههم وضاق بهم ذرعا اي ضاق بمكانهم صدره او قلبه او وسعه وطاقته
وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه وقيل ضاقت نفسه عن هذا الحادث
وذكر الذرع مثل وهو المساحة وكانه قدر البدن مجازا اي انه بدن ضاق قدره من احتمال ما وقع وقيل
الذراع اسم للجارحة من المرفق الى الانامل والذرع مدها ومعنى ضيق الذرع في قوله تعالى ضاق بهم ذرعا قصرها
كما ان معنى سعتها وبسطها طولها ووجه التمثيل بذلك ان القصير الذرع اذا مدها ليتناول ما يتناوله
الطويل الذرع تقاصر عنه وعجز عن تعاطيه فضرب مثلا للذي قصرت طاقته دون بلوغ الامر وقال هذا يوم

عصيب شديد من عصبه اذا شده وجاءه اي لوطا وهو في بيت مع اضيافه قومه يهرعون اليه اي يسرعون كانما يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه والجملة حال من قومه وكذا قوله ومن قبل اي من قبل هذا الوقت كانوا يعملون السيئات اي جاؤا مسرعين والحال انهم كانوا منهمكين في عمل السيئات فضروا بها وتمرنوا فيها حتى لم يبق عندهم قباحتها ولذلك لم يستحيوا مما فعلوا من مجيئهم مهرعين مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن من قبل ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لعدم مشروعيته فان تزويج الكفار من المسلمات كان جائزا وقد زوج النبي صلى الله عليه وسلم ابنتيه من عتبة بن ابي لهب وابي العاص بن الربيع قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه واياما كان فقد اراد به وقاية ضيفه وذلك غاية الكرم وقيل ما كان ذلك القول منه مجرى على الحقيقة من ارادة النكاح بل كان ذلك مبالغة في التواضع لهم واظهار الشدة امتعاضه مما اوردوا عليه طمعا في ان يستحيوا منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فينزجروا عما اقدموا عليه مع ظهور الامر واستقرار العلم عنده وعندهم جميعا بان لا مناكحة بينهم وهو الانسب بقولهم لقد علمت ما لنا في بناتك من حق كما ستقف عليه فاتقوا الله بترك الفواحش او بايثارهن عليهم ولا تخزون في ضيفي اي لا تفضحوني في شانهم فان اخزاء ضيف الرجل وجاره اخزاء له اولا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء اليس منكم رجل رشيد يهتدي الى الحق الصريح ويرعوي عن الباطل القبيح قالوا معرضين عما نصحهم به من الامر بتقوى الله تعالى والنهي عن اخزائه مجيبين عن اول كلامه لقد علمت ما لنا في بناتك من حق مستشهدين بعلمه بذلك يعنون انك قد علمت ان لا سبيل الى المناكحة بيننا وبينك وما عرضك الا عرض سابري ولا مطمع لنا في ذلك وانك لتعلم ما نريد من اتيان الذكران ولما يئس عليه السلام من ارعوائهم عما هم عليه من الغي قال لو ان لي بكم قوة اي لفعلت بكم ما فعلت وصنعت ما صنعت كقوله تعالى ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى او اوي الى ركن شديد عطف على ان لي بكم لما فيه من معنى الفعل اي لو قويت على دفعكم بنفسي او اويت الى ناصر عزيز قوي امتنع به عنكم شبهه بركن الجبل في الشدة والمنعة وورد عن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان ياوي الى ركن شديد روي انه عليه السلام اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رات الملائكة ما على لوط من الكرب قالوا اي الرسل لما شاهدوا عجزه عن مدافعة قومه يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك بضرر ولا مكروه فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستاذن جبريل عليه السلام ربه رب العزة جل جلاله في عقوبتهم فاذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم كما قال عز وعلا فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاة النجاة فان في بيت لوط قوما سحرة فاسر باهلك بقطع من الاسراء وقرا ابن كثير ونافع بالوصل حيث جاء في القرآن من السرى والفاء لترتيب الامر بالاسراء على الاخبار برسالتهم المؤذنة بورود الامر والنهي من جنابه عز وجل اليه عليه السلام من الليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم اي لا يتخلف اولا ينظر الى ورائه احد منك ومن اهلك وانما نهوا عن ذلك ليجدوا في السير فان من يلتفت الى ورائه لا يخلو عن ادنى وقفة اوليلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم الا امراتك استثناء من قوله تعالى فاسر باهلك ويؤيده انه قرئ فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك وقرئ بالرفع على البدل من احد فالالتفات بمعنى التخلف لا بمعنى النظر الى الخلف كيلا يلزم التناقض بين القراءتين المتواترتين فان النصب يقتضي كونه عليه السلام غير مامور بالاسراء بها والرفع كونه مامورا بذلك والاعتذار بان مقتضى الرفع انما هو مجرد كونها معهم وذلك لا يستدعي الامر بالاسراء بها حتى يلزم المناقضة لجواز ان تسري هي بنفسها كما يروى انه عليه السلام لما اسرى باهله تبعتهم فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وان يسري بها عليه السلام من غير امر بذلك اذ موجب النصب انما هو عدم الامر بالاسراء بها لا النهي عن الاسراء بها حتى يكون عليه السلام بالاسراء بها مخالفا للنهي لا يجدي نفعا لان انصراف الاستثناء الى الالتفات

يستدعي

يستدعي بقاء الاهل على العموم فيكون الاسراء بها مامورا به قطعا وفي حمل الاهلية في احدى القراءتين على الاهلية الدينية وفي الاخرى على النسبية مع ان ما فيه ما لا يخفى من التحكم والاعتساف كر على ما فر فيه من المناقضة فالاولى حينئذ جعل الاستثناء على القراءتين من قوله لا يلتفت مثل الذي في قوله تعالى ما فعلوه الا قليل منهم فان ابن عامر قراه بالنصب والافصح الرفع على البدل ولا بعد في كون اكثر القراء على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه بطريق الاستصلاح ولذلك علله على طريقة الاستيناف بقوله انه مصيبها ما اصابهم من العذاب وهو امطار الحجر وان لم يصبها الخسف والضمير في انه للشان وقوله تعالى مصيبها خبر وقوله ما اصابهم مبتدا ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع ان موعدهم الصبح اي موعد عذابهم وهلاكهم تعليل للامر بالاسراء والنهي عن الالتفات المشعر بالحث على الاسراع قوله تعالى اليس الصبح بقريب تاكيد للتعليل فان قرب الصبح داع الى الاسراع في الاسراء للتباعد عن مواقع العذاب وروي انه قال للملائكة عليهم السلام متى موعد هلاكهم قالوا الصبح لانه وقت الدعة والراحة فيكون حلول العذاب حينئذ افظع ولانه انسب يكون ذلك عبرة للناظرين فلما جاء امرنا اي وقت عذابنا وموعده وهو الصبح جعلنا عاليها اي عالي قرى قوم لوط وهي التي عبر عنها بالموتفكات وهي خمس مداين فيها اربعمائة الف الف سافلها اي قلبناها على تلك الهيئات وجعل عاليها مفعولا اول للجعل وسافلها مفعولا ثانيا له وان تحقق بالعكس ايضا لتهويل الامر وتفظيع الخطب لان جعل عاليها الذي هو مقارهم ومساكنهم سافلها اشد عليهم واشق من جعل سافلها عاليها وان كان مستلزما له روي انه جعل جبريل عليه السلام جناحه في اسفلها ثم رفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واسناد الجعل والامطار الى ضميره سبحانه باعتبار انه المسبب لتفخيم الامر وتهويل الخطب وامطرنا عليها على اهل المدن او شذاذهم حجارة من سجيل من طين متحجر كقوله سبحانه وتعالى حجارة من طين اصله سنك كل فعرب وقيل هو من اسجله اذا ارسله او ادر عطيته والمعنى من مثل الشيء المرسل او مثل العطية في الادرار او من السجل اي مما كتب الله تعالى ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين اي من جهنم فابدلت لامه نونا منضود نضد في السماء نضدا معدا للعذاب وقيل يرسله بعضه اثر بعض كقطار الامطار مسومة معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيماء تتميز به عن حجارة الارض او باسم من ترمى به عند ربك في خزائنه لا يتصرف فيها غيره عز وجل وما هي اي الحجارة الموصوفة من الظالمين من كل ظالم ببعيد فانهم بسبب ظلمهم مستحقون لها وملابسون بها وفيه وعيد شديد لاهل الظلم كافة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سال جبرائيل عليه السلام فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم واسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تاويل الحجارة بالحجر او اجرائه على موصوف مذكر اي بشيء بعيد او بمكان بعيد فانها وان كانت في السماء وهي في غاية البعد من الارض الا انها حين هوت منها فهي اسرع شيء لحوقا بهم فكانها بمكان قريب منهم اولانه على زنة المصدر كالزفير والصهيل والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمونث والى مدين اي اولاد مدين بن ابرهيم عليه السلام او جعل اسما للقبيلة بالغلبة او اهل مدين وهو بلد بناه مدين بن ابرهيم عليه السلام فسمي باسمه اخاهم اي نسيبهم شعيبا وهو ابن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه والجملة معطوفة على قوله تعالى والى ثمود اخاهم صالحا اي وارسلنا الى مدين شعيبا قال استيناف وقع جوابا عن سوال نشاء عن صدر الكلام فكانه قال لهم فقيل قال كما قال من قبله من الرسل عليهم السلام قوله تعالى يا قوم اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا ما لكم من اله غيره تحقيق للتوحيد وتعليل للامر به وبعد ما امرهم بما هو ملاك امر الدين واول ما يجب على المكلفين نهاهم عن ترتيب مبادي ما اعتادوه من البخس والتطفيف عادة مستمرة فقال ولا تنقصوا المكيال والميزان كي تتوسلوا بذلك الى بخس حقوق الناس اني اريكم بخير اي ملتبسين بثروة وسعة تغنيكم عن ذلك او بنعمة من الله تعالى حقها ان تقابل بغير ما تاتونه من المساحة والتفضل على الناس

ان كان صح

مبتداء والجملة خبر لان الذي اسمه ضمير الشان وفيه ما لا يخفى من تفخيم شان اصابهم صح

قيل [illegible]

شكرا عليها ا دارا كم بخير فلا تزيلوه بما انتم عليه من الشر وهو على كل حال علة للنهي عقبت بعلة اخرى اعني قوله عز وجل
واني اخاف عليكم ان لم تنتهوا عن ذلك عذاب يوم محيط لا يشذ منه شاذ منكم وقيل عذاب يوم مهلك من قوله
تعالى واحيط بثمره واصله من احاطة العدو والمراد عذاب يوم القيمة او عذاب الاستيصال ووصف اليوم بالاحاطة وهي
حال العذاب على الاسناد المجازي وفيه من المبالغة ما لا يخفى فان اليوم زمان يشتمل على ما وقع فيه من الحوادث
فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا احاط بنعيمه ويجوز ان يكون هذا تعليلا للامر والنهي جميعا
وقوله تعالى ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط اي بالعدل من غير زيادة ولا نقصان فان الزيادة في الكيل والوزن وان كان تفضلا
مندوبا اليه لكنها في الآلة محظورة كالنقص فلعل الزايد للاستعمال عند الاكتيال والناقص للاستعمال وقت الكيل وانما امر بتسويتهما
وتعديلهما صريحا بعد النهي عن نقصهما مبالغة في الحمل على الايفاء والمنع من البخس وتنبيها على انه لا يكفيهم مجرد الكف عن النقص والبخس
بل يجب عليهم اصلاح ما افسدوه وجعلوه معيارا لظلمهم وقانونا لعدوانهم قوله تعالى ولا تبخسوا الناس بسبب نقصهما وعدم
اعتدالهما اشياءهم التي يشترونها بهما وقد صرح بالنهي عن البخس بعد ما علم ذلك في ضمن النهي عن نقص المعيار والامر بايفائه
اهتماما بشانه وترغيبا في ايفاء الحقوق بعد الترهيب والزجر عن نقصها ويجوز ان يكون المراد بالامر بايفاء المكيال والميزان
الامر بايفاء المكيلات والموزونات ويكون النهي عن البخس عاما للنقص في المقدار وغيره تعميما بعد التخصيص كما في قوله تعالى
ولا تعثوا في الارض مفسدين فان العثي يعم نقص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل البخس المكس كاخذ العشور في
المعاملات قال زهير بن ابي سلمى • افي كل اسواق العراق اتاوة • وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم • والعثي في الارض السرقة
وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام من خرق السفينة وقتل
الغلام وقيل معناه ولا تعثوا في الارض مفسدين امر آخرتكم واصلاح دينكم بقيت الله اي ابقاه لكم من الحلال
بعد التنزه عن تعاطي المحرمات خير لكم مما تجمعون بالبخس والتطفيف فان ذلك هباء منثور بل شر محض وان زعمتم ان
ان فيه خيرا كقوله تعالى يمحق الله الربوا ويربي الصدقات ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع
الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان ولا محالة وان كنتم مصدقين لي في مقالتي لكم وقيل البقية الطاعة كقوله
عز وعلا والباقيات الصالحات خير عند ربكم وقرئ تقية الله بالفوقانية وهي تقواه عن المعاصي وما انا عليكم بحفيظ
احفظكم من القبايح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت اذ انذرت ولم آل في ذلك جهدا او ما انا
بحافظ ومستبق عليكم نعم الله تعالى ان لم تتركوا ما انتم عليه من سوء الصنيع قوله سبحانه وتعالى قالوا يا شعيب اصلواتك تامرك
ان نترك ما يعبد اباؤنا من الاوثان اجابوا بذلك امره عليه السلام اياهم بعبادة الله تعالى وحده المتضمن لنهيهم عن
عن عبادة الاصنام ولقد بالغوا في ذلك وبلغوا اقصى مراتب الخلاعة والمجون والضلال حيث لم يكتفوا بانكار الوحي الامر
بذلك حتى ادعوا ان الامر به من العقل واللب اصلا وانه من احكام الوسوسة والجنون وعلى ذلك بنوا استفهامهم قالوا
بطريق الاستهزاء اصلواتك التي هي من نتايج الوسوسة وافاعيل المجانين تامرك بان نترك عبادة الاوثان التي توارثناها
ابا عن جد وانما جعلوه عليه السلام مأمورا مع ان الصادر عنه انما هو الامر بعبادة الله تعالى وغير ذلك من الشرايع
لانه عليه السلام لم يامرهم بذلك من تلقاء نفسه بل من جهة الوحي وانه كان يعلمهم بانه مامور بتبليغه اليهم وتخصيصهم
باسناد الامر الى الصلوة من بين ساير احكام النبوة لانه عليه السلام كان كثير الصلوة معروفا بذلك وكانوا اذا راوه يصلي
يتغامزون ويتضاحكون فكان هي من بين ساير شعائر الدين ضحكة لهم وقرئ اصلواتك او ان نفعل في اموالنا ما
نشاء جواب عن امره عليه السلام بايفاء الحقوق ونهيه عن البخس والنقص معطوف على ما اي او ان نترك ان نفعل في اموالنا
ما نشاء من الاخذ والاعطاء والزيادة والنقص وقرئ بالتاء في الفعلين عطفا على مفعول تامرك اي صلواتك تامرك ان تفعل
انت في اموالنا ما تشاء ويجوز العطف على ما على ما قيل يستدعي ان يراد بالترك معنيان متخالفان والمراد بفعله عليه
السلام ايجاب الايفاء والعدل في معاملاتهم لا نفس الايفاء فان ذلك ليس من افعاله عليه السلام بل من افعالهم وانما لم يجعل
عطفا على ان نترك لان الترك ليس مأمورا به على الحقيقة بل المأمور به تكليفه عليه السلام اياهم وامره بذلك والمعنى اصلوا

تامرك ان تكلفنا ان نترك ما يعبد اباؤنا وحمله على معنى اصلواتك تامرك بما ليس في وسعك وعهدتك من
افاعيل غيرك ليكون ذلك تعريضا منهم بركاكة رايه عليه السلام واستهزاء به من تلك الجهة ياباه دخول الهمزة على الصلوة
دون الامر ويستدعي ان يصدر عنه عليه السلام في اثناء الدعوة ما يدل على ذلك او يوهمه واني ذلك فتامل وقرئ
بالنون في الاول والتاء في الثاني عطفا على ان نترك اي او ان نفعل في اموالنا عند المعاملة ما تشاء انت من التسوية و
الايفاء انك لانت الحليم الرشيد وصفوه عليه السلام بالوصفين على طريقة التهكم وانما ارادوا بذلك وصفه بضد
كقول الخزنة ذق انك انت العزيز الكريم ويجوز ان يكون تعليلا لما سبق من استبعاد ما ذكروه على معنى انك انت الحليم الرشيد
على زعمك واما وصفه بهما على الحقيقة فياباه مقام الاستهزاء اللهم الا ان يراد بالصلوة الدين كما قيل قال يا قوم ارايتم
ان كنت على بينة اي حجة واضحة وبرهان نير عبر بهما عما آتاه الله تعالى من النبوة والحكمة ردا على مقالتهم الشنعاء
في جعلهم امره ونهيه غير مستند الى سند من ربي ومالك اموري وايراد حرف الشرط مع جزمه عليه السلام بكونه على ما
عليه من البينات والحجج لاعتبار حال المخاطبين ومراعاة تحسن المحاورة معهم كما ذكرناه في نظايره سبحانه وتعالى ورزقني منه
اي من لدنه قوله عز وجل رزقا حسنا هو النبوة والحكمة ايضا عبر عنهما بذلك تنبيها على انهما مع كونهما بينة رزق حسن
كيف لا وذلك مناط الحيوة الدنيا الابدية له ولامته وجواب الشرط محذوف يدل عليه فحوى الكلام اي اتقولون في شاني
ما تقولون والمعنى انكم نظمتموني في سلك السفهاء الغواة وعددتم ما صدر عني من الاوامر والنواهي من قبيل ما لا ينبغي
ان يتفوه به عاقل وجعلتموه من احكام الوسوسة والجنون واستهزاءتم بي وبافعالي حتى قلتم ان ما امركم به من التوحيد
وترك عبادة الاصنام والاجتناب عن البخس والتطفيف ليس مما يامر به امر العقل ويقضي به قاضي الفطنة وانما يامر
صلواتك التي هي من احكام الوسوسة والجنون فاخبروني ان كنت من جهة ربي ومالك اموري ثابتا على النبوة والحكمة
التي ليس وراءها غاية الكمال ولا مطمح لطامح ورزقني بذلك رزقا حسنا اتقولون في شاني وشان افعالي ما تقولون مما لا
خير فيه ولا شر وراءه هذا هو الجواب الذي يستدعيه السياق ويساعده النظم الكريم واما ما قيل من ان المحذوف
ايصح لي ان لا امركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي او هل يسع لي مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية
والجسمانية ان اخون في وحيه واخالفه في امره ونهيه فبمعزل من ذلك وانما يناسب تقديره ان حمل كلامهم
على الحقيقة واريد بالصلوة الدين على معنى ادينك يامرك ان يكلفنا بترك عبادة الهتنا القديمة وترك التصرف
المطلق في اموالنا وتخالفنا في ذلك وتشق عصانا وهذا مما لا ينبغي ان يصدر عنك فانك انت المشهور بالحلم الفاضل
والرشد الكامل فيما بيننا كما قول قوم صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا مسرودا على ذلك النمط فاجيبوا بما اجيبوا به
وعلى هذا الوجه يكون المراد بالرزق الحسن الحلال الذي آتاه الله تعالى والمعنى حينئذ اخبروني ان كنت نبيا من عند الله
تعالى ورزقني مالا حلالا استغني به عن العالمين ايصح ان اخالف امره واوافقكم فيما تاتون وما تذرون قوله تعالى وما
اريد بنهيي اياكم عما انهاكم عنه من البخس والتطفيف ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه اي اقصده بعد ما وليتم عنه و
استبد به دونكم يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مول عنه وخالفته عن كذا اذا كان الامر على العكس قوله تعالى
ان اريد اي ما اريد بما اباشر من الامر والنهي قوله تعالى الا الاصلاح الا ان اصلحكم بالنصيحة والموعظة ما استطعت
اي مقدار ما استطعت من الاصلاح والتقييد به للاحتراز عن الاكتفاء بالاصلاح في الجملة لا عن ارادة ما ليس في وسعه منه
وما توفيقي اي كوني موفقا لتحقيق ما انتحيه من اصلاحكم الا بالله اي بتائيده ومعونته بل الاصلاح من حيث الخلق
مستند اليه سبحانه وانما انا من مباديه الظاهرة قاله عليه السلام تحقيقا للحق وازاحة لما عسى يوهمه اسناد الاستطاعة
اليه بارادته من استبداده بذلك عليه توكلت في ذلك معرضا عما عداه فانه القادر على كل مقدور وما عداه عاجز محض في
حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار بمعزل من مرتبة الاستمداد به والاستظهار واليه انيب اي ارجع فيما انا
بصدده ويجوز ان يكون المراد وما كوني موفقا لاصابة الحق والصواب في كل ما آتي واذر الا بهدايته ومعونته عليه
توكلت وهو اشارة الى محض التوحيد الذاتي والفعلي واليه انيب اي عليه اقبل بشراشر نفسي في مجامع اموري واشار

صيغة الاستقبال على الماضي الانسب للتقرير والتحقيق كما في التوكل لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار ولا
يخفى ما في جوابه عليه السلام من مراعاة لطف المراجعة ورفق الاستنزال والمحافظة على قواعد حسن المجاراة والمحاورة
وتمهيد معاقد الحق بطلب التوفيق من جانب الله عز وجل والاستعانة به في اموره وحسم اطماع الكفار واظهار
الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم واما تهديدهم بالرجوع الى الله تعالى للجزاء كما قيل فلا لان الانابة انما هي
الرجوع الاختياري بالفعل الى الله تعالى لا الرجوع الاضطراري للجزاء وما يعقبه **ويا قوم لا يجرمنكم** لا يكسبنكم من جرمته
ذنبا مثل كسبته مالا **شقاقي** معاداتي واصلها ان المتعاديين يكون في عدوة وشق غير الآخر **وفري** مفعول ثان
ليجرمنكم اي لا يكسبنكم معاداتكم لي **ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم** نوح من الغرق **او قوم هود** من الريح **او قوم صالح** من الصيحة والرجفة
وقراء ابن كثير بضم الياء من اجرمته ذنبا اذا جعلته جارما له اي كاسبا وهو منقول من جرم المتعدي من مفعول
واحد كما نقل كسبه المال من كسب المال فكما لا فرق بين كسبته مالا واكسبته اياه لا فرق بين جرمته ذنبا واجرمته
في المعنى الا ان الاول اصح وادور على السنة الفصحاء **وقرا** ابو عمرو مثل ما اصاب بالفتح لاضافته الى غير متمكن
كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت • حمامة في غصون ذات اوقال • وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا
للشقاق عن كسب اصابة العذاب لكنه في الحقيقة نهي للكفرة عن مشاقته عليه السلام على الطف اسلوب وابدعه
كما مر في سورة المائدة عند قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الاية **وما قوم لوط منكم ببعيد** زمانا او مكانا فان لم
تعتبروا بمن قبلهم من الامم المعدودة فاعتبروا بهم وكانه انما غير اسلوب التحذير بهم ولم يصرح بما اصابهم بل اكتفى
بذكر قربهم ابلاغا بان ذلك مغن عن ذكره لشهرة كونه منظوما في سمط ما ذكر من دواهي الامم المرقومة او ليسوا ببعيد
منكم في الكفر والمعاصي ولا يبعد ان يصيبكم مثل ما اصابهم وافراد البعيد مع تذكيره لان المراد وما اهلاكهم على نية
المضاف او وما هم بشيء بعيد لان المقصود افادة عدم بعدهم على الاطلاق لا من حيث خصوصية كونهم قوما او ما هم
في زمان بعيد او مكان بعيد ولا يبعد ان يكون ذلك لكونه على زنة المصادر كالنهيق والشهيق ولما انذرهم عليه السلام
بسوء عاقبة صنيعهم عقبه طمعا في ارعوائهم عما كانوا فيه يعمهون من طغيانهم بالحمل على الاستغفار والتوبة فقال
قوله تعالى **واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه** مر تفسير مثله في اول السورة **ان ربي رحيم** عظيم الرحمة للتائبين **ودود**
مبالغ في فعل ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من اللطف والاحسان وهذا تعليل الامر بالاستغفار والتوبة وحث عليهما
قوله تعالى **قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول** الفقه معرفة غرض المتكلم من كلامه اي ما نفهم مرادك وانما قالوه بعد ما
سمعوا منه دلائل الحق المبين على احسن وجه وابلغه وضاقت عليهم الحيل • وعيت بهم العلل • فلم يجدوا الى محاورته
سبيلا سوى الصدود عن منهاج العقل • والسلوك الى سبيل الشقاء كما هو ديدن المفحم المحجوج • يقابل البينات
بالسب والابراق والارعاد • فجعلوا كلامه المشتمل على فنون الحكم والمواعظ • وانواع العلوم والمعارف • من قبيل ما لا يفهم
معناه • ولا يدرك فحواه • وادمجوا في ضمن ذلك ان في تضاعيفه ما يستوجب اقصى ما يكون من المواخذة والعقاب ولعل
ذلك ما فيه من التحذير من عواقب الامم السالفة ولذلك قالوا **وانا لنراك فينا** فيما بيننا **ضعيفا** لا قوة لك ولا قدرة
على شيء من الضرر والنفع • والايقاع والدفع **ولولا رهطك** لولا مراعاة جانبهم لا لولاهم بما نعوننا ويدافعوننا
لرجمناك فان ممانعة الرهط وهم اسم للثلاثة الى السبعة او الى العشرة لهم وهم الوف مؤلفة مما لا يكاد يتوهم
وقد ايدوا ذلك بقوله عز وجل **وما انت علينا بعزيز** مكرم محترم حتى نمتنع من رجمك وانا نكف عنه للمحافظة على حرمة رهطك
الذين ثبتوا على ديننا او لم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا وايلاء الضمير حرف النفي وان لم يكن الخبر فعليا غير
خال عن الدلالة على رجوع النفي الى الفاعل دون الفعل لا سيما مع قرينة قوله ولولا رهطك كانه قيل وما انت علينا
بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا وحيث كان غرضهم من عظيمتهم هذه عائدا الى نفي ما فيه عليه السلام من القوة
والعزة الربانية حسبما يوحيه كونه على بينة من ربه مؤيدا من عنده ويقتضيه قضية طلب التوفيق والتوكل عليه الا تأبيه
البينة والى اسقاط ذلك كله عن درجة الاعتداد به والاعتبار قوله تعالى **قال** عليه السلام في جوابهم **يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله**

فان الاستهانة بمن لا يتعزز الا به عز وجل استهانة بجنابه العزيز وانما انكر عليهم اعزية رهطه منه تعالى مع ان ما اثبتوه
انما هو مطلق عزة رهطه لا اعزيتهم منه عز وجل مع الاشتراك في اصل العزة لتثنية التقريع وتكرير التوبيخ حيث انكر
عليهم اولا ترجيح جنبة الرهط على جنبة الله تعالى وثانيا نفي العزة بالمرة والمعنى ارهطي اعز عليكم من الله فانه مما لا يكاد يصح والحال
انكم لم تجعلوا له تعالى حظا من العزة **واتخذتموه** بسبب عدم اعتدادكم بما لا يرد ولا يصدر الا بامره **وراءكم ظهريا** شيئا منبوذا
وراء الظهر منسيا لا يبالى به منسوب الى الظهر والكسر لتغيير النسب كالامسي في النسبة الى الامس **ان ربي بما تعملون**
من الاعمال السيئة التي من جملتها عدم مراعاتكم لجانبه **محيط** لا يخفى عليه منها خافية وان جعلتموه منسيا فيجازيكم عليها
ويحتمل ان يكون الانكار للرد والتكذيب فانهم لما ادعوا انهم لا يكفون عن رجمه عليه السلام لقوته وعزته بل لمراعاة جانب رهطي
رد عليهم بذلك بانكم ما قدرتم الله حق قدره العزيز ولم تراعوا جنابه القوي فكيف تراعون جانب رهطي الاذلة **ويا قوم
اعملوا** لما رأى عليه السلام اصرارهم على الكفر وانهم لا يرعوون عما هم عليه من المعاصي حتى اجترأوا على العظيمة التي هي الاستهانة
به والعزيمة على رجمه لولا حرمة رهطه قال لهم على طريقة التهديد اعملوا **على مكانتكم** على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة
اذا تمكن ابلغ التمكن وانما قاله عليه السلام ردا لما ادعوا انهم اقوياء قادرون على رجمه وانه ضعيف فيما بينهم لا عزة له او
على ناحيتكم وجهتكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة والمعنى اثبتوا على ما انتم عليه من الكفر والمشاقة
لي وسائر ما انتم عليه مما لا خير فيه وابذلوا جهدكم في مضارتي وايقاع ما في نيتكم واخراج ما في امنيتكم من القوة الى الفعل
قوله تعالى **اني عامل** على مكانتي حسبما يؤيدني الله ويوفقني بانواع التأييد والتوفيق قوله سبحانه وتعالى **سوف تعلمون**
لما هددهم عليه السلام بقوله اعملوا على مكانتكم اني عامل كان مظنة ان يسأل منهم سائل فيقول فماذا يكون بعد ذلك فقيل
سوف تعلمون **من يأتيه عذاب يخزيه** وصف العذاب بالاخزاء تعريضا بما اوعدوه عليه السلام به من الرجم فانه مع
كونه عذابا فيه خزي ظاهر حيث لا يكون الا بجناية عظيمة توجيه قوله تعالى **ومن هو كاذب** عطف على من يأتيه لا على
انه قسيمه بل حيث اوعدوه بالرجم وكذبوه قيل سوف تعلمون من المعذب ومن الكاذب وفيه تعريض بكذبهم في ادعائهم القوة
والقدرة على رجمه عليه السلام وفي نسبته الى الضعف والهوان وفي ادعائهم الابقاء عليه لرعاية جانب الرهط والاختلاف
بين المعطوفين بالفعلية والاسمية لان كذب الكاذب ليس بمترقب كاتيان العذاب بل انما المترقب ظهور الكذب السابق المستمر
ومن اما استفهامية معلقة للعلم عن العمل كانه قيل سوف تعلمون اينا يأتيه عذاب يخزيه واينا كاذب واما موصولة اي
سوف تعرفون الذي يأتيه عذاب والذي هو كاذب **وارتقبوا** وانتظروا مآل ما اقول قوله تعالى **اني معكم رقيب** منتظر
فعيل بمعنى الراقب كالصريم او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع وفي زيادة معكم اظهار منه عليه السلام لكمال الوثوق
بامره **ولما جاء امرنا** اي عذابنا كما ينبئ عنه قوله تعالى سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه او وقته فان الارتقاب
مؤذن بذلك **نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا** وهي الايمان بالنسبة الى شعيب النبوة وبالنسبة الى المؤمنين الايمان الذي
وفقناهم له او برحمة كائنة منا لهم وانما ذكر بالواو كما في قصة عاد لما انه لم يسبقه ذكر وعد يجري مجرى السبب المقتضي لدخول
الفاء في معلوله كما في قصتي صالح ولوط فانه قد سبق هنالك سابقة الوعد بقوله ذلك وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم
الصبح **واخذت الذين ظلموا** عدل اليه عن الضمير تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بان ما اخذهم انما اخذهم بسبب ظلمهم الذي فصل
فيما سبق فنونه **الصيحة** قيل صاح بهم جبريل عليه السلام فهلكوا وفي سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة وفي سورة العنكبوت
فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة ولعلها من روادف الصيحة المستتبعة لتموج الهواء المفضي اليها كما مر فيما قبل **فاصبحوا في ديارهم
جاثمين** ميتين لازمين لاماكنهم لا براح لهم منها ولما يجعل متعلق العلم في قوله تعالى سوف تعلمون من يأتيه عذاب
يخزيه الخ نفس مجيء العذاب بل من يجيئه بعد ذلك امرا مسلم الوقوع غنيا عن الاخبار به حيث جعل شرطا وجعل تنجية شعيب
عليه السلام واهلاك الكفرة جوابا له ومقصود الافادة وانما قدم تنجيته اهتماما بشأنها وايذانا بسبق الرحمة التي
هي مقتضى الربوبية على الغضب الذي يظهر اثره بموجب جرائرهم وجرائمهم قوله تعالى **كان لم يغنوا** اي لم يقيموا **فيها**
متصرفين في اطرافها متقلبين في اكنافها قوله تعالى **الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود** العدول عن الاضمار الى الاظهار ليكون

ادل على طغيانهم الذي اداهم الى هذه المرتبة وليكون انسب بمن شبه هلاكهم بهلاكهم اعني ثمود وانما شبه هلاكهم
بهلاكهم لانهما اهلكا بنوع من العذاب وهي الصيحة غير ان هولاء صيح بهم من فوقهم واوليك من تحتهم وقري
بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدرهما والبعد مصدر
للمكسور ولقد ارسلنا موسى باياتنا وهي الايات التسع المفصلات التي هي العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل
والضفادع والدم ونقص الثمرات والانفس ومنهم من جعلهما اية واحدة وعد منها اظلال الجبل وليس كذلك فانه لقبول
احكام التورية حين اباه بنو اسرائيل والباء متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعول او نعتا لمصدر المؤكد اي ارسلناه حال
كونه ملتبسا باياتنا او ارسلناه ارسالا ملتبسا بها قوله تعالى وسلطان مبين هو المعجزات الباهرة منها او هو العصا
والافراد بالذكر لاظهار شرفها لكونها ابهرها او المراد بالايات ما عداها او هما عبارتان عن شيء واحد اي ارسلناه بالجامع
بين كونه اياتنا وبين الاستيلاء كقوله تعالى ونجعل لكما سلطانا ويجوز ان يكون المراد وما بينه عليه السلام في تضاعيف دعوته
حين قال له فرعون من ربكما فما بال القرون الاولى ومن الحقايق الرايقة والدقايق اللايقة وجعله عبارة عن التورية
او ادراجها في جملة الايات يرده قوله عز وجل الى فرعون وملائه فان نزولها انما كان بعد مهلك فرعون وقومه قاطبة ليعمل بها
بنو اسرائيل فيما ياتون وما يذرون واما فرعون وقومه فانما كانوا مامورين بعبادة رب العالمين عز سلطانه وترك العظيمة
الشنعاء التي هي قول اللعين انا ربكم الاعلى التي كانت يدعيها الطاغية وتقبلها منه الفئة الباغية وبارسال بني اسرائيل
من الاسر والقسر وتخصيص ملائه بالذكر مع عموم رسالته عليه السلام لقومه كافة لاصالتهم في الراي وتدبير الامور واتباع
غيرهم لهم في الورود والصدور وانما لم يصرح بكفر فرعون بايات الله تعالى وانهماكه فيما كان عليه من الضلال والاضلال بل اقتصر
على ذكر شان ملائه فقيل فاتبعوا امر فرعون اي امره بالكفر بما جاء به موسى عليه السلام من الحق المبين للايذان بوضوح حاله فكان
كفره وامر ملائه بذلك امر محقق الوجود غير محتاج الى الذكر صريحا وانما المحتاج الى ذلك شان ملائه المترددين بين هاد الى
الحق وداع الى الضلال فنعى عليهم سوء اختيارهم وايراد الفاء في اتباعهم المترتب على امر فرعون المبني على كفره المسبوق بتبليغ
الرسالة للاشعار بمفاجاتهم في الاتباع ومسارعة فرعون الى الكفر وامرهم به فكان ذلك كل من لم يتراخ عن الارسال والتبليغ
بل وقع جميع ذلك في وقت واحد فوقع اثر ذلك اتباعهم ويجوز ان يراد بامر فرعون شانه المشهود وطريقته الزايغة فيكون معنى فاتبعوا
فاستمروا على الاتباع والفاء مثلها في قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر فان الاتيان بالشيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع
عنه وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث فتامل وترك الاضمار لدفع توهم الرجوع الى موسى عليه
السلام من اول الامر ولزيادة تقبيح حال المتبعين فان فرعون علم في الفساد والافساد والضلال والاضلال فاتباعه لفرط
الجهالة وعدم الاستبصار وكذا الحال في قوله تعالى وما امر فرعون برشيد الرشد ضد الغي وقد يراد به محمودية العاقبة فهو
على الاول بمعنى المرشد او ذي الرشد حقيقة لغوية والاسناد مجازي وعلى الثاني مجاز والاسناد حقيقي يقدم قومه
جميعا من الاشراف وغيرهم يوم القيمة اي يتقدمهم من قدمه بمعنى تقدمه وهو استيناف لبيان حاله في الاخرة اي كما كان قدوة
لهم في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه او لتوضيح عدم صلاح مال امره وسوء عاقبته فاوردهم النار اي يوردهم
وايثار صيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع لا محالة شبه فرعون بالفارط الذي يتقدم الواردة الى الماء واتباعه بالواردة
والنار بالماء الذي يردونه ثم قيل وبئس الورد المورود اي بئس الورد الذي يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش
وتبريد الاكباد والنار على ضد ذلك واتبعوا اي الملاء الذين اتبعوا امر فرعون في هذه الدنيا اي في الدنيا لعنة عظيمة حيث يلعنهم
من بعدهم من الامم ويوم القيمة ايضا حيث يلعنهم اهل الموقف قاطبة فهي تابعة لهم حيثما ساروا دائرة معهم اينما داروا في
الموقف فكما اتبعوا فرعون اتبعتهم اللعنة في الدارين جزاء وفاقا واكتفى ببيان حالهم الفظيع وشانهم الشنيع عن بيان حال فرعون
اذ حين كان حالهم هكذا فما ظنك بحال من اغواهم والقاهم في هذا الضلال البعيد وحيث كان شان الاتباع ان يكونوا اعوانا
للمتبوع جعلت اللعنة رفدا لهم على طريقة التهكم فقيل بئس الرفد المرفود اي بئس العون المعان وقد فسر الرفد بالعطاء ولا
يلايمه المقام واصله ما يضاف الى غيره ليعمده المخصوص بالذم محذوف اي رفدهم وهي اللعنة في الدارين وكونه مرفودا من حيث

كونه سلطانا له على نبوته واضحا في نفسه او موضحا اياها من بان لازما ومتعديا او هو الغلبة و
صح

ان كل لعنة

ان كل لعنة منها معينة وممدة لصاحبتها ومؤيدة لها ذلك اشارة الى ما قص من انباء الامم وبعده باعتبار تقضيه في الذكر
والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مبتدا خبره من انباء القرى المهلكة بما جنته ايدي اهلها نقصه عليك خبر
بعد خبر اي ذلك النبا بعض انباء القرى مقصوص عليك منها اي من تلك القرى قائم وحصيد اي ومنها حصيد حذف
لدلالة الاول عليه شبه ما بقي منها بالزرع القائم على ساقه وما عفا وبطل بالحصيد والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب
وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بان جعلوها عرضة للهلاك باقتراف ما يوجبه فما اغنت عنهم فما نفعتهم
ولا دفعت باس الله تعالى عنهم الهتهم التي يدعون اي يعبدونها من دون الله او ثر صيغة المضارع حكاية للحال الماضية او
دلالة على استمرار عبادتهم لها من شيء في موضع المصدر اي شيئا من الاغنا لما جاء امر ربك اي حين مجيء عذابه وهو منصوب
باغنت وقري بالهتهم اللاتي ويدعون على البناء المجهول وما زادوهم غير تتبيب اي اهلاك وتخسير فانهم انما هلكوا
وخسروا بسبب عبادتهم لها وكذلك اي ومثل ذلك الاخذ الذي مر بيانه وهو رفع على الابتداء وخبره قوله اخذ ربك
وقري اخذ ربك فمحل الكاف النصب على انه مصدر مؤكد اذا اخذ القرى اي اهلها وانما اسند اليها للاشعار بسريان
اثره اليها حسبما ذكر وقري وهي ظالمة حال من القرى وهي الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامهم في الاخذ اجريت الحال
عليها وفايدتها الاشعار بانهم انما اخذوا بظلمهم ليكون ذلك عبرة لكل ظالم ان اخذه اليم شديد وجيع صعب على الماخوذ
لا يرجى منه الخلاص وفيه ما لا يخفى من التهديد والتحذير ان في ذلك اي في اخذه تعالى للامم المهلكة او في قصصهم
لاية لعبرة لمن خاف عذاب الاخرة فانه المعتبر به حيث يستدل بما حاق بهم من العذاب الشديد بسبب ما عملوا
من السيئات على احوال عذاب الاخرة واما من انكر الاخرة واحال فناء العالم وزعم ان ليس هو ولا شيء من احواله مستندا
الى الفاعل المختار وانما يقع فيه من الحوادث فانما يقع لاسباب تقتضيه من اوضاع فلكية تتفق في بعض الاوقات لا لما
ذكر من المعاصي التي تقترفها الامم الهالكة فهو بمعزل من هذا الاعتبار تبا لهم ولما لهم من الافكار ذلك اشارة الى يوم
القيمة المدلول عليه بذكر الاخرة يوم مجموع له الناس اي يجمع له الناس للمحاسبة والجزاء والتغيير للدلالة على ثبات معنى
الجمع وتحقق وقوعه لا محالة وعدم الانفكاك الناس عنه فهو ابلغ من قوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وذلك اي يوم
القيمة مع ملاحظة عنوان جمع الناس له يوم مشهود اي مشهود فيه حيث يشهد فيه اهل السموات والارضين فاتسع
فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كما في قوله في محفل من نواصي الناس مشهود اي كثير شاهدوه ولو جعل نفس اليوم
مشهودا لفات ما هو الغرض من تعظيم اليوم وتهويله وتميزه عن غيره فان ساير الايام ايضا كذلك قوله تعالى وما نوخره
اي ذلك اليوم الملحوظ بعنواني الجمع والشهود الا لاجل معدود لانقضاء مدة قليلة مضروبة حسبما يقتضيه الحكمة
يوم يات اي حين ياتي ذلك اليوم الموخر بانقضاء اجله كقوله تعالى ان تاتيهم الساعة وقيل يوم ياتي الجزاء
الواقع فيه وقيل اي الله عز وجل فان المقام مقام تفخيم شان اليوم وقري باثبات الياء على الاصل لا تكلم نفس
اي لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب او شفاعة وهو العامل في الظرف او الانتهاء المحذوف في قوله تعالى الا لاجل معدود اي
ينتهي الاجل يوم ياتي او المضمر المعهود اعني اذكر الا باذنه عز سلطانه في التكلم كقوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن
وهذا في موطن ذلك اليوم وقوله عز وجل هذا يوم لا ينطقون ولا يوذن لهم فيعتذرون في موقف اخر من مواقفه كما ان
قوله سبحانه يوم ياتي كل نفس تجادل عن نفسها في اخر منها والماذون فيه الجوابات الحقة والممنوع عنه الاعذار الباطلة
نعم قد يوذن فيها ايضا لاظهار بطلانها كما في قول الكفرة والله ربنا ما كنا مشركين ونظايره قوله تعالى فمنهم شقي
وجبت له النار بموجب الوعيد قوله تعالى وسعيد اي ومنهم سعيد حذف الخبر لدلالة الاول عليه وهو من وجبت
له الجنة بمقتضى الوعد والضمير لاهل الموقف المدلول عليهم بقوله لا تكلم نفس او للناس وتقديم الشقي على السعيد
لان المقام مقام تحذير والانذار قوله تعالى فاما الذين شقوا اي سبقت لهم الشقاوة ففي النار اي مستقرون
فيها لهم فيها زفير وشهيق الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما في اول النهيق واخره قال الشماخ
يصف حمار الوحش بعيد مدى التطريب اول صوته زفير ويتلوه شهيق محشرج والمراد بهما وصف شدة كربهم

وتشبيه حالهم بحال من استولت على قلبه الحرارة وانحصر فيه روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير **وقري**
شقوا بالضم والجملة مستانفة كان سائلا قال ما شانهم فيها فقيل لهم فيها كذا وكذا او منصوبة المحل على الحالية من النار
او من الضمير في الجار والمجرور كقوله عز اسمه **خالدين فيها** خلا انه اريد حدوث كونهم في النار فالحال مقدرة **ما دامت
السموات والارض** اي مدة دوامها وهذا التوقيت عبارة عن التابيد ونفي الانقطاع تبا على منهاج قول العرب ما دام
تعار وما اقام ثبير وما لاح كوكب وما اختلف الليل والنهار وما طما البحر وغير ذلك من كلمات التابيد لا تعليق
قرارهم فيها بدوام هذه السموات والارض فان النصوص القاطعة دالة على تابيد قرارهم فيها وانقطاع دوامها وان
اريد التعليق فالمراد سموات الآخرة وارضها كما يدل على ذلك النصوص كقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات
وقوله سبحانه وتعالى واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء وجزم كل احد بان اهل الآخرة لا بد لهم من مظلة ومقلة
دائمتين يكفي في تعليق دوام قرارهم فيها بدوامهما ولا حاجة الى الوقوف على تفاصيل احوالها وكيفياتها **الا ما شاء ربك**
استثناء من الخلود على طريقة قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وقوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم
من النساء الا ما قد سلف وقوله تعالى حتى يلج الجمل في سم الخياط غير ان استحالة الامور المذكورة معلومة بحكم العقل
واستحالة تعلق المشيئة بعدم الخلود معلومة بحكم النقل يعني انهم مستقرون في النار في جميع الازمنة الا في زمان
مشيئة الله تعالى لعدم قرارهم فيها واذ لا امكان لتلك المشيئة ولا لزمانها بحكم النصوص القاطعة الموجبة للخلود
فلا امكان لانتهاء مدة قرارهم فيها ولدفع ما عسى يتوهم من كون استحالة تعلق مشيئة الله تعالى بعدم الخلود بطريق
الوجوب على الله تعالى قال **ان ربك فعال لما يريد** يعني انه في تخليد الاشقياء في النار بحيث يستحيل وقوع خلافه فعال
بموجب ارادته قاض بمقتضى مشيئته الجارية على سنن حكمته الداعية الى ترتيب الاجزية على افعال العباد والعدول
من الاضمار الى الاظهار لتربية المهابة وزيادة التقرير **وقيل** هو استثناء من الخلود في عذاب النار فانهم لا
يخلدون فيه بل يعذبون بالزمهرير وبانواع آخر من العذاب وبما هو اغلظ منها كلها وهو سخط الله تعالى عليهم وخسوء
هم واهانته اياهم وانت تدري انا وان سلمنا ان المراد بالنار ليس مطلق دار العذاب المشتملة على انواع العذاب بل نفس
النار فما خلا عذاب الزمهرير من تلك الانواع مقارن لعذاب فلا مصداق في ذلك للاستثناء ولك ان تقول انهم
ينسون مخلدين في العذاب الجسماني الذي هو عذاب النار بل لهم من افانين العذاب ما لا يعلمه الا الله وهي العقوبات
والآلام الروحانية التي لا يقف عليها في هذه الحيوة الدنيا المنغمسون في احكام الطبيعة المقصور ادراكهم على ما الفوا من
الاحوال الجسمانية وليس لهم استعداد لتلقي ما وراء ذلك من الاحوال الروحانية اذا القي اليهم ولذلك لم يتعرض لبيانه
واكتفى بهذه المرتبة الاجمالية المنبئة عن التهويل وهذه العقوبات وان كانت تعتريهم وهم في النار لكنهم ينسون بها عذاب
النار ولا يحسون بها وهذه المرتبة كافية في تحقيق معنى الاستثناء هذا وقد قيل الا بمعنى سوى وهو ادنى مما ذكر **وقيل**
ما بمعنى من على ارادة معنى الوصفية فالمعنى ان الذين شقوا في النار مقدرين الخلود فيها الا الذين شاء الله عدم خلودهم
فيها وهم عصاة المومنين قوله عز وجل **واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض**
الكلام فيه كالكلام فيما سبق خلا انه لم يذكر هنا ان لهم فيها بهجة وسرورا كما ذكر في اهل النار من ان لهم فيها زفيرا و
شهيقا لان المقام مقام التحذير والانذار **الا ما شاء ربك** ان حمل على طريقة التعليق بالمحال قوله تعالى **عطاء غير مجذوذ**
نصب على المصدرية من معنى الجملة لان قوله ففي الجنة خالدين فيها يقتضي اعطاء وانعاما فكانه قيل يعطيهم عطاء وهو اما
اسم مصدر هو الاعطاء او مصدر بحذف الزوائد كقوله تعالى والله انبتكم من الارض نباتا وان حمل على ما اعد الله تعالى
لعباده الصالحين من النعيم الروحاني الذي عبر عنه بما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فهو نصب على
الحالية المقدرة للمشيئة ادتميز فان نسبة مشيئة الخروج الى الله تعالى يحتمل ان يكون على جهة عطاء مجذوذ وعلى جهة عطاء
غير مجذوذ فهو دافع للايهام عن النسبة **فقال** ابن زيد اخبرنا الله تعالى بالذي يشاء لاهل الجنة فقال عطاء غير
مجذوذ ولم يخبرنا بالذي يشاء لاهل النار ويجوز ان يتعلق بكلا النعيمين او بالاول دفعا لما يتوهم من ظاهر الاستثناء من انقطاع

قوله تعالى

قوله تعالى **فلا تك في مرية** اي في شك والفاء لترتيب النهي على ما قص من القصص وبين في تضاعيفها من العواقب
الدنيوية والاخروية قوله تعالى **مما يعبد هؤلاء** اي من جهة عبادة هؤلاء المشركين وسوء عاقبتها او من حال ما يعبدونه
من الاوثان في عدم نفعه لهم ولما كان سياق النظم الشريف قبل الشروع في القصص لبيان غاية سوء حال الكفرة وكمال
حسن حال المومنين وقد ضرب لهم مثل فقيل مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا
تذكرون وقد قص عقيب ذلك من انباء الامم السالفة مع رسلهم المبعوثة اليهم ما يتذكر به المتذكر نهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن كونه في شك من مصير امر هؤلاء المشركين في العاجل والآجل ثم علل ذلك بطريق الاستيناف
فقيل **ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم** الذين قصصت عليك قصصهم **من قبل** اي هم واباؤهم سواء في الشرك ما يعبدون
عبادة الا كعبادتهم او ما يعبدون شيئا الا مثل ما عبدوه من الاوثان والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية
لاستحضار صورتها او مثل ما كانوا يعبدونه فحذف لكان لدلالة قوله من قبل عليه وقد بلغك ما حل باباىهم فسيلحقهم
مثل ذلك فان تماثل الاسباب يقتضي تماثل المسببات **وانا لموفوهم** اي هؤلاء الكفرة **نصيبهم** اي حظهم
المعين لهم حسب جرائمهم وجرائرهم من العذاب عاجلا وآجلا كما وفينا اباءهم انصباءهم المقدرة لهم او من الرزق المقسوم
لهم فيكون بيانا لوجه تاخر العذاب عنهم مع تحقق ما يوجبه قوله تعالى **غير منقوص** حال موكدة من النصيب كقوله تعالى
ثم وليتم مدبرين وفائدته دفع توهم التجوز وجعلها مفيدة له لدفع احتمال كونه منقوصا في حد نفسه مبني على الذهول
عن كون العامل هو التوفية فتامل **ولقد آتينا موسى الكتاب** اي التورية **فاختلف فيه** اي في شانه وكونه من عند
الله تعالى فامن به قوم وكفر به آخرون فلا تبال باختلاف قومك فيما آتيناك من القرآن وقولهم لولا انزل عليه
كنز او جاء معه ملك وزعمهم انك افتريته **ولولا كلمة سبقت من ربك** وهي كلمة القضاء بانظارهم الى يوم القيمة
على حسب الحكمة الداعية الى ذلك **لقضي بينهم** اي لاوقع القضاء بين المختلفين **وقيل** بين قوم موسى عليه السلام
وليس بذاك **وانهم** اي وان كفار قومك اريد بعض من رجع اليهم ضمير بينهم للامن من الالباس **لفي شك** عظيم **منه**
اي من القرآن وان لم يجر له ذكر فان ذكر ايتاء كتاب موسى ووقوع الاختلاف فيه لا سيما بصدد التسلية ينادي بذكره خير
خفي **مريب** موقع في الريبة **وان كلا** التنوين عوض من المضاف اليه اي وان كل المختلفين فيه المومنين منهم والكا
وقرا ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل **لما ليوفينهم ربك اعمالهم** اي اجزية اعمالهم
واللام الاولى موطئة للقسم والثانية جواب للقسم المحذوف ولما مركبة من من الجارة وما الموصولة او الموصوفة
واصلها لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمع ثلث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين او لمن خلق او لمن فريق
والله ليوفينهم ربك **وقري** لما بالتخفيف على ان ما مزيدة للفصل بين اللامين والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم
الآية **وقرا** لما بالتنوين اي جميعا كقوله سبحانه اكلا لما **وقرا** ابي وان كل لما ليوفينهم على ان ان نافية ولما
بمعنى الا **وقد قري** به **انه بما يعملون** اي بما يعمله كل فرد من المختلفين من الخير والشر **خبير** بحيث لا يخفى
عليه شيء من جلائله ودقائقه وهو تعليل لما سبق من توفية اجزية اعمالهم فان الاحاطة بتفاصيل اعمال الفريقين
وما يستوجبه كل عمل بمقتضى الحكمة من الجزاء المخصوص توجب توفية كل ذي حق حقه ان خيرا فخير وان شرا فشر
فاستقم كما امرت لما بين في تضاعيف القصص المحكية عن الامم الماضية سوء عاقبة الكفر وعصيان الرسل
واشير الى ان حال هؤلاء الكفرة في الكفر والضلال واستحقاق العذاب مثل اولئك المعذبين وان نصيبهم من العذاب
واصل اليهم من غير نقص وان تكذيبهم للقرآن مثل تكذيب قوم موسى عليه السلام للتورية وانه لولا سبق كلمة القضاء
بتاخير عقوبتهم العامة كما نطق به قوله تعالى وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص ومواخذتهم التامة الى يوم القيمة
لفعل بهم ما فعل باباىهم من قبل وانهم يوفون نصيبهم كما يلوح به قوله تعالى وان كلا الآية وافراد توفية نصيب هؤلاء
بالذكر دون الاكتفاء باندراجها تحت بيان توفية اجزية اعمال الكفرة قاطبة حسبما يفصح عنه ما بعده من قوله وان
كل واحد الى آخره للمسارعة الى بيان تحتم وقوع عقوبتهم الموجبة قطعا والمبادرة الى قطع اطماعهم من الخلاص بالمرة غير منقوص

وان كل واحد من المومنين والكافرين يوفي جزاء عمله امر رسول الله صلي الله عليه وسلم بالاستقامة كما امر به في العقايد والاعمال
المشترك بينه وبين ساير المومنين ولاسيما الاعمال الخاصة به من تبليغ الاحكام الشرعية والقيام بوظايف النبوة وتحمل
اعباء الرسالة بحيث يدخل تحته ما امر به فيما سبق من قوله تعالي فلعلك تارك بعض ما يوحي اليك وضايق به صدرك
الاية وبالجملة فهذا الامر منتظم لجميع محاسن الاحكام الاصلية والفرعية والكمالات النظرية والعملية والخروج
عن عهدته في غاية ما يكون من الصعوبة ولذلك **قال رسول الله** صلي الله عليه وسلم شيبتني سورة هود وقوله تعالي
ومن تاب معك اي تاب من الشرك والكفر وشاركك في الايمان وهو المعني بالمعية وهو معطوف علي المستكن في قوله
فاستقم وحسن من غير تاكيد لمكان الفاصل القايم مقامه وفي الحقيقة هو من عطف الجملة علي الجملة اذ المعني وليستقم
من تاب معك **وقيل** هو منصوب علي انه مفعول معه كما قاله ابو البقا والمعني استقم مصاحبا لمن تاب معك
قوله تعالي **ولا تطغوا** ولا تنحرفوا عما حد لكم بافراط وتفريط فان كلا طرفي قصد الامور ذميم وانما سمي ذلك طغيانا وهو
تجاوز الحد تغليظا وتغليبا لحال ساير المومنين علي حاله عليه السلام **انه بما تعملون بصير** فيجازيكم علي ذلك وهو تعليل للامر
والنهي وفي الاية دلالة علي وجوب اتباع المنصوص عليه من غير انحراف بمجرد الراي فانه طغيان وضلال **واما** العمل بمقتضي
الاجتهاد التابع لعلل النصوص فذلك من باب الاستقامة كما امر علي موجب النصوص الامرة بالاجتهاد قوله تعالي **ولا
تركنوا** اي لا تميلوا ادني ميل **الي الذين ظلموا** اي الذين وجد منهم الظلم في الجملة ومدار النهي هو الظلم والجمع باعتبار
جمعية المخاطبين وما قيل من ان ذلك للمبالغة في النهي من حيث ان كونهم جماعة مظنة الرخصة في مداهنتهم انما يتم ان لو
كان المراد النهي عن الركون اليهم من حيث انهم جماعة وليس كذلك **فتمسكم** بسبب ذلك **النار** واذا كان حال الميل في الجملة
الي من وجد منه ظلم ما في الافضاء الي مساس النار هكذا فما ظنك بمن يميل الي الراسخين في الظلم والعدوان ميلا عظيما
ويتهالك علي مصاحبتهم ومنادمتهم ويلقي شراشره علي موانستهم ومعاشرتهم ويبتهج بالتزيي بزيهم ويمد عينيه الي زهرتهم
الفانية ويغبطهم بما اوتوا من القطوف الدانية وهو في الحقيقة من الجنة طفيف ومن جناح البعوض خفيف بمعزل
من ان يميل اليه القلوب ضعف الطالب والمطلوب والاية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب
الرسول صلي الله عليه وسلم ومن معه من المومنين للتثبيت علي الاستقامة التي هي العدل فان الميل الي احد طرفي الافراط
والتفريط ظلم علي نفسه او علي غيره **وقري** تركنوا علي لغة تميم وتركنوا علي صيغة البناء للمفعول من اركنه **وما لكم من
دون الله من اولياء** اي من انصار ينقذونكم من النار والجملة نصب علي الحالية من قوله فتمسكم النار ونفي الاولياء
ليس بطريق ان يكون لكل واحد منهم اولياء حتي يصدق مع ان يكون له ولي بل المكان لكم بطريق الانقسام الاحاد علي الاحاد
لكن لا علي معني نفي استقلال كل منهم بنصير بل علي معني نفي ان يكون لواحد منهم نصير بقرينة المقام **ثم لا تنصرون** من
جهة الله سبحانه وتعالي اذ قد سبق في حكمه ان يعذبكم بركونكم اليهم ولا يبقي عليكم وثم للتراخي رتبة كونهم غير منصورين
من جهة الله تعالي بعدما اوعدهم بالعذاب واوجبه عليهم ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفاء بمعني الاستبعاد فانه لما
بين ان الله تعالي معذبهم وان غيره لا ينقذهم انتج انهم لا ينصرون اصلا **واقم الصلوة طرفي النهار** اي غدوة وعشية
وانتصابه علي الظرفية لكونه مضافا الي الوقت **وزلفا من الليل** اي ساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا
قربه جمع زلفة عطف علي طرفي النهار **والمراد** بصلوتيهما صلاة الغداة والعصر **وقيل** الظهر موضع العصر لان
ما بعد الزوال عشي وبصلوة الزلف المغرب والعشاء **وقري** زلف بضمتين وضمة وسكون كيسر ويسر وزلفي
بمعني زلفة كقربي وقربة **ان الحسنات** التي من جملتها بل عمدتها ما امرت به من الصلوة قوله تعالي **يذهبن السيات** التي
قلما يخلو منها البشر اي يكفرنها **وفي الحديث** ان الصلوة الي الصلوة كفارة لما بينهما ما اجتنب الكباير **وقيل**
نزلت في ابي اليسر الانصاري اذ قبل امراة ثم ندم فاتي رسول الله صلي الله عليه وسلم فاخبره بما فعل **فقال** صلي الله
عليه وسلم انتظر امر ربي **فلما** صلي العصر قال اذهب فانها كفارة لما عملت او يمنعن من اقترافها كقوله تعالي ان الصلوة
تنهي عن الفحشاء والمنكر **ذلك** اشارة الي قوله تعالي فاستقم فما بعده **وقيل** الي القران **ذكري للذاكرين**

صلوة

اي عظة للمتقين **واصبر** علي مشاق ما امرت به في تضاعيف الاوامر السابقة واما ما نهي عنه من الطغيان والركون
الي الذين ظلموا فليس في الانتهاء عنه مشقة فلا وجه لتعميم الصبر له **اللهم** الا ان يراد به ما لا يمكن عادة خلو البشر عنه
من ادني ميل بحكم الطبيعة من الاستقامة المامور بها ومن يسير ميل بحكم البشرية الي من وجد منه ظلم ما فان في الاحتراز
عن امثاله من المشقة ما لا يخفي قوله تعالي **فان الله لا يضيع اجر المحسنين** اي يوفيهم اجور اعمالهم من غير بخس اصلا وانما عبر عن
ذلك بنفي الاضاعة مع ان عدم اعطاء الاجر ليس باضاعة حقيقة كيف لا والاعمال غير موجبة للثواب حتي يلزم من تخلفه عنها
ضياعها لبيان كمال نزاهته تعالي عن ذلك بتصويره بصورة ما يمتنع صدوره عنه سبحانه من القبايح وابراز الاثابة في معرض
الامور الواجبة عليه وانما عدل عن الضمير ليكون كالبرهان علي المقصود مع افادة فايدة عامة لكل من يتصف وهو تعليل للامر
بالصبر وفيه ايماء الي ان الصبر علي ما ذكر من باب الاحسان قوله تعالي **فلولا كان** فهلا كان قوله تعالي **من القرون** لكاينة
قوله تعالي **من قبلكم** علي راي من جوز حذف الموصول مع بعض صلته او كاينة من قبلكم **اولوا بقية** من الراي والعقل واولوا فضل
وخير وسميا بها لان الرجل انما يستبقي مما يخرجه عادة اجوده وافضله فصار مثلا في الجودة والفضل **ويقال** فلان من
بقية القوم اي من خيارهم **ومنه ما قيل** في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا **ويجوز** ان يكون البقية بمعني التقوي
كالتقية من التقوي اي فهلا كان منهم ذوو ابقاء علي انفسهم وصيانة لها من سخط الله تعالي وعقابه **يؤيده انه قري**
اولوا بقية وهو المرة من مصدر بقاه بقية اذا راقبه وانتظره اي اولوا مراقبة وخشية من عذاب الله كانهم ينتظرون نزوله
لاشفاقهم **ينهون عن الفساد في الارض** الواقع منهم حسبما حكي عنهم **الا قليلا ممن انجينا منهم** استثناء منقطع اي لكن
قليلا منهم انجيناهم لكونهم علي تلك الصفة علي ان من للبيان لا للتبعيض لان جميع الناجين ناهون فلا صحة للاتصال علي ظاهر الكلام
لانه يكون تخصيصا لاولي البقية علي النهي المذكور الا للقليل من الناجين منهم كما اذا قلت هلا قرا قومك القران الا الصلحاء منهم
مريدا لاستثناء الصلحاء من المحضضين علي القراءة نعم يصح ذلك ان جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض فكانه قيل ما كان
من القرون اولوا بقية الا قليلا منهم لكن الدفع هو الافصح حينئذ علي البدلية قوله تعالي **واتبع الذين ظلموا** بمباشرة
الفساد وترك النهي عنه **ما اترفوا فيه** اي انعموا من الشهوات واهتموا بتحصيلها اما المباشرون فقط واما المساهلون
فلما لهم في ذلك من نيل حظوظهم الفاسدة **وقيل** المراد بهم تاركوا النهي وانت خبير بانه يلزم منه عدم دخول مباشري
الفساد في الظلم والاجرام عبارة **وكانوا مجرمين** اي كافرين فهو بيان لسبب استيصال الامم المهلكة وهو فشو الظلم
واتباع الهوي فيهم وشيوع ترك النهي عن المنكرات مع الكفر **وقوله** واتبع عطف علي مضمر دل عليه الكلام اي لم ينهوا و
اتبع الخ فيكون العدول الي المظهر لادراج المباشرين معهم في الحكم والتسجيل عليهم بالظلم وللاشعار بعلية ذلك لما
حاق بهم من العذاب او علي استيناف يترتب علي قوله الا قليلا اي الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا من
مباشري الفساد وتاركي النهي عنه فيكون الاظهار مقتضي الظاهر **وقوله** وكانوا مجرمين عطف علي اترفوا اي اتبعوا الاتراف وكونهم
مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالاثام او اريد بالاجرام اغفالهم للشكر او علي اتبع اي اتبعوا شهواتهم وكانوا بذلك الاتباع
مجرمين **ويجوز** ان يكون اعتراضا وتسجيلا عليهم بانهم قوم مجرمين **وقري** واتبع اي اتبعوا جزاء ما اترفوا
فيكون الواو للحال **ويجوز** ان يفسر بالمشهورة ويعضده تقدم الانجاء **وما كان ربك ليهلك القري** اي ما صح وما
استقام بل استحال في الحكمة ان يهلك القري التي اهلكها حسبما بلغك انباؤها ويعلم من ذلك حال باقيها من القري
الظالمة واللام لتاكيد النفي وقوله تعالي **بظلم** اي ملتبسا به **قيل** هو حال من الفاعل اي ظالما لها والتنكير
للتفخيم والايذان بان اهلاك المصلحين ظلم عظيم **والمراد** تنزيه الله تعالي عن ذلك بالكلية بتصويره بصورة ما يستحيل
صدوره عنه تعالي والا فلا ظلم فيما فعله الله تعالي بعباده كاينا ما كان لما تقرر من قاعدة اهل السنة وقد مر تفصيله في سورة
ال عمران في قوله تعالي وان الله ليس بظلام للعبيد وقوله تعالي **واهلها مصلحون** حال من المفعول والعامل عامله ولكن لا باعتبار
تقييده بما وقع حالا من فاعله اعني بظلم لدلالته علي تقييد نفي الاهلاك ظلما بحال كون اهلها مصلحين ولا ريب في فساده بل
مطلقا عن ذلك **وقيل** المراد بالظلم الشرك والباء للسببية اي لا يهلك القري بسبب اشراك اهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق

فيما بينهم ولا يضمون الى شركهم فساداً آخر وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه تعالى ومن ذلك قدم الفقهاء
وعند تزاحم الحقوق حقوق العباد الفقراء على حقوق الله الغني الحميد وقيل الملك يبقى مع الشرك ولا يبقى مع الظلم وأنت
تدري ان مقام النهي عن المنكرات التي اقبحها الاشراك بالله لا يلائمه فان الشرك داخل في الفساد في الارض دخولاً اولياً ولذلك كان
ينهى كل من الرسل الذين قصت انباؤهم امته اولاً عن الاشراك ثم عن سائر المعاصي التي كانوا يتعاطونها فالوجه حمل الظلم على مطلق الفساد
الشامل للشرك وغيره من اصناف المعاصي وحمل الاصلاح على اصلاحه والاقلاع عنه بكون بعضهم متصدين للنهي عنه وبعضهم
متوجهين الى الاتعاظ غير مصرين على ما هم عليه من الشرك وغيره من انواع الفساد ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة مجتمعة على
الحق ودين الاسلام بحيث لا يكاد يختلف فيه احد ولكن لم يشأ ذلك فلم يكونوا متفقة على الحق ولا يزالون مختلفين في الحق اي مخالفين له
كقوله تعالى وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم الا من رحم ربك الا قوماً قد هداهم الله تعالى
بفضله الى الحق فاتفقوا عليه ولم يختلفوا فيه اي لم يخالفوه وحمله على مطلق الاختلاف الشامل لما يصدر من المحق والمبطل يأباه
الاستثناء المذكور وقوله تعالى ولذلك اي ولما ذكر من الاختلاف قوله عز وجل خلقهم اي الذين بقوا بعد الثنيا
وهم المختلفون فاللام للعاقبة او للرحم فالضمير لمن واللام في معناها او لهما معاً فالضمير للناس كافة واللام بمعنى
مجازي عام لكلا المعنيين قوله تعالى وتمت كلمة ربك اي وعيده وقيل او في قوله للملائكة لأملأن جهنم من الجنة والناس
اجمعين اي عصاتهما اجمعين لا من احدهما بقوله تعالى اخرج منها مذموماً مدحوراً لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم اجمعين
وقوله تعالى فالحق والحق اقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين كما سيأتي تحقيقه في سورة ص وكلاً اي وكل
نبأ فالتنوين عوض عن المضاف اليه نقص عليك نخبرك وقوله تعالى من انباء الرسل بيان لكل وقوله تعالى ما نثبت به
فؤادك بدل منه والاظهر ان يكون المضاف اليه المحذوف في كلا المفعول المطلق لنقص اي كل اقتصاص اي كل اسلوب من
اساليبه نقص عليك من انباء الرسل وقوله سبحانه ما نثبت به فؤادك مفعول نقص وفايدته التنبيه على ان المقصود بالاقتصاص
زيادة يقينه عليه الصلاة والسلام وطمانينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذية الكفار بالوقوف على تفاصيل
احوال الامم السالفة في تماديهم في الضلال وما لقي الرسل من جهتهم من مكابدة المشاق وجاءك في هذه السورة او الانباء المقصوصة
عليك الحق الذي لا محيد عنه وموعظة وذكرى للمؤمنين اي الجامع بين كونه حقاً في نفسه وكونه موعظة وذكرى للمؤمنين وليكون
الوصف الاول حالاً له في نفسه حلي باللام دون ما هو وصف له بالقياس الى غيره وتقديم الظرف اعني في هذه على الفاعل لان المقصود
بيان منافع السورة او الانباء المقصوصة فيها واشتمالها على ما ذكر من المنافع المفصلة لا بيان كون ذلك فيها لا في غيرها ولان عند
تأخير ما حقه التقديم تبقى النفس مترقبة فيتمكن فيها عند الورود فضل تمكن ولان في المؤخر نوع طول تخل تقديمه بتجاوب
اطراف النظم الكريم وقل للذين لا يؤمنون بهذا الحق ولا يتعظون به ولا يتذكرون اعملوا على مكانتكم انا على حالكم وجهتكم
التي هي عدم الايمان عاملون على حالنا وهو الايمان به والاتعاظ والتذكر به وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل
بكم نحو ما نزل بامثالكم من الكفرة ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فيرجع لا محالة امرك وامرهم اليه وقرئ
على البناء للفاعل من رجع رجوعاً فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك والفاء لترتيب الامر بالعبادة والتوكل على كون مرجع الامور
كلها الى الله عز وجل وفي تأخير الامر بالتوكل عن الامر بالعبادة اشعار بانه لا ينفع دونها كقوله تعالى وما ربك بغافل عما تعملون
فيجازيهم بموجبه وقرئ تعملون على تغليب المخاطب اي انت وهم فيجازي كلاً منك ومنهم بموجب الاستحقاق عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود اعطي عشر حسنات بعدد من صدق كل واحد من الانبياء المعدودين فيها
عليهم الصلاة والسلام وبعدد من كذبهم وكان يوم القيامة من السعداء بفضل الله سبحانه وتعالى والحمد لله رب العالمين

سورة يوسف مكية وهي مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر الكلام فيه وفي محله وفيما اريد بالاشارة والآيات والكتاب في قوله تعالى تلك آيات الكتاب
عين ما سلف في مطلع سورة يونس قوله تعالى المبين من ابان بمعنى بان اي الظاهر امره في كونه من عند الله تعالى وفي اعجازه بنوعيه

لا سيما الاخبار عن الغيب او الواضح معانيه للعرب بحيث لا يشتبه عليهم حقايقه ولا يلتبس لديهم دقايقه لنزوله على لغتهم
او بمعنى بين اي المبين لما فيه من الاحكام والشرايع وخفايا الملك والملكوت واسرار النشأتين في الدارين وغير ذلك من الحكم
والمعارف والقصص وعلى تقدير كون الكتاب عبارة عن السورة فابانته انباؤه عن قصة يوسف عليه السلام فانه قد روي
ان احبار اليهود قالوا لرؤساء المشركين سلوا محمداً صلى الله عليه وسلم لماذا انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة
يوسف عليه السلام ففعلوا ذلك فيكون وصف الكتاب بالابانة من براعة الاستهلال لما سيأتي ولما وصف الكتاب بما يدل
على الشرف الذاتي عقب ذلك بما يدل على الشرف الاضافي فقيل قوله تعالى انا انزلناه اي الكتاب المنعوت بما ذكر من النعوت
الجليلة فان كان عبارة عن الكل هو الاظهر الانسب بقوله تعالى قرآناً عربياً اذ هو المشهور بهذا الاسم المعروف بهذا النعت
المتبادر الى الفهم عند اطلاقهما فالامر ظاهر وان جعل عبارة عن السورة فتسميتها قرآناً لما عرفته فيما سلف والسر في ذلك
انه اسم جنس في الاصل يقع على الكل والبعض كالكتاب او لانه مصدر بمعنى المفعول اي انزلناه حال كونه مقروءاً بلغتكم
قوله تعالى لعلكم تعقلون اي لكي تفهموا معانيه طراً وتحيطوا بما فيه من البدايع خبراً وتطلعوا على انه خارج عن طوق
البشر منزل من عند خلاق القوى والقدر نحن نقص عليك اي نخبرك ونحدثك واشتقاقه من قص أثره اذا اتبعه
لان من يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئاً فشيئاً كما يقال تلا القرآن لانه يتبع ما حفظ منه آية بعد آية قوله تعالى احسن
القصص اي احسن الاقتصاص فنصبه على المصدرية وفيه بيان الواقع ايهام لما في اقتصاص اهل الكتاب من القبح والخلل
وترك المفعول اما للاعتماد على انفهامه من قوله عز وجل بما اوحينا اي بايحائنا قوله تعالى اليك هذا القرآن اي هذه
السورة فان كونها موحاة منبئ عن كون ما في ضمنها مقصوصاً والتعرض لعنوان قرآنيتها لتحقيق ان الاقتصاص ليس بطريق
الالهام او الوحي غير المتلو واما لظهوره من سؤال المشركين بتلقين علماء اليهود واحسنيته لانه قد اقتص على ابدع
الطرايق الرايعة الرايقة • واعجب الاساليب الفايقة اللايقة • كما لا يكاد يخفى على من طالع القصة من كتب الاولين
والآخرين • وان كان لا يميز الغث من السمين • ولا يفرق بين الشمال واليمين • وفي كلمة هذا ايماء الى مغايرة هذا
القرآن لما في قوله تعالى قرآناً عربياً بان يكون المراد بذلك المجموع قاطبة او نقص عليك احسن ما يقص من الانباء وهو قصة
آل يعقوب عليه السلام على ان القصص فعل بمعنى المفعول كالنبأ والخبر او مصدر سمي به المفعول كالخلق والصيد
ونصب احسن على المفعولية واحسنيتها لتضمنها من الحكم والعبر ما لا يخفى كمال حسنه وان كنت ان مخففة من الثقيلة
وضمير الشان اللازم اسمها المحذوف واللام فارقة والجملة خبر والمعنى وان الشان كنت من قبله من قبل ايحائنا اليك
هذه السورة لمن الغافلين عن هذه القصة لم يخطر ببالك ولم يقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى والتعبير
عن عدم العلم بالغفلة لاجلال شان النبي صلى الله عليه وسلم وان غفل عنه بعض الغافلين اذ قال يوسف نصب باضمار اذكر
وشروع في القصة انجازاً للوعد باحسن الاقتصاص او بدل من احسن القصص على تقدير كونه مفعولاً بدل اشتمال فان
اقتصاص الوقت المشتمل على المقصوص من حيث اشتماله عليه اقتصاص للمقصوص ويوسف اسم عبري لا عربي
لخلوه عن سبب آخر غير التعريف وفتح السين وكسرها على بعض القراآت بناء على التلقب به لا على انه مضارع
مبني للمفعول او الفاعل من آسف لشهادة المشهورة بعجمته لابيه يعقوب بن اسحق بن ابرهيم عليهم السلام وقد
روي عنه عليه الصلاة والسلام ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم يا ابت
اصله يا ابي فعوض عن الياء تاء التانيث لتناسبهما في الزيادة فلذلك قلبت هاء في الوقف على قراءة ابن كثير وابي عمرو
ويعقوب وكسرتها لانها عوض عن حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القرآن لانها حركة اصلها او لان الاصل يا ابتا فحذف
الالف وبقي الفتحة وانما لم يجوز يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الالفاظ المؤنثة
بالتاء من غير اعتبار التعويض وعدم تسكينها كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب
اني رأيت من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك هذا تأويل رؤياي لان الظاهر ان وقوع مثل هذه الامور البديعة
في عالم الشهادة لا تخصيص برؤيته دون رائي فتكون طامة كبرى لا تخفى على احد من الناس احد عشر كوكباً

والشمس والقمر رضي الله عنه ان يهوديا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني يا محمد عن النجوم التي راهن
يوسف عليه السلام فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام فاخبره بذلك فقال عليه
الصلاة والسلام اذا اخبرتك بذلك هل تسلم قال نعم قال عليه الصلاة والسلام جريان و
الطارق والزيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والصروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين راها يوسف
والشمس والقمر نزلن من السماء فسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها وقيل الشمس
والقمر ابواه وقيل ابوه وخالته والكواكب اخوته وانما اخر الشمس والقمر عن الكواكب ولاظهار مزيتهما و
شرفهما على سائر الطوالع بعطفهما عليها كما عطف في جبريل وميكائيل على الملائكة وقد جوز ان يكون الواو بمعنى
مع اي رايت الكواكب مع الشمس والقمر ولا يبعد ان يكون ذلك اشارة الى تاخر ملاقاته عليه السلام عن ملاقاته
لاخوته وعن وهب ان يوسف عليه السلام راى وهو ابن سبع سنين ان احدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في
الارض كهيئة الدارة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا
لاخوتك ثم راى وهو ابن اثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال لا تقصها عليهم
فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون
رايتهم لي ساجدين استيناف ببيان حالهم التي راهم عليها كانه سائل سال فقال كيف رايتهم فاجاب بذلك
وانما اجريت مجرى العقلاء في الضمير لوصفها بوصف العقلاء اعني السجود وتقديم الجار والمجرور لاظهار
العناية والاهتمام بما هو اهم مع ما في ضمنه من رعاية الفاصلة قال يا بني صغره للشفقة او لصغر
السن وهو ايضا استيناف مبني على سؤال من قال فماذا قال يعقوب بعد سماع هذه الرؤيا العجيبة وما عرف
يعقوب عليه السلام من هذه الرؤيا ان يوسف يبلغه الله تعالى مبلغا جليلا من الحكمة ويصطفيه للنبوة
وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل بآبائه الكرام خاف عليه حسد الاخوة وبغيهم فقال صيانة لهم من ذلك
وله من معانات المشاق ومقاساة الاحزان وان كان واثقا بان الله تعالى سيحققه ذلك لا محالة وطمعا
في حصوله بلا مشقة لا تقصص رؤياك هي ما في المنام كما ان الرؤية في اليقظة فرق بينهما بحرفي التانيث كما
في القربى والقربة وحقيقتها ارتسام الصورة المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها
انما يكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فيتصور
اي يتشكل بما فيها مما يليق من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى
الحس المشترك فيصير مشاهدة ثم اذا كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية
والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت اليه على اخوتك فيكيدوا نصب باضمار ان فيفعلوا لك
اي لاجلك ولاهلاكك كيدا متينا راسخا لا تقدر على تفصي عنه او خفيا عن فهمك لا تتصدى لمدافعته وهذا
اوفق بمقام التحذير وان كان يعقوب عليه السلام يعلم انهم ليسوا بقادرين على تحويل ما دلت الرؤيا على وقوعه
وهذا الاسلوب اكد من ان يقال فيكيدوك كيدا اذ ليس فيه دلالة على كون نفس الفعل مقصود الايقاع وقد قيل
انما جيء باللام لتضمينه معنى الاحتيال المتعدي باللام ليفيد معنى المضمن والمضمن فيه للتاكيد اي فيحتالوا لك ولا
حيلة وكيدا والمراد باخوته هاهنا الذين يخشى غوائلهم ومكايدهم من بني علاته الاحد عشر وهم يهوذا وروبيل
وشمعون ولاوي وزبالون ويشجر ودينة من بني يعقوب من ليا بنت خالته ودان ونفتالي وجاد واشر
بنوه من سريتين زلفة وبلهة وهؤلاء المشار اليهم بالكواكب الاحد عشر واما بنيامين الذي هو شقيق
يوسف عليه السلام وامهما راحيل التي تزوجها يعقوب عليه السلام بعد وفات اختها ليا او في حياتها اذ لم يكن
جمع الاختين اذ ذاك محرما فليس بداخل تحت هذا النهي لا يتوهم مضرته ولا يخشى معرته ولم يكن معدودا معهم في
الرؤيا اذ لم يكن معهم في السجود ليوسف والمراد نهيه عن اقتصاص الرؤيا عليهم كلا او بعضا ان الشيطان

هلاكك

للانسان

للانسان عدو مبين ظاهر العداوة فلا يالو جهدا في اغواء اخوتك واضلالهم وحملهم على ما لا خير فيه وهو استيناف
كان يوسف عليه السلام قال كيف يصدر ذلك عن اخوتي الناشئين في بيت النبوة فقيل ان الشيطان يحملهم على ذلك
ولما نبهه عليهما السلام على ان الرؤيا شانا عظيما يستتبع منافع وحذره اشاعتها المؤدية الى ان يحول اخوته بينها وبين ظهور
اثارها وحصولها ان يوجد او سيل وصولها شرع في تعبيرها وتاويلها على وجه اجمالي فقال وكذلك اي ومثل ذلك
الاجتباء البديع الذي شاهدت اثاره في عالم المثال من سجود تلك الاجرام العلوية النيرة لك ويحببه وعلى وفقه
يجتبيك ربك يختارك لجناب كبريائه ويستنبئك افتعال من جباه اذا جمعه ويصطفيك على سائر الخلائق وسراة الناس
قاطبة ويبرز مصداق تلك الرؤيا في عالم الشهادة حسبما عاينته من غير قصور والمراد بالتشبيه بيان المضاهاة
المتحققة بين الصور المرئية في عالم المثال وبين ما هو هي صورها واشباحها له من الكائنات الظاهرة بحسبها في عالم الشهادة
اي كما سخرت لك تلك الاجرام العظام يسخر لك وجوه الناس ونواصيهم مذعنين لطاعتك خاضعين لك على وجه الاستكانة
ومراده بيان لطاعة ابويه واخوته له لكنه انما لم يصرح به حذرا عن اذاعته قوله تعالى ويعلمك كلام مبتدا غير داخل تحت
التشبيه اراد به عليه السلام تاكيد مقالته وتحقيقها وتوطين نفس يوسف عليه السلام بما اخبر به على طريقة التعبير
والتاويل كانه قال ويعلمك قوله تعالى من تاويل الاحاديث اي على ان يكون من لبيان ذلك الجنس من العلوم على ان يكون للتبعيض
او طرفا صالحا منه فتطلع على حقيقة ما اقول ولا يخفى ما فيه من تاكيد ما سبق على تلقي ما سياتي بالقبول والمراد بتاويل الاحاديث تعبير
الرؤيا اذ هي احاديث الملك ان كانت صادقة او احاديث النفس او الشيطان ان لم يكن كذلك والاحاديث اسم جمع للحديث كالاباطيل
اسم جمع للباطل لا جمع احدوثة وقيل كانهم جمعوا الجمع على احاديث كقطيع واقطعة واقاطيع وتسمية التعبير تاويلا لانه
جعل المرئي آيلا الى ما يذكره المعبر بصدد التعبير ورجعه اليه فكانه عليه السلام اشار بذلك الى ما سيقع من يوسف عليه
السلام من تعبير رؤيا صاحبي السجن ورؤيا الملك وكون ذلك ذريعة الى ما يبلغه الله تعالى اليه من الرياسة العظمى التي عبر
عنها باتمام النعمة وانما عرف يعقوب عليه السلام ذلك منه عليهما السلام من جهة الوحي او اراد كون هذه الخصلة سببا
لظهور امره عليه السلام على الاطلاق فيجوز حينئذ ان يكون معرفته عليه السلام بذلك بطريق الفراسة والاستدلال
من الشواهد والدلائل والامارات والمخايل بان من وفقه الله تعالى بمثل هذه الرؤيا لا بد من توفيقه لتعبيرها وتاويل امثالها
وتمييز ما هو افاقي منها مما هو انفسي كيف لا وهي تدل على كمال تمكن نفسه عليه السلام في عالم المثال وقوة تصرفاتها فيكون
اقبل لفيضان المعارف المتعلقة بذلك العالم وبما يحاكيه من الامور الواقعة بحسبها في عالم الشهادة واوفى وقوفا على النسب
الواقعة بين الصور المعاينة في احد ذينك العالمين وبين الكائنات الظاهرة على وفقها في العالم الاخر وان هذا الشان
البديع لا بد ان يكون انموذجا لظهور امر من الصف بر ومدار الجريان احكامه فان لكل نبي من الانبياء عليهم السلام معجزة بها
يظهر اثاره ويجري احكامه ويتم نعمته عليك بان يضم النبوة المستفادة من الاجتباء الى الملك ويجعله تتمة وتوسيط ذكر
التعليم المذكور بينهما لكونه من لوازم النبوة والاجتباء ولرعاية ترتيب الوجود الخارجي ولما اشرنا اليه من كون اثره وسيلة الى تمام
النعمة ويجوز ان يعد نفس الرؤيا من نعم الله تعالى عليه فيكون جميع النعم الواصلة اليه بحسبها مصداقها تماما لتلك
النعمة وعلى آل يعقوب وهم اهله من بنيه وغيرهم فان رؤية يوسف عليه السلام اخوته كواكب يهتدي بانوارها من
نعم الله تعالى عليهم لدلالتها على مصير امرهم الى النبوة فيقع كلما يخرج من القوة الى الفعل من كمالاتهم بحسب ذلك تماما لتلك
النعمة لا محالة واما اذا اريد بتمام النعمة الملك فكونه كذلك بالنسبة اليهم باعتبار انهم يغتنمون اثاره من العز والجاه والمال
كما اتمها على ابويك على نصب المصدر اي ويتم نعمته عليك اتماما كائنا كاتمام نعمته على ابويك وهي نعمة الرسالة والنبوة
واتمامها على ابرهيم عليه السلام باتخاذه خليلا والجائه من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحق بالجائه من الذبح على احدى الروايتين
وفدائه بذبح عظيم وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه وكل ذلك نعم جليلة وقعت تتمة لنعمة النبوة ولا يجب في تحقيق
التشبيه كون ذلك في جانب المشبه به مثل ما وقع في جانب المشبه من كل وجه من قبل اي من قبل هذا الوقت او من قبلك
ابرهيم واسحق عطف بيان لابويك والتعبير عنهما بالاب مع كونهما اباء جده واباء ابيه للاشعار بكمال ارتباطه بالانبياء

باطيل

الكرام عليهم السلام وتذكير معنى الولد سرابيه ليطمئن قلبه عما اخبر به في ضمن التعبير الاجمالي لرؤياه والاقتصار في المشبه به على ذكر اتمام
النعمة من غير تعرض للاجتباء من باب الاكتفاء فان اتمام النعمة يقتضي سابقة النعمة المستدعية للاجتباء لا محالة ان ربك استيناف
لتحقيق مضمون الجمل المذكورة اي يفعل ما ذكر لانه عليم بكل شيء فيعلم من يستحق الاجتباء وما يتفرع عليه من التعليم المذكور واتمام
النعمة العامة على الوجه المذكور حكيم فاعل لكل شيء حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة فيفعل ما يفعل كما يفعل جريا على سنن علمه وحكمته و
والتعرض لعنوان الربوبية في الموضعين لتربية تحقق وقوع ماذكر من الافاعيل وهي الاجتباء وتعليم تاويل الاحاديث واتمام النعمة
هذا وقد قيل في تفسير الاية الكريمة اي وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس يجتبيك ربك للنبوة والملك
اولامور عظام ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الاخرة حيث جعلهم في الدنيا انبياء وملوكا ونقلهم عنها
الى الدرجات العلى في الجنة كما اتمها على ابويك بالرسالة فتامل والله الهادي لقد كان في يوسف واخوته اي في قصتهم والمراد
بهم هاهنا اما جميعهم فان لبنيامين ايضا حصة من القصة او بنوا علاته المعدودون فيما سلف او عليهم يدور رحاها
ايات علامات عظيمة الشان دالة على قدرة الله تعالى القاهرة وحكمته الباهرة للسائلين لكل من سال عن قصتهم
وعرفها او الطالبين للايات المعتبرين بها فانهم الواقفون عليها والمنتفعون بها دون من عداهم ممن اندرج تحت قوله تعالى وكاين
من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فالمراد بالقصة نفس المقصوص او على نبوته صلى الله عليه وسلم لمن
سال من المشركين او اليهود عن قصتهم فاخبرهم بذلك على ما هي عليه من غير سماع من احد ولا ممارسة شيء من الكتب فالمراد بها اقتصاصها
وجمع الايات حينئذ للاشعار بان اقتصاص كل طائفة من القصة اية بينة كافية في الدلالة على نبوته صلى الله عليه وسلم على نحو ما
ذكر في قوله تعالى مقام ابرهيم على تقدير كونه عطف بيان لقوله تعالى ايات بينات لا لما قيل من انه لتعدد جهة الاعجاز لفظا
ومعنى وقرا ابن كثير اية وفي بعض المصاحف عبرة وقيل انما قص الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم خبر يوسف
واخوته عليه لما راى من بغي قومه عليه ليتاسى بهم اذ قالوا ليوسف واخوه اي شقيقه بنيامين وانما لم يذكر باسمه تلويحا بان مدار
المحبة اخوته ليوسف من الطرفين الا يرى الى انهم اكتفوا باخراج يوسف من البين من غير تعرض له حيث قالوا اقتلوا يوسف
احب الى ابينا منا وحد الخبر مع تعدد المبتدا لان افعل من كذا لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمونث
نعم اذا عرف وجب الفرق واذا اضيف جاز الامران وفايدة لام الابتداء في يوسف تحقيق مضمون الجملة وتاكيده ونحن عصبة اي
والحال وانا جماعة قادرون على الحل والعقد احقاء بالمحبة والعصبة والعصابة العشرة من الرجال فصاعدا سموا بذلك لان
الامور تعصب بهم ان ابانا في ترجيحهما علينا في المحبة مع فضلنا عليهما وكونهما بمعزل من كفاية الامور بالصغر والقلة
لفي ضلال اي ذهاب عن طريق التعديل اللايق وتنزيل كل منا منزلته مبين ظاهر الحال روي انه كان احب اليه لما
يرى فيه من مخايل الخير وكانت اخوته يحسدونه فلما راى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتضاعف حسدهم
حتى حملهم على مباشرة ما قص عنهم اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا من جملة ما حكى بعد قوله اذ قالوا وقد قاله بعض منهم مخاطبا
للباقين بقضية الضيعة فكانهم رضوا بذلك كما روي ان القايل شمعون او دان والباقون كانوا راضين الا من قال لا
تقتلوا الى اخره فجعلوا كانهم القايلون فادرجوا تحت القول المسند الى الجميع او قاله كل واحد منهم مخاطبا للبقية وهو
ادل على مسارعتهم الى ذلك القول وتنكير ارضا واخلاؤها من الوصف للابهام اي ارضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران
ولذلك نصبت نصب الظروف المبهمة يخل بالجزم جواب للامر اي يخلص لكم وجه ابيكم فيقبل عليكم بكليته ولا يلتفت
عنكم الى غيركم ولا يساهمكم في محبته احد فذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم وتكونوا بالجزم عطفا على يخل او بالنصب على اضمار
ان او الواو بمعنى مع مثل قوله ولا تكتموا الحق وايثار الخطاب ذلكم وما بعده للمبالغة في حملهم على القبول فان اعتناء المرء
بشان نفسه واهتمامه بتحصيل منافعه اتم واكمل من بعده من بعد يوسف اي من بعد الفراغ من امره او قتله او طرحه
قوما صالحين تايبين الى الله تعالى عما جنيتم او صالحين مع ابيكم باصلاح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه او صالحين في
اموردنياكم بانتظامها بعده بخلو وجه ابيكم قال قايل منهم هو يهوذا وكان احسنهم فيه رايا وهو الذي قال فلن ابرح الارض
فقيل روبيل وهو استيناف مبني على سوال من سال وقال اتفقوا على ما عرض عليهم من خصلتي الضيع ام خالفهم في ذلك

كيف

احدفقيل

احدفقيل قال قايل منهم لا تقتلوا يوسف اظهره في مقام الاضمار استجلابا لشفقتهم عليه او استعظاما
لقتله وهو هو فانه روي انه قال لهم القتل عظيم ولم يصرح بنهيهم عن الخصلة الاخرى واحاله على اولوية
ما عرضه عليهم بقوله والقوه في غيابت الجب اي في قعره وغوره سمي بها لغيبته عن عين الناظر الجب البير التي لم
تطو بعد لانها ارض جبت جبا من غير ان يزاد على ذلك شيء وقرا نافع في غيابات الجب في الموضعين كان لتلك
الجب غيابات او اراد بالجب الجنس اي في بعض غيابات الجب وقري غيابات وغيبته يلتقطه ياخذه
على وجه الصيانة عن الضياع والتلف فان الالتقاط اخذ شيء مشرف على الضياع قوله تعالى بعض السيارة اي
بعض طايفة تسير في الارض واللام في السيارة كما في الجب وما فيهما وفي البعض من الابهام لتحقيق ما يتوخاه
من ترويج كلامه بموافقته لغرضهم الذي هو تنائي يوسف عنهم بحيث لا يدري اثره ولا يروى خبره وقري
يلتقطه على التانيث لان بعض السيارة سيارة كقوله شرقت صدر القناة من الدم ومنه قطعت بعض
اصابعه ان كنتم فاعلين يشيرون به لم يبت القول عليهم بل انما عرض عليهم ذلك تاليفا لقلبهم وتوجيها لهم
الى رايه وحذرا من نسبتهم له الى التحكم والافتيات او ان كنتم فاعلين ما ازمعتم عليه من ازالته من عند ابيه لا محالة
ولما كان هذا مظنة لسوال سائل يقول فماذا فعلوا بعد ذلك هل قبلوا منه ذلك ام لا فاجيب بطريق الاستيناف
على وجه ادرج في تضاعيفه قبولهم له بما سيجيء من قوله واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب فقيل قالوا يا ابانا
خاطبوه بذلك تحريكا لسلسلة النسب بينه وبينهم وتذكير الرابطة الاخوة بينهم وبين يوسف ليتسببوا بذلك
الى استنزاله عليه السلام عن رايه في حفظه منهم لما احس منهم بامارات الحسد والبغي فكانهم قالوا ما لك
اي اي شيء لك لا تامنا اي لا تجعلنا امنا على يوسف مع انك ابونا ونحن بنوك وهو اخونا وانا له لناصحون
مريدون له الخير ومشفقون عليه ليس فينا ما يخل بالنصيحة والمقة قط والقراءة المشهورة بالادغام والاشمام
وعن نافع ترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام ارسله معنا غدا الى الصحراء يرتع اي يتسع في اكل الفواكه
ونحوها فان الرتع هو الاتساع في الملاذ ويلعب بالاستباق والتناضل ونظايرهما مما يعد من باب التاهب
للغزو وانما عبروا عن ذلك باللعب لكونه على هيئته تحقيقا لما راموه من استصحاب يوسف عليه السلام بتصويره
له بصورة ما يلايم حاله عليه السلام وقري نرتع ونلعب بالنون وقرا ابن كثير نرتع من ارتعى ونافع
بالكسر والياء فيه وفي يلعب وقري يرتع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء
وانا له لحافظون من ان يناله مكروه اكدوا مقالتهم باصناف التاكيد من ايراد الجملة اسمية وتحليتها بان واللام
واسناد الحفظ الى كلهم وتقديم له على الخبر احتياطا لانه في تحصيل مقصدهم قال استيناف مبني على سوال
من يقول فماذا قال يعقوب عليه السلام فقيل قال اني ليحزنني اللام للابتداء كما في قوله عز وجل ان ربك
ليحكم بينهم ان تذهبوا به لشدة مفارقته علي وقلة صبري عنه ومع ذلك واخاف ان ياكله الذيب لان الارض
كانت مذابة والحزن الم القلب بفوت المحبوب والخوف انزعاج النفس لنزول المكروه ولذلك اسند الاول
الى الذهاب به المفوت لاستمرار مصاحبته ومواصلته ليوسف والثاني الى ما يتوقع نزوله من اكل الذيب
وقيل راى في المنام انه قد شد عليه السلام ذيب وكان يحذره فقال ذلك وقد لقنهم العلة
ان البلاء موكل بالمنطق وقرا ابن كثير ونافع في رواية الترمذي بالهمز على الاصل وابو عمرو وقفا
وعاصم وابن عامر وحمزة درجا وقيل اشتقاقه من ذايب الريح اذا هاجت من كل جانب وقال
الاصمعي الامر بالعكس وهو اظهر لفظا ومعنى وانتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب او لقلة اهتمامكم
بحفظه قوله تعالى قالوا لئن اكله الذيب ونحن عصبة اي والحال انا جماعة كثيرة جديرة بان يعصب بنا الامور
العظام ونكفي الخطوب بارائنا واللام الداخلة على الشرط موطية للقسم وقوله تعالى انا اذا لخاسرون
جواب مجزي عن الجزاء اي انا لكون ضعفا وخورا وعجزا او مستحقون للهلاك ولا غناء عندنا ولا جدوى في

له

م

برهم

وتدبيرنا

حيانتنا اومستحقون لان يدعى علينا بالخسار والدمار ويقال خسرهم الله ودمرهم حيث اكل الذيب بعضهم وهم حضور
وقيل ان لم نقدر على حفظه وهو اعز شيء عندنا فقد هلكت مواشينا اذا وخسرناها وانما اقتصروا على جواب خوف
يعقوب عليه السلام من اكل الذيب لانه السبب القوي في المنع دون الحزن لقصر مدته بناء على انهم ياتونه عن قريب فلما
ذهبوا به واجمعوا اي ازمعوا ان يجعلوه مفعول لاجمعوا يقال اجمع الامر ومنه فاجمعوا امركم ولا يستعمل ذلك الا في الافعال
التي قويت الدواعي الى فعلها في غيابت الجب قيل هو بير بارض الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلثة
فراسخ من منزل يعقوب عليه السلام بكنعان التي هي من نواحي الاردن كما ان مدين كذلك واما ما يقال من انها بين بيت
المقدس فيرده التعليل بالتقاط السيارة ومجيئهم اباهم عشاء ذلك اليوم فان بين منزل يعقوب عليه السلام وبين بيت
المقدس مراحل وجواب لما محذوف ايذانا بظهوره واشعارا بان تفصيله لا يحويه فلك العبارة ومجمله فعلوا به من الاذية
ما فعلوا يروى انهم لما برزوا الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا
اما عاهدتموني ان لا تقتلوه فاتوا به البير فتعلق بثيابهم فنزعوها من يديه فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا
قميصه لما عزموا عليه من تلطيخه بالدم احتيالا لابيه فقال يا اخوتاه ردوا على قميصي اتوارى به فقالوا ادع الشمس والقمر
والاحد عشر كوكبا تونسك فدلوه فيها فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البير ماء فسقط فيه ثم آوى الى صخرة فقام عليها
وهو يبكي فنادوه وظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه فمنعهم يهوذا وكان ياتيه بالطعام كل يوم ويروى
ان ابرهيم عليه السلام حين القي في النار وجرد عن ثيابه اتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابرهيم
الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة وعلقها في عنق يوسف فجاءه جبريل عليه السلام فاخرجه من التميمة
فالبسه اياه واوحينا اليه عند ذلك تبشيرا له بما يؤول اليه امره وازالة لوحشته وايناسا قيل كان ذلك قبل ادراكه
كما اوحي الى يحيى وعيسى وقيل كان اذ ذاك مدركا قال الحسن كان له سبع عشرة سنة لتنبئنهم بامرهم هذا اي لتخلصن
مما انت فيه من سوء الحال وضيق المجال ولتحدثن اخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون بانك يوسف لتباين حالك هذا وحالك
يومئذ لعلو شانك وكبرياء سلطانك وبعد حالك عن اوهامهم وقيل لبعد العهد المبدل للهيئات المغير للاشكال
والاول ادخل في التسلية روي انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يديه
ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الصاع انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به
والقيتموه في غيابة الجب وقلتم لابيكم اكله الذيب وبعتموه بثمن بخس ويجوز ان يتعلق وهم لا يشعرون بالايحاء على
معنى انا انسناه وازلنا عن قلبه الوحشة التي اورثوه وهم لا يشعرون بذلك ويحسبون انه مرهق مستوحش لا
انيس له وقرئ لننبئنهم بالنون على انه وعيد لهم فقوله وهم لا يشعرون متعلق باوحينا لا غير وقوله تعالى وجاءوا
اباهم عشاء اخر النهار وقرئ عشيا وهو تصغير عشي وعشى بالضم والقصر جمع اعشى اي عشوا من البكاء قوله
عز وجل يبكون متباكين روي انه لما سمع يعقوب عليه السلام فزع وقال ما لكم يا بني واين يوسف قوله تعالى قالوا
يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي متسابقين في العدو او الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل
ونظائرهما قوله تعالى وتركنا يوسف عند متاعنا اي ما نتمتع به من الثياب والازواد وغيرهما قوله تعالى فاكله الذيب
عقيب ذلك من غير مضي زمان يعتاد فيه التفقد والتعهد حيث لا يكاد يطرح المتاع عادة الا في مقام يومن فيه
الغوائل لم نعد تركه عنده عليه السلام من باب الغفلة وترك الحفظ الملتزم لا سيما اذا لم يرجوه ولم يغيبوا عنه فكانهم
قالوا انا لم نقصر في محافظته ولم نغفل عن مراقبته بل تركناه في مامننا ومجمعنا بمرأى منا لان ميدان السباق
لا يكون عادة الا بحيث يتراءى غايتاه وما فارقناه الا ساعة يسيرة وبيننا وبينه مسافة قصيرة فكان ما كان
قوله تعالى وما انت بمؤمن لنا بمصدق لنا في هذه المقالة الدالة على عدم تقصيرنا في امره ولو كنا عندك وفي اعتقادك
قوله تعالى صادقين موصوفين بالصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وانت سيء الظن بنا غير واثق
بقولنا وكلمة لو في امثال هذه المواقع لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفي في كل حال

معروض

مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه
معه ثبوته او انتفاؤه مع غيره من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره
اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة
لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وقد مر تفصيله في سورة البقرة عند قوله تعالى اولو كان اباؤهم لا يعقلون
شيئا ولا يهتدون وفي سورة الاعراف عند قوله تعالى اولو كنا كارهين قوله تعالى وجاءوا على قميصه محله النصب
على الظرفية من قوله بدم اي جاءوا فوق قميصه بدم كما تقول جاء على جماله باحمال او على الحالية منه والخلاف في
تقدم الحال على المجرور فيما اذا لم يكن الحال ظرفا كذب مصدر وصف به الدم مبالغة او مصدر بمعنى المفعول اي
مكذوب فيه او بمعنى ذي كذب اي ملابس للكذب وقرئ كذبا على انه حال من الضمير اي جاءوا كاذبين او مفعول له وقرأت
عائشة رضي الله عنها بالدال المهملة اي كدر وقيل طري قال ابن جني اصله من الكدب وهو الفوف الذي يخرج على اظفار
الاحداث كانه دم قد اثر في قميصه وقيل انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم ان يمزقوه فلما سمع يعقوب بخبر
يوسف عليهما السلام صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله
ما رايت كاليوم ذيبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف عليه السلام ثلث آيات كان
دليلا ليعقوب على كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليل على براءة يوسف عليه السلام حين قد من دبر قال استيناف
مبني على سوال فكانه قيل ما قال يعقوب هل صدقهم فيما قالوا ام لا فقيل قال لم يكن ذلك قوله تعالى بل سولت لكم انفسكم اي زينت
وسهلت قاله ابن عباس رضي الله عنهما والتسويل تقدير شيء في النفس مع الطمع في اتمامه قال الازهري كان التسويل
تفعيل من سول الانسان وهو امنيته التي يطلبها فتزين لطالبها الباطل وغيره واصله مهموز وقيل من السول وهو الاسترخاء
امرا من الامور منكرا لا يوصف ولا يعرف فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل وامثل وفي الحديث
الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه اي الى الخلق والا فقد قال يعقوب عليه السلام انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل
سقط حاجباه على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا قال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله عز وجل اليه يا يعقوب
قال يا رب خطيئة فاغفرها لي وقرئ اي فصبرا جميلا قوله عز وجل والله المستعان اي المطلوب منه العون وهو انشاء منه
عليه السلام للاستعانة المستمرة على ما تصفون على اظهار حال ما تصفون وبيان كونه كذبا واظهار سلامته فانه علم في
الكذب قال سبحانه وتعالى سبحان ربك رب العزة عما يصفون وهو الاليق بما سيجيء من قوله تعالى فصبر جميل عسى الله ان ياتيني
بهم جميعا وتفسير المستعان عليه باحتمال ما يصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه كما اشير وجاءت شروع في بيان
ما جرى على يوسف في الجب بعد الفراغ عن ذكر ما وقع بين اخوته وبين ابيه والتعبير بالمجيء ليس بالنسبة الى مكانهم فان كنعان ليس
بالجانب المصري من مدين بل الى مكان يوسف وفي ايثاره على المرور او الاتيان او نحوهما ايماء الى كونه عليه السلام في الكرامة
والزلفى عند مليك مقتدر والظاهر ان الجب كان في الامم السالفة فان المتبادر من اسناد المجيء الى السيارة مطلقا في قوله عز وجل
سيارة اي رفقة تسير من جهة مدين الى مصر وقوعه باعتبار سيرهم المعتاد وهو الذي يقتضيه قوله تعالى فيما سلف
يلتقطه بعض السيارة وقد قيل انه كان في قفرة بعيدة من العمران لم يكن الا للرعاة فاخطاوا الطريق فنزلوا قريبا منه وقيل
كان ماؤه ملحا فعذب حين القي فيه يوسف عليه السلام قوله تعالى فارسلوا واردهم الذي يرد الماء ويستقي لهم وكان ذلك مالك
ابن دعر الخزاعي وانما لم يذكر منتهى الارسال كما لم يذكر منتهى المجيء اعني الجب للايذان بان ذلك معهود لا يضرب عنه الذكر صفحا فادلى
دلوه اي ارسلها الى الجب والحذف لما عرفته فتدلى بها يوسف فخرج قال استيناف مبني على سوال يقتضيه الحال قوله
تعالى يا بشراي هذا غلام كانه نادى البشرى وقال تعالى فهذا اوانك حيث فاز بنعمة واي نعمة مكان ما يوجد مباحا من الماء وقيل
هو اسم صاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشراي وامال فتحة الراء حمزة والكسائي وقرأ
ورش بين اللفظين وقرئ يا بشري بالادغام وهي لغة وبشري على قصد الوقف قوله تعالى واسروه اي
اخفاه الوارد واصحابه عن بقية الرفقة وقيل اخفوا امره ووجدانهم له في الجب وقالوا لهم دفعه اهل الماء لنبيعه لهم

بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهوذا كان ياتيه كل يوم بطعام فاتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر
اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا ابق منا فاشتروه منهم وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه ولا يخفى ما فيه
من البعد بضاعة نصب على الحالية اي اخفوه حال كونه بضاعة اي متاعا للتجارة فانها قطعة من المال يضعت عنه
اي قطعت للتجارة والله عليم بما يعملون وعيدلهم على ما صنعوا من جعلهم مثل يوسف وهو عرضة للابتذال بالبيع
والشرى وما دتروايح ذلك من الحمل وشروه اي باعوه والضمير للوارد واصحابه قوله تعالى بثمن بخس زيف ناقص
العيار دراهم بدل من ثمن اي لا دنانير معدودة اي غير موزونة فهو بيان لقلته ونقصانه مقدارا بعد بيان
نقصانه في نفسه اذ المعتاد فيما لا يبلغ اربعين العد دون الوزن فعن ابن عباس رضي الله عنهما انها كانت
عشرين درهما وعن السدي انها كانت اثنين وعشرين درهما وكانوا اي البايعون فيه في يوسف قوله تعالى من
الزاهدين من الذين لا يرغبون فيها بايديهم فلذلك باعوه بما ذكر من الثمن البخس وسبب ذلك انهم التقطوه والملتقط
للشيء متهاون به اوغيروا توا بامره يخاف ان يظهر له مستحق فينتزعه منه فيبيعه من اول مساوم باوكس
ثمن ويجوز ان يكون معنى شروه من اخوته على ما حكي وهم غير راغبين في شراء مخشية ذهاب مالهم لما طن ادنهم
من الاباق والعدول عن صيغة الانفعال المبنية لما مر ان اخذهم انما كان بطريق البضاعة دون الاجتباء والاقتناء
وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وبيان لما زهدوا فيه ان جعلت موصولة كانه قيل في اي شيء
زهدوا فقيل زهدوا فيه لان ما يتعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول وقال الذي اشتراه من مصر وهو العزيز الذي
كان على خزائنه واسمه قطفير او اطفير وبيان كونه من مصر لتربية ما يتفرع عليه من الامور مع الاشعار
بكونه غير من اشتراه من الملتقطين بما ذكر من الثمن البخس وكان الملك يومئذ الريان بن الوليد العمليقي ومات في
حيوة يوسف عليه السلام بعد ان آمن به فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه الى الاسلام فابى وقيل
كان الملك في ايامه فرعون موسى عليه السلام عاش اربعمائة سنة لقوله عز وجل ولقد جاءكم يوسف
من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف عليه السلام والاية من قبيل خطاب الاولاد
باحوال الاباء واختلف في مقدار ما اشتراه به العزيز فقيل بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين
ابيضين وقيل ادخلوه في السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا ووزنه ورقا
ووزنه حريرا فاشتراه قطفير بذلك المبلغ وكان سنه اذ ذاك سبع عشرة سنة واقام في منزله مع ما مر عليه
من مدة لبثه في السجن ثلث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلاثين سنة واتاه العلم والحكمة وهو
ابن ثلث وثلثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة لامرأته راعيل او زليخا وقيل اسمها هو الاول
والثاني لقبها واللام متعلقة بقال لا باشتراه اكرمي مثواه اجعلي محل اقامته كريما مرضيا والمعنى احسني تعهده
قوله تعالى عسى ان ينفعنا في ضياعنا واموالنا ونستظهر به في مصالحنا او نتخذه ولدا اي نتبناه وكان ذلك
لما تفرس فيه من مخايل الرشد والنجابة ولذلك قيل افرس الناس ثلثة عزيز مصر وابنة شعيب التي
قالت يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنهما وكذلك نصب على المصدرية وذلك اشارة
الى ما يفهم من كلام العزيز وما فيه من معنى البعد لتفخيمه اي مثل ذلك التمكين البديع مكنا ليوسف في الارض
اي جعلنا له فيها مكانا يقال مكنه اي اثبته فيه ومكن له فيه اي جعل له فيه مكانا ولتقاربهما وتلازمهما
يستعمل كل منهما في محل الاخر قال عز وجل وكم اهلكنا قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم اي ما لم نمكنكم
فيها او مكناهم في الارض والمعنى كما جعلنا له مثوى كريما في منزل العزيز ومكانا عليا في قلبه حتى امر امرأته
دون سائر حواشيه باكرام مثواه جعلنا له مكانة رفيعة في ارض مصر ولعله عبارة عن جعله وجيها فيما بين اهلها
ومحببا في قلوبهم كافة كما في قلب العزيز لانه الذي يؤدي الى الغاية المذكورة في قوله تعالى ولنعلمه من تاويل الاحاديث
اي نوفقه لتعبير بعض المنامات التي عمدتها رويا الملك وصاحبي السجن لقوله تعالى ذلكما مما علمني ربي سولجعلنا محبوبا

علي غاية

غاية مقدرة ينساق اليها الكلام ويستدعيها النظام كانه قيل ومثل ذلك التمكين مكنا ليوسف في الارض وجعلنا
قلوب اهلها كافة محال محبته ليترتب عليه ما ترتب مما جرى بينه وبين امرأة العزيز ولنعلمه بعض تاويل الاحاديث وهو
تاويل الرؤيا المذكورة فيؤدي ذلك الى الرياسة العظمى ولعل ترك المعطوف عليه للاشعار بعدم كونه مرادا بالذات او
جعلناه علة لمعلل محذوف كانه قيل ولهذه الحكمة البالغة فعلنا ذلك التمكين دون غيرها مما ليس له عاقبة حميدة هذا
ولا يخفى عليك ان الذي عليه يدور هذه الامور انما هو التمكين في جانب العزيز واما التمكين في جانب الناس كافة فتاديته
الى ذلك انما هي باعتبار اشتماله على ذلك التمكين فاذن الحق ان يكون ذلك اشارة الى مصدر قوله مكنا ليوسف على ان يكون
هو عبارة عن التمكين في قلب العزيز او في منزله وكون ذلك تمكينا في الارض بملابسة انه عزيز فيها لا عن تمكين اخر يشبه
به كما مر في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا من ان ذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعد لا الى جعل اخر يقصد
تشبيه هذا الجعل به فالكاف مقحم للدلالة على فخامة الشان المشار اليه افخاما لا يدرك في لغة العرب ولا في غيرها ومن
ذلك قولهم مثلك لا يبخل وهكذا ينبغي ان يحقق المقام واما التمكين بمعنى جعله ملكا يتصرف في ارض مصر بالامر
والنهي فهو من اثار ذلك التعليم ونتايجه المتفرعة عليه كما عرفته لا من مباديه فلا سبيل الى جعله غاية له ولم يعهد
منه عليه السلام في تضاعيف قضايا العمل بموجب المنامات المنبهة على الحوادث قبل وقوعها عهدا مصححا لجعله غاية
لولايته وما وقع من التدارك في امر السنين فانما هو عمل بموجب الرؤيا السابقة المعهودة اللهم الا ان يراد بتعليم
تاويل الاحاديث ما سيتحقق من تفهيم غوامض اسرار الكتب الالهية ودقايق سنن الانبياء عليهم السلام فيكون المعنى
حينئذ مكناه في ارض مصر ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه معاني كتب الله تعالى واحكامها ودقايق سنن الانبياء فيقضي
بها فيما بين اهلها والتعليم الاجمالي لتلك المعاني والاحكام وان كان غير متاخر عن تمكينه بذلك المعنى الا ان تعليم كل معنى
شخصي يتفق في ضمن الحوادث والارشاد الى الحق في كل نازلة من النوازل متاخر عن ذلك صالح لان يكون غاية له قوله تعالى والله غالب
على امره لا يستعصي عليه امر ولا يمانعه شيء بل انما امره لشيء اذا اراد ان يقول له كن فيكون فيدخل في ذلك شؤونه المتعلقة
بيوسف دخولا اوليا او متول على امر يوسف لا يكله الى غيره وقد اريد به من الفتنة ما اريد مرة بعد مرة فلم يكن الا ما اراد الله
له من العاقبة الحميدة ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كذلك فياتون ويذرون زعما منهم ان لهم من الامر شيئا وانى لهم ذلك
وان الامر كله لله عز وجل او لا يعلمون لطايف صنعه وخفايا فضله ولما بلغ اشده اي منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو
سن الوقوف ما بين الثلثين الى الاربعين وقيل سن الشباب ومبداه بلوغ الحلم والاول هو الاظهر لقوله تعالى اتيناه حكما
حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس وفقها او نبوة وعلما اي تفقها في الدين وتنكيرهما للتفخيم اي حكما وعلما لا يكتنه
كنههما ولا يقادر قدرهما فهما ما اتاه الله تعالى عند تكامل قواه سواء كانا عبارة عن النبوة والحكم بين الناس او غيرهما كيف وقد
جعل ايتاؤهما جزاء لعمله عليه السلام حيث قيل قوله تعالى وكذلك اي مثل ذلك الجزاء العجيب نجزي المحسنين اي كل من يحسن
في عمله فيجب ان يكون ذلك بعد انقضاء العمل الحسنة التي من جملتها معاناة الاحزان والشدايد وقد فسر بعلم تاويل الاحاديث
ولا صحة له الا ان يخص بعلم تاويل رؤيا الملك فان ذلك حيث كان عند تناهي ايام البلاء صح ان يعد ايتاؤه من جملة الجزاء
واما رويا صاحبي السجن فقد لبث عليه السلام بعد تعبيرها في السجن بضع سنين وفي تعليق الجزاء المذكور بالمحسنين اشعار
بعلية الاحسان له وتنبيه على انه سبحانه انما اتاه ما اتاه لكونه محسنا في اعماله متقيا في عنفوان امره هل جزاء الاحسان الا
الاحسان قوله تعالى وراودته التي هو في بيتها رجوع الى شرح ما جرى عليه في منزل العزيز بعد ما امر امرأته باكرام مثواه و
قوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف الى هنا اعتراض جيء به انموذجا للقصة ليعلم السامع من اول الامر ان ما لقيه عليه السلام من
الفتن التي ستحكى بتفاصيلها له غاية جميلة وعاقبة حميدة وانه عليه السلام محسن في جميع اعماله لم يصدر عنه في حالتي
السراء والضراء ما يخل بنزاهته ولا يخفى ان مدار حسن التخلص الى هذا الاعتراض قبل تمام الاية الكريمة انما هو التمكين البالغ
المفهوم من كلام العزيز فادراج الانجاء السابق تحت الاشارة بذلك في قوله تعالى وكذلك مكنا كما فعله الجمهور ناء من التقريب
والمراودة المطالبة من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرايد لطالب الماء والكلاء وهي مفاعلة من واحد نحو مطالبة

الداين• ومماطلة الديون• ومداواة الطبيب• ونظايرهما مما يكون من احد الجانبين الفعل ومن الاخر سببه فان هذه الافعال
وان كانت صادرة عن احد الجانبين لكن لما كانت اسبابها صادرة عن الجانب الاخر جعلت كانها صادرة عنهما وهذا باب لطيف
المسلك مبني على اعتبار دقيق تحقيقه ان السبب الشي يقام مقامه ويطلق عليه اسمه كما في قولهم كما تدين تدان اي كما تجزي تجزى
فان فعل البادي وان لم يكن جزاء لكنه لكونه سببا للجزاء اطلق عليه اسمه وكذلك ارادة القيام الى الصلوة وارادة قراءة القران
حيث كانتا سببا للقيام والقراءة عبر عنهما بهما فقيل اذا قمتم الى الصلوة فاذا قرات القران وهذه قاعدة مطردة مستمرة ولما كانت
الافعال المذكورة فيما نحن فيه صادرة عن الجانب المقابل لجانب فاعلها فان مطالبة الداين للمماطلة التي هي من جانب الغريم
وهي منه للمطالبة التي هي من جانب الداين وكذا مداواة الطبيب للمريض الذي هو من جانب المريض وكذا مراودتها فيما نحن فيه
لجمال يوسف عليه السلام نزل صدورها عن محالها بمنزلة صدور مسبباتها التي هي من تلك الافعال فبني الصيغة على ذلك
وروعي جانب الحقيقة بان اسند الفعل الى الفاعل واوقع على صاحب السبب فتامل **ويجوز** ان يراد بصيغة المغالبة
مجرد المبالغة **وقيل** الصيغة على بابها بمعنى انها طلبت منه الفعل وهو منها الترك **ويجوز** ان يكون من الرويد
وهو الرفق والتمحل وتعديتها بعن لتضمينها معنى المخادعة فالمعنى خادعته **عن نفسه** اي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن
شي لا يريد اخراجه عن يده وهو يحتال ان ياخذه منه وهي عبارة عن التمحل في مواقعته اياها والعدول عن التصريح باسمها للمحافظة
على الستر او للاستهجان بذكره وايراد الموصول لتقرير المراودة فان كونه في بيتها مما يدعو الى ذلك **قيل** لواحدة ما حملك
على ما انت عليه مما لا خير فيه **قالت** قرب الوساد• وطول السواد• ولاظهار كمال نزاهته عليه السلام فان عدم ميله اليها
مع دوام مشاهدته لمحاسنها واستعصائه عليها مع كونه تحت ملكتها ينادي بكونه عليه السلام في اعلى معارج العفة والنزاهة
قوله تعالى **وغلقت الابواب** قيل كانت سبعة ولذلك جاء الفعل بصيغة التفعيل دون الافعال **وقيل** للمبالغة في الايثاق
والاحكام **وقالت هيت لك** قرئ بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وبناؤه كبناء اين وعيط وهيت كجير وهيت كحيث اسم فعل
معناه اقبل وبادر واللام للبيان اي لك اقول هذا كما في هلم لك **وقري** هيت على صيغة الفعل بمعنى تهيات يقال هاء يهيء
كجاء يجيء اذا تهيا وهيئت لك واللام صلة للفعل **قال معاذ الله** اي اعوذ بالله معاذا مما تدعونني اليه وهذا اجتناب منه
على اتم الوجوه واشارة الى التعليل بانه منكر هائل يجب ان يعاذ بالله تعالى للخلاص منه وما ذاك الا لانه عليه السلام قد شاهده
بما اراه الله تعالى من البرهان النير على ما هو عليه في حد ذاته من غاية القبح ونهاية السوء وقوله عز وجل **انه ربي احسن مثواي**
تعليل للامتناع ببعض الاسباب الخارجية مما عسى يكون مؤثرا عندها وداعيا لها الى اعتباره بعد التنبيه على سببه الذاتي
التي لا تكاد تقبله لما سولته لها نفسها والضمير للشان ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره وفائدة تصدير
الجملة به الايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريره في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له
خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن فكانه قيل ان الشان الخطير هذا وهو ربي اي سيدي العزيز
احسن مثواي اي احسن تعهدي حيث امرك باكرامي فكيف يمكن ان اسيء اليه بالخيانة في حرمه وفيه ارشادها الى رعاية حق العزيز
بالطف وجه **وقيل** الضمير لله عز وجل وربي خبران واحسن مثواي خبر ثان او هو الخبر والاول بدل من الضمير والمعنى ان
الحال هذا فكيف اعصيه بارتكاب تلك الفاحشة الكبيرة وفيه تحذيرها من عقاب الله عز وجل وعلى التقديرين ففي الاقتصار
على ذكر هذه الحالة من غير تعرض لاقتضايها الامتناع عما دعته اليه ايذان بان هذه المرتبة من البيان كافية في الدلالة على استحالته
وكونه مما لا يدخل تحت الوقوع اصلا وقوله تعالى **انه لا يفلح الظالمون** تعليل للامتناع المذكور غب تعليل والفلاح الظفر **وقيل**
البقاء في الخير ومعنى افلح دخل فيه كاصبح واخواته **والمراد** بالظالمين كل من ظلم كائنا من كان فيدخل في ذلك المجازون للاحسان
بالاساءة والعصاة لامر الله تعالى دخولا اوليا **وقيل** الزناة لانهم ظالمون لانفسهم وللمزني باهله قوله تعالى **ولقد همت به**
بمخالطته اذ الهم لا يتعلق بالاعيان اي قصدتها وعزمت عليها عزما جازما لا يلويها عنه صارف بعد ما باشرت مباديها وفعلت
ما فعلت من المراودة وتغليق الابواب ودعوته عليه السلام الى نفسها بقولها هيت لك ولعلها تصدت هنالك لافعال اخر
من بسط يدها اليه وقصد المعانقة وغير ذلك مما يضطره عليه السلام الى الهرب نحو الباب والتاكيد لدفع ما عسى يتوهم

من احتمال اقلاعها عما كانت عليه بما في مقالته عليه السلام من الزواجر **وهم بها** بمخالطتها اي مال اليها بمقتضى الطبيعة
البشرية وشهوة الشباب وقوته ميلا جبليا لا يكاد يدخل تحت التكليف لا انه قصدها قصدا اختياريا الى ما سبق من استعصامه
المبني على كمال كراهته له ونفرته عنه وحكمه بعدم فلاح الظالمين وهل هو الا تسجيل باستحالة صدور الهم منه عليه السلام
تسجيلا محكما وانما عبر عنه بالهم لمجرد وقوعه في صحبة همها في الذكر بطريق المشاكلة لا لشبهه به كما قيل ولقد اشير الى تباينهما
حيث لم يلزا في قرن واحد من التعبير بان قيل ولقد هما بالمخالطة او هم كل منهما بالاخر وصدر الاول بما يقرر وجوده من التوكيد
القسمي وعقب الثاني بما يعفو اثره من قوله عز وجل **لولا ان راى برهان ربه** اي حجته الباهرة الدالة على كمال قبح الزنا وسوء
سبيله **والمراد** برؤيته لها كمال ايقانه بها ومشاهدته لها مشاهدة واصلة الى مرتبة عين اليقين الذي تتجلى هناك حقائق
الاشياء بصورها الحقيقية وتنخلع عن صورها المستعارة التي بها تظهر في هذه النشاة على ما نطق به قوله عليه السلام حفت
الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وكان عليه السلام قد شاهد الزنا بموجب ذلك البرهان النير على ما هو عليه في حد ذاته
اقبح ما يكون واوجب ما يجب ان يحذر منه ولذلك فعل ما فعل من الاستعصام والحكم بعدم افلاح من يرتكبه وجواب لولا محذوف
يدل عليه الكلام اي لولا مشاهدته برهان ربه في شان الزنا لجرى على موجب ميله الجبلي ولكنه حيث كان مشاهدا له من قبل استمر
على ما هو عليه من قضية البرهان **وفائدة** هذه الشرطية بيان ان امتناعه عليه السلام لم يكن لعدم مساعدة من جهة الطبيعة
بل لمحض العفة والنزاهة مع وفور الدواعي الداخلية وترتب المقدمات الخارجية الموجبة لظهور الاحكام الطبيعية هذا وقد
نص ائمة الصناعة على ان لولا في امثال هذه المواقع جار من حيث المعنى لا من حيث الصيغة مجرى التقييد للحكم المطلق كما في مثل
قوله تعالى ان كاد ليضلنا عن الهتنا لولا ان صبرنا عليها فلا يتحقق هناك هم اصلا وقد جوز ان يكون وهم بها جواب لولا جريا على
قاعدة الكوفيين في جواز التقديم فالهم حينئذ على معنى الحقيقي فالمعنى لولا انه قد شاهد برهان ربه لهم بها كما همت به ولكن حيث
انتفى عدم المشاهدة بدليل استعصامه وما يتفرع عليه انتفى الهم راسا هذا وقد فسر همه عليه السلام بانه عليه السلام
حل الهميان• وجلس مجلس الختان• وبانه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها ورؤيته للبرهان بانه سمع صوتا اياك و
اياها فلم يكترث ثم وثم الى ان تمثل له يعقوب عليه السلام عاضا على انملته **وقيل** ضرب على صدره فخرجت شهوته من
انامله **وقيل** بدت كف فيما بينهما ليس فيها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف
ثم راى فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا فلم ينته ثم راى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فقال
الله عز وجل لجبريل عليه السلام ادرك عبدي قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبريل عليه السلام وهو يقول يا يوسف اتعمل عمل
السفهاء وانت مكتوب في ديوان الانبياء **قيل** راى تمثال العزيز **وقيل** ان كل ذلك الا خرافات واباطيل تمجها الاذان
وتردها العقول والاذهان• ويل لمن لاكها ولفقها• او سمعها وصدقها **كذلك** الكاف منصوب المحل وذلك اشارة الى الاراءة
المدلول عليها بقوله تعالى لولا ان راى برهان ربه اي مثل ذلك التبصير والتعريف عرفناه برهاننا فيما قبل والى التثبيت ثبتناه
قوله تعالى **لنصرف عنه السوء** على الاطلاق فيدخل فيه خيانة السيد دخولا اوليا **والفحشاء** والزنا لانه مفرط في القبح وفيه اية
بينة وحجة قاطعة على انه عليه السلام لم يقع منه هم بالمعصية ولا توجه اليها قط والا لقيل لنصرفه عن السوء والفحشاء
وانما توجه اليه ذلك من خارج فصرفه تعالى عنه بما فيه من موجبات العفة والعصمة فتامل **وقري** ليصرف على اسناد
الصرف الى ضمير الرب **انه من عبادنا المخلصين** تعليل لما سبق من مضمون الجملة بطريق التحقيق والمخلصون هم الذين اخلصهم
الله تعالى لطاعته بان عصمهم عما هو قادح فيها **وقري** على صيغة الفاعل وهم الذين اخلصوا دينهم لله سبحانه وعلى كلا المعنيين
فهو منتظم في سلكهم داخل في زمرتهم من اول امره بقضية الجملة الاسمية لا ان ذلك حدث له بعد ان لم يكن كذلك
فانحسم مادة احتمال صدور الهم بالسوء منه عليه السلام بالكلية **واستبقا الباب** متصل بقوله ولقد همت به وهم
بها لولا ان راى برهان ربه وقوله كذلك الى اخره اعتراض جيء به بين المعطوفين تقريرا لنزاهته عليه السلام كقوله تعالى
وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض والمعنى لقد همت به وابي هو واستبقا اي تسابقا الى الباب البراني الذي
هو المخلص ولذلك وحد بعد الجمع فيما سلف وحذف حرف الجر واوصل الفعل الى المجرور نحو اذا كالوهم او ضمن الاستباق معنى

الابتدار واسناد السبق في ضمن الاستباق اليهما مع ان مرادها مجرد منع يوسف وذا لا يوجب الانتهاء الى الباب
لانها لما رأت انه يسرع الى الباب ليتخلص منها اسرعت هي ايضا لتسبقه اليه وتمنعه عن الفتح والخروج او عبر عن اسراعها
اثره بذلك مبالغة وقدت قميصه من دبر اجتذبته من ورائه فانشق طولا وهو القد كما ان الشق عرضا هو القط
وقد قيل في وصف علي كرم الله وجهه انه كان اذا اعتلى قد واذا اعترض قط واسناد القد اليها خاصة مع ان
لقوة يوسف عليه السلام دخلا فيه ايضا اما لانها الجزء الاخير للعلة التامة واما للايذان بمبالغتها في منعه عن الخروج
وبذل مجهودها في ذلك لفوت المحبوب او لخوف الافتضاح والفيا سيدها اي صادفا زوجها واذ لم يكن ملكه
ليوسف عليه السلام صحيحا لم يقل سيدهما قيل الفياه مقبلا وقيل كان جالسا مع ابن عم للمراة لدى
الباب اي البراني كما روي عن كعب انه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب
قالت استيناف مبني على سوال سائل يقول فماذا كان حين الفيا العزيز عند الباب فقيل قالت ما جزاء من اراد
باهلك سوءا من الزنا ونحوه قوله تعالى الا ان يسجن او عذاب اليم ما نافية اي ليس جزاؤه الا السجن او العذاب
الاليم قيل المراد به الضرب بالسياط او استفهامية اي اي شيء جزاؤه غير ذلك او ذلك ولقد اتت
في تلك الحالة التي تدهش فيها الفطن حيث شاهدها العزيز على تلك الهيئة المريبة بحيلة جمعت فيها غرضيها
وهما تبرئة ساحتها مما يلوح من ظاهر الحال واستنزال يوسف عليه السلام عن رأيه في استعصائه عليها وعدم
مواتاته على مرادها بالقاء الرعب في قلبه من مكرها طمعا في مواقعته لها كرها عند ياسها عن ذلك اختيارا كما قالت
ولئن لم يفعل ما امره ليسجنن وليكونا من الصاغرين ثم انها جعلت صدور الارادة المذكورة عن يوسف عليه السلام
امرا محققا مفروغا عنه غنيا عن الاخبار بوقوعه وان عطف على وقوعه والمعنى انها جعلت الارادة المذكورة محققة
غنية عن الاخبار بوقوعها ويكون افعالها من سعيها خلفه عليه السلام فغير لاجل تحقق جزائها فهي تريد ايقاعه حسبما
يقتضيه قانون الايالة وفي ايهام المريد تهويل لشان الجزاء المذكور بكونه قانونا مطردا في حق كل احد كائنا من كان
وفي ذكر نفسها بعنوان اهلية العزيز اعظام للخطب واغراء له على تحقق ما تتوخاه بحكم الغضب والحمية قال
استيناف وجواب عما يقال فماذا قال يوسف حينئذ فقيل قال هي راودتني عن نفسي اي طالبتني للمواتاة لا اني اردت
بها سوءا كما قالت وانما قاله عليه السلام لتنزيه نفسه عما اسندت اليه من الخيانة وعدم معرفة حق السيد ودفع
ما عرضته له من الامرين وفي التعبير عنها بضمير الغيبة دون الخطاب او اسم الاشارة مراعاة لحسن الادب مع
الايماء الى الاعراض عنها وشهد شاهد من اهلها قيل هو ابن عمها وقيل هو الذي كان جالسا مع زوجها لدى
الباب وكان حكيما يرجع اليه الملك ويستشيره وقد جوز ان يكون بعض اهلها قد بصر بها من حيث لا تشعر فاغضبه
الله تعالى ليوسف بالشهادة والقيام بالحق وانما القى الله سبحانه الشهادة الى من هو من اهلها ليكون ادل على نزاهته
عليه السلام وانفى للتهمة وقيل كان الشاهد ابن خال لها صبيا في المهد انطقه الله تعالى ببراءته وهو
الاظهر فانه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف
وصاحب جريج وعيسى عليه السلام رواه الحاكم عن ابي هريرة وقال صحيح على شرط الشيخين وذكر كونه من اهلها
لبيان الواقع اذ لا يختلف الحال في هذه الصورة بين كون الشاهد من اهلها او من غيرهم قوله سبحانه وتعالى
ان كان قميصه قد من قبل اي ان علم انه قد من قبل ونظيره ان احسنت الي فقد احسنت اليك فيما قبل فان
معناه ان تعتد باحسانك الي فاعتد باحساني السابق اليك فصدقت بتقدير قد لانها تقرب الماضي
الى الحال اي فقد صدقت وكذا الحال في قوله فكذبت وهي وان لم تصرح بانه عليه السلام اراد بها سوءا الا ان
كلامها حيث كان واضح الدلالة عليه اسند اليها الصدق والكذب بذلك الاعتبار فانهما كما يعرضان للكلام
باعتبار منطوقه يعرضان له باعتبار ما يستلزمه وبذلك الاعتبار يعتريان للانشاءات وهو من الكاذبين وهذه
الشرطية حيث لا ملازمة عقلية ولا عادية بين مقدمها وتاليها ليست من الشهادة في شيء وانما ذكرت توسيعا للدائرة

وانما هي عليه من الافاعيل لتحقق جزائها

وارخاء للعنان

وارخاء العنان الى جانب المراة باجراء ما عسى يحتمله الحال في الجملة بان يقع القد من قبل بمدافعتها له عليه السلام عن نفسها عند ارادته
المخالطة والتكشف مجرى الظاهر الغالب الوقوع تقريبا لما هو المقصود باقامة الشهادة اعني مضمون الشرطية الثانية التي هي قوله
عز وجل وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين الى التسليم والقبول عند السامع لكونه اقرب الى الوقوع وادل على المطلوب وان لم يكن
بين طرفيها ايضا ملازمة وحكاية الشرط بعد فعل الشهادة لكونها من قبيل الاقوال او بتقدير القول اي شهد قائلا ان الخ وتسميتها
شهادة مع انه لا حكم فيها بالفعل بالصدق والكذب لتاديتها مؤداها بل لانها شهادة على الحقيقة وحكم بصدقه وكذبها اما على تقدير
كون الشاهد هو الصبي فظاهر اذ هو اخبار بهما من قبل علام الغيوب والتصوير بصورة الشرطية للايذان بان ذلك ظاهر من العلامة ايضا
واما على تقدير كونه غيره فلان الظاهر ان صورة الحال معلومة له على ما هي عليه اما مشاهدة او اخبارا فهو متيقن بعدم مقدم الشرطية
الاولى وبوجود مقدم الشرطية الثانية ومن ضرورته الجزم بانتفاء تالي الاولى وبوقوع التالي الثانية فاذا هو اخبار بكذبها وصدقه
عليه السلام لكنه ساق شهادته مساق ما هو من الجرح والطعن حيث صورها بصورة الشرطية المترددة ظاهرا بين نفعها
ونفعه واما حقيقة فلا تردد فيها قطعا لان الشرطية الاولى تعليق لصدقها بما يستحيل وجوده من قد القميص من قبل فيكون
محالا لا محالة ومن ضرورته تقرر كذبها والثانية تعليق لصدقه عليه السلام بامر محقق الوجود وهو القد من دبر فيكون محققا
البتة وهذا كما قيل فيمن قال لامراة زوجيني نفسك فقالت لي زوج فكذبها في ذلك فقالت ان لم يكن لي زوج فقد زوجتك
نفسي فقبل الرجل فاذا لا زوج لها فهو نكاح اذ تعليق الشيء بامر مقرر تنجيز له وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة
كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف للتانيث والعلمية وقرئ بسكون العين فلما راى قميصه قد من دبر
كانه لم يكن راى ذلك بعد او لم يتدبره فلما تنبه له وعلم حقيقة الحال قال انه اي الامر الذي وقع فيه التشاجر وهو عبارة
عن ارادة السوء التي اسندت الى يوسف وتدبير عقوبته بقولها ما جزاء من اراد باهلك سوءا الخ لكن لا من حيث صدور تلك
الارادة والاسناد عنها بل مع قطع النظر عن ذلك لئلا يخلو قوله تعالى من كيدكن اي من جنس حيلتكن ومكركن ايتها النساء
لا من غيركن عن الافادة وتدبير العقوبة وان لم يكن تجريده عن الاضافة اليها الا انها لما صودفت بصورة الحق افاد الحكم بكونه
من كيدهن افادة ظاهرة فتامل وتعميم الخطاب للتنبيه على ان ذلك خلق لهن عريق • ولا تحسبا هندا لها الغدر وحدها •
سجية نفس كل غانية هند • ورجع الضمير الى قولها ما جزاء من اراد باهلك سوءا لفظ عدول عن البحث عن اصل ما وقع فيه النزاع
من ان ارادة السوء ممن هي الى البحث عن شعبة من شعبه وجعله للسوء او للامر المعبر به عن طمعها في يوسف عليه السلام
يأباه الخبر فان الكيد يستدعي ان يعتبر مع ذلك هنات اخر من قبلها كما اشرنا اليه ان كيدكن عظيم فانه الطف واعلق بالقلب
واشد تاثيرا في النفس وعن بعض العلماء انا اخاف من النساء ما لا اخاف من الشيطان فانه تعالى يقول ان كيد الشيطان
كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم ولان الشيطان يوسوس مسارقة وهن يواجهن به الرجال يوسف حذف منه حرف
النداء لقربه وكمال تفطنه للحديث وفيه تقريب له وتلطيف في محله اعرض عن هذا اي عن هذا الامر وعن التحدث به واكتمه
فقد ظهر صدقك ونزاهتك واستغفري انت يا هذه لذنبك الذي صدر عنك وثبت عليك انك كنت بسبب ذلك
من الخاطئين من جملة القوم المتعمدين للذنب او من جنسهم يقال خطئ اذا اذنب عمدا وهو تعليل للامر بالاستغفار
والتذكير لتغليب الذكور على الاناث وكان العزيز رجلا حليما فاكتفى بهذا القدر من مواخذتها وقيل كان قليل الغيرة
وقال نسوة اي جماعة من النساء وكن خمسا امراة الساقي وامراة الخباز وامراة صاحب الدواب وامراة صاحب السجن
وامراة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المراة وتانيثه غير حقيقي كتانيث اللمة وهي اسم لجماعة النساء والبنة وهي
اسم لجماعة الرجال ولذلك لم يلحق فعله تاء التانيث في المدينة ظرف لقال اي اشعن الامر في مصر او صفة لنسوة امراة العزيز اي
الملك يردن قطفير واضافتهن لها اليه بذلك العنوان دون ان يصرحن باسمها او اسمه ليست لقصد المبالغة في اشاعة
الخبر بحكم ان النفوس الى سماع اخبار ذوي الاخطار اميل كما قيل اذ ليس مرادهن تفضيح العزيز بل هي لقصد الاشباع في
لومها بقولهن تراود فتاها اي تطالبه بموافقته لها وتتمحل في ذلك وتخادعه عن نفسه وقيل تطلب منه الفاحشة وايثارهن
لصيغة المضارع للدلالة على دوام المراودة والفتى من الناس الشاب واصله فتي لقولهم فتيان والفتوة شاذة وجمعه فتية

وفتيان ويستعاد للمملوك وهو المراد هاهنا وفي الحديث لا يقول احدكم عبدي وامتي وليقل فتاي وفتاتي وتعبيرهن عن يوسف
عليه السلام بذلك مضافا اليها لا الى العزيز الذي لا يستلزم الاضافة اليه الهوان بل ربما يشعر بنوع عزة لابانة ما بينهما من التباين
البين الناشئ عن المالكية والمملوكية وكل ذلك لتربية ما مر من المبالغة والاشباع في اللوم فان من لا زوج لها من النساء او من
لها زوج دني قد تعذر في مراودة الاخدان لا سيما اذا كان فيهم علو الجناب واما التي لها زوج واي زوج عزيز مصر فمراودة
لغيره لا سيما لعبدها الذي لا كفاءة بينها وبينه اصلا وتماديها في ذلك غاية الغي ونهاية الضلال قد شغفها حبا اي
شق حبه شغاف قلبها وهو حجابه او جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب حتى وصل الى فؤادها وقرئ شعفها بالعين
من شعف البعير اذا هنأه فاحرقه بالقطران عن ابن عباس رضي الله عنهما الشغف الحب القاتل والشعف حب دون
ذلك وكان الشعبي يقول الشغف حب والشعف جنون والجملة خبر ثان او حال من فاعل تراود او من مفعوله واياما كان
فهو تكرير للوم وتاكيد للعذل ببيان اختلالها احوالها القلبية كاحوالها القالبية وجعلها تعليلا لدوام المراودة
من حيث الانية مصير الى الاستدلال على الاجلى بالاخفى ومن حيث اللمية ميل الى تمهيد العذر من قبلها ولسن بذلك المقام وانتصاب
حبا على التمييز لنقله عن الفاعلية اذ الاصل قد شغفها حبه كما اشير اليه انا لنراها اي نعلمها علما متاخما للمشاهدة والعيان فيما
صنعت من المراودة والمحبة المفرطة مستقرة في ضلال عن طريق الرشد والصواب او عن سنن العقل مبين واضح لا يخفى كونه
ضلالا على احد او مظهر لامرها بين الناس فالجملة مقررة لمضمون الجملتين السابقتين المسوقتين للوم والتشنيع وتسجيل عليها بانها
في امرها على خطاء عظيم وانما لم يقلن انها لفي ضلال مبين اشعارا بان ذلك الحكم غير صادر عنهن مجازفة بل عن علم وراي مع التلويح
بانهن متنزهات عن امثال ما هي عليه فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وسوء مقالتهن وقولهن امراءة العزيز عشقت عبدها الكنعاني وهو
مقتها وتسميته مكرا لكونه خفية منها كمكر الماكر وان كان ظاهرا لغيرها وقيل انما قلن ذلك لتريهن يوسف عليه السلام
ارسلت اليهن تدعوهن قيل دعت اربعين امراءة منهن الخمس المذكورات واعتدت اي احضرت وهيات قوله تعالى لهن متكا
اي ما يتكئن عليه من النمارق والوسائد او رتبت لهن مجلس طعام وشراب لانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة
المترفين ولذلك نهي ان ياكل الرجل متكئا وقيل متكا طعاما من قولهم اتكانا عند فلان اي طعمنا قال جميل فظللنا
بنعمة واتكانا وشربنا الحلال من قلله وعن مجاهد متكا طعاما ما يحز حزا كان المعنى يعتمد بالسكين عند القطع لان القاطع يتكئ
على المقطوع بالسكين وقرئ بغير همز وقرئ بالمد باشباع حركة الكاف كمنتزاح في منتزح وينباع وينبع وقرئ متكا وهو
الاترج وانشد واهدت متكة لبني ابيها تخب بها العثمثمة الوقاح او ما يقطع من متك الشيء اذا بتكه ومتكا من تكئ
اذا اتكى واتت كل واحدة منهن سكينا لتستعمله في قطع ما يعهد قطعه مما قدم بين ايديهن وقرب اليهن من اللحوم والفواكه ونحوها
وهن متكئات وغرضها من ذلك ما سيقع من تقطيع ايديهن وقالت ليوسف وهن مشغولات بمعالجة السكاكين واعمالها
فيما بايديهن من الفواكه واضرابها والعطف بالواو ربما يشير الى ان قولها اخرج عليهن اي ابرز لهن لم يكن عقيب ترتيب امورهن
ليتم غرضها من استغفالهن فلما راينه عطف على مقدر يستدعيه الامر بالخروج وينسحب عليه الكلام اي فخرج عليهن فراينه
وانما حذف تحقيقا لمفاجاة رؤيتهن كانها تفوت عند ذكر خروجه عليهن كما حذف لتحقيق السرعة في قوله عز وجل فلما راه
مستقرا عنده بعد قوله انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك وفيه ايذان بسرعة امتثاله عليه السلام لامرها فيما لا يشاهد
مضرته من الافاعيل اكبرنه عظمنه وهبن حسنه الفائق وجماله الرائع الرائق فانه فضل جماله على جمال كل جميل كان
كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه رأى يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر و
قيل كان يرى تلالؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس على الماء وقيل معنى اكبرن حضن والهاء للسكت او ضمير
راجع الى يوسف عليه السلام على حذف اللام اي حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبي خف الله واستر ذا الجمال ببرقع
فان لحت حاضت في الخدور العوائق وقطعن ايديهن اي جرحنها بما في ايديهن من السكاكين لفرط دهشتهن وخروج حركات جوارحهن
عن منهاج الاختيار والاعتبار حتى لم يعلمن ما فعلن وفي التعبير عن الجرح بالقطع ما لا يخفى من الدلالة على كثرة جرحهن ومع ذلك
لم يبالين ولم يشعرن به وقلن حاش لله تنزيها له سبحانه عن صفات النقص والعجز وتعجبا من قدرته على مثل ذلك الصنع البديع

واصله حاشا كما قرا ابو عمرو في الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف جر يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء فلا يستثنى
به الا ما يكون موجبا للتنزيه ثم وضع موضعه ثم معنى حاشا الله تنزيه الله وبراءة الله وهي قراءة ابن مسعود واللام لبيان المنزه والمبرأ
كما في سقيا لك والدليل على وضعه موضع المصدر قراءة ابي السمال بالتنوين وقراءة ابي عمرو بحذف الالف الاخيرة وقراءة
الاعمش بحذف الاولى فان التصرف من خصائص فيدل على تنزيله منزلته وعدم التنوين لمراعاة اصله كما في قولك جلست
من عن يمينه وقوله غدت من عليه منقلب الالف الى الياء مع الضمير وقرئ حاش لله بسكون الشين اتباعا لفتحه الالف
في الاسقاط وحاش الاله وقيل حاشا فاعل من الحشاء الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف اي صار في ناحية من ان
يقارف ما رمته به لله اي لطاعته او لمكانه او جانب المعصية لاجل الله ما هذا بشرا اعمال ما بمعنى ليس
وهي لغة حجازية لمشاركتهما في نفي الحال وقرئ بشر على لغة بني تميم وبشرى بعبد مشترى لئيم نفين عنه
البشرية لما شاهدن فيه من الجمال العبقري الذي لم يعهد مثاله في البشر وقصرنه على الملكية ان هذا الا ملك كريم
بناء على ما ذكر في العقول من ان لا حي احسن من الملك كما ركب فيها ان لا اقبح من الشيطان ولذلك لا يزال يشبه بهما
كل متناه في الحسن والقبح وغرضهن وصفه باقصى مراتب الحسن والجمال قالت فذلكن الفاء فصيحة والخطاب
للنسوة والاشارة الى يوسف عليه السلام بالعنوان الذي وصفنه به الآن من الخروج من الحسن والجمال
عن المراتب البشرية والاقتصار على الملكية فاسم الاشارة مبتداء والموصول خبره والمعنى ان كان الامر كما
قلتن فذلكن الملك الكريم النائي عن المراتب البشرية الذي لمتنني فيه اي عيرتنني في الافتتان به حيث رايتن
محله بنسبتي الى العزيز ووصفتن قدره بكونه من المماليك او بالعنوان الذي وصفته به فيما سبق بقولهن امراة
العزيز عشقت عبدها الكنعاني فهو خبر لمبتداء محذوف اي فهو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في انفسكن
وقلتن فيه وفي ما قلتن فالآن قد علمتن من هو وما هو لكن فينا واتماما بتقابل يعني انكن لم تصورنه بحق
صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان به فلا يلائم المقام فان مرادها بدعوتهن وتمهيد ما
مهدته لهن تبكيتهن وتنديمهن على ما صدر عنهن من اللوم وقد فعلت ذلك بما لا مزيد عليه وما ذكر من المقال
نحو المعتذر قبل ظهور معذرته وقد قيل في تعليل الملكية ان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق و
العصمة البالغة من خواص الملكية وهو ايضا لا يلائم قولها فذلكن الذي لمتنني فيه فان عنوان العصمة مما ينافي
في مرامها ثم بعد ما اقامت عليهن الحجة واوضحت لديهن عذرها وقد اصابهن من قبله عليه السلام ما اصابهن باحت
لهن ببقية سرها فقالت ولقد راودته عن نفسه حسبما قلتن وسمعتن فاستعصم امتنع طالبا للعصمة وهو بناء مبالغة
يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كانه في استمساك واستجمع الراي وفيه برهان نير على انه لم يصدر عنه
عليه السلام شيء مخل باستعصامه بقوله معاذ الله من الهم وغيره اعترفت لهن ولا يماكر بسمعنه من مراودتها
له واكبرته اظهارا لابتهاجها بذلك ثم زادت على ذلك انه اعرض عنها على ابلغ ما يكون ولم يميل اليها قط
ثم زادت عليه ايضا انها مستمرة على ما كانت عليه غير مرعوبة عنه لا بلوم العواذل ولا باعراض الحبيب فقالت
ولئن لم يفعل ما آمره اي امره به فيما سياتي كما لم يفعل فيما مضى فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير كما في امرتك الخير فالضمير
للموصول اي امري اياه اي موجب امري ومقتضاه فما مصدرية فالضمير ليوسف وعبرت عن مراودتها بالامر
اظهارا لجريان حكومتها عليه واقتضاء للامتثال بامرها ليسجنن بالنون المثقلة آثرت بناء الفعل للمفعول
جريا على رسم الملوك وايهاما لسرعة ترتب ذلك على عدم امتثاله لامرها كانه لا يدخل بينهما فعل فاعل وليكونن
بالمخففة من الصاغرين اي الاذلاء في السجن وقرئ الفعلان بالتثقيل ولكن المشهورة الاولى لان النون كتبت
في المصحف الفا على حكم الوقف واللام الداخلة على حرف الشرط موطئة للقسم وجوابه ساد مسد الجوابين ولقد
اتت بهذا الوعيد المنطوي على فنون التاكيد بحضر منهن ليعلم يوسف انها ليست في امرها على خفية ولا خيفة
من احد فتضيق عليه الحيل ويعي به العلل وينصحن له ويرشدنه الى موافقتها ولما كان هذا الابراق والارعاد

منها مظنة لسوال سايل يقول فما صنع يوسف حينئذ قال مناجيا لربه عز سلطانه وقرا الذي اوعدتني بالالقاء فيه رب السجن يعقوب بالفتح على المصدر احب الي اي اثر عندي لانه مشقة قليلة نافذ اثرها راحات جليلة ابدية مما يدعونني اليه من مواتاتها التي تودي الى الشقاء والعذاب الاليم وهذا الكلام منه عليه السلام مبني على ما مر من انكشاف الحقايق لديه وبروز كل منها بصورتها اللايقة بها فصيغة التفضيل ليست على بابها اذ ليس له شايبة محبة لما دعته اليه وانما هو والسجن شران اهونهما واقربهما الى الايثار السجن والتعبير عن الايثار بالمحبة لحسم مادة طمعها عن المساعدة خوفا من الحبس والاقتصار على ذكر السجن من حيث ان الصغار من فروعه ومستتبعاته واسناد الدعوة اليهن جميعا لان النسوة رغبنه في مطاوعتها وخوفنه مخالفتها وقيل دعونه الى انفسهن وقيل انما ابتلي عليه السلام بالسجن لقوله هذا وكان الاولى به ان يسال الله تعالى العافية ولذلك رده رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسال الصبر والا تصرف اي تصرف عني كيدهن في تحبيب ذلك الي وتحسينه لدي بان يثبتني على ما انا عليه من العصمة والعفة قوله تعالى اصب اليهن اي امل الى اجابتهن او الى انفسهن على قضية الطبيعة وحكم القوة الشهوية وهذا فزع منه عليه السلام الى الطاف الله تعالى جريا على سنن الانبياء والصالحين في قصر نيل الخيرات والنجاة من الشرور على جناب الله عز وجل وسلب القوى والقدر عن انفسهم ومبالغة في استدعاء لطفه في صرف كيدهن باظهار ان لا طاقة له بالمدافعة كقول المستغيث ادركني والا هلكت لانه يطلب الجبار والالجاء الى العصمة والعفة وفي نفسه داعية تدعو الى هواهن والصبو الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب نسيمها وروحها وقري اصب اليهن من الصبابة وهي رقة الشوق واكن من الجاهلين اي الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو والجاهل سواء او من السفهاء بارتكاب ما يدعونني اليه من القبايح لان الحكيم لا يفعل القبيح فاستجاب له ربه دعاءه الذي تضمنه قوله والا تصرف عني كيدهن الى اخره فان فيه استدعاء لصرف كيدهن على ابلغ وجه والطفه كما مر وفي اسناد الاستجابة الى الرب مضافا اليه عليه السلام ما لا يخفى من اظهار اللطف فصرف عنه كيدهن حسب دعائه وثبته على العصمة والعفة انه هو السميع لدعاء المتضرعين العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم اي ظهر للعزيز واصحابه المتصدين للحل والعقد ريثما اكتفوا بامر يوسف بالكتمان والاعراض عن ذلك من بعد ما راوا الايات الصارفة لهم عن ذلك البداء وهي الشواهد الدالة على براءته عليه السلام وفاعل بدا اما مصدره او الراي المفهوم من السياق او المصدر المدلول عليه بليسجننه والمعنى بدا لهم بداء او راي او سجنه المحتوم قايلين والله ليسجننه فالقسم المحذوف وجوابه معمول للقول المقدر حالا من ضميرهم وما كان ذلك البداء الا باستنزال المراة لزوجها وفتلها منه في الذروة والغارب وكان مطواعا لها تقوده حيث شاءت قال السدي انها قالت للعزيز ان هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس يخبرهم باني راودته عن نفسه فاما ان تاذن لي فاخرج فاعتذر للناس واما ان تحبسه فحبسه ولقد ارادت بذلك تحقيق وعدها لتلين به عريكته وتنقاد لها قرونته لما انصرمت حبال رجايها عن استتباعه بعرض الجمال والترغيب بنفسها وباعوانها وقري لتسجننه على صيغة الخطاب بان خاطب بعضهم العزيز ومن يليه او العزيز وحده على وجه التعظيم او خاطب العزيز ومن عنده من اصحاب الراي المباشرين للسجن والحبس حتى حين الى حين انقطاع قالة الناس وهذا بادي الراي عند العزيز وذويه واما عندها فحتى يذلله السجن ويسخره لها ويحسب الناس انه المجرم وقري عتى حين بلغة هذيل ودخل معه اي في صحبته السجن فتيان من فتيان الملك ومماليكه احدهما شرابيه والاخر خبازه روي ان جماعة من اهل مصر ضمنوا لهما مالا ليسما الملك في طعامه وشرابه فاجاباهم الى ذلك ثم ان الساقي نكل عن ذلك ومضى عليه الخباز فسم الخبز فلما حضر الطعام قال الساقي لا تاكل ايها الملك فان الخبز مسموم وقال الخباز لا تشرب ايها الملك فان الشراب مسموم فقال للخباز كله فابى فجرب بدابة فهلكت فامر بحبسهما فاتفق ان ادخلاهما معه وتاخير الفاعل عن المفعول لما مر غير

مزيد من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر ليتمكن عند النفس حين وروده عليها فضل تمكن ونظيره تقديم الظرف على المفعول الصريح في قوله تعالى فاوجس في نفسه خيفة وتاخير السجن عن الظرف لايهام العكس ان يكون الظرف خبرا مقدما على المبتدا ويكون الجملة حالا من فاعل دخل فتامل قال احدهما استيناف مبني على سوال من يقول ما صنعا بعد ما دخلا معه السجن فاجيب بانه قال احدهما وهو الشرابي قوله تعالى اني اراني اي رايتني والتعبير بالمضارع لاستحضار الصورة الماضية اعصر خمرا اي عنبا سماه بما يوول اليه لكونه المقصود من العصر وقيل الخمر بلغة العراقية اسم للعنب وفي قراءة ابن مسعود اعصر عنبا قوله تعالى وقال الاخر وهو الخباز قوله تعالى اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاخير المفعول عن الظرف لما مر انفا وقوله تاكل منه الطير اي تنهش منه صفة للخبز او استيناف مبني على السوال نبئنا بتاويله بتاويل ما ذكر من الرويين او ما روي باجراء الضمير مجرى ذلك بطريق الاستعارة فان اسم الاشارة يشار به الى متعدد كما في قوله فيه خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق اي كان ذلك والسر في المصير الى اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة ومع انه لا حاجة اليه بعد تاويل المرجع بما ذكر ويمادي ان الضمير انما يتعرض لحال من احواله فلا يتسنى تاويله باحد الاعتبارين الا باجرائه مجرى اسم الاشارة الذي يدل على المشار اليه بالاعتبار الذي يجري عليه في الكلام فتامل هذا اذا قالاه معا او قاله احدهما من جهتهما واما اذا قاله كل منهما اثر ما قص ما راه فالخطاب المذكور ليس عبارتهما ولا عبارة احدهما من جهتهما ليتعدد المرجع بل عبارة كل منهما نبئني بتاويله مستقرا لما راه وصيغة المتكلم مع غيره واقعة في الحكاية دون المحكي على طريقة قوله عز وجل يا ايها الرسل كلوا من الطيبات فانهم لم يخاطبوا بذلك دفعة بل خوطب كل منهم في زمانه بصيغة مفردة خاصة به قوله تعالى انا نراك تعليل لعرض رؤياهما عليه واستفسارهما منه عليه السلام قوله عز وجل من المحسنين من الذين يجيدون عبارة الرؤيا لما راياه يقص عليه بعض اهل السجن رؤياه فياولها له تاويلا حسنا او من العلماء لما سمعاه يذكر الناس ما يدل على علمه وفضله اي من المحسنين الى اهل السجن اي فاحسن الينا بكشف غمتنا ان كنت قادرا على ذلك روي انه عليه السلام كان اذا مرض منهم رجل قام عليه واذا ضاق مكانه اوسع له واذا احتاج جمع له وعن قتادة كان في السجن ناس وقد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا توجروا فقالوا بارك الله عليك ما احسن وجهك وما احسن خلقك لقد بورك لنا في جوارك فمن انت يا فتى قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابرهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكني احسن جوارك فكن في اي بيت شئت من بيوت السجن وعن الشعبي انهما تحالما له ليمتحناه فقال الشرابي اراني في بستان فاذا باصل نخلة عليها ثلث عناقيد من عنب فقطعتها فعصرتها في كاس الملك وسقيته وقال الخباز اني اراني وفوق راسي ثلث سلال فيها انواع الاطعمة واذا سباع الطير تنهش منها قال لا ياتيكما طعام ترزقانه في مقامكما هذا حسب عادتكما المطردة الا نباتكما بتاويله استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا ياتيكما طعام في حال من الاحوال الا حال كونه منبئا بتاويله فهو حال من طعام لتخصصه بالصفة اعني ترزقانه الا حال ما نباتكما به باني بينت لكما ماهيته وكيفيته وساير احواله قبل ان ياتيكما والطلاق التاويل عليه اما بطريق الاستعارة فان ذلك بالنسبة الى مطلق الطعام المبهم بمنزلة التاويل بالنظر الى ما روي في المنام وشبيه له واما بطريق المشاكلة حسبما وقع في عبارتهما من قولهما نبئنا بتاويله ولا يبعد ان يراد بالتاويل الشيء المايل لا المال فانه في الاصل جعل شيء ايلا الى شيء اخر فكما يجوز ان يراد به الثاني يجوز ان يراد به الاول فالمعنى الا نباتكما بما يوول اليه من الكلام والخبر المطابق للواقع وكان عليه السلام يقول لهما اليوم ياتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كذلك ومراده عليه السلام بذلك بيان كل ما يهمهما من الامور المترقبة قبل وقوعها وانما تخصيص الطعام بالذكر لكونه عريقا في ذلك بحسب الحال مع ما فيه من مراعاة حسن التخلص اليه مما استعبراه من الرؤيتين المتعلقتين بالشراب والطعام وقد جعل الضمير لما قصا من الرؤيتين على معنى لا ياتيكما طعام ترزقانه حسب عادتكما الا اخبرتكما بتاويل ما

قصصتما علي قبل ان ياتيكما ذلك الطعام الموقت مرادا به الاخبار بالاستعجال في التنبيه وانت خبير بان النظم
الكريم ظاهر في تعدد اتيان الطعام والاخبار بالتاويل وبحدهما وان المقام مقام اظهار فضله في فنون العلم
بحيث يدخل في ذلك تاويل رؤياهما دخولا اوليا وانما لم يكتف عليه السلام بمجرد تاويل رؤياهما مع ان فيه دلالة
على فضله لانهما ما نعتاه عليه السلام بالانتظام في سمط المحسنين وانهما قد علما ذلك حيث قالا انا نراك من المحسنين
توسم عليه السلام فيهما خيرا وتوجها الى قبول الحق فاراد ان يخرج ما تؤدي اليه عبارة في عهدة من دعوة الخلق الى الحق فمهد
قبل الخوض في ذلك مقدمة تزيدهما علما بعظم شانه وثقة بامره وتوقفا على علو طبقته في بدايع العلوم توسلا بذلك
الى تحقيق ما يتوخاه وقد تخلص لهما من كلامهما فكانه قال تاويل ما قصصتماه على ما في طي التمام حيث رايتماه
في المنام واني ابين لكما كل جليل ودقيق من الامور المستقبلة وان لم يكن هناك مقدمة المنام حتى ان الطعام الموظف
الذي ياتيكما كل يوم ابينه لكما قبل اتيانه ثم اخبرهما بان علمه ذلك ليس من قبيل علوم الكهنة والعارفين بل هو فضل
الهي يؤتيه من يشاء ممن يصطفيه للنبوة فقال **ذلكما** اي التاويل والاخبار بالمغيبات ومعنى البعد في ذلك للاشارة
الى علو درجته وبعد منزلته **مما علمني ربي** بالوحي والالهام اي بعض منه او من ذلك الجنس الذي لا يحوم حول ادراكه
العقول ولقد دلهما بذلك على ان له علوما جمة ما سمعاه قطعة من جملتها وشعبة من دوحتها ثم بين ان نيل
تلك الكرامة بسبب اتباعه ملة اباءه العظام وامتناعه من الشرك فقال **اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله** وهو
استيناف وقع جوابا عن سؤال نشا من قوله ذلكما مما علمني ربي تعليلا له لا للتعليم الواقع صلة للموصول لتاديته الى
معنى انه مما علمني ربي لهذا السبب دون غيره ولا لمضمون الجملة الخبرية لان ما ذكر بصدد التعليل ليس بعلة لكون التاويل
المذكور بعضا مما علمه ربه او لكونه من جنسه بل لنفس تعليم ما علمه فكانه قيل لماذا علمك ربك تلك العلوم البديعة
فقال لاني تركت ملة الكفرة اي دينهم الذي اجتمعوا عليه من الشرك وعبادة الاوثان **والمراد** بتركها الامتناع
راسا كما يفصح عنه قوله ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء لا تركها بعد ملابستها وانما عبر عنه بذلك لكونه ادخل بحسب
الظاهر في اقتدائهما به عليه السلام والتعبير عن كفرهم بالله تعالى بسبب الايمان به للتنصيص على ان عبادتهم له تعالى
مع عبادة الاوثان ليس بايمان به تعالى كما هو زعمهم الباطل على ما مر في قوله تعالى انه عمل غير صالح **وهم بالاخرة** وما فيها
من الجزاء **هم كافرون** على الخصوص دون غيرهم لافراطهم في الكفر **واتبعت ملة اباءي ابرهيم واسحق** يعني انه انما حاز
هذه الكمالات وفاز بتلك الكرامات بسبب انه اتبع ملة اباءه الكرام ولم يتبع ملة قوم كفروا بالمبدا والمعاد
وانما قال عليه السلام ترغيبا لصاحبيه في الايمان والتوحيد وتنفيرا لهما عما كانا عليه من الشرك والضلال وقدم
ذكر تركه لملتهم على ذكر اتباعه لملة اباءه لان التخلية مقدمة على التحلية **ما كان** اي ما صح وما استقام فضلا
عن الوقوع **لنا** معاشر الانبياء لقوة نفوسنا ووفور علومنا **ان نشرك بالله من شيء** اي شيء كان من ملك او جني
او انسي فضلا عن الجماد البحت **ذلك** اي التوحيد المدلول عليه بقوله ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء **من فضل الله علينا**
اي ناشئ من تاييده لنا بالنبوة وترشيحه ايانا لقيادة الامة وهدايتهم الى الحق وذلك مع كونه من موجبات التوحيد
ودواعيه نعمة جليلة وفضل عظيم علينا بالذات **وعلى الناس** كافة بواسطتنا وحيث عبر عن ذلك بذلك العنوان
عبر عن التوحيد بالشكر فقيل **ولكن اكثر الناس لا يشكرون** اي لا يوحدون فان التوحيد مع كونه من اثار ما ذكر
من التاييد شكر لله عز وجل على تلك النعمة وانما وضع الظاهر موضع الضمير الى الناس لزيادة توضيح وبيان ولقطع توهم
رجوعه الى المجموع الموهم بعدم اختصاص غير الشاكر بالناس به **وقيل** ذلك التوحيد من فضل الله علينا حيث
نصب لنا ادلة ننظر فيها ونستدل بها على الحق وقد نصب مثل تلك الادلة لساير الناس ايضا ولكن اكثرهم لا ينظرون
ولا يستدلون بها اتباعا لاهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين ولك ان تقول ذلك التوحيد من فضل الله علينا حيث
اعطانا عقولا ومشاعر نستعملها في دلايل التوحيد التي مهدها في الانفس والافاق وقد اعطى ساير الناس ايضا مثلها
ولكن اكثرهم لا يشكرون اي لا يصرفون تلك القوى والمشاعر الى ما خلقت هي له ولا يستعملونها فيما ذكر من ادلة التوحيد

الافاقية

الافاقية والانفسية والعقلية والنقلية **يا صاحبي السجن** اي يا صاحبي في السجن كما تقول يا سارق الليلة
ناداهما بعنوان الصحبة في مدار الاشجان ودار الاحزان التي تصفو فيها المودة وتخلص النصيحة ليقبلا عليه
ويقبلا مقالته وقد ضرب لهما مثلا يتضح به الحق عندهما حق اتضاح فقال **ءارباب متفرقون** لا ارتباط بينهم
ولا اتفاق يستعبدكما كل منهم حسبما اراد غير مراقب للاخرين مع عدم استقلاله **خير** لكما **ام الله** المعبود
بالحق **الواحد** المنفرد بالالوهية **القهار** الغالب الذي لا يغالبه احد وبعد ما بين لهما على فساد تعدد الارباب
بين لهما سقوط الهتهما عن درجة الاعتبار راسا فضلا عن الالوهية فقال معمما للخطاب لهما ولمن على دينهما
ما تعبدون من دونه اي من دون الله شيئا **الا اسماء** فارغة لا مطابق لها في الخارج لان ما ليس فيه مصداق
اطلاق الاسم عليه لا وجود له اصلا فكانت عبادتهم لتلك الاسماء فقط **سميتموها** جعلتموها اسماء وانما
لم يذكر المسميات تربية لما يقتضيه المقام من اسقاطها عن مرتبة الوجود وايذانا بان تسميتهم في البطلان حيث
كانت بلا مسمى كعبادتهم حيث كانت بلا معبود **انتم واباؤكم** بمحض جهلكم وضلالتكم **ما انزل الله بها** اي بتلك
التسمية المتبعة للعبادة **من سلطان** من حجة تدل على صحتها **ان الحكم** في امر العبادة المتفرقة على تلك التسمية
الا لله عز سلطانه لانه المستحق لها بالذات اذ هو الواجب بالذات الموجد للكل والمالك لامره **امر** استيناف
مبني على سؤال ناشئ من قوله ان الحكم الا لله فكانه قيل فماذا حكم الله تعالى في هذا الشان فقيل امر على السنة الانبياء
عليهم السلام **ان لا تعبدوا** اي بان لا تعبدوا **الا اياه** حسبما يقضي به قضية العقل ايضا **ذلك** اي تخصيصه
تعالى بالعبادة **الدين القيم** الثابت المستقيم الذي تعاضدت عليه البراهين عقلا ونقلا **ولكن اكثر الناس لا يعلمون**
ان ذلك هو الدين القيم بجهلهم تلك البراهين او لا يعلمون شيئا اصلا فيعبدون اسماء سموها من تلقاء انفسهم
معرضين عن البرهان العقلي والسلطان النقلي وبعد تحقيق الحق ودعوتهما اليه وبيانه لهما مقداره الرفيع
ورتبة علمه الواسع شرع في تفسير ما استفسراه ولكونه بحثا مغايرا لما سبق فصله عنه بتكرير الخطاب
فقال **يا صاحبي السجن اما احدكما** وهو الشرابي وانما لم يعينه ثقة بدلالة التعبير وتوسلا بذلك الى ابهام
امر صاحبه حذارا مشافهته بما يسوءه **فيسقي ربه** اي سيده **خمرا** روي عليه السلام قال له ما رايت من
الكرمة وحسنها الملك وحسن حالك عنده واما القضبان الثلاثة فثلثة ايام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود
الى ما كنت عليه **وقرا** عكرمة فيسقى ربه على البناء للمفعول اي يسقى ما يروى به **واما الاخر** وهو الخباز
فيصلب فتاكل الطير من راسه روي انه عليه السلام قال له ما رايت من السلال الثلث ثلثة ايام تمر ثم تخرج فتقتل
قضي اي تم واحكم **الامر الذي فيه تستفتيان** وهو ما راياه من الرؤيتين قطعا لا المالة الذي هو عبارة عن نجاة احدهما
وهلاك الاخر كما يوهمه اسناد القضاء اليه اذ الاستفتاء انما يكون في الحادثة لا في حكمها يقال استفتى الفقيه
في الحادثة اي طلب منه بيان حكمها ولا يقال استفتاه حكمها الافتاء فانه يقال افتى فلان في الواقعة الفلانية
بكذا ولا يقال افتى في حكمها وجوابها بكذا ومما هو علم في ذلك قوله تعالى يا ايها الملأ افتوني في رؤياي ومعنى
استفتائهما فيه طلبهما لتاويله بقولهما نبئنا بتاويله وانما عبر عن ذلك بالامر وعن طلب تاويله بالاستفتاء
تهويلا لامره وتفخيما لشانه اذ الاستفتاء انما يكون في النوازل المشكلة الحكم المبهمة الجواب وايراد صيغة
الاستقبال مع سبق استفتائهما في ذلك لما انهما بصدده الى ان يقضي عليه السلام من الجواب وطره واسناد
القضاء اليه مع انه من احوال ماله لانه في الحقيقة عين ذلك المال وقد ظهر في عالم المثال بتلك الصورة **واما**
توحيده مع تعدد رؤياهما فوارد على حسب ما وحداه في قولهما نبئنا بتاويله لا لان الامر ما اتهما به وسيقا
لاجله من سم الملك فانهما لم يستفتيا فيه ولا فيما هو في صورته بل فيما هو صورة لماله وعاقبته فتامل وانما اخبر
عليه السلام تحقيقا لتعبيره وتاكيدا له **وقيل** لما عبر رؤياهما جحدا وقالا ما راينا شيئا فاخبرهما
ان ذلك الشيء كاين صدقتما او كذبتما **ولعل** الجحود من الخباز اذ لا داعي الى جحود الشرابي الا ان يكون ذلك

لمراعاة جانبه **وقال** اي يوسف عليه السلام **للذي ظن انه ناج** اوثر على صيغة المضارع مبالغة في الدلالة على تحقق النجاة حسبما يفيده قوله تعالى قضي الامر الذي فيه تستفتيان وهو السر في ايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقول للذي نجا **منهما** من صاحبيه وانما ذكر بوصف النجاة تمهيدا لمناط التوصية بالذكر عند الملك وعنوان التقرب المفهوم من التعبير المذكور وان كان ادخل في ذلك وادعى الى تحقيق ما وصاه به لكنه ليس بوصف فارق يدور عليه الامتياز بينه وبين صاحبه المذكور بوصف الهلاك والظان هو يوسف عليه السلام لان التوصية المذكورة لا تدور على ظن الناجي بل على ظن يوسف عليه السلام وهو بمعنى اليقين كما في قوله تعالى اني ظننت اني ملاق حسابيه فالتعبير بالوحي كما ينبئ عنه قوله تعالى قضي الامر الى **قيل** هو بمعناه والتعبير بالاجتهاد والحكم بقضاء الامر ايضا اجتهادي **اذكرني** بما انا عليه من الحال والصفة **عند ربك** سيدك وصفني له بصفتي التي شاهدتها **فانساه الشيطان** اي انسى الشرابي بوسوسته والقائه في قلبه اشغالا تعوقه عن الذكر والا فالانساء في الحقيقة لله عز وجل والفاء للسببية فان توصيته عليه المتضمنة للاستعانة بغيره سبحانه كانت باعثة لما ذكر من الانساء **ذكر ربه** اي ذكرا لشرابي له عليه السلام عند الملك والاضافة لادنى ملابسة او ذكر اخبار ربه **فلبث** اي يوسف عليه السلام بسبب ذلك الانساء او القول **في السجن بضع سنين** البضع ما بين الثلث الى التسع من البضع وهو القطع واكثر الاقاويل انه لبث فيه سبع سنين **روي عن النبي** صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد وان كانت مرخصة لكن اللائق بمناصب الانبياء عليهم السلام الاخذ بالعزائم **وقال الملك** اي الريان **اني ارى** اي رايت وايثار صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية **سبع بقرات سمان** جمع سمين وسمينة ككرام في جمع كريم وكريمة يقال رجال كرام ونسوة كرام **ياكلهن** اي اكلهن والعدول الى المضارع لاستحضار الصورة تعجيبا والجملة حال من البقرات او صفة لها **سبع عجاف** اي سبع بقرات عجاف وهي جمع عجفاء والقياس عجف لان فعلاء وافعل لا يجمع على فعال ولكن به عدل عن القياس حملا لاحد النقيضين على الاخر وانما لم يقل سبع عجاف بالاضافة لان التميز موضوع لبيان الجنس والصفة ليست بصالحة لذلك فلا تقال ثلثة ضخام واربعة غلاظ **واما** قولك ثلث فرسان وخمسة ركبان فلجريان الفارس والراكب مجرى الاسماء **روي انه** راي سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وخرجن عقيبهن سبع بقرات عجاف في غاية الهزال فابتلعت العجاف السمان **وسبع سنبلات خضر** قد انعقد حبها **واخر يابسات** اي وسبعا اخر يابسات قد ادركت فالتوت على الخضر حتى غلبتها على ما روي ولعل عدم التعرض لذكره للاكتفاء بما ذكر من حال البقرات **يا ايها الملأ** خطاب للاشراف من العلماء والحكما **افتوني في رؤياي** هذه اي عبروها وبينوا حكمها وما تؤول اليه من العاقبة والتعبير عن التعبير بالافتاء لتشريفهم وتفخيم امر رؤياه **ان كنتم للرؤيا تعبرون** اي تعلمون عبارة جنس الرؤيا علما مستمرا وهي الانتقال من الصور الخيالية المشاهدة في المنام الى ما هو صور وامثلة لها من الامور الافاقية او الانفسية الواقعة في الخارج من العبور وهو المجاوزة تقول عبرت النهر اذا قطعته وجاوزته ونحوه اولها اي ذكر مالها وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا والجمع بين الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار كما اشير اليه واللام للبيان او لتقوية العامل المؤخر لرعاية الفواصل او لتضمين تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كانه قيل ان كنتم تندبون لعبارتها **ويجوز** ان يكون للرؤيا خبر كان كما يقال فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبر اخر **قالوا** استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال الملأ للملك فقيل قالوا هي **اضغاث احلام** اي تخاليطها جمع ضغث وهو في الاصل ما جمع من اخلاط النبات وحزم ثم استعير لما تجمعه القوة المتخيلة من احاديث النفس ووساوس الشيطان وتريها في المنام والاحلام جمع حلم وهي الرؤيا الكاذبة التي لا حقيقة لها والاضافة بمعنى من اي هي اضغاث من احلام اخرجوها من جنس الرؤيا التي لها عاقبة تؤول اليها ويعتني بامرها وجمعوها وهي رؤيا واحدة مبالغة في وصفها بالبطلان كما في قولهم فلان يركب الخيل ويلبس العمايم لمن لا يملك الا فرسا واحدا وعمامة فردة او لتضمنها اشياء مختلفة من البقرات السبع السمان والسبع العجاف والسنابل السبع الخضر والاخر اليابسات فتامل حسن موقع الاضغاث مع السنابل فلله در شان التنزيل **وما نحن بتاويل الاحلام** اي المنامات الباطلة التي لا اصل

لها **بعالمين** لا لان لها تاويلا ولكن لا نعلمه بل لا تاويل لها وانما التاويل للمنامات الصادقة **ويجوز** ان يكون ذلك اعترافا منهم بقصور علمهم وانهم ليسوا بنحارير في تاويل الاحلام او عبارتها الى التاويل المنبئ عن التصرف والتكلف في ذلك لما بين الاول والمال من البعد ويؤيده قوله عز وجل انا انبئكم بتاويله حيث لم يذكر بعنوان العبارة **وقال الذي نجا منهما** اي من صاحبي يوسف وهو الشرابي **وادكر** بغير المعجمة وهو الفصيح **وعن** الحسن بالمعجمة اي تذكر يوسف عليه السلام وشؤونه التي شاهدها ووصيته بتقريب رؤيا الملك واشكال تاويلها على الملأ **بعد امة** اي مدة طويلة **وقرئ** بالكسر وهي النعمة بعد ما انعم عليه بالنجاة وامه اي نسيان والجملة حال من الموصول او من ضميره في الصلة **وقيل** معطوفة على نجا وليس بذاك لان حق كل من الصفة والصلة ان يكون معلومة الانتساب الى الموصوف والموصول عند المخاطب كما عند المتكلم ولذلك قيل ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات وانت تدري ان تذكره بعد امة انما علم بهذه الجملة فلا مجال لنظمه مع نجاته المعلومة قبل في تلك الصفة **انا انبئكم بتاويله** اي اخبركم به بالتلقي عمن عنده علمه لا من تلقاء نفسي ولذلك لم يقل انا افتيكم فيها وعقبه بقوله **فارسلون** اي الى يوسف وانما لم يذكره ثقة بما سبق من التذكر وما لحق من قوله **يوسف ايها الصديق** اي ارسل اليه فاتاه **فقال** يا يوسف ووصفه بالمبالغة في الصدق حسبما شاهده وذاق احواله وجربها لكونه بصدد اغتنام آثاره واقتباس انواره فهو من باب براعة الاستهلال **افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات** اي في رؤيا ذلك وانما لم يصرح به لوضوح مرامه بقرينة ما سبق من معاملتهما ولدلالة مضمون الحادثة عليه حيث لا امكان لوقوعه في عالم الشهادة اي بين لنا مآلها وحكمها وحيث عاين رتبته عليه السلام في الفضل عبر عن ذلك بالافتاء ولم يقل كما قال هو وصاحبه اولا نبئنا بتاويله وفي قوله افتنا مع انه المستفتي وحده اشعار بان الرؤيا ليست له بل لغيره ممن له ملابسة بامور العامة وانه في ذلك معبر وسفير كما اذن بذلك حيث قال **لعلي ارجع الى الناس** اي الى الملك ومن عنده او الى اهل البلد ان كان السجن في الخارج كما قيل فانبئهم بذلك **لعلهم يعلمون** ذلك ويعملون بمقتضاه او يعلمون فضلك ومكانك مع ما انت فيه من الحال فتتخلص منه وانما لم يبت القول في ذلك مجاراة معه عليه السلام على نهج الادب واحترازا عن المجازفة اذ لم يكن على يقين من الرجوع فربما اخترمه دونه لعل المنايا دون ما تعد اني ولا من علمهم بذلك فربما لم يعلموه **قال** استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال يوسف عليه السلام في التاويل فقيل قال **تزرعون سبع سنين دابا** قرئ بفتح الهمزة وسكونها وكلاهما مصدر داب في العمل اذا جد فيه وتعب وانتصابه على الحالية من فاعل تزرعون اي دائبين او تدابون دابا على انه مصدر مؤكد لفعل هو الحال اول عليه السلام البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة فاخبرهم بانهم يواظبون سبع سنين على الزراعة ويبالغون فيها اذ بذلك يتحقق الخصب الذي هو مصداق البقرات السمان وتاويلها ودلهم في تضاعيف ذلك على امر نافع لهم فقال **فما حصدتم** اي في كل سنة **فذروه في سنبله** ولا تذروه كيلا ياكله السوس كما هو شان غلال مصر ونواحيها ولعله عليه السلام استدل على ذلك بالسنبلات الخضر وانما امرهم بذلك اذ لم يكن معتادا فيما بينهم وحيث كانوا معتادين للزراعة لم يامرهم بها وجعلها امرا محققا الوقوع وتاويلا للرؤيا مصداقا لما فيها من البقرات السمان **الا قليلا مما تاكلون** في تلك السنين وفيه ارشاد منه عليه السلام لهم الى التقليل في الاكل والاقتصار على الاستثناء المأكول دون البذر لكون ذلك معلوما من قوله تزرعون سبع سنين وبعد اتمام ما امرهم به شرع في بيان بقية التاويل التي يظهر منها حكمة الامر المذكور فقال **ثم ياتي** وهو عطف على تزرعون فلا وجه لجعله بمعنى الامر حثا لهم على الجد والمبالغة في الزراعة على انه يحصل بالاخبار بذلك ايضا **من بعد ذلك** اي من بعد السنين المذكورات وانما لم يقل من بعدهن قصدا الى الاشارة الى وصفهن

لانهام

ولا تعد الي ان اعيش الي غد صح

٢

فان الضمير ساكت عن اوصاف المرجع بالكلية سبع شداد اي سبع سنين صعاب على الناس يأكلن ما قدمتم لهن من الحبوب
المتروكة في سنابلها وفيه تنبيه على ان امره عليه السلام بذلك كان لوقت الضرورة واسناد الاكل اليهن مع انه حال
الناس فيهن مجازي كما في نهاره صائم وفيه تلويح بتأويل الاكل العجاف السمان واللام في لهن ترشيح لذلك فكان ما ادخر في
السنابل من الحبوب شيء قد هيئ وقدم لهن كالذي تقدم للنازل والا فهو في الحقيقة مقدم للناس فيهن الا قليلا مما تحصنون
تحرزون لبذور الزراعة ثم يأتي من بعد ذلك اي من بعد السنين الموصوفة بما ذكر من الشدة واكل الغلال المدخرة قوله تعالى
عام لم يعبر عنه بالسنة تحاشيا عن المدلول الاصلي لها من عام القحط وتنبيها من اول الامر على اختلاف الحال بينه وبين
السوابق فيه يغاث الناس من الغيث اي يمطرون يقال غيث البلاد اذا مطرت في وقت الحاجة او من الغوث
يقول اغاثنا الله تعالى اي امدنا برفع المكاره حين اظلتنا وفيه يعصرون اي ما من شأنه ان يعصر من العنب والقصب
والزيتون والسمسم ونحوها من الفواكه لكثرتها والتعرض لذكر العصر مع جواز الاكتفاء عنه بذكر الغيث والمستلزم
له عادة كما اكتفي به عن ذكر تصرفهم في الحبوب اما لان استلزام الغيث له ليس كاستلزام الحبوب اذ المذكورات تتوقف
صلاحها على مبادي اخرى غير المطر واما لمراعاة جانب المستفتي باعتبار حالته الخاصة به بشارة له وهي التي يدور عليها
حسن موقع تغليبه على الناس في القراءة بالفوقانية وقيل معنى يعصرون يحلبون الضروع وتكرير فيه اما
للاشعار باختلاف اوقات ما يقع فيه من الغيث والعصر زمانا وهو ظاهر وعنوانا فان الغيث والغوث من فضل
الله تعالى والعصر من فضل الناس واما لان المقام مقام تعداد منافع ذلك العام ولاجله قدم في الموضعين على
الفعلين فان المقصود الاصلي بيان انه يقع في ذلك العام كما يفيده التاخير ويجوز ان يكون التقديم للقصر
على معنى ان غيثهم وعصرهم في سائر السنين بمنزلة العدم بالنسبة الى عامهم ذلك وان يكون ذلك في الاخير لمراعاة
الفواصل وفي الاول لرعاية حاله وقرئ يعصرون على البناء للمفعول من عصره اذا انجاه وهو المناسب للاغاثة
ويجوز ان يكون المبني للفاعل ايضا منه كانه قيل فيه يغاث الناس وفيه يغيثون اي يغيثهم الله ويغيث بعضهم
بعضا وقيل معنى يعصرون يمطرون من اعصرت السحابة اما بتضمين اعصرت معنى مطرت وتعديته تعديته
واما بحذف الجار وايصال الفعل على ان الاصل اعصرت عليهم واحكام هذا العام المبارك ليست مستنبطة من رؤيا
الملك وانما تلقاها عليه السلام من جهة الوحي فبشرهم بها بعد ما اول وامرهم بالتدبير اللائق في شأنه ابانة
لعلو كعبه ورسوخ قدمه في الفضل وانه محيط بما لم يخطر ببال احد فضلا عما يرى صورته في المنام على نحو قوله
لصاحبيه عند استفتائهما في منامهما لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله واتماما للنعمة عليهم حيث لم يشاركه
عليه السلام في العلم بوقوعها احد ولو برؤية ما يدل عليها في المنام وقال الملك بعد ما جاءه السفير بالتعبير و
سمع منه ما سمع من نقير وقطمير ائتوني به لما علم من علمه وفضله فلما جاءه اي يوسف الرسول واستدعاه
الى الملك قال ارجع الى ربك اي سيدك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن اي فتشه عن شأنهن وانما لم يقل فاسأله ان
يفتش في ذلك حثا للملك على الجد في التفتيش ليتبين براءته وتتضح نزاهته اذ السؤال مما يهيج الانسان على الاهتمام
في البحث المفضي عما توجه اليه واما الطلب فمما قد يتسامح ويتساهل فيه ولا يبالي به وانما لم يتعرض لامرأة
العزيز مع ما لقي منها ما لقي من مقاساة الاحزان ومعاناة الاشجان محافظة على مواجب الحقوق واحترازا
عن مكرها حيث اعتقدها مقيمة في عدوة العداوة واما النسوة فقد كان يطمع في صدعهن بالحق وشهادتهن
باقرارها بانها راودته عن نفسه فاستعصم ولذلك اقتصر على وصفهن بتقطيع الايدي ولم يصرح بمراودتهن
له وقولهن اطع مولاتك واكتفى بالايماء الى ذلك بقوله ان ربي بكيدهن عليم مجاملة معهن واحترازا عن سوء
قالتهن عند الملك وانتصابهن للخصومة مدافعة عن انفسهن متى سمعن بنسبته لهن الى الفساد قال استئناف
مبني على السؤال كأنه قيل فماذا كان بعد ذلك فقيل قال الملك اثر ما بلغه الرسول الخبر واحضرهن ما خطبكن اي
شأنكن وهو الامر الذي يحق لعظمه ان يخاطب المرء فيه صاحبه اذ راودتن يوسف وخادعتنه عن نفسه ورغبتنه

في الطاعة

في طاعة مولاته هل وجدتن فيه شيئا من سوء وريبة قلن حاش لله تنزيها له وتعجبا من نزاهته وعفته ما علمنا
عليه من سوء بالغن في نفي جنس السوء عنه بالتنكير وزيادة من قالت امرأة العزيز وكانت حاضرة في المجلس وقيل
اقبلت النسوة عليها يقررنها وقيل خافت ان يشهدن عليها بما قالت لهن ولقد راودته عن نفسه فاستعصم
ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين فاقرت قائلة الآن حصحص الحق اي ثبت واستقر وتبين
وظهر بعد خفاء قاله الخليل وقيل ماخوذ من الحصة وهي القطعة من الجملة اي تبينت حصة الحق من حصة الباطل
كما تتبين حصص الاراضي وغيرها وقيل بان وظهر من حص شعره اذا استأصله بحيث ظهرت بشرة راسه وقرئ
على البناء للمفعول من حصحص البعير مباركه اي القاها في الارض للاناخة قال الشاعر فحصحص في صم الصفا ثفناته
وناء بسلمى نوءة ثم صمما • والمعنى ان الحق في مقره ووضع في موضعه ولم ترد بذلك مجرد ظهور ما ظهر بشهادتهن
من مطلق نزاهته عليه السلام فيما احاط به علمهن من غير تعرض لنزاهته عليه السلام في سائر المواطن خصوصا فيما وقع فيه
التشاجر بمحضر العزيز ولا بحث عن حال نفسها وما صنعت في ذلك بل ارادة ظهور ما هو متحقق في نفس الامر وثبوته من نزاهته
عليه السلام في محل النزاع وخيانتها فقالت انا راودته عن نفسه لا انه راودني عن نفسي وانه لمن الصادقين اي في قوله
حين افتريت عليه هي راودتني عن نفسي واردت بالآن زمان تكلمها بهذا الكلام لا زمان شهادتهن فتامل ايها المنصف هل ترى فوق
هذه المرتبة نزاهة حيث لم تتمالك الخصماء من الشهادة بها والفضل ما شهدت به الخصماء • وانما تصدى عليه السلام لتمهيد
هذه المقدمة قبل الخروج ليظهر براءة ساحته عما قرفت به لاسيما عند العزيز قبل ان يحل ما عقده كما يعرب عنه قوله عليه السلام
لما رجع اليه الرسول واخبره بكلامهن ذلك اي ذلك التثبت المؤدي الى ظهور حقيقة الحال ليعلم اي العزيز اني لم اخنه في
حرمته كما زعمه لا علما مطلقا فان ذلك لا يستدعي تقديم التفتيش على الخروج من السجن بل قبل ما ذكر من نقض ما ابرمه ولعله
لمراعاة حقوق السيادة لان المباشرة للخروج من حبسه قبل ظهور بطلان ما جعله سببا له وان كان ذلك بامر الملك
مما يوهم الافتيات على رايه واما ان يكون ذلك لئلا يتمكن من تقبيح امره عند الملك تمحلا لامضاء ما قضاه فلا يليق بشأنه عليه
السلام في الوثوق بامره والتوكل على ربه عز وجل بالغيب اي بظهر الغيب وهو حال من الفاعل او المفعول اي لم اخنه
وانا غائب عنه او وهو غائب عني او ظرف اي بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة وايا ما كان فالمقصود بيان كمال
نزاهته عن الخيانة وغاية اجتنابه عنها عند تعاضد اسبابها وان الله اي وليعلم انه تعالى لا يهدي كيد الخائنين اي لا ينفذه
ولا يسدده بل يبطله ويزهقه او لا يهديهم في كيدهم ايقاعا للفعل على الكيد مبالغة كما في قوله تعالى يضاهون قول الذين
كفروا اي يضاهونهم في قولهم وفيه تعريض بامرأته في خيانتها امانته وبه في خيانته امانة الله تعالى حين ساعدها
على حبسه بعد ما رأوا آيات نزاهته عليه السلام ويجوز ان يكون ذلك لتاكيد امانته وانه لو كان خائنا لما هداه الله عز
وجل امره واحسن عاقبته وما ابرئ نفسي اي لا انزهها عن السوء قاله عليه السلام هضما لنفسه الكريمة
البريئة عن كل سوء ورياء لمكانها عن التزكية والاعجاب بحالها عند ظهور كمال نزاهتها على اسلوب قوله صلى الله عليه وسلم
انا سيد ولد آدم ولا فخر وتحديثا بنعمة الله عز وجل عليه وابرازا لسر المكنون في شأن افعال العباد اي لا انزهها عن
السوء من حيث هي هي ولا اسند هذه الفضيلة اليها بمقتضى طبعها من غير توفيق من الله عز وجل ان النفس البشرية
من جملتها نفسي في حد ذاتها لامارة بالسوء مائلة الى الشهوات مستعملة للقوى والآلات في تحصيلها بل انما ذلك بتوفيق
الله تعالى وعصمته ورحمته كما يفيده قوله الا ما رحم ربي من النفوس التي يعصمها من الوقوع في المهالك ومن جملتها نفسي
او هي امارة بالسوء في كل وقت الا وقت رحمة ربي تعالى وعصمته لها وقيل الاستثناء منقطع اي لكن رحمة ربي هي التي
تصرف عنها السوء كما في قوله تعالى ولا هم ينقذون ان ربي غفور رحيم عظيم المغفرة لما يعتري النفوس بموجب طباعها
ومبالغ في الرحمة لها بعصمتها من الجريان بمقتضى ذلك وايثار الاظهار في مقام الاضمار مع التعرض لعنوان الربوبية لتربية
مبادي المغفرة والرحمة وقيل الى هنا من كلام امرأة العزيز والمعنى ذلك الذي قلت ليعلم يوسف عليه السلام اني لم
اخنه ولم اكذب عليه في حال الغيبة وجئت بما هو الحق الواقع وما ابرئ نفسي مع ذلك من الخيانة حيث قلت في حقه

اي

ما قلت وفعلت بر ما فعلت ان كل نفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي الا انفسا رحمها الله تعالى بالعصمة كنفس يوسف عليه السلام ان ربي لغفور لمن استغفر لذنبه واعترف به رحيم له فعلى هذا يكون تانية عليه السلام في الخروج من السجن لعدم رضاه عليه السلام بملاقاة الملك وامره بين بين ففعل ما فعل حتى تبين نزاهته وانه انما سجن بظلم عظيم مع ما له من الفضل ونباهة الشان ليتلقاه الملك بما يليق به من الاعظام والاجلال وقد وقع **وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي** اجعله خالصا لنفسي وخاصا بي **فلما كلمه** اي فاتوا به فحذف للايذان بسرعة الاتيان به فكانه لم يكن بين الامر باحضاره والخطاب معه زمان اصلا والضمير المستكن في كلمه ليوسف والبارز للملك اي فلما كلمه يوسف اثر ما اتاه فاستنطقه وشاهد منه ما شاهد **قال انك اليوم لدينا مكين** ذو مكانة ومنزلة رفيعة **امين** مؤتمن على كل شيء واليوم ليس معيارا لمدة المكانة والامانة بل هو ان التكلم **والمراد** تحديد مبداهما احترازا عن احتمال كونهما بعد حين **روي** انه عليه السلام لما جاءه الرسول خرج من السجن ودعا لاهله واغتسل ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك **قال اللهم** اني اسئلك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية **فقال** ما هذا اللسان **قال** لسان ابائي وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه **فقال** احب ان اسمع منك رؤياي فحكاها ونعت له البقرات والسنابل واماكنها على ما راها فاجلسه على السرير وفوض اليه امره **وقيل** توفي قطفير في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوجه راعيل فوجدها عذراء وولدت له افرايم وميشا ولعل ذلك انما كان بعد تعيينه عليه السلام لما عين له من امر الخزائن كما يعرب عنه قوله عز وجل **قال اجعلني على خزائن الارض** اي ارض مصر اي ولني امرها من الايراد والصرف **اني حفيظ** لها ممن لا يستحقها **عليم** بوجوه التصرف فيها وفيه دليل على جواز طلب الولاية اذا كان الطالب ممن يقدر على اقامة العدل واجراء احكام الشريعة وان كان من يد الجائر والكافر **وعن** مجاهد انه اسلم الملك على يده عليه السلام **ولعل** ايثاره عليه السلام لتلك الولاية خاصة انما كان للقيام بما هو اهم امور السلطنة اذ ذاك من تدبير امر السنين حسبما فصل في التاويل لكونه من فروع تلك الولاية لمجرد عموم الفائدة وجسوم العائدة • كما قيل وان لم يذكر اجابة الملك الى ما ساله عليه السلام من جعله على خزائن الارض ايذانا بان ذلك امر لا مرد له غني عن التصريح به لا سيما بعد تقديم ما يندرج تحته احكام السلطنة بحذافيرها من قوله انك اليوم لدينا مكين امين وللتنبيه على ان كل ذلك من الله عز وجل وانما الملك آلة في ذلك قيل **وكذلك** اي مثل ذلك التمكين البديع **مكنا ليوسف** اي جعلنا ليوسف مكانا **في الارض** اي ارض مصر **روي** انها كانت اربعين فرسخا في اربعين وفي التعبير عن الجعل المذكور بالتمكين في الارض مسندا الى ضمير عن سلطانه من تشريفه عليه السلام والمبالغة في كمال ولايته والاشارة الى حصول ذلك من اول الامر لا انه حصل بعد السؤال ما لا يخفى **يتبوأ منها** ينزل من بلادها **حيث يشاء** ويتخذه مباءة وهو عبارة عن كمال قدرته على التصرف فيها ودخولها تحت ملكته وسلطانه فكانها منزله يتصرف فيها كما يتصرف الرجل في منزله **وقرا** ابن كثير بالنون **روي** ان الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت **فقال** عليه السلام اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا لباس ابائي **قال** قد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض اليه الملك امره واقام العدل بمصر واحبته الرجال والنساء وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام في السنة الاولى بالدنانير والدراهم وفي الثانية بالحلي والجواهر وبالثالثة بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا ما راينا كاليوم ملكا اجل واعظم منه ثم اعتقهم ورد اليهم املاكهم وكان لا يبيع من احد من الممتارين اكثر من حمل بعير تقسطا بين الناس **نصيب برحمتنا** بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم **من نشاء** بمقتضى الحكمة الداعية الى المشية المذكورة احسان من نصيبه الرحمة المرقومة وانها اجره ولدفع توهم انحصار ثمرات الاحسان فيما ذكر من الاجر العاجل **قيل** على سبيل التوكيد **ولاجر الآخرة** اي اجرهم في الآخرة فالاضافة للملابسة وهو النعيم

ولا نضيع اجر المحسنين
بل نوفيه بكماله وفيه اشعار
بان مدار المشية
صح

المقيم الذي

المقيم الذي لا نفاد له **خير** لهم اي للمحسنين المذكورين وانما وضع موضعه الموصول فقيل **للذين آمنوا وكانوا يتقون** تنبيها على ان المراد بالاحسان انما هو الايمان والثبات على التقوى المستفاد من جميع صيغتي الماضي والمستقبل **وجاء اخوة يوسف** ممتارين لما اصاب ارض كنعان وبلاد الشام ما اصاب مصر وقد كان ارسلهم يعقوب عليه السلام جميعا غير ابن يامين **فدخلوا عليه** اي على يوسف وهو في مجلس ولايته **فعرفهم** لقوة فهمه وعدم مباينة احوالهم السابقة لحالهم يومئذ لمفارقته اياهم وهم رجال وتشابه هيئاتهم وزيهم في الحالين ولكون همته معقودة بهم وبمعرفة احوالهم لا سيما في زمن القحط **وعن** الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا اليه **وهم له منكرون** اي والحال انهم منكرون له لطول العهد وتباين ما بين حاليه عليه السلام في نفسه ومنزلته وزيه ولاعتقادهم انه هلك وحيث كان انكارهم له امرا مستمرا في حالتي الحضور والمغيب اخبر عنهم بالجملة الاسمية بخلاف عرفانه عليه السلام اياهم **ولما جهزهم بجهازهم** اي اصلحهم بعدتهم من الزاد وما يحتاج اليه المسافر واوقر ركائبهم بما جاؤا له من الميرة **وقرئ** بكسر الجيم **قال ائتوني باخ لكم من ابيكم** لم يقل باخيكم مبالغة في اظهار عدم معرفته لهم ولعله عليه السلام انما قال له لما قيل من انهم سالوه عليه السلام حملا زائدا على المعتاد لبنيامين فاعطاهم ذلك وشرطهم معه ان ياتوا به لما قيل من انه لما راوه وكلموه بالعبرانية قال لهم من انتم فاني انكركم فقالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار **فقال** لهم لعلكم جئتم عيونا قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ كبير صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب **قال** كم انتم قالوا اثنا عشر فهلك منا واحد **فقال** كم انتم ها هنا قالوا عشرة **قال** فاين الحادي عشر قالوا هو عند ابيه يتسلى به عن الهالك **قال** فمن يشهد لكم انكم لستم عيونا وانما تقولون حق قالوا نحن ببلاد لا يعرفنا فيها احد فيشهد لنا **قال** فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم وهو يحمل الرسالة من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصاب القرعة شمعون فخلفوه عنده اذ لا يساعده ورود الامر بالاتيان به عند التجهيز ولا الحث عليه لايفاء الكيل ولا الاحسان في الانزال ولا الاقتصار على منع الكيل على تقدير عدم الاتيان به ولا جعل بضاعتهم في رحالهم لاجل رجوعهم ولا عدتهم بالاتيان به بطريق المراودة ولا تعليلهم عند ابيهم ارسال اخيهم بمنع الكيل من غير ذكر الرسالة على ان استبقاء شمعون لو وقع لكان ذلك طامة ينسى عندها كل قيل وقال **الا ترون اني اوفي الكيل** اتمه لكم وايثار صيغة الاستقبال مع كون هذا الكلام بعد التجهيز للدلالة على ان ذلك عادة له مستمرة **وانا خير المنزلين** جملة حالية اي الا ترون اني اوفي الكيل لكم ايفاء مستمرا والحال اني في غاية الاحسان في انزالكم وضيافتكم وقد كان الامر كذلك وتخصيص الرؤية بالايفاء لوقوع الخطاب في اثنائه واما الاحسان في الانزال فقد كان مستمرا فيما سبق ولحق ولذلك اخبر عنه بالجملة الاسمية ولم يقل عليه السلام بطريق الامتنان بل لحثهم على تحقيق ما امرهم به والاقتصار في الكيل على ما ذكر الايفاء لان معاملته عليه السلام معهم في ذلك كمعاملته مع غيرهم في مراعاة مواجب العدول واما الضيافة فليس للناس فيها حق فخصهم في ذلك بما شاء **فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي** من بعد فضلا عن ايفائه **ولا تقربون** بدخول بلادي فضلا عن الاحسان في الانزال والضيافة وهو اما نهي او نفي معطوف على محل الجزاء وفيه دليل على انهم كانوا على نية الامتيار مرة بعد اخرى وان ذلك كان معلوما له عليه السلام **قالوا سنراود عنه اباه** اي سنخادعه عنه ونحتال في انتزاعه من يده ونجتهد في ذلك وفيه تنبيه على عزة المطلب وصعوبة مناله **وانا لفاعلون** ذلك غير مفرطين فيه ولا متوانين اي لقادرون على الاتيان به **وقال** يوسف **لفتيانه** غلمانه الكيالين جمع فتى **وقرئ** لفتيته وهي جمع قلة له **اجعلوا بضاعتهم في رحالهم** فانه وكل بكل رحل رجلا يعبي فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعله عليه السلام تفضلا عليهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به مرة اخرى وكل ذلك لتحقيق ما يتوخاه من رجوعهم باخيه كما يؤذن **لعلهم يعرفونها** اي يعرفون حق ردها والتكرم في ذلك او لكي يعرفوها وهو ظاهر التعلق بقوله **اذا انقلبوا الى اهلهم** فان معرفتهم لها مقيدة بالرجوع وتفريغ الاوعية قطعا واما معرفة حق التكرم في ردها فهي وان كانت في ذاتها غير مقيدة بذلك لكن لما كان ابتداؤها حين اذ قيدت به **لعلهم يرجعون** حسبما امرتهم به فان التفضل عليهم باعطاء البدلين ولا سيما عند اعواز البضاعة من اقوى الدواعي الى الرجوع **وقيل** انما فعله عليه

السلام لما لم يرمن الكرم ان ياخذ من ابيه واخوته ثمنا فكلام حق في نفسه ولكن يا باه التعليل المذكور للرجوع من حيث انه تم
تحملهم علي رد البضاعة لانهم لا يستحلون امساكها فمدار حسبانهم انها بقيت في رحالهم نسيانا وظاهر ان ذلك مما
لا يخطر ببال احد اصلا فان هيئة التعبية تنادي بان ذلك بطريق التفضل الا يري انهم كيف جزموا بذلك حين راوها وجعلو
ذلك دليلا علي التفضلات السابقة كما ستحيط به خبرها **فلما رجعوا الي ابيهم** قبل ان يشتغلوا بفتح المتاع **قالوا يا ابانا منع**
منا الكيل اي فيما بعد وفيه ما لا يخفي من الدلالة علي كون الامتيار مرة بعد مرة معهودا فيما بينهم وبينه عليه السلام **فارسل**
معنا اخانا بنيامين الي مصر وفيه ايذان بان مدار المنع عدم كونه معهم **نكتل** بسببه من الطعام ما نشاء **وقرا حمزة**
والكسائي بالياء علي اسناده الي الاخ لكونه سببا للاكتيال او يكتل لنفسه مع اكتيالنا **وانا له لحافظون** من ان يصيبه مكروه
قال هل امنكم عليه الا كما امنتكم علي اخيه يوسف **من قبل** وقد قلتم في حقه ايضا ما قلتم ثم فعلتم به ما فعلتم فلا اثق بكم ولا بحفظكم
وانما افوض الامر الي الله **فالله خير حافظا** وقرئ حفظا وانتصابهما علي التمييز والحالية علي القراءة الاولي توهم تقييد الخيرية
بتلك الحالة **وهو ارحم الراحمين** فارجو ان يرحمني بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين وهذا كما تري ميل عنه عليه السلام الي الاذن
والارسال لما راي فيه من المصلحة **ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم** اي تفضلا وقد علموا ذلك بما مر من دلالة الحال
وقرئ بنقل حركة الدال المدغمة الي الراء كما قيل وكيل **قالوا** استئناف مبني علي السؤال كانه قيل ماذا قالوا حينئذ فقيل
قالوا لابيهم ولعله كان حاضرا عند الفتح **يا ابانا ما نبغي** اذا فسر البغي بالطلب فما اما استفهامية منصوبة به فالمعني ماذا
نبتغي وراء ما وصفنا لك من احسان الملك الينا وكرمه الداعي الي امتثال امره والمراجعة اليه في الحوائج وقد كانوا اخبروه بذلك
وقالوا له انا قدمنا علي خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة لو كان رجلا من ال يعقوب ما اكرمنا كرامته وقوله تعالي **هذه بضاعتنا**
ردت الينا جملة مستانفة موضحة لما دل عليه الانكار من بلوغ اللطف غايته كانهم قالوا كيف لا وهذه بضاعتنا ردها
الينا تفضلا من حيث لا ندري بعد ما من علينا من المنن العظام هل من مزيد علي هذا فنطلبه ولم يريدوا به الاكتفاء بذلك
مطلقا والتقاعد عن طلب نظايره بل ارادوا الاكتفاء به في استيجاب الامتثال لامره والالتجاء اليه في استجلاب المزيد كما
اشرنا اليه وقوله تعالي ردت الينا حال من بضاعتنا والعامل معني الاشارة وايثار صيغة البناء للمفعول للايذان بكمال التناسي
عن كمال الاخفاء المفهوم من كمال غفلتهم عنه بحيث لم يشعروا به ولا بفاعله وقوله عز وجل **ونمير اهلنا** اي نجلب لهم الطعام
من عند الملك معطوف علي مقدر ينسحب عليه رد البضاعة اي فنستظهر بها ونمير اهلنا **ونحفظ اخانا** من المكاره حسبما
وعدنا فما يصيبه من مكروه **ونزداد** بواسطته ولذلك وسط الاخبار بحفظه بين الاصل والمزيد **كيل بعير** اي وسق
بعير زائد علي اوساق اباعرنا علي قضية التقسيط **ذلك** اي ما تحمله اباعرنا **كيل يسير** اي مكيل قليل لا يقوم باودنا
فهو استئناف وقع تعليلا لما سبق كانه قيل اي حاجة الي الازدياد فقيل ما قيل او ذلك الكيل الزائد شيء قليل لا يضايقنا
فيه الملك او سهل عليه لا يتعاظمه او اي مطلب نطلب من مهماتنا والجمل الواقعة بعده توضيح وبيان لما يشعر به الانكار
من كونهم فايزين ببعض المطالب او متمكنين من تحصيله فكانهم قالوا بضاعتنا حاضرة فنستظهر بها ونمير اهلنا ونحفظ
اخانا فما يصيبه شيء من المكاره ونزداد بسببه غير ما نكتاله لانفسنا كيل بعير فاي شيء نبتغي وراء هذه المباغي المشتملة
علي سلامة اخينا وسعة ذات ايدينا او وراء ما فعل بنا الملك من الاحسان داعيا الي التوجه اليه والجملة الاستئنافية
موضحة لذلك او اي شيء نبتغي شاهدا علي صدقنا فيما وصفنا لك من احسانه والجملة المذكورة عبارة عن الشاهد المدلول
عليه بفحوي الانكار واما نافية فالمعني ما نبتغي شيئا غير ما رايناه من احسان الملك في وجوب المراجعة اليه او ما نبتغي غير
هذه المباغي **وقيل** ما نطلب منك بضاعة اخري والجملة مستانفة تعليل له واما اذا فسر البغي بمجاوزة الحد فما نافية
فقط والمعني ما نبغي في القول وما نزيد فيما وصفنا لك من احسان الملك الينا وكرمه الموجب لما ذكر والجملة المستانفة
لبيان ما ادعوا من عدم وقوله ونمير اهلنا عطف علي ما نبغي اي ما نبغي فيما ذكرنا من احسانه وتحصيل امثاله من مير اهلنا
وحفظ اخينا وان ذلك اهون شيء بواسطة احسانه وقد جوز ان يكون كلاما مبتدا اي جملة اعتراضية تذييلية علي
معني وينبغي ان نمير اهلنا وشبه ذلك بقولك سعيت في حاجة فلان ويجب ان تسعي وانت خبير بان شان الجملة التذ[ييلية]

ان يكون موكدة لمضمون الصدد ومقررة له كما في المثال المذكور وقولك فلان ينطق بالحق والحق ابلج
وان قوله ونمير الي اخره وان ساعد في حمله علي معني ينبغي ان نمير اهلنا بمعزل من ذلك او ما نبغي في الراي وما
نعدل عن الصواب فما نشير به عليك من ارسال اخينا معنا والجمل الي اخرها تفصيل وبيان لعدم بغيهم وانما
رايهم اي بضاعتنا حاضرة نستظهر بها ونمير اهلنا ونصنع كيت وكيت فتامل **قال لن ارسله معكم** بعد
ما عاينت منكم ما عاينت **حتي تؤتون موثقا من الله** اي ما تتوثق به من جهته عز وجل وانما جعله موثقا منه
تعالي لان توكيدنا لعهود به ماذون فيه من جهته تعالي فهو اذن منه عز وعلا **لتاتنني به** جواب القسم
اذ المعني حتي تحلفوا بالله لتاتنني به **الا ان يحاط بكم** اي الا ان تغلبوا فلا تطيقوا اتيانه او الا ان تهلكوا
واصله من احاطة العدو فان من احاط به العدو فقد هلك غالبا وهو استثناء من اعم الاحوال او اعم العلل علي
تاويل الكلام بالنفي الذي ينساق اليه اي لتاتنني به ولا تمتنعن منه في حال من الاحوال او لعلة من العلل
الا حال الاحاطة بكم او لعلة الاحاطة بكم ونظيره قولهم اقسمت عليك لما فعلت والا فعلت اي ما اريد منك
الا فعلك وقد جوز الاول بلا تاويل ايضا اي لتاتنني به علي كل حال الا حال الاحاطة بكم وانت تدري انه حيث
لم يكن الاتيان به من الافعال الممتدة الشاملة للاحوال علي سبيل المعية كما في قولك لالزمنك الا ان تعطيني
حقي ولم يكن مراده عليه السلام مقارنته علي سبيل البدل لما عدا الحال المستثناة كما اذا قلت صل الا ان تكون
محدثا بل مجرد تحققه ووقوعه من غير اخلال به كما في قولك لاحجن العام الا ان احصر فان مرادك انما هو
الاخبار بعدم منع ماسوي حال الاحصار عن الحج لا الاخبار بمقارنته لتلك الاحوال علي سبيل البدل كما هو
مرادك في مثال الصلوة كان اعتبار الاحوال معه من حيث عدم منعها منه فال المعني الي التاويل المذكور
فلما اتوه موثقهم عهدهم من الله حسبما اراد يعقوب عليه السلام **قال الله علي ما نقول** اي علي ما قلنا
في اثناء طلب الموثق واتيانه من الجانبين وايثار صيغة الاستقبال للاستحضار صورة المودي الي تثبتهم
ومحافظتهم علي تذكره ومراقبته **وكيل** اي مطلع رقيب يريد به عرض ثقته بالله تعالي وحثهم علي مراعاة
وقال ناصحا لهم لما ازمع علي ارسالهم جميعا **يا بني لا تدخلوا** مصر **من باب واحد** نهاهم عن ذلك حذرا من
اصابة العين فانهم كانوا ذوي جمال وشارة حسنة وقد كانوا تجملوا في هذه الكرة اكثر مما في المرة
الاولي وقد اشتهروا في مصر بالكرامة والزلفي لدي الملك بخلاف النوبة الاولي فكانوا مظنة لان يكونوا
ناظر وطموح كل طامح واصابة العين بتقدير العزيز الحكيم ليست مما ينكر وقد ورد عنه عليه السلام
ان العين حق **وعنه** عليه الصلوة والسلام ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر وكان
صلي الله عليه وسلم يعوذ الحسنين رضي الله عنهما بقوله اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان
وهامة ومن كل عين لامة وكان يقول كان ابوكما يعوذ بهما اسمعيل واسحق عليهم السلام رواه
البخاري في صحيحه وقد شهدت بذلك التجارب ولما لم يكن عدم الدخول من باب واحد مستلزما للدخول
من ابواب متفرقة وكان في دخولهم من بابين او ثلثة بعض ما في الدخول من باب واحد من نوع اجتماع
مصحح لوقوع المحذور قال **وادخلوا من ابواب متفرقة** بيانا لما هو المراد بالنهي وانما لم يكتف بهذا الامر
مع كونه مستلزما له اظهارا لكمال العناية وايذانا بانه المراد بالامر المذكور لا تحقيق شيء اخر **وما اغني**
عنكم اي لا انفعكم ولا ادفع عنكم بتدبيري **من الله من شيء** اي شيئا مما قضي عليكم فان الحذر لا
يمنع القدر ولم يرد به عليه السلام الغاء الحذر بالمرة كيف لا وقد قال عز قائلا ولا تلقوا بايديكم الي
التهلكة وقال خذوا حذركم بل اراد بيان ان ما وصاهم به ليس مما يستوجب المراد لا محالة بل هو
تدبير في الجملة وانما التاثير وترتيب المنفعة عليه من العزيز القدير وان ذلك ليس بمدافعة القدر
بل هو استعانة بالله تعالي وهرب منه اليه **ان الحكم** مطلقا **الا لله** لا يشاركه احد ولا يمانعه

شئ عليه لا على احد سواه توكلت في كل ما آتي واذر وفيه دلالة على ان ترتيب الاسباب غير مخل بالتوكل وعليه دون غيره
فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة مع تقديم الصلة للاختصاص مقيدا بالواو وعطف فعل غيره
من تخصيص التوكل بالله عز وجل على فعل نفسه وبالفاء سببية فعله لكونه نبيا لفعل غيره من المتعدين به فيدخل فيهم بنوه
دخولا اوليا وفيه ما لا يخفى من حسن هدايتهم وارشادهم الى التوكل فيما هم بصدده على الله عز وجل غير مغترين بما وصاهم
به من التدبير ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم من الابواب المتفرقة من البلد قيل كانت له اربعة ابواب فدخلوا منها
وانما اكتفي بذكره لاستلزامه الانتهاء عما نهوا عنه ما كان ذلك الدخول يغني فيما سيأتي عند وقوع ما وقع عنهم عن لما
لان المقصود به استدفاع الضرر عنهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لتحقق المقارنة الواجبة بين جواب لما ومدخوله فان
عدم الاغناء بالفعل انما يتحقق عند نزول المحذور لا وقت الدخول وانما المتحقق حينئذ ما افاده الجمع المذكور من عدم كون
الدخول المذكور مغنيا فيما سيأتي فتامل من الله من جهته من شيء اي شيئا مما قضاه عليهم مع كونه مظنة لذلك في بادي الراي حيث
وصاهم به يعقوب عليه السلام وعملوا بموجبه واثقين بجدواه من فضل الله تعالى وليس المراد بيان سببية الدخول المذكور
لعدم الاغناء كما في قوله تعالى فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا فان مجي النذير هناك سبب لزيادة نفورهم بل بيان عدم
سببيته للاغناء مع كونها متوقعة في بادي الراي كما في قولك حلف ان يعطيني حقي عند حلول الاجل فلما حل لم يعطني شيئا فان المراد
بيان عدم سببية حلول الاجل للاعطاء مع كونها مرجوة بموجب الحلف لا بيان سببيته لموجب الاعطاء فالمآل بيان عدم
ترتب الغرض المقصود على التدبير المعهود مع كونه مرجو الوجود لا بيان ترتب عدمه عليه ويجوز ان يراد ذلك ايضا بناء على
ما ذكره عليه السلام في تضاعيف وصيته من انه لا يغني عنهم من الله شيئا فكأنه قيل ولما فعلوا ما وصاهم به لم يفد ذلك
شيئا ووقع الامر حسبما قال عليه السلام فلقوا ما لقوا فيكون من باب وقوع المتوقع فتامل الا حاجة استثناء منقطع اي
ولكن حاجة وحزازة كائنة في نفس يعقوب قضاها اي اظهرها ووصاهم بها دفعا للخاطرة غير معتقد ان للتدبير تاثيرا
في تغير التقدير وقد جعل ضمير الفاعل في قضاها للدخول على معنى ان ذلك الدخول قضى حاجة في نفس يعقوب وهي ارادته ان
يكون دخولهم من ابواب متفرقة فالمعنى ما كان ذلك الدخول يغني عنهم من جهة الله شيئا ولكن قضى حاجة حاصلة في نفس
يعقوب فالمعنى ما كان ذلك الدخول يغني عنهم من جهة الله شيئا ولكن قضى حاجة بوقوعه حسب ارادته فالاستثناء منقطع
ايضا وعلى التقديرين لم يكن للتدبير فائدة سوى دفع الخاطرة واما اصابة العين فانما لم تقع لكونها غير مقدرة عليهم لا
لانها اندفعت بذلك مع كونها مقتضية عليهم وانه لذو علم جليل لما علمناه لتعليمنا اياه بالوحي ونصب الادلة
حيث لم يعتقد ان الحذر يدفع القدر وان التدبير له حظ من التاثير حتى يتبين الخلل في رايه عند تخلف الاثر
او حيث بت القول لانه لا يغني عنهم من الله شيئا فكان الحال كما قال وفي تاكيد الجملة بان واللام وتنكير العلم وتعليله بالتعليم
المسند الى ذاته سبحانه من الدلالة على جلالة شان يعقوب عليه السلام وعلو مرتبة علمه وفخامته ما لا يخفى ولكن اكثر
الناس لا يعلمون اسرار القدر ويزعمون انه يغني عنه الحذر واما ما قيل من ان المعنى لا يعلمون ايجاب الحذر مع انه لا
يغني شيئا من القدر فيأباه مقام بيان تخلف المطلوب على المبادي ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه بنيامين ضمه اليه
في الطعام او في المنزل او فيهما روي انهم لما دخلوا عليه قالوا له هذا اخونا قد جئناك به فقال لهم احسنتم وستجدون
ذلك عندي فاكرمهم ثم اضافهم واجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه
فقال يوسف بقي اخوكم فريدا واجلسه معه على مائدته وجعل يواكله ثم انزل كل اثنين منهم بيتا فقال هذا لا ثاني معه فيكون
معي فبات يوسف يضمه اليه ويشم رائحته حتى اصبح وسأله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتققت اسماءهم من اسم اخ لي
هلك فقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل
فبكى يوسف وقام اليه فعانقه وتعرف اليه وعند ذلك قال اني انا اخوك يوسف فلا تبتئس اي فلا تحزن
بما كانوا يعملون بنا فيما مضى فان الله تعالى قد احسن الينا وجمعنا بخير ولا تعلمهم بما اعلمتك قاله ابن عباس رضي
الله عنهما وعن وهب انه لم يتعرف اليه بل قال له انا اخوك بدل اخيك المفقود ومعنى لا تبتئس لا تحزن بما كنت

تلقاهم

تلقاهم من الحسد والاذى فقد امنتهم روي انه قال له فانا لا افارقك قال قد علمت باغتمام والدي بي فاذا حبستك
ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا ان انسبك الى ما لا يجمل قال لا ابالي فافعل ما بدا لك قال ادس صاعي في رحلك ثم
انادي عليك بانك سرقته ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك معهم قال افعل فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية اي المشربة
قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل كانت تسقى بها الدواب ويكال بها الحبوب وكانت من فضة
وقيل من ذهب وقيل من فضة مموهة بالذهب وقيل كانت انا مستطيلة تشبه المكوك الفارسي الذي يلتقي
طرفاه يستعمله الاعاجم وقيل كانت مرصعة بالجواهر في رحل اخيه بنيامين وقرئ وجعل على حذف جواب لما تقديره
امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن نادى مناد ايتها العير وهي الابل التي عليها الاحمال لانها تعير تذهب وتجيء وقيل
هي قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كانها جمع عير واصلها فعل مثل سقف وسقف فعل به ما فعل ببيض وغيد
والمراد اصحابها كما في قوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي روي انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا منزلا وقيل
خرجوا من العمارة ثم امر بهم فادركوا ونودوا انكم لسارقون الخطاب اذ كان بامر يوسف فلعله اريد بالسرقة اخذهم
له من ابيه ودخول بنيامين فيه بطريق التغليب والا فهو من قبل المؤذن بناء على زعمه والاول هو الاظهر الاوفق للسباق
وقرا اليماني سارقون بلا لام قالوا اي الاخوة واقبلوا عليهم جملة حالية من ضمير قالوا جي بها للدلالة على انزعاجهم
مما سمعوه لمباينته لحالهم ماذا تفقدون اي تعدمون تقول فقدت الشي اذا عدمته بان ضل عنك لا بفعلك والمعنى
ماذا ضاع عنكم وصيغة المستقبل لاستحضار الصورة وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا وعلى التقديرين
فالعدول عما يقتضيه الظاهر من قولهم ماذا سرق منكم لبيان كمال نزاهتهم باظهار انه لم يسرق منهم شي فضلا ان يكونوا هم
السارقين له وانما الممكن ان يضيع منهم شي فيسألونهم انه ماذا وفيه ارشادهم الى مراعاة حسن الادب والاحتراز عن
المجازفة ونسبة البراء الى ما لا خير فيه لا سيما بطريق التوكيد فلذلك غيروا كلامهم حيث قالوا في جوابهم نفقد صواع
الملك لم يقولوا سرقتموه او سرق وقرئ صاع وصوع وصوع بفتح الصاد وضمها او باهمال العين واعجامها
من الصياغة ثم قالوا تربية لما تلقوه من قبلهم وازاحة لاعتقاد انه ما بقي في رحلهم اتفاقا ولمن جاء به من عند
نفسه مظهرا له قبل التفتيش حمل بعير من الطعام جعلا له لا على نية تحقيق الوعد لجزمهم بامتناع وجود
الشرط وعزمهم على ما لا يخفى من اخذ من وجد في رحله وانا به زعيم كفيل اوديه وهو قول المؤذن قالوا تالله الجمهور
على ان التاء بدل من الواو ولذلك لا تدخل الا على الجلالة المعظمة او الرب المضاف الى الكعبة او الرحمن في قول ضعيف
ولو قلت تالرحيم لم يجز وقيل من الباء وقيل اصل بنفسها وايا ما كان ففيه تعجب لقد علمتم علما جازما
مطابقا للواقع ما جئنا لنفسد في الارض اي لنسرق فانه من اعظم انواع الافساد او لنفسد فيها اي افساد كان مما
عز او هان فضلا عما نسبتمونا اليه من السرقة ونفي المجي للافساد وان لم يكن مستلزما لما هو مقتضى المقام من نفي
الافساد مطلقا لكنهم جعلوا المجي الذي يترتب عليه ذلك ولو بطريق الاتفاق مجيئا لغرض الافساد مفعولا لاجله
ادعاء اظهارا لكمال قبحه عندهم وتربية لاستحالة صدوره عنهم كما قيل في قوله تعالى ما يبدل القول لدي وما انا بظلام
للعبيد الدال بظاهره على نفي المبالغة في الظلم دون نفي الظلم في الجملة الذي هو مقتضى المقام من ان المعنى اذا عذبت
من لا يستحق التعذيب كنت ظلاما مفرطا في الظلم فكأنهم قالوا ان صدر عنا افساد كان مجيئنا لذلك مريدين به تقبيح
حاله واظهار كمال نزاهتهم عنه يعنون انه قد شاع بينكم في كرتي مجيئنا ما نحن عليه وقد كانوا على غاية ما يكون من
الديانة والصيانة فيما يأتون ويذرون حتى روي انهم دخلوا مصر وافواه رواحلهم مكعومة لئلا تتناول
زرعا او طعاما لاحد وكانوا مثابرين على فنون الطاعات وعلمتم بذلك انه لا افساد وما كنا سارقين اي ما كنا
نوصف بالسرقة قط وانما حكموا بعلمهم ذلك لان العلم باحوالهم الشاهدة يستلزم العلم باحوالهم الغائبة وانما لم يكتفوا
بنفي الامرين المذكورين بل استشهدوا بعلمهم بذلك الزاما للحجة عليهم وتحقيقا للتعجب المفهوم من تاء القسم قالوا اي
اصحاب يوسف عليه السلام فما جزاؤه الضمير للصواع على حذف المضاف اي فما جزاء سرقته عندكم وفي شريعتكم

يصدر عنا

ان كنتم كاذبين لا في دعوى البراءة عن السرقة فانهم صادقون فيها بل فيما يستلزمه ذلك من نفي كون الصواع
فيهم كما يؤذن به قوله عز وجل قالوا جزاؤه من وجد اي اخذ من وجد الصواع في رحله حيث ذكر بعنوان الوجدان
في الرحل دون عنوان السرقة وان كان ذلك مستلزما لها في اعتقادهم المبني على القواعد المعتادة ولذلك
اجابوا بما اجابوا فان الاخذ والاسترقاق سنة انما هو جزاء السارق دون من وجد في يده مال غيره كيف
ما كان فتامل واحمل كلام كل فريق على ما يراعي رايه فانه اقرب الى معنى الكيد وابعد من الافتراء فهو جزاؤه
تقرير لذلك الحكم اي فاخذه جزاؤه كقولك حق الضيف ان يكرم فهو حقه ويجوز ان يكون جزاؤه مبتداء
والجملة شرطية كما هي خبره على اقامة الظاهر مقام المضمر والاصل ما جزاؤه من وجد في رحله فهو على ان اول
لمن والثاني للظاهر الذي وضع موضعه كذلك اي مثل ذلك الجزاء الاوفى نجزي الظالمين بالسرقة
تاكيد للحكم المذكور غب تاكيد وبيان لقبح السرقة ولقد فعلوا ذلك ثقة بكمال براءتهم عنها وهم عما
فعل بهم غافلون فبدا يوسف عليه السلام بعد ما رجعوا اليه للتفتيش باوعيتهم باوعية الاخوة
العشرة اي بتفتيشها قبل وعاء اخيه بنيامين لنفي التهمة روي انه لما بلغت النوبة الى وعائه قال
ما اظن هذا اخذ شيئا فقالوا والله لا نترك حتى تنظر في رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا ثم استخرجها
اي السقاية او الصواع فانه يذكر ويؤنث من وعاء اخيه لم يقل منه على رجع الضمير الى الوعاء او من وعائه
على رجعه الى اخيه قصدا الى زيادة كشف وبيان وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة كما في اشاح في وشاح
كذلك نصب على المصدرية والكاف مقحمة للدلالة على فخامة المشار اليه وكذا ما في ذلك من معنى البعد اي
مثل ذلك الكيد العجيب وهو عبارة عن ارشاد الاخوة الى الافتاء المذكور باجرائه على السنتهم وبحملهم عليه
بواسطة المستفتين من حيث لم يحتسبوا فمعنى قوله تعالى كدنا ليوسف صنعنا له ودبرنا لاجل تحصيل
غرضه من المقدمات التي رتبها من دس الصواع وما يتلوه فاللام ليست كما في قوله فيكيدوا لك كيدا فانها
داخلة على المتضرر على ما هو الاستعمال الشايع وقوله تعالى ما كان لياخذ اخاه في دين الملك استيناف وتعليل
لذلك الكيد وصنعه لا تفسير وبيان له كانه قيل لماذا فعل ذلك فقيل لانه لم يكن لياخذ اخاه بما
فعله في دين الملك في امر السارق وانما خصصناه منه بعجزه عن اخذه بل لك اذ لا علاقة بين عجزه المطلق و
بين وبين حكم الملك في خصوص امر السارق اي في سلطانه قاله ابن عباس او في حكمه وقضائه قاله
قتادة الا بهر لان جزاء السارق في دينه انما كان ضربه وتغريمه ضعف ما اخذ دون الاسترقاق والاستعباد
كما هو شريعة يعقوب عليه السلام فلم يكن يتمكن بما صنعه من اخذ اخيه بالسرقة التي نسبها اليه في حال
من الاحوال الا ان يشاء الله اي الا حال مشيئته التي هي عبارة عن ارادته لذلك الكيد والحال مشيئته
للاخذ بذلك الوجه ويجوز ان يكون الكيد في عبارة عنه وعن مباديه المؤدية اليه جميعا من ارشاد يوسف
وقومه الى ما صدر عنهم من الافعال والاقوال حسبما شرح مرتبا لكن لا على ان يكون القصر المستفاد من
تقديم المجرور ماخوذا بالنسبة الى غيره مطلقا على مثل ذلك الكيد كدنا لا كيدا اخر اذ لا معنى لتعليله بعجز
يوسف عليه السلام عن اخذ اخيه في دين الملك في شان السارق قطعا اذ لا علاقة بين مطلق الكيد ودين
الملك في امر السارق اصلا بل بالنسبة الى بعضه على معنى مثل ذلك الكيد البالغ الى هذا الحد كدنا له و
لم نكتف ببعض من ذلك لانه لم يكن ياخذ اخاه في دين الملك به الا حال مشيئتنا له بايجاد ما يجري مجرى الجزء
الصوري من العلة التامة وهو ارشاد اخوته الى الافتاء المذكور وعلى هذا ينبغي ان يحمل القصر في تفسير
من فسر قوله تعالى كدنا ليوسف بقوله علمناه اياه واوحينا به اليه اي مثل ذلك التعليم المستتبع
لما شرح مرتبا علمناه دون بعض من ذلك فقط الى اخره وعلى كل حال فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز
ان يكون من اعم العلل والاسباب اي لم يكن لياخذ اخاه لعلة من العلل او بسبب من الاسباب الا لعلة

مشيئته تعالى

مشيئته تعالى او الا بسبب مشيئته تعالى وايا ما كان فهو متصل لان اخذ السارق اذا كان ممن يرى ذلك ويعتقده دينا لا سيما عند
دينه وافتائه به ليس مخالفا لدين الملك وقد قيل معنى الاستثناء الا ان يشاء الله ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك وانت تدري
ان المراد بدينه ما عليه حينئذ فتغييره مخل بالاتصال وارادة مطلق ما يتدين به اعم منه ومما يحدث يفضي الى كون الاستثناء
من قبيل التعليق بالمحال اذ المقصود بيان عجز يوسف عليه السلام عن اخذ اخيه حينئذ ولم يتعلق المشيئة بالحمل المذكور اذ
ذاك واراد عجزه مطلقا يؤدي الى خلاف المراد فان استثناء حال المشيئة المذكورة من احوال عجزه عليه السلام مما يشعر بعدم
الحاجة الى الكيد المذكور فتدبر وقد جوز الانقطاع اي لكن اخذه بمشيئة الله تعالى واذنه في غير دين الملك نرفع درجات
اي رتبا كثيرة عالية من العلم وانتصابها على المصدرية او الظرفية او على نزع الخافض اي درجات والمفعول قوله تعالى من نشاء
اي نشاء رفعه حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة كما رفعنا يوسف وايثار صيغة الاستقبال للاشعار بان ذلك
سنة مستمرة غير مختصة بهذه المادة والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب وفوق كل ذي علم من اولئك المرفوعين عليم
لا ينالون شاوه واعلم انه ان جعل الكيد عبارة عن المعنيين الاولين فالمراد برفع يوسف عليه السلام ما اعتبر فيه بالشرطية
او الشرطية من ارشاده عليه السلام الى دس الصواع في رحل اخيه وما يتفرع عليه من المقدمات المرتبة لاستبقاء اخيه مما
يتم من قبله والمعنى ارشدنا اخوته الى الافتاء المذكور لانه لم يكن متمكنا من اخذ اخيه بدونه او ارشدنا كلا منهم ومن يوسف
واصحابه الى ما صدر عنهم ولم نكتف بما تم من قبل يوسف فقط لانه لم يكن متمكنا من اخذ اخيه بذلك فقوله نرفع درجات
الى قوله تعالى عليم توضيح لذلك على معنى ان الرفع المذكور لا يوجب تمام مرامه اذ ليس ذلك بحيث لا يعزب عن علمه شيء بل انما نرفع
كل من نرفع حسب استعداده وفوق كل واحد منهم عليم لا يقادر قدر علمه ولا يكتنه كنهه برفع كلا منهم الى ما يليق به من معارج
العلم ومدارجه وقد رفع يوسف عليه السلام الى ما يليق به من الدرجات العالية وعلم ان ما حواه دائرة علمه لا يفي بمرامه فارشد
اخوته الى الافتاء المذكور فكان ما كان وكانه عليه السلام لم يكن على يقين من صدور الافتاء المذكور عن اخوته وان كان على
طمع منه فان ذلك الى الله تعالى وجودا وعلما والتعرض لوصف العلم لتعيين جهة الفوقية وفي صيغة المبالغة مع التنكير
والالتفات الى الغيبة من الدلالة على فخامة شانه تعالى وجلالة مقدار علمه المحيط ما لا يخفى واما ان جعل عبارة عن التعليم
المستتبع للافتاء المذكور فالرفع عبارة عن التعليم والاراءة لم يكن داخلا تحت قدرته عليه السلام لكنه كان داخلا تحت علمه
بواسطة الوحي والتعليم والمعنى مثل ذلك التعليم البالغ الى هذا الحد علمناه ولم نقتصر على تعليم ما عدا الافتاء الذي سيصدر
عن اخوته اذ لم يكن متمكنا من اخذ اخيه الا بذلك فقوله تعالى نرفع درجات من نشاء توضيح لقوله كدنا وبيان لان ذلك من
باب الرفع الى الدرجات العالية من العلم ومدح ليوسف برفعه اليها وقوله كل ذي علم عليم تذييل له اي نرفع درجات
عالية من العلم من نشاء رفعه وفوق كل منهم عليم هو اعلى درجة قال ابن عباس رضي الله عنهما فوق كل عالم عالم الى ان
ينتهي العلم الى الله تعالى والمعنى ان اخوة يوسف كانوا علماء الا ان يوسف افضل منهم وقرئ درجات من نشاء بالاضافة
والاول انسب بالتذييل حيث نسب فيه الرفع الى من نسب اليه الفوقية لا الى درجته ويجوز كون العليم في هذا التفسير
ايضا عبارة عن الله عز وجل اي وفوق كل من اولئك المرفوعين عليم يرفع كلا منهم الى درجته اللائقة به والله تعالى اعلم
قالوا ان يسرق يعنون بنيامين فقد سرق له اخ من قبل يريدون به يوسف عليه السلام وما جرى عليه من جهة عمته
على ما قيل من انها كانت تحضنه فلما شب اراد يعقوب عليه السلام انتزاعه منها وكانت لا تصبر عنه ساعة وكانت لها
منطقة ورثتها من ابيها اسحق عليه السلام فاحتالت لاستبقاء يوسف عليه السلام فعمدت الى المنطقة فحزمتها
عليه من تحت ثيابه ثم قالت فقدت منطقة اسحق فانظروا من اخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه
لي سلم افعل به ما اشاء فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت وقيل كان اخذ في صباه صنما لابي امه فكسره فالقاه في
الجب وقيل دخل كنيسة فاخذ تمثالا صغيرا يعبدونه فدفنه فاسرها يوسف اي الحزازة الحاصلة مما قالوا
في نفسه لا انه اسرها لبعض اصحابه كما في قوله تعالى واسررت لهم اسرارا ولم يبدها لهم لا قولا ولا فعلا صفحا عنهم
وحلما وهو تاكيد لما سبق قال اي في نفسه وهو استيناف مبني على سوال نشا من الاخبار بالاسرار المذكور كانه قيل

فماذا قال في نفسه في تضاعيف ذلك الاسرار فقيل قال انتم شر مكانا اي منزلة حيث سرقتم اخاكم
من ابيكم ثم طفقتم تفترون على البري وقيل بدل من اسرها والضمير للمقالة المفسرة بقوله انتم
شر مكانا والله اعلم بما تصفون اي عالم علما بالغا الى اقصى المراتب فان الامر ليس كما تصفون من صدور السرقة
بل انما هو افتراء علينا فالصيغة لمجرد المبالغة لا لتفضيل علمه عز وجل على علمهم كيف لا وليس لهم بذلك
من علم قالوا عند ما شاهدوا مخايل اخذ بنيامين مستعطفين يا ايها العزيز ان له ابا لم يريدوا بذلك الاخبار
بان له ابا فان ذلك معلوم مما سبق وانما ارادوا الاخبار بان له ابا شيخا كبيرا في السن لا يكاد يستطيع
فراقه وهو علالة به يتسلى عن شقيقه الهالك فخذ احدنا مكانه فلسنا عنده بمنزلته من المحبة والشفقة انا
نراك من المحسنين الينا فاتمم احسانك بهذه التتمة او المتعودين بالاحسان فلا تغير عادتك قال
معاذ الله اي نعوذ بالله معاذا من ان نأخذ فحذف الفعل واقيم مقامه المصدر مضافا الى المفعول به
بعد حذف الجار الا من وجدنا متاعنا عنده لان اخذنا له انما هو بقضية فتواكم فليس لنا الاخلال بموجبها
وايثار صيغة التكلم مع الغير مع كون الخطاب من جانب اخوته على التوحيد من باب السلوك الى سنن الملوك
او للاشعار بان الاخذ والاعطاء ليس مما يستبد به بل هو منوط باراء اولي الحل والعقد وايثار من وجدنا
متاعنا عنده دون من سرق متاعنا لتحقيق الحق والاحتراز عن الكذب في الكلام مع تمام المرام فانهم
لا يحملون وجدان الصواع في الرحل على محل غير السرقة انا اذا اي اذا اخذنا غير من وجدنا متاعنا
عنده ولو برضاه لظالمون في مذهبكم وما لنا ذلك وهذا المعنى هو الذي اريد بالكلام في اثناء الجواز
وله معنى باطن هو ان الله عز وجل انما امرني بالوحي ان اخذ بنيامين لمصالح علمها الله تعالى في ذلك فلو اخذت
غيره كنت ظالما وعاملا بخلاف الوحي فلما استيأسوا منه اي يئسوا من يوسف واجابته لهم اشد يأس
بدلالة صيغة الاستفعال وانما حصلت لهم المرتبة من الياس لما شاهدوه من عوذه بالله مما طلبوه
الدال على كون ذلك عنده في اقصى مراتب الكراهة وانه مما يجب ان يحترز عنه ويعاذ منه بالله تعالى
ومن تسميته ظلما بقوله انا اذا لظالمون خلصوا اعتزلوا وانفردوا عن الناس نجيا اي ذوي نجوى
على ان يكون بمعنى نجوى والتناجي او فوجا نجيا على ان يكون بمعنى المناجي كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر
ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا ويجوز ان يقال هم نجي كما يقال هم صديق لانه بزنة المصادر من الزفير والزئير
قال كبيرهم في السن وهو روبيل او في العقل وهو يهوذا او رئيسهم وهو شمعون الم تعلموا كانهم اجمعوا
عند التناجي على الانقلاب جملة ولم يرض به فقال منكرا عليهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله عهدا يوثق
به وهو حلفهم بالله تعالى وكونه من الله لاذنه فيه وكون الحلف باسمه الكريم ومن قبل اي قبل هذا
ما فرطتم في يوسف قصرتم في شانه ولم تحفظوا عهد ابيكم وقد قلتم وانا له لناصحون وانا له لحافظون
وما مزيدة او مصدرية ومحل النصب عطفا على مفعول تعلموا اي الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا
وتفريطكم السابق في شان يوسف عليه السلام ولا ضير في الفصل بين العاطف والمعطوف وقد جوز
النصب عطفا على اسم ان والخبر في يوسف او من قبل على معنى اي الم تعلموا ان تفريطكم السابق وقع في يوسف عليه السلام
او ان تفريطكم الكائن او كائنا في شان يوسف عليه السلام وقع من قبل وفيه ان مقتضى المقام انما هو الاخبار بوقوع ذلك
التفريط لا بكون تفريطهم السابق واقعا في شان يوسف عليه السلام كما هو مفاد الاول ولا بكون تفريطهم الكائن
في شانه واقعا من قبل كما هو مفاد الثاني على ان الظرف المقطوع عن الاضافة لا يقع خبرا ولا صفة ولا صلة ولا حالا على ما عند
البعض كما تقرر في موضعه وقيل محله الرفع على الابتداء والخبر من قبل وفيه ما فيه وقيل ما موصولة او موصوفة
ومحلها النصب او الرفع والحق هو النصب عطفا على مفعول تعلموا اي ما فرطتموه بمعنى قدمتموه في حقه من الخيانة
واما النصب عطفا على اسم ان والرفع على الابتداء فقد عرفت حاله فلن ابرح الارض متفرع على ما ذكروه وذكروا اباهم

من ميثاق ابيه وقوله لتأتنني به الا ان يحاط بكم اي فلن افارق ارض مصر جريا على قضية الميثاق حتى يأذن لي ابي في البراح بالا
اليه وكان ايمانهم كانت معقودة على عدم الرجوع بغير اذن يعقوب عليه السلام او يحكم الله لي بالخروج منها على وجه لا يؤدي
الى نقض الميثاق او بخلاص اخي بسبب من الاسباب روي انهم كلموا العزيز في اطلاقه فقال روبيل ايها الملك لتردن الينا
اخانا او لاصيحن صيحة لا تبقي بمصر حامل الا القت ولدها ووقفت كل شعرة في جسده فخرجت من ثيابه وكان بنو يعقوب اذا
غضبوا لا يطاقون خلا انه اذا مس من غضب واحد منهم سكن غضبه فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه فمسه
فقال روبيل من هذا ان في هذا البلد بذرا من بذر يعقوب عليه السلام وهو خير الحاكمين اذ لا يحكم الا بالحق والعدل
ارجعوا انتم الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق على ظاهر الحال وقرئ سرق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه الا بما
علمنا وشاهدنا ان الصواع استخرج من وعائه وما كنا للغيب اي باطن الحال حافظين فما ندري ان حقيقة الامر او
وانك تصاب به كما اصبت بيوسف واسأل القرية التي كنا فيها اي مصر او قرية بقربها لحقهم المنادي عندها اي ارسل الى
اهلها واسالهم عن القصة والعير التي اقبلنا فيها اي اصحابها فان القصة معروفة فيما بينهم وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب
عليه السلام وقيل من صنعاء وانا لصادقون تأكيد في محل القسم قال اي يعقوب عليه السلام وهو استئناف مبني
على سؤال نشأ مما سبق فكانه قيل فماذا كان عند قول الموقوف لاخوته ما قال فقيل قال يعقوب عند ما رجعوا اليه فقالوا له
ما قالوا وانما حذفت للايذان بان مسارعتهم الى قبوله ورجوعهم به الى ابيهم امر مسلم غني عن البيان وانما المحتاج اليه جواب
ابيهم بل سولت اي زينت وسهلت وهو اضراب لا عن صريح كلامهم فانهم صادقون في ذلك بل عما يتضمنه من ادعاء البراءة
عن التسبب فيما نزل به وانه لم يصدر منهم ما يؤدي الى ذلك من قول او فعل كانه قيل لم يكن الامر كذلك بل زينت لكم
انفسكم امرا من الامور فأتيتموه يريد بذلك فتياهم باخذ السارق بسرقته فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبر
جميل اجمل عسى الله ان يأتيني بهم جميعا بيوسف واخيه والموقوف بمصر انه هو العليم بحالي وحالهم الحكيم الذي لم يبتليني
الا لحكمة بالغة وتولى اي اعرض عنهم كراهة لما سمع منهم وقال يا اسفى على يوسف الاسف اشد الحزن والحسرة اضافه
الى نفسه والالف بدل من الياء فناداه اي يا اسفى تعال فهذا اوانك وانما تأسف على يوسف مع ان الحادث مصيبته
اخويه لان رزاه كان قاعدة الارزاء غضا عنده وان تقادم عهده اخذا بمجامع قلبه لا ينساه ولانه كان واثقا بحياتهما عالما
بمكانهما طامعا في ايابهما واما يوسف فلم يكن في شانه ما يحرك سلسلة رجائه سوى رحمة الله وفضله وفي الخبر
لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون الا امة محمد صلى الله عليه وسلم الا ترى الى يعقوب عليه السلام حين اصابه
ما اصابه لم يسترجع بل قال ما قال والتجانس بين لفظي الاسف ويوسف مما زيد النظم الكريم بهجة كما في قوله عز وجل وهم
ينهون عنه وينأون عنه وقوله اثاقلتم الى الارض ارضيتم وقوله ثم كلي من كل الثمرات وجئتك من سبإ بنبإ يقين ونظائرها
وابيضت عيناه من الحزن الموجب للبكاء فان العبرة اذا كثرت محقت سواد العين وقلبته الى بياض كدر وقيل
قد عمي بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا وقيل انه ما جفت عينا يعقوب من يوم فراق يوسف الى حين لقائه

على الله عز وجل

ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم من يعقوب عليه السلام وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل عليه
السلام ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من اجر قال اجر مائة
شهيد وما ساء ظنه بالله تعالى ساعة قط وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند النوائب فان الكف عن ذلك مما لا يدخل
تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابرهيم وقال
القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابرهيم لمحزونون واما الذي لا يجوز ما يفعله الجهلة من
الصياح والنياحة ولطم الخدود والصدور وشق الجيوب وتمزيق الثياب وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه بكى على ولد
بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم
عن صوتين احمقين صوت عند الفرح وصوت عند الترح فهو كظيم مملوء من الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه لا
يظهره فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله تعالى وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملائه او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين

الغيظ من كظم غيظه اذا اجترعه واصله من كظم البعير جرته اذا ردها في جوفه قالوا تالله تفتؤا اي لا تفتؤا ولا
تزال تذكر يوسف تفجعا عليه فحذف حرف النفي كما في قوله . فقلت يمين الله ابرح قاعدا . لعدم الالتباس بالاثبات فان
القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات يكون على النفي البتة حتى تكون حرضا مريضا مشرفا على الهلاك وقيل
الحرض من اذابه هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يثنى ولا يونث ولا يجمع والنعت منه بالكسر كدنف
وقيل قري به وضمتين كجنب وغرب قوله تعالى او تكون من الهالكين اي الميتين قال انما اشكو بثي البث اصعب
الهم لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس اي ينشره فكانهم قالوا له بطريق التسلية والاشكاء فقال لهم لا اشكو
ما بي اليكم او الى غيركم حتى تتصدوا للتسلية وانما اشكو بثي وحزني الى الله تعالى ملتجا اليه داعيا له متضرعا لدي بابه
في دفعه وقري بفتحتين وضمتين واعلم من الله ما لا تعلمون من لطفه ورحمته فارجوان يرحمني ويلطف بي ولا
يخيب رجائي او اعلم وحيا والهاما من جهته ما لا تعلمون من حياة يوسف قيل راى ملك الموت
عليه السلام في المنام فساله عنه فقال هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف عليه السلام انه سيخر له
ابواه واخوته سجدا يا بني اذهبوا فتحسسوا اي تعرفوا وهو تفعل من الحس وقري بالجيم من الجس وهو الطلب
اي تطلبوا من يوسف واخيه اي من خبرهما ولم يذكر الثالث لان غيبته اختيارية لا يعسر ازالتها ولا تيأسوا
من روح الله لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقري بضم الراء اي من رحمته التي يحيي بها العباد وهذا
ارشاد لهم الى بعض ما ابهم في قوله واعلم من الله ما لا تعلمون ثم حذرهم عن ترك العمل بموجب نهيه بقوله تعالى
انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون لعدم علمهم بالله تعالى وصفاته فان العارف لا يقنط في حال من الاحوال
فلما دخلوا عليه اي على يوسف بعدما رجعوا الى مصر بموجب امر ابيهم وانما لم يذكر ذلك ايذانا بمسارعتهم
الى ما امروا به واشعارا بان ذلك امر محقق لا يفتقر الى الذكر والبيان قالوا يا ايها العزيز اي الملك القادر
الممتنع مسنا واهلنا الضر الهزال من شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها
واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته وطردته الريح تزجي السحاب قيل كانت بضاعتهم من متاع الاعراب
صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا
لا تؤخذ الا بوضيعة وانما قدموا ذلك ليكون ذريعة الى اسعاف مرامهم ببعث الشفقة وهز العطف
والرأفة وتحريك سلسلة المرحمة ثم قالوا فاوف لنا الكيل اي اتممه لنا وتصدق علينا برد اخينا الينا
قاله الضحاك وابن جريج وهو الانسب بحالهم نظرا الى امر ابيهم او بالايفاء او بالمسامحة وقبول المزجاة او
بالزيادة على ما يساويها تفضلا وانما سموه تصدقا تواضعا وارادوا التصدق فوق ما يعطيهم بالثمن بناء على
اختصاص حرمة الصدقة بنبينا صلى الله عليه وسلم وانما لم يبدوا بما امروا به استجلابا للرأفة والشفقة ليبعثوا
بما قدموا من رقة الحال رقة القلب والحنو على ان ما ساقوه كلام ذو وجهين فان قولهم وتصدق علينا ان الله
يجزي المتصدقين يحتمل الحمل على المحملين فلعله عليه السلام حمله على المحمل الاول ولذلك قال مجيبا عما عرض بابه
وضمنوه كلامهم من طلب رد اخيهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه وكان الظاهر ان يتعرض لما فعلوا باخيه فقط
وانما تعرض لما فعلوا بيوسف لاشتراكهما في وقوع الفعل عليهما فان المراد بذلك افرادهم له عن يوسف واذلاله
بذلك حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة اي هل تبتم عن ذلك بعد علمكم بقبحه فهو سؤال عن الملزوم
والمراد لازمه قوله تعالى اذ انتم جاهلون بقبحه فلذلك اقدمتم على ذلك او جاهلون عاقبته وانما قاله نصحا
لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما راى عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا ويجوز ان يكون هذا الكلام
منه عليه السلام منقطعا عن كلامهم وتنبيها لهم على ما هو حقهم ووظيفتهم من الاعراض عن جميع المطالب والتمحض
في طلب بنيامين بل يجوز ان يقف عليهم بطريق الوحي والالهام على وصية ابيه وارساله اياهم للتجسس منه
ومن اخيه فلما راهم قد اشتغلوا عن ذلك قال ما قال وقيل اعطوه كتاب يعقوب عليه السلام وقد كتب

فيه من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابرهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت
موكل بنا البلاء اما جدي فشدت يداه ورجلاه فرمي به في النار فنجاه الله تعالى وجعلت له النار بردا وسلاما واما
ابي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله واما انا فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية
ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم فقالوا قد اكله الذيب فذهب عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه من
امه وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان
رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قراه لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم
ما قال وقيل لما قراه بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا قالوا ائنك لانت يوسف استفهام تقرير و
لذلك اكد بان واللام قالوه استغرابا وتعجبا وقري انك بالايجاب وقيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم
به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن راسه فراوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضا
وكان لسارة ويعقوب مثلها وقري اينك اوانت يوسف على معنى اينك يوسف او انت يوسف فحذف الاول
الاول لدلالة الثاني عليه وفيه زيادة استغراب قال انا يوسف جواب عن مسألتهم وقد زاد عليه قوله وهذا اخي
اي من ابوي مبالغة في تعريف نفسه وتفخيما لشان اخيه وتكملة لما افاده قوله هل علمتم ما فعلتم بنا من التفريق
والاذلال فانا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا بالخلاص عما ابتلينا به والاجتماع بعد الفرقة والعز بعد الذلة
والانس بعد الوحشة ولا يبعد ان يكون فيه اشارة الى الجواب عن طلبهم لرد بنيامين بانه اخي لا اخوكم فلا وجه
لطلبكم ثم علل ذلك بطريق الاستيناف التعليلي بقوله انه من يتق اي يفعل التقوى في جميع احواله او يتق نفسه
عما يوجب سخط الله تعالى وعذابه ويصبر على المحن او على مشقة الطاعات او عن المعاصي التي تستلذها النفس فان
الله لا يضيع اجر المحسنين اي اجرهم وانما وضع المظهر موضع المضمر تنبيها على ان الموصوفين بالتقوى والصبر موصوفون
بالاحسان قالوا تالله لقد آثرك الله علينا اختارك وفضلك علينا بما ذكرت من النعوت الجليلة وان كنا وان الشان انا كنا
لخاطئين لمتعمدين للذنب اذ فعلنا بك ما فعلنا ولذلك اعزك واذلنا وفيه اشعار بالتوبة والاستغفار
ولذلك قال لا تثريب اي لا عتب ولا تانيب عليكم وهو تفعيل من الثرب وهو الشحم الغاشي للكرش وهو معناه
ازالة الثرب كما ان التجليد ازالة الجلد والتقريع ازالة القرع لانه اذا ذهب كان ذلك غاية الهزال فضرب مثلا
للتقريع الذي يذهب بماء الوجه قوله عز وعلا اليوم منصوب بالتثريب او بالمقدر خبرا للا اي لا اثربكم او لا
تثريب مستقر عليكم اليوم الذي هو مظنة له فما ظنكم بسائر الايام او بقوله يغفر الله لكم لانه حينئذ صفح عن جريمتهم
وعفا عن جريرتهم بما فعلوا من التوبة وهو ارحم الراحمين يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب بالقبول
ومن كرمه عليه السلام ان اخوته ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك بما فرط
منا فيك فقال عليه السلام ان اهل مصر وان ملكت فيهم كانوا ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من
بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم الآن وعظمت في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي واني
من حفدة ابرهيم عليه السلام اذهبوا بقميصي هذا قيل هو الذي كان عليه حينئذ وقيل هو القميص المتوارث
الذي كان في التعويذ امره جبريل عليه السلام بارساله اليه واوحى اليه ان فيه ريح الجنة لا يقع في مبتلى الا عوفي
فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا يصر بصيرا او يأت الي بصيرا ويشهد له قوله تعالى واتوني باهلكم اجمعين اي بابي
وغيره ممن ينتظمه لفظ الاهل جميعا من النساء والذراري قيل انما حمل القميص يهوذا وقال انا احزنته
بحمل القميص ملطخا بالدم اليه فافرحه كما احزنته وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة
ثمانين فرسخا ولما فصلت العير خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه
وقرا ابن عباس رضي الله عنهما انفصل العير قال ابوهم يعقوب عليه السلام لمن عنده اني لاجد ريح يوسف
اوجده الله سبحانه ما عبق بالقميص من ريح يوسف من ثمانين فرسخا حين اقبل به يهوذا لولا ان تفندون اي تنسبوني

بيوسف واخيه حسبما يفيده
قوله تعالى قد من الله علينا فكانه
قال هل علمتم ما فعلتم بنا
صح

الى الفند وهو الخرف وانكار العقل وفساد الراي من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة اذ لم تكن في شبيبتها ذات
راي فتفند في كبرها وجواب لولا محذوف اي لصدقتموني قالوا اي الحاضرون عنده تالله انك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك
عن الصواب قدما في افراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره ورجائك للقائه وكان عندهم قد مات فلما ان جاء البشير وهو
يهوذا القاه اي القاء البشير القميص على وجهه اي وجه يعقوب او القاه يعقوب على وجه نفسه فارتد عاد بصيرا
لما انتعش فيه من القوة قال الم اقل لكم يعني قوله اني لاجد ريح يوسف فالخطاب لمن كان عنده بكنعان او قوله ولا تياسوا
من روح الله فالخطاب لبنيه وهو الانسب بقوله اني اعلم من الله ما لا تعلمون فان مدار النفي المذكور انما هو العلم الذي اوتي
يعقوب من جهة الله سبحانه وعلى هذا يجوز ان يكون هذا مقول القول اي الم اقل لكم حين ارسلتكم الى مصر وامرتكم بالتحسس
ونهيتكم عن الياس من روح الله اعلم من الله ما لا تعلمون من حيوة يوسف روي انه سال البشير كيف يوسف فقال هو
ملك مصر فقال ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا
انا كنا خاطئين ومن حق من اعترف بذنبه ان يصفح عنه ويستغفر له فكانهم كانوا على ثقة من عفوه عليه السلام ولذلك
اقتصروا على استدعاء الاستغفار وادرجوا ذلك في الاستغفار قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم وهذا مشعر بعفوه
قيل اخر الاستغفار الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة ليتحرى به وقت الاجابة وقيل اخره الى ان
يستحل لهم من يوسف او يعلم انه قد عفى عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويعضده انه روي عنه استقبل القبلة قايما
يدعو وقام يوسف خلفه يومن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا انها الهلكة نزل
جبريل عليه السلام فقال ان الله اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة فان صح ثبت نبوتهم
وانما صدر عنهم انما صدر قبل الاستنباء وقيل المراد الاستمرار على الدعاء فقد روي انه كان يستغفر كل ليلة جمعة
في نيف وقيل قام الى الصلوة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه فقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه
واغفر لولدي ما اتوا الى اخيهم فاوحى الله اليه ان الله غفر لك ولهم اجمعين فلما دخلوا على يوسف روي انه وجه يوسف الى
ابيه جهازا ومايتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه فاستقبله يوسف والملك في اربعة الاف من الجند والعظماء واهل
مصر اجمعين فتلقوا يعقوب عليه السلام وهو يمشي متوكيا على يهوذا فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر
قال لا بل ولدك فلما لقيه قال السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل قال له يوسف يا ابت بكيت علي حتى ذهب بصرك
الم تعلم ان القيمة تجمعنا فقال بلى ولكني خشيت ان يسلب دينك فيحال بيني وبينك وقيل ان يعقوب عليه السلام
وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامراة وكان حين خرجوا مع موسى ستماية الف وخمسماية وبضعة
وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمي وكانت الذرية الف الف ومايتا الف اوى اليه ابويه اي اباه وخالته
وتنزيلها منزلة الام كتنزيل العم منزلة الاب في قوله عز وجل واله ابائك ابرهيم واسحق اولان يعقوب عليه السلام
تزوجها بعد امه وقال الحسين وابن اسحق كانت امه في الحيوة فلا حاجة الى التاويل ومعنى اوى اليه ضمهما اليه واعتنقهما
وكانه عليه السلام ضرب في الملتقى مضربا فنزل فيه فدخلوا عليه فاواهما اليه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله امنين من الشدايد والمكاره
قاطبة والمشية متعلقة بالدخول على الامن ورفع ابويه عند نزولهم بمصر على العرش على السرير تكرمة لهما فوق ما فعله
لاخوته وخروا له اي ابواه واخوته سجدا تحية له فانه كان السجود عندهم جاريا مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة
وتقبيل اليد ونحوها من عادات الناس الفاشية في التعظيم والتوقير وقيل ما كان ذلك الا انحناء دون تعفير الجباه
ويأباه الخرور وقيل خروا لاجله سجدا لله شكرا ويرده قوله تعالى وقال يا ابت هذا تاويل رءياي التي رايتها وقصصتها عليك
من قبل في زمن الصبا قد جعلها ربي حقا صدقا واقعا بعينه والاعتذار بجعل يوسف بمنزلة القبلة وجعل اللام كما في قوله
اليس اول من صلى لقبلتكم تعسف لا يخفى وتاخيره عن الرفع على العرش ليس بنص في ذلك لان الترتيب الذكري لا يجب كونه على وفق
ترتيب الوقوعي فلعل تاخيره عنه ليتصل به ذكر كونه تعبير الرؤيا وما يتصل به من قوله وقد احسن بي المشهور استعمال الاحسان
بالى وقد يستعمل بالباء ايضا كما في قوله عز اسمه وبالوالدين احسانا وقيل هذا يتضمن لطف وهو الاحسان الخفي كما يوذن به

قوله تعالى ان ربي لطيف لما يشاء وفيه فايدة لا تخفى اي لطف بي محسنا الي غير هذا الاحسان اذ اخرجني من السجن
بعدما ابتليت به ولم يصرح بقصة الجب حذارا من تثريب اخوته لان الظاهر حضورهم لوقوع الكلام عقيب خرورهم
سجدا واكتفاء بما يتضمنه قوله تعالى وجاء بكم من البدو اي البادية من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي اي افسد
بيننا بالاغواء واصله من نخس الرايض لدابته وحمله على الجري يقال نزغه ونسغه اذا نخسه وقد بالغ عليه السلام
في الاحسان حيث اسند ذلك الى الشيطان ان ربي لطيف لما يشاء اي لطيف التدبير لاجله رفيق حتى يجي على
وجه الحكمة والصواب ما من صعب الا وهو بالنسبة الى تدبيره سهل انه هو العليم بوجوه المصالح الحكيم
الذي يفعل كل شيء على قضية الحكمة روي ان يوسف اخذ بيد يعقوب عليهما السلام فطاف في خزاينه
فادخله في خزاين الورق والذهب وخزاين الحلي وخزاين الثياب والسلاح وغير ذلك فلما ادخله خزاين القراطيس
قال يا بني ما اغفلك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثماني مراحل قال امرني جبريل قال او ما تساله
قال انت ابسط اليه مني فسله قال جبريل الله تعالى امرني بذلك لقولك اخاف ان ياكله الذيب قال
فهلا خفتني وروي ان يعقوب عليه السلام اقام اربعا وعشرين سنة ثم مات واوصى ان يدفنه بالشام
الى جنب ابيه اسحق فمضى بنفسه ودفنه ثمه ثم عاد الى مصر وعاش بعد ابيه ثلثا وعشرين سنة فلما
تم امره وعلم انه لا يدوم له تاقت نفسه الى الملك الدايم الخالد فتمنى الموت فقال رب قد اتيتني من الملك
اي بعضا منه عظيما وهو ملك مصر وعلمتني من تاويل الاحاديث اي بعضا من ذلك كذلك ان اريد بتعليم تاويل
الاحاديث تفهيم غوامض اسرار الكتب الالهية ودقايق سنن الانبياء عليهم السلام فالترتيب ظاهر واما ان
اريد به تعليم تعبير الرؤيا كما هو الظاهر فلعل تقديم ايتاء الملك عليه في الذكر لانه بمقام تعداد النعم الفايضة عليه
من الله سبحانه والملك اعرق في كونه نعمة من التعليم المذكور وان كان ذلك ايضا نعمة جليلة في نفسه ولا يمكر
تمشية هذا الاعتذار فيما سبق لان التعليم هنالك وارد على نهج العلة الغاية للتمكين فان حمل على معنى
التمليك لزم تاخره عنه واما الواقع ههنا فمجرد التاخير في الذكر والعطف بحرف الواو لا يستدعي ذلك
الترتيب في الوجود فاطر السموات والارض مبدعهما وخالقهما نصب على انه صفة للمنادي او منادى اخر
وصفه تعالى به بعد وصفه بالربوبية مبالغة في ترتيب مبادي ما يعقبه من قوله انت وليي مالك
اموري في الدنيا والاخرة او الذي يتولاني بالنعمة فيهما واذ قد تمت علي نعمة الدنيا توفني اقبضني مسلما
والحقني بالصالحين من ابائي او بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة فانما يتم النعمة بذلك قيل لما دعي
توفاه الله عز وجل طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر في دفنه وتشاجروا في ذلك حتى هموا بالقتال فراوا ان يصنعوا
له تابوتا من مرمر فجعلوه فيه ودفنوه في النيل بمر عليه ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا واحدا في التبرك
به وولد له افرائيم وميشا ولافرائيم نون ولنون يوشع فتى موسى عليه السلام ولقد توارثت الفراعنة من
العمالقة بعده مصر ولم يزل بنو اسرايل تحت ايديهم على دين يوسف وابائه الى ان بعث الله تعالى موسى عليه
السلام ذلك اشارة الى ما سبق من نبا يوسف وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الدلالة على بعد منزلته
وكونه بالانقضاء في حكم البعيد والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مبتدا خبره من انباء الغيب
الذي لا يحوم حوله احد وقوله تعالى نوحيه اليك خبر بعد خبر او حال من الضمير في الخبر ويجوز ان يكون ذلك
اسما موصولا من انباء الغيب صلته ويكون الخبر نوحيه اليك وما كنت لديهم مريدا اخوة يوسف اذ اجمعوا
امرهم وهو جعلهم اياه في غيابة الجب وهم يمكرون به ويبغون له الغوايل حتى تقف على ظواهر اسرارهم
وبواطنها وتطلع على سرايرهم طرا وتحيط بما لديهم خبرا وليس المراد مجرد نفي حضوره عليه السلام في
مشهد اجماعهم ومكرهم فقط بل ساير المشاهد ايضا وانما تخصيصه بالذكر لكونه مطلع القصة واخفى احوالها
كما ينبي عنه قوله تعالى وهم يمكرون والخطاب وان كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم لكن المراد الزام المكذ

والمعنى ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اذ لا سبيل الى معرفتك اياه سوى ذلك اذ سماع ذلك من الغير وعدم مطالعتك
للكتب امر لا يشك فيه المكذبون ايضا ولم تكن بين ظهرانيهم عند وقوع الامر حتى تعرفه كما هو فتبلغه اليهم وفيه تهكم بالكفار
فكانهم يشكون في ذلك فيبعد فهم شكهم وفيه ايضا ايذان بان ما ذكر من النبأ هو الحق المطابق للواقع وما ينقله اهل الكتاب
ليس على ما هو عليه يعني ان مثل هذا التحقيق بلا وحي لا يتصور الا بالحضور والمشاهدة اذ ليس ذلك بالحضور فهو الوحي
ومثله قوله تعالى وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وقوله وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر
وما اكثر الناس يريد به العموم او اهل مكة ولو حرصت اي على ايمانهم وبالغت في اظهار الايات القاطعة الدالة على
صدقك بمؤمنين لتصميمهم على الكفر واصرارهم على العناد روي ان اليهود وقريشا لما سألوا عن قصة يوسف وعدوا
ان يسلموا فلما اخبرهم بها على موافقة التورية فلم يسلموا حزن النبي صلى الله عليه وسلم فقيل له ذلك وما تسئلهم عليه اي على
الانباء او على القرآن من اجر من جعل كما يفعله حملة الاخبار ان هو الا ذكر عظة من الله تعالى للعالمين كافة لا ان ذلك
مختص بهم وكاين من اية اي كاي عدد شئت من الايات والعلامات الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته
وحكمته غير هذه الاية التي جئت بها في السموات والارض اي كائنة فيهما من الاجرام الفلكية وما فيها من النجوم وتغير احوالها
ومن الجبال والبحار وسائر ما في الارض من العجائب الفائتة للحصر يمرون عليها اي يشاهدونها ولا يعبأون بها وقرئ
برفع الارض على الابتداء ويمرون خبره وقرئ بنصبها على معنى ويطؤن الارض يمرون عليها وفي مصحف عبد الله والارض
يمشون عليها والمراد ما يرون فيها من آثار الامم الهالكة وغير ذلك من الايات والعبر وهم عنها معرضون غير ناظرين
اليها ولا متفكرين فيها وما يؤمن اكثرهم بالله في اقرارهم بوجوده وخالقيته الا وهم مشركون بعبادتهم لغيره او باتخاذهم
الاحبار والرهبان اربابا او بقولهم باتخاذه تعالى ولدا سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا او بالنور والظلمة وهي جملة حالية
اي لا يؤمن اكثرهم الا في حال شركهم قيل نزلت الاية في اهل مكة وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب
افامنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله اي عقوبة تغشاهم وتشملهم او تأتيهم الساعة بغتة فجاءة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون
باتيانها غير مستعدين لها قل هذه سبيلي وهي الدعوة الى التوحيد والايمان بالاخلاص وفسرها بقوله تعالى
ادعوا الى الله على بصيرة بيان وحجة واضحة غير عمياء وهي حال من الضمير في سبيلي والعامل فيها معنى الاشارة انا
تاكيد للمستكن في ادعوا وعلى بصيرة لانه حال منه او مبتدأ خبره على بصيرة ومن اتبعني عطف عليه وسبحان
الله وما انا من المشركين مؤكد لما سبق من الدعوة الى الله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شاء الله لانزل ملائكة
يوحى اليهم كما اوحينا اليك وقرئ بالياء من اهل القرى لانهم اعلم واحلم واهل البوادي فيهم الجهل والجفا
والقسوة افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والايات فيحذروا تكذيبك
ولدار الاخرة اي الساعة والحيوة الاخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي افلا يعقلون فيستعملوا عقولهم
ليعرفوا خيريتها دار الاخرة وقرئ بالياء على انه داخل تحت قل حتى اذا استيأس الرسل غاية لمحذوف دل عليه
السياق اي لا يغرنهم تماديهم فيما هم فيه من الدعة والرخاء فان من قبلهم قد امهلوا حتى يئس الرسل عن النصر عليهم
في الدنيا او من ايمانهم لانهماكهم في الكفر وتماديهم في الطغيان من غير وازع وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم
حين حدثتهم بانهم ينصرون عليهم او كذبهم رجاؤهم فانه يوصف بالصدق والكذب والعداوة من الكفار و
انتظار النصر من الله تعالى وقد تطاولت وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم في الدنيا جاءهم
نصرنا فجاءة وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر ان صح عنه ذلك فلعله اراد
بالظن ما يخطر بالبال من شبه الوسوسة وحديث النفس وانما عبر عنهم بالظن تهويلا للخطب واما الظن
الذي هو ترجيح احد الجانبين على الآخر فلا يتصور ذلك من احاد الامة فما ظنك بالانبياء عليهم السلام وهم
هم ومنزلتهم في معرفة شؤن الله سبحانه منزلتهم وقيل الضميران للمرسل اليهم وقيل الاول
لهم والثاني للرسل وقرئ بالتشديد اي ظن الرسل ان القوم كذبوهم فيما وعدوهم وقرئ بالتخفيف

على بناء الفاعل على الضميرين للرسل اي ظنوا انهم كذبوا عند قومهم فيما حدثوا به لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا وعلى ان
الاول لقومهم فنجي من نشاء هم الرسل والمؤمنون بهم وقرئ فننجي على لفظ المستقبل بالتخفيف والتشديد
وقرئ فنجا ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين اذا نزل بهم وفيه بيان لمن تعلقت بهم المشيئة لقد كان في قصصهم
اي قصص الانبياء واممهم وينصره قراءة من قرأ بكسر القاف او قصص يوسف واخوته عبرة لاولي الالباب
لذوي العقول المبرأة عن شوائب احكام الحس ما كان اي القرآن المدلول عليه بما سبق دلالة واضحة حديثا
يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب السماوية وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي ولكن تصديق
الذي بين يديه وتفصيل كل شيء مما يحتاج اليه في الدين اذ ما من امر ديني الا وهو يستند الى القرآن بالذات
او بواسطة وهدى من الضلالة ورحمة ينال بها خير الدارين لقوم يؤمنون اي يصدقونه لانهم المنتفعون
به واما من عداهم فلا يهتدون بهداه ولا ينتفعون بجدواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا
ارقائكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت و
القوة ان لا يحسد مسلما بعون الله تعالى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله
وصحبه وسلم تم الجزء الاول من ارشاد العقل
السليم الى مزايا الكتاب الكريم ويتلوه
الجزء الثاني من التفسير
المذكور بحمد الله
وعونه
تم تم

سورة الرعد وهي ثلث واربعون اية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم المر اسم للسورة ومحله اما الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اي هذه السورة مسماة بهذا الاسم
وهو اظهر من الرفع على الابتداء اذ لم يسبق العلم بالتسمية كما مر مرارا قوله تعالى تلك على الوجه الاول مبتداء مستقل وعلى الوجه
الثاني مبتداء ثان او بدل من الاول اشير اليه ايذانا بفخامته واما النصب بتقدير فعل يناسب المقام نحوا قرا او اذكر فتلك مبتدا
كما اذا جعل المر مسرودا على نمط التعديد او بمعنى انا الله اعلم وارى على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما والخبر على التقادير قوله
تعالى ايات الكتاب اي الكتاب العجيب الكامل الغني عن الوصف المعروف به بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب
به فهو عبارة عن جميع القران او عن جميع المنزل حينئذ كما مر في سورة يونس عليه السلام اذ هو المتبادر من مطلق الكتاب المستغني عن
النعت ويظهر ما اريد من وصف الايات بوصف ما اضيف اليه من نعوت الكمال بخلاف ما اذا جعل عبارة عن السورة فانها ليست
ملك المثابة من الشهرة في الاتصاف بتلك المغنية عن التصريح بالوصف على انها عبارة عن جميع اياتها فلابد من تعليم جعل تلك الاشارة
الي كل واحدة منها وفيه ما لا يخفي من التعسف الذي مر تفصيله في سورة يونس والذي انزل اليك من ربك اي الكتاب المذكور
بكماله لا هذه السورة وحدها الحق الثابت المطابق للواقع في كل ما نطق به الحقيق بان يخص به الحقية لعراقته فيها
وليس فيه ما يدل على ان ما عداه ليس بحق اصلا على ان حقيته مستتبعة لحقية سائر الكتب السماوية لكونه مصدقا لما بين يديه ومهيمنا
عليه وبالتعبير عنه بالموصول واسناد الانزال اليه بصيغة المبني للمفعول والتعرض لوصف الربوبية مضافا الى ضميره عليه
الصلاة والسلام من الدلالة على فخامة المنزل التابعة لجلالة شان المنزل وتشريف المنزل اليه والايماء الى وجه بناء الخبر
ما لا يخفي ولكن اكثر الناس لا يؤمنون بذلك الحق المبين لاخلالهم بالنظر والتامل فيه فعدم ايمانهم متعلق بعنوان حقيته
لانه المرجع للتصديق والتكذيب لا بعنوان كونه منزلا كما قيل ولانه وارد على طريقة الوصف دون الاخبار الله الذي
رفع السموات اي خلقهن مرتفعات على طريقة قولهم سبحان من كبر الفيل وصغر البعوض لا انه رفعها بعد ان لم تكن كذلك
والجملة مبتدا وخبر كقوله تعالى وهو الذي مد الارض بغير عمد اي بغير دعائم جمع عماد كاهاب واهب وهو ما يعمد به اي يسند
يقال عمدت الحائط اذا دعمته وقري عمد على جمع عمود بمعنى عماد كرسل ورسول واير ادصيغة الجمع لجمع السموات
لا لان المنفي عن كل واحدة منها عمد لا عماد ترونها استيناف استشهد به على ما ذكر من رفع السموات بغير عمد وقيل
صفة لعمد جيء بها ايهاما لان لها عمدا غير مرئية هي قدرة الله تعالى ثم استوى اي استولى على العرش بالحفظ والتدبير
او استوى امره وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف وايا ما كان فليس المراد به القصد الى ايجاد العرش
وخلقه فلا حاجة الى جعل كلمة ثم للتراخي في الرتبة وسخر الشمس والقمر ذللهما وجعلهما طائعين لما اريد منهما من الحركات
وغيرها كل من الشمس والقمر يجري حسبما اريد منهما لاجل مسمى لمدة معينة فيها تتم دورته كالسنة للشمس والشهر
للقمر فان كلا منهما يجري كل يوم على مقدار اربعين من الدائرات اليومية او لمدة ينتهي فيها حركاتهما ويخرج جميع ما اريد منهما
من القوة الى الفعل او لغاية يتم عندها ذلك والجملة بيان لحكم تسخيرهما يدبر بما صنع من الرفع والاستواء والتسخير اي يقضي
ويقدر حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة الامر امر الخلق كله وامر ملكوته وربوبيته يفصل الايات الدالة على كمال قدرته
وبالغ حكمته اي ياتي بها مفصلة وهي ما ذكر من الافعال العجيبة وما يتلوها من الاوضاع الفلكية الحادثة شيئا فشيئا المستتبعة
للاثار الغريبة في السفليات على موجب التدبير والجملتان اما حالان من ضمير استوى وقوله تعالى وسخر الشمس والقمر
تتمة الاستواء واما مفسرتان له او الاولى حال منه والثانية من الضمير فيها وكلاهما من ضماير الافعال المذكورة وقوله
تعالى كل يجري الى اجل مسمى من تتمة التسخير او خبران من قوله تعالى الله خبر بعد خبر والموصول صفة للمبتدا جيء به للدلالة على
تحقيق الخبر وتعظيم شانه كما في قول الفرزدق ٭ ان الذي سمك السماء بنا لنا ٭ بيتا دعايمه اعز واطول لعلكم عند معاينتكم
لها وعثوركم على تفاصيلها بلقاء ربكم بملاقاته للجزاء توقنون فان من تدبرها حق التدبر ايقن ان من قدر على ايجاد
هذه الصنائع البديعة على كل شيء قدير وان لهذه التدبيرات المتينة عواقب وغايات لا بد لها من وصولها وقد بينت

بحجته

على السنة

طولا وعرضا قال الاصم المدهو البسط الى ما لا يدرك انتهاءه ففيه دلالة على بعد مداها وسعة اقدارها وجعل فيها رواسي صح

على السنة الانبياء عليهم السلام ان ذلك ابتلاء للمكلفين ثم جزاؤهم حسب اعمالهم فاذا لابد من الايقان بالجزاء ولما
قرر الشواهد العلوية اردفها بذكر الدلائل السفلية فقال وهو الذي مد الارض اي بسطها اي جبالا ثوابت في احيازها
من الرسو وهو ثبات الاجسام الثقيلة ولم يذكر الموصوف لاغناء غلبة الوصف بها على ذلك والحصار مجيء فواعل جمعا
لفاعل في فوارس وهوالك ونواكس انما هو في صفات العقلاء واما في غيرهم فلا يجيء ذلك اصلا كما في قوله تعالى اياما
معدودات وقوله تعالى الحج اشهر معلومات الى غير ذلك فلا حاجة الى ان يجعل مفردها صفة بجمع القلة اعني اجبلا
ويعتبر في جمع الكثرة في مثل اعني جبالا انتظامها لطائفة من جموع القلة وينزل منها منزلة مفردها كما قيل على انه لا
مجال لذلك فان جمعية كل من صيغتي الجمعين انما هو باعتبار الافراد التي تحتها لا باعتبار انتظام جمع القلة للافراد
وجمع الكثرة لجموع القلة فكل منهما جمع جبل لا ان جبالا جمع اجبل كما ان طوائف جمع طائفة ولا ان يلتجي الى جعل الوصف
المذكور بالغلبة في عداد الاسماء التي تجمع على فواعل كما قيل ظنا على انه لا وجه له لما ان الغلبة انما هي في الجمع دون المفرد والتعبير
عن الجبال بهذا العنوان لبيان تفرع قرار الارض على ثباتها وانهارا مجاري واسعة والمراد ما يجري فيها من
المياه وفي نظمها مع الجبال في معمول لفعل واحد اشارة الى ان الجبال منشا للانهار وبيان فائدة اخرى للجبال غير كونها
حافظة للارض عن الاضطراب المخل بثبات الاقدام وتقلب الحيوان منفردة على تمكنه وتقلبه وهي تعيشه بالماء
والكلاء ومن كل الثمرات متعلق بجعل في قوله تعالى جعل فيها زوجين اثنين اي اثنينية حقيقية وهما الفردان اللذان
كل منهما زوج الاخر واكد به الزوجين لئلا يفهم ان المراد بذلك الشفعان اذ يطلق الزوج على المجموع ولكن اثنينية ذلك
اثنينية اعتبارية اي جعل من كل نوع من انواع الثمرات الموجودة في الدنيا ضربين وصنفين اما في اللون كالابيض والاسود
وفي الطعم كالحلو والحامض او في القدر كالصغير والكبير او في الكيفية كالحار والبارد وما اشبه ذلك ويجوز ان يتعلق
بجعل الاول ويكون الثاني استينافا فالبيان كيفية ذلك الجعل يغشي الليل النهار استعارة تبعية تمثيلية مبنية
على تشبيه ازالة نور الحق بالظلمة بتغطية الاشياء الظاهرة بالاغطية اي يستر النهار بالليل والتركيب وان احتمل العكس
ايضا بالحمل على تقديم المفعول الثاني على الاول فان ضوء النهار ايضا ساتر لظلمة الليل الا ان الانسب بالليل ان يكون
هو الغاشي وعد هذا في تضاعيف الايات السفلية وان كان تعلقه بالايات العلوية ظاهرا باعتبار ظهوره في الارض
فان الليل انما هو ظلها وفيما فوق موقع ظلها لا ليل اصلا ولان الليل والنهار لهما تعلق بالثمرات من حيث العقد
والانضاج على انهما زوجان متقابلان ايضا مثلها وقري يغشي من التغشية ان في ذلك اي فيما ذكر من مد الارض
وايتادها بالرواسي التي هي اوتاد لها واجراء الانهار وخلق الثمرات واغشاء الليل النهار وفي الاشارة بتلك تنبيه على
عظم شان المشار اليه في بابه لايات باهرة وهي اثار تلك الافاعيل البديعة جلت حكمة صانعها ففي معناها فان تلك
الاثار مستقرة في تلك الافاعيل منوطة بها ويجوز ان يشار بذلك الى تلك الاثار المدلول عليها بتلك الافاعيل
ففي تجريدها لقوم يتفكرون فان التفكر فيما يؤدي الى الحكم بان تكوين كل من ذلك على هذا النمط الرائق والاسلوب
اللائق لابد له من مكون قادر حكيم يفعل ما يشاء ويختار ما يريد ٭ لا معقب لحكمه وهو الحميد المجيد وفي الارض
قطع جملة مستانفة مشتملة على طائفة اخرى من الايات اي بقاع كثيرة مختلفة في الاوصاف فمن طيبة وسبخة
وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة الى غير ذلك متجاورات اي متلاصقات وفي بعض المصاحف قطعا متجاورات
اي جعل في الارض قطعا وجنات من اعناب اي بساتين كثيرة منها وزرع من كل نوع من انواع الحبوب وافراده لمراعاة
اصله ولعل تقديم ذكر الجنات عليه مع كونه عمود المعاش لظهور حالها في اختلافها ومباينتها لسائرها ورسوخ
ذلك فيها وتاخير قوله تعالى ونخيل لئلا يقع بينها وبين صفتها وهو قوله تعالى صنوان وغير صنوان فاصلة والصنوان
جمع صنو كقنوان وقنو وهي النخلة التي لها راسان واصلها واحد وقري بضم الصاد وهي لغة بني تميم وقيس
وقري جنات بالنصب عطفا على زوجين وبالجر على كل الثمرات فلعل عدم نظم قوله تعالى وفي الارض قطع متجاورات
في هذا المسلك مع ان اختصاص كل من تلك القطع بما لها من الاحوال والصفات بمحض جعل الخالق الحكيم جلت قدرته

حين مد الارض ودحاها للاحياء الى كون تلك الاحوال صفات راسخة لتلك القطع وقرى
وزرع ونخيل بالجر عطفا على اعناب او جنات تسقى اي ما ذكر من القطع والجنات والزروع والنخيل
وقرى بالتاء نيث مراعاة للفظ والاول اوفق بمقام اتحاد الكل في حالة السقي بماء واحد لا اختلاف
في طبعه سواء كان السقي بماء الامطار او بماء الانهار ونفضل مع تاحد اسباب التشابه بمحض قدرتنا واختيارنا
بعضها على بعض آخر منها في الاكل فيما يحصد منها من الثمر والطعم وقرى بالياء على بناء الفاعل ردا على
يدبر ويفصل ويغشي وعلى بناء المفعول وفيه ما لا يخفى من الفخامة والدلالة على ان عدم احتمال استناد الفعل
الى فاعل آخر مغني عن بناء الفعل على الفاعل ان في ذلك الذي فصل من احوال القطع والجنات لآيات كثيرة
عظيمة ظاهرة لقوم يعقلون يعملون على قضية عقولهم فان من عقل هذه الاحوال العجيبة لا يتلعثم في الجزم
بان من قدر على ابداع هذه البدائع وخلق تلك الثمار المختلفة في الاشكال والالوان والطعوم والروائح في
تلك القطع المتباينة المتجاورة وجعلها حدائق ذات بهجة قادر على اعادة ما ابداه بل هي اهون في القياس
وهذه الاحوال وان كانت هي الآيات انفسها لا انها فيها الا انه قد جردت عنها امثالها مبالغة في
كونها آية ففي تجريدية مثلها في قوله تعالى لهم فيها دار الخلد او المشار اليه الاحوال الكلية والآيات
افرادها الحادثة شيئا فشيئا في الازمنة واحاد الواقعة في الاقطار والامكنة المشاهدة لاهلها ففي على
معناها وحيث كانت دلالة هذه الاحوال على مدلولها اظهر مما سبق على كونها آيات بمحض التعقل ولذلك
لم يتعرض لغير تفضيل بعضها على بعض في الاكل الظاهر لكل عاقل مع تحقق ذلك في الخواص والكيفيات
مما يتوقف العثور عليه على نوع تامل وتفكر كانه لا حاجة في ذلك الى التفكر ايضا وفيه تعريض بان
المشركين غير عاقلين وان تعجب يا محمد من شيء فعجب لا اعجب منه حقيق بان يقصر عليه التعجب
قولهم بعد مشاهدة ما عدد لك من الآيات الشاهدة بانه تعالى على كل شيء قدير ءاذا كنا ترابا على طريقة
الاستفهام الانكاري المفيد لكمال الاستبعاد والاستنكار وهو في محل الرفع على البدلية من قولهم على
انه بمعنى المقول او في محل النصب على المفعولية منه على انه مصدر فالعجب على الاول كلامهم وعلى الثاني
تكلمهم بذلك والعامل في اذا ما دل عليه قولهم ءانا لفي خلق جديد وهو البعث او معاد وتقديم الظرف
لتقوية الانكار بالبعث بتوجيهه اليه في حالة منافية له وتكرير الهمزة في قولهم ءانا لتاكيد الانكار
وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين في الخلق الجديد بالفعل عند كونهم ترابا بل كونهم بعرضية ذلك
واستعدادهم له وفيه من الدلالة على عتوهم وتماديهم في التكبر ما لا يخفى وقيل وان تعجب من
انكارهم البعث فعجب قولهم الدال عليه فتامل وقد جوز كون الخطاب لكل من يصلح له اي ان تعجب يا من
ينظر هذه الآيات من قدرة من هذه افعاله فازدد تعجبا ممن ينكر مع هذه الدلائل قدرته تعالى على البعث وهو
اهون من هذه والانسب من قوله ويستعجلونك بالسيئة هو الاول وقوله فعجب حين قدم على المبتدا
للقصر والتخييل من اول الامر بكون قولهم امرا عجيبا ويجوز ان يكون مبتدا لكونه موصوفا بالوصف
المقدر كما اشير اليه فالمعنى وان تعجب فالعجب الذي لا عجب وراءه قولهم هذا فاعجب منه وعلى الاول
وان تعجب فقولهم هذا عجب لا عجب فوقه اولئك مبتدا والموصول خبره اي اولئك المنكرون لقدرته
تعالى على البعث ربما عاينوا ما فصل من الآيات الباهرة الملجئة الى الايمان لو كانوا يبصرون الذين
كفروا بربهم وتمادوا في ذلك فان انكارهم لقدرته عز وجل كفر به واي كفر واولئك مبتدا خبره
قوله الاغلال في اعناقهم اي مقيدون بقيود الضلال لا يرجى خلاصهم او مغلولون يوم القيمة واولئك
الموصوفون بما ذكر من الصفات اصحاب النار هم فيها خالدون لا ينفكون عنها وتوسيط ضمير الفصل
ليس لتخصيص الخلود بمنكري البعث خاصة بل بالجميع المدلول عليه بقوله تعالى اولئك الذين كفروا

بربهم

بربهم ويستعجلونك بالسيئة بالعقوبة التي انذروها وذلك حين سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم بالعذاب
استهزاء منهم بانذاره قبل الحسنة اي العافية والاحسان اليهم بالامهال وقد خلت من قبلهم المثلات اي عقوبات امثالهم
من المكذبين فما لهم لا يعتبرون بها ولا يحترزون حلول مثلها بهم والجملة الحالية لبيان ركاكة رايهم في الاستعجال
بطريق الاستهزاء اي يستعجلونك بها مستهزئين بانذارك منكرين لوقوع ما انذرتهم اياه والحال انه قد مضت العقوبات
المنالة على امثالهم من المكذبين المستهزئين والمثلة بوزن السمرة العقوبة سميت بها لما بينها وبين المعاقب عليه
من المماثلة ومنه المثال للقصاص وقرى المثلات بضمتين باتباع الفاء العين والمثلات بفتح الميم وسكون
الثاء كما يقال السمرة والمثلات بضم الميم وسكون الثاء تخفيف المثلات جمع مثلة كركبة وركبات وان ربك لذو
مغفرة اي عظيمة للناس على ظلمهم انفسهم بالذنوب والمعاصي ومحلها النصب على الحالية اي ظالمين والعامل
فيه المغفرة والمعنى ان ربك لغفور للناس لا يعجل لهم العقوبة وان كانوا ظالمين بل يمهلهم بتاخيرها وان ربك
لشديد العقاب يعاقب من شاء منهم حين يشاء فتاخيرها استعجلوه ليس للاهمال وعنه صلى الله عليه وسلم لولا
عفو الله وتجاوزه ما هنا لاحد العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا وهم المستعجلون ايضا
وانما عدل عن الاضمار الى الموصول ذما لهم ونعيا عليهم كفرهم بآيات الله تعالى التي تخر لها صم الجبال حيث لم يرفعوا
لها راسا ولم يعدوها من جنس الآيات وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه من آيات موسى وعيسى عليهما السلام عنادا
ومكابرة والا ففي ادنى آية انزلت عليه صلى الله عليه وسلم وعبرة لاولي الالباب قل انما انت منذر مرسل للانذار
من سوء عاقبة ما ياتون وما يذرون كداب من قبلك من الرسل وليس عليك الا الاتيان بما اقترحوا من الآيات
ولكل قوم هاد معين لا بالذات بل بعنوان الهداية يعني لكل قوم نبي مخصوص له هداية مخصوصة يقتضيها اختصاص
كل منهم بما يخص به حكم لا يعلمها الا الله تعالى او لكل قوم هاد عظيم الشان قادر على ذلك هو الله تعالى وما
عليك الا انذارهم ولا يهمنك عنادهم وانكارهم للآيات المنزلة عليك وازدراؤهم بها ثم عقبه بما يدل على كمال
علمه تعالى وقدرته وشمول قضائه وقدره المبنيين على الحكم والمصالح تنبيها على ان تخصيص كل قوم بنبي وكل نبي
بجنس معين من الآيات انما هو للحكم الداعية الى ذلك اظهارا لكمال قدرته على هدايتهم لكن لا يهدي الا من تعلق
بهدايته مشيئته التابعة لحكم استاثر بعلمها فقال الله يعلم ما تحمل كل انثى اي تحمله فما موصولة اريد بها ما
في بطنها من حين العلوق الى زمن الولادة لا بعد تكامل الخلق فقط والعلم متعد الى واحد واي شيء تحمل وعلى اي
حال هو من الاحوال المتواردة عليه طورا فطورا فهي استفهامية معلقة للعلم او حملها فهي مصدرية وما
تغيض الارحام وما تزداد اي تنقصه وتزداده في الجثة كالخديج والتام وفي المدة كالمولود في اقل مدة الحمل
والمولود في اكثرها وفيما بينهما قيل ولد الضحاك في سنتين وهرم بن حيان في اربع ومن ذلك سمي هرما
وفي العدد كالواحد فما فوقه روي ان شريكا كان رابع اربعة او جعل نقصها وازديادها لما فيها فالفعلان
متعديان كما في قوله تعالى وغيض الماء وقوله وازدادوا تسعا وقوله وتزداد كيل بعير والازمان قد
اسند الى الارحام مجازا وهما لما فيها وكل شيء من الاشياء عنده بمقدار بقدر لا يمكن تجاوزه عنه كقوله تعالى
انا كل شيء خلقناه بقدر فان كل حادث من الاعيان والاعراض له في كل مرتبة من مراتب التكوين ومباديها وقت
معين وحال مخصوص لا يكاد يتجاوزه والمراد بالعندية الحضور العلمي بل العلم الحضوري فان تحقق الاشياء في
انفسها في اي مرتبة كانت من مراتب الوجود والاستعداد لذلك علم له بالنسبة الى الله عز وجل عالم الغيب
اي الغائب عن الحس والشهادة اي الحاضر له عبر عنهما بهما مبالغة وقيل اريد بالغيب المعدوم وبالشهادة
الموجود وهو خبر مبتدا محذوف او خبر بعد خبر وقرى بالنصب على المدح وهذا كالدليل على ما قبله
من قوله تعالى الله يعلم الكبير العظيم الشان الذي كل شيء دونه المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او المنزه
عن نعوت المخلوقات وبعد ما بين انه سبحانه عالم بجميع احوال الانسان في مراتب فطرته ومحيط بجلائل الغيب

والشهادة بين انه تعالى عالم بجميع ما ياتون وما يذرون من الافعال والاقوال وانه لا فرق بالنسبة اليه بين السر والعلن سوآء منكم
من اسر القول في نفسه ومن جهر به اظهره لغيره ومن هو مستخف مبالغ في الاختفاء كانه مختف بالليل وطالب للزيادة
وسارب بارز براه كل احد بالنهار من سرب سروبا اي برز وهو عطف على من هو مستخف او على مستخف ومن عبارة عن
الاثنين كما في قوله فان تك عاهدتني فلا تخونني • تكن مثل من يا ذيب يصطحبان • كانه قيل سوآء منكم اثنان مستخف
بالليل وسارب بالنهار والاستوآء وان اسند الى من اسر وما جهر به والى المستخفي والسارب لكنه في الحقيقة مسند
الى ما اسر وما جهر به او الى الفاعل من حيث هو فاعل كما في الاخيرين وتقديم الاسرار والاستخفاء لاظهار كمال علمه تعالى
فكانه في التعلق بالخفيات اقدم منه بالظواهر والا فنسبته الى الكل سوآء لما عرفته آنفا له اي لكل من اسر او جهر
والمستخفي والسارب معقبات ملائكة تتعقب في حفظه جمع معقبة من عقبه اذا جاء على عقبه مبالغة عقبه
كان بعضهم يعقب بعضا اولانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونها او اعتقب فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة
والمراد بالمعقبات الجماعات وقرئ معاقيب جمع معقب او معقبة على تعويض الياء من احدى القافين من بين
يديه ومن خلفه من جميع جوانبه او من الاعمال ما قدم وما اخر يحفظونه من امر الله من باسه حين اذنب بالاستمهال
والاستغفار له • او يحفظونه من المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله تعالى وقد قرئ به وقيل بمعنى من الباء
وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحراس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في
توهمه من قضاء الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم من النعمة والعافية حتى يغيروا ما بانفسهم من الاعمال الصالحة وملكاتها
التي هي فطرة الله التي فطر الناس عليها الى اضدادها واذا اراد الله بقوم سوءا السوء احتيارهم واستحقاقهم لذلك فلا
مرد له فلا راد له والعامل في اذا ما دل عليه الجواب وما لهم من دونه من وال يلي امرهم ويدفع عنهم السوء الذي اراده الله
تعالى بهم بما قدمت ايديهم من تغيير ما بهم وفيه دلالة على ان تخلف مراده تعالى محال وايذان بانهم بما باشروه من انكار البعث
واستعجال السيئة واقتراح الاية قد غيروا ما بانفسهم من الفطرة واستحقوا لذلك حلول غضب الله تعالى وعذابه
هو الذي يريكم البرق خوفا من الصاعقة وطمعا في المطر فوجه تقديم الخوف على الطمع ظاهر لما ان المخوف عليه النفس
او الرزق العتيد والمطموع فيه الرزق المترقب وقيل الخوف ايضا من المطر لكن الخائف منه غير الطامع فيه كالخضري
والحراث ويأباه الترتيب اللهم الا ان يتكلف ما اشير اليه مع ان المخوف عتيد والمطموع فيه مترقب وانتصابهما اما
على المصدرية اي فتخافون خوفا وتطمعون طمعا او على الحالية من البرق او المخاطبين باضمار ذوا وبجعل المصدر بمعنى
المفعول او الفاعل مبالغة او على العلة بتقدير المضاف اي ارادة خوف وطمع او بتأويل الاخافة والاطماع ليتحد
فاعل العلة والفعل المعلل واما جعل المعلل في الرؤية التي يتضمنها الارادة على طريقة قول النابغة
وحلت بيوتي في يفاع ممنع • يخال به راعي الحمولة طائرا • حذارا على ان لا ينال مقادتي • ولا نسوتي حتى يمتن حرائرا •
اي احللت بيوتي حذارا فلا سبيل اليه لا لما وقع في معرض العلة الغائية لا سيما الخوف لا يصلح علة لرؤيتهم و
ينشئ السحاب الغمام المنسحب في الجو الثقال بالماء وهي جمع ثقيلة وصفت بها السحاب لكونها اسم جنس في معنى الجمع
والواحدة سحابة يقال سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما يقال امرأة كريمة ونسوة كرام ويسبح الرعد اي سامعوه
من العباد الراجين للمطر متلبسين بحمده اي يصيحون بسبحان الله والحمد لله واسناده الى الرعد لحمله لهم على ذلك
او يسبح الرعد نفسه على ان تسبيحه عبارة عن دلالته على وحدانيته تعالى وفضله المستوجب لحمده وعن النبي
صلى الله عليه وسلم انه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده واذا اشتد يقول اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا
بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن علي كرم الله وجهه سبحان من سبحت له وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان
اليهود سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال صلى الله عليه وسلم ملك من الملائكة موكل بالسحاب
معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله تعالى ليس بملك والملائكة اي يسبح
الملائكة من خيفته من هيبته واجلاله جل جلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشا

يهلكه بذلك

يهلكه بذلك وهم اي الكفرة المخاطبون في قوله تعالى هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وقد التفت الى الغيبة
ايذانا باسقاطهم عن درجة الخطاب واعراضا عنهم وتعديدا لجناياتهم لدى كل من يستحق الخطاب كانه قيل هو الذي
يفعل امثال هذه الافاعيل العجيبة من اراءة البرق وانشاء السحاب الثقال وارسال الصواعق الدالة على كمال علمه
وقدرته ويعقلها من يعقلها من المؤمنين والرعد نفسه والملك الموكل به والملائكة ويعملون بموجب ذلك من التسبيح
والحمد والخوف من هيبته تعالى وهم اي الكفرة الذين حكيت هناتهم مع ذلك وهواتهم وحقارة شأنهم يجادلون في الله اي في
شأنه تعالى حيث يفعلون ما يفعلون من انكار البعث واستعجال العذاب استهزاء واقتراح الايات قالوا والعطف الجملة
على ما قبلها من قوله تعالى هو الذي يريكم البرق الى آخره او على قوله تعالى الله يعلم الى آخره او استئناف لبيان بطلان قولهم ذلك
ونظائره من استعجال العذاب وانكار البعث قاطع لعطف ما بعده على ما قبله وقيل للحال اي فيصيب بالصواعق من
يشاء وهم يجادلون في الجدل وقد اريد به ما اصاب اربد بن ربيعة اخا لبيد فانه اقبل مع عامر بن الطفيل الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم يبتغيان به الغوائل فدخلا المسجد وهو صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من الاصحاب فاستشرفوا لجمال
عامر وكان من اجمل الناس وقد كان اوصى الى اربد انه اذا رأيتني اكلم محمدا عليه الصلوة والسلام فدر من خلفه واضربه بالسيف فجعل
يكلمه صلى الله عليه وسلم فدار اربد من خلفه فاخترط من سيفه شبرا فحبسه الله تعالى فلم يقدر على سله فجعل عامر
يومي اليه فرأى النبي صلى الله عليه وسلم الحال فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله تعالى على اربد صاعقة في
يوم صحو صائف فاحرقته وولى عامر هاربا فنزل في بيت امرأة سلولية فلما اصبح ضم اليه سلاحه وتغير لونه وركب
فرسه فجعل يركض في الصحراء ويقول ابرز يا ملك الموت ويقول الشعر ويقول واللات لئن اصحر لي محمد وصاحبه يعني
ملك الموت لانفذتهما برمحي فارسل الله تعالى ملكا فلطمه بجناحه فارداه في التراب فخرجت على ركبته في الوقت غدة عظيمة
فعاد الى بيت السلولية وهو يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية ثم دعا بفرسه فركبه فاجراه حتى مات على
ظهره وقيل اريد به ما روي عن الحسن انه كان رجل من طواغية العرب فبعث النبي صلى الله عليه وسلم نفرا من
اصحابه يدعوهم الى الله عز وجل فقال لهم اخبروني بما تدعونني اليه ما هو من ذهب او من فضة او من حديد او
من نحاس او من در فاستعظموا مقالته فرجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا رجلا اكفر قلبا ولا اعتى
على الله منه فقال صلى الله عليه وسلم ارجعوا اليه فرجعوا اليه فما زاد الا مقالته الاولى واخبث فرجعوا
اليه صلى الله عليه وسلم فاخبروه بما صنع فقال صلى الله عليه وسلم ارجعوا اليه فبينما هم عنده ينازعونه
اذ ارتفعت سحابة ورعدت وبرقت ورمت بصاعقة فاحترق الكافر فجاؤا يسعون ليخبروه صلى الله عليه وسلم بالخبر
فاستقبلهم الاصحاب فقالوا احترق صاحبكم قالوا من اين علمتم قالوا اوحى الله الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو
شديد المحال اي والحال انه شديد المماحلة والمكايدة والمماكرة لاعدائه من محله اذا كاده وعرضه للهلاك
ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيل وقيل هو مفعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول والحيلة
على غير قياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفعالة
فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم ساعد الله اشد • وموساة احد له دعوة الحق اي الدعوة التي
الواقعة في محلها المجابة عند وقوعها • والاضافة للايذان بملابستها للحق واختصاصها به وكونها
بمعزل من شائبة البطلان والضياع والضلال كما يقال كلمة الحق وقيل له دعوة الله سبحانه اي
الدعوة اللائقة بحضرته كما في قوله صلى الله عليه وسلم فمن كانت هجرته الى الله ورسوله والتعرض لوصف
الحقية لتربية معنى الاستجابة والاولى هي الاولى لقوله تعالى وما دعاء الكافرين الا في ضلال • وتعلق
الجملتين بما قبلهما من حيث ان اهلاك اربد وعامر محال من الله تعالى واجابة لدعوة رسول الله صلى الله
عليه وسلم يجعل محاله بهم وتهديدهم باجابة دعوته عليهم والذين تدعون اي الاصنام الذين يدعونهم
المشركين فحذف العائد من دونه من دون الله عز وجل لا يستجيبون لهم بشيء اي للاصنام من طلباتهم

الا كباسط كفيه الى الماء اي الا استجابة كاينة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه اليه من بعيد فالاستجابة مصدر من
المبني للفاعل على ما يقتضيه الفعل الظاهر اعني لا يستجيبون ويجوز ان يكون من المبني للمفعول ويضاف الى الباسط بناء على استلزام
المصدر من المبني للفاعل للمصدر من المبني للمفعول وجودا وعدما فكانه قيل لا يستجيبون لهم بشي فلا يستجاب لهم استجابة الا
استجابة كاينة كاستجابة من بسط كفيه الى الماء كما في قوله وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع من المال الا مسحت او مجلف
اي لم تدع فلم يبق الا مسحت او مجلف ليبلغ فاه اي الماء بنفسه من غير ان يؤخذ بشي من الاناء ونحوه وما هو اي الماء
ببالغه ببالغ فيه ابدا لكونه جمادا لا يشعر بعطشه ولا ببسط يديه اليه فضلا عن الاستطاعة لما اراده من البلوغ اليه فيه شبه
حال المشركين في عدم حصولهم في دعاء الهتهم على شيء اصلا وركاكة رايهم في ذلك بحال عطشان هايم لا يدري ما يفعل قد بسط
كفيه من بعيد الى الماء يبغي وصوله الى فيه من غير ملاحظة التشبيه في جميع مفردات الاطراف فان الماء في نفسه شي
نافع بخلاف الهتهم والمراد نفي الاستجابة راسا لانه قد اخرج الكلام مخرج التهكم بهم فقيل لا يستجيبون لهم شيئا من الاستجابة
الا استجابة كاينة في هذه الصورة التي ليس فيها شايبة الاستجابة قطعا فهو في الحقيقة من باب التعليق بالمحال
وقري تدعون بالتاء وكباسط بالتنوين وما دعاء الكافرين الا في ضلال اي في ذهاب وضياع وخسار ولله وحده يسجد
يخضع وينقاد لا لشي غيره استقلالا ولا اشتراكا فالقصر ينتظم القلب والافراد من في السموات والارض من الملائكة والثقلين
طوعا وكرها اي طايعين وكارهين او انقيادا طوع وكره او حال طوع او كره فان خضوع الكل لعظمة الله عز وجل وانقياد
الاصات ما اراده فيهم من احكام التكوين والاعدام شاؤا او ابوا وعدم مداخلة حكم غيره بل غير حكمه تعالى في تلك الشؤن
مما لا يخفى على احد وظلالهم اي ينقاد له تعالى ظلال من له ظل منهم اعني الانس حيث يتصرف على مشيئته
ويتاتى لارادته في الامتداد والتقلص والفي والزوال بالغدو والاصال ظرف للسجود المقدر او حال من
الظلال وتخصيص الوقتين بالذكر مع ان انقيادها متحقق في جميع اوقات وجودها لظهور ذلك
فيهما والغدو جمع غداة كقنى جمع قناة والاصال جمع اصيل وقيل جمع اصل وهو جمع اصيل وهو
ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه قري والايصال اي الدخول في الاصيل
هذا وقد قيل ان المراد حقيقة السجود فان الكفرة حال الاضطرار يخضعون السجود به تعالى وهو
المعني بقوله تعالى وكرها فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ولا يبعد ان يخلق الله في
الظلال افهاما وعقولا تسجد لله سبحانه كما خلقها للجبال حتى اشتغلت بالتسبيح وظهر فيها اثار التجلي
كما قاله ابن الانباري ويجوز ان يراد بسجودها ما يشاهد فيها من هيئة السجود تبعا لاصحابها و
انت خبير بان اختصاص سجود الكافر حالة الضرورة والشدة لله سبحانه لا يجدي فان سجودهم لاصنامهم
حال الرخاء مخل بالقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور فالوجه حمل السجود على الانقياد ولان
تحقيق انقياد الكل في الابداع والاعدام له تعالى ادخل في التوبيخ على اتخاذ اولياء من دونه من تحقق
سجودهم له تعالى وتحقيق انقياد العقلاء بالذكر مع كون غيرهم ايضا كذلك لانهم العمدة وانقيادهم دليل
انقياد غيرهم على انه يعين ذلك بقوله تعالى قل من رب السموات والارض فانه لتحقيق ان خالقهما ومتولي
امرهما مع ما فيهما على الاطلاق هو الله تعالى وقوله قل الله امر بالجواب من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
اشعارا بانه متعين للجوابية فهو والخصم في تقريره سواء او امر بحكاية اعترافهم ايذانا بانه امر
لا بد لهم منه كانه قيل احك اعترافهم فبكتهم بما يلزمهم من الحجر والقهر او امر بتلقينهم ذلك ان تلعثموا في الجواب
حذرا من الالزام فانهم لا يتمالكون اذ ذاك لا يقدرون على انكاره قل الزاما لهم وتبكيتا افاتخذتم لانفسهم
والهمزة لانكار الواقع كما في قولك اضربت اباك لا لانكار الوقوع كما في قوله اضرب ابي والفاء للعطف على مقدر بعد
الهمزة اي اعلمتم ان ربهما هو الله الذي ينقاد لامره من فيهما كافة فاتخذتم من دونه اولياء عاجزين لا يملكون لانفسهم نفعا
يستجلبونه ولا ضرا يدفعونه عن انفسهم فضلا عن القدرة على جلب النفع لغيرهم ودفع الضر عنه لا على ان يكون الانكار متوجها

الى المعطوفين

مهم

الى المعطوفين معا كما في قوله تعالى افلا تعقلون اذا قدر المعطوف عليه الا تسمعون بل الى ترتب الثاني على الاول مع وجوب ان
يترتب عليه نقيضه والمعنى ابعد ان علمتم ان ربهما هو الله جل جلاله اتخذتم من دونه اولياء عجزة والحال ان قضية العلم بذلك
انما هو الاقتصار على توليه فكنتم الامر كما في قوله عز وجل كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وصف
الاولياء هنا بعدم المالكية للنفع والضر ترشيح الانكار وتاكيد كتقييد الاتخاذ هناك بالجملة الحالية اعني قوله تعالى وهم
لكم عدو فان كلا منهما مما ينفي الاتخاذ المذكور ويؤكد انكاره قل تصويرا لارائهم الركيكة بصورة المحسوس هل يستوي
الاعمى الذي هو المشرك الجاهل بالعبادة ومستحقها والبصير الذي هو الموحد العالم بذلك او الاول عبارة عن
المعبود الغافل والثاني الى المعبود العالم بكل شيء ام هل تستوي الظلمات التي هي عبارة عن الكفر والضلال والنور الذي
هو عبارة عن التوحيد والايمان وقري بالياء ولما دل النظم الكريم على ان الكفرة فيما فعلوا من اتخاذ الاصنام اولياء
من دون الله تعالى في الضلال المحض والخطا البحت بحيث لا يخفى بطلانه على احد وانهم في ذلك كالاعمى الذي لا يهتدي لشي اصلا
وليس لهم في ذلك شبهة تصلح ان تكون منشاء لغلطهم وخطائهم فضلا عن الحجة اكد ذلك فقال ام جعلوا اي بل جعلوا لله شركاء
خلقوا كخلقه سبحانه والهمزة لانكار الواقع مع وقوعه وقوله خلقوا كخلقه هو الذي يتوجه اليه الانكار واما الجعل فهو واقع
لا يتعلق به الانكار بهذا المعنى والمعنى انهم لم يجعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم بسبب ذلك وقالوا هؤلاء
خلقوا كخلقه تعالى فاستحقوا بذلك العبادة كما استحقها ليكون ذلك منشاء لخطائهم بل انما جعلوا له شركاء من هو
بمعزل من ذلك بالمرة وفيه ما لا يخفى من التعريض بركاكة رايهم والتهكم بهم قل تحقيقا للحق وارشادا لهم اليه الله خالق
كل شيء كافة لا خالق سواه فيشاركه في استحقاق العبادة وهو الواحد المتوحد بالالوهية المتفرد بالربوبية
القهار لكل ما سواه فكيف يتوهم ان يكون له شريك وبعد ما مثل المشرك والشرك بالاعمى والظلمات والموحد والتوحيد
بالبصير والنور مثل الحق الذي هو القران العظيم في فيضانه من جناب القدس على قلوب خالية عنه متفاوتة الاستعداد
وفي جريانه عليها ملاحظة وحفظا وعلى الالسنة مذاكرة وتلاوة وفي ثباته فيها مع كونه ممدا لحياتها الروحانية وما يتلوها
من الملكات السنية والاعمال المرضية بالماء النازل من السماء السايل في اودية يابسة لم تجر عادتها بذلك سيلانا مقدرا
بمقدار اقتضته الحكمة في احياء الارض وما عليها الباقي فيها حسبما يدور عليه منافع الناس وفي كونه حلية يتحلى به النفوس
وتصل اليه البهجة الابدية ومتاعا يتمتع به في المعاش والمعاد بالذهب والفضة وساير الفلزات التي يتخذ منها انواع
الالات ويبقى منتفعا بها مدة طويلة ومثل الباطل الذي ابتلي به الكفرة لقصور نظرهم بما يظهر فيهما من غير مداخلة لهما
واخلال لصفائهما من الزبد الرابي فوقهما المضمحل سريعا فقيل انزل من السماء ماء اي من جهتها ماء اي كثيرا او نوعا
منه وهو ماء المطر فسالت بذلك اودية واقعة في مواقعه لا جميع الاودية اذ الامطار لا تستوعب الاقطار وهو مفرج
بين جبال او تلال او اكام على الشذوذ ككنادي واندية وناج وانجية قالوا وجهه ان فاعلا يجيء بمعنى فعيل كناصر ونصير
وشاهد وشهيد وعالم وعليم وحيث جمع فعيل على افعلة كجريب واجربة جمع فاعل ايضا على افعله فان اريد بها ما يسيل
فيها فمجاز فاسناد السيلان اليها حقيقي وان اريد معناها الحقيقي فالاسناد مجازي كما في جرى النهر وايثار التمثيل الى الاودية
المستمرة الجريان لوضوح المماثلة بين شانها وبين شان ما مثل به كما اشير اليه بقدرها اي سالت ملتبسة بمقدارها
الذي عينه الله تعالى واقتضته الحكمة في نفع الناس او بمقدارها المتفاوت قلة وكثرة بحسب تفاوت محلها صغرا
وكبرا لا بكونها مالية لها منطبعة عليها بل بمجرد قلتها بصغرها المستلزم لقلة موارد الماء وكثرتها بكثرتها المستلزم
لكثرة الموارد فان مورد الماء الجاري في الوادي الصغير اقل من موارد السيل الجاري في الوادي الكبير هذا ان اريد بالاودية
ما يسيل فيها اما ان اريد بها معناها الحقيقي فالمعنى سالت مياهها بقدرها تلك الاودية على نحو ما عرفته انفا او يراد بضمير ها
مياهها بطريق الاستخدام او يراد بقدرها ما ذكر اولا من التعيين فاحتمل السيل الجاري في تلك الاودية اي حمل زبدا
اي غثاء ورغوة وانما وصف ذلك بقوله تعالى رابيا اي عاليا منتفخا فوقه بيانا لما اريد بالاحتمال المحتمل لكون المحمول
غير طاف كالاشجار الثقيلة وانما لم يدفع ذلك الاحتمال بان يقال فاحتمل السيل فوقه للايذان بان تلك الفوقية

مقتضى

نفس مهم

شان الزبد لا من حيث المحتمل تحقيقا للمماثلة بينه وبين ما مثل به من الباطل الذي شانه الظهور في مبادي الراي من غير
مداخلة في الحق ومما توقدون عليه في النار اي يفعلون الايقاد عليه كاينا في النار والضمير للناس اضمر مع عدم سبق
الذكر لظهوره وقري بالخطاب ابتغاء حلية او متاع اي لطلب اتخاذ حلية وهي ما يتزين ويتجمل وغير ذلك من
الفلزات زبد خبث مثله مثل ما ذكر في زبد الماء في كونه رابيا فوقه فقوله زبد مبتدا خبره الظرف المقدم
ومن ابتدائية دالة علي مجرد كونه مبتدا وناشيا منه لا تبعيضية معربة عن كونه بعضا منه كما قيل لاخلال
ذلك بالتمثيل وفي التعبير عن ذلك بالموصول والتعرض لما في حيز الصلة من ايقاد النار عليه جري علي سنن
الكبرياء باظهار التهاون به كما في قوله تعالي فاوقد لي يا هامان علي الطين واشارة الي كيفية حصول الزبد
منه بذوبانه وفي زيادة في النار اشعار بالمبالغة في الاحتمال للاذابة وحصول الزبد كما اشير اليه وعدم
التعرض لاخراجه من الارض دخل لذلك العنوان في التمثيل كما ان العنوان انزال الماء من السماء دخلا فيه
حسبما فصل في ما سلف بل له اضلال يد لك كذلك اي مثل ذلك الضرب البديع المشتمل علي نكت
رايقة يضرب الله الحق والباطل والحذف للانباء عن كمال التماثل بين الممثل والممثل به كان المثل المضروب
عن الحق والباطل وبعد تحقيق التمثيل مع الايماء في تضاعيف ذلك الي وجوه المماثلة علي ابدع وجوه
واتقنها حسبما اشير اليه في مواقعها بين عاقبة كل من الممثلين علي وجه التمثيل مع التصريح ببعض ما به
المماثلة من الذهاب والبقاء تتمة للغرض من التمثيل من الحث علي اتباع الحق الثابت والردع عن الباطل الزايد
فقيل فاما الزبد من كل منهما فيذهب جفاء اي مرميا به وقري جفالا والمعني واحد واما ما ينفع الناس
منهما كالماء الصافي والفلز الصافي الخالص فيمكث في الارض اما الماء فيثبت بعضه في منافعه و
يسلك بعضه في عروق الارض الي العيون والقنا والابار واما الفلز فيصاغ من بعضه انواع الحلي و
يتخذ من بعضه اصناف الالات والادوات فينتفع بكل من ذلك انواع الانتفاعات مدة طويلة
فالمراد بالمكث في الارض ما هو اعم من المكث في نفسها ومن البقاء في ايدي المتقلبين فيها وتغيير
ترتيب اللف الواقع في الفذلكة الموافق للترتيب الواقع في التمثيل لمراعاة الملايمة ومن حالتي الذهاب
والبقاء بين ذكرهما فان المعتبر انما هو بقاء الثاني بعد ذهاب الذهاب لا قبله كذلك يضرب الله
اي مثل ذلك الضرب العجيب يضرب الله الامثال في كل باب اظهارا لكمال اللطف والهداية وفيه
تفخيم لشان هذا التمثيل وتاكيد لقوله كذلك يضرب الله الحق والباطل اما باعتبار البناء هذا علي
التمثيل الاول ويجعل ذلك اشارة اليهما جميعا وبعد ما بين شان كل من الحق والباطل حالا ومالا
اكمل بيان شرع في بيان حال كل منهما مالا تكميلا للدعوة ترغيبا وترهيبا فقيل للذين استجابوا لربهم اذ
دعاهم الي الحق بفنون الدعوة التي من جملتها ضرب الامثال فانه الطف ذريعة الي تفهيم القلوب
واقوي وسيلة الي تسخير النفوس الابية كيف لا وهو تصوير للمعقول بصورة المحسوس وابراز
لاوابد المعاني في هيئة المانوس فاي دعوة اولي منه بالاستجابة والقبول الحسني اي المثوبة الحسني
وهي الجنة والذين لم يستجيبوا له وعاند والحق الجلي لو ان لهم ما في الارض من اصناف الاموال جميعا بحيث لم
يشذ منه شاذ في اقطارها ا ومجموعا غير متفرق بحسب الازمان ومثله معه لافتدوا به اي بما في
الارض ومثله معه جميعا ليتخلصوا عما بهم وفيه من تهويل ما يلقاهم ما لا يحيط به البيان فالموصول
مبتداء والشرطية كما هي خبره لكن لا علي انها وضعت موضع السوء فوقعت في مقابلة الحسني الواقعة في
القرينة الاولي لمراعاة حسن المقابلة فصار كانه قيل وللذين لم يستجيبوا له السوء كما توهم فان الشرطية
وان دلت علي كال سوء حالهم لكنها بمعزل من القيام مقام لفظ السوء مصحوبا باللام الداخلة علي الموصول
اوضميره وعليه يدور حصول المرام وانما الواقع في تلك المقابلة سوء الحساب في قوله تعالي اوليك

لهم سوء

لهم سوء الحساب وحيث كان اسم الاشارة الواقع مبتدا في هذه الجملة عبارة عن الموصول الواقع مبتدا في
الجملة السابقة وكان خبرها اعني الجملة الظرفية خبرا عن الموصول في الحقيقة ومبينا لابهام مضمون الشرطية
الواقعة خبرا عنه اولا ولذلك ترك العطف فصار كانه قيل والذين لم يستجيبوا لهم سوء الحساب وذلك
في قوة ان يقال والذين لم يستجيبوا له سوء الحساب مع زيادة تاكيد فتم حسن المقابلة علي ابلغ وجه واكمل
ثم بين مؤدي ذلك فقيل وماويهم اي مرجعهم جهنم وفيه نوع تاييد لتفسير الحسني بالجنة وبيس المهاد
اي المستقر والمخصوص بالذم محذوف واللام في قوله للذين استجابوا لربهم متعلقة بقوله يضرب الله الامثال
اي الامثال السالفة وقوله الحسني صفة للمصدر اي استجابوا الاستجابة الحسني وقوله تعالي والذين لم يستجيبوا
له معطوف علي الموصول الاول وقوله تعالي لو ان لهم الي اخره كلام مستانف مسوق لبيان ما اعد لغير المستجيبين
من العذاب والمعني كذلك يضرب الله الامثال للمومنين المستجيبين والكافرين المعاندين اي هما مثلا للفريقين
وانت خبير ان عنوان الاستجابة وعدمها لا مناسبة بينه وبين ما يدور عليه امر التمثيل وان الاستعمال المستفيض
دخول اللام علي من يقصد تذكيره بالمثل نعم قد يستعمل في هذا المعني ايضا كما في قوله تعالي ضرب الله مثلا للذين امنوا امراة
فرعون ونظايره علي ان بعض الامثال المضروبة لاسيما المثل الاخير الموصول بالكلام ليس مثل الفريقين بل مثل للحق والباطل
ولا مساغ لجعل الفريقين مضروبا لهم ايضا بان يجعل في حكم ان يقال كذلك يضرب الله الامثال للناس اذ لا وجه حينئذ
لتنويعهم للمستجيبين وغير المستجيبين فتامل افمن يعلم انما انزل اليك من ربك من القران الذي مثل بالماء المنزل من السماء
والابريز الخالص في المنفعة والجدوي الحق الذي لا حق وراه او الحق الذي اشير اليه بالامثال المضروبة فيستجيب له
كمن هو اعمي عمي القلب لا يشاهد وهو نار علي علم ولا يقدر قدره وهو في اقصي مراتب العلو والعظم فيبقي حايرا
في ظلمات الجهل وغياهب الضلال ولا يتذكر بما ضرب من الامثال وبين المصير والمال كانه قيل بعد ما بين
حال كل من الفريقين ومالهما ابتوهم المماثلة بينهما ثم استانف فقيل انما يتذكر بما ذكر من المذكورات فيقف علي ما بينهما
من التفاوت والتنافي اولوا الالباب اي العقول الخالصة المبراءة عن مشايعة الالف ومعارضة الوهم الذين
يوفون بعهد الله بما عقدوا علي انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلي وما عهد الله عليهم في كتبهم ولا ينقضون
الميثاق ما وثقوه علي انفسهم وقبلوه من الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله تعالي وبين العباد وهو
تعميم بعد تخصيص وفيه تاكيد للاستمرار المفهوم من صيغة المستقبل والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل من الرحم
وموالاة المومنين والايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله بجميع الانبياء المجمعين علي الحق من غير تفريق بين
احد منهم ويندرج فيه مراعاة جميع حقوق الناس بل جميع حقوق كل ما يتعلق بهم من الهر والدجاج ويخشون ربهم
خشية جلال وهيبة ورهبة فلا يعصونه فيما امر به ويخافون سوء الحساب فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا وفيه
دلالة علي كمال فضاعته حسبما ذكر فيما قبل والذين صبروا علي كل ما تكرهه النفس من الافعال والتروك ابتغاء وجه ربهم
طلبا لرضاه خاصة من غير ان ينظروا الي جانب الخلق رياء وسمعة ولا الي جانب النفس زينة وعجبا وحيث كان الصبر
علي الوجه المذكور ملاك الامر في جميع ما ذكر من الصلوة السابقة واللاحقة اورد علي صيغة الماضي اعتناء بشانه
ودلالة علي وجوب تحققه فان ذلك مما لابد منه اما في نفس الصلوة كما في عدا الاولي والرابعة والخامسة وفي
اظهار احكامها كما في الصلوات المذكورات فانها وان استغنت عن الصبر في انفسها حيث لا مشقة علي النفس في الاعتراف
بالربوبية والخشية والخوف لكن اظهار احكامها والجري علي موجبها غير خال عن الاحتياج اليه واقاموا الصلوة المفروضة
وانفقوا مما رزقناهم اي بعضه الذي يجب عليهم انفاقه سرا لمن لم يعرف بالمال او لمن تهم بترك الزكوة وعند
انفاقه واعطايه من تمنعه المروة عن اخذه ظاهرا وعلانية لمن لم يكن كما ذكر والاول في التطوع والثاني في الفرض
ويدرون بالحسنة السيئة اي يجازون الاساءة بالاحسان او يتبعون السيئة الحسنة فتمحوها عن ابن عباس
رضي الله عنهما يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيئ غيرهم وعن الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا

واذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان اذا اذنبوا تابوا وقيل اذا راوا منكرا امروا بتغييره وتقديم المجرور على المنصوب لاظهار كمال العناية بالحسنة اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة والملكات الجميلة وهو مبتدأ خبره الجملة الظرفية اعني قوله تعالى لهم عقبى الدار اي عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون مآل اهلها وهي الجنة وقيل الجار والمجرور خبر لاولئك وعقبى الدار فاعل الاستقرار وايا ما كان فليس قصر حتى يرد ان بعض ما في حيز الصلة ليس من العزايم التي يخل اخلالها بالوصول الى حسن العاقبة والجملة خبر للموصولات المتعاطفة او استيناف لبيان ما استوجبوه بتلك الصفات ان جعلت الموصولات المتعاطفة صفات لاولي الالباب على طريقة المدح من غير ان يقصد ان يكون للصلاة المذكورة مدخل في التذكر جنات عدن بدل من عقبى الدار او مبتدأ خبره يدخلونها والعدن الاقامة ثم صار علما لجنة من الجنان اي جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة ومن صلح من آبائهم جمع ابوي كل واحد منهم فكانه قيل من آبائهم وامهاتهم وازواجهم وذرياتهم هو عطف على المرفوع في يدخلون وانما ساغ ذلك للفصل بالضمير الآخر ومفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشانهم وهو دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة وان الموصوف بتلك الصفات يقرن بعضهم بعضا لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في نفسهم وفي التقييد بالصلاح قطع للاطماع الفارغة لمن يتمسك بمجرد حبل الاسباب والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من ابواب المنازل ومن ابواب الفتوح والتحف قائلين سلام عليكم بشارة لهم بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بعليكم او بمحذوف اي هذه الكرامة العظمى بما صبرتم اي بسبب صبركم او بدل ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه والمعنى لئن تعبتم في الدنيا لقد استرحتم الساعة وتخصيص الصبر بما ذكر من بين الصلات السابقة لما انه ملاك الامر فيها ان له دخلا في كل منها ومزية زايدة من حيث انه ملاك الامر في كل منها وان شيئا منها لا يعتد به الا بان يكون لابتغاء وجه الرب تعالى وتقدس فنعم عقبى الدار اي فنعم عقبى الدار الجنة وقرئ بفتح النون والاصل نعم فسكن العين بنقل حركتها الى النون تارة وبدونه اخرى وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان ياتي قبور الشهداء على راس كل حول ويقول سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وكذا عن الخلفاء الاربعة رضي الله عنهم والذين ينقضون عهد الله اريد بهم من يقابل الاولين ويعاندهم في الاتصاف بنقايض صفاتهم من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه من الاعتراف والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل من الايمان بجميع الانبياء عليهم السلام المجمعين على الحق حيث يؤمنون ببعضهم ويكفرون ببعضهم ومن حقوق الارحام وموالاة المؤمنين وغير ذلك مما لا يراعو حقوقه من الامور المعدودة فيما سلف وانما لم يتعرض لنفي الخشية والخوف عنهم صريحا لدلالة النقض والقطع على ذلك واما عدم التعرض لنفي الصبر المذكور فلانه انما اعتبر تحققه في ضمن الحسنات المعدودة ليقع معتدا به فلا وجه لنفيه عمن بينه وبين الحسنات بعد المشرقين كما لا وجه لنفي الصلوة والزكوة مما لا يحوم حول اصل الايمان بالله تعالى فضلا عن فروع الشرايع وان اريد بالانفاق التطوع ففيه مندرج تحت قطع ما امر الله تعالى بوصله واما درء السيئة بالحسنة فانتفاؤه عنهم ظاهر فيما سبق ولحق فان من يجازي احسانه عز وجل بنقض العهد ومخالفة الامر ويباشر الفساد حسبما يحكيه قوله تعالى ويفسدون في الارض اي بالظلم وتهييج الفتن كيف يتصور منه مجازاة الاساءة بالاحسان على ان ذلك يشعر على ان له دخلا في الافضاء الى العقوبة التي ينبئ عنها قوله تعالى اولئك اي اولئك الموصوفون بما ذكر من القبايح لهم بسبب ذلك اللعنة اي الابعاد من رحمة الله تعالى ولهم مع ذلك سوء الدار اي سوء عاقبة الدنيا وعذاب جهنم فانها دارهم لان ترتيب الحكم على الموصول مشعر بعلية الصلة ولا يخفى انه لا دخل لشيء في ذلك على اكثر التفاسير وان مجازاة السيئة بمثلها مأذون ودفع الكلام السيء بالحسن وكذا الاعطاء عند المنع والعفو عند الظلم والوصل عند القطع ليس مما يورث تركه تبعة واما ما اعتبر انه داخل تحت الصلة الثانية من الاخلال ببعض الحقوق المندوبة فلا ضير في ذلك لان اعتباره من حيث انه من مستتبعات الاخلال بالعزايم بالكفر ببعض الانبياء عليهم الصلوة والسلام

وعقوق الوالدين وترك سائر الحقوق الواجبة وتكريرها للتاكيد والايذان باختلافهما واستقلال كل منهما في الثبوت الله يبسط الرزق اي يوسعه لمن يشاء من عباده ويقدر اي يضيقه على من يشاء حسبما تقتضيه الحكمة من غير ان يكون لاحد مدخل في ذلك ولا شعور بحكمته فربما يبسط للكافر املاء واستدراجا وربما يضيقه على المؤمن زيادة لاجره فلا يغتر ببسطه الكافر كما لا يقنط بقدره المؤمن وفرحوا اهل مكة فرح اشر اي شر وبطر لا فرح سرور بفضل الله تعالى بالحيوة الدنيا وما بسطهم فيها من نعيمها وما الحيوة الدنيا اي وما يتبعها من النعيم في الآخرة في جنب نعيم الآخرة الا متاع الا شيء نزر يتمتع به كعجالة الراكب وزاد الراعي والمعنى انهم رضوا بحظ الدنيا معرضين عن نعيم الآخرة والحال ان ما اثروا به في جنب ما اعرضوا عنه شيء قليل النفع سريع النفاد ويقول الذين كفروا اي اهل مكة وايثار هذه الطريقة على الاضمار مع ظهور ارادتهم عقيب ذكر فرحهم بالحيوة الدنيا لذمهم والتسجيل عليهم بالكفر فيما حكي عنهم من قولهم لولا انزل عليه آية من ربه فان ذلك في اقصى مراتب المكابرة والعناد كان ما انزل عليه صلى الله عليه وسلم من الآيات العظام الباهرة ليس باية حتى اقترحوا ما لا تقتضيه الحكمة من الآيات المحسوسة التي لا يبقى لاحد بعد ذلك طاقة بعدم القبول ولذلك امر في الجواب بقوله تعالى قل ان الله يضل من يشاء اضلاله مشيته تابعة للحكمة الداعية اليها اي يخلق فيه الضلال لصرف اختياره الى تحصيله ويدعه منهمكا فيه لعلمه بانه لا ينجع فيه اللطف ولا ينفعه الارشاد كمن كان على صفتهم في المكابرة والعناد وشدة الشكيمة والغلو في الفساد فلا سبيل الى الاهتداء ولو جاءته كل آية ويهدي اليه الى جنابه العلي الكبير هداية موصلة لا دلالة مطلقة على ما يوصل اليه فان ذلك غير مختص بالمهتدين وفيه من تشريفهم ما لا يوصف من اناب اقبل الى الحق وتامل في تضاعيف ما نزل من دلايله الواضحة وحقيقة الانابة الدخول في نوبة الخير وايثار ابرازها في الصلة على ايراد المشية كما في الصلة الاولى للتنبيه على الداعي الى الهداية بل الى مشيتها والاشعار بما دعي الى المشية الاولى من المكابرة وفيه حث للكفرة على الاقلاع عما هم عليه من العتو والعناد وايثار صيغة الماضي للايماء الى استدعاء الهداية السابقة الانابة كما ان ايثار صيغة المضارع في الصلة الاولى للدلالة على استمرار مكابرتهم الذين آمنوا بدل من اناب فان اريد بالهداية المستمرة فالامر ظاهر لظهور كون الايمان موديا اليها وان اريد احداثها فالمراد بالذين آمنوا الذين صار امورهم الى الايمان كما في قوله تعالى هدى للمتقين اي الصائرين الى التقوى والا فالايمان لا يودي الى الهداية نفسها او خبر مبتدأ محذوف اي هم الذين آمنوا او منصوب على المدح وتطمئن قلوبهم اي تستقر وتسكن بذكر الله بكلامه المعجز الذي لا ريب فيه كقوله تعالى هذا كتاب انزلناه مبارك وقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ويعلمون انه لا آية اعظم منه فيقترحوها والعدول الى صيغة المضارع لافادة دوام الاطمينان وتجدده حسب تجدد الآيات وتعددها الا بذكر الله وحده تطمئن القلوب دون غيره من الامور التي تميل اليها النفوس من الدنياويات وهذا ظاهر اما سائر المعجزات فالقصر من حيث انها ليست في افادة الطمانينة بالنسبة الى من لم يشاهدها بمثابة القرآن المجيد فانه معجزة باقية الى يوم القيمة يشاهدها كل احد وتطمين به القلوب كافة وفيه اشعار بان الكفرة ليست لهم قلوب وافئدتهم هواء حيث لم تطمئن بذكر الله تعالى ولم يعدوه آية وهي اظهر الآيات وابهرها وقيل تطمئن قلوبهم بذكر الله رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله او بذكر دلايله الدالة على وحدانيته او بذكره جل وعلا انسا به وتبتلا اليه فالمراد بالهداية دوامها واستمرارها الذين آمنوا وعملوا الصالحات بدل من القلوب على حذف المضاف بدل الكل حسبما رمز اليه اي قلوب الذين آمنوا وفيه ايماء الى ان الانسان انما هو القلب او مبتدأ خبره الجملة الدعائية على التاويل اعني قوله تعالى طوبى لهم او خبر مبتدأ مضمر او نصب على المدح فطوبى لهم حال عاملها الفعلان وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى والواو منقلبة من الياء كموقن وموسر وقرئ مكسورة لتسلم الياء والمعنى اصابوا خيرا ومحلها النصب كسلاما لك او الرفع على الابتداء وان كان نكرة لكونها

في معنى الدعاء كسلام عليك يدل على ذلك القراءة في قوله تعالى وحسن ماب بالنصب والرفع واللام في لهم
للبيان مثلها في سعيا لك كذلك اي مثل ذلك الارسال العظيم الشان المصحوب بهذه المعجزة الباهرة
ارسلناك في امة قد خلت اي مضت من قبلها امم كثيرة قد ارسل اليهم رسل لتتلو لتقرأ عليهم الذي
اوحينا اليك من الكتاب العظيم الشان وتهديهم الى الحق رحمة لهم وتقديم المجرور على المنصوب من قبيل
الابهام ثم البيان كما في قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك وفيه ما لا يخفى من ترتب النفس الى ما سيرد
وحسن قبولها له عند وروده عليها وهم اي والحال انهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة التي وسعت كل شيء رحمته
واحاطت بنعمته والعدول الى المظهر للتعرض لوصف الرحمة من حيث ان الارسال ناشئ منها كما قال تعالى
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فلم يقدروا قدره ولم يشكروا نعمه لا سيما ما انعم به عليهم بارسالك
اليهم وانزال القران الذي هو مدار المنافع الدينية والدنيوية عليهم وقيل نزلت في مشركي مكة حين امروا
بالسجود فقالوا وما الرحمن قل اي الرحمن الذي كفرتم به وانكرتم معرفته هو ربي الرب في الاصل بمعنى التربية
وهو تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت اي خالقي
ومبلغي الى مراتب الكمال وايراده قبل قوله لا اله الا هو اي لا يستحق للعبادة سواه تنبيه على ان استحقاق
العبادة منوط بالربوبية وقيل ان ابا جهل سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمان فرجع
الى المشركين فقال ان محمدا يدعو الهين فنزلت ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن الاية عليه
توكلت في جميع اموري لا سيما في النصرة عليكم لا على احد سواه واليه خاصة متاب اي توبتي كقوله تعالى
واستغفر لذنبك امر صلى الله عليه وسلم بذلك ابانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله تعالى وانها صفة
الانبياء وبعث الكفرة على الرجوع عما هم عليه بابلغ وجه والطفه فانه صلى الله عليه وسلم حيث امر بها
وهو منزه عن شائبة اقتراف وما يوجبها من الذنب وان قل فتوبتهم وهم عاكفون على انواع الكفر والمعاصي
مما لا بد منه اصلا وقد فسر المتاب بمطلق الرجوع فقيل مرجعي ومرجعكم وزيد فيحكم بيني وبينكم وقد قيل
فيثيبني على مصابرتكم فتامل ولو ان قرانا اي قرانا ما وهو اسم ان والخبر قوله تعالى سيرت به الجبال وجواب
لو محذوف لانسياق الكلام اليه بحيث يتلقفه السامع من التالي والمقصود اما بيان عظم شان
القران العظيم وفساد راي الكفرة حيث لم يقدروا قدره العلي ولم يعدوه من قبيل الايات فاقترحوا غيره
مما اوتي موسى وعيسى عليهما السلام واما بيان غلوهم في المكابرة والعناد وتماديهم في الضلال والفساد
فالمعنى على الاول لو ان قرانا سيرت به الجبال اي بانزاله او بتلاوته عليها وزعزعت عن مقارها كما فعل ذلك
بالطور لموسى عليه السلام او قطعت به الارض اي شققت وجعلت انهارا وعيونا كما فعل بالحجر حين ضربه
عليه السلام بعصاه او جعلت قطعا متصدعة او كلم به الموتى اي بعد ان احيي بقراءته عليها كما احييت
لعيسى عليه السلام لكان ذلك هذا القران لكونه الغاية القصوى في الانطواء على اثار قدرته تعالى وهيبته
عز وجل لقوله تعالى لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله لا في الاعجاز اذ
لا مدخل له في هذه الاثار ولا في التذكير والانذار والتخويف لاختصاصها بالعقلاء مع انه لا علاقة
لها بتكلم الموتى واعتبار فيضان العقول اليها مخل بالبلاغة المقصودة وتقديم المجرور في المواضع الثلاثة
على المرفوع لما مر غير مرة قصدا للابهام ثم التفسير لزيادة التقرير لان بتقديم ما حقه التاخير تبقى النفس
مترقبة متشوقة الى المؤخر انه ماذا فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن وكلمة او في الموضعين لمنع الخلو
لا لمنع الجمع واقتراحهم وان كان متعلقا بمجرد ظهور مثل هذه الافاعيل العجيبة على يده صلى الله عليه وسلم
لا بظهورها بواسطة القران ذلك حيث كان مبنيا على عدم اشتماله في زعمهم على الخوارق نيط ظهورها
به مبالغة في بيان اشتماله عليها وانه حقيق ان يكون مصدرا لكل خارق وابانة لركاكة رايهم في شانه

الرفيع

الرفيع كانه قيل لو ان ظهور امثال ما اقترحوه من مقتضيات الحكمة لكان مظهرها هذا القران الذي لم يعدوه اية
وفيه من تفخيم شان العزيز ووصفهم بركاكة العقل ما لا يخفى بل لله الامر جميعا اي له الامر الذي عليه يدور فلك الاكوان
وجودا وعدما يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لما يدعوا اليه من الحكم البالغة وهو اضراب عما تضمنته الشرطية من معنى النفي
لا بحسب منطوقه بل باعتبار موجبه ومؤداه اي لو ان قرانا فعل به ما ذكر لكان ذلك هذا القران ولكن لم يفعل
بل فعل ما عليه الشان الان لان الامر كله له وحده فالاضراب ليس متوجها الى كون الامر لله سبحانه بل الى ما يؤدي
اليه ذلك من كون الشان على ما كان لما تقتضيه الحكمة من بناء التكليف على الاختيار افلم ييئس الذين امنوا اي افلم يعلموا
على لغة هوازن او قوم من النخع او على استعمال الياس في معنى العلم لتضمنه له ويؤيده قراءة علي رضي الله عنه وابن عباس
وجماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين افلا يتبين بطريق التفسير والفاء للعطف على مقدر
اي اغفلوا عن كون الامر جميعا لله تعالى فلم يعلموا ان لو يشاء الله على حذف ضمير الشان وتخفيف ان لهدى الناس جميعا
باظهار امثال تلك الاثار العظيمة فالانكار متوجه الى المعطوفين جميعا او علموا كون الامر جميعا لله فلم يعلموا ما
يوجبه ذلك العلم مما ذكر فهو متوجه الى ترتب المعطوف على المعطوف عليه اي تخلف العلم الثاني على العلم الاول
وعلى التقديرين فالانكار انكار الوقوع كما في قوله تعالى الم يعدكم ربكم وعدا حسنا لا انكار الواقع كما في قولك الم تخف الله
حتى عصيته ثم ان مناط الانكار ليس عدم علمهم بمضمون الشرطية فقط بل مع عدم علمهم بعد تحقق مقدمها كانه قيل
الم يعلموا ان الله تعالى لو شاء هدايتهم لهداهم وانه لم يشاءها وذلك لانهم كانوا يودون ان يظهر ما اقترحوا من الايات
ليجتمعوا على الايمان وعلى الثاني لو ان قرانا فعل به ما فعل من التعاجيب لما امنوا به كقوله تعالى ولو اننا نزلنا اليهم
الملائكة وكلمهم الموتى الاية فالاضراب حينئذ متوجه الى ما سلف من اقتراحها مع كونهم في العناد على ما شرح
اي ليس لهم ذلك بل لله الامر جميعا ان شاء اتى بما اقترحوا وان شاء لم يات به حسبما تستدعيه داعية الحكمة من غير ان
يكون لاحد عليه تحكم او اقتراح والياس بمعنى القنوط اي الم يعلم الذين امنوا حالهم هذه فلم يقنطوا من ايمانهم فهو متوجه
الى وقوع المعطوف بعد المعطوف عليه اي الى تخلف القنوط عن العلم المذكور والانكار على التقديرين انكار الواقع كما في قوله
تعالى افلا تتقون ونظايره لا انكار الوقوع فان عدم قنوطهم منه مما لا مرد له وقوله تعالى ان لو يشاء الله الى اخره
متعلق بمحذوف اي افلم ييأسوا من ايمانهم علما منهم او عالمين بانه لو يشاء الله لهدى الناس جميعا وانه لم يشاء ذلك
او يامنوا اي افلم يقنط الذين امنوا بان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا على معنى افلم ييأس من ايمانهم المؤمنون بمضمون
الشرطية وبعد تحقق مقدمها المنفهم من مكابرتهم حسبما تحكيه كلمة لو فالوصف المذكور منزو واعي انكارهم باسهم
وقيل ان ابا جهل واضرابه قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا سير بقرانك الجبال عن مكة
حتى تتسع لنا ونتخذ فيها البساتين والقطايع وقد سخرت لداود فلست باهون على الله منه ان كنت نبيا كما زعمت
او سخر لنا به الريح كما سخرت لسليمان لنتجر عليها الى الشام فقد شق علينا قطع الطريق المشقة البعيدة او ابعث لنا
رجلين او ثلاثة ممن مات من ابائنا فنزلت فمعنى تقطيع الارض حينئذ قطعها بالسير ولا حاجة الى الاعتذار في اسناد
الافاعيل المذكورة الى القران كما احتيج اليه في الوجهين الاولين وعن الفرا انه متعلق بما قبله وهم يكفرون
بالرحمن وما بينهما اعتراض وهو بالحقيقة دال على الجواب والتقدير ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت
به الارض او كلم به الموتى لكفروا بالرحمن والتذكير في كلم به الموتى لتغليب المذكر من الموتى على غيره ولا يزال الذين
كفروا من اهل مكة تصيبهم بما صنعوا اي بسبب ما صنعوا من الكفر والتمادي فيه وعدم بيانه اما للقصد
الى تهويله واستهجانه وهو تصريح بما اشعر به بناء الحكم على الموصول من علية الصلة له مع ما في صيغة الصنع
من الايذان برسوخهم في ذلك قارعة داهية تقرعهم وتقلقهم وهو ما كان يصيبهم من انواع البلايا والمصائب
من القتل والاسر والنهب والسلب وتقديم المجرور على الفاعل لما مر مرارا من ارادة التفسير اثر الابهام لزيادة التقرير
والاحكام مع ما فيه من بيان مدار الاصابة من جهتهم اثر ذي اثير او تحل تلك القارعة قريبا اي مكانا

قريبا من دارهم فيفزعون منها ويتطاير اليهم شرارها شبهت القارعة بالعدو المتوجه اليهم فاسند اليها الاصابة
تارة والحلول اخرى ففيه استعارة بالكناية وتخييل وترشيح حتى ياتي وعد الله اي موتهم او القيامة فان كلا منهما وعد
محتوم لا مرد له وفيه دلالة على ان ما يصيبهم عند ذلك من العذاب في غاية الشدة وان ما ذكر سابقا نفحة يسيرة بالنسبة
اليه ثم حقق ذلك بقوله تعالى ان الله لا يخلف الميعاد اي الوعد كالميلاد والميثاق بمعنى الولادة والوثقة لاستحالة ذلك
على الله تعالى وقال ابن عباس رضي الله عنهما اراد بالقارعة السرايا التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثها
وكانوا بين اغارة واختطاف وتخويف بالهجوم عليهم في ديارهم فالاصابة والحلول حينئذ من احوالهم ويجوز على هذا ان يكون
قوله تعالى او تحل قريبا من دارهم خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم مرادا به حلول الحديبية والمراد بوعد الله تعالى
ما وعد به من فتح مكة ولقد استهزئ برسل كثيرة خلت من قبلك فامليت للذين كفروا اي تركتهم ملاوة من الزمان في امن ودعة
كما يملى للبهيمة في المرعى وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما لقي من المشركين من التكذيب والاقتراح على طريقة
الاستهزاء به ووعيد لهم والمعنى ان ذلك ليس مختصا بك بل هو امر مطرد وقد فعل ذلك برسل كثيرة كائنة من قبلك
فامهلت الذين فعلوه بهم والعدول في الصلة الى وصف الكفر ليس لان المملى لهم غير المستهزئين بل لارادة الجمع بين الوصفين
اي فامليت للذين كفروا مع استهزائهم لا باستهزائهم فقط ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اي عقابي اياهم وفيه من الدلالة
على تناهي كيفيته في الشدة والفظاعة ما لا يخفى افمن هو قائم اي رقيب مهيمن على كل نفس بما كسبت كائنة من كانت من خير
او شر لا يخفى عليه شيء من ذلك بل يجازي كلا بعمله وهو الله تعالى اي كمن ليس كذلك انكارا لذلك وادخال الفاء لتوجيه
الانكار الى توهم المماثلة غب ما علم ما فعل تعالى بالمستهزئين من الاملاء المديد والاخذ الشديد ومن كون الامر كله لله تعالى
وكون هداية الناس جميعا منوطة بمشيئة الله تعالى ومن تواتر القوارع على الكفرة الى ان ياتي وعد الله تعالى كانه قيل
الامر كذلك فمن هذا شانه كما ليس في عداد الاشياء حتى تشركوه به فالانكار متوجه الى ترتب المعطوف اعني توهم المماثلة
على المعطوف عليه المقدر اعني كون الامر كما ذكر كما في قولك اتعلم الحق فلا تعمل به لا الى المعطوفين جميعا كما اذا قلت الا
تعلمه فلا تعمل به وقوله تعالى وجعلوا لله شركاء جملة مستقلة جيء بها للدلالة على الخبر او حالية اي افمن هذه صفاته
كما ليس كذلك وقد جعلوا له شركاء لا شريكا واحدا او معطوفة على الخبر ان قدر ما يصلح لذلك اي افمن هذا شانه لم يوحدوه
وجعلوا له شركاء ووضع المظهر موضع المضمر للتنصيص على وحدانيته ذاتا واسما وللتنبيه باستحقاق العبادة مع ما فيه
من البيان بعد الابهام بايراده موصولا للدلالة على التفخيم وقوله تعالى قل سموهم تبكيت لهم اثر تبكيت اي سموهم من هم
وماذا اسماؤهم او صفوهم وانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستاهلون الشركة ام تنبئونه اي بل اتنبئون الله
بما لا يعلم في الارض اي بشركاء مستحقين للعبادة لا يعلمهم الله تعالى ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والارض
ام بظاهر من القول بل اتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير ان يكون له معنى وحقيقة كتسمية الزنجي كافورا كقوله تعالى
ذلك قولهم بافواههم وهاتيك الاساليب البديعة التي ورد عليها الاية الكريمة منادية على انها خارجة عن قدرة
البشر من كلام خلاق القوى والقدر فتبارك الله رب العالمين بل زين للذين كفروا وضع الموصول موضع المضمر
ذما لهم وتسجيلا عليهم بالكفر مكرهم تمويههم الاباطيل او كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا عن السبيل اي سبيل الحق
من صد صدا وقرئ بكسر الصاد على نقل حركة الدال اليها وقرئ بفتحها اي صدوا الناس اذ من صد صدودا
ومن يضلل الله اي يخلق فيه الضلال بسوء اختياره او يخذله فما له من هاد يوفقه للهدى لهم عذاب شاق في الحيوة الدنيا
بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب فانها انما تصيبهم عقوبة على الكفر ولعذاب الاخرة اشق من ذلك بالشدة
والمدة وما لهم من الله من عذابيه المذكورين من واق من حافظ يمنعهم ويعصمهم من ذلك فمن الاولى صلة للوقاية والثانية
مزيدة للتاكيد مثل الجنة اي صفتها العجيبة الشان التي في الغرابة كالمثل التي وعد المتقون عن الكفر والمعاصي وهو مبتدأ
خبره محذوف عند سيبويه اي فيما قصصنا عليك مثل الجنة وقوله تعالى تجري من تحتها الانهار تفسير لذلك المثل على انه حال
من الضمير المحذوف من الصلة العائد الى الجنة اي وعدها وهو الخبر عند غيره كقولك شان زيد ياتيه الناس ويعظمونه

او على حذف

او على حذف موصوف اي مثل الجنة الى اخره اكلها ثمرها دائم لا ينقطع وظلها ايضا كذلك لا ينسخه الشمس كما
ينسخ ظلال الدنيا تلك الجنة المنعوتة بما ذكر عقبى الذين اتقوا الكفر والمعاصي اي مآلهم ومنتهى امرهم وعقبى
الكافرين النار لا غير وفيه ما لا يخفى من اطماع المتقين واقناط الكافرين والذين آتيناهم الكتاب هم المسلمون من
اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب واضرابهم ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران
وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة يفرحون بما انزل اليك اذ هو الكتاب الموعود في الانجيل
ومن الاحزاب اي من احزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو
كعب بن الاشرف والسيد والعاقب اسقفي نجران واتباعهما من ينكر بعضه وهو الشرائع الحادثة انشاء
او نسخا لا ما يوافق ما حرفوه والا لنعي عليهم من الامر مدلول ذلك انما هو جنايات ايديهم واما ما يوافق كتبهم
فلم ينكروه وان لم يفرحوا به وقيل يجوز ان يراد بالموصول الاول عامتهم فانهم ايضا يفرحون به لكونه
مصدقا لكتبهم في الجملة فحينئذ يكون قوله تعالى ومن الاحزاب تتمة بمنزلة ان يقول ومنهم من ينكر بعضه
قل الزاما لهم وردا لانكارهم انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اي شيئا من الاشيا ولا افعل الاشراك به
والمراد قصر الامر بالعبادة على الله تعالى وتوحيده وظاهر ان لا سبيل لكم الى انكاره لاطباق جميع الانبيا
والكتب على ذلك كقوله تعالى يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك
به شيئا فما لكم تشركون به عزيرا والمسيح وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستيناف اي وانا لا اشرك
به اليه الى الله تعالى خاصة على النهج المذكور من التوحيد او الى ما امرت به من التوحيد ادعو الناس لا
الى غيره او لا الى شيء اخر مما يطبق عليه الكتب الالهية والانبياء عليهم السلام فما وجه انكاركم واليه
اي الى الله تعالى وحده مآب مرجعي للجزاء وحيث كانت هذه الحجة الباهرة لازمة لهم لا يجدون عنها
محيصا امر صلى الله عليه وسلم بان يخاطبهم بذلك الزاما وتبكيتا لهم ثم شرع في رد انكارهم لفروع
الشرائع الواردة ابتداء او بدلا من الشرائع المنسوخة ببيان الحكمة في ذلك فقيل وكذلك انزلناه اي
ما انزل اليك وذلك اشارة الى مصدر انزلناه او انزل اليه ومحله النصب على المصدرية اي مثل
ذلك الانزال البديع المنتظم لاصول مجمع عليها وفروع متشعبة اي موافقة ومخالفة حسبما
تقتضيه قضية الحكمة والمصلحة انزلناه حكما حاكما يحكم في القضايا والواقعات بالحق ويحكم به
كذلك والتعرض لذلك العنوان مع ان بعضه ليس بحكم لتربية وجوب مراعاته وتحتم المحافظة عليه
عربيا مترجما بلسان العرب لذلك للاشارة الى ان ذلك احدى مواد المخالفة للكتب السالفة
مع ان ذلك مقتضى الحكمة اذ بذلك يسهل فهمه وادراك اعجازه والاقتصار على اشتمال الانزال
على اصول الديانات المجمع عليها حسبما يفيده قوله تعالى قل انما امرت ان اعبد الله يأباه التعرض لاتباع
اهوائهم وحديث المحو والاثبات وان لكل اجل كتاب فان المجمع عليه لا يتصور فيه الاستتباع والاتباع
ولئن اتبعت اهواءهم التي يدعونك اليها من تقرير الامور المخالفة لما انزل اليك من الحق كالصلاة
الى بيت المقدس بعد التحويل من بعد ما جاءك من العلم العظيم الشان الفائض من ذلك العلم العربي
او العلم بمضمونه ما لك من الله من جناب العزيز والالتفات من التكلم الى الغيبة وايراد الاسم الجليل
لتربية المهابة قال الازهري لا يكون الها حتى يكون معبودا وحتى يكون خالقا ورازقا ومدبرا
من ولي يلي امرك وينصرك على من يبغيك الغوائل ولا واق يقيك من مصارع السوء وحيث لم
يستلزم نفي الناصر على العدو نفي الواقي من نكايته ادخل على المعطوف حرف النفي للتاكيد كقولك
ما لي دينار ولا درهم او ما لك من باس الله من ناصر وواق لاتباعك لاهوائهم وامثال هاتيك
القوارع انما هي لقطع اطماع الكفرة وتهييج المؤمنين على الثبات في الدين واللام في لئن موطئة

وما لك ساد مسد جوابي الشرط والقسم ولقد ارسلنا رسلا كثيرة كاينة من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا كما جعلنا لك وهو رد لما كانوا يعيبونه صلى الله عليه وسلم بالزواج والاولاد كما كانوا يقولون مال هذا الرسول ياكل الطعام وما كان لرسول منهم اي وما صح وما استقام ولم يكن في وسعه ان ياتي باية مما اقترح عليه وحكم مما التمس منه الا باذن الله ومشيته المبنية على الحكم والمصالح التي عليها يدور امر الكاينات لا سيما مثل هذه الامور العظام والالتفات لما قررناه ولتحقيق مضمون الجملة بالايماء الى العلة لكل اجل اي لكل مدة ووقت من المدد والاوقات كتاب حكم معين يكتب على العباد حسبما تقتضيه الحكمة فان الشرايع كلها لاصلاح حالهم في المبدا والمعاد ومن قضية ذلك ان يختلف حسب اختلاف حالهم المتغيرة حسب تغير الاوقات كاختلاف العلاج حسب اختلاف حال المرضى بحسب اختلاف الاوقات يمحوا الله ما يشاء اي ينسخ ما يشاء نسخه من الاحكام لما تقتضيه الحكمة بحسب الوقت ويثبت بدله ما فيه المصلحة او يبقيه على حاله غير منسوخ او يثبت ما يشاء اثباته مطلقا اعم منهما ومن الانشاء ابتداء او يمحو من ديوان الحفظة الذين ديدنهم كتبة كل قول وعمل مما لا يتعلق به الجزاء ويثبت الباقي او يمحوا السية ويثبت مكانها الحسنة او يمحو قرنا ويثبت اخرين او يمحو الفاسد من العالم الجسماني ويثبت الكاينات او يمحوا الرزق ويزيد فيه او يمحوا الاجل او السعادة والشقاوة وبه قال ابن عمر وابن مسعود رضي الله عنهما والقايلون يتضرعون الى الله تعالى ان يجعلهم سعداء وهذا رواه جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم والانسب تعميم كل من المحو والاثبات ليشمل الكل ويدخل في ذلك مواد الانكار دخولا اوليا وقري بالتشديد وعنده ام الكتاب اي اصله وهو اللوح المحفوظ اذ ما من شيء من الذاهب والثابت الا وهو مكتوب فيه كما هو واما نرينك اصله ان نرك وما مزيدة لتاكيد معنى الشرط ومن ثمه الحقت النون بالشرط بعض الذي نعدهم اي وعدناهم من نزال العذاب عليهم والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية او نعدهم وعدا متجددا حسبما تقتضيه الحكمة من ابدارغب انذار وفي ايراد البعض رمز الى ارادة بعض الموعود او نتوفينك قبل ذلك فانما عليك البلاغ اي تبليغ احكام الرسالة بتمامها لا تحقيق مضمون ما بلغته من الوعيد الذي هو من جملتها وعلينا لا عليك الحساب محاسبة اعمالهم السية والمواخذة بها كيف ما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم من العذاب الدنيوي او لم نرك هو فعلينا ذلك وما عليك الا تبليغ الرسالة فلا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيك ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تاخره فان ذلك لما نعلم من المصالح الخفية ثم طيب نفسه صلى الله عليه وسلم بطلوع تباشير فقال او لم يروا استفهام انكاري والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي انكروا نزول ما وعدناهم او شكوا او لم ينظروا في ذلك ولم يروا انا ناتي الارض اي ارض الكفرة ننقصها من اطرافها اي نفتحها على المسلمين شيا فشيا ونلحقها بدار الاسلام ونذهب منها اهلها بالقتل والاسر والاجلاء اليس هذا من ذلك ومثله قوله عز سلطانه افلا يرون انا ناتي الارض ننقصها بالتشديد وفي لفظ الاتيان الموذن بالاستواء المحتوي والاستيلاء العظيم من الفخامة ما لا يخفى كما في قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا والله يحكم ما يشاء كما يشاء فقد حكم للاسلام بالعز والاقبال وعلى الكفرة بالذل والادبار حسبما يشاهد من المخايل والاثار وفي الالتفات من التكلم الى الغيبة وبناء الحكم على الاسم الجليل من الدلالة على الفخامة وتربية المهابة وتحقيق مضمون الخبر بالاشارة الى العلة ما لا يخفى وهي جملة اعتراضية جيء بها لتاكيد فحوى ما تقدمها وقوله تعالى لا معقب لحكمه اعتراض في اعتراض لبيان علو شان حكمه جل جلاله وقيل نصب على الحالية كانه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاء زيد لا عمامة على راسه اي حاسرا والمعقب من يكر على الشيء فيبطله وحقيقته من يعقبه ويقفيه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب وهو سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم ويجازيهم في الاخرة بافانين العذاب بعد ما عذبهم بالقتل والاسر والاجلاء حسبما يرى قال ابن عباس رضي الله عنهما سريع الانتقام وقد مكر الكفار الذين خلوا من قبلهم من قبل كفار مكة بانبيائهم وبالمومنين كما مكر هولاء وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بانه لا عبرة لمكرهم ولا تاثير بل لا وجود له في الحقيقة ولم

يصرح

ولم يصرح بذلك اكتفاء بدلالة القصر المستفاد من تعليله اعني قوله تعالى فلله المكر اي جنس المكر جميعا لا وجود لمكرهم اصلا اذ هو عبارة عن ايصال المكروه الى الغير من حيث لا يشعر به وحيث كان جميع ما ياتون وما يذرون بعلم الله تعالى وقدرته وانما لهم مجرد الكسب من غير فعل ولا تاثير حسبما بينه بقوله تعالى يعلم ما تكسب كل نفس ومن قضية عصمة اوليايه وعقاب الماكرين بهم توفية لكل نفس جزاء ما تكسبه ظهر ان ليس لمكرهم بالنسبة الى من مكروا بهم عين ولا اثر وان المكر كله لله تعالى حيث يواخذهم بما كسبوا من فنون المعاصي التي من جملتها مكرهم من حيث لا يحتسبون او لله المكر الذي باشروه جميعا لا لهم على معنى ان ذلك ليس مكرا منهم بالانبياء عليهم السلام بل هو بعينه مكر من الله تعالى بهم وهم لا يشعرون حيث لا يحيق المكر السيء الا باهله وسيعلم الكافر حين يقضي بمقتضى علمه فيوفي كل نفس جزاء ما تكسبه لمن عقبى الدار اي العاقبة الحميدة من الفريقين وان جهلوا ذلك يوميذ وقيل السين لتاكيد وقوع ذلك وعلمهم به حينيذ وقري سيعلم الكافر على ارادة الجنس والكافرون والكفر اي اهله الذين كفروا وسيعلم على صيغة المفعول من الاعلام اي سيخبر ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل قاله روساء اليهود وصيغة الاستقبال لاستحضار صورة كلمتهم الشنعاء تعجيبا منها او للدلالة على تجدد ذلك واستمراره منهم قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فانه قد اظهر على رسالتي من الحجج القاطعة والبينات الساطعة ما فيه مندوحة عن شهادة شاهد اخر ومن عنده علم الكتاب اي علم القران وما هو عليه من النظم المعجز او من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا لانهم يشهدون بنعته صلى الله عليه وسلم في كتبهم والاية مدنية بالاتفاق او من عنده علم اللوح المحفوظ وهو الله سبحانه اي كفى شاهدا بيننا بالذي يستحق العبادة فانه قد شحن كتابه بالدعوة الى عبادته وايدني بانواع التاييد وبالذي يختص بعلم ما في اللوح من الاشياء الكاينة التي من جملتها رسالتي وقري من عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف المعتمد على الموصول او مبتدا خبره الظرف وهو متعين على الثاني ومن عنده علم الكتاب بالكسر وبناء المفعول ورفع الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة وبعث يوم القيمة من الموفين بعهد الله تبارك وتعالى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

سورة ابراهيم وهي اثنتان وخمسون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الر مر الكلام فيه وفي محله غير مرة وقوله تعالى كتاب خبر له على تقدير كونه مبتدا او لمبتدا مضمر على تقدير كونه خبرا لمبتدا محذوف او مسرودا على نمط التعديد ويجوز ان يكون خبرا ثانيا لهذا المبتدا المحذوف وقوله تعالى انزلناه اليك صفة له وقوله تعالى لتخرج الناس متعلق بانزلناه اي لتخرجهم كافة بما في تضاعيفه من البينات الواضحة المفصحة عن كونه من عند الله تعالى الكاشفة عن العقايد الحقة وقري ليخرج الناس اي ليخرج به الناس من الظلمات من عقايد الكفر والضلال التي كلها ظلمات محضة وجهالات صرفة الى النور الى الحق الذي هو نور لكن لا كيف ما كان فانك لا تهدي من احببت بل باذن ربهم اي بتيسيره وتوفيقه وللانباء عن كون ذلك منوطا باقبالهم الى الحق كما يفصح عنه قوله تعالى ويهدي اليه من اناب استعير له الاذن الذي هو عبارة عن تبليغ الشيء الى كماله المتوجه اليه وشمول الاذن بهذا المعنى للكل واضح وعليه يدور كون الانزال لاخراجهم جميعا وعدم تحقق الاذن بالفعل في بعضهم لعدم تحقق شرطه المسند الى سوء اختيارهم غير مخل بذلك والباء متعلقة بتخرج او بمضمر وقع حالا من مفعوله اي ملتبسين باذن ربهم وجعله حالا من فاعله ياباه اضافة الرب اليهم لا اليه وحيث كان الحق مع وضوحه في نفسه وايضاحه لغيره موصلا الى الله تعالى استعير له النور تارة والصراط اخرى فقيل الى صراط العزيز الحميد على وجه الابدال بتكرير العامل كما في قوله تعالى للذين استضعفوا لمن امن منهم واخلال البدل لو البيان بالاستقلال انما هو في الحقيقة لا في المجاز كما في قوله سبحانه حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر وقيل استيناف مبني على سوال كانه قيل الى اي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد واضافة الصراط اليه تعالى لانه مقصده او المبين له وتخصيص الوصفين بالذكر للترغيب في سلوكه ببيان ما فيه من الامن والعاقبة الحميدة الله بالجر عطف بيان للعزيز الحميد لجريانه مجرى الاعلام الغالبة بالاختصاص بالمعبود الحق كالنجم في الثريا وقري بالرفع على هو الله العزيز الحميد الذي له ملكا وملكا ما في السموات وما في الارض اي ما وجد فيهما داخلا وخارجا عنهما متمكنا فيهما كما مر في اية الكرسي ففيه على القراتين بيان لكمال

فخامة شان الصراط واظهار لتحتم سلوكه عن الناس قاطبة وتجويز الرفع على الابتداء بجعل الموصول خبرا مبناه الغفول عن هذه
النكتة وقوله عز وجل وويل للكافرين وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور والويل وهو نقيض الو ال وهو
النجاة واصله النصب كسائر المصادر ثم رفعها للدلالة على الثبات كسلام عليك من عذاب شديد متعلق بويل على معنى يولون ويضجون
منه قائلين يا ويلاه كقوله تعالى دعوا هنالك ثبورا الذين يستحبون الحيوة الدنيا اي يوثرونها استفعال من المحبة فان الموثر للشيء
على غيره كانه يطلب من نفسه ان يكون احب اليها وافضل عندها من غيره على الآخرة اي الحيوة الآخرة الابدية ويصدون الناس
عن سبيل الله التي بين شانها والاقتصار على الاضافة الى الاسم الجليل المنطوي على كل وصف جميل لروم الاختصار وهو من صد
صدا وقرئ يصدون من اصد المنقول من صد صدودا اذا نكب وهو غير فصيح كاوقف فان في صده وقفه لمندوحة
عن تكلف النقل ويبغونها عوجا اي زيغا واعوجاجا وهي ابعد شيء من ذلك اي يقولون لمن يريدون صده واضلاله انها
سبيل ناكبة وزائغة غير مستقيمة ومحل موصول هذه الصلاة الجر على انه بدل من الكافرين او صفة له فيعبر كل وصف من
اوصافها باراء ما يناسبه من المعاني المعتبرة في الصراط فالكفر المنبئ عن الستر بازاء كونه نورا واستحباب الحيوة الدنيا
الفانية المفصحة عن وخامة العاقبة بمقابلة كون سلوكه محمودا لعاقبة والصد عنه بازاء كونه محمودا ما هو
وفيه من الدلالة على تماديهم في الغي ما لا يخفى او النصب على الذم او الرفع على الابتداء والخبر قوله تعالى اولئك
في ضلال بعيد على الاول جملة مستانفة وقعت معلله لما سيق من لحوق الويل بهم تاكيدا لما اشعر به بناء
الحكم على الموصول اي اولئك الموصوفون بالقبايح المذكورة من استحباب الحيوة الدنيا على الآخرة وصد
الناس عن سبيل الله المستقيمة ووصفها بالاعوجاج وهي منه تنزيه في ضلال عن طريق الحق بعيد بالغ في
ذلك غاية الغايات القاصية والبعد وان كان من احوال الضال الا انه قد وصف به وصفه مجازا للمبالغة
جدا وداهية دهيا ويجوز ان يكون المعنى في ضلال ذي بعد وفيه بعد فان الضال قد يضل عن الطريق مكانا
قريبا وقد يضل بعيدا وفي جعل الضلال محيطا بهم احاطة الظرف بما فيه ما لا يخفى من المبالغة وما ارسلنا
اي في الامم الخالية من قبلك كما سيذكر اجمالا من رسول الا ملتبسا بلسان قومه متكلما بلغتهم بلغة من ارسل
اليهم من الامم المتفقة على لغة سواء بعث فيهم او لا وقرئ بلغة وهو لغة فيه كريش ورياش وبلسن
بضمتين وضمة وسكون كعمد وعمد ليبين لهم ما امروا به فيتلقوه منه بيسر وسرعة ويعملوا بموجبه
من غير حاجة الى الترجمة ممن لم يؤمر به فيتلقوه وحيث لم يمكن مراعاة هذه القاعدة في شان سيدنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين لعموم بعثته الى الثقلين كافة على اختلاف لغاتهم وكان تعدد نظم
الكتاب المنزل اليه حسب تعدد السنة الامم ادعى الى التنازع واختلاف الكلمة ويطرق ايدي التحريف
مع ان استقلال بعض من ذلك بالاعجاز دون غيره مبنية لقدح القادحين واتفاق الجميع فيه امر قريب
من الالجاء وحصل البيان بالترجمة والتفسير اقتضت الحكمة اتحاد النظم المبنى عن العزة وجلاله الشان
المستتبع لفوائد غنية عن البيان على ان الحاجة الى الترجمة تتضاعف عند التعدد اذ لا بد لكل امة من معرفة
توافق الكل وتحاديه حذو القذة بالقذة من غير مخالفة ولو خصلة فذة وانما يتم ذلك بمن يترجم عن كل واحد
او متعددا وفيه من التعدد ما يتاخم الامتناع ثم لما كان اشرف الاقوام واولاهم بدعوته صلى الله عليه
وسلم قومه الذين بعث فيهم ولغتهم افضل اللغات نزل الكتاب المبين بلسان عربي مبين وانتشرت
احكامه فيما بين الامم اجمعين وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم فانه تعالى انزل
الكتب كلها عربية ثم ترجمها جبرائيل عليه السلام او كل من نزل عليه من الانبياء عليهم السلام بلغة
من نزل عليهم ويرده قوله تعالى ليبين لهم فانه ضميرا لقوم وظاهر ان جميع الكتب لم تنزل لتبيين
العرب وفيه رجعة الى قوم كل نبي كانه قيل وما ارسلنا من رسول الا بلسان قوم محمد عليه الصلاة
والسلام ليبين لهم الرسول لقومه الذين ارسل اليهم ما لا يخفى من التكلف فيضل الله من يشاء اضلاله

اي يخلق

اي يخلق فيه الضلال لمباشرة اسبابه المودية اليه او يخذله ولا يلطف به لما يعلم انه لا ينجع فيه الالطاف ويهدي بالتوفيق
ومنح الالطاف من يشاء هدايته لما فيه من الانابة والاقبال الى الحق والالتفات باسناد الفعلين الى الاسم الجليل
المنطوي على الصفات لتفخيم شانهما وترشيح مناط كل منهما والفاء فصيحة مثلها في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك
الحجر فانفلق كانه قيل فبينوه لهم فاضل الله منهم من شاء اضلاله لما لا يليق الا به وهدى من شاء هدايته لاستحقاقه
لها والحذف للايذان بان مسارعة كل رسول الى ما امر به وجريان كل من اهل الخذلان والهداية على سننه امر محقق
غني عن الذكر والبيان والعدول الى صيغة الاستقبال لاستحضار الصورة او للدلالة على التجدد والاستمرار حسب
تجدد البيان من الرسل المتعاقبة عليهم السلام وتقديم الاضلال على الهداية اما لانه ابقاء ما كان على ما كان والهداية
انشاء ما لم يكن او للمبالغة في بيان ان لا تاثير للتبيين والتذكير من قبل الرسل وان مدار الامر انما هو مشيئته تعالى
بايهام ان ترتب الضلالة على ذلك اسرع من ترتب الاهتداء وهذا محقق لما سلف من تقييد الاخراج من الظلمات
الى النور باذن الله تعالى وهو العزيز فلا يغالب في مشيئته الحكيم الذي لا يفعل شيئا من الاضلال والهداية الا لحكمة
بالغة وفيه ان ما فوض الى الرسل انما هو تبليغ الرسالة وتبيين طريق الحق واما الهداية والارشاد اليه فذلك بيد الله تعالى
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولقد ارسلنا موسى شروع في تفصيل ما اجمل في قوله عز وجل وما ارسلنا من رسول الا بلسان
قومه الاية باياتنا اي ملتبسا بها وهي معجزاته التي اظهرها لبني اسرائيل ان اخرج قومك بمعنى ان اخرج لان
الارسال فيه معنى القول او بان اخرج كما في قوله تعالى وان اقم وجهك فان صيغ الافعال في الدلالة على المصدر
سواء وهو المدار في صحة الوصل والمراد بذلك اخراج بني اسرائيل بعد مهلك فرعون من الظلمات من الكفر والجهالات
التي ادتهم ان يقولوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة الى النور الى الايمان بالله وتوحيده وسائر ما امروا به وذكرهم
بايام الله اي بنعمائه وبلائه كما ينبئ عنه قوله تعالى الم ياتكم نبؤا الذين من قبلكم الايات وبايامه المنطوية على ذلك
كما يلوح به قوله اذ انجاكم والالتفات من التكلم الى الغيبة باضافة الايام الى الاسم الجليل للايذان بفخامة شانها و
الاشعار بعدم اختصاص ما فيها من المعاملة بالمخاطب وقومه كما يوهمه الاضافة الى ضمير التكلم اي عظهم بالترغيب
والترهيب والوعد والوعيد وقيل ايام وقايعه التي وقعت على الامم قبلهم وايام العرب وقايعها وحروبها
وملاحمها اي انذرهم وقايعه التي دهمت الامم الدارجة ويرده ما تصدى له صلى الله عليه وسلم بصدد الامتثال
من التذكير بكل من السراء والضراء مما جرى عليهم وعلى غيرهم حسبما يتلى عليك ان في ذلك اي في التذكير بها
وفي مجموع تلك النعماء والبلاء او في ايامها لايات عظيمة او كثيرة دالة على وحدانية الله تعالى وعلمه وقدرته
وحكمته فهي على الاول عبارة عن الايام سواء اريد بها انفسها او ما فيها من النعماء ومعنى ظرفية التذكير كونه
مناطا لظهورها وعلى الثالث عن تلك النعماء والبلاء ومعنى الظرفية ظاهر واما على الثاني فعن كل واحدة من تلك
النعماء والبلاء والمشار اليه المجموع المشتمل عليها من حيث هو مجموع او كلمة في تجريدية مثلها في قوله تعالى لهم
فيها دار الخلد لكل صبار على بلائه شكور لنعمائه وقيل لكل مؤمن والتعبير عنهم بذلك للاشعار بان الصبر
والشكر عنوان المؤمن اي لكل من يليق بكمال الصبر والشكر والايمان ويصير امره اليها لا لمن اتصف بها بالفعل لانه
تعليل للامر بالتذكير المذكور السابق على التذكير المودي الى تلك المرتبة فان من تذكر ما فاض او نزل عليه او على من
قبله من النعماء والبلاء وتنبه لعاقبة الشكر والصبر او الايمان لا يكاد يفارقها وتخصيص الايات بهم لانهم المنتفعون
بها لا انها خافية عن غيرهم فان التبيين حاصل بالنسبة الى الكل وتقديم الصبار على الشكور لتقدم متعلق الصبر
اعني البلاء على متعلق الشكر اعني النعماء وكون الشكر عاقبة الصبر واذ قال موسى لقومه شروع في بيان تصديه عليه
السلام لما امر به من التذكير للاخراج المذكور واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم وتعليق
الذكر بالوقت مع ان المقصود ما وقع فيه من الحوادث قد مر سره غير مرة اي اذكر لهم وقت قوله عليه السلام لقومه
اذكروا نعمة الله عليكم بداءه عليه السلام بالترغيب لانه عند النفس اقبل وهي اليه اميل والظرف متعلق بنفس

اذكروا نعمة الله عليكم لكن لا بما جرى
عليهم فقط بل عليهم وعلى من قبلهم
من الامم في الايام الخالية
حسبما ينبئ عنه قوله
تعالى
ح

النعمة ان جعلت مصدرا او بمحذوف وقع حالا منها ان جعلت اسما اي اذكروا انعامه عليكم او اذكروا النعمة كاينة عليكم
وكذا كلمة اذ في قوله تعالى اذ انجاكم من آل فرعون اي اذكروا انعامه عليكم وقت انجائه اياكم منهم او بدل اشتمال من نعمة الله
مرادا بها الانعام او العطية يسومونكم سوء العذاب السوء مصدر ساءه يسوءه والمراد به جنس العذاب السيء واستبعادهم واستعمالهم
في الاعمال الشاقة والاستهانة بهم وغير ذلك مما لا يحصر ونصبه على انه مفعول ليسومونكم ويذبحون ابناءكم المولودين وانما
عطفه على يسومونكم اخراجا له عن مرتبة العذاب المعتاد وانما فعلوا ذلك لان فرعون راي في المنام او قال له الكهنة انه
سيولد منهم من يذهب بملكه فاجتهدوا في ذلك فلم يغن عنهم من قضاء الله شيئا ويستحيون نساءكم اي يبقونهن في الحيوة
مع الذل والصغار ولذلك عد من جملة البلاء والجمل احوال من آل فرعون او من ضمير المخاطبين او منهما لان فيهما ضمير كل منهما
وفي ذلكم اي فيما ذكر من افعالهم الفظيعة بلاء من ربكم اي ابتلاء منه لا ان البلاء عين تلك الافعال اللهم الا ان تجعل
في تجريدية فنسبته الى الله تعالى اما من حيث الخلق او الاقدار والتمكين عظيم لا يطاق ويجوز ان يكون المشار اليه الانجاء
من ذلك والبلاء الابتلاء بالنعمة وهو الانسب كما يلوح به التعرض لوصف الربوبية وعلى الاول يكون ذلك باعتبار المآل
الذي هو الانجاء او باعتبار ان بلاء المومن تربية له واذ تاذن ربكم من جملة مقال موسى عليه السلام معطوف على قوله تعالى
اذ انجاكم اي اذكروا نعمته تعالى في هذين الوقتين بان هذا التاذن ايضا من نعمة الله تعالى عليهم ينالون بها خير الدنيا والآخرة
وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه واذ قال ربكم ولقد ذكرهم عليه السلام اولا بنعمائه تعالى عليهم صريحا وضمنه تذكير
ما اصابهم قبل ذلك من الضراء ثم امرهم ثانيا بذكر ما جرى من الله تعالى من الوعد بالزيادة على تقدير الشكر والوعيد بالعذاب
على تقدير الكفر والمراد بتذكير الاوقات تذكير ما وقع فيها من الحوادث مفصلة اذ هي محيطة بذلك فاذا ذكرت ما ذكر
فيها كانه مشاهد معاين لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما خولناكم من نعمة الانجاء واهلاك العدو وغير ذلك من الآلاء الفائتة
للحصر وقابلتموه بالايمان والطاعة لازيدنكم نعمة الى نعمة ولئن كفرتم ذلك وغمطتموه ان عذابي لشديد فعسى يصيبكم
منه ما يصيبكم ومن عادة الكرام التصريح بالوعد والتعرض بالوعيد فما ظنك باكرم الاكرمين ويجوز ان يكون المذكور
تعليلا للجواب المحذوف اي لاعذبنكم واللام في الموضعين موطئة للقسم وكل من الجوابين ساد مسد جوابي الشرط والقسم
والجملة اما مفعول لتاذن لانه ضرب من القول او القول مقدر بعده كانه قيل واذ تاذن ربكم الى آخره وقال موسى ان تكفروا
نعمة الله تعالى ولم تشكروها انتم يا بني اسرائيل ومن في الارض من الخلائق جميعا فان الله لغني عن شكركم وشكر غيركم
حميد مستوجب للحمد بذاته لكثرة ما يوجبه من اياديه وان لم يحمده احد او محمود يحمده الملائكة بل كل ذرة من ذرات
العالم ناطقة بحمده والحمد حيث كان بمقابلة النعمة وغيرها من الفضايل كان ادل على كماله تعالى وهو تعليل لما حذف من
جواب ان اي ان لم تكفروا لم يرجع وباله الا عليكم فان الله لغني عن شكر الشاكرين ولعله عليه السلام انما قال له عندما
عاين منهم دلايل المعتاد ومخايل الاصرار على الكفر والفساد وتيقن ان لا ينفعهم الترغيب ولا التعرض بالترهيب
وقاله عقيب تذكيرهم بما ذكر من قول الله تعالى تحقيقا لمضمونه وتحذيرا لهم من الكفران ثم شرع في الترهيب بذكر ما
جرى على الامم الخالية فقال الم ياتكم نبؤا الذين من قبلكم ليتدبروا ما اصاب كل من صنفي المومن والكافر فيقلعوا عما هم
عليه من الشر وينيبوا الى الله تعالى وقيل هو ابتداء كلام من الله تعالى خطابا للكفرة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم
فيختص موسى عليه السلام بما اختص ببني اسرائيل من السراء والضراء والايام بالايام الجارية عليهم فقط وفيه ما لا
يخفى من البعد وايضا لا يظهر وجه تخصيص تذكير الكفرة الذين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بما اصاب اوليك
اوليك المعدودين مع ان غيرهم اسوة لهم في الخلو قبل هولاء قوم نوح بدل من الموصول او عطف بيان وعاد
وثمود
معطوف على قوم نوح والذين من بعدهم اي من بعد هولاء المذكورين عطف على قوم نوح وما عطف عليه وقوله تعالى
لا يعلمهم الا الله اعتراض او الموصول مبتداء او لا يعلمهم الى آخره خبره والجملة اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا
يعلم عددهم الا الله سبحانه وعن ابن عباس رضي الله عنهما بين عدنان واسمعيل ثلاثون ابا لا يعرفون وكان ابن
مسعود اذا قرا هذه الاية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله تعالى علمها عن العباد جاءتهم

رسلهم استيناف لبيان نباءهم بالبينات بالمعجزات الظاهرة والبينات الباهرة فبين كل رسول لامته طريق الحق
وهداهم اليه ليخرجهم من الظلمات الى النور فردوا ايديهم في افواههم مشيرين بذلك الى السنتهم وما يصدر عنها من المقالة
اعتناء منهم بشانها وتنبيها للرسل على تلقيها والمحافظة عليها واقناطا لهم عن التصديق والايمان باعلام ان لا جواب لهم سواه وقالوا
انا كفرنا بما ارسلتم به اي على زعمكم وهي البينات اظهروها حجة على صحة رسالتهم لقوله تعالى ولقد ارسلنا موسى باياتنا ومرادهم
بالكفر بها الكفر بدلالتها على صحة رسالتهم اي فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله تعالى عضوا عليكم الانامل من
الغيظ ووضعوها تعجبا منه واستهزاء به لمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء وامرا لهم باطباق الافواه او ردوها في افواه الانبياء
عليهم السلام يمنعونهم من التكلم تحقيقا او تمثيلا او جعلوا ايدي الانبياء في افواههم تعجبا من عتوهم وعنادهم كما ينبئ عنه تعجبهم
بقولهم افي الله شك وقيل الايدي بمعنى الايادي عبر عنها عن مواعظهم ونصايحهم وشرايعهم التي هي مدار النعم
الدينية والدنيوية لما كذبوها فلم يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث ما جاءت منه وانا لفي شك عظيم مما تدعوننا اليه اي من الايمان
بالله والتوحيد فلا ينافي شكهم ذلك كفرهم القطعي بما ارسل به الرسل من البينات فانهم كفروا بها قطعا حيث لم يعتدوا
بها ولم يجعلوها من جنس المعجزات ولذلك قالوا فاتونا بسلطان مبين وقرئ تدعونا بالادغام مريب موقع في الريبة
من اراب او ذي ريبة من اراب الرجل وهي قلق النفس وعدم اطمئنانها لشيء قالت لهم رسلهم استيناف مبني على سوال
يستاق اليه المقال كانه قيل فماذا قالت لهم فاجيب بانهم قالوا منكرين عليهم ومتعجبين من مقالاتهم الحمقاء افي الله شك
بادخال الهمزة على الظرف للايذان بان مدار الانكار ليس نفس الشك بل وقوعه فيما لا يكاد يتوهم فيه الشك اصلا منقادين
عن تطبيق الجواب على كلام الكفرة انا كفرنا بما ارسلتم به واقتصروا على بيان ما هو الغاية القصوى ثم عقبوا ذلك الانكار
بما يوجبه من الشواهد الدالة على انتفاء المنكر فقالوا فاطر السموات والارض اي مبدعهما وما فيهما من المصنوعات على نظام
انيق شاهد بتحقق ما انتم منه في شك هي صفة الاسم الجليل او بدل منه وشك مرتفع بالظرف لاعتماده على الاستفهام
وجعله مبتداء على ان الظرف خبره يفضي الى الفصل بين الموصوف والصفة بالاجنبي اعني المبتداء والفاعل ليس باجنبي
من رافعه وقد جوز ذلك ايضا يدعوكم الى الايمان بارساله ايانا لا انا ندعوكم اليه من تلقاء انفسنا كما يوهمه قولكم
مما تدعوننا اليه ليغفر لكم لاجل المغفرة كقولك دعوته لياكل معي من ذنوبكم اي بعضها وهو ما عدا المظالم بما بينهم وبين
الله تعالى فان الاسلام يجبه قيل هكذا وقع في جميع القرآن في وعد الكفرة دون وعد المومنين تفرقة بين الوعدين
ولعل ذلك لما ان المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفرة مرتبة على محض الايمان وفي شان المومنين مشفوعة بالطاعة
والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فيتناول الخروج عن المظالم وقيل المعنى ليغفر لكم بدلا من ذنوبكم ويوخركم الى اجل مسمى
اي الى الوقت سماه الله تعالى وجعله منتهى اعماركم على تقدير الايمان قالوا استيناف كما سبق ان انتم اي ما انتم الا
بشر مثلنا من غير فضل يوهلكم لما تدعونه من النبوة تريدون صفة ثانية ليشرحلا على المعنى كقوله تعالى ابشر يهدوننا
او كلام مستانف اي اتريدون ان تصدوا له من الدعوة والارشاد ان تصدونا بتخصيص العبادة بالله تعالى عما كان يعبد
اباؤنا اي عن عبادة ما استمر اباؤنا على عبادته من غير شيء يوجبه فاتونا اي ان لم يكن الامر كما قلنا بل كنتم رسلا من
جهة الله تعالى كما تدعون بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لتلك الرتبة او على صحة ما تدعونه من النبوة حتى
نترك ما لم نزل نعبده ابا عن جد ولقد كانوا اتوهم من الايات الظاهرة ما تخر له صم الجبال ولكنهم انما يقولون ما يقولون
من العظايم مكابرة وعنادا واراءة لمن وراءهم ان ذلك ليس من جنس ما يطلق عليه السلطان المبين قالت لهم رسلهم
مجاراة معهم في اول مقالتهم وانما قيل لاختصاص الكلام بهم حيث ما اريد الزامهم بخلاف ما سلف من انكار وقوع الشك
في الله سبحانه فان ذلك عام وان اختص بهم ما يعقبه ان نحن الا بشر مثلكم كما تقولون ولكن الله يمن بالنبوة على من
يشاء من عباده يعنون ان ذلك عطية من الله تعالى يعطيها لمن يشاء من عباده بمحض الفضل والامتنان من غير داعية
توجبه قالوه تواضعا وهضما للنفس او ما نحن ملايكة بل نحن بشر مثلكم في الصورة او في الدخول تحت الجنس
ولكن الله يمن بالفضايل والاستعدادات هي التي يدور عليها ذلك الاصطفاء للنبوة وما كان لنا وما صح وما استقام

ان نأتيكم بسلطان اي بحجة من الحجج فضلا عن السلطان المبين بشيء من الاشياء وسبب الا باذن الله فانه امر يتعلق
بمشيئة الله تعالى ان شاء كان والا فلا وعلى الله وحده دون ما عداه مطلقا فليتوكل المؤمنون امر منهم للمؤمنين
بالتوكل ومقصودهم حمل انفسهم عليه اثر ذي اثير الى قوله تعالى وما لنا اي عذر لنا ان لا نتوكل على الله
اي في ان لا نتوكل عليه والاظهار لاظهار النشاط بالتوكل عليه والاستلذاذ بذكر اسمه تعالى وتعليل التوكل
وقد هدانا اي والحال انه قد فعل بنا ما يوجبه ويستدعيه حيث هدانا سبلنا اي ارشد كلا منا سبيله
ومنهاجه الذي شرع له واوجب عليه سلوكه في الدين وحيث كانت اذية الكفار مما يوجب القلق والاضطراب
القادح في التوكل قالوا على سبيل التوكيل القسمي مظهرين لكمال العزيمة ولنصبرن على ما اذيتمونا بالعناد و
اقتراح الايات وغير ذلك مما لا خير فيه وعلى الله خاصة فليتوكل المتوكلون على ما احدثوه من التوكل والمراد
هو المراد بما سبق من ايجاب التوكل على انفسهم والمراد بالمتوكلين المؤمنون والتعبير عنهم بذلك لسبق
ذكر اتصافهم به ويجوز ان وعليه فليتوكل من يتوكل دون غيره وقال الذين كفروا لعل هؤلاء القايلين بعض
المتمردين العاتين الغالين في الكفر من اوليك الامم الكافرة التي نقلت مقالاتهم الشنيعة دون جميعهم كقوم
شعيب واضرابهم ولذلك لم يقل وقالوا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا لم يقنعوا بعصيانهم الرسل
ومعاندتهم الحق بعدما بانوا الايات الفائتة للحصر حتى اجترءوا على مثل هاتيك العظيمة التي لا يكاد تحيط
بها دائرة الامكان فحلفوا على ان يكون احد الحالين والعود اما بمعنى مطلق الصيرورة او باعتبار تغليب
المؤمنين على الرسل وقد مر في الاعراف وسيأتي في الكهف فاوحى اليهم اي الى الرسل ربهم ما لا امر
عندنا هي كفر الكفرة وبلوغهم من العتو الى غاية لا مطمع بعدها في ايمانهم لنهلكن الظالمين على اضمار القول
وعلى اجراء الايحاء مجراه لكونه ضربا منه ولنسكننكم الارض اي ارضهم وديارهم عقوبة لهم بقولهم
لنخرجنكم من ارضنا كقوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها
من بعدهم اي من بعد هلاكهم وقري ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحي كقولهم حلف زيد
ليخرجن غدا ذلك اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم اي ذلك
الامر محقق ثابت لمن خاف مقامي موقفي وهو الموقف الذي يقف فيه العباد يوم القيمة الناس لرب
العالمين او قيامي عليه وحفظي لاعماله وقيل لفظ المقام مفخم وخاف وعيد وعيدي بالعذاب او
عذابي الموعود للكفار والمعنى ان ذلك حق للمتقين كقوله تعالى والعاقبة للمتقين واستفتحوا اي
استنصروا الله على اعدائهم كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح او استحكموا واسألوه القضاء بينهم من
الفتاحة وهي الحكومة كقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق فالضمير للرسل وقيل للكفرة وقيل
للفريقين فانهم سألوا ان ينصر المحق ويهلك المبطل وهو معطوف على اوحى اليهم وقري بلفظ الامر عطفا على لنهلكن
الظالمين اي اوحى اليهم ربهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا وخاب اي خسر وهلك كل جبار عنيد متصف بضد ما اتصف
به المتقون اي فنصروا عند استفتاحهم وظفروا بما سألوا وافلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم المعاندون
فالخيبة بمعنى مطلق الحرمان عن المطلوب او ذلك باعتبار انهم كانوا يزعمون انهم على الحق او استفتح الكافر على الرسل
وخابوا ولم يفلحوا وانما قيل وخاب كل جبار عنيد ذما لهم وتسجيلا عليهم بالتجبر والعناد لان بعضهم ليسوا كذلك
وانه لم يصبهم الخيبة واستفتحوا جميعا فنصر الرسل وانجز لهم الوعد وخاب كل عات متمرد فالخيبة بمعنى الحرمان
عن الطلب وفي اسناد الخيبة الى كل منهم ما لا يخفى من المبالغة من ورائه جهنم اي بين يديه فانه مرصد بها واقف
على شفيرها في الدنيا مبعوث اليها في الاخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته ما توارى ويسقى معطوف على مقدر
جوابا عن سؤال سائل كانه قيل فماذا يكون اذا فقيل يلقى فيها ويسقى من ماء مخصوص كالمياه المعهودة صديد
وهو قيح اي دم مختلط بمدة يسيل من الجرح قال مجاهد وغيره هو ما يسيل من اجسام اهل النار وهو عطف

بيان لما ابهم اولا ثم بين بالصديد تهويلا للامر وتخصيصه بالذكر من بين عذابها يدل على انه من اشد انواعه يتجرعه
قيل هو صفة الماء او حال منه والاظهر انه استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا يفعل به فقيل يتجرعه
اي يتكلف جرعه مرة بعد اخرى لغلبة العطش واستيلاء الحران عليه ولا يكاد يسيغه اي لا يقارب ان يسيغه
فضلا عن الاساغة بل يغص به فيشربه بعد اللتيا والتي جرعة بعد جرعة فيطول عذابه تارة بالحرارة والعطش واخرى
بشربه على تلك الحال فان السوغ انحدار الشراب في الحلق بسهولة وقبول نفس ونفيه لا يوجب نفي ما ذكر
جميعا وقيل لا يكاد يدخله في جوفه وعبر عنه بالاساغة لما انها المعهودة في الاشربة وهو حال من فاعل
يتجرعه او من مفعوله او منهما جميعا ويأتيه الموت اي اسبابه من الشدائد من كل مكان ويحيط به من جميع الجهات
او من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره وابهام رجله وما هو بميت اي والحال انه ليس بميت حقيقة
كما هو الظاهر من مجيء اسبابه لاسيما من جميع الجهات حتى لا يتألم بما غشيه من اصناف الموبقات ومن ورائه
من بين يديه عذاب غليظ يستقبل كل وقت عذابا اشد واشق مما كان قبله ففيه دفع ما يتوهم من الخفة بحسب
الاعتياد كما في عذاب الدنيا وقيل هو الخلود في النار وقيل هو حبس الانفاس وقيل المراد
بالاستفتاح والخيبة استسقاء اهل مكة في سنيهم التي ارسلها الله تعالى بدعوته صلى الله عليه وسلم وخيبتهم
في ذلك وقد وعدهم بدل ذلك صديد اهل النار مثل الذين كفروا بربهم اي صفتهم وحالهم العجيبة الشان التي
هي كالمثل في الغرابة وهو مبتداء خبره قوله تعالى اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله
منهوب او هو استيناف مبني على سؤال من قال ما بال اعمالهم التي عملوها في وجوه البر من صلة الارحام
واعتاق الرقاب وفداء الاسارى واغاثة الملهوفين وقرى الاضياف وغير ذلك مما هو من باب المكارم حتى آل
امرهم الى هذا المآل فاجيب ان ذلك كرماد اشتدت به الريح حملته واسرعت الذهاب به في يوم عاصف
العصف اشتداد الريح وصف به زمانها مبالغة كقولك ليلة ساكرة وانما السكون لريحها شبهت صنايعهم
المعدودة لابتنائها على غير اساس من معرفة الله تعالى والايمان به والتوجه بها اليه تعالى برماد طيرته
الريح العاصفة او استيناف مسوق لبيان اعمالهم للاصنام او مبتداء خبره محذوف كما هو راي سيبويه
اي فيما يتلى عليك مثلهم وقوله اعمالهم جملة مستانفة مبنية على سؤال من يقول كيف مثلهم فقيل اعمالهم
كيت وكيت سواء اريد بها صنايعهم او اعمالهم لاصنامهم وقيل اعمالهم بدل من مثل الذين وقوله كرماد
خبره لا يقدرون اي يوم القيمة مما كسبوا من تلك الاعمال على شيء ما اي لا يرون له اثرا من ثواب او تخفيف
عذاب كدأب الرماد المذكور وهو فذلكة التمثيل والاكتفاء ببيان عدم رؤية الاثر لاعمالهم للاصنام مع ان
لها عقوبة هائلة للتصريح ببطلان اعتقادهم وزعمهم انها شفعاء لهم عند الله تعالى وفيه تهكم بهم ذلك
اي ما دل عليه التمثيل دلالة واضحة عن ضلالهم مع حسبانهم انهم على شيء هو الضلال البعيد عن طريق الحق
والثواب او عن نيل الثواب الم تر خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد امته وقيل لكل احد
من الكفرة لقوله تعالى يذهبكم والرؤية رؤية القلب وقوله تعالى ان الله خلق السموات والارض ساد مسد مفعوليها
اي الم تعلم انه تعالى خلقهما بالحق ملتبسة بالحكمة والوجه الصحيح الذي يحق ان يخلق عليه وقري
خالق السموات والارض ان يشاء يذهبكم يعدمكم بالمرة ويأت بخلق جديد اي يخلق بدلكم خلقا آخر مستانفا
لا علاقة بينكم وبينهم رتب قدرته تعالى على ذلك على قدرته تعالى على خلق السموات والارض على هذا النمط
البديع ارشادا الى طريق الاستدلال فانه من قدر على مثل هاتيك الاجرام العظيمة كان على تبديل خلق آخر
بهم اقدر ولذلك قال وما ذلك اي اذهابكم والاتيان بخلق جديد مكانكم على الله بعزيز بمتعذر او
متعسر فانه قادر لذاته على جميع الممكنات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شانه حقيق بان
يؤمن به ويرجى ثوابه ويخشى عقابه وبرزوا لله جميعا اي يبرزون يوم القيمة وايثار صيغة الماضي للدلالة

لهم

له

علي تحقق وقوعه كما في قوله تعالى ونادي اصحاب الجنة اصحاب النار ولانه لا مضي ولا استقبال بالنسبة اليه سبحانه
والمراد بروزهم من قبورهم لامر الله تعالى ومحاسبته او لله تعالى علي ظنهم فانهم كانوا يظنون عند ارتكابهم المعاصي سرا انها
تخفي علي الله تعالى فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله عند انفسهم فقال الضعفاء الاتباع جمع ضعيف والمراد ضعف الراي
وانما كتب بالواو علي لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة للذين استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم انا كنا في الدنيا
لكم تبعا في تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغيب في جمع غائب او مصدر نعت به مبالغة او علي
اضمار اي ذوي تبع فهل انتم مغنون دافعون عنا والفاء للدلالة علي سببية الاتباع للاغناء والمراد التوبيخ والعتاب
والتقريع والتبكيت من عذاب الله من شيء من الاولي للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول
اي بعض الشيء الذي هو عذاب الله تعالى ويجوز كونهما للتبعيض اي بعض شيء هو بعض عذاب الله تعالى والاعراب كما سبق ويجوز
ان يكون الاولي مفعولا والثانية مصدرا اي فهل انتم مغنون عنا بعض العذاب بعض الاغناء ويعضد الاولي قوله تعالى فهل
انتم مغنون عنا نصيبا من النار قالوا اي المستكبرون جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدانا الله اي
للايمان ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا فاضللناكم اي اخترنا لكم ما اخترنا لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة من
العذاب لهديناكم واغنينا عنكم كما عرضناكم له وسد دوننا طريق الخلاص ولات حين مناص سواء علينا اجزعنا مما لقينا
او صبرنا علي ذلك اي مستو علينا الجزع والصبر في عدم الانجاء والهمزة وام لتاكيد التسوية كما في قوله تعالى سواء عليهم
اانذرتهم ام لم تنذرهم وانما اسندوا ونسبوا استواءهما الي الضمير المتكلم المنتظم للمخاطبين ايضا مبالغة في النهي
عن التوبيخ باعلام انهم شركاء لهم فيما ابتلوا به وتسلية لهم ويجوز ان يكون قوله سواء علينا الي اخره من كلام الفريقين
علي منوال قوله تعالى ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب ويؤيده ما روي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا
ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك فلا ينفعهم فعند ذلك يقولون ذلك ولما كان عتاب الاتباع من باب الجزع
ذيلوا جوابهم ببيان ان لا جدوي في ذلك فقالوا ما لنا من محيص من منجي ومهرب من العذاب من حاص الحمار اذا عدل بالفرار
وهو اما اسم مكان كالمبيت والمصيب او مصدر كالمغيب والمشيب وهي جملة مفسرة لاجمال ما فيه الاستواء
فلا محل لها من الاعراب او حال موكدة او بدل منه وقال الشيطان الذي اضل كلا الفريقين واستتبعهما عندما عاتبا
بما قال الاتباع للمتكبرين لما قضي الامر اي احكم وفرغ منه وهو الحساب ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار
النار خطيبا في محفل الاشقياء من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق اي وعدا من حقه ان ينجز فانجز او وعدا
انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم اي وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب ولئن كان فالاصنام شفعاوكم
ولم يصرح ببطلانه لما دل عليه قوله فاخلفتكم اي موعدي علي حذف المفعول الثاني اي نقضته جعل خلف وعده كالاخلاف
منه كانه كان قادرا علي انجازه واني له وما كان لي عليكم من سلطان اي تسليط او حجة تدل علي صدقي الا ان دعوتكم الا دعائي
اياكم اليه وتسويله وهو وان لم يكن من باب السلطان لكنه ابرزه في معرض علي طريقة تحية بينهم ضرب وجيع مبالغة
في نفي السلطان عن نفسه كانه قال انما يكون لي عليكم سلطان اذا كان مجرد الدعاء من بابه ويجوز كون الاستثناء منقطعا
فاستجبتم لي فاسرعتم اجابتي فلا تلوموني بوعدي اياكم حيث لم يكن ذلك علي طريقة القسر والالجاء كما يدل عليه الفاء
وقرئ بالياء علي وجه الالتفات كما في قوله تعالى حتي اذا كنتم في الفلك وجرين بهم ولوموا انفسكم حيث استجبتم
لي باختياركم حيث دعوتكم بلا حجة ولا دليل بمجرد تزيين وتسويل ولم تستجيبوا ربكم اذ دعاكم دعوة الحق المقرونة
بالبينات والحجج وليس مراده التنصل عن توجه اللائمة اليه بالمرة بل بيان انهم احق بها منه وليس فيه دلالة علي استقلال
العبد في افعاله كما زعمت المعتزلة بل يكفي في ذلك ان يكون لقدرته الكاسبة التي عليها يدور فلك التكليف مدخل فيه
فانه سبحانه انما يخلق افعاله حسبما يختار وعليه يترتب السعادة والشقاوة وما قيل انه يستدعي ان يقال فلا
تلوموني ولا انفسكم فان الله قضي عليكم بالكفر واجبركم عليه مبني علي عدم الفرق بين مذهب اهل الحق وبين مسلك
الجبرية ما انا بمصرخكم اي بمغيثكم مما انتم فيه من العذاب وما انتم بمصرخي مما انا فيه وانما تعرض لذلك مع انه لم

يكن في

يكون في حيز الاحتمال مبالغة في عدم اخراجه اياهم وايذانا بانه ايضا مبتلي بمثل ما ابتلوا به ومحتاج الي الاخراج فكيف من اخراج
الغير ولذلك اثر الجملة الاسمية فكان ما مضي كان جوابا منه عن توبيخهم وتقريعهم وهذا جواب عن استغاثتهم واستعانتهم
بهم في استدعاء ما دهمهم من العذاب وقرئ بكسر الياء اني كفرت اليوم بما اشركتمون من قبل اي باشراككم اياي بمعني تبرأت
منه واستنكرته كقوله تعالى ويوم القيمة يكفرون بشرككم يعني ان اشراككم بالله سبحانه هو الذي يطمعكم في نصرتي
لكم بان كان لكم علي حق حيث جعلتموني معبودا وكنت اود ذلك وارغب فيه فاليوم كفرت بذلك ولم احمد ولم اقبله
منكم بل تبرأت منه ومنكم فلم يبق بيني وبينكم علاقة او كفرت من قبل حين ابيت السجود لآدم بالذي اشركتمونيه وهو
الله تعالى كما في قوله سبحان من سخركن لنا فيكون تعليلا لعدم اخراجه اياه فلا وجه له اذ لا افعال له حتي يحتاج الي التعليل
ولان تعليل عدم اصراخهم بكفره توهم انهم بسبيل من ذلك لولا المانع من جهته ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتداء
كلام من الله تعالى وفي حكاية امثاله لطف للسامعين وايقاظ لهم حتي يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين
امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم اي بامره وتوفيقه وهدايته وفي
التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الي ضميرهم لاظهار مزيد اللطف بهم والمدخلون هم الملائكة عليهم السلام وقرئ
علي صيغة المتكلم فيكون قوله تعالى باذن ربهم متعلقا بقوله تعالى تحيتهم فيها سلام اي تحييهم الملائكة بالسلام باذن
ربهم الم تر الخطاب للرسول صلي الله عليه وسلم وقد علق بما بعده من قوله تعالى كيف ضرب الله مثلا اي كيف اعتمده
ووضعه في موضعه اللائق به كلمة طيبة منصوب بمضمر اي جعل كلمة طيبة هي كلمة التوحيد او كل كلمة حسنة كالتسبيحة
والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة كشجرة طيبة اي حكم بانها مثلها لا انه تعالى صيرها مثلها في الخارج وهو
تفسير لقوله تعالى ضرب الله مثلا كقولك شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله علي فرس وتجوز ان يكون كلمة بدلا
من مثلا وشجرة صفتها او خبر مبتداء محذوف اي هي كشجرة وان تكون اولي مفعولي ضرب اجراء له مجري جعل فاخر
عن ثانيهما اعني مثلا لئلا يبعد عن صفته التي هي كشجرة وقد قرئ بالرفع علي الابتداء اصلها ثابت اي ضارب
بعروقه في الارض وقرأ انس بن مالك رضي الله عنه كشجرة طيبة ثابت اصلها وقراءة الجماعة اقوي
سبكا وانسب بقرينة اعني قوله تعالى وفرعها اي اعلاها في السماء في جهة العلو وتجوز ان يراد فروعها
علي الاكتفاء بلفظ الجنس عن الجمع توتي اكلها تعطي ثمرتها كل حين وقته الله تعالى لاثمارها باذن ربها
بارادة خالقها والمراد بالشجرة المنعوتة اما النخلة كما روي مرفوعا او شجرة في الجنة ويضرب الله الامثال
للناس لعلهم يتذكرون لان في ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعاني بصور المحسوسات ومثل كلمة خبيثة
هي كلمة الكفر والدعاء اليه او تكذيب الحق او ما يعم الكل وكل كلمة قبيحة كشجرة خبيثة اي كمثل شجرة خبيثة قيل
هي كل شجرة لا يطيب ثمرها كالحنظل والكشوث ونحوها وتغيير الاسلوب للايذان بان ذلك غير مقصود الضرب
والبيان وانما ذلك امر ظاهر يعرفه كل احد اجتثت استوصلت واخذت جثته بالكلية من فوق الارض لكون
عروقها قريبة منها ما لها من قرار استقرار عليها يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت الذي ثبت بالحجة عندهم
وتمكن في قلوبهم وهو الكلمة الطيبة التي ذكرت صفتها العجيبة في الحيوة الدنيا فلا يزالون عنه اذا افتتنوا
في دينهم كزكريا ويحيي وجرجيس وشمسون والذين فتنهم اصحاب الاخدود وفي الاخرة فلا يتلعثمون اذا
سئلوا عن معتقدهم في الموقف ولا يدهشهم اهوال القيمة او عند سؤال القبر روي انه صلي الله عليه
وسلم ذكر قبض روح المؤمن فقال تعاد روحه في جسده فياتيه ملكان فيجلسانه في قبره فيقولان من ربك
وما دينك ومن نبيك فيقول الله ربي وديني الاسلام ونبيي محمد صلي الله عليه وسلم فينادي مناد من
السماء ان صدق عبدي فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت وهذا مثال ابناء
الشجرة المذكورة اكلها كل حين قال الثعلبي في تفسيره اخبرني ابو القاسم ابن حبيب في سنة
ست وثمانين وثلاثمائة قال سمعت ابا الطيب محمد بن علي الخياط يقول سمعت سهل بن عمار العتكي يقول

رايت يزيد بن هرون في منامي بعد موته فقلت ما فعل الله بك قال اتاني في قبري ملكان فظان فقالا من ربك وما دينك
ومن نبيك فاخذت بلحيتي البيضاء فقلت المثلي يقال هذا وقد علمت الناس جوابكما ثمانين سنة فذهبا **ويضل الله الظالمين**
اي يخلق فيهم الضلال عن الحق الذي يثبت المومنين عليه حسب ارادتهم واختيارهم **والمراد** بهم الكفرة بدليل ما يقابله
ووصفهم بالظلم اما باعتبار وصفهم للشي في غير محله واما باعتبار ظلمهم لانفسهم حيث بدلوا فطرة الله تعالى التي فطر الناس
عليها فلم يهتدوا الى القول الثابت او كل من ظلم نفسه بالاقتصار على التقليد والاعراض عن البينات الواضحة فلا يثبت
في مواقف الفتن ولا يهتدي الى الحق فالمراد بالذين امنوا حينئذ المخلصون في الايمان الراسخون في الايقان كما
ينبي عنه التثبيت لكنه يوهم عنه كون كلمة التوحيد اذا كانت لا عن ايقان داخلة تحت ما لا قرار له من الشجرة
المضروبة مثلا **ويفعل الله ما يشاء** من تثبيت بعض واضلال اخرين حسبما توجبه مشيئته التابعة للحكم البالغة
المقتضية لذلك وفي اظهار الاسم الجليل في موضعين من الفخامة مع ما فيه من الايذان بالتفاوت في مبدئي
التثبت والاضلال فان مبدا كل صدور كل منهما عنه سبحانه وتعالى من صفاته العلى غير ما هو مبدا الاخر **الم تر**
تعجيب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد مما صنع الكفرة من الاباطيل التي لا تكاد تصدر عمن له ادنى ادراك
اي الم تنظر **الى الذين بدلوا نعمت الله** اي شكر نعمته تعالى بان وضعوا موضعه **كفرا** عظيما وغمطا لها او
بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبوها فصاروا مستبدلين بها كفرا كاهل مكة حيث خلقهم الله
تعالى واسكنهم حرمه الامن الذي يجبى اليه ثمرات كل شيء وجعلهم قوام بيته وشرفهم بمحمد صلى الله عليه
وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين وقتلوا واسروا يوم بدر فصاروا اذلاء مسلوبي النعمة باقين بالكفر
بدلها **وعن** عمر وعلي رضي الله عنهما هم الافجران من قريش بنوا المغيرة وبنو امية اما بنوا المغيرة فكفيتموهم
يوم بدر واما بنوا امية فمتعوا الى حين كانهما بينا ولان ما سيتلى من قوله عز وجل قل تمتعوا الاية **واحلوا** اي
انزلوا **قومهم** بارشادهم اياهم الى طريقة الشرك والضلال وعدم التعرض بحلولهم لدلالة الاحلال عليه
اذ هو فرع الحلول كقوله تعالى يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار **دار البوار** دار الهلاك الذي لا هلاك
وراه **جهنم** عطف بيان لها وفي الابهام ثم البيان ما لا يخفى من التهويل **يصلونها** حالا منها او من قومهم
اي داخلين فيها مقاسين لحرها او استيناف لبيان كيفية الحلول او مفسر لفعل مقدر ناصب لجهنم فالمراد
بالاحلال المذكور وحينئذ تعريضهم للهلاك بالقتل والاسر لكن قوله تعالى قل تمتعوا قليلا فان مصيركم الى النار
انسب بالتفسير الاول **فبئس القرار** على حذف المخصوص بالذم اي بئس المقر جهنم او بئس القرار قرارهم فيها
وفيه بيان ان حلولهم وصليهم على وجه الدوام والاستمرار **وجعلوا** عطف على احلوا وما عطف عليه داخل
معها في حيز الصلة وحكم التعجيب اي جعلوا في اعتقادهم وحكمهم **لله** الفرد الصمد الذي ليس كمثله شيء وهو
الواحد القهار **اندادا** اشباها في التسمية والعبادة **ليضلوا** قومهم الذين يشايعونهم حسبما ضلوا **عن سبيله**
القويم الذي هو التوحيد ويوقعوهم ورطة الكفر والضلال ولعل تغيير الترتيب مع ان مقتضى ظاهر النظم
ان يذكر كفرانهم نعمة الله تعالى ثم كفرهم بذاته تعالى باتخاذ الانداد ثم اضلالهم لقومهم المؤدي الى احلالهم
دار البوار وحكم التعجيب وتكرير والايذان بان كل واحد من وضع الشكر واحلال القوم دار البوار واتخاذ
الانداد للاضلال امر يقضي منه العجب ولو سيق النظم على نسق الوجود لربما فهم التعجب من مجموع
الهيات الثلاث كما في قصة البقرة **وقرئ** ليضلوا بالفتح واياما كان فليس ذلك غرضا لهم من اتخاذ الانداد
لكن لما كان ذلك نتيجة له شبه بالغرض وادخل عليه اللام بطريق الاستعارة التبعية **قل** تهديدا لاولئك
الضالين المضلين ونعيا عليهم وايذانا بانهم لشدة اباءهم قبول الحق وفرط انهماكهم في الباطل وعدم ارعوائهم
عن ذلك بحال اخفاء بان يضرب عنهم صفحا ويعطف عنهم عنان العظة ويخلوا وشانهم ولا ينهوا بل يؤمرون
بمباشرته مبالغة في التخلية والخذلان ومسارعة الى بيان عاقبة الوخيمة وبقالهم **تمتعوا** بما انتم عليه من الشهوات

حقيقيا

التي من

التي من جملتها كفران النعم العظام واستتباع الناس في عبادة الاصنام **فان مصيركم الى النار** ليس الا فلا بد لكم من
تعاطي ما يوجب ذلك ويقتضيه من احوالكم بل هي في الحقيقة صورة لدخولها ومثال له حسبما يلوح به قوله تعالى واحلوا
قومهم دار البوار فهو تعليل للامر المامور وفيه من التهديد الشديد والوعيد الاكيد ما لا يوصف او قل لهم تصويرا
لحالهم او تعبيرا عما يلجيهم الى ذلك تمتعوا ايذانا بانهم لفرط انغماسهم بالتمتع بما هم فيه من غير صارف يلويهم ولا
عاطف يثنيهم مامورون بذلك من قبل امر الشهوة يذعنون لحكمه منقادون لامره كذاب مامور ساع في طاعة
امر مطاع فليس قوله تعالى فان مصيركم الى النار تعليلا للامر بل هو جواب شرط ينسحب عليه الكلام كانه قيل هذه
حالكم فان دمتم عليه فان مصيركم الى النار وفيه التهديد والوعيد لا في الامر **قل لعبادي الذين امنوا** خصهم
بالاضافة اليه تنويها لهم على انهم المقيمون لوظائف العبودية الموفون بحقوقها وترك العطف بين الامرين للايذان
بتباين حاليهما باعتبار المقول تهديدا وتشريفا والمقول هاهنا محذوف دل عليه الجواب اي قل لهم اقيموا وانفقوا **يقيموا**
الصلوة وينفقوا مما رزقناهم اي يداوموا على ذلك وفيه ايذان بكمال مطاوعتهم للرسول صلى الله عليه وسلم وغاية مسارعتهم
الى الامتثال باوامره وقد جوز ان يكون المقول يقيموا وينفقوا بحذف لام الامر عنهما وانما حسن ذلك دون الحذف
في قوله محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا لدلالة قل عليه **وقيل** هما جوابا اقيموا
وانفقوا اقيما مقامهما وليس بذاك **سرا وعلانية** منتصبان على المصدرية من الامر المقدر لا من جواب الامر
المذكور اي انفقوا انفاق سر وعلانية والاحب في الانفاق اخفاء المتطوع به واعلان الواجب **والمراد**
حث المومنين على الشكر لنعم الله سبحانه بالعبادة البدنية والمالية وترك التمتع بمتاع الدنيا والركون اليها
كما هو صنيع الكفرة **من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه** فيبتاع المقصر ما يتلافى به تقصيره اي يفتدي به نفسه والمقصود
نفي عقد المعاوضة بالمرة وتخصيص البيع بالذكر للايجاز مع المبالغة في نفي العقد اذ انتفاء البيع يستلزم انتفاء
الشراء على ابلغ وجه وانتفاءه وربما يتصور مع تحقق الايجاب من قبل البائع **ولا خلال** ولا مخالة فيشفع له خليل
او يسامحه بمال يفتدي به نفسه او من قبل ان ياتي يوم لا انتفاع فيه لما لهجوا بتعاطيه من البيع والمخالة ولا انتفاع
بذلك وانما الانتفاع والارتفاق فيه بالانفاق لوجه الله تعالى سبحانه والظاهر ان من متعلقة بانفقوا وتذكير
اتيان ذلك اليوم لتاكيد مضمونه كما في سورة البقرة من حيث ان كلا من فقدان الشفاعة وما تدارك به
التقصير معاوضة وتبرعا وانقطاع اثار البيع والخلال الواقعين في الدنيا وعدم الانتفاع بهما من اقوى الدواعي
الى الاتيان بما يبقى ويدوم فوائده من الانفاق في سبيل الله تعالى او من حيث ان ادخار المال وترك انفاقه انما
يقع غالبا للتجارات والمهادات بحيث لا يمكن ذلك في الاخرة فلا وجه لادخاره الى وقت الموت وتخصيص
التاكيد بذلك لميل الطباع الى المال وكونها مجبولة على حبه والضنة به ولا يبعد ان يكون تاكيدا لمضمون الامر
باقامة الصلوة ايضا من حيث ان تركها كثيرا ما يكون للاشتغال بالبياعات والمخالات كما في قوله تعالى واذا
راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها **وقرئ** بالفتح فيهما على ارادة النفي العام ودلالة الرفع على ذلك باعتبار
خطابي هو وقوعه في جواب هل فيه بيع او خلال **الله** مبتداء خبره **الذي خلق السموات** وما فيهما من الاجرام
العلوية **والارض** وما فيها من انواع المخلوقات لما ذكر احوال الكافرين لنعم الله تعالى وامر المومنين باقامة
مراسم الطاعة شكرا لنعمه شرع في تفصيل ما يستوجب على كافة الانام المثابرة على الشكر والطاعة من النعم العظام
والمنن الجسام حثا للمومنين عليها وتقريعا للكفرة المخلين بها الواضعين موضعها الكفر والمعاصي وفي جعل المبتداء
الاسم الجليل والخبر الموصول بتلك الافاعيل العظيمة في خلق هذه الاجرام العظام وانزال الامطار واخراج الثمرات
وما يتلوها من الاثار العجيبة ما لا يخفى من تربية المهابة والدلالة على قوة السلطان **وانزل من السماء ماء** اي السحاب
فان كل ما علاك سماء او من الفلك فان المطر منه يبتدي الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت عليه ظواهر
النصوص او من اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى الجو فتنعقد سحابا ماطرا واياما كان

فمن ابتدائية ماء اي نوعا هو المطر وتقديم المجرور على المنصوب اما باعتبار كونه مبتداء لنزوله او للتشريعه
كما في قولك اعطاه السلطان من خزائنه مالا او لما مر مرارا من التشويق الى المؤمنين فاخرج به بذلك الماء من
الثمرات الفائتة للحصر اما لان صيغ المجموع يتعاور بعضها موضع بعض واما لانه اريد بمفردها جماعة الثمرة
التي في قولك ادركت ثمرة بستان فلان رزقا لكم تعيشون به وهو بمعنى المرزوق شامل للمطعوم والملبوس
مفعول لاخرج ومن للتبيين كقولك انفقت من الدراهم الفا ويجوز ان يكون من الثمرات مفعولا ورزقا حالا منه
او مصدرا من اخرج لانه بمعنى رزق او للتبعيض بدليل قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات كانه قيل انزل من السماء بعض الماء
فاخرج به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم اذ لم ينزل من السماء كل الماء ولا اخرج بالمطر كل الثمار ولا جعل كل الرزق
ثمرا وخروج الثمرات وان كانت بمشيئته عز وجل وقدرته لكن جرت عادته تعالى باضافة صورها وكيفياتها على المواد
الممتزجة من الماء والتراب او اودع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر
على ايجاد الاشياء بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب كذلك لما انه له تعالى في انشائها مدرجا من طور
الى طور صنايع ومواد وحكما كما يجد فيها الاولي الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس في ذلك ابداعها دفعة
وقوله لكم صفة لقوله رزقا ان اريد به المرزوق ومفعول به ان اريد المصدر كانه قيل رزقا اياكم وسخر لكم الفلك
بان اقدركم على صنعتها واستعمالها الهمكم كيفية ذلك لتجري في البحر جريانا تابعا لارادتكم بامره بمشيئته
التي بها ينظر كل شيء وتخصيصه بالذكر للتنصيص على ان ذلك ليس بمزاولة الاعمال الالات كما يتراءى من ظاهر
الحال وسخر لكم الانهار ان اريد بها المياه العظيمة الجارية في الانهار العظام كما يومي اليه ذكرها عند البحر فتسخيرها
جعلها معدة لانتفاع الناس من حيث انهم يتخذون منها جداول يسقون بها زروعهم وجنانهم وما اشبه
ذلك وان اريد بها نفس الانهار فتسخيرها تسيرها لهم وسخر لكم الشمس والقمر دائبين دائبا بان في سيرهما وانارتهما اصالة
وخلافة واصلاحهما لما نيط بهما اصلاحه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمنامكم ومعاشكم و
لعقد الثمار وانضاجها ذكر سبحانه وتعالى انواع النعم الفايضة عليهم وابرز كل واحدة منها في جملة مستقلة تنويها
لشانها وتنبيها على رفعة مكانها وتنصيصا على كون كل منها نعمة جليلة مستوجبة للشكر وفي التعبير عن التصرف
المتعلق بما ذكر من الافلاك والانهار والشمس والقمر والليل والنهار بالتسخير للاشعار بما فيها من صعوبة المأخذ وعزة
المنال والدلالة على عظمة السلطان وشدة المحال ما لا يخفى وتاخير تسخير الشمس والقمر عن تسخير ما تقدمهما من الامور
المعدودة مع ما بينه وبين خلق السموات من المناسبة الظاهرة لاستتباع ذكرها لذكر الارض المستدعي لذكر انزال الماء
منها اليها الموجب لذكر اخراج الرزق الذي من جملة ما يحصل بواسطة الفلك والانهار والتفادي عن توهم كون
الكل اعني خلق السموات والارض وتسخير الشمس والقمر نعمة واحدة كما مر في سورة البقرة واتاكم من كل ما سالتموه اي اعطاكم
بعض جميع ما سالتموه حسبما تقتضيه مشيئته التابعة للحكمة والمصلحة كقوله سبحانه من كان يريد العاجلة عجلنا
له فيها ما نشاء لمن نريد او اتيكم من كل ذلك ما احتجتم اليه ونيط به انتظام احوالكم على الوجه المقدر فكانكم سالتموه
او كلما طلبتموه بلسان الاستعداد او كلما سالتموه على ان من للبيان وكلمة كل للتكثير كقولك فلان يعلم كل شيء واتاه
كل الناس وعليه قوله تعالى فتحنا عليهم ابواب كل شيء وقيل الاصل واتيكم من كل ما سالتموه وما لم تسالوه
فحذف الثاني لدلالة ما القي على ما القي وقرئ بتنوين كل على ان ما نافية ومحل ما سالتموه النصب على الحالية
اي اتيكم من كل غير سايليه وان تعدوا نعمت الله التي انعم بها عليكم لا تحصوها لا تطيقوا الحصر ها ولو اجمالا فانها غير
متناهية واصل الاحصاء ان الحاسب اذا بلغ عقدا معينا من عقود الاعداد وضع حصاة ليحفظه بها فقيه ايذان
بعدم بلوغ مرتبة معتد بها من مراتبها فضلا عن بلوغ غايتها كيف لا وما من فرد من افراد الناس وان كان في
اقصى مراتب الفقر والافلاس ممنوحا باصناف العنايا مبتليا بانواع الرزايا فانه بحيث لو تاملته الفيته
متقلبا في نعم لا تحد ومنن لا تحصى ولا تعد كانه قد اعطي كل ساعة وان من النعماء ما لا تحويه حيطة الامكان

وان كنت

وان كنت في ريب من ذلك فتصور انه ملك ملك اقطار العالم ودانت له كافة الامم واذعنت لطاعته السراة
وخضعت لهيبته رقاب العتاة وفاز كل مرام ونال كل منال وحاز ما في الدنيا من اصناف الاموال بلا ند يزاحمه
ولا شريك يساهمه بل قدر ان ما فيها من حجر ومدر يواقيت غالية ونفائس درر ثم قدر انه قد وقع في فقد مشروب
او مطعوم في حالة بلغت نفسه فيها الحلقوم فهل يشتري وهو في تلك الحال بجميع ما له من الملك والمال
لقمة تنجيه عن ذواه او شربة ترويه عن ظماه او يختار الهلاك فتذهب الاموال والاملاك بغير بدل يبقى عليه
ولا نفع يعود اليه كلا بل يبذل لذلك كلما تحويه اليدان كائنا ما كان وليس في صفقته شائبة الخسران فاذا تلك
اللقمة والشربة خير مما في الدنيا بالف رتبة مع انهما في طرف الثمام ينالها متى شاء من الليالي والايام او قدر
انه قد احتبس عليه النفس فلا دخل منه ما خرج ولا خرج منه ما ولج والحين قد حان واتاه الموت من كل مكان اما
يعطي ذلك بمقابلة نفس واحد بل يعطي وهو لرايه حامد فاذا هو خير من اموال الدنيا بجملتها ومطالبها برمتها
مع انه قد اتيح له كل ان من اناء الليالي والايام حال اليقظة والمنام هذا من الظهور والجلاء بحيث لا يكاد يخفى على احد
من العقلاء وان رمت العثور على حقيقة الحق والوقوف على ما جل من السر ودق فاعلم ان الانسان بمقتضى حقيقته
الممكنة بمعزل عن استحقاق الوجود وما يتبعه من الكمالات اللائقة والملكات الرائقة بحيث لو انقطع ما بينه
وبين العناية الالهية من العلاقة لما استقر له قرار ولا اطمانت به الدار الا في مطمورة العدم والبوار ومهاوي
الهلاك والدمار لكن يفيض عليه من الجناب الاقدس عز شانه وتقدس في كل زمان يمضي وكل ان يمر وينقضي
بانواع الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده وسائر صفاته الروحانية والنفسانية والجسمانية ما لا يحيط به نطاق التعبير
ولا يعلمه الا العليم الخبير وتوضيحه انه كما لا يستحق الوجود ابتداء لا يستحقه بقاء وانما ذلك من جناب المبدا
الاول عز وجل فكما لا يتصور وجوده ابتداء ما لم ينسد عليه جميع انحاء عدمه الاصلي لا يتصور بقاؤه على الوجود
الواجبي وانت خبير بان ما يتوقف عليه وجوده من الامور الوجودية التي هي علله وشرائطه وان وجب كونها
متناهية لوجوب تناهي ما دخل تحت الوجود بارتفاع تلك الموانع التي لا تتناهي اعني بقاءها على العدم مع
امكان وجودها في نفسها في كل ان من انات وجوده نعم غير متناهية حقيقة لا ادعاء وكذا الحال وجودات
علله وشرائطه القريبة والبعيدة ابتداء وبقاء وكذا في كمالاته التابعة لوجوده فاتضح انه يفيض عليه كل ان
نعم لا تتناهي من وجوه شتى سبحانك سبحانك ما اعظم سلطانك لا تلاحظ العيون بانظارها ولا
تطالعك العقول بافكارها شانك لا يضاهي واحسانك لا يتناهي ونحن في معرفتك حائرون وفي اقامة
مراسم شكرك قاصرون نسئلك الهداية الى منهاج معرفتك والتوفيق لاداء حقوق نعمتك لا نحصي ثناء
عليك لا اله الا انت نستغفرك ونتوب اليك ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها او بوضعه
في غير موضعه او يظلم نفسه بتعريضها للحرمات كفار شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو
ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع واللام في الانسان للجنس ومصداق الحكم بالظلم والكفران بعض من وجد
فيه من افراده ويدخل في ذلك بدلوا نعمة الله كفرا دخولا اوليا واذ قال ابرهيم اي اذكر وقت قوله عليه السلام
تذكيرا ما وقع فيه من مقالاته عليه السلام على نهج التفصيل والمراد به تاكيد ما سلف من تعجيبه صلى الله عليه وسلم
ببيان فن اخر من جنايا تهم حيث كفروا بالنعمة الخاصة بهم بعد ما كفروا بالنعم العامة وعصوا اباهم ابرهيم عليه
السلام حيث اسكنهم مكة شرفها الله تعالى لاقامة الصلوة والاجتناب عن عبادة الاصنام والشكر لنعم الله تعالى
ان يجعله بلدا امنا ويرزقهم من الثمرات ويهوي قلوب الناس اليهم من كل اوب سحيق فاستجاب الله تعالى دعاءه وجعله
حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شيء فكفروا بتلك النعم العظام واستبدلوا بالبلد الحرام دار البوار وجعلوا لله
اندادا وفعلوا ما فعلوا رب اجعل هذا البلد يعني مكة شرفها الله تعالى امنا اي ذا امن او امنا اهله بحيث
لا يخاف فيه على ما مر في سورة البقرة والفرق بينه وبين ما فيها من قوله رب اجعل هذا بلدا امنا ان المسؤل

جميع

والمقصود من تذكيره عليه السلام ما وقع صح

هناك البلدية والامن معًا وههنا الامن فقط حيث جعل هو المفعول الثاني لجعل وجعل البلد صفة للمفعول الاول
فان حمل على تعداد السوال فلعله عليه السلام سال اولا كلا الامرين فاستجيب له في احداهما وتاخر الاخرالى وقته
المقدر لما يقتضيه من الحكمة الداعية ثم كرر السوال كما هو المعتاد في الدعاء والابتهال او كان المسئول فيهما
وقد اجيب اليه ايضا لكن السوال الثاني للاستدامة والاقتصار على ذلك لان المقصود الاصلي او لان المعتاد في البلدية
الاسمية بعيد التحقق بخلاف الامن وان حمل على وحدة السوال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر فالظاهر ان المسئول
كلا الامرين وقد حكي اولا واقتصر ههنا على حكاية سوال الامن لا مجرد ان نعمة الامن ادخل في استيجاب الشكر فذكره
انسب بمقام تفريع الكفرة على اغفاله كما قيل بل لان سوال البلدية قد حكي بقوله تعالى فاجعل افئدة من الناس
تهوي اليهم اذ المسئول هو تهوي اليهم للمساكنة معهم لا للحج فقط وهو عين سوال البلدية وقد حكي بعبارة اخرى
وكان ذلك اول ما قدم عليه السلام مكة كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهم انه عليه السلام لما
اسكن اسمعيل وهاجر هناك وعاد متوجها الى الشام تبعته هاجر وجعلت تقول الى من تكلنا في هذا البلقع
وهو لا يرد عليها جوابا حتى قالت الله امرك بهذا فقال نعم قالت اذا لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى اذا استوى
على ثنية كداء اقبل على الوادي فقال ربنا اني اسكنت من ذريتي الاية وانما فصل بينهما تثنية للامتنان وايذانا
بان كلا منهما نعمة جليلة مستتبعة لشكر كثير واجنبني وبني بعدني ان نعبد الاصنام واجعلنا منه في جانب
بعيد اي ثبتنا على ما كنا عليه من التوحيد وملة الاسلام والبعد عن عبادة الاصنام وقرئ اجنبني من الافعال
وهما لغة اهل نجد يقولون جنبني شره واجنبني شره واما اهل الحجاز فيقولون جنبني شره وفيه دليل على ان عصمة
الانبياء عليهم السلام بتوفيق الله تعالى والظاهر ان المراد ببنيه اولاده لصلبه فلا احتجاج به لابن عيينة رضي الله
عنه على ان احدا من اولاد اسمعيل عليه السلام لم يعبد الصنم وانما كان لكل قوم حجر نصبوه وقالوا هو حجر والبيت
حجر وكانوا يدورون به ويسمونه الدوار فاستحب ان يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت وليت شعري
كيف ذهب عليه ما في القران العظيم من قوارع تنعى على قريش عبادة الاصنام على ان فيما ذكر كرا على ما فر منه رب
انهن اي الاصنام اضللن كثيرا من الناس اي تسببن له كقوله تعالى وغرتهم الحيوة الدنيا وهو تعليل الدعاء وانما
صدره بالنداء اظهارا للاعتناء ورغبة في استجابته فمن تبعني منهم فيما ادعو اليه من التوحيد وملة الاسلام
فانه مني اي بعضي قاله عليه السلام مبالغة في بيان اختصاصه به اي متصل بي لا ينفك عني في امر الدين ومن
عصاني اي لم يتبعني والتعبير عنه بالعصيان للايذان بانه عليه السلام مستمر على الدعوة وان عدم اتباع من
لم يتبعه انما هو لعصيانه لا لانه لم يبلغه الدعوة فانك غفور رحيم قادر على ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد
توبته وفيه ان كل ذنب فلله تعالى ان يغفره حتى الشرك خلا ان الوعيد قضى بالفرق فيه بينه وبين غيره ربنا
اثر عليه السلام ضمير الجماعة لا لما قيل من تقدم ذكره وذكر بنيه والا لراعاه في قوله رب انهن الى اخره بل لان
الدعاء المصدر به وما اورده بصدد تمهيد مبادي اجابته من قوله اني اسكنت الاية متعلقة بذريته
فالتعرض لوصف ربوبيته تعالى لهم ادخل في القول واجابة السول من ذريتي اي بعضهم او ذرية من ذريتي
فحذف المفعول وهو اسمعيل عليه السلام وما سيولد له فان اسكانه حيث كان على وجه الاطمئنان متضمن
لاسكانهم وروي ان هاجر ام اسمعيل كانت لسارة فوهبتها من ابرهيم عليه السلام فلما ولدت اسماعيل عليه
السلام غارت عليها فناشدته ان يخرجها من عندها فاخرجها الى ارض مكة فاظهر الله تعالى عين زمزم بواد
غير ذي زرع لا يكون فيه زرع اصلا وهو وادي مكة شرفها الله تعالى عند بيتك ظرف لاسكنت كقولك
صليت بمكة عند الركن لا انه صفة لواد او بدل منه اذ المقصود اظهار كون ذلك الاسكان مع فقدان
مباديه بالمرة لمحض التقرب الى الله تعالى والالتجاء الى جواره الكريم كما ينبئ عنه التعرض له والتهاون به او لم
يزل معظما ممنعا يهابه الجبابرة في عصر او منه منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا وتسميته

او لا مجرد الامن المصحح للسكنى كما في سائر البلاد وقد اجيب اليه و ثانيا الامن المعهود او كان هو المسئول صح

لعنوان الحرمة المؤذن بعزة الملتجي وعصمته عن المكاره في قوله تعالى المحرم حيث حرم التعرض صح

اذ ذاك بيتا ولم يكن له بناء وانما كان نشزا مثل الرابية يأتيه السيول فتاخذ ذات اليمين وذات الشمال ليست
باعتبار ما سيؤول اليه الامر من بنائه عليه السلام فانه ينزع الى اعتبار عنوان الحرمة ايضا كذلك بل هي باعتبار
ما كان من قبل فان تعدد بناء الكعبة المعظمة مما لا ريب فيه وانما الاختلاف في كمية عدده وقد ذكرناها في سورة
البقرة بفضل الله تعالى ربنا ليقيموا الصلوة متوجهين اليه متبركين به وهو متعلق باسكنت وتخصيصها بالذكر
من بين سائر شعائر الدين لفضلها وتكرير النداء وتوسيطه لاظهار كمال العناية باقامة الصلوة والاهتمام
بعرض الغرض من اسكانهم بذلك الوادي البلقع ذلك المقصد الاقصى والمطلب الاسنى وكل ذلك لتمهيد مبادي
اجابة دعائه واعطاء مسئوله الذي لا يتأتى ذلك المرام الا به ولذلك ادخل عليه الفاء فقال فاجعل افئدة من
الناس اي افئدة من افئدتهم فمن للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليه فارس والروم واما
ما زيد عليه من قولهم ولحجت النصارى واليهود فليس مناسب للمقام اذ المسئول توجيه القلوب اليهم للمساكنة
معهم لا توجيهها الى البيت الى الحج والا لقيل تهوي اليه فانه عين الدعاء بالبلدية قد حكي بعبارة اخرى كما
مر ولابتداء الغاية كقولك القلب مني سقيم اي افئدة ناس وقرئ افدة على القلب كادر في ادور وعلى انه
اسم فاعل من افدت الرحلة اي عجلت اي جماعة من الناس وافدة بطرح الهمزة من الافئدة او على النعت من
افد تهوي اليهم تسرع اليهم شوقا ووداد وقرئ على البناء للمفعول من اهواه غيره وتهوي من باب علم اي تحب
وتعديته بالى لتضمنه معنى الشوق والنزوع واول اثار هذه الدعوة ما روي انه مرت رفقة من جرهم
تريد الشام فراوا الطير تحوم على الجبل فقالوا ان هذا الطائر لعاكف على الماء فاشرفوا فاذا هم بهاجر فقالوا
ان شئت كنا معك وانسناك والماء ماؤك فاذنت لهم وكانوا معها الى ان شب اسمعيل عليه السلام وماتت
هاجر فتزوج اسمعيل منهم كما هو المشهود وارزقهم اي ذريتي الذين اسكنتهم هناك او مع من ينحاز اليهم وانما لم
يخص المؤمنين منهم كما في قوله تعالى وارزق اهله من الثمرات من امن منهم بالله واليوم الاخر اكتفاء بذكر اقامة
الصلوة من الثمرات من انواعها بان يجعل بقرب منه قرى يحصل فيها ذلك او يجبى اليه من الاقطار الشاسعة
وقد حصل كلاهما حتى انه يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد روي عن ابن
عباس رضي الله عنهما ان الطائف كانت في ارض فلسطين فلما دعا ابرهيم عليه السلام بهذه الدعوة رفعها
الله تعالى ووضعها حيث وضعها رزقا للحرم وعن الزهري انه قال انه تعالى نقل قرية من قرى الشام
فوضعها بالطائف لدعوة ابرهيم عليه السلام لعلهم يشكرون تلك النعمة باقامة الصلوة واداء سائر مراسم
العبودية وقيل اللام في ليقيموا لام الامر والمراد امرهم باقامة الصلوة والدعاء من الله تعالى بتوفيقهم
لها ولا يناسبه الفاء في قوله تعالى فاجعل وفي دعائه عليه السلام مراعاة حسن الادب والمحافظة على قوانين
الضراعة وعرض الحاجة واستنزال الرحمة واستجلاب الرأفة ما لا يخفى فانه عليه السلام بذكر كون الوادي
غير ذي زرع بين كمال افتقارهم الى المسئول وبذكر كون اسكانهم عند البيت المحرم اشار الى ان جوار الكريم يستوجب
افاضة النعيم وبعرض كون ذلك الاسكان مع كمال اعوازمرافق المعاش لمحض اقامة الصلوة واداء حقوق
البيت مهد جميع مبادي اجابة السؤال ولذلك قرنت دعوته عليه السلام بحسن القبول ربنا انك تعلم ما
نخفي وما نعلن من الحاجات وغيرها والمراد بما نخفي ما يقابل ما نعلن سواء تعلق به الاخفاء اولا اي تعلم ما
نظهره وما لا نظهره فان علمه تعالى متعلق بما لا يخطر ببالنا مما فيه من الاحوال الخفية فضلا عن اخفائه
وتقديم ما نخفي على ما نعلن لتحقيق المساواة بينهما في تعلق العلم بهما على ابلغ وجه فكان تعلقه بما يخفى اقدم منه
بما نعلن اولان مرتبة السر والخفاء متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو قبل ذلك
خفي فتعلق علمه سبحانه بحالته الاولى اقدم من تعلقه بحالته الثانية ومقصوده عليه السلام ان
اظهار هذه الحاجات وما هو من مباديها وتتماتها ليس لكونها غير معلومة لك بل انما هو لاظهار العبودية

والتخشع لعظمتك والتذلل لعزتك وعرض الافتقار الى ما عندك والاستعمال لنيل اياديك وتكرير النداء
للمبالغة في الضراعة والابتهال وضمير الجماعة لان المراد ليس مجرد علمه تعالى بسره وعلنه بل بجميع خفايا الملك
والملكوت وقد حققه بقوله على وجه الاعتراض وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء لما انه العالم بالذات
فما من امر يدخل تحت الوجود كائنا ما كان في زمان من الازمان الا ووجوده في ذاته علم بالنسبة اليه سبحانه
وانما قال وما يخفى على الله دون ان يقول ويعلم ما في السموات والارض تحقيقا لما عناه بقوله تعالى تعلم ما نخفي
وما نعلن من ان علمه بذلك ليس على وجه يكون شائبة خفاء بالنسبة الى علمه تعالى كما يكون ذلك بالنسبة
الى علوم المخلوقات وكلمة في متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء اي من شيء كائن فيهما اعم من ان يكون ذلك
على وجه الاستقرار فيهما او على وجه الجزئية منهما او بيخفى وتقديم الارض على السماء مع توسيط لا بينهما باعتبار
القرب والبعد منا المستدعيين للتفاوت بالنسبة الى علومنا والالتفات من الخطاب الى اسم الذات
المستجمعة للصفات لتربية المهابة والاشعار بعلة الحكم على نهج قوله تعالى الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير
والايذان بعمومه لا لانه ليس بشان يختص به او بمن تعلق به بل شامل لجميع الاشياء فالمناسب ذكره تعالى بعنوان
مصحح لمبدائية الكل وقيل هو من كلام الله تعالى وارد بطريق الاعتراض لتصديقه عليه السلام كقوله
سبحانه وكذلك يفعلون ومن للاستغراق على الوجهين الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اي مع كبري ويأسي من الولد
قيد الهبة به استعظاما لها وشكرها اسمعيل واسحق روي انه ولد له اسماعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة
وولد له اسحق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة او مائة وسبع عشرة سنة ان ربي ومالك امري لسميع الدعاء
لمجيبه من قولهم سمع الملك كلامه اذا اعتد به وهي من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله
او فاعله باسناد السماع الى دعاء الله تعالى مجازا وهو مع كونه من تتمة الحمد والشكر اذ هو وصف له تعالى
بان ذلك الجميل سنته المستمرة تعليل على طريقة التذييل للهبة المذكورة وفيه ايذان بتضاعف النعمة
فيهما حيث وقعت بعد الدعاء بقوله رب هب لي من الصالحين فاقترنت الهبة بقبول الدعوة وتوحيد ضمير
المتكلم وان كان عقيب ذكر هبتهما لما ان نعمة الهبة فائضة على خاصة وهما من النعم لا من المنعم عليهم رب
اجعلني مقيم الصلوة مثابرا عليها معدلا لها وتوحيد ضمير المتكلم مع شمول دعوته لذريته ايضا حيث قال ومن
ذريتي اي بعضهم من المذكورين ومن يسير سيرتهما من اولادهما للاشعار بانه المقتدي في ذلك وذريته
اتباع له وان ذكرهم بطريق الاستطراد كما في قوله ربنا اني اسكنت فان اسكانه مع عدم تحققه بلا ملابسة لمن
اسكنه انما هو مذكور بطريق التمهيد للدعاء الذي هو مخصوص بذريته وانما خص هذا الدعاء ببعض ذريته
لعلمه من جهة الله تعالى ان بعضهم لا يكون مقيم الصلوة كقوله تعالى ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن
ذريتنا امة مسلمة لك ربنا وتقبل دعاء اي دعائي هذا المتعلق بجعلي وجعل بعض ذريتي مقيمي الصلوة ثابتين
على ذلك مجتنبين عن عبادة الاصنام ولذلك جيء بضمير الجماعة ربنا اغفر لي اي ما فرط مني من ترك الاولى في
باب الدين وغير ذلك مما لا يسلم منه البشر ولوالدي وقرئ بالتوحيد ولابوي وهذا الاستغفار منه
عليه السلام انما كان قبل تبين الامر له عليه السلام وقيل اراد بوالديه آدم وحوى وقيل بشرط
الاسلام ويرده قوله تعالى الا قول ابرهيم لابيه الاية وقد مر في سورة التوبة نوع تحقيق للمقام وسيأتي تمامه
في سورة مريم بفضل الله تعالى وللمؤمنين كافة من ذريته عليه السلام وغيرهم للايذان باشتراك الكل
في الدعاء بالمغفرة جيء بضمير الجماعة يوم يقوم الحساب اي يثبت ويتحقق محاسبة المكلفين على وجه العدل
استعير له من ثبوت القائم على الرجل بالاستقامة ومنه قامت الحرب على ساق والمراد تهويله وقيل
اسند اليه قيام اهله مجازا او بحذف المضاف كما في واسئل القرية واعلم ان ما حكي عنه عليه السلام من الادعية
والاذكار وما يتعلق بها صادر عنه على الترتيب المحكي ولا على وجه المعية بل صدر عنه في ازمنة متفرقة

متفرقة

متفرقة حكي مرتبا للدلالة على سوء حال الكفرة بعد ظهور امره في الملة وارشاد الناس اليها والتضرع
الى الله تعالى لمصالحهم الدينية والدنيوية ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والمراد تثبيته على ما كان عليه من عدم حسبانه عز وجل كذلك نحو قوله تعالى ولا تكونن من المشركين ونظائره مع ما فيه
من الايذان بكونه واجب الاحتراز عنه في الغاية حتى نهى عنه من لا يمكنه تعاطيه او نهيه صلى الله عليه وسلم عن حسبانه
تعالى تاركا لعقابهم على طريقة العفو والتعبير عنه بذلك للمبالغة في النهي والايذان بان ذلك الحسبان له بمنزلة
حسبانه تعالى غافلا عن اعمالهم اذ العلم بذلك مستوجب لعقابهم لا محالة فتركه لو كان للغفلة عما يوجبه من اعمالهم
الخبيثة وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعد له اكيد ووعيد للكفرة وسائر الظالمين شديد او لكل
احد ممن يستعجل عذابهم او يتوهم اهمالهم للجهل بصفاته تعالى والاغترار بامهاله والمراد معناه لا تحسبنه تعالى
يعاملهم معاملة الغافل عما عملوا بل معاملة من يحافظ على اعمالهم ويجازيهم بذلك نقيرا وقطميرا وقيل بالظالمين
اهل مكة ممن عدت مساويهم من تبديل نعمة الله تعالى كفرا واحلال قومهم دار البوار واتخاذ الانداد كما يؤذن به التعرض
لحكمة التاخير المبني عن قوله تعالى قل تمتعوا الاية او جنس الظالمين وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا انما يؤخرهم
يمهلهم متمتعين بالحظوظ ولا يعجل عقوبتهم حسبما يشاهد وهو استئناف وقع تعليلا للنهي السابق اي دم
على ما كنت عليه من عدم حسبانه تعالى غافلا عن اعمالهم ولا تحزن بتاخير ما يستوجبونه من العذاب الاليم ان تاخيره للتشديد
والتغليظ او لا تحسبنه تعالى تاركا لعقوبتهم لما ترى من تاخيرها انما ذلك لاجل هذا او لا تحسبنه تعالى يعاملهم
معاملة الغافل ولا يؤاخذهم بما عملوا لما ترى من التاخير انما هو لهذه الحكمة وقرئ بالنون وايقاع التاخير عليهم
مع ان المؤخر انما هو عذابهم لتهويل الخطب وتفظيع الحال ببيان انهم متوجهون الى العذاب مرصدون لامر ما
لانهم يؤخرون باختيارهم وللدلالة على ان حقهم من العذاب هو الاستيصال بالمرة وان لا يبقى منهم في الوجود عين ولا
اثر وللايذان بان المؤخر له من جملة العذاب وعنوانه ولو قيل انما يؤخر عذابهم لما فهم ذلك ليوم هائل تشخص فيه
الابصار ترتفع ابصار اهل الموقف فيدخل فيه الكفرة المعهودة دخولا اوليا اي تبقى مفتوحة لا تتحرك اجفانهم
من هول ما يرون واعتبار عدم قرارها في اماكنها اما باعتبار الارتفاع الحسي في جرم العين واما بجعل الصيغة من
شخص من بلد الى بلد ويسار في ارتفاع مهطعين مسرعين الى الداعي مقبلين عليه بالخوف والذل والخشوع او
مقبلين بابصارهم عليه لا يقلعون عنه ولا يطرفون هيبة وخوفا وحيث كان ادامة النظر ههنا بالنظر الى الداعي
قيل مقنعي رؤسهم اي رافعيها مع ادامة النظر من غير التفات الى شيء قاله العيني وابن عرفة او ناكسيها ويقال
اقنع راسه اي طاطاها ونكسها فهو من الاضداد وهما حالان مما دل عليه الابصار من اصحابها او الثاني حال متداخلة
من الضمير في الاول واضافته غير حقيقية فلا تنافي في الحالية لا يرتد اليهم طرفهم لا يرجع اليهم تحريك اجفانهم حسبما
كان يرجع اليهم كل لحظة بل تبقى اعينهم مفتوحة لا تطرف ولا يرجع اليهم ابصارهم التي هي آلة الطرف فيكون اسناد
الرجوع الى الطرف مجازيا او هو نفس الجفن قال الفيروزابادي الطرف العين لا يجمع لانه مصدر في الاصل
او اسم جامع للعين ولا يرجع نظرهم الى انفسهم فضلا ان يرجع الى شيء آخر فيبقون مبهوتين وهو ايضا حال
او بدل من مقنعي او استئناف والمعنى لا يزول باعترافهم من شخوص الابصار وتاخره عما هو من تتمته من الاهطاع
والاقناع مع ما بينه وبين الشخوص المذكور من المناسبة لتربية هذا المعنى وافئدتهم هواء خالية من العقل
والفهم لفرط الحيرة والدهشة كانها نفس الهواء الخالي عن كل شاغل ومنه قيل للجبان والاحمق قلبه
هواء اي لا قوة ولا راي فيه واعتبار خلوها من كل خير لا يناسب المقام وهو اما حال عاملها لا يرتد مفيدة لكون
شخوص ابصارهم وعدم ارتداد طرفهم بلا فهم ولا اختيار او جملة مستقلة وانذر الناس خطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد اعلامه ان تاخيرهم لماذا وامر له بانذارهم وتخويفهم منه والمراد من الناس الكفار المعبر عنهم
بالظالمين كما يقتضيه ظاهر اتيان العذاب والعدول اليه من الاضمار للاشعار بان المراد بالانذار هو الزجر

عماهم عليه من الظلم شفقة عليهم لا التخويف للازعاج والايذاء فالمناسب عدم ذكرهم بعنوان الظلم او الناس جميعا
فان الانذار عام للفريقين كقوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر والاتيان يعمهما من حيث كونهما في الموقف وان
كان لحوقه بالكفار خاصة اي انذرهم وخوفهم يوم يأتيهم العذاب المعهود وهو اليوم الذي وصف بما لا يوصف
من الاوصاف الهائلة اعني يوم القيمة وقيل هو يوم موتهم معذبين بالسكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى
اي يوم هلاكهم بالعذاب العاجل ويأباه القصر السابق فيقول الذين ظلموا اي فيقولون والعدول عنه الى ما
عليه النظم الكريم للتسجيل عليهم بالظلم وللاشعار بان ما لقوه من الشدة انما هو لظلمهم وايثار صيغة الفاعل
حسبما ذكر اولا للايذان بان الظلم في تقدير الجملة كاف في الافضاء الى ما ذكر من الاهوال من غير حاجة الى الاستمرار
عليه كما ينبي عنه صيغة الفاعل وعلى كون المراد بالناس من يعم المسلمين ايضا فالمعنى الذين ظلموا منهم وهم الكفار
على التقديرين او يقول كل من ظلم بالشرك والتكذيب من المنذرين وغيرهم من الامم الخالية فان الاتيان يعمهم
كما يشعر بذلك وعدهم باتباع الرسل ربنا اخرنا ردنا الى الدنيا وامهلنا الى اجل قريب الى مدة واجل من الزمان
قريب نجب دعوتك اي الدعوة اليك والى توحيدك او دعوتك لنا على السنة الرسل ففيه ايماء الى انهم صدقوهم
في انفسهم انهم مرسلون من عند الله تعالى ونتبع الرسل فيما جاءوا به اي نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة الدعوة
واتباع الرسل والجمع اما باعتبار اتفاق الجميع على التوحيد وكون عصيانهم للرسول صلى الله عليه وسلم واما باعتبار
ان المحكي كلام ظالمي الامم جميعا والمقصود بيان وعد كل امة باتباع رسولها اولم تكونوا اقسمتم من قبل على اضمار
القول معطوفا على فيقول اي فيقال لهم توبيخا وتبكيتا الم تؤخروا في الدنيا ولم تكونوا اقسمتم اذ ذاك بالسنتكم
بطرا واشرا وجهلا وسفها مالكم من زوال مما انتم عليه من التمتع بالحظوظ الدنيوية او بالسفه الحال حيث بنيتم
مشيدا واملتم بعيدا ولم تحدثوا انفسكم بالانتقال منها الى هذه الحالة وفيه اشعار بامتداد زمان
التاخير وبعد مداه او مالكم من زوال من هذه الدار الى دار اخرى للجزاء كقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم
لا يبعث الله من يموت وصيغة الخطاب في جواب القسم لمراعاة حال الخطاب في اقسمتم كما في قوله حلف بالله
ليخرجن وهو ادخل في التوبيخ من ان يقال مالنا مراعاة لحال المقسم ذكر البيهقي عن محمد بن كعب القرظي
رحمه الله تعالى انه قال لاهل النار خمس دعوات يجيبهم الله تعالى في اربع منها فاذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها
ابدا يقولون ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل فيجيبهم الله تعالى
ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ثم يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا
فارجعنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فيجيبهم الله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما
للظالمين من نصير فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فيجيبهم الله تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون فلا
يتكلمون بعدها ابدا ان هو الا زفير وشهيق وعند ذلك انقطع رجاؤهم واقبل بعضهم ينبح في وجه بعض واطبقت
عليهم جهنم اللهم انا بك نعوذ وبكنفك نلوذ عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك وسكنتم من السكنى
بمعنى التبوء والايطان وانما استعمل بكلمة في حيث قال في مساكن الذين ظلموا انفسهم جريا على الاصل لانه منقول عن
مطلق السكون الذي حقه التعدية بها او من السكون واللبث اي قررتم في مساكنهم مطمئنين سائرين سيرتهم
في الظلم بالكفر والمعاصي غير محدثين لانفسكم بما لقيه الاولون بسبب ما اجترحوا من الموبقات وفي ايقاع
الظلم على انفسهم بعد اطلاقه فيما سلف ايذانا بان غائلة الظلم آيلة الى صاحبه والمراد اما جميع من تقدم
من الامم المهلكة على تقدير اختصاص الاستمهال والخطاب السابق بالمنذرين واما اوائلهم من قوم نوح وهود
على تقدير عمومهما للكل وهذا الخطاب وما يتلوه باعتبار حال اواخرهم وتبين لكم بمشاهدة الآثار وتواتر
الاخبار كيف فعلنا بهم من الاهلاك والعقوبة بما فعلوا من الظلم والفساد وكيف منصوب بما بعده من الفعل
وليس الجملة فاعلا لتبين كما قاله بعض الكوفيين بل فاعله ما دلت هي عليه دلالة واضحة اي فعلنا بهم العجيب

وفيه من

وفيه من المبالغة ما ليس في ان يقال ما فعلنا بهم كما مر في قوله تعالى ليسجننه وقرئ ونبين وضربنا لكم الامثال
اي بينا لكم في القرآن العظيم على تقدير اختصاص الخطاب بالمنذرين او على السنة الانبياء عليهم السلام على تقدير
عمومه لجميع الظالمين صفات ما فعلوا وفعل بهم من الامور التي هي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم لتعتبروا
بها وتقيسوا اعمالكم على اعمالهم ومآلكم على مآلهم وتنتقلوا من حلول العذاب العاجل الى حلول العذاب
الآجل فترتدعوا عما كنتم فيه من الكفر والمعاصي او بينا لكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب والجمل الثلاث
في موقع الحال من ضمير اقسمتم بالخلود والحال انكم سكنتم في مساكن الذين اهلكوا بظلمهم وتبين لكم فعلنا العجيب
بهم ونبهناكم على جلية الحال بضرب الامثال وقوله عز وجل وقد مكروا مكرهم حال من الضمير الاول في فعلنا
بهم او من الثاني او منهما جميعا وانما قدم عليه قوله تعالى وضربنا لكم الامثال لشدة ارتباطه بما قبله اي فعلنا
بهم ما فعلنا والحال انهم قد مكروا في ابطال الحق وتقرير الباطل مكرهم العظيم الذي استفرغوا في عمله المجهود
وجاوزوا فيه كل حد معهود بحيث لا يقدر عليه غيرهم فالمراد بيان تناهيهم في استحقاق ما فعل بهم او قد
مكروا مكرهم المذكور في ترتيب مبادي البقاء ومدافعة اسباب الزوال فالمقصود اظهار عجزهم واضمحلال
قدرتهم وحقارتها عند الله تعالى وعند الله مكرهم اي جزاء مكرهم الذي فعلوه على ان المكر مضاف الى فاعله
او اخذه تعالى عليهم على انه مضاف الى مفعوله وتسميته مكرا لكونه بمقابلة مكرهم وجودا وذكرا او لكونه في صورة
المكر في الاتيان من حيث لا يشعرون وعلى التقديرين فالمراد به ما افاده قوله تعالى كيف فعلنا بهم لا انه وعيد
مستأنف والجملة حال من الضمير في مكروا او مكروا مكرهم وعند الله جزاؤهم او ما هو اعظم منه فالمقصود
بيان فساد رأيهم حيث باشروا فعلا مع تحقق ما يوجب تركه وان كان مكرهم في العظم والشدة لتزول منه
الجبال اي وان كان مكرهم في غاية المتانة والشدة وعبر عن ذلك بكونه مسوى ومعدا لازالة الجبال
عن مقارها لكونه مثلا في ذلك والجملة المصدرة بان الوصلية معطوف على جملة مقدرة والمعنى وعند
الله جزاء مكرهم او المكر الذي يحيق بهم ان لم يكن مكرهم لتزول منه الجبال وان كان وحذف ذلك حذفا مطردا
لدلالة المذكور عليه دلالة واضحة فان الشيء اذا تحقق عند وجود المانع القوي فلأن يتحقق عند عدمه
اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في ان الوصلية من التأكيد المعنوي والجواب محذوف دل عليه ما سبق وهو
قوله تعالى وعند الله مكرهم وقيل ان نافية واللام لتأكيدها كما في قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم
وينصره قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وما كان مكرهم فالجملة حال من الضمير في مكروا لا من قوله تعالى
وعند الله مكرهم اي مكروا مكرهم والحال ان مكرهم لم يكن لتزول منه الجبال على انها عبارة عن آيات الله
وشرائعه ومعجزاته الظاهرة على ايدي الرسل السالفة عليهم السلام التي هي بمنزلة الجبال الراسيات
في الرسوخ واما كونها عبارة عن امر النبي صلى الله عليه وسلم وهو القرآن كما قيل فلا مجال له اذ الماكرون
هم المهلكون لا الساكنون في مساكنهم من المخاطبين وان خص الخطاب بالمنذرين وقيل هي مخففة
من ان والمعنى انه كان مكرهم لتزول منه الجبال على انها عبارة عن آيات الله وشرائعه ومعجزاته الظاهرة
على ايدي الرسل السالفة عليهم السلام واما كونها عبارة عما هو كالجبال في الثبات مما ذكر من الآيات والشرائع
والمعجزات والجملة كما هي حال من ضمير مكروا اي مكروا مكرهم المعهود وان الشأن كان مكرهم لازالة الآيات
والمعجزات والشرائع على معنى انه لم يكن يصح ان يكون منهم مكر كذلك وان كان شأن الآيات والشرائع مانعا
من مباشرة المكر لازالته وقرأ الكسائي لتزول بفتح اللام على انها الفارقة والمعنى تعظيم مكرهم فالجملة
حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم اي عنده تعالى جزاء مكرهم او المكر بهم والحال ان مكرهم بحيث تزول
منه الجبال في الشدة اي في غاية الشدة وقرئ بالفتح والنصب على لغة من فتح لام كي وقرئ
وان كان مكرهم هذا هو الذي يقتضيه النظم الكريم وينساق اليه الطبع السليم وقد قيل ان الضمير

في مكروا للمنذرين والمراد بمكرهم ما افاده قوله عز وجل اذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك الاية وغيره من انواع المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل الوجه حينئذ ان يكون قوله تعالى وقد مكروا حالا من القول المقدر اي يقال لهم ما يقال والحال انهم مع ما فعلوا من الاقسام المذكورة مع ما ينافيه من السكون في مساكن المهلكين وتبين احوالهم وضرب الامثال قد مكروا مكرهم العظيم اذ لم يكن الصاد عنهم مجرد الاقسام الذي ونحوه به بل اجتراء على مثل هذه العظيمة وقوله تعالى وعند الله مكرهم حال من ضمير مكروا حسبما ذكرنا من قبل وقوله تعالى لتزول منه الجبال مسوق لبيان عدم تفاوت الحال في تحقيق الجزاء بين كون مكرهم قويا او ضعيفا كما مر هناك وعلى تقدير كون ان نافية فهو حال من ضمير مكروا والجبال عبارة عن امر النبي صلى الله عليه وسلم اي وقد مكروا والحال ان كان مكرهم ما كان لتزول منه ها يتك الشرايع والايات التي في القوة كالجبال وعلى تقدير كونها مخففة من المثقلة واللام مكسورة تكون حالا منه ايضا على معنى ان ذلك المكر العظيم منهم كان لهذا الغرض على معنى انه لم يكن يصح ان يكون منهم مكر لهذا لما ان شان الشرايع اعظم من ان يمكر بها ماكر وعلى تقدير فتح اللام هو حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم كما ذكرنا من قبل فليتأمل فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله لم يرد به والله اعلم ما وعد بقوله تعالى انا لننصر رسلنا الاية وقوله تعالى كتب الله لاغلبن انا ورسلي كما قيل لا اختصاص له بالتعذيب لا سيما الاخروي بل ما سلف آنفا من وعد بتعذيب الظالمين بقوله تعالى انما يوخرهم الاية كما يفصح عنه الفاء الداخلة على النهي الذي اريد به تثبيته صلى الله عليه وسلم على ما كان عليه من الثقة بالله تعالى والتيقن بانجاز وعده المذكور المقرون بالامر بانذارهم يوم اتيان العذاب المتضمن لذكر تعذيب الامم السالفة بسبب كفرهم وعصيانهم رسلهم بعد ما وعدهم بذلك كما فصلته قصة كل منهم في القرآن العظيم فكانه قيل واذ قد وعدناك بعذاب الظالمين يوم القيمة واخبرناك بما يلقون من الشدائد وبما يسئلونه من الرد الى الدنيا وبما اجبناهم به وقرعناهم بعدتاملهم في احوال من سبقهم من الامم الذين اهلكناهم بظلمهم بعد ما وعدنا رسلهم باهلاكهم فدم على ما كنت عليه من اليقين بعد اخلافنا رسلنا وعدنا ان الله عزيز غالب لا يماكر وقادر لا يقادر ذو انتقام لاوليائه من اعدائه والجملة تعليل للنهي المذكور وتذييل له وحيث كان الوعد عبارة عما ذكر من تعذيبهم خاصة لم يذيل بان يقال بان الله لا يخلف الميعاد بل تعرض لوصف العزة والانتقام المشعرين بذلك والمراد ما اشير اليه بالفعل وعبر عنه بالمكر يوم تبدل الارض غير الارض ظرف لمضمر مستانف ينسحب عليه النهي المذكور اي ينجزه يوم الى آخره او المعطوف عليه نحو وارتقب يوم تبدل الارض غير الارض والانتقام وهو يوم العذاب بعينه ولكن له احوال جمة يذكر كل مرة بعنوان مخصوص والتقييد به مع عموم انتقامه للاوقات كلها للافصاح عما هو المقصود به من تعذيب الكفرة المؤخر الى ذلك اليوم بموجب الحكمة الداعية اليه وقيل بدل من يوم يأتيهم العذاب او نصب باذكروا وباضمار لا يخلف وعده يوم تبدل وفيه ايضا ما في الوجه الثالث من الحاجة الى الاعتذار ولا يجوزان ينتصب بقوله وعده لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده وقيل هو غير مانع لان قوله تعالى ان الله عزيز ذو انتقام جملة اعتراضية فلا يبالي بها فاصلا واعلم ان التبديل قد يكون في الذات كما في بدلت الدراهم دنانير وعليه قوله بدلناهم جلودا غيرها وقد يكون في الصفات كما في قولك بدلت الحلقة خاتما اذا غيرت شكلها ومنه قوله تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات على بعض الاقوال والاية الكريمة ليست بنص في احد الوجهين فعن علي رضي الله عنه تبدل ارض من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود رضي الله عنه يبدل الله الارض بارض كالفضة بيضاء نقية لم يسفك فيها دم ولم يعمل عليها خطيئة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي تلك الارض وانما يغير صفاتها وانشد وما الناس بالناس الذين عهدتهم ٭ وما الدار بالدار التي كنت تعلم ٭ وتبدل السموات بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا ويدل عليه ما روي ابو هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال تبدل الارض غير الارض

فبنسط

يأتيهم

فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا والسموات اي وتبدل السموات غير السموات حسبما مر من التفصيل وتقديم تبديل الارض لقربها منا ولكون تبديلها اعظم اثرا بالنسبة الينا وبرزوا اي الخلايق او الظالمون المدلول عليهم بمعونة السياق والمراد بروزهم من اجداثهم التي في بطون الارض او ظهورهم باعمالهم التي كانوا يعملونها سرا ويزعمون انها لا تظهر او يعملون عمل من يزعم ذلك ولعل اسناد البروز اليهم مع انه لاعمالهم للايذان بتشكلهم باشكال تناسبها وهو معطوف على تبدل والعدول الى صيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعها او حال من الارض بتقدير قد والرابط بينها وبين صاحبها الواو لله الواحد القهار للحساب والجزاء والتعرض للوصفين لتهويل الخطب وتربية المهابة واظهار بطلان الشرك وتحقيق الانتقام في ذلك اليوم على تقدير كونه بدلا من يوم يأتيهم العذاب فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغاد ولا يضاد كان في غاية ما يكون من الصعوبة وترى المجرمين عطف على برزوا والعدول الى صيغة المضارع لاستحضار الصورة او للدلالة على الاستمرار واما البروز فهو دفعي لا استمرار فيه وعلى تقدير حالية برزوا فهو معطوف على تبدل ويجوز عطفه على عامل الظرف المقدم على تقدير كونه ينجز يومئذ يوم اذ برزوا لله عز وجل او يوم اذ تبدل الارض او يوم اذ ينجز وعده مقرنين اي قرن بعضهم مع بعض حسب اقترانهم في الجرائم والجرائر او قرنوا مع الشياطين الذين اغووهم او قرنوا مع ما اقترفوا من العقائد الزايغة والملكات الردية والاعمال السيئة غب تصور كل منها وتشكلها بما يناسبها من الصور الموحشة والاشكال الهائلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم وهو حال من المجرمين في الاصفاد في القيود او الاغلال وهو اما متعلق بقوله تعالى مقرنين او حال من ضميره اي مصفدين سرابيلهم اي قمصانهم من قطران جملة من مبتدأ وخبر محلها النصب على الحالية من المجرمين او من ضميرهم رابطتها الضمير فقط كما في كلمته فوه الى في او مستانفة والقطران ما يحلب من الابهل فتهنا به الابل الجربى فيحرق الجرب بما فيه من الحدة الشديدة وقد تصل حرارته الى الجوف وهو اسود منتن يسرع فيه اشتعال النار تطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل ليجتمع عليهم الالوان الاربعة من العذاب لذعته وحرقته واسراع النار في جلودهم واللون الموحش والنتن على ان التفاوت بينه وبين ما تشاهده وبين النار لا يكاد يقادر قدره فكان ما نشاهده منهما اسماء مسميات في الآخرة فبكرمه العميم نعوذ وبكنفه الواسع نلوذ ويحتمل ان يكون ذلك تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الردية والهيات الموحشة فتجلب اليها الالام والغموم بل وان يكون القطران المذكور عين ما لا يسوغ في هذه النشأة وجعلوه شعارا لهم من العقايد الباطلة والاعمال السيئة المستجلبة لفنون العذاب وتجسدت في النشأة الآخرة بتلك المستتبعة لاشتداد العذاب عصمنا الله تعالى عن ذلك بمنه ولطفه وقرئ من قطران اي نحاس مذاب متناه حره وتغشى وجوههم النار اي تعلوها وتحيط بها النار التي تمس جسدهم المسربل بالقطران وتخصيص الوجوه بالحكم المذكور مع عمومه لساير اعضائهم لكونها اعز الاعضاء الظاهرة واشرفها كقوله تعالى افمن يتقي بوجهه سوء العذاب ولكونها مجمع المشاعر والحواس التي خلقت لادراك الحق وقد اعرضوا عنه ولم يستعملوها في تدبره كما ان الفؤاد اشرف الاعضاء الباطنة ومحل المعرفة وقد ملؤها جهالة ولذلك قيل تطلع على الافئدة او لخلوها عن القطران المغني عن ذلك غشيان النار لها ولعل تخليتها عنه ليتعارفوا عند انكشاف اللهب احيانا ويتضاعف عذابهم بالخزي على رؤس الاشهاد وقرئ تغشى اي تتغشى بحذف احدى التائين والجملة نصب على الحالية لا على ان الواو حالية لانه مضارع مثبت بل على انها معطوفة على الحال قاله ابو البقاء ليجزي الله متعلق بمضمر اي يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت من انواع الكفر والمعاصي جزاء موافقا لعملها وفيه ايذان بان جزاءهم مناسب لاعمالهم او بقوله برزوا على تقدير كونه معطوفا على تبدل والضمير للخلق وقوله وترى المجرمين اعتراض بين المتعلق والمتعلق به او برزوا للحساب ليجزي الله كل نفس مطيعة او عاصية

علی تقدیر کونه ظرفاله وتحقیق اتیان العذاب الموعود صح

بما كسبت من خير او شر وقد اكتفي بذكر عقاب العصاة تعويلا على شهادة الحال لا سيما مع ملاحظة سبق الرحمة الواسعة ان الله سريع الحساب اذ لا يشغله شان عن شان في اعجل ما يكون من الزمان فيوفي الجزاء بحسبه او سريع المجي يأتي عن قريب او سريع الانتقام كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وهو سريع الحساب هذا اي ما ذكر من قوله تعالى ولا تحسبن الله غافلا الى قوله سريع الحساب بلاغ كفاية في العظة والتذكير من غير ما انطوى عليه السورة الكريمة او كل القرآن المجيد من فنون العظات والقوارع للناس للكفار خاصة على تقدير اختصاص الانذار بهم في قوله تعالى وانذر الناس ولهم وللمومنين كافة على تقدير شموله لهم ايضا وان كان ما شرح مختصا بالظالمين ولينذروا به عطف على مقدر واللام متعلقة بالبلاغ اي كفاية لهم في ان ينصحوا او ينذروا به او هذا بلاغ لهم ليفهموه ولينذروا به على ان البلاغ بمعنى الابلاغ كما في قوله تعالى ما على الرسول الا البلاغ او متعلقة بمحذوف اي ولينذروا به انزل او تلي وقري لينذروا به من نذر بالشيء اذا علمه وحذره واستعد له وليعلموا بالتامل فيما فيه من الدلائل الواضحة التي هي اهلاك الامم واسكان اخرين مساكنهم وغيرهما مما سبق وغيره انما هو اله واحد لا شريك له وتقديم الانذار الداعي الى التامل المودي الى ما هو غاية له من العلم المذكور والتذكر في قوله تعالى وليذكر اولوا الالباب اي ليذكروا ما يعلمونه من قبل من التوحيد وغيره من شؤون الله تعالى ومعاملته مع عباده فيرتدعون عما يرديهم من الصفات التي يتصف بها الكفار ويتدرعون بما يحظيهم من العقائد الحقة والاعمال الصالحة وفي تخصيص التذكر باولي الالباب[7] اشارة الى الثبات على ذلك حسبما اشير اليه عبر عن الاول بالعلم وعن الثاني بالتذكر وروعي ترتيب الوجود مع ما فيه من الختم بالحسنى والله سبحانه وتعالى اعلم ختم الله لنا بالسعادة والحسنى ورزقنا الفوز بمرضاته في الاولى والعقبى امين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ابرهيم عليه السلام اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام ومن لم يعبد وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما

[7] تلويح باختصاص العلم بالكفار دلالة على ان المشار اليه بهذا ما ذكرناه من القوارع المسوقة فيه لا لكل السورة المشتملة عليها وعلى ما سيق للمؤمنين ايضا فان فيه ما يفيدهم فائدة جديدة وحيث كان ما يفيده البلاغ من التوحيد وما يترتب عليه من الاحكام بالنسبة الى الكفرة امرا حادثا وبالنسبة الى اولي الالباب صح صح

سورة الحجر وهي تسع وتسعون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الر قد مر الكلام فيه وفي محله في مطلع سورة الرعد واخواتها تلك اشارة اليه اي تلك السورة العظيمة الشان ايات الكتاب الكامل المعهود الغني عن الوصف به المشهور بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به على الاطلاق اي بعض منه مترجم مستقل باسم خاص فهو عبارة عن جميع القران او عن جميع المنزل اذ ذاك اذ هو المتسارع الى الفهم حينئذ عند الاطلاق وعليه يترتب فائدة وصف الايات بنعت ما اضيفت اليه من نعوت الكمال لا على جعله عبارة عن السورة اذ هي في الانتظام بذلك ليست تلك المرتبة من الشهرة حتى يستغني عن التصريح بالوصف على انها عبارة عن جميع اياتها فلا بد من جعل تلك اشارة الى كل واحدة منها وفيه من التكلف ما لا يخفى كما ذكر في سورة الرعد وقران اي قران عظيم الشان مبين مظهر لما في تضاعيفه من الحكم والاحكام او لسبيل الرشد والغي او فارق بين الحق والباطل والحلال والحرام ولقد فخم شانه العظيم مع ما جمع فيه من وصفي الكتابية والقرانية على طريقتين[a] كونه ممتازا عن غيره بنسيج وحده بديعا في بابه خارجا عن دائرة البيان واخرت الطريقة الثانية لما ان الاشارة الى امتيازه عن سائر الكتب بعدما التنبيه على انطوائه على كمالات غيره من الكتب ادخل في المدح كيلا يتوهم من اول الامر ان امتيازه عن غيره لاستقلاله باوصاف خاصة به من غير اشتمال على نعوت كمال سائر الكتب الكريمة وهكذا الكلام في فاتحة سورة النمل خلا انه قدم فيها القران على الكتاب لما سيذكر هناك ولما بين كون السورة الكريمة بعضا من الكتاب والقران لتوجيه المخاطبين الى حسن تلقي ما فيها من الاحكام والقصص والمواعظ شرع في بيان ما تتضمنه فقيل ربما بضم الراء وتخفيف الباء المفتوحة وقرئ بالتشديد وفتح الراء مخففا بزيادة التاء مشددة وفيه ثمانية لغات فتح الراء وضمها مشددا ومخففا وبزيادة التاء ايضا مشددا او مخففا

[a] طريقتين احداهما اشتماله على صفات كمال جنس الكتب الالهية فكانه كلها والثانية على صح

ودب حرف

ودب حرف جر لا تدخل الا على الاسم وما كافة مصححة لدخوله على الفعل وحقه الدخول على الماضي ودخوله على قوله تعالى يود الذين كفروا لما ان المترقب في اخبار الله تعالى كالماضي المقطوع في تحقق الوقوع فكانه قيل ربما ود الذين كفروا والمراد كفرهم بالكتاب والقرآن وبكونه من عند الله تعالى لو كانوا مسلمين منقادين مذعنين لامره وفيه ايذان بان كفرهم انما كان بالجحود بعد ما علموا كونه من عند الله تعالى وتلك الودادة الى يوم القيمة او عند موتهم او عند معاينة حالهم وحال المسلمين او عند رؤيتهم خروج عصاة المسلمين من النار روي ابو موسى الاشعري انه قال صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة واجتمع اهل النار في النار ومعهم من شاء الله تعالى من اهل القبلة قال لهم الكفار الستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما اغنى عنكم اسلامكم وقد صرتم معنا الى النار قالوا كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فغضب الله تعالى علينا وخرجنا بفضل رحمته فيامر كل من كان من اهل القبلة في النار فيخرجون منها فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وروي عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهم قال لا يزال الرب يرحم ويشفع اليه حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فعند ذلك يتمنون الاسلام والحق ان ذلك محمول على شدة ودادتهم واما الودادة فليس بمخصوصة بوقت دون وقت بل هي مقررة مستمرة في كل آن يمر عليهم وان المراد بيان ذلك على ما هو عليه من الكثرة وانما جيء بصيغة القليل جريا على سنن العرب فيما يقصدون به الافراط فيما يعكسون عنه يقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي او لا تعدم عندي فارسا وعنده مقانب جمة من الكتائب وقصده في ذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه يريد اظهار براءته من التزيد وابراز انه ممن يقلل لعلو الهمة لكن ما عنده فضلا عن تكثير القليل وهذه طريقة انما تسلك اذا كان الامر من الوضوح بحيث لا تحوم حوله شائبة ريب فصار اليه هضما للحق فدل النظم الكريم على وداد الكافرين للاسلام في كل آن من آنات اليوم الآخر وان ذلك من الظهور بحيث لا يشتبه على احد ولو جيء بكلام يدل على ضده وعلى ان تلك الودادة مع كثرتها في نفسها مما يستقل بالنسبة الى جناب الكبرياء وهذا هو الموافق لمقام بيان حقارة شان الكفار وعدم الاعتداد بما هم فيه من الكفر والتكذيب كما ينطق به قوله تعالى ذرهم ياكلوا الاية اوذها بالى الاشعار بان من شان العاقل اذا عن له امر يكون مظنون الحمد او قليلا ما يكون كذلك ان لا يفارقه ولا يفارق ضده فكيف اذا كان متيقن الحمد كما في قولهم لعلك ستندم على ما فعلت وربما ندم الانسان على ما فعل فان المقصود ليس بيان كون الندم مرجو الوجود بلا تيقن او قليل الوقوع بل المتنبه العاقل لا يباشر ما يرجى فيه الندم او يقل وقوعه فيه فكيف بقطعي الوجود وانه قليل الندم في كونه حاجزا عن ذلك الفعل فكيف كثيره والمقصود من سلوك هذه الطريقة اظهار الترفع والاستغناء عن التصريح بالغرض بناء على ادعاء ظهوره فالمعنى لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة لوجب عليهم ان لا يفارقوه فكيف وهم يودونه كل آن وهذا اوفق بمقام استنزالهم عما هم عليه من الكفر وهذا طريقان متمايزان ذاتا ومقاما فمن ظنهما واحدا فقد نأى عن توفية المقام حقه ذرهم دعهم عن النهي عما هم عليه بالتذكرة والنصيحة اذ لا سبيل الى ارعوائهم عن ذلك وبالغ في تخليتهم وشانهم بل مرهم بتعاطي ما يتعاطونه ياكلوا ويتمتعوا بدنياهم وفي تقديم الاكل ايذان بان تمتعهم انما هو من قبيل تمتع البهائم بالماكل والمشارب والمراد دوامهم على ذلك لا احداثه فانهم كانوا كذلك او تمتعهم بلا استمتاع ما ينغص عيشهم من القوارع والزواجر فان التمتع على ذلك الوجه امر حادث يصلح ان يكون مترتبا على تخليتهم وشانهم ويلههم ويشغلهم عن اتباعك وعن التفكر فيما هم يصيرون اليه او عن الايمان والطاعة فان الاكل والتمتع يفضيان الى ذلك الامل والتوقع لطول الاعمار وبلوغ الاوطار واستقامة الاحوال وان لا يلقوا والمال الاخير فالافعال الثلاثة مجزومة على الجوابية للامر حسبما عرفت من تضمن الامر بالترك للامر بها على طريقة المجاز او يكون المراد بالافعال المرقومة مباشرتهم لها غافلين عن وخامة عاقبتها غير سامعين لسوء مغبتها اصلا ولا ريب في ترتب ذلك على الامر بالترك فان النهي عما هم عليه من ارتكاب القبائح مما يشوش عليهم تمتعهم وينغص عليهم عيشهم فامر صلى الله عليه وسلم بتركه ليتوغلوا

فيما هم فيه من حظوظهم فيذهم وهم عنه غافلون **فسوف يعلمون** سوء صنيعهم او وخامة عاقبته او حقيقة
الحال التي الجاتهم الى التمني المذكور حيث لم يعلموا ذلك من جهتك وهو مع كونه وعيدا ايما وعيد وتهديد يدعب تهديد
تعليل للامر بالترك فان علمهم ذلك علة لترك النهي والنصيحة لهم وفيه الزام الحجة ومبالغة في الانذار اذ لا يتحقق
الامر بالضد الا بعد تكرر الانذار وتقرر الجحود والانكار وكذلك ما رتب عليه من الاكل والتمتع والالهاء **وما اهلكنا**
شروع في بيان سر تاخير عذابهم الى يوم القيمة وعدم نظمهم في سلك الامم الدارجة في تعجيل العذاب اي ما اهلكنا
من قرية من القرى بالخسف بها وباهلها كما فعل ببعضها وباخلائها من اهلها عند هلاكهم كما فعل بالاخرى
الا ولها في ذلك الشان **كتاب** اي اجل مقدر مكتوب في اللوح واجب المراعاة بحيث لا يمكن تبديله لوقوعه
حسب الحكمة المقتضية له **معلوم** اي لا ينسى ولا يغفل عنه حتى يتصور التخلف عنه بالتقدم والتاخر فكتاب
مبتدا خبره الظرف والجملة حال من قرية فانها لعمومها لا سيما بعد تأكيدها بكلمة من في حكم الموصوفة كما اشير اليه
والمعنى ما اهلكنا قرية من القرى في حال من الاحوال الا حال ان تكون لها كتاب اي اجل موقت لمهلكها قبل بلوغه
معلوم لا يغفل عنه حتى يمكن مخالفته بالتقدم والتاخر او مرتفع بالظرف والجملة كما هي حال اي ما اهلكنا قرية
من القرى في حال من الاحوال الا وقد كان لها في حق هلاكها كتاب اي اجل مقدر مكتوب في اللوح معلوم لا يغفل عنه
او صفة لكن لا للقرية المذكورة بل للمقدرة التي هي بدل من المذكورة على المجاز فيكون بمنزلة كونه صفة للمذكورة اي ما
اهلكنا قرية من القرى الا قرية لها كتاب معلوم كما في قوله تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع
فان قوله تعالى لا يسمن صفة لكن لا للطعام المذكور لانه انما يدل على انحصار طعامهم الذي لا يسمن في الضريع وليس
المراد ذلك بل للطعام المقدر بعد الا اي ليس لهم طعام من شيء من الاشياء الا طعام لا يسمن فليس فيه فصل بين
الموصوف والصفة بكلمة الا كما توهم واما توسط الواو بينهما وان كان القياس عدمه فللايذان بكمال الالتصاق
بينهما من حيث ان الواو شانها الجمع والربط فان ما نحن فيه من الصفة اقوى لصوقا بالموصوف بينها في قوله تعالى
وما اهلكنا من قرية الا ولها منذرون فان امتناع انفكاك الاهلاك من الاجل المقدر عقلي وعلى الانذار عادي جرى
عليه السنة الالهية ولما بين ان الامم المهلكة كان لكل منهم وقت معين لهلاكهم لم يكن الا حسبما كان مكتوبا في
اللوح بين ان كل امة من الامم منهم ومن غيرهم لها كتاب لا يمكن التقدم عليه ولا التاخر عنه فقيل **ما تسبق من امة**
من الامم المهلكة وغيرهم **اجلها** المكتوب في كتابها اي لا يجيء هلاكها قبل مجيء كتاب هلاكها اي اولا تمضي
امة قبل مضي اجلها فاما السبق اذا كان واقعا على زمان فمعناه المجاوزة والتخلف فاذا سبق زيد عمرا فمعناه انه
جاوزه وخلفه وراءه واذا كان واقعا على زمان كان الامر بالعكس والسر في ذلك ان الزمان يعتبر فيه الحركة
والتوجه الى المتكلم فما سبقه يتحقق قبل تحققه فاما الزماني فانما يعتبر فيه الحركة والتوجه الى ما سياتي
من الزمان فالسابق ما تقدم الى المقصد وايراده بعنوان الاجل باعتبار ما يعترضه من السبق كما ان ايراده الكتاب
المعلوم باعتبار ما يوجبه من الاهلاك **وما يستاخرون** اي وما يتاخرون وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم
عن ذلك مع طلبهم له وايثار صيغة المضارع في الفعلين بعد ما ذكر نفي الاهلاك بصيغة الماضي لان المقصود
بيان دوامهما واستمرارهما فيما بين الامم الماضية واسنادهما الى الامة بعد اسناد الاهلاك الى القرية
لما ان السبق والاستئخار حال الامة دون القرية مع ما في الامة من العموم لاهل تلك القرى وغيرهم ممن اخرت
عقوبتهم الى الآخرة وتاخير ذكر عدم تاخرهم عن ذكر عدم سبقهم مع كون المقام مقام المبالغة في بيان تحقق عذابهم
اما باعتبار تقدم السبق في الوجود واما باعتبار ان المراد بيان سر تاخير عذابهم مع استحقاقهم لذلك وايراد
الفعل على صيغة جمع المذكر للحمل على المعنى مع التغليب ولرعاية الفواصل ولذلك حذف الجار والمجرور
والجملة مبنية لما سبق والمعنى ان تاخير عذابهم الى يوم القيمة حسبما اشير اليه ببيان ودادتهم للاسلام
اذ ذاك وبالامر بتركهم وتهديدهم الى ان يعلموا حقيقة الحال انما هو لتاخر اجلهم المقدر لما يقتضيه من

الحكم البالغة ومن جملتها ما علم الله تعالى من ايمان بعض من يخرج منهم الى يوم القيمة **وقالوا** شروع في بيان كفرهم
بمن انزل عليه الكتاب بعد بيان كفرهم بالكتاب وما يؤول اليه حالهم والقائلون مشركوا مكة لغاية تماديهم في العتو
والغي **يا ايها الذي نزل عليه الذكر** خاطبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسليما لذلك واعتقادا له بل استهزاء
به صلى الله عليه وسلم واشعارا بعلة حكمهم الباطل في قولهم **انك لمجنون** كما قال فرعون اذ قال ان رسولكم الذي
ارسل اليكم لمجنون يعنون يا من يدعي مثل هذا الامر البديع الخارق للعادات انك بسبب تلك الدعوى والشهادة
ما يعتريك عند ما تدعي له انه ينزل عليك لمجنون وتقديم الجار والمجرور على القائم مقام الفاعل لان انكارهم متوجه
الى كون النازل ذكرا من الله لا الى كون المنزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد تسليم كون النازل منه
تعالى كما في قوله تعالى لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فان الانكار هناك متوجه الى كون المنزل
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وايراد الفعل على صيغة المجهول لايهام ان ذلك ليس بفعل له فاعل او لتوجيه
الانكار الى كون المنزل عليه لا الى اسناده الى الفاعل **لوما تاتينا** كلمة لو عند تركبها مع ما تفيد ما تفيده عند
تركبها مع لا من معنى امتناع الشيء لوجود غيره ومعنى التحضيض خلا انه عند ارادة الثاني لا يليها الا فعل ظاهرا او مقدر عند
البصريين **والمراد** ههنا هو الثاني اي هلا تاتينا **بالملئكة** يشهدوا بصحة نبوتك ويعضدوك في الانذار
كقوله تعالى لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا **ان كنت من الصادقين** او يعاقبونا على التكذيب كما تأتي الامم
المكذبة لرسلهم **ما ننزل الملئكة** بالنون على بناء الفعل لضمير الجلالة من التنزيل **وقرئ** من الانزال **وقرئ** تنزل من التنزيل على صيغة البناء للمفعول ومن التنزل بحذف احدى التائين وماضيا منه ومن التنزيل
ومن الثلاثي وهو كلام مسوق الى النبي صلى الله عليه وسلم جوابا لهم عن مقالاتهم المحكية ورد الاقتراحهم
الباطل ولشدة استدعاء ذلك للجواب قدم رده على ما هو جواب عن اولها اعني قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر
الاية كما فعل في قوله تعالى انما ياتيكم به الله فانه مع كونه جوابا عن قولهم فاتنا بما تعدنا قدم على قوله ولا ينفعكم
نصحي الاية مع كونه جوابا عن اول كلامهم الذي هو قولهم يا نوح قد جادلتنا لما ذكر من شدة اقتضائه للجواب
وليكون احد الجوابين متصلا بالسؤال وفي العكس يلزم انفصال كل من الجوابين عن سؤاله والعدول عن تطبيقه
لظاهر كلامهم بصدد الاقتراح وهو ان يقال ما ياتيهم به للايذان بانهم قد اخطأوا في التعبير حسبما اخطاوا في
الاقتراح وان الملئكة لعلو رتبتهم اعلى من ان ينسب اليهم مطلق الاتيان الشامل للانتقال من احد الامكنة
المتساوية الى الآخر منها بل من الاسفل الى الاعلى وان يكون مقصد حركاتهم اولئك الكفرة وان يدخلوا تحت ملكوت
احد من البشر وانما الذي يليق بشانهم النزول من مقامهم العالي وكون ذلك بطريق التنزيل من الرب الجليل
الا بالحق اي ملتبسا بالوجه الذي يحق ملابسة التنزيل به مما تقتضيه الحكمة اصلا فان ذلك من باب التنزيل
بالوحي الذي لا يكاد يفتح لغير الانبياء الكرام من افراد كمل المومنين فكيف على امثال اولئك الكفرة اللئام واما الذي
يدخل في حقهم تحت الحكمة هو التنزيل للتعذيب لشرط مقدر به والاستئصال كما فعل باضرابهم من الامم السالفة
ولو فعلوا ذلك لاستوصلوا بالمرة **وما كانوا اذا منظرين** جزاء لشرط مقدر وفيه ايذان بانتاج مقدماتهم لنقيض
مطلوبهم كما في قوله تعالى واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا **قال** صاحب النظم لفظة اذا مركبة من اذ وهو اسم
بمعنى الحين تقول اتيتك اذ جئتني اي حين جئتني ثم ضم اليه ان فصار اذا ان ثم استثقلوا الهمزة فحذفوها فمجي لفظة
ان دليل على اضمار فعل بعدها والتقدير وما كانوا اذا كان ما طلبوا منظرين والمعنى لو نزلناهم ما كانوا متأخرين كدأب
سائر الامم المكذبة المستهزئة ومع استحقاقهم لذلك قد جرى قلم القضاء بتاخير عذابهم الى يوم القيمة حسبما
اجمل في قوله تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل وحال حائل الحكمة بينهم وبين استئصالهم لتعلق العلم والارادة
بازديادهم عذابا وبايمان بعض ذراريهم واما نظم ايمان بعضهم في سمط الحكمة فيأباه مقام بيان تماديهم في الكفر
والفساد ولجاجهم في المكابرة والعناد هذا هو الذي يستدعيه اعجاز التنزيل الجليل واما ما قيل في تعليل

ويجري به السنة الالهية كقوله سبحانه وما
خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق
والذي اقترحوا من التبديل لاجل الشهادة
لديهم وهم ومنزلتهم في الحقارة و
الهوان منزلتهم مما لا يكاد يدخل
تحت الصحة والحكمة
اصلا صح
صح
م

عدم موافقة التنزيل للحكمة منانهم جينئذ يكونوا مصدقين عن اضطرار وانه لاحكمة في اتيانهم بصود
تشاهدونها فانه لايزيدكم الا لبسا اوان انزال الملئكة لايكون الا بالحق وحصول الفائدة بانزالهم وقد
علم الله تعالى من حال هولاء الكفار انه لو انزل اليهم الملئكة لبقوا على كفرهم مصرين فيكون انزالهم عبثا
باطلا ولا يكون حقا فمع اخلال كل من ذلك بقطيعة الثاني لايلزم من فرض وقوع شئ من ذلك تعجيل العذاب
الذي يفيده قوله تعالى وما كانوا اذا منظرين هذا على تقدير كون اقتراحهم لاتيان الملئكة لاجل الشهادة اما
على تقدير كون ذلك لتعذيبهم فالمعنى انا ما ننزل الملئكة للتعذيب لا تنزيلا ملتبسا بالحق الذي يقتضيه الحكمة
وتستدعيه المصلحة حتما لا محيد عنه ولو نزلناهم حسبما اقترحوا ما كان ذلك التنزيل ملتبسا بالحق بمقتضى
الحكمة الموجبة لتاخير عذابهم الى يوم القيمة لا دفعا بهم بل تشديدا عليهم كما مر من قبل وحيث كان في تسبيبه تنزيلهم
للتعذيب الى عدم موافقتهم الحكمة نوع ابهام لعدم استحقاقهم التعذيب صدم ما يقتضيه الظاهر الى ما
عليه فكانه قيل لو نزلناهم ما كانوا منظرين وذلك غير موافق للحكمة الموجبة لتاخير عذابهم لتشديد عقابهم
وقيل المراد بالحق الوحي وقيل العذاب انا نحن نزلنا الذكر ردا لانكارهم التنزيل واستهزائهم برسول
الله صلى الله عليه وسلم بذلك وتسلية له اي نحن بعظيم شاننا وعلو جنابنا نزلنا ذلك الذكر الذي انكروه
وانكروا انزاله عليك ونسبوك بذلك الى الجنون وعموا منزله حيث بنوا الفعل للمفعول ايماء الى انه لا
مصدر له وفعل لا فاعل له وانا له لحافظون من كل ما لا يليق به فيدخل فيه تكذيبهم له واستهزاؤهم به دخولا اوليا
فيكون وعيدا للمشركين المستهزئين به واما الحفظ عن مجرد التحريف والزيادة والنقص وامثالها فليس بمقتضى
المقام فالوجه الحمل على الحفظ من جميع ما يقدح فيه من الطعن فيه والمجادلة في حقيقته ويجوز ان يراد
حفظه بالاعجاز دليلا على التنزيل من عنده تعالى اذ لو كان من عند غير الله تعالى لتطرق اليه الزيادة والنقص
والاختلاف وفي سبك الجملتين دلالة على كمال الكبرياء والجلال وعلى فخامة شان التنزيل ما لا يخفى
وفي ايراد الثانية بالجملة الاسمية دلالة على دوام الحفظ والله سبحانه اعلم وقيل الضمير المجرور
للرسول صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى والله يعصمك من الناس وتاخير هذا الكلام وان كان جوابا عن اول
كلامهم الباطل ردا له لما ذكر آنفا ولارتباطه بما يعقبه من قوله تعالى ولقد ارسلنا اي رسلا وانما لم يذكر
لدلالة ما بعده عليه من قبلك متعلق بارسلنا او بمحذوف اي رسلا كائنة من قبلك في شيع الاولين
اي في فرقهم واحزابهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه واضافته
الى الاولين من اضافة الموصوف الى صفته عند الفراء ومن حذف الموصوف عند البصريين اي شيع
الامم الاولين ومعنى ارسالهم فيهم جعل كل منهم رسولا فيما بين طائفة ليتبعوه في كل ما ياتي ويذر
من امور الدين وما ياتيهم من رسول المراد نفي اتيان كل رسول لشيعته الخاصة به لا نفي اتيان كل رسول
لكل واحد من تلك الشيع جميعا او على سبيل البدل وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة على طريقة
حكاية الحال الماضية فان ما لا يدخل في الاغلب على المضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض
الا وهو قريب من الحال اي وما اتى شيعة من تلك الشيع رسول خاص بها الا كانوا به يستهزئون
كما يفعل هولاء الكفرة والجملة في محل النصب على انها حال مقدرة من ضمير المفعول في ياتيهم اذا كان
المراد بالاتيان حدوثه او في محل الرفع على الفاعلية اي الا كانوا به يستهزئون واما الجر على انها صفة
باعتبار لفظه فيفضي الى زيادة من الاستغراقية في الباب ويجوز ان يكون منصوبا على الوصفية
بان يقدر الموصوف منصوبا على الاستثناء وان كان المختار الرفع على البدلية وهذا كما ترى تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان هذه عادة الجهال مع الانبياء عليهم السلام وحيث كان الرسول
مصحوبا بكتاب من عند الله تعالى تضمن ذكر استهزائهم بالرسول استهزاءهم بالكتاب ولذلك قيل كذلك

اشارة الى ما دل عليه الكلام السابق من القاء الوحي مقرونا بالاستهزاء اي مثل ذلك المسلك الذي سلكناه
في قلوب اوليك المستهزئين برسلهم وبما جاوا به من الكتب نسلكه اي الذكر في قلوب المجرمين اي اهل مكة اي
جنس المشركين فيدخلون فيه دخولا اوليا ومحله النصب على انه نعت لمصدر محذوف او حال منه اي نسلكه سلكا
مثل ذلك السلك او نسلك السلك حال كونه مثله اي مقرونا بالاستهزاء من يعنون لما تقتضيه الحكمة فانهم
من اهل الخذلان ليس لهم قبول وصيغة المضارع لكون المشبه به مقدما في الوجود وهذا السلك الواقع في
الامم السالفة او للدلالة على استحضار الصورة والسلك ادخال الشي في آخر يقال سلكت الخيط في الابرة
والرمح في المطعون لا يؤمنون به اي بالذكر حال من ضمير نسلكه اي غير مؤمن به او بيان للجملة السابقة فلا
محل لها وقد جعل الضمير للاستهزاء فيتعين البيانية الا ان يجعل الضمير المجرور ايضا له على ان الباء للملابسة
اي يسلك الاستهزاء في قلوبهم حال كونهم غير مؤمنين بملابسته والحال اما مقدرة او مقارنة للايذان بان
كفرهم مقارن للالقاء كما في قوله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقد خلت سنة الاولين اي قد مضت طريقتهم
التي سنها الله تعالى في اهلاكهم حين فعلوا ما فعلوا من التكذيب والاستهزاء وهو استيناف جيء به تكملة للتسلية
وتصريحا للوعيد والتهديد ولو فتحنا عليهم اي على هولاء المقترحين المعاندين بابا من السماء اي بابا ما لا بابا من
ابوابها المعهودة كما قيل ويسرنا لهم الرقي والصعود فيه فظلوا فيه اي في ذلك الباب يعرجون بآلة او بغيرها ويرون
ما فيها من العجائب عيانا كما يفيده الظلول او يصل الملائكة الذين اقترحوا اتيانهم يعرجون في ذلك الباب وهم
يرونهم عيانا مستوضحين طول نهارهم لقالوا لفرط عنادهم وغلوهم في المكابرة وتفاديهم عن قبول الحق انما
سكرت ابصارنا اي سدت من الاحساس من السكر كما يدل عليه القراءة بالتخفيف اي حيرت كما يعضده قراءة من
قرا سكرت اي حارت بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد كما قالوا عند ظهور ساير الآيات الباهرة وفي كلمتي
الحصر والاضراب دلالة على انهم يبتون القول بذلك وانما يرونه لا حقيقة له وانما هو امر خيل اليهم بالسحر
وفي اسمية الجملة الثانية دلالة على دوام مضمونها وايرادها بعد تسكير الابصار لبيان انكارهم لغير ما يرون
فان عروج كل منهم السماء وان كان مرئيا لغيره فهو معلوم له بطريق الوجدان مع قطع النظر عن الابصار فهم يدعون
ان ذلك نوع آخر من السحر غير تسكير الابصار ولقد جعلنا في السماء بروجا قصورا ينزلها السيارات وهي البروج الاثني
عشر المشهورة المختلفة الهيئات والخواص حسبما يدل عليه الرصد والتجربة مع ما اتفق عليه الجمهور من بساطة
السماء والجعل ان جعل بمعنى الخلق والابداع وهو الظاهر فالجار متعلق به وان جعل بمعنى التصيير فهو مفعول
ثان له متعلق بمحذوف اي بروجا كائنة في السماء وزيناها اي السماء بتلك البروج المختلفة الاشكال و
الكواكب سيارات كانت وثوابت للناظرين اليها فمعنى التزيين ظاهر او للمتفكرين المعتبرين المستدلين
بذلك على قدرة مقدرها وحكمة مدبرها فتزيينها على نظام بديع مستتبع للآثار الحسنة وحفظناها
من كل شيطان رجيم مرمي بالنجوم فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس في اهلها ويتصرف فيها ويقف على احوالها
الا من استرق السمع محله النصب على الاستثناء المتصل ان فسر الحفظ بمنع الشياطين عن التعرض لها على الاطلاق
والوقوف على ما فيها عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه السلام
منعوا من ثلاث سموات ولما ولد النبي صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها واستراق السمع اختلاسه
سرا شبه به خطفتهم اليسير من قطان السموات بما بينهم من المناسبة في الجوهر او بالاستدلال من الاوضاع
فاتبعه اي تبعه ولحقه شهاب لهب محرق وهي شعلة نار ساطعة وقد تطلق على الكوكب والسنان لما فيهما
من البريق مبين ظاهر امره للمبصرين قال معمر قلت لابن شهاب الزهري اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية
قال نعم وان النجم ينقض ويرمي الشيطان فيقتله او يخبله لئلا يعود الى استراق السمع ثم يعود الى مكانه
قال افرايت قوله وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن الاية قال شدد امرها حين بعث رسول الله

استحقاق

هلية

صلى الله عليه وسلم قال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ولكن لم يكن في شدة الحراسة
كما بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضي الله عنهما ان الشياطين يركب بعضهم بعضا الى السماء الدنيا
يسترقون السمع من الملائكة فيرمون بالكواكب فلا يخطي ابدا فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه وجنبه ويده حيث
يشاء ومنهم من يخبله فيصير غولا فيضل الناس في البوادي قال القرطبي اختلفوا في ان الشهاب يقتل
ام لا قال ابن عباس يخرج فيحرق فيخبل ولا يقتل وقال الحسن وطايفة يقتل والاول اصح والارض مددناها
بسطناها وهو بالنصب على الحذف على طريقة التفسير ولم يقرا بالرفع لرجحان النصب للعطف على الجملة الفعلية
اعني قوله تعالى ولقد جعلنا الى آخره وليوافق ما بعده اعني قوله تعالى والقينا فيها اي في الارض وفي رواسيها من
كل شيء موزون بميزان الحكمة ذاتا وصفة ومقدارا وقيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة وغيرهما او من كل
شيء مستحسن مناسب او ما يوزن ويقدر من ابواب النعمة وجعلنا لكم فيها معايش ما يعيشون فيه من المطاعم
والملابس وغيرهما مما يتعلق به البقاء وهي بياء صريحة وقري بالهمزة تشبيها له بالشمايل ومن لستم له برازقين
عطف على معايش او على محل لكم كانه قيل جعلنا لكم معايش وجعلنا لكم من لستم برازقيه من العيال والمماليك والخدم
والدواب وما اشبهها على طريقة التغليب وذكرهم بهذا العنوان لرد حسبانهم انهم يكفون مؤناتهم ولتحقيق ان
الله تعالى هو الذي يرزقكم واياهم او وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين وان من شيء ان للنفي ومن
مزيدة للتاكيد وشيء في محل الرفع على الابتداء اي ما من شيء من الاشياء الممكنة فيدخل فيها ما ذكر دخولا اوليا الا عندنا
خزاينه الظرف خبر للمبتداء وخزاينه مرتفع به على انه فاعله لاعتماده او خبر له والجملة خبر للمبتداء الاول والخزاين
جمع خزانة وهي ما يحفظ فيه نفايس الاموال لا غير انه غلب في العرف على ما للملوك والسلاطين من خزاين ارزاق الناس
شبهت مقدوراته تعالى الفايتة للحصر المندرجة تحت قدرته الشاملة في كونها مستورة عن علوم العالمين
ومصونة عن وصول ايديهم مع كمال افتقارهم اليها ورغبتهم فيها وكونها مهياة متاتية لايجاده وتكوينه بحيث
متى تعلقت الارادة بوجودها وجدت بلا تاخر بنفايس الاموال المخزونة في الخزاين السلطانية فذكر الخزاين على طريقة
الاستعارة التخييلية وما ننزله اي ما نوجد وما نكون شيئا من تلك الاشياء ملتبسا بشيء من الاشيا الا
بقدر معلوم اي الا ملتبسا بمقدار معين تقتضيه الحكمة وتستدعيه المشية التابعة لها لا بما يقتضيه
الحكمة فان ذلك غير متناه فان تخصيص كل شيء بصفة معينة وقدر معين ووقت محدود دون ما عدا ذلك مع
استواء الكل في الامكان واستحقاق تعلق القدرة به لا بد له من حكمة تقتضي اختصاص كل ذلك بما اختص به وهذا بيان
سر عدم تكوين الاشياء على وجه وهو اما عطف على مقدر اي ننزله وما ننزله او حال مما سبق اي عندنا خزاين كل
شيء والحال انا ما ننزله الا بقدر معلوم فالاول لبيان سعة القدرة والثاني لبيان بالغ الحكمة وحيث كان
انشاء ذلك بطريق التفضل من العالم العلوي الى السفلي كما في قوله تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وكان ذلك
بطريق التدريج عبر عنه بالتنزيل وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار وارسلنا الرياح عطف على جعلنا لكم
فيها معايش وما بينهما اعتراض لتحقيق ما سبق وترشيح ما لحق وارسلنا الرياح لواقح اي حوامل شبهت
الريح التي تجيء بالخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبهت بالعقيم ما لا يكون كذلك او ملقحات بالسحب والسحاب
ونظيره الطوايح بمعنى المطيحات في قوله ومختبط مما تطيح الطوايح والمهلكات وقري وارسلنا الريح على
ارادة الجنس فانزلنا من السماء بعد ما انشانا بتلك الرياح سحابا ماطرا ماء فاسقيناكموه اي جعلناه لكم سقيا
وهو ابلغ من سقيناكموه لما فيه من الدلالة على جعل الماء معدا لهم ومنتفعون به متى شاؤا وما انتم له بخازنين
نفي عنهم ما اثبته لجنابه بقوله وان من شيء الا عندنا خزاينه كانه قيل نحن القادرون على ايجاده وخزنه في
السحاب وانزاله وما انتم على ذلك بقادرين وقيل ما انتم على ذلك بقادرين وقيل ما انتم بخازنين
له بعد ما انزلناه في الغدران والابار والعيون بل نحن نخزنه فيها لنجعلها سقيا لكم مع ان طبيعة الماء

تقتضي الغور وانا لنحن نحيي بايجاد الحيوة في بعض الاجسام القابلة لها ونميت بازالتها عنها وقد يعم الاحياء
والاماتة لما يشمل الحيوان والنبات وتقديم الضمير للحصر وهو اما تاكيد للاول ومبتدا خبره الفعل والجملة خبر لان ولا يجوز
كونه ضمير الفصل لا لان اللام مانعة عن ذلك كما قيل فان النحاة جوزوا دخول اللام للتاكيد على ضمير الفصل كما في قوله
تعالى ان هذا لهو القصص بل لانه لا يقع بين اسمين ونحن الوارثون اي الباقون بعد فناء الخلق قاطبة المالكون
للملك عند انقضاء الملك المجازي وفيه تنبيه على ان المتاخر ليس بوارث للمتقدم كما يري من ظاهر الحال ولقد علمنا
المستقدمين منكم من تقدم منكم ولادة وموتا ولقد علمنا المستاخرين من تاخر ولادة وموتا او من خرج من اصلاب الاباء
ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة ومن تاخر في ذلك لا يخفى علينا شيء من احوالكم
وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فانها تدل عليها دليل عليه وفي تكرير قوله تعالى ولقد علمنا ما لا يخفى
من الدلالة على كمال التاكيد وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم فازدحموا عليه فنزلت وقيل ان امراة
حسناء كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم بعض الناس لئلا يراها وتاخر اخرون ليروها فنزلت
والاول هو المناسب لما سبق ولما لحق لقوله تعالى وان ربك هو يحشرهم للجزاء وتوسيط ضمير العظمة للدلالة على انه
هو القادر على حشرهم والمتولي له لا غير لانهم كانوا يستبعدون ذلك ويستنكرونه ويقولون من يحيي العظام وهي رميم
اي هو يحشرهم لا غير وفي الالتفات والتعرض لعنوان الربوبية اشعار بعلة الحكم وفي الاضافة الى ضميره صلى الله عليه
عليه وسلم دلالة على اللطف به صلى الله عليه وسلم انه حكيم بالغ الحكمة متقن في افعاله فانها عبارة عن العلم بحقايق
الاشياء على ما هي عليه والاتيان بالافعال على ما ينبغي عليم وسع علمه كل شيء ولعل تقديم صفة الحكمة للايذان باقتضايها
للحشر والجزاء ولقد خلقنا الانسان اي هذا النوع بان خلقنا اصله واول فرد من افراده خلقا بديعا منطويا على
خلق ساير افراده انطواء اجماليا كما مر تحقيقه في سورة الانعام من صلصال اي طين يابس غير مطبوخ يصلصل
اي يصوت عند نقره قيل اذا توهمت في صوته مدا فهو صليل وقيل هو تضعيف صل اذا انتن من حماء
من طين تغير واسود بطول مجاورة الماء وهو صفة لصلصال اي من صلصال كاين من حماء مسنون اي مصور
من سنة الوجه وهي صورته اي مصبوب من سن الماء لصبه او مفروغ على هيئة الانسان كما يفرغ الصور من الجواهر
المذابة في القوالب وقيل منتن فهو صفة لحماء وعلى الاولين فحقه ان يكون صفة لصلصال وانما اخر عن حماء
تنبيها على ان ابتداء مسنونيته ليس في حال كونه حماء كانه سبحانه افرغ الحماء فصور من ذلك تمثال انسان اجوف
فيبس حتى اذا نقر صوت ثم غيره الى جوهر فتبارك الله احسن الخالقين والجان ابا الجن وقيل ابليس ويجوز
ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من فرد واحد مخلوق من مادة واحدة كان
الجنس باسره مخلوقا منها وقري بالهمزة وانتصابه بفعل يفسره خلقناه وهو اقوى من الرفع للعطف
على الجملة الفعلية من قبل من قبل خلق الانسان ومن هذا يظهر جواز كون المراد بالمستقدمين احد الثقلين
وبالمستاخرين الاخر والخطاب بقوله منكم للكل من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا امتناع
في خلق الحيوة في الاجرام البسيطة كما لا امتناع في خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المولفة غالب
اجزايها الجزء الناري فانها اقبل لها من التي غالب اجزايها الجزء الارضي لقوله تعالى من نار باعتبار الغالب
كقوله تعالى خلقكم من تراب ومساق الاية الكريمة كما هو للدلالة على كمال قدرته تعالى وبيان بدء خلق الثقلين
فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء واذ قال ربك
نصب باضمار اذكر وتذكير الوقت لما مر مرارا من انه تعالى ادخل في تذكير ما وقع فيه من الحوادث وفي التعرض
لوصف الربوبية المنبية عن تبليغ الشيء الى كماله اللايق به شيا فشيا مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم
اشعار بعلة الحكم وتشريف له صلى الله عليه وسلم اي اذكر وقت قوله تعالى للملايكة اني خالق فيما سياتي
وفيه ما ليس في صيغة المضارع مع الدلالة على انه تعالى فاعل له البتة من غير صارف يثنيه ولا عاطف يلويه

بشرا اي انسانا قيل ليس هذا عين العبارة الجارية وقت الخطاب بل الظاهر ان يكون قد قيل لهم ابي الخلق
خلقا من صفته كيت وكيت ولكن اقتصر عند الحكاية وقيل جسما كثيفا يلاقي ويباشر وقيل خلقا بادي
البشرة بلا صوف ولا شعر من صلصال متعلق بخالق او بمحذوف وقع صفة لمفعوله او بشرا كاينا من صلصال
كاين من حماء مسنون تقدم تفسيره ولا ينافي هذا ما في قوله تعالى في سورة ص من قوله تعالى بشرا من طين
فان عدم التعرض عند الحكاية لوصف الطين من التغير والاسوداد ولما ورد عليه من اثار التكوين لا يستلزم
عدم التعرض لذلك عند وقوع المحكي غايته ان لم يتعرض له هناك اكتفاء بما شرح هاهنا فاذا سويته اي
صورته بالصورة الانسانية والخلقة البشرية اي سويت اجزاء بدنه بتعديل طبايعه ونفخت فيه من روحي
النفخ اجراء الريح الي تجويف جسم صالح لامساكها والامتلاء بها وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل
لافاضة ما به الحيوة بالفعل علي المادة القابلة لها اي فاذا كملت استعداده وانصبت ما يحيي به الروح التي
هي من امري فقعوا له امر من وقع يقع وفيه دليل علي ان المامور به ليس مجرد الانحناء كما قيل اي اسقطوا له
ساجدين تحية له وتعظيما او اسجدوا لله تعالي علي انه صلي الله عليه وسلم بمنزلة القبلة حيث ظهر فيه
تعاجيب اثار قدرته تعالي وحكمته كقول حسان رضي الله عنه ٭ اليس اول من صلي لقبلتكم ٭ واعلم الناس بالقران
والسنن فسجد الملٰيكة اي فخلقه فسواه فنفخ فيه الروح فسجد له الملٰيكة كلهم بحيث لم يشذ منهم
احد اجمعون بحيث لم يتاخر في ذلك احد منهم ولا اختصاص لافادة هذا المعني بالحالية بل يفيده التاكيد
ايضا فان الاشتقاق الواضح يرشد الي ان فيه معني الجمع والمعية بحسب الوضع والاصل في الخطابي والتنزيل
علي اكمل احوال الشيء ولا ريب في ان السجود معا اكمل اصناف السجود لكن شاع استعماله تاكيدا واقيم مقام
كل في معني افادة الاحاطة من غير نظر الي الكمال فاذا فهمت الاحاطة من لفظ اخر لم يكن بد من مراعاة
الاصل صونا للكلام عن الالغاء وقيل اكد بتاكيدين مبالغة في التعميم هذا واما ان سجودهم هذا هل ترتب علي
ما حكي من الامر التعليقي كما تقتضيه هذه الاية الكريمة والذي في سورة ص او علي الامر التنجيزي كما يقتضيه
ما في غيرهما فقد خرجنا بفضل الله عز وجل عن عهدة تحقيقه في تفسير سورة البقرة الا ابليس استثناء
متصل اما لانه كان جنيا مفردا مغمورا بالوف من الملائكة فعد منهم تغليبا واما لان من الملٰيكة جنسا
يتوالدون وهو منهم وقوله تعالي ابي ان يكون مع الساجدين استيناف مبين لكيفية عدم السجود
المفهوم من الاستثناء فان مطلق عدم السجود قد يكون مع التردد وبه علم انه مع الاباء والاستكبار او
منقطع فيتصل به ما بعده اي لكن ابليس ابي ان يكون معهم وفيه دلالة علي كمال ركاكة رايه حيث
ادمج في معصية واحدة ثلاث معاصي مخالفة الامر والاستكبار مع تحقير ادم عليه الصلوة والسلام ومفارقة
الجماعة والاباء عن الانتظام في سلك اولٰيك المقربين الكرام قال استينافا مبني علي سوال من قال
فماذا قال تعالي عند ذلك فقيل قال يا ابليس ما لك اي اي سبب لك لا اي غرض لك كما قيل كقوله
ما منعك الا تكون في ان لا تكون مع الساجدين لادم مع انهم هم ومنزلتهم في الشرف منزلتهم وما كان التوبيخ
عند وقوعه لمجرد تخلفه عنهم بل لكل من المعاصي الثلاث المذكورة قال الله تعالي في سورة الاعراف قال ما منعك
الا تسجد اذ امرتك وفي سورة ص قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي لكن اقتصر عند الحكاية
في كل موطن علي ما ذكر في موطن اخر واشعار بان كل واحدة من تلك المعاصي الثلاث كافية في التوبيخ واظهار
بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ راسا في سورة البقرة وسورة بني اسرايل وسورة الكهف
وسورة طه قال اي ابليس وهو استيناف مبني علي السوال الذي ينساق اليه الكلام لم اكن لاسجد اللام
لتاكيد النفي اي ينافي حالي ولا يستقيم مني لاني مخلوق من اشرف العناصر واعلاها ان اسجد لبشر اي
جسم كثيف خلقته من صلصال من حماء مسنون اقتصر هنا علي الاشارة الاجمالية الي ادعاء الخيرية وشرف

المادة اكتفاء بما صرح به حين قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ولم يكتف اللعين بمجرد كونه عليه السلام
من التراب الذي هو اخس العناصر واسفلها بل تعرض لكونه مخلوقا منه في اخس احواله من كونه طينا متغيرا وقد
اكتفي في سورة الاعراف وسورة ص بما حكي عنه هاهنا فاقتصر علي حكاية تعرضه بخلقه عليه الصلوة والسلام
من طين وكذا في سورة بني اسرايل حيث قال ءاسجد لمن خلقت طينا وفي جوابه دليل علي ان قوله تعالي ما لك
ليس استفسارا عن الغرض بل هو استفسار عن السبب وفي عدوله عن تطبيق جوابه علي السوال روم للتفصي عن المناقضة
واني له ذلك كانه قال لم امتنع عن امتثال الامر ولا عن الانتظام في سلك الملٰيكة عما لا يليق بشاني من الخضوع للمفضول
ولقد جري خذله الله تعالي علي سنن قياس عقيم وزل عنه ان ما يدور عليه فلك الفضل والكمال هو التحلي بالمعارف
الربانية ٭ والتخلي عن الملكات الردية ٭ التي اقبحها التكبر والاستعصاء علي رب العالمين جل جلاله قال اخرج منها اي
من زمرة الملٰيكة المقربين لا من السماء فان وسوسته لادم عليه السلام في الجنة انما كانت بعد هذا الطرد وقوله
تعالي فاهبط منها ليس نصا في ذلك فان الخروج من بين الملاء الاعلي هبوط واي هبوط او من الجنة علي ان وسوسته
كانت بطريق النداء من بابها كما روي عن الحسن البصري او بطريق المشافهة بعد ان احتال في دخولها وتوسل
اليه بالحية كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ولا ينافي هذا طرده علي رؤس الاشهاد لما يقتضيه من الحكم
البالغة فانك رجيم مطرود من كل خير وكرامة فان من يطرد يرجم بالحجارة او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد
يتضمن الجواب عن شبهته فان من عارض النص بالقياس فهو رجيم ملعون وان عليك اللعنة الابعاد عن الرحمة
وحيث كان ذلك من جهة الله سبحانه وان كان جاريا علي السنة العباد قيل في سورة ص وان عليك لعنتي
الي يوم الدين الي يوم الجزاء والعقوبة وفيه اشعار بتاخير عقابه وجزائه اليه وان اللعنة مع كمال فظاعتها
ليست جزاء الفعلة وانما يتحقق ذلك يومئذ وفيه من التهويل ما لا يوصف وجعل ذلك اقصي امد اللعنة
ليس لانها تنقطع هنالك لانه عند ذلك يعذب بما ينسي به اللعنة من افانين العذاب فتصير هي كالزايد وقيل
انما حد به لانه ابعد غاية يضربها الناس كقوله تعالي خالدين فيها ما دامت السموات والارض وحيث امكن
كون تاخير العقوبة مع الموت كساير من اخرت عقوباتهم الي الاخرة من الكفرة طلب اللعين تاخير موته كما حكي عنه بقوله
تعالي قال رب فانظرني اي امهلني واخرني ولا تمتني والفاء متعلق بمحذوف ينسحب اليه الكلام اي اذا جعلتني
رجيما فامهلني الي يوم يبعثون اي ادم وذريته للجزاء بعد فنائهم واراد بذلك ان يجد فسحة لاغوائهم
وياخذ منهم ثاره وينجو من الموت لاستحالته بعد يوم البعث قال فانك من المنظرين ورود الجواب بالجملة الاسمية
مع التعرض لشمول ما ساله الاخرين علي وجه يوذن بكون السائل تبعا لهم في ذلك دليل علي انه اخبار بالانظار
المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص به وقع اجابة لدعائه اي انك من جملة الذين اخرت اجالهم ازلا حسبما
يقتضيه حكمة التكوين فالفاء ليست لربط نفس الانظار بالاستنظار بل لربط الاخبار المذكور به كما في قوله
فان ترحم فانت لذاك اهل ٭ فانه لا امكان لجعل الفاء فيه لربط ما فيه تعالي من الاهلية القديمة للرحمة
بوقوع الرحمة الحادثة بل هي لربط الاخبار بتلك الاهلية للرحمة بوقوعها وان استنظاره كان طلبا لتاخير الموت
اذ به يتحقق كونه من جملتهم لا لتاخير العقوبة كما قيل ونظمه في ذلك في سلك من اخرت عقوبتهم الي الاخرة في
علم الله تعالي ممن سبق من الجن ونحو من الثقلين لا يلايم مقام الانظار مع الحيوة ولان ذلك التاخير معلوم من
اضافة اليوم الي الدين مع اضافته في السوال الي البعث كما عرفته وفي سورة الاعراف قال انظرني الي يوم يبعثون
قال انك من المنظرين بترك الوقت والنداء والفاء في الاستنظار والانظار تعويلا علي ما ذكر هاهنا وفي سورة
ص فان ايراد كلام واحد علي اساليب متعددة غير مرة عزيز في الكتاب العزيز واما كل اسلوب من اساليب
النظم الكريم فهو المطابق لمقتضي الحال والبالغ الي طبقة الاعجاز وما عداه قاصر عن رتبة البلاغة فضلا عن الارتقاء
الي معارج الاعجاز وقد مر تحقيقه بتوفيق الله تعالي في سورة الاعراف الي يوم الوقت المعلوم وهو وقت النفخة

ذكر
قسة
سته
سمتة

التي علم انه يصعق عندها من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله تعالى ويجوز ان يكون المراد بالايام واحدا والاختلاف
في العبارات لاختلاف الاعتبارات فالتعبير بيوم البعث لان غرض اللعين به يتحقق وبيوم الدين لما ذكر من الجزاء
وبيوم الوقت المعلوم لما ذكر ولاستئثاره تعالى بعلمه فلعل كلا من هلاك الخلق جميعا وبعثهم وجزاءهم في يوم واحد
يموت اللعين في اوله ويبعث في اوسطه ويعاقب في بقيته يروى ان بين موته وبعثه اربعين سنة من سني الدنيا
مقدار ما بين النفختين ونقل عن الاحنف بن قيس رحمه الله تعالى انه قال قدمت الى المدينة اريد امير المومنين عمر
رضي الله عنه فاذا انا بحلقة عظيمة وكعب الاحبار فيها يحدث مع الناس وهو يقول لما حضر آدم عليه السلام الوفاة
قال يا رب سيشمت بي عدوي ابليس اذا رآني ميتا وهو منظر الى يوم القيمة واجيب ان يا ادم انك سترد الجنة ويوخر
اللعين الى النظرة ليذوق الم الموت بعدد الاولين والاخرين ثم قال لملك الموت صف كيف تذيقه الموت فلما وصفه
قال يا رب حسبي فضج الناس وقالوا يا ابا اسحق كيف ذلك فابى فالحوا فقال يقول الله سبحانه لملك الموت عقب
النفخة الاولى قد جعلت فيك قوة اهل السموات السبع والارضين السبع واني البستك اليوم اثواب السخط والغضب
كلها فانزل بغضبي وسطوتي على رجيمي ابليس فاذقه الموت واحمل عليه فيه مرارة الاولين والاخرين من الثقلين
اضعافا مضاعفة وليكن معك من الزبانية سبعون الفا قد امتلوا غيظا وغضبا وليكن مع كل منهم سلسلة من سلاسل
جهنم وغل من اغلالها وانزع روحه المنتن بسبعين الف كلاب من كلاليبها ونادي مالكا ليفتح ابواب النيران فينزل
ملك الموت بصورة لو نظر اليها اهل السموات والارضين لماتوا بغتة من هولها فينتهي الى ابليس فيقول قف
لي يا خبيث لاذيقنك الموت كم من عمر ادركت وقرون اضللت وهذا هو الوقت المعلوم قال فيهرب اللعين
الى المشرق فاذا هو بملك الموت بين عينيه فيهرب الى المغرب فاذا هو بين عينيه فيغوص البحار فلا تقبله فلا يزال
يهرب في الارض ولا محيص له ولا ملاذ ثم يقوم في وسط الدنيا عند قبر آدم عليه السلام وقد نصبت له الزبانية
الكلاليب ويبقى في النزع والعذاب الى حيث يشاء الله تعالى ويقال لادم وحوى اطلعا اليوم الى عدوكما كيف يذوق
الموت فيطلعان فينظران الى ما هو فيه من الشدة فيقولان ربنا اتممت علينا نعمتك قال رب بما اغويتني الباء
للقسم وما مصدرية والجواب لازينن لهم اي اقسم باغوائك اياي لازينن لهم المعاصي في الارض اي في الدنيا
التي هي دار الغرور كقوله تعالى اخلد الى الارض واقسامه بعزة الله المفسرة بسلطانه وقهره لا ينافي اقسامه بهذا
فانه فرع من فروعها واثر من اثارها فلعله اقسم بهما جميعا فحكي تارة قسمه بهذا واخرى بذاك او للسببية وقوله
لازينن جواب قسم محذوف والمعنى بسبب تسبيبك لاغوائي اقسم لافعلن بهم مثل ما فعلت بي من التسبيب
لاغوائهم بتزيين المعاصي وتسويل الاباطيل وللمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى الغي او التسبب له بامره اياه
بالسجود لادم عليه السلام واعتذروا عن امهال الله تعالى له وتسليطه له على اغواء بني ادم بانه تعالى قد علم منه وممن
تبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار امهل ام لم يمهل وان في امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق عظيم
الثواب ولاغوينهم اجمعين لاحملنهم على الغواية الا عبادك منهم المخلصين الذين اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم
من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرئ بكسر اللام اي الذين اخلصوا نفوسهم لله عز وجل قال هذا صراط علي
اي حق علي ان اراعيه مستقيم لاعوج فيه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوائه او الاخلاص
على معنى انه طريق يؤدي الى الوصول الى الصراط من غير اعوجاج وضلال والاظهر ان ذلك لما وقع في عبارة ابليس
حيث قال لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم الاية وقرئ علي من علو الشرف
ان عبادي وهم المشار اليهم بالمخلصين ليس لك عليهم سلطان تسلط وتصرف بالاغواء الا من اتبعك من الغاوين
وفيه مع كونه تحقيقا لما قاله اللعين تفخيم لشان المخلصين وبيان لمنزلتهم ولانقطاع مخالب الاغواء عنهم وان
اغواءه للغاوين ليس بطريق السلطان بل بطريق اتباعهم له بسوء اختيارهم وان جهنم لموعدهم اي
موعد المتبعين او الغاوين والاول انسب وادخل في الزجر عن اتباعه وفيه دلالة على ان جهنم مكان الوعد وان

الموعود مما لا يوصف في الفظاعة اجمعين تاكيد للضمير او حال والعامل فيها الوعد ان جعل مصدرا على تقدير
المضاف او معنى الاضافة ان جعل اسم مكان لها سبعة ابواب يدخلونها لكثرتهم او سبع طبقات ينزلونها بحسب
مراتبهم في الغواية والمتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية لكل باب منهم من
الاتباع والغواة جزء مقسوم حزب معين مفرز من غيره حسبما يقتضيه استعداده فاعلاها للموحدين و
الثانية لليهود والثالثة للنصارى والرابعة للصابئين والخامسة للمجوس والسادسة للمشركين والسابعة
للمنافقين ابن عباس رضي الله عنهما ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة
الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين ولعل حصرها في السبع
لانحصار المهلكات في المحسوسات في الحواس الخمس ومقتضيات القوة الشهوية والغضبية وقرئ بضم الزاء وبحذف
الهمزة والقاء حركتها الى ما قبلها مع تشديدها في الوقف والوصل ومنهم حال من جزءا ومن ضمير في الظرف
لا في مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها ان المتقين من اتباعه في الكفر والفواحش فان غيرهما
مكفرة في جنات وعيون اي مستقرون فيها خالدون لكل واحد منهم جنة وعين او لكل منهم عدة منهما كقوله تعالى
ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئ بكسر العين حيث وقع في القران العظيم ادخلوها على ارادة القول امرا من الله
تعالى لهم بالدخول وقرئ ادخلوها امرا منه تعالى للملئكة بادخالهم وقرا الحسن ادخلوها مبنيا للمفعول على صيغة
الماضي من الادخال بسلام ملتبسين بسلام اي سالمين او مسلما عليكم آمنين من الافات والزوال ونزعنا ما في
صدورهم من غل اي حقد كان في الدنيا علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم
رضوان الله تعالى عليهم اجمعين اخوانا حال من الضمير في قوله تعالى جنات او من فاعل ادخلوها او من الضمير في آمنين
او في الضمير المضاف اليه والعامل فيهما معنى الاضافة وكذلك قوله تعالى على سرر متقابلين ويجوز كونهما صفتين
لاخوانا او حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين وكون الثاني حالا من المستكن في الاول مجاهد تدور بهم
الاسرة حيثما داروا فهم متقابلين في جميع احوالهم لا يمسهم فيها نصب اي تعب لا يكون لهم فيها ما
يوجبه من الكد في تحصيل ما لا بد لهم منه لحصوله كلما يريدونه من غير مزاولة عمل اصلا او بان لا يعتريهم
ذلك وان باشروا الحركات العنيفة لكمال قوتهم وهو استيناف او حال بعد حال او حال من الضمير في متقابلين
وما هم منها بمخرجين ابد الابدين لان تمام النعمة بالخلود نبئ عبادي وهم الذين عبر عنهم بالمتقين اني انا
الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم فذلكة لما سلف من الوعد والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة اشعار
بان ليس المراد بالمتقين من يتقي جميع الذنوب كبيرها وصغيرها وفي وصف ذاته تعالى بهما وبالرحمة على وجه
القصر دون التعذيب ايذان بانهما مما يقتضيهما الذات وان العذاب انما يتحقق بما يوجبه من خارج ونبئهم
عطف على نبئ عبادي والمقصود اعتبارهم بما جرى على ابرهيم عليه السلام من البشرى في تضاعيف الخوف
وبما حل بقوم لوط من العذاب ونجاته عليه السلام مع اهله التابعين له في ضمن الخوف وتنبيههم طول انتقامه
تعالى من المجرمين وعلمهم بان عذاب الله هو العذاب الاليم عن ضيف ابرهيم عن ابن عباس رضي الله عنهما
انهم جبرائيل عليه السلام وملكان معه محمد بن كعب وسبعة معه عليه السلام جبرائيل وميكا
واسرافيل عليهم السلام الضحاك كانوا تسعة السدي كانوا احدى عشر على صورة الغلمان الرضاء وجوههم
مقاتل كانوا اثني عشر ملكا عليهم السلام وانما لم يتعرض لعنوان رسالتهم لانهم لم يكونوا مرسلين الى ابرهيم
عليه السلام بل الى قوم لوط حسبما ياتي ذكره اذ دخلوا عليه نصب بفعل مضمر معطوف على نبئ اي واذكر وقت
دخولهم عليه او من مقدر مضاف الى ضيف اي من ضيف ابرهيم حين دخولهم عليه او بنفس ضيف على انه
مصدر في الاصل فقالوا عند ذلك سلاما اي نسلم سلاما او سلمنا او سلمت سلاما قال انا منكم وجلون اي
خايفون فان الوجل اضطراب النفس لتوقع مكروه قاله عليه السلام حين امتنعوا من اكل ما قربه اليهم من العجل الحنيذ لما

انّ المعتاد عندهم انّه اذا نزل بهم ضيف فلم ياكل من طعامهم ظنوا انّه لم يجئ بخير لاعند ابتداء دخولهم لقوله تعالى فلما راى
ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة فلا مجال لكون خوفه عليه السّلام بسبب دخولهم بغير اذن ولا بغير وقت
اذ لو كان كذلك لاجابوا حينئذ بما اجابوا به ولم يوجد لتقريب الطّعام اليهم ولم يذكرها هنا اكتفاءً بما بيّن في غير
هذا الموضع الا يرى الى انّه لم هاهنا رده عليه السّلام لسلامهم **قالوا لا توجل** لا تخف وقرئ لا تأجل ولا توجل من
اوجله اي اخافه ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله **انا نبشرك** استيناف لتعليل النّهي عن الوجل فانّ المبشّر به لا يكاد
يحوم حول ساحته خوف ولا حزن كيف لا وهو بشارة له ببقائه وبقاء اهله في عافية وسلامة زمانا طويلا **بغلام**
هو اسحق عليه السّلام لقوله تعالى فبشرناها باسحق ولم يتعرض هاهنا لبشارة يعقوب عليه السّلام اكتفاء بما ذكر
في سورة هود **عليم** اذا بلغ وفي موضع بغلام حليم **قال ابشرتموني على ان مسني الكبر** بذلك واثر في تعجب عليه
السّلام من بشارتهم بالولد في حالة مباينة للولادة وزاد في ذلك فقال **فبم تبشرون** اي باي اعجوبة تبشروني
فانّ البشارة مما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شئ او باي طريقة تبشرونني وقرئ بتشديد النّون المكسورة
على ادغام نون الجمع في نون الوقاية **قالوا بشرناك بالحق** اي بما يكون لا محالة او باليقين الذي لا لبس فيه بطريقة
هي حقّ وهو امر الله تعالى وقوله **فلا تكن من القانطين** من الايسين من ذلك فانّ الله تعالى قادر على ان يخلق بشرا من غير
ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وقرئ من القنطين كان مقصده عليه السّلام استعظام نعمته تعالى عليه فهو في
ضمن التعجب العادي المبني على سنّة الله تعالى المسلوك فيما بين عباده ولا استبعاد ذلك بالنسبة الى قدرته سبحانه
كما ينبئ عنه قول الملئكة فلا تكن من القانطين دون ان يقولوا من الممترين او نحوه **قال ومن يقنط** استفهام انكاري
اي لا يقنط **من رحمة ربه الا الضالون** المخطئون طريق المعرفة والصّواب فلا يعرفون سعة رحمته وكمال علمه وقدرته
كما قال يعقوب عليه السّلام لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ومراده نفي القنوط عن نفسه على ابلغ وجه اي
ليس بي قنوط من رحمته تعالى وانما اقول ذلك لبيان منافاة حالي لفيضان تلك النعمة الجليلة علي وفي التعرض
لوصف الربوبية والرحمة ما لا يخفى من الجزالة وقرئ بضم النّون وكسرها من قنط بالفتح ولم يكن هذه المعارضة
من الملئكة مع ابرهيم عليه السّلام خاصة بل مع سارة ايضا حسبما شرح في سورة هود ولم يذكر ذلك هاهنا
اكتفاءً بما ذكر هناك كما انّه لم يذكر هذه هناك اكتفاء بما ذكرها هنا **قال** اي ابرهيم عليه السّلام وتوسيطه
بين قوله السابق وبين قوله **فما خطبكم** اي امركم وشانكم الخطير الذي لاجله ارسلتم سوى البشارة **ايها المرسلون**
صريح في انّ بينهما مقالة منطوية لهم اشير به الى مكانها كما في قوله تعالى قال ءاسجد لمن خلقت طينا قال ارايتك
هذا الذي كرمت على الاية فانّ قوله الاخير ليس موصولا بقوله الاول بل هو مبني على قوله تعالى فاخرج منها فانك
رجيم فان توسط قال بين قوليه للايذان بعدم اتصال الثاني بالاول وعدم ابتنائه عليه بل على غيره ثم خطابه لهم
عليهم السلام بعنوان الرسالة بعد ما كان خطابه السابق مجردا عن ذلك مع تصديره بالفاء دليل على انّ مقالتهم المطوية
كانت متضمنة لبيان انّ مجيئهم ليس لمجرد البشارة بل لهم شان آخر لاجله ارسلوا فكانّه قال عليه السّلام ان لم يكن شانكم
مجرد البشارة فما ذا هو فلا حاجة الى الالتجاء الى انّ علمه عليه السّلام بانّ كل المقصود ليس البشارة بسبب انّهم كانوا
ذوي عدد والبشارة لا تحتاج الى عدد ولذلك اكتفي بالواحد في ذكريا عليه السّلام ومريم ولا انّهم بشروه في تضاعيف
الحال لازالة الوجل ولو كان تمام المقصود لابتدءوا بها فتأمل **قالوا انّا ارسلنا الى قوم مجرمين** هم قوم لوط لكن وصفوا بالاجرام
وجيء بهم بطريق التنكير ذما لهم واستهانة بهم **الا آل لوط** استثناء متصل من الضمير في مجرمين اي الى قوم اجرموا
جميعا الا آل لوط فالقوم والارسال شاملان للمجرمين وغيرهم والمعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط
لنهلك الاولين وننجي الاخرين ويدل عليه قوله تعالى **انا لمنجوهم** اي لوطا واله **اجمعين** اي مما يصيب القوم فانّه
استيناف للاخبار بنجاتهم لعدم اجرامهم او لبيان ما فهم من الاستثناء من مطلق عدم شمول العذاب لهم فان ذلك
قد يكون حالهم بين بين او لتعليله فانّ من تعلق بهم التنجية بمعنى من شمول العذاب او منقطع من قوم وقوله تعالى انا لمنجوهم

متصل

متصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن وعلى هذا فقوله تعالى **الا امرأته** استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول
من الضمير خاصة لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرئ بالتخفيف **قدرنا انها لمن الغابرين**
الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرئ فقدرنا بالتخفيف وانما علق فعل التقدير مع اختصاص ذلك بافعال
القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز حمله على معنى قلنا لانه بمعنى القضاء قول واصله جعل الشئ على مقدار غيره واسنا
له الى انفسهم وهو فعل الله سبحانه لما لهم من الزلفى والاختصاص **فلما جاء آل لوط المرسلون** شروع في بيان
كيفية اهلاك المجرمين وتنجية آل لوط حسبما اجمل في الاستثناء ثم فصل في التعليل نوع تفصيل ووضع
المظهر موضع المضمر للايذان بانّ مجيئهم لتحقيق ما ارسلوا به من الاهلاك والتنجية وليس المراد به ابتداء مجيئهم
بل مطلق كينونتهم عند آل لوط فانما حكي عنه عليه السّلام بقوله تعالى **قال انكم قوم منكرون** انما قاله عليه السّلام
بعد اللتيا والتي حين ضاقت عليه الحيل وعيت به العلل لما لم يشاهد من المرسلين عند مقاساته الشدائد
ومعاناته المكايد من قومه الذين يريدون بهم ما يريدون ما هو المعتاد من الاعانة والامداد فيما يأتي ويذر عند تجشمه
في تخليصهم انكارا لخذلانهم له وترك نصرتهم في مثل تلك المضايقة المعترية له بسببهم حيث لم يكونوا مباشرين معه
لاسباب المدافعة والممانعة حتى الجأته الى ان قال لو انّ لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد حسبما فصل في سورة
هود لا انّه قاله عند ابتداء ورودهم له خوفا ان يطرقوه بشر كما قيل كيف لا وهم بجوابهم المحكي بقوله **قالوا بل جئناك
بما كانوا فيه يمترون** اي بالعذاب الذي كنت تتوعدهم به فيمترون فيه ويكذبونك وقد قشروا العصا وبينوا
له عليه السّلام حقيقة الامر فانّى يمكن ان يعتريه بعد ذلك المساءة وضيق الذرع وليست كلمة بل اضرابا عن
موجب الخوف المذكور على معنى ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل بما يسرك ويقربه عينك بل هي اضراب عما فهمه
عليه السّلام من ترك النصرة له والمعنى ما خذلناك وما خلينا بينك وبينهم بل جئناك بما يدمرهم من العذاب
الذي كانوا يكذبونك به حين كنت تتوعدهم به ولعل تقديم هذه المقاولة على ما جرى بينه وبين اهل المدينة من
المجادلة للمسارعة الى ذكر بشارة لوط عليه السّلام باهلاك قومه وتنجية آله عقيب ذكر بشارة ابرهيم عليه
السّلام بهما حيث كان ذلك مستدعيا لبيان كيفية النجاة وترتيب مباديها اشير الى ذلك اجمالا ثم ذكر ما
فعل القوم وما فعل بهم ولم يبال بتغيير الترتيب الوقوعي ثقة بمراعاته في مواقع اخر ونسبة المجيء بالعذاب اليه
عليه السّلام مع انّه نازل بالقوم بطريق تفويض امره اليه لا بطريق نزوله عليه كانّهم جاءوه به وفوضوا امره اليه
ليرسله عليهم حسبما كان يتوعدهم به **واتيناك بالحق** اي باليقين الذي لا مجال فيه للامتراء فيه والشك وهو
عذابهم عبّر عنه بذلك تنصيصا على نفي الامتراء عنه والمراد بالحق الاخبار بمجيء العذاب المذكور وقوله تعالى
وانا لصادقون تاكيد له اي اتيناك فيما قلنا بالخبر الحق او المطابق للواقع وانا لصادقون في ذلك الخبر او في
كل كلام فيكون كالدليل على صدقهم فيه وعلى الاول تاكيدا اثر تاكيد وقوله تعالى **فاسر باهلك** شروع في ترتيب
مبادي النجاة اي اذهب بهم في الليل وقرئ بالوصل وكلاهما من السرى وهو السير في الليل وقرئ فسر من السير
بقطع من الليل بطائفة منه او من آخره قال افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم
وقيل هو بعد ما مضى منه شئ صالح **واتبع ادبارهم** وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على احوالهم
ولعل ايثار الاتباع على السوق مع انّه المقصود بالامر مبالغة في ذلك اذ السوق ربما يكون بالتقدم على بعض مع
التاخر عن بعض ويلزمه عادة الغفلة عن حال المتاخر والالتفات المنهي عنه بقوله تعالى **ولا يلتفت منكم** اي
منك ومنهم **احد** فيرى ما وراءه من الهول فلا يطيقه او يصيبه ما اصابهم او ولا ينصرف منكم احد ولا
يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن ذلك ليوطنوا انفسهم على المهاجرة او هو نهي عن ربط القلب بما
خلفوه او هو للاسراع في السير فانّ الملتفت قلما يخلو عن ادنى وقفة وعدم ذكر استثناء المراة عن الاسراء
والالتفات لا يستدعي عدم وقوعه فانّ ذلك كما عرفت مرارا للاكتفاء بما ذكر في مواضع اخر **وامضوا حيث تؤمرون**

اي حيث امركم الله تعالى بالمضي اليه وهو الشام او مصر وحذف الصلتين للاتساع المشهور وايثار المضي الى ما
ذكر على الموصول اليه والمحوق به للايذان باهمية النجاة ولمراعاة المناسبة بينه وبين ما سلف من الغابرين وقضينا
اي اوحينا اليه مقضيًّا ولذلك عدّي بالى ذلك الامر مبهم تفسيره ان دابر هولآء مقطوع على انه بدل منه وايثار
اسم الاشارة على الضمير للدلالة على اتصافهم بصفاتهم القبيحة التي هي مدار ثبوت الحكم اي دابر هولآء المجرمين
وايراد صيغة المفعول بدل صيغة المضارع لكونها ادخل في دلالة الوقوع وفي لفظ القضآء والتعبير عن العذاب
بالامر والاشارة اليه بذلك وتاخيره عن الجار والمجرور وابهامه اولا ثم تفسيره ثانيا من الدلالة على فخامة الامر
وفظاعته ما لا يخفى وقرئ بالكسر على الاستيناف والمعنى انهم يستأصلون عن اخرهم حتى لا يبقى منهم احد
مصبحين داخلين في الصبح وهو حال من هولاء او من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هولآء
بمعنى مدبري هولآء وجاء اهل المدينة شروع في حكاية ما صدر عن القوم عند وقوفهم على مكان الاضياف
من الفعل والقول وما يترتب عليه بعد ما اشير الى ذلك اجمالا حسبما نبه عليه وجآء اهل سدوم منزل لوط
عليه السلام يستبشرون اي مستبشرين باضيافه عليه السلام طمعًا فيهم قال ان هولآء ضيفي الضيف
حيث كان مصدرا في الاصل اطلق على الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث واطلاقه على الملئكة بحسب اعتقاده
عليه السلام لكونهم في زي الضيف والتاكيد ليس لانكارهم بذلك بل لتحقيق اتصالهم به واظهار اعتنائه
بشانهم وتشمره لمراعات حقوقهم وحمايتهم عن السوء ولذلك قال فلا تفضحون اي عندهم بان تتعرضوا لهم
بسوء فيعلموا ان ليس لي عندكم قدر وحرمة او لا تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اسى الى ضيفه فقد اسى اليه
يقال فضحه فضحا وفضيحة اذا اظهر من امره ما يلزمه العار واتقوا الله في مباشرتكم لما يسوءني ولا تخزون اي
لا تذلوني ولا تهينوني بالتعرض لمن اجرتهم بمثل تلك الفعلة الخبيثة وحيث كان التعرض لهم بعد ان نهاهم عليه
السلام واجلب للعار اليه اذ التعرض للجار قبل شعور المجير بذلك ربما يتسامح فيه واما بعد الشعور به والمناصبة
لحمايته والذب عنه فذاك اعظم العار عبر عليه السلام عما يعتريه من جهتهم بعد النهي المذكور بسبب لجاجهم
ومجاهرتهم بمخالفتهم بالخزي وامرهم بالتقوى في ذلك وانما لم يصرح بالنهي عن نفس تلك الفاحشة لانه كان يعرف
انه لا يفيدهم ذلك وقيل المراد تقوى الله تعالى في ركوب الفاحشة ولا يساعده توسطه بين النهيين عن امرين
متعلقين بنفسه عليه السلام وكذلك قوله تعالى قالوا اولم ننهك عن العالمين اي عن التعرض لهم بمنعهم عنا
وضيافتهم والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر اي الم نتقدم اليك ولم ننهك عن ذلك فانهم كانوا يتعرضون
لكل احد من الغربا بالسوء وكان عليه السلام ينهاهم عن ذلك بقدر وسعه وكانوا قد نهوه عليه السلام عن ان
يجير احدا فكانهم قالوا ما ذكرت من الفضيحة والخزي انما جاءك من قبلك لا من قبلنا اذ لولا تعرضك لما نتصدى
له لما اعتراك تلك الحالة ولما راهم لا يقلعون عما هم عليه قال هولآء بناتي يعني نسآء القوم فان نبي كل قوم
بمنزلة ابيهم او بناته حقيقة اي تزوجوهن وقد كانوا من قبل يطلبونهن ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفائتهم
لا لعدم مشروعية المناكحة بين المسلمات والكفار وقد فصل ذلك في سورة هود ان كنتم فاعلين اي قضاء
الوطر او ما اقول لكم لعمرك قسم من الله تعالى بحيوة النبي صلى الله عليه وسلم او من بحيوة لوط عليه السلام
والتقدير لعمرك قسمي وهي لغة في العمر يختص به القسم ايثارا للخفة لكثرة دورانه على الالسنة انهم لفي سكرتهم
غوايتهم او غلتهم التي ازالت عقولهم وتميزهم بين الخطا والصواب يعمهون يتحيرون ويتمادون فكيف يسمعون
النصيحة وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض فاخذتهم الصيحة اي الصيحة العظيمة الهائلة وقيل صيحة جبرائيل
عليه السلام مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس فجعلنا عاليها عالي المدينة او عالي قراهم وهو المفعول
الاول لجعلنا وقوله تعالى سافلها مفعول ثان له وهو ادخل في الهول والفظاعة من العكس كما مر وامطرنا عليهم
في تضاعيف ذلك قبل تمام الانقلاب حجارة كائنة من سجيل من طين متحجر او طين عليه كتاب وقد فصل ذلك

في سورة

في سورة هود ان في ذلك اي فيما ذكر من القصة لآيات لعلامات يستدل بها على حقيقة الحق للمتوسمين اي
المتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته وانها اي المدينة او القرى
لبسبيل مقيم اي طريق ثابت يسلكه الناس ويرون اثارها ان في ذلك فيما ذكر من المدينة او القرى او في كونها
بمراي يشاهدونها في ذهابهم وايابهم لآية عظيمة للمؤمنين بالله ورسوله فانهم الذين يعرفون ان ما حاق
بهم من العذاب الذي ترك ديارهم بلاقع انما حاق بهم لسوء صنيعهم واما غيرهم فيحملون ذلك على الاتفاق والاو
الفلكية وافراد الآية بعد جمعها فيما سبق لما ان المشاهد هاهنا بقية الاثار لا كل القصة فيما سلف وان كان
اي مخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف واللام هي الفارقة اي وان الشان كان اصحاب الايكة
وهم قوم شعيب عليه السلام والايكة والليكة الشجرة الملتفة والمتكاثفة وكانت عامة شجرهم المقل وكانوا
يسكنونها فبعثه الله تعالى اليهم لظالمين متجاوزين من الحد فانتقمنا منهم بالعذاب ان الله تعالى سلط
عليهم الحر سبعة ايام ثم بعث سحابة فالتجوا اليها يلتمسون الروح فبعث الله تعالى عليهم منها نارا فاحرقتهم فهو
يوم الظلة وانهما يعني سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه عليه السلام كان مبعوثا اليهما فذكر احدهما منبه
على الاخر لبامام مبين لطريق واضح والامام اسم لما يوتم به سمي به الطريق ومطمر البناء واللوح الذي يكتب به لانها
مما يوتم به ولقد كذب اصحاب الحجر يعني ثمود المرسلين صالحا فان من كذب واحدا من الانبياء فقد كذب الجميع لاتفاقهم
على التوحيد والاصول التي لا تختلف باختلاف الامم والاعصار المراد صالح ومن معه من المؤمنين كما قيل
الخبيبون لخبيب بن عبد الله بن الزبير واصحابه والحجر واد بين المدينة والشام كانوا يسكنونه واتيناهم اياتنا وهي
الآيات المنزلة على نبيهم او المعجزات من الناقة وسقيها وشربها ودرها والادلة المنصوبة لهم فكانوا عنها معرضين
اعراضا كليا بل كانوا معارضين لها حيث فعلوا بالناقة ما فعلوا وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من الانهدام ونقب
اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها او من العذاب لحسبانهم ان ذلك يحميهم عنه عن جابر رضي الله عنه انه قال
مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان
يصيبكم مثل ما اصاب هولاء ثم زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته فاسرع حتى خلفها فاخذتهم الصيحة مصبحين
وهكذا وقع في سورة هود قيل صاح بهم جبرائيل عليه السلام وقيل اتتهم من السمآء صيحة فيها صورة كل صاعقة
وصوت كل شيء في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم وفي سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة ولعلها من روادف
الصيحة المستتبعة لتموج الهواء تموجا شديدا يفضي اليها كما مر في سورة هود فما اغنى عنهم ولم يدفع عنهم ما نزل بهم
ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة والاموال الوافرة والعدد المتكاثرة وفيه تهكم بهم والفاء لترتيب عدم
الاغناء الخاص بوقت نزول العذاب حسبما كانوا يرجونه لا عدم الاغناء المطلق فانه امر مستمر وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما الا بالحق اي الا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة والمصلحة بحيث لا يلايم استمرار الفساد واستقرار
الشرور ولذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هولآء دفعا لفسادهم وارشادا لمن بقي الى الصلاح او الا بسبب العدل
والانصاف يوم الجزاء على الاعمال كما ينبئ عنه قوله تعالى وان الساعة لآتية فينتقم الله تعالى لك فيها ممن كذبك فاصفح
اي اعرض عنهم الصفح الجميل اعراضا جميلا وتحمل اذيتهم ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم
هي منسوخة باية السيف ان ربك الذي يبلغك الى غاية الكمال هو الخلاق لك ولهم ولساير الموجودات
على الاطلاق العليم باحوالك واحوالهم بتفاصيلها فلا يخفى عليه شيء مما جرى بينك وبينهم فهو حقيق بان تكل جميع
الامور اليه ليحكم بينكم او هو الذي خلقكم وعلم تفاصيل احوالكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح فهو تعليل للامر بالصفح
على التقديرين وفي مصحف عثمان وابي رضي الله عنهما هو الخالق وهو صالح للقليل والكثير والخلاق مختص بالكثير
ولقد اتيناك سبعا سبع ايات وهي الفاتحة وعليه عمر وعلي وابن مسعود وابو هريرة رضي الله عنهم والحسن وابو
العالية ومجاهد والضحاك وسعيد بن جبير وقتاده رحمهم الله تعالى وقيل سبع سور وهي الطوال التي سابعتها

ضاع

فهم

ف

الانفال والتوبة فانهما في حكم سورة واحدة ولذلك لم يفصل بالتسمية يونس او الحواميم السبع الصحايف
السبع وهي الاسباع بيان للسبع من التثنية وهي التكرير فان كان المراد الفاتحة وهو الظاهر فتسميتها مثاني
لتكرير قراءتها في الصلوة واما تكرر قراءتها في غير الصلوة كما قيل فليس بحيث يكون مدار التسمية ولانها تثني بما يقرؤ بعدها
في الصلوة واما تكرير نزولها فلا يصلح يكون وجها للتسمية لانها كانت مسماة بهذا الاسم قبل نزولها الثاني اذ السورة
مكية بالاتفاق وان كان المراد غيرها فوجه كونها من المثاني ان كلا من ذلك تكرير قراته والفاظه او قصصه
او مواعظه او من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله تعالى واحدتها مثناة او مثنية صفة للاية واما السور
والاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثناء على الله
سبحانه وتعالى وصفاته الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني القران لما ذكر ولانه مثنى عليه بالاعجاز او كتب الله تعالى
كلها فمن للتبعيض وعلى الاول للبيان والقران العظيم ان اريد بالسبع الايات او السور فمن عطف الكل على البعض
او العام على الخاص وان اريد به الاسباع او كل القران فهو عطف احد الوصفين على الاخر كما في قوله الى الملك
القرم وابن الهمام • وليث الكتايب في المزدحم • ولقد اتيناك ما يقال له السبع المثاني والقران العظيم لا تمدن
عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب ولا تدم نظرك الى ما متعنا به من زخارف الدنيا وزينتها ومحاسنها وزهرتها
ازواجا منهم اصنافا من الكفرة فان ما في الدنيا من اصناف الاموال والذخاير بالنسبة الى ما اوتيته مستحقر
لا يعبؤ به اصلا وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القران فراى ان احدا اوتي افضل مما اوتي فقد
صغر عظيما وعظم صغيرا انه وافت من بصرى واذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها
انواع البز والطيب والجواهر وساير الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها وانفقناها
في سبيل الله فقيل لهم قد اعطيتم سبع ايات وهي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم حيث لم يؤمنوا ولم
ينتظموا في سلك اتباعك ليتقوى بهم ضعفاء المسلمين او انهم المتمتعون به وبا به كلمة على فان تمتعهم
به لا يكون مدارا للحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين اي تواضع لهم وارفق بهم والجناح اي جانبك لهم
وطب نفسا من ايمان الاغنياء وقل اني انا النذير المبين اي المنذر المظهر لعذاب الله وحلوله كما انزلنا على
المقتسمين قيل انه متعلق بقوله تعالى ولقد اتيناك اي انزلنا عليك كما انزلنا على اهل الكتاب الذين جعلوا القران
عضين اي قسموه الى حق وباطل حيث قالوا عنادا وعدوانا بعضه حق موافق للتورية والانجيل وبعضه باطل
مخالف لهما او اقتسموه لانفسهم استهزاء حيث كان يقول بعضهم سورة البقرة لي وبعضهم قال سورة آل
عمران لي وهكذا او قسموا ما قروا من كتبهم وحرفوه فاقروا بعضه وكذبوا ببعضه وحمل توسيط قوله تعالى
لا تمدن عينيك على امداد ما هو المراد بالكلام من التسلية وعقب ذلك بانه جل المقام عن التشبيه وقد اوتي
عليه السلام ما لم يؤت احد قبله ولا بعده مثله انه متعلق بقوله تعالى وقل اني انا النذير المبين
وانه في قوة الامر بالانذار كانه قيل انذر قريشا مثل ما انزلنا على المقتسمين يعني اليهود وهو ما جرى على بني قريظة
والنضير بان جعل المتوقع كالواقع وقد وقع كذلك وانت خبير بان ما يشبه به العذاب المنذر لا بد ان يكون
محقق الوقوع معلوم الحال عند المنذرين اذ به يتحقق فايدة التسمية وهي تاكيد الانذار وتشديده وعذاب بني
قريظة والنضير مع عدم وقوعه اذ ذاك لم يسبق به وعد ووعيد فهم منه في غفلة محضة وشك مريب وتنزيل
المتوقع منزلة الواقع له مدفع جليل من الاعجاز لكن اذا صادف مقاما يقتضيه كما في قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا
وتطابر على ان تخصيص الاقتسام باليهود بمجرد اختصاص العذاب المذكور بهم مع شركتهم للنصارى في الاقتسام
المتفرع على الموافقة والمخالفة وفي الاقتسام بمعنى التحريف الشامل للكتابين بل تخصيص العذاب المذكور بهم مع
كونه من نتايج الاقتسام تخصيص من غير مخصص وقد جعل الموصول مفعولا لاول الانذار اي انذر العضين الذين يجزؤن
القران الى سحر وشعر واساطير الاولين مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة

ايام الموسم

ايام الموسم فقعد كل واحد منهم في مدخله لينفروا الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لا تغتروا
بالخارج منا فانه ساحر ويقول الاخر شاعر والاخر كذاب فاهلكهم الله يوم بدر وقبله بافات وفيه ما فيه من الاشتراك
لما سبق في عدم كون العذاب الذي شبه به العذاب المنذر واقعا ولا معلوما للمنذرين ولا موعود الوقوع انه لا داعي
الى تخصيص وصف التعضية بهم واخراج المقتسمين من بينهم مع كونهم اسوة لهم في ذلك فان وصفهم لرسول الله
صلى الله عليه وسلم بما وصفوا من السحر والشعر والكذب متفرع على وصفهم للقران بذلك وهل هو الا نفس
التعضية ولا الى اخراجهم من حكم الانذار على ما نزل بهم من العذاب لم يكن بحسب الشدة بحيث يشبه به عذاب
غيرهم ولا مخصوصا بهم عاما لكلا الفريقين وغيرهم مع ان البعض من المنذرين كالوليد بن المغيرة والعاص بن وايل
والاسود بن المطلب وقد هلكوا قبل مهلك اكثر المقتسمين يوم بدر ولا الى تقديم المفعول الثاني على الاول كما ترى
انه وصف لمفعول النذير اقيم مقامه هم القاعدون في مداخل مكة كما حرروفيه مع ما مر ان قوله تعالى
كما انزلنا صريح في انه من قول الله تعالى لا من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم والاعتذار بان ذلك من باب ما يقوله
بعض خواص الملك امرنا بكذا وان كان الامر هو الملك حسبما سلف في قوله تعالى قدرنا انها لمن الغابرين تعسف
لا يخفى وان اعمال الوصف الموصوف مما لم يجوزه البصريون فلا بد من الهرب الى مسلك الكوفيين او المصير الى
جعله مفعولا غير صريح اي ان النذير المبين بعذاب مثل عذاب المقتسمين المراد بالمقتسمين الرهط الذين
تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام فاهلكهم الله تعالى وانت تدري ان عذابهم حيث كان متحققا ومعلوما
للمنذرين حسبما نطق به القران العظيم صالح لان يقع مشبها به العذاب المنذر لكن الموصول المذكور عقيبه حيث
لم يمكن كونه صفة للمقتسمين حينئذ فسواء جعلناه مفعولا اول للنذير او لما دل هو عليه من انذار لا يكون للتعرض
لعنوان التعضية في حيز الصلة ولا لعنوان الاقسام بالمعنى المزبور في حيز المفعول الثاني فايدة لما ان ذلك انما
يكون للاشعار بعلية الصلة والصفة للحكم الثابت للموصول والموصوف فلا يكون هناك وجه شبه يدور عليه تشبيه
عذابهم بعذابهم خاصة لعدم اشتراكهم في السبب فان المعضين بمعزل من التقاسم على التبييت الذي هو السبب
لهلاك اولئك كما ان اولئك بمعزل عن التعضية التي هي السبب لهلاك هولاء ولا علاقة بين السببين مفهوما ولا وجودا
تصحح وقوع احدهما في جانب والاخر في جانب واتفاق الفريقين على ان مطلق الاتفاق على الشر المفهوم من الاتفاق
على الشر المخصوص الذي هو التبييت المدلول عليه بالتقاسم غير مفيد اذ لا دلالة لعنوان التعضية على ذلك
وانما يدل عليه اقسام المداخل وجعل الموصول مبتداء على ان خبر الجملة القسمية لا يليق بجزالة التنزيل وجلالة
شانه الجليل اذا عرفت هذا فاعلم ان الاقرب من الاقوال المذكورة انه متعلق بالاول وان المراد بالمقتسمين
اهل الكتابين وان الموصول مع صلته صفة مبينة لكيفية اقسامهم ومحل الكاف النصب على المصدرية
وحديث جلالة المقام عن التشبيه من لوايح النظم الجليل والمعنى لقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم
ايتاء مماثلا لانزال الكتابين على اهلها وعدم التعرض لذكر ما انزل عليهم من الكتابين لان الغرض بيان المماثلة
بين الايتاءين من النبائين فان الاول على وجه التكرمة والامتنان فشتان بينه وبين الثاني ولا يقدح ذلك في وقوعه
مشبها به فان ذلك لسلمته عندهم وتقديم وجوده على المشبه زمانا لا لمزيد يعود اليه ذاته كما في الصلوات الجليلة فان
التشبيه فيها ليس لكون رحمة الله تعالى الفايضة على ابرهيم عليه السلام اتم واكمل مما افاض على النبي صلى الله عليه وسلم
وانما ذلك للتقدم في الوجود والتنصيص عليه في القران العظيم وليس في التشبيه مما نحن فيه شايبة اشعار بافضلية المشبه
به من المشبه فضلا عن ايهام افضلية ما تعلق بالاول مما تعلق به الثاني وانما ذكروا بعنوان الاقتسام لا انكار الاتصافهم
به مع تحقق ما ينفيه من الانزال المذكور وايذانا بانه كان من حقهم ان يؤمنوا بكله حسب ايمانهم بما انزل عليهم بحكم الاشتراك
في العلة والاتحاد في الحقيقة التي هي مطلق الوحي وتوسيط قوله تعالى لا تمدن عينيك لكمال اتصاله بما هو المقصود من
بيان حال ما اوتي النبي صلى الله عليه وسلم ولقد بين اولا علو شانه ورفعة مكانه واستغناؤه به عما سواه ثم نهى عن

الالتفات الى زهرة الدنيا وعن ايتائها لاهلها بالتمتع المنبي عن وشك زوالها عنهم ثم عن الحزن بعدم ايمان المنهمكين فيها وامر بمراعاة المومنين والاكتفاء بهم عن غيرهم واظهار قيامه بمواجب الرسالة ومراسم النذارة حسبما فصل في تضاعيف ما اوتي من القران العظيم ثم رجع الى كيفية ايتائه على وجه ادمج فيه ما ينبه شبه المنكرين ويستر لهم من العناد ومن بيان مشاركته لما لا ريب فيه لهم في كونه وحيا صادقا فتامل والله تعالى عنده علم الكتاب هذا وقد قيل المعنى وقل اني انا النذير المبين كما قد انزلنا في الكتب انك ستاتي نذيرا على ان المقتسمين اهل الكتاب انتهى يريد ان ما في كما موصولة والمراد بالمشابهة المستفادة من الكاف الموافقة وهي مع ما في حيزها في محل النصب على الحالية من مفعول قل اي قل هذا القول حال كونه كما انزلنا على اهل الكتابين اي موافقا لذلك فالانسب حينئذ حمل الاقتسام على التحريف ليكون وصفهم بذلك تعريضا بما فعلوا من تحريفهم وكتمانهم لنعت النبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى عضين جمع عضة وهي الفرقة اصلها عضوة فعلة من عضى الشاة تعضية اذا جعلها اعضاء وانما جمعت جمع السلامة جبرا للحذف كسنين وعزين والتعبير عن تجزية القران بالتعضية التي هي تفريق الاعضاء من ذي الروح المستلزم لازالة حيوته وابطال رسمه دون مطلق التجزية والتفريق اللذين ربما يوجدان فيما لا يضره التبعيض من المثليات للتنصيص على كمال قبح ما فعلوه بالقران العظيم هي فعلة من عضهه اذا بهته عكرمة العضة السحر بلسان قريش فنقصانها على الاول واو وعلى الثاني هاء **فوربك لنسئلنهم اجمعين** اي لنسئلن يوم القيمة اصناف الكفرة من المقتسمين وغيرهم سوال توبيخ وتقريع **عما كانوا يعملون** في الدنيا من قول وفعل وترك فيدخل فيه ما ذكر من الاقتسام والتعضية دخولا اوليا ولنجزينهم بذلك جزاء موفورا وفيه من التشديد وتاكيد الوعيد ما لا يخفى والفاء لترتيب الوعيد على اعمالهم التي ذكر بعضها وفي التعرض لوصف الربوبية مضافا اليه عليه الصلوة والسلام اظهار اللطف به عليه السلام **فاصدع بما تؤمر** فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا وافرق بين الحق والباطل واصله الابانة والتميز وما مصدرية او موصولة والعائد محذوف اي بما تؤمر به من الشرائع المودعة في تضاعيف ما اوتيته من السبع المثاني والقران العظيم **واعرض عن المشركين** اي لا تلتفت الى ما يقولون ولا تبال بهم ولا تتصد للانتقام منهم **انا كفيناك المستهزءين** بقمعهم وتدميرهم كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والحارث بن القيس بن الطلاطلة والاسود بن عبد يغوث والاسود ابن المطلب يبالغون في ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فنزل جبرائيل عليه السلام فقال امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص فدخلت فيه شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحى فمات فاشار الى عيني الاسود فعمي والى انف الحارث فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح راسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات **الذين يجعلون مع الله الها اخر** وصفهم بذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتهوينا للخطب عليه باعلامه انهم لم يقتصروا على الاستهزاء به عليه الصلوة والسلام بل اجترؤا على العظيمة التي هي الاشراك بالله سبحانه **فسوف يعلمون** عاقبة ما ياتون وما يذرون **ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون** من كلمات الشرك والطعن في القران والاستهزاء به وبك وتحلية الجملة بالتاكيد لافادة تحقق ما تضمنه من التسلية وصيغة الاستقبال لافادة استمرار العلم حسب استمرار متعلقه باستمرار ما يوجبه من اقوال الكفرة **فسبح بحمد ربك** فافزع الى الله تعالى فيما نابك من ضيق الصدر والحرج بالتسبيح والتقديس ملتبسا بحمده وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام ما لا يخفى من اظهار اللطف به عليه السلام والاشعار بعلية الحكم اعني الامر بالتسبيح والحمد **وكن من الساجدين** اي المصلين يكفيك ويكشف الغم عنك او فنزهه عما يقولون ملتبسا بحمده على ان هداك للحق المبين عليه السلام انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة **واعبد ربك** دم على ما انت عليه من العبادة وايثار الاظهار بالعنوان السالف آنفا لتاكيد ما سبق من اظهار اللطف به عليه السلام والاشعار بعلة الامر بالعبادة **حتى ياتيك اليقين** اي الموت فانه متيقن اللحوق بكل حي مخلوق واسناد

الاتيان اليه للايذان بانه متوجه الى الحي طالب للوصول اليه والمعنى دم على العبادة ما دمت حيا من غير اخلال بها لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين وصلى الله على سيدنا

سورة النحل وهي مائة وثمان وعشرون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **اتى امر الله** اي الساعة او ما يعمها وغيرها من العذاب الموعود للكفرة عبر عن ذلك بامر الله للتفخيم والتهويل والايذان بان تحققه في نفسه واتيانه منوط بحكمه النافذ وقضائه الغالب واتيانه عبارة عن دنوه واقترابه على طريقة نظم المتوقع في سلك الواقع او عن اتيان مباديه القريبة على نهج اسناد حال الاسباب الى المسببات واياما كان ففيه تنبيه على كمال قربه من الوقوع واتصاله به وتكميل لحسن موقع التفريع في قوله تعالى **فلا تستعجلوه** فان النهي عن استعجال الشيء وان صح تفريعه على قرب وقوعه او على وقوع اسبابه القريبة لكنه ليس بمثابة تفريعه على قرب وقوعه اذ بالوقوع يستحيل الاستعجال راسا بما ذكر من قرب وقوعه ووقوع مباديه والخطاب للكفرة خاصة كما يدل عليه القراءة على صيغة نهي الغائب واستعجالهم وان كان بطريق الاستهزاء لكنه حمل على الحقيقة ونهوا عنه بضرب من التهكم لا مع المؤمنين سواء اريد بامر الله ما ذكر من العذاب الموعود للكفرة خاصة اما الاول فلانه لا يتصور من المؤمنين الاستعجال بالساعة او ما يعمها من العذاب حتى يعمهم النهي عنه واما الثاني فان استعجالهم له بطريق الحقيقة واستعجال الكفرة بطريق الاستهزاء كما عرفته فلا ينتظمها صيغة واحدة والالتجاء الى ارادة معنى مجازي يعمها معا من غير ان يكون هناك رعاية نكتة سرية تعسف لا يليق بشان التنزيل الجليل من انه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيمة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننتظر ما هو كائن فلما تاخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت اتى امر الله فلا تستعجلوه فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع الناس رؤسهم فلما نزلت فلا تستعجلوه اطمانوا وليس فيه دلالة على عموم الخطاب كما قيل لا لما توهم من ان التصدير بالفاء ياباه فانه بمعزل عن ابائه حسبما تحققته بل لان مناط اطمئنانهم انما هو وقوفهم على ان المراد بالاتيان هو الاتيان الادعائي لا الحقيقي الموجب لاستحالة الاستعجال المستلزم لامتناع النهي عنه لما ان النهي عن الشيء يقتضي امكانه في الجملة ومدار ذلك الوقوف انما هو النهي عن الاستعجال المستلزم لامكانه المقتضي لعدم وقوع المستعجل بعد ولا يختلف ذلك باختلاف المستعجل كائنا من كان بل فيه دلالة واضحة على عدم العموم لان المراد بامر الله انما هو الساعة وقد عرفت استحالة صدور استعجالها عن المؤمنين نعم يجوز تخصيص الخطاب بهم على تقدير كون امر الله عبارة عن العذاب الموعود للكفرة خاصة لكن الذي يقتضيه الاعجاز التنزيلي انه خاص بالكفرة كما ستقف عليه ولما كان استعجالهم ذلك من نتائج اشراكهم المستتبع لنسبة الله عز وجل الى ما لا يليق به من العجز والاحتياج الى الغير واعتقاد ان احدا يحجزه عن انجاز وعده او امضاء وعيده وقد قالوا في تضاعيفه ان صح مجيء العذاب فالاصنام تخلصنا منه بشفاعتها رد ذلك قبل بطريق الاستيناف **سبحانه وتعالى عما يشركون** اي تنزه وتقدس في ذاته وجل عن اشراكهم المؤدي الى صدور امثال هذه الاباطيل عنهم او عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم بوجه من الوجوه وصيغة الاستقبال للدلالة على تجدد اشراكهم واستمراره والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء ذكر قبائحهم الاعراض عنهم وطرحهم عن رتبة الخطاب وحكاية شنائعهم لغيرهم وعلى تقدير تخصيص الخطاب بالمؤمنين تفوت هذه النكتة كما يفوت ارتباط المنهي عنه بالمتنزه عنه وقرئ على صيغة الخطاب **ينزل الملئكة** بيان لتحتم التوحيد حسبما نبه عليه تنبيها اجماليا ببيان تقدس جناب الكبرياء وتعاليه عن ان يحوم حوله شائبة ان يشاركه شيء في شيء وايذان بانه دين اجمع عليه جمهور الانبياء عليهم السلام وامروا بدعوة الناس اليه مع الاشارة الى سر البعثة والتشريع وكيفية

القآء الوحي والتنبيه على طريق علم الرسول صلى الله عليه وسلم باتيان ما اوعدهم به وبا قترابه ازاحة لاستبعادهم
اختصاصه عليه الصلوة والسلام بذلك واظهارا لبطلان رايهم في الاستعجال والتكذيب وايثار صيغة الاستقبال
للاشعار بان ذلك عادة مستمرة له سبحانه والمراد بالملئكة اما جبرائيل عليه السلام الواحدي يسمي الواحد
بالجمع اذا كان رئيسا او هو من حفظة الوحي بامر الله تعالى وقرئ ينزل من الانزال تنزل بحذف احدا لتائين وعلى صيغة
المبني للمفعول من التنزيل بالروح اي بالوحي الذي من جملته القران على نهج الاستعارة فانه يحيي القلوب الميتة بالجهل
او يقوم في الدين مقام الروح في الجسد والبآء متعلقة بالفعل او بما هو حال من مفعوله اي ملتبسين بالروح من
امره بيان للروح الذي اريد به الوحي فانه امر بالخير او حال كونه ناشئا ومبتداء منه او من صفة له على راي من جوز
حذف الموصول مع بعض صلته اي بالروح الكائن من امره الناشئ منه او متعلق بتنزل ومن للسببية كالبآء في مثلها
في قوله تعالى مما خطيئاتهم اي ينزل لهم بامره على من يشاء من عباده اي ينزل لهم عليهم لاختصاصهم بصفات
تؤهلهم لذلك ان انذروا بدل من الروح اي ينزل لهم ملتبسين بان انذروا اي بهذا القول والمخاطبون به الانبيا
الذين نزلت الملئكة عليهم عليهم الصلوة والسلام والامر هو الله سبحانه والملئكة نقلة للامر كما يشعر به البآء في
المبدل منه وان اما مخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف اي ينزلهم ملتبسين بان الشان اول
لكم انذروا او مفسرة على ان تنزل الملئكة بالوحي فيه معنى القول كانه قيل يقول بواسطة الملئكة لمن يشاء من
عباده ان انذروا فلا محل لها من الاعراب او مصدرية لجواز كون صلتها انشائية كما في قوله وان اقم وجهك حنيفا
من اوايل سورة هود فمحلها الجر على البدلية ايضا والانذار الاعلام خلا انه مختص باعلام المحذور من نذر بالشيء
اذا علمه فحذره وانذره اي اعلمه وحذره وخوفه في ابلاغه كذا في القاموس اي اعلموا الناس انه لا اله الا انا
فالضمير للشان ومدار وضعه موضعه ادعآء شهرته المغنية عن التصريح به وفايدة تصدير الجملة به للايذان من اول
الامر بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقرير له في الذهن فان الضمير لا يفهم منه ابتداء الا شان مبهم له خطر
يبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن لديه عند وروده فضل تمكن كانه قيل انذروا ان الشان الخطير هذا وانباء
مضمونه عن المحذور ليس لذاته بل من حيث اتصاف المنذرين بما يضاده من الاشراك وذلك كاف في كون اعلامه
انذارا وقوله سبحانه فاتقون خطاب للمستعجلين على طريقة الالتفات والفآء فصيحة اي اذا كان الامر كما ذكر من جريان
عادته تعالى بتنزيل الملئكة على الانبيآء عليهم الصلوة والسلام وامرهم بان ينذروا الناس انه لا شريك له في الالوهية
فاتقون في الاخلال بمضمونه ومباشرة ما ينافيه من الاشراك وفروعه التي من جملتها الاستعجال والاستهزآء وبعد
تمهيد الدليل السمعي للتوحيد شرع في تحرير الادلة العقلية فقيل خلق السموات والارض بالحق اي اوجدهما
على ما هما عليه من الوجه الفايق والنمط اللايق وتقدس بذاته لا سيما بافعاله التي من جملتها ابداع
هذين المخلوقين عما يشركون عن اشراكهم المعهود او من شركة ما يشركون به من الباطل الذي لا يبدي ولا يعيد
وبعد ما بين [illegible] المنطوي على تفاصيل مخلوقاته شرع في تعداد ما فيه من خلايقه فبدا بفعله المتعلق
بالانفس فقال خلق الانسان اي هذا النوع غير الفرد الاول منه من نطفة جماد لا حس له ولا حراك سيالا لا يحفظ
شكلا ولا وضعا فاذا هو بعد الخلق خصيم منطيق يجادل عن نفسه مكافح للخصوم مبين لحجته لقن بها
وهذا انسب بمقام الامتنان باعطاء القدرة على الاستدلال بذلك على قدرته تعالى ووحدته او مخاصم لخالقه
منكر له قايل من يحيي العظام وهي رميم وهذا انسب بمقام تعداد هنات الكفرة ان ابي بن خلف الجمحي اتى النبي
صلى الله عليه وسلم بعظم رميم فقال يا محمد اترى الله تعالى يحيي هذا بعد ما رم فنزلت والانعام وهي الازواج
الثمانية من الابل والبقر والضان والمعز وانتصابها بمضمر يفسره قوله تعالى خلقها او بالعطف على الانسان
وما بعده بيان ما خلق لاجله والذي بعده تفصيل لذلك وقوله لكم اما متعلق بخلقها وقوله فيها خبر
مقدم وقوله تعالى دفء مبتدأ وهو ما يدفأ به من البرد والجملة حال من المفعول والظرف الاول خبر للمبتدا

المذكور

المذكور وفيها حال من دفء اذ لو تاخر لكان صفة ومنافع هي درها وركوبها وحملها والحراثة بها وغير ذلك وانما عبر عنها بها
ليتناول الكل مع ان الانسب بمقام الامتنان بالنعم وتقديم الدفء على المنافع لرعاية اسلوب الترقي الى الاعلى ومنها تأكلون
اي تاكلون ما يوكل منها من اللحوم والشحوم وغير ذلك وتغيير النظم الى الايماء الى انها لا تبقى عند الاكل كما في السابق واللاحق
فان الدفء والمنافع والجمال يحصل منها وهي باقية على حالها ولذلك جعلت محالا لها بخلاف الاكل وتقديم الظرف للايذان
بان الاكل منها هو المعتاد المعتمد في المعاش وان الاكل مما عداها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر من قبيل التفكه
مع ان فيه مراعات الفواصل ويحتمل ان يكون معنى الاكل منها اكل ما يحصل بسببها فان الحبوب والثمار الماكولة تكتسب
بكرآء الابل وباثمان نتاجها والبانها وجلودها ولكم فيها مع ما فصل من انواع المنافع الضرورية جمال اي زينة في
اعين الناس ووجاهة عندهم حين تريحون تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشي وحين تسرحون تخرجونها
بالغداة من حظايرها الى مسارحها فالمفعول محذوف من كلا الفعلين لرعاية الفواصل وتعيين الوقتين لان ما يدار
عليه امر الجمال من تزيين الافنية والاكناف بها وبتجاوب ثغائها ورغائها انما هو عند ورودها وصدورها في ذينك
الوقتين واما عند كونها في المراعي فينقطع اضافتها الحسية الى اربابها وعند كونها في الحظاير لا يراها راء ولا ينظر اليها
ناظر وتقديم الاراحة على التسريح لتقدم الورود على الصدور ولكونها اظهر منه في استتباع ما ذكر من الجمال واتم
في استجلاب الانس والبهجة اذ فيها حضور بعد غيبة واقبال بعد ادبار على احسن ما يكون ملأى البطون مرتفعة
الضروع حافلة الضروع وقرئ حينا تريحون وحينا تسرحون على ان كلا الفعلين وصف لحينا بمعنى تريحون فيه وتسرحون
فيه وتحمل اثقالكم جمع ثقل وهو متاع المسافر اثقالكم اجرامكم الى بلد قال ابن عباس رضي الله عنهما اريد به
اليمن ومصر والشام ولعله نظر الى انها متاجر اهل مكة عكرمة اريد مكة ولعله نظر الى ان اثقالهم واحمالهم
عند القفول من متاجرهم اكثر وحاجتهم الى الحمولة امس والظاهر انه عام لكل بلد سحيق لم تكونوا بالغيه واصلين
اليه بانفسكم مجردين عن الاثقال لولا الابل الا بشق الانفس فضلا عن استصحابها معكم وقرئ وقرئ بفتح الشين
هما لغتان بمعنى الكلفة والمشقة المفتوح مصدر من شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذي
هو الصدع والمكسور النصف كانه يذهب نصف القوة لما يناله من الجهد فالاضافة الى الانفس مجازية او على تقدير
مضاف اي الا بشق قوى الانفس وهو استثناء مفرغ من اعم الاشيآء اي لم تكونوا بالغيه بشيء من الاشيا الا بشق
الانفس ولعل تغيير النظم الكريم السابق الدال على كون الانعام مدارا للنعم السابقة الى الجملة اللفظية المفيدة
للحدوث للاشعار بان هذه النعمة ليست في العموم بحسب المنشاء وبحسب المتعلق وفي الشمول للاوقات والاطوار
والاحيان المعهودة بمثابة النعم السالفة فانها بحسب المنشا خاصة بالابل وبحسب المتعلق بالضاربين في الارض
المتقلبين فيها للتجارة وغيرها في احايين غير مطردة واما سائر النعم الموجودة في جميع اصناف الانعام وعامة لكافة المخاطبين
دايما وفي عامة الاوقات ان ربكم لرؤف رحيم ولذلك اسبغ عليكم هذه النعم الجليلة ويسر لكم الامور الشاقة والخيل
هو اسم جنس للفرس لا واحد له من لفظه كالابل وهو عطف على الانعام اي خلق الخيل والبغال والحمير لتركبوها تعليل
بمعظم منافعها والا فالانتفاع بها بالحمل ايضا مما لا ريب في تحققه وزينة عطف على محل لتركبوها وتجريده عن اللام لكونه
فعلا لفاعل الفعل المعلل دون الاول وتاخيره لان الركوب اهم منه او مصدر لفعل محذوف اي وتتزينوا بها زينة
وقرئ بغير واو اي خلقها زينة لتركبوها ويجوز ان يكون مصدرا واقعا موقع الحال من فاعل تركبوها او مفعوله اي
متزينين بها او متزينا بها ويخلق ما لا تعلمون اي يخلق في الدنيا غير ما عدد من اصناف النعم فيكم ولكم ما لا تعلمون
كنهه وكيفية خلقه فالعدول الى صيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار والتجدد او لاستحضار الصورة او يخلق في
الجنة غير ما ذكر من النعم الدنيوية ما لا تعلمون اي ما ليس من شانكم ان تعلموه وهو ما اشير بقوله عليه الصلوة والسلام
حكاية عن الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويجوز ان يكون
هذا اخبارا بانه سبحانه يخلق من الخلايق ما لا علم لنا به دلالة على قدرته الباهرة الموجبة للتوحيد كنعمته الباطنة

والظاهر عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والارضين السبع والبحار السبعة
يدخل فيه جبرئيل عليه السلام كل سحر فيغتسل فيزداد نورا الى نور وجمالا الى جمال وعظما الى عظم فينتفض فيخلق الله تعالى
من كل قطرة تقع من ريشه كذا وكذا الف ملك فيدخل منهم كل يوم سبعون الف ملك البيت المعمور وسبعون الف
ملك الكعبة لا يعودون اليه الى يوم القيمة **وعلى الله قصد السبيل** القصد مصدر بمعنى الفاعل يقال سبيل قصد وقاصد
اي مستقيم على طريق الاستعارة او على نهج اسناد حال ساكنه اليه كانه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه
اي حق عليه سبحانه وتعالى بموجب رحمته ووعده المحتوم بيان الطريق المستقيم الموصل لمن يسلكه الى الحق الذي هو
التوحيد بنصب الادلة وارسال الرسل وانزال الكتب لدعوة الناس اليه او مصدر بمعنى الاقامة والتعديل قاله ابو البقا
اي عليه عز وجل تقويمها وتعديلها اي جعلها بحيث يصل سالكه الى الحق لكن لا بعد ما كانت في نفسها منحرفة عنه بل ابدعها
ابتداء كذلك على نهج قوله سبحانه من صغر البعوض وكبر الفيل وحقيقته راجعة الى ما ذكر من نصب الادلة وقد فعل
ذلك حيث ابدع هذه البدايع التي كل واحد منها لاحب يهتدي بمنار وعلم يستضاء بنار وارسل رسلا مبشرين ومنذرين
وانزل اليهم كتبا من جملتها هذا الوحي الناطق بحقيقة الحق • الفاحص عن كل ما جل من الاسرار ودق • الهادي الى سبيل الاستدلال
بتلك الادلة المفضية الى معالم الهدى • المنجية عن فيافي الضلالة ومهاوي الردى • الا يرى كيف بين اولا تنزه جناب الكبريا
وتعاليه بحسب الذات عن ان يحوم حوله شايبة توهم الاشراك ثم اوضح سر القاء الوحي على الانبياء عليهم الصلوة والسلام
وكيفية امرهم بانذار الناس ودعوتهم الى التوحيد ونهيهم عن الاشراك ثم ذكر بيان تعاليه عن ذلك بحسب الافعال مرشدا
الى طريقة الاستدلال فبدأ بفعله المتعلق بمحيط العالم الجسماني ومركزه بقوله تعالى خلق السموات والارض بالحق تعالى عما
يشركون ثم فصل افعاله المتعلقة بما بينهما فبدأ بفعله المتعلق بانفس الناظرين ثم ذكر ما يتعلق بما لا بد لهم منه في
معاملتهم ثم بين قدرته على خلق ما لا يحيط به علم البشر بقوله ويخلق ما لا تعلمون وكل ذلك كما ترى بيان سبيل التوحيد
عقب بيان وتعديله له ايما تعديل فالمراد بالسبيل على الاول الجنس بدليل اضافة القصد اليه وقوله تعالى **ومنها** في محل
الرفع على الابتداء اما باعتبار مضمونه واما بتقدير الموصوف كما في قوله تعالى ومنا دون ذلك وقد مر في قوله تعالى
ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر اي بعض السبيل او بعض من السبيل فانها تؤنث وتذكر **جائر** اي مائل عن الحق
منحرف عنه لا يوصل سالكه اليه وهو طرق الضلال التي لا تكاد يحصى عددها المندرج كلها تحت الجائر وعلى الثاني نفس
السبيل المستقيم والضمير في منها عائد اليها بتقدير المضاف اي من جنسها لما عرفت من ان تعديل السبيل وتقويمه
ابداعه ابتداء على وجه الاستقامة والعدالة لا تقويمه بعد انحرافه وايا ما كان فليس في النظم الكريم تغيير الاسلوب
رعاية لامر مطلوب كما قيل فان ذلك انما يكون فيما اقتضى الظاهر سبكا معينا ولكن يعدل عن ذلك لنكتة اهم منه
كما في قوله سبحانه الذي يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين فان مقتضى الظاهر ان يقال والذي يسقمني ويشفين
ولكن غير الى ما عليه النظم الكريم تفاديا عن اسناد ما تكرهه النفس اليه سبحانه وليس المراد ببيان قصد السبيل مجرد
اعلام انه مستقيم حتى يصح اسناده جائر اليه سبحانه فيحتاج الى الاعتذار عن عدم ذلك على انه لو اريد ذلك لم يوجد
لتغيير الاسلوب نكتة وقد بين ذلك في مواضع غير معدودة بل المراد ما مر من نصب الادلة لهداية الناس اليه ولا
امكان لاسناد مثله اليه تعالى بالنسبة الى الطريق الجائر بان يقال وجائرها حتى يصرف ذلك الاسناد منه تعالى
الى غيره لنكتة تستدعيه ولا يتوهمه متوهم حتى يقتضي الحال دفع ذلك بان يقال لا جائرها ثم بغير سبك النظم عن ذلك
لداعية اقوى منه بل الجملة الظرفية اعتراضية جيء بها لبيان الحاجة الى البيان والتعديل واظهار جلالة قدر النعمة
في ذلك والمعنى على الله تعالى ببيان الطريق المستقيم الموصل الى الحق وتعديله بما ذكر من نصب الادلة ليسلكه الناس
باختيارهم ويصلوا الى المقصد وهذا هو الهداية المفسرة بالدلالة على ما يوصل الى المطلوب لا الهداية المستلزمة
للاهتداء البتة فان ذلك مما ليس بحق على الله تعالى لا بحسب ذاته ولا بحسب رحمته بل هو مخل بحكمته حيث يستدعي
تسوية المحسن والمسيء والمطيع والعاصي بحسب الاستعداد واليه اشير بقوله تعالى **ولو شاء لهديكم اجمعين** اي لو شاء ان

يهديكم الى ما ذكر من التوحيد هداية موصلة اليه البتة مستلزمة لاهتدائكم اجمعين يفعل ذلك ولكن لم يشاءه
لان مشيته تابعة للحكمة الداعية اليها ولا حكمة في تلك المشية لما ان الذي عليه يدور فلك التكليف واليه
ينسحب الثواب والعقاب انما هو الاختيار الجزئي الذي عليه يترتب الاعمال التي بها ينظر الجزاء هذا هو الذي
يقتضيه المقام ويستدعيه حسن الانتظام وقد فسر قصد السبيل عليه تعالى بانتهايه اليه على نهج الاستقامة
وايثار حرف الاستعلاء على اداة الانتهاء لتاكيد الاستقامة على وجه تمثيلي من غير ان يكون هناك استعلاء لشيء
عليه سبحانه وتعالى عنه علوا كبيرا كما في قوله تعالى هذا صراط على مستقيم فالقصد مصدر بمعنى الفاعل والمراد بالسبيل
الجنس كما مر في قوله تعالى ومنها جائر معطوف على الجملة الاولى والمعنى ان قصد السبيل واصل اليه تعالى بالاستقامة
وبعضها منحرف عنه ولو شاء لهديكم جميعا الى الاول وانت خبير بان هذا حق في نفسه ولكنه في بمعزل عن نكتة
موجبة لتوسيطه بين ما سبق من ادلة التوحيد وبين ما لحق ولما بين الطريق السمعي للتوحيد على وجه اجمالي
وفصل بعض الادلة المتعلقة باحوال الحيوانات وعقب ذلك ببيان السر الداعي اليه بعثا للمخاطبين على التامل
فيما سبق وحثا على حسن التلقي لما لحق اتبع ذلك ذكر ما يدل عليه من احوال النبات فقيل **هو الذي انزل** بقدرته القاهرة
من السماء اي من السحاب او من جانب السماء **ماء** اي نوعا منه وهو المطر وتاخيره عن المجرور لما مر مرارا من ان المقصود
هو الاخبار بانه انزل من السماء شيئا هو الماء لا انه انزل من السماء والسر فيه ما سلف من ان عند تاخير ما حقه التقديم
يبقى الذهن مترقبا له مشتاقا اليه • فيسكن لديه عند وروده عليه فضل تمكن **لكم منه شراب** اي ما تشربونه
وهو اما مرتفع بالظرف الاول او مبتدأ وهو خبره والجملة صفة الماء والظرف الثاني نصب على الحالية من شراب
ومن تبعيضية وليس في تقديمه ايهام حصر المشروب فيه حتى يفتقر الى الاعتذار بانه لا باس به لان مياه
العيون والابار منه لقوله تعالى فسلكه ينابيع في الارض وقوله تعالى فاسكناه في الارض الظرف
الاول متعلق بانزل والثاني خبر لشراب والجملة صفة الماء وانت خبير بان ما فيه من توسط المنصوب بين المجرورين
وتوسط الثاني منهما بين الماء وصفته مما لا يليق بجزالة نظم التنزيل الجليل **ومنه شجر** من ابتدائية ومنه يحصل
شجر ترعاه المواشي والمراد به ما ينبت من الارض سواء كان له ساق او لا وتبعيضيته مجازا لانه لما كان سقيه من
الماء جعل كانه منه كقوله اسمنة الابال في ربابه يعني المطر الذي ينبت به الكلا الذي تاكله الابل فتسمن اسنمتها
وفي حديث عكرمة لا تاكلوا ثمن الشجر فانه سحت يعني الكلا **فيه تسيمون** ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها
واصلها السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض **ينبت** اي الله عز وجل وقرئ بالنون **لكم به**
بما انزل من السماء **الزرع والزيتون والنخيل والاعناب** بيان للنعم الفايضة عليهم من الارض بطريق الاستيناف
وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار وانها سنته الجارية على مر الدهور او لاستحضار صورة
الانبات وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر انفا مع ما في تقديم اولهما من الاهتمام به لادخال المسرة ابتداء
وتقديم الزرع على ما عداه لانه اصل الاغذية وعمود المعاش وتقديم الزيتون لما في الشرف من حيث انه ادام من
وجه وفاكهة من وجه وتقديم النخيل على الاعناب لظهور اصالتها وبقائها وجمع الاعناب للاشارة الى ما فيها
من الاشتمال على الاصناف المختلفة وتخصيص الانواع المعدودة بالذكر مع اندراجها تحت قوله تعالى **ومن كل
الثمرات** للاشعار بفضلها وتقديم الشجر عليها مع كونه غذاء للانعام لحصوله بغير صنع من البشر او للاشارة الى مكارم
الاخلاق فان مقتضاه ان يكون اهتمام الانسان بامر ما تحت يده اكمل من اهتمامه بامر نفسه او لان اكثر المخاطبين
من اصحاب المواشي ليس لهم زرع ولا ثمر المراد تقديم غذائه فانه غذاء حيواني للانسان وهو اشرف الاغذية
وقرئ ينبت من الثلاثي مسندا الى الزرع وما عطف عليه **ان في ذلك** اي في انزال الماء وانبات ما فصل لاية
عظيمة دالة على تفرده تعالى بالالوهية لاشتماله على كمال العلم والقدرة والحكمة **لقوم يتفكرون** فان من تفكر ان الحبة
او النواة تقع في الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اسفلها فيخرج منها عروق تنبسط في اعماق الارض وينشق

اخلاها وان كانت منتكسة في الوقوع وتخرج منه ساق فينمو ويخرج منه الاوراق والازهار والحبوب والثمار
المشتملة على اجسام مختلفة الاشكال والالوان والخواص والطبايع وعلى نواة قابلة لتوليد الامثال على النمط المحرر
لا الى نهاية مع اتحاد المواد واستواء ونسبة الطبايع السفلية والتاثيرات العلوية بالنسبة الى الكل علم ان من هذه
افعاله واثاره لا يمكن ان يشبهه شيء من صفات الكمال فضلا عن ان يشاركه اخس الاشيا في اخص صفاته التي هي الالوهية
واستحقاق العبادة تعالى عن ذلك علوا كبيرا وحيث افتقر سلوك هذه الطريقة الى ترتيب المقدمات الفكرية
قطع الاية الكريمة بالتفكر **وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ** يتعاقبان خلفة لمنامكم ومعاشكم ولعقد الثمار وانضاجها **وَ**
الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ يدابان في سيرهما وانارتهما اصالة وخلافة واصلاحهما لما نيط بهما صلاحه من المكونات التي
من جملتها ما فصل واجمل كل ذلك لمصالحكم ومنافعكم وليس المراد بتسخيرها لهم تمكينهم من تصرفها كيف شاؤا كما
في قوله تعالى سبحان الذي سخر لنا هذا ونظاير بل هو تصريفه تعالى لها حسبما يترتب عليه منافعهم ومصالحهم
كان ذلك تسخيرا لهم وتصرف من قبلهم حسب ارادتهم وفي التعبير عن ذلك التصريف بالتسخير ايماء الى ما في المسخرات
من صعوبة الماخذ بالنسبة الى المخاطبين وايثار صيغة الماضي للدلالة على ان ذلك امر واحد مستمر وان تجددت
اثاره **وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ** مبتداء وخبر اي وساير النجوم في حركاتها واوضاعها من التثليث والتربيع ونحوها
مسخرات لله تعالى او لما خلق له بارادته ومشيته وحيث لم يكن عود منافع النجوم اليهم في الظهور بمثابة ما قبلها
من الملوين والقمرين لم ينسب تسخيرها اليهم باداة الاختصاص بل ذكر على وجه يفيد كونها تحت ملكوته تعالى
من غير دلالة على شيء اخر ولذلك عدل عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث الى الاسمية المفيدة للدوام والاستمرار
وقرئ برفع الشمس والقمر ايضا وقرئ بنصب النجوم على انه مفعول اول لفعل مقدر ينبئ عنه الفعل المذكور ومسخرات
مفعول ثان له اي وجعل النجوم مسخرات بامره او على انه معطوف على المنصوبات المتقدمة ومسخرات حال من الكل
والعامل ما في سخر من معنى نفع اي نفعكم بها حال كونها مسخرات لله تعالى الذي خلقها ودبرها كيف شاء او لما
خلقهن له بايجاده وتقديره او لحكمه او مصدر ميمي جمع لاختلاف الانواع اي انواعا من التسخير وما قيل من ان
فيه ايذانا بالجواب عما عسى يقال المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها بان ذلك ان سلم فلا ريب
في انها ايضا امور ممكنة الذات والصفات واقعة في بعض الوجود الممكنة فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب
الوجود دفعا للدور والتسلسل فمبناه حسبان ان ما ذكر دلالة على وجود الصانع تعالى وقدرته واختياره وانت تدري
ان ليس الامر كذلك فانه ليس مما ينازع فيه الخصم ولا يتلعثم في قوله تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض
وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون وقال ولئن سالتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها ليقولن
الله الاية وانما ذلك من ادلة التوحيد من حيث ان من شانه لا يتوهم ان يشاركه شيء في شيء فضلا عن ان يشاركه
الجماد في الالوهية **إِنَّ فِي ذَٰلِكَ** اي فيما ذكر من التسخير المتعلق بما ذكر مجملا ومفصلا **لَآيَاتٍ** باهرة متكاثرة
لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وحيث كانت هذه الاثار العلوية متعددة ودلالة ما فيها من عظيم القدرة والعلم والحكمة على
الوحدانية اظهر جميع الايات علقت بمجرد العقل من غير حاجة الى التامل والتفكر ويجوز ان يكون المراد لقوم
يعقلون ذلك فالمشار اليه حينئذ تعاجيب الدقايق المودعة في العلويات المدلول عليها بالتسخير التي لا يتصدى
لمعرفتها الا المهرة من اساطين علماء الحكمة لا ريب في ان احتياجها الى التفكر اكثر **وَمَا ذَرَأَ** عطف على قوله تعالى
والنجوم رفعا ونصبا على انه مفعول لجعل اي وما خلق **لَكُمْ فِي الْأَرْضِ** من حيوان ونبات حال كونه **مُخْتَلِفًا**
أَلْوَانُهُ اي اصنافه فان اختلافها غالبا يكون باختلاف اللون مسخر لله تعالى او ما خلق له من الخواص والاحوال
والكيفيات او جعل ذلك مختلف الالوان اي الاصناف لتمتعوا من ذلك باي صنف شئتم وقد عطف على ما
قبله من المنصوبات وعقب بان ذكر الخلق لهم مغن عن ذكر التسخير واعتذر بان الاول لا يستلزم الثاني لزوما
عقليا لجواز كون ما خلق لهم عزيز المرام صعب المنال   هو منصوب بفعل مقدر اي خلق وانبت

على انه وقوله مختلفا الوانه حال من مفعوله **إِنَّ فِي ذَٰلِكَ** الذي ذكر من التسخيرات ونحوها **لَآيَةً** بينة الدلالة
على ان من هذا شانه واحد لا ضد له ولا ند **لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ** فان ذلك غير محتاج الا الى تذكر ما عسى ان يغفل عنه من
العلوم الضرورية واما ما يقال من ان اختلافها في الطبايع والهيات والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم فمدار
حسبان ما لوحنا به من حسبان ما ذكر دليلا على اثبات الصانع تعالى وقد عرفت حقيقة الحال فان ايراد ما يدل
على اتصافه سبحانه بما ذكر من صفات الكمال ليس بطريق الاستدلال عليه بل حيث ان ذلك من المقدمات المسلمة جيء به
للاستدلال به على ما يقتضيه ضرورة من وحدانيته تعالى واستحالة ان يشاركه شيء في الالوهية **وَهُوَ الَّذِي**
سَخَّرَ الْبَحْرَ شروع في تعداد النعم المتعلقة بالبحر اثر تفصيل النعم المتعلقة بالبر حيوانا ونباتا اي جعله بحيث
تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والغوص والاصطياد **لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا** هو السمك والتعبير عنه باللحم
مع كونه حيوانا للتلويح بانحصار الانتفاع به في الاكل ووصفه بالطراوة للاشعار بلطافته والتنبيه على وجوب المسارعة
الى اكله كيلا يتسارع اليه الفساد كما ينبئ عنه جعل البحر مبدا اكله وللايذان بكمال قدرته تعالى في خلقه عذبا طريا
في ماء زعاق ومن اطلاق اللحم عليه ذهب مالك والثوري ان من حلف لا ياكل اللحم حنث باكله والجواب ان مبنى الايمان
العرف ولا ريب في انه لا يفهم منه اللحم عند الاطلاق ولذلك لو امر خادمه بشراء اللحم فجاء بالسمك لم يكن ممتثلا
للامر الا يرى الى ان الله تعالى سمى الكافر دابة حيث قال ان شر الدواب عند الله الذين كفروا ولا يحنث بركوبه من حلف
لا يركب دابة **وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً** كاللؤلؤ والمرجان **تَلْبَسُونَهَا** عبر في مقام الامتنان عن لبس نسائهم بلبسهم
لكونهن منهم او لكون لبسهن لاجلهم **وَتَرَى الْفُلْكَ** السفن **مَوَاخِرَ فِيهِ** جواري فيه مقبلة ومدبرة ومعترضة
بريح واحدة تشقه بحيزومها من المخر وهو شق الماء   هو صوت جري الفلك **وَلِتَبْتَغُوا** عطف على تستخرجوا
وما عطف عليه وما بينهما اعتراض لتمهيد مبادي الابتغاء ودفع توهم كونه باستخراج الحلية او على علة محذوفة
اي لتبتغوا بذلك ولتبتغوا ذكره ابن الانباري او متعلقة بفعل محذوف اي وفعل ذلك لتبتغوا **مِن فَضْلِهِ**
من سعة رزقه بركوبها للتجارة **وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** اي تعرفون حقوق نعمه الجليلة فتقومون بادايها بالطاعة
والتوحيد ولعل تخصيص النعمة بالتعقيب بالشكر من حيث ان فيها قطعا لمسافة طويلة مع احمال ثقيلة في مدة
قليلة من غير مزاولة اسباب السفر بل من غير حركة اصلا مع انها في تضاعيف المهالك وعدم توسيط الفوز
بالمطلوب بين الابتغاء والشكر للايذان باستغنائه عن التصريح به وحصولهما معا **وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ** اي
جبالا ثوابت وقد مر تحقيقه في اول سورة الرعد **أَن تَمِيدَ بِكُمْ** كراهة ان تميل بكم وتضطرب او لئلا تميد بكم فان
الارض قبل ان تخلق فيها الجبال كانت كرة حقيقية بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك
او تتحرك بادنى سبب محرك فلما خلقت الجبال تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت
كالاوتاد   لما خلق الله تعالى الارض جعلت تمور فقالت الملايكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد
ارسيت بالجبال **وَأَنْهَارًا** اي وجعل فيها انهارا لان في القى معنى الجعل **وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** اي الى مقاصدكم
وَعَلَامَاتٍ معالم تستدل بها السابلة بالنهار من جبل ومنهل وريح وقد نقل ان جماعة يشمون التراب ويتعرفون به
الطرقات **وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ** بالليل في البراري والبحار حيث لا علامة غيره والمراد بالنجم الجنس وقيل
الثريا والفرقدان وبنات النعش والجدي وقرئ بضمتين وسكون وهو جمع كرهن ورهن   الاول
بطريق حذف الواو من النجوم للتخفيف ولعل الضمير لقريش فانهم كانوا كثيري التردد للتجارة مشهورين بالاهتداء
بالنجوم في اسفارهم وصرف النظم عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم
خصوصا هؤلاء يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم **أَفَمَن يَخْلُقُ** هذه المصنوعات
العظيمة ويفعل هاتيك الافاعيل البديعة او يخلق كل شيء **كَمَن لَّا يَخْلُقُ** شيا اصلا وهو تبكيت للكفرة
وابطال لاشراكهم وعبادتهم للاصنام بانكار ما يستلزمه ذلك من المشابهة بينها وبينه سبحانه وتعالى بعد

تعداد ما يقتضي ذلك اقتضاءً ظاهرًا وتعقيب الهمزة بالفاء لتوجيه الانكار الى ترتيب توهم المشابهة المذكورة
على ما فصل من الامور العظيمة الظاهرة الاختصاص به تعالى المعلومة كذلك فيما بينهم حسبما يؤذن به ما تلونا
من قوله تعالى ولئن سألتهم الاية والاقتصار على ذكر الخلق من بينها لكونه اعظمها واظهرها واستتباعه اياها
او لكون كل منها خلقا مخصوصا اي بعد ظهور اختصاصه تعالى بمبدائيته هذه الشئون الواضحة الدالة على
وحدانيته تعالى وتفرده بالالوهية واستبداده باستحقاق العبادة يتصور المشابهة بينه وبين ما هو
بمعزل من ذلك بالمرة كما هو قضية اشراككم ومدارها وان كان على تشبيه غير الخالق بالخالق لكن التشبيه حيث
كان نسبة تقوم بالمتشابهين اختير ما عليه النظم الكريم مراعاة لحق سبق الملكة على العدم وتفاديا عن توسيط
عدمها بينها وبين جزئياتها المفصلة قبلها وتنبيها على كمال قبح ما فعلوه من حيث ان ذلك ليس مجرد رفع الاصنام
عن محلها بل هو حط لمنزلة الربوبية الى مرتبة الجمادات ولا ريب في انه اقبح من الاول والمراد بمن لا يخلق كل ما هذا
شأنه كائنا ما كان والتعبير عنه بما يختص بالعقلاء للمشاكلة او العقلاء خاصة ويعرف منه حال غيرهم بدلالة
النص فان من يخلق حيث لم يكن كمن لا يخلق وهو من جملة العقلاء فما ظنك بالجماد وايا ما كان فدخول الاصنام في
حكم عدم المماثلة والمشابهة اما بطريق الاندراج تحت الموصول العام واما بطريق الانفهام بدلالة النص على
الطريقة البرهانية لانها هي المرادة بالموصول خاصة **أفلا تذكرون** اي الا تلاحظون فلا تتذكرون ذلك فانه
لوضوحه بحيث لا يفتقر الى شيء سوى التذكر **وان تعدوا نعمة الله** تذكير اجمالي لنعمة الله بعد تعداد طائفة
منها وكان الظاهر ايراده عقيبها تكملة لها على طريقة قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون ولعل فصل ما بينهما بقوله تعالى
افمن يخلق كمن لا يخلق للمبادرة الى الزام الحجة والقام الحجر اثر تفصيل ما فصل من الافاعيل التي هي ادلة الوحدانية مع ما
فيه من سر تقف عليه ودلالتها عليها وان لم تكن مقصورة على حيثية الانعام ايضا لكنها حيث كانت من مستتبعات
الحيثية الاولى واستغني عن التصريح بها ثم بين حالها بطريق الاجمال اي ان تعدوا نعمه الفائضة عليكم مما ذكر ومما
لم يذكر حسبما يعرب عنه قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا **لا تحصوها** لا تطيقوا حصرها وضبط
عددها ولو اجمالا فضلا عن القيام بشكرها وقد خرجنا عن عهدة تحقيقه في سورة ابرهيم بفضل الله **ان الله لغفور**
حيث ستر ما فرط منكم من كفرانها والاخلال بالقيام بحقوقها ولا يعاجلكم بالعقوبة على ذلك **رحيم** حيث يفيضها
عليكم مع استحقاقكم للقطع والحرمان بما تأتون وتذرون من اصناف الكفر التي من جملتها الفرق بين الخالق وغيره
وكل من ذلك نعمة وايما نعمة والجملة تعليل للحكم بعدم الاحصار وتقديم وصف المغفرة على نعت الرحمة لتقدم التخلية
على التحلية **والله يعلم ما تسرون** تضمرونه من العقايد والاعمال **وما تعلنون** اي تظهرونه منهما وحذف العايد
لمراعاة الفواصل اي يستوي بالنسبة الى علمه المحيط سركم وعلنكم وفيه من الوعيد والدلالة على اختصاصه سبحانه
بنعوت الالهية ما لا يخفى وتقديم السر على العلن لما ذكرناه في سورة البقرة وسورة هود من تحقيق المساواة بين
علميه المتعلقين بهما على ابلغ وجه كأن علمه تعالى بالسر اقدم منه بالعلن او لان كل شيء يعلن فهو قبل ذلك مضمر
في القلب فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى اقدم من تعلقه بحالته الثانية **والذين يدعون** شروع في كون الاصنام
بمعزل من استحقاق العبادة وتوضيحه بحيث لا يبقى فيه شائبة ريب بتعديد اوصافها واحوالها المنافية
لذلك منافاة ظاهرة وتلك الاحوال وان كانت غنية عن البيان لكنها شرحت للتنبيه على كمال حماقة عبدتها
وانهم لا يعرفون ذلك الا بالتصريح اي الذين يعبدهم الكفار **من دون الله** سبحانه وقرئ على صيغة المبني
للمفعول على الخطاب **لا يخلقون شيئا** من الاشياء اصلا اي ليس من شأنهم ذلك ولما لم يكن بين نفي الخالقية
وبين المخلوقية تلازم بحسب المفهوم وان تلازما في الصدق اثبت لهم ذلك صريحا فقيل **وهم يخلقون** اي شأنهم
ومقتضى ذاتهم المخلوقية لانها ذوات ممكنة مفتقرة في ماهياتها ووجوداتها الى الموجد وبناء الفعل للمفعول لتحقيق
التضاد والمقابلة بين ما اثبت لهم وبين ما نفي عنهم من وصفي المخلوقية والخالقية وللايذان بعدم الافتقار الى

بيان الفاعل

بيان الفاعل لظهور اختصاص الفعل بفاعله جل جلاله ويجوز ان يجعل الخلق الثاني عبارة عن النحت والتصوير رعاية
للمشاكلة بينه وبين الاول مبالغة في كونهم مصنوعين لعبدتهم واعجز عنهم وايذانا بكمال ركاكة عقولهم حيث اشركوا
بخالقهم مخلوقهم واما جعل الاول عبارة عن ذلك كما فعل فلا وجه له اذ القدرة على مثل ذلك الخلق ليست مما يدور
استحقاق العبادة اصلا ولما ان اثبات المخلوقية لهم غير مستدع لنفي الحيوة عنهم لما ان بعض المخلوقين احياء صرح
بذلك فقيل **اموات** وهو خبر ثان للموصول لا للضمير كما قيل او خبر مبتدأ محذوف وحيث كان بعض الاموات
مما يعتريه الحيوة سابقا او لاحقا كاجساد الحيوان والنطف التي ينشئها الله تعالى حيوانا احترز عن ذلك فقيل
غير احياء اي لا يعتريها الحيوة اصلا فهي اموات على الاطلاق واما قوله تعالى **وما يشعرون ايان يبعثون** اي ما يشعر
اولئك الالهة ايان يبعث عبدتهم فعلى طريقة التهكم بهم لان شعور الجماد بالامور الظاهرة بديهي الاستحالة
عند كل احد فكيف بما لا يعلمه الا العليم الخبير وفيه ايذان بان البعث من لوازم التكليف وان معرفة وقته
مما لا بد منه في الالوهية **الهكم اله واحد** لا يشاركه شيء وهو تصريح بالمدعى وتلخيص للنتيجة غب اقامة الحجة
فالذين لا يؤمنون بالآخرة واحوالها التي من جملتها ما ذكر من البعث والجزاء المستلزم لعقوبتهم وذلتهم **قلوبهم منكرة**
للوحدانية جاحدة لها وللايات الدالة عليها **وهم مستكبرون** عن الاعتراف بها او عن الايات الدالة عليها
والفاء للايذان بان اصرارهم على الانكار واستمرارهم على الاستكبار وقع موقع النتيجة للدلائل الظاهرة
والبراهين الباهرة والمعنى انه قد ثبت بما قرر من الحجج والبينات اختصاص الالهية به سبحانه فكان من
نتيجة ذلك اصرارهم على ما ذكر من الانكار والاستكبار وبناء الحكم المذكور على الموصول للاشعار بكونه معللا
بما في حيز الصلة فان الكفر بالآخرة وبما فيها من البعث والجزاء المتنوع الى الثواب على الطاعة والعقاب
على المعصية يؤدي الى قصر النظر على العاجل والاعراض عن الدلائل السمعية والعقلية الموجب لانكارها او
اسوارها والاستكبار عن اتباع الرسول عليه الصلوة والسلام وتصديقه واما الايمان بها وبما فيها فيدعو
لا محالة الى التامل في الايات والدلائل رغبة ورهبة فيورث ذلك رسوخا في الوحدانية وخضوعا لامر الله تعالى
لا جرم اي حقا وقد مر تحقيقه في سورة هود **ان الله يعلم ما يسرون** من انكار قلوبهم **وما يعلنون** من استكبار
وقولهم للقرآن اساطير الاولين وغير ذلك من قبائحهم فيجازيهم بذلك **انه لا يحب المستكبرين** تعليل لما تضمنه
الكلام من الوعيد اي لا يحب المستكبرين عن التوحيد او عن الايات الدالة عليها او لا يحب جنس المستكبرين
فكيف بمن استكبر عما ذكر **واذا قيل لهم** اي لاولئك المنكرين المستكبرين وهو بيان لاضلالهم غب بيان
ضلالهم **ماذا انزل ربكم** القائل الوافدون عليهم او المسلمون او بعض منهم على طريق التهكم وماذا منصوب بما
بعده او مرفوع اي اي شيء انزل او ما الذي انزله **قالوا اساطير الاولين** اي ما تدعون نزوله او المنزل بطريق
السخرية احاديث الاولين واباطيلهم وليس من الانزال في شيء قيل هؤلاء القائلون هم المقتسمون الذين اقتسموا
مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند سؤال وفود الحاج عما نزل عليه عليه السلام **ليحملوا**
متعلق بقالوا اي قالوا ما قالوا ليحملوا **اوزارهم** الخاصة بهم وهي اوزار ضلالهم **كاملة** لم يكفر منها شيء بنكبة
اصابتهم في الدنيا كما يكفر بها اوزار المؤمنين **يوم القيمة** ظرف ليحملوا **ومن اوزار الذين يضلونهم** وبعض اوزار من ضل
باضلالهم وهو وزر الاضلال لانهما شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه فيتحاملان الوزر واللام للتعليل
في نفس الامر من غير ان يكون غرضا وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرار الاضلال او باعتبار حال قولهم لا حال
الحمل **بغير علم** حال من الفاعل اي يضلونهم غير عالمين ان ما يدعون اليه طريق الضلال واما حمله على معنى غير عالمين
بانهم يحملون يوم القيمة اوزار الضلال والاضلال على ان يكون العامل في الحال قالوا وتأييده بما سيأتي من قوله تعالى
واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من حيث ان حمل ما ذكر من اوزار الضلال والاضلال من قبيل اتيان العذاب
من حيث لا يشعرون فيرده ان الحمل المذكور انما هو يوم القيمة والعذاب المذكور انما هو العذاب الدنيوي كما ستقف

نكار

هم

عليه اوحال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال و فايدة التقييد بها الاشعار ان مكرهم لا يروج عند ذي لب
وانما يتبعهم الاغبياء والجهلة والتنبيه علي ان جهلهم ذلك لا يكون عذرا اذ كان يجب عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين
المحق الحقيق بالاتباع وبين المبطل الا ساء ما يزرون اي بيس شيا يزرونه ما ذكر قد مكر الذين من قبلهم وعيد لهم برجوع
غايلة مكرهم الي انفسهم كدأب من قبلهم من الامم الخالية الذين اصابهم من العذاب العاجل اي قد سووا منصوبات
ليمكروا بها رسل الله تعالي فاتي الله اي امره وحكمه بنيانهم وقري بيتهم وبيوتهم من القواعد من جهة القواعد
وهي الاساطين التي تعمده او اساسه فضعضعت اركانه فخر عليهم السقف من فوقهم اي سقط عليهم سقف بنيانهم
اذ لا يتصور له القيام بعد تهدم القواعد شبهت حال اوليك الماكرين في تسويتهم المكايد والمنصوبات
التي ارادوا بها الايقاع برسل الله سبحانه وفي ابطاله تعالي تلك الحيل والمكايد وجعله اياها اسبابا لهلاكهم
بحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتي ذلك من قبل اساطينه ان ضعضعت فسقط عليهم السقف فهلكوا
وقري فخر عليهم السقف بضمتين واتاهم العذاب اي الهلاك والدمار من حيث لا يشعرون باتيانه منه بل يتوقعون
اتيان مقابله مما يريدون ويشتهون والمعني ان هولاء الماكرين القايلين للقران العظيم اساطير الاولين
سياتيهم العذاب مثل ما اتاهم وهم لا يحتسبون والمراد به العذاب العاجل لقوله تعالي ثم يوم القيمة يخزيهم
فانه عطف علي مقدر ينسحب عليه الكلام اي هذا الذي فهم من التمثيل من عذاب هولاء او ما هو اعم منه ومما
ذكر من عذاب اوليك جزاوهم في الدنيا ويوم القيمة يخزيهم اي يذلهم بعذاب الخزي علي رووس الاشهاد واصل
الخزي ذل يستحيي منه وثم للايماء الي ما بين الجزائين من التفاوت مع ما دل عليه من التراخي الزماني وتغيير السبك
بتقديم الظرف ليس لقصر الخزي علي يوم القيمة كما هو المتبادر من تقديم الظرف علي الفعل بل لان الاخبار بجزائهم
في الدنيا موذن بان لهم جزاء اخرويا فتبقي النفس مترقبة الي وروده سايلة عنه بانه ماذا مع تيقنها بانه في
الاخرة فسيق الكلام علي وجه يوذن بان المقصود بالذكر اخزاوهم لا كونه يوم القيمة والضمير اما للمفترين في حق
القران الكريم اولهم ولمن مثلوا بهم من الماكرين وتخصيصه بهم يا باه السياق كما ستقف عليه ويقول لهم تفضيحا
او توبيخا فهو الي اخره بيان للاخزاء اين شركاءي اضافهم اليه سبحانه حكاية لاضافتهم الكاذبة ففيه توبيخ
اثر توبيخ مع استهزاء بهم الذين كنتم تشاقون فيهم اي تخاصمون الانبياء والمومنين في شانهم بانهم شركاء حقا
حين بينوا لكم بطلانها والمراد بالاستفهام استحضارها للشفاعة والمدافعة عن طريقة الاستهزاء و
التبكيت والاستفسار عن مكانهم لا يوجب غيبتهم حقيقة حتي يعتذر بانه يجوز ان يحال بينهم وبين
عبدتهم حينئذ ليتفقدوها في ساعة علقوا بها الرجا فيها او بانهم لما لم ينفعوهم فكانهم غيب بل يكفي في
ذلك عدم حضورهم بالعنوان الذين كانوا يزعمون انهم متصفون به من عنوان الالهية فليس هناك
شركاء ولا اماكنها علي ان قوله ليتفقدوا ليس بسديد فانه قد تبين عندهم الامر حينئذ فرجعوا عن ذلك
الزعم الباطل فكيف يتصور منهم التفقد وقري بكسر النون اي تشاقونني علي ان مشاقة الانبياء والمومنين لا
لاسيما في شان متعلق به سبحانه مشاقة له عز وجل قال الذين اوتوا العلم من اهل الموقف وهم الانبياء والمومنون
الذين اوتوا علما بدلايل التوحيد وكانوا يدعونهم في الدنيا الي التوحيد فيجادلونهم ويتكبرون عليهم اي يقولون
توبيخا لهم واظهارا لهم للشماتة وتقريرا لما كانوا يعظونهم وتحقيقا لما اوعدوهم وايثار صيغة الماضي للدلالة علي
تحققه وتحتم وقوعه حسبما هو المعتاد في اخباره سبحانه وتعالي لقوله ونادي اصحاب الجنة ونادي اصحاب الاعراف
ان الخزي الفضيحة والذل والهوان اليوم منصوب بالخزي علي راي من يري اعمال المصدر المصدر باللام او بالاستقرار
بالظرف وقد فصل بين العامل والمعمول بالمعطوف الا انه مغتفر في الظروف وايراده للاشعار بانهم كانوا قبل
ذلك في عزة وشقاق والسوء العذاب علي الكافرين بالله وبرسله الذين تتوفيهم الملٰيكة بتاء التانيث الفعل وقري
بتذكيره وبادغام التاء في التاء والعدول الي صيغة المضارع لاستحضار صورة توفيهم اياهم لما فيها من

الهول

الهول والموصول في محل الجر علي انه نعت للكافرين او بدل منه او في محل النصب او الرفع علي الذم وفايدته تخصيص
الخزي والسوء بمن استمر كفره الي حين الموت دون من امن منهم ولو في اخر عمره اي علي الكافرين المستمرين علي الكفر
الي ان تتوفيهم الملٰيكة ظالمي انفسهم اي حال كونهم مستمرين علي الكفر فانه ظلم منهم لانفسهم واي ظلم حيث
عرضوها للعذاب المخلد وبدلوا فطرة الله تبديلا فالقوا السلم اي فيلقون والعدول الي صيغة الماضي للدلالة
علي تحقق الوقوع وهو عطف علي قوله تعالي فيقول اين شركاءي وما بينهما جملة اعتراضية جي بها تحقيقا لما حاق
بهم من الخزي علي رووس الاشهاد اي فيالمون ويتركون المشاقة وينزلون عما كانوا عليه في الدنيا من الكبر وشدة
الشكيمة قايلين ما كنا نعمل في الدنيا من سوء اي من شرك قالوه منكرين لصدوره عنهم كقولهم والله ربنا ما كنا
مشركين وانما عبروا عنه بالسوء اعترافا بكونه سيئا لا انكارا لكونه كذلك مع الاعتراف بصدوره عنهم ويجوز
ان يكون تفسيرا للسلم علي ان يكون المراد به الكلام الدال عليه وعلي التقديرين فهو جواب عن قوله سبحانه
اين شركاءي كما في سورة الانعام لا عن قول اولي العلم ادعاء لعدم استحقاقهم لما دهمهم من الخزي والسوء بلي
رد عليهم من قبل اهل العلم واثبات لما نفوه اي بلي كنتم تعملون ما تعملون ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه
وهذا اوانه فادخلوا ابواب جهنم اي كل صنف بابه المعد له ابوابها اصناف عذابها فالدخول
عبارة عن الملابسة والمقاساة خالدين فيها ان اريد بالدخول حدوثه فالحال مقدرة وان اريد مطلق الكون
فيها فهي مقارنة فلبيس مثوي المتكبرين اي عن التوحيد كما قال تعالي قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وذكرهم
بعنوان التكبر للاشعار بعليته لثوايهم فيها والمخصوص بالذم محذوف اي جهنم وتاويل قولهم ما كنا عاملين
ذلك في اعتقادنا روما للمحافظة علي ان لا كذب ثمة يرده الرد المذكور وما في سورة الانعام من قوله تعالي انظر
كيف كذبوا علي انفسهم وقيل للذين اتقوا اي المومنين وصفوا بالتقوي اشعارا بان ما صدر عنهم من الجواب
ناش عن التقوي ماذا انزل ربكم قالوا خيرا سلكوا في الجواب مسلك السوال من غير تلعثم ولا تغيير في الصورة والمعني
اي انزل خيرا فانه جواب مطابق للسوال سبكا للواقع في نفس الامر مضمونا واما الكفرة فانهم خذلهم الله تعالي
كما غيروا الجواب عن نهج الحق الواقع غيروا صورته وعدلوا بها عن سنن السوال حيث رفعوا الاساطير وما للماضي
من انكار النزول ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبي صلي الله عليه وسلم فاذا
جاء الوافد كفه المقتسمون وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك وامروه بالانصراف فيقول انا شر وافد ان رجعت
الي قومي دون ان استطلع امر محمد واراه فيلقي اصحاب النبي صلي الله عليه وسلم ورضي عنهم فيخبرونه بحقيقة الحال
فهم الذين قالوا خيرا للذين احسنوا اي اعمالهم او فعلوا الاحسان في هذه الدار الدنيا حسنة اي مثوبة حسنة
مكافاة فيها ولدار الاخرة اي مثوبتهم فيها خير مما اوتوا في الدنيا من المثوبة او خير علي الاطلاق فيجوز اطلاق
الخيرية الي نفس دار الاخرة ولنعم دار المتقين اي دار الاخرة حذف لدلالة ما سبق عليه وهذا كلام مبتدا
مدح الله تعالي به المتقين وعدجوابهم المحكي من جملة احسانهم ووعدهم بذلك ثوابي الدنيا والاخرة فلا محل
له من الاعراب او بدل من خيرا وتفسير له اي انزل خيرا هنا هو الكلام الجامع قالوه ترغيبا للسايل جنات عدن
خبر مبتدا محذوف اي لهم جنات ويجوز ان يكون هو المخصوص بالمدح يدخلونها صفة لجنات علي تقدير
تنكير عدن وكذلك تجري من تحتها الانهار وكلاهما حال علي تقدير علميته لهم فيها اي في تلك الجنات
ما يشاؤن الظرف الاول خبر لما والثاني حال منه والعامل في الاول اما متعلق به اي حاصل فيها ما يشا
من انواع المشتهيات وتقديمه للاحتراز من توهم تعلقه بالمشية او لما مر مرارا من ان تاخير ما حقه
التقديم يوجب ترقب النفس اليه فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن كذلك مثل ذلك الجزاء الاوفي يجزي
الله المتقين اللام للجنس اي كل من يتقي من الشرك والمعاصي ويدخل فيه المتقون المذكورون دخولا اوليا
ويكون فيه بعث لغيرهم علي التقوي او للعهد فيكون فيه تحسير للكفرة الذين تتوفيهم الملٰيكة نعت

للمتقين وقوله تعالى طيبين طاهرين عن دنس الظلم لانفسهم حال من الضمير وفايدة الايذان بان ملاك الامر في التقوى هو الطهارة عما ذكر الى وقت توفيهم وفيه حث للمؤمنين على الاستمرار على ذلك ولغيرهم على تحصيله
او حين طيبين النفوس ببشارة الملئكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى جناب القدس يقولون حال من الملئكة اي قايلين لهم سلام عليكم قال القرطبي رحمه الله اذا استدعت نفس المؤمن جاءه ملك الموت عليه السلام يقول السلام عليك يا ولي الله الله يقرا عليك السلام ويبشره بالجنة ادخلوا الجنة اللام للعهد اي جنات عدن ولذلك جردت عن النعت والمراد دخولهم لها في وقته فان ذلك بشارة عظيمة وان تراخي المبشر به لا دخول القبر الذي هو روضة من رياضها اذ ليس في البشارة به ما في البشارة بدخول نفس الجنة بما كنتم تعملون بسبب ثباتكم على التقوى والطاعة او بالذي كنتم تعملونه من ذلك المراد بالتوفي التوفي للحشر لان الامر بالدخول حينئذ محقق هل ينظرون اي ما ينظر كفار مكة المار ذكرهم الا ان تأتيهم الملائكة بقبض ارواحهم بالعذاب جعلوا منتظرين لذلك وشتان بينهم وبين انتظاره لا لانه يلحقهم لحوق الامر المنتظر بل لمباشرتهم لاسبابه الموجبة له المودية اليه فكانهم يقصدون اتيانه لوروده وقرئ بتذكير الفعل او يأتي امر ربك التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام اشعار بان اتيانه لطف به صلى الله عليه وسلم وان كان عذابا عليهم والمراد بالامر العذاب الدنيوي لا القيمة لكن لا لان انتظارها بجامع انتظار اتيان الملئكة فلا يلايم العطف باو لانها ليست نصا في العذاب اذ يجوز ان يعتبر منع الخلق ويراد بايرادها كفاية كل واحد من الامرين في عذابهم بل لان قوله تعالى فيما سياتي ولكن كانوا انفسهم يظلمون فاصابهم الاية صريح في ان المراد به ما اصابهم من العذاب الدنيوي كذلك اي مثل فعل هولاء من الشرك والظلم والتكذيب والاستهزاء فعل الذين خلوا من قبلهم من الامم وما ظلمهم الله بما سيلقى من عذابهم ولكن كانوا بما كانوا مستمرين عليه من القبايح الموجبة لذلك انفسهم يظلمون كان الظاهر ان يقال ولكن كانوا هم الظالمين كما في سورة الزخرف لكنه اوثر ما عليه النظم الكريم لافادة ان غائلة ظلمهم آيلة اليهم وعاقبته مقصورة عليهم مع استلزام اقتصار ظلم كل واحد على نفسه من حيث الوقوع اقتصاره عليه من حيث الصدور وقد مر تحقيقه في سورة يونس فاصابهم عطف على قوله تعالى فعل الذين من قبلهم وما بينهما اعتراض لبيان ان فعلهم ذلك ظلم لانفسهم سيات ما عملوا اي اجزية اعمالهم السيئة على طريقة تسمية المسبب باسم سببه ايذانا بفظاعته لا على حذف المضاف فانه يوهم ان لهم اعمالا غير سيئاتهم وحاق بهم اي احاط بهم من الحيق الذي هو احاطة الشر وهو ابلغ من الاصابة وافظع ما كانوا به يستهزؤن من العذاب وقال الذين اشركوا اي اهل مكة وهو بيان لفن آخر من كفرهم والعدول عن الاضمار الى الموصول لتقريعهم بما في حيز الصلة وذمهم بذلك من اول لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء اي لو شاء عدم عبادتنا لشيء غيره كما تقول لما عبدنا ذلك نحن ولا اباؤنا الذين نقتدي بهم في ديننا ولا حرمنا من دونه من شيء من السوائب والبحاير وغيرهما وانما قالوا ذلك تكذيبا للرسول عليه الصلوة والسلام وطعنا في الرسالة راسا متمسكين بان ما شاء الله تعالى وما لم يشا يمتنع فلو انه شاء ان نوحده ولا نشرك به شيئا ولا نحرم ما حرمنا شيئا كما يقوله الرسل وينقلونه من جهة الله عز وجل لكان الامر كما شاء من التوحيد ونفي الاشراك وما يتبعها وحيث لم يكن كذلك ثبت انه لم يشا شيئا من ذلك وانما يقوله الرسل من تلقاء انفسهم فاجيب عنه بقوله عز وجل كذلك اي مثل ذلك الفعل الشنيع فعل الذين من قبلهم من الامم اي اشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله وجادلوا بالباطل حين نبهوهم على الخطا وهدوهم الى الحق فهل على الرسل الذين يبلغون رسالات الله وعزايم امره ونهيه الا البلاغ المبين اي ليست وظيفتهم الا تبليغ الرسالة تبليغا واضحا او موضحا وابانة طريق الحق واظهار احكام الوحي الذي من جملتها تحتم مشية الله تعالى باهتداء من صرف قدرته واختياره الى تحصيل الحق لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا واما الجاؤهم الى ذلك وتنفيذ قولهم عليهم شاؤا او ابوا كما هو مقتضى استدلالهم فليس ذلك من وظيفتهم

ولا من الحكمة التي عليها يدور امر التكليف في شيء حتى يستدل بعدم ظهور اثاره على عدم حقية الرسل او على عدم تعلق مشيته تعالى بذلك فان ما يترتب عليه الثواب والعقاب من افعال العباد ولا بد في تعلق مشيته تعالى بوقوعه من مباشرتهم الاختيارية له وصرف اختيارهم الجزئي الى تحصيله والا لكان الثواب والعقاب اضطراريين فالفاء للتعليل كانه قيل كذلك فعل اسلافهم وذلك باطل فان الرسل ليس شانهم الا تبليغ اوامر الله تعالى ونواهيه لا تحقيق مضمونها او اجراء موجبها على الناس قسرا او الجاء وايراد كلمة على للايذان بانهم في ذلك مامورون او بان ما يبلغونه حق للناس عليهم ايفاؤه وبهذا ظهر حمل قولهم لو شاء الله الخ على الاستهزاء لا يلايم الجواب والله اعلم بالصواب ولقد بعثنا في كل امة رسولا تحقيق لكيفية تعلق مشيته تعالى بافعال العباد بعد بيان الالجاء ليس من وظائف الرسالة ولا من باب المشية المتعلقة لما يدور عليه الثواب والعقاب من الافعال الاختيارية لهم اي بعثنا في كل امة من الامم الخالية رسولا خاصا بهم ان اعبدوا الله يجوز ان تكون مفسرة لما في البعث من معنى القول وان تكون مصدرية اي بعثنا بان اعبدوا الله وحده واجتنبوا الطاغوت هو الشيطان وكلما يدعوا الى الضلالة فمنهم اي من تلك الامم والفاء فصيحة اي فبلغوا ما بعثوا به من الامر بعبادة الله وحده واجتناب الطاغوت فمنهم من هدى الله الى الحق الذي هو عبادته واجتناب الطاغوت بعد صرف قدرتهم واختيارهم الجزئي الى تحصيله ومنهم من حقت عليه الضلالة اي وجبت وثبتت الى حين الموت لعناده واصراره عليها وعدم صرف قدرته الى تحصيل الحق وتغيير الاسلوب للاشعار بان ذلك لسوء اختيارهم كقوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين فلم يكن كل من مشية الهداية وعدمها الا حسبما حصل منهم من التوجه الى الحق وعدمه لا بطريق القسر والالجاء حتى يستدل بعدمها على عدم تعلق مشيته تعالى بعبادتهم له تعالى وحده فسيروا يا معشر قريش في الارض فانظروا في اكنافها كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود ومن سار سيرتهم ممن حقت عليه الضلالة لعلكم تعتبرون حين تشاهدون في منازلهم وديارهم اثار العذاب والهلاك وترتيب الامر بالسير على مجرد الاخبار بثبوت الضلالة عليهم من غير اخبار بحلول العذاب للايذان بانه غني عن البيان وان ليس الخبر كالعيان وترتيب النظر على السير لما انه بعده وان ملاك الامر في تلك المعاقبة هو التكذيب والتعلل بانه لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء ان تحرص خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ بفتح الراء وهي لغة على هديهم اي ان تطلب هدايتهم بجهدك فان الله لا يهدي من يضل اي فاعلم انه تعالى لا يخلق الهداية جبرا وقسرا فيمن يخلق فيه الضلالة بسوء اختياره والمراد به قريش وانما وضع الموصول موضع الضمير للتنصيص على انهم ممن حقت عليه الضلالة وللاشعار بعلة الحكم ويجوز ان يكون المذكور علة للجزاء المحذوف اي ان تحرص على هداهم فلست بقادر على ذلك لان الله لا يهدي من يضله وهؤلاء من جملتهم وقرئ لا يهدي على بناء المفعول اي لا يقدر احد على هداية من اضله الله تعالى وقرئ لا يهدي بفتح الهاء وادغام تاء يهتدي في الدال ويجوز ان يكون يهدي بمعنى يهتدي وقرئ يضل بفتح الياء وقرئ لا هادي لمن يضل ولمن اضل وما لهم من ناصرين ينصرونهم في الهداية او يدفعون العذاب عنهم وصيغة الجمع في الناصرين باعتبار الجمعية في الضمير فان مقابلة الجمع بالجمع يقتضي انقسام الاحاد الى الاحاد لا لان المراد نفي طائفة من الناصرين من كل منهم واقسموا بالله شروع في بيان فن آخر من اباطيلهم وهو انكارهم البعث جهد ايمانهم مصدر في موضع الحال اي جاهدين في ايمانهم لا يبعث الله من يموت ولقد رد الله تعالى عليهم ابلغ رد بقوله الحق بلى اي بلى يبعثهم وعدا مصدر مؤكد لما دل عليه بلى فان ذلك موعد من الله تعالى او المحذوف اي وعد بذلك وعدا عليه صفة لوعد اي وعدا ثابتا عليه انجازه لامتناع الخلف في وعده او لان البعث من مقتضيات الحكمة حقا صفة اخرى له او نصب على المصدرية اي حق حقا ولكن اكثر الناس لجهلهم بشؤن الله عز شانه من العلم والقدرة والحكمة وغيرها من صفات الكمال وبما يجوز عليه وما لا يجوز وعدم وقوفهم على سر التكوين والغاية القصوى منه وان البعث مما يقتضيه الحكمة التي جرت عادته سبحانه بمراعاتها لا يعلمون انه يبعثهم فيبتون القول بعدمه او انه وعد عليه حق فيكذبونه قائلين

لقد وعدنا نحن واباونا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين **ليبين لهم** غاية لما دل عليه بلى من البعث والضمير لمن
يموت اذ التبيين يعم المومنين ايضا فانهم وان كانوا عالمين بذلك لكنه عند معاينة حقيقة الحال يتضح الامر فيصل علمهم
الى مرتبة عين اليقين اي يبعثهم ليبين لهم بذلك وبما يحصل لهم من مشاهدة الاحوال كما هي ومعاينتها بصورها
الحقيقية الشان **الذي يختلفون فيه** من الحق المنتظم لجميع ما خالفوه مما جاء به الشرع المبين ويدخل فيه البعث
دخولا اوليا **وليعلم الذين كفروا** بالله سبحانه بالاشراك وانكار البعث وتكذيب وعد الحق **انهم كانوا كاذبين**
في كل ما يقولون لا سيما في قولهم لا يبعث الله من يموت والتعبير عن الحق بالموصول للدلالة على فخامته وللاشعار بعليته
ماذكر في حيز الصلة للتبيين وما عطف عليه وجعلهما غاية للبعث المشار اليه باعتبار وروده في معرض الرد على المخالف
وابطال مقالة المعاندين المستدعي للتعرض لما يردعهم عن المخالفة ويلجيهم الى الاذعان للحق فان الكفرة اذا علموا
ان تحقق البعث اذا كان لتبين انه حق وليعلموا انهم كانوا كاذبين في انكاره كان ذلك ازجر لهم عن انكاره وادعى الى
الاعتراف به ضرورة انه يدل على صدق العزيمة على تحقيقه كما تقول لمن ينكر انك تصلي لاصلين رغما لانفك
واظهارا لكذبك ولان تكرر الغايات ادل على وقوع الفعل المغيا بها والا فالغاية الاصلية للبعث باعتبار ذاته
انما هو الجزاء الذي هو الغاية القصوى للخلق المغيا بمعرفته عز وجل وعبادته وانما لم يذكر ذلك لتكرر ذكره في
مواضع اخر وشهرته وانما لم يدرج علم الكفار بكذبهم تحت التبيين بان يقال وان الذين كفروا كانوا كاذبين
بل جيء بصيغة العلم لان ذلك ليس مما تعلق به التبيين الذي هو عبارة عن اظهار ما كان مبهما قبل ذلك
بان يخبر به فيختلف فيه كالبعث الذي نطق به القرآن فاختلف فيه المختلفون واما كذب الكافرين
فليس من هذا القبيل فما يتعلق به علم ضروري حاصل لهم من قبيل انفسهم وقد مر تحقيقه في سورة التوبة
عند قوله تعالى حتى يتبين لك الذين صدقوا وانما خص الاسناد بهم حيث لم يقل وليعلموا ان الكافرين الاية
لان علم المومنين بذلك حاصل قبل ذلك ايضا **انما قولنا** استيناف لبيان كيفية التكوين على الاطلاق ابداء
واعادة بعد التنبيه على انية البعث ومنه يظهر كيفيته فما كافة وقولنا مبتدا وقوله **لشيء** اي اي شيء كان
مما عز وهان متعلق به على ان اللام للتبليغ كهي في قولك قلت له قم فقام وجعلها الزجاج سببية اي لاجل
شيء وليس بواضح والتعبير عنه بذلك باعتبار وجوده عند مشيته تعالى به لانه كان شيئا قبل ذلك **اذا اردناه**
ظرف لقول اي وقت ارادتنا لوجوده **ان نقول له كن** خبر للمبتدا **فيكون** اما عطف على مقدر يفصح عنه الفاء
وينسحب عليه الكلام اي فنقول ذلك فيكون لقوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون واما جواب
لشرط محذوف اي فاذا قلنا ذلك فهو يكون وليس هناك قول ولا مقول له ولا امر ولا مامور حتى يقال انه يلزم
منه احد المحالين اما خطاب المعدوم او تحصيل الحاصل او يقال ان ما يستدعيه انحصار قوله تعالى كن وليس
يلزم منه انحصار اسباب التكوين فيه كما يفيد قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فان
المراد بالامر هو الشان الشامل للقول والفعل ومن ضرورة انحصاره في كلمة كن انحصار اسبابه على الاطلاق
فيه بل انما هو تمثيل لسهولة تاتي المقدورات حسب تعلق مشيته تعالى بها وتصوير لسرعة حدوثها بما هو
علم في ذلك من طاعة المامور المطيع لامر الامر المطاع فالمعنى انما ايجادنا لشيء عند تعلق مشيتنا به ان يوجد
في اسرع ما يكون ولما عبر عنه بالامر الذي هو قول مخصوص وجب ان يعبر عن مطلق الايجاد بالقول المطلق
فتامل وفي الاية الكريمة من الفخامة والجزالة ما يحار فيه العقول والالباب وقرئ بنصب يكون عطفا على
نقول او تشبيها له بجواب الامر **والذين هاجروا في الله** اي في شان الله تعالى ورضاه وفي حقه ولوجهه
من بعد ما ظلموا ولعلهم الذين ظلمهم اهل مكة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرجوهم من
ديارهم فهاجروا الى الحبشة ثم بواهم الله المدينة حسبما وعد بقوله سبحانه **لنبوئنهم في الدنيا حسنة**
اي مباءة حسنة او تبوئة حسنة كما قال قتادة وهو الانسب لما هو المشهور من كون السورة غير ثلاث

ايات من اخرها مكية واما ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في صهيب وبلال وعمار وخباب و
عابس وجبير وابي جندل بن سهل اخذهم المشركون فجعلوا يعذبونهم ليردوهم عن الاسلام اما صهيب فقال لهم
انا رجل كبير ان كنت معكم لا انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فافتدي منهم بماله وهاجر فلما راه ابو بكر رضي الله
عنه قال ربح البيع يا صهيب وقال عمر رضي الله عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فانما يناسب ما حكي
عن الاصم من كون كل السورة مدنية وما نقل عن قتادة من كون هذه الاية الى اخر السورة مدنية فيحمل ما نقلنا عنه
من نزول الاية في اصحاب الهجرتين على ان يكون نزولها بالمدينة بين الهجرتين واما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من
جملتهم فلا يساعده نظم التنزيل ولا شانه الجليل وقرئ لنثوينهم ابواء حسنة او لننزلنهم في الدنيا منزلة حسنة
وهي الغلبة على من ظلمهم من اهل مكة وعلى العرب قاطبة واهل الشرق والغرب كافة **ولاجر الاخرة** اي اجر اعمالهم المذكورة
في الاخرة **اكبر** مما يعجل لهم في الدنيا وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له
خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله تعالى في الدنيا وما ادخر في الاخرة افضل **لو كانوا يعلمون** الضمير للكفار
اي لو علموا ان الله تعالى يجمع لهولاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم في الدين وقيل للمهاجرين اي لو علموا ذلك
فزادوا في الاجتهاد ولما تالموا لما اصابهم من المهاجرة وشدايدها **الذين صبروا** على الشدايد من اذية الكفار
ومفارقة الاهل والوطن وغير ذلك ومحله النصب او الرفع على المدح **وعلى ربهم** خاصة **يتوكلون** منقطعين
اليه تعالى معرضين عما سواه مفوضين اليه الامر كله والجملة اما معطوفة على الصلة وتقديم الجار والمجرور للدلالة
على قصر التوكل على الله تعالى وصيغة الاستقبال للدلالة على دوام التوكل او حال من ضمير صبروا **وما ارسلنا
من قبلك الا رجالا نوحي اليهم** وقرئ بالياء مبنيا للمفعول وهو رد لقريش حين قالوا الله اجل من ان يكون له رسول
من البشر كما هو مبني قولهم لو شاء الله ما عبدنا الى آخره اي جرت السنة الالهية حسبما اقتضته الحكمة بان
لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحي اليهم بواسطة الملك اوامره ونواهيه ليبلغوها الناس ولما كان المقصود
من الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم تنبيه الكفار على مضمونه صرف الخطاب اليهم فقيل **فاسئلوا اهل الذكر**
اي اهل الكتاب وعلماء الاخبار او كل من يذكر بعلم وتحقيق ليعلموكم ذلك **ان كنتم لا تعلمون** حذف جوابه لدلالة ما
قبله عليه وفيه دلالة على انه لم يرسل للدعوة العامة ملكا وقوله تعالى وجاعل الملائكة رسلا معناه رسلا الى الملائكة
او الى الرسل ولا امراة ولا صبيا ولا ينافيه نبوة عيسى عليه السلام وهو في المهد لانها اعم من الرسالة واشارة الى
وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم **بالبينات والزبر** بالمعجزات والكتب والباء متعلقة بمقدر وقع جوابا عن
سوال من قال بم ارسلوا فقيل ارسلوا بالبينات والزبر وبما ارسلنا داخلا تحت الاستثناء مع رجالا عند من يجوز
اي ما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط او على نية التقديم قبل اداة الاستثناء اي ما ارسلنا
من قبلك بالبينات والزبر الا رجالا عند من يجوز تاخر صلة ما قبل الا الى ما بعدها او بما وقع صفة للمستثنى اي رجالا
ملتبسين بالبينات او بيوحي على المفعولية من القايم مقام فاعل يوحي وهو اليهم على ان قوله تعالى فاسئلوا اعتراض
او بقوله لا تعلمون على ان الشرط للتبكيت كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني حقي **وانزلنا اليك الذكر** اي
القران وانما سمي به لانه تذكير وتنبيه للغافلين **لتبين للناس** كافة ويدخل فيهم اهل مكة دخولا اوليا **ما نزل اليهم**
في ذلك الذكر من الاحكام والشرايع وغير ذلك من احوال القرون المهلكة بافانين العذاب حسب اعمالهم الموجبة
لذلك على وجه التفصيل كما ينبئ عنه صيغة التفعيل في الفعلين لا سيما بعد ورود الثاني اولا على صيغة
الافعال ولما ان التبيين اعم من التصريح بالمقصود ومن الاشارة الى ما يدل عليه دخل تحته القياس على الاطلاق
سواء كان في الاحكام الشرعية او غيرها ولعل قوله عز وجل **ولعلهم يتفكرون** اشارة الى ذلك اي ارادة ان يتاملوا
فيتنبهوا للحقايق وما فيه من العبر ويحترزوا عن تودي الى مثل ما اصاب الاولين من العذاب **افامن الذين مكروا
السيئات** هم اهل مكة الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وراموا صد اصحابه عن الايمان عليهم الرضوان

لا الذين احتالوا الهلاك الانبياء كما قيل ولا من يعم الفريقين لما ان المراد تحذير هولاء عن اصابة مثل ما اصاب اولئك
من فنون العذاب المعدودة والسيئات نعت لمصدر محذوف اي مكروا المكرات السيئات التي قصت عنهم او مفعول به
للفعل المذكور على تضمينه معنى العمل اي اعملوا السيئات أن يخسف الله بهم الارض مفعول لامن او السيئات صفة لما
هو المفعول اي افامن الماكرون العقوبات السيئة وقوله ان يخسف بدل من ذلك وعلى كل حال فالفاء للعطف على
مقدر ينسحب عليه النظم الكريم اي انزلنا اليك الذكر لتبين لهم مضمونه الذي من جملته انباء الامم المهلكة بفنون
العذاب وتتفكروا في ذلك ألم تتفكروا افامن الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض كما فعل بقارون على توجيه
الانكار الى المعطوفين معا او اتفكروا فامنوا على توجيهه الى المعطوف على ان الامن بعد التفكر مما لا يكاد يفعله احد
هو معطوف على مقدر ينبئ عنه الصلة اي امكروا فامن الذين مكروا الخ أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون
باتيانه اي في حالة غفلتهم او من مامنهم ومن حيث يرجون اتيان ما يشتهون كما حكي فيما سلف مما نزل بالماكرين
أو يأخذهم في تقلبهم اي في حالة تقلبهم في مسايرهم ومتاجرهم فما هم بمعجزين بممتنعين او فائتين بالهرب
والفرار على ما يوهمه حال التقلب والسير والفاء اما لتعليل الاخذ او لترتيب عدم الاعجاز عليه دلالة على
دوام النفي لا نفي الدوام أو يأخذهم على تخوف اي مخافة وحذر من الهلاك والعذاب بان يهلك قوما قبلهم
فيتخوفوا فياخذهم العذاب وهم متخوفون وحيث كانت حالتا التقلب والتخوف مظنة الهروب عبر عن اصابة العذاب
فيهما بالاخذ وعن اصابته حالة الغفلة المنبئة عن السكون بالاتيان   التخوف التنقص قال قائلهم
تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن اي ياخذهم على ان ينقصهم شيئا فشيئا في انفسهم
واموالهم حتى يهلكوا والمراد بذكر الاحوال الثلث بيان قدرة الله تعالى على اهلاكهم باي وجه كان لا الحصر فيها
فان ربكم لرؤف رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة ويحلم عنكم مع استحقاقكم لها أولم يروا استفهام انكاري
وقرئ على صيغة الخطاب والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الم ينظروا ولم يروا متوجهين الى ما خلق
الله من شيء اي من كل شيء يتفيؤا ظلاله اي يرجع شيئا فشيئا حسبما تقتضيه ارادة الخالق تعالى فان التفيؤ
مطاوع الافاءة وقرئ بتانيث الفعل عن اليمين والشمائل اي الم يروا الاشياء التي لها ظلال متفيئة عن
ايمانها وشمائلها اي عن جانبي كل واحد منها استعير لها ذلك من يمين الانسان وشماله سجدا لله حال
من الظلال كقوله تعالى وظلالهم بالغدو والآصال والمراد بسجودها تصرفها على مشيئة الله سبحانه وتعالى و
تأتيها لارادته تعالى في الامتداد والتقلص وغيرهما غير ممتنعة عليه فيما سخرها له وقوله تعالى وهم داخرون
اي صاغرون منقادون حال من الضمير في ظلاله والجمع باعتبار المعنى وايراد الصيغة الخاصة بالعقلاء لما
ان الدخور من خصايصهم والمعنى ترجع الظلال من جانب الى جانب بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها
ومغاربها فانها في كل يوم من ايام السنة تتحرك على مدار معين من المدارات اليومية بتقدير العزيز العليم منقادة
لما قدر لها من التفيؤ او واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والحال ان اصحابها من الاجرام داخرة
منقادة لحكمه تعالى ووصفها بالدخور مغن عن وصف ظلالها به او كلاهما حال من الضمير المشار اليه والمعنى ترجع
ظلال تلك الاجرام حال كونها منقادة لله تعالى داخرة فوصفها بهما مغن عن وصف ظلالها بهما ولعل المراد بالموصول
الجمادات من الجبال والاشجار والاحجار التي لا يظهر لظلالها اثر سوى التفيؤ بما ذكر من ارتفاع الشمس وانحدارها
واختلاف مشارقها ومغاربها واما الحيوان فظله يتحرك بتحركه   المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو
جانبه الشرقي لان الكواكب منه تظهر آخذة في الارتفاع والسطوع وشماله وهو جانبه الغربي المقابل له فان الظلال
في اول النهار تبتدي من المشرق واقعة على الربع الغربي من الارض وعند الزوال تبتدي من الغرب واقعة على الربع الشرقي
منها وبعدما بين سجود الظلال واصحابها من الاجرام السفلية الثابتة في احيازها ودخورها له سبحانه وتعالى شرع
في بيان سجود المخلوقات المتحركة بالارادة سواء كان لها ظلال او لا فقيل ولله يسجد اي له تعالى وحده يخضع وينقاد

لا لشيء غيره

لا لشيء غيره استقلالا او اشتراكا فالقصر لتنظم القلب والافراد لان الانسب بحال المخاطبين قصر الافراد كما يؤذن
به قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين ما في السموات قاطبة وما في الارض كائنا ما كان من دابة بيان
لما في الارض وتقديمه لعلته ولئلا يقع بين المبين والمبين فصل والافراد مع ان المراد الجمع لافادة وضوح شمول السجود
لكل فرد من الدواب قال الاخفش هو كقولك ما اتاني من رجل مثله وما اتاني من الرجال مثله والملائكة عطف على ما
في السموات عطف جبريل على الملائكة تعظيما واجلالا او على ان يراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح او يراد
به ملائكة السموات وبقوله والملائكة ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم وهم اي الملائكة مع علو شأنهم لا يستكبرون
عن عبادته عز وجل والسجود له وتقديم الضمير ليس للقصر والجملة اما حال من ضمير الملائكة او استيناف اخبر عنهم بذلك
يخافون ربهم اي مالك امرهم وفيه تربية للمهابة واشعار بعلة الحكم من فوقهم اي يخافونه عز وجل خوف هيبة
واجلال وهو فوقهم بالقهر كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده او يخافون ان يرسل عذابا من فوقهم والجملة حال من
الضمير في لا يستكبرون او بيان له وتقرير لان من يخاف الله سبحانه لا يستكبرون عن عبادته ويفعلون ما يؤمرون اي
يؤمرون به من الطاعات والتدبيرات وايراد الفعل مبنيا للمفعول جري على سنن الجلالة وايذان بعدم الحاجة الى
التصريح بالفاعل لاستحالة اسناده الى غيره سبحانه وفيه ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء وبعد ما
بين ان جميع الموجودات يخضعون الخضوع والانقياد الطبيعي وما يجري مجراهن من عبادة الملائكة حيث لا يتصور منهم
عدم الانقياد اصلا بالله عز وجل اردف ذلك بحكاية نهيه سبحانه وتعالى للمكلفين عن الاشراك فقيل وقال الله
عطفا على قوله ولله يسجد واظهار الفاعل وتخصيص لفظ الجلالة بالذكر للايذان بانه متعين للالوهية وان المنهي
عنه هو الاشراك به لا ان المنهي عنه مطلق اتخاذ الهين بحيث يتحقق الانتهاء عنه برفض ايهما كان قال الله تعالى لجميع
المكلفين لا تتخذوا الهين اثنين وانما ذكر العدد مع ان صيغة التثنية مغنية عن ذلك دلالة على ان مساق النهي
هي الاثنينية وانها منافية للالوهية كما ان وصف الاله بالوحدة في قوله تعالى انما هو اله واحد للدلالة على ان
المقصود اثبات الوحدانية وانها من لوازم الالوهية واما الالهية فامر مسلم الثبوت له سبحانه واليه اشير
حيث اسند اليه القول وفيه التفات من التكلم الى الغيبة على راي من اكتفى في تحقق الالتفات بكون الاسلوب
الملتفت عنه حق الكلام ولم يشترط سبق الذكر على ذلك الوجه فاياي فارهبون التفات من الغيبة الى التكلم
لتربية المهابة والقاء الرهبة في القلوب ولذلك قدم المفعول وكرر الفعل اي ان كنتم راهبين شيئا فاياي فارهبون
لا غير فان ذلك الواحد الذي يسجد له ما في السموات والارض وله ما في السموات والارض خلقا وملكا تقرير لعلة انقياد
ما فيهما له سبحانه خاصة وتحقيق لتخصيص الرهبة به وتقديم الظرف لتقوية ما في اللام من معنى الاختصاص وكذلك
قوله وله الدين اي الطاعة والانقياد واصبا اي واجبا ثابتا لا زوال له لما تقرر انه الاله وحده الحقيق بان
يرهب   واصبا من الوصب اي وله الدين ذا كلفة   الدين الجزاء اي وله الجزاء الدائم بحيث
لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر أفغير الله تتقون الهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر ينسحب
عليه السياق اعقيب تقرر الشؤون المذكورة من تخصيص جميع الموجودات للسجود به تعالى وكون ذلك كله له
ونهيه عن اتخاذ الانداد وكون الدين له واصبا المستدعي ذلك لتخصيص التقوى به سبحانه غير الله الذي شانه ما
ذكر تتقون فتطيعون وما بكم اي اي شيء يلابسكم ويصاحبكم من نعمة اي نعمة كانت فمن الله فهي من الله فما
شرطية او موصولة متضمنة لمعنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان ملابسة النعمة بهم سبب للاخبار
بانها منه تعالى لا لكونها منه تعالى ثم اذا مسكم الضر مساسا يسيرا فاليه تجأرون تتضرعون في كشفه
لا الى غيره والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة   الاعشى • يراوح من صلوات المليك •
طورا سجودا وطورا جؤارا • وقرئ تجرون بطرح الهمزة والقاء حركتها الى ما قبلها وفي ذكر المساس المنبئ
عن ادنى اصابة وايراده بالجملة الفعلية المعربة عن الحدوث مع ثم الدالة على وقوعه بعد برهة من الدهر

ارهبوا

وتحلية الضر بلام الجنس المفيد لمساس ادنى ما يطلق عليه اسم الجنس مع ايراد النعمة بالجملة الاسمية الدالة على الدوام والتعبير عن ملابستها للمخاطبين بباء المصاحبة وايراد ماء المعربة عن العموم ما لا يخفى من الجزالة والفخامة ولعل ايراد اذا دون ان للتوسل به الى تحقق وقوع الجواب **ثم اذا كشف الضر عنكم** وقرئ كاشف الضر وكلمة ثم ليست للدلالة على تمادي زمان مساس الضر ووقوع الكشف بعد برهة مديدة بل للدلالة على تراخي رتبة ما يترتب عليه مفاجأة الاشراك المدلول عليها بقوله سبحانه **اذا فريق منكم بربهم يشركون** فان ترتبها على ذلك في ابعد غاية من الضلال ثم ان وجه الخطاب الى الناس جميعا فمن للتبعيض والفريق فريق الكفرة وان وجه الى الكفرة فمن للبيان كأنه قيل اذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر وازدجر كقوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد فمن تبعيضيه ايضا والتعرض لوصف الربوبية للايذان بكمال قبح ما ارتكبوه من الاشراك والكفر **ليكفروا بما آتيناهم** من نعمة الكشف عنهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة وانكار كونها من الله عز وجل **فتمتعوا** امر تهديد والالتفات الى الخطاب للايذان بتناهي السخط وقرئ بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا على ان يكون كفران النعمة والتمتع غرضا لهم من الاشراك ويجوز ان يكون اللام لام الامر الوارد للتهديد **فسوف تعلمون** عاقبة امركم وما ينزل بكم من العذاب وفيه وعيد اكيد منبئ عن اخذ شديد حيث لم يذكر المفعول اشعارا بانه مما لا يوصف **ويجعلون** لعله عطف على ما سبق بحسب المعنى تعدادا لجناياتهم اي يفعلون ما يفعلون من الجؤار الى الله تعالى عند مساس الضر ومن الاشراك به عند كشفه **لما لا يعلمون** اي لما لا يعلمون حقيقته وقدره الخسيس من الجمادات التي يتخذونها شركاء لله سبحانه جهالة وسفاها ويزعمون انها تنفعهم وتشفع لهم على ان ما موصولة والعائد اليها محذوف او لما لا علم له اصلا وليس من شأنه ذلك فما موصولة ايضا والعائد اليها ما في الفعل من الضمير المستكن وصيغة جمع العقلاء لكونها عبارة عن آلهتهم التي وصفوها بصفات العقلاء او مصدرية واللام للتعليل اي لعدم علمهم والمجعول له محذوف للعلم بمكانه **نصيبا مما رزقناهم** من الزرع والانعام وغيرهما تقربا اليها **تالله لتسألن** سؤال توبيخ وتقريع **عما كنتم تفترون** في الدنيا بانها آلهة حقيقة بان يتقرب اليها وفي تصدير الجملة بالقسم وصرف الكلام من الغيبة الى الخطاب المنبئ عن كمال الغضب من شدة الوعيد ما لا يخفى **ويجعلون لله البنات** هم خزاعة وكنانة الذين يقولون الملائكة بنات الله **سبحانه** تنزيه وتقديس له عز وجل عن مضمون قولهم ذلك وتعجب من جرأتهم عن التفوه بمثل تلك العظيمة **ولهم ما يشتهون** من البنين ما مرفوعة المحل على انه مبتدأ والظرف المقدم خبره والجملة حالية وسبحانه اعتراض في حاق موضعه وجعلها منصوبة بالعطف على البنات اي يجعلون لانفسهم ما يشتهون من البنين يؤدي الى جعل الجعل بمعنى يعم الزعم والاختيار **واذا بشر احدهم بالانثى** اي اخبر بولادتها **ظل وجهه** اي صار او دام النهار كله **مسودا** من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير **وهو كظيم** ممتلئ حنقا وغيظا **يتوارى** اي يستخفي **من القوم من سوء ما بشر به** اي من اجل سوئه والتعبير عنها بما لاسقاطها عن درجة العقلاء **ايمسكه** اي مترددا في امره محدثا نفسه في شأنه ايمسكه **على هون** ذل وقرئ هوان **ام يدسه** يخفيه **في التراب** بالوأد والتذكير باعتبار لفظ ما وقرئ بالتأنيث **الا ساء ما يحكمون** حيث يجعلون ما هذا شأنه عندهم من الهوان والحقارة لله المتعالي عن الصاحبة والولد والحال انهم يتحاشون عنه ويختارون لانفسهم البنين فمدار الخطأ جعلهم ذلك لله سبحانه مع ابائهم اياه لا جعلهم البنين لانفسهم ولا عدم جعلهم له سبحانه ويجوز ان يكون مدار التعكيس لقوله تعالى تلك اذا قسمة ضيزى **للذين لا يؤمنون بالآخرة** ممن ذكرت قبائحهم **مثل السوء** صفة السوء الذي هو كالمثل في القبح وهي الحاجة الى الولد ليقوم مقامهم عند موتهم وايثار الذكور للاستظهار بهم ووأد البنات لدفع العار وخشية الاملاق المنادي كل ذلك بالعجز والقصور والشح البالغ ووضع الموصول موضع الضمير للاشعار بان مدار اتصافهم بتلك القبائح هو الكفر بالآخرة **ولله** سبحانه وتعالى **المثل الاعلى** اي الصفة العجيبة الشأن التي هي مثل في العلو مطلقا وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والجود الواسع والنزاهة عن صفات المخلوقين ويدخل فيه علوه تعالى عما قالوه علوا كبيرا **وهو العزيز**

المنفرد بكمال القدرة لا سيما على مؤاخذتهم بذنوبهم **الحكيم** الذي يفعل كل ما يفعل بمقتضى الحكمة البالغة وهذا ايضا من جملة صفاته العجيبة تعالى **ولو يؤاخذ الله الناس** الكفار **بظلمهم** بكفرهم ومعاصيهم التي من جملتها ما عدد من قبائحهم وهذا تصريح بما افاده قوله تعالى وهو العزيز الحكيم وايذان بان ما اتوه من القبائح قد تناهى الى امد لا غاية وراءه **ما ترك عليها** على الارض المدلول عليها بالناس وبقوله تعالى **من دابة** اي ما ترك عليها من دابة قط بل اهلكها بالمرة بشؤم ظلم الظالمين كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة [blank] ابي هريرة رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم [blank] ابن مسعود رضي الله عنه كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة [blank] لو اهلك الآباء لم يكن الابناء فيلزم ان لا يكون في الارض دابة لما انها مخلوقة لمنافع البشر لقوله تعالى خلق لكم ما في الارض جميعا **ولكن** لا يؤاخذهم بذلك بل **يؤخرهم الى اجل مسمى** لاعمارهم او لعذابهم كي يتوالدوا ويكثر عذابهم **فاذا جاء اجلهم** المسمى **لا يستأخرون** عن ذلك الاجل اي لا يتأخرون وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم عنه مع طلبهم له **ساعة** فذة وهي مثل في قلة المدة **ولا يستقدمون** اي لا يتقدمون وانما تعرض لذكره مع انه لا يتصور الاستقدام عند مجيء الاجل مبالغة في بيان عدم الاستيخار بنظمه في سلك ما يمتنع كما في قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فان من مات كافرا مع انه لا توبة له راسا قد نظم في سمط من لم يقبل توبته للايذان بانهما سيان في ذلك وقد مر في تفسير سورة يونس **ويجعلون لله** اي يثبتون له سبحانه وينسبون اليه في زعمهم **ما يكرهون** لانفسهم مما ذكر وهو تكرير لما سبق تثبيته للتقريع وتوطئة لقوله تعالى **وتصف السنتهم الكذب** اي يجعلون له تعالى ما يجعلون ومع ذلك تصف السنتهم وهو **ان لهم الحسنى** العاقبة الحسنى عند الله تعالى كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقرئ الكذب وهو جمع كذوب على انه صفة الالسنة **لا جرم** رد لكلامهم ذلك واثبات لنقيضه اي حقا **ان لهم** مكان ما املوا من الحسنى **النار** التي ليست وراء عذابها عذاب وهي علم في السوي **وانهم مفرطون** اي مقدمون اليها من افرطته اي قدمته في طلب الماء [blank] منسيون من افرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته وقرئ بالتشديد وفتح الراء من فرطته اي قدمته في طلب الماء وبكسر الراء المشددة من التفريط في الطاعات وبكسر المخففة من الافراط في المعاصي فلا يكونان حينئذ من احوالهم الاخروية كما عطف عليه **تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك** تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يناله من جهة الكفرة ووعيد لهم على ذلك اي ارسلنا اليهم رسلا فدعوهم الى الحق فلم يجيبوا الى ذلك **فزين لهم الشيطان اعمالهم** القبيحة فعكفوا عليها مصرين **فهو وليهم** اي قرينهم وبئس القرين **اليوم** اي يوم زين لهم الشيطان اعمالهم فيه على طريقة حكاية الحال الماضية او في الدنيا او يوم القيمة على طريقة حكاية الحال الآتية وهي حال كونهم معذبين في النار والولي بمعنى الناصر اي فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره مبالغة في نفي الناصر عنهم ويجوز ان يكون الضمير عائدا الى مشركي قريش والمعنى زين للامم السالفة اعمالهم فهو ولي هؤلاء لانهم منهم وان يكون على حذف المضاف اي ولي امثالهم **ولهم في الآخرة عذاب اليم** هو عذاب النار **وما انزلنا عليك الكتاب** اي القرآن **الا لتبين** استثناء مفرغ من اعم العلل اي ما انزلناه عليك لعلة من العلل الا لتبين **لهم** اي للناس **الذي اختلفوا فيه** من التوحيد والقدر واحكام الافعال واحوال المعاد **وهدى ورحمة** معطوفا على محل لتبين اي وللهداية والرحمة **لقوم يؤمنون** وانما انتصبا لكونهما اثري فاعل الفعل المعلل بخلاف التبيين حيث لم ينتصب لفقدان شرطه ولعل تقديمه عليهما لتقدمه في الوجود وتخصيص كونهما هدى ورحمة بالمؤمنين لانهم المغتنمون آثاره **والله انزل من السماء** من السحاب او من جانب السماء حسبما مر وهذا تكرير لما سبق تأكيدا لمضمونه وتوطئة لما يعقبه من ادلة التوحيد **ماء** نوعا خاصا من الماء هو المطر وتقديم المجرور على المنصوب لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر **فاحيا به الارض** بما انبت به فيها من انواع النباتات

بعد موتها اي بعد يبسها وما يفيده الفاء من التعقيب العادي لا ينافيه ما بين المعطوفين من المهلة ان في ذلك
اي في انزال الماء من السماء واحياء الارض الميتة به لاية واية اية دالة على وحدته وعلمه وقدرته وحكمته لقوم يسمعون
هذا التذكير ونظايره سماع تفكر وتدبر فكان من ليس كذلك اصم وان لكم في الانعام لعبرة عظيمة واي عبرة يحار في دركها
العقول وتهيم في فهمها الباب الفحول نسقيكم استيناف لبيان ما ابهم اولا من العبرة مما في بطونه اي في
بطون الانعام والتذكير هنا لمراعات جانب اللفظ فانه اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات المبنية على
افعال كالباش واخلاق كما ان تانيثه في سورة المومنين لرعاية جانب المعنى ومن جعله جمع نعم جعل الضمير للبعض
فان اللبن ليس لجميعها او له على المعنى فان المراد به الجنس وقرئ بفتح النون هاهنا وفي سورة المومنين من بين فرث
ودم لبنا الفرث فضالة ما يبقى من العلف في الكرش المنهضمة بعد الانهضام وكثيف ما يبقى في المعا ابن عباس
رضي الله عنهما ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعل
المراد به ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذي يغذو البدن لان لا تكونهما في الكرش مما لا ريب فيه
بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها فيحدث اخلاطا
اربعة معها مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين الصفراء والسوداء وتدفعها
الى الكلية والمرارة والطحال ثم توزع الباقي على الاعضاء بحسبها فيجري على كل حقه على ما يليق به بتقدير العزيز
الحكيم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد
اولا لاجل الجنين الى الرحم فاذا انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه الى الضرع فيبيض لمجاورته لحومها الغددية
البيض ويطيب طعمه فيصير لبنا ومن تدبر في بدايع صنع الله تعالى فيما ذكر من الاخلاط والالبان واعدادها ومقارها
ومجاريها والاسباب المولدة لها وتسخير القوى المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاعتراف بكمال
علمه وقدرته وحكمته وتناهي رافته ورحمته فمن الاولى تبعيضية لما ان اللبن بعض ما في بطونه لانه مخلوق
من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث حسبما فصل والثانية ابتدائية كقولك سقيت
من الحوض لان بين الفرث والدم مبدأ الاسقاء وهي متعلقة بنسقيكم وتقديمه على المفعول لما مر مرارا من ان تقديم
ما حقه التاخير يبعث النفس شوقا الى المؤخر موجبا لفضل تمكنه عند وروده عليها لا سيما اذا كان المقدم متضمنا
لوصف مناف لوصف المؤخر كالذي نحن فيه فان بين وصفي المقدم والمؤخر تنافيا وتباينا بحيث لا يتراءى نارهما فان
ذلك مما يزيد الشوق والاستشراف الى المؤخر كما في قوله تعالى هو الذي اخرج لكم من الشجر الاخضر نارا او حال من لبنا
قدم عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة خالصا عن شائبة ما في الدم والفرث من الاوصاف ببرزخ من القدرة
القاهرة الحاجزة عن بغي احدهما عليه مع كونهما مكتنفين له سائغا للشاربين سهل المرور في حلقهم قيل لم
يغص احد باللبن وقرئ سيغا بالتشديد وبالتخفيف كهين وهين ومن ثمرات النخيل والاعناب متعلق بما
يدل عليه الاسقاء من مطلق الاطعام المنتظم لاعطاء المطعوم والمشروب فان اللبن مطعوم كما انه مشروب
اي ونطعمكم من ثمرات النخيل ومن الاعناب اي من عصيرهما وقوله تعالى تتخذون منه سكرا استيناف لبيان
كنه الاطعام وكشفه او بقوله تتخذون منه وتكرير الظرف للتاكيد او خبر لمبتدأ محذوف صفته تتخذون
اي ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وحذف الموصوف اذا كان في الكلام كلمة من شايع نحو قوله تعالى
وما منا الا له مقام معلوم وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف اعني العصير او لان المراد
هو الجنس والسكر مصدر سمي به الخمر وقيل النبيذ وقيل هو الطعم ورزقا حسنا كالتمر والدبس والزبيب
والخل والاية ان كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة ان في ذلك لاية
باهرة لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في الايات بالنظر والتامل واوحى ربك الى النحل اي الهمها وقذف
في قلوبها وعلمها بوجه لا يعلمه الا العليم الخبير وقرئ بفتحتين ان اتخذي اي بان اتخذي على ان ان مصدرية

وبجواز

وبجواز ان يكون مفسرة لما في الايحاء من معنى القول وتانيث الضمير مع ان النحل مذكر للحمل على المعنى او لانه جمع نحلة والتانيث
لغة اهل الحجاز من الجبال بيوتا اي اوكارا مع فيها من الخلايا وقرئ بيوتا بكسر الباء ومن الشجر ومما يعرشون اي يعرشه
الناس اي يرفعه من كرم او سقف المراد به ما يرفعه الناس ويبنونه للنحل والمعنى اتخذي لنفسك بيوتا
من الجبال والشجر اذا لم يكن لك ارباب والا فاتخذي ما يعرشونه لك وايراد حرف التبعيض لما انها لا تبني في كل جبل
وكل شجر وكل عريش ولا في كل مكان منها ثم كلي من كل الثمرات من كل ثمرة تشتهينها حلوها ومرها فاسلكي ما اكلت
منها سبل ربك اي مسالكه التي يرى فيها بحيث يحيل فيها بقدرته القاهرة النور المر عسلا من اجوافك او فاسلكي
الطرق التي الهمك في عمل العسل او فاسلكي راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس ذللا جمع ذلول
وهو حال من السبل اي مذللة غير متوعرة ذللها الله سبحانه وسهلها لك او من الضمير في اسلكي اي اسلكي منقادة
لما امرت به يخرج من بطونها استيناف عدل به عن خطاب النحل لبيان ما يظهر منها من تعاجيب صنع الله تعالى
التي هي موضع العبرة بعد ما امرت بما امرت شراب اي عسل لانه مشروب واحتج به وبقوله تعالى كلي من زعم ان النحل
تاكل الازهار والاوراق العطرة فتستحيل في بطنها عسلا ثم تقي ادخارا للشتاء ومن زعم انها تلتقط بافواهها
اجزاء قليلة حلوة صغيرة متفرقة على الازهار والاوراق فتضعها في بيوتها فاذا اجتمع فيها شيء كثير يكون عسلا
فسر البطون بالافواه مختلف الوانه ابيض واسود واصفر واحمر حسب اختلاف سن النحل او الفصل او الذي اخذت
منه العسل فيه شفاء للناس اما بنفسه كما في الامراض البلغمية او مع غيره كما في ساير الامراض اذ قلما يكون معجون
لا يكون فيه عسل مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز كونه للتفخيم قتادة ان رجلا جاء الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال عليه الصلوة والسلام اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما
نفع فقال اذهب فاسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه فبرئ كانما نشط من عقال وقيل
الضمير للقران او لما بين الله تعالى من احوال النحل ابن مسعود رضي الله عنه العسل شفاء لكل داء والقران شفاء
لما في الصدور فعليكم بالشفائين العسل والقران ان في ذلك اي الذي ذكر من اثار قدرة الله تعالى لاية
عظيمة لقوم يتفكرون فان من تفكر في اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة المشتملة على
حسن الصنعة وصحة القسمة التي لا يقدر عليها حذاق المهندسين الا بالات رقيقة وادوات انيقة وانظار
دقيقة جزم قطعا بان له خالقا قادرا حكيما يلهمها ذلك ويهديها اليه جل جلاله والله خلقكم لما ذكر سبحانه
من عجايب احوال ما ذكر من الماء والنبات والانعام والنحل اشار الى بعض احوال البشر من اول عمره الى اخره وتطوره
فيما بين ذلك وقد ضبطوا مراتب العمر في اربع الاولى سن النشو والنما والثانية سن الوقوف وهو سن
الشباب والثالثة سن الانحطاط القليل وهي سن الكهولة والرابعة سن الانحطاط الكثير وهي سن الشيخوخة
ثم يتوفيكم حسبما يقتضيه مشيته المبنية على حكم بالغة باجال مختلفة اطفالا وشبابا وشيوخا ومنكم
من يرد قبل توفيه اي يعاد الى ارذل العمر اي اخسه واحقره وهو خمس وسبعون سنة على ما نقل
عن علي رضي الله عنه وتسعون سنة على ما نقل عن قتادة رضي الله عنه خمس وتسعون وايثار الرد على
الوصول والبلوغ ونحوهما للايذان بان بلوغه والوصول اليه رجوع في الحقيقة الى الضعف بعد القوة كقوله
تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق ولا عمر اسوء حالا من عمر الكهولة والهرم الذي يشبه الطفل في نقصان العقل
والقوة لكيلا يعلم بعد علم كثير شيئا من العلم او المعلومات او لكيلا يعلم شيئا بعد علم بذلك الشيء
ليلا يعقل بعد عقله الاول شيئا ان الله عليم بمقادير اعماركم قدير على كل شيء يميت الشاب النشيط ويبقي
الهرم الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت الاجال ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم
على قدر معلوم فلو كان ذلك مقتضى الطبايع لما بلغ التفاوت هذا المبلغ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق
اي جعلكم متفاوتين فيه فاعطاكم منه افضل مما اعطى مماليككم فما الذين فضلوا فيه على غيرهم برادي رزقهم

الذي رزقهم اياه **على ما ملكت ايمانهم** على مماليكهم الذين هم شركاؤهم في المخلوقية والمرزوقية **فهم**
اي الملاك والمماليك **فيه** اي في الرزق **سواء** اي لا يردونه عليهم بحيث يساوونهم في التصرف و
يشاركونهم في التدبير والفاء للدلالة على ترتب التساوي على الرد اي لا يردونه عليهم ردا مستتبعا
للتساوي وانما يردون عليهم منه شيئا يسيرا فحيث لا يرضون بمساواة مماليكهم لانفسهم وهم امثالهم
في البشرية والمخلوقية لله عز سلطانه في شيء لا يختص بهم بل يعمهم واياهم من الرزق الذي هم اسوة لهم في
استحقاقه فما بالهم يشركون بالله سبحانه وتعالى فيما لا يليق الا به في الالوهية والعبودية الخاصة به
تعالى بعض مخلوقاته الذي هو بمعزل عن درجة الاعتبار وهذا كما ترى مثل ضرب لكمال قباحة ما فعله المشركون
تقريعا عليهم كقوله تعالى هل لكم مما ملكت ايمانكم شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء الاية **افبنعمة الله يجحدون**
حيث يفعلون ما يفعلون من الاشراك فان ذلك يقتضي ان يضيفوا نعم الله سبحانه الفائضة عليهم الى
شركائهم ويجحدوا كونها من عند الله تعالى حيث انكروا امثال هذه الحجج البالغة بعد ما انعم الله بها عليهم والباء
لتضمين الجحود معنى الكفر نحو وجحدوا بها والفاء للعطف على مقدر وهي داخلة في المعنى على الفعل اي يشركون
فيجحدون نعمته وقرئ تجحدون على الخطاب اي ليس الموالي برادي رزقهم على مماليكهم بل انا الذي ارزقهم
واياهم فلا يحسبوا انهم يعطونهم شيئا وانما هو رزقي اجريه على ايديهم فهم جميعا في ذلك سواء لا مزية لهم
على مماليكهم الا يفهمون ذلك فيجحدون نعمة الله فهو رد على زعم المفضلين او على فعلهم المؤذن بذلك او ما
المفضلون برادي بعض فضلهم على مماليكهم فيساووا في ذلك جميعا مع ان التفضيل ليس الا ليبلوهم ايشكرون ام يكفرون
الا يعرفون ذلك فيجحدون نعمة الله تعالى كانه قيل يردوه عليهم والجملة الاسمية للدلالة على استمرارهم على عدم
الرد يحكى عن ابي ذر رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون
واطعموهم مما تطعمون فما رئي عبده بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره ازاره من غير تفاوت **والله جعل لكم
من انفسكم** اي من جنسكم **ازواجا** لتأنسوا بها وتقيموا بذلك جميع مصالحكم ويكون اولادكم امثالكم وهو خلق حواء
من ضلع آدم عليه السلام **وجعل لكم من ازواجكم** وضع الظاهر موضع المضمر للايذان بان المراد جعل لكل منكم زوجة
لا من زوج غيره **بنين** وبان نتيجة الازواج هو التوالد **وحفدة** جمع حافد وهو الذي يسرع في الخدمة والطاعة
ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد اي جعل لكم خدما يسرعون في خدمتكم وطاعتكم فقيل المراد بهم اولاد الاولاد
وقيل البنات عبر عنهن بذلك ايذانا بوجه المنة فانهن يخدمن في البيوت اتم خدمة وقيل اولاد المرأة من الزوج
الاول وقيل البنون والعطف لاختلاف الوصفين وقيل الاختان على البنات وتاخير المنصوب في الموضعين
عن المجرور لما مر من التشويق وتقديم المجرور باللام على المجرور بمن للايذان من اول الامر بعود منفعة الجعل اليهم
امدادا للتشويق وتقوية له اي جعل لمصلحتكم مما يناسبكم ازواجا وجعل لمنفعتكم من جهة مناسبة لكم بنين
وحفدة **ورزقكم من الطيبات** من اللذائذ او من الحلالات ومن للتبعيض اذ المرزوق في الدنيا انموذج لما في الآخرة **افبالباطل
يؤمنون** وهو ان الاصنام تنفعهم وان البحائر ونحوها حرام والفاء في المعنى داخلة على الفعل وهي للعطف على مقدر
اي ايكفرون بالله الذي شانه هذا فيؤمنون بالباطل او بعد تحقق ما ذكر من نعم الله تعالى بالباطل يؤمنون دون
الله سبحانه **وبنعمت الله** تعالى الفائضة عليهم مما ذكر ومما لا يحيط به دائرة البيان **هم يكفرون** حيث يضيفونها
الى الاصنام وتقديم الصلة على الفعل للاهتمام او لايهام الاختصاص مبالغة او لرعاية الفواصل والالتفات
الى الغيبة للايذان باستيجاب حالهم للاعراض عنهم وصرف الخطاب الى غيرهم من السامعين تعجيبا لهم مما فعلوه
ويعبدون من دون الله لعله عطف على يكفرون داخل تحت الانكار التوبيخي اي يكفرون بنعمة الله ويعبدون
من دونه **ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا** ان جعل الرزق مصدرا فشيئا نصب على المفعولية منه اي
لا يقدر ان يرزقهم شيئا لا من السموات مطرا ولا من الارض نباتا وان جعل اسما للرزق فنصب على البدلية بمعنى قليلا

ومن السموات

ومن السموات والارض صفة لرزقا اي كائنا منهما ويجوز ان يكون تأكيدا للا يملك اي لا يملك رزقا ما شيئا
من الملك **ولا يستطيعون** ان يملكوه اذ لا استطاعة لهم راسا لانها اموات لا حراك بها فالضمير للآلهة
ويجوز ان يكون للكفرة على معنى انهم مع كونهم احياء متصرفين في الامور لا يستطيعون من ذلك شيئا فكيف
بالجماد الذي لا حس فيه **فلا تضربوا لله الامثال** التفات الى الخطاب للايذان بالاهتمام بشان النهي اي لا تشركوا
به شيئا والتعبير عن ذلك بضرب المثل للقصد الى النهي عن الاشراك به تعالى في شان من الشؤون فان ضرب المثل
مبناه تشبيه حالة بحالة وقصة بقصة اي لا تشبهوا بشانه شانا من الشؤون واللام مثلها في قوله تعالى
ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون لا مثلها في قوله تعالى واضرب
لهم مثلا اصحاب القرية ونظائره والفاء للدلالة على ترتب النهي على ما عد من النعم الفائضة عليهم من جهته سبحانه
وكون ما يشركون به سبحانه وتعالى بمعزل عن ان يملك لهم من اقطار السموات والارض شيئا من رزق ما فضلا
عما فصل من نعمة الخلق والتفضيل في الرزق ونعمة الازواج والاولاد **ان الله يعلم** تعليل للنهي المذكور ووعيد
على المنهي عنه اي انه تعالى يعلم كنه ما تأتون وما تذرون وانه في غاية العظم والقبح **وانتم لا تعلمون** ذلك والا
لما فعلتموه او انه تعالى يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه فدعوا رايكم وقفوا في مواقف الامتثال بما ورد عليكم من
الامر والنهي ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم كيف يضرب الامثال وانتم لا تعلمون ذلك فتقعون
فيما تقعون فيه من مهاوي الردى والضلال ثم علمهم كيفية ضرب الامثال في هذا الباب فقال **ضرب الله مثلا**
اي ذكر واورد شيئا يستدل به على تباين الحال بين جنابه عز وجل وبين ما اشركوا به وعلى تباعدهما بحيث ينادي
بفساد ما ارتكبوه نداء جليا **عبدا مملوكا لا يقدر على شيء** بدل من مثلا وتفسير له والمثل في الحقيقة حالته
العارضة له من المملوكية والعجز التام وبحسبها ضرب نفسه مثلا ووصف العبد بالمملوكية ليتميز عن الحر لاشتراكهما
في كونهما عبدا لله سبحانه وقد ادمج فيه ان الكل عبيد له تعالى وبعدم القدرة ليتميز عن المكاتب والماذون اللذين
لهما ادنى تصرف في الجملة وفي ابهام المثل اولا ثم بيانه بما ذكر ما لا يخفى من الفخامة والجزالة **ومن رزقناه** من
موصوفة معطوفة على عبدا اي رزقناه بطريق الملك والالتفات الى التكلم للاشعار باختلاف ضرب المثل
والرزق **منا** من جنابنا الكبير المتعال **رزقا حسنا** حلالا طيبا او مستحسنا عند الناس مرضيا **فهو ينفق منه**
تفضلا واحسانا والفاء لترتيب الانفاق على الرزق كانه قيل ومن رزقناه منا رزقا حسنا فانفق وايثار ما
عليه النظم الكريم من الجملة الاسمية لفعلية الخبر للدلالة على ثبات الانفاق واستمراره التجددي **سرا وجهرا**
اي حال السر والجهر او انفاق سر وانفاق جهر والمراد بيان عموم انفاقه للاوقات وشمول انعامه لمن يجتنب
عن قبوله جهرا والاشارة الى اصناف نعم الله تعالى الباطنة والظاهرة وتقديم السر على الجهر للايذان بفضله
عليه والعدول عن تطبيق القرينتين بان يقال وحرا مالكا للاموال مع كونه ادل على تباين الحال بينه وبين قسيمه
لتوخي تحقيق الحق بان الاحرار ايضا تحت ربقة عبوديته سبحانه وتعالى وان مالكيتهم لما يملكونه ليست الا بان رزقه
تعالى اياه من غير ان يكون لهم مدخل في ذلك مع محاولة المبالغة في الدلالة على ما قصد بالمثل من تباين الحال
بين الممثلين فان العبد المملوك حيث لم يكن مثل العبد المالك فما ظنك بالجماد ومالك الملك خلاق العالمين
هل يستوون جمع الضمير للايذان بان المراد بما ذكر من اتصف بالاوصاف المذكورة من الجنسين المذكورين
لا فردان معينان منهما اي هل يستوي العبيد والاحرار الموصوفون بما ذكر من الصفات مع ان الفريقين سيان في البشرية
والمخلوقية لله سبحانه وان ما ينفقه الاحرار ليس مما لهم دخل في ايجاده ولا في تملكه بل هو مما اعطاهم الله تعالى
اياهم فحيث لم يستو الفريقان فما ظنكم برب العالمين حيث تشركون به ما لا ذليل اذل منه وهو الاصنام
الحمد لله اي كله له لانه مولى جميع النعم لا يستحقه احد غيره وان ظهرت على ايدي بعض الوسائط فضلا عن
استحقاق العبادة وفيه ارشاد الى ما هو الحق من ان ما يظهر على يد من ينفق فيما ذكر راجع الى الله تعالى كما لوح به قوله

كهما

فهم

تعالى ورزقناه بل اكثرهم لا يعلمون ما ذكر فيضيفون نعمه تعالى الى غيره ويعبدونه لاجلها ونفي العلم عن اكثرهم
للاشعار بان بعضهم يعلم ذلك وانما لا يعملون بموجبه عنادا كقوله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها و
اكثرهم الكافرون وضرب الله مثلا اي مثلا آخر يدل على ما دل عليه المثل السابق على وجه اوضح واظهر بعد
ما ابهم ذلك لتنتظر النفس الى وروده وترقبه حتى يتمكن لديها عند وروده بين فقيل رجلين احدهما ابكم وهو
من ولد اخرس لا يقدر على شيء من الاشياء المتعلقة بنفسه او بغيره بحدس او فراسة لقلة فهمه وسوء
ادراكه وهو كل ثقل وعيال على مولاه على من يعوله ويلي امره وهذا بيان لعدم قدرته على اقامة مصالح نفسه
بعد ذكر عدم قدرته على شيء مطلقا وقوله تعالى اينما يوجهه اي حيث يرسله مولاه في امر بيان لعدم قدرته
على اقامة مصالح مولاه ولو كانت مصلحة يسيرة وقرئ على البناء للمفعول وعلى صيغة الماضي من التوجه
لا يأت بخير بنجح وكفاية مهم البتة هل يستوي هو مع ما فيه من الاوصاف المذكورة ومن يأمر بالعدل اي من هو
منطيق فهيم ذو راي وكفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الجامع لمجامع الفضائل وهو في نفسه مع ما ذكر
من نفعه العام للخاص والعام على صراط مستقيم ومقابلة الصفات المذكورة بهذين الوصفين لانهما في حاق
ما يقابلها فان محصل الصفات المذكورة عدم استحقاق المأمور به لملخص هذين استحقاق كمال الامرية
المنتج لحيازة المحاسن باجمعها وتغيير الاسلوب حيث لم يقل والآخر آمر بالعدل الآية لمراعاة الملائمة
بينه وبين ما هو المقصود من بيان التباين بين القرينتين واعلم ان كلا من الفعلين ليس المراد بهما حكاية الضرب
الماضي بل المراد انشاؤه بما ذكر عقيبه ولا يبعد ان يقال ان الله ضرب مثلا لخلق الفريقين على ما هما عليه فكان
خلقهما كذلك للاستدلال بعدم تساويهما على امتناع التساوي بينه سبحانه وبين ما يشركون فيكون كل من
الفعلين حكاية للضرب الماضي ولله تعالى خاصة لا لاحد غيره استقلالا ولا اشتراكا غيب السموات والارض
اي الامور الغائبة عن علوم المخلوقين قاطبة بحيث لا سبيل اليها لا مشاهدة ولا استدلالا ومعنى الاضافة
اليهما التعلق بهما اما باعتبار الوقوع فيهما حالا او مآلا واما باعتبار الغيبة عن اهلها والمراد بيان الاختصاص به
تعالى من حيث المعلومية حسبما ينبئ عنه عنوان الغيبة لا من حيث المخلوقية والمملوكية وان كان الامر كذلك
في نفس الامر وفيه اشعار بان علمه سبحانه حضوري فان تحقق الغيوب في نفسها علم بالنسبة اليه سبحانه
وتعالى ولذلك لم يقل ولله علم غيب السموات والارض وما امر الساعة التي هي اعظم ما وقع فيه المماراة من الغيوب
المتعلقة بهما من حيث غيبتهما عن اهلهما او ظهور آثارها فيهما عند وقوعها فان وقت وقوعها بعينه من الغيوب
المختصة به سبحانه وان كان ايتها من الغيوب التي نصبت عليها الادلة اي ما شأنها في سرعة المجيء الا كلمح البصر
اي كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها او هو اي بل امرها فيما ذكر اقرب من ذلك واسرع زمانا بان يقع في
بعض من زمانه فان ذلك وان قصر حركة اتبعة لها هوية اتصالية منطبقة على زمان لها هوية كذلك قابل
للانقسام الى ابعاض هي ازمنته ايضا بل في آن غير منقسم من ذلك الزمان وهو آن ابتداء تلك الحركة او ما
امرها الا كالشيء الذي يستقرب ويقال هو كلمح البصر او هو اقرب واما ما كان فهو تمثيل لسرعة مجيئها حسبما عبر
عنه في فاتحة السورة الشريفة باتيان ان الله على كل شيء قدير ومن جملة الاشياء ان يجيء بها اسرع ما يكون
فهو قادر على ذلك او وما اقامة امر الساعة التي كنهها وكيفيتها من الغيوب الخاصة به سبحانه وتعالى
وهي اماتة الاحياء واحياء الاموات من الاولين والآخرين وتبديل صور الاكوان اجمعين وقد انكرها المنكرون
وجعلوها من قبيل ما لا يدخل تحت الامكان في سرعة الوقوع وسهولة التأتي الا هو كلمح البصر او هو اقرب على ما مر
من الوجهين ان الله على كل شيء قدير فهو قادر على ذلك لا محالة غيب السموات والارض عبارة من يوم
القيمة بعينه لما ان علمه بخصوصه غايب عن اهلهما ووضع الساعة موضع الضمير لتقوية مضمون الجملة
والله اخرجكم من بطون امهاتكم عطف على قوله والله جعل لكم من انفسكم ازواجا منتظم معه في سلك ادلة

التوحيد

التوحيد من قوله تعالى والله انزل من السماء ماء وقوله تعالى والله خلقكم وقوله تعالى والله فضل بعضكم على
بعض والامهات بضم الهمزة وقرئ بكسرها ايضا جمع الام زيدت الهاء فيه كما زيدت في اهراق من اراق
وشذت زيادتها في الواحدة قال امهتي خندف والياس ابي لا تعلمون شيئا في موضع الحال اي غير عالمين
شيئا اصلا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة عطف على اخرجكم وليس فيه دلالة على تأخر الجعل المذكور من الاخراج
لما ان مدلول الواو هو الجمع مطلقا لا الترتيب على ان اثر ذلك الجعل لا يظهر قبل الاخراج اي جعل لكم هذه
الاشياء آلات تحصلون بها العلم والمعرفة بان تحسوا بمشاعركم جزئيات الاشياء وتدركوها بافئدتكم وتتنبهوا
لما بينها من المشاركات والمباينات بتكرر الاحساس فيحصل لكم علوم بديهية تتمكنون بالنظر فيها من تحصيل
العلوم الكسبية والافئدة جمع فؤاد وهو وسط القلب وهو من القلب كالقلب من الصدر وهو من جموع
القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة وتقديم المجرور على المنصوبات لما مر من الايذان من اول الامر بكون المجعول
نافعا لهم وتشويق النفس الى المؤخر ليتمكن عند وروده عليها فضل تمكن لعلكم تشكرون كي تعرفوا ما انعم به
عليكم طورا غب طور فتشكروه وتقديم السمع على البصر لما انه طريق الوحي او لان ادراكه اقدم من ادراك
البصر وافراده باعتبار كونه مصدرا في الاصل الم يروا وقرئ بالتاء الى الطير جمع طائر اي الم ينظروا اليها
مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المساعدة له وفيه مبالغة من حيث ان معنى
التسخير جعل الشيء منقادا لآخر يتصرف فيه كيف يشاء كتسخير الفلك والدواب للانسان والواقع منها تسخير
الهواء للطير ليطير فيه كيف يشاء فكان مقتضى طبيعة الطير السقوط فسخرها الله تعالى للطيران وفيه تنبيه
على ان الطيران ليس بمقتضى طبع الطير بل ذلك تسخير الله تعالى في جو السماء اي في الهواء المتباعد من الارض
والسكاك واللوح ابعد منه واضافته الى السماء لما انه في جانبها من الناظر ولاظهار كمال القدرة ما يمسكهن
في الجو حين قبض اجنحتهن وبسطها ووقوفهن الا الله عز وجل بقدرته الواسعة فان ثقل جسدها ورقة
قوام الهواء يقتضيان سقوطها ولا علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها وهو اما حال من الضمير المستتر في
مسخرات او من الطير او مستانف ان في ذلك الذي ذكر من تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة تتمكن
بها منه بان جعل لها اجنحة خفيفة واذنابا كذلك وجعل اجسادها من الخفة بحيث اذا بسطت اجنحتها
واذنابها لا يطيق ثقلها ان يخرق ما تحتها من الهواء الرقيق القوام وتخرق ما بين يديها من الهواء لانها لا تلاقيه
بحجم كبير لآيات ظاهرة لقوم يؤمنون اي من شأنهم ان يؤمنوا وانما خص ذلك بهم لانهم المنتفعون
به والله جعل لكم معطوف على ما مر من الايذان من اول الامر بانه لمصلحتهم ومنفعتهم لتشويق النفس الى
وروده وقوله تعالى من بيوتكم اي من بيوتكم المعهودة التي تبنونها من الحجر والمدر تبيين لذلك المجعول
المبهم في الجملة وتاكيد لما سبق من التشويق سكنا فعل بمعنى مفعول اي موضعا تسكنون فيه وقت
اقامتكم او تسكنون اليه من غير ان ينتقل من مكانه اي جعل بعض بيوتكم بحيث تسكنون اليه وتطمئنون
به وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا اي بيوتا اخر مغايرة لبيوتكم المعهودة هي الخيام والقباب والاخبية
والفساطيط تستخفونها تجدونها خفيفة سهلة المأخذ يوم ظعنكم وقت ترحالكم في النقض والحمل
والنقل وقرئ بفتح العين ويوم اقامتكم وقت نزولكم في الضرب والبناء ومن اصوافها واوبارها واشعارها
عطف على قوله تعالى من جلود والضمائر للانعام على وجه التنويع اي وجعل لكم من اصواف الضأن واوبار
الابل واشعار المعز اثاثا اي متاع البيت واصله الكثرة والاجتماع ومنه شعر اثيث ومتاعا اي شيئا
يتمتع به بفنون التمتع الى حين الى ان تقضوا منه اوطاركم او الى ان يبلى ويفنى فانه في معرض البلى والفناء
الى ان تموتوا والكلام في ترتيب المفاعيل مثل ما مر من قبل والله جعل لكم مما خلق من غير صنع من قبلكم
ظلالا اشياء تستظلون بها من الحر كالغمام والشجر والجبل وغيرها امتن سبحانه بذلك لما ان تلك الديار

غالية الحرارة وجعل لكم من الجبال اكنانا مواضع تستكنون فيها من الكهوف والغيران والسروب والكلام في الترتيب
الواقع بين المفاعيل كالذي مر غير مرة وجعل لكم سرابيل جمع سربال وهو كل ما يلبس اي جعل لكم ثيابا من القطن
والكتان والصوف وغيرها تقيكم الحر خصه بالذكر اكتفاء بذكر احد الضدين من ذكر الآخر ولان وقايته هي الاهم
عندهم لما مر آنفا وسرابيل من الدروع والجواشن تقيكم بأسكم اي البأس الذي يصل الي بعضكم من بعض في الحروب
والضرب والطعن ولقد من الله سبحانه علينا حيث ذكر جميع نعمه الفائضة علي جميع الطوائف فبدأ بما يخص
المقيمين حيث قال والله جعل لكم من بيوتكم سكنا ثم بما يخص المسافرين ممن لهم قدرة علي الخيام واضرابها حيث
قال وجعل لكم من جلود الانعام الي آخره ثم بما لا بد منه لاحد حيث قال وسرابيل تقيكم بأسكم ثم قال كذلك اي مثل
ذلك الاتمام البالغ يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اي ارادة ان تنظروا فيما اسبغ الله عليكم من النعم الظاهرة
والباطنة والانفسية والآفاقية فتعرفوا حق منعمها فتؤمنوا به وحده وتذروا ما كنتم به تشركون وتنقادوا
لامره وافراد النعمة اما لان المراد بها المصدر او لانها بالنسبة الي جناب الكبرياء شيء قليل وقرئ
تسلمون اي تسلمون من العذاب ومن الشرك وقيل من الجراح بلبس الدروع فان تولوا فعل ماض علي طريقة
الالتفات وصرف الخطاب عنهم الي رسول الله صلى الله عليه وسلم تسلية له اي فان اعرضوا عن الاسلام
ولم يقبلوا منك ما القي اليهم من البينات والعبر والعظات فانما عليك البلاغ المبين اي فلا قصور من جهتك لان
وظيفتك هي البلاغ الموضح الواضح وقد فعلته بما لا مزيد عليه فهو من باب وضع السبب موضع المسبب
يعرفون نعمت الله استيناف لبيان ان توليهم واعراضهم عن الاسلام ليس لعدم معرفتهم بما عدد
من نعم الله تعالي اصلا فانهم يعرفونها ويعرفون انها من الله تعالي ثم ينكرونها بافعالهم حيث يعبدون
غير منعمها او بقولهم انها بشفاعة آلهتنا او بسبب كذا وقيل نعمة الله تعالي نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
عرفوها بالمعجزات كما يعرفون ابناءهم ثم انكروها عنادا ومعنى ثم لاستبعاد الانكار بعد المعرفة لان حق من
عرف النعمة الاعتراف بها لا الانكار واسناد المعرفة والانكار المتفرع عليها الي ضمير المشركين علي الاطلاق
من باب اسناد حال البعض الي الكل كقولهم بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم فان بعضهم ليسوا كذلك
لقوله تعالي واكثرهم الكافرون اي المنكرون بقلوبهم غير المعترفين بما ذكر والحكم عليهم بمطلق الكفر المؤذن
بالكمال من حيث الكمية لا ينافي كمال المعرفة الاولي من حيث الكيفية هنا وقد قيل ذكر الاكثر اما لان بعضهم
لم يعرفوا لنقصان العقل او لتفريط في النظر او لم يقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف فقد بر ويوم
نبعث من كل امة شهيدا يشهد لهم بالايمان والطاعة وعليهم بالكفر والعصيان وهو نبيها ثم لا يؤذن للذين
كفروا في الاعتذار اذ لا عذر لهم وثم للدلالة علي ان ابتلاءهم بالمنع عن الاعتذار المنبئ عن الاقناط الكلي وهو
عندما يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون اشد من ابتلائهم بشهادة الانبياء عليهم الصلوة والسلام ولا هم
يستعتبون يسترضون اي لا يقال لهم ارضوا ربكم اذ الآخرة دار الجزاء لا دار العمل وانتصاب الظرف بمحذوف
تقديره اذكر او خوفهم يوم نبعث او يوم نبعث يحيق بهم ما يحيق مما لا يوصف وكذا قوله تعالي واذا رأى الذين
ظلموا العذاب الذي يستوجبونه بظلمهم وهو عذاب جهنم فلا يخفف عنهم ذلك ولا هم ينظرون اي يمهلون
كقوله تعالي بل تأتيهم بغتة فتبهتهم واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم الذين كانوا يدعونهم في الدنيا وهم الاوثان
والشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه وقارنوهم في الغي والضلال قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين
كنا ندعوا من دونك اي نعبدهم او نطيعهم ولعلهم قالوا ذلك طمعا في توزيع العذاب بينهم كما ينبئ عنه قوله
سبحانه فالقوا اي شركاؤهم اليهم القول انكم لكاذبون فان تكذيبهم اياهم فيما قالوا ليس الا لمدافعة التخلص
عن غائلة مضمونه وانما كذبوهم وقد كانوا يعبدونهم ويطيعونهم لانهم ما كانوا راضين بعبادتهم لا كذبوا او
كذبوهم في تسميتهم شركاء وآلهة تنزيها لله تعالي من الشريك والشياطين وان كانوا راضين بعبادتهم

لكنهم

لكنهم لم يكونوا حاملين لهم علي وجه القسر والالجاء كما قال ابليس وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم
لي فكانهم قالوا ما عبدتمونا حقيقة بل انما عبدتم اهواءكم والقوا اي الذين اشركوا الي الله يومئذ السلم الاستسلام
والانقياد لحكمه العزيز الغالب بعد الاستكبار عنه في الدنيا وضل عنهم اي ضاع وبطل ما كانوا يفترون
من ان الله سبحانه شركاء وانهم ينصرونهم او يشفعون لهم وذلك حين كذبوهم وتبرؤا منهم الذين كفروا
في انفسهم وصدوا غيرهم عن سبيل الله بالمنع عن الاسلام والحمل علي الكفر زدناهم عذابا فوق العذاب الذي كانوا
يستحقونه بكفرهم قيل في شدته وزيادة عذابهم حيات امثال البخت وعقارب امثال البغال تلسع احديهن
فيجد صاحبها حمتها اربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الي الزمهرير فيبادرون من شدة البرد الي النار بما
كانوا يفسدون متعلق بقوله زدناهم اي زدناهم عذابا بسبب استمرارهم علي الافساد وهو الصد المذكور
ويوم نبعث تكرير لما سبق تثنية للتهديد في كل امة شهيدا عليهم اي نبيا من انفسهم من جنسهم قطعا
لمعذرتهم وفي قوله تعالي عليهم اشعار بان شهادة انبيائهم علي الامم تكون بمحضر منهم وجئنا بك ايثار
لفظ المجيء علي البعث لكمال العناية بشانه عليه الصلوة والسلام وصيغة الماضي للدلالة علي تحقق الوقوع
شهيدا علي هؤلاء الامم وشهدائهم كقوله تعالي فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك علي هؤلاء
شهيدا علي امتك والعامل في الظرف محذوف كما مر والمراد به يوم القيمة ونزلنا عليك الكتاب
الكامل في الكتابية الحقيق بان يخص به اسم الجنس وهو اما استيناف او حال بتقدير قد تبيانا بيانا
بليغا لكل شيء يتعلق بامور الدين ومن جملة ذلك احوال الامم مع انبيائهم فيكون كالدليل علي كونه عليه
الصلوة والسلام شهيدا عليهم والتبيان كالتلقاء في كسر اوله وكونه تبيانا لكل شيء من امور الدين باعتبار ان
فيه نصا علي بعضها واحالة لبعضها علي السنة حيث امر باتباع النبي صلى الله عليه وسلم وطاعته
فيه وما ينطق عن الهوي وحثا علي الاجماع وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته باتباع اصحابه
حيث قال اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطئوا طرق الاجتهاد فكانت السنة
والاجماع والقياس مستندة الي تبيان الكتاب ولا يضر ما في البعض من الخفاء في كونه تبيانا فان المبالغة
باعتبار الكمية دون الكيفية كما قيل في قوله تعالي وما انا بظلام للعبيد انه من قولك فلان ظالم لعبده و
ظلام لعبيده ومنه قوله سبحانه وما للظالمين من انصار وهدي ورحمة للعالمين فان حرمان الكفرة من
مغانم آثاره من تفريطهم لا من جهة الكتاب وبشري للمسلمين خاصة او يكون كل ذلك خاصا بهم لانهم
المنتفعون بذلك ان الله يأمر اي فيما نزله تبيانا لكل شيء وهدي وبشري وايثار صيغة الاستقبال
فيه وفيما بعده لافادة التجدد والاستمرار بالعدل بمراعاة التوسط بين طرفي الافراط والتفريط وهو
راس الفضائل كلها يندرج تحته فضيلة القوة العقلية الملكية من الحكمة المتوسطة بين الجربزة والبلادة
وفضيلة القوة الشهوية البهيمية من العفة المتوسطة بين الخلاعة والخمود وفضيلة القوة السبعية
من الشجاعة المتوسطة بين التهور والجبن فمن الحكم الاعتقادية التوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك
نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما ان العدل هو التوحيد والقول المتوسط بين الجبر والقدر ومن الحكم العملية
التعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب ومن الحكم الخلقية الجود المتوسط بين البخل والتبذير
والاحسان اي الاتيان بما امر به علي الوجه اللائق وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية
كما يشير اليه قوله عليه الصلوة والسلام الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذي القربى
اي اعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص اثر تعميم اهتماما بشانه وينهي عن الفحشاء والافراط في متابعة
القوة الشهوية كالزنا مثلا والمنكر ما ينكر شرعا او عقلا من الافراط في اظهار آثار القوة الغضبية والبغي
الاستعلاء والاستيلاء علي الناس والتجبر عليهم وهو آثار القوة الوهمية الشيطانية التي هي حاصلة من رذيلتي

القوتين المذكورتين اي الشهوية والغضبية وليس في البشر شر الا هو مندرج في هذه الاقسام صادر عنه
بواسطة هذه القوى الثلث ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه هي اجمع اية في القرآن للخير والشر ولو لم يكن غير
هذه الاية الكريمة لكفت في كونه تبيانا لكل شيء وهدى يعظكم بما يأمر وينهى وهو اما استيناف واما حال من
الضمير في الفعلين لعلكم تذكرون طلبا لان تتعظوا بذلك واوفوا بعهد الله هو البيعة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فانها مبايعة لله سبحانه لقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله اذا عاهدتم اي حافظوا
على حدود ما عاهدتم الله عليه وبايعتم به رسول الله عليه الصلوة والسلام ولا تنقضوا الايمان التي تحلفون بها عند
المعاهدة بعد توكيدها حسبما هو المعهود في اثناء العهد لا على ان يكون النهي مقيدا بالتوكيد مختصا به وقد جعلتم
الله عليكم كفيلا شاهدا رقيبا فان الكفيل مراع لحال المكفول به محافظ عليه ان الله يعلم ما تفعلون من نقض
الايمان والعهود فيجازيكم على ذلك ولا تكونوا فيما تصنعون من النقض كالتي نقضت غزلها اي ما غزلته مصدر
بمعنى المفعول من بعد قوة متعلق بنقضت اي كالمراة التي نقضت غزلها من بعد ابرامه واحكامه انكاثا طاقات
نكث فتلها جمع نكث وانتصابه على الحالية من غزلها او على انه مفعول ثان لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد
تقبيح حال النقض بتشبيه الناقض بمثل هذه الخرقاء المعتوهة قيل هي ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء
اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة
الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في لا تكونوا او في الجار
والمجرور الواقع موقع الخبر اي مشابهين بامراة شانها هذا حال كونكم متخذين ايمانكم مفسدة ودغلا بينكم
واصل الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه ان تكون امة بان تكون جماعة هي اربى هي ازيد عددا واوفر مالا
من امة من جماعة اخرى اي لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذيهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا
راوا شوكة في اعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم انما يبلوكم الله به اي بان تكون امة اربى من
امة اي يعاملكم بذلك معاملة من يختبركم لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم بحسب ظاهر الحال وليبينن لكم يوم القيمة
ما كنتم فيه تختلفون جازاكم باعمالكم ثوابا وعقابا ولو شاء الله مشية قسر والجاء لجعلكم امة واحدة متفقة
على الاسلام ولكن لا يشاء ذلك لكونه مزاحما لقضية الحكمة بل يضل من يشاء اضلاله بان يخلق فيه الضلال
حسبما يصرف اختياره الجزئي اليه ويهدي من يشاء هدايته حسبما يصرف اختياره الى تحصيلها ولتسئلن جميعا
يوم القيمة عما كنتم تعملون في الدنيا وهذا اشارة الى ما لوح به في الكسب الذي عليه يدور امر الهداية والضلال
ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهي عنه بعد التضمين تاكيدا ومبالغة في بيان قبح المنهي عنه وتمهيدا
لقوله سبحانه فتزل قدم عن محجة الحق بعد ثبوتها عليها ورسوخها فيها بالايمان وافراد القدم وتنكيرها
للايذان بان زلل قدم واحدة اي قدم كانت عزت او هانت محذور عظيم فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء
اي العذاب الدنيوي بما صددتم بصدودكم او بصدكم غيركم عن سبيل الله الذي ينتظم الوفاء بالعهود
والايمان فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره ولكم في الاخرة عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد الله
اي لا تاخذوا بمقابلة عهده تعالى وبيعة رسوله صلى الله عليه وسلم واياته الناطقة بايجاب المحافظة
على العهود والايمان ثمنا قليلا اي لا تستبدلوا بها عوضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون ضعفة المسلمين
ويشترطون لهم على الارتداد من حطام الدنيا انما عند الله عز وجل من النصر والتغنيم والثواب الاخروي
هو خير لكم مما يعدونكم ان كنتم تعلمون اي ان كنتم من اهل العلم والتمييز وهو تعليل للنهي على طريقة التحقيق
كما ان قوله تعالى ما عندكم تعليل للخيرية بطريق الاستيناف اي ما تتمتعون به من نعيم الدنيا وان جل بل الدنيا
وما فيها جميعا ينفد وان جم عدده وينقضي وان طال امده وما عند الله من خزاين رحمته الدنيوية والاخروية

باق لانفاد له اما الاخروية فظاهرة واما الدنيوية فحيث كانت موصولة بالاخروية ومستتبعة لها فقد انتظمت
في سمط الباقيات الصالحات وفي ايثار الاسم على صيغة المضارع من الدلالة على الدوام ما لا يخفى وقوله تعالى ولنجزين
بنون العظمة على طريقة الالتفات تكرير للوعد المستفاد من قوله تعالى ان ما عند الله هو خير لكم على نهج التوكيد القسمي
مبالغة في الحمل على الثبات في الدين والالتفات عما يقتضيه ظاهر الحال من ان يقال وليجزينكم اجركم باحسن
ما كنتم تعملون للتوسل الى التعرض لاعمالهم والاشعار بعليتها للجزاء اي والله لنجزين الذين صبروا على اذية المشركين
ومشاق الاسلام التي من جملتها الوفاء بالعهود والفقر وقرئ بالياء من غير التفات اجرهم مفعول ثان لنجزين
اي لنعطينهم اجرهم الخاص بهم بمقابلة صبرهم على ما منوا به من الامور المذكورة باحسن ما كانوا يعملون اي لنجزينهم
بما كانوا يعملونه من الصبر المذكور وانما اضيف اليه الاحسن للاشعار بكمال حسنه كما في قوله سبحانه وحسن ثواب
الاخرة لا لافادة الجزاء على الاحسن منه دون الحسن فان ذلك مما لا يخطر ببال احد لا سيما بعد قوله تعالى
اجرهم او لنجزينهم بحسب احسن اعمالهم على معنى لنعطينهم بمقابلة الفرد الادنى من اعمالهم المذكورة ما
نعطيه بمقابلة الفرد الاعلى منها من الاجر الجزيل لا انا نعطي الاجر بحسب افرادها المتفاوتة من مراتب الحسن
بان نجزي الحسن منها بالاجر الحسن والاحسن وفيه ما لا يخفى من العدة الجميلة باغتفار ما عسى يعتريهم في
تضاعيف الصبر من بعض جزع ونظمه في سلك الصبر الجميل او لنجزينهم بجزاء احسن من اعمالهم واما التفسير
بما ترجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بما ترجح تركه ايضا كالمحرمات والمكروهات دلالة على
ان ذلك هو المدار للجزاء دون ما يستوي فعله وتركه كالمباحات فلا يساعده مقام الحث على الثبات على ما هم
عليه من الاعمال الحسنة المخصوصة والترغيب في تحصيل ثمراتها بل التعرض لاخراج بعض اعمالهم من مدارية
الجزاء من قبيل تحجير الرحمة الواسعة في مقام توسيع حماها من عمل صالحا اي عملا صالحا اي عمل كان وهذا شروع
في تحريض كافة المؤمنين على كل عمل صالح غب ترغيب طايفة منهم في الثبات على ما هم عليه من عمل مخصوص
دفعا لتوهم اختصاص الاجر الموفور بهم وبعلمهم المذكور وقوله تعالى من ذكر او انثى مبالغة في بيان شموله للكل
وهو مؤمن قيد به اذ لا اعتداد باعمال الكفرة في استحقاق الثواب او تخفيف العذاب لقوله تعالى
وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وايثار ايراده بالجملة الاسمية الحالية على نظمه في سلك
الصلة لافادة وجوب دوامه ومقارنته العمل الصالح فلنحيينه حيوة طيبة اي في الدنيا يعيش عيشا طيبا
اما ان كان موسرا فظاهر واما ان كان معسرا فيطيب عيشه بالقناعة والرضى بالقسمة وتوقع الاجر العظيم
كالصايم يطيب عيشه بملاحظة نعيم ليله بخلاف الفاجر فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا فلا يدعه
الحرص وخوف الفوات ان يتهنى بعيشه ولنجزينهم في الاخرة اجرهم باحسن ما كانوا يعملون حسبما نفعل بالصابرين
فليس فيه شايبة تكرار والجمع في الضماير العايدة الى الموصول لمراعاة جانب المعنى كما ان الافراد فيما سلف
لرعاية جانب اللفظ وايثار ذلك على العكس لما ان وقوع الجزاء بطريق الاجتماع المناسب للجمعية ووقوع
ما في حيز الصلة وما يترتب عليه بطريق الافتراق والتعاقب الملايم للافراد اذ قد انتهى الامر الى ان مدار الجزاء
المذكور هو صلاح العمل وحسنه رتب عليه بالفاء الارشاد الى العمل الصالح ويخلص من شوايب الفساد
فقيل فاذا قرات القران اي اذا اردت قراءته عبر بها عن ارادتها على طريقة اطلاق اسم المسبب على السبب ايذانا
بان المراد هي الارادة المتصلة بالقراءة فاستعذ بالله فاسئله عز جاره ان يعيذك من الشيطان الرجيم من وساوسه
وخطراته كيلا يوسوسك عند القراءة فان له همة بذلك قال الله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي
الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الاية وتوجيه الخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخصيص قراءة
القرآن من بين الاعمال الصالحة بالاستعاذة عند ارادتها للتنبيه على انها لغيره عليه الصلوة والسلام وفي
ساير الاعمال الصالحة اهم فانه عليه السلام حيث امر بها عند قراءة القرآن الذي لا ياتيه الباطل من بين

يد به ولا من خلفه فما ظنكم بمن عداه عليه السلام فيما عدا القراءة من الاعمال والامر المندوب وعند عطا للوجوب
وهذا مذهب الجمهور وقد اخذ بظاهر النظم الكريم فاستعاذ عقيب القراءة ابو هريرة رضي الله عنه ومالك
وابن سيرين وداود وحمزة من القراء ابن مسعود رضي الله عنه قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال عليه الصلوة والسلام قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
هكذا اقرانيه جبريل عليه السلام عن القلم عن اللوح المحفوظ انه الضمير للشان او للشيطان ليس له سلطان
تسلط وولاية على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون اليه يفوضون امورهم وبه يعوذون في كل ما يأتون ويذرون فان
وسوسته لا تؤثر فيهم ودعوته غير مستجابة عندهم وايثار صيغة الماضي في الصلة الاولى للدلالة على التحقق
كما ان اختيار صيغة الاستقبال في الثانية لافادة الاستمرار التجددي وفي التعرض لوصف الربوبية عدة كريمة
باعادة المتوكلين والجملة تعليل للامر بالاستعاذة او الجواب المنوي اي يعذك او نحوه انما سلطانه اي تسلطه و
ولايته بدعوته المستتبعة للاجابة لا سلطانه بالقسر والالجاء فانه منتف من الفريقين لقوله سبحانه حكاية عنه
وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وقد افصح عنه قوله تعالى على الذين يتولونه اي يتخذونه
وليا ويستجيبون دعوته ويطيعونه فان المقسور بمعزل عن ذلك والذين هم به سبحانه وتعالى مشركون او
بسبب الشيطان مشركون اذ هو الذي حملهم على الاشراك وقصر سلطانه عليهم غب نفيه عن المؤمنين المتوكلين
دليل على ان لا واسطة في الخارج بين المتوكلين على الله تعالى وبين تولي الشيطان وان كان بينهما واسطة في المفهوم
وان من لم يتوكل عليه تعالى ينتظم في سلك من يتولى الشيطان من حيث لا يحتسب اذ به يتم التعليل ففيه مبالغة
في الحمل على التوكل والتحذير عن مقابله وايثار الجملة الفعلية الاستقبالية في الصلة الاولى لما مر من افادة
الاستمرار التجددي كما ان اختيار الجملة الاسمية في الثانية للدلالة على الثبات وتكرير الموصول للاحتراز
عن توهم كون الصلة الثانية حالية مفيدة لعدم دخول غير المشركين من اولياء الشيطان تحت سلطانه وتقديم
الاولى على الثانية التي هي بمقابلة الصلة الاولى فيما سلف لرعاية المقارنة بينها وبين ما يقابلها من التوكل
على الله تعالى ولو روعي الترتيب السابق لانفصل كل من القرينين عما يقابلها واذا بدلنا اية مكان اية اي
اذا انزلنا اية من القران مكان اية منه وجعلناها بدلا منها بان نسخناها بها والله اعلم بما ينزل اولا واخرا
وبان كلا من ذلك ما نزلت حيثما نزلت حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة فان كل وقت له مقتضى اخر فكم من
مصلحة في وقت تنقلب في وقت اخر مفسدة لانقلاب الامور الداعية الى ذلك واما الشرايع الا مصالح للعباد
في المعاش والمعاد وتدور حسبما تدور المصالح والجملة اما معترضة لتوبيخ الكفرة والتنبيه على فساد رأيهم
وفي الالتفات الى الغيبة مع اسناد الخبر الى الاسم الجليل المستجمع للصفات ما لا يخفى من تربية المهابة وتحقيق
معنى الاعتراض او حالية وقرئ بالتخفيف من الانزال قالوا اي الكفرة الجاهلون بالحكمة النسخ انما انت مفتر
متقول على الله تعالى تأمر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه وحكاية هذا القول عنهم ها هنا للايذان بان ذلك
كفرة ناشية من نزغات الشيطان وانه وليهم بل اكثرهم لا يعلمون اي لا يعلمون شيئا اصلا او لا يعلمون
ان في النسخ حكما بالغة واسناد هذا الحكم الى الاكثر لما ان منهم من يعلم ذلك وانما ينكر عنادا قل نزله
اي القران المدلول عليه بالاية روح القدس يعني جبرايل عليه السلام اي الروح المطهر من الادناس
البشرية واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كاضافة حاتم الى الجود للمبالغة في ذلك الوصف كانه
طبع منه وفي صفة التفعيل في الموضعين اشعار بان التدريج في الانزال مما يقتضيه الحكم البالغة من ربك
في اضافة الرب الى ضميره صلى الله عليه وسلم من الدلالة على تحقيق افاضة اثار الربوبية عليه عليه السلام
ما ليس في اضافته الى ياء التكلم المنبية على التلقين المحض بالحق اي ملتبسا بالحق الثابت الموافق للحكمة
المقتضية له بحيث لا يفارقها انشاء ونسخا وفيه دلالة على ان النسخ حق ليثبت الذين امنوا على الايمان

بانه كلام

بانه كلامه تعالى فانهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية المصالح بالحال رسخت عقايدهم واطمانت
قلوبهم وقرئ ليثبت من الافعال وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه تعالى وهما معطوفان على محل ليثبت
اي تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعرض بحصول اضداد الامور المذكورة لمن سواهم من الكفار ولقد نعلم انهم
يقولون غير ما نقل عنهم من المقالة الشنعاء انما يعلمه اي القران بشر على الهيت مع ظهور انه نزله
روح القدس عليه السلام وتحلية الجملة بعنوان التأكيد لتحقيق ما تضمنه من الوعيد وصيغة الاستقبال
لافادة استمرار العلم بحسب الاستمرار التجددي في متعلقه فانهم مستمرون على تفوه تلك العظيمة
يعنون بذلك جبرا الرومي غلام عامر بن الحضرمي جبرا ويسارا كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن
التورية والانجيل وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه عايشا غلام حويطب بن عبد
العزى قد اسلم وكان صاحب كتب سلمان الفارسي رضي الله عنه وانما لم يصرح باسم من زعموا انه يعلمه مع كونه
ادخل في ظهور ركاكتهم للايذان بان مدار خطائهم نسبته عليه السلام الى التعلم من شخص معين بل من البشر كائنا من
كان مع كونه عليه السلام معدنا لعلوم الاولين والاخرين لسان الذي يلحدون اليه اعجمي الالحاد الامالة من الحد القبر
اذا امال حفره عن الاستقامة فقالوا الحد فلان في قوله والحد في دينه اي لغة الرجل الذي يميلون اليه القول من
الاستقامة اعجمية غير بينة وقرئ بفتح الياء والحاء وبتعريف اللسان وهذا اي القران الكريم لسان عربي مبين
ذوي بيان وفصاحة والجملتان مستانفتان لابطال طعنهم وتقرير ان القران معجز بنظمه كما انه معجز بمعناه
فان زعمتم ان بشرا يعلمه معناه فكيف يعلمه هذا النظم الذي اعجز جميع اهل الدنيا والتشبث في اثناء الطعن
باذيال هذه المزاقات الركيكة دليل على كمال عجزهم ان الذين لا يؤمنون بايات الله اي لا يصدقون انها من عند الله
بل يقولون فيها ما يقولون يسمونها تارة افتراء واخرى اساطير معلمة من البشر لا يهديهم الله الى الحق او الى
سبيل النجاة هداية موصلة الى المطلوب لما علم انهم لا يستحقون ذلك لسوء حالهم ولهم في الاخرة عذاب اليم
وهذا تهديد ووعيد على ما هم عليه من الكفر بايات الله تعالى ونسبة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الافتراء
والتعلم من البشر بعد اماطة شبهتهم ورد طعنهم وقوله تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله
رد قولهم انما انت مفتر وقلب للامر عليهم ببيان انهم هم المفترون بعد رده بتحقيق انه منزل من عند الله تعالى
بواسطة روح القدس وانما وسط بينهما قوله تعالى ولقد نعلم الاية لما لا يخفى من شدة اتصاله بالرد الاول
والمعنى والله تعالى اعلم ان المفتري هو الذي يكذب بايات الله ويقول انه افتراء ومعلم من البشر اي تكذيبها على
الوجه المذكور هو الافتراء على الحقيقة لان حقيقته الكذب والحكم بانه ما هو كلامه تعالى ليس بكلامه تعالى
في كونه كذبا وافتراء كالحكم بان ما ليس بكلامه تعالى كلامه تعالى والتصريح بالكذب للمبالغة في بيان قبحه
وصيغة المضارع لرعاية المطابقة بينه وبين ما هو عبارة عنه اعني قوله لا يؤمنون المعنى انما يفتري
الكذب ويليق ذلك بمن لا يؤمن بايات الله لانه لا يترقب عقابا عليه ليرتدع عنه واما من يؤمن بها ويخاف
ما نطقت من العقاب فلا يمكن ان يصدر منه افتراء البتة واولئك الموصوفون بما ذكر من عدم الايمان بايات
الله هم الكاذبون على الحقيقة او الكاملون في الكذب اذ لا كذب اعظم من تكذيب ايات الله تعالى والطعن
فيها بامثال هاتيك الاباطيل والسر في ذلك ان الكذب الساذج الذي هو عبارة عن الاخبار بعدم وقوع ما هو
واقع في نفس الامر بخلق الله تعالى او بوقوع ما لم يقع كذلك مدافعة لله سبحانه في فعله فقط والتكذيب مدافعة
له سبحانه في فعله وقوله المبني عنه معا او الذين عادتهم الكذب لا يزعهم عنه وازع من دين او مروة وقيل
الكاذبون في قولهم انما انت مفتر من كفر بالله اي تلفظ بكلمة الكفر من بعد ايمانه به تعالى وهو ابتداء كلام
لبيان حال من كفر بايات الله بعد ان امن بها بعد بيان حال من لم يؤمن بها راسا ومن موصولة ومحلها
الرفع على الابتداء والخبر محذوف لدلالة الجزاء الاتي عليه او خبرهما معا او النصب على الذم الا من اكره على

فخفر في شق منه ثم استعير لكل امالة عن الاستقامة صح

طريق

ل

ذلك بامن يخاف على نفسه او على عضو من اعضائه وهو استثناء متصل من حكم الغضب والعذاب والذم لان الكفر
لغة يتم بالقول كما اشير وقوله تعالى **وقلبه مطمئن بالايمان** حال من المستثنى والعامل هو الكفر الواقع بالاكراه لا
نفس الاكراه لان مقارنة اطمئنان القلب بالايمان للاكراه لا يجدي نفعا وانما المجدي مقارنته للكفر الواقع
به اي الا من كفر باكراه او الا من اكره فكفر والحال ان قلبه مطمئن بالايمان لم يتغير عقيدته وانما لم يصرح به ايماء
الى انه ليس بكفر حقيقة وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب **ولكن من** لم يكن كذلك بل **شرح بالكفر**
صدرا اي اعتقده وطاب به نفسا **فعليهم غضب** عظيم لا يكتنه كنهه **من الله** اظهار الاسم الجليل لتربية المهابة
وتقوية تعظيم العذاب **ولهم عذاب عظيم** اذ لا جرم اعظم من جرمهم والجمع في الضميرين المجرورين لمراعاة جانب
المعنى كما ان الافراد في المستكن في الصلة لرعاية جانب اللفظ روي ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية
على الارتداد فاباه ابواه فربطوا سمية بين بعيرين وجيء بحربة في قلبها وقالوا انما اسلمت من اجل الرجال فقتلوها
وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين في الاسلام واما عمار فاعطاهم بلسانه ما اكرهوا عليه فقيل يا رسول الله ان
عمارا كفر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه
ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ما لك
ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بكلمة الكفر عند الاكراه الملجئ وان كان الافضل ان يتجنب عنه
اعزازا للدين كما فعله ابواه وروي ان مسيلمة الكذاب اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد صلى الله
عليه وسلم قال رسول الله قال فما تقول في قال انا اصم فاعاد ثلثا فاعاد جوابه فبلغ ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصته واما الثاني فقد صدع بالحق **ذلك** اشارة الى
الكفر بعد الايمان او الى الوعيد المذكور **بانهم** بسبب انهم **استحبوا الحيوة الدنيا** آثروها **على الآخرة وان الله لا يهدي**
الى الايمان والى ما يوجب الثبات عليه هداية قسر والجاء **القوم الكافرين** في علمه المحيط فلا يعصمهم عن
الزيغ وما يؤدي اليه من الغضب والعذاب العظيم ولولا احد الامرين اما ايثار الحيوة الدنيا على الآخرة
واما عدم هداية الله سبحانه للكافرين هداية قسر بان آثروا الآخرة على الدنيا او بان هداهم الله تعالى
هداية قسر لما كان ذلك لكن الثاني مخالف للحكمة والاول مما لا يدخل تحت الوقوع واليه اشير بقوله تعالى
اولئك اي اولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح **الذين طبع الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم** فابت عن ادراك
الحق والتامل فيه **واولئك هم الغافلون** اي الكاملون في الغفلة اذ لا غفلة اعظم عن الغفلة عن تدبر العواقب
لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها الى ما لا يفضي الا الى العذاب المخلد **ثم ان**
ربك للذين هاجروا الى دار الاسلام وهم عمار واصحابه رضي الله عنهم اي لهم بالولاية والنصر لا عليهم كما يوجبه
ظاهر اعمالهم السابقة فالجار والمجرور خبر لان ويجوز ان يكون خبرها محذوفا لدلالة الخبر الآتي عليه ويجوز ان
يكون ذلك خبرا لها ويكون ان الثانية تاكيدا للاولى وثم للدلالة على تباعد رتبة حالهم هذه عن رتبة حالهم
التي يفيدها الاستثناء من مجرد الخروج عن حكم الغضب والعذاب بطريق الاشارة عن رتبة حال الكفرة **من بعد**
ما فتنوا اي عذبوا على الارتداد وتلفظوا بما يرضيهم من اطمئنان قلوبهم بالايمان وقرئ على بناء الفاعل اي عذبوا
المؤمنين كالحضرمي اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا **ثم جاهدوا** في سبيل الله تعالى **وصبروا** على مشاق
الجهاد **ان ربك من بعدها** من بعد المهاجرة والجهاد والصبر وهو تصريح بما اشعر به بناء الحكم على الموصول من علية
الصلة او من بعد الفتنة المذكورة فهو لبيان عدم اخلال ذلك بالحكم **لغفور** لما فعلوا من قبل **رحيم** ينعم
عليهم مجازاة على ما صنعوا من بعد وفي التعرض لعنوان الربوبية في الموضعين ايماء الى علية الحكم وفي اضافة الرب
الى ضميره صلى الله عليه وسلم مع ظهور الاثر في الطائفة المذكورة اظهار لكمال اللطف به عليه الصلوة والسلام
ولكونهم اتباعا له **يوم تاتي كل نفس** منصوب برحيم وما عطف عليه او باذكر وهو يوم القيمة يوم يقوم الناس **تجادل**

واشعار بان افاضة آثار الربوبية عليهم من المغفرة والرحمة بواسطته عليه الصلوة والسلام

عن نفسها

430

عن نفسها عن ذاتها تسعى في خلاصها بالاعتذار لا يهمها شان غيرها فتقول نفسي نفسي **وتوفى كل نفس** اي تعطى
وافيا كاملا **ما عملت** اي جزاء ما عملت بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب اشعارا بكمال الاتصال بين الاجزية
والاعمال وايثار الاظهار على الاضمار لزيادة التقرير وللايذان باختلاف وقتي المجادلة والتوفية وان كانتا في يوم
واحد **وهم لا يظلمون** لا ينقصون اجورهم ولا يعاقبون بغير موجب ولا يزاد في عقابهم على ذنوبهم **وضرب الله مثلا قرية**
قيل ضرب المثل صنعه واعماله وقد مر تحقيقه في سورة البقرة ولا يتعدى الا الى مفعول واحد وانما عدي الى اثنين
لتضمنه معنى الجعل وتاخير قرية مع كونها مفعولا اول لئلا يحول المفعول الثاني بينها وبين صفتها وما يترتب عليها
اذ التاخير عن الكل مخل بتجاذب النظم وتجاوبها ولان تاخير ما حقه التقديم مما يورث النفس ترقبا لوروده وتشوقا
اليه لا سيما اذا كان في التقدم ما يدعو اليه فان المثل مما يدعو الى المحافظة على تفاصيل احوال ما هو مثل فيتمكن المتاخر
عند وروده لديها فضل تمكن والقرية اما محققة في الغابرين واما مقدرة اي جعلها مثلا لاهل مكة خاصة
او لكل قوم انعم الله تعالى عليهم فابطرتهم النعمة ففعلوا ما فعلوا فبدل الله نعمتهم نقمة ودخل فيهم اهل مكة دخولا
اوليا **كانت آمنة** ذات امن من كل مخوف **مطمئنة** لا يزعج اهلها مزعج **ياتيها رزقها** قوتها اقوات اهلها صفة ثانية
لقرية وتغيير سبكها عن الصفة الاولى لما ان اتيان رزقها متجدد وكونها آمنة مطمئنة ثابت مستمر **رغدا**
واسعا **من كل مكان** من نواحيها **فكفرت** اي كفر اهلها **بانعم الله** اي بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع
وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس والمراد بها نعمة الرزق والامن المستمر وايثار جمع القلة للايذان بان كفران نعمة
قليلة اوجبت هذا العذاب فما ظنك بكفران نعم كثيرة **فاذاقها الله** اي اذاق اهلها **لباس الجوع والخوف** شبه
اثر الجوع والخوف وضررهما المحيط بهم باللباس الغاشي للابس فاستعير له اسمه واوقع عليه الاذاقة المستعارة
لمطلق الايصال المنبئة عن شدة الاصابة بما فيها من اجتماع ادراك اللامسة والذائقة على نهج التجريد فانها لشيوع استعمالها
في ذلك وكثرة جريانها على الالسنة جرت مجرى الحقيقة كقول كثير • غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا • غلقت لضحكته رقاب المال
فان الغمر مع كونه في الحقيقة من احوال الماء الكثير كان كثير الاستعمال في المعروف المشبه بالماء الكثير جرى مجرى الحقيقة
وصارت اضافته الى الرداء المستعار للمعروف تجريدا وشبه اثرهما وضررهما من حيث الاحاطة بهم والكراهة لديهم
تارة باللباس الغاشي للابس المناسب للخوف بجامع الاحاطة واللزوم تشبيه معقول بمحسوس فاستعير له اسمه استعارة
تصريحية واخرى بطعم المر والبشع الملائم للجوع الناشي من فقد الرزق بجامع الكراهة فاومي اليه بان اوقع عليه
الاذاقة المستعارة لايصال المضار المنبئة عن شدة الاصابة بما فيها من اجتماع ادراكي اللامسة والذائقة وتقديم
الجوع الناشي مما ذكر من فقدان الرزق على الخوف المترتب على زوال الامن المقدم فيما تقدم على اتيان الرزق لكونه انسب
بالاذاقة او لمراعاة المقارنة بينه وبين اتيان الرزق وقد قرئ بتقديم الخوف وبنصبه ايضا عطفا على المضاف او
اقامة له مقام مضاف محذوف واصله ولباس الخوف **بما كانوا يصنعون** فيما قبل او على وجه الاستمرار وهو الكفران
المذكور اسند ذلك الى اهل القرية تحقيقا للامر بعد اسناد الكفران اليها وايقاع الاذاقة عليها ارادة للمبالغة
وفي صيغة الصنعة ايذان بان كفران النعمة صار صنعة راسخة لهم وسنة مسلوكة **ولقد جاءهم** من تتمة التمثيل جيء
بها لبيان ان ما فعلوه من كفران النعم لم يكن مزاحمة منهم لقضية العقل فقط بل كان ذلك معارضة لحجة الله
على الخلق اي ولقد جاء اهل تلك القرية **رسول منهم** اي من جنسهم يعرفونه باصله ونسبه فاخبرهم بوجوب الشكر
على النعمة وانذرهم سوء عاقبة ما ياتون وما يذرون **فكذبوه** في رسالته او فيما اخبرهم به مما ذكر فالفاء فصيحة
وعدم ذكره للايذان بمفاجاتهم بالتكذيب من غير تلعثم **فاخذهم العذاب** المستاصل لشافتهم غب ما ذاقوا نبذة من ذلك
وهم ظالمون اي حال التباسهم بما هم عليه من الظلم الذي هو كفران نعم الله تعالى وتكذيب رسوله غير مقلعين عنه
بما ذاقوا من مقدماته الزاجرة عنه وفيه دلالة على تماديهم في الكفر والعناد • وتجاوزهم في ذلك كل حد معتاد
وترتيب العذاب على تكذيب الرسول جرى على سنة الله تعالى حسبما يرشد اليه قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث

اطراف

اجتماع

المال •

رق

الذي هو

رسولا

وبرتهم التمثيل فان جا لاهل مكة سواء ضرب المثل لهم خاصة او لمن سار سيرتهم كافة محاذية لاهل تلك القرية حذو
القذة بالقذة من غير تفاوت بينهما ولو في خصلة فذة كيف لا وقد كانوا في حرم آمن ويتخطف الناس من حولهم وما
يمر بها لهم طيف من الخوف وكانت تجبى اليه ثمرات كل شيء ولقد جاءهم رسول منهم واي رسول يجاري في ادراك
سمو رتبته العقول صلى الله عليه وسلم ما اختلف الدهور والقبول فكفروا بانعم الله وكذبوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاذاقهم الله لباس الجوع والخوف حيث اصابهم بدعائه عليه السلام بقوله اللهم اعني عليهم بسبع
كسبع يوسف ما اصابهم من جدب شديد وازمة حصت كل شيء حتى اضطرتهم الى اكل الجيف والكلاب الميتة والعظام
المحرقة والعلهز وهو الوبر المعالج بالدم وقد ضاقت عليهم الارض بما رحبت من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث كانوا يغيرون على مواشيهم وعيرهم وقوافلهم ثم اخذهم يوم بدر بما اخذهم من العذاب هذا هو الذي يقتضيه
المقام ويستدعيه حسن النظام واما ما اجمع عليه اكثر اهل التفسير من ان الضمير في قوله تعالى ولقد جاءهم لاهل مكة
قد ذكر حالهم صريحا بعد ما ذكر شدتهم وان المراد بالرسول محمد رسول الله وبالعذاب ما اصابهم من الجدب ووقعة
بدر فبمعزل عن التحقيق كيف لا وقوله سبحانه **فكلوا مما رزقكم الله** مفرع على قضية التمثيل وصد لهم عما يؤدي الى
مثل عاقبته والمعنى واذ قد استبان لكم حال من كفر بانعم الله تعالى وكذب رسوله وما حل بهم بسبب ذلك من اللتيا والتي
اولا واخرا فانتهوا عما انتم عليه من كفران النعم وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم لئلا يحل بكم مثل ما حل بهم واعرفوا
حق نعم الله تعالى واطيعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في امره ونهيه وكلوا من رزق الله حال كونه **حلالا طيبا**
وذروا ما تفترون من تحريم البحائر ونحوها **واشكروا نعمت الله** واعرفوا حقها ولا تقابلوها بالكفران والفاء في المعنى
داخلة على الامر بالشكر وانما ادخلت على الامر بالاكل لكون الاكل ذريعة الى الشكر فكانه قيل فاشكروا نعمت الله غب
اكلها حلالا طيبا وقد ادمج فيه النهي عن زعم الحرمة ولا ريب في ان هذا انما يتصور حين كان العذاب المستأصل
متوقعا بعد وقد تمهدت مباديه بعد ما وقع ما وقع فمن ذا الذي يحذر ومن ذا الذي يؤمر بالاكل والشكر وحمل قوله
تعالى فاخذهم العذاب وهم ظالمون على الاخبار بذلك قبل الوقوع يأباه التصدي لاستصلاحهم بالامر
والنهي وتوجيه خطاب الامر والنهي وتوجيه الخطاب بالامر بالاكل الى المؤمنين مع ان ما يتلوه من خطاب
النهي متوجه الى الكفار كما فعله الواحدي حيث قال فكلوا انتم يا معشر المؤمنين مما رزقكم الله من الغنائم مما لا يليق
بشان التنزيل الجليل **ان كنتم اياه تعبدون** اي تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الالهة عبادته تعالى
انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به تعليل لحل ما امرهم باكله مما رزقهم اي انما حرم هذه الاشياء
دون ما تزعمون حرمته من البحائر والسوائب ونحوها **فمن اضطر** بما اعتراه من الضرورة فتناول شيئا من ذلك
غير باغ اي على مضطر اخر **ولا عاد** اي متجاوز قدر الضرورة **فان ربك غفور رحيم** اي لا يؤاخذ بالضرورة فاقيم سببه
مقامه وفي التعرض لوصف الربوبية ايماء الى علة الحكم وفي الاضافة الى ضميره عليه الصلوة والسلام اظهار لكمال
اللطف به عليه الصلوة والسلام وتصدير الجملة بانما لحصر المحرمات في الاجناس الاربعة الا ما ضم اليه كالسباع
والحمر الاهلية ثم اكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل باهوائهم **ولا تقولوا لما تصف السنتكم** اللام صلة مثلها في
قوله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات اي لا تقولوا في شان ما تصفه السنتكم من البهائم بالحل والحرمة
في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير ترتب ذلك الوصف على ملاحظة وفكر
فضلا عن استناده الى وحي او قياس مبني عليه **الكذب** منتصب بلا تقولوا وقوله تعالى **هذا حلال وهذا حرام** بدل
منه ويجوز ان يتعلق بتصف على ارادة القول اي لا تقولوا لما تصف السنتكم فتقولوا هذا حلال وهذا حرام وان يكون
القول المقدر حالا من السنتهم اي قائلة هذا حلال الخ ويجوز ان ينتصب ويتعلق هذا حلال بلا تقولوا واللام للتعليل
وما مصدرية اي لا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اي لا تحللوا ولا تحرموا لمجرد السنتكم الكذب وتصويرها
بصورة مستحسنة وتزيينها في المسامع كان السنتهم لكونها منشأ للكذب ومنبعا للزور تشخص عالم بكنهه

ومحيط

ومحيط بحقيقته يصفه للناس ويعرفه اوضح وصف وابين تعريف على طريقة الاستعارة بالكناية كما يقال
وجهه يصف الجمال وعينه تصف السحر وقرئ بالجر صفة لما مع مدخولها كانه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب
كقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للالسن
وبالنصب على الشتم او بمعنى الكلم الكواذب او هو جمع الكذاب من قولهم كذب كذابا ذكره ابن جني **لتفتروا على الله الكذب**
فان مدار الحل والحرمة ليس الا امر الله تعالى فالحكم بالحل والحرمة اسناد التحليل والتحريم الى الله تعالى من غير ان
يكون ذلك منه واللام لام العاقبة **ان الذين يفترون على الله الكذب** في امر من الامور **لا يفلحون** لا يفوزون
بمطالبهم التي ارتكبوا الافتراء للفوز بها **متاع قليل** خبر مبتدأ محذوف اي منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية
منفعة قليلة **ولهم** في الاخرة **عذاب اليم** لا يكتنه كنهه **وعلى الذين هادوا** خاصة دون غيرهم من الاولين
والاخرين **حرمنا ما قصصنا عليك** اي بقوله تعالى حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الاية
من قبل متعلق بقصصنا او بحرمنا وهو تحقيق لما سلف من حصر المحرمات فيما فصل بابطال ما يخالفه من فرية
اليهود وتكذيبهم في ذلك فانهم كانوا يقولون لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابرهيم
عليهما السلام حتى انتهى الامر الينا **وما ظلمناهم** بذلك التحريم **ولكن كانوا انفسهم يظلمون** حيث فعلوا ما فعلوا مما
عوقبوا به عليه حسبما نعى عليهم قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الاية ولقد القمهم
الحجر قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل فأتوا
بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين روي انه عليه السلام لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية
كيف وقد بين فيها ان تحريم ما حرم عليهم من الطيبات لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا اوضح بيان وفيه تنبيه على
الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم **ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة** اي بسبب جهالة او ملتبسين
بجهالة ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الافتراء على الله وغيره
ثم تابوا من بعد ذلك اي من بعد ما عملوا والتصريح به مع دلالة ثم عليه للتاكيد والمبالغة **واصلحوا** اي اصلحوا
اعمالهم او دخلوا في الصلاح **ان ربك من بعدها** اي من بعد التوبة **لغفور** لذلك السوء **رحيم** يثيب على طاعته
تركا وفعلا وتكرير قوله تعالى ان ربك لتاكيد الوعد واظهار كمال العناية بانجازه والتعرض لوصف الربوبية
مع الاضافة الى ضميره عليه الصلوة والسلام مع ظهور الاثر في التائبين للايماء الى ان افاضة اثار الربوبية
من المغفرة والرحمة بتوسطه عليه السلام وكونهم من اتباعه كما اشير اليه فيما مر **ان ابرهيم كان امة** حيالة لحيازته
من الفضائل البشرية ما لا يكاد يوجد الا متفرقة في امة جمة حسبما قيل ليس من الله تعالى بمستنكر ان
يجمع العالم في واحد وهو رئيس اهل التوحيد وقدوة اصحاب التحقيق جادل اهل الشرك والقمهم الحجر ببينات باهرة
لا تبقي ولا تذر وابطل مذاهبهم الزائغة بالبراهين القاطعة والحجج الدامغة او لانه عليه السلام كان مؤمنا وحده
والناس كلهم كفار وقيل هي فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من امه اذا قصده واقتدى به فان الناس
كانوا يقصدونه ويقتدون بسيرته لقوله تعالى اني جاعلك للناس اماما وايراد ذكره عليه السلام عقيب
تزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة وتحريم ما احله الله تعالى للايذان بحقيقة دين الاسلام
وبطلان الشرك وفروعه امر ثابت لا ريب فيه **قانتا لله** مطيعا له قائما باوامره **حنيفا** مائلا عن كل دين باطل
الى الدين الحق غير زائل عنه بحال **ولم يك من المشركين** في امر من امور دينهم اصلا وفرعا صرح بذلك مع ظهوره
لا ردا على كفار مكة فقط في قولهم نحن على ملة ابينا ابرهيم عليه السلام بل عليهم وعلى اليهود والمشركين
بقولهم عزير ابن الله في افترائهم انه عليه السلام كان على ما هم عليه كقوله تعالى ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا
ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين اذ به ينتظم امر ايراد التحريم والسبت سابقا ولاحقا **شاكرا لانعمه**
صفة ثالثة لامة وانما اوثر صيغة جمع القلة للايذان بانه عليه السلام كان لا يخل بشكر النعمة القليلة

فكيف بالكثرة والتصريح بكونه عليه السلام على خلاف ما هم عليه من الكفران بانعم الله تعالى حسبما بين
ذلك بضرب المثل اجتباه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم موصل اليه سبحانه وهو ملة الاسلام وليست
نتيجة هذه الهداية مجرد اهتدائه عليه السلام بل مع ارشاد الخلق ايضا بمعونة قرينة الاجتباء وآتيناه
في الدنيا حسنة حالة حسنة من الذكر الجميل والثناء فيما بين الناس قاطبة حتى انه ليس من اهل الاديان من
اهل دين الا وهم يتولونه وقيل هي الخلة والنبوة وقيل قول المصلي منا كما صليت على ابرهيم والالتفات الى
التكلم لاظهار كمال الاعتبار بشانه وتفخيم مكانه عليه السلام وانه في الآخرة لمن الصالحين اصحاب الدرجات
العالية في الجنة حسبما ساله بقوله والحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني من
ورثة جنة النعيم ثم اوحينا اليك مع علو طبقتك وسمو رتبتك ان اتبع ملة ابرهيم الملة اسم لما شرعه الله
تعالى لعباده على لسان الانبياء عليهم السلام من امللت الكتاب اذا امليته وهو الدين بعينه لكن باعتبار
الطاعة وتحقيقه ان الوضع الالهي مهما نسب الى من يؤديه عن الله تعالى يسمى ملة ومهما نسب الى من
يقيمه ويعمل به يسمى دينا الراغب الفرق بينهما ان الملة لا تضاف الا الى النبي عليه السلام ولا
تكاد توجد مضافة الى الله سبحانه ولا الى احاد الامة ولا تستعمل الا في جملة الشرايع دون احادها والمراد
بملته عليه السلام الاسلام الذي عبر عنه آنفا بالصراط المستقيم حنيفا حال من المضاف اليه لما ان
المضاف لشدة اتصاله به عليه السلام جرى منه مجرى البعض فعد بذلك من قبيل رايت وجه هند قائمة
والمامور به الاتباع في الاصول دون الشرايع المتبدلة بتبدل الاعصار وما في ثم من التراخي في الرتبة للايذان
بان هذه النعمة من اجل النعم الفائضة عليه عليه السلام وما كان من المشركين تكرير لما سبق لزيادة تاكيد
وتقرير لنزاهته عليه السلام عما هم عليه من عقد وعمل وقوله سبحانه انما جعل السبت اي فرض تعظيمه والتخلي
فيه للعبادة وترك الصيد فيه تحقيق لذلك النفي الكلي وتوضيح له بابطال ما عسى يتوهم كونه قادحا في كليته
حسبما سلف في قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا الخ فان اليهود كانوا يدعون ان السبت من شعائر الاسلام
وان ابرهيم عليه السلام كان محافظا عليه اي ليس السبت من شرايع ابرهيم وشعائر ملته التي امرت باتباعها
حتى يكون بينه عليه السلام وبين بعض المشركين علاقة في الجملة وانما شرع ذلك لبني اسرائيل بعد مدة
طويلة وايراد الفعل مبنيا للمفعول جرى على سنن الكبرياء وايذان بعدم الحاجة الى التصريح بالفاعل لاستحالة
الاسناد الى الغير وقد قرئ على البناء للفاعل وانما عبر ذلك بالجعل موصولا بكلمة على وعنهم بالاسم الموصول
باختلافهم فقيل انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه للايذان بتضمنه للتشديد والابتلاء المؤدي الى
العذاب وبكونه معللا باختلافهم في شانه قبل الوقوع ايثارا له على ما امر الله تعالى به واختيارا للعكس
لكن باعتبار شمول العلية لطرفي الاختلاف وعموم الغائلة للفريقين بل باعتبار حال منشاء الاختلاف من الطرف
المخالف للحق وذلك ان موسى عليه السلام امر اليهود ان يجعلوا في الاسبوع يوما واحدا للعبادة ويكون
ذلك يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله تعالى فيه من خلق السموات والارض وهو السبت
الا شرذمة قليلة قد رضوا بالجمعة فاذن الله تعالى لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فاطاع امر الله
تعالى الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون واعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله قردة دون اولئك
المطيعين وان ربك ليحكم بينهم اي بين الفريقين المختلفين فيه يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون اي يفصل
فيما بينهما من الخصومة والاختلاف فيجازي كل فريق بما يستحقه من الثواب والعقاب وفيه ايماء الى ان ما وقع
في الدنيا من مسخ احد الفريقين وانجاء الآخر بالنسبة الى ما سيقع في الآخرة شيء لا يعتد به هذا هو الذي
يستدعيه الاعجاز التنزيلي وقد قيل المعنى انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه اي احلوا
الصيد فيه تارة وحرموا اخرى وكان حتما عليهم ان يتفقوا على تحريمه حسبما امر الله سبحانه به وفسر الحكم بينهم

بالمجازاة

بالمجازاة باختلاف افعالهم بالاحلال تارة والتحريم اخرى ووجه ايراده هاهنا بانه اريد به انذار المشركين
من سخط الله تعالى على العصاة والمخالفين لاوامره كضرب المثل بالقرية التي كفرت بانعم الله تعالى ولا ريب
في ان كلمة بينهم تحكم بان المراد بالحكم هو فصل ما بين الفريقين من الاختلاف وان توسيط حديث المسخ
للانذار المذكور بين حكاية النبي صلى الله عليه وسلم باتباع ملة ابرهيم عليه السلام وبين امره صلى الله عليه
وسلم بالدعوة اليها من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه فتامل ادع اي من بعثت اليهم من الامة قاطبة فحذف
المفعول للتعميم او افعل الدعوة كما في قولهم يعطي ويمنع اي يفعل الاعطاء والمنع فحذف للقصد الى ايجاد نفس
الفعل اشعارا بان عموم الدعوة غني عن البيان وانما المقصود الامر بايجادها على وجه مخصوص الى سبيل ربك
الى الاسلام الذي عبر عنه تارة بالصراط المستقيم واخرى بملة ابرهيم عليه السلام وفي التعرض لعنوان الربوبية
المنبئة عن المالكية وتبليغ الشيء الى كماله اللائق شيئا فشيئا مع اضافة الرب الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم
في مقام الامر بدعوة الامة على الوجه الحكم وتكميلهم باحكام الشريعة الشريفة من الدلالة على اظهار اللطف به صلى
الله عليه وسلم والايماء الى وجه بناء الحكم ما لا يخفى بالحكمة اي بالمقالة المحكمية الصحيحة وهو الدليل الموضح للحق
المزيح للشبهة والموعظة الحسنة اي الخطابيات المقنعة والعبر النافعة على وجه لا يخفى عليهم انك تناصحهم
وتقصد ما ينفعهم فالاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقايق والثاني لدعوة عوامهم ويجوز ان يكون المراد بهما
القرآن المجيد فانه جامع لكلا الوصفين وجادلهم اي ناظر معانديهم بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن
طرق المناظرة والمجادلة من الرفق واللين واختيار الوجه الايسر واستعمال المقدمات المشهورة تسكينا لشغبهم
واطفاء للهبهم كما فعله الخليل عليه السلام ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله الذي امرك بدعوة الخلق
اليه واعرض عن قبول الحق بعد ما عاين ما عاين من الحكم والمواعظ والعبر وهو اعلم بالمهتدين اليه بذلك وهو
تعليل لما ذكر من الامرين والمعنى والله تعالى اعلم اسلك في الدعوة والمناظرة الطريقة المذكورة فانه تعالى هو اعلم بحال
من لا يرعوي عن الضلال بموجب استعداده المكتسب وبحال من يصير امره الى الاهتداء لما فيه من خير جبلي مما
شرعه لك في الدعوة هو الذي يقتضيه الحكمة فانه كاف في هداية المهتدين وازالة عذر الضالين وما عليك الا
ما ذكر من الدعوة والمجادلة بالاحسن واما حصول الهداية والضلالة والمجازاة عليهما فالى الله سبحانه اذ هو
اعلم بمن يبقى على الضلال ومن يهتدي اليه فيجازي كلا منهما بما يستحقه وتقديم الضالين لما ان مساق الكلام لهم
وايراد الضلال بصيغة الفعل الدال على الحدوث لما انه تغيير لفطرة الله التي فطر الناس عليها واعراض عن الدعوة
وذلك امر عارض بخلاف الاهتداء الذي هو عبارة عن الثبات على الفطرة والجريان على موجب الدعوة ولذلك جيء بصيغة
الاسم المنبئ عن الثبات وتكرير هو اعلم للتاكيد والاشعار بتباين حال المعلومين وما لهما من العقاب والثواب
وبعد ما امر عليه السلام فيما يختص به من شان الدعوة بما امر به من الوجه اللائق عقبه بخطاب شامل
له ولمن شايعه فيما يعم الكل فقال وان عاقبتم اي وان اردتم المعاقبة على طريقة قول الطبيب للمحمي ان اكلت فكل
قليلا فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به اي بمثل ما فعل بكم وقد عبر عنه بالعقاب على طريقة اطلاق اسم المسبب على
السبب نحو كما تدين تدان او على نهج المشاكلة والمقصود ايجاب مراعاة العدل مع من يناصبهم من غير تجاوز حين
ما آل الجدال الى القتال وادى النزاع الى القراع فان الدعوة المامور بها لا تكاد تنفك عن ذلك كيف لا وهي موجبة
لصرف الوجوه عن القبلة المعهودة وادخال الاعناق في قلادة غير معهودة قاضية عليهم بفساد ما ياتون وما
يذرون وبطلان دين استمرت عليه اباؤهم الاولون وقد ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وسدت عليهم طرق
المحاجة والمناظرة وارتجت دونهم ابواب المباحثة والمحاورة انه عليه السلام لما راى حمزة رضي الله عنه
قد قتل يوم احد قال لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما اراده وقرئ وان عقبتم
فعقبوا اي ان قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم غير متجاوزين عنه والامر وان دل على اباحة المماثلة في المثلة من غير

تجاوز لكن في تقييده بقوله وان عاقبتم حثا على العفو تعريضا وقد صرح به على الوجه الآكد فقيل ولئن صبرتم اي عن المعاقبة بالمثل لهو اي بصبركم ذلك خير لكم من الانتصار بالمعاقبة وانما قيل للصابرين مدحا لهم وثناء عليهم بالصبر او وصفا لهم بصفة تحصل لهم عند ترك المعاقبة ويجوز عود الضمير الى مطلق الصبر المدلول عليه بالفعل فيدخل فيه صبرهم لدخول انفسهم في جنس الصابرين دخولا اوليا ثم امر صلى الله عليه وسلم صريحا بما ندب اليه غيره تعريضا من الصبر لانه اولى الناس بعزايم الامور لزيادة علمه بشؤنه سبحانه ووفور وثوقه به فقيل واصبر اي على ما اصابك من جهتهم من فنون الآلام والاذية وعاينت من اعراضهم عن الحق بالكلية وما صبرك الا بالله استثناء مفرغ من اعم الاشياء اي وما صبرك ملابسا ومصحوبا بشيء من الاشياء الا بالله اي بذكره والاستغراق في مراقبة شؤنه والتبتل اليه بمجامع الهمة وفيه من تسليته عليه السلام وتهوين مشاق الصبر عليه وتشريفه ما لا مزيد عليه او الا بمشيئته المبنية على حكم بالغة مستتبعة لعواقب جميلة فالتسلية من حيث اشتماله على غايات جميلة الا بتوفيقه ومعونته فهي من حيث تسهيله وتيسيره ولا تحزن عليهم اي على الكافرين بوقوع اليأس من ايمانهم بك ومتابعتهم لك نحو فلا تأس على القوم الكافرين على المؤمنين وما فعل بهم والاول هو الانسب بجزالة النظم الكريم ولا تك في ضيق بالفتح وقرئ بالكسر وهما لغتان كالقول والقيل اي لا تكن في ضيق صدر وحرج ويجوز كون الاول تخفيف ضيق كهين من هين اي في امر ضيق مما يمكرون اي مكرهم بك بستقبل فالاول نهي عن التألم بمطلوب من قبلهم فات والثاني عن التألم بمحذور من جهتهم آت والنهي عنهما مع ان انتفاءهما من لوازم الصبر المأمور به لا سيما على الوجه الاول لزيادة التأكيد واظهار كمال العناية بشأن التسلية والا فهل يخطر ببال من توجه الى الله سبحانه بشراشر نفسه متنزها عن كل ما سواه من الشواغل شيء من مطلوب فينهى عن الحزن بفواته او محذور فكيف عن الخوف من وقوعه ان الله مع الذين اتقوا تعليل لما سبق من الامر والنهي والمراد بالمعية الولاية الدايمة التي لا تحوم حول صاحبها شائبة شيء من الجزع والحزن وضيق الصدر وما يشعر به دخول كلمة مع من متبوعية المتقين انما هي من حيث انهم المباشرون للتقوى وكذا الحال في قوله سبحانه ان الله مع الصابرين ونظايره والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة منه الجامعة لما تحتها من مرتبة التوقي عن الشرك ومرتبة التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك اعني التنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل اليه بشراشر نفسه وهو التقوى الحقيقي المورث لولاية الله تعالى المقرونة ببيان قوله سبحانه الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والمعنى ان الله ولي الذين تبتلوا اليه بالكلية وتنزهوا عن كل ما يشغل سرهم عنه لم يخطر ببالهم شيء من مطلوب او محذور فضلا عن الحزن بفواته او الخوف عن وقوعه وهو المعنى بما به الصبر المأمور به حسبما اشير اليه وبه يحصل التقريب ويتم التعليل كما في قوله تعالى فاصبر ان العاقبة للمتقين على احد التفسيرين كما حقق في مقامه والا فمجرد التوقي عن المعاصي لا يكون مدارا لشيء من العزايم المرخص في تركها فكيف بالصبر المشار اليه ورديفه وانما مدار المعنى المذكور فكانه قيل ان الله مع الذين صبروا وانما اوثر ما عليه النظم الكريم مبالغة في الحث على الصبر بالتنبيه على انه من خصايص اجل النعوت الجليلة وروادفه كما ان قوله تعالى والذين هم محسنون للاشعار بانه من باب الاحسان الذي يتنافس فيه المتنافسون على ما فصل ذلك حيث قيل فاصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وحقيقة الاحسان الاتيان بالاعمال على الوجه اللايق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وتكرير الموصول للايذان بكفاية كل من الصلتين في ولايته سبحانه من غير ان يكون احديهما تتمة للاخرى وايراد الاول فعلية للدلالة على الحدوث كما ان ايراد الثانية اسمية لافادة كون مضمونها سمة راسخة لهم وتقديم التقوى على الاحسان لما ان التخلية متقدمة على التحلية والمراد بالموصولين اما جنس المتقين والمحسنين وهو عليه السلام داخل

في زمرتهم دخولا اوليا واما هو عليه السلام ومن شايعه عبر عنهم بذلك مدحا لهم وثناء عليهم بالنعتين الجميلين وفيه رمز الى صنيعه عليه السلام مستتبع لاقتداء الامة به كقول من قال لابن عباس رضي الله عنه عند التعزية اصبر نكن بك من الصابرين فانما صبر الرعية عند صبر الرأس عن هرم بن حيان انه قيل له عند الاحتضار اوص قال انما الوصية من المال واوصيكم بخواتيم سورة النحل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله تعالى بما انعم الله عليه في دار الدنيا وان مات في يوم او ليلة كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية

سورة بني اسرائيل وهي مائة واحدى عشرة اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي اسرى بعبده سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وحيث كان المسمى معنى لا عينا وجنسا لا شخصا لم يكن اضافته من قبيل ما في زيد المعارك او حاتم طيء وانتصابه بفعل متروك الاظهار تقديره اسبح الله سبحان وفيه ما لا يخفى من الدلالة على التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب والابعاد في الارض ومنه فرس سبوح اي واسع الجري ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما وهو علم يشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة قيامه مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه ففيه مبالغة من حيث اضافة التنزه الى ذاته المقدسة ومناسبة تامة بين المحذوف وبين ما عطف عليه في قوله تعالى سبحانه وتعالى كانه قيل تنزه بذاته وتعالى والاسراء السير بالليل خاصة كالسرى وقوله تعالى ليلا لافادة قلة زمان الاسراء بما فيه من التنكير الدال على البعضية من حيث الاجزاء دلالته على البعضية من حيث الافراد فان قولك سرت ليلا كما يفيد بعضه زمان سيرك من الليالي يفيد بعضيته من فرد واحد منها بخلاف ما اذا قلت سرت الليل فانه يفيد استيعاب السير له جميعا فيكون معيارا للسير لا ظرفا له وهو يؤيد قراءة من الليل اي بعضه وايثار لفظ العبد للايذان بتمحضه عليه الصلوة والسلام في عبادته سبحانه وبلوغه في ذلك غاية الغايات القاصية ونهايات النهايات حسبما يلوح به مبدأ الاسراء ومنتهاه واضافة التنزيه او التنزه الى الموصول للاشعار بعلية ما في حيز الصلة للمضاف فان ذلك من ادلة كمال قدرته وبالغ حكمته ونهاية تنزهه عن صفات المخلوقين من المسجد الحرام اختلف في مبدأ الاسراء فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر فانه روي عنه عليه الصلوة والسلام انه قال بينما انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبريل عليه السلام بالبراق وقيل هو دار ام هاني بنت ابي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به او لان الحرم كله مسجد فانه روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه عليه الصلوة والسلام كان نائما في بيت ام هاني بعد صلاة العشاء فكان ما كان فقصه عليها فلما قام ليخرج الى المسجد تشبثت بثوبه عليه الصلوة والسلام لتمنعه خشية ان يكذبه القوم قال عليه الصلوة والسلام وان كذبوني فلما خرج جلس اليه ابو جهل فاخبره عليه السلام بحديث الاسراء فقال ابو جهل يا معشر كعب بن لوي بن غالب هلموا فحدثهم فمن مصفق وواضع يده على راسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن آمن به وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق وكان فيهم من يعرف بيت المقدس فاستنعتوه المسجد فجلي له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه الشمس قد اشرقت فقال الآخر هذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين فقال قاتلهم الله انى يؤفكون واختلف في وقته ايضا فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن انس رضي الله عنه والحسن انه كان قبل البعثة واختلف ايضا انه في اليقظة او في المنام فعن الحسن انه كان في المنام واكثر الاقاويل بخلافه والحق انه كان في المنام قبل البعثة وفي اليقظة بعدها واختلف ايضا

ثم

انه كان جسمانيا او روحانيا فعن عائشة رضي الله عنها انها قالت ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن
عرج بروحه وعن معاوية انه قال انما عرج بروحه والحق انه كان جسمانيا على ما ينبئ عنه تصدير التنزيه وما في ضمنه
من التعجب فان الروحاني ليس في الاستبعاد والاستنكار وخرق العادة بهذه المثابة ولذلك تعجب منه قريش و
احالوه ولا استحالة فيه فانه قد ثبت في الهندسة ان قطر الشمس ضعف قطر الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان
طرفها الاسفل يصل الى موضع طرفها الاعلى بحركة الفلك الاعظم مع معاونة حركة فلكها الها في اقل من ثانية وقد
تقرر ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض التي من جملتها الحركة وان الله سبحانه قادر على كل ما يحيط به حيطة
الامكان فيقدر على ان يخلق مثل تلك الحركة بل اسرع منها في جسد النبي صلى الله عليه وسلم او فيما يحمله ولو لم
يكن مستبعدا لم يكن معجزة **الى المسجد الاقصى** اي بيت المقدس سمي به اذ لم يكن حينئذ وراءه مسجد وفي ذلك
من تربية معنى التنزيه والتعجب ما لا يخفى **الذي باركنا حوله** ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء
عليهم السلام **لنريه** غاية الاسراء **من آياتنا** العظيمة التي من جملتها ذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ولا
يقدح في ذلك كونه قبل الوصول الى المقصد ومشاهدة بيت المقدس وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم العلية
عليه وعليهم الصلوة والسلام والالتفات الى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء **انه هو السميع**
لاقواله عليه الصلوة والسلام بلا اذن **البصير** بافعاله بلا بصر حسبما يؤذن به القصر فيكرمه ويقربه بحسب ذلك
وفيه ايماء الى ان الاسراء المذكور ليس الا لتكرمته عليه الصلوة والسلام ورفع منزلته والا فالاحاطة باقواله وافعاله
حاصلة من غير حاجة الى التقريب والالتفات الى الغيبة لتربية المهابة **وآتينا موسى الكتاب** اي التورية وفيه ايماء
الى دعوته عليه السلام الى الطور وما وقع فيه من المناجات جمعا بين الامرين المتحدين في المعنى ولم يذكرها هنا العروج به
صلى الله عليه وسلم الى السماء وما كان فيه مما لا يكتنه كنهه حسبما نطقت به سورة النجم تقريبا للاسراء الى قبول
السامعين اي آتيناه التورية بعد ما سرينا به الى الطور **وجعلناه** اي ذلك الكتاب **هدى لبني اسرائيل** يهتدون بما
في مطاويه **ان لا تتخذوا** اي بان لا تتخذوا نحو كتبت اليه ان افعل كذا وقرئ بالياء على ان ان مصدرية والمعنى آتينا
موسى الكتاب لهداية بني اسرائيل لئلا يتخذوا **من دوني وكيلا** اي ربا تكلون اليه اموركم والافراد لما ان فعيلا مفرد
في اللفظ جمع في المعنى **ذرية من حملنا مع نوح** نصب على الاختصاص او النداء على قراءة النهي والمراد تاكيد الحمل على التوحيد
بتذكير انعامه تعالى عليهم في ضمن انجاء آبائهم من الغرق في سفينة نوح عليه السلام او على انه احد مفعولي لا تتخذوا
على قراءة النفي ومن دوني حال من وكيلا فيكون كقوله تعالى ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع
على انه خبر مبتدأ محذوف او بدل من واو لا تتخذوا بابدال الظاهر من ضمير المخاطب كما هو مذهب بعض البغاددة وقرئ
ذرية بكسر الذال **انه** اي نوح عليه السلام **كان عبدا شكورا** كثير الشكر في مجامع حالاته وفيه ايذان بان انجاء من
معه كان ببركة شكره عليه السلام وحث للذرية على الاقتداء به وزجرهم عن الشرك الذي هو اعظم مراتب
الكفران وقيل الضمير لموسى عليه السلام **وقضينا** اي اتممنا واحكمنا منزلين **الى بني اسرائيل** او موحين اليهم **في الكتاب**
اي في التورية فان الانزال والوحي لموسى عليه السلام انزال ووحي اليهم **لتفسدن في الارض** جواب قسم محذوف
ويجوز اجراء القضاء المحتوم مجرى القسم كانه قيل واقسمنا لتفسدن **مرتين** مصدر والعامل فيه من غير جنسه
اولاهما مخالفة حكم التورية وقتل شعيب عليه السلام وحبس ارميا حين انذرهم سخط الله تعالى والثانية
قتل زكريا عليه السلام ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم السلام **ولتعلن علوا كبيرا** لتستكبرن عن طاعة الله تعالى
او لتغلبن الناس بالظلم والعدوان وتفرطن في ذلك افراطا مجاوزا للحد **فاذا جاء وعد اولاهما** اي حان وقت الانتقام
اي حان وقت حلول العقاب الموعود **بعثنا عليكم** لمؤاخذتكم بجناياتكم **عبادا لنا** وقرئ عبيدا لنا **اولي**
باس شديد ذوي قوة وبطش في الحروب هم سنحاريب من اهل نينوى وجنوده وقيل بخت نصر عامل لهراسب وقيل
جالوت **فجاسوا** اي ترددوا لطلبكم بالفساد وقرئ بالحاء والمعنى واحد وقرئ وجوسوا **خلال الديار** في اوساطها

للقتل والغارة وقرئ خلل الديار فقتلوا علماءهم وكبارهم واحرقوا التورية وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين
الفا وذلك من قبيل تولية بعض الظالمين بعضا بما جرت به السنة الالهية **وكان** ذلك **وعدا مفعولا** لا محالة بحيث لا صارف
عنه ولا مبدل **ثم رددنا لكم الكرة** اي الدولة والغلبة **عليهم** على الذين فعلوا بكم ما فعلوا بعد مائة سنة حين تبتم ورجعتم
عما كنتم عليه من الافساد والعلو قيل هي قتل بخت نصر واستنقاذ بني اسرائيل اسارءهم واموالهم ورجوع الملك اليهم
وذلك انه لما ورث بهمن بن اسفنديار الملك من جده كشتاسف بن لهراسف القى الله تعالى في قلبه الشفقة عليهم
ورد اسارءهم الى الشام وملك عليهم دانيال عليه السلام فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر وقيل هي قتل
داود عليه السلام لجالوت **وامددناكم باموال** كثيرة بعد ما نهبت اموالكم **وبنين** بعد ما سبيت اولادكم **وجعلناكم**
اكثر نفيرا مما كنتم من قبل او من عدوكم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم القوم المجتمعون
للذهاب الى العدو كالعبيد والمعيز **ان احسنتم** اعمالكم سواء كانت لازمة لانفسكم او متعدية الى الغير اي عملتموها
على الوجه اللائق ولا يتصور ذلك الا بعد ان يكون الاعمال حسنة في انفسها وان فعلتم الاحسان **احسنتم لانفسكم**
لان ثوابها لها **وان اسأتم** اعمالكم بان عملتموها لا على الوجه اللائق ويلزمه السوء الذاتي او فعلتم الاساءة **فلها** اذ
عليها وبالها وعن علي كرم الله وجهه ما احسنت الى احد ولا اسأت اليه وتلاها **فاذا جاء وعد الآخرة** حان وقت
ما وعد من عقوبة المرة الآخرة **ليسوؤا وجوهكم** متعلق بفعل حذف لدلالة ما سبق عليه اي بعثناهم ليسوؤا وجوهكم
ليجعلوا آثار المساءة والكآبة في وجوهكم كقوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوء على ان الضمير لله تعالى
او للوعد او للبعث ولنسوء بنون العظمة وفي قراءة علي رضي الله عنه لنسوءن على انه جواب اذا وقرئ لنسوءن بالنون
الخفيفة ولنسوءن واللام في قوله عز وجل **وليدخلوا المسجد** عطف على ليسوؤا متعلق بما تعلق هو به **كما دخلوه اول مرة**
اي في اول مرة **وليتبروا** اي يهلكوا **ما علوا** ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم **تتبيرا** فظيعا لا يوصف بان
سلط الله عز سلطانه عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرد وقيل حردوس وقيل دخل صاحب
الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال لم تصدقوني فقتل على ذلك
الوفا فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى بن زكرياء عليهما السلام فقال لمثل
هذا ينتقم منكم ربكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل ان لا ابقي
منهم احدا فهدأ **عسى ربكم ان يرحمكم** بعد المرة الآخرة ان تبتم توبة اخرى وانزجرتم عما كنتم عليه من المعاصي **وان عدتم** الى
ما كنتم فيه من الفساد مرة اخرى **عدنا** الى عقوبتكم ولقد عادوا فاعاد الله سبحانه عليهم النقمة بان سلط عليهم الاكاسرة
ففعلوا بهم ما فعلوا من ضرب الاتاوة ونحو ذلك وعن الحسن فعادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون
الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة مثله **وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا** اي محبسا لا يستطيعون الخروج منها
ابد الآبدين وقيل بساطا كما يبسط الحصير وانما عدل عن ان يقال وجعلنا جهنم لكم حصيرا تسجيلا على كفرهم بالعود
وذما لهم بذلك واشعارا بعلة الحكم **ان هذا القرآن** الذي آتيناكه **يهدي** اي الناس كافة لا فرقة مخصوصة منهم كالكتاب الذي آتيناه موسى **للتي** للطريقة التي **هي اقوم** اي اقوم الطرائق واسدها ضح اعني ملة الاسلام
والتوحيد وترك ذكرها ليس لقصد التعميم لها وللحالة والخصلة ونحوها مما يعبر به عن المقصد المذكور بل للايذان بالغنى
عن التصريح بها لغاية ظهورها لا سيما بعد ذكر الهداية التي هي من روادفها والمراد بهدايته لها كونه بحيث يهتدي اليها
من يتمسك به لا تحصيل الاهتداء بالفعل فانه مخصوص بالمؤمنين حينئذ **ويبشر المؤمنين** بما في تضاعيفه من الاحكام
والشرائع وقرئ بالتخفيف **الذين يعملون الصالحات** الذي شرحت فيه **ان لهم** اي بان لهم بمقابلة تلك الاعمال
اجرا كبيرا بحسب الذات وبحسب التضعيف عشر مرات **وان الذين لا يؤمنون بالآخرة** واحكامها المشروعة فيها من
البعث والحساب والجزاء وتخصيصها بالذكر من بين سائر ما كفروا به لكونها معظم ما امروا بالايمان به وللمراعاة
التناسب بين اعمالهم وجزائها الذي انبأ عنه قوله تعالى **اعتدنا لهم عذابا اليما** وهو عذاب جهنم اي اعتدنا لهم
فيما كفروا به وانكروا وجوده من الآخرة عذابا اليما وهو ابلغ في الزجر لما ان اتيان العذاب من حيث لا يحتسب افضع

والنجح والجملة معطوفة على جملة يبشر باضمار يخبرا وقوله تعالى ان لهم داخلة معه تحت التبشير المراد به مجاز مطلق الاخبار
المنتظم للاخبار بالخبر السار وبالنبا الضار حقيقة فيكون ذلك بيان لهداية القران بالترغيب والترهيب ويجوز كون
التبشير بمعناه والمراد تبشير المومنين ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدايهم وقوله تعالى ويدع الانسان بالشر بيان لحال
المهدي اثر بيان حال الهادي واظهار لما بينهما من التباين والمراد بالانسان الجنس اسند اليه حال بعض افراده او حكي
عنه حاله في بعض احيانه والمعنى على الاول ان القران يدعو الانسان الى الخير الذي لا خير فوقه من الاجر الكبير ويحذره
عن الشر الذي لا شر وراه من العذاب الاليم وهو اي بعض منه وهو الكافر يدعو لنفسه بما هو الشر من العذاب المذكور
اما بلسانه حقيقة كداب من قال منهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ايتنا
بعذاب اليم ومن قال فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين الى غير ذلك مما حكي عنهم واما باعمالهم السيئة المفضية
اليه كما هو ديدن كلهم دعاءه بالخير اي مثل دعايه بالخير المذكور فرضا لا تحقيقا فانه بمعزل من الدعاء به وفيه
رمز الى انه اللايق بحاله وكان الانسان اي من اسند اليه الدعاء المذكور من افراده عجولا يسارع الى طلب كل ما يخطر بباله
متعاميا عن ضرره او مبالغا في العجلة يستعجل العذاب وهو آتيه لا محالة ففيه نوع تهكم وعلى تقدير حمل الدعاء على
اعمالهم يحمل العجولية على اللج والتمادي في استجاب العذاب بتلك الاعمال وعلى الثاني القران يدعو الانسان الى ما هو
خير وهو في بعض احيانه كما عند الغضب يدعه ويدعو الله تعالى لنفسه واهله وماله بما هو شر وكان الانسان بحسب
جبلته عجولا ضجورا لا يتانى الى ان يزول عنه ما يعتريه روي انه عليه السلام دفع الى سودة اسيرا فارخت كتافه
رحمة لانينه بالليل من الم القد فهرب فلما اخبرت النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها
تتوقع الاجابة فقال عليه الصلوة والسلام اني سالت الله تعالى ان يجعل دعايي على من لا يستحق من اهلي عذابا رحمة
او يدعو بما هو شر وهو يحسبه خيرا وكان الانسان عجولا غير متبصر لا يتدبر في اموره حق التدبر ليتحقق ما هو خير
حقيق بالدعاء به وما هو شر جدير بالاستعاذة منه وجعلنا الليل والنهار ايتين شروع في بيان بعض وجوه ما ذكر
من الهداية بالارشاد الى مسلك الاستدلال بالايات والدلايل الافاقية التي كل واحدة منها برهان نير لا ريب فيه
ومنهاج بين لا يضل منتحيه فان الجعل المذكور وما عطف عليه من محو اية الليل وجعل اية النهار مبصرة وان كانت
من الهدايات التكوينية لكن الاخبار بذلك من الهدايات القرانية المنبهة على تلك الهدايات وتقديم الليل على النهار
لمراعاة الترتيب الوجودي اذ منه ينسلخ النهار وفيه تظهر غرر الشهور ولو ان الليلة اضيفت الى ما قبلها من
النهار لكانت من شهر وصاحبها من شهر اخر ولترتيب غاية اية النهار عليها بلا واسطة اي جعلنا الملوين بهيأتهما
وتعاقبهما واختلافهما في الطول والقصر على وتيرة عجيبة يحار في فهمها العقول ايتين تدلان على ان لهما صانعا
حكيما قادرا عليما وتهديان الى ما هدي اليه القران الكريم من ملة الاسلام والتوحيد فمحونا اية الليل الاضافة
اما بيانية كما في اضافة العدد الى المعدود اي محونا الاية التي هي الليل وفايدتها تحقيق مضمون الجملة السابقة ومحوها
جعلها ممحاة الضوء مطموسة لكن لا بعد ان لم تكن كذلك بل ابداعها على ذلك كما في قولهم سبحان من صغر البعوض و
كبر الفيل اي انشاها كذلك والفاء تفسيرية لان المحو المذكور وما عطف عليه ليسا مما يحصل عقيب جعل الجديدين
ايتين بل هما من جملة ذلك الجعل ومتممانه وجعلنا اية النهار اي الاية التي هي النهار على نحو ما مر مبصرة مضيئة
يبصر فيها الاشياء وصفا لها بحال اهلها او مبصرة للناس من ابصره فبصر واما حقيقته واية الليل والنهار
نيراهما ومحو القمر اما خلقه مطموس النور في نفسه فالفاء كما ذكر واما نقص ما استفاده من الشمس شيا فشيا
الى المحاق على ما هو معنى المحو والفاء للتعقيب وجعل الشمس مبصرة ابداعها مضيئة بالذات ذات اشعة تظهر
بها الاشياء المظلمة لتبتغوا متعلق بقوله تعالى وجعلنا اية النهار كما اشير اليه اي وجعلناها مضيئة
لتطلبوا لانفسكم في بياض النهار فضلا من ربكم اي رزقا اذ لا يتسنى ذلك في الليل وفي التعبير عن الرزق
بالفضل وعن الكسب بالابتغاء والتعرض لوصف الربوبية المنبية عن التبليغ الى الكمال شيا فشيا دلالة على ان

ليس للعبد

ليس للعبيد في تحصيل الرزق تاثير سوى الطلب وانما الاعطاء الى الله تعالى لا بطريق الوجوب عليه بل تفضلا بحكم
الربوبية ولتعلموا متعلق بكلا الفعلين اعني محو اية الليل وجعل اية النهار مبصرة لا باحدهما فقط اذ لا يكون
ذلك بانفراده مدارا للعلم المذكور اي لتعلموا بتفاوت الجديدين او نيريهما ذاتا من حيث الاظلام والاضاءة مع
تعاقبهما او حركاتهما واوضاعهما وساير احوالهما عدد السنين التي يتعلق بها غرض علمي لاقامة مصالحكم الدينية
والدنيوية والحساب اي الحساب المتعلق بما في ضمنها من الاوقات اي الاشهر والليالي والايام وغير ذلك مما نيط
به شيء من المصالح المذكورة ونفس السنة من حيث تحققها مما ينتظمه الحساب وانما الذي تعلق به العد طا
بفه
منها وتعلقه في ضمن ذلك بكل واحدة منها من عدة ايام قد حصل كل طايفة منها من الساعات مثلا فان ذلك وظيفة الحساب
بل من حيث انها فرد من تلك الطايفة المعدودة بعدها اي بنفسها من غير ان يعتبر في ذلك تحصل شيء معين وتحقيقه
ما مر في سورة يونس من ان الحساب احصاء ما له كمية منفصلة بتكرر امثاله من حيث تحصل طايفة منها حد معين
منه له اسم خاص وحكم مستقل كما اشير اليه آنفا والعد احصاؤه بمجرد تكرر امثاله من غير ان يحصل منه شيء كذلك
ولما ان السنين لم يعتبر فيها حد معين له اسم خاص وحكم مستقل اضيف اليه العدد وعلق الحساب بما عداها مما اعتبر فيه
تحصل مراتب معينة لها اسام خاصة واحكام مستقلة وتحصل مراتب الاعداد من العشرات والمئات والالوف اعتباري
لا يجدي في تحصل المعدودات وتقديم العدد على الحساب مع ان الترتيب بين متعلقيهما وجودا وعلما على العكس للتنبيه
من اول الامر على ان متعلق الحساب ما في تضاعيف السنين من الاوقات او لان العلم المتعلق بعدد السنين علم اجمالي
بما تعلق به الحساب تفصيلا او لان العدد من حيث انه لم يعتبر فيه تحصيل شيء آخر منه حسبما ذكرنا نازل من الحساب
المعتبر فيه ذلك منزلة البسيط من المركب او لان العلم المتعلق بالاول اقصى المراتب فكان جديرا بالتقديم في مقام الامتنان
والله سبحانه اعلم وكل شيء تفتقرون اليه في المعاش والمعاد سوى ما ذكر من جعل الليل والنهار ايتين وما يتبعه
من المنافع الدينية والدنيوية وهو منصوب بفعل يفسره قوله تعالى فصلناه تفصيلا اي بيناه في القران العظيم
بيانا بليغا لا التباس معه كقوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء فظهر كونه هاديا للتي هي اقوم ظهورا بينا
وكل انسان مكلف الزمناه طايره اي عمله الصادر عنه باختياره حسبما قدر له كانه طار اليه من عش الغيب ووكر
القدر او ما وقع له في القسمة الازلية الواقعة حسب استحقاقه من العلم الازلي من قولهم طار له سهم كذا في عنقه
تصويرا لشدة اللزوم وكمال الارتباط اي الزمناه عمله بحيث لا يفارقه ابدا بل يلزمه لزوم القلادة او الغل الضيق لا ينفك
عنه بحال وقرئ بسكون النون ونخرج له بنون العظمة وقد قرئ بالياء مبنيا للفاعل على ان الضمير لله عز وجل
وللمفعول والضمير للطاير كما في قراءة يخرج من الخروج يوم القيمة والبعث والحساب كتابا مسطورا فيه ما
ذكر من عمله نقيرا وقطميرا وهو مفعول ليخرج على القراءتين الاوليين او حال من المحذوف الراجع الى الطاير وعلى الاخريين
حال من المستتر في الفعل من ضمير الطاير يلقاه اي يلقى الانسان او يلقاه الانسان منشورا وهما صفتان للكتاب
او الاول صفة والثاني حال منها وقرئ يلقاه من لقيته كذا اي يلقى الانسان اياه قال الحسن بسطت لك صحيفة
ووكل بك ملكان فهما عن يمينك وعن شمالك فاما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك واما الذي عن شمالك فيحفظ
سيئاتك حتى اذا مت طويت صحيفتك وجعلت معك في قبرك حتى تخرج لك يوم القيامة اقرا كتابك قائلين
له ذلك عن قتادة يقرا في ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قاريا وقيل المراد بالكتاب نفسه المنتقشة باثار اعماله فان
فان كل عمل يصدر من الانسان خيرا او شرا يحدث منه في جوهر الروح امر مخصوص الا انه يخفى ما دام الروح متعلقا
بالبدن مشتغلة بواردات الحواس والقوى فاذا انقطعت علاقته من البدن قامت قيامته لان النفس كانت
ساكنة مستقرة في الجسد وعند ذلك قامت وتوجهت نحو الصعود الى العالم العلوي فيزول الغطاء وينكشف الاحوال
ويظهر على لوح النفس نقش كل شيء عمله في مدة عمره وهذا معنى الكتابة والقراءة كفى بنفسك اليوم عليك
حسيبا اي كفى نفسك والباء زايدة واليوم ظرف لكفى وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى

الصادم من حسب عليه كذا او بمعنى الكافي وضع موضع الشهيد لانه يكفي المدعي ما اهمه وتذكير لان ما ذكر من الحساب والكفاية
مما تولاه الرجال ولانه مبني على تأويل النفس بالشخص على انها عبارة عن نفس المذكر كقول جبلة بن حريث • يا نفس انك باللذات
مسروراه فاذكر هل ينفعك اليوم تذكير من اهتدى فانما يهتدي لنفسه فذلكة لما تقدم من بيان كون القران هاديا
لاقوم الطرق ولزوم الاعمال لاصحابها اي من اهتدى بهدايته وعمل بما في تضاعيفه من الاحكام وانتهى عما نهاه عنه فانما يعود
فائدة ومنفعة اهتدائه الى نفسه لا يتخطاه الى غيره ممن لم يهتد ومن ضل عن الطريقة التي يهديه اليها فانما يضل عليها
اي فانما وبال ضلاله عليها لا على من عداه ممن لم يباشره حتى يمكن مفارقة العمل صاحبه ولا تزر وازرة وزر اخرى تاكيد للجملة
الثانية اي لا تحمل نفس حاملة للوزر وزر نفس اخرى حتى يكون تخلص النفس الثانية من وزرها وتخيل ما بين العامل وعمله
من التلازم بل انما تحمل كل منها وزرها وهذا تحقيق لمعنى قوله عز وجل وكل انسان الزمناه طائره في عنقه فاما ما يدل عليه قوله
تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وقوله تعالى ليحملوا اوزارهم يوم
القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم من حمل الغير وزر الغير وانتفاعه بحسنته وتضرره بسيئته فهو في الحقيقة انتفاع [الحسنة]
نفسه وتضرره بسيئة نفسه فان جزاء الحسنة والسيئة اللتين يعملهما العامل لازم له وانما الذي يصل الى من يشفع
جزاء شفاعته لا جزاء اصل الحسنة والسيئة وكذلك جزاء الضلال مقصور على الضالين وما يحمله المضلون انما هو جزاء
الاضلال وانما خص التاكيد بالجملة الثانية قطعا للاطماع الفارغة حيث كانوا يزعمون انهم ان لم يكونوا على الحق فالتبعة
على اسلافهم الذين قلدوهم وما كنا معذبين بيان للعناية الربانية اثر بيان اختصاص اثار الهداية والضلال
باصحابها وعدم حرمان المهتدي من ثمرات هدايته وعدم مواخذة النفس بجناية غيرها اي وما صح وما استقام منا
بل استحال في سنتنا المبنية على الحكم البالغة او ما كان في حكمنا الماضي وقضائنا السابق ان نعذب احدا من اهل
الضلال والاوزار اكتفاء بقضية العقل حتى نبعث اليهم رسولا يهديهم الى الحق ويردعهم عن الضلال ويقيم الحجج
ويمهد الشرائع حسبما في تضاعيف الكتاب المنزل عليه والمراد بالعذاب المنفي اما عذاب الاستيصال كما قال الشيخ ابو منصور
الماتريدي رحمه الله وهو المناسب لما بعده او الجنس الشامل للدنيوي والاخروي وهو من افراده واياما كان فالبعث
غاية لعدم صحة وقوعه في وقته المقدر له لا لعدم وقوعه مطلقا كيف لا والاخروي لا يمكن وقوعه عقيب البعث
والدنيوي ايضا لا يحصل الا بعد تحقق ما يوجبه من الفسوق والعصيان الا يرى الى قوم نوح كيف تأخر عنهم ما حل بهم زهاء
الف سنة وقوله تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية بيان لكيفية وقوع التعذيب بعد البعثة التي جعلت غاية لعدم صحته
وليس المراد بالارادة تحققها بالفعل اذ لا يتخلف عنه المراد والارادة الازلية المتعلقة بوقوع المراد في وقته المقدر له اذ
لا يقارنه الجزاء الاتي بل دنو وقته كما في قوله تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه اي واذا دنا تعلق ارادتنا باهلاك قرية
بان نعذب اهلها بما ذكرنا على الوجه الاول من عذاب الاستيصال لما هم من الظلم الذي بين انه لا يصح منا قبل البعثة
على الوجه الثاني او بنوع مما ذكرنا شانه من بيان مطلق العذاب اعني عذاب الاستيصال لما هم من الظلم والمعاصي دنوا
يقتضيه الحكمة من غير ان يكون له حد معين امرنا بواسطة الرسول المبعوث الى اهلها مترفيها متنعميها وجبابرتها
وملوكها خصهم بالذكر مع توجه الامر الى الكل لانهم الاصول في الخطاب والباقي اتباع لهم ولان توجه الامر اليهم
اكد وعدم التعرض للمأمور به اما لظهور ان المراد به الحق والخير لان الله لا يأمر بالفحشاء لا سيما بعد ذكر هداية القران
لما يهدى اليه واما لان المراد وجد منا الامر كما يقال فلان يعطي ويمنع ففسقوا فيها اي خرجوا عن الطاعة وتمردوا فحق
عليها القول اي كلمة العذاب السابق بحلوله او بظهور معاصيهم او بانهماكهم فيها فدمرناها بتدميرا اهلها
تدميرا لا يكتنه كنهه ولا يوصف هذا هو المناسب لما سبق وقيل الامر مجاز من الحمل على الفسق والتسبب له
بان صب عليهم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسق وقيل هو بمعنى التكثير يقال امرت الشيء فامر اي كثرته فكثر
وفي الحديث خير المال سكة مابورة ومهرة مأمورة اي كثيرة النتاج ويعضده قراءة امرنا وامرنا من الافعال
والتفعيل وقد جعلنا من الامارة اي جعلناهم امراء وكل ذلك لا يساعده مقام الزجر عن الضلال والحث على الاهتداء

فان مودي

فان مودي ذلك ان طغيانهم منوط بارادة الله سبحانه وانعامه عليهم بنعم وافرة فابطرتهم وحملتهم على الفسق حالا
حقيقا بان يعبر عنه بالامر به وكم اهلكنا اي وكثيرا ما اهلكنا من القرون بيان لكم وتمييز له والقرون مدة من الزمان
يخترم فيها القوم وهي عشرون او ثلثون او اربعون او ثمانون او مائة وعشرون من بعد نوح من بعد زمنه عليه
السلام كعاد وثمود ومن بعدهم ممن قصت احوالهم في القران العظيم ومن لم تقص وعدم نظم قومه عليه السلام في
تلك القرون المهلكة لظهور امرهم عن ان يذكر عليه السلام رمزا الى ذكرهم وكفى بربك اي كفى ربك بذنوب عباده
خبيرا بصيرا يحيط بظواهرها وبواطنها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه من الاعتقادات والنيات
التي هي مبادي الاعمال الظاهرة او لعمومه حيث يتعلق بغير المبصرات ايضا وفيه اشارة الى ان البعث والامر
وما يتلوهما من فسقهم ليس لتحصيل العلم بما صدر عنهم من الذنوب فان ذلك حاصل قبل ذلك وانما هو لقطع الاعذار
والزام الحجة على كل وجه من كان يريد باعماله التي يعملها سواء كان ترتب المراد عليها بطريق الجزاء كاعمال البر
او بطريق ترتب المعلولات على العلل كالاسباب او باعمال الاخرة فالمراد بالمريد على الاول الكفرة واكثر الفسقة وعلى
الثاني اهل الرياء والنفاق والمهاجر للدنيا والمجاهد لمحض الغنيمة العاجلة فقط من غير ان يريد معها الاخرة كما ينبئ عنه
الاستمرار المستفاد من زيادة كان هاهنا مع الاقتصار على مطلق الارادة في قسيمه والمراد بالعاجلة الدار الدنيا وبا
ارادة ما فيها من فنون مطالبها كقوله تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا ويجوز ان يراد الحيوة العاجلة كقوله عز وجل
من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها لكن الاول انسب بقوله تعالى عجلنا له فيها اي في تلك العاجلة فان الحيوة
واستمرارها من جملة ما يعجل له فالانسب بذلك كلمة من كما في قوله تعالى ومن يريد ثواب الدنيا نؤته منها ما نشاء اي
ما نشاء تعجيله له من نعيمها الا كل ما يريد لمن نريد تعجيل ما نشاء له وهو بدل من الضمير في له باعادة الجار بدل البعض
فانه راجع الى الموصول المنبئ عن الكثرة وقرئ لمن يشاء على ان الضمير لله سبحانه هو لمن فيكون مخصوصا
بمن اراد به ذلك وهو واحد من الدهماء وتقييد المعجل والمعجل له بما ذكر من المشيئة والارادة لما ان الحكمة التي عليها
يدور فلك التكوين لا يقتضي وصول كل طالب الى مرامه ولا استيفاء كل واصل لما يطلبه بتمامه واما ما يرى
من قوله تعالى من كان يريد الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون من نيل كل مؤمل لجميع اماله
ووصول كل عامل الى نتيجة اعماله فقد اشير الى تحقيق القول فيه في سورة هود بفضل الله تعالى ثم جعلنا له
مكان ما عجلنا له جهنم وما فيها من اصناف العذاب يصلاها اي يدخلها وهو حال من الضمير المجرور او من جهنم
او استيناف مذموما مدحورا من رحمة الله تعالى الاية في المنافقين كانوا يراؤون المسلمين ويغزون
سهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم في الغنائم ونحوها وياباه ما يقال ان السورة مكية سوى ايات معينة ومن اراد
باعماله الاخرة الدار الاخرة وما فيها من النعيم المقيم وسعى لها سعيها اي السعي اللائق بها وهو الاتيان بما
امر والانتهاء عما نهي لا التقرب بما يخترعون بارائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن ايمانا
صحيحا لا يخالطه شيء قادح فيه وايراد الايمان بالجملة الحالية للدلالة على اشتراط مقارنته لما ذكر في حيز الصلة
فاولئك اشارة الموصول بعنوان اتصافه بما في حيز الصلة وما في ذلك من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم
وبعد منزلتهم والجمعية لمراعاة جانب المعنى ايماء الى ان الاثابة المفهومة من الخبر تقع على وجه الاجتماع اي اولئك
الجامعون لما مر من الخصال الحميدة اعني ارادة الاخرة والسعي الجميل لها والايمان كان سعيهم مشكورا مقبولا عند الله
تعالى بحسن القبول مثابا عليه وفي تعليق المشكورية بالسعي دون قرينيه اشعار بانه العمدة فيها كلا التنوين عوض
عن المضاف اليه اي كل واحد من الفريقين لا الفريق الاخير المريد للخير الحقيق بالاسعاف فقط نمد اي نزيد مرة
بعد مرة بحيث يكون الاتف مددا للسالف وما به الامداد ما عجل لاحدهما من العطايا العاجلة وما اعد للاخر
من العطايا الاجلة المشار اليها بمشكورية السعي وانما لم يصرح به تعويلا على ما سبق تصريحا وتلويحا واتكالا
على الحق عبارة واشارة كما ستقف عليه وقوله تعالى هؤلاء بدل من كلا وهؤلاء عطف عليه اي نمد هؤلاء

رادتها

المعجل لهم وهؤلاء المشكور سعيهم فان الاشارة متعرضة لذات المشار اليه بما له من العنوان لا للذات فقط كالاضمار
ففيه تذكير لما به الامداد وتعيين المضاف اليه المحذوف دفعا لتوهم كونه افراد الفريق الاخير وتاكيد للقصر المستفاد
من تقديم المفعول وقوله تعالى من عطاء ربك اي من عطائه الواسع الذي لا تناهي له متعلق بنمد ومغن عن ذكر ما به الامداد
ومنبه على ان الامداد المذكور ليس بطريق الاستيجاب بالسعي والعمل بل بمحض التفضل وما كان عطاء ربك اي دنيويا
كان او اخرويا وانما اظهر اظهارا لمزيد الاعتناء بشانه واشعارا بعليته للحكم محظورا ممنوعا ممن يريده بل هو فائض على
من قدر له بموجب المشية المبنية على الحكمة وان وجد منه ما يقتضي الحظر كالكافر وهو في معنى التعليل لشمول الامداد
للفريقين والتعرض لعنوان الربوبية في الموضعين للاشعار لمبدئيتها لما مر من الامداد وعدم الحظر انظر كيف فضلنا
بعضهم على بعض كيف في محل النصب بفضلنا على الحالية والمراد توضيح ما مر من الامداد وعدم محظورية العطاء
بالنسبة استشهادا بمراتب احد العطائين والاستدلال بها على مراتب الاخر اي انظر بنظر الاعتبار كيف فضلنا
بعضهم على بعض فيما امددناهم به من العطايا العاجلة فمن وضيع ورفيع وظالع وضليع ومالك ومملوك وموسر
ومعسر وصعلوك لتعرف بذلك مراتب العطايا الآجلة ودرجات تفاضل اهلها على طريقة الاستشهاد بحال الادنى
على حال الاعلى كما يفصح عنه قوله تعالى وللآخرة اكبر اي هي وما فيها اكبر من الدنيا وقرئ اكثر درجات واكبر تفضيلا
لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها العالية التي لا يقادر قدرها ولا يكتنه كنهها كيف لا وقد عبر عنه بما لا عين
رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر هذا ويجوز ان يراد بما به الامداد العطايا العاجلة فقط ويحمل القصر المذكور
على دفع توهم اختصاصها بالفريق الاول فان تخصيص ارادتهم لها ووصولهم اليها بالذكر من غير تعرض لبيان النسبة
بينها وبين الفريق الثاني ارادة ووصولا مما يوهم اختصاصها بالاولين فالمعنى كل واحد من الفريقين نمد بالعطايا
العاجلة لا من ذكر ارادته لها فقط من الفريق الاول من عطاء ربك الواسع وما كان عطاؤه الدنيوي محظورا ممن
يريده غيره انظر كيف فضلنا في ذلك العطاء بعض كل من الفريقين على بعض آخر منهما وللآخرة الآية واعتبار عدم
المحظورية بالنسبة الى الفريق الاول تحقيقا لشمول الامداد له كما فعله الجمهور قالوا لا يمنعه من عاص لعصيانه
يقتضي كون القصر لدفع توهم اختصاص الامداد الدنيوي بالفريق الثاني مع انه لم يسبق في الكلام ما يوهم ثبوته له
فضلا عن ايهام اختصاصه لا تجعل مع الله الها آخر الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به امته وهو
من باب التهييج والالهاب • او لكل احد ممن يصلح للخطاب فتقعد بالنصب جوابا للنهي والقعود بمعنى الصيرورة من
قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة او بمعنى العجز من قعد عنه اي عجز مذموما مخذولا خبران او حالان اي جامعا
على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى وفيه اشعار بان الموحد جامع بين المدح والنصر
وقضى ربك اي امر امرا مبرما وقرئ واوصى ربك ووصى ربك ان لا تعبدوا اي بان لا تعبدوا الا اياه على ان
ان مصدرية ولا نافية او اي لا تعبدوا على انها مفسرة ولا ناهية على ان العبادة غاية التعظيم فلا تحق الا لمن له
غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل للسعي للآخرة وبالوالدين اي وبان تحسنوا بهما او واحسنوا بهما
احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما اما مركبة من ان الشرطية
وما المزيدة لتاكيدها ولذلك دخل الفعل نون التاكيد ومعنى عندك في كنفك وكفالتك وتقديمه على المفعول مع
ان حقه التاخير عنه للتشويق الى وروده فانه مدار تضاعف الرعاية والاحسان واحدهما فاعل للفعل وتاخيره
عن الظرف والمفعول لئلا يطول الكلام به وبما عطف عليه وقرئ يبلغان فاحدهما بدل من ضمير التثنية وكلاهما
عطف عليه ولا سبيل الى جعل كلاهما تاكيدا للضمير وتوحيد ضمير الخطاب في عندك وفيما بعده مع ان ما سبق
على الجمع للاحتراز عن التباس المراد فان المقصود نهي كل واحد عن تأفيف والديه ونهرهما ولو قيل بالجمع او التثنية
لم يحصل هذا المرام فلا تقل لهما اي الواحد منهما حالتي الانفراد والاجتماع اف وهو صوت ينبئ عن تضجر
او اسم فعل هو اتضجر وقرئ بالكسر بلا تنوين وبالفتح والضم منونا وغير منون اي لا تتضجر مما تستقذر منهما وتستثقل من سوء

وبهذا النهي

وبهذا النهي يفهم النهي عن سائر ما يؤذيهما بدلالة النص وقد خص بالذكر بعضه اظهارا للاعتناء بشانه فقيل ولا
تنهرهما اي لا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ قيل النهي والنهر والنهم اخوات وقل لهما بدل التأفيف والنهر قولا كريما
ذا كرم او هو وصف له بوصف صاحبه اي قولا صادرا عن كرم ولطف وهو القول الجميل الذي يقتضيه حسن
الادب ويستدعيه النزول على المروة مثل ان يقول يا ابتاه ويا اماه كدأب ابرهيم عليه السلام اذ قال لابيه يا
ابت مع ما به من الكفر ولا يدعوهما باسمائهما فانه من الجفا وسوء الادب وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين
فقال ان لا تقوم الى خدمتهما عن كسل وقيل ان لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر اليهما شزرا ولا يريا منك مخالفة في
ظاهر ولا باطن وان تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم بخدمة اودائهما من بعدهما فعن النبي
صلى الله عليه وسلم ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه واخفض لهما جناح الذل عبارة عن الانة الجانب والتواضع والتذلل
لهما فان اعزازهما لا يكون الا بذلك فكانه قيل واخفض لهما جناحك الذليل او جعل لذله جناح كما جعل لبيد في قوله
وغداة ريح قد كشفت وقرة • اذ اصبحت بيد الشمال زمامها • للقرة زماما وللشمال يدا تشبيها له بطائر يخفض جناحه
لافراخه تربية لهما وشفقة عليهما واما جعل خفض الجناح عبارة عن ترك الطيران كما فعله القفال فلا يناسب المقام
من الرحمة من فرط رحمتك وعطفك عليهما ورقتك لهما لافتقارهما اليوم الى من كان افقر خلق الله تعالى اليهما ولا
تكتف برحمتك الفانية بل ادع الله تعالى لهما برحمته الواسعة الباقية وقل رب ارحمهما برحمتك الدنيوية
والاخروية التي من جملتها الهداية الى الاسلام فلا ينافي ذلك كفرهما كما ربياني الكاف في محل النصب على انه نعت
لمصدر محذوف اي رحمة مثل تربيتهما الي او مثل رحمتهما لي على ان التربية رحمة ويجوز ان يكون لهما الرحمة والتربية
معا وقد ذكر احدهما في احد الجانبين والاخر في الاخر كما يلوح به التعرض لعنوان الربوبية في مطلع الدعاء كأنه قيل رب
ارحمهما وربهما كما رحماني وربياني صغيرا ويجوز ان يكون الكاف للتعليل اي لاجل تربيتهما لي كقوله تعالى واذكروه
كما هداكم ولقد بالغ عز وجل في التوصية بهما حيث افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده سبحانه ونظمهما في سلك
القضاء بهما معا ثم ضيق الامر في باب مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة تنفلت من المتضجر مع ما له من موجبات
الضجر ما لا يكاد يدخل تحت الحصر وختمها بان جعل رحمته التي وسعت كل شيء مشبهة بتربيتهما وعن النبي صلى الله عليه
وسلم رضى الله في رضى الوالدين وسخطه في سخطهما وروي يفعل البار ما يشاء ان يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق
ما يشاء ان يفعل فلن يدخل الجنة وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا
في الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقائك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان ابني هذا له مال كثير وانه لا ينفق علي من ماله فنزل جبريل عليه السلام
وقال ان هذا الشيخ قد انشأ في ابنه ابياتا ما قرع سمع مثلها فاستنشدها فانشدها الشيخ فقال • غذوتك مولودا
ومنتك يافعا تعل • بما اجني عليك وتنهل • اذا ليلة ضافتك بالسقم لم ابت • لسقمك الا باكيا اتململ • كأني انا
المطروق دونك بالذي • طرقت به دوني وعيني تهمل • فلما بلغت السن والغاية التي • اليها مدى ما كنت
فيك اؤمل • جعلت جزائي غلظة وفظاظة • كأنك انت المنعم المتفضل • فليتك اذ لم ترع حق ابوتي • فعلت
كما الجار المجاور يفعل • فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انت ومالك لابيك ربكم اعلم بما في نفوسكم
من البر والعقوق ان تكونوا صالحين قاصدين الصلاح والبر دون العقوق والفساد فانه تعالى كان للاوابين
اي الرجاعين اليه تعالى عما فرط عنهم مما لا يكاد يخلو عنه البشر غفورا لما وقع منهم من نوع تقصير او اذية فعلية
او قولية وفيه ما لا يخفى من التشديد في الامر بمراعاة حقوقهما ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويدخل فيه الجاني على
ابويه دخولا اوليا وآت ذا القربى اي ذا القرابة حقه توصية بالاقارب اثر التوصية ببر الوالدين ولعل
المراد بهم المحارم وبحقهم النفقة كما ينبئ عنه قوله تعالى والمسكين وابن السبيل فان المأمور به في حقهم
المواساة المالية لا محالة اي وآت حقهما مما كان مفترضا بمكة بمنزلة الزكوة وكذا النهي عن التبذير وعن

ني

شيخاني

تبذيرا

الافراط في القبض والبسط فان الكل من التصرفات المالية ولا تبذر نهي عن صرف المال من سواهم ممن لا يستحقه
فان التبذير تفريق في غير موضعه ماخوذ من تفريق حبات والقائها كيف شاء كيف ما كان من غير تعهد لمواقعه
لا عن الاكثار في صرفه اليهم والا لناسب الاسراف الذي هو تجاوز الحد في صرفه وقد نهي عنه بقوله تعالى ولا تبسطها
كل البسط وكلاهما مذموم ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين تعليل للنهي عن التبذير ببيان انه يجعل صاحبه ملزوزا
في قرن الشياطين والمراد بالاخوة المماثلة التامة في كل ما لا خير فيه من صفات السوء التي من جملتها التبذير اي كانوا
بما فعلوا من التبذير امثال الشياطين والصداقة والملازمة اي كانوا اصدقائهم واتباعهم فيما ذكر من التبذير والصرف
في المعاصي فانهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم في السمعة وسائر ما لا خير فيه من
المناهي والملاهي والمقارنة اي قرناؤهم في النار على سبيل الوعيد وكان الشيطان لربه كفورا من تتمة التعليل اي
مبالغا في كفران نعمه تعالى لان شانه ان يصرف جميع ما اعطاه الله تعالى من القوى والقدر الى غير ما خلقت هي له من
انواع المعاصي والافساد في الارض واضلال الناس وحملهم على الكفر بالله وكفران نعمه الفائضة عليهم وصرفها الى
غير ما امر الله تعالى به وتخصيص هذا الوصف بالذكر من بين سائر اوصافه القبيحة للايذان بان التبذير الذي هو
عبارة عن صرف نعم الله تعالى الى غير مصرفها من باب الكفران المقابل للشكر الذي هو عبارة عن مصرفها الى ما خلقت
له والتعرض لوصف الربوبية للاشعار لكمال عتوه فان كفران نعمة الرب مع كون الربوبية من اقوى الدواعي الى شكرها
غاية الكفران ونهاية الضلال والطغيان واما تعرضن عنهم اي ان اعرك امر اضطرك الى ان تعرض عن اولئك المستحقين
ابتغاء رحمة من ربك اي لفقد رزق من ربك اقامة للسبب مقام المسبب فان الفقد سبب للابتغاء ترجوها
من الله تعالى لتعطيهم وكان صلى الله عليه وسلم اذا سئل شيئا وليس عنده اعرض عن السائل وسكت حياء فامر بتعهدهم
بالقول الجميل لئلا تعتريهم الوحشة بسكوته عليه الصلوة والسلام فقيل فقل لهم قولا ميسورا سهلا لينا وعدهم
وعدا جميلا من عبارات نحو سعدا وقل لهم رزقنا الله واياكم من فضله على انه دعاء لهم بتيسر عليهم فقرهم ولا
تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط تمثيلا لمنع الشحيح واسراف المبذر زجرا لهما عنهما وحملا على ما بينهما
من الاقتصاد كلا طرفي قصد الامور ذميم وحيث كان قبح الشح مقارنا له معلوما من اول الامر روعي ذلك في
التصوير باقبح الصور ولما كان غائلة الاسراف في آخره بين قبحه في اثره فقيل فتقعد ملوما اي فتصير ملوما
عند الله تعالى وعند الناس وعند نفسك اذا اصبحت ندمت على ما فعلت محسورا نادما او منقطعا بك لا
شيء عندك من حسر السفر اذا بلغ منه وبما قيل انه روي عن جابر رحمة الله عليه انه قال بينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم قاعدا اذ اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك درعا فقال عليه الصلوة والسلام من ساعة الى
ساعة فعد الينا فذهب الى امه فقالت له قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل عليه الصلوة
داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا فلم يخرج للصلوة فنزلت فيأباه ان السورة
مكية خلا ايات في آخرها وكذا ما قيل انه عليه الصلوة والسلام اعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وكذا
عيينة بن حصين الفزاري فجاء عباس بن مرداس فانشأ يقول ٭ اتجعل نهبي ونهب العبيد ٭ بين عيينة والاقرع ٭
وما كان حصن ولا حابس ٭ يفوقان مرداس في مجمع ٭ وما كنت دون امرئ منهما ٭ ومن تضع اليوم لا يرفع
فقال عليه الصلوة والسلام يا ابا بكر اقطع لسانه عني اعطه من الابل وكانوا جميعا من المؤلفة القلوب فنزلت ان ربك يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر تعليل لما مر اي يوسعه على بعض ويضيقه على آخرين حسبما يتعلق به مشيئته التابعة للحكمة
فليس ما يرهقك من الاضافة التي تحوجك الى الاعراض عن السائلين او نفاد ما في يدك اذا بسطتها كل البسط الا
لمصلحتك انه كان بعباده خبيرا بصيرا تعليل لما سبق اي يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز
ان يراد ان القبض والبسط من امر الله العالم بالسرائر والظواهر الذي بيده خزائن السموات والارض واما العباد فعليهم
ان يقتصدوا وان يراد انه تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته فلا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا

له

كل البسط وان يراد انه تعالى يبسط ويقدر بحسب مشيئته فلا تبسطوا على من قدر عليه رزقه وان يكون تمهيدا لقوله
ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق اي مخافة فقر وقرئ بكسر الخاء كانوا يئدون بناتهم مخافة الفقر فنهوا عن ذلك
نحن نرزقهم واياكم لا انتم فلا تخافوا الفاقة بناء على علمكم بعجزكم عن تحصيل رزقهم وهو ضمان لرزقهم وتعليل للنهي
المذكور بابطال موجبه في زعمهم وتقديم ضمير الاولاد على المخاطبين على عكس ما وقع في سورة الانعام للاشعار باصالتهم
في افاضة الرزق او لان الباعث على القتل هناك الاملاق الناجز ولذلك قيل من املاق وهاهنا الاملاق المتوقع
ولذلك قيل خشية املاق فكانه قيل خشية املاق فكانه قيل نرزقهم من غير ان ينقص من رزقكم شيء فيعتريكم ما
تخشونه واياكم ايضا رزقا الى رزقكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا تعليل آخر ببيان ان المنهي عنه في نفسه منكر عظيم
والخطء الذنب والاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثما وقرئ بالفتح والسكون وبفتحتين بمعناه كالحذر والحذر وقيل
بمعنى ضد الصواب وبكسر الخاء والمد وبفتحها ممدودا وبفتحها وحذف الهمزة وبكسرها كذلك ولا تقربوا الزنا
بمباشرة مباديه القريبة او البعيدة فضلا عن مباشرته وانما نهى عن قربانه على خلاف ما سبق ولحق بالقتل للمبالغة

لغة

في النهي عن نفسه ولان قربانه داع الى مباشرته وتوسيط النهي عن قتل الاولاد والنهي عن قتل النفس المحرمة
على الاطلاق باعتبار انه قتل للاولاد لما انه تضييع للانساب فان من لم يثبت نسبه ميت حكما انه كان فاحشة
فعلة ظاهرة القبح متجاوزة من الحد وساء سبيلا اي بئس طريقا طريقه فانه غصب الابضاع المؤدي الى
اختلال امر الانساب وتهييج الفتن كيف لا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا زنى العبد خرج منه الايمان
فكان على راسه كالظلة فاذا انقطع رجع اليه وقال عليه الصلوة والسلام لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن
وعن حذيفة رضي الله عنه انه قال عليه الصلوة والسلام اياكم والزنا فان فيه ست خصال ثلث في الدنيا
وثلث في الآخرة فاما التي في الدنيا فذهاب البهاء ودوام الفقر وقصر العمر واما التي في الآخرة فسخط الله
تعالى وسوء الحساب والخلود في النار ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها بان عصمها بالاسلام او بالعهد
الا بالحق الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل نفس معصومة عمدا فالاستثناء مفرغ اي لا
تقتلوها بسبب من الاسباب الا بسبب الحق او ملتبسين او ملتبسة بشيء من الاشياء ويجوز ان يكون نعتا لمصدر
محذوف اي لا تقتلوها قتلا ما الا قتلا ملتبسا بالحق ومن قتل مظلوما بغير حق يوجب قتله او يبيح للقاتل
حتى انه لا يعتبر اباحته لغير القاتل فان من عليه القصاص اذا قتله غير من له القصاص يقتص له ولا يفيد
قول الولي امرته بذلك ما لم يكن الامر ظاهرا فقد جعلنا لوليه لمن يلي امره من الوارث او السلطان عند عدم
الوارث سلطانا تسلطا واستيلاء على القاتل بواخذه بالقصاص او بالدية حسبما يقتضيه جنايته او
تجه غائلة فلا يسرف وقرئ لا تسرف في القتل اي لا يسرف الولي في امر القتل بان يتجاوز الحد المشروع
بان يزيد عليه بالمثلة او بان يقتل غير القاتل من اقاربه او بان يقتل الاثنين مكان الواحد كما يفعل اهل الجاهلية
او بان يقتل القاتل في مادة الدية وقرئ بصيغة النفي مبالغة في افادة معنى النهي انه كان منصورا تعليل للنهي
والضمير للولي على معنى انه تعالى نصره بان اوجب له القصاص او الدية وامر الحكام بمعونته في استيفاء حقه
ولا يبغي ما وراء حقه ولا يسترد عليه ولا يخرج من دائرة امر الناصر او للمقتول ظلما على معنى انه تعالى نصره لما ذكر
فلا يسرف وليه في شأنه او للذي يقتله الولي ظلما واسرافا ووجه التعليل ظاهر وعن مجاهد ان الضمير في لا يسرف
للقاتل الاول ويعضده قراءة فلا يسرفوا والضميران في التعليل عائدان الى الولي او المقتول والمراد بالاسراف
حينئذ اسراف القاتل على نفسه بتعريضه لها للهلاك العاجل والآجل لا الاسراف وتجاوز الحد في القتل
اي لا يسرف على نفسه في شان القتل كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا ولا تقربوا مال
اليتيم نهي عن قربانه لما ذكر من المبالغة في النهي عن التعرض له ومن افضاء ذلك اليه وللتوسل الى الاستثناء
بقوله تعالى الا بالتي هي احسن اي الا بالخصلة الحسنة والطريقة التي هي احسن الخصال والطرائق

وهي حفظه واستثماره **حتى يبلغ اشده** غاية لجواز التصرف على الوجه الاحسن المدلول عليه بالاستثنا لا للوجه المذكور فقط **واوفوا بالعهد** سواء جرى بينكم وبين ربكم او بينكم وبين غيركم من الناس والايفاء بالعهد والوفاء به هو القيام بمقتضاه والمحافظة عليه ولا يكاد يستعمل الا بالباء فرقا بينه وبين الايفاء الحسي كايفاء الكيل والوزن **ان العهد** اظهر في مقام الاضمار اظهارا لكمال العناية بشأنه او لان المراد مطلق العهد المنتظم للعهد المعهود **كان مسئولا** اي مسئولا عنه على حذف الجار وجعل الضمير بعد انقلابه مرفوعا مستكنا في اسم المفعول كقوله تعالى ذلك يوم مشهود اي مشهود فيه ونظيره ما في قوله تعالى تلك ايات الكتاب الحكيم على ان اصله الحكيم قائله فحذف المضاف وجعل الضمير مستكنا في الحكيم بعد انقلابه مرفوعا ويجوز ان يكون تخييلا كانه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفي بك مستكنا كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت **واوفوا الكيل** اي اتموه ولا تخسروه **اذا كلتم** كيلكم للمشتري وتقييد الامر بذلك لان التطفيف هناك يكون واما وقت الاكتيال على الناس فلا حاجة الى الامر بالتعديل قال الله تعالى اذا اكتالوا على الناس يستوفون الاية **وزنوا بالقسطاس** هو القرسطون وقيل كل ميزان صغيرا كان او كبيرا وهو رومي معرب ولا يقدح ذلك في عربية القران لانتظام المعربات في سلك الكلم العربية وقرئ بضم القاف **المستقيم** اي العدل السوي ولعل الاكتفاء باستقامته عن الامر بايفاء الوزن لما ان عند استقامته لا يتصور الجور غالبا بخلاف الكيل فانه كثيرا ما يقع التطفيف مع استقامة الالة كما ان الاكتفاء بالكيل عن الامر بتعديله لما ان تعديله ايفاؤه لا يتصور بدون تعديل المكيال وقد امر بتقويمه ايضا في قوله تعالى اوفوا الكيل والميزان بالقسط **ذلك** اي ايفاء الكيل والوزن **خير** في الدنيا اذ هو امانة توجب الرغبة في معاملته والذكر الجميل بين الناس **واحسن تاويلا** عاقبة تفعيل من آل اذا رجع والمراد ما يؤول اليه **ولا تقف** ولا تتبع قفا اثره اي تتبعه وقرئ ولا تقف من قاف اثره اي قفاه ومنه القافة في جمع القائف **ما ليس لك به علم** اي لا تكن في اتباع ما لا علم لك به من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري انه يوصله الى مقصده واحتج به من ابطل الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند قطعيا كان او ظنيا واستعماله بهذا المعنى مما لا ينكر شيوعه وقيل انه مخصوص بالعقايد وقيل بالرمي وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه الصلوة والسلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله تعالى في ردغة الخبال حتى ياتي بالمخرج ومنه قول الكميت • ولا ارمي البريء بغير ذنب • ولا اقفو الحواصن ان رمينا **ان السمع والبصر والفؤاد** وقرئ بفتح الفاء والواو المقلوبة من الهمزة عند ضم الفاء **كل اولئك** اي كل واحد من تلك الاعضاء فاجريت مجرى العقلاء لما كانت مسئولة عن احوالها شاهدة على اصحابها هذا والاولى وان غلبت في العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذي الذي يعم القبيلتين جاء لغيرهم ايضا قال • ذم المنازل بعد منزلة اللوى • والعيش بعد اولئك الايام • **كان عنه مسئولا** اي كان كل من تلك الاعضاء مسئولا عن نفسه على ان اسم كان ضمير يرجع الى كل وكذا الضمير المجرور وقد جوز ان يكون الاسم ضمير الجاني بطريق الالتفات اذ الظاهر ان يقال كنت عنه مسئولا وقيل الجار والمجرور في محل الرفع قد اسند اليه مسئولا معللا بان الجار والمجرور لا يلتبس بالمبتدا وهو السبب في منع تقديم الفاعل وما يقوم مقامه لكن الناس على الاجماع على عدم جواز تقديم القائم مقام الفاعل اذا كان جارا ومجرورا ويجوز ان يكون من باب الحذف على شريطة التفسير ويحذف الجار من المفسر ويعود الضمير مستكنا كما ذكرنا في قوله تعالى يوم مشهود ويجوز ان يكون مسئولا مسندا الى المصدر المدلول عليه بالفعل وان يكون فاعله المصدر وهو السؤال وعنه في محل النصب ايا على عن قولهم فيك يرغب وقال لا يرتفع بما بعده فاين المرفوع فقال المصدر اي فيك يرغب الرغبة بمعنى يفعل الرغبة كما في قولهم يعطي ويمنع اي يفعل الاعطاء والمنع وجوز ان يكون اسم كان او فاعله ضمير كل بحذف المضاف اي كان صاحبه عنه مسئولا صاحبه **ولا تمش في الارض** التقييد لزيادة التقرير والاشعار بان المشي عليها مما لا يليق بالمرح **مرحا** تكبرا وبطرا واختيالا وهو مصدر وقع موقع الحال اي ذا مرح او تمرح مرحا او لاجل المرح وقرئ بالكسر **انك لن تخرق الارض** تعليل للنهي وفيه تهكم بالمختال وايذان بان ذلك مفاخرة على الارض

وتكبرا عليها اي لن تخرق الارض بدوسك وشدة وطأتك وقرئ بضم الراء **ولن تبلغ الجبال** التي هي بعض اجزاء الارض **طولا** حتى يكون لك ان تتكبر عليها اذ التكبر انما يكون بكثرة القوة وعظم الجثة وكلاهما مفقود وفيه تعريض بما عليه المختال من رفع رأسه ومشيه على صدور قدميه **كل ذلك** اشارة الى ما علم من تضاعيف ذكر الاوامر والنواهي من الخصال الخمس والعشرين **كان سيئه** الذي نهي عنه وهي اثنتا عشرة خصلة **عند ربك مكروها** مبغوضا غير مرضي او غير مراد بالارادة الازلية لا غير مراد مطلقا لقيام الادلة القاطعة على ان جميع الاشياء واقعة بارادته سبحانه وهو تتمة لتعليل الامور المنهي عنها جميعا ووصف ذلك بمطلق الكراهة مع ان البعض من الكبائر للايذان بان مجرد الكراهة عنده تعالى كافية في وجوب الانتهاء عن ذلك وتوجيه الاشارة الى الكل ثم تعيين البعض دون توجيهها اليه ابتداء لما ان البعض المذكور ليس بمذكور جملة بل على وجه الاختلاط وفيه اشعار بكون ما عداه مرضيا عنده تعالى وانما لم يصرح بذلك ايذانا بالغنى عنه وقيل الاضافة بيانية كما في اية الليل واية النهار وقرئ سيئة على انه خبر كان وذلك اشارة الى ما نهي عنه من الامور المذكورة ومكروها بدل من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئة وقد قرئ به او جرى على موصوف مذكر اي امرا مكروها او جرى مجرى الاسماء زال عنه معنى الوصفية ويجوز كونه حالا من المستكن في كان او في الظرف على انه صفة سيئة وقرئ سيئاته **ذلك** اي الذي تقدم من التكاليف المفصلة **مما اوحى اليك ربك** اي بعض منه او جنسه **من الحكمة** التي هي علم الشرائع او معرفة الحق لذاته والعمل به او من الاحكام المحكمة التي لا يتطرق اليها النسخ والفساد وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان هذه الايات الثمانية عشر كانت في الواح موسى عليه السلام اولها لا تجعل مع الله الها اخر قال تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وهي عشر ايات في التورية ومن اما متعلقة باوحى على ان ما تبعيضية او ابتدائية واما بمحذوف وقع حالا من الموصول او من ضميره المحذوف في الصلة اي كائنا من الحكمة واما بدل من الموصول باعادة الجار **ولا تجعل مع الله الها اخر** الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد غيره ممن يتصور منه صدور المنهي عنه وقد كرر للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه وانه رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه علومه وحكمه وان نذ فيها اساطين الحكماء • وحك بيافوخه عنان السماء • وقد رتب عليه ما هو عائدة الاشراك اولا حيث قيل فتقعد مذموما مخذولا ورتب عليه ها هنا نتيجته في العقبى فقيل **فتلقى في جهنم ملوما** من جهة نفسك ومن جهة غيرك **مدحورا** مبعدا من رحمة الله تعالى وفي ايراد الالتفات مبنيا للمفعول جري على سنن الكبرياء وازدراء بالمشرك وجعله من قبيل خشبة يأخذها آخذ بلغة فيطرحها في التنور **افاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا** خطاب للقائلين بان الملائكة بنات الله سبحانه والاصطفاء بالشيء جعله خالصا والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يفسره المذكور اي افضلكم على جنابه فخصكم بافضل الاولاد على وجه الخلوص وآثر لذاته اخسها وادناها كما في قوله سبحانه الكم الذكر وله الانثى وقوله تعالى ام له البنات ولكم البنون وقد قصد ها هنا بالتعرض لعنوان الربوبية تشديد التنكير وتاكيد واشير بذلك الملائكة عليهم السلام وايراد الاناث مكان البنات الى كفرة لهم اخرى وهي وصفهم عليهم السلام بالانوثة التي هي اخس صفات الحيوان كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا **انكم لتقولون** بمقتضى مذهبكم الباطل الذي هو اضافة الولد اليه سبحانه **قولا عظيما** لا يقادر قدره في استتباع الاثم وخرقه لقضايا العقول بحيث لا يجترئ عليه احد حيث يجعلونه تعالى من قبيل الاجسام المتجانسة السريعة الزوال وليس كمثله شيء وهو الواحد القهار الباقي بذاته ثم تضيفون اليه ما تكرهون من اخس الاولاد وتفضلون عليه انفسكم بالبنين ثم تصفون الملائكة الذين هم من اشرف الخلائق بالانوثة التي هي اخس اوصاف الحيوان فيا لها من ضلالة ما اقبحها وكفرة ما اشنعها وافظعها **ولقد صرفنا هذا المعنى في هذا القران** على وجوه من التقرير في مواضع منه وانما ترك الضمير تعويلا على الظهور وقرئ بالتخفيف ليذكروا ما فيه ويقفوا على بطلان ما يقولونه والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء الحال ان يعرض عنهم ويحكى للسامعين مساويهم وقرئ بالتخفيف من الذكر بمعنى التذكير ويجوز ان يراد

بهذا القرآن ما نطق ببطلان مقالتهم المذكورة من الآيات الكريمة الواردة على اساليب مختلفة ومعنى التصريف
جعله مكانا له اي اوقعنا فيه التصريف كقوله يجرح في عراقيبها نصلي وقد جوز ان يراد به ابطال اضافتهم اليه تعالى
البنات وانت تعلم ان ابطالها من آثار القرآن ونتايجها وما يزيدهم اي والحال انه ما يزيدهم ذلك التصريف البالغ
الا نفورا عن الحق واعراضا عنه فضلا عن التذكر المؤدي الى بطلان ما هم عليه من القبايح قل في اظهار بطلان ذلك
من جهة اخرى لو كان معه تعالى آلهة كما تقولون اي المشركون قاطبة وقرئ بالتاء خطابا لهم من قبل النبي صلى الله
عليه وسلم والكاف في محل النصب على انها نعت لمصدر محذوف اي كونا متشابها لما يقولون والمراد بالمشابهة الموافقة
والمطابقة اذا لابتغوا جواب عن مقالتهم الشنعاء وجزاء للو اي لطلبوا الى ذي العرش اي الى من له الملك والربوبية
على الاطلاق سبيلا بالمغالبة والممانعة كما هو ديدن الملوك بعضهم مع بعض على طريقة قوله تعالى لو كان فيهما
آلهة الا الله لفسدتا بالتقرب اليه تعالى كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة والاول
هو الاظهر والانسب لقوله تعالى سبحانه فانه صريح في ان المراد بيان انه يلزم مما يقولونه محذور عظيم من حيث
لا يحتسبون واما ابتغاء السبيل اليه تعالى بالتقرب فليس مما يختص بهذا التقرير ولا هو مما يلزمهم من حيث لا
يشعرون بل هو امر يعتقدونه راسا اي تنزه بذاته تنزها حقيقا وتعالى متباعدا عما يقولون من العظيمة التي هي
ان يكون معه آلهة وان يكون له بنات علوا تعاليا كقوله تعالى والله انبتكم من الارض نباتا كبيرا لا غاية وراءه كيف لا
وانه سبحانه في اقصى غايات الوجود وهو الوجوب الذاتي وما يقولونه من ان له تعالى شركاء واولادا في ابعد مراتب
العدم اعني الامتناع لانه نقيضه [?] وكما قيل فان ما يقولونه ليس مجرد اتخاذ الولد بل اتخاذه تعالى له وان يكون معه
آلهة ولا ريب ان ذلك ليس بداخل في حد الامكان فضلا عن دخوله تحت الوجود وكونه من ادنى مراتب الوجود وانما
هو بالنسبة الى من شانه ذلك تسبح بالفوقانية وقرئ بالتحتانية وقرئ سبحت له السموات السبع والارض ومن فيهن
من الملائكة والثقلين على ان المراد بالتسبيح معنى منتظم لما ينطق به لسان المقال ولسان الحال بطريق عموم المجاز
وان من شيء من الاشياء حيوانا كان او نباتا او جمادا الا يسبح ملتبسا بحمده اي ينزهه تعالى بلسان الحال عما لا
يليق بذاته الاقدس من لوازم الامكان ولواحق الحدوث اذ ما من موجود الا وهو بامكانه وحدوثه يدل دلالة واضحة
على ان له صانعا عليما قادرا حكيما واجبا لذاته قطعا للسلسلة ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون لاخلالكم
بالنظر الصحيح الذي به يفهم ذلك وقرئ لا يفقهون على صيغة المبني للمفعول من باب التفعيل انه كان حليما
ولذلك لم يعاجلكم بالعقوبة مع ما انتم عليه من موجباتها من الاعراض عن التدبر في الدلايل الواضحة على التوحيد والانهماك
في الكفر والاشراك غفورا لمن تاب منكم واذا قرأت القرآن الناطق بالتسبيح والتنزيه ودعوتهم الى العمل بما فيه
من التوحيد ورفض الشرك وغير ذلك من الشرايع جعلنا بقدرتنا ومشيئتنا المبنية على دواعي الحكم الخفية
بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة اوثر الموصول على الضمير ذما لهم بما في حيز الصلة وانما خص بالذكر كفرهم
بالآخرة من بين سائر ما كفروا به من التوحيد ونحوه دلالة على انها معظم ما امروا بالايمان به في القرآن وتمهيدا
لما سينقل عنهم من الانكار للبعث واستعجاله ونحو ذلك حجابا يحجبهم من ان يدركوك على ما انت عليه من النبوة
ويفهموا قدرك الجليل ولذلك اجترؤوا على تفوه العظيمة التي هي قولهم ان تتبعون الا رجلا مسحورا او حمل الحجاب
على ما روي عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنه من انه لما نزلت سورة تبت اقبلت العوراء ام جميل امرأة ابي لهب
وفي يدها فهر والنبي صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد ومعه ابو بكر فلما راها قال له يا رسول الله لقد
اقبلت هذه واخاف ان تراك قال عليه الصلوة والسلام انها لن تراني وقرأ قرانا فوقفت على ابي بكر ولم تر رسول الله
صلى الله عليه وسلم مما لا يقبله الذوق السليم ولا يساعده النظم الكريم مستورا ذا ستر كما في قولهم سيل مفعم او
مستورا عن الحس يعني غير حسي او مستورا في نفسه بحجاب آخر او مستورا كونه حجابا حيث انهم لا يدرون انهم لا يدرون
وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية كثيرة جمع كنان ان يفقهوه مفعول لاجله اي كراهة ان يفقهوه او مفعول

لما دل عليه

تعالى في اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود لذاته و اتخاذ الولد من ذلك مراتبه فانه من خواص ما يمتنع صح

لما دل عليه الكلام اي منعناهم ان يقفوا على كنهه ويعرفوا انه من عند الله تعالى وفي آذانهم وقرا صمما وثقلا مانعا
من سماعه اللائق به وهذه تمثيلات معربة عن كمال جهلهم بشؤون النبي صلى الله عليه وسلم وفرط نبو قلوبهم عن فهم القرآن
الكريم ومج اسماعهم له جيء بها بيانا لعدم فقههم للتسبيح بلسان المقال اثر بيان عدم فقههم للتسبيح بلسان الحال
وايذانا بان هذا التسبيح من الظهور بحيث لا يتصور عدم فهمه الا لمانع قوي يعتري المشاعر فيبطلها وتنبيها على ان
حالهم هذا اقبح من حالهم السابق لا لحكاية ما قالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك
حجاب كيف لا وقصدهم بذلك انما هو الاخبار بما اعتقدوه في حق القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم جهلا وكفرا
من اتصافهم باوصاف مانعة من التصديق والايمان ككون القرآن سحرا وشعرا واساطير الاولين وقس عليه حال
النبي صلى الله عليه وسلم لا الاخبار بان هناك امرا وراء ما ادركوه قد حال بينهم وبين ادراكه حايل من قبلهم ولا ريب
في ان ذلك المعنى مما لا يكاد يلايم المقام واذا ذكرت ربك في القرآن وحده واحدا غير مشفوع به آلهتهم وهو مصدر
وقع موقع الحال اصله يحد وحده ولوا على ادبارهم اي هربوا ونفروا نفورا ولوا نافرين نحن اعلم بما يستمعون
ملتبسين به من اللغو والاستخفاف والهزؤ بك وبالقرآن روي انه كان يقوم عن يمينه عليه السلام رجلان
من عبد الدار وعن يساره رجلان فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار اذ يستمعون اليك ظرف
لاعلم وفايدته تاكيد الوعيد بالاخبار بانه كما يقع الاستماع المزبور منهم يتعلق به العلم لا ان العلم يستفاد هنا
من احد وكذا قوله واذ هم نجوى لكن لا من حيث تعلقه بما به الاستماع بل بما به التناجي المدلول عليه بسياق
النظم والمعنى نحن اعلم بالذين يستمعون ملتبسين به مما لا خير فيه من الامور المذكورة وبالذي يتناجون به فيما بينهم
او الاول ظرف ليستمعون والثاني ليتناجون والمعنى نحن اعلم بما به الاستماع وقت استماعهم من غير تاخير
وبما به التناجي وقت تناجيهم ونجوى مرفوع على الخبرية بتقدير المضاف اي ذوو نجوى او هو جمع نجي كقتلى جمع
قتيل اي متناجون اذ يقول الظالمون بدل من اذ هم وفيه دليل على ان ما يتناجون به غير ما يستمعون به وانما وضع
الظالمون موضع المضمر اشعارا بانهم في ذلك ظالمون مجاوزون للحد يقول كل منهم للآخرين عند تناجيهم ان تتبعون
ما تتبعون ان وجد منكم الاتباع فرضا او ما تتبعون باللغو والهزؤ الا رجلا مسحورا اي سحر فجن او رجلا ذا سحر اي رئة
يتنفس اي بشرا مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال اي مثلوك من الشاعر والساحر والمجنون فضلوا في جميع ذلك
عن منهاج المحاجة فلا يستطيعون سبيلا الى طعن يمكن ان يقبله احد فيتهافتون ويخبطون ويأتون بما
لا يرتاب في بطلانه احد او الى سبيل الحق والرشاد وفيه من الوعيد وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم ما لا
يخفى وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا استفهام انكاري يفيد كمال الاستبعاد والاستنكار للبعث بعد ما آل الامر
والحال الى هذا المآل لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من التنافي كان استحالة الارض الظهور بحيث لا
يقدر المخاطب على التكلم به والرفات ما بولغ في دقه وتفتيته وقال الفراء هو التراب وهو قول مجاهد وقيل هو الحطام
واذا متمحضة للظرفية وهو الاظهر والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى ائنا لمبعوثون لا نفسه لان ما بعد
ان والهمزة واللام لا يعمل فيما قبلها وهو نبعث او نعاد وهو المرجع للانكار وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيصه
به فانهم منكرون بالاحياء بعد الموت وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه اليه في
حالة منافية له وتكرير الهمزة في قولهم ائنا لتاكيد النكير وتحلية الجملة بان واللام لتاكيد الانكار لا لانكار التاكيد
كما عسى يتوهم من ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في مثل قوله تعالى افلا تعقلون و
نظائره على راي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار انكارهم
كونهم ثابتين في المبعوثية بالفعل في حال كونهم عظاما ورفاتا كما يتراءى من ظاهر الجملة الاسمية بل كونهم بعرضية
ذلك واستعدادهم له ومرجعه الى انكار البعث بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة على غلوهم في الكفر وتماديهم
في الضلال ما لا مزيد عليه خلقا جديدا نصب على المصدر من غير لفظه او الحالية على ان الخلق بمعنى المخلوق

قل جوابا لها وتقريبا لما استبعدوه كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم اي يعظم
عندكم من قبول الحيوة لكمال المباينة والمنافاة بينها وبينه فانكم مبعوثون ومعادون لا محالة فسيقولون
من يعيدنا مع ما بيننا وبين الاعادة مثل هذه المباعدة والمباينة قل لهم تحقيقا للحق وازاحة للاستبعاد
وارشادا لهم الى طريقة الاستدلال الذي اي يعيدكم القادر العظيم الذي فطركم اخترعكم اول مرة من غير مثال
يحتذيه ولا اسلوب ينحيه • وكنتم ترابا ما شم رائحة الحيوة اليس الذي يقدر على ان يعيد العظام البالية
الى حالها المعهودة بلى انه على كل شيء قدير فسينغضون اليك رؤسهم اي سيحركونها نحوك تعجبا وانكارا ويقولون
استهزاء متى هو اي ما ذكرته من الاعادة قل لهم عسى ان يكون ذلك قريبا نصب على انه خبر لعسى وهي ناقصة
واسمها ضمير عائد الى ما عاد اليه هو اي عسى البعث ان يكون قريبا او عسى البعث يقع في زمان قريب او رفع على
انه فاعل لعسى وهي تامة اي عسى كونه قريبا او وقوعه في زمان قريب يوم يدعوكم منصوب بفعل مضمر ام
اذكر او على انه بدل من قريبا على انه ظرف او بيكون تامة بالاتفاق او ناقصة عند من يجوز اعمال الناقصة في
الظروف او بضمير المصدر المستكن في عسى ان يكون اعني البعث عند من يجوز اعمال ضمير المصدر كما في قول زهير
وما الحرب الا ما علمتم وذقتم • وما هو عنها بالحديث المرجم • فهو ضمير المصدر وقد تعلق به ما بعده من
الجار فتستجيبون اي يوم يبعثكم فتنبعثون وقد استعير لهما الدعاء والاجابة ايذانا بكمال سهولة التاني و
بان المقصود الاحضار للمحاسبة والجزاء بحمده حال من ضمير تستجيبون اي منقادين له حامدين
لما فعل بكم غير مستعصين او حامدين لما فعل او حامدين له تعالى على كمال قدرته عند مشاهدة اثارها
ومعاينة احكامها وتظنون عطف على تستجيبون اي تظنون عند ما ترون من الامور الهائلة ان لبثتم
اي ما لبثتم في القبور الا قليلا كالذي مر على قرية او ما لبثتم في الدنيا وقل لعبادي اي المؤمنين
يقولوا عند محاورتهم مع المشركين التي اي الكلمة التي هي احسن ولا يخاشنوهم كقوله تعالى ولا تجادلوا اهل
الكتاب الا بالتي هي احسن ان الشيطان ينزغ بينهم اي يفسد ويهيج الشر والمراء ويغري بعضهم على بعض
ليقع بينهم المشاقة والمشارة والمعاداة والمضارة فلعل يؤدي الى تاكيد الفساد • وتمادي العناد • فهو
تعليل للامر السابق وقرئ بكسر الراء ان الشيطان كان قديما للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة وهو
تعليل لما سبق ان الشيطان ينزغ بينهم ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم بالتوفيق للايمان او ان يشأ يعذبكم بالاماتة
على الكفر وهذا تفسير التي هي احسن وما بينهما اعتراض اي قولوا لهم هذه الكلمة وما يشاكلها ولا تصرحوا بانهم
من اهل النار فانه مما يهيجهم على الشر مع ان العاقبة مما لا يعلمه الا الله سبحانه يعني يهديهم الى الايمان وما
ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امورهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر
قومك واصحابك بالمداراة والاحتمال وترك المحاقة والمشاقة وذلك قبل نزول اية السيف وقيل نزل في عمر رضي
الله عنه شتمه رجل فامر بالعفو وقيل افرط اذية المشركين بالمؤمنين فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت وقيل الكلمة التي هي احسن ان يقولوا يهديكم الله يرحمكم وربك اعلم بمن في السموات والارض وبتفاصيل احوالهم
الظاهرة والكامنة التي بها يستاهلون الاصطفاء والاجتباء فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء ممن يستحقه
وهو رد عليهم اذ قالوا بعيد ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه دون ان يكون ذلك
من الاكابر والصناديد وذكر من في السموات لابطال قولهم لولا انزل علينا الملئكة وذكر من في الارض لابطال
قولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بالفضائل النفسانية
والتنزه عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال والاتباع واتينا داود زبورا بيان لحيثية تفضيله عليه السلام
فان ذلك ايتاء الزبور لا ايتاء الملك والسلطنة وفيه ايذان بتفضيل النبي صلى الله عليه وسلم فان نعوته
الجليلة وكونه خاتم النبيين مسطورة في الزبور وان المراد بعباد الله الصالحين في قوله تعالى ان الارض

ليكون او ظرف على ان كان تامة اي ان يقع زمان قريب ومحل ان مع ما في حيزها اما انه نصب على انه خبر لعسى صح

يرثها

يرثها عبادي الصالحون هو النبي صلى الله عليه وسلم وامته وتعريف الزبور تارة وتنكيره اخرى اما لانه في الاصل
فعول بمعنى المفعول كالحلوب او مصدر بمعناه كالقبول واما لان المراد اتينا داود زبورا من الزبر او بعضا من الزبور فيه
ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ بضم الزاي على انه جمع زبر بمعنى مزبور قل ادعوا الذين زعمتم انها الهة من دونه
تعالى من الملئكة والمسيح وعزير فلا يملكون فلا يستطيعون كشف الضر عنكم بالمرة كالمرض والفقر والقحط ونحو ذلك
ولا تحويلا اي ولا تحويله الى غيركم اولئك الذين يدعون اي اولئك الالهة الذين يدعوهم المشركون من المذكورين
يبتغون يطلبون لانفسهم الى ربهم ومالك امورهم الوسيلة القربة بالطاعة والعبادة ايهم اقرب بدل من
فاعل يبتغون واي موصولة اي يبتغي من هو اقرب اليه تعالى الوسيلة فكيف بمن دونه او ضمن الابتغاء معنى الحرص
فكانه قيل يحرصون انهم يكون اقرب اليه تعالى بالطاعة والعبادة ويرجون رحمته بها ويخافون عذابه بتركها كداب
سائر العباد فاين هم عن كشف الضر عن الالهة ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد حتى الملئكة
والرسل عليهم السلام وهو تعليل لقوله تعالى ويخافون عذابه وتخصيصه بالتعليل لما ان المقام مقام التحذير
من العذاب وان بينهم وبين العذاب بونا بعيدا وان من قرية بيان لتحتيم حلول عذابه تعالى بمن لا يحذره اثر
بيان انه حقيق بالحذر وان اساطين الخلق من الملئكة والنبيين عليهم السلام على حذر من ذلك وكلمة ان نافية ومن
استغراقية والمراد بالقرية القرية الكافرة اي ما من قرية من قرى الكفار الا نحن مهلكوها اي مخربوها البتة بالخسف
بها او باهلاك اهلها بالمرة لما ارتكبوا من عظائم الموبقات المستوجبة لذلك وفي صيغة الفاعل وان كانت
بمعنى المستقبل ما ليس فيه من الدلالة على التحقيق والتقرير وانما قيل قبل يوم القيمة لان الاهلاك يومئذ
غير مختص بالقرى الكافرة ولا هو بطريق العقوبة وانما هو لانقضاء عمر الدنيا او معذبوها اي معذبوا اهلها على
الاسناد المجازي عذابا شديدا لا بالقتل والسبي ونحوهما من البلايا الدنيوية فقط بل بما لا يكتنهه من فنون
العقوبات الاخروية ايضا حسبما يفصح عنه اطلاق التعذيب عما قيد به الاهلاك من قبلية يوم القيمة
كيف لا وكثير من القرى العاتية العاصية قد اخرت عقوباتها الى يوم القيمة كان ذلك الذي ذكر من الاهلاك
والتعذيب في الكتاب اي اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا لم يغادر منه شيء الا بين فيه بكيفياته واسبابه
الموجبة له وهذا وقد قيل الهلاك للقرى الصالحة والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت في كتاب الضحاك
ابن مزاحم في تفسيرها اما مكة فيخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك
والجبال بالصواعق والرواجف واما خراسان فهلاكها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا الحافظ ابو عمرو
الداني في كتاب الفتن انه روى عن وهب بن منبه ان الجزيرة امنة من الخراب حتى تخرب ارمينية وارمينية
امنة حتى تخرب مصر ومصر امنة حتى تخرب الكوفة ولا يكون الملحمة الكبرى حتى تخرب الكوفة فاذا كانت الملحمة
الكبرى فتحت قسطنطينية على يد رجل من بني هاشم وخراب الاندلس من قبل الزنج وخراب افريقية من قبل الاندلس
وخراب مصر من انقطاع النيل واختلاف الجيوش فيها وخراب العراق من الجوع وخراب الكوفة من قبل عدو
يحصرهم برا وبحرا وخراب الري حتى لا يستطيعون ان يشربون من الفرات قطرة وخراب البصرة من قبل
الغرق وخراب الابلة من قبل عدو يحصرهم برا وبحرا وخراب الري من الديلم وخراب خراسان من قبل التبت
وخراب التبت من قبل الصين وخراب الهند واليمن من قبل الجراد والسلطان وخراب مكة من الحبشة وخراب المدينة
من الجوع وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اخر قرية من قرى الاسلام خرابا المدينة
وقد اخرجه العمري من هذا الوجه وانت خبير بان تعميم القرية لا يساعده السياق ولا السباق وما منعنا ان نرسل
بالايات اي الايات التي اقترحها قريش من احياء الموتى وقلب الصفا ذهبا ونحو ذلك الا ان كذب بها الاولون
استثناء مفرغ من اعم الاشياء اي وما منعنا ارسالها شيء من الاشياء الا تكذيب الاولين حين جاءتهم باقتراحهم
وعدم ارساله تعالى بها وان كان بمشيئته المبنية على الحكم البالغة لا يمنع مانع عن ذلك من التكذيب وغيره

كنهه

حم

لاستحالة العجز عليه تعالى لكن تكذيبهم المذكور بواسطة استتباعه لاستيصالهم بحكم السنة الالهية واستلزامه
لتكذيب الاخرين بحكم الاشتراك في العتو والعناد وافضائه الى ان يحل بهم مثل ما حل بهم بحكم الشركة في الجريرة لما كان
منافيا للارسال ما اقترحوه من الايات لتعين التكذيب المستدعي للاستيصال المخالف لما جرى به قلم القضاء
من تاخير عقوبات هذه الامة الى الاخرة لحكم باهرة من جملتها ما يتوهم من الايمان بعض اعقابهم عبر عن تلك المنافاة
بالمنع على نهج الاستعارة ايذانا بتعاضد مبادي الارسال لا كما زعموا من عدم ارادته تعالى لتاييده عليه الصلوة و
السلام بالمعجزات وهو السر في ايثار الارسال على الايتان لما فيه من الاشعار بتداعي الايات الى النزول لولا ان
تمسكها بيد التقدير واسناد بهذا المنع الى تكذيب الامرين لا الى علمه تعالى بما سيكون من الاخرين كما في قوله
تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون لاقامة الحجة عليهم بابراز الانموذج
وللايذان بان مدار عدم الاجابة الى ايتانه مقترحهم ليس الا صنيعهم **وآتينا ثمود الناقة** عطف على ما يفصح عنه
النظم الكريم كانه قيل ما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون حيث آتيناهم ما اقترحوا من الايات
الباهرة فكذبوها وآتينا باقتراحهم ثمود الناقة **مبصرة** على صيغة الفاعل بينة ذات ابصار وبصائر يدركها
الناس او اسند اليها حال من يشاهدها مجازا او جاعلتهم ذوي بصائر من ابصره جعله بصيرا وقرئ على
صيغة المفعول وبفتح الميم والصاد وهي نصب على الحالية وقرئ بالرفع على انها خبر مبتدا محذوف **فظلموا
بها** فكفروا بها ظالمين اي لم يكتفوا بمجرد الكفر بل فعلوا بها ما فعلوا من العقر وظلموا انفسهم وعرضوها
للهلاك بسبب عقرها ولعل تخصيصها بالذكر لما ان ثمود عرب مثلهم وان لهم من العلم بحالهم ما لا مزيد عليه
حيث يشاهدون آثار هلاكهم ورودا وصدورا ولانها من جهة انها حيوان اخرج من الحجر اوضح دليل على
تحقق مضمون قوله تعالى قل كونوا حجارة او حديدا **وما نرسل بالايات** المقترحة **الا تخويفا** لمن ارسلت هي عليهم
مما يعقبها من العذاب المستاصل كالطليعة له وحيث لم يخافوا ذلك فعل بهم ما فعل فلا محل للجملة حينئذ من
الاعراب ويجوز ان يكون حالا من ضمير ظلموا اي ظلموا بها ولم يخافوا عاقبته والحال انا ما نرسل بالايات التي هي من جملتها
الا تخويفا من العذاب الذي يعقبها فنزل بهم ما نزل **واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس** اي علما كما نقله الامام الثعلبي
عن ابن عباس رضي الله عنهما فلا يخفى عليه شيء من افعالهم الماضية والمستقبلة من الكفر والتكذيب وقوله تعالى
وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس الى اخر الاية تنبيه على تحققها بالاستدلال عليها بما صدر عنهم عند
بعض الايات لاشتراك الكل في كونها امورا خارقة للعادات منزلة من جناب الله سبحانه لتصديق النبي
صلى الله عليه وسلم فتكذيبهم لبعضها مستلزم لتكذيب الباقي كما ان تكذيب الاخرين بغير المقترحة يدل
على تكذيبهم بالايات المقترحة والمراد بالرؤيا ما عاينه صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من عجايب الارض والسما
حسبما ذكر في فاتحة السورة الكريمة والتعبير عن ذلك بالرؤيا اما انه لا فرق بينها وبين الرؤيا او لانها وقعت
بالليل او لان الكفرة قالوا لعلها رؤيا اي وما جعلنا الرؤيا التي اريناكها عيانا مع كونها اية عظيمة واية حقيقة
بحيث ان لا يتلعثم في تصديقها احد ممن له ادنى بصيرة الا فتنة افتتن بها الناس حتى ارتد بعضهم **والشجرة
الملعونة في القران** عطف على الرؤيا بلعنها فيه لعن طاعمها على الاسناد المجازي او ابعادها من الرحمة فانها تنبت
في اصل الجحيم في ابعد مكان من الرحمة اي وما جعلناها الا فتنة لهم حيث انكروا ذلك وقالوا ان محمدا يزعم
ان الجحيم يحرق الحجارة ثم يقول تنبت فيها الشجر ولقد ضلوا في ذلك ضلالا بعيدا حيث كابروا قضية عقولهم
فانهم يرون النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد المحماة فلا تضرها ويشاهدون المناديل المتخذة من وبر السمندل
تلقى في النار فلا تؤثر فيها ويرون ان في كل شجر نارا وقرئ بالرفع على حذف الخبر كانه قيل والشجرة الملعونة
في القران كذلك **ونخوفهم** بذلك وبنظايرها من الايات فان الكل للتخويف وايثار صيغة الاستقبال
للدلالة على التجدد والاستمرار **فما يزيدهم** التخويف **الا طغيانا كبيرا** متجاوزا عن الحد فلو انا ارسلنا

بما اقترحوا

بما اقترحوا من الايات لفعلوا بها ما فعلوا بنظايرها وفعل بهم ما فعل باشياعهم وقد قضينا بتاخير العقوبة
العامة لهذه الامة الى الطامة الكبرى هذا هو الذي يستدعيه النظم الكريم وقد حمل اكثر المفسرين الاحاطة
بالقدرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما عسى يعتريه من عدم الاجابة الى انزال الايات التي اقترحوها
لان انزالها ليس لمصلحة من نوع حزن من طعن الكفرة حيث كانوا يقولون لو كنت رسولا حقا لاتيت بهذه المعجزات
كما اتى بها موسى وغيره من الانبياء عليهم الصلوة والسلام فكانه قيل اذكر وقت قولنا لك ان ربك اللطيف
بك قد احاط بالناس فهم في قبضة قدرته لا يقدرون على الخروج من مشيئته فهو يحفظك منهم فلا تهتم
بهم فامض لما امرتك من تبليغ الرسالة الا ترى ان الرؤية التي اريناك من قبل جعلناها فتنة للناس مورثة
للشبهة على انها ما اورثت ضعفا لامرك وفتورا في حالك وقد فسر الاحاطة باهلاك قريش يوم بدر وانما
عبر عنه بالماضي مع كونه منتظرا حسبما ينبئ عنه قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله تعالى قل للذين
كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وغير ذلك جريا على عادته سبحانه في اخباره واولت الرؤيا بما عسى راه صلى الله عليه
وسلم في المنام من مصارعهم لما روي انه عليه الصلوة والسلام لما ورد ماء بدر قال والله لكاني انظر الى مصارع
القوم وهو يومي الى الارض هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فتسامعت به قريش فاستسخروا به وبما
راه عليه السلام انه سيدخل مكة واخبر به اصحابه فتوجه اليها وصده المشركون عام الحديبية واعتذر
عن كون ما ذكر مدنيا بانه يجوز ان يكون الوحي باهلاكهم وكذا الرؤيا واقعا بمكة وذكر الرؤيا وتعيين المصارع
واقعين بعد الهجرة وان يكون ازديادهم طغيانا متوقعا غير واقع عند نزول الاية وقد قيل الرؤيا ما راه
عليه الصلوة والسلام في وقعة بدر من مضمون قوله تعالى اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو اراكهم كثيرا
لفشلتم ولا ريب في ان تلك الرؤيا مع وقوعها في المدينة ما جعلت فتنة للناس **واذ قلنا للملئكة** تذكيرا
لما جرى منه تعالى من الامر ومن الملئكة من الامتثال والطاعة من غير تردد وتحقيق مضمون ما سبق من قوله
تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة يرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك
كان محذورا ويعلم من حال الملئكة حال غيرهم من عيسى وعزير عليهما السلام في الطاعة وابتغاء الوسيلة
ورجاء الرحمة ومخافة العذاب ومن حال ابليس حال من يخالف الامر اي واذكر وقت قولنا لهم **اسجدوا لادم**
تحية وتكريما لما له من الفضائل المستوجبة لذلك **فسجدوا** له من غير تلعثم امتثالا للامر واداء لحقه
عليه السلام **الا ابليس** وكان داخلا في زمرتهم مندرجا تحت الامر بالسجود **قال** اي عندما وبخ بقوله
عز سلطانه يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين وقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي كما اشير اليه
في سورة الحجر **ااسجد** وانا مخلوق من العنصر الناري **لمن خلقت طينا** نصب على نزع الخافض اي من طين
او حال من الراجع الى الموصول اي اسجد له واصله طين والتعبير عنه عليه السلام بالموصول لتعليل انكاره
لما في حيز الصلة **قال** اي ابليس لكن لا عقيب كلامه المحكي بل بعد الانظار المترتب على استنظاره المتفرع
على الامر بخروجه من بين الملا الاعلى باللعن المؤبد وانما لم يصرح بذلك اكتفاء بما ذكر في مواضع اخر
فان توسيط قال بين كلامي اللعين للايذان بعدم اتصال الثاني بالاول وعدم ابتنائه عليه بل على غيره كما في
قوله تعالى قال فما خطبكم بعد قوله تعالى ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون **ارايتك هذا الذي كرمت علي**
الكاف لتاكيد الخطاب لا محل لها من الاعراب وهذا مفعول اول والموصول صفته والثاني محذوف لدلالة
الصلة عليه اي اخبرني عن هذا الذي كرمته علي بان امرتني بالسجود له لم كرمته علي وقيل هذا مبتدا
حذف منه حرف الاستفهام والموصول مع صلته خبره ومقصوده الاستصغار والاستحقار اي اخبرني
هذا كرمته علي وقيل معنى ارايتك اتاملت كان المتكلم ينبه المخاطب على استحضار ما يخاطبه به عقيبه
لئن اخرتني حيا **الى يوم القيمة** كلام مبتدا واللام موطئة للقسم وجوابه قوله **لاحتنكن ذريته** اي لاستاصلنهم

طه

وانت خبير بانه يلزم منه ان يكون افتتان الناس بذلك واقعا بعد الهجرة صح صح

يعاند الحق

الجراد

من قولهم احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلاً او لاقودنهم حيث ما شئت ولاستولين عليهم استيلاء قوياً من قولهم حنكت الدابة واحتنكتها اذا جعلت في حنكها الاسفل حبلاً تقودها به وهذا كقوله لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين وانما علم تيسر ذلك المطلب له تلقيا من الملئكة عليهم السلام او استنباطاً من قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء او توسماً من خلقه الا قليلاً منهم وهم المخلصون الذين عصمهم الله تعالى قال اذهب اي امض لشانك الذي اخترته وهو طرد له وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم اي جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب رعاية لحق المتبوعية جزاء موفورا اي جزاء مكملاً من قولهم فر لصاحبك عرضه فرة اي وفره وهو نصب على انه مصدر مؤكد لما في قوله فان جهنم جزاؤكم من معنى تجازون او للفعل المقدر او حال موطية لقوله موفورا واستفزز اي استخف من استطعت منهم اي تستفزه بصوتك بدعائك الى الفساد واجلب عليهم اي صح عليهم من الجلبة وهي الصياح بخيلك ورجلك اي باعوانك وانصارك من راكب وراجل من اهل العيث والفساد وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة ان له خيلاً ورجلاً من الجن والانس فما كان من راكب يقاتل في معصية الله تعالى فهو من خيل ابليس وما كان من راجل يقاتل في معصية الله تعالى فهو من رجل ابليس والخيل الخيالة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب وقرئ بكسر الجيم وهي قراءة حفص على انه فعل بمعنى فاعل كنعت وناعت ونضبه مثل حدث وحدث وندس وندس ونظايرهما اي جمعك الراجل ليطابق الخيل وقرئ رجالك ورجالك ويجوز ان يكون استفزازه بصوته واجلابه بخيله ورجله تمثيلاً لتسلطه على من يغويه فكانه مغوار وقع على قوم فصوت عليهم صوتاً يزعجهم من اماكنهم ويقلعهم عن مراكزهم واجلب عليهم من جند من خياله ورجاله حتى استاصلهم وشاركهم في الاموال بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي والاولاد بالحث الى التوصل اليهم بالاسباب المحرمة والاشراك كتسميتهم بعبد العزى والتضليل بالحمل على الاديان الزايغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة الالهة والاتكال على كرامة الاباء وتاخير التوبة بتطويل الامل وما يعدهم الشيطان الا غرورا اعتراض لبيان شان مواعيده والالتفات الى الغيبة لتقوية معنى الاعتراض مع ما فيه من صرف الكلام عن خطابه وبيان شانه للناس ومن الاشعار بعلية شيطنته للغرور وهو تزيين الخطاء بما يوهم انه صواب ان عبادي الاضافة للتشريف وهم المخلصون وفيه ان من تبعه ليس منهم وان الاضافة عليه لثبوت الحكم في قوله تعالى ليس لك عليهم سلطان اي تسلط وقدرة على اغوايهم كقوله تعالى ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون وكفى بربك وكيلا لهم يتوكلون عليه ويستمدون به في الخلاص عن اغوايك والتعرض لوصف الربوبية المنبية على المالكية المطلقة والتصرف الكلي مع الاضافة الى ضمير ابليس للاشعار بكيفية كفايته تعالى لهم اعني سلب قدرته على اغوايهم ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر مبتدا وخبر والازجاء السوق حالاً بعد حال اي هو القادر الحكيم الذي يسوق لمنافعكم الفلك ويجريها في البحر لتبتغوا من فضله من رزقه الذي هو فضل من قبله او من الربح الذي هو معطيه ومن مزيدة او تبعيضية وهذا تذكير لبعض النعم التي هي دلايل التوحيد وتمهيد لذكر توحيدهم عند مساس الضر تكملة لما مر من قوله تعالى فلا يملكون الاية انه كان بكم ازلاً وابداً رحيما حيث هيأ لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما تعسر من مباديه وهذا تذييل فيه تعليل لما سبق من الازجاء لابتغاء الفضل وصيغة الرحيم للدلالة على ان المراد بالرحمة الرحمة الدنيوية والنعمة العاجلة المنقسمة الى الجليلة والحقيرة واذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق فيه ضل من تدعون اي ذهب عن خواطركم ما كنتم تدعون من دون الله من الملئكة او المسيح او غيرهم الا اياه وحده من غير ان يخطر ببالكم احد منهم وتدعون لكشفه استقلالاً او اشتراكاً او ضل كل من تدعونه عن اغاثتكم وانقاذكم ولم يقدر على ذلك الا

الله على الاستثناء المنقطع فلما نجاكم من الغرق واوصلكم الى البر اعرضتم عن التوحيد او اتسعتم في كفران النعمة وكان الانسان كفورا تعليل لما سبق من الاعراض افامنتم الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم ان يخسف بكم جانب البر الذي هو مامنكم ان يقلبه ملتبسا بكم او بسبب كونكم فيه وفي زيادة الجانب تنبيه على تساوي الجوانب والجهات بالنسبة الى قدرته سبحانه وقهره وسلطانه وقرئ بنون العظمة او يرسل عليكم من فوقكم وقرئ بالنون حاصبا ريحا ترمي بالحصباء ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك او يصرفه عنكم فانه لا راد لامره الغالب ام امنتم ان يعيدكم فيه في البحر اوثرت كلمة في على كلمة الى للتنبيه على مجرد الانتهاء للدلالة على استقرارهم فيه تارة اخرى اسناد الاعادة اليه تعالى مع ان العودة باختيارهم باعتبار تعلق الدواعي الملجئة لهم الى ذلك وفيه ايماء الى كمال شدة هول ما لاقوه في التارة الاولى بحيث لولا الاعادة لما عادوا فيرسل عليكم وانتم في البحر وقرئ بالنون قاصفا من الريح وهي التي لا تمر بشيء الا كسرته وجعلته كالرميم او التي لها قصيف وهو الصوت الشديد كانها تتقصف اي تتكسر فيغرقكم بعد كسر فلككم كما ينبئ عنه عنوان القصف وقرئ بالنون والتاء على الاسناد الى ضمير الريح بما كفرتم بسبب اشراككم او كفرانكم لنعمة الانجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا اي ثائراً يطالبنا بما فعلنا ودركاً للثار من جهتنا كقوله سبحانه ولا يخاف عقباها ولقد كرمنا بني آدم قاطبة تكريما شاملاً لبرهم وفاجرهم اي كرمناهم بالصورة والقامة المعتدلة والتسلط على ما في الارض والتمتع به والتمكن من الصناعات وغير ذلك مما لا يكاد يحيط به نطاق العبارة ومن جملته ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده وما قيل من شركة القرد له في ذلك مبني على عدم الفرق بين اليد والرجل فانه متناول له برجليه التي يطاها القاذورات لا بيده وحملناهم في البر والبحر على الدواب والسفن من حملته اذا جعلت له ما يركبه وليس من المخلوقات شيء كذلك وقيل حملناهم فيهما حيث لم يخسف بهم الارض ولم يغرقهم الماء وانت خبير بان الاول هو انسب بالتكريم اذ جميع الحيوانات كذلك ورزقناهم من الطيبات اي فنون النعم وضروب المستلذات مما يحصل بصنعهم وبغير صنعهم وفضلناهم بالعلوم والادراكات بما ركبنا فيهم من القوى المدركة التي بها يتميز الحق من الباطل والحسن من القبيح على كثير ممن خلقنا وهم ما عدا الملئكة عليهم السلام تفضيلا عظيما فحق عليهم ان يشكروا هذه النعم ولا يكفروها ويستعملوا قواهم في تحصيل العقايد الحقة ويرفضوا ما هم عليه من الشرك الذي لا يقبله احد ممن له ادنى تامل وتميز فضلا عمن فضل على من عدا الملا الاعلا الذين هم العقول المحضة وانما استثني جنس الملئكة من هذا التفضيل لان علومهم دايمة عارية عن الخطا والخلل وليس فيه دلالة على افضليتهم بالمعنى المتنازع فيه فان المراد بيان التفضيل في امر مشترك بين جميع افراد البشر صالحا وطالحا ولا يمكن ان يكون ذلك هو الفضل في عظم الدرجة وزيادة القربة عند الله تعالى ان قيل اي حاجة الى تعيين ما فيه التفضيل بعد بيان ما هو المراد بالمفضلين فان استثناء الملئكة عليهم السلام من تفضيل جميع افراد البشر عليهم لا يستلزم استثناءهم من تفضيل بعضهم اي بعض افراده عليهم قلنا لا بد من تعيينه البتة اذ ليس من الافراد الفاجرة للبشر احد يفضل على احد من المخلوقات فيما هو المتنازع فيه اصلاً بل هم ادنى من كل دني حسبما ينبئ عنه قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل سبيلاً وقوله تعالى ان شر الدواب عند الله الذين كفروا يوم ندعوا نصب على المفعولية باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه قوله تعالى ولا يظلمون وقرئ بالياء على البناء للفاعل وللمفعول وندعو بقلب الالف واوا على لغة من يقول في افعى افعو وقد جوز كون الواو علامة الجمع كما في قوله تعالى واسروا النجوى او ضميره وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع وقد يكتفى بتقديره كما في يدعى كل اناس بامامهم من بني آدم الذين فعلنا بهم في الدنيا ما فعلنا من التكريم والتفضيل وهذا شروع في بيان تفاوت احوالهم في الآخرة بحسب احوالهم واعمالهم في الدنيا بامامهم اي بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها فيقال يا اصحاب

كتاب الخير ويا اصحاب كتاب الشر او يا اهل دين كذا يا اهل كتاب كذا وقيل الامام جمع ام كخف وخفاف والحكمة في دعوتهم
بامهاتهم اجلال عيسى عليه السلام وتشريف الحسنين رضي الله عنهما والستر على اولاد الزنا **فمن اوتي** يومئذ من
اولئك المدعوين **كتابه** صحيفة اعماله **بيمينه** ابانة لخطر الكتاب المؤتى او تشريفا لصاحبه وتبشيرا له من
اول الامر بما في مطاويه **فاولئك** اشارة الى من باعتبار معناه ايذانا بانهم حزب يجتمعون على شان جليل او اشعارا
بان قراءتهم لكتبهم تكون على وجه الاجتماع لا على وجه الانفراد كما في حال الابتداء وما فيه من الدلالة على البعد للاشعار
برفعة درجاتهم اي اولئك المختصون بتلك الكرامة التي يشعر بها الابتدار المذكور **يقرون كتابهم** الذي اوتوه
على الوجه المبين بمبتهجين بما سيطر فيه من الحسنات المستتبعة لفنون الكرامات **ولا يظلمون** اي لا ينقصون من اجور
اعمالهم المرتسمة في كتبهم بل يوتونها مضاعفة **فتيلا** اي قدر فتيل وهو القشرة التي في شق النواة او ادنى شيء
فان الفتيل مثل في القلة والحقارة **ومن كان** من المدعوين المذكورين **في هذه** الدنيا التي فعل بهم فيها ما فعل من
التكريم والتفضيل **اعمى** فاقد البصيرة لا يهتدي الى رشده ولا يعرف ما اولياه من نعمة التكريم والتفضيل
فضلا عن شكرها والقيام بحقوقها ولا يستعملها اودعنا فيه من العقول والقوى فيما خلقن له من العلوم
والمعارف الحقة **فهو في الآخرة** التي عبر عنها بيوم ندعو **اعمى** كذلك لا يهتدي الى ما ينجيه ولا يظفر بما يجديه
لان العمى الاول موجب للثاني وقد جوز كون الثاني بمعنى التفضيل على ان عماه في الآخرة اشد من عماه في الدنيا
ولذلك قرا ابو عمرو الاول ممالا والثاني مفخما **واضل سبيلا** اي من الاعمى لزوال الاستعداد الممكن وتعطل
الالات بالكلية وهذا بعينه هو الذي اوتي كتابه بشماله بدلالة حال ما سبق من الفريق المقابل له ولعل العدول
عن ذكره بذلك العنوان مع انه الذي يستدعيه حسن المقابلة حسبما هو الواقع في سورة الحاقة وسورة الانشقاق
للايذان بالعلة الموجبة له كما في قوله تعالى واما ان كان من المكذبين الضالين بعد قوله تعالى فاما ان كان من اصحاب
اليمين والرمز الى علة حال الفريق الاول وقد ذكر في احد الجانبين المسبب وفي الآخر السبب ودل بالمذكور في كل
منهما على المتروك في الآخر تعويلا على شهادة العقل كما في قوله عز وعلا وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا
هو وان يردك بخير فلا راد لفضله **وان كادوا ليفتنونك** نزلت في ثقيف اذ قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لا ندخل
في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلوتنا وكل ربوا لنا وكل ربوا علينا
فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا وج كما حرمت مكة فاذا قالت العرب لم فعلت
فقل ان الله امرني بذلك وقيل في قريش حيث قالوا اجعل لنا اية رحمة وقالوا لن نؤمن لك لا نمكنك من
استلام الحجر حتى تلم بالهتنا فان مخففة من المشددة وضمير الشان الذي هو اسم المحذوف واللام هي الفارقة
بينها وبين النافية اي ان الشان قاربوا ان يفتنوك اي يخدعوك فاتنين **عن الذي اوحينا اليك** من اوامرنا
ونواهينا ووعدنا ووعيدنا **لتفتري علينا غيره** لتتقول علينا غير الذي اوحينا اليك مما اقترحته ثقيف او
قريش حسبما نقل **واذا لاتخذوك خليلا** اي لو اتبعت اهواءهم لكنت لهم وليا وخرجت من ولايتي **ولولا
ان ثبتناك** على ما انت عليه من الحق بعصمتنا لك **لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا** من الركون الذي هو ادنى ميل
اي لولا تثبيتنا لك لقاربت ان تركن ان تميل اليهم ميلا يسيرا من الميل اليسير لقوة خدعهم وشدة احتيالهم
لكن ادركتك العصمة فمنعتك من ان تقرب من ادنى مراتب الركون اليهم فضلا عن الركون وهذا صريح
في انه عليه السلام ما هم باجابتهم مع قوة الداعي اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله تعالى وعنايته **اذا**
لو قاربت ان تركن اليهم ادنى ركنة **اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات** اي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة
ضعف ما نعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطر الخطير خطير وكان اصل الكلام عذابا ضعفا
في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت
اضافة موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحيوة عذاب الآخرة وبضعف

الممات عذاب القبر **ثم لا تجد لك علينا نصيرا** يدفع عنك العذاب **وان كادوا** الكلام فيه كما في الاول اي كاد اهل
مكة **ليستفزونك** اي ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم **من الارض** اي الارض التي انت فيها وهي ارض مكة **ليخرجوك
منها واذا لا يلبثون** بالرفع عطفا على خبر كاد وقرئ لا يلبثوا بالنصب باعمال اذا على ان الجملة معطوفة على جملة وان
كاد واليستفزونك **خلافك** اي بعدك • بسط الشواطئ بينهم حصيرا • خلت الديار خلافهم فكانما
اي ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك وقرئ خلفك **الا قليلا** الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر
بعد هجرته عليه الصلوة والسلام نزلت الاية في اليهود حيث حسدوا مقام النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة
فقالوا الشام مقام الانبياء فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه عليه الصلوة والسلام فخرج
مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة واجلي بنو النضير بقليل **سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا** نصب على المصدرية
اي سن الله تعالى سنة وهي ان يهلك كل امة اخرجت رسولهم من بين اظهرهم واضافتها الى الرسل لانها سنت
لاجلهم على ما ينطق به قوله عز وجل **ولا تجد لسنتنا تحويلا** اي تغييرا **اقم الصلوة لدلوك الشمس** لزوالها كما ينبي
عنه قوله عليه الصلوة والسلام اتاني جبريل عليه السلام لدلوك الشمس حين زالت فصلي بي الظهر واشتقاقه من الدلك
لان من نظر اليها حينئذ يدلك عينيه لغروبها من دلكت الشمس اي غربت اصل الدلوك الميل
فينتظم كلا المعنيين واللام للتاقيت مثلها في قولك لثلث خلون **الى غسق الليل** الى اجتماع الليل ظلمته وهو وقت
صلوة العشاء وليس المراد اقامتها فيما بين الوقتين على وجه الاستمرار بل اقامة كل صلوة في وقتها الذي عين لها
ببيان جبريل عليه السلام كما ان اعداد ركعات كل صلوة موكولة الى بيانه عليه الصلوة والسلام ولعل الاكتفاء ببيان
المبدا والمنتهي في اوقات الصلوات من غير فصل بينها لما ان الانسان فيما بين هذه الاوقات على اليقظة فبعضها
متصل ببعض بخلاف اول وقت العشاء والفجر فانه باشتغاله فيما بينهما من النوم ينقطع احدهما عن الآخر
ولذلك فصل وقت الفجر عن ساير الاوقات المراد بالصلوة صلوة المغرب والتحديد المذكور بيان لمبدايه
ومنتهاه واستدل به على امتداد وقته الى غروب الشفق فصل **وقران الفجر** اي صلوة الفجر بالنصب عطفا على مفعول
اقم او على الاغراء الزجاج وانما سميت قرانا لانه ركنها كما تسمى ركوعا وسجودا واستدل به على الركنية
ولكن دلالة على ذلك لجواز كون مدار التجوز كون القراءة مندوبة فيها نعم لو فسر القران في صلوة الفجر لدل الامر
باقامتها على الوجوب فيها نصا وفيما عداها دلالة ويجوز ان يكون وقران الفجر حثا على تطويل القراءة في صلوة
الفجر **ان قران الفجر** اظهر في مقام الاضمار ابانة لمزيد الاهتمام به **كان مشهودا** يشهده ملائكة الليل وملائكة
النهار او شواهد القدرة من تبدل الضياء بالظلمة والانتباه بالنوم الذي هو اخ الموت او يشهده كثير من المصلين
او من حقه ان يشهده الجم الغفير فالاية على تفسير الدلوك بالزوال جامعة للصلوات الخمس وعلى تفسيره بالمغرب
لما عدا الظهر والعصر **ومن الليل** قيل هو نصب على الاغراء اي الزم بعض الليل لا يكون المغرى به حرفا
ولا يجدي نفعا كون معناها للتبعيض فان واو مع ليست اسما بالاجماع وان كانت بمعنى الاسم الصريح بل هو منصوب
على الظرفية بمضمر اي قم بعض الليل **فتهجد به** اي ازل والق الهجود اي النوم فان صيغة التفعل تجي للازالة كالتحرج والتحنث
والتاثم ونظايرها والضمير المجرور للقران من حيث هو لا بقيد اضافته الى الفجر او للبعض المفهوم من قوله
تعالى من الليل اي تهجد في ذلك البعض على ان الباء بمعنى في منصوب بتهجد اي تهجد بالقران
بعض الليل على طريقة واياي فارهبون **نافلة لك** فريضة زائدة على الصلوات الخمس المفروضة خاصة
بك دون الامة ولعله هو الوجه في تاخير ذكرها عن ذكر صلوة الفجر مع تقدم وقتها عن وقتها او تطوعا لكن لا
لكونها زيادة على الفرايض بل لكونها زيادة له صلى الله عليه وسلم في الدرجات على ما قال مجاهد و
السدي فانه عليه الصلوة والسلام مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فيكون تطوعه زيادة في
درجاته بخلاف ما عداه من الامة فان تطوعهم لتكفير ذنوبهم وتدارك الخلل الواقع في فرايضهم وانتصابها

فتهجد به

اما على المصدرية بتقدير تنفل او بجعل تهجد بمعناه او بجعل نافلة بمعنى تهجدا فان ذلك عبارة عن زيادة واما على الحالية من الضمير الراجع الى القران اي حال كونها صلوة نافلة واما على المفعولية لتهجد اذا جعل بمعنى صل وجعل الضمير المجرور للبعض اي فصل في ذلك البعض نافلة لك عسى ان يبعثك ربك الذي يبلغك الى كمالك اللايق بك من بعد الموت الاكبر لما انبعث من النوم الذي هو الموت الاصغر بالصلوة والعبادة مقاما نصب على الظرفية على اضمار فيقيمك او تضمين البعث معنى الاقامة اذ لا بد من ان يكون العامل في مثل هذا الظرف فعلا فيه معنى الاستقرار ويجوز ان يكون حالا بتقدير مضاف اي يبعثك ذا مقام محمودا عندك وعند جميع الناس وفيه تهوين لمشقة قيام الليل وروى ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المقام المحمود هو المقام الذي اشفع لامتي وعن ابن عباس رضي الله عنه مقاما يحمدك فيه الاولون والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلايق تسال فتعطى وتشفع فتشفع ليس احد الا تحت لوائك وعن حذيفة رضي الله عنه يجمع الناس في صعيد واحد فلا يتكلم النفس فيه نفس فاول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت وقل رب ادخلني مدخل صدق اي ادخالا مرضيا واخرجني اي منه عند البعث مخرج صدق اي اخراجا مرضيا يلقى بالكرامة اي القبر فهو تلقين للدعاء بما وعد من البعث المقرون بالاقامة المعهودة التي لا كرامة فوقها

المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة وتغيير ترتيب الوجود لكون الادخال هو المقصد

ادخاله عليه الصلوة والسلام مكة ظاهرا عليها واخراجه منها امنا من المشركين — ادخاله الغار واخراجه منه سالما

ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه — ادخاله في كل ما يلابسه

من مكان او امر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى ادخلني فادخل دخولا واخرجني خروجا كقوله وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع من المال الا مسحت او مجلف اي لم تدع فلم يبق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا حجة تنصرني على من خالفني او ملكا وعزا ناصرا للاسلام مظهرا له على الكفر فاجيبت دعوته عليه الصلوة والسلام بقوله عز وعلا والله يعصمك من الناس الا ان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض وقل جاء الحق اي الاسلام والوحي الثابت الراسخ وزهق الباطل اي ذهب وهلك الشرك والكفر وتسويلات الشيطان من زهق روحه اذا خرج ان الباطل كان زهوقا اي شانه ان يكون مضمحلا غير ثابت وهو عدة كريمة باجابة الدعاء بالسلطان الذي نعته بالنصر عن ابن مسعود رضي الله عنه انه عليه الصلوة والسلام دخل مكة يوم الفتح وحول البيت ثلثمائة وستون صنما فجعل ينكث بمخصرة كانت بيده في عين واحد واحد فيقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسره وننزل من القران وقرئ وننزل من الانزال ما هو شفاء لما في الصدور من ادواء الريب واسقام الاوهام ورحمة للمؤمنين به العاملين بما في تضاعيفه اي ما هو في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي للمرضى ومن بيانية قدمت على المبين اعتناء فان كل القران كذلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم من لم يستشف بالقران فلا شفاه الله او تبعيضية لكن لا بمعنى ان بعضه ليس كذلك بل بمعنى انا ننزل منه في كل نوبة ما يستدعي الحكمة نزوله حينئذ فيقع ذلك ممن نزل عليهم بسبب موافقته لاحوالهم الداعية الى نزوله موقع الدواء الشافي للصا لا يانه من المرضى المحتاجين اليه بحسب الحال من غير تقديم ولا تاخير فكل بعض منه متصف بالشفاء لكن في كل حين بل عند تنزيله وتحقيق التبعيض باعتبار الشفاء الجسماني كما في الفاتحة وايات الشفاء لا يساعده قوله سبحانه ولا يزيد الظالمين الا خسارا اي لا يزيد القران كله او كل بعض منه الكافرين المكذبين به الواضعين للاشياء في غير مواضعها مع كونه في نفسه شفاء من الاسقام الا خسارا اي هلاكا بكفرهم وتكذيبهم لا نقصانا كما قيل فان ما بهم من داء الكفر والضلال حقيق بان يعبر عنه بالهلاك لا بالنقصان المنبي عن حصول بعض مبادي

الاسلام

ده
١

الاسلام فيهم وزيادتهم في مراتب الهلاك من حيث انهم كلما جددوا الكفر والتكذيب بالايات النازلة تدريجا ازدادوا بذلك هلاكا وفيه ايماء الى ان ما بالمومنين من الشبه والشكوك المعترضة لهم في اثناء الاهتداء والاسترشاد بمنزلة الامراض وما بالكفر من الجهل والعناد بمنزلة الموت والهلاك واسناد الزيادة المذكورة الى القران مع انهم هم المرادون في ذلك بسوء صنيعهم باعتبار كونه سببا لذلك وفيه تعجب من امره من حيث يكون مدارا للشفاء والهلاك واذا انعمنا على الانسان بالصحة والنعمة اعرض عن ذكرنا فضلا عن القيام بموجب الشكر ونأى تباعد عن طاعتنا بجانبه الثاني بالجانب ان يلوي عن الشيء عطفه ويوليه عرض وجهه فهو تاكيد للاعراض او عبارة عن الاستكبار لانه من ديدن المستكبرين واذا مسه الشر من فقر او مرض او نازلة من النوازل وفي اسناد المساس الى الشر بعد اسناد الانعام الى ضمير الجلالة ايذان بان الخير مراد بالذات والشر ليس كذلك كان يئوسا شديد اليأس من روحنا وهذا وصف للجنس باعتبار بعض افراده ممن هو على هذه الصفة لا ينافيه قوله تعالى واذا مسه الشر فذو دعاء عريض ونظايره فان ذلك شان بعض اخرين منهم اريد به الوليد بن المغيرة وقرئ ناء اما على القلب كما يقال راء في رأى واما على انه بمعنى نهض قل كل اي كل احد منكم وممن هو على خلافكم يعمل عمله على شاكلته طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه فربكم الذي براكم على هذه الطبايع المتخالفة اعلم بمن هو اهدى سبيلا اي اسد طريقا وابين منهاجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين ويسئلونك عن الروح الظاهر ان السؤال كان عن حقيقة الروح الذي هو مدبر البدن الانساني ومبدا حيوته روي ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها جميعا او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التورية قل الروح اظهر في مقام الاضمار واظهارا لكمال الاعتناء بشانه من امر ربي كلمة من بيانية والامر بمعنى الشان والاضافة للاختصاص العلمي لا الايجادي لاشتراك الكل فيه وفيها من تشريف المضاف ما لا يخفى كما في الاضافة الثانية من تشريف المضاف اليه اي هو من جنس ما استاثر الله بعلمه من الاسرار الخفية التي لا يكاد يحوم حولها عقول البشر وما اوتيتم من العلم الا قليلا لا يمكن تعلقه بامثال ذلك روي انه صلى الله عليه وسلم لما قال لهم قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب قال عليه الصلوة والسلام بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وتارة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام الاية وانما قالوا ذلك لركاكة عقولهم فان الحكمة الانسانية ان يعلم من الخير ما لا تسعه الطاقة البشرية بل ما ينيط به المعاش والمعاد وذلك بالاضافة الى ما لا نهاية له من معلوماته سبحانه قليل ينال به خير كثير في نفسه او بالنسبة الى الانسان او هو من الابداعيات الكاينة بمحض الامر التكويني من غير تحصل من مادة وتولد من اصل كاعضاء الجسد حتى يمكن تعريفه ببعض مباديه وماله انه من عالم الامر لا من عالم الخلق وليس هذا من قبيل قوله سبحانه انما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون فان ذلك عبارة عن سرعة التكوين سواء كان الكاين من عالم الامر او من عالم الخلق وفيه تنبيه على انه مما لا يحيط بكنهه دائرة ادراك البشر وانما الممكن هذا القدر الاجمالي المندرج تحت ما استثني بقوله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا اي الا علما قليلا نستفيده من طرق الحواس فان تعقل المعارف النظرية انما هو من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد فقد علما ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيئا من احواله التي يدور عليها معرفة ذاته واما حمل ما ذكر على السؤال عن قدمه وحدوثه وحمل الجواب اخبار الحدوثه اي كاين بتكوينه حادث باحداثه بالامر التكويني مع عدم ملايمته بحال السائلين لا يساعده التعرض لبيان قلة علمهم حينئذ

المراد بالروح خلق عظيم روحاني اعظم من الملك — وقد اخبر عنه جبريل عليه السلام

القران ومعني من امر ربي من وحيه وكلامه لا من كلام البشر ولو شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك
من القران الذي هو شفاء ورحمة للمؤمنين ومنبع العلوم التي اوتيتموها وثبتناك عليه حين كادوا يفتنونك عنه
ولولاه لكدت تركن اليهم شيئا قليلا وانما عبر عنه بالموصول تفخيما لشانه ووصفا له بما في حيز الصلة ابتداء او
اعلاما بحاله من اول الامر وبانه ليس من قبيل كلام المخلوق واللام موطئة للقسم ولنذهبن جواب النايب منا
جزاء الشرط وبذلك حسن حذف مفعول المشية والمراد من الذهاب به المحو عن المصاحف والصدور وهو ابلغ
من الاذهاب عن ابن مسعود رضي الله عنه ان اول ما تفقدون من دينكم الصلوة وليصلين قوم لا دين لهم وان
هذا القران تصبحون يوما وما فيكم منه شيء رجل ذلك وقد اثبتناه في قلوبنا واثبتناه في مصاحفنا
نعلمه ابناءنا وابناؤنا يعلمه ابناءهم يسري عليه ليلا فيصبح الناس منه فقراء ترفع المصاحف وينزع
ما في القلوب ثم لا تجد لك به اي القران علينا وكيلا من يتوكل علينا استرداده مسطورا محفوظا الا رحمة من ربك
فانها ان نالتك لعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون استثناء منقطعا بمعني ولكن رحمة من ربك تركته غير
مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة بتنزيله وترغيبا في المحافظة علي اداء حقوقه وتحذيرا من ان
لا يقدر قدره الجليل ويفرط في القيام بشكره وهو اجل النعم وافضلها واعظمها ان فضله كان عليك كبيرا
كارسالك وانزال الكتاب عليك وابقائه في حفظك وغير ذلك قل للذين لا يعرفون جلالة قدر التنزيل ولا
يفهمون فخامة شانه الجليل بل يزعمون انه كلام البشر لئن اجتمعت الانس والجن اي اتفقوا علي ان ياتوا بمثل هذا القران
المنعوت بما لا تدركه العقول من النعوت الجليلة في البلاغة وحسن النظم وكمال المعني وتخصيص الثقلين بالذكر
لان المنكر لكونه من عند الله تعالي منهما لا من غيرهما لا لان غيرهما قادر علي المعارضة لا ياتون بمثله او ثر الاظهار
علي ايراد الضمير الراجع الي المثل من الصفات البديعة وفيهم العرب العاربة ارباب البراعة والبيان وهو جواب
للقسم الذي ينبئ عنه اللام الموطئة وسادة مسد جزاء الشرط ولولاها لكان جوابا له بغير جزم لكون الشرط
ماضيا كما في قول زهير • وان اتاه خليل يوم مسئلة • يقول لا غائب مالي ولا حرم • وحيث كان المراد بالاجتماع
علي الاتيان بمثل القران مطلق الاتفاق علي ذلك سواء كان التصدي للمعارضة من كل واحد منهم علي الانفراد
او من المجموع بان يتالبوا علي تلفيق كلام واحد بتلاحق الافكار وتعاضد الانظار قيل ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا
اي في تحقيق ما يتوخونه من الاتيان بمثله لو لم يكن بعضهم ظهيرا لبعض ولو كان الي اخره فحذف المعطوف عليه
حذفا مطردا لدلالة المعطوف عليه دلالة واضحة فان الاتيان بمثله حيث انتفي عند التظاهر فلان ينتفي
عند عدمه اولي وعلي هذه النكتة يدور ما في ان ولو الوصليتين من التاكيد كما مر غير مرة ومحله النصب
علي الحالية حسبما عطف عليه اي لا ياتون بمثله علي كل حال مفروض ولو في هذه الحال المنافية لعدم
الاتيان بمثله فضلا عما لا شبهة فيه بل لان الجملة القسمية ليست مسوقة للنبي صلي الله عليه وسلم بل الي
المكابرين من قبله عليه السلام ولقد صرفنا كررنا ورددنا علي انحاء مختلفة توجب زيادة تقرير وبيان
ووكادة رسوخ واطمئنان للناس في هذا القران المنعوت بما ذكر من النعوت الفاضلة من كل مثل من كل
معني بديع هو في الحسن والغرابة واستجلاب النفس كالمثل ليتلقوه بالقبول فابي اكثر الناس اوثر
الاظهار علي الاضمار تاكيدا وتوضيحا الا كفورا الا جحودا وانما صح الاستثناء من الموجب مع انه لا يصح ضربت
الا زيدا لانه متاول بالنفي كانه قيل ما قبل اكثرهم الا كفورا وفيه من المبالغة ما ليس في ابوا الايمان لان
فيه دلالة علي انهم لم يرضوا الخصلة سوي الكفر من الايمان والتوقف في الامر ونحو ذلك وانهم بالغوا
في عدم الرضا حتي بلغوا مرتبة الاباء وقالوا عند ظهور عجزهم ووضوح مغلوبيتهم بالاعجاز التنزيلي وغيره
من المعجزات الباهرة متعللين بما لا يمكن في العادة وجوده ولا تقتضي الحكمة وقوعه من الامور كما
هو ديدن المبهوت المحجوج لن نؤمن لك حتي تفجر وقري بالتشديد لنا من الارض ارض مكة ينبوعا

عينا

عينا لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر او تكون لك جنة اي بستان
يستر اشجاره ما تحته من العرصة من نخيل وعنب فتفجر الانهار اي تجريها بقوة خلالها تفجيرا كثيرا والمراد
اما اجراء الانهار خلالها عند سقيها او ادامة اجرائها كما ينبئ عنه الفاء لا ابتداؤه او تسقط السماء كما
زعمت علينا كسفا جمع كسفة كقطعة وقطع لفظا ومعني وقري بالسكون كسدرة وسدر وهي حال من السماء
والكاف في كما في محل النصب علي انه صفة مصدر محذوف اي اسقاطا مماثلا لما زعمت يعنون بذلك قوله تعالي
او نسقط عليهم كسفا من السماء او تاتي بالله والملائكة قبيلا اي مقابلا كالعشير والمعاشر او كفيلا تشهد بصحة
ما تدعيه وهو حال من الجلالة وحال الملائكة محذوفة لدلالة هذا عليها اي والملائكة قبيلا كما حذف الخبر في
قوله • فاني وقيار بها لغريب • او جماعة فيكون حالا من الملائكة او يكون لك بيت من زخرف من ذهب
وقد قري به واصله الزينة او ترقي في السماء اي في معارجها فحذف المضاف يقال رقي في السلم وفي الدرجة
ولن نؤمن لرقيك اي لاجل رقيك فيها وحده او لن نصدق رقيك فيها حتي تنزل علينا كتابا فيه تصديقك نقرؤه
نحن من غير ان نتلقي من قبلك عن ابن عباس رضي الله عنهما عبد الله بن ابي امية لن نؤمن لك حتي تتخذ
الي السماء سلما ثم ترقي فيه وانا انظر حتي تاتيها وتاتي معك بصك منشور معه اربعة من الملائكة يشهدون
انك كما تقول وما كانوا يقصدون بهاتيك الاقتراحات الباطلة الا العناد واللجاج ولو انهم اوتوا اضعاف
ما اقترحوا من الايات ما زادهم ذلك الا مكابرة والا فقد كان يكفيهم بعض ما شاهدوا من المعجزات التي
تخر لها الجبال قل تعجبا من شدة شكيمتهم وتنزيها لساحة السبحان عما لا يكاد يليق بها من مثل هذه الاقتراحات
الشنيعة التي تكاد السموات يتفطرن منها او عن طلبك وتنبيها علي بطلان ما قالوا سبحان ربي
وقري قال سبحان ربي هل كنت الا بشرا لا ملكا حتي يتصور مني الرقي الي السماء ونحوه رسولا مامور
من قبل ربي بتبليغ الرسالة من غير ان يكون لي خيرة في الامر كسائر الرسل وكانوا لا ياتون قومهم الا بما
يظهره الله علي ايديهم حسبما يلائم حال قومهم ولم يكن امر الايات اليهم ولا لهم ان يتحكموا علي الله سبحانه
بشيء منها وقوله بشرا خبر لكنت ورسولا صفته وما منع الناس اي الذين حكيت اباطيلهم ان يؤمنوا
مفعول ثان لمنع وقوله اذ جاءهم الهدي اي الوحي ظرف لمنع او يؤمنوا اي وما منعهم ان يؤمنوا بذلك
وقت مجيء ما ذكر الا ان قالوا في محل الرفع علي انه فاعل منع اي الا قولهم ابعث الله بشرا رسولا منكرين ان يكون
رسول الله من جنس البشر وليس المراد ان هذا القول صدر عن بعضهم حتي منع بعضا اخر منهم بل المانع هو
الاعتقاد الشامل للكل المستتبع لهذا القول منهم وانما عبر عنه بالقول ايذانا بانه مجرد قول يقولونه
بافواههم من غير ان يكون له مفهوم ومصداق وحصر المانع من الايمان فيما ذكر مع ان لهم موانع شتي
لما انه اعظمها او لانه هو المانع بحسب الحال اعني عند سماع الجواب بقوله تعالي هل كنت الا بشرا رسولا اذ
هو الذي يتشبثون به حينئذ من غير ان يخطر ببالهم شبهة اخري من شبههم الواهية وفيه ايذان بكمال
عنادهم حيث يشير الي ان الجواب المذكور مع كونه حاسما لمواد شبههم ملجئا الي الايمان يعكسون
الامر ويجعلونه مانعا منه قل لهم اولا من قبلنا تبيينا للحكمة للحق المزيح للريب لو كان اي لو وجد
واستقر في الارض بدل البشر ملائكة يمشون مطمئنين قارين فيها من غير ان يعرجوا في السماء ويعلموا
ما يجب ان يعلم لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا يهديهم الي الحق ويرشدهم الي الخير لتمكنهم من الاجتماع و
التلقي منه واما عامة البشر فهم بمعزل من استحقاق المعارضة الملكية وهي منوطة بالتناسب والتجانس فبعث
الملك اليهم مزاحم للحكمة التي عليها مبني التكوين والتشريع وانما يبعث الملك من بينهم الي الخواص المختصين بالنفوس
الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا الي
جانب وقوله تعالي ملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا فانه يكون موصوفا به وكذلك بشرا في قوله تعالي ابعث

حاشية: وقت مجيء الوحي المقرون بالمعجزات المستدعية للايمان ان يؤمنوا بالقرآن وبنبوتك اه ما منعهم صح

الله بشرا رسولا والاول اولى قل لهم ثانيا بعد ما قلت لهم من قبل ما قلت وبينت لهم ما يقتضيه
الحكمة في البعثة ولم يرفعوا اليه راسا كفى بالله وحده شهيدا على اني اديت ما علي من مواجب الرسالة
اكمل اداء وانكم فعلتم ما فعلتم من العناد وتوجيه الشهادة الى كونه عليه الصلوة والسلام رسولا باظهار
المعجز على وفق دعواه كما اختيره لا يساعده قوله تعالى بيني وبينكم وما بعده من التعليل وانما لم يقل بيننا تحقيقا
للمفارقة وابانة للمباينة وشهيدا اما حال او تمييز انه كان بعباده من الرسل والمرسل اليهم خبيرا بصيرا محيطا
بظواهر احوالهم وبواطنها فيجازيهم على ذلك وهو تعليل للكفاية وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وتهديد للكفار ومن يهدي الله كلام مبتداء يفصل ما اشار اليه الكلام السابق من مجازاة العباد اشارة اجمالية
اي من يهدي الله الى الحق بما جاء من قبله من الهدى فهو المهتدي اليه والى ما يؤدي اليه من الثواب او المهتدي
الى كل مطلوب ومن يضلل اي يخلق فيه الضلال بسوء اختياره كهؤلاء المعاندين فلن تجد لهم اوثر ضمير
الجماعة اعتبار المعنى من غب ما اوثر في مقابلة الافراد نظرا الى لفظها تلويحا بوحدة طريق الحق وقلة سالكيه
وتعدد سبل الضلال وكثرة الضلال اولياء من دونه من دون الله تعالى اي انصارا يهدونهم الى طريق الحق
او الى طريق يوصلهم الى مطالبهم الدنيوية والاخروية او الى طريق النجاة من العذاب الذي يستدعيه
ضلالهم وعلى معنى لن تجد لاحد منهم وليا على قضية مقابلة الجمع بالجمع من انقسام الاحاد الى الاحاد ونحشرهم
التفات من الغيبة الى التكلم ايذانا بكمال الاعتناء بامر الحشر يوم القيمة على وجوههم حال من الضمير المنصوب
اي كائنين عليها سحبا كقوله تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم او مشيا فقد روي انه قيل لرسول
الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر ان يمشيهم على
وجوههم عميا حال من الضمير المجرور في الحال السابقة وبكما وصما لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا ينطقون
ما يقبل منهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم لما قد كانوا في الدنيا لا يستبصرون بالايات والعبر ولا ينطقون
بالحق ولا يستمعونه ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار موفي القوى والحواس وان يحشروا
كذلك ثم يعاد اليهم قواهم وحواسهم فان ادراكاتهم بهذه المشاعر في بعض المواطن مما لا ريب فيه ماويهم
جهنم اما حال او استيناف وكذا قوله تعالى كلما خبت زدناهم سعيرا اي كلما سكن لهبها بان اكلت جلودهم
ولحومهم ولم يبق فيهم ما يتعلق به النار وتحرقه زدناهم سعيرا توقدا بان بدلناهم جلودا غيرها فعادت
ملتهبة ومستعرة ولعل ذلك عقوبة لهم على انكارهم الاعادة بعد الفناء بعد الفناء بتكريرها مرة
بعد اخرى ليروها عيانا حيث لم يعلموها برهانا كما يفصح عنه قوله تعالى ذلك اي ذلك العذاب جزاؤهم بانهم
اي بسبب كفروا باياتنا العقلية والنقلية الدالة على صحة الاعادة دلالة واضحة فذلك مبتدأ وجزاؤهم
خبره ويجوز ان يكون مبتدأ ثانيا وبانهم خبره والجملة خبر لذلك وان يكون جزاؤهم بدلا من ذلك او بيانا
له والخبر هو الظرف وقالوا منكرين اشد الانكار ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا اما مصدر مؤكد
من غير لفظه اي لمبعوثون بعثا جديدا واما حال اي مخلوقين مستانفين اولم يروا اي الم يتفكروا ولم
يعلموا ان الله الذي خلق السموات والارض من غير مادة مع عظمها قادر على ان يخلق مثلهم في الصغر على ان
المثل مقحم والمراد بالخلق الاعادة كما عبر عنها بذلك حيث قيل خلقا جديدا وجعل لهم اجلا لا ريب فيه عطف
على اولم يروا فانه في قوة قد رأوا والمعنى قد علموا ان من قدر على خلق السموات والارض فهو قادر على خلق امثالهم
من الانس وجعل لهم ولبعثهم اجلا محققا لا ريب فيه هو القيمة فابى الظالمون وضع موضع الضمير تسجيلا
عليهم بالظلم وتجاوز الحد بالمرة الا كفورا اي جحودا قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي خزائن رزقه التي افاضها
على كافة الموجودات وانتم مرتفع بفعل يفسره المذكور كقول حاتم لو ذات سوار لطمتني وفائدة ذلك المبالغة
او الدلالة على الاختصاص لامسكتم لبخلتم خشية الانفاق مخافة النفاد بالانفاق اذ ليس في الدنيا

احد الا

احد الا وهو يختار النفع لنفسه ولو اثر غيره بشيء فانما يؤثره لعوض يفوقه فاذا هو بخيل بالاضافة الى جود
الله سبحانه وكان الانسان قتورا مبالغا في البخل لان مبنى امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة
العوض بما يبذله ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات واضحات الدلالة على نبوته وصحة ما جاء به من عند الله
وهي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والطوفان والسنون ونقص الثمرات وقيل انفجار الماء
من الحجر ونتق الطور على بني اسرائيل وانفلاق البحر بدل الثلاث الاخيرة ويأباه ان هذه الثلاث لم تكن منزلة
اذ ذاك وان الاولين لا تعلق لهما بفرعون وانما اوتيهما بنو اسرائيل وعن صفوان بن عسال ان يهوديا سال
النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال لا تشركوا به شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق
ولا تسحروا ولا تاكلوا الربوا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف
وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا في السبت فقبل اليهودي يده ورجله عليه الصلوة والسلام ولا يساعده ايضا
ما ذكر ولعل جوابه عليه الصلوة بذلك لما انه المهم للسائل وقبوله لما انه كان في التورية مسطورا وقد علم انه ما
علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا من جهة الوحي فاسال بني اسرائيل وقرئ فسل اي فقلنا له سلهم من فرعون
وقل له ارسل معي بني اسرائيل او سلهم عن ايمانهم او عن حال دينهم او سلهم ان يعاضدوك ويؤيده قراءة رسول
الله صلى الله عليه وسلم على صيغة الماضي الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم اي فسالهم عن تلك
الايات لتزداد يقينا وطمانينة او ليظهر صدقك اذ جاءهم متعلق بقلنا وبسال على القراءة المذكورة وبآتينا
او بمضمر هو يخبروك او اذكر على تقدير كون الخطاب للرسول عليه الصلوة والسلام فقال له فرعون الفاء
فصيحة اي فاظهر عند فرعون ما اتيناه من الايات البينات وبلغه ما ارسل به فقال له فرعون اني لاظنك
يا موسى مسحورا سحرت فتخبط عقلك قال لقد علمت ما انزل هؤلاء يعني الايات التي اظهرها الا رب السموات
والارض خالقهما ومدبرهما والتعرض لربوبيته تعالى لهما للايذان بانه لا يقدر على ايتاء مثل هاتيك الايات
العظام الا خالقهما ومدبرهما بصائر حال من الايات اي بينات مكشوفات تبصرك صدقي ولكنك تعاند
وتكابر نحو وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا ونحو ذلك العلم بانه عليه السلام على كمال
رصانة العقل فضلا عن توهم المسحورية وقرئ علمت على صيغة التكلم اي لقد علمت بيقين ان هذه الايات
الايات الباهرة انزلها الله عز سلطانه فكيف يتوهم ان يحوم حولي سحر واني لاظنك يا فرعون مثبورا مصروفا عن
الخير مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما صرفك او هالكا ولقد قارع عليه السلام ظنه بظنه وشتان
بينهما كيف لا وظن فرعون افك مبين وظنه عليه السلام يتاخم اليقين فاراد اي فرعون ان يستفزهم
اي يستخفهم ويزعجهم من الارض ارض مصر او من الارض مطلقا بالقتل كقوله سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم
فاغرقناه ومن معه جميعا فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالاغراق وقلنا من بعده من بعد اغراقهم
لبني اسرائيل اسكنوا الارض التي اراد ان يستفزهم منها فاذا جاء وعد الاخرة الكرة الاخرة او الحيوة او الساعة
او الدار الاخرة اي قيام القيمة جئنا بكم لفيفا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم
واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل اي وما انزلنا القران الا ملتبسا بالحق المقتضي
لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه او وما انزلناه من السماء الا محفوظا وما نزل على الرسول الا
محفوظا من تخليط الشياطين ولعل المراد عدم اعتراء البطلان له اول الامر وآخره وما ارسلناك الا مبشرا
للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصي بالعقاب وهو تحقيق لحقيقة بعثته عليه الصلوة والسلام اثر تحقيق
حقيقة انزال القران وقرانا منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى فرقناه وقرئ بالتشديد دلالة على
كثرة نجومه لتقراه على الناس على مكث على مهل وتثبت فانه ايسر للحفظ واعون على الفهم وقرئ بالفتح
وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة ويقع الحوادث والواقعات قل للذين

كفروا امنوا به اولا تومنوا فان ايمانكم به لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورث نقصا ان الذين اوتوا العلم من قبله اي العلماء الذين
قروا الكتب السالفة من قبل تنزيله وعرفوا حقيقة الوحي وامارات النبوة وتمكنوا من التمييز بين الحق والباطل والمحق والمبطل
اوراوا فيها نعتك ونعت ما انزل اليك اذا يتلى اي القرآن عليهم يخرون للاذقان اي يسقطون على وجوههم سجدا
تعظيما لامر الله تعالى وشكرا لانجاز ما وعد به في تلك الكتب من بعثك وتخصيص الاذقان بالذكر للدلالة على كمال التذلل
اذ حينئذ الخرور عليها وايثار اللام للدلالة على اختصاص الخرور بها كما في قوله فخر صريعا لليدين وللفم وهو تعليل لما يفهم
من قوله تعالى امنوا به اولا تومنوا من عدم المبالات بذلك اي ان لم تومنوا به فقد آمن به احسن ايمان من هو خير منكم
ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قيل تسل بايمان العلماء عن
ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم ويقولون في سجودهم سبحان ربنا عما يفعل الكفرة من التكذيب
اوعن خلف وعده ان كان وعد ربنا لمفعولا ان مخففة من المثقلة واللام فارقة اي ان الشان هذا ويخرون للاذقان يبكون
كرر الخرور للاذقان لاختلاف السبب فان الاول لتعظيم امر الله تعالى اولانجاز الوعد والثاني لما اثر فيهم من مواعظ
القرآن حال كونهم باكين من خشية الله ويزيدهم اي القرآن سماعهم خشوعا كما يزيدهم علما ويقينا بالله تعالى قل ادعوا الله
او ادعوا الرحمن نزل حين سمع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا عن عبادة الهين
وهو يدعو الها آخر وقالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله تعالى في التورية والمراد على الاول هو التسوية
بين اللفظين بانهما عبارتان عن ذات واحدة وان اختلف الاعتبار والتوحيد انما هو للذات الذي هو المعبود وعلى
الثاني انهما سيان في حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو اوفق لقوله تعالى ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى الدعاء
بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه او للتخيير والتنوين في ايا عوض عن المضاف اليه
وما مزيدة لتاكيد ما في اي من الابهام والضمير في له للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان اصل الكلام ايا ما تدعوا
فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه او حسن جميع اسمائه
يستدعي حسن ذينك الاسمين وكونها حسنى لدلالتها على صفات الكمال من الجلال والجمال والاكرام ولا تجهر بصلوتك
اي بقراءتها بحيث يسمعها المشركون فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ولا تخافت بها اي بقراءتها بحيث لا
تسمع من خلفك من المومنين وابتغ بين ذلك سبيلا اي من الجهر والمخافتة على الوجه المذكور سبيلا امرا وسطا قصدا
فان خير الامور اوسطها والتعبير عن ذلك بالسبيل باعتبار انه امر يتوجه اليه المتوجهون ويؤمه المقتدون
ويوصلهم الى المطلوب ان ابا بكر رضي الله عنه كان يخفت ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر رضي الله
عنه كان يجهر بها ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر
ان يرفع صوته قليلا وعمر ان يخفض قليلا المعنى لا تجهر بصلوتك كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين
ذلك سبيلا بالمخافتة نهارا والجهر ليلا بصلوتك بدعائك وذهب قوم الى انها منسوخة بقوله تعالى
ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا كما زعم اليهود والنصارى وبنو مليح حيث قالوا عزير ابن الله والمسيح
ابن الله والملئكة بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا ولم يكن له شريك في الملك اي الالوهية كما يقوله الثنوية
القايلون بتعدد الالهة ولم يكن له ولي من الذل ناصر ومانع منه لاعتزازه به اولم يوال احدا من اجل مذلة
ليدفعها به وفي التعرض في اثناء الحمد لهذه الصفات الجليلة ايذان بالمستحق للحمد من هذه نعوته دون غيره اذ بذلك
يتم الكمال والقدرة التامة على الايجاد وما يتفرع عليه من افاضة انواع النعم وما عداه ناقص مملوك نعمة او منعم
عليه ولذلك عطف عليه قوله تعالى وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ في التنزيه والتحميد واجتهد
في الطاعة والتمجيد ينبغي ان يعترف بالتقصير في ذلك انه عليه الصلوة والسلام كان اذا افصح الغلام من بني
عبد المطلب علمه هذه الاية وعنه صلى الله عليه وسلم من قرا سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية

سورة الكهف وهي مائة وعشرون اية مكية

بسم

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم الكتاب اي الكتاب الكامل الغني عن الوصف
بالكمال المعروف بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به وهو عبارة عن جميع القرآن اوعن جميع المنزل
حينئذ كما مر مرارا وفي وصفه تعالى بالموصول اشعار بعلية ما في حيز الصلة لاستحقاق الحمد وايذان بعظم شان
التنزيل الجليل كيف لا وعليه يدور فلك سعادة الدارين وفي التعبير عن الرسول صلى الله عليه وسلم بالعبد مضافا
الى ضمير الجلالة تنبيه على بلوغه عليه الصلوة والسلام الى اعلى معارج العبادة وتشريفاله اي تشريف واشعار بان
شان الرسول ان يكون عبدا للمرسل لا كما زعمت النصارى في حق عيسى عليه السلام وتاخير المفعول الصريح عن الجار
والمجرور مع ان شانه التقديم عليه ليتصل به قوله تعالى ولم يجعل له عوجا اي شيئا من الاعوجاج بنوع اختلال في
النظم وتناف في المعنى او انحراف عن الدعوة الى الحق وهو في المعاني كالعوج في الاعيان واما قوله تعالى لا ترى فيها
عوجا ولا امتا مع ان الجبال من الاعيان فللدلالة على انتفاء ما لا يدرك من العوج بحاسة البصر بل انما يوقف عليه
بالبصيرة بواسطة استعمال المقاييس الهندسية ولما كان ذلك مما لا يشعر به المشاعر الظاهرة عد من قبيل ما في
المعاني الفتح في اعوجاج المنتصب كالعود والحايط والكسر في اعوجاج غيره عينا كان او معنى قيما بالمصالح
الدينية والدنيوية للعباد على ما ينبئ عنه ما بعده من الانذار والتبشير فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه
بالكمال او على ما قبله من الكتب السماوية شاهدا بصحتها ومهيمنا عليها او متناهيا في استغراقه فيكون
تاكيدا لما دل عليه نفي العوج مع كونه من شانه وانتصابه على تقدير كونه الجملة المتقدمة معطوفة على الصلة
بمضمر ينبئ عنه نفي العوج تقديره جعله قيما واما على تقدير كونها حالية فهو على الحالية من الكتاب اذ لا فصل
حينئذ بين ابعاض المعطوف وقرئ قيما لينذر متعلق بانزل والفاعل ضمير الجلالة كما في الفعلين المعطوفين
عليه والاطلاق عن ذكر المفعول الاول للايذان ان ما سيق له الكلام هو المفعول الثاني وان الاول ظاهر لا حاجة
الى ذكره اي انزل الكتاب لينذر به الذين كفروا به باسا اي عذابا شديدا من لدنه اي صادرا من عنده نازلا من
قبله بمقابلة كفرهم وتكذيبهم وقرئ من لدنه بسكون الدال مع اشمام الضمة وكسر النون لالتقاء الساكنين و
كسر الهاء للاتباع ويبشر بالتشديد وقرئ بالتخفيف المومنين اي المصدقين به الذين يعملون الصالحات الاعمال
الصالحة التي بينت في تضاعيفه وايثار صيغة الاستقبال في الصلة للاشعار بتجدد الاعمال الصالحة
واستمرارها واجراء الموصول على موصوفه المذكور لما ان مدار قبول الاعمال هو الايمان ان لهم اي بان لهم في
مقابلة ايمانهم واعمالهم المذكورة اجرا حسنا هو الجنة وما فيها من النعيم والمثوبات الحسنى ماكثين حال
من الضمير المجرور في قوله فيه في ذلك الاجر ابدا من غير انتهاء اي خالدين فيه وهو نصب على الظرفية
لماكثين وتقديم الانذار على البشارة لاظهار كمال العناية بزجر الكفار عما هم عليه مع مراعاة تقديم التخلية وتكرير الانذار
بقوله تعالى وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا متعلقا بفرقة خاصة ممن عمه الانذار السابق من مستحقي الباس
الشديد للايذان بكمال فضاعة حالهم لغاية شناعة كفرهم وضلالهم اي وينذر من بين سائر الكفرة هولاء
المتفوهين بمثل هاتيك العظيمة خاصة وهم كفار العرب الذين يقولون الملائكة بنات الله تعالى واليهود
القايلون عزير ابن الله تعالى والنصارى القايلون المسيح ابن الله تعالى وترك اجراء الموصول على الموصوف كما فعل في
قوله تعالى ويبشر المومنين للايذان بكفاية ما في حيز الصلة من الكفر على اقبح الوجوه وايثار صيغة الماضي في
الصلة للدلالة على تحقق صدور تلك الكلمة القبيحة عنهم فيما سبق وجعل المفعول المحذوف فيما سلف عبارة
عن هذه الطائفة يؤدي الى خروج سائر اصناف الكفرة عن الانذار والوعيد وتعميم الانذار هناك للمومنين ايضا
بحمله على مجرد الاخبار بالخبر الضار من غير اعتبار حلول المنذر به على المنذر كما في قوله تعالى ان انذر الناس وبشر الذين
امنوا يفضي الى خلو النظم الكريم عن الدلالة على حلول الباس الشديد على من عدا هذه الفرقة ويجوز ان يكون الفاعل
في الافعال الثلث ضمير الكتاب او ضمير الرسول عليه الصلوة والسلام ما لهم به اي باتخاذه سبحانه وتعالى ولدا

مع افادة كون ذلك من صفاته الذاتية اللازمة له حسبما ينبئ عنه الصيغة لما انه نفي عنه العوج

الصالحة

من علم مرفوع على الابتداء والفاعلية لاعتماد الظرف ومن مزيدة لتاكيد النفي والجملة حالية او مستانفة لبيان حالهم في مقالهم بذلك شيء من علم اصلا لاخلالهم بطريقه مع تحقق المعلوم او امكانه بل استحالته في نفسه ولا لاباءهم الذين قلدوهم فتاهوا جميعا في تيه الجهالة والضلال وما لهم علم بما قالوه اصواب ام خطا بل انما قالوه رميا بقول عن عمي وجهالة من غير فكر وروية كما في قوله تعالى وخرقوا له بنين وبنات بغير علم او بحقيقة ما قالوه وبعظم رتبته في الشناعة كما في قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه الايات وهو الانسب بقوله تعالى كبرت كلمة اي عظمت مقالتهم هذه في الكفر والافتراء لما فيها من نسبته سبحانه الى ما لا كاد يليق بجناب كبريائه والفاعل في كبرت اما ضمير المقالة المدلول عليها بقالوا وكلمة نصب على التميز وضمير مبهم مفسر بما بعده من النكرة المنصوبة تميزا كبيس رجلا والمخصوص بالذم محذوف تقديره كبرت هي كلمة خارجة من افواههم وقرئ كبرت باسكان الباء اشمام الضم وقرئ كلمة بالرفع تخرج من افواههم صفة للكلمة مفيدة لاستعظام اجترائهم على التفوه بها واسناد الخروج اليها مع ان الخارج هو الهواء المتكيف بكيفية الصوت لملابسته بها ان يقولون ما يقولون في ذلك الشان الا كذبا الا قولا كذبا لا يكاد يدخل تحت امكان الصدق اصلا والضمير ان لهم ولاباءهم مثل حاله عليه الصلوة والسلام في شدة الوجد على اعراض القوم وتوليهم عن الايمان بالقران كمال التحسر عليهم بحال من يتوقع منه اهلاك نفسه اثر فوت ما يحبه عند مفارقة احبته تاسفا على مفارقتهم وتلهفا على مهاجرتهم فقيل على طريقة التمثيل حملا له عليه الصلوة والسلام على الحذر والاشفاق من ذلك فلعلك باخع اي مهلك نفسك على اثارهم غما ووجدا على فراقهم وقرئ بالاضافة ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اي القران الذي عبر عنه في صدر السورة بالكتاب وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه وقرئ بان المفتوحة اي لان لم يؤمنوا فاعمال ما يقع بجمله على حكاية حال ماضية لاستحضار الصورة كما في قوله عز وجل باسط ذراعيه اسفا مفعول له لباخع اي لفرط الحزن والغصة او حال مما فيه من الضمير اي متاسفا عليهم ويجوز حمل النظم الكريم على الاستعارة التبعية بجعل التشبيه بين اجزاء الطرفين لا بين الهيئتين المنتزعتين منهما كما في التمثيل وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ختم الله على قلوبهم انا جعلنا ما على الارض استيناف وتعليل لما في لعل من معنى الاشفاق اي جعلنا ما عليها مما عدا من وجه اليه التكليف من الزخارف حيوانا كان او نباتا او معدنا كقوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا زينة مفعول ثان للجعل ان حمل على معنى التصيير او حال ان حمل على معنى الابداع واللام في لها اما متعلقة بزينة او بمحذوف هو صفة لها اي كاينة لها اي ليتمتع بها الناظرون من المكلفين وينتفعوا بها نظرا واستدلالا فان الحيات والعقارب من حيث تذكرهما العذاب الاخروي من قبيل المنافع بل كل حادث داخل تحت الزينة من حيث دلالته على وجود الصانع ووحدته فان الازواج والاولاد ايضا من زينة الحيوة الدنيا بل اعظمها ولا يمنع ذلك كونهم من جملة المكلفين فانهم من جهة انتسابهم الى اصحابهم داخلون تحت الزينة ومن جهة كونهم مكلفين داخلون تحت الابتلا لنبلوهم متعلق بجعلنا اي جعلنا ما جعلنا لنعاملهم معاملة من يختبرهم ايهم احسن عملا فنجازيهم بالثواب والعقاب حسبما تبين المحسن من المسيء وامتازت طبقات افراد كل من الفريقين حسب امتياز مراتب علومهم المترتبة على انظارهم وتفاوت درجات اعمالهم المتفرعة على ذلك كما قررناه في مطالع سورة هود واي اما استفهامية مرفوعة بالابتداء واحسن خبرها والجملة في محل النصب معلقة لفعل البلوي لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالسؤال والنظر ولذلك اجري مجراه بطريق التمثيل والاستعارة التبعية واما موصولة بمعنى الذي واحسن خبر مبتدا مضمر والجملة صلة لها وهي في حيز النصب بدلا من مفعول لنبلوهم والتقدير لنبلوا الذي هو احسن عملا فحينئذ يحتمل ان يكون الضمير في ايهم للبناء كما في قوله عز وجل ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا على احد الاقوال لتحقق شرط البناء الذي هو الاضافة لفظا وحذف صدر الصلة وان يكون للاعراب لان ما ذكر شرط لجواز البناء لا لوجوبه وحسن العمل الزهد فيها

وعدم الاغترار بها والقناعة باليسير منها وصرفها على ما ينبغي والتامل في شانها وجعلها ذريعة الى معرفة خالقها والتمتع بها حسبما اذن له الشرع واداء حقوقها والشكر لها لا اتخاذها وسيلة الى الشهوات والاغراض الفاسدة كما يفعله الكفرة واصحاب الاهواء وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل للفريقين باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط للاشعار بان الغاية الاصلية للجعل المذكور انما هو ظهور كمال احسان المحسنين على ما حقق في تفسير قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا وانا لجاعلون فيما سياتي عند تناهي عمر الدنيا ما عليها من المخلوقات قاطبة بافنائها بالكلية وانما اظهر في مقام الاضمار لزيادة التقرير او لادراج المكلفين فيه صعيدا مفعول ثان للجعل والصعيد التراب او وجه الارض ابو عبيدة هو المستوي من الارض الزجاج هو الطريق الذي لا نبات فيه جرزا ترابا لا نبات فيه بعد ما كان يتعجب من بهجته النظار وتتشرف بمشاهدته الابصار يقال ارض جرز لا نبات فيها وسنة جرز لا مطر فيها الفراء جرزت الارض فهي مجروزة اي ذهب نباتها بقحط او جراد ويقال جرزها الجراد والشاة والابل اذا اكلت ما عليها وهذه الجملة لتكميل ما في السابقة من التعليل والمعنى لا تحزن بما عاينت من القوم من تكذيب ما انزلنا عليك من الكتاب فانا جعلنا ما على الارض من فنون الاشياء زينة لها لنختبر اعمالهم فنجازيهم بحسبها وانا لمفنون جميع ذلك عن قريب ومجازون لهم بحسب اعمالهم ام حسبت الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد انكار حسبان امته وام منقطعة مقدرة ببل التي هي للانتقال من حديث الى حديث لا للابطال وبهمزة الاستفهام عند الجمهور وببل وحدها عند غيرهم اي بل احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا في بقائهم على الحيوة مدة طويلة من الدهر من اياتنا من بين اياتنا التي من جملتها ما ذكرنا من جعل ما على الارض زينة لها للحكمة المشار اليها ثم جعل ذلك كله صعيدا جرزا كان لم تغن بالامس عجبا اي اية ذات عجب وصفا له موضع المضاف او وصفه لذلك بالمصدر مبالغة وهو خبر لكانوا ومن اياتنا حال منه والمعنى ان قصتهم وان كانت خارقة للعادات ليست بعجيبة بالنسبة الى سائر الايات التي من جملتها ما ذكر من تعاجيب خلق الله تعالى بل هي كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم كلبهم امية بن ابي الصلت وليس فيها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همه لوح رصاصي او حجري رقمت فيه اسماؤهم وجعل على باب الكهف هو الوادي الذي فيه الكهف فهو في رقمة الوادي اي جانبه الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين عصبان وايلة دون فلسطين اصحاب الرقيم اخرون وكانوا ثلثة انطبق عليهم الغار فنجوا بذكر كل منهم احسن عمله على ما فصل في الصحيحين اذ اوى ظرف لعجبا لا لحسبت او مفعول لاذكر اي حين التجا الفتية اي اصحاب الكهف واوثر الاظهار على الاضمار لتحقق ما كانوا عليه في انفسهم من حال الفتوة فانهم كانوا من اشراف الروم ارادهم دقيانوس على الشرك فهربوا منه بدينهم ولان صاحبية الكهف من فروع التجائهم الى الكهف فلا يناسب اعتبارها معهم قبل بيانه الى الكهف بجبلهم بجلوس فاتخذوه ماوي فقالوا ربنا اتنا من لدنك من خزاين رحمتك الخاصة المكنونة عن عيون اهل العادات فمن ابتدائية متعلقة باتنا او بمحذوف وقع حالا من مفعوله الثاني قدمت عليه لكونه نكرة ولو تاخرت لكانت صفة له اي اتنا كاينة من لدنك رحمة خاصة تستوجب المغفرة والرزق والامن من الاعداء وهيئ لنا من امرنا الذي نحن عليه من مهاجرة الكفار والمثابرة على طاعتك واصل التهيئة احداث هيئة الشيء اي اصلح ورتب واتمم لنا من امرنا رشدا اصابة للطريق الموصل الى المطلوب واهتداء اليه وكلا الجارين متعلق بهيئ لاختلافهما في المعنى وتقديم المجرورين على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بهما وابراز الرغبة في المؤخر بتقديم احواله فان تاخير ما حقه التقديم عما هو من احواله المرغبة فيه كما يورث شوق السامع الى وروده ينبي عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتنائه بحصوله لا محالة وكذا الكلام في تقديم قوله تعالى من لدنك على تقدير تعلقه باتنا وتقديم اتنا على من لدنك للايذان من اول الامر بكون المسئول مرغوبا فيه لديهم او اجعل امرنا رشدا كله على ان من تجريدية مثلها في قوله رايت منك اسدا فضربنا على اذانهم اي انمنا

على طريقة التمثيل المبني على تشبيه الانامة الثقيلة المانعة عن وصول الاصوات الى الاذان بضرب الحجاب عليها
وتخصيص الاذان بالذكر مع اشتراك سائر المشاعر بها في الحجب عن الشعور عند النوم لما انها المحتاج الى الحجب عادة
اذ هي الطريقة لليقظة غالبا لا سيما عند انفراد النايم واعتزاله عن الخلق   الضرب على الاذان كناية عن
الانامة الثقيلة وحمله على تعطيلها كما في قولهم ضرب اليمين على يد الرعية اي منعهم من التصرف مع عدم ملايمته
لما سياتي من البعث لا يدل على النوم مع انه المراد قطعا والفاء في فضربنا كما في قوله عز وجل فاستجبنا له بعد قوله تعالى
اذ نادى فان الضرب المذكور وما يترتب عليه من التقليب ذات اليمين وذات الشمال والبعث وغير ذلك ايتاء
رحمة لدنية خافية عن ابصار المتمسكين بالاسباب العادية استجابة لدعائهم في الكهف ظرف مكان لضربنا
سنين ظرف زمان له باعتبار بقائه لا ابتدائه عددا اي ذوات او تعد عددا على انه مصدر او معدودة
على انه بمعنى المفعول ووصف السنين بذلك اما للتكثير وهو الانسب باظهار كمال القدرة او للتقليل وهو الاليق
بمقام انكار كون القصة عجبا من بين سائر الآيات العجيبة فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده عز وجل ثم بعثناهم اي ايقظناهم
من تلك النومة الثقيلة الشبيهة بالموت لنعلم بنون العظمة وقرئ بالياء مبنيا للفاعل بطريق الالتفات وايا ما
كان فهو غاية البعث لكن لا بجعل العلم مجازا عن الاظهار والتمييز او بحمله على ما يصح وقوعه غاية للبعث الحادث من العلم
الحالي الذي يتعلق بالجزاء كما في قوله تعالى الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وقوله تعالى وليعلم الله الذين
امنوا ونظايرها التي يتحقق فيها العلم بتحقق متعلقه قطعا وان تحويل القبلة قد ترتب عليه تحزب الناس الى متبع
ومنقلب وكذا مداولة الايام بين الناس يترتب عليه تحزبهم الى الثابت على الايمان والمتزلزل فيه وتعلق بكل من الفريقين
العلم الحالي والاظهار والتمييز واما بعث هولاء فلم يترتب عليه تفرقهم الى المحصي وغيره حتى يتعلق بهما العلم والاظهار
والتمييز ولم ينتظم شيء من ذلك في سلك الغاية وانما الذي ترتب عليه تفرقهم الى مقدر تقديرا غير مصيب ومفوض الى
العلم الرباني وليس شيء منه من الاحصاء في شيء بل يحمل النظم الكريم على التمثيل المبني على جعل العلم عبارة عن الاختبار مجازا
بطريق اطلاق اسم المسبب على السبب وليس من ضرورة الاختبار صدور الفعل المختبر به عن المختبر قطعا بل قد يكون
لاظهار عجزه عنه على سنن التكاليف التعجيزية كقوله تعالى فات بها من المغرب وهو المراد هاهنا فالمعنى بعثناهم
لنعاملهم معاملة من يختبرهم اي الحزبين اي الفريقين المختلفين في مدة لبثهم بالتقدير والتفويض احصى
اي اضبط لما لبثوا اي للبثهم امدا اي غاية فيظهر لهم عجزهم ويفوضوا ذلك الى العليم الخبير ويتعرفوا حالهم وما
صنع الله تعالى بهم من حفظ ابدانهم فيزدادوا يقينا بكمال قدرته وعلمه ويستبصروا به امر البعث ويكون ذلك لطفا
لمؤمني زمانهم واية بينة لكفارهم وقد اقتصر هاهنا من تلك الغايات الجليلة على ذكر مبدئها الصادر عنه
عز وجل وفيما سياتي على ما صدر منهم من التساؤل المؤدي اليها وهذا اولى من تصوير التمثيل بان يقال بعثناهم بعث
من يريد ان يعلم الخ حسبما وقع في تفسير قوله تعالى وليعلم الله الذين امنوا على احد الوجوه حيث حمل على معنى فعلنا
ذلك فعل من يريد ان يعلم من الثابت على الايمان من غير الثابت اذ ربما يتوهم منه استلزام الارادة لتحقق المراد
فيعود المحذور فيصار الى جعل ارادة العلم عبارة عن الاختبار فاختبروا هذا وقد قرئ ليعلم مبنيا للمفعول ومبنيا
للفاعل من الاعلام على ان المفعول الاول محذوف والجملة المصدرة باي في موقع المفعول الثاني فقط ان جعل العلم
عرفانيا وفي موقع المفعولين ان جعل يقينيا اي ليعلم الله الناس اي الحزبين احصى الخ   عطا عن ابن عباس رضي
الله عنهما ان احد الحزبين الفتية والاخر الملوك الذين تداولوا المدينة ملكا بعد ملك   كلاهما من غيرهم
والاول هو الاظهر فان اللام للعهد ولا عهد لغيرهم والامد بمعنى المدى كالغاية في قولهم ابتداء الغاية وانتهاء
الغاية وهو مفعول لاحصى والجار والمجرور حال منه قدمت عليه لكونه نكرة وليس معنى احصاء تلك المدة ضبطها
من حيث كميتها المتصلة الذاتية فانه لا يسمى احصاء بل ضبطها من حيث كميتها المنفصلة العارضة لها باعتبار
قسمتها الى السنين وبلوغها من تلك الحيثية الى مراتب الاعداد على ما يرشدك اليه كون تلك المدة عبارة عما سبق

من السنين

من السنين ويجوز ان يراد بالامد معناه الوضعي بتقدير المضاف اي لزمان لبثهم وبدونه ايضا فان اللبث عبارة عن
الكون المستمر المنطبق على الزمان المذكور فباعتبار الامتداد العارض له بسببه يكون له امد لا محالة لكن ليس المراد
به ما يقع غاية ومنتهى لذلك الكون المستمر باعتبار كميته المتصلة العارضة له بسبب انطباقه على الزمان الممتد
بالذات وهو ان انبعاثهم من نومهم فان معرفته من تلك الحيثية لا تخفى على احد ولا تسمى احصاء كما مر بل باعتبار
كميته المنفصلة العارضة له بسبب عروضها للزمان المنطبق هو عليه باعتبار انقسامه الى السنين ووصوله الى
مرتبة معينة من مراتب العدد كما حقق في الصورة الاولى والفرق بين الاعتبارين ان ما تعلق به الاحصاء في الصورة
السابقة نفس المدة المنقسمة الى السنين فهو مجموع ثلثمائة وتسع سنين وفي الصورة الثانية منتهى تلك المدة المنقسمة
اليها اعني السنة التاسعة بعد الثلثمائة وتعلق الاحصاء بالامد بالمعنى الاول ظاهر واما تعلقه به بالمعنى الثاني فباعتبار
انتظامه لما تحته من مراتب العدد واشتماله عليها هذا على تقدير كون ما في قوله تعالى لما لبثوا مصدرية ويجوز
ان تكون موصولة حذف عايدها من الصلة اي للذي لبثوا فيه من الزمان الذي عبر عنه فيما قبل بسنين عددا فالامد
بمعناه الوضعي على ما حققته   اللام مزيدة والموصول مفعول وامدا نصب على التمييز واما ما قيل من ان احصى
اسم تفضيل لانه الموافق لما وقع في سائر الايات الكريمة نحو ايهم احسن عملا ايهم اقرب لكم نفعا الى غير ذلك مما لا
يحصى ولان كونه ماضيا يشعر بان غاية البعث هو العلم بالاحصاء المتقدم على البعث لا بالاحصاء المتاخر عنه وليس
كذلك وادعاء ان مجيء افعل التفضيل من المزيد عليه غير قياس مدفوع بانه عند سيبويه قياسي مطلقا وعند ابن
عصفور فيما ليست همزته للنقل ولا ريب في ان ما نحن فيه من ذلك القبيل وامتناع عمله انما هو في غير
التمييز من المعمولات واما ان التمييز يجب ان يكون فاعلا في المعنى فلمانع ان يمنعه بصحة ان يقال ايهم احفظ لهذا
الشعر وزنا وتقطيعا او يقال ان العامل في امدا فعل محذوف يدل عليه المذكور اي احصى لما لبثوا امدا كما في قوله
واضرب منا بالسيوف القوانسا • وحديث الوقوع في المحذور بلا فائدة مدفوع بما اشير اليه من فائدة الموافقة للنظائر
فمع ما فيه من الاعتساف والخلل بمعزل من السداد لان مراده ان يكون المقصود بالاختبار اظهار افضل الحزبين
وتمييزه عن الادنى مع تحقق اصل الاحصاء فيهما ومن البين ان لا تحقق له اصلا وان المقصود بالاختبار اظهار
عجز الكل عنه راسا فهو فعل ماض قطعا وتوهم ايذانه بان غاية البعث هو العلم بالاحصاء المتقدم عليه مردود
بان صيغة الماضي باعتبار حال الحكاية والله تعالى اعلم نحن نقص عليك شروع في تفصيل ما اجمل فيما سلف
من قوله تعالى اذ اوى الفتية الى الخ اي نحن نخبرك بتفاصيل اخبارهم وقد مر بيان اشتقاقه في مطلع سورة
يوسف عليه السلام نباهم النبا الخبر الذي له شان وخطر بالحق اما صفة لمصدر محذوف او حال من ضمير
نقص او من نباهم او صفة له على راي من يرى حذف الموصول مع بعض صلته اي نقص قصصا ملتبسا بالحق
او نقصه ملتبسين به او نقص نباهم ملتبسا به او نباهم الملتبسين به ونبؤهم حسبما ذكره محمد بن اسحق بن
يسار انه قد مرج اهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم فعبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وكان
ممن بالغ في ذلك وعتا عتوا كبيرا دقيانوس فانه غلا فيه غلوا شديدا فجاس خلال الديار والبلاد • بالعبث والفساد
وقتل من خالفه من المتمسكين بدين المسيح عليه السلام وكان يتبع الناس فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان فمن رغب
في الحيوة الدنيا الدنية يصنع ما يصنع ومن اثر عليها الحيوة الابدية قتله وقطع اذانه وعلقها في سور المدينة
وابوابها فلما راى الفتية ذلك وكانوا عظماء مدينتهم   كانوا من خواص الملك قاموا فتضرعوا الى الله عز وجل
واشتغلوا بالصلوة والدعاء فبينما هم كذلك اذ دخل عليهم اعوان الجبار فاحضروهم بين يديه فقال لهم ما قال و
خيرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان فقالوا ان لنا الها ملأ السموات والارض عظمته وجبروته لن ندعوا من
دونه احدا ولن نقر لما تدعونا اليه ابدا فاقض ما انت قاض فامر فنزع ما عليهم من الثياب الفاخرة واخرجهم
من عنده وخرج هو الى مدينة نينوى لبعض شانه وامهلهم الى رجوعه ليتاملوا في امرهم فان تبعوه والا فعل

ما فعل بسایر المسلمين فازمعت الفتية على الفرار بالدين ۰ والالتجاء الى الكهف الحصين ۰ فاخذ كل منهم من بيت ابيه شيئا
فتصدقوا ببعضه وتزودوا بالباقي فاووا الى الكهف فجعلوا يصلون فيه اناء الليل واطراف النهار ويبتهلون
الى الله تعالى بالانين والبكاء وفوضوا امر نفقتهم الى يمليخا فكان اذا اصبح يضع عنه ثيابه الحسان ويلبس لباس
المساكين ويدخل المدينة ويشتري ما يهمهم ويتجسس ما فيها من الاخبار ويعود الى اصحابه فلبثوا على ذلك الى ان قدم
الجبار المدينة فطلبهم واحضر اباءهم فاعتذروا انهم عصوهم ونهبوا اموالهم وبذروها في الاسواق وفروا الى الجبل
فلما راى يمليخا ما راى من الشر رجع الى اصحابه وهو يبكي ومعه قليل من الزاد فاخبرهم بما شاهده من الهول ففزعوا الى
الله عز وجل وخروا له سجدا ثم رفعوا رؤسهم وجلسوا يتحدثون في امرهم فبينما هم كذلك اذ ضرب الله على اذانهم
فناموا ونفقتهم عند رؤسهم فخرج دقيانوس في طلبهم بخيله ورجله فوجدهم قد دخلوا الكهف فامر باخراجهم
فلم يطق احد ان يدخله فلما ضاق بهم ذرعا قال قائل منهم اليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم قال بلى قال فابن عليهم باب
الكهف ودعهم يموتوا جوعا وعطشا وليكن كهفهم قبرا لهم ففعل وكان من شانهم ما قص الله عز وجل منهم انهم فتية
استيناف تحقيقي مبني على تقدير السوال من قبل المخاطب والفتية جمع فتى كصبية للصبي امنوا بربهم اوثر
الالتفات للاشعار بعلية وصف الربوبية لايمانهم ولمراعاة ما صدر منهم من المقالة حسبما يحكى عنهم وزدناهم
هدى اي ثبتناهم على ما كانوا عليه من الدين واظهرنا لهم مكنونات محاسنه وفيه التفات من الغيبة الى ما عليه
سبك النظم سباقا وسياقا من التكلم وربطنا على قلوبهم اي قويناها حتى اقتحموا مضايق الصبر على هجرة الاهل
والاوطان ۰ والنعيم والاخوان ۰ واجترؤا على الصدع بالحق من غير خوف وحذار ۰ والرد على دقيانوس الجبار اذ قاموا
منصوب بربطنا والمراد بقيامهم انتصابهم لاظهار شعائر الدين مجاهد خرجوا من المدينة فاجتمعوا على غير
ميعاد اكبرهم اني لاجد في نفسي شيئا ان ربي رب السموات والارض نحن ايضا كذلك فقاموا جميعا
فقالوا ربنا رب السموات والارض ضمنوا دعواهم ما يحقق فحواها ۰ ويقتضي مقتضاها ۰ فان ربوبيته عز وجل لهما
يقتضي ربوبيته لما فيهما اي اقتضاء المراد قيامهم بين يدي الجبار من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة
الاصنام ويكون ما سياتي من قوله تعالى هؤلاء الى اخره منقطعا عما قبله صادرا عنهم بعد خروجهم من عنده لن ندعو
لن نعبد ابدا من دونه الها معبودا اخر لا استقلالا ولا اشتراكا والعدول عن ان يقال ربا للتنصيص على رد المخالفين
حيث كانوا يسمون اصنامهم الهة والاشعار بان مدار العبادة وصف الالوهية وللايذان بان ربوبيته تعالى بطريق
الالوهية لا بطريق المالكية المجازية لقد قلنا اذا شططا اي قولا ذا شطط اي متجاوز عن الحد او قولا هو
عين الشطط على انه وصف بالمصدر مبالغة ثم اقتصر على الوصف مبالغة وحيث كانت العبادة مستلزمة للقول لما
انها لا تعرى عن الاعتراف بالوهيته تعالى والتضرع اليه قيل لقد قلنا واذا جواب وجزاء اي لو دعونا من دونه الها
والله لقد قلنا قولا خارجا عن حد العقول مفرطا في الظلم هؤلاء هو مبتدا وفي اسم الاشارة تحقيرهم قومنا عطف
بيان له اتخذوا من دونه الهة خبره وفيه معنى الانكار لولا ياتون تحضيض فيه معنى الانكار والتعجيز اي هلا ياتون
عليهم على الوهيتهم او على صحة اتخاذهم لها الهة بسلطان بين بحجة ظاهرة الدلالة على مدعاهم وهو تبكيت لهم والقام
حجر فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا والمعنى انه اظلم من كل ظالم وان
كان سبك النظم على انكار الاظلمية من غير تعرض لانكار المساواة كما مر تحقيقه في سورة هود واذ اعتزلتموهم
اي فارقتموهم في الاعتقاد او اردتم الاعتزال الجسماني وما يعبدون الا الله عطف على الضمير المنصوب
وما موصولة او مصدرية اي اذ اعتزلتموهم ومعبوديهم الا الله او عبادتهم الا عبادة الله وعلى التقديرين
فالاستثناء متصل على تقدير كونهم مشركين كاهل مكة ومنقطع على تقدير تمحضهم في عبادة الاوثان ويجوز
كون ما نافية على انه اخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه فاووا اي التجئوا الى
الكهف الفراء هو جواب اذ كما تقول اذ فعلت فافعل كذا دليل على جوابه اي اذا اعتزلتموهم اعتزالا

اعتقاديا

اعتقاديا فاعتزلوهم اعتزالا جسمانيا او اذا اردتم اعتزالهم فافعلوا ذلك بالالتجاء الى الكهف ينشر لكم
يبسط لكم ويوسع عليكم ربكم مالك امركم من رحمته في الدارين ويهيئ لكم يسهل لكم من امركم الذي انتم بصدده
من الفرار بالدين مرفقا ما ترتفقون وتنتفعون به وقرئ بفتح الميم وكسر الفاء مصدرا كالمرجع وتقديم لكم
في الموصوفين لما مر مرارا من الايذان من اول الامر بكون المؤخر من منافعهم والتشويق الى وروده وترى الشمس
بيان لحالهم بعدما اووا الى الكهف ولم يصرح به ايذانا بعدم الحاجة اليه لظهور جريانهم على موجب الامر به
لكونه صادرا عن امر صايب وتعويلا على ما سلف من قوله سبحانه اذ اوى الفتية الى الكهف وما لحق من اضافة
الكهف اليهم وكونهم في فجوة منه والخطاب للرسول عليه الصلوة والسلام او لكل احد ممن يصلح للخطاب وليس المراد
به الاخبار بوقوع الرؤية تحقيقا بل الانباء بكون الكهف بحيث لو رايته ترى الشمس اذا طلعت تزاور اي تتزاور
وتتنحى بحذف احدى التائين وقرئ بادغام التاء في الزاء وتزور كتحمر وتزوير وكلها من الزور وهو الميل
عن كهفهم الذي اووا اليه فالاضافة لادنى ملابسة ذات اليمين اي جهة ذات يمين الكهف عند توجه
الداخل الى قعره اي جانبه الذي يلي المغرب فلا يقع عليهم شعاعها فيؤذيهم واذا غربت تراها عند غروبها تقرضهم
اي تقطعهم من القطيعة والصرم ولا تقربهم ذات الشمال اي جهة ذات شمال الكهف اي جانبه الذي يلي المشرق
وكان ذلك بتصريف الله سبحانه على منهاج خرق العادة كرامة لهم وقوله تعالى وهم في فجوة منه جملة حالية
مبينة لكون ذلك امرا بديعا اي تراها تميل عنهم يمينا وشمالا ولا تحوم حولهم مع انهم في متسع من الكهف معرض
لاصابتها لولا ان صرفتها عنهم يد التقدير ذلك اي ما صنع الله بهم من تزاور الشمس وقرضها حالتي الطلوع والغروب
مع كونهم في موقع شعاعها من ايات الله العجيبة الدالة على كمال علمه وقدرته وحقية التوحيد وكرامة اهله
عنده سبحانه وتعالى وهذا قبل ان سد دقيانوس الكهف كان باب الكهف شماليا مستقبل بنات
النعش واقرب المشارق والمغارب الى محاذاته مشرق راس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره
تطلع مايلة عنه مقابلة لجانب الايمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها
على جنبيه وتحلل عفونته وتعدل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذي اجسادهم ويبلي ثيابهم ولعل ميل الباب الى جانب
الغرب كان اكثر ولذلك اوقع التزاور على كهفهم والقرض على انفسهم فذلك حينئذ اشارة الى ايوائهم الى الكهف
هذا شانه واما جعله اشارة الى حفظ الله سبحانه اياهم في ذلك الكهف تلك المدة الطويلة والى اطلاعه
سبحانه لرسوله عليه الصلوة والسلام على اخبارهم فلا يساعده ايراده في تضاعيف القصة من يهدي الله الى الحق
بالتوفيق له فهو المهتدي الذي اصاب الفلاح والمراد اما الثناء عليهم والشهادة لهم باصابة المطلوب والاخبار
بتحقق ما املوه من نشر الرحمة وتهيئة المرافق او التنبيه على ان امثال الاية كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله تعالى
للاستبصار بها ومن يضلل اي يخلق فيه الضلال لصرف اختياره اليه فلن تجد له ابدا وان بالغت في التتبع والا
ستقصاء
وليا ناصرا مرشدا يهديه الى ما ذكر من الفلاح لاستحالة وجوده في نفسه لا انك لا تجده مع وجوده وامكانه
وتحسبهم بفتح السين وقرئ بكسرها ايضا والخطاب فيه كما فيما سبق ايقاظا جمع يقظ بكسر القاف وفتحها
وهو اليقظان ومدار الحسبان انفتاح عيونهم على هيئة الناظر كثرة تقلبهم ولا يلايمه قوله تعالى ونقلبهم
وهم رقود اي نيام وهو تقرير لما لم يذكر فيما سلف اعتمادا على ذكر الضرب على اذانهم ونقلبهم في رقدتهم
ذات اليمين نصب على الظرفية اي جهة تلي ايمانهم وذات الشمال اي جهة تلي شمائلهم كيلا تاكل الارض ما يليها من
ابدانهم ابن عباس رضي الله عنهما لو لم يقلبوا لاكلتهم الارض لهم تقليبتان في السنة
تقليبة واحدة يوم عاشورا في كل تسع سنين وقرئ يقلبهم على الاسناد الى ضمير الجلالة له
وتقلبهم على المصدر منصوبا بمضمر ينبئ عنه وتحسبهم اي وترى تقلبهم وكلبهم قيل هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه
مرارا فلم يرجع فانطقه الله تعالى لا تخشوا جانبي فاني احب احباء الله فناموا حتى احرسكم

هو كلب راع قد تبعهم على دينهم ويؤيده قراءة كالبهم اذ الظاهر لحوقه بهم هو كلب صيد احدهم
او زرعه او غنمه واختلف في لونه فقيل كان انمر وقيل اصفر وقيل اصهب وقيل غير ذلك كان اسمه
قطمير وقيل ريان وقيل توّد وقيل قطمون وقيل ثور خالد بن معدان ليس في الجنة من الدواب
الا كلب اصحاب الكهف وحمار بلعم لم يكن ذلك من جنس الكلاب بل كان اسدا **باسط ذراعيه** حكاية
حال ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل وعند الكسائي وهشام وابي جعفر من البصريين يجوز اعماله مطلقا والذراع
من المرفق الى راس الاصبع الوسطى **بالوصيد** اي بموضع الباب من الكهف **لو اطلعت عليهم** اي لو عاينتهم و
شاهدتهم والاصل الاطلاع الاشراف على الشيء بالمعاينة والمشاهدة وقرئ بضم الواو **لوليت منهم فرارا** هربا
مما شاهدت منهم وهو نصب على المصدرية من معنى ما قبله اذ التولية والفرار من واد واحد واما على الحالية
بجعل المصدر بمعنى الفاعل مصدرا مبالغة كما في قوله فانما هي اقبال وادبار واما على انه مفعول له **ولملئت
منهم رعبا** وقرئ بضم العين اي خوفا يملأ الصدر ويرعبه وهو اما مفعول ثان او تمييز وذلك لما البسهم الله عز
وجل من الهيبة كانت اعينهم مفتحة كالمستيقظ الذي يريد ان يتكلم لطول اظفارهم وشعورهم ولا
يساعده قولهم لبثنا يوما او بعض يوم وقوله ولا يشعرن بكم احدا فان الظاهر من ذلك عدم اختلاف احوالهم
في انفسهم لعظم اجرامهم ولعل تاخيره هنا من ذكر التولية للايذان باستقلال كل منهما في الترتب على
الاطلاع اذ لو روعي ترتيب الوجود لتبادر الى الفهم ترتب المجموع من حيث هو هو عليه وللاشعار بعدم زوال
الرعب بالفرار كما هو المعتاد لما غزا الى الروم فمر بالكهف قال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا
اليهم له ابن عباس رضي الله عنهما ليس لك ذلك قد منع الله تعالى من هو خير منك حيث قال لو اطلعت
عليهم الآية معاوية لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا
الكهف بعث الله ريحا فاحرقتهم وقرئ بتشديد اللام على التكثير وبابدال الهمزة ياء مع التخفيف والتشديد
وكذلك بعثناهم اي كما انمناهم وحفظنا اجسادهم من البلى والتحلل آية دالة على كمال قدرتنا بعثناهم من
النوم **ليتساءلوا بينهم** اي ليسال بعضهم بعضا فيترتب عليه ما فصل من الحكم البالغة وجعله غاية للبعث
المعلل فيما سبق بالاختبار من حيث انه من احكامه المترتبة عليه والاقتصار على ذكره لاستتباعه لسائر
الآثار **قال** استئناف لبيان تساؤلهم **قائل منهم** هو رئيسهم واسمه مكسلمينا **كم لبثتم** في منامكم
لعله قاله لما راى من مخالفة حالهم لما هو المعتاد في الجملة **قالوا** اي بعضهم **لبثنا يوما او بعض يوم** قيل
انما قالوه لما انهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم آخر النهار فقالوا لبثنا يوما فلما راوا ان الشمس لم
تغرب بعد قالوا او بعض يوم وكان ذلك بناء على الظن الغالب فلم يعزوا الى الكذب **قالوا** اي بعض آخر منهم
بما سنح لهم من الادلة او بالهام من الله تعالى **ربكم اعلم بما لبثتم** اي انتم لا تعلمون مدة لبثكم وانما يعلمه الله
سبحانه وهذا رد منهم على الاولين باجمل ما يكون من مراعاة حسن الادب وبه يتحقق التحزب الى الحزبين
المعهودين فيما سبق وقد قيل القائلون جميعهم ولكن في حالتين ولا يساعده النظم الكريم فان الاستئناف
في الحكاية والخطاب في المحكي يقتضي بان الكلام جار على منهاج المحاورة والا لقيل ثم قالوا ربنا اعلم بما لبثنا
فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة قالوه اعراضا عن التعمق في البحث واقبالا على ما يهمهم بحسب الحال كما
ينبئ عنه الفاء والورق الفضة مضروبة او غير مضروبة ووصفها بالاشارة يشعر بان القائل ناولها بعض
اصحابه ليشتري بها قوت يومهم ذلك وقرئ بسكون الراء وبادغام القاف في الكاف وبكسر الواو وبسكون
الراء مع الادغام وحملهم لها دليل على ان التزود لا ينافي التوكل على الله **فلينظر ايها** اي اهلها **ازكى** احل
واطيب او اكثر وارخص **طعاما فليأتكم برزق منه** اي من ذلك الازكى طعاما **وليتلطف** وليتكلف اللطف في المعاملة
كيلا يغبن او في الاستخفاء لئلا يعرف **ولا يشعرن بكم احدا** من اهل المدينة فانه يستدعي شيوع اخباركم اي لا

يفعلن ما يؤدي الى ذلك والنهي على الاول تاسيس وعلى الثاني تاكيد للامر بالتلطف **انهم** تعليل لما سبق من
الامر والنهي اي ليبالغ في التلطف وعدم الاشعار لانهم **ان يظهروا عليكم** اي يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير
للاهل المقدر في ايها **يرجموكم** ان لم تثبتم على ما انتم عليه **او يعيدوكم في ملتهم** اي يصيروكم اليها ويدخلوكم فيها كرها
من العود بمعنى الصيرورة كقوله تعالى او لتعودن في ملتنا كانوا في الاول على دينهم وايثار كلمة في على كلمة الى
للدلالة على الاستقرار الذي هو اشد شيء عندكم كراهة وتقديم احتمال الرجم على احتمال الاعادة لان الظاهر من حالهم
هو الثبات على الدين المؤدي اليه وضمير الخطاب في المواضع الاربعة للمبالغة في حمل المبعوث على الاستخفاء وحث
الباقين على الاهتمام بالتوصية فان امحاض النصح ادخل في القبول واهتمام الانسان بشان نفسه اكثر واوفر **ولن
تفلحوا اذا** اي ان دخلتم فيها ولو بالكره والالجاء لن تفوزوا بخير **ابدا** لا في الدنيا ولا في الآخرة وفيه من التشديد
في التحذير ما لا يخفى **وكذلك** اي كما انمناهم وبعثناهم لما مر من ازديادهم في مراتب اليقين **اعثرنا** اي اطلعنا الناس
عليهم ليعلموا اي الذين اعثرناهم عليهم ليعلموا بما عاينوا من احوالهم العجيبة **ان وعد الله** اي وعده بالبعث او موعوده
الذي هو البعث او ان كل وعده او كل موعوده فيدخل فيه وعده بالبعث والبعث الموعود دخولا اوليا **حق** صادق لا خلف
فيه او ثابت لا مرد له لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث **وان الساعة** اي القيامة التي هي عبارة عن
وقت بعث الخلائق جميعا للحساب والجزاء **لا ريب فيها** لا شك في قيامها فان من شاهد انه تعالى توفى نفوسهم
وامسكها ثلاثمائة سنة واكثر حافظا ابدانها من التحلل والتفتت ثم ارسلها اليها لا يبقى له شائبة شك في
ان وعده تعالى حق وانه يبعث من في القبور فيرد اليهم ارواحهم فيحاسبهم ويجازيهم بحسب اعمالهم **اذ يتنازعون**
ظرف لقوله اعثرنا قدم عليه الغاية اظهارا لكمال العناية بذكرها لا لقوله ليعلموا كما قيل لدلالته على ان التنازع
يحدث بعد الاعتبار وليس كذلك اي اعثرناهم عليهم حين يتنازعون **بينهم امرهم** ليرتفع الخلاف ويتبين الحق
المتنازع امر دينهم حيث كانوا مختلفين في البعث فمن مقر له وجاحد به وقائل يقول ببعث الارواح
دون الاجساد وآخر يقول ببعثهما معا كان ملك المدينة حينئذ رجلا صالحا مؤمنا
اهل المدينة واهل مملكته في البعث حسبما فصل فدخل الملك بيته واغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد
وسال ربه ان يظهر الحق فالقى الله عز وجل في نفس رجل منهم راعيا فهدم ما سد به دقيانوس باب الكهف ليتخذ
حظيرة لغنمه فعند ذلك بعثهم الله تعالى فجرى بينهم من التقاول ما جرى ان المبعوث لما دخل المدينة
اخرج الدرهم ليشتري به الطعام وكان ضرب دقيانوس فاتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص
عليه القصة بعضهم ان اباءنا اخبرونا بان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق
الملك واهل المدينة من مسلم وكافر وابصروهم وكلموهم الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك
من شر الانس والجن ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فالقى الملك عليهم ثيابه وجعل لكل منهم تابوتا من ذهب
فراهم في المنام كارهين من الذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا لما انتهوا الى الكهف
قال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا ثم مسجدا المتنازع فيه
امر الفتية قبل بعثهم اي اعثرنا عليهم حين يتذاكرون بينهم امرهم وما جرى بينهم وبين دقيانوس من الاحوال والاهوال
ويتلقون ذلك من الاساطير وافواه الرجال وعلى التقديرين فالفاء في قوله عز وجل **فقالوا** فصيحة اي اعثرناهم
عليهم فراوهم فماتوا فقالوا اي قال بعضهم **ابنوا عليهم** اي على باب الكهف **بنيانا** لئلا يتطرق اليهم الناس
ضنا بتربتهم ومحافظة عليها وقوله تعالى **ربهم اعلم بهم** من كلام المتنازعين كانهم لما راوا عدم اهتدائهم الى حقيقة
حالهم من حيث النسب ومن حيث العدد ومن حيث اللبث في الكهف قالوا ذلك تفويضا للامر الى علام الغيوب
او من كلام الله سبحانه ردا لقول الخائضين في حديثهم من اولئك المتنازعين هو امرهم وتدبيرهم
عند وفاتهم او شانهم في الموت والنوم حيث اختلفوا في انهم ماتوا او ناموا فاذا حينئذ متعلق بقوله تعالى **قال**

الذين غلبوا على امرهم وهم الملك والمسلمون لنتخذن عليهم مسجدا وقوله تعالى فقالوا معطوف على يتنازعون و
ايثار صيغة الماضي للدلالة على ان هذا القول ليس مما يستمر ويتجدد كالتنازع متعلق بما ذكر مضمرا
واما تعلقه باعثرنا فيأباه ان اعثارهم ليس في زمان تنازعهم فيما ذكر بل قبله وجعل وقت التنازع ممتدا يقع في
بعضه الاعثار وفي بعضه التنازع تعسف لا يخفى مع انه لا مخصص لاضافته الى التنازع وهو مؤخر في الوقوع
سيقولون الضمير في الافعال الثلث للخائضين في قصتهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب
والمسلمين لكن لا على وجه اسناد كل منها الى كلهم بل الى بعضهم ثلثة رابعهم كلبهم اي هم ثلثة اشخاص رابعهم
اي جاعلهم اربعة بانضمام اليهم كلبهم قالته اليهود قاله السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا
تلاه بادغام التاء في التاء ويقولون خمسة سادسهم كلبهم قيل قالته النصارى او العاقب منهم وكان نسطوريا
رجما بالغيب رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع عليه او ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانتصابه على الحالية
من الضمير في الفعلين جميعا اي راجمين او على المصدرية منهما فان الرجم بالقول واحدا ومن محذوف مستأنف
او واقع موقع الحال من ضميري الفعلين معا اي يرجمون رجما وعدم ايراد السين للاكتفاء بعطفه على ما فيه ذلك
ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم هو ما يقوله المسلمون بطريق التلقن من هذا الوحي وما فيه مما يرشدهم الى ذلك
من عدم نظمه في سلك الرجم بالغيب وتغيير سبكه بزيادة الواو المفيدة لزيادة وكادة النسبة فيما بين طرفيها
لا بوحي آخر كما قيل قل تحقيقا للحق وردا على الاولين ربي اعلم اي اقوى علما بعدتهم بعددهم ما يعلمهم اي ما
يعلم عدتهم او ما يعلمهم فضلا عن العلم بعدتهم الا قليل من الناس قد وفقهم الله للاستشهاد بتلك الشواهد
ابن عباس رضي الله عنهما حين وقعت الواو انقطعت العدة وعليه مدار قوله رضي الله عنه انا من
ذلك القليل ولو كان في ذلك وحي آخر لما خفي عليه ولما احتاج الى الاستشهاد بالواو ولكان المسلمون اسوة له
في العلم بذلك على كرم الله وجهه انهم سبعة نفر اسماؤهم يمليخا ومكشلينا وشليثا هؤلاء اصحاب
يمين الملك وكان يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في امره والسابع الراعي
الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس كفشيططيوش فلا تمار الفاء للتفريع النهي على ما قبله اي اذا
قد عرفت جهل اصحاب القولين الاولين فلا تجادلهم فيهم في شان الفتية الا مراء ظاهرا قدر ما تعرض
له الوحي من شأنهم ووصفهم بالرجم بالغيب وعدم العلم على الوجه الاجمالي وتفويض العلم الى الله تعالى
من غير تصريح بجهلهم وتفضيح لهم فانه مما يخل بمكارم الاخلاق ولا تستفت فيهم في شأنهم منهم من الخائضين
احدا فان فيما قص عليك لمندوحة عن ذلك مع انهم لا علم لهم بذلك عطا الا قليل من اهل الكتاب
فالضمائر الثلاثة في الافعال الثلثة لهم وما ذكر من الشواهد لارشاد المؤمنين الى صحة القول الثالث وفيه
تمحيص عما في الاول من التكليف من جعل احد الاقوال المحكية المنظومة في نمط واحد ناشيا عن الحكاية مع كون
الآخرين بخلافه ووضوح في سبب حذف المفعول في الانماد والمعنى حينئذ واذ قد وقفت على ان كلهم ليس على
خطاء في ذلك فلا تجادلهم الا جدالا ظاهرا انطق به الوحي المبين من غير تجهيل لجميعهم فان فيهم مصيبا وان
قل والنهي عن الاستفتاء لدفع ما عسى يتوهم من احتمال جوازه او احتمال وقوعه بناء على اصابة بعضهم فالمعنى لا
تراجعهم المبهم في شأن الفتية ولا تصدق القول الثالث من حيث صدوره عنهم بل من حيث التلقي من الوحي
ولا تقولن لشيء اي لاجل شيء تعزم عليه اني فاعل ذلك الشيء غدا اي فيما يستقبل من الزمان مطلقا فيدخل
فيه الغد دخولا اوليا فانه نزل حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف وذي القرنين
فسألوه عليه الصلوة والسلام ايتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطأ عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته
قريش وما قيل من ان المدلول بالعبارة هو الغد وما بعد ذلك مفهوم بطريق دلالة النص عليه يرده ان ما
بعده ليس بمعناه في مناط النهي فان وسعة المجال دليل القدرة فليتأمل الا ان يشاء الله استثناء مفرغ

قوله فيما يستقبل فيه اشارة الى ان المراد ليس الغد بعينه بل المستقبل وذلك ان نزول سبب النزول يريد ان المراد هو الغد بعينه وعدم اختصاص الحكم به يعلم بطريق الدلالة المولى سعدي افندي

من النهي

من النهي اي لا تقولن ذلك في حال من الاحوال الا حال ملابسته بمشية الله على الوجه المعتاد وهو ان يقال ان
شاء الله تعالى او في وقت من الاوقات ان يشاء الله ان تقوله لا مطلقا بل مشيته اذا فات النسيان ايضا
بمشيته تعالى ولا مساغ لتعليقه بفاعل لعدم سداد استثناء اقتران المشيئة بالفعل ومنافات استثنا
اعتراضها النهي الاستثناء جار مجرى التأبيد كانه قيل لا تقولنه ابدا كقوله تعالى وما كان لنا ان نعود
فيها الا ان يشاء الله واذكر ربك بقولك ان شاء الله متداركا له اذا نسيت اذا فرط منك نسيان ثم ذكرته
ابن عباس رضي الله عنهما ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز تأخير الاستثناء وعامة الفقهاء على
خلافه اذ لو صح ذلك لما تقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولا يعلم صدق ولا كذب القرطبي هنا في
تدارك التبرك والتخلص عن الاثم واما الاستثناء المعين للحكم فلا يكون الا متصلا ويجوز ان يكون المعنى واذكر
ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة في الحث عليه او اذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض
ما امرك به ليبعثك ذلك على التدارك او اذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل على اداء الصلوة
المنسية عند ذكرها وقل عسى ان يهدين ربي اي يوفقني لاقرب من هذا اي لشيء اقرب واظهر من نبأ اصحاب
الكهف من الايات والدلائل الدالة على نبوتي رشدا رشادا للناس ودلالة على ذلك وقد فعل عز وعلا ذلك حيث
اتاه من البينات ما هو اعظم من ذلك وابين كقصص الانبياء المتباعد ايامهم والحوادث النازلة في الاعصار المستقبلة
الى قيام الساعة ولاقرب رشدا وادنى خيرا من المنسي ولبثوا في كهفهم احياء مضروبا على اذانهم ثلثماية سنين
وازدادوا تسعا وهي جملة مستأنفة مبينة لما اجمل فيما سلف واشير الى عزة مناله انه حكاية ككلام
اهل الكتاب فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم بعضهم هكذا وبعضهم ثلثماية
عن علي رضي الله عنه انه قال عند اهل الكتاب انهم لبثوا ثلثماية سنة شمسية والله تعالى ذكر السنة القمرية
والتفاوت بينهما في كل ماية سنة ثلث سنين فيكون ثلثماية وتسع سنين وسنين عطف بيان لثلثماية وقيل
بدل على الاضافة وصفا للجمع موضع المفرد ومما يحسنه ها هنا ان علامة الجمع فيه خبر لما حذف في
الواحد وان الاصل في العدد اضافته الى الجمع قل الله اعلم بما لبثوا اي بالزمان الذي لبثوا فيه له غيب السموات
والارض ما غاب فيهما وخفي من احوال اهلها واللام للاختصاص العلمي دون التكويني فانه غير مختص بالغيب
ابصر به واسمع دل بصيغة التعجب على ان شان علمه سبحانه بالمبصرات والمسموعات خارج عما عليه ادراك المدركين
لا يحجبه شيء ولا يحول دونه حائل ولا يتفاوت بالنسبة اليه اللطيف والكثيف والصغير والكبير والخفي والجلي
والهاء ضمير الجلالة ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة وكان اصله ابصر اي صار ذا بصر ثم نقل الى صيغة
الامر للانشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة الباء كما في كفى به والنصب على المفعولية عند الا
والفاعل ضمير المأمور وهو كل احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة ولعل
تقديم امر ابصاره تعالى لما ان الذي نحن بصدده من قبيل المبصرات ما لهم لاهل السموات والارض من دونه تعالى
من ولي يتولى امورهم وينصرهم استقلالا ولا يشرك في حكمه في قضائه او في علم الغيب احدا منهم ولا يجعل
له فيه مدخلا وهو كما ترى ابلغ في نفي الشريك من ان يقال من ولي ولا شريك على صيغة نهي الحاضر على ان
الخطاب لكل احد ولما دل انتظام القرآن الكريم لقصة اصحاب الكهف من حيث انها بالنسبة الى النبي صلى الله
عليه وسلم من المغيبات على انه وحي معجز امر عليه الصلوة والسلام بالمداومة على دراسته فقال واتل ما اوحي
اليك من كتاب ربك ولا تسمع لقولهم ائت بقران غير هذا او بدله لا مبدل لكلماته لا قادر على تبديله وتغييره
غيره ولن تجد ابد الدهر وان بالغت في الطلب من دونه ملتحدا ملجأ تعول اليه عند المام ملمة واصبر نفسك
احبسها وثبتها مصاحبة مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي اي دائبين على الدعاء في جميع الاوقات
في طرفي النهار بالغدوة على ان ادخال اللام عليها وهي علم في الاغلب على تأويل التنكير والمراد بهم فقراء

المؤمنين مثل صهيب وعمار وخباب ونحوهم اصحاب الصفة وكانوا نحو سبعمائة رجل الله قال قوم
من رؤساء الكفرة لرسول الله عليه الصلوة والسلام نح هؤلا القوم الذين كان ريحهم ريح الضان حتى نجالسك كما قال
قوم نوح عليه السلام انؤمن لك واتبعك الارذلون فنزلت والتعبير عنهم بالموصول لتعليل الامر بما في حيز الصلة من
الخصلة الداعية الى ادامة الصحبة يريدون بدعائهم ذلك وجهه حال من المستكن في يدعون اي مريدين
رضاه تعالى وطاعته ولا تعد عيناك عنهم اي لا يجاوزهم نظرك الى غيرهم من عداه اي جاوزه واستعماله بعن لتضمنه
معنى النبوة او لا تصرف عيناك النظر عنهم الى غيرهم من عدوته عن الامر اي صرفته عنه على ان المفعول محذوف لظهوره
ولا تعد عينيك ولا تعد عينيك من الاعداء والتعدية والمراد نهيه عليه الصلوة والسلام عن الازدراء
بهم لرثاثة زيهم طموحا الى زي الاغنياء زينة الحيوة الدنيا اي تطلب مجالسة الاشراف والاغنياء واصحاب
الدنيا وهي حال من الكاف على الوجه الاول من القراءة المشهورة ومن الفاعل على الوجه الثاني منها وضمير تريد للعينين
واسناد الارادة اليه مجاز وتوحيده للتلازم كما في قوله • لمن زحلوفة زل • بها العينان تنهل • ومن المستكن
في الفعل على القراءتين الاخيرتين ولا تطع في تنحية الفقراء عن مجلسك من اغفلنا قلبه اي جعلناه غافلا لبطلان
استعداده للذكر بالمرة ووجدناه غافلا كقولك اجبنته وابخلته اذا وجدته كذلك وهو من اغفل ابله اي لم
يسمه بالذكر عن ذكرنا كاولئك الذين يدعونك الى طرد الفقراء عن مجلسك فانهم غافلون عن ذكرنا على خلاف ما عليه
المؤمنون من الدعاء في مجامع الاوقات وفيه تنبيه على ان الباعث له الى ذلك الدعاء غفلة قلبه عن جناب الحق
سبحانه وجهته وانهماكه في الحسيات حتى خفي عليه ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد
اغفلنا قلبه على اسناد الفعل الى القلب اي حسبنا غافلين عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة من اغفلته اذا وجدته
غافلا واتبع هواه وكان امره فرطا ضياعا وهلاكا او متقدما للحق والصواب بازالة وراء ظهره من قولهم فرس
فرط اي متقدم للخيل او هو بمعنى الافراط والتفريط فان الغفلة عن ذكره سبحانه تؤدي الى اتباع الهوى المؤدي
الى التجاوز والتباعد عن الحق والصواب والتعبير عنهم بالموصول للايذان بعلية ما في حيز الصلة للنهي عن الاطاعة
وقل لاولئك الغافلين المتبعين هواهم الحق من ربكم اي ما اوحي الي الحق لا غير كائنا من ربكم او الحق المعهود
من جهة ربكم لا من جهتي حتى يتصور فيه التبديل او يمكن التردد في اتباعه وقوله تعالى فمن شاء فليؤمن
ومن شاء فليكفر اما من تمام القول المأمور به والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها بطريق التهديد لا التفريعة
عليه كما في قوله تعالى هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب وقوله تعالى الحق من ربك فلا تكونن من الممترين
اي عقيب تحقق ان ما اوحي الي حق لا ريب فيه وان ذلك الحق من جهة ربكم من شاء ان يؤمن به فليؤمن كسائر
المؤمنين ولا يتعلل بما لا يكاد يصلح للتعلل ومن شاء فليكفر به فليفعل وفيه من التهديد واظهار الاستغناء
عن متابعتهم وعدم المبالاة بهم وبايمانهم وجودا وعدما ما لا يخفى واما تهديد من جهة الله تعالى والفاء لترتيب
ما بعدها من التهديد على الامر لا على مضمون المأمور به والمعنى قل لهم ذلك وبعد ذلك من شاء ان يؤمن به او
يصدقك فيه فليؤمن ومن شاء ان يكفر به وان يكذبك فيه فليفعل فقوله تعالى انا اعتدنا وعيد شديد
وتاكيد للتهديد وتعليل لما يفيده من الزجر عن الكفر او لما يفهم من ظاهر التخيير من عدم المبالاة بكفرهم وقلة الا
هتمام بزجرهم عنه فان اعداد جزائه من دواعي الاملاء والامهال على الوجه الاول هو تعليل للامر بما ذكر من التخيير
التهديدي اي قل لهم انا اعتدنا للظالمين اي هيئنا للكافرين بالحق بعد ما جاء من الله سبحانه والتعبير عنهم
بالظالمين للتنبيه على ان مشية الكفر واختياره تجاوز عن الحد ووضع للشيء في غير موضعه نارا عظيمة
عجيبة احاط بهم اي محيط بهم وايثار صيغة الماضي للدلالة على التحقق سرادقها اي فسطاطها شبه به
ما يحيط بهم من النار السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط سرادقها دخانها وقيل حائط من نار
وان يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل كالحديد المذاب كدردي الزيت وهو على طريقة قوله فاعتبوا

بالصيلم يشوي الوجوه اي اذا قدم ليشرب يشوي الوجه لحرارته النبي صلى الله عليه وسلم هو كعكر الزيت فاذا
قرب اليه سقط فروة وجهه بئس الشراب ذلك وساءت النار مرتفقا متكأ واصل الارتفاق نصب المرفق تحت
الخد واني ذلك في النار وانما هو لمقابلة قوله تعالى حسنت مرتفقا ان الذين امنوا في محل التعليل للحث على الايمان
المنفهم من التخيير كانه قيل والذين امنوا ولعل تغيير سبكه للايذان بكمال تنافي مآلي الفريقين اي ان الذين امنوا بالحق
الذي انزل اليك وعملوا الصالحات حسبما بين في تضاعيفه انا لا نضيع اجر من احسن عملا خبر ان الاولى هي والثانية
مع ما في حيزها والراجع محذوف اي من احسن منهم عملا او مستغنى عنه كما في قولك نعم الرجل زيد او واقع موقع
الظاهر فان من احسن عملا في الحقيقة هو الذي امن وعمل الصالحات اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة لهم
جنات عدن تجري من تحتها الانهار استيناف لبيان الاجر او هو الخبر وما بينهما اعتراض او هو خبر بعد خبر يحلون فيها من
اساور من ذهب من الاولى ابتدائية والثانية بيانية صفة لاساور والتنكير للتفخيم وهو جمع اسورة او اسوار
جمع سوار ويلبسون ثيابا خضرا خصت الخضرة بثيابهم لانها احسن الالوان واكثرها طراوة من سندس واستبرق اي
ما رق من الديباج وما غلظ وجمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين متكئين فيها
على الارائك على السرر على ما هو شان المتنعمين نعم الثواب ذلك وحسنت اي الارائك مرتفقا اي متكأ
واضرب لهم اي للفريقين الكافر والمؤمن مثلا رجلين مفعولان لاضرب اولهما ثانيهما لانه المحتاج الى التفصيل
والبيان اي اضرب للكافرين والمؤمنين لا من حيث احوالهما المستفادة مما ذكر انفا من ان للاولين في الاخرة
كذا وللاخرين كذا بل من حيث عصيان الاولين من حيث تقلبهم في نعم الله تعالى وطاعة الاخرين مع مكابدة
مشاق الفقر مثلا حال رجلين مقدرين او محققين هما اخوان من بني اسرائيل او شريكان كافر واسمه فطروس
ومؤمن اسمه يهودا اقتسما ثمانية الاف دينار فاشترى الكافر بنصيبه منها ضياعا وعقارا وصرف المؤمن
نصيبه الى وجوه الخيرات والمبار فآل امرهما الى ما حكاه الله تعالى هما اخوان من بني مخزوم كافر هو
الاسود بن عبد الاشد ومسلم هو ابو سلمة عبد الله بن عبد الاشد زوج ام سلمة جعلنا لاحدهما وهو الكافر جنتين
بستانين من اعناب من كروم متنوعة والجملة بتمامها بيان للتمثيل او صفة لرجلين وحففناهما بنخل اي
جعلنا النخل محيطة بهما مؤيدا بها كرومهما يقال حفه القوم اذا طافوا وحففته بهم جعلتهم حافين حوله
فتزيد الباء مفعولا اخر كقولك غشيته به وجعلنا بينهما وسطهما زرعا ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفوا
كه متواصل العمارة على الهيئة الرائقة والوضع الانيق كلتا الجنتين اتت اكلها ثمرها وبلغ مبلغا صالحا للاكل
بسكون الكاف كل الجنتين اي اكله ولم تظلم منه لم تنقص منه او اكلها شيئا يعهد ذلك كسائر
البساتين فان الثمار غالبا تكثر في عام وتقل في اخر وكذا بعض الاشجار تاتي بالثمر في بعض الاعوام دون بعض
وفجرنا خلالهما فيما بين كل من الجنتين نهرا على حدة ليدوم شربهما ويزيد بهاؤهما على التخفيف ولعل
تاخير تفجير النهر عن ذكر ايتاء الاكل مع ان الترتيب الخارجي على العكس للايذان باستقلال كل من ايتاء الاكل وتفجير
النهر في تكميل محاسن الجنتين كما في قصة البقرة ونحوها ولو عكس لانفهم ان المجموع خصلة واحدة بعضها مترتب
على بعض فان ايتاء الاكل متفرع على السقي كقوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وكان له لصاحب الجنتين
ثمر انواع من المال غير الجنتين من ثمر ماله اذا كثره ابن عباس رضي الله عنهما هو جميع المال من الذهب
والفضة والحيوان وغير ذلك مجاهد من الذهب والفضة خاصة فقال لصاحبه المؤمن وهو
اي القائل يحاوره اي صاحبه المؤمن وان جاز العكس اي راجعه في الكلام من حار اذا رجع انا اكثر منك مالا
واعز نفرا حشما واعوانا واولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه ودخل جنته التي شرحت احوالها وعددها
وصفاتها وهيئاتها وتوحيدها اما لعدم تعلق الغرض بتعددها واما لاتصال احدهما بالاخرى واما لان
الدخول يكون في واحدة فواحدة وهو ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره قال استيناف مبني على سؤال نشا

من ذكر دخول جنته حال ظلمه لنفسه كانه قيل فماذا قال اذ ذاك فقيل قال ما اظن ان تبيد هذه الجنة اي
تفنى ابدا لطول امله وتمادي غفلته واغتراره بمهلته ولعله انما قال ما قال بمقابلة موعظة صاحبه وتذكيره
بفناء جنته ونهيه عن الاغترار بهما وامره بتحصيل الباقيات الصالحات وما اظن الساعة قائمة كائنة فيما سياتي
ولئن رددت بالبعث عند قيامها كما تقوله الى ربي لاجدن يومئذ خيرا منها اي من هذه الجنة منهما
اي من الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة ومدار هذا الطمع واليمين الفاجرة اعتقادا انه تعالى انما اولاه ما اولاه
في الدنيا لاستحقاقه الذاتي وكرامته عليه سبحانه ولم يدر ان ذلك استدراج قال له صاحبه استيناف كما سبق
وهو يحاوره جملة حالية كما مر فايدتها التنبيه من اول الامر على ان ما يتلوه كلام معتنى بشانه سوق للمحاورة اكفرت
حيث قلت ما اظن الساعة قائمة بالذي خلقك اي في ضمن خلق اصلك من تراب فان خلق آدم عليه السلام منه
متضمن لخلقه منه لما ان كل فرد من افراد البشر له حظ من خلقه عليه السلام اذ لم تكن فطرته الشريفة مقصورة على
نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها الى الكل فكان
خلقه عليه السلام من التراب خلقا للكل منه وقيل خلقك منه لانه اصل مادتك اذ به يحصل الغذاء الذي
منه يحصل النطفة ثم من نطفة هي مادتك القريبة فالمخلوق واحد والمبدأ متعدد ثم سواك رجلا
اي عدلك وكملك انسانا ذكرا او صيرك رجلا والتعبير عنه تعالى بالموصول للاشعار بعلية ما في حيز الصلة
لانكار الكفر والتلويح بدليل البعث الذي نطق به قوله عز وجل يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا
خلقناكم من تراب ثم من نطفة الاية لكنا هو الله ربي اصله لكن انا وقد قرئ كذلك فحذفت الهمزة فتلاقت النونان
فكان الادغام وهو ضمير الشان وهو مبتدا خبره الله ربي وتلك الجملة خبر انا والعائد منها اليه الضمير وقرئ
باثبات الف انا في الوصل والوقف جميعا وفي الوقف خاصة لكنه بالهاء ولكن بطرح انا ولكن انا لا
اله الا هو ربي ومدار الاستدراك قوله تعالى اكفرت كانه قال انت كافر لكني مؤمن موحد ولا اشرك بربي احدا فيه ايذان
بان كفره كان بطريق الاشراك ولولا اذ دخلت جنتك قلت اي هلا قلت عند ما دخلتها وتقديم الظرف على المحضض
عليه للايذان بتحتم القول في آن الدخول من غير ريث لا للقصر ما شاء الله اي الامر ما شاء الله او ما شاء الله كائن
على ان ما موصولة مرفوعة المحل او اي شيء شاء الله كان على انها شرطية منصوبة والجواب محذوف والمراد
تحضيضه على الاعتراف بانها وما فيها بمشية الله تعالى ان شاء ابقاها وان شاء افناها لا قوة الا بالله اي
هلا قلت ذلك اعترافا بعجزك وبان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها انما هو بمعونة الله تعالى واقداره عن
النبي صلى الله عليه وسلم من رأى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره ان ترن انا اقل منك مالا
وولدا انا اما مؤكد لياء المتكلم او ضمير فصل بين مفعولي الرؤية ان جعلت علمية واقل ثانيهما وحال ان جعلت
بصرية فيكون انا حينئذ تاكيدا لا غير لان شرط كونه ضمير فصل توسطه بين المبتدا والخبر وقرئ اقل بالرفع خبرا
لانا والجملة مفعول ثان للرؤية او حال وفي قوله تعالى وولدا نصرة لمن فسر النفر بالولد فعسى ربي ان يؤتين
خيرا من جنتك من جواب الشرط والمعنى ان ترن افقر منك فانا اتوقع من صنع الله تعالى ان يقلب ما بي وما بك من
الفقر والغنى فيرزقني لايماني جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب جنتك ويرسل عليها حسبانا هو
مصدر بمعنى الحساب كالبطلان والغفران اي مقدارا قدره الله تعالى وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقيل عذاب
حسبان وهو حساب ما اكتسبت يداه وقيل جمع حسبانة وهي الصواعق ومساعدة النظم الكريم مما سياتي للاولين
اكثر من السماء فتصبح صعيدا زلقا مصدرا اريد به المفعول مبالغة اي ارضا ملساء يزلق عليها لاستيصال ما عليها
من النبات والشجر او يصبح عطف على قوله تعالى فتصبح وفي الوجه الثالث على يرسل ماؤها غورا اي غائرا في الارض
اطلق عليه المصدر مبالغة فلن تستطيع له اي للماء الغائر طلبا فضلا عن وجدانه ورده واحيط بثمره
اهلك امواله المعهودة من جنتيه وما فيهما واصله من احاطة العدو وهو عطف على مقدر كانه قيل فوقع بعض

ما وقع

ما وقع من المحذور واهلك امواله وانما حذف لدلالة السياق والسياق عليه كما في المعطوف عليه بالفاء
الفصيحة فاصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن وهو كناية عن الندم كانه قيل فاصبح يندم على ما انفق فيها اي في
عمارتها من المال ولعل تخصيص الندم به دون ما هلك من الجنة لما انه انما يكون على الافعال الاختيارية ولان ما انفق في
عمارتها كان مما يمكن صيانته عن طوارق الحدثان وقد صرفه الى مصالحها رجاء ان يتمتع بها وكان يرى انه لا تنالها
ايدي الردى ولذلك قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا فلما ظهر له انها مما يعتريه الهلاك ندم على ما صنع بناء على الزعم
الفاسد من انفاق ما يمكن ادخاره في مثل هذا الشيء السريع الزوال وهي اي الجنة من الاعناب المحفوفة بنخل خاوية
ساقطة على عروشها اي دعائمها المصنوعة للكرم لسقوطها قبل سقوطها وتخصيص حالها بالذكر دون النخل والزرع اما
لانها العمدة وهما من متمماتها واما لان ذكر هلاكها مغن عن ذكر هلاك الباقي لانها حيث هلكت وهي مشيدة بعروشها
فهلاك ما عداها بالطريق الاولى واما لان الانفاق في عمارتها اكثر وقيل ارسل الله تعالى عليها نارا فاحرقتها
وغار ماؤها ويقول عطف على يقلب او حال من ضميره اي وهو يقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا كانه تذكر موعظة
اخيه وعلم انه قد اتي من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا لم يصبه ما اصابه ويحتمل ان يكون ذلك توبة عن الشرك وندما
على ما فرط منه ولم تكن له وقرئ بالياء التحتانية فئة ينصرونه يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او على رد المهلك
او على الاتيان بمثله وجمع الضمير باعتبار المعنى كما في قوله جل وعلا يرونهم مثليهم من دون الله فانه القادر على
ذلك وحده وما كان في نفسه منتصرا ممتنعا بقوته عن انتقامه سبحانه هنالك في ذلك المقام وفي تلك الحال
الولاية لله الحق اي النصرة له وحده لا يقدر عليها احد فهو تقرير لما قبله او ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة
كما نصر بما فعل بالكافر اخاه المؤمن ويعضده قوله تعالى هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه الولاية
بكسر الواو ومعناها الملك والسلطان اي هنالك السلطان له عز وجل لا يغلب ولا يمتنع منه ولا يعبد غيره كقوله
تعالى واذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتني لم اشرك الخ كان عن
اضطراب وجزع عما دهاه على اسلوب قوله تعالى الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين هنالك
اشارة الى الآخرة كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار برفع الحق على انه صفة للولاية وبنصبه على
انه مصدر مؤكد عقبا بضم القاف وعقبى كرجعى والكل بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا واذكر لهم
ما يشبهها في زهرتها ونضارتها وسرعة زوالها لئلا يطمئنوا بها ولا يعكفوا عليها ولا يضربوا عن الآخرة صفحا
بالمرة او بين لهم صفتها العجيبة التي هي في الغرابة كالمثل كماء استيناف لبيان المثل اي هي كماء انزلناه من السماء
ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا لاضرب على انه بمعنى صير فاختلط به اشتبك بسببه نبات الارض فالتف وخالط
بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه او نجع الماء في النبات حتى روي ورف فمقتضى الظاهر حينئذ فاختلط بنبات
الارض وايثار ما عليه النظم الكريم عليه للمبالغة في الكثرة فان كلا من المختلطين موصوف بصفة صاحبه فاصبح
ذلك النبات الملتف اثر بهجته ورفيفها هشيما مهشوما مكسورا تذروه الرياح تفرقه تذريه
من اذراه وتذروه الريح وليس المشبه به نفس الماء بل هو الهيئة المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء
يكون اخضر وارقا ثم هشيما تطيره الرياح كان لم تغن بالامس وكان الله على كل شيء من الاشياء التي من جملتها
الانشاء والافناء مقتدرا قادرا على الكمال المال والبنون زينة الحيوة الدنيا بيان لشان ما كانوا يفتخرون به من
محسنات الدنيا كما قال الاخ الكافر انا اكثر منك مالا واعز نفرا اثر بيان شان نفسها بما مر من المثل وتقديم المال
على البنين مع كونهم اعز منه كما في الاية المحكية آنفا وقوله تعالى وامددناكم باموال وبنين وغير ذلك من الايات
الكريمة لعراقته فيما نيط به من الزينة والامداد وغير ذلك وعمومه بالنسبة الى الافراد والاوقات فانه زينة
وممد لكل احد من الآباء والبنين في كل وقت وحين واما البنون فزينتهم وامدادهم انما يكون بالنسبة الى من بلغ مبلغ
الابوة ولان المال مناط لبقاء النفس والبنون لبقاء النوع ولان الحاجة اليه امس من الحاجة اليهم ولانه اقدم

منهم في الوجود لانه زينة بد ونهم من غير عكس فان من له بنون بلا مال فهو في ضيق حال ونكال وافراد الزينة مع
انهما مسند الي الاثنين لما انها مصدر في الاصل اطلق علي المفعول مبالغة كانهما نفس الزينة والمعنى ان ما يفتخرون
به من المال والبنين شيء يتزين به في الحيوة الدنيا وقد علم شانهما في سرعة الزوال وقرب الاضمحلال فكيف بما هو
من اوصافها التي شانها ان تزول قبل زوالها **والباقيات الصالحات** هي اعمال الخير هي الصلوة الخمس وقيل سبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقيل كل ما اريد به وجه الله تعالى وعلى كل تقدير يدخل فيها اعمال فقراء المؤمنين
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه دخولا اوليا اما صلاحها فظاهر واما بقاؤها فبقاء عوائدها عند
فناء كل ما تطمح اليه النفس من حظوظ الدنيا **خير** اي مما نعت شانه من المال والبنين واخراج بقاء تلك الاعمال
وصلاحها مخرج الصفات المفروغ عنها مع ان حقهما ان يكونا مقصودي الافادة لاسيما في مقابلة اثبات الفناء لما
يقابلها من المال والبنين على طريقة قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق للايذان ان بقاءها امر محقق
لاحاجة الي بيانه بل لفظ الباقيات اسم لها لا وصف ولذلك لم يذكر الموصوف واما الذي يحتاج الى التعرض له فخيريتها
عند ربك اي في الاخرة وهو بيان لما يظهر فيه اثار خيريتها بمنزلة اضافة الزينة الي الحيوة الدنيا لا لافضليتها
من المال والبنين مع مشاركة الكل في الاصل اذ لا مشاركة لهما في الخيرية في الاخرة **ثوابا** عائدة تعود الي صاحبها
وخير املا حيث ينال بها صاحبها في الاخرة كلما كان يؤمله في الدنيا واما ما مر من المال والبنين فليس لصاحبه
امل يناله وتكرير خير للاشعار باختلاف حيثيتي الخيرية والمبالغة فيها **ويوم نسير الجبال** منصوب بمضمر اي اذكر حين نقلعها
من اماكنها ونسيرها في الجو علي هيأتها كما ينبئ عنه قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب اونسير
اجزاءها بعد ان نجعلها هباء منبثا والمراد بتذكيره تحذير المشركين مما فيه من الدواهي وقيل هو معطوف على ما قبله
من قوله تعالى عند ربك اي الباقيات الصالحات خير عند ربك ويوم القيمة وقرئ تسير على صيغة البناء للمفعول
على التفعيل جريا علي سنن الكبرياء وايذانا بالاستغناء عن الاسناد الي الفاعل لتعينه وقرئ تسير **وترى الارض**
اي جميع جوانبها والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يتاتى منه الرؤية وقرئ ترى على صيغة
البناء للمفعول **بارزة** اما بروز ما تحت الجبال فظاهر واما ما عداه فكانت الجبال تحول بينه وبين الناظر قبل ذلك
فالان اضحى قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا **وحشرناهم** جمعناهم الي الموقف من كل اوب وايثار صيغة
الماضي بعد نسير وترى للدلالة على تحقق الحشر المتفرع علي البعث الذي ينكره المنكرون وعليه يدور امر الجزاء وكذا
الكلام فيما عطف عليه منفيا وموجبا وقيل هو للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير والبروز ليعاينوا تلك الاحوال
كانه قيل حشرناهم قبل ذلك **فلم نغادر** اي لم نترك **منهم احدا** يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر الذي
هو ترك الوفاء والغدير الذي ما يتركه السيل في الارض الغائرة وقرئ بالياء وبالفوقانية علي اسناد الفعل الي ضمير
الارض كما في قوله تعالى والقت ما فيها وتخلت **وعرضوا على ربك** شبهت حالهم بحال جند عرضوا علي السلطان ليامر
فيهم بما يامر وفي الالتفات الي الغيبة وبناء الفعل للمفعول مع التعرض لعنوان الربوبية والاضافة الي ضميره عليه
الصلوة والسلام من تربية المهابة والجري على سنن الكبرياء واظهار اللطف به عليه الصلوة والسلام ما لا يخفى **صفا**
اي غير متفرقين ولا مختلطين فلا تعرض فيه لوحدة الصف وتعدده وقد ورد في الحديث الصحيح يجمع الله الاولين
والاخرين في صعيد واحد صفوفا **لقد جئتمونا** على اضمار القول على وجه يكون حالا من ضمير عرضوا اي مقولا لهم
او قلنا لهم واما كونه عاملا في يوم نسير كما قيل فبعيد من جزالة التنزيل الجليل كيف لا ويلزم منه هذا القول من المقصود
بالاصالة دون سائر القوارع مع انه خاص التعلق بما قبله من العرض والحشر دون تسيير الجبال وبروز الارض **كما خلقناكم**
نعت لمصدر مقدر اي مجيئا كائنا كمجيئكم عند خلقنا لكم **اول مرة** او حال من ضمير جئتمونا اي كائنين كما خلقناكم اول مرة
حفاة عراة غرلا او ما معكم شيء مما تفتخرون به من الاموال والانصار كقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة
وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم **بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا** اضراب وانتقال من كلام الى كلام كلاهما للتوبيخ والتقريع

اي زعمتم

اي زعمتم في الدنيا انه لن نجعل لكم وقتا ننجز فيه ما وعدناه من البعث وما يتبعه وان مخففة من المثقلة فصل بحرف النفي
بينها وبين خبرها لكونه جملة فعلية متصرفة غير دعاء والظرف اما مفعول ثان لنجعل وهو بمعنى التصيير والاول هو موعدا
او حال من موعدا وهو بمعنى الخلق والابداع **ووضع الكتاب** عطف على عرضوا داخل تحت الامور الهائلة التي اريد
تذكيرها بتذكير وقتها واورد فيه ما اورد في امثاله من صيغة الماضي دلالة على التقرر ايضا اي وضع صحائف الاعمال
وايثار الافراد للاكتفاء بالجنس والمراد بوضعها وضعها في ايدي اصحابها يمينا وشمالا واما في الميزان **فترى المجرمين**
قاطبة فيدخل فيه الكفرة والمنكرون للبعث دخولا اوليا **مشفقين** خائفين **مما فيه** من الجرائم والذنوب **ويقولون**
عند وقوفهم على ما في تضاعيفه نقيرا او قطميرا **يا ويلتنا** منادين لهلكتهم التي هلكوا بها من بين الهلكات مستد
لها ليهلكوا ولا يروا هول ما لاقوه اي يا ويلتنا احضري فهذا اوان حضورك **ما لهذا الكتاب** اي اي شيء له وقوله تعالى
لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها اي حواها وضبطها جملة حالية محققة لما في الجملة الاستفهامية من التعجب
او استينافية مبنية على سؤال نشا من التعجب كانه قيل ما شانه حتى يتعجب منه فقيل لا يغادر سيئة صغيرة ولا
كبيرة الا احصاها **ووجدوا ما عملوا** في الدنيا من السيئات او جزاء ما عملوا **حاضرا** مسطورا عتيدا **ولا يظلم ربك احدا**
فيكتب ما لم يعمل من السيئات او يزيد في عذابه المستحق فيكون اظهارا لمعدلة القلم الازلي **واذ قلنا للملئكة** اي
اذكر وقت قولنا **اسجدوا لادم** سجود تحية وتكريم وقد مر تحقيقه **فسجدوا** جميعا امتثالا بالامر **الا ابليس** فانه لم
يسجد بل ابى واستكبر وقوله تعالى **كان من الجن** كلام مستانف سيق مساق التعليل لما يفيده استثناء اللعين
من الساجدين كانه قيل ما له لم يسجد فقيل كان اصله جنيا **ففسق عن امر ربه** اي خرج عن طاعته كما ينبئ عنه الفاء
او صار فاسقا كافرا بسبب امر الله تعالى اذ لولاه كان جنيا لما ابى والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن التربية لبيان
كمال قبح ما فعله والمراد بتذكير قصته تشديد النكير على المتكبرين المفتخرين بانسابهم واموالهم المستنكفين عن الانتظام
في سلك فقراء المؤمنين ببيان ان ذلك من صنيع ابليس وانهم في ذلك تابعون لتسويله كما ينبئ عنه قوله تعالى
افتتخذونه الي اخره فان الهمزة للانكار والتعجيب والفاء للتعقيب اي اعقيب علمكم بصدور تلك القبائح منه
تتخذونه **وذريته** اي اولاده واتباعه جعلوا ذريته مجازا قال قتادة يتوالدون كما يتوالد بنو ادم وقيل
يدخل ذنبه في دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين **اولياء من دوني** فتستبدلونهم بي فتطيعونهم
بدل طاعتي **وهم** اي والحال ان ابليس وذريته **لكم عدو** اي اعداء كما في قوله تعالى فانهم عدو لي الا رب
العالمين وقوله تعالى هم العدو وانما فعل به ذلك تشبيها له بالمصادر نحو القبول والولوع وتقييد الاتخاذ بالجملة
الحالية لتاكيد الانكار وتشديده فان مضمونها مانع من وقوع الاتخاذ ومناف له قطعا **بئس للظالمين** اي الواضعين
للشيء في غير موضعه **بدلا** من الله سبحانه ابليس وذريته وفي الالتفات الى الغيبة مع وضع الظالمين موضع
الضمير من الايذان بكمال السخط والاشارة الي ان ما فعلوه ظلم قبيح ما لا يخفى **ما اشهدتهم** استيناف مسوق لبيان
عدم استحقاقهم للاتخاذ المذكور في انفسهم بعد بيان الصوارف عن ذلك من جنايته والحسد والفسق والعداوة
اي ما احضرت ابليس وذريته **خلق السموات والارض** حيث خلقتهما قبل خلقهم **ولا خلق انفسهم** اي ولا اشهدت
بعضهم خلق بعض كقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم هذا ما اجمع عليه الجمهور حذارا من تفكيك الضميرين ومحافظة
على ظاهر لفظ الانفس ولك ان ترجع الضمير الثاني الي الظالمين وتلتزم التفكيك بناء على عود المعنى اليه فان نفي
اشهاد الشياطين خلق الذين يتولونهم هو الذي يدور عليه انكار اتخاذهم اولياء بناء على ان ادنى ما يصح التولي حضور
الولي خلق المتولي وحيث انتفى الحضور لا يصح التولي قطعا واما اشهاد بعض الشياطين خلق بعض منهم فليس من مدار
الانكار المذكور في شيء على ان اشهاد بعضهم خلق بعض كان مصححا لتولي الشاهد بناء على دلالته على كماله باعتبار
ان له مدخلا في خلق المشهود في الجملة فهو مخل بتولي المشهود بناء على قصوره عمن شهد خلقه فلا يكون نفي الاشهاد
المذكور متمحضا في نفي الكمال المصحح للتولي عن الكل وهو المناط للانكار المذكور **وما كنت متخذ المضلين** اي متخذهم

وانما وضع موضعه المظهر ذما لهم وتسجيلا عليهم بالاضلال وتاكيدا لما سبق من انكار اتخاذهم اولياء عضدا اعوانا
في شان الخلق او في شان من شؤني حتى يتوهم شركتهم في التولي بناء على الشركة في بعض احكام الربوبية وفيه تهكم
بهم وايذان بكمال ركاكة عقولهم وسخافة رايهم حيث لا يفهمون هذا الامر الجلي الذي لا يكاد يشتبه على البله والصبيان
فيحتاجون الى التصريح به وايثار نفي الاشهاد على نفي شهودهم ونفي اتخاذهم اعوانا على نفي كونهم كذلك للاشعار بانهم مقهورون
تحت قدرته تعالى تابعون لمشيئته وارادته فيهم فانهم بمعزل من استحقاق الشهود والمعونة من تلقاء انفسهم من
غير احضار واتخاذ وانما قصارى ما يتوهم في شانهم ان يبلغوا ذلك المبلغ بامر الله عز وجل ولم يكن ذلك وقيل
الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما اطلعتهم على اسرار التكوين وما خصصتهم بفضائل لا يحويها غيرهم
حتى يكونوا قدوة للناس فيؤمنوا بايمانهم كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد
المضلين ويعضده القراءة بفتح التاء خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى ما صح لك الاعتضاد بهم ووصفهم
بالاضلال لتعليل نفي الاتخاذ وقرئ متخذ المضلين على الاصل وقرئ عُضْدا بضم العين وسكون الضاد وبفتح وسكون
بالتخفيف وبضمتين بالاتباع وبفتحتين على انه جمع عاضد كرصد ومراصد ويوم يقول اي الله عز وجل للكافرين توبيخا
وتعجيزا وقرئ بنون العظمة نادوا شركائي الذين زعمتم انهم شفعاؤكم ليشفعوا لكم والمراد بهم كل ما عبد
من دونه تعالى ابليس وذريته فدعوهم اي نادوهم للاغاثة وفيه بيان لكمال اعتنائهم باعانتهم على طريق
الشفاعة اذ معلوم ان لا طريق الى المدافعة فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم اذ لا امكان لذلك وفي ايراده مع ظهوره
تهكم بهم وايذان بانهم في الحماقة بحيث لم يفهمونه الا بالتصريح وجعلنا بينهم بين الداعين والمدعوين موبقا اسم
مكان او مصدر من وبق وبوقا كوثب وثوبا او وبق وبقا كفرح فرحا اذا هلك اي مهلكا يشتركون فيه وهو النار
او عداوة هي الشدة نفس الهلاك كقول عمر رضي الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا — البين الوصل
اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا في الآخرة ويجوز ان يكون المراد بالشركاء الملائكة وعزيرا وعيسى عليهم السلام
والموبق البرزخ البعيد اي جعلنا بينهم امدا بعيدا يهلك فيه الاشواط بعده لانهم في قعر جهنم وهم في اعلى الجنان
ورأى المجرمون النار وضع المظهر مقام المضمر تصريحا باجرامهم وذما لهم بذلك فظنوا اي فايقنوا انهم مواقعوها
مخالطوها واقعون فيها او ظنوا اذ رأوها من مكان بعيد انهم مواقعوها الساعة ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا او معدلا
يصرفون اليه ولقد صرفنا اي كررنا واوردنا على وجوه كثيرة من النظم في هذا القرآن للناس لمصلحتهم ومنفعتهم من كل مثل
من جملته ما مر من مثل الرجلين ومثل الحيوة الدنيا او من كل نوع من انواع المعاني البديعة الداعية الى الايمان التي هي في
الغرابة والحسن واستجلاب النفس كالمثل ليتلقوه بالقبول فلم يفعلوا وكان الانسان بحسب جبلته اكثر شيء جدلا اي
اكثر الاشياء التي يتاتى منه الجدل وهو هاهنا شدة الخصومة بالباطل والمماراة من الجدل الذي هو الفتل والمجادلة
الملاواة لان كلا من المجادلين يلتوي على صاحبه وانتصابه على التمييز والمعنى ان جدله اكثر من كل مجادل وما منع الناس
اي اهل مكة الذين حكيت اباطيلهم ان يؤمنوا من ان يؤمنوا بالله تعالى ويتركوا ما هم فيه من الاشراك اذ جاءهم الهدى
اي القرآن العظيم الهادي الى الايمان بما فيه من فنون المعاني الموجبة له ويستغفروا ربهم عما فرط منهم من انواع
الذنوب التي من جملتها مجادلتهم للحق بالباطل الا ان تاتيهم سنة الاولين اي الا طلب اتيان سنتهم او الانتظار اتيانها
اوالا انتقدير فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وسنتهم الاستيصال او ياتيهم العذاب اي عذاب الآخرة
قبلا اي انواعا جميع قبيل او عيانا كما في قراءة قبلا بكسر القاف وفتح الباء وقرئ بفتحتين اي مستقبلا يقال
لقيته قبلا وقبلا وانتصابه على الحالية من الضمير او العذاب والمعنى ان ما تضمنه القرآن الكريم من الامور المستوجبة
للايمان بحيث لو لم يكن مثل هذه الحكمة القوية لما امتنع الناس من الايمان وان كانوا مجبولين على الجدل المفرط
وما نرسل المرسلين الى الامم ملتبسين بحال من الاحوال الا حال كونهم مبشرين للمؤمنين بالثواب ومنذرين للكفرة
والعصاة بالعقاب ويجادل الذين كفروا بالباطل فاقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات والسؤال عن اصحاب الكهف ونحوها

تعنت ليدحضوا به اي بالجدال الحق اي يزيلوه عن مركزه ويبطلوه من ادحاض القوم وهو ازلاقها وهو قولهم للرسل
عليهم السلام ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة ونحوهما واتخذوا آياتي التي تخر لها صم الجبال وما انذروا
اي انذروه من القوارع الناعية عليهم العقاب والعذاب او انذارهم هزوا استهزاء وقرئ بسكون الزاء وهو
ما يستهزء وابه ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه وهو القرآن العظيم فاعرض عنها ولم يتدبرها ولم يتذكر بها وهذا السبك وان
كان مدلوله الوضعي نفي الاظلمية من غير تعرض لنفي المساواة في الظلم الا ان مفهومه العرفي انه اظلم من كل ظالم
وبناء الاظلمية على ما في حيز الصلة من الاعراض عن القرآن للاشعار بان ظلم من يجادل فيه ويتخذه هزوا خارج
عن الحد ونسي ما قدمت يداه اي عمله من الكفر والمعاصي التي من جملتها ما ذكر من المجادلة بالباطل والاستهزاء بالحق
ولم يتفكروا في عاقبتها انا جعلنا على قلوبهم اكنة اغطية كثيرة جمع كنان وهو تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع
على قلوبهم ان يفقهوه مفعول لما دل عليه الكلام اي منعناهم ان يفقهوا على كنهه او مفعول له اي كراهة ان يفقهوه
وفي اذانهم اي جعلنا فيها وقرا ثقلا يمنعهم عن استماعه وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا اي فلن يكون منهم
اهتداء البتة مدة التكليف واذا جزاء للشرط وجواب عن سؤال النبي صلى الله عليه وسلم المدلول عليه بكمال عنايته
باسلامهم كانه قال عليه الصلوة والسلام مالي لا ادعوهم فقيل ان تدعوهم الى آخره وجمع الضمير الراجع الى الموصول
في هذه المواضع الخمسة باعتبار معناه كما ان افراده في المواطن الخمسة المتقدمة باعتبار لفظه وربك مبتدا
وقوله تعالى الغفور خبره ذو الرحمة اي الموصوف بها خبر بعد خبر وايراد المغفرة على صيغة المبالغة دون الرحمة
للتنبيه على كثرة الذنوب فلان المغفرة ترك المضار وهو سبحانه قادر على ما لا يتناهى من العذاب واما الرحمة
فهي فعل وايجاد ولا يدخل تحت الوجود الا ما يتناهى وتقديم الوصف الاول لان التخلية قبل التحلية او لانه اهم
بحسب الحال اذ المقام مقام بيان تاخر العقوبة عنهم بعد استيجابهم لها كما يعرب عنه قوله تعالى لو يؤاخذهم
اي لو يريد مواخذتهم بما كسبوا من المعاصي التي من جملتها ما حكي عنهم من مجادلتهم بالباطل واعراضهم عن آيات ربهم وعدم
المبالات بما اجترحوا من الموبقات لعجل لهم العذاب لاستيجاب اعمالهم لذلك وايثار المواخذة المنبئة عن شدة
الاخذ بسرعة على التعذيب والعقوبة ونحوها للايذان بان النفي المستفاد من مقدم الشرطية متعلق بوصف الشدة
كما ينبئ عنه تاليها وايثار صيغة الاستقبال وان كان المعنى على المضي لافادة ان انتفاء تعجيل العذاب لهم بسبب استمرار
عدم المواخذة فان المضارع الواقع موقع الماضي يفيد استمرار انتفاء الفعل فيما مضى كما حققوه في موضعه بل لهم موعد
اسم زمان هو يوم بدر او يوم القيمة والجملة معطوفة على مقدر كانه قيل لكنهم ليسوا مواخذين بغتة لن يجدوا
البتة من دونه موئلا منجى او ملجا يقال وآل اي نجا وآل اليه اي نجا اليه وتلك القرى اي قرى عاد وثمود واضرابها وهي
مبنيا على تقدير المضاف اي واهل تلك القرى خبره قوله تعالى اهلكناهم او مفعول مضمر منسوب لما ظلموا اي وقت
ظلمهم كما فعلت قريش بما حكي عنهم من القبائح وترك المفعول اما لتعميم الظلم او لتنزيله منزلة اللازم اي لما فعلوا الظلم
ولما اما حرف كما قال ابن عصفور واما ظرف استعمل للتعليل وليس المراد به الوقت المعين الذي عملوا فيه الظلم
بل زمان ممتد من ابتداء الظلم الى آخره وجعلنا لمهلكهم اي عينا موعدا اي وقتا معينا لا يحيدون عن ذلك
وهذا استشهاد على ما فعل قريش من تعيين الموعد ليتنبهوا لذلك ولا يغتروا بتاخير العذاب وقرئ بضم الميم
وفتح اللام اي اهلاكهم وبفتحهما واذ قال موسى نصب باضمار فعل اي اذكر وقت قوله عليه السلام لفتاه وهو يوشع
ابن نون ابن افراثيم بن يوسف عليهم السلام سمي فتى اذ كان يخدمه ويتبعه كان يتعلم منه ويسمى
التلميذ فتى وان كان شيخا ولعل المراد بتذكيره عقيب بيان ان لكل امة موعدا تذكير ما في القصة من موعد
الملاقات مع ما فيها من سائر المنافع الجليلة لا ابرح من برح الناقص كزال يزال اي لا ازال اسير فحذف الخبر
اعتمادا على قرينة الحال اذ كان ذلك عند التوجه الى السفر واتكالا على ما يعقبه من قوله تعالى حتى ابلغ فان ذلك
غاية يستدعي ذا غاية يؤدي اليها ويجوز ان اصل الكلام لا يبرح سيري حاصلا حتى ابلغ فحذف المضاف واقيم

المضاف اليه مقامه فينقلب الضمير البارز المجرور المحل مرفوعا مستكنا والفعل من صيغة الغيبة الى التكلم ويجوز ان يكون من برح التام كزال يزول اي لا افارق ما انا بصدده حتى ابلغ **مجمع البحرين** وهو ملتقى بحر فارس والروم مما يلي المشرق وقيل هما الكر والرس بارمينية وقيل فريقيه وقرئ بكسر الميم كمشرف **او امضي حقبا** اسير زمانا طويلا اتيقن معه فوات المطلب والحقب الدهر او ثمانون سنة وكان منشا هذه العزيمة ان موسى عليه السلام لما ظهر على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط امره الله عز وجل ان تذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا بخطبة بديعة رقت بها القلوب وذرفت العيون فقالوا له من اعلم الناس فقال انا فعتب الله تعالى عليه حيث اذ لم يرد العلم اليه عز وجل فاوحى الله اليه بل اعلم منك عبد لي بمجمع البحرين وهو الخضر عليه السلام وكان في ايام افريدون قبل موسى عليه السلام وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى عليه السلام

ان موسى عليه السلام سال ربه اي عبادك احب اليك **قال** الذي يذكرني ولا ينساني **قال** فاي عبادك اقضى **قال** الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى **قال** فاي عبادك اعلم **قال** الذي يبتغي علم الناس على علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك من هو اعلم مني فدلني عليه **قال** اعلم منك الخضر عليه السلام **قال** اين اطلبه **قال** على ساحل البحر عند الصخرة **قال** يا رب كيف لي به **قال** تاخذ حوتا في مكتل فحيثما فقدته فهو هناك فاخذ حوتا فجعله في مكتل فقال لفتيه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان **فلما بلغا** الفاء فصيحة كما اشير اليه **مجمع بينهما** اي مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف اليه اتساعا او بمعنى الوصل **نسيا حوتهما** الذي جعل فقدانه وجدان المطلوب اي نسيا تفقد امره وما يكون منه نسي يوشع ان يقدمه وموسى عليه السلام ان يامره فيه بشيء انهما لما بلغا مجمع البحرين وفيه الصخرة وعين الحيوة التي لا يصيب ماؤها ميتا الا حيي وضعا رؤسهما وناما فلما اصاب الحوت من ذلك الماء عاش وقد كانا اكلا منه وكان ذلك بعد ما استيقظ يوشع عليه السلام توضا عليه السلام من عين الحيوة فانتضح الماء على الحوت فعاش فوقع في الماء **فاتخذ سبيله في البحر سربا** مسلكا كالسرب وهو النفق امسك الله تعالى جريته على الحوت فصار كالطاق عليه معجزة لموسى عليه السلام او الخضر عليه السلام وانتصاب سربا على انه مفعول ثان لاتخذ وفي البحر حال منه او من السبيل ويجوز ان يتعلق باتخذ **فلما جاوزا** اي مجمع البحرين الذي جعل موعدا للملاقاة قيل ادلجا وسارا الليلة والغد الى الظهر والقي على موسى عليه السلام الجوع فعند ذلك **قال لفتاه آتنا غداءنا** اي ما نتغدى به وهو الحوت كما ينبئ عنه الجواب **لقد لقينا من سفرنا هذا** اشارة الى ما سارا بعد تجاوز الموعد **نصبا** تعبا واعيا لم ينصب ولم يجع قبل ذلك والجملة في محل التعليل للامر بايتاء الغداء اما باعتبار ان النصب انما يعتري بسبب البعد الناشئ عن الجوع واما باعتبار ما في اثناء التغدي من استراحة ما **قال** اي فتاه عليه السلام **ارايت اذ اوينا الى الصخرة** اي التجانا اليها واقمنا عندها وذكر الاواء اليها مع ان المذكور فيما سبق مرتبا بلوغ مجمع البحرين لزيادة تعيين محل الحادثة فان المجمع محل متسع لا يمكن تحقيق المراد المذكور بنسبة الحادثة اليه وتمهيد العذر فان الاواء اليها والنوم عندها مما يؤدي الى النسيان عادة والرؤية مستعارة للمعرفة التامة والمشاهدة الكاملة ومراده بالاستفهام تعجيب موسى عليه السلام مما اعتراه هناك من النسيان مع كون ما شاهده من العظائم التي لا تكاد تنسى وقد جعل فقدانه علامة لوجدان المطلوب وهذا اسلوب معتاد فيما بين الناس يقول احدهم لصاحبه اذا نابه خطب ارايت ما نابني يريد بذلك تهويله وتعجيب صاحبه منه وانه مما لا يعهد وقوعه لا استخبار عن ذلك كما قيل والمفعول محذوف اعتمادا على ما يدل عليه من قوله عز وجل **فاني نسيت الحوت** وفيه تاكيد للتعجب وتربية لاستعظام المنسي وايقاع النسيان على اسم الحوت دون ضمير الغداء مع المامور باتيانه للتنبيه من اول الامر على انه ليس من قبيل نسيان المسافر زاده في المنزل وان ما شاهده ليس من قبيل الاحوال المتعلقة بالغداء من حيث هو غداء وطعام بل من حيث هو حوت كسائر الحيتان مع زيادة اي نسيت ان اذكر لك امره وما شاهدت منه من الامور العجيبة **وما انسانيه الا الشيطان** بوسوسته الشاغلة عن ذلك وقوله تعالى **ان اذكره** بدل اشتمال من الضمير اي ما

انسانيه

انسانيه ان اذكره لك وفي تعليق الانساء بضمير الحوت اولا وبذكره له ثانيا على طريق الابدال المنبئ عن تنحية المبدل منه اشارة الى ان متعلق النسيان ايضا ليس نفس الحوت بل ذكر امره وقرئ ان اذكره وايثار ان اذكره على المصدر للمبالغة فان مدلوله نفس الحدث عند وقوعه والحال وان كانت غريبة لا يعهد نسيانها لكنه لما تعود بمشاهدة امثالها عند موسى عليه السلام والفها قل اهتمامه بالمحافظة عليها **واتخذ سبيله في البحر عجبا** بيان لطرف من امر الحوت مبني على طرف آخر منه وما بينهما اعتراض قدم عليه للاعتناء بالاعتذار كانه قيل حيي واضطرب ووقع في البحر واتخذ سبيله فيه سبيلا عجبا فعجبا ثاني مفعولي اتخذ والظرف حال من اولهما او ثانيهما او هو المفعول الثاني وعجبا صفة مصدر محذوف اي اتخاذا عجبا وهو كون مسلكه كالطاق والسرب او مصدر فعل محذوف اي تعجب منه عجبا وقد قيل انه من كلام موسى عليه السلام وليس بذاك **قال** اي موسى عليه السلام **ذلك** اي الذي ذكرت من امر الحوت **ما كنا نبغ** وقرئ باثبات الياء والضمير العائد الى الموصول محذوف اصله نبغيه اي نطلبه لكونه امارة للفوز بالمرام **فارتدا** اي رجعا **على آثارهما** طريقهما الذي جاءا منه **قصصا** يقصان قصصا اي يتبعان آثارهما اتباعا او مقتصين حتى اتيا الصخرة **فوجدا عبدا من عبادنا** التنكير للتفخيم والاضافة للتشريف والجمهور على انه الخضر عليه السلام واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس عليهم السلام **آتيناه رحمة من عندنا** هي الوحي والنبوة كما يشعر به تنكير الرحمة واختصاصها بجناب الكبريا **وعلمناه من لدنا علما** خاصا لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره وهو علم الغيب **قال له موسى** استيناف مبني على سؤال نشا من السياق كانه قيل فماذا جرى بينهما من الكلام فقيل قال له موسى **هل اتبعك على ان تعلمن** استيذانا منه في اتباعه له على وجه التسليم **مما علمت رشدا** اي علما ذا رشد ارشد به في ديني والرشد اصابة الخير وقرئ بفتحتين وهو مفعول تعلمني ومفعول علمت محذوف وكلاهما منقول من علم المتعدي الى مفعول واحد ويجوز كونه علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من نبي آخر ما لا تعلق له باحكام شريعته من اسرار العلوم الخفية ولقد راعى في سوق الكلام غاية التواضع معه عليهما السلام **قال** اي الخضر عليه السلام **انك لن تستطيع معي صبرا** نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجه التاكيد كانه مما لا يصح ويستقيم وعلله بقوله **وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا** ايذانا بانه يتولى امورا خفية المدار منكرة الظواهر والرجل الصالح لا سيما صاحب الشريعة لا يتمالك ان يصبر عند مشاهدتها وفي صحيح البخاري قال الخضر يا موسى اني على علم من علم الله تعالى علمنيه لا تعلمه وانت على علم من علم الله علمكه الله لا اعلمه وخبرا تمييز اي لم يحط خبرك **قال** موسى عليه السلام **ستجدني ان شاء الله صابرا** معك غير معترض عليك وتوسيط الاستثناء بين مفعولي الوجدان لكمال الاعتناء بالتيمن ولئلا يتوهم تعلقه بالصبر **ولا اعصي لك امرا** عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص وفي وعد هذا الوجدان من المبالغة ما ليس في الوعد بنفس الصبر وترك العصيان او على ستجدني فلا محل له من الاعراب والاول هو الاولى لما عرفته ولظهور تعلقه بالاستثناء حينئذ وفيه دليل على ان افعال العباد بمشية الله تعالى **قال فان اتبعتني** اذن له في الاتباع بعد التليا والتي **فلا تسالني عن شيء** من افعالي اي لا تفاتحني بالسؤال عن حكمته فضلا عن المناقشة والاعتراض **حتى احدث لك منه ذكرا** اي حتى ابتدئ ببيانه وفيه ايذان بان كل ما صدر عنه فله حكمة وغاية حميدة البتة وهذا من ادب المتعلم مع العالم والتابع مع المتبوع وقرئ فلا تسالني بالنون المثقلة **فانطلقا** اي موسى والخضر عليهما السلام على الساحل يطلبان السفينة واما يوشع فقد صرفه موسى عليه السلام الى بني اسرائيل انهما مرا بسفينة فكلما اهلها فعرفوا الخضر عليه السلام فحملوهما بغير نول **حتى اذا ركبا في السفينة** استعمال الركوب في امثال هذه المواد بكلمة في مع تجريده عنها في مثل قوله عز وجل لتركبوها وزينة على ما يقتضيه تعديته بنفسه لما اشير اليه في قوله تعالى وقال اركبوا فيها لا لما قيل من ان في ركوبها معنى الدخول **خرقها** قيل خرقها بعد ما لججا حيث اخذ فاسا فقلع من الواحها لوحين مما يلي الماء فعند ذلك **قال** موسى **اخرقتها لتغرق اهلها** من الاغراق

بالتشديد من التغريق وليغرق اهلها من الثلاثي **لقد جئت** اتيت وفعلت **شيئا امرا** اي عظيما هائلا
من امر الامر اذا عظم قيل الاصل آمر فخفف **قال** اي الخضر **الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا** تذكير لما قاله من قبل
وتحقيق لمضمونه متضمن للانكار على عدم الوفاء بوعده **قال لا تؤاخذني بما نسيت** بنسياني او بالذي نسيته او بشيء
نسيته وهو وصيته بان لا يسأله عن حكمة ما صدر عنه من الافعال الخفية الاسباب قبل بيانه اراد انه
نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي كما ورد في صحيح البخاري ان الاول كان من موسى نسيانا او اخرج الكلام في
موضع النهي عن المؤاخذة بالنسيان يوهمه انه قد نسي ليبسط عذره في الانكار وهو من معاريض الكلام التي ينفى
بها الكذب مع التوسل الى الغرض او اراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة **ولا
ترهقني** لا تغشني ولا تحملني **من امري** وهو اتباعه اياه **عسرا** اي لا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالاغضاء
وترك المناقشة عسرا بضمتين **فانطلقا** الفاء فصيحة اي قبل عذره فخرجا من السفينة فانطلقا
حتى اذا لقيا غلاما فقتله قيل كان ذلك الغلام يلعب مع الغلمان فقتل عنقه وقيل ضرب براسه الحائط وقيل
اضجعه فذبحه بالسكين **قال** موسى عليه السلام **اقتلت نفسا زكية** طاهرة عن الذنوب وقرئ زاكية **بغير نفس**
اي بغير قتل نفس محرمة وتخصيص هذا المبيح بالذكر من بين سائر المبيحات من الكفر بعد الايمان والزنا بعد الاحصان
لانه الاقرب الى الوقوع نظرا الى حال الغلام ولعل تغيير النظم الكريم بجعل ما صدر من الخضر عليه السلام ههنا
من جملة الشرط وابراز ما صدر عن موسى عليه السلام في معرض الجزاء المقصود افادته مع ان الحقيق بذلك
انما هو ما صدر عن الخضر عليه السلام من الخوارق البديعة لاشتياق النفس الى ورود خبرها لقلة وقوعها
في نفس الامر وندرة وصول خبرها الى الاذهان ولذلك روعيت تلك النكتة في الشرطية لما ان صدور الخوارق
منه عليه السلام خرج بوقوعه مرة عن مخرج العادة فانصرفت النفس عن ترقبه الى ترقب احوال موسى عليه السلام
هل يحافظ على مراعاة شرطه بموجب وعده الاكيد مشاهدة خارق آخر او يسارع الى المناقشة كما مر في المرة الاولى
فكان المقصود افادة ما صدر عنه عليه السلام ففعل ما فعل فلله در شان التنزيل واما ما قيل من ان القتل اقبح
والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا ان يجعل عمدة في الكلام فليس من دفع الشبهة في شيء بل هو مؤيد لها فان
كون القتل اقبح من مبادي قلة صدوره عن المؤمن العاقل وندرة وصول خبره الى الاسماع وذلك مما يستدعي
جعله مقصودا بالذات وكون الاعتراض عليه ادخل من موجبات كثرة صدوره عن كل عاقل وذلك لا يستدعي
جعله كذلك **لقد جئت شيئا نكرا** قيل معناه انكر من الاول اذ لا يمكن تداركه كما يمكن تدارك الاول بالسد
ونحوه وقيل الامر اعظم من النكر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينة **قال الم اقل لك انك لن
تستطيع معي صبرا** زيد لك لزيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية وقلة التثبت والصبر لما تكرر منه
الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعوا بالتذكير حتى زاد في التنكير في المرة الثانية **قال** اي موسى عليه السلام
ان سألتك عن شيء بعدها اي بعد هذه المرة **فلا تصاحبني** وقرئ من الافعال اي لا تجعلني صاحبك **قد بلغت
من لدني عذرا** اي قد اعذرت من قبلي عذرا حيث خالفتك ثلاث مرات النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله
اخي موسى استحيى فقال ذلك لو ثبت مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقرئ لدني بتخفيف النون وقرئ
بسكون الدال كعضد في عضد **فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية** هي انطاكية وقيل ايلة وهي ابعد ارض الله من السماء
وقيل هي برقة وقيل بلدة بالاندلس النبي صلى الله عليه وسلم كانوا اهل قرية لئاما وقيل شر القرى التي
لا يضاف فيها الضيف ولا يعرف لابن السبيل حقه وقوله تعالى **استطعما اهلها** في محل الجر على انه صفة لقرية
ولعل العدول عن استطعامهم على ان يكون صفة للاهل لزيادة تشنيعهم على سوء صنيعهم فان الاباء من
الضيافة وهم اهلها قاطنون بها اقبح واشنع انهما طافا في القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما
واستضافاهم **فابوا ان يضيفوهما** بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الاضافة يقال ضافه اذا كان له ضيفا

واضافه وضيفه انزله وجعله ضيفا له وحقيقة ضاف مال اليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من الازورار
فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض اي يدانى ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة الدالة على المبالغة في ذلك
والانقضاض الاسراع في السقوط وهو انفعال من القض يقال قضضته فانقض ومنه انقضاض الطير والكواكب
لسقوطه بسرعة هو انفعال من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ ان ينقض من النقض وان ينقاص من انقاص
الشق اذا انشقت طولا **فاقامه** قيل مسحه بيده فقام نقضه وبناه وقيل اقامه بعمود عمده به
كان سمكه مائة ذراع **قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا** تحريضا له على اخذ الجعل او تعريضا بانه فضول لما
في لو من النفي كانه لما راى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك في الصبر واتخذ افتعل
من تخذ بمعنى اخذ كاتبع بمعنى تبع او من الاخذ عند البصريين لتخذت اي لاخذت وقرئ بادغام الذال في
التاء **قال** اي الخضر عليه السلام **هذا فراق بيني وبينك** على اضافة المصدر الى الظرف اتساعا وقد قرئ
على الاصل والمشار اليه اما نفس الفراق كما في هذا اخوك او الوقت الحاضر اي هذا الوقت وقت فراق بيني
وبينك او السؤال الثالث اي هذا سبب ذلك الفراق حسبما هو الموعود **سانبئك** السين للتاكيد لعدم
تراخي التنبئة **بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا** التاويل رجع الشيء الى مآله والمراد به ههنا المآل والعاقبة اذ
هو المنبا به دون التاويل وهو خلاص السفينة من اليد العادية وخلاص ابوي الغلام من شره مع الفوز
بالبدل الاحسن واستخراج اليتيمين الكنز وفي جعل صلة الموصول عدم استطاعة موسى عليه السلام الصبر
دون ان يقال بتاويل ما فعلت او بتاويل ما رايت ونحوهما نوع تعريض به عليه السلام وعتاب
اما السفينة التي خرقتها **فكانت لمساكين** لضعفاء لا يقدرون على مدافعة الظلمة كانت لعشرة
اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة **يعملون في البحر** واسناد العمل الى الكل حينئذ انما هو بطريق التغليب اولان
عمل الوكلاء بمنزلة عمل الموكلين **فاردت ان اعيبها** اي اجعلها ذات عيب **وكان وراءهم ملك** اي امامهم وقد
قرئ به او خلفهم وكان رجوعهم عليه لا محالة واسمه جلندي بن كركر وقيل منولة بن جلندي الازدي **ياخذ
كل سفينة** اي صالحة وقد قرئ كذلك **غصبا** من اصحابها وانتصابه على انه مصدر مبين لنوع الاخذ ولعل
تفريع ارادة تعييب السفينة على مسكنة اصحابها قبل بيان خوف الغصب مع ان مدارها كلا الامرين
للاعتناء بشانها اذ هي المحتاجة الى التاويل وللايذان بان الاقوى في المدارية هو الامر الاول ولذلك لا يبالي
بتخليص سفن سائر الناس مع تحقق خوف الغصب في حقهم ايضا ولان في التاخير فصلا بين السفينة وضميرها
مع توهم رجوعه الى الاقرب **واما الغلام** الذي قتلته **فكان ابواه مؤمنين** لم يصرح بكفرانه او بكفره اشعارا
بعدم الحاجة الى الذكر لظهوره **فخشينا ان يرهقهما** فخفنا ان يغشي الوالدين المؤمنين **طغيانا** عليهما **وكفرا**
لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد
مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه وانما خشي الخضر عليه السلام منه
ذلك لان الله تعالى اعلمه بحاله واطلعه على سر امره فخاف ربك اي كره سبحانه كراهة من
خاف سوء عاقبة الامر فغيره ويجوز ان يكون القراءة المشهورة على الحكاية بمعنى فكرهنا كقوله تعالى
لاهب لك **فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه** بان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه وفي التعرض بعنوان الربوبية
والاضافة اليهما ما لا يخفى من الدلالة على ارادة وصول الخير اليهما **زكوة** طاهرة من الذنوب والاخلاق
الردية **واقرب رحما** اي رحمة وعطفا ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى
الله تعالى على يديه امة من الامم ولدت سبعين نبيا ابدلهما ابنا مؤمنا مثلهما وقرئ
يبدلهما بالتشديد وقرئ رحما بضم الحاء وانتصابه على التمييز مثل زكوة **واما الجدار** المعهود **فكان لغلامين
يتيمين في المدينة** هي القرية المذكورة فيما سبق ولعل التعبير عنها بالمدينة لاظهار نوع اعتداد بها باعتد

مَا فيها من اليتيمين وابيهما الصالح اسماهما احرم وحريم واسم المقتول خيسون **وكان تحته كنز لهما**
من فضة وذهب كما روي مرفوعًا والذم على كنزهما في قوله عز وجل والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدي
زكوتهما وسائر حقوقهما كان لوحًا من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن
يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت
لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله صحف فيها علم
وكان ابوهما صالحًا تنبيهًا على ان سعيه في ذلك كان اصلاحه كان بينه وبين الاب الذي حفظا فيه
سبعة ابآء **فاراد ربك** اي مالكك ومدبر امورك ففي اضافة الرب الى ضميره عليه السلام دون ضميرهما تنبيه
له عليه السلام على كمال الانقياد والاستسلام لارادته سبحانه ووجوب الاحتراز عن المناقشة فيما وقع بحسبها
من الامور المذكورة **ان يبلغا اشدهما** اي حلمها وكمال رايهما **ويستخرجا كنزهما** من تحت الجدار ولولا اني اقمته لانقض و
خرج الكنز من تحته قبل اقتدارهما على حفظ المال وتنميته وضاع بالكلية **رحمة من ربك** مصدر في موقع الحال
اي مرحومين منه عز وجل او مفعوله او مصدر مؤكد لاراد فان ارادة الخير رحمة من ربك وبعضهم اضافة الرب
الى ضمير المخاطب دون ضميرهما فيكون قوله جل وعلا **وما فعلته عن امري** اي عن رايي واجتهادي تاكيدًا لذلك
ذلك اشارة الى العواقب المنظومة في سلك البيان ومافيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتها في الفخامة
تاويل ما لم تسطع اي لم تستطع فحذف التاء للتخفيف **عليه صبرًا** من الامور التي رايته اي ماله وعاقبته فيكون
انجازًا للتنبيه الموعود والى البيان نفسه فيكون التاويل بمعناه وعلى كل حال فهو فذلكة لما تقدم وفي جعل
الصلة عين ما مر تكرير للتنكير وتشديد للعتاب اختلفوا في حيوة الخضر عليه السلام فقيل انه حي
وسببه انه كان على مقدمة ذي القرنين فلما دخل الظلمات اصاب الخضر عين الحيوة فنزل واغتسل منها وشرب من
مائها واخطا ذو القرنين الطريق فعاد قالوا الياس ايضًا في الحيوة يلتقيان كل سنة بالموسم انه
ميت لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى العشاء ذات ليلة ثم قال ارايتكم ليلتكم هذه فان راس مائة سنة
منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض احد ولو كان الخضر حيًا حينئذٍ لما عاش مائة عام ان موسى عليه السلام
لما اراد ان يفارقه قال له اوصني قال لا تطلب العلم لتحدث به واطلبه لتعمل به **ويسئلونك عن ذي القرنين** هم
اليهود سالوه على وجه الامتحان او سأله قريش بتلقينهم وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرارهم على
ذلك الى ورود الجواب وهو ذو القرنين الاكبر واسمه الاسكندر بن فيلفوس اليوناني ابن اسحق
اسمه مرزبان بن مرزبه من ولد يونان بن يافث بن نوح عليه السلام وكان اسودًا اسمه عبد الله
ابن الضحاك مصعب بن عبد الله بن قنان بن منصور بن عبد الله بن الازد بن عون بن زيد بن كهلان
ابن سبا بن يعرب بن قحطان السهيلي اسمه مرزبان بن مدركة ذكره ابن هشام وهو اول التبابعة
انه افريدون بن النعمان الذي قتل الضحاك ابو الريحان البيروني في كتابه المسمى بالآثار الباقية
عن القرون الخالية ان ذا القرنين هو ابو كرب سمي بن عير بن افريقيس الحميري وان ملكه بلغ مشارق الارض ومغاربها
وهو الذي افتخر به التبع اليماني قد كان ذو القرنين جدي مسلمًا ملكًا علا في الارض غير
مفند بلغ المشارق والمغارب يبتغي اسباب امر من حكيم مرشد وجعل هذا القول اقرب لان الاذواء
كانوا من اليمن كذي المنار وذي نواس وذي النون وذي رعيف وذي يزن وذي جدن الامام الرازي
والاول هو الظاهر لان من بلغ ملكه من السعة والقوة الى الغاية التي نطق بها التنزيل الجليل انما هو الاسكندر
اليوناني كما تشهد به كتب التواريخ انه لما مات ابوه جمع ملك الروم بعد ان كان طوايف ثم قصد
ملوك العرب وقهرهم ثم امعن حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر فبنى الاسكندرية وسماها باسمه ثم دخل
الشام وقصد بني اسرائيل وورد بيت المقدس وذبح في مذبحه ثم انعطف الى ارمينية وباب الابواب ودان

له العرافيون والقبط والبربر ثم توجه نحو دارا بن دارا وهزمه مرارًا الى قتله صاحب حرسه واستولى على
ملك الفرس وقصد الهند وفتحه وبنى مدينة سرنديب وغيرها من المدن العظام ثم قصد الصين وغزا الامم
البعيدة ورجع الى خراسان وبنى بها مدنًا كثيرة ورجع الى العراق ومرض بشهرزور ومات انتهى كلام الامام
ان اهل النجوم قالوا له انك لا تموت الا على ارض من حديد وتحت سماء من خشب وكان يدفن
كنز كل بلدة فيها ويكتب ذلك بصفته وموضعه فبلغ بابل فرعف وسقط عن دابته فبسطت له درع
فنام عليها فآذته الشمس فاظلوه بترس فنظر فقال هذه ارض من حديد وسماء من خشب فايقن بالموت
وهو ابن الف وستمائة سنة ثلثة الاف سنة ابن كثير هذا غريب واغرب منه
ما قاله ابن عساكر من انه بلغني انه عاش ستة وثلاثون سنة او اثنين وثلثين سنة وانه كان بعد
داود وسليمان عليهما السلام فان ذلك لا ينطبق الا على ذي القرنين الثاني كما سنذكره وكذا ما ذكره
الامام من قصد بني اسرائيل وورد بيت المقدس والذبح في مذبحه فانه مما لا يكاد يتاتى الى الاول
في نبوته بعد الاتفاق على اسلامه وولايته فقيل كان نبيًا لقوله تعالى انا مكنا له في الارض وظاهره انه متناول
للتمكين في الدين وكماله في النبوة ولقوله تعالى يا ذا القرنين ونحو ذلك كان ملكًا لما روي عمر رضي الله عنه
سمع رجلًا يقول لاخر يا ذا القرنين فقال اللهم غفرًا اما رضيتم ان تسموا باسماء الانبياء حتى سميتم باسماء الملائكة
ابن كثير والصحيح ما كان نبيًا ولا ملكًا وانما كان ملكًا صالحًا عادلًا ملك الاقاليم وقهر اهلها من الملوك و
غيرهم ودانت له البلاد وانه كان داعيًا الى الله تعالى سائرًا في الخلق بالمعدلة التامة والسلطان المؤيد المنصور
وكان الخضر عليه السلام على مقدمة جيشه بمنزلة المستشار الذي هو من الملك بمنزلة الوزير وقد ذكر الازرقي
وغيره انه اسلم على يد ابرهيم الخليل عليه السلام فطاف معه الكعبة هو واسمعيل عليه السلام
انه حج ماشيًا فلما سمع ابرهيم عليه السلام بقدومه تلقاه ودعا له واوصاه بوصايا ويقال انه اتي بفرس يركب
فقال لا اركب في بلد فيه الخليل فعند ذلك سخر له السحاب وطوي له الاسباب وبشره ابرهيم عليه السلام
بذلك فكانت السحاب تحمله وعساكره وجميع آلاتهم اذا ارادوا غزوة قوم ابو الطفيل سئل عنه علي كرم
الله وجهه اكان نبيًا ام ملكًا فقال لم يكن نبيًا ولا ملكًا ولكن كان عبدًا احب الله واحبه وناصح لله فناصحه سخر له
له السحاب ومد له الاسباب في وجه تسميته بذي القرنين فقيل لانه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها
وقيل لانه ملك الروم وفارس وقيل الروم والترك وقيل لانه كان في راسه او في تاجه ما يشبه القرنين
وقيل لانه كان له ذوابتان وقيل لانه كانت صفحتا راسه من النحاس وقيل لانه دعا الناس الى الله عز وجل فضرب
بقرنه الايمن فمات ثم بعثه الله تعالى فضرب بقرنه الايسر فمات فبعثه الله تعالى وقيل لانه راى في منامه
انه صعد الفلك واخذ بقرني الشمس وقيل لانه انقرض في عهده قرنان وقيل لانه سخر له النور والظلمة فاذا
سرى يهديه النور من امامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل لقب به لشجاعته هذا واما ذو القرنين الثاني فقد
ابن كثير انه الاسكندر بن فيلبس بن مصريم بن هرمس بن ميطون بن رومي بن ليطي بن يونان
ابن يافث بن نوح بن سرخون بن رومية بن ثونط بن نوفيل بن رومي بن الاصفر بن العيص بن اسحق
ابن ابرهيم الخليل عليهما السلام كذا نسبه ابن عساكر المقدوني اليوناني المصري باني الاسكندرية الذي يورخ
بايامه الروم وكان متاخرًا عن الاول بدهر طويل اكثر من الفي سنة كان هذا قبل المسيح عليه السلام بنحو من ثلثمائة
سنة وكان وزيره ارسطاطاليس الفيلسوف وهو الذي قتل دارا بن دارا واذل ملوك الفرس ووطى ارضهم ثم قال
ابن كثير وانما بينا هذا لان كثيرًا من الناس يعتقد انهما واحد وان المذكور في القرآن العظيم هو هذا المتاخر
ليقع بذلك خطا كبير وفساد كثير كيف والاول كان عبدًا صالحًا مؤمنًا وملكًا عادلًا وزيره الخضر عليه السلام
وقد قيل انه كان نبيًا فقد كان كافرًا ووزيره ارسطاطاليس الفيلسوف وقد كان ما بينهما من الزمان

كثير من الفي سنة فاين هذا من ذلك انتهى المقدوني نسبته الى بلدة من بلاد الروم غربي دار
السلطنة السنية قسطنطينية المحمية لازالت مشحونة بالشعائر الدينية بينهما من المسافة مسيرة خمسة
عشر يومًا او نحو ذلك عند مدينة سيروز اسمها بلغة اليونانيين مقدمًا كانت سرير ملك هذا الاسكندر وهي اليوم
بلقع لا يقيم بها احد ولكن فيها علائم تحكي كمال عظمها في عهد عمرانها ونهاية شوكة واليها وسلطانها وقد مررت
بها عند القفول عن بعض المغازي السلطانية فعاينت فيها من تعاجيب الآثار ما فيه عبرة لاولي الابصار
قل لهم في الجواب ساتلوا عليكم اي ساذكر لكم منه اي من ذي القرنين ذكرا اي نبأ مذكورا وحيث كان ذلك
بطريق الوحي المتلو حكاية عن جهة الله عز وجل قيل ساتلو او ساتلو في شانه او ساتلو من جهته تعالى ذكرا اي قرآنا
والسين للتاكيد والدلالة على التحقق المناسب لمقام تاييده عليه السلام وتصديقه بانجاز وعده اي لا اترك
التلاوة البتة كما في قول من قال • ساشكر عمرا ان تراخت منيتي • ايادي لم تمنن وان هي جلت • لا للدلالة على
ان التلاوة ستقع فيما يستقبل لان هذه الآية نزلت بانفرادها قبل الوحي بتمام القصة بل موصولة بما بعدها
ريثما سالوه عليه الصلوة والسلام عن الروح وعن اصحاب الكهف فقال لهم عليه الصلوة والسلام ائتوني غدا اخبركم
فابطا عليه الوحي خمسة عشر يومًا او اربعين كما ذكر فيما سلف وقوله عز وجل انا مكنا له في الارض شروع في تلاوة
الذكر المعهود حسبما هو الموعود والتمكين هاهنا الاقتدار وتمهيد الاسباب يقال مكنته ومكنت له ومعنى الاول
جعله قادرا وقويا ومعنى الثاني جعل له قدرة وقوة ولتلازمهما في الوجود وتقاربهما في المعنى يستعمل كل منهما مكان
الآخر كما في قوله عز وعلا مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم اي جعلناهم قادرين من حيث القوى والاسباب والآلات على
انواع التصرفات فيها ما لم نجعل لكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والاسباب فكانه قيل ما لم نمكنكم
فيها اي ما لم نجعلكم قادرين على ذلك فيها او مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم وهكذا اذا كان التمكين ماخوذا
من المكان بناء على توهم ميمه اصلية كما اشير اليه في سورة يوسف والمعنى انا جعلنا له مكنة وقدرة على التصرف
في الارض من حيث التدبير والراي والاسباب حيث سخر له السحاب ومد له في الاسباب وبسط له في النور
وكان الليل والنهار عليه سواء وسهل عليه السير في الارض وذللت له طرقها واتيناه من كل شيء اراده من مهمات
ملكه ومقاصده المتعلقة بسلطانه سببا اي طريقا يوصله اليه وهو كل ما يتوصل الى المقصود من علم
او قدرة او آلة فاتبع بالقطع اي فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه ولعل قصد بلوغ المغرب ابتداء
لمراعاة الحركة الشمسية فاتبع من الافتعال والفرق ان الاول فيه معنى الادراك والاسراع دون الثاني
حتى اذا بلغ مغرب الشمس اي منتهى الارض من جهة المغرب بحيث لا يتمكن احد من مجاوزته ووقف على حافة البحر المحيط
الغربي الذي يقال له اوقيانوس الذي فيه الجزائر المسماة بالخالدات التي هي مبدا الاطوال على احد القولين وجدها
اي الشمس تغرب في عين حمئة اي ذات حماة وهي الطين الاسود من حمئت البئر اذا كثرت حماتها حامية
اي حارة ان معاوية رضي الله عنه قرا حامية وعنده ابن عباس رضي الله عنهما فقال حمئة فقال معاوية
لعبد الله بن عمرو بن العاص كيف تقرون قال كما قرا امير المؤمنين ثم توجه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس
تغرب قال في عين ماء وطين وروي في ثاط فوافق قول ابن عباس رضي الله عنهما وليس بينهما منافاة قطعية
لجواز كون العين جامعة بين الوصفين وكون الياء في الثانية منقلبة من الهمزة لانكسار ما قبلها واما رجوع
معاوية الى قول ابن عباس رضي الله عنهما بما سمعه من كعب مع ان قراءته ايضا مسموعة قطعا فلان قراءة ابن عباس
قطعية في مدلولها وقراءته محتملة لما بلغ ساحل المحيط راها كذلك اذ ليس في مطمح بصره غير الماء
كما يلوح به قوله تعالى وجدها تغرب ووجد عندها عند تلك العين قوما قيل كان لباسهم جلود الوحوش و
طعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله جل ذكره بين ان يعذبهم بالقتل او ان يدعوهم الى الايمان وذلك
قوله تعالى قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب بالقتل من اول الامر واما ان تتخذ فيهم حسنا اي امرا ذا حسن على حذف

المضاف

المضاف او على طريقة اطلاق المصدر على موصوفه مبالغة وذلك بالدعوة الى الاسلام والارشاد الى الشرائع
ومحل ان مع صلته اما الرفع على الابتداء او الخبرية واما النصب على المفعولية اي اما تعذيبك واقع واما امرك
بتعذيبك او اما تفعل تعذيبك وهكذا الحال في الاتخاذ ومن لم يقل بنبوته كان الخطاب بواسطة
نبي في ذلك العصر او كان ذلك الهاما لا وحيا بعد ان كان ذلك التخيير موافقا لشريعة ذلك النبي قال اي ذو
القرنين لذلك النبي او لمن عنده من خواصه بعد ما تلقى امره تعالى مختارا للشق الاخير اما من ظلم اي نفسه ولم
يقبل دعوتي واصر على ما كان عليه من الظلم العظيم الذي هو الشرك فسوف نعذبه بالقتل انه كان
يطبخ من كفر في القدور ومن آمن اعطاه وكساه ثم يرد الى ربه في الآخرة فيعذبه فيها عذابا نكرا اي منكرا
فظيعا وهو عذاب النار وفيه دلالة ظاهرة على ان الخطاب لم يكن بطريق الوحي اليه وان مقاولته كانت مع النبي
او مع من عنده من اهل مشورته واما من آمن بموجب دعوتي وعمل عملا صالحا حسبما يقتضيه الايمان فله في
الدارين جزاء الحسنى اي فله المثوبة الحسنى او الفعلة الحسنى او الجنة جزاء على انه مصدر مؤكد لمضمون
الجملة قدم على المبتدا اعتناء به او منصوب بمضمر اي يجزي بها جزاء والجملة حالية او معترضة بين المبتدا
والخبر المقدم عليه او حال هي مجزيا بها او تمييز مضوبا غير منون على انه سقط تنوينه لالتقاء
الساكنين ومرفوعا منونا على انه مبتدا والحسنى بدل له والخبر الجار والمجرور خير بين القتل والاسر
والجواب من باب الاسلوب الحكيم لان الظاهر التخيير بينهما وهم كفار فقال اما الكافر فيراعي في حقه قوة
الاسلام واما المؤمن فلا يتعرض له الا بما يجب ويجوز ان يكون اما للتوزيع دون التخيير اي ليكن شانك معهم
اما التعذيب واما الاحسان والاول لمن بقي على حاله والثاني لمن تاب وسنقول له من امرنا اي مما نامر به يسرا
اي سهلا ميسرا غير شاق وتقديره ذا يسر واطلق عليه المصدر مبالغة بضمتين ثم اتبع سببا اي
طريقا راجعا من مغرب الشمس موصلا الى مشرقها حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعني الموضع الذي يطلع عليه الشمس
اولا من معمورة الارض بفتح اللام على تقدير مضاف اي مكان طلوع الشمس فانه مصدر
بلغه في اثني عشرة سنة في اقل من ذلك بناء على ما ذكر من انه سخر له السحاب وطوي له الاسباب
وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا اي من اللباس والبناء هم الزنج وعن كعب الاحبار ان
ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب فاذا طلعت الشمس دخلوا الاسراب او البحر فاذا ارتفع النهار خرجوا
الى معايشهم بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسالت عن هؤلاء فقالوا هم بينك وبينهم مسيرة يوم
وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى ومعي صاحب يعرف لسانهم فقالوا لم جئتنا تنتظر
كيف تطلع الشمس قال فبينما نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم افقت وهم يمسحونني بالدهن
فلما طلعت الشمس على الماء اذا هو فوق الماء كهيئة الزيت فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر
يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند
مطلع الشمس اكثر من جميع اهل الارض كذلك اي امر ذي القرنين كما وصفنا لك في رفعة المحل وبسطة الملك
وامره فيهم كامره في اهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد او نجعل
او صفة قوم اي على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم الشمس في الكفر والحكم او سترا مثل ستركم من
اللباس والاكنان والجبال وغير ذلك وقد احطنا بما لديه من الاسباب والعدد والعدد خبرا يعني ان ذلك
من الكثرة بحيث لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير هذا على الوجه الاول واما على الوجه الثاني فالمراد بما لديه
ما يتناول ما جرى عليه وما صدر منه وما لاقاه فتامل ثم اتبع سببا اي طريقا ثالثا معترضا بين المشرق
والمغرب آخذا من الجنوب الى الشمال حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين الذين سد ما بينهما وهو منقطع
ارض الترك مما يلي المشرق لا جبلا ارمينية واذربيجان كما توهم بالضم قيل ما كان من خلق الله تعالى

فهو مضموم وماكان من عمل الخلق فهو مفتوح وانتصاب بين على المفعولية لانه مبلوغ وهو من الظروف التي تستعمل
اسماء ايضا كما ارتفع في قوله تعالى لقد تقطع بينكم والجر في قوله تعالى فراق بيني وبينك **وجد من دونهما** اي من ورائهما
مجاوزا عنهما **قوما** اي امة من الناس **لا يكادون يفقهون قولا** لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم من باب الافعال
اي لا يفهمون كلامهم في انهم من اي الاقوام فقال الضحاك هم جيل من الترك وقال السدي الترك
سرية من ياجوج وماجوج خرجت فضرب ذو القرنين السد فبقيت خارجة فجميع الترك منهم انهم اثنتان
وعشرون قبيلة سد ذو القرنين على احدى وعشرين قبيلة منهم وبقيت واحدة فسموا الترك لانهم تركوا خارجين السد
اهل التواريخ اولاد نوح عليه السلام ثلثة سام وحام ويافث فسام ابو العرب والعجم والروم وحام
ابو الحبشة والزنج والنوبة ويافث ابو الترك والخزر والصقالبة وياجوج وماجوج **قالوا** بواسطة مترجمهم
او بالذات على ان يكون فهم ذي القرنين كلامهم وافهام كلامه اياهم من جملة ما اتاه الله تعالى من الاسباب **يا ذا**
القرنين ان ياجوج وماجوج قد ذكرنا انهما من اولاد يافث بن نوح عليه السلام ياجوج من الترك وماجوج من
الجيل في صفاتهم فقيل في غاية صغر الجثة وقصر القامة لا يزيد قدهم على شبر واحد وقيل في نهاية
عظم الجسم وطول القامة يبلغ قدودهم نحو مائة وعشرين ذراعا وفيهم من عرضه كذلك وقيل لهم مخاليب و
اضراس كالسباع وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان من اج الظليم اذا اسرع واصلهما
الهمزة كما قرا عاصم وقد قرئ بغير همزة ومنع صرفهما للتعريف والتانيث **مفسدون في الارض** اي في ارضنا
بالقتل والتخريب واتلاف الزرع كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا
الا احتملوه كانوا ياكلون الناس ايضا **فهل نجعل لك خرجا** اي جعلا من اموالنا الفاء لتفريع العرض على
افسادهم في الارض خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال الخراج ما على الارض والذمة
والخرج المصدر وقيل الخرج ما كان على كل راس والخراج ما كان على البلد وقيل الخرج ما يتبرع به والخراج
ما لزمك اداؤه **على ان تجعل بيننا وبينهم سدا** وقرئ بالضم **قال ما مكني** بالادغام بالفك اي ما مكنني
فيه ربي وجعلني فيه مكينا قادرا من الملك والمال وسائر الاسباب **خير** اي مما تريدون ان تبذلوه الي
من الخرج فلا حاجة بي اليه **فاعينوني بقوة** اي بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل والالات التي لا بد منها
في البناء والفاء لتفريع الامر بالاعانة على خيرية ما مكنه الله فيه مما لهم او على عدم قبول خرجهم **اجعل** جواب
الامر **بينكم وبينهم** تقديم اضافة الظرف الى ضمير المخاطبين على اضافته الى ضمير ياجوج وماجوج لاظهار كمال العناية
بمصالحهم كما راعوه في قولهم بيننا وبينهم **ردما** اي حاجزا حصينا وبرزخا متينا وهو اكبر من السد واوثق
يقال ثوب مردم اي فيه رقاع فوق رقاع وهذا اسعاف بمرامهم فوق ما يرجونه **اتوني زبر الحديد** جمع زبرة كغرف
وغرفة وعلى القطعة الكبيرة هذا الايتاء في رد خراجهم لان المامور به الايتاء بالثمن او المناولة كما ينبئ عنه القراءة
بوصل الهمزة اي جيئوني بزبر الحديد على حذف الباء كما في امرتك الخير ولان ايتاء الالة من قبيل الاعانة بالقوة دون
الخراج على العمل ولعل تخصيص الامر بالاتيان بها دون سائر الالات من الصخور والحطب ونحوهما لما ان الحاجة اليها
امس اذ هي الركن في السد ووجودها اعز حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب
والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما وكان مائة فرسخ وذلك قوله
عز وجل **حتى اذا ساوى بين الصدفين** اي اتوه اياها فاخذ يبني شيئا فشيئا حتى اذا جعل ما بين ناحيتي الجبلين من
البنيان مساويا لهما في السمك على النهج المحكي كان ارتفاعه مائتي ذراع وعرضه خمسين ذراعا
سوى من التسوية وسوى على البناء للمفعول **قال** للعملة **انفخوا** اي بالكيران في الحديد المبني
حتى اذا جعله اي المنفوخ فيه **نارا** اي كالنار في الحرارة والهيئة واسناد الجعل المذكور الى ذي القرنين
مع انه فعل الفعلة للتنبيه على انه العمدة في ذلك وهم بمنزلة الالة **قال** للذين يتولون امر النحاس من

الاذابة

الاذابة **اتوني افرغ عليه قطرا** اي نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه بالوصل
اي جيئوني كانه يستدعيهم الاعانة باليد عند الافراغ واسناد الافراغ الى نفسه للسر الذي وقفت عليه آنفا
وكذا الكلام في قوله تعالى ساوى وقوله تعالى اجعل **فما اسطاعوا** حذف تاء الافتعال تخفيفا وحذرا
عن تلاقي المتقاربين بلا ادغام وفيه جمع بين الساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين صادا
والفاء فصيحة اي فعلوا ما امروا به من ايتاء القطر والاتيان فافرغه عليه فاختلط والتصق بعضه ببعض
فصار صلدا فجاء ياجوج وماجوج فقصدوا ان يعلوه وينقبوه فما اسطاعوا **ان يظهروه** اي يعلوه ويرقوا
فيه لارتفاعه وملاسته **وما استطاعوا له نقبا** لصلابته وثخانته وهذه معجزة عظيمة لان تلك الزبر الكثيرة
اذا اثرت فيها حرارة النار لا يقدر الحيوان على ان يحوم حولها فضلا عن النفخ فيها الى ان يكون كالنار او عن افراغ
القطر عليها فكانه سبحانه وتعالى صرف تلك الحرارة العظيمة عن ابدان اولئك المباشرين الاعمال فكان ما
كان والله على كل شيء قدير بناه من الصخور مرتبطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في
تجاويفها بحيث لم يبق هناك فرجة **قال** اي ذو القرنين لمن عنده من اهل تلك الديار وغيرهم **هذا** اشارة
الى السد الى تمكينه من بنيانه والفضل المتقدم اي هذا الذي ظهر على يدي وحصل بمباشرتي من
السد الذي شانه ما ذكر من المتانة وصعوبة المنال **رحمة** اي اثر رحمة عظيمة عبر عنه بها مبالغة **من ربي**
على كافة العباد لا سيما على مجاوريه وفيه اشارة بانه ليس من قبيل الاثار الحاصلة بمباشرة الخلق عادة بل هو
احسان الهي محض وان ظهر بمباشرتي والتعرض لوصف الربوبية لتربية معنى الرحمة **فاذا جاء وعد ربي** مصدر
بمعنى المفعول وهو يوم القيمة لا خروج ياجوج وماجوج كما قيل اذ لا يساعده النظم الكريم والمراد بمجيئه ما ينتظم
مجيئه ومجيء مباديه من خروجهم وخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام ونحو ذلك لا دنو وقوعه فقط كما قيل
فان بعض الامور التي ستحكى تقع بعد مجيئه حتما **جعله** اي السد المشار اليه مع متانته ورصانته وفيه من
الجزالة ما ليس في توجيه الاشارة السابقة الى التمكين المذكور **دكا** اي ارضا مستوية دكاء
اي مدكوكا مستويا بالارض وكلما انبسط بعد ارتفاعه فقد اندك ومنه الجمل الادك اي المنبسط السنام
وهذا الجعل وقت مجيء الوعد بمجيء بعض مباديه وفيه بيان لعظم قدرته عز وجل بعد بيان سعة رحمته
وكان وعد ربي اي وعده المعهود او كل ما وعد به فيدخل فيه ذلك دخولا اوليا **حقا** ثابتا لا محالة واقعا البتة
وهذه الجملة تذييل من ذي القرنين لما ذكره من الجملة الشرطية ومقرر لمضمونها وهو آخر ما حكي من قصته وقوله
عز وجل **وتركنا بعضهم** كلام مسوق من جنابه تعالى معطوف على قوله تعالى جعله دكا ومحقق لمضمونه اي جعلنا
بعض الخلائق **يومئذ** اي يوم اذ جاء الوعد بمجيء بعض مباديه **يموج في بعض** آخر منهم يضطربون اضطراب
امواج البحر ويختلط انسهم وجنهم حيارى من شدة الهول ولعل ذلك قبل النفخة الاولى او تركنا بعض ياجوج
وماجوج يموج في بعض آخر منهم حين يخرجون من السد مزدحمين في البلاد انهم ياتون البحر فيشربون
ماءه وياكلون دوابه ثم ياكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون ان ياتوا مكة
والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله عز وجل نغفا في اقفائهم فيدخل اذانهم فيموتون موت نفس واحدة
فيرسل الله تعالى طيرا فتلقيهم في البحر ثم يرسل مطرا يغسل الارض من نتنهم حتى يتركها كالزلفة ثم يوضع فيها
البركة وذلك بعد نزول عيسى عليه السلام وقتل الدجال **ونفخ في الصور** هي النفخة الثانية بقضية الفاء
في قوله تعالى **فجمعناهم** ولعل عدم التعرض لذكر النفخة الاولى لانها داهية عامة ليس فيها حالة مختصة
بالكفار ولئلا يقع الفصل بين ما يقع في النشاة الاولى من الاحوال والاهوال وبين ما يقع منها في النشاة
الاخرة اي جمعنا الخلائق بعد ما تفرقت اوصالهم وتمزقت اجسادهم في صعيد واحد للحساب والجزاء
جمعا اي جمعا عجيبا لا يكتنه كنهه **وعرضنا جهنم** اظهرناها وابرزناها **يومئذ** اي يوم اذ جمعنا الخلائق كافة

للكافرين منهم حيث جعلناها بحيث يرونها ويسمعون لها تغيظا وزفيرا عرضا اي عرضا فظيعا هايلا لا يقادر
قدره وتخصيص العرض بهم مع انها بمرأى اهل الجمع قاطبة لان ذلك لاجلهم خاصة الذين كانت اعينهم وهم في
الدنيا في غطاء كثيف وغشاوة غليظة محاطة بذلك من جميع الجوانب عن ذكري عن الايات المؤدية لاولي الابصار
المتدبرين فيها الى ذكري بالتوحيد والتمجيد او كانت اعين بصائرهم في غطاء عن ذكري على وجه يليق بشاني او عن
القران الكريم وكانوا مع ذلك لا يستطيعون لفرط تصامهم عن الحق وكمال عداوتهم للرسول صلى الله عليه وسلم سمعا
استماعا لذكري وكلامي الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه وهو تمثيل لاعراضهم عن الادلة السمعية
كما ان الاول تصوير لتعاميهم عن الايات المشاهدة بالابصار والموصول نعت للكافرين او بدل منه او بيان جيء به لذمهم
بما في حيز الصلة وللاشعار بعليته لاصابة ما اصابهم من عرض جهنم لهم فان ذلك انما هو لعدم استعمال مشاعرهم
فيما عرض لهم في الدنيا من الايات واعراضهم عنها مع كونها اسبابا منجية عما ابتلوا به في الاخرة افحسب الذين كفروا اي
كفروا بي كما يعرب عنه قوله تعالى عبادي والحسبان بمعنى الظن وقد قرئ افحسب والهمزة للانكار والتوبيخ على معنى
انكار الواقع واستقباحه كما في قولك اضربت اباك لا لانكار الوقوع كما في قوله اضرب ابي والفاء للعطف على مقدر
يفصح عنه الصلة على توجيه الانكار والتوبيخ الى المعطوفين جميعا كما اذا قدر المعطوف عليه في قوله تعالى افلا تعقلون
منفيا اي الا تسمعون فلا تعقلون لا الى المعطوف فقط كما اذا قدر مثبتا اي اتسمعون فلا تعقلون والمعنى اكفروا بي
مع جلالة شاني فحسبوا ان يتخذوا عبادي من دوني من الملائكة وعيسى وعزير عليهم السلام وهم تحت سلطاني وملكوتي
اولياء معبودين ينصرونهم من باسي وما قيل انها للعطف على ما قبلها من قوله تعالى كانت الى اخره وكانوا الخ
دلالة على ان الحسبان ناشئ من التعامي والتصام وادخل عليها همزة الانكار ذما على ذم وقطعا له عن المعطوف عليهما
لفظا لا معنى للايذان باستقلال المؤكد للذم يأباه ترك الاضمار والتعرض لوصف اخر غير التعامي والتصام على انهما
اخرجا مخرج الاحوال الجبلية لهم ولم يذكرا من حيث انهما من افعالهم الاختيارية الحادثة كحسبانهم ليحسن تفريعه عليهما
فانه دين قديم لهم لا يمكن جعله ناشئا عن تصامهم عن كلام الله عز وجل وتخصيص الانكار بحسبانهم المتأخر عن ذلك
تعسف لا يخفى وما في حيز صلة ان ساد مسد مفعولي حسب كما في قوله تعالى وحسبوا الا تكون فتنة اي فحسبوا
انهم يتخذونهم اولياء على معنى ان ليس ذلك من الاتخاذ في شيء لما انه انما يكون من الجانبين وهم عليهم السلام منزهون
عن ولايتهم بالمرة لقولهم سبحانك انت ولينا من دونهم   مفعوله الثاني محذوف اي فحسبوا اتخاذهم
بافعالهم والوجه هو الاول لان في هذا تسليما لنفس الاتخاذ واعتدادا به في الجملة   افحسب الذين
كفروا فحسبهم وكافيهم ان يتخذوهم اولياء على الابتداء والخبر والفعل والفاعل فان النعت اذا اعتمد الهمزة
ساوى الفعل في العمل والهمزة حينئذ بمعنى الانكار للوقوع انا اعتدنا جهنم اي هيأناها للكافرين المعهودين
عدل عن الاضمار ذما لهم واشعارا بان ذلك الاعتداد بسبب كفرهم المتضمن لحسبانهم الباطل نزلا اي شيئا
يتمتعون به عند ورودهم وهو ما يقدم للنزيل اي الضيف مما حضر من الطعام وفيه تخطية لهم في حسبانهم
وتهكم بهم حيث كان اتخاذهم اياهم اولياء من قبيل اعتاد العتاد واعداد الزاد ليوم المعاد فكانه قيل انا اعتدنا
لهم مكان ما اعتدوا لانفسهم من العدة والذخر جهنم عدة وفي ايراد النزل ايماء الى ان لهم وراء جهنم من العذاب
ما هو انموذج له   النزل موضع النزول ولذلك فسره ابن عباس رضي الله عنهما بالمثوى قل هل ننبئكم الخطاب
الثاني للكفرة على وجه التوبيخ والجمع في صيغة المتكلم لتعيينه من اول الامر والايذان بمعلومية النبأ للمؤمنين
ايضا بالاخسرين اعمالا نصب على التمييز والجمع للايذان بتنوعها وهذا بيان لحال الكفرة باعتبار ما صدر عنهم من
الاعمال الحسنة في انفسها وفي حسبانهم ايضا حيث كانوا معجبين بها واثقين بنيل ثوابها ومشاهدة اثارها
عقب بيان حالهم باعتبار اعمالهم السيئة في انفسها مع كونها حسنة في حسبانهم الذين ضل سعيهم في اقامة
تلك الاعمال اي ضاع وبطل بالكلية في الحيوة الدنيا متعلق بالسعي لا بالضلال لان بطلان سعيهم غير مختص

بالدنيا

بالدنيا   المراد بهم اهل الكتابين قاله ابن عباس وسعد بن ابي وقاص ومجاهد ويدخل في الاعمال حينئذ
ما عملوه من الاحكام المنسوخة المتعلقة بالعبادات   الرهبانية الذين يحبسون انفسهم في الصوامع و
يحملونها على الرياضات الشاقة ولعله ما يعمهم وغيرهم من الكفرة ومحل الموصول الرفع على انه خبر مبتدإ محذوف
لانه جواب للسؤال كانه قيل من هم فقيل الذين هم الى اخره وجعله مجرورا على انه نعت للاخسرين او بدل منه او
منصوبا على الذم على ان الجواب ما سيأتي من قوله تعالى اولئك الاية يأباه ان صدره ليس منبئا عن خسران الاعمال
وضلال السعي كما يستدعيه مقام الجواب والتفريع الاول وان دل على حبوطها لكنه ساكت عن انباء ما هو العمدة
في تحقيق معنى الخسران من الوقوف بترتب الربح واعتقاد التنفع فيما صنعوا على ان التفريع الثاني مما يقطع ذلك
الاحتمال رأسا اذ لا مجال لادراجه تحت الامر بقضية نون العظمة وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا الاحسان الاتيان
بالاعمال على الوجه اللائق وذلك لاعجابهم باعمالهم التي سعوا في اقامتها وكابدوا في تحصيلها والجملة حال من فاعل
ضل اي بطل سعيهم المذكور والحال انهم يحسبون انهم يحسنون في ذلك وينتفعون باثاره او من المضاف اليه لكونه
في محل الرفع نحو قوله تعالى اليه مرجعكم جميعا اي بطل سعيهم والحال انهم الى اخره والفرق بينهما ان المقارن لحال
حسبانهم المذكور في الاول ضلال سعيهم وفي الثاني نفس سعيهم والاول ادخل في بيان خطائهم اولئك كلام
مستأنف من جنابه تعالى مسوق لتكميل تعريف الاخسرين وتبيين سبب خسرانهم وضلالهم وضلال سعيهم
وتعيينهم بحيث ينطبق التعريف على المخاطبين غير داخل تحت الامر اي اولئك المنعوتون بما ذكر من ضلال
السعي مع الحسبان الذين كفروا بايات ربهم بدلائله الداعية الى التوحيد عقلا ونقلا والتعرض لعنوان الربوبية
لزيادة تقبيح حالهم في الكفر المذكور ولقائه بالبعث وما يتبعه من الامور الاخروية على ما هي عليه فحبطت
لذلك اعمالهم المعهودة حبوطا كليا فلا نقيم لهم اي لاولئك الموصوفين بما مر من حبوط الاعمال وقرئ بالياء
يوم القيمة وزنا اي فنزدريهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا لان مدار الاعمال الصالحة وقد حبطت بالمرة
وحيث كان هذا الازدراء من عواقب حبوط اعمالهم عطف عليه بطريق التفريع واما ما هو من اجزية الكفر
فسيجيء بعد ذلك او لا نضع لاجل وزن اعمالهم ميزانا لانه انما يوضع لاصحاب الحسنات والسيئات من الموحدين
ليتميز به مقادير الطاعات والمعاصي ليترتب عليه التكفير او عدمه لان ذلك في الموحدين بطريق الكمية
واما الكفر فاحباطه للحسنات بحسب الكيفية دون الكمية فلا يوضع لهم الميزان قطعا ذلك لمآل كفرهم
وسائر معاصيهم اثر بيان مآل اعمالهم المحبطة بذلك اي الامر ذلك وقوله عز وجل جزاؤهم جهنم جملة مبينة
له او ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف اي جزاؤهم به او جزاؤهم بدله وجهنم خبره او جزاؤهم خبره وجهنم
عطف بيان للخبر بما كفروا تفريع بان ما ذكر جزاء لكفرهم المتضمن لسائر القبائح التي انبأ عنها قوله تعالى
واتخذوا اياتي ورسلي هزوا اي مهزوا بهما فانهم لم يقتنعوا بمجرد الكفر بالايات والرسل بل ارتكبوا مثل تلك
العظيمة ايضا ان الذين امنوا بيان بطريق الوعد لمآل الذين اتصفوا باضداد ما اتصف به الكفرة اثر بيان
مآلهم بطريق الوعيد اي امنوا بايات ربهم ولقائه وعملوا الصالحات من الاعمال كانت لهم فيما سبق من حكم
الله تعالى ووعده وفيه ايماء الى ان اثر الرحمة يصل اليهم بمقتضى الرأفة الازلية بخلاف ما مر من جعل جهنم
للكافرين نزلا فانه بموجب ما حدث من سوء اختيارهم جنات الفردوس عن مجاهد ان الفردوس هو البستان
بالرومية   عكرمة هو الجنة بالحبشية   الضحاك هي الجنة الملتفة الاشجار   هي
الجنة التي نبتت ضروبا من النباتات   هي الجنة من الكروم خاصة   ما كان غالبه كرما
المبرد وهو ما سمعت من العرب الشجر الملتف والاغلب عليه ان يكون من العنب   انه ليس في الجنان
اعلى من جنة الفردوس وفيها الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر   صلى الله عليه وسلم
في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس اعلاها وفيها الانهار الاربعة فاذا سألتم

الله تعالى فاسئلوه الفردوس فانه فوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة **نزلا** خبر كانت والجار والمجرور
متعلق بمحذوف على انه حال من نزلا او على انه بيان او حال من جنات الفردوس والخبر هو الجار والمجرور وان جعل
النزل بمعنى ما يهيأ للنازل فالمعنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس نزلا او جعلت نفس الجنات نزلا مبالغة في الاكرام
وفيه ايذان بانها عند ما اعد الله لهم على ما جرى على لسان النبوة من قوله اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بمنزلة النزل بالنسبة الى الضيافة وان جعل بمعنى المنزل فالمعنى ظاهر
خالدين فيها نصب على الحالية **لا يبغون عنها حولا** مصدر كالعود والصغر اي لا يطلبون تحولا عنها اذ لا يتصور
ان يكون شيء اعز عندهم وارفع منها حتى تنازعهم اليه انفسهم وتطمح نحوه ابصارهم ويجوز ان يراد نفي التحول
وتاكيد الخلود والجملة حال من صاحب خالدين او من ضمير المستكن فيه فيكون حالا متداخلة **قل لو كان البحر** اي
جنس البحر **مدادا** وهو ما تمد به الدوات من الحبر **لكلمات ربي** لتحرير كلمات علمه وحكمته التي من جملتها ما ذكر
من الآيات الداعية الى التوحيد المحذرة من الاشراك **لنفد البحر** مع كثرته ولم يبق منه شيء لتناهيه **قبل ان
تنفد** وقرئ بالياء والمعنى من غير ان تنفد **كلمات ربي** لعدم تناهيها فلا دلالة للكلام على نفادها بعد نفاد
البحر وفي اضافة الكلمات الى اسم الرب المضاف الى ضميره صلى الله عليه وسلم في الموضعين من تفخيم المضاف وتشريف
المضاف اليه ما لا يخفى واظهار البحر والكلمات في موضع الاضمار لزيادة التقرير **ولو جئنا** كلام من جهته تعالى
غير داخل في الكلام الملقن جيء به لتحقيق مضمونه وتصديق مدلوله مع زيادة مبالغة وتاكيد والواو لعطف الجملة
على نظيرتها المستانفة المقابلة لها المحذوفة لدلالة المذكورة عليها دلالة واضحة اي لنفد البحر من غير نفاد كلماته
تعالى لو لم نجئ **بمثله مددا** ولو جئنا بقدرتنا الباهرة بمثله مددا عونا وزيادة لان مجموع المتناهين متناه بل
مجموع ما يدخل تحت الوجود من الاجسام ما يكون الا متناهيا لقيام الادلة القاطعة على تناهي الابعاد
مددا جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب مدادا **قل** لهم بعد ما بينت لهم شان كلماته تعالى **انما انا بشر
مثلكم** لا ادعي الاحاطة بكلماته التامة **يوحى الي** من تلك الكلمات **انما الهكم اله واحد** لا شريك له في الخلق
ولا في سائر احكام الالوهية وانما تميزت عنكم بذلك **فمن كان يرجو لقاء ربه** الرجاء توقع وصول الخير في المستقبل
والمراد بلقائه تعالى كرامته وادخال الماضي للدلالة على ان اللائق بحال العبد المؤمن الاستمرار في نفسه لا يقا
بتلك المرجو كما فعله الذين امنوا وعملوا الصالحات **ولا يشرك بعبادة ربه احدا** اشراكا جليا كما فعله الذين
كفروا بآيات ربهم ولقائه ولا اشراكا خفيا كما يفعله اهل الرياء ومن يطلب به اجرا وايثار وضع المظهر موضع
المضمر في الموضعين مع التعرض لعنوان الربوبية لزيادة التقرير وللاشعار بعلية العنوان للامر والنهي
ووجوب الامتثال فعلا وتركا ان جندب بن زهير رضي الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اني لاعمل العمل لله تعالى فاذا اطلع عليه سرني عليه الصلوة والسلام ان الله لا يقبل ما شورك
فيه فنزلت تصديقا له انه عليه الصلوة والسلام قال لك اجران اجر السر واجر العلانية وذلك
اذا قصد ان يقتدى به عليه الصلوة والسلام اتقوا الشرك الاصغر قيل وما الشرك الاصغر فقال
الرياء رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى
قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من السماء الى الارض عليه الصلوة والسلام من قرأ عند مضجعه
قل انما انا بشر مثلكم الى آخرها كان له من مضجعه نورا يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم
وان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ الحمد لله سبحانه على

سورة مريم وهي ثمان وتسعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **كهيعص** بامالة الهاء والياء واظهار الدال بفتح الهاء وامالة الياء

وتفخيمهما

وتفخيمهما وباخفاء النون قبل الصاد لتقاربهما وقد سبق ان ما لا يكون من هذه الفواتح مفردة ولا موازنة
لمفرد فطريق التلفظ بها الحكاية فقط ساكنة الاعجاز على الوقف سواء جعلت اسما للسور او مسرودة على نمط التعديد
وان لزمها التقاء الساكنين لكونه مغتفرا في باب الوقف قطعا فحق هذه الفاتحة الكريمة ان يوقف عليها جريا على
الاصل بادغام الدال فيما بعدها لتقاربهما في المخرج فان جعلت اسما للسورة على ما عليه اطباق الاكثر
فمحله الرفع اما على انه خبر لمبتدأ محذوف والتقدير هذا كهيعص اي مسمى به وانما صحت الاشارة اليه مع عدم
جريان ذكره لانه باعتبار كونه على جناح الذكر صار في حكم الحاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشترى فلان او على انه
مبتدأ خبره **ذكر رحمة ربك** اي المسمى به ذكر رحمة ربك فان ذكرها لما كان مطلع السورة الكريمة ومعظم ما انطوى
هي عليه جعلت كانها نفس ذكرها والاول هو الاولى لانه ما يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون معلوم الانتساب
اليه عند المخاطب واذ لا علم بالتسمية من قبل فحقها الاخبار بها كما في الوجه الاول وان جعلت مسرودة على نمط
التعديد حسبما جنح اليه اهل التحقيق فذكر الى آخره خبر مبتدأ محذوف هو ما ينبئ عنه تعديد الحروف كانه قيل
المؤلف من جنس هذه الحروف المبسوطة مرادا به السورة ذكر رحمة الى آخره او اسم اشارة اشير به اليه تنزيلا
لحضور المادة منزلة المؤلف منها اي هذا ذكر رحمة هو مبتدأ قد حذف خبره اي فيما يتلى عليك ذكرها
ذكر رحمة ربك على صيغة الماضي من التذكير اي هذا المتلو ذكرها على صيغة الامر والتعرض لوصف الربوبية
المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه الصلوة والسلام للايذان بان تنزيل السورة عليه لتكميله
عليه الصلوة والسلام وقوله تعالى **عبده** مفعول لرحمة ربك على انها مفعول لما اضيف اليها للذكر
مصدر اضيف الى فاعله على الاتساع ومعنى ذكر الرحمة بلوغها واصابتها كما يقال ذكرني معروف فلان اي بلغني
وقوله عز وعلا **زكريا** بدل منه او عطف بيان **اذ نادى ربه نداء خفيا** ظرف لرحمة ربك للذكر
على انه مضاف الى فاعله اتساعا لا على الوجه الاول لفساد المعنى هو بدل اشتمال من زكريا كما في قوله تعالى
واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت ولقد راعى عليه السلام حسن الادب في اخفاء دعائه فانه مع كونه بالنسبة اليه
عز وجل كالجهر ادخل في الاخلاص وابعد من الرياء واقرب الى الخلاص عن لائمة الناس في طلب الولد لتوقفه على
مباد لا يليق به تعاطيها في اوان الكبر والشيخوخة وعن غائلة مواليه الذين كان يخافهم كان ذلك
منه عليه السلام لضعف الهرم قالوا كان سنه حينئذ ستين وقيل خمسا وستين وقيل سبعين وقيل خمسا وسبعين
وقيل ثمانين وقيل اكثر منها كما مر في تفسير سورة آل عمران **قال** جملة مفسرة لنادى لا محل لها من الاعراب **رب
اني وهن العظم مني** اسناد الوهن الى العظم لما انه عماد البدن ودعام الجسد فاذا اصابه الضعف والرخاوة
اصاب كله او لانه اشد اجزائه صلابة وقواما واقلها تأثرا من العلل فاذا وهن كان ما وراءه اوهن وافراده
للقصد الى الجنس المنبئ عن شمول الوهن لكل فرد من افراده ومني متعلق بمحذوف هو حال من العظم وقرئ
بكسر الهاء وبضمها ايضا وتاكيد الجملة لابراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمونها **واشتعل الرأس شيبا** شبه عليه
السلام الشيب في البياض والانارة بشواظ النار وانتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل مأخذ
باشتعالها ثم اخرجه مخرج الاستعارة ثم اسند الاشتعال الى محل الشعر ومنبته واخرجه مخرج التمييز
واطلق الرأس اكتفاء بما قيد به العظم وفيه من فنون البلاغة وكمال الجزالة ما لا يخفى حيث كان الاصل
اشتعل شيب راسي فاسند الاشتعال الى الرأس كما ذكر لافادة شموله للكل فانه وزانه بالنسبة الى الاصل
وزان اشتعل بيته نارا بالنسبة الى اشتعل النار في بيته ولزيادة تقريره بالاجمال اولا والتفصيل ثانيا ولمزيد
تفخيمه بالتنكير بادغام السين في الشين **ولم اكن بدعائك رب شقيا** اي لم اكن بدعائي اياك خائبا
في وقت من اوقات هذا العمر الطويل بل كلما دعوتك استجبت لي والجملة معطوفة على ما قبلها او حال من ضمير
المتكلم اذ المعنى واشتعل راسي شيبا وهذا توسل منه عليه السلام بما سلف منه من الاستجابة عند كل

دعوة اثر تمهيد ما يستدعي الرحمة ويستجلب الرأفة من كبر السن وضعف الحال فانه تعالى بعد ما عود عبده بالاجابة
دهرا طويلا لا يكاد يخيبه ابدا لا سيما عند اضطراره وشدة افتقاره والتعرض في الموضعين لوصف الربوبية
المنبئة عن افاضة ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لا سيما توسيطه بين كان وخبرها
لتحريك سلسلة الاجابة بالمبالغة في التضرع والتذلل اذا اراد العبد ان يستجاب له دعاؤه فليدع
الله تعالى بما يناسبه من اسمائه وصفاته **واني خفت الموالي** عطف على قوله تعالى اني وهن مترتب مضمونه
فان ضعف القوى وكبر السن من مبادي خوفه عليه السلام من يلي امره بعد الموت ومواليه بنو عمه وكانوا
شرار بني اسرائيل فخاف ان لا يحسنوا خلافته في امته ويبدلوا عليهم دينهم وقوله تعالى **من ورائي** اي بعد موتي
متعلق بمحذوف ينساق اليه الذهن اي فعل الموالي من بعدي او جور الموالي من بعدي وقد قرئ كذلك او بما
في الموالي من معنى الولاية اي خفت الذين يلون الامر من ورائي لا بخفت لفساد المعنى وورائي بالقصر
وفتح الياء. وخفت الموالي من ورائي اي قلوا وعجزوا عن القيام بامور الدين بعدي او خفت الموالي
القادرون على اقامة مراسم الملة ومصالح الامة من خفت القوم اي ادرجوا مسرعين اي درجوا قدامي
ولم يبق منهم من به تقوٍّ واعتضاد فالظرف حينئذ متعلق بخفت **وكانت امرأتي عاقرا** اي لا تلد من حين شبابها
فهب لي من لدنك كلا الجارين متعلق بهب لاختلاف معنييهما فاللام صلة له ومن لابتداء الغاية مجازا
وتقديم الاول لكون مدلوله اهم عنده ويجوز تعلق الثاني بمحذوف وقع حالا من المفعول ولدن في
الاصل ظرف بمعنى اول غاية زمان او مكان او غيرهما من الذوات وقد مر تفصيله في اوائل سورة آل
عمران اي اعطني من محض فضلك الواسع وقدرتك الباهرة بطريق الاختراع لا بواسطة الاسباب العادية
وليا اي ولدا من صلبي وتاخيره عن الجارين لاظهار كمال الاعتناء بكون الهبة له على ذلك الوجه البديع مع ما
فيه من التشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مستشرفة له فعند وروده لها يتمكن عندها
فضل تمكن ولان فيه نوع طول بما بعده من الوصف فتاخيرهما عن الكل وتوسيطهما بين الموصوف والصفة
مما لا يليق بجزالة النظم الكريم والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ذكره عليه السلام من كبر السن
وضعف القوى وعقر المراءة موجب لانقطاع رجائه عليه السلام عن حصول الولد بتوسط الاسباب
العادية واستيهابه على الوجه الخارق للعادة ولا يقدح في ذلك ان يكون هناك داع اخر الى الاقبال
على الدعاء المذكور من مشاهدته عليه السلام للخوارق الظاهرة في حق مريم كما يعرب عنه قوله تعالى هنالك
دعا زكرياء ربه الاية وعدم ذكره هاهنا للتعويل على ذكره هناك كما ان عدم ذكر مقدمة الدعاء هناك
للاكتفاء بذكرها هاهنا فان الاكتفاء بما ذكر في موطن عما ترك في موطن آخر من النكت التنزيلية وقوله
تعالى **يرثني** صفة لوليا هو وما عطف عليه بالجزم جوابا للدعاء اي يرثني من حيث العلم والدين
والنبوة فان الانبياء عليهم السلام لا يورثون المال عليه الصلوة والسلام نحن معاشر الانبياء
لا نورث ما تركنا صدقة يرثني الحبورة وكان عليه السلام حبرا **ويرث من آل يعقوب** يقال ورثه
وورث منه لغتان والآل خاصة الرجل الذين يؤول اليه امرهم للقرابة والصحبة والموافقة في الدين وكانت
زوجة زكرياء اخت ام مريم اي ويرث منهم الملك هو يعقوب بن اسحق بن ابرهيم عليهم السلام
الكلبي ومقاتل هو يعقوب بن ماثان اخو عمران بن ماثان من نسل سليمان عليه السلام وكان
آل يعقوب اخوال يحيى بن زكريا الكلبي كان بنو ماثان رؤس بني اسرائيل وملوكهم وكان زكرياء
عليه السلام رئيس الاحبار يومئذ فاراد ان يرثه ولده حبورته ويرث من بني ماثان ملكهم يرث
وارث آل يعقوب على انه حال من المستكن في يرث او يرث آل يعقوب بالتصغير ففيه ايماء
الى وراثته عليه السلام لما يرثه في حالة صغره وارث من آل يعقوب على انه فاعل يرثني على طريقة التجريد

اي يرثني

اي يرثني به وارث من للتبعيض اذ لم يكن كل آل يعقوب عليه السلام انبياء ولا علماء **واجعله رب رضيا**
رضيا عندك قولا وفعلا وتوسيط رب بين مفعولي الجعل للمبالغة في الاعتناء بشان ما يستدعيه **يا زكرياء** على
ارادة القول اي قال تعالى يا زكرياء **انا نبشرك بغلام اسمه يحيى** لكن لا بان يخاطبه عليه السلام بذلك بالذات
بل بواسطة الملك على ان يحكي له عليه السلام هذه العبارة عنه عز وجل على نهج قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا
على انفسهم الاية وقد مر تحقيقه في سورة آل عمران وهذا جواب لندائه عليه السلام ووعد باجابة دعائه لكن لا
كلا كما هو المتبادر من قوله تعالى فاستجبنا له ووهبنا له يحيى الخ بل بعضا حسبما يقتضيه المشيئة الالهية المبنية
على الحكم البالغة فان الانبياء عليهم السلام وان كانوا مستجابي الدعوة لكنهم ليسوا كذلك في جميع الدعوات الا
يرى الى دعوة ابرهيم عليه السلام في حق ابيه والى دعوة النبي عليه الصلوة والسلام حيث قال وسالته ان لا يذيق
بعضهم باس بعض فمنعنيها وقد كان من قضائه عز وجل ان يهبه يحيى نبيا مرضيا ولا يرثه فاستجيب له في الاول دون
الثاني حيث قتل قبل موت ابيه عليهما السلام على ما هو المشهور بقي بعده برهة فلا اشكال حينئذ وفي
تعيين اسمه عليه السلام تاكيد للوعد وتشريف له عليه السلام وفي تخصيصه به حسبما يعرب عنه قوله تعالى
لم نجعل له من قبل سميا اي شريكا له في الاسم حيث لم يسم احد قبله بيحيى مزيد تشريف وتفخيم له عليه السلام فان
التسمية بالاسامي البديعة الممتازة عن اسماء سائر الناس تنويه بالمسمى لا محالة سميا شبيها في الفضل
والكمال كما في قوله تعالى هل تعلم له سميا فان المشاركين في الوصف بمنزلة المشاركين في الاسم قالوا لم يكن له عليه
السلام مثل في انه لم يعص الله تعالى ولم يهم بمعصية قط وانه ولد من شيخ فان وعجوز عاقر وانه كان حصورا فيكون
هذا اجمالا لما نزل بعده من قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين والاظهر انه اسم
اعجمي وان كان عربيا فهو منقول عن الفعل كيعمر ويعيش سمي به لانه حيي به رحم امه او حيي به دين الله تعالى
بدعوته **قال** استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال عليه السلام حينئذ فقيل قال **رب** ناداه تعالى بالذات
مع وصول خطابه تعالى اليه بتوسيط الملك للمبالغة في التضرع والمناجاة والجد في التبتل اليه تعالى والاحتراز عما
عسى يوهم خطابه للملك من توهم ان علمه تعالى بما يصدر عنه متوقف على توسطه كما ان علم البشر بما يصدر عنه
سبحانه متوقف على ذلك في عامة الاوقات **انى يكون لي غلام** كلمة انى بمعنى كيف او من اين وكان اما تامة وانى
واللام متعلقان بها وتقديم الجار على الفاعل لما مر مرارا من الاعتناء بما تقدم والتشويق الى آخره اي كيف او من اين
يحدث لي غلام ويجوز ان يتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من غلام اذ لو تاخر لكان صفة له اي انى يحدث كائنا لي
غلام ونحوه او ناقصة اسمها ظاهر وخبرها اما انى ولي متعلق بمحذوف كما مر او هو الخبر وانى نصب على الظرفية
وقوله تعالى **وكانت امرأتي عاقرا** حال من ضمير المتكلم بتقدير قد وكذا قوله تعالى **وقد بلغت من الكبر عتيا** حال منه مؤكد
للاستبعاد اثر تاكيد اي كانت امرأتي عاقرا لم تلد في شبابها وشبابي فكيف وهي الآن عجوز وقد بلغت انا من اجل
كبر السن جسالة وقحولا في المفاصل والعظام او بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا من عتا يعتو واصله
عتوو كقعود فاستثقل توالي الضمتين والواوين فكسرت التاء فانقلبت الاولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ثم قلبت
الثانية ايضا لاجتماع الواو والياء وسبق احديهما بالسكون وكسرت العين اتباعا لها لما بعدها
بضمها ولعل البداية هاهنا بذكر حال امرأته على عكس ما في سورة آل عمران لما انه قد ذكر حاله في تضاعيف
دعائه وانما المذكور هاهنا بلوغه اقصى مراتب الكبر تتمة لما ذكر قبل واما هنالك فلم يسبق في الدعاء ذكر حاله
فلذلك قدمه على ذكر حال امرأته لما ان المسارعة الى بيان قصور شانه انسب وانما قاله عليه السلام مع
سبق دعائه بذلك وقوة يقينه بقدرة الله عز وجل لا سيما بعد مشاهدة الشواهد المذكورة في سورة آل
عمران استعظاما لقدرة الله تعالى وتعجبا منها واعتدادا بنعمته تعالى عليه باظهار انه من محض لطف الله عز
وجل وفضله مع كونه في نفسه من الامور المستحيلة عادة لا استبعادا له انما قاله ليجاب بما

اجيب به فيزداد المؤمنون ايقانا ويرتدع المبطلون   كان ذلك منه عليه السلام استفهاما عن كيفية حدوثه
بل كان ذلك بطريق الاستبعاد حيث كان بين الدعاء والبشارة ستون سنة وكان قد نسي دعاه وهو
بعيد **قال** استيناف كما مر على سؤال نشأ مما سلف والكاف في قوله تعالى **كذلك قال ربك** مقحمة كما في مثلك لا يبخل
محلها اما النصب على انه مصدر تشبيهي لقال الثاني وذلك اشارة الى مصدره الذي هو عبارة عن الوعد السابق
لا الى قول آخر شبه هذا به وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وقوله تعالى **هو**
علي هين جملة مقررة للوعد المذكور دالة على انجازه داخلة في حيز قال الاول كانه قيل قال الله عز وجل مثل
ذلك القول البديع   اي مثل ذلك الوعد الخارق للعادة وعدت هو على خاصة هين وان كان في العادة
مستحيلا   وهو علي هين فالجملة حينئذ حال من ربك والياء عبارة عن ضميره كما ستعرفه او اعراض
وعلى كل حال فهي حال مؤكدة ومقررة لما قبلها ثم اخرج القول الثاني مخرج الالتفات جريا على سنن الكبرياء لتربية
المهابة وادخال الروع كقول الخلفاء امير المؤمنين يرسم لك مكان انا ارسم ثم اسند الى اسم الرب المضاف الى
ضميره عليه السلام تشريفا له واشعارا بعلة الحكم فان تذكير جريان احكام ربوبيته تعالى عليه عليه السلام من ايجاده
من العدم وتصريفه في اطوار الخلق من حال الى حال شيئا فشيئا الى ان يبلغ كماله اللائق به مما يقلع اساس استبعاده
لحصول المعهود ويورثه عليه السلام الاطمئنان بانجازه لا محالة ثم التفت من ضمير الغايب العائد الى الرب الى ياء
العظمة ايذانا بان مدار كونه هينا عليه سبحانه هو القدرة الذاتية لا ربوبيته تعالى له عليه السلام خاصة وتمهيدا
لما يعقبه   ذلك اشارة الى مبهم يفسره قوله تعالى هو علي هين على طريقة قوله تعالى وقضينا اليه
ذلك الامر ان دابر هولاء مقطوع مصبحين ولا يخرج هذا الوجه على القراءة بالواو لانها لا تدخل بين المفسر والمفسر
واما الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وذلك اشارة الى ما تقدم من وعده تعالى اي قال عز وعلا الامر كما وعدت
وهو واقع لا محالة وقوله تعالى قال ربك الى آخره استيناف مقرر لمضمونه والجملة المحكية على القراءة الثانية
معطوفة على المحكية الاولى وحال من المستكن في الجار والمجرور واياما كان فتوسيط قال بينهما مشعر بمزيد الاعتناء
بكل منهما والكلام في اسناد القول الى الرب ثم الالتفات الى التكلم كالذي مر آنفا   ذلك اشارة الى ما
قاله زكرياء عليه السلام اي قال تعالى الامر كما قلت تصديقا له فيما حكاه من الحالة الثانية للولادة في نفسه
وفي امرأته وقوله تعالى قال ربك استيناف سوق لازالة استبعاده بعد تقريره اي قال تعالى هو مع بعده في
نفسه هو علي هين والقراءة الثانية ادخل في افادة هذا المعنى على ان الواو للعطف واما جعلها للحال
فمخل بسداد المعنى لان ماله تقرير صعوبته حال سهولته عليه تعالى مع ان المقصود بيان سهولته عليه
سبحانه مع صعوبته في نفسه وقوله تعالى **وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا** جملة مستانفة مقررة لما قبلها
والمراد به ابتداء خلق البشر اذ هو الواقع اثر العدم المحض لا ما كان بعد ذلك بطريق التوالد المعتاد وانما
لم ينسب ذلك لآدم عليه السلام وهو المخلوق من العدم حقيقة بان يقال وقد خلقت اباك آدم من قبل
ولم يك شيئا مع كفايته في ازالة الاستبعاد بقياس حال ما بشر به على حاله عليه السلام لتاكيد الاحتجاج
وتوضيح منهاج القياس حيث نبه على ان كل فرد من افراد البشر له حظ من انشائه عليه السلام من العدم اذ لم
تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا مطويا على فطرة سائر آحاد الجنس انطواء اجماليا
مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان ابداعه عليه السلام على هذا النمط الساري الى جميع افراد ذريته ابدع
من ان يكون ذلك مقصورا على نفسه كما هو المفهوم من نسبة الخلق المذكور اليه كما نسب الخلق والتصوير الى
المخاطبين في قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم توفية لمقام الامتنان حقه فكانه قيل وقد خلقتك من قبل
في تضاعيف خلق آدم ولم تك اذ ذاك شيئا اصلا بل عدما محضا ونفيا صرفا هذا واما حمل الشيء على المعتد به
اي ولم تك شيئا معتدا به فيأباه المقام ويرده نظم الكلام   خلقناك وقوله تعالى **قال رب اجعل لي آية**

اي علامة تدلني على تحقق المسؤول ووقوع الحبل ولم يكن هذا السؤال منه عليه السلام لتاكيد البشارة وتحقيقها
كما قيل فان ذلك مما لا يليق بمنصب الرسالة وانما كان ذلك لتعريفه وقت العلوق حيث كانت البشارة مطلقة
عن تعيينه وهو امر خفي لا يوقف عليه فاراد ان يطلعه الله عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة بالشكر من حين حدوثها
ولا يؤخره الى ان تظهر ظهورا معتادا وقد مرت الاشارة في سورة آل عمران الى ان هذا السؤال ينبغي ان يكون
بعد ما مضى بعد البشارة برهة من الزمان   ان يحيى كان اكبر من عيسى عليهما السلام بستة اشهر او
بثلث سنين ولا ريب ان دعاء زكرياء عليه السلام كان في صغر مريم لقوله تعالى هنالك دعا زكرياء ربه وهي
انما ولدت عيسى عليه السلام وهي بنت عشر سنين او بنت ثلث عشر سنة والجعل ابداعي واللام متعلقة به و
تقديمها على المفعول لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف وقع حالا من آية اذ لو تاخر
لكان صفة لها   بمعنى التصيير المستدعي لمفعولين اولهما آية وثانيهما الظرف وتقديمه لانه لا
مسوغ لكون آية مبتدأ عند انحلال الجملة الى مبتدأ وخبر وتقديم الظرف فلا يتغير حالهما بعد ورود الناسخ
قال آيتك ان لا تكلم الناس اي ان لا تقدر على ان تكلمهم بكلام الناس مع القدرة على الذكر والتسبيح **ثلث ليال**
مع ايامهن للتصريح بها في سورة آل عمران **سويا** حال من فاعل تكلم بطريق الاضطرار دون الاختيار اي تمنع
الكلام فلا تنطق به حال كونك سوي الخلق سليم الجوارح ما بك شائبة بكم ولا خرس **فخرج على قومه من المحراب**
اي من المصلى او من الغرفة وكانوا من وراء المحراب ينتظرونه ان يفتح لهم الباب فيدخلوه ويصلوا اذ اخرج
عليهم متغير اللون فانكروه وقالوا ما لك **فاوحى اليهم** اي فاومى اليهم لقوله تعالى الا رمزا   كتب
على الارض وان في قوله تعالى **ان سبحوا** اما مفسرة لاوحى او مصدرية والمعنى اي صلوا او بان صلوا **بكرة**
وعشيا هما ظرفا زمان للتسبيح   ابي العالية ان المراد بهما صلاة الصبح وصلاة العصر او نزهوا
ربكم طرفي النهار ولعله كان مامورا بان يسبح شكرا ويامر قومه بذلك **يا يحيى** استيناف طوي قبله جمل
كثيرة مسارعة الى الانباء بانجاز الوعد الكريم اي قلنا يا يحيى **خذ الكتاب** اي التورية **بقوة** اي بجد واستظهار
بالتوفيق **وآتيناه الحكم صبيا** قال ابن عباس رضي الله عنهما الحكم النبوة استنباء وهو ابن ثلث سنين
الحكم الحكمة وفهم التورية والتفقه في الدين   انه دعاه الصبيان الى اللعب فقال ما خلقنا للعب
وحنانا من لدنا عطف على الحكم وتنوينه للتفخيم وهو التحنن والاشتياق ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة له
مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي وآتيناه رحمة عظيمة عليه كائنة من
جنابنا او رحمة في قلبه وشفقة على ابويه وغيرهما **وزكوة** اي طهارة من الذنوب او صدقة اي تصدقنا به
على ابويه او وفقناه للتصدق على الناس **وكان تقيا** مطيعا متجنبا عن المعاصي **وبرا بوالديه** عطف على تقيا
اي بارا بهما لطيفا بهما محسنا اليهما **ولم يكن جبارا عصيا** متكبرا عاقا لهما او عاصيا لربه **وسلام عليه** من الله عز
وجل **يوم ولد** من ان يناله الشيطان بما ينال بني آدم **ويوم يموت** من عذاب القبر **ويوم يبعث حيا** من هول
القيمة وعذاب النار **واذكر في الكتاب** كلام مستانف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم وامر بذكر قصة
مريم اثر قصة زكرياء لما بينهما من كمال الاشتباك والمراد بالكتاب السورة الكريمة لا القرآن اذ هي التي صدرت
بقصة زكرياء المستتبعة لذكر قصتها وقصص الانبياء المذكورين فيها اي واذكر للناس **مريم** اي نبأها
فان الذكر لا يتعلق بالاعيان وقوله تعالى **اذ انتبذت** ظرف لذلك المضاف لكن لا على ان يكون المامور به
ذكر نبأها عند انتباذها فقط بل كلما عطف عليه وحكي بعده بطريق الاستيناف وادخل في حيز الظرف
متمم النبأ وقيل بدل اشتمال من مريم على ان المراد بها نبأها فان الظروف مشتملة على ما فيها وقيل بدل
الكل على ان المراد بالظرف ما وقع فيه وقيل اذ بمعنى ان المصدرية كما في قولك ما اكرمتك اذ لم تكرمني اي لان لم
تكرمني فهو بدل اشتمال لا محالة وقوله تعالى **من اهلها** متعلق بانتبذت وقوله تعالى **مكانا شرقيا** مفعول

له باعتبار ما في ضمنه من معنى الاتيان المترتب وجودًا واعتبارًا على اصل معناه العامل في الجار والمجرور وهو السر في تاخره عنه اي اعتزلت وانفردت منهم وانت مكانا شرقيا من بيت المقدس او من دارها لتتخلى هنالك للعبادة وقيل تعدت في مشرقة لتغتسل من الحيض محتجبة بحايط او بشيء يسترها وذلك قوله تعالى فاتخذت من دونهم حجابا وكان موضعها المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها واذا طهرت عادت الى المسجد فبينما هي في مغتسلها اتاها الملك عليه السلام في صورة آدمي شاب امرد وضيء الوجه جعد الشعر وذلك قوله تعالى فارسلنا اليها روحنا اي جبريل عليه السلام عبّر عنه بذلك توفية للمقام حقه وقرئ بفتح الراء لكونه سببًا لما فيه روح العباد الذي هو عدة المقربين في قوله تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان فتمثل لها بشرا سويا سوي الخلق كامل البنية لم يفقد من حسان نعوت الآدمية شيئا تمثل لها في صورة قريب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وذلك لتستانس بكلامه وتتلقى منه ما يلقي اليها من كلماته تعالى اذ لو بدا لها في صورة الملكية لنفرت منه ولم تستطع مفاوضته واما ما قيل من ان ذلك لتهييج شهوتها فتنحدر نطفتها الى رحمها فمع مخالفته لمقام بيان آثار القدرة الخارقة للعادة يكذبه قوله تعالى قالت اني اعوذ بالرحمن منك فانه شاهد عدل بانه لم يخطر ببالها شايبة ميل اليه فضلا عما ذكر من الحالة المترتبة على اقصى مراتب الميل والشهوة نعم كان تمثيله على ذلك الحسن الفايق والجمال الرايق لابتلائها وسبر عفتها ولقد ظهر منها من الورع والعفاف ما لا غاية وراءه وذكره تعالى بعنوان الرحمانية للمبالغة في العياذ به واستجلاب آثار الرحمة الخاصة التي هي العصمة مما دهمها وقوله تعالى ان كنت تقيا تتقي الله تعالى وتبالي بالاستعاذة به وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة السياق عليه اي فاني عايذة به او فتتعوذ بتعوذي او فلا تتعرض لي قال انما انا رسول ربك يريد عليه السلام اني لست ممن يتوقع منه ما توهمت من الشر وانما انا رسول ربك الذي استعذت به لاهب لك غلاما اي لاكون سببًا في هبته بالنفخ في الدرع ويجوز ان يكون ذلك حكاية لقوله تعالى ويؤيده القراءة بالياء والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرها لتشريفها وتسليتها والاشعار بعلة الحكم فان هبة الغلام لها من احكام تربيتها وفي بعض المصاحف امرني ان اهب لك غلاما زكيا طاهرا من الذنوب او ناميًا على الخير اي مترقيا من سن الى سن على الخير والصلاح قالت انى يكون لي غلام كما وصفت ولم يمسسني بشر اي والحال انه لم يباشرني بالنكاح رجل وانما قيل بشر مبالغة في بيان تنزهها من مبادي الولادة ولم اك بغيا عطف على لم يمسسني داخل معه في حكم الحالية مفصح عن كون المساس عبارة عن المباشرة بالنكاح اي ولم اكن فاجرة ابغي الرجال وهي فعول بمعنى الفاعل اصلها بغوي فادغمت الواو بعد قلبها ياء في الياء وكسرت الغين للياء وقيل هي فعيل بمعنى الفاعل والا لقيل بغو كما يقال نهو عن المنكر وانما لم تلحقه التاء لانها من باب النسب كطالق او بمعنى المفعول اي يبغيها الرجال للفجور بها قال اي الملك تقريرا لمقالتها وتحقيقا لها كذلك اي الامر كما قلت لك وقوله تعالى قال ربك الى آخره استيناف مقرر له اي قال ربك الذي ارسلني اليك هو اي ما ذكرت لك من هبة الغلام من غير ان يمسسك بشر اصلا علي خاصة هين وان كان مستحيلا عادة لما اني لا احتاج الى الاسباب والوسايط وقوله تعالى ولنجعله آية للناس اما علة لمعلل محذوف اي ولنجعل وهب الغلام آية لهم وبرهانا يستدلون به على كمال قدرتنا نفعل ذلك او معطوف على علة اخرى مضمرة اي لنبين به عظم قدرتنا ولنجعله آية والواو على الاول اعتراضية وعن الالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال الجلالة ورحمة عظيمة كاينة منا عليهم يهتدون بهدايته ويسترشدون بارشاده وكان ذلك امرا مقضيا حكما قد تعلق به قضاؤنا الازلي او قدر وسطر في اللوح لا بد من جريانه عليك البتة او كان امرا حقيقا بان يقضى ويفعل لتضمنه حكما بالغة فحملته بان نفخ جبرائيل عليه السلام في درعها فدخلت النفخة في جوفها وقيل انه عليه السلام رفع درعها فنفخ في جيبه فحملت وقيل نفخ من بعيد فوصل الريح اليها فحملت في الحال وقيل ان النفخة كانت في فيها وكان مدة حملها سبعة اشهر وقيل

ثمانية

ثمانية اشهر ولم يعش مولود وضع لثمانية اشهر غيره وقيل تسعة اشهر وقيل ثلث ساعات وقيل ساعة كما حملت وضعته وسنها حينئذ ثلث عشر سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين فانتبذت به اي فاعتزلت وهو في بطنها كما في قوله تدوس بنا الجماجم والتريبا فالجار والمجرور في حيز النصب على الحالية اي فانتبذت ملتبسة به مكانا قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل اقصى الدار وهو الانسب بقصر مدة الحمل فاجاءها المخاض اي فالجاءها وهو في الاصل منقول من جاء لكنه لم يستعمل في غيره كاتى في اعطى المخاض بكسر الميم وكلاهما مصدر مخضت المراة اذا تحرك الولد في بطنها للخروج الى جذع النخلة لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة لا راس لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف اما للجنس او للعهد اذ لم يكن ثمة غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس ولعله تعالى الهمها ذلك ليريها من آياتها ما يسكن روعها ويطعمها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافق لها قالت يا ليتني مت بكسر الميم من مات يميت كخفت بضمها من مات يموت قبل هذا اي هذا الوقت الذي لقيت فيه ما لقيت وانما قالته مع انها كانت تعلم ما جرى بينها وبين جبرائيل عليه السلام من الوعد الكريم استحياء من الناس وخوفا من لائمتهم او حذرا من وقوع الناس في المعصية بما تكلموا فيها او جريا على سنن الصالحين عند اشتداد الامر عليهم عن عمر رضي الله عنه انه اخذ تبنة من الارض فقال يا ليتني هذه التبنة ولم اك شيئا بلال انه قال ليت بلالا لم تلده امه وكنت نسيا اي شيئا تافها شانه ان ينسى ولا يعتد به اصلا بالكسر قيل هما لغتان في ذلك كالوتر والوتر وقيل هو بالكسر اسم لما ينسى كالنقض اسم لما ينقض وبالفتح مصدر يسمى به المفعول مبالغة بهما مهموزا من نسأت اللبن اذا صببت عليه الماء فصار مستهلكا فيه نسأ كعصا منسيا لا يخطر ببال احد من الناس وهو نعت للمبالغة بكسر الميم اتباعا له بالسين فناداها اي جبريل عليه السلام من تحتها قيل انه كان يقبل الولد وقيل من تحتها اي من كان اسفل منها تحت الاكمة وقيل من تحت النخلة ناداها عيسى عليه السلام خاطبها من تحتها بفتح الميم ان لا تحزني اي لا تحزني على ان ان مفسرة او بان لا تحزني على انها مصدرية قد حذف عنها الجار قد جعل ربك تحتك اي بمكان اسفل منك تحت امرك ان امرت بالجري جرى وان امرت بالامساك امسك سريا اي نهرا صغيرا حسبما روي مرفوعا ابن عباس رضي الله عنهما ان جبريل عليه السلام ضرب برجله الارض فظهرت عين ماء عذب فجرى جدولا فعله عيسى عليه السلام وقيل كان هناك نهر يابس اجرى الله عز وجل فيه الماء حينئذ كما فعل مثله بالنخلة فانها كانت نخلة يابسة لا راس لها ولا ورق فضلا عن الثمر وكان الوقت شتاء فجعل الله اذ ذاك لها ورقا وخوصا وثمرا كان هناك ماء جار والاول هو الموافق لمقام بيان ظهور الخوارق والمتبادر من النظم الكريم سريا اي سيدا نبيا رفيع الشان جليلا وهو عيسى عليه السلام فالتنوين للتفخيم والجملة تعليل لانتفاء الحزن المفهوم من النهي عنه والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرها لتشريفها وتاكيد التعليل وتكميل التسلية وهزي هز الشيء تحريكه الى الجهات المتقابلة تحريكا عنيفا متداركا والمراد منه ها هنا ما كان منه بطريق الجذب والدفع لقوله تعالى اليك الى جهتك والباء في قوله تعالى بجذع النخلة صلة للتاكيد كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة الى آخره الفرا تقول العرب هزه وهز به واخذ الخطام واخذ بالخطام والالصاق الفعل بدخولها اي الهزي بجذعها او هزي الثمرة بهزه وقيل هي متعلقة بمحذوف وقع حالا من مفعول الهز اي هزي اليك الرطب كاينا بجذعها تساقط اي تسقط النخلة عليك اسقاطا متواترا حسب تواتر الهز تسقط ويسقط من الاسقاط بالياء والتاء وتتساقط باظهار التاءين وتساقط بطرح الثانية وتساقط بادغامها في السين ويساقط بالياء كذلك ويسقط وتسقط من السقوط على ان التاء في الكل للنخلة

والياء للجذع وقوله تعالى رطبا على القراآت الثلث الاول مفعول وعلى الست الباقية تمييز وقوله تعالى جنيا
صفة له وهو ما قطع قبل يبسه فعيل بمعنى مفعول اي رطبا مجنيا اي صالحا للاجتناء وقيل بمعنى فاعل اي طريا طيبا
وقرئ جنيا بكسر الجيم للاتباع فكلي واشربي اي من ذلك الرطب وماء السري او من الرطب وعصيره وقري عينا
وطيبي نفسا وارفضي عنها ما احزنك واهمك فانه تعالى قد نزه ساحتك عما اختلج في صدور المتقيدين بالاحكام
العادية بان اظهر لهم من البسايط العنصرية والمركبات النباتية ما يخرق العادات التكوينية ويرشدهم الى الوقوف
على سريرة امرك بكسر القاف وهي لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رات ما يسر النفس سكنت
اليه من النظر الى غيره او من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين للمحبوب و
المكروه فاما ترين من البشر احدا اي ادميا كاينا من كان ترين على لغة من يقول لبأت بالحج لتآخي بين الهمزة
والياء من التآخي فقولي له ان استنطقك اني نذرت للرحمن صوما اي صمتا وقد قرئ كذلك او صياما بالسكوت
فلن اكلم اليوم انسيا اي بعد ان اخبرتكم بنذري وانما اكلم الملئكة واناجي ربي امرت ان تخبر بنذرها
بالاشارة وهو الاظهر قال الفرا العرب تسمي كلما وصل الى الانسان كلاما باي طريق وصل ما لم يوكد
بالمصدر فاذا اكد لم يكن الا حقيقة الكلام وانما امرت بذلك لكراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم والاكتفاء بكلام
عيسى عليه السلام فانه نص قاطع في قطع الطعن فاتت به قومها اي جاءتهم مع ولدها راجعة اليهم عندما
طهرت من نفاسها تحمله اي حاملة له قالوا موبخة لها يا مريم لقد جئت اي فعلت شيئا فريا اي عظيما بديعا
منكرا من فري الجلد اي قطعه او جئت مجيئا عجيبا عبر عنه بالشيء تحقيقا للاستغراب يا اخت هرون استينافا لتجديد
التعيير وتاكيد التوبيخ يعنون به هرون النبي عليه السلام وكانت من اعقاب من كان معه في طبقة الاخوة وقيل
كانت من نسله وكان بينهما الف سنة وقيل هو رجل صالح او طالح كان في زمانهم شبهوها به اي كنت عندنا مثله
في الصلاح او شتموها به ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا تقرير لكون ما جاءت به فريا منكرا وتنبيه على
ان ارتكاب الفواحش من اولاد الصالحين افحش فاشارت اليه اي الى عيسى عليه السلام ان كلموه والظاهر
انها بينت حينئذ نذرها وانها بمعزل من محاورة الانس حسبما امرت ففيه دلالة على ان المامور به بيان نذرها
بالاشارة لا بالعبارة والجمع بينهما مما لا عهد به قالوا منكرين لجوابها كيف نكلم من كان في المهد صبيا ولم نعهد فيما
سلف صبيا يكلمه عاقل وقيل كان لايقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم صالح لقريبه وبعيده وهو هاهنا
لقريبه خاصة بدليل انه مسوق للتعجب وقيل هي زايدة والظرف صلة من وصبيا حال من المستكن فيه او
هي تامة كما في قوله تعالى وكان الله عليما حكيما قال استيناف مبني على سؤال نشا من سياق النظم الكريم
كانه قيل فماذا كان بعد ذلك فقيل قال عيسى عليه السلام اني عبد الله انطقه الله تعالى بذلك اولا تحقيقا
للحق وردا على من يزعم ربوبيته قيل كان المستنطق لعيسى زكريا عليهما السلام وعن السدي رضي الله عنه
لما اشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا اشد علينا مما فعلت انه عليه السلام كان يرضع فلما
سمع ذلك ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه واشار بسبابته وقال ما قال الح كلم بذلك ثم لم يتكلم
حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان اتاني الكتاب اي الانجيل وجعلني نبيا وجعلني مع ذلك مباركا نفاعا
معلما للخير والتعبير بلفظ الماضي في الافعال الثلثة اما باعتبار ما سبق في القضاء المحتوم او بجعل ما في
شرف الوقوع لا محالة واقعا قيل اكمله الله عقلا واستنباه طفلا اينما كنت اي حيث ما كنت واوصاني بالصلوة اي
امرني بها امرا موكدا والزكوة زكوة المال ان ملكته او بتطهير النفس عن الرذايل ما دمت حيا في الدنيا وبرا بوالدتي
عطف على مباركا اي جعلني بارا بها وقرئ برا بالكسر على انه مصدر وصف به مبالغة او منصوب بمضمر دل عليه
اوصاني اي وكلفني برا ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفا على الصلوة والزكوة والتنكير للتفخيم ولم يجعلني جبارا
شقيا عند الله تعالى لفرط تكبره والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا كما هو على يحيى

على ان التعريف للعهد والاظهر انه للجنس والتعريض باللعن على اعدائه فان اثبات جنس السلام لنفسه تعريض
باثبات ضده لاضداده كما في قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فانه تعريض بان العذاب على من كذب وتولى
ذلك اشارة الى من فصلت نعوته الجليلة وما فيه من معنى البعد للدلالة على علو رتبته وبعد منزلته وامتيازه
بتلك المناقب الحميدة عن غيره ونزوله منزلة المشاهد المحسوس عيسى بن مريم لا ما تصفه النصارى وهو تكذيب
لهم فيما يزعمونه على الوجه الابلغ والمنهاج البرهاني حيث جعله موصوفا باضداد ما يصفونه قول الحق بالنصب
على انه مصدر موكد لقال اني عبد الله الى آخره وقوله تعالى ذلك عيسى بن مريم اعتراض مقرر لمضمون ما قبله
بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي هو قول الحق الذي لا ريب فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام
السابق او لتمام القصة صفة عيسى او بدل له او خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرئ قال الحق وقول الحق
فان القول والقال في معنى واحد الذي فيه يمترون اي يشكون ويتنازعون فيقول اليهود ساحر والنصارى
ابن الله سبحانه بتاء الخطاب ما كان لله اي ما صح وما استقام له تعالى ان يتخذ ولدا سبحانه
تكذيب للنصارى وتنزيه له تعالى عما بهتوه وقوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون تبكيت لهم ببيان شانه
تعالى اذا قضى امرا من الامور ان تعلقت ارادته بكونه فيكون حينئذ بلا تاخير فمن هذا شانه فكيف يتوهم ان يكون
له ولد فيكون بالنصب على الجواب وقوله تعالى وان الله ربي وربكم فاعبدوه من تمام كلام عيسى عليه السلام
هو عطف على قوله اني عبد الله داخل تحت القول وقد قرئ بغيرها وقرئ بفتح الهمزة على حذف اللام اي ولانه تعالى ربي
وربكم فاعبدوه كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا الصلاة هذا اي الذي ذكرته من التوحيد
صراط مستقيم لا يضل سالكه والفاء في قوله تعالى فاختلف الاحزاب من بينهم لترتيب ما بعدها على ما قبلها تنبيها على
سوء صنيعهم بجعلهم ما يوجب الاتفاق منشأ للاختلاف فان ما حكي من مقالات عيسى عليه السلام مع كونها
نصوصا قاطعة في كونه عبده تعالى ورسوله قد اختلفت اليهود والنصارى بالتفريط والافراط او فرق النصارى
فقالت النسطورية هو ابن الله وقالت اليعقوبية هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء تعالى عن ذلك علوا كبيرا
وقالت الملكانية هو عبد الله ونبيه فويل للذين كفروا وهم المختلفون عبر عنهم بالموصول ايذانا بكفرهم جميعا
واشعارا بعلة الحكم من مشهد يوم عظيم اي من شهود يوم الهول والحساب والجزاء وهو يوم القيمة او من وقت
شهوده او من مكان الشهود فيه او من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو ان تشهد عليهم الملائكة والانبياء عليهم السلام
والسنتهم واذانهم وايديهم وارجلهم وساير ارائهم بالكفر والفسوق او من وقت الشهادة او من مكانها
هو ما شهدوا به في حق عيسى وامه اسمع بهم وابصر تعجب من حدة سمعهم وابصارهم يومئذ ومعناه ان اسماعهم
وابصارهم يوم ياتوننا للحساب والجزاء اي يوم القيمة جديران يتعجب منهما بعد ان كانوا في الدنيا صما عميا
وتهديد بما سيسمعون ويبصرون يوم اذ امرنا يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق فيه
والجار والمجرور على الاول في موضع الرفع وعلى الثاني في حيز النصب لكن الظالمون اليوم اي في الدنيا في ضلال
مبين اي لا يدرك غايته حيث غفلوا الاستماع والنظر بالكلية ووضع الضمير للايذان بانهم في ذلك ظالمون
لانفسهم وانذرهم يوم الحسرة اي يوم يتحسر الناس قاطبة اما المسيء فعلى اساءته واما المحسن فعلى احسانه
اذ قضي الامر اي فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار ان النبي صلى الله عليه وسلم
سئل عن ذلك فقال حين يجاء بالموت على صورة كبش املح فيذبح والفريقان ينظرون فينادي مناد يا اهل
الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت فيزداد اهل الجنة فرحا الى فرح واهل النار غما الى غم واذ
بدل من يوم الحسرة او ظرف للحسرة فان المصدر المعرف باللام يعمل في المفعول الصريح عند بعضهم فكيف بالظرف
وهم في غفلة اي عما يفعل بهم في الآخرة وهم لا يؤمنون وهما جملتان حاليتان من الضمير المستتر في قوله تعالى
ضلال مبين اي مستقرون في ذلك وهم في تينك الحالتين وما بينهما اعتراض او من مفعول انذرهم غافلين

غير مؤمنين فيكون حالا متضمنة لمعنى التعليل انا نحن نرث الارض ومن عليها لا يبقى لاحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا
ملك او تصرف في الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفي الوارث لارثه والينا يرجعون اي يردون للجزاء لا الى
غيرنا استقلالا او اشتراكا واذكر عطف على انذرهم في الكتاب اي في السورة او في القرآن ابرهيم اي اتل على
الناس قصته وبلغها اياهم كقوله تعالى واتل عليهم نبأ ابرهيم فانهم ينتمون اليه عليه السلام فعساهم باستماع
قصته يقلعون عما هم فيه من القبائح انه كان صديقا ملازما للصدق في كل ما يأتي ويذر او كثير التصديق لكثرة ما صدق
به من غيوب الله تعالى واياته ورسله والجملة استيناف مسوق لتعليل موجب الامر فان وصفه عليه السلام
بذلك من دواعي ذكره نبيا خبر آخر لكان مقيد للاول مخصص له كما ينبئ عنه قوله تعالى من النبيين والصديقين الاية
اي كان جامعا بين الصديقية والنبوة ولعل هذا الترتيب للمبالغة في الاحتراز عن توهم تخصيص الصديقية
بالنبوة فان كل نبي صديق اذ قال بدل اشتمال من ابرهيم وما بينهما اعتراض مقرر لما قبله او متعلق بكان او بنبيا
وتعليق الذكر بالاوقات مع ان المقصود تذكير ما وقع فيها قد مر سره مرارا اي كان جامعا بين الاثرتين حين قال
لابيه آزر متلطفا في الدعوة مستميلا له يا ابت اي يا ابي لان التاء عوض من ياء الاضافة ولذلك
لا يجتمعان وقد قيل يا ابتا لكون الالف بدلا من الياء لم تعبد ما لا يسمع ثناءك عليه عند عبادتك وجوارك
اليه ولا يبصر خضوعك وخشوعك بين يديه او لا يسمع ولا يبصر شيئا من المسموعات والمبصرات فيدخل في ذلك
ما ذكر دخولا اوليا ولا يغني اي لا يقدر على ان يغني عنك شيئا في جلب نفع او دفع ضر ولقد سلك عليه السلام
في دعوته احسن منهاج واقوم سبيل واحتج عليه ابدع احتجاج بحسن ادب وخلق جميل لئلا يركب متن المكابرة والعناد
ولا ينكب بالكلية عن محجة الرشاد وحيث طلب منه علة عبادته لما يستخف به عقل كل عاقل من عالم وجاهل ويأبى
الركون اليه فضلا عن عبادته التي هي الغاية القاصية مع انها لا تحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام
الخالق الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب ونبه على ان العاقل يجب ان يفعل ما يفعل لداعية صحيحة وغرض صحيح
والشيء لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا قادرا على النفع والضر مطيقا بايصال الخير والشر لكن كان ممكنا لاستنكف
العقل السليم عن عبادته وان كان اشرف الخلائق لما يراه مثله في الحاجة والافتقار في العجز والانقياد للقدرة
القاهرة الواجبية فما ظنك بجماد مصنوع من حجر او شجر ليس له من اوصاف الاحياء عين ولا اثر ثم دعاه
الى ان يتبعه ليهديه الى الحق المبين لما انه لم يكن محظوظا من العلم الالهي مستقلا بالنظر السوي مصدرا
الدعوة بما مر من الاستمالة والاستعطاف قال يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك ولم يسم اباه بالجهل
المفرط وان كان في اقصاه ولا نفسه بالعلم الفائق وان كان كذلك بل ابرز نفسه في صورة رفيق له اعرف
باحوال ما سلكاه من الطريق فاستماله برفق حيث قال فاتبعني اهدك صراطا سويا اي مستقيما موصلا الى
اسنى المطالب منجيا عن الضلال المؤدي الى مهاوي الردى والمعاطب ثم ثبطه عما كان عليه بتصويره بصورة
يستنكرها كل عاقل ببيان انه مع عرائه عن النفع بالمرة مستجلب لضرر عظيم فانه في الحقيقة عبادة الشيطان
لما انه الآمر به فقال يا ابت لا تعبد الشيطان فان عبادتك هذه الاصنام عبادة له اذ هو الذي يسولها لك ويغريك
عليها وقوله ان الشيطان كان للرحمن عصيا تعليل لموجب النهي وتأكيد له ببيان انه مستعص على ربك الذي انعم
عليك بفنون النعم ولا ريب في ان المطيع للعاصي عاص وكل من هو عاص حقيق بان يسترد منه النعم وينتقم
منه والاظهار في موضع الاضمار لزيادة التقرير والاقتصار على ذكر عصيانه من بين سائر جناياته لانه
ملاكها او لانه نتيجة معاداته لآدم عليه السلام وذريته فتذكيره داع لابيه الى الاحتراز عن موالاته وطاعته
والتعرض لعنوان الرحمانية لاظهار كمال شناعة عصيانه وقوله يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن تحذير من
سوء عاقبة ما كان عليه من عبادة الشيطان وهو ابتلاؤه بما ابتلي به معبوده من العذاب الفظيع وكلمة من متعلقة
بمضمر وقع صفة للعذاب مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية واظهار الرحمن للاشعار

بان وصف

بان وصف الرحمانية لا يدفع حلول العذاب كما في قوله عز وجل ما غرك بربك الكريم فتكون للشيطان وليا اي قرينا له في
اللعن المخلد وذكر الخوف للمجاملة وابراز الاعتناء بامره قال استيناف مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كانه قيل
فماذا قال ابوه عندما سمع منه عليه السلام هذه النصائح الواجبة القبول فقيل قال مصرا على عناده اراغب انت عن
آلهتي يا ابرهيم اي معرض ومنصرف انت عنها بتوجيه الانكار الى نفس الرغبة مع ضرب من التعجب كان الرغبة عنها
مما لا يصدر عن العاقل فضلا عن ترغيب الغير عنها وقوله تعالى لئن لم تنته لارجمنك تهديد وتحذير عما كان عليه
من العظة والتذكير اي والله لئن لم تنته عما كنت عليه من النهي عن عبادتها لارجمنك بالحجارة وقيل باللسان واهجرني
اي فاحذرني واتركني مليا اي زمانا طويلا او مليا بالذهاب مطيقا به قال استيناف كما سلف سلام
عليك توديع ومتاركة على طريقة مقابلة السيئة بالحسنة اي لا اصيبك بمكروه بعد ولا اشافهك بما يؤذيك
ولكن ساستغفر لك ربي اي استدعيه ان يغفر لك بان يوفقك للتوبة ويهديك الى الايمان كما يلوح به تعليل
قوله تعالى واغفر لابي انه كان من الضالين والاستغفار بهذا المعنى للكافر قبل تبين انه يموت على الكفر مما لا ريب
في جوازه وانما المحذور استدعاء المغفرة له مع بقائه على الكفر فانه لا مساغ له عقلا ولا نقلا واما الاستغفار
له بعد موته فلا يأباه قضية العقل وانما الذي يمنعه السمع الا يرى انه عليه الصلوة والسلام قال لعمه ابي طالب
لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزل قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين الاية انما
كان ولا اشتباه في ان هذا الوعد من ابرهيم عليه السلام وكذا قوله لاستغفرن لك وما ترتب عليهما من قوله تعالى
واغفر لابي الاية انما كان قبل انقطاع رجائه من ايمانه لعدم تبين امره لقوله تعالى فلما تبين له انه عدو لله تبرأ
منه كما مر في تفسير سورة براءة واستثناؤه عما يؤتسى به في قوله تعالى الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك لا
يقدح في جوازه لكن لا لان ذلك كان قبل ورود النهي او الموعدة التي وعدها اياه كما قيل لما ان النهي انما ورد
في شان الاستغفار بعد تبين الامر وقد كان استغفاره عليه السلام قبل التبيين فلم يتناوله النهي اصلا
وان الوعد بالمنظور لا يرفع خطره بل لان المراد بما يؤتسى به ما يجب الائتساء به حتما لورود الوعيد
على الاعراض عنه بقوله تعالى لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فان الله
هو الغني الحميد فاستثناؤه عن ذلك انما يفيد عدم وجوب استدعاء الايمان للكافر المرجو ايمانه لا سيما
وقد انقطع ذلك عند ورود الاستثناء وذلك مما لا يتردد فيه احد من العقلاء واما عدم جوازه قبل
تبين الامر فلا دلالة للاستثناء عليه قطعا وتوجيه الاستثناء الى العدة بالاستغفار لا الى نفس الاستغفار
بقوله واغفر لابي الاية لانها كانت هي الحاملة له عليه السلام وتخصيص تلك العدة بالذكر دون ما وقع ههنا
لورودها على نهج التأكيد القسمي واما جعل الاستغفار دائرا عليها وترتيب التبرئ على تبين الامر فقد مر تحقيقه
في تفسير سورة التوبة وقوله تعالى انه كان بي حفيا اي بليغا في البر والالطاف تعليل لمضمون ما قبله
واعتزلكم اي اتباعد عنك وعن قومك وما تدعون من دون الله بالمهاجرة بديني حيث لم تؤثر فيكم نصائحي
وادعو ربي اعبده وحده وقد جوز ان يراد به دعاؤه المذكور في سورة الشعراء ولا يبعد ان يراد به استدعاء الولد
ايضا بقوله رب هب لي من الصالحين حسبما يساعده السباق والسياق عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا اي
خائبا ضائع السعي وفيه تعريض بشقاوتهم في عبادة آلهتهم وفي تصدير الكلام بعسى من اظهار التواضع ومراعاة
حسن الادب والتنبيه على حقيقة الحق من ان الاجابة بطريق التفضل منه عز وجل لا بطريق الوجوب وان العبرة
بالخاتمة وذلك من الغيوب المختصة بالعليم الخبير ما لا يخفى فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله بالمهاجرة الى الشام
وهبنا له اسحق ويعقوب بدل من فارقهم من اقربائه الكفرة لكن لا عقيب المهاجرة فان المشهور ان الموهوب
حينئذ اسماعيل عليه السلام لقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم اثر دعائه بقوله رب هب لي من الصالحين
ولعل ترتيب هبتهما على اعتزاله ههنا لبيان كمال عظم النعم التي اعطاها الله تعالى اياه بمقابلة من اعتزلهم

التبرء

من الاهل والاقرباء فانهما شجرة الانبياء لهما اولاد واحفاد اولوا شان خطير وعدد كثير هنا وقد روي انه عليه
السلام لما قصد الشام اتى اولا حماه وتزوج بسارة وولدت له اسحق وولد لاسحق يعقوب والاول هو الاقرب الاظهر
وكلا اي كل واحد منهما او منهم وهو مفعول اول لقوله تعالى جعلنا نبيا قدم عليه للتخصيص لكن لا بالنسبة الى
بعضهم اي كل واحد منهم جعلنا نبيا لا بعضهم دون بعض ووهبنا لهم من رحمتنا هي النبوة وذكرها بعد جعلهم نبيا
للايذان بانها من باب الرحمة هي المال والاولاد وما بسط لهم من الرزق وقيل هو الكتاب والاظهر
انها عامة لكل خير ديني ودنيوي اوتوا بما لم يؤت احدا من العالمين وجعلنا لهم لسان صدق عليا يفتخر بهم الناس
ويثنون عليهم استجابة لدعوته بقوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين والمراد باللسان ما يوجد به من الكلام ولسان
العرب لغتهم واضافته الى الصدق ووصفه بالعلو للدلالة على انهم احقاء بما يثنون عليهم وان محامدهم لا يخفى
على تباعد الاعصار وتبدل الدول وتحول الملل والنحل واذكر في الكتاب موسى قدم ذكره على ذكر اسمعيل عليهما السلام
لئلا ينفصل عن ذكر يعقوب عليه السلام انه كان مخلصا موحدا اخلص عبادته عن الشرك والرياء او اسلم وجهه
لله تعالى واخلص نفسه عما سواه مخلصا على ان الله تعالى اخلصه وكان رسولا نبيا ارسله الله تعالى
الى الخلق فانباهم عنه ولذلك قدم رسولا مع كونه اخص وناديناه من جانب الطور الايمن الطور جبل بين مصر ومدين
صفة للجانب اي ناديناه من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي تلي يمين موسى عليه السلام او من جانبه الميمون
من اليمن ومعنى ندائه منه انه تمثل له الكلام من تلك الجهة وقربناه نجيا تقريب تشريف مثل حاله عليه السلام
بحال من قربه الملك لمناجاته واصطفاه لمصاحبته ونجيا اي مناجيا حال من احد الضميرين في ناديناه او قربناه وقيل
مرتفعا لما روي انه رفع فوق السموات حتى سمع صرير القلم ووهبنا له من رحمتنا اي من اجل رحمتنا ورأفتنا له او
بعض رحمتنا اخاه اي معاضدة اخيه وموازرته اجابة لدعوته بقوله واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي لا نفسه
لانه كان اكبر منه عليهما السلام وهو على الاول مفعول لوهبنا وعلى الثاني بدل وقوله تعالى هرون عطف
بيان له وقوله تعالى نبيا حال منه واذكر في الكتاب اسمعيل فصل ذكره عن ذكر ابيه واخيه لابراز كمال الاعتناء
بامره بايراده مستقلا وقوله تعالى انه كان صادق الوعد تعليل لموجب الامر وايراده عليه السلام بهذا الوصف
لكمال شهرته به وناهيك انه وعد الصبر على الذبح بقوله ستجدني ان شاء الله من الصابرين فوفى وكان رسولا
نبيا فيه دليل على ان الرسول لا يجب ان يكون صاحب شريعة فان اولاد ابرهيم عليه السلام كانوا على شريعته
وكان يأمر اهله بالصلوة والزكوة اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل بالتكميل على نفسه ومن هو اقرب الناس اليه
قال الله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين وأمر اهلك بالصلوة قوا انفسكم واهليكم نارا وقصدا الى تكميل الكل
بتكميلهم لانهم قدوة يؤتسى بهم اهله امته فان الانبياء عليهم السلام اباء الامم وكان عند ربه مرضيا
لاتصافه بالنعوت الجليلة التي من جملتها ما ذكر من الخصال الحميدة واذكر في الكتاب ادريس وهو من سبط شيث و
جد ابي نوح فانه نوح بن ملك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليه السلام واشتقاقه من الدرس يرده منع صرفه
نعم لا يبعد ان يكون معناه في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة دراسته روي انه تعالى انزل
عليه ثلاثين صحيفة وانه اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب انه كان صديقا ملازما للصدق في جميع
احواله نبيا خبر آخر لكان مخصص للاول اذ ليس كل صديق نبيا ورفعناه مكانا عليا هو شرف النبوة والزلفى عند
الله عز وجل علو الرتبة بالذكر الجميل في الدنيا كما في قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك وقيل الجنة وقيل السماء
السادسة او الرابعة روي عن كعب وغيره في سبب رفع ادريس عليه السلام انه سار ذات يوم في حاجة
فاصابه وهج الشمس فقال يا رب قد مشيت فيها يوما وقد اصابني ما اصابني فكيف من يحملها مسيرة خمسمائة عام
في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما اصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال
يا رب ما الذي قضيت فيه فقال ان عبدي ادريس سألني ان اخفف عنك حملها وحرها فاجبته قال رب اجعل

بيني وبينه خلة فاذن الله تعالى له فرفعه الى السماء اولئك الذين انعم الله عليهم صفة اي انعم عليهم بفنون
النعم الدينية والدنيوية حسبما اشير اليه مجملا وقوله تعالى من النبيين بيان للموصول وقوله تعالى
من ذرية آدم بدل منه باعادة الجار ويجوز ان يكون كلمة من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم اعم من الانبياء
واخص من الذرية وممن حملنا مع نوح اي ومن ذرية من حملنا معه خصوصا وهم ما عدا ادريس عليه السلام
فان ابرهيم كان من ذرية سام بن نوح ومن ذرية ابرهيم وهم الباقون واسرائيل عطف على ابرهيم اي ومن
ذرية اسرائيل وكان منهم موسى وهرون وزكرياء ويحيى وعيسى عليهم السلام وفيه دليل على ان اولاد البنات
من الذرية وممن هدينا واجتبينا اي من جملة من هديناهم الى الحق واجتبيناهم للنبوة والكرامة وقوله تعالى اذا
تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا خبر لاولئك ويجوز ان يكون الخبر هو الموصول وهذا استئنافا مسوقا
لبيان خشيتهم من الله تعالى واخباتهم له مع ما لهم من علو الرتبة وسمو الطبقة في شرف النسب وكمال النفس
والزلفى من الله تعالى عز سلطانه وسجدا وبكيا حالان من ضمير خروا اي ساجدين باكين النبي صلى الله عليه
وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكي جمع باك كالسجود جمع ساجد واصله بكوي فاجتمع الواو
والياء وسبقت احدهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء وحركت الكاف بالكسر للمجانسة
للياء بكيا بكسر الباء للاتباع قالوا ينبغي ان يدعو الساجد في سجدته بما يليق باياتها فههنا يقول
اللهم اجعلني من الباكين اليك والخاشعين لك وفي اية تنزيل السجدة يقول اللهم اجعلني من عبادك المنعم
عليهم المهديين الساجدين لك الباكين عند تلاوة اياتك وفي اية اسرائيل يقول اللهم اجعلني من الباكين
اليك والخاشعين لك وفي اية تنزيل السجدة يقول اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك
واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك فخلف من بعدهم خلف يقال لعقب الخير خلف بفتح اللام
ولعقب الشر خلف بالسكون اي فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء اضاعوا الصلوة وقرئ الصلوات اي تركوها
او اخروها عن وقتها واتبعوا الشهوات من شرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك في فنون
المعاصي علي رضي الله عنه هم من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور فسوف يلقون غيا اي شرا
فان كل شر عند العرب غي وكل خير رشاد كقوله فمن يلق خيرا يحمد الناس امره غي واد في جهنم يستعيذ
منه اوديتها وقوله تعالى الا من تاب وآمن وعمل صالحا يدل على ان الاية في حق الكفرة فاولئك اشارة الى الموصول
باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا اي فاولئك المنعوتون بالتوبة والايمان
والعمل الصالح يدخلون الجنة موجب الوعد المحتوم يدخلون على البناء للمفعول ولا يظلمون شيئا اي
لا ينقصون من جزاء اعمالهم شيئا من النقص وفيه تنبيه على ان كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص اجورهم
جنات عدن بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها وما بينهما اعتراض او نصب على المدح
بالمدح على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هي او تلك الخ جنة عدن نصبا ورفعا وعدن علم بمعنى العدن
وهو الاقامة كما ان فينة وسحر وامسى فيمن لم يصرفها اعلام للمعاني العينية وهي الساعة التي انت فيها والسحر والامس
فجرى ذلك مجرى العدن وهو علم لارض الجنة ولولا ذلك لما ساغ ابدال ما اضيف اليه من الجنة بلا وصف عند
البصريين ولا صفة بقوله تعالى التي وعد الرحمن عباده وجعله بدلا منه خلاف الظاهر فان الموصول في حكم
المشتق وقد نصوا على ان الوصف مما اضيف اليه البدل بالمشتق ضعيف والتعرض لعنوان الرحمة للايذان
بان وعدها وانجازه لكمال سعة رحمته تعالى والباء في قوله تعالى بالغيب متعلقة بمضمر هو حال من المضمر
العائد الى الجنات او من عباده اي وعدها اياهم ملتبسة او ملتبسين بالغيب اي غائبة عنهم غير حاضرة
او غائبين عنها لا يرونها وانما امنوا بها بمجرد الاخبار او بمضمر هو سبب للوعد اي وعدها اياهم بسبب
ايمانهم انه كان وعده اي موعده كائنا ما كان يدخل فيه الجنات الموعودة دخولا اوليا ولما كانت هي مثابة

وقرئ يتلى بالياء التحتانية لان التانيث غير حقيقي

يرجع اليها مأتيا اي يأتيه من وعده لا محالة بغير خلف وقيل هو مفعول بمعنى فاعل وقيل مأتيا اي مفعولا منجزا
من اتى اليه احسانا اي فعله لا يسمعون فيها لغوا اي فضول كلام لا طائل تحته وهو كناية عن عدم صدور اللغو عن اهلها
وفيه تنبيه على ان اللغو مما ينبغي ان يجتنب عنه في هذه الدار ما امكن الا سلاما استثناء منقطع اي لكن
يسمعون تسليم الملائكة عليهم او تسليم بعضهم على بعض او متصل بطريق التعليق بالمحال اي لا يسمعون لغوا الا سلاما
فحيث استحال كون السلام لغوا استحال سماعهم له بالكلية كما في قوله • ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول
من قراع الكتائب • او على معناه الدعاء بالسلامة وهم اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام
وقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وارد على عادة المتنعمين في هذه الدار وقيل المراد دوام رزقهم
ودروره والا فليس فيها بكرة وعشي تلك الجنة مبتدأ وخبر جيء به لتعظيم شان الجنة وتعيين اهلها فان ما
في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها وعلو رتبتها التي نورث اي نورثها من عبادنا من كان تقيا اي نبقيها
عليهم بتقواهم ونمتعهم بها كما يبقى على الوارث مال مورثه ويمتعه به والوراثة اقوى ما يستعمل في التملك والاستحقاق
من الالفاظ من حيث انها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا ابطال يورث المتقون من الجنة المساكن
التي كانت لاهل النار لو امنوا واطاعوا زيادة في كرامتهم وقرئ نورث بالتشديد وما نتنزل الا بامر ربك حكاية
لقول جبرائيل حين استبطاه رسول الله عليهما السلام لما سئل عن اصحاب الكهف وذي القرنين والروح فلم
يدر كيف يجيب ورجا ان يوحى اليه فيه فابطا عليه اربعين يوما او خمسة عشر فشق عليه مشقة شديدة
وقال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك وانزل الله عز وجل هذه الاية وسورة والضحى والتنزل النزول
على مهل لانه مطاوع للتنزيل وقد يطلق على مطلق النزول كما يطلق التنزيل على الانزال والمعنى وما نتنزل وقتا غب
وقت الا بامر الله تعالى على ما تقتضيه حكمته • وما يتنزل بالياء والضمير للوحي له ما بين ايدينا وما خلفنا
وما بين ذلك وهو ما نحن فيه من الاماكن والازمنة ولا ننتقل من مكان الى مكان ولا نتنزل في زمان دون زمان
الا بمشيته وامره وما كان ربك نسيا اي تاركا لك يعني ان عدم النزول لم يكن الا لعدم الامر به لحكمة بالغة فيه
ولم يكن لتركه تعالى لك وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة وفي اعادة اسم الرب المعرب عن التبليغ الى الكمال اللائق
مضافا الى ضميره عليه الصلوة والسلام من تشريفه والاشعار بعلة الحكم ما لا يخفى وقيل اول الاية حكاية قول
المتقين حين يدخلون الجنة مخاطبا بعضهم بعضا بطريق التبجح والابتهاج والمعنى وما ننزل الجنة الا باذن الله
تعالى ولطفه ومالك الامور كلها سالفها ومترقبها وحاضرها وجدناه وما نجده من لطفه وفضله وقوله تعالى
وما كان ربك نسيا تقرير لقولهم من جهة الله تعالى اي وما كان ناسيا لاعمال العاملين وما وعدهم من الثواب
عليها وقوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما بيان لاستحالة النسيان عليه تعالى فان من بيده ملكوت السموات
والارض وما بينهما كيف يتصور ان يحوم حول ساحة سبحاته الغفلة والنسيان وهو خبر مبتدا محذوف
او بدل من ربك والفاء في قوله تعالى فاعبده واصطبر لعبادته لترتيب ما بعدها من موجب الامرين على ما
قبلها من كونه تعالى غير تارك له عليه الصلوة والسلام او غير ناس لاعمال العاملين والمعنى حين عرفته تعالى
بما ذكر من الربوبية الكاملة فاعبده الخ فان ايجاب معرفته تعالى كذلك لعبادته مما لا ريب فيه او حين عرفت انه
تعالى لا ينساك ولا ينسى اعمال العاملين كائنا من كان فاقبل على عبادته واصطبر على مشاقها ولا تحزن بابطاء
الوحي وهزء الكفرة فانه يراقبك ويراعيك ويلطف بك في الدنيا والاخرة وتعدية الاصطبار باللام لا بعلى
الاستعلاء كما في قوله تعالى واصطبر عليها لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما تورد عليه من الشدايد والمشاق
كقولك للمبارز اصطبر لقرنك اي اثبت له فيما يورد عليك من شداته هل تعلم له سميا السمي هو الشريك
في الاسم والظاهر ان يراد به هاهنا الشريك في اسم خاص قد عبر عنه تعالى بذلك وهو رب السموات والارض
وما بينهما والمراد بانكار العلم ونفيه على ابلغ وجه واكده فالجملة تقرير لما افاده الفاء من علية ربوبيته العامة

لوجوب

لوجوب عبادته بل لوجوب تخصيصها به تعالى ببيان استقلاله تعالى بذلك الاسم وانتفاء اطلاقه
على الغير بالكلية حقا او باطلا وقيل المراد هو الشريك في الاسم الجليل فان المشركين مع غلوهم في المكابرة
لم يسموا الصنم بالجلالة اصلا وقيل هو الشريك في اسم الاله والمراد بالتسمية التسمية على الحق والمعنى هل
تعلم شيئا يسمى بالاستحقاق الها والتسمية على الباطل فهي كلا تسمية فتقرير الجملة لوجوب العبادة ح
باعتبار ما في الاسمين الكريمين من الاشعار باستحقاق العبادة فتدبر ويقول الانسان المراد اما الجنس
باسره واسناد القول الى الكل لوجود القول فيما بينهم وان لم يقل الجميع كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل
واحد منهم واما البعض المعهود منهم وهم الكفرة وابي بن خلف فانه اخذ عظاما بالية ففتتها فقال يزعم محمد
انا نبعث بعد ما نموت ونصير الى هذه الحال اي يقول بطريق الانكار والاستبعاد ائذا ما مت لسوف اخرج حيا
اي ابعث من الارض او من حال الموت وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار لان المنكر كون ما بعد الموت
وقت الحيوة وانتصابه بفعل دل عليه اخرج لا به فان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي هاهنا مخلصة للتوكيد
مجردة عن معنى الحال كما خلصت الهمزة واللام للتعويض في يا الله فساغ اقترانها بحرف الاستقبال
اذا ما مت بهمزة واحدة مكسورة على الخبر اولا يذكر الانسان من الذكر الذي يراد به التفكر والاظهار موضع
الاضمار لزيادة التقرير والاشعار بان الانسانية من دواعي التفكر فيما جرى عليه من شؤون التكوين المنجية
بالقلع على القول المذكور وهو السر في اسناده الى الجنس او الى الفرد بذلك العنوان والهمزة للانكار التوبيخي
والواو لعطف الجملة المنفية على مقدر يدل عليه يقول اي يقول ذلك ولا يذكر انا خلقناه من قبل اي
من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه ولم يك شيئا اي والحال انه لم يكن حينئذ شيئا اصلا فحيث
خلقناه وهو في تلك الحالة المنافية للخلق بالكلية مع كونه ابعد من الوقوع فلان نبعثه بجمع المواد المتفرقة
وايجاد مثل ما كان فيها من الاعراض اولى واظهر فما له لا يذكره فيقع فيما يقع فيه من النكير وقرئ يذكر
ويتذكر على الاصل فوربك اقسام باسمه عزت اسماؤه مضافا الى ضميره عليه الصلوة والسلام لتحقيق الامر
بالاشعار بعليته وتفخيم شانه عليه الصلوة والسلام ورفع منزلته لنحشرنهم لنجمعن القائلين بالسوق
الى الحشر بعد ما اخرجناهم من الارض احياء ففيه اثبات للبعث بالطريق البرهاني على ابلغ وجه واكده
كانه امر واضح غني عن التصريح به وانما المحتاج الى البيان ما بعد ذلك من الاهوال والشياطين معطوف
على الضمير المنصوب او مفعول معه ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين التي كانت
تغويهم كل منهم مع شيطانه في سلسلة وهذا وان كان مختصا بهم لكن ساغ نسبته الى الجنس باعتبار
انهم لما حشروا معهم جميعا كما ساغ نسبة القول المحكي اليه مع كون القائل بعض افراده ثم لنحضرنهم حول
جهنم جثيا ليرى السعداء ما نجاهم الله تعالى منه فيزدادوا غبطة وسرورا وينال الاشقياء ما ادخروا لمعادهم
عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب وشماتتهم بهم والجثي جمع جاث من جثا اذا قعد
على ركبتيه واصله جثوو بواوين فاستثقل اجتماعهما بعد ضمتين فكسرت الثاء للتخفيف فانقلبت الواو
الاولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها فاجتمعت واو وياء وسبقت احديهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت
فيها الياء الاولى وكسرت الجيم اتباعا لما بعدها وقرئ بضمها ونصبه على الحالية من الضمير البارز
اي لنحضرنهم حول جهنم جاثين ثمة على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع او لانه من توابع التواقف للحساب قبل
التواصل الى الثواب والعقاب فان اهل الموقف جاثون كما ينطق به قوله تعالى وترى كل امة جاثية على
ما هو المعتاد في مواقف التقاول وان كان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون من الموقف الى شاطئ
جهنم جثاة اهانة بهم ولعجزهم عن القيام لما اعتراهم من الشدة ثم لننزعن من كل شيعة اي من كل امة شاعت
دينا من الاديان ايهم اشد على الرحمن عتيا اي من كان منهم اعصى واعتى فنطرحهم فيها وفي ذكر الاشد تنبيه

علي انه تعالى يعفو عن بعض من اهل العصيان وعلى تقدير تفسير الانسان بالكفرة فالمعنى انما عنى من كل طايفة
منهم اعصاهم فاعصاهم واعتاهم فاعتاهم فنطرحهم في النار على الترتيب او ندخل كلا منهم طبقتها اللايقة به وايهم
مبني على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبني كساير الموصولات لكنه اعرب حملا على كل وبعض للزوم الاضافة واذا
حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد الى حقه ومنصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره
بالابتداء على انه استفهامي وخبره اشد والجملة محكية والتقدير لننزعن من كل شيعة الذين يقال لهم ايهم اشد او
معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التميز اللازم للعلم او مستانفة والفعل واقع على كل شيعة على زيادة من او على معنى
لننزعن بعض كل شيعة كقوله تعالى ووهبنا لهم من رحمتنا وعلى للبيان فيتعلق بمحذوف كان سايلا قال على من عتوا
الخ فقيل على الرحمن او متعلق بافعل وكذا الثاني في قوله تعالى **ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا** اي اولى
بصليها او صليهم اولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بهم وباشدهم عتيا رؤساء الشيع فان عذابهم مضاعف
لضلالهم واضلالهم والصلي كالعتي صيغة واعلالا وقرئ بضم الصاد **وان منكم** التفات لاظهار مزيد الاعتناء بمضمون
الكلام هو خطاب للناس من غير التفات الى المذكور ويؤيد الاول انه قرئ وان منهم اي ما منكم ايها الانسان
الا واردها اي واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم جابر انه عليه
الصلوة والسلام سئل عنه فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار
فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة واما قوله تعالى اولئك عنها مبعدون فالمراد به الابعاد عن عذابها
وقيل ورودها الجواز على الصراط الممدود عليها **كان** اي ورودهم اياها **على ربك حتما مقضيا** اي امرا محتوما اوجبه
الله عز وجل على ذاته وقضى انه لابد من وقوعه البتة وقيل اقسم عليه **ثم ننجي الذين اتقوا** الكفر والمعاصي
بما كانوا عليه من حال الجثو على الركب على الوجه الذي سلف فيساقون الى الجنة ننجي بالتخفيف
وينجي على البناء للمفعول ثمة ننجي بفتح الثاء اي هنالك ننجيهم **ونذر الظالمين** بالكفر والمعاصي
بما كانوا عليه من حال الجثو على الركب على الوجه الذي سلف فيساقون الى الجنة **فيها جثيا** منهارا بهم كما كانوا
قيل فيه دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون الفجرة بعد تجاثيهم حولها ويلقى الفجرة
فيها على هيئاتهم وقوله تعالى **واذا تتلى عليهم** الاية الى اخرها حكاية لما قالوا عند سماع الايات الناعية عليهم
فظاعة حالهم ووخامة مالهم اي واذا تتلى على المشركين **اياتنا** التي من جملتها هاتيك الايات الناطقة بحسن
حال المؤمنين وسوء حال الكفرة وقوله تعالى **بينات** اي مرتلات الالفاظ مبينات المعاني بنفسها او
ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم او بينات حال مؤكدة من اياتنا **قال الذين كفروا** اي قالوا ووضع الموصول
موضع الضمير للتنبيه على انهم قالوا ما قالوا كافرين بما يتلى عليهم رادين له او قال الذين مردوا منهم على الكفر ومرنوا
على العتو والعناد وهم النضر بن الحرث واتباعه الفجرة واللام في قوله تعالى **للذين امنوا** للتبليغ كما في مثل قوله
تعالى وقال لهم نبيهم وقيل لام الاجل كما في قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا
اليه اي قالوا لاجلهم وفي حقهم والاول هو الاولى لان قولهم ليس في حق المؤمنين فقط كما ينطق به قوله تعالى
اي الفريقين اي المؤمنين والكافرين كانهم قالوا اينا **خير** نحن او انتم **مقاما** اي مكانا بضم الميم
اي موضع اقامة ومنزل **واحسن نديا** اي مجلسا ومجتمعا انهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنونها
ويتطيبون ويتزينون بالزينة الفاخرة ثم يقولون بذلك ان خيرتهم حالا واحسنهم مالا مما لا يقبل الا
وان ذلك لكرامتهم على الله سبحانه وزلفاهم عنده اذ هو العيار على الفضل والنقصان والرجحة والضعة
وان من ضرورته ان المؤمنين عليه تعالى لقصور حظهم العاجل وما هذا القياس العقيم والراي السقيم
الا لكونهم جهلة لا يعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم فرد عليهم ذلك من جهته تعالى
بقوله **وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورءيا** اي كثيرا من القرون التي كانوا افضل منهم فيما يفتخرون به

من الحظوظ

من الحظوظ الدنيوية كعاد وثمود واضرابهم من الامم العاتية قبل هؤلاء اهلكناهم بفنون العذاب لو كان
ما اتيناهم لكرامتهم علينا لما فعلنا بهم ما فعلنا من التهديد والوعيد ما لا يخفى كانه قيل فلينظر هؤلاء
ايضا مثل ذلك فكم مفعول اهلكنا ومن قرن بيان لابهامها واهل كل عصر قرن لما بعدهم لانهم يتقدمونهم
ماخوذ من قرن الدابة وهو مقدمها وقوله تعالى هم احسن اثاثا في حيز النصب على انه صفة لكم واثاثا تمييز
النسبة وهو متاع البيت ما جد منه والخرثي ما لبس منه ورث والرءي وهو النعمة والترفة
وقرئ ريا على القلب وزيا بحذف الهمزة وزيا بالزاي المعجمة من الزي وهو الجمع فانه عبارة عن المحاسن المجموعة
قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا لما بين عاقبة امر الامم المهلكة مع ما كان لهم من التمتع بفنون الحظوظ
العاجلة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يجيب هؤلاء المفتخرين بما لهم من الحظوظ ببيان مال
امر الفريقين اما على وجه كلي متناول لهم ولغيرهم من المنهمكين في اللذات الفانية المبتهجين بها على ان
من على عمومها واما على وجه خاص بهم على انها عبارة عنهم ووصفهم بالتمكن لديهم والاشعار بعلية الحكم
اي من كان مستقرا في الضلالة مغمورا بالجهل والغفلة عن عواقب الامور فليمدد له ويمهله بطول العمر
واعطاء المال والتمكين من التصرفات واخراجه على صيغة الامر للايذان بان ذلك مما ينبغي ان يفعل بموجب
الحكمة لقطع المعاذير كما ينبئ عنه قوله عز وجل اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر او للاستدراج كما ينطق به
قوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما المراد به الدعاء بالمد والتنفيس واعتبار الاستقرار في
الضلالة لما ان المد لا يكون الا للمصرين عليها اذ رب ضال يهديه الله عز وجل والتعرض لعنوان الرحمانية
لما ان المد من احكام الرحمة الدنيوية وقوله تعالى **حتى اذا راوا ما يوعدون** غاية للمد الممتد لا لقول المفتخرين
كما قيل اذ ليس فيه امتداد بحسب الذات وهو ظاهر والاستمرار بحسب التكرار لوقوعه في حيز جواب
اذا وجمع الضمير في الفعلين باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضميرين الاولين باعتبار لفظها
وقوله تعالى **اما العذاب واما الساعة** تفصيل للموعود بدل منه على سبيل البدل فانه اما العذاب الدنيوي
بغلبة المسلمين واستيلائهم عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واما يوم القيمة وما ينالهم فيه من الخزي
والنكال على طريقة منع الخلو دون منع الجمع فان العذاب الاخروي لا ينفك عنهم بحال وقوله تعالى
فسيعلمون جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى اي حتى اذا عاينوا ما يوعدون من العذاب الدنيوي والاخروي
فقط فسيعلمون حينئذ **من هو شر مكانا** من الفريقين بان يشاهدوا الامر بعكس ما كانوا يقدرونه فيعلمون
انهم شر مكانا لا خير مقاما **واضعف جندا** اي فئة وانصارا لا احسن نديا كما كانوا يزعمون وليس المراد ان له
ثمة جندا ضعفا كلا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا وانما ذكر ذلك رد لما كانوا يزعمون
ان لهم اعوانا من الاعيان وانصارا من الاخيار ويفتخرون بذلك في الاندية والمحافل **ويزيد الله الذين
اهتدوا هدى** كلام مستانف سيق لبيان حال المهتدين اثر بيان حال الضالين عطف على فليمدد
لانه في معنى الخبر حسبما عرفته كانه قيل من كان في الضلالة يمده الله ويزيد المهتدين هداية كقوله تعالى
والذين اهتدوا زادهم هدى وقيل عطف على الشرطية المحكية بعد القول كانه لما بين ان امهال الكافر
وتمتيعه بالحيوة ليس لفضله عقب ذلك ببيان ان قصور حظ المؤمنين منها ليس لنقصهم بل لانه تعالى
اراد به ما هو خير من ذلك وقوله تعالى **والباقيات الصالحات خير** على تقديري الاستيناف والعطف كلام مستانف
وارد من جهته تعالى لبيان فضل اعمال المهتدين غير داخل في حيز الكلام الملقن لقوله تعالى **عند ربك**
اي الطاعات التي تبقى فوايدها وتدوم عوايدها ومن جملتها ما قيل من الصلوات الخمس وما قيل من
قوله سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خير عند الله تعالى والتعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضميره لتشريفه **ثوابا** اي عايدة مما يتمتع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التي يفتخرون

المنظر فعل من الرؤية لما يرى
كالطحن لما يطحن وقرئ رئيا على
القلب وريا من قلب الهمزة ياء
وادغامها او على انه من
الري صح

بها لا استيما ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة السرمدية والعذاب الاليم كما اشير اليه بقوله تعالى
وخير مردا اي مرجعا وعاقبة وتكرير الخير لمزيد الاعتناء ببيان الخيرية وتاكيدها وفي التفصيل مع ان ما للكفرة
بمعزل من ان يكون له خيرية في العاقبة تهكم بهم افرايت الذي كفر باياتنا اي باياتنا التي من جملتها ايات البعث
نزلت في العاص بن وايل كان لخباب بن الارت عليه مال فاقتضاه فقال لا اعطيك حتى تكفر بمحمد قال لا والله
لا اكفر به حيا ولا ميتا ولا حين بعثت قال فاذا بعثت جئني فيكون لي ثمة مال وولد فاعطيك وفي رواية قال لا
اكفر حتى يميتك ثم تبعث فقال اني لميت ثم مبعوث قال نعم قال دعني حتى اموت وابعث فاوتى مالا وولدا
فاقضيك فنزلت فالهمزة للتعجب من حاله والايذان بانها من الغرابة والشناعة بحيث يجب ان ترى فيقضى
منها العجب ومن فرق بين الم تر وارايت بعد بيان اشتراكهما في الاستعمال لقصد التعجب بان الاول يعلق بنفس
المتعجب منه فيقال ارايت الذي صنع كذا بمعنى انظر اليه فتعجب من حاله والثاني يعلق بمثل المتعجب منه فيقال
ارايت مثل الذي صنع كذا بمعنى انه من الغرابة بحيث لا يرى له مثل فقد حفظ شيئا وغابت عنه اشياء وكانه ذهب
عنه قوله عز وجل ارايت الذي يكذب بالدين والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي انظرت فرايت
الذي كفر باياتنا الباهرة التي حقها ان يؤمن بها كل من يشاهدها وقال مستهزئا بها مصدرا لكلامه باليمين
الفاجرة والله لاوتين في الآخرة مالا وولدا اي انظر اليه فتعجب من حالته البديعة وجراته الشنيعة
هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم وقد قيل ان ارايت بمعنى اخبر والفاء على اصلها والمعنى اخبر
بقصة هذا الكافر عقيب حديث اولئك الذين قالوا اي الفريقين خير مقاما الاية وانت خبير بان المشهور
استعمال ارايت في معنى اخبر بطريق الاستفهام جاريا على اصله او مخرجا الى ما يناسبه من المعاني
لا بطريق الامر بالاخبار لغيره ولدا على انه جمع اسد او على انه فيه كالعرب والعرب وقوله تعالى
اطلع الغيب رد لكلمته الشنعاء واظهار لبطلانها اثر ما اشير اليه بالتعجب منها اي قد بلغ من عظمة الشان
الى ان ارتقى الى علم الغيب الذي استاثر به العليم الخبير حتى ادعى ان يؤتى في الآخرة مالا وولدا واقسم عليه
ام اتخذ عند الرحمن عهدا بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به الا باحد هذين الطريقين والتعرض لعنوان الرحمانية
للاشعار بعلية الرحمة لاتيان ما يدعيه عليه العهد كلمة الشهادة العمل الصالح
فان وعد الله تعالى بالثواب عليهما كالعهد وهذا مجاراة مع اللعين بحسب منطوق كلامه كما ان كلامه مع خباب
كان كذلك وقوله تعالى كلا ردع له عن التفوه بتلك العظيمة وتنبيه على خطابه سنكتب ما يقول اي سنظهر
ما كتبناه قوله كقوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين اني لم تلدني لئيمة او سننتقم منه انتقام من كتب
جريمة الجاني وحفظها عليه فان نفس الكتبة لا تكاد تتاخر عن القول لقوله عز وعلا ما يلفظ من قول الا لديه
رقيب عتيد فمبنى الاول تنزيل اظهار الشيء الخفي منزلة احداث الامر المعدوم بجامع ان كلا منهما اخراج من الكمون
الى البروز فيكون استعارة تبعية مبنية على تشبيه اظهار الكتابة على رؤوس الاشهاد باحداثها ومدار
الثاني تسمية الشيء باسم سببه فان كتابة جريمة المجرم سبب لعقوبته قطعا ونمد له من العذاب مدا مكان
ما يدعيه لنفسه من الامداد بالمال والولد اي نطول له من العذاب ما يستحقه او نزيد عذابه ونضاعفه
له لكفره وافترائه على الله سبحانه واستهزائه باياته العظام ولذلك اكد بالمصدر دلالة على فرط الغضب
ونرثه بموته ما يقول اي مسمى ما يقول ومصداقه وهو ما اوتيه في الدنيا من المال والولد وفيه ايذان
بانه ليس لما يقول مصداق موجود سوى ما ذكر اي ننزع عنه ما آتيناه ويأتينا يوم القيامة فردا لا يصحبه
مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا ان يؤتى ثمة زائدا نزوي عنه ما زعم انه يناله في الآخرة
ونعطيه من يستحقه وياباه معنى الارث المراد بما يقول نفس القول المذكور لا مسماه والمعنى انما
يقول هذا القول ما دام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين ان يقول ويأتينا فردا رافضا له منفردا عنه

وانت خبير

وانت خبير بان ذلك مبني على صدور القول المذكور عنه بطريق الاعتقاد وانه مستمر على التفوه به راج لوقوع مضمونه
ولا ريب في ان ذلك مستحيل ممن كفر بالبعث وانما قال ما قال بطريق الاستهزاء وتعليق ارادته بالمحال واتخذوا من
دون الله الهة حكاية لجناية عامة للكل مستتبعة لضد ما يرجون ترتبه عليها اثر حكاية مقالة الكافر المعهود واستتباعها
لنقيض مضمونها اي اتخذوا الاصنام آلهة متجاوزين الله تعالى ليكونوا لهم عزا اي ليتعززوا بهم بان يكونوا
لهم وصلة اليه عز وجل وشفعاء عنده كلا ردع لهم عن ذلك الاعتقاد الباطل وانكار لوقوع ما علقوا به
اطماعهم الفارغة سيكفرون بعبادتهم اي ستجحد الالهة بعبادتهم لها بان ينطقها الله تعالى وتقول ما عبدتمونا او
سينكر الكفرة حين شاهدوا سوء عاقبة كفرهم عبادتهم لها كما في قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين ومعنى قوله تعالى
ويكونون عليهم ضدا على الاول تكون الالهة التي كانوا يرجون ان تكون لهم عزا ضدا للعز اي ذلا وهوانا او تكون
عونا عليهم وآلة لعذابهم حيث يجعل وقود النار وحصب جهنم او حيث كانت عبادتهم لها سببا لعذابهم واطلاق الضد
على العون لما ان عون الرجل يضاد عدوه وينافيه باعانته عليه وعلى الثاني يكون الكفرة ضدا واعداء للالهة كافرين
بها بعد ان كانوا يحبونها كحب الله وتوحيد الضد لتوحيد المعنى الذي عليه تدور مضادتهم فانهم بذلك كشيء واحد كما في
قوله صلى الله عليه وسلم وهم يد على من سواهم كلا بفتح الكاف والتنوين على قلب الالف نونا في الوقف
قلب الف الاطلاق في قوله اقلي اللوم عاذل والعتابن وقولي ان اصبت لقد اصابن او على معنى كل هذا الراي كلا
باضمار فعل يفسره ما بعده اي سيجحدون كلا سيكفرون الخ الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تعجيب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما نطقت به الايات الكريمة السابقة وحكته عن هؤلاء الكفرة الغواة والمردة العتاة
من فنون القبائح من الاقاويل والافاعيل والتمادي في الغي والانهماك في الضلال والافراط في العناد والتصميم على
الكفر من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم والاجماع على موافقة الحق بعد اتضاح وانتفاء الشك عنه بالكلية
وتنبيه على ان جميع ذلك منهم باضلال الشيطان واغوائهم لا لان له شيوعا ما في الجملة ومعنى ارسال الشياطين
عليهم اما تسليطهم عليهم وتمكينهم من اضلالهم واما تقييضهم لهم وليس المراد تعجيبه عليه الصلوة والسلام من ارسالهم
عليهم كما يوهمه تعليق الرؤية به بل مما ذكر من احوال الكفرة من حيث كونها من آثار اغواء الشياطين كما ينبئ عنه قوله تعالى
تؤزهم ازا فانه اما حال مقدرة من الشياطين او استئناف وقع جوابا عما نشأ من صدر الكلام كانه قيل ماذا تفعل
الشياطين بهم حينئذ فقيل تؤزهم اي تغريهم وتهيجهم على المعاصي تهييجا شديدا بانواع الوساوس والتسويلات
فان الاز والهز والاستفزاز اخوات معناها شدة الازعاج فلا تعجل عليهم اي بان يهلكوا حسبما تقتضيه جناياتهم
ويبيدوا عن آخرهم وتطهر الارض من فسادهم والفاء للاشعار بكون ما قبلها مظنة لوقوع المنهي عنه محوجة الى النهي
كما في قوله تعالى انما نعد لهم عدا تعليل لموجب النهي ببيان اقتراب هلاكهم اي لا تعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا
ايام وانفاس نعدها عدا يوم نحشر المتقين منصوب على الظرفية بفعل مؤخر قد حذف للاشعار بضيق العبارة عن
حصره وشرحه لكمال فظاعة ما يقع من الطامة التامة والدواهي العامة كانه قيل يوم نحشر المتقين اي نجمعهم
الى الرحمن الى ربهم الذي يغمرهم برحمته الواسعة وفدا وافدين عليه كما يفد الوفود على الملوك منتظرين لكرامتهم و
انعامهم ونسوق المجرمين كما تساق البهائم الى جهنم وردا عطاشا فان من يرد الماء لا يرده الا العطش او كالدواب التي
ترد الماء نفعل بالفريقين من الافعال ما لا يفي ببيانه نطاق المقال منصوب على المفعولية بمضمر مقدم خوطب
به النبي صلى الله عليه وسلم اي اذكر لهم بطريق الترغيب والترهيب يوم نحشر الخ على الظرفية لقوله تعالى
لا يملكون الشفاعة والذي يقتضيه مقام التهويل ويستدعيه جزالة التنزيل ان تنتصب باحد الوجهين الاولين ويكون
هذا استئنافا مبينا لبعض ما فيه من الامور الدالة على هوله وضمير عائد الى العباد المدلول عليهم بذكر الفريقين لانحصارهم
فيهما الى المتقين خاصة وقيل الى المجرمين من الكفرة واهل الاسلام والشفاعة على الاولين مصدر على المبني للفاعل
والثالث ينبغي ان يكون مصدرا من المبني للمفعول وقوله تعالى الا من اتخذ عند الرحمن عهدا على الاول استثناء متصل من لا يملكون

ومحل المستثنى اما الرفع على البدل او النصب على اصل الاستثناء والمعنى لا يملك العباد ان يشفعوا لغيرهم الا من
استعد له بالتحلي بالايمان والتقوى او من امر بذلك من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا انه امره به فيكون ترغيبا
للناس في تحصيل الايمان والتقوى والمؤدي الى نيل هذه المرتبة وعلى الثاني استثناء من الشفاعة على حذف المضاف
والمستثنى منصوب على البدل او على اصل الاستثناء اي لا يملك المتقون الشفاعة الا شفاعة من اتخذ العهد بالايمان
فيكون ترغيبا في الاسلام وعلى الثالث استثناء من لا يملكون ايضا والمستثنى مرفوع على البدل او منصوب على الاصل
والمعنى لا يملك المجرمون ان يشفع لهم الا من كان منهم مسلما **وقالوا اتخذ الرحمن ولدا** حكاية لجناية اليهود والنصارى ومن
يزعم من العرب بان الملئكة بنات الله سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا اثر حكاية الاصنام بطريق عطف القصة
على القصة وقوله تعالى **لقد جئتم شيئا ادا** رد لمقالتهم الباطلة وتهويل لامرها بطريق الالتفات المبني على كمال السخط
وشدة الغضب المفصح عن غاية التشنيع والتقبيح وتسجيل عليهم بنهاية الوقاحة والجهل والجراة والاد بالكسر والفتح
العظيم المنكر والادة الشدة وادني الامر واذني اثقلني وعظم علي اي فعلتم امرا منكرا شديدا لا يقادر قدره فان جاء
واتى يستعملان في معنى فعل فيعدى بان تعديته وقوله تعالى **تكاد السموات** الخ صفة لادا او استيناف ببيان عظم
شانه في الشدة والهول يكاد بالتذكير **يتفطرن منه** تتشقق مرة بعد اخرى من عظم ذلك الامر وقرئ
ينفطرن والاول ابلغ لان تفعل مطاوع فعل وانفعل مطاوع فعل ولان اصل التفعل التكلف **وتنشق الارض** اي تكاد
تنشق الارض **وتخر الجبال** اي تسقط وتهدم وقوله تعالى **هدا** مصدر مؤكد لمحذوف هو حال من الجبال اي تهد هدا
او مصدر من المبني للمفعول مؤكد لتخر على غير الصدر لانه حينئذ بمعنى التهدم والخرور كانه قيل وتخر الجبال خرورا
او بمعنى المفعول منصوب على الحالية اي مهدودة او مفعول له اي لانها تهد وهذا تقرير لكونه ادا والمعنى ان
هول تلك الكلمة الشنعاء عظيم بحيث لو تصورت بصورة محسوسة لم تطق بها هاتيك الاجرام العظام وتفتت
من شدتها او ان فظاعتها في استجلاب الغضب واستيجاب السخط بحيث لولا حلمه تعالى لخرب العالم وبدد قواه
غضبا على من تفوه بها **ان دعوا للرحمن ولدا** منصوب على حذف اللام المتعلقة بتكاد او مجرور باضمارها اي تكاد
السموات ينفطرن والارض تنشق والجبال تخر لان دعوا له سبحانه ولدا اللام متعلقة بهدا وقيل
الجملة بدل من الضمير المجرور في منه كما في قوله • على جوده لضن بالماء حاتم • وقيل خبر مبتدا محذوف اي الموجب لذلك
ان دعوا الخ وقيل فاعل هدا اي هدها دعاء الولد والاول هو الاولى ودعوا من دعا بمعنى سمى المتعدي
الى مفعولين وقد اقتصر على ثانيهما ليتناول كل ما دعي له ولدا او من دعي بمعنى نسب الذي مطاوعه ادعى الى فلان
اي انتسب اليه وقوله تعالى **وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا** حال من فاعل قالوا او دعوا مقررة لبطلان مقالتهم
واستحالة تحقق مضمونها اي قالوا اتخذ الرحمن ولدا وان دعوا للرحمن ولدا والحال ان ما يليق به تعالى اتخاذ
الولد ولا ينطلب له لو طلب مثلا لاستحالته في نفسه ووضع الرحمن موضع الضمير للاشعار بعلته بالتنبيه
على ان كل ما سواه تعالى اما نعمة او منعم عليه فكيف يتسنى ان يجانس من هو مبدا النعم ومولي اصولها وفروعها
حتى يتوهم ان يتخذ ولدا وقد صرح به قوله عز وجل قائلا **ان كل من في السموات والارض** اي ما منهم من احد من الملائكة
والثقلين **الا اتي الرحمن عبدا** الا وهو مملوك له يأوي اليه بالعبودية والانقياد وقرئ آت الرحمن على الاصل
لقد احصاهم اي حصرهم واحاط بهم بحيث لا يكاد يخرج منهم احد من حيطة علمه وقبضة قدرته وملكوته **وعدهم عدا**
اي عد اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم وكل شيء عنده بمقدار **وكلهم آتيه يوم القيمة فردا** اي كل واحد منهم آت اياه تعالى
منفردا من الاتباع والانصار وفي صيغة الفاعل من الدلالة على اتيانهم كذلك البتة ما ليس في صيغة المضارع
او قيل ياتيه فاذا كان شانه تعالى وشانهم كما ذكر فانى يتوهم احتمال ان يتخذ شيئا منهم ولدا **ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات** لما فصلت قبائح اصول الكفرة عقب ذلك بذكر محاسن احوال المؤمنين **سيجعل لهم الرحمن ودا** اي
سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها سوى ما لهم من الايمان والعمل الصالح والتعرض

لعنوان الرحمانية لما ان الموعود من اثارها النبي صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا يقول لجبريل
عليه السلام احبب فلانا فاني احبه فيحبه جبريل عليه السلام ثم ينادي في اهل السماء ان الله يحب فلانا فاحبوه
فيحبه اهل السماء ثم يوضع له المحبة في الارض والسين لان السورة مكية وكانوا اذ ذاك ممقوتين بين الكفرة
فوعدهم ذلك ثم انجزه حين دجا الاسلام او لان الموعود في القيمة حين تعرض حسناتهم على رؤس الاشهاد
فينزع ما في صدورهم من الغل الذي كان في الدنيا ولعله افرد هذا من بين ما سيؤتون يوم القيمة من الكرامات
السنية لما ان الكفرة سيقع بينهم يومئذ تباغض وتضاد وتقاطع وتلاعن **فانما يسرناه** اي القران **بلسانك**
بان انزلناه على لغتك والباء بمعنى على فمن للتضمين معنى الانزال اي يسرنا القران منزلين له بلغتك
والفاء لتعليل امر ينساق اليه النظم الكريم كانه قيل بعد ايجاء السورة الكريمة بلغ هذا المنزل او بشر به وانذر
فانما يسرناه بلسانك العربي المبين **لتبشر به المتقين** اي الصائرين الى التقوى بامتثال ما فيه من الامر والنهي
وتنذر به قوما لدا لا يؤمنون به لجاجا وعنادا واللد جمع الالد وهو الشديد الخصومة اللجوج المعاند وقوله
تعالى **وكم اهلكنا قبلهم من قرن** وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في ضمن وعيد الكفرة بالاهلاك وحث له عليه
الصلوة والسلام على الانذار اي قرونا كثيرا اهلكنا قبل هؤلاء المعاندين وقوله تعالى **هل تحس منهم من احد** استيناف
مقرر لمضمون ما قبله اي هل تشعر باحد منهم وترى **او تسمع لهم ركزا** اي صوتا خفيا واصل الركز هو الخفاء ومنه
ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المدفون المخفي والمعنى اهلكناهم بالكلية واستاصلناهم بحيث لا يرى منهم احد
ولا يسمع منهم صوت خفي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة مريم اعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر

سورة طه وهي مائة وخمس وثلثون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **طه** فخمهما قالون وابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل والطاء وحده ابو عمرو
وورش لاستعلائه واما لهما الباقون وهو من الفواتح التي يصدر بها السور الكريمة وعليه جمهور المتقنين
وقيل معناه يا رجل وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعكرمة و
الكلبي الا انه عند سعيد على اللغة النبطية وعند قتادة على السريانية وعند عكرمة على الحبشية وعند الكلبي على
لغة عكرمة وهي لغة يمانية قالوا ان صح فلعل اصله يا هذا فتصرفوا فيه بقلب الياء طاء وحذف ذا من هذا
واستشهد به من قول الشاعر • ان السفاهة طه في خلايقكم • لا قدس الله اخلاق الملاعين • ليس بنص في
ذلك لجواز كونه قسما كما في حم لا ينصرون وقد جوز ان يكون الاصل طاها بصيغة الامر من الوطي فقلبت الهمزة
في يطا الفا لانفتاح ما قبلها كما في قول من قال لا هناك المرتع والها ضمير الارض على انه خطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم بان يطا الارض بقدميه لما كان يقوم في تهجده على احدى رجليه مبالغة في المجاهدة و
لكن يأباه كتابتهما على صورة الحرف كما يأبى التفسير بيا رجل فان الكتابة على صورة الحرف مع كون التلفظ بخلافه من
خصائص حروف المعجم طه اما على ان اصله طا فقلبت همزته ها كما في امثال هرقت او قلبت الهمزة
في طا الفا كما مر ثم بني منه الامر والحق به هاء السكت واما على انه اكتفي في التلفظ بشطري الاسمين واقيما
مقامهما في الدلالة على المسميين فكانهما اسماهما الدالان عليهما وعلى هذا ينبغي ان يحمل قول من قال واكتفي بشطري
الكلمتين وعبر عنهما باسمهما والا فالشطران لم يذكرا من حيث انهما مسميان لاسميهما ليقعا معبرا عنهما بل من حيث انهما
جزءان لهما وقد اكتفي بذكرهما عن ذكرهما ولذلك وقع التلفظ بانفسهما لا باسميهما الشطران من حيث هما مسميان
بهما من حيث هما قايمان مقام الاسمين واما حمله على معنى انه اكتفي في الكتابة بشطري الكلمتين يعني طا على تقدير
كونه امرا وكونه حرف نداء وها على تقديري كونها كناية عن الارض وكونها حرف تنبيه وعبر عن ذينك الطرفين في
التلفظ باسمهما فبين البطلان كيف وطا وها على ما ذكر من التقادير وليسا باسمين للحرفين المذكورين بل الاول امر

وحرف نداء والثاني ضمير الارض او حرف مبني على ان كتابة صورة والتلفظ بغيره من خواص حروف المعجم
كما مر فالحق ما سلف انها من الفواتح اما مسرودة على نمط التعديد باحد الوجهين المذكورين في مطلع سورة البقرة
فلا محل لها من الاعراب وكذا ما بعدها من قوله تعالى ما انزلنا عليك القرآن لتشقى فانه استيناف مسوق لتسليته
صلى الله عليه وسلم عما كان يعتريه من جهة المشركين من التعب فان الشقاء شائع في ذلك المعنى ومنه
اشقى من رائض اي ما انزلناه عليك لتتعب بالمبالغة في مكابدة الشدائد في مقاولة العتاة ومحاورة الطغاة
وفرط التأسف على كفرهم به والتحسر على ان يؤمنوا كقوله عز وجل فلعلك باخع نفسك على آثارهم الاية بل للتبليغ
والتذكير وقد فعلت فلا عليك ان لم يؤمنوا به بعد ذلك او لصرفه عليه الصلاة والسلام عما كان عليه من المبالغة
في المجاهدة كما روي انه عليه الصلوة والسلام كان يقوم الليل حتى تورم قدماه فقال له جبريل عليه السلام ابق
على نفسك فان لها عليك حقا اي ما انزلناه عليك لتتعب بنهك نفسك وحملها على الرياضات الشاقة والشدائد
الفادحة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة   ان ابا جهل والنضر بن الحارث قالا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم انك لتشقى حيث تركت دين آبائك وان القرآن نزل عليك لتشقى به فرد ذلك بانا ما انزلناه عليك
لما قالوا والاول هو الانسب لما يشهد به الاستثناء الآتي هذا واما اسم للقرآن محله الرفع على انه مبتدأ ما
بعده خبره والقرآن ظاهر وقع موقع العائد الى المبتدا كانه قيل القرآن ما انزلناه عليك لتشقى او النصب على
اضمار فعل القسم او الجر بتقدير حرفه وما بعده جوابه وعلى هذين الوجهين يجوز ان يكون اسما للسورة ايضا
بخلاف الوجه الاول فانه لا يتسنى على ذلك التقدير لكن لا لان يبقى المبتدا حينئذ بلا عائد ولا قائم مقامه فان
القرآن صادق على السورة لا محالة اما بطريق الاتحاد بان يراد به القدر المشترك بين الكل والبعض او باعتبار
الاندراج ان اريد به الكل بل لانه نفي كون انزاله للشقاء يستدعي سبق وقوع الشقاء مترتبا على انزاله قطعا اما
بحسب الحقيقة كما اذا اريد به معنى التعب او بحسب زعم الكفرة كما لو اريد به ضد السعادة ولا ريب في ان
ذلك انما يتصور في انزال ما نزل من قبل واما انزال السورة الكريمة فليس مما يمكن ترتب الشقاء السابق عليه
حتى يتصدى لنفيه عنه اما باعتبار الاتحاد فظاهر واما باعتبار الاندراج فلان مآله ان يقال هذه السورة ما
انزلنا القرآن المشتمل عليها لتشقى ولا يخفى ان جعلها مخبرا عنها مع انه لا دخل لانزالها في الشقاء السابق اصلا مما لا
يليق بشأن التنزيل الجليل وقوله تعالى الا تذكرة نصب على انه مفعول له لانزلنا لكن لا من حيث انه معلل
بالشقاء على معنى ما انزلنا عليك القرآن لتتعب بتبليغه الا تذكرة الاية كقولك ما ضربتك للتاديب الا اشفاقا
لما انه يجب في امثاله ان يكون بين العلتين ملابسة بالسببية والمسببية حتما كما في المثال المذكور وفي قولك
ما شافهتك بالسوء لتتاذى الا لزجر الغير فان التاديب في الاول مسبب عن الاشفاق والتاديب الثاني
سبب لزجر الغير وقد عرفت ما بين الشقاء والتذكرة من التنافي ولا يجدي ان يراد به التعب في جملة الجامع
المتذكرة لظهور ان لا ملابسة بينهما بما ذكر من السببية والمسببية وانما يتصور ذلك ان لو قيل مكان الا تذكرة
الا تكثيرا للثواب فان الاجر بقدر التعب ولا من حيث انه بدل من محل لتشقى كما في قوله تعالى ما فعلوه الا قليل
لوجود المجانسة بين البدلين وقد عرفت حالهما بل من حيث انه معطوف عليه بحسب المعنى بعد نفيه بطريق
الاستدراك المستفاد من الاستثناء المنقطع كانه قيل ما انزلنا عليك القرآن لتتعب في تبليغه ولكن تذكرة
لمن يخشى وقد جرد التذكرة عن اللام لكونها فعلا لفاعل الفعل المعلل اي لمن من شأنه ان يخشى الله
عز وجل على الوجه الانسب ويتأثر بالانذار لرقة قلبه ولين عريكته او لمن علم الله تعالى انه يخشى بالتخويف
وتخصيصها بهم مع عموم التذكرة والتبليغ لانهم المنتفعون بها وقوله تعالى تنزيلا مصدر مؤكد لمضمر مستانف
مقرر لما قبله اي نزل تنزيلا او لما يفيده الجملة الاستثنائية فانها متضمنة لان يقال انزلناه للتذكرة والاول
هو الانسب بما بعده من الالتفات او منصوب على المدح والاختصاص   هو منصوب بيخشى على المفعولية

اي يخشى

اي يخشى تنزيلا من الله تعالى وانت خبير بان تعليق الخشية والخوف ونظائرهما بمطلق التنزيل غير معهود
نعم قد يعلق ذلك ببعض اجزائه المشتملة على الوعيد ونظائره كما في قوله تعالى يحذر المنافقون ان تنزل
عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم   بدل من تذكرة لكن لا على انه مفعول له لانزلنا اذ لا يعلل الشيء بنفسه
ولا بنوعه بل على انه مصدر بمعنى الفاعل واقع موقع الكاف في عليك او من القرآن ولا مساغ له الا بان قيدا
لانزلنا بعد تعدده بالقيد الاول وقد عرفت حاله فيما سلف   تنزيل على انه خبر مبتدا محذوف ومن
في قوله تعالى ممن خلق الارض والسموات العلى متعلقة بتنزيلا او بمضمر هو صفة له مؤكدة لما في تنكيره من
الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية ونسبة التنزيل الى الموصول بطريق الالتفات الى الغيبة بعد نسبته
الى نون العظمة لبيان فخامته تعالى بحسب الافعال والصفات اثر بيانها بحسب الذات بطريق الابهام
ثم التفسير لزيادة تحقيق وتقرير وتخصيص خلقهما بالذكر مع ان المراد خلقهما بجميع ما يتعلق بهما كما يفصح عنه
قوله تعالى له ما في السموات وما في الارض الاية لاصالتهما واستتباعهما لما عداهما وتقديم الارض لكونها اقرب
الى الحس اظهر عنده ووصف السموات بالعلى وهو جمع العليا تانيث الاعلى لتاكيد الفخامة مع ما فيه من مراعاة
الفواصل وكل ذلك الى قوله تعالى له الاسماء الحسنى مسوق لتعظيم شان المنزل عز وجل المستتبع لتعظيم المنزل
الداعي الى تربية المهابة وادخال الروعة المؤدية الى استنزال المتمردين عن رتبة العلو بالطغيان واستمالتهم
نحو الخشية المفضية الى التذكر والايمان الرحمن رفع على المدح اي هو الرحمن وقد عرفت في صدر سورة البقرة
بان المرفوع مدحا في حكم الصفة الجارية على ما قبله وان لم يكن تابعا له في الاعراب ولذلك التزموا
حذف المبتدا ليكون في صورة متعلق من متعلقاته وقد قرئ بالجر على انه صفة صريحة للموصول وما قيل من
ان الاسماء الناقصة لا يوصف منها الا الذي وحده مذهب الكوفيين واما ما كان فوصفه بالرحمانية اثر
وصفه بخالقية السموات والارض للاشعار بان خلقهما من آثار رحمته تعالى كما ان قوله تعالى رب السموات والارض
وما بينهما الرحمن للايذان ان ربوبيته تعالى بطريق الرحمة وفيه اشارة الى ان تنزيل القرآن ايضا من احكام
رحمته كما ينبئ عنه قوله عز وجل الرحمن علم القرآن او رفع على الابتداء واللام للعهد والاشارة الى الموصول
والخبر قوله تعالى على العرش استوى وجعل الرحمة عنوان الموضوع الذي شانه ان يكون معلوم الثبوت
للموضوع عند المخاطب للايذان بان ذلك امر بين لا سترة فيه غني عن الاخبار به صريحا وعلى متعلقة باستوى
وقدمت عليه لمراعاة الفواصل والجار والمجرور على الاول خبر مبتدا محذوف كما في قراءة الجر وقد جوز ان
يكون خبرا بعد خبر والاستواء على العرش مجاز عن الملك والسلطان على الكناية فيمن يجوز عليه القعود على
السرير يقال استوى فلان على سرير الملك يراد به ملكه وان لم يقعد على السرير اصلا والمراد بيان تعلق
ارادته الشريفة بايجاد الكائنات وتدبير امرها وقوله تعالى له ما في السموات وما في الارض سواء كان ذلك
بالجزئية منها او بالحلول فيها وما بينهما من الموجودات الكائنة في الجو دائما كالهواء والسحاب والطير
اي له وحده دون غيره لا شركة ولا استقلالا كل ما ذكر ملكا وتصرفا واحياء واماتة وايجادا واعداما وما تحت
الثرى اي ما وراء التراب وذكره مع دخوله تحت ما في الارض لزيادة التقرير   عن محمد بن كعب
انه ما تحت الارض   السدي ان الثرى هو الصخرة التي عليها الارض السابعة وان تجهر بالقول
بيان لاحاطة علمه تعالى بجميع الاشياء اثر بيان سعة سلطنته وشمول قدرته بجميع الكائنات اي وان
تجهر بذكره تعالى ودعائه فاعلم انه تعالى غني عن جهرك فانه يعلم السر واخفى اي ما اسررته الى غيرك وشيئا اخفى
من ذلك وهو ما اخطرته ببالك من غير ان تتفوه به اصلا او ما اسررته لنفسك واخفى منه وهو ما ستسره فيما
سياتي وتنكيره للمبالغة في الخفاء وهذا اما نهي عن الجهر كقوله تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا
وخيفة ودون الجهر من القول واما ارشاد العباد الى ان الجهر ليس لاسماعه سبحانه بل لغرض آخر من تعبير النفس

بالذكر وتنبيه فيها ومنعها من الاشتغال بغيره وقطع الوسوسة عنها وضمها بالتضرع والجوار وقوله تعالى **الله** خبر مبتداء محذوف والجملة استئناف مسوق لبيان ما ذكر من صفات الكمال موصوف ذلك المعبود بالحق اي ذلك المنعوت بما ذكر من النعوت الجليلة لله عز وجل وقوله تعالى **لا اله الا هو** تحقيق للحق وتصريح بما تضمنه ما قبله من تخصيص الالوهية به سبحانه فان ما اسند اليه تعالى من خلق جميع الموجودات والرحمانية والمالكية للكل والعلم الشامل مما يقتضيه اقتضاء بينا وقوله تعالى **له الاسماء الحسنى** بيان لما ذكر من الخالقية والرحمانية والمالكية والعالمية اسماؤه وصفاته من غير تعدد في ذاته تعالى ان المشركين حين سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن قالوا ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر والحسنى تانيث الاحسن يوصف به الواحدة المونثة والجمع من المذكر والمونث كما رب اخرى وايا تنا الكبرى **وهل اتيك حديث موسى** استيناف مسوق لتقرير امر التوحيد الذي اليه انتهى مساق الحديث وبيان انه امر مستمر فيما بين الانبياء و هو امر كائن وقد خوطب به موسى عليه السلام حيث قيل انني انا الله لا اله الا انا وبه ختم عليه السلام مقاله حيث قال الهكم الذي لا اله الا هو واما ما قيل من ان ذلك لترغيب النبي صلى الله عليه وسلم في الائتساء بموسى عليه السلام في تحمل اعباء النبوة والصبر على مقاساة الخطوب في تبليغ احكام الرسالة فياباه ان مساق النظم الكريم اصرفه عليه السلام عن اقتحام المشاق **اذ رأى نارا** ظرف للحديث وقيل لمضمر موخر اي حين راى نارا كان كيت وكيت وقيل مفعول المضمر مقدم اي اذكر وقت رؤيته نارا انه عليه السلام استاذن شعيبا عليهما السلام في الخروج الى امه واخيه فخرج باهله واخذ على غير الطريق مخافة من ملوك الشام فلما وافى وادي طوى وهو بالجانب الغربي من الطور ولد له ولد في ليلة مظلمة شاتية مثلجة وكانت ليلة الجمعة و قد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فبينما هو في ذلك اذ رأى نارا على يسار الطريق من جانب الطور **فقال لاهله امكثوا** اي اقيموا مكانكم امرهم عليه السلام بذلك لئلا يتبعوه على ما عزم عليه من الذهاب الى النار كما هو المعتاد لا لئلا ينتقلوا الى موضع آخر فانه مما لا يخطر بالبال والخطاب للمرأة والولد والخادم وقيل لها وحدها والجمع اما لظاهر لفظ الاهل او للتفخيم كما في قول من قال وان شئت حرمت النساء سواكم **اني آنست نارا** اي ابصرتها ابصارا بينا لا شبهة فيه وقيل الايناس خاص بابصار ما يونس به والجملة تعليل للامر والمامور به **لعلي آتيكم منها** اي اجيئكم من النار وفسر بذلك للتنبيه على انه صيغة المضارع لا صيغة الفاعل **بقبس** اي بشعلة مقتبسة من معظم النار وهي المراد بالجذوة في سورة القصص وبالنار القبس **او اجد على النار هدى** هاديا يدلني على الطريق على انه مصدر سمي به الفاعل مبالغة او حذف منه المضاف اي ذا هداية على انه اذا وجد الهادي فقد وجد الهدى وقيل هاديا يهديني الى ابواب الدين فان افكار الابرار مغمورة بالهمة الدينية في غاية احوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والاول هو الاظهر لان مساق النظم الكريم لتسلية اهله وقد نص عليه في سورة القصص حيث قيل لعلي آتيكم منها بخبر او جذوة الاية وكلمة او في الموضعين لمنع الخلو دون الجمع ومعنى الاستعلاء في قوله تعالى على النار ان اهل النار يستعلون المكان القريب منها عند الاصطلاء يكتنفون بها قياما وقعودا فيشرفون عليها ولما كان الاتيان بها مترقبا غير محقق الوقوع صدر الجملة بكلمة الترجي وهو اما علة الفعل حذف ثقة بما يدل عليه الامر بالمكث والاخبار بايناس النار ردا عن التصريح بما يوحشهم اي فاذهب اليها لآتيكم او كي آتيكم او لقدها ان آتيكم منها بقبس الاية قدمر تحقيق ذلك مفصلا في تفسير قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون **فلما اتاها** اي النار التي آنسها ابن عباس رضي الله عنهما رأى شجرة خضراء طامية وما من اسفلها الى اعلاها نار بيضاء تتقد ابيض ما يكون فوقف متعجبا من شدة ضوئها وشدة خضرة الشجرة فلا النار تغير خضرتها ولا كثرة ماء الشجرة يغير ضوءها . النار اربعة اصناف صنف ياكل ولا يشرب وصنف يشرب ولا ياكل وهي نار الشجر الاخضر

وهي نار الدنيا

وصنف

وصنف ياكل ويشرب وهي نار جهنم وصنف لا ياكل ولا يشرب وهي نار موسى عليه السلام ايضا هي اربعة انواع نوع له نور واحراق وهي نار الدنيا ونوع لا نور له ولا احراق وهي نار الاشجار ونوع له نور بلا احراق وهي نار موسى عليه السلام ونوع له احراق بلا نور وهي نار الجحيم ان الشجرة كانت عوسجة وقيل كانت سمرة **نودي يا موسى** اي نودي فقيل له يا موسى **اني انا ربك** او عومل النداء معاملة القول لكونه ضربا منه بالفتح اي باني وتكرير الضمير لتاكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة انه لما نودي يا موسى قال عليه السلام من المتكلم فقال الله عز وجل انا ربك فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله تعالى باني سمعته من جميع الجهات بجميع الاعضاء وذلك الاستماع ما ليس من شانه ذلك من الاعضاء ليس الا من آثار قدرة الخلاق العليم تعالى وتقدس تلقى عليه السلام كلام رب العزة تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل الى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة **فاخلع نعليك** امر عليه السلام بذلك لان الحفوة ادخل في التواضع وحسن الادب ولذلك كان السلف الصالحون يطوفون بالكعبة حافين وقيل لينال من الوادي بقدميه تبركا وقيل لما ان نعله كان من جلد حمار غير مدبوغ وقيل فرغ قلبك من الاهل والمال والفاء لترتيب الامر على ما قبلها فان ربوبيته تعالى من موجبات الامر ودواعيه **انك بالوادي المقدس** تعليل لوجوب المامور به وبيان لسبب ورود الامر بذلك من شرف البقعة وقدرها انه عليه السلام خلعهما والقاهما وراء الوادي **طوى** بضم الطاء غير منون ومنونا وقرئ بالكسر منونا وغير منون فمن نونه اوله بالمكان وقيل هو كثنى من الطي مصدر لنودي او للمقدس اي نودي ندائين وقدس مرة بعد اخرى **وانا اخترتك** اي اصطفيتك للنبوة والرسالة وانا اخترناك بالفتح والكسر والفاء في قوله تعالى **فاستمع** لترتيب الامر والمامور به على ما قبلها فان اختيار عزم لما ذكر من موجبات الاستماع والامر به واللام في قوله تعالى **لما يوحى** متعلقة باستمع وما موصولة او مصدرية اي فاستمع للذي يوحى اليك او للوحي لا باخترتك كما قيل لكن لا لما قيل من انه باب التنازع واعمال الاول فلا بد فيه من اعادة الضمير مع الثاني لان قوله تعالى **انني انا الله لا اله الا انا** بدل من ما يوحى ولا ريب في ان اختياره عليه السلام ليس لهذا الوحي فقط والفاء في قوله تعالى **فاعبدني** لترتيب المامور به على ما قبلها فان اختصاص الالوهية به سبحانه من موجبات تخصيص العبادة به عز وجل **واقم الصلوة** خصت الصلاة بالذكر وافردت بالامر مع اندراجها في الامر بالعبادة لفضلها وفاقتها على سائر العبادات بما تضمنت به من ذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وذلك قوله تعالى **لذكري** لتذكرني فان ذكري كما ينبغي لا يتحقق الا في ضمن العبادة والصلاة او لتذكرني فيها لاشتمالها على الاذكار او لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري او لاخلاص ذكري ولابتغاء وجهي لا تراءي بها غرضا آخر او لتكون ذاكرا لي غير ناس لذكري اياها وامري بها في الكتب او لان اذكرك بالمدح والثناء وقيل لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلوة او لذكر صلاتي انه عليه الصلوة والسلام قال من نام عن صلاة او نسيها فليصلها اذا ذكرها لان الله تعالى يقول واقم الصلاة لذكري بالف التانيث ولذكري معرفا وللذكر بالتعريف والتنكير وقوله تعالى **ان الساعة آتية** تعليل لوجوب العبادة واقامة الصلاة اي كائنة لا محالة وانما عبر عن ذلك بالاتيان تحقيقا لحصولها بابرازها في معرض امر محقق متوجه نحو المخاطبين **اكاد اخفيها** اي لا اظهرها بان اقول انها آتية ولولا ان في الاخبار بذلك من اللطف وقطع الاعذار لما فعلت او اكاد اظهرها بايقاعها من اخفاه اذا اظهره بسبب خفائه ويؤيده القراءة بفتح الهمزة من خفاه بمعنى اظهره وقيل اخفاه من الاضداد يجيء بمعنى الاظهار والستر وقوله تعالى **لتجزى كل نفس بما تسعى** متعلقة بآتية وما بينهما اعتراض او باخفيها على المعنى الاخير وما مصدرية اي لتجزى بسعيها في تحصيل ما ذكر من الامور المامور بها وتخصيصه في معرض الغاية لاتيانها مع انه لجزاء كل نفس بما صدر عنها سواء كان سعيا فيما ذكر

اوتقاعدا عنه بالمرة اوسعيا في تحصيل ما يضاده الايذان بان المراد بالذات من اتيانها هو الاثابة بالعبادة
واما العقاب بتركها فمن مقتضيات سوء اختيار العصاة وبان المامور به في قوة الوجوب والساعة في شدة
الهول والفظاعة بحيث يوجبان على كل نفس ان تسعى في الامتثال بالامر وتجد في تحصيل ما ينجو من الطاعات
وتحترز عن اقتراف ما يرديها من المعاصي وعليه مدار الامر في قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام
وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا فان الابتلاء مع شموله لكافة المكلفين باعتبار اعمالهم المنقسمة الى
الحسن والقبيح لا الى الحسن والاحسن فقط علق بالاخير لما ذكر من ان المقصود الاصلي من ابداع تلك البدائع
على ذلك النمط الرائع انما هو تحقق احسان المحسنين وان ذلك لكونه على اتم الوجوه الرائقة واكمل الانحاء اللائقة
يوجب العمل بموجبه بحيث لا يحيد عن سننه احد بل يهتدي كل فرد الى ما يرشد اليه من مطلق الايمان والطاعة
وانما التفاوت بينهم في مراتبهما بحسب القوة والضعف واما الاعراض عن ذلك والوقوع في مهاوي الضلال فبمعزل
عن الوقوع فضلا من ان ينتظما في سلك العناية لذلك الصنع البديع وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره
من غير مصحح له ومسوغ هنا ويجوز ان يراد بالسعي مطلق العمل فلا يصدنك عنها اي عن ذكر الساعة ومراقبتها وقيل عن
تصديقها والاول هو الاليق بشان موسى عليه السلام وان كان النهي بطريق التهييج والالهاب وتقديم الجار والمجرور
عن قوله تعالى من لا يؤمن بها لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى الموخر فان ما حقه التقديم اذا اخر
تبقى النفس مستشرفة له فيتمكن عند وروده لها فضل تمكن ولان في الموخر نوع طول ... تقديمه بجزالة النظم
وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للكافر عن صد موسى عليه السلام عن الساعة لكنه في الحقيقة نهي له عليه
السلام عن الانصداد عنها على ابلغ وجه واكده فان النهي عن اسباب الشيء ومباديه الموثرة فيه نهي عنه
بالطريق البرهاني وابطال للسببية عن اصلها كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم ... فان صد الكافر حيث كان سببا للصدود عنه كان النهي عنه
نهيا باصله وموجبه وابطالا له بالكلية ويجوز ان يكون من باب النهي عن المسبب وارادة النهي عن السبب على ان
يراد نهيه عليه السلام كما في قوله لا ارينك ههنا فان المراد نهي المخاطب عن الحضور لديه الموجب لرؤيته
واتبع هواه اي ما تهواه نفسه من اللذات الحسية الفانية فتردى اي فتهلك فان الانغفال عنها وعن تحصيل
ما ينجي عن اهوالها مستتبع للهلاك لا محالة وهو في محل النصب على جواب النهي او في محل الرفع على انه خبر مبتدأ
اي فانت تردي وما تلك بيمينك يا موسى شروع في حكاية ما كلف عليه السلام من الامور المتعلقة بالحكاية
ما امر به من الشئون الخاصة بنفسه فما استفهامية في حيز الرفع بالابتداء وتلك خبرا او بالعكس وهو ادخل
بحسب المعنى واوفق بالجواب وبيمينك يتعلق بمضمر وقع حالا وما تلك قارة وماخوذة بيمينك والعامل معنى
الاشارة كما في قوله عز وجل وهذا بعلي شيخا وقيل ما تلك موصولة اي ما التي هي بيمينك وايا ما كان فالمراد
ايقاظ وتنبيه له عليه السلام على ما سيبدو له من التعاجيب وتكرير النداء لزيادة التانيس والتنبيه قال
هي عصاي نسبها الى نفسه تحقيقا لوجه كونها بيمينه وتمهيدا لما يعقبه من الافاعيل المنسوبة اليه عليه
السلام عصا على لغة هذيل اتوكؤ عليها اي اعتمد عليها عند الاعياء والوقوف على راس القطيع واهش
بها اي اخبط بها الورق ومثاله اسقط على غنمي وقرئ اهش بكسر الهاء وكلاهما من هش الخبز اذا انكسر
لهشاشته ... بالشين الغير المعجمة وهو زجر الغنم وتعديته بعلي لتضمين معنى الانحاء والاقبال اي اهش
منحنيا ومقبلا عليها ولي فيها مارب اخرى اي حاجات اخرى من هذا الباب مثل ما روي انه عليه السلام
كان اذا سار القاها على عاتقه فعلق بها ادواته من القوس والكنانة والحلاب ونحوها واذا كان في البرية
ركزها وعرض الوتدين على شعبتها والقى عليها الكساء واستظل بها واذا تعرض
لغنمه السباع قاتل بها ... من جملة المارب انها كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن حناه بالمحجن
واذا اراد كسره لواه بالشعبتين وكانه عليه السلام فهم ان المقصود من السؤال بيان حقيقتها والتفصيل

عن اظهار لين الجانب للكفرة فان ذلك سبب لصدهم اياه عليه السلام صح

منافعها

منافعها بطريق الاستقصاء حتى اذا ظهرت على خلاف ذلك الحقيقة وبدت منها خواص بديعة علم انها ايات
باهرة ومعجزات قاهرة احدثها الله تعالى وليست من الخواص المترتبة عليها فذكر حقيقتها ومنافعها على التفصيل
والاجمال على انها من جنس العصا مستتبعة لمنافع بنات جنسها ليطابق جوابه الغرض الذي فهمه من سؤال
العليم الخبير قال استيناف مبني على ان ما ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قال عز وجل قال القها
يا موسى لترى من شانها ما لم يخطر ببالك من الامور وتكرير النداء لتاكيد التنبيه فالقاها على
الارض فاذا هي حية تسعى روي انه عليه السلام حين القاها انقلبت حية صفراء في غلظ العصا ثم انتفخت
وعظمت فلذلك شبهت بالجان تارة وسميت ثعبانا اخرى وعبر عنها هاهنا بالاسم العام للحالين وقيل
قد انقلبت من اول الامر ثعبانا وهو الاليق بالمقام كما يفصح عنه قوله عز وجل فاذا هي ثعبان مبين وانما شبهت
بالجان في الجلادة وسرعة الحركة لا في صغر الجثة وقوله تعالى تسعى اما صفة لحية او خبر ثان يفيد من تجوز
كونه جملة قال استيناف كما سبق خذها ولا تخف مشاهدة الاهوال والمخارق من الفزع والنفار وفي عطف
النهي على الامر اشعار بان عدم المنهي عنه مقصود لذاته لا لتحقيق المامور به فقط وقوله تعالى سنعيدها
سيرتها الاولى مع كونه استينافا مسوقا لتعليل الامتثال بالامر والنهي فان اعادتها الى ما كانت عليه
من موجبات اخذها وعدم الخوف منها عدة كريمة باظهار معجزة اخرى على يده عليه السلام وايذان بكونها
مسخرة له عليه السلام ليكون على طمانينة من امره ولا يعتريه شائبة تزلزل عند محاجة فرعون اي سنعيدها
بعد الاخذ الى حالتها الاولى التي هي الجثة العصوية ... بلغ عليه السلام عند ذلك من الثقة وعدم الخوف الى
حيث كان يدخل يده في فمها وياخذ بلحيتها والسيرة فعلة من السير تجوز بها للطريقة وانتصابها على نزع الخافض
اي الى سيرتها او الى ان عاد منقول من عاده بمعنى عاد اليه او على الظرفية اي سنعيدها في طريقتها او على تقدير فعلها
وايقاعه حالا من المفعول اي سنعيدها عصا كما كانت من قبل تسير سيرتها اي سائرة سيرتها الاولى تنتفع بها كما كنت
تنتفع من قبل واضمم يدك الى جناحك امر عليه السلام بذلك بعد ما اخذ الحية وانقلبت عصا كما كانت اي وادخل ما
تحت عضدك فان جناحي الانسان جنباه كما ان جناحي العسكر جنباه مستعار من جناحي الطائر وقد سميا جناحين لانه
يجنحهما اي يميلهما عند الطيران وقوله تعالى تخرج جواب الامر وقوله تعالى بيضاء حال من الضمير فيه وقوله تعالى
من غير سوء متعلق بمحذوف وهو حال من الضمير في بيضاء اي كائنة من غير عيب وقبح كني به عن البرص كما كني بالسوء
عن العورة لان الطباع تعافه وتنفر عنه ... انه عليه السلام كان آدم فاخرج يده من مدرعته بيضاء لها شعاع
كشعاع الشمس يغشي البصر اية اخرى اي معجزة اخرى غير العصا وانتصابها على الحالية اما من الضمير في تخرج على
البدل من الحال الاولى واما من الضمير في بيضاء ... من الضمير في الجار والمجرور وقيل هي منصوبة بفعل مضمر
نحو خذ او دونك وقوله تعالى لنريك من اياتنا الكبرى متعلق بمضمر ينساق الى النظم الكريم كانه قيل فعلنا ما
فعلنا من الامر والاظهار لنريك بعض اياتنا الكبرى على ان الكبرى صفة لاياتنا او نريك بذلك من اياتنا ما هي كبرى
على ان الكبرى مفعول ثان لنريك ومن اياتنا متعلق بمحذوف هو حال من ذلك وايا ما كان فالاية الكبرى عبارة
عن العصا واليد جميعا واما متعلقة بما دل عليه اية اي دللنا بها لذلك او بقوله تعالى واضمم او بقوله تخرج
وانما قدر من حدود ذلك كما قال لكل من ذلك قائل فيودي الى عراية العصا عن وصف الكبر فتدبر اذهب الى فرعون
تخلص الى ما هو المقصود من تمهيد المقدمات السالفة فقيل عما قبله من الاوامر ايذانا باصالته اي اذهب
اليه بما رايته من الايات الكبرى وادعه الى عبادتي وحذره نقمتي وقوله تعالى انه طغى تعليل للامر او لوجوب
المامور به اي جاوز الحد في التكبر والعتو والتجبر حتى تجاسر على العظمة التي هي دعوى الربوبية قال استينافا
مبني على سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قال عليه السلام حين امر بهذا الامر الخطير والخطب
العسير فقيل قال متيقنا بربه عز وجل رب اشرح لي صدري ويسر لي امري لما امر بما امر من الخطب الجليل تضرع الى ربه

الي ربه عزّ وجلّ واظهر عجزه بقوله ويضيق صدري ولا ينطلق لساني وساله تعالى ان يوسع صدره ويفتح قلبه
ويجعله عليما بشؤن الحق واحوال الخلق حليما حمولا يستعمل ما عسى يرد عليه من الشدائد والمكاره بجميل الصبر وحسن
الثبات ويتلقاها بصدر فسيح وجاش رابط وان يسهل عليه مع ذلك امره الذي هو اجل الامور واعظمها واصعب
الخطوب واهولها بتوفيق الاسباب ودفع الموانع وفي زيادة كلمة لي مع انتظام الكلام بدونها تاكيدا
لطلب الشرح والتيسير بابهام المشروح والميسر اولا وتفسيرها ثانيا وفي تقديرها وتكريرها اظهار مزيد الاعتناء
بشان كل من المطلوبين وفضل اهتمام باستدعاء حصولها له واختصاصها به **واحلل عقدة من لساني** روي انه كان
في لسانه عليه السلام رتة من جمرة ادخلها فاه في صغره وذلك ان فرعون حمله ذات يوم فاخذ لحيته
فنتفها لما كان فيها من الجواهر فغضب وامر بقتله فقالت آسيه انه صبي لا يفرق بين الجمر والياقوت فاحضرا
بين يديه فاخذ الجمرة فوضعها في فيه واحرقت يده فاجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ ثم لما دعاه قال الى اي
رب تدعوني قال الى الذي ابرا يدي وقد عجزت عنه في زوال العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله
تعالى قد اوتيت سؤلك ياموسى ومن لم يقل به احتج بقوله تعالى هو افصح مني وقوله تعالى ولا يكاد يبين
عن الاول بانه لم يسال حل عقدة لسانه بالكلية بل عقدة تمنع الافهام ولذلك نكرها ووصفها بقوله من لساني عقدة
كاينة من عقد لساني ويجعل قوله تعالى **يفقهوا قولي** جواب الامر وغرضا من الدعاء فيحلها في الجملة بتحقيق
ايناس له عليه السلام والحق ان ما ذكر لا يدل على بقاها وفي الجملة اما قوله تعالى هو افصح مني فلانه عليه السلام
قاله قبل استدعاه كما ستعرفه على ان افصحيته منه عليه السلام لا يستدعي بقاها اصلا بل يستدعي عدم البقاء
لان الافصحية توجب ثبوت اصل الفصاحة في المفضول ايضا وذلك مناف للعقدة راسا واما قوله تعالى
ولا يكاد يبين فمن باب غلو الغير في العتو والطغيان والا لدل على عدم زوالها اصلا وتنكيرا انما يفيد قلتها
في نفسها باعتبار كونها بعضا من الكثير وتعلق كلمة من في قوله تعالى من لساني بمحذوف هو صفة لها بمقطوع به
بل الظاهر تعلقها بنفس الفعل فان المحلول اذا كان متعلقا بشيء ومتصلا فكما يتعلق الكل به يتعلق بذلك الشيء
ايضا باعتبار ان ابتدا حصوله منه **واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي** اي وزيرا يعاونني في تحمل اعباء ما كلفته
على ان اشتقاقه من الوزر الذي هو الثقل او الملجا اعتصم برايه على انه من الوزر وهو الملجا وقيل اصله ازير
من الازر بمعنى القوة فعيل بمعنى فاعل كالعشير والجليس قلبت همزته واوا لكسرها في موازر ونصبه على انه مفعول
ثان لاجعل قدم على الاول الذي هو قوله تعالى هرون اعتناء بشان الوزارة ولي صلة لجعل او متعلق بمحذوف
هو حال من وزيرا هو صفة له في الاصل ومن اهلي اما صفة الوزير او صلة لاجعل وقيل مفعولا ولي وزيرا
وهرون عطف بيان لوزير ومن اهلي كما مر من الوجهين واخي في الوجهين بدل من هرون او عطف بيان آخر
وقيل هما وزيرا من اهلي ولي كما بين في قوله تعالى ولم يكن له كفوا احد ورد بان شرط المفعولين في باب النواسخ
صحة انعقاد الجملة الاسمية ولا مساغ لجعل وزيرا مبتدا ويخبر عنه بما بعده **اشدد به ازري واشركه في امري**
كلاهما صيغة الدعاء اي احكم به قوتي واجعله شريكي في امر الرسالة حتى نتعاون على ادائها كما ينبغي وفصل الاول
عن الدعاء السابق لكمال الاتصال بينهما فان شد الازر عبارة عن جعله وزيرا واما الاشتراك في الامر فحيث كان
من احكام الوزارة توسط بينهما العاطف **كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا** غاية الادعية الثلث الاخيرة وان فعل
كل واحد منهما من التسبيح والذكر مع كونه مكثرا للفعل الآخر ومضاعفا له بسبب انضمامه اليه مكثر له في نفسه
ايضا بسبب تقويته وتأييده ولان المراد بالتسبيح والتذكر منهما ما يكون بالقلب او في الخلوات حتى لا يتفاوت حاله
عند التعدد والانفراد بل مما يكون منهما في تضاعيف اداء الرسالة ودعوة المردة العتاة الى الحق وذلك مما لا ريب
في اختلاف حاله في حالتي التعدد والانفراد فان كلا منهما يصدر عنه بتاييد الآخر من اظهار الحق ما لا يكاد يصدر عنه
مثله حال الانفراد وكثيرا في الموضعين نعت لمصدر محذوف او زمان محذوف اي ننزهك عما لا يليق بك من الصفات

والافعال

والافعال التي من جملتها ما يدعيه فرعون الطاغية ويتقلده منه فسقة الباغية من ادعاء الشركة في الالوهية
ونصفك بما يليق بك من صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال تنزيها كثيرا وزمانا كثيرا من جملة زمان دعوة فرعون
واوان المحاجة معه واما ما قيل من ان المعنيين نصلي لك كثيرا ونحمدك ونثني عليك فلا يساعده المقام **انك
كنت بنا بصيرا** اي عالما باحوالنا وبان ما دعوتك به مما يصلحنا ويفيدنا في تحقيق ما كلفته من اقامة مراسم
الرسالة وان هرون نعم الردء في اداء ما امرت به والباء متعلقة ببصيرا قدمت عليه لمراعاة الفواصل **قال
قد اوتيت سؤلك** اي اعطيت سؤلك فعل بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز والاكل بمعنى الماكول والايتاء عبارة عن
تعلق ارادته تعالى بوقوع تلك المطالب وحصوله عليه السلام البتة وتقديره اياها حتما فكلها حاصلة له
عليه السلام وان كان وقوع بعضها بالفعل مترقبا بعد كثير الامر وشد الازر وباعتباره قيل سنشد عضدك
باخيك وقوله تعالى **ياموسى** تشريفا له عليه السلام بشرف الخطاب اثر تشريفه بشرف قبول الدعاء وقوله تعالى
ولقد مننا عليك كلام مستانف مسوق لتقرير ما قبله وزيادة توطين موسى عليه السلام بالقبول ببيان
انه تعالى حيث انعم عليه بتلك النعم التامة من غير سابقة دعاء منه وطلب فلان ينعم عليه بمثلها وهو طالب
له وداع اولى واحرى وتصدير بالقسم لكمال الاعتناء بذلك اي وبالله لقد انعمنا **مرة اخرى** اي في وقت غير
هذا الوقت لان ذلك موخر من هذا فان اخرى تانيث آخر بمعنى غير والمرة في الاصل اسم للمرور الواحد ثم اطلق
على كل فعلة واحدة من الفعلات متعدية كانت او لازمة ثم شاع في كل فرد واحد من افراد ماله افراد متجددة حتى صار
علما في ذلك حتى صار معيارا لما في معناه في سائر الاشياء فقيل هذا بناء المرة ويعرف منها الكرة والتارة والدفعة
والمراد بها ههنا الوقت الممتد الذي وقع فيه ما سياتي ذكره من المنن العظيمة الكثيرة وقوله تعالى **اذ اوحينا
الى امك ما يوحى** ظرف لمننا والمراد بالايحاء اما الايحاء على لسان نبي في وقتها كقوله تعالى واذ اوحيت الى الحواريين
الاية واما الايحاء بواسطة الملك لا على وجه النبوة كما اوحي الى مريم واما الالهام كما في قوله تعالى واوحى
ربك الى النحل واما الاراءة في المنام والمراد بما يوحى ما سياتي من الامر بقذفه في التابوت وقذفه في البحر
ابهم اولا تهويلا له وتفخيما لشانه ثم فسر ليكون اقر عند النفس وقيل معناه ما ينبغي ان يوحى ولا يخل به
لعظم شانه وفرط الاهتمام به وقيل ما لا يعلم الا بالوحي ومنه انه لا يلايم المعنيين الاخيرين للوحي لا
تفخيم لشانه في ان يكون مما لا يعلم الا بالالهام او بالاراءة في المنام وان في قوله تعالى **ان اقذفيه في التابوت**
مفسرة لان الوحي من باب القول او مصدرية حذف عنها الباء اي بان اقذفيه ومعنى القذف ههنا الوضع
واما قوله تعالى **فاقذفيه في اليم** والقذف يقال للالقاء والوضع كقوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي
كقوله غلام رماه الله بالحسن يافعا وقوله تعالى **فليلقه اليم بالساحل** لما كان القاء البحر اياه بالساحل امرا واجب
الوقوع لتعلق الارادة الربانية به جعل البحر كانه ذو تمييز مطيع امر بذلك واخرج الجواب مخرج الامر والضماير
كلها لموسى عليه السلام المقذوف في البحر والملقي بالساحل وان كان هو التابوت اصالة لكن لما كان المقصود
بالذات ما فيه جعل التابوت تبعا له في ذلك **ياخذه عدو لي وعدو له** جواب الامر بالالقاء وتكرير العدو للمبالغة
والتصريح بالامر والاشعار بان عداوته له مع تحققها لا تؤثر فيه ولا تضره بل تؤدي الى المحبة فان الامر بما هو
سبب الهلاك صورة من قذفه في البحر ووقوعه في يد عدو الله وعدوه مشعر بان هناك لطفا خفيا مندرجا
تحت قهر صوري وقيل الاول باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع وليس المراد بالساحل نفس الشاطئ بل
ما يقابل الوسط وهو ما يلي الساحل من البحر بحيث يجري ماؤه الى نهر فرعون لما روي انها جعلت في التابوت
قطنا ووضعته ثم قيرته والقته في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر فدفعه الماء اليه واداه
الى بركة في البستان وكان فرعون جالسا مع آسيه بنت مزاحم فامر به فاخرج ففتح فاذا هو صبي اصبح الناس
وجها فاحبه حبا شديدا لا يكاد يتمالك الصبر عنه وذلك قوله تعالى **والقيت عليك محبة مني** كلمة من متعلقة

محذوف هو صفة لمحبة مؤكدة لما في تنكيرها من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي محبة عظيمة كائنة
مني قد زرعتها في القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك ولذلك احبك عدو الله وآله وقيل هي متعلقة بالقيت
اي احبك ومن احبه الله تعالى احبته القلوب لا محالة وقوله تعالى ولتصنع على عيني متعلق بالقيت معطوف
على عليك اي ليتعطف عليك ولتربى بالحنو والشفقة بمراقبتي وحفظي او بمضمر مؤخر عبارة عما قبله من القاء المحبة
والجملة مبتدأة اي ولتصنع على عيني فعلت ذلك وقرئ بفتح التاء والنصب اي وليكون عملك على عين مني
لئلا يخالف به عن امري اذ تمشي اختك ظرف لتصنع على ان المراد به وقت وقع فيه مشيها الى بيت فرعون وما ترتب
عليه من القول والرجوع الى امها وتربيتها له بالبر والحنو وهو المصداق لقوله تعالى ولتصنع على عيني اذ لا شفقة اعظم
من شفقة الام وصنعها على موجب مراعاته تعالى وقيل هو بدل من اوحينا على ان المراد به زمان متسع متباعد الاطراف
وهو الانسب بما سيأتي من قوله تعالى فنجيناك من الغم الى آخره فان جميع ذلك من المنن الالهية بلا تعلق كسبي
بل بالصنع الالهي المذكور واما كونه ظرفا لالقيت كما جوز فربما يوهم ان القاء المحبة لم يحصل قبل ذلك ولا ريب في
ان معظم آثار القائها ظهر عند فتح التابوت فتقول اي لفرعون وآسيه حين رأتهما يطلبان له عليه
السلام مرضعة يقبل ثديها وكان لا يقبل ثديا وصيغة المضارع في الفعلين لحكاية الحال الماضية هل ادلكم
على من يكفله اي يضمه الى نفسه ويربيه وذلك انما يكون بقبوله ثديها يروى انه فشا الخبر بمصر ان آل
فرعون اخذوا غلاما في النيل لا يرضع ثدي امرأة واضطروا الى تبليغ النساء فخرجت اخته مريم لتعرف خبره
فجاءتهم متنكرة فقالت ما قالت وقالوا ما قالوا فجاءت بامه فقبل والفاء في قوله تعالى فرجعناك الى امك فصيحة
معربة عن محذوف قبلها يعطف عليه ما بعدها اي فقالوا دلينا عليها فجاءت بامك فرجعناك اليها كي تقر
عينها بلقائك ولا تحزن اي يطرأ عليها الحزن لفراقك بعد ذلك والا فزوال الحزن مقدم على السرور
المعبر عنه بقرة العين فان التخلية مقدمة على التحلية وقيل ولا تحزن انت بفقد اشفاقها وقتلت نفسا
هي نفس القبطي الذي استغاثه الاسرائيلي عليه فنجيناك من الغم اي غم قتله خوفا من عقاب الله تعالى بالمغفرة
ومن اقتصاص فرعون بالانجاء عنه بالمهاجرة الى مدين وفتناك فتونا اي ابتليناك ابتلاء او فتونا من الابتلاء
على انه جمع فتنة او فتن على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز في حجزة وبدور في بدرة اي اعطيناك مرة بعد اخرى وهو اجمال
ما ناله في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الالاف والمشي راجلا وفقد الزاد وروي ان سعيد بن جبير
سال عنه ابن عباس رضي الله عنهما فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه
فتنة يا ابن جبير والقته امه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا واجر نفسه عشر سنين وضل الطريق
وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير ولكن الذي يقتضيه النظم
الكريم ان لا تعد اجارة نفسه وما بعدها بتلك الفتون ضرورة ان المراد بها ما وقع قبل وصوله عليه السلام
الى مدين فقصته آنفا في قوله تعالى فلبثت سنين في اهل مدين اذ لا ريب ان الاجارة المذكورة وما بعدها مما
وقع بعد الوصول اليهم وقد اشير بذكر لبثه عليه السلام فيهم دون وصوله اليهم الى جميع ما قاساه عليه السلام
في تضاعيف تلك السنين العشر من فنون الشدائد والمكاره التي كل واحد منها فتنة واي فتنة ومدين بلدة
شعيب عليه السلام على ثمان مراحل من مصر ثم جئت اي المكان الذي اونس فيه النار ووقع فيه النداء
والجوار وفي كلمة التراخي ايذان بان مجيئه كان بعد اللتيا والتي من ضلال الطريق وتفرق الغنم في الليلة المظلمة
الشاتية وغير ذلك على قدر اي تقدير قدرته لان اكلمك واستنبئك في وقت قد عينته لذلك فما جئت
الا على ذلك القدر غير متقدم ولا متأخر وقيل على مقدار من الزمان يوحى فيه الى الانبياء عليهم السلام وهو
رأس اربعين سنة وقوله تعالى يا موسى تشريف له عليه السلام وتنبيه على انتهاء الحكاية التي هي تفصيل
المرة الاخرى التي وقعت قبل المرة المحكية اولا وقوله تعالى واصطنعتك لنفسي تذكير لقوله تعالى وانا اخترتك

تمهيد

تمهيدا لارساله عليه السلام الى فرعون مؤيدا باخيه حسبما استدعاه بعد تذكير المنن السالفة السابقة تأكيدا
لوثوقه عليه السلام بحصول نظائرها اللاحقة وهذا تمثيل لما خوله عز وجل من الكرامات العظمى بتقريب الملك
بعض خواصه واصطناعه لنفسه وترشيحه لبعض امور الجليلة والعدول عن نون العظمة الواقعة في قوله
تعالى وفتناك ونظيريه السابقين تمهيدا لافراد لفظ النفس اللائق بالمقام فانه ادخل في تحقيق معنى الاصطفا
الى آخره اي اصطفيتك برسالاتي وبكلامي وهو قوله تعالى اذهب انت واخوك اي وليذهب اخوك حسبما استدعيت
استيناف مسوق لبيان ما هو المقصود بالاصطفا باياتي اي بمعجزاتي التي اريتكها من اليد والعصا فانهما وان كانتا
اثنين لكن في كل واحدة منهما آيات شتى كما في قوله تعالى فيه آيات بينات مقام ابرهيم فان انقلاب العصا
حيوانا آية وكونها ثعبانا عظيما لا يقادر قدره آية اخرى وسرعة حركته مع عظم جرمه آية اخرى وكونه مع ذلك
مسخرا له عليه السلام بحيث كان يدخل يده في فمه فلا يضره آية اخرى ثم انقلابها عصا آية اخرى وكذلك اليد فان
بياضها في نفسه آية اخرى وشعاعها آية ثم رجوعها الى حالتها الاولى آية اخرى والباء للمصاحبة لا للتعدية
اذ المراد ذهابهما الى فرعون ملتبسين بالآيات متمسكين بها في اجراء احكام الرسالة واكمال امر الدعوة
لا مجرد ادائها وايصالها اليه وقرئ لا تفترا ولا تقصرا ولا تنيا لا تنيا بكسر التاء للاتباع في ذكري اي
بما يليق بي من الصفات الجليلة والافعال الجميلة عند تبليغ رسالتي والدعاء الي وقيل المعنى لا تنيا في تبليغ رسالتي
فان الذكر يقع على جميع العبادات وهو اجلها واعظمها وقيل لا تنيا في حينما تقلبتما واستمدا به العون والتأييد
واعلما ان امرا من الامور لا يتأتى ولا يتسنى الا بذكري اذهبا الى فرعون جمعهما في صيغة امر الحاضر مع غيبة هرون
ادراك للتغليب وكذا الحال في صيغة انتهى وقرئ انه اوحي الى هرون بمصر ان يتلقى موسى عليهما السلام
وقيل سمع باقباله فتلقاه انه طغى تعليل لموجب الامر والفاء في قوله تعالى فقولا له قولا لينا لترتيب
ما بعدها على طغيانه فان تليين القول مما يكسر سورة عناد العتاة ويلين عريكة الطغاة قال ابن عباس
رضي الله عنهما لا تعنفا في قولكما وقيل القول اللين مثل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فانها دعوة
في صورة عرض ومشورة ويرده ما سيجيء من قوله تعالى فقولا انا رسولا ربك الآيتين وقيل كنياه وكان له
ثلاث كنى ابو العباس وابو الوليد وابو مرة وقيل عداه شبابا لا يهرم ويبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح
وملكا لا يزول الا بالموت وقرئ لينا لعله يتذكر بما بلغتماه من ذكري ويرغب فيما رغبتماه فيه او يخشى
عقابي ومحل الجملة النصب على الحال من ضمير التثنية اي فقولا له قولا لينا راجين ان يتذكر او يخشى وكلمة
ان لمنع الخلو اي باشراع الامر مباشرة من يرجو ويطمع ان يثمر عمله ولا يخيب وهو يجهد بطوقه ويحسد
باقصى وسعه وجدوى ارسالهما اليه مع العلم بحالة الزام الحجة وقطع المعذرة قالا ربنا اسند
القول اليهما مع ان القائل حقيقة هو موسى عليه السلام له في كل ما يأتي ويذر ويجوز ان يكون
هرون قد قال ذلك بعد تلاقيهما فحكي ذلك مع قول موسى عليه السلام عند نزول الآية كما في قوله
تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات فان هذا الخطاب قد حكي بصيغة الجمع مع ان كلا من المخاطبين لم يخاطب
الا بطريق الانفراد ضرورة استحالة اجتماعهم في الوجود فكيف باجتماعهم في الخطاب انا نخاف ان يفرط
علينا اي يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر لاتمام الدعوة واظهار المعجزة من فرط ما يقدم ما يقدم ومنه الفارط
وفرس فارط يسبق الخيل وقرئ يفرط من افراطه او احمله على العجلة اي نخاف ان يحمله حامل من الاستكبار
او الخوف على الملك وغيرهما على المعاجلة بالعقاب او ان يطغى اي يزداد طغيانا الى ان يقول في شانك
ما لا ينبغي لكمال جرأته وقساوته واطلاقه من حسن الادب واظهار كلمة ان مع سداد المعنى بدونها لاظهار
كمال الاعتناء بالامر والاشعار بتحقق الخوف من كل منهما قال استيناف مبني على السؤال الناشي من النظم
الكريم ولعل اسناد الفعل الى ضمير الغيبة للاشعار بانتقال الكلام الى مساق آخر فان ما قبله من الافعال

الواردة على صيغة التكلم حكاية لموسى عليه السلام بخلاف ما سيأتي من قوله تعالى قلنا لا تخف انك انت
الاعلى فان ما قبله ايضا وارد بطريق الحكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قيل فماذا قال لهما ربهما عند
تضرعهما اليه **قال لا تخافا** ما توهمتما من الامرين وقوله تعالى **انني معكما** تعليل لموجب النهي ومزيد تسلية
لهما والمراد بالمعية كمال الحفظ والنصرة كما ينبئ عنه قوله تعالى **اسمع وارى** الذي يجري بينكما وبينه من قول
وفعل فافعل في كل حال ما يليق بها من دفع ضر وشر وجلب نفع وضر ويجوز ان لا يقدر شيء على معنى انني حافظكما
سميعا بصيرا والحافظ الناصر اذا كان كذلك فقد تم وبلغت النصرة غايتها **فأتياه** امر باتيانه الذي هو عبارة
عن الوصول اليه بعد ما امر بالذهاب اليه فلا تكرار وهو عطف على لا تخافا باعتبار تعليله بما بعده **فقولا انا
رسولا ربك** امر بذلك تحقيقا للحق من اول الامر ليعرف الطاغية شأنهما ويبني جوابه عليه وكذا التعرض لربوبيته
تعالى والفاء في قوله تعالى **فارسل معنا بني اسرائيل** لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان كونهما رسولي ربه مما يوجب
ارسالهم معهما والمراد بالارسال اطلاقهم من الاسر والقسر واخراجهم من تحت يده العادية لا تكليفهم ان يذهبوا
معهما الى الشام كما ينبئ عنه قوله تعالى **ولا تعذبهم** اي بابقائهم على ما كانوا عليه من العذاب فانهم كانوا تحت
ملكة القبط يستخدمونهم في الاعمال الصعبة الفادحة من الحفر ونقل الاحجار وغيرها من الامور الشاقة
ويقتلون ذكور اولادهم عاما دون عام ويستخدمون نساءهم وتوسيط حكم الارسال بين بيان رسالتهما وبين
ذكر المجيء بآية دالة على صحتها لاظهار الاعتناء به مع ما فيه من تهوين الامر على فرعون فان ارسالهم معهما من غير تعرض
لنفسه وقومه بفنون التكاليف الشاقة كما هو حكم الرسالة عادة ليس مما يشق عليه كل المشقة ولان في بيان
مجيء الآية نوع طول كما ترى فتأخير ذلك عنه مخل بتجاذب اطراف النظم الكريم واما ما قيل من ان ذلك دليل على ان تخليص
المؤمنين من الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان فكلام **قد جئناك بآية من ربك** تقرير لما تضمنه الكلام السابق من
دعوى الرسالة وتعليل لوجوب الارسال فان مجيئهما بالآية من جهته مما يحقق رسالتهما ويقرر يوجب الامتثال
بامرهما واظهار اسم الرب في موضع الاضمار مع الاضافة الى ضمير المخاطب لتأكيد ما ذكرنا من التقرير والتعليل
وتوحيد الآية مع تعددها لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها لا بيان تعدد الحجة وكذا قوله تعالى قد جئتكم ببينة
وقوله تعالى اولو جئتك بشيء مبين واما قوله تعالى فأت بآية ان كنت من الصادقين فالظاهر ان المراد بها آية
من الآيات **والسلام** المستتبع لسلامة الدارين من الله تعالى والملائكة وغيرهم من المسلمين **على من اتبع الهدى**
بتصديق آيات الله تعالى الهادية الى الحق وفيه ترغيب على اتباعهما على الطف وجه مما لا يخفى **انا قد اوحي الينا**
من جهة ربنا **ان العذاب** الدنيوي والاخروي **على من كذب** بآياته تعالى **وتولى** اي اعرض عن قبولها وفيه من التلطف
في الوعيد حيث لم يصرح بحلول العذاب به ما لا مزيد عليه **قال** فرعون بعد ما اتياه وبلغاه ما امرا به وانما
طوي ذكر ذلك للايجاز والاشعار بانهما كما امرا بذلك سارعا الى الامتثال به من غير تلعثم ولان ذلك من الظهور
بحيث لا حاجة الى التصريح به **فمن ربكما يا موسى** لم يضف الرب الى نفسه ولو بطريق حكاية ما في قوله تعالى
انا رسولا ربك وقوله تعالى قد جئناك بآية من ربك لغاية عتوه ونهاية طغيانه بل اضافه اليهما لما ان المرسل
لابد ان يكون ربا للرسول او لانهما قد صرحا بربوبيته تعالى للكل بان قالا انا رسول رب العالمين كما وقع في سورة
الشعراء والاقتصار هاهنا على ذكر ربوبيته تعالى لفرعون وهو تنبيه فيما هو المقصود والفاء لترتيب السؤال
على ما سبق من كونهما رسولي ربهما اي اذا كنتما رسولي ربكما الذي ارسلكما وتخصيص النداء بموسى عليه السلام
مع توجيه الخطاب اليهما لانه الاصل في الرسالة وهرون وزيره واما ما قيل من ان ذلك لانه قد عرف ان له
عليه السلام رتة فاراد ان يفحمه فيرده ما شاهد منه عليه السلام من حسن البيان القاطع لذلك الطمع
الفارغ واما قوله تعالى ولا يكاد يبين فمن عتوه الخبيث والدعارة كما مر **قال** اي موسى عليه السلام مجيبا له
ربنا اما مبتدأ وقوله تعالى **الذي اعطى كل شيء خلقه** خبره او هو خبر لمبتدأ محذوف والموصول صفته واياما كان

فلم يريدا نصيحة المتكلم نفسه فقط حسبما اورد اللعين بل جميع المخلوقات تحقيقا للحق وردا عليه كما يفصح عنه
ما في حيز الصلة اي هو ربنا الذي اعطى كل شيء من الاشياء خلقه اي صورته وشكله اللائق بما نيط به من الخواص
والمنافع او اعطى مخلوقاته كل شيء تحتاج هي اليه وترتفق به وتقديم المفعول الثاني للاهتمام به او اعطى كل حيوان
نظيره في الخلق والصورة حيث زوج الحصان بالحجرة والبعير بالناقة والرجل بالمرأة ولم يزوج شيئا من ذلك
بخلاف جنسه وقرئ خلقه على صيغة الماضي على ان الجملة صفة للمضاف او المضاف اليه وحذف المفعول
الثاني اما للاقتصار على الاول اي كل شيء خلقه الله تعالى لم يحرمه من عطائه وانعامه او للاختصار من كونه منويا
مدلولا عليه بقرينة الحال اي اعطى كل شيء خلقه تعالى ما يحتاج اليه **ثم هدى** اي الى طريق الانتفاع والارتفاق
بما اعطاه وعرفه كيف يتوصل الى بقائه وكماله اما اختيارا كما في الحيوانات وطبعا كما في الجمادات والقوى الطبيعية
والنباتية والحيوانية ولما كان الخلق الذي هو عبارة عن تركيب الاجزاء وتسوية الاجسام متقدما على الهداية
التي هي عبارة عن ابداع القوى المحركة والمدركة في تلك الاجسام وسط بينهما كلمة التراخي ولقد ساق عليه السلام
جوابه على نمط رائق واسلوب لائق حيث بين انه تعالى عالم قادر بالذات خالق لجميع الاشياء منعم عليها
بجميع ما يليق بها بطريق التفضل وضمنه ان ارساله تعالى اياه الى الطاغية من جملة هداياته اياه بعد ان
هداه الى الحق بالهدايات التكوينية حيث ركب فيه العقل وسائر المشاعر والالات الظاهرة والباطنة
قال فما بال القرون الاولى لما شاهد اللعين ما نظمه عليه السلام في سلك الاستدلال من البرهان النير
على الطراز الرائع خاف ان يظهر للناس حقيقة مقالاته عليه السلام وبطلان خرافات نفسه ظهورا بينا
اراد ان يصرفه بجرمه عن سننه الى ما لا يعنيه من الامور التي لا تعلق لها بالرسالة من الحكايات ويشغله
عما هو بصدده عسى يظهر فيه نوع غفلة فيتسلق بذلك الى ان يدعي بين يدي قومه نوع معرفة فقال
ما حال القرون الماضية والامم الخالية وما ذا جرى عليهم من الحوادث المفصلة اجاب عليه السلام بان العلم
باحوالهم مفصلة مما لا ملابسة له بمنصب الرسالة وانما علمها عند الله تعالى واما ما قيل من انه سأل
عن حال من خلا من القرون وعن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد فاباه قوله تعالى **قال علمها عند ربي**
فان معناه انه من الغيوب التي لا يعلمها الا الله تعالى وانما انا عبد لا اعلم منها من الامور المتعلقة بما ارسلت
به ولو كان المسئول عنه ما ذكر من الشقاوة لاجيب ببيان ان من اتبع الهدى منهم فقد سلم ومن تولى فقد
عذب حسبما نطق به قوله تعالى والسلام الآيتين **في كتاب** اي مثبت في اللوح المحفوظ بتفاصيلها ويجوز
ان يكون ذلك تمثيلا لتمكنه وتقرره في علم الله تعالى عز وجل بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة كما يلوح به
قوله تعالى **لا يضل ربي ولا ينسى** اي لا يخطئ ابتداء ولا يذهب عليه بقاء بل هو ثابت ابدا فانهما محالان عليه سبحانه
وهو على الاول لبيان ان اثباته في اللوح لا لحاجته تعالى اليه في العلم به ابتداء واظهار ربي في موضع الاضمار للتلذذ
بذكره ولزيادة التقرير والاشعار بعلية الحكم فان الربوبية مما يقتضي عدم الضلال والنسيان حتما ولقد اجاب
عليه السلام عن السؤال بجواب عبقري بديع حيث كشف عن حقيقة الحق حجابها مع انه لم يخرج عما كان بصدده
من بيان شؤونه تعالى ثم تخلص اليه حيث قال بطريق الحكاية عن الله عز وجل لما سيأتي من الالتفات **الذي جعل
لكم الارض مهدا** على ان الموصول اما مرفوع على المدح او منصوب عليه او خبر مبتدأ محذوف اي جعلها
لكم كالمهد تتمهدونها او ان تمهد وهو مصدر سمي به المفعول وقرئ مهادا وهو اسم لما يمهد كالفراش او
جمع مهد اي جعل كل موضع منها مهدا لكل واحد منكم **وسلك لكم فيها سبلا** اي جعل لكم طرقا ووسطها بين الجبال
والاودية والبراري تسلكونها من قطر الى قطر لتقضوا منها مآربكم وتنتفعوا بمنافعها ومرافقها **وانزل من
السماء ماء** هو المطر **فاخرجنا به** اي بذلك الماء وهو عطف على انزل داخل تحت الحكاية وانما التفت الى التكلم
للتنبيه على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة والايذان بانه لا يتأتى الا من قادر مطاع عظيم

الشان ينقاد لامره ويذعن لخشيته الاشياء المختلفة كما في قوله تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء
فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها وقوله تعالى ام من خلق السموات والارض وانزلنا من السماء ماء فانبتنا به حدائق
ذات بهجة خلا ان ما قيل هناك صريح كلامه تعالى واما ههنا فحكايته عنه تعالى وجعل قوله تعالى فاخرجنا
به هو المحكي مع كون ما قبله كلام موسى عليه السلام خلاف الظاهر اي في الايتين نعوت جيد الالتفات لعدم
اتحاد المتكلم **ازواجا** اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها البعض **من نبات** بيان او صفة
لازواجا اي كائنة من نبات وكذا قوله تعالى **شتى** اي متفرقة جمع شتيت ويجوز ان يكون صفة لساق
لما انه مصدر يستوي فيه الواحد والجمع بمعنى انها شتى مختلفة في الطعم والرائحة والشكل والنفع بعضها
صالح للناس على اختلاف وجوه الصلاح وبعضها للبهائم فان من تمام نعمته تعالى ان ارزاق عباده لما كان تحصلها
ما يعمل الانعام جعل علفها مما يفضل عن حاجاتهم ولا يليق بكونه طعاما لهم وقوله تعالى **كلوا وارعوا انعامكم** حال من
ضمير فاخرجنا على ارادة القول اي اخرجنا منها اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا انعامكم اي معديها لانتفاعكم
بالذات وبالواسطة اي تبين في ذلك **ان في ذلك** اشارة الى ما ذكر من شؤونه تعالى وافعاله وما فيه من معنى
البعد للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته في الكمال والتنكير في قوله تعالى **لايات** للتفخيم كما وكيفا اي لايات
كثيرة جليلة واضحة الدلالة على شؤون الله تعالى في ذاته وافعاله وصفاته وعلى صحة نبوة موسى وهرون
عليهما السلام **لاولي النهى** جمع نهية سمي به العقل لنهيه عن اتباع الباطل وارتكاب القبيح كما سمي بالعقل والحجر
لعقله وحجره عن ذلك اولذوي العقول الناهية عن الاباطيل التي من جملتها ما تدعيه الطاغية وتقبله قسمه الينا
وتخصيص كونها ايات لهم مع انها ايات للعالمين باعتبار انهم المنتفعون بها **منها خلقناكم** اي في ضمن خلق ابيكم
آدم عليه السلام منها فان كل فرد من افراد البشر له حظ من خلقه عليه السلام اذ لم تكن فطرته البديعة عليه
السلام مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا
لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام منها خلقا للكل منها وقيل المعنى خلقنا ابدانكم من نطفة
المسوق من الاغذية المسوقة من الارض بوسائط وقيل ان الملك الموكل بالرحم ليأخذ من تربة المكان الذي يدفن
فيه المولود فيبددها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة **وفيها نعيدكم** بالاماتة وتفريق الاجزاء وايثار
كلمة في على كلمة الى للدلالة على الاستقرار والمديد فيها **ومنها نخرجكم تارة اخرى** بتاليف اجزائكم المتفتتة المختلطة
بالتراب على الهيئة السابقة ورد الارواح اليها وكون هذا الاخراج تارة اخرى باعتبار ان خلقهم من الارض اخراج
لهم منها وان لم يكن على نهج التارة الثانية والتارة في الاصل اسم للتور الواحد وهو الجريان ثم اطلق على كل فعلة
واحدة من الفعلات المتجددة كما مر في المرة **ولقد اريناه** حكاية اجمالية لما جرى بين موسى عليه السلام و
بين فرعون اثر حكاية ما ذكره عليه السلام بجلائل النعم الداعية الى قبول الحق والانقياد له وتصديرها
بالقسم لابراز كمال العناية بمضمونها واسناد الاراءة الى نون العظمة نظرا الى الحقيقة لا الى موسى نظرا الى
الظاهر لتهويل امر الايات وتفخيم شانها واظهار كمال شناعة اللعين وتماديه في المكابرة والعناد اي وبالله
لقد بصرنا فرعون وعرفناه **اياتنا** حين قال لموسى عليه السلام ان كنت جئت باية فأت بها ان كنت من الصادقين
فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين وصيغة الجمع مع كونهما اثنين باعتبار
ما في تضاعيفهما من بدائع الامور التي كل منها اية بينة لقوم يعقلون حسبما بين في تفسير قوله تعالى اذهب
انت واخوك باياتي وقد ظهر عند فرعون امور اخر كل واحد منها داهية دهياء فانه روى انه عليه السلام لما القاها
انقلبت ثعبانا اشقر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر
فتوجه نحو فرعون فهرب واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا من قومه فصاح
فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك الا اخذته فاخذه فعاد عصا وروى انها انقلبت حية ارتفعت في

السماء

السماء قدر ميل ثم انحطت مستقبلة نحو فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون انشدك
بالله الذي ارسلك الى آخره ونزع يده من جيبه فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا خارجا عن حدود العادات قد غلب
شعاعه شعاع الشمس يجتمع عليه النظارة فيتعجب من امره ففي تضاعيف كل من الايتين ايات جمة لكنها لما كانت
غير مذكورة صراحة اكدت بقوله تعالى **كلها** كانه قيل اريناه اياتنا بجميع مستتبعاتها وتفاصيلها قصدا
الى بيان انه لم يبق له في ذلك عذر ما ولا مساغ لعد بقية الايات التسع منها لما انها انما ظهرت على يده
عليه السلام بعد ما غلب السحرة على مهل في نحو من عشرين سنة كما مر في سورة الاعراف ولا ريب في ان امر
السحرة مترقب بعد وابعد من ذلك البعد منها ما جعل لاهلاكهم لا لارشادهم الى الايمان من فلق البحر
وما ظهر من مهلكه من الايات الظاهرة لبني اسرائيل من نتق الجبل والحجر الذي قرئ شوبه او الذي انفجرت منه
العيون وكذا ان يعد منها الايات الظاهرة على الانبياء عليهم السلام بناء على ان حكايته عليه السلام اياتها
لفرعون في حكم اظهارها بين يديه واراءته اياها لاستحالة الكذب عليه عليه السلام فان حكايته اياها
لفرعون مما لم يجر ذكره ههنا على ان ما سيأتي من جملتها اظهر على السحرة والتصدي للمعارضة بالمثل يأباه
اباء بينا وينطق بان المراد بها ما ذكرناه قطعا ولولا ذلك لكان جعل ما فصله عليه السلام من افعاله
تعالى للدلالة على اختصاصه بالربوبية واحكامها من جملة **فكذب** موسى عليه السلام من غير تردد و
تاخير مع ما شاهد في يده من الشواهد الناطقة بصدقه جحودا وعنادا **وابى** الايمان والطاعة لعتو
واستكبار وقيل كذب بالايات جميعا وابى ان يقبل شيئا منها اوابى قول الحق وقوله تعالى **قال اجئتنا
لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى** استئناف مبين لكيفية تكذيبه وابائه والهمزة لانكار الواقع واستقباحه
وادعاء انه امر محال والمجيء اما على حقيقته او بمعنى الاقبال على الامر والتصدي له اي اجئتنا من مكانك
الذي كنت فيه بعد ما غبت عنا اذ اقبلت علينا لتخرجنا من مصر بما اظهرته من السحر فان ذلك مما لا يصدر
عن العاقل لكونه من باب تجاد له المحال وانما قاله لحمل قومه على غاية المقت لموسى عليه السلام بابراز ان
مراده عليه السلام مجرد انجاء بني اسرائيل من ايديهم بل اخراج القبط من وطنهم وحيازة اموالهم واملاكهم بالكلية
حتى لا يتوجه الى اتباعه احد ويبالغوا في المواقفة والمخاصمة وسمي ما اظهره عليه السلام من المعجزة الباهرة
سحرا لتجسيرهم على المقابلة ثم ادعى انه يعارضه بمثل ما اوتي به عليه السلام فقال **فلناتينك بسحر مثله**
الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها واللام جواب قسم محذوف كانه قيل اذا كان كذلك فوالله لناتينك بسحر
مثل سحرك **فاجعل بيننا وبينك موعدا** اي وعدا كما ينبئ عنه وصفه بقوله تعالى **لا نخلفه** فانه المناسب
لا المكان والزمان اي لا نخلف ذلك الوعد **نحن ولا انت** انما فوض اللعين امر الوعد الى موسى عليه السلام
للاحتراز عن نسبته الى ضعف القلب وضيق المجال واظهار الجلادة واراءة انه متمكن من تهيئة اسباب المعارضة
وترتيب آلات المغالبة طال الامد ام قصر كما ان تقديم ضميره على ضمير موسى عليه السلام وتوسيط كلمة النفي
بينهما للايذان بمسارعته الى عدم الاخلاف وان عدم اخلافه عليه السلام ولذلك اكتفى بتكرير حرف النفي
مكانا سوى بفعل يدل عليه المصدر لا به فانه موصوف او بانه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف
اليه فحينئذ يكون مطابقة الجواب في قوله تعالى **قال موعدكم يوم الزينة** من حيث المعنى فان يوم الزينة
يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه يومئذ او باضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على
الاول او وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر في ان المراد به المصدر ومعنى سوى
منصفا يستوي مسافته الينا واليك وهو في النعت كقولهم قوم عدى في السدود وقرئ بكسر
السين قيل يوم الزينة يوم عاشورا او يوم النيروز او يوم عيد كان لهم في كل عام وانما خصه عليه السلام
بالتعيين لاظهار كمال قوته وكونه على ثقة من امره وعدم مبالاته بهم لما ان ذلك اليوم وقت ظهور غاية

شوكتهم وليكون ظهور الحق وزهوق الباطل في يوم مشهود على رؤس الاشهاد ويشيع ذلك فيما بين كل
حاضر وباد **وان يحشر الناس ضحى** عطف على يوم او الزينة وقرى على البناء للفاعل بالتاء على خطاب فرعون
وبالياء على ان الضمير له على سنن الملوك او لليوم **فتولى فرعون** اي انصرف عن المحل **فجمع كيده** اي ما يكاد به من
السحرة وادواتهم **ثم اتى** اي الى الموعد ومعه ما جمعه من كيده وفي كلمة التراخي ايماء الى انه لم يسارع اليه بل اتاه بعد
لأي وتلعثم وقوله تعالى قال لهم موسى الى آخره بطريق الاستئناف المبني على السؤال يقتضي بان المترقب من احواله
عليه السلام حينئذ والمحتاج الى السؤال والبيان ليس الا ما صدر عنه عليه السلام من الكلام واما اتيانه اولا فامر
محقق غني عن التصريح به كانه قيل فماذا صنع موسى عليه السلام عند اتيان فرعون عن جمعه من السحرة فقيل **قال لهم موسى**
بطريق النصيحة **ويلكم لا تفتروا على الله كذبا** بان تدعوا اياته التي ستظهر على يدي سحرا كما فعل فرعون **فيسحتكم** اي
يستاصلكم **بعذاب** هائل لا يقادر قدره وقرى يسحتكم من الثلاثي على لغة اهل الحجاز والاسحات لغة بني
تميم ونجد **وقد خاب من افترى** اي على الله كائنا من كان باي وجه كان فيدخل فيه الافتراء المنهي عنه دخولا اوليا
او قد خاب فرعون المفتري فلا تكونوا امثاله في الخيبة والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها **فتنازعوا** اي السحرة
حين سمعوا كلامه عليه السلام كان ذلك غاظهم فتنازعوا **امرهم** الذي اريد منهم من مغالبته عليه السلام
وتشاوروا وتناظروا **بينهم** في كيفية المعارضة وتجاذبوا اهداب القول في ذلك **واسروا النجوى** اي من
موسى عليه السلام لئلا يقف عليه فيدافعه وكان نجواهم ما نطق به قوله تعالى **قالوا** اي بطريق التناجي
والاسرار **ان هذان لساحران الى آخره** فانه تفسير له ونتيجة له في مساعيهم وخلاصة لما استقرت عليه اراؤهم
بعد التناظر والتشاور وان مخففة من ان قد اهملت عن العمل واللام فارقة وقرى بتشديد نون هذان
وقيل هي نافية واللام بمعنى الا اي ما هذان الا ساحران وقرى ان بالتشديد وهذان اسمها على لغة الحارث
ابن كعب فانهم يعربون التثنية تقديرا وقيل اسمها ضمير الشان المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل
ان بمعنى نعم وما بعدها جملة من مبتدا وخبر وفيهما ان اللام لا تدخل خبر المبتدا وقيل اصله انه هذان لهما ساحران
فحذف الضمير وفيه ان المؤكد باللام لا يليق به الحذف وقرى ان هذين لساحران وهي قراءة واضحة **يريدان ان
يخرجاكم من ارضكم** اي ارض مصر بالاستيلاء عليها **بسحرهما** الذي اظهراه من قبل **ويذهبا بطريقتكم المثلى** اي بمذهبكم
الذي هو افضل المذاهب وامثلها باظهار مذهبهما واعلاء دينهما يريدون ما كان عليه قوم فرعون لا طريقة السحر
فانهم ما كانوا يعتقدونه دينا وقيل ارادوا اهل طريقتكم وهم بنوا اسرائيل لقول موسى عليه السلام ارسل معنا بني
اسرائيل وكانوا ارباب علم فيما بينهم ويأباه ان اخراجهم من ارضهم انما يكون بالاستيلاء عليها تمكنا وتصرفا فكيف
يتصور حينئذ نقل بني اسرائيل الى الشام وحمل الاخراج على اخراج بني اسرائيل منها مع بقاء قوم فرعون على حالهم
مما يجب تنزيه التنزيل عن امثاله على ان هذه المقالة منهم للاغراء بالمبالغة في المغالبة والاهتمام بالمناصبة
فلا بد ان يكون الانذار والتحذير باشد المكاره واشقها عليهم ولا ريب في ان اخراج بني اسرائيل من بينهم والذهاب
بهم الى الشام وهم آمنون في ديارهم ليس فيه كثير محذور وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم واشرافهم لما انهم
قدوة لغيرهم ولا يخفى ان تخصيص الاذهاب بهم مما لا مزية فيه وقوله تعالى **فاجمعوا كيدكم** تصريح بالمطلوب اثر
تمهيد المقدمات والفاء فصيحة اي اذا كان ما ذكر من كونهما ساحرين يريدان بكم ما ذكر من الاخراج والاذهاب
فاجمعوا كيدكم واجعلوه مجمعا عليه بحيث لا يتخلف عنه واحد وارموا عن قوس واحدة وقرى فاجمعوا من الجمع
ويعضده قوله تعالى فجمع كيده اي فاجمعوا ادوات سحركم ورتبوها كما ينبغي **ثم ائتوا صفا** اي مصطفين امروا
بذلك لانه اهيب في صدور الرائين وادخل في استجلاب الرهبة من المشاهدين قيل كانوا سبعين الفا
مع كل منهم حبل وعصا واقبلوا عليه اقبالة واحدة وقيل كانوا اثنين وسبعين ساحرا اثنان من القبط
والباقي من بني اسرائيل وقيل تسعمائة ثلثمائة من الفرس وثلثمائة من الروم وثلثمائة من الاسكندرية

وقيل

وقيل خمسة عشر الفا وقيل بضعة وثلاثين الفا والله اعلم ولعل الموعد كان متسعا خاطبهم موسى عليه السلام
بما ذكر في قطر من اقطاره وتنازعوا امرهم في قطر آخر فيهم ثم امروا بان ياتوا وسطه على الوجه المذكور وقد فسر الصف
مكان المصلى لاجتماع الناس في الاعياد والصلوات فيه ووجه صحته ان يكون علما لموضع معين من المكان الموعود
واما ارادة مصلى من المصليات بعد تعيين المكان الموعود فلا مساغ لها قطعا وقوله تعالى **وقد افلح اليوم من استعلى**
اعتراض تذييلي من قبلهم مؤكد لما قبله من الامرين اي فاز بالمطلوب من غلب يريدون بالمطلوب ما وعدهم
من الاجر والتقريب حسبما نطق قوله تعالى نعم وانكم لمن المقربين وعزعلت انفسهم جميعا على طريقة قولهم بعزة
فرعون انا لنحن الغالبون او من غلب منهم حثا لهم على بذل المجهود في المغالبة هذا هو الاوفق والاليق بتجاذب
اطراف النظم الكريم وقد قيل كان نجواهم ان قالوا حين سمعوا مقالة موسى عليه السلام ما هذا بقول ساحر وقيل
كان ذلك ان قالوا ان غلبنا موسى اتبعناه وقيل كان ذلك قولهم ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء
فله امر فيكون حذرا من فرعون وملائه ويحمل قولهم ان هذان لساحران الى آخره على انهم اختلفوا فيما بينهم على الاقاويل
المذكورة ثم رجعوا عن ذلك بعد التنازع والتناظر واستقرت اراؤهم على ذلك وابوا المناصبة للمعارضة ولما
جعل ضمير قالوا لفرعون وملائه على انهم قالوا ذلك للسحرة ردا لهم عن الاختلاف وامروهم بالاجماع والازماع
واظهار الجلادة بالاتيان على وجه الاصطفاف فمخل بجزالة النظم الكريم كما يشهد به الذوق السليم **قالوا**
استئناف على سؤال ناش من حكاية ما جرى بين السحرة من المقاولة كانه قيل فماذا فعلوا بعد ما قالوا فقيل
قالوا **يا موسى** وانما لم يتعرض لاجماعهم بطريق الاصطفاف اشعارا بظهور امرهما وغناهما عن البيان
اما ان تلقي اي ما تلقيه اولا على ان المفعول محذوف لظهوره او تفعل الالقاء اولا على ان الفعل منزل منزلة
اللازم **واما ان نكون اول من القى** ما يلقيه او اول من يفعل الالقاء خيروه عليه السلام بما ذكر مراعاة للادب
لما راوا منه عليه السلام ما راوا من مخايل الخير ورزانة الراي واظهار الجلادة بارادة انه لا يختلف حالهم
بالتقديم والتاخير وان مع ما في حيزها منصوب بفعل مضمر او مرفوع بخبرية مبتدا محذوف اي اختر
القاءك اولا او القاءنا اولا او الامر اما القاءك او القاؤنا **قال** استئناف كما سلف ناش من حكاية تخيير
السحرة اياه عليه السلام كانه قيل فماذا قال عليه السلام فقيل قال **بل القوا** انتم اولا مقابلة للادب
احسن من ادبهم حيث بت القول بالقائهم اولا واظهارا لعدم المبالاة بسحرهم ومساعدة لما اوهموا من
الميل الى البدء وليبرزوا ما معهم وليستفرغوا اقصى جهدهم ويستنفدوا اقصى وسعهم ثم يظهر الله
عز وجل سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه لما علم ان ما سيظهر بيده سيلقف ما يصنعون
من مكايد السحر **فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى** الفاء فصيحة معربة عن مسارعتهم
الى الالقاء كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فالقوا فاذا حبالهم وهي للمفاجاة و
التحقيق انها ايضا للظرفية تستدعي متعلقا ينصبها وجملة تضاف اليها لكنها تستدعي خصت بكون متعلقها
فعل المفاجاة والجملة ابتدائية والمعنى فالقوا ففاجا موسى عليه السلام وقت ان تخيل اليه سعي حبالهم
وعصيهم من سحرهم وذلك انهم كانوا لطخوها بالزيبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيل اليه
انها تتحرك وقرى تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال انها تسعى منه بدل اشتمال وقرى
تخيل بحذف احدى التائين من تتخيل **فاوجس في نفسه خيفة موسى** اي اضمر فيها بعض خوف من مفاجاته
بمقتضى البشرية المجبولة على النفرة من الحيات والاحتراز من ضررها المعتاد من اللسع ونحوه وقيل
من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه وليس بذلك كما ستعرفه وتاخير الفاعل لمراعاة الفواصل **قلنا
لا تخف** اي ما توهمت **انك انت الاعلى** تعليل لموجب النهي من الانتهاء عن الخوف وتقرير لغلبته على ابلغ وجه
واكده كما يعرب عنه الاستئناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو المنبئ عن

الغلبة الظاهرة وصيغة التفصيل **والق ما في يمينك** اي عصاك كما وقع في سورة الاعراف وانما اوثر الابهام تهويلا
لامرها وتفخيما لشانها وايذانا بانها ليست من جنس العصي المعهودة المستتبعة للاثار المعهودة بل خارجة عن حدود
ساير افراد الجنس مبهمة لكنه مستتبعة لاثار غريبة وعدم مراعاة هذه النكتة عند حكاية الامر في موضع آخر
لا يستدعي عدم مراعاتها عند وقوع المحكي هذا وحمل الابهام على التحقير بان مرادهم لا ينال بكثرة حبالهم وعصيهم فالق
العويد الذي في يدك فانه بقدرة الله تعالى تلقفها مع وحدته وكثرتها وصغره وعظمها يا باه ظهور حالها فيما مرّ
مرتين على ان ذلك المعنى انما يليق بما لو فعلت العصا ما فعلت وهي على هيئتها الاصلية وقد كان منها ما كان وقوله تعالى
تلقف ما صنعوا بالجزم جوابا للامر من لقفه اذا ابتلعه والتقفه بسرعة والتانيث بكون ما عبارة عن العصا اي
تبتلع ما صنعوه من الحبات والعصي التي خيل اليك سعيها وخفتها والتعبير عنها بما صنعوا للتحقير والايذان بالتمويه
والتزوير وقرى تلقّف بتشديد القاف واسقاط احد التائين من تتلقف وقرى بالرفع على الحال او الاستيناف
والجملة الامرية معطوفة على النهي تتممة بما خيرها لتعليل موجب بيان كيفية غلبة عليه السلام لم يكن مما ذكر من
مخالج الشك للناس وعدم اتباعهم له عليه السلام وقوله تعالى **ان ما صنعوا** الى آخره تعليل لقوله تعالى تلقف ما صنعوا
وما اما موصولة او موصوفة اي ان الذي صنعوه او ان شيئا صنعوه **كيد ساحر** بالرفع على انه خبر لان اي كيد جنس
الساحر وتنكيره للتوصل به الى تنكير ما اضيفت اليه للتحقير وقرئ بالنصب على انه مفعول صنعوا وما كافة وقرئ
كيد سحر على ان الاضافة للبيان كما في ذي فقه او على معنى ذي سحر اي على تسمية الساحر سحرا مبالغة وقوله تعالى **ولا يفلح
الساحر** اي هذا الجنس **حيث اتى** اي حيث كان واين اقبل من تمام التعليل وعدم التعرض لشان العصا وكونها معجزة
الهية مع ما في ذلك من معونة التعليل للايذان بظهور امرها والفاء في قوله تعالى **فالقي السحرة سجدا** فصيحة كما سلف
معربة عن محذوف ينساق اليهما النظم الكريم غنيين عن التصريح بهما لعدم احتمال تردد موسى عليه السلام في الامتثال
بالامر واستحالة عدم وقوع اللقف الموعود اي فالقاه عليه السلام فوقع ما وقع من اللقف فالقي السحرة سجدا لما
تيقنوا ان ذلك ليس من باب السحر وانما هي اية من ايات الله تعالى روى ان رئيسهم قال كنا نغلب الناس وكانت
الالات تبقى علينا فلو كان هذا سحرا فاين ما القينا من الالات فاستدل بتغيب حال الاجسام على الصانع القادر العالم
وبظهور ذلك على يد موسى عليه السلام على صحة رسالته لا جرم القاهم ما شاهدوه على وجوههم وتابوا وامنوا واتوا
بما هو غاية الخضوع قيل لم يرفعوا رؤسهم حتى راوا الجنة والنار والثواب والعقاب وعن عكرمة لما خروا
سجدا اراهم الله تعالى في سجودهم منازلهم في الجنة ولا ينافيه قولهم انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا الى آخره
لان كون تلك المنازل منازلهم باعتبار صدور هذا القول عنهم **قالوا** استيناف كما مر غير مرة **آمنا برب هرون وموسى**
تاخير موسى عند حكاية كلامهم لرعاية الفواصل وقد جوز ان يكون ترتيب كلامهم ايضا هكذا اما لكبر هرون عليه
السلام واما للمبالغة في الاحتراز عن التوهم الباطل من جهة فرعون وقومه من اول الامر ان مرادهم فرعون **قال**
اي فرعون للسحرة **آمنتم له** اي لموسى عليه السلام واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع وقرى على الاستفهام
التوبيخي **قبل ان آذن لكم** اي من غير اذن لكم في الايمان له كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي لا ان
اذنه لهم في ذلك واقع بعد او متوقع **انه** يعني موسى عليه السلام **لكبيركم** اي في فنكم واعلمكم به واستاذكم **الذي
علمكم السحر** فتواطاتم على ما فعلتم او فعكم بيا دون شئ فلذلك غلبكم وهذه شبهة زورها اللعين والقاها على قومه
واراهم ان امر الايمان منوط باذنه فلما كان ايمانهم بغير اذنه لم يكن معتدا به وانهم من تلامذته عليه السلام فلا
عبرة بما اظهروه وذلك لما اعتراه من الخوف من اقتداء الناس بالسحرة في الايمان بالله تعالى ثم اقبل عليهم بالوعيد
المؤكد حيث قال **فلاقطعن** اي فوالله لاقطعن **ايديكم وارجلكم من خلاف** اي اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية
كان القطع ابتداء من مخالفة العضو العضو فان المبتدى من المعروض مبتدى من العارض ايضا وهي مع مجرورها في
حيز النصب على الحالية اي لاقطعنها مخالفات وتعيين ذلك الحال للايذان بتحقيق الامر وايقاعه لا محالة

بتعيين

بتعيين كيفيته المعهودة في باب السياسة لا لانه لا اقطع من غيرها **ولاصلبنكم في جذوع النخل** اي عليها وايثار
كلمة في للدلالة على بقائهم عليها زمانا طويلا مديدا بسببها الاستمرارهم باستقرار المعطوف في الظرف المشتمل
عليه فالوا هو اول من صلب وصيغة التفصيل في الفعلين للتكثير وقد قرانا بالتخفيف **ولتعلمن اينا** يريد به
نفسه وموسى عليه السلام لقوله تعالى امنتم له قبل ان اذن لكم واللام مع الايمان في كتاب الله تعالى لغير الله تعالى
وهذا انما القصد توضيع موسى عليه السلام والهزء به لانه لم يكن من التعذيب في شئ وانما لاراءة ان ايمانهم لم يكن
عن مشاهدة المعجزة ومعاينة البرهان بل كان عن خوف من قبيل موسى عليه السلام حيث راوا ابتلاع عصاه لحبالهم
وعصيهم فخافوا على انفسهم ايضا وقيل يريد به رب موسى الذي امنوا به بقولهم آمنا برب هرون وموسى
اشد عذابا وابقى اي ادوم **قالوا** غير مكترثين بوعيده **لن نؤثرك** بالايمان والاتباع **على ما جاءنا** من الله تعالى
على يد موسى عليه السلام **من البينات** من المعجزات الظاهرة فان ما ظهر بيده عليه السلام من العصا كان
مشتملا على معجزات جمة كما مر تحقيقه فيما سلف فانهم كانوا عارفين بجلائلها ودقائقها **والذي فطرنا** اي خلقنا
وسائر المخلوقات وهو عطف على ما جاءنا وتاخيره لان ما في ضمنه اية عقلية نظرية وما شاهدوه اية ظاهرة
وايراده تعالى بعنوان فاطريته تعالى لهم للاشعار بعلة الحكم فان خالقيته تعالى لهم وكون فرعون من جملة مخلوقاته
مما يوجب عدم ايثارهم له سبحانه وتعالى وهذا جواب منهم لتوبيخ فرعون بقوله امنتم له قبل ان اذن لكم وقيل
هو قسم محذوف الجواب للدلالة المذكورة عليه اي وحق الذي فطرنا لا نؤثرك ولا مساغ لكون المذكور جوابا له عند
من يجوز تقديم الجواب ايضا لما ان القسم لا يجاب بلن الا على شذوذ وقوله تعالى **فاقض ما انت قاض** جواب عن
تهديده وقوله لاقطعن الى اخره اي فاصنع ما انت صانعه او فاحكم ما انت حاكمه وقوله تعالى **انما تقضي هذه
الحيوة الدنيا** مع ما بعده تعليل لعدم المبالات المستفاد مما سبق من الامر بالقضاء اي انما تصنع ما تهواه او تحكم
بما تراه في هذه الحيوة الدنيا فحسب وما لنا من رغبة في عذبها فلا رهبة من عذابها **انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا**
التي اقترفناها فيها من الكفر والمعاصي ولا يؤاخذنا بها في الدار الاخرة لا لتمتعنا بتلك الحيوة الفانية حتى نتاثر بما
اوعدتنا به من القطع والصلب وقوله تعالى **وما اكرهتنا عليه من السحر** عطف على خطايانا اي ويغفر لنا السحر
الذي عملناه في معارضة موسى عليه السلام باكراهك وحشرك ايانا من المداين القاصية خصوه بالذكر مع
مع اندراجه في خطاياهم اظهار الغاية نفرتهم عنه ورغبتهم في مغفرته وذكر الاكراه للايذان بانه مما يجب ان
يفرد بالاستغفار منه مع صدوره عنهم بالاكراه وفيه توبيخ اعتداد لاستجلاب المغفرة وقيل ارادوا الاكراه
على تعلم السحر حيث روي ان رؤساءهم كانوا اثنين وسبعين اثنان منهم من القبط والباقي من بني اسرائيل وكان
فرعون اكرههم على تعلم السحر وقيل اكرههم على المعارضة حيث روي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما ففعل فوجدوه
تحرسه عصاه فقالوا ما هذا سحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه ويأباه تصديهم للمعارضة
على الرغبة والنشاط كما يعرب عنه قولهم ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين وقولهم بعزة فرعون انا لنحن الغالبون **والله
خير** اي في ذاته وهو ناظر الى قولهم والذي فطرنا **وابقى** اي خير ثوابا ان كان او عذابا او خير ثوابا وابقى عذابا وقوله تعالى
انه اي جزاء الشرطيتين تعليل من جهتهم لكونه تعالى خيرا وابقى جزاء وتحقيق له وابطال لما ادعاه فرعون وتصديرهما
بضمير الشان للتنبيه على فخامة مضمونها لان مناط وضع الضمير موضعه ادعاء وشهرته المغنية عن ذكره مع ما فيه
من زيادة التقرير فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن
عند وروده له فضل تمكن كانه قيل ان الشان الخطير هذا اي قوله تعالى **من يات ربه مجرما** اي مات على الكفر
والمعاصي **فان له جهنم لا يموت فيها** فينتهي عذابه وهذا تحقيق لكون عذابه ابقى **ولا يحيى** حيوة ينتفع بها
ومن ياته مؤمنا به تعالى وبما جاء من عنده من المعجزات التي من جملتها ما شاهدناه **قد عمل الصالحات** الصالحة
كالحسنة جارية مجرى الاسم ولذلك لا يذكر غالبا مع الموصوف وهي كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والنقل

فاولئك اشارة الي من والجمع باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم اي فاولئك
المؤمنون العاملون للصالحات لهم بسبب ايمانهم واعمالهم الصالحة الدرجات العلى اي المنازل الرفيعة ولا دلالة
فيه ما يدل على عدم اعتبار الايمان المجرد عن العمل الصالح في استتباع الثواب لان حائط بالايمان المقرون بالعمل
الصالح هو الفوز بالدرجات العلى لا بالثواب مطلقا وهل التشاجر الا فيه جنات عدن بدل من الدرجات العلى
او بيان وقد مر ان عدنا علم لمعنى الاقامة اولارض الجنة وقوله تعالى تجري من تحتها الانهار بدل من الجنات وقوله تعالى
خالدين فيها حال من الضمير في لهم والعامل معنى الاستقرار والاشارة وذلك اشارة الى ما اتيح لهم من الفوز
بما ذكر من الدرجات العلى ومعنى البعد لما مر من التفخيم جزاء من تزكى اي تطهر من دنس الكفر والمعاصي بما ذكر
من الايمان والاعمال الصالحة وهذا تحقيق لكون ثوابه تعالى ابقى وتقديم ذكر حال المجد للمسارعة الى بيان مدى
عذابه ودوامه ردا على ما ادعاه فرعون بقوله اينا اشد عذابا وابقى هذا وقد قيل هذه الايات الثلث ابتداء كلام
منه عز وجل قالوا بين في القرآن ان فرعون فعل باولئك المؤمنين ما اوعدهم به ولم يثبت في الاخبار ولقد
اوحينا الى موسى حكاية اجمالية لما انتهى اليه امر فرعون وقومه وقد طوي في البين ذكر ما جرى عليهم من الايات
المفصلات الظاهرة على يد موسى عليه السلام بعد ما غلب السحرة في نحو من عشرين سنة حسب ما فصل في سورة
الاعراف وتصديرها بالقسم لابراز كمال العناية بمضمونها وان في قوله تعالى ان اسر بعبادي اما مفسرة لان
الوحي فيه معنى القول او مصدرية حذف عنها الجار والتعبير عنهم بعنوان كونهم عبادا له تعالى لاظهار المرحمة و
الاعتناء بامرهم والتنبيه على غاية قبح صنع فرعون بهم حيث استعبدهم وهم عباده عز وجل وفعل بهم من فنون
الظلم ما فعل اي وبالله لقد اوحينا اليه عليه السلام ان اسر بعبادي الذين ارسلناك لانقاذهم من ملكة
فرعون اي اسر بهم من مصر ليلا فاضرب لهم فاجعل او فاتخذ لهم طريقا في البحر يبسا اي يابسا على انه مصدر
وصف به الفاعل مبالغة وقرى يبسا وهو اما مخفف منه او وصف لصعب او جمع يابس كصحب وصف به
الواحد للمبالغة اولتعدده حيث تعدد الاسباط لا تخاف دركا حال من المأمور اي آمنا من ان يدرككم العدو
او صفة اخرى لطريقا والعايد محذوف وقرى لا تخف جوابا للامر ولا تخشى عطف على لا تخف داخل في حكمه
اي ولا تخشى الغرق وعلى قراءة الجزم استيناف اي وانت لا تخشى الغرق او عطف عليه والالف للاطلاق كما في قوله
تعالى وتظنون بالله الظنونا وتقديم نفي الخوف المذكور للمسارعة الى ازاحة ما كانوا عليه من الخوف العظيم حيث قالوا
انا لمدركون فاتبعهم فرعون بجنوده اي تبعهم ومعه جنوده حتى لحقهم يقال اتبعهم اي تبعهم وذلك اذا كانوا سبقوك
فلحقتهم ويؤيده انه قرئ فاتبعهم من الافتعال وقيل المعنى اتبعهم فرعون نفسه فحذف الفعل الثاني وقيل الباء زائدة
والمعنى فاتبعهم فرعون جنوده اي ساقهم خلفهم واياما كان فالفاء فصيحة معربة عن مضمر قد طوي ذكره ثقة
بغاية ظهوره وايذانا بكمال مسارعة موسى عليه السلام الى الامتثال بالامر اي ففعل ما امر به من الاسراء بهم و
خوف الطريق وسلوكه فاتبعهم فرعون بجنوده برا وبحرا روي ان موسى عليه السلام خرج بهم اول الليل فكانوا
ستمائة وسبعين الفا فاخبر فرعون بذلك فاتبعهم بعساكره وكانت مقدمته سبعمائة الف فقص اثرهم
بحيث تراءى الجمعان فعند ذلك ضرب موسى عليه السلام بعصاه البحر فانفلق على اثني عشر فرقا كل فرق كالطود
العظيم فعبر موسى ومن معه من الاسباط وتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم اي علاهم منه وغمرهم
ما غمرهم من الامر الهائل الذي لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه وقرى غشيهم ما سمعت قصته وليس بذاك فان
مدار التهويل والتفخيم خروجه عن حدود الفهم والوصف لا سماع قصته وقيل غشاهم من اليم ما غشاهم
اي غطاهم ما غطاهم والفاعل هو الله تعالى او ما غشاهم وقيل فرعون لانه الذي ورطهم للهلكة ويأباه
الاظهار في قوله تعالى واضل فرعون قومه اي سلك بهم مسلكا اداهم الى الخيبة والخسران في الدين والدنيا
معا حيث ماتوا على الكفر بالعذاب الهائل الدنيوي المتصل بالعذاب الخالد الاخروي وقوله تعالى وما هدى

اي وما ارشدهم

اي ما ارشدهم قط الى طريق موصل الى مطلب من مطالب الدينية والدنيوية تقرير لاضلاله وتأكيد له او رب
مضل قد يرشد من ضله الى بعض مطالبه وفيه نوع تهكم به في قوله تعالى وما اهديكم الا سبيل الرشاد
فان نفي الهداية من شخص مشعر بكونه ممن يتصور منه الهداية في الجملة وذلك انما يتصور في حقه بطريق التهكم
وحمل الاضلال والهداية على ما يختص بالديني فيهما يأباه مقام بيان سوقه بجنوده الى مساق الهلاك الدنيوي وجعلهما
عبارة عن الاضلال في البحر والانجاء منه مما لا يقبله العقل السليم يا بني اسرائيل حكاية لما خاطبهم الله تعالى
بعد اغراق فرعون وقومه وانجاهم منهم لكن لا عقيب ذلك بل بعد ما افاض الله عليهم من فنون النعم الدينية
والدنيوية ما افاض وقيل هو انشاء خطاب للذين كانوا منهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم على انه تعالى
قد من عليهم بما فعل بابائهم اصالة ولهم تبعا ويرده ما سيأتي من قوله تعالى وما اعجلك الاية ضرورة استحالة
حمله على الانشاء فالوجه هو الحكاية بتقدير قلنا عطف على اوحينا اي قلنا يا بني اسرائيل قد انجيناكم من
عدوكم فرعون وقومه حيث كانوا يبغونكم الغوائل ويسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون
نساءكم وقرئ نجيناكم ونجيتكم وواعدناكم جانب الطور الايمن بالنصب على انه صفة للمضاف وقرئ
بالجر للجوار اي واعدناكم بواسطة نبيكم اتيان جانبه الايمن قطرا الى السالك من مصر الى الشام اي اتيان
موسى عليه السلام للمناجاة وانزال التورية عليه ونسبة المواعدة اليهم مع كونها لموسى عليه السلام نظرا
الى ملابستها اياهم وسراية منفعتها اليهم وايفاء لمقام الامتنان حقه كما في قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم
حيث نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين مع ان المخلوق لوصفه بالذات وهو آدم عليه السلام وقرى
واعدتكم ووعدناكم ونزلنا عليكم المن والسلوى اي الترنجبين والسماني حيث كان ينزل عليهم المن وهم في التيه
مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع ويبعث الجنوب عليهم السماني فيذبح الرجل ما يكفيه كما مر مرارا
كلوا جملة مستانفة مسوقة لبيان اباحة ما ذكر لهم واتماما للنعمة عليهم من طيبات ما رزقناكم اي من لذائذه
وحلالاته وقرئ رزقتكم وفي البدء بالنعمة الدينية ثم بالنعمة الدنيوية من حسن النظم ولطف الترتيب ما لا
يخفى ولا تطغوا فيه اي فيما رزقناكم بالاخلال بشكره والتعدي لما حد لكم فيه كالسرف والبطر والمنع من المستحق
فيحل عليكم غضبي جواب للنهي اي فيلزمكم عقوبتي وتجب لكم من حل الدين اذا وجب اداؤه ومن يحلل عليه غضبي
فقد هوى اي تردى وهلك وقيل وقع في الهاوية وقرئ فيحل بضم الحاء من يحل اي نزل واني
لغفار لمن تاب من الشرك والمعاصي التي من جملتها الطغيان فيما ذكر وآمن بما يجب الايمان به وعمل
صالحا اي عملا صالحا مستقيما عند الشرع والعقل وفيه ترغيب لمن وقع منه الطغيان فيما ذكر وحث على التوبة
والايمان وقوله تعالى ثم اهتدى اي استقام على الهدى اشارة الى ان من لم يستمر عليه بمعزل من الغفران
وثم للتراخي وما اعجلك عن قومك يا موسى حكاية لما جرى بينه تعالى وبين موسى عليه السلام من الكلام ابتداء
سوآ فاته الميقات بموجب المواعدة المذكورة اي وقلنا له اي شيء اعجلك منفردا عن قومك وهذا كما ترى
سؤال عن سبب تقدمه على النقباء مسوق لانكار انفراده عنهم لما في ذلك بحسب الظاهر من مخايل اغفالهم وعدم
الاعتداد بهم مع كونه مأمورا باستصحابهم واحضارهم معه لا لانكار نفس العجلة الصادرة عنه عليه السلام
لكونها نقيصة منافية للحزم اللائق باولي العزم ولذلك اجاب عليه السلام بنفي الافراد والمنافي للا
والمعية حيث قال هم اولاء على اثري يعني انهم معي وانما سبقتهم بخطى يسيرة ظننت انها لا تخل بالمعية ولا تقدح
في الاستصحاب والمعية فان ذلك مما لا يعتد به فيما بين الرفقة اصلا وبعد ما ذكر عليه السلام ان تقدمه
ذلك لامر منكر ذكر انه لامر مرضي حيث قال وعجلت اليك ربي لترضى عني بمسارعتي الى الامتثال بامرك
واعتنائي بالوفاء بعهدك وزيادة رب لمزيد الضراعة والابتهال رغبة في قبول العذر قال استيناف مبني
على سؤال نشأ من حكاية اعتذاره عليه السلام وهو السر في وروده على صيغة الغائب لا انه التفات من الغيبة

لَهُ

بنعمة الانجاء ثم

صح

ستصحاب

ح

التكلم

لما ان المقتدر فيما سبق من الموصفين على صيغة التكلم كانه قيل من جهة السامعين فماذا قال له ربه حينئذ فقيل
قال فانا قد فتنا قومك من بعدك اي ابتليناهم بعبادة العجل من بعد ذهابك من بينهم وهم الذين خلفهم
مع هرون عليه السلام وكانوا ستمائة الف ما نجا منهم من عبادة العجل الا اثنا عشر الفا والفاء لترتيب الاخبار
بما ذكر من الابتلاء على اخبار موسى عليه السلام بعجلته لكن لا لان الاخبار بها سبب موجب الاخبارية بل لما
بينهما من المناسبة المصححة للانتقال من احدهما الى الاخر من حيث ان الابتداء المذكور عجلة القوم فانه روى
انهم اقاموا على ما وصى به موسى عليه السلام بعد ذهابه عشرين ليلة بعد ذهابه فحسبوها مع اياما اربعين وقالوا
قد كملنا العدة وليس لموسى عليه السلام اثر واضلهم السامري حيث كان هو المدبر في الفتنة فقال لهم انما اخلف
موسى عليه السلام ميعادكم لما معكم من حلي القوم وهو حرام عليكم فكان من امر العجل ما كان فاخباره تعالى بوقوع هذه
الفتنة ونظايرها اولا فان السامري كان قد عزم على ايقاع الفتنة عند ذهاب موسى عليه السلام وتصدى لترتيب
مباديها وتمهيد مبانيها فكانت الفتنة واقعة عند الاخبار بها وقرئ واضلهم السامري على صيغة التفضيل
اي اشدهم ضلالا لانه ضال ومضل والسامري منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل
كان علجا من كرمان وقيل كان من اهل خراسان واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا قد اظهر الاسلام وكان من قوم
يعبدون البقر فرجع موسى الى قومه عند رجوعه المعهود اي فعندما استقر في الاربعين واخذ التورية لا عقيب
الاخبار بالفتنة فنسبة ما قبل الفا لما بعدها انما هي باعتبار قيد الرجوع المستفاد من قوله تعالى غضبان اسفا
لا باعتبار نفسه وان كانت داخلة عليه حقيقة فان كون الرجوع بعد تمام الاربعين امر مشهود لا يذهب الوهم
الى كونه عند الاخبار بالفتنة كما اذا قلت شايعت الحجاج ودعوت لهم بالسلامة فرجعوا سالمين فان احدا لا يرتاب
في ان المراد رجوعهم المعتاد لا رجوعهم اثر الدعا وان نسبة الدعاء باعتبار نفس الرجوع والاسف الشديد
الغضب وقيل الحزين قال استيناف مبني على سؤال ناشي من حكاية رجوعه لذلك كانه قيل فماذا فعل بهم فقيل
قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا بان يعطيكم التورية فيها ما فيها من النور والهدى والهمزة لانكار عدم الوعد
ونفيه وتقرير وجوده على ابلغ وجه واكده اي وعدكم بحيث لا سبيل لكم الى انكاره والفاء في قوله تعالى افطال عليكم
العهد اي الزمان للعطف على مقدر واظهره لانكار المعطوف ونفيه فقط اي اوعدكم ذلك فطال
زمان الانجاز فاخطاتم بسببه ام اردتم ان يحل عليكم غضب شديد لا يقادر قدره كاين من ربكم اي
من مالك امركم على الاطلاق فاخلفتم موعدي اي ما وعدتموني اياي بالثبات على ما امرتكم به الى ان ارجع من الميقات
على اضافة المصدر الى مفعوله للقصد الى زيادة تقبيح حالهم فان اخلافهم الوعد الجاري فيما بينهم وبينه
عليه السلام من حيث اضافته اليه عليه السلام اشنع من حيث اضافته اليهم والفاء لترتيب ما بعدها على كل
واحد من شقي الترديد على سبيل البدل كانه قيل انسيتم الوعد بطول العهد فاخلفتموه خطا ام اردتم حلول الغضب
عليكم فاخلفتموه عمدا واما جعل الموعد مضافا الى فاعله وحمل اخلافه على معنى وجدان الخلف فيه اي
في موعدي لكم بالعود بعد الاربعين فمما لا يساعده السياق ولا السباق قالوا ما اخلفنا موعدك اي وعدنا
اياك الثبات على ما امرتنا به وايثاره على ان يقال موعدنا على اضافة المصدر الى فاعله لما مر آنفا بملكنا اي بان
ملكنا امورنا يعنون انا لو خلينا وامورنا ولم يسول السامري ما سوله مع مساعدة بعض الاحوال لما اخلفناه
وقرئ بملكنا بكسر الميم وضمها والكل لغات في مصدر ملكت الشيء ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم استدراك
عما سبق واعتذار عما فعلوا ببيان منشاء الخطا وقرئ حملنا بالتخفيف اي حملنا احمالا من حلي القبط التي استعاروها
منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس وقيل كانوا استعاروها لعيد كان لهم ثم لم يردوها اليهم عند
الخروج مخافة ان يقفوا على امرهم وقيل هي ما القاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فاخذوها ولعل تسميتها
اوزارا لانها تبعات واثام حيث لم تكن الغنائم تحل حينئذ فقذفناها اي في النار رجاء للخلاص عن ذنبها فكذلك

اي فمثل

اي فمثل ذلك القذف القى السامري اي ما كان معه منها وقد كان اراهم انه ايضا يلقي ما كان معه من الحلي
فقالوا ما قالوا على زعمهم وانما كان الذي القاه التراب التي اخذها من اثر الرسول كما سياتي روى انه قال لهم
انما تاخر موسى عنكم لما معكم من الحلي فالراي ان نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف فيها كل ما معنا ففعلوا
فاخرج اي السامري لهم للقايلين عجلا من تلك الحلي المذابة وتاخيره مع كونه مفعولا صريحا عن الجار والمجرور
لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بتجاذب اطراف النظم الكريم
فان قوله تعالى جسدا اي جثة ذا دم ولحم او جسدا من ذهب لا روح له بدل منه وقوله تعالى له خوار اي صوت
عجل نعت له فقالوا اي السامري ومن افتتن به اول ما راه هذا الهكم واله موسى فنسي اي غفل عنه وذهب
يطلبه في الطور وهذا حكاية لنتيجة فتنة السامري فعلا وقولا من جهته تعالى قصدا الى زيادة تقريرها ثم ترتيب
الانكار عليها لا من جهة القايلين والا لقيل فاخرج لنا والكل ان عدولهم الى ضمير الغيبة لبيان ان الاخراج والقول
المذكورين للكل لا للعبدة فقط خلاف الظاهر مع انه مخل باعتذارهم فان مخالفة بعضهم للسامري وعدم افتتانهم
بتسويله مع كون الاخراج والخطاب لهم مما يهون مخالفته للمعتذرين فافتتانهم بعد ذلك اعظم جناية واكثر
شناعة واما ما قيل من ان المعتذرين هم الذين لم يعبدوا العجل وان نسبة الاخلاف الى انفسهم وهم براء منه من
قبيل قولهم بنو فلان قتلوا فلانا مع ان القاتل واحد منهم كانهم قالوا ما وجد الاخلاف فيما بيننا بامرنا بملكه بل
تمكنت الشبهة في قلوب العبدة حيث فعل السامري ما فعل فاخرج لهم ما اخرج وقال ما قال فلم نقدر على
صرفهم عن صرفهم ولم نفارقهم مخافة ازدياد الفتنة فيقضي بفساده سياق النظم الكريم وقوله تعالى افلا يرون
انكار وتوبيخ من جهته تعالى بحال الضالين المضلين جميعا وتسفيه لهم فيما اقدموا عليه من المنكر الذي يشتبه بطلانه
واستحالته على احد وهو اتخاذه والعطف على مقدر يقتضيه المقام اي افلا يتفكرون فلا يعلمون ان لا يرجع
اليهم قولا اي انه لا يرجع اليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا فكيف يتوهمون انه اله وقرئ يرجع بالنصب قالوا
فالرؤية حينئذ بصرية فان الناصبة لا تقع بعد افعال القلوب اليقين اي الا ينظرون فلا يبصرون عدم
رجعه اليهم قولا من الاقوال وتعليق الابصار بما ذكر مع كونه امرا عدميا للتنبيه على كمال ظهوره المستدعي لكمال
تشنيعهم وتركيك عقولهم وقوله تعالى ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا عطف على لا يرجع داخل معه في حيز الرؤية اي
افلا يرون انه لا يقدر على ان يدفع عنهم ضرا ولا يجلب لهم نفعا او لا يقدر على ان يضرهم ان لم يعبدوه او ينفعهم
ان عبدوه ولقد قال لهم هرون من قبل جملة قسمية موكدة لما قبلها من الانكار والتشنيع ببيان عتوهم واستعصائهم
على الرسول اثر بيان مكابرتهم لقضية العقل اي وبالله لقد نصح لهم هرون ونبههم على كيفية الامر من قبل رجوع
موسى اليهم وخطابه اياهم بما ذكر من المقالات وقيل من قبل قول السامري كانه اول ما ابصره حين طلع من الحفرة
توهم منهم الافتتان به فسارع الى تحذيرهم وقال لهم يا قوم انما فتنتم به اي اوقعتم في الفتنة بالعجل و
اضللتم به على توجيه القصر المستفاد من كلمة انما الى نفس الفعل بالقياس الى مقابلة الذي يدعيه القوم لا الى
قيده المذكور بالقياس الى قيد اخر على معنى انما فعل بكم الفتنة لا الارشاد الى الحق لا على معنى انما فتنتم بالعجل لا بغيره
وقوله تعالى وان ربكم الرحمن بكسر ان عطفا على انما ارشادهم الى الحق اثر زجرهم عن الباطل والتعويض لعنوان الربوبية
والرحمة الاعتناء باستمالتهم الى الحق كما ان التعرض لوصف العجل الاهتمام بالزجر عن الباطل اي ان ربكم المستحق للعبادة
هو الرحمن لا غير والفاء في قوله تعالى فاتبعوني لترتيب ما بعدها على ما قبلها من مضمون الجملتين اي اذا كان الامر
كذلك فاتبعوني في الثبات على الدين واطيعوا امري هذا واتركوا عبادة ما عرفتم شانه قالوا في جواب هرون
عليه السلام لن نبرح على العجل وعبادته عاكفين مقيمين حتى يرجع الينا موسى جعلوا رجوعه اليهم
غاية لعكوفهم على عبادة العجل لكن لا على طريق الوعد بتركها عند رجوعه بل بطريق التعلل والتسويف وقد دسوا
تحت ذلك انه لا ياتي بشيء مبين تعويلا على مقالة السامري روى انهم لما قالوا اعتزلهم هرون عليه السلام

في اثني عشر الفًا وهم الذين يعبدون العجل فلما رجع موسى وسمع الصياح وكانوا يرقصون حول العجل قال للسبعين الذين
كانوا معه هذا صوت الفتنة فقال لهم ما قال وسمع منهم ما قالوا وقوله تعالى قال استيناف مبني على سؤال نشا من حكاية
جوابهم لهرون حين سمع جوابهم له وهل رضي بسكوته بعد ما شاهد منهم ما شاهد فقيل قال له وهو مغتاظ قد اخذ بلحيته
وراسه يا هرون ما منعك اذ رايتهم ضلوا بعبادة العجل وبلغوا من المكابرة الى ان شافهوك بتلك المقالة الشنعاء
ان لا تتبعني اي ان تتبعني على ان لا مزيدة وهو مفعول ثان وعامل في اذ اي شيء منعك حين رؤيتك لضلالهم من
ان تتبعني في الغضب لله تعالى والمقابلة مع كفرهم به وقيل المعنى ما حملك على ان لا تتبعني فان المنع عن الشيء
مستلزم للحمل على مقابله وقيل ما منعك ان تلحقني وتخبرني بضلالهم فيكون مفارقتك مزجرة لهم وفيه ان
نصائح هرون حيث لم يزجرهم عما كانوا عليه فلان لا يزجرهم مفارقته اياهم عنه اولى والاعتذار بانهم اذا علموا
انه يلحقه ويخبر عليهما السلام بالقصة يخافون رجوع موسى عليه السلام فينزجرون عن ذلك بمعزل من حيز
القبول كيف لا وقد صرحوا بانهم عاكفون عليه الى حين رجوعه افعصيت امري اي بالصلابة في الدين والمحاماة
عليه فان قوله له عليه السلام اخلفني متضمن للامر بهما حتمًا فان الخلاف لا يتحقق او خالفتني فعصيت امري قال
يا ابن ام خص الام بالاضافة استعطافًا لحقها ترقيقًا لقلبه لا لما قيل من انه كان اخاه لامه فان الجمهور على انهما
كانا شقيقين لا تاخذ بلحيتي ولا براسي اي لا بشعر راسي روى انه عليه السلام اخذ شعر راسه بيمينه ولحيته
بشماله من شدة غيظه وفرط غضبه لله تعالى وكان حديدًا متصلبًا في كل شيء فلم يتمالك حين راهم يعبدون
العجل ففعل ما فعل وقوله تعالى اني خشيت الخ استيناف سيق لتعليل موجب النهي ببيان الداعي الى ترك
المقابلة وتحقيق انه غير عاص لامره بل ممتثل به اي اني خشيت لو قاتلت بعضهم ببعض تفانوا وتفرقوا
ان تقول فرقت بين بني اسرائيل برايك مع كونهم ابناء واحد كما ينبئ عنه ذكرهم بذلك العنوان دون القوم ونحوه واراد
عليه السلام بالتفريق ما يستتبعه القتال من التفريق الذي لا يرجى بعده الاجتماع ولم ترقب قولي يريد قوله
اخلفني في قومي واصلح الى آخره يعني اني رايت ان الاصلاح في حفظ الدماء والمداراة معهم الى ان ترجع اليهم فلذلك
استانيتك لتكون انت المتدارك للامر حسبما رايت لا وقد كانوا في غاية القوة ونحن على القلة والضعف كما يعرب
عنه قوله تعالى ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني قال استيناف وقع جوابا عما نشا من حكاية ما سلف من
اعتذار القوم باسناد الفساد الى السامري واعتذار هرون كانه قيل فماذا صنع موسى عليه السلام بعد سماع ما
حكي من الاعتذارين واستقرار اصل الفتنة على السامري فقيل قال هو مخاطبا له هذا شانهم فما خطبك يا سامري اي ما شانك
وما مطلوبك مما فعلت خاطبه بذلك ليظهر للناس بطلان كيده باعترافه ويفعل به وبما صنعه من العقاب ما يكون
نكالا للمفتونين به ولمن خلفهم من الامم قال اي السامري مجيبًا له بصرت بما لم يبصروا به بضم الصاد فيهما وقرئ
بكسرها في الاول وفتحها في الثاني وقرئ بالتاء على الوجهين على خطاب موسى عليه السلام وقومه اي علمت ما لم
يعلمه القوم وفطنت ما لم يفطنوا له ورايت ما لم يروه وهو الانسب بما سياتي من قوله وكذلك سولت لي نفسي لا
سيما على القراءة بالخطاب فان ادعاء علم ما لم يعلمه موسى عليه السلام جراءة عظيمة لا يليق بشانه ولا بمقامه بخلاف
ادعاء رؤية ما لم يروه فانها مما يقع بحسب ما يتفق وقد كان راى ان جبرائيل عليه السلام جاء راكبًا فرسا وكان
كلما دفع الفرس يديه او رجليه على الطريق اليابس يخرج من تحته النبات في الحال فعرف ان له شانا فاخذ من
موطئه حفنة وذلك قوله تعالى فقبضت قبضة من اثر الرسول وقرئ من اثر فرس الرسول اي من تربة موطئ فرس
الملك الذي ارسل اليك ليذهب بك الى الطور ولعل ذكره بعنوان الرسالة الاشعار بوقوفه على ما لم يقف عليه
القوم من الاسرار الالهية تاكيدًا لما صدر به مقالته والتنبيه على وقت اخذ ما اخذه والقبضة المرة من القبض
اطلقت على المقبوض مرة وقرئ بضم القاف وهو اسم المقبوض كالغرفة والمضغة وقرئ قبصت قبصة
بالصاد المهملة والاول الاخذ بجميع الكف والثاني باطراف الاصابع ونحوها الخنصر والقصم فنبذتها اي في

الحلي المذاب فكان ما كان وكذلك سولت لي نفسي اي ما فعلته من القبض والنبذ فقوله تعالى كذلك اشارة الى مصدر
الفعل المذكور بعده ومحل كذلك في الاصل النصب على انه مصدر تشبيهي اي نعت لمصدر محذوف والتقدير سولت لي
نفسي تسويلا كائنا مثل ذلك التسويل فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة لافادة القصر تاكيدا لما افاده
اسم الاشارة من الفخامة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اي ذلك الترتيب البديع زينت لي نفسي ما فعلته
لا تزيينا ادنى منه ولذلك فعلته وحاصل جوابه ان ما فعله انما صدر عنه بمحض اتباع هوى النفس الامارة بالسوء
واغوائها لا بشيء آخر من البرهان العقلي والالهام الالهي فعند ذلك قال عليه السلام فاذهب اي من بين الناس
وقوله تعالى فان لك في الحيوة الى آخره تعليل لموجب الامر وفي متعلقه بالاستقرار في ذلك اي ثابت لك في الحيوة
او بمحذوف وقع حالا من الكاف والعامل معنى الاستقرار في الظرف المذكور لاعتماده على ما هو مبتدا معنى لا بقوله
تعالى ان لا تقول لا مساس لمكان ان اي ثابت لك كائنا في الحيوة اي مدة حياتك ان تفارقهم مفارقة كلية لكن لا
بحسب الاختيار بموجب التكليف بل بحسب الاضطرار الملجئ اليها وذلك انه تعالى رماه بداء عقام لا يكاد يمس احدا
او يمسه احد كائنا من كان الا حمّ من ساعته حمى شديدة فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح باقصى صوته لا مساس
وحرم عليهم ملاقاته ومواجهته ومكالمته ومبايعته وغيرها مما يعتاد جريانه بين الناس من المعاملات وصار بين
الناس اوحش من القاتل اللاجئ الى الحرم ومن الوحش النافر في البرية ويقال ان قومه باق فيهم تلك الحالة الى اليوم
وقرئ لا مساس كفجار وهو علم للمسة ولعل السر في مقابلة جنايته بتلك العقوبة خاصة ما بينهما من مناسبة
التضاد فانه لما انشا الفتنة بما كانت ملابسته سببا لحيوة الموات عوقب بما يضاده حيث جعلت ملابسته
سببا للحمى التي هي من اسباب موت الاحيا وان لك موعدا اي في الآخرة لن تخلفه اي لن يخلفك الله ذلك
الوعد بل ينجزه لك البتة بعد ما عاقبك في الدنيا وقرئ بكسر اللام والاظهر انه من اخلفت الموعد اي وجدته
خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله عز وجل وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا اي ظللت مقيما على عبادته
فحذفت اللام الاولى تخفيفا وقرئ بكسر اللام لنحرقنه جواب قسم محذوف اي بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه
من الاحراق وقيل بالمبرد وقراءة لنحرقنه اي لنذرينه وقرئ بضم السين في اليم رمادا او مبرودا
كانه هباء نسفا بحيث لا يبقى منه عين ولا اثر ولقد فعل عليه السلام ذلك كله حينئذ كما يشهد به الامر بالنظر
وانما لم يصرح به تنبيها على كمال ظهوره واستحالة الخلف في وعده المؤكد باليمين انما الهكم الله استيناف مسوق
لتحقيق الحق اثر ابطال الباطل بتلوين الخطاب وتوجيهه الى الكل اي انما معبودكم المستحق للعبادة الله الذي لا اله
في الوجود لشيء من الاشياء الا هو وحده من غير ان يشاركه شيء من الاشياء بوجه من الوجوه التي من جملتها احكام
الالوهية وقرئ الله لا اله الا هو الرحمن رب العرش وقوله تعالى وسع كل شيء علما اي وسع علمه كل ما من
شانه ان يعلم بدل من الصلة كانه قيل انما الهكم الذي وسع كل شيء علما لا غيره كائنا ما كان فيدخل فيه العجل دخولا اوليا
وقرئ وسّع بالتشديد فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه على القراءة الاولى فاعل حقيقة وبنقل
الفعل الى التعدية الى المفعولين صار الفاعل مفعولا اول كانه قيل وسع علمه كل شيء وبه تم حديث موسى عليه
السلام المذكور لتقرير امر التوحيد حسبما نطقت به خاتمته كذلك نقص عليك كلام مستانف خوطب به النبي
صلى الله عليه وسلم بطريق الوعد الجميل بتنزيل اشارة ما مر من انباء الامم السالفة وذلك اشارة الى اقتصاص
حديث موسى عليه السلام وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل ومحل الكاف
النصب على انه نعت لمصدر مقدر اي نقص عليك من انباء ما قد سبق من الحوادث الماضية الجارية على
الامم الخالية قصا مثل ذلك القص المار والتقديم القصر المفيد لزيادة التعيين من قوله تعالى من انباء في
حيز النصب اما على مفعول نقص باعتبار مضمونه واما على انه متعلق بمحذوف هو صفة للمفعول كما في قوله تعالى
ومنا دون ذلك والمعنى نقص عليك بعض انباء ما سبق او بعضا كائنا من انباء ما قد سبق وقدمت تخفيفه

الظاء وثقل حركة اللام صح

اجمع دون ذلك صح

في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول الى اخره وتاخيره من من عليك لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم بالتشويق الى الموخر اي مثل ذلك القص البديع الذي سمعته نقص عليك ما ذكر من الانباء لا اقصاصا ناقصا منه تبصرة لك وتوفيرا العلمك وتكثيرا لمعجزاتك وتذكرة للمستبصرين من امتك **وقد اتيناك من لدنا ذكرا** اي كتابا منطويا على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار وكلمة من متعلقة باتيناك وتنكير ذكرا للتفخيم وتاخيره عن الجار والمجرور لما اتى مرجع الافادة في الجملة كون الموتى من لدنه تعالى ذكرا عظيما وقرانا كريما جامعا لكل كمال لا كون ذلك الذكر موتى من لدنه عز وجل مع ما فيه من نوع بما بعده من الصفة فتقديمه يذهب برونق النظم الكريم **من اعرض عنه** عن ذلك الذكر العظيم الشان المستتبع لسعادة الدارين وقيل عن الله عز وجل ومن اما شرطية او موصولة اياما كانت فالجملة صفة الذكر **فانه** اي المعرض عنه **يحمل يوم القيمة وزرا** اي عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وسائر ذنوبه وتسميتها وزرا اما تشبيها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره او لانها جزاء الوزر وهو الاثم والاول هو الانسب بما سياتي من تسميتها حملا وقوله تعالى **خالدين فيه** اي في الوزر او في احتماله المستمر حال من المستكن في يحمل والجمع بالنظر الى معنى من لما ان الخلود في النار مما يتحقق حال اجتماع اهلها كما ان الافراد فيما سبق من الضمائر الثلثة بالنظر الى لفظها **وساء لهم يوم القيمة حملا** اي بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف اي ساء حملا وزرهم واللام للبيان كما في هيت لك كانه لما قيل لمن يقال هذا فاجيب لهم واعادة يوم القيمة لزيادة التقرير والتهويل **يوم ينفخ في الصور** بدل من يوم القيمة او منصوب باضمار اذكر او ظرف لمضمر قد حذف للايذان بضيق العبارة عن حصره وبيانه حسبما مر في تفسير قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا وقرئ ننفخ بالنون على اسناد النفخ الى الامر به تعظيما له وبالياء المفتوحة على ان ضميره لله عز وجل او لاسرافيل عليه السلام وان لم يجر ذكره لشهرته **ونحشر المجرمين يومئذ** اي يوم اذ ينفخ في الصور وذكره صريحا مع تعين ان الحشر لا يكون الا يومئذ للتهويل وقرئ ويحشر المجرمين **زرقا** اي حال كونهم زرق العيون وانما جعلوا كذلك لان الزرقة اسوأ الوان العين وابغضها الى العرب فان الروم الذين كانوا اعدى عدوهم زرق ولذلك قالوا في صفة العدو اسود الكبد واصهب السبال وازرق العين وعميا لان حدقة الاعمى تزرق وقوله تعالى **يتخافتون بينهم** اي يخفضون اصواتهم ويخفونها لما يملأ صدورهم من الرعب والهول استيناف ببيان ما ياتون وما يذرون حينئذ او حال اخرى من المجرمين اي يقول بعضهم لبعض بطريق المخافتة **ان لبثتم** اي ما لبثتم في الدنيا **الا عشرا** اي عشر ليال استقصارا لمدة لبثهم فيها لزوالها او لاستطالتهم مدة الاخرة او لتاسفهم عليها لما عاينوا الشدائد وايقنوا انهم استحقوها على اضاعتها في قضاء الاوطار واتباع الشهوات او في القبر وهو الانسب بحالهم فانهم حين يشاهدون البعث الذي ينكرونه من قبيل المحالات لا بتمالكون من ان يقولوا ذلك اعترافا به وتحقيقا لسرعة وقوعه كانهم قالوا قد بعثتم وما لبثتم في القبر الا مدة يسيرة والا فحالهم افظع من ان يمكنهم من الاشتغال بتذكر الايام النفيسة والسرور واستقصارها والتاسف عليها **نحن اعلم بما يقولون** وهو مدة لبثهم **اذ يقول امثلهم طريقة** اي اعدلهم رايا وعملا **ان لبثتم الا يوما** ونسبة هذا القول الى امثلهم استرجاح منه تعالى له لكن لا لكونه اقرب الى الصدق بل لكونه ادل على شدة الهول **ويسألونك عن الجبال** اي عن مال امرها وقد سئل عنه رجل من ثقيف وقيل مشركوا مكة على طريق الاستهزاء **فقل ينسفها ربي نسفا** اي يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها والفاء للمسارعة الى الزام السائلين **فيذرها** الضمير اما للجبال باعتبار اجزائها السافلة الباقية بعد النسف وهي مقارها ومراكزها اي فيذر ما انبسط منها وساوى سطحه سطوح سائر اجزاء الارض بعد نسف ما نتا منها ونشز واما للارض المدلول عليها بقرينة الحال لانها الباقية بعد نسف الجبال وعلى التقديرين يذر الكل **قاعا صفصفا** لان الجبال اذا سويت وجعل سطحها

مساويا

مساويا لسطوح سائر اجزاء الارض فجعل الكل سطحا واحدا والقاع قيل المنكشف من الارض وقيل المستوي الصلب منها وقيل ما لا نبات فيه ولا بناء والصفصف الارض المستوية الملساء كان اجزاءه صف واحد من كل جهة وانتصاب فاعل الحالية من الضمير المنصوب او هو مفعول ثان ليذر على تضمين معنى التصيير وصفصفا اما حال ثانية او بدل من المفعول الثاني وقوله تعالى **لا ترى فيها** اي في مقار الجبال او في الارض على ما مر من التفصيل **عوجا** بكسر العين اي عوجا ما كان لغاية خفائه من قبيل ما في المعاني اي لا تدركه ان تاملت بالمقاييس الهندسية **ولا امتا** اي نتوا يسيرا استيناف مبين لكيفية ما سبق من القاع الصفصف او حال اخرى او صفة لقاعا والخطاب لكل احد ممن يتاتى منه الروية وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى الموخر مع ما فيه من طول ربما يخل تقديمه بتجاذب اطراف النظم الكريم **يومئذ** اي يوم نسفت الجبال على اضافة اليوم الى وقت النسف وهو ظرف لقوله تعالى **يتبعون الداعي** وقيل بدل من يوم القيمة وليس بذاك اي يتبع الناس داعي الله الى المحشر وهو اسرافيل عليه السلام يدعو الناس عند النفخة الثانية قائما على صخرة بيت المقدس ويقول ايتها العظام النخرة والاوصال المتفرقة واللحوم المتمزقة قومي الى عرض الرحمن فيقبلون من كل اوب الى صوبه **لا عوج له** لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه **وخشعت الاصوات للرحمن** اي خفضت لهيبته **فلا تسمع الا همسا** اي صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت اخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر **يومئذ** اي يوم اذ يقع ما ذكر من الامور الهائلة **لا تنفع الشفاعة** من الشفعاء احدا **الا من اذن له الرحمن** اي في ان يشفع له **ورضي له قولا** اي ورضي لاجله قول الشافع في شانه او رضي قوله لاجله وفي شانه واما من عداه فلا يكاد ينفعه وان فرض صدورها من الشفعاء المتصدين للشفاعة للناس كقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين فالاستثناء كما ترى من اعم المفاعيل واما كونه استثناء من الشفاعة على معنى لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن ان يشفع لغيره كما جوزوه فلا سبيل اليه لان حكم الشفاعة ممن لم يؤذن له ان يملكها ولا تصدر عنه اصلا كما في قوله تعالى لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى فالاخبار عنها بمجرد عدم نفعها للمشفوع له ربما يوهم امكان صدورها عمن لم يؤذن له مع اخلاله بمقتضى مقام تهويل اليوم واما قوله تعالى ولا يقبل منها شفاعة فمعناه عدم الاذن في الشفاعة لا عدم قبولها بعد وقوعها **يعلم ما بين ايديهم** اي ما تقدمهم من الاحوال وقيل من امر الدنيا **وما خلفهم** وما بعدهم مما يستقبلونه وقيل من امر الاخرة **ولا يحيطون به علما** اي لا يحيط علومهم بمعلوماته تعالى وقيل بذاته اي من حيث اتصافه بصفات الكمال التي من جملتها العلم الشامل وقيل الضمير لاحد الموصولين او لمجموعهما فانهم لا يعلمون جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه **وعنت الوجوه للحي القيوم** اي ذلت وخضعت خضوع العناة اي الاسارى في يد الملك القهار ولعلها وجوه المجرمين كقوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا ويؤيده قوله تعالى **وقد خاب من حمل ظلما** قال ابن عباس رضي الله عنهما خسر من اشرك بالله ولم يتب استيناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم او اعتراض كانه قيل خابوا وخسروا وقيل حال من الوجوه ومن عبارة عنها مغنية عن ضميرها وقيل الوجوه على العموم فالمعنى حينئذ وقد خاب من حمل منهم ظلما **ومن يعمل من الصالحات** الى اخره قسيم لقوله تعالى وقد خاب من حمل ظلما لا لقوله تعالى وعنت الوجوه الى اخره كما انه كذلك على الوجه الاول اي ومن يعمل بعض الصالحات او بعضا من الصالحات على احد الوجهين المذكورين في تفسير قوله تعالى من انباء ما قد سبق **وهو مؤمن** فان الايمان شرط في صحة الطاعات وقبول الحسنات **فلا يخاف ظلما** اي منع ثواب مستحق بموجب الوعد **ولا هضما** ولا كسرا منه بنقص او لا يخاف جزاء ظلم وهضم اذ لم يصدر عنه ظلم او هضم حتى يخافهما وقرئ فلا يخف على النهي **وكذلك** عطف على كذلك نقص وذلك اشارة الى انزال ما سبق من الايات المتضمنة للوعيد

المبينة عما سيقع من احوال القيمة واهوالها اي مثل ذلك الانزال انزلناه اي القران كله واضماره من غير
سبق ذكره للايذان بنباهة شانه وكونه مركوزا في العقول حاضرا في الاذهان قرآنا عربيا لتفهم العرب ويقفوا
على ما فيه من النظم المعجز الدال على كونه خارجا عن طوق البشر نازلا من خلاق القوى والقدر وصرفنا فيه من الوعيد
اي كررنا فيه بعض الوعيد او بعضا من الوعيد حسبما اشير اليه آنفا لعلهم يتقون اي كي يتقوا الكفر والمعاصي
بالفعل او يحدث لهم ذكرا ايقاظا واعتبارا مؤديا بالآخرة الى الاتقاء فتعالى الله استعظام له تعالى ولشؤونه
التي يصرف عليها عباده من الاوامر والنواهي والوعيد والوعد وغير ذلك اي ارتفع بذاته وتنزه عن مماثلة
المخلوقين في ذاته وصفاته وافعاله واحواله الملك النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى
وعيده الحق في ملكوته والوهيته لذاته او الثابت في ذاته وصفاته ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك
وحيه اي يتم وحيه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا القى اليه جبريل عليهما السلام الوحي يتبعه عند تلفظ كل حرف
وكل كلمة لكمال اعتنائه بالتلقي والحفظ فنهي عن ذلك اثر ذكر الانزال بطريق الاستطراد لما ان استقرار الالفاظ
في الاذهان تابع لاستقرار معانيها فيها وربما يشغل التلفظ بكلمة عن سماع ما بعدها وامر باستفاضة العلم
واستزادته من الله تعالى فقيل وقل اي في نفسك رب زدني علما اي سل الله عز وجل زيادة العلم فانه الموصل
الى طلبك دون الاستعجال وقيل انه نهي عن تبليغ ما كان مجملا وتلاوته قبل البيان مما لا ريب في صحته ومشروعيته
ولقد عهدنا الى آدم كلام مستانف مسوق لتقرير ما سبق من تصريف الوعيد في القرآن وبيان ان اساس بني
آدم على العصيان وعرقه راسخ في النسيان مع ما فيه من انجاز الموعود في قوله تعالى كذلك نقص عليك من
انباء ما قد سبق يقال عهد اليه الملك وعزم اليه واوعز اليه وتقدم اليه اذا امره ووصاه والمعهود محذوف
يدل عليه ما بعده واللام جواب قسم محذوف اي واقسم او وبالله او وتالله لقد امرناه ووصيناه من قبل اي من
قبل هذا الزمان فنسي اي العهد ولم يعتن به حتى غفل عنه وتركه ترك المنسي عنه وقرئ فنسي اي نساه الشيطان
ولم نجد له عزما تصميم راي وثبات قدم في الامور اذ لو كان كذلك لما ازله الشيطان ولا استطاع ان يغره
وقد كان ذلك منه عليه السلام في بدء امره من قبل ان يجرب الامور ويتولى حارها وقارها ويذوق شريها
واريها عن النبي صلى الله عليه لو وزنت احلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما
وقيل عزما على الذنب فانه اخطأ ولم يتعمد وقوله تعالى ولم نجد ان كان من الوجود العلمي فله عزما مفعولاه
قدم الثاني على الاول لكونه ظرفا وان كان من الوجود المقابل للعدم وهو الانسب لان الفائدة هو المفعول وليس
في الاخبار بكون العزم المعدوم له مزيد مزية فله متعلق به قدم على مفعوله لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم
والتشويق الى المؤخر او بمحذوف هو حال من مفعوله المنكر كانه قيل ولم نصادف له عزما وقوله تعالى واذ قلنا
للملائكة اسجدوا لآدم شروع في بيان المعهود وكيفية ظهور نسيانه وفقدان عزمه واذ منصوب على المفعولية
بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم اي واذكر وقت قولنا لهم وتعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود
ذكر ما وقع فيه من الحوادث لما مر مرارا من المبالغة في ايجاب ذكرها فان الوقت مشتمل على تفاصيل الامور
الواقعة فيه فالامر بذكره امر بذكر تفاصيل ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل على اعيان الحوادث
فاذا ذكر صارت الحوادث كانها موجودة في زمن المخاطب بوجوداتها العينية اي اذكر ما وقع في ذلك الوقت
منا ومنه حتى يتبين لك نسيانه وفقدان عزمه فسجدوا الا ابليس قد سبق فيه الكلام مرارا ابى جملة
مستانفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ عن الاخبار بعدم سجوده كانه قيل ما له لم يسجد فقيل ابى واستكبر
ومفعول ابى اما محذوف اي ابى السجود كما في قوله تعالى ابى ان يكون مع الساجدين او غير منوي رأسا بتنزيله
منزلة اللازم اي فعل الاباء واظهره فقلنا عقيب ذلك اعتناء بنصحه يا آدم ان هذا الذي رأيت ما فعل
عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما اي لا يكونن سببا لاخراجكما من الجنة والمراد نهيهما من ان يكونا بحيث تتسبب

الشيطان

الشيطان الى اخراجهما منها بالطريق البرهاني كما في قولك لا ارينك ها هنا والفاء لترتيب موجب النهي على عداوته
لهما او على الاخبار بها فتشقى جواب للنهي واسناد الشقاء اليه خاصة بعد تعليق الاخراج الموجب له بهما معا لاصالته
في الامور واستلزام شقائه لشقائها مع ما فيه من مراعاة الفواصل وقيل المراد بالشقاء التعب في تحصيل مبادي
المعاش وذلك من وظائف الرجال ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى تعليل لما يوجبه النهي فان
اجتماع اسباب الراحة فيها مما يوجب المبالغة في الاهتمام بتحصيل مبادي البقاء فيها والجد في الانتهاء عما يؤدي
الى الخروج عنها والعدول عن التصريح بان له عليه السلام فيها تنعما بفنون النعم من الماكل والمشارب وتمتعا باصناف
الملابس البهية والمساكن المرضية مع ان فيه من الترغيب في البقاء فيها ما لا يخفى الى ما ذكر من نفي نقايضها التي هي
الجوع والعطش والعري والضحو لتذكير تلك الامور المنكرة والتنبيه على ما فيها مما لا يخفى من انواع الشقوة التي حذره
عنها ليبالغ في التحاشي عن السبب المؤدي اليها على ان الترغيب قد حصل بما يسوغ له من التمتع بجميع ما فيها سوى
ما استثني من الشجرة حسبما ينطق به قوله تعالى ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها حيث شئتما رغدا
وقد طوي ذكره ها هنا اكتفاء بما ذكر في موضع آخر واقتصر على ما ذكر من الترغيب المتضمن للترهيب ومعنى ان
لا تجوع فيها الى آخره ان لا يصيبه شيء من الامور الاربعة اصلا فان الشبع والري والكسوة والمسكن قد يحصل
بعد عروض اضدادها باعواز الطعام والشراب واللباس والمسكن وليس الامر فيها كذلك بل كلما وقع فيها شهوة
وميل الى شيء من الامور المذكورة تمتع به من غير ان يصل الى حد الضرورة ووجه افراده عليه السلام بما ذكر ما
مر آنفا وفصل الظما عن الجوع في الذكر مع تجانسهما وتقارنهما في الذكر عادة وكذا حال العري والضحو المتجانسين
لتوفية مقام الامتنان حقه بالاشارة الى ان نفي كل واحد من تلك الامور نعمة على حيالها ولو جمع بين الجوع و
الظما لربما توهم ان نفيهما نعمة واحدة فكذا الحال في الجمع بين العري والضحو على منهاج قصة البقرة وللزيادة
التقرير بالتنبيه على ان نفي كل واحد من الامور المذكورة مقصود بالذات مذكور بالاصالة لا ان نفي بعضها مذكور
بطريق الاستطراد والتبعية لنفي بعض آخر كما عسى يتوهم لو جمع بين كل من المتجانسين وقرئ انك بالكسر والجمهور
على الفتح بالعطف على الجميع وصحة وقوع الجملة المصدرة بان المفتوحة اسما للمكسورة لما في افادة التحقيق
مع امتناع وقوعها خبرا لها لما ان المحذور اجتماع حرفي التحقيق في مادة واحدة ولا اجتماع فيما نحن فيه لاختلاف
مناط التحقيق فيما في حيزها بخلاف ما لو وقعت خبرا لها فان اتحاد المناط حينئذ مما لا ريب فيه بيانه ان
كل واحدة من المكسورة والمفتوحة موضوعة لتحقيق مضمون الجملة الخبرية المنعقدة من اسمها وخبرها ولا
يخفى ان مرجع خبريتها ما فيها من الحكم الايجابي والسلبي وان مناط ذلك الحكم خبرها لا اسمها فمدلول كل
منهما تحقيق ثبوت خبرها لاسمها لا ثبوت اسمها في نفسه فاللازم من وقوع الجملة المصدرة بالمفتوحة
اسما للمكسورة تحقيق ثبوت خبرها لتلك الجملة المأولة بالمصدر واما تحقيق ثبوتها في نفسها فهو مدلول
المفتوحة حتما فلم يلزم اجتماع حرفي التحقيق في مادة واحدة قطعا وانما لم يجوزوا ان يقال ان ان زيدا قائم
حق مع اختلاف المناط بل شرطوا الفصل بالخبر كقولنا ان عندي ان زيدا قائم للتجافي عن صورة الاجتماع قالوا
والعاطفة وان كانت نائبة عن المكسورة التي يمنع دخولها على المفتوحة بلا فصل وقائمة مقامها في افضاء معناها
واجراء احكامها على مدخولها لكنها حيث لم يكن حرفا موضوعا للتحقيق لم يلزم من دخولها على المفتوحة اجتماع حرفي
التحقيق اصلا فالمعنى ان لك عدم الجوع وعدم العري وعدم الظما خلا انه لم يقتصر على بيان ان الثابت له
عليه السلام الظما والضحو مطلقا كما فعل مثله في المعطوف عليه بل قصد بيان ان الثابت له عليه السلام
تحقيق عدمها فوضع موضع الحرف المصدري المحض المفيد له كانه قيل ان لك فيها عدم ظمائك على التحقيق
فوسوس اليه الشيطان اي انهى اليه وسوسته او اسرها اليه قال اما بدل من وسوسه او استئناف
وقع جوابا عن سؤال نشأ منه كانه قيل فماذا قال في وسوسته فقيل قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد اي شجرة

من اكل منها خلد ولم يمت اصلاً سواء كان على حاله او بان يكون ملكا لقوله تعالى الا ان تكونا ملكين او تكونا
من الخالدين وملك لا يبلى اي لا يزول ولا يختل بوجه من الوجوه فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما قال ابن عباس رضي
الله عنهما عريا عن النور الذي كان البسهما الله تعالى حتى بدت فروجهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قد
مر تفسيره في سورة الاعراف وعصى آدم ربه بما ذكر من اكل الشجرة فغوى ضل عن مطلوبه الذي هو الخلود او عن المامور
به او عن الرشد حيث اغتر بقول العدو وقرى فغوي من غوي الفصيل اذا اتخم من اللبن وفي وصفه عليه السلام
بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم لها وزجر بليغ لاولاده عن امثالها ثم اجتباه ربه اي اصطفاه وقرّبه
اليه بالحمل على التوبة والتوفيق لها من اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه اي جمعه كقولك اجمعته او من جبي الى كذا فاجتبيته
مثل جليت على العروس فاجتليتها واصل الكلمة الجمع وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
مزيد تشريف له عليه السلام فتاب عليه اي قبل توبته حين تاب هو وزوجته قايلين ربنا ظلمنا انفسنا وان لم
تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وافراده عليه السلام بالاجتباء وقبول التوبة قد مرّ وجهه وهدى اي
الى الثبات على التوبة والتمسك باسباب العصمة قال استيناف مبني على سؤال نشا من الاخبار بانه تعالى قبل
توبته وهداه كانه قيل فماذا امره تعالى بعد ذلك فقيل قال له ولزوجته اهبطا منها جميعا اي انزلا من
الجنة الى الارض وقوله تعالى بعضكم لبعض عدو حال من ضمير المخاطب في اهبطا والجمع لما انهما اصل الذرية
ومنشا الاول اي متعادين في امر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب فاما ياتينكم مني هدى وضع
الظاهر موضع المضمر مع الاضافة الى الضمير تعالى للتشريف والمبالغة في ايجاب اتباعه فلا يضل في الدنيا ولا يشقى
في الآخرة ومن اعرض عن ذكري اي عن الهدى الذاكر لي والداعي لي فان له في الدنيا معيشة ضنكا ضيقا مصدر وصف
به ولذلك يستوي فيه المذكر والمونث وقرى ضنكى ككسرى وذلك لان مجامع همته ومطامح نظره مقصورة
على اعراض الدنيا وهو متهالك على ازديادها وخايف من انتقاصها بخلاف المومن الطالب للآخرة مع
انه قد يضيق الله تعالى بشوم الكفر ويتسع ببركة الايمان كما قال تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة
وقال تعالى ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولو ان اهل الكتاب امنوا
الى قوله تعالى لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل هو الضريع والزقوم في النار وقيل عذاب القبر
ونحشره وقرى بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطف على محل فان له معيشة ضنكا لانه جواب الشرط
يوم القيمة اعمى فاقد البصر كما في قوله تعالى ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما لا اعمى عن الحجة
كما قيل قال استيناف كما مر رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا اي في الدنيا وقرى اعمى بالامالة في الموضعين
وفي الاول فقط لكونه جديرا بالتغيير لكونه راس الاية ومحل الوقف قال كذلك ومثل ذلك النسيان الذي
كنت فعلته في الدنيا اتتك اياتنا فنسيتها اي عميت تركت في العمى والعذاب جزاء وفاقا لكن لا ابدا
كما قيل بل الى ما شاء الله تعالى ثم يزيله عنه فيرى اهوال القيمة ويشاهد مقعده من النار ويكون له ذلك
عذابا فوق العذاب وكذا البكم والصمم يزيلهم الله تعالى عنهم اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا وكذلك اي
مثل ذلك الجزاء الموافق للجناية نجزي من اسرف في الانهماك في الشهوات ولم يومن بايات ربه بل كذبها
واعرض عنها ولعذاب الآخرة على الاطلاق او عذاب النار اشد وابقى اي من ضنك العيش او من الحشر على العمى
افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون كلام مستانف مسوق لتقرير ما قبله من قوله تعالى وكذلك نجزي الآية
والهمزة للانكار التوبيخي والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام واستعمال الهداية باللام اما لتنزيلها
منزلة اللازم فلا حاجة الى المفعول او لانها بمعنى التبيين والمفعول محذوف وايا ما كان فالفاعل هو
الجملة بمضمونها ومعناها وضميرهم للمشركين المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى اغفلوا
فلم يفعل الهداية لهم او فلم يتبين لهم مآل امرهم كثرة اهلاكنا للقرون الماضية وقد مر قوله تعالى اولم

فمن تبع هداي

عنها وتركتها ترك المنسي الذي لا يذكر اصلا وكذلك
ومثل ذلك النسيان الذي كنت فعلته في الدنيا اليوم
تنسى

يهد للذين

يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها الاية وقيل الفاعل الضمير العايد الى الله عز وجل ويؤيده القراءة بنون
العظمة وقوله تعالى اهلكنا الى آخره اما متعلق للفعل ساد مسد مفعوله او مفسر لمفعوله المحذوف هكذا قيل
والاوجه ان لا يلاحظ له مفعول كانه قيل افلم يفعل الله تعالى لهم الهداية ثم قيل بطريق الالتفات كم اهلكنا
الى آخره بيان لتلك الهداية ومن القرون في محل النصب على انه وصف مميز كم فيها كاينا من القرون وقوله تعالى
يمشون في مساكنهم حال من القرون او مفعول اهلكنا اي اهلكناهم وهم في حال امن وتقلب في ديارهم او من
الضمير في لهم موكد للانكار والعامل يهد والمعنى افلم يهد لهم اهلاكنا للقرون السالفة من اصحاب الحجر وثمود
وقريات قوم لوط حال كونهم ماشين في مساكنهم اذا سافروا الى الشام مشاهدين لاثار هلاكهم مع ان ذلك
مما يوجب ان يهتدوا الى الحق فيعتبروا ولئلا يحل بهم مثل ذلك مثل ما حل باوليك وقرى يمشون على
البناء للمفعول اي يمكنون في المشي ان في ذلك تعليل للانكار وتقرير للهداية مع عدم اهتدائهم وذلك
اشارة الى مضمون قوله تعالى كم اهلكنا الى آخره وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلته وعلو شانه
لآيات كثيرة عظيمة واضحات الهداية ظاهرات الدلالة على الحق فاذا هو هاد واي ما هاد ويجوز ان يكون
كلمة في تجريدية فافهم لاولي النهى لذوي العقول الناهية في القبايح التي من اقبحها ما يتعاطاه كفار مكة
من الكفر بايات الله تعالى والتعامي عنها وغير ذلك من فنون المعاصي وفيه دلالة على ان مضمون الجملة
هو الفاعل لا المفعول وقوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك كلام مستانف مبني لبيان حكمة عدم وقوع
ما يشعر به قوله تعالى افلم يهد لهم الاية من ان يصيبهم مثل ما اصاب القرون المهلكة ولولا الكلمة السابقة
وهي العدة بتاخير عذاب هذه الامة الى الآخرة لحكمة تقتضيه ومصلحة تستدعيه لكان عقاب جناياتهم
لزاما اي لازما لهولاء الكفرة بحيث لا يتاخر عن جناياتهم ساعة نزول ما نزل باوليك الغابرين وفي التعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلوة والسلام تلويح بان ذلك التاخير لتشريفه عليه الصلوة
والسلام كما ينبئ عنه قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم واللزام اما مصدر لازم وصف به مبالغة
واما فعال بمعنى مفعل جعل آلة اللزوم لفرط لزومه كما يقال لزام خصم واجل مسمى عطف على كلمة اي ولولا
اجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم وهو يوم القيمة او يوم بدر لما تاخر عذابهم اصلا وفصله عما عطف عليه للمسارعة
الى بيان جواب لولا وللاشعار باستقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب ومراعاة فواصل الآي الكريمة وقد جوز
عطفه على المستكن في كان العايد الى الاخذ العاجل المفهوم من السياق تنزيلا للفصل بالخبرية منزلة التاكيد
اي لكان الاخذ العاجل مسمى لازمين لهم كعاد وثمود واضرابهم ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل
فاصبر على ما يقولون اي اذا كان الامر ما ذكر من ان تاخير عذابهم ليس باهمال بل امهال فانه لازم لهم البتة
فاصبر على ما يقولون من كلمات الكفر فان علمه صلى الله عليه وسلم بانهم معذبون لا محالة مما يسليه ويحمله على
الصبر وسبح ملتبسا بحمد ربك اي صل وانت حامد لربك الذي خلقك ويبلغك الى كمالك على هدايته
وتوفيقه او نزهه تعالى عما ينسبونه اليه مما لا يليق بشانه الرفيع حامدا له على ما ميزك بالهدى معترفا
بانه مولى النعم كلها والاول هو الاظهر المناسب لقوله تعالى قبل طلوع الشمس الى آخره فان توقيت التنزيه
غير معهود فالمراد صلوة الفجر وقبل غروبها يعني صلوتي الظهر والعصر لانهما قبل غروبها بعد زوالها وجمعهما
لمناسبة لقوله تعالى وقبل صلوة العصر ومن اناء الليل اي من ساعاته جمع انى بالكسر والقصر واناء بالفتح والمد
فسبح اي فصل والمراد به المغرب والعشاء وتقديم الوقت فيهما لاختصاصهما بمزيد الفضل فان القلب
فيهما اجمع والنفس الى الاستراحة اميل فيكون العبادة فيهما اشق ولذلك قال تعالى ان ناشئة الليل
هي اشد وطأ واقوم قيلا واطراف النهار تكرير لصلاتي الفجر والمغرب ايذانا باختصاصهما بمزيد مزية
ومجيئه بلفظ الجمع لامن الالباس كقول من قال ظهراهما مثل ظهور الترسين او امر بصلاة الظهر

فانه نهاية النصف الاول من ليلها وبداية النصف الاخير وجمعه باعتبار النصفين او لان النهار جنس
او امر بالتطوع في اجزاء النهار لعلك ترضى متعلق بسبح اي سبح في هذه الاوقات رجاء ان تنال عنده تعالى
ما ترضى به نفسك وقرى ترضى على صيغة البناء للمفعول من ارضى اي يرضيك ربك ولا تمدن عينيك اي
لا تطل نظرهما بطريق الرغبة والميل الى ما متعنا به من زخارف الدنيا وقوله تعالى ازواجا منهم اي اصنافا
من الكفرة مفعول متعنا قدم عليه الجار والمجرور للاعتناء به او هو حال من الضمير والمفعول منهم اي الى
الذي متعنا به وهو اصناف وانواع بعضهم على انه بمعنى من التبعيضية او بعضا منهم على حذف الموصوف كما مر
زهرة الحيوة الدنيا منصوب بمحذوف يدل عليه متعنا اي اعطينا او به على تضمين معناه او بالبدلية
من محله او من ازواجا بتقدير مضاف او بدونه او بالذم وهي الزينة والبهجة وقرى زهرة بفتح الهاء
وهي لغة كالجهرة والجهرة او جمع زاهر وصف لهم بانهم زاهروا الدنيا لتنعمهم وتهاذيهم بخلاف ما عليه
المؤمنون الزهاد لنفتنهم فيه متعلق بمتعنا جيء به للتنفير عنه ببيان سوء عاقبته مآلا اثر اظهار
بهجته حالا اي لنعاملهم معاملة من يختبرهم فيه او لنعذبهم في الآخرة بسببه ورزق ربك اي ما ادخر
لك في الآخرة او ما رزقك في الدنيا من النبوة والهدى خير مما منحهم في الدنيا لانه مع كونه نفيسا في
نفسه اجل ما يتنافس فيه المتنافسون مأمون الغائلة بخلاف ما منحوه وابقى فانه لا يكاد ينقطع نفسه
او اثره ابدا كما عليه زهرة الدنيا وامر اهلك بالصلوة امره عليه الصلوة والسلام ان يامر اهل بيته بالصلوة
او التابعين من امته بعد ما امر هو بها ليتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم ولا يهتموا بامر المعيشة
ولا يلتفتوا الى ارباب الثروة واصطبر عليها وثابر عليها غير مشتغل بامر المعاش لا نسألك رزقا اي لا نكلفك
ان ترزق نفسك ولا اهلك نحن نرزقك واياهم ففرغ بالك بامر الآخرة والعاقبة الحميدة للتقوى اي لاهل
التقوى على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تنبيها على ان ملاك الامر هو التقوى روى
انه عليه الصلوة والسلام كان اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلوة وتلا هذه الآية وقالوا لولا ياتينا باية من ربه
حكاية لبعض اقاويلهم الباطلة التي امر عليه الصلوة والسلام بالصبر عليها اي هلا ياتينا باية تدل على
صدقه في دعوى النبوة او باية مما اقترحوها بلغوا من المكابرة والعناد الى حيث لم يعدوا ما شاهدوا
من المعجزات التي تخر لها صم الجبال من قبيل الآيات حتى اجترؤا على التفوه بهذه العظيمة الشنعاء وقوله تعالى
اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى اي التورية والانجيل وسائر الكتب السماوية رد من جهته عز وعلا لمقالتهم
القبيحة وتكذيب لهم فيما دسوا تحتها من انكار اتيان الآية باتيان القرآن الكريم الذي هو ام الآيات
واس المعجزات واعظمها وابقاها لان حقيقة المعجزة اختصاص مدعي النبوة بنوع من الامور الخارقة
للعادات اي امر كان ولا ريب في ان العلم اجل الامور واعلاها اذ هو اصل الاعمال ومبدأ الافعال ولقد ظهر
مع حيازته لجميع علوم الاولين والآخرين على يد امي لم يمارس شيئا من العلوم ولم يدارس احدا من اهلها اصلا فاي
معجزة تراد بعد وروده واي بينة ترام مع وجوده وفي ايراده بعنوان كونه بينة لما في الصحف الاولى من التورية
والانجيل وسائر الكتب السماوية اي شاهد بحقية ما فيها من العقائد الحقة واصول الاحكام التي اجمعت
عليها كافة الرسل وبصحة ما نطق به من انباء الامم من حيث انه غني باعجازه عما يشهد بحقيته حقيق باثبات حقية
غيره ما لا يخفى من تنويه شانه وانارة برهانه ومزيد تقرير وتحقيق لاتيانه واسناد الاتيان اليه مع جعلهم
اياه ما شافه للتنبيه على اصالته فيه مع ما فيه من المناسبة للبينة والهمزة لانكار الوقوع والواو للعطف
على مقدر يقتضيه المقام كانه قيل الم ياتهم سائر الآيات ولم ياتهم خاصة بينة ما في الصحف الاولى تقريرا
لاتيانه وايذانا بانه من الوضوح بحيث لا يتاتى منهم انكاره اصلا وان اجترؤا على انكار سائر الآيات مكابرة
وعنادا وقرى اولم ياتهم بالياء التحتانية وقرى الصحف بالسكون تخفيفا وقوله تعالى ولو انا اهلكناهم

بعذاب

بعذاب الى آخر الآية جملة مستانفة سيقت لتقرير ما قبلها من كون القرآن اية بينة لا يمكن انكارها ببيان
انهم يعترفون بها يوم القيمة والمعنى لو انا اهلكناهم في الدنيا بعذاب مستاصل من قبله متعلق باهلكنا او
بمحذوف هو صفة لعذاب اي بعذاب كائن من قبل اتيان البينة او من قبل محمد صلى الله عليه وسلم لقالوا اي يوم
القيمة ربنا لولا ارسلت الينا في الدنيا رسولا مع كتاب فنتبع آياتك التي جاءنا بها من قبل ان نذل بالعذاب في الدنيا
ونخزى بدخول النار اليوم ولكنا لم نهلكهم قبل اتيانها فانقطعت معذرتهم فعند ذلك قالوا بلى قد جاءنا نذير
فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء قل لاولئك الكفرة المتمردين كل اي كل واحد منا ومنكم متربص منتظر لما يؤول
اليه امرنا وامركم فتربصوا وقرى فتمتعوا فستعلمون عن قريب من اصحاب الصراط السوي اي المستقيم وقرى
السواء اي الوسط الجيد وقرى السوى والسوء والسوي تصغير السوء ومن اهتدى من الضلالة ومن في الموضعين
استفهامية محلها الرفع بالابتداء خبرهما ما بعدهما والجملة سادة مسد مفعولي العلم او مفعوله ويجوز كون
الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العائد فيكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل
على ان العلم بمعنى المعرفة او على الصراط وقيل العائد في الاول محذوف والنقد يرمنهم اصحاب الصراط عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة طه اعطي يوم القيمة ثواب الانصار والمهاجرين وقال لا يقرأ اهل الجنة الا سورة طه ويس

سورة الانبياء وهي مائة واثنا عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم مناسبة هذه الفاتحة الكريمة لما قبلها من الخاتمة الشريفة غنية عن البيان
قال ابن عباس رضي الله عنهما المراد بالناس المشركون وهو الذي يفصح عنه ما بعده والمراد باقتراب حسابهم اقترابه
في ضمن اقتراب الساعة واسناد الاقتراب اليه لا الى الساعة مع ان استتباعها له ولسائر ما فيها من الاحوال
والاهوال الفظيعة لان سياق الكلام الى بيان غفلتهم عنه واعراضهم عما يذكرهم واللام متعلقة بالفعل وتقديمها
على الفاعل للمسارعة الى ادخال الروعة فان نسبة الاقتراب اليهم من اول الامر مما يسوؤهم ويورثهم دهشة
وانزعاجا من المقترب كما ان الجار والمجرور على المفعول الصريح في قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا
لتعجيل المسرة لما ان بيان كون الخلق لاجل المخاطبين مما يسرهم ويزيدهم رغبة فيما خلق لهم وشوقا اليه وجعلها
تاكيدا للاضافة على ان الاصل المتعارف فيما بين الاوساط اقترب حساب الناس مع انه تعسف تام بمعزل
عما يقتضيه المقام واما الذي يستدعيه حسن النظام ما قدمناه والمعنى دنى منهم حساب اعمالهم السيئة
الموجبة للعقاب وفي اسناد الاقتراب المنبي عن التوجه نحوهم الى الحساب مع امكان العكس بان يعتبر التوجه
والاقبال من جهتهم نحوه من تفخيم شانه وتهويل امره ما لا يخفى لما فيه من تصوير بصورة شيء مقبل عليهم لا يزال
يطلبهم ويصيبهم لا محالة ومعنى اقترابه لهم تقاربه ودنوه منهم بعد بعده عنهم فانه في كل ساعة من ساعات
الزمان اقرب اليهم منه في الساعة السابقة هذا واما الاعتذار بان قربه بالاضافة الى ما مضى من الزمان او بالنسبة
الى الله عز وجل او باعتبار ان كل آت قريب فلا تعلق له بما نحن فيه من الاقتراب المستفاد من صيغة الماضي ولا
حاجة اليه في تحقيق اصل معناه نعم قد يفهم منه عرفا كونه قريبا في نفسه ايضا فيطارح الى التوجه بالوجه
الاول دون الاخيرين اما الثاني فلا سبيل الى اعتباره ههنا لان قربه بالنسبة اليه تعالى مما لا يتصور
فيه التجدد والتفاوت حتما وانما اعتباره في قوله تعالى لعل الساعة قريب ونظائره مما لا دلالة له على
الحدوث واما الثالث فلا دلالة فيه على القرب حقيقة ولو بالنسبة الى شيء آخر وهم في غفلة اي في
غفلة تامة منه ساهون عنه بالمرة لا انهم غير مبالين به مع اعترافهم باتيانه بل منكرون له كافرون به
مع اقتضاء عقولهم ان الاعمال لا بد لها من الجزاء معرضون اي عن الآيات والنذر المنبهة لهم عن سنة الغفلة
وهما خبران للضمير وحيث كانت الغفلة امرا جبليا لهم جعل الخبر الاول ظرفا منبئا عن الاستقرار بخلاف الاعراض

والله اعلم

ثم اقترب للناس حسابهم ح

والجملة حال من الناس وقد جوز كون الظرف حال من المستكن في معرضون ما يأتيهم من ذكر من طائفة نازلة
من القرآن تذكرهم ذلك اكمل تذكير وتنبهم من الغفلة اتم تنبيه كانها نفس الذكر ومن في قوله تعالى من
ربهم لابتداء الغاية مجازا متعلقة بيأتيهم او بمحذوف هو صفة لذكر واياما كان ففيه دلالة على فضله
وشرفه وكمال شناعة ما فعلوا به والتعرض لعنوان الربوبية لتشديد التشنيع محدث بالجر صفة لذكر
وقرئ بالرفع حملا على محله اي محدث تنزيله بحسب اقتضاء الحكمة وقوله تعالى الا استمعوه استثناء
مفرغ محله النصب على انه حال من مفعول يأتيهم باضمار قد وبدونه على الجلاء والمشهور وقوله تعالى وهم يلعبون
حال من فاعل استمعوه وقوله تعالى لاهية قلوبهم اما حال اخرى منه او من واو يلعبون والمعنى ما يأتيهم
ذكر من ربهم محدث في حال من الاحوال الا حال استماعهم اياه لاعبين مستهزئين به لاهين عنه او لاعبين به حال
كون قلوبهم لاهية عنه لتناهي غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر في الامور والتفكر في العواقب وقرئ
لاهية بالرفع على انه خبر بعد خبر واسروا النجوى كلام مستأنف مسوق لبيان جناية خاصة اثر حكاية جنايتهم
المعتادة والنجوى اسم من التناجي ومعنى اسرارها مع انها لا تكون الا سرا انهم بالغوا في اخفائها واسروا نفس
التناجي بحيث لم يشعر احد انهم متناجون وقوله تعالى الذين ظلموا بدل من واو اسروا منبئ عن كونهم موصوفين
بالظلم الفاحش فيما اسروا به او هو مبتدأ خبره اسروا النجوى قدم عليه اهتماما به والمعنى هم اسروا النجوى
فوضع الموصول موضع الضمير تسجيلا على فعلهم لكونه ظلما او منصوب على الذم وقوله تعالى هل هذا الا بشر
مثلكم الى آخره في حيز النصب على انه مفعول لقول مضمر هو جواب عن سؤال نشأ عما قبله كانه قيل ماذا قالوا في
نجويهم فقيل قالوا هل هذا الى آخره او بدل من اسروا او معطوف عليه او على انه بدل من النجوى اي اسروا هذا الحديث
وهل بمعنى النفي والهمزة في قوله تعالى افتأتون السحر للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله
تعالى وانتم تبصرون حال من فاعل تأتون مقررة للانكار ومؤكدة للاستبعاد والمعنى ما هذا الا بشر مثلكم اي من
جنسكم وما اتى به سحر تعلمون ذلك فتأتونه وتحضرونه على وجه الاذعان والقبول وانتم تعاينون انه سحر قالوه
بناء على ما ارتكز في اعتقادهم الزائغ ان الرسول لا يكون الا ملكا وان كل ما يظهر على يد البشر من الخوارق من قبيل
السحر وزل عنهم ان ارسال البشر الى عامة البشر هو الذي يقتضيه الحكمة التشريعية قاتلهم الله انى يؤفكون
وانما اسروا ذلك لانه كان على طريق توثيق العهد وترتيب مبادي الشر والفساد وتمهيد مقدمات المكر والكيد
في هدم امر النبوة واطفاء نور الدين والله متم نوره ولو كره المشركون قال ربي يعلم القول في السماء والارض حكاية من
جهته تعالى لما قاله عليه الصلوة والسلام بعدما اوحي اليه احوالهم واقوالهم بيانا لظهور امرهم وانكشاف
سرهم وايثار القول المنتظم للسر والجهر على السر لاثبات علمه تعالى بالسر على النهج البرهاني مع ما فيه من الايذان
بان علمه تعالى بالسر والجهر على وتيرة واحدة لا تفاوت بينهما في الجلاء والخفاء قطعا كما في علوم الخلق وقرئ
قل ربي وقوله تعالى في السماء والارض متعلق بمحذوف وقع حالا من القول اي كائنا في السماء وقوله تعالى
وهو السميع العليم اي المبالغ في العلم بالمسموعات والمعلومات التي من جملتها ما اسروه من النجوى فيجازيهم
باقوالهم وافعالهم اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله متضمن للوعيد بل قالوا اضغاث احلام اضراب من
جهته تعالى وانتقال من حكاية قولهم السابق الى حكاية قول آخر مضطرب في مطارد البطلان اي لم يقتصروا
على ان يقولوا في حقه عليه الصلوة والسلام هل هذا الا بشر وفي حق ما ظهر على يده من القرآن العظيم
انه سحر بل قالوا تخاليط احلام ثم اضربوا عنه فقالوا بل افتراه من تلقاء نفسه من غير ان يكون له اصل
او لشبهة اصل ثم قالوا بل هو شاعر وما اتى به شعر يخيل الى السامع معاني لا حقيقة لها وهكذا شأن المبطل
المحجوج متحيرا لا يزال يتردد بين باطل وابطل ويتذبذب بين فاسد وافسد فالاضراب الاول كما ترى من
جهته تعالى والثاني والثالث من قبلهم حيث اضربوا عن قولهم هذا سحر الى انه تخاليط احلام ثم الى انه كلام مفترى

ثم الى انه

ثم الى انه قول شاعر ولا ريب في انه كان ينبغي ان يقال قالوا بل اضغاث احلام والاعتذار بان بل قالوا مفعول
لقالوا المضمر قبل قوله تعالى هل هذا الا بشر الى آخره كانه قيل واسروا النجوى قالوا هل هذا الى قوله بل اضغاث
احلام وانما صرح بقالوا بعد بل لبعد العهد مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله فليأتنا باية جواب شرط
محذوف يفصح عنه السياق كانه قيل وان لم يكن كما قلنا بل كان رسولا من الله فليأتنا باية كما ارسل الاولون
اي مثل الاية التي ارسل الاولون كاليد والعصا ونظائرهما حتى نؤمن به فما موصولة ومحل الكاف الجر على انها
صفة لاية ويجوز ان يكون مصدرية فالكاف منصوبة على انها مصدر تشبيهي نعت لمصدر محذوف اي
فليأتنا باية اتيانا كائنا مثل ارسال الاولين بها وصحة التشبيه من حيث ان الاتيان مترتب على الارسال
ويجوز ان يحمل النظم الكريم على انه اريد كل واحد من الاتيان والارسال في كل واحد من طرفي التشبيه لكنه ترك
في جانب المشبه ذكر الارسال وفي جانب المشبه به ذكر الاتيان اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في الموطن
الآخر حسبما مر في آخر سورة يونس عليه السلام ما آمنت قبلهم من قرية كلام مستأنف مسوق لتكذيبهم فيما ينبئ
عنه خاتمة مقالهم من الوعد الضمني بالايمان كما اشير اليه وبيان انهم في اقتراح تلك الايات كالباحث عن
حتفه بظلفه وان في ترك الاجابة اليه ابقاء عليهم كيف لا ولو اعطوا ما اقترحوا مع عدم ايمانهم قطعا لوجب
استيصالهم بجريان سنة الله عز وجل في الامم السالفة على ان المقترحين اذا اعطوا ما اقترحوا ثم لم يؤمنوا
نزل بهم عذاب الاستيصال لا محالة وقد سبقت كلمة الحق منه تعالى ان هذه الامة لا يعذبون بعذاب الاستيصال
فقوله تعالى من قرية اي من اهل قرية في محل الرفع على الفاعلية ومن مزيدة لتأكيد العموم وقوله تعالى اهلكناها
اي باهلاك اهلها لعدم ايمانهم بعد مجيء ما اقترحوا من الايات صفة لقرية والهمزة في قوله تعالى افهم يؤمنون
لانكار الوقوع والفاء للعطف اما على مقدر دخلته الهمزة فافادة انكار وقوع ايمانهم ونفيه عقيب عدم ايمان
الاولين فالمعنى انه لم يؤمن امة من الامم المهلكة عند اعطاء ما اقترحوا من الايات اهم لم يؤمنوا فهؤلاء
يؤمنون لو اجيبوا الى ما سألوا واعطوا ما اقترحوا مع كونهم اعتى منهم واطغى واما على ما آمنت على ان الفاء
متقدمة على الهمزة في الاعتبار مفيدة لترتيب انكار وقوع ايمانهم على عدم ايمان الاولين وانما قدمت عليها
الهمزة لاقتضائها الصدارة كما هو راي الجمهور وما ارسلنا قبلك الا رجالا جواب لقولهم هل هذا الا بشر الى آخره
متضمن لرد ما دسوا تحت قولهم كما ارسل الاولون من التعريض بعدم كونه صلى الله عليه وسلم مثل اولئك
الرسل صلوات الله عليهم اجمعين ولذلك قدم عليه جواب قولهم فليأتنا باية ولانهم قالوا ذلك بطريق
التعجيز فلا بد من المسارعة الى رده وابطاله كما مر في قوله تعالى قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما انتم
بمعجزين وقوله تعالى ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين ولان في هذا الجواب نوع بسط يخل تقديمه
بتجاذب اطراف النظم الكريم والحق انما اتخذوه سببا للتكذيب موجب للتصديق في الحقيقة لان مقتضى
الحكمة ان يرسل الى البشر البشر والى الملك الملك حسبما ينطق به قوله تعالى قل لو كان في الارض ملائكة
يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا فان عامة البشر بمعزل عن استحقاق المفاوضة الملكية
لتوقفها على التناسب بين المفيض والمستفيض فبعث الملك اليهم مزاحم للحكمة التي عليها يدور فلك التكوين
والتشريع وانما الذي تقتضيه الحكمة ان يبعث الملك منهم الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين
بالقوة القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب وقوله تعالى
نوحي اليهم استيناف مبين لكيفية الارسال وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية المستمرة وحذف
المفعول لعدم القصد الى خصوصه والمعنى وما ارسلنا الى الامم قبل ارسالك اليها الى امتك الا رجالا مخصوصين
من افراد البشر متأهلين للاصطفاء والارسال نوحي اليهم بواسطة الملك ما نوحي من الشرائع والاحكام
وغيرهما من القصص والاخبار كما نوحي اليك من غير فرق بينهما في حقيقة الوحي وحقيقة مدلوله حسبما

بجكيه قوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين وقوله تعالى وكلم الله موسى تكليما كما لا فرق بينك وبينهم
في البشرية فما لهم لا يفقهون انك لست بدعا من الرسل انما اوحي اليك ليس مخالفا لما اوحي اليهم فيقولون ما يقولون
وقرى يوحي اليهم بالياء على صيغة المبني للمفعول جريا على سنن الكبرياء وايذانا بتعيين الفاعل وقوله تعالى
فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون تلوين للخطاب وتوجيه له الى الكفرة لتبكيتهم واستنزالهم عن رتبة الاستبعاد والتنكير
اثر تحقيق الحق على طريقة الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالخطاب في امثال تلك الحقائق الانيقة واما
الوقوف عليها بالاستخبار من الغير فهو من وظائف العوام والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها وجواب الشرط محذوف
ثقة بدلالة المذكور عليه اي ان كنتم لا تعلمون ما ذكر فاسئلوا ايها الجهلة اهل الكتاب الواقفين على احوال الرسل
السالفة عليهم السلام لتزول شبهتكم امروا بذلك لان اخبار الجم الغفير يوجب العلم لا سيما وهم كانوا يشايعون
المشركين في عداوته صلى الله عليه وسلم ويشاورونهم في امره عليه الصلوة والسلام ففيه من الدلالة على كمال
وضوح الامر وقوة شان النبي عليه الصلاة والسلام ما لا يخفى وما جعلناهم جسدا والجسد جسم الانسان والجن
والملئكة ونصبه اما على انه مفعول ثان للجعل لكن لا بمعنى جعله جسدا بعد ان لم يكن كذلك كما هو المشهور من معنى
التصيير بل بمعنى جعله كذلك ابتداء على طريقة قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل كما في قوله تعالى و
جعلنا اية النهار مبصرة واما حال من الضمير والجعل ابداعي وافراده لارادة الجنس المنتظم الكثير ايضا وقيل بتقدير
المضاف اي ذو جسد وقوله تعالى لا ياكلون الطعام صفة له اي وما جعلناهم جسدا مستغنيا عن الاكل والشرب
بل محتاجا الى ذلك لتحصيل بدل ما يتحلل منه وما كانوا خالدين لان مال التحلل هو الفناء لا محالة وفي ايثار ما كانوا
على ما جعلناهم تنبيه على ان عدم الخلود مقتضى جبلتهم التي اشير اليها بقوله تعالى وما جعلناهم الى اخره الا
بالجعل المستانف والمراد بالخلود اما المكث المديد كما هو شان الملئكة او الابدية وهم معتقدون انهم لا يموتون
والمعنى جعلناهم اجسادا متغذية صائرة الى الموت بالاخرة على حسب اجالهم لا ملائكة ولا اجسادا مستغنية
عن الاغذية مصونة عن التحلل كالملائكة فلم يكن لها خلود كخلودهم فالجملة مقررة لما قبلها من كون الرسل السالفة
عليهم السلام بشرا لا ملكا مع ما في ذلك من الرد على قولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام وقوله تعالى ثم صدقناهم الوعد
عطف على ما يفهم منه حكاية وجيه تعالى عليهم على الاستمرار التجددي كانه قيل اوحينا اليهم ما اوحينا ثم صدقناهم
في الوعد الذي وعدناهم في تضاعيف الوحي باهلاك اعدائهم فانجيناهم ومن نشاء من المؤمنين وغيرهم ممن يستدعي
الحكمة ابقاءه كمن سيؤمن هو او بعض فروعه بالاخرة وهو السر في حماية العرب من عذاب الاستئصال واهلكنا
المسرفين اي المتجاوزين الحدود في الكفر والمعاصي لقد انزلنا اليكم كلام مستانف مسوق لتحقيق حقيقة القران
العظيم الذي ذكر في صدر السورة الكريمة اعراض الناس عما يأتيهم من اياته واستهزاؤهم به وتسميتهم تارة سحرا
وتارة اضغاث احلام واخرى مفترى وشعرا وبيان علو رتبته اثر تحقيق رسالته صلى الله عليه وسلم وبيان
انه كسائر الرسل الكرام عليهم السلام قد صدر بالتوكيد القسمي اظهارا لمزيد الاعتناء بمضمونه وايذانا بكون المخاطبين
في اقصى مراتب التنكير اي والله لقد انزلنا اليكم يا معشر قريش كتابا عظيم الشان نير البرهان وقوله تعالى فيه
ذكركم صفة لكتابا مؤكدة لما افاده التنكير التفخيمي من كونه جليل المقدار بانه جميل الاثار مستجلب لهم منافع جليلة
اي فيه شرفكم وصيتكم كقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك افلا تعقلون ما تحتاجون اليه في امور دينكم ودنياكم
وقيل فيه ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق وقيل فيه موعظتكم وهو الانسب لسياق النظم الكريم
وسياقه فان قوله تعالى وقيل انكار توبيخي فيه بعث لهم على التدبر في امر التامل فيما في تضاعيفه من
فنون المواعظ والزواجر التي من جملتها القوارع السابقة واللاحقة والفاء للعطف على مقدر يستدعيه الكلام
اي افلا تتفكرون افلا تعقلون ان الامر كذلك او لا تعقلون شيئا من الاشياء التي من جملتها ما ذكر وقوله تعالى
وكم قصمنا من قرية نوع تفصيل لاجمال قوله تعالى واهلكنا المسرفين وبيان لكيفية اهلاكهم وسببه وتنبيه

على كثرتهم

على كثرتهم وكم خبرية مفيدة للتكثير محلها النصب على انها مفعول لقصمنا ومن قرية تمييز وفي لفظ القصم
الذي هو عبارة عن التكسير بابانة اجزاء المكسور وازالة تاليفها بالكلية من الدلالة على قوة الغضب وشدة السخط
ما لا يخفى وقوله تعالى كانت ظالمة في محل الجر على انه صفة لقرية بتقدير مضاف ينبئ عنه الضمير الاتي اي وكثيرا
قصمنا من اهل قرية كانوا ظالمين بايات الله تعالى كافرين بها كدابكم وانشانا بعدها اي بعد اهلاكها قوما اخرين اي
ليسوا منهم نسبا ولا دينا قصيته تنبيه على استيصال الاولين وقطع دابرهم بالكلية وهو السر في تقديم انشاء
هؤلاء على حكاية مبادي اهلاك اولئك بقوله تعالى فلما احسوا باسنا اي ادركوا عذابنا الشديد ادراكا تاما كانه
ادراك المشاهد المحسوس اذا هم منها يركضون يهربون مسرعين راكضين دوابهم او مشبهين بهم في فرط الاسراع
لا تركضوا اي قيل لهم بلسان الحال او بلسان المقال من الملك او من المؤمنين بطريق الاستهزاء والتوبيخ لا
تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه من النعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة ومساكنكم التي كنتم تفتخرون بها
لعلكم تسألون تقصدون للسؤال والتشاور والتدبير في المهمات والنوازل او تفتقدون اذا رئيت مساكنكم
خالية وتسألون اين اصحابها او يسالكم الوافدون نوالكم على انهم كانوا اسخياء ينفقون اموالهم رئاء او الخلا
فقيل لهم ذلك تهكما الى تهكم قالوا لما يئسوا من الخلاص بالهرب وايقنوا بنزول العذاب يا ويلنا اي
هلاكنا انا كنا ظالمين اي مستوجبين للعذاب وهذا اعتراف منهم بالظلم وباستتباعه العذاب
وندم عليه حين لا ينفعهم ذلك فما زالت تلك دعواهم اي فما زالوا يرددون تلك الكلمة وتسميتها دعوى اي دعوة
لان المولول كانه يدعو الويل قائلا يا ويل تعال فهذا اوانك حتى جعلناهم حصيدا اي مثل الحصيد وهو المحصود
من الزرع والنبت ولذلك لم يجمع خامدين اي ميتين من خمدت النار اذا طفئت وهو مع حصيدا في
حيز المفعول الثاني للجعل كقولك جعلته حلوا حامضا والمعنى جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود
او حال من الضمير المنصوب في جعلناهم او من المستكن في حصيدا او صفة لحصيدا لتعدده معنى لانه في حكم
جعلناهم امثال الحصيد وما خلقنا السماء والارض اشارة اجمالية الى ان تكوين العالم وابداع بني ادم مؤسس
على قواعد الحكم البالغة المستتبعة للغايات الجليلة وتنبيه على ان ما حكي من العذاب الهائل والعقاب النازل
باهل القرى من مقتضيات تلك الحكم ومتفرعاتها حسب اقتضاء اعمالهم اياه وان للمخاطبين المتقدمين ذنوبا
مثل ذنوبهم اي وما خلقناهما وما بينهما من المخلوقات التي لا يحصى اجناسها وافرادها ولا تحصر انواعها واحا[دها]
على هذا النمط البديع والاسلوب المنيع خالية عن الحكم والمصالح وانما عبر عن ذلك باللعب واللهو حيث قيل
لاعبين لبيان كمال تنزهه تعالى عن الخلق الخالي عن الحكمة بتصويره بصورة ما لا يرتاب احد في استحالة
صدوره عنه سبحانه بل انما خلقناهما ليكون مبدأ الوجود الانساني وسببا للمعاش ودليلا يقوده الى تحصيل
معرفتنا التي هي الغاية القصوى بواسطة طاعتنا وعبادتنا كما ينطق به قوله تعالى وهو الذي خلق السموات
والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا وقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون وقوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا استيناف مقرر لما قبله من انتفاء اللعب واللهو اي لو اردنا
ان نتخذ ما يتلهى به ويلعب لاتخذناه من لدنا اي من جهة قدرتنا او من عندنا مما يليق بشاننا من المجردات
لا من الاجسام المرفوعة والاجرام الموضوعة كديدن الجبابرة في رفع العروش وتحسينها وتسوية الفروش
وتزيينها لكن يستحيل ارادتنا له قطعا وقوله تعالى ان كنا فاعلين جوابه محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه
اي ان كنا فاعلين لاتخذناه وقيل ان نافية اي ما كنا فاعلين اي لاتخاذ اللهو لعدم ارادتنا اياه فيكون
بيانا لانتفاء التالي لانتفاء المقدم او لارادة اتخاذه فيكون بيانا لانتفاء المقدم المستلزم لانتفاء
التالي وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة فالمراد الرد على النصارى ولا يخفى بعده بل نقذف
بالحق على الباطل اضراب عن اتخاذ اللهو بل عن ارادته كانه قيل لكنا لا نريده بل شأننا ان نغلب الحق الذي من

جعلته الحجة على الباطل الذي من قبيله اللهو وتخصيص شانه هنا من بين سائر شئونه تعالى بالذكر للتخلص لما سياتي من الوعيد فيدمغه اي يمحقه بالكلية كما فعلنا باهل القرى المحكية وقد استعير لايراد الحق على الباطل القذف الذي هو الرمي الشديد بالجرم الصلب كالصخرة وتمحقه للباطل الذي هو كسر الشيء الرخو الاجوف وهو الدماغ بحيث يشق غشاوة المودي الى زهق الروح تصويرا له بذلك وقرئ فيدمغه بالنصب وهو ضعيف وقرئ فيدمغه بضم الميم فاذا هو زاهق اي ذاهب بالكلية وفي اذا الفجائية والجملة الاسمية من الدلالة على كمال المسارعة في الذهاب والبطلان ما لا يخفى فكانه زاهق من الاصل ولكم الويل مما تصفون وعيد لقريش بان لهم ايضا مثل ما لاولئك من العذاب والعقاب ومن تعليلية متعلقة بالاستقرار الذي تعلق به الجار او بمحذوف هو حال من الويل او من ضميره في الخبر وما اما مصدرية او موصولة او موصوفة اي واستقر لكم الويل من اجل وصفكم له سبحانه بما لا يليق بشانه الجليل او بالذي تصفونه او بشيء تصفونه به من الولد او كائنا مما تصفونه تعالى به وله من في السموات والارض استيناف مقرر لما قبله من خلقه تعالى لجميع مخلوقاته على حكمة بالغة ونظام كامل وانه تعالى يحق الحق ويزهق الباطل اي له تعالى خاصة جميع المخلوقات خلقا وملكا وتصرفا واحياء واماتة وتعذيبا واثابة من غير ان يكون لاحد في ذلك دخل ما استقلالا او استتباعا ومن عنده وهم الملائكة عليهم السلام عبر عنهم بذلك اثر ما عبر عنهم بمن في السموات تنزيلا لهم لكرامتهم عليه عز وعلا وزلفاهم عنده منزلة المقربين عند الملك بطريق التمثيل وهو مبتدا خبره لا يستكبرون عن عبادته اي لا يتعظمون عنها ولا يعدون انفسهم كبيرا ولا يستحسرون ولا يكلون ولا يعيون وصيغة الاستفعال المنبية عن المبالغة في الحسور للتنبيه على ان عباداتهم بثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر منها ومع ذلك لا يستحسرون لا لافادة نفي المبالغة في الحسور مع ثبوت اصله في الجملة كما ان نفي الظلامية في قوله تعالى وما انا بظلام للعبيد لافادة كثرة الظلم المفروض تعلقه بالعبيد لا لافادة نفي المبالغة في الظلم مع ثبوت اصل الظلم في الجملة وقيل من عنده معطوف على من الاولى وافرادهم بالذكر مع دخولهم في من في السموات والارض للتعظيم كما في قوله تعالى وجبريل وميكال فقوله لا يستكبرون حينئذ حال من الثانية يسبحون الليل والنهار اي ينزهونه في جميع الاوقات ويعظمونه ويمجدونه دائما وهو استيناف وقع جوابا عما نشا مما قبله كانه قيل ماذا يصنعون في عبادتهم او كيف يعبدون فقيل يسبحون الى آخره او حال من فاعل يستحسرون وكذا قوله تعالى لا يفترون اي لا يتخلل تسبيحهم فترة اصلا بفراغ او بشغل آخر ام اتخذوا آلهة حكاية لجناية اخرى من جناياتهم بطريق الاضراب والانتقال من فن الى فن آخر من التوبيخ الى تحقيق الحق ببيان انه تعالى خلق جميع المخلوقات على منهاج الحكمة وانهم قاطبة تحت ملكوته وقهره وان عباده مذعنون لطاعته ومثابرون على عبادته منزهون له عن كل ما لا يليق بشانه من الامور التي من جملتها الانشار ومعنى الهمزة في ام المنقطعة انكار للوقوع لا انكار الواقع قوله تعالى من الارض متعلق باتخذوا او بمحذوف هو صفة لآلهة وايا ما كان فالمراد هو التحقير لا التخصيص وقوله تعالى هم ينشرون اي يبعثون الموتى صفة لآلهة وهو الذي يدور عليه الانكار والتجهيل والتشنيع لا نفس الاتخاذ فانه واقع لا محالة من الارض هم خاصة مع حقارتهم وجماديتهم ينشرون الموتى كلا فانما اتخذوها آلهة بمعزل عن ذلك وهم وان لم يقولوا بذلك صريحا لكنهم حيث ادعوا انها الالهة فكانهم ادعوا الانشار ضرورة وانه من الخصائص الالهية حتما ومعنى التخصيص في تقديم الضمير ما اشير اليه من التنبيه على كمال مباينة حالهم للانشار الموجب لمزيد الانكار كما في قوله تعالى افي الله شك وقوله تعالى ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزئون فان تقديم الجار والمجرور للتنبيه على كمال مباينة امره تعالى لان يشك فيه او يستهزا به ويجوز ان يجعل من مستتبعات ادعائهم الباطل فان الالوهية مقتضية للاستقلال بالابداء والاعادة فحيث ادعوا للاصنام الالهية فكانهم ادعوا لها الاستقلال بالانشار لو كان فيهما آلهة الا الله

ابطال

ابطال لتعدد الالهة لا لان للجمعية مدخلا في الاستدلال وكذا فرض كونها فيهما والا بمعنى غير على انها صفة لآلهة ولا مساغ للاستثناء لاستحالة شمول ما قبلها لما بعدها وافضائه الى فساد المعنى لدلالته حينئذ على ان الفساد لكونها فيهما بدونه تعالى ولا للرفع على البدل لانه متفرع على الاستثناء ومشروط بان يكون في كلام غير موجب اي لو كان في السموات والارض آلهة غير الله كما هو اعتقادهم الباطل لفسدتا اي لبطلتا بما فيهما جميعا حيث التالي علم انتفاء المقدم قطعا ببيان الملازمة ان الالهية مستلزمة للقدرة على الاستبداد بالتصرف فيهما على الاطلاق تغييرا وتبديلا وايجادا واعداما واحياء واماتة فبقاؤهما على ما هما عليه اما بتاثير كل منهما وهو محال لاستحالة وقوع المعلول المعين بعلل متعددة واما بتاثير واحد منهما فالبواقي بمعزل من الالهية قطعا واعلم ان جعل التالي فسادهما بعد وجودهما لما انه اعتبر في المقدم تعدد الالهة فيهما والا فالبرهان يقتضي استحالة التعدد على الاطلاق فانه لو تعدد الاله فان توافقوا الكل في المراد تطاردت عليه القدر وان تخالفت تعاوقت فلا يوجد موجود اصلا وحيث انتفى التالي تعين انتفاء المقدم والفاء في قوله تعالى فسبحان الله لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ثبوت الوحدانية بالبرهان اي فسبحوه سبحانه اللائق به من الامور التي من جملتها ان يكون له شريك في الالوهية وايراد الجلالة في موضع الاضمار للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية مناط لجميع صفات كماله التي من جملتها تنزهه تعالى عما لا يليق به ولتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى رب العرش صفة للاسم الجليل مؤكدة لتنزهه عز وجل عما يصفون متعلق بالتسبيح اي فسبحوه عما يصفونه من ان يكون من دونه آلهة لا يسأل عما يفعل استيناف ببيان انه تعالى لقوة عظمته وعزة سلطانه القاهر بحيث ليس لاحد من مخلوقاته ان يناقشه ويسأله عما يفعله من افعاله اثر بيان ان ليس له شريك في الالهية وهم اي العباد يسألون عما يفعلون نقيرا وقطميرا لانهم مملوكون له تعالى مستعبدون ففيه وعيد للكفرة ام اتخذوا من دونه آلهة اضراب وانتقال من اظهار بطلان ما اتخذوه آلهة حقيقة باظهار خلوها عن خصائص الالهية التي من جملتها الانشار واقامة البرهان القاطع على استحالة تعدد الالهة على الاطلاق وتفرده سبحانه بالالوهية الى اظهار بطلان اتخاذهم تلك الالهة مع عرائها عن تلك الخصائص بالمرة شركاء لله عز سلطانه وتبكيتهم بالجائهم الى اقامة البرهان على دعواهم الباطلة وتحقيق ان جميع الكتب السماوية ناطقة بحقية التوحيد وبطلان الاشراك والهمزة لانكار الاتخاذ المنكور واستقباحه واستعظامه ومن متعلقة باتخذوا والمعنى بل اتخذوا متجاوزين اياه تعالى مع ظهور شئونه الجليلة الموجبة لتفرده بالالوهية آلهة مع ظهور خلوهم عن خواص الالوهية بالكلية قل لهم بطريق التبكيت والقام الحجر هاتوا برهانكم على ما تدعونه من جهة العقل والنقل فانه لا صحة لقول لا دليل عليه في الامور الدينية في مثل هذا الشان الخطير وما في اضافة البرهان الى ضميرهم من الاشعار بان لهم برهانا ضرب من التهكم بهم وقوله تعالى هذا ذكر من معي وذكر من قبلي افادة لبرهانه واشارة الى انه مما نطقت به الكتب الالهية قاطبة وشهدت به السن الرسل المتقدمة كافة وزيادة تهييج لهم على اقامة البرهان لاظهار كمال عجزهم اي هذا الوحي الوارد في شان التوحيد والمتضمن بالبرهان القاطع العقلي ذكر امتي اي عظتهم وذكر الامم السالفة قد اقمته فاقيموا انتم ايضا برهانكم وقيل المعنى هذا كتاب انزل على امتي وهذا كتاب انزل على امم الانبياء عليهم السلام من الكتب الثلاثة والصحف فراجعوها وانظروا هل في واحد منها غير الامر بالتوحيد والنهي عن الاشراك ففيه تبكيت لهم متضمن لاثبات نقيض دعاهم وقرئ بالتنوين والاعمال كقوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وبه وبمن الجارة على ان مع اسم هو ظرف كقبل وبعد بل اكثرهم لا يعلمون الحق اضراب من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن وانتقال من الامر بتبكيتهم بمطالبة البرهان الى بيان انه لا ينجع فيهم المحاجة باظهار حقية الحق وبطلان الباطل فان اكثرهم لا يفقهون الحق ولا يميزون بينه وبين الباطل فهم لاجل ذلك معرضون اي مستمرون على الاعراض عن التوحيد واتباع الرسول لا يرعوون عما هم عليه من الغي والضلال وان كررت عليهم البينات والحجج او معرضون عما القي عليهم من البراهين

العقلية والنقلية وقرئ الحق بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وسط بين السبب والمسبب وقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون استيناف مقرر لما اجمل فيما قبله من كون التوحيد مما نطقت به الكتب الالهية واجمعت عليه الرسل عليهم السلام وقرئ يوحي على صيغة الغايب مبنيا للمفعول وايا ما كان فصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورة الوحي وقالوا اتخذ الرحمن ولدا حكاية لجناية قريش من المشركين جيئ بها لاظهار بطلانها وبيان تنزهه سبحانه عن الشركاء على الاطلاق وهم حي بني خزاعة يقولون الملئكة بنات الله تعالى ونقل الواحدي ان قريشا وبعض اجناس العرب جهينة وبني سلمة وخزاعة يقولون ذلك والتعرض لعنوان الرحمانية المنبئة عن كون جميع ما سواه تعالى مربوبا له تعالى نعمة او منعما عليه لابراز كمال شناعة مقالتهم الباطلة سبحانه اي تنزه بالذات تنزهه اللايق به على ان السبحان مصدر سبح اي بعد او سبحه تسبيحه على انه علم للتسبيح وهو مقول على السنة العباد او سبحوه تسبيحه وقوله تعالى بل عباد اضراب وابطال لما قالوه كانه قيل ليست الملائكة كما قالوا بل هم عباد له تعالى مكرمون مقربون عنده وقرئ مكرمون بالتشديد وفيه تنبيه على ان منشا غلط القوم وقوله تعالى لا يسبقونه بالقول صفة اخرى لعباد منبئة عن كمال طاعتهم وانقيادهم لامره تعالى اولا يقولون شيئا حتى يقوله تعالى او يامرهم به واصله لا يسبق قولهم قوله تعالى منزلة سبقهم اياه تعالى لمزيد تنزيههم عن ذلك وللتنبيه على غاية استهجان السبق المعرض به للذين يقولون ما لا يقوله الله تعالى وجعل القول محلا للسبق واداة له ثم انيب اللام عن الاضافة للاختصار والتجافي عن التكرار وقرئ لا يسبقونه بضم الباء من سبقه اسبقه وفيه مزيد استهجان للسبق واشعار بان من سبق قوله تعالى فقد تصدى لمغالبته تعالى في السبق فسبقه فغلبه والعياذ بالله تعالى وزيادة تنزيه لهم عما نفي عنهم ببيان ان ذلك عندهم بمنزلة الغلبة بعد المقالة فاني يتوهم صدوره عنهم وهم بامره يعملون بيان لتبعيتهم له تعالى في الاعمال اثر بيان تبعيتهم له تعالى في الاقوال فان نفي سبقهم له تعالى بالقول عبارة عن تبعيتهم له تعالى كانه قيل هم بامره يقولون وبامره يعملون لا بغير امره اصلا والقصر المستفاد من تقدم الجار معتبر بالنسبة الى غير امره لا الى امر غيره يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم استيناف وقع تعليلا لما قبله وتمهيدا لما بعده فانهم لعلمهم باحاطته تعالى بما قدموا واخروا من الاقوال والاعمال لا يزالون يراقبون احوالهم فلا يقدمون على قول او عمل بغير امره تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى ان يشفع له مهابة منه تعالى وهم مع ذلك من خشيته عز وجل مشفقون مرتعدون واصل الخشية الخوف من التعظيم ولذلك خص به العلماء والاشفاق الخوف مع الاعتناء فعند تعديته بمن يكون معنى الخوف فيه اظهر وعند تعديته بعلى ينعكس الامر ومن يقل منهم اي من الملائكة اذ الكلام فيهم وفي كونهم بمعزل مما قالوا في حقهم اني اله من دونه متجاوزا اياه تعالى فذلك اي الذي قوله فرض محال نجزيه جهنم كسائر المجرمين ولا يغني عنهم ما ذكر من صفاتهم السنية وافعالهم المرضية وفيه من الدلالة على قوة ملكوته تعالى وعزة جبروته واستحالة كون الملائكة بحيث يتوهم في حقهم ما توهمه اولئك الكفرة ما لا يخفى كذلك نجزي الظالمين مصدر مؤكد لمضمون ما قبله اي مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي الذين يضعون الاشياء في غير مواضعها ويتعدون اطوارهم والقصر المستفاد من التقديم معتبر بالنسبة الى النقصان دون الزيادة اي لا جزاء انقص منه اولم ير الذين كفروا تجهيل لهم بتقصيرهم في التدبر في الايات التكوينية الدالة على استقلاله تعالى بالالوهية وكون جميع ما سواه مقهورا تحت ملكوته والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر وقرئ بغير واو والرؤية قلبية اي الم يتفكروا ولم يعلموا ان السموات والارض كانتا اي جماعتا السموات والارضين كما في قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا رتقا الرتق الضم والالتحام والمعنى اما على حذف المضاف او هو بمعنى المفعول اي كانتا ذواتي رتق او مرتوقتين وقرئ رتقا اي شيئا

رتقا او مرتوقا ففتقناهما قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عكرمة والحسن البصري وقتادة وسعد بن جبير كانتا شيئا واحدا ملتزمتين ففصل الله تعالى بينهما ورفع السماء الى حيث هي واقر الارض وقال كعب خلق الله تعالى السموات والارض ملتصقتين ثم خلق ريحا فتوسطها ففتقها وعن الحسن خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما وقال مجاهد والسدي كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الارض كانت مرتتقة طبقة واحدة فجعلها سبع ارضين وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء عليه اكثر المفسرين ان السموات كانت رتقا مستوية صلبة لا تمطر والارض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات فيكون المراد بالسموات السماء الدنيا والجمع باعتبار الافاق او السموات جميعا على ان لها مدخلا في الامطار وعلم الكفرة بالرتق والفتق بهذا المعنى مما لا سترة به واما بالمعاني الاول فهم فانهم لم يعلموها لكنهم متمكنون من علمها اما بطريق النظر والفكر فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر قديم واما بالاستفسار من العلماء او مطالعة الكتب وجعلنا من الماء كل شيء حي اي خلقنا من الماء كل حيوان كقوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء وذلك لانه اعظم مواده او لفرط احتياجه اليه وانتفاعه به او صيرنا كل شيء حي من الماء اي بسبب منه لا بد له من ذلك وتقديم المفعول الثاني للاهتمام به لا لمجرد ان المفعولين في الاصل مبتدا وخبر وحق الخبر عند كونه ظرفا ان يتقدم على المبتدا فان ذلك مصحح محض لا مرجح وقرئ حيا على انه صفة كل او مفعول ثان والظرف كما في الوجه الاول قدم على المفعول للاهتمام به والتشوق الى الاخر افلا يومنون انكار لعدم ايمانهم بالله وحده مع ظهور ما يوجبه حتما من الايات الافاقية والانفسية الدالة على تفرده تعالى بالالوهية وعلى كون ما سواه من المخلوقات مقهورا تحت ملكوته وقدرته والفاء للعطف على مقدر يستدعيه الانكار السابق اي يعلمون ذلك فلا يومنون وجعلنا في الارض رواسي اي جبالا ثوابت جمع راسية من رسى الشيء اذا ثبت ورسخ ووصف جمع المذكر بجمع المونث في غير العقلاء مما لا ريب في صحته كقوله تعالى اشهر معلومات او معدودات ان تميد بهم اي كراهة ان تتحرك وتضطرب بهم او لئلا تميد بهم بحذف اللام ولا لعدم الالباس وجعلنا فيها اي في الارض وتكرير الفعل لاختلاف المجعولين وتوفية مقام الامتنان حقه او في الرواسي لانها المحتاجة الى الطرق فجاجا مسالك واسعة وانما قدم على قوله تعالى سبلا وهو وصف له ليصير حالا فيفيد انه تعالى حين خلقها خلقها كذلك او ليبدل له منها سبلا فيدل ضمنا على انه تعالى خلقها ووسعها للسابلة مع ما فيه من التوكيد لعلهم يهتدون اي الى مصالحهم ومهماتهم وجعلنا السماء سقفا محفوظا من الوقوع بقدرتنا القاهرة او من الفساد والانحلال الى الوقت المعلوم بمشيئتنا او من استراق السمع بالشهب وهم عن اياتها الدالة على وحدانيته تعالى وعلمه وحكمته وقدرته وارادته التي بعضها محسوس وبعضها معلوم بالبحث عنه في علمي الطبيعة والهيئة معرضون لا يتدبرون فيها فيبقون على ما هم عليه من الكفر والضلال وقوله تعالى وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر اللذين هما ايتاهما بيان لبعض تلك الايات التي هم عنها معرضون بطريق الالتفات الموجب لتاكيد الاعتناء بفحوى الكلام اي هو الذي خلقهن وحده كل اي كل واحد منهما على ان التنوين عوض عن المضاف اليه في فلك يسبحون اي يجرون في سطح الفلك كالسبح في الماء والمراد بالفلك الجنس كقولك كساهم الخليفة حلة والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس والضمير لهما والجمع باعتبار المطالع وجعل الضمير واو العقلاء لان السباحة حالهم وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد اي في الدنيا لكونه مخالفا للحكمة التكوينية والتشريعية افان مت بمقتضى حكمته فهم الخالدون نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون والفاء لتعليق الشرطية بما قبلها والهمزة لانكار مضمونها بعد تقرر القاعدة الكلية النافية لذلك بالمرة بانكار دخلو ونفيه انكار ما هو مدار له وجودا وعدما من شماتتهم بموته عليه الصلوة والسلام فان الشماتة بما يعتريه ايضا

مما لا ينبغي ان يصدر عن العاقل كانه قيل افاين مت فهم الخالدون حتى يشمتوا بموتك وقوله تعالى **كل نفس**
ذائقة الموت اي ذائقة مرارة مفارقتها جسدها برهان على ما انكر من خلودهم **ونبلوكم** الخطاب اما للناس
كافة بطريق الالتفات اي نعاملكم معاملة من يبلوكم **بالخير والشر** بالبلايا والنعم هل تصبرون وتشكرون
او لا **فتنة** مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه **والينا ترجعون** اي لا الى غيرنا لا استقلالا ولا اشتراكا
فنجازيكم حسبما يظهر منكم من الاعمال فهو على الاول وعد ووعيد وعلى الثاني وعيد محض وفيه ايماء الى ان
المقصود من هذه الحيوة الدنيا الابتلاء والتعرض للثواب والعقاب **وقرئ** يرجعون بالياء على الالتفات
واذا راك الذين كفروا اي المشركون **ان يتخذونك الا هزوا** اي ما يتخذونك الا مهزوا به على معنى قصر معاملتهم معه
عليه الصلوة والسلام على اتخاذهم اياه هزوا لا على معنى قصر اتخاذهم على كونه هزوا كما هو المتبادر كانه قيل ما
يفعلون بك الا اتخاذك هزوا وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي **اهذا الذي يذكر الهتكم**
على ارادة القول اي ويقولون او قائلين ذلك اي يذكرهم بسوء كما في قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم الى آخره
وقوله تعالى **وهم بذكر الرحمن هم كافرون** في حيز النصب على الحالية من ضمير القول المقدر والمعنى انهم يعيبون
عليه عليه الصلوة والسلام ان يذكر الهتهم التي لا تضر ولا تنفع بالسوء والحال انهم بذكر الرحمن المنعم عليهم
بما يليق به من التوحيد وبارشاد الخلق بارسال الرسل وانزال الكتب او بالقران كافرون فهم احقا
بالعيب والانكار فالضمير الاول مبتدا خبره كافرون وبذكر متعلق بالخبر والتقدير هم كافرون بذكر
الرحمن والضمير الثاني تاكيد لفظي للاول فوقع الفصل بينهما بين العامل ومعموله بالمؤكد والمؤكد بالمعمول
خلق الانسان من عجل جعل لفرط استعجاله وقلة صبره كانه مخلوق منه تنزيلا لما طبع عليه من الاخلاق
منزلة ما طبع منه من الاركان ايذانا بغاية لزومه وعدم انفكاكه عنه ومن عجلته مبادرته الى الكفر و
استعجاله بالوعيد روى انها نزلت في النضر بن الحرث حين استعجل العذاب بقوله اللهم ان كان هذا
هو الحق من عندك فامطر الاية **وعن** ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد بالانسان ادم عليه السلام
وانه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالغ فيه اراد ان يقوم وروى انه لما دخل الروح في عينيه نظر الى
ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام وقيل خلقه الله تعالى في آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب
الشمس فاسرع في خلقه قبل غيبتها فالمعنى خلق خلقا ناشئا من عجل فذكره لبيان انه من دواعي عجلته
في الامور والاظهر ان المراد به الجنس وان كان خلقه عليه السلام ساريا الى اولاده **وقيل** العجل
الطين بلغة حمير ولا تقريب له هاهنا وقوله تعالى **سأريكم اياتي** تلوين للخطاب وصرف له عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المستعجلين بطريق التهديد والوعيد اي سأريكم نقماتي في الآخرة كعذاب
النار وغيره **فلا تستعجلون** بالاتيان بها والنهي عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها **ويقولون**
متى هذا الوعد اي وقت مجيء الساعة التي كانوا يوعدون وانما كانوا يقولونه استعجالا لمجيئه بطريق
الاستهزاء والانكار كما يرشد اليه الجواب لا لطلب التعيين وفيه بطريق الالزام كما في سورة الملك **ان كنتم**
صادقين اي في وعدكم بانه ياتينا والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الذين يتلون الايات الكريمة
المنبئة عن مجيء الساعة وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه حسبما حذف في مثل قوله تعالى فاتنا
بما تعدنا ان كنت من الصادقين فان قولهم متى هذا الوعد استبطاء منهم للموعود وطلب لاتيانه بطريق العجلة
كانه قيل فان ذلك في قوة الامر بالاتيان بالعجلة كانه قيل فلياتنا بسرعة ان كنتم صادقين **لو يعلم الذين كفروا**
استيناف مسوق لبيان شدة هول ما يستعجلونه وفظاعة ما فيه من العذاب وانهم انما يستعجلونه لجهلهم
بشانه وايثار صيغة المضارع في الشرط وان كان المعنى على المضي لافادة استمرار عدم العلم فان المضارع المنفي
الواقع موقع الماضي ليس بنص في افادة انتفاء استمرار الفعل بل يفيد استمرار انتفائه ايضا بحسب المقام كما في

قولك لو تحسن الي لشكرتك فان المعنى ان انتفاء الشكر لاستمرار انتفاء الاحسان ووضع الموصول موضع
الضمير للتنبيه بما في حيز الصلة على علة استعجالهم وقوله تعالى **حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم**
مفعول له يعلم وهو عبارة عن الوقت الموعود الذي كانوا يستعجلونه واضافته الى الجملة الجارية مجرى
الصفة التي حقها ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند المخاطب ايضا مع انكار الكفرة لذلك
الايذان بانه من الظهور بحيث لا حاجة الى الاخبار به وانما حقه الانتظام في سلك المسلمات المفروغ
عنها وجواب لو محذوف اي ولو لم يستمر عدم علمهم بالوقت الذي يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد من
الحين الذي تحيط بهم النار فيه من كل جانب وتخصيص الوجوه والظهور بالذكر بمعنى القدام والخلف لكو
اشهر الجوانب واستلزام الاحاطة بالكل بحيث لا يقدرون على دفعها بانفسهم من جانب من جوانبهم **ولا هم**
ينصرون من جهة الغير في دفعها الى اخر لما فعلوا من الاستعجال ويجوز ان يكون يعلم متروك المفعول
منزلا منزلة اللازم اي لو كان لهم علم لما فعلوا وقوله تعالى الى آخره استيناف مقرر لجهلهم ومبين لاستمرا
الى ذلك الوقت كانه قيل حين يرونها يعلمون حقيقة الحال **بل تاتيهم** عطف على لا يكفون اي لا يكفو
بل تاتيهم العدة او النار او الساعة **بغتة فتبهتهم** اي تغلبهم او تحيرهم وقرئ الفعلان بالتذكير على ان
الضمير للموعد والحين وكذا الهاء في قوله تعالى **فلا يستطيعون ردها** بتاويل الوعد بالنار او العدة
والحين بالساعة ويجوز عودها الى النار وقيل الى البغتة اي لا يستطيعون ردها عنهم بالكلية **ولا هم**
ينظرون اي يمهلون فيستريحون طرفة عين وفيه تذكير لامهالهم في الدنيا **ولقد استهزئ برسل من قبلك**
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به عليه الصلوة والسلام في ضمن الاستعجال ووعد
ضمنية بانه يصيبهم مثل ما اصاب المستهزئين بالرسل السالفة عليهم السلام وتصديرها بالقسم لزيادة
تحقيق مضمونها وتنوين الرسل للتفخيم والتنكير ومن متعلقة بمحذوف هو صفة له اي بالله لقد استهزئ
برسل اولي شان خطير وذوي عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك على حذف المضاف واقامة المضاف
اليه مقامه **فحاق** اي احاط عقيب ذلك او نزل او حل او نحو ذلك فان معناه يدور على الشمول واللزوم
ولا يكاد يستعمل الا في الشر والحيق ما يشتمل الانسان من مكروه فعله وقوله تعالى **بالذين سخروا منهم** اي من
اولئك الرسل عليهم السلام متعلق بمحذوف يحاق وتقديمه على فاعله الذي هو قوله تعالى **ما كانوا به**
يستهزؤن للمسارعة الى بيان لحوق الشر بهم وما اما موصولة مفيدة للتهويل والضمير المجرور عائد اليها
والجار متعلق بالفعل وتقديمه عليه لرعاية الفواصل اي فاحاط بهم الذي كانوا يستهزؤن به حيث هلكوا لاجله و
اما مصدرية فالضمير المجرور الى جنس الرسول المدلول عليه بالجمع كما قالوا ولعل ايثاره على الجمع للتنبيه على انه يحيق
بهم جزاء استهزائهم بكل واحد واحد منهم عليهم السلام لا جزاء استهزائهم بكلهم من حيث هو كل فقط اي فنزل بهم جزاء
استهزائهم على وضع السبب موضع المسبب ايذانا بكمال الملابسة بينهما او عين استهزائهم ان اريد بذلك العذاب
الاخروي بناء على تجسم الاعمال فان الاعمال الظاهرة في هذه النشاة بصور عرضية تبرز في النشاة الاخرة بصورة
جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح وعلى ذلك بني الوزن وقد مر تفصيله في سورة الاعراف وقوله تعالى انما
بغيكم على انفسكم الاية **قل** خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذكر من مصير امرهم الى الهلاك وامر له عليه
الصلوة والسلام بان يقول لاولئك المستهزئين بطريق التقريع والتبكيت **من يكلؤكم** اي يحفظكم **بالليل والنهار من**
الرحمن اي من باسه الذي يستحقون نزوله ليلا ونهارا وتقديم الليل لما ان الدواعي اكثر فيه وقوعا واشد وقعا
والتعرض لعنوان الرحمانية ايذان بان كالئهم ليس الا رحمته العامة وبعد ما امر عليه الصلوة والسلام بما ذكر من
السؤال على الوجه المذكور حسبما يقتضيه حالهم لانهم بحيث لولا ان الله تعالى يحفظهم في الملوين لحل بهم فنون
الافات فهم احقاء بان يكلفوا الاعتراف بذلك فيوبخوا على ما هم عليه من الاشراك اضرب عن ذلك بقوله

تعالى بل هم عن ذكر ربهم معرضون ببيان ان لهم حالة اخرى مقتضية لصرف الخطاب عنهم هي انهم لا يخطرون ذكره
تعالى ببالهم فضلا ان يخافوا باسه ويعد واما كانوا عليه من الامن والدعة حفظا وكلاءة حتى يسألوا عن الكالي
على طريقة قولهم عوجوا فحيوا دمنة الدار ماذا يحيون من نوى واحجار وفي تعليق الاعراض بذكره تعالى
وايراد اسم الرب المضاف الى ضميرهم المنبئ عن كونهم تحت ملكوته وتدبيره وتربيته تعالى من الدلالة على كونهم
في الغاية القاصية من الضلالة والغي ما لا يخفى وكلمة ام في قوله تعالى ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا منقطعة
وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال عما قبله من بيان ان جهلهم بحفظه تعالى اياهم لعدم خوفهم
الناشئ عن اعراضهم عن ذكر ربهم بالكلية الى توبيخهم باعتمادهم على آلهتهم واسناد الحفظ اليها والهمزة للانكار
ان يكون لهم آلهة مقدر على ذلك والمعنى بل الهم آلهة تمنعهم من العذاب تمنعا وحفظا او من عذاب كائن من
عندنا فهم معولين عليها واثقين بحفظها وفي توجيه الانكار والنفي الى وجود الآلهة الموصوفة لما ذكر
من المنع لا الى نفس الصفة بان يقال ام تمنعهم آلهتهم الى آخره من الدلالة على سقوطها من رتبة الوجود فضلا
عن رتبة المنع ما لا يخفى وقوله تعالى لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون استئناف مقرر لما قبله
من الانكار وموضح لبطلان اعتقادهم اي هم لا يستطيعون ان ينصروا انفسهم ولا يصحبون بالنصر من
جهتنا فكيف يتوهم ان ينصروا غيرهم وقوله تعالى بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر اضراب عما
توهموا ببيان ان الداعي الى حفظهم تمتيعنا اياهم بما قدر عليهم من الاعمار وعن الدلالة على بطلان ما اوهمهم
ذلك وهو انه تعالى متعهم بالحيوة الدنيا وامهلهم حتى طالت اعمارهم فحسبوا ان لا يزالون كذلك وانه بسبب
ما هم عليه ولذلك عقبه بما يدل على انه طمع فارغ وامل كاذب حيث قيل فيه افلا يرون اي الا ينظرون
فلا يرون انا نأتي الارض اي ارض الكفرة ننقصها من اطرافها كيف يتوهمون انهم ناجون من بأسنا وهو
تمثيل وتصوير لما يخربه الله تعالى من ديارهم على ايدي المسلمين ويضيفها الى ديار الاسلام افهم الغالبون على
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والفاء لانكار ترتيب الغالبية على ما ذكر من نقص ارض الكفرة
بتسليط المسلمين عليها كانه قيل ابعد ظهور ما ذكر ورؤيتهم يتوهم غلبتهم كما مر في قوله تعالى افمن كان على
بينة من ربه وقوله تعالى افاتخذتم من دونه اولياء وفي التعريف تعريض بان المسلمين هم المتعينون للغلبة
المعروفون بها قل انما انذركم بعدما بين من جهته تعالى هول ما يستعجله المستعجلون ونهاية سوء حالهم عند
اتيانه ونعى جهلهم بذلك واعراضهم عن ذكر ربهم الذي يكلؤهم من طوارق الليل والنهار وغير ذلك من
مساوي احوالهم امر عليه الصلوة والسلام ان يقول لهم انما انذركم ما تستعجلونه من الساعة
الصادق الناطق باتيانها وفضاعة ما فيها من الاهوال اي انما شاني ان انذركم بالاخبار بذلك لا بالاتيان
بها فانه مزاحم للحكمة التكوينية والتشريعية اذ الايمان برهاني لا عياني وقوله تعالى ولا يسمع الصم الدعاء
اما من تتمة الكلام الملقن تذييل له بطريق الاعراض قد امر عليه السلام بان يقول لهم توبيخا وتقريعا و
تسجيلا عليهم بكمال الجهل والعناد واللام للجنس المنتظم للمخاطبين انتظاما اوليا وللعهد بان وضع المظهر
موضع المضمر للتسجيل عليهم بالتصام وتقييد نفي السماع بقوله تعالى اذا ما ينذرون مع ان الصم لا يسمعون
الكلام انذارا كان او تبشيرا لبيان كمال شدة الصمم كما ان ايثار الدعاء الذي هو عبارة عن الصوت والنداء على
الكلام لذلك فان الانذار عادة يكون باصوات عالية مكررة مقارنة لهيآت دالة عليه فاذا لم
يسمعها يكون صممهم في غاية لا غاية وراءها واما من جهته تعالى على طريقة قوله تعالى بل هم عن ذكر ربهم معرضون
ويؤيده القراءة على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم من الاسماع بنصب الصم والدعاء كانه قيل قل لهم ذلك وانت
بمعزل عن اسماعهم وقرئ بالياء ايضا على ان الفاعل هو عليه الصلوة والسلام وقرئ على البناء للمفعول
اي لا يقدر احد على اسماع الصم وقوله تعالى ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك بيان لسرعة تأثرهم من مجيء نفس العذاب

اثر بيان عدم تأثرهم من مجيء على نهج التوكيد القسمي اي وبالله لئن اصابهم ادنى اصابة ادنى شيء من عذاب
ربك كما ينبئ عنه المس والنفحة بجوهرها وبنائها فان اصل النفحة هبوب رائحة الشيء ليقولن يا ويلنا انا كنا
ظالمين ليدعن على انفسهم بالويل والهلاك ويعترفن عليها بالظلم وقوله تعالى ونضع الموازين القسط بيان
لما سيقع عند اتيان ما انذروه اي نقيم الموازين العادلة التي توزن بها صحايف الاعمال وقيل
وضع الموازين تمثيل لارصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الاعمال وقد مر تفصيل ما فيه من الكلام في
سورة الاعراف وافراد القسط لانه مصدر وصف به مبالغة ليوم القيمة اي التي كانوا يستعجلونها
اي لجزائه او لاجل اهله او فيه كما في قولك جئت لخمس خلون من الشهر فلا تظلم نفس من النفوس شيئا
حقا من حقوقها او شيئا ما من الظلم بل يوفى كل ذي حق حقه ان خيرا فخير وان شرا فشر والفاء لترتيب
انتفاء الظلم على وضع الموازين وان كان اي العمل المدلول عليه بوضع الموازين مثقال حبة من خردل اي
مقدار حبة كائنة من خردل اي وان كان في غاية القلة والحقارة فان حبة الخردل مثل في الصغر
وقرئ مثقال حبة بالرفع على ان كان تامة اتينا بها اي احضرنا ذلك العمل المعبر عنه بمثقال الحبة
الخردل للوزن والتانيث لاضافته الى الحبة وقرئ آتينا بها اي جازينا بها من الايتاء بمعنى المجازاة
والمكافاة لانهم اتوه بالاعمال وآتاهم بالجزاء وقرئ اثبنا من الثواب وقرئ بها وكفى بنا حاسبين اذ لا مزيد
على علمنا وعدلنا ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين نوع تفصيل لما اجمل في قوله تعالى
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم الى قوله تعالى واهلكنا المسرفين واشارة الى كيفية انجائهم
واهلاك اعدائهم وتصديره بالتوكيد القسمي لاظهار كمال الاعتناء بمضمونه والمراد بالفرقان هو التورية
وكذا بالضياء والذكر اي وبالله لقد آتيناهما وحيا ساطعا وكتابا جامعا من كونه فارقا بين الحق والباطل
وضياء يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية وذكرا يتعظ به الناس وتخصيص المتقين بالذكر لانهم هم
المستضيئون بانواره المغتنمون بمغانم آثاره او ذكر ما يحتاجون اليه من الشرائع والاحكام وقيل
النصر وقيل فلق البحر والاول هو اللائق بمساق النظم الكريم فانه لتحقيق امر القرآن المشارك لسائر
الكتب الالهية لا سيما التورية فيما ذكر من الصفات ولان فلق البحر هو الذي اقترح الكفرة مثله بقولهم
فليأتنا بآية كما ارسل الاولون وقرئ ضياء بغير واو على انه حال من الفرقان وقوله تعالى الذين يخشون
ربهم اي عذابه مجرور المحل على انه صفة مادحة للمتقين او بدل او بيان او منصوب او
مرفوع على المدح بالغيب حال من المفعول اي يخشون عذابه تعالى وهو غائب عنهم غير مشاهد لهم
ففيه تعريض بالكفرة حيث لا يتأثرون بالانذار ما لم يشاهدوا ما انذروه وقيل من الفاعل وهم من الساعة
مشفقون اي خائفون منها بطريق الاعتناء وتقديم الجار لمراعاة الفواصل وتخصيص اشفاقهم
بالذكر بعد وصفهم بالخشية على الاطلاق للايذان بكونها معظم المخوفات وللتنصيص على اتصافهم
بضد ما اتصف به المستعجلون وايثار الجملة الاسمية للدلالة على ثبات الاشفاق ودوامه وهذا اي
القرآن الكريم اشير اليه بهذا ايذانا بغاية وضوح امره ذكر يتذكر به من تذكر وصف بالوصف الاخير
للتورية لمناسبة المقام وموافقته لما مر في صدر السورة الكريمة مبارك كثير الخير غزير النفع
يتبرك به انزلناه اما صفة ثانية للذكر او خبر آخر افانتم له منكرون انكار لانكارهم بعد ما ظهر
كون انزاله كايتاء التورية مما لا مساغ له اصلا ولقد آتينا ابرهيم رشده اي الرشد اللائق به وبامثاله
من الرسل الكبار وهو الاهتداء الكامل المستند الى الهداية الخاصة الحاصلة بالوحي والاقتدار على
صلاح الامة باستعمال النواميس الالهية وقرئ رشده وهما لغة كالحزن والحزن من قبل اي من
قبل ايتاء موسى وهرون التورية وتقديم ذكر ايتائه لما بينه وبين انزال القرآن من الشبه التام

وقيل من قبل استنبائه او قبل بلوغه ويأباه المقام وكنا به عالمين اي بانه اهل لما آتيناه وفيه من الدليل على انه
تعالى عالم بالجزئيات مختار في افعاله ما لا يخفى اذ قال لابيه وقومه ظرف لآتينا على انه وقت متسع وقع فيه
الايتاء وما ترتب عليه من افعاله واقواله وقيل مفعول لمضمر مستأنف وقع تعليلا لما قبله اي اذكر وقت قوله
لهم ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون لتقف على كمال رشده وغاية فضله والتمثال اسم لشيء موضوع مشبها بخلق
من خلق الله تعالى وهذا تجاهل منه عليه السلام حيث سألهم عن اصنامهم بما التي يطلب بها بيان الحقيقة
او شرح الاسم كأنه لا يعرف انها ماذا مع احاطته بان حقيقتها حجر او شجر اتخذوها معبودا وعبر عن عبادتهم لها
بطلق العكوف الذي هو عبارة عن اللزوم والاستمرار على الشيء لغرض من الاغراض قصدا الى تحقيرها واذلالها
واللام في لها للاختصاص دون التعدية والا لجيء بكلمة على والمعنى انتم فاعلون العكوف لها وقد جوز تضمين العكوف
معنى العبادة كما ينبئ عنه قوله تعالى قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين اجابوا بذلك لما ان مآل سؤاله عليه
السلام الاستفسار عن سبب عبادتهم لها كما ينبئ عنه وصفه عليه السلام اياهم بالعكوف لها كأنه عليه السلام
قال ما هي هل تستحق ما تصنعون من العكوف عليها فلما لم يكن لهم ملجأ يعتد به التجأوا الى التقليد فابطله عليه
السلام بطريقة التوكيد القسمي حيث قال لقد كنتم انتم وآباؤكم الذين سنوا لكم هذه السنة الباطلة في ضلال
عجيب لا يقادر قدره مبين اي ظاهر بين بحيث لا يخفى على احد من العقلاء معنى كونه كذلك ومعنى كنتم مطلق
استقرارهم على الضلال لا استقرارهم الماضي الحاصل قبل زمان الخطاب المتناول لهم ولآبائهم اي والله لقد
كنتم مستقرين على ضلال عظيم ظاهر لعدم استناده الى دليل ما والتقليد انما يجوز فيما يحتمل الحقيقة في الجملة
قالوا لما سمعوا مقالته عليه السلام استبعادا لكون ما هم عليه ضلالا وتعجبا من تضليله عليه السلام
اياهم بطريق التوكيد القسمي وترددا في كون ذلك منه عليه السلام على وجه الجد اجئتنا بالحق اي الجد
ام انت من اللاعبين فتقول ما تقول على وجه المداعبة والمزاح وفي ايراد الشق الاخير بالجملة الاسمية الدالة
على الثبات ايذانا برجحانه عندهم قال عليه السلام اضرابا عما بنوا عليه مقالتهم من اعتقاد كونها آلهة اربابا
لهم كما يفصح عنه قولهم نعبد اصناما فنظل لها عاكفين كأنه قيل ليس الامر كذلك بل ربكم رب السموات والارض الذي
فطرهن وقيل هو اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه وضمير هن للسموات والارض وصفه تعالى
بايجادهن اثر وصفه تعالى بربوبيته تعالى لهن تحقيقا للحق وتنبيها على ان ما لا يكون كذلك بمعزل عن الربوبية
انشأهن بما فيهن من المخلوقات التي من جملتها انتم وآباؤكم وما تعبدون من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه
ورجع الضمير الى التماثيل ادخل في تضليلهم واظهر في الزام الحجة عليهم لما فيه من التصريح المغني عن التأمل وفي
كون ما يعبدون من جملة المخلوقات وانا على ذلكم الذي ذكرته من كون ربكم رب السموات والارض فقط دون
ما عداه كائنا ما كان من الشاهدين اي العالمين به على سبيل الحقيقة المبرهنين عليه فان الشاهد على الشيء من
تحققه وحققه وشهادته على ذلك ادلاؤه بالحجة عليه واثباته بها كأنه قال وانا ابين ذلك وابرهن عليه
وتالله وقرئ بالباء وهو الاصل والتاء بدل من الواو التي هي بدل من الاصل وفيها تعجب لاكيدن اصنامكم
اي لاجتهدن في كسرها وفيه ايذان بصعوبة الانتهاز وتوقفه على استعمال الحيل وانما قاله عليه السلام
سرا وقيل سمعه رجل واحد بعد ان تولوا مدبرين من عبادتهم الى عيدكم وقرئ تولوا من التولي بحذف احدى
التاءين ويعضدها قوله تعالى فتولوا عنه مدبرين والفاء في قوله تعالى فجعلهم فصيحة اي فولوا فجعلهم
جذاذا اي قطاعا فعال بمعنى مفعول من الجذ الذي هو القطع كالحطام بمعنى المحطوم الذي هو الكسر وقرئ بالكسر
وهو لغة او جمع جذيذ وجذذا جمع جذة روي ان آزر خرج به في يوم عيد لهم فبدأوا ببيت الاصنام
فدخلوا فسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا الى ان نرجع بركت الآلهة على طعامنا
فذهبوا وبقي ابرهيم عليه السلام فنظر الى الاصنام وكانت سبعين صنما مصطفا وثمة صنم عظيم مستقبل

الباب

الباب وكان من ذهب وفي عيناه جوهرتان تضيئان بالليل فكسر الكل بفاس كان في يده ولم يبق الا الكبير
وعلق الفاس في عنقه وذلك قوله تعالى الا كبيرا لهم للاصنام لعلهم اليه اي الى ابرهيم يرجعون فيحاجهم
بما سيأتي فيحجهم ويبكتهم وقيل يرجعون الى الكبير فيسألونه عن الكاسر لان من شأن المعبود ان يرجع اليه في
الملمات وقيل يرجعون الى الله تعالى وتوحيده عند تحققهم عجز آلهتهم عن دفع ما يصيبهم وعن الاضرار عن كسرهم
قالوا اي حين رجعوا من عيدهم ورأوا ما رأوا من فعل هذا بآلهتنا على طريقة الانكار والتوبيخ والتشنيع وانما
عبروا عنها بما ذكر ولم يشيروا اليها بهؤلاء وهي بين ايديهم مبالغة في التشنيع وقوله تعالى انه لمن الظالمين استئناف
مقرر لما قبله وقيل من موصولة وهذه الجملة في حيز الرفع والمعنى الذي فعل هذا الكسر والحطم بآلهتنا انه معدود
من جملة الظلمة اما على جرأته على اهلها وهي حقيقة بالاعظام او لافراطه في الكسر والحطم وتماديه في الاستهانة
او بتعريض نفسه للهلكة قالوا اي بعض منهم مجيبين للسائلين سمعنا فتى يذكرهم اي يعيبهم فلعله فعل ذلك بها
فقوله تعالى يذكرهم اما مفعول ثان لسمع لتعلقه بالعين او صفة لفتى مصححة لتعلقه به هذا اذا كان القائل
سمعوه عليه السلام بالذات يذكرهم وان كانوا قد سمعوا من الناس انه عليه السلام يذكرهم بسوء فلا حاجة الى المصحح
يقال له ابرهيم صفة اخرى لفتى اي يطلق عليه هذا الاسم قالوا اي السائلون فأتوا به على اعين الناس اي
بمرأى منهم بحيث يكون نصب اعينهم في مكان مرتفع لا يخفى على احد لعلهم يشهدون اي يحضرون عقوبتنا له وقيل
لعلهم يشهدون بفعله او بقول ذلك فالضمير حينئذ ليس للناس بل لبعض منهم مبهم او معهود قالوا استئناف
مبني على سؤال نشأ من حكاية قولهم كأنه قيل فماذا فعلوا به بعد ذلك هل اتوا به اولا فقيل قالوا أانت فعلت هذا
بآلهتنا يا ابرهيم اختصارا على حكاية مخاطبتهم اياه عليه السلام للتنبيه على ان اتيانهم به ومسارعتهم الى ذلك
امر محقق غني عن البيان قال بل فعله كبيرهم مشيرا الى الذي لم يكسره سلك عليه السلام مسلكا تعريضيا يؤدي
به الى مقصده الذي هو الزامهم الحجة على الطف وجه واحسنه بحملهم على التأمل في شأن آلهتهم مع ما فيه من
التوقي من الكذب حيث ابرز الكبير قولا في معرض المباشر للفعل باسناده اليه كما ابرز في ذلك المعرض فعلا بجعل
الفاس في عنقه وقد قصد اسناده اليه بطريق التسبب حيث كانت تلك الاصنام غاظته عليه السلام حين
ابصرها مصطفة مرتبة للعبادة من دون الله سبحانه وكان غيظ كبيرها اكثر واشد حسب زيادة تعظيمهم
له فاسند الفعل اليه باعتبار انه الحامل عليه وقيل هو حكاية لما يعود الى تجويز مذهبهم كأنه قال لهم ما ينكر
ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على ما هو اشد من ذلك ويحكى انه عليه السلام قال
فعله كبيرهم هذا غضب ان تعبد معه هذه الصغار وهو اكبرهم فيكون تمثيلا اراد به عليه السلام تنبيههم
على غضب الله تعالى عليهم لاشراكهم بعبادة الاصنام واما ما قيل من انه عليه السلام لم يقصد نسبة الفعل الصادر
عنه الى الصنم بل انما قصد تقريره لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من الزامهم الحجة
وتبكيتهم ومثل ذلك مما لو قال لك امي فيما كتبته بخط رشيق وانت شهير بحسن الخط انت كتبت هذا فقلت
له بل انت كتبته كان قصدك تقريرا لكتابة لنفسك مع الاستهزاء بالسائل لا نفيها عنك واثباتها له
فبمعزل عن التحقيق لان خلاصة المعنى في المثال المذكور مجرد تقرير الكتابة لنفسك وادعاء ظهور الامر
مع الاستهزاء بالسائل وتجهيله في السؤال لا لابتنائه على صدورها عن غيرك محتمل عنده مع استحالته عندك
ولا ريب في ان مراده عليه السلام من اسناده الى الصنم الكبير ليس مجرد تقريره لنفسه ولا تجهيلهم في سؤالهم
لابتنائه على احتمال صدوره عن الغير عندهم بل انما مراده عليه السلام توجيههم نحو مجرد التأمل في احوال
اصنامهم كما ينبئ عنه قوله تعالى فاسألوهم ان كانوا ينطقون اي ان كانوا ممن يمكن ان ينطقوا وانما لم يقل عليه
السلام ان كانوا يسمعون او يعقلون مع ان السؤال موقوف على السمع والعقل ايضا لما ان نتيجة السؤال هو
الجواب وان عدم نطقهم اظهر وتبكيتهم بذلك ادخل وقد حصل ذلك حسبما نطق به قوله تعالى فرجعوا الى انفسهم

اي راجعوا عقولهم وتذكروا ان ما لا يقدر دفع المضرة عن نفسه ولا الاضرار بمن كسره بوجه من الوجوه يستحيل ان يقدر على دفع مضرة عن غيره او جلب منفعة له فكيف ان يكون معبودا **فقالوا** اي قال بعضهم لبعض فيما بينهم **انكم انتم الظالمون** اي بهذا السؤال لانه كان على طريقة التوبيخ المستتبع للمواخذة بعبادة الاصنام لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين او انتم ظالمون بعبادتها لا من كسرها **ثم نكسوا على روسهم** اي انقلبوا الى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل الشيء اعلاه **وقرئ** نكسوا بالتشديد ونكسوا على البناء للفاعل اي نكسوا انفسهم **لقد علمت ما هؤلاء ينطقون** على ارادة القول اي قائلين والله لقد علمت ان ليس من شانهم النطق فكيف تامرنا بسؤالهم على ان المراد استمرار نفي النطق لا نفي استمراره كما يوهم صيغة المضارع **قال** تبكيتا **افتعبدون** اي اتعلمون ذلك فتعبدون **من دون الله** اي متجاوزين عبادته تعالى **ما لا ينفعكم شيئا** من النفع **ولا يضركم** فان العلم بحاله المنافية للالوهية مما يوجب الاجتناب عن عبادته قطعا **اف لكم ولما تعبدون من دون الله** تضجر منه عليه السلام من اصرارهم على الباطل البين واظهار الاسم الجليل موضع الاضمار لمزيد استقباح ما فعلوا واف صوت المتضجر ومعناه قبحا ونتنا واللام لبيان المتأفف له **افلا تعقلون** اي الا تتفكرون فلا تعقلون قبح صنيعكم **قالوا** اي قال بعضهم لبعض لما عجزوا عن المحاجة وضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وهكذا ديدن المبطل المحجوج اذا قرعت شبهته بالحجة القاطعة وافتضح لا يبقى له مفزع الا المناصبة **حرقوه** فانه اشد العقوبات **وانصروا الهتكم** بالانتقام لها **ان كنتم فاعلين** اي للنصر او لشيء يعتد به **قيل** القائل نمرود بن كنعان بن السنجاريب بن نمرود ابن كوش بن حام بن نوح **وقيل** رجل من اكراد فارس اسمه هيون وقيل هدير خسف به الارض **روي** انه لما اجمعوا على احراقه عليه السلام بنوا له حظيرة بكوثى قرية من قرى الانباط وذلك قوله تعالى قال ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم فجمعوا له صلاب الحطب من اصناف الخشب مدة اربعين يوما فاوقدوا نارا عظيمة لا يكاد يحوم حولها احد حتى ان كانت الطير لتمر بها وهي في اقصى الجو فتحترق من شدة وهجها ولم يكن احد يحوم حولها فلم يعلموا كيف يلقونه عليه السلام فيها فاتى ابليس وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه وقيل وصفه لهم رجل من الاكراد فخسف الله تعالى به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة ثم عمدوا الى ابرهيم عليه السلام فوضعوه فيه فرموا به فيها فقال له جبريل عليهما السلام هل لك حاجة اما اليك فلا قال فاسئل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي فجعل الله تعالى ببركة قوله الحظيرة روضة وذلك قوله تعالى **قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم** اي كوني ذات برد وسلام اي ابردي بردا غير ضار وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته تعالى مأمورة مطاوعة واقامة كوني ذات برد مقام ابردي ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه **وقيل** نصب سلاما بفعله اي وسلمنا سلاما عليه روي ان الملئكة اخذوا بضبعي ابرهيم عليه السلام واقعدوه الى الارض فاذا عين ماء عذب وورد احمر ونرجس ولم تحرق النار منه الا وثاقه **روي** انه عليه السلام مكث فيها اربعين يوما او خمسين وقال ما كنت اطيب عيشا مني اذ كنت فيها وقال ابن يسار بعث الله ملك الظل فقعد الى جنبه يونسه فنظر نمرود من صرحه فاشرف عليه فرآه جالسا في روضة مونقة ومعه جليس على احسن ما يكون من الهيئات والنار محيطة به فناداه يا ابرهيم هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال فقم فاخرج فقام يمشي فخرج منها فاستقبله نمرود وعظمه وقال من الرجل الذي رايته قال ذلك ملك الظل ارسله ربي ليونسني فقال اني مقرب الى الهك قربانا لما رايت من قدرته وعزته فيما صنع بك فقال عليه السلام ما يقبل الله منك ما دمت على دينك هذا قال لا استطيع ترك ملكي ولكن سوف اذبح له اربعة الاف بقرة فذبحها وكف عن ابرهيم عليه السلام وكان اذ ذاك ابن ستة عشر سنة وهكذا كما ترى من ابداع المعجزات فان انقلاب النار هواء طيبا وان لم يكن بدعا من قدرة الله

تعالى

تعالى لكن وقوع ذلك على هذه الهيئات مما يخرق العادة وقيل كانت النار على حالها لكنه تعالى دفع عنه عليه السلام اذاها كما تراه في السمندل كما يشعر به قوله تعالى على ابرهيم **وارادوا به كيدا** مكرا عظيما في الاضرار به **فجعلناهم الاخسرين** اي من كل خاسر حيث عاد سعيهم في اطفاء نور الحق برهانا قاطعا على انه عليه السلام على الحق وهم على الباطل وموجبا لارتفاع درجته واستحقاقهم لاشد العذاب **ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين** اي من العراق الى الشام وبركاته العامة ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرايعهم التي هي مبادي الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب الغالب **روي** انه عليه السلام نزل بفلسطين ولوط عليه السلام بالموتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة **ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة** اي عطية فهي حال منهما او ولدا وزيادة على ما سال وهو اسحق فيختص بيعقوب ولا لبس فيه للقرينة الظاهرة **وكلا** اي كل واحد من هؤلاء الاربعة لا بعضهم دون بعض **جعلنا صالحين** بان وفقناهم للصلاح في الدين والدنيا فصاروا كاملين **وجعلناهم ايمة** يقتدى بهم في امور الدين اجابة لدعائه عليه السلام بقوله ومن ذريتي **يهدون** اي الامة الى الحق **بامرنا** لهم بذلك وارسالنا اياهم حتى صاروا **واوحينا اليهم فعل الخيرات** ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم واصله ان يفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات وكذا قوله تعالى **واقام الصلوة وايتاء الزكوة** وهو من عطف الخاص على العام دلالة على فضله وانافته وحذفت تاء الاقامة المعوضة عن احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامه **وكانوا لنا** خاصة دون غيرنا **عابدين** لا يخطر ببالهم غير عبادتنا **ولوطا** قيل هو منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى **اتيناه** اي اتينا لوطا وقيل باذكر **حكما** اي حكمة او نبوة او فصلا بين الخصوم بالحق **وعلما** بما ينبغي علمه للانبياء عليهم السلام **ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث** اي اللواطة وصفت بصفة اهلها واسندت اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه كما يوذن به قوله تعالى **انهم كانوا قوم سوء فاسقين** لانه كالتعليل له **وادخلناه في رحمتنا** اي في اهل رحمتنا او في جنتنا **انه من الصالحين** الذين سبقت لهم منا الحسنى **ونوحا** اي اذكر نوحا اي خبره وقوله **اذ نادى** اي دعا الله تعالى على قومه بالهلاك ظرف للمضاف المقدر اي اذكر نباه الواقع وقت دعائه **من قبل** اي من قبل هؤلاء المذكورين **فاستجبنا له** اي دعاءه الذي من جملته قوله اني مغلوب فانتصر **فنجيناه واهله من الكرب العظيم** وهو الطوفان وقيل اذية قومه واصل الكرب الغم الشديد **ونصرناه** نصرا مستتبعا للانتقام والانتصار ولذلك قيل **من القوم الذين كذبوا باياتنا** وحمله على فانتصر يأباه ما ذكر من دعائه عليه السلام فان ظاهره يوجب اسناد الانتصار اليه تعالى مع ما فيه من تهويل الامر وقوله تعالى **انهم كانوا قوم سوء** تعليل لما قبله وتمهيد لما بعده من قوله تعالى **فاغرقناهم اجمعين** فان الاصرار على تكذيب الحق والانهماك في الشر والفساد مما يوجب الاهلاك قطعا **وداود وسليمان** اما عطف على نوحا معمول لعامله واما المضمر معطوف ذلك العامل بتقدير المضاف في قوله تعالى **اذ يحكمان** ظرف للمضاف المقدر وصيغة المضارع حكاية للحال الماضية لاستحضار صورتها اي اذكر خبرهما وقت حكمهما **في الحرث** اي في حق الزرع او الكرم المتدلي عناقيده كما قيل وبدل اشتمال منهما وقوله تعالى **اذ نفشت** اي تفرقت وانتشرت **فيه غنم القوم** ليلا بلا راع فرعته وافسدته ظرف للحكم **وكنا لحكمهم** اي لحكم الحاكمين والمتحاكمين اليهما فان الاضافة لمجرد الاختصاص المنتظم لاختصاص القيام واختصاص الوقوع وقرئ لحكمهما **شاهدين** حاضرين علما والجملة اعتراض مقرر للحكم ومقيد لمزيد الاعتناء بشانه **ففهمناها سليمان** عطف على يحكمان فانه في حكم الماضي وقرئ فافهمناها والضمير للحكومة او الفتيا روي انه دخل على داود عليه السلام رجلان فقال احدهما ان غنم هذا دخلت حرثي ليلا فافسدته فقضى له بالغنم فخرجا فمرا على سليمان عليه السلام فاخبراه بذلك فقال غير هذا ارفق بالفريقين فسمعه داود فدعاه فقال له بحق النبوة والابوة الا ما اخبرتني بالذي ارفق بالفريقين فقال اريد ان تدفع الغنم الى صاحب الارض لينتفع بدرها ونسلها وصوفها والحرث الى ارباب الغنم ليقوموا عليه حتى يعود الى ما كان ثم

يراد فقال القضاء ما قضيت وامضى الحكم بذلك والذي عندي ان حكمهما عليهما السلام كان بالاجتهاد فان قول
سليمان عليه السلام لاظهار ما عنده بل وجب عليه ان يظهره بدا وحرم عليه كتمه ومن ضرورته ان يكون القضاء السابق
ايضا كذلك ضرورة استحالة نقض حكم النص بالاجتهاد بل اقول والله تعالى اعلم ان راي سليمان استحسان كما ينبئ
عنه قوله ارفق بالفريقين وراي داود عليه السلام قياس كما ان العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى عند ابي حنيفة
الى المجني عليه او يفديه ويبيعه في ذلك او يفديه روى انه لم يكن بين قيمة الحرث وقيمة الغنم تفاوت واما
سليمان عليه السلام فقد استحسن حيث جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير ان يزول ملك
المالك من الغنم واوجب على صاحب الغنم ان يعمل في الحرث الى ان يزول الضرر الذي اتاه من قبله كما قال اصحاب
الشافعي فيمن غصب عبدا فابق منه ان يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من المنافع
فاذا ظهر الابق ترادا وفي قوله تعالى **ففهمناها سليمان** دليل على رجحان قوله ورجوع داود عليه السلام اليه مع ان
الحكم المبني على الاجتهاد لا ينقض باجتهاد اخر وان كان اقوى منه لما ان ذلك من خصائص شريعتنا على انه
ورد في الاخبار ان داود عليه السلام لم يكن بت الحكم في ذلك حتى سمع من سليمان ما سمع واما حكم المسئلة في شريعتنا
فعند ابي حنيفة رحمه الله لا ضمان ان لم يكن معها سائق وقائد وعند الشافعي يجب الضمان ليلا لا نهارا وقوله
تعالى **وكلا آتينا حكما وعلما** لدفع ما عسى يوهمه تخصيص سليمان عليه السلام بالتفهيم من عدم كون حكم داود عليه
السلام حكما شرعيا اي وكل واحد منهما آتيناه حكما وعلما كثيرا لا سليمان وحده وهذا انما يدل على ان خطاء المجتهد
لا يقدح في كونه مجتهدا وقيل بل ان كل مجتهد مصيب وهو مخالف لقوله تعالى **ففهمناها سليمان** ولولا النقل
لاحتمل توافقهما على ان قوله تعالى **ففهمناها سليمان** لاظهار ما تفضل عليه في صغره فانه عليه السلام كان
حينئذ ابن احدى عشرة سنة **وسخرنا مع داود الجبال** شروع في بيان ما يختص بكل منهما من كراماته تعالى اثر
بيان كرامته العامة لهما **يسبحن** اي يقدسن الله عز وجل معه بصوت يتمثل له او يخلق الله تعالى فيها الكلام
وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال من الجبال او استيناف مبين لكيفية التسخير ومع متعلقة بالتسخير
وقيل بالتسبيح وهو بعيد **والطير** عطف على الجبال او مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف
اي والطير مسخرات وقيل على العطف على الضمير في يسبحن وفيه ضعف لعدم التاكيد والفصل **وكنا فاعلين**
اي من شاننا ان نفعل امثاله فليس ذلك ببدع منا وان كان بديعا عندكم **وعلمناه صنعة لبوس** اي عمل الدرع
وهو في الاصل اللباس قال قائلهم البس لكل حالة لبوسها اما نعيمها واما بوسها وقيل كانت صفائح فحلقها
وسردها **لكم** متعلق بعلمنا او بمحذوف هو صفة لبوس **لتحصنكم** اللبوس بتاويل الدرع وقرئ بالتذكير
على ان الضمير لداود عليه السلام او للبوس وقرئ بنون العظمة وهو بدل اشتمال من لكم باعادة الجار
مبين لكيفية الاختصاص والمنفعة المستفادة من لام لكم **من باسكم** قيل من حرب عدوكم وقيل من وقع
السلاح فيكم **فهل انتم شاكرون** امر وارد على صورة الاستفهام للمبالغة او التقريع **ولسليمان الريح** اي
وسخرنا له الريح وايراد اللام ههنا دون الاول للدلالة على ما بين التسخيرين من التفاوت فان تسخير ما سخر له
عليه السلام من الريح وغيرها كان بطريق الانقياد الكلي له والامتثال بامره ونهيه والمقهورية تحت ملكوته
واما تسخير الجبال والطير لداود عليه السلام فلم يكن بهذه المثابة بل بطريق التبعية له عليه السلام والاقتداء
به في عبادة الله عز وجل **عاصفة** حال من الريح والعامل فيها الفعل المقدر اي وسخرنا له الريح حال كونها شديدة
الهبوب من حيث انها كانت تبعد بكرسيه في مدة يسيرة من الزمان كما قال تعالى **غدوها شهر ورواحها**
شهر وكانت رخاء في نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى حسب ارادته عليه السلام
وقرئ الريح بالرفع على الابتداء والخبر الظرف المقدم وعاصفة حينئذ حال من ضمير المبتدا في الخبر
والعامل فيه ما فيه من معنى الاستقرار وقرئ الرياح نصبا ورفعا **تجري بامره** بمشيئته حال ثانية او بدل

من الاول

من الاول او حال من ضميرها **الى الارض التي باركنا فيها** وهي الشام رواحا بعد ما سارت به منه بكرة قال الكلبي
كان سليمان عليه السلام وقومه يركبون عليها من اصطخر الى الشام والى حيث شاء ثم يعود الى منزله **وكنا**
بكل شيء عالمين فنجريه حسب ما تقتضيه الحكمة **ومن الشياطين** اي وسخرنا له من الشياطين **من يغوصون له** في
البحار ويستخرجون له من نفائسها وقيل من رفع على الابتداء وخبره ما قبله والاول هو الاظهر **ويعملون عملا**
دون ذلك اي غير ما ذكرنا من بناء المدن والقصور واختراع الصنائع الغريبة لقوله تعالى يعملون له ما
يشاء من محاريب وتماثيل الاية وهؤلاء اما الفرقة الاولى او غيرها لعموم كلمة من كانه قيل ومن يعملون وجمع
الضمير الراجع اليها باعتبار معناها بعد ما روعي جانبه بقوله تعالى ومن الشياطين روي ان المسخر له
عليه السلام كفارهم لا مومنوهم لقوله تعالى ومن الشياطين وقوله تعالى **وكنا لهم حافظين** اي من ان
يزيغوا عن امره او يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم قيل وكل بهم جمعا من الملائكة وجمعا من مومني الجن
وقال الزجاج كان يحفظهم من ان يفسدوا ما عملوا وكان دابهم ان يفسدوا بالليل ما عملوا بالنهار **وايوب**
الكلام فيه كما مر في قوله تعالى وداود وسليمان اي واذكر خبر ايوب **اذ نادى ربه انى** اي باني **مسني الضر**
وقرئ بالكسر على اضمار القول او تضمين النداء معناه والضر شائع في كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس
من مرض وهزال ونحوهما **وانت ارحم الراحمين** وصفه تعالى بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى
عن عرض المطلب لطفا في السؤال وكان عليه السلام روميا من ولد عيص بن اسحق استنباه الله تعالى وكثر
اهله وماله فابتلاه الله تعالى بهلاك اولاده وهدم بيت عليهم وذهاب امواله والمرض في بدنه ثمانية عشر
سنة او ثلث عشرة سنة او سبعا وسبعة اشهر وسبعة ايام وسبع ساعات روى ان امراته ماصر بنت ميشا
ابن يوسف عليه السلام او رحمة بنت افرائيم بنت يوسف قالت له يوما لو دعوت الله تعالى فقال كم كانت
مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال استحي من الله تعالى ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي وروي
ان ابليس اتاها على هيئة عظيمة فقال انا اله الارض فعلت بزوجك ما فعلت لانه تركني وعبد اله السماء فلو
سجد لي سجدة لرجعت المال والولد وعافيت زوجك فرجعت الى ايوب وكان ملقى على الكناسة لا يقرب منه
احد فاخبرته بالقصة فقال عليه السلام كانك فتنت يقول اللعين لئن عافاني الله تعالى لاضربنك مائة صوت
وحرام علي ان اذوق بعد هذا شيئا من طعامك وشرابك فطردها فبقي طريحا في الكناسة لا يحوم حوله احد من
الناس فعند ذلك خر ساجدا فقال رب اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين فقيل له ارفع راسك فقد استجيب
لك اركض برجلك فركض فنبع من تحته عين ماء فاغتسل منها فلم يبق في ظاهر بدنه دابة الا سقطت ولا جراحة
الا برئت ثم ركض مرة اخرى فنبعت عين اخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج وعاد صحيحا ورجع
اليه شبابه وجماله ثم كسي حلة وذلك قوله تعالى **فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر** فلما قام جعل يلتفت
فلا يرى شيئا مما كان له من الاهل والمال الا وقد ضاعف الله تعالى وذلك قوله تعالى **وآتيناه اهله**
ومثلهم معهم وقيل كان ذلك بان ولد له ضعف ما كان ثم ان امراته قالت في نفسها هب انه طردني
افاتركه حتى يموت جوعا وياكله السباع لارجعن اليه فلما رجعت ما رات تلك الكناسة ولا تلك الحال له
وقد تغيرت الامور فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وهابت صاحب الحلة ان تاتيه
وتساله عنه فارسل اليها ايوب ودعاها فقال ما تريدين يا امة الله فبكت وقالت اريد ذلك المبتلى
الذي كان ملقى على الكناسة قال لها ما كان منك فبكت وقالت بعلي قال اتعرفينه اذا رايتيه قالت
وهل يخفى علي فتبسم فقال انا ذلك فعرفته بضحكه فاعتنقته **رحمة من عندنا وذكرى للعابدين** اي آتيناه
ما ذكر لرحمتنا ايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما اثيب او لرحمتنا العابدين
الذين من جملتهم ايوب عليه السلام وذكرنا اياهم بالاحسان وعدم نسياننا لهم **واسمعيل وادريس وذا**

الكفل

اي واذكرهم وذ والكفل الياس، وقيل يوشع بن نون وقيل زكرياء سمي به لانه كان ذا حظ من الله تعالى
او تكفل منه اوضعف عمل انبياء زمانه وثوابهم فان الكفل يجيء بمعنى النصيب والكفالة والضعف
كل اي كل واحد من هولاء من الصابرين اي على مشاق التكاليف وشدايد النوب والجملة استيناف وقع
جوابا عن سوال نشا من الامر بذكرهم وادخلناهم في رحمتنا اي في النبوة او في نعمة الاخرة انهم من الصالحين
اي من الكاملين في الصلاح الكامل الذي لا يحوم حوله شايبة الفساد وهم الانبياء فان صلاحهم معصوم
من كدر الفساد وذا النون اي واذكر صاحب الحوت وهو يونس عليه السلام اذ ذهب مغاضبا اي مراغما
لقومه لما برم من طول دعوته اياهم وشدة شكيمتهم وتمادي اصرارهم مهاجرا عنهم قبل ان يومر وقيل
وعدهم بالعذاب فلم ياتهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم فغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة او لانه
اغضبهم بالهجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرى مغضبا فظن ان لن نقدر عليه اي لن نضيق عليه
او لن نقض عليه بالعقوبة من القدر ويويده انه قرئ مشددا ولن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال
من ظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا كما في قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده اي
يعامل معاملة من يحسب ذلك وقيل خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسميت ظنا للمبالغة وقرى
بالياء مخففا ومثقلا مبنيا للفاعل ومبنيا للمفعول فنادى الفاء فصيحة اي فكان ما كان من المساهمة
والتقام الحوت فنادى في الظلمات اي في الظلمة الشديدة المتكاثفة او في ظلمات بطن الحوت والبحر والليل
وقيل ابتلع حوته حوت اكبر منه فحصل في ظلمتي بطني الحوتين وظلمتي البحر والليل ان لا اله الا انت اي بانه
لا اله الا انت على ان ان مخففة من ان وضمير الشان محذوف او اي لا اله الا انت على انها مفسرة سبحانك
انزهك تنزيها لايقابك من ان يعجزك شيء او ان يكون ابتلائي بهذا بغير سبب من جهتي اني كنت من الظالمين
لانفسهم بتعريضها للهلك حيث بادرت الى المهاجرة فاستجبنا له اي دعاه الذي دعاه في ضمن الاعتراف
بالذنب على الطف وجه واحسنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء
الا استجيب له ونجيناه من الغم بان قذفه الحوت الى الساحل بعد اربع ساعات كان فيها في بطنه وقيل بعد
ثلث ايام وقيل الغم غم الالتقام وقيل الخطيئة وكذلك اي مثل ذلك الانجاء الكامل ننجي المؤمنين من غموم
دعوا الله تعالى فيها بالاخلاص لا انجاء ادنى منه وفي الامام نجي على البناء للمفعول فلذلك اخفى الجماعة النون الثانية
فانها تخفى مع حروف الفم وقرى بتشديد الجيم على ان اصله ننجي فحذفت الثانية كما حذفت التاء في
تظاهرون وهي وان كانت حذفها اوقع من حذف حرف المضارعة التي لمعنى ولا يقدح اختلاف حركتي النونين
فان الداعي الى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف في تجافى في جوف الليس وقيل
هو ماض مجهول اسند الى ضمير المصدر والمفعول مذكور والماضي لا يسكن آخره وزكريا اي واذكر خبره
اذ نادى ربه وقال رب لا تذرني فردا اي وحيدا بلا ولد يرثني وانت خير الوارثين فحسبي انت ان لم
ترزقني وارثا فاستجبنا له اي دعاه ووهبنا له يحيى وقد مر كيفية الاستجابة والهبة في سورة مريم
واصلحنا له زوجه اي اصلحناها للولادة بعد عقرها او اصلحناها للمعاشرة بتحسين خلقها وكانت حردة
وقوله تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات تعليل لما فصل من فنون احسانه تعالى المتعلقة بالانبياء
المذكورين اي كانوا يبادرون في وجوه الخيرات مع ثباتهم واستقرارهم في اصل الخير والشر وايثار كلمة
في على كلمة الى المشعرة بخلاف المقصود من كونهم خارجين عن اصل الخيرات متوجهين اليها كما في قوله تعالى
وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة ويدعوننا رغبا ورهبا وقري رغب او رهب او راغبين في الثواب راجين الاجابة
او في الطاعة وخائفين العقاب والمعصية او للرغب والرهب وكانوا لنا خاشعين اي مخبتين متضرعين او
دائمي الوجل والمعنى انهم نالوا من الله تعالى ما نالوا بسبب اتصافهم بهذه الخصال الحميدة والتي احصنت فرجها

اي اذكر

اي اذكر خبر التي احصنته على الاطلاق من الحلال والحرام والتعبير عنها بالموصول لتفخيم شانها وتنزيهها عما زعموا
في حقها اثر ذي اثر فنفخنا فيها اي احيينا عيسى في جوفها من روحنا من الروح الذي هو من امرنا وقيل
فعلنا النفخ فيها من جهة روحنا جبريل عليه السلام وجعلناها وابنها اي قصتهما او حالهما اية للعالمين فان
من تامل حالهما تحقق كمال قدرته عز وجل فالمراد بالاية ما حصل بهما من الاية التامة مع تكاثر ايات كل واحد
منهما وقيل اريد بالاية الجنس الشامل لكل واحد منهما من الايات المستقلة وقيل المعنى وجعلناها اية
فحذف الاية الاولى لدلالة الثانية عليها ان هذه اي ملة التوحيد والاسلام اشير بهذه تنبيها على كمال
ظهور امرها في الصحة والسداد امتكم اي ملتكم التي يجب ان تحافظوا على حدودها وتراعوا حقوقها ولا تخلوا
بشيء منها والخطاب للناس قاطبة امة واحدة نصب على الحالية من امتكم اي غير مختلفة فيما بين الانبياء عليهم
السلام اذ لا مشاركة لغيرها في صحة الاتباع والاحتمال لتبدلها وتغيرها كفروع الشرايع المتبدلة حسب تبدل الامم
والاعصار وقرئ امتكم بالنصب على البدلية من اسم ان وامة واحدة بالرفع على انهما خبران وانا ربكم لا اله
غيري فاعبدون خاصة لا غير وقوله تعالى وتقطعوا امرهم بينهم التفات الى الغيبة لينعى عليهم ما افسدوا من
التفرق في الدين وجعل امره قطعا موزعة وتنهى قبايح افعالهم الى الاخرين كانه قيل الا ترون الى عظيم ما ارتكب
هولاء في دين الله تعالى الذي اجتمعت عليه كافة الانبياء كل اي كل واحد من الفرق المنقطعة او كل واحد
من احاد كل واحد من تلك الفرق الينا راجعون بالبعث لا الى غيرنا فنجازيهم حينئذ بحسب اعمالهم وايراد
اسم الفاعل للدلالة على الثبات والتحقق وقوله تعالى فمن يعمل من الصالحات تفصيل للجزاء اي فمن يعمل
بعض الصالحات او بعضا من الصالحات وهو مؤمن بالله ورسله فلا كفران لسعيه اي لا حرمان لثواب عمله
ذلك عبر عن ذلك بالكفران الذي هو ستر النعمة وجحودها لبيان كمال نزاهته تعالى عنه بتصويره بصورة
ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبايح وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه تعالى ونفي الجنس
للمبالغة في التنزيه وعبر عن العمل بالسعي لاظهار الاعتداد به وانا له اي لسعيه كاتبون اي مثبتون في صحايف
اعمالهم لا نغادر من ذلك شيئا وحرام على قرية اي ممتنع على اهلها غير متصور منهم وقرى حرم وهي لغة
كالحل والحلال اهلكناها قدرنا هلاكها او حكمنا به لغاية طغيانهم وعتوهم وقوله تعالى انهم لا يرجعون
في حيز الرفع على انه مبتدا خبره حرام او فاعل له ساد مسد خبره والجملة لتقرير مضمون ما قبلها من قوله تعالى
كل الينا راجعون وما في ان من معنى التحقيق معتبر في النفي المستفاد من حرام لا في النفي وممتنع البتة عدم رجوعهم
الينا للجزاء لان عدم رجوعهم بالذكر ممتنع وتخصيص عدم امتناع عدم رجوعهم بالذكر مع شمول الامتناع لعدم
رجوع الكل حسبما نطق به قوله تعالى كل الينا راجعون لانهم المنكرون للبعث والرجوع دون غيرهم وقيل ممتنع
رجوعهم الى التوبة على ان لا صلة وقرى انهم لا يرجعون بالكسر على انه استيناف تعليل لما قبله فحرام خبر مبتدا
محذوف اي حرام عليها ذلك وهو ما ذكر في الاية السابقة من العمل الصالح المشفوع بالايمان والسعي المشكور
ثم علل بقوله تعالى انهم لا يرجعون وحتى في قوله تعالى حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج الى اخره هي التي يحكى بعدها
الكلام وهي على الاول غاية لما يدل عليه ما قبلها كانه قيل يستمر امتناع رجوعهم الى التوبة حتى اذا قامت الصيحة يرجعون
اليها حين لا ينفعهم التوبة وعلى الثالث غاية لعدم الرجوع عن الكفر اي لا يرجعون عنه حتى اذا قامت القيمة يرجعون
عنه حين لا ينفعهم الرجوع وياجوج وماجوج قبيلتان من الانس قالوا الناس عشرة اجزاء تسعة منها ياجوج وماجوج
والمراد بفتحها فتح سدها على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقرى فتحت بالتشديد وهم
اي ياجوج وماجوج وقيل الناس من كل حدب اي نشز من الارض وقرى جدث وهو القبر ينسلون اي
يسرعون واصله مقاربة الخطو من الاسراع وقرى بضم السين واقترب الوعد الحق عطف على فتحت والمراد به ما
بعد النفخة الثانية من البعث والحساب والجزاء لا النفخة الاولى فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا جواب

٨٤

الشرط واذا للمفاجاة تسد مسد الفاء الجزائية كما في قوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا دخلتها الفاء تظاهرت
على وصل الجزاء بالشرط والضمير للقصة او مبهم يفسره ما بعده يا ويلنا على تقدير قول وقع حالا من الموصول
اي يقولون يا ويلنا يقال فهذا اوان حضورك وقيل هو الجواب للشرط قد كنا في غفلة تامة من هذا الذي
دهمنا من البعث والرجوع اليه تعالى للجزاء ولم نعلم انه حق بل كنا ظالمين اضراب عما قبله من وصف
انفسهم بالغفلة اي لم نكن غافلين من حيث نبهنا عليه بالايات والنذر بل كنا ظالمين بتلك الايات والنذر مكذبين
لها وظالمين لانفسهم بتعريضها للعقاب الخالد بالتكذيب في قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
خطاب لكفار مكة تصريح بمآل امرهم مع كونه معلوما مما سبق على وجه الاجمال مبالغة في الانذار وازاحة الاعتذار
وما يعبدون عبارة عن اصنامهم لانها التي يعبدونها كما يفصح عنه كلمة ما وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين تلا الاية وقال له ابن الزبعري خصمتك ورب الكعبة اليست اليهود عبدوا عزيرا والنصارى المسيح
وبنو مليح الملائكة رد عليه بقوله عليه الصلوة والسلام ما اجهلك بلغة قومك اما فهمت ان ما لا يعقل
ولا يعارضه ما روي انه عليه الصلوة والسلام رده بقوله بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك ولا
ما روي ان ابن الزبعري قال هذا شيء لالهتنا خاصة او لكل من عبد من دون الله فقال عليه الصلوة والسلام
بل لكل من عبد من دون الله تعالى اذ ليس شيء منها نصا في عموم كلمة ما كما ان الاول نص في خصوصها وشمول حكم
النص لا يقتضي شموله بطريق العبارة بل يكفي في ذلك شموله لهم بطريق دلالة النص بجامع الشركة في المعبودية
من دون الله تعالى فلعله عليه الصلوة والسلام بعدما بين مدلول النظم الكريم بما ذكر وعدم دخول المذكورين
في حكمه بطريق العبارة بين عدم دخولهم فيه بطريق الدلالة ايضا تاكيدا للرد والالزام وتكريرا للتبكيت
والافحام لكن لا باعتبار كونهم معبودين لهم كما هو زعمهم فان اخراج بعض المعبودين عن حكم مبني عن الغضب
على العبدة والمعبودين مما يوهم الرخصة في عبادته في الجملة بل بتحقيق الحق وبيان انهم ليسوا من المعبودين
في شيء حتى يتوهم دخولهم في الحكم المذكور ودلالة موجب شركتهم للاصنام في المعبودية من دون الله تعالى
وانما معبودهم الشياطين التي امرتهم بعبادتهم كما نطق به قوله سبحانه وتعالى سبحانك انت ولينا من
دونهم بل كانوا يعبدون الجن الاية فهم الداخلون في الحكم المذكور لاشراكهم الاصنام في المعبودية من دونه
تعالى دون المذكور وهذا هو الوجه في التوفيق بين الاخبار المذكورة واما تعميم كلمة ما للعقلاء ايضا وجعل
ما سياتي من قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية الى آخره بيانا للتجوز او التخصيص فيما لا يساعده السباق
والسياق كما يشهد به الذوق السليم والحصب ما يرمى به ويهيج به النار من حصبه اذا رماه بالحصب وقرى
بسكون الصاد وصفا له بالمصدر للمبالغة انتم لها واردون استيناف او بدل من حصب جهنم واللام معوضة
من على للدلالة على الاختصاص وان ورودهم لاجلها والخطاب لهم ولما يعبدون تغليبا لو كان هؤلاء
اي اصنامهم الهة كما يزعمون ما وردوها وحيث تبين ورودهم اياها تعين امتناع كونهم الهة بالضرورة
وهذا كما ترى صريح في ان المراد بما يعبدون هي الاصنام لان المراد اثبات نقيض ما يدعونه وهم انما يدعون الهة
الشياطين حتى يحتج بورودها النار على عدم الهيتها وانما ما وقع في الحديث الشريف فقد وقع بطريق التكملة بالجر
الكلام اليه عند بيان ما سبق له النظم الكريم بطريق العبارة حيث سال ابن الزبعري عن حال سائر المعبودين
وكان الاقتصار على الجواب الاول مما يوهم الرخصة في عبادتهم في الجملة لانهم المعبودون عندهم اجيب
ببيان ان المعبودين هم الشياطين وانهم داخلون في حكم النص لكن بطريق الدلالة لا بطريق العبارة
لئلا يلزم التدافع بين الخبرين وكل من العبدة والمعبودين فيها خالدون لا خلاص لهم عنها لهم فيها زفير
اي انين وتنفس شديد وهو مع كونه من افعال العبدة اضيف الى الكل للتغليب ويجوز ان يكون الضمير
للعبدة لعدم الالباس وكذا قوله تعالى وهم فيها لا يسمعون اي لا يسمع بعضهم زفير بعض لشدة الهول وفظاعة

العذاب

العذاب وقيل لا يسمعون ما يسرهم من الكلام ان الذين سبقت لهم منا الحسنى شروع في بيان حال المؤمنين عقب شرح
حال الكفرة حسبما جرت به سنة التنزيل من شفع الوعد بالوعيد وايراد الترغيب مع الترهيب اي سبقت لهم منا
في التقدير الخصلة الحسنى التي هي احسن الخصال وهي السعادة وقيل التوفيق للطاعة او سبقت كلمتنا بالبشرى
بالثواب على الطاعة وهو الاظهر الادخل في الحمل عليها الا ان الاولين مع خفائهما ليسا من مقدورات المكلفين والجملة
مع ما بعدها تفصيل لما اجمل في قوله تعالى فمن يعمل من الصالحات وهو مومن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون كما ان من
قبلها من قوله تعالى انكم وما تعبدون الى آخره تفصيل لما اجمل في قوله تعالى وحرام على قرية الخ اولئك اشارة الى
الموصول واعتبار اتصافهم بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف
والفضل اي اولئك المنعوتون بما ذكر من النعت الجميل عنها اي عن جهنم مبعدون لانهم في الجنة وشتان بينها وبين
النار وما روى ان عليا رضي الله عنه خطب يوما فقرا هذه الاية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة
والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة بن الجراح رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ثم اقيمت الصلوة
فقام يجر رداءه ويقول لا يسمعون حسيسها ليس بنص في كون الموصول عبارة عن طائفة مخصوصة والحسيس صوت
يحس به اي لا يسمعون صوتها سماعا ضعيفا كما هو المعهود عند كون الصوت بعيدا وان كان صوتها في غاية
الشدة لانهم لا يسمعون صوتها الخفي في نفسه فقط والجملة بدل من مبعدون او حال من ضميره مسوقة للمبالغة
في ابعادهم عنها وقوله تعالى وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون بيان لفوزهم بالمطالب اثر بيان خلاصهم عن المهالك
والمعاطب اي دائمون في غاية التنعم وتقديم الظرف للقصر والاهتمام به وقوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر
بيان لنجاتهم من الافزاع بالكلية بعد بيان نجاتهم من النار لانهم اذا لم يحزنهم اكبر الافزاع لا يحزنهم ما عداه بالضرورة
عن الحسن رضي الله عنه انه الانصراف عن النار وعن الضحاك حين يطبق على النار وقيل حين
يذبح الموت في صورة كبش املح وقيل النفخة الاخيرة لقوله تعالى ففزع من في السموات ومن في الارض وليس
بذاك فان الآمن من ذلك الفزع الامن استثناه الله تعالى بقوله الا من شاء الله لا جميع المؤمنين الموصوفين
بالاعمال الصالحة على ان الاكثرين على ان ذلك النفخة الاولى دون الاخيرة كما سياتي في سورة النمل
وتتلقاهم الملائكة اي تستقبلهم الملائكة مهنئين لهم هذا يومكم على ارادة القول اي قائلين هذا اليوم يومكم الذي
كنتم توعدون في الدنيا وتبشرون بما فيه من فنون المثوبات على الايمان والطاعات وهذا كما ترى صريح في ان
المراد بالذين سبقت لهم منا الحسنى كافة المؤمنين الموصوفين بالايمان والعمل الصالح لا من له ذكر من المسيح وعزير
والملائكة عليهم السلام خاصة كما قيل يوم نطوي السماء بنون العظمة منصوب باذكر وقيل ظرف لقوله تعالى لا يحزنهم
الفزع الاكبر وقيل لتتلقاهم وقيل حال مقدرة من الضمير المحذوف في توعدون والطي ضد النشر وقيل المحو وقرى
يطوي بالياء والتاء والبناء للمفعول كطي السجل وهي الصحيفة اي طيا كطي الطومار وقرئ السجل كلفظ الدلو
وبالكسر والسجل على وزن العتل وهما لغتان واللام في قوله تعالى للكتب متعلقة بمحذوف وهو حال من السجل
او صفة على راي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اي كطي السجل كائنا للكتب او الكائن للكتب فان
الكتب عبارة عن الصحائف وما كتب فيها فسجلها بعض اجزائها وبه يتعلق الطي حقيقة وقرئ للكتاب وهو
اما مصدر واللام للتعليل اي كما يطوي الطومار للكتابة او اسم كالامام فله اللام كما ذكر وقيل السجل
هو كاتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما بدانا اول خلق نعيده اي نعيد ما خلقناه مبتدا اعادة مثل بداننا
اياه في كونها ايجادا بعد العدم او جمعا من الاجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس الى
المبدا لشمول الامكان الذاتي المصحح للمقدورية وتناول القدرة لهما على السواء وما كافة او مصدرية واول
مفعول لبدانا او لفعل يفسره نعيده او موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده مثل الذي
بداناه واول خلق ظرف لبدانا او حال من ضمير الموصول الموصوف وعدا مصدر مؤكد لفعله ومقرر لنعيده

او منتصب به لانه حدث بالاعادة علينا اي علينا انجازه انا كنا فاعلين لما ذكر لا محالة ولقد كتبنا في الزبور
هو كتاب داود عليه السلام وقيل هو اسم لجنس ما انزل على الانبياء عليهم السلام من بعد الذكر اي التورية
وقيل اللوح المحفوظ اي وبالله لقد كتبنا في كتاب داود من بعد ما كتبنا في التورية او كتبنا في جميع الكتب
المنزلة بعد ما كتبنا واثبتنا في اللوح المحفوظ ان الارض يرثها عبادي الصالحون اي عامة المؤمنين بعد اجلاء الكفار
وهذا وعد منه تعالى باظهار الدين واعزاز اهله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد ارض الجنة كما ينبئ عنه
قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء وقيل الارض المقدسة
يرثها امة محمد صلى الله عليه وسلم ان في هذا اي فيما ذكر في السورة الكريمة من الاخبار والمواعظ البالغة
والوعد والوعيد والبراهين القاطعة الدالة على التوحيد وصحة النبوة لبلاغا اي لكفاية او لسبب بلوغ
البغية لقوم عابدين اي لقوم همهم العبادة دون العادة وما ارسلناك بالذكر وامثاله من الشرايع والاحكام
وغير ذلك من الامور التي هي مناط لسعادة الدارين الا رحمة للعالمين هو في حيز النصب على انه استثناء من
اعم العلل او من اعم الاحوال اي ما ارسلناك بما ذكر لعلة من العلل الا لرحمتنا الواسعة للعالمين قاطبة او ما
ارسلناك في حال من الاحوال الا حال كونك رحمة لهم فان ما بعثت به سبب لسعادة الدارين ومنشأ لانتظام
مصالحهم في النشأتين ومن لم يغتنم مغانم آثاره فانما فرط في نفسه وحرمه حقه لا انه تعالى حرمه مما يسعده
وقيل كونه رحمة في حق الكفار امنهم من الخسف والمسخ والاستيصال حسبما ينطق به قوله تعالى وما كان
الله ليعذبهم وانت فيهم قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد اي ما يوحى الي الا انه لا اله لكم الا اله واحد لانه
المقصود الاصلي من البعثة واما ما عداه فمن الاحكام المتفرعة عليه فانما الاولى لقصر الحكم على الشيء كقولك انما يقوم
زيد اي ما يقوم الا زيد والثانية لقصر الشيء على الحكم كقولك انما زيد قايم اي ليس له الا صفة القيام فهل انتم مسلمون
اي مخلصون العبادة لله تعالى مخصصون لها به تعالى والفاء للدلالة على ان ما قبلها موجب لما بعدها قالوا وفيه
دلالة على ان صفة الوحدانية يصح ان يكون طريقها السمع فان تولوا عن الاسلام ولم يلتفتوا الى ما يوجبه
من الوحي فقل لهم آذنتكم اي اعلمتكم ما امرت به او حربي لكم على سواء اي كائنين على سواء وقيل اعلمتكم
اني على سواء اي عدل واستقامة رأي بالبرهان النير وان ادري اي ما ادري اقريب ام بعيد ما توعدون من
غلبة المسلمين وظهور الدين او الحشر مع كونه آتيا لا محالة انه يعلم الجهر من القول اي ما تجاهرون به من الطعن
في الاسلام وتكذيب الآيات التي من جملتها ما نطق بمجيء الموعود ويعلم ما تكتمون من الاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه
نقيرا وقطميرا وان ادري لعله فتنة لكم اي ما ادري لعل تاخير عذابكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم وامتحان
لكم لينظر كيف تعملون ومتاع الى حين اي وتمتيع لكم الى اجل مسمى مقدر تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة
ليكون ذلك حجة عليكم قال رب احكم بالحق حكاية لدعائه صلى الله عليه وسلم وقرئ قل رب على صيغة الامر اي
اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل المقتضي لتعجيل العذاب والتشديد عليهم وقد استجيب دعاؤه عليه الصلوة والسلام
حيث عذبوا ببدر اي تعذيب وقرئ رب احكم بضم الباء وربي احكم على صيغة التفضيل وربي احكم من الاحكام وربنا
الرحمن مبتدأ وخبر اي كثير الرحمة على عباده وقوله تعالى المستعان اي المطلوب منه المعونة خبر آخر للمبتدأ واضافة
الرب فيما سبق الى ضميره عليه الصلوة والسلام خاصة لان الدعاء من الوظايف الخاصة به عليه الصلوة والسلام كما ان
اضافته هاهنا الى ضمير الجمع المنتظم للمؤمنين ايضا لان الاستعانة من الوظايف العامة لهم على ما تصفون من الحال
فانهم كانوا يقولون ان الشوكة تكون لهم وان راية الاسلام تخفق ثم تركد وان المتوعد به لو كان حقا لنزل بهم العذاب
الى غير ذلك مما لا خير فيه فاستجاب الله عز وجل دعوة رسوله صلى الله عليه وسلم فخيب آمالهم وغير احوالهم ونصر اولياءه عليهم فاصابهم
يوم بدر ما اصابهم والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقرئ يصفون بالياء عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرأ اقترب حاسبه الله تعالى حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن

في الاعلام به ولم اطو عن احد منكم او مستوين به انا وانتم في العلم بما اعلمتكم به او في العداوة او ايذانا على سواء صح

بسم

سورة الحج وهي ثمان وسبعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا ربكم خطاب يعم حكمه المكلفين عند النزول ومن سينتظم في سلكهم بعد من
الموجودين القاصرين عن رتبة التكليف والحادثين بعد ذلك الى يوم القيمة وان كان خطاب المشافهة مختصا
بالفريق الاول على الوجه الذي مر تحقيقه في مطلع سورة النساء ولفظ الناس ينتظم فيه الذكور والاناث حقيقة
واما صيغة جمع المذكر فوارد على نهج التغليب لعدم تناولها الاناث حقيقة الا عند الحنابلة والمأمور به مطلق
التقوى الذي هو التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك ويندرج فيه الايمان بالله واليوم الآخر حسبما ورد به الشرع
اندراجا اوليا والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية والتربية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتاكيد
الامر وتاكيد ايجاب الامتثال به ترهيبا وترغيبا اي احذروا عقوبة مالك اموركم ومربيكم وقوله تعالى ان زلزلة
الساعة شيء عظيم تعليل لموجب الامر بذكر بعض عقوباته الهائلة فان ملاحظة عظمها وهولها وفظاعة ما هي من
مباديه ومقدماته من الاحوال والاهوال التي لا ملجأ منها سوى التدرع بلباس التقوى مما يوجب مزيد الاعتناء
بملابسته وملازمته لا محالة والزلزلة التحريك الشديد والازعاج العنيف بطريق التكرير بحيث يزيل الاشياء
عن اماكنها ومقارها ويخرجها عن مراكزها واضافتها الى الساعة اما اضافة المصدر الى فاعله على المجاز الحكمي
كانها هي التي تزلزل الاشياء واضافته الى الظرف اما باجرائه مجرى المفعول به اتساعا وبتقدير في كما في قوله
تعالى بل مكر الليل والنهار وهي الزلزلة المذكورة في قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها عن الحسن انها تكون
يوم القيمة وعن ابن عباس رضي الله عنهما زلزلة الساعة قيامها وعن علقمة والشعبي انها قبل طلوع الشمس
من مغربها فاضافتها الى الساعة حينئذ لكونها من اشراطها والتعبير عنها بالشيء ايذانا بان العقول قاصرة عن
ادراك كنهها والعبارة ضيقة لا تحيط بها الا على وجه الابهام يوم ترونها منتصب بما بعده قدم عليه اهتماما
به والضمير للزلزلة اي وقت رؤيتكم اياها ومشاهدتكم لهول مطلعها تذهل كل مرضعة اي مباشرة للارضاع
عما ارضعت اي تغفل وتذهل مع دهشة عما هي بصدده ارضاعه من طفلها الذي القمته ثديها والتعبير عنه
بما دون من لتأكيد الذهول وكونه بحيث لا يخطر ببالها انه ماذا لا انها لا تعرف شيئيته لكن لا تدري من هو
بخصوصه وقيل ما مصدرية اي تذهل عن ارضاعها والاول ادل على شدة الهول وكمال الانزعاج وقرئ
تذهل من الاذهال مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل مع نصب كل اي تذهلها الزلزلة وتضع كل ذات حمل حملها اي
تلقي جنينها لغير تمام كما ان المرضعة تذهل عن ولدها لغير فطام وهذا ظاهر على قول علقمة والشعبي واما على ما روي
عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد روي قبل انه تمثيل لتهويل الامر وفيه ان الامر اشد من ذلك واعظم واهول مما وصف
واطم وقيل ان ذلك يكون عقيب النفخة الثانية فانهم يقومون على ما صعقوا في النفخة الاولى فتقوم
المرضعة على ارضاعها والحامل على حملها ولا ريب في ان قيام الناس عن قبورهم بعد النفخة الثانية لا قبلها حتى يتصور
ما ذكر وترى الناس بفتح التاء والراء على خطاب كل احد من المخاطبين برؤية الزلزلة والاختلاف بالجمعية والافراد
لما ان المرئي في الاولى هي الزلزلة التي يشاهدها الجميع وفي الثاني حال من عدا المخاطب منهم فلا بد من افراد المخاطب على
وجه يعم كل واحد منهم لكن من غير اتصافه بتلك الحالة فان المراد بيان تاثير الزلزلة في المرئي لا في الرائي باختلاف
مشاعره لان مدار حيثية رؤيته للزلزلة لا لغيرها كانه قيل ويصير الناس سكارى الى آخره وانما اوثر عليه ما في
التنزيل للايذان بكمال ظهور تلك الحالة فيهم وبلوغها من الجلاء الى حد لا يكاد يخفى على احد سكارى اي كانهم سكارى
وما هم بسكارى حقيقة ولكن عذاب الله شديد فرهقهم هوله ويطير عقولهم ويسلب تمييزهم فهو الذي جعلهم
كما وصفوا وقرئ بضم التاء وفتح الراء مسندا الى المخاطب من اريتك قايما والناس منصوب اي تظنهم سكارى
وقرئ بنصب الناس على اسناد الفعل المجهول اليه والتانيث على تاويل الجماعة وقرئ ترى بضم التاء وكسر
الراء ترى الزلزلة الخلق جميع الناس سكارى وقرئ سكرى وبسكرى كعطشى وجوعى اجراء للسكر مجرى العلل

ومن الناس كلام مبتدأ جاء اثر بيان عظم شأن الساعة المنبئة عن البعث بيانا لبعض حال المنكرين لها
ومحل الجار الرفع على الابتداء اما بحمله على المعنى او بتقدير ما يتعلق به كما مر مرارا اي بعض الناس او وبعض كائن من
الناس من يجادل في الله اي في شأنه تعالى ويقول فيه ما لا خير فيه من الاباطيل وقوله تعالى بغير علم حال من
ضمير يجادل موضحة لما يشعر به المجادلة من الجهل اي ملابسا بغير علم روي انها نزلت في النضر بن الحارث
وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين ولا بعث بعد الموت وهي شاملة له ولامرائه
من العتاة المتمردين ويتبع اي فيما يتعاطاه من المجادلة او في كل ما يأتي وما يذر من الامور الباطلة التي من جملتها
ذلك كل شيطان مريد عات متمرد مجرد للفساد واصله العري المبني عن التمحض له كالتشمر ولعله ماخوذ من تجرد المصارعين
عند المصارعة قال الزجاج المريد والمارد المرتفع الاملس والمراد اما رؤساء الكفرة الذين يدعون من دونهم الى
الكفر واما ابليس وجنوده وقوله تعالى كتب عليه اي على الشيطان صفة اخرى له وقوله تعالى انه فاعل كتب والضمير
للشأن اي رقم به لظهور ذلك من حاله ان الشأن من تولاه اي اتخذه وليا وتبعه فانه يضله بالفتح على انه خبر
مبتدا محذوف والجملة جواب الشرط ان جعلت من شرطية وخبر لها ان جعلت موصولة متضمنة لمعنى الشرط
اي من تولاه فان شأنه انه يضله من طريق الجنة او طريق الحق او فحق انه يضله قطعا وقيل فانه معطوف على
انه وفيه من التعسف ما لا يخفى وقيل ما لا يخلو عن التمحل والتأويل وقرئ فانه بالكسر على انه خبر لمن او جواب
لها وقرئ بالكسر فيهما على ولاية المكتوب كما هو مثلها في قولك كتبت ان الله يأمر بالعدل والاحسان او على اضمار
القول او تضمين الكتب معناه على رأي من يراه ويهديه الى عذاب السعير بحمله على مباشرة ما يؤدي من الشبهات يا ايها
الناس اثر ما حكي احوال المجادلين بغير علم واشير الى ما يؤول اليه امرهم اقيمت الحجة الدالة على تحقق ما جادلوا فيه من
البعث ان كنتم في ريب من البعث من امكانه وكونه مقدورا له تعالى او من وقوعه وقرئ من البعث بالتحريك في
الجلب والتعبير عن اعتقادهم في حقه بالريب مع التنكير المنبئ عن القلة مع انهم جازمون باستحالته وايراد كلمة
الشك مع تقرر حالهم في ذلك وايثار كلمة ما عليه النظم الكريم على ان يقال اذ ارتبتم في البعث قد مر تحقيقه
في قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فانا خلقناكم اي فانظروا الى مبدأ خلقكم ليزول ريبكم فانا
خلقناكم اي خلقنا كل فرد منكم من تراب في ضمن خلق آدم منه خلقا اجماليا فان كل فرد من افراد البشر له حظ من
خلقه عليه السلام اذ لم تكن فطرته الشريفة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر افراد
الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من التراب خلقا للكل منه كما مر
تحقيقه مرارا ثم من نطفة اي ثم خلقناكم خلقا تفصيليا من نطفة اي مني من النطف الذي هو الصب ثم من علقة
اي قطعة من الدم جامدة متكونة من المني ثم من مضغة اي قطعة من اللحم متكونة من العلقة وهي في الاصل
مقدار ما يمضغ مخلقة بالجر صفة مضغة اي مستبينة الخلق مصورة وغير مخلقة اي لم يستبن خلقها وصورتها
بعد والمراد تفصيل حال المضغة وكونها اولا قطعة لحم ثم ظهور فيها شيء من العظام ثم ظهرت بعد ذلك شيئا
فشيئا وكان مقتضى الترتيب السابق على التدريج من المبادي البعيدة الى القريبة ان يقدم غير المخلقة على
المخلقة وانما اخرت حيث عنها لانها عدم الملكة هذا وقد فسرت بالمسواة وغير المسواة وبالتامة والساقطة
وليس بذاك في جعل كل واحدة من هذه المراتب مبدأ لخلقهم لا لخلق ما بعدها من المراتب كما في قوله تعالى ثم خلقنا
النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة الاية مزيد دلالة على عظيم قدرته تعالى وكسر لسورة استبعادهم
لنبين لكم متعلق بخلقنا وترك المفعول لتفخيمه كما وكيفا اي خلقناكم من هذا النمط البديع لنبين لكم بذلك
ما لا تحصره العبارة من الحقائق والدقائق التي من جملتها سر البعث فان من تأمل ما ذكر من الخلق التدريجي
تأملا حقيقيا جزم جزما ضروريا بان من قدر على خلق البشر اولا من تراب لم يشم رائحة الحيوة قط وانشأه على
وجه مصحح لتوليد مثله مرة بعد اخرى بتصريفه في اطوار الخلقة من حال الى حال مع ما بين تلك الاطوار والاحوال

من المخالفة

من المخالفة والتباين فهو قادر على اعادته بل هو اهون في القياس نظرا الى الفاعل والقابل وقرئ ليبين
بطريق الالتفات وقوله تعالى ونقر في الارحام ما نشاء استئناف مسوق لبيان حالهم بعد تمام خلقهم
وعدم نظم هذا وما عطف عليه في سلك الخلق المعلل بالتبيين مع كونهما من مبادي
التبيين ايضا لان دلالة الاول على كمال قدرته تعالى على جميع المقدورات التي من جملتها البعث المعرب عنه
اجلى واظهر اي ونحن نقر في الارحام بعد ذلك ما نشاء ان نقره فيها الى اجل مسمى هو وقت الوضع
وادناه ستة اشهر واقصاه سنتان وقيل اربع سنين وفيه اشارة الى ان بعض ما في الارحام لا يشاء
الله اقراره فيها بعد تكامل خلقه فيسقطه والتعرض للاقرار لانه يناسب المقام لان الكلام فيما جرى عليه
اطوار الخلق وهذا صريح في ان المراد بغير المخلقة ليس من ولد ناقصا او معيبا وان ما فصل الى هنا هي
الاطوار المتواردة على المولود قبل الولادة وقرئ يقر بالياء ونقر بضم القاف من قررت الماء اذا صببته
ثم نخرجكم اي من بطون امهاتكم بعد اقراركم فيها عند تمام الاجل المسمى طفلا اي حال كونكم اطفالا والافراد
باعتبار كل واحد منهم او بارادة الجنس المنتظم للواحد والمتعدد وقرئ يخرجكم بالياء وقوله تعالى ثم
لتبلغوا اشدكم علة لنخرجكم معطوفة على علة اخرى له مناسبة لها كانه قيل ثم نخرجكم لتكبروا شيئا فشيئا
ثم لتبلغوا كمالكم في القوة والعقل والتمييز وقيل التقدير ثم نمهلكم لتبلغوا الى آخره وما قيل انه معطوف على
نبين مخل بجزالة النظم الكريم هذا وقد قرئ ما قبله من الفعلين بالنصب حكاية وغيبة فهو حينئذ عطف
على نبين مثلهما والمعنى خلقناكم على التدريج المذكور لغايتين مترتبتين عليه احداهما ان نبين شؤوننا والثانية
ان نقركم في الارحام ثم نخرجكم صغارا ثم لتبلغوا اشدكم وتقديم التبيين على ما بعده مع ان حصوله بالفعل
بعد الكل للايذان بانه غاية الغايات ومقصود بالذات واعادة اللام ههنا مع تجريد الاولين عنها للاشعار
باصالته في الغرضية بالنسبة اليهما اذ عليه يدور التكليف المؤدي الى السعادة والشقاوة وايثار
البلوغ مسندا الى ضمير المخاطبين على التبليغ مسندا اليه تعالى كالافعال السابقة لانه المناسب لبيان حال
اتصافهم بالكمال واستقلالهم بمبادئ الآثار والافعال والاشد من الفاظ الجموع التي لم يستعمل لها
واحد كالاسدة والقنود وكانها حيث كانت شدة في غير شيء بنيت على لفظ الجمع ومنكم من يتوفى اي بعد
بلوغ الاشد او قبله وقرئ يتوفى مبنيا للفاعل اي يتوفاه الله تعالى ومنكم من يرد الى ارذل العمر وهو الهرم
والخرف وقرئ بسكون الميم وايراد الرد والتوفي على صيغة المبني للمفعول للجري على سنن الكبرياء لتعين الفاعل
لكيلا يعلم من بعد علم اي علم كثير شيئا اي شيئا من الاشياء او شيئا من العلم مبالغة في انتقاص علمه وانتكاس
حاله اي ليعود الى ما كان عليه في اوان الطفولية من ضعف البنية وسخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما
علمه وينكر ما عرفه ويعجز عما قدر عليه وفيه من التنبيه على صحة البعث ما لا يخفى وترى الارض هامدة حجة
اخرى على صحة البعث والخطاب لكل احد ممن يتأتى منه الرؤية وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار
وهي بصرية وهامدة حال من الارض اي ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا فاذا انزلنا عليها
الماء اي المطر اهتزت تحركت بالنبات وربت انتفخت وازدادت وقرئ ربأت اي ارتفعت وانبتت
من كل زوج اي صنف بهيج حسن رائق يسر ناظره ذلك بان الله هو الحق كلام مستأنف جيء به اثر تحقيق
حقيقة البعث واقامة البرهان عليه من العالمين الانساني والنباتي لبيان ان ذلك من آثار الوهيته تعالى
واحكام شؤونه الذاتية والوصفية والفعلية وان ما ينكرون وجوده بل امكانه من اتيان الساعة والبعث
من اسباب تلك الآثار العجيبة التي يشاهدونها في الانفس والآفاق ومبادي صدورها عنه تعالى وفيه
من الايذان بقوة الدليل واصالة المدلول في التحقق واظهار بطلان انكاره ما لا يخفى فان انكار تحقق
السبب مع الجزم بتحقق المسبب مما لا يقتضي بطلانه بديهة العقول والمراد بالحق الثابت الذي يحق ثبوته

لا محالة لكونه لذاته لا الثابت مطلقا وذلك اشارة الى ما ذكر من خلق الانسان على اطوار مختلفة وتصريفه
في احوال متباينة واحياء الارض بعد موتها وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الكمال وهو مبتدأ
خبره الجار والمجرور اي ذلك الصنع البديع حاصل بسبب انه تعالى هو الحق وحده في ذاته وصفاته وافعاله المحقق
لما سواه من الاشيا وانه يحيي الموتى اي من شانه وعادته احياؤها وحاصله انه تعالى قادر على احيائها بدءا واعادة
والا لما احيى النطفة والارض الميتة مرارا بعد مرار وما يفيده صيغة المضارع من التجدد وانما هو باعتبار تعلق
القدرة ومتعلقها لا باعتبار نفسها وانه على كل شيء قدير اي مبالغ في القدرة والا لما اوجد هذه الموجودات
الفائتة للحصر التي من جملتها ما ذكر واما الاستدلال على ذلك بان قدرته تعالى لذاته التي نسبته الى الكل سواء
فلما دلت المشاهدة على قدرته تعالى على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احياء كلها فمنشأه الفضول عما
سيق له النظم الكريم من بيان كون الآثار الخاصة المذكورة من فروع القدرة العامة التامة ومسبباتها و
تخصيص احياء الموتى بالذكر مع كونه من جملة الاشياء المعدودة عليها للتصريح بما فيه النزاع والدفع في نحور المنكرين
وتقديمه لابراز الاعتناء به وان الساعة آتية اي فيما سيأتي وايثار صيغة الفاعل على الفعل للدلالة على تحقق
اتيانها وتقررها البتة لاقتضاء الحكمة اياه لا محالة وتعليله بان التغيير من مقدمات الانصرام وطلائعه
مبني على ما ذكر من القول وقوله تعالى لا ريب فيها اما خبر ثان لان او حال من ضمير الساعة في الخبر ومعنى نفي
الريب عنها انها في ظهور امرها ووضوح دلائلها التكوينية والتنزيلية بحيث ليس فيها مظنة ان يرتاب
في اتيانها حسب ما مر في مطلع سورة البقرة والجملة عطف على المجرور بالباء كما قبلها من الجملتين داخلة
مثلها في السببية وكذا قوله عز وجل وان الله يبعث من في القبور لكن لا من حيث ان اتيان الساعة
وبعث الموتى موثران فيما ذكر من افاعيله تعالى تاثير القدرة فيها بل من حيث ان كلا منهما سبب داع له
عز وعلا بموجب رافته بالعباد المنبئة على الحكم البالغة الى ما ذكر من خلقهم ومن احياء الارض الميتة
على نمط بديع صالح للاستشهاد به على امكانهما ليتاملوا في ذلك ويستدلوا به على وقوعهما لا محالة ويصدقوا
بما ينطق بهما من الوحي المبين وينالوا به السعادة الابدية ولولا ذلك لما فعل تعالى ما فعل بل لما خلق العالم
راسا وهذا كما ترى من احكام مشيئته تعالى في افعاله وابتنائها على الحكم الباهرة كما ان قبله من احكام حقيقته
تعالى في صفاته وكونها في غاية الكمال وقد جعل اتيان الساعة وبعث من في القبور لكونهما من روادف
الحكمة كناية عن كونه تعالى حكيما كانه قيل ذلك بسبب انه تعالى قادر على احياء الموتى وعلى كل مقدور وانه حكيم
لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد ان يفي بما وعد وانت خبير بان ماله الاستدلال بحكمته
تعالى على اتيان الساعة والبعث وليس الكلام في ذلك بل انما هو في سببيتهما لما مر من خلق الانسان
واحياء الارض فتامل وكن على الحق المبين وقيل قوله تعالى ان الساعة آتية ليس معطوفا على المجرور بالباء ولا
داخلا في حيز السببية بل هو خبر والمبتدأ محذوف لفهم المعنى والتقدير والامر ان الساعة آتية وان الثانية
معطوفة على الاولى والمعنى ذلك لتعلموا بان الله هو الحق الابين ومن الناس من يجادل في الله هو ابو جهل بن هشام
حسبما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل هو لنضر يتصدى لاضلال الناس واغوائهم كائنا من كان
كان الاول من قبلهم على ان الشيطان عبارة عن المضل المغوي على الاطلاق بغير علم متعلق بمحذوف
وقع حالا من ضمير يجادل اي كائنا يجادل بغير علم والمراد بالعلم العلم الضروري كما ان المراد بالهدى في قوله
تعالى ولا هدى هو الاستدلال والنظر الصحيح الهادي الى المعرفة ولا كتاب منير وفي مظهر للحق اي يجادل
في شانه تعالى من غير تمسك بمقدمة ولا بحجة نظرية ولا ببرهان سمعي كما في قوله تعالى ويعبدون من دون
الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم واما ما قيل من ان المراد المجادل الاول والتكرير للتاكيد والتمهيد
لما بعده من بيان انه لا سند له من استدلال او وحي فلا يساعده النظم الكريم كيف لا وان وصفه باتباع

كل شيطان

كل شيطان موصوف بما ذكر يغني عن وصفه بالمراء هو الدليل العقلي والسمعي ثاني عطفه حال من
من فاعل يجادل فان غرضه الاضلال اي عاطفا لجانبه وطاويا كشحه معرضا متكبرا فان ثني العطف كناية
عن التكبر وقرئ بفتح العين اي مانعا لعطفه ليضل عن سبيل الله متعلق بيجادل فان غرضه الاضلال
عنه وان لم يعترف بانه اضلال والمراد به اما الاخراج من الهدى الى الضلال فالمفعول من يجادله من المؤمنين
او الناس جميعا بتغليب المؤمنين على غيرهم واما التثبيت على الضلال او الزيادة عليه مجازا فالمفعول الكفرة
خاصة وقرئ بفتح الياء وجعل ضلاله غاية لجداله من حيث ان المراد به الضلال المبين الذي لا هدى
له بعده مع تمكنه منها قبل ذلك له في الدنيا خزي جملة مستانفة مسوقة لبيان نتيجة ما سلكه من
الطريقة اي ثبت له في الدنيا بسبب ما فعله خزي وهو ما اصابه يوم بدر من القتل والصغار ونذيقه
يوم القيامة عذاب الحريق اي النار المحرقة ذلك اي ما ذكر من العذاب الدنيوي والاخروي وما فيه من
للايذان بكونه في الغاية القاصية من الهول والفظاعة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بما قدمت يداك
اي بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي واسناده الى يديه لما ان الاكتساب عادة يكون بالايدي
والالتفات لتاكيد الوعيد وتشديد التهديد ومحل ان في قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد الرفع
على انه خبر مبتدأ محذوف اي والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك
بنفي الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعا على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما
بالغا قد مر تحقيقه في سورة آل عمران والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها وانما قيل من ان
محل ان هو الجر بالعطف على ما قدمت حاله في سورة الانفال ومن الناس من يعبد الله على حرف شروع
في بيان حال المذبذبين اثر بيان حال المجاهرين اي ومنهم من يعبده تعالى على طرف من الدين لا ثبات له فيه
كالذي ينحرف الى طرف الجيش فان احس بظفر قر والا فر فان اصابه خير اي دنيوي من الصحة
والسعة اطمان به اي ثبت على ما كان عليه ظاهرا لا انه اطمان به اطمئنان المؤمنين الذين لا يلويهم عنه
صارف ولا يثنيهم عاطف وان اصابته فتنة اي شيء يفتتن به من مكروه يعتريه في نفسه او اهله او ماله انقلب على
وجهه انها نزلت في اعاريب قدموا الى المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت
امرأته ولدا سويا وكثر ماله وولده وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمان
وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد رضي الله عنه ان يهوديا اسلم فاصابته
مصايب فتشاءم بالاسلام فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقلني فقال عليه الصلاة والسلام الا
لا يقال فنزلت وقيل نزلت في المؤلفة قلوبهم خسر الدنيا والآخرة فقدهما وضيعهما بذهاب عصمته
وحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسر بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع
المضمر تنصيصا على خسرانه او على انه خبر مبتدأ محذوف ذلك اي ما ذكر من الخسران وما فيه
من معنى البعد للايذان بكونه في غاية ما يكون هو الخسران المبين الواضح كونه خسرانا اذ لا خسران
مثله يدعو من دون الله استئناف مبين لعظم الخسران اي يعبد متجاوزا عبادة الله تعالى ما لا يضره
اذ لم يعبده وما لا ينفعه ان عبده اي جمادا ليس من شانه الضر والنفع اذ يلوح به تكرير كلمة ما ذلك
الدعاء هو الضلال البعيد عن الحق والهدى مستعار من ضلال من ابعد في التيه ضلالا عن الطريق يدعو
لمن ضره اقرب من نفعه استئناف مسوق لبيان مآل دعائه المذكور وتقرير كونه ضلالا بعيدا مع
ازاحة ما عسى يتوهم من نفي الضر عن معبوده بطريق المباشرة نفيه عنه بطريق التسبب ايضا فالدعاء
بمعنى القول واللام داخلة على الجملة الواقعة مقولا له ومن مبتدأ وضره مبتدأ ثان خبره اقرب والجملة
صلة للمبتدأ الاول وقوله تعالى لبئس المولى ولبئس العشير جواب قسم مقدر هو وجوابه خبر للمبتدأ الاول

ين

بة

بته سلام

وايضا من على ما مع كون معبوده جماداً او يراد صيغة التفضيل مع خلوه عن النفع بالمرة للمبالغة في
تقبيح حاله والامعان في ذمه اي يقول ذلك الكافر يوم القيمة بدعاء وصراخ حين يرى تضرره بمعبوده
ودخوله النار بسببه ولا يرى منه اثر النفع اصلاً لمن ضره اقرب من نفعه والله لبئس الناصر ولبئس الصاحب
هو فكيف بما هو ضر محض عار عن النفع بالكلية ويجوز ان يكون يدعو الثاني اعادة للاول لا تاكيداً له
فقط بل وتمهيد لما بعده من بيان سوء حال معبوده اثر بيان سوء عبادته بقوله تعالى ذلك هو الضلال البعيد
كانه قيل من جهته تعالى بعد ذكر عبادته لما يضره وما لا ينفعه يدعو ذلك ثم قيل لمن ضره اقرب من نفعه
والله لبئس المولى ولبئس العشير فكلمة من وصيغة التفضيل للتهكم به وقيل اللام زائدة ومن مفعول
يدعو ويؤيده القراءة بغير لام اي يعبد من ضره اقرب من نفعه وايراد كلمة من وصيغة التفضيل تهكم به
ايضاً والجملة القسمية مستانفة ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات استينافاً جيء به لبيان كمال
حسن حال المؤمنين العابدين له تعالى وان الله عز وجل يتفضل عليهم بما لا غاية وراءه من اجل المنافع واعظم
الخيرات اثر بيان غاية سوء حال الكفرة وما لهم من فريقي المجاهرين والمذبذبين وان معبودهم لا يجديهم شيئاً
من النفع بل يضرهم مضرة عظيمة وانهم يعترفون بسوء ولايته وعشرته ويذمونه مذمة تامة وقوله تعالى
تجري من تحتها الانهار صفة الجنات فان اريد بها الاشجار المتكاثفة الساترة لما تحتها فجريان
الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض فلا بد من تقدير مضاف اي من تحت اشجارها وان جعلت
عبارة عن مجموع الارض والاشجار فاعتبار التحتية بالنظر الى الجزء الظاهر المصحح لاطلاق اسم الجنة
على الكل كما مر تفصيله في اوائل سورة البقرة وقوله تعالى ان الله يفعل ما يريد تعليل لما قبله وتقرير
له بطريق التحقيق اي يفعل البتة كل ما يريده من الافعال المتقنة اللائقة المبنية على الحكم الرائقة
التي من جملتها اثابة من امن به وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم وعقاب من اشرك به وكذب برسوله
ولما كان هذا من اثار نصرته تعالى عقب بقوله عز وعلا من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والاخرة تحقيقاً
لها وتقريراً لثبوتها على ابلغ وجه واكده وفيه ايجاز بارع واختصار رائع والمعنى انه تعالى ناصر لرسوله
في الدنيا والاخرة لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه فمن كان يغيظه ذلك من اعاديه
وحساده ويظن ان لن يفعله تعالى بسبب مدافعته ببعض الامور ومباشرة ما يوده من المكايد
فليبالغ في استفراغ المجهود وليجاوز في الحد كل حد معهود فقصارى امره وعاقبة مكره ان
يختنق خنقاً مما يرى من ضلال مساعيه وعدم انتاج مقدماته ومباديه فليمدد بسبب الى السماء
فليمدد حبلاً الى سقف سمائه بيته ثم ليقطع اي ليختنق من قطع اذا اختنق لانه يقطع نفسه بحبس مجاريه
وقيل ليقطع الحبل بعد الاختناق على ان المراد به فرض القطع وتقديره كما ان المراد بالنظر في قوله
تعالى فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ تقدير النظر وتصويره اي فليتصور في نفسه النظر هل يذهبن كيده
ذلك الذي هو اقصى ما انتهت اليه قدرته في باب المضارة والمضادة ما يغيظه من النصر كلا
ويجوز ان يراد فلينظر الآن انه ان فعل ذلك هل يذهب ما يغيظه وقيل المعنى فليمدد حبلاً الى
السماء المظلة وليصعد عليه ثم ليقطع الوحي وقيل المسافة حتى يبلغ عنانها فيجتهد في دفع نصره
ويأباه ان مساق النظم الكريم بيان ان الامور المفروضة على تقدير وقوعها وتحققها بمعزل
من اذهاب ما يغيظ ومن البين ان لا معنى لفرض وقوع الامور الممتنعة وترتيب الامور بالنظر عليه لا
سيما قطع الوحي فان فرض وقوعه مخل بالمرام قطعاً وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم و
حنقهم على المشركين يستبطئون ما وعد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم من النصر والاخرون من المشركين يريدون
اتباعه عليه الصلاة والسلام ويخشون ان لا يثبت امره فنزلت وقد فسر النصر بالرزق فالمعنى ان

الارزاق بيد الله تعالى لا تنال الا بمشيئته فلا بد للعبد من الرضا بقسمته فمن ظن ان الله تعالى غير رازقه
ولم يصبر ولم يستسلم فليبلغ غاية الجزع والاختناق فان ذلك لا يغلب القسمة ولا يرده مرزوقا وكذلك
اي مثل ذلك الانزال البديع المنطوي على الحكم البالغة انزلناه اي القرآن الكريم كله وقوله تعالى آيات بينات اي
واضحات الدلالة على معانيها الرائقة حال من الضمير المنصوب مبينة لما اشير اليه بذلك فان الله يهدي
به ابتداء او يثبت على الهدى او يزيد من يريد هدايته او تثبيته او زيادته فيها ومحل الجملة اما الجر على حذف المضاف
المتعلق بالمحذوف موخرا ولان الله يهدي من يريد هدايته ان الذين امنوا اي بما ذكر من الايات البينات بهداية
الله تعالى وبكل ما يجب ان يؤمن به فيدخل فيه ما ذكر دخولاً اولياً والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس
قيل هم قوم يعبدون النار وقيل الشمس والقمر وقيل هم من النصارى اعتزلوا منهم ولبسوا المسوح وقيل اخذوا من
دين النصارى شيئاً وهم القائلون بان للعالم اصلين نوراً وظلمة والذين اشركوا هم عبدة الاصنام وقوله تعالى ان
الله يفصل بينهم يوم القيمة في حيز الرفع على انه خبر لان السابقة وتصدير طرفي الجملة بحرف التحقيق لزيادة التقرير والتا
اي يقضي بين المؤمنين وبين الفرق الخمس المتفقة على ملة الكفر باظهار المحق من المبطل وتوفية كل منهما حقه من الجزاء
باثابة الاول وعقاب الثاني بحسب استحقاق افراد كل منهما وقوله تعالى ان الله على كل شيء شهيد تعليل لما قبله من الفصل
اي عالم بكل شيء من الاشياء ومراقب لاحواله ومن قضيته الاحاطة بتفاصيل ما صدر عن كل فرد من افراد الفرق المذ
واجراء جزائه اللائق به وقوله تعالى ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض الى اخره بيان لما يوجب الفصل
المذكور من اعمال الفرق المذكورة مع الاشارة الى كيفيته وكونه بطريق التعذيب والاثابة والاكرام والاهانة اثر
بيان ما يوجبه من كونه تعالى شهيداً على جميع الاشياء التي من جملتها احوالهم وافعالهم والمراد بالرؤية العلم
عبر عنه بها اشعاراً بظهور المعلوم والخطاب لكل احد ممن يتأتى منه الرؤية بناء على انه من الجلاء بحيث لا يخفى
على احد والمراد بالسجود هو الانقياد التام لتدبيره تعالى بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهه باكمل افعال
المكلف في باب الطاعة ايذاناً بكونه في اقصى مراتب التسخر والتذلل لا سجود الطاعة الخاصة بالعقلاء سواء
جعلت كلمة من عامة لغيرهم ايضاً وهو الانسب بالمقام لافادته شمول الحكم لكل ما فيهما بطريق القرار فيهما او
بطريق الجزئية منهما فيكون قوله تعالى والشمس والقمر والنجوم والشجر والدواب افراداً لها بالذكر لشهرتها واستبعاد
ذلك منها عادة او جعلت خاصة بالعقلاء لعدم شمول سجود الطاعة لكلهم حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وكثير من الناس
فانه مرتفع بفعل مضمر يدل عليه المذكور اي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة ومن قضيته انتفاء ذلك
عن بعضهم وقيل هو مرفوع على الابتداء وحذف خبره ثقة بدلالة قسيمه عليه نحو حق له الثواب والاول هو
الاولى لما فيه من الترغيب في السجود والطاعة ويجوز ان يكون من الناس خبراً له اي من الناس الذين هم الناس على
الحقيقة وهم الصالحون والمتقون وان يكون قوله تعالى وكثير معطوفاً على كثير الاول للايذان بغاية الكثرة ثم
يخبر عنهم باستحقاق العذاب كانه قيل وكثير من الناس حق عليه العذاب اي بكفره واستعصائه وقرئ
حق بالضم وحقاً اي حق عليه العذاب حقاً ومن يهن الله بان كتب عليه الشقاوة حسبما علمه من صرف اختياره
الى الشر فما له من مكرم يكرمه بالسعادة وقرئ بفتح الراء على انه مصدر ميمي ان الله يفعل ما يشاء من الاشياء
التي من جملتها الاكرام والاهانة هذان تعبير لطرفي الخصام وازاحة ما عسى يتبادر الى الوهم من كونه بين كل واحد
من الفرق الست وبين البواقي وتحرير لمحله اي فريق المؤمنين وفريق الكفرة المنقسم الى الفرق الخمس خصمان اي
فريقان يختصمان وانما قيل اختصموا في ربهم حملاً على المعنى اي اختصموا في شأنه عز وجل وقيل في دينه وقيل في
ذاته وصفاته والكل من شؤونه تعالى فان اعتقاد كل من الفريقين بحقية ما هو عليه وبطلان ما عليه صاحبه
وبناء اقواله وافعاله عليه خصومة للفريق الاخر وان لم يجر بينهما التحاور والخصام وقيل تخاصمت اليهود
والمؤمنون فقالت اليهود نحن احق بالله واقدم منكم كتاباً ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله منكم

كيد

كون

آمنا بمحمد ونبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت **فالذين كفروا** تفصيل لما اجمل
في قوله تعالى يفصل بينهم يوم القيمة **قطعت لهم** اي قدرت لهم على مقادير جثثهم وقرئ بالتخفيف **ثياب من نار**
اي نيران هائلة تحيط بهم احاطة الثياب بلابسها **يصب من فوق رؤسهم الحميم** اي الماء الذي انتهت حرارته قال
ابن عباس رضي الله عنهما لو قطرت منه قطرة على جبال الدنيا لاذابتها والجملة مستانفة او خبر ثان للموصول او حال من
ضميرهم **يصهر به** اي يذاب **ما في بطونهم** من الامعاء والاحشاء وقرئ يصهر بالتشديد **والجلود** عطف على
ما وتاخيره عنه اما لمراعاة الفواصل وللاشعار بغاية شدة الحرارة بايهام ان تاثيرها في الظاهر مع ان
ملابستها على العكس والجملة حال من الحميم **ولهم** للكفرة اي لتعذيبهم واجلهم **مقامع من حديد** جمع مقمعة
وهي آلة القمع **كلما ارادوا ان يخرجوا منها** اي اشرفوا على الخروج من النار ودنوا منه حسبما يروى انها تضربهم
بلهيبها فترفعهم حتى اذا كانوا في اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا **من غم** اي من غم شديد
من غمومها وهو بدل الاشتمال من الهاء باعادة الضمير والرابط محذوف كما اشير اليه او مفعول له للخروج
اعيدوا فيها اي في قعرها بان ردوا من اعاليها الى اسافلها من غير ان يخرجوا منها **وذوقوا** على تقدير قول
معطوف على اعيدوا اي وقيل لهم ذوقوا **عذاب الحريق** اي الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك **ان
الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار** بيان لحسن حال المؤمنين اثر بيان سوء
حال الكفرة وقد غير الاسلوب فيها باسناد الادخال الى الله تعالى وتصدير الجملة بحرف التحقيق
ايذانا بكمال مباينة حالهم لحال الكفرة واظهارا لمزيد العناية بامر المؤمنين ودلالة على تحقق مضمون
الكلام **يحلون فيها** على البناء للمفعول بالتشديد من التحلية وقرئ بالتخفيف من الاحلاء بمعنى الالباس
اي يحليهم الملائكة بامره تعالى وقرئ يحلون من حليت المراة اذا لبست حليها ومن في قوله تعالى
من اساور وهي جمع اسورة جمع سوار وللبيان لما ان ذكر التحلية تنبئ عن الحلي المبهم وقيل زائدة وقيل
نعت لمفعول محذوف ليحلون فانه بمعنى يلبسون **من ذهب** بيان للاساور **ولؤلؤا** عطف على محل من اساور
او على المفعول المحذوف او منصوب بفعل مضمر يدل عليه يحلون او يؤتون وقرئ بالجر عطفا على
اساور وقرئ لولوا بقلب الهمزة الثانية واوا ولوليا بقلبهما ياء بعد قلبها واوا وليليا بقلبهما ياء
ولباسهم فيها حرير غير الاسلوب حيث لم يقل ويلبسون فيها حريرا لكن للدلالة على ان الحرير ثيابهم المعتادة
او لمجرد المحافظة على رؤس الآي بل للايذان بان ثبوت اللباس لهم امر محقق غني عن البيان اذ لا يمكن عراؤهم
عنه وانما المحتاج الى البيان ان لباسهم ماذا بخلاف الاساور واللؤلؤ فانها ليست من اللوازم الضرورية
فجعل بيان تحليتهم بها مقصودا بالذات ولعل هذا هو الباعث الى تقديم بيان التحلية على بيان حال اللباس
وهدوا الى الطيب من القول وهو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض الخ **وهدوا الى صراط الحميد** اي
المحمود نفسه او عاقبته وهي الجنة ووجه تاخير هذه الهداية عن ذكر الهداية الى القول المذكور المتاخر عن دخول
الجنة المتاخر عن الهداية الى طريقها رعاية الفواصل وقيل المراد بالحميد الحق المستحق لذاته لغاية الحمد وهو
الله عز وجل وصراطه الاسلام ووجه التاخير حينئذ ان ذكر الحميد يستدعي ذكر المحمود **ان الذين كفروا
ويصدون عن سبيل الله** ليس المراد به حالا ولا استقبالا وانما هو استمرار الصد ولذلك حسن عطفه على الماضي
كما في قوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله وقيل هو حال من فاعل كفروا اي وهم يصدون
وخبر ان محذوف لدلالة آخر الآية الكريمة عليه فان الملحد في الحرم حيث عوقب بالعذاب الاليم فلان يعاقب
من جمع اليه الكفر والصد عن سبيل الله باشد من ذلك احق واولى **والمسجد الحرام** عطف على سبيل الله قيل
المراد مكة بدليل وصفه بقوله تعالى **الذي جعلناه للناس** اي كائنا من كان من غير فرق بين مكي وآفاقي **سواء
العاكف فيه والباد** اي المقيم والطاري وسواء اي مستويا مفعول ثان لجعلناه والعاكف مرتفع به واللام متعلق

به طرف له وفائدة وصف المسجد الحرام بذلك زيادة تشنيع الصادين عنه وقرئ سواء بالرفع على انه خبر
والعاكف مبتدأ والجملة مفعول ثان للجعل وقرئ العاكف بالجر على انه بدل من الناس **ومن يرد فيه** مما ترك
مفعوله ليتناول كل متناول كانه قيل ومن يرد فيه مرادا ما **بالحاد** بعدول عن القصد **بظلم** بغير حق وهما حالان
مترادفان والثاني بدل من الاول باعادة الجار او صلة له اي ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الآثام
نذقه من عذاب اليم جواب لمن **واذ بوأنا** يقال بوأه منزلا اي انزله فيه ولا لزمه جعل الثاني مباءة الاول قيل
لابرهيم مكان البيت وعليه مبني قول ابن عباس رضي الله عنهما جعلناه اي اذكر وقت جعلنا مكان البيت مباءة
له عليه السلام اي مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت مع ان المقصود تذكير
ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيانه غير مرة قيل اللام زائدة ومكان ظرف كما في اصل الاستعمال اي انزلناه فيه
قيل رفع البيت الى السماء ايام الطوفان وكان من ياقوت حمراء فاعلم الله تعالى ابرهيم عليه السلام مكانه بريح
ارسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على اسه القديم روي ان الكعبة الكريمة بنيت خمس مرات
احداها بناء الملئكة وكانت من ياقوتة حمراء ثم رفعت ايام الطوفان والثانية بناء ابرهيم عليه السلام والثالثة
بناء قريش في الجاهلية وقد حضره رسول الله صلى الله عليه وسلم البناء والرابع بناء ابن الزبير رحمه الله تعالى والخامس
بناء الحجاج وقد اوردنا في هذا الشان من الاقاويل في تفسير قوله تعالى واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت وان
في قوله تعالى **ان لا تشرك بي شيئا** مفسرة لبوأنا من حيث انه متضمن بمعنى تعبدنا لان التبوئة للعبادة او مصدرية
موصولة بالنهي وقد مر تحقيقه في اوائل سورة هود اي فعلنا ذلك لئلا تشرك بي شيئا **وطهر بيتي للطائفين
والقائمين والركع السجود** اي وطهر بيتي من الاوثان والاقذار لمن يطوف ويصلي فيه ولعل التعبير عن الصلاة
باركانها للدلالة على ان كل واحد مستقل باقتضاء ذلك فكيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء **واذن
في الناس** اي ناد فيهم وقرئ آذن **بالحج** بدعوة الحج والامر به روي انه عليه الصلوة والسلام صعد ابا قبيس
فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم فاسمعه الله في اصلاب الرجال وارحام النساء وفيما بين المشرق والمغرب
ممن سبق في علمه تعالى ان يحج وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر بذلك في حجة الوداع ويأباه كون
السورة مكية **يأتوك** جواب للامر **رجالا** اي مشاة جمع راجل كقيام جمع قائم وقرئ بضم الراء وتخفيف الجيم
وتشديدها ورجالى كعجالى **وعلى كل ضامر** عطف على رجالا اي وركبانا على كل بعير مهزول اتعبه بعد الشقة
فهزله او زاد هزاله **يأتين** صفة لضامر محمولة على معنى وقرئ يأتون على انه صفة للرجال والركبان او
استيناف فيكون الضمير للناس **من كل فج** طريق واسع **عميق** بعيد وقرئ معيق يقال بير بعيدة العمق
والمعق بمعنى كالجذب والجبذ **ليشهدوا** متعلق بيأتوك لا باذن اي ليحضروا **منافع** عظيمة الخطر
كثيرة العدد انواعا من المنافع الدينية والدنيوية المختصة بهذه العبادة واللام في قوله تعالى **لهم** متعلق بمحذوف
هو صفة لمنافع اي منافع كائنة لهم **ويذكروا اسم الله** عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها وفي جعله علة
الاتيان بانه الغاية القصوى دون غيره وقيل هو كناية عن الذبح لانه لا ينفك عنه **في ايام معلومات**
هي ايام النحر كما ينبئ عنه قوله تعالى **على ما رزقهم من بهيمة الانعام** فان المراد ذكره ما وقع عند الذبح وقيل هي
عشر ذي الحجة وقد علق الفعل بالمرزوق وبين بالبهيمة تحريضا على التقرب وتنبيها على الذكر **فكلوا منها**
التفات الى الخطاب والفاء فصيحة عاطفة لمدخولها على مقدر قد حذف للاشعار بانه امر محقق غير
محتاج الى التصريح به كما في قوله تعالى فانفجرت اي فاذكروا اسم الله تعالى على ضحاياكم فكلوا من لحومها والامر
للاباحة وازاحة ما كانت عليه اهل الجاهلية من التحرج فيه او للندب الى مواساة الفقراء ومساواتهم
واطعموا البائس الذي اصابه بؤس وشدة **الفقير** المحتاج وهذا الامر للوجوب وقد قيل به في الاول ايضا
ثم ليقضوا تفثهم اي ليؤدوا ازالة وسخهم او ليحكموها بقص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد

لك
اي في العبادة
ر

عند الاهل وليوفوا نذورهم ما ينذرون من البر في حجهم وقرئ مواجب الحج وقرئ بفتح الواو وتشديد الفاء وليطوفوا طواف الركن الذي يتم به التحلل فانه قرينه قضاء التفث وقيل طواف الوداع بالبيت العتيق اي القديم فانه اول بيت وضع للناس والعتق من تسلط الجبابرة فكاين من جبار سار اليه ليهدمه فقصمه الله عز وجل واما الحجاج الثقفي فانما قصد اخراج ابن الزبير رضي الله عنه لا التسلط عليه ذلك اي الامر ذلك وهذا وامثاله يطلق للفصل بين الكلامين وبين وجهي كلام واحد ومن يعظم حرمات الله اي احكامه وسائر ما لا يحل هتكه بالعلم بوجوب مراعاتها والعمل بموجبه وقيل الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام فهو خير له اي فالتعظيم خير له ثوابا عند ربه اي في الاخرة والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره من تشريفه والاشعار بعلة الحكم واحلت لكم الانعام وهي الازواج الثمانية على الاطلاق فقوله تعالى الا ما يتلى عليكم اي الا ما يتلى عليكم اية تحريمه استثناء متصل منها على ان ما عبارة عما حرم منها لعارض كالميتة وما اهل به لغير الله تعالى والجملة اعتراض جيء به تقريرا لما قبله من الامر بالاكل والاطعام ودفعا لما عسى يتوهم ان الاحرام يحرمه كما يحرم الصيد وعدم الاكتفاء ببيان عدم كونه من ذلك القبيل بحمل الانعام على ما ذكر من الضحايا والهدايا خاصة لئلا يحتاج الى الاستثناء المذكور اذ ليس فيها ما حرم لعارض قطعا لمراعاة حسن التخلص الى ما بعده من قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان فانه مترتب على ما يفيده قوله تعالى ومن يعظم حرمات الله فهو خير له من وجوب مراعاتها والاجتناب عن هتكها ولما كان حل الانعام من دواعي التعاطي لا من مبادي الاجتناب عقب بما يوجب الاجتناب عنه من الحرمات ثم امر بالاجتناب عما هو اقصى الحرمات كانه قيل ومن يعظم حرمات الله فهو خير له والانعام ليست من الحرمات فانها محللة لكم الا ما يتلى عليكم اية تحريمه فانه مما يوجب الاجتناب عنه فاجتنبوا ما هو معظم الامور التي يجب الاجتناب عنها وقوله تعالى واجتنبوا قول الزور تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان راس الزور وكانه لما حث على تعظيم الحرمات اتبع ذلك ردا لما كان الكفرة عليه من تحريم البحاير والسوايب ونحوها والافتراء على الله تعالى بانه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روي انه عليه الصلوة والسلام قال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله تعالى ثلثا وتلا هذه الاية والزور من الزور وهو الانحراف كالافك والماخوذ من الافك الذي هو القلب والصرف فان الكذب منحرف مصروف عن الواقع وقيل هو قول اهل الجاهلية وتلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك حنفاء لله مائلين عن كل دين زائغ الى الدين الحق مخلصين لله غير مشركين به اي شيئا من الاشياء فيدخل في ذلك الاوثان دخولا اوليا وهما حالان من واو فاجتنبوا ومن يشرك بالله جملة مبتداة موكدة لما قبلها من الاجتناب من الاشراك واظهار الاسم الجليل لاظهار كمال قبح الاشراك فكانما خر من السماء لانه سقط من اوج الايمان الى حضيض الكفر فتخطفه الطير فان الاهواء المردية توزع افكاره وقرئ فتخطفه بفتح الخاء وبكسر الخاء والطاء والتاء مع كسرها واصلها تختطفه او تهوي به الريح اي تسقطه في مكان سحيق بعيد فان الشيطان قد طرح به في الضلالة واو للتخيير كما في او كصيب او للتنويع ويجوز ان يكون من باب التشبيه المركب فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد اهلك نفسه هلاكا شبيها بهلاك احوال الهالكين ذلك اي الامر ذلك امتثلوا ذلك ومن يعظم شعائر الله اي الهدايا فانها من معالم الحج وشعائره تعالى كما ينبئ عنها البدن جعلناها لكم من شعائر الله وهو الاوفق لما بعده وتعظيمها اعتقادان التقرب بها من اجل القربات وان يختارها حسانا سمانا غالية الاثمان روي انه عليه الصلوة والسلام اهدى مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب وان عمر رضي الله عنه اهدى بختية طلبت منه بثلثمائة دينار فانها اي فان تعظيمها من تقوى القلوب اي من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعايد الى من او فان تعظيمها ناش من تقوى القلوب وتخصيصها بالاضافة لانها من مراكز التقوى التي اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر اثرها في سائر الاعضاء لكم فيها اي في الهدايا منافع هي درها ونسلها وصوفها وظهرها الى اجل مسمى هو وقت نحرها والتصدق بلحمها والاكل منه ثم محلها

اي وجوب نحرها او وقت نحرها منتهية الى البيت العتيق اي الى ما يليه من الحرم وثم للتراخي الزماني او للرتبي اي ولكم فيها منافع دنيوية الى وقت نحرها ثم منافع دينية اعظمها في النفع محلها اي وجوب نحرها او وقت وجوب نحرها الى البيت العتيق اي منتهية اليه هذا وقد قيل المراد بالشعائر مناسك الحج ومعالمه والمعنى لكم فيها منافع بالاجر والثواب في قضاء المناسك واقامة شعائر الحج الى اجل مسمى وهو انقضاء ايام الحج ثم محلها الى محل الناس من احرامهم الى البيت العتيق اي منتهية اليه بان يطوفوا به طواف الزيارة يوم النحر بعد قضاء النسك فاضافة المحل اليها لادنى ملابسة ولكل امة اي لكل اهل دين جعلنا منسكا اي متعبدا وقربانا يتقربون به الى الله تعالى وقرئ بكسر السين اي موضع نسك وتقديم الجار والمجرور على الفعل للتخصيص اي لكل امة من الامم جعلنا منسكا لا لبعض منهم دون بعض ليذكروا اسم الله خاصة دون غيره ويجعلوا انسكهم لوجهه الكريم علل الجعل به تنبيها على ان المقصود الاصلي من المناسك تذكر المعبود على ما رزقهم من بهيمة الانعام عند ذبحها وفيه تنبيه على ان القربان يجب ان يكون من الانعام والخطاب في قوله تعالى فالهكم اله واحد للكل تغليبا والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان جعله تعالى لكل امة من الامم منسكا مما يدل على وحدانيته تعالى وانما قيل اله واحد ولم يقل واحد لما ان المراد بيان انه تعالى واحد في ذاته كما انه واحد في الهيته للكل والفاء في قوله تعالى فله اسلموا لترتيب ما بعدها من الامر بالاسلام على وحدانيته تعالى وتقديم الجار والمجرور على الامر للقصر اي فاذا كان الهكم الها واحدا فاخلصوا له التقرب او الذكر واجعلوه لوجهه خالصا ولا تشوبوه بالشرك وبشر المخبتين تجريد للخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اي المتواضعين او المخلصين فان الاخبات من الوصايف الخاصة بهم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم منه تعالى لاشراق اشعة جلاله عليها والصابرين على ما اصابهم من مشاق التكاليف ومؤنات النوايب والمقيمي الصلوة في اوقاتها وقرئ بنصب الصلوة على تقدير النون وقرئ والمقيمين الصلوة على الاصل ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخيرات والبدن بضم الباء وسكون الدال وقرئ بضمها وهما جمعا بدنة وقيل الاصل ضم الدال كخشبة وخشب والتسكين تخفيف منه وقرئ بتشديد النون على لفظ الوقف وانما سميت بها الابل لعظم بدنها ماخوذة من بدن بدانة وحيث شاركها في البقر في الاجزاء عن سبعة بقوله صلى الله عليه وسلم البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة جعلا في الشريعة جنسا واحدا وانتصابه بمضمر يفسره جعلناها لكم وقرئ بالرفع على انه مبتدا والجملة خبره وقوله تعالى من شعائر الله اي من اعلام دينه التي شرعها الله تعالى مفعول ثان للجعل ولكم ظرف اخر متعلق به وقوله تعالى لكم فيها خير اي منافع دينية ودنيوية جملة مستانفة مقررة لما قبلها فاذكروا اسم الله عليها بان تقولوا عند ذبحها الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك صواف اي قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس اذا قام على ثلث وعلى طرف سنبك الرابعة لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على الثلث وقرئ صوافنا بابدال التنوين بحرف الاطلاق عند الوقف وقرئ صوافي اي خوالص لوجه الله عز وجل وصواف على لغة من يسكن الياء على الاطلاق كما في قوله اعط القوس باريها فاذا وجبت جنوبها سقطت على الارض وهي كناية عن الموت فكلوا منها واطعموا القانع اي الراضي بما عنده وبما يعطى من غير مسئلة ويؤيده انه قرئ القنع او السائل من قنع اليه قنوعا اذا خضع له في السؤال والمعتر اي المعترض للسؤال وقرئ المعتري يقال عره وعراه واعتره واعتراه كذلك مثل ذلك التسخير البديع المفهوم من قوله تعالى صواف سخرناها لكم مع كمال عظمها ونهاية قوتها فلا تستعصي عليكم حتى تاخذوها منقادة فتعقلونها وتحبسونها صافة قوائمها ثم تطعنون في لباتها لعلكم تشكرون لتشكروا انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص لن ينال الله اي لن يبلغ مرضاته ولن يقع موقع القبول لحومها المتصدق بها ولا دماؤها المهراقة بالنحر من حيث انها لحوم ودماء

ولكن يناله التقوى منكم ولكن يصيبه تقوى قلوبكم التي تدعوكم الى الامتثال بامره تعالى وتعظيمه والتقرب
اليه والاخلاص له وقيل كان اهل الجاهلية اذا ذبحوا القرابين لطخوا الكعبة بدمآئها فهم به المسلمون
فنزلت كذلك سخرها لكم تكرير للتذكير والتعليل بقوله تعالى لتكبروا الله اي لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا
يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبريآء وقيل هو التكبير عند التحليل والذبح على ما هداكم اي ارشدكم الى طريق تسخيرها
وكيفية التقرب بها وما مصدرية او موصولة اي على هدايته اياكم او على ما هداكم اليه وعلى متعلقة بتكبروا
لتضمنه معنى الشكر وبشر المحسنين اي المخلصين في كل ما ياتون وما يذرون في امور دينهم ان الله يدافع عن
الذين آمنوا كلام مستانف مسوق لتوطين قلوب المؤمنين ببيان ان الله تعالى ناصرهم على اعدائهم بحيث لا يقدرون
على صدهم عن الحج ليتفرغوا الى ادآء مناسكه وتصديره بكلمة التحقيق لابراز الاعتناء التام بمضمونه وصيغة
المفاعلة اما للمبالغة اي للدلالة على تكرر الدفع فانها قد تجرد عن وقوع الفعل المتكرر من الجانبين فيبقى تكرره كما في
الممارسة اي يبالغ في غاية دفع المشركين وضررهم الذي من جملته الصد عن سبيل الله مبالغة من يغالب فيه
او يدفع عنهم مرة بعد اخرى حسبما تجدد منهم القصد الى الاضرار بالمسلمين كما في قوله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب
اطفاها الله وقرئ يدفع والمفعول محذوف وقوله تعالى ان الله لا يحب كل خوان كفور تعليل لما في ضمن الوعد الكريم
من الوعيد للمشركين وايذان بان دفعهم بطريق القهر والخزي ونفي المحبة كناية عن البغض اي ان الله يبغض
كل خوان في امانته تعالى وهي اوامره ونواهيه او في جميع الامانات التي هي معظمها كفور لنعمته وصيغة المبالغة
فيهما لبيان انهم كذلك لا لتقييد البغض بغاية الخيانة والكفر او للمبالغة في نفي المحبة على اعتبار النفي اولا وايراد
نفي المبالغة ثانيا اذن اي رخص وقرئ على البنآء للفاعل اي اذن الله تعالى للذين يقاتلون اي يقاتلهم
المشركون والماذون فيه محذوف لدلالة المذكور عليه فان مقاتلة المشركين اياهم دالة نيرة وقرئ
على صيغة المبني للفاعل اي يريدون ان يقاتلوا المشركين فيما سياتي ويحرصون عليه فدلالته على المحذوف اظهر
بانهم ظلموا اي بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم كان المشركون يؤذونهم وكانوا
ياتونه عليه الصلوة والسلام بين مضروب ومشجوج ويتظلمون اليه فيقول عليه الصلوة والسلام لهم اصبروا
فاني لم اومر بالقتال حتى هاجروا فانزلت وهي اول اية نزلت في القتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين اية
وان الله على نصرهم لقدير وعد لهم بالنصر وتاكيد لما مر من العدة الكريمة والدفع وتصريح بان المراد به ليس
مجرد تخليصهم عن ايدي المشركين بل تغليبهم واظهارهم عليهم والاخبار بقدرته تعالى على نصرهم وارد على سنن
الكبريآء وتاكيده بكلمة التحقيق واللام لمزيد تحقيق مضمونه وزيادة توطين نفوس المؤمنين وقوله تعالى الذين
اخرجوا من ديارهم في حيز الجر على انه صفة للموصول الاول او بيان له او بدل منه او في محل النصب على المدح
او في محل الرفع باضمار مبتدا والجملة مرفوعة على المدح والمراد بديارهم مكة المشرفة بغير حق متعلق باخراجهم
بغير ما يوجب اخراجهم وقوله تعالى الا ان يقولوا ربنا الله بدل من حق اي بغير موجب سوى التوحيد والذي
ينبغي ان يكون موجبا للاقرار والتمكين دون الاخراج والتسيير لكن لا على الظاهر بل على طريقة قول النابغة
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم . بهن فلول من قراع الكتائب وقيل الاستثنآء منقطع ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض بتسليط المؤمنين على الكافرين في كل عصر وزمان وقرئ دفاع لهدمت لخربت باستيلاء
الكفار على اهل الملل وقرئ هدمت بالتخفيف صوامع للرهبان وبيع للنصارى وصلوات اي كنائس
اليهود وسميت بها لانها يصلى فيها وقيل اصلها صلوتا بالعبرانية فعربت ومساجد للمسلمين يذكر فيها اسم
الله كثيرا اي ذكرا كثيرا او وقتا كثيرا صفة لها درجة للمساجد خصت بها دلالة على فضلها وفضل اهلها
وقيل صفة للاربع وليس كذلك فان بيان ذكر الله عز وجل في الصوامع والبيع والكنائس بعد انتساخ شرعيتها
مما لا يقتضيه المقام ولا ترتضيه الافهام ولينصرن الله من ينصره اي وبالله لينصرن الله من ينصر اوليآءه

او من ينصر

او من ينصر دينه ولقد انجز الله عز وجل وعده حيث سلط المهاجرين والانصار على صناديد العرب واكاسرة
العجم وقياصرة الروم واورثهم ارضهم وديارهم ان الله لقوي عزيز على كل ما يريده من مراداته التي من جملتها نصرهم
الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر
وصف من الله عز وجل للذين اخرجوا من ديارهم بما سيكون منهم من حسن السيرة عند تمكينه تعالى اياهم في الارض
واعطآئه اياهم زمام الاحكام منبئ عن عدة كريمة على ابلغ وجه والطف وعن عثمان رضي الله عنه هذا ثناء
قبل بلاء يريد ان الله تعالى اثنى عليهم قبل ان يحدثوا من الخير ما احدثوا قالوا وفيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين
لانه تعالى اثنى عليهم ولم يعط التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة لغيرهم من المهاجرين لا حظ في ذلك للانصار
والطلقآء وعن الحسن رضي الله عنه امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذين . بدل من قوله من ينصره ولله
خاصة عاقبة الامور فان مرجعها الى حكمه وتقديره فقط وفيه تاكيد الوعد باظهار اوليآئه واعلاء كلمته
وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم متضمنة للوعد الكريم باهلاك
من يعاديه من الكفرة وتعيين لكيفية نصره تعالى له الموعود بقوله تعالى ولينصرن الله من ينصره وبان ان مرجع
عاقبة الامور اليه تعالى وصيغة المضارع في الشرط مع تحقق التكذيب لما ان المقصود تسليته عليه الصلوة
والسلام عما يترتب على التكذيب من الحزن المتوقع اي وان تحزن على تكذيبهم اياك فاعلم انك لست بما وحدك في
ذلك فقد كذبت قبل تكذيب قومك اياك قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم وقوم لوط واصحاب مدين
اي رسلهم ممن ذكر وممن لم يذكر وانما حذف لكمال الظهور او لان المراد نفس الفعل اي فعلت التكذيب قوم
نوح الى آخره وكذب موسى غير النظم الكريم بذكر المفعول وبنآء الفعل له لان قومه بنوا اسرآئيل وهم لم يكذبوه
وانما كذبه القبط لما ان ذلك انما يقتضي عدم ذكرهم بعنوان كونهم قوم موسى لا بعنوان آخر على ان بني اسرائيل
ايضا كذبوه مرة بعد اخرى حسبما نطق به قوله تعالى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك من
الايات الكريمة بل للايذان بان تكذيبهم له كان في غاية الشناعة لكون آياته في غاية الوضوح وقوله تعالى
فامليت للكافرين اي امهلتهم حتى تصرمت حبال آجالهم والفآء لترتيب امهال كل فريق من فرق المكذبين
على تكذيب الكل ووضع الظاهر موضع الضمير العائد الى المكذبين لذمهم بالكفر والتصريح بمكذبي موسى
عليه السلام حيث لم يذكروا فيما قبل صريحا ثم اخذتهم اي اخذت كل فريق من فرق المكذبين بعد انقضآء
املائه وامهاله فكيف كان نكير اي انكاري عليهم بالاهلاك اي فكان ذلك في غاية ما يكون من
الهول والفظاعة وقوله تعالى فكاين من قرية منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى اهلكناها اي فاهلكنا
كثيرا من القرى باهلاك اهلها والجملة بدل من قوله تعالى فكيف كان نكير او مرفوع على الابتدآء واهلكناها
خبره اي فكثير من القرى اهلكناها وقرئ اهلكتها على وفق قوله تعالى فامليت ثم اخذتهم فكيف
كان نكير وهي ظالمة جملة حالية من مفعول اهلكنا وقوله تعالى فهي خاوية عطف على اهلكناها لا على وهي
ظالمة لانها حال والحال والاهلاك ليس في حال خوائها فعلى الاول لا محل له من الاعراب كالمعطوف
عليه وعلى الثاني في محل الرفع لعطفه على الخبر والخوآء بمعنى السقوط من خوى النجم اذا سقط فالمعنى
فهي ساقطة حيطانها على عروشها اي سقوفها بان تعطل بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها
فسقطت فوق السقوف واسناد السقوط على العروش اليها لتنزيل الحيطان منزلة كل البنيان لكونها عمدة
فيه واما بمعنى الخلو من خوى المنزل اذا خلا من اهله فالمعنى فهي خالية مع بقآء عروشها فخبر بعد خبر
اي فهي خالية وهي على عروشها اي قائمة اي مشرفة على عروشها على معنى ان السقوف سقطت الى الارض
وبقيت الحيطان قائمة فهي مشرفة على السقوف الساقطة واسناد الاشراف الى الكل مع كونه حال الحيطان
لما مر آنفا وبئر معطلة عطف على قرية اي وكم بئر عامرة في البوادي تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها

وقرئ بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله وقصر مشيد مرفوع البنيان او اخليناه عن ساكنيه وهذا يؤيد
كون معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء عروشها وقيل المراد بالبير بير بسفح جبل بحضرموت وبالقصر قصر
مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه اهلكهم الله تعالى وعطلهما افلم
يسيروا في الارض حثهم على ان يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا للاعتبار
جعلوا لغير مسافرين فحثوا على ذلك والفاء لعطف ما بعدها على مقدر يقتضيه المقام اي غفلوا فلم يسيروا
فتكون لهم بسبب ما شاهدوه من موارد الاعتبار ومظان الاستبصار قلوب يعقلون بها ما يجب
ان يعقل من التوحيد او اذان يسمعون بها ما يجب ان يسمع من الوحي ومن اخبار الامم المهلكة ممن يجاورهم
من الناس فانهم اعرف منهم بحالهم فانها لا تعمى الابصار الضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار وفي تعمى ضمير
راجع اليه وقد اقيم الظاهر مقامه ولكن تعمى القلوب التي في الصدور اي ليس الخلل في مشاعرهم وانما هو في عقولهم
باتباع الهوى والانهماك في الغفلة وذكر الصدور للتاكيد ونفي توهم التجوز وفضل التنبيه على ان العمى الحقيقي
ليس المتعارف الذي يختص بالبصر وقيل لما نزل قوله تعالى من كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى قال ابن ام
مكتوم يا رسول الله انا في الدنيا اعمى افاكون في الآخرة اعمى فنزلت ويستعجلونك بالعذاب كانوا منكرين مجيء العذاب
المتوعد به اشد الانكار وانما كانوا يستعجلون به استهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم وتعجيزا له على زعمهم
فحكي عنهم ذلك بطريق التخطئة والانكار وقوله تعالى ولن يخلف الله وعده اما جملة حالية جيء بها لبيان بطلان
انكارهم لمجيئه في ضمن استعجالهم واظهار خطائهم فيه كانه قيل كيف ينكرون مجيء العذاب الموعود والحال
انه تعالى لا يخلف وعده ابدا وقد سبق الوعد فلا بد من مجيئه حتما او اعتراضية مبينة لما ذكر وقوله تعالى
وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون جملة مستانفة ان كانت الاولى حالية ومعطوفة عليها ان كانت
اعتراضية سيقت لبيان خطائهم في الاستعجال المذكور وبيان كمال سعة ساحة حلمه تعالى ووقاره واظهار
غاية ضيق عطنهم المستتبع لكون المدة القصيرة عند الله تعالى مددا طوالا عندهم حسبما ينطق به قوله تعالى
انهم يرونه بعيدا ونريه قريبا ولذلك يرون مجيئه بعيدا ويتخذونه ذريعة الى انكاره ويجترئون على الاستعجال
به ولا يدرون ان معيار تقدير الامور كلها وقوعا واخبارا ما عنده تعالى من المقدار وقرئ يعدون على صيغة
الغيبة اي يعد المستعجلون او فوق هذا المعنى وقد حمل الخطاب في القراءة المشهورة عليهم ايضا بطريق الالتفات
لكن الظاهر انه للرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين وقيل المراد بوعده تعالى ما جعل لهلاك كل
امة من موعد معين واجل مسمى كما في قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب فتكون
الجملة الاولى حالية كانت او اعتراضية مبينة لبطلان الاستعجال به لبيان استحالة مجيئه قبل وقته
الموعود والجملة الاخرى بيانا لبطلانه لبيان ابتنائه على استطالة ما هو قصير عنده تعالى على الوجه الذي مر
بيانه فلا يكون في النظم الكريم حينئذ تعرض لانكارهم الذي دسوه تحت الاستعجال بل يكون الجواب مبنيا
على ظاهر مقالتهم ويكتفى في رد انكارهم ببيان عاقبة من قبلهم من امثالهم هذا وحمل المستعجل على عذاب
الآخرة وجعل اليوم عبارة عن يوم العذاب المستطال لشدته او عن ايام الآخرة الطويلة حقيقة او المستطالة
لشدة عذابها مما لا يساعده سياق النظم الكريم ولا سياقه فان كلا منهما ناطق بان المراد هو العذاب الدنيوي
وان الزمان الممتد هو الذي مر عليهم قبل حلوله بطريق الاملاء والامهال لا الزمان المقارن له الا ترى
الى قوله تعالى وكاين من قرية الى اخره فانه كما سلف من قوله تعالى فامليت للكافرين ثم اخذتهم صريح
في ان المراد هو الاخذ العاجل الشديد بعد الاملاء المديد اي وكم من اهل قرية فحذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه في الاعراب ورجع الضمائر والاحكام مبالغة في التعميم والتهويل امليت لها كما
جملة حالية مفيدة لكمال حلمه تعالى مشعرة بطريق التعريض بظلم المستعجلين اي امليت لها والحال انها ظالمة

امليت لهم كما امهلتكم حتى ... ما وعدوا من العذاب واستعجلوا به استهزاء برسلهم كما فعل هؤلاء وهي ظالمة

مستوجبة

مستوجبة لتعجيل العقوبة كهؤلاء ثم اخذتها بالعذاب والنكال بعد طول الاملاء والامهال
وقوله تعالى والي المصير اعتراض تذييلي مقرر لما قبله مصرح بما افاده ذلك بطريق التعريض من ان
مآل المستعجلين ايضا ما ذكر من الاخذ الوبيلي الحكمي مرجع الكل جميعا لا الى احد غيري لا استقلالا ولا اشتراكا
فافعل بهم ما يليق باعمالهم قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين انذرا بينا بما اوحي الي من انباء الامم المهلكة
من غير ان يكون لي دخل في اتيان ما توعدون من العذاب حتى تستعجلوني به والاقتصار على الانذار مع
بيان حال الفريقين بعده لما اشير اليه من ان مساق الحديث للمشركين وعقابهم وانما ذكر المؤمنون وثوابهم
زيادة في غيظهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لما ندر منهم من الذنوب ورزق كريم هي الجنة و
الكريم من كل نوع ما يجمع فضائله ويحوز كمالاته والذين سعوا في آياتنا معاجزين اي سابقين ومسابقين في زعمهم
وتقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام يتم لهم واصله من عاجزه وعجزه فاعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا
من المتسابقين يريد اعجاز الآخر عن اللحاق به وقرئ معجزين اي مثبطين الناس عن الايمان على انه حال مقدرة
اولئك الموصوفون بما ذكر من السعي والمعاجزة اولئك اصحاب الجحيم اي ملازموا النار الموقدة وقيل
هو اسم دركة من دركاتها وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الرسول من بعثه الله تعالى بشريعة جديدة يدعو الناس
اليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شريعة سابقة كانبياء بني اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم السلام
ولذلك شبه عليه الصلوة والسلام علماء امته بهم فالنبي اعم من الرسول ويدل عليه انه عليه الصلوة و
السلام سئل عن الانبياء فقال مائة الف واربع وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم فقال ثلثمائة وثلث عشر
جما غفيرا وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبي غير الرسول من لا كتاب له وقيل
الرسول من ياتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى اليه في المنام الا اذا تمنى اي هيأ في نفسه ما يهواه
القى الشيطان في امنيته في تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال عليه الصلوة والسلام انه ليغان على قلبي
فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة فينسخ الله ما يلقي الشيطان فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون اليه والارشاد
الى ما يزيحه ثم يحكم الله آياته اي يثبت آياته الداعية الى الاستغراق في شؤون الحق وصيغة المضارع في
الفعلين للدلالة على الاستمرار التجددي واظهار الجلالة في موضع الاضمار لزيادة التقرير والايذان
بان الالوهية من احكام آياته الباهرة والله عليم مبالغ في العلم بكل ما شانه ان يعلم ومن جملته ما صدر عن
العباد من قول وفعل عمدا او خطأ حكيم في كل ما يفعل والاظهار ههنا ايضا لما ذكر مع ما فيه من تاكيد
استقلال الاعتراض التذييلي قيل حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه
ان ينزل عليه ما يقربهم اليه واستمر به ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة النجم فاخذ يقرؤها
فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى فوسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى ان قال تلك الغرانيق
العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد في آخرها بحيث لم يبق
في المسجد مؤمن ولا مشرك الا سجد ثم نبهه جبريل عليه السلام فاغتم به فعزاه الله بهذه الآية وهو
مردود عند المحققين ولئن صح فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنى بمعنى
قرأ كقوله تمنى كتاب الله اول ليلة تمنى داود على الرسل وامنيته قراءته والقاء الشيطان فيها ان
تكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون انه من قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وقد رد بانه يخل
بالوثوق بالقرآن ولا يندفع بقوله تعالى فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته لانه ايضا يحتمله وفي
الآية دلالة على جواز السهو من الانبياء عليهم السلام وتطرق الوسوسة ليجعل ما يلقي الشيطان علة لما يتبع
عنه ما ذكر من القاء الشيطان سياق النظم الكريم لما ان تمكينه تعالى اياه من الالقاء في حق سائر الانبياء
عليهم السلام لا يمكن تعليله بما سيأتي وفيه دلالة على ان ما يلقيه امر ظاهر يعرفه المحق والمبطل فتنة للذين

من تمكينه تعالى اياه في حق النبي صلى الله عليه وسلم خاصة لما يرى عنه صح

في قلوبهم مرض اي شك ونفاق كما في قلوبهم مرض الاية والقاسية قلوبهم اي المشركين وان الظالمين اي
الفريقين المذكورين فوضع الظاهر موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم مع ما وصفوا به من المرض والقساوة
لفي شقاق بعيد اي عداوة شديدة ومخالفة تامة ووصف الشقاق بالبعد مع ان الموصوف به حقيقة هو معروضه
للمبالغة والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وليعلم الذين اوتوا العلم انه اي القرآن انه الحق من ربك
اي هو الحق النازل من عنده تعالى وقيل ليعلموا ان تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق المتضمن للحكمة
البالغة والغاية الجميلة لانه مما جرت به عادته في جنس الانس من لدن آدم عليه السلام فحينئذ لا حاجة
الى تخصيص التمكين فيما سبق بالالقاء في حقه عليه الصلوة والسلام لكن يأباه قوله تعالى فيؤمنوا به اي بالقرآن
اي يثبتوا على الايمان به او يزدادوا ايمانا بوده ما يلقي الشيطان فتخبت له قلوبهم بالانقياد والخشية والاذعان
لما فيه من الاوامر والنواهي ورجع الضميرين لاسيما الثاني الى تمكين الشيطان من الالقاء مما لا وجه له وان الله
لهادي الذين آمنوا اي في الامور الدينية خصوصا في المداحض والمشكلات التي من جملتها ما ذكر الى صراط مستقيم
هو النظر الصحيح الموصل الى الحق الصريح والجملة اعتراض مقرر لما قبله ولا يزال الذين كفروا في مرية اي في شك و
جدال منه اي من القرآن وقيل من الرسول صلى الله عليه وسلم والاول هو الاظهر بشهادة ما سبق بقوله
تعالى ثم يحكم الله آياته وقوله تعالى وكذبوا باياتنا وقوله تعالى انه الحق من ربك فيؤمنوا به واما تجويز كون
الضمير لما القى الشيطان في امنيته مما لا مساغ له لان ذلك ليس من مريتهم التي تستمر الى الامد المذكور بل انما هي من مريتهم
في شان القرآن ولا يجدي حمل من على السببية دون الابتدائية لان مريتهم المستمرة كما انها ليست مبتداءة من ذلك
ليست ناشئة منه ضرورة انها مستمرة منهم من لدن نزول القرآن الكريم حتى تأتيهم الساعة اي القيمة نفسها كما يؤذن
به قوله تعالى بغتة اي فجاءة فانها الموصوفة بالاتيان كذلك لا اشراطها وقيل الموت او يأتيهم عذاب يوم
عقيم اي يوم لا يوم بعده كان كل يوم يلد ما بعده من الايام فيما لا يوم بعده يكون عقيما والمراد به الساعة ايضا
كانه قيل او يأتيهم عذابها فوضع ذلك موضع ضميرها لمزيد التهويل ولا سبيل الى حمل الساعة على اشراطها لما عرفته
واما ما قيل من ان المراد يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن
كانهن عقم لم يلدن او لان المقاتلين ابناء الحرب فاذا قتلوا صارت عقيما اي ثكلى فوصف اليوم بوصفها
اتساعا او لانه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم ينشئ مطرا ولم يلقح شجرا او لانه لا مثل له لقتال الملائكة
فيه عليهم السلام فمما لا يساعده سياق النظم الكريم اصلا كيف لا وان تخصيص الملك والتصرف الكلي فيه
بالله عز وجل ثم بيان ما يقع فيه من حكمه تعالى بين الفريقين بالثواب والعقاب الاخروي يقضي بان المراد
يوم القيمة قضاء بينا لا ريب فيه الملك اي السلطان القاهر والاستيلاء التام والتصرف على الاطلاق
يومئذ لله وحده لا شريك له اصلا بحيث لا يكون فيه لاحد تصرف من التصرفات في امر من الامور لا حقيقة
ولا مجازا ولا صورة ولا معنى كما في الدنيا فان للبعض تصرفا صوريا في الجملة وليس التنوين نائبا عما يدل
عليه الغاية من زوال مريتهم كما قيل ولا عما يستلزمه ذلك من ايمانهم كما قيل لما ان القيد المعتبر مع اليوم حيث
تبسط بين طرفي الجملة بحيث ان يكون مدار الحكم بها اعني كون الملك لله تعالى وما يتفرع عليه من الاثابة
والتعذيب ولا ريب في ان ايمانهم او زوال مريتهم ليس مما له تعلق ما بما ذكر فضلا عن المدارية له فلا سبيل
الى اعتبار شيء منهما مع اليوم قطعا وانما الذي يدور عليه ما ذكر من اتيان الساعة التي هي مظهر تصرفات الخلق ومبدأ
ظهور الملك الحق جل جلاله فاذا هو نائب عن نفس الجملة الواقعة غاية لمريتهم فالمعنى الملك يومئذ تأتيهم الساعة
او عذابها لله تعالى وقوله تعالى يحكم بينهم جملة مستأنفة وقعت جوابا عن سؤال مقدر نشأ عن الاخبار بكون
الملك يومئذ لله كانه قيل فماذا يصنع بهم حينئذ فقيل يحكم بين فريقي المؤمنين والممارين فيه بالمجازاة وقوله تعالى
فالذين آمنوا الخ تفسير للحكم المذكور وتفصيل له اي فالذين آمنوا بالقرآن الكريم ولم يماروا فيه وعملوا الصالحات

امتثالا

امتثالا بما امروا في تضاعيفه في جنات النعيم اي مستقرون فيها والذين كفروا وكذبوا باياتنا اي اصروا على
ذلك واستمروا فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب وما فيه
من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر والفساد اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الكفر والتكذيب
وهو مبتدأ وقوله تعالى لهم عذاب جملة اسمية من مبتدأ وخبر مقدم عليه وقعت خبرا لاولئك او لهم خبر
لاولئك وعذاب مرتفع على الفاعلية بالاستقرار في الجار والمجرور لاعتماده على المبتدأ واولئك مع خبره من الو
خبر للموصول والتقدير بالفاء للدلالة على ان تعذيب الكفار بسبب اعمالهم السيئة كما ان تجريد خبر الموصول
الاول عنها للايذان بان اثابة المؤمنين بطريق التفضل لا بطريق لايجاب الاعمال الصالحات اياها و
قوله تعالى مهين صفة لعذاب مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة وفيه من المبالغة من وجوه
شتى ما لا يخفى والذين هاجروا في سبيل الله اي في الجهاد حسبما يلوح عنه قوله تعالى ثم قتلوا او ماتوا اي في تضاعيف
المهاجرة ومحل الموصول الرفع على الابتداء وقوله تعالى ليرزقنهم الله جواب لقسم محذوف والجملة
خبره ومن منع وقوع الجملة القسمية وجوابها خبرا لمبتداء يضمر قول الخبر وهو الجملة محكية به وقوله تعالى
رزقا حسنا اما مفعول ثان على انه من باب الرابعي والذبح على مراتب الحسن متفاوتة فيجوز تفاوت حال
المرزوقين حسب تفاوت الارزاق الحسنة وروى ان بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا
يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا في سبيل الله قد علمنا ما اعطاهم الله تعالى من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا
فما لنا ان متنا معك فنزلت وقيل نزلت في طوائف خرجوا من مكة الى المدينة للهجرة فتبعهم المشركون
فقاتلوهم وان الله لهو خير الرازقين فانه يرزق بغير حساب مع ان ما يرزقه لا يقدر عليه غيره والجملة اعتراض
تذييلي مقرر لما قبله وقوله تعالى ليدخلنهم مدخلا يرضونه بدل من قوله تعالى ليرزقنهم الله رزقا او استيناف
مقرر لمضمونه ومدخلا اما اسم مكان اريد به الجنة فهو مفعول ثان للادخال او مصدر ميمي اكد به فعله
قال ابن عباس رضي الله عنهما انما قيل يرضونه لانهم يرون فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر فيرضونه وان الله لعليم باحوالهم واحوال مغازيهم حليم لا يعاجلهم بالعقوبة ذلك خبر مبتدأ محذوف
اي الامر ذلك والجملة لتقرير ما قبله والتنبيه على ان ما بعده كلام مستأنف ومن عاقب بمثل ما عوقب به
اي لم يزد في الاقتصاص وانما سمي الابتداء بالعقاب الذي هو جزاء الجزاء للمشاكلة او لكونه سببا له ثم
بغي عليه بالمعاودة الى العقوبة لينصرنه الله على من بغى عليه لا محالة ان الله لعفو غفور اي مبالغ في العفو
والغفران فيعفو عن المنتصر ويغفر له ما صدر عنه من ترجيح الانتقام على العفو والصبر على المندوب
اليهما بقوله تعالى ولمن صبر وغفر فان ذلك اي ما ذكر من الصبر والمغفرة من عزم الامور فان فيه حثا
بليغا على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته لما كان يعفو ويغفر فغيره اولى بذلك وتنبيها على انه
تعالى قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده ذلك اشارة الى النصر وما فيه من معنى
البعد للايذان بعلو رتبته ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله تعالى بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار
في الليل اي بسبب انه تعالى من شانه وسنته تغليب بعض مخلوقاته على البعض والمداولة بين الاشياء
المتضادة وعبر عن ذلك بادخال احد الملوين في الآخر بان يزيد فيه ما ينقص من الآخر ويحصل احدهما في مكان
الآخر لكونه اظهر المراد واوضحها وان الله سميع بكل المسموعات التي من جملتها قول المعاقب بصير بجميع المبصرات
ومن جملتها افعاله ذلك اي الاتصاف بما ذكر من كمال القدرة والعلم وما فيه من معنى البعد لما مر آنفا
وهو خبره قوله تعالى بان الله هو الحق الواجب لذاته الثابت في نفسه وصفاته وافعاله وحده فان وجوب وجوده
ووحدته يقتضيان كونه مبدأ لكل ما يوجد من الموجودات عالما بكل المعلومات او الثابت الهيته فلا يصلح لها الا من كان
عالما قادرا وان ما يدعون من دونه وقرئ على البناء للمفعول على ان الواو لاقامة عبارة عن الالهة وقرئ بالتاء على الخطاب

المشركين هو الباطل اي المعدوم في حد ذاته والباطل الوهيته وان الله هو العلي على جميع الاشياء الكبير عن ان
يكون له شريك لا شي اعلى منه شانا واكبر سلطانا الم تر ان الله انزل من السماء ماء استفهام تقريري كما يفصح عنه الرفع
في قوله تعالى فتصبح الارض مخضرة بالعطف على انزل وايثار صيغة الاستقبال للاشعار بتجدد اثر الانزال واستمراره
او لاستحضار صورة الاخضرار ان الله لطيف يصل لطفه وعلمه الى كل ما جل ودق خبير بما يليق من التدابير الحسنة
ظاهرا وباطنا له ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وتصرفا وان الله لهو الغني عن كل شيء الحميد المستوجب
للحمد بصفاته وافعاله الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض اي جعل ما فيها من الاشياء مذللة لكم معدة لمنافعكم
تتصرفون فيها كيف شئتم فلا اصلب من الحجر ولا اشد من الحديد ولا اهيب من النار وهي مسخرة لكم وتقديم
الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم لتعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر والفلك
عطف على ما او على اسم ان وقرئ بالرفع على الابتداء تجري في البحر بامره حال من الفلك على الاول وخبر
على الاخير ويمسك السماء ان تقع على الارض اي من ان تقع على الارض او كراهة ان تقع بان خلقها على هيئة متداعية
الى الامساك الا باذنه اي بمشيئته وذلك يوم القيمة وفيه رد لامساكها بذاتها فانها مساوية في الجسمية لسائر
الاجسام القابلة للميل الهابط فتقبله كقبول غيرها ان الله بالناس لرؤف رحيم حيث هيأ لهم اسباب معاشهم
وفتح عليهم ابواب المنافع واوضح لهم مناهج الاستدلال بالايات التكوينية والتنزيلية وهو الذي احياكم بعد ان
كنتم جمادا عناصر وجسما فصل في مطلع السورة الكريمة ثم يميتكم بعد مجيء اجالكم ثم يحييكم عند البعث
ان الانسان لكفور اي جحود للنعم مع ظهورها وهذا وصف للجنس بوصف بعض افراده لكل امة كلام مستانف
جيء به لزجر معاصريه عليه الصلوة والسلام من اهل الاديان السماوية عن منازعته عليه الصلوة والسلام ببيان
حال ما تمسكوا به من الشرايع واظهار خطائهم في النظر اي لكل امة معينة من الامم الخالية والباقية جعلنا اي
وضعنا وعينا منسكا اي شريعة خاصة لا لامة اخرى منهم على معنى عينا كل شريعة لامة معينة من الامم بحيث
لا يتخطا امة منهم شريعتها المعينة لها الا شريعة اخرى لا استقلالا ولا اشتراكا وقوله تعالى هم ناسكوه صفة
لمنسكا مؤكدة للقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور على الفعل والضمير لكل امة باعتبار خصوصها اي تلك الامة المعينة
ناسكوه والعاملون به لا غيرهم والتي كانت من مبعث عيسى الى مبعث النبي عليهما الصلوة والسلام منسكهم الانجيل و
العاملون به لا غيرهم واما الامة الموجودة عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم من الموجودين الى يوم
القيمة فهم امة واحدة منسكهم الفرقان ليس الا كما مر في تفسير قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا والفاء
في قوله تعالى فلا ينازعنك في الامر لترتيب النهي على ما قبلها فان تعيينه تعالى لكل امة من الامم التي من جملتهم هذه الامة
شريعة مستقلة بحيث لا يتخطى امة منهم شريعتها المعينة لها موجب لطاعة هؤلاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وعدم منازعتهم اياه في امر الدين زعما منهم ان شريعتهم ما عين لابائهم الاولين من التورية والانجيل فانهما شريعتا
لمن مضى من الامم قبل انتساخهما وهؤلاء امة مستقلة منسكهم القران المجيد فحسب والنهي اما على حقيقته او كناية
عن نهيه عليه الصلوة والسلام عن الالتفات الى نزاعهم المبني على زعمهم المذكور واما جعله عبارة عن نهيه عليه
الصلوة والسلام عن منازعتهم فلا يساعده المقام وقرئ فلا ينزعنك على نهيه عليه الصلوة والسلام والمبالغة
في تثبيته واياما كان فمحل النزاع ما ذكرناه وتخصيصه بامر النسائك وجعله عبارة عن قول الخزاعيين وغيرهم للمسلمين
ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلوا ما قتله الله تعالى مما لا سبيل اليه اصلا كيف لا وانه يستدعي ان يكون اكل الميتة
وسائر ما يدينونه من الاباطيل من جملة المناسك التي جعلها الله تعالى لبعض الامم ولا يرتاب في بطلانه عاقل وادع
اي وادعهم او وادع الناس كافة على انهم داخلون فيهم دخولا اوليا الى ربك الى توحيده وعبادته حسبما بين لهم في منسكهم
وشريعتهم انك لعلى هدى مستقيم اي طريق موصل الى الحق سوي والمراد به اما الدين والشريعة او ادلتهما وان جادلوك
بعد ظهور الحق بما ذكر من التحقيق ولزوم الحجة عليهم فقل لهم على سبيل الوعيد الله اعلم بما تعملون من الاباطيل التي من

جملتها

جملتها المجادلة الله يحكم بينكم يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين يوم القيمة بالثواب والعقاب كما فصل في الدنيا
بالحجج والايات فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين الم تعلم استيناف مقرر لمضمون ما قبله والاستفهام للتقرير اي
قد علمت ان الله يعلم ما في السماء والارض فلا يخفى عليه شيء من الاشياء التي من جملتها ما يقول الكفرة وما يعملون ان ذلك
اي ما في السماء والارض في كتاب هو اللوح المحفوظ قد كتب فيه قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم مع علمنا به وحفظنا
له ان ذلك اي ما ذكر من العلم والاحاطة به واثباته في اللوح والحكم بينكم على الله يسير فان علمه وقدرته مقتضى
ذاته فلا يخفى عليه شيء ولا يعسر عليه مقدور ويعبدون من دون الله حكاية لبعض اباطيل المشركين واحوالهم الدالة
على كمال سخافة عقولهم وركاكة ارائهم هي بناء امر دينهم على غير مبنى من دليل سمعي او عقلي واعراضهم عما القي عليهم
من سلطان بين هو اساس الدين وقاعدته اشد اعراض اي يعبدون متجاوزين عبادة الله ما لم ينزل به اي بجواز عبادته
سلطانا اي حجة وما ليس لهم به اي بجواز عبادته علم من ضرورة العقل والاستدلالات وما للظالمين اي الذين ارتكبوا
مثل هذا الظلم العظيم الذي يقتضي بطلانه بديهة العقول من نصير يساعدهم بنصرة مذهبهم وتقرير رايهم او بدفع
العذاب الذي يعتريهم بسبب ظلمهم واذا تتلى عليهم اياتنا عطف على يعبدون وما بينهما اعتراض وصيغة المضارع
للدلالة على الاستمرار التجددي بينات اي حال كونها واضحات الدلالة على العقائد الحقة والاحكام الصادقة
او على بطلان ما هم عليه من عبادة الاصنام او على كونها من عند الله عز وجل تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر اي الانكار
كالمكرم بمعنى الاكرام والقطيع من التجهم والبسور او الشر الذي يقصدونه بظهور مخايله من الاوضاع والهيات وهو
الانسب بقوله تعالى يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم اياتنا اي يثبون ويبطشون بهم من فرط الغيظ
والغضب لاباطيل اخذوها تقليدا وهل جهالة اعظم واطم من ان يعبدوا ما لا يتوهم صحة عبادته شيء ما اصلا بل
يقتضي بطلانها العقل والنقل ويظهروا لمن يهديهم الى الحق البين بالسلطان المبين مثل هذا المنكر الشنيع كلا و
لهذا وضع الذين كفروا موضع الضمير قل ردا عليهم واقناطا عما يقصدونه من الاضرار بالمسلمين افانبئكم اي اخاطبكم
فاخبركم بشر من ذلكم اي الذي فيكم من غيظكم على التالين وسطوتكم بهم او مما يبغونهم من الغوائل او مما اصابكم من
الضجر بسبب ما اتلوه عليكم النار اي هو النار على انه جواب لسؤال مقدر كانه قيل ما هو وقيل مبتدا خبره قوله
تعالى وعدها الله الذين كفروا وقرئ النار بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من الشر فتكون الجملة الفعلية استينافا
كالوجه الاول وحالا من النار باضمار قد وبئس المصير اي النار يا ايها الناس ضرب مثل اي بين لكم حال مستغربة او قصة
بديعة رائعة حقيقة بان تسمى مثلا وتسير في الامصار والاعصار وجعل الله مثلا اي مثل في استحقاق العبادة
واريد بذلك ما حكي عنهم في عبادتهم للاصنام فاستمعوا له اي للمثل نفسه استماع تدبر وتفكر او فاستمعوا الا
ما اقول فقوله تعالى ان الذين تدعون من دون الله الى اخره بيان للمثل وتفسير له على الاول وتعليل لبطلان جعلهم
الاصنام مثلا لله سبحانه في استحقاق العبادة على الثاني وقرئ بياء الغيبة مبنيا للفاعل ومبنيا للمفعول
والراجع الى الموصول على الاولين محذوف لن يخلقوا ذبابا اي لن يقدروا على خلقه ابدا مع صغره وحقارته فان
لن لما فيها من تاكيد النفي دالة على منافاة ما بين المنفي والمنفي عنه ولو اجتمعوا له اي لخلقه وجواب لو محذوف لدلالة
ما قبله عليه والجملة معطوفة على شرطية اخرى محذوفة ثقة بدلالة هذه عليها اي لو لم يجتمعوا عليه لن يخلقوه
ولو اجتمعوا له لن يخلقوه كما مر تحقيقه مرارا وهما في موضع الحال كانه قيل لن يخلقوا ذبابا على كل حال وان يسلبهم
الذباب شيئا بيان لعجزهم عن الامتناع عما يفعل بهم الذباب بعد بيان عجزهم عن خلقه اي ان لا يأخذ الذباب منهم شيئا
لا يستنقذوه منه مع غاية ضعفه ولقد جهلوا غاية التجهيل في اشراكهم بالله القادر على جميع المقدورات المتفرد
بايجاد كافة الموجودات باسرها تماثيل هي اعجز الاشياء وبين ذلك بانها لا تقدر على اقل الاحياء واذلها ولو اتفقوا عليه
بل لا تقوى على مقاومة هذا الاقل الاذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما تختطفه منها وقيل كانوا يطيبونها
بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فياكله ضعف الطالب والمطلوب اي عابد الصنم

ومعبوده او الذباب الطالب يسلبه عن الصنم من الطيب المطلوب منه ذلك او الصنم والذباب كانه
يطلب يستنقذ منه ما يسلبه ولو حققت وجدت الصنم اعجز من الذباب بدرجات وعابده اجهل من كل جاهل
واضل من كل ضال **ما قدروا الله حق قدره** اي ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه ما هو ابعد الاشياء
عنه مناسبة **ان الله لقوي** على خلق الممكنات باسرها وافناء الموجودات عن آخرها **عزيز** غالب على جميع الاشياء
وقد عرفت حال الهتهم المشهورة لا ذها العجز عن اقلها والجملة تعليل لما قبلها من نفي معرفتهم له تعالى **الله**
يصطفي من الملائكة رسلا يتوسطون بينه تعالى وبين الانبياء عليهم السلام بالوحي **ومن الناس** وهم المختصون
بالانفس الزكية المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقون بكلا العالمين الروحاني والجسماني يتلقون من
جانب ويلقون الى جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل الى جانب الحق فيدعونهم اليه تعالى بما
انزل عليهم ويعلمونهم شرايعه واحكامه كانه تعالى لما قرر وحدانيته في الالوهية ونفى ان يشاركه فيها شيء من
الاشياء بين ان له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتداء بهم الى عبادته عز وجل وهي اعلى المراتب
واقصى الغايات لمن عداه من الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم ولو شاء الله لانزل ملائكة وقولهم الملائكة
بنات الله وغير ذلك من الاباطيل **ان الله سميع بصير** عليم بجميع المسموعات والمبصرات لا يخفى عليه شيء من الاقوال
والافعال **يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى الله ترجع الامور** لا الى احد غيره لا اشتراكا ولا استقلالا **يا ايها الذين امنوا اركعوا**
واسجدوا اي في صلاتكم امرهم بهما لانهم كانوا يفعلونهما اول الاسلام او صلوا عبر عن الصلوة بهما لانهما اعظم
اركانها او اخضعوا لله تعالى وخروا له سجدا **واعبدوا ربكم** بسائر ما تعبدكم به **وافعلوا الخير** وتحروا ما هو خير
لكم واصلح في كل ما تأتون وما تذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام ومكارم الاخلاق **لعلكم تفلحون** اي
افعلوا هذه كلها وانتم راجون بها الفلاح غير متيقنين له واثقين باعمالكم والاية سجدة عند
الشافعي رحمه الله لظاهر ما فيها من الامر بالسجود ولقوله عليه الصلوة والسلام فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما
فلا يقرأها **وجاهدوا في الله** اي لله تعالى ولاجله اعداء دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه
عليه الصلاة والسلام انه رجع عن غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر **حق جهاده** اي جهادا
فيه حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم واضيف الجهاد الى الضمير اتساعا او لانه
مختص به تعالى من انه مفعول لوجهه ومن اجله **هو اجتباكم** اي اختاركم لدينه ونصرته لا غيره وفيه تنبيه على ما يقتضي
الجهاد ويدعو اليه **وما جعل عليكم في الدين من حرج** اي ضيق بتكليف ما يشق عليكم اقامته اشارة الى انه لا مانع لهم عنه
ولا عذر لهم في تركه او الى الرخصة في اغفال بعض ما امرهم به حيث يشق عليهم لقوله عليه الصلوة والسلام اذا
امرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم **وقيل** ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم في المضايق وفتح لهم
باب التوبة وسوغ لهم الكفارات في حقوقه والاروش والديات في حقوق العباد **ملة ابيكم ابرهيم** نصب على المصدر
بفعل دل عليه مضمون ما قبله بحذف المضاف اي وسع عليكم دينكم توسعة ملة ابيكم او على الاغراء او على الاختصاص
وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كالاب لامته من حيث انه سبب لحياتهم الابدية
ووجودهم على الوجه المعتد به في الاخرة او لان اكثر العرب كانوا من ذريته عليه السلام فغلبوا على غيرهم **هو سماكم المسلمين**
من قبل في الكتب المتقدمة **وفي هذا** اي في القران والضمير لله ويؤيده انه قرئ الله سماكم المسلمين او لابرهيم وتسميتهم
بالمسلمين في القران وان لم يكن منه عليه السلام كانت بسبب تسميته من قبل في قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل
هذا تقدير في هذا بيان تسميته اياكم مسلمين **ليكون الرسول** يوم القيمة متعلق بسماكم **شهيدا عليكم** بانه بلغكم فيدل
على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة من اطاع وعصيان من عصى **وتكونوا شهداء على الناس** بتبليغ الرسل
اليهم **فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة** اي فتقربوا الى الله تعالى بانواع الطاعات وتخصيصهما بالذكر لانافتهما وفضلهما **واعتصموا**
بالله اي بقواه في مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة الا منه **هو موليكم** ناصركم ومتولي امركم **فنعم**

المولى

المولى ونعم النصير اذ لا مثل له في الولاية والنصرة بل لا ولي ولا نصير في الحقيقة سواه عز وجل عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وما بقي والله اعلم بالصواب

سورة المؤمنون وهي مائة وثمانون عشر آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **قد افلح المؤمنون** الفلاح الفوز بالمرام والنجاة من المكروه وقيل البقاء في الخير والافلاح الدخول
في ذلك كالابشار الذي هو الدخول في البشارة وقد يجيء متعديا بمعنى الادخال فيه وعليه قراءة من قرا على البناء للمفعول وكلمة
قد ههنا لافادة ما كان متوقع الثبوت من قبل لا متوقع الاخبارية ضرورة ان المتوقع من حال المؤمنين ثبوت الفلاح لهم لا
الاخبار بذلك فالمعنى قد فازوا بكل خير ونجوا من كل ضير حسبما كان ذلك متوقعا من حالهم فان ايمانهم وما تفرع عليه من اعمالهم
الصالحة من دواعي الفلاح حقيقة الدخول في الفلاح الذي لا يتحقق الا في الاخرة فالاخبار به على صيغة الماضي للدلالة
على تحققه لا محالة تنزيله منزلة الثابت وان اريد كونهم بحيث يستتبعه البتة فصيغة الماضي في محلها وقرئ افلحوا على الابهام
والتفسير او على لغة اكلوني البراغيث وقرئ افلح بضمة اكتفي بها عن الواو كما في قول من قال ولو ان الاطباء كان حوله والمراد
بالمؤمنين اما المصدقون بما علم ضرورة انه من دين نبينا صلى الله عليه وسلم من التوحيد والنبوة والبعث والجزاء ونظائرها
فقوله تعالى **الذين هم في صلوتهم خاشعون** وما عطف عليه صفات مخصصة لهم واما الآتون بفروعه ايضا كما ينبئ عنه اضافة
الصلوة اليهم فهي صفات موضحة او مادحة لهم حسب اعتبار ما ذكر في حيز الصلة من المعاني مع الايمان اجمالا او
تفصيلا كما مر في اوائل سورة البقرة والخشوع الخوف والتذلل اي خائفون من الله عز وجل متذللون له ملزمون ابصارهم
مساجدهم روي انه عليه الصلوة والسلام كان اذا صلى رفع بصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وانه
رأى مصليا يعبث بلحيته فقال عليه الصلوة والسلام لو خشع قلبه لخشعت جوارحه **والذين هم عن اللغو** اي عما لا يعنيهم
من الاقوال والافعال **معرضون** اي في عامة اوقاتهم كما ينبئ عنه الاسم الدال على الاستمرار فيدخل فيه اعراضهم عنه
حال اشتغالهم بالصلوة دخولا اوليا ومدار اعراضهم عنه ما فيه من الحالة الداعية الى الاعراض عنه لا مجرد الاشتغال
بالجد في امور الدين كما قيل فان ذلك ربما يوهم ان لا يكون في اللغو ما يزجرهم عن تعاطيهم وهو ابلغ من ان يقول لا
يلهون جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض مقام
الترك ليدل على تباعدهم عنه رأسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فان اصله ان يكون في عرض غير عرضه **والذين**
هم للزكوة فاعلون وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع في الصلوة للدلالة انهم بلغوا الغاية القاصية في القيام
بالطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ما يوجب اجتنابه وتوسط حديث الاعراض بينهما لكمال
ملابسته بالخشوع في الصلوة والزكوة مصدر لانه الامر الصادر عن الفاعل لا المحل الذي هو موقعه ومعنى الفعل
قدمر تحقيقه في تفسير قوله تعالى فان لم تفعلوا ويجوز ان يراد بها العين على تقدير المضاف **والذين هم لفروجهم حافظون**
ممسكون لها فالاستثناء في قوله تعالى **الا على ازواجهم** من نفي الارسال الذي ينبئ عنه الحفظ اي لا يرسلونها على ازواجهم
وفيه ايذان بان قوتهم الشهوية داعية لهم الى ما لا يخفى وانهم حافظون لها من استيفاء مقتضاها وبذلك يتحقق
كمال العفة ويجوز ان يكون على بمعنى من واليه ذهب الفراء كما في قوله تعالى اذا اكتالوا على الناس اي حافظون لها من كل
احد الا من ازواجهم **وقيل** من متعلقة بمحذوف وقع حالا من ضمير حافظون لها في جميع الاحوال الا حال كونهم والين
او قوامين على ازواجهم وقيل بمحذوف يدل عليه غير ملومين كانه قيل يلامون على كل مباشرة الا ما اطلق لهم وحمل
الحفظ على القصر عليهن ليكون المعنى حافظون فروجهم على الازواج لا يتعدونهن ثم يقال غير حافظين الا عليهن تأكيدا على تأكيد
تكلف على تكلف **او ما ملكت ايمانهم** اي سراريهم عبر عنهم بما اجراهن لمملوكيتهن مجرى غير العقلاء او لانوثتهن المنبئة عن
القصور وقوله تعالى **فانهم غير ملومين** تعليل لما يفيده الاستثناء من عدم حفظ فروجهم منهن اي فانهم غير ملومين
على عدم حفظها منهن **فمن ابتغى وراء ذلك** الذي ذكر من الحد المتسع وهو اربع من الحرائر وما شاء من الاماء **فاولئك هم العادون**

الكاملون في العدوان والمتناهون فيه وفيه ما يدل حتمًا على تحريم المتعة حسبما نقل عن القاسم بن محمد فانه قال انها
ليست زوجة له فوجب ان لا تحل له اما ليست زوجة له فانهما لا يتوارثان ولو كانت زوجة له لحصل التوارث لقوله
تعالى ولكم نصف ما ترك ازواجكم فوجب ان لا تحل لقوله تعالى الا على ازواجهم لان لهم ان يقولوا انها زوجة له في
الجملة واما ان كل زوجة تورث فهم لا يسلمونها وما قيل من انه ان اريد لو كانت زوجة حال الحيوة لم يفد وان اريد بعد
الموت فالملازمة ممنوعة فليس له معنى يحصل نعم لو عكس لكان له وجه **والذين هم لاماناتهم وعهدهم** لما يؤتمنون عليه
ويعاهدون من جهة الحق او الخلق **راعون** اي قائمون عليها حافظون لها على وجه الاصلاح وقرئ لامانتهم
والذين هم على صلوتهم المفروضة عليهم **يحافظون** يواظبون عليها ويؤدونها في اوقاتها ولفظ الفعل فيه لما في
الصلوة من التجدد والتكرر وهو السر في جمعها وليس فيه تكرير لما ان الخشوع في الصلوة غير المحافظة عليها [illegible]
فصلهما للايذان بان كلا منهما فضيلة واحدة **اوليك** اشارة الى المؤمنين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات
وايثارها على الاضمار للاشعار بامتيازهم بها عن غيرهم ونزولهم منزلة المشار اليهم حسا وما فيه من معنى
البعد للايذان بعلو طبقتهم وعلو درجتهم في الفضل والشرف اي اوليك المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة
هم الوارثون اي الاحقاء بان يسموا وراثا دون من عداهم ممن ورث رغايب الاموال والذخاير وكرايمها **الذين
يرثون الفردوس** بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقها وتفسير لها بعد ابهامها تفخيما لشانها ورفعا
لمحلها وهي استعارة لاستحقاقهم الفردوس باعمالهم حسبما يقتضيه الوعد الكريم للمبالغة فيه وقيل
انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على انفسهم لان الله تعالى خلق لكل انسان منزلا في الجنة ومنزلا
في النار **هم فيها** اي الفردوس والتانيث لانه اسم للجنة او لطبقتها العليا وهو البستان الجامع لاصناف الشجر
روى ان الله تعالى بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر وفي رواية
لبنة من مسك مذري وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان **خالدون** لا يخرجون منها ابدا والجملة اما مستانفة
مقررة لما قبلها واما حال مقدرة من فاعل يرثون او مفعوله اذ فيها ذكر كل منهما ومعنى الكلام لا يموتون ولا
يخرجون **ولقد خلقنا الانسان** شروع في بيان مبدا خلق الانسان وتقلبه في اطوار الخلقة وادوار الفطرة بيانا
اجماليا اثر بيان حال بعض افراده السعدا واللام جواب قسم والواو ابتدائية **من سلالة** عاطفة على ما قبلها والمراد
بالانسان الجنس اي وبالله لقد خلقنا جنس الانسان وتقلبه في اطوار الخلقة في ضمن خلق آدم عليه السلام
خلقا اجماليا حسبما تحققته في سورة الحج وغيرها واما كونه مخلوقا من سلالات جعلت نطفا بعد ادوار واطوار
فبعيد وقيل السلالة ما سل من الشيء واستخرج منه فانه فعالة اسم لما يحصل من الفعل فتارة يكون مقصودا
منه كالخلاصة واخرى غير مقصود منه كالقلامة والكناسة والسلالة من قبيل الاول فانها مقصودة بالسل
ومن ابتدائية متعلقة بالخلق وما في قوله تعالى **من طين** بيانية متعلقة بمحذوف وقع صفة لسلالة
اي خلقناه من سلالة كائنة من طين ويجوز ان يتعلق بسلالة على انها بمعنى مسلولة فهي ابتدائية
كالاول وقيل المراد بالانسان آدم عليه السلام فانه الذي خلق من صفوة سلت من الطين وقد وقفت على
التحقيق **ثم جعلناه** اي الجنس باعتبار افراده المغايرة لآدم عليه السلام او جعلنا نسله على حذف المضاف ان
اريد بالانسان آدم عليه السلام **نطفة** بان خلقناه منها او ثم جعلنا السلالة نطفة والتذكير بتاويل الجوهر
او المسلول او الماء **في قرار** اي مستقر وهو الرحم عبر عنها بالقرار الذي هو مصدر مبالغة وقوله تعالى
مكين وصف لها بصفة ما استقر فيها مثل طريق سائر او لمكانتها في نفسها فانها مكنت بحيث هي واحرزت
ثم خلقنا النطفة علقة اي دما جامدا بان احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء **فخلقنا العلقة مضغة** اي
قطعة لحم لا استبانة ولا تمايز فيها **فخلقنا المضغة** اي غالبها ومعظمها او كلها **عظاما** بان صلبناها وجعلناها
عمودا للبدن على هيئات واوضاع مخصوصة تقتضيها الحكمة **فكسونا العظام** المعهودة **لحما** من بقية

المضغة او مما انبتنا عليها بقدرتنا مما يصل اليها اي كسونا كل عظم من تلك العظام ما يليق به من اللحم على مقدار لائق به
وهياة مناسبة له واختلاف العواطف للتنبيه على تفاوت الاستحالات وجمع العظام لاختلافها وقرئ على التوحيد
فيهما اكتفاء بالجنس وبتوحيد الاول فقط وبتوحيد الثاني فحسب **ثم انشاناه خلقا آخر** هو صورة البدن او الروح او القوى
بنفخه فيه او المجموع وثم لكمال التفاوت بين الخلقين واحتج به ابو حنيفة رحمه الله على ان من غصب بيضة فافرخت عنده لزمه
ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق آخر **فتبارك الله** فتعالى شانه في علمه الشامل وقدرته الباهرة والالتفات الى الاسم الجليل
لتربية المهابة وادخال الروعة والاشعار بان ما ذكر من الافاعيل العجيبة من احكام الالوهية وللايذان بان حق كل من سمع
ما فصل من آثار قدرته جل وعلا او لاحظه ان يسارع الى التكلم به اجلالا واعظاما لشونه تعالى **احسن الخالقين** بدل من
الجلالة وقيل نعت له بناء على ان الاضافة ليست محضة وقيل خبر مبتدا محذوف اي احسن الخالقين خلقا اي
المقدرين تقديرا حذف المميز لدلالة الخالقين عليه حذف المأذون فيه في قوله تعالى اذن للذين يقاتلون لدلالة
الصلة عليه اي احسن الخالقين للخلق قيل نظيره قوله عليه الصلاة والسلام ان الله جميل يحب الجمال اي جميل فعله
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا فاستكن روى ان عبد الله بن ابي سرح كان يكتب لرسول
الله

صلى الله عليه وسلم الوحي فلما انتهى عليه الصلوة والسلام الى قوله خلقا آخر سارع عبد الله الى النطق به قبل املائه
عليه فقال عليه الصلاة والسلام اكتب هكذا نزلت فشك عبد الله فقال ان كان محمد يوحى اليه فانا كذلك فلحق بمكة
كافرا ثم اسلم يوم الفتح وقيل مات على كفره روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لما نزلت هذه الآية
قال عمر رضي الله عنه فتبارك الله احسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا نزلت يا عمر وكان رضي
الله عنه يفتخر بذلك ويقول وافقت ربي في اربع الصلوة خلف المقام وضرب الحجاب على النسوة وقولي لهن
وليبدلنه الله خيرا منكن فنزل قوله تعالى عسى ربه ان طلقكن الآية والرابع فتبارك الله احسن الخالقين انظر كيف
وقعت هذه الواقعة سببا لسعادة عمر رضي الله عنه وشقاوة ابن ابي سرح حسبما قال الله تعالى يضل به كثيرا
ويهدي به كثيرا لا يقال فقد تكلم البشر ابتداء بمثل النظم الكريم وذلك قادح في اعجازه لما ان الخارج عن قدرة البشر
ما كان مقدار اقصر السور على ان اعجاز هذه الآية الكريمة منوطة بما قبلها كما يعرب عنه الفاء فانها اعتراض تذييلي
مقرر لمضمون ما قبله **ثم انكم بعد ذلك** اي بعد ما ذكر من الامور العجيبة حسبما ينبئ عنه ما في اسم الاشارة من
معنى البعد المشعر بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل والكمال وبكونه بذلك ممتازا منزلا منزلة الامور
الحسية **لميتون** صائرون الى الموت لا محالة كما يؤذن به صيغة النعت للدلالة على الثبوت دون الحدوث الذي يفيد
صيغة الفاعل وقد قرئ لمائتون **ثم انكم يوم القيمة** عند النفخة الثانية **تبعثون** من قبوركم للحساب والمجازاة
بالثواب والعقاب **ولقد خلقنا فوقكم** بيان لخلق ما يحتاج اليه بقاؤهم اثر بيان خلقهم اي خلقنا في جهة العلو من
غير اعتبار فوقيتها لهم لان تلك النسبة انما تعرض لها بعد خلقهم **سبع طرائق** هي السموات السبع سميت بها لانها
طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل فان كل ما فوقه مثله فهو طريقه او لانها طرائق الملائكة والكواكب فيها
مسيرها **وما كنا عن الخلق** عن ذلك المخلوق الذي هو السموات او عن جميع المخلوقات التي هي من جملتها او عن الناس
غافلين مهملين امرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر امرها حتى تبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال حسبما
اقتضته الحكمة وتعلقت به المشية ويصل الى ما في الارض منافعها كما ينبئ عنه قوله تعالى **وانزلنا من السماء ماء**
وهو المطر او الانهار النازلة من الجنة قيل هي خمسة انهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات
نهرا العراق والنيل نهر مصر انزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال واجراها في الارض
وجعل فيها منافع للناس في فنون معايشهم ومن ابتدائية متعلقة بانزلنا وتقديمها على المفعول الصريح لما مر
مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر والعدول عن الاضمار لان الانزال لا يتعين فيه عنوان كونها طرائق
بل مجرد كونها جهة العلو **بقدر** بتقدير لائق لاستجلاب منافعهم ودفع مضارهم او بمقدار ما علمنا من حاجاتهم

ومصالحهم فاسكناه في الارض اي جعلناه ثابتا قارا فيها وانا على ذهاب به اي ازالته بالافساد او التصعيد او التغور بحيث يتعذر استنباطه لقادرون كما كنا قادرين على انزاله وفي تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة في الايعاد به ولذلك جعل ابلغ من قوله تعالى قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين فانشانا لكم به اي بذلك الماء جنات من نخيل واعناب لكم فيها اي في الجنات فواكه كثيرة تتفكهون بها ومنها اي من الجنات تاكلون تغذيا او ترزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان ياكل من حرفته ويجوز ان يعود الضميران للنخيل والاعناب اي لكم في ثمراتها انواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تاكلونه وشجرة بالنصب على جنات وقرئ بالرفع على انه مبتدا خبره محذوف دل عليه ما قبله اي ومما انشا لكم به شجرة وتخصيصها بالذكر من بين سائر الاشجار لاستقلالها بمنافع معروفة قيل هي اول شجرة نبتت بعد الطوفان وقوله تعالى تخرج من طور سيناء وهو جبل موسى عليه السلام بين مصر وايلة وقيل فلسطين ويقال له طور سينين فاما ان يكون اسم جبل وسيناء اسم البقعة اضيف اليها او المركب منهما علم له كامرئ القيس ومنع صرفه للتعريف والعجمة او التانيث على تاويل البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة او بالقصر وهو النور او ملحق بفعلال كعلباء من اسين اذ لا فعلاء بالف التانيث بخلاف سيناء فانه فيعال ككيسان او فعلاء كصحراء اذ لا فعلال في كلامهم وقرئ بالكسر والقصر والجملة صفة لشجرة وتخصيصها بالخروج منه مع خروجها من سائر البقاع ايضا لتعظيمها ولانه المنشا الاصلي لها وقوله تعالى تنبت بالدهن صفة اخرى لشجرة والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا منها اي تنبت ملتبسة بالدهن ويجوز كونها صلة معدية اي منبتة بمعنى متضمنة ومحصلة فالنبات حقيقة صفة للشجرة لا للدهن وقرئ ينبت من الافعال وهو اما من الانبات بمعنى النبات كما في قول زهير رايت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطينا لهم حتى اذا انبت البقل او على تقدير ينبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتنبت بالدهن وصبغ للآكلين معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف احد وصفي الشيء على الآخر اي تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهنا يدهن ويسرج منه وكونه اداما يصبغ به الخبز اي يغمس للادام وقرئ وصباغ كدباغ في دبغ وان لكم في الانعام لعبرة بيان للنعم الفائضة عليهم من جهة الحيوان اثر بيان النعم الواصلة اليهم من جهة الماء والنبات وقد بين انها مع كونها في نفسها نعمة ينتفعون بها على وجوه شتى عبرة لابد من ان يعتبروا بها ويستدلوا باحوالها على عظيم قدرة الله تعالى وسابغ رحمته ويشكروه ولا يكفروه وخص هذا بالحيوان لان محل العبرة فيه اظهر مما في النبات وقوله تعالى نسقيكم مما في بطونها تفصيل لما فيها من مواقع العبرة وما في بطونها عبارة اما عن الالبان فمن تبعيضية والمراد بالبطون الجوف او عن العلف الذي يتكون منه اللبن فمن ابتدائية والبطون على حقيقتها وقرئ بفتح النون وبالتاء اي تسقيكم الانعام ولكم فيها منافع كثيرة غير ما ذكر من اصوافها واشعارها ومنها تاكلون فتنتفعون باعيانها كما تنتفعون بما يحصل منها وعليها اي على الانعام فان الحمل عليها لا يقتضي الحمل على جميع انواعها بل يتحقق بالحمل على البعض كالابل ونحوها وقيل المراد بها الابل خاصة لانها هي المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فانها سفائن البر قال ذو الرمة سفينة بر تحت خدي زمامها فالضمير فيه كما في قوله تعالى وبعولتهن احق بردهن وعلى الفلك تحملون اي في البر والبحر وفي الجمع بينهما وبين الفلك في ايقاع الحمل عليها مبالغة في تحملها للحمل وهو الداعي الى تاخير ذكره عن المنفعة مع كونها من المنافع الحاصلة منها من ذكر منفعة الاكل المتعلقة بعينها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه شروع في بيان اهمال الامم السابقة وتركهم النظر والاعتبار فيما عدد من النعم الفائتة للحصر وعدم تذكرهم بتذكير رسلهم وما حاق بهم من فنون العذاب تحذيرا للمخاطبين تقديم قصة نوح عليه السلام على سائر القصص مما لا يخفى وجهه وفي ايرادها اثر قوله تعالى وعلى الفلك تحملون من حسن الموقع ما لا يوصف والواو ابتدائية واللام جواب قسم محذوف وتصدير القصة به لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها اي والله لقد ارسلنا نوحا

الى اخره ونسبه الكريم وكيفية بعثه وكمية لبثه فيما بينهم قد مر تفصيله في سورة الاعراف وسورة هود فقال متعطفا عليهم ومستميلا لهم الى الحق يا قوم اعبدوا الله اي اعبدوه وحده كما يفصح عنه قوله تعالى في سورة هود الا تعبدوا الا الله وترك التقييد للايذان بانها هي العبادة فقط واما العبادة بالاشراك فليس من العبادة في شيء راسا وقوله تعالى ما لكم من اله غيره استئناف مسوق لتعليل العبادة المامور بها وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله الذي هو الرفع على انه فاعل او مبتدا خبره لكم او محذوف ولكم للتخصيص والتبيين اي ما لكم في الوجود او في العالم اله غيره تعالى وقرئ بالجر باعتبار لفظه افلا تتقون اي افلا تقون انفسكم عذابه الذي يستوجبه ما انتم عليه من ترك عبادته تعالى كما يفصح عنه قوله تعالى اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم وقوله تعالى عذاب يوم اليم وقيل افلا تخافون ان ترفضوا عبادة الله الذي هو ربكم الى اخره وفيه ما فيه والهمزة لانكار الواقع واستقباحه والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اتعرفون ذلك اي مضمون قوله تعالى ما لكم من اله غيره افلا تتقون عذابه بسبب اشراككم به في العبادة ما لا يستحق الوجود لولا ايجاد الله تعالى فضلا عن استحقاق العبادة فالمنكر عدم الاتقاء مع تحقق ما يوجبه او الا تلاحظون ذلك فلا تتقونه فالمنكر كلا الامرين فالمبالغة حينئذ في الكمية وفي الاول في الكيفية فقال الملاء اي الاشراف الذين كفروا من قومه وصف الملاء بما ذكر مع اشتراك الكل فيه للايذان بكمال عراقتهم في الكفر وشدة شكيمتهم فيه اي قالوا لعوامهم ما هذا الا بشر مثلكم اي في الجنس والوصف من غير فرق بينكم وبينه وصفوه عليه السلام بذلك مبالغة في وضع رتبته العالية وحطها عن منصب النبوة يريد ان يتفضل عليكم اي يريد ان يطلب عليكم ويتقدمكم بادعاء الرسالة مع كونه مثلكم وصفوه بذلك اغضابا للمخاطبين عليه السلام واغراء لهم على معاداته عليه السلام وقوله تعالى ولو شاء الله لانزل ملائكة بيان لعدم رسالة البشر على الاطلاق على زعمهم الفاسد بعد تحقيق بشريته عليه السلام اي لو شاء الله تعالى ارسال الرسول لارسل رسلا من الملائكة وانما قيل لانزل لان ارسال الملائكة لا يكون الا بطريق الانزال فمفعول المشيئة مطلق الارسال المفهوم من الجواب لا نفس مضمونه كما في قوله تعالى ولو شاء لهداكم اجمعين ونظائره ما سمعنا بهذا اي بمثل هذا الكلام الذي هو الامر بعبادة الله تعالى خاصة وترك عبادة ما سواه وقيل بمثل نوح عليه السلام في دعوى النبوة في اباءنا الاولين اي الماضين قبل بعثته عليه السلام قالوه اما لكونهم وآباؤهم في فترة متطاولة واما لفرط غلوهم في التكذيب والعناد وانهماكهم في الغي والفساد وايا ما كان فقولهم هذا ينبغي ان يكون هو الصادر عنهم في مبادي دعوته عليه السلام كما ينبئ عنه الفاء في قوله تعالى فقال الملاء الى اخره وقيل معناه ما سمعنا به عليه السلام انه نبي فالمراد بآبائهم الاولين الذين مضوا قبلهم في زمن نوح عليه السلام وقولهم المذكور هو الذي صدر عنهم في اواخر امره عليه السلام وهو المناسب لما بعده من حكاية دعائه عليه السلام وقولهم ان هو اي ما هو الا رجل به جنة اي جنون او جن يخبلونه ولذلك يقول فتربصوا به اي احتملوه واصبروا عليه وانتظروا حتى حين لعله يفيق مما فيه محمول حينئذ على ترامي احوالهم في المكابرة والعناد واضرابهم عما وصفوه عليه السلام به من البشرية وارادة التفضل الى وصفه عليه السلام بما ترى وهم يعرفون انه عليه السلام ارجح الناس عقلا وارزنهم قولا وعلى الاول تناقض مقالاتهم الفاسدة قاتلهم الله انى يؤفكون قال استئناف مبني على سؤال نشا من حكاية كلام الكفرة كانه قيل فماذا قال عليه السلام بعد ما سمع منهم هذه الاباطيل وقد اوحي اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن رب انصرني باهلاكهم بالمرة فانه حكاية اجمالية لقوله عليه السلام رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا بما كذبون اي بسبب تكذيبهم اياي او بدل تكذيبهم فاوحينا اليه عند ذلك ان اصنع الفلك اي مفسرة لما في الوحي من معنى القول باعيننا ملتبسا بحفظنا وكلاءتنا كان معه عليه السلام منه عز وعلا حفاظا وحراسا يكلؤونه باعينهم من التعدي او من الزيغ في الصنعة ووحينا وامرنا وتعليمنا لكيفية صنعها والفاء في قوله تعالى فاذا جاء امرنا لترتيب مضمون ما بعدها على تمام صنع الفلك والمراد بالامر العذاب كما في قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله لا الامر بالركوب كما قيل ومجيئه كمال اقترابه او ابتداء ظهوره اذ جاء

اثر تمام الفلك عذابنا وقوله تعالى **وفار التنور** عطف بيان لمجيء الامور روى انه قيل له عليه السلام اذا
فار الماء من التنور اركب انت ومن معك وكان تنور آدم عليه السلام فصار الى نوح عليه السلام فلما نبع منه الماء
اخبرته امرأته فركبوا **واختلف** في مكانه فقيل كان في مسجد الكوفة اي في موضعه عن يمين الداخل من باب
كندة اليوم وقيل كان عين وردة من الشام وقد مر تفصيله في تفسير سورة هود عليه السلام **فاسلك فيها**
اي ادخل فيها يقال سلك فيه اي دخل فيه وسلكه فيه اي ادخله فيه ومنه قوله تعالى ما سلككم في سقر
من كل اي من كل امة **زوجين** اي فردين مزدوجين كما يعرب عنه قوله تعالى **اثنين** فانه نص في الفردين
دون الجمعين او الفريقين وقرئ بالاضافة على ان المفعول اثنين اي من كل امتي زوجين وهما امة الذكر
والانثى كالجمال والنوق والحصن والرماك وهذا صريح في ان الامر كان قبل صنعة الفلك وفي سورة هود حتى
اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين فالوجه ان يحمل اما على انه حكاية لامر آخر تنجيزي ورد عند
فوران التنور الذي نيط به الامر التعليقي قبل تحقق المعلق به في حق ايجاب المأمور به بمنزلة العدم جعله كانه
انما حدث عند تحققه فحكي على صورة التنجيز وقد مر في قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم **واهلك** منصوب
بفعل معطوف على فاسلك لا بالعطف على زوجين او اثنين على القراءتين لادائه الى اختلال المعنى اي واسلك اهلك
والمراد امرأته وبنوه وتاخير الامر بادخالهم عما ذكر من ادخال الازواج فيها لكونه مرتبا فيما امر به من الادخال
فانه يحتاج الى مزاولة الاعمال منه عليه السلام بل الى معاونة من اهله واتباعه واما هم فانما يدخلونها باختيارهم
بعد ذلك ولان في المؤخر ضرب تفصيل بذكر الاستثناء وغيره فتقديمه يؤدي الى الاخلال بتجاذب اطراف
النظم الكريم **الا من سبق عليه القول منهم** القول باهلاك الكفرة وانما جيء بعلى لكون السابق ضارا كما جيء باللام
في قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى لكونه نافعا **ولا تخاطبني في الذين ظلموا** بالدعاء لانجائهم **انهم مغرقون**
تعليل للنهي او لما ينبئ عنه من عدم قبول الدعاء اي انهم مقضي عليهم بالاغراق لا محالة لظلمهم بالاشراك وسائر المعاصي
ومن هذا شأنه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف لا وقد امر بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله تعالى **فاذا استويت**
انت ومن معك اي من اهلك واتباعك **على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين** على طريقة
قوله تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين **وقل رب انزلني** في السفينة او منها **منزلا مباركا**
اي انزالا او موضع انزال يستتبع خيرا كثيرا وقرئ منزلا اي موضع نزول **وانت خير المنزلين** امر عليه السلام بان
يستتبع دعاءه بما يطابقه من ثنائه عز وجل توسلا به الى الاجابة وافراده عليه السلام بالامر مع شركة الكل في
الاستواء والنجاة لاظهار فضله عليه السلام والاشعار بان في دعائه وثنائه مندوحة عما عداه **ان في ذلك**
اي الذي ذكر مما فعل به عليه السلام وبقومه **لايات** جليلة يستدل بها اولوا الابصار ويعتبر بها ذوو الاعتبار
وان كنا لمبتلين ان مخففة من ان واللام فارقة بينها وبين النافية وضمير الشأن محذوف اي وان الشأن
كنا مبتلين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد او مختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويتذكر كقوله
تعالى لقد تركناها آية فهل من مدكر **ثم انشأنا من بعدهم** اي من بعد اهلاكهم **قرنا آخرين** هم عاد حسبما
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وعليه اكثر المفسرين وهو الاوفق لما هو المعهود في سائر السور الكريمة
من ايراد قصتهم اثر قصة نوح وقيل هم ثمود **فارسلنا فيهم** جعلوا غاية للارسال كما في قوله تعالى كذلك
ارسلناك في امة ونحوه لا غاية له كما في مثل قوله تعالى لقد ارسلنا نوحا الى قومه للايذان من اول الامر
بان من ارسل اليهم لم يأتهم من غير مكانهم بل انما نشأ فيما بين اظهرهم كما ينبئ عنه قوله تعالى **رسولا منهم** اي
من جنسهم نسبا فانهما عليهما السلام كانا منهم وان في قوله تعالى **ان اعبدوا الله** مفسرة لارسلنا لتضمنه معنى
القول اي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله تعالى وقوله تعالى **ما لكم من اله غيره** حكاية لقولهم
الباطل اثر حكاية القول الحق الذي ينطق به حكاية ارسال الرسل بطريق العطف على ان المراد حكاية مطلق

تعليل للعبادة للمامور بها او للامر بها او لوجوب الامتثال به **افلا تتقون** اي عذابه الذي يستدعيه ما انتم عليه من الشرك والمعاصي والكلام في العطف كالذي مر في قصة نوح عليه السلام **وقال الملأ من قومه**

تكذيبهم

تكذيبهم له عليه السلام اجمالا حكاية ما جرى بينه وبينهم من المحاورة والمقاولة حتى يحكي بطريق الاستيناف المبني
على السؤال كما ينبئ عنه ما سيأتي من حكاية سائر الامم اي وقال الاشراف من قومه **الذين كفروا** في محل الرفع على
انه صفة للملأ وصفوا بذلك ذما لهم وتنبيها على غلوهم في الكفر وتاخيره من قومه لطف قوله تعالى **وكذبوا**
بلقاء الآخرة وما عطف عليه على الصفة الاولى اي كذبوا بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب ومعادهم
الى الحيوة الثانية بالبعث **واترفناهم** ونعمناهم **في الحيوة الدنيا** بكثرة الاموال والاولاد اي قالوا لاعقابهم مضلين
لهم **ما هذا الا بشر مثلكم** اي في الصفات والاحوال وايثار مثلكم للمبالغة في تهوين امره عليه السلام وتوهينه **ياكل**
مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون تقرير للمماثلة وما خبرية والعائد الى الثاني منصوب محذوف او مجرور قد حذف
مع الجار لدلالة ما قبل عليه **ولئن اطعتم بشرا مثلكم** اي فيما ذكر من الاحوال والصفات اي ان امتثلتم باوامره **انكم**
اذا اي على تقدير الاتباع **لخاسرون** عقولكم ومغبونون في آرائكم حيث اذللتم انفسكم انظر كيف جعلوا اتباع
الرسول الحق الذي يوصلهم الى سعادة الدارين خسرانا دون عبادة الاصنام التي لا خسران وراءها قاتلهم الله انى
يؤفكون واذا وقع بين اسم ان وخبرها لتاكيد مضمون الشرط والجملة جواب القسم محذوف وقيل ان الشرطية المصدرة
باللام الموطئة اي والله لئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون **ايعدكم** استيناف مسوق لتقرير ما قبله من
زجرهم عن اتباعه عليه السلام بانكارهم وقوع ما يدعوهم الى الايمان به واستبعاده **انكم اذا متم** بكسر الميم
من مات يمات وقرئ بضمها من مات يموت **وكنتم ترابا وعظاما** نخرة مجردة عن اللحوم والاعصاب اي كان بعض
اجزائكم من اللحم ونظائره ترابا وبعضها عظاما وتقديم التراب لعراقته في الاستبعاد وانقلابه من الاجزاء البادية او
كان متقدموكم ترابا صرفا ومتاخروكم عظاما وقوله تعالى **انكم** تاكيد للاول لطول الفصل بينه وبين خبره الذي هو
قوله تعالى **مخرجون** من القبور احياء كما كنتم وقيل انكم مخرجون مبتدأ واذا متم خبره على معنى اخراجكم اذا متم ثم اخبر
بالجملة عن انكم وقيل دفع انكم مخرجون بفعل هو جزاء الشرط كانه قيل اذا متم وقع اخراجكم ثم اوقعت الجملة الشرطية
خبرا عن انكم والذي يقتضيه المقام جزالة النظم الكريم هو الاول وقرئ ايعدكم اذا متم الى آخره **هيهات هيهات** تكرير
لتاكيد البعد اي بعد الوقوع او الصحة **لما توعدون** وقيل اللام لبيان المستبعد ما هو كما في هيت لك كانهم لما صوتوا
بكلمة الاستبعاد قيل لما هذا الاستبعاد فقيل لما توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون ٥
وقرئ بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا على انه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون
على لفظ الوقف وابدال التاء ياء **ان هي الا حياتنا الدنيا** اصله ان الحيوة الا حياتنا فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة
الثانية عليها حذرا من التكرار واشعارا باغنائها عن التصريح كما في قوله هي النفس ما حملتها تتحمل وهي العرب تقول ما شاءت
وحيث كان الضمير بمعنى الحيوة الدالة على الجنس كانت ان النافية بمنزلة لا النافية للجنس وقوله تعالى **نموت**
ونحيي بعد الموت **ان هو** اي ما هو **الا رجل افترى على الله كذبا** فيما يدعيه من ارسال وفيما يعدنا من ان الله
تعالى يبعثنا **وما نحن له بمؤمنين** بمصدقين فيما يقوله **قال** اي هو عليه السلام عند يأسه من ايمانهم بعد ما سلك
في دعوتهم كل مسلك متضرعا الى الله عز وجل **رب انصرني** عليهم وانتقم لي منهم **بما كذبون** اي بسبب تكذيبهم
اياي واصرارهم عليه **قال** تعالى اجابة لدعوته وعدة بالقبول **عما قليل** من زمان قليل وما زائدة بين الجار
والمجرور لتاكيد معنى القلة كما زيدت في قوله تعالى فبما رحمة من الله او نكرة موصوفة اي عن شيء قليل **ليصبحن**
نادمين على ما فعلوا من التكذيب وذلك عند معاينتهم للعذاب **فاخذتهم الصيحة** لعلهم حين اصابتهم الريح العقيم
اصيبوا في تضاعيفه بصيحة هائلة ايضا وقد روي ان شداد بن عاد حين اتم بناء ارم سار اليها باهله فلما
دنا منها بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وقيل الصيحة نفس العذاب والموت وقيل هي العذاب المصطلم
قال قائلهم صاح الزمان بآل برمك صيحة خروا لشدتها على الاذقان **بالحق** متعلق بالاخذ اي بالامر الثابت
الذي لا دفاع له او بالعدل من الله تعالى او بالوعد الصدق **فجعلناهم غثاء** اي كغثاء السيل وهو حميله **فبعدا للقوم الظالمين**

له

جملة مفسرة لما ادعوه من ان الحيوة هي الحيوة الدنيا اي يموت بعضنا ويولد بعضنا الى انقراض العصر **وما نحن بمبعوثين**

اخبارا او دعاء وبعدا من المصادر التي لا تكاد تستعمل ناصبها والمعنى بعدوا بعدا اي هلكوا واللام لبيان من قيل له بعدا
ووضع الظاهر موضع الضمير للتعليل ثم انشأنا من بعدهم اي بعد اهلاكهم قرونا آخرين هم قوم صالح ولوط وشعيب
عليهم السلام وغيرهم ما تسبق من امة اجلها اي ما تتقدم امة من الامم المهلكة الوقت الذي عين لاهلاكهم اي ما
تهلك امة قبل مجيء اجلها وما يستأخرون ذلك الاجل ساعة وقوله تعالى ثم ارسلنا رسلنا عطف على انشأنا لكن
لا على معنى ان ارسالهم متراخ من انشاء القرون المذكورة جميعا بل على معنى ان ارسال كل رسول متأخر عن انشاء قرن مخصوص
بذلك الرسول كانه قيل ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين قد ارسلنا الى كل قرن منهم رسولا خاصا به والفصل بين المعطوفين
بالمعترضة الناطقة بعدم تقدم الامم اجلها المضروب لهلاكهم للمسارعة الى بيان هلاكهم على وجه اجمالي
تترى اي متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كما في تولج ويتعور والالف للتأنيث
باعتبار ان الرسل جماعة وقرئ بالتنوين على انه مصدر بمعنى الفاعل وقع حالا من قوله تعالى كلما جاء امة رسولها
كذبوه استيناف مبين لمجيء كل رسول لامته ولما صدر عنهم عند تبليغ الرسالة والمراد بالمجيء اما التبليغ واما حقيقة
المجيء للايذان بانهم كذبوه في اول الملاقاة واضافة الرسول الى الامة مع اضافة كلهم فيما سبق الى نون العظمة لتحقيق
ان كل رسول جاء امته الخاصة به لان كلهم جاؤوا كل الامم وللاشعار بكمال شناعتهم وضلالهم حيث كذبت كل واحدة منهم
رسولها المعين لها وقيل لان الارسال لائق بالمرسل والمجيء بالمرسل اليهم فاتبعنا بعضهم بعضا في الهلاك حسبما
تبع بعضهم بعضا في مباشرة اسبابه التي هي الكفر والتكذيب وسائر المعاصي وجعلناهم احاديث لم يبق منهم الا حكايات
يعتبر بها المعتبرون وهو اسم جمع للحديث او جمع احدوثة وهي ما يتحدث به تلهيا كاعاجيب جمع اعجوبة وهي ما يتعجب
منه اي جعلناهم احاديث يتحدثون بها تلهيا وتعجبا فبعدا لقوم لا يؤمنون اقتصر ههنا على وصفهم بعدم الايمان
حسبما اقتصر على حكاية تكذيبهم اجمالا واما القرون الاولون فحيث نقل عنهم ما مر من الغلو وتجاوز الحد في
الكفر والعدوان وصفوا بالظلم ثم ارسلنا موسى واخاه هرون باياتنا هي الايات التسع من اليد والعصا والجراد
والقمل والضفادع والدم ونقص الثمرات والطاعون ولا مساغ لعد فلق البحر منها اذ المراد هي الايات التي كذبوها
واستكبروا عنها وسلطان مبين اي حجة واضحة ملزمة للخصم وهي اما العصا وافرادها بالذكر مع اندراجها في
الايات لما انها ام اياته عليه السلام واولاها وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها ثعبانا وتلقفها ما افكته
السحرة حسبما فصل في تفسير سورة طه واما التعرض لانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربها وحراستها
وصيرورتها شمعة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشاء وغير ذلك مما ظهر منها من قبل ومن بعد في غير مشهد فرعون
وقومه غير ملائم لمقتضى المقام واما نفس الايات كقوله الى الملك القرم وابن الهمام الى آخره عبر عنها بذلك على طريقة
العطف تنبيها على جمعها لعنوانين جليلين وتنزيلا لتغايرهما منزلة التغاير الذاتي الى فرعون وملائه اي اشراف قومه
خصوا بالذكر لان ارسال بني اسرائيل منوط بارائهم لا بآراء اعقابهم فاستكبروا عن الانقياد وتمردوا وكانوا قوما عالين
متكبرين متمردين فقالوا عطف على استكبروا وما بينهما اعتراض مقرر للاستكبار اي كانوا قوما عادتهم الاستكبار
والتمرد اي قالوا فيما بينهم بطريق المناصحة انؤمن لبشرين مثلنا ثني البشر لانه يطلق على الواحد كقوله تعالى بشرا
سويا كما يطلق على الجمع كما في قوله تعالى فاما ترين من البشر احدا ولم يثن المثل نظرا الى كونه في حكم المصدر وهذه
القصص كما ترى تدل على ان مدار شبه المنكرين للنبوة قياس حال الانبياء على احوالهم على جهلهم بتفاصيل شؤون
الحقيقة البشرية وتباين طبقات افرادها في مراقي الكمال ومهاوي النقصان بحيث يكون بعضها في اعلى عليين
وهم المختصون بالنفوس الزكية المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقون لصفاء جوهرهم بكلا العالمين الروحاني
والجسماني يتلقون من جانب ويلقون الى جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق و
بعضها في اسفل سافلين كاولئك الجهلة الذين هم كالانعام بل هم اضل سبيلا وقومهما يعنون بني اسرائيل لنا
عابدون اي خادمون منقادون لنا كالعبيد وكانهم قصدوا بذلك التعريض بشانهما عليهما السلام وحط رتبتهما العلية

عن منصب الرسالة من وجه آخر غير البشرية واللام في لنا متعلقة بعابدون قدمت عليه رعاية للفواصل والجملة حال
من فاعل نؤمن مؤكدة لانكار الايمان لهما بناء على زعمهم الفاسد المؤسس على قياس الرياسة الدينية من المال والجاه
كدأب قريش حيث قالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وجهلهم بان
مناط الاصطفاء للرسالة هو السبق في حيازة ما ذكر من النعوت العلية واحراز الملكات السنية جبلة واكتسابا فكذبوهما
اي فتموا على تكذيبهما واصروا واستكبروا استكبارا فكانوا من المهلكين بالغرق في بحر قلزم ولقد آتينا اي بعد اهلاكهم
وانجاء بني اسرائيل من ملكهم موسى الكتاب اي التورية وحيث كان ايتاؤه عليه السلام اياها لارشاد قومه الى الحق
كما هو شأن الكتب الالهية جعلوا كانهم اوتوها فقيل لعلهم يهتدون اي الى طريق الحق بالعمل بما فيها من الشرائع و
الاحكام وقيل اريد آتينا قوم موسى فحذف اليه مقامه كما في قوله تعالى على خوف من فرعون وملائهم ولا سبيل الى
عود الضمير الى فرعون وقومه لظهور ان التورية انما نزلت بعد اغراقهم لبني اسرائيل واما الاستشهاد على ذلك
بقوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى مما لا سبيل اليه ضرورة ان ليس المراد بالقرون
الاولى ما يتناول قوم فرعون بل المراد من قبلهم من الامم المهلكة خاصة كقوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط كما
سيأتي في سورة القصص وجعلنا ابن مريم وامه آية واية آية دالة على عظيم قدرتنا بولادته من غير مسيس بشر
فالاية امر واحد نسب اليهما او جعلنا ابن مريم اية بان تكلم في المهد فظهرت منه معجزات جمة وامه اية بانها ولدت من غير
مسيس فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها والتعبير عنهما بما ذكر من العنوانين وهما كونه عليه السلام ابنها وكونها
امه عليه السلام للايذان من اول الامر بحيثية كونهما اية فان نسبته عليه السلام اليها مع ان النسب الى الاباء
دالة على ان لا اب له اي جعلنا ابن مريم وحدها من غير ان يكون له اب وامه التي ولدته خاصة من غير مشاركة الاب اية
وتقديمه عليه السلام لاصالته فيما ذكر من كونه اية كما ان تقديم امه في قوله تعالى وجعلناها وابنها اية للعالمين
لاصالتها فيما نسب اليها من الاحصان والنفخ وآويناهما الى ربوة اي ارض مرتفعة قيل هي ايليا ارض بيت المقدس فلسطين
فانها مرتفعة وانها اقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا على ما يروى عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وقيل
الرملة وقيل مصر فان قراها على الربا وقرئ بكسر الراء وضمها ورباوة بالضم والكسر ذات قرار مستقر من ارض
منبسطة سهلة يستقر عليها ساكنوها وقيل ذات ثمار وزروع لاجلها يستقر عليها ساكنوها ومعين اي وماء
معين ظاهر جار فعيل من معن الماء اذا جرى واصله الابعاد في المشي او من الماعون وهو النفع لانه نفاع او مفعول
من عانه اذا ادركه بالعين فانه لظهوره يدرك بالعيون وصف ماءها بذلك للايذان بكونه جامعا لفنون
المنافع من الشرب وسقي ما يسقى من الحيوان والنبات بغير كلفة والتنزه بمنظره المونق يا ايها الرسل كلوا من الطيبات
حكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه الاجمال لما خوطب به كل رسول في عصره جيء بها اثر حكاية ايواء
عيسى عليه السلام وامه الى الربوة ايذانا بان ترتيب مبادي التنعم لم يكن من خصائصه عليه السلام بل اباحة
الطيبات شرع قديم جرى عليه جميع الرسل عليهم السلام ووصوا به اي وقلنا لكل رسول كل من الطيبات واعمل صالحا
فعبر عن تلك الاوامر المتعددة المتعلقة بالرسل بصيغة الجمع عند الحكاية اجمالا للايجاز وفيه من الدلالة على بطلان
ما عليه الرهبانية من رفض الطيبات ما لا يخفى وقيل حكاية لما ذكر لعيسى عليه السلام وامه عند ايوائهما الى
الربوة ليقتدي بالرسل في تناول ما رزقا وقيل نداء وخطاب له والجمع للتعظيم وعن الحسن ومجاهد وقتادة
والسدي والكلبي رحمهم الله تعالى انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحده على دأب العرب في مخاطبة
الواحد بلفظ الجمع وفيه ابانة لفضله وقيامه مقام الكل في حيازة كمالاتهم والطيبات ما يستطاب ويستلذ
به من مباحات المآكل والفواكه حسبما ينبئ عنه سياق النظم الكريم فالامر للترفيه واعملوا صالحا اي عملا صالحا
فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم اني بما تعملون من الاعمال الظاهرة والباطنة عليم فاجازيكم عليه وان
هذه استيناف داخل فيما خوطب به الرسل عليهم السلام على الوجه المذكور مسوق لبيان ان ملة الاسلام

والتوحيد ما امر به كافة الرسل والامم وانما اشير اليها بهذه للتنبيه على كمال ظهور امرها في الصحة والسداد وانتظامها
بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة امتكم اي ملتكم وشريعتكم ايها الرسل امة واحدة اي ملة وشريعة
متحدة في اصول الشرائع التي لا تتبدل بتبدل الاعصار وقيل هذه اشارة الى الامم المؤمنة للرسل والمعنى
ان هذه جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد في العبادة وانا ربكم من غير ان يكون لي شريك
في الربوبية وضمير المخاطب في قوله تعالى فاتقون اي في شق العصا والمخالفة بالاخلال بمواجب ما ذكر من اختصاص
الربوبية بي للرسل والامم جميعا على ان الامر في حق الرسل للتهييج والالهاب وفي حق الامم للتحذير والايجاب والفاء
لترتيب الامر او وجوب الامتثال به على ما قبله من اختصاص الربوبية به تعالى واتحاد الامة فان كلا منهما موجب
للاتقاء حتما وقرئ وان هذه بفتح الهمزة على حذف اللام اي ولان هذه امتكم وانا ربكم فاتقون اي اتقوا فاتقون
كما في قوله تعالى فاياي فارهبون وقيل العطف على ما اي اني عليم بان امتكم امة واحدة وقيل على حذف فعل
عامل فيه اي واعلموا ان هذه امتكم الخ وقرئ وان هذه على انها مخففة من ان فتقطعوا امرهم حكاية
لما ظهر من امم الرسل بعدهم من مخالفة الامر وشق العصا والضمير لما دل عليه الامة من اربابها او لها على التفسيرين
والفاء لترتيب عصيانهم على الامر لزيادة تقبيح حالهم اي تقطعوا امر دينهم مع اتحاده وجعلوه قطعا متفرقة
واديانا مختلفة بينهم زبرا اي قطعا جمع زبور بمعنى المفرقة ويؤيده قراءة زبر بفتح الباء جمع زبرة وهو حال
من امرهم او من واو تقطعوا او مفعول ثان له فانه متضمن لمعنى جعلوا وقيل كتبا فيكون مفعولا ثانيا او حالا
من امرهم على تقدير المضاف اي مثل زبر وقرئ بتخفيف الباء كرسل في رسل كل حزب من اولئك المتحزبين
بما لديهم من الدين الذي اختاروه فرحون معجبون معتقدون انه حق فذرهم في غمرتهم شبه ما هم فيه من الجهالة
بالماء الذي يغمر القامة لانهم مغمورون بها وقرئ غمراتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والفاء
لترتيب الامر بالترك على ما قبله من كونهم فرحين بما لديهم لان انهماكهم فيما هم فيه واصرارهم عليه من مخايل
كونهم مطبوعا على قلوبهم اي اتركهم على حالهم حتى حين اي حين قتلهم او موتهم على الكفر فهو وعيد لهم بعذاب
الآخرة والدنيا وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونهي له عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تأخيره
والتنكير والابهام ما لا يخفى من التهويل ايحسبون انما نمدهم به اي نعطيهم اياه ونجعله مددا لهم فما موصولة وقوله تعالى من
مال وبنين بيان لها وتقديم المال على البنين مع كونهم اعز منه وقد مر وجهه في سورة الكهف لا خبرا لان وانما الخبر قوله تعالى
نسارع لهم في الخيرات على حذف الراجع الى الاسم اي ايحسبون ان الذي نمدهم به من المال والبنين نسارع لهم به فيما فيه خيرهم
واكرامهم على ان الهمزة لانكار الواقع واستقباحه وقوله تعالى بل لا يشعرون عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي كلا لا نفعل
ذلك بل لا يشعرون بشيء اصلا كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتأملوا ويعرفوا ان ذلك الامداد استدراج لهم واستجرار
الى زيادة الاثم وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل ان يكون
فيهما ضمير الممد به وقرئ يسارع مبنيا للمفعول ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون استئناف مسوق لبيان من له المسارعة
في الخيرات اثر اقناط الكفار عنها وابطال حسبانهم الكاذب اي من خوف عذابه حذرون والذين هم بآيات ربهم المنصوبة
والمنزلة يؤمنون بتصديق مدلولها والذين هم بربهم لا يشركون شركا جليا ولا خفيا ولذلك اخر عن الايمان بالآيات
والتعرض لعنوان الربوبية في المواقع الثلاثة للاشعار بعليتها للاشفاق والايمان وعدم الاشراك والذين يؤتون
ما آتوا اي يعطون ما اعطوا من الصدقات وقرئ يأتون ما اتوا اي يفعلون ما فعلوا من الطاعات وايا ما كان
فصيغة الماضي في الصلة الثانية للدلالة على التحقيق كما ان صيغة المضارع في الاولى للدلالة على الاستمرار وقلوبهم
وجلة حال من فاعل يؤتون او يأتون اي يؤتون ما آتوه او يفعلون من العبادات ما فعلوه والحال ان قلوبهم خائفة
لشدة الخوف انهم الى ربهم راجعون اي من ان رجوعهم اليه عز وجل على ان مناط الوجل ان لا يقبل منهم ذلك وان
لا تقع على الوجه اللائق فيؤاخذوا به لا مجرد رجوعهم اليه تعالى وقيل لان مرجعهم اليه تعالى والموصولات

الاربعة عبارة عن طائفة واحدة متصفة بما ذكر في حيز صلاتها من الاوصاف الاربعة لا عن طوائف كل واحدة
منها متصفة بواحد من الاوصاف المذكورة كانه قيل ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون وبآيات ربهم يؤمنون
الى آخره وانما كرر الموصول ايذانا باستقلال كل واحدة من تلك الصفات بفضيلة باهرة على حيالها لا استقلالها لمنزلة
استقلال الموصوف بها اولئك اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بها وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد رتبتهم في
الفضل اي اولئك المنعوتون بما فصل من النعوت الجليلة خاصة دون غيرهم يسارعون في الخيرات اي في نيل الخيرات
التي من جملتها الخيرات الموعودة على الاعمال الصالحة كما في قوله تعالى فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة
وقوله تعالى وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين فقد اثبت لهم ما نفي عن اضدادهم خلا انه غير
الاسلوب حيث لم يقل اولئك نسارع لهم في الخيرات اسند المسارعة اليهم ايماء الى كمال استحقاقهم الخيرات بمحاسن
اعمالهم وايثار كلمة في على كلمة الى للايذان بانهم متقلبون في فنون الخيرات لا انهم خارجون عنها متوجهون اليها
بطريق المسارعة كما في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الآية وهم لها سابقون اي اياها سابقون
واللام لتقوية العمل كما في قوله تعالى هم لها عاملون اي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا وقيل
المراد بالخيرات الطاعات والمعنى يرغبون في الطاعات والعبادات اشد الرغبة وهم لاجلها فاعلون السبق او
لاجلها سابقون الناس والاول هو الاولى ولا نكلف نفسا الا وسعها جملة مستأنفة سيقت للتحريض
على ما وصف به السابقون من فعل الطاعات المؤدي الى نيل الخيرات ببيان سهولته وكونه غير خارج عن حد الوسع والطاقة
اي عادتنا جارية على ان لا نكلف نفسا من النفوس الا ما في وسعها على ان المراد استمرار النفي بمعونة المقام لا نفي
الاستمرار كما مر مرارا او للترخيص فيما هو قاصر عن درجة اعمال اولئك الصالحين ببيان انه تعالى لا يكلف عباده
الا ما في وسعهم فان لم يبلغوا في فعل الطاعات مراتب السابقين فلا عليهم بعد ان يبذلوا طاقتهم ويستفرغوا
وسعهم قال مقاتل من لم يستطع القيام فليصل قاعدا ومن لم يستطع القعود فليوم وقوله تعالى ولدينا كتاب
الى آخره تتمة لما قبله ببيان احوال ما كلفوه من الاعمال واحكامها المترتبة عليها من الحساب والعقاب والثواب
والمراد بالكتاب صحائف الاعمال التي يقرؤونها عند الحساب حسبما يعرب عنه قوله تعالى ينطق بالحق كقوله تعالى
هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون اي عندنا كتاب قد اثبت فيه اعمال السابقين والمقتصدين
جميعا الا انه اثبت فيه اعمال كل احد اعمال الاولين واهل اعمال الآخرين ففيه قطع معذرتهم ايضا وقوله بالحق
متعلق بينطق اي يظهر الحق المطابق للواقع على ما هو عليه ذاتا ووصفا ويبينه للناظر كما يبينه النطق ويظهره للسامع
فيظهر هناك جلائل اعمالهم ودقائقها ويرتب عليها اجزيتها ان خيرا فخير وان شرا فشر وقوله تعالى وهم لا
يظلمون بيان لفضله تعالى وعدله في الجزاء اثر بيان لطفه في التكليف وكتب الاعمال اي لا يظلمون في الجزاء
بنقص ثواب او زيادة عقاب بل يجزون بقدر اعمالهم التي كلفوها ونطقت بها صحائفها بالحق وقد جوز ان يكون
تقريرا لما قبله من التكليف وكتب الاعمال اي لا يظلمون بتكليف ما ليس في وسعهم ولا بعدم كتب بعض اعمالهم
من جملتها اعمال المقتصدين بناء على قصورها عن درجة اعمال السابقين بل يكتب كلا منها على مقاديرها وطبقاتها
والتعبير عما ذكر من الامور بالظلم مع ان شيئا منها ليس بظلم على ما تقرر من ان الاعمال الصالحة لا توجب اصل
الثواب فضلا عن ايجاب مرتبة معينة منه حتى يعد الاثابة بما دونها نقصا وكذلك الاعمال السيئة لا توجب
درجة معينة من العذاب حتى يعد التعذيب بما فوقها زيادة وكذا تكليف ما في الوسع وكتب الاعمال ليس مما
يجب عليه سبحانه حتى يعد تركها ظلما لكمال تنزيه ساحة السبحان عنها بتصويرها بصورة ما يستحيل صدوره
عنه تعالى وتسميتها باسمه وقوله تعالى بل قلوبهم في غمرة من هذا اضراب عما قبله والضمير للكفرة لا للكل كما قبله
اي بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها من هذا الذي بين في القرآن من ان لدينا كتابا ينطق بالحق ويظهر لهم اعمالهم
السيئة على رؤوس الاشهاد فيجزون بها كما ينبئ عنه ما سيأتي من قوله تعالى قد كانت آياتي تتلى عليكم الى آخره

وقيل مما عليه اولئك الموصوفون بالاعمال الصالحة **ولهم اعمال** سيئة كثيرة **من دون ذلك** الذي ذكر من كون قلوبهم في غفلة عظيمة مما ذكر وهي فنون كفرهم ومعاصيهم التي من جملتها ما سيأتي من طعنهم في القرآن حسبما ينبئ عنه قوله تعالى مستكبرين به سامرا تهجرون وقيل متخطية لما وصف به المؤمنون من الاعمال الصالحة المذكورة وفيه انه لا مزية في وصف اعمالهم الخبيثة بالتخطي للاعمال الحسنة للمؤمنين وقيل متخطية عما هم عليه من الشرك ولا يخفى بعده لعدم جريان ذكره **هم لها عاملون** مستمرون عليها معتادون فعلها ضارون بها لا يكادون يبرحونها **حتى اذا اخذنا مترفيهم** اي متنعميهم وهم الذين امدهم الله تعالى بما ذكر من المال والبنين وحتى مع كونها غاية لاعمالهم المذكورة مبتدأ لما بعدها من مضمون الشرطية اي لا يزالون يعملون اعمالهم الى حيث اذا اخذناهم وساءتهم **بالعذاب** وقيل هو القتل والاسر يوم بدر وقيل هو الجوع الذي اصابهم حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فقحطوا حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحرقة والحق انه العذاب الاخروي اذ يفاجئون عنده بالجؤار فيجابون بالرد والاقناط من النصر واما عذاب يوم بدر فلم يوجد لهم جؤار حسبما ينبئ عنه قوله تعالى اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون فان المراد بهذا العذاب ما جرى عليهم يوم بدر من القتل والاسر حتما واما عذاب الجوع فان ابا سفيان وان تضرع فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن لم يرد عليه بالاقناط حيث روي انه عليه الصلوة والسلام دعا بكشفه فكشف عنهم ذلك **اذا هم يجأرون** اي فاجؤا الصراخ بالاستغاثة من الله عز وجل كقوله تعالى فاليه تجأرون وهو جواب الشرط وتخصيص مترفيهم بما ذكر من الاخذ بالعذاب في مفاجأة الجؤار مع عمومه لغيرهم ايضا لغاية ظهور انعكاس حالهم وانتكاس امرهم وكون ذلك اشق عليهم ولانهم مع كونهم متنعمين محميين بحماية غيرهم من المنعة والحشم حيث لقوا ما لقوا من الحالة الفظيعة فلأن يلقاها من عداهم من الحماة والخدم اولى واقدم **لا تجأروا اليوم** على اضمار القول مسوقا لردهم وتبكيتهم واقناطهم عما علقوا به اطماعهم الفارغة من الاغاثة والاعانة من جهته تعالى وتخصيص اليوم بالذكر والايذان بتفويتهم وقت الجؤار وقد جوز كونه جواب الشرط وانت خبير بان المقصود الاصلي في الجملة الشرطية هو الجؤار فيؤدي ذلك الى ان يكون مفاجأتهم الى الجؤار غير مقصود اصلي وقوله تعالى **انكم منا لا تنصرون** تعليل للنهي عن الجوار ببيان عدم افادته ونفعه اي لا يلحقكم من جهتنا نصرة تنجيكم مما مسكم وقيل لا تغاثون ولا تمنعون منا ولا يساعده سياق النظم الكريم لان جؤارهم ليس الى غيره تعالى حتى يرد عليهم بعدم منصوريتهم من جهته تعالى ولا سياقه فان قوله تعالى **قد كانت اياتي تتلى عليكم** الى آخره صريح في انه تعليل لما ذكرنا من عدم لحوق النصر من جهته تعالى بسبب كفرهم بالايات ولو كان النصر المنفي متوهما من الغير لعلل بعجزه وذلة اي قد كانت اياتي تتلى عليكم في الدنيا **فكنتم على اعقابكم تنكصون** اي تعرضون عن سماعها اشد الاعراض فضلا عن تصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع قهقرى **مستكبرين به** اي بالبيت الحرام والاضمار قبل الذكر لاشتهار استكبارهم وافتخارهم بانهم خدامه وقوامه وبكتابي الذي عبر عنه باياتي على تضمين الاستكبار معنى التكذيب او لان استكبارهم على المسلمين قد حدث استماعه ويجوز ان يتعلق الباء بقوله تعالى **سامرا** اي يسمرون بذكر القرآن والطعن فيه حيث كانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا والسامر كالحاضر في الاطلاق على الجمع وقيل هو مصدر جاء على لفظ الفاعل وقرئ سمرا وسمارا وان يتعلق بقوله تعالى **تهجرون** من الهجر بالفتح بمعنى الهذيان او الترك اي تهذون في شأن القرآن او تتركونه او من الهجر بالضم وهو الفحش ويؤيده قراءة تهجرون من اهجر في منطقه اذا فحش فيه وقرئ تهجرون من الهجر الذي هو مبالغة في هجر اذا هذى **افلم يدبروا القول** الهمزة لانكار الواقع واستقباحه والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي فعلوا ما فعلوا من النكوص والاستكبار والهجر فلم يتدبروا القرآن ليعرفوا بما فيه من اعجاز النظم وصحة المدلول والاخبار عن الغيب انه الحق من ربهم فيؤمنوا به فضلا عما فعلوا في شأنه من القبائح وام في قوله تعالى **ام جاءهم ما لم يأت اباءهم الاولين**

منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال عن التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ باخر والهمزة لانكار الوقوع لا لانكار الواقع اي بل اجاءهم من الكتاب ما لم يأت اباءهم الاولين حتى استبعدوه واستبدعوه فوقعوا فيما وقعوا فيه من الكفر والضلال يعني ان مجيء الكتب من جهته تعالى الى الرسل عليهم السلام سنة قديمة له تعالى لا يكاد يتسنى انكاره وان مجيء القرآن على طريقته فمن اين ينكرونه وقيل ام جاءهم من الامن من عذابه تعالى ما لم يأت اباءهم الاولين كاسماعيل عليه السلام واعقابه من عدنان وقحطان وربيعة ومضر وقس والحارث بن كعب واسد بن خزيمة وتميم بن مرة وتبع وضبة بن اد فامنوا به تعالى وبكتبه ورسله واطاعوه **ام لم يعرفوا رسولهم** اضراب وانتقال من التوبيخ بما ذكر الى توبيخ بوجه آخر والهمزة لانكار الوقوع ايضا بل لم يعرفوه عليه الصلوة والسلام بالامانة والصدق وحسن الاخلاق وكمال العلم مع عدم التعلم من احد وغير ذلك مما حازه من الكمالات اللائقة بالانبياء عليهم السلام **فهم له منكرون** اي جاحدون بنبوته فجحودهم بها مترتب على عدم معرفتهم بشأنه عليه الصلوة والسلام ومن ضرورة انتفاء المبني بطلان ما بنوا عليه فهم غير عارفين له عليه الصلوة والسلام فهو تأكيد لما قبله **ام يقولون به جنة** انتقال الى توبيخ آخر والهمزة لانكار الواقع كالاولى اي بل ايقولون به جنة اي جنون مع انه ارجح الناس عقلا واسبقهم ذهنا واتقنهم رأيا واوفرهم رزانة ولقد روعي في هذه التوبيخات الاربعة التي اثنان منها متعلقان بالقرآن والباقيان به عليه الصلوة والسلام الترقي من الادنى الى الاعلى حيث وبخوا اولا بعدم التدبر وذلك يتحقق مع كون القول غير معترض له بوجه من الوجوه ثم وبخوا بشيء لو اتصف به القول لكان سببا لعدم تصديقهم به ثم وبخوا بما يتعلق بالرسول صلى الله عليه وسلم من عدم معرفتهم به عليه الصلاة والسلام وذلك يتحقق بعدم المعرفة بخير ولا شر ثم بما لو كان فيه عليه الصلاة والسلام ذلك لقدح في رسالته عليه الصلاة والسلام **بل جاءهم بالحق** اضراب عما يدل عليه ما سبق اي ليس الامر كما زعموا في حق القرآن والرسول عليه الصلاة والسلام بل جاءهم عليه الصلاة والسلام بالحق اي الصدق الثابت الذي لا محيد عنه اصلا ولا مدخل للباطل فيه بوجه من الوجوه **واكثرهم للحق** من حيث هو حق اي حق كان لا لهذا الحق فقط كما ينبئ عنه الاظهار في موضع الاضمار **كارهون** بما في جبلتهم من الزيغ والانحراف المناسب للباطل ولذلك كرهوا هذا الحق الابلج وزاغوا عن الطريق الانهج وتخصيص اكثرهم بهذا الوصف لا يقتضي الا عدم كراهة الباقين لكل حق من الحقوق وذلك لا ينافي كراهتهم لهذا الحق البين فتأمل وقيل تقييد الحكم بالاكثر لان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه او لقلة فطنته وعدم تفكره لا لكراهة الحق وانت خبير بان التعرض لعدم كراهة بعضهم للحق مع اتفاق الكل على الكفر به مما لا يساعده المقام اصلا **ولو اتبع الحق اهواءهم** استيناف مسوق لبيان ان اهواءهم الزائغة التي ما كرهوا الحق الا لعدم موافقته اياها مقتضية للطامة اي لو كان ما كرهوا من الحق الذي من جملته ما جاء به عليه الصلاة والسلام موافقا لاهوائهم الباطلة **لفسدت السموات والارض ومن فيهن** وخرجت عن الصلاح والانتظام بالكلية لان مناط النظام ليس الا ذلك وفيه من تنويه شأن الحق والتنبيه على سمو مكانه ما لا يخفى واما ما قيل لو اتبع الحق الذي جاء به عليه الصلاة والسلام اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيامة ولاهلك اهل العالم ولم يؤخر نفيه انه لا يلائم فرض مجيئه عليه الصلاة والسلام به وكذا ما قيل لو كان في الواقع الهان لا يناسب المقام واما ما قيل لو اتبع الحق اهواءهم لخرج عن الالهية ما لا احتمال له اصلا **بل اتيناهم بذكرهم** انتقال من تشنيعهم بكراهة الحق الذي يقوم به العالم الى تشنيعهم بالاعراض عما جبل عليه كل نفس من الرغبة فيما فيه خيرها والمراد بالذكر القرآن الذي هو فخرهم وشرفهم حسبما ينطق به قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك اي بل اتيناهم بفخرهم وشرفهم الذي كان يجب عليهم ان يقبلوا عليه اكمل اقبال **فهم** بما فعلوا من النكوص **عن ذكرهم** اي فخرهم وشرفهم **معرضون** لا عن غير ذلك مما لا يوجب الاقبال عليه والاعتناء به وفي وضع الظاهر موضع الضمير مزيد تشنيع لهم وتقريع والفاء لترتيب ما بعدها من اعراضهم عن ذكرهم على ما قبلها من ايتاء ذكرهم لا لترتيب الاعراض على الايتاء مطلقا فان المستتبع لكون اعراضهم عن ذكرهم هو ايتاء ذكرهم لا الايتاء مطلقا وفي اسناد الايتان بالذكر الى نون العظمة بعد اسناده الى غيره عليه الصلوة والسلام تنويه لشأن النبي عليه الصلاة والسلام وتنبيه على كونه

على ما قبلها من ايتاء ذكرهم لا لترتيب الاعراض على الايتاء مطلقا فان المستتبع لكون اعراضهم عن ذكرهم
ضهم
صح

بمثابة عظيمة منه عز وجل في ايراد القران العظيم عند نسبته اليه عليه الصلوة والسلام بعنوان الحقيقة
وعند نسبته اليه تعالى بعنوان الذكر من النكتة السرية والحكمة العبقرية ما لا يخفى فات التصريح بحقيته المستلزمة
لحقية من جاء به هو الذي يقتضيه مقام حكاية ما قاله المبطلون في شانه واما التشريف فانما يليق به تعالى
لا سيما رسول الله صلى الله عليه وسلم احدى الشرفين **وقيل** المراد بالذكر ما تمنوه بقولهم لو ان عندنا ذكرا من
الاولين وقيل وعظهم وايد ذلك بانه قرئ بذكراهم والتشنيع على الاولين اشد فان الاعراض عن وعظهم ليس في
مثابة اعراضهم عن شرفهم او عن ذكرهم الذي يتمنونه في الشناعة والقباحة **ام تسألهم** انتقال من توبيخهم بما ذكر
من قولهم ام يقولون به جنة الى التوبيخ بوجه آخر كانه قيل ام يزعمون انك تسالهم على اداء الرسالة **خرجا** اي جعلا فلاجل
ذلك لا يومنون بك وقوله تعالى **فخراج ربك خير** اي رزقه في الدنيا والعقبى خير لك من ذلك والتعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلوة والسلام تعليل الحكم وتشريفه عليه الصلاة والسلام ما لا يخفي
والخرج باذاء الدخل يقال لكل شيء تخرجه الى غيرك والخراج غالب في الضريبة على الارض **وقيل** الخراج ما تبرعت
به والخراج ما لزمك وقيل الخرج اخص من الخراج ففي النظم الكريم اشعار بالكثرة واللزوم **وقرئ** خرجا فخرج و
خراجا فخراج **وهو خير الرازقين** تقرير لخيرية خراجه **وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم** تشهد العقول السليمة
باستقامته ليس فيه شائبة اعوجاج توهم اتهامهم لك بوجه من الوجوه ولقد الزمهم الله عز وجل وازاح
عنهم في هذه الايات حيث حصر اقسام ما يودي الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها ما عدا كراهتهم للحق وقلة فطنتهم
وان الذين لا يومنون بالاخرة وصفوا بذلك تشنيعا لهم بما هم عليه من الانهماك في الدنيا وزعمهم ان لا حيوة
الا الحيوة الدنيا واشعار بعلة الحكم فان الايمان بالاخرة وخوف ما فيها من الدواهي من اقوى الدواعي
الى طلب الحق وسلوك سبيله **عن الصراط** عن جنس الصراط **لناكبون** لعادلون فضلا عن الصراط المستقيم او
فضلا عن الصراط المستقيم الذي تدعوهم اليه والاول ادل على كمال ضلالهم وغاية غوايتهم لانه ينبئ عن كون
ما ذهبوا اليه مما لا يطلق عليه اسم الصراط ولو كان معوجا **ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر** قحط وجدب
للجوا لتمادوا **في طغيانهم** افراطهم في الكفر والاستكبار وعداوة الرسول صلى الله عليه وسلم والمومنين
يعمهون اي عامهين عن الهدى **روي** انه لما اسلم ثمامة بن اثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة من
اهل مكة واخذهم الله تعالى بالسنين حتى اكلوا العلهز جاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال له انشدتك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين قال بلى فقال قتلت الاباء بالسيف
والابناء بالجوع فنزلت والمعنى لو كشفنا عنهم ما اصابهم من القحط والهزال برحمتنا اياهم ووجدوا الخصب
لارتدوا الى ما كانوا عليه من الافراط في الكفر والاستكبار ولذهب عنهم هذا التملق والابلاس وقد
كان كذلك وقوله تعالى **ولقد اخذناهم بالعذاب** استيناف مسوق للاستشهاد على مضمون الشرطية
والمراد بالعذاب ما نالهم يوم بدر من القتل والاسر وما اصابهم من فنون العذاب من جملتها القحط المذكور
واللام جواب قسم محذوف اي وتالله لقد اخذناهم بالعذاب **فما استكانوا لربهم** بذلك اي لم يخضعوا
ولم يتذللوا على انه اما استفعال من الكون لان الخاضع ينتقل من كون الى كون او افتعال من السكون
قد اشبعت فتحته كمنتزاح في منتزح بل اقاموا على ما كانوا عليه من العتو والاستكبار وقوله تعالى **وما
يتضرعون** اعتراض مقرر لمضمون ما قبله وليس من عادتهم التضرع اليه تعالى **حتى اذا فتحنا عليهم بابا
ذا عذاب شديد** هو عذاب الاخرة كما ينبئ عنه التهويل بفتح الباب والوصف بالشدة **وقرئ** فتحنا
بالتشديد **اذا هم فيه مبلسون** اي متحيرون آيسون من كل خير اي محناهم بكل محنة من القتل والاسر والجوع وغير
ذلك فما روي عنهم لين مقادة وتوجه الى الاسلام قط واما ما اظهره ابو سفيان فليس من الاستكانة
له تعالى والتضرع اليه تعالى في شيء انما هو نوع خضوع الى ان يتم امره وغرضه فحاله كما قيل اذا جا

صفا واذا

صفا واذا شبع طغى واكثرهم مستمرون على ذلك الى ان يروا عذاب الاخرة فحينئذ يبلسون **وقيل** المراد بالباب الجوع
فانه اشد واعم من القتل والاسر والمعنى اخذناهم اولا بما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم واسرهم فما وجد منهم
تضرع واستكانة حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو اطم واتم فابلسوا الساعة وخضعت رقابهم وجاءك اعتاهم
واشدهم شكيمة في العناد يستعطفك والوجه هو الاول **وهو الذي انشا لكم السمع والابصار** لتشاهدوا بها الايات
التنزيلية والتكوينية **والافئدة** لتتفكروا واما تشاهدونها وتعتبروا اعتبارا لائقا **قليلا ما تشكرون** اي شكرا قليلا
غير معتد به تشكرون تلك النعم الجليلة لما ان الشكر صرف تلك القوى التي هي في انفسها نعم باهرة الى ما خلقت
هي له وانتم تخلون بذلك اخلالا عظيما **وهو الذي ذراكم في الارض** اي خلقكم وبثكم فيها بالتناسل **واليه تحشرون** اي
تجمعون يوم القيمة بعد تفرقكم لا الى غيره فما لكم لا تومنون به ولا تشكرونه **وهو الذي يحيي ويميت** من غير ان يشارك
في ذلك شيء من الاشياء **وله** خاصة **اختلاف الليل والنهار** اي هو المؤثر في اختلافهما او تعاقبهما واختلافهما ازديادا
وانتقاصا او لامره وقضائه اختلافهما **افلا تعقلون** اي الا تتفكرون فلا تعقلون او اتتفكرون فلا تعقلون
بالنظر والتامل ان الكل منا وان قدرتنا تعم جميع الممكنات التي من جملتها البعث وقيل يعقلون على ان الالتفات
الى الغيبة حكاية سوء حالهم لغيرهم وقيل على ان الخطاب الاول لتغليب المومنين وليس بذاك **بل قالوا**
عطف على مضمر يقتضيه المقام اي فلم يعقلوا بل قالوا **مثل ما قال الاولون** اي اباؤهم ومن دان بدينهم **قالوا
ءاذا متنا وكنا ترابا وعظاما ءانا لمبعوثون** تفسير لما قبله من المبهم وتفصيل لما فيه من الاجمال وقد مر الكلام فيه **لقد وعدنا
نحن واباؤنا هذا** اي البعث **من قبل** متعلق بالفعل من حيث اسناده الى ابائهم الاولين لا اليهم اي وعد اباؤنا
من قبل او بمحذوف وقع حالا من اباؤنا اي كائنين من قبل **ان هذا** اي ما هذا **الا اساطير الاولين** اي اكاذيبهم التي
سطروها جمع اسطورة كاحدوثة واعجوبة **وقيل** جمع اسطار جمع سطر **قل لمن الارض ومن فيها** من المخلوقات
تغليبا للعقلاء على غيرهم **ان كنتم تعلمون** جوابه محذوف ثقة بدلالة الاستفهام عليه اي ان كنتم تعلمون
شيئا ما فاخبروني به فان ذلك كاف في الجواب وفيه من المبالغة في وضوح الامر وفي تجهيلهم ما لا يخفى او ان كنتم
تعلمون ذلك فاخبروني به وفيه اشارة الى انهم وتقرير لجهلهم ولذلك اخبر بجوابهم قبل ان يجيبوا حيث قال
سيقولون لله لان بديهة العقل تضطرهم الى الاعتراف بانه تعالى خالقها **قل** اي عند اعترافهم بذلك تبكيتا لهم
افلا تذكرون اي اتعلمون ذلك او اتقولون ذلك فلا تتذكرون ان من فطر الارض ومن فيها ابتداء قادر على اعادتها
ثانيا فان البدء ليس باهون من الاعادة بل الامر بالعكس في قياس العقول وقرئ تتذكرون على الاصل **قل من رب
السموات السبع ورب العرش العظيم** اعيد الرب تنويها لشان العرش ورفعا لمحله من ان يكون تبعا للسموات وجودا
وذكرا ولقد روعي في الامر بالسوال وجودا والترقي من الادنى الى الاعلى **سيقولون لله** باللام نظرا الى معنى السوال
فان قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد وقرئ هو وما بعده بغير لام نظرا الى لفظ السوال **قل** افحاما لهم وتوبيخا
افلا تتقون اي اتعلمون ذلك ولا تتقون انفسكم عقابه بعدم العمل بموجب العلم حيث تكفرون به وتنكرون
البعث وتثبتون له شريكا في الربوبية **قل من بيده ملكوت كل شيء** مما ذكر ولم يذكر اي ملكه التام القاهر وقيل
خزائنه **وهو يجير** اي يغيث غيره اذا شاء **ولا يجار عليه** اي ولا يغيث احد عليه اي لا يمنع احد منه بالنصر
عليه **ان كنتم تعلمون** اي شيئا ما او ذلك فاجيبوني على ما سبق **سيقولون لله** اي لله ملكوت كل شيء وهو الذي يجير
ولا يجار عليه **قل فانى تسحرون** اي فمن اين تخدعون وتصرفون عن الرشد مع علمكم به الى ما انتم عليه من الغي فان
من لا يكون مسحورا مختل العقل لا يكون كذلك **بل اتيناهم بالحق** الذي لا محيد عنه من التوحيد والوعد بالبعث **وانهم
لكاذبون** فيما قالوا من الشرك وانكار البعث **ما اتخذ الله من ولد** كما يقوله النصارى والقائلون ان الملائكة بنات
الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا **وما كان معه من اله** يشاركه في الالوهية كما يقول عبدة الاوثان وغيرهم **اذن لذهب
كل اله بما خلق** جواب لمحاجتهم وجواب الشرط قد حذف لدلالة ما قبله عليه اي لو كان معه الهة كما يزعمون لذهب

كل واحد منهم بما خلقه واستبد وامتاز ملكه عن ملك الآخر ووقع بينهم التغالب والتحارب كما هو الجاري فيما بين الملوك ولعلا بعضهم على بعض فلم يكن بيده ملكوت كل شيء وهو باطل لا يقول به عاقل قط مع قيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب الوجود واحد بالذات سبحان الله عما يصفون اي يصفونه من ان يكون له اندادا واولادا عالم الغيب والشهادة بالجر على انه بدل من الجلالة وقيل صفة لها وقرئ بالرفع على انه خبر لمبتدا محذوف وايا ما كان فهو دليل اخر على انتفاء الشريك بناء على توافقهم في تفرده تعالى بذلك ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى فتعالى عما يشركون فان تفرده تعالى بذلك موجب لتعاليه عن ان يكون له شريك قل رب اما تريني اي ان كان لابد ان تريني ما يوعدون من العذاب الدنيوي المستاصل واما العذاب الاخروي فلا يناسبه المقام رب فلا تجعلني في القوم الظالمين اي قرينا لهم فيما هم فيه من العذاب وفيه ايذان بكمال فظاعة ما وعدوه من العذاب وكونه بحيث يجب ان يستعيذ منه من لا يكاد يمكن ان يحيق به ورد لانكارهم اياه واستعجالهم به على طريقة الاستهزاء به وقيل امر به عليه الصلوة والسلام هضما لنفسه وقيل لان شوم الكفرة قد يحيق بمن وراهم لقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وروي انه تعالى اخبر نبيه عليه الصلاة والسلام بان له في امته نقمة ولم يطلعه على وقتها فامره بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل من الشرط والجزاء لابراز كمال الضراعة والابتهال وانا على ان نريك ما نعدهم من العذاب لقادرون ولكنا نوخره لعلمنا بان بعضهم او بعض اعقابهم سيؤمنون اولا بانا لا نعذبهم وانت فيهم وفيه قد اراد ذلك وهو ما اصابهم يوم بدر او فتح مكة ولا بعد فات الميعاد ان يكون ما يستحقونه من العذاب الموعود غدا بابا ثلا مستاصلا لا يظهر على يديه عليه الصلوة والسلام للحكمة الداعية اليه ادفع بالتي هي احسن السيئة وهو الصفح عنها والاحسان في مقابلتها لكن لا بحيث يؤدي الى وهن الدين وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو الامر بالمعروف والسيئة المنكر وهو ابلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل وتقديم الجار والمجرور على المفعول في الموضعين للاهتمام نحن اعلم بما يصفون اي بما يصفونك به او بوصفهم اياك على خلاف ما انت عليه وفيه وعيد لهم بالجزاء والعقوبة وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وارشاد له عليه الصلوة والسلام الى تفويض امره اليه تعالى وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين اي وساوسهم المغرية على خلاف ما امرت به من المحاسن التي من جملتها دفع السيئة بالحسنة واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرايض شبه حثهم الناس على المعاصي بهمز الرايض الدواب على الاسراع والوثب والجمع للمرات او لتنويع الوساوس والتعدد المضاف اليه واعوذ بك رب ان يحضرون امر عليه الصلوة والسلام بان يتعوذ به تعالى من حضورهم بعد ما امر بالعوذ من همزاتهم للمبالغة في التحذير عن ملابستهم واعادة الفعل مع تكرير النداء لاظهار كمال الاعتناء بالمامور به وعرض نهاية الابتهال في الاستدعاء اي اعوذ بك من ان يحضروني ويحوموا حولي في حال من الاحوال وتخصيص حال الصلوة وقراءة القران كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وحال حلول الاجل كما روي عن عكرمة رضي الله عنه لانها احرى الاحوال بالاستعاذة حتى اذا جاء احدهم الموت حتى هي التي يبتدا بها الكلام دخلت الجملة الشرطية وهي مع ذلك غاية لما قبلها متعلقة بيصفون وما بينهما اعتراض موكد للاغضاء بالاستعاذة به تعالى من الشيطان ان يزلوه عليه الصلوة والسلام من الحلم ويغروه على الانتقام لكن لا بمعنى ان انه العامل فيه لفساد المعنى بل بمعنى انه معمول لمحذوف يدل عليه ذلك وتعلقها بكاذبون في غاية البعد لفظا ومعنى ويستمرون على الوصف المذكور حتى اذا جاء احدهم اي احد كان الموت الذي لا مرد له وظهرت له احوال الآخرة قال تحسرا على ما فرط فيه من الايمان والعمل الصالح والطاعة رب ارجعون اي ردوني الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعني كما قيل في قفا نبك ونظايره لعلي اعمل صالحا فيما تركت اي في الايمان الذي تركته لم ينظمه في سلك الرجا كسائر الاعمال الصالحة بقول لعلي او من فاعل الى الجرم للاشعار بانه امر مقرر الوقوع غني

عن الاجابة بوقوعه قطعا فضلا عن كونه مرجو الوقوع اي لعلي اعمل في الايمان التي اتي به البتة عملا صالحا وقيل فيما تركته من المال او من الدنيا وعنه عليه الصلاة والسلام اذا عاين المومن الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله تبارك وتعالى واما الكافر فيقول ارجعون كلا ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها انها اي قوله رب ارجعون كلمة هو قائلها لا محالة لتسلط الحسرة عليه ومن ورائهم اي امامهم والضمير لاحدهم والضمير باعتبار المعنى لانه في حكم كلهم كما ان الافراد في الضماير الاول باعتبار اللفظ برزخ حايل بينهم وبين الرجعة الى يوم يبعثون يوم القيمة وهو اقناط كلي على الرجعة الى الدنيا لما علم انه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجعة يومئذ الى الحيوة الاخروية فاذا نفخ في الصور لقيام الساعة وهي النفخة الثانية التي يقع عندها البعث والنشور وقيل المعنى فاذا نفخ في الاجساد ارواحها على ان الصور جمع الصورة لا القرن ويويده القراءة بفتح الواو وبه مع كسر الصاد فلا انساب بينهم تنفعهم لزوال التراحم والتعاطف من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه او لا انساب يفتخرون بها يومئذ كما هي بينهم اليوم ولا يتساءلون اي لا يسال بعضهم بعضا لاشتغال كل منهم بنفسه ولا يناقضه قوله تعالى فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون لان هذا عند ابتداء النفخة الثانية وذلك بعد ذلك فمن ثقلت موازينه موزونات حسناته من العقايد والاعمال الصالحة اي فمن كان له عقايد صحيحة واعمال صالحة يكون لها وزن وقدر عند الله تعالى فاولئك هم المفلحون الفائزون بكل مطلوب الناجون من كل مهروب ومن خفت موازينه ومن لم يكن له من العقايد والاعمال ما له وزن ولا قدر عنده تعالى وهم الكفار لقوله تعالى ولا نقيم لهم يوم القيمة وزنا وقد مر تفصيل هذا المقال من الكلام في تفسير سورة الاعراف فاولئك الذين خسروا انفسهم ضيعوها بتضييع زمان استكمالها وابطلوا استعدادها لنيل كمالها واسم الاشارة في الموضعين عبارة عن الموصول وجمعه باعتبار معناه كما ان افراد الضميرين في الصلتين باعتبار لفظه في جهنم خالدون بدل من الصلة او خبر ثان لاولئك تلفح وجوههم النار تحرقها واللفح كالنفح الا انه اشد تاثيرا منه وتخصيص الوجوه بذلك لانها اشرف الاعضاء فبيان حالها ازجر عن المعاصي المودية الى النار وهو السر في تقديمها على الفاعل وهم فيها كالحون من شدة الاحراق والكلوح تقلص الشفتين من الاسنان وقرئ كلحون الم تكن اياتي تتلى عليكم على اضمار القول اي يقال لهم تعنيفا وتوبيخا وتذكيرا لما به استحقوا ما ابتلوا به من العذاب الم تكن اياتي تتلى عليكم في الدنيا فكنتم بها تكذبون حينئذ قالوا ربنا غلبت علينا اي ملكتنا شقوتنا التي اقترفناها بسوء اختيارنا كما ينبئ عنه اضافتها الى انفسهم وقرئ شقوتنا بالفتح وشقاوتنا ايضا بالفتح والكسر وكنا بسبب ذلك قوما ضالين من الحق ولذلك فعلنا ما فعلنا من التكذيب وهذا كما ترى اعتراف منهم بان ما اصابهم قد اصابهم بسوء صنيعهم واما ما قيل انه اعتذار منهم بغلبة ما كتب عليهم من الشقاوة الازلية فمع انه باطل في نفسه لما انه لا يكتب عليهم من السعادة والشقاوة الا ما علم الله تعالى انهم يفعلونه باختيارهم ضرورة ان العلم تابع للمعلوم يرده قوله تعالى ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون اي اخرجنا من النار وارجعنا الى الدنيا فان عدنا بعد ذلك الى ما كنا عليه من المعاصي فانا متجاوزون الحد في الظلم ولو كان اعتقادهم انهم مجبورون على ما صدر عنهم لما سالوا الرجعة الى الدنيا ولما وعدوا الايمان والطاعة بل قولهم فان عدنا صريح في انهم حينئذ على الايمان والطاعة وانما الموعود على تقدير الرجعة الى الدنيا الثبات عليهما لا احداثهما قال اخسئوا فيها اي اسكتوا في النار سكوت هوان وذلوا وانزجروا انزجار الكلاب اذا زجرت من خسات الكلب اذا زجرته فخسا اي انزجر ولا تكلمون باستدعاء الاخراج من النار والرجع الى الدنيا وقيل لا تكلمون في رفع العذاب ويرده التعليل الآتي وقيل لا تكلمون راسا وهو اخر كلام يتكلمونه

ثم كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعوي كعوي الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون ويرده الخطابات الاتية قطعا
وقوله تعالى انه تعليل لما قبله من الزجر عن الدعاء اي ان الشان وقرئ بالفتح اي لان الشان كان فريق من عبادي وهم
المؤمنون وقيل هم الصحابة وقيل اهل الصفة رضوان الله عليهم اجمعين يقولون في الدنيا ربنا آمنا فاغفر لنا
وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا اي اسكتوا عن الدعا بقولكم ربنا اخرجنا لانكم كنتم تستهزؤون بالداعين بقولهم ربنا آمنا
وتشاغلون باستهزائهم حتى انسوكم اي الاستهزاء بهم ذكري من فرط اشتغالكم باستهزائهم وكنتم منهم تضحكون وذلك
غاية الاستهزاء وقوله تعالى اني جزيتهم اليوم استيناف لبيان حسن حالهم وانهم انتفعوا بما اذوهم بما صبروا بسبب
صبرهم على اذيتكم وقوله تعالى انهم هم الفائزون ثاني مفعول الجزاء اي جزيتهم فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به وقرئ
بكسر الهمزة على انه تعليل للجزاء وبيان لكونه في غاية ما يكون من الحسن قال اي الله عز وجل او الملك المامور بذلك تذكيرا لما
لبثوا فيها سألوا الرجوع اليه من الدنيا بعد التنبيه على استحالته بقوله اخسئوا فيها وقرئ قل على الامر للملك كم لبثتم
في الارض التي تدعون انكم ترجعون اليها عدد سنين تمييز لكم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم استقصارا لمدة لبثهم فيها فاسأل
العادين المتمكنين من العد فانا بما دهمنا من العذاب بمعزل من ذلك او الملائكة العادين لاعمار العباد واعمالهم وقرئ
بالتخفيف اي المتعدين فانهم ايضا يقولون ما نقول كانهم الاتباع يسمون الرؤسا بذلك لظلمهم اياهم باضلالهم وقرئ
العادين اي القدماء المعمرين فانهم ايضا يستقصرون مدة لبثهم قال اي الله تعالى او الملك وقرئ قل كما سبق ان لبثتم
الا قليلا تصديقا لهم في ذلك لو انكم كنتم تعلمون اي تعلمون شيئا او لو كنتم من اهل العلم والجواب محذوف ثقة بدلالة
ما سبق عليه اي لعلمتم يومئذ قلة لبثهم فيها كما علمتم اليوم ولعملتم بموجبه ولم تخلدوا اليها افحسبتم انما خلقناكم عبثا اي الم
تعلموا شيئا فحسبتم انما خلقناكم بغير حكمة بالغة حتى انكرتم البعث فعبثا حال من نون العظمة اي عابثين او مفعول له اي
انما خلقناكم للعبث وانكم الينا لا ترجعون عطف على انما فان خلقكم بغير بعث من قبيل العبث وانما خلقناكم لنعيدكم ونجازيكم
على اعمالكم وقرئ ترجعون بفتح التاء من الرجوع فتعالى الله استعظاما له تعالى ولشؤونه التي تصرف عليها عباده من
البدء والاعادة والاثابة والعقاب بموجب الحكمة البالغة اي ارتفع بذاته وتنزه عن مماثلة المخلوقين في ذاته وصفاته
واحواله وافعاله وعن خلو افعاله عن الحكم والمصالح والغايات الحميدة الملك الحق الذي يحق له الملك على الاطلاق ايجادا
واعداما بدأ واعادة احياء واماتة عقابا واثابة وكل ما سواه مملوك له مقهور تحت قهره وملكوته لا اله الا هو فان كل
ما عداه عبيده رب العرش الكريم فكيف بما تحته ومحاط به من الموجودات كائنا ما كان ووصفه بالكريم اما لانه منه
ينزل الوحي الذي منه القرآن الكريم والخير والبركة والرحمة او لنسبته الى اكرم الاكرمين وقرئ الكريم بالرفع على
انه صفة الرب كما في قوله تعالى ذو العرش المجيد ومن يدع مع الله الها آخر يعبده افرادا او اشراكا لا برهان له به
صفة لازمة لالها كقوله تعالى يطير بجناحيه جيء بها للتاكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على ان التدين بما لا دليل
عليه باطل فكيف من شهدت بديهة العقل بخلافه او اعتراض بين الشرط والجزاء كقولك من احسن الى زيد لا احق
منه بالاحسان فالله مثيبه فانما حسابه عند ربه فهو مجازيه على قدر ما يستحقه انه لا يفلح الكافرون اي
ان الشان الحاخر وقرئ بالفتح على انه تعليل او خبر ومعناه حسابه عدم الفلاح والاصل حسابه انه لا يفلح هو فوضع
الكافرون موضع الضمير لان من يدع في معنى الجمع وكذلك حسابه انه لا يفلح في معنى حسابهم انهم لا يفلحون بدئت السورة الكريمة
بتقرير فلاح المؤمنين وختمت بنفي الفلاح عن الكافرين ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستغفار والاسترحام فقيل
وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين ايذانا بانهما من اهم الامور الدينية حيث امر به من قد غفر له ما تقدم من ذنبه
وما تأخر فكيف بمن عداه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به
عينه عند نزول ملك الموت وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال لقد انزلت علي عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح
المؤمنون حتى ختم العشر وروى ان اولها وآخرها من كنوز الجنة من عمل بثلاث آيات من اولها واتعظ باربع من آخرها نجا وافلح والله اعلم

سورة النور وهي اربع وستون آية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم سورة خبر مبتدأ محذوف اي هذه سورة وانما اشير اليها مع عدم سبق ذكرها لانها باعتبار كونها في شرف
الذكر في حكم الحاضر المشاهد وقوله تعالى انزلناها مع ما عطف عليه صفات لها مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة من
حيث الذات بالفخامة من حيث الصفات واما كونها مبتدأ محذوف الخبر على ان يكون التقدير فيما اوحينا اليك
سورة انزلناها فيأباه ان مقتضى المقام بيان شان هذه السورة الكريمة لان في جملة ما اوحي الى النبي صلى الله عليه
وسلم سورة شانها كذا وكذا وحملها على السورة الكريمة بمعونة المقام يوهم ان غيرها من السورة الكريمة ليست على
تلك الصفات وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره انزلناها فلا محل له حينئذ من الاعراب او على تقدير اقرأ ونحو
اي دونك عند من يسوغ حذف اداة الاغراء فمحل انزل الوصف على الوصفية وفرضناها اي اوحينا ما فيها من الاحكام
ايجابا قطعيا وفيه من الايذان بغاية وكادة الفريضة ما لا يخفى وانزلنا فيها فرضناها بالتشديد لتاكيد الايجاب
او لتعدد الفرائض او لكثرة المفروض عليهم من السلف والخلف آيات بينات اي في تضاعيف السورة وقرئ
ان اريد بها الآيات التي نيطت بها الاحكام المفروضة وهو الاظهر فكونها في السورة ظاهر وكونها بينات وضوح
دلالتها على احكامها لا على معانيها على الاطلاق فانها اسوة لسائر الآيات في ذلك وتكرير انزلنا مع استلزام انزال
السورة لانزالها لابراز كمال العناية بشانها وان اريد جميع الآيات فالظرفية باعتبار اشتمال الكل على كل واحد من
اجزائها وتكرير انزلنا مع ان جميع الآيات عين السورة وانزالها عين انزالها لاستقلالها بعنوان رائق داع الى تخصيص
انزالها بالذكر لخطرها ودفعها لمحلها كقوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ بعد قوله تعالى نجينا هودا والذين
آمنوا معه برحمة منا لعلكم تذكرون بحذف احدى التائين وقرئ بادغام الثانية في الذال اي لتتذكروها
فتعملون بها وبموجبها عند وقوع الحوادث الداعية الى اجراء احكامها وفيه ايذان بان حقها ان يكون على ذكر منهم بحيث
متى مست الحاجة اليها استحضروها الزانية والزاني شروع في تفصيل ما ذكر من الآيات البينات وبيان احكامها
والزانية هي المرأة المطاوعة للزنا الممكنة منه كما ينبئ عنه الصيغة لا المزنية كرها وتقديمها على الزاني لانها الاصل
في الفعل لكون الداعية فيها اوفر ولولا تمكينها منه لم يقع ورفعهما على الابتداء والخبر قوله تعالى فاجلدوا كل واحد
منهما مائة جلدة الفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط اذ اللام بمعنى الموصول والتقدير التي زنت والذي زنى كما في قوله تعالى
واللذان يأتيانها منكم فآذوهما وقيل الخبر محذوف اي فيما انزلنا وفيما فرضنا الزانية والزاني اي حكمهما وقوله تعالى
فاجلدوا الى آخره بيان لذلك الحكم وكان هذا عاما في حق المحصن وغيره وقد نسخ في حق المحصن قطعا ويكفينا في تعيين الناسخ القطع
بانه عليه الصلاة والسلام قد رجم ماعزا وغيره فيكون من باب نسخ الكتاب بالسنة المشهورة المتفق عليها فجازت الزيادة
بها على الكتاب وروى عن علي رضي الله عنه جلدتها بكتاب الله تعالى ورجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي الايضاح الرجم حكم ثبت بالسنة المشهورة المتفق عليها فجازت الزيادة بها على الكتاب وقيل نسخ باية منسوخة
التلاوة وهي الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم ويأباه ما روي عن علي رضي الله عنه
ولا تأخذكم بهما رأفة وقرئ بفتح الهمزة وبالمد ايضا على فعالة اي رحمة ورقة في دين الله في طاعته واقامة حده فتعطلوه
او تسامحوا فيه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو سرقت فاطمة لقطعت يدها ان كنتم تؤمنون بالله
واليوم الآخر من باب التهييج والالهاب فان الايمان بهما يقتضي الجد في طاعته تعالى والاجتهاد في اجراء احكامه وذكر
اليوم الآخر لتذكير ما فيه من العقاب في مقابلة المسامحة والتعطيل وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين اي لتحضره زيادة
في التنكيل فان التفضيح قد ينكل اكثر من التعذيب والطائفة فرقة يمكن ان تكون حافة حول الشيء من الطوف واقلها
ثلاثة كما روي عن قتادة وابن عباس رضي الله عنهما اربعة الى اربعين وعن الحسن عشرة والمراد جمع يحصل به التشهير والزجر
الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك مؤسس على الغالب المعتاد جيء به لزجر المؤمنين
عن نكاح الزواني بعد زجرهم عن الزنا بهن وقد رغب بعضهم من ضعفة المهاجرين في نكاح موسرات كانت بالمدينة من
بغايا المشركين فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فنفروا عنه ببيان انه من افعال الزناة وخصائص

المشركين كانه قيل الزاني لا ينكح ولا يرغب الا في نكاح احداهما والزانية لا يرغب في نكاحها الا احدهما فلا تحوموا حوله
كيلا تنتظموا في سلكهما او تتسموا بسمتهما فايراد الجملة الاولى مع ان مناط التنفير هي الثانية اما للتعريض بقصرهم
الرغبة عليهن حيث استاذنوا في نكاحهن او لتاكيد العلاقة بين الجانبين مبالغة في الزجر والتنفير وعدم التعرض
في الجملة الثانية للمشركة للتنبيه على ان مناط الزجر والتنفير هو الزنا لا مجرد الاشراك وانما تعرض لهما في الاولى
اشباعا في التنفير عن الزانية بنظمها في سلك المشركة **وحرم ذلك** اي نكاح الزواني **على المؤمنين** كما ان فيه
من التشبه بالفسقة والتعرض للتهمة والتسبب لسوء المقالة والطعن في النسب واخلال الامر وغير ذلك
من المفاسد ما لا يكاد يليق باحد من الاداني والاراذل فضلا من المؤمنين ولذلك عبر عن التنفيه بالتحريم مبالغة
في الزجر وقيل النفي بمعنى النهي وقد قرئ به والتحريم على حقيقته والحكم اما مخصوص بسبب النزول او منسوخ بقوله
بقوله تعالى وانكحوا الايامى منكم فانه متناول للمسافحات ويؤيده ما روي انه عليه الصلوة والسلام سئل عن ذلك
فقال اوله سفاح واخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وما قيل من ان المراد بالنكاح هو الوطي بين البطلان
والذين يرمون المحصنات بيان لحكم العفايف اذا نسبن الى الزنا بعد بيان حكم الزواني ويعتبر في الاحصان
هاهنا مدلوله الوضعي الذي هو العفة عن الزنا الحرية والبلوغ والاسلام والتنفير عن التفويه بها قالوا في حقهن
بالرمي المنبئ عن صلابة الالة وايلام المرمي وبعده عن الرامي ايذان بشدة تاثيره فيهن وكونه رجما بالغيب والمراد
برميهن بالزنا لا غير وعدم التصريح به للاكتفاء بايرادهن عقيب الزواني ووصفهن بالاحصان الدال بالوضع
على نزاهتهن عن الزنا خاصة فان ذلك بمنزلة التصريح بكون رميهن به لا محالة ولا حاجة في ذلك الى الاستشهاد
باعتبار الاربعة من الشهداء على ان فيه مزية بيان تاخر نزول الاية عن قوله تعالى فاستشهدوا عليهن اربعة
ولا بعدم وجوب الحد بالرمي بغير الزنا على ان فيه شبهة المصادرة كانه قيل والذين يرمون العفايف المنزهات
عما رمين به من الزنا **ثم لم ياتوا باربعة شهداء** يشهدون عليهن بما رموهن به وفي كلمة ثم اشعار بجواز تاخير
الاتيان بالشهود كما ان في كلمة لم اشارة الى تحقق العجز عن الاتيان بهم وتقرره خلا ان اجتماع الشهود لا بد منه عند
الاداء خلافا للشافعي فانه جوز التراخي بين الشهادات كما بين الرمي والشهادة ويجوز ان يكون احدهم زوج المقذوفة
خلافا له ايضا وقرئ باربعة تشهد **فاجلدوهم ثمانين جلدة** لظهور كذبهم وافترائهم بعجزهم عن الاتيان
بالشهداء كقوله تعالى فان لم ياتوا بالشهداء فاولئك هم الكاذبون وانتصاب ثمانين كانتصاب المصادر ونصب
جلدة على التمييز وتخصيص رميهن بهذا الحكم مع ان حكم رمي المحصنين ايضا كذلك لخصوص الواقعة وشيوع
الرمي فيهن **ولا تقبلوا لهم شهادة** عطف على اجلدوا وهم داخل تحت حكمه تتمة له لما فيه من معنى الزجر لانه
مؤلم للقلب كما ان الجلد مؤلم للبدن وقد اذى المقذوف بلسانه فعوقب باهدار منافعه جزاء وفاقا واللام
في لهم متعلقة بمحذوف هو حال من شهادة قدمت عليها لكونها نكرة ولو تاخرت عنها لكانت صفة لها وفايدتها
تخصيص الرد بشهادتهم الناشئة عن اهليتهم الثابتة لهم عند الرمي وهو السر في قبول شهادة الكافر المحدود
في القذف بعد التوبة والاسلام لانها ليست ناشئة عن اهليته السابقة بل عن اهليته التي حدثت بعد اسلامه
فلا يتناولها الرد فتدبر ودع عنك ما قيل من ان المسلمين لا يعادون بسبب الكفار فلا يلحق المقذوف بقذف
الكافر من الشين والفساد ما يلحقه بقذف المسلم فان ذلك بدون ما مر من الاعتبار تعليل في مقابلة النص
ولا يخفى حاله فان المعنى لا تقبلوا منهم شهادة من الشهادات حال كونها خالصة لهم عند الرمي **ابدا** اي مدة
حياتهم وان تابوا واصلحوا لما عرفت من انه تتمة للحد كانه قيل فاجلدوهم وردوا شهادتهم فاجمعوا لهم الجلد والرد
فيبقى كاصله **واولئك هم الفاسقون** كلام مستانف مقرر لما قبله ومبين لسوء حالهم عند الله عز وجل وما
في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر والفساد اي اولئك هم المحكوم عليهم بالفسق
والخروج عن الطاعة والتجاوز عن الحدود الكاملون فيه كانهم المستحقون لاطلاق اسم الفاسق عليهم لا غيرهم

من الفسقة وقوله تعالى **الا الذين تابوا** استثناء من الفاسقين كما ينبئ عنه التعليل الاتي ومحل المستثنى النصب
لانه عن موجب وقوله تعالى **من بعد ذلك** لتهويل المتوب عنه اي من بعد ما اقترفوا ذلك الذنب العظيم الهائل
واصلحوا اي اصلحوا اعمالهم التي من جملتها ما فرط منهم بالتلافي والتدارك ومنه الاستسلام للحد والا
من المقذوف **فان الله غفور رحيم** تعليل لما يفيده الاستثناء من العفو عن المواخذة بموجب الفسق كانه قيل
فحينئذ لا يواخذهم بما فرط منهم ولا ينظمهم في سلك الفاسقين لانه تعالى مبالغ في المغفرة والرحمة هذا وقد
علق الشافعي رحمه الله تعالى الاستثناء بالنهي فحمل المستثنى حينئذ الجر على البدلية من الضمير في لهم وجعل الابد
عبارة عن مدة كونه قاذفا فتنتهي بالتوبة فتقبل شهادته بعدها **والذين يرمون ازواجهم** بيان لحكم الرامين لازواجهم
خاصة بعد بيان حكم الرامين لغيرهن لان يكون هذا تخصيصا للمحصنات بالاجنبيات ليلزم بقاء الاية الاولى
ظنية فلا يثبت بها الحد فان من شرايط التخصيص ان لا يكون المخصص متراخي النزول بل يكون ناسخا لعمومها
ضرورة تراخي نزولها كما سياتي فيبقى الاية السابقة قطعية الدلالة فيما بقي للنسخ لما بين في موضعه ان
دليل النسخ غير معلل **ولم يكن لهم شهداء** اي يشهدون بما رموهن به من الزنا وقرئ بتانيث الفعل
الا انفسهم بدل من شهداء او صفة لها على ان الا بمعنى غير جعلوا من جملة الشهداء ايذانا من اول الامر
بعدم الغاء قولهم بالمرة ونظمه في سلك الشهادة في الجملة وبذلك ازداد حسن اضافة الشهادة
اليهم في قوله تعالى **فشهادة احدهم** اي شهادة كل واحد منهم وهو مبتدا وقوله تعالى **اربع شهادات** خبره
اي فشهادتهم المشروعة اربع شهادات **بالله** متعلق بشهادات لقربها وقيل بشهادة لتقدمها وقرئ
اربع شهادات بالنصب على المصدر والعامل فشهادة على انه اما خبر مبتدا محذوف اي فالواجب شهادة
احدهم او مبتدا محذوف الخبر اي فشهادة احدهم واجبة **انه لمن الصادقين** اي فيما رماها به من
الزنا واصله على انه الى اخره فحذف الجار وكسرت ان وعلق العامل عنها للتاكيد **والخامسة** اي الشهادة
الخامسة للاربع المتقدمة اي الجاعلة لها خامسا بانضمامها اليهن وافرادها عنهن مع كونها شهادة
ايضا لاستقلالها بالفحوى ووكادتها في افادة ما يقصد بالشهادة من تحقيق الخبر واظهار الصدق
وهي مبتدا خبره **ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين** فيما رماها به من الزنا فاذا لاعن الزوج حبست
الزوجة حتى تعترف فترجم او تلاعن **ويدرأ عنها العذاب** اي العذاب الدنيوي وهو الحبس المهيا على
الوجهين بالرجم الذي هو اشد العذاب **ان تشهد اربع شهادات بالله انه** اي الزوج **لمن الكاذبين** اي فيما رماها
به من الزنا وقرئ **والخامسة** بالنصب عطف على اربع شهادات **ان غضب الله عليها ان كان** اي الزوج
من الصادقين اي فيما رماني به من الزنا وقرئ والخامسة بالنصب بالرفع على الابتداء وقرئ ان
بالتخفيف في الموضعين ورفع اللعنة والغضب وقرئ ان غضب الله وتخصيص الغضب بجانب
المراة للتغليظ عليها لما انها مادة الفجور ولان النساء كثيرا ما يستعملون اللعن فربما يجترين على
التفوه به لسقوط وقعه من قلوبهن بخلاف غضبه تعالى روي ان اية القذف لما نزلت قراها رسول
الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقام عاصم بن عدي الانصاري رحمه الله تعالى فقال جعلني الله فداك ان وجد
رجل مع امراته رجلا فاخبر جلد ثمانين وردت شهادته وفسق وان ضربه بالسيف قتل وان سكت سكت
على غيظ واني يابعة شهداء قضى الرجل حاجته ومضى اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال
ابن امية او عويمر فقال ما وراءك قال شر وجدت على امراتي خوله بنت عاصم شريك بن سحما فقال والله
هذا سوالي ما اسرع ما ابتليت به فرجعا فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم خوله فانكرت
فنزلت فلاعن بينهما والفرقة الواقعة باللعان في حكم التطليقة البائنة عند ابي حنيفة رحمهما الله تعالى
ولا يتابد حكمها حتى اذا اكذب الرجل نفسه بعد ذلك فحد جاز له ان يتزوجها وعند ابي يوسف وزفر والحسن

ابن زياد والشافعي رحمهم الله تعالى هي فرقة بغير طلاق توجب تحريما موبدا ليس لهما اجتماع بعد ذلك **ولولا**
فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم التفات الى خطاب الرامين والمرميات بطريق التغليب لتوفية
مقام الامتنان حقه وجواب لولا محذوف لتهويله والاشعار بضيق العبارة في حصره كانه قيل لولا فضله تعالى
عليكم ورحمته وانه تعالى مبالغ في قبول التوبة حكيم في جميع افعاله واحكامه التي من جملتها ما شرع لكم من حكم
اللعان لكان ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان ومن جملته انه تعالى لو لم يشرع لهم ذلك لوجب على الزوج حد
القذف مع ان الظاهر صدقه لانه اعرف بحال زوجته وانه لا يفتري عليها لاشتراكهما في الفضاحة وبعد ما
شرع لهم ذلك لو جعل شهاداته موجبة لحد الزنا عليها لفات النظر لها ولو جعل شهاداتها موجبة لحد القذف عليه
لفات النظر له ولا ريب في خروج الكل عن سنن الحكمة والفضل والرحمة فجعل شهادات كل منهما مع الجزم بكذب احدهما
حتما دارئة لما توجه اليه من الغائلة الدنيوية وقد ابتلى الكاذب منهما في تضاعيف شهاداته من العذاب بما هو اتم
مما درأته عنه واطم وفي ذلك من احكام الحكم البالغة وآثار التفضل والرحمة ما لا يخفى اما الصادق فظاهر
واما الكاذب فهو امهاله والستر عليه في الدنيا ودرء الحد عنه وتعريضه للتوبة حسبما ينبئ عنه التعرض
لعنوان توابيته سبحانه ما اعظم شانه واوسع رحمته وادق حكمته **ان الذين جاؤا بالافك** اي بابلغ ما يكون من
الكذب والافتراء وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجاك واصله الافك وهو القلب لانه مافوك عن وجهه
وسننه والمراد به ما افك به الصديقة ام المومنين رضي الله عنها وفي لفظ المجيء اشارة الى انهم اظهروه
من عند انفسهم من غير ان يكون له اصل وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد سفرا اقرع بين نسائه
فايتهن خرجت قرعتها استصحبها قالت عايشة رضي الله عنها فاقرع بيننا في غزوة غزاها قبل غزوة بني المصطلق
فخرج سهمي فخرجت معه صلى الله عليه وسلم بعد نزول اية الحجاب فحملت في هودج فسرنا حتى اذا قفلنا ودنونا
من المدينة نزلنا منزلا ثم نودي بالرحيل فقمت ومشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شاني اقبلت الى رحلي
فلمست صدري فاذا عقدي من جزع قد انقطع فرجعت فالتمسته فحبسني ابتغاؤه واقبل الذين كانوا يرحلون بي
فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري وهم يحسبون اني فيه لخفتي فلم يستنكروا خفة الهودج وذهبوا بالبعير
ووجدت عقدي بعد ما استمرت الجيش فجئت منازلهم وليس فيها داع ومجيب فتيممت منزلي وظننت اني سيفقد
ويعودون في طلبي فبينما انا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي من وراء الجيش
فلما رآني عرفني فاستيقظت باسترجاعه فخمرت وجهي بجلبابي ووالله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير
استرجاعه وهوى حتى اناخ راحلته فوطئ على يديها فقمت اليها فركبتها وانطلق يقود بي الراحلة حتى اتينا الجيش
موغرين في حر الظهيرة وهم نزول وافتقدني الناس حين نزلوا وماج القوم في ذكري فبينما الناس كذلك اذ هجمت
عليهم فخاض الناس في حديثي فهلك من هلك وقوله تعالى **عصبة منكم** خبران اي جماعة وهي من العشرة الى الاربعين
وكذا العصابة وهم عبد الله بن ابي وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن
ساعدهم وقوله تعالى **لا تحسبوه شرا لكم** استيناف خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعايشة
وصفوان تسلية لهم من اول الامر والضمير للافك **بل هو خير لكم** لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم
على الله عز وجل بانزال ثماني عشرة اية في نزاهة ساحتكم وتعظيم شانكم وتشديد الوعيد فيمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم
خيرا **لكل امرئ منهم** اي من اولئك العصبة **ما اكتسب من الاثم** بقدر ما خاض فيه **والذي تولى كبره** اي معظمه **منهم** وقرئ
بضم الكاف وهي لغة فيه وقيل من العصبة وهو ابن ابي فانه بدا به واذاعه بين الناس عداوة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وقيل هو حسان ومسطح فانهما شايعاه بالتصريح فافراد الموصول باعتبار الفوج والفريق او نحوهما **له**
عذاب عظيم اي في الآخرة او في الدنيا ايضا فانهم جلدوا وردت شهادتهم وصار ابن ابي مطرودا مشهودا عليه بالنفاق
وحسان اعمى واشل اليدين ومسطح مكفوف البصر والتعبير عنه بالذي وتكرير الاسناد وتنكير العذاب ووصفه

بالعظم من تهويل الخطب ما لا يخفى **لولا اذ سمعتموه** تكرير الخطاب وصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذويه
الى الخايضين بطريق الالتفات لتشديد ما في لولا التحضيضية من التوبيخ ثم العدول عنه الى الغيبة في قوله تعالى **ظن المومنون**
والمومنات بانفسهم خيرا لتاكيد التوبيخ والتشنيع لكن لا بطريق الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم على وجه المباثة بل بالتنويه
بذلك بما يوجب الاتيان بالمحضض عليه ويقتضيه اقتضاء تاما ويزجرهم عن ضده زجرا بليغا فان كون وصف
الايمان مما يحملهم على احسان الظن ويكفهم عن اساته بانفسهم اي بابناء جنسهم النازلين منزلة انفسهم كقوله تعالى
ثم انتم هولاء تقتلون انفسكم وقوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم مما لا ريب فيه فاخلالهم بموجب ذلك الوصف اقبح
واشنع والتوبيخ عليه ادخل مع ما فيه من التوسل به الى التصريح بتوبيخ الخايضات ثم ان كان المراد بالايمان الايمان
الحقيقي فايجابه لما ذكر واضح والتوبيخ خاص بالمومنين وان كان مطلق الايمان الشامل لما يظهره المنافقون ايضا فايجابه
له من حيث انهم كانوا يحترزون عن اظهار ما ينافي مدعاهم فالتوبيخ حينئذ متوجه الى الكل وتوسيط الظرف بين لولا
وفعلها لتخصيص التحضيض باول زمان سماعهم وقصر التوبيخ على تاخير الاتيان بالمحضض عليه عن ذلك الآن والتردد فيه ليفيد ان عدم الاتيان به راسا في غاية ما يكون من القباحة والشناعة
اي كان الواجب ان يظن المومنون اول ما سمعوه ممن اخترعه بالذات او بالواسطة من غير تلعثم وتردد بمثلهم من
آحاد المومنين خيرا **وقالوا** في ذلك الآن **هذا افك مبين** اي ظاهر مكشوف كونه افكا فكيف بالصديقة ابنة
الصديق ام المومنين حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم **لولا جاؤا عليه باربعة شهداء** اما من تمام القول
المحضض عليه مسوق لحث السامعين على الزام المسمعين وتكذيبهم اثر تكذيب ما سمعوا منهم بقولهم هذا افك
مبين وتوبيخهم على تركه اي هلا جاء الخايضون باربعة شهداء يشهدون على ما قالوا **فاذ لم ياتوا** بهم وانما قيل
بالشهداء لزيادة التقرير **فاولئك** اشارة الى الخايضين وما فيه من معنى البعد للايذان بغلوهم في الفساد
وبعد منزلتهم في الشر اي اولئك المفسدون **عند الله** اي في حكمه وشرعه المؤسس على الدلايل الظاهرة المتقنة
هم الكاذبون الكاملون في الكذب المشهود عليهم بذلك المستحقون لاطلاق الاسم عليهم دون غيرهم ولذلك رتب
عليه الحد خاصة واما كلام مبتدا مسوق من جهته تعالى للاحتجاج على كذبهم بكون ما قالوه قولا لا يساعده الدليل
اصلا **ولولا فضل الله عليكم** خطاب للسامعين والمسمعين جميعا **ورحمته في الدنيا** من فنون النعم التي من جملتها الامهال
للتوبة **والآخرة** من ضروب الآلاء التي من جملتها العفو والمغفرة بعد التوبة **لمسكم** عاجلا **فيما افضتم فيه**
بسبب ما خضتم فيه من حديث الافك والابهام لتهويل امره والاستهجان بذكره يقال افاض في الحديث وخاض
واندفع وهضب بمعنى **عذاب عظيم** يستحقر دونه التوبيخ والجلد **اذ تلقونه** بحذف احدى التاءين ظرف
للمس اي لمسكم ذلك العذاب العظيم وقت تلقيكم اياه من المخترعين **بالسنتكم** والتلقي والتلقف والتلقن
معان متقاربة خلا ان في الاول معنى الاستقبال وفي الثاني معنى الخطف والاخذ بسرعة وفي الثالث الحذق
والمهارة وقرئ تتلقونه على الاصل وتلقونه من لقيه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القاء بعضهم
على بعض وتلقونه وتالقونه من الولق والالق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته فوجدته وتقفونه
اي تتبعونه **وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم** اي تقولون قولا مختصا بالافواه من غير ان يكون له مصداق
ومنشأ في القلوب لانه ليس بتعبير عن علم به في قلوبكم كقوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم
وتحسبونه هينا سهلا لا تبعة له او ليس له كثير عقوبة **وهو عند الله** والحالة انه عند عز وجل **عظيم**
لا يقادر قدره في الوزر واستجرار العذاب **ولولا اذ سمعتموه** من المخترعين والسامعين لهم **قلتم** تكذيبا
لهم وتهويلا لما ارتكبوه **ما يكون لنا** ما يمكننا **ان نتكلم بهذا** وما يصدر عنا ذلك بوجه من الوجوه وحاصله
نفي وجود التكلم به لا نفي وجوده على وجه الصحة والاستقامة والابتغاء وهذا اشارة الى ما سمعوه وتوسيط
الظرف بين لولا وقلتم لما مر من تخصيص التحضيض بما دون وقت السماع وقصر التوبيخ واللوم على تاخير القول المذكور
عن ذلك الآن ليفيد انه المحتمل للوقوع المحتمل للتخصيص على تركه واما ترك القول نفسه راسا فمما لا يتوهم

وتوعد حتى يحضض على فعله ويلام على تركه وعلى هذا ينبغي ان يحمل ما قيل ان المعنى انه كان الواجب عليهم ان يتفادوا
اول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت اهم وجب التقديم واما ما قيل ان ظروف الاشياء منزلة
منزلة انفسها لوقوعها فيها وانها لا تنفك عنها ولذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها فهي ضابطة ربما يستعمل
فيها اذا وضع الظرف موضع المظروف بان يجعل مفعولا صريحا لفعل مذكور كما في قوله تعالى واذكروا اذ جعلكم
خلفاء ومقدر كعامة الظروف المنصوبة باضمار اذكروا واما هاهنا فلا حاجة اليها اصلا لما تحققت ان مناط التقديم يوجبه
التخصيص اليه وذلك يتحقق في جميع متعلقات الفعل كقوله تعالى فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها سبحانك تعجب ممن
تقوه به واصله ان يذكر عند معاينة العجب من صنايعه تعالى هذا بهتان عظيم لعظمة المبهوت عليه واستحالة صدقه فان
حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها يعظكم الله اي ينصحكم ان تعودوا لمثله اي كراهة ان تعودوا او يزجركم من
ان تعودوا او في ان تعودوا من قولك وعظته في كذا فتركه ابدا اي مدة حياتكم ان كنتم مؤمنين فان الايمان وازع
عنه لا محالة وفيه تهييج وتقريع ويبين الله لكم الايات الدالة على الشرايع ومحاسن الاعمال والاداب دلالة واضحة
لتتعظوا بها وتتادبوا ان يتركها كذلك اي مبينة ظاهرة الدلالة على معانيها لانه يبينها بعد ان لم تكن كذلك
وهذا كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل اي خلقهما صغيرا وكبيرا ومنه قولك ضيق فم الركية ووسع
اسفلها واظهار الاسم الجليل موضع الاضمار لتفخيم شان البيان والله عليم باحوال جميع مخلوقاته جلايلها ودقايقها
حكيم في جميع تدابيره وافعاله فانى يمكن صدق ما قيل في حق حرمة من اصطفاه لرسالاته وبعثه الى كافة الخلق ليرشدهم
الى الحق ويزكيهم ويطهرهم تطهيرا واظهار الاسم الجليل هاهنا لتاكيد استقلال الاعتراض التذييلي والاشعار
بعلية الالوهية للعلم والحكمة ان الذين يحبون اي يريدون ويقصدون ان تشيع الفاحشة اي تنتشر الخصلة المفرطة
في القبح وهي الفرية والرمي بالزنا فالمراد بشيوعها شيوع خبرها اي يحبون شيوعها ويتصدون مع ذلك لاشاعتها
وانما لم يصرح به اكتفاء بذكر المحبة فانها مستتبعة له لا محالة في الذين امنوا متعلق بتشيع اي تشيع فيما بين الناس
وذكر المؤمنين لانهم العمدة فيهم او بمضمر هو حال من الفاحشة فالموصول عبارة عن المؤمنين خاصة اي يحبون تشيع
الفاحشة كاينة في حق المؤمنين وفي شانهم لهم بسبب ما ذكر عذاب اليم في الدنيا من الحد وغيره مما يتفق من البلايا
الدنيوية ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي وحسانا ومسطحا حد القذف وضرب صفوان
حسانا ضربة بالسيف وكف بصره والاخرة من عذاب النار وغير ذلك مما يعلمه الله عز وجل والله يعلم جميع الامور
التي من جملتها ما في الضماير من المحبة المذكورة وانتم لا تعلمون ما يعلمه تعالى بل انما تعلمون ما ظهر لكم من الاقوال
والافعال المحسوسة فابنوا امركم على ما تعلمونه وعاقبوا في الدنيا على ما تشاهدونه من الاحوال الظاهرة والله
سبحانه هو المتولي للسراير فيعاقب في الاخرة على ما تكنه الصدور وهذا اذا جعل العذاب العظيم في الدنيا عبارة
عن حد القذف او منتظما له كما اطبق عليه الجمهور واما اذا بقي على اطلاقه يراد بالمحبة نفسها من غير ان يقارنها
التصدي للاشاعة وهو الانسب بسياق النظم الكريم فيكون ترتيب العذاب عليها تنبيها على ان من يباشر الاشاعة
ويتولاها اشد واعظم ويكون الاعتراض التذييلي اعني قوله تعالى والله يعلم وانتم لا تعلمون تقريرا لثبوت العذاب
العظيم وتعليلا له ولولا فضل الله عليكم ورحمته تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للتنبيه على عظم كمال عظم الجريرة
وان الله رؤف رحيم عطف على فضل الله واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة والاشعار باستتباع صفة الالوهية للرافة
والرحمة وتغيير سبكه وتصديره بحرف التحقيق لما ان المراد بيان اتصافه تعالى في ذاته بالرافة التي هي كمال الرحمة
وبالرحيمية التي هي المبالغة فيها على الدوام والاستمرار لا حدوث تعلق رافته ورحمته بهم كما ان المراد بالمعطوف عليه
وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تسلكوا مسالكه في كل ما تاتون
وما تذرون من الافاعيل التي من جملتها اشاعة الفاحشة وحبها وقرئ خطوات بسكون الطاء وبفتحها ايضا ومن يتبع خطوات
الشيطان وضع الظاهر موضع ضميرهما حيث لم يقل ومن يتبعها او من يتبع خطواته لزيادة التقرير والمبالغة في التنفير

والتحذير

والتحذير فانه يامر بالفحشاء والمنكر علة للجزاء وضعت موضعه كانه قيل فقد ارتكب الفحشاء والمنكر لان دابه المستمر
ان يامر بهما فمن اتبع خطواته فقد امتثل امره والفحشاء ما افرط قبحه كالفاحشة والمنكر ما ينكره الشرع وضميرانه للشيطان
وقيل للشان على راي من لا يوجب عود الضمير من الجملة الجزائية الى اسم الشرط او على ان الاصل يامره وقيل هو عايد الى
اي فان ذلك المتبع يامر الناس بهما لان شان الشيطان هو الاضلال فمن اتبعه يترقى في رتبة الضلال والفساد الى رتبة
الاضلال والافساد ولولا فضل الله عليكم ورحمته بما من جملته هاتيك البيانات والتوفيق للتوبة الماحصة للذنوب
وشرع الحدود المكفرة لها ما زكا اي ما طهر من دنسها وقرئ ما زكى بالتشديد اي ما طهر الله تعالى ومن في قوله
تعالى منكم بيانية وفي قوله تعالى من احد زايدة واحد في حيز الرفع على الفاعلية على القراءة الاولى وفي محل النصب
على المفعولية على القراءة الثانية ابدا لا الى نهاية ولكن الله يزكي يطهر من يشاء من عباده بافاضة اثار فضله ورحمته
عليه وحمله على التوبة ثم قبولها منه كما فعل بكم والله سميع مبالغ في سمع الاقوال التي من جملتها ما اظهروه من التوبة عليم
بجميع المعلومات التي من جملتها نياتهم وفيه حث لهم على الاخلاص في التوبة واظهار الاسم الجليل للايذان باستدعاء الالوهية
للسمع والعلم مع ما فيه من تاكيد استقلال الاعتراض التذييلي ولا ياتل اي لا يحلف افتعال من الالية وقيل لا يقصر من الالو
والاول هو الاظهر لنزوله في شان الصديق رضي الله عنه حين حلف ان لا ينفق على مسطح بعد وكان من فقراء المهاجرين ويعضده
قراءة من قرا ولا يتال اولوا الفضل منكم في الدين وكفى به دليلا في فضل الصديق رضي الله عنه والسعة في المال ان يؤتوا اي على ان لا
يؤتوا وقرئ بتاء الخطاب على الالتفات اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله صفات لموصوف واحد جيء بها بطريق
العطف تنبيها على ان كلا منها علة مستقلة لاستحقاقه الايتاء وقيل لموصوفات اقيمت مقامها وحذف المفعول الثاني
لغاية ظهوره اي على ان لا يؤتوهم شيئا وليعفوا ما فرط منهم وليصفحوا بالاغضاء عنه وقد قرئ الامران بتاء الخطاب على
وفق قوله تعالى الا تحبون ان يغفر الله لكم اي بمقابلة عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم والله غفور رحيم مبالغ في
المغفرة والرحمة مع كمال قدرته على المواخذة وكثرة ذنوب العباد الداعية اليها وفيه ترغيب عظيم في العفو ووعد كريم
بمقابلته كانه قيل الا تحبون ان يغفر الله لكم فهذا من موجباته روي انه عليه الصلوة والسلام قراها على ابي بكر رضي
الله عنه فقال بلى احب ان يغفر لي فرجع الى مسطح نفقته وقال والله لا انزعها ابدا ان الذين يرمون المحصنات اي العفايف
مما رمين به من الفاحشة الغافلات عنها على الاطلاق بحيث لم يخطر ببالهن شيء منها ولا من مقدماتها اصلا ففي ذلك من الدلالة على كمال
النزاهة ما ليس في المحصنات اي السليمات الصدور النقيات القلوب عن كل سوء المؤمنات المتصفات بالايمان بكل
ما يجب ان يؤمن به من الواجبات والمحظورات وغيرها ايمانا حقيقيا تفصيليا كما ينبئ عنه تاخير المؤمنات عما قبلها مع اصالة
وصف الايمان فانه للايذان بان المراد بها المعنى الوصفي المعرب عما ذكر لا المعنى الاسمي المصحح لاطلاق الاسم في الجملة كما هو
المتبادر على تقدير التقديم والمراد بها عايشة الصديقة رضي الله عنها والجمع باعتبار ان رميها رمي لساير امهات المؤمنين
لاشتراك الكل في العصمة والنزاهة والانتساب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين
ونظايره وقيل امهات المؤمنين فيدخل فيهن الصديقة دخولا اوليا واما ما قيل من ان المراد الصديقة والجمع باعتبار
استتباعها للمتصف بالصفات المذكورة من نساء الامة فياباه ان العقوبات المترتبة على رمي هؤلاء عقوبات مختصة
بالكفار والمنافقين ولا ريب في ان رمي غير امهات المؤمنين ليس بكفر فيجب ان يكون المراد اياهن على احد الوجهين
فانهن قد خصصن من بين ساير المؤمنات فجعل رميهن كفرا ابرازا لكرامتهن على الله عز وجل وحماية لحمى الرسالة عن ان يحوم
حوله احد بسوء حتى ان ابن عباس رضي الله عنهما جعله اغلظ من ساير افراد الكفر حين سئل عن هذه الاية فقال من اذنب ذنبا
ثم تاب قبلت توبته الا من خاض في امر عايشة رضي الله عنها وهذا منه مبالغة وضي الله عنه الا لتهويل امر الافك والتنبيه
على انه كفر غليظ لعنوا بما قالوا في حقهن في الدنيا والاخرة حيث يلعنهم اللاعنون من المؤمنين والملايكة ابدا ولهم
مع ما ذكر من اللعن الابدي عذاب عظيم هايل لا يقادر قدره لغاية عظم ما اقترفوه من الجناية وقوله تعالى يوم تشهد عليهم
الى اخره اما متصل بما قبله مسوق لتقرير العذاب المذكور بتعيين وقت حلوله وتهويله ببيان ظهور جناياتهم الموجبة

له مع سائر جناياتهم المستتبعة لعقوباتها على كيفية هائلة وهيئة خارقة للعادات فيوم ظرف لما في الجار والمجرور المنتقدم من معنى الاستقرار لا للعذاب وان اغضينا عن وصفه لاخلاله بجزالة المعنى واما منقطع عنه مسوق لتهويل اليوم بتهويل ما يحويه على انه ظرف لفعل مؤخر قد ضرب عنه الذكر صفحا للايذان بقصور العبارة عن تفصيل ما يقع فيه من الطامة التامة والداهية العامة كانه قيل يوم تشهد عليهم **السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون** يكون من جملة الاحوال والاهوال ما لا يحيط به حيطة المقال على ان الموصول المذكور عبارة عن جميع احوالهم الحسنة وجناياتهم القبيحة لا عن جناياتهم المعهودة فقط ومعنى شهادة الجوارح المذكورة انه تعالى ينطقها بقدرته فتخبر كل جارحة منها بما صدر عنها وعن فنون العقوبات المترتبة عليها كافة لا عن احدهما خاصة ففيه من ضروب التهويل بالاجمال والتفصيل ما لا مزيد عليه وجعل الموصول المذكور عبارة عن خصوص جناياتهم المعهودة وحمل شهادة الجوارح على اخبار الكل بها فقط تحجير للواسع وتهوين للامر الوار[د] والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرارهم عليها في الدنيا وتقديم عليهم على الفاعل للمسارعة الى بيان كون الشهادة ضارة لهم مع ما فيه من التشويق الى المؤخر كما مر مرارا وقوله تعالى **يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق** اي يومئذ تشهد جوارحهم باعمالهم القبيحة يعطيهم الله تعالى جزاءهم الثابت الذي يحق ان يثبت لهم لا محالة وافيا كاملا كلام مبتدا مسو[ق] لبيان ترتيب حكم الشهادة عليها متضمن لبيان ذلك المبهم المحذوف على وجه الاجمال ويجوز ان يكون يوم تشهد ظرفا ليوفيهم ويومئذ بدلا منه وقيل هو منصوب على انه مفعول لفعل مضمر اي اذكر يوم تشهد بالتذكير للفصل **ويعلمون** عند معاينتهم الاهوال والخطوب حسبما نطق به القرآن الكريم **ان الله هو الحق** الثابت الذي يحق ان يثبت لا محالة في ذاته وصفاته وافعاله التي من جملتها كلماته التامات المنبئة عن الشئون التي يشاهدونها منطبقة عليها **المبين** المظهر للاشياء كما هي في انفسها او الظاهر انه الحق وتفسيره بظهور الوهيته تعالى وعدم مشاركة الغير له فيها وعدم قدرة ما سواه على الثواب والعقاب ليس له كثير مناسبة للمقام كما ان تفسير الحق بذي الحق المبين اي العادل الظاهر له لذلك ولو تتبعت ما في القرآن المجيد من آيات الوعيد الواردة في حق كل كفار مريد وجبار عنيد لا يجد شيئا منها فوق هاتيك القوارع المشحونة بفنون التهديد والتشديد وما ذاك الا لاظهار منزلة النبي صلى الله عليه وسلم في علو الشان والنباهة واظهار رتبة الصديقة رضي الله عنها في العفة والنزاهة وقوله تعالى **الخبيثات** الى آخره كلام مستانف مؤسس على قاعدة السنة الالهية الجارية فيما بين الخلق على موجب ان لله ملكا يسوق الاهل الى الاهل اي الخبيثات من النساء **للخبيثين** من الرجال اي مختصات بهم لا يكدن يتجاوزنهم الى غيرهم على ان اللام للاختصاص **والخبيثون** ايضا **للخبيثات** لان المجانسة من دواعي الانضمام **والطيبات** منهن **للطيبين** منهم **والطيبون** ايضا **للطيبات** منهن بحيث لا يكادون يتجاوزونهن الى من عداهن وحيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطيب الاطيبين وخيرة الاولين والآخرين تبين كون الصديقة رضي الله عنها من اطيب الطيبات بالضرورة واتضح بطلان ما قيل في حقها من الخرافات حسبما نطق به قوله تعالى **اولئك مبرؤن مما يقولون** على ان الاشارة الى اهل البيت المنتظمين للصديقة انتظاما كليا وقيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والصديقة وصفوان وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليهم وبعد منزلتهم في الفضل اي اولئك الموصوفون بعلو الشان مبرؤن مما يقوله اهل الافك في حقهم من الاكاذيب الباطلة وقيل الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال والنساء اي مختصة و لائقة بهم ولا ينبغي ان يقال في حق غيرهم وكذا الخبيثون من الفريقين احقاء بان يقال في حقهم خبائث القول و الطيبات من الكلم للطيبين من الفريقين مختصة وحقيقة بهم وهم احقاء بان يقال في شانهم طيبات الكلم اولئك الطيبون مبرؤن مما يقول الخبيثون في حقهم فمآله تنزيه الصديقة ايضا وقيل خبيثات القول مختصة بالخبيثين من فريقي الرجال والنساء لا تصدر عن غيرهم والخبيثون من الفريقين مختصون بخبائث القول متعرضون لها والطيبات من الكلام لا يصدر عنهم غيرها اولئك الطيبون مبرؤن مما يقوله الخبيثون من الخبائث اي لا يصدر عنهم مثل ذلك فمآله تنزيه القائلين سبحانك هذا بهتان عظيم **لهم مغفرة** عظيمة لما لا يخلو عنه البشر من الذنو[ب]

ورزق كريم هو الجنة **يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم** اثر ما فصل الزواجر عن الزنا وعن رمي العفائف عنه شرع في تفصيل الزواجر عما عسى يؤدي الى احدهما من مخالطة الرجال بالنساء ودخولهم عليهن في اوقات الخلوات وتعليم الآداب الجميلة والافاعيل المرضية المستتبعة لسعادة الدارين ووصف البيوت بمغايرة بيوتهم خارج مخرج العادة التي هي سكنى كل واحد في ملكه والا فالآجر والمعير ايضا منهيان عن الدخول بغير اذن وقرئ بيوتا غير بيوتكم بكسر الباء لاجل الياء **حتى تستانسوا** اي تستاذنوا من يملك الاذن من اصحابها من الاستيناس بمعنى الاستعلام من آنس الشيء اذا ابصره فان المستاذ[ن] مستعلم للحال مستكشف انه يؤذن له او من الاستيناس الذي هو خلاف الاستيحاش لما ان المستاذن مستوحش خائف ان لا يؤذن له فاذا اذن له استانس **وتسلموا على اهلها** عند الاستيذان روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان التسليم ان يقول السلام عليكم ادخل ثلث مرات فان اذن له دخل والا رجع **ذلكم** اي الاستيذان مع التسليم **خير لكم** من ان تدخلوا بغتة او على تحية الجاهلية حيث كان الرجل منهم اذا اراد ان يدخل بيتا غير بيته يقول حييتم صباحا حييتم مساء فيدخل فربما اصاب الرجل مع امراته في لحاف وروي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم استاذن على امي قال نعم قال ليس لها خادم غيري استاذن عليها كلما دخلت قال عليه الصلاة والسلام اتحب ان تراها عريانة قال لا قال عليه الصلاة والسلام فاستاذن **لعلكم تذكرون** متعلق بمضمر اي امرتم به او قيل لكم هذا كي تتذكروا وتتعظوا وتعملوا بموجبه **فان لم تجدوا فيها احدا** اي ممن يملك الاذن على ان من لا يملكه من النساء والولدان وجدانه كفقدانه او احدا اصلا على ان مدلول النص الكريم عبارة هو النهي عن دخول البيوت الخالية لما فيه من الاطلاع على ما يعتاد الناس اخفاءه مع ان التصرف في ملك الغير محظور مطلقا واما حرمة ما فيه النساء والولدان فثابتة بدلالة النص لان الدخول حين حرم مع ما ذكر من العلة فلان يحرم عند انضمام ما هو اقوى منه اليه اعني الاطلاع على عورات النساء اولى **فلا تدخلوها** واصبروا **حتى يؤذن لكم** اي من جهة من يملك الاذن عند اتيانه ومن فسره بقوله يأتي من ياذن لكم فقد ابرز القطعي في معرض الاحتمال ولما كان جعل النهي مغيا بالاذن مما يوهم الرخصة في الانتظار على الابواب مطلقا بل في تكرير الاستيذان ولو بعد الرد دفع ذلك بقوله تعالى **وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا** اي ان امرتم من جهة اهل البيت بالرجوع سواء كان الامر ممن يملك الاذن او لا فارجعوا ولا تلحوا بتكرير الاستيذان كما في الوجه الاول ولا تلحوا بالاصرار على الانتظار الى ان ياتي الاذن كما في الثاني فان ذلك مما يجلب الكراهة ويقدح في المروة **هو** اي الرجوع **ازكى لكم** اي اطهر مما لا يخلو عنه الملح والعناد والوقوف على الابواب من دنس الدناءة والرذالة **والله بما تعملون عليم** فيعلم ما تاتون وما تذرون مما كلفتموه فيجازيكم عليه **ليس عليكم جناح ان تدخلوا** اي بغير استيذان **بيوتا غير مسكونة** اي غير موضوعة لسكنى طائفة مخصوصة فقط بل ليتمتع بها من يضطر اليها كائنا من كان من غير ان يتخذها سكنا كالربط والخانات والحوانيت والحمامات ونحوها فانها معدة لمصالح الناس كافة كما ينبئ عنه قوله تعالى **فيها متاع لكم** صفة للبيوت او استيناف جار مجرى التعليل لعدم الجناح اي فيها حق تمتع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الامتعة والرحال والشراء والبيع والاغتسال وغير ذلك مما يليق بحال البيوت وداخليها فلا باس بدخولها بغير استيذان من داخليها من قبل ولا ممن يتولى امرها ويقوم بتدبيرها من قوام الربـ[ـاطات] والخانات واصحاب الحوانيت ومتصرفي الحمامات ونحوهم ويروى ان ابا بكر رضي الله عنه قال يا رسول الله ان الله تعالى قد انزل عليك آية في الاستيذان وانا نختلف في تجاراتنا فننزل هذه الخانات افلا ندخلها الا باذن فنزلت وقيل هي الخرابات يتبرز فيها والمتاع التبرز والظاهر انها من جملة ما ينتظمه البيوت لا انها المرادة فقط وقوله تعالى **والله يعلم ما تبدون وما تكتمون** وعيد لمن يدخل مدخلا من هذه المداخل لفساد او اطلاع على عورات **قل للمؤمنين** شروع في بيان احكام كلية شاملة للمؤمنين كافة يندرج فيها حكم المستاذنين عند دخولهم البيوت اندراجا اوليا وتلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفويض ما في حيزه من الاوامر والنواهي الى رايه عليه الصلاة والسلام لانها تكاليف متعلقة بامور جزئية كثيرة الوقوع حقيقة بان يكون الآمر بها والمتصدي لتدبيرها حافظا ومهيمنا عليهم ومفعو[ل]

ذن

في قلوب الناس صح

باطات

ع

الامر امر اخر قد حذف تعويلا على دلالة جوابه عليه اي قل لهم غضوا **يغضوا من ابصارهم** عما يحرم ويقتصروا به على ما يحل **ويحفظوا**
فروجهم الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم وتقييد الغض بمن التبعيضية دون الحفظ لما في امر النظر من السعة وقيل
المراد بالحفظ ههنا خاصة هو الستر **ذلك** اي ما ذكر من الغض والحفظ **ازكى لهم** اي اطهر لهم من دنس الريبة **ان الله خبير بما يصنعون**
لا يخفى عليه شيء مما يصدر عنهم من الافاعيل التي من جملتها احالة النظر واستعمال سائر الحواس وتحريك الجوارح وما يقصدون
بذلك فليكونوا على حذر منه في كل ما يأتون وما يذرون **وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن** فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن
النظر اليه **ويحفظن فروجهن** بالستر او التصون عن الزنا وتقديم الغض لان النظر بريد الزنا ورائد الفساد **ولا يبدين زينتهن**
كالحلي وغيرها مما يتزين به وفيه من المبالغة في النهي عن ابداء مواقعها ما لا يخفى **الا ما ظهر منها** عند مزاولة الامور
التي لا بد منها عادة كالخاتم والكحل والخضاب ونحوها فان في سترها حرجا بينا وقيل المراد بالزينة مواضعها على حذف
المضاف او ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان لانها ليست بعورة **وليضربن بخمرهن على**
جيوبهن اشارة الى كيفية اخفاء بعض مواقع الزينة بعد النهي عن ابدائها وقد كانت النساء على عادة الجاهلية يسدلن
خمرهن من خلفهن فتبدو نحورهن وقلائدهن من جيوبهن لوسعتها فامرن بارسال خمرهن على جيوبهن سترا لما يبدو منها
وقد ضمن الضرب معنى الالقاء فعدي بعلى وقرئ بكسر الجيم كما تقدم **ولا يبدين زينتهن** كرر النهي لاستثناء بعض مواد الرخصة
عنه باعتبار الناظر بعد ما استثني عنه بعض مواد الضرورة باعتبار المنظور **الا لبعولتهن** فانهم المقصودون بالزينة
ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الموضع المعهود **او ابائهن او اباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن**
او بني اخوانهن او بني اخواتهن لكثرة المخالطة الضرورية بينهم وبينهن وقلة توقع الفتنة بينهم من قبلهم لما في طباع
الفريقين من النفرة عن مماسة القرائب ولهم ان ينظروا منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة وعدم ذكر الاعمام والاخوال
لما ان الاحوط ان يتسترن منهم حذرا من ان يصفوهن لابنائهم **او نسائهن** المختصات بهن بالصحبة والخدمة من الحرائر
المؤمنات فان الكوافر لا يتحرجن عن وصفهن للرجال **او ما ملكت ايمانهن** اي من الاماء فان عبد المرأة بمنزلة الاجنبي
منها وقيل من الاماء والعبيد لما روي انه عليه الصلوة والسلام اتى فاطمة رضي الله عنها بعبد وهبه لها وعليها
ثوب اذا قنعت به راسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ راسها فقال عليه الصلوة والسلام انه
ليس عليك باس انما هو ابوك وغلامك **او التابعين غير اولي الاربة من الرجال** اي اولي الحاجة الى النساء وهم الشيوخ
والممسوحون الهم وفي المجبوب والخصي خلاف وقيل هم البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون
شيئا من امور النساء وقرئ غير بالنصب على الحالية **او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء** لعدم تمييزهم من الظهور
بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف
ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين اي ما يخفونه من الرؤية **من زينتهن** اي لا يضربن بارجلهن الارض ليتقعقع خلخالهن
فيعلم انهن ذوات خلخال فان ذلك مما يورث الرجال ميلا اليهن ويوهم ان لهن ميلا اليهم وفي النهي عن ابداء
صوت الحلي بعد النهي عن ابداء عينها من المبالغة في الزجر عن ابداء مواضعها ما لا يخفى **وتوبوا الى الله جميعا** تلوين للخطاب
وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكل بطريق التغليب لابراز كمال العناية بما في حيزه من امر
التوبة وانها من معظمات الامور الحقيقة بان يكون سبحانه وتعالى هو الآمر بها لما انه لا يكاد يخلو احد من
المكلفين عن نوع تفريط في اقامة مواجب التكليف كما ينبغي وناهيك بقوله صلى الله عليه وسلم شيبتني سورة هود
لما في قوله عز وجل فاستقم كما امرت لا سيما اذا كان المأمور به الكف عن الشهوات وقيل توبوا عما كنتم تفعلونه
في الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكن يجب الندم عليه والعزم على تركه كلما خطر بباله وفي تكرير الخطاب بقوله
تعالى **ايها المؤمنون** تاكيد للايجاب وايذان بان وصف الايمان موجب للامتثال حتما وقرئ ايه المؤمنون
لعلكم تفلحون تفوزون بذلك بسعادة الدارين **وانكحوا الايامى منكم** بعد ما زجر تعالى عن السفاح ومبادي القربة
والبعيدة امر بالنكاح فانه مع كونه مقصودا بالذات من حيث انه مناط لبقاء النوع خير مزجر عن ذلك

والايامى

والايامى مقلوب ايايم جمع ايم وهو من لا زوج له من الرجال والنساء بكرا كان او ثيبا كما يفصح عنه قول من قال فان تنكحي
انكح وان تتايمي وان كنت افتى منكم اتايم اي زوجوا من لا زوج له من الاحرار والحرائر **والصالحين من عبادكم وامائكم** على ان الخطاب
للاولياء والسادات واعتبار الصلاح في الارقاء لان من لا صلاح له منهم بمعزل من ان يكون خليقا بان يكون يعتني
مولاه بشانه ويشفق عليه ويتكلف في نظم مصالحه بما لا بد منه شرعا وعادة من بذل المال والمنافع بل حقه ان لا يستبقيه
عنده واما عدم اعتبار الصلاح في الاحرار والحرائر فلان الغالب فيهم الصلاح على انهم مستبدون في التصرفات المتعلقة بانفسهم
واموالهم فاذا عزموا النكاح فلا بد من مساعدة الاولياء لهم اذ ليس عليه في ذلك غرامة حتى يعتبر في مقابلتها غنيمة
عائدة اليهم عاجلة او آجلة وقيل المراد بالصلاح هو الصلاح للنكاح والقيام بحقوقه **ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله**
ازاحة لما عسى يكون وازعا من النكاح من فقر احد الجانبين اي لا يمنعن فقر الخاطب او المخطوبة من المناكحة فان في فضل
الله عز وجل غنية عن المال فانه غاد ورائح يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب او وعد منه سبحانه بالاغناء لقوله
تعالى ان يكونوا فقراء الاية ولقوله عليه الصلاة والسلام اطلبوا الغنى في هذه الاية لكنه مشروط بالمشيئة كما في قوله تعالى
وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء **والله واسع** غني ذو سعة لا يرزؤه اغناء الخلائق اذ لا نفاد لنعمته
ولا غاية لقدرته ومع ذلك **عليم** يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة **وليستعفف** ارشاد
للعاجزين عن مبادي النكاح واسبابها الى ما هو اولى لهم واحرى بهم بعد بيان جواز مناكحة الفقراء اي ليجتهدوا في العفة وقطع
الشهوة **الذين لا يجدون نكاحا** اي اسباب نكاح او لا يتمكنون مما ينكح به من المال **حتى يغنيهم الله من فضله** عدة لهم بالتفضل
عليهم بالغنى ولطف بهم في استعفافهم وتقوية لقلوبهم وايذان بان فضله تعالى اولى بالاعفاء وادنى من الصلحاء **والذين**
يبتغون الكتاب بعد ما امر بالنكاح صالحي المماليك الاحقاء بالانكاح امر بكتابة من يستحقها منهم والكتاب مصدر كاتب
كالمكاتبة اي الذين يطلبون المكاتبة **مما ملكت ايمانكم** عبدا كان او امة وهي ان يقول المولى لمملوكه كاتبتك على
كذا درهما تؤديه الي وتعتق ويقول المملوك قبلته او نحو ذلك فان اداه اليه عتق قالوا معناه كتبت لك على نفسي ان
تعتق مني اذا اديت بالمال وكتبت لي على نفسك ان تفي بذلك وكتبت عليك الوفاء وكتبت على العتق عنه والتحقيق
ان المكاتبة اسم للعقد الحاصل من مجموع كلامهما كسائر العقود الشرعية المنعقدة بالايجاب والقبول ولا ريب في ان
ذلك لا يصدر حقيقة الا من المتعاقدين وليس وظيفة كل واحد منهما في الحقيقة الا الاتيان باحد شطريه معربا
عما يتم من قبله ولا يصدر عنه من الفعل الخاص به من غير تعرض لما يتم من قبل صاحبه ويصدر عنه من فعله الخاص به
الا ان الكلام من ذينك الفعلين لما كان بحيث لا يمكن تحققه في نفسه الا منوطا بتحقق الاخر ضرورة ان التزام
العتق بمقابلة البدل من جهة المولى لا يتصور تحققه وتحصله الا بالتزام البدل من طرف العبد كما ان عقد البيع
الذي هو تمليك المبيع بالثمن من جهة البائع لا يمكن تحققه الا بتملكه به من جانب المشتري لم يكن بد من
تضمين احدهما الاخر وقت الانشاء لعقد البيع على معنى انه ايقاع لما يتم من قبله اصالة ولما يتم من قبل المشتري
ضمنا ايقاعا متوقفا على رايه توقفا شبيها بتوقف عقد الفضولي كذلك قول المولى كاتبتك على كذا انشاء لعقد
الكتابة اي ايقاع لما يتم من قبله من التزام العتق بمقابلة البدل اصالة ولما يتم من قبل العبد من التزام البدل ايقاعا
متوقفا على قبوله فاذا قبل تم العقد ومحل الموصول الرفع على الابتداء خبره **فكاتبوهم** والفاء لتضمنه معنى الشرط او
النصب على انه مفعول لمضمر يفسره هذا والامر فيه للندب لان الكتابة عقد يتضمن الارفاق فلا يجب كغيرها ويجوز
حالا او مؤجلا ومنجما وغير منجم وعند الشافعي لا يجوز الا مؤجلا منجما وقد فصل في موضعه **ان علمتم فيهم خيرا**
اي امانة ورشدا وقدرة على اداء البدل بتحصيله من وجه حلال وصلاحا لا يؤذي الناس بعد العتق واطلاق
العنان **وآتوهم من مال الله الذي آتاكم** امر للموالي ببذل شيء من اموالهم وفي حكمه حط شيء من مال الكتابة ويكفي في
ذلك اقل ما يتمول وعن علي رضي الله عنه حط الربع وعن ابن عباس رضي الله عنهما الثلث وهو المندوب عندنا
وعند الشافعي الوجوب ويرده قوله عليه الصلوة والسلام المكاتب عبد ما بقي عليه درهم اذ لو وجب الحط لسقط عنه

نفسهم

البائي حتما وايضا لو وجب الحط لكان وجوبه معلقا بالعقد فيكون العقد موجبا ومسقطا معا وايضا فهو عقد معاوضة اذ لا يجب على الحطيطة كالبيع وقيل معنى آتوهم اقرضوهم وقيل هو امر لهم بان ينفقوا عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا واضافة المال اليه تعالى ووصفه بايتائه اياهم للحث على الامتثال بالامر بتحقيق المامور به كما في قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فان ملاحظة وصول المال اليهم من جهته تعالى مع كونه هو المالك الحقيقي له من اقوى الدواعي على صرفه الى الجهة المامور بها وقيل هو امر باعطاء سهم من الصدقات فالامر للوجوب حتما والاضافة والوصف لتعيين الاخذ وقيل هو امر باعطاء سهم من الصدقات فالامر للوجوب حتما ندب لعامة المسلمين باعانة المكاتبين بالتصدق عليهم ويحل ذلك للمولى وان كان غنيا لتبدل العنوان حسبما ينطق به قوله عليه الصلاة والسلام في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية **ولا تكرهوا فتياتكم** اي امائكم فان كلا من الفتى والفتاة كناية مشهورة عن العبد والامة وعلى ذلك مبنى قوله عليه الصلوة والسلام ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي ولهذه العبارة في هذا المقام باعتبار مفهومها الاصلي حسن موقع ومزيد مناسبة لقوله تعالى **على البغاء** وهو الزناء من حيث صدوره عن النساء لانهن اللاتي يتوقع منهن ذلك غالبا دون ما عداهن من العجائز والصغائر وقوله تعالى **ان اردن تحصنا** ليس لتخصيص النهي بصورة ارادتهن التعفف عن الزناء واخراج ما عداها من حكمه كما اذا كان الاكراه بسبب كراهتهن الزناء لخصوص الزاني او لخصوص الزمان او لخصوص المكان او لغير ذلك من الامور المصححة للاكراه في الجملة بل للمحافظة على عادتهم المستمرة حيث كانوا يكرهونهن على البغاء وهن يردن التعفف عنه مع وفور شهوتهن الآمرة بالفجور وقصورهن في معرفة الامور الداعية الى المحاسن الزاجرة عن تعاطي القبائح فان عبد الله بن ابي كانت له ست جوار يكرههن وضرب عليهن ضرائب فشكت اثنتان منهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفيه من زيادة تقبيح حالهم وتشنيعهم على ما كانوا يفعلونه من القبائح ما لا يخفى فان من له ادنى مروة لا يكاد يرضى بفجور من يحويه حرمه من امائه فضلا عن امرهن به او اكراههن عليه لا سيما عند ارادتهن التعفف فتامل ودع عنك ما قيل من ان ذلك لان الاكراه لا يتاتى الا مع ارادة التحصن وما قيل من ان ارتفاع النهي لامتناع المنهي عنه فانهما بمعزل من التحقيق وايا ما كان فانه على ذامع تحقق الارادة في مورد النص حتما للايذان بوجوب الانتهاء عن الاكراه عند ارادة التحصن في حيز التردد والشك فكيف اذا كانت محققة الوقوع كما هو الواقع وتعليله بان الارادة المذكورة منهن في حيز الشاذ النادر مع خلوه عن الجدوى بالكلية يأباه اعتبار تحققها ابا ظاهرا وقوله تعالى **لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا** قيد للاكراه لكن لا باعتبار انه مدار للنهي عنه بل باعتبار انه المعتاد فيما بينهم كما قبله جيء به تشنيعا لهم فيما هم عليه من احتمال الوزر الكبير لاجل النزر الحقير اي لا تفعلوا ما انتم عليه من اكراههن على البغاء لطلب المتاع السريع الزوال الوشيك الاضمحلال فالمراد بالابتغاء الطلب المقارن لنيل المطلوب واستيفائه بالفعل اذ هو الصالح لكونه غاية للاكراه مترتبا عليه لا المطلق المتناول للطلب السابق الباعث عليه **ومن يكرههن** الى آخره جملة مستانفة سيقت لتقرير النهي وتاكيد وجوب العمل به ببيان خلاص المكرهات عن عقوبة المكره عليه عبارة ورجوع غائلة الاكراه الى المكرهين اشارة اي ومن يكرههن على البغاء **فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم** اي لهن كما وقع في مصحف ابن مسعود وعليه قراءة ابن عباس رضي الله عنهما وكما ينبئ عنه قوله تعالى من بعد اكراههن اي كونهن مكرهات على ان الاكراه مصدر من المبني للمفعول فان توسيطه بين اسم ان وخبرها للايذان بان ذلك هو السبب للمغفرة والرحمة وكان الحسن البصري اذا قرأ هذه الاية يقول لهن والله لهن وفي تخصيصهما بهن وتعيين مدارهما مع سبق ذكر المكرهين ايضا في الشرطية دلالة بينة على انهم محرومون منهما بالكلية كانه قيل لا للمكره ولظهور هذا التقدير اكتفي ببعض العائد على اسم الشرط فيجوز تعليقهما بهم بشرط التوبة استقلالا او معهن اخلال بجزالة النظم الكريم وتهوين لامر النهي في مقام التهويل وحاجتهن الى المغفرة المنبئة عن سابقة الاثم اما باعتبار انهن وان اكرهن لا يخلون في تضاعيف الزنا عن شائبة مطاوعة ما بحكم الجبلة البشرية واما باعتبار ان الاكراه قد يكون قاصرا عن حد الالجاء المزيل للاختيار بالمرة واما الغاية تهويل امر الزناء وحث المكرهات على التثبت في التجافي عنه والتشديد في تحذير المكرهين ببيان انهن

حيث كن

حيث كن عرضة للعقوبة لولا ان تداركهن المغفرة والرحمة مع قيام العذر في حقهن فما حال من يكرههن في استحقاق العذاب **ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات** كلام مستانف جيء به في تضاعيف ما ورد من الآيات السابقة واللاحقة لبيان جلالة شؤونها الموجبة للاقبال الكلي على العمل بمضمونها وصدر بالقسم الذي يعرب عنه اللام لابراز كمال العناية بانه اي وبالله لقد انزلنا لكم في هذه السورة الكريمة آيات مبينات لكل ما بكم حاجة الى بيانه من الحدود وسائر الاحكام والآداب وغير ذلك مما هو من مبادي بيانها على ان اسناد التبيين اليها مجازي او آيات واضحات تصدقها الكتب القديمة والعقول السليمة على ان مبينات من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين وقرئ على صيغة المفعول اي التي بينت واوضحت في هذه السورة معاني الاحكام والحدود وقد جوز ان يكون الاصل مبينا فيها الاحكام فاتسع فيها في الظرف باجرائه مجرى المفعول **ومثلا من الذين خلوا من قبلكم** عطف على آيات اي وانزلنا مثلا كائنا من قبيل امثال الذين خلوا ومضوا من قبلكم من القصص العجيبة والامثال الغريبة لهم في الكتب السابقة والكلمات الجارية على السنة الانبياء عليهم السلام فنظم قصة عائشة رضي الله عنها المحكية لقصة يوسف عليه السلام وقصة مريم رضي الله عنها وسائر الامثال الواردة في السورة انتظاما واضحا وتخصيص الآيات البينات بالسوابق وحمل المثل على القصة العجيبة فقط يأباه تعقيب بما سيأتي من التمثيلات **وموعظة** تتعظون به وتنزجرون عما لا يليق ولا ينبغي من المحرمات والمكروهات وسائر ما يخل بمحاسن الآداب وهي عبارة عما سبق من الآيات والمثل لظهور كونها من المواعظ بالمعنى المذكور ومدار العطف هو التغاير العنواني المنزل منزلة التغاير الذاتي وقد خصت الآيات بما بين الحدود والاحكام والموعظة بما وعظ به من قوله تعالى لولا اذ سمعتموه وغير ذلك من الآيات الواردة في شأن الآداب وانما قيل **للمتقين** شمول الموعظة للكل حسب شمول الانزال لقوله تعالى انزلنا اليكم حثا للمخاطبين على الاعتناء بالانتظام في سلك المتقين ببيان انهم المغتنمون لآثارها المقتبسون من انوارها وقيل المراد بالآيات المبينات والمثل والموعظة جميع ما في القرآن المجيد من الآيات والمواعظ فقوله تعالى **الله نور السموات والارض** الى آخره استئناف مسوق لتقرير ما فيها من البيان مع الاشعار بكونه غاية الكمال على الوجه الذي ستعرفه واما على الاول فلتحقيق ان بيانه تعالى ليس مقصورا على ما ورد في السورة الكريمة بل شامل لكل ما يحتاج بيانه من الاحكام والشرائع ومباديها وغاياتها المترتبة عليها في الدنيا والآخرة وغير ذلك مما له مدخل في البيان وانه واقع منه تعالى على اتم الوجوه واكملها حيث عبر عنه بالتنوير الذي هو اقوى مراتب البيان واجلاها وعبر عن المنور بنفس النور تنبيها على قوة التنوير وشدة التاثير وايذانا بانه تعالى ظاهر بذاته وما عداه مستنير به واضيف النور الى السموات والارض للدلالة على كمال شيوع البيان المستعار له وغاية شموله لكل ما يليق من الامور التي لها مدخل في ارشاد الناس بوساطة بيان شمول المستعار منه لجميع ما يقبله ويستحقه من الاجرام العلوية والسفلية فانهما قطرا العالم الجسماني الذي لا مظهر للنور الحسي سواه او على شمول البيان لاحوالهما واحوال ما فيهما من الموجودات اذ ما من موجود الا وقد بين من احوال ما يستحق البيان اما تفصيلا او اجمالا كيف لا ولا ريب في بيان كونه دليلا على وجود الصانع وصفاته وشاهدا بصحة البعث او على تعلق البيان باهلهما كما قال ابن عباس رضي الله عنهما هادي اهل السموات والارض فهم بنوره يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة ينجون هذا واما حمل التنوير على اخراجه تعالى للماهيات من العدم الى الوجود اذ هو الاصل في الاظهار كما ان الاعدام هو الاصل في الاخفاء او على تزيين السموات بالنيرين وسائر الكواكب وما يفيض عنها من الانوار وبالملائكة عليهم السلام وتزيين الارض بالانبياء عليهم السلام والعلماء والمؤمنين او بالنبات والاشجار او على تدبيره تعالى لامورهما وامور ما فيهما فمما لا يلائم المقام ولا يساعده حسن النظام **مثل نوره** اي نوره الفائض منه تعالى الى الاشياء المستنيرة به وهو القرآن المبين كما يعرب عنه ما قبله من وصف الآيات بالانزال والتبيين وقد صرح بكونه نورا ايضا في قوله تعالى وانزلنا اليكم نورا مبينا وبه قال ابن عباس والحسن وزيد بن اسلم رضي الله عنهم وجعله عبارة عن الحق وان شاع استعارته له كاستعارة الظلمة للباطل يأباه مقام بيان

الايات ووصفها بما ذكر من التبيين مع عدم سبق ذكر الحق ولان المعتبر في مفهوم النور هو الظهور والاظهار كما هو شان القرآن الكريم واما الحق فالمعتبر في مفهومه من حيث هو حق هو الظهور لا الاظهار والمراد بالمثل الصفة العجيبة اي صفة نوره العجيبة **كمشكوة** اي كصفة كوة غير نافذة في الجدار في الابانة والتنوير **فيها مصباح** سراج ضخم ثاقب وقيل المشكاة الانبوبة في وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة **المصباح في زجاجة** اي قنديل من الزجاج الصافي الازهر وقرئ بفتح الزاء وكسرها في الموضعين **الزجاجة كانها كوكب دري** متلالئ وقاد شبيه بالدر في صفائه وزهرته ودراري الكواكب عظامها المشهورة وقرئ دري بدال مكسورة وراء مثلها وياء ممدودة بعدها همزة على انه فعيل من الدرء وهو الدفع اي مبالغ في دفع الظلام بضوئه او في دفع بعض اجزائه ضيائه لبعض عند البريق واللمعان وقرئ بضم الدال والباقي على حاله وفي اعادة المصباح والزجاجة معرفين اثر سبقهما منكرين والاخبار عنهما بما بعدهما مع انتظام الكلام بان يقال كمشكوة فيها مصباح في زجاجة كانها كوكب دري من تفخيم شانهما ورفع مكانهما بالتفسير اثر الابهام والتفصيل بعد الاجمال وباثبات ما بعدهما لهما بطريق الاخبار المنبئ عن القصد الاصلي دون الوصف المنبئ عن الاشارة الى الثبوت في الجملة ما لا يخفى ومحل الجملة الاولى الرفع على انها صفة لمصباح ومحل الثانية الجر على انها صفة لزجاجة واللام مغنية عن الرابط كانه قيل فيها مصباح هو في زجاجة هي كانها كوكب دري **يوقد من شجرة** اي يبتدأ ايقاد المصباح من شجرة **مباركة** اي كثيرة المنافع بان رويت ذبالته بزيتها وقيل

ذبالة

انما وصفت بالبركة لانها تنبت في الارض التي بارك الله تعالى فيها للعالمين **زيتونة** بدل من شجرة وفي ابهامها ووصفها بالبركة ثم الابدال عنها تفخيم لشانها وقرئ توقد بالتاء على ان الضمير القائم مقام الفاعل للزجاجة دون المصباح وقرئ توقد على صيغة الماضي من التفعل اي ابتدأ ثبوت المصباح منها وقرئ توقد بحذف احدى التائين من تتوقد على اسناده الى الزجاجة **لا شرقية ولا غربية** تقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث يقع عليها طول النهار كالتي على قلة او صحراء واسعة فيقع الشمس حالتي الطلوع والغروب وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة رضي الله عنهم وقال الفراء والزجاج لا شرقية وحدها ولا غربية وحدها لكنها شرقية غربية تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية غربية تاخذ حظها من الامرين فيكون زيتها اضوأ وقيل لا نابتة في الشرق المعمورة ولا في غربها بل وسطها وهو الشام فان زيتونها اجود ما يكون وقيل لا في مضحى تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها ولا في مقناة تغيب عنها دائما فتتركها نيا وفي الحديث لا خير في شجرة ولا نبات في مقناة ولا خير فيهما في مضحى **يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار** اي هو في الصفاء والانارة بحيث يكاد يضيء بنفسه من غير مساس نار اصلا وكلمة لو في امثال هذه المواقع ليست لبيان انتفاء شيء في الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له اجمالا بادخالها على ابعدها منه اما لوجود المانع كما في قوله تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة واما لعدم الشرط كما في هذه الاية الكريمة ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع ما فيه من وجود المانع او عدم الشرط فلان يتحقق بدون ذلك اولى ولذلك لا يذكر معه شيء آخر من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال وهذا امر مطرد في الخبر الموجب والمنفي فانك اذا قلت فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا او بخيل لا يعطي ولو كان غنيا تريد تحقق الاعطاء في الاول وعدم تحققه في الثاني في جميع الاحوال المفروضة والتقدير يعطي لو لم يكن فقيرا ولو كان فقيرا ولا يعطي لو لم يكن غنيا ولو كان غنيا فالجملة مع ما عطفت هي عليه في حيز النصب على الحالية من المستكن في حيز النصب على الحالية من المستكن في الفعل الموجب او المنفي اي يعطي او لا يعطي كائنا على جميع الاحوال وتقدير الاية

الكريمة يكاد زيتها يضيء لو مسته نار ولو لم تمسسه نار اي يضيء كائنا على كل حال من وجود الشرط وعدمه وقد حذفت الجملة الاولى حسبما هو المطرد في الباب لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة **نور** خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى **على نور** متعلق بمحذوف هو صفة مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة والجملة فذلك للتمثيل وتصريح بما حصل منه وتمهيد لما يعقبه اي ذلك النور الذي عبر به عن القرآن ومثلت صفته العجيبة الشان بما فصل من صفة المشكاة نور عظيم كائن على نور كذلك لا على انه عبارة عن نور واحد معين او غير معين فوق نور آخر مثله ولا عن مجموع نورين اثنين فقط بل عن نور متضاعف من غير تحديد لتضاعفه بحد معين وتحديد لمراتب تضاعف ما مثل به من نور المشكاة بما ذكر لكونه اقصى مراتب تضاعفه عادة فان المصباح اذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان اضوأ له واجمع لنوره بسبب انضمام الشعاع بخلاف المكان المتسع فان الضوء ينبث فيه وينتشر والقنديل اعون شيء على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاؤه وليس وراء هذه المراتب مما يزيد انوارها اشراقا ويمدها باضاءة مرتبة اخرى عادة هذا وجعل النور عبارة عن النور المشبه به مما لا يليق بشان التنزيل الجليل **يهدي الله لنوره** اي يهدي هداية خاصة موصلة الى المطلوب حتما لذلك النور المتضاعف العظيم الشان واظهاره في مقام الاضمار لزيادة تقريره وتاكيد فخامته الذاتية بفخامته الاضافية الناشئة من اضافته الى ضميره عز وجل **من يشاء** هدايته من عباده بان يوفقهم لفهم ما فيه من دلائل حقيقته وكونه من عند الله تعالى من الاعجاز والاخبار عن الغيب وغير ذلك من موجبات الايمان به وفيه ايذان بان مناط هذه الهداية وملاكها ليس الا مشيئة الله تعالى وان تظاهر الاسباب بدونها بمعزل من الافضاء الى المطالب **ويضرب الله الامثال للناس** في تضاعيف الهداية حسبما يقتضي حالهم فان له دخلا عظيما في باب الارشاد لانه ابراز للمعقول في هيئة المحسوس وتصوير لاوابد المعاني بصورة المانوس ولذلك مثل لنوره المعبر عن القرآن المبين بنور المشكاة واظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار للايذان باختلاف حال ما اسند اليه تعالى من الهداية الخاصة وضرب الامثال الذي هو الهداية العامة كما يفصح عنه تعليق الاولى بمن يشاء والثانية بالناس كافة **والله بكل شيء عليم** معقولا كان او محسوسا ظاهرا كان او باطنا ومن قضيته ان يتعلق مشيئته بهداية من يليق بها ويستحقها من الناس دون من عداهم لمخالفته الحكمة التي عليها مبنى التكوين والتشريع وان يكون هدايته العامة على فنون مختلفة وطرائق شتى حسبما يقتضيه احوالهم والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله واظهار الاسم الجليل لتاكيد استقلال الجملة والاشعار بعلة الحكم وبما ذكر من اختلاف حال المحكوم به ذاتا وتعلقا **في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه** لما ذكر شان القرآن الكريم في بيانه للشرائع والاحكام ومباديها وغاياتها المترتبة عليها من الثواب والعقاب وغير ذلك من احوال الآخرة واهوالها واشير الى كونه في غاية ما يكون من التوضيح والاظهار حيث مثل بما فصل من نور المشكاة واشير الى ان ذلك النور مع كونه اقصى مراتب الظهور انما يهتدي بهداه من تعلقت مشيئته تعالى بهدايته دون من عداه عقيب ذلك بذكر الفريقين وتصوير بعض اعمالهم المعربة عن كيفية حالهم في الاهتداء وعدمه والمراد بالبيوت المساجد كلها حسبما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل هي المساجد التي بناها نبي من انبياء الله تعالى الكعبة التي بناها ابرهيم عليه السلام وبيت المقدس الذي بناه داود وسليمان عليهما السلام ومسجد المدينة ومسجد قبا اللذان بناهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنكيرها للتفخيم والمراد بالاذن في رفعها الامر ببنائها رفيعة كسائر البيوت وقيل هو الامر برفع مقدارها بعبادة الله تعالى فيها فيكون عطف الذكر عليه من قبيل العطف التفسيري واياما كان فالتعبير عنه بالاذن تلويح بان اللائق بحال المامور ان يكون متوجها الى المامور به قبل ورود الامر به ناويا لتحقيقه كانه مستاذن في ذلك فيقع الامر موقع الاذن فيه والمراد بذكر اسمه تعالى ما يعم جميع اذكاره تعالى وكلمة في متعلقة بقوله تعالى **يسبح له** وقوله تعالى **فيها** تكرير لها للتاكيد والتذكير لما بينهما من الفاصلة وللايذان بان التقديم للاهتمام لا لقصر التسبيح على الوقوع في البيوت فقط واصل التسبيح التنزيه والتقديس يستعمل باللام وبدونها كما في قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى قالوا اريد به الصلوات المفروضة كما ينبئ عنه تعيين الاوقات بقوله تعالى **بالغدو والاصال** اي بالغدوات والعشايا على ان الغدو اما جمع

غداة كفتى جمع فتاة كما قيل او مصدر اطلق على الوقت حسبما يشعر به اقترانه بالاصال وهو جمع اصيل وهي العشي
وهو شامل للاوقات ما عدا صلاة الفجر المؤداة بالغداة ويجوز ان يراد به نفس التسبيح على انه عبارة عما يقع عنه في
اوقات الصلوات واثنيها الزيادة شرفه وانافته على سائر افراده او عما يقع في جميع الاوقات وافرادطرفي النهار بالذكر
لقيامها مقام كلها لكونهما العمدة فيها بكونهما مشهودين وكونهما اشهر ما يقع فيه المباشرة للاعمال والاشتغال
بالاشتغال وقرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل وقوله تعالى **رجال** فاعل يسبح وتاخيره عن الظروف لما مر
مرارا او من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ولان في وصفه نوع تطويل فيخل تقديمه بحسن الانتظام وقرئ
يسبح على البناء للمفعول باسناده الى احد الظروف ورجال مرفوع بما ينبئ عنه حكاية الفعل من غير تسمية الفاعل
على طريقة قوله ليبك يزيد ضارع لخصومة كانه قيل من يسبح له فقيل يسبح له رجال وقرئ تسبح بتاء الفعل
مبنيا للفاعل لان جمع التكسير قد يعامل معاملة المؤنث ومبنيا للمفعول الى ان يسند الى اوقات والاصال بزيادة
ويجعل الاوقات مسبحة مع كونها مسبحا فيها او يسند الى ضمير التسبيحة اي تسبح له التسبيحة على المجاز المسوغ لاسناده
الى اولوقتين كما خرجوا قراءة ابي جعفر ليجزي قوما اي ليجزي الجزاء قوما بل هذا اولى من ذلك ها هنا مفعول صريح **لا**
تلهيهم تجارة صفة لرجال موكدة لما افاده التنكير من الفخامة مفيدة لكمال تبتلهم الى الله تعالى واستغراقهم فيما
حكي عنهم من التسبيح من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم كائنا ما كان وتخصيص التجارة بالذكر لكونها اقوى الصوارف
عندهم واشهرها اي لا يشغلهم نوع من انواع التجارة **ولا بيع** اي ولا فرد من افراد البياعات وان كان في غاية الربح وافراده
بالذكر مع اندراجه تحت التجارة للايذان بانافته على سائر افرادها لان ربحه متيقن ناجز وربح ما عداه متوقع في
ثاني الحال عند البيع فلم يلزم من نفي الهائه نفي الهاء ما عداه ولذلك كررت كلمة لا لتذكير النفي وتاكيده وقد نقل عن الواقدي
ان المراد بالتجارة هو الشرى لانه اصلها ومبدؤها وقيل هو الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر في كذا اي
جلبه **عن ذكر الله** بالتسبيح والتحميد **واقام الصلوة** اي اقامتها في مواقيتها من غير تاخير وقد اسقطت التاء المعوضة
عن العين الساقطة بالاعلال وعوض عنها الاضافة كما في قوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا اي عدة الامر **وايتاء الزكوة**
اي المال الذي فرض اخراجه للمستحقين وايراده ها هنا وان لم يكن مما يفعل في البيوت لكونه قرينة لا تفارق واقامة
الصلوة في عامة المواضع مع ما فيه من التنبيه على ان محاسن اعمالهم غير منحصرة فيما يقع في المساجد وكذلك قوله
تعالى **يخافون** الى آخره فانه صفة ثانية لرجال او حال من مفعول لا تلهيهم واياما كان فليس خوفهم مقصورا على كونهم
في المساجد وقوله تعالى **يوما** مفعول ليخافون لا ظرف له وقوله تعالى **تتقلب فيه القلوب والابصار** صفة ليوما
اي تضطرب وتتغير في انفسها من الهول والفزع وتشخص كما في قوله تعالى واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب
الحناجر او تتغير احوالها وتتقلب فتفقه القلوب بعد ان كانت مطبوعا عليها وتبصر بعد ان كانت عميا او تتقلب
القلوب بعد توقع النجاة وخوف الهلاك والابصار من اي ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم **ليجزيهم الله** متعلق
بمحذوف يدل عليه ما حكي من اعمالهم المرضية اي يفعلون ما يفعلون من المداومة على التسبيح والذكر وايتاء
الزكوة والخوف من غير صارف لهم من ذلك ليجزيهم الله تعالى **احسن ما عملوا** اي احسن جزاء اعمالهم حسبما وعدهم
بمقابلة حسنة واحدة عشرة امثالها الى سبعمائة ضعف **ويزيدهم من فضله** اي يتفضل عليهم باشياء لم توعدهم
بخصوصياتها او بمقاديرها ولم يخطر ببالهم كيفياتها ولا كمياتها بل انما وعدت بطريق الاجمال في مثل قوله تعالى
للذين احسنوا الحسنى وزيادة وقوله عليه الصلوة والسلام حكاية عنه عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا
عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وغير ذلك من المواعيد الكريمة التي من جملتها قوله تعالى **والله**
يرزق من يشاء بغير حساب فانه تذييل مقرر للزيادة ووعد كريم بانه تعالى يعطيهم غير اجزية اعمالهم من الخيرات
ما لا يفي به الحساب واما عدم سبق الوعد بالزيادة ولو اجمالا او عدم خطورها ببالهم او بوجه ما فيأباه
نظمها في سلك الغاية والموصول عبارة عمن ذكرت صفاتهم الجميلة كانه قيل والله يرزقهم بغير حساب ووضع

انواعها
لتذكير

موضع

موضع ضميرهم للتنبيه بما في حيز الصلة على ان مناط الرزق المذكور محض مشيئته تعالى لا اعمالهم المحكية كما انها
المناط لما سبق من الهداية لنوره تعالى لا لظاهر الاسباب وللايذان بانهم ممن شاء الله تعالى ان يرزقهم كما انهم
ممن يشاء الله تعالى ان يهديهم لنوره حسبما يعرب عما فصل من اعمالهم الحسنة فان جميع ما ذكر من الذكر والتسبيح
واقامة الصلوة وايتاء الزكوة خوف اليوم الآخر واهواله ورجاء الثواب مقتبس من القرآن العظيم الذي هو
المعني بالنور وبه تم بيان احوال من اهتدى بهداه على اوضح وجه واجلاه هذا وقد قيل قوله تعالى في بيوت الى آخره
من تتمة التمثيل وكلمة في متعلقة بمحذوف هو صفة لمشكاة اي كائنة في بيوت وقيل المصباح وقيل الزجاجة
وقيل متعلقة بتوقد والكل مما لا يليق بشان التنزيل الجليل كيف لا وان ما بعد قوله تعالى بكل شيء عليم متعلق
بالممثل قطعا فتوسيطه بين اجزاء التمثيل مع كونه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه بالاجنبي يؤدي الى كون ذكر حال
المتقين بالتمثيل المهتدين لنور القرآن العظيم بطريق الاستتباع والاستطراد مع كون بيان حال اضدادهم
مقصودا بالذات ومثل هذا مما لا عهد به في كلام الناس فضلا ان يحمل عليه الكلام المعجز **والذين كفروا** عطف على ما ينساق
اليه ما قبله كانه قيل الذين امنوا اعمالهم حالا وما لا كما وصف والذين كفروا **اعمالهم** اي اعمالهم التي هي من ابواب
البر كصلة الارحام وفك الاسارى وسقاية الحاج وعمارة البيت واغاثة الملهوف وقرى الاضياف وغير ذلك
مما لو قارنه الايمان لاستتبع الثواب كما في قوله تعالى مثل الذين كفروا اعمالهم كرماد الاية **كسراب** وهو ما يرى في الفلوات
من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن انه ماء يسرب اي يجري **بقيعة** متعلق بمحذوف هو صفة لسراب اي
كائن في قاع وهي الارض المنبسطة المستوية وقيل هي جمع قاع كجيرة جمع جار وقرئ بقيعات بتاء ممدودة كديمات
اما على انها جمع قيعة او على ان الاصل قيعة قد اشبعت فتحة العين فتولد منها الف **يحسبه الظمآن ماء** صفة اخرى
لسراب وتخصيص الحسبان بالظمآن مع شموله لكل من يراه كائنا من كان من العطشان والريان لتكميل التشبيه
بتحقيق شركة طرفيه في وجه الشبه الذي هو المطلع المطمع والمقطع المؤيس **حتى اذا جاءه** اي اذا جاء العطشان
ما حسبه ماء وقيل موضعه **لم يجده** اي ما حسبه ماء وعلق به رجاه **شيئا** اصلا لا محققا ولا متوهما كما كان
يراه من قبل فضلا عن وجدانه ماء وبه تم بيان احوال الكفرة بطريق التمثيل وقوله تعالى **ووجد الله عنده فوفاه**
حسابه والله سريع الحساب بيان لبقية احوالهم العارضة لهم بعد ذلك بطريق التكملة لئلا يتوهم ان قصارى
امرهم هو الخيبة والقنوط فقط كما هو شان الظمآن ويظهر انه يعتريهم بعد ذلك من سوء الحال ما لا قدر
عنده للخيبة اصلا فليست الجملة معطوفة على لم يجده شيئا بل على ما يفهم منه بطريق التمثيل من عدم وجد
الكفرة من اعمالهم المذكورة عينا ولا اثرا كما في قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا كيف
لا وان الحكم بان اعمال الكفرة كسراب يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا حكم بانها يحسبونها في
الدنيا نافعة لهم في الآخرة حتى اذا جاؤها لم يجدوها شيئا ووجد الله اي حكمه وقضاءه عند المجيء وقيل عند
العمل فوفاهم اي اعطاهم وافيا كاملا حسابهم اي حساب اعمالهم المذكورة وجزاءها فان اعتقادهم لنفعها
بغير ايمان وعملهم بموجبه كفر على كفر موجب للعقاب قطعا وافراد الضميرين الراجعين الى الذين كفروا اما لارادة
الجنس كالظمآن الواقع في التمثيل واما للحمل على كل واحد منهم وكذا افراد ما يرجع الى اعمالهم هذا وقد قيل انزلت
في عتبة بن ربيعة بن امية كان قد تعبد في الجاهلية ولبس المسوح والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر **او كظلمات**
عطف على كسراب وكلمة او للتنويع اثر ما مثلت اعمالهم التي كانوا يعتمدون عليها اقوى اعتماد ويفتخرون بها في
كل واد وناد بما ذكر من حال السراب مع زيادة حساب وعقاب مثلت اعمالهم القبيحة التي ليس فيها شائبة خير
يغتر بها المغترون بظلمات كائنة **في بحر لجي** اي عميق كثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم البحر وقيل الى اللجة
وهي ايضا معظمه **يغشاه** صفة اخرى للبحر اي يستره ويغطيه بالكلية **موج** وقوله تعالى **من فوقه موج** جملة من مبتدا
وخبر محلها الرفع على انها صفة لموج او الصفة هي الجار والمجرور وموج الثاني فاعل له لاعتماده على الموصوف والكلام

ق

رابع

ن

ده
١

نه كامر في قوله تعالى نور على نور اي يغشاه امواج متراكمة بعضها على بعض وقوله تعالى من فوقه سحاب صفة
للموج الثاني على احد الوجهين المذكورين اي من فوق ذلك الموج سحاب ظلماني ستر اضواء النجوم وفيه ايماء الى غاية تراكم الامواج
وتضاعفها حتى كانها بلغت السحاب ظلمات خبر مبتدإ محذوف اي ظلمات بعضها فوق بعض اي متكاثفة متراكمة وهذا
بيان لكمال شدة الظلمات كما ان في قوله تعالى نور على نور لغاية قوة النور خلا ان ذلك متعلق بالمشبه وهذا بالمشبه به
كما يعرب عنه ما بعده وقرئ بالجر على الابدال من الاولى وقرئ باضافة السحاب اليها اذا اخرج [illegible]
من غير ذكر لدلالة المعنى عليه دلالة واضحة يده وجعلها بمرأى منه قريبة من عينه لينظر اليها لم يكد يراها وهي اقرب
شيء منه فضلا عن ان يراها ومن لم يجعل الله له نورا الى اخره اعتراض تذييلي جيء به لتقرير ما افاده التمثيل من ان اعمال الكفرة
تحقيق ان ذلك لعدم هدايته تعالى اياهم لنوره الذي هو القران وايراد الموصول للاشارة الى ما في حيز الصلة
الى علة الحكم وانهم ممن لم يشاء الله ان يهديه لنوره الذي هو القران هداية خاصة مستتبعة للاهتداء
للايمان به فما له من نور اي فما له هداية ما من احد اصلا وقوله تعالى الم تر اي الم تعلم خوطب به النبي
صلى الله عليه وسلم للايذان بانه تعالى قد افاض عليه عليه الصلوة والسلام اعلى مراتب النور واجلاها وبين له من
اسرار الملك والملكوت ادقها واخفاها والهمزة للتقرير اي قد علمت يقينا سببها بالمشاهدة [illegible]
التوضيح والاستدلال الصحيح ان الله يسبح له اي ينزهه تعالى على الدوام في ذاته وصفاته وافعاله عن كل ما لا يليق
بشانه الجليل من نقص وخلل من في السموات والارض اي ما فيهما بطريق الاستقرار فيهما من العقلاء وغيرهم كائنا ما كان
او بطريق الجزئية منها تنزيها معنويا تفهمه العقول السليمة فان كل موجود من الموجودات الممكنة مركبا كان او بسيطا
فهو من حيث ماهيته ووجوده واحواله يدل على وجود صانع واجب الوجود متصف بصفات الكمال مقدس عن كل ما
لا يليق بشان من شؤونه الجليلة وقد نبه على كمال قوة تلك الدلالة وغايته وصوحها حيث عبر عنها بما يخص العقلاء من
من التسبيح الذي هو اقوى مراتب التنزيه واظهرها تنزيلا للسان الحال منزلة لسان المقال واكد ذلك بايثار
كلمة من على ما كان كل شيء مما عزوه هان وكل فرد من افراد الاعراض والاعيان عاقلا كان او غير عاقل
وعن سلطانه وتخصيص التنزيه بالذكر مع دلالة ما فيهما على اتصافه تعالى بنعوت الكمال ايضا لما ان مساق الكلام
لتقبيح حال الكفرة في اخلالهم بالتنزيه وبجعلهم الجمادات شركاء له في الالوهية ونسبتهم اليه اتخاذ الولد تعالى
عن ذلك علوا كبيرا وحمل التسبيح على ما يليق بكل نوع من انواع المخلوقات بان يراد به معنى مجازي شامل للتسبيح المقالي
وغيرهم حسبما هو المتبادر من قوله تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه ويرده ان بعضا من العقلاء وهم الكفرة من
المتقلين لا يسبحونه بذلك المعنى قطعا وانما تسبيحهم ما ذكر من الدلالة التي يشاركهم فيها غير العقلاء ايضا وفيه من بد
تخجيلهم وتقبيح حالهم ما لا يخفى من بيان انهم يسبحونه تعالى باعتبار احسن حياتهم التي هي الجمادية والجسمية والحيوانية ولا يسبحونه
باعتبار اخص احوالهم التي هي الانسانية والطير بالرفع عطفا على من وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في جملة ما في الارض لعدم
استمرار قرارها فيها واستقلالها بصنع بادع وانشاء رابع قصد بيان تسبيحها من تلك الجهة لوضوح انبائها عن كمال
قدرة صانعها ولطف تدبير مبدعها حسبما يعرب عنه التقييد بقوله تعالى صافات اي تسبحه تعالى حال كونها
صافات اجنحتها فان اعطاه تعالى للاجرام الثقيلة ما يتمكن به من الوقوف في الجو والحركة كيف يشاء من الاجنحة
والاذناب الخفيفة وارشادها الى كيفية استعمالها في القبض والبسط حجة نيرة واضحة المكنون واية بينة
لقوم يعقلون دالة على كمال قدرة الصانع المجيد وغاية حكمة المبدي المعيد وقوله تعالى كل قد علم صلوته وتسبيحه
بيان لكمال عراقة كل واحد مما ذكر في التنزيه ورسوخ قدمه فيه بتمثيل حاله بحال من يعلم ما يصدر عنه من الافاعيل
فيفعلها عن قصد ونية لا عن اتفاق بلا روية وقد ادمج في تضاعيفه الاشارة الى ان لكل واحد من الاشياء المذكورة
مع ما ذكر من التنزيه حاجة ذاتية اليه تعالى واستفاضة منه لما يهمه بلسان استعداده وتحقيقه ان كل واحد من
الموجودات الممكنة في حد ذاته بمعزل عن استحقاق الوجود لكنه مستعد لانه يفيض عليه منه تعالى ما يليق بشانه

من الوجود وما يتبعه من الكمالات ابتداء وبقاء فهو مستفيض منه تعالى على الاستمرار فيفيض عليه في كل آن من فنون
الفيوض المتعلقة بذاته وصفاته ما لا يحيط به نطاق البيان بحيث لو انقطع ما بينه وبين العناية الربانية من العلاقة
لانعدم بالمرة وقد عبر عن تلك الاستفاضة المعنوية بالصلاة التي هي الدعاء والابتهال لتكميل التمثيل وافادة المزايا الذي
فيها من التفصيل وتقديمها على التسبيح في الذكر لتقدمها عليه في الرتبة ويجوز ان يكون العلم على حقيقته ويراد به مطلق
الادراك وبما ناب عنه التنوين في كل انواع الطير وافرادها بالصلوة والتسبيح ما الهمه الله تعالى كل واحد منهما من
الدعاء والتسبيح المخصوصين به لكن لا على ان يكون الطير معطوفا على كلمة من مرفوعا برافعها لانه يؤدي الى ان يراد
بالتسبيح معنى مجازي شامل للتسبيح المقالي والحالي من العقلاء وغيرهم وقد عرفت ما فيه بل بفعل اريد به التسبيح
المخصوص بالطير معطوف على المذكور كما مر في قوله تعالى وكثير من الناس اي ويسبح الطير تسبيحا خاصا بها حال كونها
صافات اجنحتها وقوله تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه اي دعاءه وتسبيحه اللذين الهمهما الله عز وجل اياه
لبيان كمال رسوخه فيهما وان صدورهما عنه ليس بطريق الاتفاق بلا روية بل عن علم واتقان من غير اخلال بشيء
منهما حسبما الهمه الله تعالى فان الهامه تعالى لكل نوع من انواع المخلوقات علوما دقيقة لا يكاد يفهمه ويهتدي
اليه جهابذة العقلاء مما لا سبيل الى انكاره اصلا كيف لا وان القنفذ مع كونه ابعد الاشياء من الادراك قالوا انه يحس
بالشمال والجنوب قبل هبوبها فيغير المدخل الى جحره حتى روي انه كان بقسطنطينية قبل الفتح الاسلامي رجل قد اثرى
بسبب انه كان ينذر الناس بالرياح قبل هبوبها والناس ينتفعون بانذاره بتدارك امور سفاينهم وغيرها وكان السبب
في ذلك انه كان يقتني في داره قنفذا يستدل باحواله على ما ذكر وتخصيص تسبيح الطير بهذا المعنى بالذكر لما ان اصواتها
اظهر وجودا واقرب حملا على التسبيح وقوله تعالى والله عليم بما يفعلون اي ما يفعلونه اعتراض مقرر لمضمون ما قبله وا
على الوجه الاول عبارة عما ذكر من الدلالة الشاملة لجميع الموجودات من العقلاء وغيرهم والتعبير عنها بالفعل مسند الى
ضمير العقلاء لما مر غير مرة وعلى الثاني اما عبارة عنها وعن التسبيح الخاص بالطير معا او عن تسبيح الطير فقط فالفعل على حقيقته
واسناده الى ضمير العقلاء لما مر والاعتراض حينئذ مقرر لتسبيح الطير فقط وعلى الاولين لتسبيح الكل هذا وقد قيل ان الضمير
في قوله تعالى قد علم الله عز وجل وفي صلاته وتسبيحه لكل اي قد علم الله تعالى صلوة كل واحد مما في السموات والارض وتسبيحه
فالاعتراض حينئذ مقرر لمضمونه على الوجهين لكن لا على ان يكون ما عبارة عما تعلق به علمه تعالى من صلاته وتسبيحه بل عن جميع
احواله العارضة له وافعاله الصادرة عنه وهما داخلان فيها دخولا اوليا ولله ملك السموات والارض لا لغيره لانه الخالق
لهما ولما فيهما من الذوات والصفات وهو المتصرف في جميعها ايجادا واعداما بدءا واعادة وقوله تعالى والى الله اي
اليه تعالى خاصة لا الى غيره المصير اي رجوع الكل بالفناء والبعث بيان لاختصاص الملك به تعالى في المعاد اثر بيان
اختصاصه به تعالى في المبدإ واظهار الاسم الجليل مع الاضمار لتربية المهابة والاشعار بعلة الحكم الم تر ان الله
يزجي سحابا الازجاء سوق الشيء برفق وسهولة غلب في سوق شيء يسير غير معتد به ومنه البضاعة المزجاة ففيه ايماء
الى ان السحاب بالنسبة الى قدرته تعالى مما لا يعتد به ثم يؤلف بينه اي بين اجزائه بضم بعضها الى بعض وقرئ يولف
بغير همز ثم يجعله ركاما اي متراكما بعضه فوق بعض فترى الودق اي المطر اثر تراكمه وتكاثفه وقوله تعالى يخرج من
خلاله اي من فتوقه حال من الودق لان الرؤية بصرية وفي تعقيب الجعل المذكور برؤيته خارجا لا بخروجه من المبالغة
في سرعة الخروج على طريقة قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق ومن الاعتناء بتقرير الرؤية ما لا يخفى
والخلال جمع خلل كجبال وجبل وقيل مفرد كحجاب وحجار ويؤيده انه قرئ من خلله وينزل من السماء من الغمام فان
كل ما علاك سماء من جبال اي من قطع عظام تشبه الجبال في العظم كائنة فيها وقوله تعالى من برد مفعول ينزل
على ان من تبعيضية والاوليان لابتداء الغاية على ان الثانية بدل الاشتمال من الاول باعادة الجار اي ينزل
مبتدئا من السماء من جبال فيها بعض برد وقيل المفعول محذوف ومن برد بيان للجبال اي ينزل مبتدئا من السماء
من جبال فيها من جنس البرد بردا والاول اظهر لخلوه عن ارتكاب الحذف والتصريح ببعضية المنزل وقيل المفعول

من جبال على ان من تبعيضية ومن برد بيان للجبال اي ينزل من السماء بعض جبال كاينة من برد اي مشبهه بالجبال
في الكثرة وايا ما كان فتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر غير مرة من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل
المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما ان في الارض جبال من حجر وليس في العقل ما ينفيه من قاطع والمشهور
ان الابخرة اذا تصاعدت ولم يحللها حرارة الشمس فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوي البرد اجتمع هناك وصار
سحابا وان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا
وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر والثلج وكل مستند الى قدرة الله عز وجل ومشيئته
المبنية على الحكم والمصالح **فيصيب به** اي بما ينزل من البرد **من يشاء** ان يصيبه فيناله ما يناله من ضرر في نفسه
وماله **ويصرفه عمن يشاء** اي يصرفه عنه فينجوا من غايلته **يكاد سنا برقه** اي ضوء برق السحاب الموصوف بما مر من
الازجاء والتاليف وغيرهما واضافته اليه قبل الاخبار بوجوده فيه للايذان بظهور امره والاستغنا به عن التصريح
به وقرئ بالمد بمعنى الرفعة والعلو وبادغام الدال في السين وبرقه بفتح الراء على انه جمع برقة وهي مقدار من البرق كالغرفة
وبضمها للاتباع بضمة الباء **يذهب بالابصار** ويخطفها من فرط الاضاءة وسرعة ورودها وفي اطلاق الابصار مزيد
تهويل لامره وبيان لشدة تاثيره فيها كانه يكاد يذهب بها ولو عند الاغماض وهذا من اقوى الدلايل على كمال القدرة
من حيث انه توليد للضد من الضد وقرئ يذهب من الاذهاب على زيادة الباء **يقلب الله الليل والنهار** بالمعاقبة
بينهما او بنقص احدهما وزيادة الاخر او بتغيير احوالهما بالحر والبرد وغيرهما مما يقع فيهما من الامور التي من جملتها
ما ذكر من ازجاء السحاب وما يترتب عليه **ان في ذلك** اشارة الى ما فصل آنفا وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار
بعلو رتبته وعلو منزلته **لعبرة** اي لدلالة واضحة على وجود الصانع القديم ووحدته وكمال قدرته واحاطة علمه بجميع
الاشياء ونفاذ مشيئته وتنزهه عما لا يليق بشانه العلي **لاولي الابصار** لكل من له بصر **والله خلق كل دابة** اي كل حيوان
يدب على الارض وقرئ خالق كل دابة بالاضافة **من ماء** هو جزء مادته وماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب
منزلة الكل لان من الحيوانات ما يتولد لا عن نطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليست صلة لخلق **فمنهم من يمشي على بطنه**
كالحية وتسمية حركتها مشيا مع كونه زحفا بطريق الاستعارة او المشاكلة **ومنهم من يمشي على رجلين** كالانس والطير **ومنهم
من يمشي على اربع** كالغنم والوحش وعدم التعرض لما يمشي على اكثر من اربع كالعناكب ونحوها من الحشرات لعدم الاعتداد
بها وتذكير الضمير في منهم لتغليب العقلاء والتعبير عن الاصناف بكلمة من ليوافق التفصيل الاجمال والترتيب
لتقديم ما هو اعرف في القدرة **يخلق الله ما يشاء** مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا كان او مركبا على ما يشاء من الصور والاعضاء
والهيئات والحركات والطبايع والقوى والافاعيل مع اتحاد العنصر واظهار الاسم الجليل موضع الاضمار لتفخيم شان الخلق
المذكور والايذان بانه من احكام الالوهية **ان الله على كل شيء قدير** يفعل ما يشاء كما يشاء واظهار الجلالة لما ذكر من تاكيد
استقلال الاستيناف التعليلي **لقد انزلنا آيات مبينات** اي لكل ما يليق بيانه من الاحكام الدينية والاسرار التكوينية
والله يهدي من يشاء اي يهديه بتوفيقه للنظر الصحيح فيها وارشاده الى التامل في مطاويها **الى صراط مستقيم** موصل
الى حقيقة الحق والفوز بالجنة **ويقولون آمنا بالله وبالرسول** شروع في بيان احوال بعض من لم يشأ الله هدايته الى صراط مستقيم
قال الحسن نزلت في المنافقين الذين كانوا يظهرون الايمان ويسرون الكفر وقيل نزلت في بشر المنافق خاصم يهوديا
فدعاه الى كعب بن الاشرف اليهودي يدعوه الى النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في المغيرة بن وائل خاصم عليا رضي الله عنه
في ارض وماء فابى ان يحاكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وايا ما كان فصيغة الجمع للايذان بان القايل طايفة يساعده
ويشايعونه في تلك المقالة كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم **واطعنا** اي اطعنا الله ورسوله في الامر والنهي
ثم يتولى عن قبول حكمه **فريق منهم من بعد ذلك** اي بعد ما صدر منهم ما صدر من ادعاء الايمان بالله وبالرسول والطاعة على
التفصيل وما في ذلك من معنى البعد للايذان بكونه امرا معتدا به واجب المراعاة **وما اولئك** اشارة الى القايلين
لا الى الفريق المتولي منهم فقط لعدم اقتضاء نفي الايمان عنهم نفيه على الاولين بخلاف العكس فان نفيه عن القايلين

مقتضى

مقتضى لنفيه عنهم على ابلغ وجه واكده وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو منزلتهم في الكفر والفساد اي وما اولئك الذين
يدعون الايمان والطاعة ثم يتولى بعضهم الذين يشاركونهم في العقد والعمل **بالمؤمنين** اي المؤمنين حقيقة كما يعرب عنه اللام
اي ليسوا بالمؤمنين المعهودين بالاخلاص في الايمان والثبات **واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم** اي الرسول **بينهم** لانه المباشر
للحكم حقيقة وان كان ذلك حكم الله تعالى لتفخيمه عليه الصلاة والسلام وللايذان بجلالة محله عنده تعالى **اذا فريق منهم
معرضون** اي فاجا فريق منهم الاعراض عن المحاكمة اليه عليه الصلوة والسلام لكون الحق عليهم لانه عليه الصلوة والسلام يحكم
بالحق عليهم وهو شرح للتولي ومبالغة فيه **وان يكن لهم الحق** لا عليهم **ياتوا اليه مذعنين** منقادين لجزمهم انه عليه الصلاة والسلام
يحكم لهم والى صلة ليأتوا فان الاتيان والمجيء يعديان بالى او لمذعنين على تضمين معنى الاسراع والاقبال كما في قوله تعالى
فاقبلوا اليه يزفون والتقديم للاختصاص **افي قلوبهم مرض** انكار واستقباح لاعراضهم المذكور لانهم مرضى القلوب وبيان
لمنشائه بعد استقصاء عدة من القبايح المحققة فيهم والمتوقعة منهم وترديد للتسلية بينها فمدار الاستفهام ليس نفس ما
وليته الهمزة وام من الامور الثلاث هو منشائيتها له كانه قيل اذلك اي اعراضهم المذكور لانهم مرضى القلوب لكفرهم ونفاقهم
ام لانهم **ارتابوا** في امر نبوته عليه الصلوة والسلام مع ظهور حقيتها **ام** لانهم **يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله** ثم اضرب
عن الكل وابطلت منشائيته وحكم بان المنشا شيء آخر من شناعتهم حيث قيل **بل اولئك هم الظالمون** اي ليس ذلك لاجل شيء مما ذكر
اما الاولان فلانه لو كان لشيء منهما لاعرضوا عنه عليه الصلاة والسلام عند كون الحق لهم ولما اتوا اليه عليه الصلاة والسلام
مذعنين لحكمه لتحقق نفاقهم وارتيابهم حينئذ ايضا واما الثالث فلانتفائه راسا حيث كانوا لا يخافون الحيف اصلا
لمعرفتهم بتفاصيله عليه الصلوة والسلام في الامانة والثبات على الحق لانهم هم الظالمون يريدون ان يظلموا من الحكم من
الحكم عليهم ويتم لهم جحوده فياتون المحاكمة اليه عليه الصلاة والسلام يقضي عليهم بالحق فمناط النفي المستفاد من الاضراب في
الاولين هو وصف منشائيتهما للاعراض فقط مع تحققهما في نفسهما وفي الثالث هو الاصل والوصف جميعا هذا وقد رخص
الارتياب بما له منشاء مصحح لعروضه لهم في الجملة وللعلم بانهم ارتابوا بان راوا منه عليه الصلوة والسلام تهمة فزالت
ثقتهم به عليه الصلوة والسلام فمدار النفي نفس الارتياب ومنشائيته معا فتامل فيما ذكر على التفصيل ودع عنك
ما قيل حسبما يقتضيه النظم الجليل **انما كان قول المؤمنين** بالنصب على انه خبر كان وان مع ما في حيزها اسمها وقرئ
بالرفع على العكس والاول اقوى صناعة لان الاولى بالاسمية ما هو اوغل في التعريف وذلك الفعل المصدر بان اذ
لا سبيل اليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين فانه يحتمله كما اذا احزركت عند الاضافة لكن قراءة الرفع اقعد بحسب المعنى
واوفى لمقتضى المقام لما ان مصب الفايدة وموقع البيان في الجمل هو الخبر فالاحق بالخبرية ما هو اكثر افادة واظهر دلالة
على الحدوث واوفر اشتمالا على نسب خاصة بعيدة من الوقوع في الخارج وفي ذهن السامع ولا ريب ان ذلك ههنا في
ان مع ما في حيزها اتم واكمل واما ما هو الحقيق بالجزئية واما ما يفيده الاضافة من النسبة المطلقة الاجمالية فحيث كانت
قليلة الجدوى سهلة الحصول خارجا وذهنا كان حقها ان تلاحظ ملاحظة مجملة ويجعل عنوانا للموضوع فالمعنى انما
كان مطلق القول الصادر عن المؤمنين **اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم** اي الرسول عليه الصلوة والسلام **بينهم** اي وبين
خصومهم سواء كانوا منهم او من غيرهم **ان يقولوا سمعنا واطعنا** اي خصوصية هذا القول المحكي عنهم لا قولا آخر اصلا
واما قراءة النصب فمعناها انما كان قول المؤمنين اي انما كان قولا لهم عند الدعوة خصوصية قولهم المحكي عنهم ففيه
من جعل اخص النسبتين وابعدهما وقوعا وحضورا في الاذهان واحقهما بالبيان مفروغا عنها عنوانا للموضوع وابراز
ما هو بخلافها في معرض المقصد الاصلي ما لا يخفى وقرئ ليحكم على بناء المفعول مسندا الى مصدره مجاوزا بالقول
تعالى اذا دعوا اي ليفعل الحكم كما في قوله تعالى لقد تقطع بينكم اي وقع التقطع بينكم **واولئك** اشارة الى المؤمنين
باعتبار صدور القول المذكور عنهم وما فيه من معنى البعد عنهم للاشعار بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل اي اولئك
المنعوتون بما ذكر من النعت الجميل **هم المفلحون** اي هم الفايزون بكل مطلب والناجون من كل محذور **ومن يطع الله
ورسوله** استينافا جيء به لتقرير مضمون ما قبله من حسن حال المؤمنين وترغيب من عداهم في الانتظام في سلكهم

اي ومن يطعهما كائنا من كان فيما امر ابه من الاحكام الشرعية اللازمة والمتعدية **وقيل** في الفرائض والسنن والاول
هو الانسب بالمقام **ويخش الله ويتقه** باسكان القاف المبني على تشبيه بكيف **وقرئ** بكسر القاف والهاء واسكان الهاء
ويخشى الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل **فاولئك** الموصوفون بما ذكر من الطاعة والخشية والاتقاء **هم**
الفائزون بالنعيم المقيم لا من عداهم **واقسموا بالله** حكاية لبعض اخر من اكاذيبهم مؤكدا بالايمان الفاجرة وقوله تعالى
جهد ايمانهم نصب على انه مصدر مؤكد لفعله الذي هو خبر النصب على انه حال فاعل اقسموا اي بتعالى يجهدون
ايمانهم جهدا ومعنى جهد اليمين بلوغ غايتها بطريق الاستعارة من قولهم جهد نفسه اذا بلغ اقصى وسعها وطاقتها اي
جاهدين بالغين اقصى مراتب اليمين في الشدة والوكادة **وقيل** هو مصدر مؤكد لاقسموا اي اقسموا اقسام اجتهاد في
اليمين **قال** مقاتل من حلف بالله فقد اجهد في اليمين **لئن امرتهم** اي بالخروج الى الغزو لا عن ديارهم واموالهم كما قيل
لانه حكاية لما كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا وان اقمت اقمنا وان امرتنا
بالجهاد جاهدنا وقوله تعالى **ليخرجن** جواب لاقسموا بطريق حكاية فعلهم لا حكاية قولهم حيث كان مقالتهم هذه كاذبة ويمينهم فاجرة
امره عليه الصلوة والسلام بردها حيث قيل **قل** اي ردا عليهم وزجرا لهم من التفوه بها واظهارا لعدم القبول لكونهم كاذبين فيها **لا تقسموا**
اي على ما ينبئ عنه كلامكم من الطاعة وقوله تعالى **طاعة معروفة** خبر مبتدا محذوف والجملة تعليل للنهي اي لا تقسموا على ما تدعون من
الطاعة لان طاعتكم طاعة نفاقية واقعة باللسان فقط من غير مواطأة من القلب وانما عبر عنها بمعروفة للايذان بان كونها كذلك
مشهور معروف لكل احد وقرئ بالنصب والمعنى تطيعون طاعة معروفة هذا وحملها على الطاعة الحقيقية بتقدير ما يناسبها
من مبتدا او خبر او فعل مثل الذي يطلب منكم طاعة معروفة حقيقية لا نفاقية او طاعة معروفة امثل او ليكن طاعة معروفة
او اطيعوا طاعة معروفة مما لا يساعده المقام **ان الله خبير بما تعملون** من الاعمال الظاهرة والباطنة التي من جملتها ما
يظهرونه من الاكاذيب المذكورة المؤكدة بالايمان الكاذبة وما تظهرونه في قلوبكم من الكفر والنفاق والعزيمة على مخادعة
المؤمنين وغيرها من فنون الشر والفساد والجملة تعليل للحكم بان طاعتهم طاعة نفاقية مشعرة بان مدار شهرة امرها
فيما بين المؤمنين اخباره تعالى بذلك ووعيد لهم بانه تعالى مجازيهم بجميع اعمالهم السيئة التي من جملتها نفاقهم **قل**
اطيعوا الله واطيعوا الرسول كرر الامر بالقول لابراز كمال العناية به وللاشعار باختلافهما من حيث ان المقول في الاول نهي
بطريق الرد والتقريع كما في قوله تعالى اخسؤا فيها ولا تكلمون وفي الثاني امر بطريق التكليف والتشريع واطلاق الطاعة
المأمور بها عن وصف الصحة والاخلاص ونحوهما بعد وصف طاعتهم بما ذكر للتنبيه على انها ليست من الطاعة اصلا
وقوله تعالى **فان تولوا** خطاب للمأمورين بالطاعة من جهته تعالى وارد لتاكيد الامر بها والمبالغة في ايجاب الامتثال
به والحمل عليه بالترهيب والترغيب لما ان تغيير الكلام مسوق لمعنى من المعاني وصرفه عن سننه المسلوك ينبئ عن اهتمام
جديد بشأنه من المتكلم ويستجلب مزيد رغبة فيه من السامع كما اشير اليه في تفسير قوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا
لاسيما اذا كان ذلك بتغيير الخطاب بالواسطة الى الخطاب بالذات فان في خطابه تعالى اياهم بالذات بعد امره
تعالى اياهم بوساطته عليه السلام وتصديه لبيان حكم الامتثال بالامر والتولي عنه اجمالا وتفصيلا من افادة ما ذكر
من التاكيد والمبالغة ما لا غاية وراءه وتوهم انه داخل تحت الحكم القول مأمور بحكايته من جهته تعالى وانه ابلغ في التبكيت
تعكيس للامر والفاء لترتيب ما بعدها على تبليغه عليه الصلوة والسلام للمأمور به اليهم وعدم التصريح به للايذان
بغاية ظهور امره مسارعته عليه الصلوة والسلام الى تبليغ ما امر به وعدم الحاجة الى الذكر اي ان تتولوا عن الطاعة
اثر ما امرتم بها **فانما عليه** اي فاعلموا انما عليه عليه الصلوة والسلام **ما حمل** اي امر به من التبليغ وقد شاهدتموه عند
قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول **وعليكم ما حملتم** اي ما امرتم به من الطاعة ولعل التعبير عنه بالتحميل للاشعار بثقله
وكونه مؤنة باقية في عهدتهم بعد كانه قيل وحيث توليتم عن ذلك فقد بقيتم تحت ذلك الحمل الثقيل وقوله تعالى ما حمل
محمول على المشاكلة **وان تطيعوه** اي فيما امركم به من الطاعة **تهتدوا** الى الحق الذي هو المقصد الاصلي الموصل الى كل خير
المنجي عن كل شر وتأخيره من بيان حكم التولي لما في تقديم الترهيب من تأكيد الترغيب وتقريبه مما هو من بابه من الوعد الكريم وقوله

تعالى

تعالى **وما على الرسول الا البلاغ المبين** اعتراض مقرر لما قبله من ان غائلة التولي وفائدة الاطاعة مقصورتان عليهم واللام
اما للجنس المنتظم له عليه الصلاة والسلام انتظاما اوليا او للعهد اي ما على جنس الرسول كائنا من كان او ما عليه عليه الصلاة
والسلام الا التبليغ الموضح لكل ما يحتاج الى الايضاح او الواضح على ان المبين من ابان بمعنى بان وقد علمتم انه فعله بما لا مزيد
عليه وان ما بقي ما حملتم **وعد الله الذين آمنوا منكم** استيناف مقرر لما في قوله تعالى وان تطيعوه تهتدوا من الوعد الكريم ومعرب
عنه بطريق التصريح ومبين لتفاصيل ما اجمل فيه من فنون السعادات الدينية والدنيوية التي هي من آثار الاهتداء ومتضمن لما
هو المراد بالطاعة التي نيط بها الاهتداء والمراد بالذين امنوا كل من اتصف بالايمان بعد الكفر على الاطلاق من اي طائفة كان
وفي اي وقت كان لا من طائفة المنافقين فقط ولا من آمن بعد نزول الآية الكريمة فحسب ضرورة عموم الوعد الكريم للكل كافة
فالخطاب في منكم لعامة الكفرة لا للمنافقين خاصة ومن تبعيضية **وعملوا الصالحات** عطف على امنوا داخل معه في حيز
الصلة وبه يتم تفسير الطاعة التي امر بها ورتب عليها فانتظم في سلك الوعد الكريم كما اشير اليه وتوسيط الظرف بين المعطوفين
لاظهار اصالة الايمان وعراقته في استتباع الاثار والاحكام والايذان بكونه اول ما يطلب منهم واتم ما يجب عليهم واما
تاخيره عنهما في قوله تعالى وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما فلان من هناك بيانية والضمير للذين
امنوا معه عليه الصلاة والسلام من خلص المؤمنين ولا ريب في انهم جامعون بين الايمان والاعمال الصالحة مثابرون عليها
فلا بد من ورود بيانهم بعد ذكر نعوتهم الجليلة بكمالها هذا من حمل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وللامة عموما على ان من تبعيضية
اوله عليه الصلاة والسلام ولمن معه من المؤمنين خصوصا على انها بيانية فقد نأى مما يقتضيه سياق النظم الكريم و
سياقه بمنازل وابعد مما يليق بجنابه عليه الصلاة والسلام بمراحل **ليستخلفنهم في الارض** جواب للقسم اما بالاضمار او
تنزيل وعده تعالى منزلة القسم لتحقق انجازه لا محالة اي ليجعلنهم خلفاء متصرفين فيها تصرف الملوك في ممالكهم او خلفاء
من الذين لم يكونوا على حالهم من الايمان والاعمال الصالحة **كما استخلف الذين من قبلهم** هم بنو اسرائيل استخلفهم الله
عز وجل في مصر والشام بعد هلاك فرعون والجبابرة او هم ومن قبلهم من الامم المؤمنة التي اشير اليهم في قوله تعالى
الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات الى قوله تعالى فاوحى
اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم ومحل الكاف النصب على انه مصدر تشبيهي مؤكد للفعل بعد تأكيده
بالقسم وما مصدرية اي ليستخلفنهم استخلافا كائنا كاستخلافه تعالى الذين من قبلهم وقرئ كما استخلف على البناء للمفعول
فليس العامل في الكاف حينئذ الفعل المذكور بل ما يدل هو عليه من فعل مبني للمفعول جار منه مجرى المطاوع فان
استخلافه تعالى اياهم مستلزم لكونهم مستخلفين لا محالة كانه قيل ليستخلفنهم في الارض فيستخلفن فيها استخلافا اي مستخلفية
كائنة كمستخلفية من قبلهم وقد مر تحقيقه في قوله تعالى كما سئل موسى من قبل ومن هذا القبيل قوله تعالى فانبتها الله
نباتا حسنا وعليه قول من قال • وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع • من المال الا مسحت او مجلف • اي فلم يبق الا مسحت الى آخره
وليمكنن لهم دينهم عطف على ليستخلفنهم منتظم معه في سلك الجواب وتاخيره عنه مع كونه اجل الرغائب الموعودة واعظمها
لما ان النفوس الى الحظوظ العاجلة اميل فتصدير المواعيد بها في الاستمالة ادخل والمعنى ليجعلن دينهم ثابتا مقررا بحيث
يستمرون على العمل باحكامه ويرجعون اليه في كل ما يأتون وما يذرون والتعبير عن ذلك بالتمكين الذي هو جعل الشيء
مكانا لآخر يقال مكن له في الارض اي جعلها مقرا له ومنه قوله تعالى مكنا له في الارض ونظائره وكلمة في للايذان بان
ما جعل مقرا له قطعة منها لا كلها للدلالة على كمال ثبات الدين ورصانة احكامه وسلامته عن التغيير والتبديل لابتنائه
على تشبيهه بالارض في الثبات والقرار مع ما فيه من مراعاة المناسبة بينه وبين الاستخلاف في الارض وتقديم صلة التمكين
على مفعوله الصريح للمسارعة الى بيان كون الموعود من منافعهم تشويقا لهم اليه وترغيبا لهم في قبوله عند وروده ولان
في توسيطها بينه وبين وصفه اعني قوله تعالى **الذي ارتضى لهم** وتاخيرها عنه من الاخلال بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى
وفي اضافة الدين اليهم وهو دين الاسلام ثم وصفه بارتضائه لهم تأليف لقلوبهم ومزيد ترغيب فيه وفضل تثبيت عليه
وليبدلنهم بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الابدال **من بعد خوفهم** من الاعداء **امنا** حيث كان اصحاب النبي صلى الله عليه

وسلم

قبل الهجرة عشر سنين بل اكثر خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون في السلاح ويمسون كذلك حتى قال رجل منهم
ما ياتي علينا يوم نامن فيه فقال عليه الصلوة والسلام لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل في الملاء العظيم محتبيا ليس
معه حديدة فانزل الله تعالى هذه الاية وانجز وعده فاظهرهم على جزيرة العرب وفتح بلاد المشرق والمغرب وصاروا
بحال يخافهم كل من عداهم وفيه من الدلالة على صحة النبوة للاخبار بالغيب على ما هو عليه قبل وقوعه ما لا يخفى
وقيل المراد الخوف من العذاب والامن منه في الآخرة **يعبدونني** حال من الموصول الاول مفيدة لتقييد الوعد بالثبات
على التوحيد او استيناف ببيان المقتضي للاستخلاف وما انتظم معه في سلك الوعد **لا يشركون بي شيئا** حال من
الواو اي يعبدونني غير مشركين بي في العبادة شيئا **ومن كفر** اي اتصف بالكفر بان ثبت واستمر عليه ولم يتأثر بما مر
من الترغيب والترهيب فان الاصرار عليه بعد مشاهدة دلائل التوحيد كفر مستأنف زائد على الاصل وقيل كفر بعد
هذه النعمة العظيمة والاول هو الانسب بالمقام **بعد ذلك** اي بعد ذلك الوعد الكريم فضل من المطالب العالية
المستوجبة لغاية الاهتمام بتحصيلها والسعي الجميل في حيازتها **فاولئك** البعداء عن الحق التائهون في تيه الغواية
والضلال **هم الفاسقون** الكاملون في الفسق والخروج عن حدود الكفر والطغيان **واقيموا الصلوة واتوا الزكوة** عطف على
مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام فان خطابه تعالى للمامورين بالطاعة على طريق الترهيب من
التولي بقوله تعالى فان تولوا الى آخره وترغيبه تعالى اياهم في الطاعة بقوله تعالى وان تطيعوه تهتدوا
ووعده تعالى اياهم على الايمان والعمل الصالح بما فصل من الاستخلاف وما يتلوه من الرغائب الموعودة
ووعيده للكفرة مما يوجب الامر بالايمان والعمل الصالح والنهي عن الكفر فكانه قيل فامنوا واعملوا صالحا واقيموا
الصلوة واتوا الزكوة او فلا تكفروا واقيموا وعطفه على واطيعوا الله مما لا يليق بجزالة النظم الكريم **واطيعوا
الرسول** امرهم الله سبحانه بالذات بما امرهم به بواسطة الرسول عليه الصلوة والسلام من طاعته التي هي
طاعته تعالى في الحقيقة تاكيد للامر السابق وتقرير لمضمونه على ان المراد بالمطاع فيه جميع الاحكام الشرعية
المنتظمة للاداب المرضية ايضا اي واطيعوه في كل ما يامركم به وينهاكم عنه او تكميلا لما قبله من الامرين الخاصين
المتعلقين بالصلوة والزكوة على ان المراد بما ذكر ما عداهما من الشرائع اي واطيعوه في سائر ما يامركم به وقوله
تعالى **لعلكم ترحمون** متعلق على الاول بالامر الاخير المشتمل على جميع الاوامر وعلى الثاني بالاوامر الثلثة اي افعلوا
ما ذكر من الاقامة والايتاء والاطاعة المستتبعة لسعادة الدارين راجين ان ترحموا **لا تحسبن الذين كفروا** لما بين حال
من اطاعه عليه الصلوة والسلام واشير الى فوزه بالرحمة المطلقة المستتبعة لسعادة الدارين عقب ذلك ببيان
حال من عصاه عليه الصلوة والسلام ومآل امره في الدنيا والآخرة بعد بيان تناهيه في الفسق تكميلا لامر الترغيب
والترهيب والخطاب لكل احد ممن يصلح له كائنا من كان وامّا الرسول صلى الله عليه وسلم على منهاج قوله تعالى
فلا تكونن من المشركين ونظائره للايذان بان الحساب المذكور من القبح والمحذورية بحيث ينهى عنه من يمتنع صدوره
عنه ومحل الموصول النصب على انه مفعول اول للحسبان وقوله تعالى **معجزين** ثانيهما وقوله تعالى **في الارض** ظرف
لمعجزين لكن لا لافادة كون الاعجاز المنفي فيها لا في غيرها فان ذلك مما لا يحتاج الى البيان بل لافادة شمول عدم الاعجاز
لجميع اجزائها اي لا تحسبنهم معجزين الله عز وجل عن ادراكهم واهلاكهم في قطر من اقطار الارض بما رحبت وان هربوا
منها كل هرب وقرئ لا يحسبن بياء الغيبة على ان الفاعل كل احد والمعنى كما ذكر اي لا يحسبن احد الكافرين معجزين له
سبحانه في الارض او هو الموصول والمفعول الاول محذوف لكونه عبارة عن انفسهم كانه قيل لا يحسبن الكافرين
انفسهم معجزين في الارض واما جعل معجزين مفعولا اولا وفي الارض مفعولا ثانيا فبمعزل من المطابقة لمقتضى المقام ضرورة
ان مصب الفائدة هو المفعول الثاني ولا فائدة في بيان كون المعجزين في الارض وقد مر في قوله تعالى اني جاعل في
الارض خليفة وقوله تعالى **ومأويهم النار** معطوف على جملة النهي تأويلها بجملة خبرية لان المقصود بالنهي
عن الحسبان تحقيق الحساب كانه قيل ليس الذين كفروا معجزين او على جملة مقدرة وقعت تعليلا للنهي كانه قيل

لا يحسبن

لا يحسبن الذين كفروا معجزين في الارض فانهم مدركون ومأويهم النار وقيل الجملة المقدرة بل هم مقهورون
مدمرون **ولبئس المصير** جواب لقسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف اي والله لبئس المصير هي اي النار والجملة اعتراض
تذييلي لما قبله وفي ايراد النار بعنوان كونها مأوى ومصيرا لهم اثر نفي فوتهم بالهرب في الارض كل مهرب من الجزالة
ما لا غاية وراءه فلله در شأن التنزيل **يا ايها الذين آمنوا** رجوع الى بيان تتمة الاحكام السابقة بعد تمهيد ما يوجب
الامتثال بالاوامر والنواهي الواردة فيها وفي الاحكام اللاحقة من التمثيلات والترغيب والترهيب والوعد
والوعيد والخطاب اما للرجال خاصة والنساء داخلات في الحكم بدلالة النص او للفريقين جميعا بطريق
التغليب روي ان غلاما لاسماء بنت ابي مرثد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت وقيل ارسل رسول الله
صلى الله عليه وسلم مدلج بن عمرو الانصاري وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر رضي الله عنه وكان نائما قد انكشفت
عورته فقال عمر رضي الله عنه لوددت ان الله تعالى نهى ابناءنا واباءنا ان يدخلوا علينا هذه الساعات الا باذن
ثم انطلق معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده وقد انزلت عليه هذه الاية **ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم**
من العبيد والجواري **والذين لم يبلغوا الحلم** اي الصبيان القاصرون عن درجة البلوغ المعهودة والتعبير عنه بالحلم لكونه
اظهر دلائله **منكم** اي من الاحرار **ثلث مرات** اي ثلث اوقات في اليوم والليلة والتعبير عنها بالمرات للايذان بان
مدار الوجوب للاستيذان مقارنة تلك الاوقات لمرور المستاذنين بالمخاطبين لا انفسها **من قبل صلوة الفجر**
لظهور انه وقت القيام عن المضاجع وطرح ثياب النوم ولباس ثياب اليقظة ومحله النصب على انه بدل من ثلث
مرات او الرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي احدها من قبل **وحين تضعون ثيابكم** اي ثيابكم التي تلبسونها في النهار
وتخلعونها لاجل القيلولة وقوله تعالى **من الظهيرة** وهي شدة الحر عند انتصاف النهار بيان للحين والتصريح بمدار
الامر اعني وضع الثياب في هذا الحين دون الاول والآخر لما ان التجرد عن الثياب فيه لاجل القيلولة لقلة زمانها
كما ينبئ عنه ايراد الحين مضافا الى فعل حادث متقض ووقوعها في النهار الذي هو مئنة لكثرة الورود والصدور ومظنة
لظهور الاحوال وبروز الامور ليس من التحقق والاطراد بمنزلة ما في الوقتين المذكورين فان تحقق التجرد والاطراد فيهما
امر معروف لا يحتاج الى التصريح به **ومن بعد صلوة العشاء** ضرورة انه وقت التجرد عن الثياب والالتحاف باللحاف
وليس المراد بالقبلية والبعدية المذكورتين مطلقهما المتحقق في الوقت الممتد المتخلل بين الصلاتين كما في قوله تعالى
وان كنت من قبله لمن الغافلين وقوله تعالى من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي بل ما يعرض منهما لطرفي ذلك
الوقت الممتد المتصلين بالصلوتين المذكورتين مطلقهما المتحقق اتصالا عاديا وقوله تعالى **ثلث عورات** خبر
مبتدا محذوف وقوله تعالى **لكم** متعلق بمحذوف هو صفة لثلث عورات كائنة لكم والجملة استيناف مسوق
لبيان علة وجوب الاستيذان اي هن ثلث اوقات يختل فيها التستر عادة والعورة في الاصل هو الخلل الواقع فيما
يهم حفظه ويعتنى بستره اطلقت على الاوقات المشتملة عليها مبالغة كانها نفس العورة وقرئ ثلث عورات
بالنصب على انه بدل من ثلث مرات **ليس عليكم ولا عليهم** اي على المماليك والصبيان **جناح** اي الدخول
بغير استيذان لعدم ما يوجبه من مخالفة الامر والاطلاع على العورات **بعدهن** اي بعد كل واحدة من تلك
العورات الثلث وهي الاوقات المتخللة بين كل اثنين منهن وايرادها بعنوان البعدية مع ان كل وقت من تلك
الاوقات قبل عورة من العورات كما انها بعد اخرى منهن لتوفية حق التكليف والترخيص الذي هو عبارة
عن رفعه اذ الرخصة انما يتصور في فعل يقع بعد زمان وقوع الفعل المكلف والجملة على القراءتين مستانفة مسوقة
لتقرير ما قبلها بالطرد والعكس وقد جوز على القراءة الاولى كونها في محل الرفع على انها صفة اخرى لثلث عورات
واما على القراءة الثانية فهي مستانفة لا غير اذ لو جعلت صفة لثلث عورات وهي بدل من ثلث مرات لكان التقدير
ليستاذنكم هولاء في ثلث عورات لا اثم في ترك الاستيذان بعدهن وحيث كان انتفاء الاثم حينئذ مما لم يعلمه
السامع الا بهذا الكلام لم يتيسر ايراده في معرض الصفة بخلاف قراءة الرفع فان انتفاء الاثم حينئذ معلوم من صدر

الكلام وقوله تعالى طوافون عليكم استيناف ببيان العذر المرخص في ترك الاستيذان وهي المخالطة الضرورية وكثرة
المداخلة وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا في الفرق بين الاوقات الثلثة وبين غيرها بكونها عورات بعضكم على بعض
اي بعضكم طائف على بعض طوافا كثيرا او بعضكم يطوف على بعض كذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وما
فيه من معنى البعد لما مر مرارا من تفخيم شان المشار اليه والايذان ببعد منزلته وكونه من الوضوح بمنزلة المشار
اليه حسا اي مثل ذلك التبيين يبين الله لكم الايات الدالة على الاحكام اي ينزلها دالة مبينة واضحة الدلالات
عليها لانه تعالى بينها بعد ان لم تكن كذلك والكاف مقحمة وقد مر تفصيله في قوله تعالى وكذلك جعلناكم
امة وسطا متعلق بيبين وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر
وقيل بين علل الاحكام وليس بواضح مع انه مؤدي الى تخصيص الايات بما ذكرها هنا والله عليم مبالغ في العلم بجميع
المعلومات فيعلم احوالكم حكيم في جميع افاعيله فيشرع لكم ما فيه صلاح امركم معاشا ومعادا واذا بلغ الاطفال منكم الحلم
لما بين فيما مر آنفا حكم الاطفال فانه لا جناح في ترك الاستيذان فيما عدا الاوقات الثلثة عقب ببيان حالهم
بعد البلوغ دفعا لما عسى يتوهم انهم وان كانوا اجانب ليسوا كسائر الاجانب بسبب اعتيادهم الدخول اي اذا
بلغ الاطفال الاحرار الاجانب فليستاذنوا اذا ارادوا الدخول عليكم كما استاذن الذين من قبلهم في حيز النصب
على انه نعت لمصدر مؤكد للفعل السابق والموصول عبارة عمن قيل لهم لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا
الاية ووصفهم بكونهم قبل هؤلاء باعتبار ذكرهم قبل ذكرهم لا باعتبار بلوغهم قبل بلوغهم كما قيل لما ان المقصود بالتشبيه
بيان كيفية استيذان هؤلاء وزيادة ايضاحه ولا يتسنى ذلك الا بتشبيهه باستيذان المعهودين عند السامع
ولا ريب في ان بلوغهم قبل بلوغ هؤلاء مما لا يخطر ببال احد وان كان الامر كذلك في الواقع وانما المعهود المعروف
ذكرهم قبل ذكرهم اي فليستاذنوا استيذانا كائنا مثل استيذان المذكورين قبلهم بان يستاذنوا في جميع الاوقات
ويرجعوا ان قيل لهم ارجعوا حسبما فصل فيما سلف كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم الكلام فيه كالكلام فيما سبق
والتكرير للتاكيد والمبالغة في الامر بالاستيذان واضافة الايات الى ضمير الجلالة لتشريفها والقواعد من النساء
اي العجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل اللاتي لا يرجون نكاحا اي لا يطمعن فيه لكبرهن فليس عليهن جناح ان
يضعن ثيابهن اي الثياب الظاهرة كالجلباب ونحوه والفاء فيه لان اللام في القواعد بمعنى اللاتي او للوصف
بها غير متبرجات بزينة فيه مظهرات لزينة مما امر باخفائه في قوله تعالى ولا يبدين زينتهن واصل التبرج التكلف
في اظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها
كلها الا انه خص بكشف المراة زينتها ومحاسنها للرجال وان يستعففن بترك الوضع خير لهن من الوضع
لبعده من التهمة والله سميع مبالغ في سمع جميع ما يسمع فيسمع ما جرى بينهن وبين الرجال من المقاولة عليم فيعلم
مقاصدهن وفيه من الترهيب ما لا يخفى ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج
كانت هؤلاء الطوائف يتحرجون من مواكلة الاصحاء حذارا من استقذارهم اياهم وخوفا من تاذيهم بافعالهم واوضاعهم
فان الاعمى ربما سبقت يده الى ما سبقت اليه عين اكيله وهو لا يشعر والاعرج يتفسح في مجلسه فياخذ
اكثر من موضعه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو عن حالة تؤذي قرينه وقيل كانوا يدخلون على الرجل
لطلب العلم فاذا لم يكن عنده ما يطعمهم ذهب بهم الى بيوت آبائهم وامهاتهم او الى بعض من سماهم الله تعالى في
الاية الكريمة فكانوا يتحرجون عن ذلك ويقولون ذهب بنا الى بيت غيره ولعل اهله كارهون لذلك وكذلك
كانوا يتحرجون من اكل اموال الذين كانوا اذا خرجوا للغزو خلفوا هؤلاء الضعفاء في بيوتهم ودفعوا اليهم مفاتيحها
واذنوا لهم ان ياكلوا مما فيها مخافة ان لا يكون اذنهم عن طيب نفس منهم وكان غيرهم ايضا يتحرجون عن
الاكل في بيوت غيرهم فقيل لهم ليس على الطوائف المعدودة ولا على انفسكم اي عليكم او على من يماثلكم في الاحوال
من المؤمنين حرج ان تاكلوا اي تاكلوا انتم وهم معكم تعميم الخطاب للطوائف المذكورة ايضا يأباه ما قبله وما

بعده

بعده فان الخطاب فيهما لغيرهم واولئك الطوائف حتما من بيوتكم اي البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل فيها
بيوت الاولاد لان بيتهم كبيته لقوله عليه الصلوة والسلام انت ومالك لابيك وقوله عليه الصلوة والسلام ان اطيب
مال الرجل من كسبه وان ولده من كسبه او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم وقرئ بكسر الهمزة والميم وبكسر الاولى وفتح الثانية
او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه
من البيوت التي يملكون التصرف فيها باذن اربابها على الوجه الذي مر بيانه وقيل هي البيوت التي للمماليك والمفاتح جمع
مفتح وهو جمع المفاتح مفاتيح وقرئ مفتاحه او صديقكم او بيوت صديقكم وان لم يكن بينكم وبينهم قرابة فانهم ارضى
بالبسط واسر به من كثير من الاقرباء وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الصديق اكبر من الوالدين ان الجهنميين
ما استغاثوا بالاباء والامهات بل قالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم والصديق على الواحد والجمع كالخليط و
القطين واضرابهما وهذا فيما اذا علم رضى صاحب البيت بصريح الاذن او بقرينة دالة عليه ولذلك خص هؤلاء
بالذكر لاعتيادهم التبسط فيما بينهم وقوله تعالى ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا كلام مستانف مسوق لبيان
حكم آخر من جنس ما بين قبله حيث كان فريق من المؤمنين كبني ليث بن عمرو بن كنانة يتحرجون ان ياكلوا طعامهم منفردين
وكان الرجل منهم لا ياكل ويمكث يومه حتى يجد ضيفا ياكل معه وان لم يجد من يواكله لم ياكل شيئا وربما قعد الرجل والطعام
بين يديه لا يتناوله من الصباح الى المساء وربما كانت معه الابل الحفل فلا يشرب من البانها حتى يجد من يشاربه فاذا
امسى ولم يجد احدا اكل وشرب وقيل كان الغني منهم يدخل على الفقير من ذوي قرابته وصداقته فيدعوه الى طعامه
فيقول اني اتحرج ان اكل معك وانا غني وانت فقير وقيل كان قوم من الانصار لا ياكلون اذا نزل بهم ضيف الا
مع الضيف فرخص لهم في ان ياكلوا كيف شاؤا وقيل كانوا اذا اجتمعوا ليأكلوا طعاما عزلوا للاعمى واشباهه طعاما
على حدة فبين الله تعالى ان ذلك ليس بواجب وقوله تعالى جميعا حال من فاعل تاكلوا واشتاتا عطف عليه
داخل في حكمه وهو جمع شت على انه صفة كالحق يقال امر شت اي متفرق او على انه في الاصل مصدر وصف به
مبالغة اي ليس عليكم ان تاكلوا مجتمعين او متفرقين فاذا دخلتم شروع في بيان الاداب التي يجب رعايتها عند
مباشرة ما رخص فيه اثر بيان الرخصة فيه بيوتا اي من البيوت المذكورة فسلموا على انفسكم اي على اهلها
الذين بمنزلة انفسكم لما بينكم وبينهم من القرابة الدينية والنسبية الموجبة لذلك تحية من عند الله اي ثابتة
بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان يكون صفة للتحية فانها طلب الحياة التي هي من عنده تعالى وانتصابها على المصدر
لانها بمعنى التسليم مباركة مستتبعة لزيادة الخير والثواب ودوامها طيبة تطيب بها نفس المستمع وعن انس رضي
الله عنه انه عليه الصلوة والسلام قال متى لقيت احدا من امتي فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك
فسلم عليهم يكثر خيرك وصل صلوة الضحى فانها صلاة الابرار الاوابين كذلك يبين الله لكم الايات تكرير لتاكيد الاحكام
المختتمة به وتفخيمها لعلكم تعقلون اي ما في تضاعيفها من الشرائع والاحكام وتعملون بموجبها وتفوزون بذلك
بسعادة الدارين وفي تعليل هذا التبيين بهذه الغاية القصوى بعد تذييل الاولين بما يوجبهما من الجزالة ما لا
يخفى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله استيناف جيء به في اواخر الاحكام السابقة تقريرا وتاكيدا لوجوب مراعاتها
وتكميلا لها ببيان بعض آخر من جنسها وانما ذكر الايمان بالله ورسوله في حيز الصلة للموصول الواقع خبر المبتدا
مع تضمنه له قطعا تقريرا لما قبله وتمهيدا لما بعده وايذانا بانه حقيق بان يجعل قرينا للايمان منتظما في سلكه
بقوله تعالى واذا كانوا معه على امر جامع الى آخره معطوف على آمنوا داخل معه في حيز الصلة اي انما الكاملون في الايمان
الذين آمنوا بالله ورسوله عن صميم قلوبهم واطاعوهما في جميع الاحكام التي من جملتها ما فصل من الاحوال المطردة في الوقوع
واحوالهم الواقعة بحسب الاتفاق كما اذا كانوا معه عليه الصلوة والسلام على امر مهم يجب اجتماعهم في شانه كالجمعة
والاعياد والحروب وغيرها من الامور الداعية الى الاجتماع او الى الاراء والتجارب ووصف الامر بالجمع للمبالغة
وقرئ امر جميع لم يذهبوا اي من المجمع مع كونه عليه الصلوة والسلام في الذهاب لا على ان نفس الاستيذان

ذلك الامر مما لا يوجب حضورهم لا محالة
كما عند اقامة الجمعة ولقاء العدو
بل يسوغ التخلف عنه حتى يستاذنوه

غاية لعدم الذهاب بل الغاية على الاذن المنوط برايه عليه الصلوة والسلام والاقتصار على ذكره لانه الذي يتم
من قبلهم وهو المعتبر في كمال الايمان لا الاذن ولا الذهاب المترتب عليه واعتباره في ذلك لما انه كالمصداق
لصحته والمميز للخلص عن المنافق فان ديدنهم التسلل للفرار ولتعظيم ما في الذهاب بغير اذنه عليه الصلوة والسلام
من الجناية وللتنبيه على ذلك عقب بقوله تعالى **ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله** فقضى
بان المستاذنين هم المؤمنون بالله ورسوله كما حكم في الاول بان الكاملين هم الجامعون بين الايمان والاستيذان
وفي اولئك من تفخيم شان المستاذنين ما لا يخفى **فاذا استاذنوك** بيان لما هو وظيفته عليه الصلوة والسلام والفاء
لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي بعد ما تحقق ان الكاملين في الايمان هم المستاذنون فاذا استاذنوك **لبعض
شانهم** اي لبعض امرهم المهم وخطبهم الملم **فاذن لمن شئت منهم** لما علمت في ذلك من حكمة ومصلحة **واستغفر لهم
الله** فان الاستيذان وان كان لعذر قوي لا يخلو عن شائبة تقديم امر الدنيا على الآخرة **ان الله غفور** مبالغ في
مغفرة فرطات العباد **رحيم** مبالغ في افاضة آثار الرحمة عليهم والجملة تعليل للمغفرة الموعودة في ضمن الامر بالاستغفار
لهم **يا ايها الذين آمنوا لا تجعلوا** استيناف مقرر لمضمون ما قبله والالتفات لابراز مزيد الاعتناء بشانه اي لا تجعلوا **دعاء الرسول بينكم**
دعوته عليه الصلوة والسلام اياكم في الاعتقاد والعمل **كدعاء بعضكم بعضا** اي لا تقيسوا دعاءه عليه الصلوة
والسلام اياكم على دعاء بعضكم في حال من الاحوال وامر من الامور التي من جملتها المساهلة فيه والرجوع عن
مجلسه عليه الصلوة والسلام بغير استيذان فان ذلك من المحرمات وقيل لا تجعلوا دعاءه عليه الصلوة
والسلام ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده اخرى فان دعاءه مستجاب لا مرد له عند الله عز وجل وتقرير
الجملة حينئذ لما قبلها اما من حيث استجابته تعالى لدعائه عليه الصلوة والسلام مما يوجب الامتثال لهم باوامره
عليه الصلوة والسلام ومتابعتهم له في الورود والصدور وكمال الايجاب واما من حيث انها موجبة للاحتراز عن
التعرض لسخطه عليه الصلوة والسلام المؤدي الى ما يوجب هلاككم من دعائه عليه الصلوة والسلام واما ما قيل
من ان المعنى لا تجعلوا نداءه عليه الصلوة والسلام كنداء بعضكم ورفع الصوت والنداء من وراء الحجرات ولكن بلقبه
المعظم مثل يا رسول الله ويا نبي الله مع غاية التوقير والتفخيم والتواضع وخفض الصوت فلا يناسب المقام
فان قوله تعالى **قد يعلم الله الذين يتسللون منكم** الى آخره وعيد للمخالفين امره عليه الصلوة والسلام فيما ذكر وقوله
وتوسيط ما ذكر بينهما مما لا وجه له والتسلل الخروج من البين على التدريج والخفية وقد للتحقيق كما ان رب يجيء
للتكثير حسبما بين في سورة الحجر اي يعلم الله الذين يخرجون من الجماعة قليلا قليلا على خفية **لواذا** ملاوذة بستتر
بعضهم ببعض حتى يخرج او بان يلوذ بمن يخرج بالاذن ارادة انه من اتباعه وقرئ بفتح اللام وانتصابه على الحالية
من ضمير يتسللون اي ملاوذين او على انه مصدر مؤكد لفعل مضمر هو الحال في الحقيقة اي يلوذون لواذا والفاء
في قوله تعالى **فليحذر الذين يخالفون عن امره** لترتيب الحذر او الامر به على ما قبلها من علمه تعالى باحوالهم فانه مما
يوجب الحذر البتة اي يخالفون امره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا غير سمته وعن لما تضمنه معنى الاعراض او
حمله على معنى يصدون عن امره دون المؤمنين من خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه وحذف المفعول لما ان المقصود
بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله تعالى لانه الآمر حقيقة او للرسول صلى الله عليه وسلم لانه المقصود
بالذكر **ان تصيبهم فتنة** اي محنة في الدنيا **او يصيبهم عذاب اليم** اي في الآخرة وكلمة او لمنع الخلو دون الجمع واعادة
الفعل صريحا للاعتناء بالتحذير والتهديد واستدل به ان الامر للايجاب فان ترتيب العذابين على مخالفته
كما يعرب عنه التحذير عن اصابتهما يوجب وجوب الامتثال به حتما **الا ان لله ما في السموات والارض** من الموجودات
باسرها خلقا وملكا وتصرفا ايجادا واعداما بدءا واعادة **قد يعلم ما انتم عليه** ايها المكلفون من الاحوال والاوضاع
التي من جملتها الموافقة والمخالفة والاخلاص والنفاق **ويوم يرجعون اليه** عطف على ما انتم عليه اي يعلم يوم يرجع
المنافقون المخالفون للامر اليه تعالى للجزاء والعقاب وتعليل علمه تعالى بيوم رجعهم لا برجعهم لزيادة تحقيق

علمه تعالى بذلك وغاية تقريره لما ان العلم بوقت وقوع الشيء مستلزم للعلم بوقوعه على ابلغ وجه واكده وفيه
اشعار بان علمه تعالى لنفس رجعهم من الظهور بحيث لا يحتاج الى البيان قطعا ويجوز ان يكون الخطاب ايضا خاصا
بالمنافقين على طريقة الالتفات وقرئ يرجعون على المبني للفاعل **فينبئهم بما عملوا** من الاعمال السيئة التي من جملتها
مخالفة الامر فيرتب عليه ما يليق به من التوبيخ والجزاء وقد مر وجه التعبير عن الجزاء بالتنبئة في قوله تعالى انما
بغيكم على انفسكم الآية **والله بكل شيء عليم** لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي والله تعالى اعلم

سورة الفرقان وهي سبع وسبعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **تبارك الذي نزل الفرقان** البركة النماء والزيادة حسية كانت او معنوية وكثرة الخير ودوامه
ايضا ونسبتها الى الله عز وجل على المعنى الاول وهو الاليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه في ذاته وصفاته وافعاله
التي من جملتها تنزيل القرآن الكريم المعجز الناطق بعلو شانه تعالى وسمو صفاته وابتناء افعاله على اساس الحكم والمصالح
وخلوها عن شائبة الخلل بالكلية وصيغة التفاعل للمبالغة فيما ذكر فان ما لا يتصور نسبته اليه سبحانه حقيقة
من الصيغ كالتكثر ونحوه لا ينسب اليه تعالى الا باعتبار غاياتها وعلى الثاني باعتبار ما يفيض منه على مخلوقاته
لا سيما على الانسان من فنون الخيرات التي من جملتها تنزيل القرآن المنطوي على جميع الخيرات الدينية والدنيوية
والصيغة حينئذ يجوز ان تكون لافادة نماء تلك الخيرات وتزايدها شيئا فشيئا وآنا فآنا بحسب حدوثها او حدوث
متعلقاتها ولاستقلالها بالدلالة على غاية الكمال وتحققها والاشعار بالتعجب المناسب للانشاء والانباء على نهاية
التعظيم لم يجز استعمالها في حق غيره تعالى ولا استعمال غيرها من الصيغ في حقه تعالى والفرقان مصدر فرق
بين الشيئين اي فصل بينهما سمي به القرآن لغاية فرقه بين الحق والباطل باحكامه او بين المحق والمبطل باعجازه او لكونه
مفصولا بعضه من بعض في نفسه او في انزاله **على عبده** محمد صلى الله عليه وسلم وايراده عليه الصلاة والسلام
بذلك العنوان لتشريفه والايذان بكونه عليه الصلوة والسلام في اقصى مراتب العبودية والتنبيه على ان الرسول
لا يكون الا عبدا للمرسل ردا على النصارى **ليكون** غاية للتنزيل اي نزله عليه ليكون هو عليه الصلوة والسلام
او الفرقان **للعالمين** من الثقلين **نذيرا** اي منذرا او انذارا مبالغة او ليكون تنزيله انذارا وعدم التعرض
للتبشير لانسياق الكلام على احوال الكفرة وتقديم اللام على عامله لمراعاة الفواصل وابراز تنزيل الفرقان في معرض
الصلة التي حقها ان تكون معلومة الثبوت للموصول عند السامع مع انكار الكفرة له لاجرائه مجرى المعلوم تنبيها
على كمال قوة دلائله وكونه بحيث لا يكاد يجهله احد كقوله تعالى لا ريب فيه **الذي له ملك السموات والارض** اي له خاصة
دون غيره لا استقلالا ولا اشتراكا السلطان القاهر والاستيلاء الباهر عليهما المستلزمان للقدرة التامة والتصرف
الكلي فيهما وفيما فيهما ايجادا واعداما واحياء واماتة وامرا ونهيا حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح
ومحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف والجملة مستانفة مقررة لما قبلها او على انه نعت للموصول الاول او بيان
له او بدل منه وما بينهما ليس باجنبي لانه من تمام صلته ومعلوميته مضمونه للكفرة مما لا ريب فيه لقوله تعالى قل من
رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله ونظائره او مدح له تعالى بالرفع او النصب **ولم يتخذ ولدا**
كما يزعم الذين يقولون في حق المسيح والملائكة ما يقولون فسبحان الله عما يصفون وهو معطوف على ما قبله من الجملة
الظرفية ونظمه في سلك الصلة للايذان بان مضمونه من الوضوح والظهور بحيث لا يكاد يجهله احد لا سيما
بعد تقرير ما قبله **ولم يكن له شريك في الملك** اي ملك السموات والارض وهو ايضا عطف على الصلة وافراده بالذكر
مع ان ما ذكر من اختصاص ملكهما به تعالى مستلزم له قطعا للتصريح ببطلان زعم الثنوية القائلين بتعدد الالهة والرد
في نحورهم وتوسيط نفي اتخاذ الولد بينهما للتنبيه على استقلاله واصالته والاحتراز عن توهم كونه تتمة للاول **وخلق كل شيء**

اي احدث كل موجود من الموجودات احداثا جاريا على سنن التقدير حسبما اقتضته ارادته المبنية على الحكم البالغة بان خلق كلا منها
على خواص مخصوصة على صور معينة ورتب فيه قوى وخواص مختلفة الاثار والاحكام **فقدره** اي هيأه لما اراد به من الخصائص
والافعال اللائقة به **تقديرا** بديعا لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه كتهيئة الانسان للفهم والادراك والنظر والتدبر
في امور المعاد والمعاش واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الاعمال المختلفة وهكذا احوال سائر الانواع وقيل
اريد بالخلق مطلق الايجاد والاحداث مجازا من غير ملاحظة التقدير وان لم يخل عنه في نفس الامر فالمعنى اوجد كل شيء فقدره
في ذلك الايجاد تقديرا واما ما قيل انه سمي احداثه تعالى خلقا لانه تعالى لا يحدث شيئا الا على وجه التقدير من غير
تفاوت ففيه ارتكاب المجاز بحمل الخلق على مطلق الاحداث لتجرده عن معنى التقدير فاعتباره فيه بوجه من الوجوه مخل بالمرام
قطعا وقيل المراد بالتقدير الثاني هو التقدير للبقاء الى الاجل المسمى واياما كان فالجملة جارية مجرى التعليل لما قبلها من
الجمل المنتظمة في سلك الصلة فان خلقه تعالى لجميع الاشياء على ذلك النمط البديع كما يقتضي استقلاله تعالى باستقلاله
بصفات الالوهية يقتضي انتظام ما سواه كائنا ما كان تحت ملكوته القاهرة بحيث لا يشذ عنها شيء من ذلك قطعا وما
كان كذلك كيف يتوهم كونه ولدا له سبحانه او شريكا في ملكه **واتخذوا من دونه آلهة** بعد ما بين حقيقة الحق في
مطلع السورة الكريمة بذكر تنزيله تعالى للقرآن العظيم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفه تعالى بصفات
الكمال وتنزيهه عما لا يليق بشأنه الجليل عقب ذلك بحكاية اباطيل المشركين في حق المنزل سبحانه والمنزل عليه على الترتيب
واظهار بطلانها والاضمار من غير جريان ذكرهم للثقة بدلالة ما قبله من نفي الشريك عليهم اي اتخذوا لانفسهم متجاوزين
الذي ذكر بعض شؤونه العظيمة من اختصاص ملك السموات والارض به تعالى وانتفاء الولد والشريك منه وخلق جميع الاشياء
وتقديرها ابدع تقدير آلهة **لا يخلقون شيئا** اي لا يقدرون على خلق شيء من الاشياء اصلا **وهم يخلقون** كسائر المخلوقات
وقيل لا يقدرون على ان يخلقوا شيئا وهم يخلقون حيث يختلقهم عبدتهم بالنحت والتصوير وقوله تعالى **ولا يملكون**
لانفسهم ضرا ولا نفعا لبيان ما يدل عليه ما قبله من مراتب عجزهم وضعفهم فان بعض المخلوقين العاجزين عن الخلق ربما
يملك دفع ضر وجلب نفع في الجملة كالحيوان وهؤلاء لا يقدرون على التصرف في ضر ما ليدفعوه عن انفسهم ولا في نفع ما حتى يجلبوه اليهم
فكيف يملكون شيئا منهما لغيرهم وتقديم ذكر الضر لان دفعه مع كونه اهم في نفسه اول مراتب النفع واقدمها والتنصيص
على قوله تعالى **ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا** اي لا يقدرون على التصرف في شيء منها باماتة الاحياء واحياء الاموات
وبعثهم بعد بيان عجزهم عما هو اهون من هذه الامور من دفع الضر وجلب النفع للتصريح بعجزهم عن كل واحد مما ذكر على التفصيل
والتنبيه على ان الاله يجب ان يكون قادرا على جميع ذلك وفيه ايذان بغاية جهلهم وسخافة عقولهم كانهم غير عارفين
بانتفاء ما نفي عن آلهتهم من الامور المذكورة ومفتقرون الى التصريح بذلك **وقال الذين كفروا ان هذا الا افك** شروع في حكاية
اباطيلهم المتعلقة بالمنزل والمنزل عليه معا وابطالها والموصول اما عبارة عن غلاتهم في الكفر والطغيان وهم النضر
ابن الحارث وعبد الله بن امية ونوفل بن خويلد ومن ضاهاهم وروي عن الكلبي ومقاتل ان القائل هو النضر بن الحارث
والجمع لمتابعة الباقين له في ذلك واما عن كلهم ووضع الموصول موضع الضمير لذمهم بما في حيز الصلة والايذان
بان ما تفوهوا به كفر عظيم وفي كلمة هذا حط لرتبة المشار اليه اي ما هذا الا كذب مصروف عن وجهه **افتراه** يريدون
انه اختلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم **واعانه عليه** اي على اختلاقه **قوم آخرون** يعنون اليهود بان يلقوا اليه
اخبار الامم الدارجة وهو يعبر عنها بعبارته وقيل هم جبر ويسار كانا يصنعان السيف بمكة وكانا يقرآن التورية والانجيل
وقيل هو عابس وقد مر تفصيله في سورة النحل **فقد جاؤا ظلما** منصوب بجاؤا فان جاء واتى يستعملان في معنى فعل
فيعدى تعديته او بنزع الخافض اي بظلم قاله الزجاج والتنوين للتفخيم اي جاؤا بما قالوا ظلما هائلا عظيما لا يقادر
قدره حيث جعلوا الحق الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه افكا يفترى من قبل البشر وهو من جهة نظمه الرائق
وطرازه الفائق بحيث لو اجتمعت الانس والجن على مباراته لعجزوا عن الاتيان بمثل آية من آياته ومن جهة اشتماله على الحكم
الخفية والاحكام المستتبعة للسعادات الدينية والدنيوية والامور الغيبية بحيث لا تناله عقول البشر ولا يفي بفهمه

لا يقدرون ح

سوى

سوى خلاق القوى والقدر **وزورا** اي كذبا كبيرا لا يبلغ غايته حيث نسبوا اليه عليه الصلوة والسلام ما هو بريء منه والفاء
لترتيب ما بعدها على ما قبلها لكن لا على انهما امران متغايران حقيقة يقع احدهما عقيب الآخر ويحصل بسببه بل على ان الثاني
هو عين الاول حقيقة وانما الترتيب بحسب التغاير الاعتباري وقد تحقق ذلك المعنى فان ما جاؤه من الظلم والزور
هو عين ما حكي عنهم لكنه لما كان مغايرا له في المفهوم واظهر منه بطلانا رتب عليه بالفاء ترتب اللازم على الملزوم تهويلا
لامرهم **وقالوا اساطير الاولين** بعد ما جعلوا الحق الذي لا محيد عنه افكا مختلقا باعانة البشر بينوا على زعمهم الفاسد كيفية الاعانة
والاساطير جمع اسطار او اسطورة كاحدوثة وهي ما سطره المتقدمون من الخرافات **اكتتبها** اي كتبها لنفسه على الاسناد
المجازي او استكتبها وقرئ على البناء للمفعول لانه عليه الصلوة والسلام امي واصله اكتتبها له كاتب فحذف اللام
وافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل لعدم تعلق الغرض العلمي بخصوصه وبني الفعل للضمير
المنفصل فاستتر فيه **فهي تملى عليه** اي تلقى عليه تلك الاساطير بعد اكتتابها ليحفظها من افواه من يمليها عليه من ذلك
المكتتب لكونه اميا لا يقدر ان يتلقاها منه بالقراءة او تملى على الكاتب على ان معنى اكتتبها اراد اكتتابها واستكتبها ورجع
الضمير المجرور اليه عليه الصلوة والسلام لاسناد الكتابة في ضمن الاكتتاب اليه عليه الصلوة والسلام **بكرة واصيلا**
اي دائما او خفية قبل انتشار الناس وحين يأوون الى مساكنهم انظر الى هذه المرتبة من الجرأة العظيمة قاتلهم الله انى
يؤفكون **قل** لهم ردا عليهم وتحقيقا للحق **انزله الذي يعلم السر في السموات والارض** وصفه تعالى باحاطة علمه بجميع المعلومات
الجلية والخفية للايذان بانطواء ما انزله على اسرار مطوية عن عقول البشر مع ما فيه من التعريض بمجازاتهم بجناياتهم المحكية
التي من جملتها معلومة له تعالى اي ليس ذلك مما يفترى ويفتعل باعانة قوم وكتابة آخرين من الاحاديث الملفقة واساطير
الاولين بل هو امر سماوي انزله الله تعالى الذي لا يعزب عن علمه شيء من الاشياء واودع فيه فنون الحكم والاسرار على وجه
بديع لا تحوم حوله الافهام حيث اعجزكم قاطبة بفصاحته وبلاغته واخبركم بمغيبات مستقبلة وامور مكتومة
لا يهتدى اليها ولا يوقف عليها الا بتوفيق العليم الخبير وقد جعلتموه افكا مفترى من قبيل الاساطير واستوجبتم
بذلك ان يصب عليكم سوط عذاب صبا فقوله تعالى **انه كان غفورا رحيما** تعليل لما هو المشاهد من تأخير العقوبة اي انه تعالى
ازلا وابدا مستمر على المغفرة والرحمة المستتبعين للتأخير فلذلك لا يعجل عقوبتكم على ما تقولون في حقه مع كمال استحقاقكم
اياها وغاية قدرته تعالى عليها **وقالوا مال هذا الرسول** شروع في بيان جناياتهم المتعلقة بخصوصية المنزل عليه وما
استفهامية بمعنى انكار الوقوع ونفيه مرفوعة على الابتداء خبرها ما بعدها من الجار والمجرور وفي هذا تصغير لشانه
عليه الصلوة والسلام كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون **يأكل الطعام** حال من الرسول والعامل
فيها ما عمل في الجار من معنى الاستقرار اي اي شيء واي سبب حصل لهذا الذي يدعي الرسالة حال كونه يأكل الطعام
كما نأكل **ويمشي في الاسواق** لابتغاء الارزاق كما نفعله على توجيه الانكار والنفي الى السبب فقط مع تحقق المسبب الذي
هو مضمون الجملة الحالية كما في قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون وقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فكما ان كلا من عدم الايمان
وعدم الرجاء امر محقق قد انكروا واستبعدوا تحققه لانتفاء سببه بل لوجود سبب نقيضه كذلك كل من الاكل والمشي امر
محقق قد استبعد تحققه لانتفاء سببه بل لوجود سبب عدمه خلا ان استبعاد المسبب وانكار المسبب ونفيه
في عدم الايمان وعدم الرجاء بطريق التحقيق وفي الاكل والمشي بطريق التهكم والاستهزاء فانهم لا يستبعدونهما ولا ينكرون سببهما
حقيقة بل هم معترفون بوجودهما وتحقق سببهما وانما الذي يستبعدونه الرسالة المنافية لهما على زعمهم يعنون انه
ان صح ما يدعيه فما باله لم يخالف حاله حالنا وهل هو الا لعمههم وركاكة عقولهم وقصور انظارهم على المحسوسات
فان تميز الرسل عمن عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو بامور نفسانية كما اشير اليه بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم
يوحى الي انما الهكم اله واحد **لولا انزل اليه ملك** اي على صورته وهيئته **فيكون معه نذيرا** تنزل منهم عن اقتراح ان يكون
ملكا مستغنيا عن الاكل والشرب الى اقتراح ان يكون معه ملك يصدقه ويكون ردءا له في الانذار وهو يعبر عنه
ويفسر ما يقوله للعامة وقوله تعالى **او يلقى اليه كنز** تنزل عن تلك المرتبة الى اقتراح ان يلقى اليه من السماء كنز

سناد

بستظهر به ولا يحتاج الى طلب المعاش ويكون دليلاً على صدقه وهو قوله تعالى او يكون له جنة ياكل منها تنزل من ذلك
الى ما هو اهبر منه واقرب من الوقوع وقرئ ناكل بالنون والحكاية وفيه مزيد مكابرة وهو طرف تحكم وقال الظالمون هم القائلون
الاولون وانما وضع المظهر موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم وتجاوز الحد فيما قالوه لكونه ضلالا خارجا عن حد
الضلال مع ما فيه من نسبته صلى الله عليه وسلم الى المسحورية اي قالوا للمؤمنين ان تتبعون اي ما تتبعون
الا رجلا مسحورا قد سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهي الرية اي بشرا لا ملكا على ان الوصف لزيادة التقرير
والاول هو الانسب بحالهم انظر كيف ضربوا لك الامثال استعظام للاباطيل التي اجترؤا على التفوه بها وتعجيب منها
اي انظر كيف قالوا في حقك تلك الاقاويل العجيبة الجارية لغرابتها مجرى الامثال واخترعوا لك تلك الصفات
والاحوال الشاذة البعيدة من الوقوع فضلوا اي عن طريق المحاجة حيث يأتوا بشيء يمكن صدوره عمن له ادنى عقل
وتميز فبقوا متحيرين فلا يستطيعون سبيلا اي الى القدح في نبوتك بان يجدوا قولا يستقرون عليه وان كان باطلا في
نفسه او فضلوا عن الحق ضلالا مبينا فلا يجدون طريقا موصلا اليه فان من اعتاد استعمال هذه الاباطيل لا يكاد
يهتدي الى استعمال المقدمات الحقة تبارك الذي اي تكاثر وتزايد خير الذي ان شاء جعل لك في الدنيا عاجلا
شيئا خيرا لك الذي اقترحوه من ذلك من ان يكون لك جنة تأكل منها بان يجعل لك مثل ما وعدك في الآخرة وقوله تعالى
جنات تجري من تحتها الانهار بدل من خيرا او محقق لخيريته مما قالوا لان ذلك كان مطلقا عن قيد التعدد وجريان الانهار
ويجعل لك قصورا عطف على محل الجزاء الذي هو جعل وقرئ بالرفع عطفا على لفظه لان الشرط اذا كان ماضيا جاز
في جزائه الرفع والجزم كما في قول القائل وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم ويجوز ان يكون
استئنافا بوعد ما يكون له في الآخرة وقرئ بالنصب على انه جواب له بالواو وتعليق ذلك بمشيئته تعالى للايذان
بان عدم جعلها بمشيئته المبنية على الحكم والمصالح وعدم التعرض لجواب الاقتراحين الاولين للتنبيه على خروجهما
عن دائرة العقل واستغنائهما عن الجواب لظهور بطلانهما ومنافاتهما للحكم التشريعية وانما الذي له وجه في الجملة
هو الاقتراح الاخير فانه غير مناف للحكمة بالكلية فان بعض الانبياء عليهم السلام قد اوتوا في الدنيا مع النبوة
ملكا عظيما بل كذبوا بالساعة اضراب عن توبيخهم بحكاية جناياتهم السابقة وانتقال منه الى توبيخهم بحكاية
جنايتهم الاخرى للتخلص الى بيان ما لهم في الآخرة بسببها من فنون العذاب بقوله تعالى واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا
اي اعتدنا لهم نارا عظيمة شديدة الاشتعال شأنها كيت وكيت بسبب تكذيبهم بها على ما يشعر به وضع الموصول
موضع ضميرهم او لكل من كذب بها كائنا من كان وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا ووضع الساعة موضع ضميرها
للمبالغة في التشنيع ومدار اعتداد السعير لهم وان لم يكن مجرد تكذيبهم بسائر ما جاء به الشريعة الشريفة لكن الساعة
لما كانت هي العلة القريبة لدخول السعير اشير الى سببية تكذيبها لدخولها وقيل هو عطف على قالوا ما لهذا اي
على معنى بل اتوا باعجب من ذلك حيث كذبوا بالساعة وانكروها والحال انا اعتدنا لمن كذب بها سعيرا فان جراءتهم
على التكذيب بها وعدم خوفهم مما اعد لهم من انواع العذاب اعجب من القول السابق وقيل هو متصل بما قبله من
الجواب المبني على التحقيق المنبئ عن الوعد والحساب في الآخرة مسوق لبيان ان ذلك لا يجدي نفعا ولا يجلي بطائل
على طريقة قول من قال عوجوا لنعم فحيوا دمنة الدار ماذا تحيون من نوى واحجار والمعنى انهم لا يؤمنون
بالساعة فكيف يصدقون بهذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة وقيل المعنى بل كذبوا بها فقصرت
انظارهم عن الحظوظ الدنيوية وظنوا ان الكرامة ليست الا بالمال وجعلوا فقرك ذريعة الى تكذيبك وقوله تعالى
اذا رأتهم الى آخره صفة للسعير اي اذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد كقوله عليه الصلاة والسلام لا تتراءى ناراهما
اي لا تتقاربان بحيث تكون احديهما بمرأى من الاخرى على المجاز كان بعضها يرى البعض ونسبة الرؤية اليها لا اليهم
للايذان بان التغيظ والزفير منها لهيجان غضبها عليهم عند رؤيتها اياهم حقيقة او تمثيلا وقوله تعالى من مكان بعيد
اشعار بان بعد ما بينها وبينهم من المسافة حين رأتهم خارج عن حدود البعد المعتاد في المسافات المعهودة وفيه

مزيد تهويل

مزيد تهويل لامرها قال الكلبي والسدي من مسيرة عام وقيل من مسيرة مائة سنة سمعوا لها تغيظا وزفيرا اي صوت تغيظ
تشبيه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وان الحيوة لما لم تكن عندنا بالبنية امكن ان يخلق
الله تعالى فيها حيوة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها فنسب اليها على حذف المضاف واذا القوا منها مكانا نصب على الظرف
ومنها حال منه لانه في الاصل صفة له ضيقا صفة لمكانا مفيدة لزيادة شدة فان الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة
وهو السر في وصف الجنة بان عرضها السموات والارض وعن ابن عباس رضي الله عنهما وابن عمر تضيق جهنم عليهم كما يضيق
الزج على الرمح وسئل النبي صلى الله عليه وسلم فقال والذي نفسي بيده انهم يستكرهون في النار كما يستكره الوتد في الحائط
قال الكلبي الاسفلون يرفعهم اللهب والاعلون يحطهم الداخلون فيزدحمون فيها وقرئ ضيقا بسكون الياء مقرنين حال
من مفعول القوا اي اذا القوا منها مكانا ضيقا حال كونهم مقرنين قد قرنت ايديهم الى اعناقهم بالجوامع وقيل مقرنين مع الشياطين
في السلاسل كل كافر مع شيطان وفي ارجلهم الاصفاد دعوا هنالك اي في ذلك المكان الهائل والحالة الفظيعة ثبورا
اي يتمنون هلاكا وينادون يا ثبوراه تعال فهذا حينك واوانك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا على تقدير قول اما منصوب على انه
حال من مفعول دعوا اي دعوا مقولا لهم ذلك اما حقيقة بان تخاطبهم الملئكة لتنبيههم على خلود عذابهم وانهم لا يجابون
الى ما يدعونه ولا ينالون ما يتمنونه من الهلاك المنجي او تمثيلا وتصويرا لحالهم بحال من يقال له ذلك من غير ان يكون هناك قول
ولا خطاب اي دعوا حال كونهم احقاء بان يقال لهم ذلك واما مستأنف وقع جوابا عن سؤال ينسحب اليه الكلام كانه قيل
ماذا يكون عند دعائهم المذكور فقيل يقال لهم ذلك اقناطا مما علقوا به اطماعهم من الهلاك وتنبيها على ان عذابهم الملجئ لهم
الى استدعاء الهلاك بالمرة ابدي لا خلاص لهم منه اي لا تقتصروا على دعاء ثبور واحد وادعوا ثبورا كثيرا اي بحسب كثرة
الدعاء المتعلق به لا بحسب كثرته في نفسه فان ما يدعونه ثبور واحد في حد ذاته لكنه كلما تعلق به دعاء من تلك الادعية
الكثيرة صار كانه ثبور مغاير لما تعلق به دعاء آخر منها وتحقيقه لا تدعوه دعاء واحدا وادعوه ادعية كثيرة فان ما انتم فيه
من العذاب لشدته وطول مدته مستوجب لتكرير الدعاء في كل آن وهذا ادل على فظاعة العذاب وهوله من جعل تعدد
الدعاء وتجدده لتعدد العذاب بتعدد انواعه والوانه او لتعدده بتعدد الجلود كما لا يخفى واما ما قيل من ان المعنى انكم وقعتم
فيما ليس ثبوركم واحدا انما هو ثبور كثير اما لان العذاب الوان وانواع كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته او لانهم كلما
نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها فلا غاية لهلاكهم فلا يلائم المقام كيف لا وهو انما يدعون هلاكا ينهي عذابهم وينجيهم
منه فلا بد ان يكون الجواب اقناطا لهم عن ذلك ببيان استحالته ودوام ما يوجب استدعاءه من العذاب الشديد
وتقييد النهي والامر باليوم لمزيد التهويل والتفظيع والتنبيه على انه ليس كسائر الايام المعهودة قل اشارة الى ما ذكر
من السعير باعتبار اتصافها بما فصل من الاحوال الهائلة وما فيه من معنى البعد للاشعار بكونها في الغاية القاصية من
الهول والفظاعة اي قل لهم اذلك الذي ذكر من السعير التي اعدت لمن كذب بالساعة وشأنها كيت وكيت وشأن
اهلها ذيت وذيت خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون اي وعدها المتقون واضافة الجنة الى الخلد للمدح وقيل للتمييز عن
جنة الدنيا والمراد بالمتقين المتصفون بمطلق التقوى لا بالمرتبة الثانية او الثالثة منها فقط كانت تلك الجنة لهم
في علم الله تعالى او في اللوح او لان ما وعده الله تعالى فهو كائن لا محالة فحكى تحققه ووقوعه جزاء على اعمالهم حسبما
مر من الوعد الكريم ومصيرا ينقلبون اليه لهم فيها ما يشاؤن اي ما يشاؤنه من فنون الملاذ والمشتهيات وانواع النعيم كما في
قوله تعالى ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولعل كل فريق منهم يقتنع بما اتيح له من درجات النعيم ولا يمتد اعناق هممهم الى ما فوق
ذلك من المراتب العالية فلا يلزم الحرمان ولا تساوي مراتب اهل الجنان خالدين حال من الضمير المستكن في المتقون الجار
والمجرور لاعتماده على المبتدأ وقيل من فاعل يشاؤن كان اي ما يشاؤنه وقيل الوعد المدلول عليه بقوله تعالى وعد
المتقون على ربك وعدا مسئولا اي موعودا حقيقا بان يسأل ويطلب لكونه مما يتنافس فيه المتنافسون او مسئولا يسأله
الناس في دعائهم بقولهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك او الملائكة بقولهم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم
وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده تعالى ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق الارادة بالموعود

مشروطة

طين

تعريض لهم وتهكم بهم وتحسير على ما فاتهم اذلك

له

متقدم على الوعد الموجب للايجاز وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلوة والسلام من تشريفه
والاشعار بانه عليه الصلوة والسلام هو الفائز بآثار مغانم الوعد الكريم ما لا يخفى **ويوم يحشرهم** نصب على انه
مفعول بمضمر مقدم معطوف على قوله تعالى قل اذلك خير اي واذكر لهم بعد التقريع والتحذير يوم يحشرهم الله عز وجل
وتعليق التذكير باليوم مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث الهائلة قد مر وجهه غير مرة او على انه ظرف لمضمر
مؤخر قد حذف للتنبيه على كمال هوله وفظاعة ما فيه والايذان بقصور العبارة عن بيانه اي يوم يحشرهم يكون من
الاهوال والاحوال ما لا يفي ببيانه المقال وقرئ بنون العظمة بطريق الالتفات من الغيبة الى التكلم وبكسر الشين
ايضا **وما يعبدون من دون الله** اريد به وصف الذات كانه قيل ومعبوديهم او لتغليب الاصنام على غيرها تنبيها على
انهم مثلها في السقوط عن رتبة المعبودية او اعتبارا لغلبة عبدتها او اريد به الملائكة والمسيح وعزير بقرينة السؤال
والاصنام ينطقها الله عز وجل او تكلم بلسان الحال كما قيل في شهادة الايدي والارجل **فيقول** اي الله عز وجل للمعبودين
اثر حشر الكل تقريعا للعبدة وتبكيتا لهم وقرئ بنون العظمة كما عطف عليه وقرئ هذا بالياء والاول بالنون على طريق
الالتفات الى الغيبة **أأنتم اضللتم عبادي هؤلاء** بان دعوتموهم الى عبادتكم كما في قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وامي
الهين من دون الله **ام هم ضلوا السبيل** اي عن السبيل بانفسهم لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد فحذف
الجار واوصل الفعل الى المفعول كقوله تعالى وهو يهدي السبيل والاصل الى السبيل او للسبيل وتقديم الضمير على الفعلين
لما ان المقصود بالسؤال هو المتصدي للفعل لا الفعل نفسه **قالوا** استيناف مبني على سؤال نشا من حكاية السؤال كانه
قيل فماذا قالوا في الجواب فقيل قالوا **سبحانك** تعجبا مما قيل لهم لانهم اما ملائكة وانبياء معصومون او جمادات لا قدرة
لها على شيء او اشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه تعالى وتوحيده فكيف يتاتى منهم اضلال عباده او تنزيها له تعالى عن
الانداد **ما كان ينبغي لنا** اي ما صح وما استقام لنا **ان نتخذ من دونك** اي متجاوزين اياك **من اولياء** نعبدهم لما بنا
من الحالة المنافية له فانى يتصور ان نحمل غيرنا على ان يتخذوا وليا غيرك فضلا ان نتخذ نا وليا او ان نتخذ من دونك من اولياء
اي اتباعا فان الولي كما يطلق على المتبوع يطلق على التابع كالمولى يطلق على الاعلى والاسفل ومنه اولياء الشيطان اي اتباعه
وقرئ على البناء للمفعول من المتعدي الى مفعولين كما في قوله تعالى واتخذ الله ابرهيم خليلا ومفعوله الثاني من اولياء
على ان من للتبعيض اي ان نتخذ بعض اولياء وهو على الاول مزيدة لتأكيد اولياء من حيث انهم اولياء مخصوصون وهم الجن والاصنام
ولكن متعتهم واباءهم استدراك مسوق لبيان انهم هم الضالون بعد بيان تنزههم عن اضلالهم وقد نعي عليهم سوء
صنيعهم حيث جعلوا اسباب الهداية اسبابا للضلالة اي وما اضللناهم ولكن متعتهم واباءهم بانواع النعم
ليعرفوا حقها ويشكروها فاستغرقوا في الشهوات وانهمكوا فيها **حتى نسوا الذكر** اي غفلوا عن ذكرك او عن التذكر في
الائك والتدبر في نعمائك واياتك فجعلوا اسباب الهداية بسوء اختيارهم ذريعة الى الغواية **وكانوا** اي في قضائك
المبني على علمك الازلي المتعلق بما سيصدر عنهم في ما لا يزال باختيارهم من الاعمال السيئة **قوما بورا** هالكين على ان
بورا مصدر وصف به الفاعل مبالغة ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع او جمع بائر كعوذ في جمع عائذ والجملة اعتراض
تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقوله تعالى **فقد كذبوكم** حكاية لاحتجاجه تعالى على العبدة بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن المعبودين
عند تمام جوابهم وتوجيهه الى العبدة مبالغة في تقريعهم وتبكيتهم على تقدير قول مرتب على الجواب اي فقال الله تعالى
عند ذلك فقد كذبوكم المعبودون ايها الكفرة **بما تقولون** اي في قولكم انهم الهة وقيل في قولكم هؤلاء اضلونا والباء
ان تكذيبهم في هذا القول لا تعلق له بما بعده من عدم الاستطاعة للصرف والنصر اصلا وانما هو الذي استتبعه وهمهم
وتكذيبهم في زعمهم انهم الهتهم وناصروهم وايا ما كان فالباء بمعنى في او هي صلة للتكذيب على ان الجار والمجرور بدل الاشتمال
من الضمير المنصوب وقرئ بالياء اي كذبوكم بقولهم سبحانك الاية **فما تستطيعون** اي ما تملكون **صرفا** اي دفعا
للعذاب عنكم بوجه من الوجوه كما يعرب عنه اي التنكير اي لا بالذات ولا بالواسطة وقيل حيلة من قولهم انه
ليتصرف في اموره اي يحتال فيها وقيل توبة **ولا نصرا** اي فردا من افراد النصر لا من جهة انفسكم ولا من جهة غيركم

ادعيه ما يعم العقلاء وغيرهم اما لكون ما موضوعة للكل كما ينبي عنه انك اذا رايت شيئا من بعيد ما هو او لا ترحح

والفاء الترتيب

والفاء لترتيب عدم الاستطاعة على ما قبلها من التكذيب لكن لا على معنى انه لولاه لوجدت الاستطاعة حقيقة بل في زعمهم انهم يدفعون
العذاب وينصرونهم وفيه ضرب تهكم بهم **وقرئ** يستطيعون على صيغة الغيبة اي ما تستطيع الهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب
يحتالوا لكم ولا ان ينصروكم وترتيب ما بعد الفاء على ما قبلها لما مر بيانه **ومن يظلم منكم** ايها المكلفون كدأب هؤلاء حيث ركبوا
متن المكابرة والعناد واستمروا على ما هم عليه من الفساد وتجاوزوا في الفساد واللجاج كل حد معتاد **نذقه في الاخرة عذابا
كبيرا** لا يقادر قدره وهو عذاب النار **وقرئ** يذقه على ان الضمير لله سبحانه **وقيل** لمصدر الفعل الواقع شرطا وتعميم الظلم لا
يستلزم اشتراك الفاسق للكافر في اذاقة العذاب الكبير فان الشرط في اقتضاء الجزاء يقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة
والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا **وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق**
جواب عن قولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق والجملة الواقعة بعد الا صفة لموصوف قد حذف لدلالة الجار والمجرور
عليه واقيمت هي مقامه كما في قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم والمعنى وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا اكلين وماشين
وقيل هي حال والمعنى والتقدير الا انهم لياكلون الى اخره **وقرئ** ويمشون على البناء للمفعول اي يمشيهم حوائجهم او الناس **وجعلنا بعضكم**
تلوين للخطاب بتعميمه لسائر الرسل عليهم السلام بطريق التغليب والمراد بهذا البعض كفار الامم فان اختصاصهم بالرسل
وتبعيتهم لهم مصحح لان يعدوا بعضا منهم ويؤيده قوله تعالى **لبعض** رسلهم لكن لا على معنى جعلنا مجموع لبعض الاول **فتنة**
اي ابتلاء ومحنة لمجموع البعض الثاني ولا معنى جعلنا كل فرد من افراد البعض الاول منهما من الاولين فتنة لبعض منهم من الاخرين ضرورة
ان مجموع الرسل من حيث هو مجموع غير مفتونين بمجموع الامم ولا كل فرد منهم بكل من الامم ولا بعض منهم من الاخرين بل على
معنى جعلنا كل بعض معين من الامم فتنة لبعض معين من الرسل كانه قيل وجعلنا كل امة مخصوصة من الامم الكافرة فتنة
لرسولها المعين المبعوث اليها وانما لم يصرح بذلك تعويلا على شهادة الحال هذا واما تعميم الخطاب لجميع المكلفين
وابقاء البعضين على العموم والابهام على معنى وجعلنا بعضكم ايها الناس فتنة لبعض اخر منكم فيأباه قوله تعالى **اتصبرون**
فانه غاية للجعل المذكور ومن البين انه ليس ابتلاء كل احد من احاد الناس معنيا بالصبر بل بما يناسب حاله على ان
الاقتصار على ذكره من غير تعرض لما يقابله مما يدل على ان اللائق بحال المفتونين والمتوقع صدوره عنهم هو الصبر لا
غير فلا بد ان يكون المراد بهم الرسل فيحصل به تسلية له عليه الصلاة والسلام فالمعنى جرت سنتنا بموجب حكمتنا على
ابتلاء المرسلين بامهم وبمناصبتهم لهم العداوة وايذائهم لهم واقاويلهم الخارجة عن حدود الانصاف ليعلم صبركم
وقوله تعالى **وكان ربك بصيرا** وعد كريم للرسول صلى الله عليه وسلم بالاجر الجزيل لصبره الجميل مع مزيد تشريفه عليه
الصلوة والسلام بالالتفات الى اسم الرب مضافا الى ضميره عليه الصلوة والسلام **وقال الذين لا يرجون لقاءنا** شروع
في حكاية بعض اخر من اقاويلهم الباطلة وبيان بطلانها اثر ابطال اباطيلهم السابقة والجملة معطوفة على قوله
تعالى وقالوا ما لهذا الرسول الى اخره ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه بما في حيز الصلة على ان ما يحكى عنهم في الشناعة
بحيث لا يصدر عمن يعتقد المصير الى الله عز وجل ولقاء الشيء عبارة عن مصادفته من غير ان يمنع مانع عن ادراكه بوجه
من الوجوه والمراد بلقائه تعالى اما الرجوع اليه تعالى بالبعث والحشر او لقاء حسابه تعالى كما في قوله تعالى اني ظننت
اني ملاق حسابيه وبعدم رجائهم اياه عدم توقعهم له اصلا لانكارهم البعث والحساب بالكلية لا عدم املهم
حسن اللقاء ولا عدم خوفهم سوء اللقاء لان عدمهما غير ملتزم لما هم عليه من العتو والاستكبار وانكار البعث والحساب
راسا اي وقال الذين لا يتوقعون الرجوع الينا او حسابنا المؤدي الى سوء العذاب الذي يستوجبه مقالتهم **لولا انزل
علينا الملائكة** اي هلا انزل علينا الملائكة ليخبرونا بصدق محمد صلى الله عليه وسلم **وقيل** هلا انزلوا علينا بطريق
الرسالة وهو الانسب بقولهم **او نرى ربنا** من حيث ان كلا القولين ناشئ عن غاية غلوهم في المكابرة والعتو حسبما يعرب
عنه قوله تعالى **لقد استكبروا في انفسهم** اي في شانها حتى اجترؤا على التفوه بمثل هذه العظيمة الشنعاء **وعتوا** اي تجاوزوا
الحد في الظلم والطغيان **عتوا كبيرا** بالغا اقصى غاياته حيث املوا نيل رتبة المفاوضة الالهية من غير توسط الرسول
والملك كما قالوا لولا يكلمنا الله ولم يكتفوا بما عاينوا من المعجزات القاهرة التي تخر لها صم الجبال فذهبوا في الاقتراح كل مذهب

جبتهم انفسهم الخبيثة اما بي لا تكاد ترنوا اليها احداق الامم ولا يمتد اليها اعناق الهمم ولا ينالها الا اولوا العزائم الماضية من
الانبياء عليهم السلام واللام جواب قسم محذوف اي والله لقد استكبروا وفيه من الدلالة على غاية قبح ما هم عليه والاشعار
بالتبعيد من استكبارهم وعتوهم ما لا يخفى يوم يرون الملائكة استئناف مسوق لبيان ما يلقونه عند مشاهدتهم لما اقترحوه من
نزول الملائكة عليهم السلام بعد استعظامه وبيان كونه في غاية من الشناعة وانما قيل يوم يرون دون ان يقال يوم نزول
الملائكة ايذانا من اول الامر بان رؤيتهم لهم ليست على طريق الاجابة الى ما اقترحوه على وجه اخر غير معهود ويوم منصوب
على الظرفية بما يدل عليه قوله تعالى لا بشرى يومئذ للمجرمين فانه في معنى لا يبشر يومئذ المجرمين والعدول الى نفي الجنس
للمبالغة وما قيل من انه بمعنى يمنعون البشرى او يعدمونها تهوين للخطب في محل التهويل فان منع البشرى وفقدانها مشعر بان
هناك بشرى يمنعونها او يفقدونها واين هذا من نفيها بالكلية وحيث كان نفيها بالكلية كناية عن اثبات ضدها كان نفي
المحبة في مثل قوله تعالى والله لا يحب الكافرين كناية عن البغض والمقت على ثبوت النذرى لهم على ابلغ وجه واكده وقيل
منصوب بفعل مضمر يدل عليه لا بشرى على ان لا غير نافية للجنس وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم عليه اي اذكر يوم
رؤيتهم الملائكة ويومئذ على كل حال تكرير للتاكيد والتهويل مع ما فيه من الايذان بان تقديم الظرف للاهتمام لا للقصر نفي
البشرى بذلك الوقت فقط فان ذلك مخل بتفظيع حالهم وللمجرمين تبيين على انه مظهر وضع موضع الضمير تسجيلا عليهم
بالاجرام مع ما هم عليه من الكفر وحمله على العموم بحيث يتناول فساق المؤمنين ثم الالتجاء الى اخراجهم عن الحرمان الكلي
الى نفي البشرى حين لا يستلزم نفيه في جميع الاوقات فيجوز ان يبشروا بالعفو والشفاعة في وقت اخر بمعزل عن الحق
بعيد ويقولون عطف على ما ذكر من الفعل المنفي المنبئ عن كمال فظاعة ما يحيق بهم من الشر وغاية هول مطلعه ببيان انهم
يقولون عند مشاهدتهم له حجرا محجورا وهي كلمة يتكلمون بها عند لقاء عدو او هجوم مكروه ونازلة هائلة يضعونها موضع
الاستعاذة حيث يطلبون من الله تعالى ان يمنع المكروه فلا يلحقهم فكان المعنى نسأل الله تعالى ان يمنع ذلك منعا ويحجره
حجرا وكسر الحاء تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد كما في قعدك وعمرك وقد قرئ حجرا بالضم والمعنى انهم يطلبون نزول
الملائكة ويقترحونه وهم اذا راوهم كرهوا لقاءهم اشد كراهة وفزعوا منهم فزعا شديدا وقالوا ما كانوا يقولونه عند نزول
خطب شديد ونزول باس فظيع ومحجورا صفة لحجرا واردة للتاكيد كما قالوا ذيل ذائل وليل اليل وقيل يقولها
الملائكة للكفرة بمعنى حراما محرما عليكم الغفران او الجنة او البشرى اي جعل الله تعالى ذلك حراما عليكم وليس بواضح
وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا لبيان حال ما كانوا يعملونه في الدنيا من صلة الرحم واغاثة الملهوف وقرى
الضيف ومن على اسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم التي لو كانوا عملوها مع الايمان لنالوا ثوابها بتمثيل حالهم وحال اعمالهم
المذكورة بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم الى اسبابهم وقصد الى ما تحت ايديهم فانحى عليها بالافساد
والاحراق ومزقها كل ممزق بحيث لم يدع لها عينا ولا اثرا اي عمدنا اليها وابطلناها اي اظهرنا بطلانها بالكلية من غير ان
يكون هناك قدوم ولا شئ يقصد تشبيهه به والهباء شبه غبار يرى في شعاع الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهو
الغبار ومنثورا صفته شبه به اعمالهم المحبطة في الحقارة وعدم الجدوى ثم بالمنثور منه في الانتثار بحيث لا يمكن نظمه او
مفعول ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كما في قوله تعالى كونوا قردة خاسئين اصحاب الجنة هم المؤمنون المشار اليهم
في قوله تعالى قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون يومئذ اي يوم اذ يكون ما ذكر من عدم التبشير وقولهم
حجرا محجورا وجعل اعمالهم هباء منثورا خير مستقرا المستقر المكان الذي يستقر فيه في اكثر الاوقات للتجالس
والتحادث واحسن مقيلا المقيل المكان الذي يؤوى اليه للاسترواح الى الازواج والتمتع بمغازلتهن سمي بذلك لما
ان التمتع به يكون وقت القيلولة غالبا وقيل لانه يفرغ من الحساب في منتصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة
واهل النار في النار وفي وصفه بزيادة الحسن مع حصول الخيرية بالمعطوف عليه على المستقر رمز الى انه مزين بفنون
الزين والزخارف والتفضيل المعتبر فيهما اما لارادة الزيادة في الاطلاق اي هم في اقصى ما يكون من خيرية المستقر
وحسن المقيل واما بالاضافة الى ما للكفرة المتنعمين في الدنيا والى ما هم في الاخرة بطريق التهكم بهم كما في قوله تعالى

اذلك

اذلك الاية هذا وقد يجوز ان يراد باحدهما المصدر او الزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم اطيب مما يتخيل من الامكنة
والازمنة ويوم تشقق السماء اي تتفتح واصله تتشقق فحذفت احدى التائين كما في تلظى وقرئ بادغام التاء في
الشين بالغمام بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام الذي ذكر في قوله تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام
والملائكة وقيل تنشق سماء سماء ونزل الملائكة تنزيلا خلال ذلك الغمام بصحائف اعمال العباد وقرئ ونزلت الملائكة
وننزل ونزل على صيغة المتكلم من الانزال والتنزيل ونزل الملائكة ونزل الملئكة على حذف النون الذي هو فاء الفعل من نزل الملك
يومئذ الحق للرحمن اي السلطنة القاهرة والاستيلاء الكلي العام الثابت صورة ومعنى ظاهرا وباطنا بحيث لا زوال له اصلا
ثابت للرحمن يومئذ فالملك مبتدأ والحق صفة وللرحمن خبره ويومئذ ظرف لثبوت الخبر للمبتدأ وفائدة التقييد ان ثبوت الملك
المذكور له تعالى خاصة يومئذ واما فيما عداه من ايام الدنيا فيكون لغيره ايضا تصرف صوري في الجملة وقيل الملك
مبتدأ والحق خبره وللرحمن متعلق بالحق او بمحذوف على التبيين او بمحذوف هو صفة للحق ويومئذ معمول للملك وقيل الخبر
يومئذ والحق نعت للملك والرحمن على ما ذكر واياما كان فالجملة بمعناها عاملة في الظرف اي ينفرد الله تعالى بالملك يوم تشقق
السماء وقيل الظرف منصوب باذكر فالجملة حينئذ استئناف مسوق لبيان احواله واهواله وايراده تعالى بعنوان الرحمانية
للايذان بان اتصافه تعالى بغاية الرحمة لا يهون الخطب على الكفرة لعدم استحقاقهم للرحمة كما في قوله تعالى يا ايها الانسان ما
غرك بربك الكريم والمعنى ان الملك الحقيقي يومئذ للرحمن وكان ذلك اليوم مع كون الملك فيه لله البالغ في الرحمة لعباده يوما
على الكافرين عسيرا شديدا لهم وتقديم الجار والمجرور لمراعاة الفواصل واما للمؤمنين فيكون يسيرا بفضل الله تعالى وقد جاء في الحديث
انه يهون يوم القيامة على المؤمن حتى يكون اخف عليه من صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله
ويوم يعض الظالم على يديه عض اليدين والانامل واكل اللسان وحرق الاسنان ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من
روادفها والمراد بالظالم اما عقبة بن ابي معيط على ما قيل انه كان يكثر مجالسة النبي عليه الصلوة والسلام فدعاه يوما الى ضيافة
فابى عليه الصلوة والسلام ان ياكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت
فقال لا ولكن ابى ان ياكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فقال لا ارضى منك الا ان تاتيه فتطأ قفاه وتبزق في وجهه
فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال عليه الصلوة والسلام لا القاك خارجا من مكة الا علوت راسك بالسيف
فاسر يوم بدر فامر عليا رضي الله عنه فقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت الانصاري وطعن عليه الصلوة والسلام ابيا يوم
احد في المبارزة فرجع الى مكة فمات واما جنس الظالم فهو داخل فيه دخولا اوليا يقول حال من فاعل يعض وقوله تعالى يا ليتني
الخ محكي ويا اما لمجرد التنبيه من غير قصد الى تعيين المنبه او المنادى محذوف اي يا هؤلاء ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا
طريقا واحدا منجيا من هذه الورطات وهو طريق الحق ولم يتشعب بي طرق الضلال او حصلت في صحبته عليه الصلوة
والسلام طريقا ولم اكن ضالا لا طريق لي قط يا ويلتي وقرئ بالياء على الاصل ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يريد من اضله في
الدنيا فان فلانا كناية عن الاعلام كما ان الهن كناية عن الاجناس وقيل فلان كناية عن علم ذكور من يعقل وفلانة كناية عن علم اناثهم
وقيل كناية عن نكرة من يعقل من الذكور وفلانة عمن يعقل من الاناث والفلان والفلانة عن غير العاقلة ويختص فل بالنداء الا في ضرورة
كما في قوله في لجة امسك فلانا عن فل وقوله حدثنا عن فل وفلان وليس فل مرخما من فلان خلافا للفراء واختلفوا في لام فل
وفلان فقيل واو وقيل ياء هذا فان اريد بالظالم عقبة ففلان كناية عن ابي وان اريد به الجنس فهو كناية عن علم كل من
يضله كائنا من كان من شياطين الانس والجن وهذا التمني منه وان كان مسوقا لابراز الندم والحسرة لكنه متضمن لنوع
تعلل واعتذار بتوريك جنايته الى الغير وقوله تعالى لقد اضلني عن الذكر تعليل لتمنيه المذكور وتوضيح لتعلله وتصديره
باللام القسمية للمبالغة في بيان خطائه واظهار ندمه وحسرته اي والله لقد اضلني عن ذكر الله تعالى او عن القرآن او عن موعظة
الرسول صلى الله عليه وسلم او كلمة الشهادة بعد اذ جاءني وتمكنت منه وقوله تعالى وكان الشيطان للانسان خذولا اي
مبالغا في الخذلان حيث يواليه حتى يؤديه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اما من جهته
تعالى او من تمام كلام الظالم على انه سمى خليله شيطانا بعد وصفه بالاضلال الذي هو اخص الاوصاف الشيطا

او على انه اراد بالشيطان ابليس لانه الذي على مخالفة المضلين ومخالفة الرسول الهادي عليه الصلاة والسلام بوسوسته
واغوائه لكونه وصفه بالخذلان لان يشعر بانه كان يعده في الدنيا ويمنيه بان ينفعه في الآخرة وهو اوفق بحال ابليس
وقال الرسول عطف على قوله تعالى قال الذين لا يرجون لقاءنا وما بينهما اعتراض مسوق لاستعظام ما قالوه وبيان ما
يحيق بهم في الآخرة من الاهوال والخطوب وايراده عليه الصلوة والسلام بعنوان الرسالة لتحقيق الحق والرد على نحورهم
حيث كان ما حكي عنهم قدحا في رسالته عليه الصلوة والسلام اي قالوا كيت وكيت وقال الرسول اثر ما شاهد منهم
غاية العتو ونهاية الطغيان بطريق البث الى ربه عز وجل يا رب ان قومي يعني الذين حكي عنهم ما حكي من الشنايع اتخذوا
هذا القران مهجورا اي الذي من جملته هذه الآيات الناطقة بما يحيق بهم في الآخرة من فنون العقاب كما ينبئ
عنه كلمة الاشارة مهجورا اي متروكا بالكلية ولم يؤمنوا به ولم يرفعوا اليه رأسا ولم يتأثروا بوعيده وفيه تلويح
الى ان من حق المؤمن ان يكون كثير التعاهد للقران لئلا يندرج تحت ظاهر النظم الكريم فانه روي عنه صلى الله عليه
وسلم من تعلم القران وعلق مصحفا ولم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيمة متعلقا به يقول يا رب العالمين
عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه وقيل من هجر اذا هذى اي جعله مهجورا فيه اما على زعمهم الباطل
واما بان هجروا فيه اذا سمعوه كما يحكي عنهم من قولهم لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه وقد جوز ان يكون المهجور بمعنى
الهجر كالمجلود والمعقول والمعنى اتخذوه هجرا وهذيانا وفيه من التحذير والتخويف ما لا يخفى فان الانبياء اذا شكوا الى
الله قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا وقوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وحمل له على الاقتداء بمن قبله من الانبياء عليهم السلام اي كما جعلنا لك اعداء من المشركين يقولون ما
يقولون ويفعلون ما يفعلون من الاباطيل جعلنا لكل نبي من الانبياء الذين هم اصحاب الشريعة والدعوة اليها عدوا
من مجرمي قومهم فاصبر كما صبروا وقوله تعالى وكفى بربك هاديا ونصيرا وعد كريم له عليه الصلوة والسلام بالهداية الى كافة
مطالبه والنصر على اعدائه اي كفاك مالك امرك ومبلغك الى الكمال هاديا لك الى ما يوصلك غاية الغايات
التي من جملتها تبليغ الكتاب اجله واجراء احكامه في اكناف الدنيا الى يوم القيمة ونصيرا لك على جميع من يعاديك وقال
الذين كفروا حكاية لاقتراحهم الخاص بالقران الكريم بعد اقتراحهم في حقه عليه الصلوة والسلام والقائلون هم
القائلون اولا وايرادهم بعنوان الكفر لذمهم والاشعار بعلة الحكم لولا نزل عليه القران التنزيل هاهنا مجرد بمعنى
التنزيل كما في قوله تعالى يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء ويجوز ان يراد به الدلالة على كثرة المنزل
في نفسه اي هلا انزل كله جملة واحدة كالكتب الثلاثة وبطلان هذه الكلمة الحمقاء مما لا يكاد يخفى على احد فان
الكتب المتقدمة لم يكن شاهد صحتها ودليل كونها من عند الله تعالى اعجازها واما القران الكريم فبينة صحته وآية
كونه من عند الله تعالى نظمه المعجز الباقي على ممر الدهور المتحقق في كل جزء من اجزائه المقدر بمقدار اقصر السور
حسبما وقع به التحدي ولا ريب في ان ما يدور عليه فلك الاعجاز هو المطابقة لما تقتضيه الاحوال ومن ضرورة
تغيرها تجدد ما يطابقها حتما على ان فيه فوائد جمة قد اشير الى بعضها بقوله تعالى كذلك لنثبت به فؤادك
فانه استئناف وارد من جهته تعالى لرد مقالتهم الباطلة وبيان الحكمة في التنزيل التدريجي ومحل الكاف النصب على انها
صفة لمصدر مؤكد لمضمر معلل بما بعده وذلك اشارة الى ما يفهم من كلامهم اي مثل ذلك التنزيل المفرق الذي
قدحوا فيه واقترحوا خلافه نزلناه لا تنزيلا مغايرا له لنقوي بذلك التنزيل المفرق فؤادك فان فيه تيسيرا
لحفظ النظم وفهم المعاني وضبط الاحكام والوقوف على تفاصيل ما روعي فيها من الحكم والمصالح المبنية على المناسبة
وعلى المناسبة المنوطة باسبابها الداعية الى شرعها ابتداء او تبديلا بالنسخ من احوال المكلفين وكذلك عامة ما ورد
في القران المجيد من الاخبار وغيرها متعلقة بامور حادثة من الاقاويل والافاعيل ومن قضية ما يتعلق بها كالاقتراح
الواقعة من الكفرة الداعية الى حكايتها وابطالها وبيان ما يؤول اليه حالهم في الآخرة مثل هذا الاقتراح كما
عرفته بطلعته حيث امروا بالاتيان بمثل نوبة من نوب التنزيل فظهر عجزهم عن المعارضة وضاقت عليهم الارض

بما رحبت

بما رحبت فكيف لو اتحدوا بكله وقوله تعالى ورتلناه ترتيلا عطف على ذلك المضمر وتنكير تنزيلا للتفخيم اي كذلك نزلناه
ورتلناه ترتيلا بديعا لا يقادر قدره ومعنى ترتيله تفريقه آية بعد آية قاله النخعي وقتادة وقال ابن عباس رضي
الله عنهما بيناه بيانا فيه ترتيل وتثبيت وقال السدي فصلناه تفصيلا وقال مجاهد جعلنا بعضه في اثر
بعض وقيل هو الامر بترتيل قراءته لقوله تعالى ورتل القران ترتيلا وقيل قرأناه عليك بلسان جبرائيل شيئا فشيئا
في عشرين او في ثلث وعشرين سنة على تؤدة وتمهل ولا يأتونك بمثل من الامثال التي من جملتها ما حكي من اقتراحاتهم
القبيحة الخارجة عن دائرة العقول الجارية لذلك مجرى الامثال اي لا يأتونك بمثل عجيب هو مثل في البطلان يريدون
القدح في حقك وحق القران الا جئناك في مقابلته بالحق اي بالجواب الحق الثابت الذي ينحي عليه بالابطال
ويحسم مادة القيل والقال كما مر في الاجوبة الحقية القالعة لعروق اسولتهم الشنيعة الدامغة لها بالكلية وقوله
تعالى واحسن تفسيرا عطف على الحق اي اتيناك الحق واحسن تفسيرا اي بيانا وتفصيلا على معنى انه في غاية ما يكون
من الحسن في حد ذاته لا ان ما يأتون به له حسن في الجملة وهذا احسن منه كما مر والاستثناء مفرغ محله النصب
على الحالية اي لا يأتونك بمثل الا حال اتياننا اياك الحق الذي لا محيد عنه وفيه من الدلالة على المسارعة
الى ابطال ما اتوا به وتثبيت فؤاده عليه الصلاة والسلام ما لا يخفى وهذا بعبارته ناطق ببطلان جميع الاسولة
وبصحة جميع الاجوبة اذ لولا تنزيل القران على التدريج لما امكن ابطال تلك الاقتراحات الشنيعة ولما حصل تثبيت
فؤاده عليه الصلوة والسلام الا من تلك الحيثية هذا وقد جوز ان يكون المثل عبارة عن الصفة الغريبة التي كانوا
يقترحون كونه عليه الصلوة والسلام عليها من مقارنة الملك والاستغناء عن الاكل والشرب وحيازة الكنز والجنة
ونزول القران عليه جملة واحدة على معنى لا يأتونك بحالة عجيبة يقترحون اتصافك بها قائلين هلا كان على
هذه الحالة الا اعطيناك نحن من الاحوال الممكنة ما يحق لك في ملكنا ومشيئتنا ان نعطيه وما هو احسن كشفا
لما بعثت عليه ودلالة على صحته وهو الذي انت عليه في الذات والصفات ويأباه الاستثناء المذكور المتبادر
منه بكون ما اعطاه الله تعالى من الحق مترتبا على ما اتوا به من الاباطيل دامغا لها ولا ريب في ان ما اتاه الله تعالى
من الملكات السنية اللائقة بالرسالة قد اتاه من قبل الامر لا يتقابله ما حكي عنهم من الاقتراحات لاجل دمغها
وابطالها الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اي يحشرون كائنين على وجوههم يسحبون عليها ويجرون الى جهنم وقيل
مقلوبين وجوههم على قفاهم وارجلهم الى فوق روي عنه عليه الصلاة والسلام يحشر الناس يوم القيامة اثلاثا ثلث على الدواب وثلث
على وجوههم وثلث على اقدامهم ينسلون نسلا واما ما قيل متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم اليها
فبعيد لان هول ذلك اليوم ليس يبقى لهم عنده تعلق بالسفليات او توجه اليها في الجملة ومحل الموصول اما النصب
والرفع على الذم او الرفع على الابتداء وقوله تعالى اولئك بدل منه او بيان له وقوله تعالى شر مكانا واضل سبيلا
خبر له او اسم الاشارة مبتدأ ثان وشر خبره والجملة خبر للموصول ووصف السبيل بالضلال من باب الاسناد المجازي
للمبالغة والمفضل عليه الرسول صلى الله عليه وسلم على منهاج قوله تعالى قل أانبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله
من لعنه الله وغضب عليه كأنه قيل ان حاملهم على هذه الاقتراحات تحقيرهم مكانه عليه الصلاة والسلام وتضليل
سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا انهم شر مكانا واضل سبيلا وقيل هو متصل بقوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير
مستقرا واحسن مقيلا ولقد آتينا موسى الكتاب جملة مستأنفة سيقت لتأكيد تام من التسلية والوعد بالهداية
والنصر في قوله تعالى وكفى بربك هاديا ونصيرا بحكاية ما جرى بين من ذكر من الانبياء عليهم السلام وبين قومهم حكاية
اجمالية كافية فيما هو المقصود واللام جواب لقسم محذوف اي والله لقد آتينا موسى التورية اي انزلناها عليه
بالآخرة وجعلنا معه الظرف متعلق بجعلنا وقوله تعالى اخاه مفعول اول وقوله تعالى هرون بدل من اخاه او
عطف بيان له على عكس ما وقع في سورة طه وقوله تعالى وزيرا مفعول ثان له وقد مر ثمة معنى الوزير اي جعلنا
في اول الامر وزيرا له فقلنا لهما حينئذ اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا هم فرعون وقومه والآيات هي المعجزات

التسع المفصلات الظاهرة على يد موسى عليه السلام ولم يوصف القوم عند ارسالهما اليهم بهذا الوصف ضرورة تأخر تكذيب الايات عن اظهارها المتأخر عن ذهابهما المتأخر عن الامر به بل انما وصفوا بذلك عند الحكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بيانا لعلة استحقاقهم لما حكي بعده من التدمير اي فذهبا اليهم فارياهم اياتنا كلها فكذبوها تكذيبا مستمرا فدمرناهم اثر ذلك التدمير المستتبع تدميرا عجيبا هائلا لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه فاقتصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود وحمل قوله تعالى فدمرناهم على معنى فحكينا تدميرهم مع كونه تعسفا ظاهرا لا وجه له اذ لا فائدة يعتد بها في حكاية الحكم بتدمير قد وقع وانقضى والتعرض في مطلع القصة لايتاء الكتاب مع انه كان بعد مهلك القوم ولم يكن له مدخل في هلاكهم كسائر الايات للايذان من اول الامر ببلوغه عليه السلام غاية الكمال ونيله غاية الامال التي هي انجاء بني اسرائيل من ملكة فرعون وارشادهم الى طريق الحق بما في التورية من الاحكام اذ به يحصل تأكيد الوعد بالهداية على الوجه الذي مر بيانه وقرئ فدمرتهم وفدمراهم وفدمرانهم على التأكيد بالنون الثقيلة **وقوم نوح** منصوب بمضمر يدل عليه قوله تعالى فدمرناهم اي ودمرنا قوم نوح وقيل عطف على مفعول فدمرناهم وليس من ضرورة ترتب تدميرهم على ما قبله ترتب تدمير هؤلاء عليه لا سيما وقد بين سببه بقوله تعالى **لما كذبوا الرسل** اي نوحا ومن قبله من الرسل او نوحا وحده لان تكذيبه تكذيب للكل لاتفاقهم على التوحيد والاسلام وقيل هو منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى **اغرقناهم** وانما يتأتى ذلك على تقدير كون كلمة لما ظرف زمان واما على تقدير كونها حرف وجود لوجود فلا لانه جواب لها وجواب لما لا يفسر ما قبله مع انه مخل بعطف المنصوبات الاتية على قوم نوح لما ان هلاكهم ليس بالاغراق فالوجه ما تقدم وقوله تعالى اغرقناهم استيناف مبين لكيفية تدميرهم **وجعلناهم** اي جعلنا اغراقهم او قصتهم **للناس اية** اي اية عظيمة يعتبر بها من شاهدها او سمعها وهي مفعول ثان لجعلنا وللناس ظرف لغو له او متعلق بمحذوف وقع حالا من اية اذ لو تأخر عنها لكان صفة لها **واعتدنا للظالمين** اي لهم والاظهار في موضع الاضمار للايذان بتجاوزهم الحد في الكفر والتكذيب **عذابا اليما** هو عذاب الاخرة اذ لا فائدة في الاخبار باعتبار العذاب الذي قد اخبر بوقوعه من قبل او لجميع الظالمين الباقين الذين لم يعتبروا بما جرى عليهم من العذاب فيدخل في زمرتهم قريش دخولا اوليا ويحتمل العذاب الدنيوي والاخروي **وعادا** عطف على قوم نوح وقيل على المفعول الاول لجعلناهم وقيل على محل الظالمين او هو في معنى وعدنا الظالمين وكلاهما بعيد **وثمودا** الكلام فيه وفيما بعده كما فيما قبله وقرئ وثمود على تأويل الحي او على انه اسم الاب الاقصى **واصحاب الرس** هم قوم يعبدون الاصنام فبعث الله تعالى اليهم شعيبا عليه السلام فكذبوه فبينما هم حول الرس وهي البير التي لم تطو بعد اذ انهارت فخسف بهم وبدارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل هو الاخدود وقيل بير بانطاكية فقتلوا فيها حبيب النجار وقيل هم اصحاب حنظلة بن صفوان النبي عليه السلام ابتلاهم الله تعالى بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقا لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي كان يقال له جبل فتخ او دمخ وكانت تنقض على صبيانهم فتخطفهم اذا اعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا عليها حنظلة عليه السلام فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه عليه السلام فاهلكوا وقيل قوم كذبوا رسولهم فرسوه اي دسوه في بير **وقرونا** اي اهل قرون قيل القرن اربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون **بين ذلك** اي بين ذلك المذكور من الطوائف والامم وقد يذكر الذاكر اشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك ويحسب الحاسب اشياء متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على ذلك المذكور وذلك المحسوب **كثيرا** لا يعلم مقدارها الا العليم الخبير ولعل الاكتفاء في شأن تلك القرون بهذا البيان الاجمالي لما ان كل قرن منها لم يكن في الشهرة وغرابة القصة بمثابة الامم المذكورة **وكلا** منصوب بمضمر يدل عليه ما بعده فان ضرب المثل في معنى التذكير والتحذير والمحذوف الذي عوض عنه التنوين عبارة اما عن الامم التي لم يذكر اسباب اهلاكهم واما عن الكل فان ما حكي عن قوم نوح وقوم فرعون تكذيبهم للايات والرسل لا عدم التأثر من الامثال المضروبة اي ذكرنا وانذرنا كل واحد من المذكورين **ضربنا له الامثال** اي بينا له القصص العجيبة الزاجرة عما هم عليه من الكفر والمعاصي بواسطة الرسل **وكلا** اي وكل واحد منهم لا بعضهم دون بعض **تبرنا تتبيرا** عجيبا هائلا لما انهم لم يتأثروا بذلك ولم يرفعوا له رأسا وتمادوا على ما هم عليه من الكفر والعدوان واصل التتبير التفتيت **قال** الزجاج كل شيء كسرته وفتته فقد تبرته ومنه التبر لفتات

الذهب

الذهب والفضة **ولقد اتوا** جملة مستأنفة لبيان مشاهدتهم لاثار هلاك بعض الامم المتبرة وعدم اتعاظهم بها والتصدير بالقسم لمزيد تقرير مضمونها اي وبالله لقد اتى قريش في متاجرهم الى الشام **على القرية التي امطرت** اي اهلكت بالحجارة وهي قرى قوم لوط وكانت خمس قرى ما نجت منهم الا واحدة كان اهلها لا يعملون العمل الخبيث واما الباقي فاهلكها الله تعالى بالحجارة وهي المرادة بقوله تعالى **مطر السوء** وانتصابه اما على المصدر مؤكد بحذف الزوائد كما قيل في انبته الله نباتا حسنا اي امطار السوء او على انه مفعول ثان والمعنى اعطيت او اوليت مطر السوء **افلم يكونوا يرونها** توبيخ لهم على تركهم التذكر عند مشاهدة ما يوجبه من الايات والهمزة لانكار نفي استمرار رؤيتهم لها وتقرير استمرارها بحسب استمرار ما يوجبها من اتيانهم عليها لا لانكار استمرار نفي رؤيتهم لها في الجملة والفاء لعطف مدخولها على مقدر يقتضيه المقام اي الم يكونوا ينظرون اليها فلم يكونوا يرونها في مرار مرورهم ليتعظوا بما كانوا يشاهدون من اثار العذاب فالمنكر في الاول ترك النظر وعدم الروية معا وفي الثاني عدم الروية مع تحقق النظر الموجب لها وقوله تعالى **بل كانوا لا يرجون نشورا** اما اضراب عما قبله من عدم رؤيتهم لاثار ما جرى على اهل القرى من العقوبة وبيان لعدم اتعاظهم بسبب انكارهم لكون ذلك عقوبة لمعاصيهم لا لعدم رؤيتهم لاثارها خلا انه اكتفى عن التصريح بانكاره فكذلك بذكر ما يستلزمه من انكارهم للجزاء الاخروي الذي هو الغاية من خلق العالم وقد كني عن ذلك بعدم رجاء النشور اي عدم توقعه كانه قيل بل كانوا ينكرون النشور المستتبع للجزاء الاخروي لنفس من النفوس منشورا اصلا مع تحققه حتما وشموله للناس عموما واطراده وقوعا فكيف يعترفون بالجزاء الدنيوي في حق طائفة خاصة مع عدم الاطراد والملازمة بينه وبين المعاصي حتى يتذكروا ويتعظوا بما شاهدوه من اثار الهلاك وانما يحملونه على الاتفاق واما الانتقال من التوبيخ بما ذكر من ترك التذكر الى التوبيخ بما هو اعظم منه من عدم توقع النشور **واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا** اي ما يتخذونك الا مهزوا به على معنى قصر معاملتهم معه عليه الصلوة والسلام على اتخاذهم اياه عليه الصلوة والسلام مهزوا كما هو المتبادر من ظاهر العبارة كانه قيل ما يفعلون بك الا اتخاذك هزوا وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي من سورة الانعام **اهذا الذي بعث الله رسولا** محكي بعد قول مضمر هو حال من فاعل يتخذونك يستهزئون بك قائلين اهذا الذي الى اخره والاشارة للاستحقار وابراز بعث الله رسولا في معرض التسليم بجعله صلة للموصول الذي هو صفته عليه الصلوة والسلام مع انه في غاية التنكير لبعثه عليه الصلوة والسلام بطريق التهكم والاستهزاء والا لقالوا ابعث الله هذا رسولا او هذا الذي يزعم انه بعثه الله رسولا **ان كاد** ان مخففة من ان وضمير الشان محذوف اي انه كاد **ليضلنا عن الهتنا** اي ليصرفنا عن الهتنا عن عبادتها صرفا كليا بحيث يبعدنا عنها لا عن عبادتها فقط والعدول الى الاضلال لغاية ضلالتهم بادعاء ان عبادتها طريق سوي **لولا ان صبرنا عليها** ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا في امثال هذا الكلام يجري مجرى التقييد للحكم المطلق من حيث المعنى كما اشير اليه في قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا الى اخره وهذا اعتراف منهم بانه صلى الله عليه وسلم قد بلغ من الاجتهاد في الدعوة الى الحق واظهار المعجزات واقامة الحجج والبينات الى حيث شارفوا ان يتركوا دينهم لولا فرط لجاجهم وغاية عنادهم يروى انه من قول ابي جهل **وسوف يعلمون** جواب من جهته تعالى لاخر كلامهم كما ينبئ عنه من نسبته عليه الصلوة والسلام الى الضلال في ضمن الاضلال اي سوف يعلمون البتة وان تراخي **حين يرون العذاب** الذي يستوجبه كفرهم وعنادهم **من اضل سبيلا** وفيه ما لا يخفى من الوعيد والتنبيه على انه تعالى لا يهملهم وان امهلهم **ارأيت من اتخذ الهه هواه** تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من شناعة حالهم بعد حكاية قبائحهم من الاقوال والافعال وبيان ما لهم من المصير والمآل وتنبيه على ان ذلك من الغرابة بحيث يجب ان يرى ويتعجب منه والهه مفعول ثان لاتخذ قدم على الاول للاعتناء به لانه الذي يدور عليه امر التعجب ومن توهم انهما على الترتيب بناء على تساويهما في التعريف فقد دل عليه المفعول الثاني في هذا الباب هو المتلبس بالحالة الحادثة اي ارأيت من جعل هواه الها لنفسه من غير ان يلاحظه وبنى عليه دينه معرضا عن استماع الحجة الباهرة والبرهان النير بالكلية على معنى انظر اليه وتعجب منه وقوله تعالى **افانت تكون عليه وكيلا** انكار واستبعاد لكونه عليه الصلوة والسلام حفيظا عليه يزجره عما هو عليه من الضلال ويرشده الى الحق طوعا او كرها والفاء لترتيب الانكار على ما قبله من الحالة الموجبة له كانه قيل بعد ما شاهدت

القسع المفصلات الظاهرة على يد موسى عليه السلام ولم يوصف القوم عند ارسالهما اليهم بهذا الوصف ضرورة تاخر تكذيب
الايات عن اظهارها المتاخر عن ذهابهما المتاخر عن الامر بل انما وصفوا بذلك عند الحكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بيانا لعلة استحقاقهم لما حكي بعده من التدمير اي فذهبا اليهم فاراياهم اياتنا كلها فكذبوهما تكذيبا مستمرا فدمرناهم اثر
ذلك التدمير المسمى تدميرا عجيبا هائلا لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه فاقتصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود
وحمل قوله تعالى فدمرناهم على معنى فحكينا تدميرهم مع كونه تعسفا ظاهرا لا وجه له اذ لا فائدة يعتد بها في حكاية الحكم بتدمير قد
وقع وانقضى والتعرض في مطلع القصة لايتاء الكتاب مع انه كان بعد مهلك القوم ولم يكن له مدخل في هلاكهم كسائر الايات
للايذان من اول الامر ببلوغه عليه السلام غاية الكمال ونيله غاية الامال التي هي انجاء بني اسرائيل من ملكة فرعون وارشادهم
الى طريق الحق بما في التورية من الاحكام اذ به يحصل تاكيد الوعد بالهداية على الوجه الذي مر بيانه وقرئ فدمرتهم وفدمراهم
وفدمرانهم على التاكيد بالنون الثقيلة وقوم نوح منصوب بمضمر يدل عليه قوله تعالى فدمرناهم اي ودمرنا قوم نوح وقيل
عطف على مفعول فدمرناهم وليس من ضرورة ترتب تدميرهم على ما قبله ترتب تدمير هؤلاء عليه لا سيما وقد بين سببه
بقوله تعالى لما كذبوا الرسل اي نوحا ومن قبله من الرسل او نوحا وحده لان تكذيبه تكذيب للكل لاتفاقهم على التوحيد والاسلام
وقيل هو منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى اغرقناهم وانما يتاتى ذلك على تقدير كون كلمة لما ظرف زمان واما على تقدير
كونها حرف وجود لوجود فلا لانه جواب لها وجواب لما لا يفسر ما قبله مع انه مخل بعطف المنصوبات الاتية على قوم نوح
لما ان هلاكهم ليس بالاغراق فالوجه ما تقدم وقوله تعالى اغرقناهم استيناف مبين لكيفية تدميرهم وجعلناهم اي جعلنا
اغراقهم او قصتهم للناس اية اي اية عظيمة يعتبر بها من شاهدها او سمعها وهي مفعول ثان لجعلنا وللناس ظرف
لغو او متعلق بمحذوف وقع حالا من اية اذ لو تاخر عنها لكان صفة لها واعتدنا للظالمين اي لهم والاظهار في موضع الاضمار
للايذان بتجاوزهم الحد في الكفر والتكذيب عذابا اليما هو عذاب الاخرة اذ لا فائدة في الاخبار باعتبار العذاب الذي
قد اخبر بوقوعه من قبل او لجميع الظالمين الباقين الذين لم يعتبروا بما جرى عليهم من العذاب فيدخل في زمرتهم قريش دخولا اوليا
ويحتمل العذاب الدنيوي والاخروي وعادا عطف على قوم نوح وقيل على المفعول الاول لجعلناهم وقيل على محل الظالمين او هو في
معنى وعدنا الظالمين وكلاهما بعيد وثمودا الكلام فيه وفيما بعده كما فيما قبله وقرئ وثمود على تاويل الحي او على انه اسم الاب
الاقصى واصحاب الرس هم قوم يعبدون الاصنام فبعث الله تعالى اليهم شعيبا عليه السلام فكذبوه فبينما هم حول الرس وهي
البير التي لم تطو بعد اذ انهارت فخسف بهم وبدارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبي فقتلوه
فهلكوا وقيل هو الاخدود وقيل بير بانطاكية فقتلوا فيها حبيب النجار وقيل هم اصحاب حنظلة بن صفوان النبي عليه
السلام ابتلاهم الله تعالى بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقا لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي كان يقال له
جبل فتخ او دمخ وكانت تنقض على صبيانهم فتخطفهم اذا اعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا عليها حنظلة عليه السلام
فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه عليه السلام فاهلكوا وقيل قوم كذبوا رسولهم فرسوه اي دسوه في بير وقرونا اي اهل
قرون قيل القرن اربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون بين ذلك اي بين ذلك المذكورين من الطوائف
والامم وقد يذكر الذاكر اشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك ويحسب الحاسب اشياء متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت
على ذلك المذكور وذلك المحسوب كثيرا لا يعلم مقدارها الا العليم الخبير ولعل الاكتفاء في شؤون تلك القرون بهذا البيان
الاجمالي لما ان كل قرن منها لم يكن في الشهرة وغرابة القصة بمثابة الامم المذكورة وكلا منصوب بمضمر يدل عليه ما بعدها
فان ضرب المثل في معنى التذكير والتحذير والمحذوف الذي عوض عنه التنوين عبارة اما عن الامم التي لم يذكر اسباب هلاكهم
واما عن الكل فان ما حكي عن قوم وقوم فرعون تكذيبهم للايات والرسل لا عدم التاثر من الامثال المضروبة اي ذكرنا وانذرنا
كل واحد من المذكورين ضربنا له الامثال اي بينا له القصص العجيبة الزاجرة عما هم عليه من الكفر والمعاصي بواسطة الرسل
وكلا اي كل واحد منهم لا بعضهم دون بعض تبرنا تتبيرا عجيبا هائلا لما انهم لم يتاثروا بذلك ولم يرفعوا له راسا وتمادوا
على ما هم عليه من الكفر والعدوان واصل التتبير التفتيت قال الزجاج كل شيء كسرته وفتته فقد تبرته ومنه التبر لفتات

الذهب

الذهب والفضة ولقد اتوا جملة مستانفة لبيان مشاهدتهم لاثار هلاك بعض الامم للتبرئة وعدم اتعاظهم بها والتصدير بالقسم
لمزيد تقرير مضمونها اي وبالله لقد اتى قريش في متاجرهم الى الشام على القرية التي امطرت اي اهلكت بالحجارة وهي قرى قوم لوط وكانت
خمس قرى ما نجت منهم الا واحدة كان اهلها لا يعملون العمل الخبيث واما الباقي فاهلكها الله تعالى بالحجارة وهي المرادة بقوله تعالى
مطر السوء وانتصابه اما على المصدر مؤكد له بحذف الزوائد كما قيل في انبته الله نباتا حسنا اي امطار السوء او على انه مفعول
والمعنى اعطيت او اوليت مطر السوء افلم يكونوا يرونها توبيخ لهم على تركهم التذكر عند مشاهدة من الايات ما يوجبه
والهمزة لانكار نفي استمرار رؤيتهم لها وتقرير استمرارها بحسب استمرار ما يوجبها من اتيانهم عليها لا لانكار استمرار نفي رؤيتهم
لها في الجملة والفاء لعطف مدخولها على مقدر يقتضيه المقام اي افلم يكونوا يرونها وكانوا ينظرون اليها افلم يكونوا
يرونها في مرار مرورهم ليتعظوا بما كانوا يشاهدون من اثار العذاب فالمنكر في الاول ترك النظر وعدم الرؤية معا
وفي الثاني عدم الرؤية مع تحقق النظر الموجب لها وقوله تعالى بل كانوا لا يرجون نشورا اما اضراب عما قبله من عدم رؤيتهم
لاثار ما جرى على اهل القرى من العقوبة وبيان لعدم اتعاظهم بسبب انكارهم لكون ذلك عقوبة لمعاصيهم لا لعدم رؤيتهم
لاثارها خلا انه اكتفي عن التصريح بانكاره فكذلك يذكر ما يستلزمه من انكارهم للجزاء الاخروي الذي هو الغاية من خلق
العالم وقد كني عن ذلك بعدم رجاء النشور اي عدم توقعه كانه قيل بل كانوا ينكرون النشور المستتبع للجزاء الاخروي لنفس
من النفوس منشورا اصلا مع تحققه حتما وشموله للناس عموما واطراده وقوعا فكيف يعترفون بالجزاء الدنيوي في حق
طائفة خاصة مع عدم الاطراد والملازمة بينه وبين المعاصي حتى يتذكروا ويتعظوا بما شاهدوه من اثار الهلاك وبما يحملونه
على الاتفاق واما الانتقال من التوبيخ بما ذكر من ترك التذكر الى التوبيخ بما هو اعظم منه من عدم توقع النشور واذا راوك
ان يتخذونك الا هزوا اي ما يتخذونك الا مهزوا به على معنى قصر معاملتهم معه عليه الصلوة والسلام على اتخاذهم اياه عليه
الصلوة والسلام مهزوا كما هو المتبادر من ظاهر العبارة كانه قيل ما يفعلون بك الا اتخاذك هزوا وقد مر تحقيقه في
قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي من سورة الانعام اهذا الذي بعث الله رسولا محكي بعد قول مضمر هو حال من فاعل يتخذونك
يستهزؤن بك قائلين اهذا الذي الخ والاشارة للاستحقار وابراز بعث الله رسولا في معرض التسليم بجعله صلة
للموصول الذي هو صفته عليه الصلوة والسلام مع انه في غاية التنكير لبعثه عليه الصلوة والسلام بطريق التهكم والاستهزاء
والا لقالوا ابعث الله هذا رسولا وهذا الذي يزعم انه بعثه الله رسولا ان كاد ان مخففة من ان وضمير الشان محذوف
انه كاد ليضلنا عن الهتنا اي ليصرفنا عن الهتنا عن عبادتها صرفا كليا بحيث يبعدنا عنها لا عن عبادتها فقط والعدول الى
الاضلال لغاية ضلالتهم بادعاء ان عبادتها طريق سوي لولا ان صبرنا عليها ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا في
امثال هذا الكلام يجري مجرى التقييد للحكم المطلق من حيث المعنى كما اشير اليه في قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا الى آخره
وهذا اعتراف منهم بانه صلى الله عليه وسلم قد بلغ من الاجتهاد في الدعوة الى الحق واظهار المعجزات واقامة الحجج والبينات
الى حيث شارفوا ان يتركوا دينهم لولا فرط لجاجهم وغاية عنادهم يروى انه من قول ابي جهل وسوف يعلمون جواب من
جهته تعالى لاخر كلامهم كما ينبئ عنه من نسبته عليه الصلوة والسلام الى الضلال في ضمن الاضلال اي سوف يعلمون البتة
وان تراخى حين يرون العذاب الذي يستوجبه كفرهم وعنادهم من اضل سبيلا وفيه ما لا يخفى من الوعيد والتنبيه على
انه تعالى لا يهملهم وان امهلهم ارايت من اتخذ الهه هواه تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من شناعة حالهم بعد حكاية قبائحهم
من الاقوال والافعال وبيان ما لهم من المصير والمآل وتنبيه على ان ذلك من الغرابة بحيث يجب ان يرى ويتعجب منه واله
مفعول ثان لاتخذ قدم على الاول للاعتناء به لانه الذي يدور عليه امر التعجب ومن توهم انهما على الترتيب بناء على تساويهما
في التعريف فقد دل عليه المفعول الثاني في هذا الباب هو الملتبس بالحالة الحادثة اي ارايت من جعل هواه الها لنفسه
من غير ان يلاحظه وبنى عليه دينه معرضا عن استماع الحجة الباهرة والبرهان النير بالكلية على معنى انظر اليه
وتعجب منه وقوله تعالى افانت تكون عليه وكيلا انكار واستبعاد لكونه عليه الصلوة والسلام حفيظا عليه يزجره عما
عليه من الضلال ويرشده الى الحق طوعا او كرها والفاء لترتيب الانكار على ما قبله من الحالة الموجبة كانه قيل بعدما شاهدت

غلوّ في طاعة الهوى • وعتوّ عن اتباع الهدى • نفور عن الايمان شاء او ابى ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون اضراب وانتقال عن
الانكار المذكور الى انكار حسبانه عليه الصلوة والسلام لهم ممن يسمع او يعقل حسبما ينبئ عنه جده عليه الصلوة والسلام في
الدعوة وانضمامه بالارشاد والتذكير لكن لا على انه لا ينبغي ان يقع اي بل تحسب ان اكثرهم يسمعون ما تتلو عليهم من الايات
حق السماع او يعقلون ما في تضاعيفها من المواعظ الزاجرة عن القبائح • الداعية الى المحاسن • فتعتني في شانهم • وتطمع في ايمانهم
وضمير اكثرهم لمن وجمعه باعتبار معناها كما ان الافراد بالضمائر الاول باعتبار لفظها وضمير الفعلين للاكثر لا لما اضيف هو
اليه ان هم الا كالانعام جملة مستانفة مسوقة لتقرير النكير وتاكيده وحسم مادة الحسبان بالمرة اي ما هم في عدم الانتفاع
بما يقرع آذانهم من قوارع الايات وانتفاء التدبر فيما يشاهدونه من الدلائل والمعجزات الا كالبهائم التي هي مثل في الغفلة
وعلم في الضلالة بل هم اضل منها سبيلا لما انها تنقاد لصاحبها الذي يعلفها ويتعهدها وتعرف من يحسن اليها ممن يسيء اليها
وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها وتاوي الى مواطنها وهؤلاء لا ينقادون لربهم وخالقهم
ورازقهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذي هو اعدى عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع
ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار والمهالك • ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني • والمورد العذب الروي • ولانها
ان لم تعتقد حقا مستتبعا لاكتساب الخير لم تعتقد باطلا مستوجبا لاقتراف الشر بخلاف هؤلاء حيث مهدوا قواعد
الباطل وفرعوا عليها احكام الشرور ولان احكام جهالتها مقصورة على انفسها لا تتعدى الى احد وجهالة هؤلاء مؤدية
الى ثوران الفتنة والفساد • وصد الناس عن سنن السداد • وهيجان الهرج والمرج فيما بين العباد • ولانها غير معطلة
لقوة من القوى المودعة بل صارفة لها الى ما خلقت هي له فلا تقصير من قبلها الى ما خلقت في طلب الكمال واما هؤلاء
فهم معطلون لقواهم العقلية • مضيعون للفطرة الاصلية • التي فطر الناس عليها مستحقون بذلك اعظم العذاب
واشد النكال الم تر الى ربك بيان لبعض دلائل التوحيد اثر بيان جهالة المعرضين عنها والخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم والهمزة للتقرير والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلوة والسلام لتشريفه والايذان
بان ما يعقبه من آثار ربوبيته تعالى ورحمته اي الم تر الى بديع صنعه تعالى كيف مد الظل اي كيف انشا ظل اي مظل
كان من جبل او بناء او شجر عند ابتداء طلوع الشمس ممتدا لانه تعالى مده بعد ان لم يكن كذلك كما بعد نصف النهار الى غروبها
فان ذلك مع خلوه عن التصريح بكونه بنفسه بانشائه تعالى واحداثه يأباه سياق النظم الكريم واما ما قيل من ان المراد
بالظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وانه اطيب الاوقات فان الظلمة الخالصة تنفر عنها الطبايع وشعاع الشمس يسخن الجو
ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة في قوله تعالى وظل ممدود فغير سديد اذ لا ريب في ان المراد تنبيه الناس على عظيم
قدرة الله تعالى وبالغ حكمته فيما يشاهدونه فلا بد ان يراد بالظل ما يتعاهدونه من حالة مخصوصة يشاهدونها في
موضع يحول بينه وبين الشمس جسم كثيف يخالفه لما في جوانبه من مواضع ضوء الشمس وما ذكروا وان كان في الحقيقة ظلا للافق
الشرقي لكنهم لا يعدونه ظلا ولا يصفونه باوصافه المعهودة ولعل توجيه الرؤية اليه سبحانه مع ان المراد تقريره
عليه الصلوة والسلام لكيفية مد الظل للتنبيه ان نظره عليه الصلوة والسلام غير مقصور على ما يطالعه من الآثار
والصنايع بل مطمح انظاره شؤون الصانع المجيد وقوله تعالى ولو شاء لجعله ساكنا جملة مستانفة اعترضت بين المعطوفين
للتنبيه من اول الامر على انه لا مدخل فيما ذكر من المد للاسباب العادية وانما المؤثر فيه المشية والقدرة ومفعول المشية
محذوف على القاعدة المستمرة من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء اي ولو شاء سكونه لجعله ساكنا اي ثابتا
على حاله من الطول والامتداد وانما عبر عن ذلك بالسكون لان مقابله الذي هو تغير حاله بحسب تغير الاوضاع بين الظل
وبين الشمس مقيمة على وضع واحد فهذا رد المعقول عما سيق له النظم الكريم ونطق به صريحا من بيان كمال قدرته القاهرة
وحكمته الباهرة بنسبة جميع الامور الحادثة اليه تعالى بالذات واسقاط الاسباب العادية عن رتبة السببية
والتاثير بالكلية وقصرها على مجرد الدلالة على وجود المسببات لا بذكر قدرة الله تعالى على بعض الخوارق كاقامة الشمس في
مقام واحد على انها اعظم من ابقاء الظل على حاله في الدلالة على ما ذكر من كمال القدرة والحكمة لكونه من فروعها ومستتبعا عنها

فهي اولى

فهي اولى واحق بالايراد في معرض البيان ثم جعلنا الشمس عليه دليلا عطف على مد داخل في حكمه اي جعلناها علامة يستدل باحوالها
المتغيرة على احواله من غير ان يكون بينهما سببية وتاثير قطعا حسبما نطق به الشرطية المعترضة والالتفات الى نون العظمة في الجعل
المذكور العادي من التاثير مع ما يشاهد بين الشمس والظل من الدوران المنبئ عن السببية مزيد دلالة على القدرة ودقة الحكمة وهو السر
في ايراد كلمة التراخي وقوله تعالى ثم قبضناه عطف على مد الظل في حكمه وثم للتراخي الزماني لما ان في بيان كون القبض والمد مرتبين
دائرين على قطب مصالح المخلوقات مزيد دلالة على الحكمة الربانية ويجوز ان يكون للتراخي الرتبي اي ازلناه بعد ما انشاناه ممتدا
ومحوناه بمحض قدرتنا ومشيئتنا عند ايقاع شعاع الشمس موقعه من غير ان يكون له تاثير في ذلك اصلا وانما عبر عنه بالقبض الذي
ينبئ عن جمع البسط وطيه لما انه عبر عن احداثه بالمد الذي هو البسط طولا وقوله تعالى الينا للتنصيص على كون مرجعه اليه
تعالى كما ان حدوثه منه عز وجل قبضا يسيرا اي على مهل قليلا قليلا حسب ارتفاع دليله على وتيرة واحدة معينة مطردة مستتبعة
لمصالح المخلوقات ومرافقها وقيل ان الله تعالى حين بنى السماء كالقبة المضروبة ودحى الارض تحتها القت القبة ظلها على الارض
لعدم النير وذلك مده تعالى اياه ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على الظل اي سلطها
عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل في الطريق فهو يزيد وينقص ويمتد ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه قبضا سهلا
يسيرا غير عسير او قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض اسبابه وهي الاجرام التي تلقي الظل فيكون قد ذكر اعدامه باعدام اسبابه
كما ذكر انشاؤه بانشائها ووصفه تعالى باليسر على طريقة قوله تعالى ذلك حشر علينا يسير وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع
وهو الذي جعل لكم الليل لباسا بيان لبعض بدايع آثار قدرته تعالى وحكمته وروائع احكام رحمته ونعمه الفائضة على الخلق
وتلوين الخطاب لتوفية مقام الامتنان حقه واللام متعلقة بجعل وتقديمها على مفعوله للاعتناء ببيان كون ما يعقبه
من منافعهم وفي تعقيب بيان احوال الظل ببيان احكام الليل الذي هو ظل الارض لطف المسلك ما لا مزيد عليه اي هو الذي
جعل لكم الليل كاللباس يستركم بظلامه كما يستركم اللباس والنوم سباتا اي جعل النوم الذي يقع في الليل غالبا قطعا من الافاعيل
المختصة بحال اليقظة عبر عنه بالسبات الذي هو الموت لما بينهما من المشابهة التامة في انقطاع احكام الحيوة وعليه
قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل وقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وجعل النهار نشورا ذا نشور
بعث من ذلك السبات كبعث الموتى على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه او نفس البعث على طريق المبالغة
وفيه اشارة الى ان النوم واليقظة انموذج للموت والنشور وعن لقمان عليه السلام يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر
وهو الذي ارسل الرياح وقرئ بالتوحيد بشرا تخفيف بشر جمع بشير اي مبشرين وقرئ بالنون جمع نشور اي ناشرات للسحاب
وقرئ بالتخفيف وبفتح النون ايضا على انه مصدر وصف به مبالغة وقوله تعالى بين يدي رحمته استعارة بديعة
اي قدام المطر والالتفات الى نون العظمة في قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء طهورا لابراز كمال العناية بالانزال لانه نتيجة ما ذكر
من ارسال الرياح من جهة الفوق ماء بليغا في الطهارة وما قيل انه ما يكون طاهرا في نفسه ومطهرا لغيره فهو شرح لبلاغته
في الطهارة كما ينبئ عنه قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به فان الطهور في العربية صفة كما تقول ماء طهورا
واسم كما في قوله عليه الصلاة والسلام التراب طهور المؤمن وقد جاء بمعنى الطهارة كما في قولك تطهرت طهورا حسنا ومنه قوله
عليه الصلوة والسلام لا صلوة الا بطهور ووصف الماء به اشعار بتمام النعمة فيه وتتميم للنعمة فيما بعده فان الماء الطهور
اهنى وانفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيه على ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغي ان يطهروها فبواطنهم احق
بذلك واولى لنحيي به اي بما انزلنا من الماء الطهور بلدة ميتا باثبات النبات والتذكير لان البلدة بمعنى البلد ولانه غير
جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة فاجري مجرى الجامد والمراد به القطعة من الارض عامرة كانت او غامرة ونسقيه
اي ذلك الماء الطهور عند جريانه في الاودية واجتماعه في الحياض والابار والمنابع مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا اي
اهل البوادي الذين يعيشون بالمياه ولذلك نكر الانعام والاناسي وتخصيصهم بالذكر لان اهل القرى والامصار
يقيمون بقرب الانهار والمنابع فيهم فما هم عن الانعام غنية من سقيها الماء وسائر الحيوانات تبعد في طلب الماء فلا
يعوزها الشرب غالبا مع ان مساق الايات الكريمة كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد انواع النعم والانعام حت

اي انزلنا بعظمتنا بما رتبنا من ارسال الرياح ح

كانت تهيئة الانسان وعامة منافعهم ومعايشهم منوطة بها قدم سقيهم على سقيها كما قدم احياء الارض عليها فانه سبب حياتها وتعيشها
وقرئ نسقيه واسقى وسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا واناسي جمع انسي كطراني في طربان على ان اصله اناسين فقلبت نونه
ياء وقرئ اناسي بالتخفيف بحذف ياء افاعيل كانا عم واناعيم ولقد صرفناه اي وبالله لقد كررنا هذا القول الذي هو ذكر انشاء
السحاب وانزال القطر لما مر من الغايات الجميلة في القران وغيره من الكتب السماوية بينهم اي بين الناس المتقدمين والمتاخرين
ليذكروا ليتفكروا ويعرفوا بذلك كمال قدرته وسعة رحمته في ذلك ويقوموا بشكر نعمته حق قيام وقيل الضمير للمطر وتصريفه
بينهم انزاله في بعض البلاد دون بعض او في بعض الاوقات دون بعض او جعله تارة طلا واخرى وابلا وحينا ديمة ووقتا مهمة
والاول هو الاظهر فابى اكثر الناس من سلف وخلف الا كفورا اي لم يفعل الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها او الاجحود ها
بان يقولوا امطرنا بنوء كذا ولم يذكروا صنع الله تعالى ورحمته ومن لا يرى الامطار الا من الانواء فهو كافر بخلاف من يرى ان
الكل بخلق الله تعالى والانواء امارات بجعله الله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا نبيا ينذر اهلها فيخف عليك اعباء
النبوة لكن لم نشأ ذلك فلم نفعله بل قصرنا عليك الامر حسبما نطق به قوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا اجلالا لك وتعظيما
وتفضيلا لك على سائر الرسل فلا تطع الكافرين اي فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة واظهار الحق والتشدد معهم كانه
نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن المداراة معهم والتلطف في الدعوة واظهار الحق لما انه عليه الصلوة والسلام كان يود
ان يدخلوا في الاسلام ويجتهد في ذلك بتاليف قلوبهم اشد الاجتهاد وجاهدهم به اي بالقران بتلاوة ما في تضاعيفه من
القوارع والزواجر والمواعظ وتذكير الامم الماضية المكذبة جهادا كبيرا فان دعوة جميع العالمين على الوجه المذكور جهاد
كبير الا ينقاد قدره كما وكيفا وقيل الضمير المجرور لترك الطاعة المفهوم من النهي عن الطاعة وانت خبير بان مجرد ترك الطاعة
يتحقق بلا دعوة اصلا وليس فيه شائبة الجهاد فضلا عن الجهاد الكبير اللهم الا ان يجعل الباء للملابسة ليكون المعنى
وجاهدهم بما ذكر من احكام القران الكريم ملابسا لترك طاعتهم كانه قيل فجاهدهم بالشدة والعنف لا بالملائمة والمداراة
كما في قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقد جعل الضمير لما دل عليه قوله تعالى ولو شئنا لبعثنا في
كل قرية نذيرا من كونه عليه الصلاة والسلام نذير كافة القرى لانه عليه الصلوة والسلام لو بعث في كل قرية نذير لوجب
على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المجاهدات كلها فيكون كبر من اجل ذلك
جهاده وعظم فقيل له عليه الصلوة والسلام وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة
وانت خبير بانه بيان سبب كبر المجاهدة بحسب الكمية ليس فيه مزيد فايدة فانه بين بنفسه والايق بالمقام بيان
كبرها وعظمها في الكيفية وهو الذي مرج البحرين اي خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج دابته اذا خلاها
هذا عذب فرات قامع للعطش لفايته عذوبته وهذا ملح اجاج بليغ الملوحة وقرئ ملح فلعله تخفيف مالح كبرد في بارد
وجعل بينهما برزخا حاجزا غير مرئي من قدرته كما في قوله تعالى بغير عمد ترونها وحجرا محجورا وتنافرا مفرطا كان كلا منهما يتعوذ من
الاخر بتلك المقابلة وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقه فتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل
المراد بالعذب البحر العذب العظيم وبالمالح البحر الكبير وبالبرزخ ما بينهما من الارض فيكون اثر القدرة في الفصل والاختلاف
الصنف مع ان مقتضى طبيعة اجزاء كل عنصر التضام والتلاصق والتشابه في الحقيقة وهو الذي خلق من الماء بشرا هو الماء الذي
خمر به طينة آدم عليه السلام وجعله جزءا من مادة البشر ليجتمع ويسلس ويستعد لقبول الصورة والاشكال والهيئات بسهولة
وهو النطفة فجعله نسبا وصهرا اي قسمه قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن
لقوله تعالى وجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا مبالغا في القدرة حيث قدر ان يخلق من مادة واحدة بشرا
ذا اعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توامين ذكرا وانثى ويعبدون من
دون الله الذي شانه ما ذكر ما لا ينفعهم ولا يضرهم اي ليس من شانه النفع والضر اصلا وهو الاصنام وكل ما يعبد من دون
الله تعالى اذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر وكان الكافر على ربه الذي ذكر آثار ربوبيته ظهيرا فيظاهر الشيطان
بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس وقيل هينا مهينا لا اعتداد به عنده تعالى من قولهم ظهرت به اذا نبذته

خلف

خلف ظهرك فيكون كقوله تعالى ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم وما ارسلناك الا مبشرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين قل لهم ما
اسئلكم عليه اي على تبليغ الرسالة الذي ينبئ عنه الارسال من اجر من جهتكم الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا الا فعل من يريد
ان يتقرب اليه تعالى ويطلب الزلفى عنده من الايمان والطاعة حسبما ادعوهم اليها فصور ذلك بصورة الاجر من حيث انه
مقصود الاتيان به قطعا كليا لشائبة الطمع واظهارا لغاية الشفقة اليهم حيث جعل ذلك مع كون نفعه عايدا اليهم عايدا اليه
عليه الصلوة والسلام وقيل الاستثناء منقطع اي لكن من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل وتوكل على الحي الذي لا يموت
في الاستكفاء عن شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء الذين من شانهم الموت فانهم
اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم وسبح بحمده ونزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه بنعوت الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر على
سوابغه وكفى به بذنوب عباده ما ظهر منها وما بطن خبيرا اي مطلعا عليها بحيث لا يخفى عليه شيء منها فيجزيهم جزاء وافيا
الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش قد سلف تفسيره ومحل الموصول
الجر على انه صفة اخرى للحي وصف بالصفة الفعلية بعد وصفه بالابدية التي هي من الصفات الذاتية والاشارة الى
اتصافه بالعلم الشامل لتقرير وجوب التوكل عليه تعالى وتاكيده فان من انشأ هذه الاجرام العظام على هذا النمط الفائق
والنسق الرائق بترتيب مبين وترتيب رصين في اوقات معينة مع كمال قدرته على ابداعها دفعة لحكمة جليلة وغاية
جميلة لا يقف على تفاصيلها العقول احق من يتوكل عليه واولى من يفوض الامر اليه الرحمن مرفوع على المدح اي هو الرحمن
وهو في الحقيقة وصف آخر للحي كما قرئ بالجر مفيدة لزيادة تاكيد ما ذكر من وجوب التوكل عليه وان لم يتبعه في الاعراب
كما تقرر من ان المنصوب والمرفوع مدحا وان خرجا عن التبعية لما قبلها حيث لم يتبعاه في الاعراب ولذلك سميا قطعا
لكنهما تابعان له حقيقة الا ترى كيف التزموا حذف الفعل والمبتدا في النصب والرفع روما لتصوير كل منهما بصورة
متعلقة من متعلقات ما قبله وتنبيها على شدة الاتصال بينهما وقد مر تمام التحقيق في تفسير قوله تعالى الذين يؤمنون
بالغيب الاية وقيل الموصول مبتدا والرحمن خبره وقيل الرحمن بدل من المستكن في استوى فاسئل به اي تفاصيل
ما ذكر اجمالا من الخلق والاستواء لا نفسهما فقط اذ بعد بيانهما لا يبقى الى السؤال حاجة ولا من تعديته بالباء فائدة فانها
مبنية على تضمينه معنى الاعتناء المستدعي لكون المسؤول امرا خطيرا مهتما بشانه غير حاصل للسائل وظاهر ان نفس الخلق
والاستواء بعد الذكر ليس كذلك وما قيل من ان التقدير ان تشككت فيه فاسئل به خبيرا على ان الخطاب له عليه الصلوة
والسلام والمراد غيره بمعزل عن السداد بل التقدير ان شئت تحقيق ما ذكر فاسئل معتنيا به خبيرا عظيم الشان محيطا
بظواهر الامور وبواطنها وهو الله سبحانه يطلعك على جلية الامور وقيل فاسئل به من وجده في الكتب المتقدمة
ليصدقك فيه فلا حاجة حينئذ الى ما ذكر وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه على الله تعالى فاسئل عنه
من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم وعلى هذا يجوز ان يكون الرحمن مبتدا وما بعده خبره وقرئ
فسل واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن قالوا لما انهم كانوا يطلقونه على الله تعالى او لانهم ظنوا ان المراد به غيره
تعالى ولذلك قالوا انسجد لما تامرنا اي للذي تامرنا بسجوده او لامرك ايانا من غير ان نعرف المسجود له وقيل
لانه كان معربا لم يسمعوه وقرئ يامر بالياء الغيبة على انه قول بعضهم لبعض وزادهم اي الامر بسجود الرحمن نفورا
عن الايمان تبارك الذي جعل في السماء بروجا هي البروج الاثنى عشر سميت به وهي القصور العالية لانها للكواكب السيارة
كالمنازل الرفيعة لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره وجعل فيها سراجا هي الشمس لقوله تعالى وجعل الشمس سراجا
وقرئ سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار وقمرا منيرا مضيئا بالليل وقرئ قمرا وهي جمع قمراء والمراد الليالي
بالقمر كون ثم اضيف اليها ثم حذف المضاف واجري حكمه على المضاف اليه القائم مقامه كما في قول حسان رضي الله عنه
بردى يصفق بالرحيق السلسل اي ماء بردى ويحتمل ان يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب وهو الذي جعل الليل
والنهار خلفة اي ذوي خلفة يخلف كل واحد منهما الآخر بان يقوم مقامه فيما ينبغي ان يعمل فيه او بان يعتقبا كقوله
تعالى واختلاف الليل والنهار وهي اسم للحالة من خلف كالركبة والجلسة من ركب وجلس لمن اراد ان يذكر اي ان

بتذكر آلاء الله تعالى ويتفكر في بدايع صنعه فيعلم انه لابد لها من صانع واجب الذات رحيم للعباد او اراد شكورا اي ان يشكر الله
تعالى على ما فيهما من النعم او ليكونا وقتين للذاكرين من فاته ورده في احدهما تداركه في الاخر وقرئ ان يذكر وعباد الرحمن كلام مستانف
مسوق لبيان اوصاف خلص عباد الرحمن واحوالهم الدنيوية والاخروية بعد بيان حال النافرين عن عبادته والسجود له والاضافة
للتشريف وهو مبتدا خبره ما بعده من الموصول وما عطف عليه وقيل هو ما في اخر السورة الكريمة من الجملة المصدرة باسم
الاشارة وقرئ عباد الرحمن اي عباده المقبولون الذين يمشون على الارض هونا اي بسكينة وتواضع وهونا مصدر وصف
ونصبه اما على انه حال من فاعل يمشون او على انه نعت لمصدر اي يمشون هينين لينين الجانب من غير فظاظة او مشيا هينا وقوله
تعالى واذا خاطبهم الجاهلون اي السفهاء كما في قول من قال. الا لا يجهلن احد علينا. فنجهل فوق جهل الجاهلينا قالوا سلاما بيان لحالهم
في المعاملة مع غيرهم اثر بيان حالهم في انفسهم اي اذا خاطبوهم بالسوء قالوا سلاما منكم ومتاركة لا خير بيننا وبينكم ولا شر
او سدادا من القول يسلمون به من الاذية والاثم وليس فيه تعرض لمعاملتهم مع الكفرة حتى يقال نسختها اية القتال كما نقل عن ابي
العالية وقوله تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما بيان لحالهم في معاملتهم مع ربهم اي يكونون ساجدين لربهم وقائمين اي
يحيون الليل كلا او بعضا بالصلاة وقيل من قرا شيئا من القران في صلاة وان قل فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان
بعد العشاء وتقديم السجود على القيام لرعاية الفواصل والذين يقولون اي في اعقاب صلاتهم او في عامة اوقاتهم ربنا اصرف عنا
عذاب جهنم ان عذابها كان غراما اي شرا دائما وهلاكا لازما وفيه مزيد مدح لهم ببيان انهم مع حسن معاملتهم مع الخلق
واجتهادهم في عبادة الحق يخافون العذاب ويبتهلون الى الله تعالى في صرفه عنهم غير محتفلين باعمالهم كقوله تعالى والذين
يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون انها ساءت مستقرا ومقاما تعليل لاستدعائهم المذكور بسوء حالها في نفسها
اثر تعليل بسوء حال عذابها وقد جوز ان يكون تعليلا للاولى وليس بذاك وساءت في حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره
مستقرا والمخصوص بالذم محذوف ومعناه ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم ان وجعلها
خبرا لها وقيل يجوز ان يكون ساء بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز وهو بعيد وخال عما في الاول من المبالغة
في بيان سوء حالها وقيل وكذا جعل التعليلين من جهته تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا لم يجاوزوا حد الكرم ولم يقتروا ولم
يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق في المعاصي والقتر منع الواجبات والقرب وقرئ بكسر التاء مع فتح
الياء وبكسرها مخففة ومشددة مع ضم الياء وكان بين ذلك قواما اي بين ما ذكر من الاسراف والقتر قواما وسطا وعدلا سمي
لاستقامة الطرفين كما سمي سواء لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو
خبر ثان او حال مؤكدة او هو الخبر وما بين ذلك لغو وقد جوز ان يكون اسم كان على انه مبني لاضافته الى غير متمكن ولا يخفى ضعفه فانه
بمعنى القوام فيكون كالاخبار بشيء عن نفسه والذين لا يدعون مع الله الها آخر شروع في بيان اجتنابهم عن المعاصي بعد بيان اتيانهم
بالطاعات وذكر نفي الاسراف والقتر لتحقيق معنى الاقتصاد والتصريح بوصفهم بنفي الاشراك مع ظهور ايمانهم لاظهار كمال
الاعتناء بالتوحيد والاخلاص وتهويل امر القتل والزنا بنظمهما في سلكه والتعريض لما كان عليه الكفرة من قريش وغيرهم
اي لا يعبدون معه تعالى الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله اي حرمها الله بمعنى حرم قتلها فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه في التحريم الا بالحق اي لا يقتلونها بسبب من الاسباب الا بسبب الحق المزيل لحرمتها وعصمتها ولا يقتلونها
قتلا ما الا قتلا ملتبسا بالحق او لا يقتلونها في حال من الاحوال الا حال كونهم ملتبسين بالحق ولا يزنون اي لا يفعلون شيئا
من هذه العظايم القبيحة التي جمعهن الكفرة حيث كانوا مع اشراكهم به سبحانه مداومين على قتل النفوس المحرمة التي
من جملتها الموؤدة مكبين لا يرعون عنها ابدا ومن يفعل ذلك اي ما ذكر كما هو دأب الكفرة المذكورين يلق في الاخرة وقرئ
يلقى ويلقى بالتشديد مجزوما اثاما وهو جزاء الاثم كالوبال والنكال والزنا ومعنى وقيل هو الاثم اي يلق جزاء الاثم والتنوين على التفخيم
للتفخيم وقرئ اياما اي شدايد يقال يوم ذو ايام يقال لليوم العصيب يضاعف له العذاب يوم القيمة بدل من يلق لاتحادهما
في المعنى كما في قوله متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا وقرئ بالرفع على الاستيناف او على الحالية وكذا ما
عطف عليه وقرئ يضعف ونضعف بالنون ونصب العذاب ويخلد فيه في ذلك العذاب مهانا ذليلا مستحقرا جامعا للعذاب

الجسماني والروحاني وقرئ يخلد وتخلد مبنيا للمفعول من الاخلاد والتخليد وقرئ تخلد بالتاء على الالتفات المنبئ عن شدة
الغضب ومضاعفة العذاب لانضمام المعاصي الى الكفر كما يفصح عنه قوله تعالى الا من تاب وامن وعمل صالحا وذكر الموصوف
مع جريان الصالح والصالحات مجرى الاسم للاعتناء به والتنصيص على مغايرة الاعمال السابقة فاولئك اشارة الى الموصول
والجمع باعتبار معناه كما ان الافراد في الافعال الثلثة باعتبار لفظه اي اولئك الموصوفون بالتوبة والاعمال الصالحة
يبدل الله سياتهم حسنات بان يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم ويبدل بملكة المعصية
ودواعيها في النفس ملكة الطاعات بان يزيل الاولى ويثبت الثانية وقيل بان يوفقه الله لاضداد ما سلف منه
او بان يثبت له بدل كل عقاب ثوابا وقيل يبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا
وكان الله غفورا رحيما اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من المحو والاثبات ومن تاب اي عن المعاصي بتركها بالكلية والندم
عليها وعمل صالحا يتلافى به ما فرط منه او خرج من المعاصي ودخل في الطاعات فانه بما فعل يتوب الى الله اي يرجع اليه تعالى
متابا اي متابا عظيم الشان مرضيا عنده تعالى ماحيا للعقاب محصلا للثواب او يتوب متابا الى الله تعالى الذي يحب التوابين
ويحسن اليهم او فانه يرجع اليه تعالى او الى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص والذين لا يشهدون الزور لا يقيمون الشهادة
الكاذبة او لا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل مشاركة فيه واذا مروا على طريقة الالتفات باللغو اي ما يجب
ان يلقى ويطرح مما لا خير فيه مروا كراما معرضين عنه مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش
والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به والذين اذا ذكروا بايات ربهم المنطوية على المواعظ والاحكام لم يخروا عليها
صما وعميانا اي اكبوا عليها سامعين باذان واعية مجتلين لها بعيون راعية وانما عبر عن ذلك بنفي الضد تعريضا لما يفعله
الكفرة والمنافقون وقيل الضمير للمعاصي المدلول عليها باللغو والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين
بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا ساعده اهله في طاعة الله تعالى وشاركوه فيها يسر بهم قلبه وقرت بهم
عينه لما يشاهده من متابعتهم له في منهج الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة حسبما وعد بقوله تعالى والحقنا بهم ذرياتهم ومن ابتدائية
او بيانية وقرئ وذريتنا وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة تعظيما وتقليلها لان المراد اعين المتقين وهي قليلة بالنظر
الى غيرها واجعلنا للمتقين اماما اي اجعلنا بحيث يقتدون بنا في اقامة مراسم الدين باقامة العلم والتوفيق للعمل الصالح
وتوحيده للدلالة على الجنس وعدم الالتباس كقوله تعالى ثم يخرجكم طفلا او لان المراد واجعل كل واحد منا اماما او لانهم كنفس
واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم كذا قالوا وانت خبير بان مدار الكل صدور هذا الدعاء اما عن الكل بطريق المعية واما
بطريق تشريك غيرهم في استدعاء الامامة فانه ليس بثابت حتما بل الظاهر صدوره عنهم بطريق الانفراد وان عبارة كل واحد منهم صح
صح
محال لاستحالة اجتماعهم في عصر واحد فما ظنك باجتماعهم في مجلس واحد واتفاقهم على كلمة واحدة واما عن كل واحد منهم
عند الدعاء واجعلني للمتقين اماما خلا انه حكيت عبارات الكل بصيغة المتكلم مع الغير للقصد الى الايجاز على طريقة قوله تعالى
يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وابقي اماما على حاله وقيل الامام جمع ام بمعنى قاصد كصيام جمع صائم ومعناه
قاصدين لهم مقتدين بهم واعادة الموصول في المواقع السبعة مع كفاية ذكر الصلات بطريق العطف على صلة الموصول الاول للايذان
بان كل واحد مما ذكر في حيز الموصولات المذكورة وصف جليل على حياله له شان خطير حقيق بان يفرد له موصول مستقل ولا
يجعل شيء من ذلك تتمة لغيره وتوسيط العاطف بين الموصولات لتنزيل الاختلاف العنواني منزلة الاختلاف الذاتي كما في قوله
الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتايب في المزدحم اولئك اشارة الى المتصفين بما ذكر في حيز صلة الموصولات
الثمانية من حيث اتصافهم به وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك اكمل تميز منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدا خبره قوله تعالى يجزون الغرفة والجملة مستانفة لا
محل لها من الاعراب مبينة لما لهم في الاخرة من السعادة الابدية اثر ما لهم في الدنيا من الاعمال السنية والغرفة الدرجة
العالية من المنازل وكل بناء مرتفع عال اي يثابون اعلى منازل الجنة وهي اسم جنس اريد به الجمع كقوله تعالى وهم في الغرفات
امنون وقيل هو من اسماء الجنة بما صبروا بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات
ويلقون فيها من جهة الملئكة تحية وسلاما اي تحية الملئكة يدعون لهم بطول الحيوة والسلامة من الافات ويحيطون

التبقية والتخليد مع السلامة من كل آفة وقيل يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه وقرئ ويلقون من لقي خالدين فيها لا يموتون ولا يخرجون حسنت مستقرا ومقاما الكلام فيه كالذي مر في مقابله قل امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبين للناس ان الفائزين بتلك النعماء الجليلة التي يتنافس فيها المتنافسون انما نالوها بما عدد من محاسنهم ولولاها لم يعتد بهم اصلا اي قل لهم كافة مشافها لهم بما صدر من جنسهم من خير وشر ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم اي اي عبء يعبؤ بكم واي اعتداد يعتد بكم لولا عبادتكم له تعالى حسبما مر تفصيله فان ما خلق له الانسان معرفته له تعالى وطاعته والا فهو وسائر البهائم سواء قال الزجاج معناه اي وزن يكون لكم عنده وقيل معناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام وقيل ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه الهة ويجوز ان يكون ما نافية فقد كذبتم بيان لحال الكفرة من المخاطبين كما ان ما قبله بيان لحال المؤمنين منهم اي فقد كذبتم بما اخبرتكم به حيث خالفتموه ايها الكفرة ولم تعملوا عمل اولئك المذكورين وقيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقد قرئ فقد كذب الكافرون منكم لعموم الخطاب للفريقين وفائدة الايذان بان مناط فوز احدهما خسران الاخر مع اتحاد الجنس المصحح للاشتراك في الفوز ليس الا اختلافهما في الاعمال فسوف يكون لزاما اي يكون جزاء التكذيب او اثره لازما بكم لا محالة حتى يكبكم في النار كما يعرب عنه الفاء الدالة على لزوم ما بعدها لما قبلها وانما اضمر من غير ذكر للايذان بغاية ظهوره وتهويل امره للتنبيه على انه مما لا يكتنهه البيان وقيل يكون العذاب لزاما وعن مجاهد رحمه الله تعالى هو القتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفرقان لقي الله تعالى وهو مؤمن بان الساعة اتية وادخل الجنة بغير حساب

سورة الشعراء وهي مائتان سبع وعشرون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم طسم بتفخيم الالف وامالتها واظهار النون وادغامها في الميم وهو اما مسرود على نمط التعديد بطريق التحدي على احد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا محل لها من الاعراب واما اسم للسورة كما عليه الاطباق الاكثر فمحله الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف وهو اظهر من الرفع على الابتداء وقد مر وجهه في مطلع سورة يونس عليه السلام او النصب بتقدير فعل لائق بالمقام نحو اذكر او اقرا وتلك في قوله تعالى تلك ايات الكتاب المبين اشارة الى السورة سواء كان طسم مسرودا على نمط التعديد او اسما للسورة حسبما مر تحقيقه هناك وما في اسم الاشارة من معنى البعد للاشعار ببعد منزلة المشار اليه في الفخامة ومحله الرفع على انه مبتدا خبره ما بعده وعلى تقدير كون طسم مبتدا ثان او بدل من الاول والمراد بالكتاب القران والمبين الظاهر اعجازه على انه من ابان بمعنى بان او المبين للاحكام الشرعية وما يتعلق بها او الفاصل بين الحق والباطل والمعنى هي ايات مخصوصة منه مترجمة باسم مستقل والمقصود ببيان كونها بعضا منه ووصفها بما اشتهر به الكل من النعوت الفاضلة لعلك باخع نفسك اي قاتل واصل البخع ان يبلغ بالذبح النخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك على الاضافة ولعل للاشفاق اي اشفق على نفسك ان تقتلها حسرة على ما فاتك من اسلام قومك الا يكونوا مؤمنين اي لعدم ايمانهم بذلك الكتاب المبين او خيفة ان لا يؤمنوا وقوله تعالى ان نشا الخ استئناف مسوق لتعليل ما يفهم من الكلام من النهي عن التحسر المذكور ببيان ان ايمانهم ليس مما تعلقت به مشيئة الله تعالى حتما فلا وجه للطمع فيه والتألم من فواته ومفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء اعني قوله تعالى ننزل عليهم من السماء اية اي ملجئة لهم الى الايمان قاسرة عليه وتقديم الظرف على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فظلت اعناقهم لها خاضعين اي منقادين واصله فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لزيادة التقرير ببيان موضع الخضوع وترك الخبر على حاله وقيل لما وصفت الاعناق بصفات العقلاء اجريت مجراهم في الصيغة ايضا كما في قوله تعالى رايتهم لي ساجدين وقيل اريد بها الرؤسا والجماعات من قولهم جاءنا عنق من الناس اي فوج منهم وقرئ خاضعة وقوله تعالى فظلت عطف على ننزل باعتبار محله وقوله تعالى وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين بيان لشدة شكيمتهم وعدم ارعوائهم عما كانوا عليه من الكفر والتكذيب بغير ما ذكر من الاية

الملجئة لصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحرص على اسلامهم وقطع رجائه عنه ومن الاولى مزيدة لتاكيد العموم والثانية لابتداء الغاية مجازا متعلقة بياتيهم او بمحذوف هو صفة لذكر واياما كان ففيه دلالة على فضله وشرفه وشناعة ما فعلوا به والتعرض لعنوان الرحمانية لتغليظ شناعتهم وتهويل جنايتهم فان الاعراض عما ياتيهم من جنابه عز وجل على الاطلاق في تشنيع قبيح وعما ياتيهم بموجب رحمته تعالى لمحض منفعتهم اشنع واقبح اي ما ياتيهم من موعظة من المواعظ القرانية او من طائفة نازلة من القران تذكرهم اكمل تذكير وتنبههم عن الغفلة اتم تنبيه كانها نفس الذكر من جهته تعالى بمقتضى رحمته الواسعة مجدد تنزيله حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة الا جددوا الاعراض عنه على وجه التكذيب والاستهزاء واصرارا على ما كانوا عليه من الكفر والضلال والاستثناء مفرغ من اعم الوجوه والاحوال محله النصب على الحالية من مفعول ياتيهم باضمار قد وبدونه على الخلاف المشهور اي ما ياتيهم من ذكر في حال من الاحوال الا حال كونهم معرضين عنه فقد كذبوا اي كذبوا بالذكر الذي ياتيهم تكذيبا صريحا مقارنا للاستهزاء به ولم يكتفوا بالاعراض عنه حيث جعلوه تارة سحرا واخرى اساطير واخرى شعرا والفاء في قوله تعالى فسياتيهم لترتيب ما بعدها على ما قبلها والسين لتاكيد مضمون الجملة وتقريره اي فسياتيهم البتة من غير تخلف اصلا انباء ما كانوا به يستهزؤن عدول عما يقتضيه ظاهر ما سلف من الاعراض والتكذيب للايذان بانهما كانا مقارنين للاستهزاء كما اشير اليه حسبما وقع في قوله تعالى وما ياتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن وانباؤه ما سيحيق بهم من العقوبات العاجلة والاجلة عبر عنها بذلك اما لكونها مما انبا بها القران الكريم واما لانهم بمشاهدتها يقفون على حقيقة حال القران كما يقفون على الاحوال الخافية عنهم باستماع الانباء وفيه تهويل له لان النبا لا يطلق الا على خبر خطير له وقع عظيم اي فسياتيهم لا محالة مصداق ما كانوا يستهزؤن به قيل من غير ان يتدبروا في احواله ويقفوا عليها اولم يروا الهمزة للانكار التوبيخي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي افعلوا ما فعلوا من الاباء والتكذيب والاستهزاء بها ولم ينظروا الى الارض اي الى عجائبها الزاجرة عما فعلوا الداعية الى الاقبال على ما اعرضوا عنه والى الايمان به وقوله تعالى كم انبتنا فيها من كل زوج كريم استئناف مبين لما في الارض من الايات الزاجرة عن الكفر الداعية الى الايمان وكم خبرية منصوبة بما بعدها على المفعولية والجمع بينها وبين كل لافادة الاحاطة والكثرة ومن كل زوج اي صنف والكريم من كل شيء مرضيه ومحموده اي كثير من كل صنف مرضي كثير المنافع انبتنا فيها وتخصيص انباته بالذكر دون ما عداه من الاصناف لاختصاصه بالدلالة على القدرة والنعمة معا ويحتمل ان يراد به جميع اصناف النبات نافعها وضارها ويكون وصف الكل بالكريم للتنبيه على انه تعالى ما انبت شيئا الا وفيه فائدة كما نطق به قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا فان الحكيم لا يكاد يفعل فعلا الا وفيه حكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الى معرفتها بكنهها العاقلون ان في ذلك اشارة الى مصدر انبتنا او الى كل واحد من تلك الازواج واياما كان فما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الفضل لاية اي اية عظيمة دالة على كمال قدرة منبتها وغاية وفور علمه وحكمته ونهاية سعة رحمته موجبة للايمان وازعة عن الكفر وما كان اكثرهم اي اكثر قومه عليه الصلوة والسلام مؤمنين قيل اي في علم الله وقضائه حيث علم ازلا انهم سيصرفون في ما لا يزال اختيارهم الذي بيده زمام امور التكليف الى جانب الشر ولا يتدبرون في هذه الايات العظام وقال سيبويه كان صلة والمعنى وما كان اكثرهم مؤمنين وهو الانسب بمقام بيان عتوهم وغلوهم في المكابرة والعناد مع تعاضد موجبات الايمان من جهته تعالى واما نسبة كفرهم الى علمه تعالى وقضائه فربما يتوهم منها كونهم معذورين فيه بحسب الظاهر لان ما اشير اليه من التحقيق مما يخفى على مهرة العلماء المتقنين كانه قيل ان في ذلك لاية باهرة موجبة للايمان بها وما اكثرهم مؤمنين مع ذلك لغاية تماديهم في الكفر والضلال وانهماكهم في الغي والجهالة ونسبة عدم الايمان الى اكثرهم لان منهم من يؤمن وان ربك لهو العزيز الغالب على ما يريد من الامور التي من جملتها الانتقام من هؤلاء الرحيم المبالغ في الرحمة ولذلك يمهلهم ولا ياخذهم بغتة بما اجترؤا عليه من العظائم الموجبة لفنون العقوبات وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلوة والسلام من تشريفه والعدة الخفية بالانتقام من الكفرة ما لا يخفى واذ نادى ربك موسى كلام مستانف مسوق لتقرير

ما قبله من اعراضهم عن كل ما يأتيهم من الايات التنزيلية وتكذيبهم بها اثر بيان اعراضهم عما يشاهدونه من الايات التكوينية
واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم اي واذكر لذلك المعرضين المكذبين وقت ندائه تعالى
اياه عليه السلام وذكرهم بما جرى على قوم فرعون بسبب تكذيبهم اياه زجرا لهم عما هم عليه من التكذيب وتحذيرا من ان يحيق بهم مثل
ما حاق باضرابهم المكذبين حتى يتضح لك انهم لا يؤمنون بما يأتيهم من الايات لكن لا بقياس حال هؤلاء بحال اولئك
فقط بل بمشاهدة اصرارهم على ما هم عليه من سماع الوحي الناطق بقصتهم وعدم اتعاظهم بذلك كما يلوح به تكرير قوله تعالى ان
في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين عقيب كل قصة وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من
الحوادث قد مر سره ان ائت بمعنى اي ائت على ان مفسرة او بان ائت على انها مصدرية حذف عنها الجار القوم الظالمين
اي بالكفر والمعاصي واستعباد بني اسرائيل وذبح ابنائهم وليس هذا مطلع ما ورد في حيز النداء وانما هو ما فصل في سورة طه من
قوله تعالى اني انا ربك الى قوله لنريك من اياتنا الكبرى وايراد ما جرى في قصة واحدة من المقالات بعبارات واساليب مختلفة
قد مر تحقيقه في اوائل سورة الاعراف عند قوله تعالى قال انظرني قوم فرعون بدل من الاول او عطف بيان جيء به للايذان
بانهم علم في الظلم كان معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون والاقتصار على ذكر قومه للايذان بشهرة ان نفسه اول داخل
في الحكم الا يتقون استئناف جيء به اثر ارساله عليه السلام اليهم للانذار تعجيبا من غلوهم في الظلم وافراطهم في العدوان وقرئ
بتاء الخطاب على طريقة الالتفات المنبئ عن زيادة الغضب عليهم كان ذكرهم ادى الى مشافهتهم بذلك وهم وان كانوا حينئذ
غيبا لكنهم اجروا مجرى الحاضرين في كلام المرسل اليهم من حيث انه مبلغه اليهم واسماعه مبدأ اسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث
على التقوى لمن تدبر وتأمل وقرئ بكسر النون اكتفاء بها عن ياء المتكلم وقد جوز ان يكون بمعنى الا يا ناس اتقون نحو الا يا اسجدوا
قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية ما مضى كأنه قيل فماذا قال موسى عليه السلام فقيل قال متضرعا الى الله تعالى
رب اني اخاف ان يكذبون من اول الامر ويضيق صدري ولا ينطلق لساني معطوف على اخاف فارسل جبرائيل عليه السلام الى هرون ليكون
معي اتعاضد به في تبليغ الرسالة رتب عليه السلام استدعاء ذلك الامور الثلاثة خوف التكذيب وضيق الصدر وازدياد ما كان
فيه عليه السلام من حبسة اللسان بانقباض الروح الى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانها اذا اجتمعت تمس الحاجة
الى معين يقوي قلبه وينوب منابه اذا اعترته حبسة حتى لا تختل دعوته ولا ينقطع حجته وليس هذا من التعلل والتوقف في
تلقي الامر في شيء وانما هو استدعاء لما يعينه على الامتثال به وتمهيد عذره فيه وقرئ ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا
على يكذبون فيكونان من جملة ما يخاف منه ولهم علي ذنب اي تبعة ذنب بحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وسمي
باسمه والمراد به قتل القبطي وتسميته ذنبا بحسب زعمهم كما ينبئ عنه قوله لهم له وهذا اشارة الى قصة مبسوطة في غير موضع
فاخاف ان اتيتهم وحدي ان يقتلون بمقابلته قبل اداء الرسالة كما ينبغي وليس هذا ايضا تعللا وانما هو استدفاع للبلية
المتوقعة قبل وقوعها وقوله تعالى قال كلا فاذهبا باياتنا حكاية لاجابته تعالى الى الطلبتين الدفع المفهوم من الردع عن
الخوف وضم اخيه المفهوم من توجيه الخطاب اليهما بطريق التغليب فانه معطوف على مضمر ينبئ عنه كانه قيل ارتدع يا موسى
عما تظن فاذهب انت ومن استدعيته وفي قوله تعالى باياتنا رمز الى انها تدفع ما يخافه وقوله تعالى انا معكم مستمعون تعليل للردع
عن الخوف ومزيد تسلية لهما بضمان كمال الحفظ والنصرة كقوله تعالى انني معكما اسمع وارى وحيث كان الموعود بمحضر من فرعون
اعتبر هاهنا بالمعية وقيل اجريا مجرى الجماعة ويأباه ما قبله وما بعده من ضمير التثنية اي سامعون بما يجري بينكما وبينه
فنظهركما عليه مثل حاله تعالى بحال ذي شوكة حضر مجادلة قوم يسمع ما يجري بينهم ليمد اولياءه ويظهرهم على اعدائهم مبالغة
في الوعد بالاعانة او استعير الاستماع الذي هو بمعنى الاصغاء للسمع الذي هو العلم بالحروف والاصوات وهو خبر ثان او خبر وحده
ومعكم ظرف لغو والفاء في قوله تعالى فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين لترتيب ما بعدها على ما قبلها من الوعد الكريم وليس هذا
مجرد تأكيد للامر بالذهاب لان معناه الوصول الى المأتي لا مجرد التوجه اليه كالذهاب وافراد الرسول اما باعتبار رسالة كل منهما
او لاتحاد مطلبهما او لانه مصدر وصف به وان في قوله تعالى ان ارسل معنا بني اسرائيل مفسرة لتضمن الارسال المفهوم من
الرسول معنى القول ومعنى ارسالهم تخليتهم وشأنهم ليذهبوا معهما الى الشام قال اي فرعون لموسى عليه السلام بعد ما اتياه

وقالا له

وقالا له ما امرا به يروى انهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان هاهنا انسانا يزعم انه
رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك فاديا اليه الرسالة فعرف موسى عليه السلام فقال عند ذلك الم نربك فينا
في حجرنا ومنازلنا وليدا اي طفلا عبر عنه بذلك لقرب عهده بالولادة ولبثت فينا من عمرك سنين قيل لبث فيهم ثلثين سنة
ثم خرج الى مدين واقام به عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله تعالى ثلثين سنة ثم بقي بعد الغرق خمسين وقيل
وكز القبطي وهو ابن ثنتي عشرة سنة وفر منهم اثر ذلك وفعلت فعلتك التي فعلت يعني قتل القبطي بعد ما عدد عليه نعمته من
تربيته وتبليغه مبلغ الرجال وبخه بما جرى عليه من قتل خبازه وعظمه ذلك وفظعه وقرئ فعلتك بكسر الفاء لانها
كانت نوعا من القتل وانت من الكافرين اي بنعمتي حيث عمدت الى قتل رجل من خواصي وانت حينئذ ممن تكفرهم الآن وقد
افترى عليه عليه السلام او جهل امره حيث كان يعايشهم بالتقية والا فاين هو عليه السلام من مشاركتهم في الدين فالجملة
حينئذ حال من احدى التائين ويجوز ان يكون حكما عليه بانه من الكافرين بالالهية او ممن يكفرون في دينهم حيث كانت لهم
آلهة يعبدونهم او من الكافرين بالنعم المعتادين لغمطها ومن اعتاد ذلك لا يكون مثل هذه الجناية بدعا منه قال مجيبا
له مصدقا له في القتل ومكذبا له فيما نسبه اليه من الكفر فعلتها اذا وانا من الضالين اي من الجاهلين وقد قرئ كذلك لا من الكافرين
كما زعمت افتراء اي من الفاعلين فعل الجهلة والسفهاء او من المخطئين لانه لم يتعمد قتله بل اراد تأديبه او الذاهبين عما
يؤدي اليه الوكز او الناسين كقوله تعالى تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى ففررت منكم لما خفتكم ان تصيبوني
بمضرة وتؤاخذوني بما لا استحقه بجنايتي من العقاب فوهب لي ربي حكما اي حكمة ونبوة وجعلني من المرسلين رد
اولا بذلك ما وبخه به قدحا في نبوته ثم كر على ما عده عليه من النعمة ولم يصرح برده حيث كان صدقا غير قادح في دعواه بل نبه
على ان ذلك كان في الحقيقة نقمة فقال وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل اي ذلك التربية نعمة تمن بها علي ظاهرا
وهي في الحقيقة تعبيدك بني اسرائيل وقصدك اياهم بذبح ابنائهم فانه السبب في وقوعي عندك وحصولي في تربيتك
وقيل انه مقدر بهمزة الانكار اي او تلك نعمة او الجر باضمار الباء والنصب بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة
شنعاء مبهمة فان عبدت عطف بيان لها والمعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي وتوحيد الخطاب في تمنها وجه فيما
قبله لان المنة منه خاصة والخوف والفرار منه ومن ملائه قال فرعون لما سمع منه عليه السلام تلك المقالة المنبئة
وشاهد تصلبه في امره عليه السلام وعدم تأثره بما قدمه من الابراق والارعاد شرع في الاعتراض على دعواه عليه السلام
فبدأ بالاستفسار عن المرسل فقال وما رب العالمين حكاية لما وقع في عبارته عليه السلام اي اي شيء رب العالمين الذي
ادعيت انك رسوله منكرا لان يكون للعالمين رب سواه حسبما يعرب عنه قوله انا ربكم الاعلى وقوله ما علمت لكم من
اله غيري وينطق به وعيده عند تمام اجوبته عليه السلام قال موسى عليه السلام مجيبا له رب السموات والارض وما بينهما
بتعيين ما اراد بالعالمين وتفصيله بزيادة التحقيق والتقرير وحسم مادة تزوير اللعين وتشكيكه بحمل العالمين على ما
تحت مملكته ان كنتم موقنين ان كنتم موقنين بالاشياء محققين لها علمتم ذلك ان كنتم موقنين بشيء من الاشياء فهذا اولى
بالايقان لظهوره وانارة دليله قال اي فرعون عند سماع جوابه عليه السلام خوفا من تأثره في قلوب قومه واذعانهم
له لمن حوله من اشراف قومه قال ابن عباس رضي الله عنهما كانت خمسمائة عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة الا
تستمعون مغريا لهم اي ما سمعوه من جوابه عليه السلام مع كونه مما لا يليق ان يعتد به امر حقيق بان يتعجب منه حيث
يدعي عليه السلام كانه قال الا تستمعون ما يقول فاستمعوه وتعجبوا منه حيث يدعي خلاف امر محقق لا اشتباه فيه يريد
به ربوبية نفسه قال عليه السلام تصريحا بما كان مندرجا تحت جوابيه السابقين ربكم ورب آبائكم الاولين وحطا
له من ادعاء الربوبية الى رتبة المربوبية قال فرعون لما واجهه موسى عليه السلام بما ذكر غاظه ذلك وخاف من تأثر
قومه منه فاراهم انما قاله عليه السلام مما لا يصدر عن العقلاء صدا لهم عن قبوله فقال مؤكدا لمقالته الشنعاء ان
رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ليفتنهم بذلك ويصرفهم عن قبول الحق وسماه رسولا بطريق الاستهزاء واضافه الى المخاطبين
ترفعا الى من ان يكون مرسلا الى نفسه قال عليه السلام رب المشرق والمغرب وما بينهما تكميلا لجوابه الاول وتفسيرا له

طبيه
قاله عليه السلام صح

تنبيهاً على جهلهم وعدم فهمهم لمعنى مقالته فان بيان ربوبيته تعالى للسموات والارض وما بينهما وان كان متضمناً لبيان
ربوبيته تعالى للخافقين وما بينهما لكن لما لم يكن فيه تصريح باسناد حركات السموات وما فيها وتغيرات احوالها واوضاعها
وكون الارض تارة مظلمة واخرى منورة الى الله تعالى ارشدهم الى طريق معرفة ربوبيته تعالى لما ذكر فان ذكر المشرق والمغرب
مبني على شروق الشمس وغروبها المنوطين بحركات السموات وما فيها على نمط بديع يترتب عليه هذه الاوضاع الرصينة وكل
ذلك امور حادثة مفتقرة الى محدث قادر عليم حكيم لا كدورات السموات والارض التي ربما يتوهم جهلة المتوهمين باسرارها
استغناءها عن الموجد المتصرف ان كنتم تعقلون اي ان كنتم تعقلون شيئاً من الاشياء او ان كنتم تعقلون او ان كنتم من اهل العقل علمتم
ان الامر كما قلته وفيه ايذان بغاية وضوح الامر بحيث لا يشتبه على من له عقل في الجملة وتلويح بانهم بمعزل من دائرة العقل
وانهم المتصفون بما رموه عليه السلام بالجنون قال لما سمع اللعين منه عليه السلام تلك المقالات المبنية على اساس الحكم
البالغة وشاهد شدة حزمه على تمشية امره وانه ممن لا يجارى في حلبة المحاورة ضرب صفحاً عن المقاولة بالانصاف ونأى
بجانبه الى عدوة الجور والاعتساف فقال مظهراً لما كان يضمره عند السؤال والجواب لئن اتخذت الهاً غيري لاجعلنك من المسجونين
لم يقتنع منه عليه السلام بترك دعوى الرسالة وعدم التعرض له حتى يكلفه عليه السلام ان يتخذه الهاً لغاية عتوه وغلوه فيما
فيه من دعوى الالوهية وهذا صريح في ان تعجبه وتعجيبه من الجواب الاول ونسبته عليه السلام الى الجنون في الجواب الثاني كان لنسبته
عليه السلام الربوبية الى غيره واما ما قيل من ان سؤاله كان عن حقيقة المرسل وتعجيبه من جوابه كان لعدم مطابقته له لكونه
ذكر احواله فلا يساعده النظم الكريم ولا حال فرعون ولا مقاله واللام في المسجونين للعهد اي لاجعلنك ممن عرفت
احوالهم في سجوني حيث كان يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك لم يقل لاسجننك قال اولو جئتك بشيء مبين اي اتفعل
بي ذلك ولو جئتك بشيء مبين واضح لصدق دعواي يريد به المعجزة فانها الدالة على وجود الصانع وحكمته وعلى الدلالة على صدق
دعوى من ظهرت على يده والتعبير عنها بالشيء لتهويل ما قالوا في اولو جئتك للحال دخلت عليها همزة الاستفهام
اي جائياً بشيء مبين وقد سلف منا مراراً انها للعطف وان كلمة لو ليست لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ له جواب نحو بلى
على دلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية بل هي لبيان تحقق ما
يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها
منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال المقارنة له بطريق الاولوية
لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه
بذكر العاطف للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تحققها وتعددها ليظهر ما ذكر
من تحقق الحكم على جميع الاحوال فانك اذا قلت فلان جواد يعطي ولو كان فقيراً تريد تحقق الاعطاء منه على كل حال من الاحوال
المفروضة فتعلق الحكم بابعدها منه ليظهر تحققه مع ما عداه من الاحوال التي لا منافاة بينها وبين الحكم بطريق الاولوية
المفروضة المصححة للاكتفاء بذكر العاطف عن تفصيلها كانك قلت فلان جواد يعطي لو لم يكن فقيراً ولو كان فقيراً اي يعطي
حال كونه غنياً وحال كونه فقيراً فالحال في الحقيقة كلتا الجملتين المتعاطفتين لا المذكورة على ان الواو للحال وتصدير المجيء بها
ذكر بكلمة لو دون ان ليس لبيان استبعاده في نفسه الى فرعون والمعنى اتفعل بي ذلك حال عدم مجيئي بشيء مبين وحال مجيئي به
قال فأت به ان كنت من الصادقين اي فيما يدل عليه كلامك من انك تأتي بشيء موضح لصدق دعواك او في دعوى
الرسالة وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين اي ظاهر ثعبانيته لا انه شيء
يشبهه واشتقاقه من ثعب الماء اذا انثعب اي جرى فانفجر وقد مر بيان كيفية الحال في سورة الاعراف وسورة طه
ونزع يده من جيبه فاذا هي بيضاء للناظرين قيل لما رأى فرعون الاية الاولى قال فهل لك غيرها فاخرج يده فقال ما هذه
قال فرعون يدك فما فيها فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق قال للملأ حوله اي
مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال ان هذا لساحر عليم فائق في فن السحر يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا
تأمرون بهره سلطان المعجزة وحيره حتى حطه عن ذروة ادعاء الربوبية الى حضيض الخضوع لعبيده في زعمه والامتثال

بامرهم

بامرهم او الى مقام مؤامرتهم ومشاورتهم بعدما كان مستقلاً في الرأي والتدبير واظهر استشعار الخوف من استيلائه على ملكه و
نسبة الاخراج من الارض اليهم لتنفيرهم عن موسى عليه السلام قالوا ارجه واخاه اخر امرهما وقيل احبسهما وابعث في المدائن حاشرين اي
شرطاً يحشرون السحرة يأتوك اي الحاشرون بكل ساحر عليم فائق في فن السحر وقرئ بكل سحار فجمع السحرة لميقات يوم معلوم وهو ما عينه
موسى عليه السلام بقوله موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى وقيل للناس هل انتم مجتمعون قيل لهم ذلك استبطاء لهم في الاجتماع
وحثاً لهم على المبادرة اليه لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين اي نتبعهم في دينهم ان كانوا هم الغالبين لا موسى عليه السلام وليس
مرادهم بذلك ان يتبعوا دينهم حقيقة وانما هو ان لا يتبعوا موسى عليه السلام لكنهم ساقوا الكلام مساق الكناية حملاً لهم على
الاهتمام والجد في المقابلة فلما جاء السحرة قالوا لفرعون اين لنا لاجراً اي اجراً عظيماً ان كنا نحن الغالبين لا موسى عليه السلام
قال نعم لكم ذلك وانكم مع ذلك اذاً لمن المقربين عندي قال لهم تكونوا اول من يدخل علي وآخر من يخرج من عندي وقرئ نعم بكسر
العين وهما لغتان قال لهم موسى اي بعدما قال له السحرة اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى القوا ما انتم ملقون ولم يرد به
الامر بالسحر والتمويه بل الاذن في تقديم ما هم فاعلوه البتة توسلاً به الى اظهار الحق وابطال الباطل فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا
اي وقد قالوا عند الالقاء بعزة فرعون انا لنحن الغالبون قالوا ذلك لفرط اعتقادهم في انفسهم واتيانهم اقصى ما يمكن ان يؤتى به من السحر
فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف اي تبلع بسرعة وقرئ تلقف بحذف احدى التاءين من تتلقف ما يأفكون اي ما يقلبونه عن وجهه
وصورته بتمويههم وتزويرهم فيخيلون ان حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى او افكهم تسمية للمأفوك به مبالغة فالقي السحرة
ساجدين اي اثر ما شاهدوا ذلك من غير تلعثم وتردد غير متمالكين كان ملقياً القاهم لعلمهم بان مثل ذلك خارج عن حدود السحر
وانه امر الهي قد ظهر على يده عليه السلام لتصديقه وفيه دليل على ان منتهى ما ينتهي اليه همم السحرة هو التمويه والتزوير وتخييل
شيء لا حقيقة له قالوا آمنا برب العالمين بدل الاشتمال من القي او حال باضمار قد وقوله تعالى رب موسى وهرون بدل من رب العالمين
للتوضيح ودفع توهم ارادة فرعون حيث كان قومه الجهلة يسمونه بذلك وللاشعار بان الموجب لايمانهم به تعالى ما اجراه
على ايديهما من المعجزة القاهرة قال فرعون آمنتم له قبل ان آذن لكم اي بغير ان آذن لكم كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد
كلمات ربي لا ان الاذن ممكن او متوقع انه لكبيركم الذي علمكم السحر فتواطأتم عليه او علمكم شيئاً دون شيء فلذلك غلبكم اراد بذلك
التلبيس على قومه لئلا يعتقدوا انهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق وقرئ ءامنتم بهمزتين فلسوف تعلمون اي وبال ما
فعلتم وقوله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين بيان لما وعدهم به قالوا اي السحرة لا ضير اي لا ضرر فيه علينا
وقوله تعالى انا الى ربنا منقلبون تعليل لعدم الضير اي لا ضير في ذلك بل لنا فيه نفع عظيم لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه
الله تعالى من تكفير الخطايا والثواب العظيم او لا ضير علينا فيما تتوعدنا به من القتل انه لا بد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من
الاسباب بسبب الموت والقتل اهونها وارجاها وقوله تعالى انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اي لان كنا اول المؤمنين اي
من اتباع فرعون او من اهل المشهد تعليل ثان لنفي الضير اي لا ضير علينا في ذلك وانا نطمع ان يغفر لنا خطايانا لكوننا اول المؤمنين
وقرئ ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريقة قول المدل بامره كقول العامل لمستأجره ان كنت
عملت لك فوفني حقي واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي وذلك بعد بضع سنين اقام بين اظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الايات
فلم يزيدوا الا عتواً ونفوراً وعناداً حسبما فصل في سورة الاعراف ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين الاية وقرئ بكسر النون
ووصل الالف من السرى وقرئ سر انكم متبعون تعليل للامر بالاسراء اي يتبعكم فرعون وجنوده مصبحين فاسر بهم
حتى لا يدركوكم قبل الوصول الى البحر فيدخلوا مداخلكم فاطبقه عليهم فاغرقهم فارسل فرعون حين اخبر بمسيرهم في المدائن
حاشرين جامعين للعساكر ليتبعوهم ان هؤلاء يريد بني اسرائيل لشرذمة قليلون استقلهم وهم ستمائة الف وسبعون الفاً بالنسبة
الى جنوده اذ روي انه ارسل في اثرهم الف الف ملك مسور مع كل ملك الف وخرج فرعون في جمع عظيم وكانت سبعمائة
الف رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وعن ابن عباس رضي الله عنهما خرج فرعون في الف حصان سوى الاناث وانهم لنا
لغائظون اي فاعلون ما يغيظنا وانا لجميع حاذرون يريد انهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون
افعالاً يغيظنا ويضيق صدرنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى اطفاء

نار فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى اهل المداين لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه وقرئ حذرون فالاول دال على التجدد والثاني على الثبات وقيل الحاذر المؤدي في السلاح وقرئ حادرون بالدال المهملة اي اقويا واشدا وقيل مدججون في السلاح قد كبتهم ذلك حادرون في اجسامهم فاخرجناهم بان خلقنا فيهم داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كانت لهم جملة ذلك كذلك اما مصدر تشبيهي لاخرجنا اي مثل ذلك الاخراج العجيب اخرجنا او صفة لمقام كريم كاين كذلك او خبر لمبتدا محذوف اي الامر كذلك واورثناها بني اسرائيل اي مكناها اياهم على طريقة مال المورث للوارث كانهم ملكوها من حين خروج اربابها منها قبل ان يقبضوها ويتسلموها فاتبعوهم اي لحقوهم وقرئ فاتبعوهم مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس اي طلوعها فلما تراءى الجمعان تقاربا بحيث راى كل واحد منهما الآخر وقرئ تراءت الفئتان قال اصحاب موسى انا لمدركون جاءوا بالجملة الاسمية موكدة بحرفي التاكيد للدلالة على تحقق الادراك وتنجزهما وقرئ لمدركون بتشديد الدال من ادرك الشيء اذا تتابع ففني اي لمتتابعون في الهلاك على ايديهم قال كلا ارتدعوا عن ذلك فانهم لا يدركونكم ان معي ربي بالنصر والهداية سيهدين البتة الى طريق النجاة منهم بالكلية روي ان يوشع عليه السلام قال يا كليم الله اين امرت فقد غشينا آل فرعون والبحر امامنا قال عليه السلام ها هنا فخاض يوشع الماء وضرب موسى بعصاه البحر فكان ما كان وروي ان مومنا من آل فرعون كان بين يدي موسى عليه السلام فقال اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال امرت بالبحر ولعلي اومر بما اصنع فامر بما امر به وذلك قوله تعالى فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر القلزم او النيل فانفلق الفاء فصيحة اي فضرب فانفلق فصار اثني عشر فرقا بعدد الاسباط بينهن مسالك فكان كل فرق كالطود العظيم كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها كل سبط في شعب منها وازلفنا اي قربنا ثم الآخرين اي فرعون وقومه حتى دخلوا على اثرهم مداخلهم وانجينا موسى ومن معه اجمعين بحفظ البحر على تلك الهيئة الى ان عبروا الى البر ثم اغرقنا الآخرين باطباقه عليهم ان في ذلك اي في جميع ما فصل مما صدر عن موسى عليه السلام وظهر على يديه من المعجزات الظاهرة ومما فعل فرعون وقومه في الاقوال والافعال وما فعل بهم من العذاب والنكال وما في اسم الاشارة من معنى البعد لتهويل امر المشار اليه وتفظيعه لتنكير الاية في قوله لاية اي آية آية واية عظيمة لا تكاد توصف موجبة لان يعتبر بها المعتبرون ويقيسوا شان النبي صلى الله عليه وسلم بشان موسى عليه السلام وحال انفسهم بحال اولئك المهلكين ويجتنبوا تعاطي ما كانوا يتعاطونه من الكفر والمعاصي ومخالفة الرسول عليه الصلوة والسلام ويومنوا بالله تعالى ويطيعوا رسوله صلى الله عليه وسلم كيلا يحل بهم ما حل باولئك او ان فيما فصل من القصة من حيث حكايته عليه الصلوة والسلام اياها على ما هي عليه من غير ان يسمعها من احد لاية عظيمة دالة على ذلك بطريق الوحي الصادق وموجبة الايمان بالله وحده وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وما كان اكثرهم مومنين اي اكثر هولاء الذين سمعوا قصتهم منه عليه الصلوة والسلام مومنين لا بان يقيسوا شانه عليه الصلوة والسلام بشان موسى عليه السلام وحال انفسهم بحال المهلكين المكذبين ولا بان يتدبروا في حكايته عليه الصلوة والسلام لقصتهم من غير ان يسمعها من احد مع كون كل من الطريقين مما يودي الى الايمان قطعا ومعنى ما كان اكثرهم مومنين وما اكثرهم مومنين على ان كان زايد كما هو راي سيبويه فيكون كقوله تعالى وما اكثر الناس ولو حرصت بمومنين وهو اخبار منه تعالى بما سيكون من المشركين بعد ما سمعوا الايات الناطقة بالقصة تقريرا لما مر من قوله تعالى وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا الى آخره وايثار الجملة الاسمية للدلالة على استقرارهم على عدم الايمان واستمرارهم عليه ويجوز ان يجعل كان بمعنى صار كما فعل ذلك في قوله تعالى وكان من الكافرين فالمعنى وما صار اكثرهم مومنين مع ما سمعوا من الاية العظيمة الموجبة له مما ذكر من الطريقين فيكون الاخبار بعدم الصيرورة قبل الحدوث للدلالة على كمال التحقق وتقرره كقوله تعالى اتى امر الله الاية وان ربك لهو العزيز الغالب على كل ما يريد من الامور التي من جملتها الانتقام من المكذبين الرحيم المبالغ في الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يعجل عقوبتهم بعدم ايمانهم بعد مشاهدة هذه الاية العظيمة بطريق الوحي مع كمال استحقاقهم لذلك هذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم من مطلع السورة الكريمة الى آخر القصص السبع بل الى آخر السورة الكريمة اقتضاء بينا لا ريب فيه واما ما قيل من ان ضمير اكثرهم لاهل عصر فرعون من القبط وغيرهم وان المعنى وما كان اكثر اهل مصر مومنين حيث لم يومن منهم الا آسيه

وحزقيل

وحزقيل ومريم ابنة ياموشا التي دلت على تابوت يوسف عليه السلام وبنوا اسرائيل بعد ما نجوا سالوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن نومن لك حتى نرى الله جهرة فبمعزل من التحقيق كيف لا ومساق كل قصة من القصص الواردة في السورة الكريمة سوى قصة ابرهيم عليه السلام انما هو بيان لحال طايفة معينة قد عتوا عن امر ربهم وعصوا رسله عليهم السلام كما يفصح عنه تصدير القصص بتكذيبهم الرسل بعد ما شاهدوا ما بين ايديهم من الايات العظام ما يوجب عليهم الايمان ويزجرهم عن الكفر والعصيان واصروا على ما هم عليه من التكذيب فعاقبهم الله تعالى لذلك بالعقوبة الدنيوية وقطع دابرهم بالكلية فكيف يمكن ان يخبر عنهم بان ما كان اكثرهم لا سيما بعد الاخبار باهلاكهم وعد المومنين من جملتهم اولا واخراجهم منها اخرا مع عدم مشاركتهم في شيء مما حكي عنهم على المسبات اصلا مما يجب تنزيه التنزيل عن امثاله فتدبر واتل عليهم عطف على المضمر المقدر عامله وهو اذ نادى الى آخره واتل على المشركين نبا ابرهيم اي خبره العظيم الشان حسبما اوحي اليك على ما ذكر من عدم ايمانهم لما ياتيهم من الايات باحد الطريقين اذ قال منصوب على الظرفية للنبا اي نبا وقت قوله لابيه وقومه او على المفعولية لا على انه بدل من نبا اي واتل عليهم وقت قوله لهم ما تعبدون على ان المتلو ما قاله لهم في ذلك الوقت سالهم عليه السلام عن ذلك لينبئ عن جوابهم ان ما يعبدونه بمعزل من استحقاق العبودية بالكلية قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين لم يقتصروا على الجواب الكافي بان يقولوا اصناما كما في قوله تعالى ويسلونك ماذا ينفقون قل العفو وقوله تعالى ماذا انزل ربكم قالوا الحق ونظايرهما بل اطنبوا فيه باظهار الفعل وعطف دوام عكوفهم على اصنامهم قصدا الى ابراز ما في نفوسهم الخبيثة من الابتهاج والافتخار بذلك والمراد بالظلول الدوام وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل وصلة العكوف كلمة على ايراد اللام لافادة معنى زايد كانهم قالوا فنظل لاجلها مقبلين على عبادتها او مستديرين حولها وهذا ايضا من جملة اطنابهم قال استيناف مبني على سؤال نشا من تفصيل جوابهم هل يسمعونكم اي هل يسمعون دعاكم على حذف المضاف او يسمعونكم تدعون كقولك سمعت زيدا يقول كيت وكيت فحذف لدلالة قوله تعالى اذ تدعون عليه وقرئ هل يسمعونكم من الاسماع اي هل يسمعونكم شيئا من الاشياء او الجواب عن دعايكم وهل يقدرون على ذلك وصيغة المضارع مع اذ على حكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها كانه قيل لهم استحضروا الاحوال الماضية التي كنتم تدعونها فيها واجيبوا هل سمعوا او اسمعوا قط او ينفعونكم بسبب عبادتكم لها او يضرون اي يضرونكم بترككم لعبادتها اذ لا بد للعبادة لا سيما عند كونها على ما وصفتم من المبالغة فيها من جلب نفع او دفع ضر قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون اعترفوا بانها بمعزل مما ذكر من السمع والمنفعة والمضرة بالمرة واضطروا الى اظهار ان لا سند لهم سوى التقليد اي ما علمنا او ما راينا منهم ما ذكر من الامور بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون اي مثل عبادتنا يعبدون فاقتدينا بهم قال افرايتم ما كنتم تعبدون اي انظرتم فابصرتم او تاملتم فعلمتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون حق الابصار او حق العلم وقوله تعالى فانهم عدو لي بيان لحال ما يعبدونه بعد التنبيه على عدم علمهم بذلك اي فاعلموا انهم اعداء لعابديهم الذين يحبونهم كحب الله تعالى لما انهم يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه او لان من اغراهم على عبادتهم وحملهم عليها الشيطان الذي هو اعدى عدو الانسان لكنه عليه السلام صور الامر في نفسه تعريضا بهم فانه انفع في النصيحة من التصريح واشعارا بانها نصيحة بدا بها نفسه ليكون ادعى الى القبول والعدو والصديق يجيئان في معنى الواحد والجمع ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو تشبيها بالمصادر للموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل الا رب العالمين استثناء منقطع اي لكن رب العالمين ليس كذلك بل هو وليي في الدنيا والآخرة لا يزال يتفضل علي بمنافعهما حسبما يعرب عنه ما وصفه تعالى به من احكام الولاية وقيل متصل وهو قول الزجاج على ان الضمير لكل معبود وكان من آبائهم من عبد الله تعالى وقوله تعالى الذي خلقني صفة لرب العالمين وجعله مبتدا وما بعده خبرا غير حقيق بجزالة التنزيل وانما وصفه تعالى بذلك وبما عطف عليه مع اندراج الكل تحت ربوبيته تعالى للعالمين تصريحا بالنعم الخاصة به عليه السلام وتفصيلا لها لكونها ادخل في اقتضاء تخصيص العبادة به تعالى وقصر الالتجاء في جلب المنافع الدينية ودفع المضار العاجلة والآجلة عليه تعالى فهو يهدين اي هو يهديني وحده الى كل ما يهمني ويصلحني من امور الدين والدنيا هداية متصلة بحين الخلق ونفخ الروح متجددة على الاستمرار كما ينبئ عنه الفاء وصيغة المضارع فانه تعالى يهدي كل ما خلقه لما خلق له من امور المعاش والمعاد هداية مندرجة من مبدا ايجاده الى منتهى اجله يتمكن بها من جلب منافعه ودفع مضاره اما طبعا او اختيارا مبدؤها بالنسبة الى الانسان هداية الجنين لامتصاص دم الطمث ومنتهاها الهداية

الي طوبي الجنة والتنعم بنعيمها المقيم **والذي هو يطعمني ويسقين** عطف علي الصلة الاولي وتكرير الموصول في المواقع الثلاثة مع كفاية
عطف ما وقع في حيز الصلة من الجمل الست علي صلة الموصول الاول للايذان بان كل واحدة من تلك الصلات نعت جليل له تعالى
مستقل في استيجاب الحكم حقيق بان يجري عليه تعالى لحيالها ولا يجعل من روادف غيرها **واذا مرضت فهو يشفين** عطف علي يطعمني
ويسقين نظم معهما في سلك الصلة لموصول واحد لما ان الصحة والمرض من متفرعات الاكل والشرب غالبا ونسبة المرض الي
نفسه والشفاء الي الله تعالى مع انهما منه تعالى لمراعاة حسن الادب كما قال الخضر عليه السلام فاردت ان اعيبها وقال
فاراد ربك ان يبلغا اشدهما واما الاماتة فحيث كانت من معظم خصايصه تعالى كالاحياء بدأ واعادة وقد نيطت امور الاخرة
جميعا بها وبما بعدها من البعث نظمهما في نمط واحد في قوله تعالى **والذي يميتني ثم يحيين** علي ان الموت لكونه ذريعة الي نيله
عليه السلام للحياة الابدية بمعزل من ان يكون غير مطبوع عنده عليه السلام **والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين** ذكره عليه
السلام هضما لنفسه وتعليما للامة ان يجتنبوا المعاصي ويكونوا علي حذر وطلب مغفرة لما يفرط منهم وتلافيا لما عسى يندر منه
عليه السلام من الصغائر وتنبيها لابيه وقومه ان يتأملوا في امرهم فيقفوا علي انهم من سوء الحال في درجة لا يقادر قدرها
فان حاله عليه السلام مع كونه في طاعة الله تعالى وعبادته في الغاية القاصية حيث كانت بتلك المثابة فما ظنك بحال
اولئك المغمورين في الكفر وفنون المعاصي والخطايا وحمل الخطيئة علي كلماته الثلاث اني سقيم بل فعله كبيرهم وقوله لسارة
هي اختي مما لا سبيل اليه لانها مع كونها معاريض لا من قبيل الخطايا المفتقرة الي الاستغفار انما صدرت عنه عليه السلام بعد
هذه المقاولة الجارية بينه وبين قومه اما الثانية فظاهر لوقوعها بعد مهاجرته عليه السلام الي الشام واما الاوليان فلانهما
وقعتا مكتنفتين بكسر الاصنام ومن البين ان جريان هذه المقالات فيما بينهم كان في مبادي الامر وتعليق مغفرة الخطيئة بيوم
الدين مع انها انما تغفر في الدنيا لان اثرها يومئذ يتبين ولان في ذلك تهويلا له واشارة الي وقوع الجزاء فيه ان لم تغفر
رب هب لي حكما بعد ما ذكر عليه السلام لهم فنون الالطاف الفايضة عليه من الله عز وجل من مبدأ خلقه الي يوم بعثه حمله
ذلك علي مناجاته تعالى ودعائه لربط النعم وجلب المزيد والحكم والحكمة التي هي الكمال في العلم والعمل بحيث يتمكن به من خلافة الحق
ورياسة الخلق **والحقني بالصالحين** ووفقني من العلوم والاعمال والملكات لما يرشحني للانتظام في زمرة الكاملين الراسخين في الصلاح
المنزهين عن كبائر الذنوب وصغائرها او اجمع بيني وبينهم في الجنة ولقد اجابه تعالى حيث قال وانه في الاخرة لمن الصالحين
واجعل لي لسان صدق في الآخرين اي جاها وحسن صيت في الدنيا بحيث يبقى اثره الي يوم الدين ولذلك لا ترى امة من الامم الا وهي
محبة له ومثنية عليه او صادقا من ذريتي يجدد اصل ديني ويدعو الناس الي ما كنت ادعوهم اليه من التوحيد وهو النبي عليه
الصلاة والسلام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انا دعوة ابي ابرهيم **واجعلني** في الاخرة **من ورثة جنة النعيم** وقد مر معنى
الوراثة في سورة مريم **واغفر لابي** بالهداية والتوفيق للايمان كما يلوح به تعليله بقوله تعالى **انه كان من الضالين** اي طريق الحق
وقد مر تحقيق المقام في تفسير سورة التوبة وسورة مريم بما لا مزيد عليه **ولا تخزني** بمعاتبتي علي ما فرطت او بنقص رتبتي عن بعض
الوراث او بتعذيبي لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا وكل ذلك مبني علي هضم النفس منه عليه السلام او بتعذيب والدي او
ببعثه في عداد الضالين بعد توفيقه للايمان وهو من الخزي بمعنى الهوان او من الخزاية بمعنى الحياء **يوم يبعثون** اي الناس كافة
والاضمار لما في عموم البعث من الشهرة الفاشية المغنية عنه وتخصيصه بالضالين مما يخل بتهويل اليوم **يوم لا
ينفع مال ولا بنون** بدل من يوم يبعثون جيء به تأكيدا للتهويل وتمهيدا لما يعقبه من الاستثناء وهو من اعم المفاعيل اي لا ينفع
مال وان كان مصروفا في الدنيا الي وجوه البر والخيرات ولا بنون وان كانوا صلحاء مستأهلين للشفاعة لا ينفعان احدا **الا من اتى الله
بقلب سليم** اي عن مرض الكفر والنفاق ضرورة اشتراط نفع كل منهما بالايمان وفيه تأكيد لكون استغفاره عليه السلام لابيه
طلبا لهدايته الي الايمان لاستحالة طلب مغفرته بعد موته كافرا مع علمه عليه السلام بعدم نفعه لانه من باب الشفاعة **وقيل**
هو استثناء من فاعل ينفع بتقدير المضاف اي الا مال من او بنو من اتى الله الاية **وقيل** المضاف محذوف ليس من جنس المستثنى
منه حقيقة بل هو بضرب من الاعتبار كما في قوله • تحية بينهم ضرب وجيع • اي الا حال من اتى الله بقلب سليم علي انها عبارة عن سلامة
قلب من اتى الله الاية **وقيل** المضاف محذوف ما دل عليه المال والبنون من الغنى وهو المستثنى منه كانه قيل يوم لا ينفع غنى

الغني

الا غنى من اتى الله الاية لان غنى المرء في دينه بسلامة قلبه **وقيل** الاستثناء منقطع والمعنى لكن سلامة قلب من تنفعه
وازلفت الجنة للمتقين عطف علي لا ينفع وصيغة الماضي فيه وفيما بعده من الجمل المنتظمة معه في سلك العطف عليه للدلالة
علي استمرار انتفاع النفع ودوامه حسبما يقتضيه مقام التهويل والتفظيع اي قربت الجنة للمتقين عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها
من الموقف ويقفون علي ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون بانهم المحشورون اليها **وبرزت الجحيم للغاوين** الضالين عن طريق الحق الذي
هو الايمان والتقوى اي جعلت بارزة لهم بحيث يرونها مع ما فيها من انواع الاهوال الهائلة ويوقنون بانهم مواقعوها ولا يجدون
عنها مصرفا **وقيل لهم اين ما كنتم تعبدون من دون الله** اين الهتكم الذين كنتم تزعمون في الدنيا انهم شفعاؤكم في هذا الموقف
هل ينصرونكم بدفع العذاب عنكم **او ينتصرون** بدفعه عن انفسهم وهذا سؤال تقريع وتبكيت لا يتوقع له جواب ولذلك قيل **فكبكبوا
فيها** اي القوا في الجحيم علي وجوههم مرة بعد اخرى الي ان يستقروا في قعرها **هم** اي الهتهم **والغاوون** الذين كانوا يعبدونهم
وفي تأخيرهم عن ذكر الهتهم رمزا الي انهم مؤخرون عنها في الكبكبة ليشاهدوا سوء حالها فيزدادوا غما الي غمهم **وجنود ابليس**
اي شياطينه الذين كانوا يغوونهم ويوسوسون اليهم ويسولون لهم ما هم عليه من عبادة الاصنام وساير فنون الكفر والمعاصي
ليجتمعوا في العذاب حسبما كانوا مجتمعين فيما يوجبه وقيل متبعوه من عصاة الثقلين والاول هو الوجه **اجمعون** تأكيد للضمير
وما عطف عليه وقوله تعالى **قالوا** الي اخره استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية حالهم كانه قيل ماذا قالوا حين فعل
بهم ما فعل فقيل قالوا اي العبدة **وهم فيها يختصمون** اي قالوا معترفين بخطائهم في انهماكهم في الضلال متحسرين معيرين
لانفسهم والحال انهم في الجحيم بصدد الاختصام مع من معهم من المذكورين مخاطبين لمعبودهم علي ان الله تعالى يجعل الاصنام
صالحة للاختصام بان يعطيها القدرة علي الفهم والنطق **تالله ان كنا لفي ضلال مبين** ان مخففة من الثقيلة قد حذف اسمها
الذي هو ضمير الشان واللام فارقة بينها وبين النافية اي ان الشان كنا في ضلال واضح لا خفاء فيه ووصفهم له بالوضوح الحق
كما ينبئ عنه تصدير قسمهم بحرف التاء المشعرة بالتعجب وقوله تعالى **اذ نسويكم برب العالمين** ظرف لكونهم في ضلال مبين وقيل
لما دل عليه الكلام اي ضللنا وقيل للضلال المذكور وان كان فيه ضعف صناعي من حيث ان المصدر الموصوف لا يعمل بعد
الوصف وقيل ظرف لمبين وصيغة المضارع لاستحضار الصورة الماضية اي تالله لقد كنا في غاية الضلال الفاحش وقت
تسويتنا اياكم ايها الاصنام في استحقاق العبادة برب العالمين الذي انتم ادنى مخلوقاته واذلهم واعجزهم وقولهم **وما
اضلنا الا المجرمون** بيان لسبب ضلالهم بعد اعترافهم بصدوره عنهم لكن لا علي كونه بسبب اضلالهم من عنوان يستقلوا في
تحققه او يكون بسبب اضلال الغير كانه قيل وما صدر عنا ذلك الضلال الفاحش الا بسبب اضلالهم والمراد بالمجرمين
الذين اضلوهم رؤساؤهم وكبراؤهم كما في قوله تعالى ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا **وعن** السدي
هم الاولون الذين اقتدوا بهم وايا ما كان ففيه اقرار ونصيب من التعريض للذين قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون
وعن ابن جريج ابليس وابن ادم القاتل لانه اول من سن القتل وانواع المعاصي **فما لنا من شافعين** كما للمؤمنين من
الملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام **ولا صديق حميم** كما نرى لهم اصدقاء او فما لنا من شافعين ولا صديق حميم
الذين كانوا نعدهم شفعاء واصدقاء علي ان عدمهما كناية عن عدم نفعهما لما ان عدم المحبة في مثل قوله تعالى والله لا
يحب الفساد كناية عن البغض حسبما ينبئ عنه قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او وقعنا
في مهلكة لا يخلصنا ها هنا شافع ولا صديق علي ان المراد بعدمهما عدم اثرهما وجمع الشافع لكثرة الشفعاء عادة
كما ان افراد الصديق لقلته او لصحة اطلاقه علي الجمع كالعدو تشبيها لهما بالمصادر كالحنين والقبول وكلمة لو في
قوله تعالى **فلو ان لنا كرة** للتمني لما ان بين معنييهما تلاقيا في معنى الفرض والتقدير كانه قيل فليت لنا كرة
اي رجعة الي الدنيا وقيل هي علي اصلها من الشرط وجوابه محذوف كانه قيل فلو ان لنا كرة لفعلنا من الخيرات كيت
وكيت وياباه قوله تعالى **فنكون من المؤمنين** لتحتم كونه جوابا للتمني مفيدا لترتب ايمانهم علي وقوع الكرة البتة بلا تخلف
كما هو مقتضى حالهم وعطفه علي كرة علي طريقة لبس عباءة وتقر عيني كما يستدعيه كون لو علي اصلها انما يفيد تحقق
مضمون الجواب علي تقدير تحقق كرتهم وايمانهم معا من غير دلالة علي استلزام الكرة للايمان اصلا مع انه المقصود حتما

ان في ذلك اي فيما ذكر من نبأ ابرهيم عليه السلام المشتمل على بيان بطلان ما كان عليه اهل مكة من عبادة الاصنام وتفصيل ما
يؤل اليه امر عبادتها يوم القيمة من اعترافهم بخطائهم الفاحش وندمهم وتحسرهم على ما فاتهم من الايمان وتمنيهم الرجعة الى الدنيا
ليكونوا من المؤمنين عند مشاهدتهم لما ازلفت لهم جنات النعيم وبرزت لانفسهم الجحيم وغشيهم ما غشيهم من الوان العقاب وانواع
العقاب لاية اي اية عظيمة لا يقادر قدرها موجبة على عبادة الاصنام كافة لا سيما اهل مكة الذين يدعون انهم على ملة
ابرهيم عليه السلام ان يجتنبوا كل الاجتناب ما كانوا عليه من عبادتها خوفا ان يحيق بهم ما حاق باولئك من العذاب بحكم الاشتراك
فيما يوجبه وان في ذكر نبائه وتلاوته عليهم على ما هو عليه من غير ان تسمعه من احد لاية عظيمة دالة على ان ما نتلوه عليهم وحي
صادق نازل من جهة الله تعالى موجبة للايمان به قطعا وما كان اكثرهم مؤمنين اي اكثر هؤلاء الذين نتلو عليهم النبأ مؤمنين
بل هم مصرون على ما كانوا عليه من الكفر والضلال واما ان ضمير اكثرهم لقوم ابرهيم عليه السلام كما توهموا فمما لا سبيل اليه
اصلا لظهور انهم ما ازدادوا بما سمعوا منه عليه السلام الا طغيانا وكفرا حتى اجترؤا على تلك العظيمة التي فعلوا به عليه
السلام فكيف يعبر عنهم بعدم ايمان اكثرهم وانما امن له لوط فنجاهما الله عز وجل الى الشام وقد مر بقية الكلام في اخر قصة
موسى عليه السلام وان ربك لهو العزيز الرحيم اي هو القادر على تعجيل العقوبة ولكنه يمهلهم بحكم رحمته الواسعة ليؤمن
بعض منهم او من ذرياتهم كذبت قوم نوح المرسلين القوم مؤنث ولذلك يصغر على قويمة وقيل القوم بمعنى الامة
وتكذيبهم للمرسلين اما باعتبار اجماع الكل على التوحيد واصول الشرايع التي لا تختلف باختلاف الازمنة والاعصار
واما لان المراد بالجمع الواحد كما يقال فلان يركب الدواب ويلبس البرود وما له الا دابة وبرده واذ في قوله تعالى اذ قال
ظرف للتكذيب على انه عبارة عن زمان مديد وقع فيه ما وقع من الجانبين الى تمام الامر كما ان تكذيبهم عبارة عما صدر عنهم
من حين ابتداء دعوته عليه السلام الى انتهائها اخوهم اي نسيبهم نوح الا تتقون الله حيث تعبدون غيره اني لكم رسول
من جهته تعالى امين مشهور بالامانة فيما بينكم فاتقوا الله واطيعون فيما امركم به من التوحيد والطاعة لله تعالى
وما اسئلكم عليه اي على ما انا متصد له من الدعاء والنصح من اجر ان اجري فيما اتولاه الا على رب العالمين والفاء في
قوله تعالى فاتقوا الله واطيعون لترتيب ما بعدها على ما قبلها من تنزهه عليه السلام من الطمع كما ان نظيرتها المتقدمة
لترتيب ما بعدها على امانته والتكرير للتاكيد والتنبيه على ان كلا منهما مستقل في ايجاب التقوى والطاعة فكيف
اذا اجتمعا وقرئ ان اجري بسكون الياء قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون اي الاقلون جاها ومالا جمع الارذل على الصحة
فانه بالغلبة صار جاريا مجرى الاسم كالاكبر والاكابر وقيل جمع ارذل كالاكالب واكلب وكلب وقرئ واتباعك
وهو جمع تابع كشاهد واشهاد او جمع تبع كبطل وابطال يعنون انه لا عبرة باتباعهم لك اذ ليس لهم رزانة عقل ولا اصالة
راي وقد كان ذلك منهم في بادي الراي كما ذكر في موضع اخر وهذا من كمال سخافة عقولهم وقصرهم انظارهم على حطام الدنيا
وقد كان وكون الاشرف عندهم من هو اكثر منها حظا والارذل من حرمها وجهلهم بانها لا تزن عند الله جناح بعوضة وان
النعيم هو نعيم الاخرة والاشرف من فاز به والارذل من حرمه قال وما علمي بما كانوا يعملون جواب عما اشير اليه من قولهم انهم لم
يؤمنوا عن نظر وبصيرة اي وما وظيفتي الا اعتبار الظواهر وبناء الاحكام عليها دون التفتيش عن بواطنهم والشق عن قلوبهم
ان حسابهم اي ما محاسبة اعمالهم والتعبير عن كيفياتها البارزة والكامنة الا على ربي فانه المطلع على السرائر والضمائر
لو تشعرون اي بشيء من الاشياء او لو كنتم من اهل او لو كنتم من اهل الشعور لعلمتم ذلك ولكنكم لستم كذلك فتقولون ما تقولون
وما انا بطارد المؤمنين جواب عما اوهمه كلامهم من استدعاء طردهم وتعليق ايمانهم بذلك حيث جعلوا اتباعهم مانعا عنه
وقوله تعالى ان انا الا نذير مبين كالعلة له اي ما انا الا رسول مبعوث لانذار المكلفين وزجرهم عن الكفر والمعاصي سواء كانوا
من الاعزاء او الاذلاء فكيف يتسنى لي طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء او ما على الا انذاركم بالبرهان الواضح وقد فعلته وما علي استرضاء
بعضكم بطرد الاخرين قالوا لئن لم تنته يا نوح عما تقول لتكونن من المرجومين من المشتومين او المرميين بالحجارة قالوه قاتلهم الله في اخر الامر
ومعنى قوله تعالى قال رب ان قومي كذبون تموا على تكذيبي واصروا على ذلك بعدما دعوتهم هذه الازمنة المتطاولة ولم يزدهم دعائي
الا فرارا كما يعرب عنه دعاؤه بقوله فافتح بيني وبينهم فتحا اي احكم بيننا بما يستحقه كل واحد منا وهذه حكاية اجمالية لدعائه المفصل

في سورة نوح ونجني ومن معي من المؤمنين اي من قصدهم او من شوم اعمالهم فانجيناه ومن معه حسب دعائه في الفلك المشحون
اي المملوء بهم وبما لا بد لهم ثم اغرقنا بعد اي بعد انجائهم الباقين اي من قومه ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو
العزيز الرحيم
الكلام فيه كالذي مر خلا ان حمل اكثرهم على اكثر قوم نوح ابعد من السداد وابعد كذبت عاد المرسلين انث عاد باعتبار القبيلة وهو
اسم ابيهم الاقصى اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون الكلام في ان المراد بتكذيبهم وبما وقع فيه من الزمان ما ذكر مر في صدر قصة
نوح عليه السلام اي الا تتقون الله تعالى فتفعلون ما تفعلون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري
الا على رب العالمين الكلام فيه كالذي مر وتصدير القصص به للتنبيه على ان مبنى البعثة هو الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما
يقرب المدعو الى الثواب ويبعده من العقاب وان الانبياء عليهم السلام مجمعون على ذلك وان اختلفوا في بعض فروع الشرائع
المختلفة باختلاف الازمنة والاعصار وانهم متنزهون عن المطامع الدنيئة والاغراض الدنيوية بالكلية اتبنون بكل ريع
اي مكان مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها اية علما للمارة تعبثون ببنائها اذ كانوا يهتدون بالنجوم في اسفارهم فلا
يحتاجون اليها او بروج الحمام او بنيانا يجتمعون اليه ليعبثوا بمن مر عليهم او قصورا عالية يفتخرون بها وتتخذون مصانع اي
ماخذ الماء وقيل قصورا مشيدة وحصونا لعلكم تخلدون اي راجين ان تخلدوا في الدنيا او عاملين عمل من يرجو ذلك
فلذلك تحكمون بنيانها واذا بطشتم بسوط او سيف بطشتم جبارين متسلطين غاشمين بلا رافة وقصد تاديب ولا
نظر في العاقبة فاتقوا الله واتركوا هذه الافعال واطيعون فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم واتقوا الذي امدكم بما تعلمون
من الوان النعماء واصناف الالاء اجملها اولا ثم فصلها بقوله امدكم بانعام وبنين باعادة الفعل لزيادة التقرير فان
التفصيل بعد الاجمال والتفسير اثر الابهام ادخل في ذلك وجنات وعيون اني اخاف عليكم ان لم تقوموا بشكر هذه النعم
عذاب يوم عظيم في الدنيا والاخرة فان كفران النعمة مستتبع للعذاب كما ان شكرها مستلزم لزيادتها قال تعالى لئن شكرتم
لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين فانا لن نرعوي عما نحن عليه وتغيير الشق
الثاني عن مقابله للمبالغة في بيان قلة اعتدادهم بوعظه كانهم قالوا ام لم تكن من اهل الوعظ ومباشرته اصلا ان هذا ما
هذا الذي جئتنا به الا خلق الاولين اي عادتهم كانوا يلفقون مثله ويسطرونه او ما نحن عليه من الموت والحيوة الا
عادة قديمة لم يزل الناس عليها وقرئ خلق الاولين بفتح الخاء اي اختلاق الاولين كما قالوا اساطير الاولين او ما
خلقنا هذا الا خلقهم نحيا كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب وما نحن بمعذبين على ما نحن عليه من الاعمال فكذبوه
اي اصروا على ذلك فاهلكناهم بسببه بريح صرصر ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون الله تعالى اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري
الا على رب العالمين اتتركون فيما هاهنا امنين انكار ونفي لان يتركوا فيما هم فيه من النعمة او تذكير للنعمة في تخليته تعالى
اياهم سبب تنعمهم امنين وقوله تعالى في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم تفسير لما قبله من المبهم
والهضيم اللطيف اللين للطف الثمر او لان النخل انثى وطلع الاناث الطف وهو ما يطلع منها كنصل السيف في
جوفه شماريخ القنو ومنه دل متكسر من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله على سائر اشجار الجنات او لان المراد بها غيرها
من الاشجار وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين بطرين او حاذقين من الفراهة وهي النشاط فان الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب
وقرئ فرهين وهو ابلغ فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين استعير الطاعة التي هي انقياد الامر لامتثال الامر
وارتسامه او نسب حكم الامر الى امر مجازا الذين يفسدون في الارض وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف ولا يصلحون
على يفسدون لبيان خلوص افسادهم عن مخالطة الاصلاح قالوا انما انت من المسحرين اي الذين سحروا حتى غلب على عقولهم
او من ذوي السحر اي الرئة من الانس فيكون قوله تعالى ما انت الا بشر مثلنا تاكيدا له فات باية ان كنت من الصادقين اي في دعواك
قال هذه ناقة اي بعدما اخرجها الله من الصخرة بدعائه عليه السلام حسبما مر تفصيله في سورة الاعراف وسورة هود
لها شرب اي نصيب من الماء كالسقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم ولكم شرب يوم معلوم فاقنعوا بشربكم
ولا تزاحموا على شربها ولا تمسوها بسوء بضرب وعقر فياخذكم عذاب يوم عظيم وصف اليوم بالعظم لعظم ما يحل فيه وهو

هذا الذي صح

بع

ك

بكم

ابلغ من تعظيم العذاب فعقروها اسند العقر الى كلهم لما ان عاقرها برايهم ولذلك عمهم العذاب فاصبحوا نادمين خوفا
من حلول العذاب لا توبة او عند معاينتهم لمباديه ولذلك لم ينفعهم الندم وان كان بطريق التوبة فاخذهم العذاب اي
العذاب الموعود ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قيل في نفي الايمان عن اكثرهم في هذا المعرض ايما
الى انه لو آمن اكثرهم او شطرهم لما اخذوا بالعذاب وان قريشا انما عصموا من مثله ببركة من آمن منهم وانت خبير بان قريشا هم
المشهورون بعدم ايمان اكثرهم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون
وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتاتون الذكران من العالمين ٥ اي اتاتون
من بني آدم من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم او اتاتونهم من اولاد آدم مع كثرتهم وغلبة النساء مع كونهن اليق بالاستمتاع
فالمراد بالعالمين على الاول كل ما ينكح من الحيوان وعلى الثاني الناس وتذرون ما خلق لكم ربكم لاجل استمتاعكم وكلمة من في قوله تعالى
من ازواجكم للبيان اذا اريد بها جنس الاناث وهو الظاهر وللتبعيض ان اريد بها العضو المباح منهن تعريضا بانهم كانوا
يفعلون ذلك بنسائهم ايضا بل انتم قوم عادون متعدون منهجا ورزوف الحد في جميع المعاصي وهذا وهذا من جملتها وقيل
متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات قالوا لئن لم تنته يا لوط اي عن تقبيح امرنا او نهينا عنه او عن
عن دعوى النبوة التي من جملة النبوة احكامها التعرض لنا لتكونن من المخرجين اي من المنفيين من قريتنا وكانهم كانوا يخرجون من اخرجوه
من بينهم على عنف وسوء حال قال اني لعملكم من القالين اي من المبغضين غاية البغض كانه يقلي الفؤاد والكبد لشدته وهو ابلغ من ان يقال
اني لعملكم قال لدلالته على انه عليه السلام من زمرة الراسخين في بغضه المشهورين في قلاه ولعله عليه السلام اراد اظهار الكراهة
من مساكنتهم والرغبة في الخلاص من سوء جوارهم ولذلك اعرض عن محاورتهم وتوجه الى الله تعالى قائلا رب نجني واهلي مما يعملون
اي من سوء عملهم وغائلته فنجيناه واهله اجمعين اي اهل بيته ومن اتبعه في الدين باخراجهم من بينهم عند مشارفة حلول العذاب
بهم الا عجوزا هي امراة لوط استثنيت من اهله فلا يضره كونها كافرة لان لها شركة في الاهلية بحق الزواج في الغابرين اي مقدرة كونها
من الباقين في العذاب لانها كانت مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقد اصابها الحجر في الطريق فاهلكها كما مر في سورة الحجر وسورة
هود وقيل كانت فيمن بقي بالقرية ولم تخرج مع لوط عليه السلام ثم دمرنا الآخرين اهلكناهم اشد اهلاك وافظعه وامطرنا
عليهم مطرا اي مطرا غير معهود وقيل امطر الله تعالى على شذاذ القوم حجارة فاهلكتهم فساء مطر المنذرين اللام فيه للجنس
وبه يتسنى وقوع المضاف اليه فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الايكة المرسلين الغيضة التي تنبت ناعم الشجر وهي غيضة بقرب مدين يسكنها طائفة
وكانوا ممن بعث اليهم شعيب عليه السلام وكان اجنبيا منهم ولذلك قيل اذ قال لهم شعيب الا تتقون ولم يقل اخوهم وقيل الايكة
الشجر الملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرئ بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئت كذلك مفتوحة على انها ليكة
وهي اسم بلدهم وانما كتبت هاهنا وفي ص بغير الف اتباعا للفظ اللافظ اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما
اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اوفوا الكيل اي اتموه ولا تكونوا من المخسرين اي حقوق الناس بالتطفيف
وزنوا اي الموزونات بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو ان كان عربيا فان كان من القسط ففعلاس بتكرير العين والا ففعلال
وقرئ بضم القاف ولا تبخسوا الناس اشياءهم اي لا تنقصوا شيئا من حقوقهم اي حق كان وهذا تعميم بعد تخصيص بعض المراد لبعض
المراد بالذكر لغاية انهماكهم فيها ولا تعثوا في الارض مفسدين بالقتل والغارة وقطع الطريق واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين اي
وذوي الجبلة الاولين وهم من تقدمهم من الخلائق وقرئ بضم الجيم والباء وبكسر الجيم وسكون الباء كالخلقة قالوا انما انت من
المسحرين وما انت الا بشر مثلنا ادخال الواو بين الجملتين للدلالة على ان كلا من التسحير والبشرية مناف للرسالة مبالغة
في التكذيب وان نظنك لمن الكاذبين اي فيما تدعيه من النبوة فاسقط علينا كسفا من السماء اي قطعا وقرئ بسكون السين وهو
ايضا جمع كسفة وقيل الكسف والكسفة كالريع والريعة وهي القطعة والمراد بالسماء اما السحاب او الظلة ولعله جواب لما
اشعر به الامر بالتقوى من التهديد ان كنت من الصادقين في دعواك ولم يكن طلبهم ذلك الا لتصميمهم على الجحود والتكذيب والا
لما اخطروه ببالهم فضلا ان يطلبوه قال ربي اعلم بما تعملون من الكفر والمعاصي وبما تستحقون بسببه من العذاب فسينزله عليكم

في وقته المقدر لا محالة فكذبوه اي فتموا على تكذيبه واصروا عليه فاخذهم عذاب يوم الظلة حسبما اقترحوا اما ان ارادوا
بالسماء السحاب فظاهر واما ان ارادوا المظلة فلان نزول العذاب من جهتها وفي اضافة العذاب الى يوم الظلة دون نفسها
ايذان بان لهم يومئذ عذابا آخر غير عذاب الظلة وذلك بان سلط الله عليهم الحر سبعة ايام ولياليها فاخذهم بانفاسهم لا ينفعهم
ظل ولا ماء ولا شرب فاضطروا الى ان خرجوا الى البرية فاظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم
نارا فاحترقوا جميعا روي ان شعيبا عليه السلام بعث الى امتين اصحاب مدين واصحاب الايكة فاهلكت مدين بالصيحة
والرجفة واصحاب الايكة بعذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم في الشدة والهول وفظاعة ما وقع فيه من الطامة
والداهية التامة ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم هذا آخر القصص السبع التي
اوحيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لصرفه عليه الصلوة والسلام عن الحرص على اسلام قومه وقطع رجائه عنه ودفع تحسره
على فواته تحقيقا لمضمون ما مر في مطلع السورة الكريمة من قوله تعالى وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين
فقد كذبوا الآية فان كل واحدة من هذه القصص ذكر مستقل بتجدد التنزول قد اتاهم من جهته تعالى بموجب رحمته الواسعة
وما كان اكثرهم مؤمنين بعد ما سمعوها على التفصيل قصة بعد اخرى لا بان يتدبروا فيها ويعتبروا بما في كل واحدة منها من الدواعي
الى الايمان والزواجر عن الكفر والطغيان ولا بان يتاملوا في شان الآيات الكريمة الناطقة بتلك القصص على ما هي عليه مع
علمهم بانه عليه الصلوة والسلام لم يسمع شيئا منها من احد اصلا واستمروا على ما كانوا عليه من الكفر والضلال كانهم لم يسمعوا
شيئا يزجرهم عن ذلك قطعا كما حقق في خاتمة قصة موسى عليه السلام وانه اي ما ذكر من الآيات الكريمة الناطقة بالقصص
المحكية او هو الذي من جملته لتنزيل رب العالمين انه منزل من جهته تعالى سمي به مبالغة ووصفه تعالى بربوبية
العالمين للايذان بان تنزيله من احكام تربيته تعالى ورافته للكل كقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين نزل به
اي انزله الروح الامين اي جبريل عليه السلام فانه امين وحيه تعالى وموصله الى انبيائه عليهم السلام وقرئ بتشديد
الزاي ونصب الروح والامين اي جعل الله تعالى الروح الامين نازلا به على قلبك اي روحك وان اريد به العضو فتخصيصه
به لان المعاني الروحانية تنزل اولا على الروح ثم تنتقل منه الى القلب لما بينهما من التعلق ثم تتصعد الى الدماغ فتنتقش
بها لوح المخيلة لتكون من المنذرين متعلق بنزل به اي انزله لتنذرهم بما في تضاعيفه من العقوبات الهائلة وايثار ما عليه
النظم الكريم للدلالة على انتظامه عليه السلام في سلك اولئك المنذرين المشهورين في حقيقة الرسالة وتقرر وقوع العذاب
المنذر بلسان عربي مبين واضح المعنى ظاهر المدلول لئلا يبقى لهم عذر ما وهو ايضا متعلق بنزل به وتاخيره للاعتناء بامر
الانذار وللايماء الى ان مدار كونه من جملة المنذرين المذكورين عليهم السلام مجرد انزاله عليه عليه الصلوة والسلام لا
انزاله باللسان العربي وجعله متعلقا بالمنذرين كما جوزه الجمهور يؤدي الى ان غاية الانزال كونه عليه الصلوة والسلام
من جملة المنذرين باللغة العربية فقط من هود وصالح وشعيب ولا يخفى فساده كيف لا والطامة الكبرى في باب الانذار
ما انذره نوح وموسى عليهما السلام واشد الزواجر تاثيرا في قلوب المشركين ما انذره ابرهيم عليه السلام لانتمائهم انهم
على ملته عليه السلام وانه لفي زبر الاولين اي وان ذكره او معناه لفي الكتب المتقدمة فان احكامه التي لا تحتمل النسخ
والتبديل بحسب تبدل الاعصار من التوحيد وسائر ما يتعلق بالذات والصفات مسطورة فيها وكذا ما في تضاعيفه من
المواعظ والقصص وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بواضح اولم يكن لهم آية الهمزة للانكار والنفي
والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام كانه قيل اغفلوا عن ذلك ولم يكن لهم آية دالة على انه تنزيل من رب العالمين
وانه في زبر الاولين على ان لهم متعلق بالكون قدم على اسمه وخبره للاهتمام به او بمحذوف هو حال من آية قدمت عليها
لكونها نكرة وآية خبر للكون قدم على اسمه الذي هو قوله تعالى ان يعلمه علماء بني اسرائيل لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق
الى المؤخر اي ان يعرفوه بنعوته المذكورة في كتبهم ويعرفوا من نزل عليه وقرئ تكن بالتانيث وجعلنا آية اسما وان
يعلمه خبرا وفيه ضعف حيث وقع النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد قيل في تكن ضمير القصة وآية ان يعلمه جملة واقعة موقع
الخبر ويجوز ان يكون لهم آية هي جملة الشان وان يعلمه بدلا من آية ويجوز مع نصب آية تانيث يكن كما في قوله تعالى ثم لم

نكن فتنتهم الآن قالوا والله وقري نعلمه بالتاء ولو نزلناه كما هو بنظمه الرائق المعجز على بعض الاعجمين الذين لا يقدرون على التكلم بالعربية وهو جمع اعجمي على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة وقرئ الاعجميين وفي لفظ البعض اشارة الى كون ذلك واحدا من عرض تلك الطائفة كائنا من كان فقراه عليهم قراءة صحيحة خارقة للعادات ما كانوا به مومنين مع انضمام اعجاز القراءة الى اعجاز المقرو لفرط عنادهم وشدة شكيمتهم في المكابرة وقيل المعنى ولو نزلناه على بعض الاعجمين بلغة العجم فقراه عليهم ما كانوا به مومنين لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم وليس بذاك فانه بمعزل من المناسبة لبيان تماديهم في المكابرة والعناد كذلك سلكناه اي مثل ذلك السلك البديع المذكور سلكناه اي ادخلنا القران في قلوب المجرمين ففهموا معانيه وعرفوا فصاحته وانه خارج عن القوى البشرية من حيث النظم المعجز ومن حيث الاخبار عن الغيب وقد انضم اليه اتفاق علماء اهل الكتب المنزلة على تضمنها للبشارة بانزاله و بعثة من انزل عليه باوصافه فقوله تعالى لا يومنون به جملة مستانفة مسوقة لبيان انهم لا يتاثرون بامثال تلك الداعية الى الايمان به بل يستمرون على ما هم عليه حتى يروا العذاب الاليم الملجي الى الايمان به حين لا ينفعهم الايمان فياتيهم بغتة اي فجاة في الدنيا والاخرة وهم لا يومنون باتيانه فيقولوا هل نحن منظرون تحسرا على ما فات من الايمان وتمنيا للامهال لتلافي ما فرطوه وقيل معنا كذلك سلكناه مثل تلك الحال وتلك الصفة من الكفر والتكذيب ولو صيعناه في قلوبهم وقوله تعالى لا يومنون به في موضع الايضاح والتلخيص له او في موقع الحال اي سلكناه فيها غير مومنين به والاول هو الانسب بمقام بيان غاية عنادهم ومكابرتهم مع تعاضد ادلة الايمان وتاخر مبادي الهداية والارشاد وانقطاع اعذارهم بالكلية وقيل ضمير سلكناه للكفر المدلول عليه بما قبله من قوله تعالى ما كانوا به مومنين ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن ومجاهد رحمهما الله ادخلنا الشرك والتكذيب في قلوب المجرمين افبعذابنا يستعجلون بقولهم امطر علينا حجارة من السماء او ايتنا بعذاب اليم وقولهم فاتنا بما تعدنا ونحوهما وحالهم عند نزول العذاب كما وصف من طلب الانظار فالفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي ايكون حالهم كما ذكر من الاستنظار عند نزول العذاب الاليم فيستعجلون بعذابنا وبينهما من التنافي ما لا يخفى على احد او يغفلون عن ذلك مع تحققه وتقرره فيستعجلون الى آخره وانما قدم الجار والمجرور للايذان بان مصب الانكار والتوبيخ كون المستعجل به عذابه تعالى مع ما فيه من رعاية الفواصل افرايت لما كانت الروية من اقوى اسباب الاخبار بالشيء واشهرها شاع استعمال ارايت في معنى اخبرني والخطاب لكل من يصلح له كائنا من كان والفاء لترتيب الاستخبار على قولهم هل نحن منظرون وما بينهما اعتراض للتوبيخ والتبكيت وهي متقدمة في المعنى على الهمزة وتاخيرها عنها صورة لاقتضاء الهمزة الصدارة كما هو راي الجمهور اي فاخبرني ان متعناهم سنين متطاولة بطول الاعمار وطيب المعايش ثم جاءهم ما كانوا يوعدون من العذاب ما اغنى عنهم اي اي شيء او اي غناء اغنى عنهم ما كانوا يمتعون اي كونهم ممتعين ذلك التمتع المديد على ان ما مصدرية او ما كانوا يمتعون به من متاع الحيوة الدنيا على انها موصولة حذف عايدها وايا ما كان فالاستفهام للانكار والنفي وقيل ما نافية اي لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه والاول هو الاولى لكونه اوفق لصورة الاستخبار وادل على انتفاء الاغناء على ابلغ وجه واكده كان كل من من شانه الخطاب قد كلف بان يخبر بان تمتيعهم ماذا افادهم واي شيء اغنى عنهم فلم يقدر احد على ان يخبر بشيء من ذلك اصلا وقرئ يمتعون من الامتاع وما اهلكنا من قرية من القرى المهلكة الا لها منذرون قد انذروا اهلها الزاما للحجة ذكرى اي تذكرة ومحلها النصب على العلة او المصدر لانها في معنى الانذار كانه قيل مذكرون ذكرى او على انه مصدر موكد لفعل هو صفة المنذرون اي الا لها منذرون يذكرونهم ذكرى او الرفع على انها صفة منذرون باضمار ذوو او بجعلهم ذكرى لامعانهم في التذكير او خبر مبتدا محذوف والجملة اعتراضية وضميرها المقرى المدلول عليها بمفردها الواقع في حيز النفي على معنى ان للكل منذرين اعم من ان يكون لكل قرية منها منذر واحد او اكثر وما كنا ظالمين فنهلك غير الظالمين وقيل الانذار ليس بظلم اصلا على ما تقرر من قاعدة اهل السنة لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره

عنه تعالى

عنه تعالى من الظلم وقد مر في سورة ال عمران عند قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد وما تنزلت به الشياطين رد لما زعمه الكفرة في حق القران الكريم من قبيل ما يلقيه الشياطين على الكهنة بعد تحقيق الحق ببيان انه نزل به الروح الامين وما ينبغي لهم اي وما يصح وما يستقيم لهم ذلك وما يستطيعون ذلك اصلا انهم عن السمع لكلام الملائكة لمعزولون لانتفاء المشاركة بينهم وبين الملائكة في صفاء الذوات والاستعداد لقبول فيضان انوار الحق والانتقاش بصور العلوم الربانية والمعارف النورانية كيف لا ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات غير مستعدة الا لقبول ما لا خير فيه اصلا من فنون الشرور فمن اين لهم ان يحوموا حول القران الكريم المنطوي على الحقايق الرائقة الغيبية التي لا يمكن تلقيها الا من الملائكة عليهم السلام فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم مع ظهور استحالة صدور المنهي عنه عليه الصلوة والسلام تهييجا وحثا على ازدياد الاخلاص ولطفا بسائر المكلفين ببيان ان الاشراك من القبح والسوء بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه فكيف بمن عداه وانذر العذاب الذي يستتبعه الشرك والمعاصي عشيرتك الاقربين الاقرب فالاقرب منهم فان الاهتمام بشانهم اهم روي انه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال لو ان اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد وروي انه قال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف افتدوا انفسكم من النار فاني لا اغني عنكم شيئا ثم قال يا عايشة بنت ابي بكر يا حفصة بنت عمر يا فاطمة بنت محمد يا صفية عمة محمد اشترين انفسكن من النار فاني لا اغني عنكن شيئا واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين اي لين جانبك لهم مستعار من حال الطائر فانه اذا اراد ان ينحط خفض جناحه ومن للتبيين لان من اتبع اعم ممن اتبع لدين او لغيره او للتبعيض على ان المراد بالمومنين المشارفون للايمان او المصدقون باللسان فحسب فان عصوك ولم يتبعوك فقل اني بري مما تعملون اي مما تعملونه او من اعمالكم وتوكل على العزيز الرحيم الذي يقدر على قهر اعدائه ونصر اوليائه يكفيك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم وقرئ فتوكل على انه بدل من جواب الشرط الذي يراك حين تقوم اي الى التهجد وتقلبك في الساجدين وترددك في تصفح احوال المتهجدين كما روي انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف عليه الصلوة والسلام تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله تعالى والتلاوة او تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا اممتهم وانما وصف الله تعالى ذاته بعلمه بحاله عليه الصلوة والسلام التي بها يستاهل ولايته بعد ان عبر عنها بما ينبي عنها عن قهر اعدائه ونصر اوليائه من وصفي العزيز الرحيم تحقيقا للتوكل وتوطينا لقلبه عليه انه هو السميع بما تقوله العليم بما تنويه وتعلمه هل انبيكم على من تنزل الشياطين اي تنزل بحذف احدى التائين وهو استيناف مسوق لبيان استحالة تنزل الشياطين على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بيان امتناع تنزلهم بالقرآن ودخول حرف الجر على من الاستفهامية لما انها ليست موضوعة للاستفهام بل الاصل امن فحذف حرف الاستفهام واستمر الاستعمال على حذفه كما حذف من هل والاصل اهل وقوله تعالى تنزل على كل افاك اثيم قصر لتنزلهم على كل من اتصف بالافك الكثير والاثم الكبير من الكهنة والمتنبية وتخصيص لهم بهم بحيث لا يتخطاهم الى غيرهم وحيث كانت ساحة رسول الله صلى الله عليه وسلم منزهة من ان يحوم حولها شائبة شيء من تلك الاوصاف اتضح استحالة تنزلهم عليه عليه الصلوة والسلام يلقون اي الافاكون السمع الى الشياطين فيتلقون منهم اوهاما وامارات لنقصان علمهم فيضمون اليها بحسب تخيلاتهم الباطلة خرافات لا يطابق اكثرها الواقع وذلك قوله تعالى واكثرهم كاذبون اي فيما قالوه من الاقاويل وقد ورد في الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من ماية كذبة او يلقون السمع اي المسموع من الشياطين الى الناس واكثرهم كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا اليهم والاظهر ان الاكثرية باعتبار اقوالهم على معنى ان هولاء قلما يصدقون فيما يحكون عن الجني واما في اكثره فهم كاذبون وما له واكثر اقوالهم كاذبة لا باعتبار ذواتهم حتى يلزم من نسبة الكذب الى اكثرهم كون اقلهم صادقين على الاطلاق وليس معنى الافاك من لا ينطق الا بالافك حتى يمتنع منه الصدق بل من يكثر الافك فلا ينافيه ان يصدق نادرا في بعض الاحايين وقيل الضمير للشياطين اي يلقون السمع اي المسموع من الملاء الاعلى قبل ان رجموا من بعض المغيبات الى اوليائهم واكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم اذ لا يسمعونهم على نحو ما تكلمت به الملايكة لشرارتهم او لقصور فهمهم او ضبطهم او افهامهم ولا سبيل الى حمل القاء السمع على تسمعهم وانصاتهم الى الملاء الاعلى قبل الرجم كما جوزه الجمهور لما ان يلقون كما صرحوا به اما حال من ضمير تنزل او صفة لكل افاك

من المعذبين

التنزل للالقاء او استيناف مبين للغرض من التنزل مبني على السؤال عنه ولا ريب في ان القاء السمع الى الملاء الاعلى بمعزل من احتمال
ان يقارن التنزل او يكون غرضا عنه لتقدمه عليه قطعا وانما المحتمل لهما الالقاء بالمعنى الاول فالمعنى على تقدير كونه حالا تنزل
الشياطين على الافاكين ملقين اليهم ما سمعوه من الملاء الاعلى وعلى تقدير كونه جوابا على سؤال من قال لم تنزل عليهم وماذا يفعلون بهم يلقون
اليهم ما سمعوه وحمله على استيناف الاخبار كما فعله بعضهم غير سديد لان ذكر حالهم السابقة على تنزلهم المذكور قبله غير خليق
بجزالة التنزيل والحالي على تقدير كون ضمير يلقون للافاكين فهو صفة لكل افاك لانه في معنى الجمع سواء اريد بالقاء السمع الالقاء الى
الشياطين او القاء المسموع الى الناس يكون بعد التنزل وان يكون استينافا مبنيا على السؤال على التقدير الاول فقط كانه قيل
ما يفعلون عند تنزل الشياطين عليهم فقيل يلقون اليهم اسماعهم ليحفظوا ما يوحون به اليهم وقوله تعالى واكثرهم كاذبون
على التقدير الاول استيناف فقط وعلى الثاني يحتمل الحالية من ضمير يلقون اي يلقون ما سمعوه من الشياطين الى الناس
والحال انهم في اكثر اقوالهم كاذبون فتدبر **والشعراء يتبعهم الغاوون** استيناف مسوق لابطال ما قالوه في حق القران العظيم من انه
من قبيل الشعر وان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشعراء ببيان حال الشعراء المنافية لحاله صلى الله عليه وسلم بعد ابطال ما قالوا
انه من قبيل ما يلقي الشياطين على الكهنة من الاباطيل بما مر من بيان احوالهم المضادة لاحواله عليه الصلوة والسلام والمعنى ان الشعراء
يتبعهم اي يجاريهم ويسلك مسلكهم ويكون من جملتهم الغاوون الضالون عن السنن الحائرون فيما ياتون وما يذرون لا يستمرون على
وتيرة واحدة في الافعال والاقوال والاحوال لا غيرهم من اهل الرشد المهتدين الى طريق الحق الثابتين عليه وقوله تعالى **الم تر انهم في
كل واد يهيمون** استشهاد على ان الشعراء انما يتبعهم الغاوون وتقرير له والخطاب لكل من يتاتى منه الرؤية للقصد الى ان حالهم
من الجلاء والظهور بحيث لا يختص برؤيته راء دون راء اي الم تر ان الشعراء في كل واد من اودية القيل والقال وفي كل شعب من شعاب الوهم والخيال
وفي كل مسلك من مسالك الغي والضلال يهيمون على وجوههم لا يهتدون الى سبيل معين من السبل بل يتحيرون في فيافي الغواية
والسفاهة ويتيهون في تيه المجون والوقاحة ديدنهم تمزيق الاعراض المحمية والقدح في الانساب الطاهرة السنية
والتشبيب بالحرم والغزل والابتهار والتردد بين طرفي الافراط والتفريط في المدح والهجاء **وانهم يقولون ما لا يفعلون** من الافاعيل
غير مبالين بما يستتبعه من اللوائم فكيف يتوهم ان يتبعهم في مسلكهم ذلك ويلتحق بهم وينتظم في سلكهم من تنزهت ساحته
عن ان يحوم حولها شائبة الاتصاف بشيء من الامور المذكورة واتصف بمحاسن الصفات الجليلة وتخلق بمكارم الاخلاق
الجليلة وحاز جميع الكمالات القدسية وفاز بجملة الملكات الانسية مستقرا على المنهاج القويم مستمرا على
الصراط المستقيم ناطقا بكل امر رشيد داعيا الى صراط العزيز الحميد مؤيدا بمعجزات قاهرة وايات ظاهرة مشحونة
بفنون الحكم الباهرة وصنوف المعارف الزاهرة مستقلة بنظم رائق اعجز كل منطيق ماهر وبكت كل مفلق ساحر
هذا وقد قيل في تنزيهه عليه الصلوة والسلام من ان يكون من الشعراء ان اتباع الشعراء الغاوون واتباع محمد صلى
الله عليه وسلم ليسوا كذلك ولا ريب في ان تعليل عدم كونه عليه الصلوة والسلام منهم بكون اتباعه عليه الصلوة والسلام
غير غاوين مما لا يليق بشانه العالي **وقيل** الغاوون الراوون **وقيل** الشياطين وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى
وهبيرة ابن ابي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وابو عزة الجمحي ومن ثقيف امية ابن ابي الصلت قالوا نحن نقول مثل
قول محمد عليه الصلوة والسلام وقرئ والشعراء بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر **وقرئ** يتبعهم على التخفيف ويتبعهم
بسكون العين تشبيها لبعد بعضد **الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا**
استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله عز وجل ويكون اكثر اشعارهم في التوحيد والثناء على الله تعالى والحث على
طاعته والحكمة والموعظة والزهد في الدنيا والترغيب عن الركون اليها والزجر عن الاغترار بزخارفها والافتتان بملاذها
الفانية ولو وقع في بعض الاوقات منهم هجو وقع ذلك منهم بطريق الانتصار ممن هجاهم **وقيل** المراد بالمستثنين عبد الله بن
رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن مالك وكعب بن زهير بن ابي سلمى والذين كانوا ينافحون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويكافحون هجاة قريش وعن كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده
لهو اشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك **وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون** تهديد شديد ووعيد

اكيد

اكيد لما في سيعلم من تهويل متعلقه وفي الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفي اي منقلب ينقلبون من الابهام والتهويل وقد تلاها
ابو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد اليه **وقرئ** اي منفلت ينفلتون من الانفلات بمعنى النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون
ان ينفلتوا من عذاب الله تعالى وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات **عن** النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
الشعراء كان له عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وابرهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد عليهم السلام

سورة النمل وهي ثلث وتسعون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **طس** بالتفخيم وقرئ بالامالة والكلام فيه كالذي مر في نظائره من الفواتح الشريفة ومحله على تقدير
كونه اسما للسورة وهو الاظهر الاشهر الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اي هذا طس اي مسمى به والاشارة اليه قبل ذكره
قد مر وجهها في سورة يونس وغيرها ورفعه بالابتداء على ان ما بعده خبره ضعيف لما ذكر هناك **تلك** اشارة الى نفس
السورة لانها التي نوهت بذكر اسمها لا الى اياتها لعدم ذكرها صريحا ولان اضافتها اليها تابى اضافتها الى القران كما سياتي وما في
اسم الاشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الفضل والشرف ومحله الرفع على الابتداء
خبره **ايات القران** والجملة مستانفة مقررة لما افاده التسمية من نباهة شان المسمى والقران عبارة عن الكل او عن الجميع المنزل
عند نزول السورة حسبما ذكر في فاتحة الكتاب اي تلك السورة ايات القران المعروف بعلو الشان اي بعض منه مترجم
مستقل باسم خاص **وكتاب** اي كتاب عظيم الشان **مبين** مظهر لما في تضاعيفه من الحكم والاحكام واحوال الاخرة التي من
جملتها الثواب والعقاب والسبيل الرشد والغي او فارق بين الحق والباطل والحلال والحرام او ظاهر الاعجاز على انه من
ابان بمعنى بان ولقد فخم شانه الجليل بما جمع فيه من وصف القرانية المنبئة عن كونه بديعا في بابه ممتازا عن غيره بالنظم
المعجز كما يعرب عنه قوله تعالى قرانا عربيا غير ذي عوج ووصف الكتابية المعربة عن اشتماله على صفات كمال الكتب الالهية
فكانه كلها وقدم الوصف الاول ههنا نظرا الى تقدم حال القرانية على الكتابية وعكس في سورة الحجر نظرا الى ما ذكر هناك
من الوجه وما قيل من ان الكتاب هو اللوح المحفوظ وابانته انه خط فيه ما هو كائن فهو بينة للناظرين فيه لا يساعده اضافة
الايات اليه اذ لا عهد باشتماله على الايات ولا وصفه بالهداية والبشارة اذ هما باعتبار ابانته فلا بد من اعتبارها
بالنسبة الى الناس الذين من جملتهم المؤمنون لا الى الناظرين فيه **وقرئ** وكتاب بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف
اليه مقامه اي وايات كتاب مبين **هدى وبشرى للمؤمنين** في حيز النصب على الحالية من الايات على انهما مصدران اقيما مقام
الفاعل للمبالغة كانهما نفس الهدى والبشارة والعامل معنى الاشارة اي هادية ومبشرة او الرفع على انهما بدلان من الايات
او خبران اخران لتلك او لمبتدا محذوف ومعنى هدايتها لهم وهم مهتدون انها تزيدهم هدى قال تعالى فاما الذين
امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما معنى تبشيرها اياهم فظاهر لانها تبشرهم برحمة من الله ورضوان وجنات لهم
فيها نعيم مقيم وقوله تعالى **الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة** مادحة لهم وتخصيصها بالذكر لانهما قرينتا الايمان لانهما معظم العبادات
البدنية والمالية مستتبعتان لسائر الاعمال الصالحة وقوله تعالى **وهم بالاخرة يوقنون** جملة اعتراضية كانه
قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالاخرة حق الايقان لا من عداهم لان تحمل مشاق العبادات
لخوف العقاب ورجاء الثواب او هو من تتمة الصلة والواو حالية او عاطفة له على الصلة الاولى وتغيير نظمه
للدلالة على قوة يقينهم وثباته وانهم اوحديون فيه **ان الذين لا يؤمنون بالاخرة** بيان لاحوال الكفرة بعد بيان احوال
المؤمنين اي لا يؤمنون بها وبما فيها من الثواب على الاعمال الصالحة والعقاب على السيئات حسبما ينطق به القران
زينا لهم اعمالهم القبيحة حيث جعلناها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس كما ينبئ عنه قوله عليه الصلوة والسلام حفت
النار بالشهوات او الاعمال الحسنة ببيان حسنها في انفسها حالا واستتباعها لفنون المنافع مالا واضافتها اليهم
باعتبار امرهم بها وايجابها عليهم **فهم يعمهون** يتحيرون ويترددون على التجدد والاستمرار في الاشتغال بها والانهماك
فيها من غير ملاحظة لما يتبعها من ضر ونفع او في الضلال والاعراض عنها والفاء الاول لترتيب المسبب

على السبب وعلى الثاني لترتيب ضد المسبب على السبب كما في قولك وعظته فلم يتعظ وفيه ايذان بكمال عتوهم ومكابرتهم
وتعكيسهم في الامور اولئك اشارة الى المذكورين وهو مبتدا خبره الموصول بعده اي اولئك الموصوفون بالكفر والعمه
الذين لهم سوء العذاب اي في الدنيا كالقتل والاسر يوم بدر وهم في الاخرة هم الاخسرون اي اشد الناس خسرانا لفوات الثواب
واستحقاق العقاب وانك لتلقى القرآن كلام مستانف قد سيق بعد بيان بعض شؤون القران الكريم تمهيدا لما يعقبه من الاقاصيص
وتصديره بحرفي التاكيد لابراز كمال العناية بمضمونه لتوبيخ بطريق التلقية والتلقين من لدن حكيم عليم اي اي حكيم واي عليم وفي
تفخيمهما تفخيم لشان القران وتنصيص على علو طبقته عليه الصلاة والسلام في معرفته والاحاطة بما فيه من الجلائل والدقائق
فان من تلقى العلوم والحكم من مثل ذلك الحكيم العليم يكون علما في رصانة العلم والحكمة والجمع بينهما مع دخول العلم في الحكمة
لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل والاشعار بان ما في القران من العلوم منها ما هو حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس
كذلك كالقصص والاخبار الغيبية وقوله تعالى اذ قال موسى لاهله منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم
وامر بتلاوة بعض القران الذي تلقاه عليه الصلاة والسلام من لدنه عز وجل تقريرا لما قبله وتحقيقا له اي اذكر لهم وقت
قوله عليه السلام لاهله في وادي طوى وقد غشيتهم ظلمة الليل وقدح فاصلد زنده فبدا له من جانب الطور نارا اني انست
نارا ساتيكم منها بخبر اي عن حال الطريق وقد كانوا ضلوه والسين للدلالة على نوع بعد في المسافة وتاكيد الوعد والجمع
ان صح انه لم يكن معه عليه السلام الا امرأته لما كنى عنها بالاهل او للتعظيم مبالغة في التسلية او آتيكم بشهاب قبس
بتنوينهما على ان الثاني بدل من الاول او صفة له لانه بمعنى مقبوس اي شعلة نار مقبوسة اي ماخوذة من اصلها
وقرئ بالاضافة وعلى التقديرين فالمراد تعيين المقصود الذي هو القبس الجامع لمنفعتي الضيا والاصطلا لان من النار
ما ليس بقبس كالجمر وكلتا العدتين منه عليه السلام بطريق الظن كما يفصح عن ذلك ما في سورة طه من صيغة الترجي والترديد
للايذان بانه ان لم يظفر بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر ثقة بسنة الله تعالى فانه تعالى لا يكاد يجمع حرمانين
لعلكم تصطلون رجاء ان تستدفئوا بها والصلا النار العظيمة فلما جاءها نودي من جانب الطور ان بورك معناه اي بورك
على ان ان المفسرة لما في الندا من معنى القول او بان بورك على انها مصدرية حذف عنها الجار جريا على القاعدة المستمرة وقيل
مخففة من الثقيلة ولا ضير في فقدان التعويض بلا او قد او السين او سوف لما ان الدعاء يخالف غيره في كثير من الاحكام
من في النار ومن حولها اي من في مكان النار وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله سبحانه نودي من شاطئ الوادي الايمن في
البقعة المباركة ومن حولها مكانها وقرئ تباركت الارض ومن حولها والظاهر عمومه لكل من في ذلك الوادي وحواليه من
ارض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء عليهم السلام وكفاتهم احياء وامواتا ولا سيما تلك البقعة التي
كلم الله تعالى موسى عليه السلام وقيل المراد موسى والملائكة الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضي
له امر عظيم ديني تنتشر بركاته في اقطار الشام وهو تكليمه تعالى اياه عليه السلام واستنباؤه له واظهار المعجزات على يده
عليه السلام وسبحان الله رب العالمين تعجيب لموسى عليه السلام من ذلك وايذان بان ذلك مريده ومكونه رب العالمين
تنبيها على ان الكائن من جلائل الامور وعظائم الشؤون ومن احكام تربيته تعالى للعالمين يا موسى انه انا الله استيناف
مسوق لبيان اثار البركة المذكورة والضمير اما للشان وانا الله جملة مفسرة له واما راجع الى المتكلم وانا خبره والله
والله بيان له وقوله تعالى العزيز الحكيم صفتان لله تعالى ممهدتان لما اريد اظهاره على يده من المعجزة اي انا القوي القادر
على ما لا يناله الاوهام من الامور العظام التي من جملتها امر العصا واليد الفاعل كل ما افعله بحكمة بالغة وتدبير رصين
والق عطف على بورك منتظم معه في سلك تفسير النداء اي نودي ان بورك وان الق عصاك حسبما نطق
به قوله تعالى وان الق عصاك بتكرير حرف التفسير كما تقول كتبت اليه ان حج وان اعتمر وان شئت ان حج واعتمر
والفاء في قوله تعالى فلما راها تهتز فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بظهورها ودلالة على سرعة وقوع مضمونها
كما في قوله تعالى فلما راينه اكبرنه بعد قوله تعالى اخرج عليهن كانه قيل فالقاها فانقلبت حية تسعى فلما ابصرها متحركة
بسرعة واضطراب وقوله تعالى كانها جان اي حية خفيفة سريعة الحركة جملة حالية اما من مفعول راى مثل تهتز

كما اشير اليه او من ضمير تهتز على طريقة التداخل وقرئ جان على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين ولى مدبرا
من الخوف ولم يعقب اي لم يرجع على عقبيه من عقب المقاتل اذا كر بعد الفر وانما اعتراه الرعب لظنه ان ذلك الامر
اريد به كما ينبئ عنه قوله تعالى يا موسى لا تخف اي من غيري ثقة بي او مطلقا لقوله تعالى اني لا يخاف لدي المرسلون
فانه يدل على نفي الخوف عنهم مطلقا لكن لا في جميع الاوقات بل حين يوحي اليهم كوقت الخطاب فانهم مستغرقون حينئذ
في مطالعة شؤون الله تعالى لا يخطر ببالهم خوف من احد اصلا واما في سائر الاحيان فهم اخوف الناس منه سبحانه
او لا يكون لهم عندي سوء عاقبة ليخافوا منه الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم استثناء منقطع استدرك
به ما عسى يختلج في الخلد من نفي الخوف عن كلهم مع ان منهم من فرطت منه صغيرة ما مما يجوز صدوره عن الانبياء عليهم
الصلوة والسلام فانهم وان صدر عنهم شيء من ذلك فقد فعلوا عقيبه ما يبطله ويستحقون به من الله تعالى
مغفرة ورحمة وقد قصد به التعريض بما وقع من موسى عليه السلام من وكز القبطي والاستغفار وتسميته ظلما لقوله
عليه السلام رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له وادخل يدك في جيبك لانه كان مدرعة صوف لا كم لها وقيل
الجيب القميص لانه يجاب اي يقطع تخرج بيضاء من غير سوء اي آفة كبرص ونحوه في تسع آيات في جملتها او معها
على ان التسع هي الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم او اذهب في
تسع آيات على انه استيناف بالارسال فيتعلق به الى فرعون وقومه وعلى الاول يتعلق بنحو مبعوثا او مرسلا انهم
كانوا قوما فاسقين تعليل للارسال اي خارجين عن الحدود في الكفر والعدوان فلما جاءتهم آياتنا وظهرت على
يد موسى عليه السلام مبصرة مبينة اسم فاعل اطلق على المفعول اشعارا بانها لفرط وضوحها وانارتها كانها
تبصر نفسها لو كانت مما يبصر او ذات تبصر من حيث انها تهدي والعمي لا يهتدي فضلا عن الهداية او مبصرة كل
من نظر اليها او يتامل فيها وقرئ مبصرة اي مكانا يكثر فيه التبصر قالوا هذا سحر مبين واضح سحريته وجحدوا
بها اي كذبوا بها واستيقنتها انفسهم الواو للحال اي وقد استيقنتها اي علمتها انفسهم علما يقينا ظلما اي للآيات
كقوله تعالى بما كانوا باياتنا يظلمون ولقد ظلموا بها اي ظلم حيث حطوها عن رتبتها العالية وسموها سحرا وقيل
ظلما لانفسهم وليس بذاك وعلوا اي استكبارا عن الايمان بها كقوله تعالى والذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها
وانتصابهما اما على العلة من جحدوا بها او على الحالية من فاعله اي جحدوا بها ظالمين لها مستكبرين عنها فانظر
كيف كان عاقبة المفسدين من الاغراق على الوجه الهائل الذي هو عبرة للعالمين وانما لم يذكر تنبيها على انه عرضة
لكل ناظر مشهور فيما بين باد وحاضر ولقد آتينا داود وسليمان علما كلام مستانف مسوق لتقرير ما سبق من انه عليه
الصلوة والسلام تلقى القران من لدن حكيم عليم فان قصتهما عليهما السلام من جملة القران الكريم لقنه عليه السلام
من لدنه تعالى كقصة موسى عليه السلام وتصديره بالقسم لاظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمونه اي آتينا كل واحد
منهما طائفة من العلم لائقة به من علم الشرائع والاحكام وغير ذلك مما يختص بكل منهما كصنعة لبوس ومنطق الطير
او علما سنيا عزيزا وقالا اي قال كل واحد منهما شكرا لما اوتيه من العلم الحمد لله الذي فضلنا بما آتانا من العلم
على كثير من عباده المؤمنين على ان عبارة كل منهما فضلني الا انه عبر عنهما عند الحكاية بصيغة المتكلم مع الغير ايجازا
فان حكاية الاقوال المتعددة سواء كانت صادرة عن المتكلم او عن غيره بعبارة جامعة للكل مما ليس بعزيز ومن الاول
قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقد مر في سورة قد افلح المؤمنون وبهذا ظهر حسن موقع العطف
بالواو وان المتبادر من العطف بالفاء ترتيب حمد كل منهما على ايتاء ما اوتي كل منهما لا على ايتاء ما اوتي نفسه فقط وقيل في
العطف بالواو واشعار بان ما قالاه بعض ما احدث فيهما ايتاء العلم وشيء من مواجبه فاضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد
كانه قيل ولقد آتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه وقالا الحمد لله الآية فتامل والكثير المفضل عليه من لم
يوت مثل علمهما وقيل من لم يوت علما وياباه تبيين الكثير بالمؤمنين فان خلوهم من العلم بالمرة مما لا يمكن وفي
تخصيصهما الاكثر بالذكر رمز الى ان البعض مفضلون عليهما وفيه اوضح دليل على فضل العلم وشرف اهله حيث شكرا على العلم

وجلاه اساس الفضل ولم يعتبراد ونه ما اوتيا من الملك الذي لم يوته غيرهما وتحريض العلما على ان يحمدوا الله تعالى على ما
اتيهم من فضله ويتواضعوا ويعتقدوا انهم وان فضلوا على كثير فقد فضل عليهم كثير وفوق كل ذي علم عليم ونعم ما قال امير المؤمنين
عمر رضي الله عنه كل الناس افقه من عمر **وورث سليمان داود** اي النبوة والعلم والملك بان قام مقامه في ذلك دون سائر
بنيه وكانوا تسعة عشر **وقال** تشهيرا لنعمة الله تعالى وتنويها بها ودعا للناس الى التصديق بذكر المعجزات الباهرة التي
اوتيها **يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء** المنطق في المتعارف كل لفظ يعبر عما في الضمير مفردا او مركبا وقد يطلق على
كل ما يصوت به من المفرد والمولف وغير المفيد يقال نطقت الحمامة وكل صنف من اصناف الطير يتفاهم اصواته والذي علمه
سليمان عليه السلام من منطق الطير ما يفهم بعضه من بعض من معانيه واغراضه **ويحكى** انه مر على بلبل في شجرة
يحرك راسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون ما يقول قالوا الله ونبيه اعلم قال يقول اذا اكلت نصف تمرة فعلى
الدنيا العفا وصاحت فاختة فاخبر انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد
فقال يقول استغفروا الله يا مذنبون وصاح طيطوى فقال يقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال
يقول قدموا خيرا تجدوه وصاح قمري فاخبر انه يقول سبحان ربي الاعلى وصاحت رخمة فقال تقول سبحان ربي الاعلى
ملء سمائه وارضه وقال الحدا تقول كل شيء هالك الا وجهه والقطا تقول من سكت سلم والببغا تقول ويل لمن الدنيا
همه والديك يقول اذكروا الله يا غافلون والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت والعقاب يقول في
البعد من الناس انس والضفدع يقول سبحان ربي القدوس واراد بقوله عليه السلام علمنا واوتينا النون التي
يقال لها نون الواحد المطاع بيان حاله وصفته من كونه ملكا مطاعا لكن لا تكبرا ولا تجبرا بل تمهيدا لما اراد منهم
من حسن الطاعة والانقياد له في اوامره ونواهيه حيث كانوا على عزيمة المسير بقوله تعالى من كل شيء كثير ما اوتيه
كما يقال فلان يقصده كل احد ويعلم كل شيء ويراد به كثرة قصاده وغزارة علمه ومثله قوله تعالى واوتيت من كل شيء
وقال ابن عباس رضي الله عنهما كل ما يهمه من امر الدين والآخرة **وقال** مقاتل يعني النبوة والملك وتسخير الجن
والانس والشياطين والريح **ان هذا** اشارة الى ما ذكر من التعليم والايتا **لهو الفضل** والاحسان من الله تعالى **المبين**
الواضح الذي لا يخفى على احد وان هذا الفضل الذي اوتيته لهو الفضل المبين على انه عليه السلام قاله على سبيل الشكر و
المحمدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر اي اقول هذا القول شكرا لا فخرا ولعله عليه السلام رتب
على كلامه ذلك دعوة الناس الى الغزو فان اخبارهم بايتاء كل شيء من الاشياء التي من جملتها آلات الحرب واسباب
الغزو مما ينبئ عن ذلك فمعنى قوله تعالى **وحشر لسليمان جنوده** جمع له عساكره **من الجن والانس والطير** بمباشرة مخاطبيه فانهم
كانوا رؤساء مملكته وعظماء دولته من الثقلين وغيرهم بتعميم الناس للكل تغليبا وتقديم الجن على الانس في البيان
للمسارعة الى الايذان بكمال قوة ملكه وعزة سلطانه من اول الامر لما ان الجن طائفة عاتية وقبيلة طاغية ماردة بعيدة
من الحشر والتسخير **فهم يوزعون** اي يحبس اوائلهم اي يوقف سلاف العسكر حتى يلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين
لا يتخلف منهم احد وذلك للكثرة العظيمة ويجوز ان يكون ذلك لترتيب الصفوف كما هو المعتاد في العساكر وفيه اشعار
بكمال مسارعتهم الى السير وتخصيص حبس اوائلهم بالذكر دون سوق اواخرهم مع ان التلاحق يحصل بذلك ايضا لما ان اواخرهم
غير قادرين على ما يقدر عليه اوائلهم من السير السريع وهذا اذا لم يكن سيرهم بتسيير الريح في الجو **روي** ان معسكره
عليه السلام كان مائة فرسخ في مائة خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة
وعشرون للوحش وكان له عليه السلام الف بيت قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة منكوحة
وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه وهو
من ذهب وفضة فيقعد الانبياء عليهم السلام على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول
الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا يقع عليها الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة
شهر **ويروى** انه كان يامر الريح العاصف تحمله ويامر الرخاء فتسيره فاوحى الله تعالى اليه وهو يسير بين السماء والارض

فيقعد عليه وحوله ستمائة الف كرسي من ذهب صح

هم

انجزنه

اني قد زدت في ملكك لا يتكلم احد بشيء الا القته الريح في سمعك **فيحكى** انه مر بحراث فقال لقد اوتي آل داود
ملكا عظيما فالقته الريح في سمعه فنزل ومشى الى الحراث وقال انما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة
واحدة يقبلها الله تعالى خير مما اوتي آل داود **حتى اذا اتوا على واد النمل** حتى هي التي يبتدا بها الكلام ومع ذلك هي غاية
كالتي في قوله تعالى حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل الاية وهي ها هنا غاية لما ينبئ عنه قوله تعالى فهم يوزعون من
السير كانه قيل فساروا حتى اذا اتوا الى آخره ووادي النمل واد بالشام كثير النمل على ما قاله مقاتل وبالطائف على ما قاله كعب
وقيل هو واد سكنه الجن والنمل مراكبهم وتعدية الفعل اليه بكلمة على اما لان اتيانهم كان من فوق واما لان المراد بالاتيان
عليه قطعه من قولهم اتى على الشيء اذا انفذه وبلغ آخره ولعلهم ارادوا ان ينزلوا عند منتهى الوادي اذ حينئذ يخافهم ما
في الارض لا عند سيرهم في الهوى وقوله تعالى **قالت نملة** جواب اذا كانها لما رأتهم متوجهين الى الوادي فرت منهم فصاحت
صيحة تنبهت لها ما بحضرتها من النمل المراد ها فتبعتها في الفرار فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم فاجروا مجراهم
حيث جعلت هي قائلة وما بعدها من النمل مقولا لهم حيث قيل **يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم** مع انه لا يمتنع ان يخلق الله
تعالى فيها النطق وفيما عداها العقل والفهم **وقرئ** نملة يا ايها النمل بضم الميم وهو الاصل كالرجل وتسكين
الميم تخفيف منه كالسبع في السبع **وقرئ** بضم النون والميم كانه قيل كانت نملة عرجا تمشي وهي تتكاوس فنادت بما قالت
فسمع سليمان عليه السلام كلامها من ثلاثة اميال **وقيل** كان اسمها طاخيه **وقرئ** مسكنكم وقوله تعالى **لا
يحطمنكم سليمان وجنوده** نهي في الحقيقة للنمل عن التاخر في دخول مساكنهم واذا كان بحسب الظاهر نهيا له عليه
السلام ولجنوده عن الحطم كقولهم لا ارينك ها هنا فهو استئناف او بدل من الامر كقول من قال فقلت له ارحل
لا تقيمن عندنا لا جواب له فان النون لا تدخله في السعة **وقرئ** لا يحطمنكم بالنون الخفيفة **وقرئ** لا يحطمنكم
بفتح الحاء وكسرها واصله لا يحتطمنكم وقوله تعالى **وهم لا يشعرون** حال من فاعل يحطمنكم مقيد لتقييد الحطم
بحال عدم شعورهم بمكانهم حتى لو شعروا بذلك لم يحطموا وارادت بذلك الايذان بانها عارفة بشؤون سليمان
عليه السلام وسائر الانبياء عليهم السلام في عصمتهم عن الظلم والايذاء **وقيل** هو استئناف اي فهم سليمان عليه
السلام ما قالته والقوم لا يشعرون بذلك **فتبسم ضاحكا من قولها** تعجبا من حذرها واهتدائها الى تدبير مصالحها
ومصالح بني نوعها وسرورا بشهرة حاله وحال جنوده في باب التقوى والشفقة فيما بين اصناف المخلوقات التي
هي ابعدها من ادراك هذه الامور وابتهاجا بما خصه الله تعالى به من ادراك فهمها وفهم مرادها **روي** انها
احست بصوت الجنود ولا تعلم انهم في الهوى فامر سليمان عليه السلام الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن
مساكنهن **وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك** اي اجعلني ازع شكر نعمتك عندي واكفه وارتبطه بحيث لا ينفلت عني حتى لا
انفك عن شكرك اصلا **وقرئ** بفتح ياء اوزعني **التي انعمت علي وعلى والدي** ادرج فيه ذكرهما تكثيرا للنعمة فان الانعام
عليهما انعام عليه مستوجب للشكر **وان اعمل صالحا ترضاه** اي تماما للشكر واستداما للنعمة **وادخلني برحمتك
في عبادك الصالحين** في جملتهم الجنة التي هي دار الصالحين **وتفقد الطير** اي تعرف احوال الطير فلم ير الهدهد
فيما بينها **فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين** كانه قال اولا ما لي لا اراه لساتر ستره او لسبب آخر ثم بدا له
انه غائب فاضرب عنه فاخذ يقول اهو غائب **لاعذبنه عذابا شديدا** قيل كان تعذيبه للطير بنتف ريشه
وتشميسه **وقيل** بجعله مع ضده في قفص **وقيل** بالتفريق بينه وبين الفه **او لاذبحنه** ليعتبر به ابناء
جنسه **او لياتيني بسلطان مبين** بحجة تبين عذره والحلف في الحقيقة على احد الاولين على تقدير الثالث
وقرئ لياتينني بنونين اولاهما مفتوحة مشددة **قيل** انه عليه السلام لما اتم بناء بيت المقدس
تجهز للحج بحشره فوافى الحرم واقام به ما شاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه بخمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف
بقرة وعشرين الف شاة ثم عزم على السير الى اليمن فخرج من مكة صباحا فوافى سهيلا فوافى صنعاء وقت
الزوال وذلك مسيرة شهر فراى ارضا حسناء اعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجدوا الماء وكان

يري الماء من تحت الارض كما يري الماء في الزجاجة فتجي الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الاهاب ويستخرجون الماء
فتفقده لذلك وقد كان حين نزل سليمان عليه السلام حلق الهدهد فراي هدهدا واقفا فانحط اليه فوصف له
ملك سليمان عليه السلام وما سخر له من كل شيء وذكر له صاحبه ملك بلقيس وان تحت يدها اثني عشر الف قايد
وتحت يد كل قايد مائة الف وذهب معه لينظر فما رجع الا بعد العصر وذلك قوله تعالى **فمكث غير بعيد** اي زمانا
غير مديد **وقرئ** بضم الكاف وذكر انه وقعت نفحة من الشمس علي راس سليمان عليه السلام فنظر فاذا هو موضع
الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فساله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب علي به فارتفعت
فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله وقال بحق الله الذي قواك واقدرك علي الا رحمتني فتركته وقالت ثكلتك
امك ان نبي الله قد حلف ليعذبنك قال وما استثني قال بلي قال او لياتيني بعذر مبين فلما قرب من سليمان عليه
السلام ارخي ذنبه وجناحيه يجرهما علي الارض تواضعا فلما دنا منه اخذ عليه السلام براسه فمده اليه فقال
يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى فارتعد سليمان عليه السلام وعفا عنه ثم ساله **فقال احطت بما لم تحط به**
اي علما ومعرفة وحفظته من جميع جهاته **وقرئ** احطت بادغام الطاء في التاء باطباق وبغير اطباق ولا يخفى
انه لم يرد بما ادعاء الاحاطة به ما هو من حقايق العلوم ودقايق المعارف التي يكون معرفتها والاحاطة بها من وظايف
ارباب العلم والحكمة لتوقفها علي علم رصين وفضل مبين حتي يكون اثباتها لنفسه بين يدي سليمان عليه السلام تعاظما
عليه وتجاوزا عن دايرة قدره ونفيها عنه عليه السلام جناية فيحتاج الي الاعتذار عنه بان ذلك كان بطريق
الالهام مكافحة عليه السلام بذلك مع ما اوتي عليه السلام من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة
بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له عليه السلام في علمه وتنبيها علي ان في ادني خلقه تعالى واضعفهم من احاط علما بما
لم يحط به ليتحاقر اليه نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفا له في ترك الاعجاب الذي هو فتنة العلماء بل اراد
به ما هو من الامور المحسوسة التي لا يعد الاحاطة بها فضيلة ولا الغفلة عنها نقيصة لعدم توقف ادراكها الا
علي مجرد احساس يستوي فيه العقلاء وغيرهم وقد علم انه عليه السلام لم يشاهدها ولم يسمع خبرها من غيره قطعا فعبر
عنه بما ذكر لترويج كلامه عنده عليه السلام وترغيبه في الاصغاء الي اعتذاره واستمالة قلبه نحو قبوله فان النفس
للاعتذار المبني علي امر بديع اقبل والي تلقي ما لا تعلمه اميل ثم ايده بقوله **وجيتك من سبا بنبا يقين** حيث فسر ابهامه
نوع تفسير واراه عليه السلام انه كان بصدد اقامة خدمة مهمة له حيث عبر عما جاء به بالنبا الذي هو الخبر
الخطير والشان الكبير ووصفه بما وصفه والاظهار اصل رعنه عليه السلام مع ما حكي عنه من الحمد والشكر
واستدعاء الايزاع حتي بلوغ الحكمة الالهية تنبيهه عليه السلام علي تركه وسبا منصرف علي انه اسم الحي سموا باسم ابيهم
الاكبر وهو سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان قالوا اسمه عبد شمس لقب به لكونه اول من سبي **وقرئ** بفتح الهمزة
غير منصرف علي انه اسم للقبيلة ثم سميت مدينة مارب بسبا وبينها وبين صنعاء ثلاث وعلي هذه القراءة يجوز
ان يراد به القبيلة والمدينة واما علي القراءة الاولي فالمراد هو الحي لا غير وعدم وقوف سليمان عليه السلام علي نبايهم
قبل انباء الهدهد ليس بامر بديع لا بد له من حكمة داعية اليه البتة وان استحال خلو فعله تعالى من الحكم والمصالح
لما ان المسافة بين محطه عليه السلام وبين مارب وان كانت قصيرة لكن مدة ما بين نزوله عليه السلام هنالك
وبين مجي الهدهد بالخبر ايضا قصير نعم اختصاص الهدهد بذلك مع كون الجن اقوي منه مبني علي حكم بالغة يستاثر
بها علام الغيوب وقوله تعالى **اني وجدت امراة تملكهم** استيناف بيان ما جاء به من النبا وتفصيل له اثر الاجمال
وهي بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن ريان وكان ابوها ملك ارض اليمن كلها وورث الملك من اربعين ابا ولم يكن
له ولد غيرها فغلبت بعده علي الملك ودانت لها الامة وكانت هي وقومها مجوسا يعبدون الشمس وايثار وجدت
علي رايت لما اشير اليه من الايذان بكونه عند غيبته بصدد خدمته عليه السلام بابراز نفسه في معرض من يتفقد
احوالها ويتعرفها كانها طلبته وضالته ليعرضها علي سليمان عليه السلام وضمير تملكهم لسبا علي انه اسم الحي

اولاهلها

اولاهلها المدلول عليهم بذكر مدينتهم علي انه اسم لها **واوتيت من كل شيء** اي من الاشياء التي يحتاج اليها الملوك **ولها
عرش عظيم** قيل كان ثلاثين ذراعا في ثلاثين عرضا وسمكا **وقيل** ثمانين في ثمانين من ذهب وفضة مكللا بالجواهر
وكانت قوايمه من ياقوت احمر واخضر ودر وزمرد وعليه سبعة ابيات علي كل بيت باب مغلق واستعظام الهدهد
لعرشها مع ما كان يشاهده من ملك سليمان عليه السلام اما بالنسبة الي حالها او الي عروش امثالها من الملوك وقد
جوز ان لا يكون لسليمان عليه السلام مثله واياما كان فوصفه بذلك بين يديه عليه السلام لما مر من ترغيبه
عليه السلام في الاصغاء الي حديثه وتوجيه عزيمته عليه السلام نحو تسخيرها ولذلك عقبه بما يوجب غزوها
من كفرها وكفر قومها حيث قال **وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله** اي يعبدونها متجاوزين عبادة الله تعالى
وزين لهم الشيطان اعمالهم التي هي عبادة الشمس ونظايرها من اصناف الكفر والمعاصي **فصدهم** بسبب ذلك
عن السبيل اي سبيل الحق والصواب فان تزيين اعمالهم لا يتصور بدون تقويم كفرهم وضلالهم ومن ضرورته
نسبة طريق الي العوج **وهم** بسبب ذلك **لا يهتدون** اليه وقوله تعالى **الا يسجدوا لله** مفعول له اما للصد
او للتزيين علي حذف اللام منه اي فصدهم لئلا يسجدوا له او زين لهم اعمالهم لان لا يسجدوا او بدل علي
حالة من اعمالهم وما بينهما اعتراض اي زين لهم ان لا يسجدوا **وقيل** هو في موقع المفعول ليهتدوا باسقاط
الخافض ولا مزيدة كما في قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب والمعني فهم لا يهتدون الي ان يسجدوا لله تعالى **وقرئ**
الا يا اسجدوا علي التنبيه والنداء والمنادي محذوف اي الا يا قوم اسجدوا كما في الا يا اسلمي يا دار مي علي البلاء
ونظايره وعلي هذا يحتمل ان يكون استينافا من جهة الله تعالى او من سليمان ويوقف علي لا يهتدون ويكون
امرا بالسجود وعلي الوجوه المتقدمة ذما علي تركه واياما كان فالسجود واجب **وقرئ** هلا وهلا بقلب الهمزتين
ها **وقرئ** هلا تسجدون علي الخطاب **الذي يخرج الخبء في السموات والارض** اي يظهر ما هو مخبو ومخفي فيهما كاينا ما كان
وتخصيص هذا الوصف بالذكر بصدد بيان تفرده تعالى باستحقاق السجود له من بين سائر اوصافه الموجبة
لذلك لما انه ارسخ في معرفته والاحاطة باحكامه بمشاهدة اثاره التي من جملتها ما اودعه الله تعالى في نفسه
من القدرة علي معرفة الماء تحت الارض واشار بعطف قوله تعالى **ويعلم ما تخفون وما تعلنون** علي يخرج الي انه تعالى
يخرج ما في العالم الانساني من الخفايا كما يخرج ما في العالم الكبير من الخبايا لما ان المراد يظهر ما يخفونه من الاحوال
فيجازيكم بها وذكر ما يعلنون لتوسيع دايرة العلم وللتنبيه علي تساويهما بالنسبة الي العلم الالهي **وقرئ** ما تخفون
وما تعلنون علي صيغة الغيبة بلا التفات واخراج الخبايا يعم اشراق الكواكب واظهارها من افاقها بعد استتارها
وراها وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشا الذي هو اخراج ما في الشيء بالقوة الي الفعل والابداع الذي
هو اخراج ما في الامكان والعدم الي الوجود وغير ذلك من غيوبه عز وجل **وقرئ** الخب بتخفيف الهمزة بالحذف **وقرئ**
الخبا بتخفيفها بالقلب **وقرئ** الا تسجدون لله الذي يخرج الخبء من السماء والارض ويعلم سركم وما تعلنون
الله الذي لا اله الا هو رب العرش العظيم الذي هو اول الاجرام **وقرئ** العظيم بالرفع علي انه صفة الرب واعلم ان
ما حكي من الهدهد من قوله الذي يخرج الخب الي هنا ليس داخلا تحت قوله احطت وانما هو من العلوم والمعارف
التي اقتبسها من سليمان عليه السلام اورده بيانا لما هو عليه واظهارا لتصلبه في الدين وكل ذلك لتوجيه
قلبه عليه السلام نحو قبول كلامه وصرف عنان عزيمته عليه السلام الي غزوها وتسخير ولايتها **قال** استيناف
وقع جوابا عن سوال نشا من حكاية كلام الهدهد كانه قيل فماذا فعل سليمان عليه السلام عند ذلك قيل قال
سننظر اي فيما ذكرته من النظر بمعني التامل والسين للتاكيد اي سنعرف بالتجربة البتة **اصدقت ام كنت
من الكاذبين** كان مقتضي الظاهر ام كذبت وايثار ما عليه النظم الكريم للايذان بان كذبه في هذه المادة يستلزم
انتظامه في سلك الموسومين بالكذب الراسخين فيه بان مساق هذه الاقاويل الملفقة علي ترتيب انيق يستميل
قلوب السامعين نحو قبولها من غير ان يكون لها مصداق اصلا لا سيما بين يدي نبي عظيم الشان لا يكاد يصدر

رها

الاعمى له قدم راسخ في الافك والكذب وقوله تعالى اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم استيناف مبين لكيفية النظر الذي وعد
عليه السلام وقد قاله عليه السلام بعد ما كتب كتابه في ذلك او بعده وتخصيصه عليه السلام اياه بالرسالة دون سائر
ما تحت ملكه من امناء الجن والاقوياء على التصرف والتعرف لما عاين فيه من مخايل العلم والحكم وصحة الفراسة ولئلا يبقى
له عذرا اصلا ثم تول عنهم اي تنح الى مكان قريب تتوارى فيه فانظر اي تامل وتعرف فانظر ماذا يرجعون اي ماذا
يرجع بعضهم الى بعض من القول وجمع الضمائر لما ان مضمون الكتاب الكريم دعوة الكل الى الاسلام قالت اي بعد ما
ذهب الهدهد بالكتاب فالقاه اليهم وتنحى عنهم حسبما امر به وانما طوى ذكره ايذانا بمسارعته الى اقامة ما امر
به من الخدمة واشعارا باستغنائه عن التصريح به لغاية ظهوره وقيل انه عليه السلام كتب كتابه وطبعه بالمسك
وختمه بخاتمه ودفعه الى الهدهد فوجدها الهدهد راقدة في قصرها بمارب وكانت اذا رقدت غلقت الابواب
ووضعت المفاتيح تحت راسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهي مستلقية وقيل نقرها فانتبهت
فزعة وقيل اتاها والقادة والجنود حواليها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت راسها فالقى الكتاب في
حجرها وكانت قارية كاتبة عربية من نسل تبع الحميري كما مر فلما رات الخاتم ارتعدت وخضعت فعند ذلك قالت
لاشراف قومها اني القي الي كتاب كريم وصفته بالكرم لكرم مضمونه او لكونه من عند ملك كريم او لكونه مختوما او
لغرابة شانه ووصوله اليها على منهاج غير معتاد انه من سليمان استيناف وقع جوابا لسؤال مقدر كانه قيل ممن هو
وما مضمونه فقالت انه من سليمان وانه اي مضمونه او المكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم وفيه اشارة الى سبب
وصفها اياه بالكرم وقرئ انه وانه بالفتح على حذف اللام كانها عللت كرمه بكونه من سليمان وبكونه مصدرا
باسم الله تعالى وقيل على انه بدل من كتاب وقرئ ان من سليمان وان باسم الله على ان المفسرة ان لا تعلوا علي ان
مفسرة ولا ناهية اي لا تتكبروا كما يفعل جبابرة الملوك وقيل مصدرية ناصبة للفعل ولا نافية ومحلها الرفع على
انها بدل من كتاب اي خبر لمبتدا مضمر يليق بالمقام اي مضمونه ان لا تعلوا والنصب باسقاط الخافض اي بان لا تعلوا
علي وقرئ ان لا تغلوا بالغين المعجمة اي لا تتجاوزوا حدكم واتوني مسلمين اي مؤمنين وقيل منقادين والاول
هو الاليق بشان النبي عليه السلام على ان الانقياد حسبما يرى ان نسخة الكتاب من عبد الله سليمان
ابن داود الى بلقيس ملكة سبا السلام على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا علي واتوني مسلمين وليس الامر
فيه بالاسلام قبل اقامة الحجة على رسالته حتى يتوهم كونه استدعاء للتقليد فان القاء الكتاب اليها على تلك
الحالة معجزة باهرة دالة على رسالة مرسلها دلالة بينة قالت كررت حكاية قولها للايذان بغاية اعتنائها
بما في حيزه من قولها يا ايها الملا افتوني في امري اي اجيبوني في امري الذي حزبني وذكرت لكم خلاصته وعبرت عن
الجواب بالفتوى الذي هو الجواب في الحوادث المشكلة غالبا تهويلا للامر ورفعا لمحلهم بالاشعار بانهم قادرون
على حل المشكلات الملمة وقولها ما كنت قاطعة امرا اي من الامور المتعلقة بالملك حتى تشهدون اي الا بمحضركم وبموجب
ارائكم استعطاف واستمالة لقلوبهم لئلا يخالفوها في الراي والتدبير قالوا استيناف مبني على سؤال نشا من
حكاية قولها كانه قيل فماذا قالوا في جوابها نحن اولوا قوة في الاجساد والالات والعدد واولوا باس شديد اي نجدة
وشجاعة مفرطة وبلاء في الحرب والامر اليك اي هو موكول اليك فانظري ماذا تامرين ونحن مطيعون لك فمرينا
بامرك نمتثل به ونتبع رايك او ارادوا نحن من ابناء الحرب لا من ابناء الراي والمشورة واليك الراي والتدبير
فانظري ماذا تامرين نكن في الخدمة فلما احست منهم الميل الى الحرب والعدول عن سنن الصواب شرعت في
تزييف مقالتهم المبنية على الغفلة عن شان سليمان وذلك قوله تعالى قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية من القرى على
منهاج المقاتلة والحرب افسدوها بتخريب عماراتها واتلاف ما فيها من الاموال وجعلوا اعزة اهلها اذلة بالقتل والاسر
والاجلاء وغير ذلك من فنون الاهانة والاذلال وكذلك يفعلون تاكيد لما وصفت من حالهم بطريق الاعتراض التذييلي
وتقرير له بان ذلك عادتهم المستمرة وقيلها من جهة الله تعالى على طريقة قوله ولو جئنا بمثله مددا اثر قوله

تعالى

تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي واني مرسلة اليهم بهدية تقرير لرايها بعد ما زيفت اراءهم واتت بالجملة
الاسمية الدالة على الثبات المصدرة بحرف التحقيق للايذان بانها مزمعة على رايها لا يلويها عنه صارف ولا يثنيها
عاطف اي واني مرسلة اليهم رسلا بهدية عظيمة فناظرة بم يرجع المرسلون حتى اعمل بما يقتضيه الحال روي
انها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن الاساور والاطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة بالديباج
محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان والف لبنة من ذهب
وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت
رجلا من اشراف قومها المنذر بن عمرو واخر ذا راي وعقل وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب
الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك
وان رايته بشا لطيفا فهو نبي فاقبل الهدهد فاخبر سليمان عليه السلام بذلك فامر الجن فضربوا لبن الذهب
والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفاته من الذهب
والفضة وامر باحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن وامر باولاد الجن وهم خلق
كثير فاقيموا عن اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والانس
صفوفا والوحش والسباع والطير والهوام كذلك فلما دنا القوم ونظروا وبهتوا وراوا الدواب تروث على
اللبن فتقاصرت اليهم نفوسهم ورموا بما معهم ولما وقفوا بين يديه ونظر اليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال
اين الحق واخبره جبريل عليهما السلام بما فيه فقال لهم ان فيه كذا وكذا ثم امر بالارضة فاخذت شعرة ونفذت
في الدرة فجعل رزقها في الشجر واخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت في الجزعة فجعل رزقها في الفواكه ودعا
بالماء فكانت الجارية تاخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما ياخذ يضرب به وجهه ثم
رد الهدية وذلك قوله تعالى فلما جاء سليمان اي الرسول قال اي مخاطبا للرسول والمرسل تغليبا للحاضر على الغائب
وقيل للرسول ومن معه ويؤيده انه قرئ فلما جاؤا والاول اولى بما فيه من تشديد الانكار والتوبيخ وتعميمها
لبلقيس وقومها ويؤيده الافراد في قوله تعالى ارجع اليهم اتمدونني بمال وهو انكار لامدادهم اياه عليه السلام
بالمال مع علو شانه وسعة سلطانه وتوبيخ لهم بذلك وتنكير مال للتحقير وقوله تعالى فما اتاني الله اي فما رايتم اثاره
من النبوة والملك الذي لا غاية وراءه خير مما اتيكم اي من المال الذي من جملته ما جئتم به فلا حاجة لي الى هديتكم ولا وقع
لها عندي تعليل للانكار ولعله عليه السلام انما قال لهم هذه المقالة التي اخرها بعد ما جرى بينه وبينهم ما حكي من
قصة الحق وغيرها كما اشير اليه لا انه عليه السلام خاطبهم بها اول ما جاؤه كما يفهم من ظاهر قوله تعالى فلما
جاء الى اخره وقرئ اتمدوني بالادغام وبنون واحدة وبنونين وحذف الياء وقوله تعالى بل انتم بهديتكم تفرحون
اضراب عما ذكر من انكار الامداد من المال الى التوبيخ بفرحهم بهديتهم التي اهدوها اليه عليه السلام فرح افتخار
وامتنان واعتداد بها كما ينبئ عنه ما ذكر من حديث الحق والجزعة وتغيير زي الغلمان والجواري وغير ذلك وفائدة
الاضراب التنبيه على ان امداده عليه السلام بالمال منكر قبيح وعد ذلك مع انه لا قدر له عنده عليه السلام مما يتنافس
فيه المتنافسون اقبح والتوبيخ به ادخل وقيل المضاف اليه المهدى اليه والمعنى بل انتم بما يهدى اليكم تفرحون
حبا لزيادة المال لما انكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا ارجع افراد الضمير هاهنا بعد جمع الضمائر الخمسة فيما سبق
لاختصاص الرجوع بالرسول وعموم الامداد ونحوه للكل اي ارجع ايها الرسول اليهم اي الى بلقيس وقومها فلناتينهم
اي فوالله لناتينهم بجنود لا قبل لهم بها اي لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة لهم على مقابلتها وقرئ بهم ولنخرجنهم
عطف على جواب القسم منها من سبا اذلة اي حال كونهم اذلة بعد ما كانوا فيه من العز والتمكين وفي جمع القلة
تاكيد لذلتهم وقوله تعالى وهم صاغرون اي اسارى مهانون حال اخرى مفيدة لكون اخراجهم بطريق الاسر لا
بطريق الاجلاء وعدم وقوع جواب القسم لانه كان معلقا بشرط قد حذف عند الحكاية ثقة بدلالة الحال عليه

كانه قيل ارجع اليهم فليأتوا مسلمين والا فلنأتينهم الى آخره قال يا ايها الملأ ايكم يأتيني بعرشها قال عليه السلام لما دنا مجيء بلقيس اليه يروى انها لما رجعت رسلها بما حكى من خبر سليمان عليه السلام قالت قد علمت والله ما هذا بملك ولا لنا به من طاقة وبعثت الى سليمان اني قادمة عليك بملوك قومي حتى انظر لما امرك وما تدعوا اليه من دينك ثم اذنت بالرحيل الى سليمان عليه السلام فشخصت اليه في اثني عشر الف قيل تحت كل قيل الوف وروي انها امرت فجعل عرشها في آخر سبعة ابيات بعضها في بعض في آخر قصر من قصور سبعة لها وغلقت الابواب ووكلت به حرسا يحفظونه ولعله اوحي الى سليمان عليه السلام باستيثاقها من عرشها فاراد ان يريها بعض ما خصه الله عز سلطانه به من اجراء العجائب على يده مع اطلاعها على عظيم قدرته تعالى وصحة نبوته عليه السلام ويختبر عقلها بان ينكر عرشها فينظر اتعرفه ام لا وتقييد الاتيان به بقوله تعالى قبل ان يأتوني مسلمين لما ان ذلك ابدع واغرب وابعد من الوقوع عادة وادل على عظم قدرة الله تعالى وصحة نبوته عليه السلام وليكون اختبارها واطلاعها على بدايع المعجزات في اول مجيئها وقيل لانها اذا اتت مسلمة لم يحل له اخذ مالها بغير رضاها قال عفريت اي مارد خبيث من الجن بيان له اذ يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر لاقرانه وكان اسمه ذكوان او صخرا انا آتيك به اي بعرشها قبل ان تقوم من مقامك اي من مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار وآتيك اما صيغة المضارع او الفاعل وهو الانسب لمقام ادعاء الاتيان به لا محالة واوفق لما عطف عليه من الجملة الاسمية اي انا آت به في تلك المدة البتة واني عليه اي على الاتيان به لقوي لا يثقل علي حمله امين لا اختزل منه شيئا ولا ابدله قال الذي عنده علم من الكتاب فصل عما قبله للايذان بما بين القائلين ومقاليهما وكيفيتي قدرتهما على الاتيان به من كمال التباين او لاسقاط امر العفريت عن درجة الاعتبار قيل هو آصف بن برخيا وزير سليمان عليه السلام وقيل رجل كان عنده اسم الله الاعظم الذي اذا سئل به اجاب وقيل الخضر او جبريل او ملك ايده الله عز وجل به عليه السلام وقيل هو سليمان نفسه عليه السلام وفيه بعد لا يخفى والمراد بالكتاب الجنس المنتظم لجميع الكتب المنزلة او اللوح وتنكير علم للتفخيم والرمز الى انه علم غير معهود ومن ابتدائية انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك الطرف تحريك الاجفان وفتحها للنظر الى شيء وارتداده انضمامها ولكونه امرا طبيعيا غير منوط بالقصد اوثر الارتداد على الرد ولما لم يكن بين هذا الوعد وانجازه مدة ما كما في وعد العفريت استغنى عن التأكيد وطوى عند الحكاية ذكر الاتيان به للايذان بانه امر متحقق غني عن الاخبار به وجيء بالفاء الفصيحة لا داخلة على جملة معطوفة على جملة مقدرة دالة على تحققه فقط كما في قوله عز وجل فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق ونظائره بل داخلة على الشرطية حيث قيل فلما رآه مستقرا عنده اي رأى العرش حاضرا لديه كما في قوله عز وجل فلما رأينه اكبرنه للدلالة على كمال ظهور ما ذكر من تحققه واستغنائه عن الاخبار به ببيان ظهور ما يترتب عليه من رؤية سليمان عليه السلام اياه واستغنائه ايضا عن التصريح به اذ التقدير فاتاه به فرآه فلما رآه الى آخره فحذف ما حكوت لما ذكر وللايذان بكمال سرعة الاتيان به كانه لم يقع بين الوعد به وبين رؤيته عليه السلام شيء ما اصلا وفي تقييد رؤيته باستقراره عنده عليه السلام تأكيد لهذا المعنى لايهامه انه لم يتوسط بينهما ابتداء الاتيان ايضا كانه لم يزل موجودا عنده مع ما فيه من الدلالة على دوام قراره عنده منتظما في سلك ملكه قال اي سليمان عليه السلام تلقيا للنعمة بالشكر جريا على سنن ابناء جنسه من انبياء الله تعالى عليهم السلام وخلص عباده هذا اي حضور العرش بين يديه في مثل هذه المدة القصيرة او التمكن من احضاره بالواسطة او بالذات كما قيل من فضل ربي اي تفضله علي من غير استحقاق له من قبلي ليبلوني أأشكر بان اراه محض فضله تعالى من غير حول من جهتي ولا قوة واقوم بحقه ام اكفر بان اجد لنفسي مدخلا في البين او اقصر في اقامة مواجبه كما هو شأن سائر النعم الفائضة على العباد ومن شكر فانما يشكر لنفسه لانه يرتبط به عتيدها ويستجلب به مزيدها ويحط عن ذمته عبء الواجب ويتخلص عن وصمة الكفران ومن كفر اي لم يشكر فان ربي غني عن شكره كريم بترك تعجيل العقوبة والانعام مع عدم الشكر ايضا قال اي سليمان عليه السلام كررت الحكاية مع كون المحكي سابقا ولاحقا من كلامه عليه السلام تنبيها على ما بين السابق واللاحق من المخالفة لما ان الاول من باب الشكر لله تعالى والثاني امر لخدمه نكروا لها عرشها اي غيروا

هيانه بوجه من الوجوه ننظر بالجزم على انه جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستيناف اتهتدي الى معرفته او الى الجواب اللائق بالمقام وقيل الى الايمان بالله تعالى ورسوله عند رؤيتها تقدم عرشها من مسافة طويلة في مدة قليلة وقد خلفته مغلقة عليه الابواب موكلة عليه الحراس والحجاب ويأباه تعليق النظر المتعلق بالاهتداء بالتنكير فان ذلك مما لا مدخل فيه للتنكير ام تكون بالنسبة الى علمنا من الذين لا يهتدون اي الى ما ذكر من معرفة عرشها او الجواب الصواب فان كونها في نفس الامر منهم وان كان امرا مستمرا لكن كونها منهم عند سليمان عليه السلام وقومه امر حادث يظهر بالاختبار فلما جاءت شروع في حكاية التجربة التي قصدها سليمان عليه السلام اي فلما جاءت بلقيس سليمان عليه السلام وقد كان العرش بين يديه قيل اي من جهة سليمان عليه السلام بالذات او بالواسطة اهكذا عرشك لم يقل اهذا عرشك لئلا يكون تلقينا لها فيفوت ما هو المقصود من الامر بالتنكير من ابراز العرش في معرض الاشكال والاشتباه حتى تتبين حالها وقد ذكرت عنده عليه السلام سخافة العقل قالت كانه هو اي فابانت عن كمال رجاحة عقلها حيث لم تقل هو هو مع علمها بحقيقة الحال تلوحا بما اعتراه بالتنكير من نوع مغايرة في الصفات مع اتحاد الذات ومراعاة لحسن الادب في محاورته عليه السلام واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين من تتمة كلامها كانها ظنت انه عليه السلام اراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت اوتينا العلم بكمال قدرة الله تعالى وصحة نبوتك من قبل هذه المعجزة التي شاهدناها بما سمعناه من المنذر من الآيات الدالة على ذلك وكنا مسلمين من ذلك الوقت وفيه من الدلالة على كمال رزانة رأيها ورصانة فكرها ما لا يخفى وقوله تعالى وصدها ما كانت تعبد من دون الله بيان من جهته تعالى لما كان يمنعها من اظهار الاسلام الى الآن اي صدها عن ذلك عبادتها القديمة للشمس وقوله تعالى انها كانت من قوم كافرين تعليل لسببية عبادتها المذكورة للصد اي انها كانت من قوم راسخين في الكفر ولذلك لم تكن قادرة على اظهار اسلامها وهي بين ظهرانيهم الى ان دخلت تحت ملك سليمان عليه السلام وقرئ انها بالفتح على البدلية من فاعل صد او على التعليل بحذف اللام هذا واما ما قيل من ان قوله تعالى واوتينا العلم الى قوله تعالى من قوم كافرين من كلام سليمان عليه السلام وملائه كانهم لما سمعوا قولها كانه هو تفطنوا لاسلامها فقالوا استحسانا لشأنها المنقدمة وما عاينت من هذه الآية الباهرة من امر عرشها ورزقت الاسلام فعطفوا على ذلك قولهم واوتينا العلم الى آخره اي واوتينا نحن العلم بالله تعالى وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها ولم نزل على دين الاسلام شكرا لله تعالى على فضلهم عليها وسبقهم الى العلم بالله تعالى والاسلام قبلها وصدها عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس ونشؤها بين ظهراني الكفرة فمما لا يخفى ما فيه من البعد والتعسف قيل لها ادخلي الصرح الصرح القصر وقيل صحن الدار روي ان سليمان عليه السلام امر قبل قدومها فبني له على طريقها قصر من زجاج ابيض واجرى من تحته الماء والقي فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لامره وتحقيقا لنبوته وثباتا على الدين وزعموا ان الجن كرهوا ان يتزوجها فتفضي اليه باسرارهم لانها كانت بنت جنية وقيل خافوا ان يولد له منها ولد يجتمع له فطنة الجن والانس فيخرجوا من ملك سليمان الى ملك من هو اشد وافظع فقالوا ان في عقلها شيئا وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجليها فلما رأته وهو حاضر بين يديها كما يعرب عنه الامر بدخولها واحاطت بتفاصيل احواله خبرا حسبته لجة وكشفت عن ساقيها وتشمرت لئلا تبتل اذيالها فاذا هي احسن الناس ساقا وقدما خلا انها شعرا وقيل هي السبب في اتخاذ النورة امر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها عليه السلام وامر الجن فبنوا لها سلحين وغمدان وكان يزورها في الشهر مرة ويقيم عندها ثلاثة ايام وقيل زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطه على اليمن وامر زوبعة امير جن اليمن بان يطيعه فبنى له المصانع وقرئ ساقيها حملا للمفرد على الجمع في سوق واسوق قال عليه السلام حين رأى ما اعتراها

ما ادعته من صحـ
دتها

طين

ها

من الدهشة والرعب انه اي ما توهمته ماء صرح ممرد اي مملس من قوارير من الزجاج قالت حين عاينت
تلك المعجزة ايضا رب اني ظلمت نفسي بما كنت عليه الى الآن من عبادة الشمس وقيل بظني بسليمان حيث ظننت
انه يريد اغراقها في اللجة وهو بعيد واسلمت مع سليمان تابعة له مقتدية به وما في قوله تعالى لله رب العالمين من
الالتفات الى الاسم الجليل ووصفه بربوبية العالمين لاظهار معرفتها بالوهيته وتفرده باستحقاق العبادة
وربوبيته لجميع الموجودات التي من جملتها ما كانت تعبده قبل ذلك من الشمس ولقد ارسلنا عطف على قوله تعالى
ولقد آتينا داود وسليمان علما مسوق لما سيق هو له من تقرير انه عليه السلام تلقى القرآن من لدن حكيم عليم فان
هذه القصة ايضا من جملة القرآن الكريم الذي لقنه عليه الصلوة والسلام جواب قسم محذوف اي وبالله لقد ارسلنا
الى ثمود اخاهم صالحا وان في قوله تعالى ان اعبدوا الله مفسرة لما في الارسال من معنى القول او مصدرية حذف
عنها الباء وقرئ بضم النون اتباعا لها للباء فاذا هم فريقان يختصمون ففاجؤا التفرق والاختصام فامن فريق
وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين قال عليه السلام للفريق الكافر منهم بعد ما شاهد منهم ما شاهد من نهاية
العتو والعناد حتى بلغوا من المكابرة الى ان قالوا له عليه السلام يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين يا قوم
لم تستعجلون بالسيئة اي بالعقوبة السيئة قبل الحسنة اي التوبة فتؤخرونها الى حين نزولها حيث كانوا من
جهلهم وغوايتهم يقولون ان وقع ايعاده تبنا حينئذ والا فنحن على ما كنا عليه لولا تستغفرون الله هلا تستغفرونه
تعالى قبل نزولها لعلكم ترحمون بقبولها اذ لا امكان للقبول عند النزول قالوا اطيرنا اصله تطيرنا والتطير التشأم
عبر عنه بذلك لما انهم كانوا اذا خرجوا مسافرين فيمرون بطائر يزجرونه فان مر سانحا تيمنوا وان مر بارحا تشأموا
فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببا لهما من قدر الله تعالى وقسمته او من عمل العبد اي تشأمنا
بك وبمن معك في دينك حيث تتابعت علينا الشدائد وقد كانوا قحطوا او لم نزل في اختلاف وافتراق مذ
اخترعتم دينكم قال طائركم اي سببكم الذي منه ينالكم ما ينالكم من الشر عند الله وهو قدره او عملكم
المكتوب عنده وقوله تعالى بل انتم قوم تفتنون اي تختبرون بتعاقب السراء والضراء وتعذبون او يفتنكم
الشيطان ووسوسته اليكم التطير اضراب من بيان طائرهم الذي هو مبدأ ما يحيق بهم الى ذكر ما
هو الداعي اليه وكان في المدينة تسعة رهط اي اشخاص وبهذا الاعتبار وقع تمييزا للتسعة لا باعتبار لفظه و
الفرق بينه وبين النفر انه من الثلاث او السبعة الى العشرة والنفر من الثلاث الى التسعة واسماؤهم
حسبما نقل عن وهب الهذيل بن عبد رب وغنم بن غنم ورباب بن مهرج ومصدع بن مهرج وعمير بن كردبه
وعاصم بن مخرمه وسبيط بن صدقه وسمعان بن صفي وقدار بن سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة
وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من ابناء اشرافهم يفسدون في الارض لا في المدينة افسادا محضا لا يخالطه
شئ ما من الاصلاح كما ينطق به قوله تعالى ولا يصلحون اي لا يفعلون شيئا من الاصلاح قالوا استيناف ببيان
بعض ما فعلوا من الفساد اي قال بعضهم لبعض في اثناء المشاورة في امر صالح عليه السلام وكان ذلك غب
ما انذرهم بالعذاب وقوله تمتعوا في داركم ثلثة ايام الى اخره تقاسموا بالله اما امر مقول لقالوا او ماض
وقع بدلا منه او حالا من فاعله باضمار قد وقوله تعالى لنبيتنه واهله اي لنباغتن صالحا واهله ليلا ونقتلهم
وقرئ بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بياء الغيبة وضم التاء على ان تقاسموا فعل ماض ثم لنقولن
لوليه اي لولي صالح وقرئ بالتاء والياء كما قبله ما شهدنا مهلك اهله اي ما حضرنا هلاكهم او وقت هلاكهم
فضلا ان نتولى اهلاكهم وقرئ مهلك بفتح اللام فيكون مصدرا وانا لصادقون من تمام القول او حال
اي نقول ما نقول والحال انا صادقون في ذلك لان المشاهد للشئ غير المباشر له عرفا او لانا ما شهدنا مهلكهم
وحده بل مهلكه ومهلكهم جميعا كقولك ما رايت ثمه رجلا بل رجلين ومكروا مكرا بهذه المواضعة ومكرنا مكرا
اي اهلكناهم اهلاكا غير معهود وهم لا يشعرون اي جازيناهم مكرهم من حيث لا يحتسبون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم

شروع في بيان ما ترتب على ما باشروه من المكر وكيف منعلقة لفعل النظر ومحل الجملة النصب بنزع الخافض اي
فتفكر في انه كيف كان عاقبة مكرهم وقوله تعالى انا دمرناهم اما بدل من عاقبة مكرهم على انه فاعل كان وهي تامة
وكيف حال اي فانظر كيف حصل اي على اي وجه حدث تدميرنا اياهم واما خبر لمبتدأ محذوف والجملة مبينة لما في
عاقبة مكرهم من الابهام اي هي تدميرنا اياهم وقومهم الذين لم يكونوا معهم في مباشرة التبييت اجمعين
بحيث لم يشذ منهم شاذ واما تعليل لما ينبئ عنه الامر بالنظر في كيفية عاقبة مكرهم من غاية الهول والفظاعة بحذف
الجار اي لانا دمرناهم الى اخره وقيل كان ناقصة اسمها عاقبة مكرهم خبرها كيف كان فالاوجه حينئذ ان يكون قوله
تعالى انا دمرناهم الى اخره تعليلا لما ذكر وقرئ انا دمرناهم الى اخره بالكسر على الاستيناف روي كان لصالح عليه السلام
مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن اهله قبل الثلاث
فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم فبعث الله تعالى صخرة من الهضب حيالهم
فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم اين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله تعالى كلا منهم
في مكانه ونجا صالحا ومن معه وقيل جاؤا بالليل شاهري سيوفهم وقد ارسل الله تعالى الملائكة ملاء دار صالح
فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا فتلك بيوتهم جملة مقررة لما قبلها وقوله تعالى خاوية اي خالية
او ساقطة منهدمة بما ظلموا اي بسبب ظلمهم المذكور حال من بيوتهم والعامل معنى الاشارة وقرئ خاوية بالرفع
على انه خبر لمبتدأ محذوف ان في ذلك اي فيما ذكر من التدمير العجيب بظلمهم لآية لعبرة عظيمة لقوم يعلمون اي ما
من شانه ان يعلم من الاشياء او لقوم يتصفون بالعلم وانجينا الذين آمنوا صالحا ومن معه من المؤمنين وكانوا يتقون
اي الكفر والمعاصي اتقاء مستمرا فلذلك خصوا بالنجاة ولوطا منصوب بمضمر معطوف على ارسلنا في صدر
قصة صالح داخل معه في حيز القسم اي وارسلنا لوطا وقوله تعالى اذ قال لقومه ظرف للارسال على ان المراد
به امر ممتد وقع فيه الارسال وما جرى بينه وبين قومه من الاقوال والاحوال وقيل انتصاب لوطا باضمار اذكر
بدل منه وقيل بالعطف على الذين آمنوا اي وانجينا لوطا وهو بعيد اتأتون الفاحشة اي الفعلة المتناهية
في القبح والسماجة وقوله تعالى وانتم تبصرون جملة حالية من فاعل تأتون مفيدة لتأكيد الانكار وتشديد التوبيخ
فان تعاطي القبيح من العالم بقبحه اقبح واشنع وتبصرون من بصر القلب اي اتفعلونها والحال انكم تعلمون
علما يقينيا بكونها كذلك وقيل تبصرونها بعضكم من بعض لما كانوا يعلنون بها ائنكم لتأتون الرجال شهوة تثنية
للانكار وتكرير للتوبيخ وبيان لما يأتون من الفاحشة بطريق التصريح وتحلية الجملة بحرفي التأكيد للايذان بان
مضمونها مما لا يصدق وقوعه احد لكمال بعده من العقول وايراد المفعول بعنوان الرجولية لتربية المهابة
التقبيح وتحقيق المباينة بينها وبين الشهوة التي علل بها الاتيان من دون النساء متجاوزين النساء اللاتي هن
محال الشهوة بل انتم قوم تجهلون تفعلون فعل الجاهلين بقبحه او تجهلون العاقبة او الجهل بمعنى السفاهة
والمجون بل انتم قوم سفهاء ماجنون والتاء فيه مع كونه صفة لقوم لكونهم في حيز الخطاب فما كان جواب قومه الا
ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون يتنزهون عن افعالنا او عن الاقذار ويعدون فعلنا قذرا وعن
ابن عباس رضي الله عنهما انه استهزاء وقد مر في سورة الاعراف ان هذا الجواب هو الذي صدر عنهم في المرة الا
من مرات مواعظ لوط عليه السلام بالامر والنهي لانه لم يصدر عنهم كلام آخر غيره فانجيناه واهله الا امرأته قدرنا
اي قدرنا انها من الغابرين اي الباقين في العذاب وامطرنا عليهم مطرا غير معهود فساء مطر المنذرين قد مر بيان
كيفية ما جرى عليهم من العذاب غير مرة قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى اثر ما قص الله تعالى على رسوله
صلى الله عليه وسلم قصص الانبياء المذكورين عليهم الصلوة والسلام واخبارهم الناطقة بكمال قدرته تعالى وعظم
شانه وبما خصهم به من الآيات القاهرة والمعجزات الباهرة الدالة على جلالة اقدارهم وصحة اخبارهم وبين
على السنتهم حقية الاسلام والتوحيد وبطلان الكفر والاشراك وان من اقتدى بهم فقد اهتدى ومن اعرض عنهم

خبره
ناها

فقد تردّي في مهاوي الردّي وشرح صدره عليه الصلوة والسلام بما في تضاعيف تلك القصص من فنون المعارف
الربانية ونوّر قلبه بانوار الملكات السبحانية الفائضة من عالم القدس وقرّر بذلك تحوي ما نطق به قوله عزّ وجل
وانك لتلقى القران من لدن حكيم عليم امره صلى الله عليه وسلم بان يحمد تعالى على ما افاض عليه من تلك النعم التي لا
مطمع وراءها الطامع ولا مطمح من دونها الطامح وسلّم على كافة الانبياء الذين من جملتهم الذين قصت عليه اخبارهم
التي هي من جملة المعارف التي اوحيت اليه عليه السلام اداء لحق تقدمهم واجتهادهم في الدين وقيل هو امر للوط عليه
السلام بان يحمد تعالى على اهلاك كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة عن الفواحش والنجاة عن الهلاك
ولا يخفى بعده الله خير اما يشركون اي الله الذي ذكرت شئونه العظيمة خير اما يشركونه به تعالى من الاصنام
ومرجع الترديد الى التعريض بتبكيت الكفرة من جهته تعالى وتسفيه ارائهم الركيكة والتهكم بهم اذ من البين
ان ليس فيما اشركوه به تعالى شائبة خير ما حتى يمكن ان يوازن بينه وبين من الاخيرة ولا اله غيره وقرئ
تشركون بالتاء الفوقانية بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى الكفرة وهو الاليق بما بعده من سياق النظم
الكريم المبني على خطابهم وجعله من جملة القول المأمور به يأباه قوله تعالى فانبتنا به الى آخره فانه صريح في ان التبكيت
من قبله عزّ وجل بالذات وحمله على انه حكاية منه عليه السلام لما امر به بعبارته كما في قوله تعالى قل يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم تعسف ظاهر من غير داع اليه وام في قوله تعالى امن خلق السموات والارض منقطعة وما
فيها من كلمة بل على القراءة الاولى للاضراب والانتقال من التبكيت تعريضا الى التصريح به خطابا على وجه اظهر منه
لمزيد التاكيد والتشديد واما على القراءة الثانية فلتثنية التبكيت وتكرير الالزام كنظائرها الآتية والهمزة
لتقريرهم اي حملهم على الاقرار بالحق على وجه الاضطرار فانه لا يتمالك احد ممن له ادنى تمييز ولا يقدر على ان
لا يعترف بخيرية من خلق جميع المخلوقات وافاض على كل منها ما يليق به من منافعه من اخس تلك المخلوقات
وادناها بل بان لا خيرية فيه بوجه من الوجوه قطعا ومن مبتدأ خبره محذوف مع ام المعادلة للهمزة تعويلا على
ما سبق في الاستفهام الاول خلا ان تشركون ههنا بناء الخطاب على القراءتين معا وهكذا في المواضع الاربعة الآتية
والمعنى بل امن خلق قطري العالم الجسماني ومبدأ منافع ما بينهما وانزل لكم التفات الى خطاب الكفرة على ان القراءة
الاولى لتشديد التبكيت والالزام اي انزل لاجلكم ومنفعتكم من السماء ماء اي نوعا منه هو المطر فانبتنا به حدائق
اي بساتين محدقة ومحاطة بالحوائط ذات بهجة اي ذات حسن ورونق يبتهج به النظار ما كان لكم اي ما صح وما
امكن لكم ان تنبتوا شجرها فضلا عن ثمرها وسائر صفاتها البديعة خيرا ما يشركون وتقديم صلتي الانزال على مفعوله
لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر والالتفات الى التكلم في قوله فانبتنا لتاكيد اختصاص الفعل بذاته تعالى والايذان
بان انبات تلك الحدائق المختلفة الاصناف والاوصاف والالوان والطعوم والروائح والاشكال مع ما لها من
الحسن البارع والبهاء الرائع بماء واحد مما لا يكاد يقدر عليه الا هو وحده حسبما ينبئ عنه تقييدها بقوله تعالى ما
كان لكم الى آخره سواء كانت صفة لها او حالا وتوحيد وصفها الاول اعني ذات بهجة لما ان المعنى جماعة حدائق
ذات بهجة على نهج قولهم النساء ذهبت وكذا الحال في ضمير شجرها أإله مع الله اي آله كائن مع الله الذي ذكر بعض
افعاله التي لا يكاد يقدر عليها غيره حتى يتوهم جعله شريكا له تعالى في العبادة وهذا تبكيت لهم بنفي الالوهية عما
يشركونه به تعالى في ضمن النفي الكلي على الطريقة البرهانية بعد تبكيتهم بنفي الخيرية عنه بما ذكر من الترديد فان احدا
ممن له تمييز في الجملة كما لا يقدر على انكار انتفاء الخيرية عنه بالمرة لا يكاد يقدر على انتفاء الالوهية عنه راسا
لا سيما بعد ملاحظة انتفاء احكامها عما سواه تعالى وهكذا الحال في المواقع الاربعة الآتية وقيل المراد نفي
ان يكون معه تعالى آله آخر فيما ذكر من الخلق وما عطف عليه لكن لا على ان التبكيت بنفس ذلك النفي فقط كيف لا
وهم يقرونه حسبما ينطق به قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله بل باشراكهم به تعالى
في العبادة ما يعترفون بعدم مشاركته له تعالى فيما ذكر من لوازم الالوهية حتى يجعله شريكا له تعالى في العبادة

كأنه قيل أإله آخر مع الله تعالى في خواص الالوهية صح

وقيل المعنى أغيره يقرون به ويجعل له شريكا في العبادة مع تفرده تعالى بالخلق والتكوين فالانكار للتوبيخ والتبكيت
مع تحقق المنكر دون النفي كما في الوجهين السابقين والاول هو الاظهر الموافق لقوله تعالى وما كان معه من اله والاوفق
بحق المقام لافادته نفي وجود آله آخر معه تعالى راسا لا نفي معيته في الخلق وفروعه فقط وقرئ أإلها بتوسيط
مدة بين الهمزتين وباخراج الثانية بين بين وقرئ أإلها باضمار فعل يناسب المقام مثل اتدعون او اتشركون
بل هم قوم يعدلون اضراب وانتقال من تبكيتهم بطريق الخطاب الى بيان سوء حالهم وحكايته لغيرهم اي بل هم
قوم عادتهم العدول عن طريق الحق بالكلية والانحراف عن الاستقامة في كل امر من الامور فلذلك يفعلون ما يفعلون
من العدول عن الحق الواضح الذي هو التوحيد والعكوف على الباطل البين الذي هو الاشراك وقيل يعدلون به غيره
وهو بعيد خال عن الافادة امن جعل الارض قرارا قيل هو بدل من امن خلق السموات الى آخره وكذا ما بعده من الجمل الثلاث
وحكم الكل واحد والاظهر ان كل واحدة منها اضراب وانتقال من التبكيت بما قبلها الى التبكيت بوجه آخر ادخل في الالزام
بجهة من الجهات اي جعلها بحيث يستقر عليها الانسان والدواب بابداء بعضها من الماء ودحوها وتسويتها
حسبما يدور منافعهم وجعل خلالها اوساطها انهارا جارية ينتفعون بها وجعل لها رواسي اي جبالا ثوابت
تمنعها ان تميد باهلها ويتكون فيها المعادن وينبع في حضيضها المنابيع ويتعلق بها من المصالح ما لا يخفى وجعل
بين البحرين العذب والمالح او خليجي فارس والروم حاجزا برزخا مانعا من الممازجة وقد مر في سورة الفرقان
والجعل في المواقع الثلاثة الاخيرة ابداعي وتاخير مفعوله عن الظرف لما مر مرارا من التشويق أإله مع الله في الوجود
او في ابداع هذه البدائع على ما مر بل اكثرهم لا يعلمون اي شيئا من الاشياء ولذلك لا يفهمون بطلان ما هم
عليه من الشرك مع كمال ظهوره امن يجيب المضطر اذا دعاه وهو الذي احوجته شدة من الشدائد والجأته الى اللجاء
والضراعة الى الله عز وجل اسم مفعول من الاضطرار الذي هو افتعال من الضرورة وعن ابن عباس رضي الله
عنهما هو المجهود وعن السدي من لا حول له ولا قوة وقيل المذنب اذا استغفر واللام للجنس لا للاستغراق
حتى يلزم اجابة كل مضطر ويكشف السوء وهو الذي يعتري الانسان مما يسوءه ويجعلكم خلفاء الارض اي خلفاء
فيها بان ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن قبلكم من الامم وقيل المراد بالخلافة الملك والتسلط أإله مع الله
الذي يفيض على كافة الانام هذه النعم الجسام قليلا ما تذكرون اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تتذكرون وما
مزيدة لتاكيد معنى القلة التي اريد بها العدم او ما يجري مجراه في الحقارة وعدم الجدوى وفي تذييل الكلام
بنفي التذكر عنهم ايذان بان مضمونه مركوز في ذهن كل ذكي وغبي وانه من الوضوح بحيث لا يتوقف الا على التوجه
اليه وتذكيره وقرئ يتذكرون على الاصل وتذكرون ويذكرون بالتاء والياء مع الادغام امن يهديكم في
ظلمات البر والبحر اي في ظلمات الليالي فيهما على ان الاضافة للملابسة او في مشتبهات الطرق يقال طريقة
ظلماء وعمياء للتي لا منار بها ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وهي المطر ولئن صح ان السبب الاكثري في تكون
الريح معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها وتموجها للهواء فلا ريب في ان الا
الفاعلية والقابلية لذلك كله من خلق الله عز وجل والفاعل للسبب فاعل للمسبب قطعا أإله مع الله نفي لان
يكون معه اله آخر وقوله تعالى تعالى الله عما يشركون تقرير وتحقيق له واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار
للاشعار بعلة الحكم اي تعالى وتنزه بذاته المنفردة بالالوهية المستتبعة لجميع صفات الكمال ونعوت
الجمال والجلال المقتضية لكون كل المخلوقات مقهورة تحت قدرته عما يشركون اي عن وجود ما يشركونه به تعالى
لا مطلقا فان وجوده مما لا مرد له بل عن وجوده بعنوان كونه الها وشريكا له تعالى او عن اشراكهم امن يبدأ
الخلق ثم يعيده اي بل امن يبدأ الخلق ثم يعيده بعد الموت بالبعث ومن يرزقكم من السماء والارض اي باسباب سماوية
وارضية قد رتبها على ترتيب بديع تقتضيه الحكمة التي عليها بني امر التكوين خير اما يشركونه في العبادة
من جماد لا يتوهم قدرته على شيء اصلا أإله آخر موجود مع الله حتى يجعل شريكا له في العبادة وقوله تعالى قل هاتوا

في
م
سباب

برهانكم امر له عليه السلام بتبكيتهم اثر تبكيت اي هاتوا برهانا عقليا او نقليا يدل على ان معه تعالى الها لا على ان غيره تعالى يقدر على شيء مما ذكر من افعاله تعالى كما قيل فانهم لا يدعونه صريحا ولا يلتزمون كونه من لوازم الالوهية وان كان معها في الحقيقة فطالبتهم بالبرهان عليه لا على صريح دعواهم مما لا وجه له وفي اضافة البرهان الى ضميرهم تهكم بهم لما فيها من ايهام ان لهم برهانا واني لهم ذلك ان كنتم صادقين اي في تلك الدعوى قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله بعد ما حقق تفرده تعالى بالالوهية ببيان اختصاصه بالقدرة الكاملة التامة والرحمة الشاملة العامة عقبه بذكر ما هو من لوازمه وهو اختصاصه بعلم الغيب تكميلا لما قبله وتمهيدا لما بعده من امر البعث والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على استحالة علم الغيب من اهل السموات والارض بتعليقه بكونه سبحانه وتعالى منهم كانه قيل ان كان الله تعالى ممن فيهما فان ذلك معنى مجازي عام له تعالى والاولى العلم من خلقه ومن موصولة او موصوفة وما يشعرون ايان يبعثون اي متى ينشرون من القبور مع كونه لا بد لهم منه ومن اهم الامور عندهم وايان مركبة من اي وان وقرئ بكسر الهمزة والضمير للكفرة وان كان عدم الشعور عاما ذكرا تاما لئلا يلزم التفكيك بينه وبين ما بعده من الضمائر الخاصة بهم قطعا وقيل الكل لمن واسند خواص الكفرة الى الجميع من قبيل قولهم بنو فلان فعلوا كذا والفاعل بعض منهم بل ادارك علمهم في الآخرة لما نفى عنهم علم الغيب واكد ذلك بنفي شعورهم بوقت ما هو مصيرهم لا محالة بولغ في تأكيده وتقريره باضراب عنه وبين انهم في جهل افحش من جهلهم بوقت بعثهم حيث لا يعلمون احوال الآخرة مطلقا مع تعاضد اسباب معرفتها على ان معنى ادارك علمهم في الآخرة تدارك وتتابع علمهم في شان الآخرة التي ما ذكر من البعث حال من احوالها حتى انقطع ولم يبق لهم علم بشيء مما سيكون منهم قطعا لكن لا على معنى انه كان لهم علم بذلك على الحقيقة ثم انتفى شيئا فشيئا بل على طريقة المجاز بتنزيل اسباب العلم ومباديه من الدلائل العقلية والسمعية منزلة نفسه واجراء سقوطها عن درجة اعتبارهم كلما لاحظوها مجرى تتابعها الى الانقطاع ثم اضرب وانتقل عن بيان عدم علمهم بها الى بيان ما هو اسوأ منه وهو حيرتهم في ذلك حيث قيل بل هم في شك منها اي في شك مريب من نفس الآخرة وتحققها كمن تحير في امر لا يجد عليه دليلا فضلا عن الامور التي ستقع فيها ثم اضرب عن ذلك الى بيان ان ما هم فيه اشد وافظع من الشك حيث قيل بل هم منها عمون بحيث لا يكادون يدركون دلائلها لاختلال بصائرهم بالكلية وقرئ ادرك علمهم بمعنى انتهى وفني وقد فسره الحسن البصري باضمحل علمهم وقيل كلتا الصيغتين على معناها الظاهر اي تكامل واستحكم او تم اسباب علمهم بان القيمة كائنة لا محالة من الآيات القاطعة والحجج الساطعة وتمكنوا من المعرفة فضل تمكن وهم جاهلون في وقوله تعالى بل هم في شك منها اضراب وانتقال من وصفهم بمطلق الجهل الى وصفهم بالشك وقوله تعالى بل هم منها عمون اضراب عن وصفهم بالشك الى وصفهم بما هو اشد منه وافظع من العمى وانت خبير بان تنزيل اسباب العلم منزلة العلم سنن مسلوك لكن دلالة النظم الكريم على جهلهم حينئذ ليست بواضحة وقيل المراد بوصفهم باستحكام العلم وتكامله التهكم بهم فيكون وصفا لهم بالجهل مبالغة والاصل اتان على ما ذكر واصل ادارك تدارك وبه قرأ ابي فابدلت التاء دالا وسكنت فتعذر الابتداء فاجتلبت همزة الوصل فصار اداراك وقرئ بل ادرك واصله افتعل وبل ادرك بهمزتين وبل آادرك بالف بينهما وبل ادرك بالتخفيف والنقل وبل ادرك بفتح اللام وتشديد الدال واصله بل ادرك على الاستفهام وبلى ادرك وبلى ادرك وام تدارك وام ادرك فهذه ثنتا عشرة قراءة فما فيه استفهام صريح او مضمن من ذلك فهو انكار ونفي وما فيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسير له بالادراك على وجه التهكم الذي هو ابلغ وجوه النفي والانكار وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة في النفي ودلالة على ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون او رد وانكار لشعورهم وقال الذين كفروا بيان لجهلهم بالآخرة وعمههم منها بحكاية انكارهم للبعث ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز صلته والاشعار بعلة حكمهم الباطل في قولهم اءذا كنا ترابا وآباؤنا ائنا لمخرجون اي انخرج من القبور اذا كنا ترابا كما ينبئ عنه مخرجون ولا

نفيهم من يعلم الغيب او متصل على ان المراد من في السموات والارض من تعلق علمه بهما واطلع عليهما اطلاع الحاضر فيهما صح صح صح

مساغ

مساغ لان يكون هو العامل في اذا لاجتماع موانع لو تفرد واحد منها لكفى في المنع وتقييد الاخراج بوقت كونهم ترابا ليس لتخصيص الانكار بالاخراج حينئذ فقط فانهم منكرون الاحياء بعد الموت مطلقا وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار بتوجيهه الى الاخراج في حالة منافية له وقوله تعالى وآباؤنا عطف على اسم كان وقام الفعل مع الخبر مقام الفصل بالتأكيد وتكرير الهمزة في ائنا للمبالغة والتشديد في الانكار وتحلية الجملة بان واللام لتأكيد الانكار لا لانكار التأكيد كما يوهمه ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في قوله تعالى افلا تعقلون ونظائره على رأي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وقرئ اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرئ انا لمخرجون لقد وعدنا هذا اي الاخراج نحن وآباؤنا من قبل اي من قبل وعد محمد عليه الصلاة والسلام وتقديم الموعود على نحن لانه المقصود بالذكر وحيث اخر قصد به المبعوث والجملة استئناف مسوق لتقرير الانكار وتصديره بالقسم لمزيد التأكيد وقوله تعالى ان هذا الا اساطير الاولين تقرير اثر تقرير قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين بسبب تكذيبهم للرسل عليهم السلام فيما دعوهم اليه من الايمان بالله عز وجل وحده وباليوم الآخر الذي تنكرونه فان في مشاهدة عاقبتهم ما فيه كفاية لاولي الابصار وفي التعبير عن المكذبين بالمجرمين لطف بالمؤمنين في ترك الجرائم ولا تحزن عليهم لاصرارهم على الكفر والتكذيب ولا تكن في ضيق في حرج وضيق صدر مما يمكرون من مكرهم فان الله يعصمك من الناس وقرئ بكسر الضاد وهو ايضا مصدر ويجوز ان يكون المفتوح مخففا من ضيق وقد قرئ كذلك اي لا تكن في امر ضيق ويقولون متى هذا الوعد اي العذاب العاجل الموعود ان كنتم صادقين في اخباركم بذلك قل عسى ان يكون ردف لكم اي تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتأكيد كالباء في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او لفعل مضمن معنى فعل يتعدى باللام وقرئ بفتح الدال وهي لغة فيه بعض الذي تستعجلون وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك بمنزلة الجزم بها وانما يطلقونها اظهارا للوقار واشعارا بان الرمز من امثالهم كالتصريح ممن عداهم وعلى ذلك مجرى وعد الله تعالى ووعيده وايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال عسى ان يردفكم الى آخره لكونه ادل على تحقق الوعد وان ربك لذو فضل على الناس اي لذو افضال وانعام على كافة الناس ومن جملة انعاماته تأخير عقوبة هؤلاء على ما يرتكبونه من المعاصي التي من جملتها استعجال العذاب ولكن اكثرهم لا يشكرون لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون بجهلهم وقوعه كداب هؤلاء وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم اي ما تخفيه وقرئ بفتح التاء من كننت الشيء اي سترته وما يعلنون من الافعال والاقوال التي من جملتها ما حكي عنهم من استعجال العذاب وفيه ايذان بان لهم قبائح غير ما يظهرونه وانه تعالى يجازيهم على الكل وتقديم السر على العلن قد مر سره في سورة البقرة عند قوله تعالى ولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون وما من غائبة في السماء والارض اي من خافية فيهما وهما من الصفات الغائبة والتاء للمبالغة كما في الراوية او اسمان لما يغيب ويخفى والتاء للنقل الى الاسمية الا في كتاب مبين اي بين او مبين لما فيه لمن يطالعه وهو اللوح المحفوظ وقيل هو القضاء العدل بطريق الاستعارة ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون من جملة ما اختلفوا في شان المسيح وتحزبوا فيه احزابا وركبوا متن الغلو والعتو في الافراط والتفريط والتشبيه والتنزيه ووقع بينهم التناكر في اشياء حتى بلغت الشاقة الى حيث لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن الكريم ببيان كنه الامر لو كانوا في حيز الانصاف وانه لهدى ورحمة للمؤمنين على الاطلاق فيدخل فيهم من آمن من بني اسرائيل دخولا اوليا ان ربك يقضي بينهم اي بين بني اسرائيل بحكمه اي بما يحكم به وهو الحق او بحكمته ويؤيده انه قرئ بحكمه وهو العزيز فلا يرد حكمه وقضاؤه العليم بجميع الاشياء التي من جملتها ما يقضي به والفاء في قوله تعالى فتوكل على الله لترتيب الامر على ما ذكر من شؤونه تعالى فانها موجبة للتوكل عليه وداعية الى الامر به اي فتوكل على الله الذي هذا شانه فانها موجبة للتوكل عليه وداعية الى الامر به اي فتوكل على الله الذي هذا

شأنه فانه موجب على كل احد ان يتوكل عليه ويفوض جميع اموره اليه وقوله تعالى **انك على الحق المبين** تعليل صريح للتوكل عليه
بكونه عليه الصلوة والسلام على الحق المبين او الفاصل بينه وبين الباطل او بين المحق والمبطل فان كونه عليه الصلوة والسلام كذلك
مما يوجب الوثوق بحفظه تعالى ونصرته وتأييده لا محالة وقوله تعالى **انك لا تسمع الموتى** تعليل آخر للتوكل الذي هو عبارة عن
التبتل الى الله تعالى وتفويض الامر اليه والاعراض عن التشبث بما سواه وقد علل اولا بما يوجبه من جهته تعالى اعني قضاه بالحق وعزته
وعلمه تعالى وثانيا بما يوجبه من جهته عليه الصلوة والسلام على احد الوجهين اعني كونه عليه الصلوة والسلام على الحق ومن جهته تعالى
على الوجه الآخر اعني اعانته تعالى وتأييده للمحق ثم علل ثانيا بما يوجبه لكن لا بالذات بل بواسطة ايجابه للاعراض عن التشبث بما
سواه تعالى فان كونهم كالموتى والصم والعمي موجب لقطع الطمع عن مشايعتهم ومعاضدتهم راسا وداع الى تخصيص الاعتضاد
به تعالى وهو المعنى بالتوكل عليه تعالى وانما شبهوا بالموتى لعدم تأثرهم بما يتلى عليهم من القوارع واطلاق الاسماع عن المفعول
لبيان عدم سماعهم لشيء من المسموعات ولعله المراد تشبيه قلوبهم بالموتى فيما ذكر من عدم الشعور فان القلب مشعر من المشاعر
اشير الى بطلانه بالمرة ثم بين بطلان مشعري الاذن والعين كما في قوله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون
بها ولهم اذان لا يسمعون بها والا فبعد تشبيه انفسهم بالموتى لا يظهر لتشبيههم بالصم والعمي مزيد مزية **ولا تسمع
الصم الدعاء** اي الدعوة الى امر من الامور وتقييد النفي بقوله تعالى **اذا ولوا مدبرين** لتكميل التشبيه وتأكيد النفي فانهم مع
صممهم عن الدعاء الى الحق معرضون عن الداعي مولون على ادبارهم ولا ريب في ان الاصم لا يسمع الدعاء مع كون الداعي
بمقابلة صماخه قريبا منه فكيف اذا كان خلفه بعيدا منه **وقرئ** ولا يسمع الصم الدعاء **وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم**
هداية موصلة الى المطلوب كما في قوله تعالى فانك لا تهدي من احببت فان الاهتدا منوط بالبصر وعن متعلقة بالهد[اية]
باعتبار تضمنه معنى الصرف وقيل بالعمي يقال عمي عن كذا وفيه بعد وايراد الجملة الاسمية للمبالغة في نفي الهداية **وقرئ**
وما انت تهدي العمي **ان تسمع** اي ما تسمع سماعا يجدي السامع نفعا **الا من يؤمن باياتنا** اي من شانهم الايمان بها
وايراد الاسماع في النفي والاثبات دون الهداية مع قربها بان يقال ان تهدي الا من يؤمن الى آخره لما ان طريق الهداية
هو اسماع الايات التنزيلية **فهم مسلمون** تعليل لايمانهم بها كانه قيل فانهم منقادون للحق وقيل مخلصون لله تعالى من قوله تعالى بلى
من اسلم وجهه لله تعالى **واذا وقع القول عليهم** بيان لما اشير اليه بقوله تعالى بعض الذي تستعجلون من بقية ما يستعجلونه من الساعة
ومباديها والمراد بالقول ما نطق من الايات الكريمة بمجيء الساعة وما فيها من فنون الاهوال التي كانوا يستعجلونها وبوقوعه
قيامها وحصولها عبر عن ذلك به للايذان بشدة وقعها وتأثيرها واسناده الى القول لما ان المراد بيان وقوعها من حيث
انها مصداق للقول الناطق بمجيئها وقد اريد بالوقوع دنوه واقترابه كما في قوله تعالى اتى امر الله اذا دنا وقوع مدلول
القول المذكور الذي لا يكادون يسمعونه ومصداقه **اخرجنا لهم دابة من الارض** وهي الجساسة والتعبير عنها باسم الجنس
وتأكيد ابهامه بالتنوين التفخيمي من الدلالة على غرابة شانها وخروج اوصافها عن طور البيان ما لا يخفى وقد ورد في الحديث
ان طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب **وروي** ان لها اربع قوائم وله زغب وريش وجناحان **وعن**
ابن جريج في وصفها راس ثور وعين خنزير واذن فيل وقرن ايل وعنق نعامة وصدر اسد ولون نمر وخاصرة هر وذنب
كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع آدم عليه السلام **وقال** وهب وجهها وجه الرجل وباقي
خلقها خلق الطير **وروي** عن علي رضي الله عنه انه قال ليس بدابة لها ذنب ولكن لها لحية كانه يشير الى انه رجل والمشهور
انها دابة **وروي** لا يخرج الا راسها وراسها يبلغ عنان السماء او يبلغ السحاب **وعن** علي انها تخرج ثلاثة ايام والناس
ينظرون فلا يخرج الا ثلثها **وعن** النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل من اين تخرج الدابة فقال من اعظم المساجد حرمة على
الله تعالى يعني المسجد الحرام **وروي** ان لها ثلاث خرجات تخرج باقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهرا طويلا
فبينا الناس في اعظم المساجد حرمة على الله تعالى واكرمها فما يهولهم الا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم
عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة **وقيل** تخرج من الصفا وروي بينا عيسى عليه السلام
يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم تحرك القنديل وتنشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من

وعن ابي هريرة رضي الله عنه فيها كل لون ما بين قرنيها فرسخ للراكب وعن الحسن رضي الله عنه لا يتم خروجها الا بعد ثلاثة ايام ع

الصفا

الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام فتضرب المؤمن في مسجده بالعصا فتنكت نكتة بيضا فتفشو
حتى يضيء لها وجهه وتكتب بين عينيه هو مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم في انفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه
وتكتب بين عينيه هو كافر ثم تقول لهم انت يا فلان من اهل الجنة وانت يا فلان من اهل النار **وروي** عن ابن عباس
رضي الله عنهما انه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال ان الدابة تسمع قرع عصاي هذه **وروي** ابو هريرة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بيس الشعب شعب جياد مرتين او ثلاثا قيل ولم ذاك يا رسول
الله قال تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين فتكلم بالعربية بلسان ذلق وذلك قوله
تعالى **تكلمهم ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون** اي تكلمهم بانهم كانوا لا يوقنون بايات الله تعالى الناطقة بمجيء الساعة ومبادئها
بجميع اياته التي من جملتها تلك الايات وقيل باياته التي من جملتها خروجها بين الساعة والاول هو الحق كما ستحيط
به علما وقوي بان الناس الاية واضافة الايات الى نون العظمة لانها حكاية منه تعالى لمعنى قولها لا لعين عبارتها
وقيل لانها حكاية منها لقول الله عز وجل وقيل لاختصاصها به تعالى واثرها عنده كما يقول بعض خواص الملك خيلنا
وبلادنا وانما الخيل والبلاد لمولاه وقيل هناك مضاف محذوف اي بايات ربنا ووصفهم بعدم الايقان بها
مع انهم كانوا جاحدين بها للايذان بانه كان من حقهم ان يوقنوا بها ويقطعوا بصحتها وقد اتصفوا بنقيضه وقرئ
ان الناس بالكسر على اضمار القول او اجراء الكلام مجراه والكلام في الاضافة كالذي سبق وقيل استيناف مسوق
من جهته تعالى لتعليل اخراجها او تكلمها ويرده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل فانه صريح في كونه حكاية لعدم ايقانهم
السابق في الدنيا والمراد بالناس اما الكفرة على الاطلاق او مشركوا مكة **وقد روي** عن وهب انها تخبر كل من تراه ان اهل
مكة كانوا بمحمد والقران لا يوقنون **وقرئ** تكلمهم من الكلم الذي هو الجرح والمراد به ما فعل من الوسم بالعصا والخاتم
وقد يؤخذ كون القراءة المشهورة ايضا منه لمعنى التكثير ولا يخفى بعده **ويوم نحشر من كل امة فوجا** بيان اجمال لحال المكذبين
عند قيام الساعة بعد بيان بعض مباديها ويوم منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم والمراد بهذا
الحشر هو الحشر للعذاب بعد الحشر الكلي الشامل لكافة الخلق وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت مع ان المقصود
تذكير ما وقع فيه من الحوادث وقد مر بيان سره مرارا اي واذكر لهم وقت حشرنا اي جمعنا من كل امة من امم الانبياء
عليهم السلام او من اهل كل قرن من القرون جماعة كثيرة فمن تبعيضية لان كل امة منقسمة الى مصدق ومكذب
وقوله تعالى **ممن يكذب باياتنا** بيان للفوج اي فوجا مكذبين بها **فهم يوزعون** اي يحبس اولهم على آخرهم حتى
يتلاحقوا ويجتمعوا في موقف التوبيخ والمناقشة وفيه من الدلالة على كثرة عددهم وتباعد اطرافهم ما لا يخفى
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه ابو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي اهل مكة وهكذا
يحشر قادة سائر الامم بين ايديهم الى النار **حتى اذا جاؤا** الى موقف السؤال والجواب والمناقشة والحساب
قال اي الله عز وجل موبخا لهم على التكذيب والالتفات لتربية المهابة **اكذبتم باياتي** الناطقة بلقاء يومكم
هذا وقوله تعالى **ولم تحيطوا بها علما** جملة حالية مفيدة لزيادة شناعة التكذيب وغاية قبحه ومؤكدة للانكار والتوبيخ
اي اكذبتم بها بادي الراي غير ناظرين فيها نظرا يؤدي الى العلم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق حتما وهذا
نص في ان المراد بالايات فيما سلف في الموضعين هي الايات القرانية لانها هي المنطوية على دلائل الصحة وشواهد
الصدق التي لم يحيطوا بها علما مع وجوب ان يتأملوا ويتدبروا فيها لا نفس الساعة وما فيها **وقيل** هو معطوف
على كذبتم اي اجمعتم بين التكذيب وعدم التدبر فيها **اماذا كنتم تعملون** اي ام اي شيء كنتم تعملون بها او ام اي شيء
كنتم تعملون غير ذلك بمعنى انه لم يكن لهم عمل غير ذلك كانهم لم يخلقوا الا للكفر والمعاصي مع انهم ما خلقوا
الا للايمان والطاعة يخاطبون بذلك تبكيتا ثم يكبون في النار وذلك قوله تعالى **ووقع القول عليهم** اي حل بهم
العذاب الذي هو مدلول القول الناطق بحلوله ونزوله **بما ظلموا** بسبب ظلمهم الذي هو تكذيبهم بايات الله
فهم لا ينطقون لانقطاعهم عن الجواب بالكلية وابتلائهم بشغل شاغل من العذاب الاليم **الم يروا انا جعلنا الليل**

ليسكنوا فيه

الروية قلبية لا بصرية لان نفس الليل والنهار وان كانا من المبصرات لكن جعلهما كما ذكر من قبيل المعقولات اي الم يعلموا
انا جعلنا الليل بما فيه من الاظلام ليستريحوا فيه بالنوم والقرار والنهار مبصرا اي ليبصروا بما فيه من الاضاءة
طرق التقلب في امور المعاش فبولغ فيه حيث جعل الابصار الذي هو حال الناس حالا له ووصفا من اوصافه التي جعل
عليها بحيث لا ينفك عنها ولم يسلك في الليل هذا المسلك لما ان تاثير الظلام في السكون ليس بمثابة تاثير ضوء النهار
في الابصار ان في ذلك اي في جعلهما كما وصفا وما في اسم الاشارة من معنى البعد للاشعار ببعد درجته في الفضل
لايات اي عظيمة كثيرة لقوم يومنون دالة على صحة البعث وصدق الايات الناطقة به دلالة واضحة كيف
لا وان من تامل في تعاقب الليل والنهار واختلافهما على وجوه بديعة مبنية على حكم رايقة يحار في فهمها العقول
ولا يحيط بها الا الله عز وعلا وشاهد في الافاق ظلمة الليل المحاكية للموت بضياء النهار المضاهي للحيوة وعاين في
نفسه تبدل النوم الذي هو اخو الموت بالانتباه الذي هو مثل الحيوة قضا بان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله
يبعث من في القبور قضاء متقنا وجزم بان الله تعالى قد جعل هذا انموذجا له ودليلا يستدل به على تحققه وان الايات
الناطقة به وبكون حال النهار والليل برهانا عليه وساير الايات كلها حق نازل من عند الله ويوم ينفخ في الصور اما معطوف
على يحشر منصوب بناصبه او مضمر معطوف عليه والصور هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام عن ابي هريرة
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل
عليه السلام فهو واضعه على فيه شاخص بصره الى العرش متى يومر قال قلت يا رسول الله ما الصور قال القرن
قال قلت كيف هو قال عظيم والذي نفسي بيده ان اعظم دارة فيه كعرض السموات والارض فيومر بالنفخ فيه فينفخ
نفخة لا يبقى عندها في الحيوة احد غير من شاء الله تعالى وذلك قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات
ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون والذي يستدعيه سياق النظم الكريم وسياقه
ان المراد بالنفخ هاهنا هي النفخة الثانية وبالفزع في قوله تعالى ففزع من في السموات ومن في الارض ما يعتري الكل عند
البعث والنشور بمشاهدة الامور الهائلة الخارقة للعادات في الانفس والافاق من الرعب والتهيب الضروريين
الجبليين وايراد صيغة الماضي مع كون المعطوف عليه يعني ينفخ مضارعا للدلالة على تحقق وقوعه اثر النفخ ولعل
تاخير بيان الاحوال الواقعة عند ابتداء النفخة عن بيان ما يقع بعدها من حشر المكذبين من كل امة لتثنية
التهويل بتكرير التذكير ايذانا بان كل واحد منهما طامة كبرى وداهية دهيا حقيقة بالتذكير على حيالها ولو
روعي الترتيب الوقوعي لربما توهم ان الكل داهية واحدة قد امر بذكرها كما في قصة البقرة الا من شاء الله اي
ان لا يفزع فيه وكل اي كلهم عند النفخة اتوه حضروا الموقف بين يدي رب العزة جل جلاله للسوال والجواب
والمناقشة والحساب وقرى اتاه باعتبار لفظ الكل كما ان القراة الاولى باعتبار معناه وقري اتوه اي حاضروه
داخرين اي صاغرين وقري دخرين وقوله تعالى وترى الجبال عطف على ينفخ داخل في حكم التذكير وقوله عز وعلا
تحسبها جامدة اي ثابتة في اماكنها اما بدل منه او حال من ضمير ترى او من مفعوله وقوله تعالى وهي تمر مر السحاب
حال من ضمير الجبال في تحسبها او في جامدة اي تراها راي العين ساكنة والحال انها تمر مر السحاب الذي تسيرها
الرياح سيرا حثيثا وذلك ان الاجرام العظام اذا تحركت نحو سمت لا يكاد تتبين حركتها وعليه قول من قال
باد عن مثل الطود تحسب انهم • وقوف لحاج والركاب تهملج • وقد ادمج في هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال
السحاب في تخلخل الاجزاء وانتفاشها كما في قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش وهذا ايضا مما يقع بعد
النفخة الثانية عند حشر الخلايق يبدل الله عز وجل الارض غير الارض ويغير هياتها ويسير الجبال عن مقارها
على ما ذكر من الهيئة الهائلة ليشاهدها اهل المحشر وهي وان اندكت وتصدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها
وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية كما نطق به قوله تعالى ويسلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا
فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وقوله تعالى يومئذ تبدل الارض

ثم يومر باخرى فينفخ نفخة لا
يبقى معها ميت الا بعث
وقام وذلك قوله تعالى
صح

غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فان اتباع الداعي الذي هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله
تعالى لا يكون الا بعد النفخة الثانية وقد قالوا في تفسير قوله تعالى ويوم تسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم
ان صيغة الماضي في المعطوف مع كون المعطوف عليه مستقبلا للدلالة على تقدم الحشر على التسيير والروية كانه
قيل وحشرناهم قبل ذلك هذا وقد قيل فيه ان المراد هي النفخة الاولى والفزع هو الذي يستتبع الموت لغاية شدة الهول
كما في قوله تعالى فصعق من في السموات ومن في الارض الى آخره فيختص اثرها بمن كان حيا عند وقوعها من مات قبل ذلك
من الامم وجوز ان يراد بالاتيان داخرين رجوعهم الى امره تعالى وانقيادهم ولا ريب في ان ذلك مما ينبغي ان ينزه
ساحة التنزيل عن امثاله وابعد من هذا ما قيل ان المراد بهذه النفخة نفخة الفزع التي تكون قبل نفخة الصعق وهي
التي اريدت بقوله وما ينظر هولاء الا صيحة ما لها من فواق فيسير الله تعالى عندها الجبال فتمر مر السحاب فتكون
سرابا وترج الارض باهلها رجا فتكون كالسفينة الموثقة في البحر او كقنديل معلق وترجحه الارياح فانه مما لا ارتياب
له بالمقام قطعا والحق الذي لا محيد عنه ما قدمناه ومما هو نص في الباب ما سياتي من قوله تعالى وهم من فزع
يومئذ امنون صنع الله مصدر موكد لمضمون ما قبله اي صنع الله ذلك صنعا على انه عبارة عما ذكر من النفخ
في الصور وما ترتب عليه جميعا قصد به التنبيه على عظم شان تلك الافاعيل وتهويل امرها والايذان بانها
ليست بطريق اخلال نظام العالم وافساد احوال الكاينات بالكلية من غير ان يدعو اليها داعية ويكون لها عاقبة
بل هي من قبيل بدايع صنع الله تعالى المبنية على اساس الحكمة المستتبعة للغايات الجميلة التي لاجلها رتبت مقدمات
الخلق ومبادي الابداع على الوجه المتين • والمنهج الرصين • كما يعرب عنه قوله تعالى الذي اتقن كل شيء اي احكم
خلقه وسواه على ما تقتضيه الحكمة وقوله تعالى انه خبير بما يفعلون تعليل لكون ما ذكر صنعا محكما له تعالى ببيان
ان علمه تعالى بظواهر افعال المكلفين وبواطنها مما يدعو الى اظهارها وبيان كيفياتها على ما هي عليه من الحسن والسوء
وترتيب اجزيتها عليها بعد بعثهم وحشرهم وجعل السموات والارض والجبال على وفق ما نطق به التنزيل ليتحققوا
بمشاهدة ذلك ان وعد الله حق لا ريب فيه وقري خبير بما يفعلون وقوله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها بيان
لما اشير اليه باحاطة علمه تعالى بافعالهم من ترتيب اجزيتها عليها اي من جاء منكم او من اولئك الذين اتوه تعالى بالحسنة
فله من الجزاء ما هو خير منها اما باعتبار انه اضعافها واما باعتبار دوامه وانقضائها وفيه فله خير حاصل من جهتها وهو
الجنة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الحسنة كلمة الشهادة وهم اي الذين جاوا بالحسنات من فزع اي عظيم هائل لا يقادر
قدره وهو الفزع الحاصل من مشاهدة العذاب يوم تمام المحاسبة وظهور الحسنات والسيئات وهو الذي في قوله تعالى لا
يحزنهم الفزع الاكبر وعن الحسن رضي الله عنه حين يومر بالعبد الى النار وقال ابن جريج حين يذبح الموت وينادي المنادي
يا اهل الجنة خلود بلا موت ولاهل النار خلود بلا موت يومئذ اي يوم اذ ينفخ في الصور آمنون لا يعتريهم ذلك
الفزع الهائل ولا يلحقهم ضرره اصلا واما الفزع الذي يعتري كل من في السموات ومن في الارض من غير استثناء الله تعالى
انما هو التهيب والرعب الحاصل في ابتداء النفخة من معاينة فنون الدواهي والاهوال ولا يكاد يخلو منه احد بحكم الجبلة
وان كان آمنا من لحوق الضرر والامن يستعمل بالجار وبدونه كما في قوله تعالى افامنوا مكر الله وقري من فزع يومئذ بالاضافة
مع كسر الميم وفتحها ايضا والمراد هو الفزع المذكور في القراة الاولى لا جميع الافزاع الحاصلة يومئذ ومدار الاضافة كونه
اعظم الافزاع واكبرها كان ما عداه ليس بفزع بالنسبة اليه ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار اي كبوا فيها على وجوههم
منكوسين او كبت فيها انفسهم على طريقة ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة هل تجزون الا ما كنتم تعملون على الالتفات للتشديد
او على اضمار القول اي مقولا لهم ذلك انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها امر عليه الصلاة والسلام بان يقول لهم ذلك
بعد ما بين لهم احوال المبدا والمعاد وشرح احوال القيمة تنبيها لهم على انه قد تم امر الدعوة بما لا مزيد عليه ولم يبق له عليه
الصلوة والسلام بعد ذلك شان سوى الاشتغال بعبادة الله تعالى والاستغراق في مراقبته غير مبال بهم ضلوا ام رشدوا
اصلحوا او افسدوا ليحملهم ذلك على ان يهتموا بامور انفسهم ولا يتوهموا من شدة اعتنائه عليه الصلوة والسلام بامر دعوتهم انه

عليه الصلوة والسلام يظهر لهم ما يلجيهم الى الايمان لا محالة ويشتغلوا بتدارك احوالهم ويتوجهوا نحو التدبر فيما
شاهدوه من الايات الباهرة والبلدة هي مكة المعظمة وتخصيصها بالاضافة لتفخيم شانها واجلال مكانها والتعرض
لتحريمه تعالى اياها تشريف وتعظيم مع ما فيه من الاشعار بعلة الامر وموجب الامتثال به كما في قوله تعالى فليعبدوا
رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وامنهم من خوف ومن الرمز الى غاية شناعة ما فعلوا فيها الا يرى انهم مع كونها محرمة
من ان تنتهك حرمتها باختلاء خلاها وعضد شجرها وتنفير صيدها وارادة الالحاد فيها بوجه من الوجوه قد استمروا
فيها على تعاطي افجر افراد الفجور واشنع احاد الالحاد حيث تركوا عبادة ربها ونصبوا فيها الاوثان وعكفوا على عبادتها
قاتلهم الله انى يؤفكون **وله كل شيء** اي خلقا وملكا وتصرفا من غير ان يشاركه شيء في شيء من ذلك تحقيق للحق وتنبيه على ان
افراد مكة بالاضافة لما ذكر من التفخيم والتشريف مع عموم الربوبية لجميع الموجودات **وامرت ان اكون من المسلمين** اي اثبت على
ما كنت عليه من كوني من جملة الثابتين على ملة الاسلام والتوحيد اي الذين اسلموا وجوههم لله خالصة من قوله تعالى ومن
احسن دينا ممن اسلم وجهه لله **وان اتلو القران** اي اواظب على تلاوته لينكشف لي حقائقه الرائقة المخزونة في تضاعيفه
شيئا فشيئا او على تلاوته على الناس بطريق تكرير الدعوة وتثنية الارشاد فيكون ذلك تنبيها على كفايته في الهداية والارشاد
من غير حاجة الى اظهار معجزة اخرى فمعنى قوله تعالى **فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه** حينئذ فمن اهتدى بالايمان والعمل بما
فيه من الشرايع والاحكام وعلى الاول فمن اهتدى باتباعه اياي فيما ذكر من العبادة والاسلام وتلاوة القران فانما منافع اهتدائه
عايدة اليه لا الي **ومن ضل** بالكفر به والاعراض عن العمل بما فيه او بمخالفتي فيما ذكر **فقل** في حقه **انما انا من المنذرين** وقد خرجت
عن عهدة الانذار فليس علي من وبال ضلالته شيء وانما هو عليه فقط **وقل الحمد لله** اي على ما افاض علي من نعمائه التي اجلها
نعمة النبوة المستتبعة لفنون النعم الدينية والدنيوية ووفقني لتحمل اعبائها وتبليغ احكامها الى كافة الورى بالايات
البينة والبراهين النيرة وقوله تعالى **سيريكم اياته** من جملة الكلام المامور به اي سيريكم البتة في الدنيا اياته الباهرة
التي نطق بها القران كخروج الدابة وساير الاشراط وقد عد منها وقعة بدر وياباه قوله تعالى **فتعرفونها** اي فتعرفون انها
ايات الله تعالى حين لا ينفعكم المعرفة لانهم لا يعترفون بكونه وقعت بدر كذلك وقيل سيريكم في الاخرة **وما ربك بغافل
عما تعملون** كلام مسوق من جهته تعالى بطريق التذييل مقرر لما قبله متضمن للوعد والوعيد كما ينبي عنه اضافة الرب الى
ضمير النبي صلى الله عليه وسلم وتخصيص الخطاب اولا به عليه الصلوة والسلام وتعميمه ثانيا للكفرة من الشياب فيجازي
كلا منكم بعمله لا محالة وقرئ عما يعملون على الغيبة فهو وعيد محض والمعنى وما ربك بغافل عن اعمالهم فسيعذبهم البتة
فلا يحسبوا ان تاخير عذابهم لغفلته تعالى عن اعمالهم الموجبة له والله تعالى اعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة طس
كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وهود وصالح وابراهيم وشعيب عليهم السلام ومن كذب بهم ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله

سورة القصص وهي ثمان وثمانون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **طسم تلك ايات الكتاب المبين** قد مر ما يتعلق به من الكلام بالاجمال والتفصيل في اشباهه **نتلوا عليك**
اي نقرؤه بواسطة جبريل عليه السلام ويجوز ان تكون التلاوة مجازا من التنزيل **من نبا موسى وفرعون** مفعول نتلو اي بعض
نبائهما ملتبسين او ملتبسا **بالحق لقوم يؤمنون** متعلق بنتلو وتخصيصهم بذلك مع عموم الدعوة والبيان للكل لانهم
المنتفعون به **ان فرعون علا في الارض** استيناف جار مجرى التفسير للمجمل الموعود وتصديره بحرف التاكيد للاعتناء بتحقيق
مضمون ما بعده اي انه تجبر وطغى في ارض مصر وجاوز الحدود المعهودة في الظلم والعدوان **وجعل اهلها شيعا**
فرقا يشيعونه في كل ما يريد من الشر والفساد او شيع بعضهم بعضا في طاعته او اصنافا في استخدامه يستعمل كل صنف
في عمل ويسخر فيه من بناء وحرث وحفر وغير ذلك من الاعمال الشاقة ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية او فرقا مختلفة
قد اغرى بينهم العداوة والبغضاء لئلا يتفق كلمتهم **يستضعف طايفة منهم** وهم بنوا اسرائيل والجملة اما حال من فاعل جعل او
صفة شيعا او استيناف وقوله تعالى **يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم** بدل منها وكان ذلك لما ان كاهنا قال له يولد
في بني اسرائيل مولود يذهب ملكك على يده وما ذاك الا لغاية حمقه اذ لو صدق فما فايدة القتل وان كذب فما وجهه

تعليل اي وما ربك بغافل عما تعملون من الحسنات وما تعملون انتم ايها الكفرة م صح

او تلاوة ملتبسة بالحق م

انه كان

انه كان **انه كان من المفسدين** اي الراسخين في الافساد ولذلك اجترا على مثل تلك العظيمة من قتل المعصومين من اولاد الانبياء عليهم
السلام **ونريد ان نمن** اي نتفضل **على الذين استضعفوا في الارض** على الوجه المذكور بانجائهم من باسه وصيغة المضارع في
نريد حكاية حال ماضية وهو معطوف على ان فرعون علا الى اخره لتناسبهما في الوقوع تفسيرا للنبا او حال من
يستضعف بتقدير المبتدا اي يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان نمن عليهم وليس من ضرورة مقارنة الارادة والاستضعاف
مقارنة المراد له لما ان تعلقه استقبالي على ان منة الله تعالى عليهم بالخلاص لما كانت في شرف الوقوع جاز اجراؤها مجرى
الواقع المقارن له ووضع الموصول موضع الضمير لابانة قدر النعمة في المنة بذكر حالتهم السابقة المباينة لها **ونجعلهم ايمة**
يقتدى بهم في امور الدين بعد ان كانوا اتباعا مسخرين لاخرين **ونجعلهم الوارثين** لجميع ما كان منتظما في سلك ملك فرعون
وقومه وراثة معهودة فيما بينهم كما ينبئ عنه تعريف الوارثين وتاخير ذكر وراثتهم له عن ذكر جعلهم ايمة مع تقدمها
عليه زمانا لانحطاط رتبتها عن الامامة ولئلا ينفصل عنه ما بعده مع كونه من روادفه اعني قوله تعالى **ونمكن لهم
في الارض** الى اخره سلطهم على مصر والشام يتصرفون فيها كيف يشاؤن واصل التمكين ان يجعل للشيء مكانا يتمكن فيه
ونري فرعون وهامان وجنودهما اي من اولئك المستضعفين **ما كانوا يحذرون** ويجتهدون في دفعه من ذهاب ملكهم و
هلكهم على يد مولود منهم وقرئ يرى بالياء ورفع ما بعده على الفاعلية **واوحينا الى ام موسى** بالهام او رؤيا **ان ارضعيه**
ما امكنك اخفاؤه **فاذا خفت عليه** بان يحس به الجيران عند بكائه وينموا عليه **فالقيه في اليم** في البحر وهو النيل **ولا تخافي**
عليه ضيعة الغرق ولا شدة **ولا تحزني انا رادوه اليك** عن قريب بحيث تامنين عليه **وجاعلوه من المرسلين** والجملة تعليل للنهي
عن الخوف والحزن وايثار الجملة الاسمية وتصديرها بحرف التحقيق للاعتناء بتحقيق مضمونها اي انا فاعلون لرده وجعله
من المرسلين لا محالة **روي** ان بعض القوابل الموكلات من قبل فرعون بحبالى بني اسرائيل كانت مصافية لام موسى عليه
السلام فقالت لها لينفعني حبك اليوم فعالجتها فلما وقع الى الارض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل
حبه في قلبها ثم قالت ما جئتك الا لاقتل مولودك واخبر فرعون ولكني وجدت لابنك في قلبي محبة ما وجدت مثلها
لاحد فاحفظيه فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته في خرقة فالقته في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش عقلها
فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا وهي لا تدري مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله تعالى النار عليه
بردا وسلاما فلما الح فرعون في طلب الولدان اوحى الله تعالى ما اوحى **وقد روي** انها ارضعته ثلاثة اشهر ووضعته
في تابوت بردي مطلي بالقار من داخله والفاء في قوله تعالى **فالتقطه ال فرعون** فصيحة مفصحة عن عطفه على جملة
مرتبة على ما قبلها من الامر بالالقاء قد حذفت تعويلا على دلالة الحال وايذانا بكمال سرعة الامتثال اي فالقته في
اليم بعد ما جعلته في التابوت حسبما امرت به فالتقطه ال فرعون اي اخذوه اخذ اعتناء به وصيانة عن الضياع
قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره كان لفرعون يومئذ بنت لم يكن له ولد غيرها وكانت من اكرم الناس اليه وكان
بها برص شديد عجزت الاطباء عن علاجه فقالوا لا تبرا الا من قبل البحر يوخذ منه شبه الانس يوم كذا وساعة كذا
من شهر كذا حين تشرق الشمس فيوخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرا فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون في مجلس له على شفير
النيل ومعه امراته آسية بنت مزاحم بنت عبيد بن الريان بن الوليد الذي كان في مصر في زمن يوسف الصديق عليه
السلام **وقيل** كانت من بني اسرائيل من سبط موسى وقيل كانت عمته حكاه السهيلي واقبلت بنت فرعون في جواريها حتى
جلست على شاطئ النيل فاذا بتابوت في النيل تضربه الامواج فتعلق بشجرة فقال فرعون ايتوني به فابتدروا بالسفن
فاحضروه بين يديه فعالجوا فتحه فلم يقدروا عليه وقصدوا كسره فاعياهم فنظرت آسية فرات نورا في جوف
التابوت لم يره غيرها فعالجته ففتحته فاذا هو بصبي صغير في مهده واذا نور بين عينيه وهو يمص ابهامه لبنا فالقى
الله تعالى محبته في قلوب القوم وعمدت ابنة فرعون الى ريقه فلطخت به برصها فبرات من ساعته **وقيل** لما نظرت
الى وجهه برات فقالت الغواة من فرعون انا نظن ان هذا هو الذي تحذر منه رمي في البحر فرقا منك فاقتله فهم
فرعون بقتله فاستوهبته آسية فتركه كما سياتي واللام في قوله تعالى **ليكون لهم عدوا وحزنا** لام العاقبة ابرز

مدخولها في معرض العلة لالتقاطهم تشبيهًا له في الترتيب عليه بالغرض الحامل عليه وقرئ حزنا وهما لغتان كالسقم
والسقم جعل عليه السلام نفس الحزن ايذانا بقوة سببيته لحزنهم ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين اي في كل ما ياتون
وما يذرون فلا غرو في ان قتلوا لاجله الوفا ثم اخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرونه روي انه
ذبح في طلبه عليه السلام تسعون الف وليدًا وكانوا مذنبين فعاقبهم الله تعالى بان ربي عدوهم على ايديهم فالجملة
اعتراضية لتاكيد خطابهم او لبيان الموجب لما ابتلوا به وقرئ خاطين على انه تخفيف خاطئين او على انه بمعنى متعدين
الصواب الى الخطا وقالت امراة فرعون اي لفرعون حين اخرجته من التابوت قرت عين لي ولك اي هو قرة عين لنا لما
انهما رايا اياه احباه او لما ذكر من برء بنته من البرص بريقه وفي الحديث انه قال لك لا لي ولو قال لي كما هو لك لهداه
الله تعالى كما هداها لا تقتلوه خاطبته بلفظ الجمع تعظيما ليساعدوه فيما تريد عسى ان ينفعنا فان فيه مخايل اليمن و
دلائل النجابة وذلك لما رات فيه من العلامات المذكورة او نتخذه ولدا اي نتبناه فانه خليق بذلك وهم لا يشعرون
حال من آل فرعون والتقدير فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امراته له كيت وكيت وهم لا يشعرون
بانهم على خطاء عظيم فيما صنعوا من الالتقاط ورجاء النفع منه والتبني له وقوله ان فرعون الاية اعتراض وقع بين
المعطوفين لتاكيد خطابهم وقيل حال من احد ضميري نتخذه على ان الضمير للناس اي وهم لا يعلمون انه لغيرنا وقد تبنيناه
واصبح فؤاد ام موسى فارغا اي صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون كقوله تعالى
وافئدتهم هواء اي خلاء لا عقول فيها ويعضده انه قرئ فزعا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اي هدر وقيل فارغا من الهم
والحزن لغاية وثوقها بوعد الله تعالى وسماعها ان فرعون عطف عليه وتبناه ان كادت لتبدي به اي انها كادت
لتظهر بموسى اي بامره وقصته من فرط الحيرة والدهشة او الفرح لتبنيه لولا ان ربطنا على قلبها بالصبر والثبات
لتكون من المؤمنين اي المصدقين بوعد الله تعالى او من الواثقين بحفظه لا بتبني فرعون وتعطفه وقرئ موسى اجراء للضمة
في جارة الواو مجرى ضمتها في استدعاء همزتها همزة واو وجوه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف لدلالة ما قبله
عليه وقالت لاخته مريم والتعبير عنها باخته عليه السلام هو ان يقال لبنتها للتصريح بمدار المحبة الموجبة للامتثال
للامر قصيه اي اتبعي اثره وتتبعي خبره فبصرت به وابصرته عن جنب عن بعد وقرئ بسكون النون وعن جانب والكل
بمعنى وهم لا يشعرون انها تقصه وتتعرف حاله او انها اخته والتعبير عنها باخته عليه السلام دون ان يقال لبنتها
بالتصريح بمدار المحبة الموجبة للامتثال بالامر وحرمنا عليه المراضع اي منعناه ان يرتضع من المرضعات والمراضع جمع
مرضع وهي المراة التي ترضع او مرضع هو الرضاع او موضعه اعني الثدي من قبل اي من قبل قصها اثره فقالت عند رؤيتها
لعدم قبوله الثدي واعتناء فرعون بامره وطلبهم من يقبل ثديها هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم اي لاجلكم وهم له
ناصحون لا يقصرون في ارضاعه وتربيته روي ان هامان لما سمعه منها قال انها لتعرفه واهله فخذوها
حتى تخبر بحالها فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون فامرها فرعون بان تاتي بمن يكفله فاتت بامه وموسى
على يد فرعون يبكي وهو يعلله فدفعه اليها فلما وجد ريحها استانس والتقم ثديها فقال من انت منه فقد
ابى كل ثدي الا ثديك فقالت اني امراة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فقرره في يديها واجرى
عليها فرجعت به الى بيتها من يومها وذلك قوله تعالى فرددناه الى امه كي تقر عينها بوصول ولدها اليها ولا تحزن
بفراقه ولتعلم ان وعد الله حق اي جميع ما وعده من رده وجعله من المرسلين حق لا خلف فيه بمشاهدة بعضه وقياس
بعضه عليه ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الامر كذلك فيرتابون فيه او ان الغرض الاصلي من الرد علمها بذلك وما سواه تبع
وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون ولما بلغ اشده اي المبلغ الذي لا يزيد عليه نشوه وذلك
من ثلاثين الى اربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ وروي انه لم يبعث نبي الا على راس الاربعين واستوى اي اعتدل
قده او عقله اتيناه حكما اي نبوة وعلما بالدين او علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه بعد الهجرة في المراجعة
وكذلك مثل ذلك الذي فعلنا بموسى وامه نجزي المحسنين على احسانهم ودخل المدينة اي مصر من قصر فرعون

او نتخذه ولدا صح

وقيل

وقيل منف او حابين او عين الشمس من نواحيها على حين غفلة من اهلها في وقت لا يعتاد دخولها ولا يتوقعونه فيه
قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشائين فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته اي ممن شايعه على دينه
وهم بنو اسرائيل وهذا من عدوه اي من مخالفيه دينا وهم القبط والاشارة على الحكاية فاستغاثه الذي من شيعته اي ساله
ان يغيثه بالاعانة كما ينبئ عنه تعديته بعلى وقرئ استعانه على الذي من عدوه فوكزه موسى اي ضرب القبطي بجميع كفه وقرئ
فلكزه اي فضرب بصدره فقضى عليه فقتله واصله انهى حياته من قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر قال هذا من عمل الشيطان
لانه لم يكن مامورا بقتل الكفار او لانه كان مامونا فيما بينهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطا
وانما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر عنه جريا على سنن المقربين في استعظام ما فرط منهم ولو كان من
محقرات الصغائر انه عدو مضل مبين ظاهر العداوة والاضلال قال توسيط بين كلاميه عليه السلام لابانة ما
بينهما من المخالفة من حيث انه مناجاة ودعاء رب اني ظلمت نفسي اي بقتله فاغفر لي ذنبي فغفر له ذلك انه هو
الغفور الرحيم اي المبالغ في مغفرة ذنوب عباده ورحمتهم قال رب بما انعمت علي اما قسم محذوف الجواب اي اقسم
بانعامك علي بالمغفرة لاتوبن فلن اكون بعد هذا ابدا ظهيرا للمجرمين واما استعطاف اي بحق انعامك علي
اعصمني فلن اكون معينا لمن تؤدي معاونته الى الجرم وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه عليه السلام لم يستثن
فابتلي به مرة اخرى وهذا يؤيد الاول وقيل بما انعمت علي من القوة اعين اولياءك فلن استعملها في مظاهرة
اعدائك فاصبح في المدينة خائفا يترقب يترصد الاستقادة او الاخبار فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه اي يستغيثه برفع الصوت
من الصراخ قال له موسى انك لغوي مبين اي بين الغواية تسببت لقتل رجل وتقاتل اخر فلما اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما
اي لموسى والاسرائيلي اذ لم يكن على دينهما ولان القبط كانوا اعداء لبني اسرائيل على الاطلاق وقرئ يبطش بضم الطاء قال
اي الاسرائيلي ظانا انه عليه السلام يبطش به حسبما توهمه تسميته اياه غويا يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس قالوا لما
سمع القبطي قول الاسرائيلي علم ان موسى هو الذي قتل ذلك الفرعوني فانطلق الى فرعون فاخبره بذلك وامر فرعون
بقتل موسى عليه السلام وقيل قاله القبطي ان تريد اي ما تريد الا ان تكون جبارا في الارض وهو الذي يفعل كلما يريد
من الضرب والقتل ولا ينظر في العواقب وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لامر الله تعالى وما تريد ان تكون من المصلحين
بين الناس بالقول والفعل وجاء رجل من اقصى المدينة اي كائن من اخرها او جاء من اخرها يسعى اي يسرع صفة لرجل او حال
منه على ان الجار والمجرور صفة له لا متعلق بجاء فان تخصصه بها يلحقه بالمعارف قيل هو مؤمن آل فرعون واسمه
حزقيل وقيل شمعون وقيل سمعان قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك اي يتشاورون بسببك فان كلا من
المتشاورين يأمر الاخر او يأتمر فاخرج اي من المدينة اني لك من الناصحين اللام للبيان لما ان معمول الصلة لا يتقدم
فخرج منها اي من المدينة خائفا يترقب اي لحوق الظالمين قال رب نجني من القوم الظالمين خلصني منهم واحفظني من
لحوقهم ولما توجه تلقاء مدين اي نحو مدين قرية شعيب عليه السلام سميت باسم مدين بن ابرهيم ولم تكن تحت
سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر ثمانية ايام قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل توكلا على الله وثقة بحسن توفيقه
وكان لا يعرف الطرق فعن له ثلاث طرق فاخذ الوسطى وجاء الطلاب فشرعوا في الاخريين وقيل خرج خائفا
لا يعيش الا بورق الشجر فما وصل حتى سقط خف قدميه وقيل جاء ملك على فرس وبيده عنزة فانطلق به الى
مدين ولما ورد ماء مدين اي وصل اليه وهو بئر كانوا يسقون منها وجد عليه اي فوق شفيرها امة جماعة كثيرة
من الناس يسقون اي مواشيهم ووجد من دونهم اي في موضع اسفل منهم امراتين تذودان اي تمنعان ما معهما من
الاغنام عن التقدم الى البئر كيلا تختلط باغنامهم مع عدم الطاقة في التقدم قال عليه السلام لهما حين راهما
على ما هما عليه من التاخر والذود قال ما خطبكما ما شانكما فيما انتما عليه من التاخر والذود ولم لا تباشران السقي
كداب هؤلاء قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء اي عادتنا لا نسقي حتى يصرف الرعاء مواشيهم بعد ريها من الماء عجزا
عن مساجلتهم وحذرا عن مخالطة الرجال لا انا لا نسقي اليوم الى تلك الغاية وحذف مفعول السقي والذود والا

ن

مها

صدار

لما ان العرض هو بيان تلك الافعال او نفسها اذ هي التي دعت موسى عليه السلام الى ما صنع في حقهما من المعروف فانه عليه السلام انما رحمهما لكونهما على الذياد للعجز والعفة وكونهم على السقي غير مبالين بهما وما رحمهما لكون مذودهما غنما وسقيهم ابلا مثلا وقرئ لا نسقي من الاسقاء ويصدر من الصدور والرعاء بضم الراء وهو اسم جمع كالرجال واما الرعاء فجمع قياسي كصيام وقيام وقوله تعالى وابونا شيخ كبير ابلاء منهما للعذر اليه عليه السلام في توليهما للسقي بانفسهما كانهما قالتا انا امراتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم وما لنا رجل يقوم بذلك وابونا شيخ كبير السن قد اضعفه الكبر فلا بد لنا من تاخير السقي الى ان يقضي الناس اوطارهم من الماء فسقى لهما رحمة عليهما والكلام في حذف مفعوله كما مر انفا روي ان الرعاة كانوا يضعون على راس البير حجرا لا يقله الا سبعة رجال وقيل عشرة وقيل اربعون وقيل مائة فاقله وحده مع ما كان به من الضعف والجراحة والجوع ولعله عليه السلام زاحمهم في السقي لهما فوضعوا الحجر على البير لتعجيزه عليه السلام عن ذلك فان الظاهر انه عليه السلام غب ما شاهد حالهما سارع الى السقي لهما وقد روي انه عليه السلام دفعهم عن الماء الى سقي لهما وقيل كانت هناك بير اخرى عليها الصخرة المذكورة وروي انه عليه السلام سالهم دلوا من ماء فاعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكان لا ينزعها الا اربعون فاستقى بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة وروى غنمهما واصدرهما ثم تولى الى الظل الذي كان هناك فقال رب اني لما انزلت الي اي اي شيء انزلته الي من خير جل او قل وحمله الاكثرون على الطعام بمعونة المقام فقير اي محتاج ولتضمنه معنى السؤال والطلب جيء بلام الدعامة لتقوية العمل وقيل المعنى لما انزلت الي من خير عظيم هو خير الدارين صرت فقيرا في الدنيا لانه كان في سعة من العيش عند فرعون قاله عليه السلام اظهارا للتبجح والشكر على ذلك فجاءته احديهما قيل هي كبراهما واسمها صفورا او صفرا وقيل صغراهما اي جاءته عقيب ما رجعتا الى ابيهما روي انهما لما رجعتا الى ابيهما واغنامهما حفل بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحديهما اذهبي فادعيه لي وقوله تعالى تمشي حال من فاعل جاءت وقوله تعالى على استحياء متعلق بمحذوف وهو حال من ضمير تمشي اي جاءته تمشي على استحياء فمعناه انها كانت على استحياء حالتي المشي والمجي معا لا عند المجي فقط وتنكير استحياء للتفخيم قيل جاءته متخفرة اي شديدة الحياء وقيل قد استترت بكم درعها قالت استيناف مبني على سؤال نشا من حكاية حال مجيها اياه عليه السلام كانه قيل فماذا قالت له عليه السلام فقيل قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا اي جزاء سقيك لنا اسندت الدعوة الى ابيها وعللتها بالجزاء لئلا يتوهم كلامها ريبة وفيه من الدلالة على كمال العقل والحياء والعفة ما لا يخفى روي انه عليه السلام اجابها فانطلقا وهي امامه فالزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشي خلفي وانعتي لي الطريق ففعلت حتى اتيا دار شعيب عليه السلام فلما جاءه وقص عليه القصص اي ما جرى عليه من الخبر المقصوص فانه مصدر سمي به المفعول كالعلل قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين الذي يلوح من ظاهر النظم الكريم ان موسى عليه السلام انما اجاب المستدعية من غير تلعثم ليتبرك برؤية شعيب عليه السلام ويستظهر برايه لا لياخذ بمعروفه اجرا حسبما صرحت به الا يرى ما روي ان شعيبا لما قدم اليه طعاما قال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الارض ذهبا ولا ناخذ على المعروف ثمنا ولم يتناول حتى قال شعيب عليهما السلام هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا فتناول بعد ذلك على سبيل التقبل لمعروف مبتدا كيف لا وقد قص قصصه وعرفه انه صلوات الله عليهما من بيت النبوة من اولاد يعقوب عليهم السلام ومثله حقيق بان يضيف ويكرم لا سيما في دار نبي من الانبياء عليهم الصلوة والسلام وقيل ليس بمستنكر منه عليه السلام ان يقبل الاجر لاضطرار الفقر والفاقة وقد روي عن عطا ابن السائب انه عليه السلام رفع صوته بدعائه ليسمعها ولذلك قيل له ليجزيك ولعله عليه السلام انما فعل ذلك ليكون ذريعة الى استدعائه لا الى استيفاء الاجر قالت احديهما وهي التي استدعته الى ابيها وهي التي زوجها موسى عليه السلام يا ابت استاجره لرعي الغنم والقيام بامرها ان خير من استاجرت القوي الامين تعليل جار مجرى الدليل على انه حقيق بالاستيجار وللمبالغة في ذلك جعل خيرا اسما

لان ذكر الفعل على صيغة الماضي للدلالة على انه امين مجرب روي ان شعيبا عليه السلام قال لها وما اعلمك بقوته وامانته فذكرت ما شاهدت منه عليه السلام من اقلال الحجر ونزع الدلو وانه صوب راسه حتى بلغته وامرها بالمشي خلفه قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تاجرني اي تكون اجيرا لي او تثيبني من اجرته كذا اذا اثبته اياه فقوله تعالى ثماني حجج على الاول ظرف وعلى الثاني مفعول به على تقدير مضاف اي رعية ثماني حجج ونقل عن المبرد انه يقال اجرت داري ومملوكي غير ممدود واجرت ممدودا والاول اكثر فعلى هذا يكون المفعول الثاني محذوفا والمعنى على ان تاجرني نفسك وقوله تعالى ثماني حجج ظرف كالوجه الاول فان اتممت عشرا في الخدمة والعمل فمن عندك اي فهو من عندك بطريق التفضل لا من عندي بطريق الالزام عليك وهذا من شعيب عليه السلام عرض لرايه على موسى عليه السلام واستدعائه منه للعقد لا انشاء وتحقيق له بالفعل وما اريد ان اشق عليك بالزام اتمام العشر او المناقشة في مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان ما يصعب عليك يشق عليك اعتقادك في اطاقته ويوزع رايك في مزاولته ستجدني ان شاء الله من الصالحين في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالعهد ومراده عليه السلام بالاستثناء التبرك وتفويض امره الى توفيقه تعالى لا الى تعليق صلاحه بمشيته تعالى قال ذلك بيني وبينك مبتدا وخبر اي ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم وثابت بيننا جميعا لا يخرج عنه واحد منا لا انا عما شرطت علي ولا انت عما شرطت على نفسك وقوله تعالى ايما الاجلين اي اكثرهما او اقصرهما قضيت اي وفيتكه باداء الخدمة فيه فلا عدوان علي تصريح بالمراد وتقرير لامر الخيرة اي لا عدوان علي بطلب الزيادة على ما قضيته من الاجلين وتعميم انتفاء العدوان لكلا الاجلين بصدد المشارطة مع عدم تحقق العدوان في اكثرهما راسا للقصد الى التسوية بينهما في الانتفاء اي كما لا اطالب بالزيادة على الثماني وايما الاجلين قضيت فلا اثم علي بمعنى كما لا اثم علي في قضاء الاكثر لا اثم علي في قضاء الاقصر فقط وقرئ اي الاجلين ما قضيت فما مزيدة لتاكيد القضاء كما انها في القراءة الاولى مزيدة لتاكيد ابهام اي وشياعها وقرئ ايما بسكون الياء كقول من قال ۞ تنظرت نصرا والسماكين ايهما ۞ علي من الغيث استهلت مواطره والله على ما نقول من الشروط الجارية بيننا وكيل شاهد وحفيظ فلا سبيل لاحد منا الى الخروج عنه اصلا وليس ما حكي عنهما عليهما السلام تمام ما جرى بينهما من الكلام في انشاء عقد النكاح وعقد الاجارة بل هو بيان لما عزما عليه واتفقا على ايقاعه حسبما يتوقف عليه مساق القصة اجمالا من غير تعرض لبيان مواجب العقدين في تلك الشريعة تفصيلا روي انهما لما اتما العقد قال شعيب لموسى عليهما السلام ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي وكانت عنده عصي الانبياء عليهم السلام فاخذ عصا هبط بها آدم عليه السلام من الجنة ولم يزل الانبياء يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب عليه السلام فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال غيرها فما وقع في يده الا هي سبع مرات فعلم ان له شانا وقيل اخذها جبرائيل عليه السلام بعد موت آدم فكانت معه حتى لقي بها موسى ليلا وقيل اودعها شعيبا ملك في صورة رجل فامر بنته ان تاتيه بعصا فاتته بها فردها سبع مرات فلم يقع في يدها غيرها فدفعها اليه ثم ندم لانها وديعة فتبعه فاختصما فيها ورضيا ان يحكم بينهما اول طالع فاتاهما الملك فقال القياها فمن رفعها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطقها ورفعها موسى عليه السلام وعن الحسن رضي الله عنه ما كانت الا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا وعن الكلبي الشجرة التي نودي منها شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما اصبح قال له شعيب صلوات الله عليهما اذا بلغت الطريق فلا تاخذ على يمينك فان الكلا وان كان بها اكثر الا ان فيها تنينا اخشى عليك وعلى الغنم فاخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها ومشى على اثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا بالتنين قد اقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى عليه السلام دامية فلما ابصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب عليه السلام مس الغنم فوجدها ملاء البطون غزيرة اللبن

عليهم السلام فاخذ عصا هبط بها آدم عليه السلام من الجنة ولم يزل الانبياء صح
صح

فاخبر موسى عليه السلام بالشان ففرح وعلم ان لموسى والعصا شانا وقال له اني وهبت لك من نتاج
غنمي هذا العام كل ادرع ودرعا فاوحي اليه في المنام ان اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما
اخطات واحدة الا وضعت ادرع ودرعا فوفى له شرطه والفاء في قوله تعالى فلما قضى موسى الاجل فصيحة
اي فعقدا العقد وباشر موسى ما التزمه فلما اتم الاجل وسار باهله نحو مصر باذن من شعيب عليهما السلام
روي انه عليه السلام قضى ابعد الاجلين ومكث عنده بعد ذلك عشر سنين ثم عزم على العود الى مصر
فاستاذن في ذلك فاذن له فخرج باهله آنس من جانب الطور اي ابصر من الجهة التي تلي الطور قال لاهله امكثوا
اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر اي بخبر الطريق وقد كانوا ضلوه او جذوة عود غليظ سواء كانت في راسه
نار او لا قال قايلهم • باتت حواطب ليلى يلتمسن لها • جزل الجذي غير خوار ولا دعر • وقال • والقى على قبس
من النار جذوة • شديدا عليها حرها والتهابها • ولذلك بين بقوله تعالى من النار وقرئ بكسر الجيم وبضمها
وكلها لغات لعلكم تصطلون تستدفئون فلما اتاها اي النار التي انسها نودي من شاطئ الواد الايمن اي اتاه النداء من الشاطئ
الايمن بالنسبة الى موسى عليه السلام في البقعة المباركة متصلا بالشاطئ او صلة لنودي من الشجرة بدل الاشتمال
من شاطئ لانها كانت نابتة على الشاطئ ان يا موسى اني انا الله رب العالمين وهذا وان خالف لفظا لما في طه والنمل لكنه
موافق له في المعنى المراد وان الق عصاك عطف على ان يا موسى وكلاهما مفسر لنودي والفاء في قوله تعالى فلما
راها تهتز فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت تعويلا على دلالة الحال عليها واشعارا بغاية سرعة تحقق
مدلولاتها فالقاها فصارت ثعبانا فاهتزت فلما راها تهتز كانها جان اي في سرعة الحركة مع غاية
عظم جثتها ولى مدبرا اي منهزما من الخوف ولم يعقب اي لم يرجع يا موسى اي قيل يا موسى اقبل ولا تخف انك
من الآمنين عن المخاوف فانه لا يخاف لدي المرسلون اسلك يدك في جيبك اي ادخلها فيه تخرج بيضاء من غير سوء
اي عيب واضمم اليك جناحك اي يديك المبسوطتين لتتقي بهما الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت
العضد الايسر واليسرى تحت الايمن وبادخالهما في الجيب فيكون تكريرا لغرض آخر هو ان يكون ذلك في
وجه العدو اظهار جراءة ومبدا لظهور معجزة ويجوز ان يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا
ثعبانا استعارة من حال الطائر فانه اذا خاف نشر جناحيه واذا امن واطمان ضمهما اليه من الرهب
اي من اجل الرهب اي اذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا او ضبطا لنفسك وقرئ بضم الراء وسكون
الهاء وبضمهما وكلها لغات فذانك اشارة الى اليد والعصا وقرئ بتشديد النون فالمخفف مثنى ذاك والمشدد
مثنى ذلك برهانان حجتان نيرتان وبرهان فعلان لقولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل
اذا ابيض ويقال للمراة البيضاء برهاء وبرهرهة ونظيره تسمية الحجة سلطانا من السليط وهو الزيت
لانارتها وقيل فعلال لقولهم برهن ومن في قوله تعالى من ربك متعلقة بمحذوف هو صفة لبرهانان
اي كائنان منه تعالى الى فرعون وملايه واصلان ومنتهيان اليهم انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن حدود
الظلم والعدوان فكانوا احقاء بان نرسلك اليهم بهاتين المعجزتين الباهرتين قال رب اني قتلت منهم نفسا
فاخاف ان يقتلون بمقابلتها واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا اي معينا وهو في الاصل اسم ما يعان به
كالدفء وقرئ ردا بالتخفيف يصدقني بتلخيص الحق وتقرير الحجة بتوضيحها وتزييف الشبهة اني اخاف ان
يكذبون ولساني لا يطاوعني عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه اسند
اليه اسناد الفعل الى السبب وقرئ يصدقني بالجزم على انه جواب الامر قال سنشد عضدك باخيك اي
سنقويك به فان قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الامور ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة
العضد ونجعل لكما سلطانا اي تسلطا وغلبة وقيل حجة وليس بذاك فلا يصلون اليكما باستيلاء او محاجة
بآياتنا متعلق بمحذوف قد صرح به في مواضع اخر اي اذهبا بآياتنا او بنجعل اي تسلطكما بآياتنا او بمعنى

لا يصلون

لا يصلون اي يمتنعون منهم بها وقيل هو قسم وجواب لا يصلون وقيل هو بيان للغالبون في قوله تعالى انتما
ومن اتبعكما الغالبون بمعنى انه صلة لما بينه او صلة له على ان اللام للتعريف لا بمعنى الذي فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات
اي واضحات الدلالة على صحة رسالة موسى عليه السلام اذ ذاك والتعبير عنهما بصيغة الجمع قد مر سره في
سورة طه قالوا ما هذا الا سحر مفترى اي سحر مختلق لم يفعل قبل هذا مثله او سحر تعمله ثم تفتري به على الله تعالى
او سحر موصوف بالافتراء كسائر اصناف السحر وما سمعنا بهذا اي السحر او ادعاء النبوة في آبائنا الاولين اي
واقعا في ايامهم وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده يريد به نفسه وقرئ قال بغير واو لانه جواب عن مقالهم ووجه
العطف ان المراد حكاية القولين ليوازن السامع بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد ومن تكون له عاقبة الدار اي
العاقبة المحمودة في الدار وهي الدنيا وعاقبتها الاصلية هي الجنة لانها خلقت مجازا الى الآخرة ومزرعة لها و
المقصود منها بالذات منها الثواب واما العقاب فمن نتايج اعمال العصاة وسيئات الغواة وقرئ يكون بالياء التحتانية
انه لا يفلح الظالمون اي لا يفوزون بمطلوب ولا ينجون من محذور وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيري
قاله اللعين بعد ما جمع السحرة وتصدى للمعارضة فكان من امرهم ما كان فاوقد لي يا هامان على الطين اي اصنع آجرا
فاجعل لي منه صرحا اي قصرا رفيعا لعلي اطلع الى اله موسى كانه توهم انه لو كان لكان جسما في السماء يمكن الرقي
اليه ثم قال واني لاظنه من الكاذبين او اراد ان يبني له رصدا يترصد منه اوضاع الكواكب فيرى هل فيها ما يدل
على بعثة رسول وتبدل دولة وقيل المراد بنفي العلم نفي المعلوم كما في قوله تعالى قل اتنبئون الله بما لا يعلم في
السموات ولا في الارض فان معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقق معلوماتها
فيلزم من انتفائها انتفاء معلوماتها ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل اول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك امر
باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظم ولذلك نادى هامان باسمه بيا في وسط الكلام
واستكبر هو وجنوده في الارض ارض مصر بغير الحق بغير استحقاق وظنوا انهم الينا لا يرجعون بالبعث للجزاء
وقرئ بفتح الياء وكسر الجيم من رجع رجوعا والاول من رجع وهو الانسب بالمقام فاخذناه وجنوده عقيب ما
بلغوا من الكفر والعتو اقصى الغايات فنبذناهم في اليم قد مر تفصيله وفيه من تفخيم شان الاخذ وتهويله
واستحقار المأخوذين المنبوذين ما لا يخفى كانه تعالى اخذهم مع كثرتهم في كف وطرحهم في البحر ونظيره قوله
تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه فانظر كيف كان
عاقبة الظالمين وبينها للناس ليعتبروا بها وجعلناهم اي صيرناهم في عهدهم ايمة يدعون الناس الى النار الى ما يؤدي
اليها من الكفر والمعاصي اي قدوة يقتدي بهم اهل الضلال لما صرفوا اختيارهم الى تحصيل تلك الحالة وقيل سميناهم
ايمة دعاة الى النار كما في قوله تعالى وجعلوا الملايكة الذين هم عباد الرحمن اناثا فالانسب حينئذ ان يكون
الجعل بعدهم فيما بين الامم وتكون الدعوة الى نفس النار وقيل معنى الجعل منع الالطاف الصارفة عن ذلك
ويوم القيامة لا ينصرون بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه واتبعناهم في هذه لعنة اي طردا وابعادا من الرحمة
ولعنا من اللاعنين حيث لا تزال تلعنهم الملايكة والمؤمنون خلفا عن سلف ويوم القيامة هم من المقبوحين من
المطرودين المبعدين وقيل من الموسومين بعلامة منكرة كزرقة العيون وسواد الوجه قال ابن عباس
رضي الله عنهما يقال قبحه الله وقبحه اذا جعله قبيحا وقال ابو عبيدة من المهلكين ويوم القيامة
متعلق بالمقبوحين على ان اللام للتعريف لا بمعنى الذي او بمحذوف تفسيره ذلك كانه قيل وقبحوا يوم
القيامة نحو لكما من القالين ولقد آتينا موسى الكتاب اي التوراة من بعد ما اهلكنا القرون الاولى هم اقوام نوح
وهود وصالح ولوط عليهم السلام والتعرض لبيان كون ايتائها بعد اهلاكهم للاشعار بمساس الحاجة الداعية
اليه تمهيدا لما يعقبه من بيان الحاجة الداعية الى انزال القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فان اهلاك القرون الاولى من موجبات اندراس معالم الشرائع وانطماس آثارها واحكامها المؤدين

الى اختلال نظام العالم وفساد احوال الامم المستدعيين الى التشريع الجديد بتقرير الاصول الباقية على مر الدهور
وترتيب الفروع المتبدلة بتبدل العصور وتذكير احوال الامم الخالية الموجبة للاعتبار كافة قيل ولقد اتينا موسى
التورية على حين حاجة الى ايتائها بصائر للناس اى انوارا لقلوبهم تبصر بها الحقايق وتميز بين الحق والباطل حيث كانت
عمياء عن الفهم والادراك بالكلية فان البصيرة نور القلب الذي به يستبصر كما ان البصر نور العين الذي به تبصر
وهدى اى هداية الى الشرايع والاحكام التي هي سبيل الله تعالى ورحمة حيث ينال من عمل به رحمة الله تعالى و
انتصاب الكل على الحالية من الكتاب على انه نفس البصائر والهدى والرحمة او على حذف المضاف اى ذا بصائر الخ
وقيل على العلة اى اتيناه الكتاب للبصائر والهدى والرحمة لعلهم يتذكرون ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وقد مر
تحقيق القول في ذلك عند قوله تعالى لعلكم تتقون في سورة البقرة وقوله تعالى وما كنت بجانب الغربي شروع في بيان
ان انزال القران الكريم واقع في زمان شدة مساس الحاجة اليه واقتضاء الحكمة له البتة وقد صدر بتحقيق كونه
وحيا صادقا من عند الله عز وجل ببيان ان الوقوف على ما فصل من الاحوال لا يتسنى الا بالمشاهدة او التعلم ممن شاهدها
وحيث انتفى كلاهما تبين انه بوحي من علام الغيوب لا محالة على طريقة قوله تعالى وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم
ايهم يكفل مريم الاية اى وما كنت بجانب الجبل الغربي او المكان الغربي الذي وقع فيه الميقات على حذف الموصوف
واقامة الصفة مقامه او الجانب الغربي على اضافة الموصوف الى الصفة كمسجد الجامع اذ قضينا الى موسى
الامر اى عهدنا اليه واحكمنا امر نبوته بالوحي وايتاء التورية وما كنت من الشاهدين اى من جملة الشاهدين للوحي
وهم السبعون المختارون للميقات حتى تشاهد ما جرى من امر موسى في ميقاته وكتبه التورية فتخبره للناس ولكنا
انشأنا قرونا اى ولكنا خلقنا بين زمانك وزمان موسى قرونا كثيرة فتطاول عليهم العمر وتمادى الامر فتغيرت الشرايع
والاحكام وعميت عليهم الانباء لا سيما على اخرهم فاقتضى الحال التشريع الجديد فاوحينا اليك فحذف المستدرك
اكتفاء بذكر ما يوجبه ويدل عليه وقوله تعالى وما كنت ثاويا في اهل مدين نفي لاحتمال كون معرفته عليه الصلوة
والسلام للقصة بالسماع ممن شاهدها اى وما كنت مقيما في اهل مدين من شعيب والمؤمنين به وقوله تعالى
تتلوا عليهم اياتنا اى تقرأ على اهل مدين بطريق التعلم منهم اياتنا الناطقة بالقصة اما حال من المستكن
في ثاويا او خبر ثان لكنت ولكنا كنا مرسلين اياك وموحين اليك تلك الايات ونظايرها وما كنت بجانب
الطور اذ نادينا اى وقت ندائنا موسى اني انا الله رب العالمين واستنبائنا اياه وارسالنا له الى فرعون
ولكن رحمة من ربك اى ولكن ارسلناك بالقران الناطق بما ذكر وبغيره لرحمة عظيمة كائنة منا لك وللناس
وقيل عرفناك ذلك وليس بذاك كما ستعرفه والالتفات الى اسم الرب للاشعار بعلة الرحمة وتشريفه
عليه الصلوة والسلام بالاضافة وقد اكتفى عن ذكر المستدرك هاهنا بذكر ما يوجبه من جهته تعالى كما
اكتفى في الاول بذكر ما يوجبه من جهة الناس وصرح به فيما بينهما تنصيصا على ما هو المقصود واشعارا
بانه المراد فيهما ايضا ولله در شان التنزيل وقوله تعالى لتنذر قوما متعلق بالفعل المعلل بالرحمة حسبما
ذكرنا من ارساله عليه الصلوة والسلام بالقران حتما لما انه المعلل بالانذار لا تعليم ما ذكر وقرئ رحمة
بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى ما اتاهم من نذير من قبلك صفة لقوما اى لم يأتهم نذير لوقوعهم في
فترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة او بينك وبين اسماعيل بناء على ان دعوة موسى وعيسى كانت
مختصة ببني اسرائيل لعلهم يتذكرون اى يتيقظون بانذارك وتغيير الترتيب الوقوعي بين قضاء الامر والثوي
في اهل مدين والنداء للتنبيه على ان كلا من ذلك برهان مستقل على ان حكايته عليه الصلوة والسلام للقصة
بطريق الوحي الالهي ولو ذكر اولا نفي ثوائه عليه السلام في اهل مدين ثم نفي حضوره عليه الصلوة والسلام عند
النداء ثم نفي حضوره عند قضاء الامر كما هو الموافق للترتيب الوقوعي لربما توهم ان الكل دليل واحد على ما ذكر كما مر
في قصة البقرة ولولا ان تصيبهم مصيبة اى عقوبة بما قدمت ايديهم بما اقترفوا من الكفر والمعاصي فيقولوا عطف على

تصيبهم داخل في حيز لولا الامتناعية على ان مدار انتفاء ما يجاب به هو امتناعه لا امتناع المعطوف
عليه وانما ذكر في حيزها للايذان بانه السبب الملجئ لهم الى قولهم ربنا لولا ارسلت الينا رسولا اى هلا ارسلت
الينا رسولا مؤيدا من عندك بالايات فنتبع اياتك الظاهرة على يده وهو جواب لولا الثانية ونكون من المؤمنين
بها وجواب لولا الاولى محذوف ثقة بدلالة الحال عليه والمعنى لولا قولهم هذا عند اصابة عقوبة جنايا
تهم
التي قدموها ما ارسلناك لكن لما كان قولهم ذلك محققا لا محيد عنه ارسلناك قطعا لمعاذيرهم بالكلية فلما
جاءهم اى اهل مكة الحق من عندنا وهو القران المنزل عليه عليه الصلوة والسلام قالوا تعنتا واقتراحا لولا
اوتي يعنونه عليه الصلوة والسلام مثل ما اوتي موسى من الكتاب المنزل جملة واما اليد والعصا فلا تعلق لهما
بالمقام كسائر معجزاته عليه الصلوة والسلام وقوله تعالى اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل ردا عليهم واظهار لكون ما
قالوه تعنتا محضا لا طلبا لما يرشدهم الى الحق اى الم يكفروا قبل هذا القول بما اوتي موسى من الكتاب كما كفروا بهذا
الحق وقوله تعالى قالوا استيناف مسوق لتقرير كفرهم المستفاد من الانكار السابق وبيان كيفيته وقوله تعالى
ساحران خبر لمبتدأ محذوف اى هما يعنون ما اوتي محمد وما اوتي موسى عليهما الصلوة والسلام ساحران تظاهرا
اى تعاونا بتصديق كل منهما الاخر وذلك انهم بعثوا رهطا منهم الى رؤساء اليهود في عيدهم فسألوهم عن شانه عليه
الصلوة والسلام فقالوا انا نجده في التورية بنعته وصفته فلما رجع الرهط واخبروهم بما قالت اليهود قالوا
ذلك وقوله تعالى وقالوا انا بكل اى بكل واحد من الكتابين كافرون تصريح بكفرهم بهما وتأكيد لكفرهم المفهوم من
تسميتهما سحرا وذلك لغاية عتوهم وتماديهم في الكفر والطغيان وقرئ ساحران تظاهرا يعنون موسى ومحمدا
صلى الله عليهما وسلم هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الجليل فتأمل ودع عنك ما قيل وقيل الا ترى قوله
تعالى قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما مما اوتياه من التورية والقران وسميتموهما سحرين فانه نص فيما ذكر وقوله
تعالى اتبعه جواب للامر اى ان تأتوا به اتبعه ومثل هذا الشرط مما يأتي به من يدل بوضوح حجته وسنوح
محجته لان الاتيان بما هو اهدى من الكتابين امر بين الاستحالة فيوسع دائرة الكلام للتبكيت والافحام ان كنتم صادقين
اى في انهما ساحران مختلقان وفي ايراد كلمة ان مع امتناع صدقهم نوع تهكم بهم فان لم يستجيبوا لك اى فان لم يفعلوا
ما كلفتهم من الاتيان بكتاب اهدى منهما كقوله تعالى فان لم تفعلوا وانما عبر عنه بالاستجابة ايذانا بانه صلى الله عليه وسلم
على كمال امن من امره كأن امره عليه الصلوة والسلام لهم بالاتيان بما ذكر دعاء لهم الى امر يريد وقوعه والاستجابة يتعدى
الى الدعاء بنفسه والى الداعي باللام فيحذف الدعاء عند ذكره غالبا ولا يكاد يقال استجاب الله له دعاءه فاعلم انما
يتبعون اهواءهم الزائغة من غير ان يكون لهم متمسك ما اصلا اذ لو كان لهم ذلك لاتوا به ومن اضل ممن اتبع هواه
استفهام انكار للنفي اى لا اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله اى هو اضل من كل ضال وان كان ظاهر السبك
لنفي الاضل لا لنفي المساوي كما مر في نظائره مرارا وتقييد اتباع الهوى بعدم الهدى من الله تعالى لزيادة التقرير والا
شباع
في التشنيع والتضليل والا فمقارنته لهدايته تعالى بينة الاستحالة ان الله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم
بالانهماك في اتباع الهوى والاعراض عن الايات الهادية الى الحق المبين ولقد وصلنا لهم القول وقرئ بالتخفيف اى انزلنا
عليهم القران متواصلا بعضه اثر بعض حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة او متتابعا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا
ومواعظ ونصائح لعلهم يتذكرون فيؤمنون بما فيه الذين اتيناهم الكتاب من قبله اى من قبل ايتاء القران هم به يؤمنون
فهم مؤمنو اهل الكتاب وقيل اربعون من اهل الانجيل اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام
واذا يتلى اى القران عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا اى الحق الذي كنا نعرف حقيته وهو استيناف لبيان ما
اوجب ايمانهم به وقوله تعالى انا كنا من قبله اى من قبل نزوله مسلمين بيان لكون ايمانهم به امرا متقادم العهد
لما شاهدوا ذكره في الكتب المتقدمة وانهم على دين الاسلام قبل نزول القران اولئك الموصوفون بما ذكر من
النعوت يؤتون اجرهم مرتين مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقران بما صبروا بصبرهم على الايمانين او على

الايمان بالقران قبل النزول وبعده او على اذى من هاجرهم من اهل دينهم من المشركين ويدرءون بالحسنة السيئة اي يدفعون
بالطاعة المعصية لقوله صلى الله عليه وسلم اتبع الحسنة السيئة تمحها ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير واذا سمعوا اللغو
من اللاغين اعرضوا عنه عن اللغو تكرما كقوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما وقالوا لهم وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم
بطريق المتاركة والتوديع لا نبتغي الجاهلين لا نطلب صحبتهم ولا نريد مخالطتهم انك لا تهدي هداية موصلة الى البغية
لا محالة من احببت من الناس ولا تقدر على ان تدخله في الاسلام وان بذلت فيه غاية المجهود وجاوزت في
السعي كل حد معهود ولكن الله يهدي من يشاء ان يهديه ويدخله في الاسلام وهو اعلم بالمهتدين بالمستعدين لذلك والجمهور
على انها نزلت في ابي طالب فانه لما احتضر جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا عم قل لا اله الا الله
كلمة احاج لك بها عند الله قال يا ابن اخي قد علمت انك لصادق ولكن اكره ان يقال خرع عند الموت ولولا ان تكون عليك
وعلى بني ابيك غضاضة لقلتها ولاقررت بها عينك عند الفراق لما ارى من شدة وجدك ونصيحتك ولكن اموت
على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا نزلت في الحارث
ابن عثمان بن نوفل بن عبد مناف حيث اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك
وخالفنا العرب وانما نحن اكلة راس ان يتخطفونا من ارضنا فرد عليهم بقوله تعالى اولم نمكن لهم حرما آمنا اي الم نعصمهم
ولم نجعل مكانهم حرما ذا امن لحرمة البيت الحرام الذي يتفاخر العرب حوله وهم آمنون يجبى اليه وقرئ تجبى اي تجمع
وتحمل اليه ثمرات كل شيء من كل اوب والجملة صفة اخرى لحرما دافعة لما عسى يتوهم من تضررهم بانقطاع الميرة رزقا
من لدنا فاذا كان حالهم ما ذكر وهم عبدة اصنام فكيف يخافون التخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد و
لكن اكثرهم لا يعلمون اي جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون فيعلموا ذلك وقيل هو متعلق بقوله تعالى من لدنا اي
قليل منهم يتدبرون فيعلمون ان ذلك رزق من عند الله اذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا على انه
مصدر مؤكد لمعنى يجبى او حال من الثمرات على انه بمعنى مرزوق لتخصصها بالاضافة ثم بين ان الامر بالعكس
وانهم احقاء بان يخافوا باس الله تعالى بقوله وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها اي وكثيرا من اهل قرية كانت حالهم
كحال هؤلاء في الامن وخفض العيش والدعة حتى اشروا فدمرنا عليهم وخربنا ديارهم فتلك مساكنهم خاوية
بما ظلموا لم تسكن من بعدهم من بعد تدميرهم الا قليلا اي الا زمانا قليلا اذ لا يسكنها الا المارة يوما او بعض
يوم او لم يبق من يسكنها الا قليلا من شؤم معاصيهم وكنا نحن الوارثين منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم
في ديارهم وسائر ذات ايديهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض او بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد
ظني مقيم او باضمار زمان مضاف اليه او بجعل مفعولا لبطرت بتضمين معنى كفرت وما كان ربك مهلك القرى
بيان للعناية الربانية اهلاك القرى المذكورة اي ما صح وما استقام بل استحال في سنته المبنية على الحكم
البالغة او ما كان في حكمه الماضي وقضائه السابق ان يهلك القرى قبل الانذار بل كانت عادته ان لا يهلكها
حتى يبعث في امها اي في اصلها وقصبتها التي هي اعمالها وتوابعها لكون اهلها افطن وانبل رسولا يتلو عليهم
اياتنا الناطقة بالحق ويدعوهم اليه بالترغيب والترهيب وذلك لالزام الحجة وقطع المعذرة بان يقولوا
لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك والالتفات الى نون العظمة لتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى
وما كنا مهلكي القرى عطف على ما كان ربك قوله تعالى الا واهلها ظالمون استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي وما كنا
مهلكين لاهل القرى بعد ما بعثنا في امها رسولا يدعوهم الى الحق ويرشدهم اليه في حال من الاحوال الا حال
كونهم ظالمين بتكذيب رسولنا والكفر باياتنا فالبعث غاية لعدم صحة الاهلاك بموجب السنة الالهية
لا لعدم وقوعه حتى يلزم تحقق الاهلاك عقيب البعث وقد مر تحقيقه في سورة بني اسرائيل وما اوتيتم من شيء
من امور الدنيا فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها اي فهو شيء شانه ان يتمتع ويتزين به اياما قلائل وما عند الله وهو
الثواب خير في نفسه من ذلك لانه لذة خالصة عن شوائب الالم وبهجة كاملة عارية عن سمة الهم وابقى

لانه

لانه ابدي فلا تعقلون الا تتفكرون فلا تعقلون هذا الامر الواضح فتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير
وقرئ بالياء على الالتفات المبني على اقتضاء سوء صنيعهم الاعراض عن مخاطبتهم افمن وعدناه وعدا حسنا اي وعدا
بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود فهو لاقيه اي مدركه لا محالة لاستحالة الخلف في وعده تعالى ولذلك
جيء بالجملة الاسمية المفيدة لتحققه البتة وعطفت بالفاء المنبئة عن معنى السببية كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا
اي هو مشوب بالالام منغص بالاكدار مستتبع للتحسر على الانقطاع ومعنى الفاء الاولى ترتيب انكار التشابه
بين اهل الدنيا واهل الاخرة على ما قبلها من ظهور التفاوت بين متاع الحيوة الدنيا وبين ما عند الله تعالى اي
ابعد هذا التفاوت الظاهر يسوى بين الفريقين وقوله تعالى ثم هو يوم القيمة من المحضرين عطف على متعناه
داخل معه في حيز الصلة مؤكد لانكار التشابه ومقرر له قيل كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم نحضره او احضر
يوم القيمة النار او العذاب وايثار الجملة الاسمية للدلالة على التحقق حتما وفي جعله من جملة المحضرين من
التهويل ما لا يخفى وثم للتراخي في الزمان او في الرتبة وقرئ ثم هو بسكون الهاء تشبيها للمنفصل بالمتصل
ويوم يناديهم منصوب بالعطف على يوم القيمة لاختلاف عنوانيهما وان اتحدا ذاتا او باضمار اذكر فيقول
تفسير للنداء اين شركاءي الذين كنتم تزعمون اي الذين كنتم تزعمونهم شركائي فحذف المفعولان معا لثقة بدلالة
الكلام عليهما قال استئناف مبني على حكاية السؤال كانه قيل فماذا صدر عنهم حينئذ فقيل قال الذين حق عليهم
القول وهم شركاؤهم من الشياطين او رؤساؤهم الذين اتخذوهم اربابا من دون الله تعالى بان اطاعوهم
في كل ما امروهم به ونهوا عنه ومعنى حق عليهم القول انه ثبت مقتضاه وتحقق مؤداه وهو قوله تعالى
لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وغيره من ايات الوعيد وتخصيصهم بهذا الحكم مع شموله للاتباع
ايضا لاصالتهم في الكفر واستحقاق العذاب حسبما يشعر به قوله تعالى لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم
اجمعين ومسارعتهم الى الجواب مع كون السؤال للعبدة اما لتفطنهم ان السؤال عنهم لاستحقاقهم وتوبيخهم
بالاضلال وجزمهم بان العبدة سيقولون هؤلاء اضلونا واما لان العبدة قد قالوا ما اعتذارا وهؤلاء ان قالوا
ما قالوا ردا لقولهم الا انه لم يحك قول العبدة ايجازا لظهوره ربنا هؤلاء الذين اغوينا اي هم الذين اغويناهم
فحذف الراجع الى الموصول ومرادهم بالاشارة بيان انهم يقولون ما يقولون بمحضر منهم وانهم غير قادرين
على انكاره ورده وقوله تعالى اغويناهم كما غوينا هو الجواب حقيقة وما قبله تمهيد له اي ما اكرهناهم على
الغي وانما اغويناهم بطريق الوسوسة والتسويل لا بالقسر والالجاء فغووا باختيارهم غيا مثل غينا باختيارنا
ويجوز ان يكون الذين صفة لاسم الاشارة واغويناهم الخبر تبرانا اليك منهم ومما اختاروه من الكفر والمعاصي
هوى منهم وهو تقرير لما قبله ولذلك لم يعطف عليه وكذلك قوله تعالى ما كانوا ايانا يعبدون اي ما كانوا يعبدوننا
وانما كانوا يعبدون اهواءهم وقيل ما مصدرية بقوله تعالى تبرانا اليك من عبادتهم ايانا وقيل ادعوا شركاءكم
اي لتخلصكم من العذاب تهكما بهم او تبكيتا لهم فدعوهم لفرط الحيرة فلم يستجيبوا لهم ضرورة عدم قدرتهم على الاستجابة والنصرة
وراوا العذاب قد غشيهم لو انهم كانوا يهتدون لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب او الى الحق لما لقوا ما لقوا
وقيل لو للتمني اي تمنوا لو انهم كانوا مهتدين ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين عطف على ما قبله سئلوا
اولا عن اشراكهم وثانيا عن جوابهم الرسل الذين نهوهم عن ذلك فعميت عليهم الانباء يومئذ اي صارت كالعمى عليهم
لا تهتدي اليهم واصله فعموا عن الانباء وقد عكس للمبالغة والتنبيه على ان ما يحضر الذهن يفيض عليه ويصل
اليه من خارج فاذا اخطا لم يكن له حيلة الى استحضاره وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء والاشتباه
والمراد بالانباء ما طلب منهم بما اجابوا به الرسل او جميع الانبياء وهي داخلة فيه دخولا اوليا واذا
كانت الرسل عليهم السلام يفوضون العلم في ذلك المقام الهائل الى علام الغيوب مع نزاهتهم عن غائلة
السؤال فما ظنك باولئك الضلال من الامم فهم لا يتساءلون لا يسال بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة

تعالى

او العلم بان الكل سواء في الجهل فاما من تاب من الشرك وآمن وعمل صالحا اي جمع بين الايمان والعمل الصالح فعسى ان
يكون من المفلحين اي الفايزين بالمطلوب عنده الناجين عن المهروب وعسى للتحقيق على عادة الكرام او للترجي
من قبل التائب بمعنى فليتوقع الافلاح وربك يخلق ما يشاء ان يخلقه ويختار لما ان اختياره من غير ايجاب عليه
ولا صنع له اصلا ما كان لهم الخيرة اي التخير كالطيرة بمعنى التطير والمراد نفي الاختيار المؤثر عنهم وذلك مما
لا ريب فيه وقيل المراد انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ما روي انه نزل
في قول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم والمعنى لا يبعث الله الرسل باختيار المرسل
اليهم وقيل معناه ويختار الذي كان لهم فيه الخيرة والصلاح سبحان الله اي تنزه بذاته تنزها خاصا به من غير
ان ينازعه احد او يزاحم اختياره اختيار وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن مشاركة ما يشركونه به وربك يعلم
ما تكن صدورهم كعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقده وما يعلنون كالطعن فيه وهو الله اي المستحق للعبادة
لا اله الا هو له الحمد في الاولى والآخرة لانه المولي للنعم كلها عاجلها وآجلها على الخلق كافة يحمده المؤمنون في الآخرة
كما حمدوه في الدنيا بقولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده ابتهاجا بفضله والتذاذا
بحمده وله الحكم اي القضاء النافذ في كل شيء من غير مشاركة فيه لغيره واليه ترجعون بالبعث لا الى غيره قل تقريرا
لما ذكر ارايتم اي اخبروني ان جعل الله عليكم الليل سرمدا دائما من السرد وهو المتابعة والاطراد والميم مزيدة كما في
دلامص من الدلاص يقال درع دلاص اي ملساء لينة الى يوم القيمة باسكان الشمس تحت الارض وتحريكها حول الافق
الغائر من اله غير الله صفة لاله يأتيكم بضياء صفة اخرى له عليها يدور امر التبكيت والالزام كما في قوله تعالى
قل من يرزقكم من السماء والارض وقوله فمن يأتيكم بماء معين وضما برهما خلا انه قصد بيان انتفاء الموصوف
بانتفاء الصفة ولم يقل هل اله الى آخره لايراد التبكيت والالزام على زعمهم وقرئ بضئاء بهمزتين افلا تسمعون هذا
الكلام الحق سماع تدبر واستبصار حتى تذعنوا له وتعملوا بموجبه قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة باسكانها في
وسط السماء او تحريكها على مدار فوق الافق من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه استراحة من متاعب الاشغال ولعل تجريد
الضياء عن ذكر منافعه لكونه مقصودا بذاته ظاهر الاستتباع لما نيط به من المنافع افلا تبصرون هذه المنفعة
الظاهرة التي لا تخفى على من له بصر ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه اي في الليل ولتبتغوا من فضله في النهار بانواع
المكاسب ولعلكم تشكرون ولكي تشكروا نعمته تعالى فعل ما فعل او لتعرفوا نعمته تعالى وتشكروه عليها ويوم يناديهم
منصوب باذكر فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون تقريع اثر تقريع للاشعار بانه لا شيء اجلب لغضب الله عز وجل من الاشراك
كما لا شيء ادخل في مرضاته من توحيده سبحانه وقوله تعالى ونزعنا عطف على يناديهم وصيغة الماضي للدلالة
على التحقيق او حال من فاعله باضمار قد والالتفات الى نون العظمة لابراز كمال الاعتناء بشأن النزع وتهويله
اي اخرجنا من كل امة من الامم شهيدا نبيا يشهد عليهم بما كانوا عليه كقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
فقلنا لكل من تلك الامم هاتوا برهانكم على صحة ما كنتم تدينون به فعلموا يومئذ ان الحق لله في الالهية لا يشاركه
فيها احد وضل عنهم اي غاب غيبة الضايع في الدنيا من الباطل ان قارون كان من قوم موسى كان ابن
عمه يصهر بن فاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى عليه السلام ابن عمران بن قاهث وقيل كان موسى عليه
السلام ابن اخيه وكان يسمى المنور لحسن صورته وقيل كان اقرأ بني اسرائيل للتورية ولكنه نافق كما نافق السامري
وقال اذا كانت النبوة لموسى والمذبح والقربان لهرون وجد قارون في نفسه وحسدهما فقال لموسى الامر
لكما لست على شيء الى متى اصبر قال موسى عليه السلام هذا صنع الله تعالى قال لا اصدقك حتى تأتي باية فامر
روساء بني اسرائيل ان يجيء كل واحد بعصاه فحزمها والقاها في القبة التي كان الوحي ينزل اليه فيها وكانوا يحرسون
عصيهم بالليل فاصبحوا فاذا بعصى هرون تهتز ولها ورق اخضر فقال قارون ما هو باعجب مما تصنع من
السحر وذلك قوله تعالى فبغى عليهم فطلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت امره او ظلمهم قيل وذلك حين ملكه

فرعون

570

فرعون على بني اسرائيل وقيل حسدهم وذلك ما ذكر منه في حق موسى وهرون عليهما السلام وآتيناه من
الكنوز اي الاموال المدخرة ما ان مفاتحه اي مفاتح صناديقه وهو جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل
خزائنه وقياس واحدها المفتح بالفتح لتنوء بالعصبة اولي القوة خبر ان والجملة صفة وهو ثاني مفعولي آتى
وباء به الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة وقرئ لينوء بالياء على اعطاء المضاف
حكم المضاف اليه كما مر في قوله تعالى ان رحمت الله قريب من المحسنين اذ قال له قومه منصوب بتنوء وقيل
ببغى ورد بان البغي ليس مقيدا بذلك الوقت وقيل بآتيناه ورد بان الايتاء ايضا غير مقيد به وقيل
بمضمر فقيل هو اذكر وقيل هو اظهر الفرح ويجوز ان يكون منصوبا بما بعده من قوله تعالى قال انما اوتيته وتكون
الجملة لبغيه لا تفرح اي لا تبطر والفرح في الدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضا بها والذهول
عن ذهابها فان العلم بان ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح حتما ولذلك قال تعالى ولا تفرحوا
بما آتيكم وعلل النهي ها هنا بكونه مانعا من محبته عز وعلا ان الله لا يحب الفرحين اي بزخارف الدنيا وابتغ وقرئ
واتبع فيما آتيك الله من الغنى الدار الآخرة اي ثواب الله تعالى فيما يصرفه الى ما يكون اليه وسيلة ولا تنس اي
لا تترك ترك المنسي نصيبك من الدنيا وهو ان تحصل بها آخرتك وتأخذ منها ما يكفيك واحسن اي الى عباد الله
تعالى كما احسن الله اليك فيما انعم به عليك وقيل احسن بالشكر والطاعة كما احسن الله اليك بالانعام ولا تبغ
الفساد في الارض نهي عما كان عليه من الظلم والبغي ان الله لا يحب المفسدين لسوء افعالهم قال مجيبا لناصحيه انما
اوتيته على علم عندي كانه يريد به الرد على قولهم كما احسن الله اليك لانبائه عن انه تعالى انعم عليه بتلك الاموال
والذخائر من غير سبب واستحقاق من قبله اي فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالمال
والجاه وعلى علم في موقع الحال وهو علم التورية وكان اعلمهم بها وقيل علم الكيميا وقيل علم التجارة والدهقنة
وسائر المكاسب وقيل علم فتح الكنوز والدفائن وعندي صفة له او متعلق باوتيته كقولك جاز هذا عندي
اي في ظني ورأيي اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا توبيخ من جهة الله تعالى
على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك قراءة في التورية وتلقيا من موسى عليه السلام وسماعا من حفاظ
التواريخ وتعجيب منه فالمعنى الم يقرأ التورية ولم يعلم ما فعل الله تعالى باضرابه من اهل القرون السابقة حتى
لا يغتر بما اغتر به او رد لادعائه العلم وتعظمه به بنفي هذا العلم منه فالمعنى اعلم بما ادعاه ولم يعلم هذا حتى
ينجي به نفسه مصارع الهالكين ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام بل يعذبون بها بغتة كان قارون لما
هدد بذكر اهلاك من قبله ممن كان اقوى منه واغنى اكد ذلك بان بين ان ذلك لم يكن مما يخص اولئك المهلكين
بل الله تعالى مطلع على ذنوب كافة المجرمين يعاقبهم عليها لا محالة فخرج على قومه عطف على قال وما بينهما
اعتراض وقوله تعالى في زينته اما متعلق بخرج او بمحذوف هو حال من فاعله اي فخرج عليهم كائنا في زينته
قيل خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة الاف على زيه وقيل عليهم وعلى
خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه ثلاثمائة غلام وعن يساره ثلاثمائة جارية بيض عليهن الحلي والديباج وقيل في
تسعين الفا عليهم المعصفرات وهو اول يوم رئي فيه المعصفر قال الذين يريدون الحيوة الدنيا من المؤمنين جريا على
سنن الجبلة البشرية من الرغبة في السعة واليسار يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون وعن قتادة انهم تمنوه ليتقربوا به
الى الله تعالى وينفقوه في سبيل الخير وقيل كان المتمنون قوما كفارا انه لذو حظ عظيم تعليل لتمنيهم وتأكيد له
وقال الذين اوتوا العلم اي باحوال الدنيا والآخرة كما ينبغي وانما لم يوصفوا بارادة ثواب الآخرة تنبيها على ان العلم
باحوال النشأتين يقتضي الاعراض عن الاولى والاقبال على الثانية حتما وان تمني المتمنين ليس الا لعدم علمهم بها
كما ينبغي ويلكم دعاء بالهلاك شاع استعماله في الزجر عما لا يرتضى ثواب الله في الآخرة خير مما يتمنونه لمن آمن
وعمل صالحا فلا يليق بكم ان تتمنوه غير مكتفين بثوابه تعالى ولا يلقيها اي هذه الكلمة التي تكلم بها العلماء او الثواب

فانه بمعنى المثوبة او الجنة او الايمان والعمل الصالح فانما في معنى السيرة والطريقة الا الصابرون اي على الطاعات وعن الشهوات فخسفنا به وبداره الارض روي انه كان يؤذي موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكوة فصالحه على كل الف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد الى ان يفضح موسى عليه السلام بين بني اسرائيل فجعل لبغي من بغايا بني اسرائيل الف دينار وقيل طستا من ذهب مملوء ذهبا فلما كان يوم عيد قام موسى عليه السلام خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه فقال قارون ولو كنت قال ولو كنت قال ان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها عليه السلام ان تصدق فقالت جعل لي قارون جعلا ان ارميك بنفسي فخر موسى ساجدا لربه يبكي ويقول يا رب ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت فقال يا بني اسرائيل ان الله بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزله فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وهم يناشدونه عليه السلام بالله تعالى وبالرحم وهو لا يلتفت اليهم لشدة غيظه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فاصبحت بنو اسرائيل يتناجون بينهم انما دعا عليه السلام ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله تعالى حتى خسف بداره وامواله فما كان له من فئة جماعة مشفقة ينصرونه من دون الله بدفع العذاب عنه وما كان من المنتصرين اي الممتنعين عنه بوجه من الوجوه يقال نصره من عدوه فانتصر اي منعه فامتنع واصبح الذين تمنوا مكانه منزلته بالامس منذ زمان قريب يقولون ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر اي يفعل كل واحد من البسط والقدر بمحض مشيئته لا لكرامة توجب البسط ولا لهوان يقتضي القبض وويكان عند البصريين مركب من وي للتعجب وكان للتشبيه والمعنى ما اشبه الامر ان الله يبسط الى اخره وعند الكوفيين من ويك بمعنى ويلك وان وتقديره ويك اعلم ان الله وانما يستعمل عند التنبيه على الخطا والتندم والمعنى انهم قد تنبهوا على خطائهم في تمنيهم وتندموا على ذلك لولا ان من الله علينا بعدم اعطائه ايانا ما تمنيناه واعطانا مثل ما اعطاه اياه وقرئ لولا ان من الله علينا لخسف بنا كما خسف به وقرئ لخسف بنا على البناء للمفعول وبنا هو القائم مقام الفاعل وقرئ لانخسف بنا كقولك انقطع به وقرئ لتخسف بنا ويكانه لا يفلح الكافرون لنعمة الله تعالى او المكذبون برسله وبما وعدوا من ثواب الاخرة تلك الدار الاخرة اشارة تعظيم وتفخيم كانه قيل تلك التي سمعت خبرها وبلغك وصفها نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض اي غلبة وتسلطا ولا فسادا اي ظلما وعدوانا على العباد كدأب فرعون وقارون وفي تعليق الموعد بترك ارادتهما لا بترك انفسهما مزيد تحذير منهما وعن علي رضي الله عنه ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها والعاقبة الحميدة للمتقين اي الذين يتقون ما لا يرضاه الله تعالى من الافعال والاقوال من جاء بالحسنة فله بمقابلتها خير منها ذاتا ووصفا وقدرا ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات وضع فيه الموصول موضع الضمير لتهجين حالهم بتكرير اسناد السيئة اليهم الا ما كانوا يعملون اي الا مثل ما كانوا يعملون فحذف المثل واقيم مقامه ما كانوا يعملون مبالغة في المماثلة ان الذي فرض عليك القرآن اي اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل به لرادك الى معاد اي معاد تمتد اليه اعناق الهمم وترنوا اليه احداق الامم وهو المقام المحمود الذي وعدك ان يبعثك فيه وقيل هو مكة المعظمة على ان الله تعالى قد وعده وهو بمكة في اذية وشدة من اهلها انه يهاجر به منها ثم يعيده اليها بعز ظاهر وسلطان قاهر وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجره وقد اشتاق الى مولده ومولد ابائه وحرم ابرهيم عليه السلام فنزل جبرائيل عليه السلام فقال له اتشتاق الى مكة قال نعم فاوحاها اليه قل ربي اعلم من جاء بالهدى وما يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل يدل عليه اعلم اي يعلم وقيل باعلم بمعنى انه عالم ومن هو في ضلال مبين وما استحقه من العذاب والاذلال يعني بذلك نفسه والمشركين وهو تقرير للوعيد السابق وكذا قوله تعالى وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب اي سيردك الى معاد كما القى اليك الكتاب وما كنت ترجوه الا رحمة من ربك

ولكن

ولكن القاه اليك رحمة منه ويجوز ان يكون استثناء محمولا على المعنى كانه قيل وما القي اليك الكتاب الا رحمة اي لاجل الترحم فلا تكونن ظهيرا للكافرين بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم ولا يصدنك اي الكافرون عن ايات الله اي عن قراءتها والعمل بها بعد اذ انزلت اليك وفرضت عليك وقرئ يصدنك من اصده المنقول من صد اللازم وادع الناس الى ربك الى عبادته وتوحيده ولا تكونن من المشركين بمساعدتهم في الامور ولا تدع مع الله الها اخر هذا وما قبله للتهييج والالهاب وقطع اطماع المشركين عن مساعدته عليه الصلاة والسلام لهم واظهار ان المنهي عنه في القبح والشرية بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه اصلا لا اله الا هو وحده كل شيء هالك الا وجهه الا ذاته فان ما عداه كائنا ما كان ممكن في حد ذاته عرضة للهلاك والعدم له الحكم اي القضاء النافذ في الخلق واليه ترجعون عند البعث للجزاء بالحق والعدل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق بموسى وكذب ولم يبق ملك في السموات والارض الا يشهد له يوم القيمة انه كان صادقا

سورة العنكبوت وهي تسع وستعون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الم الكلام فيه كالذي مر مرارا في نظائره من الفواتح الكريمة خلا ان ما بعده لا يحتمل ان يتعلق به تعلقا اعرابيا احسب الناس الحساب ونظائره لا يتعلق بمعاني المفردات بل بمضامين الجمل المفيدة لثبوت شيء لشيء او انتفائه عنه بحيث يتحصل منها مفعولاه اما بالفعل كما في عامة المواقع واما بنوع تصرف فيها كما في الجمل المصدرة بان والواقعة صلة للموصول الاسمي او الحرفي فان كلا منها صالحة لان يسد مسد مفعوليه لان قوله تعالى ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون في قوة ان يقال احسبوا انفسهم متروكين بلا فتنة لمجرد ان يقولوا امنا او ان يقال احسبوا تركهم غير مفتونين بقولهم امنا حاصلا متحققا والمعنى انكار الحسبان المذكور واستبعاده وتحقيق انه تعالى يمتحنهم بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض ما تشتهيه النفس ووظائف الطاعات وفنون المصائب في الانفس والاموال ليتميز المخلص من المنافق والراسخ في الدين من المتزلزل فيه ويجازيهم بحسب مراتب اعمالهم فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضي غير الخلاص من الخلود في النار روي انها نزلت في ناس من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين جزعوا من اذية المشركين وقيل في عمار قد عذب في الله وقيل في مهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه رماه عامر بن الحضرمي بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه ابوه وامرأته وهو اول من استشهد يومئذ من المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو اول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة ولقد فتنا الذين من قبلهم متصل بقوله تعالى احسب او بقوله تعالى لا يفتنون والمعنى ان ذلك سنة قديمة مبنية على الحكم البالغة جارية فيما بين الامم كلها فلا ينبغي ان يتوقع خلافها والمعنى ان الامم الماضية قد اصابهم من ضروب الفتن والمحن مما هو اشد مما اصاب هؤلاء فصبروا كما يعرب عنه قوله تعالى وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا الايات وعن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان من قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار على راسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه فليعلمن الله الذين صدقوا اي في قولهم امنا وليعلمن الكاذبين في ذلك والفاء لترتيب ما بعدها على ما يفصح عنه ما قبلها من وقوع الامتحان واللام جواب القسم والالتفات الى الاسم الجليل لادخال الروعة وتربية المهابة وتكرير الجواب لزيادة التاكيد والتقرير اي فوالله ليتعلقن علمه بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين صدقوا في الايمان الذي اظهروه والذين هم كاذبون فيه مستمرون على الكذب ويترتب عليه اجزيتهم من الثواب والعقاب ولذلك قيل المعنى ليميزن او ليجازين وقرئ وليعلمن من الاعلام اي ليعرفنهم الناس او ليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيمة كبياض الوجوه وسوادها ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا اي يفوتونا فلا نقدر على مجازاتهم بمساوي اعمالهم وهو ساد مسد مفعولي حسب لاشتماله على مسند ومسند اليه وام منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب

والانتقال عن التوبيخ بانكار حسبانهم متروكين غير مفتونين الى التوبيخ بانكار ما هو ابطل من الحسبان الأول
وعن حسبانهم ان لا يجازوا بسيئاتهم وهو ان يحسبوا انهم يفوتونه تعالى ولم يحدثوا انفسهم بذلك لكنهم حيث اصروا
على المعاصي ولم يتفكروا في العاقبة نزلوا منزلة من يطمع في ذلك كما في قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده ساء ما يحكمون
اي بيس الذي يحكمونه حكمهم ذلك او بيس حكما يحكمونه او بيس حكما يحكمون حكمهم ذلك من كان يرجو لقاء الله اي يتوقع ملاقاة جزائه
ثوابا او عقابا او ملاقاة حكمه يوم القيمة وقيل يرجو لقاء الله عز وجل في الجنة وقيل يرجو ثوابه وقيل يخاف عقابه وقيل
لقاؤه تعالى عبارة عن الوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت والبعث والحساب والجزاء على تمثيل تلك الحال بحال عبد
قدم على سيده بعد عهد طويل وقد علم مولاه بجميع ما كان ياتي ويذر فاما ان يلقاه ببشر وكرامة لما رضي من افعاله
او بضده لما يسخطه فان اجل الله الاجل عبارة عن غاية زمان ممتد عينت لامر من الامور وقد يطلق على كل ذلك الزمان
والاول هو الاشهر في الاستعمال اي فان الوقت الذي عينه تعالى لذلك لآت لا محالة من غير صارف يلويه ولا
عاطف يثنيه لان اجزاء الزمان على التقضي والتصرم دائما فلا بد من اتيان ذلك الجزء ايضا البتة واتيان وقته
موجب لاتيان اللقاء حتما والجواب محذوف اي فليختر من الاعمال ما يؤدي الى حسن الثواب وليحذر ما يسوقه
الى سوء العذاب كما في قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وفيه من
الوعد والوعيد ما لا يخفى وهو السميع لاقوال العباد العليم باحوالهم من الاعمال الظاهرة والعقايد ومن جاهد
في طاعة الله عز وجل فانما يجاهد لنفسه لعود منفعتها اليها ان الله لغني عن العالمين فلا حاجة الى طاعتهم وانما امرهم
بها تعريضا للثواب بموجب رحمته والذين امنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم الكفر بالايمان والمعاصي بما يتبعها
من الطاعات ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون اي احسن جزاء اعمالهم لا جزاء احسن اعمالهم فقط [ووصينا الانسان بوالديه حسنا صح] وان جاهداك لتشرك بي
اي بايتاء والديه وايلائهما فعلا ذا حسن او ما هو في حد ذاته حسن لفرط حسنه كقوله تعالى وقولوا للناس
حسنا ووصى يجري مجرى امر معنى وتصرفا غير انه يستعمل فيما كان في المامور به نفع عايد الى المامور وغيره وقيل
هو بمعنى قال فالمعنى وقلنا احسن بوالديك حسنا وقيل انتصاب حسنا بمضمر على تقدير قول مفسر للتوصية
اي وقلنا اولهما افعل بهما حسنا وهو اوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه وقرئ حسنا واحسانا
وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم اي بالالهية عبر عن نفيها بنفي العلم بها للايذان بان ما لا يعلم صحته لا
يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فكيف بما علم بطلانه فلا تطعهما في ذلك فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق
ولا بد من اضمار القول ان لم يضمر فيما قبل وفي تعليق النهي عن طاعتهما بمجاهدتهما في التكليف اشعار بان
موجب النهي فيما دونها من التكليف ثابت بطريق الاولوية الي مرجعكم اي مرجع من آمن منكم ومن اشرك
ومن بر بوالديه ومن عق فانبئكم بما كنتم تعملون بان اجازي كلا منكم بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر والاية
نزلت في سعد بن ابي وقاص عند اسلامه حيث حلفت امه حمنة بنت ابي سفيان بن ابي امية ان لا تنتقل
من الضحاء الى الظل ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد فلبثت ثلاثة ايام كذلك وكذا التي في سورة لقمان وسورة
الاحقاف وقيل نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي وذلك انه هاجر مع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه حتى
نزلا المدينة فخرج ابو جهل والحارث اخواه لامه اسما فنزلا بعياش وقالا له ان من دين محمد صلى الله عليه وسلم
صلة الارحام وبر الوالدين وقد تركت امك لا تاكل ولا تشرب ولا تاوي بيتا حتى تراك فاخرج معنا وفتلا
منه في الذروة والغارب واستشار عمر رضي الله تعالى عنه فقال هما يخدعانك ولك علي ان اقسم مالي بيني وبينك
فما زالا به حتى اطاعهما وعصى عمر رضي الله عنه فقال له عمر رضي الله عنه اما اذا عصيتني فخذ ناقتي فليس في الدنيا بعير
يلحقها فان رابك منهما ريب فارجع فلما انتهوا الى البيداء قال ان ناقتي قد كلت فاحملني معك فنزل ليوطئ
لنفسه وله فاخذاه وشداه وثاقا وجلده كل واحد مائة جلدة وذهبا به الى امه فقالت لا تزال في عذاب حتى ترجع
عن دين محمد والذين امنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين اي في زمرة الراسخين في الصلاح والكمال في الصلاح منتهى

تطعم

درجات

منتهى درجات المؤمنين وغاية انبياء الله المرسلين قال الله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام وادخلني
برحمتك في عبادك الصالحين وقال في حق ابرهيم عليه السلام وانه في الآخرة لمن الصالحين او في مدخل الصالحين
وهي الجنة ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا اوذي في الله اي في شانه تعالى بان عذبهم الكفرة على الايمان جعل فتنة
الناس اي ما يصيبه من اذيتهم كعذاب الله في الشدة والهول فيرتد عن الدين مع انه لا قدر لها عند نفخة من عذابه
تعالى اصلا ولئن جاء نصر من ربك اي فتح وغنيمة ليقولن بضم اللام نظرا الى معنى من كما ان الافراد فيما سبق بالنظر الى
لفظها وقرئ بالفتح انا كنا معكم اي مشايعين لكم في الدين فاشركونا في المغنم وهم ناس من ضعفة المسلمين كانوا
اذا مسهم اذى من الكفار وافقوهم وكانوا يكتمونه من المسلمين فرد عليهم ذلك بقوله تعالى اوليس الله باعلم بما في صدور
العالمين اي باعلم منهم بما في صدورهم من الاخلاص والنفاق حتى يفعلوا ما يفعلون من الارتداد والاخفاء عن
المسلمين وادعاء كونهم منهم لنيل الغنيمة وهذا هو الاوفق لما سبق وما لحق من قوله تعالى وليعلمن الله الذين امنوا
اي بالاخلاص وليعلمن المنافقين سواء كان كفرهم باذية الكفرة او لا اي ليجزينهم بما لهم من الايمان والنفاق
وقال الذين كفروا للذين امنوا بيان لحملهم للمؤمنين على الكفر بالاستمالة بعد بيان حملهم لهم عليه بالاذية والوعيد
ووصفهم بالكفر هاهنا دون ما سبق لما ان مساق الكلام لبيان جناياتهم وفيما سبق لبيان جناية من ضل
واللام للتبليغ اي قالوا مخاطبين لهم اتبعوا سبيلنا اي اسلكوا طريقتنا التي نسلكها في الدين عبر عن ذلك بالاتباع
الذي هو المشي خلف ماش آخر تنزيلا للمسلك منزلة السالك فيه او اتبعونا في طريقتنا ولنحمل خطاياكم ان كان
ذلك خطيئة يؤاخذ عليها بالبعث كما تقولون وانما امروا انفسهم بالحمل عاطفين على امرهم بالاتباع للمبالغة
في تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كان ثمه وزر فرد عليهم بقوله تعالى وما هم بحاملين
من خطاياهم من شيء وقرئ خطيئاتهم اي وما هم بحاملين شيئا من خطاياهم التي التزموا ان يحملوا كلها على ان من
الاولى للتبيين والثانية مزيدة للاستغراق والجملة اعتراض او حال انهم لكاذبون حيث اخبروا في ضمن وعدهم
بالحمل انهم قادرون على انجاز ما وعدوا فان الكذب كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه يتطرق اليه باعتبار
ما يلزم مدلوله كما مر في قوله تعالى انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين وليحملن اثقالهم بيان لما يستتبعه
قولهم ذلك في الآخرة من المضرة لانفسهم بعد بيان عدم منفعته لمخاطبيهم اصلا والتعبير عن الخطايا بالاثقال
للايذان بغاية ثقلها وكونها فادحة واللام جواب قسم مضمر اي وبالله ليحملن اثقال انفسهم كاملة واثقالا اخر
مع اثقالهم لما تسببوا له بالاضلال والحمل على الكفر والمعاصي من غير ان ينقص من اثقال من اضلوه شيء ما
اصلا وليسئلن يوم القيمة سؤال تقريع وتبكيت عما كانوا يفترون اي يختلقونه في الدنيا من الاكاذيب والاباطيل
التي من جملتها كذبهم هذا ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما شروع في بيان افتتان الانبياء
عليهم السلام باذية اممهم اثر بيان افتتان المؤمنين باذية الكفار تاكيدا للانكار على الذين يحسبون ان
يتركوا بمجرد الايمان بلا ابتلاء وحثا لهم على الصبر فان الانبياء عليهم الصلوة والسلام حيث ابتلوا
بما اصابهم من جهة اممهم من فنون المكاره وصبروا عليها فلان يصبر هؤلاء اولى واحرى قالوا كان
عمر نوح الفا وخمسين عاما ارسل على راس الاربعين ودعا قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان
ستين وعن وهب انه عاش الفا واربعمائة سنة ولعل ما عليه النظم الكريم للدلالة على كمال العدد فان
تسعمائة وخمسين سنة قد يطلق على ما يقرب منه ولما في ذكر الالف من تخييل طول المدة فان المقصود
من القصة تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيته على ما كان عليه من مكابدة ما يناله من الكفرة
واظهار ركاكة راي الذين يحسبون انهم يتركون بلا ابتلاء واختلاف التمييزين لما في التكرير من نوع بشاعة
فاخذهم الطوفان اي عقيب تمام المدة المذكورة والطوفان يطلق على كل ما يطوف بالشيء على كثرة وشدة من
السيل والريح والظلام وقد غلب على طوفان الماء وهم ظالمون اي والحال انهم مستمرون على الظلم لم يتاثروا

وا

بما سمعوا من نوح عليه السلام ولم يرعووا عما هم عليه من الكفر والمعاصي هذه المدة المتمادية فانجيناه
اي نوحا عليه السلام واصحاب السفينة اي ومن ركب فيها معه من اولاده واتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية
وسبعين وقيل عشرة وقيل ثمانية نصفهم ذكور ونصفهم اناث وجعلناها اي السفينة او الحادثة والقصة
اية للعالمين يتعظون بها وابرهيم نصب بالعطف على نوحا وقيل باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن
المرسلين ابرهيم اذ قال لقومه على الاول ظرف للارسال اي ارسلناه حين تكامل عقله وقدر على النظر والاستدلال
وترقى من رتبة الكمال الى درجة التكميل حيث تصدى لارشاد الخلق الى طريق الحق وعلى الثاني بدل
اشتمال من ابرهيم اعبدوا الله اي وحده واتقوه ان تشركوا به شيئا ذلكم اي ما ذكر من العبادة والتقوى
خير لكم اي مما انتم عليه ومعنى التفضيل مع انه لا خيرية فيه قطعا باعتبار زعمهم الباطل ان كنتم تعلمون
اي الخير والشر وتميزون احدهما من الاخر وان كنتم تعلمون شيئا من الاشياء بوجه من الوجوه فان ذلك كاف في
الحكم بخيرية ما ذكر من العبادة والتقوى انما تعبدون من دون الله اوثانا بيان لبطلان دينهم وشريته في نفسه
بعد بيان شريته بالنسبة الى الدين الحق اي انما تعبدون من دونه تعالى اوثانا هي في نفسها تماثيل مصنوعة
لكم ليس فيها وصف غير ذلك وتخلقون افكا اي وتكذبون كذبا حيث تسمونها الهة وتدعون انها شفعاؤكم
عند الله تعالى او تعملونها وتنحتونها للافك وقرئ تخلقون بالتشديد للتكثير في الخلق بمعنى الكذب والافترا
وتخلقون بحذف احدى التائين من تخلق بمعنى تكذب وتخرص وقرئ افكا على انه مصدر كالكذب واللعب
او نعت بمعنى خلقا ذا افك ان الذين تعبدون من دون الله بيان لشرية ما تعبدونه من حيث انه لا يكاد يجدي
نفعا لا يملكون لكم رزقا اي لا يقدرون على ان يرزقوكم شيئا من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله فان الله
هو الرزاق ذو القوة المتين واعبدوه وحده واشكروا له على نعمائه متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدين
بالشكر العتيد ومستجلبين للمزيد اليه ترجعون اي بالموت ثم البعث لا الى غيره فافعلوا ما امركم به من انكم
اليه ترجعون بالبعث فقد كذب امم من قبلكم تعليل للجواب اي فلا تضروني بتكذيبكم فان من قبلكم من الامم
قد كذبوا من قبلي من الرسل وهم شيث وادريس ونوح عليهم السلام فلم يضرهم تكذيبهم شيئا وانما
ضر انفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبكم وما على الرسول الا البلاغ المبين اي التبليغ
الذي لا يبقى معه شك وما عليه ان يصدقه قومه البتة وقد خرجت عن عهدة التبليغ بما لا مزيد عليه فلا
يضرني تكذيبكم بعد ذلك اصلا اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق كلام مستانف مسوق من جهته تعالى للانكار
على تكذيبهم بالبعث مع وضوح دليله وسنوح سبيله والهمزة للانكار على تكذيبهم بالبعث عدم
رؤيتهم الموجب لتقريبها والواو للعطف على مقدر اي الم ينظروا ولم يعلموا علما جاريا مجرى الرؤية
في الجلاء والظهور كيفية خلق الله تعالى الخلق ابتداء من مادة ومن غير مادة اي قد علموا ذلك وقرئ
بصيغة الخطاب لتشديد الانكار وتاكيده وقرئ يبدا وقوله تعالى ثم يعيده عطف على اولم يروا لا على
يبدئ لعدم وقوع الرؤية عليه فهو اخبار بانه تعالى يعيد الخلق قياسا على الابتداء وقد جوز العطف على
يبدئ بتاويل الاعادة بانشائه تعالى كل سنة مثل ما انشاه في السنة السابقة من النبات والثمار
وغيرها فان ذلك مما يستدل به على صحة البعث ووقوعه من غير ريب ان ذلك اي ما ذكر من
الاعادة على الله يسير اذ لا يفتقر فعله الى شيء اصلا قل سيروا في الارض امر لابرهيم عليه السلام ان
يقول لهم ذلك اي سيروا فيها فانظروا كيف بدا الخلق اي كيف خلقهم ابتداء على اطوار مختلفة وطبايع
متغايرة واخلاق شتى فان ترتيب النظر على السير في الارض موذن بتتبع احوال اصناف الخلق
القاطنين في اقطارها ثم الله ينشئ النشاة الاخرة بعد النشاة الاولى التي شاهدتموها والتعبير عن الاعادة
التي هي محل النزاع بالنشاة الاخرة المشعر بكون البدء نشاة اولى للتنبيه على انهما شان واحد من شؤون الله

وقري ترجعون من رجع رجوعا وان تكذبوا اي تكذبوني فيما اخبرتكم به صح

تعالى

تعالى حقيقة واسما من حيث ان كلا منهما اختراع واخراج من العدم الى الوجود لا فرق بينهما الا بالاولية
والاخروية وقرئ النشاءة بالمد وهما لغتان كالرافة والرآفة ومحلها النصب على انها مصدر مؤكد لينشئ
بحذف الزوائد والاصل الانشاءة او بحذف العامل اي فينشئون النشاة الاخرة كما في قوله تعالى و
انبتها نباتا حسنا والجملة معطوفة على جملة سيروا في الارض داخلة معها في حيز القول واظهار الاسم
الجليل وايقاعه مبتدا مع اضماره في بدا لابراز مزيد الاعتناء ببيان تحقق الاعادة بالاشارة الى علة
الحكم وتكرير الاسناد وقوله تعالى ان الله على كل شيء قدير تعليل لما قبله بطريق التحقيق فان من علم قدرته
تعالى على جميع الاشياء التي من جملتها الاعادة لا يتصور ان يتردد في قدرته عليها ولا في وقوعها بعدما اخبر
به يعذب اي بعد النشاة الاخرة من يشاء ان يعذبه وهم المنكرون لها حتما ويرحم من يشاء ان يشاء ان
يرحمه وهم المصدقون بها والجملة تكملة لما قبلها وتقديم العذاب لما ان الترهيب انسب بالمقام من الترغيب
واليه تقلبون عند ذلك لا الى غيره فيفعل بكم ما يشاء من التعذيب والرحمة وما انتم بمعجزين له تعالى عن اجراء حكمه و
قضائه عليكم في الارض ولا في السماء اي بالتواري في الارض او الهبوط في مهاويها ولا بالتحصن في السماء التي هي
افسح منها لو استطعتم الرقي فيها كما في قوله تعالى ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا
او القلاع الذاهبة فيها وقيل في السماء صفة لمحذوف معطوف على انتم ولا من في السماء وما لكم من دون الله من
ولي ولا نصير يحرسكم مما يصيبكم من بلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء ويدفعه عنكم والذين كفروا بايات
الله اي بدلائله التكوينية والتنزيلية الدالة على ذاته وصفاته وافعاله فيدخل فيها النشاة
الاولى الدالة على تحقق البعث والايات الناطقة به دخولا اوليا وتخصيصها بدلائل وحدانيته
لا يناسب المقام ولقائه الذي ينطق به تلك الايات اولئك الموصوفون بما ذكر من الكفر باياته تعالى
ولقائه يئسوا من رحمتي اي ييأسون منها يوم القيمة وصيغة الماضي للدلالة على تحققه او يئسوا منها
في الدنيا لانكارهم البعث والجزاء واولئك لهم عذاب اليم وفي تكرير اسم الاشارة وتكرير الاسناد وتنكير العذاب
ووصفه بالاليم من الدلالة على كمال فظاعة حالهم ما لا يخفى اولئك الموصوفون بالكفر بايات الله ولقائه
واليأس من رحمته الممتازون بذلك عن سائر الكفرة لهم بسبب تلك الاوصاف القبيحة عذاب لا يقادر
قدره في الشدة والايلام فما كان جواب قومه بالنصب على انه خبر كان واسمها قوله تعالى الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه
وقرئ بالرفع على العكس وقد مر ما فيه من نظائره وليس المراد انه لم يصدر عنهم بصدد الجواب عن حجج
ابرهيم عليه السلام الا هذه المقالة الشنيعة كما هو المتبادر من ظاهر النظم الكريم على ان ذلك هو الذي
استقر عليه جوابهم بعد اللتيا والتي في المرة الاخيرة والا فقد صدر عنهم من الخرافات والاباطيل ما لا
يحصى فانجاه الله من النار الفاء فصيحة اي فالقوه في النار فانجاه الله تعالى منها بان صارت عليه
عليه السلام بردا وسلاما حسبما بين في مواضع اخر وقد مر في سورة الانبياء بيان كيفية القائه عليه
السلام فيها وانجائه تعالى اياه تفصيلا قيل لم ينتفع يومئذ بالنار في موضع اصلا ان في ذلك اي في
انجائه منها لايات بينة عجيبة على حفظه تعالى اياه من حرها واخمادها في زمان يسير وانشاء روض في مكانها
لقوم يؤمنون واما من عداهم فهم عن اجتلائها غافلون ومن الفوز بمغانم اثارها محرومون وقال اي ابرهيم
عليه السلام مخاطبا لهم انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا اي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على
عبادتها وايتلافكم وثاني مفعولي اتخذتم محذوف اي اوثانا الهة ويجوز ان يكون مودة هو المفعول بتقدير
المضاف او بتاويلها بالمودودة او بجعلها نفس المودة مبالغة اي اتخذتم اوثانا سبب المودة بينكم او
مودودة او نفس المودة وقرئ مودة منونة منصوبة ناصبة للظرف وقرئ بالرفع والاضافة على
انها خبر مبتدا محذوف اي هي مودودة او نفس المودة او سبب المودة بينكم والجملة صفة اوثانا وخبر

ان علي انّ ما مصدرية او موصولة وتحذف عايدها وهو المفعول الاول وقرئ مرفوعة منونة ومضافة
بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم علي احد الوجهين وقرئ انما مودة بينكم والمعني انّ اتخاذكم اياها مودة
بينكم ليس الا في الحيوة وقد اجيبتم احكامه حيث فعلتم بي ما فعلتم لاجل مودتكم لها انتصارا مني كما ينبي عنه
قوله تعالي وانصروا الهتكم **ثم يوم القيمة** ينقلب الامور ويتبدل التوادّ تباغضا والتلاطف تلاعنا حيث **يكفر بعضكم**
وهم العبدة **ببعض** وهم الاوثان **ويلعن بعضكم بعضا** اي يلعن كل فريق منكم ومن الاوثان حيث ينطقها
الله تعالي الفريق الآخر **وماويكم النار** اي هي منزلكم الذي تاوون اليه ولا ترجعون منه ابدا **وما لكم من ناصرين**
يخلصونكم منها كما خلصني ربي من النار التي القيتموني فيها وجمع الناصر لوقوعه في مقابلة الجمع اي وما لاحد
منكم من ناصر اصلا **فامن له لوط** اي صدقه في جميع مقالاته لا في نبوته وما دعا اليه من التوحيد فقط
فانه كان منزها عن الكفر وما قيل انه آمن له حين راي النار لم تحرقه ينبغي ان يحمل علي ما ذكرنا او علي
ان يراد بالايمان الرتبة العالية منها وهي التي لا يرتقي اليها الا هؤلاء الافراد الكمل ولوط هو ابن
اخيه عليهما السلام **وقال اني مهاجر** اي من قومي **الي ربي** اي حيث امرني **انه هو العزيز** الغالب علي امره
فيمنعني من اعدائي **الحكيم** الذي لا يفعل فعلا الا وفيه حكمة ومصلحة فلا يامرني الا بما فيه صلاحي
وروي انه هاجر من كوثي من سواد الكوفة مع لوط وسارة ابنة عمه الي حران ثم منها الي الشام
فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم **ووهبنا له اسحق ويعقوب** ولدا ونافلة حين ايس من عجوز عاقر **وجعلنا في ذريته**
النبوة فكثر منهم الانبياء **والكتاب** اي جنس الكتاب المتناول للكتب الاربعة **واتيناه اجره** بمقابلة هجرته
الينا **في الدنيا** باعطاء الولد والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء اهل الملل اليه والثناء والصلوة
عليه الي آخر الدهر **وانه في الآخرة لمن الصالحين** اي الكاملين في الصلاح **ولوطا** اما منصوب بالعطف علي نوحا وعلي
ابرهيم والكلام في قوله تعالي **اذ قال لقومه** كالذي مر في قصة ابرهيم **انكم لتاتون الفاحشة** اي الفعلة المتناهية
في القبح وقرئ اينكم **ما سبقكم بها من احد من العالمين** استيناف مقرر لكمال قبحها فان اجماع جميع افراد العالمين
علي التحاشي عنها ليس الا لكونها مما يشمئز منها الطباع وتنفر منه النفوس **ء** وتتعرضون للسابلة اي بالفاحشة
حيث روي انهم كانوا كثيرا ما يفعلونها بالغرباء وقيل تقطعون السبيل بالقتل واخذ المال **وتاتون في ناديكم**
اي تفعلون في مجلسكم الجامع **المنكر** كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها مما لا خير فيه من الافاعيل المنكرة
عن ابن عباس رضي الله عنهما هو الحذف بالحصي والرمي بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك والسواك بين الناس
وحل الازرار والسباب والفحش في المزاح وقيل السخرية بمن مر بهم وقيل المجاهرة في ناديهم بذلك العمل **فما كان جواب**
قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين اي فما كان جوابا من جهتهم بشيء من الاشياء الا هذه الكلمة الشنيعة
اي لم يصدر عنهم في هذه المرة من مرات مواعظ لوط عليه السلام وقيل كان اوعدهم فيها بالعذاب واما
ما في سورة الاعراف من قوله تعالي وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم الاية وما في سورة
النمل من قوله تعالي فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم الاية فهو الذي صدر
عنهم بعد هذه المرة وهي المرة الاخيرة من مرات المقاولات الجارية بينهم وبينه عليه السلام وقد مر
تحقيقه في سورة الاعراف **قال رب انصرني** اي بانزال العذاب الموعود **علي القوم المفسدين** بابتداع الفاحشة
وسنها فيمن بعدهم والاصرار عليها واستعجال العذاب بطريق الاستهزاء وانما وصفهم بذلك مبالغة
في استنزال العذاب عليهم **ولما جاءت رسلنا ابرهيم بالبشري** اي بالبشارة بالولد والنافلة **قالوا** اي لابرهيم
عليه السلام في تضاعيف الكلام حسبما فصل في سورة هود وسورة الحجر **انا مهلكوا اهل هذه القرية** اي قرية
سدوم والاضافة لفظية لان المعني علي الاستقبال **ان اهلها كانوا ظالمين** تعليل للاهلاك باصرارهم علي الظلم
وتماديهم في فنون الفساد وانواع المعاصي **قال ان فيها لوطا** فكيف تهلكونها **قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه** ولعله

حاشية: انكم لتاتون الرجال وتقطعون السبيل صح

ارادوا

ارادوا انهم غير غافلين عن مكان لوط عليه السلام فيها بل عن من لم يتعرض له ابرهيم عليه السلام من اتباعه
المومنين وانهم معتنون بشانهم اتم اعتناء حسبما يفصح عنه تصدير الوعد بالتنجية بالقسم اي والله **لننجينه**
واهله الا امراته كانت من الغابرين اي من الباقين في العذاب او القرية **ولما ان جاءت رسلنا** المذكورون بعد مفارقتهم
لابرهيم عليه السلام **لوطا سيء بهم** اعتراه المساءة بسببهم مخافة ان يتعرض لهم قومه بسوء وكلمة ان لتاكيد
ما بين الفعلين من الاتصال **وضاق بهم ذرعا** اي ضاق بشانهم وتدبير امرهم ذرعه اي طاقته كقولهم ضاقت يده
وبازائه رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا به قادرا عليه وذلك ان طويل الذراع ينال ما لا يناله قصير
الذراع **قالوا** ريثما شاهدوا فيه مخايل التضجر من جهتهم وعاينوا انه قد عجز عن موافقة قومه بعد اللتيا
والتي حتي آلت به الحال الي ان قال لو ان لي بكم قوة او آوي الي ركن شديد **لا تخف** اي من قومك علينا **ولا تحزن**
اي علي شيء وقيل باهلاكنا اياهم **انا منجوك واهلك** مما يصيبهم من العذاب **الا امراتك كانت من الغابرين** وقرئ لننجينه
ومنجوك من الانجاء وايا ما كان فمحل الكاف الجر علي المختار ونصب اهلك باضمار فعل او بالعطف علي محلها باعتبار
الاصل **انا منزلون علي اهل هذه القرية رجزا من السماء** استيناف مسوق لبيان ما اشير اليه بوعد التنجية من نزول
العذاب عليهم والرجز العذاب الذي يقلق المعذب اي يزعجه من قولهم ارتجز اذا ارتجس واضطرب وقرئ
منزلون بالتشديد **بما كانوا يفسقون** بسبب فسقهم المستمر **ولقد تركنا منها** اي من القرية **اية بينة** هي قصتها
العجيبة واثار ديارها الخربة وقيل الحجارة الممطورة فانها كانت باقية بعدها وقيل الماء الاسود علي وجه الارض
لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في الاستبصار والاعتبار وهو متعلق اما بتركنا او ببينة **والي مدين اخاهم شعيبا**
متعلق بمضمر معطوف علي ارسلنا في قصة نوح اي وارسلنا الي مدين شعيبا **فقال يا قوم اعبدوا الله** وحده **وارجوا اليوم**
الآخر اي توقعوه وما سيقع فيه من فنون الاهوال واعملوا اليوم من الاعمال ما تامنون غائلته وقيل وارجوا ثوابه
بطريق اقامة المسبب مقام السبب وقيل الرجاء بمعني الخوف **ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة** اي
الزلزلة الشديدة وفي سورة هود واخذت الذين ظلموا الصيحة اي صيحة جبريل عليه السلام فانها الموجبة
للرجفة بسبب تموجها الهواء وما يجاورها من الارض **فاصبحوا في دارهم** اي بلدهم او منازلهم والافراد لامن
اللبس **جاثمين** باركين علي الركب اي ميتين **وعادا وثمودا** منصوبان باضمار فعل ينبئ عنه ما قبله اي اهلكنا وقرئ ثمود
بتاويل الحي **وقد تبين لكم من مساكنهم** اي وقد ظهر لكم اهلاكنا اياهم من جهة مساكنهم بالنظر اليها عند اجتيازكم بها
ذهابا الي الشام وايابا منه **وزين لهم الشيطان اعمالهم** من فنون الكفر والمعاصي **فصدهم عن السبيل** السوي الموصل الي
الحق **وكانوا مستبصرين** متمكنين من النظر والاستدلال ولكنهم لم يفعلوا ذلك او متبينين ان العذاب لاحق بهم باخبار
الرسل عليهم السلام لهم ولكنهم لجوا حتي لقوا ما لقوا **وقارون وفرعون وهامان** معطوف علي عادا قيل تقديم قارون
لشرف نسبه **ولقد جاءهم موسي بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين** مفلتين فايتين من قولهم سبق طالبه اذا فاته ولم
يدركه ولقد ادركهم امر الله عز وجل اي ادراك فتداركوا نحو الدمار والهلاك **فكلا** تفسير لما ينبئ عنه عدم
سبقهم بطريق الابهام اي فكل واحد من المذكورين **اخذنا بذنبه** اي عاقبناه بجنايته لا بعضه دون بعض كما
يشعر به تقديم المفعول **فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا** تفصيل للاخذ اي ريحا عاصفا فيها حصباء وقيل ملكا رماهم بها
وهم قوم لوط **ومنهم من اخذته الصيحة** كمدين وثمود **ومنهم من خسفنا به الارض** كقارون **ومنهم من اغرقنا** كقوم نوح وفرعون وقومه
وما كان الله ليظلمهم بما فعل بهم فان ذلك محال من جهته تعالي **ولكن كانوا انفسهم يظلمون** بالاستمرار علي مباشرة ما يوجب
ذلك من انواع الكفر والمعاصي **مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء** فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا **كمثل العنكبوت اتخذت بيتا**
فيما نسجته في الوهن والخور بل ذلك اوهن من هذا لان له حقيقة وانتفاعا في الجملة او مثلهم بالاضافة
الي الموحد كمثله بالاضافة الي رجل بني بيتا من حجر وجص والعنكبوت يقع علي الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
والغالب في الاستعمال التانيث وتاؤه كتاء طاغوت ويجمع علي عناكب وعنكبوتات واما العكاب والعكب

والاعكب فاسماء الجمع وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت حيث لا يرى شيء يدانيه في الوهن والوهي لو كانوا يعلمون اي
شيئا من الاشياء لجزموا ان هذا مثلهم او ان دينهم اوهى من ذلك ويجوز ان يجعلوا بيت العنكبوت عبارة عن دينهم
تحقيقا للتمثيل فالمعنى وان اوهن ما يعتمد به في الدين دينهم ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء على اضمار القول اي قل
للكفرة ان الله الى آخره وما استفهامية منصوبة بيدعون معلقة بيعلم ومن للتبيين او نافية ومن مزيدة
وشيء مفعول يدعون او مصدرية وشيء عبارة عن المصدر او موصولة مفعول ليعلم ومفعول يدعون عائده
المحذوف وقرئ تدعون بالتاء والكلام على الاولين تجهيل لهم او تاكيد للمثل وعلى الاخيرين وعيد لهم وهو
العزيز الحكيم تعليل على المعنيين فان اشراك ما لا يعد شيئا بمن هذا شانه من فرط الغباوة وان الجماد بالنسبة
الى القادر القاهر على كل شيء البالغ في العلم واتقان الفعل الغاية القاصية كالمعدوم البحت وان من هذه
صفاته قادر على مجازاتهم وتلك الامثال اي هذا المثل وامثاله نضربها للناس تقريبا لما بعد من افهامهم وما يعقلها
على ما هي عليه من الحسن واستتباع الفوائد الا العالمون الراسخون في العلم المتدبرون في الاشياء على ما ينبغي
وعنه صلى الله عليه وسلم انه تلا هذه الاية فقال العالم من عقل عن الله تعالى وعمل بطاعته واجتنب سخطه
خلق الله السموات والارض بالحق اي محقا مراعيا للحكم والمصالح على انه حال من فاعل خلق او ملتبسة بالحق الذي
لا محيد عنه مستتبعة للمنافع الدينية والدنيوية على انه حال من مفعوله فانها على اشتمالها على جميع
ما يتعلق به معاشهم شواهد دالة على شؤونه تعالى المتعلقة بذاته وصفاته كما يفصح عنه قوله تعالى
ان في ذلك لاية للمؤمنين دالة لهم على ما ذكر من شؤونه تعالى وتخصيص المؤمنين بالذكر مع عموم الهداية
والارشاد في خلقهما للكل لانهم المنتفعون بذلك اتل ما اوحي اليك من الكتاب تقربا الى الله تعالى بقراءته وتذكرا لما
في تضاعيفه من المعاني وتذكيرا للناس وحملا لهم على العمل بما فيه من الاحكام ومحاسن الاداب ومكارم الاخلاق
واقم الصلوة اي داوم على اقامتها وحيث كانت الصلوة منتظمة للصلوات المكتوبة المؤداة بالجماعة وكان
امره عليه السلام باقامتها متضمنا لامر الامة بها علل بقوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر كانه قيل وصل
بهم ان الصلوة تنهاهم عن الفحشاء والمنكر ومعنى نهيها عنهما انها سبب للانتهاء عنهما لانها مناجاة لله
تعالى فلا بد ان تكون مع اقبال تام على طاعته واعراض كلي عن معاصيه قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله
عنهما في الصلوة منتهى ومزدجر عن معاصي الله تعالى فمن لم تامره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم
يزدد بصلوته من الله تعالى الا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فصلوته
وبال عليه وروى انس رضي الله عنه ان فتى من الانصار كان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
لا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له عليه الصلوة والسلام حاله فقال ان صلوته تنهاه فلم يلبث ان
تاب وحسن حاله ولذكر الله اكبر اي وللصلوة اكبر من سائر الطاعات وانما عبر عنها بها كما في قوله تعالى
فاسعوا الى ذكر الله للايذان بان ما فيها من ذكر الله تعالى هو العمدة في كونها مفضلة على الحسنات ناهية
عن السيئات وقيل ولذكر الله تعالى عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما اكبر في الزجر عنهما
وقيل ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم
بها احسن المجازاة ولا تجادلوا اهل الكتاب من اليهود والنصارى الا بالتي هي احسن اي بالخصلة التي هي احسن كمقابلة
الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح والمشورة بالاناة على وجه لا يدل على الضعف ولا يؤدي
الى اعطاء الدنية وقيل منسوخ باية السيف الا الذين ظلموا منهم بالافراط في الاعتداء والعناد او باثبات
الولد وقولهم يد الله مغلولة ونحو ذلك فانه يجب حينئذ المدافعة بما يليق بحالهم وقولوا امنا بالذي انزل الينا من القران
وانزل اليكم اي وبالذي انزل اليكم من التورية والانجيل وقد مر تحقيق كيفية الايمان بهما في خاتمة سورة البقرة
وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وملائكته وكتبه ورسله

فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم والهنا والهكم واحد لا شريك له في الالوهية ونحن له مسلمون
مطيعون خاصة وفيه تعريض بحال الفريقين حيث اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وكذلك تجريد للخطاب
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد
المشار اليه في الفضل اي مثل ذلك الانزال البديع الموافق لانزال سائر الكتب انزلنا اليك الكتاب اي القران الذي من جملته
هذه الايات الناطقة بما ذكر من المجادلة بالحسنى فالذين آتيناهم الكتاب من الطائفتين يؤمنون به اريد بهم عبد الله
ابن سلام واضرابه من اهل الكتابين خاصة كان من عداهم لم يؤتوا الكتاب حيث لم يعملوا بما فيه او من تقدم عهد
الرسول صلى الله عليه وسلم منهم حيث كانوا مصدقين بنزوله حسبما شاهدوا في كتابيهما وتخصيصهم بايتاء الكتاب
للايذان بان من بعدهم من معاصري رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزع عنهم الكتاب بالنسخ فلم يؤتوه
والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ايمانهم به مترتب على انزاله على الوجه المذكور ومن هؤلاء اي ومن العرب
او اهل مكة على الاول او ممن في عصره عليه الصلوة والسلام على الثاني من يؤمن به اي بالقران وما يجحد باياتنا
عبر عن الكتاب بالايات للتنبيه على ظهور دلالتها على معانيها وعلى كونها من عند الله تعالى واضيفت الى نون
العظمة لمزيد تفخيمها وغاية تشنيع من يجحدها الا الكافرون المتوغلون في الكفر المصممون عليه فان ذلك يصدهم
عن التأمل فيما يؤديهم الى معرفة حقيقتها وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه وما كنت تتلوا من قبله من كتاب اي ما
كنت قبل انزالنا اليك الكتاب تقدر على ان تتلو شيئا من كتاب ولا تخطه ولا تقدر على ان تخطه بيمينك حسبما
هو المعتاد او ما كانت عادتك ان تتلو ولا ان تخطه اذا لارتاب المبطلون اي لو كنت ممن يقدر على التلاوة
والخط او ممن يعتادهما لارتابوا وقالوا لعله التقطه من كتب الاوائل وحيث لم تكن كذلك لم يبق في شانك
منشا ريب اصلا وتسميتهم مبطلين في ارتيابهم على التقدير المفروض لكونهم مبطلين في اتباعهم للاحتمال
المذكور مع ظهور نزاهته عليه الصلاة والسلام عن ذلك بل هو اي القران ايات بينات واضحات ثابتة
راسخة في صدور الذين اوتوا العلم من غير ان يلتقط من كتاب يحفظونه بحيث لا يقدر احد على تحريفه وما يجحد باياتنا
مع كونها كما ذكر الا الظالمون المتجاوزون للحدود في الشر والمكابرة والفساد وقالوا لولا انزل عليه ايات من ربه مثل ناقة
صالح وعصا موسى ومائدة موسى عليهم الصلاة والسلام وقرئ اية قل انما الايات عند الله ينزلها حسبما يشاء
من غير دخل لاحد في ذلك قطعا وانما انا نذير مبين ليس من شاني الا الانذار بما اوتيت من الايات اولم يكفهم
كلام مستانف وارد من جهته تعالى ردا على اقتراحهم وبيانا لبطلانه والهمزة للانكار والنفي والواو
للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اقصر ولم يكفهم اية مغنية عن سائر الايات انا انزلنا عليك الكتاب
الناطق بالحق المصدق لما بين يديه من الكتب السماوية وانت بمعزل من مدارستها وممارستها يتلى عليهم
في كل زمان ومكان فلا يزال معهم اية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل اية بعد كونها ويكون في مكان
دون مكان او يتلى على اليهود تحقيق ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك ان في ذلك الكتاب العظيم الشان
الباقي على مر الدهور لرحمة اي نعمة عظيمة وذكرى اي تذكرة لقوم يؤمنون اي لقوم همهم الايمان لا التعنت
كاولئك المقترحين وقيل ان ناسا من المؤمنين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتب فيها بعض ما يقوله
اليهود فقال كفى بها ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الى غير ما جاء به غير نبيهم فنزلت قل كفى بالله بيني
وبينكم شهيدا بما صدر عني وعنكم يعلم ما في السموات والارض اي من الامور التي من جملتها شاني وشانكم فهو تقرير لما
قبله من كفايته تعالى شهيدا والذين امنوا بالباطل وهو ما يعبد من دون الله وكفروا بالله مع تعاضد موجبات
الايمان به اولئك هم الخاسرون المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان بان ضيعوا الفطرة الاصلية
والادلة السمعية الموجبة للايمان والاية من قبيل المجادلة بالتي هي احسن حيث لم يصرح بنسبة الايمان
بالباطل والكفر بالله والخسران اليهم بل ذكر على منهاج الابهام كما في قوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او

في ضلال مبين ويستعجلونك بالعذاب على طريقة الاستهزاء بقولهم متى هذا الوعد وقولهم امطر علينا حجارة من
السماء او ايتنا بعذاب اليم ونحو ذلك ولولا اجل مسمى قد ضربه الله تعالى لعذابهم وبينه في اللوح
قومه بعذاب الاستيصال ولان يوخر عذابهم الى يوم القيمة وقيل يوم بدر وقيل وقت فنائهم بآجالهم وفيه بعد لظاهر
لما انهم ما كانوا يوعدون بفنائهم الطبيعي ولما كانوا يستعجلون به لجاءهم العذاب وليأتينهم جملة مستانفة مبينة
لما اشير اليه في الجملة السابقة من مجي العذاب عند محل الاجل اي وبالله ليأتينهم الذي عين لهم عند حلول
الاجل بغتة اي فجاة وهم لا يشعرون اي باتيانه ولعل المراد باتيانه كذلك انه لا ياتيهم بطريق التعجيل
عند استعجالهم والاجابة الى مسولهم فان ذلك اتيان برايهم وشعورهم لا انهم ياتيهم وهم غارون آمنون
لا يخطرونه بالبال كداب بعض العقوبات النازلة على بعض الامم بياتا وهم نائمون او ضحى وهم يلعبون لما
ان اتيان عذاب الآخرة وعذاب يوم بدر ليس من هذا القبيل يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين استيناف
مسوق لغاية تجهيلهم وركاكة رايهم وفيه دلالة على ان ما استعجلوه عذاب الآخرة اي يستعجلونك
بالعذاب والحال ان محل العذاب الذي لا عذاب فوقه يحيط بهم كانه قيل يستعجلونك بالعذاب وان العذاب
لمحيط بهم اي سيحيط بهم وانما جي بالجملة الاسمية دلالة على تحقق الاحاطة واستمرارها او تنزيلا لحال السبب
منزلة المسبب فان الكفر والمعاصي الموجبة لدخول جهنم محيطة بهم وقيل ان الكفر والمعاصي هي النار في
الحقيقة لكنها ظهرت في هذه النشاة بهذه الصورة وقد مر تفصيله في سورة الاعراف عند قوله
تعالى والوزن يومئذ الحق ولام الكافرين اما للعهد ووضع الظاهر موضع المضمر للاشعار بعلة الحكم
او للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا يوم يغشاهم العذاب ظرف لمضمر قد طوي ذكره ايذانا بغاية كثرته
وفظاعته كانه قيل يوم يغشاهم العذاب الذي اشير اليه باحاطة جهنم بهم يكون من الاحوال والاهوال
ما لا يفي به المقال وقيل ظرف للاحاطة من فوقهم ومن تحت ارجلهم اي من جميع جهاتهم ويقول اي الله عز وجل
ويعضده القراة بنون العظمة او بعض ملايكته بامره ذوقوا ما كنتم تعملون اي جزاء ما كنتم تعملونه في الدنيا
على الاستمرار من السيئات التي من جملتها الاستعجال بالعذاب يا عبادي الذين امنوا خطاب تشريف لبعض
المومنين الذين لا يتمكنون من اقامة امور الدين كما ينبغي لممانعة من جهة الكفر وارشادهم الى الطريق الاسلم
ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون اي اذا لم يتسهل لكم العبادة في بلد ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى
حيث يتسنى لكم ذلك وعنه عليه الصلوة والسلام من فر بدينه من ارض الى ارض ولو كان شبرا استوجب
الجنة وكان رفيق ابرهيم ومحمد عليهما الصلوة والسلام والفاء جواب شرط محذوف اذ المعنى ان ارضي
واسعة ان لم تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها في غيرها ثم حذف الشرط وعوض عنه تقديم المفعول
مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون جملة مستانفة جي بها حثا على
المسارعة في الامتثال بالامر اي كل نفس من النفوس واجدة مرارة الموت وكربه وراجعة الى حكمنا وجزائنا
بحسب اعمالها فمن كانت هذه عاقبته فليس له بد من التزود والاستعداد لها وقرئ يرجعون والذين امنوا وعملوا
الصالحات لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة غرفا اي علالي وهو مفعول ثان للتبوئة وقرئ لنثوينهم من الثواء بمعنى
الاقامة فانتصاب غرفا حينئذ اما باجرائه مجرى لننزلنهم او بنزع الخافض او بتشبيه الظرف الموقت بالمبهم كما في
قوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم تجري من تحتها الانهار صفة لغرفا خالدين فيها اي في الغرف او في الجنة نعم
اجر العاملين اي الاعمال الصالحة والمخصوص بالمدح محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه وقرئ فنعم الذين صبروا
اما صفة للعاملين او نصب على المدح اي صبروا على اذية المشركين وشدائد المهاجرة وغير ذلك من المحن
والمشاق وعلى ربهم يتوكلون ولم يتوكلوا فيما ياتون ويذرون الا على الله تعالى وكاين من دابة لا تحمل رزقها روي ان
النبي صلى الله عليه وسلم لما امر المومنين الذين كانوا بمكة بالمهاجرة الى المدينة قالوا كيف نقدم بلدة

ليس لنا فيها معيشة فنزلت اي وكم من دابة لا تطيق حمل رزقها لضعفها او لا تدخر وانما تصبح ولا
معيشة عندها الله يرزقها واياكم ثم انها مع ضعفها وتوكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء في انه لا
يرزقها واياكم الا الله تعالى لان رزق الكل باسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا الفقر بالمهاجرة
وهو السميع المبالغ في السمع فيسمع قولكم هذا العليم المبالغ في العلم فيعلم ضمائركم ولئن سالتهم اي اهل مكة
من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله اذ لا سبيل لهم الى الانكار ولا الى التردد فيه فانى يوفكون انكار
واستبعاد من جهته تعالى لتركهم العمل بموجبه اي فكيف يصرفون عن الاقرار بتفرده تعالى في الالوهية
مع اقرارهم بتفرده تعالى فيما ذكر من الخلق والتسخير الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له
اي يقدر لمن يشاء ان يقدر له منهم كائنا من كان على ان الضمير مبهم حسب ابهام مرجعه او يقدر لمن يبسط
له على التعاقب ان الله بكل شيء عليم فيعلم من يليق ببسط الرزق فيبسطه له ومن يليق بقدره فيقدره له او
فيعلم ان كلا من البسط والقدر في اي وقت يوافق الحكمة والمصلحة فيفعل كلا منهما في وقته ولئن سالتهم من نزل
من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها ليقولن الله معترفين بانه الموجد للممكنات باسرها اصولها وفروعها
ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذي لا يكاد يتوهم منه القدرة على اي شيء ما اصلا قل الحمد لله على ان
حصل الحق بحيث لا يجتري المبطلون على جحوده وان اظهر حجتك عليهم وقيل على ان عصمك من امثال
هذه الضلالات ولا يخفى بعده بل اكثرهم لا يعقلون اي شيئا من الاشياء فلذلك لا يعملون بمقتضى قولهم
فيشركون به سبحانه اخس مخلوقاته وقيل لا يعقلون ما تريد بتحميدك عند مقالتهم ذلك وما هذه الحيوة
الدنيا اشارة تحقير وازدراء للدنيا وكيف لا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا
تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء الا لهو ولعب اي الا كما يلهى ويلعب به
الصبيان يجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون عنه وان الدار الاخرة لهي الحيوان اي لهي دار الحيوة
الحقيقية لامتناع طريان الموت والفناء عليها او هي في ذاتها حيوة للمبالغة والحيوان مصدر حي حيي به
ذو الحيوة واصله حييان فقلبت الياء الثانية واوا والمال في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب اللازم
للحيوان ولذلك ولذلك اختير على الحيوة في هذا المقام المقتضي للمبالغة لو كانوا يعلمون اي لما اثروا
عليها الدنيا التي اصلها عدم الحيوة ثم ما يحدث فيها من الحيوة عارضة سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال
فاذا ركبوا في الفلك متصل بما دل عليه شرح حالهم والركوب هو الاستعلاء على الشيء المتحرك وهو متعد
بنفسه كما في قوله والخيل والبغال والحمير لتركبوها واستعماله هاهنا وفي امثاله بكلمة في للايذان بان
المركوب في نفسه من قبيل الامكنة وحركته قسرية غير ارادية كما مر في سورة هود والمعنى انهم على ما وصفوا
من الاشراك فاذا ركبوا في البحر ولقوا شدة دعوا الله مخلصين له الدين اي كائنين على صورة المخلصين لدينهم
من المومنين حيث لا يدعون غير الله تعالى لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد عنهم الا هو فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون
اي فاجاوا المعاودة الى الشرك ليكفروا بما اتيناهم وليتمتعوا اي يفاجئون الاشراك ليكونوا كافرين بما
اتيناهم من نعمة الانجاء التي حقها ان يشكروها فسوف يعلمون اي عاقبة ذلك وغايلته حين يرون
العذاب اولم يروا اي الم ينظروا ولم يشاهدوا انا جعلنا اي بلدهم حرما امنا مصونا عن النهب والتعدي
سالما اهله من كل سوء ويتخطف الناس من حولهم اي والحال انهم يختلسون من حولهم قتلا وسبيا اذ كانت العرب حوله
في تغاور وتناهب افبالباطل يومنون اي ابعد ظهور الحق الذي لا ريب فيه بالباطل خاصة يومنون دون
الحق وبنعمة الله يكفرون وهي المستوجبة للشكر حيث يشركون به غيره وتقديم الصلة في الموضعين لاظهار
كمال شناعة ما فعلوه ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان زعم ان له شريكا اي هو اظلم من كل ظالم وان كان سبك
النظم دالا اي على نفي الاظلم من غير تعرض لنفي المساوي وقد مر مرارا او كذب بالحق لما جاءه اي بالرسول او بالقرآن

وفي لما يستفيدهم بانهم لم يتوقفوا ولم يتأملوا حين جاءهم بل سارعوا الى التكذيب اثر ذي اثير أليس في
جهنم مثوى للكافرين تقرير لثوائهم فيها كقول من قال • ألستم خير من ركب المطايا اي الا يستوجبون الثواء
فيها وقد فعلوا من الافتراء علي الله تعالي والتكذيب مع علمهم بحال الكفرة اي الم يعلموا ان في جهنم مثوى
للكافرين حتى اجترؤا هذه الجراءة والذين جاهدوا فينا اي في شأننا ولوجهنا خالصا اطلق المجاهدة ليعم جهاد
الاعادي الظاهرة والباطنة لنهدينهم سبلنا سبل السير الينا والوصول الى جنابنا او لنزيدنهم هداية
الى سبل الخير وتوفيقا لسلوكها كقوله تعالي والذين اهتدوا زادهم هدى وفي الحديث من عمل بما علم ورثه
الله علم ما لم يعلم وان الله لمع المحسنين بمعية النصرة والمعونة وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات

بعدد كل المؤمنين والمنافقين

سورة الروم وهي ستون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الم الكلام فيه كالذي مر في امثاله من الفواتح الكريمة غلبت الروم في ادنى الارض اي
ادنى ارض العرب منهم اذ هي الارض المعهودة عندهم وهي اطراف الشام او في ادنى ارضهم من العرب علي ان اللام
عوض عن المضاف اليه قال مجاهد هي ارض الجزيرة وهي ادنى ارض الروم الى فارس وعن ابن عباس رضي الله عنهما الاردن
وفلسطين وقرئ في اداني الارض وهم اي الروم من بعد غلبهم اي من بعد مغلوبيتهم وقرئ بسكون اللام وهي لغة
كالحلب والحلب سيغلبون اي سيغلبون فارس في بضع سنين روي ان فارس غزوا الروم فوافوهم
باذرعات وبصرى وقيل بالجزيرة كما مر فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين
وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا علي اخوانكم فلنظهرن عليكم فقال
ابو بكر رضي الله عنه لا يقرن الله اعينكم فوالله لتظهرن الروم علي فارس بعد بضع سنين فقال ابي
ابن خلف اللعين كذبت اجعل بيننا اجلا اناصبك عليه فناصبه علي عشر قلائص من كل منهما وجعلا الاجل
ثلاث سنين فاخبر به ابو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده
في الخطر ومادّه في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابي من جرح رسول الله صلى الله عليه
وسلم وظهرت الروم علي فارس عند رأس سبع سنين وذلك يوم الحديبية وقيل كان النصر يوم بدر
للفريقين فاخذ ابو بكر رضي الله عنه الخطر من ذرية ابي فجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق
به وكان ذلك قبل تحريم القمار وهذه الآيات من البينات الباهرة الشاهدة بصحة النبوة وكون القرآن
من عند الله عز وجل حيث اخبرت عن الغيب الذي لا يعلمه الا العليم الخبير وقرئ غلبت علي البناء للفاعل
وسيغلبون علي البناء للمفعول والمعنى ان الروم غلبت علي ريف الشام وسيغلبهم المسلمون وقد غزاهم
المسلمون في السنة التاسعة من نزولها ففتحوا بعض بلادهم فاضافة الغلب حينئذ الى الفاعل لله الامر
من قبل ومن بعد اي في اول الوقتين وفي آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كانه قيل من قبل كونهم غالبين
وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين والمعنى ان كلا من كونهم مغلوبين
اولا وغالبين آخرا ليس الا بامر الله تعالي وقضائه وتلك الايام نداولها بين الناس وقرئ من قبل ومن بعد
بالجر من غير تقدير مضاف اليه واقتطاعه كانه قيل قبلا وبعدا بمعنى اولا وآخرا ويومئذ اي يوم اذ يغلب
الروم علي فارس ويحل ما وعده الله تعالي من غلبتهم يفرح المؤمنون بنصر الله وتغليبه من له كتاب علي من لا كتاب
له وغيظ من شمت بهم من كفار مكة وكون ذلك من دلائل غلبة المؤمنين علي الكافرين وقيل نصر الله اظهار
صدق المؤمنين فيما اخبروا به المشركين من غلبة الروم علي فارس وقيل نصره تعالي انه ولى بعض الظالمين
بعضا وفرق بين كلمتهم حتى تناقصوا وتفانوا وفل كل منهما شوكة الآخر وفي ذلك قوة وعن ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه انه وافق ذلك يوم بدر وفيه من نصر الله العزيز للمؤمنين وفرحهم بذلك ما لا يخفى والاول هو

الانسب

الانسب لقوله تعالي ينصر من يشاء اي من يشاء ان ينصره من عباده علي عدوه ويغلبه عليه فانه استئناف
مقرر لمضمون قوله تعالي لله الامر من قبل ومن بعد وهو العزيز المبالغ في العزة والغلبة فلا يعجزه من يشاء
ان ينصر عليه كائنا من كان الرحيم المبالغ في الرحمة فينصر من يشاء ان ينصره اي فريق كان والمراد بالرحمة
هي الدنيوية اما علي القراءة المشهورة فظاهر لما ان كلا الفريقين لا يستحق الرحمة الاخروية واما علي القراءة الاخرى
فلان المسلمين وان كانوا مستحقين لها لكن المراد بها هنا نصر الله الذي هو من آثار الرحمة الدنيوية وتقديم
وصف العزة لتقدمه في الاعتبار وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان ما قبله في معنى الوعد كانه قيل
وعد الله لا يخلف الله وعده اي وعد كان مما يتعلق بالدنيا والآخرة لاستحالة الكذب عليه سبحانه واظهار

الاسم

في موقع الاضمار لتعليل الحكم وتفخيمه والجملة استئناف مقرر لمعنى المصدر وقد جوز ان يكون حالا منه فيكون
كالمصدر الموصوف كانه قيل وعد الله وعدا غير مخلف ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي ما سبق من شؤونه تعالي
يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهو ما يشاهدونه من زخارفها وملاذها وسائر احوالها الموافقة لشهواتهم الملائمة
لاهوائهم المستدعية لانهماكهم فيها وعكوفهم عليها لا تمتعهم بزخارفها وتنعمهم بملاذها كانه قيل فانهما
ليسا مما علموه منها بل من افعالهم المترتبة علي علومهم وتنكير ظاهرا للتحقير والتخسيس دون الوحدة كما توهم
اي يعلمون ظاهرا حقيرا خسيسا من الدنيا وهم عن الآخرة التي هي الغاية القصوى والمطلب الاسنى هم
غافلون لا تخطر ببالهم ولا يدركون من الدنيا ما يؤدي الى معرفتها من احوالها ولا يتفكرون فيها كما
سيأتي والجملة معطوفة علي يعلمون وايرادها اسمية للدلالة علي استمرار غفلتهم ودوامها وهم الثانية
تكرير للاولى او مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر الاولى وهو علي الوجهين مناد علي تمكن غفلتهم من الآخرة
المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة تقريرا لجهالتهم وتشبيها لهم بالبهائم المقصور ادراكاتها من الدنيا
علي ظواهرها الخسيسة دون احوالها التي هي من مبادي العلم بامور الآخرة والواو للعطف علي مقدر يقتضيه
المقام وقوله تعالي اولم يتفكروا في انفسهم ظرف للتفكر وذكره مع ظهور استحالة كونه في غيرها لتحقيق امره
وتصوير حال المتفكرين وقوله تعالي ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الى آخره اما متعلق بالعلم الذي يؤدي
اليه التفكر ويدل عليه او بالقول الذي يترتب عليه كما في قوله تعالي ويتفكرون في خلق السموات والارض
ربنا ما خلقت هذا باطلا اي اعلموا ظاهر الحياة الدنيا فقط او اقصدوا النظر عليه ولم يحدثوا التفكر
في قلوبهم فيعلموا انه تعالي ما خلقهما وما بينهما من المخلوقات التي هم من جملتها ملتبسة بشيء من الاشياء
الا ملتبسة بالحق او يقولوا هذا القول معترفين بمضمونه اثر ما علموه والمراد بالحق هو الثابت الذي
يحق ان يثبت لا محالة لابتنائه علي الحكمة البالغة والغرض الصحيح الذي هو استشهاد المكلفين بذواتها
وصفاتها واحوالها المتغيرة علي وجود صانعها عز وجل ووحدته وعلمه وقدرته وحكمته واختصاصه
بالمعبودية وصحة اخباره التي من جملتها احياؤهم بعد الفناء بالحياة الابدية ومجازاتهم بحسب
اعمالهم غب ما تبين المحسن من المسيء وامتازت درجات افراد كل من الفريقين حسب امتياز طبقات
علومهم واعتقاداتهم المترتبة علي انظارهم فيما نصب من المصنوعات من الآيات والدلائل والامارات
والمخائل كما نطق به قوله تعالي وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه علي الماء
ليبلوكم ايكم احسن عملا فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ايكم
احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله وقد مر تحقيقه في اوائل سورة هود عليه
السلام وقوله تعالي واجل مسمى عطف علي الحق اي وباجل معين قدره الله تعالي لبقائها لا بد
لها من ان تنتهي اليه لا محالة وهو وقت قيام الساعة هذا وقد جوز ان يكون قوله تعالي في انفسهم
صلة للتفكر علي معنى اولم يتفكروا في انفسهم التي هي اقرب المخلوقات اليهم وهو اعلم بشؤونها

واخبر باحوالها منهم باحوال ما عداها فيتدبروا ما وعدها الله تعالى ظاهرا و باطنا من غرايب الحكم الدالة
على التدبير دون الاهمال وانه لابد لها من انتهاء الى وقت مجازيها الحكيم الذي دبر امرها على الاحسان
احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك ان ساير الخلق كذلك امرها جار على الحكمة والتدبير وانه
لابد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت وانت خبير بان امر معاد الانسان ومجازاته بما عمل من الاساءة
والاحسان المقصود بالذات والمحتاج الى الاثبات فجعله ذريعة الى اثبات معاد ما عداه مع كونه بمعزل
من الجزاء تعكيس للامر فتدبر وقوله تعالى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون تذييل مقرر لما قبله ببيان ان
اكثرهم غير مقتصرين على ما ذكر من الغفلة عن احوال الاخرة والاعراض عن التفكر فيما يرشدهم الى معرفتها من
خلق السموات والارض وما بينهما من المصنوعات بل هم منكرون جاحدون بلقاء حسابه تعالى وجزائه بالبعث
اولم يسيروا توبيخ لهم بعدم اتعاظهم بمشاهدة احوال امثالهم الدالة على عاقبتهم ومالهم والهمزة لتقرير النفي والواو
للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى اقعدوا في اماكنهم ولم يسيروا في الارض وقوله تعالى فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم من الامم المهلكة كعاد وثمود وقوله تعالى كانوا اشد منهم قوة الى الاخرة بيان لمبدا احوالهم ومالها
يعني انهم كانوا اقدر منهم على التمتع بالحظوظ الدنياوية حيث كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض اي قلبوها للزراعة و
الحرث وقيل لاستنباط المياه واستخراج المعادن وغير ذلك وعمروها اي عمارة اكثر كما وكيفا وزمانا من عمارة
هولاء اياها كيف لا وهم اهل واد غير ذي زرع لا تبسط لهم في غيره وفيه تهكم بهم حيث كانوا مغترين بالدنيا مفتخرين
بمتاعها مع ضعف حالهم وضيق عطنهم اذ مدار امرها على التبسط في البلاد والتسلط على العباد والتقلب في
اكناف الارض باصناف التصرفات وهم ضعفة ملجاون الى واد لا نفع فيه يخافون ان يتخطفهم الناس وجاءتهم
رسلهم بالبينات بالمعجزات والايات الواضحات فما كان الله ليظلمهم اي فكذبوهم فاهلكهم فما كان الله تعالى ليهلكهم من
غير جرم يستدعيه من قبلهم والتعبير عن ذلك بالظلم مع ان اهلاكه تعالى اياهم بلا جرم ليس من الظلم في شيء على
ما تقرر من قاعدة اهل السنة لاظهار كمال نزاهته تعالى عن ذلك بابرازه في معرض ما يستحيل صدوره عنه تعالى
وقد مر في سورة الانفال وسورة آل عمران ولكن كانوا انفسهم يظلمون بان اجترءوا على اقتراف ما يوجبه من المعاصي
العظيمة ثم كان عاقبة الذين اساؤا اي عملوا السيئات وضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالاساءة والاشعار
بعلة الحكم السوءى اي العقوبة التي هي اسوء العقوبات وافظعها التي هي العقوبات النار فانها تانيث الاسوء
كالحسنى تانيث الاحسن او مصدر كالبشرى وصف به العقوبة مبالغة كانها نفس السوء اي وهي مرفوعة على
انها اسم كان خبرها عاقبة وقرئ على العكس وهو ادخل في الجزالة وقوله تعالى ان كذبوا بايات الله علة لما اشير
اليه من تعذيبهم الدنيوي والاخروي اي لان كذبوا او بان كذبوا بايات الله المنزلة على رسله عليهم السلام
ومعجزاته الظاهرة على ايديهم وقوله تعالى وكانوا بها يستهزءون عطف على كذبوا داخل معه في حكم العلية وايراد
الاستهزاء بصيغة المضارع للدلالة على استمراره وتجدده هذا هو اللائق بجزالة النظم الجليل وقد قيل
وقيل الله يبدء الخلق اي ينشئهم ثم يعيده بعد الموت بالبعث ثم اليه ترجعون اي موقف الحساب والجزاء
والالتفات للمبالغة في الترهيب وقرئ بالياء ويوم تقوم الساعة التي هي وقت اعادة الخلق ورجعهم اليه
يبلس المجرمون اى يسكتون متحيرين لا ينبسون يقال ناظرته فابلس اذا سكت وايس من ان يحتج وقرئ بفتح
اللام من ابلسه اذا افحمه واسكته ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء يجيرونهم من عذاب الله تعالى كما كانوا يزعمونه
وصيغة الجمع لوقوعها في مقابلة الجمع اي لم يكن لواحد منهم شفيع اصلا وكانوا بشركائهم كافرين اي بالهتهم وشركائهم
لله سبحانه حيث وقفوا على كنه امرهم وصيغة الماضي للدلالة على تحققه وقيل كانوا في الدنيا كافرين بسببهم
وليس بذاك اذ ليس في الاخبار به فائدة يعتد بها ويوم تقوم الساعة اعيد لتهويله وتفظيع ما يقع فيه وقوله
تعالى يومئذ يتفرقون تهويل له اثر تهويل وفيه رمز الى ان التفرق يقع في بعض منه وضمير يتفرقون لجميع الخلق

مما عمروها صح

المدلول

المدلول عليهم بما تقدم من بدئهم واعادتهم ورجعهم لا المجرمون خاصة وليس المراد تفرقهم افتراق كل فرد
عن الاخر بل تفرقهم الى فريقي المؤمنين والكافرين كما في قوله تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير وذلك بعد
تمام الحساب وقوله تعالى فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون تفصيل وبيان لاحوال ذينك الفريقين
والروضة كل ارض ذات نبات وماء ورونق ونضارة وتنكيرها للتفخيم والمراد بها الجنة والحبور السرور
يقال حبره اذا سره سرورا تهلل له وجهه وقيل الحبرة كل نعمة حسنة والتحبير التحسين واختلف فيه الاقاويل
لاحتماله وجوه جميع المسار فعن ابن عباس ومجاهد يكرمون وعن قتادة ينعمون وعن ابن كيسان يحلون
وعن ابي بكر بن عياش التيجان على رءوسهم وعن وكيع السماع في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا ذكر الجنة
وما فيها من النعيم وفي اخر القوم اعرابي فقال يا رسول الله هل في الجنة من سماع فقال عليه الصلاة والسلام
يا اعرابي ان في الجنة نهرا حافتاه الابكار من كل خرصانية يتغنين باصوات لم يسمع الخلائق بمثلها قط فذلك
افضل نعيم اهل الجنة قال الراوي فسالت ابا الدرداء رضي الله عنه بم يتغنين قال بالتسبيح وروي ان في
الجنة لاشجارا عليها اجراس من فضة فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله تعالى ريحا من تحت العرش فتقع
في تلك الاشجار فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا
التي من جملتها هذه الايات الناطقة بما فصل ولقاء الاخرة صرح بذلك مع اندراجه في تكذيب الايات للاعتنا
بامره وقوله تعالى فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب
باياته تعالى وبلقاء الاخرة للايذان بكمال تميزهم بذلك عن غيرهم وانتظامهم في سلك المشاهدات وما فيه
من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار ببعد منزلتهم في الشر اي اولئك الموصوفون بما فصل من
القبائح في العذاب محضرون على الدوام لا يغيبون عنه ابدا فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا
وحين تظهرون اثر ما بين حال فريقي المؤمنين العاملين للصالحات والكافرين المكذبين بالايات وما لهما من الثواب
والعقاب امروا بما ينجي من الثاني ويفضي الى الاول من تنزيه الله عز وجل عن كل ما لا يليق بشانه سبحانه و
حمده تعالى على نعمه العظام وتقديم الاول على الثاني لما ان التخلية متقدمة على التحلية والفاء لترتيب ما
بعدها على ما قبلها اي اذا علمتم ذلك فسبحوا الله تعالى اي نزهوه عما ذكر سبحانه اي تسبيحه اللائق به
في هذه الاوقات واحمدوه فان الاخبار بثبوت الحمد له تعالى ووجوبه على المميزين من اهل السموات والارض
في معنى الامر به على ابلغ وجه واكده وتوسيطه بين اوقات التسبيح للاعتناء بشانه والاشعار بان حقهما
ان يجمع بينهما كما ينبئ عنه قوله تعالى ونحن نسبح بحمدك وقوله تعالى فسبح بحمد ربك وقوله صلى الله عليه
وسلم حين يصبح ويمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وقوله صلى الله عليه
وسلم من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يات احد يوم القيمة بافضل مما جاء به الا احد
قال مثل ما قال او زاد عليه وقوله عليه الصلوة والسلام كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان
سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وغير ذلك مما لا يحصى من الايات والاحاديث وتخصيصهما بتلك
الاوقات للدلالة على ان ما يحدث فيها من ايات قدرته تعالى واحكام رحمته ونعمته شواهد ناطقة
بتنزيهه تعالى واستحقاقه الحمد وموجبة لتسبيحه وتحميده حتما وقوله تعالى وعشيا عطف على حين تمسون
وتقديمه على حين تظهرون لمراعاة الفواصل وتغيير الاسلوب لما انه لا يجيء منه الفعل بمعنى الدخول في
العشي كالمساء والصباح والظهيرة ولعل السر في ذلك انه ليس من الاوقات التي يختلف فيها احوال
الناس وتتغير تغيرا ظاهرا مصححا لوصفهم بالخروج عما قبلها والدخول فيها كالاوقات المذكورة فان
كلا منها وقت يتغير فيه الاحوال تغيرا ظاهرا اما في المساء والصباح فظاهر واما في الظهيرة فلانها
وقت يعتاد فيه التجرد عن الثياب للقيلولة كما مر في سورة النور وقيل المراد بالتسبيح والحمد الصلوة لاشتما

من قال صح

لها

عليهما و قد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الاية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلاتا المغرب
والعشاء وتصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر وتظهرون صلوة الظهر ولذلك ذهب الحسن الى
انها مدنية اذ كان يقول ان الواجب بمكة ركعتان في اي وقت اتفقتا وانما فرضت الخمس بالمدينة
والجمهور على انها فرضت بمكة وهو الحق لحديث المعراج وفي آخره هن خمس صلوات كل يوم وليلة
عن النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون وحين
تصبحون الاية وعنه عليه الصلوة والسلام من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون
اي تمسون فيه وتصبحون فيه يخرج الحي من الميت كالانسان من النطفة والطير من البيضة ويخرج الميت من الحي
النطفة والبيضة من الحيوان ويحيي الارض بالنبات بعد موتها يبسها وكذلك ومثل ذلك الاخراج
تخرجون من قبوركم وقرئ تخرجون بفتح التاء اوضح مما سبق فان دلالة بدء خلقهم على اعادتهم اظهر
من دلالة اخراج الحي من الميت واخراج الميت من الحي ومن دلالة احياء الارض بعد موتها
عليها ومن اياته ان خلقكم اي في ضمن خلق آدم عليه السلام لما مر مرارا من ان خلقه عليه السلام منطو على
خلق ذرياته انطواء اجماليا من تراب لم يشم رائحة الحيوة قط ولا مناسبة بينه وبين ما انتم عليه
في ذاتكم وصفاتكم ثم اذا انتم بشر تنتشرون اي فاجأتم بعد ذلك وقت كونكم بشرا تنتشرون في الارض
وهذا مجمل ما فصل في قوله تعالى يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب
ثم من نطفة الاية ومن اياته الدالة على ما ذكر من البعث وما بعده من الجزاء ان خلق لكم اي لاجلكم من
انفسكم ازواجا فان خلق اصل ازواجكم حوا من ضلع آدم عليه السلام متضمن لخلقهن من انفسكم على
ما عرفته من التحقيق او من جنسكم لا من جنس آخر وهو الاوفق لقوله تعالى لتسكنوا اليها اي لتألفوها
وتميلوا اليها وتطمئنوا بها فان المجانسة من دواعي التضام والتعارف كما ان المخالفة من اسباب
التفرق والتنافر وجعل بينكم اي بين الازواج اما على تغليب الرجال على النساء في الخطاب او على حذف
ظرف معطوف على الظرف المذكور اي جعل بينكم وبينهن كما مر في قوله تعالى لا نفرق بين احد من
رسله وقيل او بين افراد الجنس اي بين الرجال والنساء ويأباه قوله تعالى مودة ورحمة فان المراد بهما ما
كان منهما بعصمة الازواج قطعا اي جعل بينكم بالزواج الذي شرعه لكم توادا وتراحما من غير ان يكون
بينكم سابقة معرفة ولا رابطة مصححة للتعاطف من قرابة او رحم قيل المودة والرحمة عن الولد
كما قال تعالى ورحمة منا ان في ذلك اي فيما ذكر من خلقهم من تراب وخلق ازواجهم من انفسهم والقاء
المودة والرحمة بينهم وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار اليه للاشعار ببعد منزلته لايات
عظيمة لا يكتنه كنهها كثيرة لا يقادر قدرها لقوم يتفكرون في تضاعيف تلك الافاعيل المبنية
على الحكم البالغة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله مع التنبيه على ان ما ذكر ليس باية فذة كما ينبئ عنه
قوله تعالى ومن اياته بل هي مشتملة على ايات شتى لدالة على ما ذكر من البعث وما يتلوه من الجزاء خلق
السموات والارض اما من حيث ان القادر على خلقهما بما فيهما من المخلوقات بلا مادة مستعدة لها اظهر
قدرة على اعادة ما كان حيا قبل ذلك واما من حيث ان خلقهما وما فيهما ليس الا لمعاش البشر ومعاده كما
يفصح عنه قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وقوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض
في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا واختلاف السنتكم اي لغاتكم بان علم كل صنف
لغته او الهمه وضعها واقدره عليها او اجناس نطقكم واشكاله فانك لا تكاد تسمع منطقين متساويين
في الكيفية من كل وجه والوانكم بياض الجلد وسواده وتوسطه فيما بينهما او تخطيطات الاعضاء وهيأتها
والوانها وحلاها بحيث وقع بين بها التمايز بين الاشخاص حتى ان التوأمين مع توافق موادهما

من قبل الله تعالى والفرك من الشيطان وعن الحسن رحمه الله المودة كناية عن الجماع والرحمة صح

واسبابهما

واسبابهما والامور المتلاقية لهما في التخليق يختلفان في شيء من ذلك لا محالة وان كانا في غاية التشابه
وانما نظم هذا في سلك الايات الافاقية من خلق السموات والارض مع كونه من الايات الانفسية الحقيقية
بالانتظام في سلك ما سبق من خلق انفسهم وازواجهم للايذان باستقلاله والاحتراز عن توهم كونه من تتمات
خلقهم ان في ذلك اي فيما ذكر من خلق السموات والارض واختلاف الالسنة والالوان لايات عظيمة في انفسها
كثيرة في عددها للعالمين اي المتصفين بالعلم كما في قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون وقرئ بفتح اللام
وفيه دلالة على كمال وضوح الايات وعدم خفائها على احد من الخلق كافة ومن اياته منامكم بالليل والنهار لاستراحة
القوى النفسانية وتقوي القوى الطبيعية وابتغاؤكم من فضله فيهما فان كلا من المنام وابتغاء الفضل يقع في
الملوين وان كان الاغلب وقوع الاول في الاول والثاني في الثاني او منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار كما هو
المعتاد والموافق لسائر الايات الواردة في ذلك خلا انه فصل بين القرينين الاولين بالقرينين الاخيرين
لانهما زمانان والزمان مع ما وقع فيه كشيء واحد مع اعانة اللف على الاتحاد ان في ذلك لايات لقوم يسمعون اي شأنهم ان يسمعوا
الكلام سماع تفهم واستبصار حيث يتأملون في تضاعيف هذا البيان ويستدلون بذلك على شؤونه تعالى ومن
اياته يريكم البرق الفعل اما مقدر بان كما في قول من قال. الا ايهذا الزاجري احضر الوغا. اي ان احضر او منزل منزلة
المصدر وبه فسر المثل المشهور. تسمع بالمعيدي خير من ان تراه. او هو على حاله صفة لمحذوف اي اية يريكم بها
البرق كقول من قال. وما الدهر الا تارتان فمنهما. اموت واخرى ابتغي العيش اكدح. اي منهما تارة اموت واخرى
ابتغي فيها او من اياته شيء او سحاب يريكم البرق خوفا من الصاعقة او للمسافر وطمعا في الغيث او للمقيم ونصبهما
على العلة لفعل يستلزمه المذكور فان اراءتهم البرق مستلزمة لرؤيتهم اياه او للمذكور نفسه على تقدير مضاف نحو
ارادة خوف وطمع او على تأويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغما للشيطان او على الحال نحو كلمته
شفاها وينزل من السماء ماء وقرئ بالتخفيف فيحيي به الارض بالنبات بعد موتها يبسها ان في ذلك لايات لقوم يعقلون فانها
من الظهور بحيث يكفي في ادراكها مجرد العقل عند استعماله في استنباط اسبابها وكيفية تكونها ومن اياته ان
تقوم السماء والارض بامره اي بارادته تعالى لقيامهما والتعبير عنها بالامر للدلالة على كمال القدرة والغنى عن المبادي والاسباب
وليس المراد باقامتهما انشاءهما لانه قد بين حاله بقوله تعالى ومن اياته خلق السموات والارض ولا اقامتهما بغير
مقيم محسوس كما قيل فان ذلك من تمات انشائهما وان لم يصرح به تعويلا على ما ذكر في غير موضع من قوله تعالى
خلق السموات بغير عمد ترونها الاية بل قيامهما واستمرارهما على ما هما عليه الى اجلهما الذي نطق به قوله تعالى
فيما قبل ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى وحيث كانت هذه الاية متأخرة عن سائر الايات
المعدودة متصلة بالبعث في الوجود اخرت عنهن وجعلت متصلة به في الذكر ايضا فقيل ثم اذا دعاكم دعوة من الارض
اذا انتم تخرجون فانه كلام مسوق للاخبار بوقوع البعث ووجوده بعد انقضاء اجل قيامهما مترتب على تعداد اياته
الدالة عليه غير منتظم في سلكها كانه قيل ومن اياته قيام السموات والارض على هيأتهما بامره تعالى الى
اجل مسمى قدره الله تعالى لقيامهما ثم اذا دعاكم اي بعد انقضاء الاجل من الارض وانتم في قبوركم دعوة واحدة بان قال
ايها الموتى اخرجوا فاجأتم الخروج منها ومن ذلك قوله تعالى يومئذ يتبعون الداعي ومن الارض متعلق بدعاكم اذ
يكفي في ذلك كون المدعو فيها يقال دعوته من اسفل الوادي فطلع الي لا بتخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها وله
خاصة من في السموات والارض من الملائكة والثقلين خلقا وملكا وتصرفا ليس لغيره شركة في ذلك بوجه من الوجوه
كل له قانتون اي منقادون لفعله لا يمتنعون عليه في شأن من شؤونه تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده بعد موتهم
وتكريره لزيادة التقرير والتمهيد لما بعده من قوله تعالى وهو اهون عليه اي بالاضافة الى قدركم والقياس على
اصولكم والا فهما عليه سواء وقيل اهون بمعنى هين وتذكير الضمير مع رجوعه الى الاعادة لانها مأولة بان يعيد وقيل
هو راجع الى الخلق وليس بذاك واما ما قيل من ان الانشاء بطريق التفضل الذي يتخير فيه الفاعل بين الفعل والترك

والاعادة من قبيل الواجب الذي لابد من فعله حتما فكان اقرب الى الحصول من الانشاء المتردد بين الحصول وعدمه
فبمعزل من التحصيل اذ ليس المراد بها هوية الفعل اقربيته الى الوجود باعتبار اكثرية الامور الداعية للفاعل الى ايجاده
وقوة اقتضائها لتعلق قدرته به بل اسهلية تاتيه وصدوره عنه بعد تعلق قدرته بوجوده وكونه واجبا بالغير
ولا تفاوت في ذلك بين ان يكون ذلك التعلق بطريق الايجاب او بطريق الاختيار وله المثل الاعلى اي الوصف الاعلى
العجيب الشان من القدرة العامة والحكمة التامة وسائر صفات الكمال التي ليس لغيره ما يدانيها فضلا عما يساويها
ومن فسره بقول لا اله الا الله اراد به الوصف بالوحدانية في السموات والارض متعلق بمضمون الجملة المتقدمة
على معنى انه تعالى قد وصف به وعرف فيهما على السنة الخلائق والسنة الدلائل وقيل متعلق بالاعلى وقيل بمحذوف
هو حال منه او من المثل او من ضميره في الاعلى وهو العزيز القادر الذي لا يعجز عن بدء ممكن واعادته الحكيم الذي يجري
الافعال على سنن الحكمة والمصلحة ضرب لكم مثلا يتبين به بطلان الشرك من انفسكم اي منتزعا من احوالها التي هي
اقرب الامور اليكم واعرفها عندكم واظهرها دلالة على ما ذكر من بطلان الشرك لكونها بطريق الاولوية هل لكم الى
آخره تصوير للمثل اي هل لكم مما ملكت ايمانكم من العبيد والاماء من شركاء فيما رزقناكم من الاموال وما يجري مجراها
مما تتصرفون فيها فمن الاولى ابتدائية والثانية تبعيضية والثالثة مزيدة لتاكيد النفي المستفاد من الاستفهام
وقوله تعالى فانتم فيه سواء تحقيق لمعنى الشركة وبيان لكونهم وشركائهم متساوين في التصرف فيما ذكر من غير مزية
لهم عليها على ان هناك محذوفا معطوفا على انتم لانه عام للفريقين بطريق التغليب اي هل ترضون لانفسكم والحال
ان عبيدكم امثالكم في البشرية واحكامها ان يشاركوكم فيما رزقناكم وهو مستعار لكم فانتم وهم فيه سواء
يتصرفون فيه كتصرفكم من غير فرق بينكم وبينهم تخافونهم خبر آخر لانتم او حال من ضمير الفاعل في سواء اي تهابون
ان تستبدوا بالتصرف فيه بدون رأيهم كخيفتكم انفسكم اي خيفة كائنة مثل خيفتكم من الاحرار المساهمين لكم فيما
ذكر والمعنى نفي مضمون ما فصل من الجملة الاستفهامية اي لا ترضون بان يشارككم فيما هو معار لكم مماليككم وهم امثالكم
في البشرية غير مخلوقين لكم بل لله تعالى فكيف تشركون به سبحانه في المعبودية التي هي من خصائصه الذاتية مخلوقه
بل مصنوع مخلوقاته حيث تصنعونه بايديكم ثم تعبدونه كذلك اي مثل ذلك التفصيل الواضح نفصل الآيات اي
نبينها ونوضحها لا تفصيلا ادنى منه فان التمثيل تصوير للمعاني المعقولة بصورة المحسوس وابراز لاوابد المدركات
على هيئات المانوس فيكون في غاية الايضاح والبيان لقوم يعقلون اي يستعملون عقولهم في تدبر الامور وتخصيصهم
بالذكر مع عموم تفصيل الآيات للكل لانهم المنتفعون بها بل اتبع الذين ظلموا اعراض عن مخاطبتهم ومحاولة ارشادهم الى الحق
بضرب المثل وتفصيل الآيات واستعمال المقدمات الحقة المعقولة وبيان لاستحالة تبعيتهم للحق كانه قيل لم يعقلوا شيئا
من الآيات المفصلة بل اتبعوا اهواءهم الزائغة ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بانهم في ذلك الاتباع ظالمون
واضعون للشيء في غير موضعه او ظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد بغير علم اي جاهلين ما اتوا مكبين عليه لا
يلويهم عنه صادف حسبما يعرف العالم اذا اتبع الباطل علمه ببطلانه فمن يهدي من اضل الله اي خلق فيه الضلال
لصرف اختياره الى كسبه اي لا يقدر على هدايته احد وما لهم اي لمن اضله الله تعالى والجمع باعتبار المعنى من ناصرين
يخلصونهم من الضلال ويحفظونهم من تبعاته وافادته على معنى ليس لواحد منهم ناصر واحد على ما هو قاعدة مقابلة
الجمع بالجمع فاقم وجهك للدين تمثيل لاقباله على الدين واستقامته وثباته عليه واهتمامه بترتيب اسبابه فان من
اهتم بشيء محسوس بالبصر عقد عليه طرفه وسدد اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا به عليه اي فقوم وجهك
له وعدله غير ملتفت يمينا وشمالا وقوله تعالى حنيفا حال من المامور او من الدين فطرت الله الفطرة الخلقة و
وانتصابها على الاغراء اي الزموا او عليكم فطرة الله وان الخطاب للكل كما يفصح عنه قوله تعالى منيبين والافراد
في اقم لان الرسول صلى الله عليه وسلم امام الامة فامره عليه الصلاة والسلام مستتبع لامرهم والمراد بلزومها
الجريان على موجبها وعدم الاخلال به باتباع الهوى وتسويل الشياطين وقيل على المصدر اي فطر الله فطرة

وقوله تعالى التي فطر الناس عليها صفة لفطرة الله مؤكدة لوجوب الامتثال بالامر فان خلق الله الناس على
فطرته التي هي عبارة عن قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه او عن ملة الاسلام من موجبات لزومها والتمسك بها
قطعا فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه ادى بهم اليها وما اختاروا عليها دينا آخر ومن غوى منهم فلاغواء شياطين الانس
والجن ومنه قوله عليه الصلوة والسلام حكاية عن رب العزة كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن
دينهم وامروهم ان يشركوا بي غيري وقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان
يهودانه وينصرانه وقوله تعالى لا تبديل لخلق الله تعليل للامر بلزوم فطرته تعالى ولوجوب الامتثال به اي لا صحة
ولا استقامة لتبديله بالاخلال بموجبه وعدم ترتيب مقتضاه عليه باتباع الهوى وقبول وسوسة الشيطان
وقيل لا يقدر احد على ان يغيره فلا بد حينئذ من حمل التبديل على تبديل نفس الفطرة بازالتها راسا ووضع فطرة
اخرى مكانها غير مصححة لقبول الحق والتمكن من ادراكه ضرورة ان التبديل بالمعنى الاول مقدور بل واقع قطعا
فالتعليل حينئذ من جهة ان سلامة الفطرة متحققة في كل احد فلا بد من لزومها بترتيب مقتضاها عليها وعدم
الاخلال به بما ذكر من اتباع الهوى وخطوات الشيطان ذلك اشارة الى الدين المامور باقامة الوجه له او الى
لزوم فطرة الله المستفاد من الاغراء او الى الفطرة ان فسرت بالملة والتذكير بتاويل المذكور او باعتبار الخبر
الدين القيم المستوي الذي لا عوج فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك فيصدون عنه صدودا منيبين اليه حال من
الضمير في الناصب المقدر لفطرة الله او في اقم لعمومه للامة حسبما اشير اليه وما بينهما اعتراض اي راجعين
اليه من اناب اذا رجع مرة بعد اخرى وقوله تعالى واتقوه اي من مخالفة امره عطف على المقدر المذكور وكذا
قوله تعالى واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين المبدلين لفطرة الله تعالى تبديلا من الذين فرقوا دينهم بدل من المشركين
باعادة الجار وتفريقهم لدينهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف اهوائهم وفائدة الابدال التحذير عن الانتماء
الى حزب من احزاب المشركين ببيان ان الكل على الضلال المبين وقرئ فارقوا اي تركوا دينهم الذي امروا به
وكانوا شيعا اي فرقا تشايع كل منها امامها الذي اضلها كل حزب بما لديهم من الدين المعوج المؤسس على الرأي
الزائغ والزعم الباطل فرحون مسرورون ظنا منهم انه حق وانى له ذلك فالجملة اعتراض مقرر لمضمون ما
قبله من تفريق دينهم وكونهم شيعا وقد جوز ان يكون فرحون صفة لكل على ان الخبر هو الظرف المقدم اعني
من الذين فرقوا ولا يخفى بعده واذا مس الناس ضر اي شدة دعوا ربهم منيبين اليه راجعين من دعاء غيره ثم اذا اذاقهم
منه رحمة خلاصا من تلك الشدة اذا فريق منهم بربهم الذي كانوا دعوه منيبين اليه يشركون اي فاجا فريق منهم
الاشراك وتخصيص هذا الفعل ببعضهم لما ان بعضهم ليسوا كذلك كما في قوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم
مقتصد اي مقيم على الطريق القصد او متوسط في الكفر لانزجاره في الجملة ليكفروا بما آتيناهم اللام فيه
للعاقبة وقيل للامر التهديدي كقوله تعالى فتمتعوا غير انه التفت فيه للمبالغة وقرئ وليتمتعوا فسوف تعلمون عاقبة
تمتعكم وقرئ بالياء على ان تمتعوا ماض والالتفات الى الغيبة في قوله تعالى ام انزلنا عليهم للايذان بالاعراض
عنهم وتعديد جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة سلطانا اي حجة واضحة وقيل ذا سلطان اي ملكا معه برهان
فهو يتكلم كلام دلالة كما في قوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق او تكلم نطق بما كانوا به يشركون باشراكهم به تعالى
او بالامر الذي بسببه يشركون واذا اذقنا الناس رحمة اي نعمة من صحة وسعة فرحوا بها بطرا واشرا لا حمدا وشكرا وان
تصبهم سيئة شدة بما قدمت ايديهم بشؤم معاصيهم اذا هم يقنطون فاجؤوا القنوط من رحمته تعالى وقرئ بكسر
النون اولم يروا اي الم ينظروا ولم يشاهدوا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا في السراء
والضراء كالمؤمنين ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة فآت ذا القربى حقه من الصلة
والصدقة وسائر المبرات والمسكين وابن السبيل ما يستحقانه والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم او لمن بسط له
كما يؤذن به الفاء ذلك خير للذين يريدون وجه الله ذاته او جهته او يقصدون بمعروفهم اياه تعالى خالصا او جهة

التقرب اليه لاجهة اخري **واولٰئك هم المفلحون** حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم **وما آتيتم من ربا** زيادة خالية
عن العوض عند المعاملة وقري اتيتم بالقصر اي غشيتموه اورهقتموه من اعطاء ربوا **ليربوا في اموال الناس** ليزيد ويزكوا
في اموالهم **فلا يربوا عند الله** اي لا يبارك فيه وقري ليربوا اي لتزيدوا او لتصيروا ذوي ربوا **وما اتيتم من زكوة تريدون وجه الله**
اي تبتغون به وجهه تعالي خالصًا **فاولٰئك هم المضعفون** اي ذووا الاضعاف من الثواب ونظيره المضعف القوي
والموسر لذي القوة واليسار والذين ضعفوا ثوابهم واموالهم بالبركة وقري بفتح العين وفي تغييره النظم
الكريم والالتفات من الجزالة ما لا يخفي **الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء** اثبت
له تعالي لوازم الالوهية وخواصها ونفاها داسًا عما اتخذوه شركاء له تعالي من الاصنام وغيرها موكدًا
بالانكار علي ما دل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج منه تنزهه عن الشركاء بقوله
تعالي **سبحانه وتعالي عما يشركون** وقد جوز ان يكون الموصول صفة والخبر هل من شركائكم والرابط قوله تعالي من ذلكم
لانه بمعني من افعاله ومن الاولي والثانية يفيد ان شيوع الحكم في جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة
لتعميم النفي وكل منها مستقلة بالتاكيد وقري تشركون بصيغة الخطاب **ظهر الفساد في البر والبحر** كالجدب والموتان
وكثرة الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار او الضلالة والظلم وقيل المراد بالبحر قري السواحل
وقري والبحور **بما كسبت ايدي الناس** بشوم معاصيهم او بكسبهم اياه وقيل ظهر الفساد في البر بقتل قابيل اخاه هابيل
وفي البحر بان جلندي كان ياخذ كل سفينة غصبًا **ليذيقهم بعض الذي عملوا** اي بعض جزائه فان تمامه في الاخرة واللام
للعلة او للعاقبة وقري لنذيقهم بالنون **لعلهم يرجعون** عما كانوا عليه **قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل**
ليشاهدوا اثارهم **كان اكثرهم مشركين** استيناف للدلالة علي ان ما اصابهم لفشو الشرك فيما بينهم او كان الشرك في
اكثرهم وما دونه من المعاصي في قليل منهم **فاقم وجهك للدين القيم** اي البليغ الاستقامة **من قبل ان ياتي يوم لا مرد له**
لا يقدر احد علي رده **من الله** متعلق بياتي او بمرد لانه مصدر والمعني لا يرده الله تعالي لتعلق ارادته القديمة بمجيئه
يومئذ يصدعون اصله يتصدعون اي يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير **من كفر فعليه كفره** اي وبال كفره
وهو النار المويدة **ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون** اي يسوون منزلا في الجنة وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة
علي الاختصاص **ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات من فضله** متعلق بيصدعون وقيل بيمهدون اي يتفرقون بتفريق الله تعالي
فريقين ليجزي كلًا منهما بحسب اعمالهم وحيث كان جزاء المومنين هو المقصود بالذات ابرز ذلك في معرض الغاية
وعبر عنه بالفضل لما ان الاثابة بطريق التفضل لا الوجوب واشير الي جزاء الفريق الاخر بقوله تعالي
انه لا يحب الكافرين فان عدم محبته تعالي كناية عن بغضه الموجب لغضبه المستتبع للعقوبة لا محالة **ومن اياته
ان يرسل الرياح** اي الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله صلي الله
عليه وسلم اللهم اجعلها رياحًا ولا تجعلها ريحًا وقري الريح علي ارادة الجنس **مبشرات** بالمطر **وليذيقكم من رحمته**
وهي المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها او الروح الذي مع هبوبها واللام متعلقة
بيرسل والجملة معطوفة علي مبشرات علي المعني كانه قيل ليبشركم بها وليذيقكم او بمحذوف يفهم من ذكر
الارسال تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا يرسلها لا لامر آخر لا تعلق له بمنافعكم **ولتجري الفلك** بسوقها
بامره **ولتبتغوا من فضله** بتجارة البحر **ولعلكم تشكرون** ولتشكروا نعمة الله فيما ذكر من الغايات الجليلة **ولقد ارسلنا
من قبلك رسلا الي قومهم** كما ارسلناك الي قومك **فجاءوهم بالبينات** اي جاء كل رسول قومه بما يخصه من البينات كما جئت
قومك ببيناتك والفاء في قوله تعالي **فانتقمنا من الذين اجرموا** فصيحة اي فكذبوهم فانتقمنا منهم وانما وضع
موضع ضميرهم الموصول للتنبيه علي مكان المحذوف والاشعار بكونه علة للانتقام وفي قوله تعالي **وكان
حقا علينا نصر المومنين** مزيد تشريف وتكرمة للمومنين حيث جعلوا مستحقين علي الله تعالي ان ينصرهم واشعار
بان الانتقام من الكفرة لاجلهم وقد يوقف علي حقا علي انه متعلق بالانتقام ولعل توسيط الاية الكريمة

بطريق

بطريق الاعتراض بين ما سبق وما لحق من احوال الرياح واحكامها لانذار الكفرة وتحذيرهم عن الاخلال
بموجب الشكر المطلوب بقوله تعالي لعلكم تشكرون بمقابلة النعم المعدودة المنوطة بارسالها كيلا يحل
بهم مثل ما حل باولٰئك الامم من الانتقام **الله الذي يرسل الرياح** استيناف مسوق لبيان ما اجمل فيما سبق من
احوال الرياح **فتثير سحابا فيبسطه** متصلا تارة **في السماء** في جوها **كيف يشاء** سائرا وواقفا مطبقا وغير مطبق
من جانب دون جانب الي غير ذلك **ويجعله كسفا** تارة اخري اي قطعا وقري بسكون السين علي انه مخفف
جمع كسفة او مصدر وصف به **فتري الودق** المطر **يخرج من خلاله** في التارتين **فاذا اصاب به من يشاء من عباده** اي
بلادهم واراضيهم **اذا هم يستبشرون** فاجاوا الاستبشار بمجي الخصب **وان كانوا** ان مخففة من ان وضمير الشان الذي
هو اسمها محذوف اي وان الشان كانوا **من قبل ان ينزل عليهم** اي المطر **من قبله** تكرير للتاكيد والايذان بطول عهدهم
بالمطر واستحكام ياسهم منه وقيل الضمير للمطر او السحاب او الارسال وقيل للكسف علي القراة بالسكون
وليس بواضح واقرب من ذلك ان يكون الضمير للاستبشار ومن متعلقة بينزل ليفيد سرعة تقلب قلوبهم
عن الياس الي الاستبشار بالاشارة الي غاية تقارب ما بينهما ببيان اتصال الياس بالتنزيل المتصل
بالاستبشار بشهادة اذا الفجائية **لمبلسين** خبر كانوا واللام فارقة اي آيسين **فانظر الي اثر رحمة الله** المترتبة
علي تنزيل المطر من النبات والاشجار وانواع الثمار والفاء للدلالة علي سرعة ترتيبها عليه وقري اثر
بالتوحيد وقوله تعالي **كيف يحيي** اي الله تعالي **الارض بعد موتها** في حيز النصب بنزع الخافض وكيف معلق
لانظر اي فانظر الي احيائه البديع للارض بعد موتها وقيل علي الحالية بالتاويل وايا ما كان فالمراد
بالامر بالنظر التنبيه علي عظم قدرته تعالي وسعة رحمته تعالي مع ما فيه من التمهيد لما يعقبه من امر
البعث وقري تحيي بالتانيث علي الاسناد الي ضمير الرحمة **ان ذلك** العظيم الشان الذي ذكر بعض شؤونه **لمحيي الموتي**
لقادر علي احيائهم فانه احداث لمثل ما كان في مواد ابدانهم من القوي الحيوانية كما ان احياء الارض احداث
لما كان فيها من القوي النباتية او لمحييهم البتة وقوله تعالي **وهو علي كل شيء قدير** تذييل مقرر لمضمون ما قبله اي مبالغ
في القدرة علي جميع الاشياء التي من جملتها احياؤهم لما ان نسبة قدرته الي الكل سواء **ولئن ارسلنا ريحا فراوه**
اي الاثر المدلول عليه بالاثار او النبات المعبر عنه بالاثار فانه اسم جنس يعم القليل والكثير **مصفرا** بعد خضرته
وقد جوز ان يكون الضمير للسحاب لانه اذا كان مصفرا لم يمطروا ولا يخفي بعده واللام في ولئن موطئة للقسم
دخلت علي حروف الشرط والفاء في فراوه فصيحة واللام في قوله تعالي **لظلوا** اللام جواب القسم الساد مسد
الجوابين اي والله لئن ارسلنا ريحا حارة او باردة فضربت زرعهم بالصفار فراوه مصفرا لظلوا
من بعده يكفرون من غير تلعثم وفيه من ذمهم بعدم تثبتهم وسرعة تزلزلهم بين طرفي الافراط والتفريط
ما لا يخفي حيث كان الواجب عليهم ان يتوكلوا علي الله في كل حال ويلجئوا اليه بالاستغفار اذا احتبس
عنهم القطر ولا ييأسوا من روح الله تعالي ويبادروا الي الشكر بالطاعة اذا اصابهم برحمته ولا يفرطوا
في الاستبشار وان يصبروا علي بلائه اذا اعتري زرعهم افة ولا يكفروا بنعمائه فعكسوا الامر وابوا
ما يجديهم واتوا بما يرديهم **فانك لا تسمع الموتي** لما انهم مثلهم لانسداد مشاعرهم عن الحق **ولا تسمع الصم الدعاء
اذا ولوا مدبرين** تقييد الحكم بما ذكر لبيان كمال سوء حال الكفرة والتنبيه علي انهم جامعون لخصلتي السوء نبو
اسماعهم عن الحق واعراضهم عن الاصغاء اليه ولو كان فيهم احداهما لكفاهم ذلك فكيف وقد جمعوهما
فان الاصم المقبل الي المتكلم ربما يفطن عن اوضاعه وحركاته بشيء من كلامه وان لم يسمعه اصلا واما اذا كان
معرضا عنه فلا يكاد يفهم منه شيء وقري بالياء المفتوحة ورفع الصم **وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم** سماهم عميا
اما لفقدهم المقصود الحقيقي من الابصار او لعمي قلوبهم وقري تهدي العمي **ان تسمع** اي ما تسمع **الا من يومن
باياتنا** فان ايمانهم يدعوهم الي التدبر فيها وتلقيها بالقبول او الا من يشارف الايمان ويقبل عليها اقبالا

لايقًا فهم مسلمون منقادون لما يامرهم به من الحق الله الذي خلقكم من ضعف مبتدا وخبر اي ابتداكم ضعفًا
وجعل الضعف اساس امركم كقوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا اي خلقكم من اصل ضعيف هو النطفه
ثم جعل من بعد ضعف قوة وذلك عند بلوغكم الحلم او تعلق بابدانكم الروح ثم جعل من بعد قوة ضعفًا وشيبة
اي اذا اخذ منكم السن وقري بضم الضاد في الكل وهو اقوي لقول ابن عمر رضي الله عنهما قراتها على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاقراني من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لان المتقدم غير
المتاخر يخلق ما يشاء من الاشياء التي من جملتها ماذكر من الضعف والقوة والشيبة وهو العليم القدير المبالغ في
العلم والقدرة فان الترديد فيما ذكر من الاطوار المختلفة من اوضح دلايل العلم والقدرة ويوم تقوم الساعة اي
القيمة سميت بها لانها تقوم في اخر ساعة من ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة وصارت علما لها كالنجم
للثريا والكواكب للزهرة يقسم المجرمون ما لبثوا اي في القبور او في الدنيا والاول هو الاظهر لان لبثهم معينا
بيوم البعث كما سياتي وليس لبثهم في الدنيا كذلك وقيل فيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم وفي
الحديث مابين فناء الدنيا والبعث اربعون وهو محتمل للساعات والايام والاعوام وقيل لا يعلم اهي
اربعون سنة او اربعون الف سنة غير ساعة استقلوا مدة لبثهم نسيانا او كذبا او تخمينا كذلك كانوا يوفكون
مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون في الدنيا عن الحق والصدق وقال الذين اوتوا العلم والايمان في الدنيا من الملايكة
والانس لقد لبثتم في كتاب الله في علمه او قضائه او ماكتبه وعينه او في اللوح او القران وهو قوله تعالى ومن
وراءهم برزخ الى يوم البعث ردوا بذلك ما قالوه وايدوه باليمين كانهم من فرط حيرتهم لم يدروا ان ذلك هو
البعث الموعود الذي كانوا ينكرونه وكانوا يسمعون ان يكون بعد فناء الخلق كافة ويقدرون لذلك زمانا
مديدا وان لم يعتقد وانحققه فرد العالمون مقالتهم ونبهوهم على انهم لبثوا الى غاية بعيدة كانوا يسمعونها وينكرونها
ويكتوهم بالاخبار بوقوعها حيث قالوا فهذا يوم البعث الذي كنتم توعدون في الدنيا ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق
فتستعجلون بها استهزاء والفاء لجواب شرط محذوف كما في قول من قال • فالوا خراسان اقصى مايراد بنا
ثم القفول فقد جينا خراسانا فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم اي عذرهم وقري تنفع بالتاء محافظة على ظاهر
اللفظ وان توسط بينهما فاصل ولاهم يستعتبون لا يدعون الى ما يقتضي اعتابهم اي ازالة عتبهم من التوبة
والطاعة كما دعوا اليه في الدنيا من قولهم استعتبني فلان فاعتبته اي استرضاني فارضيته ولقد ضربنا
للناس في هذا القران من كل مثل اي وبالله لقد بينا لهم كل حال ووصفنا لهم كل صفة كانها مثل في غرابتها
قصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشان كصفة المبعوثين يوم القيمة وقصتهم وما يقولون وما يقال
لهم ويفعل بهم من رد اعتذارهم ولين جيتهم باية من ايات القران الناطقة بامثال ذلك ليقولن الذين كفروا
لفرط عتوهم وعنادهم وقساوة قلوبهم مخاطبين للنبي صلى الله عليه وسلم ان انتم الا مبطلون اي مزورون
كذلك مثل ذلك الطبع الفظيع يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون لا يطلبون العلم ولا يتحرزون بل يصرون
على خرافات اعتقدوها وترهات ابتدعوها فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق
فاصبر على ما تشاهد منهم من الاقوال الباطلة والافعال السيئة ان وعد الله حق وقد وعدك بالنصرة
واظهار الدين واعلاء كلمة الحق ولابد من انجازه والوفاء به لا محاله ولا يستخفنك لا يحملنك على الخفة
والقلق الذين لا يوقنون بما تتلو عليهم من الايات البينة بتكذيبهم اياها وايذائهم لك باباطيلهم
التي من جملتها قولهم ان انتم الا مبطلون فانهم شاكون ضالون ولا يستبدع منهم امثال ذلك وقري
بالنون المخففة وقري ولا يستحقنك من الاستحقاق اي لا يفتننك فيملكوك ويكونوا احق بك
من المومنين واياما كان فظاهر النظم الكريم وان كان نهيا للكفرة عن استخفافه عليه الصلوة
والسلام واستخفافه ولكنه في الحقيقة نهي له عليه الصلوة والسلام عن التاثر من استخفافهم

والافتنان بفتنتهم على طريق الكناية كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم شنان قوم على ان لا تعدلوا عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرا سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك يسبح الله تعالى بين السماء والارض وادرك ماضيعه في يومه وليلته

سورة لقمان وهي اربع وثلثون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الم تلك ايات الكتاب سلف بيانه في نظاير الحكيم ذي الحكمة لاشتماله عليها وهو وصف له
بنعته تعالى او صله الحكيم منزله او قايله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا فاستكن في
الصفة المشبهة وقيل الحكيم فعيل بمعنى مفعل كما قالوا اعقدت اللبن فهو عقيد اي معقد وهو قليل وقيل بمعنى فاعل
هدى ورحمة بالنصب على الحالية من الايات والعامل فيهما معنى الاشارة وقريا بالرفع على انهما خبران اخران لاسم الاشارة
او لمبتدا محذوف للمحسنين اي العاملين للحسنات فان اريد بها مشاهيرها المعهودة في الدين لقوله تعالى الذين يقيمون
الصلوة ويوتون الزكوة وهم بالاخرة هم يوقنون بيان لما عملوها من الحسنات على طريقة لا يلقي الذي يظن بك الظن كان قد راي
وقد سمعا وان اريد بها جميع الحسنات فهو تخصيص لهذه الثلاث بالذكر من بين سايرشعبها لاظهار فضلها وانافتها
على غيرها وتخصيص الوجه الاول بصورة كون الموصول صفة للمحسنين والوجه الاخير بصورة كونه مبتدا مما لا وجه
له اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون الفايزون بكل مطلوب والناجون بكل مهروب لحيازتهم قطري العلم والعمل وقد
مر ما فيه من المقال في مطلع سورة البقرة بما لامزيد عليه ومن الناس محله الرفع على الابتداء باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف
ومن في قوله تعالى من يشتري لهو الحديث موصولة او موصوفة محلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعض من الناس الذي يشتري
على ان مناط الافادة والمقصود بالاصالة هو اتصافهم بما في حيز الصلة او الصفة لا كونهم ذوات اولئك المذكورين
كما مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر الاية ولهو الحديث ما يلهي عما يعني من المهمات كالاحاديث
التي لا اصل لها والاساطير التي لا اعتداد بها والمضاحك وساير مالا خير فيه من فضول الكلام والاضافة بمعنى من
التبيينية ان اريد بالحديث المنكر وبمعنى التبعيضية ان اريد به الاعم من ذلك وقيل نزلت الاية في النضر بن الحارث
اشترى كتب الاعاجم وكان يحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم بحديث رستم
واسفنديار والاكاسرة وقيل كان يشتري القيان ويحملهن على معاشرة من اراد الاسلام ومنعه منه ليضل عن سبيل الله
اي دينه الحق الموصول اليه تعالى او عن قراة كتابه الهادي اليه تعالى وقري ليضل بفتح الياء اي ليثبت و
يستمر على ضلاله او ليزداد فيه بغير علم اي بحال ما يشتريه او بالتجارة حيث استبدل الشر البحت بالخير
المحض ويتخذها بالنصب عطفا على يضل والضمير للسبيل فانه مما يذكر ويونث وهو دين الاسلام او القران
اي ويتخذها هزوا مهزوا به وقري ويتخذها بالرفع عطفا على يشتري وقوله تعالى اولئك اشارة الى من والجمع
باعتبار معناها كما ان الافراد في الفعلين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بذكر المشار
اليه للايذان ببعد منزلتهم في الشرارة اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الاشتراء للاضلال لهم عذاب مهين
لما اتصفوا به من اهانتهم الحق بايثار الباطل عليه وترغيب الناس فيه واذا تتلى عليه اي على المشتري افراد الضمير
فيه وفيما بعده كالضماير الثلاثة الاول باعتبار لفظة من بعد ما جمع فيما بينهما باعتبار معناها اياتنا التي هي ايات
الكتاب الحكيم وهدى ورحمة للمحسنين ولى اعرض عنها غير معتد بها مستكبرا مبالغا في التكبر كان لم يسمعها حال من
ضمير ولى او من ضمير مستكبرا والاصل كانه فحذف ضمير الشان وخفف المثقلة اي مشبها حاله حال من لم يسمعها
وهو سامع وفيه رمز الى ان من سمعها لا يتصور منه التولية والاستكبار لما فيها من الامور الموجبة للاقبال
عليها والخضوع لها على طريقة قول من قال • كانك لم تجزع على ابن طريف كان في اذنيه وقرا حال من ضمير لم يسمعها
اي مشبها حاله حال من في اذنيه ثقل مانع من السماع ويجوز ان يكون استينافا وقري في اذنيه بسكون الذال
فبشره بعذاب اليم اي فاعلمه بان العذاب المفرط في الايلام لاحق به لا محاله وذكر البشارة للتهكم ان الذين

امنوا وعملوا الصالحات بيان لحال المومنين باياته تعالى اثر بيان الكافرين بها اي الذين امنوا باياته وعملوا بموجبها
لهم بمقابلة ما ذكر من ايمانهم واعمالهم جنات النعيم اي نعيم جنات فعكس للمبالغة والجملة خبر ان والاحسن ان
يجعل لهم هو الخبر لان وجنات النعيم مرتفعا به على الفاعلية وقوله تعالى خالدين فيها حال من الضمير في لهم او من
جنات النعيم لاشتماله على ضميريهما والعامل ما تعلق به اللام وعد الله حقا مصدران موكدان الاول لنفسه
والثاني لغيره لان قوله تعالى لهم جنات النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم فاكد معنى الوعد بالوعد واما
حقا فدال على معنى الثبات اكد به معنى الوعد وموكدهما جميعا لهم جنات النعيم وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء
ليمنعه من انجاز وعده او تحقيق وعيده الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة خلق السموات بغير عمد
استيناف مسوق للاستشهاد بما فصل فيه على عزته تعالى التي هي كمال القدرة وحكمته التي هي كمال العلم وتمهيد
قاعدة التوحيد وتقريره وابطال امر الاشراك وتبكيت اهله والعمد جمع عماد كاهب جمع اهاب وهو ما يعمد به
اي يسند يقال عمدت الحايط اذا ادعمته اي بغير دعايم على ان الجمع لتعدد السموات وقوله تعالى ترونها استينافٌ
جيء به للاستشهاد على ما ذكر من خلقه تعالى لها غير معمودة بمشاهدتهم لها كذلك او صفة لعمد اي خلقها بغير عمد
مرئية على ان التقييد للرمز الى انه تعالى عمدها بعمد لا ترى هي عمد القدرة والقى في الارض رواسي بيان لصنعه البديع
في قرار الارض اثر بيان صنعه الحكيم في قرار السموات اي القى فيها جبالا ثوابت وقد مر ما فيه من الاحكام في سورة
الرعد ان تميد بكم كراهة ان تميد بكم فان بساطة اجزائها يقتضي تبدل احيازها واوضاعها لامتناع اختصاص
كل منها لذاته او لشيء من لوازمه بحيز معين ووضع مخصوص وبث فيها من كل دابة من كل نوع من انواعها وانزلنا من السماء ماء
هو المطر فانبتنا فيها بسبب ذلك الماء من كل زوج كريم من كل صنف كثير المنافع والالتفات الى نون العظمة في
الفعلين لابراز مزيد الاعتناء بامرهما هذا اي ما ذكر من السموات والارض وما تعلق بهما من الامور المعدودة
خلق الله اي مخلوقه فاروني ماذا خلق الذين من دونه مما اتخذوهم شركاء له سبحانه في العبادة حتى استحقوا به المعبودية
وماذا نصب بخلق او ما مرتفع بالابتداء خبره ذا بصلته واروني متعلق به وقوله تعالى بل الظالمون في ضلال مبين
اضراب عن تبكيتهم بما ذكر الى التسجيل عليهم بالضلال المبين المستدعي للاعراض عن مخاطبتهم بالمقدمات المعقولة
الحقة لاستحالة ان يفهموا منها شيئا فيهتدوا به الى العلم ببطلان ما هم عليه او يتاثروا من الالزام والتبكيت
فينزجروا عنه ووضع الظاهر موضع ضميرهم للدلالة على انهم باشراكهم واضعون للشيء في غير موضعه ومتعدون
عن الحد والظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد ولقد آتينا لقمان الحكمة كلام مستانف مسوق لبيان بطلان الشرك
وهو لقمان بن باعورا من ولد آزر ابن اخت ايوب عليه السلام او خالته وعاش حتى ادرك داود عليه السلام
واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعثه وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل والجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة
في عرف العلماء استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال
الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته انه صحب داود عليه السلام شهورا وكان يسرد الدرع فلم يسأله فلما اتمها
لبسها فقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكمة وقليل فاعله فقال له داود عليه السلام بحق ما سميت
حكيما وان داود عليه السلام قال له يوما كيف اصبحت قال اصبحت في يد غيري فتفكر داود عليه السلام
فيه فصعق صعقة وانه امره مولاه بان يذبح شاة ويأتي باطيب مضغتين منها فاتى باللسان والقلب ثم بعد
ايام امره بان يأتي باخبث مضغتين منها فاتى بهما ايضا فساله عن ذلك فقال هما اطيب شيء اذا طابا واخبث
شيء اذا خبثا ان اشكر لله اي اشكر له تعالى على ان مفسرة فان ايتاء الحكمة في معنى القول ومن يشكر الى آخره
استيناف مسوق مقرر لمضمون ما قبله موجب للامتثال بالامر اي ومن يشكر له تعالى فانما يشكر لنفسه لان
منفعته التي هي ارتباط القيد واستجلاب المزيد مقصور عليها ومن كفر فان الله غني عن كل شيء فلا يحتاج الى
الشكر ليتضرر بكفر من كفر حميد حقيق بالحمد وان لم يحمده احد او محمود بالفعل ينطق بحمده جميع المخلوقات

بلسان الحال وعدم التعرض كقوله تعالى شكور لما ان الحمد متضمن للشكر بل هو راسه كما قال عليه السلام الحمد
راس الشكر لم يشكر الله عبد لم يحمده فاثباته له تعالى اثبات للشكر له قطعا اذ قال لقمان لابنه انعم وقيل اشكم
وقيل ماثان وهو يعظه يا بني تصغير اشفاق وقرئ يا بني باسكان الياء وبكسرها لا تشرك بالله قيل كان ابنه
كافرا فلم يزل به حتى اسلم ومن وقف على لا تشرك جعل بالله قسما ان الشرك لظلم عظيم تعليل للنهي والانتهاء
عن الشرك ووصينا الانسان بوالديه الى آخره كلام مستانف اعترض على نهج الاستطراد في اثناء وصيته لقمان تاكيدا
لما فيها من النهي عن الاشراك وقوله تعالى حملته امه الى قوله في عامين اعتراض بين المفسر والمفسر وقوله تعالى وهنا
حال من امه اي ذات وهن او مصدر موكد لفعل هو الحال اي تهن وهنا وقوله تعالى على وهن صفة للمصدر
اي كائنا على وهن اي تضعف ضعفا فوق ضعف فانها لا تزال يتضاعف ضعفها وقرئ وهنا على وهن بالتحريك
يقال وهن يهن وهنا ووهن يوهن وهنا وفصاله في عامين اي فطامه في تمام عامين وهي مدة الرضاع عند
الشافعي رحمه الله تعالى وعند ابي حنيفة رحمه الله هي ثلاثون شهرا وقد بين وجهه في موضعه وقرئ وفصله
ان اشكر لي ولوالديك تفسير لوصينا وما بينهما اعتراض موكد للوصية في حقهما خاصة ولذلك قال عليه الصلاة
والسلام لمن قال له من ابر امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك الي المصير تعليل لوجوب الامتثال بالامر اي
الي الرجوع لا الى غيري فاجازيك على ما صدر منك من الشكر والكفر وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به اي
بشركته له تعالى في استحقاق العبودية علم فلا تطعهما في ذلك وصاحبهما في الدنيا معروفا اي صحابا معروفا يرتضيه
الشرع وتقتضيه المروة واتبع سبيل من اناب الي بالتوحيد والاخلاص في الطاعة ثم الي مرجعكم اي مرجعك
ومرجعهما ومرجع من اناب الي فانبئكم عند رجوعكم بما كنتم تعملون بان اجازي كلا منكم بما صدر عنه من الخير
والشر وقوله تعالى يا بني الى آخره شروع في حكاية بقية وصايا لقمان اثر تقريرها في مطلعها من النهي
عن الشرك وتاكيده بالاعتراض انها ان تك مثقال حبة من خردل اي ان الخصلة من الاساءة او الاحسان ان تك مثلا
في الصغر كحبة الخردل وقرئ برفع مثقال على ان الضمير للقصة وكان تامة والتانيث لاضافة المثقال الى
الحبة كما في قول من قال • كما شرقت صدر القناة من الدم • او لان المراد به الحسنة او السيئة فتكن في صخرة
او في السموات او في الارض اي فتكن مع كونها في اقصى غايات الصغر والعماء في اخفى مكان واحرزه كجوف الصخرة
او حيث كانت في العالم العلوي او السفلي يات بها الله اي يحضرها ويحاسب عليها ان الله لطيف يصل
علمه الى كل خفي خبير بكنهه وبعد ما امره بالتوحيد الذي هو اول ما يجب على الانسان في ضمن النهي عن الشرك
ونبهه على كمال علم الله تعالى وقدرته امره بالصلوة التي هي اكمل العبادات تكميلا له من حيث العمل بعد تكميله
من حيث الاعتقاد فقال مستميلا له يا بني اقم الصلوة تكميلا لنفسك وأمر بالمعروف وانه عن المنكر تكميلا لغيرك
واصبر على ما اصابك من الشدايد والمحن لاسيما فيما امرت به ان ذلك اشارة الى كلما ذكر وما فيه من معنى البعد
مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الفضل من عزم الامور اي مما عزمه الله
تعالى وقطعه على عباده من الامور لمزيد مزيتها مصدر اطلق على المفعول وقد جوز ان يكون المعنى للفاعل
من قوله تعالى فاذا عزم الامر اي جد والجملة تعليل لوجوب الامتثال بما سبق من الامر والنهي وايذان بان
ما بعدها ليس بمثابته ولا تصعر خدك للناس اي لا تمله ولا تولهم صفحة وجهك كما هو ديدن المتكبرين من
الصعر وهو الصيد وهو داء يصيب البعير فيلوي فيه عنقه وقرئ ولا تصاعر وقرئ ولا تصعر من الافعال
والكل بمعنى علا وعالا ولا تمش في الارض مرحا اي فرحا مصدر وقع موقع الحال او مصدر موكد لفعل هو
الحال اي تمرح مرحا او لاجل المرح والبطر ان الله لا يحب كل مختال فخور تعليل للنهي وتاخير الفخور مع كونه بمقابلة
المصعر خده عن المختال وهو بمقابلة الماشي مرحا لرعاية الفواصل واقصد في مشيك بعد الاجتناب عن
المرح فيه اي توسطه بين الدبيب والاسراع ومنه قوله صلى الله عليه وسلم سرعة المشي تذهب بهاء

المؤمن وقول عايشة في عمر رضي الله عنهما كان اذا مشي اسرع فالمراد به مافوق دبيب المتماوت وقرى بقطع الهمزة من اقصد الرامي اذا اسدد سهمه نحو الرمية **واغضض من صوتك** وانقص منه واقصر **ان انكر الاصوات** اي اوحشها **لصوت الحمير** تعليل للامر على ابلغ وجه واكده مبني على تشبيه الرافعين بالحمير وتمثيل اصواتهم بالنهاق وافراط في التحذير عن رفع الصوت والتنفير عنه وافراد الصوت مع اضافته الى الجمع لما ان المراد ليس بيان حال صوت كل واحد من احاد هذا الجنس حتى يجمع بل بيان حال صوت هذا الجنس من بين اصوات سائر الاجناس وقوله تعالى **الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض** رجوع الى سنن ما سلف قبل قصة لقمان من خطاب المشركين وتوبيخ لهم على اصرارهم على ما هم عليه مع مشاهدتهم لدلائل التوحيد والمراد بالتسخير اما جعل المسخر بحيث ينفع المسخر له اعم من ان يكون منقادا له يتصرف فيه كيف يشاء ويستعمله حسب ما يريد كعامة ما في الارض من الاشياء المسخرة للانسان المستعملة له من الجماد والحيوان اولا يكون كذلك بل يكون سببا لحصول مراده من غير ان يكون له دخل في استعماله كجميع ما في السموات من الاشياء التي نيطت بها مصالح العباد معاشا او معادا واما جعله منقادا للامر مذللا على معنى ان لكم لاجلكم فان جميع ما في السموات والارض من الكائنات مسخرة لله تعالى **واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة** محسوسة ومعقولة معروفة لكم وغير معروفة وقد مر شرح النعمة وتفصيلها في الفاتحة وقرئ اصبغ بالصاد وهو جار في كل سين قارنت الغين او الخاء او القاف كما تقول في سلخ صلخ وفي سقر صقر وفي سالغ صالغ وقرئ نعمة **ومن الناس من يجادل في الله** في توحيده وصفاته **بغير علم** مستفاد من دليل **ولا هدى** من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم **ولا كتاب منير** انزله الله تعالى بل بمجرد التقليد **واذا قيل لهم** اي لمن يجادل والجمع باعتبار المعنى **اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا** يريدون به عبادة الاصنام **اولو كان الشيطان يدعوهم** اي اباءهم لا انفسهم كما قيل فان مدار انكار الاتباع واستبعاده كون المتبوعين تابعين للشيطان لا كون انفسهم كذلك اي ايتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم فيما هم عليه من الشرك **الى عذاب السعير** فهم متوجهون اليه حسب دعوته والجملة في حيز النصب على الحالية وقد مر تحقيقه في قوله تعالى اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون من سورة البقرة بما لا مزيد عليه **ومن يسلم وجهه الى الله** بان فوض اليه مجامع اموره واقبل عليه بكليته وحيث عدي باللام قصد معنى الاختصاص وقرئ بالتشديد **وهو محسن** اي في اعماله آت بها جامعة بين الحسن الذاتي والوصفي وقد مر في اخر سورة النحل **فقد استمسك بالعروة الوثقى** اي تعلق باوثق ما يتعلق به من الاسباب وقيل هو تمثيل لحال المتوكل المشتغل بالطاعة بحال من اراد ان يترقى الى شاهق جبل فتمسك باوثق عرى الحبل المتدلي منه **والى الله** لا الى احد غيره **عاقبة الامور** فيجازيه احسن الجزاء **ومن كفر فلا يحزنك كفره** فانه لا يضرك في الدنيا ولا في الاخرة وقرئ فلا يحزنك من احزن المنقول من حزن بكسر الزاي وليس بمستفيض **الينا مرجعهم** لا الى غيرنا **فننبئهم بما عملوا** في الدنيا من الكفر والمعاصي بالعذاب والعقاب والجمع في الضمائر الثلاثة باعتبار لفظها **ان الله عليم بذات الصدور** تعليل للتنبيه المعبر بها عن التعذيب **نمتعهم قليلا** تمتيعا او زمانا قليلا فان ما يزول وان كان بعد امد طويل بالنسبة الى ما يدومه قليل **ثم نضطرهم الى عذاب غليظ** يثقل عليهم ثقل الاجرام الغلاظ او يضم الى الاحراق الضغط والتضييق **ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله** لغاية وضوح الامر بحيث اضطروا الى الاعتراف به **قل الحمد لله** على ان جعل دلائل التوحيد بحيث لا يكاد ينكرها المكابرون ايضا **بل اكثرهم لا يعلمون** شيئا من الاشياء فلذلك لا يعملون بمقتضى اعترافهم وقيل لا يعلمون ان ذلك يلزمهم **لله ما في السموات وما في الارض** فلا يستحق العبادة فيهما غيره **ان الله هو الغني** عن العالمين **الحميد** المستحق للحمد وان لم يحمده احد اذ المحمود بالفعل يحمده كل مخلوق بلسان الحال **ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام** اي لو ان الاشجار اقلام وتوحيد الشجرة لما ان المراد

تفصيل

مسخرة لله تعالى متبعة لمنافع الخلق وما يستعمله الانسان حسبما يشاهد بحسب الظاهر وهو في الحقيقة صح

تفصيل الاحاد **والبحر يمده من بعده** اي من بعد نفاده **سبعة ابحر** اي والحال ان البحر المحيط بسعته يمده الابحر السبعة مدا لا ينقطع ابدا وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله **ما نفدت كلمات الله** ونفدت تلك الاقلام والمداد كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي وقرئ يمده من الامداد بالياء والتاء واسناد المد الى الابحر السبعة دون البحر المحيط مع كونه اعظم منها واطم لانها هي المجاورة للجبال ومنابع المياه الجارية واليها ينصب الانهار العظام اولا ومنها تنصب الى البحر المحيط ثانيا وايثار جمع القلة في الايذان للكلمات لان ما ذكر لا يفي بالقليل منها فكيف بالكثير **ان الله عزيز** لا يعجزه شيء **حكيم** لا يخرج عن علمه وحكمته امر فلا تنفد كلماته الموسسة عليها **ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة** اي الا كخلقها وبعثها في سهولة التأتي اذ لا يشغله شان عن شان لان مناط وجود الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية حسبما يفصح عنه قوله تعالى انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون **ان الله سميع** يسمع كل مسموع **بصير** يبصر كل مبصر لا يشغله علم بعضها عن علم بعض فكذلك الخلق والبعث **الم تر** قيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل عام لكل احد ممن يصلح للخطاب وهو الاوفق لما سبق وما لحق اي الم تعلم علما قويا جاريا مجرى الرواية **ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل** اي يدخل كل واحد منهما في الاخر ويضيفه اليه فيتفاوت بذلك حاله زيادة ونقصانا **وسخر الشمس والقمر** عطف على يولج والاختلاف بينهما صيغة لما ان ايلاج احد الملوين في الاخر متجدد في كل حين واما تسخير النيرين فامر لا تعدد فيه ولا تجدد وانما التعدد والتجدد في اثاره وقد اشير الى ذلك حيث قيل **كل يجري** اي بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية على المدارات اليومية المتخالفة المتعددة حسب تعدد الايام جريا مستمرا **الى اجل مسمى** قدره الله تعالى لجريهما وهو يوم القيمة كما روي عن الحسن فانه لا ينقطع جريهما الا حينئذ والجملة على تقدير عموم الخطاب اعتراض بين المعطوفين لبيان الواقع بطريق الاستطراد وعلى تقدير اختصاصه به عليه الصلاة والسلام يجوز ان يكون حالا من الشمس والقمر فان جريانهما الى يوم القيمة من جملة ما في حيز رؤيته عليه الصلاة والسلام هذا وقد جعل جريانهما عبارة عن حركتهما الخاصة بهما في فلكهما والاجل المسمى عن منتهى دورتهما وجعل هذه الجريان للشمس سنة وللقمر شهرا فالجملة حينئذ بيان لحكم تسخيرهما وتنبيه على كيفية ايلاج احد الملوين في الاخر وكون ذلك بحسب اختلاف جريان الشمس على مداراتها اليومية فكلما كان جريانها متوجها الى سمت الراس تزداد القسي التي هي فوق الارض كبرا فيزداد النهار طولا بانضمام بعض اجزاء الليل اليه الى ان يبلغ المدار الذي هو اقرب المدارات الى سمت الراس وذلك عند بلوغها الى راس السرطان ثم ترجع متوجهة الى التباعد عن سمت الراس فلا تزال القسي التي فوق الارض تزداد صغرا فيزداد النهار قصرا بانضمام بعض اجزائه الى الليل الى ان يبلغ المدار الذي هو ابعد المدارات اليومية عن سمت الراس وذلك عند بلوغها برج الجدي وذلك قوله تعالى **وان الله بما تعملون خبير** عطف على ان الله يولج الليل الى اخره داخل معه في حيز الرؤية على تقديري خصوص الخطاب وعمومه فان من شاهد مثل ذلك الصنع الرائق والتدبير اللائق لا يكاد يغفل عن كون صانعه عز وجل محيطا بجلائل اعماله ودقائقها **ذلك** اشارة الى ما تلي من الايات الكريمة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها في الفضل وهو مبتدا خبره قوله تعالى **بان الله هو الحق** اي بسبب بيان انه تعالى هو الحق الهيته فقط ولاجله كونها ناطقة بحقية التوحيد **وان ما يدعون من دونه الباطل** اي ولاجل بيان بطلان الهية ما يدعونه من دونه تعالى لكونها شاهدة بذلك شهادة بينة لا ريب فيها وقرئ بالتاء والتصريح بذلك مع ان الدلالة على اختصاص حقية الالهية به تعالى مستتبعة للدلالة على بطلان الهية ما عداه لابراز كمال الاعتناء بامر التوحيد وللايذان بان الدلالة على بطلان ما ذكر ليست بطريق الاستتباع فقط بل بطريق الاستقلال ايضا **وان الله هو العلي الكبير** اي وبيان انه تعالى هو المرتفع عن كل شيء المتسلط عليه فان ما في تضاعيف الايات الكريمة مبين لاختصاص العلو والكبرياء به تعالى اي بيان هذا وقيل ذلك اي ما ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجايب الصنع واختصاص الباري تعالى به بسبب

داتهما

انه الثابت في ذاته الواجب من جميع جهاته او الثابت الهيته وانت خبير بان حقيقته تعالي وعلوه وكبريائه
وان كانت صالحة لمناطية ما ذكر من الاحكام المعدودة لكن بطلان الهية الاصنام لا دخل له في المناطية قطعا فلا
مساغ لنظمه في سلك الاسباب بل هو تعكيس للامر ضرورة ان الاحكام المذكورة هي المقتضية لبطلانها
لا ان بطلانها يقتضيها **الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله** باحسانه في تهيئة اسبابه وهو استشهاد اخر
علي باهر قدرته وغاية حكمته وشمول انعامه والباء اما متعلقة بتجري او بمقدر هو حال من فاعله اي
ملتبسة بنعمته تعالي وقرئ الفلك بضم اللام وبنعمات الله وعين فعلات يجوز فيه الكسر والفتح والسكون **ليريكم
من اياته** اي بعض دلايل وحدته وعلمه وقدرته وقوله تعالي **ان في ذلك لايات لكل صبار شكور** تعليل لما قبله اي ان
فيما ذكر لايات عظيمة في ذاتها كثيرة في عددها لكل من يبالغ في الصبر علي المشاق فيتعب نفسه في التفكر
في الانفس والافاق ويبالغ في الشكر علي نعمائه وهما صفتا المؤمن فكانه قيل لكل مؤمن **واذا غشيهم** اي علاهم
واحاط بهم **موج كالظلل** كما يظل من جبل او سحاب او غيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال **دعوا الله مخلصين له
الدين** لزوال ما ينازع الفطرة من الهوي والتقليد بما دهاهم من الدواهي والشدايد **فلما نجاهم الي البر فمنهم مقتصد**
اي مقيم علي القصد السوي الذي هو التوحيد او متوسط في الكفر لانزجاره في الجملة **وما يجحد باياتنا الا كل ختار** غدار
فانه نقض للعهود الفطري او من نقض لما كان في البحر والختر اشد الغدر واقبحه **كفور** مبالغ في كفران نعم الله
تعالي **يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده** اي لا يقضي عنه وقرئ لا يجزي من اجزي اذا اغني والعائد الي
الموصول محذوف اي لا يجزي فيه **ولا مولود** عطف علي والد وهو مبتدا خبره **هو جاز عن والده شيا** وتغيير النظم للدلالة
علي ان المولود اولي بان يجزي وقطع طمع من توقع من المؤمنين اباه الكافر في الاخرة **ان وعد الله** بالثواب او
بالعقاب **حق** اي لا يمكن اخلافه اصلا **فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور** اي الشيطان المبالغ في الغرور
بان يحملكم علي المعاصي بتزيينها لكم ويرجيكم التوبة والمغفرة **ان الله عنده علم الساعة** علم وقت قيامها لما روي ان الحارث
ابن عمرو اتي رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال متي الساعة واني قد القيت حباتي في الارض فمتي السماء تمطر
وحمل امراتي ذكر ام انثي وما اعمل غدا واين اموت فنزلت وعنه صلي الله عليه وسلم مفاتح الغيب خمس وتلا هذه
الاية **وينزل الغيث** في ابانه الذي قدره والي محله الذي عينه في علمه وقرئ ينزل من الانزال **ويعلم ما في الارحام** من
ذكر او انثي او تام او ناقص **وما تدري نفس ماذا تكسب غدا** من خير او شر وربما يعزم علي شيء منها فيفعل خلافه
وما تدري نفس باي ارض تموت كما لا تدري في اي وقت تموت روي ان ملك الموت مر علي سليمان عليه السلام فجعل
ينظر الي جلسائه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كانه يريدني فمر الريح ان تحملني وتلقيني ببلاد الهند
ففعل ثم قال ملك الموت لسليمان عليه السلام كان دوام نظري تعجبا منه حيث كنت امرت بان اقبض روحه
بالهند وهو عندك ونسبة العلم الي الله تعالي والدراية الي العبد للايذان بانه ان اعمل حيلة وبذل في التعرف
وسعه لم يعرف ما هو لاحق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليل عليه وقرئ باية ارض وشبه
سيبويه تانيثها بتانيث كل في كلهن **ان الله عليم** مبالغ في العلم فلا يعزب عن علمه شيء من الاشياء التي من جملتها
ما ذكر **خبير** يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها عن رسول الله صلي الله عليه وسلم من قرا سورة لقمان كان
لقمان رفيقا له يوم القيمة واعطي من الحسنات عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهي عن المنكر

سورة السجدة وهي ثلثون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **الم** اما اسم للسورة فمحله الرفع علي انه خبر لمبتدا محذوف اي هذا مسمي بالم والاشارة
اليها قبل جريان ذكرها قد عرفت سرها واما مسرود علي نمط التعديد فلا محل له من الاعراب وقوله تعالي **تنزيل
الكتاب** علي الاول خبر لمبتدا محذوف اي المؤلف من جنس ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل خبر لالم اي المسمي به

تنزيل

تنزيل الكتاب وقد مر مرارا ان ما يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه واذ لا عهد
بالتسمية قبل تحققها الاخبار بها وقوله تعالي **لا ريب فيه** خبر ثالث علي الوجه الاول وثان علي الاخيرين وقيل خبر
لتنزيل الكتاب فقوله تعالي **من رب العالمين** متعلق بمضمر هو حال من الضمير المجرور اي كاينا منه تعالي لا بتنزيل لان المصدر
لا يعمل فيما بعد الخبر والاوجه حينئذ انه الخبر ولا ريب فيه حال من الكتاب او اعتراض والضمير راجع الي مضمون
الجملة كانه قيل لا ريب في ذلك اي في كونه منزلا من رب العالمين ويؤيده قوله تعالي **ام يقولون افتريه** فان قولهم
هذا انكار منهم لكونه من رب العالمين فلا بد ان يكون مورده حكما مقصود الافادة لا قيدا للحكم بنفي الريب عنه
وقد رد عليهم ذلك وابطل حيث جيء بام المنقطعة انكارا له وتعجيبا منه لغاية ظهور بطلانه واستحالة كونه مفتري
ثم اضرب عنه الي بيان حقية ما انكروه حيث قيل **بل هو الحق من ربك** باضافة اسم الرب الي ضميره عليه الصلوة والسلام
بعد اضافته فيما سبق الي العالمين تشريفا له عليه الصلاة والسلام ثم ايد ذلك ببيان غايته حيث قيل
لتنذر قوما ما اتيهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون فان غاية الشيء وحكمته لا سيما عند كونها غاية حميدة مستتبعة لمنافع
جليلة في وقت شدة الحاجة اليها مما يقرر وجود الشيء ويؤكده لا محالة ولقد كانت قريش اضل الناس واحوجهم
الي الهداية بارسال الرسول وتنزيل الكتاب حيث لم يبعث اليهم من رسول قبله عليه الصلاة والسلام اي
ما اتيهم من نذير قبل انذارك او من قبل زمانك والترجي معتبر من جهته عليه الصلاة والسلام اي لتنذرهم
راجيا لاهتدائهم او لرجاء اهتدائهم واعلم ان ما ذكر من التاييد انما يتسني علي ما ذكر من كون تنزيل الكتاب مبتدا
واما علي ساير الوجوه فلا تاييد اصلا لان قوله تعالي من رب العالمين خبر رابع علي الوجه الاول وخبر ثالث علي
الوجهين الاخيرين وايا ما كان فكونه من رب العالمين حكم مقصود الافادة لا قيد لحكم اخر فتدبر **الله الذي خلق السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوي علي العرش** مر بيانه فيما سلف **ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع**
اي ما لكم اذا جاوزتم رضاه تعالي احد ينصركم ويشفع لكم ويجيركم من باسه او ما لكم سواه ولي ولا شفيع بل هو
الذي يتولي مصالحكم وينصركم في مواطن النصر علي ان الشفيع عبارة عن الناصر مجازا فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي
ولا نصير **افلا تتذكرون** الا تسمعون هذه المواعظ فلا تتذكرون بها او تسمعونها فلا تتذكرون بها فالانكار علي
الاول متوجه الي عدم السماع وعدم التذكر معا وعلي الثاني علي عدم التذكر مع تحقق ما يوجبه من السماع **يدبر
الامر من السماء الي الارض** قيل يدبر امر الدنيا باسباب سماوية من الملايكة وغيرها نازلة اثارها
واحكامها الي الارض **ثم يعرج اليه** اي يثبت في علمه موجودا بالفعل **في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون** اي في
برهة من الزمان متطاولة والمراد بيان طول امتداد ما بين تدبير الحوادث وحدوثها من الزمان وقيل
يدبر امر الحوادث اليومية باثباتها في اللوح المحفوظ فينزل بها الملايكة ثم يعرج اليه في زمان هو كالف
سنة مما تعدون فان ما بين السماء والارض مسيرة خمسماية عام وقيل يقضي قضاء الف سنة فينزل به
الملك ثم يعرج بعد الالف لالف اخر وقيل يدبر امر الدنيا جميعا الي قيام الساعة ثم يعرج اليه الامر
كله عند قيامها وقيل يدبر المامور به من الطاعات منزلا من السماء الي الارض بالوحي ثم لا يعرج اليه خالصا
الا في مدة متطاولة لقلة المخلصين والاعمال الخلص وانت خبير بان قلة الاعمال الخالصة لا يقتضي بطوء
عروجها الي السماء بل قلته وقرئ يعدون بالياء **ذلك** اشارة الي الله عز وجل باعتبار اتصافه بما ذكر من خلق
السموات والارض والاستواء علي العرش وانحصار الولاية والنصرة فيه وتدبير امر الكاينات علي ما ذكر من
الوجه البديع وهو مبتدا خبره ما بعده اي ذلك العظيم الشان **عالم الغيب والشهادة** فيدبر امرهما حسبما الحكمة
العزيز الغالب علي امره **الرحيم** علي عباده وهما خبران اخران وفيه ايماء الي انه تعالي متفضل في جميع ما ذكر
فاعل بالاحسان **الذي احسن كل شيء خلقه** خبر اخر او نصب علي المدح اي حسن كل مخلوق خلقه اذ ما من مخلوق
خلقه الا وهو مترتب علي ما تقتضيه الحكمة واوجبته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة بتحقيق واتقان

وقرئ خلقه على انه بدل اشتمال من كل شيء والضمير للبدل منه اي حسن خلق كل شيء وقيل بدل الكل
على ان الضمير لله تعالى والخلق بمعنى المخلوق اي حسن كل مخلوقاته وقيل هو مفعول ثان لاحسن على تضمينه معنى
اعطى اي كل شيء خلقه اللايق به بطريق الاحسان والتفضل وقيل هو مفعوله الاول وكل شيء مفعوله الثاني
والخلق بمعنى المخلوق وضميره لله سبحانه على تضمين الاحسان معنى الالهام والتعريف والمعنى الهم خلقه كل شيء مما يحتاجون
اليه وقال ابو البقاء عرف مخلوقاته كل شيء يحتاجون اليه فيؤول الى معنى قوله تعالى الذي اعطى كل شيء خلقه ثم
هدى **وبدا خلق الانسان** من بين جميع المخلوقات **من طين** على وجه بديع تحار العقول في فهمه حيث برا آدم عليه
السلام على فطرة عجيبة منطوية على فطرة ساير افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لخروج كل فرد منها من
القوة الى الفعل بحسب استعداداتها المتفاوتة قربا وبعدا كما ينبئ عنه قوله تعالى **ثم جعل نسله** اي
ذريته سميت بذلك لانها تنسل وتنفصل منه **من سلالة من ماء مهين** هو المني الممتهن **ثم سواه** اي عدله بتكميل
اعضائه في الرحم وتصويرها على ما ينبغي **ونفخ فيه من روحه** اضافه اليه تعالى تشريفا له وايذانا بانه خلق عجيب وصنع
بديع وان له شانا له مناسبة الى الحضرة الربوبية وان اقصى ما تنتهي اليه العقول البشرية من معرفته هذا
القدر الذي يعبر عنه تارة بالاضافة اليه تعالى واخرى بالنسبة الى امره تعالى كما في قوله تعالى قل الروح
من امر ربي **وجعل لكم السمع والابصار والافئدة** الجعل ابداعي واللام متعلقة به والتقديم على المفعول الصريح لما مر
مرات من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بجزالة النظم الكريم
اي خلق لمنفعتكم تلك المشاعر لتعرفوا انها مع كونها في انفسها نعما جليلة لا يقادر قدرها وسائل الى التمتع
بسائر النعم الدنيوية والدينية الفائضة عليكم وتشكروها بان تصرفوا كلا منها الى ما خلق هو له فتدركوا
بسمعكم الايات التنزيلية الناطقة بالتوحيد والبعث وبابصاركم الايات التكوينية الشاهدة بهما و
تستدلوا بافئدتكم على حقيتهما وقوله تعالى **قليلا ما تشكرون** بيان لكفرهم بتلك النعم بطريق الاعتراض التذييلي
على ان القلة بمعنى النفي كما ينبئ عنه ما بعده اي شكرا قليلا او زمانا قليلا تشكرون وفي حكاية احوال الانسان
من مبدا فطرته الى نفخ الروح فيه بطريق الغيبة وحكاية احواله بعد ذلك بطريق الخطاب المنبي عن
استعداده للفهم وصلاحيته له من الجزالة ما لا غاية وراءه **وقالوا** كلام مستانف مسوق لبيان اباطيلهم
بطريق الالتفات ايذانا بان ما ذكر من عدم شكرهم بتلك النعم موجب للاعراض عنهم وتعديد جناياتهم
لغيرهم بطريق المباثة **أإذا ضللنا في الارض** اي صرنا ترابا مخلوطا بترابها بحيث لا يتميز منه او غبنا
فيها بالدفن وقرئ ضللنا بكسر اللام من باب علم وصللنا بالصاد المهملة من صل اللحم اذا انتن وقيل من
الصلة وهي الارض اي صرنا من جنس الصلة قيل القايل ابي بن خلف وبرضاهم بقوله اسند القول الى الكل و
العامل في اذا ما يدل عليه قوله تعالى **أئنا لفي خلق جديد** وهو نبعث او نجدد خلقنا والهمزة لتذكير الانكار
السابق وتاكيده وقرئ انا على الخبر وايا ما كان فالمعنى على تاكيد الانكار لا انكار التاكيد كما هو المتبادر من
تقدم الهمزة على ان فانها مؤخرة عنها في الاعتبار وانما تقديمها عليها لاقتضائها الصدارة **بل هم بلقاء
ربهم كافرون** اضراب وانتقال من بيان كفرهم بالبعث الى بيان ما هو ابلغ واشنع منه وهو كفرهم
بالوصول الى العاقبة وما يلقونه فيها من الاحوال والاهوال **قل** بيانا للحق وردا على زعمهم الباطل **يتوفاكم ملك الموت**
لا كما تزعمون ان الموت من الاحوال الطبيعية العارضة للحيوان بموجب الجبلة اي يقبض ارواحكم بحيث لا يدع
فيكم شيئا او لا يترك منكم احدا على اشد ما يكون من الوجوه وافظعها من ضرب وجوهكم وادباركم **الذي وكل بكم**
اي بقبض ارواحكم واحصاء آجالكم **ثم الى ربكم ترجعون** بالبعث للحساب والجزاء **ولو ترى اذ المجرمون** وهم القايلون
أإذا ضللنا في الارض الاية **ناكسوا رؤوسهم عند ربهم** من الحياء والخزي عند ظهور قبايحهم التي اقترفوها في الدنيا
ربنا اي يقولون ربنا **ابصرنا وسمعنا** اي صرنا ممن يبصر ويسمع وحصل لنا الاستعداد لادراك الايات المبصرة

والايات

والايات المسموعة وكنا من قبل عميا وصما لا ندرك شيئا **فارجعنا** الى الدنيا **نعمل صالحا** حسبما تقتضيه تلك
الايات وقوله تعالى **انا موقنون** ادعاء منهم لصحة الافئدة والاقتدار على فهم معاني الايات والعمل بموجبها
كما ان ما قبله ادعاء لصحة مشعري البصر والسمع كانهم قالوا وايقنا وكنا من قبل لا نعقل شيئا اصلا وانما عدلوا
الى الجملة الاسمية المؤكدة اظهارا لثباتهم على الايقان وكمال رغبتهم فيه وكل ذلك للجد في الاستدعاء طمعا
في الاجابة الى ما سالوه من الرجعة وانى لهم ذلك ويجوز ان يقدر لكل من الفعلين مفعول مناسب له مما
يبصرون ويسمعون فانهم حينئذ يشاهدون الكفر والمعاصي على صور منكرة هائلة وتخبرهم الملائكة بان
مصيرهم الى النار لا محالة فالمعنى ابصرنا قبح اعمالنا وكنا نراها في الدنيا حسنة وسمعنا منك تصديق
رسلك وانت خبير بان تصديقه تعالى لهم حينئذ يكون باظهار مدلول ما اخبروا به من الوعد والوعيد
لا بالاخبار بانهم صادقون حتى يسمعوه وقيل وسمعنا قول الرسل اي سمعناه سمع طاعة واذعان ولا يقدر
لترى مفعول اذ المعنى لو يكون منك رؤية في ذلك الوقت او يقدر ما ينبئ عنه صلة اذ والمضي فيها وفي لو
باعتبار ان الثابت في علم الله تعالى بمنزلة الواقع وجواب لو محذوف اي لرايت امرا فظيعا لا يقادر قدره
والخطاب لكل احد ممن يصلح له كائنا من كان اذ المراد بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الفظاعة الى حيث لا
يختص استغرابها واستفظاعها براء دون راء بل كل من يتاتى منه الرؤية فله مدخل في هذا الخطاب
فقد ناء عن تحقيق الحق لان المقصود بيان كمال فظاعة حالهم كما يفصح عنه الجواب المحذوف لا بيان
كمال ظهورها فانه مسوق مساق المسلمات فتدبر **ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها** مقدر بقول معطوف على
ما قدر قبل قوله تعالى ربنا ابصرنا اي ونقول ولو شئنا اي لو تعلقت مشيتنا تعلقا فعليا بان نعطي
كل نفس من النفوس البرة والفاجرة ما تهتدي به الى الايمان والعمل الصالح لاعطيناها اياه في الدنيا
التي هي دار الكسب وما اخرناه **ولكن حق القول مني** اي سبقت كلمتي حيث قلت لابليس عند قوله لاغوينهم
اجمعين الا عبادك منهم المخلصين فالحق والحق اقول لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين المعنى
بقوله تعالى **لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين** كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فبموجب ذلك القول لم نشا اعطا
الهدى على العموم بل منعناه من اتباع ابليس الذين انتم من جملتهم حيث صرفتم اختياركم الى الغي باغوائه
ومشيتنا لافعال العباد منوطة باختيارهم اياها فلما لم تختاروا الهدى واخترتم الضلال لم نشا
اعطاه لكم وانما اعطيناه الذين اختاروه من النفوس البرة وهم المعنيون بما سياتي من قوله تعالى انما يؤمن
باياتنا الاية فيكون مناط عدم مشيته اعطاء الهدى في الحقيقة سوء اختيارهم لا تحقق القول وانما
قيدنا المشية بما مر من التعلق الفعلي بافعال العباد عند حدوثها لان المشية الازلية من حيث تعلقها
بما سيكون من افعالهم اجمالا متقدمة على تحقق كلمة العذاب فلا يكون عدمها منوطا بتحققها وانما هي منوطة
علمه تعالى ان لا يصرف اختيارهم فيما سياتي الى الغي وايثارهم له على الهدى فلو اريدت هي له من تلك
الحيثية لاستدرك بعدمها ونيط ذلك بما ذكر من المناط على منهاج قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم
فمن توهم ان المعنى ولو شئنا لاعطينا كل نفس ما عندنا من اللطف الذي لو كان منهم اختياره لاهتدوا
ولكن لم نعطهم لما علمنا منهم اختيار الكفر وايثاره فقد اشتبه عليه الشؤون والفاء في قوله تعالى
فذوقوا لترتيب الامر بالذوق على ما يعرب عنه ما قبله من نفي الرجع الى الدنيا وعلى الوعيد المحكي والباء
في قوله تعالى **بما نسيتم لقاء يومكم هذا** اي تركتم في العذاب ترك المنسي بالمرة وقوله تعالى **وذوقوا عذاب
الخلد بما كنتم تعملون** تكرير للتاكيد والتشديد وتعيين المفعول المطوي للذوق والاشعار بان سببه ليس
مجرد ما ذكر من النسيان بل له اسباب اخر من فنون الكفر والمعاصي التي كانوا مستمرين عليها في الدنيا وعدم
نظم الكل في سلك واحد للتنبيه على استقلال كل منها في استيجاب العذاب وفي ابهام المذوق اولا

طه

وبيانه ثانيا بتكرير الامر وتوسيط الاستيناف المنبئ عن كمال السخط بينهما من الدلالة على غاية التشديد في الانتقام
منهم مالا يخفى وقوله تعالى انما يؤمن بآياتنا استيناف مسوق لتقرير عدم استحقاقهم لايتاء الهدى والاشعار بعدم ايمانهم
لو اتوا بتعيين من يستحقه بطريق القصر كانه قيل انكم لا تؤمنون بآياتنا ولا تعملون بموجبها عملا صالحا ولو رجعناكم
الى الدنيا كما تدعون حسبما ينطق به قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانما يؤمن بها الذين اذا ذكروا بها اي وعظوا
خروا سجدا اثر ذي اثير من غير تردد ولا تلعثم فضلا عن التسويف الى معاينة ما نطقت به من الوعد والوعيد اي
سقطوا على وجوههم وسبحوا بحمد ربهم اي ونزهوه عند ذلك عن كل ما لا يليق به من الامور التي من جملتها العجز عن البعث
ملتبسين بحمده تعالى على نعمائه التي اجلها الهداية بايتاء الآيات والاهتداء بها والتعرض لعنوان الربوبية بطريق
الالتفات مع الاضافة الى ضميرهم للاشعار بعلة التسبيح والتحميد وبانهم يفعلونهما بملاحظة ربوبيته تعالى
لهم وهم لا يستكبرون اي والحال انهم خاضعون له تعالى لا يستكبرون عما فعلوا من الخرور والتسبيح والتحميد تتجافى
جنوبهم اي تنبو وتتنحى عن المضاجع اي الفرش ومواضع المنام والجملة مستانفة لبيان بقية محاسنهم وهم المتهجدون
بالليل قال انس رضي الله عنه نزلت فينا معاشر الانصار كنا نصلي المغرب فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلي العشاء مع
النبي صلى الله عليه وسلم وعن انس رضي الله عنه ايضا انه قال نزلت في اناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
كانوا يصلون من صلاة المغرب الى صلوة العشاء وهي صلوة الاوابين وهو قول ابي حازم ومحمد بن المنكدر وهو
مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال عطاء هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الآخرة والفجر في جماعة و
المشهور ان المراد منه صلوة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والاوزاعي وجماعة لقوله صلى الله عليه وسلم
افضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وافضل الصلوة بعد الفريضة صلوة الليل وعن النبي صلى الله عليه
وسلم في تفسيرها قيام العبد من الليل وعنه صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والآخرين جاء مناد ينادي
بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع
فيقومون وهم قليل ثم يرجع فيقول فليقم الذين يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون
جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقوله تعالى يدعون ربهم حال من ضمير جنوبهم اي داعين له تعالى على
الاستمرار خوفا من سخطه وعذابه وعدم قبول عبادته وطمعا في رحمته ومما رزقناهم من المال ينفقون في وجوه الخير
والحسنات فلا تعلم نفس من النفوس لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عمن عداهم ما اخفي لهم اي لاولئك الذين
عددت نعوتهم الجليلة من قرة اعين مما تقر به اعينهم وعنه عليه الصلوة والسلام يقول الله عز وجل اعددت
لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بل ما اطلعتم عليه اقرأوا ان شئتم فلا تعلم
نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقرئ ما اخفي لهم وما نخفي لهم وما اخفيت لهم على صيغة المتكلم وما اخفى لهم على
البناء للفاعل والكل وهو الله سبحانه وقرئ قرات اعين لاختلاف انواعها والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة او استفهامية
علق عنها الفعل جزاء بما كانوا يعملون اي ابعد ظهور ما بينهما من التباين البين يتوهم كون المؤمن الذي حكيت
اوصافه الفاضلة كالفاسق الذي حكيت احواله لا يستوون التصريح به بعد افادة الانكار نفي المشابهة بالمرة على ابلغ
وجه وآكده لبناء التفصيل الآتي عليه والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها وقوله تعالى اما الذين
آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى تفصيل لمراتب الفريقين في الآخرة بعد ذكر احوالهما في الدنيا واضيفت الجنة الى
المأوى لانها المأوى الحقيقي وانما الدنيا منزل مرتحل عنه لا محالة وقيل المأوى جنة من الجنات وايا ما كان فلا يبعد
ان يكون فيه رمز الى ما ذكر من تجافيهم عن مضاجعهم التي هي مأويهم في الدنيا نزلا اي ثوابا وهو في الاصل ما يعد للنازل
من الطعام والشراب وانتصابه على الحالية بما كانوا يعملون في الدنيا من الاعمال الصالحة باعمالهم واما الذين فسقوا
اي خرجوا عن الطاعة فمأويهم اي ملجاؤهم ومنزلهم النار مكان جنات المأوى للمؤمنين كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها
استيناف لبيان كيفية كون النار مثويهم يروى انهم يضربهم لهب النار فيرتفعون في طبقاتها حتى اذا قربوا من

التوفيق الى مح

افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا مع

بابها

بابها وارادوا ان يخرجوا منها يضربهم اللهب فيهوون الى قعرها وهكذا يفعل بهم ابدا وكلمة في للدلالة على انهم
مستقرون فيها وانما الاعادة من بعض طبقاتها الى بعض وقيل لهم تشديدا عليهم وزيادة في غيظهم ذوقوا عذاب النار
الذي كنتم به اي بعذاب النار تكذبون على الاستمرار في الدنيا ولنذيقنهم من العذاب الادنى اي عذاب الدنيا وهو ما محنوا به
السنة سبع سنين والقتل والاسر دون العذاب الاكبر الذي هو عذاب الآخرة لعلهم لعل الذين يشاهدونه وهم في
الحيوة يرجعون يتوبون عن الكفر روي ان الوليد بن عقبة فاخر عليا رضي الله عنه يوم بدر فنزلت هذه الآيات ومن
اظلم ممن ذكر بآيات الله ثم اعرض عنها بيان اجمالي لحال من قابل آيات الله تعالى بالاعراض بعد بيان حال من قابلها بالسجود
والتسبيح وكلمة ثم لاستبعاد الاعراض عنها عقلا مع غاية وضوحها وارشادها الى سعادة الدارين كما في بيت الحماسة
لا يكشف الغماء الا ابن حرة • يرى غمرات الموت ثم يزورها • اي هو اظلم من كل ظالم وان كان سبك التركيب على نفي
الاظلم من غير تعرض لنفي المساوي وقد مر مرارا انا من المجرمين اي من كل من اتصف بالاجرام وان هانت جريمته
منتقمون فكيف ممن هو اظلم من كل ظالم واشد جرما من كل مجرم ولقد آتينا موسى الكتاب اي التورية عبر عنها باسم
الجنس لتحقيق المجانسة بينها وبين الفرقان والتنبيه على ان ايتاء الرسول صلى الله عليه وسلم كايتائها لموسى عليه السلام
فلا تكن في مرية من لقائه من لقاء الكتاب الذي هو الفرقان كقوله وانك لتلقى القرآن والمعنى انا آتينا موسى مثل ما آتيناك
من الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحي فلا تكن في شك من انك لقيت مثله ونظيره وقيل من لقاء موسى الكتاب
او من لقائك موسى عليه السلام وعنه عليه الصلوة والسلام رأيت ليلة اسري بي موسى عليه السلام رجلا آدم
طوالا جعدا كانه من رجال شنوءة وجعلناه اي الكتاب الذي آتيناه موسى هدى لبني اسرائيل قيل لم يتعبد بما في التورية
ولد اسماعيل وجعلنا منهم ائمة يهدون بقيتهم بما في تضاعيف الكتاب من الحكم والاحكام الى طريق الحق او يهدونهم لما
فيه من سنن الله وشرايعه بامرنا اياهم بذلك او بتوفيقنا له لما صبروا هي لما التي فيها معنى الجزاء نحو احسنت
اليك لما جئتني والضمير للائمة تقديره لما صبروا جعلناهم ائمة او هي ظرف بمعنى الحين اي جعلناهم ائمة حين صبروا
والمراد صبرهم على مشاق الطاعات ومقاساة الشدايد في نصرة الدين وقرئ لما صبروا اي لصبرهم وكانوا بآياتنا
التي في تضاعيف الكتاب لامعانهم فيها النظر يوقنون والمعنى كذلك لنجعلن الكتاب الذي آتيناكه هدى لامتك
ولنجعلن منهم ائمة يهدون مثل تلك الهداية ان ربك هو يفصل اي يقضي بينهم قيل بين الانبياء واممهم وقيل
بين المؤمنين والمشركين يوم القيمة فيميز بين المحق والمبطل فيما كانوا فيه يختلفون من امور الدين او لم يهد لهم الهمزة
للانكار والواو للعطف على منوي يقتضيه المقام وفعل الهداية اما من فلان يعطي في ان المراد ايقاع نفس
الفعل بلا ملاحظة المفعول واما بمعنى التبيين والمفعول محذوف والفاعل ما دل عليه قوله تعالى كم اهلكنا
اي اغفلوا ولم يفعلوا الهداية او ولم يبين لهم مآل امرهم كثرة اهلاكنا من قبلهم من القرون مثل عاد وثمود وقوم لوط
وقرئ نهد لهم بنون العظمة وقد جوز ان يكون الفاعل على القراءة الاولى ايضا ضميره تعالى فيكون قوله
تعالى كم اهلكنا الى آخره استيناف مبينا لكيفية هدايته تعالى يمشون في مساكنهم اي يمرون في متاجرهم
على ديارهم وبلادهم ويشاهدون آثار هلاكهم والجملة حال من ضمير لهم وقرئ يمشون للتكثير ان في ذلك
اي فيما ذكر من كثرة اهلاكنا للامم الخالية العاتية او في مساكنهم لآيات عظيمة في انفسها كثيرة في عددها
افلا يسمعون هذه الآيات سماع تدبر واتعاظ اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز اي التي جرز نباتها اي قطع
وازيل بالمرة وقيل هو اسم موضع باليمن فنخرج به من تلك الارض زرعا تأكل منه اي من ذلك الزرع انعامهم
كالتبن والقصيل والورق وبعض الحبوب المخصوصة بها وقرئ يأكل بالياء وانفسهم كالحبوب التي يقتاتها
الانسان والثمار افلا يبصرون اي الا ينظرون فلا يبصرون ذلك ليستدلوا به على كمال قدرته تعالى وفضله
ويقولون كان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين او يفصل بيننا وبينهم وكان اهل مكة اذا سمعوه
يقولون بطريق الاستعجال تكذيبا واستهزاء متى هذا الفتح اي النصر والفصل بالحكومة ان كنتم صادقين في ان

الله تعالى ينصركم او يفصل بيننا وبينكم قل تبكيتا لهم وتحقيقا للحق يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون يوم
الفتح يوم القيمة وهو يوم الفصل بين المؤمنين واعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن يوم
فتح مكة والعدول عن تطبيق الجواب على ظاهر سؤالهم للتنبيه على انه ليس مما ينبغي ان يسأل عنه لكونه امرا بينا
غنيا عن الاخبار به وكذا ايمانهم واستنظارهم يومئذ وانما المحتاج الى البيان عدم نفع ذلك الايمان وعدم
الانظار كانه قيل لا تستعجلوا فكأني بكم قد آمنتم فلم ينفعكم واستنظرتم فلم تنظروا وهذا على الوجه الاول
كيف لا وقد نفع الايمان الطلقاء يوم الفتح وناسا آمنوا يوم بدر فاعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم وانتظر النصرة
عليهم وهلاكهم انهم منتظرون قبل اي الغلبة عليكم كقوله تعالى فتربصوا انا معكم متربصون والاظهر ان يقال
انهم منتظرون هلاككم كما في قوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام الآية ويقرب منه ما قيل
وانتظر وعدنا انهم منتظرون فان استعجالهم المذكور وعكوفهم على ما هم عليه من الكفر والمعاصي في حكم انتظارهم
العذاب المترتب عليه لا محالة وقرئ على صيغة المفعول على معنى انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم او فان الملائكة ينتظرونه
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اعطي من الاجر كانما احيى ليلة القدر
وعنه عليه الصلوة والسلام من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة ايام صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة الاحزاب وهي ثلث وسبعون اية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اتق الله في ندائه عليه الصلوة والسلام بعنوان النبوة تنويه بشأنه وتنبيه على سمو
مكانه والمراد بالتقوى المأمور به الثبات عليه والازدياد منه فان له بابا واسعا وعرضا عريضا لا ينال مداه ولا
تطع الكافرين اي المجاهرين بالكفر والمنافقين المضمرين له اي فيما يعود بوهن في الدين واعطاء دنية فيما بين المسلمين
روي ان ابا سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا عليه عليه الصلاة والسلام في الموادعة
التي كانت بينه عليه الصلوة والسلام وبينهم وقام معهم عبد الله بن ابي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا
يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفض ذكر آلهتنا وقل انها تشفع وندعك وربك فشق ذلك على النبي صلى الله عليه
وسلم والمؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت اي اتق الله في نقض العهد ونبذ الموادعة ولا تساعد الكافرين من اهل مكة والمنافقين
من اهل المدينة فيما طلبوا منك ان الله كان عليما حكيما مبالغا في العلم والحكمة فيعلم جميع الاشياء من المصالح والمفاسد
فلا يأمرك الا بما فيه مصلحة ولا ينهاك الا عما فيه مفسدة ولا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة البالغة فالجملة
تعليل الامر والنهي مؤكد لوجوب الامتثال بهما واتبع اي في كل ما تأتي وتذر من امور الدين ما يوحى اليك من ربك
من الآيات التي من جملتها هذه الآية الآمرة بتقوى الله الناهية عن مساعدة الكفرة والمنافقين والتعرض
لعنوان الربوبية لتأكيد وجوب الامتثال بالامر ان الله كان بما تعملون خبيرا قيل الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم
والجمع للتعظيم وقيل له عليه الصلوة والسلام وللمؤمنين وقيل للغائبين بطريق الالتفات ولا يخفى بعده نعم يجوز
ان يكون للكل على ضرب من التغليب والترهيب كانه قيل ان الله خبير بما تعملونه من الامتثال وتركه فيرتب
على كل منهما جزاءه ثوابا وعقابا واما على الوجه الاخير فبطريق الترغيب فقط فكانه قيل ان الله خبير بما يعمله
كلا الفريقين فيرشدك الى ما فيه صلاح حالك وانتظام امرك ويطلعك على ما يعملونه من المكايد والمفاسد
ويأمرك بما ينبغي لك ان تفعله في دفعها وردها فلا بد من اتباع الوحي والعمل بمقتضاه حتما وتوكل على الله اي فوض
جميع امورك اليه وكفى بالله وكيلا حافظا موكولا اليه كل الامور ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه شروع في القاء الوحي
الذي امر عليه باتباعه وهذا مثل ضربه الله تعالى تمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن
امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم تنبيها على ان كون المظاهر منها اما وكون الدعي ابنا اي بمنزلة الام والابن في
الآثار والاحكام المعهودة فيما بينهم في الاستحالة بمنزلة اجتماع قلبين في جوف واحد وقيل هو رد لما كانت

تظاهرون منهن

العرب

العرب تزعم من ان اللبيب الاريب له قلبان ولذلك قيل لابي معمر او لجميل بن اسد الفهري ذو القلبين اي ما جمع
الله قلبين في رجل وذكر الجوف لزيادة التقرير كما في قوله تعالى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ولا زوجية وامومة
في امرأة ولا دعوة وبنوة في شخص لكن لا بمعنى نفي الجمع بين حقيقة الزوجية والامومة ونفي الجمع بين حقيقة الدعوة والبنوة
كما في القلب ولا بمعنى نفي الجمع بين احكام الزوجية واحكام الامومة ونفي الجمع بين حقيقة الدعوة واحكام البنوة لابطال
ما كانوا عليه من اجراء احكام الامومة على المظاهر منها واجراء احكام البنوة على الدعي ومعنى الظهار ان يقول لزوجته
انت علي كظهر امي مأخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا
في الجاهلية وهو في الاسلام يقتضي الطلاق او الحرمة الى اداء الكفارة كما عدي الى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهار
للكناية عن البطن الذي هو عموده فان ذكره قريب من ذكر الفرج او للتغليظ في التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان الزوجة
وظهرها الى السماء وقرئ اللاء وقرئ تظاهرون بحذف احدى التائين من تتظاهرون وتظاهرون بادغام التاء الثانية
في الظاء وتظهرون من اظهر بمعنى تظهر وتظهرون بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من ظهر ظهورا وادعياء
جمع دعي وهو الذي يدعى ولدا على الشذوذ لاختصاص افعلاء بفعيل بمعنى فاعل كتقي واتقياء كانه شبه به في اللفظ
فجمع جمعه قتلا واسرا اشارة الى ما يفهم مما ذكر من الظهار والدعاء او الى الاخير الذي هو المقصود من
مساق الكلام اي دعاؤكم بقولكم هذا ابني قولكم بافواهكم فقط من غير ان يكون له مصداق وحقيقة في الاعيان
فاذا هو بمعزل من استتباع احكام البنوة كما زعمتم والله يقول الحق المطابق للواقع وهو يهدي السبيل اي سبيل الحق
لا غير فدعوا اقوالكم وخذوا بقوله عز وجل ادعوهم لآبائهم اي انسبوهم اليهم وخصوهم بهم وقوله تعالى هو اقسط عند
الله تعليل له والضمير لمصدر ادعوا كما في قوله تعالى اعدلوا هو اقرب للتقوى واقسط افعل تفضيل قصد به الزيادة
مطلقا من القسط بمعنى العدل اي الدعاء لآبائهم بالغ في العدل والصدق في حكم الله تعالى وقضائه فان لم تعلموا
آباءهم فتنسبوهم اليهم فاخوانكم فهم اخوانكم في الدين ومواليكم واولياؤكم فيه اي فادعوهم بالاخوة الدينية والمو
وليس عليكم جناح اي اثم فيما اخطأتم به اي فيما فعلتموه من ذلك مخطئين بالسهو او النسيان او سبق اللسان ولكن ما
تعمدت قلوبكم اي ولكن الجناح فيما تعمدت قلوبكم بعد النهي او ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح وكان الله غفورا رحيما لعفوه عن
المخطئ وحكم المتبنى بقوله هو ابني اذا كان عبدا للقائل العتق على كل حال ولا يثبت نسبه منه الا اذا كان مجهول
النسب وكان بحيث يولد مثله لمثل المتبني ولم يقر قبله بنسبه من غيره النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم اي في كل
امر من امور الدين والدنيا كما يشهد به الاطلاق فيجب عليهم ان يكون عليه الصلوة والسلام احب اليهم من
انفسهم وحكمه انفذ عليهم من حكمها وحقه آثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه اقدم من شفقتهم عليها روي
انه عليه الصلاة والسلام اراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج فقال ناس نستأذن آباءنا وامهاتنا فنزلت
وقرئ وهو اب لهم اي في الدين فان كل نبي اب لامته من حيث انه اصل فيما فيه الحياة الابدية ولذلك
صار المؤمنون اخوة وازواجه امهاتهم اي منزلات منازلهن في التحريم واستحقاق التعظيم واما فيما عدا ذلك
فهن كالاجنبيات ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها لسنا امهات النساء واولوا الارحام اي ذوو القرابات
في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة في الدين في كتاب الله
في اللوح او فيما انزله وهو هذه الآية او آية المواريث او فيما فرض الله تعالى من المؤمنين والمهاجرين بيان لاولي
الارحام او صلة لاولى اي اولوا الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين ومن المهاجرين
بحق الهجرة الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا استثناء من اعم ما يقدر الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف
التوصية او منقطع كان ذلك في الكتاب مسطورا اي كان ما ذكر من الآيتين ثابتا في اللوح المحفوظ او القرآن وقيل
في التورية واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم اي اذكر وقت اخذنا من النبيين كافة عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء
الى الدين الحق ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم تخصيصهم بالذكر مع اندراجهم في النبيين اندراجا

الله

لوية

بعضهم اولى ببعض صح

لي

بينا الا لايذان بمزيد مرتبتهم وفضلهم وكونهم من مشاهير ارباب الشرايع واساطين اولي العزم من الرسل
وتقديم نبينا عليهم لابانة ما خطره الجليل **واخذنا منهم ميثاقا غليظا** اي عهدا عظيم الشان او موكدا باليمين وهذا
هو الميثاق الاول بعينه واخذه هو اخذه والعطف مبني على تنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي
تفخيما لشانه كما في قوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ اثر قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين امنوا
معه برحمة منا وقوله تعالى **ليسأل الصادقين عن صدقهم** متعلق بمضمر مستانف مسوق لبيان ما هو داع الى ما ذكر من اخذ
الميثاق وغاية له لا باخذنا فان المقصود تذكير نفس الميثاق ثم بيان الغرض منه بيانا قصديا كما ينبئ عنه
تغيير الاسلوب بالالتفات الى الغيبة اي فعل الله ذلك ليسأل يوم القيمة الانبياء ووضع الصادقين موضع
ضميرهم للايذان من اول الامر بانهم صادقون فيما سألوا عنه وانما السوال لحكمة تقتضيه اي ليسأل الانبياء الذين
صدقوا عهودهم عما قالوه لقومهم او عن تصديقهم اياهم تبكيتا لهم كما في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا
اجبتم او المصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق وتصديقه صدق واما ما قيل من ان المعنى
ليسأل المومنين الذين صدقوا عهودهم حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم عهدهم فيأباه مقام تذكير ميثاق
النبيين وقوله تعالى **واعد للكافرين عذابا اليما** عطف على ما ذكر من المضمر لا على اخذنا كما قيل والتوجيه بان بعثة الرسل
واخذ الميثاق منهم لاثابة المومنين او بان المعنى ان الله تعالى اكد على الانبياء الدعوة على دينه لاجل اثابة المومنين
تعسف ظاهر مع انه مفض الى كون بيان اعداد العذاب الاليم للكافرين غير مقصود بالذات نعم يجوز عطفه
على ما دل عليه قوله تعالى ليسأل الصادقين كانه قيل فاثاب المومنين واعد للكافرين الاية **يا ايها الذين امنوا اذكروا
نعمة الله عليكم** ان جعل النعمة مصدرا فالجار متعلق بها والا فهو متعلق بمحذوف هو حال منها اي كائنة عليكم
اذ جاءتكم جنود ظرف لنفس النعمة او لثبوتها لهم وقيل منصوب باذكروا على انه بدل اشتمال من نعمة الله والمراد بالجنود
الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثني عشر الفا فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
باقبالهم ضرب الخندق على المدينة باشارة سلمان الفارسي ثم خرج في ثلاثة الاف من المسلمين فضرب معسكره
والخندق بينه وبين القوم وامروا بالذراري والنساء فرفعوا في الاطام واشتد الخوف وظن المومنون كل ظن
ونجم النفاق في المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر واحدنا لا يقدر ان يذهب
الى الغائط ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود وعكرمة بن ابي
جهل وهبيرة بن وهب ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب ومرداس اخو بني محارب قد ركبوا خيولهم وتيمموا
الخندق مكانا ضيقا فضربوا خيولهم فاقتحموا فجاءت بهم في السبخة بين الخندق وسلع فخرج علي بن ابي طالب في
نفر من المسلمين حتى اخذ عليهم الثغرة التي اقتحموا منها فاقبلت الفرسان نحوهم وكان عمرو معلما ليرى مكانه
فقال له علي رضي الله عنه يا عمرو اني ادعوك الى الله ورسوله والاسلام قال لا حاجة لي اليه قال فاني
ادعوك الى النزال قال يا ابن اخي لا احب ان اقتلك قال علي رضي الله عنه لكني والله احب ان اقتلك
فحمي عمرو عند ذلك وكان غيورا مشهورا بالشجاعة فاقتحم عن فرسه فعقره او ضرب وجهه ثم اقبل على
علي فتنازلا وتجاولا فضربه علي رضي الله عنه ضربة اخذ فيها نفسه فلما قتله انهزمت خيله حتى اقتحمت
من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلان منبه بن عثمان بن عبد الدار ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي قتله
ايضا علي رضي الله عنه وقيل لم يكن بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى انزل الله تعالى النصر وذلك قوله تعالى **فارسلنا
عليهم ريحا** عطف على جاءتكم مسوق لبيان النعمة اجمالا وسياتي تفصيلها في اخر القصة **وجنودا لم تروها** وهم الملائكة
عليهم السلام وكانوا الفا فبعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فاحصرتهم وسفت التراب في وجوههم وامر
الملائكة فقطعت الاطناب وقلعت الاوتاد واطفأت النيران واكفأت القدور وماجت الخيل بعضها في بعض
وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة في جوانب عسكرهم فقال طلحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد بداكم

بالسحر فالنجاة النجاة فانهزموا من غير قتال **وكان الله بما تعملون** من حفر الخندق وترتيب مبادي الحرب وقيل من
التجائكم اليه ورجائكم من فضله وقرئ بالياء اي بما يعمله الكفار من التحزب والمحاربة او من الكفر والمعاصي
بصيرا ولذلك فعل ما فعل من نصركم عليهم والجملة اعتراض مقرر لما قبله **اذ جاؤكم** بدل من اذ جاءتكم **من فوقكم**
من اعلى الوادي من جهة المشرق وهم بنو غطفان ومن تابعهم من اهل نجد قائدهم عيينة بن حصين وعامر بن
الطفيل في هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير **ومن اسفل منكم** اي من اسفل الوادي من قبل المغرب
وهم قريش ومن تابعهم من الاحابيش وبني كنانة واهل تهامة وقائدهم ابو سفيان وكانوا عشرة الاف **واذ
زاغت الابصار** عطف على ما قبله داخل معه في حكم التذكير اي حين مالت عن سننها وانحرفت عن مستوى نظرها
حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شيء فلم تلتفت الا الى عدوها لشدة الروع **وبلغت القلوب الحناجر** لان الرئة
تنتفخ من شدة الفزع فيرتفع القلب بارتفاعها الى راس الحنجرة وهي منتهى الحلقوم وقيل هو مثل في اضطراب
القلوب وخفقها وان لم يبلغ الحناجر حقيقة والخطاب في قوله تعالى **وتظنون بالله الظنونا** لمن يظهر الايمان على الاطلاق
اي تظنون به تعالى انواع الظنون المختلفة حيث ظن المخلصون الثبت القلوب ان الله تعالى ينجز وعده في
اعلاء دينه كما يعرب عنه ما سيحكى عنهم من قولهم هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله الاية او
يمتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ما حكي عنهم مما لا خير فيه والجملة
معطوفة على زاغت وصيغة المضارع لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار وقرئ الظنون بغير
الف وهو القياس وزيادتها لمراعاة الفواصل كما تزاد في القوافي **هنالك** ظرف زمان او ظرف مكان لما
بعده اي في ذلك الزمان الهائل والمكان الدحض **ابتلي المومنون** اي عوملوا معاملة من يختبر فظهر المخلص
من المنافق والراسخ من المتزلزل **وزلزلوا زلزالا شديدا** من الهول والفزع وقرئ بفتح الزاي **واذ يقول المنافقون**
عطف على اذ زاغت وصيغة المضارع لما مر من الدلالة على استمرار القول واستحضار صورته **ما وعدنا
الله ورسوله** من اعلاء الدين والظفر **الا غرورا** اي وعد غرور وقيل قولا باطلا القائل معتب بن قشير واضرابه
راضون به قالوا يعدنا محمد بفتح كنوز كسرى وقيصر واحدنا لا يقدر ان يتبرز وقرئ كما ههنا الا وعد غرور
واذ قالت طائفة منهم هم اوس بن قيظي واتباعه وقيل عبد الله بن ابي واشياعه **يا اهل يثرب** هو اسم المدينة
المطهرة وقيل المدينة في ناحية منها وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم ان تسمى بها كراهة لها وقال
هي طيبة او طابة كانهم ذكروها بذلك الاسم مخالفة له عليه الصلاة والسلام ونداؤهم اياهم بعنوان اهليتهم
لها ترشيح لما بعده من الامر بالرجوع اليها **لا مقام لكم** لا موضع اقامة لكم او لا اقامة لكم ههنا يريدون
وقرئ بفتح الميم اي لا قيام ولا موضع قيام لكم **فارجعوا** اي الى منازلكم بالمدينة مرادهم الامر بالفرار
لكنهم عبروا عنه بالرجوع ترويجا لمقالهم وايذانا بانه ليس من قبيل الفرار المذموم وقيل المعنى لا قيام لكم
في دين محمد عليه الصلوة والسلام فارجعوا الى ما كنتم عليه من الشرك او فارجعوا عما بايعتموه عليه
واسلموه الى اعدائه او لا مقام لكم في يثرب فارجعوا كفارا ليتسنى لكم المقام بها والاول هو الانسب لما
بعده فان قوله تعالى **ويستاذن فريق منهم النبي** معطوف على قالت وصيغة المضارع لما مر من استحضار
الصورة وهم بنو حارثة وبنو سلمة استاذنوه عليه الصلاة والسلام في الرجوع ممتثلين بامرهم وقوله تعالى
يقولون بدل من يستاذن او حال من فاعله او استيناف مبني على السوال عن كيفية الاستيذان **ان
بيوتنا عورة** اي غير حصينة معرضة للعدو والسراق فاذن لنا حتى نحصنها ثم نرجع الى العسكر والعورة في
الاصل الخلل اطلقت على المختل مبالغة وقد يجوز ان يكون تخفيف عورة من عورت الدار اي اختلت وقد
قرئ بها والاول هو الانسب بمقام الاعتذار كما يفصح عنه تصدير مقالهم بحرف التحقيق **وما هي بعورة** والحال
انها ليست كذلك **ان يريدون** ما يريدون اي بالاستيذان **الا فرارا** من القتال **ولو دخلت عليهم** اسند

وهم فيها لا فرض دخولهم

الدخول الي بيوتهم واوقع عليهم لما ان المراد فرض دخولها مطلقًا كما هو المفهوم لو لم يذكر الجار والمجرور ولا فرض الدخول
عليهم مطلقًا كما هو المفهوم لو اسند الي الجار والمجرور من اقطارها اي من جميع جوانبها لا من بعضها دون بعضٍ فالمعنى لو كانت
بيوتهم مخلة بالكلية ودخلها كل من اراد من اهل الدعارة والفساد ثم سئلوا من جهة طايفة اخرى عند تلك النازلة
والرجفة الهائلة الفتنة اي الردة والرجعة الي الكفر مكان ما سئلوا الآن من الايمان والطاعة لاتوها لاعطوها
غير مبالين بما دهاهم من الداهية الدهيا والغارة الشعرا وقرى لاتوها بالقصر اي لفعلوها وجاؤها وما تلبثوا بها
بالفتنة اي ما البثوها وما اخروها الا يسيرا اسما يسع السؤال والجواب من الزمان فضلًا عن التعلل باختلال البيوت
مع سلامتها كما فعلوا الآن وقيل ما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد الا يسيرًا والاول هو اللايق بالمقام هذا واما
تخصيص فرض الدخول بتلك العساكر المتحزبة فمع منافاته للعموم المستفاد من تجريد الدخول عن الفاعل
ففيه ضرب من فساد الوضع لما عرفت من ان مساق النظم الكريم ببيان انهم اذا دعوا الي الحق تعللوا بشيء
يسير وان دعوا الي الباطل سارعوا اليه اثرذي اثير من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم ففرض الدخول عليهم
من جهة العساكر المذكورة واسناد سؤال الفتنة والفتنة والدعوة الي الكفر الي طايفة اخرى مع ان العساكر
هم المعروفون بعداوة الدين والمسلمين المباشرون لقتال المؤمنين المصرون على الاعراض عن الحق المجدون في الدعاء
الي الكفر والضلال هو بمعزل من التقريب ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار فان بني حارثة عاهدوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم احد حين فشلوا ان لا يعودوا لمثله وقيل هم قوم غابوا عن وقعة بدر وراوا ما اعطى
الله اهل بدر من الكرامة والفضيلة فقالوا لين اشهدنا الله قتالا لنقاتلن وكان عهد الله مسئولا مطلوبا مقتضى
حتى يوفى به وقيل مسئولا عن الوفاء به ومجازى عليه قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل فانه لا بد لكل شخص من
حتف انف او قتل سيف في وقت معين سبق به القضاء وجرى به القلم واذا لا تمتعون الا قليلا اي وان نفعكم
الفرار مثلا فمتعتم بالتاخير لم يكن ذلك التمتع الا تمتيعا قليلا او زمانا قليلا قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد
بكم سوءا او اراد بكم رحمة اي او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام او حمل الثاني على الاول لما في العصمة من
معنى المنع ولا يجدون لهم من دون الله وليا ينفعهم ولا نصيرا يدفع عنهم الضرر قد يعلم الله المعوقين منكم اي المثبطين للناس
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون والقائلين لاخوانهم من منافقي المدينة هلم الينا وهو صوت
سمي به فعل متعد نحو احضر او قرب ويستوي فيه الواحد والجماعة على لغة اهل الحجاز واما بنو تميم فيقولون
هلم يا رجل وهلموا يا رجال اي قربوا انفسكم الينا وهذا يدل على انهم عند هذا القول خارجون من المعسكر
متوجهون نحو المدينة ولا ياتون البأس اي الحرب والقتال الا قليلا اي اتيانا او زمانا قليلا فانهم يعتذرون
ويثبطون ما امكن بهم ويخرجون مع المؤمنين يوهمونهم انهم معهم ولا تراهم يبارزون ويقاتلون الا
شيئا قليلا اذا اضطروا اليه لقوله تعالى ما قاتلوا الا قليلا وقيل انه من تتمة كلامهم ومعناه ولا ياتي اصحاب
محمد حرب الاحزاب ولا يقاومونهم الا قليلا اشحة عليكم اي بخلاء عليكم بالمعاونة او النفقة في سبيل الله او الظفر
والغنيمة جمع شحيح ونصبه على الحالية من فاعل ياتون او من المعوقين او على الذم فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم
في احداقهم كالذي يغشى عليه من الموت صفة لمصدر ينظرون او حال من فاعله او لمصدر تدور او حال من اعينهم
اي ينظرون نظرا كائنا كنظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت حذرا او خورا ولواذا بك او ينظرون
كائنين كالذي الي آخره او تدور اعينهم كاينة كعينه فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم سلقوكم ضربوكم بالسنة
حداد وقالوا وفروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليهم والسلق
البسط بقهر باليد او اللسان وقرى صلقوكم اشحة على الخير نصب على الحالية او الذم ويؤيد القراءة بالرفع
اولئك الموصوفون بما ذكر من صفات السوء لم يؤمنوا بالاخلاص فاحبط الله اعمالهم اي اظهر بطلانها اذ لم يثبت
هم اعمال فتبطل او ابطل تصنعهم ونفاقهم فلم يبق مستتبعا لمنفعة دنيوية اصلا وكان ذلك الاحباط على

الله يسيرا

الله يسيرا هينًا وتخصيص يسره بالذكر مع ان كل شيء عليه تعالى يسير لبيان ان اعمالهم حقيقة بان يظهر حبوطها
لكمال تعاضد الدواعي وعدم الصوارف بالكلية يحسبون الاحزاب لم يذهبوا اي هؤلاء لجبنهم يظنون ان الاحزاب لم ينهزموا
ففروا الى داخل المدينة وان يات الاحزاب كرة ثانية يودوا لو انهم بادون في الاعراب تمنوا انهم خارجون الى البدو وحاصلون
بين الاعراب وقرى بدى جمع باد كغاز وغزى يسئلون كل قادم من جانب المدينة وقرى يساءلون اي يتساءلون
ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك او يتساءلون الاعراب كما يقال رايت الهلال وترايناه فان
صيغة التفاعل قد تجرد عن معنى كون ما اسندت اليه فاعلا من وجه ومفعولا من وجه ويكفي بتعدد الفاعل
كما في المثال المذكور عن انبائكم عما جرى عليكم ولو كانوا فيكم هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان
قتال ما قاتلوا الا قليلا رياء وخوفا من التعيير لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة خصلة حسنة حقها ان يؤتسى بها
كالثبات في الحرب ومقاساة الشدائد او هو في نفسه قدوة يحق التاسي به كقولك في البيضة عشرون منا
حديدا اي هي في نفسها هذا القدر من الحديد وقرى بكسر الهمزة وهي لغة فيها لمن كان يرجو الله واليوم الآخر اي ثواب
الله او لقاءه او ايام الله واليوم الآخر خصوصا وقيل هو كقولك ارجو زيدا وفضله فان اليوم الآخر من ايام الله تعالى
ولمن كان صلة لحسنة او صفة لها وقيل بدل من لكم والاكثرون على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه وذكر الله
اي وقرن الرجاء بذكر الله كثيرا اي ذكرا كثيرا او زمانا كثيرا فان المثابر على ذكره تعالى تؤدي الى ملازمة
الطاعة وبها يتحقق الايتساء برسول الله صلى الله عليه وسلم ولما راى المؤمنون الاحزاب بيان لما صدر عن خلص المؤمنين
عند اشتباه الظنون واختلاط الشئون بعد حكاية ما صدر عن غيرهم اي لما شاهدوهم حسبما وصفوا لهم قالوا هذا
مشيرين الى ما شاهدوه من حيث هو من غير ان يخطر ببالهم لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتانيثه فانهما
من احكام اللفظ كما مر في قوله تعالى فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربي وجعله اشارة الى الخطب والبلاء
من نتايج النظر الجليل فتدبر نعم تجوز التذكير باعتبار الخبر الذي هو ما وعدنا الله ورسوله فان ذلك العنوان اول
ما يخطر ببالهم عند المشاهدة ومرادهم بذلك ما وعدوه بقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم
مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء الى قوله تعالى الا ان نصر الله قريب وقوله عليه الصلوة والسلام
سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله عليه الصلوة والسلام ان الاحزاب سائرون اليكم بعد
تسع ليال او عشر وقرى بكسر الراء وفتح الهمزة وصدق الله ورسوله اي ظهر صدق خبر الله تعالى ورسوله او صدقا
في النصرة والثواب كما صدقا في البلاء واظهار الاسم للتعظيم وما زادهم اي ما راوه الا ايمانا بالله تعالى
وبمواعيده وتسليما لاوامره ومقاديره من المؤمنين اي المؤمنين بالاخلاص مطلقا لا الذين حكيت محاسنهم خاصة
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الثبات مع الرسول صلى الله عليه وسلم والمقاتلة لاعداء الدين وهم
رجال من الصحابة رضوان الله عليهم نذروا انهم اذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا
حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب
ابن عمير وانس بن النضر وغيرهم رضوان الله عليهم اجمعين ومعنى صدقوا اتوا بالصدق من صدقني اذا قال
الصدق ومحل ما عاهدوا النصب اما بطرح الخافض عنه وايصال الفعل اليه كما في قولهم صدقني سن بكره
اي في سنه واما بجعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كانهم خاطبوه خطاب من قال لكوماية خزني
الاعداء ان لم تنجزي وقالوا له سنفي لك وحيث وفوا به فقد صدقوه ولو كانوا نكثوه لكذبوه ولكان مكذوبا
فمنهم من قضى نحبه تفصيل لحال الصادقين وتقسيم لهم الى قسمين والنحب النذر وهو ان يلتزم الانسان
شيئا من اعماله ويوجبه على نفسه وقضاؤه الفراغ منه والوفاء به ومحل الجار والمجرور الرفع على الابتداء
على احد الوجهين المذكورين في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله اي فبعضهم او بعضهم من خرج عن
العهدة كحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر عم انس بن مالك وغيرهم رضوان الله تعالى عليهم اجمعين

فانهم قد قضوا نذورهم سواء كان النذر على حقيقته بان يكون ما نذروه افعالهم الاختيارية التي هي المقاتلة المفضية بما ليس منها ولا يدخل تحت النذر وهو الموت شهيدا وكان مستعارا لالتزامه على ما سياتي ومنهم اي بعضهم او وبعض منهم من ينتظر اي قضاء نحبه لكونه موقتا كعثمان وطلحة وغيرهما ممن استشهد بعد ذلك رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فانهم مستمرون على نذورهم قد قضوا بعضها وهو الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقتال الى حين نزول الاية الكريمة ومنتظرون لقضاء بعضها الباقي وهو القتال الى الموت شهيدا هنا ويجوز ان يكون النحب مستعارا لالتزام الموت شهيدا اما بتنزيل التزام اسبابه التي هي افعال اختيارية للناذر منزلة التزام نفسه واما بتنزيل نفسه منزلة اسبابه وايراد الالتزام عليه وهو الانسب بمقام المدح واياما كان فنعي وصفهم بالانتظار المنبئ عن الرغبة في المنتظر شهادة حقه بكمال اشتياقهم الى الشهادة واما ما قيل من ان النحب استعير للموت كنذر لازم في رقبة كل حيوان فمسخ للاستعارة وذهاب برونقها واخراج للنظم الكريم عن مقتضى بالكلية وما بدلوا عطف على صدقوا وفاعله فاعله اي وما بدلوا عهدهم وما غيروه تبديلا اي تبديلا ما لا اصلا ولا وصفا بل ثبتوا عليه راغبين فيه مراعين لحقوقه على احسن ما يكون اما الذين قضوا فظاهر واما الباقون فيشهد به انتظارهم صدق شهادة وتعميم عدم التبديل للفريق الاول مع ظهور حالهم للايذان بمساواة الفريق الثاني لهم في الحكم ويجوز ان يكون ضمير بدلوا للمنتظرين خاصة بناء على ان المحتاج الى البيان حالهم وقد روي ان طلحة رضي الله عنه ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حتى اصيبت يده فقال عليه الصلوة والسلام اوجب طلحة الجنة وفي رواية اوجب طلحة وعنه عليه الصلوة والسلام في رواية جابر من سره ان ينظر الى شهيد يمشي على الارض فلينظر الى طلحة بن عبيد الله وفي رواية عائشة رضي الله عنها من سره ان ينظر الى شهيد يمشي على الارض وقد قضى نحبه فلينظر الى طلحة وهذا يشير الى انه من الاولين حكما ليجزي الله الصادقين بصدقهم متعلق بمضمر مستانف مسوق بطريق الفذلكة لبيان ما هو داع الى وقوع ما حكي من الاحوال والاقوال الاعلى التفصيل وغاية له كما مر في قوله تعالى ليسئل الصادقين عن صدقهم كانه قيل وقع جميع ما وقع ليجزي الله الصادقين بما صدر عنهم من الصدق والوفاء قولا وفعلا ويعذب المنافقين بما صدر عنهم من الاعمال والاقوال المحكية ان شاء تعذيبهم او يتوب عليهم ان تابوا وقيل متعلق بما قبله من نفي التبديل المنطوق واثباته المعرض به كان المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى وقيل تعليل لصدقوا وقيل لما يفهم من قوله تعالى وما زادهم الا ايمانا وتسليما وقيل لما يستفاد من قوله تعالى ولما راي المؤمنون الاحزاب كانه قيل ابتلاهم الله تعالى برؤية ذلك الخطب ليجزي الاية فتامل وبالله التوفيق ان الله كان غفورا رحيما اي لمن تاب وهو اعتراض فيه بعث الى التوبة وقوله تعالى ورد الله الذين كفروا رجوع الى حكاية بقية القصة وتفصيل تتمة النعمة المشار اليها اجمالا بقوله تعالى فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها معطوف اما على المضمر المقدر قبل قوله تعالى ليجزي الله كانه قيل اثر حكاية الامور المذكورة وقع ما وقع من الحوادث ورد الله الى آخره واما على ارسلنا وقد وسط بينهما بيان كون ما نزل بهم واقعة طامة تحيرت بها العقول والافهام وداهية تامة تحاكت منها الركب وزلت الاقدام وتفصيل ما صدر عن فريق اهل الايمان واهل الكفر والنفاق من الاحوال والاقوال لاظهار عظم النعمة وبيان خطرها الجليل ببيان وصولها اليهم عند غاية احتياجهم اليها اي فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ورددنا بذلك الذين كفروا والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى بغيظهم حال من الموصول اي ملتبسين به وقوله تعالى لم ينالوا خيرا بتداخل وتعاقب او غيرهما فرين بخير او الثانية بيان للاول او استيناف وكفى الله المؤمنين القتال بما ذكر من ارسال الريح والجنود وكان الله قويا على احداث كل ما يريده عزيزا غالبا على كل شيء

وانزل الذين ظاهروهم اي عاونوا الاحزاب المردودة من اهل الكتاب وهم بنو قريظة من صياصيهم من حصونهم جمع صيصه وهي ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي وشوك الديك وقذف في قلوبهم الرعب الخوف الشديد بحيث اسلموا انفسهم للقتال واهليهم واولادهم للاسر حسبما ينطق به قوله تعالى فريقا تقتلون وتاسرون فريقا من غير ان يكون من جهتهم حراك فضلا عن المخالفة والاستعصاء روي ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا السلاح وقال اتنزع لامتك والملائكة ما وضعوا السلاح ان الله يامرك ان تسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فاذن في الناس ان لا يصلوا العصر الا ببني قريظة فحاصروهم احدى وعشرين او خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون على حكمي فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم ونسائهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة فقتل منهم ستمائة مقاتل وقيل من ثمانمائة الى تسعمائة واسر سبعمائة وقرئ تاسرون بضم السين كما قرئ الرعب بضم العين ولعل تاخير المفعول في الجملة الثانية مع ان مساق الكلام لتفصيله وتقسيمه كما في قوله تعالى ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون وقوله تعالى فريقا كذبوا وفريقا يقتلون لمراعاة الفواصل واورثكم ارضهم وديارهم اي حصونهم واموالهم نقودهم واثاثهم ومواشيهم روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار في ذلك فقال عليه الصلاة والسلام انكم في منازلكم فقال عمر رضي الله عنه اما تخمس كما خمست يوم بدر فقال عليه الصلوة والسلام لا انما جعلت هذه لي طعمة دون الناس فقالوا رضينا بما صنع الله ورسوله وارضا لم تطؤوها اي اورثكم في علمه وتقديره ارضا لم تقبضوها بعد كفارس والروم وقيل كل ارض تفتح الى يوم القيمة وقيل خيبر وكان الله على كل شيء قديرا فقد شاهدتم بعض مقدوراته من ايراث الاراضي التي تسلمتموها فقيسوا عليها ما عداها يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا اي السعة والتنعم فيها وزينتها وزخارفها فتعالين اي اقبلن بارادتكن واختياركن لاحدى الخصلتين كما يقال اقبل يخاصمني وذهب يكلمني وقام يهددني امتعكن بالجزم جوابا للامر وكذا واسرحكن اي اعطكن المتعة واطلقكن سراحا جميلا طلاقا من غير ضرار وقرئ بالرفع على الاستيناف روي انهن سالنه عليه الصلاة والسلام ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدا بعايشة فخيرها فاختارت الله ورسوله والدار الاخرة ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر لهن الله ذلك فنزل لا يحل لك النساء من بعد واختلف في ان هذا التخيير طلاقا كان تفويض الطلاق اليهن حتى يقع الطلاق بنفس الاختيار اولا فذهب الحسن وقتادة واكثر اهل العلم الى انه لم يكن تفويض الطلاق وانما كان تخييرا لهن بين الارادتين على انهن ان اردن الدنيا فارقهن عليه الصلوة والسلام كما ينبئ عنه قوله تعالى فتعالين امتعكن واسرحكن وذهب اخرون الى انه كان تفويضا اليهن حتى لو انهن اخترن انفسهن كان ذلك طلاقا وكذا اختلف في حكم التخيير فقال عمر وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم اذا خير رجل امراته فاختارت زوجها لا يقع شيء اصلا ولو اختارت نفسها وقعت طلقة بائنة عندنا ورجعية عند الشافعي وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن ابي ليلى وسفيان وروي عن زيد بن ثابت انها ان اختارت زوجها يقع طلقة واحدة وان اختارت نفسها يقع ثلاث طلقات وهو قول الحسن ورواية عن مالك وروي عن علي رضي الله عنه انها ان اختارت زوجها لا يقع شيء اصلا وعليه اجماع فقهاء الامصار وقد روي عن عايشة رضي الله عنها خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعد طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح من باب الكرم وفيه قطع لمعاذيرهن من اول الامر والمتعة في المطلقة التي لم يدخل بها الزوج ولم يفرض لها عند العقد اي صداق واجبة عندنا وفيما عداهن مستحبة وهي درع وخمار وملحفة بحسب السعة والاقتار الا ان يكون نصف مهرها اقل من ذلك فحينئذ تجب لها الاقل منهما ولا

ينقص من خمسة دراهم وان كنتن تردن الله ورسوله اي تريدون رسوله وذكر الله عز وجل للايذان بجلالة محله
عليه الصلاة والسلام عنده تعالى والدار الآخرة اي نعيمها الذي لا قدر عنده للدنيا وما فيها جميعا فان الله
اعد للمحسنات مقابلة احسانهن منكن اجرا عظيما لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته ومن للتبيين لان كلهن محسنات
وتجريد الشرطية الاولى عن الوعيد للمبالغة في تحقيق معنى التخيير والاحتراز عن شائبة الاكراه وهو السر فيما
ذكر من تقديم التمتيع على التسريح وفي وصف التسريح بالجميل يا نساء النبي تلوين للخطاب وتوجيه له اليهن
لاظهار الاعتناء بنصحهن ونداؤهن ها هنا وفيما بعده بالاضافة اليه عليه الصلوة والسلام لانها التي
يدور عليها ما يرد عليهن من الاحكام من يأت منكن بفاحشة بكبيرة مبينة ظاهرة القبح من بين بمعنى تبين
وقرئ بفتح الياء والمراد بها كل ما اقترفن من الكبائر وقيل هي عصيانهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ونشوزهن وطلبهن ما يشق عليه او ما يضيق عليه ذرعه ويغتم لاجله وقرئ تأت بالفوقانية يضاعف
لها العذاب ضعفين اي يعذبن ضعفي عذاب غيرهن اي مثليه لان الذنب منهن اقبح فان زيادة قبحه
تابعة لزيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعف حد الرقيق وعوتب الانبياء عليهم
السلام بما لا يعاتب به الامم وقرئ يضعف على البناء للمفعول ويضاعف ونضعف بنون العظمة
على البناء للفاعل ونصب العذاب وكان ذلك على الله يسيرا لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبي صلى
الله عليه وسلم بل يدعوه اليه لمراعاة حقه ومن يقنت منكن وقرئ بالتاء اي ومن يدم على الطاعة وتعمل صالحا
نؤتها اجرها مرتين مرة على الطاعة والتقوى واخرى على طلبهن رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقناعة وحسن
المعاشرة وقرئ يعمل بالياء حملا على لفظ من ويؤتها على ان فيه ضمير اسم الله تعالى واعتدنا لها في الجنة زيادة على
اجرها المضاعف رزقا كريما مرضيا يا نساء النبي لستن كاحد من النساء اصل احد وحد بمعنى الواحد ثم وضع في النفي
مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل والشرف
ان اتقيتن مخالفة حكم الله تعالى ورضا رسوله صلى الله عليه وسلم وان اتصفتن بالتقوى كما هو اللائق بحالكن
فلا تخضعن بالقول عند مخاطبة الناس اي لا تجئن بقولكن خاضعا لينا على سنن قول المريبات والمومسات
فيطمع الذي في قلبه مرض اي فجور وريبة وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي على انه نهي لمريض القلب عن الطمع
عقيب نهيهن عن الاطماع بالقول الخاضع كانه قيل فلا تخضعن بالقول فلا يطمع مريض القلب وقلن قولا معروفا
بعيدا من الريبة والاطماع بجد وخشونة من غير تخنيث او قولا حسنا مع كونه خشنا وقرن في بيوتكن امر من قر
يقر من باب علم واصله واصله اقررن فحذفت الراء الاولى والقيت فتحتها على ما قبلها كما في قولك ظلن او من
قار يقار اذا اجتمع وقرئ بكسر القاف من وقر يقر وقارا اذا ثبت واستقر واصله اوقرن ففعل به ما فعل بعدن
من كنا وعدا ومن قر يقر حذفت احدى راءي اقررن ونقلت كسرتها الى القاف كما تقول ظلن ولا تبرجن اي لا
تتبخترن في مشيكن تبرج الجاهلية الاولى اي تبرجا مثل تبرج النساء في الجاهلية القديمة وهي ما بين آدم ونوح
عليهما السلام وقيل الزمان الذي ولد فيه ابرهيم صلى الله عليه وسلم كانت المرأة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشي
وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وقيل زمن داود وسليمان عليهما السلام والجاهلية الاخرى ما بين
عيسى ومحمد عليهما السلام وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر والجاهلية الاخرى الفسوق في الاسلام ويؤيده
قوله عليه الصلوة والسلام لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر او جاهلية اسلام قال بل جاهلية
كفر واقمن الصلوة وآتين الزكوة امرن بهما لانافتهما على غيرهما وكونهما اصلي الطاعات البدنية والمالية واطعن الله ورسوله
اي في كل ما تأتن وتذرن لا سيما فيما امرتن به ونهيتن عنه انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اي الذنب المدنس
لعرضكم وهو تعليل لامرهن ونهيهن على الاستيناف ولذلك عمم الحكم لتعميم الخطاب لغيرهن وصرح بالمقصود
حيث قيل بطريق النداء او المدح اهل البيت مرادا بهم من حواهم بيت النبوة ويطهركم من اوصاب الاوزار والمعاصي

وقيل ما بين ادريس ونوح عليهما السلام صح

تطهيرا

تطهيرا بليغا واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير لمزيد التنفير عنها وهذه كما ترى آية بينة وحجة نيرة
على كون نساء النبي صلى الله عليه وسلم من اهل بيته قاضية ببطلان راي الشيعة في تخصيصهم اهل البيت بفاطمة
رضي الله عنها وعلي وابنيه رضوان الله عليهم واما ما تمسكوا به من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات
غدوة وعليه مرط مرحل من شعر اسود وجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه ثم جاء الحسن
والحسين فادخلهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت فانما يدل على كونهم من اهل البيت لا
على ان من عداهم ليس كذلك ولو فرضت دلالته على ذلك لما اعتد بها لكونها في مقابلة النص واذكرن ما
يتلى في بيوتكن اي اذكرن للناس بطريق العظة والتذكير ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة من الكتاب الجامع
بين كونه آيات الله البينة الواضحة الدالة على صدق النبوة بنظمه المعجز وكونه حكمة منطوية على فنون
العلوم والشرايع وهو تذكير بما انعم عليهن حيث جعلهن اهل بيت النبوة ومهبط الوحي وما شاهدن من
برحاء الوحي بما يوجب قوة الايمان والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء والايتمار فيما كلفته والتعرض للتلاوة
في البيوت دون النزول فيها مع انه الانسب لكونها مهبط الوحي لعمومها لجميع الآيات ووقوعها في كل البيوت
وتكررها الموجب لتمكنهن من الذكر والتذكير بخلاف النزول وعدم تعيين التالي ليعم تلاوة جبريل وتلاوة
النبي عليهما السلام وتلاوتهن وتلاوة غيرهن تعليما وتعلما ان الله كان لطيفا خبيرا يعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك
فعل ما فعل من الامر والنهي ويعلم من يصلح للنبوة ومن يستاهل ان يكون من اهل بيته ان المسلمين والمسلمات الداخلين في
السلم المنقادين لحكم الله تعالى من الذكور والاناث والمؤمنين والمؤمنات المصدقين بما يجب ان يصدق
به من الفريقين والقانتين والقانتات المداومين على الطاعات القائمين بها والصادقين والصادقات في القول
والعمل والصابرين والصابرات على الطاعات وعن المعاصي والخاشعين والخاشعات المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم
والمتصدقين والمتصدقات بما وجب في مالهم والصائمين والصائمات الصوم المفروض والحافظين فروجهم والحافظات
عن الحرام والذاكرين الله كثيرا والذاكرات بقلوبهم والسنتهم اعد الله لهم اي بسبب ما عملوا من الحسنات المذكورة
مغفرة لما اقترفوا من الصغائر لانهن مكفرات لما عملوا من الاعمال الصالحات واجرا عظيما على ما صدر
عنهم من الطاعات والآية وعدلهن ولامثالهن على الطاعات والتدرع بهذه الخصال الحميدة روي ان ازواج
النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير فما فينا خير نذكر به انا
نخاف ان لا يقبل منا طاعة فنزلت وقيل السائلة ام سلمة وروي انه لما نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم
ما نزل قالت نساء المؤمنين فما نزل فينا شيء فنزلت وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو
ضروري واما عطف الزوجين على الزوجين فلتغاير الوصفين فلا يكون ضروريا ولذلك نزلت في قوله
تعالى مسلمات مؤمنات وفائدته الدلالة على ان مدار اعداد ما اعد لهم جميعهم بهذه النعوت الجليلة وما كان
لمؤمن ولا مؤمنة اي ما صح وما استقام لرجل ولا امرأة من المؤمنين اذا قضى الله ورسوله امرا اي اذا قضى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وذكر الله تعالى لتعظيم امره وللاشعار بان قضاءه عليه الصلوة والسلام قضاء الله عز
وجل لانه نزل في زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم
لزيد بن حارثة فابت هي واخوها عبد الله وقيل في ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهبت نفسها للنبي صلى الله
عليه وسلم فزوجها من زيد فسخطت هي واخوها وقالا انما اردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجها عبده
ان تكون لهم الخيرة من امرهم اي ان يختاروا من امرهم ما شاؤا بل يجب عليهم ان يجعلوا رايهم تبعا لرايه عليه الصلوة
والسلام واختيارهم تلوا لاختياره وجمع الضمير لعموم مؤمن ومؤمنة لوقوعهما في سياق النفي وقيل
الضمير الثاني للرسول صلى الله عليه وسلم والجمع للتعظيم وقرئ تكون بالتاء ومن يعص الله ورسوله في امر من الامور
ويعمل فيه برايه فقد ضل طريق الحق ضلالا مبينا اي بين الانحراف عن سنن الصواب واذ تقول اي واذكر

وتت قولك للذي انعم الله عليه اي بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لحسن تربيته ومراعاته وانعمت عليه بالعمل بما
وفقك الله له من فنون الاحسان التي من جملتها تحريره وهو زيد بن حارثة وايراده بالعنوان المذكور لبيان
منافاة حاله لما صدر عنه عليه الصلوة والسلام من اظهار خلاف في ضميره اذ هو انما يقع عند الاستحياء او
الاحتشام وكلاهما مما لا يتصور في حق زيد امسك عليك زوجك اي زينب وذلك انه عليه الصلوة والسلام
ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت في نفسه حالة جالبة لا يكاد يسلم عنها البشر فقال سبحان مقلب القلوب
وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن لذلك فوقع في نفسه كراهة صحبتها فاتى النبي صلى الله عليه
وسلم وقال اريد ان افارق صاحبتي مالك ارابك منها شئ قال لا والله ما رايت منها الا خيرا ولكنها لشرفها
تتعظم علي فقال امسك عليك زوجك واتق الله في امرها فلا تطلقها اضرارا وتعللا لتكبرها وتخفي في
نفسك ما الله مبديه وهو نكاحها ان طلقها او ارادة طلاقك وتخشى الناس تعييرهم اياك به والله احق ان تخشاه ان
كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء وحده بل على الاخفاء مخافة مقاله الناس و
اظهار ما ينافي اضماره فان الاولى في امثال ذلك ان يصمت وان يفوض الامر الى رايه فلما قضى زيد منها وطرا
بحيث لم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها وقيل قضى الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك
زوجناكها وقرئ زوجتكها والمراد الامر بتزويجها منه عليه الصلوة والسلام وقيل جعلها زوجته بلا واسطة
عقد ويؤيده انها كانت تقول لسائر نساء النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تولى نكاحي وانتن زوجكن اولياؤكن
وقيل كان زيد السفير في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد عدل بقوة ايمانه لكيلا يكون على المؤمنين حرج ضيق
ومشقة في ازواج ادعيائهم اي في حق تزوجهن اذا قضوا منهن وطرا فان لهم في رسول الله اسوة حسنة وفيه
دلالة على ان حكمه عليه الصلوة والسلام وحكم الامة سواء الا ما خصه الدليل وكان امر الله اي ما يريد
تكوينه من الامور او مامورة الحاصل بكن مفعولا مكونا لا محالة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ما كان على النبي
من حرج اي ما صح وما استقام في الحكمة ان يكون له ضيق فيما فرض الله اي قسم له وقدر من قولهم فرض
له في الديوان كذا ومنه فروض العساكر لاعطياتهم سنة الله اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا
موكد لما قبله من نفي الحرج اي سن الله ذلك سنة في الذين خلوا مضوا من قبل من الانبياء عليهم السلام حيث
وسع عليهم في باب النكاح وغيره ولقد كانت لداود عليه السلام مائة مهرة وثلاثمائة سرية ولسليمان
عليه السلام ثلثمائة امراة وسبعمائة سرية وكان امر الله قدرا مقدورا اي قضاء مقضيا وحكما مبتوتا اعتراض
وسط بين الموصولين الجاريين مجرى الواحد للمسارعة الى تقرير نفي الحرج وتحقيقه الذين يبلغون رسالات الله
صفة للذين خلوا او مدح لهم بالنصب او بالرفع وقرئ رسالة الله ويخشونه في كل ما ياتون وما يذرون
لا سيما في امر تبليغ الرسالة حيث لا يحرفون منها حرفا ولا ياخذهم في الله لومة لائم ولا يخشون احدا الا الله
في وصفهم بقصرهم الخشية على الله تعالى تعريض بما صدر منه عليه الصلوة والسلام من الاحتراز عن
لائمة الخلق بعد التصريح في قوله تعالى وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف
فينبغي ان لا يخشى غيره او محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب ان يكون حق الخشية منه تعالى ما كان
محمد ابا احد من رجالكم اي على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الوالد والولد من
حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه عليه الصلوة والسلام ابا الطاهر والقاسم وابرهيم
لانهم لم يبلغوا الحلم ولو بلغوا لكانوا رجالا له عليه الصلوة والسلام لا رجالهم ولكن رسول الله اي كان رسول
الله وكل رسول ابو امته لكن لا حقيقة بل بمعنى انه شفيق ناصح لهم وسبب لحيوتهم الابدية وما زيد الا
واحد من رجالكم الذين لا ولادة بينه وبينه عليه الصلوة والسلام فحكمه حكمهم وليس للتبني والادعاء
حكم سوى التقرب والاختصاص وخاتم النبيين اي كان آخرهم الذي ختموا به وقرئ بكسر التاء اي كان

خاتمهم ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ولكن نبيا ختم النبيين واياما كان فلو كان له ابن بالغ لكان
نبيا ولم يكن هو عليه الصلوة والسلام خاتم النبيين كما يروى انه قال في ابرهيم حين توفي لو عاش لكان
نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى عليه السلام لان معنى كونه خاتم النبيين انه لا ينبا احد بعده وعيسى ممن
نبئ قبله وحين ينزل انما ينزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا الى قبلته كانه بعض امته
وكان الله بكل شئ عليما ومن جملته هذه الاحكام والحكم التي بينها لكم وكنتم منها في شك مريب يا ايها الذين امنوا
اذكروا الله ذكرا كثيرا بما هو اهله من التهليل والتحميد والتمجيد والتقديس ذكرا كثيرا يعم الاوقات والاحوال وسبحوه
ونزهوه عما لا يليق به بكرة واصيلا اي اول النهار وآخره على ان تخصيصهما بالذكر ليس بقصر التسبيح عليهما دون
سائر الاوقات بل لابانة فضلهما على سائر الاوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح به من بين الاذكار مع اندراجه
فيها لكونه العمدة فيها وقيل كلا الفعلين متوجه اليهما كقولك صم وصل يوم الجمعة وقيل المراد بالتسبيح الصلوة
هو الذي يصلي عليكم الى آخره استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من الامرين فان صلوته تعالى عليهم مع عدم استحقا
قهم لها وغناه عن العالمين مما يوجب عليهم المداومة على ما يستوجبه تعالى عليهم من ذكره تعالى وتسبيحه وقوله تعالى وملائكته
عطف على المستكن في يصلي لمكان الفصل المغني عن التاكيد بالمنفصل لكن لا على ان يراد بالصلوة الرحمة اولا والاستغفار
ثانيا فان استعمال اللفظ الواحد في معنيين متغايرين مما لا مساغ له بل على ان يراد بها معنى مجازي عام يكون كلا
المعنيين فردا حقيقيا له وهو الاعتناء بما فيه خيرهم وصلاح امرهم فان كلا من الرحمة والاستغفار فرد حقيقي له
او الترحم والانعطاف المعنوي الماخوذ من الصلوة المشتملة على الانعطاف الصوري الذي هو الركوع والسجود
ولا ريب في ان استغفار الملائكة ودعاهم للمؤمنين ترحم عليهم واما ان ذلك سبب للرحمة لكونهم مجابي الدعوة
كما قيل فاعتباره ينزع الى الجمع بين المعنيين المتغايرين فتدبر ليخرجكم من الظلمات الى النور متعلق بيصلي اي يعتني بامور كم
هو وملائكته ليخرجكم بذلك من ظلمات المعصية الى نور الطاعة وقوله تعالى وكان بالمؤمنين رحيما اعتراض مقرر
لمضمون ما قبله اي كان بكافة المؤمنين الذين انتم من زمرتهم رحيما ولذلك يفعل بكم ما يفعل من الاعتناء باصلاح
حكم بالذات وبالواسطة ويهديكم الى الايمان والطاعة او كان بكم رحيما على ان المؤمنين مظهر وضع موضع المضمر مدحا
لهم واشعارا بعلة الرحمة وقوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام بيان للاحكام الآجلة لرحمته تعالى بهم بعد بيان آثار
العاجلة التي هي العناية بامرهم وهدايتهم الى الطاعة اي ما يحيون به على انه مصدر اضيف الى مفعوله يوم لقائه
عند الموت او عند البعث من القبور او عند دخول الجنة تسليم عليهم من الله عز وجل تعظيما لهم او من الملائكة بشارة لهم
بالجنة او تكرمة لهم كما في قوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم او اخبار بالسلامة عن كل مكروه
واعد لهم اجرا كريما بيان لآثار رحمته الفائضة عليهم بعد دخول الجنة عقيب بيان آثار رحمته الواصلة اليهم قبل ذلك
ولعل ايثار الجملة الفعلية على الاسمية المناسبة لما قبلها بان يقال مثلا واجرهم اجر كريم او ولهم اجر كريم للمبالغة
في الترغيب والتشويق الى الموعود ببيان ان الاجر الذي هو المقصد الاقصى من بين سائر آثار الرحمة موجود
بالفعل مهيا لهم مع ما فيه من مراعاة الفواصل يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا على من بعثت اليهم تراقب احوالهم
وتشاهد اعمالهم وتتحمل منهم الشهادة بما صدر عنهم من التصديق والتكذيب وسائر ما هم عليه من الهدى والضلال
وتؤديها يوم القيمة اداء مقبولا فيما لهم وما عليهم وهو حال مقدرة ومبشرا ونذيرا تبشر المؤمنين بالجنة وتنذر
الكفار بالنار وداعيا الى الله اي الى الاقرار به وبوحدانيته وبسائر ما يجب الايمان به من صفاته وافعاله باذنه
اي بتيسيره اطلق عليه مجازا لما انه من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بانها امر صعب المنال وخطب في غاية الاعضال
لا يتاتى الا بامداد من جناب قدسه كيف لا وهو صرف للوجوه عن القبل المعبودة وادخال الاعناق في قلادة
غير معهودة وسراجا منيرا يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية ويهتدى بانواره الى مناهج الرشد والهداية وبشر
المؤمنين عطف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه النظام كانه قيل فراقب احوال الناس وبشر المؤمنين

بان لهم من الله فضلا كبيرا اي علي مومني سائر الامم في الرتبة والشرف وزيادة علي اجور اعمالهم بطريق التفضل والاحسان ولا تطع الكافرين والمنافقين نهي عن مداراتهم في امر الدعوة واستعمال لين الجانب في التبليغ والمسامحة في الانذار كني عن ذلك بالنهي عن طاعتهم مبالغة في الزجر والتنفير عن المنهي عنه بنظمه في سلكها وتصويره بصورتها وتحمل المنهي علي التهييج والالهاب قد ابعد عن التحقيق بمراحل ودع اذاهم اي لا تبال باذيتهم لك بسبب تصلبك في الدعوة والانذار وتوكل علي الله في كل ما تاتي وما تذر من الشيون التي من جملتها هذا الشان بانه تعالى يكفيكهم وكفي بالله وكيلا موكولا اليه الامور في كل الاحوال واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتعليل الحكم وتاكيد استقلال الاعراض التذييلي ولما وصف عليه الصلوة والسلام بنعوت خمسة قوبل كل منها بخطاب يناسبه خلا انه لم يذكر مقابل الشاهد صريحا وهو الامر بالمراقبة ثقة بدلالة المبشر عليه وهو الامر بالتبشير حسبما ذكر آنفا وقوبل النذير بالنهي عن مداراة الكفار والمنافقين والمسامحة في انذارهم كما تحققته وقوبل الداعي اليه تعالى باذنه بالامر بالتوكل عليه من حيث انه عبارة عن الاستمداد منه تعالى والاستعانة به وقوبل السراج المنير بالاكتفاء به تعالى فان من ايده الله تعالى بالقوة القدسية ورشحه للنبوة وجعله برهانا نيرا يهدي الخلق من ظلمات الغي الي نور الرشاد حقيق بان يكتفي به عن كل ما سواه يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن اي تجامعوهن وقري تماسوهن بضم التاء فما لكم عليهن من عدة بايام يتربصن فيها بانفسهن تعتدونها تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها وحقيقته عدها لنفسه ولذلك كلمة فما لكم والاسناد الي الرجال للدلالة علي ان العدة حق الازواج كما اشعر به قوله تعالى فما لكم وقري تعتدونها علي ابدال احدي الدالين بالتاء او علي انه من الاعتداء بمعني تعتدون فيها والخلوة الصحيحة في حكم المس وتخصيص المومنات مع عموم الحكم للكتابيات للتنبيه علي ان المومن من شانه ان يتخير لنطفته ولا ينكح الا المومنة وفايدته ازاحة ما عسي ان يتوهم ان تراخي الطلاق ريثما يمكن الاصابة يوثر في العدة كما يوثر في النسب فمتعوهن اي ان لم يكن مفروضا لها في العقد فان الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة فانها مستحبة عندنا في رواية وفي اخري غير مستحبة وسرحوهن اي اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة سراحا جميلا من غير اضرار ولا منع حق ولا مساغ لتفسيره بالطلاق السني لانه انما يتسني في الدخول بهن يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن اي مهورهن فانها اجور الابضاع وايتاوها اما اعطاوها معجلة او تسميتها في العقد وايا ما كان فتقييد الاحلال له عليه الصلوة والسلام به ليس لتوقف الحل عليه ضرورة انه يصح العقد بلا تسمية ويجب مهر المثل والمتعة علي تقديري الدخول وعدمه بل لايثار الافضل والاولي له عليه الصلوة والسلام كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية في قوله تعالى وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك فان المشتراة لا يتحقق بدء امرها وما جري عليها وكتقييد القرايب بكونهن مهاجرات معه في قوله تعالى وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك ويحتمل تقييد الحل بذلك في حقه عليه الصلوة والسلام خاصة ويعضده قول ام هاني بنت ابي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله هذه الاية فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء وامراة مومنة بالنصب عطفا علي مفعول احللنا اذ ليس معناه انشاء الاحلال الناجز بل اعلام مطلق الاحلال المنتظم لما سبق ولحق وقري بالرفع علي انه مبتدا خبره محذوف اي احللنا لك ايضا ان وهبت نفسها للنبي اي ملكته بضعها باي عبارة كانت بلا مهر ان اتفق ذلك كما ينبي عنه تنكيرها لكن لا مطلقا بل عند ارادته صلى الله عليه وسلم استنكاحها كما نطق به قوله تعالى ان اراد النبي ان يستنكحها اي ان يتملك بضعها كذلك اي بلا مهر فان ذلك جار منه عليه الصلاة والسلام مجري القبول وحيث لم يكن هذا نصا في كون تمليكها بلفظ الهبة لم يصلح ان يكون مناطا للخلاف في انعقاد النكاح بلفظ الهبة وقيل الموهوبات اربع ميمونه بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية وام شريك

بنت جابر

بنت جابر وخوله بنت حكيم وايراده عليه الصلوة والسلام في الموضعين بعنوان النبوة بطريق الالتفات للتكرمة والايذان بانها المناط لثبوت الحكم فيختص به عليه الصلوة والسلام حسب اختصاصها به كما ينطق به قوله تعالى خالصة لك اي خلص لك احلالها خالصة اي خلوصا فان الفاعلة في المصدر غير عزيز كالعافية والكاذبة او خلص احلال ما احللنا لك من المذكورات علي القيود المذكورة خالصة ومعني قوله تعالى من دون المومنين علي الاول ان الاحلال المذكور في المادة المعهودة غير متحقق في حقهم وانما المتحقق هناك الاحلال بمهر المثل وعلي الثاني ان احلال الجميع علي القيود المذكورة غير متحقق في حقهم بل المتحقق فيه احلال البعض المعدود علي الوجه المعهود وقري خالصة بالرفع علي انه خبر مبتدا محذوف اي ذاك خلوص لك وخصوص او هي اي تلك المراة والهبة خالصة لك لا يتجاوز المومنين حيث لا تحل لهم بغير مهر المثل ولا تصح الهبة بل يجب مهر المثل وقوله تعالى قد علمنا ما فرضنا عليهم اي علي المومنين في ازواجهم اي في حقهن اعتراض مقرر لما قبله من خلوص الاحلال المذكور لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم تجاوزه للمومنين ببيان انه قد فرض عليهم من شرايط العقد وحقوقه ما لم يفرض عليه عليه الصلاة والسلام تكرمة له وتوسعة عليه اي قد علمنا ما ينبغي ان يفرض عليهم في حق ازواجهم وما ملكت ايمانهم وعلي اي حد واي صفة يحق ان يفرض عليهم ففرضنا ما فرضنا علي ذلك الوجه وخصصناك ببعض الخصايص لكيلا يكون عليك حرج اي ضيق واللام متعلقة بخالصة باعتبار ما فيها من معني ثبوت الاحلال وحصوله له عليه الصلاة والسلام لا باعتبار اختصاصه به عليه الصلاة والسلام لان مدار انتفاء الحرج هو الاول لا الثاني الذي هو عبارة عن عدم ثبوته لغيره وكان الله غفورا رحيما لما يعسر التحرز عنه ترجي من تشاء منهن وتووي اليك من تشاء وتضم اليك من تشاء منهن وتضاجعها او تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء وقري ترجيء بالهمزة والمعني واحد ومن ابتغيت اي طلبت ممن عزلت طلقت بالرجعة فلا جناح عليك في شيء مما ذكر وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لانه اما ان يطلق او يمسك فاذا امسك ضاجع او ترك وقسم او لم يقسم واذا طلق فاما ان يخل المعزولة او يبتغيها وروي انه ارجي منهن سوده وجويريه وصفيه وميمونه وام حبيبه فكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن اوي اليه عايشة وحفصة وام سلمه وزينب فارجي خمسا واوي اربعا وروي انه كان يسوي بينهن مع ما اطلق له وخير سودة فانها وهبت ليلتها لعايشة وقالت لا تطلقني حتى احشر في زمرة نسايك ذلك اي ما ذكر من تفويض الامر الي مشيتك ادني ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما اتيتهن كلهن اي اقرب الي قرة عيونهن ورضاهن جميعا لانه حكم كلهن فيه سواء ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان رجحت بعضهن علمن انه بحكم الله فتطمين به نفوسهن وقري تقر بضم التاء ونصب اعينهن وتقر علي البناء للمفعول وكلهن تاكيد لنون يرضين وقري بالنصب علي انه تاكيد لهن والله يعلم ما في قلوبكم من الضماير والخواطر فاجتهدوا في احسانها وكان الله عليما مبالغا في العلم فيعلم كل ما تبدونه وتخفونه حليما لا يعاجل بالعقوبة فلا تغتروا بتاخيرها فانه امهال لا اهمال لا تحل لك النساء بالياء لان تانيث الجمع غير حقيقي ولوجود الفصل وقري بالتاء من بعد اي من بعد التسع هو في حقه صلى الله عليه وسلم كالاربع في حقنا وقال ابن عباس وقتادة رضي الله عنهم من بعد هولاء التسع اللاتي خيرتهن فاخترنك وقيل من بعد اختيارهن الله ورسوله ورضاهن بما يوتيهن من الوصل والهجران ولا ان تبدل اي تتبدل بحذف احدي التائين بهن اي بهولاء التسع من ازواج بان تطلق واحدة منهن وتنكح مكانها اخري ومن مزيدة لتاكيد الاستغراق اراد الله تعالى لهن كرامة وجزاء علي اختيارهن ورضاهن فقصر رسوله صلى الله عليه وسلم عليهن وهي التسع اللاتي توفي عليه الصلوة والسلام عنهن وهي عايشة بنت ابي بكر وحفصة بنت عمر وام حبيبه بنت ابي سفيان وسودة بنت زمعه وام سلمه بنت ابي امية وصفيه بنت حيي الخيبريه وميمونه بنت الحارث الهلالية وزينب بنت جحش الاسديه وجويريه بنت الحارث المصطلقية وقال عكرمة معني لا يحل لك النساء من بعد الاجناس الاربعة اللاتي احللناهن لك بالصفة التي تقدم ذكرها من الاعرابيات والغرايب او من الكتابيات

اومن الاماء بالنكاح وباباه قوله تعالى ولا ان تبدل بهن فان معنى احلال الاجناس المذكورة احلال نكاحهن فلا بد
ان يكون معنى التبدل بين احلال نكاح غيرهن بدل احلال نكاحهن وذلك انما يتصور بالنسخ الذي من وظايف البشرية ولو
اعجبك حسنهن اي حسن الازواج المستبدل له وهو حال من فاعل تبدل لا من مفعوله وهو من ادماج لتوغله في التنكير
قيل هو تقدير مع معروضا اعجابك بهن وقد من تحقيقه في قوله تعالى ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم وقيل هي
اسما بنت عميس الخثعمية امراة جعفر بن ابي طالب اي هي ممن اعجبه عليه الصلاة والسلام حسنهن واختلف في
ان الاية محكمة او منسوخة قيل بقوله تعالى ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء وقيل بقوله تعالى
انا احللنا لك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف وقيل بالسنة وعن عايشة رضي الله عنها ما مات رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى احل له النساء وقال انس رضي الله عنه مات عليه الصلوة والسلام على التحريم الا ما ملكت
يمينك استثناء من النساء لانه يتناول الازواج والاماء وقيل منقطع وكان الله على كل شيء رقيبا حافظا مهيمنا فاحذروا
مجاوزة حدوده وتخطي حلاله الى حرامه يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي شروع في بيان ما يجب مراعاته عليه الصلاة
والسلام من الحقوق المتعلقة بهن قوله تعالى الا ان يؤذن لكم استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا تدخلوها في
حال من الاحوال الا حال كونكم ماذونا لكم وقيل من اعم الاوقات اي لا تدخلوها في وقت من الاوقات الا وقت ان يؤذن
لكم ورد عليه بان النحاة نصوا على ان الوقوع موقع الظرف مختص بالمصدر الصريح دون المأول لا يقال
اتيك ان يصيح الديك وانما يقال اتيك صياح الديك وقوله تعالى الى طعام متعلق بيؤذن بتضمين
معنى الدعاء الاشعار بانه لا ينبغي ان يدخلوا على الطعام بغير دعوة وان تحقق الاذن كما يشعر به قوله تعالى
غير ناظرين اناه اي غير منتظرين وقته او ادراكه وهو حال من فاعل لا تدخلوا على ان الاستثناء واقع على
الوقت والحال معا عند من يجوزه او من المجرور في لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من هو
له بلا ابراز الضمير ولا مساغ له عند البصريين وقرئ بالامالة لانه مصدر انى الطعام اي ادرك
ولكن اذا دعيتم فادخلوا استدراك من النهي عن الدخول بغير اذن وفيه دلالة بينة على ان المراد بالاذن الى
الطعام هو الدعوة اليه فاذا طعمتم فانتشروا فتفرقوا ولا تلبثوا انه خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام
النبي صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم والا
لما جاز لاحد ان يدخل بيوته عليه الصلوة والسلام باذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لامر مهم
ولا مستأنسين لحديث اي لحديث بعضكم بعضا او لحديث اهل البيت بالتسمع له وعطف على ناظرين او
مقدر بفعل اي ولا تدخلوا ولا تمكثوا مستأنسين ان ذلكم اي الاستيناس الذي كنتم تفعلونه من قبل
كان يؤذي النبي لتضييق المنزل عليه وعلى اهله والمخابه للاشتغال بما لا يعنيه وصده عن الاشتغال بما
يعنيه فيستحيي منكم اي من اخراجكم لقوله تعالى والله لا يستحيي من الحق فانه يستدعي ان يكون المستحيي
منه امرا حقا متعلقا بهم لا انفسهم وما ذلك الا اخراجهم فينبغي ان لا يترك حياء ولذلك لم يتركه
تعالى وامركم بالخروج والتعبير عنه بعدم الاستحيا للمشاكلة وقرئ لا يستحي بحذف الياء الاولى والقاء
حركتها الى ما قبلها واذا سالتموهن الضمير لنساء النبي صلى الله عليه وسلم المدلول عليهن بذكر بيوته صلى
الله عليه وسلم متاعا اي شيئا يتمتع به من الماعون وغيره فاسئلوهن اي المتاع من وراء حجاب اي ستر روي
ان عمر رضي الله عنه قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب
فنزلت وقيل انه عليه الصلوة والسلام كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل منهم يد عايشة
رضي الله عنها فكره النبي ذلك فنزلت ذلكم اي ما ذكر من عدم الدخول بغير اذن وعدم الاستيناس للحديث
عند الدخول وسوال المتاع من وراء حجاب اطهر لقلوبكم وقلوبهن اي اكثر تطهيرا من الخواطر الشيطانية
وما كان لكم اي وما صح وما استقام لكم ان تؤذوا رسول الله اي ان تفعلوا في حيوته فعلا يكرهه ويتاذى به

ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا اي من بعد وفاته او فراقه ان ذلكم اشارة الى ما ذكر من ايذائه عليه الصلوة
والسلام ونكاح ازواجه من بعده وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الشر والفساد كان عند الله عظيما
اي امرا عظيما وخطبا هائلا لا يقادر قدره وفيه من تعظيمه تعالى لشان رسوله صلى الله عليه وسلم وايجاب
حرمته حيا وميتا ما لا يخفى ولذلك بالغ تعالى في الوعيد حيث قال ان تبدوا شيئا مما لا خير فيه كنكاحهن على
السنتكم او تخفوه في صدوركم فان الله كان بكل شيء عليما فيجازيكم بما صدر عنكم من المعاصي البادية والخافية لا
محالة وفي هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل وتشديد ومبالغة في الوعيد لا جناح عليهن في ابائهن ولا
ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن استيناف لبيان من لا يجب الاحتجاب عنهم روي لما نزلت
اية الحجاب قال الاباء والابناء والاقارب يا رسول الله او نكلمهن ايضا من وراء الحجاب فنزلت وانما لم يذكر العم
والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمي العم ابا في قوله تعالى واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق
او لانه اكتفى عن ذكرهما بذكر ابناء الاخوة وابناء الاخوات فانه مناط عدم لزوم الاحتجاب بينهن وبين الفريقين
عين ما بينهن وبين العم والخال من العمومة والخؤلة لما انهن عمات لابناء الاخوة وخالات لابناء الاخوات
وقيل لانه كره ترك الاحتجاب بينهما مخافة ان يصفاهن لابنائهما ولا نسائهن اي نساء المؤمنات ولا ما ملكت
ايمانهن من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة وقد مر في سورة النور واتقين الله في كل ما تأتون وما تذرون
لا سيما فيما امرتن به ونهيتن عنه ان الله كان على كل شيء شهيدا لا يخفى عليه خافية ولا يتفاوت في علمه الاحوال
ان الله وملائكته وقرئ ملائكته بالرفع عطفا على محل ان واسمها عند الكوفيين وحملا على حذف الخبر ثقة بدلالة ما
بعده عليه على راي البصريين يصلون على النبي قيل الصلوة من الله تعالى الرحمة ومن الملائكة الاستغفار
وقال ابن عباس رضي الله عنهما اراد ان الله يرحمه والملائكة يدعون له وعنه ايضا يصلون يتبركون وقال
ابو العالية صلوة الله تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة وصلوتهم دعاؤهم له فينبغي ان يراد بها في يصلون معنى
مجازي عام يكون كل واحد من المعاني المذكورة فردا حقيقيا له اي يعتنون بما فيه خيره وصلاح امره ويهتمون
باظهار شرفه وتعظيم شانه وذلك من الله سبحانه بالرحمة ومن الملائكة بالدعاء والاستغفار يا ايها الذين امنوا
صلوا عليه اعتنوا انتم ايضا بذلك فانكم اولى به وسلموا تسليما قائلين اللهم صل على محمد وسلم او نحو ذلك وقيل
المراد بالتسليم الانقياد لامره والاية دليل على وجوب الصلوة والسلام عليه مطلقا من غير تعرض لوجوب
التكرار وعدمه قيل يجب ذلك كلما جرى ذكره لقوله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل
علي وقوله عليه الصلوة والسلام من ذكرت عنده فلم يصل علي دخل النار فابعده الله ويروى انه عليه الصلوة
والسلام قال وكل الله تعالى بي ملكين فلا اذكر عند مسلم فيصلي علي الا قال ذلك الملكان غفر الله لك وقال
الله تعالى وملائكته جوابا لذينك الملكين امين ولا اذكر عند مسلم فلا يصلي علي الا قال ذلك الملكان لا غفر
الله لك ويقول الله تعالى وملائكته جوابا لذينك الملكين امين ومنهم من قال يجب في كل مجلس مرة وان
تكرر ذكره عليه الصلوة والسلام كما قيل في اية السجدة وتشميت العاطس وكذلك في كل دعاء في اوله واخره
ومنهم من قال بالوجوب في العمر وكذا قال في اظهار الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط ويستدعيه
معرفة علو شانه عليه الصلوة والسلام ان نصلي عليه كلما جرى ذكره الرفيع واما الصلوة عليه في الصلوة
بان يقال اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد فليست
بشرط في جواز الصلوة عندنا وعن ابرهيم النخعي ان الصحابة رضي الله عنهم كانوا يكتفون عن ذلك بما في التشهد
وهو السلام عليك ايها النبي واما الشافعي رحمه الله فقد جعلها شرطا واما الصلاة على غير الانبياء
عليهم السلام فيجوز تبعا ويكره استقلالا لانه في العرف شعار ذكر الرسل ولذلك كره ان يقال محمد عز وجل
مع كونه عزيزا جليلا ان الذين يؤذون الله ورسوله اراد بالايذا اما فعل ما يكرهانه من الكفر والمعاصي مجازا لا

حقيق التأذي في قوله تعالى وقيل في ايذايه تعالى وهو قول اليهود والنصارى والمشركين يد الله مغلولة
وثالث ثلثة والمسيح ابن الله والملايكة بنات الله والاصنام شركاوه تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقيل قول الذين يلحدون
في اياتنا وفي ايذاء الرسول عليه الصلوة والسلام وهو قولهم شاعر ساحر كاهن مجنون وقيل يوم كسر رباعيته وشج
وجهه الكريم يوم احد وقيل طعنهم في نكاح صفية والحق هو العموم فيهما واما ايذاؤه عليه الصلوة والسلام
خاصة بطريق الحقيقة وذكر الله عز وجل لتعظيمه والايذان بجلالة مقداره عنده تعالى وان ايذاءه عليه الصلوة
والسلام ايذاء له سبحانه وتعالى لعنهم الله طردهم وابعدهم من رحمته في الدنيا والاخرة بحيث لا يكادون ينالون فيهما
شيئا منها واعد لهم مع ذلك عذابا مهينا يصيبهم في الاخرة خاصة والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات يفعلون بهم ما يتأذون
به من قول او فعل وتقييده بقوله تعالى بغير ما اكتسبوا اي بغير جناية يستحقون بها الاذية بعد اطلاقه فيما
قبله للايذان بان اذى الله ورسوله لا يكون الا غير حق واما اذى هولاء فمنه ومنه فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا اي ظاهرا
بينا قيل انها نزلت في منافقين كانوا يؤذون عليا رضي الله عنه ويسمعونه ما لا خير فيه وقيل في اهل الافك وقال
الضحاك والكلبي في زناة يتبعون النساء اذا برزن بالليل لقضاء حوايجهن وكانوا لا يتعرضون الا للاماء
وربما كان يقع التعرض منهم للحراير ايضا جهلا او تجاهلا لاتحاد الكل في الزي واللباس والظاهر عمومه لكل ما ذكر ولما
سياتي من اراجيف المرجفين يا ايها النبي بعد ما بين سوء حال المؤذين زجرا لهم عن الايذاء امر النبي صلى الله عليه وسلم
ان يامر بعض المتأذين منهم بما يدفع ايذاءهم في الجملة من التستر والتميز عن مواقع الايذاء فقيل قل لازواجك وبناتك ونساء
المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن الجلباب ثوب اوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على راسها وتبقي منه ما ترسله
الى صدرها وقيل هي الملحفة وكل ما يستتر به اي يغطين بها وجوههن وابدانهن اذا برزن لداعية من الدواعي ومن
للتبعيض لما مر من ان المعهود التلفع ببعضها وارخاء بعضها وعن السدي تغطي احدى عينيها وجبهتها والشق الاخر
الا العين ذلك اي ما ذكر من التغطي ادنى اقرب ان يعرفن ويميزن عن الاماء والقينات اللاتي هن مواقع تعرضهم
وايذايهم فلا يؤذين من جهة اهل الريبة بالتعرض لهن وكان الله غفورا لما سلف منهن من التفريط رحيما بعباده حيث
يراعي من مصالحهم امثال هاتيك الجزئيات لئن لم ينته المنافقون عما هم عليه من النفاق واحكامه الموجبة للايذاء
والذين في قلوبهم مرض عما هم عليه من التزلزل وما يستتبعه مما لا خير فيه والمرجفون في المدينة من الفريقين عما هم عليه من
نشر اخبار السوء عن سرايا المسلمين وغير ذلك من الاراجيف الملفقة المستتبعة للاذية واصل الارجاف التحريك
من الرجفة التي هي الزلزلة وصفت بها الاخبار الكاذبة لكونها متزلزلة غير ثابتة لنغرينك بهم لنامرنك بقتالهم
واجلايهم او بما يضطرهم الى الجلاء ولنحرضنك على ذلك ثم لا يجاورونك فيها عطف على جواب القسم وثم للدلالة
على ان الجلاء ومفارقة جوار الرسول عليه الصلوة والسلام اعظم ما يصيبهم فيها اي في المدينة الا قليلا زمانا
او جوارا قليلا ريثما يتبين حالهم من الانتهاء وعدمه ملعونين نصب على الشتم او الحال على ان الاستثناء وارد
عليه ايضا على راي من يجوزه كما مر في قوله تعالى غير ناظرين اناه ولا سبيل الى انتصابه عن قوله تعالى اينما
ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها سنة الله في الذين خلوا من قبل اي سن الله ذلك في
الامم الماضية سنة وهي ان يقتل الذين نافقوا الانبياء عليهم السلام وسعوا في توهين امرهم بالارجاف
ونحوه اينما ثقفوا ولن تجد لسنة الله تبديلا اصلا لابتنائها على اساس الحكمة التي عليها يدور فلك التشريع يسئلك
الناس عن الساعة اي عن وقت قيامها كان المشركون يسئلونه عليه الصلوة والسلام عن ذلك استعجالا بطريق
الاستهزاء واليهود امتحانا لما ان الله تعالى عمى وقتها في التورية وسائر الكتب قل انما علمها عند الله لا يطلع عليها
ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا وقوله تعالى وما يدريك خطاب مستقل له عليه الصلوة والسلام غير داخل تحت
الامر مسوق لبيان انها مع كونها غير معلومة للخلق مرجوة المجيء عن قريب اي اي شيء يعلمك بوقت قيامها
اي لا يعلمك به شيء اصلا وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا اي شيئا قريبا او تكون الساعة في وقت قريب وانتصابه

على الظرفية

على الظرفية ويجوز ان يكون التذكير باعتبار ان الساعة في معنى اليوم او الوقت وفيه تهديد للمستعجلين وتبكيت
للمتعنتين والاظهار في حيز الاضمار للتهويل وزيادة التقرير وتاكيد استقلال الجملة كما اشير اليه ان الله لعن الكافرين
على الاطلاق اي طردهم وابعدهم من رحمته العاجلة والاجلة واعد لهم مع ذلك سعيرا نارا شديدة الايقاد يقاسونها
في الاخرة خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا يحفظهم ولا نصيرا يخلصهم منها يوم تقلب وجوههم في النار ظرف لعدم الوجدان وقيل
لخالدين وقيل لنصيرا وقيل مفعول لاذكر اي تصرف وجوههم فيها من جهة الى جهة او من حال الى حال او يطرحون
فيها مقلوبين منكوسين وقرئ تقلب بحذف احدى التائين من تتقلب ونقلب باسناد الفعل الى نون العظمة
ونصب وجوههم وتقلب باسناده الى السعير وتخصيص الوجوه بالذكر لما انها اكرم الاعضاء ففيه مزيد
تفظيع للامر وتهويل للخطب ويجوز ان يكون عبارة عن كل الجسد فقوله تعالى يقولون استيناف مبني على سؤال
نشا من حكاية حالهم الفظيعة كانه قيل فماذا يصنعون عند ذلك فقيل يقولون متحسرين على ما فاتهم يا ليتنا
اطعنا الله واطعنا الرسولا فلا نبتلي بهذا العذاب او حال من ضمير وجوههم او من نفسها او هو العامل في يوم وقالوا
عطف على يقولون والعدول الى صيغة الماضي للاشعار بان قولهم هذا ليس مستمرا كقولهم السابق بل هو
ضرب اعتذار ارادوا به ضربا من التشفي بمضاعفة عذاب الذين القوهم في تلك الورطة وان علموا عدم قبوله في
حق خلاصهم منها ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرئ ساداتنا للدلالة على الكثرة
والتعبير عنهم بعنوان السيادة والكبر لتقوية الاعتذار والا فهم في مقام التحقير والاهانة فاضلونا السبيلا بما
زينوا لنا الاباطيل والالف للاطلاق كما في واطعنا الرسولا ربنا اتهم ضعفين من العذاب اي مثلي العذاب الذي اتيتناه
لانهم ضلوا واضلوا والعنهم لعنا كبيرا اي شديدا عظيما وقرئ كثيرا وتصدير الدعاء بالنداء مكرر للمبالغة
في الجوار واستدعاء الاجابة يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى قيل نزلت في شان زيد وزينب وما سمع
فيه من قالة الناس فبراه الله مما قالوا اي فاظهر براءته عليه السلام بما قالوا في حقه اي من مضمونه ومؤداه
الذي هو الامر المعيب وذلك ان قارون اغرى مومسة على قذفه عليه السلام بنفسها بان دفع اليها مالا عظيما
فاظهر الله تعالى نزاهته عليه السلام عن ذلك بان اقرت المومسة بالمصانعة الجارية بينها وبين قارون وفعل
بقارون ما فعل كما فصل في سورة القصص وقيل اتهمه ناس بقتل هارون عند خروجه معه الى الطور
فمات هناك فحملته الملايكة ومروا به حتى راوه غير مقتول وقيل احياه الله تعالى فاخبرهم ببراءته
وقيل قذفوه بعيب في بدنه من برص او ادرة لفرط تستره حياء فاطلعهم الله تعالى على براءته بان فر الحجر
بثوبه حين وضعه عليه عند اغتساله والقصة مشهورة وكان عند الله وجيها ذا قربة ووجاهة وقرئ
وكان عبدا لله وجيها يا ايها الذين امنوا اتقوا الله اي في كل ما تاتون وتذرون لا سيما في ارتكاب ما يكرهه فضلا
عما يؤذي رسوله عليه الصلوة والسلام وقولوا في كل شان من الشئون قولا سديدا قاصدين الى الحق من سدد
يسد سدادا يقال سدد السهم نحو الرمية اذا لم يعدل بها عن سمتها والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث
زينب الجائر عن العدل والقصد يصلح لكم اعمالكم يوفقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة
عليها ويغفر لكم ذنوبكم ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول والعمل ومن يطع الله ورسوله في الاوامر والنواهي
التي من جملتها هذه التكليفات فقد فاز في الدارين فوزا عظيما لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته انا عرضنا الامانة
على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها لما بين عظم شان طاعة الله ورسوله ببيان مال الخارجين
عنها من العذاب الاليم ومنال المراعين لها من الفوز العظيم عقب ذلك ببيان عظم شان ما يوجبها من
التكاليف الشرعية وصعوبة امرها بطريق التمثيل مع الايذان بان ما صدر عنهم من الطاعة وتركها
صدر عنهم بعد القبول والالتزام وعبر عنها بالامانة تنبيها على انها حقوق مرعية اودعها الله تعالى المكلفين
وايتمنهم عليها تلقيها بحسن الطاعة والانقياد وامرهم بمراعاتها والمحافظة عليها وادائها من غير اخلال

من حقوقها وعبّر عن اعتبارها بالنسبة الى استعداد ما ذكر من السموات وغيرها بالعرض عليهن لاظهار مزيد
الاعتناء بامرها والرغبة في قبولهن وعن عدم استعدادهن لقبولها بالاباء والاشفاق منها لتهويل امرها وتربية
فخامتها وعن قبولها بالحمل لتحقيق معنى الصعوبة المعتبرة فيها بجعلها من قبيل الاجسام الثقيلة التي يستعمل فيها
القوى الجسمانية التي اشدها واعظمها ما فيهن من القوة والشدة والمعنى ان تلك الامانة في عظم الشان بحيث
لو كلفت هاتيك الاجرام العظام التي هي مثل في القوة والشدة مراعاتها وكانت ذات شعور وادراك لا
ابين قبولها واشفقن منها ولكن صرف الكلام عن سننه بتصوير المفروض بصورة المحقق روما لزيادة تحقيق
المعنى المقصود بالتمثيل وتوضيحه **وحملها الانسان** اي عند عرضها عليه اما باعتبارها بالاضافة الى استعداده
او بتكليفه اياها يوم الميثاق اي تكلفها والتزمها مع ما فيه من ضعف البنية ورخاوة القوة وهو اما عبارة
عن قبوله لها بموجب استعداده الفطري او عن اعترافه بقوله بلى وقوله تعالى **انه كان ظلوما جهولا** اعتراض وسط بين
الحمل وغايته للايذان من اول الامر بعدم وفائه بما عهد وتحمله انه كان مفرطا في الظلم مبالغا في الجهل اي بحسب
غالب افراده الذين لم يعملوا بموجب فطرتهم السليمة واعترافهم السابق دون من عداهم من الذين لم يبدلوا فطرة
الله تبديلا والى الفريق الاول اشير بقوله **ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات** اي حملها الانسان ليعذب
الله بعض افراده الذين لم يراعوها ولم يقابلوها بالطاعة على ان اللام للعاقبة فان التعذيب وان لم يكن غرضا له من
الحمل لكن لما ترتب عليه بالنسبة الى بعض افراده ترتب الاغراض على الافعال المعللة بها ابرز في معرض الغرض
اي كان عاقبة حمل الانسان لها ان يعذب الله تعالى هؤلاء من افراده لخيانتهم الامانة وخروجهم عن الطاعة
بالكلية والى الفريق الثاني اشير بقوله تعالى **ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات** اي كان عاقبة حمله لها ان يتوب الله
تعالى على هؤلاء من افراده اي يقبل توبتهم لعدم خلعهم ربقة الطاعة عن رقابهم بالمرة وتلافيهم لما فرط منهم من
فرطات قلما يخلو عنها الانسان بحكم جبلته وتداركهم لها بالتوبة والانابة والالتفات الى الاسم الجليل اولا
لتهويل الخطب وتربية المهابة والاظهار في موقع الاضمار ثانيا لابراز مزيد الاعتناء بامر المؤمنين توفية لكل من
مقامي الوعيد والوعد والله تعالى اعلم وحمل الامانة التي شانها ان تكون من جهته تعالى عبارة عن الطاعة التي هي
من افعال التكليف التابعة للتكليف بمعزل من التقريب وحمل الكلام على تقرير الوعد الكريم الذي ينبئ عنه قوله تعالى
ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما تعظيما لشان الطاعة ذريعة الى ذلك بان من قام بحقوق مثل هذا
الامر العظيم الشان وراعاها فهو جدير بان يفوز بخير الدارين ويأباه وصفه بالظلم والجهل اولا وتعليل الحمل
بتعذيب فريق والتوبة على فريق ثانيا وقيل المراد بالامانة مطلق الانقياد الشامل للطبيعي والاختياري وبعرضها
استدعاؤها الذي يعم طلب الفعل من المختار وارادة صدوره من غيره وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن ادائها
فيكون الاباء امتناعا عن الخيانة واتيانا بالمراد فالمعنى ان هذه الاجرام مع عظمها وقوتها ابين الخيانة لاماناتها و
اتين بما امرناهن به لقوله تعالى اتينا طائعين وخانها الانسان حيث لم يات بما امرناه انه كان ظلوما جهولا وقيل
انه تعالى لما خلق هذه الاجرام خلق فيها فهما وقال لها اني فرضت فريضة وخلقت جنة لمن اطاعني فيها ونارا
لمن عصاني فقلن نحن مسخرات لما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبغي ثوابا ولا عقابا ولما خلق الله تعالى ادم عليه السلام
عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله ما يشق عليها جهولا بوخامة عاقبته وقيل المراد بالامانة
العقل او التكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن وبابائهن الاباء الطبيعي الذي هو عدم
اللياقة والاستعداد لها وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية و
الشهوية وهذا قريب من التحقيق فتامل والله الموفق وقرئ ويتوب الله على الاستيناف **وكان الله غفورا رحيما** مبالغا في المغفرة والرحمة
حيث تاب عليهم وغفر لهم فرطاتهم واثاب بالفوز على طاعاتهم قال عليه الصلوة والسلام من قرا سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي

سورة سبا وهي اربع وخمسون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض** اي له تعالى خلقا وملكا وتصرفا بالايجاد والاعدام والا
والاماتة جميع ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما وخارجا عنهما متمكنا فيهما فكانه قيل له جميع المخلوقات كما مر في
اية الكرسي ووصفه تعالى بذلك لتقرير ما افاده تعليق الحمد المعرف بلام الحقيقة بالاسم الجليل من اختصاص جميع
افراده به تعالى على ما بين في خاتمة الفاتحة ببيان تفرده تعالى واستقلاله بذلك وكون كل ما سواه من الموجودات
التي من جملتها الانسان تحت ملكوته تعالى ليس لها في حد ذاتها استحقاق الوجود فضلا عما عداه من صفاتها بل كل
ذلك نعم فايضة عليها من جهته عز وجل فما هذا شانه فهو بمعزل من استحقاق الحمد الذي مداره الجميل الصادر عن
القادر بالاختيار فظهر اختصاص جميع افراده به تعالى وقوله تعالى **وله الحمد في الاخرة** بيان لاختصاص الحمد الاخروي
به تعالى اثر بيان اختصاص الدنيوي به على ان الجار متعلق اما بنفس الحمد او بما تعلق به الخبر من الاستقرار واطلاق
عن ذكر ما يشعر بالمحمود عليه ليس للاكتفاء بذكر كونه في الاخرة عن التعيين كما اكتفي فيما سبق بذكر كون المحمود عليه في
الدنيا عن ذكر كون الحمد ايضا فيها بل ليعم النعم الاخروية كما في قوله تعالى الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض
نتبوأ من الجنة وقوله تعالى الذي احلنا دار المقامة من فضله الاية وما يكون ذريعة الى نيلها من النعم الدنيوية
كما في قوله تعالى الحمد لله الذي هدانا لهذا اي لما جزاؤه هذا من الايمان والعمل الصالح والفرق بين الحمدين مع
كون نعمتي الدنيا والاخرة بطريق التفضل ان الاول على نهج العبادة والثاني على وجه التلذذ والاغتباط
وقد روي في الخبر انهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس **وهو الحكيم** الذي احكم امور الدين والدنيا ودبرها
حسبما تقتضيه الحكمة **الخبير** ببواطن الاشياء ومكنوناتها وقوله تعالى **يعلم ما يلج في الارض** الى اخره تفصيل
لبعض ما يحيط به علمه من الامور التي نيطت بها مصالحهم الدنيوية والدينية اي يعلم ما يدخل فيها من الغيث
والكنوز والدفاين والاموات ونحوها **وما يخرج منها** كالحيوان والنبات وماء العيون ونحوها **وما ينزل من السماء**
كالملائكة والكتب والمقادير ونحوها وقرئ وما ننزل من السماء بالتشديد ونون العظمة **وما يعرج فيها** كالملا
ئكة واعمال العباد والابخرة والادخنة **وهو الرحيم** للحامدين على ما ذكر من نعمه **الغفور** للمفرطين في ذلك بلطفه
وكرمه **وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة** اراد بضمير المتكلم جنس الحشر قاطبة لا انفسهم او معاصريهم فقط كما ارادوا
بنفي اتيانها نفي وجودها بالكلية لا عدم حضورها مع تحققها في نفس الامر وانما عبروا عنه بذلك لانهم
كانوا يوعدون باتيانها ولان وجود الامور الزمانية المستقبلة لا سيما اجزاء الزمان لا يكون الا بالاتيان
والحضور وقيل هو استبطاء لاتيانها الموعود بطريق الهزؤ والسخرية كقولهم متى هذا الوعد **قل بلى** رد لكلا
واثبات لما نفوه على معنى ليس الامر الا اتيانها وقوله تعالى **وربي لتاتينكم** تاكيد على اتم الوجوه واكملها وقرئ ليأتينكم
على تاويل الساعة باليوم او الوقت وقوله تعالى **عالم الغيب** الى اخره امداد للتاكيد وتشديد له اثر تشديد
وكسر لسورة نكيرهم واستبعادهم فان تعقيب القسم بجلائل نعوت المقسم به على الاطلاق يؤذن بفخامة شان
المقسم عليه وقوة ثباته وصحته لما ان ذلك في حكم الاستشهاد على الامر ولا ريب في ان المستشهد به كلما كان
اجل واعلى كانت الشهادة اكد واقوى والمستشهد عليه احق بالثبوت واولى لا سيما اذا خص بالذكر من النعوت ما
له تعلق خاص بالمقسم عليه كما نحن فيه فان وصفه بعلم الغيب الذي اشتهر بافراده وادخلها في الخفاء هو
المقسم عليه تنبيه لهم على علة الحكم وكونه مما لا يحوم حوله شائبة ريب او فائدة الامر بهذه المرتبة من
اليمين ان لا يبقى للمعاندين عذر ما اصلا فانهم كانوا يعرفون امانته ونزاهته عن وصمة الكذب فضلا عن اليمين
الفاجرة وانما لم يصدقوه مكابرة وقرئ علام الغيب وعالم الغيب وعالم الغيوب بالرفع على المدح **لا يعزب عنه**
اي لا يبعد وقرئ بكسر الزاء **مثقال ذرة** مقدار اصغر نملة **في السموات ولا في الارض** اي كائنة فيهما **ولا اصغر
من ذلك** اي من مثقال الذرة **ولا اكبر** اي منه ورفعهما على الابتداء والخبر قوله تعالى **الا في كتاب مبين** هو اللوح
المحفوظ والجملة مؤكدة لنفي العزوب وقرئ ولا اصغر ولا اكبر بفتح الراء على نفي الجنس ولا يجوز ان يعطف المرفوع على

متقال ولا المفتوح على ذرة بانه فتح في حيز الجر لامتناع الصرف لما ان الاستثناء يمنعه الا ان يجعل الضمير في عنه للغيب ويجعل المثبت في اللوح خارجا عنه لبروزه للمطالعين له فيكون المعنى لا ينفصل عن الغيب شيء الا مسطورا في اللوح ليجزي الذين امنوا وعملوا الصلحات علة لقوله لتاتينكم وبيان لما يقتضي اتيانها اولئك اشارة الى الموصول من حيث اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل والشرف اي اولئك الموصوفون بالصفات الجليلة لهم بسبب ذلك مغفرة لما فرط منهم من بعض فرطات قلما يخلو عنها البشر ورزق كريم لاتعب فيه ولا من عليه والذين سعوا في اياتنا بالقدح فيها وصد الناس عن التصديق بها معاجزين اي مسابقين كي يفوتونا وقرئ معجزين اي مثبطين عن الايمان من اراده اولئك لهم عذاب الكلام فيه كالذي مر انفا ومن في قوله تعالى من رجز للبيان قال قتادة الرجز سوء العذاب وقوله تعالى اليم صفة عذاب اي اولئك الساعون لهم عذاب من جنس سوء العذاب شديد الايلام وقرئ اليم بالجر صفة لرجز ويرى الذين اوتوا العلم اي يعلم اولوا العلم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شايعهم من علماء الامة او من امن من علماء الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب واضرابهما رضي الله عنهم الذي انزل اليك من ربك اي القران هو الحق بالنصب على انه مفعول ثان ليرى والمفعول الاول هو الموصول الثاني وهو ضمير الفصل وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر والجملة هو المفعول الثاني ليرى وقوله تعالى ويرى الى اخره مستانف مسوق للاستشهاد باولي العلم على الجملة الساعين في الايات وقيل منصوب عطفا على يجزي اي وليعلم اولوا العلم عند مجي الساعة معاينة انه الحق حسبما علموه الان برهانا و يحتجوا به على المكذبين وقد جوز ان يراد باولي العلم من لم يؤمن بالاخبار اي ليعلموا يومئذ انه هو الحق فيزدادوا حسرة وغما ويهدي عطف على الحق عطف الفعل على الاسم لانه في تاويله كما في قوله تعالى صافات ويقبضن اي وقابضات كانه قيل ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك الحق هاديا الى صراط العزيز الحميد الذي هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى وقيل مستانف وقيل حال من الذي انزل اليك على اضمار مبتدا اي وهو يهدي كما في قول من قال نجوت وارهنهم مالكا وقال الذين كفروا هم كفار قريش قالوا مخاطبا بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنون بالنبي صلى الله عليه وسلم وانما قصدوا بالتنكير الطنز والسخرية قاتلهم الله تعالى ينبئكم اي يحدثكم بعجب عجاب وقرئ ينبوكم من الانباء اذا مزقتم كل ممزق اي اذا متم ومزقت اجسادكم كل تمزيق وفرقت كل تفريق بحيث صرتم ترابا ورفاتا انكم لفي خلق جديد مستقرون فيه عدل اليه عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث مثل تبعثون او تخلقون خلقا جديدا للاشباع في الاستبعاد والتعجيب وكذلك تقديم الظرف والعامل فيه ما دل عليه المذكور لا المنفسه لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وجديد فعيل بمعنى فاعل من جد فهو جديد وقل فهو قليل وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب اذا قطعه ثم شاع افترى على الله كذبا فيما قاله ام به جنة اي جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه واستدلال بهذا الترديد على ان بين الصدق والكذب واسطة هو ما لا يكون من الاخبار عن بصيرة بين الفساد لظهور كون الافترا اخص من الكذب بل الذين لا يؤمنون بالاخرة في العذاب والضلال البعيد جواب من جهة الله تعالى عن ترديدهم الوارد على طريقة الاستفهام بالاضراب عن شقيه وابطالهما واثبات قسم ثالث كاشف عن حقيقة الحال ناع عليهم سوء حالهم وابتلاوهم بما قالوا في حقه عليه الصلوة والسلام كانه قيل ليس الامر كما زعموا بل هو في حال كمال اختلال العقل وغاية الضلال عن الفهم والادراك الذي هو الجنون حقيقة وفيما يؤدي اليه ذلك من العذاب ولذلك يقولون ما يقولون وتقديم العذاب على ما يوجبه ويستتبعه للمسارعة الى بيان ما يسوءهم ويفت في اعضادهم والاشعار بغاية سرعة ترتبه عليه كانه قبل سابقه فيسبقه ووصف الضلال بالبعيد الذي هو وصف الضال للمبالغة ووضع الموصول موضع ضميرهم للتنبيه بما في حيز الصلة على ان علة ما ارتكبوه واجترؤوا عليه من الشناعة الفظيعة كفرهم بالاخرة وما فيها من فنون العقاب ولولاه لما فعلوا ذلك خوفا من غائلته وقوله تعالى افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض استئناف مسوق لتهويل ما اجترؤوا

عليهم

عليه من تكذيب ايات الله تعالى واستعظام ما قالوا في حقه عليه الصلوة والسلام وانه من الغرابة الموجبة لنزول اشد العقاب وحلول افظع العذاب من غير ريث وتاخير والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى ان نشا الى اخره بيان لما ينبئ عنه ذكر احاطتهما بهم من المحذوف المتوقع من جهتهما وفيه تنبيه على انه لم يبق من اسباب وقوعه الا تعلق المشيئة به اي فعلوا ما فعلوا من المنكر الهائل المستتبع للعقوبة فلم ينظروا الى ما احاط بهم من جميع جوانبهم بحيث لا مفر لهم عنه ولا محيص ان نشا اجراء على موجب جناياتهم نخسف بهم الارض كما خسفناها بقارون او نسقط عليهم كسفا اي قطعا من السماء كما اسقطناها على اصحاب الايكة لاستيجابهم ذلك بما ارتكبوه من الجرائم وقيل هو تذكير بما يعاينون مما يدل على كمال قدرته وما يحتمل فيه ازاحة استحالتهم البعث حتى جعلوه افترا وهزوا وتهديدا عليها والمعنى اعموا فلم ينظروا الى ما احاط بجوانبهم من السماء والارض ولم يتفكروا اهم اشد خلقا ام هي وان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالايات بعد ظهور البينات فتامل وكن على الحق المبين وقرئ يخسف ويسقط بالياء لقوله تعالى افترى على الله وكسفا بسكون السين ان في ذلك اي فيما ذكر من السماء والارض من حيث احاطتهما بالناظر من جميع الجوانب او فيما تلي من الوحي الناطق بذلك لاية واضحة لكل عبد منيب شانه الانابة الى ربه فانه اذا تامل فيهما او في الوحي المذكور ينزجر عن تعاطي القبائح وينيب اليه تعالى وفيه حث بليغ على التوبة والانابة وقد اكد ذلك بقوله تعالى ولقد اتينا داود منا فضلا اي اتيناه لحسن انابته وحسن توبته فضلا على سائر الانبياء عليهم السلام اي نوعا من الفضل وهو ما ذكر بعد فانه معجزة خاصة به عليه السلام او على سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن فتنكيره للتفخيم ومنا لتاكيد فخامته الذاتية بفخامته الاضافية كما في قوله تعالى واتيناه من لدنا علما وتقديمه على المفعول الصريح للاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فاذا وردها تمكن عندها فضل تمكن يا جبال اوبي معه من التاويب اي رجعي معه التسبيح او النوحة على الذنب وذلك اما بان يخلق الله تعالى فيه صوتا مثل صوته كما خلق الكلام في الشجرة او بان يتمثل له ذلك وقرئ اوبي من الاوب اي ارجعي معه في التسبيح كما رجع فيه وكان كلما سبح عليه السلام يسمع من الجبال ما يسمع من المسبح معجزة له عليه السلام وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزن وكانت الجبال تسعده على نوحه باصدائها والطير باصواتها وهو بدل من اتينا باضمار قلنا او من فضلا باضمار قولنا والطير بالنصب عطفا على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير لان ايتاءها اياه عليه السلام تسخيرها له فلا حاجة الى اضماره كما نقل عن الكسائي ولا الى تقدير مضاف اي تسبيح الطير كما نقل عنه في رواية وقيل عطفا على محل الجبال وفيه من التكلف لفظا ومعنى ما لا يخفى وقرئ بالرفع عطفا على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بالحركة الاعرابية وقد جوز انتصابه على انه مفعول معه والاول هو الاوجه وفي تنزيل الجبال والطير منزلة العقلاء المطيعين لامره تعالى المذعنين لحكمه المشعر بانه ما من حيوان وجماد وصامت وناطق الا وهو منقاد لمشيئته غير ممتنع على ارادته من الفخامة المعربة عن غاية عظم شانه تعالى وكمال كبريائه سلطانه ما لا يخفى على اولي الالباب والنا له الحديد اي جعلناه لينا في نفسه كالشمع يصرفه في يده كيف يشاء من سائر القوي البشرية ان اعمل امرناه ان اعمل على ان ان مصدرية حذف عنها الباء وفي حملها على المفسرة تكلف ما لا يخفى سابغات واسعات وقرئ صابغات وهي الدروع الواسعة الضافية وهو عليه السلام اول من اتخذها وكانت قبل صفائح قالوا كان عليه السلام حين ملك على بني اسرائيل يخرج متنكرا فيسال الناس ما تقولون في داود فيثنون عليه فقيض الله له ملكا في صورة ادمي فساله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فريع داود فساله عنها فقال لولا انه يطعم عياله من بيت المال فعند ذلك سال ربه ان يسبب له ما يستغني به عن بيت المال فعلمه تعالى صنعة الدروع وقيل كان يبيع الدرع باربعة الاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء وقدر في السرد السرد نسج الدروع اي اقتصد في نسجها بحيث يتناسب حلقها وقيل قدر مساميرها فلا تجعلها دقاقا ولا غلاظا وردبان دروعه عليه السلام لم تكن مسمرة كما ينبئ عنه

جبة

كبر

نابة

انبياء

فيه

من غير احماء بنار ولا ضرب بمطرقة اي جعلناه بالنسبة الى قوته التي اتيناها لينا كالشمع بالنسبة الى سائر
صح

الانه الحديد وقيل معنى قدر في السرد ولا تصرف جميع اوقاتك اليه بل مقدار ما يحصل به القوت واما الباقي فاصرفه
الي العبادة وهو الانسب بقوله تعالى **واعملوا صالحا** عمم الخطاب حسب عموم التكليف له عليه السلام ولاهله
اني بما تعملون بصير تعليل للامر او لوجوب الامتثال به **ولسليمان الريح** اي وسخرنا له الريح وقرئ برفع الريح اي ولسليمان
الريح مسخرة وقرئ الرياح **غدوها شهر ورواحها شهر** اي جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك والجملة
اما مستانفة او حال من الريح وقرئ غدوتها وروحتها وعن الحسن رحمه الله كان يغدو اي من دمشق فيقيل
باصطخر ثم يروح فيكون رواحه بكابل وقيل كان يتغدى بالري ويتعشى بسمرقند ويحكى ان بعضهم راي مكتوبا
في منزل بناحية دجلة كتبه بعض اصحاب سليمان عليه السلام نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه
غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رايحون منه فبايتون بالشام ان شاء الله **واسلنا له عين القطر** اي النحاس المذاب
اسالة من معدنه كما الان الحديد لداود عليه السلام فنبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سمي عينا وكان
ذلك باليمن وقيل كان يسيل في الشهر ثلاثة ايام وقوله تعالى **ومن الجن من يعمل بين يديه** اما جملة من مبتدا
وخبر او من يعمل عطف على الريح ومن الجن حال متقدمة **باذن ربه** بامره تعالى كما ينبي عنه قوله تعالى **ومن يزغ
منهم عن امرنا** اي ومن يعدل منهم بما امرناه به من طاعة سليمان عليه السلام وقرئ يزغ على البناء للمفعول من
ازاغه **نذقه من عذاب السعير** اي عذاب النار في الاخرة روي عن السدي رحمه الله كان معه ملك بيده سوط من
نار كلما استعصى ضربه من حيث لا يراه الجني **يعملون له ما يشاء** تفصيل لما ذكر من عملهم وقوله تعالى **من محاريب** الي اخره
بيان لما يشاء اي من قصور حصينة ومساكن شريفة سميت بذلك لانها يذب عنها ويحارب عليها وقيل هي
المساجد **وتماثيل** وصور الملائكة والانبياء عليهم السلام على ما اعتادوه فانها كانت تعمل حينئذ في المساجد ليراها
الناس ويعبدوا امثل عبادتهم وحرمة التصاوير شرع جديد وروي انهم عملوا اسدين في اسفل كرسيه
ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان ذراعيهما واذا قعد اظله النسران باجنحتهما **وجفان**
جمع جفنة وهي الصحفة **كالجواب** كالحياض الكبار جمع جابية لاجتماع الماء فيها وهي من الصفات الغالبة كالدابة
وقرئ باثبات الياء قيل كان يقعد على الجفنة الف رجل **وقدور راسيات** ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها لعظمها
اعملوا آل داود شكرا حكاية لما قيل لهم وشكرا نصب على انه مفعول له او مصدر لاعملوا لان العمل للمنعم شكر
له او لفعله المحذوف اي اشكروا شكرا او حال اي شاكرين او مفعول به اي اعملوا شكرا **وقليل من عبادي الشكور**
اي المتوفر على اداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اكثر اوقاته ومع ذلك لا يوفي حقه لان التوفيق للشكر نعمة
تستدعي شكرا اخر لا الى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر وروي انه عليه السلام جزا ساعات
الليل والنهار على اهله فلم تات ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قايم يصلي **فلما قضينا عليه الموت**
اي على سليمان عليه السلام **ما دلهم** اي الجن او آله **على موته الا دابة الارض** اي الارضة اضيفت الى فعلها وقرئ
بفتح الراء وهو تاثر الخشبة من فعلها يقال ارضت الارضة الخشبة ارضا فارضت ارضا مثل اكلت القوادح
اسنانه اكلا فاكلت اكلا **تاكل منساته** اي عصاه من نساه البعير اذا طردته لانها يطرد بها ما يطرد وقرئ
منساته بالف ساكنة بدلا من الهمزة وبهمزة ساكنة وباخراجها بين بين عند الوقف ومنساته على مفعاله
كميضاة في ميضاه ومن ساته من طرف عصاه من ساة القوس وفيه لغتان كما في قحة بالكسر والفتح وقرئ
منساته **فلما خر تبينت الجن** من تبينت الشيء اذا علمت بعد التباس عليك اي علمت الجن علما بينا بعد التباس
الامر عليهم **ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين** اي انهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته عليه
السلام حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولا في تسخيره الى ان خر او من تبين الشيء اذا ظهر وتجلى اي ظهرت الجن وان
مع ما في حيزها بدل اشتمال من الجن اي ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب الى اخره وقرئ تبينت الجن على
البناء للمفعول على ان المتبين في الحقيقة هو ان مع ما في صلتها لانه بدل وقرئ تبينت الانس والضمير في كانوا

للجن

صح

للجن في قوله تعالى ومن الجن من يعمل وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه تبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون
الغيب روي ان داود عليه السلام اسس بنيان بيت المقدس في موضع فسطاط موسى فتوفي قبل تمامه فوصى
به الى سليمان عليهما السلام فاستعمل به الجن والشياطين فباشروه حتى اذا حان اجله وعلم به سال ربه
ان يعمي عليهم موته حتى يفرغوا منه ولتبطل دعواهم علم الغيب فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير
ليس له باب فقام يصلي متكيا على عصاه فقبض روحه وهو متكي عليها فبقي كذلك وهم فيما امروا
من الاعمال حتى اكلت الارضة عصاه فخر ميتا وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه اينما صلى عليه السلام
فلم يكن ينظر اليه شيطان في صلوته الا احترق فمر به يوما شيطان فنظر فاذا سليمان عليه السلام
قد خر ميتا ففتحوا عنه فاذا العصا قد اكلتها الارضة فارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة
على العصا فاكلت منها في يوم وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وكان
عمره عليه السلام ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وبقي في ملكه اربعين سنة
وابتدا بناء بيت المقدس لاربع مضين من ملكه **لقد كان لسبا** بيان لاخبار بعض الكافرين بنعم الله تعالى
اثر بيان احوال الشاكرين لها اي لاولاد سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقرئ بمنع الصرف على انه اسم
القبيلة وقرئ بقلب الهمزة الفا ولعلها اخرج لها بين بين **في مساكنهم** وقرئ بكسر الكاف كالمسجد وقرئ
بلفظ الجمع اي موضع سكناهم وهي باليمن يقال له مارب بينها وبين صنعا ثلثة ايام **آية** دالة بملاحظة احوالها
السابقة واللاحقة على وجود الصانع المختار القادر على كل ما يشاء من الامور البديعة المجازي للمحسن والمسي
معاضدة للبرهان السابق كما في قصتي داود وسليمان عليهما **جنتان** بدل من اية او خبر لمبتدا محذوف اي هي جنتان
وفيه معنى المدح ويويده قراءة النصب على المدح والمراد بهما جماعتان من البساتين **عن يمين وشمال** جماعة
عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة من تينك الجماعتين في تقاربها وتضامها كانها جنة واحدة
او بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله **كلوا من رزق ربكم واشكروا له** حكاية لما قيل لهم على لسان
نبيهم تكميلا للنعمة وتذكيرا لحقوقها او لما نطق به لسان الحال او بيان لكونهم احقاء بان يقال لهم ذلك
بلدة طيبة ورب غفور استيناف مبين لما يوجب الشكر المامور به اي بلدتكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم
ما فيها من الطيبات وطلب منكم الشكر رب غفور لفرطات من يشكره وقرئ الكل بالنصب على المدح قيل كان
اطيب البلاد هواء واخصبها وكانت المراة تخرج وعلى راسها المكتل فتعمل بيديها وتسير فيما بين الاشجار فيمتلي
المكتل مما يتساقط فيه من الثمار ولم يكن فيه من موذيات الهوام شي **فاعرضوا** عن الشكر بعد ابانة الايات
الداعية لهم اليه قيل ارسل اليهم ثلاثة عشر نبيا فدعوهم الى الله تعالى وذكروهم بنعمه وانذروهم عقابه
فكذبوهم **فارسلنا عليهم سيل العرم** اي سيل الامر العرم اي الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه
وصعب او المطر الشديد وقيل العرم جمع عرمة وهي الحجارة المركومة وقيل هو السكر الذي يحبس الماء وقيل
هو اسم للبناء الذي يجعل سدا وقيل هو البناء الرصين الذي بنته الملكة بلقيس بين الجبلين بالصخر
والقار وحصنت به ماء العيون والامطار وتركت فيها خروقا على ما يحتاجون اليه في سقيهم وقيل
العرم الجرد الذي نقب عليهم ذلك السد وهو الفار الاعمى الذي يقال له الخلد سلطه الله تعالى على
سدهم فنقبه فغرق بلادهم وقيل العرم اسم الوادي وقيل العرم بسكون الراء قالوا كان ذلك في
الفترة التي كانت بين عيسى عليه السلام والنبي صلى الله عليه وسلم **وبدلناهم بجنتيهم** اي اذهبنا جنتيهم
وابدلناهم بدلهما **جنتين ذواتي اكل خمط** اي ثمر بشع فان الخمط كل نبت اخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن اكله وقيل
هو الحامض والمر من كل شيء وقيل هو ثمر شجرة يقال لها فسوة الضبع على صورة الخشخاش لا ينتفع به
وقيل هو الاراك او كل شجر ذي شوك والتقدير اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه

وقرئ اكل خمط بالاضافة وبتخفيف اكل **واثل وشيء من سدر قليل** معطوفان على اكل لا على خمط فان الاثل هو
الطرفا وقيل شجر يشبهه اعظم منه ولا ثمر له وقرئ وشيئا عطفا على جنتين قيل وصف السدر بالقلة لما
ان جناه وهو النبق مما يطيب اكله ولذلك يغرس في البساتين والصحيح ان السدر صنفان صنف يوكل
ثمره وصنف ينتفع بورقه لغسل اليد وصنف له ثمرة عفصة لا يوكل اصلا ولا ينتفع بورقه وهو الضال
والمراد هاهنا هو الثاني حتما وقال قتادة كان شجرهم خير الشجر فصيره الله تعالى من شر الشجر باعمالهم وتسمية
البدل جنتين للمشاكلة والتهكم **ذلك** اشارة الى مصدر قوله تعالى **جزيناهم** او الى ما ذكر من التبديل وما
فيه من معنى البعد للايذان ببعد رتبته في الفظاعة ومحله على الاول النصب على انه مصدر موكد للفعل
المذكور وعلى الثاني النصب على انه مفعول ثان له اي ذلك الجزاء الفظيع جزيناهم لا جزاء آخر او ذلك
التبديل جزيناهم لا غيره **بما كفروا** بسبب كفرانهم النعمة حيث نزعناها منهم ووضعنا مكانها ضدها او
بسبب كفرهم بالرسل **وهل نجازي الا الكفور** اي وما نجازي هذا الجزاء الا المبالغ في الكفران او الكفر وقرئ
يجازي على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وهل يجازى على البناء للمفعول ورفع الكفور وهل يجزى على البناء
للمفعول ايضا وهذا بيان ما اوتوا من النعم الحاضرة في مساكنهم وما فعلوا بها من الكفران وما فعل بهم من
الجزاء وقوله تعالى **وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها** حكاية لما اوتوا من النعم البادية في مسايرهم ومتاجرهم
وما فعلوا بها من الكفران وما حاق بهم بسبب ذلك تكملة لقصتهم وبيانا لعاقبتهم وانما لم يذكرا لكل
معا لما في التثنية والتكرير من زيادة تنبيه وتذكير وهو عطف على ما كان لسبا لا على ما بعده من الجمل الناطقة
بافعالهم وباجزيتها اي وجعلنا مع ما آتيناهم في مساكنهم من فنون النعم بينهم اي بين بلادهم وبين
القرى الشامية التي باركنا فيها للعالمين **قرى ظاهرة** اي متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهي ظاهرة
لاعين اهلها او راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة غير بعيدة عن مساكنهم حتى تخفى عليهم **وقدرنا فيها السير**
اي جعلناها في نسبة بعضها الى بعض على مقدار معين يليق بابناء السبيل قيل كان الغادي من قرية يقيل
في اخرى والرائح منها يبيت في اخرى الى ان يبلغ الشام كل ذلك تكميلا لما اوتوا من انواع النعماء وتوفيرا لها
في الحضر والسفر **سيروا فيها** على ارادة القول اي وقلنا لهم سيروا في تلك القرى **ليالي واياما** اي متى شئتم من
الليالي والايام **آمنين** من كل ما تكرهونه لا يختلف الامن فيها باختلاف الاوقات او سيروا فيها آمنين وان
تطاولت مدة سفركم وامتدت ليالي واياما كثيرة او سيروا فيها ليالي اعماركم وايامها لا تلقون فيها
الا الامن لكن لا على الحقيقة بل على تنزيل تمكينهم من السير المذكور وتسوية مباديه واسبابه على الوجه
المذكور منزلة امرهم بذلك **فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا** وقرئ ربنا بطروا النعمة وسئموا طيب العيش وملوا
العافية فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو اسرائيل الثوم والبصل مكان المن والسلوى وقالوا لو كانت
جناتنا ابعد لكان اجدى ان نشتهيه وسالوا الله تعالى ان يجعل بينهم وبين الشام مفاوز وقفارا ليركبوا
فيها الرواحل ويتزودوا الازواد ويتطاولوا فيها على الفقراء فعجل الله لهم الاجابة بتخريب تلك القرى
المتوسطة وجعلها بلقعا لا يسمع فيه داع ولا مجيب وقرئ بعد وربنا بعد بين اسفارنا وبعد بين
اسفارنا وبين سفرنا وبعد برفع ربنا على الابتداء والمعنى على خلاف الاول وهو استبعاد مسايرهم
مع قصرها ودنوها وسهولة سلوكها لفرط تنعمهم وغاية رفههم وعدم اعتدادهم بنعم الله تعالى كانهم
يتساحون على الله تعالى ويتحازنون عليه **وظلموا انفسهم** حيث عرضوها للسخط والعذاب حين بطروا النعمة
او غمطوها **فجعلناهم احاديث** اي جعلناهم بحيث يتحدث الناس بهم متعجبين من احوالهم ومعتبرين بعاقبتهم
ومآلهم **ومزقناهم كل ممزق** اي فرقناهم كل تفريق على ان الممزق مصدر او كل مطرح ومكان تفريق على
انه اسم مكان وفي عبارة التمزيق الخاص بتفريق المتصل وخرقه من تهويل الامر والدلالة على شدة

التاثير والايلام ما لا يخفى ان مزقناهم تمزيقا الغاية وراءه بحيث يضرب به الامثال في كل فرقة ليس بعدها وصال حتى لحق
غسان بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان واصل قصتهم على ما رواه الكلبي عن ابي صالح ان عمرو بن عامر
وبينهما اثنا عشر ابا وهو الذي يقال له مزيقيا ابن ماء السماء اخبرته طريفة الكاهنة بخراب سد مارب وتغريق
سيل العرم الجنتين وعن ابي زيد الانصاري ان عمرا راى جرذا يحفر السد فعلم انه لا بقاء له بعد وقيل انه كان كاهنا
وقد علمه بكهانته فعلمه فباع املاكه وسار بقومه وهم الوف من بلد الى بلد حتى انتهى الى مكة المعظمة واهلها جرهم
وكانوا قهروا الناس وحازوا ولاية البيت على بني اسماعيل وغيرهم فارسل اليهم ثعلبة بن عمرو بن عامر يسالهم المقام
معهم حتى يرجع اليه رواده الذين ارسلهم الى اصقاع البلاد يطلبون له موضعا ومن معه من قومه فابوا فاقتتلوا ثلا
ايام فانهزمت جرهم ولم يفلت منهم الا الشريد واقام ثعلبة بمكة وما حولها في قومه وعساكره فاصابتهم الحمى
فاضطروا الى الخروج وقد رجع اليه رواده فافترقوا فرقتين فرقة توجهت نحو عمان وهم الازد وكندة وحمير ومن
يتلوهم وسار ثعلبة نحو الشام فنزل الاوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بالمدينة وهم الانصار ومضت غسان
فنزلوا بالشام وانخزعت خزاعة بمكة فاقام بها ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر وهو لحي فولي امر مكة وحجابة
الكعبة ثم جاءه اولاد اسمعيل عليه السلام فسالوه السكنى معهم وحولهم فاذن لهم في ذلك وروي عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان فروة بن شبكة القطيفي سال النبي صلى الله عليه وسلم عن سبا فقال صلى الله عليه وسلم هو رجل
كان له عشرة اولاد ستة سكنوا اليمن وهم مذحج وكندة والازد والاشعريون وحمير وانمار منهم بجيلة وخثعم
واربعة منهم سكنوا الشام وهم لخم وجذام وعاملة وغسان لما هلكت اموالهم وخربت بلادهم تفرقوا ايدي سبا
شذر مذر فنزلت طوايف منهم بالحجاز فمنهم خزاعة نزلوا بظاهر مكة ونزلت الاوس والخزرج بيثرب فكانوا اول
من سكنها ثم نزل عندهم ثلاث قبائل من اليهود بنو قينقاع وبنو قريظة والنضير فحالفوا الاوس والخزرج واقاموا
عندهم وسبا تجمع هذه القبائل كلها والجمهور على ان سائر العرب قسمان قحطانية وعدنانية والقحطانية شعبتان
سبا وحضرموت والعدنانية شعبتان ربيعة ومضر واما قضاعة فمختلف فيها فبعضهم ينسبونها الى قحطان
وبعضهم الى عدنان والله تعالى اعلم **ان في ذلك** اي فيما ذكر من قصتهم **لآيات** عظيمة **لكل صبار شكور** اي شانه
الصبر عن الشهوات ودواعي الهوى وعلى مشاق الطاعات والشكر على النعم وتخصيص هؤلاء بذلك لانهم
المنتفعون بها **ولقد صدق عليهم ابليس ظنه** اي حقق عليهم ظنه او وجده صادقا وقرئ بالتخفيف اي صدق في
ظنه او صدق في ظنه او صدق فظن ظنه وتجوز تعدية الفعل اليه بنفسه لانه نوع من القول وقرئ بنصب
ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجد ظنه صادقا ومع التخفيف قال له الصدق حين خيل له اغواءهم
وبرفعهما والتخفيف على الابدال وذلك اما ظنه بسبا حين راى انهماكهم في الشهوات او ببني آدم حين شاهد
آدم عليه السلام قد اصغى الى وسوسته قال ان ذريته اضعف منه عزما وقيل ظن ذلك عند اخبار الله تعالى
الملائكة انه يجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وقال لاضلنهم ولاغوينهم **فاتبعوه** اي اهل سبا
او الناس **الا فريقا من المؤمنين** اي الا فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه على ان من بيانية وتقليلهم بالاضافة
الى الكفار او الا فريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه هم المخلصون **وما كان له عليهم من سلطان** اي تسلط
واستيلاء بالوسوسة والاستغواء وقوله تعالى **الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك** اي في ريب
استثناء مفرغ من اعم العلل ومن موصولة اي وما كان تسلطه عليهم الا ليتعلق علمنا بمن يؤمن بالآخرة
متميزا ممن هو منها في شك تعلقا حاليا يترتب عليه الجزاء او الا ليتميز المؤمن من الشاك او الا ليؤمن من قدر ايمانه
ويشك من قدر ضلاله والمراد حصول العلم متعلقه مبالغة **وربك على كل شيء حفيظ** اي محافظ عليه فان فعيلا
ومفاعلا صنوان متاخيان **قل** اي للمشركين اظهارا لبطلان ما هم عليه وتبكيتا لهم **ادعوا الذين زعمتم من دون**
اي زعمتموهم آلهة وهما مفعولان ثم حذف الاول تخفيفا لطول الموصول بصلته والثاني لقيام صفته اعني قوله

تعالى من دون الله مقامه ولا سبيل الى جعله ثانيا لانه لا يلتئم مع الضمير كلاما وكذا لا يملكون لانهم لا يزعمون
والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم وان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا بتعين
الجواب وانه لا يقبل المكابرة فقال لا يملكون مثقال ذرة من خير وشر ونفع وضر في السموات ولا في الارض اي في امر ما
من الامور وذكرهما للتعميم عرفا او لان آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام
او لان الاسباب القريبة للخير والشر سماوية وارضية والجملة استيناف لبيان حالهم وما لهم اي لآلهتهم
فيهما من شرك اي شركة لا خلقا ولا ملكا ولا تصرفا وما له اي الله تعالى منهم اي من آلهتهم من ظهير يعينه في
تدبير امرهما ولا تنفع الشفاعة عنده اي لا توجد راسا كما في قوله • ولا ترى الضب بها ينجحر • كقوله تعالى
من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وانما علق النفي بنفعها لا بوقوعها تصريحا بنفي ما هو غرضهم من وقوعها و
قوله تعالى الا لمن اذن له استثناء مفرغ من اعم الاحوال لا تنفع الشفاعة في حال من الاحوال الا كائنة
لمن اذن له في الشفاعة من الملائكة والنبيين ونحوهم من المتاهلين لمقام الشفاعة المستحقين لها كقوله
تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا ومن البين ان الشفاعة للكفرة بمعزل من الصواب او لا تنفع الشفاعة
من الشفعاء المتاهلين لها في حال من الاحوال الا كائنة لمن اذن له هي لاجله وفي شانه من المستحقين للشفاعة
واما من عداهم من غير المستحقين لها فلا تنفعهم اصلا فان فرض وقوعها وصدورها عن الشفعاء اذ لم يؤذن لهم في
شفاعتهم بل في شفاعة غيرهم فعلى هذا يثبت حرمانهم عن شفاعة هؤلاء بعبارة النص وعن شفاعة الاصنام
بدلالته اذ حين حرموها من جهة القادرين على شفاعة بعض المحتاجين اليها فلان يحرموا من جهة العجزة عنها
اولى وقرئ اذن له مبنيا للمفعول حتى اذا فزع عن قلوبهم اي قلوب الشفعاء والمشفوع لهم واما الكفرة فهم
من موقف الاستشفاع بمعزل وعن التفزيع قلوبهم بالف منزل والتفزيع ازالة الفزع ثم ترك ذكر الفزع واسند
الفعل الى الجار والمجرور وحتى غاية لما ينبئ عنه ما قبلها من الاشعار بوقوع الاذن لمن اذن له فانه مسبوق بالاستيذان
المستدعي للترقب والانتظار للجواب كانه سئل كيف يؤذن لهم فقيل يتربصون في موقف الاستيذان والاستدعاء
ويتوقفون على وجل وفزع كليا حتى اذا ازيل الفزع عن قلوبهم بعد اللتيا والتي وظهرت لهم تباشير الاجابة قالوا اي المشفوع
لهم اذ هم المحتاجون الى الاذن والمهتمون بامره ماذا قال ربكم اي في شان الاذن قالوا اي الشفعاء لانهم المباشرون
للاستيذان بالذات المتوسطون بينهم وبينه عز وجل وقصور بالشفاعة الحق اي قال ربنا القول الحق وهو الاذن
في الشفاعة للمستحقين لها وقرئ الحق مرفوعا اي ما قاله الحق وهو العلي الكبير من تمام كلام الشفعاء قالوه اعترافا بغاية
عظمة جناب العزة عز وجل وقصور شان كل من سواه اي هو المتفرد بالعلو والكبرياء ليس لاحد من اشراف الخلائق ان
يتكلم الا باذنه وقرئ فزع مخففا بمعنى فزع وقرئ فزع على البناء للفاعل هو الله وحده وقرئ فرغ بالراء المهملة والغين
المعجمة اي نفي الوجل عنها وافني من فرغ الزاد اذ لم يبق منه شئ وهو من الاسناد المجازي لان الفراغ وهو الخلو
حال ظرفه عند نفاده فاسند اليه على عكس قولهم جرى النهر وعن الحسن تخفيف الواو واصله فرغ الوجل عنها اي
انتفى عنها وفني ثم حذف الفاعل واسند الى الجار والمجرور وبه يعرف حال التفريع وقرئ افرنقع عن قلوبهم بمعنى انكشف
عنها قل من يرزقكم من السماء والارض امر صلى الله عليه وسلم بتبكيت المشركين بحملهم على الاقرار بان آلهتهم لا يملكون مثقال
ذرة فيهما وان الرازق هو الله تعالى وانهم لا ينكرونه كما ينطق به قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض امن
يملك السمع والابصار فسيقولون الله وحيث كانوا يتلعثمون احيانا في الجواب مخافة الالزام قيل له صلى الله عليه وسلم
قل الله انه لا جواب سواه عندهم ايضا وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين اي وان احد الفريقين من الذين يتوحدون
المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية ويخصونه بالعبادة والذين يشركون به في العبادة الجماد النازل في ادنى المراتب الامكانية
لعلى احد الامرين من الهدى والضلال المبين وهذا ابعد ما سبق من التقرير البليغ بتعيين من هو على الهدى ومن هو في
الضلال ابلغ من التصريح بذلك لجريانه على سنن الانصاف المسكت للخصم الالد وقرئ وانا او اياكم لعلى هدى او في

ضلال

ضلال مبين والخلاف الجارين للايذان بان الهادي لمن استعلى منا وانتظر الاشيا ويتطلع عليها والضال كانه منغمس في
ظلام لا يرى شيئا ومحبوس في مطمورة لا يستطيع الخروج عنها قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون وهذا ابلغ في الانصاف
وابعد من الجدل والاعتساف حيث اسند فيه الاجرام وان اريد به الزلة وترك الاولى الى انفسهم ومطلق العمل
الى المخاطبين مع ان اعمالهم اكبر الكبائر قل يجمع بيننا ربنا يوم القيمة عند الحشر والحساب ثم يفتح بيننا بالحق اي يحكم
بيننا ويفصل بعد ظهور حال كل منا ومنكم بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار وهو الفتاح الحاكم الفيصل
في القضايا المتعلقة العليم بما ينبغي ان يقضي به قل اروني الذين الحقتم اي الحقتموهم به شركاء اريد بامرهم باراءة
الاصنام مع كونها بمرأى منه عليه الصلوة والسلام اظهار خطائهم العظيم واطلاعهم على بطلان رايهم اي اورونها
لانظر باي صفة الحقتموها بالله الذي ليس كمثله شئ في استحقاق العبادة وفيه مزيد تبكيت لهم بعد الزام الحجة
عليهم كلا ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة بل هو الله العزيز الحكيم اي الموصوف بالغلبة القاهرة
والحكمة الباهرة فاين شركاؤكم التي هي اخس الاشياء واذلها من هذه الرتبة العالية والضمير اما لله عز
وعلا او للشان كما هو في قل هو الله احد وما ارسلناك الا كافة للناس اي الارسالة عامة لهم فانها اذا عمتهم فقد
كفتهم ان يخرج منها احد منهم والا جامعا لهم في الابلاغ فهي حال لهم من الكاف والتاء للمبالغة ولا سبيل الى جعلها حالا
من الناس لاستحالة تقدم الحال على صاحبها المجرور بشيرا ونذيرا ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك فيحملهم جهلهم على ما هم
عليه من الغي والضلال ويقولون من فرط جهلهم وغاية غيهم متى هذا الوعد بطريق الاستهزاء يعنون به المبشر
به والمنذر عنه والموعود بقوله تعالى يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا ان كنتم صادقين مخاطبين رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين قل لكم ميعاد يوم اي وعد يوم او زمان وعد والاضافة للتبيين وقرئ ميعاد يوم منونين
على البدل ويوما باضمار اعني للتعظيم لا تستأخرون عنه عند مفاجاته ساعة ولا تستقدمون صفة لميعاد وفي هذا الجواب
من المبالغة في التهديد ما لا يخفى حيث جعل الاستيخار في الاستحالة كالاستقدام الممتنع عقلا وقد مر بيانه
مرارا ويجوز ان يكون نفي الاستيخار والاستقدام غير مقيد بالمفاجاة فيكون وصف الميعاد بذلك لتحقيقه
وتقريره وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه اي من الكتب القديمة الدالة على البعث وقيل ان
كفار مكة سالوا اهل الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروهم انهم يجدون نعته في كتبهم فغضبوا
فقالوا ذلك وقيل الذي بين يديه القيمة ولو ترى اذ الظالمون المنكرون للبعث موقوفون عند ربهم اي في موقف
المحاسبة يرجع بعضهم الى بعض القول اي يتحاورون ويتراجعون القول يقول الذين استضعفوا بدل من يرجع الى
آخره اي يقول الاتباع للذين استكبروا في الدنيا واستتبعوهم في الغي والضلال لولا انتم اي لولا اضلالكم
وصدكم عن الايمان لكنا مؤمنين باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم قال الذين استكبروا للذين استضعفوا استئناف
مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال الذين استكبروا في الجواب فقيل قالوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل

كنتم مجرمين

منكرين لكونهم الصادين لهم عن الايمان مثبتين انهم هم الصادون بانفسهم بسبب كونهم راسخين في الاجرام
وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا اضرابا عن اضرابهم وابطالا له بل مكر الليل والنهار اي بل صدنا مكركم بنا بالليل
والنهار فحذف المضاف اليه واقيم مقامه الظرف اتساعا وجعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازي
وقرئ بل مكر الليل والنهار بالتنوين ونصب الظرفين اي بل صددنا مكركم في الليل والنهار على ان التنوين
عوض عن المضاف اليه او مكر عظيم على انه للتفخيم وقرئ بل مكر الليل والنهار على ان التنوين عوض عن المضاف
اليه وقرئ بالرفع اي يمكرون الاغواء مكرا دائما لا يفترون عنه فالرفع على ان الفاعلية اي بل صددنا
صددنا مكركم الاغوا في الليل والنهار على ما سبق من الاتساع في الظرف باقامته مقام المضاف اليه والنصب
على المصدرية اي بل تكرون الاغوا مكر الليل والنهار اي مكرا دائما وقوله تعالى اذ تامروننا ظرف للمكر
اي بل مكركم الدائم وقت امركم لنا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا على ان المراد بمكرهم اما نفس امرهم بما

ذكر كما في قوله تعالى يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا فان الجعالين المذكورين
نعمة من الله تعالى واي نعمة واما امورا اخر مقارنة لامرهم داعية الى الامتثال به من الترغيب والترهيب
وغير ذلك واسروا الندامة لما راوا العذاب اي اضمر الفريقان الندامة على ما فعلا من الضلال والاضلال واخفاها
كل منهما عن الآخر مخافة التعيير او اظهروها فانه من الاضداد وهو المناسب لحالهم وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا
اي في اعناقهم والاظهار في موضع الاضمار للتنويه بذمهم والتنبيه على موجب اغلالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون
اي لا يجزون الاجزاء ما كانوا يعملون على نزع الجار وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون
كافرون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما مني به قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة
الاموال والاولاد والمفاخرة بحظوظ الدنيا وزخارفها والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من اجله و
قولهم اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا بانه لم يرسل قط الى اهل قرية من نذير الا قال مترفوها مثل ما
قال مترفوا اهل مكة في حقه صلى الله عليه وسلم وكادوا به نحو ما كادوا به صلى الله عليه وسلم وقاسوا امور
الآخرة الموهومة والمفروضة عندهم على امور الدنيا وزعموا انهم لم يكرموا على الله تعالى لما رزقهم من طيبات
الدنيا ولولا ان المؤمنين هانوا عليه تعالى لما حرموهما وعلى ذلك الراي الركيك بنوا احكامهم وقالوا نحن اكثر
اموالا واولادا وما نحن بمعذبين اما بناء على انتفاء العذاب الاخروي راسا او على اعتقاد انه تعالى اكرمهم في الدنيا
فلا يهينهم في الآخرة على تقدير وقوعها قل ردا عليهم وحسما لمادة طمعهم الفارغ وتحقيقا للحق الذي عليه
يدور امر التكوين ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ان يبسط له ويقدر على من يشاء ان يقدر له من غير ان يكون لاحد
من الفريقين داع الى ما فعل به من البسط والقدر فربما يوسع على العاصي ويضيق على المطيع وربما يعكس الامر
وربما يوسع عليهما معا وقد يضيق عليهما معا وقد يوسع على شخص تارة ويضيق عليه اخرى يفعل كلا من
ذلك حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة فلا ينقاس على ذلك امر الثواب والعقاب اللذين
مناطهما الطاعة وعدمها وقرئ بالتشديد ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك فيزعمون ان مدار البسط هو الشرف
والكرامة ومدار القدر هو الهوان ولا يدرون ان الاول كثيرا ما يكون بطريق الاستدراج والثاني بطريق
الابتلاء ورفع الدرجات وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى كلام مستأنف من جهته عز وعلا
خوطب به الناس بطريق التلوين والالتفات مبالغة في تحقيق الحق وتقرير ما سبق وما جماعة اموالكم
ولا اولادكم بالجماعة التي تقربكم عندنا قربة فان الجمع المكسر عقلاء وغير عقلاء سواء في حكم التانيث او
بالخصلة التي تقربكم عندنا وقرئ بالذي اي بالشيء الذي الا من آمن وعمل صالحا استثناء من مفعول تقربكم اي
وما الاموال والاولاد تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي انفق امواله في سبيل الله تعالى وعلم اولاده الخير
وربّاهم على الصلاح ورشحهم على الطاعة وقيل من اموالكم واولادكم على حذف المضاف اي الا اموال من الخ
اولئك اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في الفعلين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد
مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل اي فاولئك المنعوتون بالايمان
والعمل الصالح لهم جزاء الضعف اي ثابت لهم ذلك على ان الجار والمجرور خبر لما بعده والجملة خبر لاولئك وفيه تاكيد
متكرر الاسناد او يثبت لهم ذلك على ان الجار والمجرور خبر لاولئك وما بعده مرتفع على الفاعلية واضافة الجزاء الى
الى الضعف من اضافة المصدر الى المفعول اصله فاولئك لهم ان يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف معناه
ان يضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا فما فوقها وقرئ جزاء الضعف على فاولئك لهم الضعف جزاء وجزاء
الضعف على ان يجازوا الضعف وجزاء الضعف بالرفع بدل الضعف جزاء بما عملوا من الصالحات وهم في الغرفات
اي غرفات الجنة آمنون من جميع المكاره وقرئ بفتح الراء وسكونها وقرئ في الغرفة على ارادة الجنس والذين
يسعون في آياتنا بالرد والطعن فيها معاجزين مسابقين فيها لانبيائنا او مراغمين انهم يفوتوننا اولئك

في العذاب

في العذاب محضرون لا يجديهم ما عولوا عليه نفعا قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء اي يوسعه عليه ويقدر له اي يضيقه
عليه اخرى فلا تخشوا الفقر وانفقوا في سبيل الله وتعرضوا لنفحاته تعالى وما انفقتم من شيء فهو يخلفه عوضا اما عاجلا
واما آجلا وهو خير الرازقين فان غيره واسطة في ايصال رزقه لا حقيقة لرازقيته ويوم نحشرهم جميعا اي المستكبرين
والمستضعفين وما كانوا يعبدون من دون الله يوم ظرف مضمر متأخر سياتي تقديره او مفعول المضمر نحو اذكر
ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم على نهج قوله تعالى أانت قلت للناس اتخذوني والي
آخر واقناطا لهم عما علقوا به اطماعهم الفارغة من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم اشرف شركائهم والصالحون
للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدأ الشرك فبظهور قصورهم عن رتبة المعبودية وتنزههم عن عبادتهم يظهر حال سائر
شركائهم بطريق الاولوية وقرئ الفعلان بالنون قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية سؤال الملائكة كانه
قيل فماذا تقول الملائكة حينئذ فقيل يقولون متنزهين عن ذلك سبحانك انت ولينا من دونهم والعدول الى الصيغة
الماضي للدلالة على التحقق اي انت الذي نواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم كانهم بينوا بذلك براءتهم من الرضا
بعبادتهم ثم اضربوا عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم حقيقة بقولهم بل كانوا يعبدون الجن اي الشياطين حيث اطاعوهم
في عبادة غير الله سبحانه وقيل كانوا يتمثلون لهم ويخيلون لهم انهم الملائكة فيعبدونهم وقيل يدخلون اجواف
الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتهم اكثرهم بهم مؤمنون الضمير الاول للانس وللمشركين والاكثر بمعنى الكل
والثاني للجن فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا من جملة ما يقال للملائكة عند جوابهم بالتنزه والتبرئ عما نسب
اليهم الكفرة يخاطبون بذلك على رؤوس الاشهاد اظهارا لعجزهم وقصورهم عند عبدتهم وتنصيصا على ما يوجب خيبة
رجائهم بالكلية والفاء ليست لترتيب ما بعدها من الحكم على جواب الملائكة فانه محقق اجابوا بذلك ام لا بل للترتيب الاخبار
به عليه ونسبة عدم الضر والنفع الى البعض اليهم للمبالغة فيما هو المقصود الذي هو بيان عدم نفع الملائكة للعبدة
بنظمه في سلك عدم نفع العبدة لهم كان نفع الملائكة لعبدتهم في الاستحالة والانتفاء كنفع العبدة لهم والتعرض
لعدم الضر مع انه لا يجب عنه اصلا فاما لتعميم العجز او لحمل عدم النفع على تقدير عدم العبادة وعدم الضر على تقدير
تركها او لان المراد دفع الضر على حذف المضاف وتقييد هذا الحكم بذلك اليوم مع ثبوته على الاطلاق لانعقاد رجائهم
على تحقق النفع يومئذ وقوله عز وجل ونقول للذين ظلموا عطف على نقول للملائكة لا على يملك كما قيل لانه مما يقال يوم
القيمة خطابا للملائكة مترتبا على جوابهم المحكي وهذا حكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما سيقال للعبدة يومئذ
اثر حكاية ما سيقال للملائكة اي يوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة كذا وكذا ويقولون كذا وكذا ونقول للمشركين
ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون لكون من الاحوال والاهوال ما لا يطيق به نطاق المقال وقوله تعالى
واذا تتلى عليهم آياتنا بينات بيان لبعض آخر من كفراتهم اي اذا تتلى عليهم بلسان الرسول صلى الله عليه وسلم
آياتنا الناطقة بحقيقة التوحيد وبطلان الشرك قالوا ما هذا يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم الا رجل يريد
ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم فيستتبعكم بما يستبدعه من غير ان يكون هناك دين الهي واضافة الآباء الى المخاطبين
لا الى انفسهم لتحريك عرق العصبية منهم مبالغة في تقريرهم على الشرك وتنفيرهم عن التوحيد وقالوا ما هذا
يعنون القرآن الكريم الا افك اي كلام مصروف عن وجهه لا مصداق له في الواقع مفترى باسناده الى الله تعالى
وقال الذين كفروا للحق اي لامر النبوة والاسلام او القرآن على ان العطف لاختلاف العنوان بان يراد بالاول معناه
وبالثاني نظمه المعجز لما جاءهم من غير تدبر ولا تامل فيه ان هذا الا سحر مبين ظاهر سحريته وفي تكرير الفعل
والتصريح بذكر الكفرة وما في اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما في لما من المسارعة الى البت
بهذا القول الفاسد الباطل انكار عظيم له وتعجيب بليغ منه وما آتيناهم من كتب يدرسونها فيها دليل على صحة
الاشراك كما في قوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وقوله تعالى ام آتيناهم كتابا
فهم به مستمسكون وقرئ يدرسونها وتدرسونها بتشديد الدال يفتعلون من التدريس وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير

يدعوهم اليه وينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا وقد بان من قبل ان لا وجه له بوجه من الوجوه بان ذهبوا
هذا المذهب الزائغ وهذا غاية تجهيلهم وتسفيه لرايهم ثم هددهم بقوله تعالى **وكذب الذين من قبلهم** من الامم
المتقدمة والقرون الخالية كما كذبوا **وما بلغوا معشار ما آتيناهم** اي ما بلغ هولاء عشر ما آتينا اولئك من القوة وطول العمر
وكثرة المال او ما بلغ اولئك عشر ما آتينا هولاء من البينات والهدى **فكذبوا رسلي** عطف على كذب الذين الى آخره
بطريق التفصيل والتفسير بقوله تعالى كذبت قوم نوح فكذبوا عبدنا الى آخره **فكيف كان نكير** اي انكاري
لهم بالتدمير فليحذر هولاء من مثل ذلك **قل انما اعظكم بواحدة** اي ما اريدكم وانصح لكم الا بخصلة واحدة هي ما دل
عليه قوله تعالى **ان تقوموا لله** على انه بدل منها او بيان لها او خبر مبتدا محذوف اي هي ان تقوموا من مجلس رسول
الله صلى الله عليه وسلم او تنتصبوا للامر خالصا لوجه الله تعالى معرضا عن المماراة والتقليد **مثنى وفرادى** اي
متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الافهام ويخلط الافكار بالاوهام وفي تقديم
مثنى ايذان بانه اوثق واقرب من الاطمينان **ثم تتفكروا** في امره صلى الله عليه وسلم وما جاء به لتعلموا حقيقته
وقوله تعالى **ما بصاحبكم من جنة** استيناف مسوق من جهته تعالى للتنبيه على طريقة النظر والتامل بان مثل
هذا الامر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والآخرة ولا يتصدى لادعائه الا مجنون لا يبالي بافتضاحه عند
مطالبته بالبرهان وظهور عجزه او مؤيد من عند الله تعالى مرشح للنبوة واثق بحجته وبرهانه واذ قد علمتم انه
صلى الله عليه وسلم ارجح العالمين عقلا واصدقهم قولا وانزههم نفسا وافضلهم علما واحسنهم عملا واجمعهم
للكمالات البشرية وجب ان تصدقوه في دعواه كيف وقد انضم الى ذلك معجزات تخر لها صم الجبال ويجوز ان يتعلق بما
قبله على معنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة وقد جوز ان يكون ما استفهامية على معنى ثم تتفكروا في
اي شيء به من آثار الجنون **ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد** هو عذاب الآخرة فانه صلى الله عليه وسلم مبعوث في نسيم الساعة
قل ما سالتكم من اجر اي اي شيء سالتكم من اجر على الرسالة فهو لكم والمراد نفي السوال راسا كقول من قال لمن لم يعطه
شيئا ان اعطيتني شيئا فخذه وقيل ما موصولة اريد بها ما سالهم بقوله تعالى ما اسالكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ
الى ربه سبيلا وقوله تعالى لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى واتخاذ السبيل اليه تعالى منفعتهم الكبرى وقرباه
صلى الله عليه وسلم قرباهم **ان اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد** مطلع يعلم صدقي وخلوص نيتي وقرئ ان اجري بسكون
الياء **قل ان ربي يقذف بالحق** اي يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده او يرمي به الباطل فيدمغه او يرمي به في اقطار الآفاق
فيكون وعدا باظهار الاسلام واعلاء كلمة الحق **علام الغيوب** صفة محمولة على محل ان واسمها او بدل من المستكن في
يقذف او خبر ثان لان او خبر مبتدا محذوف وقرئ بالنصب صفة لربي او مقدرا باعني وقرئ بكسر العين وبالفتح
كصبور مبالغة غايب **قل جاء الحق** اي الاسلام والتوحيد **وما يبدئ الباطل وما يعيد** اي زهق الشرك بحيث لم
يبق له اثر ماخوذ من هلاك الحي فانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فجعل مثلا في الهلاك بالمرة ومنه
قول عبيد. اقفر من اهله عبيد. فليس يبدي ولا يعيد. وقيل ما استفهامية منصوبة بما بعدها **قل ان ضللت**
عن الطريق الحق **فانما اضل على نفسي** فان وبال ضلالي عليها لانه بسببها اذ هي الجاهلة بالذات والامارة بالسوء
وبهذا الاعتبار قابل الشرطية بقوله تعالى **وان اهتديت فبما يوحي الي ربي** لان الاهتداء بهدايته وتوفيقه
وقرئ ربي بفتح الياء **انه سميع قريب** يعلم قول كل من المهتدي والضال وفعله وان بالغ في اخفائهما **ولو ترى اذ فزعوا**
عند الموت او البعث او يوم بدر وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان ثمانين الفا يغزون الكعبة ليخربوها فاذا دخلوا
البيداء خسف بهم وجواب لو محذوف اي لرايت امرا هائلا **فلا فوت** فلا يفوتون الله عز وجل بهرب او تحصن
واخذوا من مكان قريب من ظهر الارض او من الموقف الى النار او من صحراء بدر الى قليبها او من تحت اقدامهم اذا خسف
بهم والجملة معطوفة على فزعوا وقيل على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا واخذوا ويويده انه قرئ بالعطف على
محله فلا فوت هنا وهناك اخذ **وقالوا آمنا به** اي بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد مر ذكره في قوله تعالى ما بصاحبكم

وانى لهم

وانى لهم التناوش التناول السهل اي ومن اين لهم ان يتناولوا الايمان تناولا سهلا **من مكان بعيد** فانه في حيز التكليف
وهم منه بمعزل بعيد وهو تمثيل حالهم في الاستخلاص بالايمان بما فات منهم وبعد بحال من يريد ان يتناول الشيء
من علوة تناوله من ذراع في الاستحالة وقرئ بالهمز على قلب الواو لضمها وهو من ناشت الشيء اذا طلبته
وعن ابي عمرو التناؤش بالهمز التناول من بعد من قولهم ناشت اذا ابطات وتاخرت ومنه قول من قال. تمنى نئيشا
ان يكون اطاعني. وقد حدثت بعد الامور امور **وقد كفروا به** اي بمحمد صلى الله عليه وسلم او بالعذاب الشديد
الذي انذرهم اياه **من قبل** اي من قبل ذلك في اوان التكليف **ويقذفون بالغيب** ويرجمون بالظن ويتكلمون بما
لم يظهر لهم في حق الرسول صلى الله عليه وسلم من المطاعن او في العذاب المذكور من بت القول بنفيه **من مكان
بعيد** من جهة بعيدة من حاله صلى الله عليه وسلم حيث ينسبونه صلى الله عليه وسلم الى الشعر والسحر والكذب
وان ابعد شيئا من عادته المعروفة فيما بين الداني والقاصي الكذب ولعله تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرمي شيئا
لا يراه من مكان بعيد لا مجال للوهم في لحوقه وقرئ ويقذفون على ان الشيطان يلقي اليهم ويلقنهم ذلك وهو معطوف
على قد كفروا به على حكاية الحال الماضية او على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف في تحصيل ما
ضيعوه من الايمان في الدنيا **وحيل بينهم وبين ما يشتهون** من نفع الايمان والنجاة من النار وقرئ باشمام
الضم للحاء **كما فعل باشياعهم من قبل** اي باشباههم من كفرة الامم الدارجة **انهم كانوا في شك مريب** اي موقع في الريبة
او ذي ريبة منقول ممن يصح ان يكون مريبا من الاعيان الى المعنى والثاني من صاحب الشك الى الشك كما يقال
شعر شاعر عنه صلى الله عليه وسلم من قرا سورة سبا لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيمة رفيقا ومصافحا

سورة فاطر وهي خمس واربعون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **الحمد لله فاطر السموات والارض** مبدعهما من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه من الفطر
وهو الشق وقيل الشق طولا كانه شق العدم باخراجهما منه واضافته محضة لانه بمعنى الماضي فهو نعت للاسم الجليل
ومن جعلها غير محضة جعله بدلا منه وهو قليل في المشتق **جاعل الملائكة** الكلام في اضافته وكونه نعتا او بدلا
كما قبله وقوله تعالى **رسلا** منصوب به على الوجه الثاني من الاضافة بالاتفاق فاما على الاول فكذلك عند
الكسائي واما عند البصريين فبمضمر يدل هو عليه لان اسم الفاعل اذا كان بمعنى الماضي لا يعمل عندهم الا معرفا باللام
وقال ابو سعيد السيرافي اسم الفاعل المتعدي الى اثنين يعمل في الثاني لانه باضافته الى الاول تعذرت اضافته
الى الثاني فتعين نصبه له وعلل بعضهم ذلك بانه بالاضافة اشبه المعرف باللام فعمل عمله وقرئ جاعل بالرفع
على المدح وقرئ الذي فطر السموات والارض وجعل الملائكة اي جاعلهم وسايط بينه وبين انبيائه والصالحين من
عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحي والالهام والرويا الصالحة او بينه تعالى وبين خلقه ايضا بحيث يوصلون
اليهم آثار قدرته وصنعه هذا على تقدير كون الجعل تصييريا اما على تقدير كونه ابداعيا فرسلا نصب على الحالية وقرئ
رسلا بسكون السين **اولي اجنحة** صفة لرسلا واولو اسم جمع كذا وكما ان اولاء اسم جمع كذا ونظايرها في الاسماء المتمكنة
المخاض والخلفة وقوله تعالى **مثنى وثلاث ورباع** صفات لاجنحة اي ذوي اجنحة متعددة متفاوتة في العدد حسب
تفاوت حالهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون او يسرعون بها والمعنى ان الملائكة خلقا لكل واحد منهم جناحان و
خلقا اجنحة كل منهم ثلاثة وخلقا اخر لكل منهم اربعة اجنحة ويروى ان صنفا من الملائكة لهم ستة اجنحة
بجناحين منها يلفون اجسادهم وباخرين منها يطيرون فيما امروا به من جهته تعالى وجناحان مرخيان على وجوههم
حياء من الله عز وجل وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه راى جبريل ليلة المعراج وله ستمائة جناح وروي
انه سئله صلى الله عليه وسلم ان يتراءى له في صورته فقال انك لن تطيق ذلك قال اني احب ان تفعل فخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مقمرة فاتاه جبريل في صورته فغشي عليه صلى الله عليه وسلم ثم افاق وجب

بل

عليه السلام مسند ظهره واحدى يديه على صدره والاخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت ارى ان شيئا من الخلق هكذا
فقال جبريل عليه السلام فكيف لو رايت اسرافيل عليه السلام له اثنا عشر جناحا جناح منها بالمشرق وجناح منها
بالمغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل الاحايين لعظمة الله عز وجل حتى يعود مثل الصعو وهو العصفور
الصغير **يزيد في الخلق ما يشاء** استئناف مقرر لما قبله من تفاوت احوال الملائكة في عدد الاجنحة ويؤذن بان
ذلك من احكام مشيئته تعالى لا لامر راجع الى ذواتهم ببيان حكم كلي ناطق بانه تعالى يزيد في اي خلق كان ما يشاء
ان يزيد بموجب مشيئته ومقتضى حكمته من الامور التي لا يحيط بها الوصف وما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
من تخصيص بعض المعاني بالذكر من الصوت الحسن والوجه الحسن والشعر الحسن فبيان لبعض المواد المعهودة
بطريق التمثيل لا بطريق الحصر فيها وقوله تعالى **ان الله على كل شيء قدير** بطريق التحقيق للحكم المذكور فان شمول قدرته
تعالى لجميع الاشياء مما يوجب قدرته تعالى على ان يزيد كل ما يشاء ايجابا بينا **ما يفتح الله للناس من رحمة** عبر عن
ارسالها بالفتح ايذانا بانها انفس الخزاين التي يتنافس فيها المتنافسون واعزها منالا وتنكيرها للاشاعة والابهام
اي شيء يفتح الله من خزاين رحمته اية رحمة كانت من نعمة وصحة وامن وعلم وحكمة الى غير ذلك مما لا يحاط به **فلا ممسك
لها** اي لا احد يقدر على امساكها **وما يمسك** اي اي شيء يمسك **فلا مرسل له** اي لا احد يقدر على ارساله و
اختلاف الضميرين على ان مرجع الاول مفسر بالرحمة ومرجع الثاني مطلق يتناولها وغيرها كائنا ما كان وفيه اشعار
بان رحمته سبقت غضبه **من بعده** اي من بعد امساكه **وهو العزيز** الغالب على كل ما يشاء من الامور التي من جملتها الفتح
والامساك **الحكيم** الذي يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة التي يدور عليها امر التكوين وبعد ما بين سبحانه انه الموجد
للملك والملكوت والمتصرف فيهما بالقبض والبسط من غير ان يكون لاحد في ذلك مدخل ما بوجه من الوجوه امر الناس
قاطبة او اهل مكة خاصة بشكر نعمه فقال **يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمت الله عليكم** اي انعامه عليكم ان جعلت
النعمة مصدرا او كائنة عليكم ان جعلت اسما اي راعوها واحفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وتخصيص العبادة
والطاعة بموليها ولما كانت نعم الله تعالى مع تشعب فنونها منحصرة في نعمة الايجاد ونعمة الابقاء نفى ان يكون في
الوجود شيء غيره تعالى يصدر عنه احدى النعمتين بطريق الاستفهام الانكاري المنادي باستحالة ان يجاب
عنه بنعم فقال **هل من خالق غير الله** اي خالق مغاير له تعالى موجود على ان خالق مبتدا محذوف الخبر زيدت
عليه كلمة من لتاكيد العموم وغير الله نعت له باعتبار محله كما انه نعت له في قراءة الجر باعتبار لفظه وقرئ
بالنصب على الاستثناء **يرزقكم من السماء والارض** اي بالمطر والنبات كلام مبتدا على التقادير ولا محل له من
الاعراب داخل في حيز النفي والانكار ولا مساغ لما قيل منه انه صفة اخرى لخالق مرفوعة المحل او مجرورة
لان معناه نفي وجود خالق موصوف بوصفي المغايرة والرازقية معا من غير تعرض لنفي وجوده راسا مع ان
المراد حتما الاخير الى قوله تعالى **لا اله الا هو** فانه استئناف مسوق لتقرير النفي المستفاد منه قصدا وجار مجرى
الجواب عما توهمه الاستفهام صورة فحيث كان هذا ناطقا بنفي الوجود وتعين ان يكون ذلك ايضا كذلك قطعا
والفاء في قوله تعالى **فانى تؤفكون** لترتيب انكار عدولهم عن التوحيد الى الاشراك على ما قبلها كانه قيل واذا
تبين تفرده تعالى بالالوهية والخالقية والرازقية فمن اي وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك وقوله تعالى
وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين خطابي الناس
مسارعة الى تسليته صلى الله عليه وسلم لعموم البلية اولا والاشارة الى الوعد والوعيد ثانيا وان استمروا على ان
يكذبوك فيما بلغت اليهم من الحق المبين بعد ما اقمت عليه الحجة والقمتهم الحجر فتاس باولئك الرسل في المصابرة
على ما اصابهم من قبل قومهم فوضع موضعه ما ذكر اكتفاء بذكر السبب عن ذكر المسبب وتنكير الرسل للتفخيم الموجب
لمزيد التسلية والتوجه الى المصابرة اي رسل اولو شان خطير وذو اعداد كثير **والى الله ترجع الامور** لا الى غيره فيجازي
كلا منك ومنهم بما انتم عليه من الاحوال التي من جملتها صبرك وتكذيبهم وفي الاقتصار على ذكر اختصاص المرجع بالله تعالى

[والمصلحة والجملة تذييل مقرر لما قبلها ومعرب عن كون كل من الفتح والامساك بموجب الحكمة صح]

مع ابهام الجزاء ثوابا وعقابا من المبالغة في الوعد والوعيد ما لا يخفى وقرئ ترجع بفتح التاء من الرجوع والاول ادخل
في التهويل **يا ايها الناس** رجوع الى خطابهم وتكرير النداء لتاكيد العظمة والتذكير **ان وعد الله** المشار اليه مرجع الامور
اليه تعالى من البعث والجزاء **حق** ثابت لا محالة من غير خلف **فلا تغرنكم الحيوة الدنيا** بان يذهلكم التمتع بمتاعها
ويلهيكم التلهي بزخارفها عن تدارك ما يهمكم يوم حلول الميعاد والمراد نهيهم عن الاغترار بها وان توجه النهي صورة
اليها كما في لا ارينك هاهنا **ولا يغرنكم بالله** وعفوه وكرمه تعالى **الغرور** اي المبالغ في الغرور وهو الشيطان بان
يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعاصي قائلا اعملوا ما شئتم ان الله غفور يغفر الذنوب جميعا فان ذلك وان امكن
لكن تعاطي الذنوب بهذا التوقع من قبيل تناول السم تعويلا على دفع الطبيعة وتكرير فعل النهي للمبالغة فيه ولاختلاف
المغرورين في الكيفية وقرئ الغرور بالضم على انه مصدر او جمع غار كقعود جمع قاعد **ان الشيطان لكم عدو**
عداوة قديمة لا تكاد تزول وتقديم لكم للاهتمام **فاتخذوه عدوا** بمخالفتكم له في عقايدكم وافعالكم وكونكم على حذر
منه في مجامع احوالكم وقوله تعالى **انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير** تقرير لعداوته وتحذير من طاعته بالتنبيه
على ان غرضه في دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى ملاذ الدنيا ليس تحصيل مطالبهم ومنافعهم الدنيوية
كما هو مقصد المتحابين في الدنيا عند سعي بعضهم في حاجة بعض بل هو توريطهم والقاؤهم في العذاب المخلد من حيث
لا يحتسبون **الذين كفروا لهم** بسبب كفرهم واجابتهم لدعوة الشيطان واتباعهم لخطواته **عذاب شديد** لا يقادر
قدره مديد لا يبلغ مداه **والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم** بسبب ما ذكر من الايمان والعمل الصالح الذي من جملته عداوة
الشيطان **مغفرة** عظيمة **واجر كبير** لا غاية لهما **افمن زين له سوء عمله فراه حسنا** انما تقرير لما سبق من التباين
البين بين عاقبتي الفريقين ببيان تباين حاليهما المؤديين الى تينك العاقبتين والفاء لانكار ترتب ما بعدها
على ما قبلها اي ابعد كون حاليهما كما ذكر يكون من زين له الكفر من جهة الشيطان فانهمك فيه كمن استقبحه
واجتنبه واختار الايمان والعمل الصالح حتى لا يكون عاقبتاهما كما ذكر فحذف ما حذف لدلالة ما سبق عليه وقوله
تعالى **فان الله يضل من يشاء** تقرير له وتحقيق للحق ببيان ان الكل بمشيئته تعالى فانه تعالى يضل من يشاء اي يضله
لاستحسانه واستحبابه الضلال وصرف اختياره اليه فيرده اسفل سافلين **ويهدي من يشاء** اي يهديه
لصرف اختياره الى التهدي فيرفعه الى اعلى عليين واما تمهيد لما يعقبه من نهيه صلى الله عليه وسلم عن التحزن
والتحسر عليهم لعدم اسلامهم ببيان انهم ليسوا اهلا لذلك بل لان يضرب عنهم صفحا فلا يبالي بهم قطعا
اي ابعد كون حالهم كما ذكر تتحسر عليهم فحذف لما دل عليه قوله تعالى **فلا تذهب نفسك عليهم حسرات** دلالة
بينة واما تمهيد لصرفه صلى الله عليه وسلم عما كان عليه من الحرص الشديد على اسلامهم والمبالغة في دعوتهم
اليه ببيان استحالة تحولهم عن الكفر لكونه في غاية الحسن عندهم اي ابعد ما ذكر من زين له الكفر من قبل الشيطان
فراه حسنا فانهمك فيه تقبل الهداية حتى تطمع في اسلامه وتتعب نفسك في دعوته فحذف ما حذف لدلالة ما
مر من قوله تعالى فان الله يضل من يشاء الى اخره على انه ممن شاء الله تعالى ان يضله فمن يهدي من اضل الله وما
لهم من ناصرين وقرئ فلا تذهب نفسك وقوله تعالى حسرات مفعول له اي فلا تهلك نفسك للحسرات والجمع
للدلالة على تضاعف اغتمامه صلى الله عليه وسلم على احوالهم او على كثرة قبائح اعمالهم الموجبة للتاسف والتحسر
وعليهم صلة تذهب كما قال هلك عليه حبا ومات عليه حزنا او هو بيان للمتحسر عليه ولا يجوز ان يتعلق بحسرات
لان المصدر لا يتقدم عليه صلته واما حال كان كلها صارت حسرات وقوله تعالى **ان الله عليم بما يصنعون** اي
من القبائح تعليل لما قبل اي على الوجوه الثلاثة مع ما فيه من الوعيد عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في
ابي جهل ومشركي مكة **والله الذي ارسل الرياح** مبتدا وخبر وقرئ الريح وصيغة المضارع في قوله تعالى **فتثير
سحابا** حكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال القدرة والحكمة ولان المراد
بيان احداثها لتلك الخاصية ولذلك اسند اليها وللدلالة على استمرار الاثارة **فسقناه الى بلد ميت** وقرئ

بالتخفيف فاحيينا به الارض اي بالمطر النازل منه المدلول عليه بالسحاب فان بينهما تلازما في الذهن كما في الخارج او بالسحاب فانه سبب المسبب بعد موتها اي يبسها وايراد الفعلين على صيغة الماضي للدلالة على التحقق واسنادهما الى نون العظمة المنبئ عن اختصاصهما به تعالى لما فيهما من مزيد الصنع والتكميل المماثل بين احياء الارض وبين البعث الذي شبه به بقوله تعالى كذلك النشور في كمال الاختصاص بالقدرة الربانية والكاف في حيز الرفع على الخبرية اي مثل ذلك الاحياء الذي تشاهدونه احياء الاموات في صحة المقدورية وسهولة التاتي من غير تفاوت بينهما اصلا سوى الالف في الاول دون الثاني وقيل في كيفية الاحياء يرسله الله تعالى من تحت العرش ماء فينبت منه اجساد الخلق من كان يريد العزة هم المشركون الذين كانوا يتعززون بعبادة الاصنام كقوله تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كانوا يتعززون بهم من الذين امنوا بالسنتهم كما في قوله تعالى الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة والجمع بين كان ويريد للدلالة على دوام الارادة واستمرارها فلله العزة جميعا اي له تعالى وحده لا لغيره عزة الدنيا وعزة الاخرة اي فليطلبها منه لا من غيره واستغنى بذكره عن ذكره لدليله ايذانا بان اختصاص العزة به تعالى موجب لتخصيص طلبها له تعالى وقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما اليه مجاز عن قبوله تعالى اياهما وصعود الكتبة بصحيفتهما وتقديم الجار والمجرور عبارة عن كمال الاعتداد به كقوله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات اي اليه يصل الكلم الطيب الذي يطلب العزة لا للملائكة الموكلين باعمال العباد فقط وهو يعز صاحبه ويعطي طلبته بالذات والمستكن في يرفعه للتكلم فان مدار قبول العمل هو التوحيد ويؤيده القراءة بنصب العمل او للعمل فانه يحقق الايمان ويقويه ولا ينال الدرجات العالية الا به وقرئ يصعد من الاصعاد على البناءين والمصعد هو الله سبحانه او المتكلم به او الملك وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء والاستغفار وقراءة القران وعنه صلى الله عليه وسلم انه سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر واستغفر الله وتبارك الله اذا قاله العبد عرج به الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل وعن ابن مسعود رضي الله عنه ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وتبارك الله الا اخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه فصعد بهن فما يمر بهن على جمع من الملائكة الا استغفروا للقائلهن حتى يجيء بهن وجه رب العالمين ومصداقه قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب الى اخره والذين يمكرون السيئات بيان لحال الكلم الخبيث والعمل السيئ واهلهما بعد بيان حال الكلم الطيب والعمل الصالح وانتصاب السيئات على انها صفة للمصدر المحذوف اي يمكرون المكرات السيئات وهي مكرات قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم في دار الندوة وتداورهم الراي في احد الثلاث التي هي الاثبات والقتل والاخراج لهم بسبب مكراتهم عذاب شديد لا يقادر قدره ولا يؤبه عنده لما يمكرون ومكر اولئك وضع اسم الاشارة موضع ضميرهم للايذان بكمال تميزهم بما فيه من الشر والفساد عن سائر المفسدين واشتهارهم بذلك وما فيه من معنى البعد للتنبيه على ترامي امرهم في الطغيان وبعد منزلتهم في العدوان اي ومكر اولئك المفسدين الذين ارادوا ان يمكروا به صلى الله عليه وسلم هو يبور اي هو يهلك ويفسد خاصة لا من مكروا به ولقد ابادهم الله تعالى بعد ابادة مكراتهم حيث اخرجهم من مكة وقتلهم واثبتهم في قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم الثلاث التي اكتفوا في حقه صلى الله عليه وسلم بواحدة منهن والله خلقكم من تراب دليل اخر على صحة البعث والنشور اي خلقكم ابتداء منه في ضمن خلق ادم عليه السلام خلقا اجماليا كما مر تحقيقه مرارا ثم من نطفة اي خلقكم منها خلقا تفصيليا ثم جعلكم ازواجا اي اصنافا او ذكرانا واناثا وعن قتادة جعل بعضكم زوجا لبعض وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه الا ملتبسة بعلمه تابعة لمشيئته وما يعمر من معمر اي من احد وانما سمي معمرا باعتبار مصيره اي وما يمد في عمر احد ولا ينقص من عمره اي من عمر احد على طريقة قولهم لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق لكن لا على معنى لا ينقص عمره بعد كونه زائدا بل على معنى لا يجعل من الابتداء ناقصا وقيل الزيادة والنقص في عمر واحد باعتبار

اسباب مختلفة تثبت في اللوح مثل ان يكتب فيه ان حج فلان فعمره ستون والا فاربعون واليه اشار صلى الله عليه وسلم بقوله الصدقة والصلة يعمران الديار ويزيدان في الاعمار وقيل المراد بالنقص ما يمر من عمره وينقص فانه يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب تحت ذلك ذهب يوم ذهب يومان وهكذا حتى ياتي الى اخره وقرئ ولا ينقص على البناء للفاعل ومن عمره بسكون الميم الا في كتاب عن ابن عباس انه اللوح وقيل علم الله عز وجل وقيل صحيفة كل انسان ان ذلك اي ما ذكر من الخلق وما بعده مع كونه محار العقول والافهام على الله يسير لاستغنائه عن الاسباب فكذلك البعث وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج مثل ضرب للمؤمن والكافر والفرات الذي يكسر العطش والسائغ الذي يسهل انحداره لعذوبته والاجاج الذي يحرق بملوحته وقرئ سيغ كسيد وسيغ بالتخفيف وملح ككتف وقوله تعالى ومن كل اي ومن كل واحد منهما تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها اما استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم والمنافع واما تكملة للتمثيل والمعنى كما انهما وان اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان من حيث انهما متفاوتان فيما هو المقصود بالذات من الماء لما خالط احدهما ما افسده وغيره عن كمال فطرته لا يساوي الكافر المؤمن وان شاركه في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة ونحوهما لتباينهما فيما هو الخاصية العظمى لبقاء احدهما على فطرته الاصلية وحيازته لكماله اللائق دون الاخر وتفضيل الاجاج على الكافر من حيث انه يشارك العذب في منافع كثيرة والكافر خلو من المنافع بالكلية على طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة الى قوله خشية الله والمراد بالحلية اللؤلؤ والمرجان وترى الفلك فيه بالبحرين فقط مواخر شقاق للماء بجريها مقبلة ومدبرة بريح واحدة لتبتغوا من فضله من فضل الله تعالى بالنقلة فيها واللام متعلقة بمواخر وقد جوز تعلقها بما يدل عليه الافعال المذكورة اي فعل ذلك لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون اي تشكروا على ذلك وحرف الترجي للايذان بكونه مرضيا عنده تعالى يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل بزيادة احدهما ونقص الاخر باضافة بعض اجزاء كل منهما الى الاخر وسخر الشمس والقمر عطف على يولج واختلافهما صيغة لما ان ايلاج احد الملوين في الاخر متجدد حينا فحينا واما تسخير النيرين فامر لا تعدد فيه وانما التعدد والتجدد في اثاره وقد اشير اليه بقوله تعالى كل يجري اي بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية على المدارات اليومية المتعددة حسب تعدد ايام السنة جريا مستمرا لاجل مسمى قدره الله تعالى لجريانهما وهو يوم القيمة كما روي عن الحسن وقيل جريانهما عبارة عن حركتهما الخاصتين بهما في فلكهما والاجل المسمى عن منتهى دورتهما ومنتهى مدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهر وقد مر تفصيله في سورة لقمان ذلكم اشارة الى فاعل الافاعيل المذكورة وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية العظمة وهو مبتدا وما بعده اخبار مترادفة اي ذلكم العظيم الشان الذي ابدع هذه الصنائع البديعة الله ربكم له الملك وفيه من الدلالة على ان ابداعه تعالى لتلك البدائع مما يوجب ثبوت تلك الاخبار له ما لا يخفى ويجوز ان يكون الاخير كلاما مبتدا في مقابلة قوله تعالى والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير للدلالة على تفرده تعالى بالالوهية والربوبية وقرئ يدعون بالياء التحتانية والقطمير لفافة النواة وهو مثل في القلة والحقارة ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم استئناف مقرر لمضمون ما قبله كاشف عن جلية حال ما يدعونه بانه جماد ليس من شانه السماع ولو سمعوا على الفرض والتقدير ما استجابوا لكم لعجزهم عن الافعال عن المرة لا لما قيل من انهم متبرؤن منكم ومما تدعون لهم فان ذلك مما لا يتصور منهم في الدنيا ويوم القيمة يكفرون بشرككم اي يجحدون باشراككم لهم وعبادتكم اياهم بقولهم ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك مثل خبير اي لا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير اخبرك به وهو الحق سبحانه فانه الخبير بكنه الامور دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما اخبر به من حال الهتكم ونفي ما يدعون لهم من الالهية يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله في انفسكم وفيما يعن لكم من امر مهم او خطب ملم وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم كانهم لكثرة افتقارهم وشدة احتياجهم هم الفقراء

فعال

تحسب وان افتقار سائر الخلايق بالنسبة الى فقرهم بمنزلة العدم ولذلك قال تعالى وخلق الانسان ضعيفا والله هو
الغني الحميد اي المستغني على الاطلاق المنعم على سائر الموجودات المستوجب للحمد ان يشاء يذهبكم ويأت بخلق جديد ليسوا على
صفتكم بل يستمرون على الطاعة او بعالم آخر غير ما تعرفونه وما ذلك اي ما ذكر من الاذهاب بهم والاتيان باخرين على الله بعزيز
بمتعسر ولا متعذر ولا تزر وازرة اي لا تحمل نفس آثمة وزر اخرى اثم نفس اخرى على ان ما تحمل كل منهما وزرها واما في قوله
تعالى وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم من حمل المضلين اثقالا غير اثقالهم فهو حمل اثقال اضلالهم وكلاهما اوزارهم ليس
فيها من اوزار غيرهم شيء وان تدع مثقلة اي نفس اثقلها الاوزار ليحمل بعض اوزارها لا يحمل منه شيء لم يحمل
شيء منه ولو كان المدعو المفهوم من الدعوى ذا قربى ذا قرابة من الداعي وقرئ ذو قربى وهذا نفي للحمل اختيارا و
الاول نفي له اجبارا انما تنذر استيناف مسوق لبيان من يتعظ بما ذكر اي انما تنذر بهذه الانذارات الذين
يخشون ربهم بالغيب اي يخشونه تعالى غايبين من عذابه او عن الناس في خلواتهم او يخشون عذابه وهو غايب عنهم و
اقاموا الصلوة الصلوة اي راعوها كما ينبغي وجعلوها منارا منصوبا وعلما مرفوعا اي انما ينفع انذارك وتحذيرك
هولاء من قومك او من عداهم من اهل التمرد والعناد ومن تزكى اي تطهر من اوضار الاوزار والمعاصي بالتأثر من
هذه الانذارات فانما يتزكى لنفسه لاقتصار نفعه عليها كما ان من تدنس بها لا يتدنس الا عليها وقرئ من ازكى
فانما يزكى وهو اعتراض مقرر لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانهما من معظم مبادي التزكى والى الله المصير اي الكافر
والمومن ولا الظلمات ولا النور اي ولا الباطل ولا الحق وجمع الظلمات جمع افراد النور لتعدد فنون الباطل
واتحاد الحق ولا الظل ولا الحرور اي ولا الثواب ولا العقاب وادخال لا على المتقابلين لتذكير نفي الاستواء وتوسيطها
بينهما للتاكيد والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل السموم ما يهب نهارا والحرور ما يهب ليلا وما
يستوي الاحياء ولا الاموات تمثيل آخر للمومنين والكافرين ابلغ من الاول ولذلك كرر الفعل واوثر صيغة الجمع في الطرفين
تحقيقا للتباين بين افراد الطريقين وقيل تمثيل للعلماء والجهلة ان الله يسمع من يشاء اي يسمعه ويوفقه لفهم
اياته والاتعاظ بعظاته وما انت بمسمع من في القبور ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالاموات واشباع في
اقناطه صلى الله عليه وسلم من ايمانهم ان انت الا نذير ما عليك الا الانذار واما الاسماع البتة فليس من
وظايفك ولا حيلة لك اليه في المطبوع على قلوبهم انا ارسلناك بالحق اي محقين او محقا انت وارسالا مصحوبا
بالحق ويجوز ان يتعلق بقوله بشيرا ونذيرا بالوعد الحق وان من امة اي ما من امة من الامم الدارجة في الازمنة
الماضية الا خلا اي مضى فيها نذير من نبي او عالم ينذرهم والاكتفاء بذكره للعلم بان النذارة قرينة البشارة
لاسيما وقد قرنا انفا ولان الانذار هو الانسب بالمقام وان يكذبوك اي تموا على تكذيبك فلا تبال بهم وبتكذيبهم
فقد كذب الذين من قبلهم من الامم الماضية جاءتهم رسلهم بالبينات اي المعجزات الظاهرات الدالة على نبوتهم
والزبر كصحف ابرهيم والكتاب المنير كالتورية والانجيل والزبور على ارادة التفصيل دون الجمع ويجوز ان يراد
بها واحد والعطف لتغاير العنوانين ثم اخذت الذين كفروا وضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز الصلة
والاشعار بعلة الاخذ فكيف كان نكير اي انكاري بالعقوبة وفيه مزيد تهويل وتشديد لها الم تر استيناف
مسوق لتقرير ما قبله من اختلاف احوال الناس ببيان ان الاختلاف والتفاوت امر مطرد في جميع المخلوقات
من النبات والجماد والحيوان والرؤية قلبية اي الم تعلم ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به بذلك الماء
والالتفات لاظهار كمال الاعتناء بالفعل لما فيه من الصنع البديع المنبي عن كمال القدرة والحكمة ثمرات مختلفا
الوانها اي اجناسها واوصافها على ان كلا منها ذو اصناف مختلفة او هيأتها واشكالها والوانها من الصفرة
والخضرة والحمرة وغيرها وهو الاوفق لما في قوله تعالى ومن الجبال جدد اي ذو جدد اي خطط ذو جدد ومنها
ما هو على لون واحد وطرايق ويقال جدة الحمار للخطة السودا وقرئ جدد بالضم جمع جديد بمعنى الجدة وجدد
بفتحتين وهو الطريق الواضح بيض وحمر مختلف الوانها بالشدة والضعف وغرابيب سود عطف على بيض

الى حملها

لا الى احد عين استقلالا واشتراكا فيحاز بهم على تركيتهم احسن الجزاء
وما يستوي الاعمى والبصير
ع

او على جدد كانه قيل من الجبال خطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرابيب وهو تاكيد لمضمر يفسره ما
بعده فان الغربيب تاكيد للاسود كالفاقع للاصفر والقاني للاحمر ومن حق التاكيد ان يتبع المؤكد ونظيره
في الصفة قول النابغة ٭ والمؤمن العايذات الطير يمسحها ٭ وفي مثله مزيد تاكيد لما فيه من التكرار باعتبار الا
والاظهار ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه اي ومنهم بعض مختلف الوانه اي وبعضهم مختلف الوانه
على ما مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله وايراد الجملتين الاسميتين مع مشاركتهما لما قبلهما
من الجملة الفعلية في الاستشهاد بمضمونها على تباين الناس في الاحوال الباطنة لما ان اختلاف الجبال
والناس والدواب والانعام فيما ذكر من الالوان مستمر فعبر عنه بما يدل على الاستمرار واما اخراج الثمار
المختلفة فحيث كان امرا حادثا عبر عنه بما يدل على الحدوث ثم لما كان فيه نوع خفاء علق به الرؤية بطريق
الاستفهام التقريري المبني عن الحمل عليها والترغيب فيها بخلاف احوال الجبال والناس وغيرهما فانها مشاهدة
غنية عن التأويل فلذلك جردت عن التعليق بالرؤية فتدبر وقوله تعالى كذلك مصدر تشبيهي اكد بقوله تعالى
اي صفة لمصدر المؤكد تقديره مختلف اختلافا كاينا كذلك اي كاختلاف الثمار والجبال وقرئ الوانها وقرئ
والدواب بالتخفيف مبالغة في الهرب من التقاء الساكنين وقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء تكملة
لقوله تعالى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب بتعيين من يخشاه عز وجل من الناس بعد بيان اختلاف
طبقاتهم وتباين مراتبهم اما في الاوصاف المعنوية فبطريق التمثيل واما في الاوصاف الصورية فبطريق التصريح
توفية لكل واحد منهما حقها اللايق بها من البيان انما يخشاه تعالى بالغيب العالمون به عز وجل وبما يليق به
من صفاته الجليلة وافعاله الجميلة لما ان مدار الخشية معرفة المخشي والعلم بشؤنه فمن كان اعلم به تعالى
كان اخشى منه عز وجل كما قال صلى الله عليه وسلم انا اخشاكم لله واتقاكم له ولذلك عقب بذكر افعاله الدالة
على كمال قدرته وحيث كان الكفرة بمعزل من هذه المعرفة امتنع انذارهم بالكلية وتقديم المفعول لان المقصود
حصر الفاعلية ولو اخر انعكس الامر وقرئ برفع الاسم الجليل ونصب العلماء على ان الخشية مستعارة للتعظيم
فان المعظم يكون مهيبا ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه معاقب للمصر على طغيانه
غفور للتائب عن عصيانه ان الذين يتلون كتاب الله اي يداومون على قراءته ومتابعة ما فيه حتى صارت
سمة لهم وعنوانا والمراد بالكتاب القران وقيل جنس كتب الله تعالى فيكون ثناء على المصدقين
من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين منهم وليس بذلك فان صيغة المضارع منادية باستمرار مشروعية
تلاوته والعمل بما فيه واستتباعهما لما سياتي من توفية الاجور وزيادة الفضل وحملها على حكاية الحال
الماضية مع كونه تعسفا ظاهرا مما لا سبيل اليه كيف لا والمقصود الترغيب في دين الاسلام والعمل بالقران
الناسخ لما بين يديه من الكتب فالتعرض لبيان حقيتها قبل انتساخها والاشباع في ذكر استتباعها لما ذكر من
الفوايد المعظمة مما يورث الرغبة في تلاوتها والاقبال على العمل بها وتخصيص التلاوة بما لم ينسخ منها باطل
قطعا لما ان الباقي مشروعا ليس الا حكمها لا لكن لا من حيث انه حكمها بل من حيث انه حكم القران واما تلاوتها فبمعزل
من المشروعية واستتباع الاجر بالمرة فتدبر واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية كيف ما اتفق
من غير قصد اليهما وقيل السر في المسنونة والعلانية في المفروضة يرجون تجارة تحصيل ثواب بالطاعة
وهو خبر ان وقوله تعالى لن تبور اي لن تهلك ولن تكسد بالخسران اصلا صفة لتجارة جيء بها للدلالة على
انها ليست كسائر التجارات الدائرة بين الربح والخسران لانه اشترى باق بفان والاخبار برجائهم من اكرم
الاكرمين عدة قطعية بحصول مرجوهم وقوله تعالى ليوفيهم اجورهم متعلق بلن تبور على معنى انه ينتفي عنها
الكساد وينفق عند الله تعالى ليوفيهم اجور اعمالهم ويزيدهم من فضله على ذلك من خزاين رحمته ما يشاء وقيل
بمضمر دل عليه ما عد من افعالهم المرضية اي فعلوا ذلك ليوفيهم الى آخره وقيل يرجون على ان اللام للعاقبة

ضماد

ح

الة

انه غفور شكور تعليل لما قبله من التوفية والزيادة اي غفور لفرطاتهم شكور لطاعاتهم اي مجازيهم عليها
وقيل هو خبر ان الذين ويرجون حال من وانفقوا والذي اوحينا اليك من الكتاب هو القران ومن للتبيين والجنس
ومن للتبعيض وقيل اللوح ومن للابتدا هو الحق مصدقا لما بين يديه اي احقه مصدقا لما تقدمه من الكتب
السماوية حال موكدة لان حقيته تستلزم موافقته اياه في العقايد واصول الاحكام ان الله بعباده لخبير بصير
محيط ببواطن امورهم وظواهرهم فلو كان في احوالك ما ينافي النبوة لم يوح اليك مثل هذا الحق المعجز الذي يمتاز
على سائر الكتب وتقديم الخبر للتنبيه على ان العمدة هي الامور الروحانية ثم اورثنا الكتاب اي قضينا بتوريثه
منك او نورثه والتعبير عنه بالماضي لتقرره وتحققه وقيل اورثناه من الامم السابقة اي اخرناه عنهم واعطيناه
الذين اصطفينا من عبادنا وهم علماء الامة من الصحابة ومن بعدهم ممن يسير بسيرهم او الامة باسرهم فان
الله تعالى اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم امة وسطا ليكونوا شهداء على الناس وخصهم بكرامة الانتماء
الى افضل رسله عليه الصلوة والسلام وليس من ضرورة وراثة الكتاب مراعاته حق رعايته لقوله تعالى فخلف
من بعدهم خلف ورثوا الكتاب الاية فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير في العمل به وهو المرجا لامر الله ومنهم
مقتصد يعمل به في اغلب الاوقات ولا يخلو من خلط السيء ومنهم سابق بالخيرات باذن الله قيل هم السابقون
الاولون من المهاجرين والانصار وقيل هم المداومون على اقامة مواجبه علما وعملا وتعليما وفي قوله تعالى
باذن الله اي بتيسيره وتوفيقه تنبيه على عزة منال هذه الرتبة وصعوبة ماخذها وقيل الظالم الجاهل والمقتصد
المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذي خلط الصالح بالسيء والسابق الذي ترجحت حسناته بحيث
صارت سيأته مكفرة وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم اما الذين سبقوا فاولئك يدخلون الجنة يرزقون
فيها بغير حساب واما المقتصدون فاولئك يحاسبون حسابا يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك الذين يحبسون
في طول المحشر ثم يتلقاهم الله برحمته وقد روي ان عمر رضي الله عنه قال وهو على المنبر قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له ذلك اشارة الى السبق بالخيرات وما فيه من معنى البعد مع
قرب العهد بالمشار اليه للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الشرف هو الفضل الكبير من الله عز وعلا لا ينال
الا بتوفيقه تعالى جنات عدن اما بدل من الفضل الكبير بتنزيل السبب منزلة المسبب او مبتدا خبره يدخلونها
وعلى الاول هو مستانف وجمع الضمير لان المراد بالسابق الجنس وتخصيص حال السابقين وما لهم بالذكر والسكوت
عن الفريقين الاخرين وان لم يدل على حرمانهما من دخول الجنة مطلقا كمن فيه تحذيرا لهما من التقصير وتحريضا
على السعي في ادراك شاو السابقين وقرئ جنات عدن وجنة عدن على النصب بفعل يفسره الظاهر وقرئ يدخلونها
على البناء للمفعول يحلون فيها خبر ثان او حال مقدرة وقرئ يحلون من حليت المراة فهي حال من اساور جمع اسورة
جمع سوار من ذهب من الاولى تبعيضية والثانية بيانية اي يحلون بعض اساور من ذهب كانه افضل
من سائر افرادها ولؤلؤا بالنصب عطفا على محل اساور وقرئ بالجر عطفا على ذهب اي من ذهب مرصع باللؤلؤ
او من ذهب في صفاء اللؤلؤ ولباسهم فيها حرير وتغيير الاسلوب قد مر سره في سورة الحج وقالوا اي يقولون
وصيغة الماضي للدلالة على التحقق الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وهو ما اهمهم من خوف سوء العاقبة
وعن ابن عباس حزن الاعراض والافات وعنه حزن الموت وعن الضحاك حزن وسوسة ابليس وقيل هم المعاش وقيل
حزن زوال النعم والظاهر انه الجنس المنتظم لجميع احزان الدنيا والدين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس
على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في محشرهم ولا في مسيرهم وكاني باهل لا اله الا الله يخرجون من قبورهم
ينفضون التراب عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور اي للمذنبين شكور
للمطيعين الذي احلنا دار المقامة من فضله اي دار الاقامة التي لا انتقال عنها ابدا من فضله من انعامه و
تفضله من غير ان يوجبه شيء من قبلنا لا يمسنا فيها نصب تعب ولا يمسنا فيها لغوب كلال والفرق بينهما

ان النصب

ان النصب نفس المشقة والكلفة واللغوب ما يحدث منه من الفتور والتصريح بنفي الثاني مع استلزام نفي
الاول وتكرير الفعل المنفي للمبالغة في بيان انتفاء كل منهما والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم لا يحكم عليهم
بموت ثان فيموتوا ويستريحوا ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على يقضى كقوله تعالى ولا يؤذن
لهم فيعتذرون ولا يخفف عنهم من عذابها بل كلما خبت زيد اسعارها كذلك اي مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي كل كفور
مبالغ في الكفر او الكفران لا جزاء اخف وادنى منه وقرئ يجزى على البناء للمفعول واسناده الى كل وقرئ يجازى
وهم يصطرخون فيها يستغيثون والاصطراخ افتعال من الصراخ استعمل في الاستغاثة لجهر المستغيث
صوته ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل باضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ما
عملوه من غير الصالح والاعتراف والاشعار بان استخراجهم لتلافيه وانهم كانوا يحسبونه صالحا والان تبين
خلافه وقوله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر جواب من جهته تعالى وتوبيخ لهم والهمزة للانكار
والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام وما نكرة موصوفة اي الم نمهلكم او الم نؤخركم ولم
نعمركم عمرا يتذكر فيه من تذكر اي يتمكن فيه المتذكر من التذكر والتفكر قيل هو اربعون سنة وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ستون وروي ذلك عن علي رضي الله عنه وهو العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن ادم قال صلى
الله عليه وسلم اعذر الله الى امرئ اخر اجله حتى بلغ ستين سنة وقوله تعالى وجاءكم النذير عطف على
الجملة الاستفهامية لانها في معنى قد عمرناكم كما في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك ووضعنا الى اخره
لانه في معنى قوله شرحنا الى اخره والمراد بالنذير رسول الله صلى الله عليه وسلم او ما معه من القران وقيل العقل
وقيل الشيب وقيل موت الاقارب والاقتصار على ذكر النذير والفاء في قوله تعالى فذوقوا لترتيب الامر بالذوق
على ما قبلها من التعمير ومجيء النذير وفي قوله تعالى فذوقوا فما للظالمين من نصير للتعليل ان الله عالم غيب السموات والارض
بالاضافة وقرئ بالتنوين ونصب غيب على المفعولية اي لا يخفى عليه خافية فيهما فلا يخفى عليه احوالهم انه عليم بذات
الصدور قيل انه تعليل لما قبله لانه اذا علم مضمرات الصدور وهي اخفى ما يكون كان اعلم بغيرها هو الذي جعلكم
خلائف الارض يقال للمستخلف خليفة وخليف والاول جمع خلائف والثاني خلفاء والمعنى انه تعالى جعلكم
خلفاء في ارضه والقى اليكم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها واباح لكم منافعها او جعلكم خلفا ممن
قبلكم من الامم واورثكم ما بايديهم من متاع الدنيا لتشكروه بالتوحيد والطاعة فمن كفر منكم مثل هذه النعمة
السنية وغمطها فعليه كفره اي وبال كفره لا يتعداه الى غيره وقوله تعالى ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا
ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا بيان لوبال الكفر وغائلته وهو مقت الله تعالى اياهم وبغضه الشديد الذي
ليس وراءه خزي وصغار وخسار الاخرة الذي ما بعده شر وخسار والتكرير لزيادة التقرير والتنبيه على
ان اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين الهائلين القبيحين بطريق الاستقلال والاصالة قل تبكيتا لهم
ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله اي الهتكم والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء لله تعالى من غير ان يكون
له اصل ما اصلا وقيل جعلوهم شركاء لانفسهم فيما يملكونه ويأباه سياق النظم الكريم وسباقه اروني ماذا
خلقوا من الارض بدل اشتمال من ارايتم كانه قيل اخبروني عن شركائكم اروني اي جزء خلقوا من الارض
ام لهم شرك في السموات اي ام لهم شركة مع الله سبحانه في خلق السموات ليستحقوا بذلك شركة في الالوهية
ذاتية ام اتيناهم كتابا ينطق بانا اتخذناهم شركاء فهم على بينة منه اي حجة ظاهرة من ذلك الكتاب
بان لهم شركة جعلية ويجوز ان يكون ضمير اتيناهم للمشركين كما في قوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا الى
اخره وقرئ على بينات وفيه ايماء الى ان الشرك امر خطير لا بد في اثباته من تعاضد الدلائل بل ان يعد
الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا لما نفي انواع الحجج في ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تقرير الاسلاف
للاخلاف واضلال الرؤسا للاتباع بانهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرب اليه ان الله يمسك السموات

والارض ان تزولا استيناف مسوق لبيان غاية قبح الشرك وهوله اي يمسكهما كراهة زوالهما او يمنعهما
ان تزولا لان الامساك منع ولئن زالتا ان امسكهما وما امسكهما من احد من بعده من بعد امساكه تعالى او
من بعد الزوال والجملة سادة مسد الجوابين ومن الاولى مزيدة لتاكيد العموم والثانية للابتداء انه كان
حليما غفورا غير معاجل بالعقوبة التي تستوجبها جناياتهم حيث امسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا حسبما
قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وقرئ ولو زالتا واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير
ليكونن اهدى من احدى الامم بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم
فقالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن اتانا رسول الله لنكونن اهدى من احدى
الامم اليهود والنصارى وغيرهما ومن الامة التي يقال لها احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى
والاستقامة فلما جاءهم نذير واي نذير اشرف الرسل عليهم السلام ما زادهم اي النذير او مجيئه الا نفورا
تباعدا عن الحق استكبارا في الارض بدل من نفورا او مفعول له ومكر السيء اصله وان مكروا السيء اي المكر السيء
ثم ومكر السيء وقرئ بسكون الهمزة في الوصل ولعل اختلاسا ظن سكونا او وقفة حقيقة وقرئ مكرا سيا ولا
يحيق المكر السيء الا باهله فهل ينظرون اي ما ينتظرون الا سنت الاولين اي سنة الله لهم بتعذيب مكذبيهم فلن
تجد لسنت الله تبديلا بان يضع موضع العذاب غير العذاب ولن تجد لسنت الله تحويلا بان ينقله من المكذبين
الى غيرهم والفاء لتعليل ما يفيده الحكم بانتظارهم العذاب عقيب مجيئه ونفي وجدان التبديل والتحويل عبارة
عن نفي وجودهما بالطريق البرهاني وتخصيص كل منهما بنفي مستقل لتاكيد انتفائهما اولم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم استشهاد على ما قبله من جريان سنته تعالى على تكذيب المكذبين بما يشاهدونه
في مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من آثار ديار الامم الماضية والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف
على مقدر يليق بالمقام اي اقعدوا في مساكنهم ولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
وكانوا اشد منهم قوة واطول اعمارا فما نفعهم طول المدى وما اغنى عنهم شدة القوة ومحل الجملة النصب على
الحالية وقوله تعالى وما كان الله ليعجزه من شيء ليسبقه ويفوته في السموات ولا في الارض اعتراض مقرر لما يفهم
مما قبله من استيصال الامم السالفة وقوله تعالى انه كان عليما قديرا اي مبالغا في العلم والقدرة ولذلك
علم بجميع اعمالهم السيئة فعاقبهم بموجبها تعليل لذلك ولو يؤاخذ الله الناس جميعا بما كسبوا من السيئات كما فعل
باولئك ما ترك على ظهرها اي على ظهر الارض من دابة من نسمة تدب عليها من بني آدم وقيل ومن غيرهم ايضا
من شوم معاصيهم وهو المروي عن ابن مسعود وانس رضي الله تعالى عنهما ويعضده الاول قوله تعالى ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى
وهو يوم القيمة فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا فيجازيهم على ذلك باعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اي باب شئت

سورة يس وهي ثلث وثمانون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم يس اما مسرود على نمط التعديد فلا حظ له من الاعراب او اسما للسورة كما نص
عليه الخليل وسيبويه وعليه الاكثر فمحل الرفع على انه خبر مبتدا محذوف او النصب على انه مفعول لفعل مضمر
وعليه مدار قراءة يس ياسين بالنصب ولا مساغ للنصب باضمار فعل القسم لان ما بعده مقسم وقد ابوا
الجمع بين قسمين على شيء واحد قبل انقضاء الاول ولا مجال للعطف لاختلافهما اعرابا وقيل هو مجرور باضمار باء
القسم مفتوح لكونه غير منصرف كما سلف في فاتحة سورة البقرة من ان ما كانت من هذه الفواتح مفردة مثل
صاد وقاف ونون او كانت موازنة لمفرد نحو طاسين وياسين وحاميم الموازنة لقابيل وهابيل يتاتى فيها
الاعراب اللفظي ذكره سيبويه في باب اسماء السور من كتابه وهما حركتا بناء كما في حيث واين حسبما يشهد بذلك

والرفع اي هذه ياسين بالنصب [illegible]

قراءة ياسين

قراءة ياسين بالكسر كجير وقيل الكسر والفتح تحريك للجد في الهرب من التقاء الساكنين عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان معناه يا انسان في لغة طي قالوا المراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل اصله يا انيسين فاقتصر على شطره
كما قيل من الله في ايمن الله والقرآن بالجر على انه مقسم به ابتدا وقد جوز ان يكون عطفا على يس على تقدير كونه مجرورا
باضمار باء القسم الحكيم اي المتضمن للحكمة او الناطق بها بطريق الاستعارة والمتصف بها على الاسناد المجازي وقد
جوز ان يكون الاصل الحكيم قائله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا بعد الجر واستكن
في الصفة الشبهة كما مر في صدر سورة لقمان انك لمن المرسلين جواب للقسم والجملة لرد جواب انكار
الكفرة بقولهم في حقه صلى الله عليه وسلم لست مرسلا وهذه الشهادة منه عز وجل من جملة ما اشير اليه في
قوله تعالى في جوابهم قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم وفي تخصيص القرآن بالاقسام به اولا وبوصفه الحكيم ثانيا
تنبيه لشانه وتنبيه على انه كما يشهد برسالته صلى الله عليه وسلم من حيث نظمه المعجز المنطوي على بدائع الحكم
يشهد بها من حيث هذه الحيثية انها لما ان الاقسام بالشيء استشهاد به على تحقق مضمون الجملة القسمية وتقويه
لثبوته فيكون شاهدا به ودليلا عليه قطعا قوله تعالى على صراط مستقيم خبر آخر لان ادخال من المستكن في الجار
والمجرور على انه عبارة عن الشريعة الشريفة بكمالها لا عن التوحيد فقط وفائدته بيان ان شريعته صلى الله عليه وسلم
اقوم الشرائع واعدلها كما يعرب عنه التنكير التفخيمي والوصف اثر بيان انه صلى الله عليه وسلم من جملة المرسلين
بالشرائع تنزيل العزيز الرحيم نصب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وبالجر على انه بدل من القرآن
واياما كان فهو مصدر بمعنى المفعول واظهار الفخامة الاضافية بعد فخامته الذاتية بوصفه بالحكمة وفي تخصيص
الاسمين الكريمين المعربين عن الغلبة التامة والرافة العامة حث على الايمان به وترغيبا وترهيبا واشعارا بان تنزيله
ناشئ عن غاية الرحمة حسبما نطق به قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقيل النصب على انه مصدر مؤكد لفعله
المضمر اي تنزيل العزيز الرحيم على انه استيناف مسوق لبيان ما ذكر من فخامة شان القرآن وعلى كل تقدير ففيه تفضل
تاكيد لمضمون الجملة القسمية لتنذر متعلق بتنزيل على الوجوه الاول وبعامله المضمر على الوجه الاخير اي لتنذر به
كما في صدر الاعراف وقيل هو متعلق بما يدل عليه لمن المرسلين اي انك مرسل لتنذر قوما ما انذر آباؤهم اي لم
تنذر آباؤهم الاقربون لتطاول مدة الفترة على ان ما نافية فتكون صفة مبينة لغاية احتياجهم الى الانذار او الذي
انذره او شيئا انذره آباؤهم الابعدون على انها موصولة او موصوفة فتكون مفعولا ثانيا لتنذر او انذار آبائهم الاقدمين
على انها مصدرية فتكون نعتا لمصدر مؤكد اي لتنذر انذارا كائنا مثل انذارهم فهم غافلون على الوجه الاول
متعلق بنفي الانذار مترتب عليه والضمير للفريقين اي لم تنذر آباؤهم فهم جميعا لاجله غافلون وعلى الوجوه الباقية
متعلق بقوله تعالى لتنذر او بما يفيده انك لمن المرسلين وارد لتعليل انذاره صلى الله عليه وسلم او ارساله لغفلتهم
المحوجة اليهما على ان الضمير للقوم خاصة فالمعنى فهم غافلون عنه اي عما انذر آباؤهم الاقدمون لامتداد المدة و[illegible]
في قوله تعالى لقد حق القول على اكثرهم جواب القسم اي والله لقد ثبت وتحقق عليهم البتة لا بطريق الجبر من غير ان
يكون لهم من قبلهم ما يقتضيه بل بسبب اصرارهم الاختياري على الكفر والانكار وعدم تاثرهم من التذكير والانذار
وغلوهم في العتو والطغيان وتماديهم في اتباع خطوات الشيطان بحيث لا يلويهم صادف ولا يثنيهم عاطف
كيف لا والمراد بما حق من القول قوله تعالى لابليس عند قوله لاغوينهم اجمعين لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم
اجمعين وهو المراد بقوله تعالى لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فانه كما ترى
قد اوقع فيه الحكم بادخال جهنم على من تبع ابليس وذلك تعليل له بتبعيته قطعا وثبوت القول على هؤلاء الذين عبر
عنهم باكثرهم انما هو لكونهم من جملة اولئك المصرين على تبعية ابليس ابدا واذ قد تبين ان مناط ثبوت القول
وتحققه علم اصرارهم على الكفر الى الموت ظهر ان قوله تعالى فهم لا يؤمنون متفرع في الحقيقة على ذلك
لا على ثبوت القول قوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا تقرير لتصميمهم على الكفر وعدم ارعوائهم عنه بتمثيل

حالهم بحال الذين غلت اعناقهم فهي الى الاذقان اي فالاغلال منتهية الى اذقانهم فلا تدعهم يلتفتون الى
الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطاطئون روسهم له فهم مقمحون رافعون روسهم غاضون ابصارهم
بحيث لا يكادون يرون الحق او ينظرون الى جهته وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون
اما تتمة للتمثيل وتكميل له اي تكميل وجعلنا مع ما ذكر من امامهم سدا عظيما ومن ورائهم سدا كذلك فغطينا بهما
ابصارهم فهم بسبب ذلك لا يقدرون على ابصار شيء ما اصلا واما تمثيل مستقل فان ما ذكر من جعلهم
محصورين بين سدين هائلين قد غطيا ابصارهم بحيث لا يبصرون شيئا قطعا كاف في الكشف عن كمال
فظاعة حالهم وكونهم مطموسين في مطمورة الغي والجهالات محرومين عن النظر في الادلة والايات وقرئ
سدا بالضم وهي لغة فيه وقيل ما كان من عمل الناس فهو بالفتح وما كان من خلق الله فبالضم وقرئ فاعشيناهم من
العشى وقيل الايتان في بني مخزوم وذلك ان ابا جهل حلف لئن راى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي
ليرضخن راسه فاتاه وهو صلى الله عليه وسلم يصلي ومع ابي جهل حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت الى عنقه
ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم بذلك فقال مخزومي اخر انا اقتله بهذا
الحجر فذهب فاعمى الله تعالى بصره وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم بيان لشانهم بطريق التصريح اثر بيانه
بطريق التمثيل اي مستو عندهم انذارك اياهم وعدمه حسبما مر تحقيقه في سورة البقرة قوله تعالى لا يومنون استينافا
موكدا لما قبله مبين لما فيه من اجمال ما فيه من الاستوا او حال موكدة له او بدل منه ولما بين كون الانذار عندهم كعدمه
عقب ببيان من يتاثر منه فقيل انما تنذر اي انذارك مستتبعا للاثر من اتبع الذكر اي القران بالتامل فيه او
الوعظ ولم يصر على اتباع خطوات الشيطان وخشي الرحمن بالغيب اي خاف عقابه وهو غايب عنه على انه حال من
الفاعل او المفعول او خافه في سريرته ولم يغتر برحمته فانه منتقم قهار كما انه رحيم غفار كما نطق به قوله تعالى نبئ
عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم فبشره بمغفرة عظيمة واجر كريم لا يقادر قدره والفاء
لترتيب البشارة او الامر بها على ما قبلها من اتباع الذكر والخشية انا نحن نحيي الموتى بيان لشان عظيم ينطوي على الانذار
والتبشير انطواء اجماليا اي نبعثهم بعد مماتهم وعن الحسن احياؤهم اخراجهم من الشرك الى الايمان فهو حينئذ عدة
كريمة بتحقيق البشارة ونكتب ما قدموا اي ما اسلفوه من الاعمال الصالحة وغيرها واثارهم التي ابقوها من
الحسنات كعلم علموه او كتاب الفوه او حبس وقفوه او بناء بنوه من المساجد والرباطات والقناطر وغير ذلك من وجوه
البر ومن السيئات كتاسيس قوانين الظلم والعدوان وترتيب مبادي الشر والفساد فيما بين العباد وغير ذلك من فنون الشرور
التي احدثوها وسنوها لمن بعدهم من المفسدين وقيل هو اثار المشائين الى المساجد ولعل المراد انها من جملة الاثار
وقرئ ويكتب على البناء للمفعول ورفع اثارهم وكل شيء من الاشياء كائنا ما كان احصيناه في امام مبين اصل عظيم
الشان مظهر لجميع الاشياء مما كان ومما سيكون وهو اللوح المحفوظ وقيل كل شيء بالرفع واضرب لهم مثلا اصحاب القرية
ضرب المثل يستعمل تارة في تطبيق حالة غريبة بحالة اخرى مثلها كما في قوله تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا امراة
نوح وامرات لوط واخرى في ذكر حالة غريبة وبيانها للناس من غير قصد الى تطبيقها بنظيرة لها كما في قوله تعالى
وضربنا لكم الامثال على احد الوجهين اي بينا لكم احوالا بديعة هي في الغرابة كالامثال فالمعنى على الاول اجعل اصحاب القرية
مثلا لهم في الغلو في الكفر والاصرار على تكذيب الرسل طبق حالهم بحالهم على ان مثلا مفعول ثان لاضرب واصحاب
القرية مفعول الاول اخر عنه ليتصل به ما هو شرحه وبيانه وعلى الثاني اذكر وبين لهم قصة هي في الغرابة كالمثل
وقوله اصحاب القرية بدل منه بتقدير المضاف او بيان له والقرية انطاكية اذ جاءها المرسلون بدل اشتمال من اصحاب
القرية وهم رسل عيسى عليه السلام الى اهلها ونسبة ارسالهم اليه تعالى في قوله تعالى اذ ارسلنا اليهم اثنين بناء على
انه كان بامره تعالى لتكميل التمثيل وتتميم التسلية وهما يحيى ويونس وقيل غيرهما فكذبوهما اي فاتياهم فدعواهم الى الحق
فكذبوهما في الرسالة فعززنا اي قوينا يقال عزز المطر الارض اذا لبدها وقرئ بالتخفيف من عزه اذا غلبه وقهره

قوانين صح

وحذف

وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولان المقصد ذكر المعزز به بثالث هو شمعون فقالوا اي جميعا انا اليكم
مرسلون موكدين كلامهم لسبق الانكار لما ان تكذيبهما تكذيب للثالث لاتحاد كلمتهم وذلك انهم كانوا عبدة اصنام
فارسل عيسى عليه السلام اثنين فلما قربا من المدينة رايا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس
فسالهما فاخبراه قال امعكما اية قالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض منذ سنين
فمسحاه فقام فامن حبيب وفشا الخبر وشفي على ايديهما خلق وبلغ حديثهما الى الملك فقال لهما النا اله سوى
الهتنا قالا نعم من اوجدك والهتك فقال حتى انظر في امركما فتبعهما الناس وقيل ضربوهما وقيل حبسا ثم بعث
عيسى عليه السلام شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استانسوا به ورفعوا خبره الى الملك فانس به
فقال له يوما بلغني انك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما فقال
شمعون من ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم
ما يريد قال وما ايتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله تعالى حتى انشق له بصر واخذا
بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين فنظر بهما فقال له شمعون ارايت لو سالت الهك حتى
يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال ليس لي عنك سر ان الهنا لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون
يدخل معهم على الصنم فيصلي ويتضرع ويحسبون انه منهم ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت امنا به فدعوا بغلام
مات من سبعة ايام فقام وقال اني ادخلت في سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه فامنوا وقال
فتحت ابواب السماء فرايت شابا حسن الوجه يشفع لهولاء الثلاثة قال الملك من هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك
فلما راى شمعون ان قوله اثر فيه نصحه فامن وامن قوم ومن لم يومن صاح بهم جبريل عليه السلام فهلكوا هكذا قالوا
ولكن لا يساعده سياق النظم الكريم وسياقه ثم حيث اقتصر فيه على حكاية تماديهم في العناد واللجاج وركوبهم
متن المكابرة في الحجاج ولم يذكر فيه من مومن احد سوى حبيب ولو ان الملك وقوما من حواليه امنوا لكان الظاهر ان
يظاهروا الرسل ويساعدوهم قبلوا في ذلك او قتلوا كداب النجار الشهيد ولكان لهم فيه ما ذكر ما يوجد من الوجوه
اللهم الا ان يكون ايمان الملك بطريق الخفية على خوف من عتاة ملائه فيعتزل منهم معتذرا بعذر من
الاعذار قالوا اي اهل انطاكية الذين لم يومنوا مخاطبين للثلاثة ما انتم الا بشر مثلنا من غير مزية لكم علينا
موجبة لاختصاصكم بما تدعونه ورفع بشر لانتقاض النفي المقتضي لاعمال ما بالا وما انزل الرحمن من شيء من
الوحي والرسالة ان انتم الا تكذبون في دعوى رسالته قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون استشهدوا بعلم الله
تعالى وهو يجري مجرى القسم مع ما فيه من تحذيرهم معارضة علم الله تعالى وزادوا اللام الموكدة لما شاهدوا
منهم من شدة الانكار وما علينا اي من جهة ربنا الا البلاغ المبين اي الا تبليغ رسالته تبليغا ظاهرا بينا
بالايات الشاهدة بالصحة وقد خرجنا عن عهدته فلا مواخذة لنا بعد ذلك من جهة ربنا او وما علينا شيء نطالب
به من جهتكم من تبليغ الرسالة على الوجه المذكور وقد فعلناه فاي شيء تطلبون منا حتى تصدقونا بذلك قالوا
لما ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل انا تطيرنا بكم تشاءمنا بكم جريا على ديدن الجهلة حيث كانوا يتيمنون
بكل ما يوافق شهواتهم وان كان مستجلبا لكل شر ووبال ويتشاءمون بكل ما لا يوافقها وان كان مستتبعا لسعادة
الدارين او بناء على ان الدعوة لا تخلو عن الوعيد بما يكرهونه من اصابة ضر غير متعلق بانفسهم واهليهم واموالهم
وان لم يومنوا فكانوا ينفرون منه وقد روي انه حبس عنهم القطر فقالوا لئن لم تنتهوا عن مقالتكم هذه
لنرجمنكم بالحجارة وليمسنكم منا عذاب اليم لا يقادر قدره قالوا طائركم اي سبب شومكم معكم لا من قبلنا
وهو سوء عقيدتكم وتقبيح اعمالكم وقرئ طيركم ائن ذكرتم اي وعظتم بما فيه سعادتكم وجواب الشرط محذوف
ثقة بدلالة ما قبله عليه اي تطيرتم وتوعدتم بالرجم والتعذيب وقرئ بالف بين همزتين وبفتح ان بمعنى اتطيرتم
لان ذكرتم وان ذكرتم بغير استفهام وان ذكرتم بمعنى طائر معكم حيث جرى ذكركم وهو ابلغ بل انتم قوم مسرفون

فدعوا الله صح

لب

اضراب عما تقتضيه التطيّر من كون التذكير سببا للشوم او مصححا للتوعد اي ليس الامر كذلك بل انتم قوم عادتكم الاسراف
في العصيان فلذلك اتاكم الشوم في الظلم والعدوان ولذلك توعدتم بما توعدتم او في الضلال والغي ولذلك تشأمتم بمن يجب اكرامه والتبرك به وجاء من اقصى المدينة
رجل يسعى هو حبيب النجار وكان ينحت اصنامهم وهو ممن آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة كما امن
به تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن بنبي غيره عليه الصلوة والسلام احد قبل مبعثه وقيل كان في
غار يعبد الله تعالى فلما بلغه خبر الرسل عليهم السلام اظهر دينه قال استيناف وقع جوابا عن سوال نشا من حكاية
مجيئه فقيل قال يا قوم اتبعوا المرسلين تعرض لعنوان رسالتهم حثا لهم على اتباعهم كما ان خطابهم يا قوم لتاليف قلوبهم
واستمالتها نحو قبول نصيحته وقوله اتبعوا من لا يسئلكم اجرا وهم مهتدون تكرير للتاكيد وللتوسل به الى وصفهم
بما يرغبهم في اتباعهم من التنزه عن الغرض الدنيوي والاهتداء الى خير الدارين الدنيا والدين وما لي لا اعبد الذي فطرني
تلطف في الارشاد بايراده في معرض المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث اراهم انه اختار لهم ما يختار لنفسه
والمراد تقريعهم على ترك عبادة خالقهم الى عبادة غيره كما ينبئ عنه قوله تعالى واليه ترجعون مبالغة في التهديد
ثم عاد الى المساق الاول فقال أأتخذ من دونه آلهة انكار ونفي لاتخاذ الالهة على الاطلاق قوله تعالى ان يردن الرحمن
بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا اي لا تنفعني شيئا من النفع ولا ينقذون من ذلك الضر بالنصرة والمظاهرة استيناف
سيق لتعليل النفي المذكور وجعله صفة لالهة كما ذهب اليه بعضهم ويما يوهم ان هناك الهة ليست كذلك وقرئ
ان يردني بفتح الياء على معنى ان يوردني ضرا اي يجعلني موردا للضر اني اذا اي اذا اتخذت من دونه الهة لفي
ضلال مبين فان اشراك ما ليس من شانه نفع ولا دفع الضر بالخالق المقتدر الذي لا قادر غيره ولا خير الا خيره
ضلال بين لا يخفى على احد ممن له تمييز في الجملة اني آمنت بربكم فاسمعون خطاب منه للرسل بطريق التلوين قيل لما نصح
قومه بما ذكر هموا برجمه فاسرع نحو الرسل قبل ان يقتلوه فقال ذلك وانما اكده لاظهار صدوره عنه بكمال الرغبة
والنشاط واضافة الرب الى ضميرهم روما لزيادة التقرب واظهار للاختصاص والاقتداء بهم كانه قال بربكم
الذي تدعوننا الى الايمان به فاسمعون اي فاسمعوا ايماني واشهدوا لي به عند الله تعالى وقيل الخطاب للكفرة
شافههم بذلك اظهارا للتصلب في الدين وعدم المبالاة بالقتل واضافة الرب الى ضميرهم لتحقيق الحق والتنبيه
على ما هم عليه من اتخاذ الاصنام اربابا وقيل للناس جميعا قيل ادخل الجنة قيل له ذلك لما قتلوه اكراما له بدخولها
حينئذ كسائر الشهداء وقيل لما هموا بقتله رفعه الله تعالى الى الجنة قال الحسن وعن قتادة ادخله الله الجنة
وهو فيها حي يرزق وقيل معناه البشرى بدخول الجنة وانه من اهلها وانما لم يقل له لان الغرض بيان القول
لا المقول له لظهوره وللمبالغة في المسارعة الى بيانه والجملة استيناف وقع جوابا عن سوال نشا من حكاية حاله
ومقاله كانه قيل كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب في دينه والتسخي بروحه لوجهه تعالى فقيل قيل ادخل الجنة
وكذلك قوله تعالى قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين فانه جواب عن سوال نشا من حكاية حاله
كانه قيل فماذا قال عند نيله تلك الكرامة السنية فقيل قال الى آخره وانما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم ذلك
على اكتساب مثله بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان والطاعة جريا على سنن الاولياء في كظم الغيظ والترحم
على الاعداء او ليعلموا انهم كانوا على خطاء عظيم في امره وانه كان على الحق وان عداوتهم لم تكسبه الا سعادة وقرئ من
المكرمين وما موصولة او مصدرية والباء صلة يعلمون او استفهامية وردت على الاصل والباء متعلقة بغفر اي
باي شيء غفر لي ربي يريد به تفخيم المهاجرة عن ملتهم والمصابرة على اذيتهم وما انزلنا على قومه من بعده من بعد قتله
او رفعه من جند من السماء لاهلاكهم والانتقام منهم كما فعلناه يوم بدر والخندق بل كفيناك امرهم بصيحة ملك
وفيه استحقار لهم ولاهلاكهم وايماء الى تفخيم شان الرسول صلى الله عليه وسلم وما كنا منزلين وما صح في حكمتنا
ان ننزل لاهلاك قومه جندا من السماء لما انا قدرنا لكل شيء سببا حيث اهلكنا بعض من اهلكنا من الامم بالحاصب
وبعضهم بالصيحة وبعضهم بالاغراق وجعلنا انزال الجند من خصائصك في الانتصار من قومك وقيل ما

موصولة معطوفة على جند اي وما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وامطار شديدة وغيرها ان كانت اي ما
كانت الاخذة والعقوبة الا صيحة واحدة صاح بها جبريل عليه السلام وقرئ الا صيحة بالرفع على ان كان تامة
وقرئ الا زقية واحدة من زقا الطائر اذا صاح فاذا هم خامدون ميتون شبهوا بالنار الخامدة رمزا الى ان الحي كالنار
الناطقة في الحركة والالتهاب والميت كالرماد كما قال لبيد • وما المرء الا كالشهاب وضوئه • يحور رمادا بعد اذ هو
ساطع • يا حسرة على العباد تعالي فهذه من الاحوال التي حقها ان تحضري فيها وهي ما دل عليه قوله تعالى ما ياتيهم من رسول
الا كانوا به يستهزؤن فان المستهزئين بالناصحين الذين نيطت بنصائحهم سعادة الدارين احقاء بان يتحسروا
ويتحسر عليهم المتحسرون او قد تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين وقد جوز ان يكون تحسرا
عليهم من جهة الله تعالى بطريق الاستعارة لتعظيم ما جنوه على انفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتا لان المعنى يا
حسرتي ونصبها لطولها بما تعلق بها من الجار وقيل باضمار فعلها والمنادى محذوف وقرئ يا حسرة العباد
بالاضافة على الفاعل والمفعول ويا حسرة على العباد باجراء الوصل مجرى الوقف الم يروا اي الم يعلموا او
هو معلق على العمل في قوله تعالى كم اهلكنا قبلهم من القرون لان كم لا تعمل فيما قبلها وان كانت خبرية لان
اصلها الاستفهام خلا ان معناه نافذ في الجملة كما في قولك الم تران زيدا لمنطلق فان لم يعمل في لفظه
انهم اليهم لا يرجعون بدل من كم اهلكنا على المعنى اي الم يروا كثرة اهلاكنا من قبلهم من المذكورين آنفا ومن
غيرهم كونهم غير راجعين اليهم وقرئ بالكسر على الاستيناف وقرئ الم يروا من اهلكنا والبدل حينئذ بدل
اشتمال وان كل لما جميع لدينا محضرون بيان لرجوع الكل الى الحشر بعد بيان عدم الرجوع الى الدنيا وان نافية
وتنوين كل عوض عن المضاف اليه ولما بمعنى الا وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له او لما بعده والمعنى ما كلهم
الا مجموعون لدينا محضرون للحساب والجزاء وقيل محضرون معذبون فكل عبارة عن الكفرة وقرئ لما بالتخفيف
على ان ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة وما مزيدة للتاكيد والمعنى ان كلهم مجموعون الى آخره وآية لهم الارض الميتة
بالتخفيف وقرئ بالتشديد قوله آية خبر مقدم للاهتمام به وتنكيرها للتفخيم ولهم اما متعلقة بها لانها
بمعنى العلامة او بمحذوف هو صفة لها والارض مبتدا والميتة صفتها وقوله تعالى احييناها استيناف
مبين لكيفية كونها آية وقيل آية مبتدا ولهم خبر والارض الميتة مبتدا موصوف واحييناها خبره والجملة
مفسرة لآية وقيل الخبر لها هو الارض واحييناها صفتها لان المراد بها الجنس لا المعينة والاول هو
الاولى لان مصب الآية هو كون الارض آية لهم لا كون الآية هي الارض واخرجنا منها حبا اي جنس الحب
فمنه ياكلون تقديم الصلة للدلالة على ان الحب معظم ما يؤكل ويعاش به وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب اي
من انواع النخيل والعنب ولذلك جمعا دون الحب فان الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على
النوع وذكر النخيل دون التمور ليطابق الحب والاعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع واثار الصنع وفجرنا فيها
وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى من العيون اي بعضا من العيون فحذف الموصوف
واقيمت الصفة مقامه او العيون ومن مزيدة على راي الاخفش لياكلوا من ثمره متعلق بجعلنا وتاخيره
عن تفجير العيون لانه من مبادي الاثمار اي وجعلنا فيها جنات من نخيل زينا مبادي اثمارها لياكلوا من ثمر
ما ذكر من الجنات والنخيل باجراء الضمير مجرى الاسم والاشارة وقيل الضمير الى الله تعالى بطريق الالتفات الى
الغيبة والاضافة لان الثمر بخلقه تعالى وقرئ بضمتين وهي لغة فيه وجمع ثمار وبضمة وسكون وما عملته ايديهم
عطف على ثمره وهو ما يتخذ منه من العصر والدبس ونحوهما وقيل ما نافية والمعنى ان الثمر بخلق الله تعالى لا بفعلهم
ومحل الجملة النصب على الحالية ويؤكد الاول قراءة عملت بلا هاء فان حذف العائد من الصلة احسن من الحذف من غيرها
افلا يشكرون انكار واستقباح لعدم شكرهم للنعم المعدودة والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام
اي ايرون هذه النعم او ايتنعمون بها فلا يشكرونها سبحان الذي خلق الازواج كلها استيناف مسوق لتنز

تعالى عما فعلوه من ترك شكره على الآية المذكورة واستعظام ما ذكر في حيز الصلة من بدايع آثار قدرته واسرار
حكمته وروايع نعمائه الموجبة للشكر وتخصيص العبادة والتعجب من اخلالهم بذلك والحالة هذه وسبحان علم للتسبيح
الذي هو التبعيد عن السوء اعتقادا وقولا اي اعتقاد البعد عنه والحكم به من سبح في الارض والماء اذا ابعد
فيهما وامعن ومنه فرس سبوح اي واسع الجري وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه اي اسبح سبحانه
اي انزهه عما لا يليق به عقدا وعملا تنزيها خاصا به حقيقا بشانه وفيه مبالغة من جهة الاشتقاق من السبح
ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول عن المصدر الدال على الجنس الى الاسم الموضوع له خاصة
لاسيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل وقيل هو
مصدر كغفران اريد به التنزه التام اللائق بذاته القدسية فالمعنى تنزه بذاته عن كل ما لا يليق به تنزها خاصا به فالجملة
على هذا اخبار من الله تعالى بتنزهه وبذاته عن كل ما لا يليق به مما فعلوه وما تركوه وعلى الاول حكم منه عز وجل
بذلك وتلقين للمؤمنين ان يقولوه ويعتقدوا مضمونه ولا يخلوا به ولا يغفلوا عنه والمراد بالازواج الاصناف
والانواع **مما تنبت الارض** بيان لها والمراد به كل ما ينبت فيها من الاشياء المذكورة وغيرها **ومن انفسهم**
اي خلق الازواج من انفسهم اي من الذكر والانثى **ومما لا يعلمون** اي والازواج مما لم يطلعهم الله تعالى على خصوصياتها
لعدم قدرتهم على الاحاطة بها ولما لم يتعلق بشيء من ذلك من مصالحهم الدينية والدنيوية وانما اطلعهم على ذلك
بطريق الاجمال على منهاج قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون لما نيط به وقوفهم على عظم قدرته تعالى وسعة ملكه و
سلطانه **واية لهم الليل** جملة من خبر مقدم ومبتدا مؤخر كما مر وقوله تعالى **نسلخ منه النهار** جملة مبينة لكيفية
كونه اية اي نزيله ونكشف عن مكانه مستفاد من السلخ وهو ازالة ما بين الحيوان وجلده من الاتصال والاغلب في
الاستعمال تعليقه بالجلد يقال سلخت الاهاب من الشاة وقد يعكس ومنه الشاة المسلوخة **فاذا هم مظلمون**
اي داخلون في الظلام مفاجاة وفيه رمز الى ان الاصل هو الظلام والنور عارض **والشمس تجري لمستقر** لحد
معين ينتهي اليه دورها فشبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او لكبد السماء فان حركتها فيه توجد ابطا بحيث يظن
ان هناك وقفة قال • والشمس حيرى لها في الجو تدويم او لاستقرارها على نهج مخصوص او لمنتهى مقدر لكل يوم من
المشارق والمغارب فان لها في دورها ثلثمائة وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب
ثم لا تعود اليهما الى العام القابل او لمنقطع جريها عند خراب العالم وقرئ الى مستقر لها اي لا سكون لها فانها
متحركة دايما وقرئ لا مستقر لها على ان لا بمعنى ليس **ذلك** اشارة الى جريها وما فيه من معنى البعد مع قرب
العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته اي ذلك الجري البديع المنطوي على الحكم الرايقة التي
يحار في فهمها العقول والافهام **تقدير العزيز** الغالب بقدرته على كل مقدور **العليم** المحيط علمه بكل معلوم
والقمر قدرناه بالنصب باضمار فعل يفسره الظاهر وقرئ بالرفع على الابتداء اي قدرنا **منازل** وقيل قدرنا
مسيره منازل وقيل قدرناه ذا منازل وهي ثمانية وعشرون الشرطين والبطين والثريا والدبران والهقعة
والهنعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والزبرة والصرفة والعوا والسماك والغفر والزبانا والاكليل
والقلب والشولة والنعايم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الاخبية وفرع الدلو
المقدم وفرع الدلو المؤخر والرشا وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة في واحد منها لا يتخطاها ولا يتقاصر عنها
فاذا كان في آخر منازله وهو الذي يكون قبل الاجتماع دق واستقوس **حتى عاد كالعرجون القديم** كالشمراخ المعوج
فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون القديم العتيق وقيل هو
ما مر عليه حول فصاعدا **لا الشمس ينبغي لها** اي يصح ويسهل لها **ان تدرك القمر** في سرعة السير فان ذلك
يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان وفي الاثار والمنافع وفي المكان بان تنزل في منزله او سلطانه فتطمس
نوره وايلاء حرف النفي الشمس للدلالة على انها مسخرة لا يتسنى لها الا ما قدر لها **ولا الليل سابق النهار** اي يسبقه

فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما اياتهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر الى سلطان الشمس فيكون عكسا
للاول وايراد السبق لمكان الادراك لانه الملايم لسرعة سيره **وكل** اي وكلهم على ان التنوين عوض عن المضاف
اليه الذي هو الضمير العايد الى الشمس والقمر والجمع باعتبار التكاثر العارض لهما بتكاثر مطالعهما فان اختلاف
الاحوال يوجب تعددا اما في الذات او الى الكواكب فان ذكرهما مشعر بها **في فلك يسبحون** يسيرون فيه بانبساط
وسهولة **واية لهم انا حملنا ذريتهم** اولادهم الذين يبعثونهم الى تجاراتهم او صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم
فان الذرية تطلق عليهن لاسيما مع الاختلاط وتخصيصهم بالذكر لما ان استقرارهم في السفن اشق واستمساكهم
فيها ابدع **في الفلك المشحون** اي المملوء وقيل هو فلك نوح عليه السلام وحمل ذرياتهم فيها حمل ابائهم الاقدمين
في اصلابهم هؤلاء وذرياتهم وتخصيص اعقابهم بالذكر دونهم لانه ابلغ في الامتنان وادخل في التعجب
الذي يدور عليه كونه اية **وخلقنا لهم من مثله** مما يماثل الفلك **ما يركبون** من الابل فانها سفاين البر
او مما يماثل ذلك الفلك من السفن والزوارق وجعلها مخلوقة لله تعالى مع كونها من مصنوعات
العباد ليس بمجرد كون صنيعهم باقدار الله تعالى والهامه بل عز بد اختصاص اصلها بقدرته تعالى وعظمته
حسبما يعرب عنه قوله عز وجل واصنع الفلك باعيننا ووحينا والتعبير عن ملابستهم بهذه السفن بالركوب
لانها باختيارهم كما ان التعبير عن ملابسة ذريتهم بفلك نوح عليه السلام بالحمل لكونها بغير شعور منهم واختيار
وان نشأ نغرقهم الى اخره من تمام الاية فانهم مغرقون بمضمونه كما ينطق به قوله تعالى واذا غشيهم موج كالظلل
دعوا الله مخلصين له الدين وقرئ بالتشديد وفي تعليق الاغراق بمحض المشية اشعار بانه قد تكامل ما يوجب
اهلاكهم من معاصيهم ولم يبق الا تعلق مشيته تعالى به اي ان نشأ نغرقهم في اليم مع ما حملناهم فيه من
الفلك فحديث خلق الابل حينئذ كلام جيء به في خلال الاية بطريق الاستطراد لكمال التماثل بين الابل و
الفلك فكانها نوع منه او مع ما يركبون من السفن والزوارق **فلا صريخ لهم** اي فلا مغيث لهم يحرسهم من
الغرق ويدفعه عنهم قبل وقوعه وقيل فلا استغاثة لهم من قولهم اتاهم الصريخ **ولا هم ينقذون** اي ينجون منه
بعد وقوعه وقوله تعالى **الا رحمة منا ومتاعا** استثناء مفرغ من اعم العلل الشاملة للباعث المتقدم
والغاية المتاخرة اي لا يغاثون ولا ينقذون بشيء من الاشياء الا لرحمة عظيمة من قبلنا داعية الى الاغاثة
والانقاذ وتمتيع بالحيوة الدنيا مترتب عليهما ويجوز ان يراد بالرحمة ما يقارن التمتيع من الرحمة الدنيوية
فيكون كلاهما غاية للاغاثة والانقاذ اي لنوع من الرحمة وتمتيع **الى حين** اي الى زمان قدر فيه اجالهم كما قيل •
ولم اسلم لكي ابقى ولكن • سلمت من الحمام الى الحمام **واذا قيل لهم اتقوا** بيان لاعراضهم عن الايات التنزيلية
بعد بيان اعراضهم عن الايات الافاقية التي كانوا يشاهدونها وعدم تاملهم فيها اي اذا قيل لهم بطريق الانذار
بما نزل من الايات او بغيره اتقوا **ما بين ايديكم وما خلفكم** من الافات والنوازل فانها محيطة بكم او مما يصيبكم
من انكاره من حيث تحتسبون او لا تحتسبون او من الوقايع النازلة على الامم الخالية قبلكم والعذاب المقدر
لكم في الاخرة او من نوازل السماء ونوايب الارض او من عذاب الدنيا وعذاب الاخرة او ما تقدم من الذنوب
وما تاخر **لعلكم ترحمون** اما حال من واو اتقوا او غاية له اي راجين ان ترحموا او كي ترحموا فتنجوا من
ذلك لما عرفتم ان مناط النجاة ليس الا رحمة الله تعالى وجواب اذا محذوف ثقة بانفهامه من قوله تعالى
وما تاتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين انفهاما بينا اما اذا كان الانذار بالاية الكريمة
فبعبارة النص واما ان كان بغيرها فبدلالته لانهم حين اعرضوا عن ايات ربهم فلان يعرضوا عن غيرها بطريق
الاولوية كانه قيل واذا قيل لهم اتقوا العذاب اعرضوا حسبما اعتادوه وما نافية وصيغة المضارع للدلالة
على الاستمرار التجددي ومن الاولى مزيدة لتاكيد العموم والثانية تبعيضية واقعة مع مجرورها صفة لاية
واضافة الايات الى الاسم الرب المضاف الى ضميرهم لتفخيم شانها المستتبع لتهويل ما اجترؤا عليه في

حقها والمراد بها الايات التنزيلية فاتيانها نزولها والمعنى ما ينزل اليهم اية من الايات القرانية التي من جملتها
هذه الايات الناطقة بما فصل من بدايع صنع الله تعالى وسوابغ الآلاء الموجبة للاقبال عليها والايمان بها الا
كانوا عنها معرضين على وجه التكذيب والاستهزاء واما ما يعمها وغيرها من الايات التكوينية الشاملة للمعجزات و
غيرها من تعاجيب المصنوعات التي من جملتها الايات الثلاث المعدودة آنفا فالمراد باتيانها ما يعم نزول الوحي
وظهور تلك الامور لهم والمعنى ما يظهر لهم اية من الايات التي من جملتها ما ذكر من شؤنه المشاهدة بوحدانيته
تعالى وتفرده بالالوهية الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر الصحيح فيها المؤدي الى الايمان به تعالى وايثار
على ان يقال الا اعرضوا عنها كما وقع مثله في قوله تعالى وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر للدلالة على
استمرارهم على الاعراض حسب استمرار اتيان الايات وعن متعلقة بمعرضين قدمت عليه مراعاة للفواصل
والجملة في حيز النصب على انها حال من مفعول ياتي او من فاعله المتخصص بالوصف لاشتمالها على ضمير كل منهما
والاستثنا مفرغ من اعم الاحوال اي ما ياتيهم من اية من ايات ربهم في حال من احوالهم الا حال اعراضهم عنها او
ما ياتيهم اية منها في حال من احوالهم الا حال اعراضهم عنها **واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله** اي اعطاكم بطريق
التفضل والانعام من انواع الاموال عبر عنها بذلك تحقيقا للحق وترغيبا في الانفاق على منهاج قوله تعالى
واحسن كما احسن الله اليك وتنبيها على عظم جنايتهم في ترك الامتثال في الامر ولذلك من التبعيضية اي اذا
قيل لهم بطريق النصيحة انفقوا بعض ما اعطاكم الله تعالى من فضله على المحتاجين فان ذلك مما يرد البلاء ويدفع
المكاره **قال الذين كفروا** بالصانع عز وجل وهم زنادقة كانوا بمكة **للذين امنوا** تهكما بهم وبما كانوا عليه
من تعليق الامور بمشية الله تعالى **انطعم** حسبما تنطقونا به **من لو يشاء الله اطعمه** اي على زعمكم وعن ابن
عباس رضي الله عنهما كان بمكة زنادقة اذا امروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله ايفقره الله ونطعمه
نحن وقيل قاله مشركوا قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين من اموالهم التي زعموا انهم جعلوها لله تعالى
من الحرث والانعام يوهمون انه تعالى لما لم يشاء اطعامهم وهو قادر عليه فنحن احق بذلك وما هو الا لفرط جهلهم
فان الله تعالى يطعم عباده باسباب من جملتها حث الاغنياء على اطعام الفقراء توفيقهم لذلك **ان انتم الا في
ضلال مبين** حيث تامروننا بما يخالف مشية الله تعالى قد جوز ان يكون جوابا لهم من جهته تعالى او حكاية
لجواب المؤمنين **ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين** اي فيما تعدوننا به من قيام الساعة مخاطبين لرسول
الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لما انهم ايضا كانوا يتلون عليهم ايات الوعيد لقيامها ومعنى القرب وهذا اما
بطريق الاستهزاء واما باعتبار قرب العهد بالوعد **ما ينظرون** جواب من جهته تعالى اي ما ينتظرون الا
الا صيحة واحدة هي النفخة الاولى **تاخذهم** مفاجاة **وهم يخصمون** اي يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم لا
يخطر ببالهم شيء من فجاتها لقوله تعالى فاخذتهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون فلا تغتروا بعدم ظهور علاماتها
ولا تزعموا انها لا تاتيهم واصل يخصمون يختصمون فسكنت التاء وادغمت في الصاد ثم كسرت الخاء لالتقاء
الساكنين وقرئ بكسر الياء للاتباع وبفتح الخاء على القاء حركة التاء عليه وقرئ على الاختلاس وبالاسكان
على تجويز الجمع بين الساكنين اذا كان الثاني مدغما وان يكن الاول حرف مد وقرئ يخصمون من خصمه اذا
جادله **فلا يستطيعون توصية** في شيء من امورهم ان كانوا فيما بين اهلهم **ولا الى اهلهم يرجعون** اذا كانوا
في خارج ابوابهم بل تبغتهم الصيحة فيموتون حيث ما كانوا **ونفخ في الصور** هي النفخة الثانية بينها وبين
الاولى اربعون سنة اي ينفخ فيه وصيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعها **فاذا هم من الاجداث** اي القبور
جمع جدث وقرئ بالفاء **الى ربهم** مالك امرهم على الاطلاق **ينسلون** يسرعون بطريق الاجبار دون
الاختيار لقوله تعالى لدينا محضرون وقرئ بضم السين **قالوا** اي في ابتداء بعثهم من القبور **يا ويلنا**
احضر هذا اوانك وقرئ يا ويلتنا **من بعثنا من مرقدنا** وقرئ من اهبنا من اهب من نومه اذا انتبه وقرئ

جهلهم

من هبنا

من هبنا بمعنى اهبنا وقيل اصله اهب بنا فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير وقيل فيه ترشيح ورمز وا
بانهم من اختلاط عقولهم يظنون انهم كانوا نياما وعن مجاهد ان للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح
باهل القبور يقولون ذلك وعن ابن عباس وابي بن كعب وقتادة ان الله يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون
فاذا بعثوا بالنفخة الثانية وشاهدوا من اهوال القيمة ما شاهدوا ودعوا بالويل قالوا ذلك وقيل اذا عاينوا
جهنم وما فيها من الوان العذاب لصبر عذاب القبر في جنبها شل النوم فيقولون ذلك وقرئ من بعثنا ومن هبنا
من الجار والمصدر والمرقد اما مصدر من رقاد او اسم مكان اريد به الجنس فينتظم مراقد الكل **هذا ما وعد الرحمن
وصدق المرسلون** جملة من مبتدا وخبر وما موصولة محذوفة العائد او مصدرية وهو جواب من قبل الملايكة
والمؤمنين عدل به عن سنن سؤالهم تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها على الذي يهمهم هو السؤال عن
نفس البعث ماذا هو دون الباعث كانهم قالوا بعثكم الرحمن الذي وعدكم ذلك في كتبه وارسل اليكم الرسل فصد
فيه وليس الامر كما توهمتم حتى تسالوا عن الباعث وقيل هو من كلام الكافرين حيث يتذكرون ما سمعوه من الرسل
عليهم السلام فيجيبون به انفسهم او بعضهم بعضا وقيل هو صفة لمرقدنا وما وعد الى آخره خبر مبتدا محذوف
او مبتدا خبر محذوف اي وما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق **ان كانت** اي ما كانت النفخة التي حكيت آنفا
الا صيحة واحدة حصلت من نفخ اسرافيل عليه السلام في القبور **فاذا هم جميع** اي مجموع **لدينا محضرون**
من غير لبث ما طرفة عين وفيه من تهويل امر البعث والحشر والايذان باستغنايهما عن الاسباب ما لا يخفى
فاليوم لا تظلم نفس من النفوس برة كانت او فاجرة **شيئا** من الظلم **ولا تجزون الا ما كنتم تعملون** اي الا جزاء
ما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من الكفر والمعاصي على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه للتنبيه
على قوة التلازم والارتباط بينهما كانهما شيء واحد او الا بما كنتم تعملونه اي بمقابلته او بسببه وتعميم الخطاب
للمؤمنين يرده انه تعالى يوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله اضعافا مضاعفة وهذه حكاية لما سيقال لهم
حين يرون العذاب المعد لهم تحقيقا للحق وتقريعا لهم قوله تعالى **ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون** من
جملة ما سيقال لهم يومئذ زيادة لندامتهم وحسرتهم فان الاخبار بحسن حال اعدائهم اثر بيان سوء حالهم مما
يزيدهم مساءة على مساءة وفي هذه الحكاية مزجرة لهؤلاء الكفرة عما هم عليه ومدعاة الى الاقتداء بسيرة
المؤمنين والشغل هو الشان يصد المرء ويشغله عما سواه من شؤنه لكونه اهم عنده من الكل اما لايجابه كمال المسرة
والبهجة او كمال المساءة والغم والمراد هاهنا هو الاول وما فيه من معنى التنكير والابهام للايذان بارتفاعه
عن رتبة البيان والمراد به ما هم فيه من فنون الملاذ التي تلهيهم عما عداها بالكلية واما ان المراد به افتضا
الابكار او السماع او ضرب الاوتار او التزاور او ضيافة الله تعالى او شغلهم عما فيه اهل النار على الاطلاق
او شغلهم عن اهاليهم في النار لا يهمهم امرهم ولا يبالون بهم كيلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم كما روي كل واحد
منها عن واحد من اكابر السلف فليس مرادهم بذلك حصر شغلهم فيما ذكروه فقط بل بيان انه من جملة اشغا
وتخصيص كل منهم كلا من تلك الامور بالذكر محمول على اقتضاء مقام البيان اياه وهو مع الجار خبران وفاكهون
خبر آخر لها اي وانهم مستقرون في شغل واي شغل عظيم الشان متنعمون بنعيم مقيم فائزون بملك كبير والتعبير
عن حالهم بهذه الجملة الاسمية قبل تحققها تنزيل للمترقب المتوقع منزلة الواقع للايذان بغاية سرعة تحققها ولو
ولزيادة مساءة المخاطبين بذلك وقرئ في شغل بسكون الغين وفي شغل بفتحتين وبفتحة وسكون والكل لغات
فيكون للمبالغة وفاكهون بضم الكاف وهي لغة كنطس وفاكهين وفكهين على الحال من المستكن في الظرف وقوله
تعالى **هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون** استيناف مسوق لبيان كيفية شغلهم وتفكههم
وتكميلها بما يزيدهم بهجة وسرورا من شركة ازواجهم لهم فيما هم فيه من الشغل والفكاهة على ان
هم مبتدا وازواجهم عطف عليه ومتكئون خبر والجاران صفتان له قدمتا عليه لمراعاة الفوا

شعار

قوكم

ض

لهم

قوعها

صل

اوهو الجاران بما تعلقا به من الاستقرار اخبار مترتبة وقيل الخبر هو الظرف الاول والثاني مستأنف على انه
متعلق بمتكئون وهو خبر لمبتدأ محذوف وقيل على انه خبر مقدم وبوئيه ومتكئون مبتدأ موخر وقرئ متكئين
بلا همز نصب على الحال من المستكن في الظرفين او احدهما وقيل هم تاكيد للمستكن في خبران ومتكئون خبر
آخرلهما وعلى الارائك متعلق به وكذا في ظلال اي هو المضمر هو حال من المعظم فبرد الظلال جمع ظل كشعاب جمع
شعب او جمع ظلة كقباب جمع قبة وبوئيه قراءة في ظلل والارائك جمع اريكة وهي السرير المزين بالثياب والستر
وقال تغلب لا تكون اريكة حتى يكون عليها حجلة وقوله تعالى **لهم فيها فاكهة** الى آخره بيان لما يتمتعون
به في الجنة من المآكل والمشارب ويتلذذون به من الملاذ الجسمانية والروحانية بعد بيان ما لهم فيها من
مجالس الانس ومحافل القدس تكميلا لبيان كيفية ما هم فيه من الشغل والبهجة اي لهم فيها فاكهة كثيرة
من كل نوع من انواع الفواكه وما في قوله تعالى **ولهم ما يدعون** موصولة او موصوفة عبر عنها عن مدعو عظيم
الشان معين او مبهم ايذانا بانه الحق بالدعاء دون ما عداه ثم صرح به روما لزيادة التقرير بالتحقيق بعد
التشويق كما ستعرفه او هي باقية على عمومها قصد بها التعميم بعد تخصيص بعض المراد المعتادة بالذكر واياما
كان فهو مبتدا ولهم خبره والجملة معطوفة على الجملة السابقة وعدم الاكتفاء بعطف ما يدعون على فاكهة
كيلا يتوهم كون ما عبارة عن توابع الفاكهة وتتماتها والمعنى ولهم ما يدعون به لانفسهم من مدعو عظيم الشان
او كل ما يدعون به كاينا ما كان من اسباب البهجة وموجبات السرور واياما كان ففيه دلالة على
انهم في اقصى غاية البهجة والغبطة ويدعون يفتعلون من الدعاء كما اشير اليه مثل اشترى واحتمل لنفسه
وقيل بمعنى يتداعون كالارتماء بمعنى الترامي وقيل بمعنى يتمنون من قولهم ادع على ما شئت بمعنى تمنه علي وقال
الزجاج هو من الدعاء اي ما يدعونه اهل الجنة يأتيهم فيكون الافتعال بمعنى الفعل كالاحتمال بمعنى الحمل والارتحال
بمعنى الرحلة وبعض القراء بالتخفيف كما ذكره الكواشي وقوله تعالى **سلام** على التقدير الاول بدل من
ما يدعون او خبر لمبتدا محذوف **قولا** مصدر مؤكد لفعل هو صفة لسلام وما بعده من الجار متعلق بمضمر
هو صفة له كانه قيل ولهم سلام اي ما يدعون سلام يقال لهم قولا كاينا من جهة **من رب رحيم** اي يسلم عليهم
من جهته تعالى بواسطة الملك وبدونها مبالغة في التعظيم قال ابن عباس والملائكة يدخلون عليهم
بالتحية من رب العالمين واما على التقدير الثاني فقد قيل انه خبر لما يدعون ولهم لبيان الجهة كما يقال
لزيد الشرف متوفر على ان الشرف مبتدا ومتوفر خبره والجار والمجرور لبيان من له ذلك اي ما يدعون سالم
لهم خالص لا شوب فيه وقولا حينئذ مصدر مؤكد لمضمون الجملة اي عدة من رب رحيم او سلامه من الافات
فيكون قولا مصدرا مؤكدا لمضمون الجملة كما سبق وقيل تقديره سلام عليهم فيكون حكاية لما سيقال لهم من
جهته تعالى يومئذ وقيل خبره الفعل المقدر ناصبا لقولا وقيل خبره من رب رحيم وقرئ سلاما بالنصب
على الحالية اي لهم مرادهم سالما خالصا وقرئ سلم وهو بمعنى السلم في المعنيين **وامتازوا اليوم** عطف
اما على الجملة السابقة المسوقة لبيان احوال الجنة لكن لا على ان المقصود عطف فعل الامر بخصوصه حتى
يتمحل له مشاكل يصح عطفه عليه بل على انه عطف قصة سوء حال هؤلاء وكيفية عقابهم على قصة حسن اولئك
ووصف ثوابهم كما مر في قوله تعالى وبشر الذين آمنوا الاية وكان تعبيره لسبك تخييل كمال التباين بين الفريقين
وحالهما واما على مضمر ينساق اليه حكاية حال اهل الجنة كانه قيل اثر بيان كونهم في شغل عظيم الشان وفوزهم
بنعيم مقيم يقصر عنه البيان فليقروا بذلك عينا وامتازوا عنهم **ايها المجرمون** اي مصيركم وعن قتادة
رضي الله عنه اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يُرى واما ما قيل
من ان المضمر فليمتازوا بمعزل من السداد لما ان المحكي عنهم ليس مصيرهم الى ما ذكر من الحال المرضية
حتى يتسنى ترتيب الامر المذكور عليه بل انما هو استقرارهم عليها بالفعل وكون ذلك بطريق تنزيل المترقب

منزلة

منزلة الواقع لا يجدي نفعا لانه مناط الاضمار انسياق الافهام اليه وانصباب نظم الكلام عليه فبعد
ما نزلت تلك الحال منزلة الواقع بالفعل لما اقتضاه المقام من النكتة البارعة والحكمة الرائعة حسبما مر بيانه
واسقط كونه مترقبه عن درجة الاعتبار بالكلية يكون التصدي لاضمار شيء يتعلق به اخراجا للنظم الكريم
عن الجزالة بالمرة **الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان** من جملة ما يقال لهم بطريق التقريع والالزام والتبكيت
بين الامر بالامتياز وبين الامر بدخول جهنم بقوله تعالى اصلوها اليوم والعهد الوصية والتقدم بامر فيه
خير ومنفعة والمراد هاهنا ما كلفهم الله تعالى على السنة الرسل عليهم السلام من الاوامر والنواهي التي من جملتها
قوله تعالى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة الاية وقوله تعالى ولا تتبعوا خطوات
الشيطان انه لكم عدو مبين وغيرها من الايات الكريمة الواردة في هذا المعنى وقيل هو الميثاق المأخوذ عليهم
حين اخرجوا من ظهور بني آدم واشهدوا على انفسهم وقيل هو ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الامرة بعبادته
تعالى الزاجرة عن عبادة غيره والمراد بعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس اليهم ويزينه عبر عنها بالعبادة لزيادة
التحذير والتنفير عنها ولوقوعها في مقابلة عبادته عز وجل وقرئ اعهد بكسر الهمزة واعهد بكسر الهاء
واحهد بالحاء مكان العين واحد بالادغام وهي لغة بني تميم **انه لكم عدو مبين** اي ظاهر العداوة وهو
تعليل لوجوب الانتهاء عن المنهي عنه وقيل تعليل للنهي **وان اعبدوني** عطف على ان لا تعبدوا على ان ان فيهما
مفسرة للعهد الذي فيه معنى القول بالنهي والامر او مصدرية حذف عنها الجار اي الم اعهد اليكم في ترك
عبادة الشيطان وفي عبادتي وفي تقديم النهي على الامر لما ان حق التخلية التقديم على التحلية كما في كلمة التوحيد
وليتصل به قوله تعالى **هذا صراط مستقيم** فانه اشارة الى عبادته تعالى التي هي عبارة عن التوحيد والاسلام
وهو المشار اليه بقوله تعالى هذا صراط مستقيم والمقصود بقوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم
والتنكير للتفخيم واللام في قوله تعالى **ولقد اضل منكم جبلا كثيرا** جواب قسم محذوف والجملة استينافا
مسوق لتشديد التوبيخ وتاكيد التقريع ببيان ان جناياتهم ليست بنقض العهد فقط بل به ولعدم الاتعاظ
بما شاهدوا من العقوبات النازلة على الامم الخالية بسبب طاعتهم للشيطان فالخطاب لمتاجريهم الذين
من جملتهم كفار مكة خصوا بزيادة التوبيخ والتقريع لتضاعف جناياتهم والجبل بكسر الجيم والباء وتشديد
اللام الخلق وقرئ بضمتين وتشديد وبضمتين وتخفيف وبضمة وسكون والكل لغات وقرئ جبلا جمع جبلة
كفطر وخلق في جمع فطرة وخلقة وقرئ جيلا بالياء وهو الصنف من الناس اي وبالله لقد اضل منكم خلقا
كثيرا او صنفا كثيرا عن ذلك الصراط المستقيم الذي امرتكم بالثبات عليه فاصابهم لاجل ذلك ما اصابهم
من العقوبات الهائلة التي ملأت الافاق اخبارها وبقي مدى الدهر آثارها والفاء في قوله تعالى **افلم تكونوا تعقلون**
للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي أكنتم تشاهدون آثار عقوباتهم فلم تكونوا تعقلون انها لضلالتهم او
فلم تكونوا تعقلون شيئا اصلا حتى ترتدعوا عما كانوا عليه كيلا يحيق بكم العقاب قوله تعالى **هذه جهنم التي
كنتم توعدون** استيناف مخاطبون به بعد تمام التوبيخ والتقريع والالزام والتبكيت عند اشرافهم
على شفير جهنم اي كنتم توعدونها على السنة الرسل عليهم السلام بمقابلة عبادة الشيطان ومثل قوله تعالى
لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وقوله تعالى اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء
موفورا وقوله تعالى اخرج منها مذموما مدحورا لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين وغير ذلك مما لا
يحصى وقوله تعالى **اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون** امر تنكيل واهانة كقوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم
اي ادخلوها من فوق وقاسوا اليوم فنون عذابها بكفركم المستمر في الدنيا وقوله تعالى **اليوم نختم على افواههم**
اي نختم بمنعها عن الكلام المتفاوت الى الغيبة للايذان بان ذكر احوالهم القبيحة استدعى ان يعرض عنهم
ويحكي احوالهم الفظيعة لغيرهم مع ما فيه من الايماء الى ان ذلك من مقتضيات الختم لان الخطاب

لتلقي الجواب وقد انقطع بالكلية وقرئ تختم **وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون** روي انهم يجحدون ويخاصمون
فتشهد عليهم جيرانهم واهاليهم وعشايرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على افواههم وتكلم ايديهم
وارجلهم وفي الحديث يقول العبد يوم القيمة انى لا اجيز على شاهدا الا من نفسي فيختم على فيه ويقال لاركانه
انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل وقيل تكليم الاركان
وشهادتها على افعالها وظهور اثار المعاصي عليها وقرئ ويتكلم ايديهم وقرئ ولتكلمنا ايديهم وتشهد بلام كي
والنصب على معنى وكذلك نختم وقرئ ولتكلمنا ايديهم ولتشهد بلام الامر والجزم **ولو نشاء لطمسنا على اعينهم**
الطمس تعقبه شق العين حتى تعود ممسوحة ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة التي هي وقوعها
شرطا وكون مفعولها مفعول الجزاء اي لو نشاء ان نطمس على اعينهم لفعلنا وايثار صيغة الاستقبال وان كان
على المعنى لافادة ان عدم الطمس على اعينهم لاستمرار عدم المشيئة فان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي
ليس بنص في افادة انتفاء استمرار الفعل بل قد يفيد استمرار انتفائه بحسب المقام كما مر في قوله تعالى
ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير **فاستبقوا الصراط** اي فارادوا ان يستبقوا الى الطريق الذي اعتادوا
سلوكه على ان انتصابه بنزع الجار او هو تضمين الاستباق معنى الابتداء او بالظرفية **فانى يبصرون** الطريق
وجهة السلوك **ولو نشاء لمسخناهم** بتغيير صورهم وابطال قواهم **على مكانتهم** اي مكانهم الا ان المكانة اخص
كالمقامة والمقام وقرئ على مكاناتهم اي لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم لا يقدرون ان يبرحوا باقبال ولا ادبار
والرجوع وذلك قوله تعالى **فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون** اي ولا رجوعا فوضع موضعه الفعل لمراعاة الفاصلة
عن ابن عباس رضي الله عنهما قردة وخنازير وقيل حجارة وعن قتادة لاقعدناهم على ارجلهم وازمناهم وقرئ مضيا
بكسر الميم وفتحها وليس مساق الشرطيتين لمجرد بيان قدرته تعالى على ما ذكر من عقوبة الختم وان المانع من ذلك
ليس الا عدم المشيئة الالهية به كانه قيل لو نشاء عقوبتهم بما ذكر من الطمس والمسخ جريا على موجب جناياتهم
المستدعية بها لفعلناها ولكنا لم نشاها جريا على سنن الرحمة والحكمة الداعيتين الى امهالهم **ومن نعمره** اي
نطل عمره **ننكسه في الخلق** اي نقلبه فيه ونخلقه على عكس ما خلقناه اولا فلا يزال يتزايد ضعفه وتتناقص
قوته وتنتقص بنيته ويتغير شكله وصورته حتى يعود الى حالة شبيهة بحالة الصبي في ضعف الجسد وقلة
العقل والخلو عن الفهم والادراك وقرئ ننكسه من الثلاثي وننكسه من الانكاس **افلا يعقلون** اي ايرون
ذلك فلا يعقلون ان من قدر على ذلك يقدر على ما ذكر من الطمس والمسخ فان عدم ايقاعهما لعدم مشيئته تعالى
بهما وقرئ تعقلون بالتاء لجري الخطاب قبله **وما علمناه الشعر** رد وابطال لما كانوا يقولون في حقه صلى
الله عليه وسلم من انه شاعر وان ما يقوله شعر اي ما علمناه الشعر بتعليم القران على معنى ان القران ليس
بشعر وان الشعر كلام متكلف موضوع ويقال مزخرف مصنوع منسوج على منوال الوزن والقافية مبني على
خيالات واوهام واهية فاين ذلك من التنزيل الجليل المنزه عن مماثلة كلام البشر المشحون بفنون الحكم والاحكام
الباهرة الموصلة الى سعادة الدنيا والاخرة ومن اين اشتبه عليهم الشئون واختلط بهم الظنون قاتلهم الله
انى يؤفكون **وما ينبغي له** وما يصح له الشعر وما يتأتى له لو طلبه اي جعلناه بحيث لو اراد قرض الشعر لم
يتأت له كما جعلناه اميا لا يهتدي للخط فتكون الحجة اثبت والشبهة ادحض واما قوله صلى الله عليه وسلم
انا النبي لا كذب • انا ابن عبد المطلب • وقوله صلى الله عليه وسلم • هل انت الا اصبع دميت • وفي سبيل
الله ما لقيت • فمن قبيل الاتفاقات الواردة من غير قصد اليها • وعزم على ترتيبها • وقيل الضمير في
له للقران وما ينبغي للقران ان يكون شعرا **ان هو** اي ما القران **الا ذكر** اي عظة من الله عز وجل
وارشاد للثقلين كما قال تعالى ان هو الا ذكر للعالمين **وقران مبين** اي اي كتاب سماوي بين كونه كذلك
اي فارق بين الحق والباطل يقرأ في المحاريب ويتلى في المعابد وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين

فكم بينه وبين ما قالوا **لينذر** اي القران او الرسول صلى الله عليه وسلم ويؤيده القراءة بالتاء وقرئ
لينذر من نذر به اي علمه ولينذر مبنيا للمفعول من الانذار **من كان حيا** اي عاقلا متاملا فان الغافل بمنزلة
الميت او مومنا في علم الله تعالى فان الحياة الابدية بالايمان وتخصيص الانذار به لانه المنتفع به **ويحق
القول** اي تجب كلمة العذاب **على الكافرين** المصرين على الكفر وفي ايرادهم بمقابلة من كان حيا اشعار بانهم
لخلوهم عن اثار الحيوة واحكامها التي هي المعرفة اموات في الحقيقة **اولم يروا** الهمزة للانكار والتعجب والواو
للعطف على جملة منفية مقدرة مستتبعة للمعطوف اي الم يتفكروا او الم يلاحظوا ولم يعلموا علما
يقينا متاخما للمعاينة **انا خلقنا لهم** اي لاجلهم وانتفاعهم **مما عملت ايدينا** اي مما تولينا احداثه بالذات
وذكر الايدي واسناد العمل اليها استعارة تفيد استعارة في الاختصاص والتفرد بالاحداث والاعتناء
به **انعاما** مفعول خلقنا وتاخيره عن الجارين المتعلقين به مع ان حقه التقدم لما مر مرارا من الاعتناء
بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فيتمكن عند وروده
عليها فضل تمكن لا سيما عند كون المقدم منبئا عن كون المؤخر امرا نافعا خطيرا كما في النظم الكريم فان الجار
الاول المعرب عن كون المؤخر من منافعهم والثاني المفصح عن كونه من الامور الخطيرة يزيدان النفس شوقا اليه
ورغبة فيه ولان في تاخيره جمعا بينه وبين احكامه المتفرعة عليه بقوله تعالى **فهم لها مالكون** الابات
اي فهم لكها اياهم وايثار الجملة الاسمية على ذلك للدلالة على استقرار مالكيتهم لها واستمرارها واللام
متعلقة بمالكون مقوية لعمله اي فهم مالكون لها بتمليكنا اياها لهم متصرفون فيها بالاستقلال مختصون
بالانتفاع بها لا يزاحمهم في ذلك غيرهم وقادرون على ضبطها متمكنون من التصرف فيها باقدارنا وتمكيننا
وتسخيرنا اياها لهم كما في قول من قال • اصبحت لا احمل السلاح ولا • املك راس البعير ان نفرا • والاول هو
الاظهر ليكون قوله تعالى **وذللناها لهم** تاسيسا لنعمة على حيالها لا تتمة لما قبلها اي صيرناها منقادة
لهم بحيث لا تستعصي عليهم في شيء مما يريدون بها حتى الذبح حسبما ينطق به قوله تعالى **فمنها ركوبهم** الى اخره
فان الفاء فيه لتفريع احكام التذليل عليه وتفصيلها اي فبعض منها ركوبهم او مركوبهم اي معظم منافعها
الركوب وعدم التعرض للحمل لكونه من تتمات الركوب وقرئ ركوبتهم وهي بمعناها كالحلوب والحلوبة وقيل
الركوب اسم جمع وقرئ ركوبهم اي ذو ركوبهم **ومنها ياكلون** اي وبعض منها ياكلون لحمه **ولهم فيها** اي
في الانعام بكلا قسميها **منافع** اخر غير الركوب والاكل كالجلود والاصواف والاوبار وغيرها وكالحراثة بالثيران
ومشارب ومن اللبن جمع مشرب وهذا مجمل ما فصل في سورة النحل **افلا يشكرون** اي ايشاهدون هذه النعم
او ايتنعمون بها فلا يشكرون المنعم بها **واتخذوا من دون الله الهة** اي متجاوزين الله الذي شاهدوا انفراده
بتلك القدرة الباهرة وتفضيله عليهم بهاتيك النعم المتظاهرة **الهة** من الاصنام واشركوها
به في العبادة **لعلهم ينصرون** رجاء ان ينصروا من جهتهم فيما حزبهم من الامور او يشفعوا لهم في الاخرة
قوله تعالى **لا يستطيعون نصرهم** الى اخره استيناف سيق لبيان بطلان رايهم وخيبة رجائهم وانعكاس
تدبيرهم اي لا يقدر الهتهم على نصرهم **وهم** اي المشركون **لهم** اي لالهتهم **جند محضرون** يشيعونهم
عند مساقهم الى النار وقيل معدون في الدنيا لحفظهم وخدمتهم والذب عنهم ولا يساعدون مساق
النظم الكريم فان الفاء في قوله تعالى **فلا يحزنك قولهم** لترتيب النهي على ما قبله فلا بد ان يكون عبارة
عن خسرانهم وحرمانهم عما علقوا به اطماعهم الفارغة وانعكاس الامر عليهم بترتيب الشر على ما رتبوه
لرجاء الخير فان ذلك مما يهون الخطب ويورث السلوة واما كونهم معدين لحفظهم وخدمتهم بمعزل
من ذلك والنهي وان كان بحسب الظاهر متوجها الى قولهم لكنه في الحقيقة متوجه الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ونهي له صلى الله عليه وسلم عن التاثر عنه بطريق الكناية على ابلغ وجه واكده فان

النهي عن اسباب الشيء ومباديه المودية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وابطال للسببية وقد يوجه النهي الى
السبب ويراد النهي عن المسبب كما في قوله لا ارينك هاهنا ويريد به نهي مخاطبه عن الحضور اليه والمراد بقولهم
هولاء الهتنا وانهم شركاء الله سبحانه في العبودية وغير ذلك مما يورث الحزن وقرئ يحزنك بضم الياء وكسر
الزاي من احزن المنقول من حزن اللازم قوله تعالى **انا نعلم ما يسرون وما يعلنون** تعليل صريح للنهي بطريق الاستئناف
بعد تعليله بطريق الاشعار فان العلم بما ذكر مستلزم للمجازاة قطعا اي انا نجازيهم بجميع جناياتهم الخافية
والبادية التي لا يعزب عن علمنا شيء منها وفيه فضل تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتقديم السر
على العلن اما للمبالغة في شمول علمه تعالى بجميع المعلومات كان علمه تعالى بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه
مع استوائهما في الحقيقة فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم
بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة واما لان مرتبة
السر مقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو ومباديه مضمر في القلب قبل ذلك فتعلق علمه
تعالى بحالته الاولى مقدم على تعلقه بحالته الثانية حقيقة **اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة** كلام مستانف
مسوق لبيان بطلان انكارهم البعث بعد ما شاهدوه في انفسهم اوضح دلائله واعدل شواهده كما ان ما سبق
مسوق لبيان بطلان اشراكهم بالله تعالى بعد ما عاينوا فيما بايديهم مما يوجب التوحيد والاسلام واما ما
قيل انه تسلية ثانية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتهوين ما يقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر فكلا
والهمزة للانكار والتعجب والواو للعطف على جملة مقدرة هي مستتبعة للمعطوف كما مر في الجملة الانكارية
السابقة اي الم يتفكر الانسان ولم يعلم علما يقينا انا خلقناه من نطفة الى آخره او هي عين الجملة السابقة
اعيدت تاكيدا للنكير السابق وتمهيدا لانكار ما هو احق منه بالانكار والتعجب لما ان المنكر هناك عدم علمهم
بما يتعلق بخلق اسباب معايشهم وهاهنا عدم علمهم بما يتعلق بخلق انفسهم ولا ريب في ان علم الانسان
باحوال نفسه اهم واحاطته بها اسهل واكمل فالانكار والتعجب من الاخلال بذلك ادخل كانه قيل الم
يعلموا خلقه تعالى لاسباب معايشهم ولم يعلموا خلقه تعالى لانفسهم وايضا مع كون العلم بذلك في غاية
الظهور ونهاية الاهمية على معنى ان المنكر الاول بعيد قبيح والثاني ابعد واقبح ويجوز ان تكون الواو لعطف
الجملة الانكارية الثانية على الاولى على انها متقدمة في الاعتبار وان تقدم الهمزة عليها لاقتضائها الصدارة
في الكلام كما هو راي الجمهور وايراد الانسان مورد الضمير لان مدار الانكار متعلق باحواله من حيث هو انسان
كما في قوله تعالى **فاذا هو خصيم مبين** اي شديد الخصومة والجدال في الباطل عطف على الجملة المنفية
وداخل في حيز الانكار والتعجيب كانه قيل اولم يروا انا خلقناه من اخس الاشياء وامهنها ففاجا خصومتنا
في امر يشهد بصحته وتحققه مبدا فطرته شهادة مبينة وايراد الجملة الاسمية للدلالة على استمراره في
الخصومة واستمراره عليها روي ان جماعة من كفار قريش منهم ابي بن خلف الجمحي وابو جهل والعاص بن وائل
والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم ابي بن خلف الا ترون الى ما يقول محمد ان الله يبعث الاموات
ثم قال واللات والعزى لاصيرن اليه واخصمه واخذ عظما باليا وجعل يفته بيده ويقول يا محمد اترى
ان الله يحيي هذا بعد ما رم قال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك جهنم فنزلت وقيل معنى
قوله تعالى فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق قادر على الخصام مبين
معرب في نفسه فصيح فهو حينئذ معطوف على خلقناه غير داخل تحت الانكار والتعجيب بل هو من
متممات شواهد صحة البعث **وضرب لنا مثلا** معطوف حينئذ على الجملة المنفية داخلة في حيز الانكار
والتقبيح واما على التقدير الاول فهو عطف على الجملة الفجائية والمعنى ففاجا خصومتنا وضرب لنا مثلا
اي اورد في شاننا قصة عجيبة في نفس الامر هي في الغرابة والبعد عن العقول كالمثل وهو انكار احيائنا

العظام

العظام وقصة عجيبة في زعمه واستبعدها وعدها من قبيل المثل وانكرها اشد الانكار وهي احياؤنا اياها
او جعل لنا مثلا ونظيرا من الخلق وقاس قدرتنا على قدرتهم ونفى الكل على العموم قوله تعالى **ونسي خلقه** اي
خلقنا اياه على الوجه المذكور الدال على بطلان ما ضربه اما عطف على ضرب داخل في حيز الانكار والتعجب
او حال من فاعله باضمار قد او بدونه وقوله تعالى **قال** استيناف وقع جوابا عن سوال نشا من حكاية ضربه المثل
كانه قيل اي مثل ضرب او ماذا قال فقيل قال **من يحيي العظام** منكرا اشد النكير موكدا له بقوله **وهي رميم**
اي بالية اشد البلى بعيدة من الحياة غاية البعد فالمثل على الاول هو انكار احيائه تعالى للعظام فانه امر عظيم في
نفس الامر حقيق لغرابته وبعده من العقول بان يعد مثلا ضرورة جزم العقول ببطلان الانكار ووقوع المنكر
لكونه كالانشاء بل هو اهون منه في قياس العقل وعلى الثاني هو احياؤه تعالى لها فانه امر عظيم في زعمه قد استبعده
وعده من قبيل المثل وانكره اشد الانكار مع انه في نفس الامر اقرب شيء من الوقوع لما سبق من كونه مثل الا نشاء
او اهون منه واما على الثالث فلا فرق بين ان يكون المثل هو الانكار او المنكر وعدم تانيث الرميم مع وقوعه
خبرا للمونث لانه اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرفات وقد تمسك بظاهر الاية الكريمة من اثبت للعظم
حياة وبنى عليه الحكم بنجاسة عظم الميتة واما اصحابنا فلا يقولون بحياته كالشعر ويقولون المراد باحياء
العظام ردها الى ما كانت عليه من الغضاضة والرطوبة في بدن حي حساس **قل** تبكيتا له بتذكير ما
نسيه من فطرته الدالة على حقيقة الحال وارشادا الى طريقة الاستشهاد بها **يحييها الذي انشاها اول مرة** فان
قدرته تعالى كما هي لاستحالة التغير فيها والمادة على حالها **وهو بكل خلق عليم** مبالغ في العلم بتفاصيل كيفيات
الخلق والايجاد والانشاء والاعادة محيط بجميع الاجزاء المتفتتة المتبددة لكل شخص من الاشخاص اصولها وفروعها
واوضاع بعضها من بعض من الاتصال والانفصال والاجتماع والافتراق فيعيد كلا من ذلك على النمط السابق
مع القوى التي كانت قبل والجملة اما اعتراض تذييلي مقرر لمضمون الجواب او معطوفة على الصلة والعدول
الى الجملة الاسمية للتنبيه على ان علمه تعالى بما ذكر امر مستمر ليس كانشائه للمنشآت قوله تعالى **الذي جعل لكم من الشجر**
الاخضر نارا بدل من الموصول الاول وعدم الاكتفاء بعطف صلته على صلته للتاكيد ولتفاوتهما في كيفية الدلالة
اي خلق لاجلكم ومنفعتكم منه نارا على ان الجعل ابداعي والجاران متعلقان به قدما على مفعوله الصريح مع تاخرهما
عنه رتبة لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ووصف الشجر بالاخضر نظرا الى اللفظ وقد قرئ
الخضراء بالنظر الى المعنى وهو المرخ والعفار وهو اني فينقدح النار باذن الله تعالى وذلك قوله تعالى **فاذا
انتم منه توقدون** فمن قدر على احداث النار من الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفية كان
اقدر على اعادة الغضاضة الى ما كان غضا فطرى عليه اليبوسة والبلى قوله تعالى **اوليس الذي خلق السموات والارض**
الى آخره استيناف مسوق من جهته لتحقيق مضمون الجواب الذي امر صلى الله عليه وسلم بان يخاطبهم
بذلك ويلزمهم الحجة والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اليس الذي انشاها
اول مرة وليس الذي جعل لهم من الشجر الاخضر نارا وليس الذي خلق السموات والارض مع كبر جرمهما
وعظم شانهما **بقادر على ان يخلق مثلهم** في الصغر والقماءة بالنسبة اليهما فان بديهة العقل قاضية بان من
قدر على خلقهما فهو على خلق الاناسي اقدر كما قال تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقرئ يقدر
وقوله تعالى **بلى** جواب من جهته تعالى وتصريح بما افاده الاستفهام الانكاري من تقرير ما بعد النفي وايذان
بتعين الجواب نطقوا به او تلعثموا فيه مخافة الالزام قوله تعالى **وهو الخلاق العليم** عطف على ما يفيده
الايجاب اي بلى هو قادر على ذلك وهو المبالغ في الخلق والعلم كيفا وكما **انما امره** اي شانه **اذا اراد شيئا**
من الاشياء **ان يقول له كن** اي ان تعلق به قدرته **فيكون** فيحدث من غير توقف على شيء اخر اصلا وهذا
تمثيل لتاثير قدرته تعالى فيما اراده بامر المامور المطيع في سرعة حصول المامور به من غير توقف على شيء ما

وقرئ فيكون بالنصب عطفا على يقول **فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء** تنزيه له عز وعلا عما وصفوه تعالى به وتعجيب من ان يقولوا فيه ما قالوا **وموجبة لتنزهه** تنزيهه اكمل ايجاب كما ان وصفه تعالى بالمالكية الكلية المطلقة للاشعار بانها مقتضية لذلك اتم اقتضاء والملكوت مبالغة في الملك كالرحموت والرهبوت وقرئ ملكة كل شيء وملكه كل شيء و ملك كل شيء **واليه ترجعون** لا الى غيره وقرئ ترجعون بفتح التاء من الرجوع وفيه من الوعيد والوعد ما لا يخفى عن ابن عباس رضي الله عنهما كنت لا اعلم ما روي في فضائل يس وقراءتها كيف خصت بذلك فاذا انه بهذه الاية قال صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء قلبا وان قلب القران يس من قراها يريد بها وجه الله تعالى غفر الله له واعطي من الاجر كانما قرا القران اثنتين وعشرين مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويشهدون دفنه وايما مسلم قرا يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الجنة الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال صلى الله عليه وسلم ان في القران سورة تشفع لقارئها ويغفر لمستمعها الا وهي سورة يس

سورة الصافات وهي مائة اثنان وثمانون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **والصافات صفا** اقسام من الله عز وجل بطوائف الملائكة الفاعلات للصفوف على ان المراد ايقاع نفس الفعل من غير قصد الى المفعول والصافات انفسها اي الناظمات لها في سلك الصفوف بقيامها في مقامها المعلومة حسبما ينطق به قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وعلى هذين المعنيين مدار قوله تعالى وانا لنحن الصافون وقيل الصافات اقدامها في الصلوة وقيل اجنحتها في الهواء **فالزاجرات زجرا** اي الفاعلات للزجر او الزاجرات لما نيط بها زجره من الاجرام العلوية والسفلية وغيرها على وجه يليق بالمزجور ومن جملة ذلك زجر العباد عن المعاصي وزجر الشياطين عن الوسوسة والاغواء وعن استراق السمع كما سياتي وصفا وزجرا مصدران موكدان لما قبلهما وصفا بديعا وزجرا بليغا واما ذكرا في قوله تعالى **فالتاليات ذكرا** فمفعول التاليات او التاليات ذكرا عظيم الشان من ايات الله تعالى وكتبه المنزلة على الانبياء عليهم السلام وغيرها من التسبيح والتقديس والتحميد والتمجيد وقيل هو ايضا مصدر موكد لما قبله فان التلاوة من باب الذكر ثم ان هذه الصفات ان اجريت على الكل فعطفها بالفاء للدلالة على ترتبها في الفضل اما بكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة او على العكس وان اجريت كل واحدة منهن على طوائف معينة فهو للدلالة على ترتب الموصوفات في مراتب الفضل بمعنى ان طوائف تلك الصافات ذوات فضل والزاجرات افضل والتاليات ابهر فضلا او على العكس وقيل المراد بالمذكورات نفوس العلماء العمال الصافات انفسها في صفوف الجماعات واقدامها في الصلوات الزاجرات بالمواعظ والنصائح التاليات ايات الله تعالى الدارسات شرايعه واحكامه وقيل طوائف الغزاة الصافات انفسهم في مواطن الحروب كانهم بنيان مرصوص وطوائف قوادهم الصافات لهم فيها والزاجرات الخيل للجهاد سوقا والعدو في المعارك طردا التاليات ايات الله تعالى وذكره وتسبيحه في تضاعيف ذلك والكلام في العطف ودلالته على ترتب الصافات في الفضل او ترتب موصوفها فانها فيه كالذي سلف واما الدلالة على الترتب في الوجود كما في قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب فغير ظاهر في شيء من الطوائف المذكورة فانه لو سلم تقدم الصف على الزجر في الملائكة والغزاة فتاخر التلاوة عن الزجر غير ظاهر وقيل الصافات الطير من قوله تعالى والطير صافات والزاجرات كل ما يزجر عن المعاصي والتاليات كل ما يتلو كتاب الله وقيل الزاجرات القوارع القرانية وقرئ بادغام التاء في الصاد

بالفاء

والزاي

والزاي والذال **ان الهكم لواحد** جواب للقسم والجملة تحقيق للحق الذي هو التوحيد بما هو المالوف في كلامهم من التاكيد القسمي وتمهيد لما يعقبه من البرهان الناطق به اعني قوله تعالى **رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق** فان وجودها وانتظامها في هذا النمط البديع من اوضح دلائل وجود الصانع وعلمه وقدرته واعدل شواهد وحدته كما مر في قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ورب خبر اخر او خبر ثان لان او خبر لمبتدا محذوف اي مالك السموات والارض وما بينهما من الموجودات ومربيهما ومبلغهما الى كمالاتها والمراد بالمشارق مشارق الشمس واعادة الرب فيها لغاية ظهور اثار الربوبية فيها وتجددها كل يوم فانها ثلثمائة وستون مشرقا تشرق كل يوم من مشرق منها وبحسبها تختلف المغارب وتغرب كل يوم في مغرب واما قوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين فهما مشرقا الصيف والشتاء ومغرباهما **انا زينا السماء الدنيا** اي القربى منكم **بزينة** عجيبة بديعة **الكواكب** بالجر بدل من زينة على ان المراد بها الاسم اي ما يزان به لا المصدر فان الكواكب بانفسها واوضاع بعضها من بعض زينة واي زينة وقرئ بالاضافة على انها بيانية لما ان الزينة مبهمة صادقة على كل ما يزان به فتقع الكواكب بيانا لها ويجوز ان يراد بزينة الكواكب ما زينت هي به وهو ضوءها وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما بزينة الكواكب بضوء الكواكب والمراد هو التزيين في راي العين فان جميع الكواكب من الثوابت والسيارات للناظرين كانها جواهر متلالية في سطح سماء الدنيا بصور بديعة واشكال رايقة ولا يقدح في ذلك ارتكاز الثوابت في الفلك الثامن وما عدا القمر في السنة المتوسطة ان ثبت ذلك **وحفظا** منصوب اما بعطفه على زينة باعتبار المعنى كانه قيل انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا **من كل شيطان مارد** وزيناها بالكواكب كقوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وقوله تعالى **لا يسمعون الى الملا الاعلى** كلام مبتدا مسوق لبيان حالهم بعد بيان حال حفظها عنهم مع التنبيه على كيفية الحفظ وما يعتريهم في اثناء ذلك من العذاب ولا سبيل الى جعله صفة لكل شيطان ولا جوابا عن سؤال مقدر لعدم استقامة المعنى ولا علة للحفظ على ان يكون الاصل لئلا يسمعوا فحذف فحذف اللام كما حذف من قولك جئتك ان تكرمني فبقي ان لا يسمعوا ثم يحذف ان ويهدر عملها كما في قول من قال الا ايهذا الزاجري احضر الوغى لما ان كل من ذينك الحذفين غير منكر بانفراده فاما اجتماعهما فمن انكر المنكرات التي يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثالها واصل يسمعون يتسمعون والملا الاعلى الملائكة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم الكتبة وعنه اشراف الملائكة عليهم السلام اي لا يتطلبون السماع والاصغاء اليهم وقرئ يسمعون بالتخفيف **ويقذفون** يرمون **من كل جانب** من جميع جوانب السماء اذا قصدوا الصعود اليها **دحورا** علة للقذف او للمدحور وهو الطرد او حال بمعنى مدحورين او مصدر موكد له لانهما من واد واحد وقرئ دحورا بفتح الدال اي قذفا دحورا مبالغا في الطرد وقد جوز ان يكون مصدرا كالقبول والولوج **ولهم عذاب واصب** اي ولهم في الاخرة غير ما في الدنيا من عذاب الرجم بالشهب عذاب شديد دائم غير منقطع كقوله تعالى واعتدنا لهم عذاب السعير **الا من خطف الخطفة** استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه والخطف الاختلاس والمراد اختلاس الملائكة مسارقة كما يعرب عنه تعريف الخطفة وقرئ بكسر الخاء والطاء المشددة وبفتح الخاء وبكسر الطاء وتشديدها واصله اختطف **فاتبعه شهاب** اي تبعه ولحقه وقرئ فاتبعه والشهاب ما يرى منقضا من السماء **ثاقب** مضيء في الغاية كانه يثقب الجو بضوئه يرجم به الشياطين اذا صعدوا لاستراق السمع فيقتلهم او يحرقهم قالوا وانما يعودون مع ان من يسلم منهم خبا طمعا في السلامة ونيل المراد كراكب السفينة **فاستفتهم** فاستخبرهم مشركي مكة **اهم اشد خلقا** اي اقوى خلقة وامتن بنية واصعب خلقا واشق ايجادا **ام من خلقنا** من الملائكة والسماء والارض وما بينهما والمشارق

د

هم

س

رق

والكواكب والشهب الثواقب ومن تغليب العقلاء على غيرهم ويدل عليه اطلاقه ومجيئه بعد
ذلك لاسيما قراءة من قرأ ام من عددنا وقوله انا خلقناهم من طين لازب فانه الفارق بينهم وبينها لا بينهم
وبين من قبلهم من الامم كعاد وثمود ولان المراد اثبات المعاد ورد استحالتهم والامر فيه بالاضافة
اليهم والى من قبلهم سواء وقرئ لازم ولاتب بل عجبت اي من قدرة الله تعالى على هذه الخلائق العظيمة
وانكارهم للبعث ويسخرون من تعجبك وتقريرك للبعث وقرئ بضم التاء على انه بلغ كمال قدرتي
وكثرة مخلوقاتي الى حيث عجبت منها وهؤلاء لجهلهم يسخرون منها وعجبت من ان ينكروا البعث ممن هذه
افاعيله وسخر ممن يجوزه والعجب من الله تعالى اما على الفرض والتخييل او على معنى الاستعظام اللازم
له فانه روعة تعتري الانسان عند استعظام الشيء وقيل انه مقدر بالقول اي قل يا محمد بل عجبت
واذا ذكروا اي ودأبهم المستمر انهم اذا وعظوا بشيء من المواعظ لا يذكرون لا يتعظون واذا ذكرهم
ما يدل على صحة البعث لا ينتفعون به لغاية بلادتهم وقصور فكرهم واذا راوا اية اي معجزة تدل على
صدق القائل به يستسخرون يبالغون في السخرية ويقولون انه سحر او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر
منها وقالوا ان هذا اي ما يرونه من الاية الباهرة الا سحر مبين ظاهر سحريته ءاذا متنا وكنا ترابا وعظاما اي
كان بعض اجزائنا ترابا وبعضها عظاما وتقديم التراب لانه منقلب من الاجزاء البادية والعامل في اذا
ما دل عليه مبعوثون كما في قوله تعالى ءانا لمبعوثون اي نبعث لا نفسه لان دونه خطوبا لو تفرد
واحدها لكفى في المنع وتقديم الظرف لتقوية الانكار بالبعث بتوجيهه الى حالة منافية غاية المنافاة
وكذا تكرير الهمزة في ءانا للمبالغة والتشديد في ذلك وكذا تحلية الجملة بان واللام لتاكيد الانكار
لا للانكار لتاكيد كما يوهمه ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في مثل قوله تعالى
افلا تعقلون على راي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وقرئ
بطرح الهمزة الاولى وبطرح الثانية فقط اوءاباؤنا الاولون رفع على الابتداء وخبره محذوف
عند سيبويه اي واباؤنا الاولون ايضا مبعوثون وقيل عطف على محل ان واسمها وقيل على الضمير في
مبعوثون للفصل بهمزة الانكار الجارية مجرى النفي في قوله تعالى ما اشركنا ولا اباؤنا واياما كان فمرادهم
زيادة الاستبعاد بناء على انهم اقدم فبعثهم ابعد على زعمهم وقرئ او اباؤنا قل تبكيتا لهم نعم والخطاب
في قوله تعالى وانتم داخرون لهم ولابائهم بطريق التغليب والجملة حال من فاعل ما دل عليه نعم اي
كلكم مبعوثون والحال انكم صاغرون اذلاء وقرئ نعم بكسر العين وهي لغة فيه فانما هي زجرة واحدة
هي ضمير مبهم يفسره خبره او ضمير البعثة والجملة جواب شرط مضمر او تعليل لنهي مقدر اي اذا كان
كذلك فانما هي الى اخره او لا تستصعبوه والزجرة الصيحة من زجر الراعي غنمه اذا صاح عليها وهي
النفخة الثانية فاذا هم قائمون من مراقدهم احياء ينظرون يبصرون كما كانوا او ينتظرون ما يفعل
بهم وقالوا اي المبعوثون وصيغة الماضي للدلالة على التحقيق والتقرير يا ويلنا اي هلاكنا
احضر فهذا اوان حضورك قوله تعالى هذا يوم الدين تعليل لدعائهم الويل بطريق الاستيناف
اي اليوم الذي نجازى فيه باعمالنا وانما علموا ذلك لانهم كانوا يسمعون في الدنيا انهم يبعثون
ويحاسبون ويجزون باعمالهم فلما شاهدوا البعث ايقنوا بما بعده ايضا قوله تعالى هذا يوم الفصل
الذي كنتم به تكذبون كلام الملائكة جوابا لهم بطريق التوبيخ والتقريع وقيل هو ايضا من كلام
بعضهم لبعض والفصل القضاء والفرق بين فرق الهدى والضلال قوله تعالى احشروا الذين ظلموا
خطاب من الله عز وجل للملائكة ومن بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم في الموقف وقيل من الموقف
الى الجحيم وازواجهم اي اشباههم ونظراءهم من العصاة عابد الصنم مع عبدته وعابد الكوكب مع

عبدته كقوله تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة وقيل قرناؤهم من الشياطين وقيل نساؤهم اللاتي على دينهم
وما كانوا يعبدون من دون الله من الاصنام ونحوها زيادة في تخسيرهم وتخجيلهم قيل وهو عام مخصوص بقوله
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية الكريمة وانت خبير بان الموصول عبارة عن المشركين خاصة جيء به
لتعليل الحكم بما في حيز صلته فلا عموم ولا تخصيص فاهدوهم الى صراط الجحيم اي عرفوهم طريقها ووجهوهم
اليها وفيه تهكم بهم وقفوهم احبسوهم في الموقف فان الملائكة يسارعون الى ما امروا به من حشرهم
الى الجحيم فامروا بذلك وعلل بقوله تعالى انهم مسئولون ايذانا من اول الامر بان ذلك ليس للعفو عنهم
ولا ليستريحوا بتاخير العذاب في الجملة بل ليسألوا لكن لا عن عقايدهم واعمالهم كما قيل فان ذلك قد
وقع قبل الامر بهم الى الجحيم بل عما ينطق به قوله عز وجل ما لكم لا تناصرون بطريق التوبيخ والتقريع والتهكم
اي لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم تزعمون في الدنيا وتاخير هذا السؤال الى ذلك الوقت لانه وقت تنجز
العذاب وشدة الحاجة الى النصرة وحالة انقطاع الرجاء منها بالكلية والتوبيخ والتقريع حينئذ اشد
وقعا وتاثيرا وقرئ لا تتناصرون ولا تناصرون بالادغام بل هم اليوم مستسلمون منقادون خاضعون
لظهور عجزهم وانسداد باب الحيل عليهم او اسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلهم مستسلم غير
مستنصر واقبل حينئذ بعضهم على بعض هم الاتباع والرؤساء او الكفرة والقرناء يتساءلون يسأل بعضهم
بعضا سؤال توبيخ بطريق الخصومة والجدال قالوا استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية تساؤلهم
كانه قيل كيف يتساءلون فقيل قالوا اي الاتباع للرؤساء او الكل للقرناء انكم كنتم تاتوننا في الدنيا
عن اليمين عن اقوى الوجوه وامتنها او عن الدين او عن الخير كانكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم
فهلكنا مستعار من يمين الانسان الذي هو اشرف الجانبين واقواهما وانفعهما ولذلك يسمى يمينا
ويتيمن بالسانح او عن القوة والقهر فتقسروننا على الغي وهو الاوفق للجواب او عن الحلف حيث كانوا
يحلفون انهم على الحق قالوا استيناف كما سبق اي قال الرؤساء او القرناء بل لم تكونوا مؤمنين اي
لم يمنعكم من الايمان بل لم تؤمنوا باختياركم واعرضتم عنه مع تمكنكم منه واثرتم الكفر عليه وما
كان لنا عليكم من سلطان من قهر وتسليط نسلبكم به اختياركم بل كنتم قوما طاغين مختارين للطغيان
مصرين عليه فحق علينا اي لزمنا وثبت علينا قول ربنا وهو قوله تعالى لاملأن جهنم منك وممن
تبعك منهم اجمعين انا لذائقون اي العذاب الذي ورد به الوعيد فاغويناكم فدعوناكم الى الغي دعوة
غير ملجئة فاستجبتم لنا باختياركم واستحببتم الغي على الرشد انا كنا غاوين فلا عتب علينا في
تعرضنا لاغوائكم بتلك المرتبة من الدعوة لتكونوا امثالنا في الغواية فانهم اي الاتباع والمتبوعين
يومئذ في العذاب مشتركون حسبما كانوا مشتركين في الغواية انا كذلك اي مثل ذلك الفعل البديع الذي
تقتضيه الحكمة التشريعية نفعل بالمجرمين المتناهين في الاجرام وهم المشركون كما يعرب عنه التعليل
بقوله تعالى انهم كانوا اذا قيل لهم بطريق الدعوة والتلقين لا اله الا الله يستكبرون عن القبول ويقولون ائنا
لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين رد عليهم وتكذيب لهم ببيان ان ما جاء به من التوحيد
هو الحق الذي قام به البرهان واجمع عليه كافة الرسل عليهم السلام فاين السحر والجنون من ساحته
الرفيعة انكم بما فعلتم من الاشراك وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم والاستكبار لذائقوا العذاب الاليم
والالتفات لاظهار كمال الغضب عليهم وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر
الله الا قليلا وقرئ لذائقون العذاب على الاصل وما تجزون الا ما كنتم تعملون اي الا جزاء ما كنتم
تعملونه منها الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع من ضمير ذائقوا وما بينهما اعتراض جيء به
مسارعة الى تحقيق الحق ببيان ان ذوقهم العذاب ليس الا من جهتهم لا من جهة غيرهم اصلا

وجعله استثناء من ضمير يجزون على ان الكفرة لا يجزون الا بقدر اعمالهم دون عباد الله المخلصين
فانهم يجزون اضعافا مضاعفة مما لا وجه له اصلاً لا سيما جعله استثناء متصلا بتعميم الخطاب في
تجزون لجميع المكلفين فانه ليس في حيز الاحتمال فالمعنى انكم لذائقوا العذاب الاليم لكن عباد الله المخلصين
الموحدين ليسوا كذلك اولئك اشارة اليهم للايذان بانهم ممتازون بما اتصفوا به من الاخلاص في عبادة
تعالى عما عداهم امتيازا بالغا منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد مع
قرب العهد بالمشار اليه للاشعار بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدا وقوله تعالى لهم اما
خبر له وقوله رزق مرتفع على الفاعلية بما فيه من الاستقرار او مبتدا ولهم خبر مقدم والجملة خبر
لاولئك والجملة الكبرى استيناف مبين لما افاده الاستثناء بيانا اجماليا تفصيليا وقيل هي خبر
للاستثناء المنقطع على انه متاول بالمبتدا وقوله تعالى معلوم اما معلوم الخصائص من حسن المنظر ولذة
الطعم وطيب الرائحة ونحوها من نعوت الكمال وقيل معلوم الوقت لقوله تعالى لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا
وقوله تعالى فواكه اما بدل من رزق او خبر مبتدا مضمر اي ذلك الرزق فواكه وتخصيصها بالذكر لان
ارزاق اهل الجنة كلها فواكه اي مما يوكل بمجرد التلذذ دون الاقتيات لانهم مستغنون عن القوت لكون
خلقتهم محكمة محفوظة من التحلل المحوج الى البدل وقيل لان الفواكه من اتباع سائر الاطعمة فذكرها مغن
عن ذكرها وهم مكرمون عند الله عز وجل لا يلحقهم هوان وذلك اعظم المثوبات والبقها باولي الهمم
وقيل مكرمون في نيله حيث يصل اليهم بغير تعب وسؤال كما هو شان ارزاق الدنيا وقرئ مكرّمون
بالتشديد في جنات النعيم اي في جنات ليس فيها الا النعيم وهو ظرف او حال من المستكن في
مكرمون وقوله تعالى يطاف عليهم اما استيناف مبني على سؤال نشا من حكاية تكامل مجالس انسهم او
حال من الضمير في متقابلين او في احد الجارين وقد جوز كونه صفة لمكرمون بكاس باناء فيه خمر او
بخمر فان الكاس يطلق على نفس الخمر كما في قول من قال • وكاس شربت على لذة • واخرى تداويت منها بها •
من معين متعلق بمضمر هو صفة لكاس اي كائنة من شراب معين او نهر معين وهو الجاري على وجه الارض
الظاهر للعيون او الخارج من العيون من عان الماء اذا نبع وصف به الخمر وهو للماء لانها تجري في الجنة
في انهار كما يجري الماء قال تعالى وانهار من خمر بيضاء لذة للشاربين صفتان ايضا للكاس ووصفها
بلذة اما للمبالغة كانها نفس اللذة او انها تانيث لذ بمعنى اللذيذ ووزنه فعل قال لبيد • ولذ بطعم
الصرخدي تركته • بارض العدي من خشية الحدثان • يريد النوم لا فيها غول اي غائلة كما في خمر
الدنيا من غاله اذا افسده واهلكه ومنه الغول ولا هم عنها ينزفون يسكرون من نزف الشارب فهو
نزيف ومنزوف اذا ذهب عقله ويقال للمطعون نزف فمات اذا اخرج دمه كله افرده بالنفي مع
اندراجه فيما قبله من نفي الغول عنها لما انه من اعظم مفاسد الخمر كانه جنس براسه والمعنى لا فيها نوع
من انواع الفساد من مغص وصداع وخمار وعربدة ولغو وتاثيم ولا هم يسكرون وقرئ ينزفون
بكسر الزاء من انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه وقرئ ينزفون بضم الزاي من نزف بضم الزاي
فيهما وعندهم قاصرات الطرف قصرن ابصارهن على ازواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم عين نجل العيون
جمع عيناء والنجل سعة العين كانهن بيض مكنون شبههن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه في الصفاء
والبياض المخلوط بادنى صفرة فان ذلك احسن الوان الابدان فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون معطوف
على يطاف اي يشربون فيتحادثون على الشراب كما هو عادة الشرب قال • وما بقيت من اللذات الا •
احاديث الكرام على المدام • فيقبل بعضهم على بعض فيتساءلون عن الفضائل والمعارف وعما جرى لهم
وعليهم في الدنيا فالتعبير عنه بصيغة الماضي للتاكيد والدلالة على تحقق الوقوع قال قائل منهم في تضاعيف

محاوراتهم

محاوراتهم اني كان لي في الدنيا قرين مصاحب يقول لي على طريقة التوبيخ بما كنت عليه من الايمان والتصديق بالبعث
ائنك لمن المصدقين اي بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق والاول هو الاوفق ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما
ائنا لمدينون اي لمبعوثون ومجزيون من الدين بمعنى الجزاء او لمسوسون يقال دانه اي ساسه ومنه الحديث
العاقل من دان نفسه وقيل كان رجل تصدق بماله لوجه الله تعالى فاحتاج فاستجدى بعض اخوانه فقال اين مالك
قال تصدقت به ليعوضني الله تعالى في الآخرة خيرا منه فقال ائنك لمن المصدقين بيوم الدين او من المتصدقين
لطلب الثواب والله لا اعطيك شيئا فيكون التعرض لذكر موتهم وكونهم ترابا وعظاما حينئذ لتاكيد انكار الجزاء
المبني على انكار البعث قال اي ذلك القائل بعدما حكى لجلسائه مقالة قرينه في الدنيا هل انتم مطلعون اي الى اهل
النار لاريكم ذلك القرين يريد بذلك بيان صدقه فيما حكاه وقيل القائل هو الله تعالى او بعض الملائكة يقولون
لهم هل تحبون ان تطلعوا على اهل النار لاريكم ذلك القرين فتعلموا اين منزلتكم من منزلتهم قيل ان لاهل الجنة
كوى ينظر منها اهلها الى اهل النار فاطلع اي عليهم فرآه اي قرينه في سواء الجحيم اي في وسطها وقرئ مطلعون
فاطلع على لفظ المضارع المنصوب يقال طلع علينا فلان واطلع واطلع بمعنى واحد والمعنى هل انتم
الى القرين فاطلع انا ايضا او عرض عليهم الاطلاع فقبلوا ما عرضوا فاطلع هو بعد ذلك وان جعل الاطلاع
متعديا فالمعنى انه لما شرط في اطلاعه اطلاعهم كما هو ديدن الجلساء فانهم مطلعون وقيل الخطاب
هذا للملائكة وقرئ مطلعون بكسر النون اراد مطلعون اياي فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله
هم الفاعلون الخير والآمرونه او شبه اسم الفاعل بالمضارع لما بينهما من التآخي قال اي القائل مخاطبا
لقرينه تالله ان كدت لتردين اي لتهلكني بالاغواء وقرئ لتغوين والتاء فيه معنى التعجب وان هي
المخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف واللام فارقة اي تالله ان الشان كدت لتردين
ولولا نعمة ربي بالهداية والعصمة لكنت من المحضرين اي من الذين احضروا العذاب كما احضرته انت وامثالك
قوله تعالى افما نحن بميتين رجوع الى محاورة جلسائه بعد اتمام الكلام مع قرينه تبجحا وابتهاجا
بما اتاه الله عز وجل لهم من الفضل العظيم والنعيم المقيم والهمزة للتقرير وفيها معنى التعجب والفاء
للعطف على مقدر يقتضيه المقام نظم الكلام اي انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين اي بمن شانه الموت
وقرئ بمائتين الا موتتنا الاولى التي كانت في الدنيا وهي متناولة لما في القبر بعد الاحياء للسؤال قاله
تصديقا لقوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وقيل ان اهل الجنة اول ما يدخلون الجنة
لا يعلمون انهم لا يموتون فاذا جيء بالموت على صورة كبش املح وذبح ونودي يا اهل الجنة خلود فلا موت
ويا اهل النار خلود فلا موت يعلمونه فيقولون ذلك تحدثا بنعمة الله تعالى واغتباطا بها وما نحن بمعذبين
كالكفار فان النجاة من العذاب ايضا نعمة جليلة مستوجبة للتحدث بها ان هذا اي الامر العظيم الذي
نحن فيه لهو الفوز العظيم وقيل هو من قول الله عز وجل تقريرا لقولهم وتصديقا له وقرئ لهو الرزق
العظيم وقيل هو من قول الله عز وجل وهو ما رزقوه من السعادة العظمى لمثل هذا فليعمل العاملون اي
لمثل هذا المرام الجليل يجب ان يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية السريعة الانصرام • المشوبة
بفنون الآلام • ومع هذا يحتمل ان يكون من كلام رب العزة اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم اصل النزل الفضل والريع
فاستعير للحاصل من الشيء فانتصابه على التمييز اي اذلك الرزق المعلوم الذي حاصله اللذة والسرور
خير نزلا ام شجرة الزقوم التي حاصلها الالم والغم ويقال النزل لما يقام ويهيا من الطعام الحاضر للنازل
فانتصابه على الحالية والمعنى ان الرزق المعلوم نزل اهل الجنة واهل النار نزلهم شجرة الزقوم فايهما خير
في كونه نزلا والزقوم اسم شجرة صغيرة الورق دفرة مرة كريهة الرائحة تكون في تهامة سميت به الشجرة
الموصوفة انا جعلناها فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في الآخرة وابتلاء في الدنيا فانهم لما سمعوا انها في

النار قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا ان من قدر على خلق حيوان يعيش في النار ويتلذذ بها
اقدر على خلق الشجر في النار وحفظها من الاحراق انها شجرة تخرج في اصل الجحيم طلعها اي حملها الذي يخرج
منها مستعار من طلع النخلة لمشاركته له في الشكل والطلوع من الشجر قالوا اول الطلع ثم خلال ثم بلح
ثم بسر ثم رطب ثم تمر كانه رؤس الشياطين في تناهي القبح والطول وهو تشبيه بالمخيل كتشبيه الفائق في الحسن
بالملك وقيل الشياطين الحيات الهائلة القبيحة المنظر لها اعراف وقيل ان شجرا يقال له الاستن خشنا
مفتنتا منتنا منكر الصورة يسمى ثمره الشياطين فانهم لاكلون منها اي من الشجرة او من طلعها فالتانيث مكتسب
من المضاف اليه فمالئون منها البطون لغلبة الجوع او للقسر على اكلها وان كرهوها ليكون ذلك بابا من
العذاب ثم ان لهم عليها اي على الشجرة التي ملؤا منها بطونهم بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال
استسقاؤهم كما ينبئ عليه كلمة ثم ويجوز ان يكون لما في شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة لشوبا من حميم
لشرابا من غساق او صديد مشوبا بماء حميم يقطع امعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم لما يشاب به فالاول
مصدر سمي به ثم ان مرجعهم اي مصيرهم وقد قرئ كذلك لالى الجحيم اي الى دركاتها او الى نفسها
فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها وقيل الجحيم خارج عنها لقوله تعالى هذه جهنم التي
يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم في الجحيم الى شجرة
الزقوم فياكلون منها الى ان يمتلئوا ثم يسقون من الحميم ثم يردون الى الجحيم ويؤيده انه قرئ ثم ان منقلبهم انهم الفوا
اباءهم ضالين تعليل لاستحقاقهم ما ذكر من فنون العذاب بتقليد الاباء في الدين من غير ان يكون لهم ولا لابائهم شيء يتمسك
به اصلا اي وجدوهم ضالين في نفس الامر ليس لهم ما يصلح شبهة فضلا عن صلاحية الدليل فهم على اثارهم يهرعون
من غير ان يتدبروا انهم على الحق اولا مع ظهور كونهم على الباطل بادنى تامل والاهراع الاسراع الشديد كانهم يزعجون
ويحثون حثا على الاسراع على اثارهم وقيل هو اسراع فيه شبه رعدة ولقد ضل قبلهم اي قبل قومك قريش اكثر
الاولين من الامم السالفة وهو جواب قسم محذوف وكذا قوله تعالى ولقد ارسلنا فيهم منذرين اي انبياء اولي عدد
كثير وذوي شان خطير بينوا لهم بطلان ما هم عليه وانذروهم عاقبته الوخيمة وتكرير القسم لابراز كمال الاعتناء
بتحقيق مضمون كل من الجملتين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين من الهول والفظاعة لما لم يلتفتوا الى الانذار ولم يرفعوا له
راسا والخطاب اما للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يتمكن من مشاهدة اثارهم وحيث كان المعنى انهم هلكوا
اهلاكا فظيعا استثني منهم المخلصون بقوله تعالى الا عباد الله المخلصين اي الذين اخلصهم الله تعالى بتوفيقهم للايمان والعمل
بموجب الانذار وقرئ المخلصين بكسر اللام اي الذين اخلصوا دينهم لله تعالى ولقد نادانا نوح نوع تفصيل لما اجمل فيما
قبل ببيان احوال بعض المرسلين وحسن عاقبتهم متضمن لبيان سوء عاقبة بعض المنذرين حسبما اشير اليه بقوله تعالى
فانظر كيف كان عاقبة المنذرين كقوم نوح وال فرعون وقوم لوط وقوم الياس ولبيان حسن عاقبة بعضهم الذين اخلصهم
الله تعالى ووفقهم للايمان كما اشار اليه الاستثناء كقوم يونس عليه السلام ووجه تقديم قصة نوح على سائر الامم غني
عن البيان واللام جواب قسم محذوف كما في قوله تعالى فلنعم المجيبون اي وبالله لقد دعانا نوح حين يئس من ايمان قومه
بعد ما دعاهم اليه احقابا ودهورا فلم يزدهم دعاؤه الا فرارا ونفورا فاجبناه احسن الاجابة فوالله لنعم المجيبون
نحن فحذف ما حذف ثقة بدلالة ما ذكر عليه والجمع دليل العظمة والكبرياء ونجيناه واهله من الكرب العظيم او من الغرق
وقيل من اذية قومه وجعلنا ذريته هم الباقين فحسب حيث اهلكنا الكفرة بموجب دعائه رب لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا وقد روي انه مات كل من معه في السفينة غير ابنائه وازواجهم او هم الذين بقوا متناسلين الى يوم القيمة
قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام وكان له ثلثة اولاد سام وحام ويافث فسام ابو العرب وفارس
والروم وحام ابو السودان من المشرق الى المغرب ويافث ابو الترك وياجوج وماجوج وتركنا عليه في الاخرين من الامم
سلام على نوح اي هذا الكلام بعينه وهو وارد على الحكاية كقولك قرأت سورة انزلناها والمعنى يسلمون عليه تسليما

ويدعون

ويدعون له على الدوام امة بعد امة وقيل ثمة قول مقدر اي فقلنا وقيل ضمن تركنا معنى قولنا وقوله تعالى في العالمين
متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبات هذه التحية واستمرارها ابدا في العالمين من الملائكة والثقلين جميعا
قوله تعالى انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لما فعل به عليه السلام من التكرمة السنية من اجابة دعائه احسن اجابة
وابقاء ذريته وتبقية ذكره الجميل وتسليم العالمين عليه الى آخر الدهر بكونه من زمرة المعروفين بالاحسان الراسخين
فيه وان ذلك من قبيل مجازاة الاحسان بالاحسان وذلك اشارة الى ما ذكر من الكرامات السنية التي وقعت
جزاء له عليه السلام وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل
والشرف والكاف متعلقة بما بعدها اي مثل ذلك الجزاء الكامل في الاحسان لا جزاء ادنى منه قوله تعالى انه من
عبادنا المؤمنين تعليل لكونه من المحسنين بخلوص عبوديته وكمال ايمانه وفيه من الدلالة على جلالة قدرهما ما لا يخفى
ثم اغرقنا الاخرين المغايرين لنوح واهله وهم كفار قريش اجمعين وان من شيعته اي ممن شايعه في اصول الدين
لابرهيم وان اختلفت فروع شرائعهما ويجوز ان يكون بين شريعتهما كلي او اكثري وعن ابن عباس رضي الله عنهما
من اهل دينه وعلى سنته او ممن شايعه على التصلب في دين الله ومصابرة المكذبين وما كان بينهما الا نبيان هود وصالح
عليهم السلام وكان بين نوح وابرهيم الفان وستمائة واربعون سنة اذ جاء ربه منصوب باذكر او متعلق بما في
الشيعة من معنى المشايعة بقلب سليم اي من افات القلوب او من العلائق بما في الشيعة من معنى المشاغلة عن
التبتل الى الله عز وجل ومعنى المجيء به ربه اخلاصه له كانه جاء به متحفا اياه بطريق التمثيل اذ قال لابيه وقومه
ماذا تعبدون بدل من الاولى او ظرف لجاء او لسليم اي اي شيء تعبدون ائفكا الهة دون الله تريدون اي اتريدون
الهة من دون الله افكا اي للافك وقدم المفعول على الفعل للعناية ثم المفعول له على المفعول به لان الاهم مكافحتهم
بانهم على افك وباطل في شركهم ويجوز ان يكون افكا مفعولا به بمعنى اتريدون افكا ثم يفسر الافك بقوله الهة من دون
الله دلالة على انها افك في نفسها للمبالغة او يراد بها عبادتها بحذف المضاف ويجوز ان يكون حالا بمعنى آفكين
فما ظنكم برب العالمين اي بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته خاصة واشركتم به نفس
مخلوقاته او فما ظنكم به اي شيء هو من الاشياء حتى جعلتم الاضافة له اندادا او ما ذا ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف
يعاقبكم بعد ما فعلتم ما فعلتم به من الاشراك به فنظر نظرة في النجوم قيل كانت له عليه السلام حمى لها نوبة معينة
في بعض ساعات الليل فنظر ليعرف هل هي تلك الساعة فاذا هي قد حضرت فقال اني سقيم وكان صادقا في ذلك
فجعله عذرا في تخلفه عن عيدهم وقيل اراد اني سقيم القلب لكفركم وقيل نظر في علمها او في كتبها او احكامها
ولا منع من ذلك حيث كان قصده عليه السلام ايهامهم حين ارادوا ان يخرجوا به عليه السلام الى معبدهم
ليتركوه فان القوم كانوا منجمين فاوهمهم انه قد استدل بامارة في علم النجوم على انه سقيم اي مشارف للسقم وهو
الطاعون وكان اغلب الاسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا الى معبدهم وتركوه في بيت
الاصنام وذلك قوله تعالى فتولوا عنه مدبرين اي هاربين مخافة العدوى فراغ الى الهتهم اي ذهب اليها في خفية
واصله الميل بحيلة فقال اي للاصنام استهزاء الا تاكلون اي من الطعام الذي كانوا يضعونه عندها لتبرك
عليه ما لكم لا تنطقون اي بجوابي فراغ عليهم فمال مستعليا عليهم وقوله تعالى ضربا باليمين مصدر مؤكد لراغ
عليهم فانه بمعنى ضربهم او لفعل مضمر هو حال من فاعله او فراغ عليهم يضربهم ضربا او هو الحال منه على انه
مصدر بمعنى الفاعل اي فراغ عليهم ضربا باليمين اي ضربا شديدا قويا وذلك لان اليمين اقوى الجارحتين واشدهما
وقوة الالة تقتضي قوة الفعل وشدته وقيل بالقوة والمتانة كما في قوله • اذا ما راية رفعت لمجد • تلقاها عرابة باليمين
اي بالقوة وعلى ذلك مدار تشبيه الحلف وهو قوله وتالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه اي المامورون باحضاره
عليه السلام بعد ما رجعوا من عيدهم الى بيت الاصنام فوجدوها مكسورة فسالوا عن الفاعل فظنوا انه عليه السلام
فعل فاتوا به يزفون حال من واو اقبلوا اي يسرعون من زفيف النعام وقرئ يزفون من ازف اذا دخل في الزفيف

اومن ازفه حمله علي الزفيف اي يزف بعضهم بعضا للنسا دعهم اليه عليه السلام **قال** اي بعد ما اتوا به عليه
السلام وجري بينه وبينهم من المحاورات ما نطق به قوله تعالي ءانت فعلت هذا بالهتنا يا ابرهيم الي قوله تعالي
ماهولاء ينطقون **اتعبدون ما تنحتون** ما تنحتونه من الاصنام وقوله تعالي **والله خلقكم وما تعملون** حال من فاعل
تعبدون موكدة للانكار والتوبيخ اي والحال انه تعالي خلقكم وخلق ما تعملونه فان جواهر اصنامهم ومادتها بخلقه
تعالي وشكلها وان كان بفعلهم لكنه بما قدره تعالي اياهم عليه وخلقهم بما يتوقف عليه وفعلهم من الدواعي والعدد
والاسباب وما تعملون اما عبارة عن الاصنام فوضعه موضع ضمير ما تنحتون للايذان بان مخلوقيتها لله عز وجل ليس
من حيث نحتهم لها فقط بل من حيث سائر اعمالهم ايضا من التصوير والتحلية والتزيين ونحوها واما علي عمومه فينتظم
الاصنام انتظاما اوليا مع ما فيه من تحقيق الحق ببيان ان جميع ما يعملونه كائنا ما كان مخلوق له سبحانه وقيل ما مصدرية
اي عملكم علي انه بمعني المفعول وقيل بمعناه فان فعلهم اذا كان بخلق الله تعالي كان مفعولهم المتوقف علي فعلهم اولي
بذلك **قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم** اي في النار الشديدة الايقاد من الجحمة وهي شدة التاجج واللام عوض عن
المضاف اليه اي جحيم ذلك البنيان وقد ذكر كيفية بنائهم له في سورة الانبياء **فارادوا به كيدا** فانه عليه السلام
لما قهرهم بالحجة والقمهم الحجر قصدوا ما قصدوا لئلا يظهر للعامة عجزهم **فجعلناهم الاسفلين** الاذلين بابطال
كيدهم وجعله برهانا نايرا علي علو شانه عليه السلام بجعل النار عليه بردا وسلاما **وقال اني ذاهب الي ربي** اي مهاجر
الي حيث امرني ربي كما قال اني مهاجر الي ربي وهو الشام او الي حيث اتجرد فيه لعبادة ربي تعالي **سيهدين** اي الي ما
فيه صلاح ديني او الي مقصدي وبت القول بذلك لسبق الوعد او لفرط توكله او للبناء علي عادته تعالي معه ولم
يكن كذلك حال موسي عليه السلام حيث قال عسي ربي ان يهديني سواء السبيل ولذلك اتي بصيغة التوقع **رب
هب لي من الصالحين** اي بعض الصالحين يعينني علي الدعوة والطاعة ويونسني في الغربة يعني الولد لان لفظ الهبة
علي الاطلاق خاص به وان كان قد ورد مقيدا بالاخ في قوله تعالي ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا ولقوله
تعالي **فبشرناه بغلام حليم** فانه صريح في ان المبشر به عين ما استوهبه عليه السلام ولقد اجتمع فيه بشارات
ثلاثة بشارة انه غلام وانه يبلغ اوان الحلم وانه يكون حليما واي حلم يعادل حلمه عليه السلام حين عرض ابوه الذبح فقال
يا ابت افعل ما تومر ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقيل ما نعت الله الانبياء عليهم السلام باقل مما نعتهم بالحلم لعزة
وجوده غير ابرهيم وابنه فانه تعالي نعتهما به وحالهما المحكية بعد اعدل بينة بذلك والفاء في قوله تعالي
فلما بلغ معه السعي فصيحة معربة عن مقدر قد حذف تعويلا علي شهادة الحال وايذانا بعدم الحاجة الي التصريح
به لاستحالة التخلف والتاخر بعد البشارة كما في قوله تعالي فلما راه مستقرا عنده اي فوهبنا له فنشا فلما بلغ ان
يسعي معه في اشغاله وحوايجه ومعه متعلق بمحذوف ينبئ عنه السعي لا بنفسه لان صلة المصدر لا تتقدمه ولا
ببلغ لان بلوغهما لم يكن معا كانه لما بلغ السعي قيل مع من فقيل معه وتخصيصه لان الاب اكمل في الرفق والاصلاح
فلا يستسعيه قبل اوانه او لانه استوهبه لذلك وكان له يومئذ ثلاث عشرة سنة **قال** اي ابرهيم عليه السلام **يا بني
اني اري في المنام اني اذبحك** اي اري هذه الصورة بعينها او ما هذه عبارته وتاويله وقيل انه راي ليلة التروية
كان قائلا يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك هذا فلما اصبح روي في ذلك من الصباح الي الرواح امن الله هذا
الحلم ام من الشيطان فمن ثمه سمي يوم التروية فلما امسي راي مثل ذلك فعرف انه من الله تعالي فمن ثمه سمي يوم عرفة
ثم راي مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي يوم النحر وقيل ان الملايكة حين بشرته بغلام حليم قال اذا ذبيح الله
فلما ولد وبلغ معه حد السعي قيل له اوف بنذرك والاظهر الاشهر ان المخاطب ابرهيم عليه السلام اذ هو الذي ذهب
الي المهاجر ولان البشارة باسحاق بعد معطوف علي البشارة بهذا الغلام ولقوله صلي الله عليه وسلم انا ابن الذبيحين
فاحدهما جده اسمعيل عليه السلام والاخر ابوه عبد الله فان عبد المطلب نذر ان يذبح ولدا ان سهل له حفر بير
زمزم او بلغ ابنه عشرة فلما حصل ذلك وخرج السهم علي عبد الله فداه بمائة من الابل ولذلك سنت الدية مائة ولان

ذلك

ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقان بالكعبة حتي احترقا في ايام ابن الزبير ولم يكن اسحق ثمه ولان بشارة
اسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبه الامر بذبحه مراهقا وما روي انه صلي الله عليه وسلم سئل
اي النسب اشرف فقال يوسف صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله فالصحيح
انه صلي الله عليه وسلم قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم والزوايد من الراوي وما روي من ان يعقوب
كتب الي يوسف مثل ذلك فلم يثبت وقري اني بفتح الياء فيهما **فانظر ماذا تري** من الراي وانما شاوره فيه
وهو امر محتوم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله تعالي فيثبت قدمه ان جزع ويامن عليه ان سلم ليوطن نفسه
عليه فيهون ويكتسب المثوبة عليه بالانقياد به قبل نزوله وقري ماذا تري بضم التاء وكسر الراء وفتحها مبنيا
للمفعول **قال يا ابت افعل ما تومر** فحذف الجار اولا علي القاعدة المطردة ثم حذف العايد الي الموصول بعد
انقلابه موصولا بايصاله في الفعل او حذفا دفعة او افعل امرك علي اضافة المصدر الي المفعول وتسميته
المامور به امرا وقري ما تومر به وصيغة المضارع للدلالة علي ان الامر متعلق به متوجه اليه مستمر
الي حين الامتثال به **ستجدني ان شاء الله من الصابرين** علي الذبح اي علي قضاء الله تعالي **فلما اسلما** اي استسلما
لامر الله تعالي وانقادا او خضعا له تعالي سلم لامر الله واسلم واستسلم بمعني واحد وقد قرئ بهن جميعا و
اصلها من قولك سلم هذا لفلان اذا خلص له ومعناه سلم من ان ينازع فيه سلم لامر الله واسلم له منقولا
منه ومعناهما اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له وكذلك معني استسلم استخلص نفسه له تعالي وعن قتادة
في اسلما اسلم ابرهيم ابنه واسماعيل نفسه لله تعالي **وتله للجبين** صرعه علي شقه فوقع جبينه علي الارض
وهو احد جانبي الجبهة وقيل كبه علي وجهه باشارته كيلا يري منه ما يورث رقة تحول بينه وبين امر الله
تعالي وكان ذلك عند الصخرة من مني وقيل في الموضع المشرف علي مسجد مني وقيل المنحر الذي ينحر فيه اليوم
وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرويا بالعزم علي الاتيان بالمامور به وترتيب مقدماته وقد روي انه
امر السكين بقوته علي حلقه مرارا فلم تقطع ثم وضع السكين علي قفاه فانقلب السكين فعند ذلك وقع
الندا وجواب لما محذوف ايذانا بعدم التغيير كانه قيل كان ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان من
استبشارهما وشكرهما لله تعالي ما انعم به عليهما من قطع البلاء بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق لاحد
مثله واظهار فضلهما بذلك علي العالمين احراز الثواب العظيم الي غير ذلك **انا كذلك نجزي المحسنين** تعليل
لتفريج تلك الشدة عنهما باحسانهما واحتج به من جوز النسخ قبل وقوع المامور به فانه عليه السلام كان مامورا
بالذبح لقوله تعالي افعل ما تومر ولم يحصل **ان هذا لهو البلاء المبين** الابتلاء البين الذي يتميز فيه المخلص عن
غيره والمحنة البينة الصعوبة انه لا شيء اصعب منها **وفديناه بذبح** بما يذبح به فيتم به الفعل **عظيم** اي
عظيم الجثة سمين او عظيم القدر لانه يفدي به الله نبيا ابن نبي واي نبي من نسله سيد المرسلين قيل كان
ذلك كبشا من الجنة عن ابن عباس رضي الله عنهما انه الكبش الذي قربه هابيل وكان يرعي في الجنة حتي فدي
به اسماعيل عليه السلام وقيل فدي بوعل اهبط عليه من ثبير وروي انه هرب من ابرهيم عند الجمرة فرماه
بسبع حصيات حتي اخذه فبقي سنة في الرمي وروي انه رمي الشيطان حين تعرض له بالوسوسة عند
ذبح ولده وروي انه لما ذبحه قال جبريل عليه السلام الله اكبر الله اكبر فقال الذبيح لا اله الا الله
والله اكبر فقال ابرهيم الله اكبر ولله الحمد فبقي سنة والمنادي في الحقيقة هو ابرهيم وانما قيل وفديناه
لانه تعالي هو المعطي والامر به علي التجوز في الندا والاسناد **وتركنا عليه في الاخرين سلام علي ابرهيم** قد سلف بيانه
في خاتمة قصة نوح **انا كذلك نجزي المحسنين** ذلك اشارة الي ابقاء ذكره الجميل فيما بين الامم لا الي ما اشير اليه
فيما سبق فلا تكرار وعدم تصدير الجملة بانا للاكتفاء بما مر انفا **انه من عبادنا المومنين** الراسخين في الايمان
علي وجه الايقان والاطمينان **وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين** اي مقضيا بنبوته مقدرا كونه من الصا

لحين

وبهذا الاعتبار وقع حالين ولا حاجة الي وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود ذي الحال ليس بشرط
وانما الشرط مقارنة تعلق الفعل به لاعتبار معني الحال فلا حاجة الي تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل و
بشرناه بوجود اسحق بان يوجد اسحاق نبيا من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله فادخلوها خالدين
فان دخول الخالدين كانوا مقدرين دخولهم وقت الدخول واسحق عليه السلام لم يكن مقدرا نبوته نفسه
وصلاحها حين ما يوجد ومن فسر الغلام باسحاق جعل المقصود من البشارة نبوته وفي ذكر الصلاح بعد النبوة
تعظيم لشانه وايماء الي انه الغاية لها لتضمنها معني الكمال والتكميل بالفعل علي الاطلاق وباركنا عليه اي علي ابرهيم
في اولاده وعلي اسحاق بان اخرجنا من صلبه انبياء بني اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب عليهما السلام وافضنا
عليهم بركات الدين والدنيا وقري بركنا ومن ذريتهما محسن في عمله او لنفسه بالايمان والطاعة وظالم لنفسه
بالكفر والمعاصي مبين ظاهر ظلمه وفيه تنبيه علي ان النسب لا تاثير له في الهداية والضلال وان الظلم
في اعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة ولا عيب ولقد مننا علي موسي وهرون اي انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من
النعم الدينية والدنيوية ونجيناهما وقومهما وهم بنو اسرائيل من الكرب العظيم هو ملكة ال فرعون وتسلطهم
عليهم بالوان الغشم والعذاب كما في قوله تعالي واذ نجيناكم من آل فرعون وقيل هو الغرق وهو بعيد لانه لم
يكن عليهما كربا ومشقة ونصرناهم اي اياهما وقومهما علي عدوهم فكانوا بسبب ذلك هم الغالبين عليهم غلبة
لاغاية وراها بعدان كان قومهما في اسرهم وقسرهم مقهورين تحت ايديهم العادية يسومونهم سوء العذاب
وهذه التنجية وان كانت بحسب الوجود مقارنة لما ذكر من النصر والغلبة لكنها لما كانت بحسب المفهوم
عبارة عن التخليص عن المكروه بدئ بها ثم بالنصر الذي يتحقق مدلوله بمحض تنجية المنتصر من عدوه من غير
تغلبه عليه ثم بالغلبة لتوفية مقام الامتنان حقه باظهار ان كل مرتبة من هذه المراتب الثلاث نعمة
جليلة علي حيالها وآتيناهما بعد ذلك الكتاب المستبين اي البليغ في البيان والتفصيل وهو التورية
وهديناهما بذلك الصراط المستقيم الموصل الي الحق والصواب بما فيه من تفاصيل الشرائع وتفاريع الاحكام
وتركنا عليهما في الاخرين سلام علي موسي وهرون اي ابقينا فيما بين الامم الاخرين هذا الذكر الجميل والثناء
الجزيل انا كذلك الجزاء الكامل نجزي المحسنين الذين هما من جملتهم الاجزاء قاصرا عنه انهما من عبادنا المومنين
سبق بيانه وان الياس لمن المرسلين هو الياس بن ياسين من سبط هرون اخي موسي عليهم السلام بعث بعده
وقيل ادريس لانه قري مكانه ادريس وادراس وقري ابليس وقيل الياس بحذف الهمزة اذ قال لقومه الا تتقون
اي عذاب الله تعالي اتدعون بعلا اتعبدونه وتطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان لاهل بك من الشام
وهو البلد المعروف اليوم ببعلبك قيل كان طوله عشرون ذراعا وله اربعة اوجه فتنوا به وعظموه
حتي اخدموه اربعماية سادن وجعلوهم انبياء فكان الشيطان يدخل جوفه ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة
يحفظونها ويعلمونها الناس وقيل البعل الرب بلغة اليمن اي اتعبدون بعض البعول وتذرون احسن الخالقين
اي وتتركون عبادته وقد اشير الي المقتضي الي الانكار المعني بالهمزة ثم صرح به بقوله تعالي الله ربكم ورب
اباءكم الاولين بالنصب علي البدلية من احسن الخالقين وقري بالرفع علي الابتداء والتعرض لذكر ربوبيته تعالي
لابائهم لتاكيد انكار تركهم عبادته تعالي والاشعار ببطلان اراء ابائهم ايضا فكذبوه فانهم بسبب تكذيبهم ذلك
لمحضرون اي العذاب والاطلاق للاكتفاء بالقرائن علي ان الاحضار المطلق مخصوص بالشر عرفا الا عباد الله المخلصين
استثناء من ضمير محضرون وتركنا عليه في الاخرين سلام علي الياسين هو لغة في الياس كسينا في سينين وقيل هو جمع
له اريد به هو واتباعه كالمهلبين والمجنين وفيه ان العلم اذا جمع يجب تعريفه كالمثالين انا كذلك نجزي المحسنين
انه من عبادنا المومنين مر تفسيره وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه اي اذكر وقت تنجيتنا اياه واهله اجمعين الا عجوزا
في الغابرين اي الباقين في العذاب او الماضين الهالكين ثم دمرنا الاخرين فان ذلك شواهد علي جلية امره

وكونه من جملة المرسلين وانكم يا اهل مكة لتمرون عليهم علي منازلهم في متاجركم الي الشام وتشاهدون اثار هلاكهم
فان سدوم في طريق الشام مصبحين داخلين في الصباح وبالليل اي ومساء او نهارا وليلا ولعلها وقعت
بقرب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد له مساء افلا تعقلون اي اتشاهدون ذلك فلا تعقلون
حتي تعتبروا وتخافوا ان يصيبكم مثل ما اصابهم وان يونس لمن المرسلين وقري بكسر النون اذ ابق اي هرب واصله
الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير اذن ربه حسن اطلاقه عليه الي الفلك المشحون اي المملو فساهم فقارع
اهله فكان من المدحضين فصار من المغلوبين بالقرعة واصله المزلق عن مكان مقام الظفر روي انه عليه السلام
لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل ان يامره الله تعالي فركب السفينة فوقفت فقالوا فيها عبد ابق فاقترعوا
فوقعت القرعة عليه فقال انا الابق ورمي بنفسه في الماء فالتقمه الحوت فابتلعه من اللقمة وهو مليم داخل في
الملامة او آت بما يلام عليه ومليم نفسه وقري مليم بالفتح مبنيا من ليم كمشيب في مشوب فلولا انه كان من
المسبحين الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره او في بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت
من الظالمين وقيل من المصلين فانه عليه السلام كان كثير الصلوة في الرخاء للبث في بطنه الي يوم يبعثون حيا
وقيل ميتا وفيه حث علي اكثار الذكر وتعظيم لشانه ومن اقبل عليه في السراء اخذ بيده عند الضراء فنبذناه بالعراء
بان حملنا الحوت علي لفظه بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر او نبت روي ان الحوت سار مع السفينة رافعا
راسا يتنفس فيه يونس عليه السلام ويسبح ولم يفارقهم حتي انتهوا الي البر فلفظه سالما لم يتغير منه شئ
فاسلموا وروي ان الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل واختلف في مقدار لبثه فقيل اربعون يوما وقيل عشرون
وقيل سبعة وقيل ثلاثة وقيل لم يلبث الا قليلا حتي اخرج من بطنه بعيد الوقت الذي التقم فيه روي عطا انه
حين ابتلعه اوحي الله تعالي الي الحوت اني جعلت بطنه لك سجنا ولم اجعله لك طعاما وهو سقيم مما ناله
قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد وانبتنا عليه اي فوقه مظلة عليه شجرة من يقطين وهو كل ما
ينبسط علي الارض ولا يقوم علي ساق كشجر البطيخ والقثا والحنظل وهو يفعيل من قطن بالمكان اذا قام به
والاكثرون علي انه الدبا غطته باوراقها عن الذباب فانه لا يقع عليه ويدل عليه انه قيل لرسول الله صلي
الله عليه وسلم انك تحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس وقيل هي التين وقيل الموز تغطي بورقه واستظل
باغصانه وافطر علي ثماره وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف فيشرب من لبنها وارسلناه الي
مائة الف هم قومه الذين هرب منهم وهم اهل نينوي والمراد به ارساله السابق اولا بانه من المرسلين علي الاطلاق
ثم اخبر بانه قد ارسل الي امة جمة وكان توسيط تذكير وقت هربه عليه السلام الي الفلك وما بعده بينهما
لتذكير سببه وهو ما جري بينه عليه السلام وبين قومه من انذاره اياهم عذاب الله تعالي وتعيينه بوقت
حلوله وتعللهم وتعليقهم لايمانهم بظهور اماراته كما مر تفصيله في سورة يونس فيعلم ان ايمانهم الذي يحكي
بعد لم يكن عقيب الارسال كما هو المتبادر من ترتيب الايمان عليه بالفا بل بعد اللتيا والتي وقيل هو ارسال
اخر اليهم وقيل الي غيرهم وليس بظاهر او يزيدون اي في مراي الناظر فانه اذا نظر اليهم قال انهم مائة
الف او يزيدون والمراد هو الوصف بالكثرة وقري بالواو فامنوا اي بعد ما شاهدوا علايم طول العذاب
ايمانا خالصا فمتعناهم اي بالحياة الدنيا الي حين قدره الله سبحانه لهم ولعل ختم هذه القصة وقصة
لوط بما ختم به سائر القصص للتفرقة بينهما وبين ارباب الشرائع واولي العزم من الرسل واكتفاء بالتسليم
الشامل لكل الرسل المذكورين في اخر السورة فاستفتهم امر الله عز وجل في صدر السورة الكريمة رسول الله
صلي الله عليه وسلم بتبكيت قريش وابطال مذهبهم في انكار البعث بطريق الاستفتاء وساق البراهين
القاطعة الناطقة بتحققه لا محالة وبين وقوعه وما سيلقونه عند ذلك من فنون العذاب واستثني
منهم عباده المخلصين وفصل ما لهم من النعيم المقيم ثم ذكر انه قد ضل قبلهم اكثر الاولين وانه تعالي

ادسل اليهم منذرين على وجه الاجمال ثم اورد قصص كل واحد منهم على وجه التفصيل مبينا في كل قصة منها انهم
من عباده تعالى واصفا لهم تارة بالاخلاص واخرى بالايمان ثم امره صلى الله عليه وسلم هاهنا بتبكيتهم بطريق
الاستفتاء عن وجه امر منكر خارج عن العقول بالكلية وهي القسمة الباطلة اللازمة لما كانوا عليه من
الاعتقاد الزائغ حيث يقولون لبعض اجناس العرب جهينة وبني سلمة وخزاعة وبني مليح الملائكة بنات الله
والفاء لترتيب الامر على ما سبق من كون اولئك الرسل الذين هم اعلام الخلق عليهم الصلوة والسلام عباده
تعالى فان ذلك مما يؤكد التبكيت ويظهر بطلان مذهبهم الفاسد ثم بتبكيتهم بما يتضمنه كفرهم المذكور
من الاستهانة بالملائكة بجعلهم اناثا ثم ابطل اصل كفرهم المنطوي على هذين الكفرين وهي نسبة الولد
اليه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا ولم ينظمه في سلك التبكيت لمشاركتهم النصارى في ذلك
اي فاستخبرهم **الربك البنات** اللاتي هن اوضع الجنسين **ولهم البنون** الذين هم ارفعهما فان ذلك مما
لا يقول به من له ادنى شيء من العقل وقوله تعالى **ام خلقنا الملائكة اناثا** اضراب وانتقال من التبكيت
بالاستفتاء السابق الى التبكيت بهذا كما اشير اليه اي بل اخلقنا الملائكة الذين هم من اشرف الخلائق
وابعدهم من صفات الاجسام ورذائل الطباع اناثا والانوثة من اخس صفات الحيوان قوله تعالى
وهم شاهدون استهزاء بهم وتجهيل لهم لقوله تعالى اشهدوا خلقهم وقوله تعالى ما اشهدتهم خلق
السموات والارض ولا خلق انفسهم فان امثال هذه الامور لا تعلم الا بالمشاهدة اذ لا سبيل الى معرفتها
بطريق العقل وانتفاء النقل مما لا ريب فلا بد ان يكون القائل بانوثتهم مشاهدا عند خلقهم والجملة
اما حال من فاعل خلقنا اي بل اخلقناهم اناثا والحال انهم حاضرون حينئذ او عطف على خلقنا اي بل
اهم شاهدون قوله تعالى **الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله** استيناف من جهته غير داخل تحت الامر
بالاستفتاء مسوق لابطال مذهبهم الفاسد ببيان ان مبناه ليس الا الافك الصريح والافتراء القبيح
من غير ان يكون لهم دليل او شبهة قطعا **وانهم لكاذبون** في قولهم ذلك كذبا بينا لا ريب فيه وقرئ ولد
الله على انه خبر مبتدا محذوف اي الملائكة ولده تعالى عن ذلك علوا كبيرا فان الولد فعل بمعنى مفعول
يستوي فيه الواحد والولد والمذكر والمؤنث **اصطفى البنات على البنين** اثبات لافكهم وتقرير لكذبهم فيما قالوا
ببيان استلزامه لامر بين الاستحالة وهو اصطفاؤه تعالى البنات على البنين والاصطفاء اخذ صفوة
الشيء لنفسه وقرئ بكسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام ثقة بدلالة القرائن عليه وجعله بدلا من
ولد الله ضعيف وتقدير القول اي لكاذبون في قولهم اصطفى الى آخره تعسف بعيد **ما لكم كيف تحكمون**
بهذا الحكم الذي يقضي ببطلانه بديهة العقول **افلا تذكرون** بحذف احد التائين من تتذكرون وقرئ
تذكرون من ذكر والفاء للعطف على مقدر اي الا تلاحظون ذلك فلا تذكرون بطلانه فانه مركوز في
عقل كل ذكي وغبي **ام لكم سلطان مبين** اضراب وانتقال من توبيخهم وتبكيتهم بتكليفهم بما لا يدخل تحت
الوجود اصلا اي ابل لكم حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بنات الله تعالى ضرورة ان الحكم
بذلك لا بد له من سند حسي او عقلي وحيث انتفى كلاهما فلا بد من سند نقلي **فأتوا بكتابكم** الناطق
بصحة دعوتكم **ان كنتم صادقين** فيها وفي هذه الايات من الانباء على السخط العظيم والانكار الفظيع لاقاويلهم
والاستبعاد الشديد لاباطيلهم وتسفيه احلامهم وتركيك عقولهم وافهامهم مع استهزائهم والتعجيب من
جهلهم مما لا يخفى على من تامل فيها وقوله تعالى **وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا** التفات الى الغيبة للايذان
بانقطاعهم عن درجة الخطاب واقتضاء حالهم ان يعرض عنهم ويحكى جناياتهم لآخرين والمراد بالجنة
الملائكة قالوا الجنس واحد ولكن من خبث من الجن ومرد وكان شرا كله فهو شيطان ومن طهر منهم
ونسك وكان خيرا فهو ملك وانما عبر عنهم بذلك الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم مع عظيم شأنهم

فيما بين الخلق ان يبلغوا منزلة المناسبة التي اضافوها اليهم فجعلهم هنا عبارة عن قولهم الملائكة بنات الله وانما
اعيد ذكره تمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى **ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون** اي وبالله لقد علمت الجنة التي عظموها بان
جعلوا بينها وبينه تعالى نسبا وهم الملائكة ان الكفرة لمحضرون النار معذبون بها لكذبهم وافترائهم في قولهم ذلك
والمراد به المبالغة في التكذيب ببيان ان يدعي هؤلاء لهم تلك النسبة ويعلمون انهم اعلم منهم بحقيقة الحال
يكذبونهم في ذلك ويحكمون بانهم معذبون لاجله حكما مؤكدا وقيل ان قوما من الزنادقة يقولون الله تعالى وابليس
اخوان فالله تعالى هو الخير الكريم وابليس هو الشرير اللئيم وهو المراد بقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال الامام
الرازي وهذا القول عندي اقرب الاقوال وهو مذهب المجوس القائلين بين دان وهوا وقال مجاهد قالت قريش الملائكة
بنات الله فقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه فمن امهاتهم تبكيتا لهم فقالوا سروات الجن وقيل معنى جعلوا بينه وبين
الجنة نسبا جعلوا بينهما مناسبة حيث اشركوا به تعالى الجن في استحقاق العبادة فعلى هذه الاقاويل يجوز ان يكون
الضمير في انهم لمحضرون للجنة والمعنى لقد علمت الشياطين ان الله تعالى يحضرهم النار ويعذبهم بها ولو كانوا مناسبين
له تعالى او شركاء في استحقاق العبادة لما عذبهم والوجه هو الاول فان قوله **سبحان الله عما يصفون** حكاية لتنزيه
الملائكة اياه تعالى عما وصفه المشركون به بعد تكذيبهم له في ذلك بتقدير قول معطوف على علمت وقوله تعالى **الا عباد
الله المخلصين** شهادة منهم ببراءة المخلصين من ان يصفوه تعالى بذلك متضمنة لتبريهم بحكم اندراجهم في زمرة
المخلصين على ابلغ وجه واكده على انه استثناء منقطع من واو يصفون كانه قيل ولقد علمت الجنة ان
المشركين يعذبون لقولهم ذلك وقالوا سبحان الله عما يصفونه به لكن عباد الله الذين نحن من جملتهم براء من ذلك الوصف
وقوله تعالى **فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين** تعليل وتحقيق لبراءة المخلصين مما ذكر ببيان عجزهم عن
اغوائهم واضلالهم والالتفات الى الخطاب لاظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمون الكلام وما تعبدون عبارة عن الشياطين
الذين اغووهم وفيه ايذان بتبريهم عنهم وعن عبادتهم لقولهم بل كانوا يعبدون الجن وما نافية وانتم خطاب لهم
ولمعبوديهم تغليبا وعلى متعلقة بفاتنين يقال فتن فلان على فلان امرأته اي افسدها والمعنى فانكم ومعبودكم
ايها المشركون لستم بفاتنين عليه تعالى بافساد عباده واضلالهم **الا من هو صال الجحيم** منهم اي داخلها لقوله
تعالى بانه يصر على الكفر بسوء اختياره ويصير من اهل النار لا محالة واما المخلصون منهم فانهم بمعزل من افسادهم
واضلالهم فهم لا جرم براء من ان يفتنوا بكم ويسلكوا مسلككم في وصفه تعالى بما وصفتموه وقرئ صال بضم اللام
على انه جمع محمول على معنى من قد سقط واوه لالتقاء الساكنين قوله تعالى **وما منا الا له مقام معلوم** تبيين
لجلية امرهم وتعيين لحيزهم في موقف العبودية بعد ما ذكر من تكذيب الكفرة فيما قالوا وتنزيه الله تعالى عن
ذلك وتنزيه المخلصين عنه واظهار لقصور شأنهم وما بهم اي وما منا احد الا وله مقام معلوم في العبادة
والانتهاء الى امر الله عز وجل مقصور عليه لا يتجاوزه ولا يستطيع ان يزل عنه خضوعا لعظمته وخشوعا لهيبته
وتواضعا لجلاله كما روي فمنهم راكع لا يقيم صلبه وساجد لا يرفع راسه قال ابن عباس رضي الله عنهما ما في
السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلي او يسبح وروي انه قال صلى الله عليه وسلم اطت السماء وحق لها
ان تئط والذي نفسي بيده ما فيها موضع اربع اصابع الا وفيه ملك واضع جبهته ساجد لله تعالى وقال
السدي الا له مقام معلوم في القربة والمشاهدة **وانا لنحن الصافون** في موقف الطاعة ومواطن الخدمة **وانا
لنحن المسبحون** المقدسون لله سبحانه عن كل ما لا يليق بجناب كبريائه وتحلية كلامهم بفنون التاكيد لابراز
ان صدوره عنهم بكمال الرغبة والنشاط هنا هو الذي يقتضيه جزالة التنزيل وقد ذكر في تفسير الاية الكريمة
واعرابها وجوه اخر فتامل والله الموفق **وان كانوا ليقولون** ان هي المخففة من الثقيلة وضمير الشان محذوف
واللام هي الفارقة اي ان الشان كانت قريش تقول **لو ان عندنا ذكرا من الاولين** اي كتابا من كتب الاولين
من التورية والانجيل **لكنا عباد الله المخلصين** اي لاخلصنا العبادة لله تعالى ولما خالفنا كما خالفوا وهذا

طين

كقولهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم والفاء في قوله تعالى فكفروا به فصيحة كما في قوله تعالى
فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فجاءهم ذكر واي ذكر سيد الاذكار وكتاب مهيمن على سائر الكتب والاسفار
فكفروا به فسوف يعلمون اي عاقبة كفرهم وغايلته ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين استيناف مقرر
للوعيد وتصديره بالقسم لغاية الاعتناء بتحقيق مضمونه اي وبالله لقد سبق وعدنا لهم بالنصر والغلبة
وهو قوله تعالى انهم لهم المنصورون وان جندنا وهم اتباع المرسلين لهم الغالبون على اعدائهم في الدنيا والاخرة
ولا يقدح في ذلك انهزامهم في بعض المشاهد فان قاعدة امرهم واساسه الظفر والنصر وان وقع في تضاعيف
ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان لم ينصروا في الدنيا نصروا في
الاخرة وقرئ على عبادنا بتضمين سبقت معنى حقت وتسميتها كلمة مع انها كلمات لانتظامها في معنى واحد
وقرئ كلماتنا فتول عنهم فاعرض عنهم واصبر حتى حين اي مدة يسيرة وهي مدة الكف عن القتال وقيل
يوم بدر وقيل يوم الفتح وابصرهم على سوء حال وافظع مكان حل بهم من القتل والاسر والمراد بابصارهم الايذان
بغاية قربه كانه بين يديه فسوف يبصرون ما يقع حينئذ من الامور وسوف للوعيد دون التبعيد
افبعذابنا يستعجلون روي انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزل فاذا نزل بساحتهم اي فاذا
نزل العذاب الموعود بفنائهم كانه جيش قد هجمهم فاناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم بالمرة
وقيل المراد نزول رسول الله عليه الصلوة والسلام يوم الفتح وقرئ نزل بساحتهم على اسناده الى الجار والمجرور وقرئ
نزل مبنيا للمفعول من التنزيل اي نزل العذاب فساء صباح المنذرين فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام
للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثر منهم الغارة في الصباح سموها
صباحا وان وقعت ليلا روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اتى خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحي
قالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال صلى الله عليه وسلم خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح
المنذرين وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم اثر تسلية وتاكيد
لوقوع الميعاد غب تاكيد مع ما في اطلاق الفعلين عن المفعول من الايذان بان ما يبصره صلى الله عليه وسلم حينئذ
من فنون المسار وما يبصرونه من انواع المضار لا يحيط به الوصف والبيان وقيل اريد به بالاول عذاب الدنيا
وبالثاني عذاب الاخرة سبحان ربك رب العزة عما يصفون تنزيه له سبحانه عن كل ما يصفه المشركون به مما
لا يليق بجناب كبريائه وجبروته مما ذكر في السورة الكريمة ومما لم يذكر من الامور التي من جملتها ترك انجاز الموعود
على موجب كلمته السابقة لا سيما في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية المعربة
عن التنزيه والتكميل والمالكية الكلية مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم اولا والى العزة ثانيا كانه قيل سبحان
من هو مربيك ومكملك ومالك العزة والغلبة على الاطلاق عما يصف المشركون به من الاشياء التي منها ترك
نصرك عليهم كما يدل عليه استعجالهم بالعذاب قوله تعالى وسلام على المرسلين تشريف له صلى الله عليه وسلم
بعد تنزيهه تعالى عما ذكر وتنويه بشانهم وايذان بانهم سالمون من المكاره فائزون بجميع المارب قوله تعالى
والحمد لله رب العالمين اشارة الى وصفه عز وجل وصفاته الكريمة الثبوتية بعدما التنبيه على اتصافه تعالى
بجميع صفاته وايذان باستتباعها الجميلة التي من جملتها افاضته عليهم وعلى من تبعهم من فنون النعماء الظاهرة
والباطنة الموجبة لحمده تعالى واشعار بان ما وعده صلى الله عليه وسلم من الغلبة والنصرة قد تحققت والمراد تنبيه
المومنين على كيفية تسبيحه تعالى وتحميده والتسليم على رسله الذين هم وسايط بينهم وبينه عز وعلا في فيضان
الكمالات الدينية والدنيوية عليهم ولعل توسيط التسليم على المرسلين بين تسبيحه تعالى وتحميده لختم السورة الكريمة
بحمده تعالى مع ما فيه من الاشعار بان توفيقه تعالى عليهم من موجبة نعمه الموجبة للحمد عن علي رضي الله عنه
من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة فليكن اخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة

بجناب

النصرة

عما يصفون

عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا والصافات اعطي من الاجر
عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيمة انه كان
مومنا بالمرسلين

سورة ص وهي ثمان وثمانون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم ص بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين ويجوز ان يكون الفتح باضمار
حرف القسم في موقع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وان يكون ذلك نصبا باضمار اذكروا وانزالا فتحا كما مر في فاتحة
سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتانيث لانها علم للسورة وقد صرفها من قراص بالتنوين على انه
اسم الكتاب او التنزيل وقيل هو في قراءة الكسر امر من المصاداة وهي المعارضة والمقابلة ومنها الصدى الذي ينعكس
من الاجسام الصلبة بمقابلة الصوت ومعناه عارض القران بعملك فاعمل باوامره وانته عن نواهيه وتخلق
باخلاقه ثم ان جعل اسما للحرف مسرودا على منهاج التحدي او الرمز الى كلام مثل صدق الله او صدق محمد كما نقل
عن اكابر السلف او اسما للسورة خبر المبتدا محذوف او نصبا على اضمار اذكروا او اقرا او امرا من المصاداة والواو
في قوله تعالى والقران ذي الذكر للقسم وان جعل مقسما به فهي للعطف عليه فان اريد بالقران كله فالمغايرة
بينهما حقيقة وان اريد به السورة فهي اعتبارية كما في قولك مررت بالرجل الكريم والنسمة المباركة واياما كان
ففي التكرير مزيد تاكيد لمضمون الجملة المقسم عليها والذكر الشرف والنباهة كما في قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك
او التذكير والموعظة او ذكر ما يحتاج اليه في امر الدين من الشرايع والاحكام وغيرها من قصص الانبياء
عليهم السلام واخبار الامم الدارجة والوعد والوعيد وجواب القسم على الوجه الاول والرابع والخامس محذوف
هو ما ينبئ عنه التحدي والامر والاقسام به من كون المتحدى به معجزا وكون المامور به واجبا وكون المقسم به حقيقا
بالاعظام اي اقسم بالقران او بصاد وبه انه لمعجز او الواجب العمل به او حقيق بالاعظام واما على الوجهين الباقيين
فهو الكلام المرموز اليه ونفس الجملة المذكورة قبل القسم فان التسمية تنويه بشان المسمى وتنبيه على عظم
خطره اي انه لصادق والقران ذي الذكر اذ هذه السورة عظيمة الشان والقران الى اخره على طريقة قولهم
هذا حاتم والله ولما كان كل واحد من هذه الاجوبة مبينا عن انتفاء الريب عن مضمونه بالكلية انباء بينا كما في قوله
تعالى بل الذين كفروا في عزة وشقاق اضرابا عن ذلك كانه قيل لا ريب فيه قطعا وليس عدم اذعان الكفرة له
لشائبة ريب ما فيه بل هم في استكبار وحمية شديدة وشقاق بعيد لله تعالى ولرسوله ولذلك لا يذعنون له
وقيل الجواب ما دل عليه الجملة الاضرابية اي ما كفر به من كفر بخلل وجد فيه بل الذين كفروا الى اخره وقرئ
في غرة اي في غفلة عما يجب عليهم التنبه له من مبادي الايمان ودواعيه كم اهلكنا من قبلهم من قرن وعيد
لهم على كفرهم واستكبارهم ببيان ما اصاب من قبلهم من المستكبرين ومفعول اهلكنا ومن قرن تمييز والمعنى قرنا
كثيرا اهلكنا من القرون الخالية فنادوا عند نزول باسنا وحلول نقمتنا استغاثة وتوبة لينجوا من ذلك قوله
تعالى ولات حين مناص حال من ضمير نادوا اي نادوا واستغاثوا طلبا للنجاة والحال ان ليس الحين حين مناص
اي فوت ونجاة من ناصه اي فاته لا من ناص بمعنى تاخر ولا هي المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث للتاكيد
كما زيدت على رب وثم وخصت بنفي الاحيان ولم يبرز الا احد معموليها والاكثر وقيل هي النافية للجنس زيدت عليها
التاء وخصت بنفي الاحيان وحين مناص منصوب على انه اسمها اي ولا حين مناص لهم او بفعل مضمر اي ولا ارى حين
مناص وقرئ بالرفع فهو على الاول اسمها والخبر محذوف اي ليس حين مناص حاصلا لهم وعلى الثاني مبتدا محذوف
الخبر اي ولا حين مناص كاين لهم وقرئ بالكسر كما في قوله طلبوا صلحنا ولات اوان فاجبنا ان لات حين بقاء
اما لان لات تجر الاحيان كما ان لولا تجر الضماير في نحو قوله لولاك هذا العام لم احجج او لان اوان شبه باذ
في قوله نهيتك عن طلابك ام عمرو بعافية وانت اذ صحيح في انه زمان قطع منه المضاف اليه وعوض

التنوين لانّ اصله وان صلح ثم حمل عليه حين مناص تنزيلا للقطع المضاف اليه من مناص اذ قيل حين مناصهم منزله
قطعه من حين لما بين المضافين من الاتحاد ثم بني الحين لاضافته الى غير متمكن وقري لات بالكسر كجير ويقف الكوفيون
عليها بالهآء كالاسمآء والبصريه بالتآء كالافعال وما قيل من انّ التآء مزيد على حين لاتصالها به في الامام لا وجه
له فانّ خط المصحف خارج عن القياس **وعجبوا ان جآءهم منذر منهم** حكاية لاباطيلهم المتفرعة على ما حكي من استكبارهم
وشقاقهم اي عجبوا ان جآءهم رسول من جنسهم بل ادون منهم في الرياسة الدنيوية والحال على معنى انهم عدوا ذلك
امرا عجيبا خارجا عن احتمال الوقوع وانكروه اشد الانكار لانهم اعتقدوا وقوعه وتعجبوا منه **وقال الكافرون** وضع
الظاهر فيه موضع المضمر غضبا عليهم وايذانا بانه لا يتجاسر على مثل ما يقولونه الا المتوغلون في الكفر والفسوق
هذا ساحر فيما يظهره من الخوارق **كذاب** فيما يسنده الى الله تعالى من الارسال والانزال **اجعل الالهة الها واحدا**
بان نفى الالوهية عنهم وقصرها على واحد **ان هذا لشيء عجاب** بليغ في العجب وذلك لانه خلاف ما الفوا عليه اباءهم
الذين اجمعوا على الوهيتهم واطبقوا على عبادتهم كابرا عن كابر فانّ مدار كل ما ياتون وما يذرون من امور دينهم هو التقليد
والاعتياد فيعدون ما يخالف ما اعتادوه عجبا بل محالا وامّا جعل مدار تعجبهم عدم وفآء علم الواحد وقدرته بالاشيآء
الكثيرة فلا وجه له لانهم يدعون انّ لالهتهم علما وقدرة ومدخلا في حدوث شيء من الاشيآء حتى يلزم من نفي الوهيتهم
بقآء الاثار بلا مؤثر وقري عجّاب بالتشديد وهو ابلغ ككرام وكرّام روي انه لما اسلم عمر رضي الله عنه شق ذلك على قريش
فاجتمع خمسة وعشرون من صناديدهم فاتوا ابا طالب فقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلآء السفهآء
وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن اخي هؤلآء قومك يسألونك
السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال صلى الله عليه وسلم ماذا تسألونني فقالوا ارفضنا وارفض ذكر الهتنا وندعك
والهك فقال صلى الله عليه وسلم ارايتم ان اعطيتكم ما سالتم امعطيّ انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها
العجم قالوا نعم وعشرا فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا ذلك **وانطلق الملأ منهم** اي وانطلق الاشراف
من قريش عن مجلس ابي طالب بعد ما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد وشاهدوا تصلبه صلى الله
عليه وسلم في الدين وعزيمته على ان يظهره على الدين كله ييئسوا مما كانوا يرجونه بتوسط ابي طالب من المصالحة على
الوجه المذكور **ان امشوا** اي قائلين بعضهم لبعض على وجه النصيحة امشوا **واصبروا على الهتكم** اي اثبتوا على عبادتها
متحملين لما تسمعونه في حقها من القدح وان هي المفسرة لانّ الانطلاق عن مجلس التقاول لا يخلو عن القول قيل المراد بالانطلاق
الاندفاع في القول وامشوا من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاؤل اذا اجتمعوا وكثروا وقري امشوا
بغير ان على اضمار القول وقري يمشون ان اصبروا **ان هذا لشيء يراد** تعليل للامر بالصبر او لوجوب الامتثال به
اي هذا الذي شاهدناه من محمد صلى الله عليه وسلم من امر التوحيد ونفي الهتنا وابطال امرها لشيء يراد اي من جهته عليه
الصلوة والسلام امضاؤه وتنفيذه لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه لا قول يقال من طرف اللسان
او امر يرجى فيه المسامحة بشفاعة او امتنان فاقطعوا اطماعكم من استنزاله عن رايه بوساطة ابي طالب وشفاعته
وحسبكم ان لا تمنعوا من عبادة الهتكم بالكلية فاصبروا عليها وتحملوا ما تسمعونه في حقها من القدح وسوء المقالة وقيل
انّ هذا الامر لشيء يريده الله تعالى ويحكم بامضائه وما اراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه الا الصبر وقيل ان هذا
الامر لشيء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه وقيل ان دينكم لشيء يراد اي يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه
وقيل انّ هذا الذي يدعيه من التوحيد او يقصده من الرياسة والترفع على العرب والعجم لشيء يتمنى ويريده كل واحد فتامل
في هذه الاقاويل واختر منها ما يساعده النظم الجليل **ما سمعنا بهذا** الذي يقوله **في الملة الاخرة** اي الملة النصرانية التي
هي اخر الملل فانهم مثلثة او في الملة التي ادركنا عليها اباءنا ويجوز ان يكون الجار والمجرور حالا من هذا اي ما سمعنا بهذا من
اهل الكتاب ولا الكهان كائنا في الملة المعترفة ولقد كذبوا في ذلك اقبح كذب فانّ حديث البعثة والتوحيد كان اشهر
الامور قبل الظهور **ان هذا** اي ما هذا **الا اختلاق** اي كذب اختلقه **ءانزل عليه الذكر** اي القران **من بيننا** ونحن

دوسآء الناس واشرافهم كقولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم ومرادهم انكار كونه ذكرا منزلا من
الله عز وجل كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه وامثال هذه المقالات الباطلة دليل على انّ مناط تكذيبهم ليس الا الحسد
وقصر النظر على الحطام الدنيوي **بل هم في شك من ذكري** اي من القران او من الوحي لميلهم الى التقليد واعراضهم عن النظر
في الادلة المؤدية الى العلم بحقيقته وليس في عقيدتهم ما يبتون به فهم مذبذبون بين الاوهام ينسبونه تارة الى السحر
واخرى الى الاختلاق **بل لما يذوقوا عذاب** اي بل لم يذوقوا بعد عذابي فاذا ذاقوه تبين لهم حقيقة الحال وفي لما
دلالة على ان ذوقهم على شرف الوقوع والمعنى انهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب وقيل لم يذوقوا عذابي الموعود
في القران ولذلك شكوا فيه **ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب** بل اعندهم خزائن رحمته تعالى يتصرفون
فيها حسب ما يشآؤن حتى يصيبوا بها ما يشآؤا ويصرفوها عمن شآؤا ويتحكموا فيها بمقتضى ارائهم فيتخيروا للنبوة بعض
صناديدهم والمعنى انّ النبوة عطية من الله عز وجل يتفضل بها على من يشآء من عباده المصطفين لا مانع له فانه العزيز
اي الغالب الذي لا يغالب الوهاب الذي له ان يهب كل ما يشآء لكل من يشآء وفي اضافة اسم الرب المنبئ عن
التربية والتبليغ الى الكمال الى ضميره صلى الله عليه وسلم من تشريفه واللطف به ما لا يخفى وقوله تعالى **ام لهم ملك
السموات والارض وما بينهما** ترشيح لما سبق اي بل الهم ملك هذه العوالم العلوية والسفلية حتى يتكلموا في الامور الربانية
ويتحكموا في التدابير الالهية التي يستاثر بها رب العزة والكبريآء وقوله تعالى **فليرتقوا في الاسباب** جواب شرط
محذوف اي ان كان لهم ما ذكر من الملك فليصعدوا في المعارج والمناهج التي يتوصل بها الى العرش حتى يستووا
عليه ويدبروا امر العالم وينزلوا الوحي الى من يختارون ويستصوبون وفيه من التهكم بهم ما لا غاية ورآءه والسبب
في الاصل هو الوصلة وقيل المراد بالاسباب السموات لانها اسباب الحوادث السفلية وقيل ابوابها **جند ما هنالك
مهزوم من الاحزاب** اي هم جند من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث
بما يعدون وما مزيدة للتقليل والتحقير نحو قولك اكلت شيئا ما وقيل للتعظيم على الهزو وهنالك اشارة
الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم وقوله تعالى **كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون
ذو الاوتاد** الى اخره استيناف مقرر لمضمون ما قبله ببيان احوال العتاة الطغاة الذين هؤلاء جند ما من جنودهم
مما فعلوا من التكذيب وفعل بهم من العقاب وذو الاوتاد معناه الملك الثابت اصله من ثبات البيت المطنب
باوتاده فاستعير لثبات الملك ورسوخ السلطنة واستقامة الامر قال الاسود بن يعفر ۞ ولقد غنوا فيها
بانعم عيشة ۞ في ظل ملك ثابت الاوتاد ۞ او ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لانّ بعضهم يشد بعضا كالوتد يشد
البنآء وقيل نصب اربع سوار وكان يمد يدي المعذب ورجليه اليها ويضرب عليها اوتادا ويتركه حتى يموت وقيل
كان يمد بين يدي اربعة اوتاد في الارض ويرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له اوتاد وحبال يلعب بها
بين يديه **وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة** اصحاب الغيضة من قوم شعيب عليه السلام **اولئك الاحزاب** ابدال
من الطوائف المذكورة كما انّ ذلك الكتاب من الم على احد الوجوه وفيه فضل تاكيد وتنبيه على انهم جعلوا الجند
المهزوم منهم قوله تعالى **ان كل الا كذب الرسل** استيناف جيء به تقريرا لتكذيبهم وبيانا لكيفيته وتمهيدا لما
يعقبه اي ما كل احد من احاد اولئك الاحزاب او ما كل حزب منهم الا كذب الرسل لان تكذيب واحد منهم
تكذيب لهم جميعا لاتفاق الكل على الحق وقيل ما كل حزب الا كذب رسوله على نهج مقابلة الجمع بالجمع واياما كان
فالاستثنآء مفرغ من اعم العام في حيز المبتدا اي ما كل احد محكوما عليه بحكم الا محكوم عليه بانه كذب الرسل وقيل
ما كل واحد منهم مخبرا عنه بخبر الا بخبر عنه بانه كذب الرسل وفي اسناد التكذيب الى الطوائف المذكورة على وجه
الابهام اولا والايذان بان كلا منهم ضرب على حياله تحزب على رسوله ثانيا وتبيين كيفية تكذيبهم بالجملة الاستثنائية
ثالثا فنون من المبالغة مسجلة عليهم باستحقاق اشد العذاب او قطعه ولذلك رتب عليه قوله تعالى **فحق عقاب**
اي ثبت ووقع على كل منهم عقابي الذي كانت توجبه جناياتهم من اصناف العقوبات المفصلة في مواقعها واما تشد

وقوله تعالى ان كل الا كذب الرسل خبر بحذف العايد اي كل منهم الى آخره والجملة استيناف مقرر لما قبله مؤكد لمضمونه مع ما فيه من بيان كيفية تكذيبهم والتنبيه على انهم الذين جعلوا الجند المهزوم منهم كما ذكر وقيل هو مبتدا وخبر والمعنى ان الجند الذي جعل الجند المهزوم منهم هم وانهم الذين وجد منهم التكذيب فتدبر واما قيل من انه خبر والمبتدا قوله وعاد الى آخره اي وقوله وقوم لوط الى آخره فمما يجب ساحة التنزيه عن امثاله **وما ينظر هولاء** شروع في بيان عقاب كفار مكة اثر بيان عقاب احزابهم من الاحزاب الذين اخبر فيما سبق بانهم جند حقير منهم مهزوم عن قريب فان ذلك مما يوجب انتظار السامع وترقبه الى بيانه قطعا وفي الاشارة اليهم بهولاء تحقير لشانهم وتهوين لامرهم واما جعله اشارة الى الاحزاب باعتبار حضورهم بحسب الذكر او حضورهم في علم الله عز وجل فليس في حيز الاحتمال اصلا كيف لا والانتظار سواء كان حقيقة او استهزاء انما يتصور في حق من لم يترتب على اعماله نتايجها بعد وبعد ما بين عقاب الاحزاب واستيصالهم بالمرة لم يبق مما اريد بيانه من عقوباتهم او منتظر وانما الذي في مرصد الانتظار كفار مكة حيث ارتكبوا من عظايم الجرايم وكباير الجرايم الموجبة لاشد العقوبات مثل ما ارتكب الاخزاب او اشد منه ولما بلا فو ابعد ما من عقابها او ما ينتظر هولاء الكفرة الذين هم امثال اولئك الطوايف المهلكة في الكفر والتكذيب **الا صيحة واحدة** هي النفخة الثانية لا بمعنى ان عقابهم نفسها بما فيها من الشدة والهول فانها داهية يعم هولها جميع الامم برها وفاجرها بل بمعنى ليس بينهم وبين حلول ما اعد لهم من العذاب الفظيع الا هي حيث اخرت عقوبتهم الى الآخرة لما ان تعذيبهم بالاستيصال حسبما يستحقونه والنبي صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم خارج عن السنة الالهية المبنية على الحكم الباهرة كما ينطق به قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم واما ما كان قيل انها النفخة الاولى فمما لا وجه له اصلا لما انه لا يشاهد هولها ولا يصعق بها الا من كان حيا عند وقوعها وليس عقابهم الموعود واقعا عقيبها ولا العذاب المطلق موخرا اليها بل يحل بهم من حين موتهم **ما لها من فواق** اي من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين وقرئ بضم الفاء وهما لغتان وقوله تعالى **وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب** حكاية لما قالوه عند سماعهم بتاخير عقابهم الى الآخرة اي قالوا بطريق الاستهزاء والسخرية عجل لنا قطنا من العذاب الذي توعدونا به ولا تؤخره الى يوم الحساب الذي مبدؤه الصيحة المذكورة والقط القطعة من الشيء من قطعه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجايزة قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بها اي عجل لنا صحيفة اعمالنا لننظر فيها وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزية عجل لنا نصيبنا منها وتصديرهم دعاءهم بالنداء المذكور للامعان في الاستهزاء كانهم يدعون ذلك بكمال الرغبة والابتهال **اصبر على ما يقولون** من امثال هذه المقالات الباطلة **واذكر عبدنا داود** اي قصته تهويلا لامر المعصية في اعينهم وتنبيها لهم على كمال قبح ما اجترؤا عليه من المعاصي فانه صلى الله عليه وسلم مع علو شانه واختصاصه بعظايم النعم والكرامات لما الم بصغيرة نزل عن منزلته ووبخته الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تفطن فاستغفر ربه واناب ووجد منه ما يحكى من بكايه الدائب وغمه الصائب وندمه الدايم فما الظن بهولاء الكفرة الاذلين من كل ذليل المرتكبين لاكبر الكبائر المصرين على عظيم المعاصي او بذكر قصته عليه السلام وصن نفسك اي ترك فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل اذيتهم لئلا يلقاك ما لقيه من المعاتبة **ذا الايد** اي ذا القوة يقال فلان ايد وذو ايد واد بمعنى وايد وكل شيء مما يتقوى به **انه اواب** رجاع الى مرضات الله تعالى وهو تعليل لكونه ذا الايد ودليل على ان المراد به القوة في الدين فانه صلى الله عليه وسلم كان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل **انا سخرنا الجبال معه** استيناف مسوق لتعليل قوته في الدين واوبيته الى مرضاته تعالى ومع متعلقة بالتسخير وايثاره على اللام لما اشير اليه في سورة الانبياء من ان تسخير الجبال له عليه السلام لم يكن بطريق تفويض التصرف الكلي فيها اليه عليه السلام كتسخير الريح وغيرها لسليمان عليه السلام بل بطريق التبعية له عليه السلام والاقتداء به في عبادة الله تعالى وقيل متعلقة بما بعدها وهو اقرب بالنسبة الى ما في سورة

الانبياء

الانبياء **يسبحن** اي يقدسن الله عز وجل بصوت يتمثل له ويخلق الله تعالى فيها الكلام او بلسان الحال وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال من الجبال وضع موضع مسبحات للدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال واستمرارا مبين لكيفية التسخير **بالعشي والاشراق** اي وقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اي تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن ام هاني رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم صلى صلوة الضحى وقال هذه صلوة الاشراق وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت صلوة الضحى الا بهذه الاية **والطير** عطف على الجبال **محشورة** حال من الطير والعامل سخرنا اي وسخرنا الطير حال كونها محشورة عن ابن عباس رضي الله عنهما كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت وذلك حشرها وقرئ والطير محشورة بالرفع على الابتداء والخبرية **كل له اواب** استيناف مقرر لمضمون ما قبله مصرح بما فهم منه اجمالا من تسبيح الطير اي كل واحد من الجبال والطير لاجل تسبيحه رجاع الى التسبيح ووضع الاواب موضع المسبح لما انها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع لانه يرجع الى فعله رجوعا بعد رجوع اما لان الاواب هو التواب الكثير الرجوع الى الله تعالى ومن دابه اكثار الذكر وادامة التسبيح والتقديس وقيل الضمير لله تعالى اي من داود والجبال والطير لله اواب اي مسبح مرجع للتسبيح **وشددنا ملكه** قويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة قيل كان يبيت حول محرابه اربعون الف مستلم وقيل ادعى رجل على آخر بقرة وعجز عن اقامة البينة فاوحي اليه في المنام ان اقتل المدعى عليه فتاخر فاعيد الوحي في اليقظة فاعلم الرجل فقال ان الله تعالى لم ياخذني بهذا الذنب ولكني قتلت ابا هذا غيلة فقتله فقال الناس انه ان اذنب احد ذنبا اظهره الله تعالى عليه فقتله فهابه وعظمت هيبته في القلوب **وآتيناه الحكمة** النبوة وكمال العلم واتقان العمل وقيل الزبور وعلم الشرايع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة **وفصل الخطاب** اي فصل الخطاب بتمييز الحق عن الباطل والكلام الملخص الذي يتبينه المخاطب على المرام من غير التباس لما قد روعي فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستيناف والاضمار والاظهار والحذف والتكرار وانما سمي به اما بعد لانه يفصل المقصود مما سبق تمهيدا له كالحمد والصلوة وقيل هو الخطاب الفصل الذي ليس فيه ايجاز مخل ولا اطناب ممل كما جاء في نعت كلام النبوة فصل لا نزر ولا هذر **وهل اتيك نبا الخصم** استفهام معناه التعجيب والتشويق الى استماع ما في حيزه لايذانه بانه من الانباء البديعة التي حقها ان تشيع فيما بين كل حاضر وباد والخصم في الاصل مصدر ولذلك يطلق على الواحد والجمع كالصف ومعنى خصمان فريقان **اذ تسوروا المحراب** اي تصعدوا سوره ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع ونظيره تسنمه اذا علا سنامه وتذراه علا ذروته واذ متعلقة بمحذوف اي نبا تحاكم الخصم اذ تسوروا او بالنبا على ان المراد به الواقع في عهد داود عليه السلام وان اسناد الاتيان اليه على حذف مضاف اي قصة نبا الخصم او بالخصم لما فيه من معنى الخصومة لا باتى لان اتيانه الرسول لم يكن حينئذ **اذ دخلوا عليه** بدل مما قبله او ظرف لتسوروا **ففزع منهم** روي انه بعث اليه ملكين في صورة انسانين قيل هما جبريل وميكائيل عليهما السلام فطلبا ان يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب بمن معهما من الملايكة فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم لانهم نزلوا عليه من فوق على خلاف العادة والحرس حوله وفي غير يوم الحكومة والقضاء قال ابن عباس رضي الله عنهما ان داود جزا زمانه اربعة اجزاء يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخاصة نفسه ويوما للوعظ والتذكير **قالوا** استيناف وقع جوابا عن سوال نشا من حكاية فزعه عليه السلام كانه قيل فماذا قالت الملائكة عند مشاهدتهم لفزعه عليه السلام فقيل قالوا ازالة لفزعه **لا تخف خصمان** اي نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصما **بغى بعضنا على بعض** هو على الفرض وقصد التعريض فلا كذب فيه **فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط** اي لا تجر في الحكومة وقرئ ولا تشطط اي لا تبعد عن الحق وقرئ ولا تشطط ولا تشاطط وكلها بمعنى الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطي الحق **واهدنا الى سواء الصراط** اي وسط

اي وسط طريق الحق بزجر الباغي عما سلكه من طريق الجور وارشاده الى منهاج العدل ان هذا اخي استيناف
لبيان ما فيه الخصومة اي اخي في الدين او في الصحبة والتعرض لذلك لتمهيد لبيان كمال قبح ما فعل به صاحبه
له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة هو الانثى من الضان وقد يكنى بها عن المراة والكناية والتعريض ابلغ في المقصود
وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وقرئ ولي نعجة بسكون الياء فقال اكفلنيها اي ملكنيها
وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل ما تحت يدي وقيل اجعلها كفلي ونصيبي وعزني في الخطاب اي غلبني في مخاطبته
اياي محاجة بان جاء بحجاج لم اقدر على رده او في مغالبته اياي في الخطبة يقال خطبت المراة وخطبها هو
فخاطبني خطابا اي غالبني في الخطبة فغلبني حيث زوجها دوني وقرئ وعازني اي غالبني وعزني بتخفيف
الزاي طلبا للخفة وهو تخفيف غريب كانه قيس على ظلت ومست قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه جواب قسم
محذوف قصد به عليه السلام المبالغة في انكار فعل صاحبه وتهجين طمعه في نعجة من ليس له غيرها
مع انه له قطيعا منها ولعله عليه السلام قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما ادعاه عليه او بناه على تقدير
صدق المدعي والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول آخر بالى لتضمنه معنى الاضافة
والضم وان كثيرا من الخلطاء اي الشركاء الذين خلطوا اموالهم ليبغي ليتعدى وقرئ بفتح الياء على تقدير
النون الخفيفة وحذفها وبحذف الياء اكتفاء بالكسر بعضهم على بعض غير مراع لحق الصحبة والشركة الا
الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم فانهم يتحامون عن البغي والعدوان وقليل ما هم اي وهم قليل وما مزيدة
للابهام والتعجب من قلتهم والجملة اعتراض وظن داود انما فتناه الظن مستفاد للعلم الاستدلالي لما بينهما
من المشابهة الظاهرة اي علم بما جرى في مجلس الحكومة وقيل لما قضى بينهما نظر احدهما الى صاحبه فضحك
ثم صعدا الى السماء حيال وجهه فعلم عليه السلام انه تعالى ابتلاه وليس المعنى على تخصيص الفتنة به عليه
دون غيره بتوجيه القصر المستفاد من كلمة انما الى المفعول بالقياس الى مفعول آخر كما هو الاستعمال الشايع
الوارد على توجيه القصر الى متعلقات الفعل وقيوده باعتبار النفي فيه والاثبات فيها كما في مثل قولك انما ضربت
زيدا وانما ضربته تاديبا على تخصيص حاله عليه السلام بالفتنة بتوجيه القصر الى نفس الفعل بالقياس الى ما
يغايره من الافعال لكن لا باعتبار النفي والاثبات معا في خصوصية الفعل فانه غير ممكن قطعا بل باعتبار
النفي فيما فيه من معنى مطلق الفعل واعتبار الاثبات فيما يقارنه من المعنى المخصوص فان كل فعل من الافعال
المخصوصة ينحل عنه بالتحقيق الى معنى مطلق هو مدلول هو الفعل والى معنى مخصوص يقارنه ويخصصه وهو
اثره في الحقيقة فان معنى نصر مثلا فعل النصر يرشدك الى ذلك قولهم معنى فلان يعطي ويمنع يفعل الاعطاء
والمنع فمراد القصر في الحقيقة ما يتعلق بالفعل باعتبار النفي فيه والاثبات فيما يتعلق به فالمعنى وعلم داود
انما فعلنا به الفتنة لا غير قيل ابتليناه بامراة اوريا وقيل امتحناه بتلك الحكومة هل يتنبه بها لما قصد منها
وايثار طريق التمثيل لانه ابلغ في التوبيخ فان المتامل فيه اذا اداه الى الشعور بما هو الغرض كان اوقع
في نفسه واعظم تاثيرا في قلبه وادعى الى التنبيه للخطا مع ما فيه من مراعاة حرمته عليه السلام بترك
المجاهرة والاشعار بانه امر يستحيى من التصريح به وتصويره بصورة التحاكم لالجائه عليه السلام الى التصريح بنسبة
نفسه الى الظلم وتنبيهه عليه السلام على ان اوريا بصدد الخصام فاستغفر ربه اثر ما علم ان ما صدر عنه
ذنب وخر راكعا اي ساجدا على تسمية السجود ركوعا لانه مبدؤه او خر للسجود راكعا اي مصليا كانه احرم بركعتي
الاستغفار واناب اي رجع الى الله تعالى بالتوبة واصل القصة ان داود عليه السلام راى امراة رجل يقال
له اوريا فمال قلبه اليها فساله ان يطلقها فاستحيى ان يرده ففعل فتزوجها وهي ام سليمان عليه السلام
وكان ذلك جائزا في شريعته معتادا فيما بين امته غير مخل بالمروءة حيث كان يسال بعضهم بعضا ان
ينزل عن امراته فيتزوجها اذا اعجبته وقد كان الانصار في صدر الاسلام يواسون المهاجرين بمثل ذلك

من غير

من غير نكير خلا انه عليه السلام لعظم منزلته وارتفاع مرتبته وعلو شانه نبه بالتمثيل على انه لم يكن ينبغي له
ان يتعاطى ما يتعاطاه احاد امته ويسال رجلا ليس له الا امراة واحدة ان ينزل عنها فيتزوجها مع كثرة نسائه
بل كان يجب عليه ان يغالب هواه ويقهر نفسه ويصبر على ما امتحن به وقيل لم يكن اوريا تزوجها بل كان خطبها
ثم خطبها داود عليه السلام فاثره عليه السلام اهلها فكان ذنبه عليه السلام ان خطب على خطبة اخيه المسلم
هذا واما ما يذكر من انه عليه السلام دخل ذات يوم محرابه واغلق بابه وجعل يصلي ويقرا الزبور فبينما هو
كذلك اذ جاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها لابن له صغير فطارت فامتد اليها
فطارت فوقعت في كوة فتبعها فابصر امراة جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهي امراة اوريا وهو من
غزاة البلقا فكتب الى ايوب بن صوريا وهو صاحب بعث البلقا ان ابعث اوريا وقدمه على التابوت
وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له ان يرجع حتى يفتح الله على يديه او يستشهد ففتح الله على يديه وسلم فامر برده
مرة اخرى وثالثة حتى قتل واتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء فتزوج امراته فانه مبتدع مكروه ومكر
مخترع بئسما مكروه تمجه الاسماع وتنفر عنه الطباع وويل لمن ابتدعه واشاعه وتبا لمن اخترعه واذاعه
ولذلك قال علي رضي الله عنه من حدث بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص جلدته مائة
وستين وذلك حد الفرية على الانبياء عليهم السلام قيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه عليه السلام
فتسوروا المحراب ودخلوا عليه فوجدوا عنده اقواما فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم عليه السلام غرضهم
فهم ان ينتقم منهم فظن ان ذلك ابتلاء له من الله عز وجل واستغفر ربه مما هم به واناب فغفرنا له
ذلك اي ما استغفر عنه وروي انه عليه السلام بقي ساجدا اربعين يوما لا يرفع راسه الا لصلاة مكتوبة
او لما لا بد منه ولا يرقا دمعه حتى نبت منه الى راسه ولم يشرب ماء الا وثلثاه دمعه داعيا الى الله تعالى
في العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له ايشا على ملكه ودعا الى نفسه
فاجتمع اهل الزيغ من بني اسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه وان له عندنا لزلفى لقربة وكرامة بعد المغفرة
وحسن مآب حسن مرجع في الجنة يا داود انا جعلناك خليفة في الارض اما حكاية لما خوطب به عليه السلام
مبينة لزلفاه عنده عز وجل واما مقول لقول مقدر هو معطوف على غفرنا او حال من فاعله اي وقلنا له
او قائلين له يا داود الى آخره اي استخلفناك على الملك فيها والحكم فيما بين اهلها او جعلناك خليفة ممن كان
قبلك من الانبياء القائمين بالحق وفيه دليل على ان حاله عليه السلام بعد التوبة كما كانت قبلها لم تتغير
قط فاحكم بين الناس بالحق بحكم الله تعالى فان الخلافة بكلا معنييه مقتضية له حتما ولا تتبع الهوى اي
هوى النفس في الحكومات وغيرها من امور الدين والدنيا فيضلك عن سبيل الله بالنصب على انه جواب
النهي وقيل هو مجزوم بالعطف على النهي مفتوح لالتقاء الساكنين اي فيكون الهوى او اتباعه سببا لضلالك
عن دلائله التي نصبها على الحق تشريعا وتكوينا قوله تعالى ان الذين يضلون عن سبيل الله تعليل لما قبله ببيان
غائلته واظهار سبيل الله في موقع الاضمار لزيادة التقرير والايذان بكمال شناعة الضلال عنه لهم عذاب
شديد جملة من مبتدا وخبر وقعت خبرا لان او الظرف خبر لان وعذاب مرتفع على الفاعلية بما فيه من
الاستقرار بما نسوا بسبب نسيانهم قوله تعالى يوم الحساب اما مفعول لنسوا فيكون تعليلا صريحا لثبوت
العذاب الشديد لهم بنسيان يوم الحساب بعد الاشعار بعليته لما يستتبعه ويستلزمه اعني الضلال
عن سبيل الله فانه مستلزم لنسيان يوم الحساب بالمرة بل هذا فرد من افراده او ظرف لقوله تعالى لهم اي لهم عذاب
شديد يوم القيمة بسبب نسيانهم الذي هو عبارة عن ضلالهم ومن ضرورته ان يكون مفعوله سبيل الله
فيكون التعليل المصرح به حينئذ عين التعليل المشعر به بالذات عنه بالعنوان ومن لم يتنبه لهذا السر
قال بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فانه تذكره يقتضي ملازمة الحق ومخالفة الهوى فتدبر وما خلقنا

السماء والارض وما بينهما باطلا كلام مستانف مقرر لما قبله من امر البعث والحساب والجزاء اي ما خلقناهما وما بينهما
من المخلوقات على هذا النظم البديع الذي يحار في فهمه العقول خلقا باطلا اي خاليا عن الحكمة الجليلة والغاية
الباهرة بل منطوية على الحق المبين والحكم البالغة حيث خلقنا من بين ما خلقنا نفوسا اودعناها منافعها واسند[نا] اليها
مضارها ونصبنا للحق دلايل افاقية وانفسية ومنحنا القدرة بها على الاستشهاد بها ثم لم نقتصر على ذلك المقدار
من الالطاف بل ارسلنا اليها رسلا وانزلنا عليها كتبا بينا فيها كل دقيق وجليل وازحنا فيها عللها بالكلية وعرضنا
بالتكليف للمنافع العظيمة واعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب اعمالها **ذلك** اشارة الى ما نفي من خلق ما ذكر باطلا
ظن الذين كفروا اي مظنونهم فان جحودهم بامر البعث والجزاء الذي عليه يدور رحى تكوين العالم قول منهم ببطلان
خلق ما ذكر وخلوه عن الحكمة سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا **فويل للذين كفروا** مبتدا وخبر والفاء لافادة
ترتيب ثبوت الويل لهم على ظنهم الباطل كما ان وضع الموصول موضع ضميرهم للاشعار بما في حيز الصلة بعلية كفرهم
له ولا تنافي بينهما لان ظنهم من باب كفرهم ومن في قوله تعالى **من النار** تعليلية كما في قوله تعالى فويل لهم مما كتبت
ايديهم ونظايره مفيدة لعلية النار لثبوت الويل لهم صريحا بعد الاشعار بعلية ما يؤدي من ظنهم وكفرهم اي فويل
لهم بسبب النار المترتبة على ظنهم وكفرهم **ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض** ام منقطعة وما فيها
من بل للاضراب الانتقالي عن تقرير امر البعث والحساب والجزاء بما مر من نفي خلق العالم خاليا عن الحكم والمصالح
الى تقريره وتحقيقه بما في الهمزة من انكار التسوية بين الفريقين ونفيها على ابلغ وجه واكده اي بل انجعل المصلحين
المؤمنين كالكفرة المفسدين في اقطار الارض كما يقتضيه عدم البعث وما يترتب عليه من الجزاء لاستواء الفريقين
في التمتع بالحيوة الدنيا بل الكفرة اوفر حظا منها من المؤمنين لكن ذلك الجعل محال فتعين البعث والجزاء حتما لرفع الاو[لين]
الى اعلى عليين ورد الاخرين الى اسفل سافلين قوله تعالى **ام نجعل المتقين كالفجار** اضراب وانتقال عن اثبات
ما ذكر بلزوم المحال الذي هو التسوية بين الفريقين المذكورين على الاطلاق الى اثباته بلزوم ما هو اظهر منه
استحالة وهو التسوية بين اتقياء المؤمنين واتقياء الكفرة وحمل الفجار على فجرة المؤمنين مما لا يساعده المقام
ويجوز ان يراد بهذين الفريقين عين الاولين ويكون التكرار باعتبار وصفين اخرين هما ادخل في تحقيق انكار
التسوية من الوصفين الاولين وقيل قال كفار قريش للمؤمنين انا نعطى في الاخرة من الخير ما تعطون فنزلت
كتاب خبر مبتدا محذوف هو عبارة عن القران او السورة وقوله تعالى **انزلناه اليك** صفته وقوله تعالى
ليدبروا خبر ثان للمبتدا او صفة لكتاب عند من يجوز تاخير الوصف الصريح وقرئ مباركا على انه حال
من مفعول انزلنا ومعنى المبارك الكثير المنافع الدينية والدنيوية وقوله تعالى **اياته وليتذكر** متعلق بانزلنا
اي انزلناه ليتفكروا في اياته التي من جملتها هذه الايات المعربة عن اسرار التكوين والتشريع فيعرفوا ما يدبر
ظاهرها من المعاني الفايقة والتاويلات اللايقة وقرئ ولتدبروا على الاصل ولتدبروا على الخطاب اي
انت وعلماء امتك بحذف احدى التاءين **اولوا الالباب** اي وليتعظ به ذووا العقول السليمة او ليستحضروا
ما هو المركوز في عقولهم من تمكنهم من معرفته بما نصب عليه من الدلايل فان الكتب الالهية مبينة لما لا يعرف
الا بالشرع ومرشدة الى ما لا سبيل للعقل اليه **ووهبنا لداود سليمان نعم العبد** وقرئ نعم العبد اي سليمان
كما ينبئ عنه تاخيره عن داود مع كونه مفعولا صريحا لوهبنا لان قوله تعالى **انه اواب** اي رجاع الى الله تعالى بالتو[بة]
او الى التسبيح مرجع له تعليل للمدح من حاله لما ان الضمير المجرور في قوله تعالى **اذ عرض عليه** راجع اليه عليه
السلام قطعا واذ منصوب باذكر اي اذكر ما صدر عنه اذ عرض عليه **بالعشي** هو من الظهر الى اخر النهار **الصافنات**
فانه يشهد بانه اواب وقيل ظرف لاواب وقيل لنعم وتاخير الصافنات عن الظرفين لما مر مرارا من التشويق
الى المؤخر والصافن من الخيل الذي يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو من الصفات المحمودة في الخيل
لا يكاد يتفق الا في العراب الخلص وقيل هو الذي يجمع يديه ويسويهما واما الذي يقف على سنبك فهو المتخيم

الجياد

الجياد جمع جواد وجود وهو الذي يسرع في جريه وقيل الذي يجود عند الركض وقيل وصفت بالصفون والجودة لبيان جمعها
بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية اي اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها واذا جرت كانت سراعا خفافا
في جريها وقيل هو جمع جيد روي انه عليه السلام غزا اهل دمشق ونصيبين واصاب الف فرس وقيل اصابها ابوه
من العمالقة فورثها منه وقيل خرجت من البحر لها اجنحة فقعد يوما بعد ما صلى الظهر على كرسيه فاستعرضها
فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد كان له وقتئذ وتهشوه فلم يعلموه فاغتم لذلك لما فاته
فاستردها فعقرها تقربا لله تعالى وبقي مائة فما في ايدي الناس منها فمن نسلها الجياد وقيل لما عقرها ابدله
الله خيرا منها وهي الريح تجري بامره **فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي** قاله عليه السلام عند غروب الشمس
اعترافا بما صدر عنه من الاشتغال بها عن الصلوة وندما عليه وتمهيدا لما يعقبه من الامر بردها وعقرها والتعقيب
باعتبار اواخر العرض المستمر دون ابتدائه والتاكيد للدلالة على ان اعترافه وندمه عن صميم القلب لا لتحقيق مضمون
الخبر واصل احببت ان يتعدى بعلى لانه بمعنى اثرت لكن لما انيب مناب انبت عدي تعديته وحب الخير مفعوله
كانه قيل انبت حب الخير عن ذكر ربي ووضعته موضعه والخير المال الكثير والمراد به الخيل التي شغلته عليه
السلام ويحتمل انه سماها خيرا لتعلق الخير بها قال صلى الله عليه وسلم الخير معقود بنواصي الخيل الى يوم القيمة
وقرئ اني **حتى توارت بالحجاب** متعلق بقوله تعالى احببت باعتبار استمرار ذلك حتى توارت اي غربت الشمس تشبيها
بغروبها في مغربها بتواري المخباة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشي عليها وقيل الضمير للصافنات
اي حتى توارت بحجاب الليل اي بظلامه **ردوها علي** من تمام مقالة سليمان عليه السلام ومرمى غرضه من
تقديم ما قدمه ومن لم يتنبه له مع ظهوره توهم انه متصل بمضمر هو جواب لمضمر اخر كان سايلا قال فماذا قال
سليمان عليه السلام فقيل قال ردوها فتامل والفاء في قوله تعالى **فطفق مسحا** فصيحة مفصحة عن جملة قد
حذفت بدلالة الحال عليها وايذانا بغاية سرعة الامتثال بالامر اي فردوها عليه فاخذ يمسح السيف مسحا **بالسوق
والاعناق** اي بسوقها واعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته اي ضرب عنقه وقيل يمسح بيده اعناقها وسوقها
حبالها واعجابا بها وليس كذلك وقرئ بالسؤق على همز الواو بضمتها كما في ادؤر وقرئ بالسؤوق تنزيلا لضمة
السين منزلة ضمة الواو وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد من الجمع لامن الالباس **ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه
جسدا** [ثم اناب] اظهر ما قيل في فتنة سليمان عليه السلام ما روي مرفوعا انه قال لاطوفن الليلة على سبعين امراة
تاتي كل واحدة منهن بفارس يجاهد في سبيل الله تعالى ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امراة
واحدة جاءت بشق رجل والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا وقيل ولد له ابن
فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم بذلك فكان يغذوه في السحاب فما شعر به الا ان القي على كرسيه ميتا فتنبه
لخطائه حيث لم يتوكل على الله عز وعلا وقيل انه غزا صيدون من الجزاير فقتل ملكها واصاب بنتا له تسمى
جرادة من احسن الناس فاصطفاها لنفسه فاسلمت واحبها وكان لا يرقى دمعها جزعا على ابيها فامر الشياطين
فمثلوا لها صورته وكانت تغدوا اليها وتروح مع ولايدها يسجدون لها كعادتهن في ملكه فاخبره اصف
بذلك فكسر الصورة وعاقب المراة ثم خرج وحده الى فلاة وفرش له الرماد فجلس عليه تائبا الى الله تعالى
باكيا متضرعا وكان له ام ولد يقال لها الامينة اذا دخل للطهارة او لاصابة امراة يعطيها خاتمه وكان ملكه فيه
فاعطاها يوما فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر فاخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع اليه الخلق
ونفذ حكمه في كل شيء الا في نسائه وغير سليمان عن هيئته فاتى امينة لطلب الخاتم فانكرته وطردته فعرف ان
الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف الناس واذا قال انا سليمان حثوا عليه التراب ثم عمد الى السما[كين]
ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك اربعين صباحا عدد ما عبد الوثن في بيته فانكر اصف
وعظماء بني اسرائيل حكم الشيطان ثم طار اللعين وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة فوقعت في يد سليمان

عليه السلام فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به وخر ساجدا وعاد اليه ملكه وجاء بصخرة لصخر فجعله فيها
وسد عليه اخرى ثم اوثقهما بالحديد والرصاص وقذفه في البحر وعلى هذا فالجسد عبارة عن صخر سمي به وهو
جسد لا روح فيه لانه تمثل لما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عليه السلام عن حال اهله لان اتخاذ التماثيل لم
يكن محظورا حينئذ وسجودها للصورة بغير علم منه لا يضره قال بدل من اناب وتفسير له رب اغفر لي اي ما صدر
عني من الزلة وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة لي مناسبة لحالي فانه عليه السلام
لما نشا في بيت الملك والنبوة وورثهما معا استدعى من ربه معجزة جامعة لحكمهما او لا ينبغي لاحد ان يسلبه
مني بعد هذه السلبة او لا يصح لاحد من بعدي لعظمته كقولك لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال على ارادة
وصف الملك بالعظمة لا ان يعطى احد مثله فيكون منافسة وقيل كان ملكا عظيما فخاف ان يعطى مثله فلا يحافظ
حدود الله تعالى وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بامر الدين جريا على سنن الانبياء عليهم
السلام وكون ذلك ادخل في الاجابة وقرئ بفتح الياء انك انت الوهاب تعليل للدعاء بالمغفرة والهبة معا لا
بالاخيرة فقط فان المغفرة ايضا من احكام وصف الوهابية قطعا فسخرنا له الريح اي فذللناها لطاعته اجابة
لدعوته فعاد امره عليه السلام الى ما كان عليه قبل الفتنة وقرئ الرياح تجري بامره بيان لتسخيرها رخاء اي
لينة من الرخاوة طيبة لا تزعزع وقيل طيعة لا تمتنع عليه كالمامور المنقاد حيث اصاب اي حيث قصد واراد
حكى الاصمعي عن العرب اصاب الصواب فاخطا الجواب والشياطين عطف على الريح كل بناء وغواص بدل من
الشياطين واخرين مقرنين في الاصفاد عطف على كل بناء داخل في حكم البدل كانه قيل عليه السلام فصل الشياطين
الى عملة استعملهم في الاعمال الشاقة من البناء والغوص ونحو ذلك والى مردة قرن بعضهم مع بعض في السلاسل
لكفهم عن الشر والفساد ولعل اجسامهم شفافة فلا ترى صلبة فيمكن تقييدها ويقدرون على الاعمال الصلبة
وقد جوزان يكون الاقران في الاصفاد عبارة عن كفهم الشرور بطريق التمثيل والصفد القيد سمي به العطاء لانه
يرتبط المنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا اصفده قيده واصفده اعطاه على عكس وعد واوعد قوله تعالى هذا
الى آخره اما حكاية لما خوطب به سليمان عليه السلام مبينة لعظم شان ما اوتي من الملك وانه مفوض اليه
تفويضا كليا واما مقول القول بمقدر هو معطوف على سخرنا او حال من فاعله كما مر في خاتمة قصة داود عليه
السلام وقلنا له اي قائلين له هذا الذي اعطيناك من الملك العظيم والبسطة والتسلط على ما لم يسلط عليه
غيرك عطاؤنا الخاص بك فامنن او امسك فاعط من شئت وامنع من شئت بغير حساب حال من المستكن في الامر
او غير محاسب على منته وامساكه اوصلة له وما بينهما اعتراض التفويض التصرف فيه اليك على الاطلاق او من العطاء اي هذا
عطاؤنا ملتبسا بغير حساب لغاية كثرته اوصلة له وما بينهما اعتراض على التقديرين وقيل الاشارة الى تسخير
الشياطين والمراد بالمن والامساك الاطلاق والتقييد وان له عندنا لزلفى في الآخرة مع ما له من الملك العظيم
في الدنيا وحسن مآب هو الجنة قيل فتن عليه السلام بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة
وذكر الفقيه ابو حنيفة احمد بن داود الدينوري في تاريخه ان سليمان عليه السلام ورث ملك ابيه في عصر
كيخسرو بن سياوش وسار من الشام الى العراق فبلغ خبره كيخسرو فهرب الى خراسان فلم يلبث حتى هلك ثم سار
سليمان عليه السلام الى مرو ثم الى بلاد الترك فوغل فيها ثم جاز بلاد الصين ثم عطف الى ان وافى بلاد فارس
فنزلها اياما وعاد الى الشام ثم امر ببناء بيت المقدس فلما فرغ منه سار الى تهامة ثم الى صنعاء وكان من حديثه
مع صاحبها ما ذكره الله تعالى وغزا بلاد المغرب الاندلس وطنجة وغيرها والله تعالى اعلم واذكر عبدنا ايوب عطف
على واذكر عبدنا داود وعدم تصدير قصة سليمان عليه السلام بهذا العنوان لكمال الاتصال بينه وبين داود
عليه السلام وايوب عليه السلام هو ابن عيص بن اسحاق عليهما السلام اذ نادى ربه بدل اشتمال من عبدنا عطف
بيان له اني بانى مسني الشيطان بفتح ياء مسني واسكانها واسقاطها بنصب اي بتعب وقرئ بفتح وبفتحتين وبضمتين

للتثقيل وعذاب اي الم ووصب يريد مرضه وما كان يقاسيه من فنون الشدائد وهو المراد بالضر في قوله تعالى
اني مسني الضر وهو حكاية لكلامه الذي ناداه به بعبارته والا لقيل انه مسه الى آخره والاسناد الى الشيطان اما لانه
تعالى مسه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل انه اعجب بكثرة ماله او استغاثه مظلوم فلم يغثه او كانت مواشيه في ناحية
ملك كافر فداهنه ولم يغزه او للامتحان صبره فيكون اعترافا بالذنب او مراعاة للادب او لانه وسوس الى اتباعه
حتى رفضوه واخرجوه من ديارهم او لان المراد بالنصب والعذاب ما كان يوسوس اليه في مرضه من تعظيم ما نزل
به من البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على الكراهة والجزع فالتجا الى الله تعالى في ان يكفيه ذلك بكشف البلاء
او بالتوفيق لرفعه ورده بالصبر الجميل وليس هذا بتمام دعائه عليه السلام بل من جملته قوله وانت ارحم الراحمين
فاكتفى هاهنا عن ذكره بما في سورة الانبياء كما ترك هناك ذكر الشيطان ثقة بما ذكر هاهنا قوله تعالى اركض
برجلك الى آخره اما حكاية لما قيل له او مقول لقول مقدر معطوف على نادى اي فقلنا له اركض برجلك
اي اضرب بها الارض قوله تعالى هذا مغتسل بارد وشراب فانه ايضا اما حكاية لما قيل له بعد امتثاله بالامر
ونبوع الماء او مقول لقول مقدر معطوف على مقدر ينساق اليه الكلام كانه قيل فضربها فنبعت عين فقلنا
هذا مغتسل تغتسل به وتشرب منه فيبرا ظاهرك وباطنك وقيل نبعت عينان حارة للاغتسال وباردة
للشرب ويابا ظاهر النظم الكريم قوله تعالى ووهبنا له اهله معطوف على مقدر ينسحب منترتب على
مقدر آخر يقتضيه القول المقدر انفا كانه قيل فاغتسل وشرب فكشفنا بذلك ما به من مرض كما في سورة
الانبياء ووهبنا له اهله اما باحيائهم بعد هلاكهم وهو المروي عن الحسن او بجمعهم بعد تفرقهم كما قيل
ومثلهم معهم عطف على اهله فكان له من الاولاد ضعف ما كان له قبل رحمة منا اي لرحمة عظيمة عليه من
قبلنا وذكرى لاولي الالباب ولتذكيرهم بذلك ليصبروا على الشدائد كما صبر ويلجاوا الى الله عز وجل كما لجا
ليفعل بهم ما فعل به من حسن العاقبة وخذ بيدك ضغثا معطوف على اركض او على وهبنا بتقدير قلنا
اي وقلنا خذ بيدك الى آخره والاول اقرب لفظا وهذا انسب معنى فان الحاجة الى هذا الامر لا تمس الا
بعد الصحة فان امراته رحمة بنت افرائيم بن يوسف وقيل ليا بنت يعقوب وقيل ماخير بنت ميشا بن
يوسف عليه السلام ذهبت لحاجة فابطات فحلف ان برئ ليضربها مائة ضربة فامره الله تعالى باخذ
الضغث والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما قبضة من الشجر
وقال فاضرب به اي بذلك الضغث ولا تحنث في يمينك فان البر يتحقق به ولقد شرع الله سبحانه هذه
الرخصة رحمة عليه وعليها لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها وهي باقية في الحدود ويجب ان يصيب المضروب
كل واحد من المائة اما باطرافها واما باعراضها مبسوطة على هيئة الضرب انا وجدناه صابرا فيما اصابه
في النفس والاهل والمال وليس في شكواه الى الله تعالى اخلال بذلك فانه لا يسمى جزعا كتمني العافية
وطلب الشفاء على انه قال ذلك خيفة الفتنة في الدين حيث كان الشيطان يوسوس الى قومه لو كان
نبيا لما ابتلي بما ابتلي به وارادة القول على ان الطاعة فلم يبلغ امره الى ان لم يبق منه الا القلب واللسان ويروى
انه صلى الله عليه وسلم قال في مناجاته الهي قد علمت انه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري ولم يصبني ما ملكت
يميني ولم آكل الا ومعي يتيم ولم ابت شبعان ولا كاسيا ومعي جائع او عريان فكشف الله تعالى عنه نعم العبد اي ايوب
انه اواب تعليل لمدحه اي رجاع الى الله تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب عطف بيان وقيل بدل
وقيل نصب باضمار اعني والباقيات عطف على عبدنا واما على ان عبدنا اسم جنس وضع موضع الجمع اولي الايدي
والابصار اولي القوة في الطاعة والنصرة في الدين او اولي الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالايدي
على الاعمال لان اكثرها بمباشرتها وبالابصار عن المعارف لانها اقوى مباديها وفيه تعريض بالجهلة والبطالين
انهم كالزمنى والعماة وتوبيخ على ترك المجاهدة والتامل مع تمكنهم منهما وقرئ اولي الايد بطرح الياء والاكتفاء بالكسرة

وقرئ اولي الايدي على جمع الجمع انا اخلصناهم بخالصة تعليل لما وصفوا به من شرف العبودية وعلو الرتبة
في العلم والعمل اي جعلناهم خالصين اي بخصلة واحدة عظيمة الشان كما ينبئ عنه التنكير التفخيمي قوله تعالى
ذكرى الدار بيان للخالصة بعد ابهامها للتفخيم اي تذكر للدار الاخرة دائما فان خلوصهم في الطاعة بسبب تذكرهم
لها وذلك لان مطمح انظارهم ومطرح افكارهم في كل ما ياتون وما يذرون جوار الله عز وجل والفوز بلقائه ولا
ينسني ذلك الا في الاخرة وقيل اخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم في اختيارها ويعضد الاول قراءة من قرا
بخالصتهم واطلاق الدار للاشعار بانها الدار في الحقيقة وانما الدنيا معبر وقرئ باضافة خالصة الى ذكرى
او باخلص من ذكرى الدار على معنى انهم لا يشوبون ذكراها بهم اخر اصلا او تذكيرهم الاخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم
في الدنيا كما هو شان الانبياء عليهم السلام وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا ولسان الصدق الذي ليس
لغيرهم وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار لمن المختارين من امثالهم المصطفين عليهم في الخير والاخيار جمع خير كشر
واشرار وقيل جمع خير او خير مخفف منه كاموات في جمع ميت وميت واذكر اسمعيل فصل ذكره عن ذكر ابيه واخيه
للاشعار بعراقته في الصبر الذي هو المقصود بالتذكير واليسع هو ابن اخطوب بن العجوز استخلفه الياس على
بني اسرائيل ثم استنبئ واللام فيه حرف تعريف دخل على يسع كما في قول من قال. رايت الوليد بن اليزيد
مباركا. وقرئ والليسع كان اصله ليسع فيعل من اللسع دخل عليه حرف التعريف وقيل هو على القراءتين علم اعجمي
دخل عليه اللام وقيل هو يوشع وذا الكفل هو ابن عم يسع او بشر بن ايوب واختلف في نبوته ولقبه فقيل فر
اليه مائة نبي من انبياء بني اسرائيل من القتل فاواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلي مائة صلوة
وكل وكلهم من الاخيار المشهورين بالخيرية هذا اشارة الى ما تقدم من الايات الناطقة بمحاسنهم ذكر
اي شرف لهم وذكر جميل يذكرون به ابدا او نوع من الذكر الذي هو القرآن وباب منه يشتمل على انباء الانبياء وعن
ابن عباس هذا ذكر من مضى من الانبياء قوله تعالى وان للمتقين لحسن ماب شروع في بيان اجرهم الجزيل في
الاجل بعد بيان ذكرهم الجميل في العاجل وهو باب اخر من ابواب التنزيل والمراد بالمتقين اما الجنس وهم
داخلون في الحكم دخولا اوليا واما نفس المذكورين عبر عنهم بذلك مدحا لهم بالتقوى التي هي الغاية القاصية
من الكمال جنات عدن عطف بيان لحسن ماب عند من يجوز تخالفهما تعريفا وتنكيرا فان عدنا معرفة لقوله
تعالى جنات عدن التي وعد الرحمن او بدل منه او نصب على المدح قوله تعالى مفتحة لهم الابواب حال من جنات
والعامل فيها ما في المتقين من معنى الفعل والابواب مرتفعة باسم المفعول والرابط بين الحال وصاحبها اما
ضمير مقدر كما هو راي البصريين اي الابواب منها او الالف واللام القائمة مقامه كما هو راي الكوفيين
اذ الاصل ابوابها وقرئتا مرفوعتين على الابتداء والخبر او على انهما خبران محذوفان اي هي جنات عدن هي
مفتحة متكئين فيها حال من لهم والعامل فيها مفتحة وقوله تعالى يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب استئناف
لبيان ما لهم فيها وقيل هو ايضا حال مما ذكر او من ضمير متكئين والاقتصار على دعاء الفاكهة للايذان بان مطاعمهم
لمحض التفكه والتلذذ دون التغذي فانه لتحصيل بدل المتحلل ولا تحلل ثمة وعندهم قاصرات الطرف اي على
ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم اتراب لدات لهم فان التحاب بين الاقران راسخ او بعضهن لبعض لا عجوز
فيهن ولا صبية واشتقاقهم من التراب فانه يمسهم في وقت واحد هذا ما توعدون ليوم الحساب اي لاجله
فان الحساب علة الموصول الى الجزاء وقرئ بالياء ليوافق ما قبله والالتفات اليق بمقام الامتنان
والتكريم ان هذا اي ما ذكر من انواع النعم والكرامات لرزقنا اعطيناكموه ما له من نفاد انقطاع ابدا
هذا اي الامر هذا او هذا كما ذكر او هذا ذكر وقوله تعالى وان للطاغين لشر ماب شروع في بيان اضداد الفريق
السابق جهنم اعرابه كما سبق يصلونها اي يدخلونها حال من جهنم فبئس المهاد وهو المهد والمفرش
مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم لقوله تعالى لهم من جهنم مهاد هذا فليذوقوه

وهذا مبتدا خبره حميم وغساق وما بينهما اعتراض وهو على الاولين خبر مبتدا محذوف او هو حميم والغساق
ما يغسق من صديد اهل النار من غسقت العين اذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده
وقيل لو قطرة منه قطرت في المشرق لنتنت اهل المغرب ولو قطرت قطرة في المغرب لنتنت اهل المشرق
وقيل الغساق عذاب لا يعلمه الا الله تعالى وقرئ بتخفيف السين واخر من شكله اي ومذوق اخر او عذاب
اخر من مثل هذا المذوق والعذاب في الشدة والفظاعة وقرئ واخر اي ومذوقات اخر او انواع عذاب
اخر وتوحيد ضمير شكله بتاويل ما ذكر او الشراب الشامل للحميم والغساق او هو الى الغساق ازواج اي اجناس
وهو خبر لاخر لانه يجوز ان يكون ضروبا او صفة له او للثلاثة او مرتفع بالجار والخبر محذوف مثل لهم هذا فوج
مقتحم معكم حكاية ما يقال من جهة الخزنة لرؤساء الطاغين اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج كانوا
يتبعونهم في الكفر والضلالة والاقتحام الدخول في الشيء بشدة قال الراغب الاقتحام توسط شدة مخيفة
قوله تعالى لا مرحبا بهم من تمام كلام الخزنة بطريق الدعاء على الفوج او صفة للفوج او حال منه اي مقولا
ومقولا في حقهم لا مرحبا بهم او لا رحبت بهم الدار مرحبا انهم صالوا النار تعليل من جهة الخزنة لاستحقاقهم
الدعاء عليهم او وصفهم بما ذكر وقيل لا مرحبا بهم الى هنا كلام الرؤسا في حق اتباعهم عند خطاب الخزنة لهم باقتحام
الفوج معهم تضجرا من مقارنتهم وتنفرا من مصاحبتهم وقيل كلام الرؤسا بعضهم مع بعض في حق الاتباع قالوا
اي الاتباع عند سماعهم ما قيل في حقهم ووجه في خطابهم للرؤسا بل انتم لا مرحبا بكم الى اخره على الوجهين الاخيرين
ظاهر واما على الوجه الاول فلعلهم انما خاطبوهم مع ان الظاهر ان يقولوا بطريق الاعتذار الى الخزنة بل هم
لا مرحبا بهم الى اخره قصدا منهم الى اظهار صدقهم بالخاصة مع الرؤساء والتحاكم الى الخزنة في قضائهم بتخفيف
عذابهم او تضعيف عذاب خصمائهم اي بل انتم احق بما قيل لنا او قلتم وقوله تعالى انتم قدمتموه لنا تعليل
لاحقيتهم بذلك اي انتم قدمتم العذاب او الصلي لنا واوقعتمونا فيه بتقديم ما يؤدي اليه من العقائد الزائغة
والاعمال السيئة وتزيينها في اعيننا واغرائنا عليها لا انا باشرناها من تلقاء انفسنا فبئس القرار اي فبئس
المقر جهنم قصدوا بذمها تغليظ جناية الرؤسا عليهم قالوا اي الاتباع ايضا وتوسيطه بين كلامهم لما بينهما
من التباين البين ذاتا وخطابا اي قالوا معرضين عن خصومتهم متضرعين الى الله تعالى ربنا من قدم لنا هذا
فزده عذابا ضعفا في النار لقولهم ربنا هؤلاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا من النار اي عذابا مضاعفا اي
ذا ضعف وذلك بان يزيد عليه مثله ويكون ضعفين كقوله ربنا اتهم ضعفين من العذاب وقيل المراد
بالضعف الحيات والافاعي وقالوا اي الطاغون ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار يعنون فقراء
المسلمين الذين كانوا يسترذلونهم ويسخرون منهم اتخذناهم سخريا بهمزة استفهام سقطت لاجلها همزة
الوصل والجملة استئناف لا محل لها من الاعراب قالوه انكارا على انفسهم وتاسيفا لها في الاستسخار منهم ام زاغت
عنهم الابصار متصل باتخذناهم على ان ام متصلة والمعنى اي الامرين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام
الازدراء بهم وتحقيرهم فان ابصارنا كانت تزيغ وتقتحمهم على معنى انكار كل واحد من الفعلين على انفسهم
توبيخا لها وعلى انها منقطعة والمعنى اتخذناهم سخريا بل ازاغت عنهم ابصارنا كقولك ازيد عندك او عندك
عمرو على توبيخ انفسهم على الاستسخار ثم الاضراب والانتقال منه الى التوبيخ على الازدراء والتحقير وقرئ
اتخذناهم بغير همزة على انه صفة اخرى لرجالا فقوله تعالى ام زاغت عنهم ابصارنا وهم فيها وقد جوز ان يكون
الهمزة مقدرة على همزة القراءة وقرئ سخريا بضم السين ان ذلك اي الذي حكي من احوالهم لحق لا بد من
وقوعه البتة قوله تعالى تخاصم اهل النار خبر مبتدا محذوف والجملة بيان لذلك وفي الابهام اولا والتبيين
ثانيا مزيد تقرير له وقيل بدل من محل ذلك وقيل بدل من حق وعطف بيان له وقرئ بالنصب على انه بدل
من ذلك وما قيل من انه صفة له فقد قيل عليه ان اسم الاشارة لا يوصف الا بالمعرف باللام يقال بهذا

الرجل ولا يقال يا هذا غلام الرجل قل أمر لرسول الله صلى الله عليه ان يقول للمشركين انما انا منذر من جهته تعالى
انذركم عذابه وما من اله في الوجود الا الله الواحد القهار الذي لا يقبل الشركة والكثرة اصلا القهار لكل شيء سواه
رب السموات والارض وما بينهما من المخلوقات فكيف يتوهم ان يكون له شريك فيها العزيز الذي لا يغلب في امر من اموره
الغفار المبالغ في المغفرة يغفر ما يشاء لمن يشاء وفي هذه النعوت من تقرير التوحيد والوعد للموحدين والوعيد
للمشركين ما لا يخفى وتثنية ما يشعر بالتوعيد من وصفي القهر والعزة وتقديمهما على وصف المغفرة التوفية بمقام
الانذار حقه قل تكرير الامر للايذان بان القول امر جليل شانه خطير لا بد من الاعتناء به امرا وايتمارا هو اي ما
انبأتكم به من اني منذر من جهته تعالى وانه تعالى واحد لا شريك له وانه متصف بما ذكر من الصفات الجليلة
والاظهر انه القرآن وما ذكر فيه داخلا دخولا اوليا كما يشهد به آخر السورة الكريمة وهو قول ابن عباس ومجاهد
وقتادة نبأ عظيم وارد من جهته تعالى وقوله تعالى انتم عنه معرضون استئناف ناع عليهم بصنيعهم
به ببيان انهم لا يقدرون قدره الجليل حيث يعرضون عنه مع عظمته وكونه موجبا للاقبال الكلي عليه وتلقيه
بحسن القبول وقيل صفة اخرى لنبأ قوله تعالى ما كان لي من علم بالملإ الاعلى الى آخره استئناف مسوق لتحقيق
انه نبأ عظيم وارد من جهته تعالى بذكر نبأ من انبائه على التفصيل من غير سابقة معرفة ولا مباشرة سبب من
اسبابها المعتادة فان ذلك حجة بينة دالة على ان ذلك بطريق الوحي من الله تعالى وان سائر انبائه ايضا
كذلك والملأ الاعلى هم الملائكة وآدم عليه السلام وابليس عليه اللعنة قوله تعالى اذ يختصمون
متعلق بمحذوف يقتضيه المقام اذ المراد نفي علمه عليه السلام بحالهم لا بذواتهم والتقدير ما كان لي فيما
سبق علم ما بوجه بوجه من الوجوه بحال الملإ الاعلى وقت اختصامهم وتقدير الكلام كما اختاره الجمهور
تحجير للوسع فانه عليه السلام غير مقصور على ما جرى بينهم من الاقوال فقط بل عام لها وللافعال ايضا
من سجود الملائكة واستكبار ابليس وكفره حسبما ينطق به الوحي فلا بد من اعتبار العموم في نفيه ايضا
لا محالة قوله تعالى ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين اعتراض وسط بين اجمال اختصامهم وتفصيله تقرير
لثبوت علمه عليه السلام وتعيينا لسببه الا ان انتفاءه فيما سبق لما كان مبنيا على ثبوته الآن ومن
البين عدم ملابسته عليه السلام لشيء من مباديه المعهودة تعين انه ليس الا بطريق الوحي حتما فجعل ذلك
امرا مسلم الثبوت غنيا عن الاخبار به قصدا وجعل مصب الفائدة والمقصود اخباره ما هو داع الى الوحي ومصحح
له تحقيقا لقوله تعالى انما انا منذر في ضمن تحقيق علمه عليه السلام بقصة الملإ الاعلى والقائم مقام الفاعل
بيوحى اما ضمير عائد الى الحال المقدر وما يعمه وخبره فالمعنى ما يوحى الي حال الملإ الاعلى اما يوحى الي ما يوحى
من الامور الغيبية التي من جملتها حالهم الا انما انا نذير مبين من جهته تعالى فانه كونه عليه السلام كذلك
من دواعي الوحي وموجباته حتما واما ان القائم مقام الفاعل هو الجار والمجرور وهو انما انا نذير مبين بلا تقدير
الجار وان المعنى ما يوحى الي الا للانذار وما يوحى الي الا ان انذر وابلغ ولا افرط في ذلك كما قيل فمع ما فيه
الى الاضطرار الى التكليف في توجيه قصر الوحي على كونه للانذار في الاول وقصره على الانذار في الثاني فلا
يساعده السياق النظم الكريم وسياقه كيف لا والاعتراض حينئذ يكون اجنبيا مما توسط بينهما من اجمال
الاختصام وتفصيله فتأمل والله المرشد وقرئ انما بالكسر للحكاية وقوله تعالى اذ قال ربك للملائكة
شروع في تفصيل ما اجمل من الاختصام الذي هو ما جرى بينهم من التقاول وحيث كان تكليمه تعالى اياهم
بواسطة الملك صح اسناد الاختصام من الملائكة بل يكفي اشتمال ما في حيزها عليه فان القصة ناطقة بذلك
تفصيلا والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم لتشريفه عليه الصلوة و
السلام والايذان بان وحي هذا النبأ اليه تربية وتأييد له عليه الصلوة والسلام والكاف وارد باعتبار حال
الامر لكونه ادل على كونه وحيا منزلا من عنده تعالى كما في قوله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الآية دون

حال المامور

والاقيل رتي داخل في حيز الامر اني خالق فيما سيأتي وفيه ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على انه تعالى
فاعل له البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه بشرا قيل اي جسما كثيفا يلاقي ويباشر وقيل خلقا بادي
البشرة بلا صوف ولا شعر ولعل ما جرى عند وقوع المحكي ليس هذا الاسم الذي لم يخلق مسماه حينئذ فضلا عن
تسميته به بل عبارة كاشفة عن احواله وانما عبر عنه بهذا الاسم عند الحكاية من طين لم يتعرض لاوصافه
من التغير والاسوداد والمسنونية اكتفاء بما ذكر في مواقع اخر فاذا سويته اي صورته بالصورة الانسانية والخلقة
البشرية او سويت اجزاء بدنه بتعديل طبايعه ونفخت فيه من روحي النفخ اجراء الريح الى تجويف جسم
صالح لامساكها والامتلاء بها وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لافاضة ما به الحياة بالفعل على المادة
القابلة لها اي فاذا اكملت استعداده وافضت عليه ما يحيى به الروح التي هي من امري فقعوا له امر من وقع
وفيه دليل على ان المامور به ليس مجرد الانحناء كما قيل اي اسقطوا له ساجدين تحية لهم وتكريما فسجد الملائكة
اي فخلقه فسواه فنفخ فيه الروح فسجد له الملائكة كلهم بحيث لم يبق منهم احد الا سجد اجمعون اي بطريق
التبعية بحيث لم يتأخر في ذلك احد منهم ولا اختصاص لافادة هذا المعنى بالحالية بل يفيده التأكيد ايضا
وقيل اكد بتأكيدين مبالغة في التعميم هذا واما ان سجودهم ترتب على ما حكى من الامر التعليقي كما تقتضيه هذه
الآية الكريمة والتي في سورة الحجر فان ظاهرهما يستدعي ترتبه عليه من غير ان يتوسط بينهما شيء غير ما يفهم
عنه الفاء الفصيحة من الخلق والتسوية ونفخ الروح او على الامر التنجيزي كما يقتضيه ما في سورة البقرة وما
في سورة الاعراف وما في سورة بني اسرائيل وما في سورة الكهف وما في سورة طه من الآيات الكريمة فقد مر
تحقيقه بتوفيق الله عز وجل في سورة البقرة وسورة الاعراف الا ابليس استثناء واحد منهم اولا من
الملائكة جنس يتوالدون وهو منهم او منقطع وقوله تعالى استكبر وعلى الاول استئناف مبين لكيفية
ترك السجود المفهوم من الاستثناء فان تركه يحتمل ان يكون للتأمل والتروي وفيه يتحقق انه للاباء و
الاستكبار وعلى الثاني يجوز اتصاله بما قبله اي لكن ابليس استكبر وكان من الكافرين اي وصار منهم
لمخالفته للامر واستكباره عن الطاعة او كان منهم في علم الله عز وجل قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت
اي خلقته بالذات من غير توسط اب وام والتثنية لابراز كمال الاعتناء بخلقه عليه السلام المستدعي
لاجلاله وتعظيمه قصدا الى تأكيد الانكار وتشديد التوبيخ استكبرت بهمزة الانكار وطرح همزة الوصل
اي اتكبرت من غير استحقاق ام كنت من العالين المستحقين للتفوق وقيل استكبرت الآن ام لم تزل
منذ كنت من المستكبرين وقرئ بحذف همزة الاستفهام ثقة بدلالة ام عليها قوله تعالى قال انا خير منه
ادعاء منه بشيء مستلزم لمنعه من السجود على زعمه واشعار بانه لا يليق ان يسجد الفاضل للمفضول كما يعرب
عنه قوله لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون قوله تعالى خلقتني من نار وخلقته من طين
تعليل لما ادعاه من فضله عليه الصلوة والسلام ولقد اخطأ اللعين حيث خص الفضل بما من جهة المادة
والعنصر وزل عنه ما من جهة الفاعل كما انبأ عنه قوله تعالى لما خلقت بيدي وما من جهة الصورة
كما نبه عليه قوله تعالى ونفخت فيه من روحي وما من جهة الغاية وهو ملاك الامر ولذلك امر الملائكة
بسجوده عليه السلام حين ظهر لهم انه اعلم منهم بما يدور عليه امر الخلافة وان له خواص ليست لغيره قال
فاخرج منها الفاء لترتيب الامر على ما ظهر من اللعين من المخالفة للامر الجليل وتعليلها بالاباطيل اي فاخرج
من الجنة او من زمرة الملائكة وهو المراد بالامر بالهبوط لا الهبوط من السماء كما قيل فان وسوسته لآدم
عليه السلام كانت بعد هذا الطرد وقد بين كيفية وسوسته في سورة البقرة وقيل اخرج من الخلقة
التي كنت فيها وانسلخ منها فانه كان يفتخر بخلقته فغير الله تعالى خلقته فاسود بعد ما كان ابيض وقبح
بعد ما كان حسنا واظلم بعد ما كان نورانيا قوله تعالى فانك رجيم تعليل للامر بالخروج اي مطرود

بيدي

ح

من كل خير وكرامة فان من يطرد يرجم بالحجارة او شيطان يرجم بالشهب **وان عليك لعنتي** اي ابعادي عن الرحمة وتقييدها
بالاضافة مع اطلاقها في قوله تعالى وان عليك اللعنة لما ان لعنة اللاعنين من الملائكة والثقلين ايضا من جهته تعالى وانهم
يدعون عليه بلعنة الله وابعاده من الرحمة **الى يوم الدين** اي يوم الجزاء والعقوبة وفيه ايذان بان اللعنة مع كمال فظاعتها
ليست جزاء لجنايته بل هي انموذج مما سيلقاه مستمرا الى ذلك اليوم لكن لا على انها تنقطع يومئذ كما يوهمه ظاهر التوقيت
بل على انه سيلقى يومئذ من الوان العذاب وافانين العقاب ما ينسى عنده اللعنة وتصير كالزائل الا ترى الى قوله تعالى
فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين وقوله تعالى يلعن بعضهم بعضا **قال رب فانظرني** اي فامهلني واخرني والفاء
متعلقة بمحذوف ينسحب عليه الكلام اي اجعلني رجيما فامهلني ولا تمتني **الى يوم يبعثون** اي آدم وذريته للجزاء
بعد فنائهم واراد بذلك ان يجد فسحة لاغوائهم ويأخذ منهم ثاره وينجو من الموت بالكلية اذ لا موت بعد يوم البعث
قال فانك من المنظرين ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما ساله الآخرين على وجه يشعر بكون السائل
تبعا لهم في ذلك دليل واضح على انه اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص به قد وقع اجابة لدعائه وان
استنظاره كان طلبا لتأخير الموت اذ به يتحقق كونه منهم لا لتأخير العقوبة كما قيل فان ذلك معلوم من اضافة اليوم
الى الدين او انك من جملة الذين اخرت آجالهم ازلا حسبما تقتضيه كلمة التكوين **الى يوم الوقت المعلوم** الذي قدره
الله تعالى وعينه لفناء الخلائق وهو وقت النفخة الاولى لا الى وقت البعث الذي هو المسئول فالفاء ليست
لربط نفس الانظار بالاستنظار بل لربط الاخبار كما في قول من قال • فان ترحم فانت لذاك اهل • فانه لا امكان
لجعل الفاء فيه قال تعالى من الاهلية القديمة من الرحمة بوقوع الرحمة الحادثة بل هي لربط الاخبار بتلك الاهلية
للرحمة بوقوعها هنا وقد ترك التوقيت في سورة الاعراف كما ترك النداء والفاء في الاستنظار والانظار تعويلا على
ما ذكرها هنا وفي سورة الحجر فان خطر ببالك ان كل وجه من وجوه النظم الكريم لا بد ان يكون له مقام يقتضيه
مغاير لمقام غيره وانما حكى عن اللعين انما صدر عنه مرة ولذا لم يقع جوابه الا دفعة فمقام الانظار والاستنظار
ان اقتضى احد الوجوه المحكية فذلك الوجه هو المطابق لمقتضى الحال والبالغ الى رتبة البلاغة ورتبة الاعجاز
واما ما عداه من الوجوه فهو بمعزل من بلوغ طبقة البلاغة فضلا عن العروج الى معارج الاعجاز فقد سبق تحقيقه
في سورة الاعراف بفضل الله وتوفيقه **قال فبعزتك** الباء للقسم والفاء لترتيب مضمون الجملة على الانظار
ولا ينافيه قوله تعالى فبما اغويتني وقوله تعالى رب بما اغويتني فان اغواءه تعالى اياه اثر من آثار قدرته تعالى وعزته
وحكم من احكام قهره وسلطنته فمآل الاقسام بهما واحد ولعل اللعين اقسم بهما جميعا فحكى تارة قسمه باحدهما
واخرى بالآخر اي فاقسم بعزتك **لاغوينهم اجمعين** اي ذرية آدم بتزيين المعاصي لهم **الا عبادك منهم المخلصين** وهم
الذين اخلصهم الله تعالى لطاعته وعصمهم من الغواية وقرئ المخلصين على صيغة الفاعل اي الذين اخلصوا قلوبهم
واعمالهم لله تعالى **قال** اي الله عز وجل **فالحق والحق اقول** برفع الاول على انه مبتدأ محذوف الخبر او خبر محذوف
المبتدأ ونصب الثاني على انه مفعول لما بعده وقدم عليه للقصر اي لا اقول الا الحق والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها
اي فالحق قسمي لاملأن جهنم على ان الحق اما اسمه تعالى او نقيض الباطل عظمه الله تعالى باقسامه او فانا الحق او نقول الحق
قوله تعالى **لاملأن جهنم** الى آخره جواب لقسم محذوف اي والله لاملأن الى آخره وقوله تعالى والحق اقول على تقدير
اعتراض مقرر على الوجهين الاولين لمضمون الجملة القسمية وعلى الوجه الثالث لمضمون الجملة المتقدمة اعني فقولي
الحق وقرئ منصوبين على ان الاول مقسم به كقولك الله لافعلن والحق اقول على حكاية لفظ القسم على تقدير كونه
نقيض الباطل ومعناه التأكيد والتشديد وقرئ بجر الاول على اضمار حرف القسم ونصب الثاني على المفعولية **منك**
اي من جنسك من الشياطين **وممن تبعك** في الغواية والاضلال **منهم** من ذرية آدم **اجمعين** تأكيد للكاف وما
عطف عليه اي لاملأنها من المتبوعين والاتباع اجمعين كقوله تعالى لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين وهذا
المراد بقوله تعالى ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وحيث كان مناط الحكم هاهنا اتباع الشيا

اتضح

اتضح ان مدار عدم المشيئة في قوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها اتباع الكفرة للشياطين بسوء اختيارهم لا تحقق
القول فليس في ذلك شائبة القول فتدبر **قل ما اسألكم عليه** اي على القرآن او على تبليغ ما يوحى الي **من اجر** دنيوي
وما انا من المتكلفين اي المتصنعين بما ليسوا من اهله حتى انتحل النبوة واتقول القرآن **ان هو** اي ما هو **الا ذكر** من
الله عز وجل **للعالمين** للثقلين كافة **ولتعلمن** ايها الكفرة **نبأه** اي ما انبأ به من الوعد والوعيد وغيرهما او صحة خبره وانه
الحق والصدق **بعد حين** بعد الموت او يوم القيامة او عند ظهور الاسلام وفشوه وقيل من بقي علم ذلك اذا ظهر امره وعلا
ومن مات علمه بعد الموت وفيه من التهديد ما لا يخفى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره
الله تعالى لداود عليه السلام عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغير او كبير وقال ابو امامة عصمه الله من كل ذنب صغيرا او كبيرا والله اعلم

سورة الزمر وهي خمس وسبعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **تنزيل الكتاب** خبر لمبتدأ محذوف هو اسم اشارة اشير به الى السورة تنزيلا لها منزلة الحاضر المشار
اليه لكونها على شرف الذكر والحضور كما مر مرارا وقيل هو ضمير عائد الى الذكر في قوله تعالى ان هو الا ذكر للعالمين قوله تعالى
من الله العزيز الحكيم صلة للتنزيل او خبر او حال من التنزيل وعاملها معنى الاشارة او من الكتاب الذي هو مفعول
معنى عاملها المضاف وقيل هو خبر لتنزيل الكتاب والوجه الاول اوفى بمقتضى المقام الذي هو بيان ان السورة او القرآن
تنزيل الكتاب من الله تعالى لا بيان ان تنزيل الكتاب منه تعالى لا من غيره كما يفيده الوجه الاخير وقرئ تنزيل الكتاب بالنصب
على اضمار نحو اقرأ او الزم والتعرض لوصفي العزة والحكمة للايذان بظهور اثريهما في الكتاب بجريان احكامه ونفاذ
اوامره ونواهيه من غير مدافع ولا ممانع وباتساق جميع ما فيه على اساس الحكم الباهر قوله تعالى **انا انزلنا اليك
الكتاب بالحق** شروع في بيان شأن المنزل عليه وما يجب عليه اثر بيان شأن المنزل وكونه من عند الله تعالى والمراد
بالكتاب هو القرآن واظهاره على تقدير كونه هو المراد بالاول ايضا لتعظيمه ومزيد الاعتناء بشأنه والباء اما متعلقة
بالانزال اي بسبب الحق واثباته واظهاره او بداعية الحق واقتضائه للانزال واما بمحذوف هو حال من نون العظمة
او من الكتاب اي انزلناه اليك محقين في ذلك او انزلناه ملتبسا بالحق والصواب اي كل ما فيه حق لا ريب فيه موجب
للعمل به حتما والفاء في قوله تعالى لترتيب الامر بالعبادة على انزال الكتاب اليه صلى الله عليه وسلم بالحق اي فاعبد
تعالى مخلصا له الدين من شوائب الشرك والرياء حسبما بين في تضاعيف ما انزل اليك وقرئ برفع الدين
على انه مبتدأ خبره الظرف المقدم عليه لتأكيد الاختصاص المستفاد من اللام والجملة استئناف وقع تعليلا
للامر باخلاص العبادة قوله تعالى **الا لله الدين الخالص** استئناف مقرر لما قبله من الامر باخلاص الدين له تعالى ووجوب
الامتثال به وعلى القراءة الاخيرة مؤكد لاختصاص الدين به تعالى اي الا هو الذي يجب ان يخص باخلاص الطاعة لانه
المتفرد بصفات الالوهية التي من جملتها الاطلاع على السرائر والضمائر قوله تعالى **والذين اتخذوا من دونه اولياء**
الى آخره تحقيق لحقية ما ذكر من اخلاص الدين الذي هو عبارة عن التوحيد ببيان بطلان الشرك الذي هو عبارة
عن ترك اخلاصه والموصول عبارة عن المشركين ومحل الرفع على الابتداء خبره ما سيأتي من الجملة المصدرة بان والمراد بالاولياء
من الملائكة وعيسى عليهم السلام والاصنام وقوله تعالى **ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى** حال بتقدير القول من واو
اتخذوا مبينة لكيفية اشراكهم وعدم خلوص دينهم والاستثناء مفرغ من اعم العلل وزلفى مصدر مؤكد على غير لفظ
المصدر ملاق له في المعنى اي والذين لم يخلصوا العبادة لله تعالى بل شابوها بعبادة غيره قائلين ما نعبدهم
لشيء من الاشياء الا ليقربونا الى الله تعالى تقريبا **ان الله يحكم بينهم** اي وبين خصمائهم الذين هم المخلصون
للدين وقد حذف لدلالة الحال عليه كما في قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله على احد الوجهين اي بين احد
منهم وبين غيره وعليه قول النابغة • فما كان بين الخير لو جاء سالما • ابو حجر الا ليال قلائل • اي بين الخير وبيني
وقيل ضمير بينهم للفريقين جميعا **فيما هم فيه يختلفون** من الدين الذي اختلفوا فيه بالتوحيد والاشراك

فاعبد الله مخلصا له الدين صح

وادعى كل فريق صحة ما انتحله وحكمه تعالى في ذلك بادخال المؤمنين الجنة وادخال المشركين النار فالضمير للفريقين
هذا هو الذي يستدعيه مساق النظم الكريم واما تجويز ان يكون الموصول عبارة عن المعبودين على حذف العائد
اليه على اضمار المشركين من غير ذكر تعويلا على دلالة المساق عليهم ويكون التقدير والذين اتخذهم المشركون اولياء
قائلين ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله تعالى ان الله يحكم بينهم اي بين العبدة والمعبودين فيما هم فيه يختلفون
حيث يرجوا العبدة شفاعتهم وهم يلعنونهم فبمعزل عما فيه من التعسفات بمعزل من السداد كيف لا وليس
فيما ذكر من طلب الشفاعة واللعن مادة يختلف فيها الفريقان اختلافا محوجا الى الحكم والفصل وانما ذاك
ما بين فريقي المشركين والموحدين في الدنيا من الاختلاف في الدين الباقي الى يوم القيمة وقرئ قالوا ما نعبدهم
فهو بدل من الصلة لا خبر من الموصول كما قيل اذ ليس في الاخبار بذلك مزيد مزية وقرئ ما نعبدكم الا لتقربونا
حكاية لما خاطبوا به الهتهم وقرئ نعبدهم اتباعا للباء ان الله لا يهدي اي لا يوفق للاهتداء الى الحق الذي
هو طريق النجاة عن المكروه والفوز بالمطلوب من هو كاذب كفار اي راسخ في الكذب مبالغ في الكفر كما يعرب
عنه قراءة كذاب وكذوب فانهما فاقدين للبصيرة غير قابلين للاهتداء لتغييرهما الفطرة الاصلية بالتمرن
في الضلالة والتمادي في الغي والجملة تعليل لما ذكر من حكمه تعالى لو اراد الله ان يتخذ ولدا الى آخره استيناف مسوق
لتحقيق الحق وابطال القول بان الملائكة بنات الله تعالى وعيسى ابنه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ببيان استحالة
الاتخاذ الولد في حقه تعالى على الاطلاق ليندرج فيه استحالة ما قيل اندراجا اوليا اي لو اراد الله تعالى
ان يتخذ ولدا لاصطفى اي لاتخذ مما يخلق اي من جملة ما يخلقه او من جنس ما يخلقه ما يشاء اذ لا
موجود سواه الا وهو مخلوق له تعالى لامتناع تعدد الواجب ووجوب استناد جميع ما عداه اليه ومن
البين ان اتخاذ الولد منوط بالمماثلة بين المتخذ والمتخذ فان المخلوق لا يماثل خالقه حتى يمكن اتخاذه ولدا فما فرضنا
اتخاذه ولدا لم يكن اتخاذ ولد بل اصطفاء عبد واليه اشير حيث وضع الاصطفاء موضع الاتخاذ الذي يقتضيه
الشرطية تنبيها على استحالة مقدمها لاستلزام فرض وقوعه بل فرض ارادة وقوعه انتفاءه اي لو اراد
الله تعالى ان يتخذ ولدا لفعل شيئا ليس هو من اتخاذ الولد في شيء اصلا بل انما هو اصطفاء عبد ولا ريب في
ان ما يستلزم فرض وقوعه بل فرض ارادة وقوعه انتفاؤه اي لو اراد الله تعالى ان يتخذ ولدا فهو ممتنع قطعا
فكانه قيل لو اراد الله تعالى ان يتخذ ولدا لامتنع ولم يصح لكن لا على ان الامتناع منوط بتحقق الارادة بل على
انه يتحقق عند عدمها بطريق الاولوية على منوال لو لم يخف الله لم يعصه قوله تعالى سبحانه تقرير لما ذكر
من استحالة اتخاذ الولد في حقه تعالى وتاكيد له ببيان تنزهه تعالى عنه اي تنزه بالذات عن ذلك تنزهه
الخاص به على ان السبحان مصدر من سبح اذا بعد وسبحه تسبيحا لا ايقا به على انه علم للتسبيح مقول على
السنة العباد او سبحوه تسبيحا حقيقا بشانه هو الله الواحد القهار استيناف مبين لتنزهه تعالى بحسب الصفات
اثر بيان تنزهه تعالى عنه بحيث الذات فان صفة الالوهية المستتبعة لسائر صفات الكمال المنافية
لسمات النقصان والوحدة الذاتية الموجبة لامتناع المماثلة والمشاركة بينه وبين غيره على الاطلاق مما يقضي
بتنزهه تعالى عما قالوه قضاء متقنا وكذا وصف القهارية لما ان اتخاذ الولد شان من يكون تحت ملكوت الغير
عرضة للفناء ليقوم ولده مقامه عند فنائه وهو مستحيل الفناء قهار لكل الكائنات كيف يتصور ان يتخذ من
الاشياء الفانية ما يقوم مقامه قوله تعالى خلق السموات والارض بالحق تفصيل لبعض افعاله تعالى الدالة على
تفرده تعالى بما ذكر من الصفات الجليلة اي خلقهما وما بينهما من الموجودات ملتبسة بالحق والصواب مشتملة
على الحكم والمصالح قوله تعالى يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل بيان لكيفية تصرفه تعالى فيهما
بعد بيان خلقهما فان حدوث الليل والنهار في الارض منوط بتحريك السموات اي يغشي كل واحد منهما الآخر
كانه يلفه عليه لف اللباس على اللابس او يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة او يجعله كارا عليه كرورا متتابعا

تتابع

تتابع اكوار العمامة وصيغة المضارع للدلالة على التجدد وسخر الشمس والقمر جعلهما منقادين لامره تعالى قوله
تعالى كل يجري لاجل مسمى بيان لكيفية تسخيرهما اي كل منهما يجري لمنتهى دورته او منقطع حركته وقد مر
تفصيله غير مرة الا هو العزيز الغالب القادر على كل شيء من الاشياء التي من جملتها عقاب العصاة الغفار
المبالغ في المغفرة ولذلك لا يعاجل بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنايع البديعة من آثار الرحمة
وتصدير الجملة بحرف التنبيه لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها خلقكم من نفس واحدة بيان لبعض آخر من افعاله
الدالة على ما ذكر وترك عطفه على خلق السموات للايذان باستقلاله في الدلالة ولتعلقه بالعالم السفلي
والبداية بخلق الانسان لعراقته في الدلالة لما فيه من تعاجيب القدرة واسرار الحكمة واصالته في المعرفة
فان الانسان بحال نفسه اعرف والمراد بالنفس نفس آدم عليه السلام قوله تعالى ثم جعل منها زوجها
اي على معنى واحدة اي من نفس وحدت ثم جعل منها زوجها فشفعها او على خلقكم لتفاوت ما بينهما في الدلالة
فانهما وان كانتا آيتين دالتين على ما ذكر لكن الاولى لاستمرارها صارت معتادة واما الثانية فحيث
لم تكن معتادة خارجة عن قياس الاولى كما يشعر التعبير عنها بالجعل دون الخلق كانت ادخل في كونها آية
فهو من التراخي في الحال والمنزلة وقيل اخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق منه حواء ففيه ثلاث
آيات مترتبة خلق آدم عليه السلام بلا اب وام وخلق حواء من قصيراه ثم تشعيب الخلائق الفائتة للحصر
منهما قوله تعالى وانزل لكم بيان لبعض آخر من افعاله الدالة على ما ذكر اي قضى او قسم لكم فان قضاياه وقسمه
توصف بالنزول من السماء حيث يكتب في اللوح المحفوظ او احدث لكم باسباب نازلة من السماء كالامطار واشعة
الكواكب من الانعام ثمانية ازواج ذكرا وانثى هي الابل والبقر والضان والمعز وقيل خلقها في الجنة
ثم انزلها وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق الى ما اخر فان
كون الانزال لمنافعهم وكونه من الجهة العالية من الامور المهمة الى ما انزل لا محالة وقوله تعالى يخلقكم في
بطون امهاتكم استيناف مسوق لبيان كيفية خلقهم واطوارهم المختلفة الدالة على القدرة الباهرة وصيغة
المضارع للدلالة على التدريج والتجدد وقوله تعالى خلقا من بعد خلق مصدر مؤكد اي يخلقكم فيها خلقا كائنا
من بعد خلق اي خلقا مدرجا حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغة مخلقة
من بعد مضغة غير مخلقة من بعد علقة من بعد نطفة في ظلمات ثلاث متعلق بيخلقكم فيها لخلقا كائنا وهي
ظلمة الرحم وظلمة البطن وظلمة المشيمة او ظلمة الصلب والبطن والرحم ذلكم اشارة اليه تعالى باعتبار
افعاله المذكورة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته تعالى في العظمة والكبرياء ومحله الرفع على الابتداء
اي ذلكم العظيم الشان الذي عددت افعاله الله وقوله تعالى ربكم خبر آخر اي مربيكم فيما ذكر من الاطوار وفيما
بعدها ومالككم المستحق لتخصيص العبادة به له الملك على الاطلاق في الدنيا والآخرة ليس لغيره شركة في
ذلك بوجه من الوجوه والجملة خبر آخر وكذا قوله تعالى لا اله الا هو والفاء في قوله تعالى فانى تصرفون
لترتيب ما بعدها على ما ذكر من شؤونه تعالى اي فكيف تصرفون عن عبادته مع وفور موجباتها ودواعيها وانتفاء
الصارف عنها بالكلية الى عبادة غيره من غير داع اليها مع كثرة الصوارف عنها ان تكفروا به تعالى بعد مشاهدة
ما ذكر من فنون نعمائه ومعرفة شؤونه العظيمة الموجبة للايمان والشكر فان الله غني عنكم اي فاعلموا انه
تعالى غني عن ايمانكم وشكركم غير متأثر من انتفائهما ولا يرضى لعباده الكفر اي عدم رضاه بكفر عباده لاجل
منفعتهم ودفع مضرتهم رحمة عليهم لا لتضرره تعالى وان تشكروا يرضه لكم اي يرضى الشكر لاجلكم ومنفعتكم
لانه سبب لفوزكم بسعادة الدارين لا لانتفاعه تعالى به وانما قيل لعباده لا لكم لتعميم الحكم وتعليله
بكونهم عباده تعالى وقرئ باسكان الهاء ولا تزر وازرة وزر اخرى بيان لعدم سراية كفر الكافر الى غيره اصلا
اي لا تحمل نفس حاملة للوزر حمل نفس اخرى ثم الى ربكم مرجعكم بالبعث بعد الموت فينبئكم عند ذلك

بما كنتم تعملون اي كنتم تعملونه في الدنيا من اعمال الكفرة والايمان اي يجازيكم بذلك ثوابا وعقابا
انه عليم بذات الصدور اي بمضمرات القلوب فكيف بالايمان الظاهرة وهو تعليل للتنبيه واذا مس الانسان
ضر من مرض وغيره دعا ربه منيبا اليه اي راجعا اليه مما كان يدعو في حالة الرخا لعلمه انه بمعزل
من القدرة على كشف ضره وهذا وصف للجنس بحال بعض افراده لقوله تعالى ان الانسان لظلوم كفار
ثم اذا خوله نعمة منه اي اعطاه نعمة عظيمة من جنابه تعالى من التخول وهو التعهد اي جعله خايل مال
من قولهم فلان خايل مال اذا كان متعهدا له حسن القيام به او من الخول وهو الافتخار اي جعله يخول اي
يختال ويفتخر نسي ما كان يدعو اليه اي نسي الضر الذي كان يدعو اليه فيما سبق الى كشفه من قبل اي من قبل
التخويل او نسي الله الذي كان يدعو ويتضرع اليه اما بناء على ان ما بمعنى من كما في قوله تعالى وما خلق الذكر
والانثى وقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد واما ايذانا بان نسيانه بلغ الى حيث لا يعرف مدعوه ما هو
فضلا عن ان يعرف من هو كما مر في قوله تعالى عما ارضعت وجعل لله اندادا شركاء في العبادة ليضل الناس بذلك
عن سبيله الذي هو التوحيد وقرئ ليضل بفتح اليا اي ليزداد ضلالا او يثبت عليه والا فاصل الضلال
غير متاخر عن الجعل المذكور واللام لام العاقبة كما في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا خلا
ان هذا اقرب الى الحقيقة لان الجاعل ههنا قاصد بجعله المذكور حقيقة الاضلال والضلال وان لم يعرف
بجهله انهما اضلال وضلال واما آل فرعون فهم غير قاصدين بالتقاطهم العداوة اصلا قل تهديدا لذلك الضال المضل
وبيانا لحاله وماله تمتع بكفرك اي تمتعا قليلا او زمانا قليلا انك من اصحاب النار اي من ملازميها والمعذبين
فيها على الدوام وهو تعليل لقلة التمتع وفيه من الاقناط من النجاة ما لا يخفى كانه قيل اذا ابيت قبول ما امرت به
من الايمان والطاعة فمن حقك ان تومر بتركه لتذوق عقوبته امن هو قانت آناء الليل الخ من تمام الكلام المامور
به وام اما متصلة قد حذف معادلها ثقة بدلالة مساق الكلام عليه كانه قيل له تاكيدا للتهديد وتهكما به انت
احسن حالا ومالا امن هو قايم بمواجب الطاعات ودايم على اداء وظايف العبادات في ساعات الليل حالتي السراء
والضراء لا عند مساس الضر فقط كدابك حال كونه ساجدا وقايما اي جامعا بين الوصفين المحمودين وتقديم السجود
على القيام لكونه ادخل في معنى العبادة وقرئ كلاهما بالرفع على انه خبر بعد خبر يحذر الاخرة حال اخرى على
الترادف او التداخل او استيناف وقع جوابا كانه نشا من حكاية حاله من السجود والقنوت والقيام كانه قيل
ما باله يفعل ذلك فقيل يحذر عذاب الاخرة ويرجو رحمة ربه فينجو بذلك مما يحذره ويفوز بما يرجوه كما ينبئ
عنه التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضمير الراجي لانه يحذر ضرر الدنيا
ويرجو خيرها فقط واما منقطعة وما فيها من الاضراب للانتقال من التهديد الى التبكيت بتكليف الجواب
الملجي الى الاعتراف بما بينهما من التباين البين كانه قيل بل امن هو قانت الى آخره افضل امن هو كافر مثلك
كما هو المعنى على قراءة التخفيف قل بيانا للحق وتنبيها على شرف العلم والعمل هل يستوي الذين يعلمون حقايق
الاحوال فيعملوا بموجب علمهم كالقانت المذكور والذين لا يعلمون اي ما ذكر او شيئا فيعملون بمقتضى جهلهم و
ضلالهم كدابك والاستفهام للتنبيه على ان كون الاولين في اعلا معارج الخير وكون الاخرين في اقصى مراتب
الشر من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على احد من منصف ومكابر وقيل هو وارد على سبيل التشبيه اي كما لا يستوي
العالمون والجاهلون لا يستوي القانتون والعاصون قوله تعالى انما يتذكر اولوا الالباب كلام مستقل
غير داخل في الكلام الى المامور به وارد من جهته تعالى بعد الامر بما ذكر من القوارع الزاجرة عن الكفر والمعاصي
لبيان عدم تاثيرها في القلوب قلوب الكفرة لاختلال عقولهم كما في قول من قال • عوجوا فحيوا لنعمى دمنة
الدار • ماذا تحيون من نوي واحجار • اي انما يتعظ بهذه الآيات الواضحة اصحاب العقول الخالصة
عن شوايب الخلل وهولاء بمعزل من ذلك وقرئ انما يذكر بالادغام قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم

امر رسول ام

امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتذكير المومنين وحملهم على التقوى والطاعة اثر تخصيص التذكر باولي الالباب
ايذانا بانهم هم كما يصرح به اي قل لهم قولي هذا بعينه وفيه تشريف لهم باضافته الى ضمير الجلالة ومزيد الاعتناء
بشان المامور به فان نقل عين امر الله تعالى ادخل في ايجاب الامتثال به قوله تعالى للذين احسنوا تعليل للامر او
لوجوب الامتثال به وايراد الاحسان في حيز الصلة دون التقوى للايذان بانه من باب الاحسان وانهما
متلازمان وكذا الصبر كما مر في قوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وفي قوله تعالى انه من يتق
ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقوله تعالى في هذه الدنيا متعلق باحسنوا اي اعملوا الاعمال الحسنة
في هذه الدنيا على وجه الاخلاص وهو الذي عبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الاحسان
بقوله صلى الله عليه وسلم ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك حسنة اي حسنة عظيمة لا يكتنه
كنهها وهي الجنة وقيل هو متعلق بحسنة على انه بيان لمكانها او حال من ضميرها في الظرف والمراد بها
جسد الصحة والعافية وارض الله واسعة فمن تعسر عليه التوفر على التقوى والاحسان في وطنه
فليهاجر الى حيث يتمكن فيه من ذلك كما هو سنة الانبياء والصالحين فانه لا عذر له في التفريط اصلا قوله
تعالى انما يوفى الصابرون الى آخره ترغيب في التقوى المامور به وايثار الصابرين على المتقين للايذان بانهم
حايزون لفضيلة الصبر كحيازتهم لفضيلة الاحسان لما اشير اليه من استلزام التقوى لهما مع ما فيه
من زيادة حث على المصابرة والمجاهدة في تحمل مشاق المهاجرة ومتاعبها اي انما يوفى الذين صبروا على دينهم
وحافظوا على حدوده ولم يفرطوا في مراعاة حقوقه لما اعتراهم في ذلك من فنون الالام والبلايا التي من
جملتها مهاجرة الاهل ومفارقة الاوطان اجرهم بمقابلة ما كابدوا من الصبر بغير حساب بحيث لا يحصى
ولا يحصر عن ابن عباس رضي الله عنهما لا يهتدي اليه حساب الحساب ولا يعرف وفي الحديث انه تنصب
الموازين يوم القيمة لاهل الصلوة والصدقة والحج فيوفون بها اجورهم ولا ينصب لاهل البلا بل يصب عليهم
الاجر صبا حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلا من الفضل
قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين اي من كل ما ينافيه من الشرك والريا وغير ذلك امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ببيان ما امر به نفسه من الاخلاص في عبادة الله تعالى الذي هو عبارة عما امر به المومنون
من التقوى مبالغة في حثهم على الاتيان بما كلفوه وتمهيدا لما يعقبه مما خوطب به المشركون وامرت لان اكون
اول المسلمين اي وامرت بذلك لاجل ان اكون مقدمهم في الدنيا والاخرة لان احراز قصب السبق في الدين
بالاخلاص فيه والعطف لمغايرة الثاني الاول بتقييده في العلة والاشعار بان العبادة المذكورة كما تقتضي
الامر بها لذاتها تقتضيه لما يلزمها من السبق في الدين ويجوز ان يجعل اللام مزيدة كما في اردت لان اقوم بدليل
قوله تعالى وامرت ان اكون اول من اسلم فالمعنى وامرت ان اكون اول من اسلم من اهل زماني او قومي او اكون
اول من دعي اليه غيره كما دعي اليه نفسه قل اني اخاف ان عصيت ربي بترك الاخلاص والميل الى ما انتم عليه من
الشرك عذاب يوم عظيم هو يوم القيمة وصف بالعظمة لعظمة ما فيه من الدواهي والاهوال قل الله اعبد لا غيره
لا استقلالا ولا اشتراكا مخلصا له ديني من كل شوب امر صلى الله عليه وسلم اولا ببيان كونه مامورا بعبادة الله
تعالى واخلاص الدين له ثم بالاخبار بخوفه من العذاب على تقدير العصيان ثم بالاخبار بامتثاله بالامر على ابلغ
وجه واكده اظهارا للتصلب في الدين وحسما لاطماعهم الفارغة وتمهيدا لتهديدهم بقوله تعالى فاعبدوا ما شئتم
ان تعبدوه من دونه تعالى وفيه من الدلالة على شدة الغضب عليهم ما لا يخفى كانهم لما لم ينتهوا عما نهوا عنه امروا
به كي يحل بهم العقاب قل ان الخاسرين اي الكاملين في الخسران الذي هو عبارة عن اضاعة ما يهمه واتلاف
ما لا بد منه الذين خسروا انفسهم واهليهم باختيارهم الكفر لهما اي اضاعوهما واتلفوهما يوم القيمة حين يدخلون
النار حيث عرضوهما للعذاب السرمدي واوقعوهما في هلكة لا هلكة وراها وقيل خسروهم لانهم ان كانوا من

اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا اياب بعده وفيه ان
المحذور ذهاب ما لو آب لانتفع به الخاسر وذلك غير متصور في الشق الاخير وقيل خسروهم لانهم لم يدخلوا مدخل
الذين لهم اهل في الجنة وخسروا اهليهم الذين كانوا يتمتعون بهم لو آمنوا ايا ما كان فليس المراد مجرد تعريف الكاملين
في الخسران بما ذكر بل بيان انهم هم اما بجعل الموصول عبارة عنهم او عن ما هم مندرجون فيه اندراجا اوليا وما
في قوله تعالى الا ذلك هو الخسران المبين استيناف الجملة وتصديرها بحرف التنبيه والاشارة بذلك الى بعد
منزلة المشار اليه في الشر وتوسيط ضمير الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالبين من الدلالة على كمال هوله
وفظاعته وانه لا خسران وراءه مما لا يخفى قوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار نوع بيان لخسرانهم
بعد تهويله بطريق الابهام على ان لهم خبر لظلل ومن فوقهم متعلق بمحذوف وقيل هو حال من ظلل والاظهر
انه حال من الضمير في الظرف المقدم ومن النار صفة لظلل اي لهم كائنة من فوقهم ظلل كثيرة متراكمة بعضها
فوق بعض كائنة من النار ومن تحتهم ايضا ظلل اي اطباق كثيرة بعضها تحت بعض ظلل لآخرين بل لهم
ايضا عند ترديهم في دركاتها ذلك العذاب الفظيع الذي يخوف الله به عباده ويحذرهم اياه بآيات الوعيد
ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عبادي فاتقون ولا تتعرضوا الى ما يوجب سخطي وهذه موعظة من الله تعالى
بالغة منطوية على غاية اللطف والرحمة وقرئ يا عبادي والذين اجتنبوا الطاغوت اي البالغ اقصى غاية الطغيان
فعلوت منه بتقديم اللام على العين بني للمبالغة في المصدر كالرحموت والعظموت ثم وصف به للمبالغة في
النعت والمراد هو الشيطان ان يعبدوها بدل من الاشتمال منه فان عبادة غير الله تعالى عبادة للشيطان
اذ هو الامر بها والمزين لها وانابوا الى الله واقبلوا اليه معرضين عما سواه اقبالا كليا لهم البشرى بالثواب
على السنة الرسل او الملئكة عند حضور الموت وحين يحشرون بعد ذلك فبشر عبادي الذين يستمعون
القول فيتبعون احسنه هم الموصوفون بالاجتناب والانابة باعيانهم كمن وضع موضع ضميرهم الظاهر تشريفا
لهم بالاضافة ودلالة على ان مدار اتصافهم بالوصفين الجليلين كونهم نقادا في الدين يميزون الحق من
الباطل ويؤثرون الافضل فالافضل اولئك اشارة باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الجليلة وما فيه من
معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل ومحله الرفع على الابتداء وخبره ما بعده من الموصول
اي اولئك المنعوتون بالمحاسن الجميلة الذين هديهم الله للدين الحق واولئك هم اولوا الالباب اي هم اصحاب
العقول السليمة عن معارضة الوهم ومنازعة الهوى المستحقون للهداية لا غيرهم وفيه دلالة على ان الهداية
تحصل بفعل الله تعالى وقبول النفس لها افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار بيان لاضداد احوال المذكورين
على طريقة الاجمال وتسجيل عليهم بحرمان الهداية وهم عبدة الطاغوت ومتبعو خطواتها كما يلوح به البعد عنهم
ممن حق عليهم كلمة العذاب فان المراد بها قوله تعالى لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وقوله تعالى
لمن تبعك منهم لاملان جهنم منكم اجمعين واصل الكلام ام من حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذه على انها شرطية
دخل عليها الهمزة لانكار مضمونها ثم الفاء لعطفها على جملة مستتبعة مقدرة بعد الهمزة ليتعلق الانكار والنفي
بمضمونيهما معا اي انت مالك امر الناس فمن حق عليه كلمة العذاب فانت تنقذه ثم كررت الهمزة في الجزاء
لتاكيد الانكار وتذكيره لما طال الكلام ثم وضع موضع الضمير من في النار لمزيد تشديد الانكار والاستبعاد والتنبيه
على ان المحكوم عليه بالعذاب بمنزلة الواقع في النار وان اجتهاده صلى الله عليه وسلم في دعائهم الى الايمان
سعي في انقاذهم من النار ويجوز ان يكون الجزاء محذوفا وقوله تعالى افانت الى آخره جملة مستانفة مسوقة
لتقرير مضمون الجملة السابقة وتعيين ما حذف منها وتشديد الانكار بتنزيل من استحق العذاب منزلة من
دخل النار وتصوير الاجتهاد في دعائه الى الايمان بصورة الانقاذ من النار كانه قيل اولا افمن حق عليه
العذاب افانت تخلصه منه ثم شدد النكير فقيل افانت تنقذ من في النار وقيل تلويح بانه تعالى هو الذي يقدر

علي الانقاذ لا غيره وحيث كان المراد بمن في النار الذين قيل في حقهم لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم
ظلل استدرك عنهم بقوله تعالى لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف وهم الذين خوطبوا بقوله تعالى يا عبا
دي فاتقون وصفوا بما عدد من الصفات الفاضلة وهم المخاطبون ايضا فيما سبق بقوله تعالى يا عبادي
الذين امنوا اتقوا ربكم الاية وبين ان لهم درجات عالية في جنات النعيم بمقابلة ما للكفرة من دركات سافلة
في الجحيم اي لهم علالي بعضها فوق بعض مبنية بناء المنازل المبنية المؤسسة على الارض في الرصانة والاحكام
تجري من تحتها الانهار من تحت تلك الغرف الانهار من غير تفاوت بين العلو والسفل وعد الله مصدر مؤكد
لقوله تعالى لهم غرف الى آخره فانه وعد اي وعد لا يخلف الله الميعاد لاستحالته عليه سبحانه الم تر ان الله
انزل من السماء ماء استيناف وارد اما لتمثيل الحيوة الدنيا في سرعة الزوال وقوة الاضمحلال بما ذكر من احوال
الزرع وترغيبا عن زخارفها وزينتها وتحذيرا من الاغترار بزهرتها كما في نظائر قوله تعالى انما مثل الحيوة الدنيا
الاية او للاستشهاد على تحقق الموعود من الانهار الجارية من تحت الغرف بما يشاهد من انزال الماء وما يترتب عليه
من آثار قدرته تعالى واحكام حكمته ورحمته والمراد بالماء المطر وقيل كل ماء في الارض فهو من السماء ينزل
منها الى الصخرة ثم يقسمه الله تعالى بين البقاع فسلكه فادخله ونظمه ينابيع في الارض اي عيونا ومجاري
كالعروق في الاجساد وقيل مياها نابعة فيها فان الينبوع يطلق على المنبع والنابع فنصبها على الحال
وعلى الاول بنزع الجار اي في ينابيع ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه اصنافه من بر وشعير وغيرهما او كيفياته
من الالوان والطعوم وغيرهما وكلمة ثم للتراخي في الرتبة او الزمان وصيغة المضارع لاستحضار
الصورة ثم يهيج اي يتم جفافه ويشرف على ان يثور من منابته فتريه مصفرا من بعد خضرته ونضرته
وقرئ مصفارا ثم يجعله حطاما فتاتا متكسرة كان لم تغن بالامس وتكون هذه الحالة من الآثار القوية
علقت بجعل الله تعالى كالاخراج ان في ذلك ارشادا الى ما ذكر تفصيلا وما فيه من معنى البعد للايذان
ببعد منزلته في الغرابة والدلالة على ما قصد بيانه لذكرى لتذكيرا عظيما لاولي الالباب لاصحاب العقول
الخالصة عن شوائب الخلل وتنبيها لهم عن حقيقة الحال يتذكرون بذلك ان حال الحيوة الدنيا في سرعة التقضي
والانصرام كما يشاهدونه من حال الحطام كل عام فلا يغترون ببهجتها ولا يفتتنون بفتنتها او يحكمون
بان من قدر على انزال الماء من السماء واجرائه في ينابيع الارض قادر على اجراء الانهار من تحت الغرف هذا واما
ما قيل ان في ذلك لتذكيرا وتنبيها على انه لا بد من صانع حكيم وانه كائن عن تقدير وتدبير لا عن تعطيل
واهمال فبمعزل من تفسير الاية الكريمة وانما يليق ذلك بمن ما لو ذكر ما ذكر من الآثار الجليلة والافعال
الجميلة من غير اسناد لها الى مؤثر وحيث ذكرت مسندة الى الله عز وجل تعين ان يكون متعلق التذكير
والتنبيه بشؤنه تعالى وشؤن آثاره حسبما بين لا وجوده تعالى قوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام الى آخره
استيناف جار مجرى التعليل لما قبله من تخصيص الذكرى باولي الالباب وشرح الصدر للاسلام عبارة
عن تكميل الاستعداد له فانه محل للقلب الذي هو منبع للروح التي متعلق النفس القابلة للاسلام فانشراحه
مستدع لاتساع القلب واستضاءته بنور الرب فانه روي انه صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل النور القلب
انشرح وانفسح قيل فما علامة ذلك فقال صلى الله عليه وسلم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور
والتاهب للموت قبل نزوله والكلام في الهمزة والفاء كالذي مر في قوله عز وجل افمن حق عليه كلمة العذاب
وخبر من محذوف لدلالة ما بعده عليه والتقدير اكل الناس سواء افمن شرح الله صدره اي خلقه متسع
الصدر مستعدا للاسلام فبقي على الفطرة الاصلية ولم يتغير بالعوارض المكتسبة القادحة فيها فهو
بموجب ذلك مستقر على نور عظيم من ربه وهو اللطف الالهي الفائض عليه عند مشاهدة الآيات
التكوينية والتنزيلية والتوفيق للاهتداء بها الى الحق كمن قسى قلبه وحرج صدره بسبب

تبديل فطرة الله بسوء اختياره واستولى عليه ظلمات الغي والضلالة فاعرض عن تلك الآيات بالكلية حتى لا يتذكر بها ولا يغتنمها **فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله** اي من اجل ذكره الذي حقه ان ينشرح له الصدور وتطمئن به القلوب اي اذا ذكر الله تعالى عندهم وآياته اشمأزوا من اجله وازدادت قلوبهم قساوة لقوله تعالى فزادتهم رجسا وقرئ عن ذكر الله اي عن قبوله **اولئك** البعداء الموصوفون بما ذكر من قساوة القلوب **في ضلال** عن الحق **مبين** ظاهر كونه ضلالا لكل احد قيل نزلت الآية في حمزة وعلي رضي الله تعالى عنهما وابي لهب وولده وقيل في عمار بن ياسر رضي الله عنه وفي ابي جهل وذويه **الله نزل احسن الحديث** هو القرآن الكريم روي ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملالة فقالوا له صلى الله عليه وسلم حدثنا حديثا وعن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما قالوا لو حدثتنا فنزلت والمعنى ان فيه مندوحة عن سائر الاحاديث وفي ايقاع الاسم الجليل مبتدأ وبناء نزل عليه من تفخيم احسن الحديث ورفع محله والاستشهاد على حسنه وتأكيد اسناده اليه تعالى وانه من عنده لا يمكن صدوره عن غيره والتنبيه على انه وحي لا يخفى **كتابا** بدل من احسن الحديث او حال منه سواء اكتسب من المضاف اليه تعريفا اولا فانه مساغ مجيء الحال من النكرة المضافة آنفا في وقوعه حالا مع كونه اسما لا صفة اما لاتصافه بقوله تعالى **متشابها** او لكونه في قوة مكتوبا ومعنى كونه متشابها تشابه معانيه في الصحة والاحكام والابتناء على الحق والصدق واستتباع منافع الخلق في المعاد والمعاش وتناسب الفاظه في الفصاحة وتجاوب نظمه في الاعجاز **مثاني** صفة اخرى لكتابا او حال اخرى منه وهو جمع مثنى ورد ومكرر لما ثني في قصصه وانبائه واحكامه واوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه وقيل لانه مثنى في التلاوة وقيل هو جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير والاعادة بما في قوله تعالى فارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة ووقوعه صفة لكتابا باعتبار تفاصيله كما يقال القرآن سور وآيات ويجوز ان ينتصب على التمييز من متشابها كما يقال رجلا حسنا شمائل والمعنى متشابهة مثانيه **تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم** قيل صفة لكتابا او حال منه لتخصصه بالصفة والاظهر انه استئناف مسوق لبيان آثاره الظاهرة في سامعيه بعد بيان اوصافه في نفسه ولتقرير كونه احسن الحديث والاقشعرار التقبض يقال اقشعر الجلد اذا انقبض تقبضا شديدا وتركيبه من القشع وهو الاديم اليابس قد ضم اليه الراء ليكون رباعيا والاعلى معنى زائد يقال اقشعر جلده وقف شعره اذا عرض له خوف شديد من منكر هائل دهمه بغتة والمراد اما بيان افراط خشيتهم بطريق التمثيل والتصوير او بيان حصول تلك الحالة وعروضها لهم بطريق التحقيق والمعنى انهم اذا سمعوا بالقرآن وقوارع آيات وعيده اصابتهم هيبة وخشية تقشعر منها جلودهم واذا ذكروا رحمة الله تعالى تبدلت خشيتهم رجاء ورهبتهم رغبة وذلك قوله تعالى **ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله** اي ساكنة مطمئنة الى ذكر رحمته تعالى وانما لم يصرح بها ايذانا بانها اول ما يخطر بالبال عند ذكره تعالى **ذلك** اي الكتاب الذي شرح احواله **هدى الله يهدي به من يشاء من عباده** ان يهديه بصرف مقدوره الى الاهتداء بتأمله فيما في تضاعيفه من شواهد الحقية ودلائل كونه من عند الله تعالى **ومن يضلل الله** فيما اي يخلق فيه الضلالة لصرف قدرته الى مباديها واعراضه عما يرشده الى الحق بالكلية وعدم تأثره بوعده ووعيده اصلا او ومن يخذله **فما له من هاد** يخلصه من ورطة الضلال وقيل ذلك الذي ذكر من الخشية والرجاء اثر هداه الله تعالى يهدي بذلك الاثر من يشاء من عباده فما له من هاد من مؤثر فيه بشيء قط **افمن يتقي بوجهه** الى آخره استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من تباين حال المهتدي والضال والكلام في الهمزة والفاء وحذف الخبر كالذي مر في نظيريه والتقدير اكل الناس سواء في شأنه انه يتقي نفسه بوجهه الذي هو اشرف اعضائه **سوء العذاب** اي العذاب السيء الشديد **يوم القيامة** لكون يده التي كان بها يتقي المكاره والمخاوف مغلولة الى عنقه كمن هو آمن لا يعتريه مكروه

ولا يحتاج

ولا يحتاج الى الاتقاء بوجه من الوجوه وقيل نزلت في ابي جهل **وقيل للظالمين** عطف على يتقي اي يقال لهم من جهة خزنة النار وصيغة الماضي للدلالة على التحقق والتقرر وقيل هو حال من ضمير يتقي باضمار قد ووضع المظهر في مقام المضمر للتسجيل عليهم بالظلم والاشعار بعلة الامر كما في قوله تعالى **ذوقوا ما كنتم تكسبون** اي وبال ما كنتم تكسبونه في الدنيا على الدوام من الكفر والمعاصي **كذب الذين من قبلهم** استئناف مسوق لبيان ما اصاب بعض الكفرة من العذاب الدنيوي اثر بيان ما يصيب الكل من العذاب الاخروي اي كذب الذين من قبلهم من الامم السالفة **فاتاهم العذاب** المقدر لكل امة منهم **من حيث لا يشعرون** من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم اتيان الشر منها **فاذاقهم الله الخزي** اي الذل والصغار **في الحياة الدنيا** كالمسخ والخسف والقتل والسبي والاجلاء ونحو ذلك من فنون النكال **ولعذاب الآخرة** المقدر لهم **اكبر** لشدته وسرمديته **لو كانوا يعلمون** اي لو كان من شأنهم ان يعلموا شيئا لعلموا ذلك واعتبروا به **ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل** يحتاج اليه الناظر في امور دينه **لعلهم يتذكرون** لكي يتذكروا به ويتعظوا **قرآنا عربيا** حال مؤكدة من هذا على ان مدار التأكيد هو الوصف كقولك قد جاءني زيد رجلا صالحا او مدح له **غير ذي عوج** لا اختلاف فيه بوجه من الوجوه فهو ابلغ من المستقيم واخص بالمعاني وقيل المراد بالعوج الشك **لعلهم يتقون** علة اخرى مترتبة على الاولى **ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون** ايراد المثل من الامثال القرآنية بعد بيان الحكمة في ضربها هو التذكر والاتعاظ بها وتحصيل التقوى والمراد بضرب المثل ههنا تطبيق حالة عجيبة باخرى مثلها وجعلها مثلها كما مر في سورة يونس ومثلا مفعول ثان لضرب ورجلا مفعوله الاول اخر عن الثاني للتشويق اليه وليتصل به ما هو من تتمته التي هي العمدة في التمثيل وفيه ليس بصلة لشركاء كما قيل بل هو خبر له وبيانه له انه في الاصل كذلك فلا حاجة اليه والجملة في حيز النصب على انه وصف لرجلا او الوصف هو الجار والمجرور وشركاء مرتفع به على الفاعلية لاعتماده على الموصوف فالمعنى جعل الله تعالى مثلا للمشرك حسبما يقود مذهبه من ادعاء كل معبود ية عبوديته عبدا يتشارك فيه جماعة يتجاذبونه ويتعاورونه في مهماتهم المتباينة في تحيره وتوزع قلبه **ورجلا** اي وجعل للموحد مثلا رجلا **سلما** خالصا **لرجل** فرد ليس لغيره عليه سبيل اصلا وقرئ سلما بفتح السين وكسرها مع سكون اللام والكل مصادر من سلم له كذا اي خلص نعت بها مبالغة او حذف منها ذا وقرئ سالما اي وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل لانه اوفطن لما يجري عليه من الضر والنفع **هل يستويان مثلا** انكار واستبعاد لاستوائهما ونفي له على ابلغ وجه وآكده وايذان بان ذلك من الجلاء والظهور بحيث لا يقدر احد ان يتفوه باستوائهما او يتلعثم في الحكم بتباينهما ضرورة ان احدهما في اعلى عليين والآخر في اسفل سافلين وهو السر في ابهام الفاضل والمفضول وانتصاب مثلا على التمييز اي هل يستوي حالاهما او صفتاهما والاقتصار في التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين لقوله تعالى اكثر اموالا واولادا للاشعار باختلاف النوع او لان المراد هل يستويان في الوصفين على ان الضمير للمثلين لان التقدير مثل رجل فيه ومثل رجل الى آخره وقوله تعالى **الحمد لله** تقرير لما قبله من نفي الاستواء بطريق الاعتراض وتنبيه للموحدين على ان ما لهم من المزية بتوفيق الله تعالى وانها نعمة جليلة موجبة عليهم ان يداوموا على حمده وعبادته او على ان بيانه تعالى بضرب المثل ان لهم المثل الاعلى وللمشركين مثل السوء صنع جميل ولطف تام منه عز وجل مستوجب لحمده وعبادته وقوله تعالى **بل اكثرهم لا يعلمون** اضراب وانتقال من بيان عدم الاستواء على الوجه المذكور الى بيان ان اكثر الناس وهم المشركون لا يعلمون ذلك مع ظهوره فيبقون في ورطة الشرك والضلال وقوله تعالى **انك ميت وانهم ميتون** تمهيد لما يعقبه من الاختصام يوم القيامة وقرئ مائت ومائتون وقيل كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته اي انكم جميعا بصدد الموت **ثم انكم يوم القيامة عند ربكم** الى مالك اموركم **تختصمون** فتحتج انت عليهم

تهم

بانك بلغتهم ما ارسلت به من الاحكام والمواعظ التي من جملتها ما في تضاعيف هذه الايات واجتهدت في الدعوة
الى حق الاجتهاد وهم قد لجوا في المكابرة والعناد وقيل المراد به الاختصام العام الجاري في الدنيا بين الانام
والاول هو الاظهر الانسب بقوله تعالى فمن اظلم ممن كذب على الله فانه الى آخره مسوق لبيان حال كل من طرفي الاختصام
الجاري في شان الكفر والايمان لا غير اي الظلم من كل ظالم ممن افترى على الله سبحانه بان اضاف اليه الشريك والولد
وكذب بالصدق اي بالامر الذي هو عين الحق ونفس الصدق وهو ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم اذ جاءه
اي فمن اول مجيئه من غير تأمل فيه ولا تدبر أليس في جهنم مثوى للكافرين اي لهؤلاء الذين افتروا على الله سبحانه
وسارعوا الى التكذيب بالصدق من اول الامر والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضمائر السابقة باعتبار
لفظها او لجنس الكفرة وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا والذي جاء بالصدق وصدق به الموصول عبارة عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومن تبعه كما ان المراد في قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون هو موسى عليه
السلام وقومه وقيل عن الجنس المتناول للرسل والمؤمنين بهم ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه والذين جاؤا
بالصدق وصدقوا به وقيل هو صفة لموصوف محذوف هو الفوج او الفريق اولئك الموصوفون بما ذكر من المجيء
بالصدق والتصديق به هم المتقون المنعوتون بالتقوى التي هي اجل الرغائب وقرئ وصدق بالتخفيف اي صدق
به فاداه اليهم كما نزل عليه من غير تغيير وقيل صار صادقا به اي بسببه لان ما جاء به من القرآن معجزة دالة
على صدقه صلى الله عليه وسلم وقرئ صدق به على البناء للمفعول لهم ما يشاؤن عند ربهم بيان لما لهم في الآخرة من
حسن المآب بعد بيان ما لهم في الدنيا من محاسن الاعمال اي لهم كل ما يشاؤنه من جلب المنافع ودفع المضار
في الآخرة لا في الجنة فقط كما ان بعض ما يشاؤنه من تكفير السيئات والامن من الفزع الاكبر وسائر اهوال القيمة
انما يقع قبل دخول الجنة ذلك الذي ذكر من حصول كل ما يشاؤنه جزاء المحسنين الذين احسنوا اعمالهم وقد مر تفسير
الاحسان غير مرة قوله تعالى ليكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا الى آخره متعلق بقوله تعالى لهم ما يشاؤن لكن باعتبار
منطوقه ضرورة ان التكفير المذكور لا يتصور كونه غاية لثبوت ما يشاؤن في الآخرة كيف لا وهو بعض ما سيثبت لهم
فيها بل باعتبار فحواه فانه حيث لم يكن اخبارا بما ثبت لهم فيما مضى بل بما سيثبت لهم فيما سيأتي كان في معنى الوعد
به كما مر في قوله تعالى وعد الله فانه مصدر مؤكد لما قبله من قوله تعالى لهم غرف من فوقها غرف فانه في معنى
وعدهم الله غرفا فانتصب به وعد الله كانه قيل وعدهم الله جميع ما يشاؤنه من زوال المضار وحصول المسار ليكفر
عنهم بموجب ذلك الوعد اسوأ الذي عملوا دفعا لمضارهم ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون عطفا لمنافعهم
واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لابراز كمال الاعتناء بمضمون الكلام واضافة الاسوأ والاحسن الى ما بعدهما
ليست من قبيل اضافة المفضل الى المفضل عليه بل من اضافة الشيء الى بعضه للقصد الى التحقيق والتوضيح
من غير اعتبار تفضيل عليه وانما المعتبر فيهما مطلق الفضل والزيادة لا على المضاف اليه المعين بخصوصه كما في قولهم
الناقص والاشج اعدلا بني مروان وان خلا ان الزيادة المعتبرة فيهما ليست بطريق الحقيقة بل في الاول بالنظر
الى لطف اكرم الاكرمين من استعظام الحسنة اليسيرة ومقابلتها بالمثوبات الكثيرة وحمل الزيادة على الحقيقة وان
امكن على الاول بناء على ان تخصيص الاسوأ بالذكر لبيان تكفير ما دونه بطريق الاولوية ضرورة استلزام تكفير الاسوأ
لتكفير السيء لكن لما لم يكن ذلك في الاحسن كان الاحسن نظمهما في سلك واحد من الاعتبار والجمع بين صيغتي الماضي
والمستقبل في صلة الموصول الثاني دون الاول للايذان باستمرارهم على الاعمال الصالحة بخلاف السيئة أليس
الله بكاف عبده انكار ونفي لعدم كفايته تعالى على ابلغ وجه واكده كان الكفاية من التحقق والظهور بحيث لا يقدر
احد على ان يتفوه بعدمها او يتلعثم في الجواب بوجودها والمراد بالعبد اما رسول الله صلى الله عليه وسلم او الجنس
المنتظم له صلى الله عليه وسلم انتظاما اوليا ويؤيده قراءة من قرأ عباده على صيغة الجمع اما من الكفاية لافادة
المبالغة فيها واما من المكافاة بمعنى المجازاة وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما قالته له قريش انا

نخاف

نخاف ان تخبلك الهتنا ويصيبك مضرتها لعيبك اياها وفي رواية قالوا لتكفن عن شتم الهتنا او ليصيبك منهم
خبل او جنون كما قال قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء وذلك قوله تعالى ويخوفونك بالذين من دونه
اي الاوثان التي اتخذوها آلهة من دونه تعالى والجملة استيناف وقيل حال ومن يضلل الله حتى غفل عن كفايته تعالى
وعصمته له صلى الله عليه وسلم وخوفه بما لا ينفع ولا يضر اصلا فما له من هاد يهديه الى خير ما ومن يهدي الله فما له من مضل
يصرفه عن مقصده او يصيبه بسوء يخل بسلوكه اذ لا راد لفضله ولا معارض لارادته كما ينطق به قوله تعالى
أليس الله بعزيز غالب لا يغالب منيع لا يمانع ولا ينازع ذي انتقام ينتقم من اعدائه لاوليائه واظهار الاسم
الجليل في موقع الاضمار لتحقيق مضمون الكلام وتربية المهابة ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
لوضوح الدليل وسنوح السبيل قل تبكيتا لهم افرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره
اي بعد ما تحققتم ان خالق العالم العلوي والسفلي هو الله عز وجل فاخبروني ان آلهتكم ان ارادني الله بضر هل
يكشفن عني ذلك الضر او ارادني برحمة اي وان ارادني بنفع هل هن ممسكات رحمته فيمنعنها عني وقرئ كاشفات
ضره وممسكات رحمته بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته وتعليق ارادة الضر والرحمة بنفسه صلى الله عليه وسلم
للرد في نحورهم حيث كانوا خوفوه معرة الاوثان ولما فيه من الايذان بامحاض النصيحة قل حسبي الله اي في
جميع اموري من اصابة الخير ودفع الشر روي انه صلى الله عليه وسلم لما سألهم سكتوا فنزل ذلك عليه يتوكل المتوكلون
لا على غيره اصلا لعلمهم بان كل ما سواه تحت ملكوته تعالى قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على حالتكم التي انتم عليها من العداوة
التي مكنتم فيها فان المكانة تستعار من العين للمعنى كما تستعار هنا وحيث للزمان مع كونهما للمكان وقرئ على مكاناتكم
اني عامل اي على مكانتي فحذف للاختصار والمبالغة في الوعيد والاشعار بان حاله لا يزال يزداد قوة بنصر الله عز
وجل وتأييده ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم في الدارين بقوله تعالى فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه فان خزي
اعدائه دليل غلبته صلى الله عليه وسلم وقد اخزاهم الله تعالى يوم بدر ويحل عليه عذاب مقيم اي دائم هو
عذاب النار انا انزلنا عليك الكتاب للناس اي لاجلهم فانه مناط مصالحهم في المعاش والمعاد بالحق حال من فاعل
انزلنا او من مفعوله فمن اهتدى بان عمل بما فيه فلنفسه اي انما نفع به نفسه ومن ضل بان لم يعمل بموجبه
فانما يضل عليها لما ان وبال ضلاله مقصور عليها وما انت عليهم بوكيل لتجبرهم على الهدى وما وظيفتك الا البلاغ
وقد بلغت اي بلاغ الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها اي يقبضها من الابدان بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها
فيها اما ظاهرا وباطنا كما عند الموت او ظاهرا فقط كما عند النوم فيمسك التي قضى عليها الموت ولا يردها الى البدن
وقرئ قضي على البناء للمفعول ورفع الموت ويرسل الاخرى اي النائمة الى بدنها عند التيقظ الى اجل مسمى هو الوقت
المضروب لموتها وهو غاية لجنس الارسال الواقع بعد الامساك لا لفرد منه فان ذلك مما لا امتداد فيه ولا
كمية وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان في ابن آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس هي التي
بها العقل والتمييز والروح هي التي بها النفس والتحريك فيتوفيان عند الموت ويتوفى النفس وحدها عند
النوم قريب مما ذكر ان في ذلك اي فيما ذكر من التوفي على الوجهين والامساك في احدهما والارسال في الاخرى
لآيات عجيبة دالة على كمال قدرته تعالى وشمول رحمته لقوم يتفكرون في كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها
عنها تارة بالكلية كما عند الموت وامساكها باقية لا تفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة والشقاوة واخرى
عن ظواهرها فقط كما عند النوم وارسالها حينا بعد حين الى انقضاء آجالها ام اتخذوا اي بل اتخذ قريش
من دون الله من دون اذنه تعالى شفعاء تشفع لهم عنده تعالى قل اولو كانوا لا يملكون شيئا من الاشياء ولا يعقلون
عن ان يملكوا الشفاعة عند الله تعالى وهي لانكار الوقوع ونفيه على ان المراد بيان ان ما فعلوا ليس من اتخاذ
الشفعاء في شيء لانه فرع كون الاوثان شفعاء وذلك اظهر المحالات فالمقدر جميعا غير ما قدر اولا وعلى اي تقدير
كان فالواو للعطف على شرطية قد حذفت لدلالة المذكور عليه وقد مر تحقيقه مرارا قل بعد تبكيتهم وتجهيلهم

بما ذكر تحقيقا للحق لله الشفاعة جميعا اي هو مالكها لا يستطيع احد شفاعة ما الا ان يكون المشفوع له
مرتضي والشفيع ماذونا له وكلاهما مفقود هاهنا قوله تعالى له ملك السموات والارض تقرير له وتاكيد اي
له ملكهما وما فيهما من المخلوقات لا يملك احد ان يتكلم في امر من اموره بدون اذنه ورضاه ثم اليه
ترجعون يوم القيمة لا الى احد سواه لا استقلالا ولا اشتراكا فيفعل يومئذ ما يريد واذا ذكر الله وحده
دون الهتهم اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة اي انقبضت ونفرت كما في قوله تعالى واذا ذكرت ربك في
القران وحده ولوا على ادبارهم نفورا واذا ذكر الذين من دونه فرادي او مع ذكر الله تعالى اذا هم يستبشرون
لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله تعالى ولقد بولغ في بيان حالهم القبيحين حيث بين الغاية فيهما فان
الاستبشار هو ان يمتلي القلب سرورا حتى تنبسط له بشرة الوجه والاشمئزاز ان يمتلي غيظا وغما ينقبض
منه اديم الوجه والعامل في اذا الاولى اشمأزت وفي الثانية ما هو العامل في اذا الفجائية تقديره وقت
ذكر الذين من دونه فاجاوا وقت الاستبشار قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اي التجئ اليه
تعالى بالدعا لما تحيرت في امر الدعوة وضجرت من شدة شكيمتهم في المكابرة والعناد فانه القادر على الاشيا
بجملتها والعالم بالاحوال برمتها انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اي حكما يسلمه كل مكابر ومعاند ويخضع
له كل عات مارد وهو العذاب الدنيوي والاخروي قوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا كلام مستانف
مسوق لبيان اثار الحكم الذي استدعاه النبي صلى الله عليه وسلم دعاه شدته وفظاعته اي لو ان لهم جميع
ما في الدنيا من الاموال والذخاير ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة اي لجعلوا كل ذلك فدية لانفسهم
من العذاب الشديد وهيهات ولات حين مناص وهذا كما ترى وعيد شديد واقناط كلي لهم من الخلاص وبدا لهم
من الله ما لم يكونوا يحتسبون اي ظهر لهم من فنون العقوبات ما لم يكن في حسابهم وهذه غاية من الوعيد
لا غاية وراها ونظيره في الوعد قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وبدا لهم سيآت ما كسبوا
سيات اعمالهم او كسبهم حين تعرض عليهم صحايفهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن اي احاط بهم جزاؤه فاذا مس
الانسان ضر دعانا اخبار عن الجنس بما يفعله غالب افراده والفاء لترتيب ما بعدها من المناقضة والتعكيس
على ما مر من حالتيهم القبيحتين وما بينهما موكد للانكار عليهم اي انهم يشمئزون عن ذكر الله تعالى وحده
ويستبشرون بذكر الالهة فاذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا عن ذكره دون من استبشروا بذكره ثم اذا
خولناه نعمة منا اعطيناه اياها تفضلا فان التخويل مختص به لا يطلق على ما اعطي جزاء دون ما
استبشروا بذكره به قال انما اوتيته على علم اي على علم مني بوجوه كسبه او باني ساعطاه لما لي من الاستحقاق
او على علم من الله تعالى باستحقاقي والهاء لما ان جعلت موصولة والا فللنعمة والتذكير لما ان المراد شيء
من النعمة بل هي فتنة اي محنة وابتلاء له ايشكر ام يكفر وهو رد لما قاله وتغيير السبك للمبالغة فيه
والايذان بان ذلك ليس من باب الايتاء المنبئ عن الكرامة وانما هو امر مباين له بالكلية وتانيث الضمير
باعتبار لفظ النعمة او باعتبار الخبر وقرئ بالتذكير ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الامر كذلك وفيه دلالة
على ان المراد بالانسان هو الجنس قد قالها الذين من قبلهم الهاء لقوله تعالى انما اوتيته على علم وهم ر
به فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا ويجمعون منه فاصابهم سيات ما كسبوا جزاء سيات اعمالهم
او اجزية ما كسبوا وتسميتها سيات لانها في مقابلة سياتهم وجزاء سيئة سيئة مثلها والذين ظلموا
من هؤلاء المشركين ومن للبيان او للتبعيض اي افرطوا في الظلم والعتو سيصيبهم سيات ما كسبوا من الكفر
والمعاصي كما اصاب اولئك والسين للتاكيد وقد اصابهم اي اصابة حيث قحطوا سبع سنين وقتل
صناديدهم يوم بدر وما هم بمعجزين اي فائتين اولم يعلموا اي اقالوا ذلك ولم يعلموا او اغفلوا ولم يعلموا
ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ان يبسطه له ويقدر لمن يشاء ان يقدره له من غير ان يكون لاحد مدخل ما في

ذلك

ذلك حيث حبس الرزق سبعا ثم بسطه لهم سبعا ان في ذلك الذي ذكر لايات دالة على ان الحوادث
كافة من الله عز وجل لقوم يؤمنون اذ هم المستدلون بها على مدلولاتها قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
اي افرطوا في الجناية عليها بالاسراف في المعاصي واضافة العباد وتخصيصه بالمؤمنين على ما هو عرف القرآن
الكريم لا تقنطوا من رحمة الله لا تياسوا من مغفرته اولا وبفضله ثانيا ان الله يغفر الذنوب جميعا عفوا لمن يشاء ولو
بعد حين بتعذيبه في الجملة وبغيره حسبما يشاء وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر كيف لا وقوله تعالى ان
الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ظاهر في الاطلاق فيما عدا الشرك ومما يدل عليه
التعليل بقوله تعالى انه هو الغفور الرحيم على المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم
ما يستدعي عموم المغفرة مما في عبادي من الدلالة على الذلة والاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص
ضرر الاسراف بانفسهم والنهي عن القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليله بان الله
يغفر الذنوب ووضع الاسم الجليل موضع المضمر لدلالته على انه المستغني والمنعم على الاطلاق والتاكيد
بالجميع وما روي من اسباب النزول الدالة على ورود الاية فيمن تاب لا يقتضي اختصاص الحكم بهم ووجوب حمل
المطلق على المقيد في كلام واحد مثل اكرم الكاملين غير مسلم فكيف بما هو بمنزلة كلام واحد ولا يخل
بذلك الامر بالتوبة والاخلاص في قوله تعالى وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون
اذ ليس المدعي ان الاية تدل على حصول المغفرة لكل احد من غير توبة وسبق تعذيب لتغني عن الامر بهما وتنافي
الوعيد بالعذاب واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم اي القران او المامور به دون المنهي عنه او العزايم دون
الرخص او الناسخ دون المنسوخ ولعل ما هو انجي واسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة من قبل ان ياتيكم العذاب
بغتة وانتم لا تشعرون بمجيئه لتتداركوا وتتاهبوا له ان تقول نفس اي كراهة ان تقول والتنكير للتكثير
كما في قوله تعالى علمت نفس ما احضرت فانه مسلك ربما يسلك عند ارادة التكثير والتعميم وقد مر
تحقيقه في مطلع سورة الحجر يا حسرتا بالالف بدلا من ياء الاضافة وقرئ يا حسرتاه بهاء السكت
وقفا وقرئ يا حسرتاي بالجمع بين العوضين وقرئ يا حسرتي على الاصل اي احضري فهذا اوان حضورك
على ما فرطت اي على تفريطي وتقصيري في جنب الله اي جانبه وفي حقه وطاعته وعليه قول من قال
اما تتقين الله في جنب وامق • له كبد حرى وعين ترقرق • وهو كناية فيها مبالغة وقيل في ذات الله
على تقدير مضاف كالطاعة وقيل في قربه من قوله تعالى والصاحب بالجنب وقرئ في ذكر الله وان كنت
لمن الساخرين اي المستهزئين بدين الله تعالى واهله ومحل الجملة النصب على الحال اي فرطت وانا ساخر
او تقول لو ان الله هداني بالارشاد الى الحق لكنت من المتقين من الشرك والمعاصي او تقول حين ترى العذاب
لو ان لي كرة رجعة الى الدنيا فاكون من المحسنين في العقيدة والعمل واو للدلالة على انها لا تخلو عن
هذه الاقوال تحسرا وتحيرا وتعللا بما لا طائل تحته قوله تعالى بلى قد جاءتك اياتي فكذبت بها واستكبرت
وكنت من الكافرين رد من الله تعالى عليه لما تضمنه قوله لو ان الله هداني من معنى النفي وفصله عنه لما ان
تقديمه يفرق القراين وتاخير المردود يخل بالترتيب الوجودي لانه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد
الهداية ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تاثير قدرة الله في فعل العبد ولا ما فيه من اسناد الفعل اليه
كما عرفت وتذكير الخطاب باعتبار المعنى وقرئ بالتانيث ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله بان وصفوه بما لا
يليق بشانه كاتخاذ الولد وجوههم مسودة بما ينالهم من الشدة او بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال
قد اكتفي فيها بالضمير عن الواو وعلى ان الرؤية بصرية او بمفعول ثان لها على انها عرفانية اليس في
جهنم مثوى اي مقام للمتكبرين عن الايمان والطاعة وهو تقرير لما قبله من رؤيتهم كذلك و
ينجي الله الذين اتقوا الشرك والمعاصي اي من جهنم وقرئ ينجي من الانجا بمفازتهم مصدر ميمي اما

من فاز بالمطلوب اي ظفر به والباء متعلقة بمحذوف هو حال من الموصول مفيدة لمقابلة تنجيتهم
من العذاب لنيل الثواب اي ينجيهم الله تعالى من مثوى المتكبرين ملتبسين بفوزهم بمطلوبهم الذي هو الجنة
وقوله تعالى لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون اما حال اخرى من الموصول او من ضمير مفازتهم مفيدة لكون نجاتهم
او فوزهم بالجنة غير مسبوقة بمساس العذاب والحزن واما من فاز منه اي نجا منه والفاء للملابسة وقوله
تعالى لا يمسهم اما تفسير وبيان لمفازتهم اي ينجيهم الله تعالى ملتبسين بنجاتهم الخاصة بهم اي بنفي السوء
والحزن عنهم او للسببية اما على حذف المضاف اي ينجيهم بسبب مفازتهم التي هي تفرّيهم كما يشعر به ايراده
في حيز الصلة واما على اطلاق المفازة على سببها الذي هو التقوى وليس المراد نفي دوام المساس والحزن بل
دوام نفيهما كما مرّ مرارا الله خالق كل شيء من خير وشر وايمان وكفر لكن لا بالجبر بل بمباشرة المكاسب لاسبابها
وهو على كل شيء وكيل يتولى التصرف فيه كيف شاء له مقاليد السموات والارض لا يملك امرها ولا يتمكن من التصرف
فيها غيره وهو عبارة عن قدرته تعالى وحفظه لها وفيه مزيد دلالة على الاستقلال والاستبداد لان
الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها الا من بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد او مقلاد من قلدته اذا الزمته
وقيل جمع اقليد معرب كليد على الشذوذ كالمذاكير وعن عثمان رضي الله عنه انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم
عن المقاليد فقال صلى الله عليه وسلم تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر سبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا
حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء
قدير والمعنى على هذا ان لله هذه الكلمات توحّد بها وتمجّد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها اصابه
والذين كفروا بآيات الله اولئك هم الخاسرون متصل بما قبله والمعنى ان الله تعالى خالق جميع الاشياء يتصرف فيها
كيف ما يشاء بالاحيا والاماتة بيده مقاليد العالم العلوي والسفلي والذين كفروا بآياته التكوينية المنصوبة
في الآفاق والانفس والتنزيلية التي من جملتها هاتيك الآيات الناطقة بذلك هم الخاسرون خسرانا لا
خسران وراءه بهذا وقيل هو متصل بقوله تعالى وينجي الله وما بينهما اعتراض فتدبر قل افغير الله تأمروني اعبد ايها الجاهلون
اي ابعد مشاهدة هذه الآيات غير الله اعبد وتأمروني اعتراض للدلالة على انهم امروه به عقيب ذلك وقالوا
استلم بعض آلهتنا ونؤمن بالهك لفرط عنادهم ويجوز ان ينتصب غير بما يدل عليه تأمروني اعبد لانه بمعنى
تعبدونني وتقولون لي اعبد على ان اصله تأمرونني ان اعبد فحذف ان ورفع ما بعدها كما في قوله · الا ايها
الزاجري احضر الوغا · وان اشهد اللذات هل انت مخلدي · ويؤيده قراءة اعبد بالنصب وقرئ تأمرونني باظهار
النونين على الاصل وبحذف الثانية ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك اي من الرسل عليهم السلام لئن اشركت
ليحبطن عملك كلام وارد على طريقة الفرض لتهييج الرسل واقناط الكفرة والايذان بغاية شناعة الاشراك
وقبحه وكونه بحيث ينهى عنه من لا يكاد يمكن ان يباشره فكيف بمن عداه وافراد الخطاب باعتبار كل واحد
واللام الاولى موطئة للقسم والاخريان للجواب واطلاق الاحباط يحتمل ان يكون من خصائصهم لان الاشراك
منهم اشد واقبح وان يكون مقيدا بالموت كما صرح به في قوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك
حبطت اعمالهم ولتكونن من الخاسرين وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب بل الله فاعبد ردّ لما
امروه ولولا دلالة التقديم على التخصيص لم يكن كذلك وكن من الشاكرين انعامه عليك وفيه اشارة الى ما
يوجب الاختصاص ويقتضيه وما قدروا الله حق قدره ما قدروا عظمته تعالى في انفسهم حيث جعلوا له
شريكا ووصفوه بما لا يليق بشؤونه الجليلة وقرئ بالتشديد والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه
تنبيه على غاية عظمته وكمال قدرته وحقارة الافعال العظام التي تتحير فيها الاوهام بالنسبة الى قدرته
تعالى ودلالة على ان تخريب العالم اهون شيء عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة
ولا مجازا كقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض اطلقت بمعنى القبضة وهي المقدار المقبوض بالكف

تسمية

تسمية بالمصدر او بتقدير ذات قبضة وقرئ بالنصب على الظرف تشبيها للوقت بالمبهم وتأكيد الارض بالجمع
لان المراد بها الارضون السبع او جميع ابعاضها البادية والغائرة وقرئ مطويات على انها حال والسموات
معطوفة على الارض منظومة في حكمها سبحانه وتعالى عما يشركون ما ابعد وما اعلى من هذه قدرته وعظمته
عن اشراكهم او عما يشركونه من الشركاء ونفخ في الصور هي النفخة الاولى فصعق من في السموات ومن في الارض اي خرّوا
امواتا ومغشيا عليهم الا من شاء الله قيل جبريل وميكائيل واسرافيل فانهم لا يموتون بعد وقيل حملة العرش
ثم نفخ فيه اخرى نفخة اخرى هي النفخة الثانية واخرى يحتمل النصب والرفع فاذا هم قيام قائمون من قبورهم
او متوقفون وقرئ بالنصب على ان الخبر ينظرون وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون ابصارهم في
الجوانب كالمبهوتين او ينتظرون ما يفعل بهم واشرقت الارض بنور ربها بما اقام فيها من العدل استعير له النور
لانه يزين البقاع ويظهر الحقوق كما يسمى الظلم ظلمات يوم القيمة ولذلك اضيف الاسم الجليل ووضع الكتاب
للحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه او صحائف الاعمال في ايدي العمال واكتفى
باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به الصحائف وجيء بالنبيين والشهداء للامم وعليهم من
الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون وقضي بينهم بين العباد بالحق وهم لا يظلمون بنقص ثواب او زيادة
عقاب على ما جرى به الوعد ووفيت كل نفس ما عملت اي جزاءه وهو اعلم بما يفعلون فلا يفوته شيء من اعمالهم وقوله تعالى
وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا الى الآخر تفصيل للتوفية وبيان لكيفيتها اي سيقوا اليها بالعنف والاهانة
افواجا متفرقة بعضها في اثر بعض مترتبة حسب ترتب طبقاتهم في الضلالة والشرارة والزمر جمع
زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو عنه حتى اذا جاءوها فتحت ابوابها ليدخلوها
وحتى هي التي يحكى بعدها الجملة وقرئ بالتشديد وقال لهم خزنتها تقريعا وتوبيخا الم يأتكم رسل منكم من
جنسكم وقرئ نذر منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا اي وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار
وفيه دليل على انه لا تكليف قبل الشرع من حيث انهم عللوا توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ الكتب
قالوا بلى قد اتونا وانذرونا ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين حيث قال الله تعالى لابليس لاملأن جهنم منك
وممن تبعك منهم اجمعين وقد كنا ممن تبعه وكذّب الرسل وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا تكذبون
قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها اي مقدّرا خلودكم فيها وابهام القائل لتهويل المقول فبئس مثوى
المتكبرين اللام للجنس والمخصوص بالذم محذوف ثقة بذكره آنفا اي فبئس مثواهم جهنم لتكبرهم عن
الحق في ان دخولهم النار لسبق كلمة العذاب عليهم فانها ان حقت عليهم بناء على تكبرهم وكفرهم وقد
مرّ تحقيقه في سورة آلم السجدة وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة مساق اعزاز وتشريف للاسراع بهم الى
دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين زمرا متفاوتين حسب تفاوت مراتبهم في الفضل
وعلو الطبقة حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها وقرئ بالتشديد وجواب اذا محذوف للايذان بان لهم حينئذ
من فنون الكرامات ما لا يحتويه نطاق العبارات كانه قيل حتى اذا جاءوها وقد فتحت ابوابها وقال لهم
خزنتها سلام عليكم من جميع المكاره والآلام طبتم طهرتم من دنس المعاصي او طبتم نفسا بما اتيح لكم من النعيم
فادخلوها خالدين كان ما كان مما يقصر عنه البيان وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده بالبعث والثواب
واورثنا الارض يريدون المكان الذي استقروا فيه على الاستعارة وايراثها تمليكها مخلفة عليهم من
اعمالهم وتمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه نتبوأ من الجنة حيث نشاء اي يتبوأ كل واحد منا
في اي مكان اراده من جنته الواسعة على ان فيها مقامات معنوية لا يتمانع واردها فنعم اجر العاملين
الجنة وترى الملائكة حافين محدقين من حول العرش اي حوله ومن مزيدة او لابتداء الحفوف يسبحون
بحمد ربهم اي ينزهونه تعالى عما لا يليق به ملتبسين بحمده والجملة حال ثانية او مقيدة للاولى والمعنى

ذاكرين الله تعالى بوصفي جلاله واكرامه وتلذذا به وفيه اشعار بانه اقصى درجات العليين واعلا اللذايذ
هو الاستغراق في شوونه عز وجل وقضي بينهم بالحق اي بين الخلق بادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة
او بين الملايكة باقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم وقيل الحمد لله رب العالمين اي على ما قضي بيننا
بالحق وانزل كلا منا منزلته التي هي حقه فالقايلون هم المومنون ممن قضي بينهم والملايكة وطي ذكرهم لتعينهم
وتعظيمهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الزمر لم يقطع الله رجاه يوم القيمة واعطاه ثواب الخايفين
وعن عايشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم كان يقرا كل ليلة سورة بني اسرايل والزمر ٥

سورة المومن وهي خمس وثمانون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم حم بتفخيم الالف وتسكين الميم وقرئ بامالة الالف وباخراجها بين بين وبفتح
الميم لالتقاء الساكنين او بنصبها باضمار اقرا ونحوه ومنع الصرف للتعريف والتانيث او للتعريف وكونها
على زنة قابيل وهابيل وبقية الكلام فيه وفي قوله تعالى تنزيل الكتاب كالذي سلف في الم السجدة من
الله العزيز العليم كما في مطلع سورة الزمر في الوجوه كلها ووجه التعرض لعنوان العزة والعلم ما
ماذكر هناك غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول اما صفات اخر لتحقيق ما فيها من الترغيب والحث
على ما هو المقصود والاضافة فيها حقيقية على انه لم يرد بها زمان مخصوص واريد بشديد العقاب مشدده
او الشديد عقابه بحذف اللام للازدواج وامن الالتباس او ابدال وجعله وحده بدلا كما فعله الزجاج
مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الاولين لافادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة او تغاير الوصفين
اذ ربما يتوهم الاتحاد او تغاير موقع الفعلين لان الغفر هو الستر مع بقاء الذنب وذلك لمن لم يتب
فان التايب من الذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل هو جمعها والطول هو الفضل
بترك العقاب المستحق وفي توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل سبقها ورجحانها لا اله
الا هو فيجب الاقبال الكلي على طاعته في اوامره ونواهيه اليه المصير فحسب لا الى غيره لا استقلالا
ولا اشتراكا فيجازي كلا من المطيع والعاصي ما يجادل في ايات الله اي بالطعن فيها واستعمال المقدمات
الباطلة لادحاض الحق كقوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق الا الذين كفروا بها واما الذين امنوا
فلا يخطر ببالهم شايبة شبهة منها فضلا عن الطعن فيها واما الجدال فيها لحل مشكلاتها وكشف
معضلاتها واستنباط حقايقها الكلية وتوضيح مناهج الحق في مضايق الافهام ومزال الاقدام وابطال
شبه اهل الزيغ والضلال فمن اعظم الطاعات ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان جدالا في القران كفر بالتنكير
للفرق بين جدال وجدال والفاء في قوله تعالى فلا يغررك تقلبهم في البلاد لترتيب النهي او لوجوب الانتها
على ما قبلها من التسجيل عليهم بالكفر لا شي امقت منه عند الله تعالى ولا اجلب لخسران الدنيا والاخرة فان
من تحقق ذلك لا يكاد يغتر بما لهم من حظوظ الدنيا وزخارفها فانهم ماخوذون عما قليل اخذ من قبلهم من الامم
حسبما ينطق به قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم اي الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم بعد
قوم نوح مثل عاد وثمود واضرابهم وهمت كل امة من تلك الامم العاتية برسولهم وقرئ برسولها لياخذوه
ليتمكنوا منه فيصيبوا به ما ارادوا من تعذيب او قتل من الاخذ بمعنى الاسر وجادلوا بالباطل الذي لا
اصل له ولا حقيقة له ليدحضوا به الحق الذي لا محيد عنه كما فعل هولاء فاخذتهم بسبب ذلك اخذ
عزيز فكيف كان عقاب الذي عاقبتكم به فان اثار دمارهم عبرة للناظرين ولاخذن هولاء ايضا لاتحادهما
في الطريقة واشتراكهم في الجريرة كما ينبي عنه قوله تعالى وكذلك حقت كلمة ربك اي كما وجب وثبت حكمه
تعالى وقضاوه بالتعذيب على اوليك الامم المكذبة المتحزبة على رسلهم المجادلة بالباطل لادحاض الحق

هم لا هم

بوجب

به وجب ايضا على الذين كفروا اي كفروا بك وتحزبوا عليك وهموا بما لم ينالوا كما ينبي عنه اضافة اسم الرب
الى ضميره صلى الله عليه وسلم فان ذلك للاشعار بان وجوب كلمة العذاب عليهم من احكام تربيته التي من
جملتها نصرته صلى الله عليه وسلم وتعذيب اعدايه وذلك انما يتحقق بكون الموصول عبارة عن كفار قومه
لا عن الامم المهلكة قوله تعالى انهم اصحاب النار في حيز النصب بحذف لام التعليل اي لانهم يستحقوا اشد العقو
واقطعها التي هي عذاب النار وملازموها ابدا لكونهم كفارا معاندين متحزبين على الرسول صلى الله عليه وسلم
كداب من قبلهم من الامم المهلكة فهم لساير فنون العقوبات اشد استحقاقا واحق استيجابا وقيل هو في محل الرفع
على انه بدل من كلمة ربك والمعنى مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة المهلكة كونهم من اصحاب النار اي كما وجب
هلاكهم في الدنيا بعذاب الاستيصال كذلك وجب تعذيبهم بعذاب النار في الاخرة ومحل الكاف على التقديرين
على انه نعت لمصدر محذوف الذين يحملون العرش ومن حوله وهم اعلا طبقات الملايكة عليهم السلام واولهم
وجودا وحملهم اياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له وكناية عن زلفاهم من ذي العرش جل جلاله ومكا
عنده ومحل الموصول الرفع على الابتدا خبره يسبحون بحمد ربهم والجملة استيناف مسوق لتسلية رسول الله صلى
الله عليه وسلم ببيان ان اشراف الملايكة عليهم السلام مثابرون على ولاية من معه من المومنين ونصرتهم و
استدعاء ما يسعدهم في الدارين اي ينزهونه تعالى عن كل ما لا يليق بشانه الجليل ملتبسين بحمده على نعماه
التي لا تتناهى ويومنون به ايمانا حقيقيا بحالهم والتصريح به مع الغنى عن ذكره راسا لاظهار فضيلة
الايمان اقوى المناسبات واتمها وادعى الدواعي الى النصح والشفقة وفي نظم استغفارهم لهم في سلك
وظايفهم المفروضة عليهم من تسبيحهم وتحميدهم ايذان بكمال اعتنايهم واشعار بوقوعه عند الله سبحانه
وتعالى في موقع القبول روي ان حملة العرش ارجلهم في الارض السفلى وروسهم قد خرقت العرش وهم
خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تتفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله
من الملايكة فان خلقا من الملايكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الار
السفلى وقد مرق راسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله تعالى حتى يصير مثل الرضيع وفي الحد
ان الله امر جميع الملايكة ان يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سايرهم وقيل خلق الله
العرش من جوهرة خضرا وبين قايمتين من قوايمه خفقان الطير المسرع ثمانين الف عام وقيل حول
العرش سبعون الف صف من الملايكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورايهم سبعون الف
صف قيام قد وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورايهم ماية الف صف
قد وضعوا ايمانهم على الشمايل ما منهم احد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الاخر ربنا على ارادة القول اي يقو
ربنا على انه بيان لاستغفارهم او حال وسعت كل شي رحمة وعلما اي وسعت رحمتك وعلمك فازيل عن اصله
للاغراق في وصفه تعالى بالرحمة والعلم والمبالغة في عمومهما وتقديم الرحمة لانها المقصودة بالذا
ههنا والفاء في قوله تعالى فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك اي للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل
الحق لترتيب الدعاء على ما قبلها من سعة الرحمة والعلم وقهم عذاب الجحيم واحفظهم عنه وهو
تصريح بعد اشعار للتاكيد ربنا وادخلهم عطف على قهم وتوسيط النداء بينهما للمبالغة في الجؤار جنات
عدن التي وعدتهم اي وعدتهم اياها وقرئ جنة عدن ومن صلح من اباهم وازواجهم وذرياتهم اي صلاحا مصححا
لدخول الجنة في الجملة وان كان دون صلاح اصولهم وهو عطف على الضمير الاول اي وادخلهم معهم
هولاء ليتم سرورهم ويتضاعف ابتهاجهم او على الثاني لكن لا بناء على الوعد العام للكل كما قيل اذ لا يبقى
حينئذ للعطف وجه بل بناء على الوعد الخاص بهم بقوله تعالى الحقناهم ذرياتهم بان يكونوا على درجة من
من ذرياتهم قال سعيد بن جبير يدخل المومن الجنة فيقول اين ابي اين ولدي اين زوجي فيقال انهم لم يعملوا

بات نتهم لون ت

وابراز شرف اهله والاشعار بعلة دعايهم للمومنين حسبما ينطق به قوله تعالى ويستغفرون للذين امنوا فان المشاركة في الايمان صح

مثل عملك فيقول اني كنت اعمل لي ولهم فيقال ادخلوهم الجنة وسبق الوعد بالادخال والالحاق ولا يستدعي حصول
الموعود بلا توسط شفاعة واستغفار وعليه قول من قال فايدة الاستغفار زيادة الكرامة والثواب والاول هو الاولى
لان الدعاء بالادخال فيه صريح وفي الثاني ضمني وقرئ صلح بالضم وذريتهم بالافراد انك انت العزيز اي الغالب الذي لا
يمتنع عليه مقدور الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة الباهرة من الامور التي من جملتها انجاز الوعد فالجملة تعليل
لما قبلها وقهم السيئات اي العقوبات او جزاء السيئات على حذف المضاف وهو تعميم بعد تخصيص او مخصوص بالاتباع
او المعاصي في الدنيا فمعنى قوله ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته ومن تقه المعاصي في الدنيا فقد رحمته في الآخرة
كانهم طلبوا لهم السبب بعد ما سالوا المسبب وذلك اشارة الى الرحمة المفهومة من رحمته او اليها والى الوقاية
وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الاشعار ببعد درجة المشار اليه الفوز العظيم الذي لا مطمع وراءه لطامع
ان الذين كفروا شروع في بيان احوال الكفرة بعد دخولهم النار بعد ما بين فيما سبق انهم اصحاب النار ينادون
اي من مكان بعيد وهم في النار وقد مقتوا انفسهم الامارة بالسوء التي وقعوا فيما وقعوا باتباع هواها
او مقت بعضهم بعضا من الاحباب لقوله تعالى يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا اي ابغضوها اشد
البغض وانكروها ابلغ الانكار واظهروا ذلك على رؤوس الاشهاد فيقال لهم عند ذلك لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم
اي لمقت الله انفسكم الامارة بالسوء او مقته اياكم في الدنيا اذ تدعون من جهة الانبياء الى الايمان فتابون
قبوله فتكفرون اتباعا لانفسكم الامارة ومسارعة الى هواها واقتداء باخوانكم المضلين واستحبابا بالآرا
اكبر من مقتكم انفسكم الامارة ومن مقتكم بعضكم بعضا اليوم فانه ظرف للمقت الاول دون توسط بينهما الخبر
لما في الظروف من الاتساع وقيل للمصدر آخر مقدر اي مقته اياكم اذ تدعون وقيل مفعول لاذكروا والاول هو
الانسب وقيل كلا المقتين في الآخرة واذ تدعون تعليل لما بين الظرف والسبب من علاقة اللزوم والمعنى لمقت الله
اياكم الآن اكبر من مقتكم انفسكم لما كنتم تدعون الى الايمان فتكفرون وتخصيص هذا الوجه بصورة كون المراد
بالانفس اضرابهم من الداعي اليه قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين صفتان لمصدري الفعلين المذكورين
اي اماتتين اثنتين واحياءتين اثنتين او موتتين وحياتين على انهما مصدران لهما ايضا بحذف الزوائد او للفعلين يدل عليهما
المذكوران فان الاماتة والاحياء ينبئان عن الموت والحيوة حتما كانه قيل امتنا فمتنا واحييتنا فحيينا حياتين
اثنتين على طريقة قول من قال وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع من المال الا مسحت او مجلف وقيل ارادوا
بالاماتة الاولى خلقهم امواتا وبالثانية اماتتهم عند انقضاء آجالهم على ان الاماتة جعل الشيء عادم الحيوة
اعم من ان يكون بانشائه كذلك كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل او بجعله كذلك بعد الحيوة وبالاحياءين
الاحياء الاول واحياء البعث وقيل ارادوا بالاماتة الاولى ما بعد حيوة الدنيا وبالثانية ما بعد حيوة القبر وبالاحياءين
ما في القبر وما عند البعث وهو الانسب بحالهم واما حديث لزوم الزيادة على النص ضرورة تحقق حيوة الدنيا
فمدفوع لكن لا بما قيل من عدم اعتدادهم بها لزوالها وانقضائها وانقطاع آثارها واحكامها بل بان مقصودهم
احداث الاعتراف بما كانوا ينكرونه في الدنيا كما ينطق به قولهم فاعترفنا بذنوبنا والتزام العمل بموجب ذلك
الاعتراف ليتوسلوا بذلك الى ما علقوا به اطماعهم الفارغة من الرجع الى الدنيا كما قد صرحوا به كما قالوا فارجعنا
نعمل صالحا انا موقنون وهذا الذي ارادوه بقولهم فهل الى خروج من سبيل مع نوع استبعاد له واستشعار ياس منه
لانهم قالوه بطريق القنوط البحت كما قيل ولا ريب في ان الذي كانوا ينكرونه لينظموه في سلك ما اعترفوا به و
زعموا ان الاعتراف به يجديهم نفعا وانما ذكروا الموتة الاولى مع كونهم معترفين بها في الدنيا لتوقف حيوة
القبر عليها وكذا حال الموتة في القبر فان مقصدهم الاصلي هو الاعتراف بالاحياءين وانما ذكروا الاماتتين لترتيبهما
عليهما ذكرا حسب ترتيبهما عليهما وجودا وتنكير سبيل للابهام اي من سبيل ما كيف ما كان وقوله تعالى ذلكم
الى آخره جواب لهم باستحالة حصول ما يرجونه ببيان ما يوجبها من اعمالهم السيئة اي ذلكم الذي انتم فيه من العذاب

مطلقا

مطلقا لا مقيدا بالخبر كما قيل بانه اي بسبب ان الشان اذا دعي الله في الدنيا اي عبد وحده اي منفردا كفرتم
اي بتوحيده وان يشرك به تؤمنوا اي بالاشراك به وتسارعوا اليه وفي ايراد اذا وصيغة الماضي في الشرطية الاولى
وان وصيغة المضارع في الثانية ما لا يخفى من الدلالة على كمال سوء حالهم وحيث كان حالهم كذلك فالحكم لله
الذي لا يحكم الا بالحق ولا يقضي الا بما تقتضيه الحكمة العلي الكبير الذي ليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته
ولا في افعاله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه وقد حكم بانه لا مغفرة للمشرك ولا نهاية لعقوبته
كما لا نهاية لشفاعته فلا سبيل لكم الى الخروج ابدا هو الذي يريكم آياته الدالة على شؤونه العظيمة الموجبة
لتفرده بالالوهية لتستدلوا بها على ذلك وتعملوا بموجبها فتوحدوه تعالى وتخصوه بالعبادة وينزل بالتشديد
وقرئ بالتخفيف من الانزال لكم من السماء رزقا اي سبب رزق وهو المطر وافراده بالذكر مع كونه من جملة
الآيات الدالة على كمال قدرته تعالى لتفرده بعنوان كونه من آثار رحمته وجلائل نعمته الموجبة للشكر وصيغة
المضارع في الفعلين للدلالة على تجدد الاراءة والتنزيل واستمرارهما وتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر
غير مرة وما يتذكر بتلك الآيات الباهرة ولا يعمل بمقتضاها الا من ينيب الى الله تعالى ويتفكر فيما اودع في
تضاعيف مصنوعاته من شواهد قدرته الكاملة ونعمته الشاملة الموجبة لتخصص العبادة له تعالى ومن
ليس كذلك فهو بمعزل من التذكر والاتعاظ فادعوا الله مخلصين له الدين اي اذا كان الامر كما ذكر من اختصاص التذكر
بمن ينيب فاعبدوه ايها المؤمنون مخلصين له دينكم بموجب انابتكم الى الله تعالى وايمانكم به ولو كره الكافرون
ذلك وغاظهم اخلاصكم رفيع الدرجات نحو بديع السموات على انه صفة مشبهة اضيف الى فاعلها بعد النقل
الى فعل بالضم كما هو المشهور وتفسيره بالرافع ليكون من اضافة اسم الفاعل الى المفعول بعيد في الاستعمال
اي رفيع درجات ملائكته اي معارجهم ومصاعدهم الى العرش ذو العرش اي مالكه وهما خبران آخران لقوله تعالى
هو اخبر عنه بهما ايذانا بعلو شانه تعالى وعظم سلطانه الموجبين لتخصيص العبادة واخلاص الدين
له اما بطريق الاستشهاد بهما عليهما فان ارتفاع معارج ملائكته الى العرش وكون العرش العظيم المحيط باكناف
العالم العلوي والسفلي تحت ملكوته وقبضة قدرته مما يقضي بكون علو شانه وعظم سلطانه في غاية لا غاية وراءها
واما بجعلهما عبارة عنهما بطريق المجاز المتفرع على الكناية كالاستواء على العرش وتمهيد لما يعقبهما من قوله تعالى
يلقي الروح من امره فانه خبر آخر لما ذكر مبني عن انزال الرزق الروحاني الذي هو بمنزلة الوحي الجاري من
القلوب منزلة الروح من الاجساد وقوله تعالى من امره بيان للروح الذي اريد به الوحي فانه امر بالخير او
حال منه اي حال كونه ناشئا ومبتدئا من امره او صفة له على راي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اي
الروح الكائن من امره او متعلق بيلقي ومن للسببية كالباء مثل ما في قوله تعالى مما خطاياهم اي يلقي
الوحي بسبب امره على من يشاء من عباده وهو الذي اصطفاه لرسالته وتبليغ احكامه اليهم لينذر اي الله
تعالى او الملقى عليه او الروح وقرئ لتنذر على ان الفاعل هو الرسول صلى الله عليه وسلم والروح لانها قد
تؤنث يوم التلاق اما ظرف للمفعول الثاني اي لينذر الناس العذاب يوم التلاق وهو يوم القيمة لانه يتلاقى
فيه الارواح والاجساد واهل السموات والارض او هو المفعول الثاني اتساعا واصالة فانه من شدة هوله
وفظاعته حقيق بالانذار اصالة وقرئ لينذر على البناء للمفعول ورفع اليوم يوم هم بارزون بدل من
يوم التلاق اي خارجون من قبورهم او ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل او اكمة او بناء لكون الارض يومئذ
قاعا صفصفا اي لا عليهم ثياب انما هم عراة مكشوفون كما جاء في الحديث يحشرون حفاة عراة غرلا وقيل
ظاهرة نفوسهم لا يحجبهم غواشي الابدان او اعمالهم وسرائرهم لا يخفى على الله منهم شيء استيناف لبيان بروزهم
وتقرير له وازاحة لما كان يتوهمه في الدنيا من الاستتار توهما باطلا او خبر ثان وقيل حال من ضمير بارزون
اي لا يخفى على الله تعالى شيء ما من اعمالهم الجليلة والخفية السابقة واللاحقة لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية

كر
ها
زهم
اعيانهم و
ع
ون
دين
حياتين

لايقع حينئذ من السؤال والجواب بتقدير قول معطوف على ما قبله من الجملة المنفية المستأنفة اومستأنف
يقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية بروزهم وظهور احوالهم كانه قيل فماذا يكون حينئذ فقيل يقال الى آخره اي ينادي
مناد لمن الملك اليوم فيجيبه اهل المحشر لله الواحد القهار وقيل المجيب هو السائل بعينه لما روي انه يجمع الله
الخلائق يوم القيمة في صعيد واحد في ارض بيضا كانها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فاول ما يتكلم به ان ينادي
مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقيل حكاية لما ينطق به لسان الحال من تقطع اسباب التصرفات المجازية
واختصاص جميع الافاعيل بقبضة القدرة الالهية **اليوم تجزى كل نفس بما كسبت** الى آخره اما من تتمة
الجواب لبيان حكم اختصاص الملك به تعالى ونتيجته التي هي الحكم السوي والقضاء بالحق او حكاية لما سيقوله
تعالى يومئذ عقيب السؤال والجواب ان تجزى كل نفس من النفوس البرة والفاجرة بما كسبت من خير او شر **لا
ظلم اليوم** بنقص ثواب او زيادة عذاب **ان الله سريع الحساب** اي سريع حسابه تماما اذ لا يشغله تعالى شان
عن شان فيحاسب الخلائق قاطبة في اقرب زمان كما نقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه اذا اخذ في حسابهم
لم يقل اهل الجنة الا فيها ولا اهل النار الا فيها فيكون تعليلا الى قوله تعالى اليوم تجزى الى آخره فان كون ذلك اليوم
بعينه يوم التلاق ويوم البروز ربما يوهم استبعاد وقوع الكل فيه او سريعا مجيئا فيكون تعليلا للانذار **وانذرهم
يوم الازفة** اي القيمة سميت بها لازوفها وهو القرب غير ان فيه اشعارا بضيق الوقت وقيل الخطة الازفة
وهي مشارفة اهل النار دخولها وقيل وقت حضور الموت كما في قوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم وقوله
تعالى كلا اذا بلغت التراقي **اذ القلوب لدى الحناجر** بدل من يوم الازفة فانها ترتفع من اماكنها فتلتصق
بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا بالموت **كاظمين** على الغم حال من اصحاب القلوب
على المعنى اذ الاصل قلوبهم او من ضميرها في الظرف وجمع السلامة باعتبار ان الكظم من احوال العقلاء
كقوله تعالى فظلت اعناقهم لها خاضعين او من مفعول انذرهم على انها حال مقدرة اي انذرهم مقدرا
كظمهم او مشارفين الكظم **ما للظالمين من حميم** اي قريب مشفق **ولا شفيع يطاع** اي لا شفيع مشفع على
معنى نفي الشفاعة والطاعة معا على طريقة قوله ° على لاحب لا يهتدي بمناره ° والضمائر ان عادت الى الكفار
وهو الظاهر فوضع الظالمين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم وتعليل **يعلم خائنة الاعين** النظرة
الخائنة كالنظرة الثانية الى غير المحرم واستراق النظر اليه او خيانة الاعين على انها مصدر كالعافية **وما
تخفي الصدور** من الضمائر والاسرار والجملة خبر آخر مثل يلقي الروح للدلالة على انه ما من خفي الا وهو
متعلق العلم والجزاء **والله يقضي بالحق** لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضي بشيء الا وهو حق وعدل
والذين يدعون من دونه يعبدونهم من دونه تعالى لا يقضون بشيء تهكم بهم لان الجماد لا يقال في حقه يقضي او لا
يقضي وقرئ تدعون على الخطاب التفاتا او على اضمار قل **ان الله هو السميع البصير** تقرير لعلمه تعالى بخائنة الاعين
وقضائه بالحق ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه **اولم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم** اي مآل حال من قبلهم من الامم المكذبة لرسلهم كعاد وثمود واضرابهم **كانوا هم
اشد منهم قوة** قدرة وتمكنا من التصرفات وانما جيء بضمير الفصل مع ان حقه التوسط بين معرفتين
لمضاهاة افعل من للمعرفة في امتناع دخول اللام عليه وقرئ اشد منكم بالكاف **وآثارا في الارض** مثل
القلاع الحصينة والمدائن المبنية وقيل المعنى واكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا **فاخذهم الله بذنوبهم**
اخذا وبيلا **وما كان لهم من الله من واق** اي من واق يقيهم عذاب الله **ذلك** اي ما ذكر من الاخذ **بانهم**
بسبب انهم **كانت تأتيهم رسلهم بالبينات** اي بالمعجزات او بالاحكام الظاهرة **فكفروا فاخذهم الله انه قوي**
متمكن مما يريد غاية التمكن **شديد العقاب** لا يؤبه عند عقابه بعقاب **ولقد ارسلنا موسى بآياتنا** وهي معجزاته
وسلطان مبين اي حجة قاهرة وهو اما عين الآيات والعطف لتغاير العنوانين واما بعض مشاهيرها

كالعصا افردت بالذكر مع اندراجها تحت الآيات لانافتها افراد جبريل وميكائيل حينئذ مع دخولهما
في الملائكة عليهم السلام **الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب** اي فيما اظهره من المعجزات وفيما ادعاه
من رسالة رب العالمين **فلما جاءهم بالحق من عندنا** وهو ما ظهر على يده من المعجزات الظاهرة **قالوا اقتلوا ابناء
الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم** كما قال فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم اي اعيدوا عليهم ما كنتم
تفعلونه اولا وكان فرعون قد كف عن قتل الغلمان فلما بعث عليه السلام واحس بانه قد وقع ما وقع
اعاده عليهم غيظا وحنقا وزعما منه انه يصدهم بذلك عن مظاهرته ظنا منهم انه المولود الذي حكم
المنجمون والكهنة بذهاب ملكهم على يده **وما كيد فرعون الا في ضلال** اي في ضياع وبطلان لا يغني عنهم شيئا
وينفذ عليهم لا محالة القدر المقدور والقضاء المحتوم واللام اما للعهد والاظهار في موقع الاضمار
لذمهم بالكفر والاشعار بعلة الحكم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا والجملة اعتراض
جيء به في تضاعيف ما حكي عنهم من الاباطيل للمسارعة الى بيان بطلان ما اظهروه من الابراق والارعاد و
اضمحلاله بالمرة **وقال فرعون ذروني اقتل موسى** كان ملأوه اذا هم بقتله عليه السلام كفوه بقولهم ليس
هذا بالذي تخافه فانه اقل من ذلك واضعف وما هو الا بعض السحرة وبقولهم اذا قتلته ادخلت على الناس
شبهة واعتقدوا انك عجزت عن معارضته بالحجة وعدلت الى المقارعة بالسيف والظاهر من دهاء
اللعين ونكارته انه كان قد استيقن انه نبي وان ما جاء به آيات باهرة وما هو بسحر ولكن خاف ان هم
بقتله ان يعاجله بالهلاك وكان قوله هذا تمويها على قومه وايهاما انهم هم الكافون له عن قتله ولولاهم لقتله
وما كان الذي يكفه الا ما في نفسه من الفزع الهائل وقوله **وليدع ربه** تجلد منه واظهار لعدم المبالاة بدعائه
ولكنه اخوف ما يخاف **اني اخاف** ان لم اقتله **ان يبدل دينكم** اي يغير ما انتم عليه من الدين الذي هو عبا
عن عبادته وعبادة الاصنام لتقربهم اليه **او ان يظهر في الارض الفساد** ما يفسد دنياكم من التحارب والتهارج
ان لم يقدر على تبديل دينكم بالكلية وقرئ بالواو الجامعة وقرئ بفتح الياء والهاء ورفع الفساد وقرئ
يظهر بتشديد الهاء من تظهر بمعنى تظاهر اي تتابع وتهاون **وقال موسى** اي لقومه حين سمع ما يقوله اللعين
من حديث قتله عليه السلام **اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب** صدر عليه السلام كلامه بان
تأكيدا له واظهارا لمضمون الاعتناء بمضمونه وفرط الرغبة فيه وخص اسم الرب المنبئ عن الحفظ والتربية لانهما
الذي يستدعيه واضافه اليه واليهم حثا لهم على موافقته في العياذ به تعالى والتوكل عليه فان في
تظاهر النفوس تأثيرا قويا في استجلاب الاجابة ولم يسم فرعون بل ذكره بوصف يعمه وغيره من الجبابرة
لتعميم الاستعاذة والاشعار بعلة القساوة والجراءة على الله تعالى وقرئ عذت بالادغام **وقال رجل مؤمن
من آل فرعون** قيل كان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا وقيل كان اسرائيليا وغريبا موحدا **يكتم ايمانه**
اي من فرعون وملائه **اتقتلون رجلا** اتقصدون قتله **ان يقول** لان يقول او كراهة ان يقول **ربي الله**
اي وحده من غير روية وتامل في امره **وقد جاءكم بالبينات** والحال انه قد جاءكم بالمعجزات الظاهرة
التي شاهدتموها وعهدتموها **من ربكم** اضافه اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستنزالا لهم عن
رتبة المكابرة ثم اخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال **وان يك كاذبا فعليه كذبه** لا يتخطاه وبال كذبه
فيحتاج في دفعه الى قتله **وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم** اي ان لم يصبكم كله فلا اقل من اصابة
بعضه لاسيما ان تعرضتم له بسوء وهذا كلام صادر عن غاية الانصاف وعدم التعصب ولذلك
قدم من شقي الترديد كونه كاذبا او يصبكم بعض الذي يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض ما يعدهم كانه
خوفهم بما اظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل مستدلا بقول لبيد ° تراك امكنة اذا لم ارضها
او يرتبط بعض النفوس حمامها ° مردود لما ان مراده بالبعض نفسه **ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب**

احتجاج آخر ذو وجهين احدهما انّه لو كان كذلك خذله الله مسرفا كذّابا لما هداه الله تعالى الى البيّنات
ولما ايّده الله بتلك المعجزات وثانيهما ان كان كذلك خذله الله واهلكه فلا حاجة لكم الى قتله ولعلّهم
اراد هم المعنى الثاني وهو عاكف على المعنى الاوّل لتليين شكيمتهم وقد عرّض به لفرعون انّه مسرف كذّاب
لا يهديه الله سبيل الصّواب ومنهاج النّجاح يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين غالبين عالين على بني اسرائيل
في الارض اي ارض مصر لا يقاوكم احد في هذا الوقت فمن ينصرنا من بأس الله من اخذه وعذابه ان جاءنا اي فلا
تفسدوا امركم ولا تتعرّضوا لبأس الله بقتله فانّه ان جاءنا لم يمنعنا منه احد وانّما نسب ما يسوؤهم من الملك
والظهور في الارض اليهم خاصّة ونظم نفسه في سلكهم فيما يسوؤهم من مجيء بأس الله تعالى تطييبا لقلوبهم
وايذانا بانّه مناصح لهم ساع في تحصيل ما يجديهم ودفع ما يرديهم سعيه في حقّ نفسه ليتأثّروا بنصحه قال
فرعون بعد ما سمع نصحه ما اريكم اي ما اشير عليكم الّا ما ارى من قتله وما اهديكم بهذا الرأي الّا سبيل
الرّشاد اي الصّواب او لا اعلمكم الّا ما اعلم ولا اسرّ عنكم خلاف ما اظهره ولقد كذب حيث كان مستشعرا
للخوف الشّديد ولكنّه كان يتجلّد ولولاه ما استشار احدا ابدا وقرئ بتشديد الشّين للمبالغة من رشد
كعلّام او من رشد كعبّاد لا من ارشد كجبّار من اجبر لانّه مقصور على السّماع او للنّسبة الى الرّشد كعوّاج وبتّات
غير منظور فيه الى فعل وقال الّذي آمن مخاطبا لقومه يا قوم انّي اخاف عليكم في تكذيبه والتّعرّض له بالسّوء
مثل يوم الاحزاب مثل ايّام الامم الماضية يعني وقايعهم وجمع الاحزاب مع التّفسير اغنى عن جمع اليوم مثل دأب
قوم نوح وعاد وثمود اي مثل جزاء ما كانوا عليه من الكفر وايذاء الرّسل والّذين من بعدهم كقوم لوط وما الله يريد ظلما
للعباد فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلّي الظّالم منهم بغير انتقام وهو ابلغ من قوله تعالى وما ربّك بظلّام
للعبيد لما انّ المنفيّ فيه ارادة ظلم ما فينتفي الظّلم بطريق الاولويّة ويا قوم انّي اخاف عليكم يوم التّناد خوّفهم بالعذاب
الاخروي بعد تخويفهم بالعذاب الدّنيوي ويوم التّناد يوم القيمة لانّه ينادي فيه بعضهم للاستغاثة او
يتصايحون بالويل والثّبور وينادي اصحاب الجنّة واصحاب النّار حسبما حكي في سورة الاعراف وقرئ
بتشديد الدّال وهو ان يفرّ بعضهم من بعض لقوله تعالى يوم يفرّ المرء من اخيه وعن الضّحّاك اذا سمعوا
زفير النّار ندّوا هربا فلا يأتون قطرا من الاقطار الّا وجدوا ملائكة صفوفا فبينما هم يموج بعضهم في بعض
اذ سمعوا مناديا اقبلوا الى الحساب يوم تولّون مدبرين بدل من يوم التّناد اي منصرفين عن الموقف الى النّار او
فارّين منها حسبما نقل آنفا ما لكم من الله من عاصم يعصمكم من عذابه والجملة حال اخرى من ضمير تولّون ومن
يضلل الله فما له من هاد يهديه الى طريق النّجاة ولقد جاءكم يوسف هو يوسف بن يعقوب عليهما السّلام على انّ
فرعونه فرعون موسى او على نسبة احوال الآباء الى الاولاد وقيل سبطه يوسف بن ابرهيم بن يوسف الصّدّيق
من قبل من قبل موسى بالبيّنات بالمعجزات الواضحة فما زلتم في شكّ ممّا جاءكم به من الدّين حتّى اذا هلك
بالموت قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ضمّا الى تكذيب رسالته بعده اوجزما بان لا يبعث بعده رسول مع الشّكّ
في رسالته وقرئ الن يبعث الله على انّ بعضهم يقرّر بعضا بنفي البعث كذلك مثل ذلك الاضلال القطيع
يضلّ الله من هو مسرف في عصيانه مرتاب في دينه شاكّ فيما تشهد به البيّنات لغلبة الوهم والانهماك
في التّقليد الّذين يجادلون في آيات الله بدل من الموصول الاوّل او بيان له او صفة باعتبار معناه كانّه
قيل مسرف مرتاب او المسرفين المرتابين بغير سلطان متعلّق بيجادلون اي بغير حجّة صالحة للتّمسّك
بها في الجملة اتاهم صفة سلطان كبر مقتا عند الله وعند الّذين آمنوا عند ضرب من التّعجّب والاستعظام وفي
كبر ضمير يعود الى من وتذكيره باعتبار اللّفظ وقيل انّ الجدال المستفاد من يجادلون كذلك اي مثل ذلك الطّبع
الفظيع يطبع الله على كلّ قلب متكبّر جبّار فيصدر عنه امثال ما ذكر من الاسراف والارتياب والمجادلة بالباطل
وقرئ بتنوين قلب ووصفه بالتّكبّر والتّجبّر لانّه منبعهما وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا اي بناء مكشوفا

عاليا من صرح الشّيء اذا ظهر لعلّي ابلغ الاسباب اي الطّرق اسباب السّموات بيان لها وفي ابهامها ثمّ
ايضاحها تفخيم لشأنها وتشويق السّامع الى معرفتها فاطّلع الى اله موسى بالنّصب على جواب التّرجّي وقرئ
بالرّفع عطفا على ابلغ ولعلّه اراد ان يبني له رصدا في موضع عال ليرصد منها احوال الكواكب الّتي هي اسباب
سماويّة تدلّ على الحوادث الارضيّة فيرى هل فيها ما يدلّ على ارسال الله تعالى ايّاه او ان يرى فساد قوله
عليه السّلام بانّ اخباره من اله السّماء يتوقّف على اطّلاعه عليه ووصوله اليه وذلك لا يتأتّى الّا بالصّعود
الى السّماء وهو ممّا لا يقوى عليه الانسان وما ذاك الّا لجهله بالله سبحانه استنباطه واني لاظنّه كاذبا فيما
يدّعيه من الرّسالة وكذلك اي ومثل ذلك التّزيين البليغ المفرط زيّن لفرعون سوء عمله فانهمك فيه
انهماكا لا يرعوي منه بحال وصدّ عن السّبيل اي سبيل الرّشاد والفاعل في الحقيقة هو الله تعالى ويؤيّده
قراءة زيّن بالفتح وبالتّوسّط الشّيطان وقرئ وصدّ على انّ فرعون صدّ النّاس عن الهدى بامثال هذه
التّموّهات والشّبهات ويؤيّده قوله تعالى وما كيد فرعون الّا في تباب اي خسار وهلاك او على انّه صدّ
صدودا اي اعرض وقرئ بكسر الصّاد على نقل حركة الدّال اليه وقرئ وصدّ على انّه عطف على سوء
عمله وقرئ وصدود اي هو وقومه وقال الّذي آمن اي مؤمن آل فرعون وقيل موسى عليه السّلام
يا قوم اتّبعون فيما دلّلتكم عليه اهدكم سبيل الرّشاد اي سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض
بانّ ما يسلكه فرعون وقومه سبيل الغيّ والضّلال يا قوم انّما هذه الحيوة الدّنيا متاع اي تمتّع يسير لسرعة زوالها
اجمل لهم اوّلا ثمّ فسّر فافتتح بذمّ الدّنيا وتصغير شأنها لانّ الاخلاد اليها رأس كلّ شرّ ومنه يتشعّب فنون
ما يؤدّي الى سخط الله تعالى ثمّ ثنّى بتعظيم الآخرة فقال وانّ الآخرة هي دار القرار لخلودها ودوام ما فيها
من عمل في الدّنيا سيّئة فلا يجزى في الآخرة الّا مثلها من الله سبحانه وفيه دليل على انّ الجنايات تغرم
بامثالها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك الّذين عملوا ذلك يدخلون الجنّة يرزقون فيها بغير حساب
اي بغير تقدير وموازنة بالعمل بل اضعافا مضاعفة فضلا من الله عزّ وجلّ ورحمة وجعل العمل عمدة والايمان
حالا للايذان بانّه لا عبرة بدونه وانّ ثوابه اعلى من ذلك ويا قوم ما لي ادعوكم الى النّجاة وتدعونني الى النّار
كرّر نداؤهم ايقاظا لهم عن سنة الغفلة واعتناء بالمنادى له ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به
نصحهم ومدار التّعجّب الّذي يلوح به الاستفهام دعوتهم ايّاه الى النّار لا دعوته ايّاهم الى النّجاة كانّه قيل
اخبروني كيف هذه الحال ادعوكم الى الخير وتدعونني الى الشّرّ وقد جعله بعضهم من قبيل ما لي اراك حزينا اي ما لك
لا تكون حزينا وقوله تعالى تدعونني لاكفر بالله بدل او بيان فيه تعليل والدّعاء كالهداية في التّعدية بالى
واللّام واشرك به ما ليس لي به علم بشركته تعالى في المعبوديّة وقيل بربوبيّته علم والمراد نفي العلوم والاشعار
بانّ الالوهيّة لا بدّ لها من برهان موجب للعلم بها وانا ادعوكم الى العزيز الغفّار الجامع لجميع صفات الالوهيّة
من كمال القدرة والغلبة وهو يتوقّف عليه من العلم والارادة والتّمكّن من المجازاة والقدرة على التّعذيب والغفران
لا جرم لا رادّ لما دعوه اليه وجرم فعل ماض بمعنى حقّ وفاعله قوله تعالى انّما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدّنيا
ولا في الآخرة اي حقّ ووجب عدم دعوة الهتكم الى عبادتها اصلا وعدم دعوة مستجابة او عدم استجابة دعوة لها
وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكنّ فيه اي كسب ذلك الدّعاء اليه بطلان دعوته بمعنى ما حصل من ذلك
الّا ظهور بطلان دعوته وقيل جرم فعل من الجرم وهو القطع كما انّ بدّا من لا بدّ فعل من التّبديد اي التّفريق و
المعنى لا قطع لبطلان الوهيّة الاصنام اي لا ينقطع في وقت ما فينقلب حقّا ويؤيّده قولهم لا جرم انّ الله يفعل بضمّ
الجيم وسكون الرّاء وفعل وفعل اخوان كرشد ورشد وانّ مردّنا الى الله اي بالموت عطف على انّ ما تدعونني داخل
في حكمه وكذا قوله تعالى وانّ المسرفين اي في الضّلال والطّغيان كالاشراك وسفك الدّماء هم اصحاب
النّار اي ملازموها فستذكرون وقرئ فستذكرون امري اي فسيذكر بعضكم بعضا عند معاينة العذاب

ما اقول لكم من النصايح وافوض امري الى الله قاله لما انهم كانوا توعدوه ان الله بصير بالعباد فيحرس من
يلوذ به من المكاره فوقاه الله سيات ما مكروا شدايد مكرهم وما عملوا به من الحاق انواع العذاب
بمن خالفهم قيل نجا مع موسى عليه السلام وحاق بآل فرعون اي بفرعون وقومه وعدم التصريح به
للاستغناء بذكرهم عن ذكره ضرورة انه اولى منهم بذلك وقيل بطلب المؤمن من قومه لما اتهم فر الى
جبل فابعث طائفة ليأخذوه فوجدوه يصلي والوحوش ترعى حوله فرجعوا رعبا فقتلهم سوء العذاب
الغرق والقتل والنار النار يعرضون عليها غدوا وعشيا جملة مستأنفة مسوقة لبيان كيفية سوء العذاب
او النار خبر مبتدأ محذوف كان قايلا قال ما سوء العذاب فقيل هو النار ويعرضون استينافا للبيان
او بدل من سوء العذاب ويعرضون حالا منها او من الآل ولا يشترط في الحيوة ان يكون الحايق ذلك
السوء بعينه حتى يرد ان آل فرعون لم يهموا بتعذيبه بالنار ليكون ابتلاؤهم بها من قبيل رجوع ما هم
عليه بل يكفي في ذلك ان يكون مما يطلق عليه اسم السوء وقرئت منصوبة على الاختصاص او باضمار فعل
يفسره يعرضون مثل يصلون فان اعراضهم على النار احراقهم بها من قولهم عرض الاسارى على السيف
اذا قتلوا به وذلك لارواحهم كما روي ابن مسعود رضي الله عنه ان ارواحهم في اجواف طير سود
تعرض على النار بكرة وعشيا الى يوم القيمة وذكر الوقتين اما للتخصيص واما فيما بينهما فالله تعالى
اعلم بحالهم واما للتابيد هذا ما دامت الدنيا ويوم تقوم الساعة يقال للملائكة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب
اي عذاب جهنم فانه اشد مما كانوا فيه او اشد عذاب جهنم فان عذابها الوان بعضها اشد من بعض
وقرئ ادخلوا من الدخول اي يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون اشد العذاب واذ يتحاجون في النار اي واذكر
لقومك وقت تخاصمهم فيها فيقول الضعفاء منهم للذين استكبروا وهم رؤسا وهم انا كنا لكم تبعا اتباعا
كخدم في جمع خادم وقرئ تبع اي اتباع على اضمار المضاف اي تبعا على الوصف بالمصدر مبالغة فهل انتم
فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار بالرفع او بالحمل ونصيبا منصوب بمضمر يدل عليه مغنون اي دافعون عنا نصيبا
الى آخره او بمغنون على تضمنه معنى الحمل اي مغنون عنا حاملين نصيبا الى آخره او نصب على المصدرية
كشيئا في قوله نحن وانتم فكيف نغني عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن انفسنا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله شيئا فانه في موقع غنا فكذلك نصيبا قال الذين استكبروا انا كل فيها اي نحن وانتم فكيف نغني عنكم
ولو قدرنا لاغنينا عن انفسنا وقرئ كلا على التاكيد لاسم ان بمعنى كلنا ومعنى وتنوينه عوض عن المضاف
اليه ولا مساغ لجعله حالا من المستكن في الظرف فانه لا يعمل في الحال المتقدمة كما يعمل في الظرف المتقدم
فانك تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول جديدا لك ثوب ان الله قد حكم بين العباد وقضى قضاء متقنا لا مرد
له ولا معقب لحكمه وقال الذين في النار من الضعفاء والمستكبرين جميعا لما ضاقت حيلهم وعيت بهم
عللهم لخزنة جهنم اي للقوم بتغليب اهل النار ووضع جهنم موضع الضمير للتهويل والتفظيع
او لبيان محلهم فيها بان يكون ابعد دركات النار وفيها اعتى الكفرة واطغاهم او لكون الملائكة الموكلين
بعذاب اهلها اقدر على الشفاعة لمزيد قربهم من الله تعالى ادعوا ربكم يخفف عنا يوما اي مقدار يوم او في
يوم ما من الايام على انه لا معيار شيئا من العذاب واقتصارهم في الاستدعاء على ما ذكر من تخفيف قدر
يسير من العذاب في مقدار قصير من الزمان دون رفعه راسا او تخفيف قدر كثير منه في زمان مديد
لان ذلك عندهم مما ليس في حيز الامكان ولا يكاد يدخل تحت امانيهم قالوا اي الخزنة اولم تك
تاتيكم رسلكم بالبينات اي اولم تنتبهوا عن هذا ولم تك تاتيكم رسلكم في الدنيا على الاستمرار بالحجج الواضحة
الدالة على سوء مغبة ما كنتم عليه من الكفر والمعاصي كما في قوله تعالى الم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم
ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ارادوا بذلك الزامكم وتوبيخهم على اضاعة اوقات الدعاء

ب

اوتعطيل اسباب الاجابة قالوا بلى اي اتونا بها فكذبناهم كما نطق به قوله تعالى بلى قد جاءنا نذير
فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير والفاء في قوله تعالى قالوا فادعوا فصيحة كما
في قول من قال • قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا • ثم القفول فقد جينا خراسانا • اي اذا كان الامر
كذلك فادعوا انتم فان الدعاء لمن يفعل ذلك مما يستحيل صدوره عنا وتعليل امتناعهم عن الدعاء
بعدم الاذن فيه مع عرائه عن بيان ان سببية من قبلهم كما يفصح عنه الفاء ربما يوهم ان الاذن
في حيز الامكان وانهم لو اذن فيه لفعلوا ولم يؤيد واما امرهم بالدعاء واطماعهم في الاجابة بل اقناطهم
واظهار خيبتهم حسبما صرحوا في قولهم وما دعاء الكافرين الا في ضلال اي في ضياع وبطلان قوله تعالى انا لننصر
رسلنا والذين امنوا الى آخره كلام مستأنف مسوق من جهته تعالى لبيان ان ما اصاب الكفرة من العذاب
المحكي من فروع حكم كلي تقتضيه الحكمة وهو ان شاننا المستمر انا ننصر رسلنا واتباعهم في الحيوة الدنيا
بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة بالاستيصال والقتل والسبي وغير ذلك من العقوبات
ولا يقدح في ذلك ما قد يتفق لهم من صورة الغلبة امتحانا اذ العبرة انما هي بالعواقب وغالب الا
ويوم يقوم الاشهاد اي يوم القيمة عبر عنه للاشعار بكيفية النصرة وانما يكون عند جمع الاولين والآخرين
بشهادة الاشهاد للرسل بالتبليغ وعلى الكفرة بالتكذيب يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم بدل من الاول وعدم نفع
المعذرة لانها باطلة وقرئ لا تنفع بالتاء ولهم اللعنة اي البعد عن الرحمة ولهم سوء الدار اي جهنم
ولقد اتينا موسى الهدى ما يهتدي به من المعجزات والصحف والشرايع واورثنا بني اسرائيل الكتاب وتركنا عليهم
من بعده التورية هدى وذكرى هداية وتذكرة او هاديا ومذكرا لاولي الالباب لاولي العقول
السليمة العاملين بما في تضاعيفه فاصبر على ما نالك من اذية المشركين ان وعد الله اي وعده الذي
ينطق به قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الى قوله تعالى الغالبون او وعده الخاص
بك او جميع مواعيده التي من جملتها ذلك حق لا يحتمل الاخلاف اصلا واستشهد بحال موسى
وفرعون واستغفر لذنبك تداركا لما فرط منك من ترك الاولى في بعض الاحايين فانه تعالى كا
في نصرة دينك اظهاره على الدين كله وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار اي ودم على التسبيح ملتبسا بحمده
تعالى وقيل صل لهذين الوقتين اذ كان الواجب بمكة ركعتين بكرة وركعتين عشيا وقيل صل شكرا
لربك بالعشي والابكار وقيل هما صلاتان صلوة العصر وصلاة الفجر ان الذين يجادلون في ايات الله
ويجحدون بها بغير سلطان اتيهم اتاهم في ذلك من جهته تعالى وتقييد المجادلة بذلك مع استحا
اتيانه للايذان بان المتكلم في امر الدين لا بد من استناده الى سلطان مبين البتة وهذا عام لكل
مجادل مبطل وان نزل في مشركي مكة قوله تعالى ان في صدورهم الا كبر ما هم خبر لان اي ما في قلوبهم الا تكبر عن
الحق وتعظم عن التفكر والتعلم والارادة من الرياسة والتقدم على الاطلاق والارادة ان تكون النبوة
لهم دونك حسدا وبغيا حسبما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقالوا لو كان خيرا
ما سبقونا اليه ولذلك يجادلون فيها الا ان فيها موقع جدال ما وان لهم شيئا يتوهم ان يصلح مرادا
لمجادلتهم في الجملة وقوله تعالى ما هم ببالغيه صفة لكبر قال مجاهد ما هم ببالغي مقتضى ذلك الكبر وهو
ما ارادوه من الرياسة والنبوة وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون لست بصاحبنا المذكور في التورية
بل هو المسيح بن داود يريدون الدجال يخرج في اخر الزمان ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار وهو
اية من ايات الله تعالى فيرجع الينا الملك فسمى الله تعالى تمنيهم ذلك كبرا ونفى ان يبلغوا متمناهم فاستعذ
بالله اي فالتجئ اليه من كيد من يحسدك ويبغي عليك وفيه رمز الى انه من همزات الشياطين انه
هو السميع البصير لاقوالكم وافعالكم لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس تحقيق للحق وتبيين لاشهر ما يجاد

ص

فيك

له

لون

فيه مزاحم البعث على منهاج قوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم ولكن
اكثر الناس لا يعلمون لقصورهم في النظر والتأمل لفرط غفلتهم واتباعهم لاهوائهم وما يستوي الاعمى والبصير
اي الغافل والمستبصر والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء اي والمحسن والمسيء فلا بد ان يكون لهم حال اخرى يظهر
فيها ما بين الفريقين من التفاوت وهو فيما بعد البعث وزيادة لا في المسيء لتأكيد النفي لطول الكلام بالصلة
ولان المقصود نفي مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثاني عطف الموصول بما عطف عليه
على الاعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود او الدلالة بالصراحة والتمثيل قليلا ما يتذكرون على الخطاب
بطريق الالتفات اي تذكرا قليلا يتذكرون وقرئ على الغيبة والضمير للناس او الكفار ان الساعة لآتية لا ريب
فيها اي في مجيئها لوضوح شواهدها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لا يصدقون
بها لقصور انظارهم على ظواهر ما يحسون به وقال ربكم ادعوني اي اعبدوني استجب لكم اثيبكم
ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين اي صاغرين اذلاء وان فسر الدعاء بالسؤال كان الامر الصارف
عنه منزلا منزلة الاستكبار عن العبادة للمبالغة او المراد بالعبادة الدعاء فانه من افضل ابوابها وقرئ سيدخلون
على صيغة المبني للمفعول من الادخال الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه بان خلقه باردا مظلما ليؤدي الى ضعف
الحركات وهدو الحواس ليستريحوا فيه وتقديم الجار والمجرور على المفعول قد مر سره مرارا والنهار مبصرا
اي مبصرا فيه او به ان الله لذو فضل على الناس لا يوازيه ولا يدانيه فضل ولكن اكثر الناس لا يشكرون
لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواقع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم ذلكم المتفرد بالافعال
المقتضية للالوهية والربوبية الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو اخبار مترادفة تخصص اللاحقة منها
السالفة وتقررها وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو استئنافا بما هو كالنتيجة
للاوصاف المذكورة فانى تؤفكون فكيف ومن اي وجه تصرفون عن عبادته خاصة الى عبادة غيره كذلك
يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون اي مثل ذلك الافك العجيب الذي لا وجه له ولا مصحح اصلا يؤفك كل من
جحد بآيات الله تعالى اي آية كانت لا افكا آخر له وجه ومصحح في الجملة الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء بيان
لفضله تعالى المتعلق بالمكان بعد بيان فضله المتعلق بالزمان قوله تعالى وصوركم فاحسن صوركم بيان لفضله
المتعلق بانفسهم والفاء في فاحسن تفسيرية فان الاحسان عين التصوير اي صوركم احسن تصوير حيث
خلقكم منتصبي القامة بادي البشرة متناسبي الاعضاء والتخطيطات متهيئا لمزاولة الصنائع واكتساب
الكمالات ورزقكم من الطيبات اي اللذائذ ذلكم الذي نعت بما ذكر من النعوت الجليلة الله ربكم خبران لذلكم
فتبارك الله اي تعالى لذاته رب العالمين اي مالكهم ومربيهم والكل تحت ملكوته مفتقرا اليه في ذاته ووجوده
وسائر احواله جميعا بحيث لو انقطع فيضه عنه آنا لانعدم بالكلية هو الحي المتفرد بالحياة الذاتية
الحقيقية لا اله الا هو اذ لا موجود يدانيه في ذاته وصفاته وافعاله فادعوه فاعبدوه خاصة لاختصاص
ما يوجبه تعالى مخلصين له الدين اي الطاعة من الشرك الجلي والخفي الحمد لله رب العالمين اي قائلين ذلك عن ابن عباس
رضي الله عنهما من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون
الله لما جاءني البينات من ربي من الحجج والآيات او من الآيات لكونها مؤيدة لادلة العقل منبهة عليها فان الآيات التنزيلية
مقررات للآيات التكوينية الآفاقية والانفسية وامرت ان اسلم لرب العالمين اي بان انقاد له واخلص له ديني هو
الذي خلقكم من تراب اي في ضمن خلق آدم عليه السلام منه حسبما مر تحقيقه مرارا ثم من نطفة اي ثم خلقكم
خلقا تفصيليا من نطفة اي مني ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا اي اطفالا والافراد لارادة الجنس او لارادة كل واحد
من افراده ثم لتبلغوا اشدكم علة ليخرجكم معطوفة على علة اخرى مناسبة لها كأنه قيل ثم يخرجكم طفلا لتكبروا
شيئا فشيئا ثم لتبلغوا كمالكم في القوة والعقل وكذا الكلام في قوله تعالى ثم لتكونوا شيوخا ويجوز عطفه على لتبلغوا

وقرئ شيخا كقوله تعالى طفلا ومنكم من يتوفى من قبل اي من قبل الشيخوخة بعد بلوغ الاشد او قبله ايضا ولتبلغوا
متعلق بفعل مقدر بعده اي ولتبلغوا اجلا مسمى هو وقت الموت او يوم القيمة يفعل ذلك ولعلكم تعقلون
ولكي تعقلوا ما في ذلك من فنون الحكم والعبر هو الذي يحيي ويميت الاموات الاحياء او الذي يفعل الاحياء
والاماتة فاذا قضى امرا اي اراد امرا من الامور فانما يقول له كن فيكون من غير توقف على شيء من الاشياء اصلا وهذا
تمثيل لتأثير قدرته تعالى في المقدورات عند تعلق ارادته بها وتصوير لسرعة ترتب المكونات على تكوينه من غير
ان يكون هناك آمر ومأمور والفاء الاولى للدلالة على ان ما بعدها من نتائج ما قبلها من اختصاص الاحياء والاماتة
به سبحانه الم تر الى الذين يجادلون في آيات الله انى يصرفون تعجيب من احوالهم الشنيعة وآرائهم الركيكة و
تمهيد لما يعقبه من بيان تكذيبهم بكل القرآن وسائر الكتب والشرائع وترتب الوعيد على ذلك كما ان ما سبق
من قوله تعالى ان الذين يجادلون في آيات الله الى آخره بيان لابتناء جدالهم على معنى فاسد لا يكاد يدخل تحت الوجود
هو الامنية الفارغة فلا تكرير فيه اي انظر الى هؤلاء المكابرين المجادلين في آيات الله تعالى الواضحة الموجبة
للايمان بها الزاجرة عن الجدال فيها كيف يصرفون عنها بالكلية قوله تعالى الذين كذبوا بالكتاب اي بكل القرآن
او بجنس الكتب السماوية فان تكذيبه تكذيب لها في محل الجر على انه بدل من الموصول الاول او في حيز النصب
او الرفع على الذم وانما وصل الموصول الثاني بالتكذيب دون المجادلة لان المعتاد وقوع المجادلة في
بعض المواد لا في الكل وصيغة الماضي للدلالة على التحقق كما ان صيغة المضارع في الصلة الاولى للدلالة
على تجدد المجادلة وتكريرها وبما ارسلنا به رسلنا من سائر الكتب او مطلق الوحي والشرائع فسوف يعلمون
كنه ما فعلوا من الجدال والتكذيب عند مشاهدتهم لعقوباته اذ الاغلال في اعناقهم ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال
ولفظ الماضي لتيقنه والسلاسل عطف على الاغلال والجار في نية التاخير وقيل مبتدأ حذف خبره لدلالة الاول
عليه وقيل قوله تعالى يسحبون بحذف العائد اي يسحبون بها وهو على الاولين حال من المستكن في الظرف
وقيل استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية حالهم كأنه قيل فماذا يكون حالهم بعد ذلك فقيل يسحبون
في الحميم وقرئ والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية
والسلاسل بالجر فعلا حملا على المعنى لان قوله تعالى ثم في النار يسجرون اي يحرقون من سجر التنور اذا ملأه
بالوقود ومنه السجير للصديق كأنه سجر بالحب اي ملئ والمراد انهم يعذبون بالوان العذاب وينقلون من باب
الى باب ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا اي يقال لهم ويقولون وصيغة الماضي للدلالة على
التحقق ومعنى ضلوا عنا غابوا عنا وذلك قبل ان تقرن بهم آلهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد ما كنا نتوقع منهم بل لم نكن ندعو
من قبل شيئا اي بل تبين لنا انا لم نكن نعبد شيئا بعبادتهم لما ظهر لنا اليوم انهم لم يكونوا شيئا يعتد به كقولك
حسبته شيئا فلم يكن كذلك اي مثل ذلك الضلال الفظيع يضل الله الكافرين حيث لا يهتدون الى شيء
ينفعهم في الآخرة او كما ضل عنهم آلهتهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو طالبوا لم يتصادفوا ذلكم الاضلال بما كنتم تفرحون
في الارض اي تبطرون وتتكبرون بغير الحق وهو الشرك والطغيان وبما كنتم تمرحون تتوسعون في
البطر والاشر والالتفات للمبالغة في التوبيخ ادخلوا ابواب جهنم اي ابوابها السبعة المقسومة لكم خالدين فيها
مقدرا خلودكم فيها فبئس مثوى المتكبرين اي عن الحق جهنم والتعبير عن مدخلهم بالمثوى لكون دخولهم بطريق
الخلود فاصبر الى ان يلاقوا ما اعد لهم من العذاب ان وعد الله بتعذيبهم حق كائن لا محالة فاما نرينك
اي فان نرك وما مزيدة لتأكيد الشرطية ولذلك لحقت النون الفعل ولا يلحقه مع ان وحدها بعض الذي
نعدهم وهو القتل والاسر او نتوفينك قبل ذلك فالينا يرجعون يوم القيمة فنجازيهم باعمالهم وهو جواب
نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم في حياتك
او لم نعذبهم فانا نعذبهم في الآخرة اشد العذاب وافظعه كما ينبئ عنه الاقتصار على ذكر الرجوع في هذا

مائة

ستقبال

الاغلال في اعناقهم في
معنى اعناقهم في الاغلال
واضمارا للباء ويدل
عليه القراءة
به

العرض ولقد ارسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك اذ قيل عدد الانبياء عليهم السلام مائة
واربعة وعشرون الفا والمذكور قصصهم افراد معدودة وقيل اربعة آلاف من بني اسرائيل واربعة آلاف من
سائر الناس وما كان لرسول اي وما صح وما استقام لرسول منهم ان يأتي بآية الا باذن الله فان المعجزات على
تشعب فنونها عطايا من الله تعالى قسمها بينهم حسبما اقتضته مشيئته المبنية على الحكم البالغة كسائر
القسم ليس لهم اختيار في ايثار بعضها والاستبداد باتيان المقترح بها فاذا جاء امر الله بالعذاب
في الدنيا والآخرة قضي بالحق بانجاء المحق واثابته واهلاك المبطل وتعذيبه وخسر هنالك اي وقت مجيء
امر الله هنالك اسم مكان استعير للزمان المبطلون اي المتمسكون بالباطل على الاطلاق فيدخل فيهم المعاندون
والمقترحون دخولاً اولياً الله الذي جعل لكم الانعام قيل هي الابل خاصة اي خلقها لاجلكم ومصلحتكم قوله تعالى
لتركبوا منها ومنها تأكلون تفصيل لما دل عليه الكلام اجمالاً ومن لابتداء الغاية ومعناها ابتداء الركوب
والاكل منها اي تعلقهما بها وقيل للتبعيض اي لتركبوا بعضها وتأكلوا بعضها لا على ان كلاً من الركوب والاكل
مختصاً ببعض معين بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الآخر بل على ان كل بعض منها صالح لكل منهما و
تغيير النظم الكريم في الجملة الثانية لمراعاة الفواصل مع الاشعار باصالة الركوب ولكم فيها منافع
اخر غير الركوب والاكل كالبانها واوبارها وجلودها ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم تحمل اثقالكم من بلد
الى بلد وعليها وعلى الفلك تحملون لعل المراد به حمل النساء والولدان عليها بالهودج وهو السر في فصله عن
الركوب والجمع بينها وبين الفلك في الحمل لما بينهما من المناسبة التامة حتى سميت سفائن البر وقيل هي
الازواج الثمانية فمعنى الركوب والاكل منها تعلقهما بالكل لكن لا على ان كلاً منهما يجوز تعلقه بكل منهما
ولا ان كلاً منهما مختصاً ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الآخر بل على ان بعضها يتعلق
به الاكل فقط كالغنم وبعضها يتعلق به كلاهما كالابل والبقر والمنافع تعم الكل وبلوغ الحاجة عليها
يعم البقر ويريكم آياته دلائله الدالة على كمال قدرته ووفور رحمته فأي آيات الله اي فأي آية من
تلك الآيات الباهرة تنكرون فان كلاً منها من الظهور بحيث لا يكاد يجترئ على انكارها من له عقل
في الجملة وهو ناصب لأي واضافة الآيات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وتهويل انكارها وتذكير اي
هو الشائع المستفيض والتأنيث قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث في الاسماء غير الصفات نحو
حمار وحمارة غريب وهي في اي اغرب لابهامه افلم يسيروا اي اقعدوا فلم يسيروا في الارض فينظروا كيف
كان عاقبة الذين من قبلهم من الامم المهلكة قوله تعالى كانوا اكثر منهم واشد قوة الى آخره استئناف مسوق
لبيان مبادي احوالهم وعواقبها وآثاراً في الارض باقية بعدهم من الابنية والقصور والمصانع وقيل
هي آثار اقدامهم في الارض لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ما الاولى نافية او استفهامية
منصوبة باغنى والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة اي لم يغن عنهم او اي شيء اغنى عنهم مكسوبهم او
كسبهم فلما جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او بالآيات الواضحة فرحوا بما عندهم من العلم اي اظهروا الفرح بذلك
وهو ما لهم من العقائد الزائغة والشبه الداحضة وتسميتها علماً للتهكم بهم او علم الطبائع والتنجيم و
الصنائع ونحو ذلك او هو علم الانبياء الذي اظهره رسلهم على ان معنى فرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم
به ويؤيده قوله تعالى وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقيل الفرح ايضاً للرسل فانهم لما شاهدوا تمادي
جهلهم وسوء عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم المؤدي الى حسن العاقبة وشكروا الله عليه وحاق بهم
بالكافرين ما كانوا به يستهزؤن جزاء جهلهم واستهزائهم فلما رأوا بأسنا شدة عذابنا ومنه قوله تعالى بعذاب
بئيس قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين يعنون الاصنام فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا
اي عند رؤية عذابنا لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قيل فلم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى لبيان

عاقبة

عاقبة كثرتهم وشدة قوتهم وما كانوا يكسبون بل لك زعماً منهم ان ذلك يغني عنهم فلم يترتب
عليه الا عدم الاغناء فبهذا الاعتبار جرى مجرى النتيجة وان كان عكس الغرض نقيض المطلوب كما في
قولك وعظته فلم يتعظ والثانية تفسير وتفصيل لما ابهم واجمل من عدم الاغناء فبهذا الاعتبار قد كثر في
الكلام مثل هذه الفاء ومعناها على ان التفسير بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال والثالثة لمجرد
التعقيب وجعل ما بعدها تابعاً لما قبلها واقعاً لما عقبه لان مضمون قوله تعالى فلما جاءتهم الى آخره
هو انهم كفروا فصار مجموع الكلام بمنزلة ان يقال فكفروا ثم لما رأوا بأسنا آمنوا والرابعة للعطف
على آمنوا كانه قيل فآمنوا فلم ينفعهم لان النافع هو الايمان الاختياري سنت الله التي قد خلت في عباده
اي سن الله تعالى ذلك سنة ماضية في العباد وهو من المصادر المؤكدة وخسر هنالك الكافرون اي وقت رؤيتهم
البأس على انه اسم مكان قد استعير للزمان كما سلف آنفاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة فصلت وهي اربع وخمسون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم حم ان جعل اسماً للسورة فهو اما خبر لمبتدأ محذوف ان جعل مسروداً على نمط التعديد
قوله تعالى من الرحمن الرحيم متعلق به مؤكد لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية او خبر
آخر او تنزيل مبتدأ لتخصيصه بالصفة خبره كتاب وهو على وجوه الاول بدل منه او خبر آخر او خبر
لمحذوف ونسبة التنزيل الى الرحمن الرحيم للايذان بانه مدار للمصالح الدينية والدنيوية واقع بمقتضى
الرحمة الربانية حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فصلت آياته ميزت بحسب
النظم والمعنى وجعلت تفاصيل في اساليب مختلفة ومعان متغايرة من احكام وقصص ومواعظ
وامثال ووعد ووعيد وقرئ فصلت اي فرقت بين الحق والباطل وفصل بعضها من بعض باختلاف الاساليب
والمعاني من قولك فصل من البلد فصولاً قرآناً عربياً نصب على المدح او الحالية من كتاب لتخصصه
بالصفة او من آياته لقوم يعلمون اي معانيه لكونه على لسانهم وقيل لاهل العلم والنظر لانهم المنتفعون به
واللام متعلقة بمحذوف هو صفة اخرى لقرآناً او كائناً لقوم الى آخره او تنزيل على ان من الرحمن الرحيم
ليست بصفة له او بفصلت بشيراً ونذيراً صفتان اخريان لقرآناً اي بشيراً لاهل الطاعة ونذيراً
لاهل المعصية او حالان من كتاب او من آياته وقرئا بالرفع على الوصفية لكتاب او الخبرية لمحذوف
فاعرض اكثرهم عن تدبره مع كونه على لغتهم فهم لا يسمعون سماع تفكر وتأمل حتى يفهموا جلالة
قدره فيؤمنوا به وقالوا اي لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند دعوته اياهم الى الايمان والعمل
بما في القرآن قلوبنا في اكنة اي اغطية متكاثفة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر اي صمم واصل الثقل
وقرئ بفتح القاف ومن بيننا وبينك حجاب غليظ يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على ان الحجاب
مبتدأ من الجانبين بحيث استوعب ما بينهما من المسافة المتوسطة ولم يبق ثمة فراغ اصلاً وهذه
تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك الحق وقبوله ومج اسماعهم له كان بها صمماً وامتناع مواصلتهم
وموافقتهم للرسل عليهم السلام فاعمل اي على دينك وقيل في ابطال امرنا اننا عاملون اي على ديننا
وقيل في ابطال امرك والاول هو الاظهر فان قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد تلقين
للجواب عنه اي لست من جنس مغاير لكم حتى يكون بيني وبينكم حجاب وتباين مصحح لتباين الاعمال
والاديان كما ينبئ عنه قولكم فاعمل اننا عاملون بل انما انا بشر مثلكم مأمور بما امرتم به حيث اخبرنا جميعاً
بالتوحيد بخطاب جامع بيني وبينكم فان الخطاب في العلم بحكم منتظم للكل الا انه خطاب منه صلى الله عليه

وهو الاظهر لما من سبق مراراً ومبتدأ خبره تنزيل وهو الاول خبر بعد خبر وخبر لمبتدأ محذوف صح

له

وسلم

للكفرة كما مثلكم وقيل المعنى لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقي منه ولا ادعوكم الى ما تنبو عنه العقول والاسماع وانما ادعوكم الى التوحيد والاستقامة في العمل وقد دلت عليهما دلايل العقل وشواهد النقل وقيل المعنى اني لست بملك وانما انا بشر مثلكم وقد اوحي الي دونكم فصحت بالوحي الي واذا صحت نبوتي وجب عليكم اتباعي فتامل والفاء في قوله تعالى **فاستقيموا اليه** لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ايحاء الوحدانية فان ذلك موجب لاستقامتهم اليه تعالى بالتوحيد والاخلاص اليه في العمل **واستغفروه** مما كنتم عليه من سوء العقيدة والعمل وقوله تعالى **وويل للمشركين** ترهيب وتنفير لهم عن الشرك اثر ترغيبهم في التوحيد ووصفهم بقوله تعالى **الذين لا يؤتون الزكوة** لزيادة التحذير والتخويف عن منع الزكوة حيث جعل من اوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة حيث قيل **وهم بالآخرة هم كافرون** وهو عطف على لا يؤتون داخل في حيز الصلة واختلافهما بالفعلية والاسمية لما ان عدم ايتائها متجدد والكفر امر مستمر ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما انه فسر لا يؤتوا الزكوة بقوله لا يقولون لا اله الا الله فانها زكوة الانفس والمعنى لا يطهرون انفسهم من الشرك بالتوحيد وهو ماخوذ من قوله تعالى ونفس وما سويها وقال الضحاك ومقاتل لا ينفقون في الطاعة ولا يتصدقون وقال مجاهد لا يزكون اعمالهم **ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون** اي لا يمن به عليهم من المن واصله الثقل ولا يقطع من مننت الحبل قطعته وقيل نزلت في المرضى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون **قل اينكم لتكفرون** انكار وتشنيع لكفرهم وان واللام اما لتاكيد الانكار وتقديم الهمزة لاقتضاء الصدارة لا لانكار التاكيد واما للاشعار بان كفرهم من البعد بحيث ينكر العقلاء وقوعه فيحتاج الى التاكيد وانما علق كفرهم بالموصول حيث قيل **بالذي خلق الارض في يومين** لتفخيم شانه تعالى واستعظام كفرهم به اي بالعظيم الشان الذي قدر وجودها اي حكم بانها ستوجد في مقدار يومين او في نوبتين على ان ما يوجد في كل نوبة يوجد باسرع ما يكون والا فاليوم الحقيقي انما يتحقق بعد وجودها وتسوية السموات وابداع نيراتها وترتيب حركاتها **وتجعلون له اندادا** عطف على تكفرون داخل في حكم الانكار والتوبيخ وجمع الانداد باعتبار ما هو الواقع لا بان يكون مدار الانكار هو التعدد اي وتجعلون له اندادا والحال انه لا يمكن له ند واحد **ذلك** اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في العظمة وافراد الكاف لما مر مرارا من ان المراد ليس تعيين المخاطبين وهو مبتدا خبره ما بعده اي ذلك العظيم الشان الذي فصل ما ذكر **رب العالمين** اي خالق جميع الموجودات ومربيها دون الارض خاصة فكيف يتصور ان يكون له اخس مخلوقاته ندا قوله تعالى **وجعل فيها رواسي** اي عطف على خلق داخل في حكم الصلة والجعل ابداعي وحديث لزوم الفصل بينهما بجملتين خارجتين عن حيز الصلة مدفوع بان الاولى متحدة بقوله تعالى تكفرون فهو بمنزلة الاعادة له والثانية اعتراضية مقررة لمضمون الكلام بمنزلة التاكيد فالفصل بينهما فلا فصل على ان فائدة التنبيه على ان مجرد المعطوف عليه كاف في تحقيق ربوبيته للعالمين واستحالة ان يجعل له ند فكيف اذا انضم اليه المعطوفات وقيل هو عطف على مقدر اي خلقها وجعل الى آخره وقيل هو كلام مستانف وايا ما كان فالمراد تقدير الجعل لا الجعل بالفعل وقوله تعالى **من فوقها** متعلق بجعل او بمضمر هو صفة لرواسي اي كاينة من فوقها مرتفعة عليها لتكون منافعها معرضة لاهلها ويظهر للنظار ما فيها من مراصد الاعتبار ومطامح الافكار **وبارك فيها** اي قدر بان يكثر خيرها بان يخلق انواع الحيوان التي من جملتها الانسان واصناف النبات التي منها معايشهم **وقدر فيها اقواتها** اي حكم بالفصل بان يوجد فيما سياتي لاهلها من الانواع المختلفة اقواتها المناسبة لها على مقدار معين تقتضيه الحكمة وقرئ وقسم فيها اقواتها **في اربعة ايام** تصريحا بالفذلكة **سواء** مصدر مؤكد بمضمر هو صفة لايام اي استوت سواء اي استواء كما ينبئ عنه القراءة

بالجر وقيل هو حال من الضمير في اقواتها او فيها وقرئ بالرفع اي هي سواء **للسائلين** متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض وما فيها او بقدر اي قدر فيها اقواتها لاجل السائلين اي الطالبين لها المحتاجين اليها من المقتاتين وقوله تعالى **ثم استوى الى السماء** شروع في بيان كيفية التكوين اثر بيان كيفية التقدير ولعل تخصيص البيان بما يتعلق بالارض واهلها لما ان بيان اعتنائه تعالى بامر المخاطبين وترتيب مبادي معايشهم قبل خلقهم مما يحملهم على الايمان ويزجرهم عن الكفر والطغيان اي ثم قصد نحوها قصدا سويا لا يلوي على غيره **وهي دخان** اي امر ظلماني عبر به عن مادتها وعن الاجزاء المتصغرة التي ركبت هي منها او دخان مرتفع من الماء كما سياتي وانما خص الاستواء بالسماء مع ان الخطاب المترتب عليه متوجه اليهما معا حسبما ينطق به قوله تعالى **فقال لها وللارض** اكتفاء بذكر تقديرها وتقدير ما فيها كانه قيل فقال لها وللارض التي قدر وجودها ووجود ما فيها **ائتيا** اي كونا واحدثا على وجه معين وفي وقت مقدر لكل منكما وهو عبارة عن تعلق ارادته تعالى بوجودهما تعلقا فعليا بطريق التمثيل بعد تقدير امرهما من غير ان يكون هناك آمر ومامور كما في قوله تعالى **طوعا او كرها** تمثيل لتحتم تاثير قدرته تعالى فيهما واستحالة امتناعهما من ذلك لا اثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال اي طايعتين او كارهتين وقوله تعالى **قالتا اتينا طايعين** اي منقادين تمثيل لكمال تاثرهما بالذات عن القدرة الربانية وحصولهما كما امرتا به وتصوير لكون وجودهما كما هما عليه جاريا على مقتضى الحكمة فان الطوع منبئ عن ذلك والكره بخلافه وانما قيل طايعين باعتبار كونهما في معرض الخطاب والجواب كقوله تعالى ساجدين وقوله تعالى **فقضاهن سبع سموات** تفسير وتفصيل لتكوين السماء المجمل المعبر عنه بالامر وجوابه لانه فعل مترتب على تكوينهما اي خلقهن خلقا ابداعيا واتقن امرهن حسبما تقتضيه الحكمة والضمير اما للسماء على المعنى او مبهم وسبع سموات حال على الاول تمييز على الثاني **في يومين** في وقت مقدر بيومين وقد بين زمان مقدار خلق الارض وخلق ما فيها عند بيان تقديرهما فكان خلق الكل في ستة ايام حسبما نص عليه في مواضع من التنزيل **واوحى في كل سماء امرها** عطف على قضاهن اي خلق في كل منهما ما فيها من الملايكة والنيرات وغير ذلك مما لا يعلمه الا الله تعالى كما قاله قتادة والسدي فالوحي عبارة عن التكوين كالامر مقيد بما قيد به المعطوف عليه من الوقت او اوحى الى اهل كل منهما اوامره وكلفهم بما يليق بهم من التكاليف فهو بمعناه ومطلق عن القيد المذكور وايا ما كان فعلى ما قرر من التفصيل لا دلالة في الاية الكريمة على الترتيب بين ايجاد الارض وايجاد السماء وانما الترتيب بين التقدير والايجاد واما على تقدير كون الخلق وما عطف عليه من الافعال الثلاثة الظاهرة فهي وما في سورة البقرة من قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسويهن سبع سموات يدلان على تقدم خلق الارض وما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه اطباق اكثر اهل التفسير وقد روي ان العرش العظيم كان قبل خلق السموات والارض على الماء ثم انه تعالى احدث في الماء اضطرابا فازبد فارتفع منه دخان فاما الزبد فبقي على وجه الماء فخلق منه اليبوسة فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها ارضين واما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروي انه تعالى خلق جرم الارض يوم الاحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلاثا ويوم الاربعا وخلق السموات والارض ما فيهن يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق آدم عليه السلام في آخر ساعة منه وهي الساعة التي تقوم فيها القيمة وقيل ان خلق جرم الارض مقدم على خلق السموات لكن دحوها وخلق ما فيها موخر عنه لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها ولما روي عن الحسن انه تعالى خلق الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليه دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان

وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا
رتقا ففتقناهما الاية وليس المراد بنظمها مع السماء في سلك الامر بالاتيان انشاءها واحداثها من انشاء
وجودها وجعلها على وجه خاص يليق بها من شكل معين ووصف مخصوص كانه قيل ايتيا على ماينبغي ان ياتيا
ايتي يا ارض مدحوا قرارا ومهادا لاهلك وائتيا يا سماء معينة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول على ذلك
الوجه كما ينبئ عنه قراءة اتيا من المواتاة وهي الموافقة وانت خبير بان المذكور قبل الامر بالاتيان ليس مجرد خلق
جرم الارض حتى يتأتى ما ذكر بل خلق ما فيها ايضا من الامور المتاخرة عن دحوها قطعا فالاظهر ان يسلك
مسلك الاولين ويحمل الامر بالاتيان على تكونهما متوافقين على الوجه المذكور وليس من ضرورته ان
يكون دحوها مترتبا على ذلك التكوين وانما اللازم ترتب حصول التوافق عليه ولاريب في ان تكوين السماء
على الوجه اللائق بها كاف في حصوله ولا يقدح في ذلك تكوين الارض على الوجه المذكور قبل ذلك وان
يحمل الارض في قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها منصوبا بعضمر قد حذف على شريطة التفسير ويحمل
ذلك اشارة الى ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا الى انفسها ويحمل البعدية اما
على انه قاصر عن الاول في الدلالة على القدرة القاهرة كما قيل واما على انه اذا دخل في الالزام لما ان المنافع المنوطة
بما في الارض اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر واحاطتهم بتفاصيلها اكمل وليس ما روي عن الحسن رضي
الله عنه نصا في دحو الارض عن خلق السماء فان بسط الارض معطوف على اصعاد الدخان وخلق السماء بالواو
فلا دلالة في ذلك على الترتيب قطعا وقد نقل الامام الواحدي عن مقاتل ان خلق السماء مقدم على ايجاد
الارض فضلا عن دحوها فلا بد عن حمل الامر باتيانهما حينئذ ايضا على ما ذكر من التوافق والمواتاة ولا يقدح
في ذلك تقدم خلق السماء على خلق الارض كما لم يقدح فيه تقديم خلق الارض على خلق السماء هذا كله على تقدير
كون كلمة ثم للتراخي الزماني واما على تقدير كونها للتراخي الرتبي كما جنح اليه الاكثرون فلا دلالة في الاية
الكريمة على الترتيب كما في الوجه الاول وعلى ذلك مبنى الكلام في تفسير قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض
جميعا الاية وانما لم يحمل الخلق هناك على معنى التقدير كما حمل عليه ههنا لتوفية مقام الامتنان حقه
وزينا السماء الدنيا بمصابيح من الكواكب فانها كلها ترى متلالئة عليها كانها فيها والالتفات الى نون العظمة
لابراز مزيد العناية بالامر في قوله تعالى **وحفظا** مصدر مؤكد لفعل معطوف على زينا اي وحفظناها من
الافات ومن المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى كانه قيل وخلقنا المصابيح زينة وحفظا **ذلك**
الذي ذكر تفاصيله **تقدير العزيز العليم** البالغ في القدرة والعلم **فان اعرضوا** متصل بقوله تعالى قل ائنكم الى
الى آخره فان اعرضوا عن التدبر فيما ذكر من عظائم الامور الداعية الى الايمان او عن الايمان بعد هذا
البيان **فقل انذرتكم** اي انذركم وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الانذار المنبئ عن تحقق المنذر
صاعقة اي عذابا هائلا شديد الوقع كانه صاعقة **مثل صاعقة عاد وثمود** وقرئ صعقة عاد وثمود
وهي المرة من الصعق والصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا وهو من باب فعلته
ففعل **اذ جاءتهم الرسل** حال من صاعقة عاد ولا مساغ لجعله ظرفا لانذرتكم او صعقة لصاعقة عاد اي الكائنة
اذ جاءتهم ففيه حذف الموصول مع صلته **من بين ايديهم ومن خلفهم** متعلق بجاءتهم اي من جميع جوانبهم واجتهدوا
بهم من كل جهة او من جهة الزمان الماضي بالانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما
سيحيق بهم من عذاب الدنيا او من عذاب الاخرة وقيل المعنى جاءتهم الرسل المتقدمون والمتأخرون على تنزيل
مجيء كلامهم ودعوتهم الى الحق منزلة مجيء انفسهم فان هودا وصالحا كانا داعيين لهما الى الايمان بهما وبجميع الرسل
ممن جاء من بين ايديهم اي من قبلهم وممن يجيء من خلفهم اي من بعدهم فكأن الرسل قد جاؤهم وخاطبوهم
بقوله **الا تعبدوا الا الله** اي بان لا تعبدوا على ان مصدرية او ان لا تعبدوا على انها مفسرة **قالوا لو شاء**

ربنا اي ارسال الرسل **لانزل الملائكة** كما قيل فانه عار عن افادة ما ارادوه من نفي رسالة البشر وقد مر فيما سلف
لانزل ملائكة اي لارسلهم لكن لما كان ارسالهم بطريق الانزال قيل لانزل **فانا بما ارسلتم به** اي على زعمكم وفيه
ضرب تهكم **كافرون** لما انكم بشر مثلنا من غير فضل لكم علينا روي ان ابا جهل قال في ملأ من قريش قد التبس
علينا امر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر يكلمه ثم اتانا ببيان من امره فقال عتبة
ابن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى علي فاتاه فقال انت
يا محمد خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله فبم تشتم الهتنا وتضللنا فان كنت تريد
الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا وان يكن بك الباه زوجناك عشر نسوة تختار هن اي بنات
قريش وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغني ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ عتبة
قال صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله تعالى مثل صاعقة عاد وثمود فامسك
عتبة على فيه صلى الله عليه وسلم وناشده بالرحم ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم
قالوا ما نرى عتبة الا قد صبا فانطلقوا اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا انك صبأت فغضب
ثم قال والله لقد كلمته فاجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود
امسكت فيه وناشدته بالرحم وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب **فاما**
عاد فاستكبروا في الارض شروع في بيان ما يخص كل واحدة من الطائفتين من الجناية والعذاب اثر حكاية
ما يعم الكل من الكفر المطلق اي فتعظموا فيها على اهلها واستعلوا فيها واستولوا على اهلها **بغير**
الحق بغير استحقاق للتعظيم والولاية **وقالوا** مدلين بشدتهم وقوتهم **من اشد منا قوة** حيث كانوا ذوي
اجسام طوال وخلق عظيم وقد بلغ من قوتهم ان الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده **اولم**
يروا اي اغفلوا ولم ينظروا ولم يعلموا علما جليا شبيها بالمشاهدة والعيان **ان الله الذي خلقهم هو اشد** منهم قوة
اي قدرة فانه تعالى قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوي على ما لا يقدر عليه غيره مفيض للقوى
والقدر على كل قوي وقادر وانما اورد في حيز الصلة خلقهم دون خلق السموات والارض لادعائهم الشدة
في القوة وفيه ضرب تهكم بهم **وكانوا باياتنا** المنزلة على الرسل **يجحدون** اي ينكرونها وهم يعرفون حقيتها
وهو عطف على فاستكبروا كقوله تعالى وقالوا وما بينهما اعتراض للرد على كلمتهم الشنعاء **فارسلنا عليهم ريحا صرصرا**
اي باردة تهلك وتحرق لشدة بردها من الصر وهو البرد الذي يصر اي يجمع ويقبض او عاصفة تصوت
في هبوبها من الصرير **في ايام نحسات** جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرئ بالسكون على
التخفيف او على انه نعت على فعل او وصف بمصدر مبالغة قيل كن آخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء وما
عذب قوم الا في يوم الاربعاء **لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا** وقرئ لتذيقهم على اسناد الاذاقة الى
الريح او الى الايام واضيف العذاب الى الخزي الذي هو الذل والاستهانة على انه وصف له كما يعرب عنه
قوله تعالى **ولعذاب الاخرة اخزى** وهو في الحقيقة وصف للمعذب قد وصف به العذاب للمبالغة **وهم**
لا ينصرون بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه **واما ثمود فهديناهم** فدللناهم على الحق بنصب الايات
التكوينية وارسال الرسل وانزال الايات التشريعية وازحنا عللهم بالكلية وقد مر تحقيق معنى
الهدى في تفسير قوله تعالى هدى للمتقين وقرئ ثمود بالنصب بفعل يفسره ما بعده منونا في الحالين
وبضم الثاء **فاستحبوا العمى على الهدى** اي اختاروا الضلالة على الهداية **فاخذتهم صاعقة العذاب الهون**
داهية العذاب وقارعة العذاب والهون الهوان وصف به العذاب مبالغة او ابدل منه **بما**
كانوا يكسبون من اختيار الضلالة **ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون** من تلك الصاعقة **ويوم يحشر اعداء**
الله تعالى لتنهم والايذان بما يحيق بهم من الوان العذاب وقيل المراد بهم الكفار من الاولين والاخرين

ويرده مايرد من قوله تعالى في امم قدخلت من قبلهم من الجن والانس وقرئ يحشر على بنا الفاعل ونصب
اعداء الله تعالى وبنون العظمة وكسر الشين وكسرها الى النار اي الى موقف الحساب اذ هناك يتحقق
الشهادة الآتية لابعد تمام السؤال والجواب وسوقهم الى النار والتعبير عنه بالنار اما للايذان بانها
عاقبة حشرهم وانهم على شرف دخولها واما لان حسابهم يكون على شفيرها ويوم اما منصوب باذكر او
ظرف لمضمر مؤخر قد حذف ايهاما لقصور العبارة عن تفصيله كما مر في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل
وقيل ظرف لما يدل عليه قوله تعالى فهم يوزعون اي يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن
كثرتهم وقيل يساقون ويدفعون الى النار قوله تعالى حتى اذا ما جاؤها اي جميعا غاية ليحشروا او ليوزعون حتى
اذا حضروها وما مزيدة لتاكيد اتصال الشهادة بالحضور شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا في الدنيا من
فنون الكفر والمعاصي بان ينطقها الله تعالى او يظهر عليها آثارا مما اقترفوا بها وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ان المراد بشهادة الجلود شهادة الفروج وهو الانسب بتخصيص السؤال بها في قوله تعالى وقالوا لجلودهم
لم شهدتم علينا فان ما تشهد به من الزنا اعظم جناية وقبحا واجلب للخزي والعقوبة مما يشهد به السمع
والابصار من الجنايات المكتسبة بتوسطها وقيل المراد بالجلود الجوارح اي سألوها سؤال توبيخ لما روي
انهم يقولون لها فعنكن كنا نناضل وفي رواية بعدا لكن وسحقا عنكن كنت اجادل وصيغة جمع العقلاء في
خطاب الجلود وفي قوله تعالى قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء لوقوعها في موقع السؤال والجواب المختصين
بالعقلاء اي انطقنا الذي انطق كل ناطق واقدرنا على بيان الواقع فشهدنا عليكم بما عملتم بواسطتنا
من القبائح وما كتمناها وقيل ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا الله الذي انطق كل شيء وليس ذلك لما فيه
من ايهام الاضطرار في الاخبار وقيل سألوها سؤال تعجب والمعنى حينئذ ليس نطقنا بعجب من قدرة الله تعالى
الذي انطق كل شيء وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون فان من قدر على خلقكم وانشائكم اولا وعلى اعادتكم ورجعكم
الى جزائه ثانيا لا يتعجب من انطاقه لجوارحكم واما صيغة المضارع مع ان هذه المحاورة بعد البعث والرجع
لما ان المراد بالرجع ليس مجرد الرد الى الحيوة بالبعث على ما يعمه وما يترتب عليه من العذاب الخالد
المترتب عند التخاطب على تغليب المتوقع على الواقع على ان فيه مراعاة الفواصل قوله تعالى وما كنتم تستترون ان
يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم حكاية لما سيقال لهم يومئذ من جهته تعالى بطريق التوبيخ والتقريع
تقريرا لجواب الجلود اي ما كنتم تستترون في الدنيا عند مباشرة الفواحش مخافة ان تشهد عليكم
جوارحكم بذلك كما كنتم تستترون من الناس مخافة الافتضاح عندهم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء اصلا
ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون من القبائح الخفية فلا يظهرها في الآخرة ولذلك اجترأتم على ما فعلتم
وفيه ايذان بان شهادة الجوارح باعلامه تعالى لا بانها كانت عالمة بما شهدت به عند صدوره عنهم عن
ابن مسعود رضي الله عنه كنت مستترا باستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر ثقفيان وقرشي او قرشيان وثقفي
فقال احدهم اترون ان الله يسمع ما نقول قال الآخر يسمع ان جهرنا ولا يسمع ان اخفينا فذكرت ذلك
للنبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى وما كنتم تستترون الآية فالحكم المحكي حينئذ يكون خاصا بمن
كان على ذلك الاعتقاد من الكفرة ولعل الانسب ان يراد بالظن معنى مجازي يعم معناه الحقيقي وما يجري مجراه
من الاعمال المنبئة عنه كما في قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده ليعم ما حكي من الحال جميع اصناف الكفرة
فتدبر وذلكم اشارة الى ما ذكر من ظنهم وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية بعد منزلته في الشر والسوء
وهو مبتدأ وقوله تعالى ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم خبران له ويجوز ان يكون ظنكم بدلا وارداكم خبرا
فاصبحتم بسبب ذلك الظن السوء الذي اهلككم من الخاسرين اذ صار ما منحوا لنيل سعادة الدارين سببا
لشقاء النشأتين فان يصبروا فالنار مثوى لهم اي محل ثواء واقامة ابدية لهم بحيث لا براح لهم منها فالالتفات الى

الغيبة

الغيبة للايذان باقتضاء حالهم ان يعرض عنهم ويحكى سوء حالهم لغيرهم او للاشعار بابعادهم عن حيز الخطاب
والقائهم في غاية دركات النار وان يستعتبوا اي يسألوا العتبى وهو الرجوع الى ما يحبونه جزعا مما هم فيه
فما هم من المعتبين المجابين اليها ونظيره قوله تعالى سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا وقرئ وان يستعتبوا فما
هم من المعتبين اي ان يسألوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلين لفوات المكنة وقيضنا لهم اي قدرنا وقرنا
للكفرة في الدنيا قرناء جمع قرين اي اخوانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو
القشر وقيل اصل القيض البدل ومنه المقايضة للمعاوضة فزينوا لهم ما بين ايديهم من امور الدنيا واتباع الشهوات
وما خلفهم اي من امور الآخرة حيث اروهم ان لا بعث ولا حساب ولا مكروه قط وحق عليهم القول اي ثبت
وتقرر عليهم كلمة العذاب وتحقق موجبها ومصداقها وهو قوله تعالى لابليس فالحق والحق اقول لاملأن
جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين في امم حال من ضمير المجرور اي كائنين في جملة امم وقيل في معنى مع
وهذا كما ترى صريح في ان المراد باعداء الله تعالى فيما سبق المعهود من عاد وثمود لا الكفار من الاولين والآخرين
كما قيل قد خلت صفة لامم اي مضت من قبلهم من الجن والانس على الكفر والعصيان كدأب هؤلاء انهم
كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير للاولين والآخرين وقال الذين كفروا من رؤساء المشركين
لاعقابهم او قال بعضهم لبعض لا تسمعوا لهذا القرآن اي لا تنصتوا له والغوا فيه وعارضوا فيه بالخرافات
من الرجز والشعر والتصدية والمكاء او ارفعوا اصواتكم بها لتشوشوا على القارئ وقرئ بضم الغين والمعنى
واحد يقال لغا يلغى كلقا يلقى ولغا يلغو اذا هذى لعلكم تغلبون اي تغلبونه على قراءته فلنذيقن الذين
كفروا اي فوالله لنذيقن هؤلاء الضالين واللاغين او جميع الكفار وهم داخلون فيهم دخولا اوليا عذابا
شديدا لا يقادر قدره ولنجزينهم اسوأ الذي كانوا يعملون اي جزاء سيئات اعمالهم التي هي في انفسها اسوأ وقيل
انه لا يجازيهم بمحاسن اعمالهم كاغاثة الملهوفين وصلة الارحام وقرى الاضياف لانها محبطة بالكفر
وعن ابن عباس رضي الله عنهما عذابا شديدا يوم بدر واسوأ الذي كانوا يعملون في الآخرة ذلك مبتدأ
قوله تعالى جزاء اعداء الله خبره اي ما ذكر من الجزاء جزاء معد لاعدائه تعالى قوله تعالى النار عطف بيان
للجزاء وذلك خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلك على انه عبارة عن مضمون الجملة لا عن الجزاء وما بعده
جملة مستقلة مبينة لما قبلها وقوله تعالى لهم فيها دار الخلد جملة مستقلة مقررة لما قبلها او النار
مبتدأ هي خبره اي هي بعينها دار اقامتهم على ان في التجريد وهو ان ينتزع من امر ذي صفة امر آخر مثله
مبالغة لكماله فيها كما يقال في البيضة عشرون منا حديد وقيل هي على معناها والمراد ان لهم في النار
المشتملة على الدركات دار الخصومة هم فيها خالدون جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون منصوب بفعل مقدر
اي يجزون جزاء او بالمصدر السابق فان المصدر ينتصب بمثله كما في قوله تعالى فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا
والباء الاولى متعلقة بجزاء الثانية بيجحدون قدمت عليه لمراعاة الفواصل اي بسبب ما كانوا يجحدون
بآياتنا الحقة او يلغون فيها وذكر الجحود لكونه سببا للغو وقال الذين كفروا وهم متقلبون فيما ذكر من العذاب
ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس يعنون فريقي شياطين النوعين المقيضين لهما الحاملين لهم على الكفر
والمعاصي بالتسويل والتزيين وقيل هما ابليس وقابيل فانهما سنا الكفر والقتل بغير حق وقرئ ارنا
كفخذ في فخذ وقيل معناه اعطناهما وقرئ باختلاس كسرة الراء نجعلهما تحت اقدامنا اي ندسهما انتقاما
منهما وقيل نجعلهما في الدرك الاسفل ليكونا من الاسفلين اي ذلا ومهانة او مكانا ان الذين قالوا ربنا الله
شروع في بيان حسن احوال المؤمنين في الدنيا والآخرة بعد بيان سوء حال الكفرة منهما اي قالوا اعترافا
بربوبيته تعالى واقرارا بوحدانيته ثم استقاموا اي ثبتوا على الاقرار ومقتضياته على ان ثم للتراخي
في الزمان او في الرتبة فان الاستقامة لها الشأن كله وما روي عن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم في معنا[ها]

من الثبات على الايمان واخلاص العمل واداء الفرايض بيان لتجرياتها تتنزل عليهم الملايكة من جهته يمدونهم
فيما يعين لهم من الامور الدينية والدنيوية بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن بطريق الالهام
كما ان الكفرة يغويهم ما قيض لهم من قرناء السوء وتزيين القبايح وقيل تتنزل عند الموت بالبشرى وقيل اذا
قاموا من قبورهم وقيل البشرى في مواطن ثلاثة عند الموت وفي القبر وعند البعث والاظهر هو العموم
والاطلاق كما ستعرفه ان لا تخافوا ما تقدمون عليه فان الخوف غم لتوقع المكروه ولا تحزنوا على ما خلفتم
فانه غم يلحق لوقوعه من فوات نافع او حصول ضار وقيل المراد نهيهم عن الغموم على الاطلاق والمعنى ان الله
تعالى كتب لكم الامن من كل غم تذوقوه ابدا وان اما مفسرة او مخففة من الثقيلة والاصل بانه لا تخافوا والهاء
ضمير الشان وقرئ لا تخافوا اي يقولون لا تخافوا على انه حال من الملايكة او استيناف وابشروا اي اسروا بالجنة
التي كنتم توعدون في الدنيا على السنة الرسل هذا من بشاراتهم في الدنيا نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا اي اعوانكم
في اموركم نلهمكم الحق ونرشدكم الى ما فيه خيركم وصلاحكم ولعل ذلك عبارة عما يخطر ببال المؤمنين
المستمرين على الطاعات من ان ذلك بتوفيق الله تعالى وتاييده لهم بواسطة الملايكة عليهم السلام
وفي الاخرة نمدكم بالشفاعة ونتلقاكم بالكرامة حين يقع بين الكفرة وقرنائهم ما يقع من التعادي
والخصام ولكم فيها اي في الاخرة ما تشتهي انفسكم من فنون الطيبات ولكم فيها ما تدعون ما تتمنون
افتعال من الدعاء بمعنى الطلب اي تدعون لانفسكم وهو اعم من الاول ولكم في الموضعين خبر وما مبتدا
وفيها حال من ضمير في الخبر وعدم الاكتفاء بعطف ما تدعون على ما تشتهي للاشباع في البشارة والايذان
باستقلال كل منهما نزلا من غفور رحيم حال من تدعون مفيدة لكون ما يتمنونه بالنسبة الى ما يعطون من
عظايم الاجر كالنزل للضيف ومن احسن قولا ممن دعا الى الله اي الى توحيد الله تعالى وطاعته عن ابن عباس
رضي الله عنهما هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في المؤذنين والحق ان حكمها عام لكل من
جمع ما فيها من الخصال الحميدة وان نزلت فيمن ذكر وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وقال انني من المسلمين
ابتهاجا بانه منهم او اتخاذا للاسلام دينا ونحلة من قولهم هذا قول فلان اي مذهبه لا انه تكلم
بذلك وقرئ اني بنون واحدة ولا تستوي الحسنة ولا السيئة جملة مستانفة سيقت لبيان محاسن الاعمال
الجارية بين العبد وبين الرب عز وجل ترغيبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الصبر على اذية المشركين
ومقابلة اساءتهم بالاحسان اي لا تستوي الخصلة الحسنة والسيئة في الاثار والاحكام ولا الثانية
مزيدة لتاكيد النفي وقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن الى اخره استيناف مبين لحسن عاقبة الحسنة
اي ادفع السيئة حيث اعترضتك من بعض اعاديك بالتي هي احسن ما يمكن دفعها به من الحسنات
كالاحسان الى من اساء فانه احسن من العفو واخراجه مخرج الجواب عن سؤال من قال كيف اصنع
للمبالغة ولذلك وضع احسن موضع الحسنة وقوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم
بيان لنتيجة المامور به اي فاذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق وما يلقاها اي
ما يلقى هذه الخصلة والسجية التي هي مقابلة الاساءة بالاحسان الا الذين صبروا اي شانهم الصبر
وما يلقاها الا ذو حظ عظيم من الخير وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة وقيل هو الثواب
قيل نزلت في ابي سفيان بن حرب وكان مؤذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصار وليا مصافيا
واما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ والنسغ بمعنى وهو شبه النخس شبه به وسوسة الشيطان
لانها بعث على الشر وجعل نازغا على طريقة جد جده او اريد واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر
اي وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي احسن فاستعذ بالله من شره ولا
تطعه انه هو السميع باستعاذتك العليم بنيتك او بصلاحك وفي جعل ترك الدفع بالاحسن

من اثار نزغات الشيطان مزيد تحذير وتنفير عنه ومن اياته الدالة على شؤونه العظيمة الليل والنهار والشمس والقمر
كل منهما مخلوق من مخلوقاته مسخر لامره لا تسجدوا للشمس ولا للقمر لانهما من جملة مخلوقاته المسخرة لامره
مثلكم واسجدوا لله الذي خلقهن الضمير للاربعة لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم الانثى والاناث
او لانها عبارة عن الايات وتعليق الفعل بالكل مع كفاية بيان مخلوقية الشمس والقمر للايذان بكمال سقوطهما
عن رتبة المسجودية بنظمهما في المخلوقية في سلك الاعراض التي لا قيام لها بذاتها وهو السر في نظم الكل في
سلك اياته تعالى ان كنتم اياه تعبدون فان السجود اقصى مراتب العبادة فلا بد من تخصيصه به سبحانه وهو
موضع السجود وعند الشافعي وعندنا اخر الاية الاخرى لانه تمام المعنى فان استكبروا عن الامتثال فالذين عند
ربك من الملايكة يسبحون له بالليل والنهار دائما وهم لا يسأمون لا يفترون ولا يملون وقرئ لا يسامون بكسر
الياء ومن اياته انك ترى الارض خاشعة يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلل فاذا انزلنا عليها الماء اي المطر
اهتزت وربت اي تحركت بالنبات وانتفخت لان النبت اذا دنى ان يظهر ارتفعت له الارض وانتفخت
ثم تصدعت عن النبات وقيل تزخرفت بالنبات وقرئ ربات اي ارتفعت ان الذي احياها بما ذكر بعد موتها
لمحيي الموتى بالبعث انه على كل شيء من الاشياء التي من جملتها الاحياء قدير مبالغ في القدرة ان الذين يلحدون
يميلون عن الاستقامة وقرئ يلحدون في اياتنا بالطعن فيها وتحريفها بحملها على المحامل الباطلة لا يخفون
علينا فنجازيهم بالحادهم وقوله تعالى افمن يلقى في النار خير امن ياتي امنا يوم القيمة تنبيه على كيفية الجزاء اعملوا
ما شئتم من الاعمال المودية الى ما ذكر من الالقاء في النار والاتيان امنا وفيه تهديد شديد انه بما تعملون
بصير فيجازيكم بحسب اعمالكم وقوله تعالى ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم بدل من قوله تعالى ان الذين
يلحدون الى اخره وخبر ان هو الخبر السابق وقيل مستانف وخبرها محذوف وقال الكسائي سد مسده
الخبر السابق والذكر القران وقوله تعالى وانه لكتاب عزيز اي كثير المنافع عديم النظير او منيع لا يتاتى
معارضته جملة حالية مفيدة لغاية شناعة الكفر به وقوله تعالى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
اي لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات صفة اخرى لكتاب وقوله تعالى تنزيل من حكيم حميد
خبر لمبتدا محذوف او صفة اخرى لكتاب مفيدة لفخامته الاضافية كما ان الصفتين السابقتين مفيدتان
لفخامته الذاتية وقوله تعالى لا ياتيه الباطل الى اخره اعتراض عند من لا يجوز تقديم غير الصريح من
الصفات على الصريح كل ذلك لتاكيد بطلان الكفر بالقران وقوله تعالى ما يقال لك الى اخره تسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم بما يصدر من اذية الكفار الى ما يقال في شانك وشان ما انزل اليك من القران
من جهة كفار قومك الا ما قد قيل للرسل من قبلك اي الا مثل ما قد قيل في حقهم مما لا خير فيه ان ربك
لذو مغفرة لانبيائه وذو عقاب اليم لاعدائهم وقد نصر من قبلك من الرسل وانتقم من اعدائهم وسيفعل مثل ذلك
بك وباعدائك ايضا ولو جعلناه قرانا اعجميا جواب لقولهم هلا انزل القران بلغة العجم والضمير للذكر
لقالوا لولا فصلت اياته اي بينت بلسان نفقهه وقوله تعالى اعجمي وعربي انكار مقرر للتحضيض والاعجمي
يقال لكلام لا يفهمه وللمتكلم به والياء للمبالغة في الوصف كاحمري والمعنى كلام اعجمي ورسول او مرسل
اليه عربي على ان الافراد مع كون المرسل اليهم امة جمة لما ان المراد بيان التنافي والتنافر بين الكلام وبين
المخاطب به لا بيان كون المخاطب واحدا وجمعا وقرئ اعجمي اي الكلام منسوب الى امة العجم وقرئ اعجمي
على الاخبار بان القران اعجمي والمتكلم والمخاطب عربي ويجوز ان يراد هلا فصلت اياته فجعل بعضها اعجميا
لافهام العجم وبعضها عربيا لافهام العرب واياما كان فالمقصود بيان ان ايات الله تعالى على اي
وجه جاءتهم وجدوا فيها متعنتا يتعللون قل هو للذين امنوا هدى يهديهم الى الحق وشفاء لما في الصدور
من شك وشبهة والذين لا يؤمنون مبتدا وخبره في اذانهم وقر على ان التقدير هو اي القران في اذانهم

وقرعلي انّ وقرخبر للضمير المقدّر وفي اذانهم متعلق بمحذوف وقع حالاً من وقر وهو اوفق لقوله تعالى
وهو عليهم عمي وقيل خبر الموصول في اذانهم وو قر على الظرف وقيل وقر مبتدا والظرف خبره والجملة خبر
للموصول وقيل التقدير والذين لا يؤمنون في اذانهم منه وقر وجوّز العطف على عاملين عطف الموصول
على الموصول الاوّل اي هو للاولين هدي وشفاء وللاخرين وقر في اذانهم اولئك اشارة الي الموصول
الثاني باعتبار اتّصافه بما في حيز صلته وملاحظة ما اثبت له وما فيه من معني البعد مع قرب العهد
بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الشر مع ما فيه من كمال المناسبة للنداء من بعيد اي اولئك
البعداء الموصوفون بما ذكر من التصام عن الحق الذي يسمعونه والتعامي عن الايات الظاهرة التي يشاهدونها
ينادون من مكان بعيد تمثيل لهم في عدم قبولهم واستماعهم له ممن ينادي من مسافة نائية لا يكاد يسمع من
مثلها الاصوات ولقد آتينا موسي الكتاب فاختلف فيه كلام مستانف مسوق لبيان انّ الاختلاف في شان
الكتب عادة قديمة للامم غير مختص بقومك على منهاج قوله تعالى ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك
اي وبالله لقد آتيناه التورية فاختلف فيها فمن مصدّق لها ومكذّب وهكذا حال قومك في شان ما اتينا
من القران فمن مؤمن به كافر ولولا كلمة سبقت من ربك في حق امتك المكذّبة وهي العدة بتاخير عذابهم وفصل
ما بينهم وبين المؤمنين من الخصومة الي يوم القيمة بنحو قوله تعالى بل الساعة موعدهم وقوله تعالى يؤخرهم
الي اجل مسمي لقضي بينهم باستيصال المكذبين كما فعل بمكذّب الامم السابقة وانهم اي كفار قومك
لفي شك منه مريب اي من القرآن وتعميم الضمير الاوّل لليهود والثاني للتورية مما لا وجه له من
عمل صالحا بان آمن بالكتب وعمل بموجبها فلنفسه اي فلنفسه يعمله او فنفعه لنفسه لا لغيره ومن
اساء فعليها ضرره لا على غيره وما ربك بظلام للعبيد اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله مبني على تنزيل ترك
اثابة المحسن لعمله فاثابة الغير وتنزيل التعذيب بغير اساءة او باساءة غيره منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره
عنه سبحانه وتعالى وقد مرّ ما في المقام من التحقيق والتفصيل في سورة آل عمران وسورة الانفال اليه
يرد علم الساعة اي اذا سئل عنها يقال الله يعلم او لا يعلمها الا الله تعالى وما تخرج من ثمرة من اكمامها
اي من اوعيتها جمع كم بالكسر وهو وعاء الثمرة كجف الطلعة وقرئ من ثمرة على ارادة الجنس والجمع لاختلاف
الانواع وقد يقرئ بجمع الضمير ايضا وما نافية ومن الاولي مزيدة للاستغراق واحتمال ان تكون موصوفة
معطوفة على الساعة ومن مبينة بعيد وما تحمل من انثي ولا تضع اي حملها وقوله تعالى الا بعلمه استثناء
مفرغ من اعم الاحوال اي ما يحدث شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع ملابسا لشيء من الاشيا
الا ملابسا بعلمه المحيط ويوم يناديهم اين شركاءي اي بزعمكم كما نص عليه قوله تعالى اين شركاءي الذين زعمتم
وفيه تهكم بهم وتقريع عليهم ويوم منصوب باذكر او ظرف لمضمر مؤخر قد ترك ايذانا بقصور البيان
عنه كما مرّ في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل قالوا آذناك اي اخبرناك ما منا من شهيد من احد يشهد لهم
بالشركة او تبرانا منهم لما عاينّا الحال وما منا احد الا وهو موحد لك او ما منا احد يشاهدهم لانهم
ضلّوا عنهم حينئذ وقيل هو قول الشركاء اي ما منا من شهيد يشهد لهم بانهم كانوا محقين وقولهم آذناك اما
لانّ هذا التوبيخ آخر مجاب بعد الجواب او لانّ معناه انك علمت من قلوبنا وعقائدنا الآن انا لا نشهد تلك
الشهادة الباطلة لانه اذا علمه من نفوسهم فكانهم اعلموه او لانّ معناه الانشاء لا الاخبار بايذان قد كان قبل
قبل ذلك وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل اي يعبدون من قبل اي غابوا عنهم او ظهر عدم نفعهم فكان حضورهم
كغيبتهم وظنوا اي ايقنوا ما لهم من محيص مهرب والظن معلق عنه بحرف النفي لا يسأم الانسان اي لا
يمل ولا يفتر من دعاء الخير من طلب السعة في النعمة باسباب المعيشة وقرئ من دعاء بالخير وان مسه الشر
اي العسر والضيقة فيؤس قنوط فيه مبالغة من جهة البناء ومن جهة التكرير ومن جهة انّ القنوط

عبارة عن ياس مفرط يظهر اثره في الشخص فيتضاءل وينكسر اي بالغ في قطع الرجاء من فضل الله تعالى
ورحمته وهذا وصف للجنس بوصف غالب افراده لما انّ الياس من رحمته تعالى لا يتاتي الا من الكافر
وسيصرّح به ولئن اذقناه رحمة منّا من بعد ضراء مسته بتفريجها عنه ليقولن هذا لي اي حقي استحقه لما لي
من الفضل والعمل او لي لا لغيري فلا يزول عني ابدا وما اظن الساعة قائمة اي تقوم فيما سياتي ولئن رجعت
الي ربي على تقدير قيامها ان لي عنده للحسني اي للحالة الحسني من الكرامة وذلك لاعتقاده انّ ما اصابه
من نعم الدنيا لاستحقاقه له وانّ نعم الآخرة كذلك فلننبئن الذين كفروا بما عملوا اي لنعلمنّهم بحقيقة
اعمالهم حين اظهرناها بصورها الحقيقية وقد مرّ تحقيقه في سورة الاعراف عند قوله تعالى والوزن
يومئذ الحق وفي قوله تعالى انما بغيكم على انفسكم من سورة يونس ولنذيقنهم من عذاب غليظ لا يقادر قدره ولا
يبلغ كنهه واذا انعمنا على الانسان اعرض اي عن الشكر ونأي بجانبه اي ذهب بنفسه وتباعد بكليته
تكبرا وتعظما والجانب مجاز عن النفس كما في قوله تعالى في جنب الله ويجوز ان يراد عطفه ويكون
عبارة عن الانحراف والازورار كما قالوا ثني عطفه وتولي بركنه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض اي كثير مستعار
مما له عرض متسع للاشعار بكثرته واستمراره وهو ابلغ من الطويل والطول اطول الامتدادين فاذا كان عرضه
كذلك فما ظنك بطوله ولعل هذا شان بعض غير البعض الذي حكي عنه الياس والقنوط وشان الكل في
بعض الاوقات قل ارايتم اي اخبروني ان كان اي القران من عند الله ثم كفرتم به مع تعاضد موجبات الايمان
به من اضل ممن هو في شقاق بعيد اي من اضل منكم فوضع الموصول موضع الضمير شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد
ضلالهم سنريهم آياتنا الدالة على حقيقته وكونه من عند الله تعالى في الافاق هو ما اخبرهم ظهر فيما بين
اهل مكة وما حل بهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما في الافاق اي منازل اهل الامم الخالية النبي صلى الله عليه
وسلم من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية وما يسر الله تعالى له ولخلفائه من الفتوح والظهور على افاق
الدنيا والاستيلاء على بلاد المشارق والمغارب على وجه خارق للعادة وفي انفسهم هو ما ظهر فيما
بين اهل مكة وما حل بهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما وفي انفسهم فتح مكة وقيل في الافاق في اقطار
السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم وما يترتب عليهما من الليل والنهار والاضواء والظلال و
الظلمات ومن النبات والاشجار والانهار وفي انفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة في تكوين الاجنة
في ظلمات الارحام وحدوث الاعضاء العجيبة والتركيبات الغريبة كقوله تعالى وفي انفسكم افلا
تبصرون واعتذر بان معني السين مع انّ ارادة تلك الايات قد حصلت قبل ذلك انه تعالى سيطلعهم
على تلك الايات زمانا فزمانا قريبا فقريبا ويزيدهم وقوفا على حقايقها يوما فيوما حتي يتبين لهم بذلك انه الحق
اي القران او الاسلام والتوحيد او لم يكف بربك استيناف وارد لتوبيخهم على ترددهم في شان القران
وعنادهم المحوج الي ارادة الايات وعدم اكتفائهم باخباره تعالى والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر
يقتضيه المقام اي الم يغن ولم يكف بربك والباء مزيدة للتاكيد ولا يكاد يراد الا مع كفي وقوله تعالى انه
على كل شيء شهيد بدل منه اي الم يغنهم عن ارادة الايات الموعودة المبينة لحقية القران ولم يكفهم في ذلك
انه تعالى شهيد على جميع الاشياء وقد اخبر بانه من عنده وقيل معناه انّ هذا الموعود من اظهار آيات الله
في الافاق وفي انفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك انّ القران تنزيل عالم الغيب الذي
هو على كل شيء شهيد محقق له فيحقق امرك باظهار الايات الموعودة كما حقق سائر الاشياء الموعودة فمع
استعارة بما لا يليق بجلالة منصبه عليه الصلوة والسلام من التردد فيما ذكر من تحقيق الموعود يرده قوله
تعالى الا انهم في مرية من لقاء ربهم اي في شك عظيم من ذلك بالبعث والجزاء فانه صريح في انّ عدم الكفاية
معتبر بالنسبة اليهم وقرئ مرية بالضم وهي لغة فيها الا انه بكل شيء محيط عالم بجميع الاشياء جملها وتفاصيلها

وظواهرها وبواطنها فلا يخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم ومرسهم لا محالة عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة التحريم اعطاه الله تعالى بكل حرف عشر حسنات والله تعالى اعلم

سورة الشورى وهي ثلث وخمسون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق اسمان للسورة ولذلك فصل فصل بينهما وعدّا ايتين وقيل اسم واحد
والفصل لتناسب سائر الحواميم وقرئ حم سق فعلى الاول هما خبران لمبتدا محذوف قيل حم مبتدا عسق
خبره وعلى الثاني الكل خبر واحد وقوله تعالى كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم كلام مستانف
وارد لتحقيق ان مضمون السورة موافق لما في تضاعيف سائر الكتب المنزلة على الرسل المتقدمة في الدعوة الى
التوحيد والارشاد الى الحق وان ايحابها مثل ايحابها بعد تنويهها بذكر اسمها والتنبيه على سخافة بنيانها
والكاف في حيز النصب على انه مفعول ليوحي على الاول وعلى انه نعت لمصدر موكد له على الثاني وذلك على الاول
اشارة الى ما فيها وعلى الثاني الى ايمائها وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته
في الفضل اي مثل ما في هذه السورة من المعاني اوحي اليك عند ايحاء سائر السور والى سائر الرسل عند ايحاء
كتبهم اليهم لا ايحاء مغايرا له كما في قوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح الاية على ان مدار المثلية
كونه بواسطة الملك وصيغة المضارع على حكاية الحال الماضية للاستمرار بايذان الوحي وان ايحاء مثل
عادته وفي جعل مضمون السورة او ايحابها مشبها بها من تفخيمها ما لا يخفى وكذا وصفه تعالى بوصفي العزة
والحكمة وتاخير الفاعل لمراعات الفواصل مع ما فيه من التشويق وقرئ يوحي على البناء للمفعول على ان كذلك
مبتدا ويوحي خبره المسند الى ضميره او مصدر يوحي مسند الى اثنين والله مرتفع بما دل عليه يوحي كانه قيل من
يوحي فقيل الله والعزيز الحكيم صفتان له او مبتدا كما في قراءة نوحي والعزيز وما بعده خبران له والعزيز الحكيم صفتان
له وقوله تعالى له ما في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم خبران له وعلى الوجوه السابقة استيناف مقرر لعزته
وحكمته تكاد السموات وقرئ بالياء يتفطرن يتشققن من عظمة الله تعالى وقيل من دعاء الولد كما في سورة
مريم وقرئ ينفطرن والاول ابلغ لانه مطاوع فطر وهذا مطاوع فطر وقرئ ينفطرن بالياء لتاكيد التانيث
وهو نادر من فوقهن اي يبتدي التفطر من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الاول لما ان اعظم الايات
وادلها على العظمة والجلال من تلك الجهة وعلى الثاني للدلالة على التفطر من تحتهن بالطريق الاولى
لان تلك الكلمة الشنعاء الواقعة في الارض حين اثرت في جهة الفوق فلان تؤثر في جهة التحت اولى وقيل
الضمير للارض فانها في معنى الارضين والملائكة يسبحون بحمد ربهم ينزهونه تعالى عما لا يليق به ملتبسين بحمده
ويستغفرون لمن في الارض بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم من الشفاعة والالهام وترتيب الاسباب المقربة
الى الطاعات استدعاء تاخير العقوبة طمعا في ايمان الكافر وتوبة الفاسق وهذا يعم المؤمن والكافر
بل لو فسر الاستغفار بالسعي فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين كما في
قوله تعالى ويستغفرون للذين امنوا فالمراد به الشفاعة الا ان الله هو الغفور الرحيم اذ ما من مخلوق
الا وله حظ عظيم من رحمته تعالى والاية على الاول زيادة تقرير لعظمته تعالى وعلى الثاني بيان
لكمال تقدسه عما نسب اليه وان ترك معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعا بسبب استغفار
الملائكة وفرط غفرانه ورحمته ففيها رمز الى انه تعالى يقبل استغفارهم ويزيدهم على ما طلبوه
من المغفرة رحمة والذين اتخذوا من دونه اولياء شركاء واندادا الله حفيظ عليهم رقيب على احوالهم واعمالهم
فيجازيهم بها وما انت عليهم بوكيل بموكل بهم او بموكول اليه امرهم وانما وظيفتك الانذار وكذلك اوحينا
اليك قرانا عربيا ذلك اشارة الى مصدر اوحينا ومحل الكاف النصب على المصدرية وقرانا عربيا لا لبس

فيه عليك ولا على قومك وقيل اشارة الى معنى الاية المتقدمة من انه تعالى هو الحفيظ عليهم وانما انت
نذير فحسب والكاف مفعول به لاوحينا وقرانا عربيا حال من المفعول به اي اوحينا اليك وهو قران عربي
بين لتنذر ام القرى اي اهلها وهي مكة ومن حولها من العرب وتنذر يوم الجمع اي يوم القيمة لانه
يجمع فيه الخلائق قال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل يجمع فيه الارواح والاشباح وقيل الاعمال
والعمال والانذار يتعدى الى مفعولين ويستعمل ثانيهما بالباء وقد حذف ههنا ثاني مفعول الاول واول
مفعول الثاني للتهويل وايهام التعميم وقرئ لينذر بالياء على ان فاعله ضمير القران لا ريب فيه اعتراض
مقرر لما قبله فريق في الجنة وفريق في السعير اي بعد جمعهم في الموقف فانهم يجمعون فيه اولا ثم يفرقون
بعد الحساب والتقدير منهم فريق والضمير للمجموعين لدلالة الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحالية
منهم وتنذر يوم الجمع وهم متفرقين اي مشارفين للتفرق او متفرقين في داري الثواب والعقاب
ولو شاء الله لجعلهم اي في الدنيا امة واحدة قيل مهتدين او ضالين وهو تفصيل لما اجمله ابن عباس
رضي الله عنهما في قوله على دين واحد فمعنى قوله تعالى ولكن يدخل من يشاء في رحمته انه تعالى يدخل في رحمته
من يشاء ان يدخله فيها ويدخل في عذابه من يشاء ان يدخله فيه ولا ريب ان مشيته تعالى لكل من
الادخالين تابعة لاستحقاق كل من الفريقين لدخول مدخله ومن ضرورة اختلاف الرحمة والعذاب
اختلاف حالهم الداخلين فيهما قطعا فلم يشا جعل الكل امة واحدة بل جعلهم فريقين وانما قيل والظالمون
ما لهم من ولي ولا نصير للايذان بان الادخال في الرحمة لا لما قيل من المبالغة في الوعيد وقيل مؤمنين كلهم وهو
ما قاله مقاتل على دين الاسلام كما في قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وقوله تعالى ولو شئنا
لاتينا كل نفس هداها والمعنى ولو شاء الله مشية قدرة لقسرهم على الايمان ولكنه شاء مشية حكمة
وكلفهم وبنى امرهم على ما يختارون ليدخل المؤمنين في رحمته وهم المرادون بقوله تعالى من يشاء وترك
الظالمين بغير ولي ولا نصير وانت خبير بان فرض جعل الكل مؤمنين يابا ه قصد الاستدراك بادخال بعضهم في رحمته
اذ الكل حينئذ داخلون فيها فكان المناسب حينئذ تصديره باخراج بعضهم من بينهم وادخالهم في عذابه فالذي يقتضيه
سياق النظم الكريم وسباقه ان يراد الاتحاد في الكفر كما في قوله تعالى كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين
الاية على احد الوجهين بان يراد بهم الذين في فترة ادريس عليه السلام او في فترة نوح عليه السلام فالمعنى ولو شاء الله
لجعلهم امة واحدة متفقة على الكفر بان لا يرسل اليهم رسولا لينذرهم بما ذكر من يوم الجمع وما فيه من انواع الا
فيبقوا على ما هم عليه من الكفر ولكن يدخل من يشاء في رحمته اي شانه ذلك فيرسل الى الكل من ينذرهم ما
ذكر فيتاثر بعضهم بالانذار فيصرفون اختيارهم الى الحق فيوفقهم الله للايمان والطاعة ويدخلهم في رحمته
ولا يتاثر به الاخرون ويتمادون في غيهم وهم الظالمون فيبقون في الدنيا على ما هم عليه من الكفر ويصيرون
في الاخرة الى السعير وما لهم من ولي يلي امرهم ولا نصير يخلصهم من العذاب ام اتخذوا من دون الله اولياء جملة
مستانفة مقررة لما قبلها من انتفاء ان يكون للظالمين من ولي ولا نصير وام منقطعة وما فيها من بل
للانتقال من بيان ما قبلها الى بيان ما بعدها والهمزة لانكار الوقوع ونفيه على انه وجه واكرم لا للانكار
الواقع واستقباحه كما قيل اذ المراد بيان ان ما فعلوا ليس من اتخاذ الاولياء في شي لان ذلك فرع كون الاصنام
اولياء وهو اظهر الممتنعات اي بل اتخذوا متجاوزين الله اولياء من الاصنام وغيرها هيهات قوله تعالى
فالله هو الولي جواب شرط محذوف كانه قيل بعد ابطال ولاية ما اتخذوه اولياء ان ارادوا وليا في الحقيقة
فالله هو الولي لا ولي سواه وهو يحيي الموتى اي ومن شانه ذلك وهو على كل شيء قدير فهو الحقيق بان يتخذ
وليا فليخصوه بالاتخاذ دون من لا يقدر على شيء وما اختلفتم فيه من شيء حكاية لقول رسول الله صلى الله
عليه وسلم للمؤمنين اي ما خالفكم الكفار فيه من امور الدين فاختلفتم انتم وهم فحكمه راجع الى الله وهو اثابة

المحقين وعقاب المبطلين **ذلكم** الحاكم العظيم الشان **الله ربي** مالكي **عليه توكلت** في مجامع اموري خاصة لا على غيره
واليه انيب ارجع في كل ما يعن لي من معضلات الامور لا الى احد سواه وحيث كان التوكل امرا واحدا مستمرا
والانابة متعددة متجددة حسب تجدد موادها اوثر في الاول صيغة الماضي وفي الثانية صيغة المضا[رع]
وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم من شيء من الخصومات فتحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تؤثروا
على حكومته حكومة غيره وقيل وما اختلفتم فيه من تاويل اية واشتبه عليكم فارجعوا الى بيانه الى المحكم من
كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتعلق
بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله اعلم كمعرفة الروح ولا مساغ لحمل هذا على الاجتهاد لعدم جوازه بحضرة
الرسول صلى الله عليه وسلم **فاطر السموات والارض** خبر اخر لذلكم او خبر لمبتدا محذوف او مبتدا خبره **جعل لكم** وقرئ
بالجر على انه بدل من الضمير او وصف للاسم الجليل في قوله تعالى الى الله وما بينهما اعتراض بين الصفة والموصوف
من انفسكم من جنسكم **ازواجا** نساء وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح قد مر سره غير مرة **ومن الانعام**
اي وجعل للانعام من جنسها **ازواجا** اي خلق لكم من الانعام اصنافا او ذكورا واناثا **يذرؤكم** يكثركم من الذرء
وهو البث وفي معناه الذر والذرو **فيه** فيما ذكر من التدبير فان جعل الناس والانعام ازواجا يكون بينهم
توالد كالمنبع للبث والتكثير **ليس كمثله شيء** اي ليس مثله شيء في شان من الشئون التي من جملتها هذا
التدبير البديع والمراد من مثله ذاته كما في قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة في نفيه عنه فانه
اذا نفي عمن يناسبه كان نفيه عنه اولى ثم سلكت هذه الطريقة في شان من لا مثل له وقيل مثله صفته
اي ليس كصفته صفة **وهو السميع البصير** المبالغ في العلم بكل ما يسمع ويبصر **له مقاليد السموات والارض** اي خزائنها
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي يوسع ويضيق حسبما تقتضيه مشيئته المؤسسة على الحكم البالغة **انه
بكل شيء عليم** مبالغة في الاحاطة بها فيفعل كل ما يفعل على ما ينبغي ان يفعل عليه والجملة تعليل لما قبلها
وتمهيد لما بعدها من قوله تعالى **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى**
وايذان بان ما شرع لهم صادر عن كمال العلم والحكمة كما ان بيان نسبته الى المذكورين عليهم الصلوة والسلام
تنبيه على كونه دينا قديما اجمع عليه الرسل والخطاب لامته صلى الله عليه وسلم اي شرع لكم من الدين ما
وصى به نوحا ومن بعده من ارباب الشرائع واولي العزم من مشاهير الانبياء عليهم السلام وامرهم به امرا
مؤكدا على ان تخصيصهم بالذكر لما ذكر من علو شانهم ولاستمالة قلوب الكفرة اليه لاتفاق الكل على نبوة بعضهم
وتفرد اليهود في شان موسى عليه السلام وتفرد النصارى في حق عيسى عليه السلام والا فما من نبي الا وهو
مامور بما امروا به وهو عبارة عن التوحيد ودين الاسلام وما لا يختلف باختلاف الامم وتبدل الاعصار
من اصول الشرائع والاحكام كما ينبئ عنه التوصية فانها معربة عن تاكيد الامر والاعتناء بشان المامور
به والمراد بايحائه عليه الصلوة والسلام اما ما ذكر في صدر السورة الكريمة وفي قوله تعالى وكذلك اوحينا
اليك الاية واما ما يعمهما وغيرهما مما وقع في سائر المواقع التي من جملتها قوله تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع
ملة ابرهيم حنيفا وقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد وغير ذلك والتعبير عن
ذلك عند نسبته اليه عليه الصلوة والسلام بالذي لزيادة تفخيم شانه من تلك الحيثية وايثار
الايحاء على ما قبله وما بعده من التوصية لمراعاة ما وقع في الايات المذكورة ولما في الايحاء من التصريح
برسالته صلى الله عليه وسلم القامع لانكار الكفرة والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال الاعتناء
بايحائه وهو السر في تقديمه على ما بعده مع تقدمه عليه زمانا وتقديم توصية نوح عليه السلام للمسارعة
الى بيان كمال المشروع لهم دينا قديما وتوجيه الخطاب اليه عليه الصلوة والسلام بطريق التلوين للتشريف
والتنبيه على انه تعالى شرعه لهم على لسانه صلى الله عليه وسلم **ان اقيموا الدين** اي دين الاسلام الذي هو

توحيد الله وطاعته والايمان بكتبه ورسله وبيوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل به مؤمنا والمراد
باقامته تعديل اركانه وحفظه من ان يقع فيه زيغ او المواظبة عليه والتشمير له ومحل ان اقيموا اما النصب
على انه بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه او الرفع على انه جواب عن سؤال نشا من ابهام المشروع
كانه قيل وما ذاك فقيل هو اقامة الدين وقيل بدل من ضمير به وليس بذاك لما انه مع افضائه الى خروجه
عن حيز الايحاء الى النبي صلى الله عليه وسلم مستلزم لكون الخطاب في قوله تعالى **ولا تتفرقوا فيه** للانبياء
المذكورين عليهم السلام وتوجيه النهي الى اممهم بمحل ظاهر مع ان الاظهر متوجه الى امته صلى الله عليه
وسلم وانهم المتفرقون كما ستحيط به خبرا اي لا تتفرقوا في الدين الذي هو عبارة عما ذكر من الاصول دون
الفروع المختلفة حسب اختلاف الامم باختلاف الاعصار كما ينطق به قوله تعالى لكل جعلنا منكم
شرعة ومنهاجا وقوله تعالى **كبر على المشركين** شروع في بيان احوال بعض من شرع لهم من الدين القديم الذي
اي عظم وشق عليهم **ما تدعوهم اليه** من التوحيد ورفض عبادة الاصنام واستبعدوه حيث قالوا اجعل
الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب وقوله تعالى **الله يجتبي اليه من يشاء** استيناف وارد لتحقيق الحق
وفيه اشعار بان منهم من يجيب الى الدعوة اي الله يجتلب الى ما تدعوهم اليه من يشاء ان يجتبيه اليه وهو
من صرف اختياره الى ما دعي اليه كما ينبئ عنه قوله تعالى **ويهدي اليه من ينيب** اي يقبل اليه حيث يمده بالتوفيق
والالطاف وقوله تعالى **وما تفرقوا** شروع في بيان احوال اهل الكتاب عقيب الاشارة الاجمالية الى احوال
اهل الشرك قال ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود والنصارى لقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا
الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة اي وما تفرقوا في الدين الذي دعوا اليه ولم يؤمنوا كما امن بعضهم
الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيته بما شاهدوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم والقران من الدلائل
الحقية حسبما وجدوه في كتابهم والعلم بمبعثه عليه الصلاة والسلام وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال
ومن اعم الاوقات اي وما تفرقوا في حال من الاحوال الا حال مجيء العلم او الا وقت مجيء العلم **بغيا بينهم** وحمية
وطلبا للرياسة لا لان لهم في ذلك شبهة **ولولا كلمة سبقت من ربك** وهي العدة بتاخير العقوبات **الى اجل مسمى**
هو يوم القيمة **لقضي بينهم** لاوقع القضاء بينهم باستيصالهم لاستيجاب جناياتهم لذلك قطعا وقوله تعالى
وان الذين اورثوا الكتاب اي اخر بيان لكيفية كفر المشركين بالقران اثر بيان كيفية كفر اهل الكتاب وقرئ
ورثوا اي وان المشركين الذين اورثوا القران **من بعدهم** اي من بعد ما اورث اهل الكتاب كتابهم **لفي شك منه**
من القران **مريب** موقع في الريبة او في القلق ولذلك لا يؤمنون به لمحض البغي والمكابرة بعد ما علموا
بحقيته كداب اهل الكتابين هذا واما ما قيل من ضمير تفرقوا للامم الانبياء عليهم السلام وان المراد تفرق
كل امة بعد نبيها مع علمهم بان الفرقة ضلال وفساد وامر متوعد عليه على السنة الرسل عليهم السلام في
قوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضي بينهم وكذا ما قيل من ان الناس كانوا امة واحدة
مؤمنين بعد ما اهلك الله تعالى اهل الارض بالطوفان فلما مات الاباء اختلف الابناء فيما بينهم وذلك
حين بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم وانما اختلفوا للبغي بينهم فان سائر الامم
المذكورة قد اصابهم عذاب الاستيصال من غير انظار واهمال على ان مساق النظم الكريم لبيان احوال
هذه الامة وانما ذكر ما ذكر من الانبياء عليهم السلام لتحقيق ان ما شرع لهؤلاء دين قديم اجمع عليه
اولئك الانبياء الاعلام عليهم الصلوة والسلام تاكيدا لوجوب اقامته وتشديدا للزجر عن التفرق
والاختلاف فيه فالتعرض لبيان تفرق اممهم عنه ربما يوهم الاخلال بذلك المرام **فلذلك** اي
فلاجل ما ذكر من التفرق والشك المريب او فلاجل انه شرع لهم الدين القويم القديم الحقيق بان
يتنافس فيه المتنافسون **فادع** اي الناس كافة الى اقامة ذلك الدين والعمل بموجبه فان كلا من

تفرقهم وكونهم في شك مريب ومن شرع ذلك الدين لهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيك
للدعوة اليه والامر بها وليس المشار اليه ما ذكر من التوصية والامر بالاقامة والنهي عن التفرق حتى يتوهم شايبة
التكرار وقيل المشار اليه نفس الدين المشروع واللام بمعنى الى كما في قوله تعالى ان ربك اوحى لها اي فالى
ذلك الدين فادع واستقم عليه وعلى الدعوة اليه كما امرت واوحي اليك ولا تتبع اهواءهم الباطلة وقل امنت
بما انزل الله من كتاب اي كتاب كان من الكتب المنزلة لا الذين امنوا ببعض منها وكفروا ببعض وفيه تحقيق للحق
وبيان لاتفاق الكتب في الاصول وتاليف لقلوب اهل الكتابين وتعريض لهم وقد مر كيفية الايمان بها في خاتمة
سورة البقرة وامرت لاعدل بينكم في تبليغ الشرايع والاحكام وفصل القضايا عند المحاكمة والخصام
وقيل معناه لاسوي بيني وبينكم ولا امركم بما لا اعمله ولا اخالفكم الى ما انهاكم عنه ولا افرق بين اكابركم
واصاغركم واللام اما على حقيقتها والمامور به محذوف اي امرت بذلك لاعدل اي زايدة اي امرت
ان اعدل والباء محذوفة الله ربنا وربكم اي خالقنا جميعا ومتولي امورنا لنا اعمالنا لا يتخطانا جزاؤها
ثوابا كان او عقابا ولكم اعمالكم لا يجاوزكم آثارها لنستفيد بحسناتكم ونتضرر بسيئاتكم لا حجة بيننا وبينكم
اي لا محاجة ولا خصومة لان الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة حاجة ولا للمخالفة محمل سوى المكابرة الله يجمع
بيننا يوم القيمة واليه المصير فيظهر هناك حالنا وحالكم وهذا كما ترى محاجة في مواقف المجاوبة لا متاركة
في مواطن المحاربة حتى يصار الى النسخ باية القتال والذين يحاجون في الله اي في دينه من بعد ما استجيب له
من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا والتعبير عن ذلك بالاستجابة باعتبار دعوتهم اليه اي من بعد ما
استجاب الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وايده بنصره او من بعد ما استجاب الله اهل الكتاب بان اقروا
بنبوته عليه الصلوة والسلام واستفتحوا به قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم وذلك ان اليهود والنصارى
كانوا يقولون للمومنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم واولى بالحق حجتهم داحضة عند ربهم
زايلة باطلة بل لا حجة لهم اصلا وانما عبر عن اباطيلهم بالحجة مجاراة معهم على زعمهم الباطل وعليهم غضب
عظيم لمكابرتهم الحق بعد ظهوره ولهم عذاب شديد لا يقادر قدره الله الذي نزل الكتاب اي جنس الكتاب
بالحق ملتبسا به في احكامه واخباره اي بما يحق انزاله من العقايد والاحكام والميزان والشرع الذي
يوازن الحقوق ويسوي بين الناس او نفس العدل بان انزل الامر به او آلة الوزن وما يدريك اي
اي شيء يجعلك عالما لعل الساعة التي يخبر بمجيئها الكتاب الناطق بالحق قريب اي شيء قريب مجيئها
وقيل القرب بمعنى ذات قرب او الساعة بمعنى البعث والمعنى انها على جناح الاتيان فاتبع الكتاب واعمل به
وواظب على العدل قبل ان يفاجيك اليوم الذي يوزن فيه الاعمال ويوفى جزاؤها يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها
استعجال انكار واستهزاء وكانوا يقولون متى هي ليتها قامت حتى يظهر لنا الحق اهو الذي نحن عليه ام الذي عليه محمد
واصحابه والذين امنوا مشفقون منها خايفون منها مع اعتنايهم بها لتوقع الثواب ويعلمون انها الحق اي الكاين
لا محالة الا ان الذين يمارون في الساعة يجادلون فيها من المرية او من مريت الناقة اذا مسحت بشدة للحلب
لان كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة لفي ضلال بعيد عن الحق فان البعث اشبه
الغايبات بالمحسوسات فمن لم يهتد الى تجويزه فهو عن الاهتداء الى ما وراءه ابعد وابعد الله لطيف بعباده
اي بر بليغ البر بهم يفيض عليهم من فنون الطاعة ما لا يكاد تناله ايدي الافكار والظنون يرزق من يشاء
ان يرزقه كيف ما شاء فيختص كلا من عباده بنوع من البر على ما تقتضيه مشيئته روى جابر رضي الله عنه ان
اعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اني استغفرك واتوب اليك وكبر فلما فرغ
من صلاته قال له علي رضي الله عنه يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك هذه
تحتاج الى التوبة فقال يا امير المومنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب

الندامة

الندامة وتضييع الفرايض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية واذاقتها مرارة
الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء على كل ضحك ضحكته ويعفو عن السيئات صغيرها وكبيرها لمن يشاء ويعلم ما تفعلون
كاينا ما كان من خير وشر فيجازي ويتجاوز حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وقرئ ما تفعلون بالتاء
ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات اي يستجيب الله لهم فحذف اللام كما في قوله تعالى واذا كالوهم اي كالوا لهم
والمراد اجابة دعوتهم والاثابة على طاعتهم فانها كدعاء وطلب لما ترتب عليها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم افضل
الدعاء الحمد لله او يستجيبون الله بالطاعة اذا دعاهم اليها وعن ابرهيم بن ادهم قيل له ما بالنا ندعو فلا نجاب قال
لانه دعاكم ولم تجيبوه ثم قرا والله يدعو الى دار السلام ويزيدهم من فضله على ما سالوا واستحقوا بموجب الوعد
والكافرون لهم عذاب شديد بدل ما للمومنين من الثواب والفضل المزيد ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض
لتكبروا وافسدوا فيها بطرا ولعلى بعضهم على بعض بالاستيلاء والاستعلاء كما عليه الجبلة البشرية واصل البغي
طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى من حيث الكمية والكيفية ولكن ينزل بقدر اي بتقدير ما يشاء ان ينزله
مما تقتضيه مشيئته انه بعباده خبير بصير محيط بخفايا امورهم وجلاياها فيقدر لكل واحد منهم في كل وقت
من اوقاتهم ما يليق بشانهم فيفقر ويغني ويعطي ويمنع ويقبض ويبسط حسبما تقتضيه الحكمة الربانية
ولو اغناهم جميعا لبغوا ولو افقرهم لهلكوا وروي ان اهل الصفة تمنوا الغنا فنزلت وقيل نزلت في العرب
كانوا اذا اخصبوا تحاربوا واذا اجدبوا انتجعوا وهو الذي ينزل الغيث اي المطر الذي يغيثهم من الجدب ولذلك
خص بالمنافع منه وقرئ ينزل من الانزال من بعد ما قنطوا يئسوا منه وتقييد تنزيله بذلك مع تحققه بدونه
ايضا لتذكير كمال النعمة وقرئ بكسر النون وينشر رحمته اي بركات الغيث ومنافعه في كل شيء من السهل والجبل
والنبات والحيوان او رحمته الواسعة المنتظمة لما ذكر انتظاما اوليا وهو الولي الذي يتولى عباده بالاحسان
ونشر الرحمة الحميد المستحق للحمد على ذلك لا غير ومن اياته خلق السموات والارض على ما هما عليه من تعاجيب
الصنايع فانها بذاتها وصفاتها تدل على شؤونه العظيمة وما بث فيهما عطف على السموات والخلق من دابة من
حي على اطلاق اسم المسبب او مما دبت على الارض فان ما يختص باحد الشيئين المتجاورين يصح نسبته اليهما كما في
قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقد جوز ان يكون للملايكة عليهم السلام مشي مع الطيران فيوصفوا بالدبيب
وان يخلق الله في السماء حيوانا يمشون فيها مشي الاناسي على الارض كما ينبئ عنه قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون وقد
روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فوق السماء السابعة بحر بين اسفله واعلاه كما بين السماء والارض
ثم فوق ذلك العرش العظيم وهو على جمعهم اي حشرهم بعد البعث للمحاسبة وقوله تعالى اذا يشاء
متعلق بما قبله لا بقوله تعالى قدير فان المقيد بالمشية جمعه تعالى لا قدرته واذا عند كونها بمعنى
الوقت كما تدخل الماضي تدخل المضارع وما اصابكم من مصيبة اي مصيبة كانت فبما كسبت ايديكم اي فهي بسبب
معاصيكم التي اكتسبتموها والفاء لان ما شرطية او متضمنة معنى الشرط وقرئ بدونها اكتفاء بما في الباء
من معنى السببية ويعفو عن كثير من الذنوب فلا يعاقب عليها والاية مخصوصة بالمجرمين فان ما اصاب
غيرهم لاسباب اخر منها تعريضه للثواب بالصبر عليه وما انتم بمعجزين في الارض فايتين ما قضي عليكم من المصايب
وان هربتم من اقطارها كل مهرب وما لكم من دون الله من ولي يحميكم منها ولا نصير يدفعها عنكم ومن اياته الجوار
السفن الجارية في البحر وقرئ الجواري كالاعلام اي كالجبال على الاطلاق لا التي عليها النار للاهتداء خاصة
ان يشا يسكن الريح التي تجريها وقرئ الرياح فيظللن رواكد على ظهره فيبقين ثوابت على ظهر البحر اي غير
جاريات لا غير متحركات اصلا ان في ذلك الذي ذكر من السفن اللاتي يجرين تارة ويركضن اخرى على
حسب مشيئته تعالى لايات عظيمة في انفسها كثيرة في العدد دالة على ما ذكر من شؤونه تعالى لكل
صبار شكور لكل من حبس نفسه عن التوجه الى ما لا ينبغي ووكل همته بالنظر في ايات الله تعالى

والتفكر في الآية او لكل مومن كامل فان الايمان نصفه صبر ونصفه شكر او يوبقهن بما كسبوا عطف
على يسكن والمعنى ان يشأ يسكن الريح فيركدن او يرسلها فيغرق بعضها وايقاع الايباق عليهن مع انه حال
اهلهن للمبالغة والتهويل واجراء حكمه في العفو في قوله تعالى ويعف عن كثير لما ان المعنى او يرسلها
فيوبق ناسا وينج آخرين بطريق العفو عنهم وقرئ ويعفو على الاستيناف ويعلم الذين يجادلون في اياتنا
عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم وليعلم الى آخره كما في قوله تعالى ولنجعله اية للناس وقوله
تعالى ولنعلمه من تاويل الاحاديث ونظايرهما وقرئ بالرفع على الاستيناف وبالجزم عطفا على
يعف فيكون المعنى او ان يشأ يجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير قوم ما لهم من محيص اي من
مهرب من العذاب والجملة معلق عنها الفعل فما اوتيتم من شيء مما ترغبون وتتنافسون فيه فمتاع
الحيوة الدنيا اي فهو متاع تتمتعون به مدة حياتكم وما عند الله من ثواب الآخرة خير ذاتا
لخلوص نفعه وابقى زمانا حيث لا يزول ولا يفنى للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون لا على غيره اصلا والموصول الاول
لما كان متضمنا معنى الشرط من حيث ان ايتاء ما اوتوا سبب للتمتع بها في الحيوة الدنيا ادخلت جوابها
الفاء بخلاف الثاني وعن علي رضي الله عنه ان ابا بكر رضي الله عنه تصدق بماله كله فلامه جمع من
المسلمين فنزلت والذين يجتنبون كبائر الاثم اي الكبائر من هذا الجنس والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون مع ما
بعده عطف على للذين امنوا او مدح بالنصب او الرفع وبناء يغفرون على الضمير خبرا له للدلالة على انهم
الاخصاء بالمغفرة حال الغضب لعزة منالها وقرئ كبير الاثم وعن ابن عباس رضي الله عنهما كبير الاثم
الشرك والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة نزلت في الانصار دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
الايمان فاستجابوا له وامرهم شورى بينهم اي ذو شورى لا ينفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه
وكانوا قبل الهجرة وبعدها اذا حزبهم امر اجتمعوا وتشاوروا ومما رزقناهم ينفقون اي في سبيل الخير
ولعل فصله عن قرينه بذكر المشاورة لوقوعها عند اجتماعهم للصلوات والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون
اي ينتقمون ممن بغى على ما جعل الله تعالى لهم كراهة التذلل وهو وصف لهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر
مهمات الفضائل وهذا لا ينافي وصفهم بالغفران فان كلا منهما فضيلة محمودة في موقع نفسه ورذيلة
مذمومة في موقع صاحبه فان الحلم عن العاجز وعوراء الكرام محمود وعن المتغلب ولغو اللئام مذموم
فانه اغراء على البغي وعليه قول من قال • اذا انت اكرمت الكريم ملكته • وان انت اكرمت اللئيم تمردا
وقوله • فوضع الندى في موضع السيف بالعلى • مضر كوضع السيف في موضع الندى • قوله تعالى وجزاء
سيئة سيئة مثلها بيان لوجه كون الانتصار من الخصال الحميدة مع كونه في نفسه اساءة الى الغير بالاشارة
الى ان البادي هو الذي فعل لنفسه فان الافعال مستتبعة لاجزيتها حتما ان خيرا فخير وان شرا
فشر وفيه تنبيه على حرمة التعدي واطلاق السيئة على الثاني لانها تسوء من نزلت به فمن عفى
عن المسيء اليه واصلح بينه وبين من يعاديه بالعفو والاغضاء كما في قوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه
عداوة كانه ولي حميم فاجره على الله عدة مبهمة منبئة عن عظم شان الموعود وخروجه عن الحد المعهود
انه لا يحب الظالمين البادئين بالسيئة والمتعدين في الانتقام ولمن انتصر بعد ظلمه اي بعد ما ظلم وقد
قرئ به فاولئك اشارة الى من باعتبار المعنى كما ان الضميرين لها باعتبار اللفظ ما عليهم من سبيل
بالمعاتبة او المعاقبة انما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدئونهم بالاضرار ويعتدون في الانتقام
ويبغون في الارض بغير الحق اي يتكبرون فيها تجبرا وفسادا اولئك الموصوفون بما ذكر من البغي والظلم
بغير الحق لهم عذاب اليم بسبب ظلمهم وبغيهم ولمن صبر على الاذى وغفر لمن ظلمه ولم ينتصر
وفوض امره الى الله تعالى ان ذلك الذي ذكر من الصبر والمغفرة لمن عزم الامور اي ان ذلك

منه فحذف

منه فحذف ثقة بغاية ظهوره كما في قولهم السمن منوان بدرهم وهذا في المواد التي لا يؤدي العفو
الى الشركاء كما اشير اليه ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده من ناصر يتولاه من بعد خذلانه تعالى اياه وترى
الظالمين لما راوا العذاب اي حين يرونه وصيغة الماضي للدلالة على التحقق يقولون هل الى مرد الى رجعة الى
الدنيا من سبيل حتى نؤمن ونعمل صالحا وتريهم يعرضون عليها اي على النار المدلول عليها بالعذاب والخطاب
في الموضعين لكل من يتأتى منه الرؤية خاشعين من الذل متذللين متضائلين مما دهاهم ينظرون من طرف خفي
اي يبتدي نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصلوب ينظر الى السيف وقال الذين امنوا ان الخاسرين
المتصفين بحقيقة الخسران الذين خسروا انفسهم واهليهم بالتعرض للعذاب الخالد يوم القيمة اما ظرف لخسروا
والقول في الدنيا او يقال اي يقولون حين يرونهم على تلك الحال وصيغة الماضي للدلالة على تحققه وقوله
تعالى الا ان الظالمين في عذاب مقيم اما من تمام كلامهم او تصديق من الله تعالى لهم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم
برفع العذاب عنهم من دون الله حسبما كانوا يرجون ذلك في الدنيا ومن يضلل الله فما له من سبيل يؤدي سلوكه
الى النجاة استجيبوا لربكم اذا دعاكم الى الايمان على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من قبل ان ياتي يوم لا مرد
له من الله تعالى اي لا يرده الله بعد ما حكم به على ان من صلة مرد او من قبل ان ياتي من الله يوم لا يمكن رده
ما لكم من ملجأ يومئذ اي مقر تلجؤن اليه وما لكم من نكير اي انكار لما اقترفتموه لانه مدون في صحف
اعمالكم وتشهد عليكم جوارحكم فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا تلوين للكلام وصرف له عن خطاب الناس بعد
امرهم بالاستجابة وتوجيه له الى الرسول صلى الله عليه وسلم اي فان لم يستجيبوا واعرضوا عما تدعو
اليه فما ارسلناك رقيبا ومحاسبا عليهم ان عليك الا البلاغ وقد فعلت وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة
اي نعمة من الصحة والغنى والامن فرح بها اريد بالانسان الجنس لقوله تعالى وان تصبهم سيئة بلاء من
مرض وفقر وخوف بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور بليغ الكفر ينسى النعمة راسا ويذكر البلية ويستعظمها
ولا يتذكر بتامل سببها بل يزعم انها اصابته بغير استحقاق لها واسناد هذه الخصلة الى الجنس مع كونها
من خواص المجرمين لغلبتهم فيما بين الافراد وتصدير الشرطية الاولى باذا مع الاسناد والاضافة الى نون العظمة
للتنبيه على ان ايصال النعمة محقق الوجود كثير الوقوع وانه مقتضى الذات كما ان تصدير الثانية واسناد
الاصابة الى السيئة وتعليلها باعمالهم للايذان بندرة وقوعها وانها بمعزل من الانتظام في سلك الارادة
بالذات ووضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل على ان هذا الجنس مذموم بكفران النعمة لله ملك السموات والارض
فمن قضيته ان يملك التصرف فيهما وفي كل ما فيهما كيف ما يشاء ومن حكمته ان يقسم النعمة والبلية حسبما يريد
يخلق ما يشاء مما نعلمه ومما لا نعلمه يهب لمن يشاء اناثا من الاولاد ويهب لمن يشاء الذكور منهم من غير ان يكون
في ذلك مدخل لاحد او يزوجهم اي يقرن بين الصنفين فيهما جميعا ذكرانا واناثا قالوا معنى يزوجهم ان تلد
غلاما ثم جارية ثم غلاما او تلد ذكرا وانثى توامين ويجعل من يشاء عقيما والمعنى يجعل احوال العباد في حق الاولاد
مختلفة على ما تقتضيه المشيئة فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر او انثى واما صنفين ويعقم
آخرين ولعل تقديم الاناث لانها اكثر لتكثير النسل او لان مساق الاية للدلالة على ان الواقع ما يتعلق به
مشيته تعالى لا ما يتعلق به مشية الانسان والاناث كذلك او لان الكلام في البلاء والعرب تعدهن اعظم البلايا
او لتطييب قلوب ابائهن او للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف او لجبر التاخير وتغيير العاطف في الثالث
لانه قسيم المشترك بين القسمين ولا حاجة اليه في الرابع لافصاحه بانه قسيم المشترك بين الاقسام المتقدمة
وقيل المراد بيان احوال الانبياء عليهم السلام حيث وهب لشعيب ولوط اناثا ولابرهيم عليه السلام ذكورا
ولمحمد صلى الله عليه وسلم ذكورا واناثا وجعل يحيى وعيسى عقيمين انه عليم قدير مبالغ في العلم والقدرة
فيفعل ما فيه مصلحة وحكمة وما كان لبشر اي ما صح لفرد من افراد البشر ان يكلمه الله بوجه من الوجوه

الا وحيا الا بان يوحي اليه ويلهمه ويقذف في قلبه كما اوحي الى ام موسى والى ابرهيم عليه السلام في ذبح ولده وقد روي عن مجاهد اوحى الله الزبور الى داود عليه السلام في صدره او بان يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الاجرام من غير ان يبصر السامع من يكلمه وهو المراد بقوله تعالى او من وراء حجاب فانه تمثيل له بحال الملك المحتجب الذي يكلم بعض خواصه من وراء الحجاب يسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى وكما يكلم الملايكة عليهم السلام او بان يكلمه بواسطة الملك وذلك قوله تعالى او يرسل رسولا اي ملكا فيوحي ذلك الرسول الى المرسل اليه الذي هو الرسول البشري باذنه اي بامره تعالى وتيسيره ما يشاء ان يوحيه اليه وهذا هو الذي يجري بينه تعالى وبين الانبياء عليهم السلام في عامة الاوقات من الكلام وقيل قوله تعالى وحيا وقوله تعالى او يرسل مصدران واقعان موقع الحال وقوله تعالى من وراء حجاب ظرف واقع موقعها والتقدير وما صح ان يكلم موحيا او مسمعا من وراء حجاب او مرسلا وقرئ او يرسل بالرفع على اضمار مبتدا وروي ان اليهود قالت للنبي صلى الله عليه وسلم الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه فانا لن نؤمن حتى تفعل ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لم ينظر موسى عليه السلام الى الله تعالى فنزلت وعن عايشة رضي الله عنها من زعم ان محمدا راى ربه فقد اعظم على الله الفرية الم تسمعوا ربكم يقول وتلت هذه انه علي متعال عن صفات المخلوقين لا يتاتى جريان المفاوضة بينه تعالى وبينهم الا باحد الوجوه المذكورة حكيم يجري افعاله على سنن الحكمة فيكلم تارة بواسطة واخرى بدونها اما الهاما واما خطابا وكذلك اي ومثل ذلك الايحاء البديع اوحينا اليك روحا من امرنا هو القران الذي هو للقلوب بمنزلة الروح للابدان حيث يحييها حيوة ابدية وقيل هو جبريل عليه السلام ومعنى ايحائه اليه عليهما الصلوة والسلام ارساله اليه بالوحي ما كنت تدري قبل الوحي ما الكتاب اي شيء هو ولا الايمان اي الايمان بتفاصيل ما في تضاعيف الكتاب من الامور التي لا تهتدي اليها العقول لا الايمان بما يستقل به العقل والنظر فان درايته صلى الله عليه وسلم له مما لا ريب فيه قطعا ولكن جعلناه اي الروح الذي اوحينا اليك نورا نهدي به من نشاء هدايته من عبادنا وهو الذي يصرف اختياره نحو الاهتداء به وقوله تعالى وانك لتهدي تقرير لهدايته تعالى وبيان لكيفيتها ومفعول تهدي محذوف ثقة بغاية الظهور اي وانك لتهدي بذلك النور من تشاء هدايته الى صراط مستقيم هو الاسلام وساير الشرايع والاحكام وقرئ لتهدي اي ليهديك الله وقرئ لتدعو صراط الله بدل من الاول واضافته الى الاسم الجليل ثم وصفه بقوله تعالى الذي له ما في السموات وما في الارض لتفخيم شانه وتقرير استقامته وتاكيد وجوب فان كون جميع ما فيهما من الموجودات له تعالى خلقا وملكا وتصرفا مما يوجب ذلك اتم ايجاب الا الى الله تصير الامور اي امور ما فيهما قاطبة لا الى غيره وفيه من الوعد للمهتدين الى الصراط المستقيم والوعيد للضالين عنه ما لا يخفى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا حم عسق كان ممن تصلي عليه الملايكة ويستغفرون ويسترحمون له

سورة الزخرف وهي سبع وثمانون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم حم الكلام فيه كالذي مر في فاتحة سورة يونس خلا ان الظاهر على تقدير اسميته كونه اسما للقران لا للسورة كما قيل فان ذلك يخل بجزالة النظم الكريم والكتاب بالجر على انه مقسم به اما ابتداء او عطفا على حم على تقدير كونه مجرورا باضمار باء القسم على ان مدار العطف المغايرة في العنوان ومناط تكرير القسم المبالغة في تاكيد مضمون الجملة القسمية المبين لمن انزل عليهم لكونه بلغتهم وعلى اساليبهم او المبين لطريق الهدى من طريق الضلالة الموضح لكل ما يحتاج اليه في ابواب الديانة انا جعلناه قرانا عربيا جواب للقسم لكن لا على ان مرجع التاكيد جعله كذلك كما قيل بل هو غايته التي يعرب عنها قوله تعالى لعلكم تعقلون فانها المحتاجة الى التحقيق والتاكيد لكونها منبية عن الاعتناء بامرهم واتمام النعمة عليهم وازاحة اعذارهم اي

جعلنا

جعلنا ذلك الكتاب قرانا عربيا لكي تفقهوا وتحيطوا بما فيه من النظم الرايق والمعنى الفايق وتقفوا على ما يتضمنه من الشواهد الناطقة بخروجه عن طوق البشر وتعرفوا حق النعمة في ذلكم وتنقطع اعذاركم بالكلية وانه في ام الكتاب اي في اللوح المحفوظ فانه اصل الكتب السماوية وقرئ ام الكتاب بالكسر لدينا اي عندنا لعلي رفيع القدر بين الكتب شريف حكيم ذو حكمة بالغة او محكم وهما خبران لان وما بينهما بيان لمحل الحكم وقيل بعد بيان اتصاله بما ذكر من الوصفين الجليلين هنا في ام الكتاب ولدينا والجملة اما عطف على الجملة المقسم عليها داخلة في حكمها ففي الاقسام بالقران على علو قدره عنده تعالى براعة بديعة وايذان بانه من علو الشان بحيث لا يحتاج في بيانه الى الاستشهاد عليه بالاقسام بغيره بل هو بنفسه كاف في الشهادة على ذلك من حيث الاقسام كما انه كاف فيها من حيث اعجازه رمزا الى انه لا يخطر بالبال عند ذكره شيء آخر اولى منه بالاقسام به واما مستانفة مقررة لعلو شانه الذي انبأ عنه الاقسام به على منهاج الاعتراض في قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم وبعد ما بين علو شان القران العظيم وحقق ان انزاله على لغتهم ليعقلوه ويؤمنوا به ويعملوا بموجبه عقب ذلك بانكار ان يكون الامر بخلافه فقيل افنضرب عنكم الذكر اي ننحيه ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرايب عن الحوض وفيه اشعار باقتضاء الحكمة توجه الذكر اليهم وملازمته لهم كانه يتهافت عليهم والفاء للعطف على محذوف يقتضيه المقام اي انهملكم فننحي الذكر عنكم صفحا اي اعراضا عنكم على انه مفعول له للمذكور او مصدر مؤكد لما دل هو عليه فان التنحية منبية على الصفح والاعراض قطعا كانه قيل فنصفح عنكم صفحا او بمعنى الجانب فينتصب على الظرفية اي فننحيه عنكم جانبا ان كنتم قوما مسرفين اي لان كنتم منهمكين في الاسراف مصرين عليه على معنى ان حالكم وان اقتضى تخليتكم وشانكم حتى تموتوا على الكفر والضلالة وتبقوا في العذاب الخالد لكنا لسعة رحمتنا لا نفعل ذلك بل نهديكم الى الحق بارسال الرسول الامين وانزال الكتاب المبين وقرئ ان بالكسر على ان الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك لاستجهالهم والجزاء محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه وقوله تعالى وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزئون تقرير لما قبله ببيان ان اسراف الامم السالفة لم يمنعه تعالى من ارسال الانبياء اليهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه قوله تعالى فاهلكنا اشد منهم بطشا اي من هؤلاء القوم المسرفين عدة له صلى الله عليه وسلم ووعيد لهم بمثل ما جرى على الاولين ووصفهم باشدية البطش لاثبات حكمهم لهؤلاء بطريق الاولوية ومضى مثل الاولين اي سلف في القران غير مرة ذكر قصتهم التي حقها ان تسير مسير المثل ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم اي ليسندن خلقها الى من هذا شانه في الحقيقة وفي نفس الامر لانهم يعبرون عنه بهذا العنوان وسلوك هذه الطريقة للاشعار بان اتصافه تعالى بما سرد من جلايل الصفات والافعال وبما يستلزمه ذلك من البعث والجزاء امرين لا ريب فيه وان الحجة قايمة عليهم شاؤا او ابوا وقد جوز ان يكون ذلك عين عبارتهم قوله تعالى الذي جعل لكم الارض مهادا استيناف من جهته تعالى اي بسطها لكم تستقرون فيها وجعل لكم فيها سبلا تسلكونها في اسفاركم لعلكم تهتدون اي لكي تهتدوا بسلوكها الى مقاصدكم او بالتفكر فيها الى التوحيد الذي هو المقصد الاصلي والذي نزل من السماء ماء بقدر بمقدار تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح فانشرنا به اي احيينا بذلك الماء بلدة ميتا خاليا عن النما والنبات بالكلية وقرئ ميتا بالتشديد وتذكيره لان البلدة في معنى البلد والمكان والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال العناية بامر الاحياء والاشعار بعظم خطره كذلك اي مثل ذلك الاحياء الذي هو في الحقيقة اخراج النبات من الارض تخرجون اي تبعثون من قبوركم احياء وفي التعبير عن اخراج النبات بالانشاء الذي هو احياء الموتى وعن احيائهم بالاخراج تفخيم لشان الانبات وتهوين لامر البعث لتقويم سنن الاستدلال وتوضيح منهاج القياس والذي خلق الازواج كلها اي اصناف المخلوقات وعن ابن عباس رضي الله عنهما الازواج

الضروب والانعام كالحلو والحامض والابيض والاسود والذكر والانثى وقيل كل ما سوى الله تعالى فهو
زوج كالفوق والتحت واليمين واليسار الى غير ذلك وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون اى ما تركبونه تغليبا
للانعام على الفلك فان الركوب متعد بنفسه واستعماله فى الفلك ونحوها بكلمة فى للرمز الى مكانيتها وكون
حركتها غير ارادية كما مر فى سورة هود عند قوله تعالى وقال اركبوا فيها لتستووا على ظهوره اى لتستقروا
على ظهور ما تركبونه من الفلك والانعام والجمع باعتبار المعنى ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه اى تذكروها
بقلوبكم معترفين بها مستعظمين لها ثم تحمدوا عليها بالسنتكم وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا متعجبين من
ذلك كما يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فاذا استوى
على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخر لنا هذا الى قوله منقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا
وما كنا له مقرنين اى مطيقين من اقرن الشئ اذا اطاقه واصله وجده قرينته لان الصعب لا يكون
قرينة للضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى واحد وهذا من تمام ذكر نعمته تعالى اذ بدون اعتراف
المنعم عليه بالعجز عن تحصيل النعمة لا يعرف قدرها ولا حق المنعم بها وانا الى ربنا لمنقلبون اى راجعون
وفيه ايذان بان حق الراكب ان يتأمل فيما يلابسه من المسير ويتذكر منه المسافرة العظمى التى هى الانقلاب
الى الله تعالى فيبنى اموره فى مسيره ذلك على تلك الملاحظة ولا يخطر بباله فى شئ مما يأتى ويذر امرا
ينافيها ومن ضرورته ان يكون ركوبه لامر مشروع وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله تعالى ولئن سألتهم
الى آخره وقد جعلوا له سبحانه بالسنتهم واعتقادهم بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا وانما عبر
عنه بالجزء لمزيد استحالته فى حق الواحد الحق من جميع الجهات وقرئ جزؤا بضمتين ان الانسان لكفور مبين
ظاهر الكفران مبالغ فيه ولذلك يقولون ما يقولون سبحان الله عما يصفون ام اتخذ مما يخلق بنات
ام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من بيان بطلان جعلهم ذلك الولد من اخس
صنفيه والهمزة للانكار والتوبيخ والتعجيب من شأنهم وقوله تعالى واصفاكم بالبنين اما عطف على
اتخذ داخل فى حكم الانكار والتعجب او حال من فاعله باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور والالتفات
الى خطابهم لتأكيد الالزام وتشديد التوبيخ اى بل اتخذ من خلقه اخس الصنفين واختار لكم افضلهما على معنى
هبوا انكم اجترأتم على اضافة اتخاذ جنس الولد اليه سبحانه مع ظهور استحالته وامتناعه واما كان
لكم شئ من العقل ونبذ من الحياء حتى اجترأتم على التفوه بالعظيمة الخارقة للعقول من انه تعالى آثركم على نفسه
بخير الصنفين واعلاهما وترك له شرهما وادناهما وتنكير بنات وتعريف البنين لتربية ما اعتبر
فيها من الحقارة والفخامة واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا الى آخره استيناف مقرر لما قبله وقيل حال
على معنى انهم نسبوا اليه ما ذكر ومن حالهم ان احدهم اذا بشر به اغتم والالتفات للايذان باقتضاء
ذكر قبائحهم ان يعرض عنهم ويحكى لغيرهم تعجيبا منها اى اذا اخبر احدهم بولادة ما جعله ولدا لله سبحانه
اذ الولد لا بد ان يجانس الوالد ويماثله ظل وجهه مسودا اى صار اسود فى الغاية من سوء ما بشر به وهو
كظيم مملوء من الكرب والكآبة والجملة حال وقرئ مسود ومسواد على ان فى ظل ضمير المبشر ووجهه
مسود جملة وقعت خبرا له اومن ينشأ فى الحلية تكرير للانكار وتثنية للتوبيخ ومن منصوبة بمضمر معطوف
على جعلوا اى وجعلوا من شأنه ان يربى فى الزينة وهو عاجز عن ان يتولى الامر لنفسه فالهمزة لانكار
الواقع واستقباحه وقد جوز انتصابها بمضمر معطوف على اتخذ فالهمزة حينئذ لانكار الوقوع واستبعاده
واقحامها بين المعطوفين لتذكير ما فى ام المنقطعة من الانكار وتأكيده والعطف للتغاير العنوانى اى
واتخذ من هذه الصفة الذميمة صفته وهو مع ما ذكر من القصور فى الخصام اى فى الجدال
الذى لا يكاد يخلو عنه الانسان فى العادة غير مبين غير قادر على تقرير دعواه واقامة حجته

لنقصان

لنقصان عقله وضعف رأيه واضافة غير لا يمنع عمل ما بعده فى الجار المتقدم لانه بمعنى النفى وقرئ ينشأ
وينشأ من الافعال والمفاعلة والكل بمعنى ونظيره غلاه واغلاه وغالاه وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا
بيان لتضمن كفرهم المذكور لكفر آخر وتقريع لهم بذلك وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على الله تعالى
انقصهم رأيا واخسهم صنفا وقرئ عبيد الرحمن وقرئ عند الرحمن على تمثيل زلفاهم وقرئ انثا وهو جمع الجمع اشهدوا
خلقهم اى احضروا خلق الله تعالى اياهم فشاهدوهم اناثا حتى يحكموا بانوثتهم فان ذلك مما يعلم
بالمشاهدة وهو تجهيل لهم وتهكم بهم وقرئ أأشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة وآشهدوا بالالف
بينهما ستكتب شهادتهم هذه فى ديوان اعمالهم ويسألون عنها يوم القيمة وقرئ سيكتب بالياء والنون
وقرئ شهاداتهم وهو قولهم ان لله جزءا وان له بنات وانها الملائكة وقرئ يساءلون من المساءلة
للمبالغة وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم بيان لفن آخر من كفرهم اى لو شاء عدم عبادتنا للملائكة مشيئة
ارتضاء ما عبدناهم ارادوا بذلك بيان ان ما فعلوه حق مرضى عنده تعالى وانهم انما يفعلونه بمشيئته
تعالى لا الاعتذار من ارتكاب ما ارتكبوه بانه بمشيئته تعالى اياه منهم مع اعترافهم بقبحه حتى
ينتهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ومبنى كلامهم الباطل على مقدمتين احداهما ان عبادتهم لهم بمشيئته تعالى
والثانية ان ذلك مستلزم لكونها مرضية عنده تعالى ولقد اخطأوا فى الثانية حيث جهلوا ان
المشيئة عبارة عن ترجيح بعض الممكنات على بعض كائنا ما كان من غير اعتبار الرضا او السخط فى شئ من
الطرفين ولذلك جهلوا بقوله تعالى ما لهم بذلك اى بما ارادوا بقولهم ذلك من كون ما فعلوه بمشيئة
الارتضاء لا بمطلق المشيئة فان ذلك محقق ينطق به ما لا يحصى من الآيات الكريمة من علم يستند الى
مستند ما ان هم الا يخرصون يتمحلون تمحلا باطلا وقد جوز ان يشار بذلك الى اصل الدعوى كأنه لما اظهر
وجوه فسادها وحكى شبهتهم المزيفة نفى ان يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم اضرب عنه الى ابطال
ان يكون لهم سند من جهة النقل فقيل ام آتيناهم كتابا من قبله من قبل القرآن او من قبل ادعائهم ينطق بصحته
ما يدعونه فهم به اى بذلك الكتاب فهم به مستمسكون وعليه معولون بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا
على آثارهم مهتدون اى لم يأتوا بحجة عقلية او نقلية بل اعترفوا بان لا سند لهم سوى تقليد آبائهم الجهلة
مثلهم والامة الدين والطريقة التى تؤم اى تقصد كالرحلة لما يرحل اليه وقرئ امة بالكسر وهى الحالة
التى الام اى القاصد وقوله تعالى على آثارهم مهتدون خبران والظرف صلة لمهتدون وكذلك اى والامر
كما ذكر من عجزهم عن الحجة وتشبثهم بذيل التقليد وقوله تعالى ما ارسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة
وانا على آثارهم مقتدون استيناف مبين لذلك دال على ان التقليد فيما بينهم ضلال قديم ليس لاسلافهم
ايضا مستند غيره وتخصيص المترفين بتلك المقالة للايذان بان التنعم وحب البطالة هو الذى
صرفهم عن النظر الى التقليد قال حكاية لما جرى بين المنذرين وبين اممهم عند تعللهم بتقليد
آبائهم اى قال كل نذير من اولئك المنذرين لاممهم اولو جئتكم اى أتقتدون بآبائكم ولو جئتكم باهدى
بدين اهدى مما وجدتم عليه آباءكم من الضلالة التى ليست من الهداية فى شئ وانما عبر عنها بذلك
مجاراة معهم على مسلك الانصاف وقرئ قل على انه حكاية امر ماض اوحى حينئذ الى كل نذير لا على انه
خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم كما قيل لقوله تعالى قالوا انا بما ارسلتم به كافرون فانه حكاية عن الامم
قطعا فانه قالت كل امة لنذيرها انا بما ارسلت به الى آخره وقد اجمل عند الحكاية للايجاز كما مر فى قوله
تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات وجعل حكاية عن قومه صلى الله عليه وسلم بحمل صيغة الجمع على تغليبه
على سائر المنذرين عليهم السلام وتوجيه كفرهم الى ما ارسل به الكل اى التوحيد لاجماعهم عليه كما فى نظائر
قوله تعالى كذبت عاد المرسلين تمحل بعينه يرده بالكلية قوله تعالى فانتقمنا منهم اى بالاستيصال

فانظر كيف كان عاقبة المكذبين من الامم المذكورين فلا تكترث بتكذيب قومك واذ قال ابرهيم اي واذكر
لهم وقت قول ابرهيم عليه السلام لابيه وقومه المكبين على التقليد كيف تبرأ مما هم فيه بقوله انني برآء مما تعبدون
وتمسك بالبرهان ليسلكوا مسلكه في الاستدلال او ليقلدوه ان لم يكن لهم بد من التقليد فانه اشرف آبائهم
والبرآء مصدر نعت به مبالغة ولذلك يستوي فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ بري وبرآء
بضم البآء ككريم وكرام وما اما مصدرية او موصولة حذف عايدها اي انني بريء من عبادتكم او معبودكم
الا الذي فطرني استثنآء منقطع او متصل على ان ما تعم اولي العلم وغيرهم وانهم كانوا يعبدون الله والاصنام
او صفة على ان ما موصوفة اي انني برآء من الهة تعبدونها غير الذي فطرني فانه سيهدين اي سيثبتني
على الهداية او سيهديني الى ما وراء الذي هداني اليه الى الآن والاوجه ان السين للتاكيد دون
التسويف وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار وجعلها اي جعل ابرهيم كلمة التوحيد التي ما
تكلم بها عبارة عنها وجعلها كلمة باقية في عقبه اي في ذريته حيث وصاهم بها كما نطق به قوله تعالى
ووصى بها ابرهيم بنيه ويعقوب الاية فلا يزال فيهم من يوحد الله تعالى ويدعوا الى توحيده وقرئ كلمة
وفي عقبه على التخفيف لعلهم يرجعون علة للجعل اي جعلها باقية في عقبه رجاء ان يرجع اليها من
اشرك منهم بدعاء الموحد بل متعت هؤلاء اضراب عن محذوف ينساق اليه الكلام كانه قيل جعلها
كلمة باقية في عقبه بان وصى بها بنيه رجاء ان يرجع اليها من اشرك منهم بدعاء الموحد فلم يحصل ما رجا بل متعت
منهم هؤلاء المعاصرين للرسول صلى الله عليه وسلم من اهل مكة وآباءهم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا
بذلك بالمهلة وانهمكوا في الشهوات وشغلوا بها عن كلمة التوحيد حتى جاءهم اي هؤلاء الحق ورسول
اي رسول مبين ظاهر الرسالة واضحها بالمعجزات الباهرة او مبين للتوحيد بالآيات
البينات والحجج وقرئ متعنا ومتعت بالخطاب على انه تعالى اعترض به في ذاته في قوله تعالى وجعلها
كلمة باقية الى آخره مبالغة في تعييرهم فان التمتع بزيادة النعم يوجب عليهم ان يجعلوه سببا لزيادة
الشكر والثبات على التوحيد والايمان فجعل سببا لزيادة الكفران اقصى مراتب الكفر والضلال
ولما جاءهم الحق لينبههم بما هم فيه من الغفلة ويرشدهم الى التوحيد ازدادوا كفرا وعتوا وضموا
الى كفرهم السابق معاندة الحق والاستهانة به حيث قالوا هذا سحر وانا به كافرون فسموا القرآن
سحرا وكفروا به واستحقروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين
اي من احدى القريتين مكة والطائف على نهج قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان عظيم
بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة المخزومي وعروة بن مسعود الثقفي وقيل حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي
وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل ولم يتفوهوا بهذه العظيمة حسدا على نزوله الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم دون من ذكر من عظمائهم مع اعترافهم بقرآنيته بل استدلالا على عدمها
بمعنى انه لو كان قرآنا لنزل الى احد هؤلاء بناء على ما زعموا من ان الرسالة منصب جليل لا يليق به الا من له
جلالة من حيث المال والجاه ولم يدروا انها رتبة روحانية لا يترقى اليها الا همم الخواص المختصين
بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتحلين بالفضائل الانسية والمزخرفون بالزخارف الدنيوية
المتمتعون بالحظوظ الدنية فهم من استحقاق تلك الرتبة بالف منزل فقوله تعالى اهم يقسمون رحمت
ربك انكار فيه تجهيلهم وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة نحن قسمنا بينهم معيشتهم اي اسباب
معيشتهم في الحيوة الدنيا قسمة تقتضيها مشيئتنا المبنية على الحكم والمصالح ولم نفوض امرها اليهم
علما منا بعجزهم عن تدبيرها بالكلية ورفعنا بعضهم فوق بعض في الرزق وسائر مبادي المعاش درجات
متفاوتة بحسب القرب والبعد حسبما تقتضيه الحكمة فمن ضعيف وقوي وفقير وغني وخادم

ومخدوم

ومخدوم وحاكم ومحكوم ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ليصرف بعضهم بعضا في مصالحهم ويستخدموهم
فيما تهم ويسخروهم في اشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا ويصلوا الى مرافقهم لا لكمال في الموسع ولا لنقص
في المقتر ولو فوضنا ذلك الى تدبيرهم لضاعوا وهلكوا فاذا كان في تدبير خويصة امرهم وما يصلحهم من متاع
الدنيا الدنية وهو في طرف التمام على هذه الحالة فما ظنهم بانفسهم في تدبير امر الدين وهذا ابعد من مناط العيوق
ومن اين لهم البحث عن امر النبوة والتخيير لها من يصلح لها ويقوم بامرها ورحمت ربك اي النبوة وما يتبعها
من سعادة الدارين خير مما يجمعون من حطام الدنيا الدنية الفانية قوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة
استئناف مبين لحقارة حطام الدنيا ودناءة قدره عند الله تعالى والمعنى ان حقارة شانه بحيث لولا ان يرغب
الناس لحبهم الدنيا في الكفر اذا راوا اهله في سعة وتنعم فيجتمعوا عليه لاعطيناه بحذافيره من هو شر الخلائق
وادناهم منزلة وذلك قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة اي متخذة منها ولبيوتهم بدل
اشتمال من لمن وجمع باعتبار معنى من كما ان افراد المستكن في يكفر باعتبار لفظها والسقف جمع تخفيفا وسقفا
اكتفاء بجمع البيوت وسقفا كانه لغة في سقف وسقوفا ومعارج اي وجعلنا لهم معارج من فضة
اي مصاعد جمع معرج وقرئ معاريج جمع معراج عليها يظهرون اي يعلون السطوح والعلالي ولبيوتهم
اي وجعلنا لبيوتهم ابوابا وسررا من فضة عليها اي على السرر يتكئون ولعل تكرير ذكر بيوتهم
لزيادة التقرير وزخرفا اي زينة عطفا على سقفا او ذهبا عطفا على محل من فضة وان كل ذلك لما متاع
الحيوة الدنيا اي وما كل ما ذكر من البيوت الموصوفة بالصفات المفصلة الا شيء يتمتع به في
الحيوة الدنيا وفي معناه ما قرئ وما كل ذلك الا متاع الحيوة الدنيا وقرئ بتخفيف ما على ان ان هي
المخففة واللام هي الفارقة وقرئ بكسر اللام على انها لام العلة وما موصولة حذف عايدها اي للذي
هو متاع كما في قوله تعالى تماما على الذي احسن والآخرة بما فيها من فنون النعم التي يقصر عنها البيان
عند ربك للمتقين اي عن الكفر والمعاصي وبهذا تبين ان العظيم هو العظيم في الآخرة لا في الدنيا
ومن يعش اي يتعام عن ذكر الرحمن وهو القرآن واضافته الى اسم الرحمن للايذان بنزوله رحمة للعالمين
وقرئ يعش بالفتح اي يعم يقال عشي يعشى على ان من موصولة غير متضمنة لمعنى الشرط والمعنى ومن يعرض عنه
لفرط اشتغاله بزهرة الحيوة الدنيا وانهماكه في حظوظها الفانية والشهوات نقيض له شيطانا فهو له قرين لا يفارقه
ولا يزال يوسوسه ويغويه وقرئ يقيض بالياء على اسناده الى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو فحقه ان يرفع
نقيض وانهم اي الشياطين الذين قيض كل منهم لكل واحد ممن يعشو ليصدونهم اي قرناءهم فمدار جمع
الضميرين اعتبار معنى من كما ان مدار افراد الضمائر السابقة اعتبار لفظها عن السبيل للسبيل الذي يدعو
اليه القرآن ويحسبون اي العاشون انهم اي الشياطين انهم مهتدون لاعتقاد كون الشياطين مهتدين
مستلزم لاعتقاد كونهم كذلك لاتحاد مسلكهما والجملة حال من مفعول يصدون بتقدير المبتدا او من فاعله
او منهما لاشتمالها على ضميريهما اي وانهم يصدونهم عن الطريق الحق وهم يحسبون انهم مهتدون اليه
وصيغة المضارع في الافعال الاربعة للدلالة على الاستمرار التجددي لقوله تعالى حتى اذا جاءنا فان حتى
وان كانت ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية لكونها تقتضي حتما ان يكون غاية لامر ممتد كما مر مرارا وافراد
الضمير في جاءنا بعد ما بعد لما ان المراد حكاية مقال كل واحد من العاشين لقرينه لتهويل الامر وتفظيع الحال
والمعنى يستمر العاشون على ما ذكر من مقارنة الشياطين والصد والحسبان الباطل حتى اذا جاءنا كل واحد
منهم مع قرينه يوم القيمة قال مخاطبا له يا ليت بيني وبينك في الدنيا بعد المشرقين اي بعد المشرق والمغرب
اي تباعد كل منهما عن الآخر فغلب المشرق وثني واضيف البعد اليهما فبئس القرين اي انت وقوله تعالى
ولن ينفعكم اليوم الى آخره حكاية لما سيقال لهم حينئذ من جهة الله تعالى توبيخا وتقريعا اي لن ينفعكم

اذا كان في بصره آفة وعشي يعشى اذا يعشي بلا آفة كعرج يعرج وقرئ يعشو على ان موصولة ح

اليوم اي يوم القيمة تمنيكم لمباعدتهم اذ ظلمتم لاجل ظلمكم انفسكم في الدنيا باتباعكم اياهم في الكفر والمعاصي
وقيل اذ ظلمتم بدل من اليوم اي اذ تبين عندكم وعند الناس جميعا انكم ظلمتم انفسكم في الدنيا وعليه قول من
قال • اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة • اي تبين اني لم تلدني لئيمة اي كريمة انكم في العذاب مشتركون تعليل
لنفي الفعل النفع اي حقكم ان تشتركوا انتم وقرناؤكم في العذاب كما ينفع الواقعين في شدايد الدنيا اشتراكهم
فيها لتعاونهم في تحمل اعبائهم وتقسمهم لعنائها لان لكل منهم ما لا يبلغه طاقته كما قيل لان الانتفاع بذلك
الوجه ليس مما يخطر ببالهم حتى يرد عليهم بنفيه بل بمعنى لن يحصل لكم التشفي بكون قرنائكم معذبين مثلكم
حيث كنتم تدعون عليهم بقولكم ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا وقولكم فآتهم عذابا ضعفا
من النار ونظائرهما لتنتفعوا بذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبالغ في المجاهدة في دعاء قومه وهم
لا يزدادون الا غيا وتعاميا عما يشاهدونه من شواهد النبوة وتصاميا عما يسمعونه من بينات القران فنزل
افانت تسمع الصم او تهدي العمي وهو انكار تعجيب من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم وهم قد تمرنوا في الكفر و
استغرقوا في الضلال بحيث صار ما بهم من العشاء عمى مقرونا بالصمم ومن كان في ضلال مبين عطف على العمي
باعتبار تغاير الوصفين ومدار الامكان هو التمكن والاستقرار في الضلال المفرط بحيث لا ارعواء له منهم لا
توهم القصور من قبل الهادي ففيه رمز الى انه لا يقدر على ذلك الا الله تعالى وحده بالقسر والالجاء فاما
نذهبن بك اي فان قبضناك قبل ان نبصرك عذابهم ونشفي بذلك صدرك وصدور المؤمنين فانا منهم
منتقمون لا محالة في الدنيا والآخرة فما مزيدة للتاكيد بمنزلة لام القسم في انها لا تفارق النون المؤكدة
او نرينك الذي وعدناهم بحيث لا مفاص لهم من تحت ملكنا وقهرنا ولقد اراه صلى الله عليه وسلم ذلك يوم بدر
فاستمسك بالذي اوحي اليك من الايات والشرايع سواء عجلنا لك الموعود او اخرناه الى اليوم الآخر وقرئ
اوحي على البناء للفاعل وهو الله عز وجل انك على صراط مستقيم تعليل للاستمساك او للامر به وانه لذكر لك
لشرف عظيم ولقومك وسوف تسألون يوم القيمة عنه وعن قيامك بحقوقه واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا
اي واسأل اممهم وعلماء دينهم لقوله تعالى فسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك وفائدة هذا المجاز التنبيه
على ان المسئول عنه عين ما نطقت به السنة الرسل لا ما يقوله علماؤهم واممهم من تلقاء انفسهم قال الفرا
هم انما يخبرونه عن كتب الرسل فاذا سالهم فكانه سال الانبياء عليهم الصلوة والسلام اجعلنا من دون
الرحمن الهة يعبدون اي هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت في ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد
باجماع الانبياء على التوحيد والتنبيه على انه ليس ببدع ابتدعه حتى يكذب ويعادى ولقد ارسلنا
موسى باياتنا ملتبسا بها الى فرعون وملائه فقال اني رسول رب العالمين اريد باقتصاصه تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم والاستشهاد بدعوة موسى عليه السلام الى التوحيد اثر ما اشار الى اجماع جميع
الرسل عليهم السلام فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون اي فاجاوا وقت ضحكهم منها اي ليستهزوا بها
اول ما راوها ولم يتاملوا فيها من الايات وما نريهم من اية الا وهي بالغة اقصى مراتب الاعجاز بحيث يحسب
كل من ينظر اليها انها اكبر من كل ما يقاس بها من الايات والمراد وصف الكل بغاية الكبر من غير ملاحظة
قصور في شيء منها والا وهي مختصة بضروب من الاعجاز مفضلة بذلك الاعتبار على غيرها واخذناهم
بالعذاب كالسنين والطوفان والجراد وغيرها لعلهم يرجعون لكي يرجعوا عما هم عليه من الكفر وقالوا
يا ايه الساحر نادوه بذلك في مثل تلك الحالة لغاية عتوهم ونهاية حماقتهم وقيل كانوا يقولون للعالم
الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحر وقرئ ايه الساحر بضم الهاء ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت
عنا الرجز من النبوة او من استجابة دعوتك او من كشف العذاب عمن اهتدى او بما عهد عندك
فوصيت به من الايمان والطاعة انا لمهتدون اي لمؤمنون تقدير كشف العذاب عنا بدعوتك

اي واردنا ان نرينك العذاب الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون صح

من الايات الا هي اكبر من اختها صح

لقولهم لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك فلما كشفنا عنهم العذاب بدعوته اذا هم ينكثون • فاجئوا وقت
نكث عهدهم بالاهتداء وقد مر تفصيله في سورة الاعراف ونادى فرعون بنفسه او بمناديه في قومه
في جمعهم وفيما بينهم بعد ان كشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمنوا قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار
انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس تجري من تحتي اي
من تحت قصوري او امري وقيل من تحت سريري لارتفاعه وقيل بين يدي في جناني وبساتيني والواو اما
عاطفة لهذه الانهار على ملك مصر فتجري حال منها او للحال فهذه مبتدا والانهار صفتها وتجري خبر
للمبتدا افلا تبصرون ذلك يريد به استعظام ملكه ام انا خير مع هذه المملكة والبسطة من هذا الذي
هو مهين اي ضعيف حقير من المهانة وهي القلة ولا يكاد يبين اي الكلام قاله افتراء عليه عليه السلام
من نوع رتة وقد كانت ذهبت عنه لقوله تعالى قد اوتيت سؤلك يا موسى وام اما منقطعة والهمزة للتقرير
كانه قال اثر ما عدد اسباب فضله ومبادي خيريته اثبت عندكم واستقر لديكم اني انا خير وهذه حال من
هذا الى آخره واما متصلة فالمعنى افلا تبصرون ام تبصرون فلانه وضع قوله انا خير موضع تبصرون
لانهم اذا قالوا له انت خير فهم عنده بصراء وهذا من باب تنزيل السبب منزلة المسبب ويجوز ان يجعل من
تنزيل المسبب منزلة السبب فان ابصارهم لما ذكر من اسباب فضله يسبب على زعمه حكمهم بخيريته
فلولا القي عليه اساورة من ذهب اي فهلا القي عليه مقاليد الملك ان كان صادقا لما انهم كانوا اذا سودوا
رجلا سوروه وطوقوه بطوق من ذهب واسورة جمع سوار وقرئ اساور جمع اسورة وقرئ اساورة
جمع اسوار بمعنى السوار وعلى تعويض التاء من ياء اساوير وقد قرئ كذلك وقرئ والقي عليه اساورة واسا
على البناء للفاعل وهو الله تعالى او جاء معه الملائكة مقترنين مقرونين يعينونه او يصدقونه من قرنته
به فاقترن او متقارنين من اقترن بمعنى تقارن فاستخف قومه فاستفزهم وطلب منهم الخفة في مطا
او فاستخف احلامهم فاطاعوه فيما امرهم انهم كانوا قوما فاسقين فلذلك سارعوا الى طاعة ذلك
الفاسق الغوي فلما آسفونا اي اغضبونا اشد الغضب منقول من اسف اذا اشتد غضبه انتقمنا منهم
فاغرقناهم اجمعين في اليم فجعلناهم سلفا قدوة لمن بعدهم من الكفار يسلكون مسالكهم
في استيجاب ما حل بهم من العذاب وهو مصدر نعت به او جمع سالف كخدم جمع خادم وقرئ بضم السين
كاسد وقرئ سلفا بابدال ضمة اللام فتحة على انه سلفة اي ثلة قد سلفت ومثلا للآخرين اي عظة لهم
وقصة عجيبة تسير مسير الامثال لهم فيقال مثل قوم فرعون ولما ضرب ابن مريم مثلا اي ضربه ابن الزبعرى
حين جادله رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم حيث
قال اهذا لنا ولالهتنا او لجميع الامم فقال صلى الله عليه وسلم هو لكم ولالهتكم ولجميع الامم فقال اللعين
خصمتك ورب الكعبة اليست النصارى يعبدون المسيح واليهود عزيرا وبنو مليح الملائكة فان كان
هؤلاء في النار فقد رضينا ان نكون نحن والهتنا معهم ففرح به وضحكوا وارتفعت اصواتهم اذا قومك
منه اي من اجل ذلك المثل يصدون اي يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وجدلا وقرئ يصدون اي من اجل
ذلك المثل يعرضون عن الحق اي يثبتون على ما كانوا عليه من الاعراض او يزدادون فيه وقيل هو ايضا
من الصديد وهما لغتان فيه نحو يعكف ويعكف وهو الانسب بمعنى المفاجات وقالوا االهتنا خير حكاية
لطرف من المثل المضروب قالوه تمهيدا لما بنوا عليه من الباطل المموه مما يعبر به السفهاء اي ظاهر ان عيسى
عليه السلام خير من الهتنا فيها واعلم ان ما نقل عنهم من الفرح ورفع الاصوات لم يكن لما قيل من انه صلى الله
عليه وسلم سكت عند ذلك الى ان نزل قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون
الاية فان ذلك مع ابهامه لا يجب تنزيه ساحته عليه السلام عنه من شائبة الافهام من اول الامر

وا
ور
وعته

خلاف الواقع كيف لا وقد روي ان قول ابن الزبعري خصمتك ورب الكعبة صدر عنه من اول الامر
عند سماع الاية الكريمة فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ما اجهلك بلغة قومك اما فهمت ان ما لما
لا يعقل وانما لم يخص صلى الله عليه وسلم هذا الحكم بالهتهم حين سال الفاجر عن الخصوص والعموم عملا بما
ذكر من اختصاص كلمة ما بغير العقلاء لان اخراج بعض المعبودين عنه عند الحاجة موهم للرخصة في عبادته
في الجملة فعممه صلى الله عليه وسلم للكل لكن لا بطريق عبارة النص بل بطريق الدلالة بجامع الاشتراك
في المعبودية من دون الله تعالى ثم بين صلى الله عليه وسلم بقوله بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك ان
الملائكة والمسيح بمعزل من ان يكونوا معبوديهم كما نطق به قوله تعالى سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا
يعبدون الجن الاية وقد مر تحقيق المقام عند قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية بل انما كان
ما اظهروه من الاحوال المنكرة لمحض وقاحتهم وتهالكهم على المكابرة والعناد كما ينطق به قوله تعالى ما ضربوه
لك الا جدلا اي ما ضربوا لك ذلك المثل الا لاجل الجدال والخصام لا لطلب الحق حتى يذعنوا له عند ظهوره
ثبياتك بل هم قوم خصمون اي لد شداد الخصومة مجبولون على اللجاج وقيل لما سمعوا قوله تعالى ان مثل عيسى
عند الله كمثل آدم خلقه من تراب قالوا نحن اهدى من النصارى لانهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت
فقولهم آلهتنا خير ام هو حينئذ تفضيل لالهتهم على عيسى عليه السلام لان المراد بهم الملائكة ومعنى ما ضربوه
الى آخره ما قالوا هذا القول الا للجدل وقيل لما نزلت ان مثل عيسى الاية قالوا ما يريد محمد بهذا الا ان نعبده
وانه يستاهل ان يعبد ان كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى يصدون يضجون ويضجرون
والضمير عائد في ام هو لمحمد صلى الله عليه وسلم وغرضهم بالموازنة بينه صلى الله عليه وسلم وبين آلهتهم
الاستهزاء به وقد جوز ان يكون مرادهم التنصل عما انكر عليهم من قولهم الملائكة بنات الله تعالى ومن عبادتهم
لهم كانهم قالوا ما قلنا بدعا من القول ولا فعلنا منكرا من الفعل فان النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه
فنحن اشف منه قولا وفعلا حيث نسبنا اليه الملائكة وهم نسبوا اليه الاناسي وقوله تعالى ان هو الا عبد
انعمنا عليه اي بالنبوة اي امرا عجيبا حقيقا بان يسير ذكره كالامثال السائرة على الوجه الاول
استيناف مسوق لتنزيهه صلى الله عليه وسلم عن ان ينسب اليه ما نسب الى الاصنام بطريق الرمز
كما نطق به صريحا قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية وعليه تنبيه على بطلان راي من رفعه
عن رتبة العبودية وتعريض بفساد راي من راي رايهم في شان الملائكة وعلى الثاني والرابع لبيان
انه قياس باطل بباطل او باطل على زعمهم وما عيسى الا عبد كسائر العبيد قصارى امره انه ممن انعمنا
عليهم بالنبوة وخصصناه ببعض الخواص البديعة بان خلقناه بوجه بديع وقد خلقنا آدم بوجه ابدع
منه فاين هو من رتبة الربوبية ومن اين يتوهم صحة عبد ترجيحي بفتح عبدة الملائكة بكونهم
اهدى منهم او يعتد رواية حالهم اشف او اخف من حالهم واما على الوجه الثالث فهو لردهم
وتكذيبهم في افترائهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان ان عيسى في الحقيقة وفيما اوحي الى
الرسل عليهم السلام ليس الا انه عبد منعم عليه كما ذكر فكيف يرضى عليه السلام بمعبوديته او كيف يتوهم
الرضا بمعبودية نفسه قوله تعالى ولو نشاء الى آخره تحقيق ان مثل عيسى السلام ليس ببدع من قدرة الله
تعالى وانه قادر على ابدع من ذلك وابدع من التنبيه على سقوط الملائكة ايضا من درجة المعبودية
اي قدرتنا بحيث لو نشاء لجعلنا اي خلقنا بطريق التوالد منكم وانتم رجال ليس من شانكم الولادة
ملائكة كما خلقناهم بطريق الابداع في الارض مستقرين فيها كما جعلناهم مستقرين في السماء يخلفون
اي يخلفونكم مثل اولادكم فيما تاتون وما تذرون ويباشرون الافعال المنوطة بمباشرتكم مع ان
شانهم التسبيح والتقديس في السماء فمن شانهم بهذه المثابة بالنسبة الى القدرة الربانية كيف يتوهم

وجعلناه مثلا لبني اسرائيل

دة

استحقاقهم

استحقاقهم للمعبودية وانتسابهم اليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا وانه اي وان عيسى عليه السلام لعلم
للساعة اي انه بنزوله شرط من اشراطها وتسميته علما لحصوله به او بحدوثه بغير اب او باحياء الموتى
دليل على صحة البعث الذي هو معظم ما ينكره الكفرة من الامور الواقعة في الساعة وقرئ لعلم اي علامة
وقرئ للعلم وقرئ لذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا كتسمية ما يعلم به علما وفي الحديث ان عيسى عليه السلام
ينزل على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وعليه ممصرتان وبيده حربة وبها يقتل الدجال فياتي بيت
المقدس والناس في صلاة الصبح فيتاخر الامام فيقدمه عيسى عليه السلام فيصلي خلفه بشريعة محمد
صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من
آمن به وقيل الضمير للقرآن لما ان فيه الاعلام بالساعة فلا تمترن بها فلا تشكن في وقوعها واتبعون
اي فاتبعوا هداي او شرعي او رسولي وقيل هو قول الرسول مامورا من جهته تعالى هذا اي الذي
ادعوكم اليه او القرآن على ان الضمير في انه له صراط مستقيم موصل الى الحق ولا يصدنكم الشيطان عن
اتباعي انه لكم عدو مبين بين العداوة اخرج اباكم من الجنة وعرضكم للبلية ولما جاء عيسى بالبينات اي
بالمعجزات او بآيات الانجيل او بالشرايع الواضحات قال لبني اسرائيل قد جئتكم بالحكمة لاعلمكم اياها
ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه وهو ما يتعلق بامور الدين فليس بيانه من وظايف الانبياء عليهم السلام
كما قال صلى الله عليه وسلم انتم اعلم بامور دنياكم فاتقوا الله في مخالفتي واطيعون فيما ابلغه عنه تعالى
ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه بيان لما امرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرايع هذا
اي التوحيد والتعبد بالشرايع صراط مستقيم لا يضل سالكه وهو اما من تتمة كلامه عليه السلام او
استيناف من جهته تعالى مقرر لما قاله عيسى عليه السلام فاختلف الاحزاب الفرق المتحزبة من بينهم
اي من بين من بعث اليهم من اليهود والنصارى فويل للذين ظلموا من المختلفين من عذاب يوم اليم اي من بعث
اليهم من اليهود والنصارى هو يوم القيامة هل ينظرون اي ما ينتظر الناس الا الساعة ان تاتيهم الا اتيان
الساعة بغتة اي فجاة لكن لا عند كونهم مترقبين لها بل غافلين عنها مشتغلين بامور الدنيا منكرين
لها وذلك قوله تعالى وهم لا يشعرون الاخلاء المتحابون في الدنيا على الاطلاق او في الامور الدنيوية
يومئذ يوم اذ تاتيهم الساعة بعضهم لبعض عدو لانقطاع ما بينهم من علايق الخلة والتحابب
لظهور كونها اسبابا للعذاب الا المتقين فان خلتهم في الدنيا لما كانت في الله تبقى على حالها بل تزداد
بمشاهدة كل منهم آثار خلتهم من الثواب ورفع الدرجات والاستثناء على الاول متصل وعلى الثاني منقطع
يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون حكاية لما ينادي به المتقون المتحابون في الله يومئذ تشريفا لهم
وتطييبا لخواطرهم الذين آمنوا بآياتنا صفة للمنادى او صفة على المدح وكانوا مسلمين اي مخلصين وجوههم
لنا جاعلين انفسهم سالمة لطاعتنا وهو حال من واو آمنوا عن مقاتل اذا بعث الناس فزع كل منهم فينادي
مناد يا عبادي فيرفع الخلايق رؤسهم على الرجاء ثم يتبعها الذين آمنوا الاية فينكس اهل الاديان الباطلة
رؤسهم ادخلوا الجنة انتم وازواجكم نساؤكم المؤمنات تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره اي اثره على
وجوهكم او تزينون من الحبرة وهي حسن الهيئة او تكرمون اكراما بليغا والحبرة المبالغة فيما وصف بالجميل
يطاف عليهم بعد دخول الجنة حسبما اريد به بصحاف من ذهب واكواب كذلك والصحاف جمع صحفة قيل
هي كالقصعة وقيل اعظم القصاع الجفنة ثم القصعة ثم الصحفة ثم المكيلة والاكواب جمع كوب وهو
كوز لا عروة له وفيها اي في الجنة ما تشتهيه الانفس من فنون الملاذ وقرئ ما تشتهي وتلذ الاعين اي تستلذه
وتقر بمشاهدته وقرئ وتلذه وانتم فيها خالدون اتمام للنعمة واكمال للسرور فان كل نعيم له زوال بالآخرة مقارن
لخوف لا محالة والالتفات للتشريف وتلك الجنة مبتدأ وخبر التي اورثتموها وقرئ ورثتموها بما كنتم

ين

دي

تعملون في الدنيا من الاعمال الصالحة شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه العامل عليه وقيل تلك الجنة مبتدا وصفه والموصول مع صلة خبره وقيل هو صفة الجنة كالوجه الاول والخبر فيتعلق بما بمحذوف لا بما ورثتموها كما في الاولين لكم فيها فاكهة كثيرة بحسب الانواع والاصناف لا بحسب الافراد فقط منها تاكلون اي بعضها تاكلون في كل نوبة واما الباقي فعلى الاشجار على الدوام لا ترى فيها شجرة خلت عن ثمرتها لحظة فهي مزينة بالثمار زائدة موقرة بها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها الا نبت مثلاها مكانها ان المجرمين اي الراسخين في الاجرام وهم الكفار حسبما ينبي عنه ايرادهم في مقابل المومنين بالايات في عذاب جهنم خالدون • خبران او خالدون هو الخبر وفي متعلقة لا يفتر عنهم اي لا يخفف العذاب عنهم من فترت عنهم الحمى اذا اسكنت قليلا والتركيب للضعف وهم فيه اي في العذاب وقري فيها اي في النار مبلسون اي آيسون من النجاة وما ظلمناهم بذلك ولكن كانوا هم الظالمين لتعريضهم انفسهم للعذاب الخالد ونادوا خازن النار يا مالك وقري يا مال على الترخيم بالضم والكسر ولعله رمز الى ضعفهم وعجزهم عن تادية اللفظ بتمامه ليقض علينا ربك اي ليمتنا حتى نستريح من قضى عليه اذا اماته والمعنى سل ربك ان يقضي علينا وهذا لا ينافي ما ذكر من ابلاسهم لانه جوار وتمن للموت لفرط الشدة قال انكم ماكثون اي في العذاب ابدا لا خلاص لكم منه بموت ولا بغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما انه لا يجيبهم الا بعد الف سنة وقيل بعد مائة وقيل بعد اربعين سنة لقد جئناكم بالحق في الدنيا بارسال الرسل وانزال الكتب وهو خطاب توبيخ وتقريع من جهة الله تعالى مقرر لجواب مالك ومبين لسبب مكثهم وقيل في قال ضمير الله تعالى ولكن اكثركم للحق اي حق كان كارهون لا تقبلونه وتنفرون منه واما الحق المعهود الذي هو التوحيد او القران فكلهم كارهون له مشمئزون منه ام ابرموا امرا كلام مبتدا ناع على المشركين ما فعلوا من الكيد برسول الله صلى الله عليه وسلم وام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من توبيخ اهل النار الى حكاية جناية هولاء والهمزة للانكار فان اريد بالابرام الانكار حقيقة فهي لانكار الوقوع واستبعاده وان اريد الاحكام صورة فهي لانكار الواقع واستقباحه اي ابرم مشركوا مكة امرا من كيدهم ومكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم فانا مبرمون كيدنا حقيقة لا هم اي فانا مبرمون كيدنا بهم حقيقة كما ابرموا كيدهم صورة لقوله تعالى ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا يتناجون في انديتهم ويتشاورون في اموره صلى الله عليه وسلم ام يحسبون اي بل يحسبون انا لا نسمع سرهم وهو ما حدثوا به انفسهم او غيرهم في مكان خال ونجويهم اي ما تكلموا به فيما بينهم بطريق التناجي بلى نحن نسمعها ونطلع عليها ورسلنا الذين يحفظون عليهم اعمالهم ويلازمونهم اينما كانوا لديهم عندهم يكتبون اي يكتبونها او يكتبون كلما صدر عنهم من الاقوال والافعال التي من جملتها ما ذكر من سرهم ونجويهم والجملة اما عطف على ما يترجم عنه بلى او حال نسمعها والحال ان رسلنا يكتبون قل اي للكفرة تحقيقا للحق وتنبيها لهم على ان تحاشيك لهم لعدم عبادتك ما يعبدونه من الملائكة عليهم السلام ليست لبغضك وعداوتك لهم او لمعبودهم بل انما هو لجزمك باستحالة ما نسبوا اليهم وبنوا عليه عبادتهم من كفرهم بقولهم الملائكة بنات الله تعالى ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين اي له ولذلك لانه صلى الله عليه وسلم اعلم الناس بشؤنه تعالى وبما يجوز عليه وما لا يجوز واولاهم بمراعاة حقوقه ومن مواجب تعظيم الوالد تعظيم ولده وفيه من الدلالة على انتفاء كونهم لذلك على ابلغ الوجوه واقواها وعلى كون رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوة يقين وثبات قدم في باب التوحيد ما لا يخفى من استنزال الكفرة عن رتبة المكابرة حسبما يعرب عنه ايراد ان مكان لو المنبئة عن امتناع مقدم الشرطية وقيل ان كان للرحمن ولد في زعمكم فانا اول العابدين الموحدين لله تعالى وقيل فانا اول الانفين المستنكفين منه او من يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه وقيل ان نافية اي ما كان للرحمن ولد فانا اول من قال بذلك وقري ولد سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون اي يصفون

بعض

به من ان يكون له ولد وفي اضافة اسم الى اعظم الاجرام واقواها تنبيه على انها وما فيها من المخلوقات بحيث كانت تحت ملكوته وربوبيته كيف يتوهم ان يكون شيئا منها جزءا منه سبحانه وفي تكرير اسم الرب تفخيم لشان العرش فذرهم حيث لم يذعنوا للحق بعد ما سمعوا هذا البرهان الجلي يخوضوا في اباطيلهم ويلعبوا في دنياهم فان ما هم فيه من الافعال والاقوال ليس الا من باب الجهل واللعب والجزم في الفعل لجواب الامر حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون من يوم القيمة فانهم يومئذ يعلمون ما فعلوا وما يفعل بهم وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله الظرفان متعلقان بالمعنى الوصفي الذي ينبئ عنه الاسم الجليل من معنى المعبودية بالحق كما مر في تفسير البسملة كانه قيل وهو الذي مستحق لان يعبد فيهما وقد مر تحقيقه في سورة الانعام وقري وهو الذي في السماء الله والراجع الى الموصول مبتدا قد حذف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا مساغ لكون الجار خبرا لمبتدا محذوف على ان الجملة بيان للصلة وان كونه في السماء على سبيل الالهية لا على سبيل الاستقرار وفيه نفي للالهة السماوية والارضية وتخصيصه لاستحقاق الالهة السماوية والارضية وتخصيصه لاستحقاق الالهية به تعالى قوله تعالى وهو الحكيم العليم كالدليل على ما قبله وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما اما على الدوام كالهوا او في بعض الاوقات كالطير وعنده علم الساعة اي العلم بالساعة التي فيها تقوم القيمة واليه ترجعون للجزاء والالتفات للتهديد وقري على الغيبة وقري تحشرون بالتاء ولا يملك الذين يدعون اي يدعونه وقري بالتاء مخففا ومشددا من دونه الشفاعة كما يزعمون الا من شهد بالحق الذي هو التوحيد وهم يعلمون بما يشهدون به عن بصيرة وايقان واخلاص وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان الافراد اولا باعتبار لفظها والاستثناء اما متصلة والموصول عام لكل ما يعبد من دون الله او منفصل على انه خاص بالاصنام ولئن سالتهم من خلقهم اي سالت العابدين والمعبودين ليقولن الله لتعذر الانكار لغاية بطلانه فانى يوفكون فكيف يصرفون عن عبادته الى عبادة غيره مع اعترافهم بكون الكل مخلوقا له تعالى وقيله بالجر اما عطف على انه على الساعة وعلم قوله عليه السلام يا رب الى آخره فان القول والقيل والقال كلها مصادر وعلى ان الواو للقسم وقوله تعالى ان هولاء قوم لا يومنون جوابه وفي الاقسام به من رفع شانه صلى الله عليه وسلم وتفخيم دعائه والتجائه اليه تعالى ما لا يخفى وقري بالنصب على سرهم او على محل الساعة او باضمار فعله او بتقدير فعل القسم وقري بالرفع على الابتداء والخبر ما بعده وقد جوز عطفه على الساعة فاصفح عنهم فاعرض عن دعوتهم واقطع عن ايمانهم وقل سلام اي امري تسلم منكم ومتاركة فسوف يعلمون حالهم البتة وان تاخر ذلك وهو وعيد من الله تعالى وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقري تعلمون على انه داخل في حيز قل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيمة يا عبادي لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب • اللهم اجعلنا منهم برحمتك يا ارحم الراحمين

سورة الدخان وهي تسع وخمسون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين الكلام فيه كالذي سبق في السورة السابقة انا انزلناه اي الكتاب المبين الذي هو القران في ليلة مباركة هي ليلة القدر وقيل ليلة البراءة ابتدي فيها انزاله وانزل فيها جملة الى السماء الدنيا من اللوح واملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما ثلاثا وعشرين سنة كما مر في سورة الفاتحة ووصفها بالبركة لما ان نزول القران مستتبع للمنافع الدينية والدنيوية باجمعها ولما فيها من تنزل الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية وفضيلة العبادة واعطاء تمام الشفاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم

وقيل يزيد في هذه الليلة ماء زمزم زيادة ظاهرة **انا كنا منذرين** استيناف مبين لما يقتضي
الانزال كانه قيل انا انزلناه لان من شاننا الانذار والتحذير من العقاب وقيل جواب للقسم وقوله
تعالى انا انزلناه الى اخره اعتراض وقيل جواب ثان لغير عاطف **فيها يفرق كل امر حكيم** استيناف كما
قبله فان كونها تفرق الامور المحكمة او الملتبسة بالحكمة الموافقة لها يستدعي ان ينزل فيها القران
الذي هو من عظايمها وقيل صفة اخرى لليلة وما بينهما اعتراض وهذا يدل على انها ليلة القدر ومعنى نفرق
انه يكتب ويفصل كل امر حكيم من ارزاق العباد واجالهم وجميع امورهم من هذه الليلة الى الاخرى من
السنة القابلة وقيل يبدا في استنساخ ذلك من اللوح في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة القدر
فتدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب وذكر الزلازل والخسف والصواعق ونسخة الاعمال
الى اسماعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصايب الى ملك الموت عليهم السلام وقرى
نفرق بنون العظمة **امرا من عندنا** نصب على الاختصاص اي اعني بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا
على مقتضى حكمتنا وهو بيان لفخامته الاضافية بعد بيان فخامته الذاتية ويجوز كونه حالا من كل امر
لتخصيصه بالوصف او من ضمير في حكيم وقد جوز ان يراد به مقابل النهي ويجعل مصدرا مؤكدا
ليفرق لاتحاد الامر والفرقان في المعنى او لفعله المضمر لما ان الفرق به او حالا من احد ضميري انزلناه
اي امرين او مامورا **انا كنا مرسلين**[٣] غاية للارسال متاخرة عنه على ان المراد بها الرحمة الواصلة
الى العباد وباعث متقدم عليه على ان المراد منها اي انزلنا القران لان من عادتنا ارسالنا الرسل
بالكتب الى العباد لاجل افاضة رحمتنا عليهم او لافتقار رحمتنا السابقة ارسالهم ووضع الرب موضع
الضمير للايذان بان ذلك من احكام الربوبية ومقتضياتها واضافته الى ضميره صلى الله عليه وسلم لتشريفه
وتعليل ليفرق او لقوله تعالى امرا على ان قوله تعالى مفعول للارسال كما في قوله تعالى وما يمسك
فلا مرسل له من بعده اي يفرق فيها كل امر او يصدر الاوامر من عندنا لان من عادتنا ارسال رحمتنا ولا
ريب في ان كلا من قسمة الارزاق وغيرها والاوامر الصادرة عنه تعالى من باب الرحمة فان الغاية
لتكليف العباد تعريضهم للمنافع وقرى رحمة بالرفع اي تلك رحمة قوله تعالى **انه هو السميع العليم**
تحقيق لربوبيته تعالى فانها لا تحق الا لمن هذه نعوته **رب السموات والارض وما بينهما** بدل من ربك او بيان
او نعت وقرى بالرفع على انه خبر اخر او استيناف على اضمار مبتدا **ان كنتم موقنين** اي ان كنتم من اهل
الايقان في العلم او ان كنتم موقنين في اقراركم بانه تعالى رب السموات والارض وما بينهما اذا سالتم من
خلقها لقلتم الله علمتم ان الامر كما قلنا او ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك **لا اله الا هو** جملة مستانفة
مقررة لما قبلها وقيل خبر لقوله رب السموات الى اخره وما بينهما اعتراض **يحيي ويميت** مستانفة
لما قبلها وكذا قوله تعالى **ربكم ورب اباءكم الاولين** باضمار مبتدا او بدل من رب السموات وقرى بالجر بدلا
من رب السموات على قراءة الجر **بل هم في شك يلعبون** مما ذكر من شؤنه تعالى غير موقنين في اقرارهم
يلعبون لا يقولون ما يقولون عن جد واذعان بل مخلوطا بهزل ولعب والفاء في قوله تعالى **فارتقب**
لترتيب الارتقاب او الامر به على ما قبلها فان كونهم في شك مما يوجب ذلك حتما اي فانتظر لهم
وارتقب **يوم تاتي السماء بدخان مبين** يوم شدة ومجاعة فان الجايع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان
اما لضعف بصره او لان في عام القحط يظلم الهوى لقلة الامطار وكثرة الغبار او لان العرب تسمي
الشر الغالب دخانا وذلك ان قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم
فقال اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاخذتهم سنة حتى اكلوا الجيف
والعظام والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان وكان يحدث الرجل ويسمع كلامه

[٣] بدل من اذا كنا منذرين وقيل جواب ثالث وقيل مستانف قوله تعالى **رحمة من ربك** م

ولا يراه من الدخان وذلك قوله تعالى **يغشى الناس** اي يحيط بهم **هذا عذاب اليم** اي قايلين ذلك فمشى اليه صلى
الله عليه وسلم ابو سفيان ونفر معه وناشدوه الله تعالى والرحم وواعدوه ان دعا له فكشف
عنهم ان يؤمنوا وذلك قوله تعالى **ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون** وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما
وابن مسعود وبه اخذ مجاهد ومقاتل وهو اختيار الفراء والزجاج وقيل هو دخان ياتي من السماء قبل يوم
القيمة فيدخل في اسماع الكفرة حتى يكون راس الواحد كالراس الحنيذ ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون
الارض كلها كبيت اوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الايات الدخان ونزول
عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان
فتلا الاية وقال يملا ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام
واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره والاول هو الذي يستدعيه سياق النظم الكريم
قطعا فان قوله تعالى **انى لهم الذكرى** الى اخره رد لكلامهم واستدعايهم الكشف وتكذيب لهم في الوعد بالايمان
المبني عن التذكر والاتعاظ بما اعتراهم من الداهية اي كيف يتذكرون او من اين يتذكرون بذلك ويفون
بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب عنهم **وقد جاءهم رسول مبين** اي والحال انهم شاهدوا من دواعي
التذكر وموجبات الاتعاظ بما هو اعظم منه في ايجابهما حيث جاءهم رسول عظيم الشان وبين لهم مناهج الحق
باظهار ايات ظاهرة ومعجزات قاهرة تخر لها صم الجبال **ثم تولوا عنه** عن ذلك الرسول ريثما شاهدوا منه
ما شاهدوا من العظايم الموجبة للاقبال اليه ولم يقتنعوا بالتولي **وقالوا** في حقه **معلم مجنون** اي قالوا تارة
يعلمه غلام اعجمي لبعض ثقيف واخرى مجنون او يقول بعضهم كذا واخرون كذا فهل يتوقع من قوم هذه صفاتهم
ان يتاثروا بالعظة والتذكير وما مثلهم الا كمثل الكلب اذا جاع ضغا واذا شبع طغا قوله تعالى **انا كاشفوا العذاب
قليلا انكم عائدون** جواب من جهته تعالى عن قولهم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون بطريق الالتفات
لمزيد التهديد والتوبيخ وما بينهما اعتراض اي انا نكشف العذاب المعهود عنكم كشفا قليلا او زمانا
قليلا انكم تعودون اثر ذلك الى ما كنتم عليه من العتو والاصرار على الكفر وتنسون هذه الحالة وصيغة
الفاعل في الفعلين للدلالة على تحققهما لا محالة وقد وقع كلاهما حيث كشفه الله تعالى بدعاء النبي صلى الله عليه
وسلم فما لبثوا ان عادوا الى ما كانوا عليه من العتو والعناد ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط قال اذا جاء
الدخان تضرر المعذبون به من الكفار والمنافقون وغوثوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون
فيكشفه الله تعالى بعد اربعين يوما فريثما يكشفه عنهم يرتدون ولا يتمهلون **يوم نبطش البطشة الكبرى**
اي يوم القيمة وقيل يوم بدر وهو ظرف لما دل عليه قوله تعالى **انا منتقمون** لا بمنتقمون لان ان مانعة من
ذلك اي يومئذ ننتقم انا منتقمون وقيل هو بدل من يوم ياتي الى اخره وقرى نبطش اي نحمل الملايكة
على ان يبطشوا بهم البطشة الكبرى وهو التناول بالعنف والصولة اي نجعل البطشة الكبرى باطشة
بهم وقرى نبطش بضم الطاء وهي لغة **ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون** اي امتحناهم بارسال موسى عليه السلام
واوقعناهم في الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرى بالتشديد للمبالغة او لكثرة القوم **وجاءهم رسول
كريم** على الله تعالى او على المؤمنين او في نفسه لان الله تعالى لم يبعث نبيا الا من اشراف قومه وكرامهم
ان ادوا الي عباد الله اي بان ادوا الي بني اسرائيل وارسلوهم معي او بان ادوا الي يا عباد الله حقه من الايمان
وقبول الدعوة وقيل ان مفسرة لان مجي الرسول لا يكون الا برسالة ودعوة وقيل مخففة من الثقيلة اي جاءهم بان
الشان ادوا الي اخره قوله تعالى **اني لكم رسول امين** تعليل للامر او لوجوب المامور به اي رسول غير ظنين
قد ايتمنني الله تعالى على وحيه وصدقني بالمعجزات القاهرة **وان لا تعلوا على الله** اي لا تتكبروا عليه تعالى بالاستهانة
بوحيه وبرسوله وان كالتي سلفت قوله تعالى **اني اتيكم** اي من جهته تعالى **بسلطان مبين** تعليل للنهي اي

آتيكم بحجة واضحة لا سبيل الى انكارها وآتيكم على صيغة الفاعل والمضارع وفي ايراد الاداء مع الامين
والسلطان مع العلا من الجزالة ما لا يخفى وانى عذت بربى وربكم اى التجأت اليه وتوكلت عليه ان ترجمون من ان
ترجمون اى تؤذوني ضربا او شتما او تقتلوني قيل لما قال وان لا تعلوا على الله توعدوه بالقتل وقرئ بادغام الذال
في التاء وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون اى وان كابرتم مقتضى العقل ولم تؤمنوا لي فخلوني كفافا لا علي ولا لي ولا تتعرضوا
لي بشر واذى فليس ذلك جزاء من يدعوكم الى ما فيه صلاحكم وحمله على معنى فاقطعوا اسباب الوصلة عني
فلا موالاة بيني وبين من لا يؤمن يأباه المقام فدعا ربه بعد ما تموا على تكذيبه صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء
اى بان هؤلاء قوم مجرمون وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك سمى دعاء وقرئ بالكسر
على اضمار القول قيل كان دعاؤه اللهم عجل لنا ما يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم
الظالمين فاسر بعبادي ليلا باضمار القول اما بعد الفاء اى فقال ربه اسر بعبادي واما قبلها كأنه
قيل ان كان الامر كما تقول فاسر بعبادي اى بنى اسرائيل فقد دبر الله تعالى ان يتقدموا وقرئ بوصلة
الهمزة من سرى انكم متبعون اى يتبعكم فرعون وجنوده بعد ما علموا بخروجكم واترك البحر رهوا مفتوحا
ذا فجوة واسعة او ساكنا على هيئته بعد ما جاوزته ولا تضربه بعصاك ولا تغير عن حاله ليدخله القبط
انهم جند مغرقون وقرئ انهم بالفتح لانهم كم تركوا اى كثيرا تركوا بمصر من جنات وعيون وزروع ومقام كريم
محافل مزينة ومنازل محسنة ونعمة اى تنعم كانوا فيها فاكهين متنعمين وقرئ فكهين كذلك الكاف في حيز
النصب وذلك اشارة الى مصدر فعل يدل عليه تركوا في مثل ذلك السلب سلبناهم اياها واورثناها
قوما آخرين وقيل مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها وقيل في حيز الرفع على الخبرية اى الامر كذلك
فحينئذ يكون واورثناها معطوفا على تركوا وعلى الاولين على الفعل المقدر فما بكت عليهم السماء والارض مجاز
عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم فيه تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم قدره
فيقال له بكت عليه السماء والارض ومنه ما روي ان المؤمن ليبكي عليه مصلاه ومحل عبادته ومصاعد
عمله ومهابط رزقه وآثاره في الارض وقيل تقديره اهل السماء والارض وما كانوا لما جاء وقت هلاكهم
منظرين ممهلين الى وقت آخر او الى الآخرة بل عجل لهم في الدنيا ولقد نجينا بني اسرائيل بما فعلنا بفرعون
وقومه ما فعلنا من العذاب المهين من استعباد فرعون اياهم وقتل ابنائهم واستحياء نسائهم على
الحيف والضيم من فرعون بدل من العذاب اما على جعل نفسه العذاب لافراطه فيه واما على حذف المضاف
اى عذاب فرعون او حال من المهين اى كائنا من فرعون وقرئ من فرعون على معنى هل تعرفونه من هو
في عتوه وتفرعنه وفي ابهام امره اولا وتبيينه بقوله تعالى انه كان عاليا من المسرفين ثانيا من الافصاح
من الافصاح عن كنه امره في الشر والفساد ما لا مزيد عليه وقوله تعالى من المسرفين اما خبر ثان
فكان متكبرا مسرفا او حال من الضمير في عاليا اى كان رفيع الطبقة من بين المسرفين فائقا لهم بليغا في
الاسراف ولقد اخترناهم اى بني اسرائيل على علم اى عالمين بانهم احقاء بالاختيار او عالمين بانهم يزيغون
في بعض الاوقات ويكثر منهم الفرطات على العالمين جميعا لكثرة الانبياء فيهم او عالمي زمانهم وآتيناهم
من الآيات التي لم يعهد مثلها في غيرهم ما فيه بلاء مبين نعمة جليلة او اختبار ظاهر لينظر كيف
يعملون ان هؤلاء يعني كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على تماديهم
في الاصرار على الضلالة والتحذير عن حلول مثل ما حل بهم ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى اى ما العاقبة
ونهاية الامر الا الموتة الاولى المزيلة للحيوة الدنيوية ولا قصد فيه الى اثبات موتة اخرى
كما في قولك حج زيد الحجة الاولى ومات وقيل انه لما قيل لهم انكم تموتون موتة يعقبها حيوة كما تقدمتكم
موتة كذلك قالوا ما هي الا موتتنا الاولى وقيل المعنى ليست الموتة الا هذه الموتة دون الموتة التي تعقب

حيوة القبر

حيوة القبر كما تزعمون وما نحن بمنشرين بمبعوثين فأتوا بآبائنا خطاب لمن وعدهم بالنشر من الرسل عليهم
السلام والمؤمنين ان كنتم صادقين فيما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى ليظهر انه حق وقيل كانوا
يطلبون اليهم ان يدعوا الله تعالى فينشر لهم قصي بن كلاب ليشاوروه وكان كبيرهم ومفزعهم في المهمات
والملمات اهم خير رد لقولهم وتهديد لهم اى اهم خير في القوة والمنعة اللتين يدفع بهما اسباب الهلاك
ام قوم تبع هو تبع الحميري الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه
كافرين ولذلك ذمهم الله تعالى دونه وكان يكتب في عنوانه بسم الله ملك برا وبحرا اى بحارا كثيرة وعن النبي صلى
الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم وعنه صلى الله عليه وسلم ما ادري كان تبع نبيا او غير نبي وعن
ابن عباس رضي الله عنهما انه كان نبيا وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما يقال لهم الاقيال لانهم يتقيلون
والذين من قبلهم عطف على قوم تبع والمراد بهم عاد وثمود واضرابهم من كل جبار عنيد اولي باس شديد والاستفهام
لتقرير ان اولئك اقوى من هؤلاء [٢] وقوله تعالى انهم كانوا مجرمين تعليل لاهلاكهم ليعلم ان اولئك حيث اهلكوا
بسبب اجرامهم مع ما كانوا في غاية القوة والشدة فلان يهلك هؤلاء وهم شركاؤهم في الاجرام اضعف منهم في الشدة
والقوة اولى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما اى ما بين الجنسين وقرئ وما بينهن لاعبين لاهين من
غير ان يكون في خلقهما غرض صحيح وغاية حميدة ما خلقناهما وما بينهما الا بالحق استثناء مفرغ من اعم الاحوال
او اعم الاسباب اى ما خلقناهما ملتبسا بشيء من الاشياء او ما خلقناهما بسبب من الاسباب الا بسبب الحق
الذي هو الايمان والطاعة والبعث والجزاء ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الامر كذلك فينكرون البعث
والجزاء ان يوم الفصل اى فصل الحق عن الباطل وتمييز المحق من المبطل وفصل الرجل عن اقاربه واحبابه ميقا
وقت موعدهم اجمعين وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه اسم ان ويوم الفصل خبرها اى ميعاد حسابهم
وجزائهم في يوم الفصل يوم لا يغني بدل من يوم الفصل او صفة لميقاتهم او ظرف لما دل عليه الفصل لا
لنفيه مولى من قرابة او غيرها عن مولى اى مولى كان شيئا اى شيئا من الاغناء ولا هم ينصرون الضمير
لمولى الاول باعتبار المعنى لانه عام الا من رحم الله بالعفو عنه وقبول الشفاعة في حقه ومحل الرفع على البدل
من الواو والنصب على الاستثناء انه هو العزيز الذي لا ينصر من اراد تعذيبه الرحيم لمن اراد ان يرحمه
ان شجرت الزقوم وقرئ بكسر الشين وقد مر معنى الزقوم في سورة الصافات طعام الاثيم اى الكثير
الآثام والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه كالمهل وهو ما يمهل في النار حتى يذوب وقيل
هو دردي الزيت تغلي في البطون وقرئ بالتاء على اسناد الفعل الى الشجرة كغلي الحميم غليانا كغليه
خذوه على ارادة القول والخطاب للزبانية فاعتلوه اى جروه والعتل الاخذ بمجامع الشيء وجره بقهر
وعنف وقرئ بضم التاء وهي لغة فيه الى سواء الجحيم اى وسطه ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم
كان الاصل يصب من فوق رؤسهم الحميم فقيل يصب من فوق رؤسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم اضيف
العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على ان المصبوب بعض هذا النوع ذق انك انت العزيز
الكريم اى وقولوا له ذلك استهزاء به وتقريعا له على ما كان يزعمه روي ان ابا جهل قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ما بين جبليها اعز ولا اكرم مني فوالله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي
شيئا وقرئ بالفتح اى لانك او عذاب انك ان هذا اى العذاب ما كنتم به تمترون تشكون وتمارون
فيه والجمع باعتبار المعنى لان المراد جنس الاثيم ان المتقين اى عن الكفر والمعاصي في مقام في موضع
قيام والمراد المكان على الاطلاق فانه من الخاص الذي شاع استعماله في معنى العموم وقرئ بضم الميم وهو موضع
اقامة امين يأمن صاحبه الآفات والانتقال عنه وهو من الامن الذي هو ضد الخيانة وصف به
المكان بطريق الاستعارة كأن المكان المخيف يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكان في جنات وعيون

[٢] وقوله تعالى اهلكناهم استيناف لبيان عاقبة امرهم م

تهم

بدل من مقام حسي بر بدلالة على نزاهته واشتماله على طيبات المآكل والمشارب يلبسون من سندس
واستبرق خبر ثان او حال من الضمير في الجار او استيناف والسندس ما رق من الحرير والاستبرق ما غلظ
منه معرب متقابلين في المجالس ليستانس بعضهم ببعض كذلك اي الامر كذلك او كذلك اثبناهم
وزوجناهم بحور عين على الوصف وقرئ بالاضافة اي قرناهم بهن والحور جمع الحوراء وهي البيضاء والعين
جمع العيناء وهي العظيمة العينين واختلف في انهن نساء الدنيا او غيرهن يدعون فيها بكل فاكهة اي يطلبون
ويامرون باحضار ما يشتهونه من الفواكه لا يتخصص شيء منها بمكان ولا زمان آمنين من كل ما يسوؤهم لا يذوقون
فيها الموت الا الموتة الاولى بل يستمرون على الحيوة ابدا والاستثناء منقطع او متصل على ان المراد بيان استحالة
ذوق الموت فيها على الاطلاق كانه قيل لا يذوقون فيها الموت الا اذا امكن ذوق الموتة الاولى حينئذ
ووقاهم عذاب الجحيم وقرئ مشددا للمبالغة في الوقاية فضلا من ربك اي اعطوا ذلك كله عطاء
وتفضلا منه تعالى وقرئ بالرفع اي ذلك فضل ذلك هو الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه اذ هو
خلاص عن جميع المكاره ونيل لكل المطالب قوله تعالى فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون فذلكة للسورة
الكريمة اي انا انزلنا الكتاب المبين بلغتك لكي يفهمه قومك ويتذكروا به ويعملوا بموجبه واذ لم يفعلوا
فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون ما يحل بك روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا حم الدخان ليلة

سورة الجاثية وهي سبع وثلثون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم حم الكلام فيه كما مر في فاتحة سورة المؤمن فان جعل اسما للسورة فمحله الرفع
على انه خبر لمبتدا محذوف اي هذا مسمى بحم والاشارة الى السورة قبل جريان ذكرها قد وقفت على
سره مرارا وان جعل مسرودا على نمط التعديد فلا حظ له من الاعراب تنزيل الكتاب على الاول
خبر بعد خبر على انه مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى الثاني خبر لمبتدا مضمر يلوح به ما قبله
اي المؤلف من جنس ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل هو خبر لحم المسمى به تنزيل الى اخره وقد مر مرارا
ان الذي يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه واذ لا عهد بالتسمية
بعد فحقها الاخبار بها واما ما جعل خبرا له بتقدير المضاف وابقاء التنزيل على اصله اي تنزيل
حم تنزيل الكتاب فمع غرابته عن فائدة يعتد بها تحل على تحمل قوله تعالى من الله العزيز الحكيم كما مر
في صدر سورة الزمر على التفصيل وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم
قوله تعالى ان في خلق السموات والارض لايات للمؤمنين وهو على الوجوه المتقدمة كلام مستانف
مسوق للتنبيه على الايات التكوينية الافاقية والانفسية ومحل الايات اما نفس السموات
والارض وهو الاوفق لقوله تعالى وفي خلقكم اي نطفة ثم علقة منقلبة في اطوار مختلفة الى تمام الخلق
وما يبث من دابة ايات بالرفع على انه مبتدا خبره الظرف المقدم والجملة معطوفة على ما قبلها من الجملة
المصدرة بان وقيل ايات عطف على ما قبلها من ايات باعتبار المحل عند من يجوزه وقرئ اية بالتوحيد
وقرئ ايات بالنصب عطف على ما قبلها من اسم ان والخبر هو الخبر كانه قيل وان في خلقكم وما يبث
من دابة ايات لقوم يوقنون الى من شانهم ان يوقنوا بالاشياء على ما هي عليه واختلاف الليل والنهار
بالجر على اضمار الجار المذكور في الايتين قبله وقد قرئ بذكره والمراد باختلافهما اما تعاقبهما او تفاوتهما
طولا وقصرا وما انزل الله من السماء عطف على اختلاف من رزق اي من مطر وهو سبب للرزق عبر عنه
بذلك تنبيها على كونه اية من جهتي القدرة والرحمة فاحيا به الارض بان اخرج منها اصناف الزروع
والثمرات والنبات بعد موتها وعرائها عن اثار الحيوة وانتفاء القوة المنمية عنها وخلو اشجارها

عن الثمار وتصريف الرياح من جهة الى جهة اخرى ومن حال الى حال وقرئ بتوحيد الريح وتاخيره عن
انزال المطر مع تقدمه عليه في الوجود اما للايذان بانه اية مستقلة حيث لو روعي الترتيب الوجودي
لربما توهم ان مجموع تصريف الرياح وانزال المطر اية واحدة واما لان كون التصريف اية ليس لمجرد
كونه مبدا الانشاء المطر بل له ولسائر المنافع التي من جملتها سوق السفن في البحار ايات لقوم يعقلون بالرفع
على انه مبتدا خبره ما تقدم من الجار والمجرور والجملة معطوفة على ما قبلها وقرئ بالنصب على الاختصاص
وقيل على انها اسم ان والمجرور بالمتقدم خبرها بطريق العطف على معمولي عاملين مختلفين هما ان وفي
اقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في اختلاف والنصب في ايات في المواقع الثلاثة للتفخيم كما وكيفا
واختلاف الفواصل لاختلاف مراتب الايات في الدقة تلك ايات الله مبتدا وخبر قوله تعالى نتلوها
عليك حال عاملها معنى الاشارة وقيل هو خبر وايات الله بدل او عطف بيان بالحق حال من فاعل
نتلوا ومفعوله اي نتلوها محقين او ملتبسين بالحق فباي حديث من الاحاديث بعد الله واياته
اي بعد ايات الله وتقديم الاسم الجليل لتعظيمها كما في قولهم اعجبني زيد وكرمه او بعد حديث الله الذي
هو القران حسب ما نطق به قوله تعالى الله نزل احسن الحديث وهو المراد باياته ايضا ومناط العطف
التغاير العنواني يؤمنون بصيغة الغيبة وقرئ بالتاء ويل لكل افاك كذاب اثيم كثير الاثام
يسمع ايات الله صفة اخرى لافاك وقيل استيناف وقيل حال من الضمير في اثيم تتلى عليه حال من ايات
الله ولا مساغ لجعله مفعولا ثانيا ليسمع لان شرطه ان يكون ما بعده مما لا يسمع كقولك سمعت زيدا يقرا
ثم يصر اي يقيم على كفره واصله من اصرار الحمار على العانة مستكبرا عن الايمان بما سمعه من ايات الله
تعالى والاذعان لما ينطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده من الاباطيل وقيل نزلت في النضر بن الحارث
وكان يشتري من احاديث العجم ويشغل بها الناس عن استماع القران لكنها وردت بعبارة عامة ناعية
عليه وعلى كل من يسير بسيرته ما هم فيه من الشر والفساد وكلمة ثم لاستبعاد الاصرار والاستكبار
بعد سماع الايات التي حقها ان يذعن لها القلوب وتخضع لها الرقاب كما في قول من قال ٭ يرى غمرات
الموت ثم يزورها كان لم يسمعها اي كانه لم يسمعها فخفف وحذف ضمير كان والجملة حال من يصر
اي يصر شبيها بغير السامع فبشره بعذاب اليم على اصراره واستكباره واذا علم من اياتنا شيئا اي اذا بلغه
من اياتنا شيء وعلم انه من اياتنا لا انه علمه كما هو عليه فانه بمعزل من ذلك العلم وقيل اذا علم منها شيئا
يمكن ان يتشبث به المعاند ويجد له محملا فاسدا يتوسل به الى الطعن والمصرع اتخذها اي الايات كلها
هزوا اي هزوا بها لا ما سمعه فقط وقيل الضمير للشيء والتانيث لانه في معنى الاية اولئك اشارة
الى كل افاك من حيث الاتصاف بما ذكر من القبائح والجمع باعتبار الشمول للكل كما في قوله تعالى كل حزب بما
لديهم فرحون كما ان الافراد فيما سبق من الضمائر باعتبار كل واحد واحد لهم بسبب جناياتهم المذكورة
عذاب مهين وصف العذاب بالاهانة توفية لحق استكبارهم واستهزائهم بايات الله سبحانه وتعالى
من ورائهم اي من قدامهم جهنم لانهم متوجهون اليها اعدت لهم او من خلفهم لانهم معرضون عن
ذلك مقبلون على الدنيا فان الوراء اسم للجهة التي يواريها الشخص من خلف وقدام ولا يغني عنهم ولا
يدفع ما كسبوا من الاموال والاولاد شيئا من عذاب الله تعالى شيئا من الاغناء ولا ما اتخذوا من
دون الله اولياء اي الاصنام وتوسيط حرف النفي بين المتعاطفين مع ان عدم اغناء الاصنام اظهر واجلى
من عدم اغناء الاموال والاولاد قطعا مبني على زعمهم الفاسد حيث كانوا يطمعون في شفاعتهم وفيه
تهكم ولهم فيما وراءهم من جهنم عذاب عظيم لا يقادر قدره هذا اي القران هدى في غاية الكمال
من الهداية كانه نفسها والذين كفروا اي بالقران وانما وضع موضعه ضميره قوله تعالى بايات ربهم

لزيادة تشنيع كفرهم وتفظيع حالهم لهم عذاب من رجز اي من اشد العذاب اليم بالرفع صفة عذاب
وقرئ بالجر على انه صفة رجز وتنوين عذاب في المواقع الثلاثة للتفخيم ورفعه اما على الابتداء واما على
الفاعلية الله الذي سخر لكم البحر بان جعله املس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالاخشاب لتجري
الفلك فيه بامره وانتم راكبوها ولتبتغوا من فضله بالتجارة والغوص والصيد وغيرها ولعلكم تشكرون ولكي
تشكروا النعم المترتبة على ذلك وسخر لكم ما في السموات وما في الارض من الموجودات بان جعلها مدارا لمنافعكم
جميعا اما حال من ما في السموات والارض وتوكيد له منه متعلق بمحذوف هو صفة لجميعا او حال
من ما في السموات اي جميعا كائنا منه تعالى وقرئ منة على المفعول له ومنة على انها فاعل سخر على الاسناد
المجازي او خبر مبتدا محذوف اي ذلك منه ان في ذلك اي فيما ذكر من الامور العظام لايات عظيمة
الشان كثيرة العدد لقوم يتفكرون في بدايع صنع الله تعالى فانهم يقفون بذلك على جلايل نعمه
ودقايقها ويوفقون لشكرها قل للذين امنوا يغفروا حذف المفعول لدلالة يغفروا عليه لان
فانه جواب باعتبار تعلقه به لا باعتبار نفسه فقط اي قل لهم اغفروا للذين لا يرجون ايام الله اي يعفوا
ويصفحوا عن الذين لا يتوقعون وقايعه تعالى باعدائه لقولهم ايام العرب لوقايعها وقيل لا يؤملون
الاوقات التي وقتها الله تعالى لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت قبل اية القتال ثم نسخت
بها وقيل نزلت في عمر رضي الله تعالى عنه حين شتمه غفاري فهم ان يبطش به وقيل حين قال ابن ابي ما
قال وذلك انهم في غزوة بني المصطلق كانوا على بير يقال لها المريسيع فارسل ابن ابي غلامه يستقي فابطا
عليه فلما اتاه قال له ما حبسك قال غلام عمر قعد على طرف البير فما ترك احدا يستقي حتى ملا قرب النبي
صلى الله عليه وسلم وقرب ابي بكر رضي الله عنه فاشتمل بسيفه يريد التوجه اليه فانزلها الله تعالى
ليجزي قوما بما كانوا يكسبون تعليل للامر بالمغفرة والمراد بالقوم المؤمنون والتنكير لمدحهم والثناء عليهم
اي امروا بذلك ليجزي يوم القيمة قوما ايما قوم مخصوصين بما كسبوا في الدنيا من الاعمال الحسنة التي
من جملتها الصبر على اذية الكفار والاغضاء عنهم بكظم الغيظ واحتمال المكروه بما يقصر عنه البيان
من الثواب العظيم هذا وقد جوز ان يراد بالقوم الكفرة ومن جملة ما يكسبون سيئاتهم التي من جملتها
ما حكي من الكلمة الخبيثة والتنكير للتحقير وفيه ان مطلق الجزاء لا يصلح تعليلا للامر بالمغفرة لتحققه
على تقديري المغفرة وعدمها فلا بد من تخصيصه في الكل بان لا يتحقق بعض منه في الدنيا او بما يصدر
عنه تعالى بالذات وفي ذلك من التكليف ما لا يخفى وان يراد كلا الفريقين وهو اكثر تكلفا واشد
تمحلا وقرئ ليجزى قوم وليجزي قوما اي ليجزي الجزاء قوما وقرئ لنجزي بنون العظمة من عمل صالحا
فلنفسه ومن اساء فعليها لا يكاد يسري عمل الى غير عامله ثم الى ربكم مالك اموركم ترجعون فيجازيكم على
اعمالكم خيرا كان او شرا ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب اي التورية والحكم اي الحكمة النظرية والعملية
والفقه في الدين او فصل الخصومات بين الناس اذ كان الملك فيهم والنبوة حيث كثر فيهم الانبياء
ما لم يكثر في غيرهم ورزقناهم من الطيبات مما احل الله تعالى من اللذايذ كالمن والسلوى وفضلناهم
على العالمين حيث اتيناهم ما لم نؤت من عداهم من فلق البحر واظلال الغمام ونظايرهما وقيل على
عالمي زمانهم واتيناهم بينات من الامر دلايل ظاهرة في امر الدين ومعجزات قاهرة قال ابن عباس رضي
الله عنهما هو العلم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم وما بين لهم من امره وانه يهاجر من تهامة الى
يثرب ويكون انصاره اهل يثرب فما اختلفوا في ذلك الامر الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقته وحقيته
فجعلوا ما يوجب زوال الخلاف موجبا لرسوخه بغيا بينهم اي عداوة وحسدا لا شكا فيه ان ربك
يقضي بينهم يوم القيمة بالمواخذة والجزاء فيما كانوا فيه يختلفون من امر الدين ثم جعلناك على شريعة اي سنة

وطريقة

وطريقة عظيمة الشان من الامر اي من امر الدين فاتبعها باجراء احكامها في نفسك وفي غيرك من غير اخلال
بشيء منها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون اي اراء الجهلة واعتقاداتهم الزايغة التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش
كانوا يقولون له صلى الله عليه وسلم ارجع الى دين ابائك انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا مما اراد بك ان اتبعتهم
وان الظالمين بعضهم اولياء بعض لا يواليهم ولا يتبع اهواءهم الا من كان ظالما مثلهم والله ولي المتقين الذين
انت قدوتهم فدم على ما انت عليه من توليه خاصة والاعراض عما سواه بالكلية هذا اي القران او
اتباع الشريعة بصاير للناس فان ما فيه من معالم الدين وشعاير الشرايع بمنزلة البصاير في القلوب
وهدى من ورطة الضلالة ورحمة عظيمة لقوم يوقنون من شانهم الايقان بالامور ام حسب
الذين اجترحوا السيئات استيناف مسوق لبيان تباين حالي المسيئين والمحسنين اثر بيان تباين حالي الظالمين
والمتقين وام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من البيان الاول الى الثاني والهمزة لانكار الحسبان
لكن بطريق انكار الوقوع ونفيه كما في قوله تعالى ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض
ام نجعل المتقين كالفجار بل بطريق انكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه والاجتراح الاكتساب ان نجعلهم
اي نصيرهم في الحكم والاعتبار وهم على ما هم عليه من مساوي الاحوال كالذين امنوا وعملوا الصالحات وهم فيما
هم فيه سواء من محاسن الاعمال ونعاملهم معاملتهم في الكرامة ورفع الدرجة قوله تعالى سواء محياهم ومماتهم
اي محيى الفريقين جميعا ومماتهم حال من الضمير في الظرف والموصول معا لاشتماله على ضميرهما على ان السوا
بمعنى المستوي ومحياهم ومماتهم مرتفعان به على الفاعلية والمعنى ام حسبوا ان نجعلهم كائنين مثلهم حال
كون الكل مستويا محياهم ومماتهم كلا لا يستوون في شيء منها فان هؤلاء في عز الايمان والطاعة وشرفهما
في المحيا وفي رحمة الله تعالى ورضوانه في السموات واولئك في ذل الكفر والمعاصي وهوانهما في المحيا وفي لعنة
الله وفي العذاب الخالد في الممات شتان بينهما وقد قيل المراد انكار ان يستووا في الممات كما استووا في الحياة
لان المسيئين والمحسنين مستو محياهم في الرزق والصحة وانما يفترقون في الممات وقرئ محياهم ومماتهم
بالنصب على انهما ظرفان كمقدم الحاج وسواء حال على حاله اي حال كونهم مستوين في محياهم ومماتهم وقد
ذكر في الاية الكريمة وجوه اخر من الاعراب والذي يليق بجزالة التنزيل هو الاول فقد قرئ سواء بالرفع على انه
خبر ومحياهم مبتدا فقيل الجملة بدل من الكاف وقيل حال وايا ما كان نفسه حسبان التساوي اليهم في ضمن
الانكار التوبيخي مع انهم بمعزل منه جازمون بفضلهم على المؤمنين للمبالغة في الانكار والتشديد في التوبيخ فان
انكار حسبان التساوي والتوبيخ عليه انكار لحسبان الجزم بالفضل وتوبيخ عليه على ابلغ وجه واكد ساء
ما يحكمون اي ساء حكمهم هذا او بيس شيئا حكموا به ذلك وخلق الله السموات والارض استيناف مقرر لما
سبق من الحكم فان خلق الله تعالى لهما ولما فيهما بالحق المقتضي للعدل يستدعي لا محالة تفضل المحسن
على المسيء في المحيا والممات وانتصار المظلوم من الظالم واذا لم يطرد ذلك المحيا فهو بعد الممات حتما
ولتجزى كل نفس بما كسبت عطف على بالحق لان فيه معنى التعليل اذ معناه خلقها مقرونة بالحكم والصواب
دون العبث والباطل فحاصله خلقها لاجل ذلك ولتجزى الى اخره او على علة محذوفة مثل ليدل بها
على قدرته او ليعدل ولتجزى وهم اي النفوس المدلول عليها بكل نفس لا يظلمون بنقص ثواب او بزيادة
عقاب وتسمية ذلك ظلما مع انه ليس كذلك كما عرف من قاعدة اهل السنة لبيان غاية تنزه ساحة لطفه
تعالى عما ذكر بتنزيله منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره عنه تعالى افرايت من اتخذ الهه هويه تعجيب
من حال من ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى فكانه عبده اي انظرت فرايته فان ذلك مما يقضي
منه العجب وقرئ الهة هواه لان احدهم يستحسن حجرا فيعبده فاذا راى احسن منه رفضه اليه فكانه
اتخذ الهة شتى واضله الله وخذله على علم اي عالما بضلاله وتبديله لفطرة الله تعالى التي فطر

تهم

يادة

الناس عليها وختم على قلبه بحيث لا يتفكر في المواعظ ولا يتذكر بالآيات والنذر وجعل على بصره غشاوة مانعة
عن الاستبصار والاعتبار وقرئ بفتح الغين وضمها وقرئ غشوة فمن يهديه من بعد الله اي من بعد اضلاله له
تعالى اياه بموجب تعاميه عن الهدى وتماديه في الغي افلا تذكرون الا تلاحظون فلا تذكرون وقرئ تتذكرون
على الاصل وقالوا بيان لاحكام ضلالهم المحكي اي قالوا من غاية غيهم وضلالهم ما هي اي ما الحيوة الا
حياتنا الدنيا التي نحن فيها نموت ونحيى اي يصيبنا الموت والحيوة فيها وليس وراء ذلك حيوة وقيل نكون
نطفا وما قبلها وما بعدها ونحيى بعد ذلك او نموت بانفسنا ونحيى ببقاء اولادنا او يموت بعضنا
وقد جوز ان يريدوا به التناسخ فانه عقيدة اكثر عبدة الاوثان وقرئ نحيى وما يهلكنا الا الدهر الا مرور الزمان
وهو في الاصل مدة بقاء العالم من دهره اي غلبه وقرئ الا دهر يمر وكانوا يزعمون ان المؤثر في هلاك الانفس
هو مرور الايام والليالي وينكرون ملك الموت وقبضه للارواح بامر الله تعالى ويضيفون الحوادث الى
الدهر والزمان ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر اي فان الله هو الآتي
بالحوادث لا اله الا هو وما لهم بذلك اي بما ذكر من اقتصار الحيوة على ما في الدنيا واسناد الحيوة والموت
الى الدهر من علم مستند الى عقل او نقل ان هم الا يظنون ما هم الا قوم قصارى امرهم الظن والتقليد من غير
ان يكون لهم شيء يصح ان يتمسك به في الجملة هذا معتقدهم الفاسد في انفسهم واذا تتلى عليهم اياتنا الناطقة بالحق
الذي هو من جملته البعث بينات واضحات الدلالة على ما نطقت به او مبينات له ما كان حجتهم بالنصب على
انه خبر كان اي ما كان متمسكا لهم بشيء من الاشياء الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين في انا نبعث بعد الموت
الا هذا القول الباطل الذي يستحيل ان يكون من قبيل الحجة وتسميته حجة اما لسوقهم اياه مساق الحجة على سبيل
التهكم بهم او لانه من قبيل تحية بينهم ضرب وجيع وقرئ برفع حجتهم على انها اسم كان فالمعنى ما كان حجتهم
شيئا من الاشياء الا هذا القول الباطل قل الله يحييكم ابتداء ثم يميتكم عند انقضاء آجالكم لا كما تزعمون من انكم تحيون
وتموتون بحكم الدهر ثم يجمعكم بعد البعث الى يوم القيمة للجزاء لا ريب فيه اي في جمعكم فان من قدر على البدء
قادر على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للجزاء لا محالة والوعد المصدق بالآيات دال على وقوعها حتما والاتيان
بآبائهم حيث كان مزاحما للحكمة التشريعية امتنع ايقاعه ولكن اكثر الناس لا يعلمون استدراك من قوله تعالى لا ريب
فيه وهو اما من تمام الكلام المأمور به او كلام مسوق من جهته تعالى تحقيقا للحق وتنبيها على ان ارتيابهم لجهلهم
وقصورهم في النظر والتفكر لا لان فيه شائبة ريب ولله ملك السموات والارض بيان لاختصاص الملك المطلق
والتصرف الكلي فيهما وفيما بينهما بالله عز وجل اثر بيان تصرفه تعالى في الناس بالاحياء والاماتة والبعث
والجمع للمجازاة ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون العامل في يوم يخسر ويومئذ بدل منه وترى كل امة من
من الامم المجموعة جاثية باركة على الركب مستوفزة وقرئ جاذية جالسة على اطراف الاصابع والجذو
اشد استيفازا من الجثو وعن ابن عباس رضي الله عنهما جاثية مجتمعة وقيل جماعات من الجثوة وهي الجماعة
كل امة تدعى الى كتابها الى صحيفة اعمالها وقرئ كل بالنصب على انه بدل من الاول وتدعى صفة او
حال او مفعول ثان اليوم تجزون ما كنتم تعملون اي يقال لهم ذلك قوله تعالى هذا كتابنا الى آخره من تمام
ما يقال حينئذ وحيث كان كتاب كل امة مكتوبا بامر الله تعالى اضيف الى نون العظمة تفخيما لشانه وتهويلا
لامره فهذا مبتدأ وكتابنا خبره قوله تعالى ينطق عليكم اي يشهد عليكم بالحق من غير زيادة ولا نقص
خبرا آخر او حال وبالحق حال من فاعل ينطق قوله تعالى انا كنا نستنسخ الى آخره تعليل لنطقه عليهم باعمالهم
من غير اخلال بشيء منها اي انا كنا فيما قبل نستكتب الملائكة ما كنتم تعملون في الدنيا من الاعمال حسنة كانت او
سيئة قوله تعالى فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته اي في جنته تفصيل لما يفعل بالامم
بعد بيان ما خوطبوا به من الكلام المنطوي على الوعد والوعيد ذلك الذي ذكر من الادخال في رحمته تعالى

هو الفوز

هو الفوز المبين الظاهر كونه فوزا لا فوز وراءه واما الذين كفروا افلم تكن آياتي تتلى عليكم اي فيقال لهم بطريق
التوبيخ والتقريع الم تأتكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه ثقة بدلالة القرينة عليه
فاستكبرتم عن الايمان بها وكنتم قوما مجرمين اي قوما عادتهم الاجرام واذا قيل ان وعد الله حق اي ما وعده من
الامور الآتية او وعده بذلك حق اي واقع لا محالة او مطابق للواقع والساعة التي هي اشهر ما وعده لا ريب
فيها اي في وقوعها وقرئ والساعة بالنصب عطفا على اسم ان وقراءة الرفع للعطف على محل ان واسمها قلتم
لغاية عتوكم ما ندري ما الساعة اي اي شيء هي استغرابا لها ان نظن الا ظنا اي ما نفعل الا ظنا وقدر تحقيقه
في قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي وقيل ما نعتقد الا ظنا اي لا علما وقيل ما نحن نظن الا ظنا وقيل ما نظن الا
ظنا ضعيفا ويرده قوله تعالى وما نحن بمستيقنين اي لامكانه فان مقابل الاستيقان مطلق الظن لا الضعيف
منه ولعل هؤلاء غير القائلين ما هي الا حيوتنا الدنيا وبدا لهم اي ظهر لهم حينئذ سيئات ما عملوا على ما هي
عليه من الصورة المنكرة الهائلة وعاينوا وخامة عاقبتها او جزاؤها فان جزاء السيئة سيئة وحاق بهم ما
كانوا به يستهزؤن من الجزاء والعقاب وقيل اليوم ننساكم نترككم في العذاب ترك المنسي
كما نسيتم في الدنيا لقاء يومكم هذا اي كما تركتم عدته ولم تبالوا به واضافة اللقاء الى اليوم اضافة
المصدر الى ظرفه ومأواكم النار وما لكم من ناصرين اي ما لاحد منكم ناصر واحد يخلصكم منها ذلكم العذاب
بانكم بسبب انكم اتخذتم آيات الله هزوا اي مهزوا بها ولم ترفعوا بها رأسا وغرتكم الحيوة الدنيا فزعمتم
ان لا حيوة سواها فاليوم لا يخرجون منها اي من النار وقرئ يخرجون من الخروج والالتفات الى الغيبة
للايذان باسقاطهم عن رتبة الخطاب استهانة بهم او بنقلهم من مقام الخطاب الى غيابة النار
ولا هم يستعتبون اي يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اي يرضوه لفوات اوانه فلله الحمد خاصة رب
السموات ورب الارض رب العالمين فلا يستحق الحمد احد سواه وتكرير الرب للتاكيد والايذان بان ربوبيته تعالى
لكل منها بطريق الاصالة وقرئ برفع الثلاثة على المدح باضمار هو وله الكبرياء في السموات والارض لظهور
آثارها واحكامها فيهما واظهارهما في موقع الاضمار لتفخيم شان الكبرياء وهو العزيز الذي لا يغلب الحكيم
في كل ما قضى وقدر فاحمدوه وكبروه واطيعوه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته

وسكن روعته يوم الحساب

سورة الاحقاف وهي خمس وثلثون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم الكلام كالذي مر في مطلع السورة السابقة
ما خلقنا السموات والارض وما بينهما بما فيهما من حيث الجزئية فيهما ومن حيث الاستقرار فيهما وما بينهما من
المخلوقات الا بالحق استثناء مفرغ من اعم المفاعيل اي الا خلقا ملتبسا بالحق الذي تقتضيه الحكمة
التكوينية والتشريعية او من اعم الاحوال الا حالا ملابستنا بالحق او حال ملابستها به وفيه من
الدلالة على وجود الصانع تعالى وصفات كماله وابتناء افعاله على حكم بالغة وانتهائها الى غايات
جليلة ما لا يخفى واجل مسمى عطف على الحق بتقدير مضاف اي وبتقدير اجل مسمى ينتهي اليه امور
الكل وهو يوم القيمة يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار وقيل هو آخر مدة
البقاء المقدر لكل احد وبآباه قوله تعالى والذين كفروا عما انذروا معرضون فان ما انذروه يوم القيمة وما
فيه من الطامة التامة والاحوال العامة لا آخر اعمارهم وقد جوز كون ما مصدرية والجملة حالية اي ما
خلقنا الخلق الا بالحق وتقدير الاجل الذي يجازون عنده والحال انهم غير مؤمنين به معرضون عنه وعن
الاستعداد له قل توبيخا لهم وتبكيتا ارأيتم اخبروني وقرئ ارأيتكم ما تدعون ما تعبدون من دون الله
من الاصنام اروني تاكيد لارأيتم ماذا خلقوا من الارض بيان للابهام في ماذا ام لهم شرك اي شركة مع الله

تعالى

في السموات اي في خلقها او ملكها وتدبيرها حتى يتوهم ان يكون لهم شائبة استحقاق بالمرة وان كان من الاحياء
العقلاء فما ظنك بالجماد قوله تعالى ائتوني بكتاب الى آخره تبكيت لهم بتعجيزهم عن الاتيان بسند عقلي
ائتوني بكتاب الهي كائن من قبل هذا الكتاب اي القران الناطق بالتوحيد وابطال الشرك دال على صحة دينكم
او اثارة من علم او بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين شاهدة باستحقاقكم للعبادة ان كنتم صادقين
في دعواكم فانها لا تكاد تصح ما لم يقم عليها برهان عقلي او سلطان نقلي وحيث لم يقم عليها شيء منها وقد قامت
على خلافها ادلة العقل والنقل تبين بطلانها وقرئ اثرة بكسر الهمزة اي مناظرة فانها تثير المعاني واثرة
اي شيء اوثرتم به وخصصتم من علم مطوي عن غيركم واثرة بالحركات الثلاث مع سكون الثاء اما المكسورة
فبمعنى الاثرة واما المفتوحة فهي المرة من اثر الحديث اي رواه واما المضمومة فاسم ما يؤثر كالخطبة التي
هي اسم ما يخطب به ومن اضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له انكار ونفي لان يكون احد يساوي المشركين
في الضلال وان كان سبك التركيب لنفي الاصل منهم من غير تعرض لنفي المساوي كما مر غير مرة اي هو اضل
من كل ضال حيث تركوا عبادة خالقهم السميع القادر المجيب الخبير الى عبادة مصنوعهم العاري عن السمع
والقدرة والاستجابة الى يوم القيمة غاية لنفي الاستجابة وهم عن دعائهم الضمير الاول للمفعول يدعو
والثاني لفاعله والجمع فيهما باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها غافلون لكونهم جمادا
وضمائر العقلاء لاجرائهم اياها مجرى العقلاء ووصفها بما ذكر من ترك الاستجابة والغفلة مع ظهور حالها
للتهكم بها وبعبدتها كقوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم الاية واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم
كافرين اي مكذبين بلسان الحال او المقال على ما يروى ان الله تعالى يحيي الاصنام فتبرأ عن عبادتهم وقد جوز
ان يراد بهم كل ما يعبد من دون الله من الملائكة والجن والانس وغيرهم ويبنى ارجاع الضمائر واسناد العداوة
والكفر اليهم على التغليب ويراد بذلك تبرؤهم عنه وعن عبادتهم وقيل ضمير كانوا للعبدة وذلك قولهم والله
ربنا ما كنا مشركين واذا تتلى عليهم اياتنا بينات واضحات او مبينات قال الذين كفروا للحق اي لاجله وفي شانه وهو
عبارة عن الايات المتلوة وضع موضع ضميرها تنصيصا على حقيقتها ووجوب الايمان بها كما وضع الموصول موضع
ضمير المتلو عليهم تسجيلا عليهم بكمال الكفر والضلالة لما جاءهم اي في اول ما جاءهم من غير تدبر وتامل هذا
سحر مبين اي ظاهر كونه سحرا ام يقولون افتريه اضراب وانتقال من حكاية شناعتهم السابقة الى حكاية ما
هو اشنع منها وما في ام من الهمزة للانكار التوبيخي المتضمن للتعجب اي بل ايقولون افترى القران قل ان افتريته
على الفرض فلا تملكون لي من الله شيئا اذ لا ريب في انه تعالى يعاجلني حينئذ بالعقوبة فكيف اجترئ على ان افتري
عليه تعالى كذبا واعرض نفسي للعقوبة التي لا مناص عنها هو اعلم بما تفيضون فيه اي تندفعون فيه من القدح
في وحي الله والطعن في اياته وتسميته سحرا تارة وفرية اخرى كفى به شهيدا بيني وبينكم حيث يشهد لي بالصدق
والبلاغ وعليكم بالكذب والجحود وهو وعيد بجزاء افاضتهم قوله تعالى وهو الغفور الرحيم وعد بالغفران
والرحمة لمن تاب وآمن واشعار بحلم الله تعالى عنهم مع عظم جرائمهم قل ما كنت بدعا من الرسل البدع بمعنى
البديع كالخل بمعنى الخليل وهو ما مثل له وقرئ بفتح الدال على انه صفة كقيم وزيم او جمع مقدر بمضاف اي ذا
بدع وقد جوز ذلك في القراءة الاولى ايضا على انه مصدر كانوا يقترحون عليه صلى الله عليه وسلم ايات عجيبة ويسالونه
عن المغيبات عنادا ومكابرة فامر صلى الله عليه وسلم بان يقول لهم ما كنت بدعا من الرسل قادرا على ما لم يقدروا
عليه حتى آتيكم بما تقترحونه واخبركم بكل ما تسالوني عنه من الغيوب فان من قبلي من الرسل عليهم السلام ما كانوا
يأتون الا بما اتاهم الله تعالى من الايات ولا يخبرونهم الا بما اوحي اليهم وما ادري ما يفعل بي ولا بكم اي اي
شيء يصيبنا فيما يستقبل من الزمان من افعاله تعالى وماذا يقدر لنا من قضاياه وعن الحسن رضي الله عنه
ما ادري ما يصير اليه امري ولا امركم في الدنيا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة

وقال هي

وقال هي منسوخة بقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقيل يجوز ان يكون المنفي هي الدراية
المفصلة والاظهر الاوفق لما ذكر من سبب النزول ان ما عبارة عما ليس علمه من وظائف النبوة وقد ورد به الوحي
الناطق بتفاصيل ما يفعل بالجانبين هذا وقد روي عن الكلبي ان النبي صلى الله عليه وسلم قالوا له صلى الله عليه
وسلم وقد ضجروا من اذية المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما ادري ما يفعل بي ولا بكم اترك بمكة ام اومر
بالخروج الى ارض ذات نخيل وشجر قد رفعت لي ورايتها يعني في منامه وقد جوز ان يكون ما موصولة والاستفهام
اقضى بحق مقام التبري عن الدراية وتكرير لا لتذكير المنسحب اليه وتاكيده وقرئ ما يفعل على اسناد الفعل الى
ضميره تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي على معنى قصر افعاله صلى الله عليه وسلم على اتباع الوحي لا قصر اتباعه على
الوحي كما هو المتسارع الى الافهام وقد مر تحقيقه في سورة الانعام وقرئ يوحي على البناء للفاعل وهو جواب
عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه صلى الله عليه وسلم من الغيوب وقيل عن استعجال المسلمين ان يتخلصوا
عن اذية المشركين والاول هو الاوفق لقوله تعالى وما انا الا نذير انذركم عقاب الله تعالى حسبما يوحى الي
مبين بين الانذار بالمعجزات الباهرة قل ارايتم ان كان اي ما يوحى الي من القران من عند الله لا سحرا ولا
مفترى كما تزعمون وقوله تعالى وكفرتم به حال باضمار قد من الضمير في الخبر وسطت بين اجزاء الشرط مسارعة
الى التسجيل عليهم بالكفر او عطف على كان كما في قوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به لكن على
ان نظمه في سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه عندهم باعتبار حاله في نفسه بل باعتبار حال المعطوف
عليه عندهم فان كفرهم به امر محقق عندهم ايضا وانما ترددهم في ان ذلك كفر بما من عند الله تعالى
ام لا وكذا الحال في قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل وما بعده من الفعلين فان الكل امور متحققة
عندهم فان كفرهم وانما ترددهم في انها شهادة وايمان بما من عند الله تعالى واستكبار منه اولا والمعنى اخبروني
ان كان ذلك في الحقيقة من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد عظيم الشان من بني اسرائيل الواقفين على شؤون
الله تعالى واسرار الوحي بما اوتوا من التورية على مثله اي مثل القران من المعاني المنطوية في التورية المطابقة
لما في القران من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك فانها عين ما فيه في الحقيقة كما يعرب عنه قوله
تعالى وانه لفي زبر الاولين وقوله تعالى ان هذا لفي الصحف الاولى والمثلية باعتبار تاديتها بعبارات
اخرى او على مثل ما ذكر من كونه من عند الله تعالى والمثلية لما ذكر وقيل المثل صلة والفاء في قوله تعالى فآمن
للدلالة على انه سارع الى الايمان بالقران لما علم انه من جنس الوحي الناطق بالحق وهو عبد الله بن سلام
لما سمع بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اتاه فنظر الى وجهه الكريم فعلم انه ليس بوجه كذاب
وتحققه فعلم انه النبي المنتظر فقال له اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة
وما اول طعام ياكله اهل الجنة والولد ينزع الى ابيه او امه فقال صلى الله عليه وسلم اما اول اشراط
الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب واما اول طعام اهل الجنة فزيادة كبد حوت واما الولد
فان سبق ماء الرجل نزعه واذا سبق ماء المراة نزعته فقال اشهد انك رسول الله حقا فقام فقال يا رسول
الله ان اليهود قوم بهت وان علموا باسلامي قبل ان تسالهم عني بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال لهم
النبي صلى الله عليه وسلم اي رجل عبد الله فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن
اعلمنا قال ارايتم ان اسلم عبد الله قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال اشهد
ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه فقال هذا ما كنت
اخاف يا رسول الله واحذر قال سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه ما سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول لاحد يمشي على الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزل وشهد شاهد الاية
وقيل الشاهد موسى عليه السلام وشهادته ما في التورية من نعت النبي صلى الله عليه وسلم وبر قال الشعبي

وقال مسروق والله ما نزلت في عبد الله بن سلام وان الحميم نزلت بمكة وانما اسلم عبد الله بالمدينة واجاب
الكلبي بان الاية مدنية وان كانت السورة مكية **واستكبرتم** عطف على شهد شاهد وجواب الشرط محذوف والمعنى
اخبروني ان كان من عند غير الله تعالى وشهد على ذلك اعلم بني اسرائيل فامن به من غير تلعثم واستكبرتم
عن الايمان به بعد هذه المرتبة من اضل منكم بقرينة قوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به فمن
اضل ممن هو في شقاق بعيد قوله تعالى **ان الله لا يهدي القوم الظالمين** فان عدم الهداية مما ينبي عن الضلال
قطعا ووصفهم بالظلم للاشعار بعلة الحكم فان تركه تعالى لهدايتهم لظلمهم **وقال الذين كفروا** حكاية لبعض اخر
من اقاويلهم الباطلة في حق القران العظيم والمؤمنين به اي قال كفار مكة **للذين امنوا** اي لاجلهم **لو كان**
ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من القران والدين لو كان **خيرا ما سبقونا اليه** فان معالي الامور لا ينالها
ايدي الاراذل وهم سقاط عامتهم فقراء وموال ورعاة قالوه زعما منهم ان الرياسة الدينية مما تنال باسباب
دنيوية كما قالوه لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وزال عنهم انها منوطة بكمالات نفسانية
وملكات روحانية مبناها الاعراض عن زخارف الدنيا الدنية والاقبال على الاخرة بالكلية وان من
فاز بها فقد حازها بحذافيرها ومن حرمها فما له من خلاق وقيل قاله بنو عامر وغطفان واسد واشجع لما
اسلم جهينة ومزينة واسلم وغفار وقيل قالته اليهود حين اسلم عبد الله بن سلام واصحابه ويأباه ان السورة
مكية لا بد حينئذ من الالتجاء الى الادعاء ان الاية نزلت بالمدينة **واذ لم يهتدوا به** ظرف لمحذوف يدل عليه
ما قبله ويترتب عليه ما بعده اي واذ لم يهتدوا بالقران قالوا ما قالوا **فسيقولون هذا** غير مكتفين
بنفي خيريته **افك قديم** كما قالوا اساطير الاولين وقيل المحذوف ظهر عنادهم وليس بذاك **ومن قبله**
اي ومن قبل القران وهو خبر لقوله تعالى **كتاب موسى** قيل والجملة حالية او مستانفة واياما كان فهو
لرد قولهم هذا افك قديم وابطاله فان كونه مصدقا لكتاب موسى مقرر لحقيته قطعا **اماما ورحمة**
حالان من كتاب موسى اي اماما يقتدى به في دين الله تعالى وشرائعه كما يقتدى الامام ورحمة من
الله تعالى لمن امن به وعمل بموجبه **وهذا** الذي يقولون في حقه ما يقولون **كتاب** عظيم الشان
مصدق اي لكتاب موسى الذي هو اماما ورحمة او لما بين يديه من جميع الكتب الالهية وقد قرئ كذلك
لسانا عربيا حال من ضمير كتاب في مصدق او من نفسه لتخصصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وعلى
الاول مصدق وقيل مفعول لمصدق اي يصدق ذا لسان عربي **لينذر الذين ظلموا** متعلق بمصدق وفيه
ضمير الكتاب او الله او الرسول صلى الله عليه وسلم ويؤيد الاخير القراءة بتاء الخطاب **وبشرى
للمحسنين** في حيز النصب عطفا على محل لينذر وقيل في محل الرفع على انه خبر مبتدا اي وهو بشرى وقيل
على انه عطف على مصدق **ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا** اي جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم و
الاستقامة في امور الدين التي هي منتهى العمل وثم للدلالة على تراخي رتبة العمل وتوقف الاعتداد به
على التوحيد **فلا خوف عليهم** من لحوق مكروه **ولا هم يحزنون** من فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى
الشرط والمراد بيان دوام نفي الحزن لا نفي دوام الحزن كما يوهمه كون الخبر مضارعا وقد مر بيانه مرارا
اولئك الموصوفون بما ذكر من الوصفين الجليلين **اصحاب الجنة خالدين فيها** حال من المستكن في اصحاب
وقوله تعالى **جزاء** اما منصوب بعامل مقدر اي يجزون جزاء او بمعنى ما تقدم فان قوله تعالى اولئك اصحاب
الجنة في معنى جازيناهم **بما كانوا يعملون** من الحسنات العلمية والعملية **ووصينا الانسان بوالديه
احسانا** وقرئ حسنا اي بان يفعل بهما حسنا اي فعلا ذا حسن او كانه في ذاته نفس الحسن لفرط حسنه وقرئ
بضم السين ايضا وبفتحها اي بان يفعل بهما فعلا حسنا ووصيناه ايضا حسنا **حملته امه كرها ووضعته كرها** اي
ذات كره او حملا ذا كره وهو المشقة وقرئ بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح

مصدق

مصدر

مصدر **وحمله وفصاله** اي مدة حمله وفصاله وهو الفطام وقرئ وفصله والفصل والفطام كالفطم
والفطام بناء ومعنى والمراد به الرضاع التام المنتهي به كما اراد بالامد المدة من قال • كل حي مستكمل مدة العمر
ومود اذا انتهى امده **ثلاثون شهرا** يمضي عليها بمعاناة المشاق ومقاساة الشدائد لاجله وهذا دليل على ان
اقل مدة الحمل ستة اشهر لما انه اذا حط عنه للفصال حولان لقوله تعالى حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة
يبقى للحمل ذلك قيل ولعل تعيين اقل مدة الحمل واكثر مدة الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط النسب
والرضاع بهما **حتى اذا بلغ اشده** اي اكتمل واستحكم قوته وعقله **وبلغ اربعين سنة** قيل لم يبعث نبي قبل اربعين
وقرئ حتى اذا استوى وبلغ اشده **قال رب اوزعني** اي الهمني واصله اولعني من اوزعته بكذا **ان اشكر
نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي** اي نعمة الدين او ما يعمها وغيرها **وان اعمل صالحا ترضاه** التنكير للتفخيم والتكثير
واصلح لي في ذريتي اي واجعل الصلاح ساريا في ذريتي راسخا فيهم كما في قوله • يجرح في عراقيبها نصلي
قال ابن عباس رضي الله عنهما اجاب الله دعاء ابي بكر رضي الله عنه فاعتق تسعة من المؤمنين منهم بلال
وعامر بن فهيرة ولم يرد شيئا من الخير الا اعانه الله تعالى عليه ودعا ايضا فقال واصلح لي في ذريتي فاجابه
الله عز وجل فلم يكن له ولد الا امنوا جميعا فاجتمع له اسلام ابويه واولاده جميعا فادرك ابوه ابو قحافة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن ابو عتيق كلهم ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم ولم
يك ذلك لاحد من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين **اني تبت اليك** عما لا ترضاه او عما يشغلني
عن ذكرك **واني من المسلمين** الذين اخلصوا لك انفسهم **اولئك** اشارة الى الانسان والجمع لان المراد به الجنس
المتصف بالوصف المحكي عنه وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته اي اولئك
المنعوتون بما ذكر من النعوت الجليلة **الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا** من الطاعات فان المباح حسن
ولا يثاب عليه **ونتجاوز عن سيئاتهم** وقرئ الفعلان بالياء على اسنادهما الى الله تعالى وعلى بنائهما
للمفعول ورفع احسن على انه قائم مقام الفاعل وكذا الجار والمجرور **في اصحاب الجنة** اي كائنين
في عدادهم منتظمين في سلكهم **وعد الصدق** مصدر مؤكد لما ان قوله تعالى نتقبل ونتجاوز وعد
من الله تعالى لهم بالتفضل والتجاوز **الذي كانوا يوعدون** على السنة الرسل **والذي قال لوالديه** عند دعوتهما
الى الايمان **اف لكما** هو صوت يصدر عن المرء عند تضجره واللام لبيان المؤفف له كما في هيت لك وقرئ
اف بالفتح والكسر بغير تنوين والحركات الثلاث مع التنوين والموصول عبارة عن الجنس القائل ذلك
القول ولذلك اخبر عنه بالمجموع كما سبق قيل هو في الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وعن
قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه وما روي انها نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر رضي
الله عنه قبل اسلامه يرده ما سياتي من قوله تعالى اولئك الذين حق عليهم القول الاية فانه من كان من
افاضل المسلمين وساداتهم وقد كذب الصديق رضي الله عنه من قال ذلك **اتعدانني ان اخرج** ابعث من القبر
بعد الموت وقرئ اخرج من الخروج **وقد خلت القرون من قبلي** ولم يبعث منهم احد **وهما يستغيثان الله** يسالانه
ان يغيثه ويوفقه للايمان **ويلك** اي قائلين له ويلك وهو في الاصل دعاء عليه بالثبور واريد به
الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك **امن ان وعد الله حق** اي البعث اضافاه الى الله تعالى
تحقيقا للحق وتنبيها على خطابه في اسناد الوعد اليهما وقرئ ان وعد الله اي امن بان وعد الله
حق **فيقول** تكذيبا لهما **ما هذا** الذي تسميانه وعد الله **الا اساطير الاولين** اباطيلهم التي سطروها
في الكتب من غير ان يكون لها حقيقة **اولئك** القائلون هذه المقالات الباطلة **الذين حق عليهم القول**
وهو قوله تعالى لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين كما ينبئ عنه قوله تعالى **في امم قد خلت من قبلهم
من الجن والانس** وقد مر تفصيله في سورة الم السجدة **انهم** جميعا **كانوا خاسرين** قد ضيعوا فطر

ثم

الاصلية الجارية مجرى روس اموالهم باتباع الشيطان والجملة تعليل للحكم بطريق الاستيناف التحقيقي
ولكل من الفريقين المذكورين درجات مما عملوا مراتب من اجزية ما عملوا من الخير والشر والدرجات غالبة في
مراتب المثوبة وايرادها بطريق التغليب وليوفيهم اعمالهم اي اجزية اعمالهم وقرئ بنون العظمة وهم لا
يظلمون بنقص ثواب الاولين وزيادة عقاب الاخرين والجملة حال موكدة للتوفية او استيناف مقرر
لها واللام متعلقة لمحذوف موخر كانه قيل وليوفيهم اعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم فعل ما فعل من تقدير الاجزية
على مقادير اعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات ويوم يعرض الذين كفروا على النار اي يعذبون بها من
قولهم عرض الاسارى على السيف اي قتلوا وقيل تعرض النار عليهم بطريق التغلب مبالغة اذهبتم طيباتكم
اي يقال لهم ذلك وهو الناصب للظرف وقرئ أاذهبتم بهمزتين وبالف بينهما على الاستفهام التوبيخي
اي اصبتم واخذتم ما كتب لكم من حظوظ الدنيا ولذايذها في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فلم يبق لكم بعد ذلك
شيء منها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم في الدنيا تستكبرون في الارض بغير الحق بغير الاستحقاق لذلك وبما كنتم
تفسقون اي تخرجون عن طاعة الله عز وجل اي بسبب استكبادكم وفسقكم المستمرين وقرئ تفسقون بكسر
السين واذكر اي واذكر لكفار مكة اخا عاد اي هودا عليه السلام اذ انذر قومه بدل اشتمال منه اي
وقت انذاره اياهم بالاحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج
وكانت عاد اصحاب عمد يسكنون بين جبال ورمال مشرفة على البحر بارض يقال لها الشحر من بلاد اليمن وقيل
بين عمان ومهرة وقد خلت النذر اي الرسل جمع نذير بمعنى المنذر من بين يديه اي من قبله ومن خلفه
اي من بعده والجملة اعتراض مقرر لما قبله موكد لوجوب العمل بموجب الانذار وسط بين انذار قومه وبين
قوله الا تعبدوا الا الله مسارعة الى ما ذكر من التقرير والتاكيد وايذانا باشتراكهم في العبارة المحكية والمعنى
واذكر لقومك انذار هود لقومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد انذر من تقدمه من الرسل ومن تاخر
عنه قومهم مثل ذلك فاذكرهم وانما جعلها حالا من فاعل انذر على انه صلى الله عليه وسلم انذرهم وقال
لهم ان لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم وقد اعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين
سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره فمع ما فيه من تكلف تقرير الاعلام لا بد في نسبة الخلو الى من
بعده من الرسل من تنزيل الآتي منزلة الخالي قالوا اجئتنا لتافكنا اي تصرفنا عن آلهتنا عن عبادتها
فاتنا بما تعدنا من العذاب العظيم ان كنت من الصادقين في وعدك بنزوله بنا قال انما العلم اي بوقت
نزوله او العلم بجميع الاشياء التي من جملتها عند الله وحده لا علم لي بوقت نزوله ولا مدخل لي في
اتيانه وحلوله وانما علمه عند الله تعالى فياتيكم به في وقته المقدر له وابلغكم ما ارسلت به من مواجب
الرسالة التي من جملتها بيان نزول العذاب ان لم تنتهوا عن الشرك من غير وقوف على وقت نزوله
وقرئ ابلغكم من الابلاغ ولكني اريكم قوما تجهلون حيث تفرحون بما ليس من وظايف الرسل من الاتيان
بالعذاب او تعيين وقته والفاء في قوله تعالى فلما راوه عارضا فصيحة والضمير اما مبهم يوضحه
قوله تعالى عارضا اما تمييزا او حالا او راجع الى ما استعجلوه بقولهم فاتنا بما تعدنا اي فاتيهم فلما
راوه سحابا يعرض في افق السماء مستقبل اوديتهم اي متوجه اوديتهم والاضافة لفظية كما في قوله تعالى
قالوا هذا عارض ممطرنا ولذلك وقعا وصفين للنكرة بل هو اي قال هود عليه السلام وقد قرئ كذلك
وقرئ قل وهو رد عليهم اي ليس الامر كذلك بل هو ما استعجلتم به من العذاب ريح بدل من ما او خبر لمبتدا
محذوف فيها عذاب اليم صفة لريح وكذا قوله تعالى تدمر اي تهلك كل شيء من نفوسهم واموالهم بامر
ربها وقرئ يدمر كل شيء من دمر دمارا اذا اهلك والعائد الى الموصوف محذوف اي هو الهاء في ربها ويجوز
ان يكون استينافا وارد البيان اي لكل ممكن فناء مقتضيا منوطا بامر ربه ويكون الهاء لكل شيء لكونه بمعنى

الاشياء

الاشياء وفي ذكر الامر والرب والاضافة الى الريح من الدلالة على عظم شانه عز وجل ما لا يخفى والفاء
في قوله تعالى فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم فصيحة اي فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث لا ترى الا
مساكنهم وقد قرئ ترى بالتاء ونصب مساكنهم كذلك اي مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي القوم المجرمين
وقد مر تفصيل القصة في سورة الاعراف وقد روي ان الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة وترفعهما في الجو
حتى يرى كانها جرادة قيل اول من ابصر العذاب امرأة منهم قالت رايت ريحا فيها كشهب النار وروي انه اول
ما عرفوا به انه عذاب ما راوا ما كان في الصحراء من رجالهم ومواشيهم يطير بها الريح بين السماء والارض
فدخلوا بيوتهم وغلقوا ابوابهم فقلعت الريح الابواب وصرعتهم فامال الله تعالى الاحقاف فكانوا تحتها
سبع ليال وثمانية ايام لهم انين ثم كشفت الريح عنهم فطرحتهم في البحر وروي ان هودا عليه السلام لما
احس بالريح خط على نفسه وعلى المومنين خطا الى جنب عين تنبع وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اعتزل
هود عليه السلام ومن معه في حظيرة وما يصيبهم من الريح الا ما يلين على الجلود وتلذ الانفس وانها لتمر من عاد
بالظعن بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة ولقد مكناهم اي قدرنا عادا او اقدرناهم وما في قوله تعالى
فيما ان مكناكم فيه موصولة او موصوفة وان نافية اي في الذي او في شيء ما مكناكم فيه من السعة
والبسطة وطول الاعمار وساير مبادي التصرفات كما في قوله تعالى وكم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض
ما لم نمكن لكم ومما يحسن موقع ان ها هنا التفصي عن تكرر لفظة ما وهو الداعي الى قلب الفها هاء في مهما وجعلها
شرطية او زائدة مما لا يليق بالمقام وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة ليستعملوها فيما خلقت هي له ويعرفوا
بكل منها ما نيطت به معرفته من فنون النعم ويستدلون بها على شؤون منعمها عز وجل ويداوموا على
شكره فما اغنى عنهم سمعهم حيث لم يستعملوه في استماع الوحي ومواعظ الرسل ولا ابصارهم
حيث لم يجتلوا بها الايات التكوينية المنصوبة في صحايف العالم ولا افئدتهم حيث لم يستعملوها
في معرفة الله تعالى من شيء اي شيء من الاغناء ومن مزيدة للتاكيد وقوله تعالى اذ كانوا يجحدون بايات الله
متعلق بما اغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث ان الحكم مرتب على ما اضيف اليه فان قولك
اكرمته اذ اكرمني في قوة قولك اكرمته لاكرامه لانك اذا اكرمته وقت اكرامه فانما اكرمته لوجود
اكرامه وكذا الحال في حيث اذ كانوا يجحدون بايات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون الذي كانوا يستعجلونه
بطريق الاستهزاء ويقولون فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين ولقد اهلكنا ما حولكم يا اهل مكة من
القرى كحجر ثمود وقرى قوم لوط وصرفنا الايات كررناها لهم لعلهم يرجعون لكي يرجعوا عما هم فيه من
الكفر والمعاصي فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله آلهة قربانا القربان ما يتقرب به الى الله تعالى واحد
مفعولي اتخذوا ضمير الموصول المحذوف والثاني آلهة وقربانا حال والتقدير فهلا نصرهم وخلصهم من العذاب
الذين اتخذوهم آلهة حال كونها متقربا بها الى الله تعالى حيث كانوا يقولون انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى
وهؤلاء شفعاؤنا عند الله وفيه تهكم بهم ولا مساغ لجعل قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى
فان البدل وان كان هو المقصود لكنه لا بد في غير بدل الغلط من صحة المعنى بدونه ولا ريب في ان قولنا
اتخذوهم من دون الله قربانا متجاوزين الله في ذلك وقرئ قربانا بضم الراء بل ضلوا عنهم اي غابوا
عنهم وفيه تهكم آخر بهم كان عدم نصرهم لغيبتهم او ضاعوا عنهم اي ظهر ضياعهم عنهم بالكلية وقيل
امتنع نصرهم امتناع نصر الغايب عن المنصور وذلك اي ضياع آلهتهم عنهم وامتناع نصرتهم افكهم
اي اثر افكهم الذي هو اتخاذهم اياها آلهة ونتيجة شركهم وقرئ افكهم وكلاهما مصدر كالحذر والحذر
وقرئ افكهم على صيغة الماضي فذلك اشارة حينئذ الى الاتخاذ وذلك الاتخاذ الذي هو ثمرته وعاقبته
صرفهم عن الحق وقرئ افكهم بالتشديد للمبالغة وافكهم من الافعال اي جعلهم آفكين وقرئ آفكهم على صيغة

اسم الفاعل مضافا الى ضميرهم اي قولهم الافك اي ذو الافك كما يقال قول كاذب **وما كانوا يفترون** عطف على افكهم اي وكثر افترايهم على الله تعالى او اثر ما كانوا يفترونه على الله تعالى وقري وذلك افك بما كانوا يفترون اي بعض ما كانوا يفترون من الافك **واذ صرفنا اليك نفرا من الجن** املناهم اليك واقبلنا بهم نحوك وقري صرفنا بالتشديد للتكثير لانهم جماعة وهو السر في جمع الضمير في قوله تعالى **يستمعون القرآن** وما بعده وهو حال مقدرة من نفرا التخصيصه بالصفة او صفة اخرى له اي واذكر لقومك وقت صرفنا اليك نفرا كاينا من الجن مقدرا استماعهم من القرآن **فلما حضروه** اي القرآن اي عند تلاوته او الرسول صلى الله عليه وسلم عند تلاوته له على الالتفات والاول هو الاظهر **قالوا** اي قال بعضهم لبعض **انصتوا** اي اسكتوا لنسمعه **فلما قضي** اتم وفرغ عن تلاوته وقري على البناء للفاعل وهو ضمير الرسول صلى الله عليه وسلم **ولوا الى قومهم منذرين** مقدرين انذارهم عند رجوعهم اليهم روي ان الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا الا لنبإ حدث فنهض سبعة نفر او تسعة نفر من اشراف جن نصيبين او نينوى فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا الى وادي نخلة فوافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قايم في جوف الليل او في صلوة الفجر فاستمعوا القرائة وذلك عند منصرفه من الطايف وعن سعيد بن جبير ما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا راهم وانما كان يتلو في صلاته فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر بهم فانباه الله تعالى باستماعهم وقيل بل امر الله تعالى ان ينذر الجن ويقرا عليهم فصرف اليهم نفرا جمعهم له فقال صلى الله عليه وسلم اني امرت ان اقرا على الجن الليلة فمن يتبعني قالها ثلاثا فاطرقوا الا عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال فانطلقنا حتى اذا كنا على مكة في شعب الحجون خط لي خطا فقال لي لا تخرج منه حتى اعود اليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغشيته اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما اسمع صوته صلى الله عليه وسلم ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رايت شيئا قلت رجالا اسودا مستشعري ثياب بيض فقال اوليك جن نصيبين وكانوا اثني عشر الفا والسورة التي قراها عليهم سورة اقرا باسم ربك **قالوا** اي عند رجوعهم الى قومهم **يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى** قيل قالوه لانهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الجن لم تكن سمعت بامر عيسى عليه السلام **مصدقا لما بين يديه** ارادوا به التورية **يهدي الى الحق** من العقايد الصحيحة **والى طريق مستقيم** موصل اليه وهو الشرايع والاعمال الصالحة **يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به** ارادوا به ما سمعوه من الكتاب ووصفوه بالدعوة الى الله تعالى بعد ما وصفوه بالهداية الى الحق والصراط المستقيم لتلازمهما دعوهم الى ذلك بعد بيان حقيته واستقامته ترغيبا لهم في الاجابة ثم اكدوه بقولهم **يغفر لكم من ذنوبكم** اي بعض ذنوبكم وهو ما كان في خالص حق الله تعالى فان حقوق العباد لا تغفر بالايمان **ويجركم من عذاب اليم** معد للكفر واختلف في ان لهم اجرا غير هذا اولا والاظهر انهم في حكم بني آدم ثوابا وعقابا لقوله تعالى **ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض** ايجاب للاجابة بطريق الترهيب اثر ايجابها بطريق الترغيب وتحقيق لكونهم منذرين واظهار داعي الله من غير اكتفاء باحد الضميرين للمبالغة في الايجاب بزيادة التقرير وتربية المهابة وادخال الروعة وتقييد الاعجاز بكونه في الارض لتوسيع الداير اي فليس بمعجز له تعالى بالهرب وان هرب كل مهرب من اقطارها او دخل في اعماقها **وليس له من دونه اولياء** بيان لاستحالته ونجاته بواسطة الغير اثر بيان استحالة نجاته بنفسه وجميع الاولياء باعتبار معنى من فيكون من باب مقابلة الجمع بالجمع لانقسام الاحاد الى الاحاد كان في قوله **اوليك** بذلك الاعتبار اي اوليك الموصوفون

بعدم

بعدم اجابة داعي الله **في ضلال مبين** اي ظاهر كونه ضلالا بحيث لا يخفى على احد حيث اعرضوا عن اجابة من هذا شانه **اولم يروا** الهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر يستدعيه المقام والروية قلبية اي الم يتفكروا ولم يعلموا علما جازما متاخما للمشاهدة والعيان **ان الله الذي خلق السموات والارض** ابتداء من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه **ولم يعي بخلقهن** اي لم يتعب ولم ينصب بذلك اصلا او لم يعجز عنه يقال عييت بالامر اذا لم تعرف وجهه وقوله تعالى **بقادر** في حيز الرفع لانه خبر ان كما ينبي عنه القراءة بغير باء ووجه دخولها في القراءة الاولى اشتمال النفي الوارد في صدر الاية على ان وما في حيزها كانه قيل اوليس الله بقادر **على ان يحيي الموتى** ولذلك اجيب عنه بقوله تعالى **بلى انه على كل شيء قدير** تقرير للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود **ويوم يعرض الذين كفروا على النار** ظرف عامله قول مضمر مقوله **اليس هذا بالحق** على ان الاشارة الى ما يشاهدونه حينئذ من حيث هو من غير ان يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتانيثه اذ هو اللايق بتهويله وتفخيمه وقد مر في سورة الاحقاف وقيل هي الى العذاب وقيل تهكم بهم وتوبيخ لهم على استهزايهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين **قالوا بلى وربنا** اكدوا جوابهم بالقسم كانهم يطمعون في الخلاص بالاعتراف بحقيتها في الدنيا واني لهم ذلك **قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون** بها في الدنيا ومعنى الامر الاهانة بهم والتوبيخ لهم والفاء في قوله تعالى **فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل** جواب شرط محذوف اي اذا كان عاقبة امر الكفرة ما ذكر فاصبر على ما يصيبك من جهتهم كما صبر اولوا الثبات والحزم من الرسل فانك من جملتهم بل من عليتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض والمراد باولي العزم اصحاب الشرايع الذين اجتهدوا في تاسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وابرهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وقيل هم الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على اذية قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابرهيم عليه السلام صبر على النار وعلى ذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة صلوات الله عليهم اجمعين **ولا تستعجل لهم** اي لكفار مكة بالعذاب فانه على شرف النزول بهم **كانهم يوم يرون ما يوعدون** من العذاب **لم يلبثوا** في الدنيا **الا ساعة** يسيرة **من نهار** لما يشاهدون من شدة العذاب وطول مدته وقوله تعالى **بلاغ** خبر مبتدا محذوف اي هذا الذي وعظتم به كفاية في الموعظة او تبليغ من الرسول صلى الله عليه وسلم ويؤيده انه قري بلغ وقري بلاغا اي بلغوا بلاغا **فهل يهلك الا القوم الفاسقون** اي الخارجون عن الاتعاظ به او عن الطاعة وقري بفتح الياء وكسر اللام وبفتحهما من هلك وهلك وبنون العظمة من الاهلاك ونصب القوم ووصفه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا صدق رسول الله عليه السلام

سورة محمد عليه السلام مدنية وهي ثمان واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم **الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله** اي اعرضوا عن الاسلام وسلوك طريقه من صد صدودا او منعوا الناس عن ذلك من صده صدا كالمطعمين يوم بدر وقيل هم اثني عشر رجلا كانوا يصدون الناس عن الاسلام ويامرونهم بالكفر وقيل اهل الكتاب الذين كفروا وصدوا من اراد منهم ومن غيرهم ان يدخل في الاسلام وقيل هو عام في كل من كفر وصد **اضل اعمالهم** اي ابطلها واحبطها اي جعلها ضايعة لا اثر لها لكن لا بمعنى انه حكم ببطلانها وضياعها فان ما كانوا يعملونه من اعمال البر كصلة الارحام وقري الاضياف وفك الاسارى وغيرها من المكارم ليس لها اثر من اصلها لعدم مقارنتها للايمان او ابطل ما عملوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيل الله بنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم واظهار دينه على الدين كله وهو الاوفق

لما سيأتي من قوله تعالى فتعسا لهم واضل اعمالهم وقوله تعالى فاذا لقيتم الى اخره والذين امنوا وعملوا الصالحات
قيل هم ناس من قريش وقيل من الانصار وهم مؤمنوا اهل الكتاب وقيل عام للكل وامنوا بما نزل على محمد خص
بالذكر الايمان بذلك [2] وانه الاصل في الكل ولذلك اكد بقوله وهو الحق من ربهم بطريق حصر الحقية وقيل حقيته بكونه
ناسخا غير منسوخ فالحق على هذا مقابل الزائل وعلى الاول مقابل للباطل واياما كان فقوله تعالى من ربهم ضمير
الحق وقرئ نزل على البناء للفاعل وانزل على البنائين ونزل بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم اى سترها بالايمان
والعمل الصالح واصلح بالهم اي حالهم في الدين والدنيا بالتأييد والتوفيق ذلك اشارة الى ما مر من
اضلال الاعمال وتكفير السيئات واصلاح البال وهو خبر مبتدأ خبره قوله تعالى بان الذين كفروا اتبعوا الباطل
وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم اي ذلك كائن بسبب ان الاولين اتبعوا الشيطان كما قال مجاهد
ففعلوا ما فعلوا من الكفر والصد فبيان سببية اتباعه لما ذكر من التكفير والاصلاح بعد الاشعار بسببية
الايمان والعمل الصالح له لتضمن بيان سببيتها له لكونه مبتدأ منشأ لهما حتما فلا تدافع بين الاشعار والتصريح
في شيء من الموضعين ويجوز ان يحمل الباطل على ما يقابل الحق وهو الزائل الذاهب الذي لا اصل له اصلا
فالتصريح بسببيه اتباعه لا اضلال اعمالهم وابطالها لبيان ان ابطالها لبطلان مبناها وزواله واما
حمله على ما ينتفع به فليس كما ينبغي لما ان الكفر والصد افحش منه فلا وجه للتصريح بسببيته لما ذكر بطريق
القصر بعد الاشعار بسببيتهما له فتدبر ويجوز ان يراد بالباطل نفس الكفر والصد وبالحق نفس الايمان
والاعمال الصالحة فيكون التنصيص على سببيتهما لما ذكر من الاضلال ومن التكفير والاصلاح تصريحا
بالسببية المشعر بها في الموقعين كذلك اي مثل ذلك الضرب البديع يضرب الله اي يبين للناس
امثالهم اي احوال الفريقين واوصافهما الجارية في الغرابة مجرى الامثال وهي اتباع الاولين الباطل وخيبتهم
وخسرانهم واتباع الاخرين الحق وفوزهم وفلاحهم والفاء في قوله تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا لترتيب ما
في حيزها من الامر على ما قبلها فان ضلال اعمال الكفرة وخيبتهم وصلاح احوال المؤمنين وفلاحهم مما يوجب ان
يترتب على كل من الجانبين ما يليق به من الاحكام اي فاذا كان الامر كما ذكر فاذا لقيتموهم في المحاربة فضرب الرقاب
اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وانيب منابه مضافا الى المفعول وفيه اختصار
وتأكيد بليغ والتعبير عنه عن القتل تصوير له باشنع صورة وتهويل لامره وارشاد للغزاة الى ايسر ما يكون
منه حتى اذا اثخنتموهم اي اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الشيء الثخين وهو الغليظ او اثقلتموهم بالقتل
والجراح حتى اذهبتم عنهم النهوض فشدوا الوثاق فاسروهم واحفظوهم والوثاق اسم لما يوثق به وكذا
الوثاق بالكسر وقد قرئ بذلك فاما منا بعد واما فداء اي فاما تمنون بعد ذلك منا او تفدون فداء
والمعنى التخيير بين القتل والاسترقاق والمن والفداء وهذا ثابت عند الشافعي رضي الله عنه وعندنا منسوخ
قالوا نزل ذلك يوم بدر ثم نسخ والحكم اما القتل او الاسترقاق وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء انما هو
الاسلام او ضرب العنق وقرئ فدا كعصا حتى تضع الحرب اوزارها اوزار الحرب الاتها واثقالها التي لا
تقوم الا بها من السلاح والكراع اسند وضعها اليها وهو لاهلها اسنادا مجازيا وحتى غاية عند الشافعي رحمه
الله لاحد الامور الاربعة او للمجموع والمعنى انهم لا يزالون على ذلك ابدا الى ان لا يكون مع المشركين حرب
بان لا يبقى لهم شوكة وقيل بان ينزل عيسى عليه السلام واما عند ابي حنيفة رحمه الله فان حمل الحرب على حرب
بدر فهي غاية للمن والفداء والمعنى انهم يقتلون ويؤسرون حتى تضع جنس الحرب اوزارها بان لا يبقى للمشركين
شوكة وقيل اوزارها اثامها اي حتى يترك المشركون شركهم ومعاصيهم بان اسلموا ذلك اي الامر ذلك
او افعلوا ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم لانتقم منهم ببعض اسباب الهلكة والاستئصال ولكن لم يشأ ذلك
ولكن ليبلوا بعضكم ببعض فامركم بالقتال وبلاكم بالكافرين لتجاهدوهم فتستوجبوا الثواب العظيم بموجب

[2] بذلك مع انه داخل فيما قبله تنويها بشانه وتنبيها على سمو مكانه من بين سائر ما يجب الايمان به صح

الوعد والكافرين بكم ليعاجلهم على ايديكم ببعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن الكفر والذين قتلوا في
سبيل الله اي استشهدوا وقرئ قاتلوا اي جاهدوا وقتلوا وقتلوا فلن يضل اعمالهم فلن يضيعها
وقرئ تضل اعمالهم على البناء للمفعول وتضل اعمالهم من ضل وعن قتادة انها نزلت في يوم احد سيهديهم
في الدنيا الى ارشد الامور وفي الاخرة الى الثواب او سيثبت هدايتهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم
في الدنيا بذكرها وصفها بحيث اشتاقوا اليها او بينها لهم بحيث يعلم كل احد منزله ويهتدي اليه كانه
كان ساكنه منذ خلق وعن مقاتل ان الملك الموكل بعمله في الدنيا يمشي بين يديه فيعرفه كل شيء اعطاه
الله تعالى او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة او حددها لهم وافرزها من عرف الدار فجنة كل منهم
محددة مفرزة والجملة اما مستأنفة او حال باضمار قد او بدونه يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله اي دينه ورسوله
ينصركم على اعدائكم ويفتح لكم ويثبت اقدامكم في مواطن الحرب ومواقفها او على محجة الاسلام والذين
كفروا فتعسا لهم التعس الهلاك والعثار والسقوط والشر والبعد والانحطاط ورجل تاعس وتعس وانتصابه
بفعل الواجب حذفه سماعا اي يقال تعسا لهم او فقضى تعسا لهم قوله تعالى واضل اعمالهم عطف عليه داخل
معه في حيز الخبرية للموصول ذلك اي ما ذكر من التعس واضلال الاعمال ذلك بسبب بانهم كرهوا ما
انزل الله من القران لما فيه من التوحيد وسائر الاحكام المخالفة لما الفوه واشتهته انفسهم الامارة بالسوء
فاحبط لاجل ذلك اعمالهم التي لو كانوا عملوها مع الايمان لاثيبوا عليها افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم من الامم المكذبة فان اثار ديارهم تنبئ عن اخبارهم قوله تعالى دمر الله عليهم استئناف
مبني على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل كيف كان عاقبتهم فقيل استأصل الله عليهم ما اختص بهم من
اهليهم وانفسهم واموالهم يقال دمره واهلكه ودمر عليه اهلك عليه ما يختص به وللكافرين اي ولهؤلاء
الكافرين السائرين بسيرتهم امثالها امثال عواقبهم او عقوباتهم لكن لا على ان لهؤلاء امثال ما لاولئك
واضعافه بل مثله وانما جمع باعتبار مماثلته لعواقب متعددة حسب تعدد الامم المعذبة وقيل يجوز ان
يكون عذابهم اشد من عذاب الاولين وقد قتلوا واسروا بايدي من كانوا يستحقرونهم ويستضعفونهم والقتل
بيد المثل اشد الما من الهلاك بسبب عام وقيل المراد بالكافرين المتقدمون بطريق وضع الظاهر موضع المضمر
كانه قيل دمر الله عليهم في الدنيا ولهم في الاخرة امثالها ذلك اشارة الى امثال عقوبة الامم السالفة لهؤلاء
بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم فيدفع عنهم ما حل بهم من العقوبة والعذاب ولا يخالف هذا
قوله تعالى ثم ردوا الى الله موليهم الحق فان المولى هناك بمعنى المالك ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا
الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار بيان لحكم ولايته تعالى لهم وثمرتها الاخروية والذين كفروا يتمتعون اي
ينتفعون في الدنيا بمتاعها ويأكلون كما تأكل الانعام غافلين عن عواقبهم والنار مثوى لهم اي منزل وثوا
واقامة والجملة اما حال مقدرة من واو يأكلون او استئناف وكاين كلمة مركبة من الكاف واي بمعنى
كم الخبرية ومحلها الرفع بالابتداء وقوله تعالى من قرية تمييزها وقوله تعالى هي اشد قوة من قريتك
صفة لقرية كما ان في قوله تعالى التي اخرجتك صفة لقريتك وقد حذف عنهما المضاف واجري احكامه
عليهما كما يفصح عنه الخبر الذي هو قوله تعالى اهلكناهم اي وكم من اهل قرية هي اشد قوة من اهل قريتك
الذين كانوا سببا لخروجك من بينهم ووصف القرية الاولى بشدة القوة للايذان باولوية الثانية منها
بالاهلاك لضعف قوتها كما ان وصف الثانية باخراجه صلى الله عليه وسلم للايذان باولويتها به لقوة
جنايتها وعلى طريقة قول النابغة ∗ كليب لعمري كان اكثر ناصرا ∗ وايسر جرما منك ضرج بالدم ∗ وقوله تعالى فلا
ناصر لهم بيان لعدم خلوصهم من العذاب بواسطة الاعوان والانصار اثر بيان عدم خلاصهم منه بانفسهم
والفاء لترتيب ذكر ما بالغير على ذكر ما بالذات وهو حكاية حال ماضية افمن كان على بينة من ربه تقرير لتباين

حالي فريقي المؤمنين والكافرين وكون الاولين في اعلا عليين والآخرين لاسفل سافلين وبيان لعلة ما لكل منهما من الحال والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقد قرئ بدونها ومن عبارة عن المؤمنين المتمسكين بادلة الدين وجعلها عبارة عن النبي صلى الله عليه وسلم او عنه وعن المؤمنين لا يساعده النظم الكريم على ان الموازنة بينه صلى الله عليه وسلم وبينهم يأباه منصبه الجليل والتقدير أليس الامر كما ذكر فمن كان مستقرا على حجة ظاهرة وبرهان نير من مالك امره ومربيه وهو القرآن الكريم وسائر المعجزات والحجج العقلية كمن زين له سوء عمله من الشرك والمعاصي مع كونه في نفسه اقبح القبائح واتبعوا بسبب ذلك التزيين اهواءهم الزائغة وانهمكوا في فنون الضلالات من غير ان يكون لهم شبهة توهم صحة ما هم عليه فضلا عن حجة تدل عليها وجمع الضميرين الاخيرين باعتبار معنى من كما ان افراد الاولين باعتبار لفظها مثل الجنة التي وعد المتقون استيناف مسوق لشرح محاسن الجنة الموعودة آنفا للمؤمنين وبيان كيفية انهارها التي اشير الى جريانها من تحتها وعبر عنهم بالمتقين ايذانا بان الايمان والعمل الصالح من باب التقوى الذي هو عبارة عن فعل الواجبات باسرها وترك السيئات عن آخرها ومثلها وصفها العجيب الشان وهو مبتدا محذوف الخبر فقدره النضر ابن شميل مثل الجنة ما تسمعون وقوله تعالى فيها انهار الى آخره مفسر له وقدره سيبويه فيما يتلى عليكم مثل الجنة والاول هو الانسب بصدر النظم الكريم وقيل المثل زائد كزيادة الاسم في قول من قال • الى الحول ثم اسم السلام عليكما • والجنة مبتدا خبره فيها انهار الى آخره من ماء غير آسن اي غير متغير الطعم والرائحة وقرئ غير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه بان صار قارصا ولا حاذرا كالبان الدنيا وانهار من خمر لذة للشاربين لذيذة ليس فيها كراهة طعم وريح ولا غائلة سكر وخمار وانما هي لذة محضة ولذة اما تانيث لذ بمعنى لذيذ او مصدر نعت به مبالغة وقرئ لذة بالرفع على انها صفة انهار وبالنصب على العلة اي لاجل لذة الشاربين وانهار من عسل مصفى لا يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي هذا تمثيل لما يجري مجرى الاشربة في الجنة بانواع ما يستطاب منها ويستلذ في الدنيا بالتخلية عما ينغصها وينقصها والتحلية بما يوجب غزارتها ودوامها ولهم فيها مع ما ذكر من فنون الانهار من كل الثمرات اي صنف من كل الثمرات ومغفرة اي ولهم مغفرة عظيمة لا يقادر قدرها وقوله تعالى من ربهم متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة موكدة لما افاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائنة من ربهم وقوله تعالى كمن هو خالد في النار خبر لمبتدا محذوف تقديره امن هو خالد في هذه الجنة حسبما جرى به الوعد كمن هو خالد في النار كما نطق به قوله تعالى والنار مثوى لهم وقيل هو خبر لمثل الجنة على ان في الكلام حذفا تقديره امثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد في النار او مثل اهل الجنة كمثل من هو خالد في النار فعري عن حرف الانكار وحذف ما حذف تصويرا لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة وبين التابع الهوى بمكابرة من سوى بين الجنة الموصوفة بما فصل من الصفات الجليلة وبين النار وسقوا ماء حميما مكان تلك الاشربة فقطع امعاءهم من فرط الحرارة قيل اذا دني منهم شوى وجوههم وانمازت فروة رؤسهم فاذا شربوه قطع امعاءهم ومنهم من يستمع اليك هم المنافقون وافراد الضمير باعتبار لفظة من كما ان جمعه فيما سياتي باعتبار معناها كانهم يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يراعونه حق رعايته تهاونا منهم حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم من الصحابة رضوان الله عليهم ماذا قال آنفا اي ما الذي قال الساعة على طريق الاستهزاء وان كانوا بصورة الاستعلام واقعا من قولهم انف الشيء لما تقدم منه مستعارا من الجارحة ومنه استانف الشيء وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتا موتنفا او حال من الضمير في قال آنفا اولئك الموصوفون بما ذكر الذين طبع الله على قلوبهم لعدم توجهها نحو الخير اصلا واتبعوا اهواءهم الباطلة ولذلك فعلوا ما فعلوا مما لا خير فيه والذين اهتدوا الى طريق الحق زادهم اي الله تعالى هدى بالتوفيق والالهام

وآتيهم تقويهم اي اعانهم على تقويهم او اعطاهم جزاءها اي بين لهم ما يتقون فهل ينظرون الا الساعة اي القيمة وقوله تعالى ان تأتيهم بغتة اي تباغتهم بغتة وهي المفاجاة بدل اشتمال من الساعة والمعنى انهم لا يتذكرون بذكر احوال الامم الخالية ولا بالاخبار باتيان الساعة وما فيها من عظائم الاهوال وما ينتظرون للتذكر الا اتيان نفس الساعة بغتة وقرئ بغتة بفتح الغين وقوله تعالى فقد جاء اشراطها تعليل لمفاجاتها لا لاتيانها مطلقا على انه لم يبق من الامور الموجبة للتذكر امر مترقب ينتظرونه سوى اتيان نفس الساعة اذ قد جاء اشراطها فلم يرفعوا لها راسا ولم يعدوها من مبادي اتيانها فيكون اتيانها بطريق المفاجاة لا محالة والاشراط جمع شرط بالتحريك وهي العلامة والمراد بها مبعثه صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر ونحوهما وقوله تعالى فانى لهم اذا جاءتهم ذكريهم حكم بخطائهم وفساد رايهم في تاخير التذكر الى اتيانها ببيان استحالة نفع التذكر حينئذ كقوله تعالى يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى اي وكيف لهم لكونهم اذا جاءتهم على ان اذا في حيز النصب وذكراهم مبتدا واذا جاءتهم اعتراض وسط بينهما رمزا الى غاية سرعة مجيئها واطلاق المجيء عن قيد البغتة لما ان مدار استحالة نفع التذكر كونه عند مجيئها مطلقا لا مقيدا بقيد البغتة وقرئ ان تأتهم على انه شرط مستانف جزاؤه فانى لهم الى آخره والمعنى ان تأتهم الساعة بغتة لانه قد ظهر اماراتها فكيف لهم تذكرهم واتعاظهم اذا جاءتهم فاعلم انه لا اله الا الله اي اذا علمت ان مدار السعادة هو التوحيد والطاعة ومناط الشقاوة هو الاشراك والعصيان فاثبت على ما انت عليه من العلم بالوحدانية والعمل بموجبه واستغفر لذنبك وهو الذي ربما يصدر عنه عليه الصلوة والسلام من ترك الاولى عبر عنه بالذنب نظرا الى منصبه الجليل كيف لا وحسنات الابرار سيئات المقربين وارشادا له صلى الله عليه وسلم الى التواضع وهضم النفس واستقصار العمل وللمؤمنين والمؤمنات تنبيه على اختلاف متعلقيه جنسا وفي حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اشعار بعراقتهم في الذنب وفرط افتقارهم الى الاستغفار والله يعلم متقلبكم في الدنيا فانها مراحل لا بد من قطعها لا محالة ومثواكم في العقبى لانها موطن اقامتكم فلا يأمركم الا بما هو خير لكم فيهما فبادروا الى الامتثال بما امركم به فانه المهم لكم في المقامين وقيل يعلم جميع احوالكم فلا يخفى عليه شيء منها ويقول الذين آمنوا حرصا منهم على الجهاد لولا نزلت سورة • اي هلا نزلت سورة نؤمر فيها بالجهاد فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال بطريق الامر به اي سورة مبينة لا تشابه ولا احتمال فيها بوجه آخر سوى وجوب القتال عن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة لم تنسخ وقرئ فاذا نزلت سورة وقرئ فذكر على اسناد الفعل الى ضميره تعالى ونصب القتال رايت الذين في قلوبهم مرض اي ضعف في الدين وقيل نفاق وهو الاظهر الاوفق لسياق النظم الكريم ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت اي تشخص ابصارهم جبنا وهلعا كدأب من اصابته غشية الموت فاولى لهم اي فويل لهم وهو افعل من الولي وهو القرب وقيل من آل ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه او يؤول اليهم المكروه او يؤول اليه امرهم وقيل هو مشتق من الويل واصله اويل فقلبت العين الى ما بعد اللام فوزنه افلع طاعة وقول معروف كلام مستانف اي امرهم طاعة الى آخره او طاعة وقول معروف خير لهم او حكاية لقولهم ويؤيده قراءة ابي يقولون طاعة وقول معروف اي امرنا ذلك فاذا عزم الامر اسند العزم وهو الجد الى الامر وهو لاصحابه مجازا كما في قوله تعالى ان ذلك من عزم الامور وعامل الظرف محذوف اي خالفوا وتخلفوا وقيل ناقضوا وقيل كرهوا وقيل هو قوله تعالى فلو صدقوا الله على طريقة قولك اذا حضرني طعام فلو جئتني لاطعمتك اي فلو صدقوا الله تعالى فيما قالوا من الكلام المنبي عن الحرص في الجهاد بالجري على موجبه لكان اي الصدق خيرا لهم وفيه دلالة على اشتراك الكل فيما حكي عنهم من قوله تعالى لولا نزلت سورة وقيل فلو صدقوا في الايمان وواطأت قلوبهم في ذلك السنتهم وايا ما كان فالمراد بهم الذين في قلوبهم مرض وهم المخاطبون بقوله تعالى فهل عسيتم الى آخره بطريق الالتفات

لتاكيد التوبيخ وتشديد التقريع اي هل يتوقع منكم ان توليتم امور الناس وتأمرتم عليهم ان تفسدوا في الارض
وتقطعوا ارحامكم للتناصر على الملك والتهالك على الدنيا فان من شاهد احوالكم الدالة على الضعف في الدين
والحرص على الدنيا حين امرتم بالجهاد الذي هو عبارة عن احراز كل خير وصلاح ودفع كل شر وفساد وانتم مامورون
شانكم الطاعة والقول بالمعروف يتوقع منكم اذا اطلقت اعنتكم وصرتم آمرين ما ذكر من الافساد وقطع الارحام
وقيل ان اعرضتم عن الاسلام ان ترجعوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من الافساد في الارض بالتغاور والتناهب
وقطع الارحام بمقاتلة بعض الاقارب بعضا ووأد البنات وفيه ان الواقع في حيز الشرط في مثل هذا المقام
لابد ان يكون محذوريته باعتبار ما يستتبعه من المفاسد لا باعتبار ذاته ولا ريب في ان الاعراض عن الاسلام
راس كل شر وفساد فحقه ان يجعل عمدة في التوبيخ لا وسيلة بما دونه من المفاسد وقرئ وليتم على البناء للمفعول
اي جعلتم ولاة وقرئ توليتم اي تولاكم ولاة جور خرجتم معهم وساعدتموهم في الافساد وقطيعة الرحم
وقرئ وتقطعوا من التقطع والحاق الضمير بعسى لغة الحجاز واما بنو تميم فيقولون عسى ان يفعل وعسى
ان تفعلوا اولئك اشارة الى المخاطبين بطريق الالتفات ايذانا بان ذكر هناتهم اوجب اسقاطهم عن
رتبة الخطاب وحكاية احوالهم الفظيعة لغيرهم وهو مبتدا خبره الذين لعنهم الله اي ابعدهم من رحمته
فاصمهم عن استماع الحق لتصامهم عنه بسوء اختيارهم واعمى ابصارهم لتعاميهم عما يشاهدونه من الايات المنصوبة
في الانفس والافاق افلا يتدبرون القران اي الا يلاحظونه ولا يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى
لا يقعوا فيما وقعوا فيه من الموبقات ام على قلوب اقفالها فلا يكاد يصل اليها ذكر اصلا وام منقطعة وما
فيها من معنى بل للانتقال من التوبيخ بعدم التدبر الى التوبيخ بكون قلوبهم مقفلة لا تقبل التدبر والتفكر
والهمزة للتقرير وتنكير القلوب اما لتهويل حالها وتفظيع شانها بابهام امرها في القساوة والجهالة
كانه قيل على قلوب منكرة لا يعرف حالها ولا يقادر قدرها في القسوة واما لان المراد بها قلوب البعض
منهم وهم المنافقون واضافة الاقفال اليها للدلالة على انها اقفال مخصوصة بها مناسبة لها غير
مجانسة لسائر الاقفال المعهودة وقرئ اقفلها واقفالها على المصدر ان الذين ارتدوا على ادبارهم اي رجعوا
الى ما كانوا عليه من الكفر وهم المنافقون الذين وصفوا فيما سلف بمرض القلوب وغيره من
قبائح الافعال والاحوال فانهم كفروا به صلى الله عليه وسلم من بعد ما تبين لهم الهدى بالدلائل الظاهرة
والمعجزات القاهرة وقيل هم اليهود وقيل اهل الكتابين جميعا كفروا به صلى الله عليه وسلم بعد ما وجدوا
نعته صلى الله عليه وسلم في كتابهم وعرفوا انه المنعوت بذلك قوله تعالى الشيطان سول لهم جملة من
مبتدا وخبر وقعت خبرا لان وسهل لهم ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء وقيل من السول المخفف
من السؤل لاستمرار القلب في معنى سول له امرا حينئذ اوقعه في امنيته فان السول الامنية وقرئ
سول مبنيا للمفعول على حذف المضاف اي كيد الشيطان واملى لهم وقيل لهم في الاماني والامال وقيل امهلهم
الله تعالى ولم يعاجلهم بالعقوبة وقرئ املي لهم على صيغة التكلم فالمعنى ان الشيطان يغويهم وانا انظرهم
فالواو للحال او للاستيناف وقرئ املي لهم على البناء للمفعول اي امهلوا ومد في عمرهم ذلك اشارة الى
ما ذكر من ارتدادهم لا الى الاملاء كما نقل عن الواحدي ولا الى التسويل كما قيل لان شيئا منهما ليس مسببا عن القول
الاتي وهو مبتدا خبره قوله تعالى بانهم بسبب انهم قالوا يعني المنافقين المذكورين لا اليهود الكافرين
به صلى الله عليه وسلم بعد ما وجدوا نعته صلى الله عليه وسلم في التورية كما قيل فان كفرهم به عليه الصلوة
والسلام ليس بسبب هذا القول ولو فرض صدوره عنهم سواء كان المقول لهم المنافقين والمشركين على راي
القائل بل من حين بعثته صلى الله عليه وسلم للذين كرهوا ما نزل الله اي لليهود الكارهين لنزول القران
على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم انه من عند الله تعالى حسدا وطمعا في نزوله عليهم لا للمشركين

كما قيل

كما قيل فان قوله تعالى سنطيعكم في بعض الامر عبارة قطعا عما حكي عنهم بقوله تعالى الم تر الى الذين نافقوا يقولون
لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا ولئن قوتلتم لننصرنكم وهم بنو
قريظة والنضير الذين كانوا يوالونهم ويوادونهم وارادوا بالبعض الذي اشاروا الى عدم طاعتهم فيه اظهار كفرهم
واعلان امرهم بالفعل قبل قتالهم واخراجهم من ديارهم فانهم كانوا يابون ذلك قبل مساس الحاجة الضرورية الداعية
اليه لما كان لهم في اظهار الايمان من المنافع الدنيوية وانما كانوا يقولون لهم ما كانوا يقولون سرا كما يعرب عنه قوله
تعالى والله يعلم اسرارهم اي اخفاءهم لما يقولونه لليهود وقرئ اسرارهم التي من جملتها قولهم هذا والجملة اعتراض
مقرر لما قبله متضمن للافشاء في الدنيا والتعذيب في الاخرة والفاء في قوله تعالى فكيف اذا توفتهم الملائكة لترتيب
ما بعدها على ما قبلها وكيف منصوب بفعل محذوف هو العامل في الظرف كانه قيل يفعلون في حياتهم ما يفعلون
من الحيل فكيف يفعلون اذا توفتهم الملائكة وقيل مرفوع على انه خبر لمبتدا محذوف اي فكيف حالهم وحيلتهم
اذا توفتهم الى اخره وقرئ توفاهم على انه اما ماض او مضارع قد حذف احدى تائيه يضربون وجوههم وادبارهم
حال من فاعل توفاهم او مفعوله وهو تصوير لتوفيهم على اهول الوجوه وافظعها وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
لا يتوفى احد على معصية الا تضرب الملائكة وجهه ودبره ذلك التوفي الهائل بانهم اي بسبب انهم اتبعوا
ما اسخط الله من الكفر والمعاصي وكرهوا رضوانه اي ما يرضاه من الايمان والطاعة حيث كفروا بعد الايمان
وخرجوا عن الطاعة بما صنعوا من المعاملة مع اليهود فاحبط لاجل ذلك اعمالهم التي عملوها حال ايمانهم من الطاعات
او بعد ذلك من اعمال البر التي لو عملوها حال الايمان لانتفعوا بها ام حسب الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون
الذين فصلت احوالهم الشنيعة وصفوا بوصفهم السابق لكونه مدارا لما نعي عليهم بقوله تعالى ان لن يخرج
الله اضغانهم فام منقطعة وان مخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف ولن بما في حيزها خبرها والا
جمع ضغن وهو الحقد اي بل احسب الذين في قلوبهم حقد وعداوة للمؤمنين ان لن يخرج الله احقادهم ولن يبرزها
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين فتبقى امورهم مستورة والمعنى ان ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الاحتمال
ولو نشاء لاريناكهم لعرفناكهم بدلائل تعرفهم باعيانهم معرفة متاخمة للرؤية والالتفات الى نون
العظمة لابراز العناية بالارادة فلعرفتهم بسيماهم بعلامتهم التي نسمهم بها وعن انس رضي الله تعالى عنه ما خفي
على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في بعض الغزوات
وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة فاصبحوا وعلى وجه كل واحد منهم مكتوب هذا منافق
واللام لام الجواب كررت في المعطوف للتاكيد والفاء لترتيب المعرفة على الارادة واما ما في قوله تعالى ولتعرفنهم
في لحن القول فلجواب قسم محذوف ولحن القول نحوه واسلوبه وامالته الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل
للمخطئ لاحن لعدله بالكلام عن سمت الصواب والله يعلم اعمالكم فيجازيكم بحسب قصدكم وهذا وعد للمؤمنين وايذان
بان حالهم بخلاف حال المنافقين ولنبلونكم بالامر بالجهاد ونحوه من التكاليف الشاقة حتى نعلم المجاهدين منكم
والصابرين على مشاق الجهاد علما فعليا يتعلق به الجزاء ونبلو اخباركم بالخبرية عن اعمالكم فيظهر حسنها
وقبيحها وقرئ ويبلو بالياء وقرئ ونبلو بسكون الواو على ونحن نبلو ان الذين كفروا وصدوا الناس عن
سبيل الله وشاقوا الرسول وعادوه من بعد ما تبين لهم الهدى من بعد ما شاهدوا نعته صلى الله عليه وسلم
في التورية وبما ظهر على يديه من المعجزات ونزل عليه من الايات وهم قريظة والنضير او المطعمون يوم
بدر لن يضروا الله بكفرهم وصدهم شيئا من الاشياء او شيئا من الضرر ولن يضروا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بمشاقته شيئا وقد حذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته وسيحبط اعمالهم اي مكايدهم التي
نصبوها في ابطال دينه تعالى ومشاقة رسوله صلى الله عليه وسلم فلا يصلون بها الى ما كانوا يبغون من الغوائل
بل
ولا يتم لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم

اي بما ابطل به هولآء من الكفر والنفاق والعجب والريآء والمن والاذي ونحوها وليس فيه دليل علي
احباط الطاعات بالكبائر ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم
حكم يعم كل من مات علي الكفر وان صح نزوله في اصحاب القليب فلا تهنوا اي لا تضعفوا وتدعوا الي السلم
اي ولا تدعوا الكفار الي الصلح خورا فان ذلك اعطآء الدنية ويجوز ان يكون منصوبا باضمار ان علي جواب
النهي وقري ولا تدعوا من ادعاء القوم بمعني تداعوا نحو ارتموا الصيد وتراموه ومنه تراموا الهلال فان صيغة
التفاعل قد يراد بها صدور الفعل عن المتعدد من غير اعتبار وقوعه عليه ومنه قوله تعالي عم يتسآءلون علي
احد القولين والفآء لترتيب النهي علي ما سبق من الامر بالطاعة وقوله تعالي وانتم الاعلون جملة حالية مقررة
لمعني النهي موكدة لوجوب الانتهآء وكذا قوله تعالي والله معكم فان كونهم الاغلبين وكونه عز وعلا ناصرهم
من اقوي موجبات الاجتناب عما يوهم الذل والضراعة وكذا توفيقه تعالي لاجور الاعمال حسبما يعرب عنه
قوله تعالي ولن يتركم اعمالكم اي ولن يضيعها من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا من ولد واخ او حميم فافردته
منه من الوتر الذي هو الفرد عبر عن ترك الاثابة في مقابلة الاعمال بالوتر الذي هو اضاعة شي معتد به
من الانفس والاموال مع ان الاعمال غير موجبة للثواب علي قاعدة اهل السنة ابرازا لغاية اللطف بتصوير الثواب
الحق المستحق وتنزيل ترك الاثابة منزلة اضاعة الحقوق واتلافها وقد مر في قوله تعالي فاستجاب لهم ربهم
اني لا اضيع عمل عامل منكم انما الحيوة الدنيا لعب ولهو لا ثبات لها ولا اعتداد بها وان تومنوا وتتقوا يوتكم اجوركم
اي ثواب ايمانكم بحيث يحل ادانيها بمعاشكم وانما اقتصر علي نزر يسير منها وهو ربع العشر تودونها الي فقرائكم
ان يسئلكموها اي اموالكم فيحفكم اي يجهدكم بطلب الكل فان الاحفآء والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية
يقال احفي شاربه اي استاصله تبخلوا فلا تعطوا ويخرج اضغانكم اي احقادكم وضمير يخرج لله تعالي ويعضده
القراءة بنون العظمة او للبخل لانه سبب الاضغان وقري يخرج من الخروج باليآء والتآء مسندا الي الاضغان
ها انتم هولآء اي انتم ايها المخاطبون وهولآء الموصوفون وقوله تعالي تدعون لتنفقوا في سبيل الله استيناف
مقرر لذلك او صلة لهولآء لانه بمعني الذين اي ها انتم الذين تدعون ففيه توبيخ عظيم وتحقير من شانهم
والانفاق في سبيل الله يعم نفقة الغزو والزكوة وغيرها فمنكم من يبخل اي ناس يبخلون وهو في حيز
الدليل علي الشرطية السابقة ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه فان كلا من نفع الانفاق وضرر البخل عايد اليه
والبخل يستعمل بعن وعلي لتضمنه معني الامساك والتعدي والله الغني دون من عداه وانتم الفقرآء فيما يامركم
به فهو لاحتياجكم الي ما فيه من المنافع فان امتثلتم فلكم وان توليتم فعليكم وقوله تعالي وان تتولوا عطف
علي ان تومنوا اي وان تعرضوا عن الايمان والتقوي يستبدل قوما غيركم يخلق مكانكم قوما آخرين ثم لا يكونوا
امثالكم في التولي عن الايمان والتقوي بل يكونوا راغبين فيهما قيل هم الانصار وقيل الملائكة وقيل اهل
فارس لما روي انه صلي الله عليه وسلم سيل عن القوم وكان سلمان الي جنبه فضرب علي فخذه وقال هذا
وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس وقيل كندة والنخع
وقيل العجم وقيل الروم عن النبي صلي الله عليه وسلم من قرا سورة محمد كان حقا علي الله ان يسقيه من انهار الجنة

سورة الفتح وهي سبع وعشرون اية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتح البلد عبارة عن الظفر به عنوة او صلحا بحراب او بدونه فانه ما لم يظفر به
منغلق ماخوذ من فتح باب الدار واسناده الي نون العظمة لاسناد افعال العباد اليه تعالي خلقا وايجادا والمراد
به فتح مكة وهو المروي عن انس رضي الله عنه بشر به رسول الله صلي الله عليه وسلم عند انصرافه عن الحديبية
والتعبير عنه بصيغة الماضي علي سنن سائر الاخبار الربانية للايذان بتحققه لا محالة تاكيدا للتبشير كما ان

تصدير

تصديرا الكلام بحرف التحقيق لذلك وفيه من الفخامة المنبية عن عظم شان المخبر جل جلاله وعز سلطانه ما لا
يخفي وقيل هو ما اتيح للنبي صلي الله عليه وسلم في تلك السنة من فتح خيبر هو المروي عن مجاهد وقيل هو
صلح الحديبية فانه وان لم يكن فيه حرب شديد بل ترام بين الفريقين بسهام وحجارة ولكن لما كان الظهور
للمسلمين حيث سالوهم المشركون الصلح كان فتحا بلا ريب وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما رموا المشركين
حتي ادخلوهم ديارهم وعن الكلبي ظهروا عليهم حتي سالوهم الصلح وقد روي انه صلي الله عليه وسلم حين بلغه
ان رجلا قال ما هذا بفتح لقد صدونا عن البيت وصد هدينا قال بل هو اعظم الفتوح وقد رضي المشركون
ان يدفعوكم بالراح ويسألوكم القضية ويرغبوا اليكم في الامان وقد راوا منكم ما يكرهون وعن الشعبي
نزلت بالحديبية واصاب رسول الله صلي الله عليه وسلم في تلك الغزوة ما لم يصبه في غزوة حيث
ان بويع بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وبلغ الهدي محله واطعموا نخل خيبر
وظهرت الروم علي فارس ففرح المسلمون به وكان في فتح الحديبية اية عظيمة هو انه نزح ماوها
حتي انه لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلي الله عليه وسلم ثم مجه فيها فدرت بالمآء حتي شرب
جميع من كان معه وقيل فجاش المآء حتي امتلات ولم ينفد ماوها بعد وقيل هو جميع ما فتح له صلي الله
عليه وسلم من الفتوح وقيل ما فتح له صلي الله عليه وسلم من الاسلام والنبوة والدعوة والحجة والسيف
ولا فتح اعظم منه ولا ابين وهو راس الفتوح كافة اذ لا فتح من فتوح الاسلام الا وهو شعبة من شعبه
وفرع من فروعه وقيل الفتح بمعني القضآء ومنه الفتاحة للحكومة والمعني قضينا لك علي اهل مكة ان
تدخلها من قابل هو المروي عن قتادة رضي الله عنه وايا ما كان فحذف المفعول للقصد الي نفس الفعل والايذان
بان مناط التبشير نفس الفتح الصادر عنه سبحانه لا خصوصية المفتوح فتحا مبينا بينا ظاهر
الامر مكشوف الحال او فارقا بين الحق والباطل وقوله تعالي ليغفر لك الله غاية للفتح من حيث انه مترتب
علي سعيه صلي الله عليه وسلم في اعلاء كلمة الله تعالي بمكابدة مشاق الحروب واقتحام موارد الخطوب
والالتفات الي اسم الذات المستتبع لجميع الصفات للاشعار بان كل واحد مما انتظم في سلك
الغاية من افعاله تعالي صادر عنه تعالي من حيثية غير حيثية الآخر مترتبة علي صفة من صفاته
تعالي ما تقدم من ذنبك وما تاخر اي جميع ما فرط منك من ترك الاولي وتسميته ذنبا بالنظر الي منصبه
الجليل ويتم نعمته عليك باعلاء الدين وضم الملك الي النبوة وغيرهما مما افاضه عليه من النعم الدينية
والدنيوية ويهديك صراطا مستقيما في تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة واصل الاستقامة وان
كانت حاصلة قبل الفتح لكن حصل بعد ذلك من اتضاح سبيل الحق واستقامة مناهجه ما لم يكن حاصلا
قبل وينصرك الله اظهار الاسم الجليل لكونه خاتمة الغايات ولاظهار كمال العناية بشان النصر كما يعرب
عنه تاكيده بقوله تعالي نصرا عزيزا اي نصرا فيه عزة ومنعة او قويا منيعا علي وصف المصدر بوصف
صاحبه مجازا للمبالغة او عزيزا صاحبه هو الذي انزل السكينة بيان لما افاض عليهم من
مبادي الفتح من الثبات والطمانينة في قلوب المومنين بسبب الصلح والامن اظهارا لفضله تعالي
عليهم بتيسير الامن بعد الخوف ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم اي يقينا منضما الي يقينهم او انزل فيها
السكون الي ما جآء به صلي الله عليه وسلم من الشرايع ليزدادوا ايمانا بها مقرونا مع ايمانهم
بالوحدانية واليوم الآخر عن ابن عباس رضي الله عنهما ان اول ما اتاهم به النبي صلي الله عليه وسلم
التوحيد ثم الصلوة والزكوة ثم الحج والجهاد فازدادوا ايمانا مع ايمانهم وانزل فيها الوقار والعظمة
لله ولرسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك ايمانا مع ايمانهم ولله جنود السموات والارض يدبر امرها كيف ما
يريد يسلط بعضها علي بعض تارة ويوقع بينها السلم اخري حسبما تقتضيه مشيئته المبنية علي الحكم

والمصالح وكان الله عليما مبالغا في العلم بجميع الامور حكيما في تقديره وتدبيره وقوله تعالى ليدخل المومنين والمومنات
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها متعلق بما يدل عليه ما ذكر من كون جنود السموات والارض له تعالى من معنى
التصرف والتدبير اي دبر ما دبر من تسليط المومنين ليعرفوا نعمة الله في ذلك ويذكروها فيدخلهم الجنة
ويكفر عنهم سيئاتهم اي يغطيها ولا يظهرها وتقديم الادخال في الذكر على التكفير مع ان الترتيب في الوجود
على العكس للمسارعة الى بيان ما هو المطلب الاعلى وكان ذلك اي ما ذكر من الادخال والتكفير عند الله فوزا عظيما
لا يقادر قدره لانه منتهى ما تمتد اليه اعناق الهمم من جلب نفع ودفع ضر وعند الله حال من فوزا لانه صفة
في الاصل فلما قدم عليه صار حالا اي كائنا عند الله اي في علمه وقضائه والجملة اعتراض مقرر لما قبله ويعذب
المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات عطف على يدخل وتقديم المنافقين على المشركين مما لا يخفى من
الدلالة على انهم احق منهم بالعقاب الظانين بالله ظن السوء اي ظن الامر السوء وهو ان لا ينصر رسوله والمومنين
عليهم دائرة السوء اي ما يظنون ويتربصون بالمومنين فهو حائق بهم ودائر عليهم وقري دائرة السوء
بالضم وهما لغتان من ساء كالكره خلا ان المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما يراد منه من كل شيء واما المضموم
فجار مجرى الشر وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم عطف على ما استحقوه في الآخرة على ما استوجبوه في
الدنيا والواو في الاخيرين مع ان حقهما الفاء المفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها للايذان باستقلال
كل منهما في الوعيد واصالته من غير اعتبار استتباع بعضها لبعض وساءت مصيرا اي جهنم ولله جنود السموات
والارض وكان الله عزيزا حكيما اعادة لما سبق قالوا فائدتها تنبيه على ان لله تعالى جنود الرحمة وجنود العذاب
وان المراد هاهنا جنود العذاب كما ينبي عنه التعرض لوصف العزة انا ارسلناك شاهدا اي على امتك لقوله
تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا ومبشرا على الطاعة ونذيرا على المعصية لتومنوا بالله ورسوله الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم ولامته وتعزروه وتقووه بتقوية دينه ورسوله وتوقروه وتعظموه وتسبحوه
وتنزهوه او تصلوا له من السبحة بكرة واصيلا غدوة وعشيا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما صلوة الفجر
وصلوة الظهر وصلوة العصر وقري الافعال الاربعة بالياء التحتانية وقري وتعزروه بضم التاء
وتخفيف الزاي المكسورة وقري بفتح التاء وضم الزاء وكسرها وتعززوه بزاءين وتوقروه من اوقره ان
الذين يبايعونك اي على قتال قريش تحت الشجرة وقوله تعالى انما يبايعون الله خبر ان يعني مبايعتك هي
مبايعة الله تعالى لان المقصود توثيق العهد بمراعات نواهيه واوامره وقوله تعالى يد الله فوق ايديهم
حال او استيناف موكد له على طريقة التخييل والمعنى ان عقد الميثاق مع الرسول صلى الله عليه وسلم
كعقده مع الله عز وجل من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى ومن يطع الرسول فقد اطاع الله وقري انما يبايعون
الله اي لاجله ولوجهه فمن نكث فانما ينكث على نفسه اي فمن نقض عهده فانما يعود ضرر نكثه على نفسه
وقري بكسر الكاف ومن اوفى بما عاهد عليه الله بضم الهاء فانه ابقى بعد حذف الواو توسلا بذلك الى
تفخيم لام الجلالة وقري بكسرها اي ومن اوفى بعهده فسنوتيه بنون العظمة اجرا عظيما لا يقادر قدره
سيقول لك المخلفون من الاعراب هم اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع واسلم والديل تخلفوا عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادي ليخرجوا معه عند ارادته
المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت واحرم
صلى الله عليه وسلم وساق معه الهدي ليعلم انه لا يريد الحرب وتثاقلوا عن الخروج وقالوا نذهب الى قوم
قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه فنقاتلهم فاوحى الله تعالى اليه صلى الله عليه وسلم بانهم سيقولون
ويقولون شغلتنا اموالنا واهلونا ولم يكن لنا من يخلفنا فيهم ويقوم بمصالحهم ويحميهم من الضياع وقري
شغلتنا بالتشديد للتكثير فاستغفر لنا الله تعالى ليغفر لنا تخلفنا عنك حيث لم يكن ذلك باختيار عن

اضطرار

اضطرار يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم بدل من سيقول او استيناف لتكذيبهم في الاعتذار والاستغفار
قل ردا لهم عند اعتذارهم اليك باباطيلهم فمن يملك لكم من الله شيئا اي فمن يقدر لاجلكم من مشية الله تعالى
وقضائه على شيء من النفع ان اراد بكم ضرا اي ما يضركم من هلاك الاهل والمال وضياعهما حتى تخلفوا عن
الخروج لحفظهما ودفع الضر عنهما وقري ضرا بالرفع او اراد بكم نفعا اي ومن يقدر على شيء من الضر ان
اراد بكم ما ينفعكم بحفظ اموالكم واهاليكم فاي حاجة الى التخلف لاجل القيام بحفظهما وهذا تحقيق
للحق وردلهم بموجب ظاهر مقالتهم الكاذبة وتعميم الضر والنفع لما يتوقع على تقدير الخروج
من القتل والهزيمة والظفر والغنيمة يرده قوله تعالى بل كان الله بما تعملون خبيرا فانه اضراب عما قالوا و
بيان لتكذيبهم بعد بيان فساده على تقدير صدقه اي ليس الامر كما تقولون بل كان الله خبيرا بجميع ما
تعملون من الاعمال التي من جملتها تخلفكم وما هو مبادي وقوله تعالى بل ظننتم الى آخره بدل من كان
الله الى آخره مفسر لما فيه من الابهام اي بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمومنون الى اهليهم ابدا بان يستاصلهم
المشركون بالمرة فخشيتم ان كنتم معهم ان يصيبكم ما اصابهم فلاجل ذلك تخلفتم لا لما ذكرتم من المعاذير
الباطلة والاهلون جمع اهل وقد يجمع على اهلات كارضات على تقدير تاء التانيث واما الاهالي فاسم
جمع كالليالي وقري الى اهلهم وزين ذلك في قلوبكم وقبلتموه واشتغلتم بشان انفسكم غير مبالين بهم وقري
زين على البناء للفاعل باسناده الى الله سبحانه او الى الشيطان وظننتم ظن السوء المراد به اما الظن
الاول والتكرير لتشديد التوبيخ والتسجيل عليه بالسوء او ما يعمه وغيره من الظنون الفاسدة التي من جملتها
الظن بعدم صحة رسالته صلى الله عليه وسلم فان الجازم بصحتها لا يحوم حول فكره ما ذكر من الاستيصال
وكنتم قوما بورا اي هالكين عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه على انه جمع بائر كعائد وعود او فاسدين
في انفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم وقيل البور من بار كالهلك من هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به
الواحد والجمع والمذكر والمونث ومن لم يومن بالله ورسوله كلام مبتدا من جهته تعالى غير داخل في
الكلام الملقن مقرر لبوارهم ومبين لكيفيته اي ومن لم يومن بهما كدأب هولاء المخلفين فانا اعتدنا
للكافرين سعيرا اي لهم وانما وضع موضع الضمير الكافرين ايذانا بان من لم يجمع الايمان بالله وبرسوله فهو
كافر وانه مستوجب للسعير بكفره وتنكير سعيرا للتهويل او لانها نار مخصوصة ولله ملك السموات والارض
وما فيهما يتصرف في الكل كيف يشاء يغفر لمن يشاء ان يغفر له ويعذب من يشاء ان يعذبه من غير دخل لاحد في
شيء منهما وجودا وعدما وفيه حسم لاطماعهم الفارغة في استغفاره صلى الله عليه وسلم لهم وكان الله
غفورا رحيما مبالغا في المغفرة والرحمة لمن يشاء ولا يشاء الا لمن تقتضي الحكمة مغفرته ممن يومن بالله ورسوله
واما من عداه من الكافرين فهو بمعزل من ذلك قطعا سيقول المخلفون اي المذكورون وقوله تعالى اذا
انطلقتم الى مغانم لتاخذوها ظرف لما قبله لا شرط لما بعده اي سيقولون عند انطلاقكم الى مغانم خيبر لتحوزوها
حسبما وعدكم اياها وخصكم بها عوضا مما فاتكم من غنائم مكة ذرونا نتبعكم الى خيبر ونشهد معكم قتال اهلها
يريدون ان يبدلوا كلام الله بان يشاركوا في الغنائم التي خصها باهل الحديبية فانه صلى الله عليه وسلم رجع
من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست واقام بالمدينة بقيتها واوائل المحرم من سنة سبع ثم غزا خيبر
بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة فخصها بهم حسبما امره الله عز وجل وقري كلم الله وهو جمع
كلمة وايا ما كان فالمراد ما ذكر من وعده تعالى غنائم خيبر لاهل الحديبية خاصة لا قوله تعالى لن
تخرجوا معي ابدا فان ذلك في غزوة تبوك قل اقناطا لهم لن تتبعونا فانه نفي في معنى النهي للمبالغة
كذلكم قال الله من قبل اي عند الانصراف من الحديبية فسيقولون للمومنين عند سماع هذا النهي بل تحسدوننا
اي ليس ذلك النهي حكم الله بل تحسدوننا ان نشارككم في الغنائم وقري تحسدوننا بكسر السين وقوله تعالى

بل كانوا لا يفقهون اي لا يفقهون الا قليلا الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا والقول الباطل ووصف
لهم بما هو اعظم من الحسد واعظم من الجهل المفرط وسوء الفهم في امور الدين قل للمخلفين من الاعراب كرر
ذكرهم بهذا العنوان مبالغة في ذمهم ستدعون الى قوم اولي بأس شديد هم بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب اوغيرهم
ممن ارتد وابعد رسول الله صلى الله عليه وسلم او المشركون لقوله تعالى تقاتلونهم او يسلمون اي يكون احد الامرين
اما المقاتلة ابدا او الاسلام لا غير كما يفصح عنه قراءة او يسلموا واما من عداهم فينتهي قتالهم بالجزية كما ينتهي
بالاسلام وفيه دليل على امامة ابي بكر رضي الله تعالى عنه اذ لم تتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح انهم ثقيف
وهوازن فان ذلك كان في عهد النبوة فيخص دوام نفي الاتباع بما في غزوة خيبر كما قال محيي السنة وقيل هم
فارس والروم ومعنى تسلمون تنقادون فان الروم نصارى وفارس مجوس تقبل منهم الجزية فان تطيعوا
يؤتكم الله اجرا حسنا هو الغنيمة في الدنيا والجنة في الآخرة وان تتولوا عن الدعوة كما توليتم من قبل في الحديبية
يعذبكم عذابا اليما لتضاعف جرمكم ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج اي عن التخلف في الغزو
لما بهم من العذر والعاهة فان التكليف يدور على الاستطاعة وفي نفي الحرج عن كل من الطوائف المعذورة مزيد
اعتناء بامرهم وتوسيع الدائرة المرخصة ومن يطع الله ورسوله فيما ذكر من الاوامر والنواهي يدخله جنات تجري من
تحتها الانهار وقرئ ندخله بنون العظمة ومن يتول اي عن الطاعة يعذبه وقرئ بالنون عذابا اليما لا
يقادر قدره لقد رضي الله عن المؤمنين هم الذين ذكر شأن مبايعتهم وبهذه البيعة سميت بيعة الرضوان وقوله
تعالى اذ يبايعونك تحت الشجرة منصوب برضي وصيغة المضارع لاستحضار صورتها وتحت الشجرة متعلق به او
بمحذوف هو حال من مفعوله روي انه صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبية بعث جواس بن امية الخزاعي
رسولا الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان رضي الله عنه فاخبرهم انه صلى
الله عليه وسلم لم يأت لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا ان شئت ان تطوف
بالبيت فافعل فقال ما كنت لاطوف قبل ان يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبس عندهم فارجف
بانهم قتلوه فقال صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فبايعوه تحت الشجرة
وكانت سمرة وقيل سدرة على ان يقاتلوا قريشا ولا يفروا وروي على الموت دونه وان لا يفروا فقال لهم
النبي صلى الله عليه وسلم انتم اليوم خير اهل الارض وكانوا الفا وخمسمائة وخمسة وعشرين وقيل الفا
واربعمائة وقيل الفا وثلثمائة وقوله تعالى فعلم ما في قلوبهم عطف على يبايعونك لما عرفت من انه بمعنى بايعوك
لا على رضي فان رضاه تعالى عنهم مترتب على علمه تعالى بما في قلوبهم وقيل من الصدق والاخلاص عند مبايعتهم
له صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى فانزل السكينة عليهم عطف على رضي اي فانزل عليهم الطمانينة والامن
وسكون النفس بالربط على قلوبهم وقيل بالصلح واثابهم فتحا قريبا فتح خيبر عقيب انصرافهم وقيل مكة اوهجر ومغانم
كثيرة تأخذونها اي مغانم خيبر والالتفات الى الخطاب لتشريفهم في مقام الامتنان وكان الله عزيزا غالبا
حكيما مراعيا لمقتضى الحكمة في احكامه وعدكم الله مغانم كثيرة هي ما يفيء على المؤمنين الى يوم القيمة تأخذونها
في اوقاتها المقدرة لكل واحدة منها فعجل لكم هذه اي غنائم خيبر وكف ايدي الناس عنكم اي ايدي اهل خيبر
وحلفائهم من بني اسد وغطفان حيث جاؤا لنصرتهم فقذف الله في قلوبهم الرعب فنكصوا وقيل ايدي اهل
مكة بالصلح ولتكون اية للمؤمنين امارة يعرفون بها صدق الرسول في وعده اياهم عند رجوعهم من الحديبية
ما ذكر من المغانم والفتح ودخول المسجد الحرام واللام متعلقة اما بمحذوف مؤخر اي وليكون اية لهم فعل
ما فعل من التعجيل والكف اوبما تعلق به علة اخرى محذوفة من احد الفعلين اي فعجل لكم هذه وكف ايدي
الناس لتغتنموها ولتكون الى آخره قالوا وعلى الاول اعتراضية وعلى الثاني عاطفة ويهديكم بتلك الاية
صراطا مستقيما هو الثقة بفضل الله والتوكل عليه في كل ما تأتون وما تذرون واخرى عطف على هذه

اي فعجل لكم هذه المغانم ومغانم اخرى لم تقدروا عليها وهي غنائم هوازن في غزوة حنين ووصفها بعدم
القدرة عليها لما كان فيها من الجولة قبل ذلك لزيادة ترغيبهم فيها وقوله تعالى قد احاط الله بها صفة اخرى
لاخرى مفيدة لسهولة تأتيها بالنسبة الى قدرته تعالى بعد بيان صعوبة منالها بالنظر الى قدرتهم اي قد قدر الله
عليها واستولى واظهركم عليها وقيل حفظها لكم ومنعها من غيركم هذا وقد قيل ان اخرى منصوب بمضمر مفسر
بقد احاط الله بها اي وقضى الله اخرى ولا ريب في ان الاخبار بقضاء الله اياها بعد اندراجها في جملة المغانم
الموعودة بقوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها ليس فيه مزيد فائدة وانما الفائدة في تبيين تعجيلها وكان
الله على كل شيء قديرا لان قدرته تعالى ذاتية لا تختص بشيء دون شيء ولو قاتلكم الذين كفروا اي اهل مكة ولم يصالحوا
وقيل حلفاء اهل خيبر لولوا الادبار منهزمين ثم لا يجدون وليا يحرسهم ولا نصيرا ينصرهم سنة الله التي قد خلت
اي سن الله سنة انبيائه عليه قديمة فيما مضى من الامم ولن تجد لسنة الله تبديلا اي تغييرا وهو الذي كف ايديهم
اي ايدي كفار مكة عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة اي في داخلها من بعد ان اظفركم عليهم وذلك ان عكرمة بن
ابي جهل خرج في خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى ادخلهم
حيطان مكة ثم عاد وقيل كان يوم الفتح وبه استشهد ابو حنيفة رضي الله عنه على ان مكة فتحت عنوة لا صلحا
وكان الله بما تعملون من مقاتلتهم وهزمهم اولا والكف عنهم ثانيا لتعظيم بيته الحرام وقرئ بالياء بصيرا فيجازيكم
بذلك او يجازيهم هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي بالنصب عطفا على الضمير المنصوب في صدوكم
وقرئ بالجر عطفا على المسجد الحرام بحذف المضاف اليه اي ونحر الهدي وبالرفع على وصد الهدي وقوله تعالى معكوفا
حال من الهدي اي محبوسا وقوله تعالى ان يبلغ محله بدل اشتمال من الهدي او منصوب بنزع الخافض اي محبوسا
من ان يبلغ مكانه الذي يحل فيه نحره وبه استدل ابو حنيفة رضي الله عنه على ان المحصر محل هديه الحرم قالوا بعض
الحديبية من الحرم وروي ان خيامه صلى الله عليه وسلم كانت في الحل ومصلاه في الحرم وهناك نحرت هداياه
صلى الله عليه وسلم والمراد صدها عن محلها المعهود الذي هو منى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم
لم تعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم وهو صفة لرجال ونساء وقوله تعالى ان تطؤهم اي توقعوا بهم وتهلكوهم
بدل اشتمال منهم او من الضمير المنصوب في تعلموهم فتصيبكم منهم اي من جهتهم معرة اي مشقة ومكروه
كوجوب الدية او الكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار وسوء قالتهم والاثم في التقصير بالبحث عنهم
وهي مفعلة من عره اذا عراه ودهاه ما يكرهه بغير علم متعلق بان تطؤهم اي غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف
لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا اناسا مؤمنين بين الكافرين غير عالمين بهم فيصيبكم بذلك
مكروه لما كف ايديكم عنهم وقوله تعالى ليدخل الله في رحمته متعلق بما يدل عليه الجواب المحذوف كأنه قيل عقيبه
لكن كفها عنكم ليدخل بذلك الكف المؤدي الى الفتح بلا محذور في رحمته الواسعة بقسميها من يشاء وهم المؤمنون
فانهم كانوا خارجين من الرحمة الدنيوية التي من جملتها الامن مستضعفين تحت ايدي الكفرة واما الرحمة الاخروية
فهم وان كانوا محرومين منها بالمرة لكن كانوا قاصرين في اقامة مراسم العبادة كما ينبغي فتوفيقهم لاقامتها على
الوجه الاتم ادخال لهم في الرحمة الاخروية وقد جوز ان يكون من يشاء عبارة عمن رغب في الاسلام من المشركين
ويأباه قوله تعالى لو تزيلوا الى آخره فان فرض التزيل وترتيب التعذيب عليهما اقتضى تحقق المباينة بين الفريقين
بالايمان والكفر قبل التزيل حتما اي لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرئ لو تزايلوا لعذبنا الذين كفروا منهم
عذابا اليما بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها اذ جعل الذين كفروا منصوب باذكر على
المفعولية او تعذبنا على الظرفية وقيل بمضمر هو احسن الله اليكم وايا ما كان فوضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم
بما في حيز الصلة وتعليل الحكم به والجعل اما بمعنى الالقا وقوله تعالى في قلوبهم الحمية اي الانفة والتكبر متعلق به
او بمعنى التصيير فهو متعلق بمحذوف وهو مفعول ثان له اي جعلوها ثابتة راسخة في قلوبهم حمية الجاهلية

لحوكم
من قبل
دكم
كين

بدل من الحمية اي حمية الجاهلية او الحمية الناشئة من الجاهلية وقوله تعالى فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين
على ان الاول عطف على جعل والمراد تذكير حسن صنيع الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بتوفيق الله تعالى وسوء
صنيع الكفرة وعلى الثاني ما يدل عليه الجملة الامتناعية كانه قيل لو لم تتزيلوا فلم يعذب فانزل الله الى آخره
وعلى الثالث على المضمر تفسير له والسكينة الثبات والوقار يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبية
بعث قريش سهيل بن عمرو القرشي وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الاحنف على ان يعرضوا على النبي
صلى الله عليه وسلم ان يرجع من عامه ذلك على ان يخلي له قريش مكة من العام القابل ثلاثة ايام ففعل ذلك
وكتبوا بينهم كتابا وقال لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم
ثم قال اكتب هذا ما صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك
عن البيت ولا قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال اكتب ما يريدون فهم المؤمنون
ان يابوا ذلك ويبطشوا بهم فانزل الله السكينة عليهم فتوقروا وحلموا والزمهم كلمة التقوى اي كلمة الشهادة
او بسم الله الرحمن الرحيم او محمد رسول الله وقيل كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد والثبات عليه واضافتها الى
التقوى لانها سبب التقوى واساسها او كلمة اهلها وكانوا احق بها متصفين بمزيد استحقاقها على ان
صيغة التفضيل للزيادة مطلقا وقيل احق بها من الكفار واهلها اي المستاهل لها وكان الله بكل شيء عليما
فيعلم حق كل شيء فيسوقه الى مستحقه لقد صدق الله رسوله الرؤيا راى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل
خروجه الى الحديبية كانه واصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا رؤوسهم وقصروا فقص الرؤيا على
اصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا انهم داخلوها في عامهم فلما تاخر ذلك قال عبد الله بن ابي وعبد
الله بن قفيل ورفاعة بن الحرث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا راينا المسجد الحرام فنزلت اي صدق صلى
الله عليه وسلم في رؤياه كما في قولهم صدقني سن بكره وتحققه اراءة الرؤيا الصادقة وقوله تعالى
بالحق اما صفة لمصدر مؤكد محذوف اي صدقا ملتبسا بالحق اي بالغرض الصحيح والحكمة البالغة
التي هي التمييز بين الراسخ في الايمان والمتزلزل فيه او حال من الرؤيا اي ملتبسة به ليست من قبيل اضغاث الاحلام
وقد جوز ان يكون قسما بالحق الذي هو من اسماء الله تعالى ونقيض الباطل وقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام
جوابه وهو على الاولين جواب قسم محذوف اي والله لتدخلن الى آخره وقوله تعالى ان شاء الله تعليق للعدة
بالمشيئة لتعليم العباد او للاشعار بان بعضهم لا يدخلون لموت او غيبة او غير ذلك وهي حكاية لما قاله ملك
الرؤيا او الرسول الله صلى الله عليه وسلم او لما قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه آمنين حال من لتدخلن والشرط
معترض وكذا قوله تعالى محلقين رؤوسكم ومقصرين اي محلقا بعضكم ومقصرا آخرون وقيل محلقين حال من ضمير
آمنين فتكون متداخلة لا تخافون حال مؤكدة من فاعل لتدخلن او آمنين او محلقين او مقصرين او
استيناف اي لا تخافون بعد ذلك فعلم ما لم تعلموا عطف على صدق والمراد بعلمه تعالى العلم الفعلي المتعلق
بامر حادث بعد المعطوف عليه اي فعلم عقيب ما اراه الرؤيا الصالحة ما لم تعلموا من الحكمة الداعية الى
تقديم ما يشهد بالصدق علما فعليا فجعل لاجله من دون ذلك اي من دون تحقق مصداق ما اراه من
دخول المسجد الحرام آمنين الى آخره فتحا قريبا وهو فتح خيبر والمراد بجعله وعده وانجازه تسويف يستدل
به على صدق الرؤيا حسبما قال ولتكون آية للمؤمنين واما من جعله ما في قوله تعالى ما لم تعلموا عبارة
عن الحكمة في تاخير فتح مكة الى العام القابل كما جنح اليه الجمهور فقد ابعد انفا فان علمه تعالى بذلك متقدم
على اراءة الرؤيا قطعا هو الذي ارسل رسوله بالهدى اي ملتبسا به او بسببه او لاجله ودين الحق وبدين
الاسلام ليظهره على الدين كله ليعليه على جنس الدين بجميع افراده التي هي الاديان المختلفة بنسخ ما كان حقا من بعض
الاحكام المتبدلة بتبدل الاعصار واظهار بطلان ما كان باطلا او بتسليط المسلمين على اهل سائر الاديان

اذ ما من

اذ ما من اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه فضل تاكيد لما وعد من الفتح وتوطين نفوس المؤمنين على انه تعالى
سيفتح لهم من البلاد ويتيح لهم من الغلبة على الاقاليم ما يستقلون اليه فتح مكة وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده
كائن لا محالة او على نبوته صلى الله عليه وسلم باظهار المعجزات محمد خبر مبتدا محذوف وقوله تعالى رسول
الله بدل او بيان او نعت اي ذلك الرسول المرسل بالهدى ودين الحق محمد رسول الله وقيل محمد مبتدا ورسول
الله خبره والجملة مبينة للمشهود به وقوله تعالى والذين معه مبتدا خبره اشداء على الكفار رحماء بينهم واشداء
جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى انهم يظهرون لمن خالف دينهم الشدة والصلابة ولمن وافقهم في الدين
الرحمة والرافة كقوله تعالى اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين وقرئ اشداء ورحماء بالنصب على المدح او على الحال
المستكن في معه لوقوعه صلة فالخبر حينئذ قوله تعالى تريهم ركعا سجدا اي تشاهدهم حال كونهم راكعين ساجدين
لمواظبتهم على الصلوات وهو على الاول خبر اخر او استيناف وقوله تعالى يبتغون فضلا من الله ورضوانا اي ثوابا ورضا
اما خبر آخر او حال من ضمير تريهم او من المستتر في ركعا سجدا او استيناف مبني على سؤال نشا من بيان مواظبتهم
على الركوع والسجود كانه قيل ماذا يريدون بذلك فقيل يبتغون فضلا من الله الى آخره سيماهم اي سمتهم وقرئ
سيمياهم بالياء بعد الميم والمد وهما لغتان وفيها لغة ثالثة هي السيماء بالمد وهو مبتدا خبره في وجوههم
اي في جباههم وقوله تعالى من اثر السجود حال من المستكن في الجار اي من التاثير الذي يؤثره كثرة
السجود وما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تقلبوا صوركم لا تسموها انما هو فيما اذا اعتمد الجبهة على الارض
ليحدث فيها تلك السمة وذلك محض رياء ونفاق والكلام فيما اذا حدث في جبهة السجاد الذي لا يسجد الا خالصا
لوجه الله عز وجل وكان الامام زين العابدين وعلي بن عبد الله بن العباس رضي الله تعالى عنهما يقال لهما ذوا
الثفنات لما احدثت كثرة سجودهما في مواقعه منهما اشباه ثفنات البعير قال قائلهم ديار علي والحسين
وجعفر وحمزة والسجاد ذي الثفنات وقيل صفرة الوجه من خشية الله تعالى وقد ندي الطهور
وتراب الارض وقيل استنارت وجوههم من طول ما صلوا بالليل قال صلى الله عليه وسلم من صلى بالليل
حسن وجهه بالنهار وقيل من اثار السجود بكسر الهمزة ذلك اشارة الى ما ذكر من نعوتهم الجليلة وما فيه من
معنى البعد مع قرب العهد للمشار اليه للايذان بعلو شانه وبعد منزلته في الفضل وهو مبتدا خبره قوله
تعالى مثلهم اي وصفهم العجيب الشان الجاري في الغرابة مجرى الامثال وقوله تعالى في التورية حال من
مثلهم والعامل معنى الاشارة وقوله تعالى ومثلهم في الانجيل عطف على مثلهم الاول كانه قيل ذلك
مثلهم في التورية والانجيل وتكرير مثلهم لتاكيد غرابته وزيادة تقريرها كزرع اخرج شطاه الى آخره
تمثيل مستانف اي كزرع اخرج فراخه وقيل هو تفسير لذلك على انه اشارة مبهمة وقيل خبر لقوله تعالى
ومثلهم في الانجيل على ان الكلام قد تم عند قوله تعالى مثلهم في التورية وقرئ شطاه بفتح الطاء
وتخفيف الهمزة وشطاه بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها الى ما قبلها وشطوه بقلبها واوا
فآزره فقواه من الموازرة بمعنى المعاونة او من الايزار وهي الاعانة وقرئ فازره بالتخفيف وازره بالتشديد
اي شد ازره وقواه فاستغلظ فصار غليظا بعدما كان دقيقا فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه
جمع ساق وقرئ سؤقه بالهمزة يعجب الزراع بقوته وكثافته وغلظه وحسن منظره وهو مثل
ضربه الله عز وجل لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قلوا في بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى
امرهم يوما فيوما بحيث اعجب الناس وقيل مكتوب في الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يامرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما فان الكفار
اذا سمعوا بما اعد الله تعالى للمؤمنين في الآخرة مع ما لهم في الدنيا من العزة غاظهم ذلك اشد غيظ ومنهم
للبيان عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفتح فكانما كان ممن شهد مع محمد صلى الله عليه وسلم فتح مكة

سورة الحجرات وهي ثمان عشرة اية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا تصدير الخطاب بالندآء لتنبيه المخاطبين على ان ما في حيزه امر خطير يستدعي
مزيد اعتنائهم بشانه وفرط اهتمامهم بتلقيه ومراعاته ووصفهم بالايمان لتنشيطهم والايذان بانه داع
الى المحافظة عليه ووازع من الاخلال لا تقدموا اي لا تفعلوا التقديم على ان ترك المفعول للقصد الى نفس الفعل
من غير اعتبار تعلقه بامر من الامور على طريقة قولهم فلان يعطي ويمنع او لا تفعل الاعطاء والمنع او لا تقدموا امرا
من الامور على ان حذف المفعول للقصد الى تعميمه والاول اوفي بحق المقام لافادته النهي عن التلبس بنفس
الفعل الموجب لانتفائه بالكلية المستلزمة لانتفاء تعلقه بمفعوله بالطريق البرهاني وقد جوز ان يكون التقديم
بمعنى التقدم وقرئ لا تقدموا من القدوم ومنه مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة ويعضده قراءة من
قرأ لا تقدموا بحذف احدي التائين من تتقدموا وقرئ لا تقدموا من القدوم وقوله تعالى بين يدي الله ورسوله
مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدي الانسان تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان يحكما به وقيل
المراد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الله تعالى لتعظيمه والايذان بجلالة محله عنده عز وجل قيل
نزل فيما جرى بين ابي بكر وعمر رضي الله عنهما لدى النبي صلى الله عليه وسلم في تأمير الاقرع بن حابس والقعقاع
ابن معبد واتقوا الله في كل ما تأتون وما تذرون من الاقوال والافعال التي من جملتها ما نحن فيه ان الله سميع
لاقوالكم عليم بافعالكم فمن حقه ان يتقى ويراقب يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي شروع
في النهي عن التجاوز في كيفية القول عند النبي صلى الله عليه وسلم بعد النهي في نفس القول والفعل واعادة الندا
مع قرب العهد للمبالغة في الايقاظ والتنبيه والاشعار باستقلال كل من الكلامين باستدعاء الاعتناء بشانه
اي لا تبلغوا باصواتكم ورآء حد يبلغه صلى الله عليه وسلم بصوته وقرئ لا ترفعوا باصواتكم على ان الباء زائدة
ولا تجهروا له بالقول اذا كلمتموه كجهر بعضكم لبعض اي جهرا كائنا كالجهر الجاري فيما بينكم بل اجعلوا صوتكم
اخفض من صوته صلى الله عليه وسلم وتعهدوا في مخاطبته اللين القريب من الهمس كما هو الدأب عند مخاطبة
المهاب المعظم وحافظوا على مراعاة ابهة النبوة وجلالة مقدارها وقيل معنى لا تجهروا له بالقول كجهر
بعضكم لبعض لا تقولوا له يا محمد يا احمد وخاطبوه بالنبوة قال ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت هذه الاية
قال ابو بكر يا رسول الله لا اكلمك الا السرار او اخا السرار حتى القى الله وعن عمر رضي الله عنه انه كان يكلمه صلى الله
عليه وسلم كاخي السرار لا يسمعه حتى يستفهمه وكان ابو بكر اذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفود
ارسل اليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويأمرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى
ان تحبط اعمالكم اما علة للنهي اي لا تجهروا خشية ان تحبط او كراهة ان تحبط كما في قوله تعالى يبين الله لكم ان
تضلوا او للنهي اي لا تجهروا لاجل الحبوط فان الجهر حيث كان بصدد الادآء الى الحبوط فكأنه فعل لاجله على
طريقة التمثيل كقوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا وليس المراد بما نهي عنه من الرفع والجهر ما يقارنه الاستخفاف
والاستهانة فان ذلك كفر بل ما يتوهم ان يؤدي اليه مما يجري بينهم في اثناء المحاورة من الرفع والجهر حسبما
يعرب عنه قوله تعالى كجهر بعضكم لبعض خلا ان رفع الصوت فوق صوته صلى الله عليه وسلم لما كان منكرا
محضا لم يقيد بشيء ولا ما يقع منهما في حرب او مجادلة معاند او ارهاب عدو ونحو ذلك وعن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وكان في اذنه وقر وكان جهوري الصوت وربما كان يكلم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيتأذى بصوته وعن انس انه لما نزلت هذه الاية فقد ثابت وتفقده صلى الله
عليه وسلم فاخبر بشانه فدعاه فسأله فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الاية واني رجل جهير
الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال له صلى الله عليه وسلم لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير

وانك من

وانك من اهل الجنة واما ما يروى عن الحسن من انها نزلت في بعض المنافقين الذين كانوا يرفعون اصواتهم فوق صوته
صلى الله عليه وسلم فقد قيل محمله ان نهيهم مندرج تحت نهي المؤمنين بدلالة النص وانتم لا تشعرون حال من فاعل تحبط
اي والحال انكم لا تشعرون بحبوطها وفيه مزيد تحذير مما نهوا عنه قوله تعالى ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله
الخ ترغيب في الانتهاء عما نهوا عنه بعد الترهيب عن الاخلال اي يخفضونها مراعاة للادب او خشية من مخالفة النهي
اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه
لما مر مرارا من تفخيم شانه وهو مبتدأ خبره الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى اي جربها للتقوى ومرنها عليها او عرفها
كائنة للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب المعرفة واللام صفة لمحذوف او للفعل باعتبار الاصل او ضرب قلوبهم
بضروب المحن والتكاليف الشاقة لاجل التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها او اخلصها للتقوى من امتحن
الذهب اذا اذابه وميز ابريزه من خبثه وعن عمر رضي الله عنه اذهب عنها الشهوات لهم في الآخرة مغفرة عظيمة
لذنوبهم واجر عظيم لا يقادر قدره والجملة اما خبر آخر لان كالجملة المصدرة باسم الاشارة او استيناف
لبيان جزائهم احمادا لحالهم وتعريضا بسوء حال من ليس مثلهم ان الذين ينادونك من ورآء الحجرات اي من خارجها
من خلفها وقدامها ومن ابتدائية دالة على ان المناداة نشأت من جهة الورآء وان المنادي داخل الحجرة لوجوب
اختلاف المبتدأ والمنتهى بالجهة بخلاف ما لو قيل ينادونك ورآء الحجرات وقرئ الحجرات بفتح الجيم وبسكونها جمع
حجرة وهي القطعة من الارض المحجورة بالحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة وهي فعلة من الحجر بمعنى مفعول كالغرفة
والقبضة والمراد بها حجرات امهات المؤمنين ومناداتهم له من ورآئها اما لانهم اتوها حجرة حجرة فنادوه صلى
الله عليه وسلم من ورآئها او بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له صلى الله عليه وسلم فناداه بعض من ورآء
هذه وبعض من ورآء تلك فاسند فعل الابعاض الى الكل وقد جوز ان يكونوا نادوه من ورآء الحجرة التي كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل فيها ولكنها جمعت اجلالا له صلى الله عليه وسلم وقيل ان الذي ناداه عيينة
ابن حصن الفزاري والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا من بني تميم وقت
الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج الينا وانما اسند النداء الى الكل لانهم رضوا بذلك او امروا به او لانه
وجد فيما بينهم اكثرهم لا يعقلون اذ لو كان لهم عقل لما تجاسروا على هذه المرتبة من سوء الادب ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم
اي ولو تحقق صبرهم وانتظارهم حتى تخرج اليهم فان ان وان دلت بما في حيزها على المصدر لكنها تفيد بنفسها
التحقق والثبوت للفرق المبين بين قولك بلغني قيامك وبلغني انك قائم وحتى تفيد ان الصبر ينبغي ان يكون
مغيا بخروجه صلى الله عليه وسلم فانها مختصة بما هو غاية للشيء في نفسه ولذلك تقول اكلت السمكة حتى راسها ولا
تقول حتى نصفها او ثلثها بخلاف الى فانها عامة وفي اليهم اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم ينبغي ان يصبروا حتى
يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم لكان الصبر المذكور خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من رعاية حسن الادب
وتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم الموجبين للثناء والثواب والاسعاف بالسؤل اذ روي انهم وفدوا شافعين
في اسارى بني العنبر فاطلق النصف وفادى النصف والله غفور رحيم بليغ المغفرة والرحمة واسعهما فلن يضيق
ساحتهما عن هؤلاء ان تابوا واصلحوا يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا اي فتعرفوا وتفحصوا روي
انه صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عقبة اخا عثمان لامه مصدقا الى بني المصطلق وكان بينه وبينهم
احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسب انهم مقاتلوه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا و
منعوا الزكوة فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتالهم فنزلت وقد بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم
منادين بالصلوة متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وفي ترتيب الامر بالتبيين على فسق المخبر اشارة
الى قبول خبر الواحد العدل في بعض المواد وقرئ فتثبتوا اي توقفوا الى ان يتبين لكم الحال ان تصيبوا حذار
ان تصيبوا قوما بجهالة ملتبسين بجهالة بحالهم فتصبحوا بعد ظهور براءتهم عما اسند اليهم على ما فعلتم

في حقهم نادمين مغتمين غما لازما متمنين انه لم يقع فان تركيب هذه الاحرف الثلاثة يدور مع الدوام واعلموا
ان فيكم رسول الله ان بما في حيزها ساد مسد مفعولي اعلموا باعتبار ما بعده من قوله تعالى لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم
فانه حال من احد الضميرين في فيكم والمعنى ان فيكم رسول الله كائنا على حالة يجب عليكم تغييرها او كائنين على حالة
الى آخره وهي انكم تريدون ان يتبع صلى الله عليه وسلم رايكم في كثير من الحوادث ولو فعل ذلك لوقعتم في الجهل
والهلاك وفيه ايذان بان بعضهم زينوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الايقاع ببني المصطلق تصديقا لقول
الوليد وانه صلى الله عليه وسلم لم يطع رايهم واما صيغة المضارع فقد قيل انها للدلالة على ان امتناع عنتهم
لامتناع استمرار طاعته صلى الله عليه وسلم لهم لان عنتهم انما يلزم من استمرار الطاعة فيما يعن لهم من الامور
اذ فيه اختلال امر الايالة وانقلاب الرئيس مرؤوسا لا من اطاعته في بعض ما يرونه نادرا بل فيها استمالتهم
بلا معرة وقيل انها للدلالة على ان امتناع عنتهم لاستمرار عدم طاعته صلى الله عليه وسلم لهم في ذلك فان المضارع
المنفي قد يدل على استمرار النفي بحسب المقام كما في نظائر قوله تعالى ولا هم يحزنون والتحقيق ان الاستمرار الذي
يفيده صيغة المضارع يعتبر تارة بالنسبة الى ما يتعلق بالفعل من الامور الزمانية المتجددة وذلك بان يعتبر
الاستمرار في نفس الفعل على الابهام ثم يعتبر تعلق ما يتعلق به بيانا لما فيه الاستمرار واخرى بالنسبة الى ما يتعلق
به من نفس الزمان المتجدد وذلك اذا اعتبر تعلقه بما يتعلق به اولا ثم اعتبر استمراره فيتعين ان يكون
ذلك بحسب الزمان فان اريد باستمرار الطاعة استمرارها وتجددها حسب تجدد مواقعها الكثيرة التي يفصح
عنها قوله تعالى في كثير من الامر فالحق هو الاول ضرورة ان مدار امتناع العنت هو امتناع ذلك الاستمرار سواء
كان ذلك الامتناع بعدم وقوع الطاعة في امر ما من تلك الامور الكثيرة اصلا او بعدم وقوعها في كلها مع وقوعها في بعض
يسير منها حتى لو لم يمتنع ذلك الاستمرار باحد الوجهين المذكورين بل وقعت الطاعة الواقعة في الكل وتجدد
بحسب تجدد الزمان واستمراره فالحق هو الثاني فان مناط امتناع العنت حينئذ ليس امتناع استمرار الطاعة
المذكورة ضرورة انه موجب لوقوع العنت بل هو الاستمرار الزماني لامتناع تلك الطاعة الواقعة في تلك الامور
الكثيرة باحد الوجهين المذكورين حتى لو لم يستمر امتناعها بل وقعت تلك الطاعة في وقت من الاوقات وقع العنت
حتما واعلم ان الاحق بالاختيار والاولى بالاعتبار هو الوجه الاول لانه اوفق للقياس المقتضي لاعتبار الامتناع
واردا على الاستمرار حسب ورود كلمة لو المفيدة للاول على صيغة المضارع المفيدة للثاني على ان الاستمرار وارد
على النفي على خلاف القياس بمعونة المقام انما يصار اليه اذا تعذر الجريان على موجب القياس او لم يكن فيه مزيد مزية
كما في مثل قوله تعالى ولا هم يحزنون حيث حمل على استمرار نفي الحزن عنهم اذ ليس في نفي استمرار الحزن مزيد فائدة واما
اذا انتظم الكلام مع مراعاة موجب القياس حق الانتظام فالعدول عنه تمحل لا يخفى قوله تعالى ولكن الله حبب اليكم
الايمان الى آخره تجريد للخطاب وتوجيه له الى بعضهم بطريق الاستدراك بيانا لبراءتهم عن اوصاف الاولين
واحمادا لافعالهم اي ولكنه تعالى جعل الايمان محبوبا لديكم وزينه في قلوبكم حتى رسخ حبه فيها ولذلك اتيتم بما
يليق به من الاقوال والافعال وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان ولذلك اجتنبتم عما يليق بها مما لا خير فيه من آثارها
واحكامها ولما كان في التحبيب والتكريه معنى انهاء المحبة والكراهة وايصالهما اليهم استعملا بكلمة الى وقيل هو
استدراك ببيان عذر الاولين كانه قيل لم يكن ما صدر عنكم في حق بني المصطلق من خلل في عقيدتكم بل من فرط
حبكم للايمان وكراهتكم للكفر والفسوق والعصيان والاول هو الاظهر لقوله تعالى اولئك هم الراشدون اي
السالكون الى الطريق السوي الموصل الى الحق والالتفات الى الغيبة كالذي في قوله تعالى وما آتيتم من زكوة
تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون فضلا من الله ونعمة اي وانعاما تعليل لحبب او كره وما بينهما اعتراض
وقيل نصبهما بفعل مضمر اي جرى ذلك فضلا وقيل يبتغون فضلا والله عليم مبالغ في العلم فيعلم احوال المؤمنين
وما بينهم من التفاضل حكيم يفضل كل ما يفعل بموجب الحكمة وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا اي تقاتلوا

والجمع

والجمع باعتبار المعنى فاصلحوا بينهما بالنصح والدعاء الى حكم الله تعالى فان بغت اي تعدت احديهما على الاخرى
اي ولم تتاثر بقول النصيحة فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء اي ترجع الى امر الله الى حكمه او الى ما امر به فان فاءت
اي رجعت اليه واقلعت عن القتال حذارا من قتالكم فاصلحوا بينهما بالعدل بفصل ما بينهما على حكم الله تعالى
ولا تكتفوا بمجرد متاركتهما عسى يكون بينهما قتال في وقت آخر وتقييد الاصلاح بالعدل لانه مظنة الحيف
لوقوعه بعد المقاتلة وقد اكد ذلك حيث قيل واقسطوا اي اعدلوا في كل ما تاتون وما تذرون ان الله
يحب المقسطين فيجازيهم احسن الجزاء والآية نزلت في قتال حدث بين الاوس والخزرج في عهده صلى الله
عليه وسلم بالسعف والنعال وفيه دلالة على ان الباغي لا يخرج بالبغي عن الايمان وانه اذا امسك عن الحرب
ترك لانه فيء الى امر الله تعالى وانه يجب معاونة من بغي عليه بعد تقديم النصح والسعي في المصالحة انما المؤمنون
اخوة استيناف مقرر لما قبله من الامر بالاصلاح اي انهم منتسبون الى اصل واحد هو الايمان الموجب للحياة
الابدية والفاء في قوله تعالى فاصلحوا بين اخويكم للايذان بان الاخوة الدينية موجبة للاصلاح ووضع المظهر
موضع المضمر مضافا الى المامورين للمبالغة في تاكيد وجوب الاصلاح والتحضيض عليه وتخصيص الاثنين
بالذكر لاثبات وجوب الاصلاح فيما بين ذلك بطريق الاولوية لتضاعف الفتنة والفساد فيه وقيل
المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم واتقوا الله في كل ما تاتون وما تذرون من
الامور التي من جملتها ما امرتم به من الاصلاح لعلكم ترحمون راجين ان ترحموا على تقويكم يا ايها الذين آمنوا
لا يسخر قوم اي منكم من قوم آخرين منكم ايضا وقوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم تعليل للنهي او لموجبه
اي عسى ان يكون المسخور منهم خيرا عند الله تعالى من الساخرين والقوم مختص بالرجال لانهم القوام على النساء
وهو في الاصل اما جمع قائم كصوم وزور في جمع صائم وزائر او مصدر نعت به فشاع في الجميع واما تعميمه في
الفريقين في مثل قوم عاد وقوم فرعون فاما للتغليب او لانهن توابع واختيار الجمع لغلبة وقوع السخرية في
المجامع والتنكير اما للتعميم او للقصد الى نهي بعضهم عن سخرية بعض لما انها تجري بين بعض وبعض ولا نساء من
نساء عسى ان يكن خيرا منهن اي من الساخرات فان مناط الخيرية في الفريقين ليس مما يظهر للناس من الصور
والاشكال ولا الاوضاع والاطوار التي عليها يدور امر السخرية غالبا بل انما هو الامور الكامنة في القلوب فلا
يجترئ احد على استحقار احد فلعله اجمع منه لما نيط به الخيرية عند الله تعالى فيظلم نفسه بتحقير من وقره
الله والاستهانة بمن عظمه الله وقرئ عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فعسى حينئذ هي ذات الخبر كما في
قوله تعالى فهل عسيتم واما على الاول فهي التي لا خبر لها ولا تلمزوا انفسكم اي ولا يعب بعضكم بعضا فان
المؤمنين كنفس واحدة ولا تفعلوا ما تلمزون به فان من فعل ما يستحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز
الطعن باللسان وقرئ بضم الميم ولا تنابزوا بالالقاب اي ولا يدع بعضكم بعضا بلقب السوء فان النبز
مختص به عرفا بئس الاسم الفسوق بعد الايمان اي بئس الذكر المرتفع للمؤمنين ان يذكروا بالفسق بعد
دخولهم الايمان واشتهارهم به فان الاسم هاهنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم او
باللوم والمراد به اما تهجين نسبة الكفر والفسوق الى المؤمنين خصوصا اذ روي ان الآية نزلت في صفية
بنت حيي اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان الناس يقولون لي يا يهودية بنت يهوديين فقال
صلى الله عليه وسلم هلا قلت ان ابي هرون وعمي موسى وزوجي محمد عليهم الصلوة والسلام او الدلالة
على ان التنابز فسق والجمع بينه وبين الايمان قبيح ومن لم يتب عما نهي عنه فاولئك هم الظالمون بوضع العصيان
موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن اي كونوا على جانب منه وابهام
الكثير لايجاب الاحتياط والتامل في كل ظن حتى يعلم انه اي من قبيله فان من الظن ما يجب اتباعه كالظن
فيما لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله تعالى ومنه ما يحرم كالظن في الالهيات والنبوات وحيث يخالفه

قاطع وسوء الظن بالمومنين ومنه ما يباح كالظن في الامور المعاشية ان بعض الظن اثم تعليل للامر بالاجتناب
اوللموجبه بطريق الاستيناف التحقيقي والاثم الذنب الذي يستحق العقوبة عليه وهمزته منقلبة من الواو
كانه يثم الاعمال اي يكسرها ولا تجسسوا اي ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس لما فيه من معنى الطلب
كما ان التلمس بمعنى التطلب لما في اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب في قوله تعالى وانا لمسنا السماء وقرئ بالحاء
من الحس الذي هو اثر الجس وغايته ولتقاربهما يقال لمشاعر الحواس بالحاء والجيم وفي الحديث لا تتبعوا عورات
المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في بيته ولا يغتب بعضكم بعضا اي لا يذكر
بعضكم بعضا بالسوء في غيبته وسئل صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكره فان كان فيه
فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الغيبة ادام كلاب الناس ايحب احدكم
ان ياكل لحم اخيه ميتا تمثيل وتقرير لما يصدر عن المغتاب حيث صدوره عنه ومن حيث تعلقه بصاحبه
على افحش وجه واشنعه طبعا وشرعا وعقلا مع مبالغات من فنون شتى الاستفهام المقرر واسناد
الفعل الى احد ايذانا بان احدا من الاحدين لا يفعل ذلك وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب
باكل لحم الانسان وجعل الماكول اخا للاكل ميتا واخراج تماثلهما مخرج امر بين غني عن الاخبار وقرئ ميتا بالتشديد
وانتصابه على الحالية من اللحم وقيل من الاخ والفاء في قوله تعالى فكرهتموه لترتيب ما بعدها على ما قبلها من
التمثيل كانه قيل حيث كان الامر كما ذكر فقد كرهتموه وقرئ كرهتموه اي جبلتم على كراهته واتقوا الله بترك ما امرتم
باجتنابه والندم على ما صدر منكم من قبل ان الله تواب رحيم مبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة حيث
يجعل التائب كمن لم يذنب ولا يخص ذلك بتائب دون تائب بل يعم الجميع وان كثرت ذنوبهم روي
ان رجلين من الصحابة بعثا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغي لهما اداما وكان اسامة على طعامه
صلى الله عليه وسلم فقال ما عندي شيء فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثنا سلمان الى بير سميحة لغار ماؤها
فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما
فقال صلى الله عليه وسلم انكما قد اغتبتما فنزلت يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى من آدم وحوا او خلقنا كل
واحد منكم من اب وام فالكل سواء في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب وقد جوز ان يكون تاكيدا للنهي السابق
بتقرير الاخوة المانعة من الاغتياب وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعب الجمع العظيم المنتسبون الى اصل
واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ يجمع
الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وقيل
الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا بحسب الانساب فلا
يعتزي احد الى ابائه لا للتفاخر بالآباء والقبائل وتدعوا التفاوت والتفاضل في الانساب وقرئ
لتعارفوا على الاصل ولتعارفوا بالادغام ولتعرفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم تعليل للنهي عن التفاخر بالانساب
المستفاد من الكلام بطريق الاستيناف التحقيقي كانه قيل ان الاكرام عنده تعالى هو الاتقى فان فاخرتم ففاخروا
بالتقوى وقرئ بان المفتوحة على حذف لام التعليل كانه قيل لم لا تتفاخروا بالانساب فقيل لان اكرمكم عند الله
اتقاكم لا انسبكم فان مدار كمال النفوس وتفاوت الاشخاص هو التقوى فمن رام نيل الدرجات العلى فعليه بالتقوى
قال صلى الله عليه وسلم من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وقال يا ايها الناس انما الناس رجلان رجل
مومن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى
ان الله عليم بكم وباعمالكم خبير ببواطن احوالكم قالت الاعراب آمنا نزلت في نفر من بني اسد قدموا المدينة
في سنة جدب فاظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتيناك بالاثقال والعيال
ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون عليه صلى الله عليه وسلم بما فعلوا قل ردا لهم

لم تومنوا

لم تومنوا اذ الايمان هو التصديق المقارن للثقة وطمانينة القلب ولم يحصل لكم ذلك والا لما مننتم كما ذكره
كما ينبئ عنه آخر السورة ولكن قولوا اسلمنا فان الاسلام انقياد ودخول في السلم واظهار الشهادة وترك المحاربة
مشعر به وايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال لا تقولوا امنا ولكن قولوا اسلمنا او لم تومنوا ولكن اسلمتم للاحتراز
من النهي عن التلفظ بالايمان والتفادي عن اخراج قولهم مخرج التسليم والاعتداد به مع كونه تقولا محضا ولما
يدخل الايمان في قلوبكم حال من ضمير قولوا اي ولكن قولوا اسلمنا فان عدم مواطاة قلوبكم لالسنتكم وما في لما
من معنى التوقع مشعر بان هؤلاء قد آمنوا فيما بعد وان تطيعوا الله ورسوله بالاخلاص وترك النفاق لا يلتكم من اعمالكم
لا ينقصكم شيئا من اجورها من لات يليت ليتا اذا نقص وقرئ لا يالتكم من الالت وهي لغة غطفان او شيئا
من النقصان ان الله غفور لما فرط من المطيعين رحيم بالتفضل عليهم انما المومنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم
لم يرتابوا لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة وفيه اشارة الى ان فيهم ما يوجب
نفي الايمان عنهم وثم للاشعار بان اشتراط عدم الايمان في اعتبار الايمان ليس في حال انشائه فقط وفيما يستقبل
فهي كما في قوله تعالى ثم استقاموا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله في طاعته على تكثر فنونها من
العبادات البدنية المحضة والمالية الصرفة والمشتملة عليهما معا كالحج والجهاد اولئك الموصوفون بما ذكر من
الاوصاف الحميدة هم الصادقون اي الذين صدقوا في دعوى الايمان لا غيرهم روي انه لما نزلت الآية جاؤا
وحلفوا انهم مومنون صادقون فنزل لتكذيبهم قوله تعالى قل اتعلمون الله بدينكم اي اتخبرونه بذلك بقولكم
آمنا والتعبير عنه بالتعليم لغاية تشنيعهم قوله تعالى والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم تذييل مقرر
لما قبله اي مبالغ في العلم بجميع الاشياء التي من جملتها ما اخفوه من الكفر عند اظهارهم الايمان وفيه مزيد
تجهيل وتوبيخ لهم يمنون عليك ان اسلموا اي يعدون اسلامهم منة عليك وهي النعمة التي لا يطلب موليها ثوابا
ممن انعم بها عليه من المن بمعنى القطع لان المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن قل لا تمنوا
علي اسلامكم اي لا تعدوا اسلامكم منة علي او لا تمنوا علي باسلامكم فنصب بنزع الخافض بل الله يمن عليكم
ان هداكم للايمان على ما زعمتم مع ان الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ ان هداكم واذ هداكم ان كنتم صادقين
في ادعاء الايمان وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله اي فلله المنة وفي سياق النظم الكريم من اللطف ما لا
يخفى فانهم لما سموا ما صدر عنهم ايمانا ومنوا به فنفي كونه ايمانا وسمي اسلاما قيل يمنون عليك بما هو في الحقيقة
اسلام وليس بجدير بالمن بل لو صح ادعاؤهم للايمان فلله المنة عليهم بالهداية اليه لا لهم ان الله يعلم غيب
السموات والارض اي ما غاب فيهما والله بصير بما تعملون في سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم
وقرئ بالياء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحجرات اعطي من الاجر بعدد من اطاع الله تعالى ومن عصاه

سورة ق وهي خمس واربعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم ق والقرآن المجيد اي ذو المجد والشرف على سائر الكتب او لانه كلام المجيد او لان من
علم معانيه وعمل بما فيه مجد عند الله وعند الناس والكلام فيه كالذي فصل في مطلع سورة ص قوله تعالى
بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم اي لان جاءهم منذر من جنسهم لا من جنس الملك او من جلدتهم اضراب عما
ينبئ عنه جواب القسم المحذوف كانه قيل والقرآن المجيد انزلناه اليك لتنذر به الناس حسبما ورد في صدر
سورة الاعراف كانه قيل بعد ذلك لم يومنوا به بل جعلوا كلا من المنذر والمنذر به عرضة للنكير والتعجب مع
كونهما اوفق شيء لقضية العقول واقربه الى التلقي بالقبول وقيل والتقدير والقرآن المجيد انك لمنذر ثم قيل
بعد انهم شكوا فيه ثم اعرض عنه اضرب عنه وقيل بل عجبوا ان لم يكتفوا بالشك والرد بل جزموا بالخلاف حتى
جعلوا ذلك من الامور العجيبة وقيل هو اضراب عما ينبئ عنه من وصف القرآن المجيد كانه قيل ليس سبب امتناعهم

من الايمان بالقران ان لا مجد له ولكن لجهلهم **فقال الكافرون هذا شيء عجيب** تفسير لتعجبهم وبيان لكونه
مقارنا لغاية الانكار مع زيادة تفصيل لمحل التعجب وهذا اشارة الى كونه صلى الله عليه وسلم منذرا بالقران
واضمارهم اولا للاشعار بتعينهم بما اسند اليهم واظهارهم ثانيا للتسجيل عليهم بالكفر بموجبه او عطف لتعجبهم
من البعث على تعجبهم من البعثة على ان هذا اشارة الى مبهم ما بعده من الجملة الانكارية ووضع المظهر موضع
المضمر اما لسبق اتصافهم بما يوجب كفرهم واما للايذان بان تعجبهم من البعث لدلالته على استقصارهم
لقدرة الله سبحانه عنه مع معاينتهم لقدرته تعالى على ما هو اشق منه في قياس العقل من مصنوعاته البديعة
اشنع من الاول واعرق في كونه كفرا **ءاذا متنا وكنا ترابا** تقرير للتعجيب وتاكيد للانكار والعامل في اذا مضمر
غني عن البيان لغاية شهرته مع دلالة ما بعده عليه اي احين نموت ونصير ترابا نرجع كما ينطق به النذير والمنذر
به مع كمال التباين بيننا وبين الحيوة حينئذ وقرئ اذا متنا على لفظ الخبر او على حذف اداة الانكار **ذلك** اشارة
الى محل النزاع **رجع بعيد** اي عن الاوهام او عن العادة او الامكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع الذي هو الجواب
فناصب الظرف حينئذ ما ينبئ عنه المنذر من البعث **قد علمنا ما تنقص الارض منهم** رد لاستبعادهم وازاحة
له فان من عم علمه ولطف حتى انتهى الى حيث علم ما تنقص الارض من اجساد الموتى وتاكل من عظامهم ولحومهم
كيف يستبعد رجعه اياهم احيا كما كانوا عن النبي صلى الله عليه وسلم كل ابن ادم يبلى الا عجب الذنب وقيل ما تنقص
الارض منهم ما يموت فيدفن في الارض منهم **وعندنا كتاب حفيظ** حافظ لتفاصيل الاشياء كلها او محفوظ من التغير
والمراد تمثيل علمه تعالى بكليات الاشياء وجزئياتها بعلم من عنده كتاب محيط يتلقى منه كل شيء او تاكيد لعلمه تعالى
بها بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده **بل كذبوا بالحق** اضراب وانتقال من بيان شناعتهم السابقة الى بيان ما هو
اشنع منه وافظع وهو تكذيبهم للنبوة الثابتة بالمعجزات الباهرة **لما جاءهم** من غير تامل وتفكر وقرئ لما جاءهم
بالكسر على ان اللام للتوقيت اي وقت مجيئه اياهم وقيل الحق القران او الاخبار بالبعث **فهم في امر مريج** اي
مضطرب لا قرار له من مرج الخاتم في اصبعه حيث يقولون تارة انه شاعر وتارة انه ساحر كاهن **افلم
ينظروا** اي اغفلوا او عموا فلم ينظروا **الى السماء فوقهم** بحيث يشاهدونها كل وقت **كيف بنيناها** اي
رفعناها بغير عمد **وزيناها** بما فيها من الكواكب المرتبة على نظام بديع **وما لها من فروج** من فتوق لملاستها
من كل عيب وخلل ولعل تاخيره هنا لمراعات الفواصل **والارض مددناها** اي بسطناها **والقينا فيها رواسي** جبالا
ثوابت من رسا الشيء اي ثبت والتعبير عنها بهذا الوصف للايذان بان القاها لارساء الارض بها **وانبتنا فيها
من كل زوج بهيج** من كل صنف **بهيج** حسن **تبصرة وذكرى** علتان للافعال المذكورة معنى وان انتصبا
بالفعل الاخير او لفعل مقدر بطريق الاستيناف اي فعلنا ما فعلنا تبصيرا وتذكيرا **لكل عبد منيب** اي راجع
الى ربه متفكر في بدائع صنائعه قوله تعالى **ونزلنا من السماء ماء مباركا** اي كثير المنافع شروع في بيان كيفية
انبات ما ذكر من كل زوج بهيج وهو عطف على انبتنا وما بينهما على الوجه الاخير اعتراض مقرر لما قبله ومنبه
على ما بعده **فانبتنا به** اي بذلك الماء **جنات** كثيرة اي اشجارا ذوات اثمار **وحب الحصيد** اي حب الزرع
الذي شانه ان يحصد من البر والشعير وامثالهما وتخصيص انبات حبه بالذكر لانه المقصود بالذات **والنخل**
عطف على جنات وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في الجنات لبيان فضلها على سائر الاشجار وتوسيط الحب
بينهما لتاكيد استقلالها وامتيازها عن البقية مع ما فيه من مراعات الفواصل **باسقات** اي طوالا او حوامل
من ابسقت الشاة اذا حملت فيكون من باب افعل وهو فاعل وقرئ باصقات لاجل القاف **لها طلع نضيد**
اي منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع او كثرة ما فيه من الثمر والجملة حال من النخل كباسقات بطريق
الترادف او من ضميرها في باسقات على التداخل او الحال هو الجار والمجرور وطلع مرتفع به على الفاعلية وقوله
تعالى **رزقا للعباد** اي لرزقهم علة لقوله تعالى فانبتنا وفي تعليله بذلك تعليل انبتنا الاول بالتبصرة والتذكير

تنبيه

تنبيه على ان الواجب على العبد ان يكون انتفاعه بذلك من حيث التذكر والاستبصار اهم واقدم من تمتعه به
من حيث الرزق وقيل رزقا مصدر من معنى انبتنا لان الانبات رزق **واحيينا به** اي بذلك الماء **بلدة ميتا**
ارضا جدبة لا نماء فيها اصلا بان جعلناها بحيث ربت وانبتت انواع النبات والازهار فصارت تهتز
بها بعد ما كانت جامدة هامدة وتذكير ميتا لان البلدة بمعنى البلد والمكان **كذلك الخروج** جملة قدم فيها
الخبر للقصد الى القصر وذلك اشارة الى الحياة المستفادة من الاحيا وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد
رتبتها اي مثل تلك الحياة البديعة حياتكم بالبعث من القبور لا شيء مخالف لها وفي التعبير عن اخراج النبات
من الارض من الاحياء وعن حياة الموتى بالخروج تفخيم لشان الانبات وتهوين لامر البعث وتحقيق للمماثلة
بين اخراج النبات واحياء الموتى لتوضيح منهاج القياس وتقريبه الى افهام الناس قوله تعالى **كذبت
قبلهم قوم نوح** الى آخره استيناف وارد لتقرير حقية البعث ببيان اتفاق كافة الرسل عليهم السلام
عليها وتعذيب منكريها **واصحاب الرس** قيل هم ممن بعث اليهم شعيب عليه السلام وقيل كما مر في سورة
الفرقان على التفصيل **وثمود وعاد وفرعون** اي هو وقومه ليلائم ما قبله وما بعده **واخوان لوط** قيل
كانوا من اصهاره عليه السلام **واصحاب الايكة** هم ممن بعث اليهم شعيب عليه السلام غير اهل
مدين **وقوم تبع** سبق شرح حالهم في سورة الدخان **كل كذب الرسل** اي فيما ارسلوا به من الشرائع
التي من جملتها البعث اجمعوا عليه قاطبة اي كل قوم من الاقوام المذكورين كذبوا رسولهم وكذب جميعهم
جميع الرسل بالمعنى المذكور وافراد الضمير باعتبار لفظ الكل او كل واحد منهم كذب جميع الرسل لاتفاقهم
على الدعوة الى التوحيد والانذار بالبعث والحشر فتكذيب واحد منهم تكذيب الكل وهذا على تقدير
عدمها وهو الاظهر فمعنى تكذيب قومه الرسل تكذيبهم بمن قبلهم من الرسل المجمعين على التوحيد والبعث
والى ذلك كان يدعوهم تبع **فحق وعيد** اي فوجب وحل عليهم وعيدي وهي كلمة العذاب وفيه تسلية
للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم **افعيينا بالخلق الاول** استيناف مقرر لصحة البعث الذي حكيت
احوال المنكرين له من الامم المهلكة والعي بالامر العجز عنه يقال عيي بالامر وعيي به اذا لم يهتد لوجه
عمله والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر ينبئ عنه العي من القصد والمباشرة كانه قيل اقصدنا
الخلق الاول فعجزنا عنه حتى يتوهم عجزنا عن الاعادة **بل هم في لبس من خلق جديد** عطف على مقدر يدل
عليه ما قبله كانه قيل هم غير منكرين لقدرتنا على الخلق بل هم في خلط وشبهة في خلق مستانف لما فيه
من مخالفة العادة وتنكير خلق لتفخيم شانه والاشعار بخروجه عن حدود العادات والايذان بانه
حقيق بان يبحث عنه ويهتم بمعرفته **ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه** اي ما تحدث به
نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفي ومنه وسواس الحلي والضمير لما ان جعلت موصولة
والباء كما في قوله صوت بكذا او للانسان ان جعلت مصدرية والباء للتعدية **ونحن اقرب اليه من
حبل الوريد** اي اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه من حبل الوريد عبر عن قرب العلم بقرب الذات
تجوزا لانه موجب له وحبل الوريد مثل في فرط القرب والحبل العرق واضافته بيانية والوريدان
عرقان مكتنفان لصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الراس وقيل سمي به وريدا
لان الروح ترده **اذ يتلقى المتلقيان** منصوب بما في اقرب من معنى الفعل والمعنى انه لطيف يتوصل علمه
الى ما لا شيء اخفى منه وهو اقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى ويتلقن الحفيظان ما يتلفظ به وفيه
ايذان بانه تعالى غني عن استحفاظهما لاحاطة علمه بما يخفى عليهما وانما ذلك لما في كتبهما وحفظهما الاعمال
العبد وعرض صحائفهما يوم يقوم الاشهاد وعلم العبد بذلك مع علمه باحاطته تعالى بتفاصيل احواله
خيرا من زيادة لطف له في الكف عن السيئات والرغبة في الحسنات وعنه صلى الله عليه وسلم ان مقعد

ملكيك على ثنيتيك ولسانك وريقك مدادهما وانت تجري بما لا يعنيك لا تستحي من الله ولا منهما
وقد جوزان يكون تلقي الملكين بيانا للقرب على معنى انا اقرب اليه مطلعون على اعماله لان حفظتنا وكتبتنا
موكلون به عن اليمين وعن الشمال قعيد اي عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد كالجليس بمعنى المجالس لفظا
ومعنى فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كما في قول من قال • رماني بامر كنت منه ووالدي • بريا ومن
اجل الطوي رماني • وقيل يطلق الفعيل على الواحد والمتعدد كما في قوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير
ما يلفظ من قول ما يرمي به من فيه من خير او شر وقرئ ما يلفظ على البناء للمفعول الا لديه رقيب عتيد
ملك يرقب قوله ذلك ويكتبه فان كان خيرا فهو صاحب اليمين بعينه والا فهو صاحب الشمال ووجه
تغيير العنوان غني عن البيان والافراد مع وقوفهما معا على ما صدر عنهما لما ان كلا منهما رقيب لما فوض
اليه لا لما فوض الى صاحبه كما ينبئ عنه قوله تعالى عتيد اي معد مهيأ لكتابة ما امر به من الخير او
الشر ومن لم يتنبه له توهم ان معناه رقيبان عتيدان وتخصيص القول بالذكر لاثبات الحكم في
الفعل بدلالة النص واختلف فيما يكتبان فقيل يكتبان كل شيء حتى انينه في مرضه وقيل انما يكتبان ما فيه
اجر ووزر وهو الاظهر كما ينبئ عنه قوله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات
على يسار الرجل وكاتب الحسنات امين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا
عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر وجاءت سكرة
الموت بالحق بعد ما ذكر استبعادهم البعث والجزاء وازاح ذلك بتحقيق قدرته تعالى وعلمه بين
ان جميع اعمالهم محفوظة مكتوبة عليهم اتبع ذلك ما يلاقونه لا محالة من الموت والبعث وما يتفرع عليه
من الاحوال والاهوال وقد عبر عن وقوع كل منها بصيغة الماضي ايذانا بتحققها وغاية اقترابها وسكرة
الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء اما للتعدية كما في قولك جاء الرسول بالخبر والمعنى احضرت سكرة
الموت حقيقة الامر الذي نطقت به كتب الله ورسله او حقيقة الامر وجلية الحال من سعادة الميت
وشقاوته وقيل الحق الذي لا بد ان يكون لا محالة من الموت او الجزاء فان الانسان خلق له واما للملابسة
كالتي في قوله تعالى تنبت بالدهن اي ملتبسة بالحق اي بحقيقة الامر او بالحكمة والغاية الجميلة وقرئ
سكرة الموت بالحق والمعنى انها السكرة التي كتبت على الانسان بموجب الحكمة وانها لشدتها توجب زهوق
الروح او تستعقبه وقيل الباء بمعنى مع وقيل سكرة الله على ان الاضافة للتهويل وقرئ سكرات الموت
ذلك اي الموت ما كنت منه تحيد اي تميل وتنفر عنه والخطاب للانسان فان النفرة عنه شاملة
لكل فرد من افراده طبعا ونفخ في الصور هي النفخة الثانية ذلك اي وقت ذلك النفخ على حذف المضاف
يوم الوعيد اي يوم انجاز الوعد الواقع في الدنيا ويوم وقوع الوعيد على انه عبارة عن العذاب الموعود وقيل
ذلك اشارة الى الزمان المفهوم من نفخ فان الفعل كما يدل على الحدث يدل على الزيادة وتخصيص الوعيد
بالذكر مع انه يوم الوعد ايضا لتهويله ولذلك بدئ ببيان حال الكفرة وجاءت كل نفس من النفوس البرة
والفاجرة معها سائق وشهيد وان اختلفت كيفية السوق والشهادة حسب اختلاف النفوس عملا اي
معها ملكان احدهما يسوقها الى المحشر والاخر يشهد عليها او ملك جامع بين الوصفين كانه قيل معها
ملك يسوقها واعد عليها وقيل السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه
او قرينه والشهيد جوارحه واعماله ومحل معها النصب على الحالية من كل لاضافته الى ما هو في حكم المعرفة
كانه قيل كل النفوس او الجر على انه وصف النفس او الرفع على انه وصف لكل قوله تعالى لقد كنت في
غفلة من هذا محكي باضمار قول هو اما صفة اخرى او حال اخرى منها او استيناف مبني على سؤال
نشأ عما قبله كانه قيل فماذا يفعل بها فقيل يقال لقد كنت في غفلة وخطاب الكل بذلك لما انه ما من

احد الا وله غفلة ما من الاخرة وقيل الخطاب للكافر وقرئ كنت بكسر التاء على اعتبار تانيث النفس والتذكير
على القراءة المشهورة بتاويل الشخص كما في قول جبلة بن حريث • يا نفس انك باللذات مسرور • فكشفنا عنك غطاءك
الغطاء الحجاب المغطي لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات والالف بها وقصر النظر عليها
فبصرك اليوم حديد نافذ لزوال المانع للابصار وقرئ بكسر الكاف في المواضع الثلاثة وقال قرينه
اي الشيطان المقيض له مشيرا اليه هذا ما لدي عتيد اي هذا ما عندي وفي ملكتي عتيد لجهنم
قد هياته لها باغوائي واضلالي وقيل قال الملك مشيرا الى ما معه من كتاب عمله هذا مكتوب عندي
عتيد مهيأ للعرض واما ان جعلت موصوفة فعتيد صفتها وان جعلت موصولة فهو بدل منها او
خبر بعد خبر لمبتدأ محذوف القيا في جهنم كل كفار خطاب من الله تعالى للسائق والشهيد او
للملكين من خزنة النار او لواحد على تنزيل تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقول من قال •
فان تزجراني يا ابن عفان انزجر • وان تدعاني احم عرضا ممنعا • او على ان الالف بدل من نون التاكيد
على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده قراءة القين بالنون الخفيفة عنيد معاند للحق مناع للخير كثير
المنع للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان الاية نزلت في الوليد بن المغيرة لما منع
بني اخيه منه معتد ظالم متخط للحق مريب شاك في الله وفي دينه الذي جعل مع الله الها اخر مبتدا
يتضمن معنى الشرط خبره فالقياه في العذاب الشديد قال قرينه اي الشيطان المقيض له وانما استونف
استيناف الجمل الواقعة في حكاية المقاولة لما انه جواب لمحذوف دل عليه قوله تعالى ربنا ما اطغيته
فانه مبني على سابقة كلام اعتذر به الكافر كانه قال هو اطغاني فاجاب قرينه بتكذيبه واسناد
الطغيان اليه بخلاف الجملة الاولى فانها واجبة العطف على ما قبلها دالة على الجمع بين مفهوميها
في الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين وقوله تعالى ولكن كان هو بالذات في ضلال بعيد من الحق
فاعنته عليه بالاغواء والدعوة اليه من غير قسر والجاء كما في قوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان
دعوتكم فاستجبتم لي قال استيناف مبني على سؤال نشأ مما قبله كانه قيل فماذا قال الله تعالى فقيل
قال لا تختصموا لدي اي في موقف الحساب والجزاء اذ لا فائدة في ذلك وقد قدمت اليكم بالوعيد على
الطغيان في دار الكسب في كتبي وعلى السنة رسلي فلا تطمعوا في الخلاص عنه بما انتم فيه من التعلل بالمعاذير
الباطلة والجملة حال فيها تعليل النهي على معنى لا تختصموا وقد صح عندكم اني قدمت اليكم بالوعيد حيث
قلت لابليس لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين فاتبعتموه معرضين عن الحق فلا وجه للاختصام
في هذا الوقت والباء مزيدة او معدية على ان قدم بمعنى تقدم وقد جوز ان يكون قدمت واقعا على قوله
تعالى ما يبدل القول لدي الى اخره ويكون بالوعيد متعلقا بمحذوف هو حال من المفعول والفاعل اي
وقد قدمت اليكم هذا القول ملتبسا بالوعيد مقترنا به او قدمت اليكم موعدا لكم فلا تطمعوا ان
ابدل وعيدي والعفو عن بعض المذنبين لاسباب داعية اليه ليس بتبديل فان دلائل العفو تدل
على تخصيص الوعيد قوله تعالى وما انا بظلام للعبيد وارد لتحقيق الحق على الوجه الكلي وتبيين ان
عدم تبديل القول وتحقيق موجب الوعيد ليس من جهته تعالى من غير استحقاق له منهم بل انما ذلك
صدر عنهم من الجنايات الموجبة له حسبما اشير اليه انفا اي وما انا بمعذب للعبيد بغير ذنب من
قبلهم والتعبير عنه بالظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة اهل السنة
فضلا عن كونه ظلما مفرطا لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره
عنه سبحانه من الظلم وصيغة المبالغة لتاكيد هذا المعنى بابراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب في
معرض المبالغة في الظلم وقيل هي لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده وظلام لعبده

على انها مبالغة كما لا يكفا **يوم نقول لجهنم هل امتلات وتقول هل من مزيد** سؤال وجواب جيئ بهما على منهاج
التمثيل والتخييل لتهويل امرها والمعنى انها مع اتساعها وتباعد اقطارها يطرح فيها من الجنة والناس فوجا بعد
فوج حتى تمتلي او انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد محل فارغ او انها لغيظها على العصاة تطلب زيادتهم
وقرئ يقول بالياء والمزيد اما مصدر كالمجيد والمعيد او مفعول كالمبيع ويوم اما منصوب باذكر او انذر او
ظرف لنفخ فيكون ذلك حينئذ اشارة اليه من غير حاجة الى تقدير مضاف او لمقدر مؤخر اي يكون من
الاحوال والاهوال ما يقصر عنه المقال **وازلفت الجنة للمتقين** شروع في بيان حال المؤمنين بعد النفخ
ومجي النفوس الى موقف الحساب وقد مر سر تقديم بيان حال الكفرة عليه وهو عطف على نفخ اي قربت
للمتقين عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون
بانهم محشورون اليها فائزون بها قوله تعالى **غير بعيد** تاكيد للازلاف اي مكانا غير بعيد اي شيئا
غير بعيد ويجوز ان يكون التذكير لكونه على زنة المصدر الذي يستوي في الوصف به المذكر والمونث
او التاويل الجنة بالبستان **هذا ما توعدون** اشارة الى الجنة والتذكير لما ان المشار اليه هو المسمى
من غير ان يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتانيثه فانهما من احكام اللفظ العربي كما في
قوله تعالى فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر وقوله تعالى ولما راى المومنون الاحزاب قالوا
هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ويجوز ان يكون ذلك لتذكير الخبر وقيل هو اشارة
الى الثواب وقيل الى مصدر ازلفت وقرئ يوعدون والجملة اما اعتراض بين البدل والمبدل منه
واما مقدر بقول هو حال من المتقين او من الجنة والعامل ازلفت او مقولا لهم او مقولا في حقها
هذا ما توعدون **لكل اواب** اي رجاع الى الله تعالى بدل من المتقين باعادة الجار **حفيظ** حافظ
لتوبته من النقض وقيل هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها وقيل هو الحافظ لاوامر الله
تعالى وقيل لما استودعه الله من حقوقه **من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب** بدل بعد بدل او بدل من
موصوف اواب ولا يجوز ان يكون في حكمه لان من لا يوصف به ولا يوصف الا بالذي او مبتدا خبره
ادخلوها بتاويل يقال لهم ادخلوها والجمع باعتبار معنى من وقوله تعالى بالغيب متعلق بمحذوف هو
حال من فاعل خشي او من مفعوله او صفة لمصدره اي خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو
غائب عنه او هو غائب عن الاعين لا يراه احد والتعرض لعنوان الرحمانية للاشعار بانهم مع خشيتهم
عقابه راجون رحمته او بان علمهم بسعة رحمته تعالى لا يصدهم عن خشيته تعالى وانهم عاملون بموجب
قوله تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم ووصف القلب بالانابة
لما ان العبرة برجوعه الى الله تعالى **بسلام** متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ادخلوها اي ملتبسين بسلامة
من العذاب وزوال النعم او بسلام من جهة الله تعالى وملائكته **ذلك** اشارة الى الزمان الممتد الذي
وقع في بعض منه ما ذكر من الامور **يوم الخلود** اذ لا انتهاء له ابدا **لهم ما يشاؤن فيها** من فنون المطالب
كائنا ما كان فيها متعلق بيشاؤن وقيل بمحذوف هو حال من الموصول او من عائده المحذوف من صلته
ولدينا مزيد هو ما لا يخطر ببالهم ولا يندرج تحت مشيئتهم من معالي الكرامات التي لا عين رات ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر وقيل ان السحاب يمر باهل الجنة فيمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذي قال
الله تعالى ولدينا مزيد **وكم اهلكنا قبلهم** اي قبل قومك **من قرن هم اشد منهم بطشا** اي قوة كعاد
واضرابهم **فنقبوا في البلاد** اي خرقوا فيها ودوخوا وتصرفوا في اقطارها وجالوا في اكناف الارض كل مجال
حذار الموت واصل التنقيب والنقب التنقير عن الامر والبحث والطلب والفاء للدلالة على ان شدة بطشهم
اقدرتهم على التنقيب قيل هي عاطفة في المعنى كانه قيل اشتد بطشهم فنقبوا الى آخره وقرئ بالتخفيف

هل من

هل من محيص اي هل لهم من مخلص من امر الله تعالى والجملة اما على اضمار قول هو حال من واو نقبوا اي فنقبوا
في البلاد قائلين هل من محيص او على اجراء التنقيب لما فيه من معنى التتبع والتفتيش مجرى القول او هو كلام مستأنف
وارد لنفي ان يكون لهم محيص وقيل ضمير نقبوا لاهل مكة اي ساروا في مسايرهم واسفارهم في بلاد القرون
فهل راوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لانفسهم ويعضده القراءة على صيغة الامر وقرئ فنقبوا بكسر القاف
من النقب وهو ان ينتقب خف البعير اي اكثروا السير حتى نقبت اقدامهم او اخفاف ابلهم **ان في ذلك لذكرى**
اي فيما ذكر من قصتهم وقيل فيما ذكر من السورة لتذكرة وعظة **لمن كان له قلب** اي قلب سليم يدرك به كنه
ما يشاهده من الامور ويتفكر فيها كما ينبغي فان من كان له ذلك يعلم ان مدار دمارهم هو الكفر فيرتدع بمجرد
مشاهدة الآثار من غير تذكير **او القى السمع** الى ما يتلى عليه من الوحي الناطق بما جرى عليهم فان من فعله
يقف على جلية الامر فينزجر عما يؤدي اليه من الكفر فكلمة او لمنع الخلو دون منع الجمع فان القاء السمع لا يجدي
بدون سلامة القلب كما يلوح به قوله تعالى **وهو شهيد** اي حاضر بفطنته لان من لا يحضر ذهنه فكانه غائب
وتجريد القلب عما ذكر من الصفات للايذان بان من عري قلبه عنها كمن لا قلب له اصلا **ولقد خلقنا السموات والارض**
وما بينهما من اصناف المخلوقات **في ستة ايام وما مسنا** بذلك مع كونه مما لا يفي به القوى والقدر **من لغوب**
من اعياء ما ولا تعب في الجملة وهذا رد على جهلة اليهود في زعمهم انه تعالى بدا خلق العالم يوم الاحد وفرغ
منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا **فاصبر على ما**
يقولون اي يقوله المشركون في شان البعث من الاباطيل المبنية على الانكار والاستبعاد فان من فعل هذه
الافاعيل بلا فتور قادر على بعثهم والانتقام منهم او ما يقوله اليهود من مقالات الكفر والتشبيه **وسبح بحمد**
ربك اي نزهه تعالى عن العجز عما يمكن وعن وقوع الخلف في اخباره التي من جملتها الاخبار بوقوع البعث
وعن وصفه تعالى بما يوجب التشبيه حامدا له تعالى على ما انعم به عليك من اصابة الحق وغيرها **قبل**
طلوع الشمس وقبل الغروب وغروبها هما وقتا الفجر والعصر وفضيلتهما مشهورة **ومن الليل فسبحه** وسبحه بعض
وادبار السجود واعقاب الصلوات جمع دبر وقرئ بالكسر من ادبرت الصلوة اذا انقضت وتمت ومعناه
وقت انقضاء السجود وقيل المراد بالتسبيح الصلوة فالمراد بما قبل الطلوع صلوة الفجر وبما قبل الغروب الظهر
والعصر وبما من الليل العشاآن والتهجد وما يصلى بادبار السجود النوافل بعد المكتوبات **واستمع** اي لما يوحى
اليك من احوال القيمة وفيه تهويل وتفظيع للمخبر به **يوم يناد المناد** اي اسرافيل او جبرائيل عليهما
السلام فيقول ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل
القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبرائيل ينادي بالحشر **من مكان قريب** بحيث يصل نداؤه الى الكل على سواء وقيل
من صخرة بيت المقدس وقيل من تحت اقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة ولعل ذلك في الاعادة
مثل كن في البدء **يوم يسمعون الصيحة** بدل من يوم يناد الى آخره وهي النفخة الثانية **بالحق** متعلق
بالصيحة والعامل في الظرف ما يدل عليه قوله تعالى **ذلك يوم الخروج** اي يوم يسمعون الصيحة ملتبسة بالحق
الذي هو البعث يخرجون من القبور **انا نحن نحيي ونميت** في الدنيا من غير ان يشاركنا في ذلك احد **والينا المصير**
للجزاء في الآخرة لا الى غيرنا لا استقلالا ولا اشتراكا **يوم تشقق الارض عنهم** بحذف احدى التائين من التشقق
وقرئ بتشديد الشين وتشقق على البناء للمفعول من التفعيل وتنشق **سراعا** مسرعين **ذلك حشر** بعث
وجمع وسوق **علينا يسير** اي هين وتقديم الجار والمجرور لتخصيص اليسر به تعالى **نحن اعلم بما يقولون**
من نفي البعث وتكذيب الآيات الناطقة به وغير ذلك مما لا خير فيه **وما انت عليهم بجبار** بمتسلط تقسرهم
على الايمان او تفعل بهم ما تريد وانما انت مذكر **فذكر بالقرآن من يخاف وعيد** واما من عداهم فنحن نفعل بهم
ما يوجبه قولهم وتستدعيه اعمالهم من الوان العقاب وفنون العذاب عن النبي صلى الله عليه وسلم

من قرأ سورة ق هون الله عليه مرارات الموت وسكراته صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة الذاريات وهي ستون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات ذروا اي الرياح التي تذروا التراب وغيره وقرئ بادغام التاء في الذال
فالحاملات وقرا اي السحب الحاملة للمطر او الرياح الحاملة للسحاب وقرئ وقرا على تسمية المعمول بالمصدر
فالجاريات يسرا اي السفن الجارية في البحر او الرياح الجارية في مهابها والسحب الجارية في الجو بسوق الرياح
او الكواكب الجارية في مجاريها ومنازلها ويسرا صفة لمصدر محذوف اي جريا ذا يسر فالمقسمات امرا اي
الملائكة التي تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها والسحب التي يقسم الله تعالى بها ارزاق العباد
وقد جوز ان يراد بالكل الرياح تنزيلا لاختلاف العنوان منزلة اختلاف الذات فانها كما تذروا ما تذروه
تثير السحاب وتحمله وتجري في الجو جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب في الاقطار فان
حملت الامور المقسم بها على ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الاقسام باعتبار ما بينها من التفاوت في
الدلالة على كمال القدرة والا فهي لترتيب ما صدر عن الريح من الافاعيل فانها تذروا الابخرة الى الجو حتى
ينعقد سحابا فتجري به باسطة له الى ما امرت به فتقسم المطر قوله تعالى انما توعدون لصادق وان الدين لواقع
جواب للقسم وفي تخصيص الامور المذكورة بالاقسام بها رمزا الى شهادتها بتحقيق مضمون الجملة المقسم
عليها من انها امور بديعة مخالفة لمقتضى الطبيعة فمن قدر عليها فهو قادر على البعث الموعود وما موصولة
او مصدرية ووصف الوعد بالصدق كوصف العيشة بالرضا والدين الجزاء ووقوعه حصوله والسماء ذات
الحبك قال ابن عباس وقتادة وعكرمة ذات الخلق المستوي وقال سعيد بن جبير ذات الزينة وقال
مجاهد هي المتقنة البنيان وقال مقاتل والكلبي والضحاك ذات الطرائق والمراد اما الطرائق المحسوسة
التي هي مسير الكواكب او المعقولة التي يسلكها النظار او النجوم فان لها طرائق وعن الحسن حبكها نجومها
حيث تزينها كما يزين الموشى طرائق الوشي وهي اما جمع حباك او حبيكة كمثال ومثل وطريقة وطرق
وقرئ الحبك بوزن القفل والحبك بوزن السلك والحبك كالجبل والحبك كالبرق والحبك كالنعم
والحبك كالابل انكم لفي قول مختلف اي متخالف متناقض وهو قولهم في حقه صلى الله عليه وسلم تارة شاعر
واخرى ساحر وفي شأن القرآن الكريم تارة شعر وتارة سحر واخرى اساطير وفي هذا الجواب تأكيد لكون
عبارة عن الاستواء كما يلوح به ما نقل عن الضحاك ان قول الكفرة لا يكون مستويا انما هو متناقض مختلف وقيل
النكتة في هذا القسم تشبيه اقوالهم في اختلافها وتنافي اغراضها بطرائق السموات والارض في تباعدها
واختلاف غاياتها وليس بذاك يؤفك عنه من افك اي يصرف عن القرآن او الرسول صلى الله عليه وسلم
من صرف اذ لا صرف افظع منه واشد وقيل يصرف عنه من صرف في علم الله تعالى وقضائه ويجوز ان
يكون الضمير للقول المختلف على معنى يصدر افك من افك عن ذلك القول وقرئ من افك اي من افك الناس
وهم قريش كانوا يصدون الناس عن الايمان قتل الخراصون دعاء عليهم كقوله تعالى قتل الانسان ما اكفره
واصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن والخراصون الكذابون المقدرون ما لا صحة له وهم
اصحاب القول المختلف كانه قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرئ قتل الخراصين اي قتل الله الذين هم في غمرة
من الجهل والضلال ساهون غافلون عما امروا به يسألون ايان يوم الدين اي متى وقوع يوم الجزاء لكن لا بطريق
الاستعلام حقيقة بل بطريق الاستعجال استهزاء وقرئ ايان بكسر الهمزة يوم هم على النار يفتنون جواب
للسائل اي يقع يوم هم على النار يحرقون ويعذبون ويجوز ان يكون يوم خبر المبتدا محذوف اي هو يوم هم الى آخره
والفتح لاضافته الى غير متمكن ويؤيده انه قرئ بالرفع ذوقوا فتنتكم اي هؤلاء لهم هذا القول قوله تعالى هذا

الذي

الذي كنتم به تستعجلون جملة من مبتدا وخبر داخلة تحت القول المضمر اي هذا ما كنتم تستعجلون به بطريق الاستهزاء
ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم بتأويل العذاب والذي صفته ان المتقين في جنات وعيون لا يبلغ كنهها ولا يقادر قدرها
آخذين ما آتاهم ربهم اي قابلين لما اعطاهم راضين به على ان كل ما آتاهم حسن مرضي يتلقى بحسن القبول انهم
كانوا قبل ذلك في الدنيا محسنين اي لاعمالهم الصالحة آتين بها على ما ينبغي فلذلك نالوا ما نالوا من الفوز
العظيم ومعنى الاحسان بالاجمال ما اشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن
تراه فانه يراك وقد فسر بقوله تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون اي كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل
على ان قليلا ظرف او كانوا يهجعون هجوعا قليلا على انه صفة لمصدر وما مزيدة في الوجهين ويجوز ان تكون مصدرية
او موصولة مرتفعة بقليلا على الفاعلية اي كانوا قليلا من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه وفيه مبالغات في
تقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذي هو وقت الراحة والهجوع الذي هو الغرار من النوم وزيادة
ما ولا مساغ بجعل ما نافية على معنى انهم لا يهجعون من الليل قليلا بل يحيونه كله لما ان ما النافية لا تعمل فيها
ما بعدها فيما قبلها وبالاسحار هم يستغفرون اي هم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم يداومون على الاستغفار
في الاسحار كانهم اسلفوا ليلهم باقتراف الجرائم وفي بناء الفعل على الضمير اشعار بانهم الاحقاء بان يوصفوا
بالاستغفار وكانهم المختصون به لاستدامتهم له واطنابهم فيه وفي اموالهم حق اي نصيب وافر يستوجبونه
على انفسهم تقربا الى الله تعالى واشفاقا على الناس للسائل والمحروم للمستجدي والمتعفف الذي يحسبه الناس
غنيا فيحرم الصدقة وفي الارض آيات للموقنين اي دلائل واضحة على شؤونه تعالى على التفصيل من حيث انها
مدحوة كالبساط الممتد وفيها مسالك وفجاج للمتقلبين في اقطارها والسالكين في مناكبها وفيها سهل وجبل
وبر وبحر وقطع متجاورات وعيون متفجرة ومعادن مفتنة وانها تلقح بالوان النبات وانواع الاشجار و
الثمار المختلفة الالوان والطعوم والروائح وفيها دواب منبثة قد رتب كلها ودبر لمنافع ساكنيها ومصالحهم
في صحتهم واعتلالهم وفي انفسكم اي وفي انفسكم آيات اذ ليس في العالم شيء الا وفي الانفس له دليل يدل
دلالته على انفراده من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال البديعة
واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة افلا تبصرون اي الا تنظرون فلا تبصرون بعين
البصيرة وفي السماء رزقكم اي اسباب رزقكم او تقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فانه سبب
الاقوات وما توعدون من الثواب لان الجنة في السماء السابعة او لان الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة في
السماء وقيل انه مبتدا خبره قوله تعالى فورب السماء والارض انه لحق على ان الضمير لما واما على الاول فاما
له واما لما ذكر من امر الآيات والرزق على انه مستعار لاسم الاشارة مثل ما انكم تنطقون اي كما انه لا شك
لكم في انكم تنطقون ينبغي ان لا تشكوا في حقيقته ونصبه على الحالية من المستكن في لحق او على انه نعت لحقا مثل
نطقكم وقيل انه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو ما ان كانت عبارة عن شيء وان بما في حيزها ان جعلت
زائدة ومحل الرفع على انه صفة لحق ويؤيده القراءة بالرفع هل اتاك حديث ضيف ابرهيم تفخيم لشان الحديث وتنبيه
على انه ليس مما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير طريق الوحي والضيف في الاصل مصدر ضافه ولذلك
يطلق على الواحد والجماعة كالزور والصوم وكانوا اثني عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبريل وميكائيل وملك
آخر معهما عليهما السلام وتسميتهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف حيث اضافهم ابرهيم عليه السلام
او لانهم كانوا في حسبانه كذلك المكرمين اي المكرمين عند الله تعالى وعند ابرهيم حيث خدمهم بنفسه
وبزوجته اذ دخلوا عليه ظرف للحديث او لما في الضيف من معنى الفعل او من المكرمين ان فسر باكرام ابرهيم
فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما قال اي ابرهيم سلام اي عليكم سلام عدل به الى الرفع بالابتداء للقصد
الى الثبات والدوام حتى يكون تحيته عليه السلام احسن من تحيتهم وقرئ مرفوعين وقرئ سلم وقرئ منصوبا

والمعنى واحد قوم منكرون انكرهم عليه السلام للسلام الذي هو علم الاسلام اولانهم ليسوا ممن عهدهم
من الناس او لان اوضاعهم واشكالهم خلاف ما عليه السلام ولعله انما قاله في نفسه من غير ان يشعرهم بذلك
لانه خاطبهم به جهرًا او سألهم ان يعرفوه انفسهم كما قيل والا لكشفوا احوالهم عند ذلك ولم يتصد عليه
السلام لمقدمات الضيافة فراغ الى اهله اي ذهب اليهم على خفية من ضيفه فان من ادب المضيف
ان يبادر بالقرى حذارًا من ان يكفه ويعذره او يصير منتظرًا والفاء في قوله تعالى فجاء بعجل سمين فصيحة
مفصحة عن جمل قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بكمال سرعة المجيء بالطعام كما في قوله تعالى
فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق فذبح عجلًا فحنذه فقربه اليهم بان وضعه لديهم حسبما هو المعتاد قال
الا تاكلون انكارًا لعدم تعرضهم للاكل فاوجس منهم اضمر في نفسه خيفة لتوهم انهم جاؤوا للشر
وقيل وقع في قلبه انهم ملائكة جاؤوا للعذاب قالوا لا تخف انا رسل ربك قيل مسح جبريل عليه
السلام العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه فعرفهم وامن منهم وبشروه وفي سورة الصافات
وبشرناه اي بواسطتهم بغلام هو اسحاق عليه السلام عليم عند بلوغه واستوائه فاقبلت امراته سارة
لما سمعت بشارتهم الى بيتها وكانت في زاوية تنظر اليهم في صرة في صيحة من الصرير ومحله النصب
على الحالية او المفعولية ان جعلت اقبلت بمعنى اخذت كما يقال اقبل يشتمني فصكت وجهها اي لطمته من
الحياء لما انها وجدت حرارة دم الطمث وقيل ضربت باطراف اصابعها جبهتها كما يفعل المتعجب وقالت
عجوز عقيم[٢] وانما نحن معبرون نخبرك به عنه تعالى لا انا نقوله من تلقاء انفسنا انه هو العليم الحكيم فيكون
قوله حقًا وفعله متقنا لا محالة روي ان جبريل عليه السلام قال لها انظري الى سقف بيتك
فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة ولم تكن هذه المفاوضة مع سارة فقط بل مع ابرهيم عليه السلام
ايضا حسبما شرح في سورة الحجر وانما لم يذكر هاهنا اكتفاء بما ذكر هناك كما انه لم يذكر هناك
سارة اكتفاء بما ذكر هاهنا وفي سورة هود قال اي ابرهيم عليه السلام لما علم انهم ملائكة ارسلوا
لامر فما خطبكم اي شانكم الخطير الذي لاجله ارسلتم سوى البشارة ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى
قوم مجرمين يعنون قوم لوط لنرسل عليهم اي بعد ما قلبنا قراهم وجعلنا عاليها سافلها حسبما فصل
في سائر السور الكريمة حجارة من طين متحجر من السجيل مسومة مرسلة من اسمت الماشية اي ارسلتها او
معلمة من المسومة وهي العلامة وقد مر تفصيله في سورة هود عند ربك للمسرفين المجاوزين الحد
في الفجور وقوله تعالى فاخرجنا الى اخره حكاية من جهته تعالى لما جرى على قوم لوط عليه السلام بطريق
الاجمال بعد حكاية ما جرى بين الملائكة وبين ابرهيم من الكلام والفاء فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت
ثقة بذكرها في مواضع كانه قيل فباشروا ما امروا به فاخرجنا بقولنا فاسر باهلك الى اخره من كان فيها
اي في قرى قوم لوط واضمارها بغير ذكر لشهرتها من المؤمنين ممن امن بلوط عليه السلام فما وجدنا
فيها غير بيت اي غير اهل بيت من المسلمين قيل هم لوط وابنتاه وقيل كان لوط واهل بيته الذين سلموا
نحو ثلاثة عشر وتركنا فيها اي في القرية اية اي علامة دالة على ما اصابهم من العذاب قيل تلك
الاحجار او صخر منضود فيها او ماء منتن للذين يخافون العذاب الاليم اي من شانهم ان يخافوه لسلامة
فطرتهم ورقة قلوبهم دون من عداهم من ذوي القلوب القاسية فانهم لا يعتدون به ولا يعدونه اية وفي
موسى عطف على قوله تعالى وفي الارض او على قوله تعالى وتركنا فيها اية على معنى وجعلنا في موسى
اية كقول من قال علفتها تبنا وماء باردا اذ ارسلناه قيل منصوب باية وقيل بمحذوف اي كائنة
وقت ارسالنا وقيل بتركنا الى فرعون بسلطان مبين هو ما ظهر على يديه من المعجزات الباهرة فتولى بركنه
اي فاعرض عن الايمان وازور كقوله تعالى وناى بجانبه وقيل فتولى بما يتقوى به من ملكه وعساكره

[٢] اي انا عجوز عاقر فكيف الد قالوا كذلك اي مثل ذلك القول الكريم قال ربك
صح

فان الركن

فان الركن اسم لما يركن اليه الشيء وقرئ بركنه بضم الكاف وقال ساحر اي هو ساحر او مجنون كانه نسب
ما ظهر على يديه عليه السلام من الخوارق العجيبة الى الجن وتردد في انه حصل باختياره وسعيه او بغيرهما فاخذناه
وجنوده فنبذناهم في اليم وفيه من الدلالة على غاية عظم شان القدرة الربانية ونهاية قماءة فرعون وقومه
ما لا يخفى وهو مليم اي ات بما يلام عليه من الكفر والطغيان والجملة حال من الضمير في فاخذناه وفي عاد اذ ارسلنا
عليهم الريح العقيم وصفت بالعقم لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم او لانها لم تتضمن خيرا ما من انشاء مطر
او القاح شجر وصفت بالعقم لانها وهي النكباء او الدبور او الجنوب ما تذر من شيء اتت عليه اي جرت عليه الا
جعلته كالرميم هو كل ما رم وبلي وتفتت من عظم او نبات او غير ذلك وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين وهو قوله
تعالى تمتعوا في داركم ثلاثة ايام قيل قال لهم صالح عليه السلام تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم
الثالث مسودة ثم يصيبكم العذاب فعتوا عن امر ربهم اي فعتوا عن الامتثال به فاخذتهم الصاعقة قيل لما راوا
العلامات التي بينها صالح عليه السلام من اصفرار وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا الى قتله عليه السلام
فنجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم الصيحة فهلكوا وقرئ
الصعقة وهي المرة من الصعق وهم ينظرون اليها ويعاينونها فما استطاعوا من قيام كقوله تعالى فاصبحوا في
دارهم جاثمين وما كانوا منتصرين بغيرهم كما لم يمتنعوا بانفسهم وقوم نوح اي واهلكنا قوم نوح فان ما قبله
يدل عليه اي واذكر ويجوز ان يكون معطوفا على محل في عاد ويؤيده القراءة بالجر وقيل هو معطوف على مفعول
فاخذناه من قبل اي من قبل هؤلاء المهلكين انهم كانوا قوما فاسقين اي خارجين عن الحدود فيما كانوا فيه
من الكفر والمعاصي والسماء بنيناها بايد اي بقوة وانا لموسعون لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع
القادر على الانفاق او لموسعون السماء او ما بينها وبين الارض او الرزق والارض فرشناها مهدناها وبسطناها
ليستقروا عليها فنعم الماهدون نحن ومن كل شيء اي من الاجناس خلقنا زوجين اي نوعين ذكرا وانثى وقيل متقابلين
السماء والارض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر ونحو ذلك لعلكم تذكرون اي فعلنا ذلك
كله كي تتذكروا فتعرفوا انه خالق الكل ورازقه وانه المستحق للعبادة وانه قادر على اعادة الجميع
فتعملوا بمقتضاه قوله تعالى ففروا الى الله مقدر بقول خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق
التلوين والفاء اما لترتيب الامر على ما حكي من اثار غضبه الموجبة للفرار منها ومن احكام رحمته
المستدعية للفرار اليها كانه قيل قل لهم اذا كان الامر كذلك فاهربوا الى الله الذي هذه شؤونه بالايمان
والطاعة كي تنجوا من عقابه وتفوزوا بثوابه واما للعطف على جملة مقدرة مترتبة على قوله تعالى
لعلكم تذكرون كانه قيل لهم تذكروا ففروا الى الله تعالى الى اخره قوله تعالى اني لكم منه نذير مبين
تعليل للامر بالفرار اليه وعليهم ان يمتثلوا به اي اني لكم من جهته تعالى منذر لما يجب الفرار منه
العذاب المنذر به وفي امره تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم بان يامرهم بالهروب اليه تعالى من عقابه
وتعليل بانه عليه الصلوة والسلام ينذرهم من جهته تعالى لا من تلقاء نفسه وعد كريم بنجاتهم من المهروب
وفوزهم بالمطلوب وقوله تعالى ولا تجعلوا مع الله الها اخر نهي موجب للفرار من سبب العقاب بعد الامر بالفرار
من نفسه كما يشعر به قوله تعالى اني لكم منه اي من الجعل المنهي عنه نذير مبين فان تعلق كلمة من بالانذار
مع كون صلته بالباء بتضمينه معنى الفرار يقال فر منه اي هرب وافره غيره كانه قيل وفروا من ان تجعلوا
معه تعالى اعتقادا او قولا الها اخر وفيه تاكيد لما قبله من الامر بالفرار من العقاب اليه تعالى لكن لا
بطريق التكرير كما قيل بالنهي عن سببه وايجاب الفرار عنه كذلك اي الامر مثل ما ذكر من تكذيبهم الرسول
وتسميتهم له ساحرا ومجنونا قوله تعالى ما اتى الذين من قبلهم الى اخره تفسير له اي ما اتاهم من رسول من
رسل الله الا قالوا في حقه ساحر او مجنون ولا سبيل الى انتصاب الكاف باتى لامتناع عمل ما النافية فيما

قبلها اتواصوا به انكار وتعجيب من حالهم واجماعهم على تلك الكلمة الشنيعة التي لا تكاد تخطر ببال احد من
العقلاء فضلا عن التفوه بها اي اوصى بهذا القول بعضهم بعضا حتى اتفقوا عليه قوله تعالى بل هم قوم طاغون
اضراب عن كون مدار اتفاقهم على الشر تواصيهم بذلك واثبات لكونه امرا اقبح من التواصي واشنع منه من
الطغيان الشامل للكل الدال على ان صدور تلك الكلمة الشنيعة عن كل واحد منهم بمقتضى طبايعهم فتول عنهم
فاعرض عن جدالهم فقد كررت عليهم الدعوة فابوا الا الاباء فما انت بملوم على التولي بعد ما بذلت المجهود وجاوزت
في الابلاغ كل حد معهود وذكر اي افعل التذكير والموعظة ولا تدعها بالمرة اوفذكرهم وقد حذف الضمير
لظهور الامر فان الذكرى تنفع المؤمنين اي الذين قدر الله تعالى ايمانهم او الذين امنوا بالفعل فانها تزيدهم بصيرة
وقوة في اليقين وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون استيناف مؤكد للامر مقرر لمضمون تعليله فان كون خلقهم مغيا
بعبادته تعالى مما يدعوه صلى الله عليه وسلم الى تذكيرهم ويوجب عليهم التذكر والاتعاظ ولعل تقديم خلق
الجن في الذكر لتقدمه على خلق الانس في الوجود ومعنى خلقهم لعبادته تعالى خلقهم مستعدين لها ومتمكنين منها
اتم استعداد واكمل تمكن مع كونها مطلوبة منهم بتنزيل ترتب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتب الغرض على
ما هو غرض له فان استتباع افعاله تعالى لغايات جليلة مما لا نزاع فيه قطعا كيف لا وهي رحمة منه تعالى وتفضل
على عباده وانما الذي لا يليق بجنابه عز وجل تعليلها بالغرض بمعنى الباعث على الفعل بحيث لولاه لم يفعله
لافضائه الى استكماله بفعله وهو الكامل بالفعل من كل وجه واما بمعنى نهاية كمالية يفضي اليها فعل
الفاعل الحق فغير منفي من افعاله تعالى بل كلها جارية على ذلك المنهاج وعلى هذا الاعتبار يدور وصفه
تعالى بالحكمة ويكفي في تحقق معنى التعليل على ما يقوله الفقهاء ويتعارفه اهل اللغة هذا المقدار وبه
يتحقق مدلول اللام واما ارادة الفاعل لها فليست من مقتضيات اللام حتى يلزم من عدم صدور العبادة عن البعض
تخلف المراد عن الارادة فان تعوق البعض عن الوصول الى الغاية مع تعاضد المبادي وتاخذ المقدمات
الموصلة اليها لا يمنع كونها غاية كما في قوله تعالى كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس الاية ونظايره وقيل المعنى
الا ليؤمروا بعبادتي كما في قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا وقيل المراد سعداء الجنسين كما ان
المراد بقوله تعالى ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس اشقياؤهما ويعضده قراءة من قرا وما خلقت
الجن والانس من المؤمنين وقال مجاهد واختاره البغوي معناه الا ليعرفون ومداره قوله صلى الله عليه وسلم
فيما يحكيه عن رب العزة كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف ولعل السر في التعبير
عن المعرفة بالعبادة على طريقة اسم السبب على المسبب التنبيه على ان المعتبر هي المعرفة الحاصلة بعبادته
تعالى لا ما تحصل بغيرها كمعرفة الفلاسفة ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون بيان لكون شانه
تعالى مع عباده متعاليا عن ان يكون كشان السادة مع عبيدهم حيث يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم
وتهيئة ارزاقهم اي ما اريد ان اصرفهم في تحصيل رزقي ولا رزقهم بل اتفضل عليهم برزقهم وبما يصلحهم
ويعيشهم من عندي فليشتغلوا بما خلقوا له من عبادتي ان الله هو الرزاق الذي يرزق كل ما يفتقر الى الرزق
وفيه تلويح بانه غني عنه وقرئ اني انا الرزاق ذو القوة المتين بالرفع على انه نعت للرزاق او لذو
او خبر بعد خبر او خبر لمضمر على انه وصف للقوة على تاويل الاقتدار والايد فان للذين ظلموا اي ظلموا
انفسهم بتعريضها للعذاب الخالد بتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم او وضعوا مكان التصديق تكذيبا
وهم اهل مكة ذنوبا اي نصيبا وافرا من العذاب مثل ذنوب اصحابهم مثل انصباء نظرائهم من الامم المحكية
وهو ماخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالذنوب وهو الدلو العظيم المملوء فلا يستعجلون اي لا يطلبوا مني
ان اعجل في المجيء به يقال استعجله اي حثه على العجلة وامره بها ويقال استعجله اي طلب وقوعه
بالعجلة ومنه قوله تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه وهو جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين

فويل للذين كفروا وضع الموصول موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بما في حيز الصلة من الكفر واشعارا بعلة الحكم
والفاء لترتيب ثبوت الويل لهم على ان لهم عذابا عظيما كما ان الفاء الاولى لترتيب النهي عن الاستعجال على
ذلك ومن في قوله تعالى من يومهم الذي يوعدون للتعليل اي يوعدونه من يوم بدر وقيل يوم القيمة وهو الانسب
بما في صدر السورة الكريمة الاتية والاول هو الاوفق لما قبله من حيث انهما من العذاب الدنيوي عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرا والذاريات اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا صدق رسول الله صلى الله عليه

سورة الطور وهي تسع واربعون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم والطور الطور بالسريانية الجبل والمراد به طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى
عليه السلام كلام الله عز وعلا وكتاب مسطور مكتوب على وجه الانتظام فان السطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد
به القران او الواح موسى عليه السلام وهو الانسب بالطور او ما يكتب في اللوح او ما يكتبه الحفظة في رق منشور
الرق الجلد الذي يكتب فيه استعير لما يكتب فيه الكتاب من الصحيفة وتنكيرهما للتفخيم او للاشعار بانهما
ليسا مما يتعارفه الناس والبيت المعمور اي الكعبة وعمارتها بالحجاج والعمار والمجاورين والضراح وهو في السماء
الرابعة وعمرانه كثرة من يغشاه من الملائكة والسقف المرفوع اي السماء ولا يخفى حسن موقع العنوان المذكور
والبحر المسجور اي المملوء وهو البحر المحيط او الموقد من قوله تعالى واذا البحار سجرت فالمراد به الجنس روي ان الله
تعالى يجعل البحار نارا يسجر بها نار جهنم ان عذاب ربك لواقع اي لنازل حتما جواب للقسم قوله تعالى ما له من
دافع اما خبر ثان لان او صفة لواقع ومن واقع اما مبتدا للظرف او مرتفع منه على الفاعلية ومن
مزيدة للتاكيد وتخصيص هذه الامور بالاقسام لانها امور عظام تنبي عن عظم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته
الدالة على احاطته تعالى بتفاصيل اعمال العباد وضبطها الشاهدة بصدق اخبارها التي من جملتها الجملة
المقسم عليها قوله تعالى يوم تمور السماء مورا ظرف لواقع مبين لكيفية الوقوع منبئ عن كمال هوله وفظاعته
والمور الاضطراب والتردد في المجيء والذهاب وقيل هو تحرك في تموج قيل تدور السماء كما يدور الرحاء وتتكفا
باهلها تكفؤ السفينة وقيل تختلف اجزاؤها وتسير الجبال سيرا اي تزول عن وجه الارض فتصير هباء وتاكيد
الفعلين بمصدريهما للايذان بغرابتهما وخروجهما عن الحدود المعهودة اي مورا عجيبا وسيرا بديعا لا يدرك
كنههما فويل يومئذ للمكذبين اي اذا وقع ذلك او اذا كان الامر كما ذكر فويل يومئذ يقع ذلك لهم الذين هم في خوض
اي اندفاع عجيب في الاباطيل والاكاذيب يلعبون يلهون يوم يدعون الى نار جهنم دعا اي يدفعون اليها دفعا
عنيفا شديدا بان تغل ايديهم الى اعناقهم وتجمع نواصيهم الى اقدامهم فيدفعوا الى النار وقرئ يدعون
من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوين ويوم اما بدل من يوم تمور او ظرف لقول مقدر قبل قوله تعالى هذه
النار التي كنتم بها تكذبون اي يقال لهم ذلك ومعنى التكذيب بها تكذيبهم بالوحي الناطق بها قوله تعالى
افسحر هذا توبيخ وتقريع لهم حيث كانوا يسمونه سحرا كانه قيل كنتم تقولون للقران الناطق بهذا سحر
وتقديم الخبر لانه محط الانكار ومدار التوبيخ ام انتم لا تبصرون ام انتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر ام
سدت ابصاركم كما سدت في الدنيا على زعمكم حيث كنتم تقولون انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون
اصلوها فاصبروا او لا تصبروا اي ادخلوها وقاسوا شدايدها فافعلوا ما شئتم من الصبر وعدمه سواء عليكم
اي الامران في عدم النفع لا بدفع العذاب ولا بتخفيفه انما تجزون ما كنتم تعملون تعليل للاستواء فان الجزاء
حيث كان واجب الوقوع حتما كان الصبر وعدمه سواء في عدم النفع ان المتقين في جنات ونعيم اي في اية
جنات واي نعيم على ان التنوين للتفخيم او في جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين على انه للتنويع فاكهين
ناعمين متلذذين بما اتيهم ربهم وقرئ فكهين وفاكهون على انه الخبر والظرف لغو متعلق بالخبر او خبر اخر

ووقيهم ربهم عذاب الجحيم عطف على اتيهم على ان ما مصدرية او على خبر ان او حال باضمار قد اما من المستكن في الخبر او في الحال واما من فاعل اتى او من مفعوله او منهما واظهار الرب في موقع الاضمار مضافا الى ضميرهم للتشريف والتعليل **كلوا واشربوا هنيئا** اي يقال لهم كلوا واشربوا اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه **بما كنتم تعملون** بسببه او بمقابلته وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا اي هنأكم ما كنتم تعملون اي جزاؤه **متكئين على سرر مصفوفة** مصطفة **وزوجناهم بحور عين** وقرئ بحور عين على اضافة الموصوف الى صفته بالتأويل المشهور والباء مع ان التزويج مما يتعدى الى مفعولين لما فيه من معنى الوصل والالصاق او للسببية والمعنى صيرناهم ازواجا بسببهن فان الزوجية لا تتحقق بدون انضمامهن اليهم **والذين امنوا** الى آخره كلام مستأنف مسوق لبيان حال طائفة من اهل الجنة اثر بيان حال الكل وهم الذين شاركتهم ذريتهم في الايمان وهو مبتدا خبره الحقنا بهم قوله تعالى **واتبعناهم ذريتهم** عطف على امنوا وقيل اعتراض وقوله تعالى **بايمان** متعلق بالاتباع اي اتبعهم ذريتهم بايمان في الجملة قاصر عن رتبة ايمان الاباء واعتبار هذا القيد للايذان بثبوت الحكم في الايمان الكامل اصالة لا الحاقا وقرئ ذرياتهم للمبالغة في الكثرة وذرياتهم بكسر الذال وقرئ واتبعناهم ذرياتهم اي جعلناهم تابعين لهم في الايمان وقرئ اتبعتهم **الحقنا بهم ذريتهم** اي في الدرجة لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الاية **وما التناهم** وما نقصنا الاباء **من عملهم** من ثواب عملهم **من شيء** بان اعطينا بعض مثوباتهم ابناءهم فينتقص مثوبتهم وتنحط درجتهم وانما رفعناهم الى منزلتهم بمحض التفضل والاحسان وقرئ التناهم بكسر اللام من الت يالت كعلم يعلم والاول كضرب يضرب ولتناهم من لات يليت والتناهم من الت يولت ولتناهم من ولت يلت والكل بمعنى واحد هذا وقد قيل الموصول معطوف على حور والمعنى قرناهم بالحور وبالذين امنوا اي بالرفقاء والجلساء منهم فيتمتعون تارة بملاعبة الحور واخرى بمؤانسة الاخوان المؤمنين فقوله تعالى واتبعتهم عطف على زوجناهم وقوله تعالى بايمان متعلق بما بعده اي بسبب ايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان الاباء الحقنا بدرجاتهم ذرياتهم وان كانوا لا يستأهلونها تفضلا عليهم وعلى ابائهم ليتم سرورهم ويكمل نعيمهم او بسبب ايمان داني المنزلة وهو ايمان الذرية كانه قيل بشيء من الايمان لا يؤهلهم لدرجة الاباء الحقناهم بهم **كل امرئ بما كسب رهين** قيل هو فعيل بمعنى المفعول والمعنى كل امرئ مرهون عند الله تعالى بالعمل الصالح فان عمله فكه والا اهلكه وقيل بمعنى الفاعل والمعنى كل امرئ بما كسب راهن اي دائم ثابت وهذا انسب بالمقام فان الدوام يقتضي عدم المفارقة بين المرء وعمله ومن ضرورته ان لا ينقص من ثواب الاباء شيء فالجملة تعليل لما قبلها **وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون** وزدناهم على ما كان لهم من مبادي التنعم وقتا وقتا ما يشتهون من فنون النعماء والوان الالاء **يتنازعون فيها** اي يتعاطون فيها هم وجلساؤهم بكمال رغبة واشتياق كما ينبئ عنه التعبير عن ذلك بالتنازع **كاسا** اي خمرا تسمية لها باسم محلها **لا لغو فيها** اي في شربها حيث لا يتكلمون في اثناء الشرب بلغو الحديث وسقط الكلام **ولا تاثيم** ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله اي ينسب الى الاثم او فعله في دار التكليف كما هو ديدن المتكلفين في الدنيا وانما يتكلمون بالحكم واحاسن الكلام ويفعلون ما يفعل الكرام وقرئ لا لغو فيها ولا تاثيم بالفتح **ويطوف عليهم** اي بالكاس **غلمان لهم** اي مماليك مخصوصون بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم **كانهم لؤلؤ مكنون** مصون في الصدف من بياضهم وصفائهم اي مخزون لانه لا يخزن الا الثمين الغالي القيمة قال قتادة هذا الخادم فكيف المخدوم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدامه فيجيبه الف لبيك لبيك **واقبل بعضهم على بعض يتساءلون** اي يسال كل بعض منهم بعضا آخر معينا **قالوا**

اي المسئولون

اي المسئولون وهم كل واحد منهم في الحقيقة **انا كنا** اي في الدنيا **قبل في اهلنا مشفقين** ارقاء القلوب خائفين من عصيان الله تعالى معتنين بطاعته او وجلين من العاقبة **فمن الله علينا** بالرحمة او التوفيق للحق **ووقانا عذاب السموم** عذاب النار النافذة **انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر** المحسن **الرحيم** الكثير الرحمة الذي اذا عبد اثاب واذا سئل اجاب وقرئ انه بالفتح بمعنى لانه **فذكر** فاثبت على ما انت عليه من التذكير بما انزل عليك من الايات والذكر الحكيم ولا تكترث بما يقولون مما لا خير فيه من الاباطيل **فما انت بنعمة ربك** بحمد الله وانعامه بصدق النبوة ورجاحة العقل **بكاهن ولا مجنون** كما يقولون قاتلهم الله انى يؤفكون **ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون** وهو ما يقلق النفوس ويشخص بها من حوادث الدهر وقيل المنون الموت وهو في الاصل فعول من منه اذا قطعه لان الموت قطوع اي بل يقولون ننتظر به نوائب الدهر **قل تربصوا فاني معكم من المتربصين** اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي وفيه عدة كريمة باهلاكهم **ام تامرهم احلامهم** اي عقولهم **بهذا** اي بهذا التناقض في المقال فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر في الامور والمجنون مغطى عقله مختل فكره والشاعر ذو كلام موزون متسق مخيل فكيف يجتمع اوصاف هؤلاء في واحد وامر الاحلام بذلك مجاز من اداءها اليه **ام هم قوم طاغون** مجاوزون الحدود في المكابرة والعناد ولا يحومون حول الرشد والسداد ولذلك يقولون ما يقولون من الاكاذيب الخارجة عن دائرة العقول والظنون وقرئ بل هم **ام يقولون تقوله** اي اختلقه من تلقاء نفسه **بل لا يؤمنون** فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه الاباطيل التي لا يخفى على احد بطلانها كيف لا وما رسول الله صلى الله عليه وسلم الا واحد من العرب فكيف اتى بما عجز عنه كافة الامم من العرب والعجم **فلياتوا بحديث مثله** مثل القران في النعوت الذي استقل بها من حيث النظم ومن حيث المعنى **ان كانوا صادقين** فيما زعموا فان صدقهم في ذلك يستدعي قدرتهم على الاتيان بمثله بقضية مشاركتهم له صلى الله عليه وسلم في البشرية والعربية مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والاشعار وكثرة المزاولة لاساليب النظم والنثر والمبالغة في حفظ الوقائع والايام ولا ريب في ان القدرة على الشيء من موجبات الاتيان به ودواعي الامر بذلك **ام خلقوا من غير شيء** اي ام احدثوا وقدروا هذا التقدير البديع من غير محدث ومقدر وقيل ام خلقوا من اجل لا شيء من عبادة وجزاء **ام هم الخالقون** لانفسهم فلذلك لا يعبدون الا الله سبحانه **ام خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون** اي اذا سئلوا من خلقهم وخلق السموات والارض قالوا الله وهم غير موقنين بما قالوا والا لما اعرضوا عن عبادته **ام عندهم خزائن ربك** اي خزائن رزقه ورحمته حتى يرزقوا النبوة من شاؤوا او يمسكوها عمن شاؤوا او اعندهم خزائن علمه وحكمته حتى يختاروا لها من اقتضت الحكمة اختياره **ام هم المسيطرون** اي الغالبون على الامور يدبرونها ويبنوا الامور على ارادتهم ومشيئتهم وقرئ بالصاد خالصة **ام لهم سلم** منصوب الى السماء **يستمعون فيه** صاعدين الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من الامور التي يتقولون فيها رجما بالغيب ويطلقون بها اطماعهم الفارغة **فليات مستمعهم بسلطان مبين** بحجة واضحة بصدق استماعه **ام له البنات ولكم البنون** تسفيه لهم وتركيك لعقولهم وايذان بان من هذا دابه لا يكاد يعد من العقلاء فضلا عن الترقي الى عالم الملكوت والتطلع على اسرار الغيب والالتفات الى الخطاب للتشديد بما في ام المنقطعة من الانكار والتوبيخ **ام تسالهم اجرا** رجوع الى خطابه صلى الله عليه وسلم واعراض عنهم اي بل اتسالهم اجرا على تبليغ الرسالة **فهم** لاجل ذلك **من مغرم** من التزام غرامة فادحة **مثقلون** يحملون الثقل فلذلك لا يتبعونك **ام عندهم الغيب** اي اللوح المحفوظ المثبت فيه الغيوب **فهم يكتبون** ما فيه حتى يتكلموا في ذلك بنفي او اثبات **ام يريدون كيدا** هو كيدهم برسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الندوة **فالذين كفروا** هم المذكورون ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بما في حيز الصلة من الكفر وتعليل الحكم به او جميع الكفرة وهم

تبصير

داخلون فيه دخولا اوليا هم المكيدون اي هم الذين يحيق بهم كيدهم او يعود عليهم وباله لا من ارادوا ان يكيدوه
وهو ما اصابهم يوم بدر او هم المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته ام لهم اله غير الله يعينهم ويحرسهم من عذابه
سبحان الله عما يشركون اي تنزه عن شركة ما يشركونه وان يروا كسفا قطعة من السماء ساقطا لتعذيبهم يقولوا
من فرط طغيانهم سحاب مركوم اي هم في الطغيان بحيث لو اسقطناه عليهم حسبما قالوا او تسقط السماء كما زعمت
علينا كسفا لقالوا هذا سحاب تراكم بعضها على بعض يمطرنا ولم يصدقوا انه كسف ساقط للعذاب فذرهم
حتى يلاقوا وقرئ حتى يلقوا يومهم الذي فيه يصعقون على البناء للمفعول من صعقته الصاعقة او من اصعقته
وقرئ يصعقون بفتح الياء والعين وهو يوم يصيبهم الصعقة بالقتل يوم بدر لا النفخة الاولى كما
قيل اذ لا يصعق بها الا من كان حيا حينئذ ولان قوله تعالى يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا اي شيئا من الاغناء
بدل من يومهم ولا يخفى ان التعرض لبيان ان عدم نفع كيدهم يستدعي استعمالهم له طمعا في الانتفاع به وليس
ذلك الا ما دبروا في امره صلى الله عليه وسلم من الكيد الذي من جملته مناصبتهم يوم بدر واما النفخة
الاولى فليست مما يجري في مدافعته الكيد والحيل وقيل هو يوم موتهم وفيه ما فيه مع ما يأباه الاضافة
المنبئة عن اختصاصه بهم ولا هم ينصرون من جهة الغير في دفع العذاب عنهم وان للذين ظلموا اي لهم
ووضع الموصول موضع الضمير لما ذكر من قبل اي وان لهؤلاء الظلمة عذابا اخر دون ذلك دون ما لاقوه
من القتل اي قبله وهو القحط الذي اصابهم سبع سنين او وراءه كما في قوله تريك القذى من دونها وهو
دونها وهو عذاب القبر وما بعده من فنون عذاب الاخرة وقرئ دون ذلك قريبا ولكن اكثرهم لا يعلمون
ان الامر كما ذكر وفيه اشارة الى ان فيهم من يعلم ذلك وانما يصر على الكفر عنادا او لا يعلمون شيئا
اصلا واصبر لحكم ربك بامهالهم الى اليوم الموعود وابقائك فيما بينهم مع مقاساة الاحزان ومعاناة
الهموم فانك باعيننا اي في حفظنا وحمايتنا بحيث نراقبك ونكلؤك وجمع العين لجمع الضمير والايذان
بغاية الاعتناء بالحفظ وسبح اي نزهه تعالى عما لا يليق به ملتبسا بحمد ربك على نعمائه الفائتة
للحصر حين تقوم من اي مكان قمت قال سعيد بن جبير وعطا اي قل حين تقوم من مجلسك سبحانك
اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك قوله تعالى ومن الليل فسبحه افراد لبعض
الليل بالتسبيح لما ان العبادة فيه اشق على النفس وابعد عن الرياء كما يلوح به تقديمه على الفعل وادبار
النجوم اي وقت ادبارها من اخر الليل اي غيبتها بضوء الصباح وقيل التسبيح من الليل صلاة العشائين وادبار النجوم صلاة الفجر
وقرئ بادبار بالفتح اي في اعقابها اذا غربت او خفيت عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطور كان حقا على الله تعالى ان يؤمنه من
عذابه

سورة النجم وهي اثنان وستون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم والنجم اذا هوى المراد بالنجم اما الثريا فانه اسم غالب له او جنس النجوم وهويه غروبه
او طلوعه يقال هوى هويا بوزن قبول اذا غرب وهويا بوزن دخول اذا علا وصعد واما النجم من نجوم القرآن
وهويه نزوله والعامل في اذا فعل القسم فانه بمعنى مطلق الوقت منسلخ عن معنى الاستقبال كما في قوله
اتيتك اذا احمر البسر وفي الاقسام به دلالة على نزاهته صلى الله عليه وسلم عن شائبة الضلال والغواية
من البراعة البديعة وحسن الموقع ما لا غاية وراءه اما على الاولين فلان النجم شانه ان يهتدي به
الساري الى مسالك الدنيا كانه قيل والنجم الذي يهتدي به السابلة الى سواء السبيل ما ضل صاحبكم
اي ما عدل عن طريق الحق الذي هو مسلك الاخرة وما غوى اي وما اعتقد باطلا قط اي هو في غاية الهدى
والرشد وليس مما يتوهمونه من الضلال والغواية في شيء اصلا واما على الثالث فلانه تنويه بشان القرآن
كما اشير اليه في مطلع سورة يس وسورة الزخرف وتنبيه على انه مناط اهتدائه صلى الله عليه وسلم ومدار

رشاده

رشاده كانه قيل والقرآن الذي هو علم في الهداية الى مناهج الدين ومسالك الحق ما ضل عنها محمد صلى الله
عليه وسلم وما غوى والخطاب لقريش وايراده صلى الله عليه وسلم بعنوان صاحبيته لهم للايذان
بوقوفهم على تفاصيل احواله صلى الله عليه وسلم الشريفة واحاطتهم خبرا ببراءته صلى الله عليه
وسلم مما نفي عنه بالكلية وباتصافه صلى الله عليه وسلم بغاية الهدى والرشاد فان طول صحبتهم له صلى
الله عليه وسلم ومشاهدتهم لمحاسن شئونه العظيمة مقتضية لذلك حتما وتقييد القسم بوقت الهوي
على الوجه الاخير ظاهر واما على الاولين فلان النجم لا يهتدي به الساري عند كونه في وسط السماء ولا يعلم
المشرق من المغرب ولا الشمال من الجنوب وانما يهتدي به عند هبوطه او صعوده مع ما فيه من كمال المناسبة
لما سيحكى من التدلي من الجناب بل من الافق الاعلى منه عليه السلام هذا هو اللائق بشأن التنزيل الجليل
واما حمل هويه على انتثاره يوم القيامة او على انقضاض النجم الذي يرجم به او حمل النجم على النبات وحمل هويه
على سقوطه على الارض او ظهوره منها فمما لا يناسب المقام وما ينطق عن الهوى اي وما يصدر نطقه
بالقرآن عن هواه ورأيه اصلا فان المراد استمرار نفي النطق عنه كما مر مرارا ان هو اي ما الذي ينطق
به من القرآن الا وحي من الله تعالى وقوله تعالى يوحى صفة مؤكدة لوحي رافعة لاحتمال المجاز مفيدة
للاستمرار التجددي علمه شديد القوى اي ملك شديد قواه وهو جبريل عليه السلام فانه الواسطة في
ابداء الخوارق وناهيك دليلا على شدة قوته انه قلع قرى قوم لوط من الماء الاسود الذي تحت الثرى
وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح بثمود صيحة فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه على
الانبياء وصعوده اسرع من رجعة الطرف ذو مرة اي حصافة في عقله ورأيه ومتانة في دينه
فاستوى عطف على علمه بطريق التفسير فانه الى قوله تعالى ما اوحى بيان لكيفية التعليم فاستقام على
صورته الحقيقية التي خلقه الله تعالى عليها دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي وذلك ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يحبها فطلع له جبريل عليه الصلوة والسلام من المشرق فسد الافق الى المغرب
وملأ الافق فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل في صورة الآدميين فضمه الى نفسه وجعل
يمسح الغبار عن وجهه الشريف قيل ما رآه احد في صورته غير النبي صلى الله عليه وسلم فانه رآه فيها مرتين
مرة في الارض ومرة في السماء وقيل استوى بقوة الله تعالى على ما جعل له من الامر قوله تعالى وهو بالافق الاعلى
اي افق الشمس حال من فاعل استوى ثم دنى اي اراد الدنو من النبي عليهما الصلوة والسلام فتدلى اي استرسل
من الافق مع تعلق به ودنا من النبي صلى الله عليه وسلم يقال تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير وادلى
دلوه والدوالي الثمر المعلق فكان اي مقدار امتداد ما بينهما قاب قوسين اي مقدارهما فان القاب
والقيب والقاد والقيد والقيس المقدار وقيل كان جبريل عليه السلام كما في قولك هو مني معقد الازار
او ادنى اي على تقديركم كما في قوله تعالى او يزيدون والمراد تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما
اوحي اليه بنفي البعد الملبس فاوحى اي جبريل عليه السلام الى عبده عبد الله تعالى واضماره قبل الذكر
لغاية ظهوره كما في قوله تعالى ما ترك على ظهرها ما اوحى اي من الامور العظيمة التي لا تفي بها العبارة
وقيل اوحى الله تعالى حينئذ بواسطة جبريل ما اوحى قبل وقيل اوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها
وعلى الامم حتى تدخلها امتك ما كذب الفؤاد اي فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم ما رأى اي ما رآه
ببصره من صورة جبريل عليه الصلوة والسلام اي ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان
كاذبا لانه عرفه بقلبه كما رآه ببصره وقرئ ما كذب اي صدقه ولم يشك في انه جبريل بصورته افتمارونه
على ما يرى اي اتكذبونه فتجادلونه على ما يراه معاينة بعدما ذكر من احواله المنافية للمماراة تماريه
من المراء وهو الملاحاة والمجادلة واشتقاقه من مري الناقة كان كلا من المتجادلين مري ما عند صاحبه

وقري افتمرونه اي افتغلبونه في المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة عدي بعلى كما يقال غلبته على كذا
وقيل افتمرونه افتجحدونه من مراه حقه اي جحده **ولقد راه نزلة اخرى** اي وبالله لقد راى جبريل في صورته مرة اخرى
من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذي هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها وقيل تقديره
ولقد راه نازلا نزلة اخرى فنصبها على المصدر **عند سدرة المنتهى** هي شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش
ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيلة ينبع من اصلها الانهار التي ذكرها الله تعالى في كتابه يسير الراكب في
ظلها سبعين عاما لا يقطعها والمنتهى موضع الانتهاء او الانتهاء كانها في منتهى الجنة وقيل اليها ينتهي علم الخلائق واعمالهم ولا
يعلم احد ما وراءها وقيل ينتهي اليها ارواح الشهداء وقيل ينتهي اليها ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها قيل
اضافة السدرة الى المنتهى اما اضافة الشيء الى مكانه كقولك اشجار البستان واضافة المحل الى الحال كقولك
كتاب الفقه والتقدير سدرة عندها منتهى العلوم اضافة الملك الى المالك على حذف الجار والمجرور اي سدرة
المنتهى اليه وهو الله عز وجل قال تعالى الى ربك المنتهى **عندها جنة المأوى** اي الجنة التي يأوي اليها المتقون
او ارواح الشهداء والجملة حالية قيل الاحسن ان يكون الحال هو الظرف وجنة المأوى مرتفع به على الفاعلية
قوله تعالى **اذ يغشى السدرة ما يغشى** ظرف زمان لراه لا لما بعده من جملة المنفية كما قيل فان ما النافية لا
يعمل بعدها فيما قبلها والغشيان بمعنى التغطية والستر ومنه الغواشي او بمعنى الاتيان يقال فلان يغشاني
في كل حين اي يأتيني والاول هو الاليق بالمقام وفي ابهام ما يغشى من التفخيم ما لا يخفى وتاخيره عن المفعول للتشويق
اليه اي ولقد راه عند السدرة وقت ما غشيها ما غشيها مما لا يكتنهه الوصف ولا يفي به البيان كيفا ولا كما
وصيغة المضارع حكاية الحال الماضية استحضارا لصورتها البديعة وللايذان باستمرار الغشيان بطريق
التجدد وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله تعالى عندها وقيل يزورونها متبركين بها كما يزور
الناس الكعبة وقيل يغشاها سبحات انوار الله عز وجل حين يتجلى لها كما تجلى للجبل لكنها كانت اقوى من الجبل واثبت
حيث لم يصبها ما اصابه من الدك وقيل يغشاها فراش او جراد من ذهب وهو قول ابن عباس وابن مسعود
والضحاك رضي الله تعالى عنهم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رايت السدرة يغشاها فراش من
ذهب ورايت على كل ورقة ملكا قائما يسبح الله تعالى وعنه صلى الله عليه وسلم يغشاها رفرف من طير خضر
ما زاغ البصر اي ما مال بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما راه **وما طغى** وما تجاوزه مع ما شاهد هناك
من الامور المذهلة ما لا يحصى بل اثبته اثباتا صحيحا متقنا او ما عدل عن رؤية العجائب التي امر برؤيتها
ومكن منها وما جاوزها **لقد راى من ايات ربه الكبرى** ما لا يحيط به نطاق العبارة ويجوز ان يكون الكبرى
صفة للايات والمفعول محذوف اي شيئا عظيما من ايات ربه **افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى**
هي اصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل لقريش بنخلة وهي فعلة من لوى لانهم كانوا
يلوون عليها ويطوفون بها وقري بتشديد التاء على انه اسم فاعل اشتهر به رجل كان يلت السمن
بالسويق ويطعمه الحاج وقيل كان يجلس على حجر فلما مات سمي الحجر باسمه وعبد من دون الله تعالى وقيل كان
الحجر على صورته والعزى تانيث الاعز كانت لغطفان وهي شجرة كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها واضعة يدها على راسها وهي تولول
فجعل خالد يضربها بالسيف حتى قتلها فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك العزى ولن تعبد
ابدا ومناة صخرة لهذيل وخزاعة وقيل لثقيف وكانت سميت مناة لان دماء المناسك يمنى عندها اي
تراق وقيل ومناة وهي مفعلة من النوء كانهم كانوا يستمطرون عندها الانواء تبركا بها والاخرى صفة ذم
لها وهي المتاخرة الوضيعة المقدار وقد جوز ان تكون الاولية والتقدم عندهم للات والعزى ثم انهم كانوا
مع ما ذكر من عبادتهم لها يقولون ان الملائكة وتلك الاصنام بنات الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فقيل لهم

توبيخا وتبكيتا افرايتم الى اخره والهمزة للانكار والفاء لتوجيهه الى ترتيب الرؤية على ما ذكر من شؤون
الله تعالى المنافية لها غاية المنافاة وهي قلبية ومفعولها الثاني محذوف لدلالة الحال عليه فالمعنى
اعقيب ما سمعتم من اثار كمال عظمته عز وجل في ملكه وملكوته وجلاله وجبروته واحكام قدرته ونفاذ
امره في الملأ الاعلى وما تحت الثرى وما بينهما رايتم هذه الاصنام مع حقارتها وذلتها شركاء الله
تعالى مع ما تقدم من عظمته وقيل اخبروني عن الهتكم هل لها شيء من القدرة والعظمة التي وصف بها رب
العزة في الاي السابقة وقيل المعنى اظننتم ان هذه الاصنام التي تعبدونها تنفعكم وقيل اظننتم انها تشفع
لكم في الاخرة وقيل اظننتم ان هذه الاصنام ان عبدتموها لا تنفعكم وان تركتموها لا تضركم والاول
هو الحق كما يشهد به قوله تعالى **الكم الذكر وله الانثى** شهادة بينة فانه توبيخ على التوبيخ الاول وحيث
كان مداره تفضيل جانب انفسهم على جنابه تعالى بنسبتهم اليه تعالى الاناث مع اختيارهم لانفسهم
الذكور وجب ان يكون مناط الاول نفس تلك النسبة حتى يتسنى بنا التوبيخ الثاني عليه ظاهر ان
ليس في شيء من التقديرات المذكورة من تلك النسبة عين ولا اثر واما ما قيل من ان هذه النسبة مفعول
ثان للرؤية وخلوها عن العائد الى المفعول الاول لان الاصل اخبروني ان اللات والعزى ومناة الكم الذكر
وله هن اي تلك الاصنام فوضع موضعها الانثى لمراعاة الفواصل وتحقيق مناط التوبيخ فمع ما فيه
من التمحلات التي ينبغي تنزيه ساحة التنزيل عن امثالها يقتضي اقتصار التوبيخ على ترجيح جانبهم الحقير
على جناب الله العزيز الجليل من غير تعرض للتوبيخ على نسبة الولد اليه سبحانه **تلك** اشارة الى
القسمة المنفهمة من الجملة الاستفهامية **اذا قسمة ضيزى** اي جائرة حيث جعلتم له تعالى ما تستنكفون
منه تعالى وهي فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه لتسلم الياء كما فعل في بيض فان فعل بالكسر لم يات
في الوصف وقري ضيزى بالهمزة من ضازه اذا ظلمه على انه مصدر نعت به وقري ضيزى او على انه
مصدر وصف به كدعوى او على انه صفة كسكرى وعطشى **ان هي** الضمير للاصنام اي ما الاصنام
باعتبار الالوهية التي تدعونها **الا اسماء** محضة ليس تحتها مما تنبئ هي عنه من معنى الالوهية شيئا ما اصلا وقوله
تعالى **سميتموها** صفة لاسماء وضميرها لها لا للاصنام والمعنى جعلتموها اسماء لا جعلتم لها اسماء فان التسمية
نسبة بين الاسم والمسمى فاذا قيست الى الاسم فمعناها جعله اسما للمسمى وان قيست للمسمى فمعناها جعله مسمى
للاسم وانما اختير هاهنا المعنى الاول من غير تعرض للمسمى لتحقيق ان تلك الاصنام التي يسمونها الها اسماء
مجردة ليس لها مسميات قطعا كما في قوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها الاية لا ان هناك
مسميات لكنها لا تستحق التسمية وقيل هي للاسماء الثلاثة المذكورة حيث كانوا يطلقونها على تلك الاصنام
لاعتقادهم انها تستحق العكوف على عبادتها والاعزاز والتقرب اليها بالقرابين وانت خبير بانه لو سلم
دلالة الاسماء المذكورة على ثبوت تلك المعاني الخاصة للاصنام فليس في سلبها عنها مزيد فائدة بل
انما هي في سلب الالوهية عنها كما هو زعمهم المشهور في حق جميع الاصنام على وجه برهاني فان انتفاء
الموصوف يقتضي انتفاء الوصف بطريق الاولوية اي ما هي الا اسماء خالية عن المسميات وضعتموها
انتم واباؤكم بمقتضى اهوائكم الباطلة **ما انزل الله بها من سلطان** برهان يتعلقون به **ان يتبعون** التفات
الى الغيبة ايذان بان تعداد قبائحهم اقتضى الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم اي ما يتبعون فيما
ذكر من التسمية والعمل بموجبها **الا الظن** الا توهم ان ما هم عليه حق توهما باطلا **وما تهوى الانفس**
اي تشتهيه انفسهم الامارة بالسوء **ولقد جاءهم من ربهم الهدى** قيل هي حال من فاعل يتبعون او اعتراض
ايا ما كان ففيه تاكيد لبطلان اتباع الظن وهوى النفس وزيادة تقبيح لحالهم فان اتباعهما من اي
شخص كان قبيح وممن هداه الله تعالى بارسال الرسول صلى الله عليه وسلم وانزال الكتاب اقبح **ام للانسان**

ما غوى

ام منقطعة وما فيها من بل للانتقال من بيان ان ما هم عليه غير مستند الا الى توهمهم وهوى انفسهم
الى بيان ذلك مما لا يجدي نفعا اصلا والهمزة للانكار والنفي اي ليس للانسان كلما يتمناه حتما
فلله الآخرة والاولى فان اختصاص امور الآخرة والاولى جميعا مقتض لان يكون له امر من الامور قوله
تعالى وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا اقناط لهم بما علقوا به اطماعهم من شفاعة الملائكة
لهم موجب لاقناطهم عن شفاعة الاصنام بطريق الاولوية وكم خبرية مفيدة للتكثير محلها الرفع
على الابتدا والخبر هي الجملة المنفية وجمع الضمير في شفاعتهم مع افراد الملك باعتبار المعنى اي وكثير
من الملائكة لا تغني شفاعتهم عند الله تعالى شيئا من الاغناء في وقت من الاوقات الا من بعد ان ياذن الله
لهم في الشفاعة لمن يشاء ان يشفعوا ويرضى ويراه اهلا للشفاعة من اهل التوحيد والايمان واما
من عداهم من اهل الكفر والطغيان فهم من اذن الله تعالى بمعزل ومن الشفاعة بالف منزل
فاذا كان حال الملائكة في باب الشفاعة كما ذكر فما ظنهم بحال الاصنام ان الذين لا يؤمنون بالآخرة
وبما فيها من العقاب على ما يتعاطونه من الكفر والمعاصي ليسمون الملائكة المنزهين عن سمات النقصان
على الاطلاق اي يسمون كل واحد منهم بان كلا منهم بنته سبحانه وتعالى وهي التسمية بالانثى وفي
تعليقها بعدم الايمان بالآخرة اشعار بانها في الشناعة والفضاعة واستتباع العقوبة في الآخرة
بحيث لا يجترئ عليها الا من لا يؤمن بها راسا قوله تعالى تسمية الانثى حال من فاعل يسمون اي يسمونهم
والحال انهم لا علم لهم بما يقولون اصلا وقرئ بها اي بالملائكة او بالتسمية وما لهم به من علم في ذلك ان يتبعون
الا الظن الفاسد وان الظن اي جنس الظن كما يلوح به الاظهار في موقع الاضمار لا يغني من الحق شيئا من الاغناء
فان الحق الذي هو عبارة عن حقيقة الشيء ولا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتداد به في شان المعارف
الحقيقية وانما يعتد به في العمليات وما يؤدي اليها فاعرض عمن تولى عن ذكرنا اي عنهم ووضع الموصول
موضع ضميرهم للتوسل به الى وصفهم بما في حيز صلته من الاوصاف القبيحة وتعليل الحكم بها اي فاعرض
عمن اعرض عن ذكرنا المفيد للعلم اليقيني وهو القران المنطوي على علوم الاولين والآخرين المذكر لامور
الآخرة وعن ذكرنا كما ينبغي فان ذلك مستتبع لذكر الآخرة وما فيها من الامور المرغوب فيها والمرهوب عنها
ولم يرد الا الحيوة الدنيا راضيا بها قاصرا نظره عليها والمراد النهي عن دعوته والاعتناء بشانه فان من
اعرض عما ذكر وانهمك في الدنيا بحيث كانت هي منتهى همته وقصارى سعيه لا تزيده الدعوة الى خلافها
الا عنادا واصرارا على الباطل ذلك اي ما اداهم الى ما هم فيه من التولي وقصر الارادة على الحيوة الدنيا
مبلغهم من العلم لا يجاوزونه الى غيره حتى يجديهم الدعوة والارشاد وجمع الضمير في مبلغهم باعتبار معنى
من كما ان افراده فيما سبق باعتبار لفظها والمراد بالعلم مطلق الادراك المنتظم للظن الفاسد
والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها من قصر الارادة على الحيوة الدنيا قوله تعالى ان ربك هو اعلم بمن ضل
عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى تعليل للامر بالاعراض وتكرير قوله قوله تعالى هو اعلم لزيادة التقرير والايذان
بكمال تباين المعلومين والمراد بمن ضل من اصر عليه ولم يرجع الى الهدى اصلا وبمن اهتدى من من شانه
الاهتدا في الجملة اي هو المبالغ في العلم بمن لا يرعوي عن الضلال ابدا وبمن يقبل الاهتدا في الجملة لا
غيره فلا تتعب نفسك في دعوتهم فانهم من القبيل الاول وفي تعليل الامر باعراضه صلى الله عليه وسلم
عن الاعتناء بامرهم باقتصار العلم باحوال الفريقين عليه تعالى رمزا الى انه تعالى يعاملهم بموجب
علمه بهم فيجزي كلا منهم بما يليق به من الجزاء ففيه وعيد ووعد ضمنا كما سياتي صريحا ولله ما في السموات
وما في الارض اي خلقا وملكا لا لغيره اصلا لا استقلالا ولا اشتراكا قوله تعالى ليجزي الى آخره متعلق
بما دل عليه اعلم الى آخره وما بينهما اعتراض مقرر لما قبله فان كون الكل مخلوقا له تعالى مما يقرر علمه

تعالى باحوالهم الا يعلم من خلق كانه قيل فيعلم ضلال من ضل واهتدا من اهتدى ويحفظهما ليجزي
الذين اساؤا بما عملوا اي بعقاب ما عملوا من الضلال الذي عبر عنه بالاساءة بيانا لحاله او بسبب ما
عملوا ويجزي الذين احسنوا اي اهتدوا بالحسنى اي بالمثوبة الحسنى التي هي الجنة او بسبب اعمالهم الحسنى
وقيل متعلق بضل واهتدى ليؤول امره الى ان يجزي بالحسنى وفيه من البعد ما لا يخفى وتكرير الفعل
لابراز كمال الاعتناء بامر الجزاء والتنبيه على تباين الجزائين الذين يجتنبون كبائر الاثم بدل من الموصول
الثاني وصيغة الاستقبال في صلته للدلالة على تجدد الاجتناب واستمراره او بيان او نعت
منصوب على المدح وكبائر الاثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب عليه الوعيد بخصوصه وقرئ
كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك والفواحش وهو ما فحش من الكبائر خصوصا الا اللمم اي الا ما قل
وصغر فانه مغفور ممن يجتنب الكبائر قيل هي النظرة والغمزة والقبلة وقيل هي الخطرة من الذنب وقيل
كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولا عذابا وقيل عادة النفس الحين بعد الحين والاستثناء منقطع ان
ربك واسع المغفرة حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر فالجملة تعليل لاستثناء اللمم وتنبيه على ان
اخراجه عن حكم المؤاخذة به ليس لخلوه عن الذنب في نفسه بل لسعة المغفرة الربانية وقيل
المعنى له ان يغفر لمن يشاء من المؤمنين ما يشاء من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعل تعقيب وعيد
المسيئين ووعد المحسنين بذلك حينئذ لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته تعالى ولا يتوهم وجوب
العقاب عليه تعالى هو اعلم بكم اي باحوالكم يعلمها اذ انشاكم في ضمن انشاء ابيكم آدم عليه السلام من
الارض انشاء اجماليا حسبما مر تحقيقه مرارا واذ انتم اجنة وقت كونكم اجنة في بطون امهاتكم
على اطوار مختلفة مترتبة لا يخفى عليه حال من احوالكم وعمل من اعمالكم التي من جملتها اللمم التي
لولا المغفرة الواسعة لاصابكم وباله فالجملة استيناف مقرر لما قبلها والفاء في قوله تعالى فلا تزكوا
انفسكم لترتيب النهي عن تزكية النفس على ما سبق من ان عدم المؤاخذة باللمم ليس لعدم كونه من
قبيل الذنوب بل لمحض مغفرته تعالى مع علمه بصدوره عنكم اي اذا كان الامر كذلك فلا تثنوا عليها بالطهارة
عن المعاصي بالكلية بما يستلزمها من زكاء العمل ونماء الخير بل اشكروا الله تعالى على فضله ومغفرته هو
اعلم بمن اتقى المعاصي جميعا وهو استيناف مقرر للنهي ومشعر بان فيهم من يتقيها باسرها وقيل كان ناس
يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان بطريق الاعجاب او الريا
فاما من اعتقد ان ما عمله من الاعمال الصالحة من الله تعالى وبتوفيقه وتاييده ولم يقصد به التمدح
لم يكن من المزكين انفسهم فان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر افرايت الذي تولى اي عن اتباع الحق
والثبات عليه واعطى قليلا اي شيئا قليلا او اعطاء قليلا واكدى اي قطع العطاء من قولهم اكدى الحافر
اذا بلغ الكدية اي الصلابة كالصخرة فلا يمكنه ان يحفر قالوا نزلت في الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فعيره بعض المشركين وقال له تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال اخشى
عذاب الله فضمن ان يتحمل عنه العذاب ان اعطاه بعض ماله فارتد واعطاه بعض المشروط وبخل
بالباقي وقيل نزلت في العاص بن وائل السهمي لما انه كان يوافق النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الامور
وقيل في ابي جهل كان يوافق النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الامور وكان يقول والله ما يامرنا محمد الا
بمكارم الاخلاق وذلك قوله تعالى واعطى قليلا واكدى والاول هو الاشهر المناسب لما بعده من قوله
تعالى اعنده علم الغيب فهو يرى الى آخره اي اعنده علم بالامور الغيبية التي من جملتها تحمل صاحبه عنه
يوم القيمة ام لم ينبا بما في صحف موسى وابرهيم الذي وفى اي وفى واتم ما امر به من الكلمات او امر به او بالغ
في الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى انه اتى

جبريل عليه السلام حين القي في النار فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا وعلى ذبح الولد ويروى انه كان يمشي كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وتقديم موسى لما ان صحفه التي هي التورية اشهر عندهم واكثر الا تزر وازرة وزر اخرى اي انه لا تحمل نفس من شانها الحمل نفس اخرى على ان هي المخففة من الثقيلة وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف كانه قيل ما في صحفهما فقيل هو الا تزر الى آخره والمعنى انه لا يؤاخذ احد بذنب غيره ليتخلص الثاني عن عقابه ولا يقدح في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من يعمل بها الى يوم القيمة فان ذلك وزر الاضلال الذي هو وزره قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى بيان لعدم انتفاع الانسان بعمل غيره من حيث جلب النفع اليه اثر بيان عدم انتفاعه به من حيث دفع الضرر عنه واما شفاعة الانبياء عليهم السلام واستغفار الملائكة ودعاء الاحياء للاموات وصدقتهم عنهم وغير ذلك مما لا يكاد يحصى من الامور النافعة للانسان مع انها ليست من عمله قطعا فحيث كان مناط منفعة كل منها عمله الذي هو الايمان والصلاح ولم يكن لشيء منها نفع ما بدونه جعل النافع نفس عمله وان كان بانضمام عمل غيره اليه وان مخففة كاختها معطوفة عليها وكذا قوله تعالى وان سعيه سوف يرى اي يعرض عليه ويكشف له يوم القيمة في صحيفته وميزانه من اريته الشيء ثم يجزاه اي يجزي الانسان سعيه يقال جزاه الله بعمله وجزاه على عمله بحذف الجار وايصال الفعل ويجوز ان يجعل الضمير للجزاء ثم يفسر بقوله تعالى الجزاء الاوفى او يبدل هو عنه كما في قوله تعالى واسروا النجوى الذين ظلموا وان الى ربك المنتهى اي انتهاء الخلائق ورجوعهم اليه تعالى لا الى غيره استقلالا ولا اشتراكا وقرئ بكسران على الابتداء وانه هو اضحك وابكى اي هو خلق قوتي الضحك والبكا وانه هو امات واحيا لا يقدر على الاماتة والاحياء غيره فان اثر القاتل نقض البنية وتفريق الاتصال وانما يحصل الموت عنده بفعل الله تعالى على العادة وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى تدفق في الرحم او تخلق او يقدر منها الولد من منى بمعنى قدر وان عليه النشاة الاخرى اي الاحياء بعد الموت وقرئ النشاءة بالمد وهي ايضا مصدر نشاه وانه هو اغنى واقنى واعطى القنية وهي ما يتاثل من الاموال وافرادها بالذكر لانها اشرف الاموال او ارضى وتحقيقه جعل الرضى له قنية وانه هو رب الشعرى اي رب معبودهم وهي العبور وهي اشد ضياء من الغميصا وكانت خزاعة تعبدها سن لهم ذلك ابو كبشة رجل من اشرافهم وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ابو كبشة تشبيها له صلى الله عليه وسلم به لمخالفته اياهم في دينهم وانه اهلك عادا الاولى يعني قوم هود عليه السلام وعاد الاخرى ارم وقيل الاولى القدما لانهم اول الامم هلاكا بعد قوم نوح عليه السلام وقرئ عادا اولى بادغام التنوين في اللام وطرح الهمزة اولى ونقل حركتها الى لام التعريف وثمودا عطف على عادا لان ما بعده لا يعمل فيه وقرئ ثمودا بالتنوين فما ابقى اي احدا من الفريقين وقوم نوح عطف عليه ايضا من قبل اي من قبل اهلاك عاد وثمود انهم كانوا اظلم واطغى من الفريقين حيث كانوا يوذونه وينفرون الناس عنه وكانوا يحذرون صبيانهم ان يسمعوا منه والمؤتفكة هي قرى قوم لوط ائتفكت باهلها اي انقلبت بهم اهوى اي اسقطها الى الارض بعد ان رفعها على جناح جبريل عليه السلام الى السماء فغشيها ما غشى من فنون العذاب وفيه من التهويل والتفظيع ما لا غاية وراءه فباي آلاء ربك تتمارى تتشكك والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم على طريقة قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك او لكل احد واسناد فعل التماري الى الواحد باعتبار تعدده فان صيغة التفاعل وان كانت موضوعة لافادة صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه بحيث يكون كل من ذلك فاعلا ومفعولا معا لكنها قد تجرد عن المعنى الثاني فيراد بها المعنى الاول فقط كما في يتداعونهم اي يدعونهم وقد تجرد عنه ايضا فيكفى بتعدد الفعل بتعدد متعلقه كما فيما نحن فيه فالمراد بتعدده بتعدد الآلاء فتدبر وتسمية الامور

م وكانوا يضربون نوحا عليه السلام حتى لا يكون به حراك وما اثر فيهم عادوه قريبا من الف سنة صح

المعدودة

المعدودة الآلاء مع ان بعضها نقم لما انها ايضا نعم من حيث انها نصرة للانبياء والمؤمنين وانتقام لهم وفيها عظات وعبر للمعتبرين هذا نذير من النذر الاولى هذا اما اشارة الى القرآن والنذير مصدر او الى الرسول صلى الله عليه وسلم والنذير بمعنى المنذر وايا ما كان فالتنوين للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف هو نعت لنذير مقرر له ومتضمن للوعيد اي هذا القرآن الذي تشاهدونه نذير من قبيل الانذارات المتقدمة التي سمعتم عاقبتها او هذا الرسول منذر من جنس المنذرين والاولى على تاويل الجماعة لمراعاة الفواصل وقد علمتم احوال قومهم المنذرين وفي تعقيبه بقوله تعالى ازفت الآزفة اشعار بان تعذيبهم مؤخر الى القيمة اي دنت الساعة الموصوفة بالدنو في قوله تعالى اقتربت الساعة ليس لها من دون الله كاشفة اي ليس لها نفس قادرة على كشفها عند وقوعها الا الله تعالى لكنه لا يكشفها او ليس لها الآن نفس كاشفة بتاخيرها الا الله تعالى فانه المؤخر لها او ليس لها كاشفة لوقتها الا الله تعالى فانه المؤخر لها او ليس لها كاشفة كقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو او ليس لها من غير الله تعالى كشف على ان كاشفة مصدر كالعافية افمن هذا الحديث اي القرآن تعجبون انكارا وتضحكون استهزاء مع كونه ابعد شيء من ذلك ولا تبكون حزنا على ما فرطتم في شانه وخوفا ان يحيق بكم ما حاق بالامم المذكورة وانتم سامدون اي لاهون او مستكبرون من سمد البعير اذا رفع راسه او مغنون ليشغلوا الناس عن استماعه من السمود بمعنى الغناء على لغة حمير او خاشعون جامدون من السمود بمعنى الجمود والخشوع كما في قول من قال • رمى الحدثان نسوة آل سعد • بمقدار سمدن له سمودا • فرد شعورهن السود بيضا • ورد وجوههن البيض سودا • والجملة حال من فاعل لا تبكون خلا ان مضمونها على الوجه الاخير قيد للنفي والانكار وارد على نفي البكاء والسمود معا وعلى الوجوه الاول قيد للنفي والانكار متوجه الى نفي البكاء ووجود السمود والاول اوفى بحق المقام فتدبر والفاء في قوله تعالى فاسجدوا لله واعبدوا لترتيب الامر او موجبه على ما تقرر من بطلان مقابلة القرآن بالانكار والاستهزاء ووجوب تلقيه بالايمان مع كمال الخشوع والخضوع اي واذا كان الامر كذلك فاسجدوا لله الذي انزله واعبدوه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والنجم اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم وجحد به بمكة

سورة القمر وهي خمس وخمسون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم اقتربت الساعة وانشق القمر روي ان الكفار سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر قال ابن عباس رضي الله عنهما انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رايت حرا بين فلقتي القمر وعن عثمان بن عطاء عن ابيه ان معناه سينشق يوم القيمة ويرده قوله تعالى وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر فانه ناطق بانه قد وقع وانهم قد شاهدوه بعد مشاهدة نظائره وقد قرئ وقد انشق القمر اي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها ان القمر قد انشق ومعنى الاستمرار الاطراد والاستحكام اي وان لم يروا آية من آيات الله تعالى يعرضوا عن التامل فيها ليقفوا على حقيقتها وعلو طبقتها ويقولوا سحر مطرد دائم يأتي به محمد صلى الله عليه وسلم على مر الزمان لا يكاد يختلف بحال كسائر انواع السحر وقرئ مستحكم لا يمكن ازالته وقيل مستمر ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لانفسهم وتعليلا وهو الانسب بغلوهم في العناد والمكابرة ويؤيده ما سيأتي في رده وقرئ وان يروا على البناء للمفعول من الاراءة وكذبوا اي بالنبي صلى الله عليه وسلم وما عاينوه مما اظهره الله على يده من المعجزات واتبعوا اهواءهم التي زينها الشيطان لهم او كذبوا الآية التي هي انشقاق القمر واتبعوا اهواءهم وقالوا سحر القمر او سحر اعيننا والقمر بحاله وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وقوله

تعالى وكل امر مستقر استيناف مسوق لاقناطهم عما علقوا به امانيهم الفارغة من عدم استقرار
امره صلى الله عليه وسلم حسبما قالوا سحر مستمر ببيان ثباته ورسوخه اي وكل امر من الامور مستقر
اي منته الى غاية يستقر عليها لا محالة ومن جملتها امر النبي صلى الله عليه وسلم فسيصير الى غاية يتبين
عندها حقيقته وعلو شانه وابهام المستقر عليه للتنبيه على كمال ظهور الحال وعدم الحاجة الى التصريح
به وقيل المعنى كل امر من امرهم وامره صلى الله عليه وسلم مستقر اي سيثبت ويستقر على حالة خذلان او
نصرة في الدنيا وشقاوة او سعادة في الآخرة وقرئ بالفتح على انه مصدر او اسم مكان او زمان او ذو
استقرار او ذو موضع استقرار وبالكسر والجر على انه صفة امر وكل عطف على الساعة اي قربت الساعة
وكل امر مستقر ولقد جاءهم اي القرآن وقوله تعالى من الانباء اي انباء القرون الخالية وانباء الآخرة
متعلق بمحذوف هو حال مما بعده اي وبالله لقد جاءهم كائنا من الانباء ما فيه مزدجر اي ازدجار
من تعذيب او وعيد او موضع ازدجار على ان في تجريدية والمعنى انه في نفسه موضع ازدجار وتاء
الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاي للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زايا وادغامها حكمة بالغة
غايتها لا خلل فيها وهي بدل من ما او خبر لمحذوف وقرئ بالنصب حالا منها فانها موصولة او موصوفة
تخصصت بصفتها فساغ نصب الحال عنها فما تغني النذر نفي للاغناء او انكار له والفاء لترتيب عدم
الاغناء على مجيء الحكمة البالغة مع كونه مظنة للاغناء وصيغة المضارع للدلالة على تجدد عدم الاغناء
واستمراره حسب تجدد مجيء الزواجر واستمرارها وما منصوبة اي فاي اغناء تغني النذر وهو جمع نذير
بمعنى المنذر او مصدر بمعنى الانذار فتول عنهم لعلمك بان الانذار لا يؤثر فيهم البتة يوم يدع الداعي
اي منصوب بيخرجون او باذكر والداعي اسرافيل عليه السلام ويجوز ان يكون الدعاء فيه كالامر في قوله
تعالى كن فيكون واسقاط الياء للاكتفاء بالكسر تخفيفا الى شيء نكر اي منكر فظيع تنكره النفوس
لعدم العهد بمثله وهو هول القيمة وقرئ نكر بالتخفيف ونكر بمعنى انكر خشعا ابصارهم حال من فاعل يخرجون
والتقديم لان العامل متصرف اي يخرجون من الاجداث اذلة ابصارهم من شدة الهول وقرئ خاشعا والافراد
والتذكير لان فاعله ظاهر غير حقيقي التانيث وقرئ خاشعة على الاصل وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء و
الخبر على ان الجملة حال كانهم جراد منتشر في الكثرة والتموج والتفرق في الاقطار مهطعين الى الداع مسرعين
مادي اعناقهم اليه اي ناظرون اليه يقول الكافرون استيناف وقع جوابا عما نشا من وصف اليوم بالاهوال
واهله بسوء الاحوال كانه قيل فما يكون حينئذ فقيل يقول الكافرون هذا يوم عسر اي صعب شديد وفي
اسناد القول المذكور الى الكفار تلويح بان المؤمنين ليسوا في تلك المرتبة من الشدة كذبت قبلهم قوم نوح
في تعداد بعض ما ذكر من قبيل تكذيب قومك قوم نوح قوله تعالى فكذبوا عبدنا تفسير لذلك التكذيب المبهم كما في
قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب الى آخره ومنه من يد تقرير وتحقيق للتكذيب وقيل معناه كذبوه تكذيبا
اثر تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب جاء عقبه قرن آخر مكذب مثله وقيل كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا
عبدنا لانه من جملتهم وفي تكذيبه صلى الله عليه وسلم بعنوان العبودية مع الاضافة الى نون العظمة
تفخيم له صلى الله عليه وسلم ورفع لمحله وزيادة تشنيع بمكذبيه وقالوا مجنون اي لم يقتصروا على مجرد التكذيب
بل نسبوه الى الجنون وازدجر عطف على قالوا اي وزجر عن التبليغ بانواع الاذية وقيل هو من جملة ما قالوه
اي هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته فدعا ربه اني اي باني وقرئ بالكسر على ارادة القول مغلوب
اي من جهة قومي ما لي قدرة على الانتقام منهم فانتصر اي فانتقم لي منهم وذلك بعد تقرر ياسه
منهم بعدما للتيا والتي فقد روي ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيقول اللهم
اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر منصب وهو تمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها

وقرئ ففتحنا

وقرئ ففتحنا بالتشديد لكثرة الابواب وفجرنا الارض عيونا اي جعلنا الارض كلها كانها عيون منفجرة واصله
وفجرنا عيون الارض بغير قضاء يلحق بالمقام فالتقى الماء اي ماء السماء وماء الارض والافراد لتحقيق ان
التقاء الماءين لم يكن بطريق المجاورة والتقارب بل بطريق الاختلاط والاتحاد وقرئ الماآن لاختلاف النوعين
والماوان بقلب الهمزة واوا على امر قد قدر اي كائنا على حال قد قدرها الله تعالى من غير تفاوت اي على
قدرت وسويت وهو ان قدر ما انزل على قدر ما اخرج او على امر قدره الله تعالى وهو هلاك قوم نوح بالطوفان
وحملناه اي نوحا عليه السلام على ذات الواح اخشاب عريضة ودسر ومسامير جمع دسار من الدسر
وهو الدفع وهي صفة للسفينة اقيمت مقامها من حيث انها كالشرح لها تؤدي مؤداها تجري باعيننا
بمراى منا اي محفوظة بحفظنا جزاء لمن كان كفر اي فعلنا ذلك جزاء لنوح عليه السلام لانه كان نعمة
كفروها فان كل نبي نعمة من الله تعالى على امته ورحمة واي نعمة واي رحمة وقد جوز ان يكون على حذف الجار
وايصال الفعل الى الضمير واستتاره في الفعل بعد انقلابه مرفوعا وقرئ لمن كفر اي للكافرين ولقد
تركناها اي السفينة او الفعلة آية يعتبر بها من يقف على خبرها وقال قتادة ابقاها الله تعالى
بارض الجزيرة وقيل على الجودي دهرا طويلا حتى نظر اليها اوائل هذه الامة فهل من مدكر معتبر بتلك الاية
الحقيقة بالاعتبار وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا والادغام فيها فكيف كان عذابي ونذر
استفهام عظيم وتعجيب اي كانا على كيفية هائلة لا يحيط بها الوصف والنذر جمع نذير بمعنى الانذار
ولقد يسرنا القرآن الى آخره جملة قسمية وردت في اواخر القصص الاربع تقريرا لما سبق من قوله تعالى
ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغني النذر وتنبيها على ان كل قصة منها مستقلة بايجاب
الادكار كافية في الازدجار ومع ذلك لم يقع واحد في حيز الاعتبار اي وبالله لقد سهلنا القرآن
لقومك بان انزلناه على لغتهم وشحناه بانواع المواعظ والعبر وصرفنا فيه من الوعيد والوعد للذكر
اي للتذكر والاتعاظ فهل من مدكر انكار ونفي للمتعظ على ابلغ وجه واكده حيث يدل على انه لا يقدر
احد ان يجيب المستفهم بنعم وحمل تيسير على تسهيل حفظه بجزالة نظمه وعذوبة الفاظه وعباراته
مما لا يساعده المقام كذبت عاد اي هودا عليه السلام ولم يتعرض لكيفية تكذيبهم له عليه السلام
روما للاختصار ومسارعة الى بيان ما فيه الازدجار من العذاب قوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر
لتوجيه قلوب السامعين نحو الاصغاء الى ما يلقى اليهم قبل ذكره لا لتهويله وتعظيمه وتعجيبه
من حاله بعد بيانه كما قبله وما بعده كانه قيل كذبت عاد فهل سمعتم او فاسمعوا كيف كان عذابي
وانذاري لهم قوله تعالى انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا استيناف ببيان ما اجمل اولا اي ارسلنا عليهم ريحا
باردة او شديدة الصوت في يوم نحس مشوم مستمر اي شومه او مستمرا عليهم الى ان اهلكهم
او شاملا لجميعهم كبيرهم وصغيرهم او مشتد مرارته وكان يوم الاربعاء آخر الشهر تنزع الناس
تقلعهم روي انهم دخلوا الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم وصرعتهم موتى كانهم
اعجاز نخل منقعر اي منقطع من مغارسه شبهوا باعجاز النخل وهي اصولها بلا فروع لان الريح كانت
تقلع روسهم اجسادا او جثثا بلا روس وتذكير صفة نخل للنظر الى اللفظ كما ان تانيثها في قوله
تعالى اعجاز نخل خاوية للنظر الى المعنى فكيف كان عذابي ونذر تهويل لهما وتعجيب من امرهما بعد
بيانهما فليس فيه شائبة تكرار وما قيل من الاول لما حاق بهم في الدنيا والثاني لما يحيق بهم في الآخرة
يرده ترتيب الثاني على العذاب الدنيوي ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر الكلام فيه كالذي
مر فيما سبق كذبت ثمود بالنذر اي الانذارات والمواعظ التي سمعوها من صالح عليه السلام او بالرسل
عليهم السلام فان تكذيب احدهم تكذيب للكل لاتفاقهم على اصول الشرائع فقالوا ابشرا منا اي كائنا

من جنسنا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده واحدًا اي منفردًا لا تبع له او واحدًا من آحادهم لا من اشرافهم وهو صفة اخرى لبشرًا وتاخيره على الصفة المؤولة للتنبيه على ان كلا من الجنسية والوحدة مما يمنع الاتباع ولو قدم عليها لفاتت هذه النكتة وقرئ ابشرٌ منا واحدٌ على الابتداء وقوله تعالى نتبعه خبره والاول اوجه للاستفهام انا اذًا اي تقدير اتباعنا له وهو منفرد ونحن امة جمة لفي ضلال عن الصواب وسعر اي جنون فان ذلك بمعزل من مقتضى العقل وقيل كان يقول لهم ان لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق وسعر اي نيران جمع سعير فعكسوا عليه لغاية عتوهم فقالوا ان اتبعناك كنا اذًا كما تقول أألقي الذكر اي الكتاب او الوحي عليه من بيننا وفينا من هو احق منه بذلك بل هو كذاب اشر اي ليس الامر كذلك بل هو كذا وكذا حمله بطره على الترفع علينا بما ادعاه قوله تعالى سيعلمون غدًا من الكذاب الاشر حكاية لما قاله تعالى لصالح عليه السلام وعدًا له ووعيدًا لقومه والسين لتقريب مضمون الجملة وتاكيده والمراد بالغد وقت نزول العذاب اي سيعلمون البتة عن قريب من الكذاب الاشر الذي حمله اشره وبطره على الترفع اصالح هو ام من كذبه وقرئ ستعلمون على الالتفات لتشديد التوبيخ او على حكاية ما اجابهم به صالح وقرئ الاشر كقولهم حذر في حذر وقرئ الاشر اي الابلغ في الشرارة وهو اصل مرفوض كالاخير وقيل المراد يوم القيمة ويأباه قوله تعالى انا مرسلوا الناقة الى آخره فانه استيناف مسوق لبيان مبادي الموعود حتمًا اي مخرجوها من الهضبة حسبما سألوا فتنة لهم اي امتحانًا فارتقبهم اي فانتظرهم وتبصر ما يصنعون واصطبر على اذيتهم ونبئهم ان الماء قسمة بينهم مقسوم لهم يوم ولها يوم وبينهم لتغليب العقلاء كل شرب محتضر يحضره صاحبه في نوبته فنادوا صاحبهم هو قدار بن سالف اشقى ثمود فتعاطى فعقر فاجترى على تعاطي الامر العظيم غير مكترث له فاحدث العقر بالناقة وقيل فتعاطى الناقة فعقرها او فتعاطى السيف فقتلها والتعاطي تناول الشيء بتكلف فكيف كان عذابي ونذر الكلام فيه كالذي مر في صدر قصة عاد انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة هي صيحة جبريل عليه السلام فكانوا اي فصاروا كهشيم المحتظر اي كالشجر اليابس الذي يتخذه من يعمل الحظيرة لاجلها او كالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء وقرئ بفتح الظاء اي كهشيم الحظيرة او الشجر المتخذ لها ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبًا اي ريحًا تحصبهم اي ترميهم بالحصباء الا آل لوط نجيناهم بسحر في سحر وهو آخر الليل وقيل هو السدس الاخير فيه او ملتبسين بسحر نعمة من عندنا اي انعامًا منا وهو علة لنجينا كذلك اي مثل ذلك الجزاء العجيب نجزي من شكر نعمتنا بالايمان والطاعة ولقد انذرهم لوط بطشتنا اي اخذنا الشديدة بالعذاب فتماروا فكذبوا بالنذر متشاكسين ولقد راودوه عن ضيفه قصدوا الفجور بهم فطمسنا اعينهم فمسحناها وسويناها كسائر الوجه روي انهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبريل عليه السلام صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون الى الباب حتى اخرجهم لوط عليه السلام فذوقوا عذابي ونذر اي فقلنا لهم ذوقوا على السنة الملائكة او ظاهر الحال والمراد به الطمس فانه من جملة ما انذروه من العذاب ولقد صبحهم بكرة وقرئ بكرة غير مصروفة على ان المراد بها اول نهار مخصوص عذاب مستقر لا يفارقهم حتى يسلمهم الى النار وفي وصفه بالاستقرار ايماء الى ان ما قبله من عذاب الطمس ينتهي به فذوقوا عذابي ونذر حكاية لما قيل لهم حينئذ من جهته تعالى تشديدًا للعذاب ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر من ما فيه من الكلام ولقد جاء آل فرعون النذر صدرت قصتهم بالتوكيد القسمي لابراز كمال الاعتناء بشانها لغاية عظم ما فيها من الآيات وكثرتها وهول ما لاقوه من العذاب وقوة ايجابها للاتعاظ والاكتفاء بذكر آل فرعون للعلم بان نفسه اولى بذلك اي وبالله لقد جاءهم الانذار قوله تعالى كذبوا باياتنا كلها استيناف مبني على سؤال نشا من حكاية مجيء النذر كانه قيل فما فعلوا حينئذ فقيل

كذبوا

كذبوا بجميع آياتنا وهي الآيات التسع فاخذناهم اخذ عزيز مقتدر لا يعجزه شيء اكفاركم يا معشر العرب خير قوة وشدة وعدة وعدة او مكانة من اولئكم الكفار المعدودين والمعنى انه اصابهم ما اصابهم مع ظهور خيريتهم منكم فيما ذكر من الامور فهل تطمعون ان لا يصيبكم مثل ذلك وانتم اشر منهم مكانًا واسوء حالًا ام لكم براءة في الزبر اضراب وانتقال من التبكيت بما ذكر الى التبكيت بوجه آخر اي بل الكم براءة وامن من تبعات ما تعملون من الكفر والمعاصي وغوائلها في الكتب السماوية فلذلك تصرون على ما انتم عليه قوله تعالى ام يقولون نحن جميع منتصر اضراب من التبكيت المذكور الى وجه آخر من التبكيت والالتفات للايذان باقتضاء حالهم للاعراض عنهم واسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية قبائحهم لغيرهم اي بل ايقولون واثقين بشوكتهم نحن اولو حزم ورأي امرنا مجتمع لا يرام ولا يضام او منتصر من الاعداء لا نغلب او متناصر ينصر بعضنا بعضًا والافراد لفظ الجمع قوله تعالى سيهزم الجمع رد وابطال لذلك والسين للتاكيد اي يهزم جمعهم البتة ويولون الدبر اي الادبار وقد قرئ كذلك والتوحيد لارادة الجنس وارادة كل واحد منهم يولي دبره وقد كان كذلك يوم بدر قال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا ادري اي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعرفت تأويلها وقرئ سيهزم الجمع اي الله عز وعلا بل الساعة موعدهم اي ليس هذا تمام عقوبتهم بل الساعة موعد اصل عذابهم وهذا من طلايعه والساعة ادهى وامر اي في اقصى غاية من الفظاعة والمرارة والداهية الامر الفظيع الذي لا يهتدي الى الخلاص عنه واظهار الساعة في موقع اضمارها لتربيب تهويلها ان المجرمين من الاولين والآخرين في ضلال وسعر اي في هلاك ونيران مسعرة وقيل في نيران ضلال عن الحق في الدنيا ونيران الآخرة قوله تعالى يوم يسحبون الى آخره منصوب بما يفهم من قوله تعالى في ضلال اي كائنون في ضلال وسعر يوم يجرون في النار على وجوههم يقول مقدر بعده اي يوم يسحبون يقال لهم ذوقوا مس سقر اي ذوقوا وقاسوا حرها والمها وسقر علم لجهنم ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصقرته اذا لوحته والقول المقدر على الاول حال من ضمير يسحبون انا كل شيء من الاشياء خلقناه بقدر اي ملتبسًا بقدر معين اقتضته الحكمة التي عليها يدور امر التكوين او مقدرًا مكتوبًا في اللوح قبل وقوعه وكل شيء منصوب بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على انه مبتدأ وخلقناه خبره وما امرنا الا واحدة الا كلمة واحدة سريعة التكوين وهو قوله تعالى كن او الا فعلة واحدة هو الايجاد بلا معالجة كلمح بالبصر هو اليسر والسرعة وقيل معناه قوله تعالى وما امر الساعة الا كلمح البصر ولقد اهلكنا اشياعكم اي اشباهكم في الكفر من الامم وقيل اتباعكم فهل من مدكر يتعظ بذلك وكل شيء فعلوه من الكفر والمعاصي مكتوب على التفصيل في الزبر اي في ديوان الحفظة وكل صغير وكبير من الاعمال مستطر مسطور في اللوح المحفوظ بتفاصيله ولما كان بيان سوء حال الكفرة بقوله تعالى ان المجرمين الى آخره مما يستدعي حسن حال المؤمنين ليتكافى الترغيب والترهيب بين ما لهم وحسن الحال بطريق الاجمال فقيل ان المتقين اي من الكفر والمعاصي في جنات عظيمة الشان ونهر اي انهار كذلك والافراد للاكتفاء باسم الجنس مراعاة للفواصل وقرئ نهر جمع نهر كاسد واسد في مقعد صدق في مكان مرضي وقرئ مقاعد صدق عند مليك مقتدر اي مقربين عند مليك لا يقادر قدر ملكه وسلطانه فلا شيء الا وهو تحت ملكوته سبحانه ما اعظم شانه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيمة ووجهه مثل القمر ليلة البدر

سورة الرحمن عز وجل وهي ثمان وسبعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم لما عدد في السورة السابقة ما نزل بالامم السالفة من ضروب نقم الله عز وجل وبين

عقيب كل ضرب منها ان القران قد يسّر لحمل الناس على التذكر والاتعاظ ونعى عليهم اعراضهم عن ذلك عدد في
هذه السورة الكريمة ما افاض الله على كافة الانام من فنون نعمه الدينية والانفسية والافاقية فانكر عليهم
اثر كل فن منها اهلاكهم بموجب شكرها وبدا بتعليم القران فقيل الرحمن علم القران لانه اعظم النعم شانا
وارفعها مكانا كيف وهو مدار السعادة الدينية والدنيوية عيار على سائر الكتب السماوية ما من مقصد
يرنوا اليه احداق الامم الا وهو منشاؤه ومناطه ولا مقصد تمتد اليه اعناق الهمم الا منهجه وصراطه
واسناد تعليمه الى اسم الرحمن للايذان بانه من اثار الرحمة الواسعة واحكامها وقد اقتصر على ذكره تنبيها
على اصالته وجلالة قدره ثم قيل خلق الانسان علمه البيان تعيينا للعلم وتبيينا لكيفية التعليم والمراد
بخلق الانسان انشاؤه على ما هو عليه من القوى الظاهرة والباطنة والبيان هو التعبير عما في الضمير و
ليس المراد بتعليمه مجرد تمكين الانسان من بيان نفسه بل منه ومن فهم بيان غيره ايضا اذ هو الذي
يدور عليه تعليم القران والجمل الثلاث اخبار مترادفة للرحمن واخلاء الاخيرتين عن العاطف لورودها
على منهاج التعديد الشمس والقمر بحسبان اي يجريان بحساب مقدر في بروجهما ومنازلهما بحيث
ينتظم بذلك امور الكائنات السفلية ويختلف الفصول والاوقات ويعلمون السنين والحساب
والنجم اي النبات الذي ينجم اي يطلع من الارض ولا ساق له والشجر الذي له ساق يسجدان اي ينقادا
له تعالى فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا والجملتان خبران اخران للرحمن جردا عن
الضابط اللفظي تعويلا على كمال قوة الارتباط المعنوي اذ لا يتوهم ذهاب الوهم الى كون حال الشمس
والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان واخلاه الجملة الاولى عن العاطف لما ذكر من قبل وتوسيط العاطف
بينها وبين الثانية لتناسبهما من حيث التقابل لما ان الشمس والقمر علويان والنجم والشجر سفليان ومن حيث
ان كلا من العلويين وحال السفليين من باب الانقياد لامر الله تعالى والسماء رفعها اي خلقها مرفوعة محلا
ورتبة حيث جعلها منشا احكامه وقضاياه ومنزل اوامره ومحل ملايكته وفيه من التنبيه على كبرياء
شانه وعظيم ملكه وسلطانه ما لا يخفى وقرئ بالرفع على الابتداء ووضع الميزان اي شرع بالعدل وامر به
بان وفر كل مستحق مما يستحقه ووفى كل ذي حق حقه حتى انتظم به امر العالم واستقام كما قال صلى الله عليه
وسلم بالعدل قامت السموات والارض فقيل على هذا الميزان القران وهو قول الحسين بن الفضل كما في قوله
تعالى وانزلنا معهم الكتاب والميزان وقيل هو ما يعرف به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما وهو قول
الحسين وقتادة والضحاك فالمعنى خلقه موضوعا مخفوظا على الارض حيث علق به احكام عباده وقضاياهم
وما يتعبدهم من التسوية والتعديل في اخذهم واعطائهم الا تطغوا في الميزان على انها مفسرة لما في الشرع من
معنى القول ولا ناهية اي لا تعتدوا ولا تجاوزوا الانصاف وقرئ لا تطغوا على ارادة القول واقيموا الوزن بالقسط
قوموا اوزانكم بالعدل وقيل اقيموا البيان الميزان بالقسط والعدل وقيل الاقامة باليد والقسط بالقلب
ولا تخسروا الميزان اي لا تنقصوه امر اولا بالتسوية ثم نهى عن الطغيان الذي هو اعتدا وزياده ثم عن
الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية وتاكيدا للامر باستعماله والحث
عليه وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها يقال خسر الميزان يخسره ويخسره وبفتح السين ايضا على
ان الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار واوصل الفعل والارض وضعها اي خفضها مدحوة على الماء
للانام اي الخلق قيل المراد به كل ذي روح وقيل كل ما على ظهر الارض من دابة وقيل الثقلان قوله تعالى
فيها فاكهة الى اخره استيناف مسوق لتقرير ما افاده الجمل السابقة من كون الارض موضوعة لمنافع
الانام وتفصيل المنافع العائدة الى البشر وقيل حال مقدرة من الارض فالاحسن حينئذ ان يكون الحال
هو الجار والمجرور وفاكهة رفع على الفاعلية اي فيها ضروب كثيرة مما يتفكه به والنخل ذات الاكمام هي اوعية

الثمر

الثمر جمع كم او كل ما يكم به اي يغطى من ليف وسعف وكفرى فانه مما ينتفع به كالمكموم من ثمره وجماره
وجذوعه والحب وهو ما يتغذى به كالحنطة والشعير ذو العصف هو ورق الزرع وقيل التبن
والريحان قيل هو الرزق اريد به اللب اي فيها ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذي
وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب الذي له عصف وهو علف الانعام وريحان هو مطعم الناس
وقرئ والحب ذو العصف والريحان اي خلق الحب والريحان او اخص ويجوز ان يراد وذا الريحان فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه والريحان اما فيعلان من روح فقلبت الواو ياء وادغم ثم خفف او
فعلان قلبت واوه ياء للتخفيف او للفرق بينه وبين الروحان وهو ما له روح قاله القرطبي فباي الاء
ربكما تكذبان الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله تعالى للانام وسينطق به قوله ايها الثقلان والفاء
لترتيب الانكار والتوبيخ على ما فصل من فنون النعماء وصنوف الالاء الموجبة للايمان والشكر حتما والتعرض
لعنوان الربوبية المبنية على المالكية الكلية والتربية مع الاضافة الى ضميرهم لتاكيد النكير وتشديد التوبيخ
ومعنى تكذيبهم بالائه تعالى كفرهم بها اما بانكار كونه نعمة في نفسه كتعليم القران وما تستند اليه النعم الدينية
الواصلة اليهم باسناده الى غيره تعالى استقلالا او اشتراكا صريحا او دلالة فان اشراكهم لالهتهم به تعالى في
العبادة من دواعي اشراكهم لها له تعالى فيما يوجبها والتعبير عن كفرهم المذكور بالتكذيب لما ان دلالة الالاء
المذكورة على وجوب الايمان والشكر شهادة منها بذلك فكفرهم بها تكذيب بها لا محالة اي فاذا كان الامر
كما فصل فباي فرد من افراد ما لكما ومربيكما بتلك الالاء تكذبان مع ان كلا منها ناطق بالحق شاهد بالصدق
خلق الانسان من صلصال كالفخار تمهيد للتوبيخ على اخلالهم بمواجب شكر النعمة المتعلقة بذاتي كل واحد من الثقلين
والصلصال الطين اليابس الذي له صلصلة والفخار الخزف وقد خلق الله تعالى ادم عليه السلام من تراب جعله
طينا ثم حماء مسنونا ثم صلصالا فلا تنافي بين الاية الناطقة باحدها وبين ما نطق باحد الاخرين وخلق الجان
اي الجن او ابا الجن من مارج من لهب صاف من نار بيان لمارج فانه في الاصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب
فباي الاء ربكما تكذبان مما افاض عليكما من تضاعيف خلقكما من سوابغ النعم رب المشرقين ورب المغربين بالرفع
على خبرية مبتدا محذوف اي الذي فعل ما ذكر من الافاعيل البديعة رب مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما
ومن قضيته ان يكون رب ما بينهما من الموجودات قاطبة وقيل على الابتداء فباي الاء ربكما تكذبان مما في
ذلك من فوايد لا تحصر من اعتدال الهوا واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل في وقته الى غير ذلك
مرج البحرين اي ارسلهما من مرجت الدابة اذا ارسلتها والمعنى ارسل البحر المالح والبحر العذب يلتقيان
يتجاوران ويتماس سطوحهما لا فصل بينهما المراي وقيل بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط لانهما خليجان يتشعبان
منه بينهما برزخ اي حاجز من قدرة الله تعالى او من الارض لا يبغيان اي لا يبغي احدهما على الاخر بالممازجة
وابطال الخاصية اي لا يتجاوزان احدهما باغراق ما بينهما فباي الاء ربكما تكذبان وليس منهما شيء يقبل التكذيب
يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اللؤلؤ الدر والمرجان الخرز الاحمر الموجود وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره
فنسبة خروجهما الى البحرين مع انهما يخرجان من المالح على ما قالوا لما قيل انهما لا يخرجان الا من ملتقى المالح
والعذب او انهما لما التقيا وصارا كالشيء الواحد ساغ ان يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر مع انهما
لا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وهو الاظهر فباي الاء ربكما تكذبان وله الجوار اي السفن جمع جارية وقرئ برفع الراء
وحذف الياء كقول من قال • لها ثنايا اربع حسان • واربع فكلها ثمان المنشات المرفوعات الشرع او
المصنوعات وقرئ بكسر الشين اي الرافعات الشرع اي اللاتي ينشئن الامواج او السير في البحر كالاعلام كالجبال
جمع علم وهو الجبل الطويل فباي الاء ربكما تكذبان من خلق مواد السفن والارشاد الى اخذها وكيفية تركيبها
واجرائها في البحر باسباب لا يقدر على خلقها وجمعها وترتيبها غيره سبحانه كل من عليها اي على الارض

من الحيوانات او المركبات ومن للتغليب او من الثقلين **فان** هالك لا محالة **ويبقى وجه ربك** اي ذاته عز وجل
ذو الجلال والاكرام اي ذو الاستغناء المطلق والفضل التام وقيل الذي عنده الجلال والاكرام للمخلصين من عباده
وهذه من عظائم صفاته تعالى ولقد قال صلى الله عليه وسلم الظّوا بياذا الجلال والاكرام وعنه صلى الله عليه وسلم
انه مر برجل وهو يصلي ويقول ياذا الجلال والاكرام فقال لقد استجيب لك وقرئ ياذي الجلال والاكرام على انه
صفة ربك وايا ما كان ففي وصفه تعالى بعد ذكر فناء الخلق وبقائه تعالى ايذان بانه تعالى يفيض عليهم بعد
فنائهم ايضا آثار لطفه وكرمه حسبما ينطق عنه قوله تعالى **فباي آلاء ربكما تكذبان** فان احياءهم بالحياة الابدية
واثابتهم بالنعيم المقيم اجل النعماء واعظم الآلاء **يسئله من في السموات والارض** قاطبة ما يحتاجون اليه في
ذواتهم ووجوداتهم حدوثا وبقاء وسائر احوالهم سؤالا مستمرا بلسان المقال او بلسان الحال فانهم كافة
من حيث حقائقهم الممكنة بمعزل من استحقاق الوجود اصلا فهم في كل آن مستمرون على الاستدعاء والسؤال
وقد مر في التفسير قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها من سورة ابرهيم عليه السلام **كل يوم** اي في كل
وقت من الاوقات **هو في شان** من الشؤون التي من جملتها اعطاء ما سألوا فانه تعالى لا يزال ينشئ اشخاصا ويفني
آخرين ويأتي باحوال حسبما تقتضيه مشيته المبنية على الحكم البالغة وفي الحديث من شانه ان يغفر ذنبا
ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين قيل وفيه رد على اليهود حيث يقولون ان الله لا يقضي يوم السبت شيئا
فباي آلاء ربكما تكذبان مع مشاهدتكم لما ذكر من احسانه **سنفرغ لكم** سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم
القيمة عند انتهاء شؤون الخلق المشار اليها بقوله تعالى كل يوم هو في شان فلا يبقى حينئذ الا شان واحد هو
الجزاء فعبر عنه بالفراغ لهم بطريق التمثيل وقيل مستعار من قول المهدد لصاحبه سافرغ لك سأتجرد للايقاع
بك من كل ما يشغلني عنه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه وقرئ سيفرغ مبنيا للفاعل والمفعول
وقرئ سنفرغ اليكم اي سنقصد لكم **ايها الثقلان** هما الانس والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض او لرزانة
رأيهما او لانهما مثقلان بالتكليف **فباي آلاء ربكما تكذبان** التي من جملتها التنبيه على ما سيلقونه يوم القيمة
للتحذير عما يؤدي الى سوء الحساب **تكذبان** باقوالكما وافعالكما **يا معشر الجن والانس** هما الثقلان خوطبا باسم
جنسهما لزيادة التقرير ولان الجن مشهورون بالقدرة على الافاعيل الشاقة فخوطبوا على ما ينبئ على ذلك
لبيان ان قدرتهم لا تفي بما كلفوه **ان استطعتم** ان قدرتم على **ان تنفذوا من اقطار السموات والارض** اي ان تهربوا
من قضائي وتخرجوا من ملكوتي ومن اقطار السموات والارض **فانفذوا** منها وخلصوا انفسكم من عقابي
لا تنفذون لا تقدرون على النفوذ **الا بسلطان** اي بقوة وقهر وانتم من ذلك بمعزل بعيد روي ان
الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فاذا رآهم الجن والانس هربوا فلا يأتون وجها الا وجدوا الملائكة
احاطت به **فباي آلاء ربكما تكذبان** اي من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة على العقوبة
يرسل عليكما شواظ قيل هو اللهب الخالص وقيل هو المختلط بالدخان وقيل اللهب الاحمر وقيل الاخضر المنقطع
من النار وقيل هو الدخان الخارج من اللهب وقيل هو النار والدخان جميعا وقرئ شواظ بكسر الشين **من نار**
متعلق بيرسل او بمضمر هو صفة لشواظ اي كائن من نار والتنوين للتفخيم **ونحاس** اي دخان وقيل صفر
مذاب يصب على رؤسهم وقرئ بكسر النون وقرئ بالجر عطفا على نار وقرئ نرسل بنون العظمة ونصب
شواظا ونحاسا وقرئ ونحس جمع نحاس مثل لحاف ولحف وقرئ ونحس اي نقتل بالعذاب **فلا تنتصران**
اي لا تمتنعان **فباي آلاء ربكما تكذبان** فان بيان عاقبة ما هم عليه من الكفر والمعاصي لطف واي لطف
ونعمة واي نعمة **فاذا انشقت السماء** اي انصدعت يوم القيمة **فكانت وردة** كوردة حمراء وقرئ وردة
بالرفع على كان تامة اي حصلت سماء وردة فيكون من باب التجريد كقول من قال ولئن بقيت لارحلن
بغزوة تحوي الغنائم او يموت كريم **كالدهان** خبر ثان لكانت او نعت لوردة او حال من اسم كانت

اي الدهن

اي الدهن الزيت وهو اما جمع دهن او اسم لما يدهن به كالحزام والادام وقيل هو الاديم الاحمر وجواب
اذا محذوف اي يكون من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به دائرة المقال **فباي آلاء ربكما تكذبان** مع عظم شانها
فيومئذ اي يوم تنشق السماء حسبما ذكر **لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان** لانهم يعرفون بسيماهم وذلك
اول ما يخرجون من القبور ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم واما قوله تعالى
فوربك لنسئلنهم اجمعين ونحوه ففي موقف المناقشة والحساب وضمير ذنبه للانس لتقدمه رتبة
وافراده لما ان المراد فرد من الانس كانه قيل لا يسئل عن ذنبه انسي ولا جني **فباي آلاء ربكما تكذبان** مع
كثرة منافعها فان الاخبار بما ذكر مما يزجركم عن الشر المؤدي اليه واما ما قيل مما انعم الله على عباده
المؤمنين في هذا اليوم فلا تعلق له بالمقام قوله تعالى **يعرف المجرمون بسيماهم** استينافا يجري مجرى
التعليل لعدم السؤال قيل يعرفون بسواد الوجوه وزرقة العيون وقيل بما يعلوهم من الكآبة والحزن
فيؤخذ بالنواصي والاقدام الجار والمجرور هو القائم مقام الفاعل يقال اخذه اذا كان المأخوذ مقصودا
بالاخذ ومنه قوله تعالى خذوا حذركم ونحوه واخذ به اذا كان المأخوذ شيئا من ملابسات المقصود
بالاخذ ومنه قوله تعالى لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي وقول المستغيث خذ بيدي اخذ الله بيدك اي يجمع
بين نواصيهم واقدامهم في سلسلة من وراء ظهورهم وقيل تسحبهم الملائكة تارة بالنواصي وتارة
بالاقدام **فباي آلاء ربكما تكذبان** وقوله تعالى **هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون** على ارادة القول اي يقال
لهم ذلك بطريق التوبيخ على ان الجملة اما استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ عن حكاية الاخذ بالنواصي
والاقدام كانه قيل فماذا يفعل بهم عند ذلك فقيل يقال لهم هذه الخ او حال من اصحاب النواصي والاقدام لان
الالف واللام عوض من المضاف اليه وما بينهما اعتراض **يطوفون بينها** اي بين النار يحرقون بها **وبين**
حميم آن ماء بالغ من الحرارة اقصاها يصب عليهم اي يسقون منه وقيل اذا استغاثوا من النار
اغيثوا بالحميم **فباي آلاء ربكما تكذبان** وقد اشير الى سر كون بيان امثال هذه الامور من قبيل الآلاء مرارا
ولمن خاف مقام ربه شروع في تعداد الآلاء الفائضة عليهم في الآخرة بعد تعداد ما وصل اليهم في الدنيا
من الآلاء الدينية والدنيوية واعلم ان ما عدد فيما بين هذه الآية وبين خاتمة السورة الكريمة من فنون
الكرامات كما ان انفسها الجليلة واصلة اليهم في الآخرة لذلك حكاياتها الواصلة اليهم في الدنيا الاعظمية
لكونها داعية اليهم الى السعي في تحصيل ما يؤدي الى نيلها من الايمان والطاعة وان ما فصل من فاتحة
السورة الكريمة الى قوله تعالى كل يوم هو في شان من النعم الدينية والدنيوية من حيث ايجابها
للشكر والمثابرة على ما يؤدي الى استدامتها واما ما عدد فيما بين قوله تعالى سنفرغ لكم وبين هذه
الآية من الاحوال الهائلة التي ستقع في الآخرة فليست من قبيل الآلاء وانما الآلاء حكاياتها الموجبة
للانزجار عما يؤدي الى الابتلاء بها من الكفر والمعاصي كما اشير اليه في تضاعيف تعدادها ومقام
ربه موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين باحد المعنيين وا
الى الرب للتفخيم والتهويل او هو مقحم للتعظيم **جنتان** جنة للخائف الانسي وجنة للخائف الجني
فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما او لكل واحد جنة لعقيدته واخرى لعمله او جنة
لفعل الطاعات واخرى لترك المعاصي او جنة يثاب بها واخرى يتفضل بها عليه او روحانية وجسمانية
وكذا ما جاء مثنى بعد **فباي آلاء ربكما تكذبان** وقوله تعالى **مدهامتان** صفة لجنتان وما بينهما اعتراض
وسط بينهما تنبيها على ان تكذيب كل من الموصوف والصفة موجب للانكار والتوبيخ **خالي**
وقوله تعالى **ذواتا افنان** والافنان اما جمع فن اي ذواتا انواع من الاشجار والثمار او جمع
فنن اي ذواتا اغصان متشعبة من جذوع الشجر وتخصيصها بالذكر لانها التي تورق وتثمر وتمد الظل

نهما
مه
ضافته
نيه

فبأي آلاء ربكما تكذبان وليس فيها شيء يقبل التكذيب فيهما عينان تجريان صفة اخرى لجنتان اي في كل
واحدة منهما عين تجري كيف يشاء صاحبهما في الاعالي والاسافل وقيل تجريان من جبل من مسك وعن ابن عباس
والحسن تجريان بالماء والزلال احديهما التسنيم والاخرى السلسبيل وقيل احديهما من ماء غير آسن والاخرى
من خمر لذة للشاربين قال ابو بكر الوراق فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه في الدنيا تجريان من مخافة
الله عز وجل فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى فيهما من كل فاكهة زوجان اي صنفان معروف وغريب او
رطب ويابس صفة اخرى لجنتان وتوسيط الاعتراض بين الصفات لما مر آنفا فبأي آلاء ربكما تكذبان
وقوله تعالى متكئين حال من الخائفين لان من خاف في معنى الجمع او نصب على المدح على فرش بطائنها من استبرق من ديباج
ثخين وحيث كانت بطائنها كذلك فما ظنك بظواهرها وقيل ظهائرها من سندس وقيل من نور وجنى
الجنتين دان اي ما يجتنى من اشجارهما من الثمار قريب يناله القائم والقاعد وان شاء مضطجعا وقرئ جنى
بكسر الجيم فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى فيهن اي في الجنان المدلول عليها بقوله تعالى جنتان
لما عرفت انهما لكل خائفين من الثقلين او لكل خائف حيث يقدر عمله وقد اعتبر الجمعية في قوله تعالى متكئين
وقيل فيهما فيهما من الاماكن والقصور وقيل في الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش
قاصرات الطرف نساء يقصرن ابصارهن على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان
اي لم يمس الانسيات احد من الانس ولا الجنيات احد من الجن قبل ازواجهن المدلول عليهم بقاصرات الطرف
وقيل بقوله تعالى متكئين وفيه دليل على ان الجن يطمثون وقرئ يطمثهن بضم الميم والجملة صفة لقاصرات
الطرف لان اضافتها لفظية او حال منها لتخصصه بالاضافة فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى كانهن الياقوت
والمرجان اما صفة لقاصرات الطرف او حال منها كالتي قبلها اي مشبهات بالياقوت في حمرة الوجه والمرجان
اي صغار الدر في بياض البشرة وصفائها فان صغار الدر انصع من بياض كباره قيل ان الحوراء تلبس سبعين
حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضاء فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى
هل جزاء الاحسان الا الاحسان استيناف مقرر لمضمون ما فصل قبله اي ما جزاء الاحسان في العمل الا الاحسان
في الثواب فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى ومن دونهما جنتان مبتدا وخبر اي ومن دون تينك
الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان اخريان لمن دونهم من اصحاب اليمين فبأي آلاء ربكما تكذبان
وقوله تعالى مدهامتان صفة لجنتان وتوسيط بينهما الاعتراض لما ذكر من التنبيه على ان ما ذكر تكذيب كل
من الموصوف والصفة صفة لجنتان حقيق بالانكار والتوبيخ اي خضراوان يضربان الى السواد من شدة الخضرة
وفيه اشعار بان الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض وعلى الاولين
الاشجار والفواكه فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان اي فوارتان بالماء والنضخ اكثر من النضح
بالحاء المهملة وهو الرش فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى فيهما فاكهة ونخل ورمان عطفهما على الفاكهة
بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء وفاكهة الرمان فاكهة ودواء وعن هذا قال ابو حنيفة رضي الله عنه
ان من حلف لا ياكل فاكهة فاكل رطبا او رمانا لم يحنث فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى فيهن خيرات صفة
اخرى لجنتان كالجملة التي قبلها والكلام في جمع الضمير كالذي مر فيما مر وخيرات مخففة من خيرات لان خير الذي
بمعنى اخير لا يجمع وقد قرئ على الاصل حسان اي حسان الخلق والخلق فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى
حور بدل من خيرات مقصورات في الخيام قصرن في خدورهن يقال امراة قصيرة وقصورة اي مخدرة
او مقصورات الطرف على ازواجهن وقيل ان الخيمة من خيامهن درة مجوفة فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى
لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان كالذي مر في نظيره في جميع الوجوه فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى متكئين
نصب على الاختصاص على رفرف خضر الرفرف اما اسم جنس او اسم جمع واحده رفرفة وقيل هو ما تدلى

من الاسرة من عالي الثياب وقيل هو ضرب من البسط او البسط وقيل الوسائد وقيل النمارق وقيل كل ثوب عريض
رفرف ويقال لاطراف البسط وفضول الفسطاط رفارف ورفرف السحاب هيدبه وعبقري حسان العبقري
منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد الجن فينسبون اليه كل شيء عجيب والمراد الجنس فلذلك
وصفه بالجمع حملا على المعنى كما في رفرف على احد الوجهين وقرئ على رفارف خضر بضمتين وعباقري كمدايني نسبة
الى عباقر اسم البلد فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى تبارك اسم ربك تنزيه وتقديس له تعالى
فيه تقرير لما ذكر في السورة الكريمة من الآلاء الفائضة على الانام اي تعالى اسمه الجليل الذي من جملته
ما صدرت به السورة من اسم الرحمن المنبئ عن افاضة الآلاء المفصلة وارتفع مما لا يليق بشانه من الامور
التي من جملتها جحود نعمائه وتكذيبها واذا كان حال اسمه بملابسة دلالته عليه فما ظنك بذاته الاقدس الاعلى
وقيل الاسم بمعنى الصفة وقيل مقحم كما في قول من قال الى الحول ثم اسم السلام عليكما ذي الجلال والاكرام وصف به الرب تكميلا لما
ذكر من التنزيه والتقديس وقرئ ذو الجلال على انه نعت للاسم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله عليه

سورة الواقعة وهي ست وتسعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم اذا وقعت الواقعة اي اذا قامت القيمة وذلك عند النفخة الثانية والتعبير عنها بالواقعة للايذان
بتحقق وقوعها لا محالة كانها واقعة في نفسها مع قطع النظر عن الوقوع الواقع في حيز الشرط كانه قيل اذا وقعت الواقعة
يكون من الاهوال ما لا يفي به المقال وقيل بالنهي المفهوم من قوله تعالى ليس لوقعتها كاذبة اي لا يكون عند وقوعها نفس
تكذب على الله تعالى وتكذيب في نفسها كما تكذب اليوم واللام كهي في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي وهذه الجملة
على الوجه الاول اعتراض مقرر لمضمون الشرط على ان الكاذبة مصدر كالعاقبة اي ليس لاجل وقعتها وفي حقها كذب
اصلا بل كلما ورد في شانها من الاخبار حق صادق لا ريب فيه قوله تعالى خافضة رافعة خبر مبتدا محذوف اي هي
خافضة لاقوام رافعة لآخرين وهو تقرير لعظمتها وتهويل لامرها فان الوقائع العظام شانها كذلك او بيان
لما يكون يومئذ من حط الاشقياء الى الدركات ورفع السعداء الى الدرجات ومن زلزلة وازالة الاجرام عن مقارها
بنثر الكواكب واسقاط السماء كسفا وتسيير الجبال في الجو كالسحاب وتقديم الخفض على الرفع للتشديد في التهويل
وقرئ خافضة رافعة بالنصب على الحال من الواقعة قوله تعالى اذا رجت الارض رجا اذا زلزلت زلزالا شديدا
بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل متعلق بخافضة رافعة اي يخفض ويرفع وقت رج الارض اذ عند ذلك
يخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض او بدل من اذا وقعت وبست الجبال بسا اي فتتت حتى صارت
مثل السويق الملتوت من بس السويق اذا لته او سيقت وسيرت من اماكنها من بس الغنم اذا ساقها كقوله
تعالى وسيرت الجبال وقرئ رجت وبست اي ارتجت وذهبت فكانت اي فصارت بسبب ذلك هباء غبارا
منبثا منتشرا وكنتم اما خطاب للامة الحاضرة او للامم السالفة تغليبا او للحاضرة فقط ازواجا اي اصنافا
ثلاثة فكل صنف يكون مع صنف آخر في الوجود او في الذكر فهو زوج قوله تعالى فاصحاب الميمنة ما اصحاب
الميمنة واصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة تقسيم وتنويع للازواج الثلاثة مع الاشارة الاجمالية الى احوالهم قبل تفصيلها
فقوله تعالى فاصحاب الميمنة مبتدا وقوله تعالى ما اصحاب الميمنة خبر على ان ما الاستفهامية خبر ثان وما بعده
خبر والجملة خبر للاول والاصل ما هم اي اي شيء هم في حالهم وصفتهم فان ما وان شاعت في طلب مفهوم
الاسم والحقيقة لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال عالم او طبيب ووضع الظاهر موضع
الضمير لكونه ادخل في التفخيم وكذا الكلام في قوله تعالى واصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة والمراد تعجيب السامع
من شان الفريقين في الفخامة والفظاعة كانه قيل فاصحاب الميمنة في غاية حسن الحال واصحاب المشئمة في نهاية
سوء الحال وتكلموا في الفريقين فقيل اصحاب الميمنة اصحاب المنزلة السنية واصحاب المشئمة اصحاب المنزلة الدنية

اخذا من تيمنهم بالتيامن وتشايمهم بالشمائل وقيل الذين يوتون صحايفهم بايمانهم والذين يوتونها بشمائلهم وقيل الذين يوخذون بهم ذات اليمين الى الجنة والذين يوخذ بهم ذات الشمال الى النار وقيل اصحاب اليمين واصحاب الشوم فان السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعاصيهم قوله تعالى والسابقون السابقون هو القسم الثالث من الازواج الثلاثة ولعل تاخير ذكرهم مع كونهم اسبق الاقسام واقدمهم في الفضل ليقترن ذكرهم ببيان محاسن احوالهم على ان ايرادهم بعنوان السبق مطلقا معرب عن احرازهم لقصب السبق من جميع الوجوه وتكلموا فيهم ايضا فقيل هم الذين سبقوا الى الايمان والطاعة عند ظهور الحق من غير تلعثم وتوان وقيل الذين سبقوا في حيازة الفضائل والكمالات وقيل هم السابقون الى الصلوات الخمس وقيل المسارعون الى الخيرات اياما كان فالجملة مبتدا وخبر والمعنى والسابقون هم الذين اشتهرت احوالهم وعرفت محاسنهم كقول ابي النجم • انا ابو النجم وشعري شعري • وفيه من تفخيم شانهم وشرح فضلهم واستغنائهم عن الوصف بالجميل ما لا يخفى وقيل السابقون الى طاعة الله السابقون الى رحمته والسابقون الى الخير السابقون الى الجنة اولئك اشارة الى السابقين وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه ببعد منزلتهم في الفضل ومحل الرفع على الابتداء خبره ما بعده اي اولئك الموصوفون بذلك النعت الجليل المقربون اي الذين قربت الى العرش العظيم درجاتهم واعليت مراتبهم ورقيت الى حظاير القدس نفوسهم الزكية هذا اظهر ما ذكر في اعراب هذه الجمل واشهره والذي تقتضيه جزالة التنزيل ان قوله تعالى فاصحاب الميمنة خبر مبتدا محذوف وكذا قوله تعالى واصحاب المشئمة وقوله تعالى والسابقون فان المترقب عند بيان انقسام الناس ان الاقسام الثلاثة بيان انفس الاقسام واما اوصافها واحوالها فحقها ان تبين بعد ذلك باسناده اليها والتقدير فاحدها اصحاب الميمنة واخر اصحاب المشئمة والثالث السابقون خلا انه لما اخر بيان احوال القسمين الاولين عقب كلا منهما بجملة معترضة بين القسمين منبئة عن تراخي احوالهما في الخير والشر انباء اجماليا مشعرا بان الاحوال كلها منهما تفصيلا مترقبا لكن لا على ان ما الاستفهامية مبتدا وما بعدها خبرها على ما رواه سيبويه في امثاله بل على انها خبر لما بعدها فان مناط الافادة بيان ان اصحاب الميمنة كما يفيده كونها مبتدا وكذا الحال في ما اصحاب المشئمة واما القسم الاخير فحيث قرن بيان محاسن احواله بذكره لم يحتج فيه الى تقديم الانموذج فقوله تعالى السابقون مبتدا وما بعده خبر له او للثاني والجملة خبر للاول قوله تعالى في جنات النعيم متعلق بالمقربون او بمضمر هو حال من ضمير اي كائنين في جنات النعيم وقيل خبر ثان لاسم الاشارة وفيه ان الاخبار بكونهم مقربين ليس فيه مزيد مزية وقرئ في جنة النعيم قوله تعالى ثلة من الاولين خبر مبتدا محذوف اي هم امة جمة من الاولين وهم الامم السالفة من لدن آدم الى نبينا عليهما الصلوة والسلام • وعلى من بينهما من الانبياء العظام • والرسل الكرام الفخام وقليل من الآخرين اي من هذه الامة ولا يخالفه قوله صلى الله عليه وسلم ان امتي يكثرون سائر الامم فان اكثرية سابقي الامم السالفة من سابقي هذه الامة كما لا يمنع اكثرية ما بقي هولاء من تابعي اوليك ولا يرده قوله تعالى في اصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين لان كثرة كل من الفريقين في انفسهما لا ينافي اكثرية احدهما من الآخر وسياتي ان الثلتين من هذه الامة وقد روي مرفوعا ان الاولين والآخرين هاهنا ايضا متقدموا هذه الامة ومتاخروها واشتقاق الثلة من الثل وهو الكسر على سرر موضونة حال اخرى من المقربين او من ضميرهم في الحال الاولى وقيل خبر آخر للضمير والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت او المتواصلة من الوضن وهو النسج متكئين عليها متقابلين حالان من الضمير المستكن فيما تعلق به على سرر اي مستقرين على سرر متكئين عليها متقابلين لا ينظر بعضهم من اقفاء بعض وهو وصف لهم بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق والآداب يطوف عليهم حال اخرى او استيناف ايد وحولهم للخدمة ولدان مخلدون اي يبقون ابدا على شكل

الولدان وطراوتهم لا يتحولون عنها وقيل مقرطون والخلد القرط قيل هم اولاد اهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها روي ذلك عن علي رضي الله عنه وعن الحسن وفي الحديث اولاد الكفار خدام اهل الجنة باكواب بانية لا عرى لها ولا خراطيم واباريق اي آنية ذات عرى وخراطيم وكاس من معين اي خمر جارية من العيون قيل انما افرد الكاس لانها لا تسمى كاسا الا اذا كانت مملوءة لا يصدعون عنها اي بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها وقرئ لا يصدعون ولا يتفرقون كقوله تعالى يومئذ يصدعون وقرئ لا يصدعون اي لا يفرق بعضهم بعضا ولا ينزفون اي لا يسكرون من انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه وفاكهة مما يتخيرون اي يختارونه وياخذون خيره وافضله ولحم طير مما يشتهون اي يتمنون وقرئ لحوم طير وحور عين بالرفع عطف على ولدان او مبتدا محذوف الخبر اي وفيها او ولهم حور وقرئ بالجر عطفا على جنات النعيم كانه قيل هم في جنات وفاكهة ولحم ومصاحبة حور او على اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون باكواب وبالنصب اي ويوتون حورا كامثال اللؤلؤ المكنون صفة لحور او حال جزاء بما كانوا يعملون مفعول له اي يفعل بهم ذلك كله جزاء باعمالهم او مصدر موكد اي يجزون جزاء لا يسمعون فيها لغوا اي باطلا ولا تاثيما ولا نسبة الى الاثم اي ولا لغو فيها ولا تاثيم ولا اسماع كقوله • ولا ترى الضب بها ينجحر الا قيلا اي قولا سلاما سلاما بدل من قيلا كقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما او صفته او مفعوله بمعنى لا يسمعون فيها الا ان يقولوا سلاما سلاما والمعنى انهم يفشون السلام فيسلمون سلاما بعد سلام او لا يسمع كل من المسلم والمسلم عليه الا الآخر بدءا وردا وقرئ سلام سلام على الحكاية قوله تعالى واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين جملة استفهامية مسوقة لتفخيمهم والتعجيب من حالهم وقد عرفت كيفية سبكها ومحلها اما الرفع على انها خبر للمبتدا او معترضة لا محل لها والخبر قوله تعالى في سدر مخضود وهو على الاول خبر ثان للمبتدا او خبر لمبتدا محذوف والجملة استينا ف لبيان ما ابهم في قوله ما اصحاب اليمين من علو الشان اي هم في سدر غير ذي شوك لا كسدر الدنيا وهو شجر النبق كانه خضد شوكه اي قطع وقيل مخضود اي مثني اغصانه لكثرة حمله من خضد الغصن اذا ثنى وهو رطب وطلح منضود قد نضد حمله من اسفله الى اعلاه ليست له ساق بارزة وهو شجر الموز او ام غيلان وله انوار كثيرة منتظمة طيبة الرائحة وعن السدي شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر احلى من العسل وعن علي رضي الله عنه انه قرا وطلع وما شان الطلح وقرا قوله تعالى لها طلع نضيد فقيل او نحولها لا ان القران لا يهاج ولا يحول وعن ابن عباس وظل ممدود ممتد منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وماء مسكوب يسكب لهم اين شاءوا وكيف ما ارادوا بلا تعب او مصبوب سائل يجري على الارض في غير اخدود كانه قيل حال السابقين باقصى ما يتصور لاهل المدن وحال اصحاب اليمين باكمل ما يتصور لاهل البراري ايذانا بالتفاوت بين الحالين وفاكهة كثيرة بحسب الانواع والاجناس لا مقطوعة في وقت من الاوقات كفواكه الدنيا ولا ممنوعة عن متناولها بوجه من الوجوه لا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وقرئ وفاكهة كثيرة بالرفع وعلى وهناك فاكهة الى آخره كقوله تعالى وحور عين وفرش مرفوعة اي رفيعة القدر او منضدة مرتفعة او مرفوعة على الاسرة وقيل الفرش النساء حيث يكنى بالفراش عن المراة وارتفاعها كونها من على الارائك قال تعالى هم وازواجهم على الارائك متكئون ويدل عليه قوله تعالى انا انشاناهن انشاء وعلى التفسير الاول الضمير لهن لدلالة ذكر الفراش التي هي المضاجع عليهن دلالة بينة والمعنى ابتداء خلقهن ابتداء جديدا وابداعهن من غير ولادة ابدا واعادة وفي الحديث هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله تعالى بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد في الاستواء كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا وذلك قوله تعالى فجعلناهن ابكارا وقوله تعالى عربا جمع عروب وهي المتحببة الى زو

الحسنة التبعل وقرئ عربا بسكون الراء اترابا مستويات في السن ثلاث وثلثين سنة وكذا ازواجهن
واللام في قوله تعالى لاصحاب اليمين متعلقة بانشاءنا او جعلنا او باترابا كقولك هذا ترب لهذا اي مساو
له في السن وقيل بمحذوف هو صفة لابكارا اي كائنات لاصحاب اليمين او خبر مبتدا محذوف اي من اصحاب
اليمين وقيل خبر لقوله تعالى ثلة من الاولين وثلة من الآخرين وهو بعيد بل هو خبر مبتدا محذوف وختمت
به قصة اصحاب اليمين اي هم امة من الاولين وامة من الآخرين وقد مر الكلام فيهما وعن ابي العالية
ومجاهد وعطا والضحاك ثلة من الاولين من سابقي هذه الامة وثلة من الآخرين من هذه الامة في آخر
الزمان وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم في هذه الآية قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم هم جميعا من امتي واصحاب الشمال شروع في تفصيل احوالهم التي اشير عند التنويع الى هولها
وفظاعتها بعد تفصيل حسن حال اصحاب اليمين والكلام في قوله تعالى ما اصحاب الشمال عين ما فصل
في نظيره وكذا قوله في سموم وحميم السموم حر نار ينفذ في المسام والحميم الماء المتناهي في الحرارة
وظل من يحموم من دخان اسود بهيم لا بارد كسائر الظلال ولا كريم فيه خير ما في الجملة سمي ذلك ظلا
ثم نفى عنه صفاوة البرد والكرم الذي عبر به عن دفع اذى الحر لتحقيق انه ليس بظل وقرئ لا بارد ولا كريم
بالرفع اي لا هو بارد ولا كريم قوله تعالى انهم كانوا قبل ذلك مترفين تعليل لابتلائهم بما ذكر من العذاب
اي انهم كانوا قبل ما ذكر من سوء العذاب في الدنيا منعمين بانواع النعم من المآكل والمشارب والملابس
والمساكن الطيبة والمقامات الكريمة منهمكين في الشهوات فلا جرم عذبوا بنقائضها وكانوا يصرون على
الحنث العظيم اي الذنب العظيم الذي هو الشرك وقولهم بلغ الغلام الحنث اي الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب
وكانوا يقولون لغاية عتوهم وعنادهم ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما اي كان بعض اجزائنا من اللحم والجلد ترابا
وبعضها عظاما نخرة وتقديم التراب لعراقته في الاستبعاد وانقلابه من الاجزاء البادية واذا متمحضة
للظرفية والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى ائنا لمبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان واللام والهمزة
لا يعمل فيما قبلها وهو نبعث وهو المرجع للانكار وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيص انكاره به فانهم
منكرون للاحياء بعد الموت وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه اليه في حالة
منافية له بالكلية وتكرير الهمزة لتاكيد النكير وتحلية الجملة بان لتاكيد الانكار لا لانكار التاكيد
كما عسى يتوهم من ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في مثل قوله تعالى افلا تعقلون
على رأي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار انكارهم ثابتين
في المبعوثية بالفعل في حال كونهم ترابا وعظاما بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له ومرجعه الى
انكار البعث بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة على غلوهم في الكفر وتماديهم في الضلال ما لا مزيد عليه وتكرير
الهمزة في قوله تعالى اوآباؤنا الاولون لتاكيد النكير والواو للعطف على المستكن في لمبعوثون وحسن ذلك
للفصل بالهمزة يعنون ان بعث آبائهم الاولين ابعد من الوقوع وقرئ اوآباؤنا قل ردا لانكارهم وتحقيقا
للحق ان الاولين والآخرين من الامم الذين من جملتهم انتم وآباؤكم وفي تقديم الاولين مبالغة في الرد حيث
كان انكارهم لبعث آبائهم اشد من انكارهم لبعثهم مع مراعاة الترتيب الوجودي لمجموعون بعد البعث
وقرئ لمجمعون الى ميقات يوم معلوم الى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة بمعنى من كخاتم
فضة ثم انكم ايها الضالون عطف على ان الاولين داخل تحت القول وثم للتراخي زمانا او رتبة المكذبون
اي بالبعث والخطاب لاهل مكة واضرابهم لآكلون بعد البعث والجمع ودخول جهنم من شجر من زقوم
من الاولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره اي مبتدئون الاكل من شجر هو زقوم وقيل من الثانية
متعلقة بمضمر هو وصف لشجر اي كائن من زقوم فمالئون منها البطون اي بطونكم من شدة الجوع فشاربون

عليه

عليه عقب ذلك بلا ريب من الحميم اي الماء الحار في الغاية وتانيث ضمير الشجر اولا وتذكيره ثانيا
باعتبار اللفظ والمعنى وقرئ من شجرة فضمير حينئذ عليه للزقوم وقيل للاكل قوله تعالى فشاربون شرب
الهيم كالتفسير لما قبله على طريقة قوله تعالى اي فكذبوا عبدنا اي لا يكون شربكم معتادا بل يكون مثل
شرب الهيم وهي الابل التي بها الهيام وهو داء يصيبها فتشرب ولا تروى جمع اهيم وهيماء وقيل الهيم الرمال
على انه جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على فعل كسحاب ثم خفف وفعل به ما فعل
بجمع ابيض والمعنى انه يسلط عليهم من الجوع والتهاب النار في احشائهم ما يضطرهم الى اكل الزقوم
الذي هو كالمهل فاذا املوا منه بطونهم وهو في غاية المرارة والحرارة سلط عليهم من العطش ما يضطرهم
الى شرب الحميم الذي يقطع امعاءهم فيشربونه شرب الهيم وقرئ شرب الهيم بالفتح وهو ايضا مصدر وقرئ
بالكسر على انه اسم المشروب هذا الذي ذكر من انواع العذاب نزلهم يوم الدين اي يوم الجزاء فاذا كان
ذلك نزلهم وهو ما يعد للنازل مما حضر فما ظنك بما لهم بعد ما استقر بهم القرار واطمانت بهم الدار
في النار وفيه من التهكم بهم ما لا يخفى وقرئ نزلهم بسكون الزاء تخفيفا والجملة مسوقة من جهته تعالى
بطريق الفذلكة مقررة لمضمون الكلام الملقن غير داخلة تحت القول قوله تعالى نحن خلقناكم فلولا تصد[قون]
تلوين للخطاب وتوجيه الى الكفرة بطريق الالزام والتبكيت والفاء لترتيب التحضيض على ما قبلها اي
فهلا تصدقون بالخلق فان ما لا يحققه العمل لا يساعده بل ينبئ عن خلافه ليس من التصديق في شيء
وقيل بالبعث استدلالا عليه بالانشاء فان من قدر عليه قدر على الاعادة حتما والاول هو الوجه كما ستحيط
به خبرا افرايتم ما تمنون اي تقذفونه في الارحام من النطف وقرئ بفتح التاء من منى النطفة بمعنى امنا[ها]
ءانتم تخلقونه اي تقدرونه وتصورونه بشرا سويا ام نحن الخالقون له من غير دخل شيء فيه وام قيل
منقطعة لان ما بعدها جملة فالمعنى بل انحن الخالقون على ان الاستفهام للتقرير وقيل متصلة ومجيء
الخالقون بعد نحن بطريق التاكيد لا بطريق الخبرية اصالة نحن قدرنا بينكم الموت اي قسمناه عليكم ووقتنا
موت كل احد بوقت معين حسبما تقتضيه مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة وقرئ قدرنا مخففا وما
نحن بمسبوقين اي انا قادرون على ان نبدل امثالكم لا يغلبنا احد على ان نذهبكم ونأتي مكانكم اشبا[هكم]
من الخلق وننشئكم فيما لا تعلمون من الخلق والاطوار ولا تعهدون بمثلها قال الحسن رضي الله عنه اي نجعلكم
قردة وخنازير وقيل المعنى وننشئكم في البعث على غير صوركم في الدنيا فمن هذا شانه كيف يعجز عن اعادتكم
وقيل المعنى فما يسبقنا احد فيهرب من الموت او يغير وقته وعلى ان نبدل الى آخره اما حال من فاعل قدرنا
او علة للتقدير وعلى بمعنى اللام وما بينهما اعتراض ولقد علمتم النشأة الاولى اي خلقهم من نطفة ثم علقة
ثم من مضغة وقيل هي فطرة آدم عليه السلام من التراب فلولا تذكرون فهلا تذكرون انه من قدر عليها
قدر على النشأة الآخرة حتما فانه اقل صنعا لحصول المواد وتخصيص الاجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة
القياس وقرئ فلولا تذكرون من الثلاثي وفي الخبر عجبا كل العجب للمكذب بالنشأة الآخرة وهو يرى النشأة
الاولى وعجبا للمصدق بالنشأة الآخرة وهو يسعى لدار الغرور افرايتم ما تحرثون اي تبذرون حبه
وتعملون في ارضه ءانتم تزرعونه تنبتونه وتردونه نباتا ام نحن الزارعون اي المنبتون لا انتم والكلام
فيه كما مر آنفا لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم بسبب ذلك تفكهون تتعجبون من سوء حاله اثر ما شاهدتموه على
احسن ما يكون من الحال او تندمون على ما تعبتم فيه وانفقتم عليه او على ما اقترفتم لاجله من المعاصي
فتتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث وقرئ تفكهون تند[مون]
وقرئ فظلتم بالكسر وفظللتم على الاصل انا لمغرمون اي لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون لهلا[ك]
رزقنا من الغرام وهو الهلاك وقرئ ائنا على الاستفهام والجملة على القراءتين مقدرة بقول هو في

حين النصب على الحالية من فاعل تفكهون اي قايلين او يقولون انا لمغرمون بل نحن محرومون حرمنا رزقنا
او محارمون محدودون لا حظ لنا ولا بخت لا محدودون افرايتم الماء الذي تشربون عذبا فراتا وتخصيص هذا
الوصف بالذكر مع كثرة منافعه لان الشرب اهم المقاصد المنوطة به أانتم انزلتموه من المزن اي من السحاب
واحدها مزنة وقيل هو السحاب الابيض وماؤه اعذب ام نحن المنزلون له بقدرتنا لو نشاء جعلناه اجاجا
ملحا زعاقا لا يمكن شربه وحذف اللام ههنا مع اثباتها في الشرطية الاولى للتعويل على علم السامع او الفرق
بين المطعوم والمشروب في الاهمية وصعوبة الفقد والشرطيتان مستانفتان مستوفيتان للبيان ان
عصمته تعالى للزرع والماء مما يخل بالتمتع بهما نعمة اخرى بعد نعمة الانبات والانزال مستوجبة للشكر وقوله
تعالى فلولا تشكرون تخصيص على شكرا لكل افرايتم النار التي تورون اي تقدحونها وتستخرجون من الزناد
أانتم انشاتم شجرتها التي منها الزناد وهي المرخ والعفار ام نحن المنشئون لها بقدرتنا والتعبير عن خلقها
بالانشاء المنبي عن بديع الصنع المعرب عن كمال القدرة والحكمة لما فيه من الغرابة الفارقة بينها وبين ساير
الاشجار التي لا تخلو عن النار حتى قيل في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار كما ان التعبير عن نفخ الروح بالانشاء
في قوله تعالى ثم انشاناه خلقا آخر لذلك قوله تعالى نحن جعلناها تذكرة استيناف مبين لمنافعها اي
جعلناها تذكيرا لنار جهنم حيث علقنا بها اسباب المعاش لينظروا اليها ويذكروا ما اوعدوا به من
نار جهنم وتذكرة وانموذجا من جهنم لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ناركم هذه التي يوقدها بنو آدم
جزء من سبعين جزءا من حر جهنم وقيل تبصرة في امر البعث فانه ليس بابدع من اخراج النار من الشي الرطب
ومتاعا ومنفعة للمقوين الذين ينزلون القوي وهي القفر وتخصيصهم بذلك لانهم احوج اليها فان
المقيمين او النازلين بقرب منهم ليسوا بمضطرين الى الاقتداح بالزناد وقد جوز ان يراد بالمقوين الذين
خلت مزاودهم وبطونهم من الطعام لعدم انحصار ما بهمهم وفيه تحللهم فيما لا يوكل الا بالطبخ وتاخير هذه
المنفعة للتنبيه على ان الاهم هو النفع الاخروي والفاء في قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم لترتيب ما بعدها
على ما عدد من بدايع صنعه تعالى وروايع نعمه الموجبة لتسبيحه تعالى اما تنزيها له تعالى عما يقوله الجاحدون
بوحدانيته الكافرون بنعمه مع عظمها وكثرتها او تعجبا من امرهم في غمط تلك النعم الباهرة مع جلالة
قدرها وظهور امرها واما شكرا على تلك النعم السابقة اي فاحدث التسبيح بذكر اسمه تعالى او بذكره فان
فان اطلاق الاسم للشي ذكره والعظيم صفة للاسم او الرب فلا اقسم فاقسم ولا مزيدة للتاكيد كما في قوله
تعالى لئلا يعلم او فلانا اقسم فحذف المبتدا واشبع فتحة لام الابتدا ويعضده قراءة من قرا فلاقسم او فلا
رد الكلام يخالف المقسم عليه واما ما قيل من ان المعنى فلا اقسم اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم فيابا تعيين
المقسم به وتفخيم شان القسم به بمواقع النجوم اي بمساقطها وهي مغاربها وتخصيصها بالقسم لما في غروبها
من زوال اثرها والدلالة على وجود موثر دايم لا يتغير او لان ذلك وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه
تعالى واوان نزول الرحمة والرضوان عليهم او بمنازلها ومجاريها فان له تعالى في ذلك من الدليل على عظم قدرته
وكمال حكمته ما لا يحيط به البيان وقيل النجوم نجوم القران ومواقعها اوقات نزولها قوله تعالى وانه لقسم لو
تعلمون عظيم اعتراض في اعتراض قسم به المبالغة في تحقيق مضمون الجملة القسمية وتاكيده حيث اعترض
بقوله وانه لقسم بين القسم وجوابه الذي هو قوله تعالى انه لقران كريم اي كثير النفع لاشتماله على اصول
العلوم المهمة في اصلاح المعاش والمعاد او حسن مرضي او كريم عند الله تعالى وبقوله تعالى لو تعلمون
بين الموصوف والصفة وجواب لو اما متروك اريد به نفي علمهم او محذوف ثقة بظهوره اي لعظمتموه
او لعملتم بموجبه في كتاب مكنون اي مصون من غير المقربين من الملايكة لا يطلع عليه من سواهم
وهو اللوح لا يمسه الا المطهرون اما صفة اخرى لكتاب فالمراد بالمطهرين الملايكة المنزهون عن

الكدورات

وهو بعيد

الكدورات الجسمانية واوضار الاوزار او للقران فالمراد هم المطهرون من الاحداث فيكون نفيا بمعنى النهي اي لا ينبغي
ان يمسه الا من كان على طهارة من الناس على طريقة قوله صلى الله عليه وسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه اي لا ينبغي
له ان يظلمه او يسلمه الى من يظلمه وقيل لا يطلبه الا المطهرون من الكفر وقري المتطهرون والمطهرون بالادغام
والمطهرون من اطهره بمعنى طهره والمطهرون اي انفسهم او غيرهم بالاستغفار او غيره تنزيل من رب العالمين صفة
اخرى للقران وهو مصدر نعت به حتى جرى مجرى اسمه وقري تنزيلا افبهذا الحديث الذي ذكرت نعوته الجليلة
الموجبة لاعظامه واجلاله وهو القران الكريم انتم مدهنون اي متهاونون كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه
ولا يتصلب فيه تهاونا به وتجعلون رزقكم اي شكر رزقه انكم تكذبون اي تضعون التكذيب موضع الشكر
وقري وتجعلون شكركم انكم تكذبون اي تجعلون شكركم لنعمة القران انكم تكذبون به وقيل الرزق المطر والمعنى
وتجعلون شكر ما يرزقكم الله تعالى من الغيث انكم تكذبون بكونه من الله حتى تنسبونه الى الانواء والاول هو الاوفق
لسياق النظم الكريم وسباقه فلولا اذا بلغت الحلقوم الى آخره تبكيت مبني على تكذيبهم بالقران فيما نطق به قوله
تعالى نحن خلقناكم الى هنا من القوارع الدالة على كونهم تحت ملكوته تعالى من حيث ذواتهم ومن حيث طعامهم
ومن حيث شرابهم وساير اسباب معايشهم كما ستقف عليه ولولا للتحضيض لاظهر عجزهم واذا ظرفية اي فهلا
اذا بلغت النفس الروح وقيل نفس احدكم الحلقوم وتداعت الى الروح وانتم حينئذ ايها الحاضرون حول صاحبها
تنظرون الى ما فيه من الغمرات ونحن اقرب اليه علما وقدرة وتصرفا منكم حيث لا تعرفون من حاله الا
ما تشاهدونه من آثار الشدة من غير ان تقفوا على كنهها وكيفيتها واسبابها ولا ان تقدروا على دفع ادنى
شي منها ونحن المتولون لتفاصيل احواله لعلمنا وقدرتنا او بملايكة الموت ولكن لا تبصرون ولا تدركون
ذلك لجهلكم بشؤننا قوله تعالى فلولا ان كنتم غير مدينين اي غير مربوبين من دان السلطان رعيته اذا ساسهم
واستعبدهم ناظر الى قوله تعالى نحن خلقناكم فلولا تصدقون فان التخصيص يستدعي عدم المخصص عليه
حتما قوله تعالى ترجعونها اي النفس الى مقرها هو العامل في اذا والمخصص عليه بلولا الاولى والثانية
مكررة للتاكيد وهي مع ما في حيزها دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم غير مربوبين كما ينبي عنه عدم تصديقكم
بخلقنا اياكم فهلا ترجعون النفس الى مقرها عند بلوغها الحلقوم ان كنتم صادقين في اعتقادكم فان عدم
تصديقهم بخالقيته تعالى لهم عبارة عن تصديقهم بعدم خالقيته تعالى لموجب مذهبهم قوله تعالى فاما ان كان
من المقربين الى آخره شروع في بيان حال المتوفى بعد الممات اثر بيان حاله عند الوفاة اي فان كان الذي بين
حاله من السابقين من الازواج الثلاثة عبر عنهم باجل اوصافهم فروح اي فله استراحة وقري فروح بضم الراء وفسر
بالرحمة لانها سبب لحياة المرحوم وبالحياة الدايمة وريحان ورزق وجنة نعيم اي ذات تنعم واما ان كان من
اصحاب اليمين عبر عنهم بالعنوان السابق اذ لم يذكر لهم فيما سبق وصف واحد ينبي عن شانهم سواه كما ذكر للفريقين الآخرين
قوله تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين اخبار من جهته تعالى بتسليم بعضهم على بعض كما يفصح عنه اللام لا حكاية انشا
سلام بعضهم على بعض والا لقيل عليك والالتفات الى خطاب كل واحد منهم للتشريف واما ان كان من المكذبين الضالين
وهم اصحاب الشمال عبر عنهم بذلك حسبما وصفوا به عند بيان احوالهم بقوله تعالى ثم انكم ايها الضالون المكذبون
ذما لهم بذلك واشعارا بسبب ما ابتلوا به من العذاب فنزل اي له نزل كاين من حميم يشرب بعد اكل الزقوم كما فصل
فيما قبل وتصلية جحيم اي ادخال في النار وقيل اقامته فيها ومقاساته لالوان العذاب وقيل ذلك ما يجد في القبر من
سموم النار ودخانها ان هذا اي الذي ذكر في السورة الكريمة لهو حق اليقين اي حق الخبر اليقين وقيل الحق الثابت من
اليقين والفاء في قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم لترتيب التسبيح او الامر به على ما قبلها فان حقيقة ما فصل في تضاعيف
السورة الكريمة مما يوجب تنزيهه تعالى مما لا يليق بشانه الجليل من الامور التي من جملتها الاشراك به والتكذيب
باياته الناطقة بالحق عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا

بن

سورة الحديد وهي تسع وعشرون آية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم **سبح لله ما في السموات والارض** التسبيح تنزيه الله تعالى اعتقادا وعملا وقولا عما لا يليق بجنابه
سبحانه من سبح في الارض والماء اذا ذهب وابعد فيهما حيث اسند هاهنا الى غير العقلاء ايضا فان ما في السموات
والارض يعم جميع ما فيهما سواء كان مستقرا فيهما او جزءا منهما كما مر في آية الكرسي اريد به معنى عام مجازي
شامل لما نطق بلسان المقال كتسبيح الملائكة والمؤمنين من الثقلين ولسان الحال كتسبيح غيرهم فان كل
فرد من افراد الموجودات يدل بامكانه وحدوثه على الصانع القديم الواجب الوجود والمتصف بالكمال المنزه عن
النقصان وهو المراد بقوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده وهو متعد بنفسه كما في قوله تعالى ويسبحوه واللام
اما مزيدة للتاكيد كما في نصحت له وشكرت له او للتعليل اي فعل التسبيح لاجل الله تعالى وخالصا لوجهه ومجيئه
في بعض الفواتح ماضيا وفي البعض مضارعا للايذان بتحققه في جميع الاوقات وفيه تنبيه على ان حق من شانه
التسبيح الاختياري ان يسبحه تعالى في جميع اوقاته كما عليه الملأ الاعلى حيث يسبحون الليل والنهار لا يفترون
وهو العزيز القادر الغالب الذي لا ينازعه ولا يمانعه شيء **الحكيم** الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة
والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله مشعر بعلة الحكم وكذا قوله تعالى **له ملك السموات والارض** اي
التصرف الكلي فيهما وفيما فيهما من الموجودات من حيث الايجاد والاعدام وسائر التصرفات مما نعلمه ومما لا نعلمه
قوله تعالى **يحيي ويميت** استئناف مبين لبعض احكام الملك وجعله حالا من ضمير له ليس كما ينبغي **وهو على كل
شيء** من الاشياء التي من جملتها ما ذكر من الاحياء والاماتة **قدير** مبالغ في القدرة **هو الاول** السابق
على سائر الموجودات لما انه مبدئها ومبدعها **والآخر** الباقي بعد فنائها حقيقة او نظرا الى ذاتها مع قطع
النظر عن مبقيها فان جميع الموجودات الممكنة اذا قطع النظر عن علتها فهي فانية **والظاهر** وجودا لكثرة دلائله
الواضحة **والباطن** حقيقة فلا تحوم حولها العقول والواو الاولى والاخيرة للجمع بين الوصفين المكتنفين
بها والوسطى للجمع بين المجموعين فهو متصف باستمرار الوجود في جميع الاوقات والظهور والخفاء **وهو بكل
شيء عليم** لا يعزب عن علمه شيء من الظاهر والخفي **هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش**
بيان لبعض احكام ملكهما وقد مر تفسيره مرارا **يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها**
مر بيانه في سورة سبأ **وهو معكم اينما كنتم** **والله بما تعملون بصير** تمثيل لاحاطة علمه تعالى بهم وتصوير لعدم خروجهم اينما داروا
وقوله تعالى **والله بما تعملون بصير** عبارة عن احاطته باعمالهم فتأخيره عن الخلق لما ان المراد به ما يدور عليه
الجزاء من العلم التابع للمعلوم لا لما قيل من انه دليل عليه قوله تعالى **له ملك السموات والارض** تكرير للتاكيد
وتمهيد لقوله تعالى **والى الله ترجع الامور** اي اليه وحده لا الى غيره استقلالا او اشتراكا مرجع جميع
الامور على البناء للمفعول من رجع رجعا وقرئ على البناء للفاعل من رجع رجوعا **يولج الليل في النهار ويولج النهار
في الليل** مر تفسيره مرارا وقوله تعالى **والله عليم** اي مبالغ في العلم **بذات الصدور** اي بمكنوناتها اللازمة
لها بيان لاحاطة علمه تعالى بما يضمرونه من نياتهم بعد بيان احاطته باعمالهم التي يظهرونها **آمنوا بالله
ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه** اي جعلكم خلفاء في التصرف فيه من غير ان تملكوه حقيقة
عبر عما بايديهم من الاموال والارزاق بذلك تحقيقا للحق وترغيبا لهم في الانفاق فان من علم انها لله عز وجل
وانما هو بمنزلة الوكيل يصرفها الى ما عينه الله تعالى من المصارف هان عليه الانفاق او جعلكم خلفاء ممن قبلكم
فيما كان بايديهم بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم وسينتقل منكم الى من بعدكم فلا
تبخلوا به **فالذين آمنوا منكم وانفقوا** حسبما امروا به **لهم** بسبب ذلك **اجر كبير** وفيه من المبالغات ما
لا يخفى حيث جعل الجملة اسمية واعيد ذكر الايمان والانفاق وكرر الاسناد وفخم الاجر بالتنكير ووصف
بالكبير وقوله عز وجل **وما لكم لا تؤمنون بالله** حسبما استئناف مسوق لتوبيخهم على ترك الايمان حسبما امروا به

بانكار

بالانكار بان يكون لهم في ذلك عذر ما في الجملة على ان لا تؤمنون حال من الضمير في لكم والعامل ما فيه من معنى الاستقرار
اي اي شيء حصل لكم غير مؤمنين على توجيه الانكار والنفي الى السبب فقط مع تحقق السبب لا الى السبب
والمسبب جميعا كما في قوله تعالى وما لي لا اعبد الذي فطرني فان همزة الاستفهام كما تكون تارة لانكار الواقع
ونفيه فقط كما في ما نحن فيه وفي قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فيكون مضمون الجملة الحالية محققا
فان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء محقق قد انكر ونفي سببه وقد يكون لانكار سبب الوقوع ونفيه فيه
بان المسبب ايضا كما في قوله تعالى وما لي لا اعبد الى آخره فيكون مضمون الجملة الحالية مفروضا قطعا فان عدم
العبادة امر مفروض حتما قد انكر ونفي سببه فانتفى بنفسه ايضا قوله تعالى **والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم** حال
من ضمير لا تؤمنون مفيدة لتوبيخهم على الكفر مع تحقق ما يوجب عدمه بعد توبيخهم عليه مع عدم ما
يوجبه اي واي عذر في ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه قوله تعالى **وقد اخذ ميثاقكم** حال
من مفعول يدعوكم وقد اخذ الله تعالى ميثاقكم بالايمان من قبل ذلك وبنصب الادلة والتمكين من النظر وقرئ
وقد اخذ مبنيا للمفعول برفع ميثاقكم **ان كنتم مؤمنين** لموجب ما فان هذا موجب لا موجب وراءه **هو الذي
ينزل على عبده** حسبما يعن لكم من المصالح **آيات بينات** واضحات **ليخرجكم** اي الله تعالى او العبد بها **من الظلمات
الى النور** من ظلمات الكفر الى نور الايمان **وان الله بكم لرؤوف رحيم** حيث يهديكم الى سعادة الدارين بارسال الرسول
وتنزيل الآيات بعد نصب الحجج العقلية قوله تعالى **وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله** توبيخ لهم على ترك الانفاق
المأمور به بعد توبيخهم على ترك الايمان بالانكار ان يكون لهم في ذلك ايضا عذر من الاعذار وحذف المفعول لظهور
انه الذي بين حاله فيما سبق وتعيين المنفق لتشديد التوبيخ اي واي شيء لكم في ان لا تنفقوا فيما هو قربة
الى الله تعالى ما هو له في الحقيقة وانما انتم خلفاؤه في صرفه الى ما عينه من المصارف قوله تعالى **ولله
ميراث السموات والارض** حال من فاعل لا تنفقوا ومفعوله مؤكدة للتوبيخ فان ترك الانفاق بغير سبب قبيح
منكر ومع تحقق ما يوجب الانفاق اشد في القبح وادخل في الانكار فان بيان بقاء جميع ما في السموات
والارض من الاموال لله عز وجل من غير ان يبقى من اصحابها احد اقوى في ايجاب الانفاق من بيان انها لله
تعالى في الحقيقة وهم خلفاؤه في التصرف فيها فكانه قيل وما لكم في ترك انفاقها في سبيل الله والحال
انه لا يبقى لكم منها شيء بل تبقى كلها لله تعالى واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لزيادة التقرير وتربية
المهابة قوله تعالى **لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل** بيان لتفاوت درجات المنفقين حسب تفاوت
احوالهم في الانفاق بعد بيان ان لهم اجرا كبيرا على الاطلاق حثا لهم على تحري الافضل وعطف القتال
على الانفاق للايذان بانه من اهم مواد الانفاق مع كونه في نفسه من افضل العبادات وانه لا يخلو من
الانفاق اصلا وقسيم من انفق محذوف لظهوره ودلالة ما بعده عليه وقرئ قبل الفتح بغير من
والفتح فتح مكة **اولئك** اشارة الى من انفق والجمع بالنظر الى معنى من كما ان افراد الضميرين السابقين بالنظر
الى لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم في الفضل
ومحله الرفع على الابتداء اي اولئك الموصوفون بذينك النعتين الجميلين **اعظم درجة** وارفع منزلة **من
الذين انفقوا من بعد وقاتلوا** لانهم انما فعلوا ما فعلوا من الانفاق والقتال قبل عزة الاسلام وقوة اهله
عند كمال الحاجة الى النصرة بالنفس والمال وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين
قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وهؤلاء
فعلوا ما فعلوا بعد ظهور الدين ودخول الناس فيه افواجا وقلة الحاجة الى الانفاق والقتال **وكلا**
اي كل واحد من الفريقين **وعد الله الحسنى** اي المثوبة الحسنى وهي الجنة لا الاولين فقط وقرئ وكل بالرفع
على الابتداء اي وكل وعده الله تعالى الى آخره **والله بما تعملون خبير** بظواهره وبواطنه فيجازيكم بحسبه

وقيل نزلت الاية في ابي بكر الصديق رضي الله فانه اول من آمن واول من انفق في سبيل الله وخاصم الكفار حتى
ضرب ضربا اشرف به على الهلاك قوله تعالى **من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا** ندب بليغ من الله تعالى الى الانفاق
في سبيله بعد الامر به والتوبيخ على تركه وبيان درجات المنفقين اي من ذا الذي ينفق ماله في سبيله تعالى
رجاء ان يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه وتحري اكرم المال وافضل الجهات فيضاعفه
له بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى كانه قيل ايقرض الله احد **فيضاعفه له** اي فيعطيه اجره
اضعافا **وله اجر كريم** اي وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه حقيق بان يتنافس فيه
المتنافسون وان لم يضاعف فكيف وقد ضوعف اضعافا كثيرة وقرئ بالرفع عطفا على يقرض او حملا
على تقدير مبتدا اي فهو يضاعفه وقرئ يضعفه بالرفع والنصب **يوم ترى المؤمنين والمؤمنات** ظرف لقوله
تعالى وله اجر كريم او لقوله تعالى فيضاعفه او منصوب باضمار اذكر تفخيما لذلك اليوم قوله تعالى
يسعى نورهم حال من مفعول ترى قيل نورهم الضياء الذي يرى **بين ايديهم وبايمانهم** وقيل هداهم وبايما
نهم اي يسعى ايمانهم وعملهم الصالح بين ايديهم وفي ايمانهم كتب اعمالهم وقيل هو القرآن وعن ابن مسعود
يؤتون نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى كالرجل القائم وادناهم
نورا من نوره على ابهام رجله يلمع تارة وينطفي اخرى قال الحسن يستضيئون به على الصراط وقال مقاتل يكون
لهم دليلا الى الجنة **بشراكم اليوم جنات** مقدر بقول هو حال او استيناف اي يقال لهم بشراكم اي ما
تبشرون به جنات هو بشراكم دخول جنات **تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك** اي ما ذكر من النور
والبشرى بالجنات المخلدة **الفوز العظيم** الذي لا غاية وراءه وقرئ ذلك الفوز العظيم **يوم يقول المنافقون**
والمنافقات بدل من يوم ترى **للذين آمنوا انظرونا** اي انتظرونا يقولون ذلك لما ان المؤمنين يسرع بهم
الى الجنة كالبروق الخاطفة على ركاب تزف بهم وهؤلاء مشاة او انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم
استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بالنور الذي بين ايديهم وقرئ انظرونا من النظرة وهي الامهال
جعل اتئادهم في المضي الى ان يلحقوا بهم **نقتبس من نوركم** من جهة المؤمنين او من جهة الملائكة **قيل**
ارجعوا وراءكم اي الى الموقف **فالتمسوا نورا** فانه من ثمة يقتبس او الى الدنيا فالتمسوا النور بتحصيل
مباديه من الايمان والاعمال الصالحة وارجعوا خائبين خاسرين فالتمسوا نورا آخر وقد علموا ان
لا نور وراءهم وانما قالوه تخييبا لهم وانما ارادوا بالنور ما وراءهم من الظلمة الكثيفة تهكما بهم **فضرب**
بينهم بين الفريقين **بسور** اي حائط والباء زائدة **له باب باطنه** اي باطن السور او الباب وهو
الجانب الذي يلي الجنة **فيه الرحمة وظاهره** وهو الطرف وظاهره الذي يلي النار **من قبله** من جهته
العذاب وقرئ فضرب على البناء للفاعل **ينادونهم** استيناف مبني على سؤال كانه قيل فماذا يفعلون
بعد ضرب السور ومشاهدة العذاب فقيل ينادونهم **الم نكن معكم** في الدنيا **معكم** يريدون به موافقتهم
لهم في الظاهر **قالوا بلى** كنتم معنا بحسب الظاهر **ولكنكم فتنتم انفسكم** محنتموها بالنفاق واهلكتموها
وتربصتم بالمؤمنين الدوائر **وارتبتم** في امر الدين **وغرتكم الاماني** الفارغة التي من جملتها الطمع في
انتكاس امر الاسلام **حتى جاء امر الله** اي الموت **وغركم بالله** الكريم **الغرور** اي غركم الشيطان بان الله
عفو كريم لا يعذبكم وقرئ الغرور بالضم **فاليوم لا يؤخذ منكم فدية** فداء وقرئ تؤخذ بالتاء **ولا من الذين كفروا**
اي ظاهرا وباطنا **ماواكم النار** لا تبرحونها ابدا **هي مولاكم** اي اولى بكم وحقيقته مكانكم الذي يقال فيه
هو اولى بكم كما يقال هو مئنة الكرم اي مكان القول القائل انه لكريم او مكانكم عن قريب من الولي وهو
القرب او ناصركم على طريقة قولهم تحية بينهم ضرب وجيع او متوليكم يتولاكم كما توليتم موجباتها
وبئس المصير اي النار **الم يان للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله** استيناف ناع عليهم مما قلتهم في امور الدين

ورخاوة

ورخاوة عقدهم فيها واستبطاء لانتدابهم لما ندبوا اليه بالترغيب والترهيب وروي ان المؤمنين
كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة وفتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود
ما كان بين اسلامنا وبين ان عوتبنا بهذه الاية الا اربع سنين وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله
استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على راس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن اي الم يجئ وقت ان تخشع قلوبهم
لذكر الله تعالى وتطمئن به ويسارعوا الى طاعته بالامتثال باوامره والانتهاء عما نهوا عنه من غير توان ولا
فتور من انى الامر اذا جاء اناه اي وقته وقرئ الم يئن من آن يئين بمعنى أنى وقرئ الما يأن وفيه دلالة على
ان المنفي متوقع **وما نزل من الحق** اي القرآن وهو عطف على ذكر الله فاذا كان هو المراد به ايضا فالعطف لتغاير
العنوانين فانه ذكر وموعظة كما انه حق نازل من السماء والا فالعطف كما في قوله تعالى انما المؤمنون الذين
اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ومعنى الخشوع له الانقياد التام لاوامره
ونواهيه والعكوف على العمل بما فيه من الاحكام التي من جملتها ما سبق وما لحق من الانفاق في سبيل الله
تعالى وقرئ نزله من التنزيل مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل وانزل **ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل** عطف
على تخشع وقرئ بالتاء على الالتفات للاعتناء بالتحذير وقيل هو نهي عن مماثلة اهل الكتاب في قسوة القلب
بعد ان وبخوا وذلك ان بني اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا التوراة والانجيل خشعوا
لله تعالى ورقت قلوبهم **فطال عليهم الامد** اي الاجل وقرئ الامد بتشديد الدال اي الوقت الاطول وغلبهم
الجفا وزالت عنهم الروعة التي كانت تاتيهم من الكتابين **فقست قلوبهم** فهي كالحجارة او اشد قسوة **وكثير**
منهم فاسقون اي خارجون عن حدود دينهم رافضون لما في كتبهم بالكلية **اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها**
تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة باحياء الارض الميتة بالغيث للترغيب في الخشوع والتحذير
عن القساوة **قد بينا لكم الايات** التي من جملتها هذه الايات **لعلكم تعقلون** كي تعقلوا ما فيها وتعملوا
بموجبها فتفوزوا بسعادة الدارين **ان المصدقين والمصدقات** اي المتصدقين والمتصدقات وقد قرئ كذلك
وقرئ بتخفيف الصاد من التصديق اي الذين صدقوا الله ورسوله **واقرضوا الله قرضا حسنا** قيل هو عطف على ما
في المصدقين من معنى الفعل فانه في حكم الذين اصدقوا او صدقوا على القراءتين وعقب بان فيه فصلا بين
اجزاء الصلة باجنبي وهو المصدقات واجيب بان المعنى من غير فصل وقيل بان المتصدقات ليس بعطف
على المتصدقين بل هو منصوب على الاختصاص كانه قيل والذين اقرضوا والقرض الحسن عبارة عن التصدق
من الطيب عن طيبة النفس وخلوص النية على المستحق للصدقة **يضاعف لهم** على البناء للمفعول مسندا
الى ما بعده من الجار والمجرور وقيل الى مصدر ما في حيز الصلة على حذف مضاف اي ثواب التصدق وقرئ
على البناء للفاعل اي يضاعف الله تعالى وقرئ يضعف بتشديد العين وفتحها **ولهم اجر كريم** مر ما فيه من
الكلام **والذين آمنوا بالله ورسله** كافة وقد مر بيان كيفية الايمان بهم في خاتمة سورة البقرة **اولئك**
اشارة الى الموصول الذي هو مبتدا وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه قد مر سره مرارا
وهو مبتدا ثان قوله تعالى **هم** مبتدا ثالث خبره الصديقون والشهداء وهو مع خبره خبر للاول
وهم ضمير الفصل وما بعده خبر لاولئك والجملة خبر للموصول اي اولئك **عند ربهم** بمنزلة الصديقين
والشهداء المشهورين بعلو الرتبة ورفعة المنزلة وهم الذين سبقوا الى التصديق واستشهدوا في
سبيل الله تعالى وهم المبالغون في الصدق حيث آمنوا وصدقوا جميع اخباره تعالى ورسله والقائمون
بالشهادة لله تعالى بالوحدانية ولهم بالايمان او على الامم يوم القيمة قوله تعالى **لهم اجرهم ونورهم**
بيان لثمرات ما وصفوا به من نعوت الكمال على انه جملة من مبتدا وخبر محلها الرفع على انه خبر ثان
للموصول والخبر هو الجار وما بعده مرتفع به على الفاعلية والضمير الاول على الوجه الاول للموصول

والاجزاء للمصدقين والشهداء اي لهم مثل اجرهم ونورهم المعروفين بغاية الكمال وعزة المنال وقد حذف
اداة التشبيه تنبيها على قوة المماثلة وبلوغها حد الاتحاد كما فعل ذلك حيث قيل هم الصديقون والشهداء
وليست المماثلة بين ما للفريق الاول من الاجر والنور وبين تمام ما للفريقين الاخيرين بل بين تمام الاصل
من الاصل والاوصاف وبين ما للاخيرين من الاصل بدون الاضعاف واما على الوجه الثاني فمرجع الكل
واحد والمعنى لهم الاجر والنور الموعودان لهم هذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم وقد قيل والشهداء
مبتدا وعند ربهم خبره وقيل الخبر لهم اجرهم الى آخره والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك الموصوفون بتلك الصفة
القبيحة اصحاب الجحيم بحيث لا يفارقونها ابدا اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال
والاولاد بعد ما بين حال الفريقين في الآخرة شرح حال الحيوة الدنيا اطمأن بها الفريق الثاني واشير الى
انها من محقرات الامور التي لا يركن اليها العقلاء فضلا عن الاطمئنان بها وانها مع ذلك سريعة الزوال
وشيكة الاضمحلال حيث قيل كمثل غيث اعجب الكفار اي الحراث نباته اي النبات الحاصل به ثم
يهيج اي يجف بعد خضرته ونضارته فتريه مصفرا بعد ما رايته ناضرا مونقا وقرئ مصفارا وانما لم يقل
فيصفر ايذانا بان اصفراره مقارن لجفافه وانما المترتب عليه رؤيته كذلك ثم يكون حطاما هشيما
متكسرا ومحل الكاف قيل النصب على الحالية من الضمير في لعب لانه في معنى الوصف وقيل الرفع على انه خبر بعد خبر
للحيوة الدنيا بتقدير المضاف اي مثل الحيوة الدنيا كمثل الى آخره وبعد ما بين حقارة امر الدنيا تزهيدا فيها وتنفيرا
عن العكوف عليها اشير الى فخامة شان الآخرة وعظم ما فيها من اللذات والآلام ترغيبا في تحصيل نعيمها المقيم
وتحذيرا من عذابها الاليم وقدم ذكر العذاب فقيل وفي الآخرة عذاب شديد لانه من نتائج الانهماك فيما فصل من
احوال الحيوة الدنيا ومغفرة عظيمة من الله ورضوان عظيم لا يقادر قدره وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور اي لمن
اطمأن بها ولم يجعلها ذريعة الى الآخرة وعن سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور ان الهتك عن طلب الآخرة فاما
فاما اذا دعتك الى طلب رضوان الله تعالى فنعم المتاع ونعم الوسيلة سابقوا اي سارعوا مسارعة السابقين
لاقرانهم في المضمار الى مغفرة عظيمة كائنة من ربكم اي الى موجباتها من الاعمال الصالحة وجنة عرضها
كعرض السماء والارض اي كعرضهما جميعا واذا كان عرضها كذلك فما ظنك بطولها وقيل المراد بالعرض البسطة
وتقديم المغفرة على الجنة لتقدم التخلية على التحلية اعدت للذين امنوا بالله ورسله فيه دليل على ان الجنة
مخلوقة بالفعل وان الايمان كاف في استحقاقها ذلك الذي وعد من المغفرة والجنة فضل الله عطاؤه
يؤتيه تفضلا واحسانا من يشاء ايتاءه اياه من غير ايجاب والله ذو الفضل العظيم ولذلك يؤتي من يشاء
مثل ذلك الفضل الذي لا غاية وراءه ما اصاب من مصيبة في الارض كجدب وعاهة في الزرع والثمار ولا في
انفسكم كمرض وفاقة الا في كتاب اي الا مكتوبة مثبتة في علم الله تعالى او في اللوح من قبل ان نبراها
اي نخلق الانفس والمصائب او الارض ان ذلك اي اثباتها في كتاب على الله يسير لاستغنائه فيه عن العدة
والمدة لكيلا تأسوا اي اخبرناكم بذلك لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من نعيم الدنيا ولا تفرحوا بما آتيكم اي
اعطاكم الله تعالى منها فان من علم ان الكل مقدر يفوت ما قدر فواته ويأتي ما قدر اتيانه لا محالة لا
يعظم جزعه على ما فات ولا فرحه بما هو آت وقرئ بما اتاكم من الاتيان وفي القراءة الاولى اشعار بان
النعم يلحقها اذا خليت وطباعها فاما حصولها وبقاؤها فلا بد لها من سبب يوجدها ويبقيها وقرئ
بما اوتيتم والمراد به نفي الاسى المانع عن التسليم لامر الله تعالى والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك
عقب بقوله تعالى والله لا يحب كل مختال فخور فان من معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله غني عنه
وعن انفاقه محمود في ذاته لا يضره الاعراض عن شكره بالتقرب اليه بشيء من نعمه وفيه تهديد واشعار
بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق وقرئ فان الله الغني لقد ارسلنا رسلنا اي الملائكة الى الانبياء

او الانبياء

او الانبياء الى الامم وهو الاظهر بالبينات اي الحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب اي جنس الكتاب الشامل
للكل والميزان ليقوم الناس بالقسط اي بالعدل روي ان جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه الى نوح عليه السلام
وقال مر قومك يزنوا به وقيل اريد به العدل ليقام بالسياسة ويدفع به العدوان وانزلنا الحديد قيل نزل
آدم من الجنة ومعه خمسة اشياء من حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وروي ومعه
المر والمسحاة وعن الحسن وانزلنا الحديد خلقناه كقوله تعالى وانزل لكم من الانعام وذلك ان اوامره تعالى وقضاياه
واحكامه تنزل من السماء وقوله تعالى فيه باس شديد لان آلات الحروب انما تتخذ منه ومنافع للناس اذ ما من
صنعة الا والحديد او ما يعمل بالحديد آلتها والجملة حال من الحديد قوله تعالى وليعلم الله من ينصره ورسله عطف على
محذوف يدل عليه ما قبله فانه حال متضمنة للتعليل كانه قيل ليستعملوه وليعلم الله علما يتعلق به الجزاء من ينصره
ورسله باستعمال السيوف والرماح وسائر الاسلحة في مجاهدات اعدائه او متعلق بمحذوف مؤخر والواو
اعتراضية اي وليعلم الله من ينصره ورسله انزله وقيل عطف على قوله تعالى ليقوم الناس بالقسط وقوله
تعالى بالغيب حال من فاعل ينصر او مفعوله اي غائبا منهم او غائبين منه وقوله تعالى ان الله قوي عزيز
اعتراض تذييلي جيء به تحقيقا للحق وتنبيها على ان تكليفهم الجهاد وتعريضهم للقتال ليس لحاجته في اعلاء
كلمته واظهار دينه الى نصرتهم بل انما هو لينتفعوا ويصلوا بامتثال الامر فيه الى الثواب والا فهو غني بقدرته
وعزته عنهم في كل ما يريده ولقد ارسلنا نوحا وابرهيم نوع تفصيل لما اجمل في قوله تعالى لقد ارسلنا الى آخره وتكرير
القسم لاظهار مزيد الاعتناء بالامر اي وبالله لقد ارسلناهما وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب بان استنبأناهم
واوحينا اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط بالقلم فمنهم اي من الذرية او من المرسل اليهم المدلول عليهم
بذكر الارسال والمرسلين مهتد الى الحق وكثير منهم فاسقون خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن
سنن المقابلة للمبالغة في الذم والايذان بغلبة الضلال وكثرتهم ثم قفينا على آثارهم برسلنا اي ثم
ارسلنا بعدهم رسلنا وقفينا بعيسى بن مريم اي ارسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى عليه السلام
والضمير لنوح وابرهيم ومن ارسلنا اليهم او من عاصرهم من الرسل لا للذرية فان الرسل المقفى بهم من
الذرية وآتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة فانه اعجمي لا يلزم فيه مراعاة ابنية العرب وجعلنا في قلوب الذين
اتبعوه رافة وقرئ رآفة على فعالة ورحمة اي وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم ونحوه في شان اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم رحماء بينهم ورهبانية منصوب اما بفعل مضمر يفسره الظاهر اي وابتدعوا رهبانية
ابتدعوها واما بالعطف على ما قبلها وابتدعوها صفة اي وجعلنا في قلوبهم رافة ورحمة ورهبانية
مبتدعة من عندهم اي وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها وهي المبالغة في العبادة
بالرياضة والانقطاع عن الناس ومعناها الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب
كخشيان من خشي وقرئ بضم الراء كانها نسبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان وسبب ابتداعهم
اياها ان الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد رفع عيسى عليه السلام فقاتلوهم ثلاث مرات فقتلوا حتى لم
يبق منهم الا القليل فخافوا ان يفتتنوا في دينهم فاختاروا الرهبانية في قلل الجبال فارين بدينهم
مخلصين انفسهم للعبادة قوله تعالى ما كتبناها عليهم جملة مستانفة وقيل صفة اخرى لرهبانية والنفي على الوجه
الاول متوجه الى اصل الفعل قوله تعالى الا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع اي ما فرضناها نحن عليهم
راسا ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فذمهم جميعا فما رعوها حق رعايتها من حيث ان النذر عهد مع
الله لا يحل نكثه لا سيما اذا قصد به رضاه تعالى وعلى الوجه الثاني متوجه الى قيده لا الى نفسه والاستثناء
متصل من اعم العلل اي ما كتبناها عليهم بان وفقناهم لابتداعها لشيء الا ليبتغوا رضوان الله ويستحقوا
بها الثواب ومن ضرورة ذلك ان يحافظوا عليها ويراعوها حق رعايتها فما رعوها كلهم بل بعضهم فآتينا

الذين امنوا منهم ايمانا صحيحا وهو الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد رعاية رهبانيتهم لا مجرد رعايتها
فانها بعد البعثة لغو محض وكفر بحت وان لها استتباع الاجر اجرهم اي ما يخصهم من الاجر وكثير منهم فاسقون
خارجون عن حد الاتباع وحمل الفريقين على من مضى من المراعين لحقوق الرهبانية قبل النسخ والمخلين بها
اذ ذاك بالتثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة من غير تعرض لايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم
وكفرهم مما لا يساعده المقام يا ايها الذين امنوا اي بالرسل المتقدمة اتقوا الله فيما نهاكم عنه وامنوا برسوله
اي محمد صلى الله عليه وسلم وفي اطلاقه ايذان بانه علم فرد في الرسالة لا يذهب الوهم الى غيره يؤتكم كفلين
نصيبين من رحمته لايمانكم بالرسول وبمن قبله من الرسل عليهم السلام لكن لا على معنى ان شريعتهم باقية
بعد البعثة بل على انها كانت حقة قبل النسخ ويجعل لكم نورا تمشون به يوم القيمة حسبما نطق به قوله تعالى
يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ويغفر لكم ما اسلفتم من الكفر والمعاصي والله غفور اي مبالغ في المغفرة والر[حمة]
رحيم تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب متعلق بمضمون الجملة الطلبية المتضمنة لمعنى الشرط اذ التقدير ان تتقوا الله
وتؤمنوا برسوله يؤتكم كذا وكذا لئلا يعلم الذين لم يسلموا من اهل الكتاب اي ليعلموا ولا مزيدة كما ينبئ عنه قراءة
ليعلم ولكن يعلم ولان يعلم بادغام النون في الياء وان في قوله تعالى الا يقدرون على شيء من فضل الله مخففة
من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشان محذوف والجملة في حيز النصب على انها مفعول يعلم اي ليعلموا انه
لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة ولا يتمكنون من نيله حيث لم ياتوا بشرطه
الذي هو الايمان برسوله وقوله تعالى وان الفضل بيد الله عطف على ان لا يقدرون وقوله تعالى يؤتيه
من يشاء خبر ثان لان وقيل هو الخبر والجار حال لازمة وقوله تعالى والله ذو الفضل العظيم اعتراض تذييلي مقرر
لمضمون ما قبله وقد جوز ان يكون الامر بالتقوى والايمان لغير اهل الكتاب فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على
ايمانكم برسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتكم ما وعد من آمن من اهل الكتاب من الكفلين في قوله تعالى اولئك
يؤتون اجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل اجرهم لانكم مثلهم في الايمانين لا تفرقون بين احد من رسله وروي
ان مؤمني اهل الكتاب افتخروا على سائر المؤمنين بانهم يؤتوا اجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت وقرئ
ليلا بقلب الهمزة ياء لانفتاحها بعد كسرة وقرئ بسكون الياء وفتح اللام كاسم المرأة وبكسر اللام مع
سكون الياء وقرئ ان لا يقدروا وهذا وقد قيل لا غير مزيدة وضمير لا يقدرون للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون على شيء من فضل الله الذي هو عبارة عما
اوتوا من سعادة الدارين على ان عدم علمهم لعدم قدرتهم على ذلك كناية عن علمهم بقدرتهم عليه فيكون قوله تعالى ان الفضل
بيد الله الخ عطفا على ان لا يعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحديد كتب من الذين امنوا بالله تعالى وبرسوله

سورة المجادلة وهي اثنان وعشرون اية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله باظهار الدال وقرئ بادغامها في السين قول التي تجادلك في زوجها اي
يراجعك الكلام في شانه وفيما صدر منه في حقها من الظهار وقرئ تحاورك وتجادلك اي تسائلك
وتشتكي الى الله عطف على تجادلك اي تتضرع اليه تعالى وقيل حال من فاعله اي تجادلك وهي متضرعة
اليه تعالى وهي خولة بنت ثعلبة بن مالك بن خزامة الخزرجية ظاهر عنها زوجها اوس بن الصامت
اخو عبادة ثم ندم على ما قال فقال لها ما اظنك الا قد حرمت علي فشق عليها ذلك فاستفتت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقا فقال حرمت عليه وفي رواية
ما اراك الا قد حرمت عليه في المرار كلها فقالت اشكو الى الله فاقتي ووجدي وجعلت تراجع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكلما قال صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وشكت الى الله تعالى فنزلت فكلمة

فلا شعار بان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجادلة كانا يتوقعان ان الله تعالى ينزل حكم الحادثة ويفرج عنها
كربها كما يلوح به ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها عند استفتائها ما عندي في امرك شيء ومعنى
سمعه تعالى لقولها اجابة دعائها لا مجرد علمه تعالى بقولها كما هو المعنى بقوله تعالى والله يسمع تحاوركما اي يعلم
تراجعكما الكلام وصيغة المضارع للدلالة على استمرار السمع حسب استمرار التحاور وتجدده وفي نظمها في سلك الخطاب
تغليبا تشريفا لها من وجهين والجملة استئناف جار مجرى التعليل لما قبله فان الحافها في المسئلة ومبالغتها في التضرع
الى الله تعالى ومدافعته صلى الله عليه وسلم اياها بجواب ينبئ عن التوقف فيه مترقب البحث وعلمه تعالى بحالهما من دواعي
الاجابة وقيل هي حال وهو بعيد قوله عز وجل ان الله سميع بصير تعليل لما قبله بطريق التحقيق اي مبالغ في العلم
بالمسموعات والمبصرات ومن قضيته انه يسمع تحاوركما ويرى ما يقارنه من الهيئات التي من جملتها رفع راسها الى
السماء وسائر آثار التضرع واظهار الاسم الجليل في الموقعين لتربية المهابة وتعليل الحكم بوصف الالوهية
وتاكيد استقلال الجملتين قوله تعالى والذين يظهرون من نسائهم شروع في بيان شان الظهار في نفسه وحكمه
المترتب عليه شرعا بطريق الاستئناف والظهار ان يقول الرجل لامرأته انت علي كظهر امي مشتق من الظهر
وقد مر تفصيله في الاحزاب والحق به الفقهاء تشبيهها بجزء محرم وفي منكم مزيد توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم
فانه كان من ايمان اهل جاهليتهم خاصة دون سائر الامم وقرئ يظاهرون من اظاهر ويتظاهرون ويتظهر
قوله تعالى ما هن امهاتهم خبر للموصول اي ما نساؤهم امهاتهم على الحقيقة فهو كذب بحت وقرئ امهاتهم بالرفع
على لغة تميم وبامهاتهم ان امهاتهم اي ما هن الا اللائي ولدنهم فلا تشبه بهن في الحرمة الا من الحقها الشرع
بهن من المرضعات وازواج النبي صلى الله عليه وسلم فدخلن بذلك في حكم الامهات واما الزوجات فابعد
شيء من الامومة وانهم ليقولون بقولهم ذلك منكرا من القول على ان مناط التاكيد ليس صدور القول عنهم فانه امر
محقق بل كونه منكرا اي عند الشرع وعند العقل والطبع كما يشعر به تنكيره ونظيره قوله تعالى انكم لتقولون قولا
عظيما وزورا اي محرفا عن الحق وان الله لعفو غفور اي مبالغ في العفو والمغفرة فيغفر لما سلف منه على الاطلاق
وبالمتاب عنه والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا تفصيل لحكم الظهار بعد بيان كونه امرا منكرا بطريق التشريع
الكلي المنتظم لحكم الحادثة انتظاما اوليا اي والذين يقولون ذلك القول المنكر ثم يعودون لما قالوا اي الى ما
قالوا بالتدارك والتلافي لا بالتقرير والتكرير كما في قوله تعالى ان تعودوا لمثله ابدا فان اللام والى يتعاقبان
كثيرا كما في قوله تعالى هدانا لهذا وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وقوله بان ربك اوحى لها وقوله واوحي الى
نوح فتحرير رقبة اي فتداركه او فعليه او فالواجب اعتاق رقبة اي رقبة كانت وعند الشافعي رضي الله عنه
يشترط الايمان والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار وقيل لما قالوا
عبارة عما حرموه على انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه كما في قوله تعالى ونرثه ما يقول اي المقول
فيه من المال والولد والمعنى ثم يريدون العود والاستمتاع من قبل ان يتماسا اي من قبل ان يستمتع كل من
المظاهر والمظاهر منها بالآخر جماعا ولمسا ونظرا الى الفرج بشهوة فان وقع شيء من ذلك قبل التكفير يجب عليه ان
يستغفر ولا يعود حتى يكفر وان اعتق بعض الرقبة ثم مس عليه ان يستانف عند ابي حنيفة رحمه الله ذلكم اشارة الى
الحكم المذكور وهو مبتدا خبره توعظون به اي تزجرون به عن ارتكاب المنكر المذكور فان الغرامات مزاجر عن
تعاطي الجنايات والمراد بذكره بيان المقصود من شرع هذا الحكم ليس لتعريضكم للثواب بمباشرتكم لتحرير
الرقبة الذي هو علم في استتباع الثواب العظيم بل هو ردعكم وزجركم عن مباشرة ما يوجبه والله بما تعملون
من الاعمال التي من جملتها التكفير وما يوجبه من جناية الظهار خبير اي عالم بظواهرها وبواطنها
ومجازيكم بها فحافظوا على حدود ما شرع لكم ولا تخلوا بشيء منها فمن لم يجد اي الرقبة فصيام شهرين فعليه
صيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا ليلا او نهارا عمدا او خطاء فمن لم يستطع اي الصيام بسبب من الاسباب

ترفع راسها الى السماء وتقول اللهم اني اشكو اليك فانزل على لسان نبيك صح

فاطعام ستين مسكينا لكل مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره ويجب تقديمه على المسيس لكن لا يستانف
ان مس في خلال الاطعام ذلك اشارة الى ما مر من البيان والتعليم للاحكام والتنبيه عليها وما فيه من معنى
البعد قد مر سره مرارا ومحله اما الرفع على الابتدا او النصب بمضمر يعامل بعد اي ذلك واقع او فعلنا
ذلك لتومنوا بالله ورسوله وتعملوا بشرايعه التي شرعها لكم وترفضوا ما كنتم عليه في جاهليتكم وتلك اشارة الى
الاحكام المذكورة وما فيه من معنى البعد لتعظيمها كما مر غير مرة حدود الله التي لا يجوز تعديها وللكافرين اي الذين
لا يعملون بها عذاب اليم عبر عنه بذلك للتغليظ على طريقة قوله تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين ان
الذين يحادون الله ورسوله اي يعادونهما ويشاقونهما فان كلا من المتعادين كما انه يكون في عدوة وشق غير عدوة الآخر
كذلك يكون في غير حد الآخر غير ان لورود المحادة في اثناء ذكر حدود الله دون المعاداة والمشاقة من حسن الموقع
ما لا غاية وراءه كبتوا اي اخزوا وقيل خذلوا وقيل اذلوا وقيل اهلكوا وقيل لعنوا وقيل غيظوا وهو ما وقع يوم
الخندق قالوا معنى كبتوا سيكبتون على طريقة قوله اتى امر الله وقيل اصل الكبت الكب كما كبت الذين من قبلهم
من كفار الامم الماضية المعادين للرسل عليهم السلام ولقد انزلنا ايات بينات حال من واو كبتوا اي كبتوا لمحادتهم
والحال انا انزلنا ايات بينات واضحات فيمن حاد الله ورسوله ممن قبلهم من الامم وفيما فعلنا بهم وقيل ايات تدل
على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وصحة ما جاء به وللكافرين اي بتلك الايات وبكل ما يجب الايمان به
فيدخل فيه تلك الايات دخولا اوليا عذاب مهين يذهب بعزهم وكبرهم يوم يبعثهم الله منصوب بما تعلق به اللام
من الاستقرار او بمهين او باضمار اذكر تعظيما لليوم وتهويلا له جميعا اي كلهم بحيث لا يبقى منهم احد غير مبعوث
مجتمعين في حالة واحدة فينبئهم بما عملوا من القبايح ببيان صدورها عنهم او بتصويرها في تلك النشاة بما
يليق بها من الصور الهايلة على رؤس الاشهاد تخجيلا لهم وتشهيرا لحالهم وتشديدا لعذابهم قوله تعالى احصاه
الله استيناف وقع جوابا عما نشا مما قبله من السؤال اما عن كيفية التنبيه او عن سببها كانه قيل كيف
ينبئهم باعمالهم وهي اعراض متقضية متلاشية فقيل احصاه الله عددا لم يفته منه شيء قوله تعالى ونسوه
حينئذ حال من مفعول احصى باضمار قد او بدونه على الخلاف المذكور او قيل لم ينبئهم بذلك فقيل احصاه الله
ونسوه فلينبئهم به ليعرفوا ان ما عاينوه من العذاب انما حاق بهم لاجله وقيل من بين توبيخ وتنديم لهم على التخجيل
والتشهير والله على كل شيء شهيد لا يغيب عنه امر من الامور فقط والجملة اعتراض تذييلي مقرر لاحصايه تعالى
قوله تعالى الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض استشهاد على شمول شهادته تعالى كما في قوله تعالى الم تر الى
الذي حاج ابرهيم في ربه وفي قوله تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون اي الم تعلم علما يقينا متاخما للمشاهدة
انه تعالى يعلم ما فيهما من الموجودات سواء كان ذلك بالاستقرار فيهما او بالجزئية قوله تعالى ما يكون من
نجوى ثلاثة الى آخره استيناف مقرر لما قبله من سعة علمه تعالى ومبين لكيفيته ويكون من كان التامة
وقرئ تكون بالتاء اعتبارا لتانيث النجوى وان كان غير حقيقي اي ما يقع من تناجي ثلاثة نفر اي من مسارتهم
على ان نجوى مضافة الى ثلاثة او على انها موصوفة بها اما بتقدير مضاف اي من اهل نجوى ثلاثة او
بجعلهم نجوى في انفسهم مبالغة الا هو اي الله عز وجل رابعهم اي جاعلهم اربعة من حيث انه تعالى
يشاركهم في الاطلاع عليها وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال ولا خمسة ولا نجوى خمسة الا هو
سادسهم وتخصيص العددين بالذكر اما لخصوص الواقعة فان الاية نزلت في تناجي المنافقين واما
لبناء الكلام على اغلب عادات المتناجين وقد عمم الحكم بعد ذلك فقيل ولا ادنى من ذلك اي مما ذكر كالواحد
والاثنين ولا اكثر كالستة وما فوقها الا هو معهم يعلم ما يجري بينهم وقرئ اكثر بالرفع عطفا على محل من
نجوى او محل ولا ادنى بان جعل لا لنفي الجنس اينما كانوا من الاماكن ولو كانوا تحت الارض فان
علمه تعالى بالاشيا ليس بقرب مكاني حتى يتفاوت بقرب الامكنة قربا وبعدا ثم ينبئهم وقرئ ينبيهم

بالتخفيف

بالتخفيف بما عملوا يوم القيمة تفضيحا لهم واظهارا لما يوجب عذابهم ان الله بكل شيء عليم لان نسبة ذاته المقتضية
للعلم الى الكل سواء الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون
فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا راوا المومنين فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عادوا لمثل
فعلهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والهمزة للتعجيب من حالهم وصيغة المضارع للدلالة
على تكرر عودهم وتجدده واستحضار صورته العجيبة قوله تعالى ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول
عطف عليه داخل في حكمه بما هو اثم في نفسه وعدوان للمومنين وتواص بمعصيت الرسول صلى الله عليه
وسلم وذكره صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة بين الخطابين المتوجهين اليه صلى الله عليه وسلم لزيادة
تشنيعهم واستعظام معصيتهم وينتجون بالاثم والعدوان بكسر العين ومعصيات الرسول واذا جاءوك
حيوك بما لم يحيك به الله فيقولون السام عليك او انعم صباحا والله سبحانه وتعالى يقول وسلام على
المرسلين ويقولون في انفسهم اي فيما بينهم لولا يعذبنا الله بما نقول اي هلا يعذبنا الله بذلك لو كان محمد
نبيا حسبهم جهنم عذابا يصلونها وبئس المصير اي جهنم يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم في انديتكم وفي خلواتكم فلا تتناجوا
بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول كما يفعله المنافقون وقرئ فلا تنتجوا وبحذف احدى التائين وتناجوا بالبر
والتقوى اي بما يتضمن خير المومنين والاتقاء عن معصية الرسول صلى الله عليه وسلم واتقوا الله الذي
اليه تحشرون وحده لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فيجازيكم بكل ما تاتون وما تذرون انما النجوى المعهودة
التي هو التناجي بالاثم والعدوان من الشيطان لا من غيره فانه المزين لها والحامل عليها وقوله تعالى ليحزن
الذين امنوا خبر آخر اي انما هي ليحزن المومنين لتوهمهم انها في نكبة اصابتهم وليس بضارهم اي الشيطان
شيئا من الاشياء او شيئا من الضرر الا باذن الله اي بمشيته وعلى الله فليتوكل المومنون ولا يبالون بنجواهم
فانه تعالى يعصمهم من شره وضرره يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا اي توسعوا وليفسح بعضكم عن بعض
ولا تتضاموا من قولهم افسح عني اي تنح وقرئ تفاسحوا وقوله تعالى في المجالس متعلق بقيل وقرئ في المجلس
على ان المراد به الجنس وقيل مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم وكانوا يتضامون تنافسا في القرب منه صلى
الله عليه وسلم وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال قيل كان الرجل ياتي الصف ويقول
تفسحوا فيابون لحرصهم على الشهادة وفي في المجلس بفتح اللام فهو متعلق بتفسحوا قطعا اي توسعوا في جلوسكم
ولا تتضايقوا فيه فافسحوا يفسح الله لكم اي في كل ما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق والصدر والقبر
وغيرها واذا قيل انشزوا اي انهضوا للتوسعة على المقبلين او لما امرتم به من صلوة او جهاد او غيرهما من
اعمال الخير فانشزوا فانهضوا ولا تثبطوا او لا تفرطوا وقرئ بكسر الشين يرفع الله الذين امنوا منكم
بالنصر وحسن الذكر في الدنيا والايوا الى غرف الجنان في الآخرة والذين اوتوا العلم منهم درجات منهم
خصوصا درجات عالية بما جمعوا من اثرى العلم والعمل فان العلم مع علو رتبته يقتضي العمل المقرون
به مزيد رفعة لا يدرك شاوه العمل العاري عنه وان كان في غاية الصلاح ولذلك يقتدى بالعالم
في افعاله ولا يقتدى بغيره وفي الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على ساير الكواكب
والله بما تعملون خبير تهديد لمن لم يمتثل بالامر وقرئ يعملون بالياء التحتانية يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم
الرسول في بعض شؤنكم المهمة الداعية الى مناجاته صلى الله عليه وسلم فقدموا بين يدي نجويكم صدقة اي
فتصدقوا قبلها مستعار ممن له يدان وفي هذا الامر تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم وانفاع الفقرا
والزجر عن الافراط في السؤال والتمييز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا واختلف في انه
للندب او للوجوب لكنه نسخ بقوله تعالى ءاشفقتم وهو وان كان متصلا به تلاوة لكنه متراخ عنه
نزولا وعن علي رضي الله عنه ان في كتاب الله تعالى اية ما عمل بها احد غيري كان لي دينار فصرفته فكنت

اذا ناجيته صلى الله عليه وسلم تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب محمول على انه لم يتفق للاغنياء
مناجاة في مدة بقائه اذ روي انه لم يبق الا عشرا وقيل الا ساعة ذلك اي التصدق خير لكم واطهر اي لانفسكم
من الريبة وحب المال وهذا يشعر بالندب لكن قوله تعالى فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم مبني عن الوجوب لانه
ترخيص لمن لم يجد في المناجاة بلا تصدق ءاشفقتم ان تقدموا بين يدي نجويكم صدقات اي اخفتم الفقر من تقديم
الصدقات او اخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر جمع صدقات لجمع المخاطبين فاذ لم تفعلوا
ما امرتم وشق عليكم ذلك وتاب الله عليكم بان رخص لكم ان لا تفعلوه وفيه اشعار بان اشفاقهم ذنب تجاوز
الله عنه لما راي منهم من الانفعال ما قام مقام توبتهم واذ على بابها من المعني وقيل بمعني اذا كما في قوله تعالى اذ
الاغلال في اعناقهم وقيل بمعني ان فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة اي فرطتم فيما امرتم به من تقديم الصدقات
فتداركوه بالمثابرة على اقامة الصلوة وايتاء الزكوة واطيعوا الله ورسوله في سائر الاوامر فان القيام بها
ظاهرها وقع ذلك من التفريط والله خبير بما تعملون ظاهرا وباطنا الم تر تعجيب من حال المنافقين الذين
كانوا يتخذون اليهود اولياء ويناصحونهم وينقلون اليهم اسرار المؤمنين اي الم تنظر الي الذين تولوا
اي ولوا قوما غضب الله عليهم وهم اليهود كما انبأ عنه قوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه ما هم منكم ولا منهم
لانهم منافقون مذبذبون بين ذلك والجملة مستانفة او حال من فاعل تولوا ويحلفون على الكذب اي يقولون
والله انا المسلمون وهو عطف على تولوا داخل في حكم التعجب وصيغة المضارع للدلالة على تكرار الحلف
وتجدده حسب تكرر ما يقتضيه قوله تعالى وهم يعلمون حال من فاعل يحلفون مفيدة لكمال شناعة
ما فعلوا فان الحلف على ما يعلم انه كذب في غاية القبح وفيه دلالة على ان الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم
مطابقته للواقع وما لا يعلمه روي انه صلى الله عليه وسلم كان في حجرة من حجراته فقال يدخل الآن عليكم
رجل قلبه جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان ازرق فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل فقال صلى الله عليه وسلم فعلت فانطلق
فجاء باصحابه فحلفوا بالله تعالى ما سبوه فنزلت اعد الله لهم بسبب ذلك عذابا شديدا نوعا من العذاب
متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون فيما مضى من الزمان المتطاول فتمرنوا على سوء العمل وضروا به واصروا
عليه اتخذوا ايمانهم الفاجرة التي يحلفون بها عند الحاجة وقرئ بكسر الهمزة اي ايمانهم الذي اظهروه
لاهل الاسلام جنة وقاية وسترة دون دمائهم واموالهم فالاتخاذ على هذه القراءة عبارة عن التستر بما
اظهروه بالفعل واما على القراءة الاولي فهي عبارة عن اعدادهم لايمانهم الكاذبة وتهيئتهم لها الى وقت الحاجة ليحلفوا
بها ويتخلصوا عن المؤاخذة لا عن استعمالها بالفعل فان ذلك متاخر عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية والخيانة
واتخاذ الجنة لابد ان يكون قبل المؤاخذة وعن سببها ايضا كما يعرب عنه الفاء في قوله تعالى فصدوا اي الناس
عن سبيل الله في خلال امنهم بتثبيط من لقوا في الدخول عن الاسلام وتضعيف امر المسلمين عندهم فلهم عذاب مهين
وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله
اي من عذابه شيئا من الاغناء روي ان رجلا منهم قال لنتعزز يوم القيمة باموالنا وانفسنا واولادنا اولئك
الموصوفون بما ذكر من الصفات القبيحة اصحاب النار اي ملازموها ومقارنوها هم فيها خالدون
لا يخرجون منها ابدا يوم يبعثهم الله جميعا قيل هو ظرف لقوله تعالى لهم عذاب مهين فيحلفون له اي لله تعالى
يومئذ على انهم مسلمون كما يحلفون لكم في الدنيا ويحسبون في الآخرة انهم بتلك الايمان الفاجرة على شيء
من جلب منفعة او دفع مضرة كما كانوا عليه في الدنيا حيث كانوا يدفعون بها عن ارواحهم واموالهم
ويستجرون بها فوائد دنيوية الا انهم هم الكاذبون البالغون في الكذب الى غاية ما طمح ورائها حيث
تجاسروا على الكذب بين يدي علام الغيوب وزعموا ان ايمانهم الفاجرة تروج الكذب لديه كما تروجه عند

الغافلين

الغافلين استحوذ عليهم الشيطان اي استولي عليهم من حذت الابل اذا استولت عليها وجمعتها وهو مما جاء على الاصل
كاستصوب واستنوق اي ملكهم فانساهم ذكر الله بحيث لم يذكروه بقلوبهم ولا بالسنتهم اولئك الموصوفون
بما ذكر من القبائح حزب الشيطان جنوده واتباعه الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون لانهم فوتوا على انفسهم النعيم
المؤبد وعرضوها للعذاب المخلد ان الذين يحادون الله ورسوله عبر عنهم بالموصول للتنبيه بما في حيز الصلة على ان
موادة من حاد الله ورسوله محادة لهما والاشعار بعلة الحكم اولئك بما فعلوا من التولي والموادة في الاذلين
اي في جملة من هو اذل خلق الله من الاولين والآخرين لان ذلة احد المتخاصمين على مقدار عزة الآخر وحيث كانت
عزة الله عز وجل غير متناهية كانت ذلة من يحاده كذلك كتب الله استيناف وارد لتعليل كونهم في الاذلين
اي قضى واثبت في اللوح وحيث جرى ذلك مجرى القسم اجيب بما يجاب به فقيل لاغلبن انا ورسلي اي بالحجة
والسيف وما يجري مجراه او باحدهما ونظيره قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم
المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقرئ ورسلي بفتح الياء ان الله قوي على نصر اوليائه عزيز لا يغلب عليه
في مراده لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل احد وتجد اما متعد الى اثنين
فقوله تعالى يوادون من حاد الله ورسوله مفعوله الثاني او الى واحد فهو حال من مفعوله لتخصصه بالصفة
وقيل صفة اخرى له اي قوما جامعين بين الايمان بالله واليوم الآخر وبين موادة اعداء الله ورسوله
والمراد بنفي الوجدان نفي الموادة وعلى معنى انه لا ينبغي ان يتحقق ذلك وحقه ان يمتنع ولا يوجد بحال وان جد
في طلبه كل احد ولو كانوا اي من حاد الله ورسوله والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما قبله باعتبار
لفظها اباءهم اباء الموادين او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم فان قضية الايمان بالله تعالى ان يهجر الجميع بالمرة
والكلام في لو تقدم وقد مر على التفصيل مرارا اولئك اشارة الى الذين لا يوادونهم ولو كان اقرب الناس
اليهم وامسهم رحما وما فيه من معنى البعد لرفعة درجتهم في الفضل وهو مبتدا خبره كتب في قلوبهم الايمان
اي اثبته فيها وفيه دلالة على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جزء الثابت في القلب ثابت فيه
قطعا ولا شيء من اعمال الجوارح يثبت فيه وايدهم اي قواهم بروح منه اي من عند الله تعالى وهو
نور القلب والقران او النصر على العدو وقيل الضمير للايمان وحيوة القلوب به فمن تجريدية قوله تعالى
ويدخلهم الى آخره بيان لاثار رحمته الاخروية اثر بيان الطافه الدنيوية اي ويدخلهم في الآخرة جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ابدا الابدين وقوله تعالى رضي الله عنهم استيناف جار مجرى التعليل لما افاض عليهم
من اثار رحمته العاجلة والآجلة قوله تعالى ورضوا عنه بيان لابتهاجهم بما اوتوه عاجلا وآجلا قوله تعالى اولئك
حزب الله تشريف لهم ببيان اختصاصهم به عز وجل قوله تعالى الا ان حزب الله هم المفلحون بيان لاختصاصهم با
لفوز
بسعادة النشأتين والكلام في تحلية الجملة بعنوان التاكيد كما مر في مثله عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيمة

سورة الحشر وهي اربع وعشرون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم مر ما فيه من الكلام في صدر سورة الحديد وقد
كرر الموصول هاهنا لزيادة التقرير والتنبيه على استقلال كل من الفريقين بالتسبيح روي انه صلى الله عليه وسلم لما قدم
المدينة صالح بني النضير وهم رهط من اليهود من ذرية هرون عليه السلام نزلوا المدينة في زمن بني اسرائيل انتظارا
لبعثة النبي صلى الله عليه وسلم وعاهدهم ان لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر قالوا
هو النبي الذي نعته في التورية لا ترد له راية فلما كان يوم احد ما كان ارتدوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف
في اربعين راكبا الى مكة فحالفوا قريشا عند الكعبة على قتاله صلى الله عليه وسلم فامر النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن
سلمة الانصاري فقتل كعبا غيلة وكان اخاه من الرضاعة ثم صبحهم بالكتائب فقال اخرجوا من المدينة فاستمهلوه

صلى الله عليه وسلم عشرة ايام ليتجهزوا للخروج فدس عبدالله بن ابي المنافق واصحابه اليهم لا تخرجوا من الحصن فان
قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها فحاصرهم النبي صلى الله
عليه وسلم احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله في قلوبهم الرعب وايسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فابى
عليهم الا الجلاء على ان يحمل كل ثلاثة ابيات على بعير ما شاؤوا من متاعهم فجلوا الى الشام الى اريحا واذرعات
الا اهل بيتين منهم آل ابي الحقيق وآل حيي بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة فانزل الله
تعالى سبح لله ما في السموات وما في الارض الى قوله تعالى وهو على كل شيء قدير هو الذي اخرج الذين كفروا من
ديارهم بيان لبعض آثار عزته تعالى واحكام حكمته اثر وصفه تعالى بالعزة القاهرة والحكمة الباهرة
على الاطلاق والضمير راجع اليه تعالى بذلك العنوان اما بناء على كمال ظهور اتصافه تعالى بهما مع مساعدة
تامة من المقام او على جعله مستعارا لاسم الاشارة كما في قوله تعالى قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم
وختم على قلوبكم من اله غير الله يأتيكم به اي بذلك وعليه قول رؤبة بن العجاج • كانه في الجلد توليع البهق
كما هو المشهور كانه قيل ذلك المنعوت بالعزة والحكمة الذي اخرج الى آخره ففيه اشعار بان في الاخراج حكمة
باهرة قوله تعالى لاول الحشر اي في اول حشرهم الى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم اول من
اخرج من جزيرة العرب الى الشام او هذا اول حشرهم وآخر حشرهم اجلاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه
اياهم من خيبر الى الشام وقيل آخر حشرهم حشر يوم القيمة لان الحشر يكون بالشام ما ظننتم ايها المسلمون
ان يخرجوا من ديارهم بهذا الذل والهوان لشدة باسهم وقوة منعتهم وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله اي ظنوا ان
حصونهم تمنعهم او مانعتهم من باس الله تعالى وتغيير النظم بتقديم الخبر واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة
على كمال وثوقهم بحصانة حصونهم واعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة لا يبالون معها باحد
يتعرض لهم او يطمع في معازتهم ويجوز ان يكون مانعتهم خبر الان حصونهم مرتفعا على الفاعلية فاتاهم
الله اي امر الله وقدره المقدور لهم من حيث لم يحتسبوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف
فانه مما اضعف قوتهم وفل شوكتهم وسلب قلوبهم الامن والطمانينة وقيل الضمير في اتاهم ولم يحتسبوا
للمؤمنين اي فاتاهم نصر الله وقرئ فاتاهم الله العذاب او النصر وقذف في قلوبهم الرعب اي اثبت فيها
الخوف الذي يرعبها اي يملؤها يخربون بيوتهم بايديهم ليسدوا بما نقضوا منها من الخشب والحجارة افواه
الازقة ولئلا يبقى بعد جلائهم مساكن للمسلمين ولينقلوا معهم بعض آلاتها المرغوب فيها مما يقبل النقل
وايدي المؤمنين حيث كانوا يخربونها ازالة لتحصنهم وتمكنهم وتوسيعا لمجال القتال ونكاية لهم
واسناد هذا اليهم لما انهم السبب فيه فكانهم كلفوهم اياه وامروهم به قيل الجملة حال او تفسير للرعب
وقيل يخربون بالتشديد للتكثير وقيل الاخراب التعطيل وترك الشيء خرابا والتخريب النقض والهدم
فاعتبروا يا اولي الابصار فاتعظوا بما جرى عليهم من الامور الهائلة على وجه لا يكاد يهتدي اليه الافكار
واتقوا مباشرة ما اداهم اليه من الكفر والمعاصي او انتقلوا من حال الفريقين الى حال انفسكم فلا
تعولوا على تعاضد الاسباب بل توكلوا على الله عز وجل وقد استدل به على حجة القياس كما فصل في
موضعه ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء اي الخروج عن اوطانهم على ذلك الوجه الفظيع لعذبهم في الدنيا بالقتل
والسبي كما فعل ببني قريظة ولهم في الآخرة عذاب النار استيناف غير متعلق بجواب لولا جيء به لبيان انهم ان نجوا
من عذاب الله في الدنيا بكتابة الجلاء لا نجاة لهم من عذاب الآخرة ذلك اي ما حاق بهم وما سيحيقه
بانهم اي بسبب انهم شاقوا الله ورسوله وفعلوا ما فعلوا مما حكي عنهم من القبائح ومن يشاق الله وقرئ يشاقق الله
كما في الانفال والاقتصار على ذكر مشاقته تعالى لتضمنها المشاقة صلى الله عليه وسلم وليوافق قوله تعالى فان
الله شديد العقاب وهو اما نفس الجزاء قد حذف منه العائد الى من عند من يلتزمه اي شديد العقاب له

او تعليل

او تعليل للجزاء المحذوف اي يعاقبه الله فان الله شديد العقاب واياما كان فالشرطية تكملة لما قبلها وتقرير
لمضمونه وتحقيق للسببية بالطريق البرهاني كانه قيل ذلك الذي حاق بهم من العقاب العاجل والآجل بسبب مشاقتهم
الله تعالى ورسوله وكل من يشاق الله كائنا من كان فله بسبب ذلك عذاب شديد فاذا لهم عقاب شديد ما قطعتم
من لينة اي اي شيء قطعتم من نخلة وهي فعلة من اللون وياؤها مقلوبة من واو لكسرة ما قبلها كديمة وتجمع
على الوان وقيل من اللين وتجمع على ليان وهي النخلة الكريمة او تركتموها الضمير لما وتانيثه لتفسيره باللينة كما في
قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها قائمة على اصولها كما كانت من غير ان تتعرضوا لها بشيء
وقرئ على اصلها اما على الاكتفاء من الواو بالضم او على انه جمع كرهن وقرئ قائما على اصله ذهابا الى لفظ ما
فباذن الله فذاك اي قطعها وتركها باذن الله تعالى وليخزي الفاسقين اي وليذل اليهود ويغيظهم اذن في
قطعها وتركها لانهم اذا راوا المؤمنين يتحكمون في اموالهم كيف احبوا ويتصرفون فيها حسبما شاؤوا من القطع
والترك يزدادون غيظا ويتضاعفون حسرة واستدل به على جواز هدم ديار الكفرة وقطع اشجارهم وحرق
زروعهم زيادة لغيظهم وتخصيص اللينة بالقطع اذا كانت من الالوان لاستبقاء العجوة والبرنية اللتين
هما كرام النخل وان كانت هي الكرام ليكون غيظهم اشد قوله تعالى وما افاء الله على رسوله منهم شروع في بيان حال
ما اخذ من اموالهم بعد بيان ما حل بانفسهم من العذاب العاجل والآجل وما فعل بديارهم ونخيلهم من
التخريب والقطع او ما اعاده اليه من مالهم وفيه اشعار بانه كان حقيقا بان يكون له صلى الله عليه وسلم وانما
وقع في ايديهم بغير حق فرجعه الله تعالى الى مستحقه لانه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق ليتوسلوا
به الى طاعته فهو جدير بان يكون للمطيعين منهم اي من بني النضير فما اوجفتم عليه اي فما اجريتم
على تحصيله وتغنمه من الوجيف وهو سرعة السير من خيل ولا ركاب يعني ما يركب من الابل خاصة كما ان
الراكب عندهم راكبها لا غير واما راكب الفرس فانما يسمونه فارسا ولا واحد لها من لفظها وانما الواحد منها
راحلة والمعنى ما قطعتم بها مشقة بعيدة ولا لقيتم مشقة شديدة ولا وقعا شديدا وذلك لانه كانت قراهم
على ميلين من المدينة فمشوا اليها مشيا وما كان فيهم راكب الا النبي صلى الله عليه وسلم فافتتحها صلحا
من غير ان يجري بينهم مسايفة كانه قيل وما افاء الله على رسوله منهم فما حصلتموه بكد اليمين وعرق الجبين
ولكن الله يسلط رسله على من يشاء اي سنته تعالى جارية على ان يسلطهم على من يشاء من اعدائهم تسليطا خاصا
وقد سلط الله النبي صلى الله عليه وسلم على هؤلاء تسليطا غير معتاد من غير ان يقتحموا مضايق الحروب و
يقاسوا شدائد الخطوب والله على كل شيء قدير فيفعل ما يشاء كما يشاء تارة على الوجوه المعهودة واخرى على
غيرها قوله تعالى ما افاء الله على رسوله من اهل القرى بيان لمصارف الفيء بعد بيان افاءته عليه صلى الله عليه
وسلم من غير ان يكون للمقاتلة فيه حق واعادة عين العبارة الاولى لزيادة التقرير ووضع اهل القرى موضع
ضميرهم للاشعار بشمول ما لعقاراتهم ايضا فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل اختلف
في قسمة الفيء قيل يسدس لظاهر الآية ويصرف سهم الله تعالى الى عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس
لان ذكر الله تعالى للتعظيم ويصرف الآن سهم الرسول صلى الله عليه وسلم الى الامام على قول والى العساكر
والثغور على قول والى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمس كالغنيمة فانه صلى الله عليه وسلم كان
يصرف الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة كما يشاء والآن على الخلاف المذكور كي لا يكون اي الفيء
الذي حقه ان يكون للفقراء يعيشون فيه دولة بضم الدال وقرئ بفتحها وهو ما يدول للانسان اي يدور
من الغناء والجد والغلبة وقيل الدولة بالفتح من الملك بالضم وبالضم من الملك بكسرها او بالضم في المال وبالفتح
في النصرة اي كيلا يكون جدا بين الاغنياء منكم يتكاثرون اي كيلا يكون دولة جاهلية بينكم فان الرؤساء منهم
كانوا يستأثرون بالغنيمة ويقولون من عز بز وقيل الدولة بالضم ما يتداول كالغرفة اسم ما يغترف

والمعنى كيلا يكون الفيء شيئا تداوله الاغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء والدولة بالفتح بمعنى التداول
فالمعنى كيلا يكون ذا تداول بينهم او كيلا يكون امساكه تداولا بينهم لا يخرجونه الى الفقراء وقرئ دولة بالرفع
على ان كان تامة اي كيلا يقع دولة على ما فصل من المعاني **وما آتاكم الرسول** اي اعطاكم من الفيء او من الامر
فخذوه فانه حقكم او فتمسكوا به فانه واجب عليكم **وما نهاكم عنه** عن اخذه او تعاطيه **فانتهوا** عنه
واتقوا الله في مخالفته صلى الله عليه وسلم **ان الله شديد العقاب** فيعاقب من يخالف امره ونهيه **للفقراء**
المهاجرين بدل من لذي القربى وما عطف عليه فان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يسمى فقيرا ومن اعطى
اغنياء ذوي القربى خص الابدال بما بعده واما تخصيص اغنياء الفقراء بفيء بني النضير فتعسف ظاهر **الذين**
اخرجوا من ديارهم واموالهم حيث اضطرتهم كفار مكة واحوجوهم الى الخروج وكانوا مائة رجل فخرجوا منها
يبتغون فضلا من الله ورضوانا اي طالبين منه تعالى رزقا في الدنيا ومرضاة في الآخرة وصفوا اولا بما يدل على
استحقاقهم للفيء من الاخراج من الديار والاموال وقيد ذلك ثانيا بما يوجب تفخيم شانهم وتوكيده **وينصرون**
الله ورسوله عطف على يبتغون فهي حال مقدرة اي ناوين لنصرة الله تعالى ورسوله او مقارنة فان خروجهم
من بين الكفار مراغمين لهم مهاجرين الى المدينة نصرة واي نصرة **اولئك** الموصوفون بما فصل من الصفات
الحميدة **هم الصادقون** الراسخون في الصدق حيث ظهر ذلك بما فعلوا ظهورا بينا **والذين تبوؤا الدار والايمان**
كلام مستانف مسوق لمدح الانصار بخصال حميدة من جملتها محبتهم للمهاجرين ورضاهم باختصاص الفيء بهم
احسن رضى واكمله ومعنى تبوئهم الدار انهم اتخذوا المدينة والايمان مباءة وتمكنوا فيهما اشد تمكن على تنزيله
الحال منزلة المكان وقيل ضمن التبوء معنى اللزوم وقيل تبوؤا الدار واخلصوا الايمان كقول من قال علفتها
تبنا وماء باردا وقيل المعنى تبوؤا دار الهجرة ودار الايمان فحذف المضاف من الثاني والمضاف اليه من الاول
وعوض منه اللام وقيل سمي المدينة بالايمان لكونها مظهره ومنشاه **من قبلهم** اي من قبل هجرة المهاجرين على المعنى
الاول عبارة عن اقامة كافة حقوقه التي من جملتها اظهار عامة شعائره واحكامه ولا ريب في ان تقدم الانصار
في ذلك على المهاجرين لظهور عجزهم عن اظهار بعضها لا عن اخلاصه قلبا واعتقادا اذ لا يتصور تقدمهم عليهم
في ذلك **يحبون من هاجر اليهم** خبر للموصول اي يحبونهم من حيث مهاجرتهم اليهم لمحبتهم الايمان **ولا يجدون في**
صدورهم اي في نفوسهم **حاجة** اي شيئا محتاجا اليه يقال خذ منه حاجتك اي ما تحتاج اليه وقيل اثر
حاجة كالطلب والحزازة والحسد والغيظ **مما اوتوا** اي مما اوتي المهاجرون من الفيء وغيره **ويؤثرون** اي
يقدمون المهاجرين **على انفسهم** في كل شيء من اسباب المعاش حتى ان من كان عنده امراتان كان ينزل عن احداهما
ويزوجها واحدا منهم **ولو كان بهم خصاصة** اي حاجة وخلة واصلها خصاص البيت وهي فرجه والجملة في
حيز الحال وقد عرفت وجهه مرارا وكان النبي صلى الله عليه وسلم قسم اموال بني النضير على المهاجرين ولم
يعط الانصار الا ثلاثة نفر محتاجين ابا دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة وقال
لهم ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم
دياركم واموالكم ولم نقسم لكم شيء من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من ديارنا واموالنا ونؤثرهم
بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فنزلت وهذا صريح في ان قوله تعالى والذين تبوؤا الدار الى آخره مستانف
غير معطوف على الفقراء والمهاجرين نعم يجوز عطفه على اولئك فان ذلك انما يستدعي شركة الانصار
للمهاجرين في الصدق دون الفيء فيكون قوله تعالى يحبون وما عطف عليه استئنافا مقررا لصدقهم او
حال من ضمير تبوؤا **ومن يوق شح نفسه** الشح بالضم والكسر وقد قرئ به ايضا اللؤم واضافته الى النفس
لانه غريزة فيها مقتضية للحرص على المنع الذي هو البخل اي ومن يوق بتوفيق الله تعالى شحها حتى يخالفها
فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق **فاولئك** اشارة الى من باعتبار معناها **هم المفلحون** الفائزون

بكل مطلوب

بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه والجملة اعتراض وارد لمدح الانصار والثناء عليهم وقرئ يوق بالتشديد
والذين جاؤا من بعدهم هم الذين هاجروا بعد ما قوي الاسلام او التابعون باحسان وهم المؤمنون بعد
الفريقين الى يوم القيمة ولذلك قيل ان الآية قد استوعبت جميع المؤمنين وايا ما كان فالموصول مبتدا خبره
يقولون الى آخره والجملة مسوقة لمدحهم بمحبتهم لمن تقدمهم من المؤمنين ولمراعاتهم لحقوق الاخوة في الدين
والسبق بالايمان كما ان ما عطفت عليه من الجملة السابقة لمدح الانصار اي يدعون لهم **ربنا اغفر لنا ولاخواننا**
اي في الدين الذي هو اعز واشرف عندهم من النسب **الذين سبقونا بالايمان** وصفوهم بذلك اعترافا بفضلهم
ولا تجعل في قلوبنا غلا وقرئ غمرا وهما الحقد **للذين آمنوا** على الاطلاق **ربنا انك رؤف رحيم** اي مبالغ في
الرافة والرحمة فحقيق بان تجيب دعانا **الم تر الى الذين نافقوا** حكاية لما جرى بين الكفرة والمنافقين من
الاقوال الكاذبة والاحوال الفاسدة وتعجيب منها بعد حكاية محاسن المؤمنين واقوالهم على اختلاف
طبقاتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب قوله تعالى **يقولون**
الى آخره استئناف لبيان المتعجب منه وصيغة المضارع للدلالة على استمرار قولهم او لاستحضار صورته
واللام في قوله تعالى **لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب** للتبليغ والمراد باخوتهم اما توافقهم في الكفر او
صداقتهم وموالاتهم واللام في قوله تعالى **لئن اخرجتم** اي من دياركم قسرا موطئة للقسم وقوله تعالى
لنخرجن معكم جواب القسم اي لئن اخرجتم لنخرجن معكم البتة ولنذهبن في صحبتكم اين ما ذهبتم **ولا نطيع**
فيكم اي في شانكم **احدا** يمنعنا من الخروج معكم **ابدا** وان طال الزمان وقيل ولا نطيع في قتالكم
او خذلانكم وليس بذاك لان تقدير القتال مترقب بعد ولان وعدهم لهم على ذلك التقدير ليس بمجرد
عدم طاعتهم الى من يدعوهم الى قتالهم بل نصرتهم عليه كما ينطق به قوله تعالى **وان قوتلتم لننصرنكم** اي
لنعاوننكم على عدوكم لان دعوتهم على خذلان اليهود مما يمكن صدوره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين
حتى يدعوا عدم طاعتهم فيه ما ضرورة انها لو كانت لكانت عند استعدادهم لنصرتهم واظهار كفرهم ولا ريب
في ان ما يفعله صلى الله عليه وسلم عند ذلك قتلهم لا دعوتهم الى ترك نصرتهم واما الخروج معهم فليس
بهذه الرتبة من اظهار الكفر لجواز ان يدعوا ان خروجهم معهم لما بينهم من الصداقة الدنيوية لا للموافقة
في الدين **والله يشهد انهم لكاذبون** في مواعيدهم المؤكدة بالايمان الفاجرة قوله تعالى **لئن اخرجوا لا يخرجون معهم**
الى آخره تكذيب لهم في كل واحد من اقوالهم على التفصيل بعد تكذيبهم في الكل على الاجمال **ولئن قوتلوا لا ينصرونهم**
وكان الامر كذلك فان ابن ابي واصحابه ارسلوا الى بني النضير ذلك سرا ثم اخلفوهم وفيه حجة بينة
لصحة النبوة واعجاز القرآن **ولئن نصروهم** على الفرض والتقدير **ليولن الادبار** فرارا **ثم لا ينصرون** اي المنافقون
بعد ذلك اي يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كذبهم او ليهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين
لانتم اشد رهبة اي اشد مرهوبية على انها مصدر من المبني للمفعول **في صدورهم من الله** اي رهبتهم منكم في
السر اشد مما يظهرونه لكم من رهبة الله فانهم كانوا يدعون عندهم رهبة عظيمة من الله تعالى **ذلك**
اي ما ذكر من كون رهبتهم منكم اشد من رهبة الله **بانهم** بسبب انهم **قوم لا يفقهون** اي شيئا حتى
يعلموا عظمة الله تعالى فيخشوه حق خشيته **لا يقاتلونكم** اي اليهود والمنافقون بمعنى لا يقدرون
على قتالهم **جميعا** اي مجتمعين متفقين في موطن من المواطن **الا في قرى محصنة** بالدروب والخنادق
او من وراء جدر دون ان يظهروا لكم ويبارزونكم لفرط رهبتهم وقرئ جدر بالتخفيف وقرئ جدار بالفتح
فتحة الدال وجدر وجدر وهما الجدار **بأسهم بينهم شديد** استئناف سيق لبيان ان ما ذكر من رهبتهم
ليس لضعفهم وجبنهم في انفسهم فان باسهم بالنسبة الى اقرانهم شديد وانما ضعفهم وجبنهم بالنسبة اليكم
بما قذف الله في قلوبهم من الرعب **تحسبهم جميعا** مجتمعين متفقين **وقلوبهم شتى** متفرقة لا الفة بينها

ذلك بانهم قوم لايعقلون اي لايعقلون شيئا حتى يعرفوا الحق ويتبعوه وتطمئن به قلوبهم وتتحد كلمتهم ويرمون
عن قوس واحدة فيقعون في تيه الضلال وتشتت قلوبهم حسب تشتت طرقه وتفرق فنونه واما ما قيل
من ان المعنى لايعقلون ان تشتت القلوب مما يوهن قواهم فبمعزل من السداد وقوله تعالى كمثل الذين من قبلهم
خبر مبتدأ محذوف تقديره مثلهم اي مثل المذكورين من اليهود والمنافقين كمثل اهل بدر او بني قينقاع على ما
قيل انهم اخرجوا قبل بني النضير قريبا في زمان قريب وانتصابه بمثل اذ التقدير كوقوع مثل الى آخره ذاقوا وبال
امرهم اي سوء عاقبة كفرهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب اليم لايقادر قدره والمعنى ان حال هؤلاء كحال
اولئك في الدنيا والآخرة لكن لا على ان حال كلهم كحالهم بل على حال بعضهم الذين هم اليهود كذلك واما حال
المنافقين فهو ما نطق به قوله تعالى كمثل الشيطان فانه خبر ثان للمبتدأ المقدر مبين لحالهم متضمن لحال اخرى
لليهود وهو اغترارهم بمقالة المنافقين اولا وخيبتهم ثانيا وقد اجمل في النظم الكريم حيث اسند كل من الخبرين
الى المقدر المضاف الى ضمير الفريقين من غير تعيين ما اسند اليه بخصوصه ثقة بان السامع يرد كلا من المثلين
الى ما يليق به كانه قيل مثل اليهود في حلول العذاب بهم كمثل الذين من قبلهم ومثل المنافقين في اغرائهم اياهم
على القتال حسبما نقل عنهم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر اي اغراه على الكفر اغراء الآمر المأمور به فلما كفر قال
اني بريء منك وقرئ قال انا بريء منك ان اريد بالانسان الجنس فهذه التبرئة من الشيطان تكون يوم
القيمة كما ينبئ عنه قوله تعالى اني اخاف الله رب العلمين وان اريد به ابو جهل فقوله تعالى اكفر عبارة عن قول
ابليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم وتبرؤه قوله اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون الآية
فكان عاقبتهما بالنصب على انه خبر كان واسمها انهما في النار وقرئ بالعكس وقد مر انه اوضح خالدين فيها وقرئ
خالدان فيها على انه خبر ان وفي النار لغو وذلك جزاء الظلمين اي الخلود في النار جزاء الظالمين على الاطلاق
دون هؤلاء خاصة يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله في كل ما تأتون وما تذرون ولتنظر نفس ما قدمت لغد اي اي
شيء قدمت من الاعمال ليوم القيمة عبر عنه بذلك لدنوه او لان الدنيا كيوم والآخرة غده وتنكيره لتفخيمه
وتهويله كانه قيل لغد لا يعرف كنهه لغايته واما تنكير نفس فلاستقلال الانفس النواظر فيما قدمن لذلك
اليوم الهائل كانه قيل ولتنظر نفس واحدة في ذلك واتقوا الله تكرير للتأكيد والاول في اداء الواجبات
كما يشعر به ما بعده من الامر بالعمل وهذا في ترك المحارم كما يؤذن به الوعيد بقوله تعالى ان الله خبير بما تعملون
اي من المعاصي ولا تكونوا كالذين نسوا الله اي نسوا حقوقه تعالى وما قدروه ولم يراعوا مواجب اوامره
ونواهيه حق رعايتها فانساهم بسبب ذلك انفسهم اي جعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها
ولم يفعلوا ما يخلصها او اراهم يوم القيمة من الاهوال ما انساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون الكاملون
في الفسوق لا يستوي اصحاب النار الذين نسوا الله تعالى فاستحقوا الخلود في النار واصحاب الجنة الذين اتقوا
الله فاستحقوا الخلود في الجنة ولعل تقديم اصحاب النار في الذكر للايذان من اول الامر بان القصور الذي
ينبئ عنه عدم الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابليهم فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين
زيادة ونقصانا وان جاء اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب نقصان الناقص
وعليه قوله تعالى هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور الى غير ذلك من المواقع واما
قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لان صلته ملكة لصلة المفضول
والاعدام مسبوقة بملكاتها ولا دلالة في الآية الكريمة على ان المسلم لا يقتص بالكافر وان الكفار لا يملكون اموال
المسلمين بالقهر لان المراد عدم الاستواء في الاحوال الاخروية كما ينبئ عنه التعبير عن الفريقين بصاحبية
النار وصاحبية الجنة وكذا قوله تعالى اصحاب الجنة هم الفائزون فانه استئناف مبين لكيفية عدم الاستواء
بين الفريقين اي هم الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه لو انزلنا هذا القرآن العظيم الشان المنطوي

على فنون

على فنون القوارع على جبل من الجبال لرأيته مع كونه علما في القسوة وعدم التأثر عما يصادمه خاشعا متصدعا من
خشية الله اي متشققا منها وقرئ مصدعا بالادغام وهذا تمثيل وتخييل لعلو شان القرآن وقوة تأثير ما فيه من
المواعظ كما ينطق به قوله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون اريد به توبيخ الانسان على قسوة قلبه وعدم
تخشعه عند تلاوته وقلة تدبره فيه هو الله الذي لا اله الا هو وحده عالم الغيب والشهادة اي ما غاب عن
الحس من الجواهر القدسية واحوالها وما حضر له من الاجرام واعراضها وتقديم الغيب على الشهادة لتقدمه
في الوجود وتعلق العلم القديم به او المعدوم والموجود والسر والعلانية هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو
كرر لابراز الاعتناء بامر التوحيد الملك القدوس البليغ في النزاهة عما يوجب نقصانا وقرئ بالفتح وهي
لغة فيه السلام ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة المؤمن واهب الامن وقرئ
بالفتح وهي لغة فيه بمعنى المؤمن به على حذف الجار المهيمن الرقيب الحافظ لكل شيء مفيعل من الامن
بقلب همزته هاء العزيز الغالب الجبار الذي جبر خلقه على ما اراد او جبر احوالهم واصلحها المتكبر الذي
تكبر عن كل ما يوجب حاجة او نقصانا او البليغ الكبرياء والعظمة سبحان الله عما يشركون تنزيه له تعالى عما
يشركون به تعالى او عن اشراكهم به تعالى اثر تعداد صفاته التي لا يمكن ان يشاركه تعالى في شيء منها شيء ما اصلا
هو الله الخالق المقدر للاشياء على مقتضى حكمته البارئ الموجد لها بريا من التفاوت وقيل المميز بعضها
من بعض بالاشكال المختلفة المصور الموجد لصورها وكيفياتها كما اراد له الاسماء الحسنى لدلالتها على المعاني
الحسنة يسبح له ما في السموات والارض ينطق بتنزهه عن جميع النقائص تنزها ظاهرا وهو العزيز الحكيم الجامع للكمالات كافة فانها
مع تكثرها وتشعبها راجعة الى الكمال في القدرة والعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

سورة الممتحنة وهي ثلث عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء نزلت في حاطب بن ابي بلتعة وذلك انه
لما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزوة الفتح كتب الى اهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يريدكم فخذوا حذركم وارسله مع سارة مولاة بني المطلب فنزل جبريل عليه السلام بالخبر فبعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة
خاخ فان بها ظعينة معها كتاب حاطب الى اهل مكة فخذوه وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها
ثمة فجحدت فسل علي رضي الله عنه سيفه فاخرجته من عقاصها فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم
حاطبا وقال ما حملك على هذا فقال يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكني
كنت امرأ ملصقا في قريش ليس لي من يحمي اهلي فاردت ان آخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابي لا يغني
عنهم شيئا فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل عذره تلقون اليهم بالمودة اي توصلون اليهم
المودة على ان الباء زائدة كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او تلقون اليهم اخبار النبي صلى الله عليه
وسلم بسبب المودة التي بينكم وبينهم والجملة اما حال من فاعل لا تتخذوا او صفة لاولياء وابراز الضمير في الصفة
الجارية على غير من هي له انما يشترط في الاسم دون الفعل او استئناف وقد كفروا بما جاءكم اي كفروا الاجل ما
جاءكم من الحق حال من فاعل تلقون وقيل من فاعل لا تتخذوا وقرئ لما جاءكم اي كفروا لاجل ما جاءكم بمعنى جعل
ما هو سبب الايمان سببا للكفر يخرجون الرسول واياكم اي من مكة وهو اما حال من فاعل كفروا او استئناف
مبين لكفرهم وصيغة المضارع لاستحضار الصورة وقوله تعالى ان تؤمنوا بالله ربكم تعليل للاخراج وفيه
تغليب المخاطب على الغائب والالتفات من التكلم الى الغيبة للاشعار بما يوجب الايمان من الالوهية
والربوبية ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي متعلق بلا تتخذوا كانه قيل لا تتولوا اعدائي ان

كنتم اولياء قوله تعالى تسرون اليهم بالمودة استيناف وارد على نهج العتاب والتوبيخ اي تسرون اليهم المودة
والاخبار بسبب المودة وانا اعلم اي والحال اني اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ومطلع رسولي على ما تسرون فاي
طائل لكم في الاسرار وقيل اعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة او مصدرية وتقديم الاخفاء على الاعلان
قد مر وجهه في قوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن يفعله منكم اي الاتخاذ فقد ضل سواء السبيل فقد
اخطأ الطريق الحق والصواب ان يثقفوكم اي ان يظفروا بكم يكونوا لكم اعداء اي فيظهروا ما في قلوبهم
من العداوة ويرتبوا عليها احكامها ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء اي بما يسوءكم من القتل والاسر والشتم
ودوا لو تكفرون اي تمنوا ارتدادكم وصيغة الماضي للايذان بتحقق ودادتهم قبل ان يثقفوهم ايضا لن تنفعكم
ارحامكم قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون المشركين لاجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم يوم القيمة
بجلب نفع او دفع ضر يفصل بينكم استيناف لبيان عدم نفع الارحام والاولاد يومئذ اي يفرق الله بينكم
بما اعتراكم من الهول الموجب لفرار كل منكم من الآخر حسبما نطق به قوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه فما لكم
لا ترفضون حق الله تعالى لمن هذا شانه وقرئ يفصل ويفصل مبنيا للمفعول ونفصل ويفصل مبنيا للفاعل
وهو الله تعالى ونفصل ونفصل بالنون والله بما تعملون بصير فيجازيكم قد كانت لكم اسوة حسنة اي خصلة
حميدة حقيقة بان يؤتسى ويقتدى بها وقوله تعالى في ابرهيم والذين معه اي من اصحابه المؤمنين صفة
ثانية لاسوة او خبر لكان ولكم للبيان او حال من المستكن في حسنة او صلة لها لا لاسوة عند من يجوز
العمل بعد الوصف اذ قالوا ظرف لخبر كان لقومهم انا برآء منكم جمع برئ كظريف وظرفاء وقرئ براء
كظراف وبراء كرجال وبراء على الوصف بالمصدر مبالغة ومما تعبدون من دون الله من الاصنام كفرنا بكم اي
بدينكم او بمعبودكم او بكم وبه فلا نعتد بشانكم وبآلهتكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا اي هذا دأبنا
معكم لا نتركه حتى تؤمنوا بالله وحده وتتركوا ما انتم عليه من الشرك فتنقلب العداوة حينئذ ولاية
والبغضاء محبة الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك استثناء من قوله تعالى اسوة حسنة فان استغفاره
عليه السلام لابيه الكافر وان كان جائزا عقلا وشرعا لوقوعه قبل تبين انه من اصحاب الجحيم لنطق النص
لكنه ليس مما ينبغي ان يؤتسى به اصلا اذ المراد به ما يجب الائتساء به حتما لورود الوعيد على الاعراض عنه
بما سياتي من قوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فاستثناؤه عن الاسوة انما يفيد عدم وجوب
استدعاء الايمان والمغفرة للكافر المرجو ايمانه وذلك مما لا يرتاب فيه عاقل واما عدم جوازه فلا دلالة للاستثناء
عليه قطعا هذا واما عدم كون استغفاره عليه السلام لابيه الكافر مما ينبغي ان يؤتسى به لانه كان قبل
النهي لاستغفاره عليه السلام له وانبائه عن كونه مؤتسى به ما يجب الائتساء به لا يجوز فعله في الجملة وتجويز
ان يكون استغفاره له عليه السلام بعد النهي كما هو المفهوم من ظاهر قوله او لموعدة وعدها اياه مما لا
مساغ له وموجبه الاستثناء الى العدة بالاستغفار الى نفس الاستغفار بقوله واغفر لابي الاية
لانها كانت هي الخاتمة له عليه السلام وتخصيص هذه العدة بالذكر دون ما وقع في سورة مريم من قوله
تعالى ساستغفر لك ربي لورودها على طريق التوبة قوله تعالى وما املك لك من الله من شيء من تمام القول
المستثنى محله النصب على انه حال من فاعل لاستغفرن لك اي استغفر لك وليس في طاقتي الا الاستغفار
فمورد الاستثناء نفس الاستغفار لا قيده الذي هو في نفسه من خصال الخير لكونه اظهارا للعجز وتفويضا
للامر الى الله تعالى قوله تعالى ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير الى آخره من تمام ما نقل عن ابرهيم عليه
السلام ومن معه من الاسوة الحسنة وتقديم الجار والمجرور لقصر الصبر والانابة والتوكل على الله تعالى
قالوه بعد المجاهدة وقشر العصاة التجاء الى الله تعالى في جميع امورهم لا سيما في مدافعة الكفرة وكفاية
شرورهم كما ينطق به قوله تعالى ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نطيقه

واغفر لنا

واغفر لنا ربنا ما فرط منا من الذنوب ربنا انك انت العزيز الغالب الذي لا يذل من التجا اليه ولا يخيب
رجاء من توكل عليه الحكيم الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وتكرير النداء للمبالغة في التضرع والجوار هذا وانما
جعل الايتين تلقينا للمؤمنين من جهته تعالى وامرا لهم بان يتوكلوا وينيبوا اليه ويستعيذوا من فتنة الكفرة و
يستغفروا ما فرط منهم تكملة لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفرة فلا يساعده النظم الكريم لقد كان
لكم فيهم اي في ابرهيم ومن معه اسوة حسنة تكرير للمبالغة في الحث على التاسي به عليه السلام ولذلك صدر
بالقسم قوله تعالى لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر بدل من لكم فائدته الايذان بان من يؤمن بالله واليوم الآخر لا يترك
الاقتداء بهم وان تركه من مخايل عدم الايمان بهما كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فانه مما يوعد
بامثاله الكفرة عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم اي من اقاربكم المشركين مودة بان يوافقوكم في
الدين وعدهم الله تعالى بذلك لما راى منهم من التصلب في الدين والتشدد في معاداة آبائهم وسائر اقربائهم
ومقاطعتهم اياهم بالكلية تطييبا لقلوبهم ولقد انجز وعده الكريم حين اباح لهم ذلك الفتح فاسلم قومهم فتم
بينهم من التحابب والتصافي ما تم والله قدير اي مبالغ في القدرة فيقدر على تقليب القلوب وتغيير الاحوال
وتسهيل اسباب المودة والله غفور رحيم فيغفر لمن اسلم من المشركين ويرحمهم وقيل غفور لما فرط منكم في موالاتهم
من قبل ولما بقي في قلوبكم من ميل الرحم لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم اي لا ينهاكم
عن البر بهؤلاء فان قوله تعالى ان تبروهم بدل من الموصول وتقسطوا اليهم اي تفضوا اليهم بالقسط اي العدل
ان الله يحب المقسطين اي العادلين روي ان قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها اسماء بنت ابي بكر
رضي الله عنه بهدايا فلم تقبلها ولم تاذن لها بالدخول فنزلت فامرها النبي صلى الله عليه وسلم ان تدخلها وتقبل
منها وتكرمها وتحسن اليها وقيل المراد بهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يقاتلوه ولا
يعينوا عليه انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وهم عتاة اهل مكة وظاهروا على اخراجكم
وهم سائر اهلها ان تولوهم بدل اشتمال من الموصول اي انما ينهاكم عن ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون
لوضعهم الولاية في موضع العداوة او هم الظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب يا ايها الذين امنوا بيان لحكم من
يظهر الايمان بعد بيان حكم فريقي الكافرين اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات من بين الكفار فامتحنوهن فاختبروهن
بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن للسانهن في الايمان روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول للذي
يمتحنها بالله الذي لا اله الا هو ما خرجت من بغض زوج بالله ما خرجت رغبة عن ارض الى ارض الا حبا لله ورسوله
الله اعلم بايمانهن لانه المطلع على ما في قلوبهن والجملة اعتراض فان علمتموهن بعد الامتحان مؤمنات علما
يمكنكم تحصيله وتبلغه طاقتكم بعد اللتيا والتي من الاستدلال بالعلائم والدلائل والاستشهاد بالامارات
والمخايل وهو الظن الغالب وتسميته علما للايذان بانه جار مجرى العلم في وجوب العمل به فلا ترجعوهن الى الكفار
اي الى ازواجهن الكفرة لقوله تعالى لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن فانه تعليل للنهي عن رجعهن اليهم
والتكرير اما لتاكيد الحرمة او لان الاول لبيان زوال النكاح الجديد وآتوهم ما انفقوا اي واعطوا ازواجهن
مثل ما دفعوا اليهن من المهور وذلك بان صلح الحديبية كان على ان من جاءنا منكم رددناه فجاءت سبيعة
بنت الحارث الاسلمية مسلمة والنبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية فاقبل زوجها مسافر المخزومي وقيل
صيفي بن الراهب فقال يا محمد اردد علي امراتي فانك قد شرطت انك ترد علينا من اتاك منا فنزلت لتبيان ان
الشرط انما كان في الرجال دون النساء فاستحلفها النبي صلى الله عليه وسلم فحلفت فاعطى زوجها ما انفق
وتزوجها عمر رضي الله عنه ولا جناح عليكم ان تنكحوهن فان اسلامهن حال بينهن وبين ازواجهن الكفار
اذا آتيتموهن اجورهن شرط ايتاء المهر في نكاحهن ايذانا بان ما اعطى ازواجهن لا يقوم مقام المهر ولا
تمسكوا بعصم الكوافر جمع عصمة وهي ما يعتصم به من عقد وسبب ان لا يكون بينكم وبين المشركات عصمة ولا

علقة زوجية قال ابن عباس من كانت له امراة كافرة فلا يعتدن بها من نسائه لان اختلاف الدار
قطع عصمتها منه وعن النخعي هي المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وعن مجاهد امرهم بطلاق الباقيات مع
الكفار ومفارقتهن وقرئ ولا تمسكوا بالتشديد ولا تمسكوا بحذف احدى التائين من تمسكوا
واسئلوا ما انفقتم من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار وليسئلوا ما انفقوا من مهور ازواجهم المهاجرات
ذلكم حكم الله الذي ذكر في الاية على حذف الضمير اي يحكمه الله اي جعل الحكم حاكما على المبالغة والله عليم حكيم
يشرع ما تقتضيه الحكمة البالغة روي انه لما نزلت الاية ادى المؤمنون ما امروا به من مهور المهاجرات
الى ازواجهن المشركين وابى المشركون ان يؤدوا شيئا من مهور الكوافر الى ازواجهن المسلمين فنزل
قوله تعالى وان فاتكم اي سبقكم وانفلت منكم شيء من ازواجكم الى الكفار اي احد من ازواجكم وقرئ
كذلك وايقاع شيء موقعه للتحقير والاشباع في التعميم او شيء من مهور ازواجكم فعاقبتم اي فجاءت
عقبتكم اي نوبتكم من اداء المهر شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من اداء هؤلاء مهور نساء اولئك
تارة واداء اولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره فاتوا الذين
ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من مهر المهاجرة التي تزوجتموها ولا تؤتوه زوجها الكافر وقيل معناه
ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة فاتوا بدل الفايت من الغنيمة وقرئ فاعقبتم وعقبتم بالتشديد
وعقبتم بالتخفيف وفتح القاف وكسرها قيل جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين ست نسوة
ام الحكم بنت ابي سفيان وفاطمة بنت امية وبروع بنت عقبة وعبدة بنت عبد العزى وهند بنت
ابي جهل وكلثوم بنت جرول واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون فان الايمان يقتضي التقوى منه تعالى يا ايها
النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك اي مبايعات لك اي قاصدات للمبايعة نزلت يوم الفتح فانه صلى الله عليه وسلم
لما فرغ عن بيعة الرجال شرع في بيعة النساء على ان لا يشركن بالله شيئا اي شيئا من الاشياء او شيئا
من الاشراك ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن يريد بوأد البنات وقرئ ولا يقتّلن بالتشديد ولا يأتين
ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن كانت المراة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدي منك
كنى عنه بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها لان بطنها الذي تحمله فيه بين يديها ومخرجه بين رجليها
ولا يعصينك في معروف اي فيما تأمرهن به من معروف وتنهاهن عنه من منكر والتقييد بالمعروف مع
ان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يأمر به الا للتنبيه على انه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق و
تخصيص الامور المعدودة بالذكر في حقهن لكثرة وقوعها فيما بينهن مع اختصاص بعضها بهن
فبايعهن اي على ما ذكر وما لم يذكر لوضوح امره وظهور اصالته في المبايعة من الصلوة والزكوة
وساير اركان الدين وشعاير اركان الاسلام وتقييد مبايعتهن بما ذكر يحثهن لحثهن على المسارعة اليها
مع كمال الرغبة فيها من غير دعوة لهن اليها واستغفر لهن الله زيادة لما في ضمن المبايعة فانها عبارة
عن ضمان الثواب من قبله صلى الله عليه وسلم بمقابلة الوفاء بالامور المذكورة من قبلهن ان الله
غفور رحيم اي مبالغ في المغفرة والرحمة فيغفر لهن ويرحمهن اذا وفين بما بايعن عليه واختلف
في كيفية مبايعته صلى الله عليه وسلم لهن يومئذ ويروى انه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من مبايعة
الرجال جلس على الصفا ومعه عمر اسفل منه فجعل صلى الله عليه وسلم يشترط عليهن البيعة وعمر
رضي الله عنه يصافحهن وروي انه كلف امراة وقفت على الصفا فبايعهن وقيل دعا بقدح من
ماء فغمس فيه يده ثم غمس ايديهن وروي انه صلى الله عليه وسلم بايعهن وبين يديه وايديهن ثوب
قطري والاظهر الاشهر ما قالت عايشة رضي الله عنها والله ما اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على النساء
قط الا بما امر الله تعالى وما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم كف امراة قط وكان يقول اذا اخذ

وقوله تعالى يحكم بينكم كلام مستانف او حال من حكم الله صح

عليهن

عليهن قد بايعتكن كلاما وكان المؤمنات اذا هاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتحنهن بقول
الله عز وجل يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات الى اخر الاية فاذا اقررن بذلك من قولهن قال لهن
انطلقن فقد بايعتكن يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم هو عامة الكفرة وقيل اليهود لما روي
انها نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم قد يئسوا من الاخرة لكفرهم
بها او لعلمهم بانه لا خلاق لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت في التورية المؤيد بالايات كما يئس الكفار من اصحاب
القبور اي كما يئس منها الذين ماتوا منهم لانهم وقفوا على حقيقة الحال وشاهدوا حرمانهم من نعيمها المقيم وابتلاهم
بعذابها الاليم والمراد وصفهم بكمال الياس منها وقيل المعنى كما يئسوا من موتاهم ان يبعثوا او يرجعوا الى الدنيا احياء والاظهار
في موضع الاضمار للاشعار بعلة ياسهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيمة

سورة الصف وهي اربع عشرة اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم الكلام فيه كالذي مر في نظيره يا ايها الذين
امنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون روي ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله تعالى
لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فلما نزل الجهاد كرهوه فنزلت وما قيل من ان النازل قوله تعالى ان الله يحب الذين
يقاتلون في سبيله صفا بين الاختلال روي انهم قالوا يا رسول الله لو نعلم احب الاعمال الى الله تعالى لسارعنا
اليه فنزلت هل ادلكم على تجارة الى قوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم فولوا يوم احد وفيه
التزام ان ترتيب الايات الكريمة ليس على ترتيب النزول وقيل لما اخبر الله تعالى بثواب شهداء اهل
بدر قالت الصحابة اللهم اشهد لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد فنزلت وقيل
انها نزلت فيمن يتمدح كاذبا حيث كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وهكذا قيل كان
رجل اذى المسلمين يوم بدر ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله اخر فنزلت في المنتحل وقيل قد حذفت الفها
تخفيفا لكثرة استعمالها كما في عم وفيم ونظايرهما ومعناها لاي شيء تقولون نفعل ما لا تفعلون من الخير
والمعروف على ان مدار التعيير والتوبيخ في الحقيقة عدم فعلهم وانما وجها الى قولهم تنبيها على تضاعف
معصيتهم ببيان ان المنكر ليس ترك الخير الموعود فقط بل الوعد به ايضا وقد كانوا يحسبونه معروفا ولو
قيل لم لا تفعلون ما تقولون لفهم منه ان المنكر هو ترك الموعود كبر مقتا ضمير مبهم مفسر بالنكرة بعده
وان تقولوا هو المخصوص بالذم وقيل قصد فيه التعجب من غير لفظه واسند الى ان تقولوا ونصب مقتا على
تفسيره دلالة على ان قولهم ما لا تفعلون مقت خالص لا شوب فيه كبر عند من يحقر دونه كل عظيم وقوله
ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا بيان لما هو مرضي عند الله بعد بيان ما هو ممقوت عنده وهذا
صريح في ان ما قالوه عبارة عن الوعد بالقتال لا غير فلا يقوله المتمدح وانتحله المنتحل وادعاه المنافق فان مناط
التعيير والتوبيخ هو اخلافهم لا وعدهم كما اشير اليه وقرئ يقاتلون بالفتح ويقتلون وصفا مصدر وقع
موقع الفاعل او المفعول ونصبه على الحالية من فاعل يقاتلون اي صافين انفسهم او مصفوفين وقوله تعالى
كانهم بنيان مرصوص حال من المستكن في الحال الاولى اي مشبهين في تراصهم من غير فرجة وخلل ببنيان رص
بعضه الى بعض ورصف حتى صار شيئا واحدا وقوله تعالى واذ قال موسى لقومه كلام مستانف مقرر لما قبله
من شناعة ترك القتال واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين
اي واذكر لهؤلاء المعرضين عن القتال وقت قول موسى عليه السلام لبني اسرائيل حين ندبهم الى قتال الجبابرة
بقوله يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم الاية فلم يمتثلوا بامره وعصوه اشد عصيان
حيث قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون الى قوله

هم الجهاد

تعالى فاذهب انت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون واصروا على ذلك واذوه عليه السلام كل اذية يا قوم لم توذونني
اي بالمخالفة والعصيان فيما امركم به قوله تعالى وقد تعلمون اني رسول الله اليكم جملة حالية موكدة لانكار الايذا
نفي سببه وقد لتحقيق العلم وصيغة المضارع للدلالة على استمراره اي والحال انكم تعلمون علما قطعيا مستمرا
بمشاهدة ما ظهر بيدي من المعجزات القاهرة التي معظمها اهلاك عدوكم وانجاوكم منه ملكته اني رسول الله
اليكم لارشدكم الى خير الدنيا والاخرة ومن قضية علمكم بذلك ان تبالغوا في تعظيمي وتسارعوا الى طاعتي فلما زاغوا
اصروا على الزيغ عن الحق الذي جاء به موسى عليه السلام واستمروا عليه ازاغ الله قلوبهم اي صرفها عن قبول
الحق والميل الى الصواب لصرفهم اختيارهم نحو الغي والضلال قوله تعالى والله لا يهدي القوم الفاسقين
اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله من الازاغة ومؤذن بعلته اي لا يهدي القوم الخارجين عن الطاعة
ومنهاج الحق ومصرين على الغواية هداية موصلة الى البغية لا هداية موصلة الى ما يوصل اليها فانها شاملة
للكل والمراد بهما اما المذكورون خاصة والاظهار في موقع الاضمار لذمهم بالفسق وتعليل عدم الهداية به
او جنس الفاسقين وهم داخلون في حكمهم دخولا اوليا واياما كان فوصفهم بالفسق ناظر الى ما في قوله
تعالى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين هذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم ويرتضيه الذوق
السليم واما ما قيل بسبب رد بيان اسباب الاذية من انهم كانوا يوذونه عليه السلام بانواع الاذى
من انتقاصه وعيبه في نفسه وجحود اياته وعصيانه فيما يعود اليهم منافعه وعبادتهم البقر وطلبهم
روية الله جهرة والتكذيب الذي هو تضييع حق الله وحقه فمما لا تعلق له بالمقام قوله تعالى واذ قال
عيسى بن مريم اما معطوف على اذ الاولى معمول لعاملها واما معمول لمضمر معطوف على عاملها يا بني اسرائيل
ناداهم بذلك استمالة لقلوبهم الى تصديقه في قوله تعالى اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التورية
فان تصديقه عليه السلام اياها من اقوى الدواعي الى تصديقهم اياه ومبشرا برسول ياتي من بعدي معطوفا على
مصدقا داع الى تصديقه عليه السلام اياها من اقوى الدواعي الى تصديقهم اياه مثله من حيث ان البشارة
به واقعة في التورية والعامل فيهما ما في الرسول من معنى الارسال لا الجار فانه صفة للرسول والصلات بمعزل
من تضمن معنى الفعل وعليه يدور العمل اي ارسلت اليكم حال كوني مصدقا لما تقدمني من التورية ومبشرا
لما ياتي من بعدي من رسول اسمه احمد اي محمد صلى الله عليه وسلم يريد ان ديني التصديق بكتب الله وانبيائه
جميعا ممن تقدم وتاخر وقرئ من بعدي بفتح الياء فلما جاءهم بالبينات اي المعجزات الظاهرة قالوا هذا سحر مبين
مشيرين الى ما جاء به او اليه عليه السلام وتسميته سحرا للمبالغة ويويده قراءة من قرا هذا ساحر ومن اظلم ممن افترى
على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام اي اي الناس اشد ظلما ممن يدعى الى الاسلام الذي يوصله الى سعادة الدارين
فيضع موضع الاجابة الافتراء على الله عز وجل بقوله لكلامه الذي هو دعائه عباده الى الحق هذا سحر اي هو اظلم من
كل ظالم وان لم يتعرض لظاهر الكلام لنفي المساوي وقد مر تبيانه غير مرة وقرئ يدعي يقال دعاه وادعاه مثل
لمسه والتمسه والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يرشدهم الى ما فيه فلاحهم لعدم توجههم اليه يريدون
ليطفئوا نور الله اي يريدون ان يطفئوا دينه او كتابه او حجته النيرة واللام مزيدة لما فيها من معنى الارادة
تاكيدا لها كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تاكيدا لها في لا اباك او يريدون الافتراء ليطفئوا نور الله
بافواههم بطعنهم فيه مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه والله متم نوره اي مبلغه الى غايته
بنشره في الافاق واعلائه وقرئ متم نوره بلا اضافة ولو كره الكافرون ارغاما لهم والجملة في حيز الحال على ما
بين مرارا هو الذي ارسل رسوله بالهدى بالقران او بالمعجزة ودين الحق والملة الحنيفية ليظهره على الدين كله
ليغلبه على جميع الاديان المخالفة له ولقد انجز الله عز وجل وعده حيث جعله بحيث لم يبق دين من الاديان الا
وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام ولو كره المشركون ذلك وقرئ هو الذي ارسل نبيه يا ايها الذين امنوا هل

اياه

710

ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم وقرئ تنجيكم بالتشديد تؤمنون بالله واليوم الاخر وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم
استئناف وقع جوابا عما نشا مما قبله كانهم قالوا كيف نعمل وماذا نصنع فقيل تؤمنون بالله الى اخره وهو خبر
في معنى الامر جيء به للايذان بوجوب الامتثال فكانه قد وقع فاخبر بوقوعه ويؤيده قراءة من قرا امنوا بالله
ورسوله وجاهدوا وقرئ تؤمنوا وتجاهدوا على اضمار لام الامر ذلكم اشارة الى ما ذكر من الايمان والجهاد
بتسميته وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا غير مرة خير لكم على الاطلاق او من اموالكم وانفسكم ان كنتم تعلمون
اي ان كنتم من اهل العلم فان الجهلة لا يعتد بافعالهم او ان كنتم تعلمون انه خير لكم كان خيرا لكم حينئذ لانكم اذا
علمتم ذلك واعتقدتموه احببتم الايمان والجهاد فوق ما تحبون اموالكم وانفسكم فتخلصون وتفلحون يغفر
لكم ذنوبكم جواب للامر المدلول عليه بلفظ الخبر او لشرط او استفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا
وتجاهدوا او هل تقبلون ان ادلكم يغفر لكم وجعله جوابا لهل ادلكم بعيد لان مجرد الدلالة لا توجب
المغفرة ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن اي ما ذكر من المغفرة وادخال الجنات
الموصوفة بما ذكر من الاوصاف الجليلة ذلك الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه واخرى الى هذه النعم العظيمة
نعمة اخرى عاجلة تحبونها وترغبون فيها وفيه تعريض بانهم يؤثرون العاجل على الاجل وقيل اخرى منصوبة
باضمار نعطكم او تحبون او مبتدا خبره قوله تعالى نصر من الله وهو على الاول بدل او بيان وعلى تقدير
النصب خبر مبتدا محذوف وفتح قريب اي عاجل عطف على نصر على الوجوه المذكورة وقرئ نصرا وفتحا
قريبا على الاختصاص او على المصدر اي تنصرون نصرا عطف على محذوف وبشر المؤمنين مثل قل يا ايها الذين
امنوا وبشروا وعلى مؤمنون فانه في معنى امنوا كانه قيل امنوا وجاهدوا ايها المؤمنون وبشرهم يا ايها
الرسول بما وعدتهم على ذلك عاجلا واجلا يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله وقرئ انصارا لله بلا اضافة
لان المعنى كونوا بعض انصار الله وقرئ كونوا انتم انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصاري الى الله
اي من جندي متوجها الى نصرة الله كما يقتضيه قوله تعالى قال الحواريون نحن انصار الله والاضافة الاولى
اضافة احد المتشاركين الى الاخر لما بينهما من الاختصاص والثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه
باعتبار المعنى اي كونوا انصار الله كما كان الحواريون انصاره حين قال لهم عيسى من انصاري الى الله او قل لهم
كونوا كما قال عيسى للحواريين والحواريون اصفياؤه وهم اول من امن به وكانوا اثني عشر رجلا فامنت طائفة
من بني اسرائيل اي بعيسى واطاعوه فيما امرهم به من نصرة الدين وكفرت طائفة اخرى به وقاتلوهم فايدنا
الذين امنوا على عدوهم اي قويناهم بالحجة او بالسيف وذلك بعد رفع عيسى عليه السلام فاصبحوا ظاهرين غالبين
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيمة رفيقه

لكم وانفسكم

سورة الجمعة وهي احدى عشرة اية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض تسبيحا مستمرا الملك القدوس العزيز الحكيم وقد قرئ
الصفات الاربع بالرفع على المدح هو الذي بعث في الاميين اي في العرب لان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرءون قيل
بدئت الكتابة بالطائف اخذوها من اهل الحيرة وهم من اهل الانبار رسولا منهم اي كائنا من جملتهم اميا مثلهم
يتلو عليهم اياته مع كونه اميا مثلهم لم يعهد منهم قراءة ولا تعلم ويزكيهم صفة اخرى لرسولا معطوفة على
يتلو اي يحملهم على ما يصيرون به ازكيا من خبائث العقائد والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة صفة اخرى
لرسولا مترتبة في الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب قوتها
العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة
للايذان بان كلا من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعي ترتيب الوجود

لتبادر الى الفهم كون الكل نعمة واحدة كما مر في سورة البقرة وهو السر في التعبير عن القرآن تارة بالآيات
واخرى بالكتاب والحكمة رمزا الى انه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فيه شمول الحكمة لما في تضاعيف
الآيات النبوية من الاحكام والشرائع وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين من حيث الجاهلية والشرك وهو بيان لشدة
افتقارهم الى من يرشدهم وازاحة لما عسى يتوهم من تعلمه عليه السلام من الغير وان هي المخففة واللام هي الفارقة
وآخرين منهم عطف على الاميين او على المنصوب في يعلمهم اي يعلمهم ويعلم آخرين منهم اي من الاميين وهم الذين جاؤوا
بعد الصحابة الى يوم الدين فان دعوته عليه الصلاة والسلام وتعليمه تعم الجميع لما يلحقوا بهم صفة لآخرين اي لم يلحقوا بهم
بعد وسيلحقون وهو العزيز الحكيم المبالغ في العزة ذلك الذي امتاز به من بين سائر الافراد فضل الله
يؤتيه من يشاء تفضلا وعطية والله ذو الفضل العظيم الذي يستحقر دونه نعم الدنيا ونعم الآخرة مثل الذين حملوا التوراة
اي علموها وكلفوا العمل بها ثم لم يحملوها اي لم يعملوا بما في تضاعيفها من الآيات التي من جملتها الآيات الناطقة
بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم كمثل الحمار يحمل اسفارا اي كتبا من العلم يتعب بحملها ولا ينتفع بها ويحمل اما
حال والعامل معنى المثل او صفة للحمار اذ ليس المراد به معينا فهو في حكم النكرة كما في قول من قال ولقد امر على
اللئيم يسبني بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله على ان التمييز محذوف والفاعل المفسر به مستتر ومثل القوم
هو المخصوص بالذم والموصول صفة للقوم او بئس مثل القوم الذين كذبوا الى آخره على ان مثل القوم فاعل بئس
والمخصوص بالذم الموصول بحذف المضاف او بئس مثل القوم المكذبين مثل هؤلاء على ان الموصول صفة
القوم والمخصوص بالذم محذوف وهم اليهود الذين كذبوا بما في التوراة من الآيات الشاهدة بصحة نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم والله لا يهدي القوم الظالمين الواضعين للتكذيب في موضع التصديق او الظالمين
لانفسهم بتعريضها للعذاب قل يا ايها الذين هادوا اي تهودوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس كانوا
يقولون نحن ابناء الله واحباؤه ويدعون ان الدار الآخرة لهم عند الله خالصة ويقولون لن يدخل الجنة الا
من كان هودا او نصارى فامر صلى الله عليه وسلم بان يقول لهم اظهارا لكذبهم ان زعمتم ذلك فتمنوا الموت
اي فتمنوا من الله ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى دار الكرامة ان كنتم صادقين جوابه محذوف
لدلالة ما قبله عليه اي ان كنتم صادقين في زعمكم واثقين بانه حق فتمنوا الموت فان من ايقن بانه من اهل
الجنة احب ان يتخلص اليها من هذه الدار التي هي قرارة الاكدار ولا يتمنونه ابدا اخبار بما سيكون منهم
والباء في قوله تعالى بما قدمت ايديهم متعلقة بما يدل عليه النفي اي يأبون التمني بسبب ما عملوا من الكفر
والمعاصي الموجبة لدخول النار ولما كانت اليد من بين جوارح الانسان مناط عامة افاعيله عبر بها تارة
عن النفس واخرى عن القدرة والله عليم بالظالمين اي بهم وايثار الاظهار على الاضمار لذمهم والتسجيل
عليهم بانهم ظالمون في كل ما يأتون وما يذرون من الامور التي من جملتها ادعاء انهم عنه بمعزل والجملة
تذييل لما قبلها مقررة لمضمونه اي عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصي المفضية الى افانين
العذاب وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدي الى ذلك فوقع الامر كما ذكر فلم يتمن منهم موته احد كما يعرب عنه
قوله تعالى قل ان الموت الذي تفرون منه فان ذلك انما يقال لهم بعد ظهور فرارهم من التمني وقد قال صلى
الله عليه وسلم لو تمنوا لماتوا من ساعتهم وهذه احدى المعجزات اي ان الموت الذي تفرون منه ولا تجسرون
على ان تتمنوه مخافة ان تؤخذوا بوبال كفركم فانه ملاقيكم من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء لتضمين
الفعل معنى الشرط باعتبار الوصف وقرئ بدونها وقرئ تفرون منه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة
الذي لا يخفى عليه خافية فينبئكم بما كنتم تعملون من الكفر والمعاصي بان يجازيكم بها يا ايها الذين آمنوا اذا نودي
للصلاة اي فعل النداء لها اي اذن لها من يوم الجمعة بيان لاذا وتفسير لها وقيل اول من سماها جمعة كعب
ابن لؤي وكانت العرب تسميها العروبة وقيل ان الانصار قالوا قبل الهجرة لليهود يوم يجتمعون

ده

فيه

فيه بكل سبعة ايام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله تعالى فيه فقالوا يوم
السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى سعد بن زرارة فصلى بهم ركعتين
وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فانزل الله آية الجمعة فاسعوا الى ذكر الله اي امشوا واقصدوا
الى الخطبة والصلاة وذروا البيع واتركوا المعاملة ذلكم اي السعي الى ذكر الله وترك البيع خير لكم من
مباشرته فان نفع الآخرة اجل وابقى ان كنتم تعلمون اي الخير والشر الحقيقيين ان كنتم اهل العلم فاذا قضيت
الصلاة اي اديت وفرغ منها فانتشروا في الارض لاقامة مصالحكم وابتغوا من فضل الله اي الربح فالامر
للاطلاق بعد الحظر وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا انما هو عيادة المرضى
وحضور الجنائز وزيارة اخ في الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلاة التطوع واذكروا
الله ذكرا كثيرا او ذكرا كثيرا ولا تخصوا ذكره تعالى بالصلاة لعلكم تفلحون كي تفوزوا بخير الدارين
واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها روي ان اهل المدينة اصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة
بتجارة من زيت الشام والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه خشية ان يسبقوا
اليه فما بقي معه صلى الله عليه وسلم الا ثمانية وقيل احد عشر وقيل اربعون فقال صلى الله عليه وسلم والذي
نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لاضرم الله عليهم الوادي نارا وكانوا اذا اقبلت العير استقبلوها بالطبل
والتصفيق وهو المراد باللهو وتخصيص التجارة برجع الضمير لانها المقصودة اما لان الانفضاض للتجارة
مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان مذموما فما ظنك بالانفضاض باللهو وهو مذموم في نفسه
وقيل تقديره اذا رأوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه فحذف الثاني لدلالة الاول عليه وقرئ
اليهما وتركوك قائما قل ما عند الله من الثواب خير من اللهو ومن التجارة فان ذلك محقق مخلد بخلاف ما فيهما
من النفع المتوهم والله خير الرازقين فاليه اسعوا ومنه اطلبوا الرزق عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الجمعة اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم يأتها في امصار المسلمين والله تعالى اعلم

سورة المنافقون وهي احدى عشر آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاءك المنافقون اي حضروا مجلسك قالوا نشهد انك لرسول الله مؤكدين كلامهم
بان واللام للايذان بان شهادتهم هذه صادرة عن صميم قلوبهم ووفور رغبتهم ونشاطهم قوله تعالى والله
يعلم انك لرسوله اعتراض مقرر لمنطوق كلامهم وسط بينه وبين قوله تعالى والله يشهد ان المنافقين لكاذبون
تحقيقا وتعيينا لما نيط به التكذيب من انهم قالوه عن اعتقاد كما اشير اليه واماطة من اول الامر لما عسى
يتوهم من توجه التكذيب الى منطوق كلامهم اي والله يشهد انهم لكاذبون فيما ضمنوا مقالتهم من انها
صادرة عن اعتقاد وطمأنينة قلب والاضمار في موقع الاظهار لذمهم والاشعار بعلة الحكم اتخذوا
ايمانهم الفاجرة التي من جملتها ما حكي عنهم جنة اي وقاية عما يتوجه اليهم من المؤاخذة بالقتل و
السبي او غير ذلك واتخاذها جنة عبارة عن اعدادهم وتهيئتهم لها الى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا
عن المؤاخذة لا عن استعمالها بالفعل فان ذلك متأخر عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية والاتخاذ جنة
لا بد ان يكون قبل المؤاخذة وعن سببها ايضا كما يفصح عنه الفاء في قوله تعالى فصدوا عن سبيل الله بالنهي
عنه كما سيحكى عنهم ولا ريب في ان هذا الصد منهم متقدم على حلفهم بالفعل وقرئ ايمانهم اي ما اظهروه
على السنتهم فاتخاذه جنة عبارة عن استعماله بالفعل فانه وقاية دون دمائهم واموالهم فمعنى قوله تعالى
فصدوا حينئذ فاستمروا على ما كانوا عليه من الصدود والاعراض عن سبيله تعالى انهم ساء ما كانوا يعملون
من النفاق والصد وفي ساء معنى التعجب وتعظيم امرهم عند السامعين ذلك اشارة الى ما تقدم

من القول الناعي عليهم انهم اسوء الناس اعمالاً والى ما وصف من حالهم في النفاق والكذب والاستتار بالايمان الصوري وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر مراراً من الاشعار ببعد منزلته في الشر بانهم اي بسبب انهم امنوا اي نطقوا بكلمة الشهادة كسائر من يدخل في الاسلام ثم كفروا اي ظهر كفرهم بما شوهد منهم من شواهد الكفر ودلائله او نطقوا بالايمان عند المومنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم فطبع على قلوبهم حتى تمرنوا على الكفر واطمانوا به وقرئ على البناء للفاعل وقرئ فطبع الله فهم لا يفقهون حقيقة الايمان ولا يعرفون حقيقته اصلاً واذا رايتهم تعجبك اجسامهم لضخامتها ويروقك منظرهم لصباحة وجوههم وان يقولوا تسمع لقولهم لفصاحتهم وذلاقة السنتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن ابي فصيحاً جسيماً يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من امثاله وهم رؤساء المدينة وكان صلى الله عليه وسلم ومن معه يتعجبون من هياكلهم ويسمعون لكلامهم وقيل الخطاب لكل احد ممن يصلح للخطاب ويؤيده قراءة يسمع على البناء للمفعول قوله تعالى كانهم خشب مسندة في حيز الرفع على انه خبر مبتدا محذوف او كلام مستانف لا محل له شبهوا في جلوسهم في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مستندين فيه بخشب منصوبة مستندة الى الحائط في كونهم اشباحاً خالية عن العلم والخير وقرئ خشب على انه جمع خشبة كبدن جمع بدنة وقيل هو جمع خشباً وهي الخشبة التي دعر جوفها او فسد شبه بها في نفاقهم وفساد بواطنهم وقرئ خشب كمدرة ومدر يحسبون كل صيحة عليهم اي واقعة عليهم ضارة بهم لجبنهم باستقرار الرعب في قلوبهم وقيل كانوا على وجل من ان ينزل فيهم ما يهتك استارهم ويبيح دماءهم واموالهم هم العدو اي هم الكاملون في العداوة والراسخون فيها فان اعدى الاعادي العدو المكاشر الذي يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوي والجملة مستانفة وجعلها مفعولاً ثانياً للحسبان مما لا يساعده النظم الكريم اصلاً فان الفاء في قوله تعالى فاحذرهم ترتيب الامر بالحذر على كونهم اعدى الاعداء قاتلهم الله دعا عليهم وطلب من ذاته تعالى ان يلعنهم ويخزيهم او تعليم للمومنين ان يدعوا عليهم بذلك قوله تعالى انى يوفكون تعجيب من حالهم اي كيف يصرفون الى الحق عما هم عليه من الكفر والضلال واذا قيل لهم عند ظهور جناياتهم بطريق النصيحة تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم اي عطفوها استنكافاً واستكباراً ورايتهم يصدون يعرضون عن القائل وعن الاستغفار وهم مستكبرون عن ذلك سواء عليهم استغفرت لهم كما اذا جاؤك معتذرين من جناياتهم وقرئ استغفرت بحذف حرف الاستفهام ثقة بدلالة ام وقرئ آستغفرت باشباع همزة الاستفهام لا بقلب همزة الوصل الفاً ام لم تستغفر لهم كما اذا اصروا على قبائحهم واستكبروا عن الاستغفار والاعتذار لن يغفر الله لهم ابداً لاصرارهم على الفسق ورسوخهم في الكفران ان الله لا يهدي القوم الفاسقين الكاملين في الفسق الخارجين عن دائرة الاستصلاح المنهمكين في الكفر والنفاق والمراد اما هم باعيانهم والاظهار في موقع الاضمار لبيان غلوهم في الفسق او الجنس وهم داخلون في زمرتهم دخولاً اولياً قوله تعالى هم الذين يقولون اي للانصار لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا اي فقراء المهاجرين استيناف جار مجرى التعليل لفسقهم او لعدم مغفرته تعالى وقرئ حتى ينفضوا من انفض القوم اذا فنيت ازوادهم وحقيقته كان لهم ان ينفضوا ازوادهم ولله خزائن السموات والارض رد وابطال لما زعموا من ان عدم انفاقهم يؤدي الى انفضاض الفقراء من حوله صلى الله عليه وسلم ببيان ان خزائن الارزاق بيد الله تعالى وبشؤونه ولكن المنافقين لا يفقهون ولذلك يقولون ما يقولون من مقالات الكفر يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل روي ان جهجاه بن سعيد رضي الله عنه نازع سناناً الجهني حليف ابن ابي واقتتلا فصرخ جهجاه يا للمهاجرين وسنان يا للانصار فاعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين ولطم سناناً فاشتكى الى ابن ابي فقال

للانصار

للانصار لا تنفقوا الى آخره والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل جانب المومنين واسناد القول المذكور الى المنافقين لرضاهم به فرد عليهم ذلك بقوله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمومنين اي ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه من رسوله والمومنين لا لغيرهم ولكن المنافقين لا يعلمون من جهلهم وغرورهم فيهذون ما يهذون روي ان عبد الله بن ابي لما اراد ان يدخل المدينة اعترضه ابنه عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان مخلصاً وقال لئن لم تقر لله ولرسوله بالعزة لاضربن عنقك فلما راى منه الجد قال اشهد ان العزة لله ولرسوله وللمومنين فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابنه عبد الله جزاك الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن المومنين خيراً يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله اي لا يشغلكم الاهتمام بتدبير امورها والاعتناء بمصالحها والتمتع بها عن الاشتغال بذكره عز وجل من الصلوات وسائر العبادات المذكورة للمعبود والمراد نهيهم عن التلهي بها وتوجيه النهي اليها للمبالغة كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الى آخره ومن يفعل ذلك اي التلهي بالدنيا عن الدين فاولئك هم الخاسرون اي الكاملون في الخسران حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني وانفقوا مما رزقناكم اي بعض ما اعطيناكم تفضلاً من غير ان يكون حصوله من جهتكم ادخاراً للآخرة من قبل ان ياتي احدكم الموت بان يشاهد دلائله ويعاين اماراته ومخايله وتقديم المفعول على الفاعل لما مر مراراً من الاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر فيقول عند تيقنه بحلوله رب لولا اخرتني اي امهلتني الى اجل قريب اي امد قصير فاصدق بالنصب على جواب التمني وقرئ فاتصدق واكن من الصالحين بالجزم عطفاً على لفظه وقرئ بالرفع اي وانا اكون عدة منه بالصلاح ولن يؤخر الله نفساً اي ولن يمهلها اذا جاء اجلها اي آخر عمرها وانتهى ان اريد بالاجل الزمان الممتد من اول العمر الى آخره والله خبير بما تعملون فيجازيكم عليه ان خيراً فخير وان شراً فشر فسارعوا في الخيرات واستعدوا لما هو آت وقرئ يعملون بالياء التحتانية عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق

سورة التغابن وهي ثمان عشرة آية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض اي ينزهه سبحانه جميع ما فيهما من المخلوقات عما لا يليق بجناب كبريائه تنزيهاً مستمراً له الملك وله الحمد لا لغيره اذ هو المبدي لكل شيء وهو القائم به والمهيمن عليه وهو المولي لاصول النعم وفروعها واما ملك غيره فاسترعاء من جنابه وحمد غيره اعتداد بان نعمة الله جرت على يده وهو على كل شيء قدير لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل سواء هو الذي خلقكم اي خلقاً بديعاً وبا لجميع مبادي الكمالات العلمية والعملية ومع ذلك فمنكم كافر اي فبعضكم او فبعض منكم مختار للكفر كاسب له على خلاف ما يدعيه خلقته ومنكم مومن مختار للايمان كاسب له حسبما تقتضيه خلقته فان الواجب عليكم جميعاً ان تكونوا مختارين للايمان شاكرين لنعمة الخلق والايجاد وما يتفرع عليهما من سائر النعم فما فعلتم ذلك مع تمام تمكنكم منه بل تشعبتم شعباً وتفرقتم فرقاً وتقديم الكفر لانه الاغلب فيما بينهم والانسب بمقام التوبيخ وحمله على معنى فمنكم كافر ومقدر كفره موجه اليه ما يحمله وهو من مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه مما لا يلائم المقام والله بما تعملون بصير فيجازيكم بذلك فاختاروا منه ما يجديكم من الايمان والطاعة واياكم وما يرديكم من الكفر والعصيان خلق السموات والارض بالحق بالحكمة البالغة المتضمنة للمصالح الدينية والدنيوية وصوركم فاحسن صوركم حيث براكم على احسن تقويم واودع فيكم من القوى والمشاعر الباطنة والظاهرة ما نيط بها جميع الكمالات البارزة والكامنة وزينكم بصفوة صفات مصنوعاته وخصكم بخلاصة خصائص مبدعاته وجعلكم انموذج جميع مخلوقاته في هذه النشأة واليه المصير في النشأة الاخرى لا الى غيره استقلالاً واشتراكاً فاحسنوا سرائركم باستعمال تلك القوى والمشاعر فيما خلقن له يعلم ما في السموات والارض من الامور الكلية والجزئية والاحوال الجلية والخفية ويعلم ما تسرون وما تعلنون اي ما تسرونه فيما بينكم وما

نظهرونه من الامور والتصريح به مع اندراجه فيما قبله لانه الذي يدور عليه الجزاء ففيه تاكيد للوعد والو
وفشل بد لهما قوله تعالى والله عليم بذات الصدور اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من شمول علمه تعالى بسرهم
وعلنهم اي هو محيط بجميع المضمرات المستكنة في صدور الناس بحيث لا يفارقها اصلاً فكيف يخفى عليه ما
يسرونه وما يعلنونه واظهار الجلالة للاشعار بعلة الحكم وتاكيد استقلال الجملة قبل وتقديم تقرير القدرة
على تقرير العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته بالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض
الانحا الم ياتكم ايها الكفرة نبؤا الذين كفروا من قبل كقوم نوح ومن بعدهم من الامم المصرة على الكفر فذاقوا
وبال امرهم عطف على كفروا والوبال الثقل والشدة المترتبة على امر من الامور وامرهم كفرهم عبر عنه
بذلك للايذان بانه امر هائل وجناية عظيمة اي الم ياتكم خبر الذين كفروا من قبل فذاقوا من غير مهلة
ما يستتبعه كفرهم في الدنيا ولهم عذاب اليم لا يقادر قدره ذلك اي ما ذكر من العذاب الذي ذاقوه في الدنيا
وما سيذوقونه في الاخرة بانه بسبب ان الشان كانت تاتيهم رسلهم بالبينات اي بالمعجزات الظاهرة فقالوا
عطف على كانت ابشر يهدوننا اي قال كل قوم من المذكورين في حق رسولهم الذي اتاهم بالمعجزات منكرين لكون
الرسول من جنس البشر متعجبين من ذلك ابشر يهدوننا كما قالت ثمود ابشرا منا واحدا نتبعه وقد اجمل في الحكاية
فاسند القول الى جميع الاقوام واريد بالجنس البشر فوصف بالجمع كما اجمل الخطاب والامر في قوله تعالى يا
ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فكفروا اي بالرسل وتولوا عن التدبر فيما اتوا به من البينات
وعن الايمان بهم واستغنى الله اي ظهر استغناؤه عن ايمانهم وطاعتهم حيث اهلكهم وقطع دابرهم ولولا غناه
تعالى عنهما لما فعل ذلك والله غني فضلاً عن ايمانهم وطاعتهم حميد يحمده كل مخلوق بلسان الحال او مستحق
للحمد بذاته وان لم يحمده حامد زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا الزعم ادعاء العلم يتعدى الى مفعولين بعدهم ثم
ايدا قل ردا عليهم وابطالا لزعمهم باثبات ما نفوه بلى وربي لتبعثن اي تبعثون وقوله ثم لتنبؤن بما
عملتم اي لتحاسبن وتجزون باعمالكم جملة مستقلة داخلة تحت الامر وارادة لتاكيد ما افاده كلمة بلى
من اثبات البعث وبيان تحقيق امر اخر متفرع عليه منوط به ففيه تاكيد لتحقق البعث بوجهين وذلك
اي ما ذكر من الجزاء على الله يسير لتحقق القدرة التامة وقبول المادة والفاء في قوله تعالى فامنوا فصيحة
مفصحة عن شرط قد حذف ثقة بغاية ظهوره اي اذا كان الامر كذلك فامنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه
وسلم والنور الذي انزلنا وهو القران فانه باعجازه بين وبنفسه مبين لغيره كما ان النور كذلك والالتفات
بنون العظمة لابراز كمال العناية بامر الانزال والله بما تعملون من الامتثال بالامر وعدمه خبير فيجازيكم
عليه والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من الامر موجب للامتثال به بالوعد والوعيد والالتفات
الى الاسم الجليل لتربية المهابة وتاكيد استقلال الجملة يوم يجمعكم ظرف لتنبؤن وقيل لخبير بما فيه
من معنى الوعيد كانه قيل والله يجازيكم وعما قبكم يوم يجمعكم او مفعول لاذكر وقرئ نجمعكم بنون العظمة
ليوم الجمع ليوم يجمع فيه الاولون والاخرون اي لاجل ما فيه من الحساب والجزاء ذلك يوم التغابن اي يوم
غبن بعض الناس بعضاً بنزول السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس وفي الحديث ما من
عبد يدخل الجنة الا اري مقعده من النار لو اساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا اري مقعده
من الجنة لو احسن ليزداد حسرة وتخصيص التغابن بذلك اليوم للايذان بان التغابن في الحقيقة
هو الذي يقع فيه لا ما يقع في امور الدنيا ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا اي عملاً صالحا يكفر اي الله عز وجل
وقرئ بنون العظمة عنه سيئاته يوم القيمة ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وقرئ ندخله بالنون
ذلك اي ما ذكر من تكفير السيئات وادخال الجنات الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه لانطوائه على النجاة
من اعظم الهلكات والظفر باجل الطلبات والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير اي النار كان

هاتين الايتين الكريمتين بيان لكيفية التغابن ما اصاب من مصيبة من المصائب الدنيوية الا باذن الله اي
بتقديره وارادته كانها بذاتها متوجهة الى الانسان متوقفة على اذنه تعالى ومن يؤمن بالله يهد قلبه عند اصابتها
للثبات والاسترجاع وقيل يهد قلبه حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطيه وما اخطاه لم يكن ليصيبه وقيل
يهد قلبه اي يلطف به ويشرحه لازدياد الطاعة والخير وقرئ يهد قلبه على البناء للمفعول ورفع قلبه
وقرئ بنصبه على نهج سفه نفسه وقرئ يهدا قلبه بالهمزة اي يسكن والله بكل شيء من الاشياء التي من
جملتها القلوب واحوالها عليم فيعلم ايمان المؤمن ويهد قلبه الى ما ذكر واطيعوا الله واطيعوا الرسول كرر الامر
للتاكيد والايذان بالفرق بين الطاعتين في الكيفية وتوضيح مورد التولي في قوله تعالى فان توليتم اي عن
طاعة الرسول وقوله تعالى فانما على رسولنا البلاغ المبين تعليل للجواب المحذوف فلا باس عليه اذ ما عليه الا
التبليغ المبين وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه واظهار الرسول مضافا الى نون العظمة مقام اضماره لتشريفه
صلى الله عليه وسلم والاشعار بمدار الحكم الذي هو كون وظيفته صلى الله عليه وسلم محض البلاغ ولزيادة
تشنيع التولي عنه الله لا اله الا هو جملة من مبتدا وخبر اي هو المستحق للعبودية لا غيره وفي اضمار خبر
لا مثل في الوجود او يصح او يوجد خلاف للنحاة معروف وعلى الله اي وعليه تعالى خاصة دون غيره لا
ولا اشتراكا فليتوكل المؤمنون واظهار الجلالة في موقع الاضمار للاشعار بعلة التوكل والامر به فان الالوهية
مقتضية للتبتل اليه تعالى بالكلية وقطع التعلق عما سواه بالمرة يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم
يشغلونكم عن طاعة الله او يخاصمونكم في امور الدين او الدنيا فاحذروهم الضمير للعدو فانه يطلق على الجمع نحو قوله
تعالى فانهم عدو لي او للازواج والاولاد جميعا فالمامور به على الاول الحذر عن الكل وعلى الثاني اما الحذر
عن البعض لان منهم من ليس بعدو واما الحذر عن مجموع الفريقين لاشتمالهم على العدو وان تعفوا عن ذنوبهم
القابلة للعفو بان تكون متعلقة بامور الدنيا او بامور الدين لكن مقارنة للتوبة وتصفحوا بترك التثريب
والتعيير وتغفروا باخفائها وتمهيد عذرها فان الله غفور رحيم يعاملكم بمثل ما عملتم به ويتفضل عليكم قيل
ان ناسا من المؤمنين ارادوا الهجرة عن مكة فثبطهم ازواجهم واولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا
فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك وراوا المهاجرين الاولين قد فقهوا في الدين ارادوا ان يعاقبوا
ازواجهم واولادهم فزين لهم العفو وقيل قالوا لهم اين تذهبون وتدعون عشيرتكم واموالكم فغضبوا عليهم
وقالوا لئن جمعنا الله في دار الهجرة لن نصيبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير فحثوا على ان يعفوا عنهم ويردوا اليهم
البر والصلة انما اموالكم واولادكم فتنة بلاء ومحنة يوقعونكم في الاثم من حيث لا تحتسبون والله عنده اجر عظيم
لمن اثر محبة الله تعالى وطاعته على محبة الاموال والاولاد والسعي في تدبير مصالحهم فاتقوا الله ما استطعتم
اي فابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم واسمعوا مواعظه واطيعوا اوامره وانفقوا مما رزقكم في الوجوه التي امركم
بالانفاق فيها خالصا لوجهه خيرا لانفسكم اي ائتوا خيرا لانفسكم وافعلوا ما هو خير لها وانفع وهو تاكيد
للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان لكون الاوامر المذكورة خيرا لانفسكم ويجوز ان يكون صفة لمصدر محذوف
اي انفاقا خيرا او خبرا لكان مقدرا جوابا للاوامر اي يكن خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون
الفائزون بكل مرامهم ان تقرضوا الله بصرف اموالكم الى المصارف التي عينها قرضا حسنا مقرونا بالاخلاص وطيب
النفس يضاعفه لكم بالواحد عشرة الى سبعمائة واكثر وقرئ يضعفه لكم ويغفر لكم ببركة الانفاق ما فرط منكم من بعض
الذنوب والله شكور يعطي الجزيل بمقابلة القليل حليم لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه
خافية العزيز الحكيم المبالغ في القدرة والحكمة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة التغابن دفع الله عنه موت الفجاة

سورة الطلاق وهي اثنتا عشرة اية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اذا طلقتم النساء تخصيص النداء به صلى الله عليه وسلم مع عموم الخطاب لامته

ايضا لتشريفه صلى الله عليه وسلم واظهار جلالة منصبه وتحقق انه المخاطب حقيقة ودخولهم في الخطاب
بطريق استتباعه صلى الله عليه وسلم وتغليبه عليهم لا لان نداءه كندائهم فان ذلك الاعتبار لو كان في حيز
الرعاية لكان الخطاب احق به لشمول كلمة للكل قطعا والمعنى اذا اردتم تطليقهن وعزمتم عليه كما في قوله تعالى اذا قمتم
الى الصلوة **فطلقوهن لعدتهن** اي مستقبلات بها كقولك اتيته لليلة خلت من شهر كذا فان المرأة اذا طلقت
في قرء يعقبه القرء الاول من قرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد ان يطلقن في طهر لم يقع فيه جماع
ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن وهذا احسن الطلاق وادخله في السنة **واحصوا العدة** اضبطوها واكملوها ثلثة اقراء
كوامل **واتقوا الله ربكم** في تطويل العدة عليهن والاضرار بهن وفي وصفه تعالى بالربوبية لهم تاكيد للامر
ومبالغة في ايجاب الاتقاء **لا تخرجوهن من بيوتهن** من مساكنهن عند الفراق الى ان تنقضي عدتهن واضافتها
اليهن وهي لازواجهن لتاكيد النهي ببيان استحقاقهن لسكناها كانها املاكهن **ولا يخرجن** ولو باذن
منكم فان الاذن بالخروج في حكم الاخراج وقيل المعنى لا يخرجن باستبداد منهن اما اذا اتفقا على الخروج جاز
اذ الحق لا يعدوهما **الا ان ياتين بفاحشة مبينة** استثناء من الاول قيل هي الزنا فيخرجن لاقامة الحد عليهن وقيل
الا ان يبذون على الازواج فيحل حينئذ اخراجهن ويؤيده قراءة الا ان يفحشن عليكم او من الثاني للمبالغة في النهي
عن الخروج ببيان ان خروجها فاحشة **وتلك** اشارة الى ما ذكر من الاحكام وما في اسم الاشارة من معنى البعد
مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو درجتها وبعد منزلتها **حدود الله** التي عينها لعباده **ومن يتعد حدود الله**
اي حدوده المذكورة بان اخل بشيء منها على ان الاظهار في حيز الاضمار لتهويل امر التعدي والاشعار بعلة الحكم
في قوله تعالى **فقد ظلم نفسه** اي اضر بها وتفسير الظلم بتعريضها للعقاب يأباه قوله تعالى **لا تدري لعل الله يحدث**
بعد ذلك امرا فانه استيناف مسوق لتعليل مضمون الشرطية وقد قالوا ان الامر الذي يحدثه الله تعالى
ان يقلب قلبه عما فعله بالتعدي الى خلافه فلا بد ان يكون الظلم عبارة عن ضرر دنيوي يلحقه بسبب
تعديه ولا يمكن تداركه وعن مطلق الضرر الشامل للدنيوي والاخروي وتخصيص التعليل بالدنيوي لكون
احتراز الناس منه اشد واهتمامهم بدفعه اقوى وقوله تعالى لا تدري خطاب للمتعدي بطريق الالتفات
لمزيد الاهتمام بالزجر عن التعدي لا للنبي صلى الله عليه وسلم كما توهم فالمعنى ومن يتعد حدود الله فقد اضر
بنفسه فانك لا تدري ايها المتعدي عاقبة الامر لعل الله يحدث في قلبك بعد ذلك الذي فعلت من
التعدي امرا يقتضي خلاف ما فعلته فيبدل ببغضها محبة وبالاعراض عنها اقبالا اليها ولا يتسنى تلافيه
برجعة او استيناف نكاح **فاذا بلغن اجلهن** شارفن آخر عدتهن **فامسكوهن** فراجعوهن **بمعروف** بحسن
معاشرة وانفاق لائق **او فارقوهن بمعروف** بايفاء الحق واتقاء الضرار بان يراجعها ثم يطلقها تطويلا
للعدة **واشهدوا ذوي عدل منكم** عند الرجعة والفرقة قطعا للتنازع وهذا امر ندب كما في قوله تعالى
واشهدوا اذا تبايعتم ويروى عن الشافعي انه للوجوب في الرجعة **واقيموا الشهادة لله** ايها الشهود عند
الحاجة خالصا لوجهه تعالى **ذلكم** اشارة الى الحث على الاشهاد والاقامة او على جميع ما في الآية
يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر اذ هو المنتفع به والمقصود تذكيره وقوله تعالى **ومن يتق الله** الى آخره جملة
اعتراضية مؤكدة لما سبق من وجوب مراعاة حدود الله تعالى بالوعد على الاتقاء عن تعديها كما ان ما تقدم
من قوله تعالى ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه مؤكد له بالوعيد على تعديها فالمعنى ومن يتق الله
فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط في الاشهاد وغيره من الامور **يجعل له**
مخرجا مما عسى يقع في شان الازواج من الغموم والوقوع في المضايق ويفرج عنه ما يعتريه من
الكروب **ويرزقه من حيث لا يحتسب** اي من وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه ويجوز ان يكون كلاما جيء به
على نهج الاستطراد عند ذكر قوله تعالى ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله فيندرج فيه ما نحن فيه اندراجا

اوليا

اوليا وعنه صلى الله عليه وسلم انه قرأها فقال مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا والآخرة فيندرج فيه وما نحن فيه
اندراجا اوليا وعنه صلى الله عليه وسلم انه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن
شدائد يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم اني لاعلم آية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال
يقرأها ويعيدها وروي ان عوف بن مالك الاشجعي اسر المشركون ابنه سالما فاتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال اسر ابني وشكى اليه الفاقة فقال صلى الله عليه وسلم اتق الله واكثر قول لا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم ففعل فبينما هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو
فاستاقها فنزلت **ومن يتوكل على الله فهو حسبه** اي كافيه في جميع اموره **ان الله بالغ امره** بالاضافة
اي منفذ امره وقرئ بتنوين بالغ ونصب امره اي يبلغ ما يريده ولا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب
وقرئ برفع امره على انه مبتدأ وبالغ خبره مقدم والجملة خبر ان او امره مرتفع به على الفاعلية اي نافذ
امره وقرئ بالغا امره على انه حال وخبر ان قوله تعالى **قد جعل الله لكل شيء قدرا** اي تقديرا او توقيتا
او مقدارا وهو بيان لوجوب التوكل عليه تعالى وتفويض الامر اليه لانه اذا علم ان كل شيء من الرزق
ونحوه لا يكون الا بتقديره تعالى لا يبقى الا التسليم للقدر والتوكل عليه **واللائي يئسن من المحيض من نسائكم** لكبرهن وقد ورد
بستين سنة وبخمس وخمسين **ان ارتبتم** اي شككتم وجهلتم كيف عدتهن **فعدتهن ثلاثة اشهر واللائي لم يحضن**
بعد لصغرهن اي فعدتهن ايضا كذلك فحذف ثقة بدلالة ما قبله عليه **واولات الاحمال اجلهن** اي منتهى عدتهن **ان**
يضعن حملهن سواء كن مطلقات او متوفى عنهن ازواجهن وقد نسخ به عموم قوله تعالى والذين يتوفون منكم
ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا لتراخي نزوله عن ذلك لما هو المشهور من قول ابن مسعود
رضي الله عنه من شاء باهلته ان سورة النساء القصرى نزلت بعد التي في سورة البقرة وقد صح ان سبيعة
بنت الحارث الاسلمية ولدت بعد وفات زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
لها قد حللت فتزوجي **ومن يتق الله** في شان احكامه ومراعات حقوقها **يجعل له من امره يسرا** اي يسهل
عليه امره ويوفقه للخير **ذلك** اشارة الى ما ذكر من الاحكام وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار
اليه للايذان ببعد منزلته في الفضل وافراد الكاف مع ان الخطاب للجميع كما يفصح عنه قوله تعالى **امر**
الله انزله اليكم لما انها لمجرد الفرق بين الحاضر والمنقضي لا لتعيين خصوصية المخاطبين وقد مر في قوله تعالى
ذلك يوعظ به من كان يؤمن بالله من سورة البقرة **ومن يتق الله** بالمحافظة على احكامه **يكفر عنه سيئاته** فان
الحسنات يذهبن السيئات **ويعظم له اجرا** بالمضاعفة وقوله تعالى **اسكنوهن من حيث سكنتم** استيناف وقع جوابا
عن سؤال نشا مما قبله من الحث على التقوى كانه قيل كيف نعمل بالتقوى في شان المعتدات فقيل اسكنوهن
مسكنا من حيث سكنتم اي بعض مكان سكناكم وقوله تعالى **من وجدكم** اي من وسعكم اي مما تطيقونه عطف
بيان لقوله تعالى من حيث سكنتم وتفسير له **ولا تضاروهن** في السكنى **لتضيقوا عليهن** وتلجئوهن الى الخروج
وان كن اي المطلقات **اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن** فيخرجن من العدة اما المتوفى عنهن ازواجهن
فلا نفقة لهن **فان ارضعن لكم** بعد ذلك **فآتوهن اجورهن** على الارضاع **وأتمروا بينكم بمعروف** اي تشاوروا
حقيقة ليأمر بعضكم بعضا بجميل في الارضاع والاجر ولا يكن من الاب مماكسة ولا من الام معاسرة **وان**
تعاسرتم اي تضايقتم **فسترضع له اخرى** اي فستوجد ولا تعوز مرضعة اخرى وفيه معاتبة للام على المعاسرة
لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله وان قل اي لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما يبلغه
وسعه **لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها** جل او قل فانه تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر
وترغيب له في بذل مجهوده وقد اكد ذلك بالوعد حيث قيل **سيجعل الله بعد عسر يسرا** اي عاجلا او آجلا **وكأين من قرية**
اي كثير من اهل قرية **عتت** اعرضت **عن امر ربها ورسله** بالعتو والتمرد والعناد **فحاسبناها حسابا شديدا**

بالاستقصا والتنقير والمناقشة في كل نقير وقطمير وعذبناها عذابا نكرا اي منكرا عظيما وقرئ نكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير عنهما بلفظ الماضي للدلالة على تحققهما كما في قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا هابلا خسر وراءه اعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيانا لكونه مترقبا كانه قيل اعد الله لهم هذا العذاب فاتقوا الله يا اولي الالباب ويجوز ان يراد بالحساب استقصاء ذنوبهم واثباتها في صحايف الحفظة وبالعذاب ما اصابهم عاجلا وقد جوز ان يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية واعد الله لهم جوابا لقوله تعالى الذين امنوا منصوب باضمار اعني بيان للمنادي اي عطف بيان له او نعت وفي ابداله منه ضعف لتعذر حلوله محله قد انزل الله اليكم ذكرا هو جبريل عليه السلام سمي به لكثرة ذكره او لنزوله بالذكر الذي هو القران كما ينبئ عنه ابدال قوله تعالى رسولا او لانه مذكور في السموات وفي الامم او اريد بالذكر الشرف كما في قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك كانه في نفسه شرف اما لانه شرف للمنزل عليه واما لانه ذو مجد وشرف عند الله تعالى لقوله تعالى عند ذي العرش مكين او هو النبي صلى الله عليه وسلم وعليه الاكثر عبر عنه بالذكر لمواظبته على تلاوة القران او تبليغه والتذكير به وعبر عن ارساله بالانزال بطريق الترشيح او لانه مسبب عن انزال الوحي اليه وابدل منه رسولا للبيان او هو القران ورسول منصوب بمقدر مثل ارسل او تذكر على اعمال المصدر المنون او بدل منه على انه بمعنى الرسالة قوله تعالى يتلو اعليكم ايات الله مبينات نعت لرسولا وايات الله القران ومبينات حال منها او حال كونها مبينات لكم ما تحتاجون اليه من الاحكام وقرئ مبينات اي بينها الله تعالى لقوله تعالى قد بينا لكم الايات واللام في قوله تعالى ليخرج الذين امنوا وعملوا الصالحات متعلقة بيتلوا وبانزل وفاعل يخرج على الاول ضمير الرسول صلى الله عليه وسلم او ضمير الجلالة والموصول عبارة عن المؤمنين بعد انزاله ليحصل لهم الرسول بانهم عليه الآن من الايمان والعمل الصالح او ليخرج من علم او قدر انه سيؤمن من الظلمات الى النور من الضلالة الى الهدى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا حسبما بين في تضاعيف ما انزل من الايات المبينات يدخله جنات تجري من تحتها الانهار وقرئ ندخله بالنون قوله تعالى خالدين فيها ابدا حال من مفعول يدخله والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضماير الثلاثة باعتبار لفظها وقوله تعالى قد احسن الله له رزقا حال اخرى منه او من الضمير في خالدين بطريق التداخل وافراد ضمير له قد مر وجهه وفيه معنى التعجب والتعظيم لما رزقه الله المؤمنين من الثواب الله الذي خلق سبع سموات مبتدا وخبر ومن الارض مثلهن اي خلق من الارض مثلهن في العدد وقرئ مثلهن بالرفع على انه مبتدا ومن الارض خبره واختلف في كيفية طبقات الارض قال الجمهور على انها سبع ارضين طبقا فبعضها فوق بعض بين كل ارض وارض مسافة كما بين السماء والارض وفي كل ارض سكان من خلق الله تعالى وقال الضحاك مطبقة بعضها فوق بعض من غير فتوق بخلاف السموات قال القرطبي والاول اصح لان الاخبار دالة عليه كما روى البخاري وغيره من ان كعبا حلف بالذي فلق البحر لموسى ان صهيبا حدثه ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ير قرية يريد دخولها الا قال حين يراها اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما ذرين نسالك خير هذه القرية وخير اهلها ونعوذ بك من شرها وشر اهلها ومن فيها وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان نافع بن الازرق ساله هل تحت الارضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال اما ملايكة او جن قال الماوردي وعلى هذا تختص دعوة الاسلام باهل الارض العليا دون من عداهم وان كان فيهن من يعقل من خلق وفي مشاهدتهم السماء واستمدادهم الضوء قولان احدهما انهم يشاهدون السماء من كل جانب من ارضهم ويستمدون الضياء منها والثاني انهم لا يشاهدون السماء وان الله تعالى خلق لهم ضياء وشاهده وحكى الكلبي عن ابن صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما انها سبع ارضين متفرقة بالبحار وتظل الجميع السماء

يتنزل الامر بينهن اي يجري امره وقضاؤه بينهن وينفذ ملكه فيهن وعن قتادة في كل سماء وفي كل ارض خلق من خلقه او امر من امره وقضاء من قضائه وقيل هو ما يدبر فيهن من عجايب تدبيره وقرئ ينزل الامر لتعلموا ان الله على كل شيء قدير متعلق بخلق او بيتنزل او بمضمرعمهما او فعل ذلك لتعلموا ان من قدر على من ذكر قادر على كل شيء وان الله قد احاط بكل شيء علما لاستحالة صدورها الا فاعيل المذكورة ممن ليس كذلك ويجوز ان يكون العامل في اللام بيان ما ذكر من الخلق وتنزل الامر اي اوحى ذلك وبينه لتعلموا بما ذكر من الامور التي تشاهدونها والتي تتلقونها من الوحي من عجايب المصنوعات انه لا يخرج عن قدرته وعلمه شيء اصلا وقرئ ليعلموا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم احينا على سنة نبيك وامتنا

سورة التحريم وهي اثنى عشر اية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك روي ان النبي صلى الله عليه وسلم خلا بمارية في يوم عايشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمي علي فقد حرمت مارية على نفسي وابشرك ان ابا بكر وعمر يملكان بعدي امر امتي فاخبرت به عايشة وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها في يوم حفصة فارضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه فنزل جبريل عليه السلام فقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها لمن نسايك في الجنة وروي انه صلى الله عليه وسلم شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش فتواطات عايشة وحفصة فقالتا نشم منك رايحة المغافير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره التفل فحرم العسل فنزلت فمعناه لم تحرم ما احل الله لك من ملك اليمين او من العسل تبتغي مرضات ازواجك اما تفسير لتحرم او حال من فاعله او استيناف ببيان ما دعاه اليه موذن بعدم صلاحيته لذلك والله غفور مبالغ في الغفران قد غفر لك هذه الزلة رحيم قد رحمك ولم يواخذك وانما عاتبك محاماة على عصمتك قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم اي شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة او بالاستثناء متصلا حتى لا يحنث والاول هو المراد ها هنا والله مولاكم سيدكم ومتولي اموركم وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه لكم الحكيم المتقن في افعاله واحكامه فلا يامركم ولا ينهاكم الا حسبما تقتضيه الحكمة واذ اسر النبي الى بعض ازواجه وهي حفصة حديثا اي حديث تحريم مارية او العسل او امر الخلافة فلما نبات به اي اخبرت حفصة عايشة بالحديث وافشته اليها وقرئ انبات به واظهره الله عليه اي اطلع الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم على افشاء حفصة عرف اي النبي صلى الله عليه وسلم حفصة بعضه بعض الحديث الذي افشته قيل هو حديث الامامة روي انه صلى الله عليه وسلم قال لها الم اقل لك اكتمي علي فقالت والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله تعالى بها اباها واعرض عن بعض اي عن تعريف بعض تكرما قيل هو حديث مارية فلما نباها به اي اخبر النبي صلى الله عليه وسلم حفصة بما عرفه من الحديث قالت من انباك هذا اي افشاها للحديث قال نباني العليم الخبير الذي لا يخفى عليه خافية ان تتوبا الى الله خطاب لحفصة وعايشة على الالتفات للمبالغة في العتاب فقد صغت قلوبكما الفاء للتعليل كما في قولك اعبد ربك فالعبادة حق اي فقد وجد منكما ما يوجب التوبة من ميل قلوبكما عما يجب عليكما من مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وقرئ فقد زاغت وان تظاهرا عليه باسقاط احدى التاءين وقرئ على الاصل وبتشديد الظاء وتظهرا اي ان تتعاونا عليه بما يسوءه من الافراط في الغيرة وافشاء سره فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المومنين اي فلن يعدم من يظاهره فان الله هو ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن صلح من المومنين اتباعه واعوانه قال ابن عباس رضي الله عنهما اراد بصالح المومنين ابا بكر وعمر رضي الله عنهما وقد روي ان ذلك مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم وبه قال عكرمة ومقاتل وهو اللايق بتوسيطه بين جبريل والملايكة عليهم السلام فانه جمع بين الظهير المعنوي والظهير الصوري كيف لا وان جبريل ظهير له صلى الله عليه

يؤيده بالتأييدات الالهية ويمدانه وبراه في تدبير امور الرسالة وتمشية احكامها الظاهرة ولان بيان مظاهرتهما
له صلى الله عليه وسلم اشد تاثيرا في قلوبهما وتوهينا لامرهما فكان حقيقا بالتقدم بخلاف ما اذا اريد
جنس الصالحين من جموعهم بعد ذلك قيل اي بعد نصرة الله عز وجل وناموسه الاعظم وصالح المؤمنين
ظهير اي فوج مظاهر له كانهم يد واحدة على من يعاديه فما ذا يفيد تظاهر امراتين على من هؤلاء ظهراؤه وما
ينبئ عنه قوله تعالى بعد ذلك من فضله نصرتهم على نصرة غيرهم من حيث ان نصرة الكل نصرة الله تعالى
بهم ومظاهرتهم افضل من سائر وجوه نصرته هذا ما قالوا ولعل الانسب ان يجعل ذلك اشارة الى مظاهرة
صالح المؤمنين خاصة ويكون بيان بعديته مظاهرة الملائكة تداركا لما يوهمه الترتيب الذكري من
افضلية المقدم فكانه قيل بعد ذكر مظاهرة صالح المؤمنين سائر والملائكة بعد ذلك ظهير له صلى الله عليه
وسلم اي انما يعلون رتبة مظاهرتهم بعلو منزلتها وجبرا لفضلها عن مظاهرة جبريل عليه السلام عسى ربه
ان طلقكن ان يبدله اي يعطيه صلى الله عليه وسلم بدلكن ازواجا خيرا منكن على التغليب او تعميم الخطاب
وليس فيه ما يدل على انه صلى الله عليه وسلم لم يطلق حفصة وان في النساء خيرا منهن فان تعليق
طلاق الكل لا ينافي تطليق واحدة وما علق بما لم يقع لا يجب وقوعه وقرئ ان يبدله بالتشديد
مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات او منقادات مصدقات قانتات مصليات او مواظبات على الطاعة
تائبات من الذنوب عابدات متعبدات اي متذللات لامر الرسول صلى الله عليه وسلم سائحات
صائمات سمي الصائم سائحا لانه يسيح في النهار بلا زاد او مهاجرات وقرئ سيحات ثيبات وابكارا
وسط بينهما العاطف لتنافيهما يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات واهليكم بان تأخذوهم
بما تاخذون به انفسكم وقرئ واهلوكم عطفا على واو قوا فيكون انفسكم عبارة عن انفس الكل على تغليب
المخاطبين اي قوا انتم واهلوكم انفسكم نارا وقودها الناس والحجارة اي نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب
وامر المؤمنين باتقاء هذه النار المعدة للكافرين كما نص عليه في سورة البقرة للمبالغة في التحذير عليها ملائكة
اي تلي امرها وتعذيب اهلها وهم الزبانية غلاظ شداد غلاظ الاقوال شداد الافعال او غلاظ الخلق شداد
الخلق اقوياء على الافعال الشديدة لا يعصون الله ما امرهم اي امره على انه بدل اشتمال من الله او فيما امرهم
به على نزع الخافض اي لا يمتنعون من قبول الامر ويلتزمونه ويفعلون ما يؤمرون اي ويؤدون ما يؤمرون به
من غير تثاقل ولا توان وقوله تعالى يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم مقول لقول قد حذف ثقة بدلالة الحال
عليه اي يقال لهم ذلك عند دخول الملائكة ادخالهم النار حسبما امروا به انما تجزون ما كنتم تعملون في الدنيا
من الكفر والمعاصي بعد ما نهيتم عنها اشد النهي وامرتم بالايمان والطاعة فلا عذر لكم قطعا يا ايها الذين آمنوا
توبوا الى الله توبة نصوحا اي بالغة في النصح وصفت التوبة بذلك على الاسناد المجازي وهو وصف التائبين
وهو ان ينصحوا بالتوبة انفسهم فياتوا بها على طريقتها وذلك ان يتوبوا عن القبائح لقبحها نادمين عليها
مغتمين اشد الاغتمام لارتكابها عازمين على انهم لا يعودون في قبيح من القبائح موطنين انفسهم على ذلك
بحيث لا يلويهم عنه صارف اصلا وعن علي رضي الله عنه ان التوبة يجمعها ستة اشياء على الماضي من الذنوب
الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لا تعود وان تذيب نفسك
في طاعة الله تعالى كما ربيتها في المعصية وان تذيقها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعاصي وعن شهر بن
حوشب ان لا يعود ولو حز بالسيف واحرق بالنار وقيل نصوحا من نصاحة الثوب اي توبة ترفو خروقك
في دينك وترم خللك وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح اذا خلص من الشمع ويجوز ان يراد توبة تنصح الناس
اي تدعوهم الى مثلها لظهور اثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة في العمل بمقتضياتها وقرئ
توبا نصوحا وقرئ نصوحا وهو مصدر نصح فان النصح والنصوح كالشكر والشكور اي ذات نصوح او

تنصح

تنصح نصوحا او توبوا النصح انفسكم على انه مفعول عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار
ورد صيغة الاطماع جريا على سنن الكبرياء والاشعار بانه تفضل والتوبة غير موجبة له وان العبد ينبغي
ان يكون بين خوف ورجاء وان بالغ في وظائف اقامة العبادة يوم لا يخزي الله النبي ظرف ليدخلكم والذين آمنوا
معه عطف على النبي وفيه تعريض بمن اخزاهم الله تعالى من اهل الكفر والفسوق واستحماد للمؤمنين على انه عصمهم
من مثل حالهم وقيل هو مبتدا خبره قوله تعالى نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم او وعلى الثاني خبر آخر للموصول اي
يقولون اذا طفئ نور المنافقين ربنا اغفر لنا ذنوبنا انك على كل شيء قدير وقيل يدعون تقربا الى الله تعالى مع
تمام نورهم وقيل تتفاوت انوارهم بحسب اعمالهم فيسألون اتمامه تفضلا وقيل السابقون الى الجنة يمرون
مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفا واولئك الذين يقولون ربنا اتمم لنا نورنا
يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم واستعمل الخشونة على الفريقين فيما تجاهدهما من القتال
والمحاجة ومأواهم جهنم يرون فيها عذابا غليظا وبئس المصير اي جهنم او مصيرهم ضرب الله مثلا للذين كفروا
ضرب المثل في امثال هذه المواقع عبارة عن ايراد حالة غريبة ليعرف بها حالة اخرى مشاكلة لها في الغرابة
اي جعل الله مثلا لحال هؤلاء الكفرة حالا ومآلا على ان مثلا مفعول ثان لضرب واللام متعلقة به وقوله
تعالى امرات نوح وامرات لوط اي حالهما مفعوله الاول اخر عنه ليتصل به ما هو شرح وتفسير
لحالهما ويتضح بذلك حال هؤلاء فقوله تعالى كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين بيان لحالهما الداعية الى
الخير والصلاح اي كانتا في عصمة نبيين عظيمي الشان متمكنتين من تحصيل خيري الدنيا والآخرة وحيازة سعادتهما
وقوله تعالى فخانتاهما بيان لما صدر عنهما من الخيانة العظيمة مع تحقق ما ينفيها من صحبة النبي اي خانتا
بالكفر والنفاق وهذا تصوير لحالهما المحاكية لحال هؤلاء الكفرة في خيانتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالكفر والعصيان مع تمكنهم التام من الايمان والطاعة وقوله تعالى فلم يغنيا الى آخره بيان لما ادى اليه
خيانتهما اي فلم يغنيا النبيان عنهما بحق الزواج من الله تعالى اي من عذابه تعالى شيئا اي شيئا من
الاغناء وقيل لهما عند موتهما او يوم القيامة ادخلا النار مع الداخلين اي مع سائر الداخلين من الكفرة
الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرات فرعون اي جعل حالها مثلا لحال المؤمنين
في ان وصلة الكفرة لا تضرهم حيث كانت في الدنيا تحت اعدى اعداء الله وهي في اعلى غرف الجنة و
قوله تعالى اذ قالت ظرف لمحذوف اشير اليه اي ضرب الله مثلا للمؤمنين حالها اذ قالت رب ابن
لي عندك بيتا في الجنة قريبا من رحمتك او في اعلى درجات المقربين روي انها لما قالت ذلك اريت
بيتها في الجنة من درة وانتزع روحها ونجني من فرعون وعمله اي من نفسه الخبيثة وعمله السيء ونجني
من القوم الظالمين من القبط التابعين له في الظلم ومريم ابنت عمران عطف على امرات فرعون تسلية
للارامل اي وضرب الله مثلا للذين آمنوا حالها وما اوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على
نساء العالمين مع كون قومها كفارا التي احصنت فرجها فنفخنا فيه وقرئ فيها اي في مريم من روحنا
من روح خلقناه بلا توسط اصل وصدقت بكلمات ربها بصحفه المنزلة او بما اوحى الى انبيائه وكتبه
بجميع كتبه المنزلة وقرئ بكلمة الله وكتابه اي بعيسى وبالكتاب المنزل عليه وهو الانجيل وكانت من
القانتين اي من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والاشعار بان طاعتها لم تقصر عن طاعات
الرجال حتى عدت من جملتهم او من نسلهم لانها من اعقاب هرون اخي موسى عليهما السلام وعن النبي صلى الله عليه
وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسيه بنت مزاحم ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد
وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وعن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التحريم اعطاه الله تعالى توبة نصوحا اللهم ارزقنا توبة نصوحا

اتمم لنا نورنا

سورة الملك وهي ثلثون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **تبارك الذي بيده الملك** البركة والنما والزيادة حسية كانت او عقلية وكثرة الخير ودوامه ايضا
ونسبتها الى الله عز وجل على المعنى الاول وهو الاليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه في ذاته وصفاته وافعاله
وصيغة التفاعل للمبالغة في ذلك فان ما لا يتصور نسبته الى الله تعالى من الصنع كالتكبر ونحوه انما ينسب اليه
سبحانه باعتبار غاياتها وعلى الثاني باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته من فنون الخيرات والصيغة حينئذ
يجوز ان تكون لافادة نمو تلك الخيرات وازديادها شيئا فشيئا واناً فاناً بحسب حدوثها او حدوث متعلقاتها
ولاستقلالها بالدلالة على غاية الكمال وانبائها عن نهاية التعظيم لم يجز استعمالها في حق غيره سبحانه من الصنع
في حقه سبحانه وتعالى واسنادها الى الموصول للاستشهاد بما في حيز الصلة على تحقق مضمونها واليد مجاز
من القدرة التامة والاستيلاء الكامل اي تعالى وتعاظم بالذات عن كل ما سواه ذاتاً وصفةً وفعلاً الذي
بقبضة قدرته التصرف الكلي في كل الامور **وهو على كل شيء** من الاشياء **قدير** مبالغ في القدرة عليه يتصرف
فيهما حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة والجملة معطوفة على الصلة مقررة لمضمونها مفيدة لجريان
احكام ملكه تعالى في جلائل الامور ودقائقها **الذي خلق الموت والحيوة** شروع في تفصيل بعض احكام الملك وآثار
القدرة وبيان ابتنائها على قوانين الحكم والمصالح واستتباعها الغايات جليلة والموصول بدل من الموصول داخل
معه في حكم الشهادة بتعاليه تعالى والموت عند اصحابنا صفة وجودية مضادة للحياة واما ما روي عن ابن
عباس رضي الله عنهما من انه تعالى خلق الموت في صورة كبش املح لا يمر بشيء ولا يجد رائحته شيء الا مات وخلق الحياة
في صورة فرس بلقاء لا تمر بشيء ولا يجد رائحتها شيء الا حيي فكلام وارد على منهاج التمثيل التصويري وقيل هو عدم الحيوة
ومعنى خلقه حينئذ تقديره او ازالة الحيوة واياما كان فالاقرب ان المراد به الموت الطاري وبالحياة ما قبله
وما بعده لظهور مداريتهما لما ينطق به قوله تعالى **ليبلوكم ايكم احسن عملا** فان استدعاء ملاحظتهما لاحسان العمل
مما لا ريب فيه مع ان نفس العمل لا يتحقق بدون الحيوة الدنيوية وتقديم الموت لكونه ادعى الى العمل واللام متعلقة
بخلق اي خلق موتكم وحياتكم وعلى ان الالف واللام عوض عن المضاف اليه ليعاملكم معاملة من يختبركم ايكم احسن
عملا فيجازيكم على مراتب متفاوتة حسب تفاوت صفات علومكم واعمالكم فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك
فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله فان الكل من القلب والقالب
عملا خاصا به فكما ان الاول اشرف من الثاني كذلك الحال في عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفة الله عز وجل الواردة
على العبادة اثر ذي اثر وانما طريقها النظري التفكر في امر الله عز وجل الذي هو عمل القلب ضرورة ان احداً
لا يقدر ان يعمل بجوارحه كل يوم مثل عمل اهل الارض وتعليق فعل البلوى اي تعقيبه بحرف الاستفهام لا التعلق
المشهور الذي يقتضي عدم ايراد المفعول اصلا مع اختصاصه بافعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته
كالنظر ودلايله ولذلك اجرى مجراه بطريق التمثيل وقيل بطريق الاستعارة التبعية وايراد صيغة التفضيل
مع ان الابتلاء شامل لهم باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح لا الى الاحسن والاحسن فقط للايذان بان
المراد بالذات والمقصد الاصلي من الابتلاء هو ظهور كمال احسان المحسنين مع تحقق اصل الايمان والطاعة في الباقين
ايضا لكمال تعاضد الموجبات له واما الاعراض عن ذلك فبمعزل عن الاندراج تحت الوقوع فضلا عن الانتظام في
سلك الغاية للافعال الالهية وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب وفيه من
الترغيب في الترقي الى معارج العلوم ومدارج الطاعات والزجر عن مباشرة نقايضها ما لا يخفى **وهو العزيز** الغالب
الذي لا يفوته من اساء العمل **الغفور** لمن تاب منهم **الذي خلق سبع سموات** قيل هو نعت للعزيز الغفور او بيان
او بدل والاوجه انه نصب او رفع على المدح متعلق بالموصولين التابعين معنى وان كان منقطعا عنهما اعرابا
كما مر تفصيله في قوله تعالى الذين يومنون بالغيب من سورة البقرة منتظم معهما في سلك الشهادة بتعاليه

سبحانه ومع الموصول الثاني في كونه مداراً للبلوى كما نطق به قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة
ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا وقوله تعالى **طباقا** صفة لسبع سموات اي مطابقة على انه
مصدر طابقت النعل اذا خصفتها وصف به المفعول او مصدر مؤكد لمحذوف هو صفتها اي طوبقت طباقا
وقوله تعالى **ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت** صفة اخرى لسبع سموات وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم
والاشعار بعلة الحكم وبانه تعالى خلقها بقدرته القاهرة رحمة وتفضلا وبان في ابداعها نعماً جليلة او استينافاً
والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ولكل احد ممن يصلح للخطاب ومن لتاكيد النفي اي ما ترى فيه شيئا من تفاوت
اي اختلاف وعدم تناسب من الفوت فان كلا من المتفاوتين يفوت منه بعض ما في الآخر وقرئ من تفوت ومعناهما
واحد وقوله تعالى **فارجع البصر هل ترى من فطور** متعلق به على معنى التسبب حيث اخبر اولا بانه لا تفاوت في
خلقهن ثم قيل فارجع البصر حتى يتضح لك بالمعاينة ولا يبقى عندك شبهة ما والفطور الشقوق والصدوع
جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر **ثم ارجع البصر كرتين** اي رجعتين اخريين في ارتياد الخلل والمراد
بالتثنية التكرير والتكثير كما في لبيك وسعديك اي رجعة بعد رجعة وان كثرت كرتين **ينقلب اليك البصر خاسئا**
اي بعيدا محروما من اصابة ما التمسه من العيب والخلل كانه يطرد عن ذلك طردا بالصغار والقماءة **وهو حسير**
اي كليل بطول المعاودة وكثرة المراجعة قوله تعالى **ولقد زينا السماء الدنيا** بيان لكون خلق السموات في غاية الحسن
والبهاء اثر بيان خلوها عن شائبة القصور وتصدير الجملة بالقسم لابراز كمال الاعتناء بمضمونها اي وبالله لقد زينا
اقرب السموات الى الارض **بمصابيح** اي بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج من السيارات والثوابت تتراءى كانها
كلها مركوزة فيها مع ان بعضها في سائر السموات وما ذاك الا لان كل واحدة منها مخلوقة على نمط رائق يحار في
فهمه الافكار وطراز فائق يهيم في دركه الانظار **وجعلناها رجوما للشياطين** اي وجعلنا لها فائدة اخرى
هي رجم اعدائكم بانقضاض الشهب المقتبسة من نار الكواكب وقيل معناه وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب
لشياطين الانس وهم المنجمون ولا يساعده المقام والرجوم جمع رجم بالفتح وهو ما يرجم به **واعتدنا لهم** في الآخرة
عذاب السعير بعد الاحراق في الدنيا بالشهب **وللذين كفروا بربهم** من الشياطين وغيرهم **عذاب جهنم** وقرئ
بالنصب على انه عطف على عذاب السعير وللذين على لهم **وبئس المصير** اي جهنم **اذا القوا فيها سمعوا لها** اي لجهنم
وهو متعلق بمحذوف وقع حالا من قوله تعالى **شهيقا** لانه في الاصل صفة فلما قدمت صارت حالا اي سمعوا كائنا
لها شهيقا اي صوتا كصوت الحمير وهو حسيسها المنكر الفظيع وقالوا الشهيق في الصدر والزفير في الحلق
وهي تفور اي والحال انها تغلي بهم غليان المرجل بما فيه وجعل الشهيق لاهلها منهم وممن طرح فيها قبلهم
كما في قوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق فانه صريح في انه من آثار الغضب عليهم كما في قوله تعالى سمعوا لها تغيظا
وزفيرا فاين هو من شهيقهم الناشي من شدة ما يقاسونه من العذاب الاليم والجملة اما حال من فاعل تفور او خبر
آخر قوله تعالى **كلما القي فيها فوج** استيناف مسوق لبيان حال اهلها بعد بيان حال انفسها وقيل حال من ضميرها
اي كلما القي فيها جماعة من الكفرة **سالهم خزنتها** بطريق التوبيخ والتقريع ليزدادوا عذابا فوق عذاب وحسرة على
حسرة **الم ياتكم نذير** يتلو عليكم ايات ربكم وينذركم لقاء يومكم هذا كما وقع في سورة الزمر ويعرب عن جوابهم
ايضا **قالوا** اعترافا بانه تعالى قد ازاح عللهم بالكلية **بلى قد جاءنا نذير** جامعين بين حرف الجواب ونفس الجملة
المجاب بها مبالغة في الاعتراف بمجيء النذير وتحسرا على ما فاتهم من السعادة في تصديقهم وتمهيدا لما وقع
منهم من التفريط تندما واغتماما على ذلك اي على كل فوج من تلك الافواج قد جاءنا نذير اي واحد حقيقة او حكما كانبياء
بني اسرائيل فانهم في حكم نذير واحد فانذرنا وتلا علينا ما نزل الله تعالى عليه من آياته **فكذبنا** ذلك النذير في
كونه نذيرا من جهته تعالى **وقلنا** في حق ما تلاه من الآيات افراطا في التكذيب وتماديا في النكير **ما نزل الله** على احد
من شيء من الاشياء فضلا عن تنزيل الآيات عليكم **ان انتم** اي ما انتم في ادعاء انه تعالى نزل عليكم آيات تنذرونا

يرده قوله تعالى **تكاد تميز** اي تتميز
وتتفرق **من الغيظ** اي من شدة
الغضب عليهم لهم فيها
صح

بما فيها **الا في ضلال كبير** بعيد عن الحق والصواب وجمع ضمير المخاطب مع ان المخاطب كل فوج نذير والتغليبه
على امثاله مبالغة في التكذيب وتماديا في التضليل كما ينبئ عنه تعميم المنزل مع ترك ذكر المنزل عليه فانه يلوح
بعمومه حتما واما اقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل فامر تحقيقي يصار اليه لتهويل ما ارتكبوه من الجناية
لا مساغ لاعتباره من جهتهم ولا لاد راجه تحت عبارتهم كيف لا وهو منوط بملاحظة اجماع النذر على ما لا يختلف
من الشرايع والاحكام • باختلاف العصور والاعوام • واين هم من ذلك ولقد حال الجريض دون القريض هذا
اذا جعل ما ذكر حكاية من كل واحد من الافواج واما اذا جعل حكاية عن الكل فالنذير اما بمعنى الجمع لانه فعيل او مصدر مقدر
بمضاف عام اي اهل نذير او منعوت به فيتفق كلا طرفي الخطاب في الجمعية ومن اعتبر الجمعية باحد الوجوه الثلاثة على
التقدير الاول لم يخص اعتبارها بالتقدير الاخير فقد اشتبهت عليه الشئون • واختلطت به الظنون • وقد جوز ان
يكون الخطاب من كلام الخزنة للكفار على ارادة القول على ان مرادهم بالضلال ما كانوا عليه في الدنيا او هلاكهم او عن
ضلالهم تسمية لهم باسم سببه وان يكون من كلام الرسل للكفرة وقد حكوه للخزنة فتأمل وكن على الحق المبين **وقالوا** ايضا
معترفين بانهم لم يكونوا فيمن يسمع او يعقل **لو كنا نسمع** اي كلاما **او نعقل** شيئا **ما كنا في اصحاب السعير** اي في عدادهم
ومن اتباعهم وهم الشياطين لقوله تعالى واعتدنا لهم عذاب السعير كان الخزنة قالوا لهم في تضاعيف التوبيخ الم
تسمعوا آيات ربكم ولم تعقلوا معانيها حتى لا تكذبوا بها فاجابوا بذلك **فاعترفوا بذنبهم** الذي هو كفرهم وتكذيبهم
بآيات الله ورسله **فسحقا** بسكون الحاء وقرئ بضمها مصدر مؤكد اما لفعل متعد من المزيد بحذف الزوائد
كما في قعدك الله اي فاسحقهم الله اي ابعدهم من رحمته سحقا اي اسحاقا او لفعل مترتب على ذلك الفعل اي
فاسحقهم الله فسحقوا اي بعدوا سحقا اي بعدا كما في قول من قال • وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع • من المال
الا مسحت او مجلف • اي لم تدع ولم تبق الا مسحت الى آخره وعن هذين الوجهين قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا
واللام في قوله تعالى **لاصحاب السعير** للبيان كما في هيت لك ونحوه والمراد بهم الشياطين والداخلون في عدادهم
بطريق التغليب **ان الذين يخشون ربهم بالغيب** اي يخافون عذابه غائبا عنهم او غائبين عنه او عن اعين الناس او بما خفي
منهم وهو قلوبهم **لهم مغفرة** عظيمة لذنوبهم **واجر كبير** لا يقادر قدره **واسروا قولكم او اجهروا به** بيان لتساوي
السر والجهر بالنسبة الى علمه تعالى كما في قوله تعالى سواء منكم من اسر القول ومن جهر به قال ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما نزلت في المشركين كانوا ينالون من النبي صلى الله عليه وسلم فيوحى اليه صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم
لبعض اسروا قولكم كي لا يسمع رب محمد فقيل لهم اسروا ذلك او اجهروا به فان الله يعلمه وتقديم السر على الجهر
للايذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه من اول الامر والمبالغة في بيان شمول علمه المحيط بجميع المعلومات كان
علمه تعالى بما يسرونه اقدم منه بما يجهرون به مع كونهما في الحقيقة على السوية فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق
حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى او لان مرتبة السر متقدمة على مرتبة الجهر
اذ ما من شيء يجهر به الا وهو او مباديه مضمر في القلب يتعلق به الاسرار غالبا فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى
متقدم على تعلقه بحالته الثانية قوله تعالى **انه عليم بذات الصدور** تعليل لما قبله وتقرير له في صيغة الفعل
وتحلية الصدور بلام الاستغراق ووصف الضمائر بصاحبتها من الجزالة ما لا غاية وراءه كانه قيل انه مبالغ
في الاحاطة بمضمرات جميع الناس واسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تكاد تفارقها اصلا
فكيف يخفى عليه ما يسرونه ويجهرون به ويجوز ان يراد بذات الصدور القلوب التي في الصدور والمعنى انه
عليم بالقلوب واحوالها فلا يخفى عليه سر من اسرارها قوله تعالى **الا يعلم من خلق** انكار ونفي لعدم احاطة علمه تعالى
بالمضمر والمظهر اي الا يعلم السر والجهر من اوجد بموجب حكمته جميع الاشياء التي هما من جملتها قوله تعالى
وهو اللطيف الخبير حال من فاعل يعلم موكدة للانكار والنفي اي الا يعلم ذلك والحال ان المتوصل علمه الى
ما ظهر من خلقه وما بطن ويجوز ان يكون من خلق منصوبا والمعنى الا يعلم الله من خلقه والحال انه بهذه المثابة

من شمول العلم ولا مساغ لاخلاء العلم عن المفعول باجرائه مجرى يعطي ويمنع على معنى ان لا يكون عالما من خلق لان الخلق
لا يتأتى بدون العلم لخلو الحال حينئذ عن الافادة لان نظم الكلام حينئذ الا يكون عالما وهو مبالغ في العلم
الذي جعل لكم الارض ذلولا لينة يسهل عليكم السلوك فيها وتقديم على مفعولي الجعل مع ان حقه التأخر
عنهما للاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر فان ما حقه التقديم اذا اخر لا سيما عند كون المقدم مما يدل
على كون المؤخر من منافع المخاطبين تبقى النفس مترقبة لوروده فيتمكن لديها عند ذكره فضل تمكن والفاء في قوله
تعالى **فامشوا في مناكبها** لترتيب الامر على الجعل المذكور اي فاسلكوا في جوانبها او جبالها وهو مثل لفرط التذلل
فان منكب البعير ارق اعضائه وانباها عن ان يطأه الراكب بقدمه فاذا جعل الارض في الذل بحيث يتأتى المشي
في مناكبها لم يبق منها شيء لم يتذلل **وكلوا من رزقه** والتمسوا من نعم الله تعالى **واليه النشور** اي المرجع بعد
البعث لا الى غيره فبالغوا في شكر نعمه وآلائه **ءامنتم من في السماء** اي الملائكة الموكلين بتدبير هذا العالم او
الله سبحانه على تأويل من في السماء امره وقضاؤه او على زعم العرب حيث كانوا يزعمون انه تعالى في السماء
اي ءامنتم من تزعمون انه في السماء وهو متعال عن المكان **ان يخسف بكم الارض** بعد ما جعلها لكم ذلولا تمشون
في مناكبها وتاكلون من رزقه لكفرانكم تلك النعمة اي يقلبها ملتبسة بكم فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو
بدل اشتمال من قبل وهو على حذف الجار اي من ان يخسف **فاذا هي تمور** اي تضطرب ذهابا ومجيئا على
خلاف ما كانت عليه من الذل والاطمئنان **ام امنتم من في السماء** اضراب عن التهديد بما ذكر وانتقال الى
التهديد بوجه آخر اي بل ءامنتم من في السماء **ان يرسل عليكم حاصبا** اي حجارة من السماء كما ارسلها على قوم لوط
واصحاب الفيل وقيل ريحا فيها حجارة وحصباء كانها تقلع الحصباء لشدتها وقوتها وقيل هي سحاب فيها حجارة
فستعلمون عن قريب البتة **كيف نذير** اي انذاري عند مشاهدتكم للمنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ وقرئ
فسيعلمون بالياء **ولقد كذب الذين من قبلهم** من قبل كفار مكة من كفار الامم السالفة كقوم نوح وعاد واضرابهم
والالتفات الى الغيبة لابراز الاعراض عنهم **فكيف كان نكير** اي انكاري عليهم بانزال العذاب اي كان على غاية
الهول والفظاعة وهذا هو مورد التاكيد القسمي لا تكذيبهم فقط وفيه من المبالغة في تسلية رسول الله صلى
الله عليه وسلم وتشديد التهديد ما لا يخفى **اولم يروا** اغفلوا ولم ينظروا **الى الطير فوقهم صافات** باسطات اجنحتهن
في الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا **ويقبضن** اجنحتهن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن
حينا فحينا للاستظهار به على التحرك وهو السر في ايثار يقبضن الدال على تجدد القبض تارة بعد تارة وعلى
قابضات **ما يمسكهن** في الجو عند الصف والقبض على خلاف مقتضى الطبع **الا الرحمن** الواسع رحمته كل شيء
بان براهن على اشكال وخصائص وهيأهن للجري في الهوى والجملة مستأنفة او حال من الضمير في يقبضن
انه بكل شيء بصير يعلم كيفية ابداع المبدعات وتدبير المصنوعات قوله تعالى **ام من هذا الذي هو جند لكم ينصركم
من دون الرحمن** تبكيت لهم بنفي ان يكون لهم ناصر غير الله تعالى كما يلوح به التعرض لعنوان الرحمانية ويعضده
قوله تعالى ما يمسكهن الا الرحمن او ناصر من عذابه تعالى كما هو الانسب بما سيأتي بقوله تعالى ان امسك رزقه
كقوله تعالى ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا في المعنيين معا خلا ان الاستفهام هناك متوجه الى نفس
الواقع المانع وتحققه وهاهنا الى تعيين الناصر لتبكيتهم باظهار عجزهم عن تعيينه وام منقطعة مقدرة
ببل المفيدة للانتقال من توبيخهم على ترك التأمل فيما يشاهدونه من احوال الطير المنبئة عن تعاجيب آثار
قدرة الله عز وجل الى التبكيت بما ذكر والالتفات للتشديد في ذلك ولا سبيل الى تقدير الهمزة معها لان
ما بعدها من الاستفهامية وهي مبتدأ وهذا خبره والموصول مع صلته صفة كما في قوله تعالى من ذا الذي
يشفع عنده الا باذنه وايثار هذا التحقير المشار اليه وينصركم صفة لجند باعتبار لفظه من دون الرحمن
على الوجه الاول اما حال من فاعل ينصركم او نعت لمصدره وعلى الثاني متعلق بينصركم كما في قوله تعالى

من ينصرني من الله فالمعنى بل من هذا الحقير الذي هو في زعمكم جند لكم ينصركم متجاوزا نصر الرحمن او ينصركم
نصرا كائنا من دون نصره تعالى او ينصركم من عذاب كائن من عند الله عز وجل وتوهم ان ام معادلة بقوله
تعالى اولم يروا الى آخره مع القول بان من استفهامية كما يقرب له اصلا قوله تعالى ان الكافرون الا في غرور
اعتراض مقرر لما قبله ناع عليهم ما فيه من غاية الضلال اي ما هم في زعمهم انهم محفوظون من النوائب بحفظ
الهتهم لا بحفظه تعالى فقط وان الهتهم تحفظهم من باس الله الا في غرور عظيم وضلال فاحش من جهة الشيطان
ليس لهم في ذلك شيء يعتد به في الجملة والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء حالهم للاعراض عنهم وبيان
قبائحهم لغيرهم والاظهار في موقع الاضمار لذمهم في الكفر وتعليل غرورهم به والكلام في قوله تعالى ام من هذا
الذي يرزقكم ان امسك اي الله عز وجل رزقه بامساك المطر وسائر مباديه كالذي مر تفصيله فلا ان قوله تعالى
بل لجوا في عتو ونفور مبني عن مقدر يستدعيه المقام كانه قيل اثر تمام التبكيت والتعجيز لم يتاثروا بذلك
ولم يذعنوا للحق بل لجوا وتمادوا في عتو اي عناد واستكبار وطغيان ونفور شراد عن الحق قوله تعالى افمن يمشي
مكبا على وجهه اهدى الى آخره مثل ضرب للمشرك والموحد توضيحا لحالهما وتحقيقا لشان مذهبهما والفاء
لترتيب ذلك على ما ظهر من سوء حالهم وخروجهم في مهاوي الغرور وركوبهم متن عتو العلو والنفور
وعدم اهتدائهم في سلك المحاجة الى جهة يتوهم فيها رشد في الجملة فان تقدم الجملة عليها صورة انما
هو لاقتضائها الصدارة واما بحسب المعنى فالامر بالعكس كما هو المشهور حتى لو كان مكان الهمزة هل لقيل
فهل من يمشي مكبا الى آخره والمكب الساقط على وجهه يقال اكب خر على وجهه في كل خطوة لتوعر طريقه واختلال
قواه اهدى الى المقصد الذي يؤمه ام من يمشي سويا اي قائما سالما من الخبط والعثار على صراط مستقيم
مستوي الاجزاء لا عوج فيه ولا انحراف قيل خبر من الثانية محذوف لدلالة خبر الاولى عليه ولا حاجة الى
ذلك فان الثانية معطوفة على الاولى عطف المفرد على المفرد كقولك ازيد افضل ام عمرو وقيل اريد
بالمكب الاعمى وبالسوي البصير وقيل من يمشي مكبا هو الذي يحشر على وجهه الى النار ومن يمشي سويا
الذي يحشر على قدميه الى الجنة قل هو الذي انشاكم انشاء بديعا وجعل لكم السمع لتسمعوا آيات الله وتمتثلوا
بما فيها من الاوامر والنواهي وتتعظوا بمواعظها والابصار لتنظروا بها الى الآيات التكوينية المشاهدة
بشؤون الله عز وجل والافئدة لتتفكروا بها فيما تسمعونه وتشاهدونه من الآيات التنزيلية والتكوينية
وترتقوا في معارج الايمان والطاعة قليلا ما تشكرون اي باستعمالها فيما خلقت لاجله من الامور
المذكورة وقليلا نعت لمحذوف وما مزيدة لتاكيد القلة اي شكرا قليلا او زمانا قليلا تشكرون وقيل القلة عبارة
عن العدم قل هو الذي ذراكم في الارض اي خلقكم وكثركم فيها لا غيره واليه تحشرون للجزاء لا الى غيره اشتراكا
او استقلالا فابنوا امركم على ذلك ويقولون من فرط عتوهم وعنادهم متى هذا الوعد اي الحشر الموعود كما ينبئ
عنه قوله تعالى ان كنتم صادقين يخاطبون به النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حيث كانوا يشاركونه صلى
الله عليه وسلم في الوعد وتلاوة الآيات المتضمنة له وجواب الشرط محذوف اي ان كنتم صادقين فيما
تخبرونه من مجيء الساعة والحشر فبينوا وقته قل انما العلم اي العلم بوقته عند الله عز وجل لا يطلع عليه غيره كقوله
تعالى انما علمها عند ربي وانما انا نذير مبين انذركم وقوع الموعود لا محالة واما العلم بوقت وقوعه فليس من
وظائف الانذار والفاء في قوله تعالى فلما راوه فصيحة معربة عن تقدير جملتين وترتيب الشرطية عليهما كانه
قيل وقد اتاهم الموعود فراوه فلما راوه الى آخره كما مر تحقيقه في قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده الآية فقد
هناك امر واقع مترتب على ما قبله وهاهنا امر منزل منزلة الواقع وارد على طريقة الاستيناف وقوله
تعالى زلفة حال من مفعول راوا اما بتقدير المضاف اي ذا زلفة وقرب او على انه مصدر بمعنى الفاعل اي
مزدلفا او على انه مصدر نعت به مبالغة او ظرف اي راوه في مكان ذي زلفة سيئت وجوه الذين كفروا بان

بان غشيها الكآبة ورهقها القترة والذلة ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بالكفر وتعليل المساءة به
وقيل توبيخا وتشديدا لعذابهم هذا الذي كنتم به تدعون اي تطلبونه في الدنيا وتستعجلونه انكارا واستهزاء
على انه تفتعلون من الدعاء وقيل هو من الدعوى اي تدعون ان لا بعث ولا حشر وقرئ تدعون وقد روي عن
مجاهد ان الموعود عذاب يوم بدر وهو بعيد قل ارايتم اي اخبروني ان اهلكني الله اي اماتني والتعبير عنه بالا
هلاك لما كانوا يدعون عليه صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك ومن معي من المؤمنين او رحمنا بتاخير
اجالنا فنحن في جوار رحمته متربصون لاحدى الحسنيين فمن يجير الكافرين من عذاب اليم اي لا ينجيكم
منه احد متنا او بقينا ووضع الكافرين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالهلاك بالكفر وتعليل نفي
الاجارة قل هو الرحمن اي الذي ادعوكم الى عبادته مولى النعم كلها امنا به وحده لما علمنا ان كل ما سواه
فان نعمة او منعم عليه وعليه توكلنا لا على غيره اصلا لما علمنا ان ما عداه كائنا ما كان بمعزل من النفع والضر
فستعلمون عن قريب البتة من هو في ضلال مبين منا ومنكم وقرئ فسيعلمون بالياء التحتانية
قل ارايتم اخبروني ان اصبح ماؤكم غورا اي غائرا في الارض بالكلية وقيل بحيث لا تناله الدلاء وهو مصدر وصف به
فمن ياتيكم بماء معين جار او ظاهر سهل المأخذ عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الملك فكانما احيا ليلة القدر

سورة القلم وهي اثنان وخمسون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم ن بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين ويجوز ان يكون الفتح
باضمار حرف القسم في موضع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وان يكون ذلك نصبا باضمار اذكر لا فتحا كما سبق
في فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتانيث على انه علم للسورة ثم ان جعل اسما للحرف
مسرودا على نمط التعديد للتحدي باحد الطريقين المذكورين في موقعه او اسما للسورة منصوبا
على الوجه المذكور او مرفوعا على انه خبر لمبتدا محذوف فالواو في قوله تعالى والقلم للقسم وان الاقسام به
ظاهر وان اريد به الجنس فاستحقاق ما في ايدي الناس كذلك لكثرة منافعه ولو لم يكن له مزية
سوى كونه آلة لتحرير كتب الله عز قائلا لكفى به فضلا موجبا لتعظيمه وقوله تعالى ما انت بنعمة ربك بمجنون
جواب القسم والباء متعلقة بمضمر هو حال من الضمير في خبر ما والعامل فيها معنى النفي كانه قيل انت
بريء من الجنون ملتبسا بنعمة الله التي هي النبوة والرياسة العامة والتعرض لوصف الربوبية المنبئة
عن التبليغ الى معارج الكمال مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم لتشريفه صلى الله عليه وسلم والايذان
بانه تعالى يتم نعمته عليه ويبلغه من العلو الى غاية لا غاية وراءها والمراد تنزيهه صلى الله عليه وسلم عما كانوا ينسبونه
اليه من الجنون حسدا وعداوة ومكابرة مع جزمهم بانه صلى الله عليه وسلم في غاية الغايات القاصية ونهاية
النهايات النائية من حصافة العقل ورزانة الراي وان لك بمقابلة مقاساتك الوان الشدائد من جهتهم
وتحملك لاعباء الرسالة لاجرا لثوابا عظيما لا يقادر قدره غير ممنون مع عظمه كقوله تعالى عطاء غير مجذوذ
او غير ممنون عليك من جهة الناس فانه عطاؤه تعالى بلا توسط وانك لعلى خلق عظيم لا يدرك شاوه احد
من الخلق ولذلك يحتمل من جهتهم ما لا يكاد يحتمله البشر وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه صلى الله
عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن الست تقرا القرآن قد افلح المؤمنون والجملتان معطوفتان على جواب
القسم فستبصر ويبصرون قال ابن عباس فستعلم ويعلمون يوم القيامة حين يتبين الحق من الباطل وقيل
فستبصر ويبصرون في الدنيا بظهور عاقبة امركم لغلبة الاسلام واستيلائك عليهم بالقتل والنهب
وصيرورتك مهيبا معظما في قلوب العالمين وكونهم اذلة صاغرين قال مقاتل هذا وعيد بعذاب يوم بدر
بايكم المفتون اي ايكم الذي فتن بالجنون والباء مزيدة او بايكم الجنون على ان المفتون مصدر كالمفعول
والمجلود او باي الفريقين منكم الجنون ابفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين اي في ايهما يوجد من يستحق

هذا الاسم وهو تعريض بابي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة واضرابهما كقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الاشر وقوله تعالى **ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله** تعليل لما ينبئ عنه ما قبله من ظهور جنونهم بحيث لا يخفى على احد منهم وتاكيد لما فيه من الوعد والوعيد اي هو اعلم بمن ضل عن سبيله تعالى المؤدي الى سعادة الدارين وهام في تيه الضلال متوجها الى ما يفضيه الى الشقاوة الابدية وهذا هو المجنون الذي لا يفرق بين النفع والضر بل يحسب الضر نفعا فيؤثره والنفع ضررا فيهجره **وهو اعلم بالمهتدين** الى سبيله الفائزين بكل مطلوب الناجين عن كل محذور وهم العقلاء المراجيح فيجزي كلا من الفريقين حسبما يستحقه من العقاب والثواب واعادة هو اعلم لزيادة التقرير والفاء في قوله تعالى **فلا تطع المكذبين** لترتيب النهي على ما ينبئ عنه ما قبله من اهتدائه صلى الله عليه وسلم وضلالهم او على جميع ما فصل من اول السورة وهذا تهييج والهاب للتصميم على معاصاتهم اي دم على ما انت عليه من عدم طاعتهم وتصلب في ذلك او نهي عن مداهنتهم ومداراتهم باظهار خلاف ما في ضميره صلى الله عليه وسلم استجلابا لقلوبهم لا عن طاعتهم حقيقة كما ينبئ عنه قوله تعالى **ودوا لو تدهن** فانه تعليل للنهي او للانتهاء وانما عبر عنها بالطاعة للمبالغة في الزجر والتنفير اي احبوا لو تلاينهم وتسامحهم في بعض الامور **فيدهنون** اي فهم يدهنون حينئذ او فهم الآن يدهنون طمعا في ادهانك وقيل هو عطف على تدهن داخل في حيز لو والمعنى ودوا لو يدهنون عقيب ادهانك وياباه ما سيأتي من بيدهم بالادهان على ان ادهانهم امر محقق لا يناسبهم ادخاله تحت التمني وايا ما كان فالمعتبر في جانبهم حقيقة الادهان الذي هو اظهار الملاينة واضمار خلافها واما في جانبه صلى الله عليه وسلم فالمعتبر بالنسبة الى ودادتهم هو اظهار الملاينة فقط واما اضمار خلافها فليس في حيز الاعتبار بل هو في غاية الكراهة له وانما اعتباره بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم وفي بعض المصاحف فيدهنوا على انه جواب التمني المفهوم من ودوا وانما رفع بعد حكاية لودادتهم وقيل انه عطف على تدهن بناء على ان لو بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا لودوا كانه قيل ودوا ان تدهن فيدهنوا وقيل على حقيقتها وجوابها محذوف وكذا مفعول ودوا اي ودوا ادهانك لو تدهن فيدهنون لسروا بذلك **ولا تطع كل حلاف** كثير الحلف في الحق والباطل تقديم هذا الوصف على سائر الاوصاف الزاجرة عن الطاعة لكونه ادخل في الزجر **مهين** حقير الراي والتدبير **هماز** عياب طعان **مشاء بنميم** مضرب نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم فان النميم والنميمة السعاية **مناع للخير** اي بخيل ومناع للناس من الخير الذي هو الايمان والطاعة والانفاق **معتد** متجاوز في الظلم **اثيم** كثير الآثام **عتل** جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة **بعد ذلك** بعد ما عد من مثالبه **زنيم** دعي ماخوذ من الزنمة وهي الهنية من الجلد الماعزة تقطع فتخلى مدلاة في حلقها وفي قوله تعالى بعد ذلك دلالة على ان دعوته اشد معايبه واقبحها قيل هو الوليد بن المغيرة فانه كان دعيا في قريش وليس من سنخهم ادعاه المغيرة بعد ثماني عشرة سنة من مولده وقيل هو الاخنس بن شريق اصله من ثقيف وعداده في زهرة **ان كان ذا مال وبنين** متعلقة بقوله تعالى لا تطع اي لا تطع من هذه مثالبه لانه كان متمولا مستظهرا بالبنين قوله تعالى **اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين** استيناف جار مجرى التعليل للنهي وقيل متعلق بما دل عليه الجملة الشرطية من معنى الجحود والتكذيب لا بجواب الشرط لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله كانه قيل لكونه مستظهرا بالمال والبنين كذب باياتنا وفيه انه يدل على ان مدار تكذيبه كونه ذا مال وبنين من غير ان يكون لسائر قبائحه دخل في ذلك وقرئ ان كان على معنى الآن كان ذا مال كذب بها او انطيعه لان كان ذا مال وقرئ ان كان بالكسر والشرط للمخاطب اي لا تطع كل حلاف شارطا يسارا لان اطاعة الكافر لغناه بمنزلة اشتراط غناه في الطاعة **سنسمه على الخرطوم** بالكي على اكرم مواضعه لغاية اهانته واذلاله قيل اصاب انف الوليد جراحة يوم بدر

فبقيت

فبقيت علامتها وقيل معناه سنعلمه يوم القيمة بعلامة مشوهة يعلم بها عن سائر الكفرة **انا بلوناهم** اي اهل مكة بالقحط بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم **كما بلونا اصحاب الجنة** وهم قوم من اهل الصلوة كانت لابيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين فكان ياخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقي وكان ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما اخطاه المنجل وما في اسفل الاكداس وما اخطاه القطاف من العنب وما بقي على البساط الذي يبسط تحت النخلة اذا صرمت فكان يجتمع لهم شيء كثير فلما مات ابوهم قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر فحلفوا فيما بينهم وذلك قوله تعالى **اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين** ليقطعنها داخلين في الصباح **ولا يستثنون** اي لا يقولون ان شاء الله وتسميته استثناء مع انه شرط من حيث ان مؤداه مؤدى الاستثناء فان قولك لاخرجن ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله بمعنى واحد او ولا يستثنون حصة المساكين كما كان يفعله ابوهم والجملة مستانفة **فطاف عليها** اي على الجنة **طائف من ربك** بلاء طائف وقرئ طيف **من ربك** مبتدأ من جهته تعالى **وهم نائمون** غافلون عما جرت به المقادير **فاصبحت كالصريم** كالبستان الذي صرمت ثماره بحيث لم يبق فيها شيء فعيل بمعنى مفعول وقيل كالليل اي احترقت فاسودت وقيل كالنهار اي يبست وابيضت سميا بذلك لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه وقيل الصريم الرمال **فتنادوا** اي نادى بعضهم بعضا **مصبحين** اي داخلين في الصباح **ان اغدوا** اي اغدوا على ان ان مفسرة او بان اغدوا على انها مصدرية اي اخرجوا غدوة **على حرثكم** اي بساتينكم وضيعتكم وتعديته بعلى لتضمنه معنى الاقبال او الاستيلاء **ان كنتم صارمين** قاصدين للصرم **فانطلقوا وهم يتخافتون** اي يتشاورون فيما بينهم بطريق المخافتة وخفي وخفت وخفد ثلاثتها في معنى الكتم ومنها الخفدود للخفاش **ان لا يدخلنها** اي الجنة **اليوم عليكم مسكين** ان مفسرة للتخافت من معنى القول وقرئ بطرحها على اضمار القول والمراد بنهي المسكين عن الدخول المبالغة في النهي عن تمكنه من الدخول كقولهم لا ارينك ههنا والمعنى انهم ارادوا ان ينكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال لا يقدرون فيها الا على النكد والحرمان وذلك انهم طلبوا نكد المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة او وغدوا على محاردة جنتهم وذهاب خيرها قادرين على اصابة خيرها ومنافعها او غدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع وقيل الحرد الحرد وقد قرئ بذلك اي لم يقدروا الا على حنق بعضهم لبعض لقوله تعالى يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة اي غدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على صرامها وقيل هو علم للجنة **وغدوا على حرد قادرين** في بديهة رؤيتهم **فلما راوها** اي طريق جنتنا وما هي بها **قالوا انا لضالون** قالوه بعد ما تاملوا ووقفوا على حقيقة الامر مضربين عن قولهم الاول اي لسنا ضالين **بل نحن محرومون** حرمنا خيرها بجنايتنا على انفسنا **قال اوسطهم** اي رايا او سنا **الم اقل لكم لولا تسبحون** لولا تذكرون الله تعالى وتتوبون اليه من خبث نيتكم وقد كان قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وتوبوا اليه عن العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا الى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فعيرهم كما ينبئ عنه قوله تعالى **قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين** وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء لاشتراكهما في التعظيم او لانه تنزيه له تعالى عن ان يجري في ملكه ما لا يشاؤه **فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون** اي يلوم بعضهم بعضا فان منهم من اشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا به ومنهم من انكره **قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين** متجاوزين حدود الله **عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها** وقرئ بالتشديد اي يعطينا بدلا منها ببركة التوبة والاعتراف خيرا منها **انا الى ربنا راغبون** راجون العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة او لتضمنها معنى الرجوع وعن مجاهد تابوا فابدلوا خيرا منها وروي انهم تعاقدوا وقالوا ان اعطانا الله خيرا منها لنصنعن كما صنع ابونا فدعوا الله تعالى وتضرعوا اليه فابدلهم الله تعالى من ليلتهم ما هو خير منها قالوا ان الله تعالى امر جبريل عليه السلام ان يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزغر من ارض الشام وياخذ من الشام جنة يقال لها الحيوان فيها

عنب يحمل البغل منها عنقودًا وقال ابو خالد اليماني دخلت تلك الجنة فرايت كل عنقود منها كالرجل الاسود القا
وسئل قتادة عن اصحاب الجنة اهم من اهل الجنة ام من اهل النار فقال لقد كلفتني تعبًا وعن الحسن رضي الله عنه
قول اصحاب الجنة انا الي ربنا راغبون لا ادري ايمانا كان ذلك منهم او علي حد ما يكون من المشركين اذا اصابتهم
الشدة فتوقف في امرهم والاكثرون علي انهم اخلصوا وتابوا حكاه القشيري كذلك العذاب جملة من مبتدا
وخبر مقدم لافادة القصة والالف واللام للعهد اي مثل الذي بلونا به اهل مكة اصحاب الجنة عذاب
الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر اعظم واشد لو كانوا يعلمون انه اكبر لاحترزوا عما يؤديهم اليه ان للمتقين ٠ من
الكفر والمعاصي عند ربهم اي في الآخرة او في جوار القدس جنات النعيم جنات ليس فيها الا التنعم
الخالص عن شائبة ما ينغصه من الكدورات وخوف الزوال كما عليه نعيم الدنيا قوله تعالى افنجعل المسلمين
كالمجرمين تقرير لما قبله من فوز المتقين بجنات النعيم ورد لما يقوله الكفرة عند سماعهم بحديث
الآخرة وما وعد الله المسلمين فيها فانهم كانوا يقولون ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه والهمزة
للانكار والفاء للعطف علي مقدر يقتضيه المقام اي الحيف في الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل
لهم بطريق الالتفات لتاكيد الرد وتشديده ما لكم كيف تحكمون تعجيبًا من حكمهم واستبعادًا له وايذانا
بانه لا يصدر عن عاقل ام لكم كتاب نازل من السماء فيه تدرسون اي تقرؤون ان لكم لما تخيرون
اي ما تختارونه وتشتهونه واصله ان لكم بالفتح لانه مدروس فلما جيء باللام كسرت ويجوز ان يكون
حكاية للمدروس كما هو لقوله تعالي وتركنا عليه في الآخرين سلام علي نوح في العالمين وتخير الشيء
واختاره اخذ خيره ام لكم ايمان علينا بالغة اي عهود موكدة بالايمان بالغة متناهية في التوكيد
وقرئ بالنصب علي الحال والعامل فيها احد الظرفين الي يوم القيمة متعلق بالمقدر في لكم اي
ثابتة لكم الي يوم القيمة لا يخرج عن عهدتها حتي يحكمكم يومئذ ويعطيكم ما تحكمون اي مبالغة اي ايمان
يبلغ ذلك اليوم وينتهي اليه وافرة لم تبطل منها ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان معني ام لكم ايمان
علينا ام اقسمنا لكم قوله تعالي سلهم تلوين للخطاب وتوجيه له الي رسول الله صلي الله عليه وسلم ٥
باسقاطهم الي رتبة الخطاب اي سلهم مبكتا لهم ايهم بذلك الحكم الخارج عن العقول زعيم اي قائم
يتصدي لتصحيحه ام لهم شركاء يشاركونهم في هذا القول ويذهبون مذهبهم فلياتوا بشركائهم ان كانوا
صادقين في دعويهم اذ لا اقل من التقليد وقد نبه في هذه الايات الكريمة علي ان ليس لهم شيء يتوهم
ان يتشبثوا به حتي التقليد الذي لا يفلح من تشبث بذيله وقيل المعني ام لهم شركاء يجعلونهم مثل
المسلمين في الآخرة يوم يكشف عن ساق اي يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل في ذلك
واصله تشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب قال حاتم ٠ اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها ٠
وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا ٠ وقيل ساق الشيء اصله الذي به قوامه كساق الشجر وساق الانسان
اي يوم يكشف عن اصل الامر فتظهر حقايق الامور واصولها بحيث تصير عيانا وتنكيره للتهويل والتعظيم
وقرئ تكشف بالتاء علي البناء للفاعل والمفعول والفعل للساعة او الحال وقرئ نكشف بالنون وتكشف
بالتاء المضمومة وكسر الشين من اكشف الامر اي دخل في الكشف وناصب الظرف فلياتوا او مضمر
مقدم اي اذكر يوم الي آخره او موخر اي يوم يكشف عن ساق الي آخره يكون من الاهوال وعظايم الاحوال
ما لا يبلغه الوصف ويدعون الي السجود توبيخًا وتعنيفًا عن تركهم اياه في الدنيا وتحسيرًا لهم علي تفريطهم
في ذلك فلا يستطيعون لزوال القدرة عليه وفيه دلالة علي انهم يقصدون السجود فلا يتاتي منهم
ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه تعقم اصلابهم اي ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثني عند الرفع والخفض
وفي هذا الحديث وتبقي اصلابهم طبقا واحدا اي فقارة واحدة خاشعة ابصارهم حال من مرفوع يدعون

لم يكن حالنا وحالهم الا مثل ما هي في الدنيا والا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا واقصى امرهم ان يساوونا صح

علي ان ابصارهم مرتفع به علي الفاعلية ونسبة الخشوع الي الابصار لظهور اثره فيها ترهقهم
تلحقهم وتغشاهم ذلة شديدة وقد كانوا يدعون الي السجود في الدنيا والاظهار في موضع الاضمار لزيادة
التقرير او لان المراد به الصلوة او ما فيهما من السجود والدعوة دعوة التكليف وهم سالمون متمكنون منه
اقوي تمكن اي فلا يجيبون اليه ويابونه وانما ترك ذكره ثقة بظهوره فذرني ومن يكذب بهذا الحديث اي كله
اي فاني كفيك امره اي حسبك في الايقاع به والانتقام منه اي كل امره الي وخل بيني وبينه فاني عالم
بما يستحقه من العذاب المطيق له والفاء لترتيب الامر علي ما قبلها من احوالهم المحكية اي واذا كان حالهم
في الآخرة كذلك فذرني ومن يكذب بالقران فتوكل علي في الانتقام فيه قوله تعالي سنستدرجهم استيناف
مسوق لبيان كيفية التعذيب المستفاد من الامر السابق اجمالا والضمير لمن والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد
في يكذب باعتبار لفظها اي سنستنزلهم في العذاب درجة فدرجة بالاحسان وادامة الصحة وازدياد
النعمة من حيث لا يعلمون انه استدراج وهو الانعام عليهم بل يزعمون انه ايثار لهم وتفضل علي المؤمنين
مع انه سبب لهلاكهم واملي لهم وامهلهم ليزدادوا اثما وهم يزعمون ان ذلك لارادة الخير بهم ان كيدي
متين لا يوقف عليه ولا يدفع بشيء وتسمية ذلك كيدا لكونه في صورة الكيد ام تسئلهم علي الابلاغ
والارشاد اجرا دنيويا فهم لاجل ذلك من مغرم اي غرامة مالية مثقلون مكلفون حملا ثقيلا فيعرضون
عنك ام عندهم الغيب اللوح او المغيبات فهم يكتبون منه ما يحكمون به ويستغنون به عن علمك فاصبر
لحكم ربك وهو امهالهم وتاخير نصرتك عليهم ولا تكن كصاحب الحوت اي يونس عليه السلام اذ نادي في
بطن الحوت وهو مكظوم مملو غيظا والجملة حال من ضمير نادي وعليها يدور النهي لا علي الندا فانه امر مستحسن
ولذلك لم يذكر المنادي واذ منصوب بمضاف محذوف اي لا يكن حالك كحاله وقت ندائه اولا يوجد منك
ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلي ببلائه لولا ان تداركه نعمة من ربه وهي رحمة وتوفيقه للتوبة
وقبولها منه وحسن تذكير الفعل بالضمير وقرئ لتداركته وتداركه اي تداركه علي حكاية الحال الماضية
بمعني لولا ان كان يقال فيه تداركه لنبذ بالعراء الارض الخالية من الاشجار وهو مذموم مليم مطرود من الرحمة
والكرامة وهو حال من مرفوع نبذ عليها يعتمد جواب لولا لانها هي المنفية لا النبذ بالعراء كما مر في الحال الاولي
والجملة الشرطية استيناف وارد لبيان كون المنهي عنه امرا محذورا مستتبعا للغائلة وقوله تعالي فاجتباه
ربه عطف علي مقدر اي فتداركته نعمة من ربه فاجتباه بان رد اليه الوحي وارسله الي مائة الف او
يزيدون وقيل استنباه ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة فجعله من الصالحين من الكاملين في الصلاح
بان عصمه من ان يفعل فعلا يكون تركه اولي روي انها نزلت باحد حين هم رسول الله صلي الله عليه وسلم
يدعو علي المنهزمين من المؤمنين وقيل حين اراد ان يدعو علي ثقيف وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم
وقرئ ليزلقونك بفتح الياء من زلقه بمعني ازلقه ويرهقونك وان هي المخففة واللام دليلها والمعني انهم
من شدة عداوتهم لك ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك من قولهم نظر الي نظرا كاد
يصرعني اي لو امكنه بنظره الصرع لفعله او انهم يكادون يصيبونك بالعين اذ قد روي انه كان في
بني اسد عيانون فاراد بعضهم ان يعين رسول الله صلي الله عليه وسلم فنزلت وفي الحديث ان العين
لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله من خصايص بعض النفوس وعن الحسن دواء الاصابة بالعين
ان يقرا هذه الاية لما سمعوا الذكر اي وقت سماعهم بالقران علي ان لما ظرفية منصوبة بيزلقونك
وذلك لاشتداد بغضهم وحسدهم عند سماعه ويقولون لغاية حيرتهم في امره صلي الله عليه وسلم ونهاية
جهلهم بما في تضاعيف القران من تعاجيب الحكم وبدايع العلوم المحجوبة عن العقول المنغمسة باحكام الطبايع
وتنفير الناس عنه انه لمجنون وحيث كان مدار حكمهم الباطل مما سمعوه منه صلي الله عليه وسلم رد ذلك

ببيان علو شانه وسطوع برهانه فقيل **وما هو الا ذكر للعالمين** على انه حال من فاعل يقولون مفيدة لغاية بطلان قولهم وتعجيب السامعين من جراءتهم على تفوه تلك العظيمة اي يقولون ذلك والحال انه ذكر للعالمين اي تذكير وبيان لجميع ما يحتاجون اليه من امور دينهم فاين من انزل عليه ذلك وهو مطلع على اسراره طرا ومحيط بحقايقه خبرا بما قالوا وقيل معناه شرف وفضل كقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكونه مذكرا وشرفا للعالمين لا ريب فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القلم اعطاه الله تعالى ثواب الذين حسن الله اخلاقهم اللهم اجعلنا منهم

سورة الحاقة وهي اثنتي وخمسون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **الحاقة** اي الساعة او الحالة الثابتة الوقوع الواجبة المجيء لا محالة او التي تحق فيها الامور الحقة من الحساب والثواب والعقاب اي تعرف على الحقيقة من حقه يحقه اذا عرف حقيقته جعل الفعل لها مجازا وهو لما فيها من الامور او لمن فيها من اولي العلم وايا ما كان فحذف الموصول للايذان بكمال ظهور اتصافه بهذه الصفة واجريانها مجرى الاسم وارتفاعها على الابتدا وخبرها **ما الحاقة** على ان ما مبتدا ثان والحاقة خبره والجملة خبر للمبتدا الاول والاصل ما هي اي اي شيء هي في حالها وصفتها فان ما يطلب بها الصفة والحال فوضع الظاهر موضع الضمير تاكيدا لهولها هذا ما ذكروه في اعراب هذه الجملة ونظايرها وقد سبق في سورة الواقعة ان مقتضى التحقيق ان يكون ما الاستفهامية خبرا لما بعدها فان مناط الافادة بيان ان الحاقة امر بديع وخطب فظيع كما يفيده كون ما خبرا لا بيان ان امرا بديعا الحاقة كما يفيده كونها مبتدا وكون الحاقة خبرا وقوله تعالى **وما ادريك** اي واي شيء اعلمك **ما الحاقة** تاكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم المخلوقات على معنى ان عظم شانها ومدى هولها وشدتها بحيث لا يكاد يبلغه دراية احد ولا وهمه وكيف ما قدرت حالها فهي اشد من ذلك واعظم فلا يتسنى الاعلام وما في حيز الرفع على الابتداء وادريك خبره ولا مساغ ههنا للعكس وما الحاقة جملة من مبتدا وخبر على الوجه الذي عرفته محلها النصب على اسقاط الخافض لان ادري يتعدى الى المفعول الثاني بالباء كما في قوله تعالى ولا ادريكم به فلما وقعت جملة الاستفهام معلقة له كانت في موضع المفعول الثاني والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها من الجملة الواقعة خبرا لقوله تعالى الحاقة موكدة لهولها كما مر **كذبت ثمود وعاد بالقارعة** اي الحالة التي تقرع الناس بفنون الافزاع والاهوال والسماء بالانشقاق والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعها موضع ضمير الحاقة للدلالة على معنى القرع فيها تشديدا لهولها والجملة استيناف مسوق لاعلام بعض احوال الحاقة له صلى الله عليه وسلم اثر تقرير انه صلى الله عليه وسلم باحوالها كما في قوله تعالى وما ادريك ما هيه نار حامية ونظايره خلا ان المبين هناك نفس المسؤل عنها وههنا حال من احوالها كما في قوله تعالى وما ادريك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر فكما ان المبين هناك ليس نفس ليلة القدر بل فضلها وشرفها كذلك المبين ههنا هول الحاقة وعظم شانها وكونها بحيث يحق اهلاك من كذب بها كانه قيل وما ادريك ما الحاقة كذبت ثمود وعاد فاهلكوا **فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية** اي بالواقعة المجاوزة للحد وهي الصيحة او الرجفة **واما عاد فاهلكوا بريح صرصر** اي شديدة الصوت لها صرصرة او شديدة البرد تحرق ببردها **عاتية** شديدة العصف كانها عتت على خزانها فلم يتمكنوا من ضبطها او على عاد فلم يقدروا على ردها قوله تعالى **سخرها عليهم** الخ استيناف جيء به بيانا لكيفية اهلاكهم بالريح اي سلطها الله عليهم بقدرته القاهرة **سبع ليال وثمانية ايام حسوما** اي متتابعات جمع حاسم كشهود جمع شاهد من حسمت الدابة اذا تابعت بين كيها او نحسات حسمت كل خير واستاصلته او قاطعات قطعت دابرهم ويجوز ان يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا او على المصدر لفعله المقدر

حالا اي تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهي كانت ايام العجوز وهي صبيحة الاربعاء الى غروب الاربعاء الاخرى وانما سميت عجوزا لان عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعها الريح في اليوم الثامن فاهلكها وقيل هي ايام العجز وهي آخر الشتاء واسماوها الصن والصنبر والوبر والامر والموتمر والمعلل ومطفي الجمر وقيل مكفي الظعن **فترى القوم** ان كنت حاضرا حينئذ **فيها** في مهابها او في تلك الليالي والايام **فيها صرعى** موتى جمع صريع **كانهم اعجاز نخل** اي اصول نخل **خاوية** متاكلة الاجواف **فهل ترى لهم من باقية** اي بقية او نفس باقية او بقاء على انها مصدر كالكاذبة والطاغية **وجاء فرعون ومن قبله** اي ومن تقدمه وقرئ ومن قبله اي ومن عنده من اتباعه ويؤيده انه قرئ ومن معه **والموتفكات** اي قوم لوط اي اهلها **بالخاطئة** بالخطا او بالفعلة او الافعال ذات الخطا التي من جملتها تكذيب البعث والقيمة **فعصوا رسول ربهم** اي فعصى كل امة رسولها حين نهوهم عما كانوا يتعاطونه من القبايح **فاخذهم** الله عز وجل **اخذة رابية** اي زايدة في الشدة كما زادت قبايحهم في القبح من ربا الشيء اذا زاد **انا لما طغى الماء** بسبب اصرار قوم نوح على فنون الكفر والمعاصي ومبالغتهم في تكذيبه عليه السلام فيما اوحي اليه من الاحكام التي من جملتها احوال القيمة **حملناكم** اي في اصلاب ابائكم **في الجارية** في سفينة نوح عليه السلام والمراد بحملهم فيها رفعهم فوق الماء الى انقضاء ايام الطوفان لا مجرد رفعهم الى السفينة كما يعرب عنه كلمة في فانها ليست بصلة للحمل بل متعلقة بمحذوف هو حال من مفعوله اي رفعناكم فوق الماء وحفظناكم حال كونكم في السفينة الجارية بامرنا وحفظنا وفيه تنبيه على ان مدار نجاتهم محض عظمته تعالى انما السفينة سبب صوري **لنجعلها** اي لنجعل الفعلة التي هي عبارة عن انجاء المومنين واغراق الكافرين **لكم تذكرة** عبرة ودلالة على كمال قدرة الصانع وحكمته وقوة قهره وسعة رحمته **وتعيها** اي تحفظها والوعي ان تحفظ الشيء في نفسك والايعاء ان تحفظ في غير نفسك من وعي وقرئ تعيها بسكون العين تشبيها له بكتف **اذن واعية** اي اذن من شانها ان تحفظ ما يجب حفظه بتذكره واشاعته والتفكر فيه ولا تضيعه بترك العمل به والتنكير للدلالة على قلتها وان من هذا شانه مع قلته ينسب لنجاة الجم الغفير وادامة نسلهم وقرئ اذن بالتخفيف **فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة** شروع في بيان نفس الحاقة وكيفية وقوعها اثر بيان اعظم شانها باهلاك مكذبيها وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر لتقيده وحسن تذكيره للفصل وقرئ نفخة واحدة بالنصب على اسناد الفعل الى الجار والمجرور والمراد النفخة الاولى التي عندها خراب العالم **وحملت الارض والجبال** اي قلعت ورفعت من اماكنها بمجرد القدرة الالهية او بتوسيط الزلزلة او الريح العاصفة **فدكتا دكة واحدة** اي فضربت الجملتان اثر رفعهما بعضها ببعض ضربة واحدة حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا وقيل فبسطتا بسطة واحدة فصارتا قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا من قولهم اندك السنام اذا انفرش وتغير ادك وناقة دكا ومنه الدكان **فيومئذ** فحينئذ **وقعت الواقعة** اي قامت القيمة **وانشقت السماء** اي لنزول الملايكة **فهي** اي السماء **يومئذ واهية** ضعيفة مسترخية بعدما كانت محكمة **والملك** اي الخلق المعروف بالملك **على ارجائها** اي جوانبها جمع رجا بالقصر اي تنشق السماء التي هي مساكنهم فيلجاون الى اكنافها وحافاتها **ويحمل عرش ربك فوقهم** فوق الملايكة الذين هم على الارجاء او فوق الثمانية **يومئذ ثمانية** من الملايكة عن النبي صلى الله عليه وسلم هم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيمة ايدهم الله تعالى باربعة آخرين فيكونون ثمانية وروي ثمانية املاك ارجلهم في تخوم الارض السابعة يوم العرش فوق روسهم وهم مطرقون مسبحون وقيل بعضهم على صورة الانسان وبعضهم على صورة الاسد وبعضهم على صورة الثور وبعضهم على صورة النسر وروي ثمانية املاك في خلق الاوعال ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما وعن شهر بن حوشب اربعة منهم يقولون سبحانك وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك واربعة

يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وعن الحسن الله اعلم ثمانية ام ثمانية الاف
وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله تعالى ويجوز ان يكون الثمانية من الروح او من خلق آخر
وقيل هو تمثيل لعظمته تعالى بما يشاهد من احوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام لكونها
اقصى ما يتصور من العظمة والجلال والا فشؤونه تعالى اجل من كل ما يحيط به فلك العبارة والاشارة
يومئذ تعرضون اي تسئلون وتحاسبون عبّر عنه بذلك تشبيها له بعرض السلطان العسكر ليعرف احوالهم
روي ان في يوم القيمة ثلاث عرضات فاما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ واما الثالثة ففيها تنشر
الكتب فياخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله فهذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان
اليوم اسم للزمان متسع يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال اهل الجنة الجنة
واهل النار النار صح جعله ظرفا للكل لا تخفى منكم خافية حال من مرفوع تعرضون اي تعرضون غير خاف
عليه تعالى سر من اسراركم قبل ذلك ايضا وانما العرض لافشاء الحال والمبالغة في العدل او غير خاف يومئذ
عن الناس كقوله تعالى يوم تبلى السرائر وقرئ يخفى بالياء التحتانية فاما من اوتي كتابه بيمينه تفصيل لاحكام
العرض فيقول تبجحا وابتهاجا هاؤم اقرؤا كتابيه ها اسم لخذ وفيه ثلاث لغات اجودهن ها يا رجل وها يا امراة
وهاؤم يا رجلان وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤا لانه اقرب
العاملين ولانه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرؤه اذ الاولى اضماره حيث امكن والهاء فيه وفي حسابيه
وماليه وسلطانيه للسكت تثبت في الوقف وتسقط في الاصل واستحب اثباتها في الامام اني ظننت اي
ملاق حسابيه اي علمت ولعل التعبير عنه بالظن للاشعار بانه لا يقدح في الاعتقاد ما يهجس في النفس من
الخطرات التي لا تنفك عنها العلوم النظرية غالبا فهو في عيشة راضية ذات رضى على النسبة بالصفة
كلابن وتامر في النسبة بالحرف او جعل الفعل لها مجازا وهو لصاحبها وذلك صافية عن الشوائب دائمة
مقرونة بالتعظيم في جنة عالية مرتفعة المكان لانها في السماء او الدرجات او الابنية والاشجار
قطوفها جمع قطف وهو ما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح مصدر دانية يتناولها القاعد كلوا واشربوا
باضمار القول والجمع باعتبار المعنى هنيئا اكلا وشربا هنيئا او هنيتم هنيئا بما اسلفتم بمقابلة ما قدمتم
من الاعمال الصالحة في الايام الخالية اي الماضية وعن مجاهد ايام الصيام وروي يقول الله تعالى يا اوليائي
طال ما نظرت اليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة وغارت اعينكم وخمصت بطونكم فكونوا
اليوم في نعيمكم كلوا واشربوا الاية واما من اوتي كتابه بشماله وراى ما فيه من قبائح الاعمال فيقول يا ليتني
لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه لما شاهد من سوء العاقبة يا ليتها يا ليت الموتة التي متها كانت القاضية
اي القاطعة لامري ولم ابعث بعدها ولم الق ما القى فضمير ليتها للموتة ويجوز ان يكون لما شاهد
من الحيوة يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت علي لانه وجدها امر من الموت فتمناه عندها وقد
جوزان يكون للحيوة الدنيا اي يا ليت الحيوة الدنيا كانت الموتة ولم اخلق حيا ما اغنى عني ماليه مالي من
المال والاتباع على ان ما نافية والمفعول محذوف او استفهامية للانكار اي اي شيء اغنى عني ما كان لي
من اليسار هلك عني سلطانيه اي ملكي وتسلطي على الناس او حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا او تسلطي
على القوى والالات فعجزت عن استعمالها في العبادات خذوه حكاية لما يقوله الله تعالى يومئذ لخزنة النار
فغلوه اي شدوه بالاغلال ثم الجحيم صلوه اي لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظيمة ليكون الجزاء على
وفق المعصية حيث يتعظم على الناس ثم في سلسلة ذرعها اي طولها سبعون ذراعا فاسلكوه فادخلوه فيها
بان تلفوها على جسده فهو فيما بينها مرهق لا يستطيع حراكا وتقديم السلسلة لتقديم الجلالة للدلالة
على ان الاختصاص والاهتمام بذكر الوان ما يعذب به وثم لتفاوت ما بين الغل والتصلية وما بينهما

وبين السلك والسلسلة في ذلك الشدة انه كان لا يؤمن بالله العظيم تعليل بطريق الاستيناف التحقيقي
ووصفه تعالى بالعظيم للايذان بانه المستحق للعظمة فمن نسبها الى نفسه يستحق اعظم العقوبات ولا يحض
على طعام المسكين ولا يحث على بذل طعامه او على اطعامه فضلا ان يبذل من ماله وقيل ذكر الحض للتنبيه
على ان تارك الحض بهذه المنزلة فما ظنك بتارك الفعل وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع
في حق المؤاخذة قالوا تخصيص الامرين بالذكر لما ان اقبح العقايد الكفر واشنع الرذائل البخل وقسوة القلب
فليس له اليوم ههنا حميم اي قريب يحميه ويدفع عنه ويحزن عليه لان اولياءه يتحامونه ويفرون منه
ولا طعام الا من غسلين اي من غسالة اهل النار وصديدهم فعلين من الغسل لا ياكله الا الخاطئون اصحاب
الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب من الخطا المقابل للصواب دون المقابل للعمد عن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما انهم المشركون وقرئ الخاطيون بابدال الهمزة ياء وقرئ بطرحها وقد جوز ان يراد بهم الذين
يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله فلا اقسم اي فاقسم على ان لا مزيدة للتاكيد وان ما
حمله على معنى نفي الاقسام لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق فيرده تعيين المقسم به بقوله تعالى بما
تبصرون وما لا تبصرون كما مر في سورة الواقعة اي اقسم بالمشاهدات والمغيبات وقيل بالدنيا والاخرة
وقيل بالاجسام والارواح والانس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة والاول منتظم
للكل انه اي القران لقول رسول يبلغه عن الله تعالى فان الرسول لا يقول عن نفسه كريم على الله تعالى
وهو النبي او جبريل عليهما السلام وما هو بقول شاعر كما تزعمون تارة قليلا ما تؤمنون ايمانا قليلا
تؤمنون ولا بقول كاهن كما تدعون ذلك تارة قليلا ما تذكرون اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تتذكرون
على ان القلة بمعنى النفي اي لا تؤمنون ولا تتذكرون قبل ذكر الايمان مع نفي الشاعرية والتذكر مع نفي
الكاهنية لما ان عدم مشابهة القران الشعر امر بين لا ينكره الا معاند بخلاف مباينته للكهانة
فانها تتوقف على تذكر احواله صلى الله عليه وسلم ومعاني القران المنافية لطريقة الكهنة ومعاني
اقوالهم وانت خبير بان ذلك ايضا مما لا يتوقف على تامل قطعا وقرئ بالتاء فيهما تنزيل من رب العالمين
نزله على لسان جبريل عليه السلام ولو تقول علينا بعض الاقاويل سمي الافتراء تقولا لانه قول متكلف
والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا لها كانه جمع افعولة من القول كالاضاحيك لاخذنا منه باليمين اي بيمينه
ثم لقطعنا منه الوتين اي نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه بافظع ما يفعله الملوك بمن
يغضبون عليه وهو ان ياخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب عنقه وقيل اليمين بمعنى القوة
قال قائلهم ۝ اذا ما راية رفعت لمجد ۝ تلقاها عرابة باليمين فما منكم من احد عنه عن القتل
والمقتول حاجزين وصف لاحد فانه عام وانه اي القران لتذكرة للمتقين لانهم المنتفعون به وانا
لنعلم ان منكم مكذبين فنجازيهم على تكذيبهم وانه لحسرة على الكافرين عند مشاهدتهم لثواب المؤمنين وانه لحق
اليقين الذي لا يحوم حوله ريب ما فسبح باسم ربك العظيم اي فسبح بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضا بالتقول
عليه شكرا على ما اوحى اليك عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحاقة حاسبه الله تعالى حسابا يسيرا

ل

سورة المعارج وهي اربع واربعون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم سأل سائل اي دعا داع بعذاب واقع اي استدعاه وطلبه وهو النضر بن
الحارث قال انكارا واستهزاء ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب
اليم وقيل ابو جهل حيث قال اسقط علينا كسفا من السماء وقيل هو الحرث بن النعمان الفهري وذلك
انه لما بلغه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في علي رضي الله عنه من كنت مولاه فعلي مولاه قال اللهم
ان كان ما يقول محمد حقا فامطر علينا حجارة من السماء فما لبث حتى رماه الله تعالى بحجر فوقع على

دماغه فخرج من اسفله فهلك من ساعته وقيل هو الرسول صلى الله عليه وسلم استعجل عذابهم وقرئ
سال وهو اما من السؤال على لغة قريش فالمعنى ما مر او من السيلان ويؤيده انه قرئ سال سيل
اي اندفع واد بعذاب واقع وصيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه اما في الدنيا وهو عذاب يوم
بدر فان النضر قتل يومئذ صبرا وقد مر حال الفهري واما في الآخرة فله عذاب النار **للكافرين** صفة اخرى
لعذاب اي كاين للكافرين او صلة لواقع او متعلق بسال اي دعا للكافرين بعذاب واقع وقوله تعالى
ليس له دافع صفة اخرى لعذاب او حال منه لتخصصه بالصفة او بالعمل او من الضمير في للكافرين
على تقدير كونه صفة لعذاب او استيناف **من الله** متعلق بواقع او بدافع اي ليس له دافع من جهته
تعالى **ذي المعارج** ذي المصاعد التي تصعد فيها الملايكة بالاوامر والنواهي وهي عبارة عن السموات
المرتبة بعضها فوق بعض **تعرج الملائكة والروح** اي جبريل عليه السلام افرد بالذكر لتميزه وفضله وقيل
الروح خلق هم حفظة على الملايكة كما ان الملايكة حفظة على الناس **اليه** اي الى عرشه تعالى والى حيث
تهبط منه اوامره تعالى وقيل هو من قبيل قول ابرهيم السلام اني ذاهب الى ربي اي الى حيث امرني ربي
به **في يوم كان مقداره خمسين الف سنة** مما يعده الناس وهو بيان لغاية ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها
على منهاج التمثيل والتخييل والمعنى انها من الارتفاع بحيث لو قدر قطعها في زمان لكان ذلك الزمان
مقدار خمسين الف سنة من سني الدنيا وقيل معناه تعرج الملايكة والروح الى عرشه تعالى في يوم كان
مقداره خمسين الف سنة اي يقطعون في يوم ما يقطعه الانسان في خمسين الف سنة لو فرض ذلك وقيل
في يوم متعلق بواقع وقيل بسال على تقدير كونه من السيلان فالمراد به يوم القيمة واستطالته اما لانه
كذلك في الحقيقة او لشدته على الكفار او لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات وايا ما كان فكذلك
في حق الكافر واما في حق المؤمن فلما روى ابو سعيد الخدري انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اطول
هذا اليوم فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انه ليخف على المؤمن حتى يكون اخف من صلوة مكتوبة
يصليها في الدنيا وقوله تعالى **فاصبر صبرا جميلا** متعلق بسال لان السؤال كان على استهزاء وتعنت وتكذيب
بالوحي وذلك مما يضجره صلى الله عليه وسلم او كان عن تضجر واستبطاء للنصر او سال سايل او سال سيل
فمعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فقد شارفت الانتقام **انهم يرونه** اي العذاب الواقع او يوم القيمة
على تقدير تعلق في يوم بواقع **بعيدا** اي يستبعدونه بطريق الاحالة ولذلك يسألون به **ونراه قريبا** هاهنا
في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر على ان البعد والقرب معتبران بالنسبة الى الامكان والجملة تعليل
للامر بالصبر وقوله تعالى **يوم تكون السماء كالمهل** متعلق بقريبا اي يمكن ولا يتعذر في ذلك اليوم او بمضمر
دل عليه واقع او بمضمر موخر اي يوم يكون السماء كالمهل اي يكون من الاحوال والاهوال ما لا يوصف او بدل من
في يوم على تقدير تعلقه بواقع هذا ما قالوا ولعل الاقرب ان قوله تعالى سال سايل حكاية لسؤالهم المعهود
على طريقة قوله تعالى يسألونك عن الساعة وقوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد ونحوهما اذ هو المفهوم
بالوقوع على الكافرين لا ما دعا به النضر او ابو جهل او الفهري او السؤال بمعناه والباء بمعنى عن كما في قوله
تعالى فسئل به خبيرا وقوله تعالى ليس له دافع الى آخره استيناف مسوق لبيان وقوع المسئول عنه
لا محالة وقوله تعالى فاصبر صبرا جميلا مترتب عليه وقوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا تعليل
للامر بالصبر كما ذكر وقوله تعالى يوم يكون الى آخره متعلق بليس له دافع او بما يدل عليه اي يقع يوم تكون
السماء كالمهل وهو ما اذيب على مهل من الفلزات وقيل دردي الزيت **وتكون الجبال كالعهن** كالصوف المصبوغ
الوانا لاختلاف الوان الجبال منها جدد بيض وحمر وغرابيب سود فاذا بسّت وطيرت في الجو اشبهت
العهن المنفوش اذا طيرته الريح **ولا يسئل حميم حميما** اي لا يسأل قريب قريبا عن احواله ولا يكلمه لابتلاء كل

منهم بما يشغله عن ذلك وقرئ على البناء للفاعل اي لا يطلب من حميم حميما او لا يسأل منه حاله **يبصرونهم**
اي يبصر الاحماء الاحماء فلا يخفون عليهم وما يمنعهم من التساؤل الا اشتغالهم بحال انفسهم وقيل ما يغني من مشاهدة
الحال كبياض الوجه وسواده والاول هو الادخل في التهويل وجمع الضميرين لعموم الحميم وقرئ يبصرونهم
والجملة استيناف **يود المجرم** اي يتمنى الكافر وقيل كل مذنب وقوله تعالى **لو يفتدي من عذاب يومئذ** اي
العذاب الذي ابتلوا به يومئذ **ببنيه وصاحبته واخيه** حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وقيل هو بمنزلة ان
الناصبة فلا يكون لها جواب ويسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا ليود والتقدير يود افتداء
ببنيه الى آخره والجملة استيناف لبيان ان اشتغال كل مجرم بنفسه بلغ الى حيث يتمنى ان يفتدي باقرب
الناس اليه واعلقهم بقلبه فضلا ان يهتم بحاله ويسأل عنها وقرئ يومئذ بالفتح على البناء للاضافة
الى غير متمكن وبتنوين عذاب ونصب يومئذ وانتصابه بعذاب لانه في معنى تعذيب **وفصيلته** اي عشيرته
التي فصل عنهم **التي تؤويه** اي تضمه في النسب او عند الشدايد **ومن في الارض جميعا** من الثقلين او الخلايق ومن
للتغليب **ثم ينجيه** عطف على يفتدي اي يود لو يفتدي ثم ينجيه الافتداء وثم لاستبعاد الانجاء يعني يتمنى
لو كان هولاء جميعا تحت يده وبذلهم في فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات **كلا** ردع للمجرم عن الوداد
وتصريح بامتناع انجاء الافتداء وضمير **انها** اما للنار المدلول عليها بذكر العذاب او هو مبهم يوهم
عنه الخبر الذي قوله تعالى **انها لظى** وهي علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب **نزاعة للشوى** نصب على
الاختصاص او حالة موكدة والشوى الاطراف او جمع شواة وهي جلد الراس وقرئ نزاعة بالرفع على انه
خبر ثان لان او هو الخبر ولظى بدل من الضمير للقصة او لظى مبتدأ ونزاعة خبره **تدعو** اي تجذب
وتحضر وقيل تدعو وتقول الي الي يا كافر يا منافق وقيل تدعو المنافقين والكافرين بلسان فصيح ثم
تلتقطهم التقاط الحب وقيل تدعو تهلك وقيل زبانيتها **من ادبر** اي عن الحق **وتولى** اعرض عن الطاعة
وجمع فاوعى اي جمع المال فجعله في وعاء وكنزه ولم يؤد زكاته ولا حقوقه وتشاغل به عن الدين
وزهى باقتنائه حرصا وتأميلا **ان الانسان خلق هلوعا** الهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة
المنع عند مس الخير وقد فسره احسن تفسير قوله تعالى **اذا مسه الشر** اي الفقر او المرض ونحوهما
جزوعا مبالغا في الجزع مكثرا منه **واذا مسه الخير** اي السعة والصحة **منوعا** مبالغا في المنع والامساك
والاوصاف الثلاثة احوال مقدرة لانها طبايع جبل الانسان عليها واذا الاولى ظرف جزوعا والثانية لمنوعا
الا المصلين استثناء للمتصفين بالنعوت الجليلة الآتية من المطبوعين على القبايح الماضية لاباء نفوسهم
عن الاستغراق في طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من الجزاء العقوبة
وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل على خلاف القبايح المذكورة الناشية من الانهماك في حب العاجل
وقصر النظر عليه **الذين هم على صلاتهم دائمون** لا يشغلهم عنها شاغل **والذين في اموالهم حق معلوم** اي نصيب معين
يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله تعالى واشفاقا على الناس من الزكوات المفروضة والصدقات
الموظفة **للسائل** الذي يسأله **والمحروم** الذي لا يسأله فيظن انه غني فيحرم **والذين يصدقون بيوم الدين** اي باعمالهم
حيث يتعبون انفسهم في الطاعات البدنية والمالية طمعا في المثوبة الاخروية حيث يستدل بذلك على
تصديقهم بيوم الجزاء **والذين هم من عذاب ربهم مشفقون** خائفون على انفسهم مع ما لهم من الاعمال الفاضلة
استقصارا لها واستعظاما لجنابه عز وجل كقوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى
ربهم راجعون وقوله تعالى **ان عذاب ربهم غير مامون** اعتراض مؤذن بانه لا ينبغي لاحد ان يأمن عذابه تعالى
وان بالغ في الطاعة **والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين** سلف
تفسيره في سورة المؤمنين **فمن ابتغى** اي طلب لنفسه **وراء ذلك** وراء ما ذكر من الازواج والمملوكات

فاولٓيك المبتغون هم العادون المتعدون لحدود الله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون لايخلون بشيء
من حقوقها والذين هم بشهاداتهم قايمون اي مقيمون لها بالعدل احياء لحقوق الناس وتخصيصها بالذكر
مع اندراجها في الامانات لابانة فضلها وقرئ لامانتهم وبشهادتهم على ارادة الجنس والذين هم على صلوتهم
يحافظون اي يراعون شرايطها ويكملون فرايضها وسننها ومستحباتها وادابها وتكرير ذكر الصلوة
ووصفهم بها اولا واخرا باعتبارين للدلالة على فضلها وانافتها على ساير الطاعات وتكرير الموصولات
لتنزيل اختلاف الصفات منزلة اختلاف الذوات كما في قول من قال • الى الملك القرم وبن الهمام
وليث الكتيبة في المزدحم • ايذانا بان كل واحد من الاوصاف المذكورة نعت جليل على حياله له
شان خطير مستتبع لاحكام جمة حقيق بان يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل شيء منها تتمة للاخر
اولٓيك اشارة الى الموصوفين بما ذكر من الصفات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه
للايذان بعلو شانهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدا خبره في جنات مكرمون اي مستقرون
في جنات لايقادر قدرها ولا يدرك كنهها وقوله تعالى مكرمون خبر اخر وهو الخبر وفي جنات متعلق
به قدم عليه لرعاية الفواصل او بمضمر هو حال من الضمير في الخبر اي مكرمين كاينين في جنات
فمال الذين كفروا قبلك مهطعين مسرعين نحوك مادي اعناقهم اليك مقبلين بابصارهم اليك عن اليمين
وعن الشمال عزين اي فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة من العزو وكان كل فرقة تعتزي الى غير من تعتزي
اليه الاخرى كان المشركون يحلقون حول رسول الله حلقا حلقا وفرقا فرقا ويستهزون بكلامه صلى الله
عليه وسلم ويقولون ان دخل هولاء الجنة كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم فلندخلها قبلهم فنزلت
ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم بلا ايمان كلا ردع لهم عن ذلك الطمع الفارغ انا خلقناهم مما يعلمون
قيل هو تعليل والمعنى انا خلقناهم من اجل ما يعلمون كما في قول الاعشى • ازمعت من آل ليلى ابتكارا
وشطت على ذي هوى ان تزارا • وهو تكميل النفس بالايمان والطاعة فمن لم يستكملها من ذلك فهو
بمعزل من ان يتبوا مبوا الكاملين فمن اين لهم ان يطمعوا في دخول الجنة وهم مكبون على الكفر والفسوق
وانكار البعث وقيل معناه انا خلقناهم مما يعلمون من نطفة مذرة فمن اين يتشرفون ويدعون التقدم
ويقولون لندخلن الجنة قبلهم وقيل انهم مخلوقون من نطفة قذرة لاتناسب عالم القدس فمتى لم يستكمل
الايمان والطاعة ولم يتخلق بالاخلاق الملكية لم يستعد دخولها ولا يخفى ما في الكل من التمحل والاقرب انه
كلام مستانف قد سيق تمهيدا لما بعده من بيان قدرته تعالى على ذلك كما يفصح عنه الفاء الفصيحة
في قوله تعالى فلا اقسم برب المشارق والمغارب والمعنى اذا كان الامر كما ذكر من انا خلقناهم مما يعلمون فاقسم برب
المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم اي نهلكهم بالمرة حسبما تقتضيه جناياتهم ونأتي
بدلهم بخلق آخرين ليسوا على صفتهم وما نحن بمسبوقين بمغلوبين ان اردنا ذلك لكن مشيتنا المبنية البالغة
اقتضت تاخير عقوباتهم فذرهم فخلهم وشانهم يخوضوا في باطلهم الذي من جملته ما حكي عنهم ويلعبوا
في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون وهو يوم البعث عند النفخة الثانية لا يوم النفخة الاولى كما توهم فان
قوله تعالى يوم يخرجون من الاجداث بدل من يومهم وقرئ يخرجون على البناء للمفعول من الاخراج سراعا حال
من مرفوع يخرجون اي مسرعين كانهم الى نصب وهو كل ما نصب فعبد من دون الله تعالى وقرئ بسكون الصاد وفتح النون
وسكون الصاد ايضا يوفضون يسرعون خاشعة ابصارهم وصفت ابصارهم بالخشوع مع انه وصف الكل لغاية ظهور
آثاره فيها ترهقهم ذلة تغشاهم ذلة شديدة ذلك الذي ذكرنا سيقع فيه من الاحوال الهايلة اليوم الذي كانوا يوعدون
في الدنيا عن النبي صلى الله عليه من قرا سورة سال سايل اعطاه الله تعالى ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

سورة نوح وهي ثمان وعشرون آية مكية

بسم

بسم الله الرحمن الرحيم انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك اي بان انذرهم على ان ان مصدرية حذف منها
الجار واوصل اليها الفعل فان حذفه مع ان وان مطرد وجعلت صلتها امرا كما في قوله تعالى وان اقم وجهك لان
مدار وصلها بصيغ الافعال دلالتها على المصدر وذلك لا يختلف بالخبرية والانشائية ووجوب كون الصلة
خبرية في الموصول انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف الا بالجمل الخبرية وليس الموصول
الحرفي كذلك وحيث استوى الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر استويا في صحة الوصل بهما فيتجرد عنه ذلك
كل منهما عن المعنى الخاص بصيغته فيبقى الحدث المجرد عن معنى الامر والنهي والمضي والاستقبال كانه قيل ارسلناه بالانذار
وقيل المعنى ارسلناه بان قلنا له انذر اي بان ارسلناه بالامر وبالانذار ويجوز ان تكون ان مفسرة لما في الارسال
من معنى القول فلا يكون للجملة محل من الاعراب وعلى الاول محلها النصب عند سيبويه والفراء والجر عند
الخليل والكسائي كما هو المعروف وقرئ انذر بغير ان على ارادة القول من قبل ان ياتيهم عذاب اليم عاجل او آجل
لئلا يبقى لهم عذر ما اصلا قال استيناف مبني على سوال نشا من حكاية ارساله عليه السلام بالوجه المذكور
فكانه قيل ما فعل عليه السلام فقيل قال لهم يا قوم اني لكم نذير مبين منذر موضح لحقيقة الامر وقوله تعالى
ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون متعلق بنذير على الوجهين المذكورين يغفر لكم من ذنوبكم اي بعض ذنوبكم وهو
ما سلف في الجاهلية فان الاسلام يجبه ويؤخركم الى اجل مسمى هو الامد الاقصى الذي قدره الله تعالى لهم
بشرط الايمان والطاعة وراء ما قدره لهم على تقدير بقائهم على الكفر والعصيان فان وصف الاجل
بالمسمى وتعليق تاخيرهم اليه بالايمان والطاعة صريح في ان لهم اجلا آخر لا يجاوزونه ان لم يؤمنوا وهو
المراد بقوله تعالى ان اجل الله اي ما قدر لكم على تقدير بقائكم على الكفر اذا جاء وانتم على ما انتم عليه من
الكفر لا يؤخر فبادروا الى الايمان والطاعة قبل مجيئه حتى لا يتحقق شرطه الذي هو بقاؤكم على الكفر
فلا يجيء ويتحقق شرط التاخير الى الاجل المسمى فتؤخروا اليه ويجوز ان يراد به وقت اتيان العذاب المذكور
في قوله تعالى من قبل ان ياتيهم عذاب اليم فانه اجل موقت له حتما وحمله على الاجل المسمى لو كنتم تعلمون
اي لو كنتم تعلمون شيئا لسارعتم الى ما امرتكم به قال اي نوح عليه الصلوة والسلام مناجيا ربه حاكيا له
تعالى وهو اعلم بحاله بما جرى بينه وبين قومه من القيل والقال • في تلك المدد الطوال • بعد ما بذل في
الدعوة غاية المجهود • وجاوز في الانذار كل حد معهود • وضاقت عليه الحيل • وعيت به العلل رب اني
دعوت قومي الى الايمان والطاعة ليلا ونهارا اي دايما من غير فتور ولا توان فلم يزدهم دعاي الا فرارا مما
دعوتهم اليه واسناد الزيادة الى الدعاء لسببيته لها كما في قوله تعالى زادتهم ايمانا واني كلما دعوتهم اي الى الايمان
لتغفر لهم بسببه جعلوا اصابعهم في اذانهم اي سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم
اي بالغوا في التغطي بها كانهم طلبوا ان تغشاهم ثيابهم او تغشاهم لئلا يبصروه كراهة النظر اليه او لئلا
يعرفهم فيدعوهم واصروا اي اكبوا على الكفر والمعاصي مستعار من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها
واستكبروا عن اتباعي وطاعتي استكبارا شديدا ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا اي دعوتهم تارة
بعد تارة ومرة بعد مرة على وجوه متخالفة واساليب متفاوتة وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار اشد من الاسرار
والجمع بينهما اغلظ من الافراد او لتراخي بعضها من بعض وجهارا منصوب بدعوتهم على المصدر لانه احد نوعي الدعاء
او اريد بدعوتهم جاهرتهم صفة لمصدر اي دعوتهم دعاء جهارا اي مجاهرا به او مصدر في موقع الحال او مجاهرا
فقلت استغفروا ربكم بالتوبة على الكفر والمعاصي انه كان غفارا للتايبين كانهم تعللوا وقالوا ان كنا على الحق
فكيف نتركه وان كنا على الباطل فكيف يقبلنا بعد ما عكفنا عليه دهرا طويلا فامرهم بما يمحو ما سلف
منهم من المعاصي ويجلب اليهم المنافع ولذلك وعدهم بما هو اوقع في قلوبهم واحب اليهم من العوايد العاجلة
وقيل لما كذبوه بعد تكرير الدعوة حبس الله تعالى عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة وقيل سبعين

سنة توعدهم انهم ان امنوا ان يرزقهم الله تعالى الخصب ويدفع عنهم ما كانوا فيه **يرسل السماء عليكم مدرارا**
اي كثير الدرور والمراد بالسماء المظلة او السحاب **ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات** بساتين **ويجعل لكم**
فيها **انهارا** جارية **ما لكم لا ترجون لله وقارا** انكار لان يكون لهم سبب ما في عدم رجائهم لله تعالى وقارا وقال
على ان الرجاء بمعنى الاعتقاد ولا ترجون حال من ضمير المخاطبين والعامل فيها بمعنى الاستقرار في ما لكم
على ان الانكار متوجه الى السبب فقط مع تحقق مضمون الجملة الحالية لا اليهما معا كما في قوله تعالى وما
لي لا اعبد الذي فطرني ولله متعلق بمضمر وقع حالا من وقارا ولو تاخر لكان صفة له اي اي سبب حصل لكم
حال كونكم غير معتقدين لله تعالى عظمة موجبة لتعظيمه بالايمان به والطاعة له **وقد خلقكم اطوارا** اي
والحال انكم على حالة منافية لما انتم عليه بالكلية وهي انكم تعلمون انه تعالى خلقكم تارات عناصر ثم اغذية
ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم انشأكم خلقا اخر فان التقصير في توقير من هذه
شؤونه في القدرة القاهرة والاحسان التام مع العلم بها مما لا يكاد يصدر عن العاقل هذا وقد قيل الرجا
بمعنى الامل اي ما لكم لا تاملون له تعالى توقيرا اي تعظيما لمن عبده واطاعه ولا تكونون على حال تاملون فيها تعظيم
الله تعالى اياكم في دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان صلة للوقار والاول هو الذي تستدعيه الجزالة
التنزيلية فان اللائق بحال الكفرة استبعاد ان لا يعتقدوا وقار الله تعالى وعظمته مع مشاهدتهم لآثاره
واحكامها الموجبة للاعتقاد حتما واما عدم رجائهم لتعظيم الله اياهم في دار الثواب فليس في حيز الاستبعاد
والانكار مع ان في جعل الوقار بمعنى التوقير من التعسف وفي قوله لله بيان للموقر ولو تاخر لكان صلة للوقار
من التناقض ما لا يخفى فان كونه بيانا للموقر يقتضي ان لا يكون التوقير صادرا عنه تعالى والوقار وصفا للمخاطبين
وكونه صلة للوقار يوجب كون الوقار وصفا له تعالى وقيل ما لكم لا تخافون لله عظمة وقدرة على احدكم
بالعقوبة اي اي عذر لكم في ترك الخوف منه تعالى وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس ما لكم لا تخشون لله
عقابا ولا ترجون منه ثوابا وعن مجاهد والضحاك ما لكم لا تبالون لله عظمة قال قطرب هي لغة حجازية
يقولون لم ارج اي لم ابال وقوله تعالى **الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا** اي متطابقة فوق بعض **وجعل**
القمر فيهن نورا اي منورا لوجه الارض في ظلمة الليل ونسبته الى الكل مع انه في سماء الدنيا لما انها
محاطة بسائر السموات فما فيها يكون في الكل ولان كل واحدة منها شفافة لا يحجب ما وراءها فيرى الكل
كانها سماء واحدة ومن ضرورة ذلك ان يكون ما في واحدة منها كانه في الكل **وجعل الشمس سراجا** يزيل ظلمة الليل
ويبصر اهل الدنيا في ضوءها وجه الارض ويشاهدون الآفاق كما يبصر اهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون
الى ابصاره وليس القمر بهذه المثابة انما هو نور في الجملة **والله انبتكم من الارض نباتا** اي انشأكم منها فاستعير
الانبات للانشاء لكونه ادل على الحدوث او لتكون من الارض ونباتا اما مصدر مؤكد لانبتكم بحذف الزوائد
ويسمى مصدرا والمترتب عليه من فضله اي انبتكم من الارض فنبتم نباتا ويجوز ان يكون الاصل انبتكم
من الارض انباتا فنبتم نباتا فيحذف من الجملة الاولى المصدر ومن الثانية الفعل اكتفاء في كل منهما بما ذكر في
الاخرى كما مر في قوله تعالى ام تريدون ان تسئلوا رسولكم كما سئل موسى من قبل وقوله تعالى وان يمسسك
الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله **ثم يعيدكم فيها** بالدفن عند موتكم **ويخرجكم**
منها عند البعث والحشر **اخراجا** محققا لا ريب فيه **والله جعل لكم الارض بساطا** تتقلبون عليها تقلبكم على بسطكم
في بيوتكم وتوسيط لكم بين الجعل ومفعوليه مع ان حقه التاخير كما مر مرارا من الاهتمام ببيان كون المجعول
من منافعهم والتشويق الى المؤخر فان النفس عند تاخير ما حقه التقديم لا سيما عند كون المقدم
ملوحا بكونه من المنافع تبقى مترقبة له فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن **لتسلكوا منها سبلا فجاجا** اي طرقا
واسعة جمع فج وهو الطريق الواسع وقيل هو المسلك بين الجبلين ومن متعلقة بما قبلها لما فيه من معنى

الاتخاذ

الاتخاذ او بمضمر هو حال من سبلا اي كائنة من الارض ولو تاخر لكان صفة لها **قال نوح** اعيد لفظ الحكاية لطول
العهد بحكاية مناجاته لربه اي قال مناجيا له تعالى **رب انهم عصوني** اي تموا على عصياني فيما امرتهم به مع ما بالغت
في ارشادهم بالعظة والتذكير **واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا** اي واستمروا على اتباع رؤسائهم الذين ابطرتهم
اموالهم وغرتهم اولادهم وصار ذلك سببا لزيادة خسارتهم في الآخرة فصاروا اسوة لهم في الخسار وفي
وصفهم بذلك اشعار بانهم انما اتبعوهم لوجاهتهم الحاصلة لهم بسبب الاموال والاولاد لما شاهدوا فيهم
من شبهة مصححة للاتباع في الجملة وقرئ وولده بالضم والسكون على انه لغة كالحزن او جمع كالاسد **ومكروا**
عطف على صلة من والجمع باعتبار معناها فان الافراد في الضمائر الاول باعتبار لفظها **مكرا كبارا** اي كبيرا في
الغاية وقرئ بالتخفيف والاول ابلغ منه وهو ابلغ من الكبير وذلك احتيالهم في الدين وصدهم للناس عنه
وتحريشهم له على اذية نوح عليه السلام **وقالوا لا تذرن آلهتكم** اي لا تتركوا عبادتها على الاطلاق الى عبادة رب
نوح **ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا** اي ولا تذرن عبادتها ولا خصوصا بالذكر مع اندراجها
فيما سبق لانها كانت اكبر اصنامهم واعظمها عندهم وقد انتقلت هذه الاصنام الى العرب فكان ود لكلب
وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقيل هي اسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح
وقيل من اولاد آدم عليه السلام ماتوا فقال ابليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون اليهم وتتبركون
بهم ففعلوا فلما مات اولئك قال لمن بعدهم انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم وقيل كان ود على صورة رجل
وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر وقرئ ودا
بضم الواو ويغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعجمة والعلمية **وقد اضلوا** اي الرؤساء **كثيرا** خلقا
كثيرا او للاصنام كقوله تعالى رب انهن اضللن كثيرا من الناس **ولا تزد الظالمين الا ضلالا** عطف على قوله تعالى
رب انهم عصوني على حكاية كلام نوح بعد قال وبعد الواو النائبة عنه اي قال رب انهم عصوني وقال
لا تزد الظالمين الا ضلالا ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم المفرط وتعليل الدعاء عليهم
به والمطلوب هو الضلال في تمشية مكرهم ومصالح دنياهم او الضياع والهلاك كما في قوله تعالى
ان المجرمين في ضلال وسعر يؤيده ما سيأتي من دعائه عليهم **مما خطيئاتهم** اي من اجل خطيئاتهم وما مزيدة
بين الجار والمجرور للتوكيد والتفخيم ومن لم ير زيادتها جعلها نكرة وجعل خطيئاتهم المعدودة اكثرها من
خطاياهم **اغرقوا** بالطوفان لا بسبب آخر **فادخلوا نارا** المراد اما عذاب القبر فهو عقيب الاغراق
وان كانوا في الماء عن الضحاك انهم كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب او عذاب جهنم والتعقيب
لتنزيله منزلة التعقب لاغراقهم لاقترابه وتحققه لا محالة وتنكير النار اما لتعظيمها وتهويلها او
لانه تعالى اعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار **فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا** اي لم يجد احدا منهم
واحدا من الانصار وفيه تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله تعالى وبانها عاجزة عن نصرهم وتهكم
بهم **وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا** عطف على نظيره السابق وقوله مما خطيئاتهم الى آخره
اعتراض وسط بين دعائه عليه السلام للايذان من اول الامر بان ما اصابهم من الاغراق والاحراق على
طريقة حكاية ما جرى بينه عليه السلام وبينهم من الاحوال والاقوال والآخر عن حكاية دعائه هذا وديارا
من الاسماء المستعملة في النفي العام يقال ما بالدار ديار او ديور كقيام وقيوم اي احد وهو فيعال من الدور او الدار
اصله ديوار قد فعل به ما فعل باصل سيد لا فعال والا لكان دوارا **انك ان تذرهم** عليها كلا او بعضا
يضلوا عبادك عن طريق الحق **ولا يلدوا الا فاجرا كفارا** اي الا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما يصيرون اليه وكانه
اعتذار مما عسى ان يرد عليه من ان الدعاء بالاستئصال مع احتمال ان يكون من اخلافهم من يؤمن منكر وانما
قاله لاستحكام علمه بما يكون منهم ومن اعقابهم بعد ما جربهم واستقرى احوالهم قريبا من الف سنة

رب اغفر لي ولوالدي ابوه متوشلخ وامه شمخا كانا مومنين وقيل آدم وحوى وقرئ ولولدي يريد ساما وحاما ولمن دخل بيتي اي منزلي وقيل مسجدي وقيل سفينتي مومنا بهذا القيد خرجت امرأته وابنه كنعان ولكنه لم يجزم عليه السلام بخروجه الا بعد ما قيل له انه ليس من اهلك وقد مر تفصيله في سورة هود وللمومنين والمومنات عمهم بالدعاء اثر ما خص به من يتصل به نسبا ودينا ولا تزد الظالمين الا تبارا اي هلاكا قيل غرق معهم صبيانهم ايضا لكن لا على وجه العقاب لهم بل لتشديد عذاب ابائهم وامهاتهم بارأة هلاك اطفالهم الذين كانوا اعز عليهم من انفسهم قال عليه السلام يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن انه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فاهلكهم بغير عذاب وقيل اعقم الله تعالى ارحام نسائهم وايبس اصلاب ابائهم قبل الطوفان باربعين سنة او سبعين سنة فلم يكن معهم صبي حين غرقوا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه الصلوة والسلام

سورة الجن وهي ثمان وعشرون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قل اوحي الي وقرئ احي اصله وحي وقد قرئ كذلك من وحي اليه فقلبت الواو المضمومة همزة كاعد وازن في وعد ووزن انه بالفتح لانه فاعل اوحي والضمير للشان استمع اي القران كما ذكر في الاحقاف وقد حذف لدلالة ما بعده عليه نفر من الجن النفر ما بين الثلاثة والعشرة والجن اجسام عاقلة خفية تغلب عليهم النارية او الهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل هي النفوس البشرية المفارقة عن ابدانها وفيه دلالة على انه صلى الله عليه وسلم لم يشعر بهم وباستماعهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم في بعض اوقات قرائته فسمعوها فاخبره الله تعالى بذلك وقد مر ما فيه من التفصيل في الاحقاف فقالوا لقومهم عند رجوعهم اليهم انا سمعنا قرانا كتابا مقروا عجبا بديعا مباينا لكلام الناس في حسن النظم ودقة المعنى وهو مصدر وصف به للمبالغة يهدي الى الرشد الى الحق والصواب فامنا به اي بذلك القران ولن نشرك بربنا احدا حسبما نطق به ما فيه من دلايل التوحيد وانه تعالى جد ربنا قالوا هو وما بعده من الجمل المصدرة بان في احد عشر موضعا عطف على محل الجار والمجرور في فامنا به كانه قيل فصدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا اي ارتفع عظمته من جد فلان في عيني اي عظم تمكنه او سلطانه او غناه على انه مستعار من الجد الذي هو البخت والمعنى وصفه بالاستغنا عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه او لغناه وقرئ بالكسر وكذا الجمل المذكورة عطفا على المحكي بعد القول وهو الاظهر لوضوح الاندراج كلها تحت القول واما اندراج الجمل الاتية تحت الايمان والتصديق كما يقتضيه العطف على محل الجار والمجرور ففيه اشكال كما ستحيط به خبرا وقوله تعالى ما اتخذ صاحبة ولا ولدا اي بيان لحكم تعالى جد وقرئ جدا ربنا على التمييز وجد ربنا بالكسر اي صدق الوهيته وحق الهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد وذلك انهم لما سمعوا القران ووفقوا للتوحيد والايمان تنبهوا للخطا فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله تعالى بخلقه في اتخاذ الصاحبة والولد فاستعظموه ونزهوه تعالى وانه كان يقول سفيهنا اي ابليس او مردة الجن على الله شططا اي قولا ذا شطط اي بعد عن القصد ومجاوزة الحد او هو شطط في نفسه لفرط بعده عن الحق وهو نسبة الصاحبة والولد اليه تعالى وتعلق الايمان والتصديق بهذا القول ليس باعتبار نفسه فانهم كانوا عالمين بقول سفهائهم من قبل ايضا بل باعتبار كونه شططا واما تعلقهما بقوله تعالى وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا فغير ظاهر وهو اعتذار منهم عن تقليدهم لسفيههم اي كنا نظن انه لن يكذب على الله تعالى احد ابدا ولذلك اتبعنا قوله وكذبا مصدر مؤكد ليقول لانه نوع من القول او وصف المصدر المحذوف اي قولا كذبا اي مكذوبا فيه وقرئ لن تقول بحذف احدى التائين فكذبا مصدر مؤكد لان الكذب هو التقول وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن كان الرجل من العرب اذا امسى في واد قفر وخاف يقول

اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الانس والجن وذلك قوله تعالى فزادوهم اي زاد الرجال العائذون الجن رهقا اي تكبرا وعتوا او فزاد الجن العائذين غيا بان اضلوهم حتى استعاذوا بهم وانهم ظنوا اي الانس كما ظننتم ايها الكفرة الى آخره فتكون هذه الاية وما قبلها من جملة الكلام الموحى به والاقرب انها كذلك على كل تقدير عطفا على انه استمع اذ لا معنى لاندراجها تحت ماذكر من الايمان والتصديق وكذا قوله تعالى ان لن يبعث الله احدا وما بعده من الجمل المصدرة بانا ينبغي ان تكون معطوفة على ذلك على ان الوحي عين عبارة الجن بطريق الحكاية كانه قيل قل اوحي الي كيت وكيت وهذه العبارات وانا لمسنا السماء اي طلبنا بلوغ السماء او خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كتطلبه واطلبه وتطلبه فوجدناها ملئت حرسا اي حراسا اسم جمع كخدم مفرد اللفظ ولذلك قيل شديدا قويا وهم الملائكة يمنعون عنها وشهبا جمع شهاب وهي الشعلة المقتبسة من نار الكواكب وانا كنا نقعد قبل هذا منها من السماء مقاعد للسمع خالية عن الحرس والشهب او صالحة للترصد عن الاستماع وللسمع متعلق بنقعد اي لاجل السمع او بمضمر هو صفة لمقاعد اي مقاعد كائنة للسمع فمن يستمع الآن في مقعد من المقاعد يجد له شهابا رصدا له ولاجله يصده عن الاستماع بالرجم او ذوي شهاب راصدين له على انه اسم مفرد في معنى الجمع كالحرس قيل حدث هذا عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم والصحيح انه كان قبل البعث ايضا لكنه كثر الرجم بعد البعثة وزاد زيادة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق اصلا فقالوا ما هذا الا لامر اراده الله تعالى باهل الارض وذلك قولهم وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض بحراسة السماء ام اراد بهم ربهم رشدا اي خيرا ونسبة الخير الى الله تعالى دون الشر من الاداب الشرعية القرانية كما في قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظائره وانا منا الصالحون اي الموصوفون بصلاح الحال في شان انفسهم وفي معاملتهم مع غيرهم المائلون الى الخير والصلاح حسبما تقتضيه الفطرة السليمة لا الى الشر والفساد كما هو مقتضى النفوس البشرية ومنا دون ذلك اي قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون في صلاح الحال على الوجه المذكور لا في الايمان والتقوى كما توهم فان هذا بيان لحالهم قبل استماع القران كما يعرب عنه قوله تعالى كنا طرائق قددا واما حالهم بعد استماعه فسيحكى بقوله تعالى وانا لما سمعنا الهدى الى اخر قوله تعالى وانا منا المسلمون اي كنا قبل هذا ذوي طرائق اي ذوي مذاهب او مثل طرائق في اختلاف الاحوال او كانت طرائقنا طرائق قددا اي متفرقة مختلفة جمع قدة من قد كالقطعة من قطع وانا ظننا اي علمنا الان ان لن نعجز الله اي ان الشان لن نعجز الله كائنين في الارض اين ما كنا من اقطارها ولن نعجزه هربا ان طلبنا وانا لما سمعنا الهدى اي القران الذي هو الهدى بعينه آمنا به من غير تلعثم وتردد فمن يؤمن بربه وبما انزله فلا يخاف فهو لا يخاف بخسا اي نقصا في الجزاء ولا رهقا ولا ان ترهقه ذلة او جزاء بخس ولا رهق اذ لم يبخس احدا حقا ولا رهق ظلم احد فلا يخاف جزاءهما وفيه دلالة على ان من حق من آمن بالله تعالى ان يجتنب المظالم وقرئ فلا يخف والاولى اولى على تحقيق نجاة المومن واختصاصها به وانا منا المسلمون ومنا القاسطون الجائرون عن طريق الحق الذي هو الايمان والطاعة فمن اسلم فاولئك اشارة الى ان من اسلم والجمع باعتبار المعنى تحروا توخوا رشدا عظيما يبلغهم الى دار الثواب واما القاسطون الجائرون عن سنن الاسلام فكانوا لجهنم حطبا توقد بهم كما توقد بكفرة الانس وان لو استقاموا ان مخففة من الثقيلة والجملة معطوفة قطعا على انه استمع واوحي الي ان الشان لو استقام الجن او الانس او كلاهما على الطريقة التي هي ملة الاسلام لاسقيناهم ماء غدقا اي لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه اصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب وقيل لو استقام الجن على الطريقة المثلى او لو

رشدا

سطون

ثبت ابوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله تعالى وطاعته ولم يستكبر عن السجود لآدم عليه السلام
ولم يكفر وتبعه ولدٌ في الاسلام لانعمنا عليهم ووسعنا عليهم رزقهم لنفتنهم فيه لنختبرهم كيف يشكرونه
وقيل معناه لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القرآن لوسعنا عليهم الرزق استدراجا
لنوقعهم في الفتنة ونعذبهم بكفران النعمة ومن يعرض عن ذكر ربه عن عبادته او عن موعظته او وحيه يسلكه
يدخله عذابا صعدا اي شاقا صعبا يعلو المعذب ويغلبه على انه مصدر وصف به مبالغة وان المساجد لله
عطف على قوله تعالى انه استمع اي واوحي اليّ ان المساجد مختصة بالله تعالى وقيل معناه ولان المساجد
لله فلا تدعوا اي فلا تعبدوا فيها مع الله احدا وقيل غيره وقيل المراد بالمساجد المسجد الحرام والمعنى ان
كل ناحية منه مسجد له قبلة مخصوصة او لانه قبلة المساجد وقيل الارض كلها لانها جعلت مسجدا للنبي
صلى الله عليه وسلم وقيل مواضع السجود على ان المراد نهي عن السجود لغير الله تعالى وقيل اعضاء السجود السبعة
وقيل السجدات على انه جمع المصدر الميمي وانه من جملة الوحي اي واوحي اليّ ان الشان لما قام عبد الله اي
النبي صلى الله عليه وسلم وايراده بلفظ العبد للاشعار بما هو المقتضي لقيامه وعبادته للتواضع لانه واقع
موقع كلامه عن نفسه يدعوه حال من فاعل قام اي يعبده وذلك قيامه لصلوة الفجر بنخله كما مر تفصيله
في الاحقاف كادوا اي الجن يكونون عليه لبدا اي متراكمين من ازدحامهم تعجبا مما شاهدوا من عبادته وسمعوا
من قراءته واقتداء اصحابه به قياما وركوعا وسجودا لانهم راوا ما لم يروا مثله وسمعوا ما لم يسمعوا مثله
بنظيره وقيل معناه لما قام صلى الله عليه وسلم يعبد الله وحده مخالفا للمشركين كاد المشركون يزدحمون عليه
متراكمين واللبد جمع لبدة وهي ما تلبد بعضه على بعض ومنها لبدة الاسد وقرئ لبدا جمع لبدة وهي
بمعنى اللبدة ولبدا جمع لانه كساجد وسجدا ولبدا بضمتين جمع لبود كصبور وصبر وعن قتادة تلبدت الجن
والانس على هذا الامر ليطفئوه فابى الله الا ان ينصره على من ناواه قل انما ادعوا اي اعبد ربي ولا اشرك به
بربي في العبادة احدا فليس ذلك ببدع ولا مستنكر يوجب التعجب او الاطباق على عداوتي وقرئ قال
على انه حكاية لقوله صلى الله عليه وسلم للمتراكمين عليه والاول هو الاظهر والاوفق لقوله تعالى قل اني لا املك
لكم ضرا ولا رشدا فترك من كل من المتقابلين ما ذكر في الآخر قل اني لن يجيرني من الله احد ان اراد بي سوء ولن اجد من
دونه ملتحدا ملجأ ومعدلا وهذا بيان لعجزه صلى الله عليه وسلم عن شؤون نفسه عليه السلام بعد
بيان عجزه عليه الصلوة والسلام عن شؤون غيره الا بلاغا من الله استثناء من قوله لا املك فان التبليغ
ارشاد ونفع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة او من ملتحدا اي لن اجد من دونه ملجأ الا ان
ابلغ عنه ما ارسلني به وقيل الا من كلمتين من ان الشرطية ولا النافية ومعناه ان لا ابلغ بلاغا من الله والجواب
محذوف لدلالة ما قبله عليه ورسالاته عطف على بلاغا ومن الله صفته الاصلية اي لا املك لكم الا تبليغا
كائنا منه تعالى ورسالاته التي ارسلني بها ومن يعص الله ورسوله في الامر بالتوحيد او الكلام فيه فان له نار
جهنم وقرئ بفتح الهمزة على فحقه او فجزاؤه ان له نار جهنم خالدين فيها اي في النار او في جهنم
والجمع باعتبار المعنى ابدا بلا نهاية وقوله تعالى حتى اذا راوا ما يوعدون غاية لمحذوف يدل عليه الحال من استضعاف
الكفار لانصاره صلى الله عليه وسلم واستقلالهم لعدده كانه قيل لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا راوا
ما يوعدون من فنون العذاب في الآخرة فسيعلمون حينئذ من اضعف ناصرا واقل عددا وحمل ما يوعدون
على ما راوه يوم بدر يأباه قوله تعالى قل ان ادري اي ما ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا فانه
رد لما قاله المشركون عند سماعهم ذلك متى يكون ذلك الموعود انكارا له واستهزاء به فقيل قل انه كائن لا
محاله واما وقته فما ادري متى يكون عالم الغيب بالرفع هو بدل من ربي اي بيان له وبإباه الفاء في قوله
تعالى فلا يظهر على غيبه احدا اذ يكون النظم حينئذ ام يجعل له عالم الغيب امدا فلا يظهر عليه احدا

وفيه من الاختلال ما لا يخفى فهو خبر مبتدا محذوف اي هو عالم الغيب والجملة استئناف مقرر لما قبله من
عدم الدراية والفاء لترتيب عدم الاظهار على تفرده اي يعلم الغيب على الاطلاق اي فلا يطلع على غيبه اطلاعا
كاملا ينكشف به جلية الحال انكشافا تاما موجبا لعين اليقين احدا من خلقه الا من ارتضى من رسول اي الا رسولا
ارتضاه لاظهاره على بعض غيوبه المتعلقة برسالته كما يعرب عنه بيان من ارتضى بالرسول تعلقا اما لكونه
من مبادي رسالته بان يكون معجزة دالة على صحتها واما لكونه من اركانها واحكامها كعامة التكاليف الشرعية
التي امر بها المكلفون وكيفيات اعمالهم واجزيتها المترتبة عليها في الآخرة ومما يتوقف هو عليه من احوال الآخرة
التي من جملتها قيام الساعة والبعث وغير ذلك من الامور الغيبية التي بيانها من وظايف الرسالة واما ما لا
يتعلق بها على احد الوجهين من الغيوب التي من جملتها وقت قيام الساعة فلا يظهر عليه احدا ابدا على ان بيان
وقته مخل بالحكمة التشريعية التي عليها يدور فلك الرسالة وليس فيما يدل على نفي كرامات الاولياء المتعلقة
بالكشف فان اختصاص الغاية القاصية من مراتب الكشف بالرسل لا يستلزم عدم حصول مرتبة ما من
تلك المراتب لغيرهم اصلا ولا يدعي احد لاحد من الاولياء ما في رتبة الرسل عليهم الصلوة والسلام
من الكشف الكامل الحاصل بالوحي الصريح وقوله تعالى فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا تقرير وتحقيق
للاظهار المستفاد من الاستثناء وبيان لكيفيته اي فانه تعالى يسلك من جميع جوانب الرسول عند
اظهاره على غيبه حرسا من الملائكة يحرسونه من تعرض الشياطين لما اظهره عليه من الغيوب المتعلقة برسالته
وقوله تعالى ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم متعلق بيسلك غاية له من حيث انه مترتب على الابلاغ المترتب
عليه اذ المراد به العلم المتعلق بالابلاغ الموجود بالفعل وان مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير
الشان محذوف والجملة خبرها ورسالات ربهم عبارة عن الغيب الذي اريد اظهار المرتضى عليه والجمع باعتبار
تعدد افراده وضمير ابلغوا اما للرصد فالمعنى انه تعالى يسلكهم من جميع جوانب المرتضى ليعلم ان الشان
ان قد ابلغوه رسالات ربهم سالمة عن الاختطاف والتخليط علما مستتبعا للجزاء وهو ان يعلمه موجودا حاصلا
بالفعل كما في قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين والغاية في الحقيقة هو الابلاغ والمبالغة في الحث عليهما والتحذير
عن التفريط فيهما واما للمرتضى والجمع باعتبار معنى كما ان الافراد في الضميرين السابقين باعتبار لفظها
فالمعنى ليعلم انه قد ابلغ الرسل الموحى اليهم رسالات ربهم الى اممهم كما هي من غير اختطاف ولا تخليط بعد ما
ابلغها الرصد اليهم كذلك قوله تعالى واحاط بما لديهم اي بما عند الرصد او الرسل عليهم الصلوة والسلام
حال من فاعل يسلك باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور جيء بها لتحقيق استغنائه تعالى في العلم بالابلاغ
عما ذكر من سلك الرصد على الوجه المذكور اي يسلكهم بين يديه ومن خلفه ليرتب عليه علمه تعالى بما ذكر
والحال انه تعالى قد احاط بما لديهم من الاحوال جميعا واحصى كل شيء قد كان وما سيكون عددا اي فردا
فردا وهو تمييز منقول من المفعول به لقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا فالاصل احصى عدد كل شيء وقيل
هو حال اي معدودا محصورا او مصدر بمعنى احصاء وايا ما كان ففائدته بيان ان علمه تعالى بالاشياء
ليس على وجه كلي اجمالي بل على وجه جزئي تفصيلي فان الاحصا قد يراد به الاحاطة الاجمالية كما في قوله
تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها اي لا تقدروا على حصرها اجمالا فضلا عن التفصيل وذلك لان اصل
الاحصا ان الحاسب اذا بلغ عقدا معينا من عقود الاعداد كالعشرة والمائة والالف وضع حصاة ليحفظ
بها كمية ذلك العقد فيبني على ذلك حسابه هذا واما ما قيل من ان قوله تعالى واحاط بما لديهم الى آخره معطوف على
مقدر يدل عليه قوله تعالى ليعلم كانه قيل قد علم ذلك واحاط بما لديهم الى آخره بمعزل من السداد
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا صلى الله عليه وسلم وكذب به

سورة المزمل وهي عشرون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **يا ايها المزمل** اي المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف به فادغم التاء في الزاي
وقد قرئ على الاصل وقرئ المزمل من زمله بثيابه للمفعول ومبنيا للفاعل قيل خوطب النبي صلى الله عليه وسلم
تهجينا لما كان عليه من الحالة كان صلى الله عليه وسلم متلففا بقطيفة مستعدا للنوم كما يفعله من لا يهمه
امر ولا يعنيه شان فامر بان يترك التزمل الى التشمر للعبادة والهجود الى التهجد وقيل دخل صلى الله عليه وسلم
على خديجة وقد جئث فرقا اول ما اتاه جبريل عليه السلام وبوادره ترعد فقال زملوني فحسب انه عرض له
فبينما هو على ذلك اذ ناداه جبريل فقال يا ايها المزمل فيكون تخصيص وصف التنزيل بالخطاب للملاطفة
والتانيس كما في قوله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه حين غاضب فاطمة رضي الله عنها فاتاه وهو نايم
وقد لصق بجنبه التراب قم ابا تراب ملاطفة له واشعارا بانه غير عاتب عليه وقيل المعنى يا ايها الذي زمل
امرا عظيما هو امر النبوة اي حمله والزمل الحمل وازدمله احتمله فالتعرض للوصف حينئذ للاشعار بعليته
للقيام او للامر به فان تحمله صلى الله عليه وسلم لاعباء النبوة مما يوجب الاجتهاد في العبادة **قم الليل**
اي قم الى الصلوة وانتصاب الليل على الظرفية وقيل القيام مستعار للصلوة والمعنى قم صل وقرئ بضم
الميم وفتحها **الا قليلا** استثناء من الليل وقوله تعالى **نصفه** بدل من الليل الباقي بعد الثنيا بدل الكل اي قم
نصفه والتعبير عن النصف المخرج بالقليل لاظهار كمال الاعتداد بشان الجزء المقارن للقيام والايذان
بفضله وكون القيام فيه بمنزلة القيام في اكثره في كثرة الثواب واعتبار قلته بالنسبة الى الكل مع عرائه
عن الفائدة خلاف الظاهر **او انقص منه** اي انقص القيام من النصف المقارن له في الصورة الاولى **قليلا**
اي نقصا قليلا او مقدارا قليلا بحيث لا ينحط الى نصف النصف **او زد عليه** اي زد القيام على النصف
المقارن له فالمعنى تخييره صلى الله عليه وسلم بين ان يقوم نصفه او اقل منه او اكثر وقيل قوله تعالى نصفه
بدل من قليلا والتخيير بحاله وليس بسديد اما اولا فلان الحقيق بالاعتناء الذي ينبئ عنه الابدال هو
الجزء الباقي بعد الثنيا المقارن للقيام لا الجزء المخرج العاري عنه واما ثانيا فلان نقص القيام وزيادته
انما يعتبران بالقياس الى معيار الذي هو النصف المقارن له فلو جعل نصفه بدلا من قليلا لزم اعتبار
نقص القيام وزيادته بالقياس الى ما هو عار عنه بالكلية والاعتذار بتساوي النصفين مع كونه تمحلا ظاهرا
اعتراف بان الحق هو الاول وقيل نصفه بدل من الليل والا قليلا استثناء من النصف والضمير في منه وعليه
للنصف والمعنى التخيير بين امرين بين ان يقوم اقل من نصف الليل على البتات وبين ان يختار احد الامرين
بل هما النقصان من النصف والزيادة عليه وقيل الضميران للاقل من النصف كانه قيل قم اقل من نصفه
او قم انقص من ذلك الاقل او ازيد منه قليلا وقيل الذي يليق بجزالة التنزيل هو الاول والله اعلم بما في
كتابه الجليل **ورتل القرآن** في اثناء ما ذكر من القيام اي اقرأه على تؤدة وتبيين حروف **ترتيلا** بليغا بحيث يتمكن
السامع من عدها من قولهم ثغر رتل ورتل اذا كان مفلجا **انا سنلقي عليك** اي سنوحي اليك وايثار الالقاء
عليه لقوله تعالى **قولا ثقيلا** وهو القرآن العظيم المنطوي على تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين لا سيما
على الرسول صلى الله عليه وسلم فانه صلى الله عليه وسلم مامور بتحملها وتحميلها للامة والجملة اعتراض بين
بين الامر وتعليله لتسهيل ما كلفه صلى الله عليه وسلم من القيام وقيل معنى كونه ثقيلا انه رصين لرزانة
لفظه ومتانة معناه او ثقيل على المتامل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر او ثقيل في
الميزان او على الكفار والفجار او ثقيل تلقيه عن ابن عباس رضي الله عنهما كان اذا نزل عليه الوحي ثقل عليه
وتربد له جلده وعن عائشة رضي الله عنها رايته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه
ليرفض عرقا **ان ناشئة الليل** اي ان النفس التي تنشا من مضجعها الى العبادة اي تنهض من نشا من مكانه اذا
نهض وان قيام الليل على ان الناشئة مصدر من نشا كالعافية وان العبادة التي تنشا من الليل اي تحدث

اوان ساعات

اوان ساعات الليل فانها تحدث واحدة بعد واحدة او ساعاتها الاول من نشا اذا ابتدا **هي اشد وطاء** اي هي خاصة
اشد ثبات قدم او كلفة فلا بد من الاعتناء بالقيام وقرئ وطاء اي اشد مواطاة لواطئ قلبها لساكنها ان اريد بها
النفس او يواطئ فيها قلب القائم بلسانه ان اريد بها القيام او العبادة او الساعات او اشد موافقة لما يراد من
الخشوع والاخلاص **واقوم قيلا** واشد مقالا واثبت قراءة لحضور القلب دون الاصوات **ان لك في النهار سبحا**
اي تقلبا وتصرفا في مهماتك واشتغالك بشواغلك فلا تستطيع تتفرغ للعبادة فعليك بها في الليل وهذا بيان
للداعي الخارجي الى قيام الليل بعد بيان ما في نفسه من الداعي وقرئ سبخا اي تفرغ قلب بالشواغل مستعار من تسبيخ الصوف
وهو نفشه ونشر اجزائه **واذكر اسم ربك** اي ودم على ذكره تعالى ليلا ونهارا على اي وجه كان من تسبيح وتهليل وتحميد
وصلوة وقراءة قرآن ودراسة علم **وتبتل اليه تبتيلا** اي وانقطع اليه بمجامع الهمة واستغراق العزيمة في مراقبته حيث لم
يكن ذلك الا بتجريد نفسه صلى الله عليه وسلم عن العوائق الصادرة عن مراقبة الله تعالى وقطع العلائق عما سواه وقرئ
بتلا ومكان تبتيلا مع ما فيه من رعاية الفواصل **رب المشرق والمغرب** مرفوع على المدح وقيل على الابتداء خبره
لا اله الا هو وقرئ بالجر على انه بدل من ربك وقيل على اضمار نون القسم جوابه لا اله الا هو **فاتخذه وكيلا**
لترتيب الامر وموجبه على اختصاص الالوهية والربوبية به تعالى **واصبر على ما يقولون** مما لا خير فيه من الخرافات
واهجرهم هجرا جميلا بان تجانبهم ولا تداريهم ولا تكافئهم وتكل امورهم الى ربهم كما يعرب عنه قوله تعالى **وذرني
والمكذبين** اي دعني واياهم وكل امرهم الي فاني اكفيكهم **اولي النعمة** ارباب التنعم وهم صناديد قريش **ومهلهم
قليلا** زمانا قليلا **ان لدينا انكالا** جمع نكل وهو القيد الثقيل والجملة تعليل الامر اي ان لدينا امورا مضادة
لتنعمهم **وجحيما وطعاما ذا غصة** ينشب في الحلوق ولا يكاد يساغ كالضريع والزقوم **وعذابا اليما** ونوعا آخر من
العذاب مؤلما لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه كل ذلك معد لهم ومرصد وقوله تعالى **يوم ترجف الارض والجبال** اي تضطرب
وتتزلزل ظرف للاستقرار الذي تعلق به لدينا وقيل متعلق بمضمر هو صفة لعذابا اي عذابا واقعا يوم ترجف **وكانت
الجبال** مع صلابتها وارتفاعها **كثيبا** رملا مجتمعا من كثب الشيء اذا جمعه كانه فعيل بمعنى مفعول **مهيلا** منثورا
من هيل هيلا اذا نثر واسيل **انا ارسلنا اليكم** يا اهل مكة **رسولا شاهدا عليكم** يشهد يوم القيمة بما صدر منكم من
الكفر والمعاصي **كما ارسلنا الى فرعون رسولا** هو موسى عليه السلام وعدم تعيينه لعدم دخوله في التشبيه **فعصى
فرعون الرسول** الذي ارسلناه اليه ومحل الكاف النصب على انها صفة لمصدر محذوف اي انا ارسلنا اليكم
رسولا فعصيتموه كما يعرب عنه قوله تعالى شاهدا عليكم ارسالا كائنا كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصاه فقوله
تعالى **فاخذناه اخذا وبيلا** خارجا من التشبيه جيء به للتنبيه على انه سيحيق بهؤلاء ما حاق باولئك لا محالة والوبيل
الثقيل الغليظ من قولهم كلا وبيل اي وخيم لا يستمرى لثقله والوبيل العصا الضخمة **فكيف تتقون** اي كيف
تقون انفسكم **ان كفرتم** ان بقيتم على الكفر **يوما** اي عذاب يوم **يجعل الولدان** من شدة هوله وفظاعة ما فيه
من الدواهي **شيبا** شيوخا جمع اشيب اما حقيقة او تمثيلا واصله ان الهموم والاهوال اذا تفاقمت على المرء
ضعفت قواه واسرع فيه الشيب وقد جوز ان يكون ذلك وصفا لليوم بالطول وليس بذاك **السماء منفطر به**
اي منشق وقرئ تنفطر تنشق والتذكير لاجرائه على موصوف مذكر اي شيء منفطر عبر عنها بذلك للتنبيه على
انه تبدلت عنها حقيقتها وزال عنها اسمها ورسمها ولم يبق منه الا ما يعبر عنه بالشيء وقيل لتاويل السماء بالسقف
وقيل هو من باب النسب اي ذات انفطار والباء في قوله تعالى به مثلها في فطرت العود بالقدوم **كان وعده مفعولا**
الضمير لله عز وجل والمصدر مضاف الى فاعله او اليوم وهو مضاف مفعوله **ان هذه** اشارة الى الايات المنطوية
على القوارع المذكورة **تذكرة** موعظة **فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا** بالتقرب اليه بالايمان والطاعة فانها
الموصل الى مرضاته تعالى **ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل** اي اقل منهما استعير له الادنى لما ان المسافة بين
الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز **ونصفه وثلثه** بالنصب عطفا على ادنى وقرئا بالجر عطفا على ثلثي الليل

وطايفة من الذين معك اي ويقوم معك طايفة من اصحابك والله يقدر الليل والنهار وحده لا يقدر على تقديرهما احد اصلاً فان تقديم الاسم الجليل مبتدا وبنا يقدر عليه موجب للاختصاص قطعاً كما يعرب عنه قوله تعالى علم ان لن تحصوه اي علم ان الشان لن تقدروا على تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات ابداً فتاب عليكم بالترخيص في ترك القيام المقدر ورفع التبعة عنكم في تركه فاقرؤا ما تيسر من القران فصلوا ما تيسر لكم من صلوة الليل عبّر عن الصلوة بالقراة كما عبّر عنها بساير اركانها قيل كان التهجد واجباً على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوة الخمس وقيل هي قراة القران بعينها قالوا من قرا مائة اية من القران في ليلة لم يحاجه القران وقيل من قرا مائة اية كتب من القانتين وقيل خمسين اية علم ان سيكون منكم مرضى استيناف مبين لحكمة اخرى داعية الترخيص والتخفيف وآخرون يضربون في الارض يسافرون فيها للتجارة يبتغون من فضل الله وهو الربح وقد عمّ ابتغاء الفضل لتحصيل العلم وآخرون يقاتلون في سبيل الله واذا كان الامر كما ذكر وتعاضدت الدواعي الى الترخيص فاقرؤا ما تيسر منه من غير تحمل المشاق واقيموا الصلوة اي المفروضة وآتوا الزكوة الواجبة واقرضوا الله قرضاً حسنا اريد به الانفاقات في سبيل الخيرات او الزكوة على احسن الوجوه وانفعها للفقراء وما تقدموا لانفسكم من خير اي كاين مما ذكر ومما لم يذكر تجدوه عند الله هو خيراً واعظم اجرا من الذي تؤخرونه الى الوصية عند الموت وخيراً ثاني مفعولي تجدوا وهو تاكيد اي فصل وان لم يقع بين معرفتين فان افعل من في حكم المعرفة ولذلك يمتنع حروف التعريف وقري هو خير على الابتدا والخبر واستغفروا الله في كافة احوالكم فان الانسان قلما يخلو عن تفريط ان الله غفور رحيم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المزمل رفع الله تعالى عنه العسر في الدنيا والآخرة ۰ صدق حبيب الله وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة المدثر وهي ست وخمسون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المدثر اي المتدثر وهو ما يلبس فوق الشعار الذي يلي الجسد قيل هي اول سورة نزلت روي عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كنت على جبل حرا فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يميني وشمالي فلم ار شيئا فنظرت فوقي فاذا به قاعد فوق عرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرجعت الى خديجة وقلت دثروني فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر وعن الزهري انه اول ما نزل سورة اقرا الى قوله تعالى ما لم يعلم فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يعلو شواهق الجبال فاتاه جبريل عليه السلام وقال انك نبي الله فرجع الى خديجة وقال دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزل يا ايها المدثر وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه متفكرا كما يفعل المهموم فامر ان لا يدع انذارهم وان اسمعوه واذوه وقيل كان نايما متدثرا وقيل المراد المدثر بلباس النبوة والمعارف الالهية وقري المدثر على صيغة اسم المفعول من دثره اي الذي على الاصل قم اي من مضجعك او قم قيام عزم فانذر اي افعل الانذار واحدثه وقيل انذر قومك كقوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين او جميع الناس كما ينبئ عنه قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وربك فكبر واختص ربك بالتكبير وهو وصفه تعالى بالكبرياء اعتقادا وقولا ويروى انه لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر فكبرت خديجة وفرحت وايقنت انه الوحي وقد يحمل على تكبير الصلوة والفاء بمعنى الشرط كانه قيل ما كان اي اي شي يحدث فلا تدع تكبيره اي للدلالة على ان المقصود الاولى من الانذار والقيام ان يكبر ربه وينزهه عن الشرك فانه اولى ما يجب معرفة الصانع من جلاله ثم تنزيهه بما لا يليق بجنابه وثيابك فطهر مما ليس بطاهر فانه واجب في الصلوة واولى واجب في غيرها وذلك لصيانتها وحفظها عن النجاسات وغسلها بعد تلطخها وبتقصيرها ايضا فان طولها يؤدي الى جر الذيول على القاذورات وهو اول ما امر به صلى الله عليه وسلم من رفض العادات المذمومة وقيل هو امر بتطهير النفس مما يستقذر من الافعال ويستهجن من الاحوال يقال فلان طاهر الذيل والاردان اذا وصفوه بالنقا من المعايب ومدانس الاخلاق والرجز فاهجر اي واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدي اليه من الاثم وقري بكسر الراء وهما لغتان كالذكر والذكر ولا تمنن تستكثر ولا تعطه مستكثرا اي رائيا لما تعطيه او طالبا للكثير على انه نهي عن

الاستقرار

الاستقرار وهو ان يهب شيئا وهو يطمع ان يتعوض من الموهوب له اكثر مما اعطاه وهو جايز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هيئته فالنهي اما للتحريم وهو خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى اختار له اشرف الاخلاق واحسن الاداب او للتنزيه وقري تستكثر بالسكون اعتبارا لحال الوقف او ابدالا من تمنن كانه قيل ولا تمنن ولا تستكثر على انه من المن الذي في قوله تعالى منا ولا اذى لان من يمن لا يعطي مستكثرا ويعتد به وقري بالنصب مع بقاء عملها كقول من قال ۰ الا ايها الزاجري احضر الوغا ۰ وقري باثباتها ويجوز في قراءة الرفع ان يحذف ان ويبطل عملها كما يروى بالرفع ولربك اي لوجهه تعالى او لامره فاصبر فاستعمل الصبر وقيل على اذية المشركين وقيل على اداء الفرايض فاذا نقر في الناقور اي نفخ في الصور وهو فاعول من النقر بمعنى التصويت واصله القرع الذي هو سبب الصوت والفاء للسببية كانه قيل اصبر على اذاهم فبين ايديهم امر هايل يلقون فيه عاقبة اذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليهم والعامل في اذا ما دل عليه قوله تعالى فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين فان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الهول والفظاعة ومحله الرفع على الابتدا ويومئذ بدل منه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن والخبر يوم عسير وقيل يومئذ ظرف للخبر والتقدير وذلك الوقت وقوع يوم عسير وعلى متعلقه بعسير وقيل بمحذوف هو صفة العسير او حال من المستكن فيه وقوله تعالى غير يسير تاكيد لعسره عليهم مشعر بيسره على المومنين واختلف في ان المراد به يوم النفخة الاولى او الثانية والحق انها الثانية وهي التي يختص عسرها بالكافرين واما النفخة الاولى فحكمها الذي هو الاصعاق يعم البر والفاجر على انها مختصة بمن كان حيا عند وقوعها وقد جاء في الاخبار ان في الصور ثقبا بعدد الارواح كلها وانها تجمع في تلك الثقب في النفخة الثانية فيخرج عند النفخ من كل ثقبة روح الى الجسد الذي نزعت فيعود الجسد حيا باذن الله عز وجل ذرني ومن خلقت وحيدا حال اما من الياء اي ذرني وحدي معه فاني اكفيكه في الانتقام منه او من التاء اي خلقته لم يشركني في خلقه احد او من العايد المحذوف اي ومن خلقته وحيدا فريدا لا مال له ولا ولد وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يلقب في قومه بالوحيد فهو تهكم به وبلقبه وصرف له عن الغرض الذي يؤمونه من مدحه الى جهة ذمه لكونه وحيدا من المال والولد او وحيدا من ابيه لانه كان زنيما كما مر او وحيدا في الشرارة وجعلت له مالا ممدودا مبسوطا كثيرا او ممدا بالنوامي مدا الدهر ومن نهر آخر قيل كان له الضرع والزرع والتجارة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو ما كان له بين مكة والطايف من صنوف الاموال وقيل كان له في الطايف بستان لا ينقطع ثماره صيفا ولا شتاء وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير كان له الف الف دينار وبنين شهودا حضورا معه بمكة يتمتع بمشاهدتهم لا يفارقونه للتصرف في عمل او تجارة لكونهم مكتفين لوفور نعمهم وكثرة خدمهم او حضورا في الاندية والمحافل لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين وقيل ثلاثة عشر وقيل سبعة عشر كلهم رجال ۰ الوليد ۰ وخالد ۰ وعمارة ۰ وهشام ۰ والعاص ۰ والقيس ۰ وعبد شمس ۰ اسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة ومهدت له تمهيدا وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش ثم يطمع ان ازيد على ما اوتيته وهو استبعاد واستنكار ومعاندة النعم وقيل انه كان يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لي كلا ردع وزجر له عن طمعه الفارغ وقطع لرجائه الخايب وقوله تعالى انه كان لاياتنا عنيدا تعليل لذلك على وجه الاستيناف التحقيقي فان معاندة ايات المنعم مع وضوحها وكفران نعمته مع سبوغها مما يوجب حرمانه بالكلية وانما اوتي ما اوتي استدراجا قيل ما زال بعد نزول هذه الاية في نقصان من ماله حتى هلك سارهقه صعودا ساغشيه بعد تطمعه من الزيادة او الجنة عقبة شاقة المصعد وهو مثل ما يلقى من العذاب الصعب الذي لا يطاق عن النبي صلى الله عليه وسلم يكلف ان يصعد عقبة في النار كلما وضع يده عليها ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت

وعنه صلى الله عليه وسلم الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك ابدا **انه فكر وقدر**
تعليل للوعيد واستحقاقه له والبيان لعناده لاياته تعالى اي فكر ماذا يقول في شان القران وقدر في نفسه ما يقوله
فقتل كيف قدر تعجب من تقديره واصابته فيه الغرض الذي كان ينحيه قريش قاتلهم الله او ثناء عليه بطريق الاستهزاء
به او حكاية لما كرروه من قولهم قتل كيف قدر تهكما بهم وباعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى قولهم قتله
الله ما اشجعه واخزاه الله ما اشعره الاشعار فانه بلغ من الشجاعة والشعر مبلغا حقيقا بان يدعو عليه حاسده بذلك
روي ان الوليد قال لبني مخزوم والله لقد سمعت من محمد انفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة
وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو ولا يعلى فقالت قريش صبا والله الوليد والله
لتصبان قريش كلهم فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه فقعد عنده حزينا وكلمه بما احماه فقام فاتاهم فقال
تزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رايتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رايتموه
يتعاطى شعرا قط وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا في ذلك اللهم لا قالوا فما هو ففكر فقال
ما هو الا ساحر اما رايتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه وما الذي يقوله الا سحر ياثره عن اهل بابل فارتج
النادي فرحا وتفرقوا معجبين بقوله متعجبين منه **ثم قتل كيف قدر** تكرير للمبالغة وثم للدلالة على ان هذه
الكلمة الثانية ابلغ من الاولى وفيما بعد على اصلها من التراخي الزماني **ثم نظر** اي في القران مرة بعد اخرى **ثم عبس**
قطب وجهه لما لم يجد فيه مطعنا ولم يدر ماذا يقول وقيل نظر في وجوه الناس ثم قطب وجهه وقيل نظر الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم قطب وجهه **وبسر** اتباع لعبس **ثم ادبر** عن الحق او عن رسول الله صلى الله عليه وسلم **واستكبر**
عن اتباعه **فقال ان هذا الا سحر يؤثر** اي يروى ويتعلم والفاء للدلالة على ان هذه الكلمة لما خطرت بباله تفوه
بها من غير تلعثم وتلبث وقوله تعالى **ان هذا الا قول البشر** تاكيد لما قبله ولذلك خلي عن العاطف **ساصليه سقر**
بدل من سارهقه صعودا **وما ادريك ما سقر** اي اي شيء اعلمك ما سقر على ان ما الاولى مبتدا وادريك خبره
وما الثانية الخبر لانها المفيدة لما قصد افادته من التهويل والتفظيع وسقر مبتدا اي اي شيء هي في وصفها فان ما
مرارا من ان ما قد يطلب بها الوصف وان كان الغالب ان يطلب بها الاسم والحقيقة وقوله تعالى **لا تبقي ولا**
تذر بيان لوصفها وحالها وانجاز للوعد الضمني الذي يلوح به وما ادريك ما سقر وقيل حال من سقر وليس
بذاك اي لا تبقي شيئا يلقى فيها الا اهلكته واذا هلك لم تذره هالكا حتى يعاد او لا تبقي على شيء ولا تدعه من
الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة **لواحة للبشر** مغيرة لاعالي الجلد مسودة له قيل تلفح الجلد لفحة تدعه
اشد سوادا من الليل وقرئ تلوح للناس وقيل كقوله تعالى ثم لترونها عين اليقين وقرئ لواحة بالنصب على
الاختصاص للتهويل **عليها تسعة عشر** اي ملكا او صنفا او صفا او نقيبا من الملائكة يلون امرها ويتسلطون
على اهلها وقرئ بسكون عين عشر حذرا من توالي الحركات فيما هو في حكم اسم واحد وقرئ تسعة اعشر جمع عشير
مثل يمين وايمن **وما جعلنا اصحاب النار** اي المدبرين لامرها القائمين بتعذيب اهلها **الا ملائكة** ليخالفوا
جنس المعذبين فلا يرقوا لهم ولا يستروحوا اليهم ولانهم اقوى الخلق واقومهم بحق الله عز وجل وبالغضب له تعالى
واشدهم باسا عن النبي صلى الله عليه وسلم لاحدهم مثل قوة الثقلين يسوق احدهم الامة وعلى رقبته جبل فيرمي
بهم في النار ويرمي بالجبل عليهم ويروى انه لما نزل عليها تسعة عشر قال ابو جهل لقريش ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا
برجل منهم فقال ابو الاسود ابن اسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد البطش انا اكفيكم سبعة عشر فاكفوني انتم اثنين
فنزلت اي وما جعلناهم رجالا من جنسكم **وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا** اي وما جعلنا عددهم الا العدد الذي
تسبب لافتتانهم وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيها على التلازم بينهما وليس المراد مجرد جعل عددهم ذلك
العدد المعين في نفس الامر بل جعله في القران ايضا كذلك وهو الحكم بان عليها تسعة عشر اذ بذلك يتحقق افتتانهم
باستقلالهم واستبعادهم لتولي هذا العدد القليل لتعذيب اكثر الثقلين واستهزائهم حسب ما ذكر وعليه

يدور

يدور ما سياتي من استيقان اهل الكتاب وازدياد المؤمنين ايمانا قالوا المخصص بهذا العدد ان اختلاف
النفس البشرية في النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثني عشر والطبيعية السبع اي ان جهنم سبع دركات ست منها
لاصناف الكفرة وان صنف يعذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل انواعا من العذاب يناسبها وعلى كل نوع ملك
او صنف او صف يتولاه وواحد لعصاة الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه واحد وان
الساعات اربع وعشرون خمسة منها مصروفة للصلوات الخمس فيبقى تسعة عشر قد تصرف الى ما يؤاخذ به
بانواع من العذاب يتولاها الزبانية **ليستيقن الذين اوتوا الكتاب** متعلق بالجعل على المعنى المذكور اي ليكتسبوا
اليقين بنبوته صلى الله عليه وسلم وصدق القران لما شاهدوا ما فيه موافقا لما في كتابهم **ويزداد الذين امنوا**
ايمانا اي ويزداد ايمانهم كيفية بما راوا من تسليم اهل الكتاب وتصديقهم انه كذلك او كمية انضمام ايمانهم
بذلك الى ايمانهم بسائر ما انزل **ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون** تاكيد لما قبله من الاستيقان وازدياد الايمان
ونفي لما قد يعتري المستيقن من شبهة ما وانما لم ينظم المؤمنون في سلك اهل الكتاب في نفي الارتياب حيث
لم يقل ولا يرتابوا للتنبيه عن تباين اليقينين حالا فان انتفاء الارتياب من اهل الكتاب مقارن لما ينافيه من الجحود
ومن المؤمنين مقارن لما يقتضيه من الايمان وكم بينهما والتعبير عنهم باسم الفاعل بعد ذكرهم بالموصول والصلة الفعلية
المنبئة عن الحدوث للايذان بثباتهم على الايمان بعد ازدياده ورسوخهم في ذلك **وليقول الذين في قلوبهم مرض**
شك او نفاق فيكون اخبارا بما سيكون في المدينة بعد الهجرة **والكافرون** المصرون على التكذيب **ماذا اراد**
الله بهذا مثلا اي اي شيء اراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا انه مثل مضروب
وافراد قولهم هذا بالتعليل مع كونه من باب فتنتهم للاشعار باستقلاله في الشناعة **كذلك يضل الله من يشاء** ذلك
اشارة الى ما قبله من معنى الاضلال والهداية ومحل الكاف في الاصل النصب على انها صفة لمصدر محذوف
ولعل التقدير يضل الله من يشاء **ويهدي من يشاء** اضلالا وهداية كائنين مثل ما ذكر من الاضلال والهداية فحذف
المصدر واقيم وصفه مقامه ثم قدم على الفعل لافادة القصر فصار النظم مثل ذلك الاضلال وتلك الهداية
يضل الله من يشاء اضلاله لصرف اختياره الى جانب الضلال عند مشاهدته لايات الله الناطقة بالحق ويهدي
من يشاء الله هدايته لصرف اختياره عند مشاهدة تلك الايات الى جانب الهدى لا اضلالا وهداية ادنى منهما
وما يعلم جنود ربك اي جموع خلقه التي من جملتها الملائكة المذكورون **الا هو** اذ لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات
والوقوف على حقائقها وصفاتها ولو اجمالا فضلا عن الاطلاع على تفاصيل احوالها من كم وكيف ونسبة **وما هي** اي
سقر او عدة خزنتها او الايات الناطقة باحوالها **الا ذكرى للبشر** الا تذكرة لهم **كلا** ردع لمن انكرها او انكار
ونفي لان يكون لهم تذكر **والقمر والليل اذ ادبر** وقرئ اذا دبر بمعنى ادبر كقبل بمعنى اقبل ومنه قولهم صاروا كامس
الدابر وقيل هو من دبر الليل والنهار اذا خلفه **والصبح اذا اسفر** اي اضاء وانكشف **انها لاحدى الكبر** جواب للقسم
او تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد والكبر جمع الكبرى جعلت الف التانيث كتاءها فكما انها جمعت فعلة على فعل
جمعت فعلى عليها ونظيرها السوافي في جمع القاصعاء كانها جمع قاصعة اي لاحدى البلايا او لاحدى الدواهي
الكبر على معنى ان البلايا الكبر والدواهي الكبر كثيرة وهذه واحدة في العظم لا نظير لها **نذيرا للبشر** تمييز لاحدى
الكبر انذارا او حال مما دلت عليه الجملة اي كبرت منذرة وقرئ نذير بالرفع على انه خبر بعد خبر لان او لمبتدا
محذوف **لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر** بدل من للبشر اي نذيرا لمن شاء خبر وان يتقدم او يتاخر مبتدا فيكون في
معنى قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر **كل نفس بما كسبت رهينة** مرهونة عند الله تعالى كسبها والرهينة
اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم لا صفة والا لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول لا يدخله التاء
الا اصحاب اليمين فانهم فاكون رقابهم بما احسنوا من اعمالهم كما يفك الراهن رهنه باداء الدين وقيل
هم الملائكة وقيل هم الاطفال وقيل هم الذين سبقت لهم من الله الحسنى وقيل الذين كانوا عن يمين ادم عليه

السلام

يوم الميثاق وقيل الذين يعطون كتبهم بايمانهم **في جنات** لا يكتنه كنهها ولا يدرك وصفها وهو خبر لمبتدا محذوف
والجملة استيناف وقع سؤالا عن جواب نشأ عما قبله من استثناء اصحاب اليمين كانه قيل ما بالهم فقيل هم في جنات
وقيل حال من اصحاب اليمين وقيل من ضميرهم في قوله تعالى **يتساءلون** وقيل ظرف للتسال وليس المراد بتسالهم ان
يسال بعضهم بعضا على ان يكون كل واحد منهم سائلا ومسؤلا مقابل صدور السؤال عنهم مجردا عن وقوعه عليهم
فان صيغة التفاعل وان وضعت في الاصل للدلالة على صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه معا بحيث يصير
كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا معا كما في قولك تراءى القوم اي راى كل واحد منهم الآخر لكنها قد
تجردت عن المعنى الثاني ويقصد بها الدلالة على الاول فقط فيذكر للفعل حينئذ مفعول فمعنى يتساءلون
عن المجرمين يسالونهم عن احوالهم وقد حذف السؤال لكونه عين السؤال عنه وقوله تعالى **ما سلككم في سقر**
مقدر بقول هو حال من فاعل يتساءلون اي يسالونهم اي شيء قائلين اي شيء ادخلكم فيها فتامل ودع عنك
ما تكلف فيه المتكلفون **قالوا** اي المجرمين مجيبين للسائلين **لم نك من المصلين** للصلوة الواجبة **ولم نك**
نطعم المسكين على معنى استمرار نفي الاطعام لا على نفي استمرار الاطعام كما مر مرارا وفيه دلالة على ان الكفار
مخاطبون بالفروع في حق المواخذة **وكنا نخوض مع الخائضين** اي نشرع في الباطل مع الشارعين فيه **وكنا نكذب**
بيوم الدين اي بيوم الجزاء اضافوه الى الجزاء مع ان فيه من الدواهي والاهوال ما لا غاية له لانه اشدها
واهولها فانهم ملابسوه وقد مضت بقية الدواهي وتاخير جنايتهم هذه مع كونها اعظم من الكل تفخيما كانهم قالوا
وكنا بعد ذلك كله مكذبين بيوم الدين ولبيان كون تكذيبهم به مقارنا لسائر جناياتهم المعدودة مستمرا الى
آخر عمرهم حسبما نطق به قولهم **حتى اتانا اليقين** اي العذاب ومقدماته **فما تنفعهم شفاعة الشافعين** لو شفعوا
لهم جميعا والفاء في قوله تعالى **فما لهم عن التذكرة معرضين** لترتيب انكار اعراضهم عن القران بغير سبب على ما قبلها
من موجبات الاقبال عليه والاتعاظ به من سوء حال المكذبين ومعرضين حال من الضمير في الجار الواقع
خبر الاستفهامية وعن متعلقة به اي فاذا كان حال المكذبين على ما ذكر فاي شيء حصل معرضين عن
القران مع تعاضد موجبات الاقبال عليه وماخذ الدواعي الى الايمان به وقوله تعالى **كانهم حمر مستنفرة**
حال من المستكن في معرضين بطريق التداخل اي مشبهين بحمر نافرة **فرت من قسورة** اي اسد فعولة من القسر
وهو القهر والغلبة وقيل جماعة الرماة الذين يتصيدونها شبهوا في اعراضهم عن القران واستماع ما فيه
من المواعظ وشرادهم عنه بحمر جدت في نفارها مما افزعها وفيه من ذمهم وتهجين حالهم ما لا يخفى و
قوله تعالى **بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة** عطف على مقدر يقتضيه المقام كانه قيل لا يبالون بتلك
التذاكر ولا يرضون بها بل يريد كل واحد منهم ان يؤتى قراطيس تطوى وتنشر وتقرا وذلك انهم قالوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تاتي كل واحد منا بكتاب من السماء عنوانها من رب العالمين
الى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك كما قالوا لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقرئ صحفا منشرة
بسكون الحاء والنون **كلا** ردع لهم عن اعراضهم عن تلك الجراة **بل لا يخافون الآخرة** فلذلك يعرضون عن
التذكرة لامتناع ايتاء الصحف **كلا** ردع لهم عن اعراضهم **انه** اي القران **تذكرة** واي تذكرة **فمن شاء**
ان يذكره **ذكره** وحظه نبه بسعادة الدارين وما يدرون بمجرد مشيتهم للذكر كما هو المفهوم من ظاهر قوله
تعالى لمن شاء ذكره اذ لا تاثير لمشية العبد وارادته في افعاله في قوله تعالى **وما يذكرون الا ان يشاء الله**
استثناء مفرغ من اعم العلل او من اعم الاحوال اي وما يذكرون بعلة من العلل او في حال من الاحوال
الا بان يشاء الله او حال ان يشاء الله ذلك وهذا تصريح بان افعال العباد بمشية الله عز وجل
وقرئ تذكرون على الخطاب التفاتا وقرئ بهما مشددا **هو اهل التقوى** اي حقيق بان يتقى عقابه ويؤمن
به ويطاع **واهل المغفرة** اي حقيق بان يغفر لمن امن به واطاعه عن النبي صلى الله عليه وسلم من

من قرا سورة المدثر اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم وكذب به

سورة القيمة وهي اربعون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **لا اقسم بيوم القيمة** ادخال لا النافية على فعل القسم شايع وفايدتها توكيد القسم
قالوا انها صلة مثلها في قوله تعالى لئلا يعلم وقيل هي للنفي اي لكن لا لنفي الاقسام بل لنفي ما ينبئ عنه من اعظام
المقسم به وتفخيمه كان معنى لا اقسم بمثله الا اعظمه باقسامي به حتى اعطاه الله تعالى فانه حقيق باكثر
من ذلك واما ما قيل من ان المعنى نفي الاقسام لوضوح الامر فقد عرفت ما فيه في قوله تعالى فلا اقسم بمواقع
النجوم وقيل ان لا نفي وورود لكلام معهود قبل القسم كانهم انكروا البعث فقيل لا اي ليس الامر كذلك وقيل اقسم
بيوم القيمة من الجزالة لا مزيد عليه وقد مر تفصيله في سورة يس وسورة الزخرف **ولا اقسم بالنفس اللوامة**
اي النفس المتقية التي تلوم النفوس يومئذ على تقصيرها في التقوى ففيه ظرف من البراعة التي في القسم
السابق اما بالنفس المطمئنة اللائمة للنفس الامارة وقيل بالجنس لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال
ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيمة ان عملت خيرا قالت كيف لم ازدد وان عملت
شرا قالت ليتني كنت قصرت ولا يخفى ضعفه وان هذا القدر من اللوم لا يكون مدارا للاعظام بالاقسام
فان صدر عن النفس المؤمنة المسيئة فكيف من الكافرة المندرجة وقيل نفس آدم عليه السلام فانها لا تزال
تلوم على فعلها الذي خرجت به من الجنة وجواب القسم ما دل عليه قوله تعالى **ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه**
وهو ليبعثن والمراد بالانسان الجنس والهمزة لانكار الواقع واستقباحه وان مخففة من الثقيلة وضمير
الشان الذي هو اسمها محذوف اي ايحسب ان الشان لن نجمع عظامه فان ذلك حسبان باطل فانا
نجمعها بعد تشتتها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعد ما سفتها الرياح والقتها في اقطار الارض
والبحار وقيل ان عدي بن ربيعة ختن الاخنس بن شريق وهما اللذان كان النبي صلى الله عليه وسلم
يقول فيهما اللهم اكفني جاري السوء قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد حدثني عن يوم القيمة متى
يكون وكيف امره فاخبره صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لا اصدقك او يجمع الله هذه
العظام **بلى** اي نجمعها حال كوننا **قادرين على ان نسوي بنانه** اي نجمع سلامياته ونضم بعضها الى بعض كما كانت
مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام او على ان نسوي اصابعه التي هي اطرافه وآخر ما يتم به خلقه
وقرئ قادرون اي نحن قادرون **بل يريد الانسان ليفجر امامه** عطف على ايحسب اما على انه استفهام مثله اضرب عن التوبيخ
بذلك الى التوبيخ بهذا او على انه ايجاب انتقل اليه عن الاستفهام اي بل يريد ليدوم على فجوره فيما بين
يديه من الاوقات وما يستقبله من الزمان لا يرعوي عنه **يسئل ايان يوم القيمة** اي متى يكون استبعادا واستهزاء
فاذا برق البصر اي تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرئ بفتح الراء وهي لغة
او من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ بلق اي انفتح وانفرج **وخسف القمر** اي ذهب ضوءه وقرئ
على البناء للمفعول **وجمع الشمس والقمر** بان يطلعهما الله تعالى من المغرب وقيل جمعا في ذهاب الضوء وقيل
يجمعان اسودين مكورين كانهما ثوران عقيران في النار وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف
يقول الانسان يومئذ اي يوم اذ تقع هذه الامور **اين المفر** اي الفرار يأسا منه وقرئ بالكسر اي موضع
الفرار وقد جوز ان يكون هو ايضا مصدرا كالمرجع **كلا** ردع عن طلب الفرار وتمنيه **لا وزر** لا ملجا مستعار
من الجبل وقيل كل ما التجأت اليه وتخلصت فهو وزرك **الى ربك يومئذ المستقر** اي اليه وحده استقرار
العباد او الى حكمه استقرار امرهم او الى مشيته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار **ينبؤا**
الانسان يومئذ اي يخبر كل امرئ برا كان او فاجرا عند وزن الاعمال **بما قدم** اي عمل من عمل خيرا كان او شرا
فيثاب بالاول ويعاقب بالثاني **واخر** اي لم يعمل خيرا كان او شرا فيعاقب بالاول ويثاب بالثاني

اويما قدّم من حسنة اوسيئة او بما اخّر من حسنة اوسيئة فعمل بها بعده او بما قدّم من مال تصدّق به
في حياته او بما اخر فخلّفه او وقفه او اوصى به او باول عمله وآخره **بل الانسان على نفسه بصيرة** اي حجة بيّنة
عن نفسه شاهدة بما صدر عنه من الاعمال السيئة كما ينبي عنه كلمة على وَمَا سيأتي من الجملة الحالية
وصفت بالبصارة مجازا كما وصفت الآيات بالابصار في قوله تعالى فلما جاءتهم اياتنا مبصرة اي
عين بصيرة او التاء للمبالغة ومعنى بل للترقي اي ينبّاء الانسان باعماله بل هو يومئذ عالم بتفصيل
احواله شاهد على نفسه لان جوارحه تنطق بذلك وقوله تعالى **ولو القى معاذيره** اي ولو جاء بكل معذرة
يمكن ان يعتذر بها عن نفسه حال من المستكن في بصيرة او من مرفوع ينبّؤ اي هو بصيرة على نفسه
تشهد عليه جوارحه وتقبل شهادتها ولو اعتذر بكل معذرة او ينبّؤ باعماله ولو اعتذر الى آخره والمعاذير
اسم جمع للمعذرة كالمناكير اسم جمع للمنكر وقيل هو جمع معذار وهو السّتر ولو اوخي مستورة كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا لقن الوحي نازع جبريل عليهما الصلوة والسلام القراءة ولم يصبر الى ان يتمها
مسارعة الى الحفظ وخوفا من ان ينفلت منه فامر صلى الله عليه وسلم بان يستنصت له ملقيا
اليه قلبه وسمعه حتى يقضي اليه ثم يقفّيه بالدراسة الى ان يرسخ فيه فقيل **لا تحرك به** اي بالقرآن
لسانك عند القاء الوحي **لتعجل به** اي لتأخذه على عجلة مخافة ان ينفلت عنك **ان علينا جمعه** في
صدرك بحيث لا يذهب عنك شيء من معانيه **وقرانه** اي اثبات قراءته في لسانك **فاذا قرأناه** اي
اتممنا قراءته عليك بلسان جبريل عليه السلام واسناد القراءة الى نون العظمة للمبالغة في ايجاب التالي
فاتبع قرانه فكن مقفيا له ولا تراسله **ثم ان علينا بيانه** اي بيان ما اشكل عليك من معانيه واحكامه **كلا**
ردع له صلى الله عليه وسلم عن عادته العجلة وترغيب له في الاناة واكد ذلك بقوله تعالى **بل تحبون العاجلة**
وتذرون الآخرة على تعميم الخطاب للكل اي بل انتم يا بني آدم لما خلقتم من عجل وجبلتم عليه تعجلون في
كل شيء ولذلك تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقيل كلا ردع للانسان على الاغترار بالعاجل فيكون
جمع الضمير في الفعلين باعتبار معنى الجنس ويؤيده قراءة الفعلين على صيغة الغيبة **وجوه يومئذ ناضرة**
اي وجوه كثيرة وهي وجوه المؤمنين المخلصين يوم اذ تقوم القيمة بهية متهللة يشاهد عليها نضرة النعيم
على ان وجوه ناضرة يومئذ منصوب بناضرة وناظرة في قوله تعالى **الى ربها ناظرة** خبر ثان للمبتدا او نعت
لناضرة والى ربها متعلق بناظرة وصحة وقوع النكرة مبتدا لان المقام مقام تفصيل الاحوال لان
ناضرة صفة لوجوه والخبر ناظرة كما قيل لما هو المشهور من ان حق الصفة ان تكون معلومة الانتساب الى
الموصوف عند السامع وحيث لم يكن ثبوت النظرة للوجوه لذلك فحقه ان يخبر به ومعنى كونها ناظرة
الى ربها انها تراه مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه وتشاهده تعالى بلا كيف ولا جهة
وليس هذا في جميع الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بان الانتظار لا يسند
الى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وان المستعمل بمعناه لا يعدّى بالى **ووجوه يومئذ باسرة** شديدة
العبوس وهي وجوه الكفرة **تظن** بتوقع اربابها **ان يفعل بها فاقرة** داهية عظيمة تقصم فقار الظهر
كلا ردع عن ايثار العاجلة على الآخرة اي ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا لما بين ايديكم من الموت الذي ينقطع
عنده ما بينكم وبين العاجلة من العلاقة **اذا بلغت التراقي** اي بلغت النفس اعالي الصدر وهي العظام
المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال **وقيل من راق** اي قال من حضر صاحبها من يرقيه وينجيه مما هو فيه
من الرقية وقيل هو من كلام ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه او ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب من الرقي
وظن انه الفراق وايقن المحتضر ان ما نزل به الفراق من الدنيا ونعيمها **والتفت الساق بالساق** والتفت ساقه
بساقه والتوت عليها عند حلول الموت وقيل هما شدة فراق الدنيا وشدة اقبال الآخرة وقيل هما

ساقاه حين يلفان في اكفانه **الى ربك يومئذ المساق** الى الله والى حكمه يساق لا الى غيره **فلا صدّق** ما يجب تصديقه
من الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن الذي انزل عليه او فلا صدق ماله ولا زكاه **ولا صلى** ما فرض عليه والضمير
فيهما للانسان المذكور في قوله تعالى ايحسب الانسان وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق
المواخذة كما مرّ **ولكن كذّب** ما ذكر من الرسول والقرآن **وتولى** عن الطاعة **ثم ذهب الى اهله يتمطى** يتبختر افتخارا
بذلك من المط فان المتبختر يمطّ خطاه فيكون اصله يتمطط او من المطا وهو الظهر فانه يلويه **اولى لك فاولى**
اي ويل لك واصله اولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما في ردف لكم او اولى لك الهلاك وقيل هو افعل من
الويل بعد القلب كما في ادنى من دون او فعلى من آل يؤول بمعنى عقباك النار **ثم اولى لك فاولى** اي تكرر عليه ذلك
مرة بعد اخرى **ايحسب الانسان ان يترك سدى** اي يخلى مهملا فلا يكلف ولا يجزي وقيل ان يترك في قبره فلا يبعث وقوله
تعالى **الم يك نطفة من مني يمنى** الى آخره استيناف وارد لابطال الحسبان المذكور فانّ مداره لما كان استبعادهم
للاعادة استدل على تحققها ببدء الخلق **ثم كان علقة** اي بقدرة الله تعالى لقوله تعالى ثم جعلنا النطفة علقة
فخلق اي فقدر بان جعلها مضغة **فسوّى** فعدل وكمل نشأته **فجعل منه** اي من الانسان **الزوجين** اي الصنفين
الذكر والانثى بدل من الزوجين **اليس ذلك** العظيم الشان الذي انشأ هذا الانشاء البديع **بقادر على ان يحيي الموتى**
وهو اهون من البدء في قياس العقل روي انه صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأها قال سبحانك بلى وعنه عليه
الصلوة والسلام من قرأ سورة القيمة شهدت له انا وجبريل عليه السلام يوم القيمة انه كان مؤمنا بيوم القيمة

سورة هل اتى وهي احدى وثلثون اية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم **هل اتى** استفهام وتقريب فان هل بمعنى قد والاصل اهل اتى **على الانسان** قبل زمان قريب
حين من الدهر اي طائفة محدودة كائنة من الزمن الممتد **لم يكن شيئا مذكورا** بل كان شيئا منسيا غير مذكور بالانسانية
اصلا كالعنصر والنطفة وغير ذلك والجملة المنفية حال من الانسان اي غير مذكور او صفة اخرى لحين على حذف
العائد الموصوف اي لم يكن فيه شيئا مذكورا والمراد بالانسان الجنس والاظهار في قوله تعالى **انا خلقنا الانسان**
من نطفة لزيادة التقرير او آدم عليه السلام وهو المروي عن ابن عباس وقتادة والثوري وعكرمة والشعبي قال
ابن عباس رضي الله عنهما في رواية ابي صالح عنه مرّت به اربعون سنة قبل ان ينفخ فيه الروح وهو ملقى بين
مكة والطائف وفي رواية الضحاك عنه انه خلق من طين فاقام اربعين سنة ثم من حمأ مسنون فاقام اربعين
سنة فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح وحكى الماوردي عن ابن عباس ههنا ان الحين المذكور
ههنا هو الزمن الطويل الممتد الذي لا يعرف مقداره فيكون الاول اشارة الى قوله صلى الله عليه وسلم وهذا
بيانا لخلق بنيه **امشاج** اخلاط جمع مشج اي مشيج من مشجت الشيء اذا خلطته وصف النطفة به لما ان المراد
به مجموع المائين ولكل منهما اوصاف مختلفة من اللون والغلظة والرقة وخواص متباينة فان ماء
الرجل ابيض غليظ منه قوة العقد وماء المرأة اصفر رقيق فيه قوة الانعقاد يخلق منهما الولد فما كان
من عصب وعظم وقوة من ماء الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة قال القرطبي وقد روي
هذا مرفوعا وقيل مفردا كاعشار واكياش وقيل امشاج الوان واطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة
الى تمام الخلقة وقوله تعالى **نبتليه** حال من فاعل خلقنا اي مريدين ابتلاءه بالتكليف فيما سيأتي او ناقلين
له من حال الى حال من طريقة الاستعارة كما روي عن ابن عباس نصرفه في بطن امه نطفة ثم علقة الى آخره
فجعلناه سميعا بصيرا ليتمكن من استماع الآيات التنزيلية ومشاهدة الآيات التكوينية فهو كالسبب
من الابتلاء فلذلك عطف على الخلق المقيد به بالفاء ورتب عليه قوله تعالى **انا هديناه السبيل** بانزال الآيات
ونصب الدلائل **اما شاكرا واما كفورا** حالا من مفعول هديناه اي مكناه واقدرناه على سلوك الطريق الموصل
الى البغية في حاليه جميعا او مقسوما اليهما بعضهم شاكرا وكفورا على وصف السبيل بوصف سالكه مجازا

وقرئ امّا بالفتح على حذف الجواب اي امّا شاكرا فبتوفيقنا وامّا كفورا فبسوء اختياره لا بمجرد اجبارنا من غير اختيار
من قبله وايراد الكفور لمراعاة الفواصل والاشعار بان الانسان قلّما يخلو من كفران ما وانّما المواخذ عليه الكفر المفرط
انا اعتدنا للكافرين من افراد الانسان الذي هديناه السبيل سلاسل بها يقادون واغلالا بها يقيدون وسعيرا بها يحرقون
وتقديم وعيدهم مع تأخيرهم الجمع بينهما في الذكر كما في قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت
وجوههم الآية ولأن الانذار اهم وانفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين احسن على ان في وصفهم تفصيلا
ربما يخل تقديمه بتجاذب اطراف النظم الكريم وقرئ سلاسلا للتناسب ان الابرار شروع في بيان حسن حال الشاكرين
وايرادهم بعنوان البر للاشعار بما استحقوا به ما نالوه من الكرامة السنية والابرار جمع برّ او بارّ كرب وارباب وشاهد
واشهاد قيل هو من برّ خالقه اي يطيعه وقيل من يمتثل امره تعالى وقيل من يوفي بحق الله تعالى ويوفي بالنذر وعن
الحسن البرّ من لا يوذي الذرّ يشربون من كاس هي الزجاجة اذا كانت فيها خمر وتطلق على نفس الخمر ايضا فمن على الاول
ابتدائية وعلى الثاني تبعيضية او بيانية كان مزاجها اي ما يمتزج به كافورا ماء كافور وهو اسم عين في الجنة
ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده والجملة صفة كاس وقوله تعالى عينا بدل من كافور وعن قتادة يمزج
لهم الكافور ويختم لهم بالمسك وقيل يخلق فيها رائحة الكافور وبياضه وبرده فكانها مزجت بالكافور
فعينا على هذين القولين بدل من محل من كاس على تقدير مضاف اي يشربون خمرا خمر عين او نصب على الاختصاص
وقوله تعالى يشرب بها عباد الله صفة عينا اي يشربون بها الخمر لكونها ممزوجة بها وقيل ضمن يشرب معنى
يلتذ وقيل الباء بمعنى من وقيل زائدة ويعضده قراءة ابن ابي عيلة يشربها عباد الله وقيل الضمير للكاس والمعنى
يشربون العين بتلك الكاس يفجرونها تفجيرا اي يجرونها حيث شاؤا من منازلهم اجراء سهلا لا يمتنع عليهم
بل يجري جريا بقوة واندفاع والجملة صفة اخرى لعينا وقوله تعالى يوفون بالنذر استئناف مسوق لبيان
ما لاجله رزقوا ما ذكر من النعيم مشتمل على نوع تفصيل لما ينبئ عنه اسم الابرار اجمالا كانه قيل ماذا يفعلون
حتى ينالوا تلك الرتبة العالية فقيل يوفون بما اوجبوا على انفسهم فكيف بما اوجبه الله تعالى عليهم ويخافون
يوما كان شره عذابه مستطيرا فاشيا منتشرا في الاقطار غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو
ابلغ من طار بمنزلة استنفر من نفر ويطعمون الطعام على حبه اي كائنين على حب الطعام والحاجة اليه كما في قوله
تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون او على حب الاطعام بان يكون ذلك بطيب النفس وكائنين على
حب الله تعالى او اطعاما كائنا على حبه تعالى وهو الانسب لما سيأتي من قوله تعالى لوجه الله مسكينا ويتيما
واسيرا اي اسير كان فانه صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن
اليه او اسيرا مؤمنا فيدخل فيه المملوك والمسجون وقد سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الغريم اسيرا
فقال غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك انما نطعمكم لوجه الله على ارادة قول هو في موضع الحال من فاعل
يطعمون اي قائلين ذلك بلسان الحال او بلسان القال ازاحة لتوهم المنّ المبطل للصدقة وتوقع
المكافاة المنقصة للاجر وعن الصديقة رضي الله عنها انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسأل
الرسول ماذا قالوا فاذا ذكر دعاهم دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله تعالى لا نريد
منكم جزاء ولا شكورا اي شكرا انا نخاف من ربنا يوما عبوسا وهو في الشدة والضراوة قمطريرا شديد
العبوس فلذلك نفعل بكم ما نفعل رجاء ان يقينا ربنا بذلك شره وقيل هو تعليل لعدم ارادة الجزاء والشكور
اي انا نخاف عقاب الله تعالى ان اردناهما فوقاهم الله شر ذلك اليوم بسبب خوفهم وتحفظهم عنه ولقاهم
نضرة وسرورا اي اعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة في الوجوه وسرورا في القلوب وجزاهم بما صبروا
بصبرهم على مشاق الطاعات ومهاجرة هوى النفس في اجتناب المحرمات وايثار الاموال جنة بستانا يأكلون
منه ما شاؤا وحريرا يلبسونه ويتزينون به وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الحسن والحسين رضي الله عنهما

مرضا فعادهما النبي صلى الله عليه وسلم فقال لعلي رضي الله عنه لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة
رضي الله عنهما وفضة جارية لهما ان برئا مما بهما ان يصوموا ثلاثة ايام فشفيا وما معهما شيء فاستقرض
علي رضي الله عنه من شمعون الخيبري ثلاثة اصوع من شعير فطحنت فاطمة رضي الله عنها صاعا واختبزت
خمسة اقراص على عددهم فوضعوها بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم اهل
بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين اطعموني اطعمكم الله تعالى من موائد الجنة فآثروه وباتوا فلم
يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم وقف عليهم يتيم فآثروه ثم
وقف عليهم في الثالثة اسير ففعلوا مثل ذلك فلما اصبحوا اخذ علي بيد الحسن والحسين رضي الله
تعالى عنهم فاقبلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع
قال صلى الله عليه وسلم ما اشد ما يسوءني ما ارى بكم وقام فانطلق معهم ورأى فاطمة في محرابها
قد التصق بطنها بظهرها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل وقال خذها يا محمد هناك
الله تعالى بها في اهل بيتك فاقرأه السورة متكئين فيها على الارائك حال من هم في جزاهم والعامل فيها
جزى وقيل صفة لجنة من غير ابراز الضمير والارائك هي السرر في الحجال وقوله تعالى لا يرون فيها شمسا
ولا زمهريرا اما حال ثانية من الضمير او من المستكن في متكئين والمعنى ان هواءها معتدل بذاته
انه يمر عليهم هواء معتدل لا حار محم ولا بارد موذ وقيل الزمهرير القمر في لغة طي والمعنى ان هواءها مضيء
بذاته لا يحتاج الى شمس ولا قمر ودانية عليهم ظلالها عطف على ما قبلها حال مثلها او صفة لمحذوف
معطوف على جنة اي وجنة اخرى دانية عليهم ظلالها على انهم وعدوا جنتين كما في قوله تعالى ولمن خاف
مقام ربه جنتان وقرئ دانية بالرفع على انه خبر لظلالها والجملة في حيز الحال والمعنى لا يرون فيها شمسا
ولا زمهريرا والحال ان ظلالها دانية قالوا معناه ان ظلال اشجار الجنة قريبة من الابرار مظلة عليهم
مع انه لا شمس ثمة ولا قمر وذللت قطوفها تذليلا اي سخرت ثمارها لمتناولها وسهل اخذها من الذل وهو
ضد الصعوبة والجملة حال من دانية اي تدنو ظلالها عليهم مذللة قطوفها او معطوفة على دانية اي دانية
عليهم ظلالها ومذللة قطوفها وعلى تقدير رفع دانية فهي جملة فعلية معطوفة على جملة اسمية ويطاف عليهم
بآنية من فضة واكواب الكوب الكوز العظيم الذي لا اذن له ولا عروة كانت قواريرا قواريرا من فضة اي
تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها ولين الفضة وبياضها والجملة صفة لاكواب وقرئ قوارير
والثاني ايضا وقرئا بغير تنوين وقرئ الثاني بالرفع على هي قوارير قدروها تقديرا صفة لقوارير ومعنى
تقديرهم لها انهم قدروها في انفسهم وارادوا ان تكون على مقادير واشكال معينة موافقة لشهواتهم
فجاءت حسبما قدروها باعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها وقيل الضمير للطائفين بها والمدلول عليهم
بقوله عليهم بقوله تعالى ويطاف عليهم فالمعنى قدروا اشرابها على قدر اشتهائهم وقرئ قدروها على
البناء للمفعول اي جعلوا قادرين لها كما شاؤا من قدر منقولا من قدرت الشيء ويسقون فيها كاسا كان
مزاجها زنجبيلا اي ما يشبه الزنجبيل في الطعم وكان الشراب الممزوج به اطيب ما تستطيبه العرب
والذّ ما تستلذ به عينا بدل من زنجبيلا وقيل يمزج كاسهم بالزنجبيل بعينه او يخلق الله تعالى طعمه فيها
فعينا حينئذ بدل من كاسا كانه قيل ويسقون فيها كاسا كاس عين او نصب على الاختصاص فيها تسمى
سلسبيلا لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يقال شراب سلسبيل وسلسال وسلسل
ولذلك حكم بزيادة التاء والمراد بيان انها في طعم الزنجبيل ليس فيها لذعة بل نقيض اللذع الذي هو السلاسة
ويطوف عليهم ولدان مخلدون اي دائمون على ما هم عليه من الطراوة والبهاء اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا
لحسنهم وصفاء الوانهم واشراق وجوههم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم وانعكاس اشعة بعضهم الى

بعض وإذا رأيت ثم ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر ولا منوي على معناه ان بصرك اين ما وقع في الجنة
رأيت نعيما وملكا كبيرا اي هنيئا واسعا وفي الحديث ادنى اهل الجنة منزلة من ينظر في ملكه مسيرة الف عام
يرى اقصاه كما يرى ادناه وقيل لا زوال له وقيل تسلم عليهم الملائكة ويستاذنون عليهم عاليهم ثياب سندس
خضر قيل عاليهم ظرف على انه خبر مقدم وثياب مبتدا موخر والجملة صفة اخرى لولدان كانه قيل
يطوف عليهم ولدان فوقهم ثياب الى آخره او حسبتهم لولوا منثورا عاليا لهم ثياب الى آخره وقرئ عاليهم
بالرفع على انه مبتدا خبره ثياب اي ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس وقرئ خضر بالجر حملا على سندس
بالمعنى لكونه اسم جنس واستبرق بالرفع عطفا على ثياب وقرئ برفع الاول وجر الثاني وقرئ بالعكس
وقرئ بجرهما وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من
الثياب وحلوا اساور من فضة عطف على يطوف عليهم ولا ينافيه قوله تعالى اساور من ذهب لامكان
الجمع والمعاقبة والتبعيض فان حلي اهل الجنة يختلف حسب اختلاف اعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم
جزاء لما عملوه بايديهم حليا وانوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة او حال باضمار قد وعلى هذا يجوز
ان يكون هذا للخدم وذاك للمخدومين وسقاهم ربهم شرابا طهورا هو نوع آخر يفوق النوعين السالفين
كما يرشد اليه اسناد سقيه الى رب العالمين ووصفه بالطهورية فانه يطهر شاربه عن دنس الميل
الى الملاذ الحسية والركون الى ما سوى الحق فيتجرد الى مطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهو
الغاية القاصية من منازل الصديقين ولذلك ختم بها مقالة ثواب الابرار ان هذا على اضمار القول
اي يقال لهم ان هذا الذي ذكر من فنون الكرامات كان لكم جزاء بمقابلة اعمالكم وكان سعيكم مشكورا مرضيا
مقبولا مقابلا بالثواب انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا اي مفرقا منجما لحكمة بالغة مقتضية له لا غيرنا كما
يعرب عنه تكرير الضمير مع ان فاصبر لحكم ربك بتاخير نصرك على الكفار فان له عاقبة حميدة ولا تطع منهم
آثما او كفورا اي كل واحد من مرتكب الاثم الداعي لك اليه ومن الغالي في الكفر الداعي اليه واو للدلالة
على انهما سيان في استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار ما يدعونه اليه فان ترتب
النهي على الوصفين مشعر بعليتهما له فلا بد ان يكون النهي عن الاطاعة في الكفر والاثم لا فيما ليس باثم ولا
كفر وقيل الآثم عتبة فانه كان ركابا للمآثم متعاطيا لانواع الفسوق والكفور الوليد فانه كان غاليا
في الكفر شديد الشكيمة في العتو واذكر اسم ربك بكرة واصيلا وداوم على ذكره في جميع الاوقات او دم على
صلوة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل يتناولهما ومن الليل فاسجد له وبعض الليل فصل له ولعله صلوة
المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما في صلوة الليل من مزيد كلفة وخلوص وسبحه ليلا طويلا وتهجد له
قطعا من الليل طويلا ان هؤلاء الكفرة يحبون العاجلة وينهمكون في لذاتها الفانية ويذرون وراءهم اي امامهم
لا يستعدون او ينبذون وراء ظهورهم يوما ثقيلا لا يعباون به ووصفه بالثقل لتشبيه هوله بثقل
شيء فادح باهظ لحامله بطريق الاستعارة وهو كالتعليل لما امر به ونهى عنه نحن خلقناهم لا غيرنا وشددنا
اسرهم اي احكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب واذا شئنا بدلنا امثالهم بعد اهلاكهم تبديلا بديعا
لا ريب فيه وهو البعث كما ينبئ عنه كلمة اذا او بدلنا غيرهم ممن يطيع كقوله تعالى يستبدل قوما غيركم
واذا للدلالة على تحقق القدرة وقوة الداعية ان هذه تذكرة اشارة الى السورة او الآيات القريبة فمن شاء
اتخذ الى ربه سبيلا اي فمن شاء ان يتخذ اليه سبيلا او وسيلة توصله الى ثوابه اتخذه اي تقرب
اليه بالعمل بما في تضاعيفها قوله تعالى وما تشاؤون الا ان يشاء الله تحقيق للحق ببيان ان مجرد مشيئتهم غير
كافية في اتخاذ السبيل كما هو المفهوم من ظاهر الشرطية اي وما تشاؤون اتخاذ السبيل ولا تقدرون
على تحصيله في وقت من الاوقات الا وقت مشيئته تعالى تحصيله لكم اذ لا دخل لمشيئة العبد الا

في الكسب وانما التاثير والخلق لمشيئة الله تعالى وقرئ تشاؤون بالتاء وقرئ الا ما شاء الله تعالى قوله
تعالى ان الله كان عليما حكيما بيان لكون مشيئته تعالى مبنية على اساس العلم والحكمة والمعنى انه تعالى مبالغ
في العلم والحكمة فيعلم ما يستاهله كل احد فلا يشاء لهم الا ما يستدعيه علمه وتقتضيه حكمته قوله تعالى
يدخل من يشاء في رحمته بيان لاحكام مشيئته المترتبة على علمه وحكمته اي يدخل في رحمته من يشاء ان يدخله
وهو الذي يصرف مشيئته نحو اتخاذ السبيل اليه تعالى حيث يوفقه لما يؤدي الى دخول الجنة من الايمان
والطاعة والظالمين وهم الذين صرفوا مشيئتهم الى خلاف ما ذكر اعد لهم عذابا اليما اي متناهيا في الايلام
قال الزجاج نصب الظالمين لان ما قبله منصوب اي يدخل من يشاء في رحمته ويعذب الظالمين ويكون اعد لهم
تفسيرا للمضمر وقرئ بالرفع على الابتداء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل اتى كان جزاؤه على الله تعالى جنة وحريرا

سورة المرسلات وهي خمسون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا
اقسام من الله عز وجل بطوائف من الملائكة ارسلهن باوامره فعصفن في مضيهن عصف الرياح مسارعة في
الامتثال بالامر وبطوائف اخرى نشرن اجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي او نشرن الشرائع في
الاقطار او نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما اوحين ففرقن بين الحق والباطل فالقين ذكرا الى الانبياء
عذرا للمحقين او نذرا للمبطلين ولعل تقديم نشر الشرائع ونشر النفوس والفرق على الالقاء للايذان
بكونهما غاية للالقاء حقيقة بالاعتناء بها او للاشعار بان كلا من الاوصاف المذكورة مستقل بالدلالة على
استحقاق الطوائف الموصوفة بها للتفخيم والاجلال بالاقسام بهن ولو جيء بهن على ترتيب الوقوع لربما فهم
ان مجموع الالقاء والنشر والفرق هو الموجب لما ذكر من الاستحقاق او اقسام برياح ارسلهن فعصفن ورياح
رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن بينه كقوله تعالى ويجعله كسفا او بسحاب نشرن الموات ففرق كل صنف
منها عن سائر الاصناف بالشكل واللون وسائر الخواص او فرقن بين من يشكر الله تعالى وبين من يكفر به فالقين
ذكرا اما عذرا للمعتذرين الى الله تعالى بتوبتهم واستغفارهم عند مشاهدتهم لآثار رحمته تعالى في الغيث ويشكرونها
واما انذارا للذين يكفرونها وينسبونها للانواء واسناد الالقاء المذكور اليهن لكونهن سببا في حصوله
اذا شكرت النعمة فيهن او كفرت او اقسام بآيات القرآن المرسلة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فعصفن سائر الكتب بالنسخ ونشرن آثار الهدى في مشارق الارض ومغاربها وفرقن بين الحق والباطل
فالقين ذكرا للحق في اكناف العالمين والعرف اما نقيض النكر وانتصابه على العلة اي ارسلن للاحسان
والمعروف فان ارسال ملائكة العذاب معروف للانبياء عليهم السلام والمؤمنين او بمعنى المتابعة
من عرف الفرس وانتصابه على الحالية والعذر والنذر مصدران من عذر اذا محا الاساءة ومن انذر
اذا خوف وانتصابهما على البدلية من ذكرا او على العلية وقرئا بالتثقيل انما توعدون لواقع جواب للقسم
اي ان الذي توعدونه من مجيء القيامة كائن لا محالة فاذا النجوم طمست محيت ومحقت او ذهب بنورها واذا
السماء فرجت صدعت وفتحت فكانت ابوابا واذا الجبال نسفت جعلت كالحب الذي ينسف بالمنسف
ونحوه وبست الجبال بسا وقيل اخذت من مقارها بسرعة من انتسفت الشيء اذا اختطفته وقرئ طمست
وفرجت ونسفت واذا الرسل اقتت اي عين لهم الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة على اممهم وذلك
عند مجيئه وحضوره اذ لا يتعين لهم قبله او بلغوا الميقات الذي كانوا ينتظرونه وقرئ وقتت على الاصل
وبالتخفيف فيهما لاي يوم اجلت مقدر بقول هو جواب لاذا في قوله تعالى واذا الرسل اقتت او حال من
مرفوع اقتت اي يقال لاي يوم اخرت الامور المتعلقة بالرسل والمراد تعظيم ذلك اليوم والتعجيب من
هوله وقوله تعالى ليوم الفصل بيان ليوم التاجيل وهذا اليوم الذي يفصل فيه بين الخلائق وما ادريك

ما يوم الفصل ما مبتدا ادريك خبر اي اي شيء جعلك داريا ما هو فوضع موضع الضمير يوم الفصل لزيادة تفظيع وتهويل على ان ما خبر ويوم الفصل مبتدا لا بالعكس كما اختاره سيبويه لان محط الفائدة بيان كون يوم الفصل كما يفيده عكسه ويل يومئذ للمكذبين اي في ذلك اليوم الهائل وويل في الاصل مصدر منصوب سد مسد فعله لكن عدل به الى الرفع للدلالة على اثبات الهلاك ودوامه للدعو عليه ويومئذ ظرفه او صفته الم نهلك الاولين كقوم نوح وعاد وثمود لتكذيبهم وقري نهلك بفتح النون من هلك بمعنى اهلكه ثم نتبعهم الاخرين بالرفع على ثم نحن نتبعهم الاخرين من نظرائهم السالكين لمسلكهم في الكفر والتكذيب وهو وعيد لكفار مكة وقري ثم نستتبعهم وقري نتبعهم بالجزم عطفا على نهلك فيكون المراد بالاخرين المتاخرين هلاكا من المذكورين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام كذلك مثل ذلك الفعل العظيم نفعل بالمجرمين اي سنتنا جارية على ذلك ويل يومئذ اي يوم اذ اهلكناهم للمكذبين بايات الله تعالى وانبيائه وليس تكريرا لما ان الويل الاول لعذاب الاخرة وهذا لعذاب الدنيا الم نخلقكم اي الم نقدركم من ماء مهين اي من نطفة قذرة مهينة فجعلناه في قرار مكين هو الرحم الى قدر معلوم اي مقدار معلوم من الوقت الذي قدره الله تعالى للولادة تسعة اشهر واقل منها او اكثر فقدرنا اي فقدرناه وقد قري مشددا او فقدرنا على ذلك على ان المراد بالقدرة ما يقارن وجود المقدور بالفعل فنعم القادرون اي نحن ويل يومئذ للمكذبين لقدرتنا على ذلك او على الاعادة الم نجعل الارض كفاتا الكفات اسم لما يكفت اي يضم ويجمع من كفت الشيء اذا ضمه وجمعه كالضمام والجماع لما يضم ويجمع اي الم نجعلها كفاتا تكفت احياء كثيرة على ظهرها احيا وامواتا غير محصورة في بطنها وقيل هو مصدر نعت به للمبالغة وقيل جمع كافت كصائم وصيام او كفت وهو الوعاء اجري على الارض باعتبار ارتفاعها وقيل تنكير احياء وامواتا لان احياء الانس وامواتهم بعض الاحياء والاموات وقيل انتصابهما على الحالية من محذوف اي كفاتا تكفتكم احياء وامواتا وجعلنا فيها رواسي اي جبالا ثوابت شامخات طوالا شوامخ ووصف جمع المذكر بجمع المونث في غير العقلاء مطرد كاجن ودواجن واشهر معلومات وتنكيرها للتفخيم او للاشعار بان فيها ما لم يعرف واسقيناكم ماء فراتا بان خلقنا فيها انهارا ومنابع ويل يومئذ للمكذبين بامثال هذه النعم العظيمة انطلقوا اي يقال لهم يومئذ للتوبيخ والتقريع انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون في الدنيا من العذاب انطلقوا خصوصا انطلقوا الى ظل دخان جهنم كقوله تعالى وظل من يحموم وقري انطلقوا على لفظ الماضي اخبارا بعد الامر عن عملهم بموجبه لاضطرارهم اليه طوعا او كرها الى ظل ذي ثلث شعب يتشعب لعظمه ذي ثلاث شعب كما هو شان الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق وتتشعب من دخانها ثلث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمومنون في ظل العرش قيل خصوصية الثلث اما لان حجاب النفس عن انوار القدس الحس والخيال والوهم او الى ان المؤدي الى هذا العذاب هو القوة الوهمية الشيطانية الحالة في الدماغ والقوة الغضبية السبعية التي عن يمين القلب والقوة الشهوية التي عن يساره ولذلك قيل تقف شعبة فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره لا ظليل تهكم بهم ورد لما اوهمه لفظ الظليل ولا يغني من اللهب اي غير مغن لهم من حر اللهب شيئا انها ترمي بشرر كالقصر اي كل شررة كالقصر من القصور في عظمها وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو جمرة وجمر وقري كالقصر بفتحتين وهي اعناق الابل او اعناق النخل نحو شجرة وشجر وقري كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وقري كالقصر نحو قصر كانه جمالة قيل هو جمع جمل والتاء لتانيث الجمع يقال جمل وجمال وجمالة وقيل اسم جمع كالحجارة صفر فان الشرار لما فيه من النارية يكون اصفر وقيل سود لان سواد الابل يضرب الى الصفرة والاول تشبيه في العظم وهذا في اللون والكثرة والتتابع والاختلاط والحركة وقري جمالات جمع جمال او جمالة وقري جمالات جمع جمالة وقد قري بها وهي الحبل العظيم من حبال السفن وقلوس الجسور والتشبيه في امتداده والتفافه ويل يومئذ

للمكذبين

للمكذبين هذا يوم لا ينطقون اشارة الى وقت دخولهم النار اي هذا يوم لا ينطقون فيه بشيء لما ان السؤال والجواب والحساب قد انقضى قبل ذلك ويوم القيمة طويل له مواطن ومواقيت ينطقون في وقت دون وقت فعبر عن كل وقت بيوم او لا ينطقون بشيء ينفعهم فان ذلك كلا نطق وقري بنصب اليوم اي هذا الذي فصل واقع يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون عطف على يؤذن منتظم في سلك النفي اي لا يكون لهم اذن واعتذار متعقب له من غير ان يجعل الاعتذار مسببا عن الاذن كما لو نصب ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل بين الحق والباطل والمحق والمبطل جمعناكم خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم والاولين من الامم وهذا تقرير وبيان للفصل فان كان لكم كيد فكيدون فان جميع من كنتم تقلدونهم وتعتدون بهم حاضرون وهذا تقريع لهم على كيدهم للمومنين في الدنيا واظهار لعجزهم ويل يومئذ للمكذبين حيث ظهر ان لا حيلة لهم في الخلاص من العذاب ان المتقين من الكفر والتكذيب في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون اي مستقرون في فنون الترفه وانواع التنعم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون مقدر بقول هو حال من ضمير المتقين في الجار اي مقولا لهم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون في الدنيا من الاعمال الصالحة كذلك الجزاء العظيم نجزي المحسنين اي في عقائدهم واعمالهم لا جزاء ادنى منه ويل يومئذ للمكذبين حيث نال اعداؤهم هذا الثواب الجزيل وهم بقوا في العذاب المخلد الوبيل كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون مقدر بقول هو حال من المكذبين اي الويل ثابت لهم مقولا لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم في الدنيا وبما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع الفاني عن قريب على النعيم الخالد وعلل ذلك باجرامهم دلالة على ان كل مجرم وماله هذا وقيل هو كلام مستانف خوطب به المكذبون في الدنيا بعد بيان مال حالهم وقرر ذلك بقوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين لزيادة التوبيخ والتقريع واذا قيل لهم اركعوا اي اطيعوا الله واخشعوا وتواضعوا بقبول وحيه واتباع دينه وارفضوا هذا الاستكبار والنخوة لا يركعون لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على ما هم عليه من الاستكبار وقيل اذا امروا بالصلوة او بالركوع لا يفعلون اذ روي انه نزل حين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيفا بالصلوة فقالوا لا نجبي فانها مسبة علينا فقال صلى الله عليه وسلم لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود وقيل هو يوم القيمة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون ويل يومئذ للمكذبين وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المواخذة فباي حديث بعده اي بعد القران الناطق باحاديث الدارين واخبار النشاتين على نمط بديع معجز مؤسس على حجج قاطعة وبراهين ساطعة يؤمنون اذا لم يؤمنوا به على الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المرسلات كتب له انه ليس من المشركين

سورة النباء وهي اربعون اية مكية م

بسم الله الرحمن الرحيم عم اصله عما فحذف منه الالف اما فرقا بين ما الاستفهامية وغيرها وقصد الخفة لكثرة استعمالها وقري على الاصل وما فيها من الابهام للايذان بفخامة شان المسئول عنه وهوله وخروجه عن حد الاجناس المعهودة اي عن اي شيء عظيم الشان يتساءلون اي اهل مكة وكانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم ويخوضون فيه انكارا واستهزاء لكن لا على طريقة التساول عن حقيقته ومسماه بل عن وقوعه الذي هو حال من احواله ووصف من اوصافه فان ما وان وضعت لطلب حقائق الاشياء ومسميات اسبابها كما في قولك ما الملك وما الروح لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال عالم او طبيب وقيل كانوا يسالون عنه الرسول صلى الله عليه وسلم استهزاء لقولهم يتداعونهم اي يدعونهم وتحقيقه ان صيغة التفاعل في الافعال المتقدمة موضوعة لافادة صدور الفعل عن المتعدد عاديا عن اعتبار وقوعه عليه فيذكر للفعل حينئذ مفعول متعدد كما في المثال المذكور او واحد وقد يحذف لظهوره فيما نحن فيه فالمعنى عن اي شيء يسال هولاء القوم الرسول صلى الله عليه وسلم والمومنين وربما يجرد عن صدور الفعل عن المتعدد ايضا فيراد بها تعدده باعتبار تعدد متعلقه مع وحدة الفاعل كما في قوله تعالى فباي الاء ربك تتمارى وقوله تعالى عن النباء العظيم بيان لشان المسؤل عنه اثر تفخيمه بابهام امره وتوجيه اذهان السامعين

نحو وتنزيلهم منزلة المستفهمين فان ايراده على طريقة الاستفهام من علام الغيوب للتنبيه على انه لانعدام نظيره خارج عن دائرة علوم الخلق خليق بان يعتنى بمعرفته ويسأل عنه كانه قيل عن اي شيء يتساءلون ثم قيل بطريق الجواب عن النبأ العظيم على منهاج قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فعن متعلقة بما يدل عليه المذكور من مضمر حقه ان يقدر بعدها مسارعة الى البيان ومراعاة لترتيب السؤال هذا هو الحقيق بالجزالة التنزيلية وقد قيل هي متعلقة بالمذكور وعم متعلق بمضمر مفسر به وايد ذلك بانه قرئ عمه والاظهر انه مبني على اجراء الوصف مجرى الوقف وقيل عن الاولى للتعليل كانه قيل لم يتساءلون عن النبأ العظيم والنبأ الخبر وقد قيل عن الثانية استفهام مضمر كانه قيل عم يتساءلون أعن النبأ العظيم والنبأ الخبر الذي له شأن وخطر وقد وصف بقوله تعالى **الذي هم فيه مختلفون** بعد وصفه بالعظم تاكيدا لخطره اثر تاكيد واشعارا بمدار التساؤل عنه وفيه متعلق بمختلفون قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل وجعل الصلة جملة اسمية للدلالة على الثبات اي هم راسخون في الاختلاف فيه فمن جازم باستحالته يقول ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما نحن بمبعوثين وشاك يقول ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وقيل منهم من ينكر المعادين معا كهؤلاء ومنهم من ينكر المعاد الجسماني فقط كجمهور النصارى وقد حمل الاختلاف على الاختلاف في كيفية الانكار فمنهم من ينكره بناء على استحالة اعادة المعدوم بعينه وحمله على الاختلاف بالنفي والاثبات بناء على تعميم التساؤل لفريقي المسلمين والكافرين على ان سؤال الاولين ليزدادوا خشية واستعدادا وسؤال الآخرين ليزدادوا كفرا وعنادا يرده قوله تعالى **كلا سيعلمون** الى آخره فانه صريح في ان المراد اختلاف الجاهلين به المنكرين له اذ عليهم يدور الردع والوعيد لا على خلاف المؤمنين لهم وتخصيصهما بالكفرة بناء على تخصيص ضمير سيعلمون بهم مع عموم الضميرين السابقين للكل مما ينبغي تنزيه التنزيل عن امثاله هذا ما ادى اليه جليل النظر والذي يقتضيه التحقيق ويستدعيه النظر الدقيق ان يحمل اختلافهم على مخالفتهم للنبي صلى الله عليه وسلم بان يعتبر في الاختلاف محض صدور الفعل عن المتعدد حسبما ذكر في التساؤل فان الافتعال والتفاعل صيغتان متآخيتان كالاستباق والتسابق والانتضال والتناضل الى غير ذلك يجري في كل منهما ما يجري في الاخرى لا على انه مخالفة بعضهم لبعض لان الكل وان استحق الردع والوعيد لكن استحقاق كل جانب منهما ليس لمخالفته للجانب الآخر اذ لا حقيقة في شيء منهما ليستحق مخالفه المؤاخذة بل لمخالفته له صلى الله عليه وسلم فكلا ردع لهم عن التساؤل والاختلاف بالمعنيين المذكورين وسيعلمون وعيد لهم بطريق الاستيناف وتعليل للردع والسين للتقريب والتاكيد وليس مفعوله ما ينبئ عنه المقام من وقوع ما يتساءلون عنه ووقوع ما يختلفون فيه الآية فان ذلك عار عن صريح الوعيد بل هو عبارة عما يلاقونه من فنون الدواهي والعقوبات والتعبير عن وقوعها بالعلم لوقوعه في معرض التساؤل والاختلاف والمعنى ليرتدعوا عما هم عليه فانهم سيعلمون عما قليل حقيقة الحال اذا حل بهم العذاب والنكال وقوله تعالى **ثم كلا سيعلمون** تكرير للردع والوعيد للمبالغة في التاكيد والتشديد وثم للدلالة على ان الوعيد الثاني ابلغ واشد وقيل الاول عند النزع والثاني في القيامة وقيل الاول للبعث والثاني للجزاء وقرئ ستعلمون بالتاء على نهج الالتفات الى الخطاب الموافق لما بعده من الخطابات تشديدا للردع والوعيد لا على تقدير قل لهم كما توهم فان فيه من الاخلال بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى وقوله تعالى **الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا** الى آخره استيناف مسوق لتحقيق النبأ المتساءل عنه بتعداد بعض الشواهد الناطقة بحقيته اثر ما نبه عليها بما ذكر من الردع والوعيد ومن هاهنا اتضح ان التساؤل عنه هو البعث لا القرآن او نبوة النبي صلى الله عليه وسلم كما قيل والهمزة للتقرير والالتفات الى الخطاب على

القراءة

القراءة المشهورة للمبالغة في الالزام والتبكيت والمهاد البساط والفراش وقرئ مهدا على تشبيهها بمهد الصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر وجعل الجبال اوتادا لها ارساؤها بها كما يرسى البيت بالاوتاد **وخلقناكم** عطف على المضارع المنفي بلم داخل في حكمه فانه في قوة انا جعلنا الى آخره او على ما يقتضيه الانكار التقريري فانه في قوة ان يقال قد جعلنا **ازواجا** اصنافا ذكرا وانثى ليسكن كل من الصنفين الى الآخر وينتظم امر المعاشرة والمعاش ويتسنى التناسل **وجعلنا نومكم سباتا** اي موتا لانه احد التوفيين لما بينهما من المشاركة التامة في انقطاع احكام الحياة وعليه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل وقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وقيل قطعا عن الاحساس والحركة لازاحة القوى الحيوانية وازاحة كلالها والاول هو اللائق بالمقام كما ستعرفه **وجعلنا الليل** الذي يقع النوم فيه غالبا **لباسا** يستركم بظلامه كما يستركم اللباس ولعل المراد به ما يستتر به عند النوم من اللحاف ونحوه فان شبه الليل به اكمل واعتباره في تحقيق المقصد ادخل فهو جعل الليل محلا للنوم الذي جعل موتا كما جعل النهار محلا لليقظة المعبر عنها بالحياة كما في قوله تعالى **وجعلنا النهار معاشا** اي وقت حياة تبعثون فيه من نومكم الذي هو اخو الموت كما في قوله تعالى وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وجعل كون الليل لباسا عبارة عن ستره عن العيون لمن اراد هربا عن عدو او بياتا له او نحو ذلك مما لا مناسبة له بالمقام وكذا جعل النهار وقت التقلب في تحصيل المعاش والحوائج **وبنينا فوقكم سبعا شدادا** اي سبع سموات قوية الخلق محكمة البناء لا يؤثر فيها مر الدهور وكر العصور والتعبير عن خلقها بالبناء مبني على تنزيلها منزلة القباب المضروبة على الخلق وتقديم الظرف على المفعول ليس لمراعاة الفواصل فقط بل للتشويق اليه فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فاذا ورد عليها تمكن عندها فضل تمكن **وجعلنا سراجا وهاجا** هذا الجعل بمعنى الانشاء والابداع كالخلق خلا انه مختص بالانشاء التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له في الآية الكريمة وللتشريعي ايضا كما في قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة الى آخره وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وايا ما كان ففيه انباء عن ملابسته لمفعوله بشيء آخر بان يكون فيه او له او منه او نحو ذلك ملابسة مصححة لان يتوسط بينهما شيء من الظروف لغوا كان او مستقرا لكن لا على ان يكون عمدة في الكلام بل قيدا فيه كما في قوله تعالى وجعل بينهما برزخا وقوله تعالى وجعل فيها رواسي وقوله تعالى واجعل لنا من لدنك وليا الآية فان كل واحد من هذه الظروف اما متعلق بنفس الجعل او بمحذوف وقع حالا من مفعوله تقدم عليه لكونه نكرة وايا ما كان فهو قيد في الكلام حتى اذا اقتضى الحال وقوعه عمدة فيه يكون الجعل متعديا الى اثنين هو ثانيهما كما في قوله تعالى يجعلون اصابعهم في آذانهم وربما يشتبه الامر فيظن انه عمدة فيه وهو في الحقيقة قيد في احد الوجهين كما سلف في قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة والوهاج الوقاد المتلالئ من وهجت النار اذا اضاءت او البالغ في الحرارة من الوهج والمراد به الشمس والتعبير عنها بالسراج من روادف التعبير عن خلق السموات بالبناء **وانزلنا من المعصرات** هي السحائب اذا اعصرت اي شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كما في احصد الزرع اذا حان له ان يحصد ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض او الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب وقرئ بالمعصرات ووجه ذلك ان الانزال حيث كان من المعصرات سواء اريد بها السحائب او الرياح فقد كان بها كما يقال اعطاه من يده وبيده وقد فسرت المعصرات بالرياح ذوات الاعاصير ووجهه ان الرياح هي التي تنشئ السحاب وتدر اخلافه فصلحت ان تجعل مبدأ للانزال **ماء ثجاجا** اي منصبا بكثرة يقال ثج الماء اي سال بكثرة وثجه اي اساله ومنه قوله صلى الله عليه وسلم افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وقرئ ثجاحا بالحاء بعد الجيم قالوا مثاجح الماء مصابه **لنخرج به** بذلك الماء **حبا** يقتات كالحنطة والشعير ونحوهما **ونباتا** يعتلف كالتبن والحشيش وتقديم الحب مع تاخره عن النبات في الاحداث

لاما لته وشرفه لان فالبه مناء الانسان **وجنات** الجنة في الاصل هي المسرة من مصدر جنه اذا ستره يطلق
علي النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه قال زهير بن ابي سلمى • كان عيني في غربي مقتلة • من النواضح
تسقي جنة سحقا • وعلي الارض ذات الشجر قال الفرا الجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم والاول
هو المراد وقوله تعالي **الفافا** اي ملتفة تداخل بعضها في بعض قالوا لا واحد له كالاوزاع والاحقاف
وقيل الواحد لف ككن واكنان او لفيف كشريف واشراف وقيل هو جمع لف الخضر وخضرا وقيل جمع
ملتفة بحذف الزوايد واعلم ان فيما ذكر من افعاله عز وجل دلالة علي صحة البعث وحقيته من وجوه
ثلثة الاول باعتبار قدرته تعالي فان من قدر علي انشاء هذه الافعال البديعة من غير مثال يحتذيه ولا
قانون ينتحيه كان علي الاعادة اقدر واقوي الثاني باعتبار علمه وحكمته فان من ابدع هذه المصنوعات
علي نمط رايع مستتبع لغايات جليلة ومنافع جميلة عايدة الي الخلق يستحيل ان نفيها بالكلية ولا يجعل لها عاقبة
والثالث باعتبار نفس الفعل فان اليقظة بعد النوم انموذج للبعث بعد الموت يشاهدونها كل يوم
وكذا اخراج الحب والنباتات من الارض الميتة يعاينون كل حين كانه قيل الم نفعل هذه الافعال الافاقية والانفسية
الدالة بفنون الدلالات علي حقيقة البعث الموجبة للايمان به فما لكم تخوضون فيه انكارا وتتساءلون
عنه استهزاء وقوله تعالي **ان يوم الفصل كان ميقاتا** شروع في بيان سر تاخير ما يتساءلون عنه ويستعجلون
به قايلين متي هذا الوعد ان كنتم صادقين ونوع تفصيل لكيفيته ووقوعه وما سيلقونه عند ذلك من فنون
العذاب حسبما جري به الوعيد اجمالا اي ان يوم فصل الله عز وجل بين الخلايق كان في علمه وتقديره
ميقاتا وميعادا لبعث الاولين والاخرين وما يترتب عليه من الجزاء ثوابا وعقابا لا يكاد يتخطاه بالتقدم
والتاخر وقيل حدا توقت به الدنيا وتنتهي عنده او حدا للخلايق ينتهون اليه ولا ريب في انهما بمعزل
من التقريب الذي اشير اليه علي ان الدنيا تنتهي عند النفخة الاولي وقوله تعالي **يوم ينفخ في الصور** اي نفخة
ثانية من يوم الفصل او عطف بيان له مفيد لزيادة تفخيمه وتهويله ولا ضير في تاخر الفصل عن النفخ فانه
زمان ممتد يقع في مبديه النفخة وفي بقيته الفصل ومباديه واثاره والصور هو القرن الذي ينفخ فيه
اسرافيل عليه السلام عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما فرغ الله تعالي
من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل فهو واضعه علي فيه شاخص بصره الي العرش ينتظر
متي يومر بالنفخ فيه فيومر به فينفخ نفخة لا يبقي عندها في الحيوة غير من شاء الله تعالي وذلك قوله تعالي
ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم يومر بالاخري فينفخ نفخة لا
يبقي معها ميت الا بعث وقام وذلك قوله تعالي ثم نفخ فيه اخري فاذا هم قيام ينظرون والفاء في
قوله تعالي **فتاتون** فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بغاية سرعة
الاتيان كما في قوله تعالي فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فتبعثون من قبوركم فتاتون الي الموقف
عقيب ذلك من غير لبث اصلا **افواجا** اي امما كل امة مع امامها كما في قوله تعالي يوم ندعوا كل اناس
بامامهم او زمرا وجماعات مختلفة الاحوال متباينة الاوضاع حسب اختلاف اعمالهم وتباينها
عن معاذ رضي الله عنه انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم يا معاذ سالت
عن امر عظيم ثم ارسل عينيه وقال تحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم علي صورة القردة وبعضهم علي صورة
الخنازير وبعضهم منكبون ارجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عمي وبعضهم صم وبعضهم
يمضغون السنتهم وهي مدلاة علي صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم
مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون علي جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم
يلبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم فاما الذين علي صورة القردة فالقتات من الناس واما

الذين علي

الذين علي صورة الخنازير فاهل السحت واما المنكبون علي وجوههم فاكلة الربا واما العمي فالذين
يجورون في الحكم واما الصم البكم فالمعجبون باعمالهم واما الذين يمضغون السنتهم فالعلماء الذين خالف
قولهم اعمالهم واما الذين قطعت ايديهم وارجلهم فهم الذين يوذون جيرانهم واما المصلبون علي جذوع
من نار فالسعاة بالناس الي السلطان واما الذين هم اشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات
واللذات ومنعوا حق الله تعالي في اموالهم واما الذين يلبسون الجباب فاهل الكبر والفخر والخيلاء **وفتحت**
السماء عطف علي ينفخ وصيغة الماضي للدلالة علي التحقق وقري فتحت بالتشديد وهو الانسب بقوله
تعالي **فكانت ابوابا** اي كثرت ابوابها المفتحة لنزول الملايكة نزولا غير معتاد حتي صارت كانها ليست الا
ابوابا مفتحة كقوله تعالي وفجرنا الارض عيونا كان كلها عيون متفجرة وهو المراد بقوله تعالي ويوم تشقق
السماء بالغمام وهو الغمام الذي ذكر في قوله تعالي هل ينظرون الا ان ياتيهم الله تعالي اي امره وباسه في
ظلل من الغمام والملايكة وقيل الابواب الطرق والمسالك اي تكشط فينفتح مكانها وتصير طرقا لا يسدها
شيء **وسيرت الجبال** اي في الجو علي هيئاتها بعد قلعها من مقارها كما يعرب عنه قوله تعالي وتري الجبال تحسبها
جامدة وهي تمر مر السحاب اي تريها راي العين ساكنة في اماكنها والحال انها تمر مر السحاب الذي يسيره
الرياح سيرا حثيثا وذلك ان الاجرام العظام اذا تحركت نحوا من الانحاء لا يكاد يتبين حركتها وان كانت في غاية
السرعة لا سيما من بعيد وعليه قول من قال • بارعن مثل الطود تحسب انهم • وقوف لحاج والركاب تهملج •
وقد ادمج في هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال السحاب في تخلخل الاجزاء وانتفاشها كما ينطق به قوله
تعالي وتكون الجبال كالعهن المنفوش يبدل الله تعالي الارض ويغير هيئاتها وتسير الجبال علي تلك الهيئة
الهائلة عند حشر الخلايق بعد النفخة الثانية ليشاهدوها ثم يفرقها في الهواء وذلك قوله تعالي **فكانت**
سرابا اي فصارت بعد تسييرها مثل السراب كقوله تعالي وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا اي غبارا
منتشرا وهي وان اندكت وانصدعت عند النفخة الاولي ولكن تسييرها وتسوية الارض انما يكون بعد
النفخة الثانية كما نطق به قوله تعالي ويسالونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا
لا تري فيها عوجا ولا امتا يومئذ يتبعون الداعي وقوله تعالي يوم تبدل الارض غير الارض والسموات
وبرزوا لله الواحد القهار فان اتباع الداعي هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله تعالي لا يكون الا بعد
النفخة الثانية **ان جهنم كانت مرصادا** شروع في تفصيل احكام الفصل الذي اضيف اليه اليوم اثر
بيان هوله وفي وجه بيان تقديم بيان حال الكفار غني عن البيان والمرصاد اسم للمكان الذي يرصد فيه
كالمضمار الذي هو اسم للمكان الذي يضمر فيه الخيل والمنهاج اسم للمكان الذي ينهج فيه اي انها كانت في حكم الله
تعالي وقضائه موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار ليعذبوهم فيها **للطاغين** متعلق بمضمر هو نعت
لمرصادا اي كاين للطاغين وقوله تعالي **مابا** بدل منه اي مرجعا يرجعون اليه لا محالة واما حال من مابا قدمت
عليه لكونه نكرة ولو تاخرت لكانت صفة وقد جوزان يتعلق بنفس مابا علي انها مرصاد للفريقين ماب
للكافرين خاصة ولا يخفي ما بعده فان المتبادر من كونها مرصادا للطايفة كونهم معذبين بها وقد قيل
انها مرصاد لاهل الجنة ترصدهم الملايكة الذين يستقبلونهم عندها لان مجازهم عليها وهي ماب للطاغين
وقيل المرصاد صيغة مبالغة من الرصد والمعني انها مجدة في ترصد الكفار لئلا يشذ منهم احد وقري ان
بالفتح علي تعليل قيام الساعة بانها مرصاد للطاغين **لابثين فيها** حال مقدرة من المستكن في الطاغين
وقري لبثين وقوله تعالي **احقابا** ظرف للبثهم اي دهورا متتابعة كلما مضي حقب تبعه حقب اخر الي غير
نهاية فان الحقب لا يكاد يستعمل الا حيث يراد تتابع الازمنة وتواليها فليس فيه ما يدل علي تناهي تلك
الاحقاب ولو اريد بالحقب ثمانون سنة او سبعون الف سنة وقوله تعالي **لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا**

الاحميما وغساقا جملة مبتداة اخبر عنهم بانهم لا يذوقون فيها شيئا من برد وروح ينفس عنهم حر النار ولا من
شراب يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا وقيل البرد النوم وقرئ غساقا بالتخفيف وكلاهما
مما يسيل من صديدهم جزاء اي جوزوا بذلك جزاء وفاقا ذا وفاق لاعمالهم او نفس الوفاق مبالغة او وافقها
وفاقا وقرئ وفاقا على انه فعال من وفقه كذا اي لانه انهم كانوا لا يرجون حسابا تعليل لاستحقاقهم الجزاء
المذكور اي كانوا لا يخافون ان يحاسبوا باعمالهم وكذبوا باياتنا الناطقة بذلك كذابا اي تكذيبا
مفرطا ولذلك كانوا مصرين على الكفر وفنون المعاصي وفعال من باب فعل شايع فيما بين الفصحاء وقرئ
بالتخفيف وهو مصدر كذب قال فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وانتصابه اما بفعله المدلول
عليه بكذبوا اي وكذبوا باياتنا فكذبوا كذابا واما بنفس كذبوا لتضمنه معنى كذبوا فان كل من يكذب بالحق
فهو كاذب وقرئ كذابا وهو جمع كاذب فانتصابه على الحالية اي كذبوا باياتنا كاذبين وقد يكون الكذاب
بمعنى الواحد البليغ في الكذب فيجعل صفة المصدر كذبوا اي تكذيبا كذابا مفرطا كذبه وكل شيء من الاشياء
التي من جملتها اعمالهم وانتصابه بمضمر يفسره احصيناه اي حفظناه وضبطناه وقرئ بالرفع على الابتدا
كتابا مصدر موكد لاحصيناه لما ان الاحصاء والكتبة من واد واحد او لفعله المقدر او حال بمعنى
مكتوبا في اللوح او في صحف الحفظة والجملة اعتراض قوله تعالى فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا مسبب
عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالايات وفي الالتفات المنبئ عن التشديد في التهديد وايراد لن المفيدة
لكون ترك الزيادة من قبيل ما لا يدخل تحت الصحة من الدلالة على تبالغ الغضب ما لا يخفى وقد روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هذه الاية اشد ما في القران على اهل النار ان للمتقين مفازا شروع
في بيان محاسن احوال المؤمنين اثر بيان سوء احوال الكفرة اي ان الذين يتقون الكفر وسائر قبائح اعمال
الكفرة فوزا وظفرا بمباغيهم او موضع فوز او قيل نجاة مما فيه اولئك او موضع نجاة وقوله تعالى حدائق
واعنابا اي بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة وكروما بدل من مفازا وكواعب اي نساء فلكت ثديهن وهن
النواهد اترابا اي لدات وكاسا دهاقا اي مترعة يقال ادهق الحوض اي ملاه لا يسمعون فيها اي في الجنة
وقيل في الكاس لغوا ولا كذابا اي لا ينطقون بلغو ولا يكذب بعضهم بعضا وقرئ كذابا بالتخفيف اي لا
يكذبه ولا يكاذبه جزاء من ربك مصدر موكد منصوب بمعنى ان للمتقين مفازا فانه في قوة ان يقال
جازى المتقين بمفاز جزاء كائنا من ربك والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال شيئا فشيئا
مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم مزيد تشريف له صلى الله عليه وسلم عطاء اي تفضلا واحسانا
منه تعالى اذ لا يجب عليه شيء وهو بدل من جزاء حسابا صفة لعطاء بمعنى كافيا على انه بمعنى المحسب كالدراك
بمعنى المدرك رب السموات والارض وما بينهما بدل من ربك وقوله تعالى الرحمن صفة له وقيل صفة للاول واياما
ما كان ففي ذكر ربوبيته تعالى للكل ورحمته الواسعة اشعار بمبدا الجزاء المذكور وقوله تعالى لا يملكون منه
خطابا استيناف مقرر لما افادته الربوبية العامة من غاية العظمة والكبرياء واستقلاله تعالى بما ذكر
من الجزاء والعطاء من غير ان يكون لاحد قدرة عليه وقرئ برفعهما فقيل على انهما خبران لمبتدا مضمر وقيل
الثاني نعت للاول وقيل الاول مبتدا والثاني خبره ولا يملكون خبر اخر او هو الخبر والرحمن صفة للاول وقيل
لا يملكون حال لازمة وقيل الاول مبتدا والرحمن مبتدا ثان ولا يملكون خبره والجملة خبر للاول وحصل الربط بتكرير
المبتدا بمعناه على راي من يقول به والاوجه ان يكون كلاهما مرفوعا على المدح او يكون الثاني نعت للاول
ولا يملكون استئنافا على حاله ففيه ما ذكر من الاشعار بمبدا الجزاء والعطاء كما في البدلية لما ان المرفوع والمنصوب
مدحا تابع لما قبله معنى وان كان منقطعا عنه اعرابا كما فصل في قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب من سورة البقرة
وقرئ بجر الاول على البدلية ورفع الثاني على الابتداء والخبر ما بعده او على انه خبر لمبتدا مضمر وما بعده استئنافا

او خبر ثان

او خبر ثان او حال وضمير لا يملكون لاهل السموات والارض اي لا يملكون ان يخاطبوه تعالى من تلقاء انفسهم كما
ينبئ عنه لفظ الملك خطابا ما في شيء والمراد نفي قدرتهم على ان يخاطبوه بشيء من نقص العذاب او زيادة الثواب
من غير اذنه على ابلغ وجه واكده وقيل ليس في ايديهم مما يخاطب الله به ويؤمر به في امر الثواب والعقاب خطاب
واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون فيه او ينقصون منه يوم يقوم الروح والملائكة صفا قيل
الروح خلق اعظم من الملائكة واشرف منهم واقرب من رب العالمين وقيل هو ملك ما خلق الله بعد العرش
اعظم منه وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه اذا كان يوم القيمة قام وحده صفا والملائكة كلهم صفا
وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الروح جند من جنود الله تعالى ليسوا ملائكة لهم رؤوس وايد وارجل
ياكلون الطعام ثم قرا يوم يقوم الروح الاية وهذا قول ابي صالح ومجاهد قالوا ما ينزل من السماء ملك الا
ومعه واحد منهم نقله البغوي وقيل هم اشراف الملائكة وقيل هم حفظة على الملائكة وقيل هو جبريل
عليه السلام وصفا حال اي مصطفين قيل هما صفان الروح صف واحد ومتعدد والملائكة صف
وقيل صفوف وهو الاوفق لقوله تعالى والملك صفا صفا وقيل يقوم الكل صفا واحدا ويوم ظرف لقوله
تعالى لا يتكلمون قوله تعالى الا من اذن له الرحمن وقال صوابا بدل من ضمير لا يتكلمون العائد الى اهل السموات
والارض الذين من جملتهم الروح والملائكة وذكر قيامهم واصطفافهم لتحقيق عظمة سلطانه تعالى وكبرياء
ربوبيته وتهويل يوم البعث الذي عليه مدار الكلام الا من اذن الله تعالى له منهم في التكلم وقال ذلك الماذون
له قولا صوابا اي حقا فكيف يملكون خطاب رب العزة مع كونه اخص من مطلق الكلام واعز منه مراما لا على معنى
ان الروح والملائكة مع كونهم افضل الخلائق واقربهم من غيرهم اليه تعالى اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما هو
صواب من الشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملك غيرهم كما قيل لانه مؤسس على قاعدة الاعتزال فمن
يسلكه مع تجويزه ان يكون يوم ظرفا لا يملكون فقد اشتبهت عليه الشؤون واختلط به الظنون وقيل
الا من اذن الخ منصوب على اصل الاستثناء والمعنى لا يتكلمون الا في حق شخص اذن له الرحمن وقال ذلك
الشخص صوابا اي حقا هو التوحيد واظهار الرحمن في موقع الاضمار للايذان بان مناط الاذن هو الرحمة
البالغة لا ان احدا يستحقه عليه سبحانه وتعالى ذلك اشارة الى يوم قيامهم على الوجه المذكور
وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو درجته وبعد منزلته في الهول والفخامة
ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده اي ذلك اليوم العظيم الذي يقوم فيه الروح والملائكة مصطفين
غير قادرين هم وغيرهم على التكلم من الهيبة والجلال اليوم الحق اي الثابت المتحقق لا محالة من غير صارف
يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء في قوله تعالى فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا فصيحة تفصح عن شرط محذوف
ومفعول المشيئة محذوف لوقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وانتفاء الغرابة في تعلقه
بها حسب القاعدة المستمرة والى ربه متعلق بمآبا قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل كانه قيل
واذا كان الامر كما ذكر من تحقق اليوم المذكور لا محالة فمن شاء ان يتخذ مرجعا الى ثواب ربه الذي ذكر
شانه العظيم فعل ذلك بالايمان والطاعة وقال قتادة مآبا اي سبيلا انا انذرناكم اي بما ذكر في
السورة من الايات الناطقة بالبعث وبما بعده من الدواهي او بها وبسائر القوارع الواردة في القران
عذابا قريبا هو عذاب الاخرة وقربه لتحقق اتيانه حتما ولانه قريب بالنسبة اليه تعالى واذا رأوه
بعيدا وسيرونه قريبا لقوله تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وعن قتادة هو عقوبة
الدنيا لانه اقرب العذابين وعن مقاتل هو قتل قريش يوم بدر ويأباه قوله تعالى يوم ينظر المرء ما قدمت
كانه ابدل من عذابا او ظرف لمضمر هو صفة له اي عذابا كائنا يوم ينظر المرء اي يشاهده ما قدمته من خير او شر
على ان ما موصولة منصوبة بينظر والعائد محذوف او بينظر اي شيء قدمت يداه على انها استفهامية منصوبة

يداه

بقدمت وقيل المرء عبارة عن الكافر ويقول الكافر ياليتني كنت ترابا ظاهر وضع موضع المضمر لزيادة الذم قيل معنى
تمنيه ليتني كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او ليتني كنت ترابا في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر الله تعالى
فيقتص من القرنا ثم يرده ترابا فيتمنى الكافر حاله وقيل الكافر ابليس يرى آدم و ولده وثوابهم فيتمنى ان يكون الشيء
الذي احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة عم يتساءلون سقاه الله تعالى برد الشراب يوم القيمة

سورة النازعات وهي تسع وعشرون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا اقسام من الله
عز وجل بطوايف الملايكة الذين ينزعون الارواح من الاجساد على الاطلاق قاله ابن عباس ومجاهد او ارواح الكفرة
كما قاله علي رضي الله عنه وابن مسعود وسعيد بن جبير ومسروق وينشطونها اي يخرجونها من الاجساد من نشط الدلو
من البير اذا اخرجها ويسبحون في اخراجها سبح الغواص الذي يخرج من البحر ما يخرج فيسبقون بارواح الكفرة الى
النار وبارواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون امر عقابها وثوابها بان يهيؤها لادراك ما اعد لها من الالام واللذات
والعطف مع اتحاد الكل لتنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي كما في قوله • الى الملك القرم وابن الهمام •
وليث الكتايب في المزدحم • للاشعار بان كل واحد من الاوصاف المعدودة من معظمات الامور حقيق بان
يكون على حياله مناط الاستحقاق موصوفه للاجلال والاعظام بالاقسام به من غير انضمام الاوصاف
الاخر اليه والفاء في الاخيرين للدلالة على ترتبهما بغير مهلة كما في قوله • ياويح ديابة للحارث • الصابح فالغانم
فالآيب • وغرقا مصدر مؤكد بحذف الزوايد اي اغراقا في النزع حيث نزعها من اقاصي الاجساد قال ابن
مسعود رضي الله تعالى عنه تنزع روح الكافر من جسده من تحت كل شعرة من تحت الاظافير واصول القدمين
ثم يفرقها في جسده ثم ينزعها حتى اذا كانت تخرج يردها في جسده فهذا عملها بالكفار وقيل يرى الكافر نفسه
في وقت النزع كانها تغرق وانتصاب نشطا وسبحا وسبقا ايضا على المصدرية واما امرا فمفعول للمدبرات
وتنكيره للتهويل والتفخيم ويجوز ان يراد بالسابحات وما بعدها طوايف من الملايكة يسبحون في مضيهم اي
يسرعون فيه فيسبقون الى ما امروا به من الامور الدنيوية والاخروية والمقسم عليه محذوف تعويلا
على اشارة ما قبله من المقسم به اليه ودلالة ما بعده من احوال القيمة وهو لتبعثن فان الاقسام بمن
ينزع الارواح ويقوم بتدبير امورها يلوح بكون المقسم عليه من قبيل تلك الامور لا محالة وفيه من الجزالة
ما لا يخفى وقد جوز ان يكون اقساما بالنجوم التي تنزع من المشرق الى المغرب غرقا في النزع بان تقطع الفلك
حتى تنحط في اقصى المغرب وتنشط من برج الى برج اي تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد وتسبح في
الفلك فتسبق بعضها بعضا فتدبر امرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وتبيين مواقيت العبادات
وحيث كانت حركاتها من المشرق الى المغرب قسرية وحركاتها من برج الى برج ملايمة عبر عن الاولى بالنزع
وعن الثانية بالنشط او بانفس الغزاة او ايديهم التي تنزع القسي باغراق السهام وينشطون بالسهم
للرمي ويسبحون في البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون امرها او بخيلهم التي تنزع في اعنتها نزعا
تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها لانها عراب وتخرج من دار الاسلام الى دار الحرب وتسبح في جريها فتسبق
الى الغاية فتدبر امر الظفر والغلبة واسناد التدبير اليها لانها من اسبابه هذا والذي يليق بشان التنزيل
هو الاول وقوله تعالى يوم ترجف الراجفة منصوب بالجواب المضمر والمراد بالراجفة الواقعة التي ترجف
عندها الاجرام الساكنة اي تتحرك حركة شديدة وتتزلزل زلزلة عظيمة كالارض والجبال وهي النفخة الاولى
وقد قيل الراجفة الارض والجبال لقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال وقوله تعالى تتبعها الرادفة اي
الواقعة التي تردف الاولى وهي النفخة الثانية حال من الراجفة مصححة لوقوع اليوم ظرفا للبعث اي
لتبعثن يوم النفخة الاولى حال كون النفخة الثانية تابعة لها لا قبل ذلك فانها عبارة عن الزمان الممتد

التي يقع

التي يقع فيه النفخات وبينهما اربعون سنة واعتبار امتداده مع ان البعث لا يكون الا عند النفخة الثانية
لتهويل اليوم ببيان كونه موقعا لداهيتين عظيمتين لا يبقى عند وقوع الاولى حي الا مات ولا عند وقوع الثانية
ميت الا بعث وقام ووجه اضافته الى الاول ظاهر وقيل يوم ترجف منصوب باذكر فتكون الجملة استينافا
مقررا لمضمون الجواب المضمر كانه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذكر لهم يوم النفختين فانه وقت بعثهم
وقيل هو منصوب بما دل عليه قوله تعالى قلوب يومئذ واجفة اي يوم ترجف وجفت القلوب قيل قلوب
مبتدا ويومئذ متعلق بواجفة وهي صفة القلوب مسوغة لوقوعه مبتدا وقوله تعالى ابصارها اي ابصار
اصحابها خاشعة جملة من مبتدا وخبر وقعت خبرا للقلوب وقد مر ان حق الصفة ان تكون معلومة
الانتساب الى الموصوف عند السامع حتى قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها
صفات فحيث كان ثبوت الرجيف للقلوب وثبوت الخشوع لابصار اصحابها سواء في المعرفة والجهالة
فان جعل الاول عنوانا للموضوع مسلم الثبوت مفروغا عنه وجعل الثاني مخبرا به مقصود الافادة تحكما
على ان الوجيف الذي هو عبارة عن شدة اضطراب القلب وتلفه من الخوف والوجل اشد من خشوع
البصر واهول فتخصيص الخشوع بقلوب موصوفة بصفة معينة غير مشعرة بالعموم والشمول تهوين للخطب
في موقع التهويل فالوجه ان يقال تنكير قلوب يقوم مقام الوصف المختص سواء حمل على التنويع كما قيل وان
لم يذكر النوع المقابل فان المعنى منسحب عليه او على التكثير كما في شعرا هر ذا ناب فان التفخيم كما يكون بالكيفية
يكون بالكمية ايضا كانه قيل قلوب كثيرة يوم اذ يقع النفختان واجفة اي شديدة الاضطراب قال ابن
عباس رضي الله عنهما خايفة وجلة وقال السدي زايلة عن اماكنها كما في قوله تعالى اذ القلوب لدى
الحناجر قوله تعالى يقولون اينا لمردودون في الحافرة حكاية لما يقولون المنكرون للبعث المكذبون بالآيات
الناطقة بها اثر بيان وقوعه بطريق التوكيد القسمي وذكر مقدماته الهايلة وما يعرض عند وقوعها
للقلوب والابصار اي يقولون لهذا قيل لهم انكم تبعثون منكرين له متعجبين منه اينا لمردودون بعد
موتنا الى الحافرة اي في الحالة الاولى يعنون الحيوة من قولهم رجع فلان في حافرته اي طريقته التي جاء
فيها فحفرها اي اثرها بمشيته وتسميتها حافرة مع انها محفورة كقوله تعالى عيشة راضية الى مقسوبة
الى الحفر والرضا او لقولهم نهاره صايم على تشبيه القابل بالفاعل وقرئ في الحفرة وهي بمعنى المحفورة
قوله تعالى اءذا كنا عظاما نخرة تاكيد لانكار الرد ونفيه بنسبته الى حالة منافية له والعامل في اذا مضمر
يدل عليه مردودون اي ااذا كنا عظاما بالية نرد ونبعث مع كونها ابعد شيء من الحياة وقرئ اذا كنا على
الخبر او اسقاط حرف وناخرة من نخر العظام فهو نخر وناخر وهو البالي الاجوف الذي تمر به الريح فيسمع له
نخير قالوا حكاية لكفرهم الاخر متفرع على كفرهم السابق المستهصدر الى ما انكروه من الرد في الحا
مشعرين بغاية بعدها من الوقوع قالوا تلك اذا كرة خاسرة اي ذات خسران او خاسر اصحابها اي ان صحت
فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها قوله تعالى فانما هي زجرة واحدة تعليل لمقدر يقتضيه انكارهم لاحياء العظام
النخرة الذي عبروا عنه بالكرة فان مدار ذلك استصعابهم اياها فرد عليهم ذلك فقيل لا تستصعبوها فانما
هي صيحة واحدة اي حاصلة بصيحة واحدة وهي النفخة الثانية عبر عنها بها تنبيها على كمال اتصالها بها كانها
عينها وقيل هي راجع الى الرادفة فقوله تعالى فاذا هم بالساهرة حينئذ بيان لترتب الكرة على الزجرة مفاجاة
اي فاذا هم احياء على وجه الارض بعد ما كانوا امواتا في جوفها وعلى الاول بيان لحضورهم الموقف عقيب
الكرة التي عبر عنها بالزجرة والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من
قولهم عين ساهرة جارية الماء وفي ضدها نايمة وقيل لان سالكها لا ينام خوف الهلكة وقيل اسم لجهنم
وقال الراغب هي وجه الارض وقيل هي ارض القيمة وروى الضحاك عن ابن عباس ان الساهرة ارض فضة

لم يعص الله تعالى عليها قط خلقها حينئذ وقيل هي ارض يجددها الله تعالى يوم القيمة وقيل هي اسم الارض الثانية
يأتي الله تعالى فيحاسب الخلائق عليها وذلك حين تبدل الارض غير الارض وقال الثوري الساهرة ارض الشام
وقال وهب بن منبه جبل بيت المقدس وقيل الساهرة بمعنى الصحرآء على شفير جهنم قوله تعالى **هل اتيك
حديث موسى** كلام مستأنف وارد لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه بانه يصيبهم مثل ما اصاب
من كان اقوى منهم واعظم ومعنى هل اتيك اي اعتبر هذا اول ما اتاه صلى الله عليه وسلم من حديثه عليه السلام
في استماع حديثه كانه قيل هل اتيك حديثه انا اخبرك به وان اعتبر اتيانه قبل هذا وهو المتبادر من
الايجاز في الاختصاص ليس قد اتاك حديثه قوله تعالى **اذ ناداه ربه بالوادى المقدس** ظرف للحديث لا
للاتيان لاختلاف وقتهما **طوى** بضم الطآء غير منون وقرئ منونا وقرئ بالكسر منونا وغير منون
فمن نونه اوله بالمكان دون البقعة وقيل هو كثنى مصدر ولنا دي او المقدس اي ناداه ندائين او المقدس
مرة بعد اخرى **اذهب الى فرعون** على ارادة القول وقيل هو تفسير للندآء اي ناداه اذهب وقيل هو على حذف
ان المفسرة ويدل عليه قراءة عبد الله ان اذهب لان في الندآء معنى القول **انه طغى** تعليل للامر او لوجوب
الامتثال به **فقل** بعدما اتيته **هل لك** رغبة وتوجه **الى ان تزكى** بحذف احدى التائين من تتزكى
اي تتطهر من دنس الكفر والطغيان وقرئ تزكى بالتشديد **واهديك الى ربك** وارشدك الى معرفته
عز وجل لتعرفه **فتخشى** اذ الخشية لا تكون الا بعد معرفته عز وجل قال سبحانه انما يخشى الله من عباده
العلمآء وجعل الخشية غاية للهداية لانها ملاك الامر من خشي الله تعالى اتى منه كل خير ومن اجترا على
كل شر امر صلى الله عليه وسلم بان يخاطبه بالاستفهام الذي معناه العرض ليستدعيه بالتلطف
في القول وليستنزله بالمداراة من عتوه وهذا ضرب تفصيل لقوله تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر
او يخشى والفآء في قوله تعالى **فاراه الاية الكبرى** فصيحة تفصح عن جمل قد طويت تعويلا على تفصيلها في
السور الاخرى فانه عليه السلام ما اراها اياه عقيب هذا الامر بل بعد ما جرى بينه وبين الله تعالى من الاستدعا
والاجابة وغيرها من المراجعات وبعد ما جرى بينه وبين فرعون من المحاورات الى ان قال ان كنت جئت
باية فأت بها ان كنت من الصادقين والارائة اما بمعنى التبصر او التعريف قال اللعين حين ابصرها عرفها
سحر تنها انما كان ارادة منه واظهارا للتجلد ونسبها اليه عليه السلام بالنظم الى الظاهر كما ان نسبتها الى
نون العظمة في قوله تعالى ولقد اريناه اياتنا بالنظر الى الحقيقة والمراد بالاية الكبرى قلب العصاء
حية وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما فانها كانت المقدمة والاصل والاخرى كالتبع لها او هما جميعا
وهو قول مجاهد فانهما كالاية الواحدة وقد عبر عنهما بصيغة الجمع حيث قيل اذهب انت واخوك باياتي
باعتبار ما في تضاعيفهما من بدايع الامور التي كل منها اية بينة لقوم يعقلون كما مر تفصيله في سورة طه
ولا مساغ لحملها على مجموع معجزاته فان ما عدا هاتين الايتين من الايات التسع انما ظهرت على يده عليه
السلام بعد ما غلب السحرة على مهل في نحو من عشرين سنة كما مر في سورة الاعراف ولا ريب في ان هذا مطلع
القصد وامر السحرة مترتب بعد **فكذب** بموسى وسمى معجزته سحرا **وعصى** الله عز وجل بالتمرد بعد ما علم صحة
الامر ووجوب الطاعة اشد عصيان واقبحه حيث اجترا على انكار وجود رب العالمين راسا وكان
اللعين وقومه مامورين بعبادته عز وعلا وترك العظمة التي كان يدعيها الطاغية وكلفتلها الفئة
الباغية لا بارسال بني اسرائيل من الاسر والقسر فقط **ثم ادبر** اي تولى عن الطاعة وانصرف عن المجلس **يسعى**
اي يجتهد في معارضة الاية او ادبر ثم اقبل اي انشا يسعى فوضع موضعه ادبر تحاشيا عن وصفه
بالاقبال وقيل ادبر هاربا من الثعبان فانه روى انه عليه السلام لما القى العصا انقلبت ثعبانا اشعر
فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا ووضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر فتوجه نحو

فرعون

فرعون فاحدث وهرب وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا وقيل انها انقلبت حية
ارتفعت في الهوآء نحو ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول يا موسى امرني بما شئت وفرعون
يقول انشدك بالذي ارسلك الا اخذتها فاخذها فعاد عصى ويأباه ان ذلك كان قبل الاصرار على التكذيب
والعصيان والتصدي للمعارضة كما يعرب عنه قوله تعالى **فحشر** اي فجمع السحرة لقوله تعالى فارسل
فرعون في المداين حاشرين وقوله تعالى فتولى فرعون فجمع كيده اي ما يكاد به من السحرة والآلات
وقيل جنوده ويجوز ان يراد جميع الناس **فنادى** في المجمع بنفسه او بواسطة المنادي **فقال انا ربكم الاعلى**
قيل قام فيهم خطيبا فقال تلك العظيمة **فاخذه الله نكال الاخرة والاولى** النكال بمعنى التنكيل كالسلم بمعنى
التسليم وهو التعذيب الذي ينكل من راه وسمعه ويمنعه من تعاطي ما يفضي اليه ومحله النصب على
انه مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله كانه قيل نكل الله به نكال الاخرة والاولى وهو الاحراق في الاخرة
والاغراق في الدنيا وقيل مصدر لاخذ اي اخذ الله اخذ نكال الى اخره وقيل مفعول له اي اخذه لاجل نكال
الى اخره وقيل نصب على نزع الخافض اي اخذه بنكال الاخرة والاولى واضافته الى الدارين باعتبار وقوع
نفس الاخذ فيهما لا باعتبار ان ما فيه من معنى المنع يكون فيهما فان ذلك لا يتصور في الاخرة بل في الدنيا
فان العقوبة الدنيوية تنكل من سمعها وتمنعه من تعاطي ما يؤدي اليها لا محالة وقيل المراد بالاخرة
والاولى قوله انا ربكم الاعلى وقوله ما علمت لكم من اله غيري قيل كان بين الكلمتين اربعون سنة والاضا
اضافة المسبب الى السبب **ان في ذلك** اي فيما ذكر من قصة فرعون وما فعل به **لعبرة** عظيمة **لمن
يخشى** لمن شانه ان يخشى وهو من شانه المعرفة وقوله تعالى **أانتم اشد خلقا** خطاب لاهل مكة المنكرين
للبعث بناء على صعوبته في زعمهم بطريق التوبيخ والتبكيت بعد ما بين كمال سهولته بالنسبة الى قدرة
الله عز وجل بقوله تعالى فانما هي زجرة واحدة اي اخلقكم بعد موتكم اشد اي اشق واصعب في تقديركم **ام
السمآء** اي ام خلق السمآء على عظمها وانطوائها على تعاجيب البدايع التي تحار العقول عن ملاحظة ادناها
لقوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض
بقادر على ان يخلق مثلهم وقوله تعالى **بناها** الى اخره وتفصيل لكيفية خلقها المستفاد من قوله
ام السمآء وفي عدم ذكر الفاعل فيه وفيما عطف عليه من الافعال من التنبيه على تعينه وتفخيم شانه
عز وجل ما لا يخفى وقوله تعالى **رفع سمكها** بيان للبنآء اي جعل مقدار ارتفاعها من الارض وذهابها
الى سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسماية عام **فسويها** فعدلها مستوية ملسا ليس فيها تفاوت
ولا فطورا وفتمها بما علم انه تتم به من الكواكب والتداوير وغيرها مما لا يعلمه الا الخلاق العليم
من قولهم سوى امر فلان اذا اصلحه **واغطش ليلها** اي جعله مظلما يقال غطش الليل واغطشه
الله تعالى كما يقال اظلم واظلمه وقد مر هذا في قوله تعالى واذا اظلم عليهم قاموا ويقال ايضا
اغطش كما يقال اظلم **واخرج ضحاها** اي ابرز نهارها عبر عنه بالضحى لانه اشرف اوقاته واطيبها
فكان احق بالذكر في مقام الامتنان وهو السر في تاخير ذكره عن ذكر الليل وفي التعبير عن احداثه
الاخراج فان افاضة النور بعد الظلمة اتم في الانعام واكمل في الاحسان واضافة الليل والضحى
لدوران حدوثهما على حركتها ويجوز ان يكون اضافة الضحى اليها بواسطة الشمس اي ابرز ضوء
شمسها والتعبير عنه بالضحى لانه وقت قيام سلطانها وكمال اشراقها **والارض بعد ذلك دحيها** اي
بسطها ومهدها لسكنى اهلها وتقلبهم في اقطارها وانتصاب الارض بمضمر يفسره دحاها **اخرج
منها ماءها** بان فجر منها عيونا واجرى انهارا **ومرعيها** اي رعيها وهو في الاصل موضع الرعي وقيل هو مصدر
ميمي بمعنى المفعول وتجريد الجملة عن العاطف اما لانها بيان وتفسير لدحاها وتكميل له فان السكنى لا تتاتى

بمجرد البسط والتمهيد بل لا بد من تسوية امر المعاش من المأكل والمشارب حتما واما لانها حال من فاعله باضمار
قد عند الجمهور وبدونه عند الكوفيين والاخفش كما في قوله تعالى اذ جاؤكم حصرت صدورهم **والجبال** منصوب
بمضمر يفسره **ارسيها** اي اثبتها واثبت بها الارض ان تميد باهلها وهذا تحقيق للحق وتنبيه على ان
الرسو المنسوب اليها مواضع كثيرة من التنزيل بالتعبير عنها بالرواسي ليس من مقتضيات ذواتها بل
بارسائه عز وجل ولولاه لما ثبتت في انفسها فضلا عن اثباتها للارض وقرئ والجبال بالرفع على الابتداء
ولعل تقديم اخراج الماء والمرعى ذكرا مع تقدم الارساء عليه وجودا وشدة تعلقه بالدحو لابراز كمال
الاعتناء بامر المأكل والمشرب مع ما فيه من دفع توهم رجوع ضميري الماء والمرعى الى الجبال وهذا كما ترى
يدل بظاهره على تأخر دحو الارض عن خلق السماء وما فيها يروى عن الحسن من انه تعالى خلق الارض في
موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليه دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات
وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما الاية
وقد مر في سورة حم السجدة قوله تعالى قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له
اندادا الى قوله ثم استوى الى السماء وهي دخان الاية ان حمل ما فيه من الخلق وما عطف عليه من
الافعال الثلاثة على معانيها الظاهرة لا على تقديرها فهو وما في سورة البقرة من قوله تعالى هو الذي
خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسويهن سبع سموات يدلان على تقديم خلق الارض
وما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه اطباق اكثر اهل التفسير وقد روي ان العرش كان قبل
خلق السموات والارض على الماء ثم انه تعالى احدث في الماء اضطرابا فازبد فارتفع منه دخان
فاما الزبد فبقي على وجه الماء فخلق فيه اليبوسة فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها ارضين
واما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروي انه تعالى خلق جرم الارض يوم الاحد ويوم
الاثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلثا ويوم الاربعاء وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس
ويوم الجمعة وخلق آدم عليه السلام في آخر ساعة منه وهي الساعة التي تقوم فيها القيمة فالاقرب
كما قيل تأويل هذه الاية بان يجعل ذلك اشارة الى ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا
الى نفسها ويجعل تقديمه الدحو عليها على البعدية في الذكر كما هو المعهود في السنة العرب والعجم لا في
الوجود لما عرفت من ان انتصاب الارض بمضمر مقدم قد حذف على شريطة التفسير لا بما ذكر بعده
ليفيد القصر ويتعين البعدية في الوجود وفائدة تأخيره في الذكر اما التنبيه على انه قاصر في الدلالة
على القدرة القاهرة بالنسبة الى احوال السماء واما الاشعار بانه ادخل في الالزام لما ان المنافع
المنوطة بما في الارض اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر واحاطتهم بتفاصيل احوالها اكمل وليس
ما روي عن الحسن رحمه الله تعالى نصا في تأخر دحو الارض عن خلق السماء فان بسط الارض معطوف على
اصعاد الدخان وخلق السماء بالواو التي هي بمعزل عن الدلالة على الترتيب هذا على تقدير حمل ما ذكر في
ايات سورة السجدة من الخلق وما عطف عليه من الافعال الثلاثة على معانيها الظاهرة واما اذا جعلت
على تقديرها فلا دلالة فيها الا على تقدم تقدير الارض وما فيها على ايجاد السماء كما لا دلالة على الترتيب
اصلا اذا حملت ظلمة ثم فيهما وما في سورة البقرة على التراخي في المرتبة وقد سلف تفصيل الكلام في السورة
المذكورة وقوله تعالى **متاعا لكم ولانعامكم** اما مفعول له اي فعل ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم لان فائدة
ما ذكر من البسط والتمهيد واخراج الماء والمرعى واصلة اليهم والى انعامهم فان المراد بالمرعى ما يعم ما يأكل
الانسان وغيره بناء على استعارة المرعى لتناول المأكول على الاطلاق فاستعارة الرسن للانف وقيل مصدر
مؤكد لفعله المضمر اي متعكم بذلك متاعا ومصدر من غير لفظه فان قوله تعالى اخرج منها ماءها ومرعيها

معنى متع بذلك وقوله تعالى **فاذا جاءت الطامة الكبرى** اي الداهية العظمى التي تطم على سائر الطامات اي تعلوها
وتغلبها وهي القيمة والنفخة الثانية وقيل هي الساعة التي يساق فيها الخلائق الى محشرهم وقيل هي التي يساق
فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار شروع في بيان احوال معادهم اثر بيان احوال معاشهم بقوله
متاعا لكم الى آخره والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها عما قليل كما ينبئ عنه لفظ المتاع **يوم يتذكر الانسان
ما سعى** قيل هو بدل من اذا جاءت والاظهر انه منصوب باعني كما قيل تفسيرا للطامة الكبرى فان الابدال منها
بالظرف المحض مما يوهن تعلقها بالجواب ويجوز ان يكون بدلا من الطامة الكبرى مفتوحا لاضافته الى الفعل
على راي الكوفيين اي يتذكر فيه كل احد ما عمله من خير او شر بان يشاهده مدونا في صحيفة اعماله وقد كان
نسيه من فرط الغفلة وطول العمل كقوله احصاه الله ونسوه ويجوز ان تكون ما مصدرية **وبرزت الجحيم** عطف
على جاءت اي اظهرت اظهارا بينا لا يخفى على احد **لمن يرى** اي كائنا من كان يروى انه يكشف عنها فتتلظى فيرا
كل ذي بصر وقرئ وبرزت بالتخفيف ولمن راى ولمن يرى على ان فيه ضمير الجحيم كما في قوله تعالى اذا راتهم
من مكان بعيد او على انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي لمن يراه من الكفار وقوله تعالى **فاما من طغى**
الى آخره جواب فاذا جاءت على طريقة قوله تعالى فاما يأتينكم مني هدى الاية وقيل هو تفصيل للجواب المحذوف
تقديره انقسم الراؤن قسمين فاما من الى آخره والذي يستدعيه فخامة التنزيل ويقتضيه مقام
التهويل ان الجواب المحذوف كان من عظائم الشؤون ما لم تشاهده العيون كما مر في قوله تعالى يوم يجمع
الله الرسل فاما من عتى وتمرد عن الطاعة وجاوز الحد في العصيان **وآثر الحيوة الدنيا** الفانية التي هي
على جناح الفوات وانهمك فيما متع به فيها ولم يستعد للحياة الآخرة الابدية بالايمان والطاعة
فان الجحيم التي ذكر شانها **هي المأوى** اي مأواه واللام ساد مسد الاضافة للعلم بان صاحب المأوى هو
الطاغي كما في قولك غض الطرف ودخول اللام في المأوى والطرف للتعريف لانهما معروفان وهي اما
ضمير فصل او مبتدأ قيل نزلت الاية في النضر وابيه الحارث المشهورين بالغلو بالكفر والطغيان **واما
من خاف مقام ربه** اي مقامه بين يدي مالك امره يوم الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى
ونهى النفس عن الهوى عن الميل اليه بحكم الجبلة البشرية ولم يعتد بمتاع الحيوة الدنيا وزهرتها ولم يغتر بزخارفها
وزينتها علما بوخامة عاقبتها **فان الجنة هي المأوى** له لا غيرها وقيل نزلت الايتان في ابي عزيز بن عمير ومصعب
ابن عمير وقد قتل مصعب اخاه ابا عزيز يوم احد ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استشهد
رضي الله عنه هذا وقد قيل جواب اذا ما يدل عليه قوله تعالى يوم يتذكر الى آخره اي فاذا جاءت الطامة
الكبرى يتذكر الانسان ما سعى على طريقة قوله تعالى علمت نفس ما احضرت وقوله تعالى علمت نفس ما قدمت
واخرت فيكون قوله تعالى وبرزت الجحيم عطفا عليه وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وحالا من
الانسان باضمار قد او بدونه على اختلاف الرأيين ولمن يرى معنى عن العائد وقوله تعالى فاما من طغى
الى آخره تفصيلا لحال الانسان والذي يتذكر ما سعى وتقسيما له بحسب اعماله الى القسمين المذكورين
يسئلونك عن الساعة ايان مرسيها متى ارساؤها اي اقامتها يريدون متى يقيمها الله تعالى ويثبتها ويكونها
وقيل ايان منتهاها ومستقرها كما ان مرسى السفينة حيث تنتهي اليه وتستقر وقوله تعالى **فيم انت
من ذكراها** انكار ورد لسؤال المشركين عنها اي في اي شيء انت من ان تذكر لهم وقتها وتعلمهم به حتى يسألونك
بيانها كقوله تعالى يسألونك كانك حفي عنها اي ما انت من ذكرها لهم وتبيين وقتها في شيء لان ذلك فرع
علمك به واني لك ذلك وهو مما استأثر بعلمه علام الغيوب ومن قال بصدد التعليل فان ذكرها لا يزيدهم
الا غيا فقد نأى عن الحق وقيل فيم انكار لسؤالهم وما بعده من الاستيناف تعليل للانكار وبيان لبطلان السؤال
اي فيم هذا السؤال ثم ابتدأ فقيل انت من ذكرها اي ارسالك وانت خاتم الانبياء المبعوث في نسيم الساعة

علامة من علاماتها ودليل يدلهم على العلم بوقوعها عن قريب فحسبهم هذه المرتبة من العلم فمعنى قوله تعالى
الى ربك منتهاها اي على هذا الوجه اليه تعالى يرجع منتهى علمها اي علمه بكنهها وتفاصيل امرها ووقت وقوعها
لا الى احد غيره وانما وظيفتهم ان يعلموا باقترابها ومشارفتها وقد حصل لهم ذلك بمبعثك فما معنى سؤالهم
عنها بعد ذلك واما على الوجه الاول فمعناه اليه تعالى انتهاء علمها ليس لاحد منه شيء ما كائنا ما كان
فلاي شيء يسئلونك عنها وقوله تعالى انما انت منذر من يخشاها على الوجه الاول تقرير لما قبله من قوله تعالى
فيم انت من ذكريها مما يوهم بظاهره وتحقيق لما هو المراد منه وبيان لوظيفته صلى الله عليه وسلم
في ذلك الشأن فان انكار كونه صلى الله عليه وسلم في شيء من ذكريها مما يوهم بظاهره انه ليس له صلى الله
عليه وسلم ان يذكرها بوجه من الوجوه فان حينئذ ذلك بيان ان المنفي منه عليه السلام ذكرها لهم
بتعيين وقتها حسبما كانوا يسألونه عنها فالمعنى انما انت منذر من يخشاها وظيفتك الامتثال بما امر
به من بيان اقترابها وتفصيل ما فيها من فنون الاهوال كما تحيط به خبرا لا تعيين وقتها الذي لم يفوض
اليك فما لهم يسألونك عما ليس من وظائفك بيانه وعلى الوجه الثاني هو تقرير لقوله تعالى فيم انت من
ذكريها ببيان ان ارساله صلى الله عليه وسلم وهو خاتم الانبياء عليهم السلام منذر بمجي الساعة كما ينطق به
قوله صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين ان كادت تسبقني وقرئ منذر بالتنوين وهو الاصل
والاضافة تخفيف صالح للحال والاستقبال فاذا اريد الماضي تعينت الاضافة وتخصيص الانذار بمن
يخشى مع عموم الدعوة لانه المنتفع به وقوله تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها اما تقرير
وتأكيد لما ينبئ عنه الانذار من سرعة مجي المنذر به لا سيما على الوجه الثاني اي كانهم يوم يرونها لم يلبثوا
بعد الانذار بها الا عشية يوم واحد او ضحاه فلما ترك اليوم اضيف ضحاه الى عشيته واما رد لما ادعوه
في سؤالهم لانهم كانوا يسألون عنها بطريق الاستبطاء مستعجلين بها وان كان على نهج الاستهزاء بها والاعتبار
او ضحاها واعتبار كون اللبث في الدنيا او في القبور لا يقتضيه المقام وانما اريد الذي يقتضيه اعتبا
كونه بعد الانذار او بعد الوعيد تحقيقا للانذار ورد الاستبطائهم والجملة على الاول حال من الموصول فانه
على تقدير الاصابة وعدمها مفعول لمنذر كما ان قوله تعالى كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار حال من
ضمير المفعول في يحشرهم اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث في الدنيا الا ساعة خلا ان المشبه هنالك في
الاحوال الظاهرة من الزي والهيأة وفيما نحن فيه من الاعتقاد كانه قيل ينذرهم مشبهين يوم يرونها في الاعتقاد
بمن لم يلبث بعد الانذار بها الا تلك المدة اليسيرة وعلى الثاني مستأنفة لا محل لها من الاعراب عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة والنازعات كان ممن حبسه الله تعالى في القبر والقيمة حتى يدخل الجنة قدر صلوة مكتوبة

سورة عبس وهي اثنان واربعون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم عبس وتولى ان جاءه الاعمى روي ان ابن ام مكتوم واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ابي
ربيعة الفهري وام مكتوم اسم ام ابيه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة
ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام
رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم فقال له يا رسول الله اقرئني وعلمني مما علمك الله تعالى وكرر ذلك وهو لا يعلم
تشاغله عليه الصلوة والسلام بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه بكلامه وعبس واعرض عنه
فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول هل لك من حاجة
واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ عبّس بالتشديد للمبالغة وان جاءه علة لتولى او عبس على الخلاف
الوارد اي لان جاءه الاعمى والتعرض لعنوان عماه اما لتمهيد عذره في الاقدام على قطع كلامه صلى الله عليه
وسلم بالقوم والايذان باستحقاقه بالرفق والرأفة واما لزيادة الانكار كانه قيل تولى لكونه اعمى كما ان الالتفات

في قوله تعالى وما يدريك لذلك فان المشافهة ادخل في تشديد العتاب اي واي شيء يجعلك داريا بحاله حتى
تعرض عنه وقوله تعالى لعله يزكى استيناف وارد لبيان ما يلوح به ما قبله فان مع استفادة له شأنا
منافيا للاعراض عنه خارجا عن دارية الغير وادرائه مؤذن بانه تعالى يدريه ذلك اي لعله يتطهر
بما يقتبس منك من اوضار الاوزار بالكلية وكلمة لعل مع تحقق التزكي واردة على سنن الكبرياء او على اعتبار
معنى الترجي بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم للتنبيه على ان الاعراض عنه عند كونه مرجو التزكي مما لا يجوز
فكيف اذا كان مقطوعا بالتزكي كما في قولك لعلك ستندم فيما فعلت وفيه اشارة الى ان من تصدى
لتزكيتهم من الكفرة لا يرجى منهم التزكي والتذكر اصلا قوله تعالى او يذكر عطف على يزكى داخل معه في
حكم الترجي قوله تعالى فتنفعه الذكرى بالنصب على جواب لعل وقرئ بالرفع عطفا على يذكر اي او يتذكر
فتنفعه موعظتك ان لم يبلغ درجة التزكي التام وقيل الضمير في لعل للكافر فالمعنى انك طمعت في ان يزكى
او يذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق ولذلك توليت عن الاعمى وما يدريك ان ذلك مرجو الوقوع اما
من استغنى عن الايمان وعما عندك من العلم والمعارف التي ينطوي عليها القرآن فانت له تصدى اي تتصدى
وتتعرض بالاقبال عليه والاهتمام بارشاده واستصلاحه وفيه مزيد تنفير له صلى الله عليه وسلم
عن مصاحبتهم فان الاقبال على المدبر ليس من شيم الكرام وقرئ تصدى بادغام التاء في الصاد وقرئ تصدى
بضم التاء اي تعرض ومعناه يدعوك الى التصدي له داع الى الحرص والتهالك على اسلامه وما عليك الا
وليس عليك باس في ان لا يزكى بالاسلام حتى تهتم بامره وتعرض عمن اسلم والجملة حال من ضمير تصدى
وقيل ما استفهامية للانكار اي اي شيء في ان لا يزكى ومآله النفي ايضا واما من جاءك يسعى اي حال كونه مسرعا
طالبا لما عندك من احكام الرشد وخصال الخير وهو يخشى اي الله تعالى وقيل يخشى اذية الكفار
في اتيانك وقيل يخشى الكبوة ان لم يكن معه قائد والجملة حال من فاعل يسعى كما ان حال من فاعل جاءك فانت
عنه تلهى تتشاغل يقال لها عنه والتهى وتلهى اي يلهيك شأن الصناديد وفيه تقديم ضمير
صلى الله عليه وسلم على الفعلين تنبيه على ان مناط الانكار خصوصيته صلى الله عليه وسلم اي مثلك خصوصا
لا ينبغي ان يتصدى للمستغني ويتلهى عن الفقير الطالب للخير وتقديم له وعنه للتعريض باهتمامه صلى الله عليه
وسلم بمضمونهما روي انه صلى الله عليه وسلم ما عبس بعد ذلك في وجه فقير قط ولا تصدى لغني كلا ردع له
صلى الله عليه وسلم عما عوتب عليه صلى الله عليه وسلم من التصدي لمن استغنى عما دعاه اليه من الايمان والطاعة
وما يوجبهما من القرآن الكريم مبالغة في الاهتمام بامره متهالكا على اسلامه معرضا بسبب ذلك على ارشاد من
يسترشده انها تذكرة اي موعظة يجب ان يتعظ بها ويعمل بموجبها تعليل للردع عما ذكر ببيان علو رتبة
القرآن العظيم الذي استغنى عنه من تصدى له وتحقيق ان شأنه ان يكون موعظة حقيقة بالاتعاظ بها فمن
رغب بها اتعظ بها كما نطق به قوله تعالى فمن شاء ذكره اي حفظه واتعظ به ومن رغب عنها كما فعل المستغني فلا
حاجة الى الاهتمام بامره فالضميران للقرآن وتأنيث الاول لتأنيث خبره وقيل الاول للسورة او للآيات
السابقة والثاني للتذكرة والتذكير لانها في معنى الذكر والوعظ وليس بذاك فان السورة والآيات وان كان
ذلك كانت متصفة بما سيأتي من الصفات الشريفة لكنها ليست مما القي على من استغنى عنه واستحق بسبب
ذلك ما سيأتي من الدعاء عليه والتعجب من كفره المفرط لنزولها بعد الحادثة واما من جوز رجوعها الى العتاب
المذكور فقد اخطأ واساء الادب وخبط خبطا يفضي منه العجب فتأمل وكن على الحق المبين قوله تعالى
في صحف متعلق بمضمر هو صفة لتذكرة وما بينهما اعتراض جيء به للترغيب فيها والحث على حفظها اي كائنة
في صحف منتسخة من اللوح او خبر ثان لان مكرمة عند الله تعالى مرفوعة اي في السماء السابعة او مرفوعة
المقدار والذكر مطهرة منزهة عن مساس ايدي الشياطين بايدي سفرة اي كتبة من الملائكة عليهم

السّلام ينسخون الكتب من اللوح على انه جمع سافر من السفر وهو الكتب وقيل بايدي سفر من الملايكة يسفرون بالوحي بينه تعالى وبين الانبياء عليهم السّلام على انه جمع سفير من السّفارة وحملهم على الانبياء عليهم السّلام بعيد فانّ وظيفتهم التلقي من الوحي لا الكتب منه وارشاد الامة بالامر والنهي وتعليم الشرايع والاحكام لا مجرّد السفارة اليهم وكذا حملهم على القرّا لقراتهم الاسفار او على اصحابه صلى الله عليه وسلم وقد قالوا هذه اللفظة مختصة بالملايكة لا تكاد تطلق على غيرهم وان جاز الاطلاق بحسب اللغة والباء متعلقة بمطهرة قال القفال لما لم يمسها الا الملايكة المطهرون اضيف التطهير اليها بطهارة من يمسها وقال القرطبي انّ المراد بما في قوله تعالى لا يمسّه الا المطهرون هولاء السفرة الكرام البررة **كرام** عند الله عز وجل او متعطفين على المومنين يكلونهم ويستغفرون لهم **بررة** اتقيا وقيل مطيعين لله تعالى من قولهم فلان يبرّ خالقه اي يطيعه وقيل صادقين من برّ في يمينه **قتل الانسان** دعاء عليه باشنع الدعوات قوله تعالى **ما اكفره** تعجب من افراطه في الكفران وبيان لاستحقاقه للدعاء عليه والمراد به امّا من استغنى عن القران الكريم الذي ذكرت نعوته الجليلة الموجبة للاقبال عليه والايمان به واما الجنس باعتبار انتظامه له ولامثاله من افراده لا باعتبار جميع افراده وفيه مع قصر متنه وتقارب قطريه من الانبا عن سخط عظيم ومذمته بالغة ما لا غاية وراها **من اي شي خلقه** شروع في بيان افراطه في الكفران بتفصيل ما افاض عليه من مبدا فطرته الى منتهى عمره من فنون النعم الموجبة لقضاء حقها بالشكر والطاعة مع اخلاله بذلك وفي الاستفهام من مبدا خلقه ثم بيانه بقوله تعالى **من نطفة خلقه** تحقير له اي من اي شي حقير مهين خلقه من نطفة مذرة خلقه **فقدره** فهياه لما يصلح له ويليق به من الاعضاء والاشكال او فقدره اطوارًا الى ان تم خلقه قوله تعالى **ثم السبيل يسره** منصوب بمضمر يفسره الظاهر اي يسّر سهّل مخرجه من البطن بان فتح فم الرحم والهمه ان ينعكس او يسّر له سبيل الخير والشر ومكنه من السلوك فيهما وتعريف السبيل باللام دون الاضافة للاشعار بعمومه **ثم اماته فاقبره** اي جعله ذا قبر يواري فيه تكرمة له ولم يدعه مطروحًا على وجه الارض للسباع والطير كسائر الحيوان يقال قبر الميت اذا دفنه واقبره اذا امر بدفنه او مكن منه وعدّ الاماتة من النعم لانها وصلة في الجملة الى الحياة الابدية والنعيم المقيم **ثم اذا شاء انشره** اي اذا شاء انشاره انشره على القاعدة المستمرة في حذف مفعول المشية وفي تعليق الانشار بمشيته تعالى ايذان بان وقته غير متعين بل هو تابع لها وقرئ نشره **كلا** ردع للانسان عما هو عليه وقوله تعالى **لما يقض ما امره** بيان لسبب الردع اي لم يقض بعد من لدن آدم عليه السّلام الى هذه الغاية مع طول المدى وامتداده ما امره الله تعالى بامره اذ لا يخلو بعد عن تقصير كذا قالوا وهكذا نقل عن مجاهد وقتادة ولا ريب في انّ مساق الايات الكريمة لبيان غاية عظم جناية الانسان وتحقيق كفرانه المفرط المستوجب للسخط العظيم وظاهر انّ ذلك لا يتحقق بهذا القدر من تقصير لا يخلو عنه احد من افراده كيف لا وقد قال صلى الله عليه وسلم شيبتني هود لما فيها من قوله تعالى فاستقم كما امرت فالوجه ان يحمل عدم القضاء على عموم النفي لا على نفي العموم امّا على انّ المحكوم عليه هو المستغني او هو الجنس لكن لا على الاطلاق بل على انّ مصداق الحكم بعد القضاء بعض افراده وقد اسند الى الكل كما في قوله تعالى انّ الانسان لظلوم كفار للاشباع في اللوم بحكم المجانسة على طريقة قولهم بنو فلان قتلوا فلانًا والقاتل واحد منهم وامّا على انّ مصداقه الكل من حيث تحقق رفع الايجاب الكلي دون السلب الكلي فالمعنى لما يقض جميع افراده بما امره به بل اخلّ به بعضها بالكفر والعصيان مع انّ مقتضى ما فصل من فنون النعماء السابقة الشاملة للكل ان لا يتخلف عنه احد اصلًا هذا وقد قيل كلا بمعنى حقًا فيتعلق بما بعده اي حقًا لم يعمل بما امره به قوله تعالى **فلينظر**

الانسان الى طعامه شروع في تعداد النعم المتعلقة ببقائه بعد تفصيل النعم المتعلقة بحدوثه اي فلينظر الى طعامه الذي يعيش به وعليه امر معاشه كيف دبرناه قوله تعالى **انا صببنا الماء صبًا** اي الغيث بدل اشتمال من طعامه لانّ الماء سبب لحدوث الطعام فهو مشتمل عليه وقرئ انا على الاستيناف وقرئ انا بالامالة اي كيف صببنا الى آخره اي صببناه صبًا عجيبًا **ثم شققنا الارض** اي بالنبات **شقا** بديعًا لائقًا بما يشقها من النبات كبيرًا وصغيرًا وشكلًا وهيئة وحمل شقها على ما بالكراب جعل اسناده الى نون العظمة من قبيل اسناد الفعل الى سببه يا باه كلمة ثم والفاء في قوله تعالى **فانبتنا فيها حبًا** فانّ الشق بالمعنى المذكور لا ترتب بينه وبين الامطار اصلًا ولا بينه وبين انبات الحب بلا مهلة وانما المترتب بين الامطار وبين الشق بالنبات على النحو المعهود وهو الشق المذكور وبين انبات الحب بلا مهلة فانّ المراد بالنبات ما نبت من الارض الى ان يتكامل النمو وينعقد الحب فانّ انشقاق الارض بالنبات لا يزال يتزايد ويتسع الى تلك الرتبة على انّ مساق النظم الكريم لبيان النعم الفايضة مزجناه به تعالى على وجه بديع خارج عن العادات المعهودة كما ينبئ عنه تاكيد الفعلين بالمصدرين فتوسط فعل المنعم عليه في تحصيل تلك النعم مخل بالمرام قوله تعالى **وعنبًا** عطف على حبًا وليس من لوازم العطف ان يقيد المعطوف بجميع ما قيد به المعطوف عليه فلا ضير في خلو انبات العنب عن شق الارض **وقضبًا** اي رطبة سميت بمصدر قضبه اي قطعه مبالغة كانها لتكرر قطعها وتكثره نفس القطع **وزيتونا ونخلا** الكلام فيهما وفي امثالهما كما في العنب **وحدائق غلبًا** اي عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة اشجارها او لانها ذات اشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب **وفاكهة وابًا** اي مرعى من ابه اذا امّه اي قصده لانه يوم وينتجع او من ابّ لكذا اذا تهيا له لانه متهيئ للرعي او فاكهة يابسة تؤب للشتاء وعن الصديق رضي الله عنه انه سئل عن الايات فقال اي سماء تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا علم لي به وعن عمر رضي الله عنه انه قرا هذه الاية فقال كل هذا قد عرفنا فما الاب ثم رفض عصا كانت بيده وقال هذا والله لعمر والله التكلف وما عليك يا ابن ام عمر ان لا تدري ما الاب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه **متاعًا لكم ولانعامكم** اما مفعول له اي فعل ذلك تمتيعًا لكم ولمواشيكم فانّ بعض هذه النعم المعدودة طعام لهم وبعضها علف لدوابهم والالتفات لتكميل الامتنان واما مصدر موكد لفعله المضمر بحذف الزوايد اي متعكم بذلك متاعًا او لفعل مترتب عليه اي متعكم بذلك فتمتعتم متاعًا اي تمتعًا كما مرّ غير مرة او مصدر من غير لفظه فانّ ما ذكر من الافعال الثلاثة في معنى التمتع **فاذا جاءت الصاخة** شروع في بيان احوال معادهم اثر بيان مبدا خلقهم ومعاشهم والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها من فنون النعم عن قريب كما يشعر به لفظ المتاع لسرعة زوالها وقرب اضمحلالها والصاخة هي الداهية العظيمة التي يصخ لها الخلايق اي يصيخون لها من صخ لحديثه اذا اصاخ له واستمع وصفت بها النفخة الثانية لانّ الناس يصخون لها وقيل هي الصيحة التي تصخ الاذان اي تصمها لشدة وقعها وقيل هي ماخوذ من صخه بالحجر اي صكه قوله تعالى **يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه** اما منصوب باعني تفسيرًا للصاخة او بدل منها مبني على الفتح بالاضافة الى الفعل على راي الكوفيين وقيل بدل من اذا جاءت كما مرّ في قوله تعالى يوم يتذكر الى آخره اي يعرض عنهم ولا يصاحبهم ولا يسال عن حالهم كما في الدنيا لاشتغاله بحال نفسه واما تعليل ذلك لعلمه بانهم لا يغنون عنه شيئًا او بالحذر من مطالبتهم بالتبعات فيا باه قوله تعالى **لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه** فانه استيناف وارد لبيان سبب الفرار اي لكل واحد من المذكورين شغل شاغل وخطب هايل يكفيه في الاهتمام به واما الفرار حذرًا من مطالبتهم او بغضًا لهم كما يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه يفر قابيل من اخيه هابيل ويفر النبي صلى الله عليه وسلم من امه ويفر ابرهيم عليه السلام من ابيه ونوح عليه السلام من ابنه ولوط عليه السلام من زوجته فليس من قبيل هذا الفرار كذا ما روي

ان الرجل يفر من اصحابه واقربائه لئلا يروه على ما هو عليه من سوء الحال وقرئ يعنيه بالياء المفتوحة والعين المهملة اي يهمه من عناه الامر اذا اهمه اي اوقعه في الهم ومنه من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه لا من عناه اذا قصده كما قيل قوله تعالى **وجوه يومئذ مسفرة** بيان لمآل امر المذكورين وانقسامهم الى السعداء والاشقياء بعد ذكر وقوعهم في داهية دهيا وجوه مبتدا وان كانت نكرة لكونها التنويع ومسفرة خبره ويومئذ متعلق به اي مضيئة متهللة من اسفر الصبح اذا اضاء وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان ذلك من قيام الليل وفي الحديث من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من اثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت في سبيل الله **ضاحكة مستبشرة** بما تشاهد من النعيم المقيم والبهجة الدائمة **ووجوه يومئذ عليها غبرة** اي غبار وكدورة **ترهقها** اي تعلوها وتغشاها **قترة** اي سواد وظلمة **اولئك** اشارة الى اصحاب تلك الوجوه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في سوء الحال اي اولئك الموصوفون بسواد الوجوه وغبرة اولئك **هم الكفرة الفجرة** الجامعون بين الكفر والفجور فلذلك جمع الله عز وجل الى سواد وجوههم الغبرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة عبس جاء يوم القيمة ووجهه ضاحك مستبشر

سورة التكوير وهي عشرون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **اذا الشمس كورت** اي لفت من كورت العمامة اذا لففتها على ان المراد بذلك اما دفعها واذهابها عن مقرها فان الثوب اذا اريد رفعه يلف لفا ويطوى ونحوه وقوله تعالى يوم نطوي السماء اما لف ضوءها المنطوي في الافاق المنتشر في الاقطار على انه عبارة عن ازالتها والذهاب بها بحكم استلزام زوال اللازم لزوال الملزوم او الفيت عن فلكها كما وصفت النجوم بالانكدار من طعنه فكوره اذا القاه على الارض وعن ابي صالح كورت نكست وعن ابن عباس رضي الله عنهما تكويرها ادخالها في العرش ومدارها التي كتب على الارادة والجمع وارتفاع الشمس على انه فاعل لفعل مضمر يفسره المذكور وعند البعض على الابتداء **واذا النجوم انكدرت** اي انقضت وقيل تناثرت وتساقطت وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه لا يبقى يومئذ نجم الا سقط وعنه رضي الله تعالى عنه ان النجوم قناديل معلقة بين السماء والارض بسلاسل من نور بايدي ملائكة من نور فاذا مات من في السموات ومن في الارض تساقطت من ايديهم وقيل انكدارها انطماس نورها ويروى ان الشمس والنجوم تطرح في جهنم ليراها من عبدها كما قال الله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم **واذا الجبال سيرت** اي عن اماكنها بالرجفة الحاصلة لا في الجو فان ذلك بعد النفخة الثانية **واذا العشار** جمع عشراء وهي الناقة التي اتى على حملها عشرة اشهر وهو اسمها الى ان تضع لتمام السنة وهي انفس ما تكون عند اهلها واعزها عليهم **عطلت** تركت مهملة لاشتغال اهلها بانفسهم وقيل العشار السحائب فان العرب تشبهها بالحامل ومنه قوله تعالى فالحاملات وقرا وتعطيلها عدم امطارها وقرئ عطلت بالتخفيف **واذا الوحوش حشرت** اي جمعت من كل جانب وقيل بعثت للقصاص قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص فاذا اقتص منها صارت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبني آدم واعجاب بصورته كالطاوس ونحوه وقرئ حشرت بالتشديد **واذا البحار سجرت** اي احميت او ملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا من سجر التنور اذا ملاه بالحطب ليحميه وقيل ملئت نيرانا تضطرم لتعذيب اهل النار وعن الحسن يذهب ماؤها حتى لا يبقى فيها قطرة سجرت بالتخفيف **واذا النفوس زوجت** اي قرنت باجسادها اي قرنت كل نفس بشكلها اي بكتابها او بعملها اذ نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكفرة بالشياطين **واذا الموؤدة** اي المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق او لحوق العار بهم من اجلهم قيل كان الرجل اذا ولدت له صبية البسها جبة من صوف او شعر حتى اذا بلغت ست سنين ذهب بها الى الصحراء وقد حفر لها

حفرة

حفيرة فيلقيها فيها ويهيل عليها التراب وقيل كانت الحامل اذا قربت حفرت حفرة فتمخضت على راس الحفرة فاذا ولدت بنتا رمت بها وان ولدت ابنا حبسته **سئلت باي ذنب قتلت** توجيه السؤال اليها لتسليتها واظهار كمال الغيظ والسخط لوادها واسقاطه عن درجة الخطاب والمبالغة في تبكيته كما في قوله تعالى أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقرئ سالت اي خاصمت او سالت الله تعالى قاتلها وانما قيل قتلت على الخطاب ولا حكاية لكلامها حين سالت لتقال قتلت الحكاية عن نفسها وقد قرئ كذلك وبالتشديد ايضا وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما سئل عن اطفال المشركين فقال لا يعذبون واحتج بهذه الاية **واذا الصحف نشرت** اي صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر عند الحساب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يحشر الناس حفاة عراة فقالت ام سلمة كيف بالنساء فقال شغل الناس يا ام سلمة قالت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل وقيل نشرت اي فرقت بين اصحابها عن مرثد بن وداعة انه اذا كان يوم القيمة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المومن في يده في جنة عالية وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم اي مكتوب فيها ذلك وهي صحف عن الاعمال **واذا السماء كشطت** قلعت وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشيء المستور به وقرئ قشطت واعتقاب الكاف والقاف غير عزيز كالكافور والقافور **واذا الجحيم سعرت** اي اوقدت ايقادا شديدا قيل سعرها غضب الله عز وجل وخطايا بني آدم وقرئ سعرت بالتخفيف **واذا الجنة ازلفت** اي قربت من المتقين كقوله تعالى وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد قيل هذه اثنتا عشرة خصلة ست منها في الدنيا اي فيما بين النفختين وهن من اول السورة الى قوله تعالى واذا البحار سجرت على ان المراد بحشر الوحوش جمعها من كل ناحية لا بعثها للقصاص وست في الاخرة اي بعد النفخة الثانية قوله تعالى **علمت نفس ما احضرت** جواب اذا على ان المراد بها زمان واحد ممتد يسع ما في سياقها وسياق ما عطف عليها من الخصال مبداه النفخة الاولى ومنتهاه فصل القضايا بين الخلائق لكن لا بمعنى انها تعلم ما تعلم في كل جزء من اجزاء ذلك الوقت المديد او عند وقوع داهية من تلك الدواهي عند نشر الصحف الا انه لما كان بعض تلك الدواهي من مباديه وبعضها من روادفه نسب علمها بذلك الى زمان وقوع كلها تهويلا للخطب وتعظيما للحال والمراد بما احضرت اعمالها من الخير والشر وبحضورها اما حضور صحائفها كما يعرب عنه نشرها واما حضور انفسها لما قالوا من ان الاعمال الظاهرة في هذه النشاة بصور عرضية تبرز في النشاة الاخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح على كيفيات مخصوصة وهيات معينة حتى ان الذنوب والمعاصي تتجسم هنالك وتتصور بصورة النار وعلى ذلك حمل قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الاية وكذا قوله صلى الله عليه وسلم في حق من يشرب من آنية الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم ولا بعد في ذلك ان العلم يظهر في عالم المثال على صورة اللبن كما لا يخفى على من له خبرة باحوال الحضرات الخمس وقد روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه يؤتى بالاعمال الصالحة على صورة حسنة وبالاعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان وايا ما كان فاسناد احضارها الى النفس مع انها تحضر بامر الله عز وجل كما ينطق به قوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الاية لانها لما عملتها في الدنيا فكانها احضرتها في الموقف ومعنى علمها بها حينئذ انها تشاهدها على ما هي عليه في الحقيقة فان كانت صالحة تشاهدها على صور احسن مما كانت تشاهدها عليه في الدنيا لان الطاعات لا تخلو فيها من نوع مشقة وان كانت سيئة تشاهدها على خلاف ما كانت تشاهدها عليه هاهنا لانها كانت مزينة لها موافقة لهواها وتنكير النفس المفيد لثبوت العلم المذكور لفرد من النفوس وبعض منها للايذان بان ثبوته لجميع افرادها قاطبة من الظهور والوضوح بحيث لا يكاد يحوم حوله شائبة اشتباه قطعا يعرفه كل احد

فقه

ولوجئ بعبادة تدل على خلافه والرمز الى ان تلك النفوس العالمة بما ذكر مع توفر افرادها وتكثر اعدادها مما
لا يستقل الى جانب الكبرياء الذي اشير بعض بدايع شؤونه المبنية عن عظم سلطانه واما ما قيل من ان هذا من
قبيل عكس كلامهم الذي يقصدون به الافراد فيما يعكس عنه وتمثيله بقوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا
مسلمين وبقول من قال • قد اترك القرن مصفراً انامله • وبقول من قال حين سئل عن عدد فرسانه • رب
فارس عندي وعنده المقانب • قاصداً بذلك التمادي في تكثير فرسانه واظهار براته من التزيد وانه ممن
قلل كثير ما عنده فضلا عن ان يزيد فمن لوايح النظم الجليل لما ان الكلام المعكوس عنه فيما ذكر من الامثلة ما يقبل
الافراد والتمادي فيه فانه في الاول كثيراً ما يرد وفي الثاني كثيراً ما ترك وفي الثالث كثيرا لفرسان وكل واحد
من ذلك قابل للافراط والمبالغة فيه لعدم انحصار مراتب الكثرة وقد قصد بعكسه ما ذكر من التمادي في
التكثير حسبما فصل واما فيما نحن فيه فالكلام الذي عكس عنه علمت كل نفس ما احضرت كما صرح به القايل وليس
فيه امكان التكثير حتى يحصل بعكسه المبالغة والتمادي فيه وانما الذي يمكن فيه من المبالغة بمن ذكرناه
فتامل ويجوز ان يكون ذلك للاشعار بانه اذا علمت حينئذ نفس من النفوس ما احضرت وجب على كل
اصلاح عملها مخافة ان تكون تلك التي علمت ما احضرت فكيف وكل نفس تعلمه على طريقة قولك لمن تنصحه
لعلك ستندم على ما فعلت وربما يلوم الانسان على ما فعل فانك لا تقصد بذلك ان ندمه مرجو الوجود
لا يتيقن به او نادر الوقوع بل تريد ان العاقل يجب عليه ان يجتنب جمع امرًا يرجى فيه الندم او قل ما يقع
فيه فكيف به اذا كان قطعي الوجود كثير الوقوع فلا اقسم بالخنس اي بالكواكب الرواجع من خنس اذا تأخر
وهي ما عدا النيرين من الدراري الخمسة وهي بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري وصفت بقوله تعالى
الجوار الكنس لانها تجري مع الشمس والقمر وترجع حتى تخنس تحت ضوء الشمس فخنسها رجوعها وكنسها
اختفاؤها تحت ضوئها من خنس الوحش اذا دخل تحت كناسه وهو بيته الذي يتخذه من اغصان الشجر وقيل
هي جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل اي تطلع في اماكنها كالوحش في
كناسها والليل اذا عسعس اي ادبر ظلامه او اقبل فانه من الاضداد ولذلك عسعس قال الفرا اجمع
المفسرون على ان معنى عسعس ادبر وعليه قول العجاج • حتى اذا الصبح لها تنفسا • وانجاب عنها ليلها
وعسعسا والصبح اذا تنفس لانه اول النهار وقيل ادباره اقرب من تنفس الصبح ومعناه ان الصبح
اذا اقبل يقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفساً له مجازاً فقيل تنفس الصبح انه اي القرآن الكريم
الناطق بما ذكر من الدواهي الهايلة لقول رسول كريم هو جبريل عليه السلام قاله من جهة الله عز
وجل ذي قوة شديدة كقوله تعالى شديد القوى وقيل المراد القوة في اداء طاعة الله تعالى وترك
الاخلال بها من اول الخلق الى آخر زمان التكليف عند ذي العرش مكين ذي مكان رفيع عند الله تعالى
عندية اكرام وتشريف لا عندية مكان مطاع فيما بين الملايكة المقربين يصدرون عن امره ويرجعون
الى رأيه ثم امين على الوحي وثم ظرف لما قبله وقيل لما بعده وقرئ ثم تعظيما لوصف الامانة وتفضيلا
لها على سائر الاوصاف وما صاحبكم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجنون كما تبهته الكفرة والتعرض
للتلويح باحاطتهم بتفاصيل احواله صلى الله عليه وسلم خبرا وعلمهم بنزاهته عما نسبوه اليه بالكلية فقد
استدل به على فضل جبريل عليه السلام للبيان البين بين وصفيهما وهو ضعيف اذ المقصود رد قول
الكفرة في حقه صلى الله عليه وسلم انما يعلمه بشر افترى على الله تعالى ام به جنة لا تعداد فضايلهما
والموازنة بينهما ولقد رآه اي وبالله لقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليهما السلام
بالافق المبين بمطلع الشمس الاعلى وما هو اي رسول الله صلى الله عليه وسلم على الغيب على ما يخبره من الوحي
اليه وغيره من الغيوب بضنين اي ببخيل لا يبخل بالوحي ولا يقصر في التبليغ والتعليم وقرئ بظنين اي

منهم

متهم من الظنة وهي التهمة وما هو بقول شيطان رجيم اي قول بعض المسترقة للسمع وهو نفي لقولهم انه كهانة او سحر فاين
تذهبون استضلال لهم فيما يسلكونه في امر القرآن والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ظهور انه وحي مبين وليس بما
يقولون في شيء كما تقول لمن ترك الجادة بعد ظهورها هذا الطريق الواضح فاين تذهب ان هو اي ما هو الا ذكر للعالمين
موعظة وتذكير لهم وقوله تعالى لمن شاء منكم بدل من العالمين باعادة الجار وقوله تعالى ان يستقيم مفعول لمن
شاء اي لمن يشاء منكم الاستقامة بتحري الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير وما تشاؤن
اي الاستقامة مشيئة مستتبعة لها في وقت من الاوقات الا ان يشاء الله تعالى اي الا وقت ان يشاء الله تعالى
تلك المشيئة اي المستتبعة للاقامة فان مشيئتكم لا يستتبعها بدون مشيئة الله تعالى لها رب العالمين مالك الخلق
ومربيهم اجمعين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة التكوير اعاذه الله تعالى ان يفضحه حين تنشر صحيفته

سورة الانفطار وهي تسع عشرة اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انفطرت اي انشقت لنزول الملايكة لقوله تعالى يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملايكة
تنزيلا وقوله تعالى وفتحت السماء فكانت ابوابا والكلام في ارتفاع السماء كما مر في ارتفاع الشمس واذا الكواكب انتثرت
اي تساقطت متفرقة واذا البحار فجرت فتح بعضها الى بعض فاختلط العذب بالاجاج وزال ما بينهما من البرزخ
الحاجز وصارت البحار بحراً واحداً وروي ان الارض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى
التسجير عند الحسن رضي الله عنه وقيل ان مياه البحار الآن راكدة مجتمعة فاذا فجرت تفرقت وذهبت وقرئ
فجرت بالتخفيف مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل ايضا بمعنى بغت من الفجور نظرا الى قوله تعالى لا يبغيان واذا
القبور بعثرت اي قلب ترابها واخرج موتاها ونظيره بحثر لفظا ومعنى وهما مركبان من البعث والبحث مع
راء ضمت اليهما وقوله تعالى علمت نفس ما قدمت واخرت جواب اذا لكن لا على انها تعلمه عند البعث بل عند نشر
الصحف لما عرفت ان المراد بها زمان واحد مبداه النفخة الاولى ومنتهاه الفصل بين الخلايق لا ازمنة متعددة
حسب تعدد كلمة اذا وانما كررت لتهويل ما في حيزها من الدواهي والكلام فيه كالذي مر تفصيله في نظيره ومعنى
ما قدم واخر ما اسلف من عمل خير او شر مسنة حسنة او سيئة يعمل بها بعده قاله ابن عباس وابن مسعود
وعن ابن عباس ايضا ما قدم من معصية واخر من طاعة وهو قول قتادة وقيل ما قدم من امواله لنفسه وما
اخر لورثته وقيل ما قدم من فرض واخر من فرض وقيل اول عمله وآخره ومعنى علمها بهما علمها التفصيلي حسبما
ذكر فيما مر يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم اي اي شيء خدعك وجراك على عصيانه وقد علمت ما بين يديك
من الدواهي الطامة والعراقيل الطامة وما يكون حينئذ من مشاهدة اعمالك كلها والتعرض لعنوان كرمه تعالى
للايذان بانه ليس مما يصلح ان يكون مدار الاغترار حسبما يغويه الشيطان ويقول له افعل ما شئت فان ربك
كريم قد تفضل عليك في الدنيا وسيفعل مثله في الآخرة فانه قياس عقيم وتمنية باطلة بل هو مما يوجب المبالغة في
الاقبال على الايمان والطاعة والاجتناب عن الكفر والعصيان كانه قيل ما حملك على عصيان ربك الموصوف
بالصفات الزاجرة عنه الداعية الى خلافه الذي خلقك فسويك فعدلك صفة ثانية مقررة للربوبية مبنية
للكرم منبهة على ان من قدر على ذلك بدءا قدر عليه اعادة والتسوية جعل الاعضاء سوية سليمة معدة لمنافعها
وعدلها عدل بعضها ببعض بحيث اعتدلت ولم تتفاوت او صرفها عن خلقة غير ملايمة لها وقرئ فعدلك
بالتشديد اي صيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه في اي صورة ما شاء ركبك اي ركبك في
اي صورة شاءها من الصور المختلفة وما مزيدة وشاء صفة لصورة اي ركبك في اي صورة شاءها واختارها
لك من الصور العجيبة الحسنة لقوله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وانما لم يعطف الجملة على
ما قبلها لانها بيان لعدلك كلا ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى وجعله ذريعة الى الكفر والمعاصي مع
كونه موجبا للشكر والطاعة قوله تعالى بل تكذبون بالدين اضراب عن جملة مقدرة ينساق اليها الكلام

ملائكة

دة

فعها

كانه قيل بعد الردع بطريق الاعتراض وانتم لا ترتدعون عن ذلك بل تجترون على اعظم من ذلك حيث تكذبون بالمعاد والبعث راسًا او بدين الاسلام الذين هما من جملة احكامه فلا تصدقون هولآ ولا جوابا ولا ثوابا ولا عقابا وقيل كانه قيل انكم لا تستقيمون على ما توجبه نعمي عليكم وارشادي لكم بل تكذبون الى آخره وقال القفال ليس الامر كما تقولون من انه لا بعث ولا نشور ثم قيل انتم تتبينون بهذا البيان بل تكذبون بيوم الدين قوله تعالى وان عليكم لحافظين حال من فاعل تكذبون بالجزآء والحال ان عليكم من قبلنا الحافظين لاعمالكم كرامًا لدينا كاتبين لها يعلمون ما تفعلون من الافعال قليلا وكثيرا ويضبطونه نقيرا وقطميرا لتجازوا بذلك وفي تعظيم الكاتبين بالثنآء عليهم تفخيم لامر الجزا وانه عند الله عز وجل من جلايل الامور حيث يستعمل فيه هولآء الكرام قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم استيناف مسوق لبيان نتيجة الحفظ والكتاب من الثواب والعقاب وفي تنكير النعيم والجحيم من التفخيم والتهويل ما لا يخفى قوله تعالى يصلونها اما صفة لجحيم او استيناف مبني على سوال نشا من تهويلها كانه قيل ما حالهم فقيل يقاسون حرها يوم الدين يوم الجزآء الذي كانوا يكذبون به وما هم عنها بغائبين طرفة فان المراد دوام نفي الغيبة لا نفي دوام الغيبة لما مر مرارًا من ان الجملة الاسمية المنفية قد يراد بها استمرار النفي لا نفي الاستمرار باعتبار ما يفيده من الدوام والثبات بعد النفي لا قبله وقيل معناه وما كانوا غايبين عنها قبل ذلك بالكلية بل كانوا يجدون سمومهم في قبورهم حسبما قال النبي صلى الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران وما ادريك ما يوم الدين ثم ما ادريك ما يوم الدين تفخيم لشان يوم الدين الذي يكذبون به اثر تفخيم وتهويل امره بعد تهويل بيان انه خارج عن داير الخلق على اي صورة تصوروها فهو فوقها وكيف ما تخيلوه فهم اطم من ذلك واعظم اي واي شي جعلك داريا ما يوم الدين على ان ما الاستفهامية خبر ليوم الدين لا بالعكس كما هو راي سيبويه لما مر ان مدار الافادة الخبر لا المبتدا ولا ريب في ان مناط افادة الهول والفخامة هنا هو ما لا يوم الدين اي اي شي عجيب هو في الهول والفظاعة لما مر غير مرة ان كلمة ما قد يطلب بها الوصف وان كانت موضوعة لطلب الحقيقة وشرح الاسم يقال ما زيد فيقال في الجواب كاتب او طبيب وفي اظهار يوم الدين في موقع الاضمار تاكيد لهوله وفخامته وقوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيا والامر يومئذ لله بيان اجمالي لشان يوم الدين اثر ابهامه وبيان خروجه عن علوم الخلق بطريق انجاز الوعد فان نفي ادرائهم مشعر بالوعد الكريم بالادرآء قال ابن عباس رضي الله عنهما كل ما في القران من قوله تعالى ما ادراك فقد ادراه وكل ما فيه من قوله تعالى وما يدريك فقد طوي عنه ويوم مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف وحركته الفتح لاضافته الى غير متمكن كانه قيل هو يوم لا تملك فيه نفس من النفوس لنفس من النفوس شيا من الاشيآء الى آخره او منصوب باضمار اذكر كانه قيل بعد تفخيم امر يوم الدين وتشويقه صلى الله عليه وسلم الى معرفته اذكر يوم لا تملك نفس الى آخره فانه يدريك ما هو وقيل باضمار يدانون وليس بذلك فانه عار عن افادة ما لم تفده من قبل كما ان ابداله من يوم الدين على قراءة الرفع لذلك بل الحق حينئذ الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الانفطار كتب الله تعالى بعدد كل قطرة من السمآء حسنه وبعدد كل قبر حسنة

سورة المطففين وهي ست وثلثون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم ويل للمطففين قيل الويل شدة الشر وقيل العذاب الاليم وقيل هو واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره وايا ما كان فهو مبتدا وان كان نكرة لوقوعه في موقع الدعا والتطفيف البخس في الكيل والوزن لان ما يبخس شي طفيف حقير وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكان اهلها من اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوا الكيل وقيل قدمها صلى الله عليه وسلم وبها رجل يعرف بابي جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالاخر وقيل كان اهل المدينة تجارا يطففون وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقراها عليهم وقال خمس بخمس ما نقض قوم العهد الا

سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر قوله تعالى الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون الى آخره صفة كاشفة للمطففين شارحة لكيفية تطفيفهم الذي استحقوا به الذم والدعا بالويل اي اذا اكتالوا من الناس مكيلهم بحكم الشرا ياخذونه وافرا وافيا وتبديل كلمة على بمن لتضمين الاكتيال معنى الاستيلاء او للاشارة الى انه اكتيال مضر بهم لكن لا على اعتبار الضرر في حيز الشرط الذي كلمة اذا لاخلاله بالمعنى بل في نفس الامر بموجب الجواب فان المراد بالاستيفا ليس اخذ الحق وافيا من غير نقص بل مجرد الاخذ الوافي الوافر حسبما ارادوا باي وجه تيسر من وجوه الحيل وكانوا يفعلونه بكبس الكيل وتحريك المكيال والاحتيال في ملئه واما ما قيل من ان ذلك للدلالة على ان اكتيالهم لما لهم على الناس فمع اقتضائه لعدم شمول الحكم لاكتيالهم قبل ان يكون لهم على الناس شيء بطريق الشرا ونحوه مع ان الشايع فيما بينهم يقتضي ان يكون معنى الاستيفاء اخذ ما لهم عليهم وافيا من غير نقص اذ هو المتبادر منه عند الاطلاق في معرض الحق فلا يكون مدار الذم والدعآء عليهم وحمل ما لهم عليهم على معنى ما سيكون لهم عليهم مع كونه بعيدا جدا مما لا يجدي نفعا فان اعتبار كون المكيل لهم حالا كان او مآلا يستدعي كون الاستيفا بالمعنى المذكور حتما وهكذا حال ما نقل عن الفرا من ان من وعلى يعتقبان في هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكانه قال اخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فكقولك استوفيت منك فتامل وقد جوز ان تكون على متعلقة بيستوفون ويكون تقديمها على الفعل لافادة مخصوصية اي يستوفون على الناس خاصة فاما انفسهم فيستوفون لها وانت خبير بان القصر بتقديم الجار والمجرور انما يكون فيما يمكن تعلق الفعل بغير المجرور ايضا حسب تعلقه به فيقصد بالتقديم قصره عليه بطريق القلب او الافراد او التعيين حسبما يقتضيه المقام ولا ريب في ان الاستيفاء الذي هو عبارة عن الاخذ الوافي مما لا يتصور ان يكون على انفسهم حتى يقصد بتقديم الجار والمجرور قصره على الناس على ان الحديث واقع في الفعل لا فيما وقع عليه فتدبر والضمير البارز في قوله تعالى واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون للناس اي اذا كالوا لهم او وزنوا لهم للبيع ونحوه يخسرون اي ينقصون يقال خسر الميزان واخسره فحذف الجار واوصل الفعل كما في قوله ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا اي جنيت لك وجعل البارز تاكيدا للمستكن مما لا يليق بجزالة التنزيل ولعل ذكر الكيل والوزن في صورة الاخسار والاقتصار على الاكتيال في صورة الاستيفا لما انهم لم يكونوا متمكنين من الاحتيال عند الاتزان تمكنهم منه عند الكيل والوزن في الصورتين لان مساق حال الكلام لبيان سوء معاملتهم في الاخذ والعطا لا في خصوصية الماخوذ والمعطى وقوله تعالى الا يظن اولئك انهم مبعوثون استيناف وارد لتهويل من التطفيف والتعجيب من اجترائهم عليه واولئك اشارة الى المطففين ووضعه موضع ضميرهم للاشعار بمناط الحكم الذي هو وصفهم فان الاشارة الى الشي متعرضة له من حيث اتصافه بوصفه واما الضمير فلا يتعرض لوصفه فللايذان بانهم ممتازون بذلك الوصف القبيح عن ساير الناس اكمل امتياز نازلون منزلة المشار اليها اشارة حسية وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد درجتهم في الشرارة والفساد اي الا يظن اولئك الموصوفون بذلك الوصف الشنيع الهايل انهم مبعوثون ليوم عظيم لا يقادر قدره وعظمه وعظم ما فيه محاسبون فيه على مقدار الذرة والخردلة فان من يظن ذلك وان كان ظنا ضعيفا متاخرا للشك والوهم لا يكاد يتجاسر على امثال هاتيك القبايح فكيف بمن يتيقنه وقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين اي لحكمه وقضائه منصوب باضمار اعني وقيل بمبعوثون او مرفوع المحل خبر لمبتدا مضمر او مجرور بدلا من يوم عظيم مبني على الفتح لاضافته الى الفعل وان كان مضارعا كما هو راي الكوفيين ويؤيد الاخيرين القراءة بالرفع وبالجر وفي هذا الانكار والتعجيب وايراد الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه كافة لله تعالى خاضعين ووصفه تعالى بربوبية العالمين من البيان البليغ لعظم الذنب وتفاقم الاثم في التطفيف وامثاله ما لا يخفى كلا ردع لما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب وقوله تعالى ان كتاب الفجار لفي سجين الى آخره تعليل للردع او وجوب الارتداع بطريق التحقيق

وسجين علم لكتاب جامع هو ديوان الشر دون فيه اعمال الشياطين واعمال الكفرة والفسقة من الثقلين منقول
من وصف كخاتم واصله فعيل من السجن وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق في جهنم او لانه مطروح
كما قيل تحت الارض السابعة في مكان مظلم موحش وهو مسكن ابليس وذريته فالمعنى ان كتاب الفجار الذين من جملتهم المطففون
اي ما يكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم لفي ذلك الكتاب المدون فيه قبايح اعمال المذكورين وقوله تعالى **وما ادريك ما**
سجين تهويل لامر اي هو بحيث لا يبلغه دراية احد وقوله تعالى **كتاب مرقوم** اي مسطور بين الكتابة او معلم يعلم
من راه انه لا خير فيه وقيل هو اسم المكان والتقدير ما كتاب السجين او محل كتاب مرقوم وقوله تعالى **ويل يومئذ**
للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين اما مجرور على انه صفة ذامة للمكذبين او بدل منه او مرفوع او منصوب على الذم
وما يكذب به الا كل معتد اي متجاوز عن حدود النظر والاعتبار غال في التقليد حتى استقصر قدرة الله تعالى وعلمه عن
الاعادة مع مشاهدته للبداء **اثيم** اي منهمك في الشهوات المخدجة الفانية بحيث متعلقة عما وراها من اللذات
التامة الباقية وحملته على انكارها **اذا تتلى عليه اياتنا** الناطقة بذلك **قال** من فرط جهله واعراضه عن الحق الذي
لا يحيد عنه **اساطير الاولين** اي هي حكايات الاولين قال الكلبي المراد بالمعتدي الاثيم هو الوليد بن المغيرة وقيل النضر
ابن الحارث وقيل عام لكل من اتصف بالاوصاف المذكورة وقرئ اذا يتلى على الاستفهام الانكاري **كلا** ردع للمعتدي
الاثيم عن ذلك القول الباطل وتكذيب له فيه وقوله تعالى **بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون** بيان لما ادى بهم
الى التفوه بتلك العظيمة اي ليس في اياتنا ما يصح ان يقال في شانها مثل هذه المقالات الباطلة بل ركب
قلوبهم وغلب عليها ما كانوا يكسبونها من الكفر والمعاصي حتى صارت كالصدا في المرآة فحال ذلك بينهم وبين
معرفة الحق كما قال صلى الله عليه وسلم ان العبد كلما اذنب ذنبا حصل في قلبه نكتة سودا حتى يسود قلبه
ولذلك قالوا ما قالوا والرين الصدا يقال ران عليه الذنب وغال عليه رينا وغينا ويقال ران فيه النوم
اي رسخ فيه وقرئ بادغام اللام في الراء **كلا** ردع وزجر عن الكسب الراين **انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون** فلا يكادون
يرونه بخلاف المومنين وقيل هو تمثيل لاهانتهم باهانة من يحجب عن الدخول على الملوك وعن ابن عباس وقتادة وابن
ابي مليكة محجوبون عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته **ثم انهم لصالوا الجحيم** اي داخلوا النار وثم لتراخي
الرتبة فان صلي الجحيم اشد من الاهانة والحرمان من الرحمة والكرامة **ثم يقال** لهم توبيخا وتقريعا من جهة الزبانية
هذا الذي كنتم به تكذبون فذوقوا عذابه **كلا** ردع عما كانوا عليه بعد ردع وزجر اثر زجر قوله تعالى **ان**
كتاب الابرار لفي عليين استيناف مسوق لبيان محل كتاب الابرار بعد بيان سوء حال الفجار متصلا ببيان سوء
حال كتابهم وفيه تاكيد للردع ووجوب الارتداع وكتابهم ما كتب من اعمالهم وعليون علم لديوان الخير الذي دون
فيه كلما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع على فعيل من العلو سمي بذلك اما لانه سبب الارتفاع الى
اعلا الدرجات في الجنة واما لانه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما والكلام
في قوله تعالى **وما ادريك ما عليون كتاب مرقوم** كما مر في نظيره وقوله تعالى **يشهده المقربون** صفة اخرى لكتاب اي
يحضرونه ويحفظونه او يشهدون بما فيه يوم القيمة **ان الابرار لفي نعيم** شروع في بيان محاسن احوالهم اثر
بيان حال كتابهم على طريقة ما مر في شان الفجار **على الارائك** اي على الاسرة في الحجال ولا يكاد تطلق الاريكة على
السرير عندهم الا عند كونه في الحجلة **ينظرون** اي الى ما شاؤا ومد اعينهم اليه من رغايب مناظر الجنة والى
ما اولاهم الله عز وجل من النعمة والكرامة والى اعدائهم يعذبون في النار وما تحجب الحجال ابصارهم عن الادراك
تعرف في وجوههم نضرة النعيم اي بهجة التنعيم وماؤه ورونقه والخطاب لكل احد ممن له حظ من الخطاب للايذان
ان حالهم من اثار النعمة واحكام البهجة بحيث لا يختص برؤية راء دون راء **يسقون من رحيق** شراب خالص لا غش فيه
مختوم ختامه مسك اي مختوم اوانيه واكوابه بالمسك مكان الطين ولعله تمثيل لمكان نفاسته وقيل ختامه مسك
اي مقطعه رائحة مسك وقرئ خاتمه بفتح التاء وكسرها اي ما يختم به ويقطع **وفي ذلك** اشارة الى الرحيق

وهو الانسب الى ما بعده او الى ما ذكر من احوالهم وما فيه من معنى البعد اما للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته او لكونه
في الجنة او في ذلك حاجته دون غيره **فليتنافس المتنافسون** اي فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله تعالى وقيل
فليعمل العاملون كقوله تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون وقيل فليستبق المستبقون واصل التنافس التغالب في الشيء
النفيس واصله من النفس لعزتها قال الواحدي نفست الشيء انفسه والتنافس التفاعل منه كان كل واحد من الشخصين
يريد ان يستاثر به وقال البغوي واصله من الشيء النفيس الذي تحرص عليه نفوس الناس ويريده كل احد لنفسه
وينفس فيه على غيره اي يضن به **ومزاجه من تسنيم** عطف على ختامه صفة اخرى لرحيق مثله وما بينهما اعتراض
مقرر لنفاسته اي ما يمزج به ذلك الرحيق من ماء تسنيم على ان من بيانية او تبعيضية او من نفسه على انها ابتدائية
والتسنيم علم لعين بعينها سميت به اما لانها ارفع شراب في الجنة واما لانها تاتيهم من فوق ذوي انها تجري في
الهواء متسنمة فتنصب في اوانيهم **عينا** نصب على الاختصاص وجوز ان يكون حالا من تسنيم مع كونه جامدا
لاتصافه بقوله تعالى **يشرب بها المقربون** فانهم يشربونها صرفا وتمزج لساير اهل الجنة فالباء مزيدة او بمعنى من
قوله **ان الذين اجرموا** الى آخره حكاية لبعض قبايح مشركي قريش جيء بها تمهيدا لذكر بعض احوال الابرار في الجنة **كانوا**
في الدنيا **كانوا من الذين امنوا يضحكون** اي يستهزؤن بفقرائهم كعمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقراء
المومنين وتقديم الجار والمجرور اما للقصر اشعارا بغاية شناعة ما فعلوا اي كانوا من الذين امنوا يضحكون
مع ظهور عدم استحقاقهم لذلك على منهاج قوله تعالى افي الله شك او لمراعاة الفواصل **واذا مروا** اي فقراء
المومنين **بهم** بالمشركين وهم في انديتهم وهو الاظهر وان جاز العكس ايضا **يتغامزون** اي يغمز بعضهم بعضا ويشيرون
باعينهم **واذا انقلبوا** من مجالسهم **الى اهلهم انقلبوا فاكهين** ملتذين بذكرهم بالسوء والسخرية منهم وفيه اشارة
الى انهم كانوا لا يفعلون ذلك بمرأى من المارين بهم ويكتفون حينئذ بالتغامز وقرئ فكهين قيل هما بمعنى وقيل
فكهين اشرين وقيل فرحين وفاكهين متفكهين وقيل ناعمين وقيل مازحين **واذا راوهم** اينما كانوا **قالوا ان**
هؤلاء لضالون اي نسبوا المسلمين ممن راوهم ومن غيرهم بطريق التاكيد **وما ارسلوا عليهم** على المسلمين **حافظين**
حال من واو قالوا اي قالوا ذلك والحال انهم ما ارسلوا من جهة الله تعالى موكلين بهم يحفظون عليهم احوالهم
ويهيمنون على اعمالهم ويشهدون برشدهم فضلالهم وهذا تهكم بهم واشعار بان ما اجترؤا عليه من القول
من وظايف المرسل من جهته تعالى وقد جوز ان يكون ذلك من جهة قول المشركين كانهم قالوا ان هؤلاء لضالون
وما ارسلوا علينا حافظين انكارا لصدهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام وانما قيل عليهم نقلا له بالمعنى كما في
قولك حلف ليفعلن لا بالعبارة كما في قولك حلف لافعلن **فاليوم الذين امنوا** اي المعهودون من الفقراء **من الكفار**
اي من المعهودين وهو الاظهر وان امكن التعميم من الجانبين **يضحكون** حين يرونهم اذلاء مغلولين قد غشيهم
فنون الهوان والصغار بعد العز والكبر ورهقهم الوان العذاب بعد التنعيم والترفه وتقديم الجار والمجرور
للقصر تحقيقا للمقابلة فاليوم هم من الكفار يضحكون لا الكفار كما كانوا يفعلون في الدنيا قوله تعالى **على الارائك**
ينظرون حال من فاعل يضحكون اي يضحكون منهم ناظرين اليهم والى ما هم فيه من سوء الحال وقيل يفتح للكفار
باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليها اغلق دونهم يفعل بهم ذلك مرارا ويضحك المومنون منهم
ويأباه قوله تعالى **هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون** فانه صريح في ان ضحك المومنين منهم جزاء لضحكهم منهم في الدنيا
فلا بد من المجانسة والمشاكلة حتما والتثويب والاثابة والمجازاة وقرئ بادغام اللام في الثاء وعنه صلى
الله عليه وسلم من قرا سورة المطففين سقاه الله تعالى من الرحيق المختوم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة الانشقاق وهي خمس عشرة اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **اذا السماء انشقت** اي بالغمام كما في قوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن علي رضي الله عنه
تنشق من المجرة **واذنت لربها** واستمعت اي انقادت واذعنت لتاثير قدرته تعالى حين تعلقت ارادته بانشقاقها

انقياد المامور المطواع ۰ اذا ورد عليه امر الآمر المطاع ۰ والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليها للاشعار بعلة الحكم وهذه الجملة ونظيرتها الآتية بمنزلة قوله تعالى اتينا طايعين في الانباء عن كون ما نسب الى السماء والارض من الانشقاق والمد وغيرهما جاريا على مقتضى الحكمة كما اشير اليه فيما سلف **وحقت** اي جعلت حقيقة بالاستماع والانقياد لكن لا بعد ان لم يكن كذلك بل في نفسها وحد ذاتها من قولهم هو محقوق بكذا او حقيق به والمعنى انقادت لربها وهي حقيقة بذلك لكن لا على ان المدار خصوصية ذاتها من بين سائر المقدورات بل خصوصية القدرة القاهرة الربانية التي يتأتى لها كل مقدور ولا يتخلف عنها امر من الامور فحق الجملة ان تكون اعتراضا مقررا لما قبلها لا معطوفة عليه **واذا الارض مدت** اي بسطت بازالة جبالها واكامها عن مقارها وتسويتها بحيث صارت قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا او زيدت سعة وبسطة من مده بمعنى امده اي زاده **والقت ما فيها** اي رمت ما في جوفها من الموتى والكنوز كقوله تعالى واخرجت الارض اثقالها **وتخلت** وخلت عما فيها غاية الخلو حتى لم يبق فيها شيء منه كانها تكلفت في ذلك اقصى جهدها **واذنت لربها** في الالقاء والتخلي **وحقت** اي وهي حقيقة بذلك اي شانها ذلك بالنسبة الى القدرة الربانية وتكرير كلمة اذا مع اتحاد الافعال المنسوبة الى السماء وقوعا في الوقت الممتد الذي هو مدلولها قد مر سره فيما مر **يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا** اي جاهد ومجد الى الموت وما بعده من الاحوال التي مثلت باللقاء مبالغ في ذلك فان الكدح جهد النفس في العمل والكد فيه بحيث يؤثر فيها من كدح جلده اذا خدشه **فملاقيه** اي فملاق له عقيب ذلك لا محالة من غير صارف يلويه عنه قوله تعالى **فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا** الى آخره قيل هو جواب اذا كما في قوله تعالى فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله تعالى يا ايها الانسان الى آخره اعتراض وقيل هو محذوف للتهويل والايماء الى قصور العبارة عن بيانه او للتعويل على دلالة ما مر في سورة التكوير والانفطار عليه وقيل هو ما دل عليه قوله تعالى يا ايها الانسان تقديره لاقى الانسان كدحه وقيل هو قوله تعالى فملاقيه وما قبله اعتراض وقيل هو يا ايها الانسان الى آخره باضمار القول ومعنى يسيرا سهلا لا مناقشة فيه ولا اعتراض وعن الصديقة رضي الله عنها هو ان يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه **وينقلب الى اهله مسرورا** اي عشيرته المومنين او فريق المومنين مبتهجا بحاله قايلا هاؤم اقرؤا كتابيه وقيل الى اهله في الجنة من الحور والغلمان **واما من اوتي كتابه** اي يوتاه بشماله **وراء ظهره** قيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله وقيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره **فسوف يدعو ثبورا** اي يتمنى الثبور وهو الهلاك ويدعو يا ثبوراه تعال فانه اوانك واني له ذلك **ويصلى سعيرا** اي يدخلها وقرئ يصلى كقوله تعالى وتصلية جحيم وقرئ ويصلى كما في قوله تعالى ونصليه جهنم **انه كان في اهله** اي فيما بين اهله وعشيرته في الدنيا **مسرورا** مترفا بطرا مستبشرا كديدن الفجار الذين لا يهمهم ولا يخطر ببالهم امور الآخرة ولا يتفكرون في العواقب ولم يكن حزينا متفكرا في حاله وشؤونه وما له سنة الصلحاء والمتقين والجملة استيناف لبيان علة ما قبلها قوله تعالى **انه ظن ان لن يحور** تعليل لسروره في الدنيا اي ظن ان لن يرجع الى الله تعالى تكذيبا للمعاد وان مخففة من ان سادة مع ما في حيزها مسد مفعولي الظن او احدهما على الخلاف المعروف **بلى** ايجاب لما بعد لن قوله تعالى **ان ربه كان به بصيرا** تحقيق وتعليل له اي بلى ليحورن البتة ان ربه الذي خلقه كان به وباعماله الموجبة للجزاء بصيرا بحيث لا يخفى عليه منها خافية فلا بد من رجعه وجزائه وحسابه عليها حتما وقيل نزلت الآيتان في ابي سلمة بن عبد الاسد واخيه الاسود **فلا اقسم بالشفق** هي الحمرة التي تشاهد في افق المغرب بعد الغروب او البياض الذي يليها سمي به لرقته ومنه الشفقة التي هي عبارة عن رقة القلب **والليل وما وسق** وما جمع وما ضم يقال وسقه فاتسق واستوسق اي جمعه فاجتمع وما عبارة عما يجتمع بالليل ويأوي الى مكانه من الدواب وغيرها **والقمر اذا اتسق** اي اجتمع وتم بدرا ليلة اربعة عشر **لتركبن طبقا عن طبق** اي لتلاقن حالا بعد حال كل واحدة منها مطابقة لاختها في الشدة والفظاعة

وقيل الطبق

وقيل الطبق جمع طبقة وهي المرتبة وهو الاوفق للركوب المنبي عن الاعتلاء والمعنى لتركبن احوالا بعد احوال هي طبقات في الشدة بعضها ارفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيمة ودواهيها وقرئ لتركبن بالافراد على خطاب الانسان ومحل عن طبق النصب على انه صفة لطبقا اي طبقا مجاوزا لطبق وحال من الضمير في لتركبن طبقا مجاوزين او مجاوزا او مجاوزة على حسب القراءة والفاء في قوله تعالى **فما لهم لا يومنون** لترتيب ما بعدها من الانكار والتعجيب على ما قبلها من احوال يوم القيمة واهوالها الموجبة للايمان والسجود اي اذا كان حالهم يوم القيمة كما ذكر فاي شيء لهم حال كونهم غير مومنين اي اي شيء يمنعهم من الايمان مع تعاضد موجباته قوله تعالى **واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون** جملة شرطية محلها النصب على الحالية نسقا على ما قبلها اي فاي مانع لهم حال عدم سجودهم وخضوعهم واستكانتهم عند قراءة القرآن وقيل قرأ النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المومنين وقريش تصفق فوق روسهم وتصفر فنزلت وبه احتج ابو حنيفة على وجوب السجدة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ليس في المفصل سجدة وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه انه سجد فيها وقال ما سجدت الا بعد ان رايت النبي صلى الله عليه وسلم يسجد فيها وعن انس رضي الله تعالى عنه صليت خلف ابا بكر وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم فسجدوا وعن الحسن رضي الله تعالى عنه هي غير واجبة **بل الذين كفروا يكذبون** بالقرآن الناطق بما ذكر من احوال القيمة واهوالها مع تحقق موجبات تصديقه ولذلك لا يخضعون عند تلاوته **والله اعلم بما يوعون** بما يضمرون في قلوبهم ويجمعون في صدورهم من الكفر والحسد والبغي والبغضاء او بما يجمعون في صحفهم من اعمال السوء ويدخرون لانفسهم من انواع العذاب علما فعليا **فبشرهم بعذاب اليم** لان علمه تعالى بذلك على الوجه المذكور موجب لتعذيبهم حتما **الا الذين امنوا وعملوا الصالحات** استثناء منقطع ان جعل الموصول عبارة عن المومنين كافة ومتصل ان اريد به من آمن منهم بعد ذلك قوله تعالى **لهم اجر غير ممنون** اي غير مقطوع او ممنون به عليهم استيناف مقرر لما قبله لما افاده الاستثناء من انتفاء العذاب عنهم ومبين لكيفيته ومقارنته للثواب العظيم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة انشقت اعاذه الله تعالى ان يعطيه كتابه وراء ظهره صدق رسول الله

سورة البروج وهي اثنى وعشرون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **والسماء ذات البروج** هي البروج الاثنى عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات ويكون فيها الثوابت او منازل القمر او عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها او ابواب السماء فان النوازل تخرج منها واصل التركيب للظهور **واليوم الموعود** اي يوم القيمة **وشاهد ومشهود** اي ومن يشهد في ذلك من الخلائق وما يحضر فيه من العجائب وتنكيرهما للابهام في الوصف اي وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما او للمبالغة في الكثرة وقيل الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم والمشهود يوم القيمة وقيل عيسى عليه السلام وامته لقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا الى آخره وقيل امة محمد صلى الله عليه وسلم وسائر الامم وقيل يوم التروية ويوم عرفة ويوم الجمعة وقيل الحجر الاسود والحجيج وقيل الايام والليالي وبنو آدم وعن الحسن ما من يوم الا وينادي اني يوم جديد واني على ما يعمل في شهيد فاغتنمني فلو غابت شمسي لم تدركني الى يوم القيمة وقيل الحفظة وبنو آدم وقيل الانبياء ومحمد عليهم الصلاة والسلام **قتل اصحاب الاخدود** قيل هو جواب القسم على حذف اللام منه للطول والاصل لقتل كما في قول من قال ۰ حلفت لها بالله حلفة فاجر ۰ لناموا فما ان من حديث ولا صال ۰ وقيل تقديره لقد قتل وايا ما كان فالجملة خبرية والاصل انها دعائية دالة على الجواب كانه قيل اقسم بهذه الاشياء انهم اي كفار مكة ملعونون كما لعن اصحاب الاخدود ولما ان السورة وردت لتثبيت المومنين على ما هم عليه من الايمان وتصبرهم على اذية الكفرة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان وصبرهم على ذلك حتى يأتسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقونه من قومهم ويعلموا ان هؤلاء عند الله عز وجل بمنزلة اولئك المعذبين ملعونون مثلهم احقاء بان يقال فيهم ما قد قيل فيهم وقرئ قتل بالتشديد والاخدود الخد في الارض ونحوهما بناء ومعنى الحق والاحقوق روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فمر الغلام ذات يوم في طريقه بدابة قد حبست الناس قيل كانت الدابة اسدا فاخذ حجرا فقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها فكان

الغلام بعد ذلك يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء فعمي جليس الملك فابراه فابصر الملك فساله من رد عليك بصرك
فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فعذبه فلم يرجع عن دينه فقد بالمنشار واتي بالغلام
فذهب به الى الجبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت
بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع وتاخذ سهما
من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس امنا برب
الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فامر باخاديد في افواه السكك واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه
فيها حتى جاءت امراة معها صبي فتقاعست فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت وقيل لها قعي ولا تنافقي
ما هي الا غميضة فصبرت قيل اخرج الغلام من قبره في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه واصبعه على صدغه كما وضعها حين
قتل وعن علي رضي الله عنه ان بعض ملوك المجوس وقع على اخته وهو سكران فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج
ان تخطب بالناس فتقول ان الله قد احل نكاح الاخوات ثم تخطبهم بعد ذلك ان الله حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت
له ابسط فيهم السوط ففعل فلم يقبلوا فقالت ابسط فيهم السيف ففعل فلم يقبلوا فامر بالاخاديد وايقاد النار وطرح
من ابى فيها فهم الذين اراد الله تعالى بقوله قتل اصحاب الاخدود وقيل وقع الى نجران رجل ممن كان على دين عيسى عليه السلام
فدعاهم فاجابوه فسار اليهم ذو نواس اليهودي بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فابوا فاحرق منهم اثني
عشر الفا في الاخاديد وقيل سبعين الفا وذكر ان طول الاخدود اربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا النار بدل اشتمال
من الاخدود ذات الوقود وصف لها بغاية العظم وارتفاع اللهب وكثرة ما يوجبه من الحطب وابدان الناس وقرئ الوقود
بالضم وقوله تعالى اذ هم عليها قعود ظرف لقتل اي لعنوا حين احدقوا بالنار قاعدين حولها في مكان مشرف عليها من حافات
الاخدود كما في قوله • وبات على النار الندى والمحلق • وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود اي يشهد بعضهم لبعض عند الملك
بان احدا لم يقصر فيما امر به او انهم شهود يشهدون بما فعلوا بالمؤمنين من العذاب حضورا لا يرقون لهم لغاية قسوة
قلوبهم هذا هو الذي يستدعيه النظم الكريم وتنطق به الروايات المشهورة وقد روي ان الجبابرة لما القوا المؤمنين في النار
وهم قعود حولها علقت بهم النار فاحرقتهم ونجى الله عز وجل منها المؤمنين سالمين والى هذا القول ذهب الربيع بن انس والواحدي فعلى
ذلك حملا قوله تعالى ولهم عذاب الحريق وما نقموا منهم اي ما انكروا منهم وما عابوا الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد استثناء
مفصح عن براءتهم مما يعاب وينكر بالكلية على منهاج قوله • ولا عيب فيهم غير ان ضيوفهم • تلام بنسيان الاحبة والوطن •
ووصفه تعالى بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه وحميدا منعما يرجى ثوابه وتاكيد ذلك بقوله تعالى الذي له ملك السموات والارض
للاشعار بمناط ايمانهم قوله تعالى والله على كل شيء شهيد وعد لهم ووعيد شديد لمعذبيهم فان علمه تعالى بجميع الاشياء التي
من جملتها اعمال الفريقين يستدعي توفير جزاء كل منهما حتما ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات اي محنوهم في دينهم ليرجعوا عنه
والمراد بهم اما اصحاب الاخدود خاصة وبالمفتونين المطروحين في الاخدود واما الذين بلوهم في ذلك بالاذية والتعذيب
على الاطلاق وهم داخلون في جملتهم دخولا اوليا ثم لم يتوبوا اي عن كفرهم وفتنتهم فان ما ذكر من النسبة في الذين لا يتصور
من غير الكافر قطعا قوله تعالى فلهم عذاب جهنم جملة وقعت خبرا لان او خبرهم وعذاب مرتفع به على الفاعلية وهو الاحسن
والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط ولا ضير في نسخه بان وان خالفه الاخفش والمعنى لهم في الاخرة عذاب جهنم بسبب كفرهم ولهم
عذاب الحريق وهي نار اخرى عظيمة بسبب فتنتهم للمؤمنين ان الذين امنوا وعملوا الصالحات على الاطلاق من المفتونين وغيرهم لهم
بسبب ما ذكر من الايمان والعمل الصالح جنات تجري من تحتها الانهار ان اريد بالجنات الاشجار فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان
اريد بها الارض المشتملة عليها فالتحتية باعتبار جزئها الظاهر فان اشجارها ساترة لساحتها كما يعرب عنه اسم الجنة وقد مر
مرارا ذلك اشارة اما الى الجنات الموصوفة والتذكير لتاويلها بما ذكر للاشعار بان مدار الحكم عنوانها الذي يتنافس فيه
المتنافسون فان اسم الاشارة متعرض لذات المشار اليه من حيث اتصافه باوصافه المذكورة لا لذاته فقط كما هو شان الضمير
فاذا اشير الى الجنات من حيث ذكرها فقد اعتبر معها عنوانها المذكور حتما واما الى ما يفيده قوله تعالى لهم جنات الى اخره من حيازتهم

لها فان

لها فان حصولها لهم مستلزم لحيازتهم لها قطعا وايا ما كان فما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجته وبعد منزلته في
الفضل والشرف ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده اي ذلك المذكور العظيم الشان الفوز الكبير الذي يصغر عنده الدنيا
وما فيها من فنون الرغائب بحذافيرها والفوز النجاة من الشر والظفر بالخير فعلى الاول هو مصدر اطلق على المفعول به مبالغة
وعلى الثاني مصدر على حاله ان بطش ربك لشديد استئناف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم ايذانا بان لكفار قومه نصيبا
موفورا من مضمونه كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم والبطش الاخذ بعنف
وحيث وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة واخذه اياهم بالعذاب والانتقام لقوله تعالى
وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد انه هو يبدئ ويعيد اي هو يبدئ الخلق وهو يعيده من
غير دخل لاحد في شيء منهما ففيه مزيد تقرير لشدة بطشه او هو يبدئ البطش بالكفرة في الدنيا ويعيده في الاخرة وهو الغفور
لمن تاب وامن الودود المحب لمن اطاع ذو العرش خالقه وقيل المراد بالعرش الملك اي السلطنة القاهرة وقرئ ذي العرش على
انه صفة ربك المجيد العظيم في ذاته وصفاته فانه واجب الوجود وتام القدرة كامل الحكمة وقرئ بالجر على انه صفة ربك
او للعرش ومجده علوه وعظمته فعال لما يريد بحيث لا يتخلف عن ارادته مراد من افعاله تعالى وافعال غيره وهو خبر
مبتدا محذوف قوله تعالى هل اتاك حديث الجنود استئناف مقرر لشدة بطشه تعالى بالظلمة العصاة والكفرة العتاة
وكونه فعالا لما يريد متضمن لتسليته صلى الله عليه وسلم بالاشعار بانه سيصيب قومه ما اصاب الجنود فرعون وثمود بدل
من الجنود لان المراد بفرعون هو وقومه والمراد بحديثهم ما صدر عنهم من التمادي في الكفر والضلال وما حل بهم من العذاب
والنكال والمعنى قد اتاك حديثهم وعرفت ما فعلوا وما فعل بهم فذكر قومك شؤون الله تعالى وانذرهم ان يصيبهم مثل
ما اصاب امثالهم قوله تعالى بل الذين كفروا في تكذيب اضراب عن مماثلتهم في ذلك بل هم اشد منهم في استحقاق العذاب
واستيجاب العقاب فانهم مستقرون في تكذيب شديد للقران الكريم وقيل ليست جنايتهم مجرد عدم التذكر والاتعاظ بما
سمعوا من حديثهم بل هم مع ذلك في تكذيب شديد للقران الناطق بذلك لكن لا انهم يكذبون بوقوع الحادثة بل بكون ما نطق
به قرانا من عند الله تعالى مع وضوح امره وظهور حاله بالبينات الباهرة والله من ورائهم محيط تمثيل لعدم نجاتهم من باس الله
تعالى بعدم فوت المحاط المحيط قوله تعالى بل هو قران مجيد رد لكفرهم وابطال لتكذيبهم وتحقيق للحق اي ليس الامر
كما قالوا بل هو كتاب شريف عالي الطبقة فيما بين الكتب الالهية في النظم والمعنى وقرئ قران مجيد بالاضافة اي قران
رب مجيد في لوح محفوظ اي من التحريف ووصول الشياطين اليه وقرئ محفوظ بالرفع على انه صفة قران وقرئ
في لوح وهو الهواء اي ما فوق السماء السابعة التي فيه اللوح عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
البروج اعطاه الله تعالى بعدد كل جمعة وعرفة تكون في الدنيا عشر حسنات صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة الطارق وهي سبع عشرة اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق الطارق في الاصل اسم فاعل من طرق طرقا وطروقا اذا جاء ليلا قال الماوردي
واصل الطرق الدق ومنه سميت المطرقة وانما سمي قاصد الليل طارقا لاحتياجه الى طرق الباب غالبا ثم اتسع في التوسع
حتى اطلق على الصور الخيالية البادية بالليل قال • طرقنا الخيال والكلبية مدلج • سدكا بارحلنا ولم يتعرج • والمراد
هاهنا الكوكب البادي بالليل اما على انه اسم جنس او كوكب معهود وقيل الطارق النجم الذي يقال له كوكب الصبح قوله
تعالى وما ادراك ما الطارق تنويه بشانه اثر تفخيمه بالاقسام به وتنبيه على ان رفعة قدره بحيث لا ينالها ادراك
الخلق فلا بد من تلقيها من الخلاق العليم فما الاولى مبتدا وادراك خبره والثانية خبر والطارق مبتدا حسبما بين في
نظائره واي شيء اعلمك ما الطارق قوله تعالى النجم الثاقب خبر مبتدا محذوف والجملة استئناف وقع جوابا عن
استفهام نشا مما قبله كانه قيل ما هو فقيل هو النجم المضيء في الغاية كانه يثقب الظلام او الافلاك بضوئه وينفذ فيها
والمراد به اما الجنس فان لكل كوكب ضوءا ثاقبا لا محالة واما كوكب معهود وقيل هو زحل وقيل الثريا وقيل هو الجدي وقيل
النجم الثاقب نجم في السماء السابعة لا يسكنها غيره فاذا اخذت النجوم امكنتها من السماء هبط فكان معها ثم يرجع الى مكانه

من السماء السابعة وهو زحل فهو طارق حين ينزل وحين يصعد وفي ايراده عند الاقسام به بوصف مشترك بينه وبين غيره ثم الاشارة الى ان ذلك الوصف غير كاشف عن كنه امره وان ذلك مما لا تبلغه افكار الخلايق ثم بفسره بالنجم الثاقب من تفخيم شانه واجلال محله ما لا يخفى قوله تعالى **كل نفس لما عليها حافظ** جواب للقسم وما بينهما اعتراض جيء به لما ذكر من تاكيد فخامة المقسم به المستتبع لتاكيد مضمون الجملة المقسم عليها وان نافية ولما بمعنى الا اي ما كل نفس الا عليها حافظ مهيمن رقيب وهو الله عز وجل كما في قوله تعالى وكان الله على كل شيء رقيبا وقيل هو من يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر كما في قوله تعالى وان عليكم لحافظين الايات وقوله تعالى يرسل عليكم حفظة وقوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه وقرئ لما مخففة على ان ان مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشان محذوف واللام هي الفارقة وما مزيدة اي ان الشان كل نفس لعليها حافظ والفاء في قوله تعالى **فلينظر الانسان مم خلق** للتنبيه على ان ما بين من ان كل نفس عليها حافظ يحصي عليها كل ما يصدر عنها من قول وفعل مستوجب على الانسان ان يتفكر في مبدا فطرته حق التفكر حتى يتضح له ان من قدر على انشائه من مواد لم تشم رايحة الحياة فهو قادر على اعادته بل هو اقدر على قياس العقل فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ما ينفعه يومئذ ويجزى به ولا على حافظه ما يرديه قوله تعالى **خلق من ماء دافق** استيناف وقع جوابا عن استفهام مقدر كانه قيل مم خلق فقيل خلق من ماء ذي دفق وهو صب فيه دفع وسيلان بسرعة والمراد به الممتزج من الماءين في الرحم كما ينبئ عنه قوله تعالى **يخرج من بين الصلب والترائب** اي صلب الرجل وترائب المراة وهي عظام صدرها قالوا ان النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الاعضاء حتى تستعد لان تتولد منها مثل تلك الاعضاء ومقرها عروق يلتف بعضها ببعض عند البيضتين فالدماغ اعظم الاعضاء معونة في توليدها ولذلك يشبهه ويورث الافراط في الجماع الضعف فيه وله خليفة وهي النخاع وهو في الصلب وشعب كثيرة نازلة الى الترائب وهما اقرب الى اوعية المني ولذلك خصها بالذكر وقرئ الصلب بضمتين وفيه لغة رابعة هي صالب **انه** الضمير للخالق تعالى فان قوله تعالى خلق يدل عليه اي ان ذلك الذي خلقه ابتداء بما ذكر **على رجعه** اي اعادته بعد موته **لقادر** بين القدرة **يوم تبلى السرائر** اي يتعرف ويتصفح ما اسر في القلوب من العقايد والنيات وغيرها وما اخفي من الاعمال وتميز ما طاب منها وخبث وهو ظرف لرجعه **فما له** اي للانسان **من قوة** اي في نفسه يمتنع بها **ولا ناصر** ينصره **والسماء ذات الرجع** اي المطر سمي رجعا لما ان العرب كانوا يزعمون ان السحاب يحمل الماء من بخار الارض ثم يرجعه الى الارض واراد وا بذلك التفؤل ليرجع ولذلك سموه اوبا او لان الله تعالى يرجعه حينا فحينا **والارض ذات الصدع** هو ما تتصدع عنه الارض من النبات او مصدر من المبني للمفعول وهو تشققها بالنبات لا بالعيون كما قيل فان وصف السماء والارض عند الانقسام بهما على حقيقة القران الناطق بالبعث بما ذكر من الوصفين للايماء الى انهما في انفسهما من شواهده وهو السر في التعبير عنه وهو المطر بالرجع وذلك في تشقق الارض بالنبات المحاكي للنشور حسبما ذكر في مواقع من التنزيل لا في تشققها بالعيون **انه** اي القران الذي من جملته ما تلي من الايات الناطقة بمبدا حال الانسان ومعاده **لقول فصل** اي فاصل بين الحق والباطل مبالغ في ذلك كانه نفس **وما هو بالهزل** ليس في شيء منه شائبة هزل بل كله جد محض لا هوادة فيه فمن حقه ان يهتدي به الغواة وتخضع له رقاب العتاة **انهم** اي اهل مكة **يكيدون** في ابطال امره واطفاء نوره **كيدا** حسبما تفي به قدرتهم **واكيد كيدا** اي اقابلهم بكيد متين لا يمكن رده حيث استدرجهم من حيث لا يعلمون **فمهل الكافرين** اي لا تشتغل بالانتقام منهم ولا تدع عليهم بالهلاك اي لا تستعجل به والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان الاخبار بتوليه لكيدهم بالذات مما يوجب امهالهم وترك التصدي لمكابدتهم قوله تعالى **امهلهم** بدل من مهل وقوله تعالى **رويدا** اما مصدر موكد بمعنى الفاعل او نعت لمصدره المحذوف اي امهلهم امهالا رويدا اي قريبا كما قاله ابن عباس وقليلا كما قاله قتادة قال ابو عبيدة هو في الاصل تصغير ارواد او كونه حالا نحو سار القوم رويدا على احد الوجهين المذكورين من تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسكين قلبه ما لا يخفى وعنه صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الطارق اعطاه الله تعالى بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات

سورة الاعلى وهي تسع عشرة اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **سبح اسم ربك الاعلى** اي نزه اسمه عز وجل عن الالحاد فيه بالتاويلات الزايغة وعن اطلاقه على غيره بوجه يشعر بتشاركهما فيه وعن ذكره لا على وجه الاعظام والاجلال والاعلى اما صفة للرب وهو الاظهر او للاسم وقرئ سبحان ربي الاعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت **الذي خلق فسوى** صفة اخرى للرب على الوجه الاول ومنصوب على المدح على الثاني لئلا يلزم الفصل بين الموصوف والصفة بصفة غيره اي خلق كل شيء فسوى خلقه بان جعل له ما به يتاتى كماله ويتسنى معاشه قوله تعالى **والذي قدر** اما صفة اخرى للرب كالموصوف الاول او معطوف عليه وكذا حال ما بعده اي قدر اجناس الاشياء وانواعها وافرادها ومقاديرها وصفاتها وافعالها واجالها **فهدى** اي فوجه كل واحد منها الى ما يصدر عنه وينبغي له طبعا واختيارا او يسره لما خلق له بخلق الميول والالهامات ونصب الدلايل وانزال الايات ولو تتبعت احوال النباتات والحيوانات لرايت في كل منها ما تحار فيها العقول يحكى ان الافعى اذا بلغت الف سنة عميت وقد الهمها الله تعالى ان تمسح عينها بورق الرازيانج الغض فيعود اليها بصرها فربما كانت عند عروض العمى لها في برية بينها وبين الريف مسافة طويلة فتطويها حتى تهجم في بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطيها فتحك عينها بورقها وترجع باصرة باذن الله عز وجل ويروى ان التمساح ليس له دبر وانما يخرج فضلات ما ياكله من فمه حيث قيض الله تعالى له طيرا قد رغذاه من ذلك فاذا راه التمساح يفتح فاه فيدخله الطاير فياكل ما فيه وقد خلق الله تعالى له من فوق منقاره ومن تحته قرنين لئلا يطبق عليه التمساح فمه واما هدايته سبحانه وتعالى للانسان من حيث الجسمية ومن حيث الحيوانية لا سيما من حيث الانسانية فمما لا يحيط به فلك العبارة والتحرير ولا يعلمه الا اللطيف الخبير **والذي اخرج المرعى** اي انبت ما ترعاه الدواب غضا طريا **فجعله** بعد ذلك **غثاء احوى** اي دريئا اسود وقيل احوى حال من المرعى اي اخرجه احوى من شدة الخضرة والري فجعله غثاء بعد ذلك وقوله تعالى **سنقرئك فلا تنسى** بيان لهدايته تعالى الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم لتلقي الوحي وحفظ القران الذي هو هدى للعالمين وتوفيقه صلى الله عليه وسلم لهداية الناس اجمعين والسين اما للتاكيد واما لان المراد اقراء ما اوحي اليه حينئذ وما سيوحى اليه بعد ذلك فهو وعد كريم باستمرار الوحي في ضمن الوعد بالاقراء اي سنقرئك ما نوحي اليك الان وفيما بعد على لسان جبريل عليه السلام او سنجعلك قارئا بالهام القراءة فلا تنسى اصلا من قوة الحفظ والاتقان مع انك امي لا تدري ما الكتاب وما القراءة فيكون ذلك اية اخرى لك مع ما في تضاعيف ما تقرؤه من الايات البينات من حيث الاعجاز ومن حيث الاخبار بالمغيبات قوله تعالى **الا ما شاء الله** استثناء مفرغ من اعم المفاعيل اي لا تنسى مما تقرؤه شيئا من الاشياء الا ما شاء الله ان تنساه ابدا بان تنسخ تلاوته والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة والايذان بدوران المشيئة في الجملة على القلة والندرة كما روي انه صلى الله عليه وسلم اسقط اية في قراءته في الصلوة فحسب ابي رضي الله عنه انها نسخت فساله فقال صلى الله عليه وسلم نسيتها وقيل نفي النسيان راسا فان القلة قد تستعمل في النفي والمراد بالنسيان حينئذ النسيان بالكلية اذ هو المنفي راسا لا ما قد ينسى ثم يذكر **انه يعلم الجهر وما يخفى** تعليل لما قبله اي يعلم ما ظهر وما بطن من الامور التي من جملتها ما اوحي اليك فتنسي ما يشاء انساءه ويبقى محفوظا ما يشاء ابقاءه لما نيط كل منهما من مصالح دينكم **ونيسرك لليسرى** عطف على نقرئك كما ينبئ عنه الالتفات الى الحكاية وما بينهما اعتراض والوجه لما ذكر من التعليل وتعليق التيسير به صلى الله عليه وسلم مع ان الشايع تعليقه بالامور المسخرة للفاعل كما في قوله تعالى ويسر لي امري للايذان بقوة تمكينه صلى الله عليه وسلم من اليسرى والتصرف فيها بحيث صار ذلك ملكة راسخة له كانه صلى الله عليه وسلم جبل عليها كما في قوله صلى الله عليه وسلم اعملوا فكل ميسر لما خلق له اي نوفقك توفيقا مستمرا للطريقة اليسرى في كل باب من ابواب الدين علما وتعليما واهتداء وهداية ويندرج فيه تيسير طريق تلقي الوحي والاحاطة بما فيه من احكام الشريعة السمحة والنواميس الالهية مما يتعلق بتكميل نفسه صلى الله عليه وسلم وتكميل غيره كما يفصح عنه الفاء في قوله تعالى **فذكر ان نفعت الذكرى** اي فذكر الناس حسبما يسرناك له بما يوحى اليك واهدهم الى ما في تضاعيفه من

ش بيان هدايته تعالى العامة لكافة مخلوقاته وهي هدايته صلى الله عليه وسلم صح

بات

دد

الاحكام الشرعية كما كنت تفعله لا بعدما استتب لك الامر كما قيل وتقييد التذكير بنفع الذكري لما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طالما كان يذكرهم ويستفرغ فيهم غاية المجهود ويتجاوز في الجد كل حد معهود حرصا على ايمانهم وما كان يزيدهم ذلك بعضهم الا كفرا وعنادا فامر صلى الله عليه وسلم بان يخص التذكير بمواد النفع في الجملة بان يكون من يذكر كلا او بعضا ممن يرجى منه التذكير ولا يتعب نفسه في تذكير من لا يورثه التذكير الا عتوا ونفورا من المطبوع على قلوبهم كما في قوله تعالى فذكر بالقران من يخاف وعيد وقوله تعالى فاعرض عمن تولى عن ذكرنا وقيل هو ذم للمذكورين واخبار عن حالهم واستبعاد لتاثير التذكير فيهم وتسجيل عليهم بالطبع على قلوبهم كقولك للواعظ المكاسين ان سمعوا منك قصدا الى انه مما لا يكون والاول انسب لقوله تعالى **سيذكر من يخشى** اي سيتذكر بتذكيرك من شانه ان يخشى الله تعالى حق خشيته او من يخشى الله تعالى في الجملة فيزداد ذلك بالتذكير فيتفكر في امر ما تذكر به فيقف على حقيقته فيومن به وقيل ان بمعنى اذ كما في قوله تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مومنين اي اذ كنتم وقيل معناه اي تذكر ما نفعت الذكري فانها لا تخلو عن نفع كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر قاله الفرا والنحاس والجرجاني والزهراوي **ويتجنبها** اي الذكري **الاشقى** من الكفرة لتوغله في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ابي ربيعة **الذي يصلى النار الكبرى** اي الطبقة السفلى من طبقات النار وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا لقوله صلى الله عليه وسلم ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم **ثم لا يموت فيها** حتى يستريح **ولا يحيى** حياة تنفعه وثم للتراخي في مراتب الشدة لان التردد بين الموت والحياة افظع من الصلي **قد افلح** اي نجا من المكروه وظفر بما يرجوه **من تزكى** اي تطهر من الكفر والمعاصي بتذكره واتعاظه بالذكري او تكثر من التقوي والخشية من الزكا وهو النمو وقيل تطهر للصلوة وقيل تزكى تفعل من الزكوة وكلمة لما ات عند الاخبار بسوء حال المتجنب عن الذكري في الاخرة يتوقع السامع الاخبار بحسن حال المتذكر فيها وينتظره **وذكر اسم ربه** بقلبه ولسانه **فصلى** اي اقام الصلوات الخمس كقوله تعالى اقم الصلوة لذكري اي كبر تكبيرة الافتتاح فصلى وقيل تزكى اي تصدق صدقة الفطر وذكر اسم ربه اي كبر يوم العيد فصلى اي صلاته **بل تؤثرون الحيوة الدنيا** اضراب عن مقدر ينساق اليه الكلام كانه قيل اثر بيان ما يؤدي الى الفلاح لا تفعلون ذلك بل تؤثرون اللذات العاجلة الفانية فتسعون لتحصيلها والخطاب اما للكفرة فالمراد بايثار الحيوة الدنيا هو الرضا والاطمينان بها والاعراض عن الاخرة بالكلية كما في قوله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها الاية او للكل فالمراد بايثارها هو اعم مما ذكر وما لا يخلو عنه الناس غالبا من ترجيح جانب الدنيا على الاخرة في السعي وترتيب المبادي والالتفات على الاول لتشديد التوبيخ وعلى الثاني كذلك في حق الكفرة ولتشديد العتاب في حق المسلمين وقرئ يؤثرون بالياء وقوله تعالى **والاخرة خير وابقى** حال من فاعل تؤثرون موكدة للتوبيخ والعتاب اي تؤثرونها على الاخرة والحال ان الاخرة خير في نفسها لما ان نعيمها مع كونه في غاية ما يكون من اللذة خالص عن شايبة الغايلة ابدي لا انصرام له وعدم التعرض لبيان تكدر نعيم الدنيا بالمنغصات وانقطاعه عما قليل لغاية ظهوره **ان هذا** اشارة الى ما ذكر من قوله تعالى قد افلح من تزكى وقيل اشارة الى ما في السورة جميعا **لفي الصحف الاولى** اي ثابت فيها معناه **صحف ابرهيم وموسى** بدل من الصحف الاولى وفي ابهامه ووصفها بالقدم ثم بيانها وتفسيرها من تفخيم شانها ما لا يخفى وروي ان جميع ما انزل الله تعالى من كتاب مائة واربعة كتب انزل على آدم عليه السلام عشر صحف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين صحيفة وعلى ابرهيم عشر صحف والتورية والانجيل والزبور والفرقان عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الاعلى اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف انزل الله على ابرهيم وموسى ومحمد عليهم الصلوة والسلام

سورة الغاشية وهي ست وعشرون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **هل اتيك حديث الغاشية** قيل هل بمعنى قد كما في قوله تعالى هل اتى على الانسان الاية قال قطرب اي قد جاءك يا محمد حديث الغاشية وليس بذلك بل هو استفهام اريد به التعجب مما في حيزه والتشويق الى سماعه والاشعار بانه من الاحاديث البديعة التي حقها ان يتناقلها الرواة ويتنافس في تلقيها الوعاة من كل حاضر وباد والغاشية الداهية الشديدة التي تغشي الناس بشدايدها وتكتنفهم باهوالها وهي القيمة من قوله تعالى

يوم يغشيهم

بل حال وقيل هناك محذوف فالتقدير ان نفعت الذكرى وان لم تنفع صح

يوم يغشاهم العذاب الى آخره وقيل هي من النار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار وقوله تعالى ومن فوقهم غواش والاول هو الحق فان ما سيروى من حديثها ليس مختصا بالنار واهلها بل ناطق باحوال اهل الجنة ايضا وقوله تعالى **وجوه يومئذ خاشعة** الى قوله مبثوثة استيناف وقع جوابا عن سوال نشا من الاستفهام التشويقي كانه قيل من جهته صلى الله عليه وسلم ما اتاني حديثها ما هو فقيل وجوه يومئذ اي يوم اذ غشيت ذليلة قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يكن اتاه صلى الله عليه وسلم حديثها فاخبره جبريل عليه السلام عنها فقال وجوه يومئذ الى آخره فوجوه مبتدا ولا باس بتنكيرها لانها في موقع التنويع وخاشعة خبره وقوله تعالى **عاملة ناصبة** خبران اخران لوجوه اذ المراد بها اصحابها اي تعمل اعمالا شاقة تتعب فيها وهو جر السلاسل والاغلال والخوض في النار خوض الابل في الوحل والصعود والهبوط في تلال النار ووهادها وقيل عملت في الدنيا اعمال السوء والتذذ بها فهي يومئذ في نصب منها وقيل عملت ونصبت في اعمال لا يجدي عليها في الآخرة وقوله تعالى **تصلى** اي تدخل **نارا حامية** اي متناهية في الحر خبر اخر لوجوه وقيل هو الخبر وما قبله صفات لوجوه وقد مر غير مرة ان الصفة حقه ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع قبل جعلها صفة له ولا ريب في ان وصل النار وما قبله من الخشوع والعمل والنصب امور متساوية في الانتساب الى الوجوه معرفة وجهالة فجعل بعضها عنوانا للموضوع قيدا معروفا عنه غير مقصود الافادة وبعضها مناطا للافادة بحكم بحت وتجوز ان يكون هذا وما بعده من الجملتين استينافا مبينا لتفاصيل احوالها **تسقى من عين آنية** اي متناهية في الحر كما في قوله تعالى ويطوفون بينها وبين حميم آن **ليس لهم طعام الا من ضريع** بيان لطعامهم اثر بيان شرابهم والضريع يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا واذا يبس تحامته وهو سم قاتل وقيل هي شجرة نارية تشبه الضريع وقال ابن كيسان هو طعام يضرعون عنده ويذكرون ويتضرعون الى الله تعالى طلبا للخلاص منه فسمي بذلك وهذا طعام لبعض اهل النار والزقوم والغسلين لاخرين **لا يسمن ولا يغني من جوع** اي ليس من شانه الاسمان والاشباع كما هو شان طعام الدنيا وانما هو شيء يضطرون الى اكله من غير ان يكون لهم دفع لضرورتهم لكن لا على ان لهم استعدادا للشبع والسمن الا انه لا يفيد شيئا منهما بل على انه لا استعداد من جهتهم ولا افادة من جهة طعامهم وتحقيق ذلك ان جوعهم وعطشهم ليسا من قبيل ما هو المعهود منهما في هذه النشاة من حالة عارضة للانسان عند استدعاء الطبيعة لبدل ما يتحلل من البدن مشوقة له الى المطعوم والمشروب بحيث يلتذ بهما عند الاكل والشرب ويستغني بهما عن غيرهما عند استقرارهما في المعدة ويستفيد منهما قوة وسمنا عند انهضامهما بل جوعهما عبارة عن اضطرارهم عند اضطرام النار في احشائهم الى ادخال شيء كيف يملاها ويخرج ما فيها من اللهب واما ان يكون شوق الى مطعوم ما والتذاذ به عند الاكل واستغنائه عن الغير واستفادة قوة فهيهات وكذا عطشهم عبارة عند اضطرارهم عند اكل الضريع والتهابه في بطونهم الى شيء مايع بارد يطفيه من غير ان يكون لهم التذاذ بشربه او استفادة قوة به في الجملة وهو المعنى بما روي انه تعالى يسلط عليهم الجوع بحيث يضطرهم الى اكل الضريع واذا اكلوه يسلط عليهم العطش فيضطرهم الى شرب الحميم فيشوي وجوههم ويقطع امعاءهم وتنكير الجوع للتحقير اي لا يغني من جوع ما وتاخير نفي الاغناء عنه لمراعاة الفواصل والتوسل به الى التصريح بنفي كلا الامرين اذ لو قدم لما احتيج الى ذكر نفي الاسمان ضرورة استلزام نفي الاغناء عن الجوع اياه بخلاف العكس ولذلك كرر لا لتاكيد النفي قوله تعالى **وجوه يومئذ ناعمة** شروع لرواية حديث اهل الجنة بعد حكاية سوء حال اهل النار مما يزيد المحكي حسنا وبهجة والكلام في اعراب الجملة كالذي مر في نظيرتها وانما لم يعطف عليها ايذانا بكمال تباين مضمونيهما ومعنى ناعمة ذات بهجة وحسن كقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم او متنعمة **لسعيها راضية** اي لعملها الذي عملته في الدنيا حيث شاهدت ثمرته **في جنة عالية** مرتفعة المحل او علية المقدار **لا تسمع** اي انت او الوجوه **فيها لاغية** لغوا او كلمة ذات لغو ونفسا فلغوا فان كلام اهل الجنة كله اذكار وحكم وقرئ لا يسمع على البناء للمفعول بالياء والتاء ورفع لاغية **فيها عين جارية** اي عيون كثيرة تجري مياهها كقوله تعالى علمت **فيها سرر مرفوعة** اي رفيعة السمك او المقدار **واكواب** جمع كوب وهو الاناء لا عروة له **موضوعة** اي بين ايديهم **ونمارق** وسايد جمع نمرقة بالفتح والضم **مصفوفة** بعضها الى بعض **وزرابي** اي بسط فاخرة جمع زربية **مبثوثة** مبسوطة **افلا ينظرون الى الابل**

ل شعة

بل

يستفيد

كيف خلقت استئناف مسوق لتقرير ما فصل من حديث الغاشية وما هو مبني عليه من التعجب الذين هم فيه مختلفون
بالاستشهاد عليه بما لا يستطيعون انكاره والهمزة للانكار والتوبيخ والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وكلمة كيف
منصوبة بما بعدها كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله معلقة لفعل النظر والجملة في حيز الجر على انها بدل اشتمال من الابل
اينكرون ما ذكر من البعث واحكامه ويستبعدون وقوعه من قدرة الله عز وجل فلا ينظرون الى الابل التي هي نصب اعينهم
يستعملونها كل حين الى انها كيف خلقت خلقا بديعا معدولا به عن سنن خلقة سائر انواع الحيوانات في عظم جثتها وقوة
شدتها وعجيب هيآتها اللائقة بتأتي ما يصدر عنها من الافاعيل الشاقة كالنوء بالاوقار الثقيلة وجر الاثقال الفادحة
الى الاقطار النازحة وفي صبرها على الجوع والعطش حتى ان اظماءها لتبلغ العشر فصاعدا واكتفائها باليسير ورعيها
لكل ما يتيسر من شوك وشجر وغير ذلك مما لا يكاد يرعاه سائر البهائم وفي انقيادها مع ذلك للانسان في الحركة والسكون
والبروك والنهوض حيث يستعملها في ذلك كيف يشاء ويقتادها بقطارها كل صغير وكبير والى السماء التي يشاهدونها
كل لحظة بالليل والنهار كيف رفعت رفعا سحيق المدى بلا عماد ولا امساك بحيث لا يناله الفهم والادراك
والى الجبال التي ينزلون في اقطارها وينتفعون بمياهها واشجارها كيف نصبت نصبا رصينا فهي راسخة لا تميل ولا تميد
والى الارض التي يضربون فيها ويتقلبون عليها كيف سطحت سطحا بتوطية وتمهيد وتسوية حسبما يقتضيه صلاح
امور ما عليه من الخلائق وقرئ سطحت مشددا وقرئت الافعال الاربعة على بناء الفاعل للمتكلم وحذف الراجع المنصوب
والمعنى افلا ينظرون نظر التدبر والاعتبار الى كيفية خلق هذه المخلوقات الشاهدة بحقيقة البعث والنشور ليرجعوا
عما هم عليه من الانكار والنفور ويسمعوا انذارك ويستعدوا للقائه بالايمان والطاعة والفاء في قوله تعالى فذكر لترتيب
الامر بالتذكير على ما ينبئ عنه الانكار السابق من عدم النظر اي فاقتصر على التذكير ولا تلح عليهم ولا يهمنك انهم لا ينظرون
ولا يتذكرون وقوله تعالى انما انت مذكر تعليل للامر وقوله تعالى لست عليهم بمسيطر تقرير له وتحقيق لمعنى الانذار
اي لست بمتسلط عليهم تجبرهم على ما تريد كقوله تعالى وما انت عليهم بجبار وقرئ بالسين على الاصل وبالاشمام
وقرئ بفتح الطاء قيل هي لغة بني تميم فان سيطر عندهم متعد ومنه قولهم سيطر وقوله تعالى الا من تولى وكفر استثناء منقطع
اي لكن من تولى منهم فان لله تعالى الولاية والقهر فيعذبه الله العذاب الاكبر الذي هو عذاب جهنم وقيل استثناء متصل من
قوله فذكر اي فذكر الا من انقطع طمعك عن ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض ويعضد الاول انه قرئ
الا على التنبيه وقوله تعالى ان الينا ايابهم تعليل لتعذيبه تعالى بالعذاب الاكبر اي الينا رجوعهم بالموت والبعث
لا الى احد سوانا لا استقلالا ولا اشتراكا وجمع الضمير فيه وفيما بعده باعتبار معنى من كما ان افراده فيما سبق
باعتبار لفظها وقرئ ايابهم على انه فيعال مصدر فيعل من الاياب او فعال من اوب كقصار من قصر ثم قيل ايواب كديوان
في دوان ثم قلبت الواو ياء وادغمت الياء الاولى في الثانية ثم ان علينا حسابهم في المحشر لا على غيرنا وثم للتراخي في الرتبة
لا في الزمان فان الترتب الزماني بين ايابهم وحسابهم لا بين كون ايابهم اليه تعالى وحسابهم عليه تعالى فانهما امران مستمران
وفي تصدير الجملتين بان وتقديم خبرها وعطف الثانية على الاولى بكلمة ثم المفيدة لبعد منزلة الحساب في الشدة من الانباء عن
غاية السخط الموجب لتشديد العذاب ما لا يخفى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الغاشية حاسبه الله تعالى حسابا يسيرا

سورة الفجر وهي ثلثون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم والفجر اقسم سبحانه تعالى بالفجر كما اقسم بالصبح حيث قال والصبح اذا تنفس وقيل المراد به صلاته
وليال عشر هي عشر ذي الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة او النحر او العشر الاواخر من رمضان وتنكيرها للتفخيم وقرئ وليال عشر
بالاضافة على ان المراد بالعشر الايام والشفع والوتر اي الاشياء بيوم النحر ويوم عرفه ولقد كثرت فيها الاقوال والله
تعالى اعلم بحقيقة الحال وقرئ بكسر الواو وهما لغتان كالحبر والحبر وقيل الوتر بالفتح في العدد وبالكسر في الذحل وقرئ والوتر
بفتح الواو وكسر التاء والليل اذا يسر اي يمضي كقوله تعالى والليل اذ ادبر والليل اذا عسعس والتقييد لما فيه من وضوح الدلالة
على كمال القدرة ووفور النعمة او يسرى فيه من قولهم صلى المقام اي صلى فيه وحذف الياء اكتفاء بالكسر وقرئ باثباتها على الاطلاق

كلها شفعها ووترها او شفع هذه الليالي ووترها وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم فسرها صح

هل في

هل في ذلك قسم الى آخره تحقيق وتقرير لفخامة شأن المقسم بها وكونها امورا جليلة حقيقة بالاعظام والاجلال
عند ارباب العقول وتنبيه على ان الاقسام بها امر معتد به خليق بان يؤكد به الاخبار على طريقة قوله تعالى
فانه لقسم لو تعلمون عظيم وذلك اشارة اما الى الامور المقسم بها والتذكير بتأويل ما ذكر كما مر تحقيقه واما الى الاقسام
بها وايا ما كان فما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل والشرف اي هل فيما ذكر
من الاشياء قسم اي مقسم به لذي حجر يراه حقيقا بان يقسم به اجلالا وتعظيما والمراد تحقيق ان الكل لذلك وانما
اوثرت هذه الطريقة هضما وايذانا بظهور الامر او هل في اقسامي بتلك الاشياء اقسام لذي حجر مقبول عنده
يعتد به ويفعل مثله ويؤكد به المقسم عليه والحجر العقل لانه يحجر صاحبه اي يمنعه من التهافت فيما لا ينبغي كما سمي
عقلا ونهية لانه ينهى ويعقل وحصاة ايضا من الاحصاء وهو الضبط قال الفراء يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا
لنفسه ضابطا لها والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن كما ينبئ عنه قوله عز وجل الم تر كيف فعل ربك بعاد الى آخره
فانه استشهاد بعلمه صلى الله عليه وسلم بما يدل عليه من تعذيب عاد واضرابهم المشاركين لقومه صلى الله عليه وسلم
في الطغيان والفساد على طريقة قوله تعالى الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه الآية وقوله تعالى الم تر انهم في كل واد
يهيمون كانه قيل الم تعلم علما يقينا كيف عذب ربك عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام قوم هود عليه السلام
سموا باسم ابيهم كما سمي بنو هاشم هاشما وقيل لاوائلهم عاد الاولى ولاواخرهم عاد الاخيرة قال عماد الدين بن كثير
كلما ورد في القرآن خبر عاد الاولى الا ما في سورة الاحقاف وقوله تعالى ارم عطف بيان لعاد للايذان بانهم عاد الاولى
بتقدير مضاف اي سبط ارم او اهل ارم على ما قيل من ان ارم اسم بلدتهم او ارضهم التي كانوا فيها ويؤيده القراءة بالاضافة
وايا ما كان فامتناع صرفها للتعريف والتأنيث وقرئ ارم باسكان الراء تخفيفا كما قرئ بورقكم ذات العماد صفة لارم
اي ذات القدود الطوال على تشبيه قاماتهم بالاعمدة ومنه قولهم رجل عمد وعمدان اذا كان طويلا او ذات الخيام والاعمدة
حيث كانوا بدوا بين اهل عمد او ذات البناء الرفيع او ذات الاساطين وقرئ ارم ذات العماد باضافة ارم الى ذات العماد
والارم العلم اي بعاد اهل اعلام ذات العماد على انها اسم بلدتهم وقرئ ارم ذات العماد اي جعلها الله تعالى رميما بدل من
فعل ربك وقيل هي جملة دعائية اعترضت بين الموصوف والصفة روي انه كان لعاد ابنان شديد وشداد فملكا وقهرا
ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابني مثلها فبنى ارم
في بعض صحاري عدن في ثلثمائة سنة وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت
وفيها اصناف الاشجار والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة
بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها فحمل مما قدر
عليه مما ثمة وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها
رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت الى ابن
قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل التي لم يخلق مثلها في البلاد صفة اخرى لارم اي لم يخلق مثلهم في عظم الاجرام والقوة
حيث كان طول الرجل منهم اربعمائة ذراع وكان يأتي الصخرة العظيمة فيحملها ويلقيها على الحي فيهلكهم او لم يخلق مثل مدينة شداد
في جميع بلاد الدنيا وقرئ لم يخلق على اسناده الى الله تعالى وثمود عطف على عاد وهي قبيلة مشهورة سميت باسم جدهم ثمود
اخي جديس وهما ابنا عامر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وكانوا عربا من العاربة يسكنون الحجر بين الحجاز وتبوك
وكانوا يعبدون الاصنام كعاد الذين جابوا الصخر بالواد اي قطعوا صخر الجبال فاتخذوا فيها بيوتا نحتوها من الصخر لقوله
تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا وقيل هو اول من نحت الجبال والصخور والرخام وقيل بنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها
من الحجارة وفرعون ذي الاوتاد وصف بذلك لكثرة جنوده وخيامهم التي يضربونها في منازلهم او لتعذيبه بالاوتاد
الذين طغوا في البلاد اما مجرور على انه صفة للمذكورين او منصوب او مرفوع على الذم اي طغى كل طائفة منهم في بلادهم
وكذا الكلام في قوله تعالى فاكثروا فيها الفساد اي بالكفر وسائر المعاصي فصب عليهم ربك اي انزل انزالا شديدا

على كل طائفة من اولئك الطوائف عقيب ما فعلت من الطغيان والفساد **سوط عذاب** اي عذاب شديد لا يدرك
غايته وهو عبارة عما حل بكل منهم من فنون العذاب التي شرحت في سائر السور الكريمة وتسميته سوطا للاشارة الى ان
ذلك بالنسبة الى ما اعد لهم في الآخرة بمنزلة السوط عند السيف والتعبير عن انزاله بالصب للايذان بكثرته واستمراره
وتتابعه فانه عبارة عن اراقة شيء مائع او جار مجراه في السيلان كالرمل والحبوب وافراغه بشدة وكثرة واستمرار
ونسبته الى السوط مع انه ليس من ذلك القبيل باعتبار تشبيهه في نزوله المتتابع المتدارك على المضروب بقطرات
الشيء المصبوب وقيل السوط خلط الشيء بعضه ببعض فالمعنى ما خلط لهم من انواع العذاب وقد فسر بالنصب وبالشدة
ايضا لان السوط يطلق على كل منهما لغة فلا حاجة حينئذ الى تشبيهه بالمصبوب الى اعتبار تكرر تعلقه بالمعذب
كما في المعنى الاول فان كل واحد من هذه المعاني مما يقبل الاستمرار في نفسه وقوله تعالى **ان ربك لبالمرصاد**
تعليل لما قبله وايذان بان كفار قومه صلى الله عليه وسلم سيصيبهم مثل ما اصاب المذكورين من العذاب كما ينبئ عنه
التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم وقيل هو جواب القسم وما بينهما اعتراض
والمرصاد المكان الذي يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهذا تمثيل لارصاده تعالى بالعصاة وانهم
لا يفوتونه وقوله تعالى **فاما الانسان** الى آخره متصل بما قبله كانه قيل انه تعالى بصدد مراقبة احوال عباده ومجازاتهم
باعمالهم خيرا وشرا فاما الانسان فلا يهمه ذلك وانما مطمح انظاره ومرصد افكاره الدنيا ولذائذها **اذا ما ابتلاه**
ربه اي عامله معاملة من يبتليه بالغنى واليسار والفاء في قوله تعالى **فاكرمه ونعمه** تفسيرية فان الاكرام والتنعيم
عين الابتلاء **فيقول ربي اكرمن** اي فضلني بما اعطاني من الجاه والمال حسبما كنت استحقه ولا يخطر بباله انه فضل تفضل
به عليه ليبلوه ايشكر ام يكفر وهو خبر للمبتدا الذي هو الانسان والفاء لما في اما من معنى الشرط والظرف
المتوسط على نية التاخير كانه قيل فاما الانسان فيقول ربي اكرمني وقت ابتلائه بالانعام وانما تقديمه للايذان
من اول الامر بان الاكرام والتنعيم بطريق الابتلاء ليتضح اختلال قوله المحكي **واما اذا ما ابتلاه** اي واما هو اذا ما
ابتلاه **فقدر عليه رزقه** حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة **فيقول ربي اهانن** ولا يخطر بباله ذلك
ليبلوه ايصبر ام يجزع مع انه ليس من الاهانة في شيء بل التقدير قد يؤدي الى كرامة الدارين والتوسعة قد
تفضي الى خسرانها وقرئ فقدر بالتشديد وقرئ اكرمني واهانني باثبات الياء واكرمن واهانن بسكون النون في
الوقف **كلا** ردع للانسان عن مقالته المحكية وتكذيب له فيها في كلتا الحالتين قال ابن عباس رضي الله عنهما
المعنى لم ابتله بالغنى لكرامته علي ولم ابتله بالفقر لهوانه علي بل ذلك لمحض القضاء والقدر وحمل الردع والتكذيب
الى قوله الاخير بعيد قوله تعالى **بل لا يكرمون اليتيم** انتقال من بيان سوء اقواله الى بيان سوء افعاله والالتفات
الى الخطاب للايذان باقتضاء ملاحظة جنايته السابقة لمشافهته بالتوبيخ تشديدا للتقريع وتاكيدا للتشنيع
والجمع باعتبار معنى الانسان اذ المراد هو الجنس اي بل لكم احوال اشد شرا مما ذكر وادل على تهالككم على المال حيث يكرمكم
الله تعالى بكثرة المال فلا تؤدون ما يلزمكم من اكرام اليتيم بالمبرة به وقرئ لا يكرمون ولا يحاضون بحذف احدى التاءين
من تحاضون اي لا يحض بعضكم بعضا **على طعام المسكين** اي على اطعامه وقرئ تحاضون من المحاضة وقرئ تحضون بالتاء
والياء **وتاكلون التراث** اي الميراث واصله وراث **اكلا لما** اي ذا لم اي جمع بين الحلال والحرام بانهم كانوا لا يورثون
النساء والبنات ويأكلون انصباءهم او ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك **وتحبون المال حبا جما**
كثيرا مع حرص وشره وقرئ يحبون بالياء **كلا** ردع لهم عن ذلك وقوله تعالى **اذا دكت الارض دكا دكا** استئناف جيء به بطريق
الوعيد تعليلا للردع اي اذا دكت الارض دكا متتابعا حتى انكسر وذهب كل ما على وجهها من جبال وابنية وقصور حين
زلزلت وصارت هباء منثورا وقيل الدك حط المرتفع بالبسط والتسوية فالمعنى اذا سويت تسوية بعد تسوية ولم يبق
على وجهها شيء حتى صارت كالصخرة الملساء واياما كان فهو عبارة عما عرض لها عند النفخة الثانية **وجاء ربك**
اي ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من احكام هيبته وسياسته وقيل جاء امر

ولا يحضون

تعالى

تعالى وقضاؤه على حذف المضاف للتهويل **والملك صفا صفا** اي مصطفين او ذوي صفوف فانه ينزل يومئذ ملائكة
كل سماء فيصطفون صفا بعد صف بحسب مراتبهم ومنازلهم محدقين بالجن والانس **وجيء يومئذ بجهنم** كقوله تعالى وبرزت
الجحيم قال ابن مسعود ومقاتل تقاد جهنم بسبعين الف زمام كل زمام معه سبعون الف ملك يجرونها حتى تنصب
عن يسار العرش لها تغيظ وزفير وقد رواه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود مرفوعا **يومئذ** بدل من اذا دكت والعامل فيهما قوله
تعالى **يتذكر الانسان** اي يتذكر ما فرط منه بتفاصيله بمشاهدة آثاره واحكامه او بمعاينة عينه على ان الاعمال تتجسم
في النشاة الآخرة فيبرز كل من الحسنات والسيئات بما يناسبها من الصور الحسنة او القبيحة او يتعظ وقوله تعالى **وانى**
له الذكرى اعتراض جيء به لتحقيق انه ليس بتذكر حقيقة لعرائه عن الجدوى بوقوعه في غير اوانه وانى خبر مقدم والذكرى
مبتدأ وله متعلق بما تعلق به الخبر اي ومن اين يكون له الذكرى والاستدلال به على عدم وجوب قبول التوبة في دار التكليف مما لا
وجه له على انه تذكر ليس من التوبة في شيء فانه عالم بانها انما تكون في الدنيا كما يعرب عنه قوله **يقول يا ليتني قدمت لحياتي**
وهو بدل اشتمال من يتذكر او استئناف وقع جوابا عن سؤال نشا منه كانه قيل ماذا يقول عند تذكره فقيل يقول يا ليتني
عملت لاجل حياتي هذه او وقت حياتي في الدنيا اعمالا صالحة انتفع بها اليوم وليس في هذا التمني شائبة دلالة على استقلال
العبد بفعله وانما الذي يدل عليه ذلك اعتقاد كونه متمكنا من تقديم الاعمال الصالحة واما ان ذلك بمحض قدرته او
بخلق الله تعالى عند صرف قدرته الكاسبة اليه فكلا واما ما قيل من ان المحجوب قد يتمنى ان كان متمكنا منه فربما يوهم ان
من صرف قدرته الى احد طرفي الفعل يعتقد انه محجور من الطرف الآخر وليس كذلك بل كل احد جازم بانه لو صرف قدرته
الى اي طرف كان من افعاله الاختيارية لحصل وعلى هذا يدور فلك التكليف والزام الحجة **فيومئذ** اي يوم اذ يكون
ما ذكر من الاحوال والاقوال **لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد** الهاء لله تعالى اي لا يتولى عذاب الله تعالى ووثاقه احد
سواه اذ الامر كله له او للانسان اي لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرئ الفعلان على البناء للمفعول
والضمير للانسان ايضا وقيل المراد به ابي بن خلف اي لا يعذب احد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والاغلال مثل وثاقه
لتناهيه في الكفر والفساد وقيل لا يحمل عذاب الانسان احد لقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وقوله تعالى **يا ايتها النفس**
المطمئنة حكاية لاحوال من اطمأن بالدنيا وصفت بالاطمئنان اليها لانها ترقت في معارج الاسباب والمسببات
الى المبدا المؤثر بالذات فاستقرت دون معرفته واستغنت به في وجودها وسائر شؤونها عن غيرها بالكلية وقيل هي النفس
المؤمنة المطمئنة اي يقول الله تعالى ذلك بالذات كما كلم موسى عليه السلام او على لسان الملك عند تمام حساب الناس
وهو الاظهر وقيل عند الموت وقيل عند البعث **ارجعي الى ربك** اي الى موعده او امره **راضية** بما اوتيت من النعم المقيم
مرضية عند الله عز وجل **فادخلي في عبادي** اي في زمرة عبادي الصالحين المختصين بي **وادخلي جنتي** معهم وانتظمي في
سلك المقربين واستضيئي بانوارهم فان الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة وقيل المراد بالنفس الروح والمعنى فادخلي
اجساد عبادي التي فارقت عنها وادخلي دار ثوابي وهذا يؤيد كون الخطاب عند البعث وقرئ فادخلي في عبدي
وقرئ في جسد عبدي وقيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب وقيل في حبيب بن عدي والظاهر العموم عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قراها في سائر الايام كانت له نورا يوم القيامة

سورة البلد وهي عشرون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **لا اقسم بهذا البلد** اقسم سبحانه بالبلد الحرام وما عطف عليه على ان الانسان ممنو بمقاساة
الشدائد ومعاناة المشاق واعترض بين القسم وجوابه بقوله تعالى **وانت حل بهذا البلد** اما لتشريفه صلى الله عليه وسلم
بجعل حلوله صلى الله عليه وسلم به مناطا لاعظامه بالاقسام به او للتنبيه من اول الامر على تحقق مضمون الجواب
بذكر بعض مواد المكابدة على نهج براعة الاستهلال وبيان انه صلى الله عليه وسلم مع جلالة قدره وعظم حرمته قد
استحلوا في هذا البلد الحرام وتعرضوا له بما لا خير فيه وهموا بما لم ينالوا عن شرحبيل يحرمون ان يقتلوا بها صيدا ويعضدوا
بها شجرة ويستحلون اخراجك وقتلك واو للتسلية صلى الله عليه وسلم بالوعد بفتحه على معنى وانت حل به في المستقبل

كما في قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر وقد كان كذلك حيث احل له صلى الله عليه
وسلم مكة وفتحها عليه وما فتحت على احد قبله ولا احلت له فاحل صلى الله عليه وسلم ما شاء وحرم ما شاء قتل ابن خطل
وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابه وغيرهما وحرم دار ابي سفيان ثم قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات
والارض فهي حرام الى ان تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلي ولن تحل لاحد بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار فلا يعضد
شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه
لقيوننا وقبورنا وبيوتنا فقال صلى الله عليه وسلم الا الاذخر ووالد عطف على هذا البلد والمراد به ابرهيم عليه السلام
وبقوله تعالى وما ولد اسماعيل والنبي صلى الله عليه وسلم حسبما ينبئ عنه المعطوف عليه فانه حرم ابرهيم ومنشا اسماعيل
ومسقط رسول الله صلى الله عليه وسلم والتعبير عنهما بما دون من للتفخيم والتعظيم لتنكير والد وايرادهم بعنوان الولاد
ترشيح لمضمون الجواب من حيث شموله للكل الا ان التفخيم المستفاد من كلمة ما لا بد فيه من اعتبار التغليب وقيل كل والد وولد
لقد خلقنا الانسان في كبد اي تعب ومشقة فانه لا يزال يقاسي فنون الشدائد من وقت نفخ الروح الى حين نزعها
وما وراءه يقال كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده واصله كبده اذا اصاب كبده ثم اتسع فيه ثم استعمل في كل نصب ومشقة
ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبده اهلكه وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يكابده من كفار قريش والضمير في
قوله تعالى ايحسب لبعضهم الذي كان عليه الصلوة والسلام يكابد منهم ما يكابد كالوليد بن المغيرة واضرابه وقيل هو الاسود بن
كلدة الجمحي وكان شديد القوة مغترا بقوته وكان يبسط له الاديم العكاظي فيقوم عليه ويقول من ازالني عنه فله كذا فيجذبه عشرة
فينقطع قطعا قطعا ولا تزول قدماه اي يظن هذا القوي المارد المتضعف للمؤمنين ان لن يقدر عليه احد ان مخففة من ان
واسمها الذي هو ضمير الشان محذوف اي ايحسب انه لن يقدر على الانتقام منه احد يقول اهلكت مالا لبدا يريد كثرة ما
انفقه فيما كان اهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالي ومفاخر ايحسب ان لم يره احد حين كان ينفق وانه تعالى
لا يسأله عنه ولا يجازيه عليه الم نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا يترجم به عن ضمائره وشفتين يسترهما فاه ويستعين
بهما على النطق والاكل والشرب وغيرهما وهديناه النجدين اي طريقي الخير والشر او الثديين واصل النجد المكان المرتفع فلا
اقتحم العقبة اي فلم يشكر تلك النعم الجليلة بالاعمال الصالحة وعبر عنها بالعقبة التي هي الطريق في الجبل لصعوبة سلوكها
قوله تعالى وما ادريك ما العقبة اي اي شيء اعلمك ما اقتحام العقبة لزيادة تقريرها وكونها عند الله تعالى بمكان رفيع فك
رقبة اي هو اعتاق رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة اي مجاعة يتيما ذا مقربة اي قرابة او مسكينا ذا متربة اي افتقار
وحيث كان المراد باقتحام العقبة هذه الامور حسن دخول لا على الماضي فانها لا تكاد تقع الا مكررة اذ المعنى فلا فك رقبة
ولا اطعم يتيما او مسكينا والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب من النسب وترب اذا افتقر
وقرئ فك رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم ثم كان من الذين امنوا عطف على المنفي بلا وثم للدلالة على تراخي رتبة الايمان
ورفعة محله لاشتراط جميع الاعمال الصالحة وتواصوا بالصبر عطف على امنوا اي اوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة
الله وتواصوا بالمرحمة بالرحمة على عباده او بموجبات رحمته تعالى من الخيرات اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه
بما في حيز صلته وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار اليه للايذان ببعد منزلة درجتهم في الشرف والفضل اي اولئك
الموصوفون بالنعوت الجليلة المذكورة اصحاب الميمنة اي اليمين او اليمن والذين كفروا باياتنا بما نصبناه دليلا
على الحق من كتاب وحجة او بالقرآن هم اصحاب المشئمة اي الشمال او الشوم عليهم نار موصدة مطبقة من اصدت الباب اذا
اطبقته واغلقته وقرئ موصدة بغير همزة من اوصدته عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة البلد اعطاه الله الامان من غضبه يوم القيمة

سورة الشمس وهي عشرون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم والشمس وضحاها اي ضوئها اذا اشرقت وقام سلطانها وقيل ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء
بالفتح والمد اذا امتد النهار وكاد ينتصف والقمر اذا تلاها بان طلع بعد غروبها وقيل اذا تلا طلوعه طلوعها
وقيل اذا تلاها في الاستدارة وكمال النور والنهار اذا جلاها اي جلى الشمس فانها تتجلى عند انبساط النهار فكانه جلاها

مع انها التي تبسطه او جلى الظلمة او الدنيا او الارض وان لم يجر لها ذكر للعلم بها والليل اذا يغشاها اي الشمس فيغطي ضوءها
او الافاق او الارض وحيث كانت الواوات العاطفة نوايب الواو الاولى القسمية القائمة مقام الفعل والباء سادة
مسدهما معا في قولك اقسم بالله حقهن ان يعملن عمل الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا والسماء وما بناها
وايثار ما على من لارادة الوصفية تفخيما كانه قيل والقادر العظيم الشان الذي بناها وجعلها مصدرية يخل بالنظم الكريم
وكذا الكلام في قوله تعالى والارض وما طحاها اي بسطها من كل جانب كدحاها ونفس وما سواها اي انشاها وابدعها
مستعدة لكمالاتها والتنكير للتفخيم على ان المراد نفس آدم عليه السلام او للتكثير وهو الانسب للجواب فالهمها فجورها وتقويها
اي افهمها اياها وعرفها حالها من الحسن والقبح وما ل كل منهما ومكنها من اختيار ايهما شاءت وتقديم الفجور لمراعات
الفواصل قد افلح من زكاها اي فاز بكل مطلوب ونجا من كل مكروه من انماها واعلاها بالتقوى وهو جواب القسم
وحذف اللام لطول الكلام وتكرير قد في قوله تعالى وقد خاب من دساها لابراز الاعتناء بتحقيق مضمونه والايذان بتعلق
القسم به ايضا اصالة اي نقصها واخفاها بالفجور واصل دسى دسس كتقضى وتقضض وقيل هو كلام تابع لقوله تعالى
فالهمها فجورها وتقويها بطريق الاستطراد وانما الجواب ما حذف تعويلا على دلالة قوله تعالى كذبت ثمود بطغويها
عليه كانه قيل ليدمدمن الله تعالى على كفار مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالح
عليه السلام وهو على الاول استيناف وارد لتقرير مضمون قوله تعالى وقد خاب من دساها والطغوى بالفتح الطغيان
والباء للسببية اي فعلت التكذيب بسبب طغيانها كما تقول ظلمني بجراته على الله تعالى او صلة للتكذيب اي كذبت
بما اوعدت به من العذاب ذي الطغوى لقوله تعالى فاهلكوا بالطاغية وقرئ بطغواها بضم الطاء وهو ايضا مصدر
كالرجعى اذ انبعث اشقاها منصوب بكذبت او بالطغوى اي حين قام اشقى ثمود وهو قدار بن سالف او هو ومن
تصدى معه لعقر الناقة من الاشقياء فان افعل التفضيل اذا اضيف يصلح للواحد والتعدد والمذكر والمؤنث وفضل
شقاوتهم على من عداهم لمباشرتهم العقر مع اشتراك الكل في الرضاء به فقال لهم اي لثمود رسول الله اي صالح عليه
السلام عبر عنه بعنوان الرسالة ايذانا بوجوب طاعته وبيانا لغاية عتوهم وتماديهم في الطغيان وهو السر في
اضافة الناقة اليه تعالى في قوله تعالى ناقة الله اي ذروا ناقة الله وسقيها ولا تذودوها عنها في نوبتها فكذبوه اي
في وعيده بقوله تعالى ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب اليم وقد جوز ان يكون ضميرهم للاشقين ولا يلايمه ذكر سقياها
فعقروها اي الاشقى والجمع على تقدير وحدته لرضى الكل بفعله وقال قتادة بلغنا انه لم يعقرها حتى تابعه صغيرهم
وكبيرهم وذكرهم وانثاهم وقال الفراء عقرها اثنان والعرب تقول هذا افضل الناس فدمدم عليهم ربهم فاطبق عليهم
العذاب وهو من قولهم ناقة مدمومة اذا لبسها الشحم بذنبهم بسبب ذنبهم المحكي والتصريح بذلك مع دلالة الفا
عليه للايذان بعاقبة الذنب ليعتبر به كل مذنب فسويها اي الدمدمة بينهم لم يفلت منهم احد من صغيرهم وكبيرهم او
فسوى ثمود بالارض او سواها في الاهلاك ولا يخاف عقبيها اي عاقبتها وتبعتها كما يخاف سائر المعاقبين من الملوك فيبقي بعض الابقاء
وذلك انه تعالى لا يفعل فعلا الا بحق وكل فعل بحق فانه لا يخاف عاقبة فعله وان كان من شانه الخوف والواو فيهما للحال
او للاستيناف وقرئ فلا يخاف وقرئ فلم يخف عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والشمس فكانما تصدق بكل ما طلعت عليه الشمس والقمر

سورة الليل وهي احدى وعشرون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم والليل اذا يغشى اي حين يغشى الشمس لقوله تعالى والليل اذا يغشاها او النهار او كل ما يواريه بظلامه
والنهار اذا تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل وتبرز وتكشف بطلوع الشمس وما خلق الذكر والانثى اي والقادر العظيم القدرة
الذي خلق صنفي الذكر والانثى من كل ما توالد وقيل هما حوا وادم وقرئ والذكر والانثى وقرئ والذي خلق الذكر والانثى وما
مصدرية ان سعيكم لشتى جواب القسم وشتى جمع شتيت اي مساعيكم لاشتات مختلفة وقوله تعالى فاما من اعطى
واتقى وصدق بالحسنى الى اخره تفصيل لتلك المساعي المشتتة وتبيين لاحكامها اي فاما من اعطى حقوق ماله واتقى محارم الله
تعالى التي نهى عنها وصدق بالخصلة الحسنى وهي الايمان او بالكلمة الحسنى وهي كلمة التوحيد او بالملة الحسنى وهي ملة الاسلام

او بالمثوبة الحسنى وهي الجنة فسنيسره لليسرى فسنهيئه للخصلة التي تؤدي الى يسر وراحة من يسر الفرس للركوب اذا اسرجها والجمها واما من بخل اي بماله فلم يبذل له في سبيل الخير واستغنى اي زهد فيما عند الله تعالى كانه مستغن عنه فلم يتقه واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة وكذب بالحسنى اي بما ذكر من المعاني المتلازمة فسنيسره للعسرى اي للخصلة المؤدية الى العسر والشدة كدخول النار ومقدماته لاختياره لها ولعل تصدير القسمين بالاعطاء والبخل مع ان كلا منهما ادنى رتبة مما بعدها في استتباع التيسير لليسرى والتيسير للعسرى للايذان بان كلا منهما اصيل فيما ذكر لا بتتمة لما بعدها من التصديق والتقوى والتكذيب والاستغناء وتفسير الاول باعطاء الطاعة والثاني بالبخل بما امر به مع كونه خلاف الظاهر يأباه قوله تعالى وما يغني عنه ماله اي ولا يغني او اي شيء يغني عنه ماله الذي يبخل به اذا تردى اي هلك تفعل من الردى الذي هو الهلاك او تردى في الحفرة اذا قبر او تردى في قعر جهنم ان علينا للهدى استئناف مقرر اي ان علينا بموجب قضايانا المبنية على الحكم البالغة حيث خلقنا الخلق للعبادة ان نبين لهم طريق الهدى وما يؤدي اليه من طريق الضلال وما يؤدي اليه وقد فعلنا ذلك بما لا مزيد عليه حيث بينا حال من سلك كلا الطريقين ترغيبا وترهيبا ومن هاهنا تبين ان الهداية هي الدلالة على ما يوصل الى البغية لا الدلالة الموصلة اليها قطعا وان لنا للآخرة والاولى اي التصرف الكلي فيهما كيف نشاء فنفعل فيهما ما نشاء من الافعال التي من جملتها ما وعدنا من التيسير لليسرى والتيسير للعسرى وقيل ان لنا كل ما في الدنيا والآخرة فلا يضرنا ترككم الاهتداء فانذرتكم نارا تلظى بحذف احدى التاءين من تتلظى اي تتلهب وقرئ على الاصل لا يصليها صليا لازما الا الاشقى الا الكافر فان الفاسق لا يصلاها صليا لازما وقد صرح به قوله تعالى الذي كذب وتولى اي كذب بالحق واعرض عن الطاعة وسيجنبها اي سيبعد عنها الاتقى المبالغ في اتقاء الكفر والمعاصي فلا يحوم حولها فضلا عن دخولها او صليها الابدي واما من دونها ممن يتقي الكفر دون المعاصي فلا يبعد عنها هذا التبعيد وذلك لا يستلزم صليها بالمعنى المذكور فلا يقدح في الحصر السابق الذي يؤتي ماله يعطيه ويصرفه في وجوه البر والحسنات وقوله تعالى يتزكى اما بدل من يؤتي داخل في حكم الصلة لا محل له او في حيز النصب على انه حال من ضمير يؤتي اي يطلب ان يكون عند الله تعالى زاكيا ناميا لا يريد به رياء ولا سمعة وما لاحد عنده من نعمة تجزى استئناف مقرر لكون ايتائه للتزكي خالصا لوجه الله تعالى اي ليس لاحد عنده نعمة من شانها ان تجزى وتكافا فيقصد بايتاء ما يؤتي مجازاتها وقوله تعالى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى استثناء منقطع من نعمة وقرئ بالرفع على البدل من محل من نعمة فانه الرفع اما على الفاعلية او على الابتداء ومن مزيدة ويجوز ان يكون مفعولا له لان المعنى لا يؤتي ماله الا ابتغاء وجه ربه الاعلى لمكافات نعمة والآيات نزلت في حق ابي بكر رضي الله تعالى عنه حين اشترى بلالا في جماعة كان يؤذيهم المشركون فاعتقهم فلذلك قالوا المراد بالاشقى ابو جهل وامية بن خلف وقد روى عطاء والضحاك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه عذب المشركون بلالا وبلال يقول احد احد فمر به النبي صلى الله عليه وسلم فقال احد يعني الله تعالى ينجيك ثم قال لابي بكر رضي الله عنه ان بلالا يعذب في الله فعرف مراده صلى الله عليه وسلم فانصرف الى منزله فاخذ رطلا من ذهب فذهب به الى امية بن خلف فقال له اتبيعني بلالا قال نعم فاشتراه فاعتقه فقال المشركون ما اعتقه ابو بكر الا ليد كانت له عنده فنزلت قوله تعالى ولسوف يرضى جواب قسم مضمر اي وبالله لسوف يرضى وهو وعد كريم بنيل جميع ما يبتغيه على اكمل الوجوه واجملها اذ به يتحقق الرضا وقرئ يرضى مبنيا للمفعول من الارضا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والليل اعطاه الله تعالى حتى يرضى وعافاه الله من العسر ويسر له اليسر

سورة الضحى وهي احدى عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم والضحى هو وقت ارتفاع الشمس وصدر النهار قالوا تخصيصه بالاقسام به لانها الساعة التي كلم الله تعالى فيها موسى عليه السلام والقي فيها السحرة سجدا لقوله تعالى وان يحشر الناس ضحى وقيل اريد به النهار كما في قوله تعالى ان يأتيهم باسنا ضحى في مقابلة بياتا والليل اي وجنس الليل اذا سجى اي سكن اهله او ركد ظلامه من سجى البحر سجوا اذا سكنت امواجه ونقل عن قتادة ومقاتل وجعفر الصادق ان المراد بالضحى هو الضحى الذي كلم الله تعالى فيه موسى عليه السلام وبالليل ليلة المعراج قوله تعالى ما ودعك ربك جواب القسم اي ما قطعك قطع المودع

وقرئ بالتخفيف اي ما تركك وما قلى وما ابغضك وحذف المفعول اما للاستغناء عنه بذكره من قبل او للقصد الى نفي صدور الفعل عنه تعالى بالكلية مع ان فيه مراعاة الفواصل روي ان الوحي تاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اياما لتركه الاستثناء كما مر في سورة الكهف او لزجره سائلا ملحا فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت ردا عليهم وتبشيرا له صلى الله عليه وسلم بالكرامة الحاصلة والمترقبة كما يشعر به ايراد اسم الرب المنبئ عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم وحيث تضمن ما سبق من نفي التوديع والقلى انه تعالى يواصله بالوحي والكرامة في الدنيا بشر صلى الله عليه وسلم بان ما سيؤتيه في الآخرة اجل واعظم من ذلك فقيل وللآخرة خير لك من الاولى لانها باقية صافية عن الشوائب على الاطلاق وهذه فانية مشوبة بالمضار وما اوتي صلى الله عليه وسلم من شرف النبوة وان كان مما لا يعادله شرف ولا يدانيه فضل لكنه لا يخلو في الدنيا من بعض العوارض القادحة في تمشية الاحكام مع انه مما اعد له صلى الله عليه وسلم في الآخرة من السبق والتقدم على كافة الانبياء والرسل يوم الجمع يوم يقوم الناس لرب العالمين وكون امته شهودا على سائر الامم ورفع درجات المومنين واعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السنية التي لا تحيط ببعضها العبارة بمنزلة بعض المبادي بالنسبة الى المطالب وقيل المراد بالآخرة عاقبة امره صلى الله عليه وسلم اي لنهاية امرك خير من بدايته لا يزال متزايد قوة ومتصاعد رفعة قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى عدة كريمة شاملة لما اعطاه الله تعالى في الدنيا من كمال النفس وعلوم الاولين والآخرين وظهور الامر واعلاء الدين بالفتوحات الواقعة في عصره صلى الله عليه وسلم وفي ايام الخلفاء الراشدين وغيرهم من الملوك الاسلامية وفشو الدعوة والاسلام في مشارق الارض ومغاربها ولما ادخر له من الكرامات التي لا يعلمها الا الله عز وجل وقد انبأ ابن عباس عن شيء منها حيث قال له صلى الله عليه وسلم في الجنة الف قصر من لؤلؤ ابيض ترابه المسك واللام للابتداء دخلت على الخبر لتاكيد مضمون الجملة والمبتدا محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك الى آخره لا للقسم لانها لا تدخل على المضارع الا مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على ان الاعطاء كائن لا محالة وان تراخى لحكمة وقيل هي للقسم قاعدة التلازم بينها وبين نون التاكيد قد استثني النحاة منها صورتين احديهما ان يفصل بينها وبين الفعل بحرف التنفيس كهذه الآية وكقوله والله لساعطيك والثانية ان يفصل بينهما بمعمول الفعل كقوله تعالى لالى الله تحشرون وقد قال ابو علي الفارسي ليست هذه اللام هي التي في قولك ان زيدا لقائم بل هي التي في قولك لاقومن ونابت سوف عن احدى نوني التاكيد فكانه قيل وليعطينك وكذلك اللام في قوله تعالى وللآخرة الى آخره وقوله تعالى الم يجدك يتيما فآوى تعديد لما افاض عليه صلى الله عليه وسلم عليه من اول الامر الى ذلك الوقت من فنون النعماء العظام ليستشهد بالحاضر الموجود على المترقب الموعود فيطمئن قلبه وينشرح صدره والهمزة لانكار النفي وتقرير المنفي على ابلغ وجه كانه قيل قد وجدك الى آخره والوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثاني وقيل بمعنى المصادفة ويتيما حال من مفعوله روي ان اباه صلى الله عليه وسلم مات وهو جنين قد اتت عليه ستة اشهر وماتت امه وهو ابن ثمان سنين فكفله عمه ابو طالب وعطفه الله تعالى على تربيته وقرئ فاوى وهو من اواه او من اوى اليه اذا رحمه قوله تعالى ووجدك ضالا عطف على ما يقتضيه الانكار السابق كما اشير اليه او على المضارع المنفي بلم داخل في حكمه كانه قيل اما وجدك يتيما فآوى ووجدك غافلا عن الشرائع التي لا تهتدي اليها العقول كما في قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب وقيل ضل في صباه في بعض شعاب مكة فرده ابو جهل الى عبد المطلب وقيل ضل مرة اخرى فطلبوه فلم يجدوه فطاف عبد المطلب بالكعبة سبعا وتضرع الى الله تعالى فسمعوا مناديا ينادي من السماء يا معشر الناس لا تضجوا فان لمحمد ربا لا يخذله ولا يضيعه وان محمدا بوادي تهامة عند شجرة السمر فسار عبد المطلب وورقة بن نوفل فاذا النبي صلى الله عليه وسلم قائم تحت شجرة يلعب بالاغصان والاوراق وقيل اضلته مرضعته حليمة عند باب مكة حين فطمته وجاءت به لترده على عبد المطلب وقيل ضل في طريق الشام حين خرج به ابو طالب يروى ان ابليس اخذ بزمام ناقته في ليلة مظلمة فعدل به عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ نفخة وقع منها الى ارض الهند ورده صلى الله عليه وسلم الى القافلة فهدى الى مناهج الشرايع المنطوية في تضاعيف ما اوحي اليك

من الكتاب المبين وعلمك ما لم تكن تعلم او ازال ضلالك عن جهلك وعلمك **ووجدك عائلا** اي فقيرا وقرئ عديما **فاغنى** فاغناك بمال خديجة او بما حصل لك من ربح التجارة او بما افاء عليك من الغنائم قال صلى الله عليه وسلم جعل رزقي تحت ظل رمحي وقيل قنعك فاغنى قلبك **فاما اليتيم فلا تقهر** فلا تغلبه على ماله وقال مجاهد لا تحقر وقرئ فلا تكهر اي فلا تعبس في وجهه **واما السائل فلا تنهر** فلا تزجر له القول ولا تغلظ بل رده ردا جميلا قال ابرهيم بن ادهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا الى الآخرة وقال ابرهيم النخعي السائل بريد الآخرة يجيء الى باب احدكم فيقول ابعثون الى اهليكم بشيء وقيل المراد بالسائل هنا الذي يسال عن الدين **واما بنعمة ربك فحدث** اشكرها واشاعتها واظهار آثارها واحكامها اريد بها ما افاضه الله تعالى عليه صلى الله عليه وسلم من فنون النعم التي من جملتها النعم الموجودة منها والمعدومة والمعنى انك كنت يتيما ضالا فهداك واواك واغناك فمهما يكن من شيء فلا تنس حقوق نعم الله تعالى عليك واقتد بالله واحسن كما احسن الله اليك فتعطف على اليتيم فآوه وترحم على السائل وتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك وحدث بنعمة الله كلها وحيث كان معظمها نعمة النبوة فقد اندرج تحت الامر هدايته صلى الله عليه وسلم للضال وتعليمه الشرائع والاحكام حسبما هداه عز وجل وعلمه من الكتاب والحكمة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والضحى جعله الله تعالى فيمن يرضى لمحمد ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله تعالى له بعدد كل سائل ويتيم

سورة الانشراح وهي ثمان آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **الم نشرح لك صدرك** لما كان الصدر محلا لاحوال النفس مخزنا لسرائرها من العلوم والادراكات والملكات والارادات وغيرها عبر بشرحه عن توسيع دائرة تصرفاتها بتاييدها بالقوة القدسية وتحليتها بالكمالات الانسية اي الم نفسحه حتى حوى عالمي الغيب والشهادة وجمع بين ملكتي الاستفادة والافادة فلا يصدنك الملابسة والعلائق الجسمانية عن اقتباس انوار الملكات الروحانية وما عاقك التعلق بمصالح الخلق عن الاستغراق في شؤون الحق وقيل اريد به ما روي ان جبريل اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في صباه او يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملاه ايمانا وعلما ولعله تمثيل لما ذكر او انموذج جسماني فيما سيظهر له صلى الله عليه وسلم من الكمال الروحاني والتعبير عن ثبوت الشرح بالاستفهام الانكاري عن انتفائه للايذان بان ثبوته من الظهور بحيث لا يقدر احد على ان يجيب عنه بغير بلى وزيادة الجار والمجرور مع توسيطه بين الفعل ومفعوله للايذان من اول الامر بان الشرح عن منافعه صلى الله عليه وسلم ومصالحه مسارعة الى ادخال المسرة في قلبه صلى الله عليه وسلم وتشويقا له الى ما يعقبه ليتمكن عنده وقت وروده فضل تمكن قوله تعالى **ووضعنا عنك وزرك** عطف على ما اشير اليه من مدلول الجملة السابقة كانه قيل قد شرحنا صدرك ووضعنا الخ وعنك يتعلق بوضعنا وتقديمه على المفعول الصريح مع ان حقه التاخر عنه لما مر انفا من القصد الى تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر ولما ان في وصفه نوع طول فتاخير الجار والمجرور عنه مخل بتجاوب اطراف النظم الكريم اي حططنا عنك عبئك الثقيل **الذي انقض ظهرك** اي حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك كما يسمع من الرجل الداعي الى الانتقاض من ثقل الحمل مثل به حاله صلى الله عليه وسلم مما كان يثقل عليه ويغمه من فرطاته قبل النبوة او من عدم احاطته بتفاصيل الاحكام والشرائع او من تهالكه على اسلام المعاندين من قومه وتلهفه ووضعه عنه مغفرته وتعليم الشرائع وتمهيد عذره بعد ان بلغ وبالغ وقرئ وحططنا وحللنا مكان وضعنا وقرئ وحللنا عنك وقرك **ورفعنا لك ذكرك** لعنوان النبوة واحكامها اي رفع حيث قرن اسمه باسمه تعالى في كلمة الشهادة والاذان والاقامة وجعل طاعته طاعته تعالى وصلى عليه وملائكته وامر المؤمنين بالصلوة عليه وسمى رسول الله ونبي الله والكلام في العطف وزيادة لك كالذي سلف وقوله تعالى **فان مع العسر يسرا** تقرير لما قبله ووعد كريم بتيسير كل عسير له صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين كانه قيل خولناك ما خولناك من جلائل النعم فكن على ثقة بفضل الله تعالى ولطفه فان مع العسر يسرا كثيرا وفي كلمة مع اشعار بغاية سرعة مجي اليسر كانه مقارن للعسر **ان مع العسر يسرا** تكرير للتاكيد او عدة مستانفة بان العسر مشفوع بيسر آخر كثواب الآخرة كقولك ان للصائم فرحتين اي فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء ربه وعليه قوله صلى الله عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين فان المعرف اذا اعيد يكون الثاني عين الاول سواء كان معهودا او جنسا واما المنكر فيحتمل ان يراد بالثاني فرد مغاير لما اريد بالاول **فاذا فرغت** اي من التبليغ وقيل من الغزو **فانصب** فاجتهد في العبادة واتعب شكرا لما اوليناك من النعم السالفة ووعدناك من الآلاء الآنفة فاذا فرغت من صلوتك فاجتهد

في الدعا

في الدعاء وقيل اذا فرغت من دنياك فانصب في صلوتك **والى ربك** وحده **فارغب** بالسؤال ولا تسال غيره فانه القادر على اسعافه لا غيره وقرئ فرغب اي فرغب الناس الى طلب ما عنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الم نشرح فكانما جاءني وانا مغتم ففرج عني

سورة التين وهي ثمان آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **والتين والزيتون** هما هذا التين وهذا الزيتون خصهما الله تعالى من بين الثمار بالاقسام بهما لاختصاصهما بخواص جليلة فان التين فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع ملين الطبع ويحل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما في المثانة من الرمل ويسمن البدن ويفتح سدد الكبد والطحال وروى ابو ذر انه اهدي الى النبي صلى الله عليه وسلم سل من تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذا فان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وعن علي بن موسى الرضا التين يزيل نكهة الفم ويطول الشعر وهو امان من الفالج واما الزيتون فهو فاكهة وادام ودواء ولو لم يكن له سوى اختصاصه بدهن كثير المنافع مع حصوله في بقاع لا دهنية فيها لكفى به فضلا وشجرته المباركة المشهورة بها في التنزيل ومر معاذ بن جبل بشجر الزيتون فاخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول نعم السواك من الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وسمعته يقول هو سواكي وسواك الانبياء من قبلي وقيل هما جبلان بين الارض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لانهما منشا التين والزيتون وقيل التين جبال ما بين حلوان وهمدان والزيتون جبال الشام لانهما منابتهما كانه قيل ومنابت التين والزيتون وقال قتادة التين الذي عليه جبل دمشق والزيتون بيت المقدس وهو اختيار الطبري وقال محمد بن كعب التين مسجد اصحاب اهل الكهف والزيتون المنشا وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو تينكم الذي تاكلون وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت وبه قال مجاهد وعكرمه وابرهيم النخعي وعطا وجابر بن زيد ومقاتل والكلبي **وطور سينين** هو الجبل الذي ناجى عليه موسى ربه وسينين وسيناء علمان للموضع الذي هو فيه ولذلك اضيف اليهما وسينون كيبرون في جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار على الياء وتحريك النون بالحركات الاعرابية **وهذا البلد الامين** اي الآمن من امن الرجل امانة فهو امين وهو مكة شرفها الله تعالى وامانتها انها تحفظ من دخلها كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ويجوز ان يكون فعيلا بمعنى مفعول من امنه لانه مامون الغوائل كما وصف بالامن في قوله تعالى حرما امنا بمعنى حرمي آمن ووجهة الاقسام بهاتيك البقاع المباركة المشحونة ببركات الدنيا والدين غني عن الشرح والتبيين **لقد خلقنا الانسان** اي جنس الانسان **في احسن تقويم** اي كائنا في احسن ما يكون من التقويم والتعديل صورة ومعنى حيث براه الله تعالى مستوي القامة متناسب الاعضا متصفا بالحياة والعلم والقدرة والارادة والتكلم والسمع والبصر وغير ذلك من الصفات التي هي انموذجات من الصفات السبحانية وآثارها وقد عبر بعض العلماء عن ذلك بقوله خلق آدم على صورته وفي رواية على صورة الرحمن وبني عليه تحقيق معنى قوله من عرف نفسه فقد عرف ربه وقال النفس الانسانية مجردة ليست حالة في البدن ولا خارجة عنه متعلقة به تعلق التدبير والتصرف وتستعمله كيف ما شاءت فاذا ارادت فعلا من الافاعيل الجسمانية يلقيه الى ما في القلب من الروح الحيواني الذي هو اعدل الارواح واصفاها واقربها منها واقواها مناسبة الى عالم المجردات القاء روحانيا وهو يلقيه بواسطة ما في الشرايين من الارواح الى الدماغ الذي هو منبت الاعصاب التي فيها القوى المحركة للانسان فعند ذلك يحرك من الاعضاء ما يليق بذلك الفعل من مباديه القريبة والبعيدة فيصدر عنه ذلك بهذه الطريقة ان عرف نفسه على هذه الكيفية من صفاتها وافعالها تسنى له ان يترقى الى معارج معرفة رب العزة عز سلطانه ويطلع على انه سبحانه منزه عن كونه داخلا في العالم او خارجا عنه يفعل فيه ما يشاء ويحكم ما يريد بواسطة ما رتبه فيه من الملائكة الذين يتبدل على شؤونهم بما ذكر من الارواح والقوى المرتبة في العالم الانساني الذي هو نسخة العالم الاكبر وانموذج منه قوله تعالى **ثم رددناه اسفل سافلين** اي جعلناه من اهل النار الذين هم اقبح من كل قبيح واسفل من كل سافل لعدم جريانه على موجب ما خلقنا عليه من الصفات التي لو عمل بمقتضاها لكان في اعلى عليين وقيل رددناه الى ارذل العمر وهو الهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق وايا ما كان فاسفل سافلين اما حال من المفعول اي رددناه حال كونه

اسفل سافلين اوصفة لمكان محذوف اي رددناه مكانا اسفل سافلين والاول اظهر وقرئ اسفل السافلين قوله تعالى الا
الذين امنوا وعملوا الصالحات على الاول استثناء متصل من ضمير رددناه فانه في معنى الجمع وعلى الثاني منقطع اي لكن الذين امنوا كانوا
صالحين من الهوى فلهم اجر غير ممنون غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق
والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم او غير ممنون به عليهم وهذه الجملة على الاول مقررة لما يفيده الاستثناء من خروج المؤمنين
عن حكم الرد ومبينة لكيفية حالهم والخطاب في قوله تعالى فما يكذبك بعد بالدين للرسول صلى الله عليه وسلم اي فاي
شي يكذبك دلالة او مطلقا بالجزاء بعد ظهور هذه الدلايل الناطقة به وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان على طريق
الالتفات لشدة التوبيخ والتبكيت اي ما يجعلك كاسبا سبب الدين وانكاره بعد هذه الدلايل والمعنى ان خلق
الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتحويله من حال الى حال كمالا ونقصا من اوضح الدلايل على قدرة الله تعالى
على البعث والجزا فاي شي يضطرك بعد هذا الدليل القاطع الى ان تكون كاذبا بسبب تكذيبه ايها الانسان اليس الله
باحكم الحاكمين اي اليس الذي فعل ما ذكر باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا حتى يتوهم عدم الاعادة والجزاء وحيث
استحال عدم كونه احكم الحاكمين تعين الاعادة والجزاء فالجملة تقرير لما قبلها وقيل الحكم بمعنى القضا فهو وعيد للكفار
وانه يحكم عليهم بما يستحقونه من العذاب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قراها يقول بلى وانا على ذلك
من الشاهدين وعنه صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والتين اعطاه الله تعالى خصلتين العافية واليقين
ما دام في دار الدنيا واذا مات اعطاه الله تعالى من الاجر بعدد من قرا هذه السورة صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة العلق وهي تسع عشرة اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم اقرا اي ما يوحى اليك فان الامر بالقراءة يقتضي المقرو قطعا وحيث لم يعين وجب ان يكون
ذلك ما يتصل بالامر حتما سواء كانت السورة اول ما نزل اولا والاقرب ان هذا الى قوله تعالى ما لم يعلم اول ما
نزل عليه صلى الله عليه وسلم كما ينطق به حديث الزهري المشهور وقوله تعالى باسم ربك متعلق بمضمر هو حال
من ضمير الفاعل اي اقرا ملتبسا باسمه تعالى اي مبتديا به ليتحقق مقارنته لجميع اجزاء المقرو والتعرض لعنوان الربوبية
المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال اللايق شيا فشيا مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم للاشعار بتبليغه صلى
الله عليه وسلم الى الغاية القاصية من الكمالات البشرية بانزال الوحي المتواتر ووصف الرب بقوله الذي خلق لتذكير
اول النعماء الفايضة عليه منه تعالى والتنبيه على ان من قدر على خلق الانسان على ما هو عليه من الحيوة وما يتبعها من
الكمالات قادر على تعليم القران للحي العالم المتكلم اي الذي انشاء الخلق واستاثر به وخلق كل شي قوله تعالى خلق الانسان
على الاول تخصيص لخلق الانسان بالذكر من بين ساير المخلوقات لاستقلاله ببدايع الصنع والتدبير وعلى الثاني افراد للا
من بين ساير المخلوقات بالبيان وتفخيم لشانه اذ هو اشرفهم واليه التنزيل وهو المامور بالقراءة ويجوز ان يراد
بالفعل الاول ايضا خلق الانسان ويقصد بتجريده عن المفعول الابهام ثم التفسير وما للتفخيم فطرته وقوله تعالى
من علق اي دم جامد لبيان كمال قدرته تعالى باظهار ما بين حالتيه الاولى والاخرة من التباين البين وايراده بلفظ
الجمع بناء على ان الانسان في معنى الجمع لمراعات الفواصل ولعله هذا السر في تخصيصه بالذكر من بين ساير اطوار
الفطرة الانسانية مع كون النطفة والتراب ادل منه على كمال القدرة لكونهما ابعد منه بالنسبة الى الانسانية
ولما كان خلق الانسان اول النعم الفايضة عليه منه تعالى واقدم الدلايل الدالة على وجوده عز وجل وكمال قدرته
وعلمه وحكمته وصف ذاته بذلك اولا ليستشهد عليه صلى الله عليه وسلم على تمكينه له تعالى من القراءة ثم كرر
الامر بقوله تعالى اقرا اي افعل ما امرت به تاكيدا للايجاب وتمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى وربك الاكرم الى اخره
فانه كلام مستانف وارد لازاحة ما بينه صلى الله عليه وسلم من العذر بقوله عليه الصلوة والسلام ما انا بقاري
يريد ان القران شان من يكتب ويقرا وانا امي فقيل له وربك الذي امرك بالقراءة مبتديا باسمه الذي هو الاكرم
الذي علم بالقلم اي علم ما علم بواسطة القلم لا غيره فكما علم القاري بواسطة الكتابة والقلم يعلمك بدونهما قوله

تعالى علم الانسان ما لم يعلم بدل اشتمال من علم بالقلم اي علمه به وبدونه من الامور الكلية والجزئية والجليلة
والخفية ما لم يخطر بباله وفي حذف المفعول اولا وايراده بعنوان عدم المعلومية ثانيا من الدلالة على كمال قدرته
تعالى وكمال كرمه والاشعار بانه تعالى يعلمه من العلوم ما لا تحيط به العقول ما لا يخفى كلا ردع لمن كفر بنعمة الله
تعالى عليه بطغيانه وان لم يسبق ذكره للمبالغة في الزجر قوله تعالى ان الانسان ليطغى اي ليجاوز الحد ويستكبر على
ربه بيان للمردع والمردوع هل هذا الى اخر السورة نزل في ابي جهل بعد زمان وهو الظاهر قوله تعالى ان
راه استغنى مفعول له اي ليطغى لان راى نفسه مستغنيا على ان استغنى مفعول ثان لراي لانه بمعنى علم
ولذلك ساغ كون فاعله ومفعوله ضميري واحد كما في علمتني وانجوزه بعضهم في الروية البصرية ايضا وجعل من ذلك
قول عايشة رضي الله عنها لقد رايتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لنا طعام الا الاسودان وتعليل طغيانه برويته
لا بنفس الاستغنا كما ينبئ عنه قوله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض للايذان بان مدار طغيانه
زعمه الفاسد روي ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتزعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة
ذهبا وفضة لعلنا ناخذ منها فنطغى فندع دينا ونتبع دينك فنزل جبريل عليه السلام فقال ان شئت فعلنا ذلك
ثم ان لم يومنوا فعلنا بهم ما فعلنا باصحاب المايدة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء ابقاء عليهم
قوله تعالى ان الى ربك الرجعى تهديد للطاغي وتحذير له من عاقبة الطغيان والالتفات للتشديد في التهديد
والرجعى مصدر بمعنى الرجوع كالبشرى وتقديم الجار والمجرور عليه للقصر عليه اي الى ان مالك امرك برجوع الكل بالموت
والبعث لا الى غيره استقلالا ولا اشتراكا فترى حينئذ عاقبة طغيانك قوله تعالى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى
تقبيح وتشنيع لحاله وتعجيب منها وايذان بانها من الشناعة والغرابة بحيث يجب ان يراها من يتاتى منه الروية ويقضي
منه العجب روي ان ابا جهل قال في ملاء من طغاة قريش لين رايت محمدا يصلي لاطان عنقه فراه صلى الله عليه وسلم
في الصلوة فجاءه ثم نكص على عقبيه فقالوا ما لك قال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت ولفظ العبد
وتنكيره لتفخيمه صلى الله عليه وسلم واستعظام النهي وتاكيد التعجب منه والروية هنا بصرية واما ما في قوله
تعالى ارايت ان كان على الهدى او امر بالتقوى وما في قوله تعالى ارايت ان كذب وتولى فقلبية معناه اخبرني فان الروية لما
كانت سببا للاخبار عن المرئي اجري الاستفهام عنها مجرى الاستخبار عن متعلقها والخطاب لكل من صلح للخطاب
ونظم الامر والتكذيب والتولي في سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه ليس باعتبار نفس الافعال المذكورة
ومن حيث صدقها فان ذلك ليس في حيز التردد اصلا بل باعتبار اوصافها التي هي كونها امرا بالتقوى وتكذيبا
وتوليا كما في قوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به كما مر والمفعول الاول لرايت محذوف وهو ضمير
يعود الى الموصول او اسم الاشارة يشار به اليه ومفعوله الثاني ساد مسده الجملة الشرطية بجوابها المحذوف فان
الثاني لارايت لا يكون الا جملة استفهامية او قسمية والمعنى اخبرني ذلك الناهي ان كان على الهدى فيما ينهى عنه من
عبادة الله تعالى او امرا بالتقوى فيما يامر به من عبادة الاوثان كما يعتقده او مكذبا للحق معرضا عن الثواب كما نقول نحن
الم يعلم بان الله يرى اي مطلع على احواله فيما يريد بها حتى يجزي على ما فعل وانما افردت التكذيب والتولي بشرطية
مستقلة مقرونة بالجواب مصدرة باستخبار مستانف ولم ينظما في سلك الشرط الاول بعطفهما على كان للايذان
باستقلالهما بالوقوع في نفس الامر وباستتباع الوعيد الذي ينطق به الجواب واما القسم الاول فامر مستحيل قد ذكر في
حيز الشرط لتوسيع الدايرة وهو السر في تجريد الشرطية الاولى عن الجواب والاحالة به على جواب الثانية
هذا وقد قيل ارايت الاول بمعنى اخبرني مفعوله الاول الموصول ومفعوله الثاني الشرطية الاولى بجوابها المحذوف لدلالة
جواب الشرطية الثانية عليه وارايت في الموضعين تكرير للتاكيد ومعناه اخبرني عمن ينهى بعض عباد الله تعالى
عن صلوته ان كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عن عبادة الله تعالى او كان امرا بالمعروف والتقوى
فيما يامر به من عبادة الاوثان كما يعتقده وكذلك اذا كان على التكذيب للحق والتولي عن الدين الصحيح كما نقول نحن

الم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله من هداه وضلاله ويجازيه على حسب ذلك فتامل وقيل المعنى ارايت الذي ينهى عبدا يصلي والمنهي عن الهدى آمر بالتقوى والناهي مكذب متولي فما اعجب من ذا وقيل الخطاب الثاني للكافر فانه تعالى كالحاكم الذي حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والآخر اخرى فكانه قال يا كافر اخبرني ان كان صلاته هدى ودعاؤه الى الله تعالى آمرا بالتقوى اتنهاه وقيل هو امية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلوة **كلا** ردع للناهي اللعين وخسوا له واللام في قوله تعالى **لئن لم ينته** موطية للقسم والله لئن لم ينته ولم ينزجر **لنسفعن بالناصية** فلناخذن بناصيته الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بعنف وشدة وقرئ لنسفعن بالنون المشددة وقرئ لاسفعن وكتبه في المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء بلام العهد عن الاضافة لظهور ان المراد ناصية المذكور **ناصية كاذبة خاطية** بدل من الناصية وانما جاز ابدالها عن المعرفة وهي نكرة لوصفها وقرئت بالرفع على انها ناصية وبالنصب وكلاهما على الذم والشتم ووصفها بالكذب والخطاء على الاسناد المجازي وهما لصاحبها وفيه من الجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطئ **فليدع ناديه** اي اهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذي ينتدي فيه القوم اي يجتمعون روي ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال الم انهك فاغلظه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتهددني وانا اكثر اهل الوادي ناديا فنزلت **سندع الزبانية** ليجروه الى النار والزبانية الشرط الواحد زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع وقيل زبني وكانه نسب الى الزبن ثم غير واصلها زباني فقيل زبانية بتعويض التاء عن الياء والمراد ملائكة العذاب عن النبي صلى الله عليه وسلم لو دعا ناديه لاخذته الزبانية عيانا **كلا** ردع بعد ردع وزجر بعد زجر **لا تطعه** اي دم على ما انت عليه من معاصاته **واسجد** وواظب على سجودك وصلوتك غير مكترث به **واقترب** وتقرب بذلك الى ربك وفي الحديث اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة العلق اعطي من الاجر كانما قرا المفصل كله

سورة القدر وهي خمس ايات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **انا انزلناه في ليلة القدر** تنويه بشان القرآن الكريم واجلال لمحله باضماره المؤذن بغاية نباهته المغنية عن التصريح به كانه حاضر في جميع الاذهان وباسناد انزاله الى نون العظمة المنبئ عن كمال العناية به وتفخيم وقت انزاله بقوله تعالى **وما ادريك ما ليلة القدر** لما فيه من الدلالة على ان علو قدرها خارج عن دائرة الخلق لا يدريها الا علام الغيوب كما يشعر به قوله تعالى **ليلة القدر خير من الف شهر** فانه بيان اجمالي لشانها اثر تشويقه صلى الله عليه وسلم الى درايتها فان ذلك معرب عن الوعد بادرايتها وقد مر بيان كيفية اعراب الجملتين وفي اظهار ليلة القدر في الموضعين من تاكيد التفخيم ما لا يخفى والمراد بانزاله فيها اما انزاله كله الى السماء الدنيا كما روي انه انزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا واملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة واما ابتداء انزاله فيها كما نقل عن الشعبي وقيل المعنى انزلناه في شان ليلة القدر وفضلها كما في قول عمر رضي الله عنه خشيت ان ينزل في قرآن وقول عايشة رضي الله تعالى عنها لانا احقر في نفسي من ان ينزل في قرآن فلا انسب ان يجعل الضمير للسورة التي من جملتها جزء من القرآن للكل واختلفوا في وقتها فاكثرهم على انها في شهر رمضان في العشر الاواخر في اوتارها واكثر الاقوال انها السابعة منها ولعل السر في اخفائها تعريض من يريدها للثواب الجزيل باحياء الليالي الكثيرة رجاء لموافقتها وتسميتها بذلك اما لتقدير الامور وقضائها فيها لقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم او لخطرها وشرفها على سائر الليالي وتخصيص الالف بالذكر اما للتكثير او لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فتعجب المؤمنون منه وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من الف شهر مدة ذلك الغازي وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله تعالى الف شهر فاعطوا ليلة ان احيوها كانوا احق بان يسموا عابدين من اولئك العباد وقيل رأى النبي صلى الله عليه وسلم اعمار العباد كافة فاستقصر اعمار امته فخاف ان لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر فاعطاه الله تعالى ليلة القدر وجعلها خيرا من الف شهر لسائر الامم وقيل لما كان ملك سليمان عليه السلام خمسماية شهر وملك ذي القرنين خمسماية شهر جعل الله العمل في

هذه الليلة لمن ادركها خيرا من ملكهما وقوله تعالى **تنزل الملائكة والروح فيها** استيناف مبين لمناط فضلها على تلك المدة المتطاولة وقد سبق في سورة النبأ ما قيل في شان الروح وقيل هم خلق من الملائكة لا تراهم الملائكة الا تلك الليلة اي تنزل الملائكة والروح في تلك الليلة من كل سماء الى سماء الارض والى سماء الدنيا **باذن ربهم** متعلق بتنزل او بمحذوف هو حال من فاعله اي ملتبسين باذن ربهم اي بامره **من كل امر** من اجل كل امر قضاه الله عز وجل لتلك السنة او قابل لقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم وقرئ من كل امرئ اي من اجل كل انسان قيل لا يلقون فيها مؤمنا ولا مؤمنة الا سلموا عليه **سلام هي** اي ما هي الا سلامة اي لا يقدر الله تعالى فيها الا السلامة والخير واما في غيرها فيقضي سلامة وبلاء او ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين **حتى مطلع الفجر** اي وقت طلوعه وقرئ بالكسر على انه مصدر كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كالمشرق وحتى متعلقة بتنزل على انها غاية لحكم التنزل اي لمكثهم في محل تنزلهم او لنفس تنزلهم بان لا ينقطع تنزلهم فوجا بعد فوج الى طلوع الفجر وقيل متعلقة بسلام بناء على الفصل بين المصدر ومعموله بالمبتدا مغتفر في الجار عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القدر اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيا ليلة القدر

سورة البينة وهي ثمان ايات مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم **لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب** اي اليهود والنصارى وايرادهم بذلك العنوان للاشعار بعلة ما نسب اليهم من الوعد باتباع الحق فان مناط ذلك وجدانهم له في كتابهم وايراد الصفة فعلا لما ان كفرهم حادث بعد انبيائهم **والمشركين** اي عبدة الاصنام وقرئ والمشركون عطفا على الموصول **منفكين** اي عما كانوا عليه من الوعد باتباع الحق والايمان بالرسول المبعوث في آخر الزمان والعزم على الانجاز وهذا الوعد من اهل الكتاب مما لا ريب فيه حتى انهم كانوا يستفتحون ويقولون اللهم افتح علينا وانصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان ويقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم واما من المشركين فلعله قد وقع من متاخريهم بعدما شاع ذلك من اهل الكتاب واعتقدوا صحته بما شاهدوا من نصرتهم على اسلافهم كما يشهد به انهم كانوا يسألونهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هل هو المذكور في كتابهم وكانوا يغرونهم بتغيير نعوته صلى الله عليه وسلم وانفكاك الشيء من الشيء ان يزايله بعد التحامه كالعظم اذا انفك عن مفصله وفيه اشارة الى كمال وكادة وعدهم اي لم يكونوا مفارقين للوعد المذكور بل كانوا مجتمعين عليه عازمين على الانجاز **حتى تاتيهم البينة** التي كانوا قد جعلوا اتيانها ميقاتا لاجتماع الكلمة والاتفاق على الحق فجعلوه ميقاتا للانفكاك والافتراق واخلاف الوعد والتعبير عن اتيانها بصيغة المضارع باعتبار حال المحكي لا باعتبار حال الحكاية كما في قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين اي تلت وقوله تعالى **رسول** بدل من البينة عبر عنه صلى الله عليه وسلم بالبينة للايذان بغاية ظهور امره وكونه ذلك الموعود في الكتابين وقوله تعالى **من الله** متعلق بمضمر هو صفة لرسول مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي رسول واي رسول كائن منه تعالى وقوله تعالى **يتلو** صفة اخرى او حال من الضمير في متعلق الجار **صحفا مطهرة** اي منزهة من الباطل لا ياتيه من بين يديه ولا من خلفه ومن ان يمسه غير المطهرين ونسبة تلاوتها اليه صلى الله عليه وسلم من حيث ان تلاوة ما فيها بمنزلة تلاوتها وقوله تعالى **فيها كتب قيمة** صفة لصحفا او حال من ضميرها في مطهرة ويجوز ان يكون الصفة او الحال الجار والمجرور فقط وكتب مرتفعا به على الفاعلية ومعنى قيمة مستقيمة ناطقة بالحق والصواب قوله تعالى **وما تفرق الذين اوتوا الكتاب** الى آخره كلام لغاية تشنيع اهل الكتاب خاصة وتغليظ جناياتهم ببيان ان ما نسب اليهم من الانفكاك لم يكن لاشتباه ما في الامر بل كان بعد وضوح الحق وتبين الحال وانقطاع الاعذار بالكلية وهو السر في وصفهم بايتاء الكتاب المنبئ عن كمال تمكنهم من مطالعته والاحاطة بما في تضاعيفه من الاحكام والاخبار التي من جملتها نعوت النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذكرهم فيما سبق بما هو جار مجرى اسم الجنس للطايفتين ولما كان هولاء والمشركون باعتبار اتفاقهم على الراي المذكور في حكم فريق واحد عبر عما صدر منهم عقيب الاتفاق عند الاخبار بوقوعه بالانفكاك وعند بيان كيفية وقوعه بالتفرق اعتبارا لاستقلال

هن

كلهم فريقي اهل الكتاب وايذانا بان انفكاكهم عن الراي المذكور ليس بطريق الاتفاق على راي اخر بطريق الاختلاف القديم
قوله تعالى الا من بعد ما جاءتهم البينة استثناء مفرغ من اعم الاوقات اي ما تفرقوا في وقت من الاوقات الا بعد ما جاءتهم
الحجة الواضحة الدالة على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الموعود في كتابهم دلالة جلية لا ريب فيها كقوله تعالى
وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم وقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله جملة حالية مفيدة لغاية
قبح ما فعلوا اي والحال انهم ما امروا في كتابهم الا لاجل ان يعبدوا الله مخلصين له الدين اي جاعلين دينهم خالصا
له تعالى وجاعلين انفسهم خالصة له تعالى في الدين حنفاء مائلين عن جميع العقائد الزائغة الى الاسلام ويقيموا
الصلوة ويؤتوا الزكوة ان اريد بهما ما في شريعتهم من الصلوة والزكوة فالامر ظاهر وان اريد ما في شريعتنا فمعنى امرهم
بهما في الكتابين ان امرهم باتباع شريعتنا امر لهم بجميع احكامها التي هما من جملتها وذلك اشارة الى ما ذكر من عبادة
الله تعالى بالاخلاص واقامة الصلوة وايتاء الزكوة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته
دين القيمة اي دين الملة القيمة وقرئ الدين القيمة على تاويل الدين بالملة هذا وقد قيل قوله تعالى لم يكن الذين
كفروا الى قوله تعالى كتب قيمة حكاية لما كانوا يقولونه قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم من انهم لا ينفكون من دينهم
الى مبعثه ويعدون ان ينفكوا منه حينئذ ويتفقوا على الحق وقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الى
آخره بيان لاخلافهم الوعد وتعكيسهم الامر بجعلهم ما هو سبب لانفكاكهم من دينهم الباطل حسبما وعدوه سببا
لثباتهم عليه وعدم انفكاكهم منه ومثل ذلك بان يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لا انفك مما انا فيه حتى استغني
فيستغني فيزداد فسقا فيقول له واعظه لا تكن منفكا على الفسق حتى توسر وما عكفت على الفسق الا بعد اليسار
وانت خبير بان هذا انما ينسنى بعد اللتيا والتي على تقدير ان يراد بالتفرق تفرقهم عن الحق بان يقال التفرق عن
الحق مستلزم للثبات على الباطل فكانه قيل وما اجمعوا على دينهم الا من بعد ما جاءتهم البينة واما على تقدير
ان يراد به تفرقهم فرقا فمنهم من آمن ومنهم من انكر ومنهم من عرف وعاند كما جوزه القائل فلا تاتي اصلا ان الذين كفروا
من اهل الكتاب والمشركين بيان لحال الفريقين في الآخرة بعد بيان حالهم في الدنيا وذكر المشركين لئلا يتوهم اختصاص
الحكم باهل الكتاب حسب اختصاص مشاهدة شواهد النبوة في الكتاب بهم ومعنى كونهم فيها انهم يصيرون اليها
الى يوم القيمة وايراد الجملة الاسمية للايذان بتحقق مضمونها لا محالة وانهم فيها الآن اما على تنزيل ملابستهم لاسبابها
منزلة ملابستهم واما على ان ما هم فيه من الكفر والمعاصي في نار جهنم النار الا انها ظهرت في هذه النشأة بصورة
عرضية وستخلعها في النشأة الآخرة وتظهر بصورتها الحقيقية كما مر في قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين في
سورة الاعراف خالدين فيها حال من المستكن واشتراك الفريقين في الخبر واشتراك الفريقين في دخول العذاب
بطريق الخلود لا ينافي تفاوت عذابهم في الكيفية فان جهنم دركات وعذابها الوان اولئك اشارة اليهم باعتبار اتصافهم
بما هم فيه من القبائح المذكورة وما فيه من معنى البعد للاشعار بغاية بعد منزلتهم في الشر اولئك البعداء المذكورون
هم شر البرية شر الخليقة اي اعمالا وهو الموافق لما سياتي في حق المؤمنين فيكون في حيز التعليل لخلودهم في النار
او اشرهم مقاما ومصيرا فيكون تاكيدا لفظاعة حالهم وقرئ بالهمز على الاصل ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات بيان
لمحاسن حال المؤمنين اثر بيان سوء حال الكفرة جريا على السنة القرآنية من شفع الترهيب بالترغيب اولئك
المنعوتون بما هو في الغاية القاصية من الشرف والفضيلة من الايمان والطاعة هم خير البرية وقرئ خيار
البرية وهو جمع خير نحو جيد وجياد جزاؤهم بمقابلة ما لهم من الايمان والطاعات عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار
ان اريد بالجنات الاشجار الملتفة الاغصان كما هو الظاهر فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها مجموع الارض
وما هو عليها فهو باعتبار الجزء الظاهر وايا ما كان فالمراد جريانها بغير اخدود خالدين فيها متنعمين بفنون النعم
الجسمانية والروحانية وفي تقديم مدحهم بخير البرية وذكر الجزاء المؤذن بكون ما منحوه في مقابلة ما وصفوا به
وبيان كونه من عنده تعالى والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة على التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم

وجميع الجنات وتقييدها بالاضافة وبما يزيدها نعيما وتاكيد الخلود بالابود من الدلالة على غاية حسن حالهم ما لا يخفى رضي
الله عنهم استيناف مبين لما يتفضل عليهم زيادة على ما ذكر من اجزية اعمالهم ورضوا عنه حيث بلغوا من المطالب قاصيتها و
ملكوا من المآرب ناصيتها وابيح لهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذلك اي ما ذكر من الجزاء والرضوان
ذلك لمن خشي ربه فان الخشية التي هي من خصائص العلماء من شؤون الله تعالى مناط بجميع الكمالات العلمية والعملية المستتبعة
للسعادة الدينية والدنيوية والتعرض لعنوان الربوبية المعرب عن المالكية والتربية لاشعار الخشية والتحذير
من الاغترار بالتربية عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لم يكن كان يوم القيمة مع خير البرية مساء ومقيلا

سورة الزلزال وهي ثمان آيات مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم اذا زلزلت الارض اي حركت تحريكا عنيفا متكررا متداركا زلزالها اي الزلزال المخصوص بها على
مقتضى المشيئة الالهية المبنية على الحكم البالغة وهو الزلزال الشديد الذي لا غاية وراءه او زلزالها العجيب الذي لا
يقادر قدره او زلزالها الداخل في حيز الامكان وقرئ بفتح الزاي وهو اسم وليس في الابنية فعلال بالفتح الا في المضاعف
وقولهم ناقة خزعال نادر وقد قيل الزلزال بالفتح ايضا مصدر كالوسواس والجرجار والقلقال وذلك عند النفخة
الثانية بقوله عز وجل واخرجت الارض اثقالها اي ما في جوفها من الاموات والدفائن جمع ثقل وهو متاع البيت واظهار
الارض في موقع الاضمار لزيادة التقرير ايضا او للايماء الى تبدل الارض غير الارض ولان اخراج الاثقال حال بعض
اجزائها وقال الانسان اي كل فرد من افراده لما يدهمهم من الطامة ويدهيهم من الداهية العامة ما لها زلزلت هذه
المرتبة الشديدة من الزلزال واخرجت الارض ما فيها من الاثقال استعظاما لما شاهدوه من الامر الهائل وقد سيرت
الجبال في الجو وصيرت هباء وقيل هو قول الكافر اذ لم يكن مؤمنا بالبعث والاظهر هو الاول على ان المؤمن يقوله
بطريق الاستعظام والكافر بطريق التعجب يومئذ بدل من اذا وقوله تعالى تحدث اخبارها عامل فيهما ويجوز ان
يكون اذا منتصبا بمضمر اي يوم اذا زلزلت الارض تحدث الخلق اخبارها اما بلسان المقال حيث ينطقها الله تعالى
فتخبر بما عمل عليها من خير وشر وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انها تشهد على كل احد بما عمل على ظهرها وقرئ تنبئ
اخبارها وقرئ من الانباء بان ربك اوحى لها اي تحدث اخبارها بسبب ايحاء ربك لها وامره اياها بالتحدث على احد
الوجهين ويجوز ان يكون بدلا من اخبارها كانه قيل تحدث باخبارها بان ربك اوحى لها بان التحدث يستعمل بالباء وبدونها
واوحى لها بمعنى اوحى اليها يومئذ اي يوم يقع ما ذكر يصدر الناس من قبورهم الى موقف الحساب اشتاتا متفرقين
بحسب طبقاتهم بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين كما مر في قوله تعالى فتاتون افواجا وقيل يصدرون عن الموقف
اشتاتا ذات اليمين الى الجنة وذات الشمال الى النار ليروا اعمالهم اي اجزية اعمالهم خيرا كان او شرا وقرئ ليروا
بالفتح قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره تفصيل ليروا وان قرئ يره والذرة النملة الصغيرة
وقيل ما يرى في شعاع الشمس من الهباء وايا ما كان فمعنى رؤية ما يعادلها من خير وشر اما مشاهدة جزائها فمن الاول
مخصصة بالسعداء والثانية بالاشقياء كيف لا وحسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن المجتنب عن الكبائر معفوة
وما قيل من ان حسنة الكافر تؤثر في نقص العقاب يرده قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا
واما مشاهدة نفسه من غير ان يعتبر معه الجزاء ولا عدمه بل يفوض كل منهما الى سائر الدلائل الناطقة بعفو صغائر
المؤمن المجتنب عن الكبائر واثابته بجميع حسناته وبحبوط حسنات الكافر ومعاقبته بجميع معاصيه والمعنى ما روي
عن ابن عباس ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيرا او شرا الا اراه الله تعالى اياه اما المؤمن فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته
واما الكافر فترد حسناته تحسرا ويعاقب بسيئاته عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله

سورة العاديات وهي احدى عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم والعاديات اقسم سبحانه بخيل الغزاة التي تعدو نحو العدو وقوله تعالى ضبحا مصدر منصوب اما
بفعله المحذوف الواقع حالا منها اي تضبح ضبحا وهو صوت انفاسها عند عدوها او بالعاديات فان العدو مستلزم للضبح

كأنه قيل والضابحات او حال على انه مصدر بمعنى الفاعل اي ضابحات فالموريات قدحا الايراء اخراج النار والقدح
الصك يقال قدح فاورى اي فالتي تورى النار من حوافرها وانتصاب قدحا كانتصاب ضبحا على الوجوه الثلاثة
فالمغيرات اسناد الاغارة التي هي مباغتة العدو للنهب او القتل او الاسر اليها وهي حال اهلها ايذانا بانها العمدة
في اغاراتهم صبحا اي في وقت الصبح وهو المعتاد في الغارات يعدون ليلا لئلا يشعر بهم العدو ويهجمون عليهم
صباحا ليروا ما ياتون وما يذرون وقوله تعالى فاثرن به عطف على الفعل الذي دل عليه اسم الفاعل اذ
المعنى فاللاتي عدون فاورين فاغرن فاثرن به اي فهيجن بذلك الوقت نقعا اي غبارا وتخصيص اثارته بالصبح
لانه لا يثور او لا يظهر ثورانه بالليل وبهذا ظهر ان الايراء الذي لا يظهر في النهار واقع بالليل ولله در شان التنزيل
وقيل النقع الصياح والجلبة وقرئ فاثرن بالتشديد بمعنى فاظهرن به غبارا لان التاثير فيه معنى الاظهار فوسطن
به اي توسطن بذلك الوقت او توسطن ملتبسات بالنقع جمعا من جموع الاعداء والفاآت للدلالة على ترتب
ما بعد كل منها على ما قبلها كما في قوله • يا لهف زيابة للحارث • الصابح فالغانم فالآيب • فان توسيط الجمع مترتب
على الاثارة المترتبة على الايراء المترتب على العدو وقوله تعالى ان الانسان لربه لكنود اي لكفور من كند النعمة كنودا
جواب القسم والمراد بالانسان جنس افراده روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى اناس من بني كنانة
سرية واستعمل عليها المنذر بن عمرو الانصاري وكان احد النقباء فابطا صلى الله عليه وسلم عليه خبرها شهرا
فقال المنافقون انهم قتلوا فنزلت السورة اخبارا للنبي صلى الله عليه وسلم بسلامتها وبشارة له باغارتها على
القوم ونعيا على المرجفين في حقهم ما هم فيه من الكنود وفي تخصيص خيل الغزاة بالاقسام بها من البراعة ما لا
مزيد عليه كأنه قيل وخيل الغزاة التي فعلت كيت وكيت وقد ارجف هؤلاء في حق اصحابها ما ارجفوا انهم مغالبون
في الكفران وانه على ذلك اي وان الانسان على كنوده لشهيد يشهد على نفسه بالكنود لظهور اثره عليه وانه
لحب الخير اي المال كما في قوله تعالى ان ترك خيرا لشديد اي قوي مطيق مجد في طلبه وتحصيله متهالك
عليه يقال هو شديد لهذا الامر وقوي له اذا كان مطيقا له ضابطا وقيل الشديد البخيل اي لانه لاجل حب المال
وثقل انفاقه عليه لبخيل ممسك ولعل وصفه بهذا الوصف القبيح بعد وصفه بالكنود للايماء الى ان من جملة
الامور الداعية للمنافقين الى النفاق حب المال لانهم بما يظهرون من الايمان يعصمون اموالهم ويحوزون
من الغنائم نصيبا وقوله تعالى افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور الى آخره تهديد ووعيد والهمزة للانكار والعطف
على مقدر يقتضيه المقام اي ايفعل ما يفعل من القبائح او الا يلاحظ فلا يعلم حاله اذا بعث من في القبور من الموتى
وايراد ما لكونهم اذ ذاك بمعزل من رتبة العقلاء وقرئ بحثر وبحث على بنائهما للفاعل وحصل اي جمع محصلا
او ميز خيره من شره وقرئ حصل مبنيا للفاعل وحصل مخففا ما في الصدور من الاسرار الخفية التي من جملتها ما يخفيه
المنافقون من الكفر والمعاصي فضلا عن الاعمال الجلية ان ربهم اي المبعوثين كنى عنهم بعد الاحياء الثاني بضمير
العقلاء بعد ما عبر عنهم قبل ذلك بما بناء على تفاوتهم في الحالين كما فعل نظيره بعد الاحياء الاول حيث التفت الى
الخطاب في قوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار الاية بعد قوله تعالى ثم سواه ونفخ فيه من روحه ايذانا
بصلاحيتهم للخطاب بعد نفخ الروح وبعدمها قبله كما اشير اليه هناك بهم بذواتهم وصفاتهم واحوالهم بتفاصيلها
يومئذ يوم اذ يكون ما ذكر من بعث ما في القبور وتحصيل ما في الصدور لخبير اي عالم بظواهر ما عملوا وبواطنه
علما موجبا للجزاء متصلا به كما ينبئ عنه تقييده بذلك اليوم والا فمطلق علمه سبحانه محيط بما كان وما سيكون وقوله تعالى
بهم ويومئذ متعلقان بخبير قدما عليه لمراعاة الفواصل واللام غير مانعة من ذلك وقرئ ابن السماك ان ربهم بهم يومئذ خبير
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والعاديات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بمزدلفة وشهد جمعا

سورة القارعة وهي عشر آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم القارعة القرع هو الضرب بشدة واعتماد بحيث يحصل منه صوت شديد وهي القيامة

التي تبردها

التي مبدؤها النفخة الاولى ومنتهاها فصل القضاء بين الخلائق كما مر في سورة التكوير سميت بها لانها تقرع القلوب
والاسماع بفنون الافزاع والاهوال وتخرج جميع الاجرام العلوية والسفلية من حال الى حال السماء بالانشقاق والانفطار
والشمس والنجوم بالتكوير والانكدار والانتثار والارض والجبال بالدك والنسف وهي مبتدأ خبره قوله تعالى ما القارعة
على ان ما الاستفهامية خبر والقارعة مبتدأ لا بالعكس لما مر غير مرة ان محط الافادة هو الخبر لا المبتدأ ولا
ريب في ان مدار افادة التهويل والفخامة هاهنا هو كلمة ما لا القارعة اي اي شيء عجيب هي في الفخامة والفظاعة وقد
وضع الظاهر موضع الضمير تأكيدا للتهويل وقوله تعالى وما ادراك ما القارعة تأكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم
الخلق على معنى ان عظم شأنها ومدى شدتها بحيث لا يكاد تناله دراية احد حتى يدريك بها وما في حيز الرفع على
الابتداء وادراك هو الخبر ولا سبيل الى العكس هاهنا وما القارعة جملة لما مر محلها النصب على نزع الخافض لان
ادرى يتعدى الى المفعول الثاني له والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها من الجملة الواقعة خبرا للمبتدأ الاول اي
واي شيء اعلمك ما شان القارعة ولما كان هذا منبئا عن الوعد الكريم باعلامها انجز ذلك بقوله تعالى يوم يكون الناس كالفراش
المبثوث على ان يوم مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف وحركته الفتح لاضافته الى الفعل وان كان مضارعا كما هو رأي الكوفيين
اي هو يوم يكون الناس فيه كالفراش المبثوث في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والاضطراب والتطاير الى الداعي
كتطاير الفراش الى النار او منصوب باضمار اذكر كأنه قيل بعد تفخيم امر القارعة وتشويقه صلى الله عليه وسلم الى
معرفتها اذكر يوم يكون الى آخره وقيل تقديره ستأتيكم القارعة يوم يكون الى آخره وتكون الجبال كالعهن المنفوش اي كالصوف
الملون بالالوان المختلفة المندوف في تفرق اجزائها وتطايرها في الجو حسبما نطق به قوله تعالى وترى الجبال
تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وكلا الامرين من آثار القارعة بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق يبدل الله عز وجل
الارض غير الارض ويغير هيئاتها ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئات الهائلة ليشاهدها اهل المحشر
وهي وان اندكت وتصدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية
كما ينطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا
يومئذ يتبعون الداعي وقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فان اتباع الداعي
الذي هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله عز وجل لا يكون الا بعد البعث قطعا وقد مر تمام الكلام في سورة النمل
قوله تعالى فاما من ثقلت موازينه الى آخره بيان اجمالي لتحزب الناس الى حزبين وتنبيه على كيفية الاحوال الخاصة
بكل منهما اثر بيان الاحوال الشاملة للكل والموازين اما جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله تعالى كما
قاله الفراء او جمع ميزان قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه ميزان له لسان وكفتان لا يوزن فيه الا الاعمال قالوا
توضع فيه صحائف الاعمال فينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة وقيل الوزن عبارة عن القضاء السوي
والحكم العادل وبه قال مجاهد والاعمش والضحاك واختاره كثير من المتأخرين قالوا ان الميزان لا يتوصل به الى معرفة مقادير
الاجسام فكيف على ان يعرف به مقادير الاعمال التي هي اعراض منقضية وقيل ان الاعمال الظاهرة في هذه النشأة
بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح وقد روي عن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما انه يؤتى بالاعمال الصالحة على صورة حسنة وبالاعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان اي
فمن ترجحت مقادير حسناته فهو في عيشة راضية اي ذات رضا او مرضية واما من خفت موازينه بان لم يكن له حسنة
يعتد بها او ترجحت سيئاته على حسناته فامه اي فمأواه هاوية هي من اسماء النار سميت بها لغاية عمقها
وبعد مهواها روي ان اهل النار تهوي فيها سبعين خريفا وقيل انها اسم للباب الاسفل فيها وعبر عن المأوى بالام
لان اهلها يأوون اليها كما يأوي الولد الى امه وعن قتادة وعكرمة والكلبي ان المعنى فام رأسه هاوية في قعر جهنم لانه
يطرح فيها منكوسا والاول هو الموافق لقوله تعالى وما ادراك ما هيه نار حامية فانه تقرير لها بعد ابهامها والاشعار
بخروجها عن الحدود المعهودة للتفخيم والتهويل وهي ضمير الهاوية والهاء للسكت واوصل القاري حذفها وقيل حقه

ان لا يدبج لئلا يسقطها الادباج لانها ثابتة في المصحف وقد اختير اثباتها مع الوصل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القارعة ثقل الله تعالى بها ميزانه يوم القيمة صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة التكاثر وهي ثمان ايات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الهيكم التكاثر اي شغلكم التغالب في الكثرة والتفاخر بها روي ان بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا وتعادوا وتكاثروا بالسيادة والاشراف في الاسلام فقال كل من الفريقين نحن اكثر منكم سيدا واعز عزا واعظم نفرا فكثرهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم والمعنى انكم تكاثرتم بالاحياء حتى زرتم المقابر اي حتى استوعبتم المقابر عددهم صرتم الى التفاخر والتكاثر بالاموات فعبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة القبور تهكما بهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان يفتخرون بذلك وقيل المعنى الهيكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم مضيعين اعماركم في طلب الدنيا معرضين عما يهمكم من السعي لاخرتكم فيكون زيارة القبور عبارة عن الموت وقرئ الهاكم على الاستفهام التقريري كلا ردع وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان لا يكون معظم همه مقصورا على الدنيا فان عاقبة ذلك وخيمة سوف تعلمون سوء معصية ما انتم عليه اذا عاينتم عاقبته ثم كلا سوف تعلمون تكرير للتاكيد وثم للدلالة على ان الثاني ابلغ من الاول او الاول عند الموت او في القبر والثاني عند النشور كلا لو تعلمون علم اليقين اي لو تعلمون ما بين يديكم على الامر اليقين اي كعلمكم ما تستيقنونه لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنف فحذف الجواب للتهويل وقوله تعالى لترون الجحيم جواب قسم مضمر اكد به الوعيد وشدد به التهديد واوضح به ما انذروه بعدما ابهمه تفخيما ثم لترونها تكرير للتاكيد او الاولى اذا راتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها او المراد بالاولى المعرفة وبالثانية المشاهدة والمعاينة عين اليقين اي الروية التي نفس اليقين فان علم المشاهدة اقصى مراتب اليقين ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم اي عن النعيم الذي الهاكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه فان الخطاب مخصوص بمن عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش الا لياكل الطيب ويلبس اللين ويقطع اوقاته باللهو والطرب لا يعبا بالعمل ولا يحمل نفسه مشاقها فاما من تمتع بنعمة الله تعالى وتقوى بها على طاعته وكان ناهضا بالشكر فهو من ذلك بمعزل بعيد وقيل الاية مخصوصة بالكفار عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة التكاثر لم يحاسبه الله تعالى بالنعيم الذي انعم عليه في دار الدنيا واعطي من الاجر كانما قرا الف اية

سورة العصر وهي ثلاث ايات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم والعصر اقسم سبحانه بصلوة العصر لفضيلتها الباهرة او بالعشي الذي هو ما بين الزوال والغروب كما اقسم بالضحى او بعصر النبوة لظهور فضله على سائر الاعصار او بالدهر لانطوائه على تعاجيب الامور القارة والمارة ان الانسان لفي خسر اي خسران في متاجرهم ومساعيهم وصرف اعمالهم في مباغيهم والتعريف للجنس والتنكير للتفخيم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فانهم في تجارة لن تبور حيث باعوا الفاني الخسيس بالباقي النفيس واستبدلوا الباقيات الصالحات بالغاديات الرائحات فيا لها من صفقة ما اربحها وهذا بيان لتكميلهم لانفسهم وقوله تعالى وتواصوا بالحق الى اخره بيان لتكميلهم لغيرهم اي وصى بعضهم بعضا بالامر الثابت الذي لا سبيل الى انكاره ولا زوال في الدارين لمحاسن اثاره وهو الخير كله من الايمان بالله عز وجل واتباع كتبه ورسله في كل عقد وعمل وتواصوا بالصبر اي عن المعاصي التي تشتاق اليها النفس بحكم الجبلة البشرية وعلى الطاعات التي يشق عليها اداؤها او على ما يبلو الله عز وجل عباده وتخصيص هذا التواصي بالذكر مع اندراجه تحت التواصي بالحق لابراز كمال الاعتناء به او لان الاول عبارة عن رتبة العبادة التي هي الرضا بما فعل الله تعالى فان المراد بالصبر ليس مجرد حبس النفس عما تتوق اليه من فعل وترك بل هو تلقي ما ورد منه تعالى بالجميل والرضا به ظاهرا او باطنا عنه صلى الله عليه وسلم من قرا سورة العصر غفر له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

سورة الهمزة وهي تسع ايات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم ويل مبتدا خبره لكل همزة لمزة وساغ الابتداء به مع كونه نكرة لانه دعاء عليهم بالهلكة اي شدة الشر والهمز الكسر واللمز الطعن كاللهز شاعا في الكسر من اعراض الناس والطعن عليهم وبناء فعلة للدلالة على ان ذلك منه عادة مستمرة قد ضري بها وكذلك اللعنة والضحكة وقرئ لكل همزة لمزة بسكون الميم وهو المسخرة الذي ياتي بالاضاحيك فيضحك منه ويستهزئ به وقيل نزلت في الاخنس بن شريق فانه كان ضاريا بالغيبة والوقيعة وقيل في امية بن خلف وقيل في الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهضمه من جنابه الرفيع واختصاص السبب لا يستدعي خصوص الوعيد بهم بل كل من اتصف بوصفهم القبيح فله ذنوب مثل ذنوبهم الذي جمع مالا وعدده بدل من كل او منصوب او مرفوع على الذم وقرئ جمع بالتشديد للتكثير وتنكير مالا للتفخيم والتكثير الموافق لقوله تعالى وعدده وقيل معنى عدده جعله عدة لنوائب الدهر وقرئ وعدده اي جمع المال وضبط عدده او عدده الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدد وعدد ان كان له عدد وافر من الانصار والاعوان وقيل هو فعل ماض بفك الادغام يحسب ان ماله اخلده اي يعمل عمل من يظن ان ماله يبقيه حيا والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير وقيل طول المال امله ومناه الاماني البعيدة حتى اصبح لطول غفلته وطول امله يحسب ان ماله تركه خالدا في الدنيا لا يموت وقيل هو تعريض بالعمل الصالح والزهد في الدنيا وانه هو الذي اخلد صاحبه في الحيوة الابدية والنعيم المقيم اما المال فليس بمخلد ولا بمخلد روي ان الاخنس كان له اربعة الاف دينار وقيل عشرة الاف والجملة مستانفة او حال من فاعل جمع كلا ردع له عن ذلك الحسبان الباطل وقوله تعالى لينبذن جواب قسم مقدر والجملة استيناف مبين لعلة الردع اي والله ليطرحن بسبب تعاطيه للافعال المذكورة في الحطمة اي في النار التي شانها ان تحطم وتكسر كل ما يلقى فيها كما ان شانه قد كسر اعراض الناس وجمع المال وقوله تعالى وما ادريك ما الحطمة لتهويل امرها ببيان انها ليست من الامور التي تدركها عقول الخلق وقوله تعالى نار الله خبر مبتدا محذوف والجملة بيان لشان المسئول عنها اي هي نار الله الموقدة بامر الله عز وجل سلطانه وفي اضافتها اليه سبحانه ووصفها بالايقاد من تهويل امرها ما لا مزيد عليه التي تطلع على الافئدة اي تعلو اوساط القلوب وتغشاها وتخصيصها بالذكر لما ان الفؤاد الطف ما في الجسد واشده تالما بادنى اذى يمسه او لانه محل العقائد الزائغة والنيات الفاسدة ومنشا الاعمال الخبيثة المسيئة انها عليهم موصدة اي مطبقة من اوصدت الباب واصدته اي اطبقته في عمد ممددة اما حال من الضمير المجرور في عليهم اي كائنين في عمد ممددة اي موثوقين فيها مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص او خبر مبتدا مضمر اي هم في عمد او صفة لموصدة قاله ابو البقا اي كائنة في عمد ممددة بان تؤصد عليهم الابواب وتمدد على الابواب العمد استيثاقا في استيثاق اللهم اجرنا يا خير مستجار وقرئ عمد بضمتين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الهمزة اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من استهزا بمحمد صلى الله عليه وسلم

سورة الفيل وهي خمس ايات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والهمزة لتقرير رؤيته صلى الله عليه وسلم بانكار عدمها وكيف متعلقة بفعل الرؤية منصوبة بما بعدها والرؤية علمية اي الم تعلم علما رصينا متاخما للمشاهدة والعيان باستماع الاخبار المتواترة ومعاينة الاثار الظاهرة وتعليق الرؤية بكيفية فعله عز وجل لا بنفسه بان يقال الم تر ما فعل ربك الى اخره لتهويل الحادثة والايذان بوقوعها على كيفية هائلة وهيات عجيبة دالة على عظم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته وعزة بيته وشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ذلك من الارهاصات لما روي ان القصة وقعت في السنة التي ولد فيها النبي صلى الله عليه وسلم وتفصيلها ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى بصنعا كنيسة وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك وقيل اججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج مع الحبشة ومعه فيل له اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل الف فيل وقيل كان معه وحده فلما بلغ المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة

ليرجع فابى وعبى جيشه وقدم الفيل فكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح فاذا وجهوه الى اليمن او الى غيره من الجهات
هرول فارسل الله تعالى طيوراً سوداً او قيل خضراً او قيل بيضاً مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه اكبر من العدسة
واصغر من الحمصة فكان الحجر يقع على راس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا وهلكوا في كل طريق
ومنهل وروي ان ابرهة تساقطت انملته واعضاؤه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره ابو
مكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتاً بين يديه وقيل ان
ابرهة اخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج اليه في شانها فلما راه ابرهة عظم في عينه وكان رجلاً وسيماً جسيماً
وقيل له هذا سيد قريش وصاحب عيركة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في راس الجبال فنزل ابرهة عن
سريره وجلس معه على بساطه وقيل اجلسه معه على سريره ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فلما ذكر حاجته
قال سقطت من عيني جئت لاهدم البيت الذي هو دينك ودين ابائك وعصمتكم وشرفكم من قديم الدهر
لا تكلمني فيه الهاك عنه ذود اخذت لك فقال عبد المطلب انا رب الابل وان للبيت رباً يحميه ثم رجع الى باب
الكعبة واخذ بحلقته ومعه نفر من قريش يدعون الله عز وجل فالتفت وهو يدعو فاذا هو بطير من نحو اليمن
فقال والله انها لطير غريبة ما هي بحجرية ولا تهامية فارسل حلقة الباب ثم انطلق مع اصحابه ينتظرون ما
ذا يفعل ابرهة فارسل الله تعالى عليهم الطير فكان ما كان وقيل كان ابرهة جد النجاشي الذي كان في زمن النبي
صلى الله عليه وسلم وعن عائشة رضي الله عنها رايت قائد الفيل وسائسه اعميين مقعدين يستطعمان وقرئ
الم تر بكسر الراء للجد في اظهار الجازم قوله تعالى **الم يجعل كيدهم في تضليل** الى اخره بيان اجمالي لما فعل الله
تعالى بهم والهمزة للتقرير كما سبق ولذلك عطف على الجملة الاستفهامية ما بعدها كانه قيل قد جعل كيدهم في
تعطيل الكعبة وتخريبها في تضييع وابطال بان دمرهم اشنع تدمير **وارسل عليهم طيراً ابابيل** اي حزائق وجماعات
جمع ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها وقيل ابابيل مثل عباديد وشماطيط
لا واحد لها **ترميهم بحجارة** صفة لطير وقرئ يرميهم بالتذكير لان الطير اسم جمع تانيثه باعتبار المعنى **من
سجيل** من طين متحجر معرب سنك كل وقيل كانه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار كما ان سجيناً علم
للديوان الذي يكتب فيه اعمالهم كانه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الاسجال
وهو الارسال **فجعلهم كعصف ماكول** كورق زرع وقع فيه الاكال وهو ان ياكله الدود او اكل حبه فبقي صفراً منه
او كتبن اكلته الدواب وراثته اشير باول حاله عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفيل اعفاه الله تعالى ايام حياته من الخسف والمسخ

سورة قريش وهي اربع ايات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **لايلاف قريش** متعلق بقوله فليعبدوا والفاء لما في الكلام من معنى الشرط اذ المعنى
ان نعم الله تعالى عليهم غير محصورة فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة وقيل بمضمر تقديره
فعلنا ما فعلنا من اهلاك اصحاب الفيل لايلاف الى اخره وقيل تقديره اعجبوا لايلاف وقيل بما قبله من قوله تعالى
فجعلهم كعصف ماكول ويؤيده انهما في مصحف ابي سورة واحدة بلا فصل والمعنى اهلك من قصدهم من الحبشة
ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم اليهم الامر في رحلتهم
فلا يجترئ عليهم احد وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون
ويتجرون وكانوا في رحلتهم آمنين لانهم اهل حرم الله تعالى وولاة بيته العزيز فلا يتعرض لهم والناس بين متخطف
ومنهب والايلاف من قولك الفت المكان ايلافاً اذا الفته وقرئ لالاف قريش اي لمؤالفتهم وقيل يقال الفته
الفاً والافاً وقرئ لالف قريش وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث
بالسفن ولا تطاق الا بالنار والتصغير للتعظيم وقيل من القرش وهو الكسب لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم
في البلاد قوله تعالى **ايلافهم رحلة الشتاء والصيف** بدل من الاول ورحلة مفعول لايلافهم وافرادها مع ان المراد رحلتي
الشتاء والصيف لامن الالتباس وفي اطلاق الايلاف عن المفعول اولاً وابدال هذا منه تفخيم لامره وتذكير لعظيم
النعمة فيه وقرئ ليالف قريش الفهم رحلة الشتاء والصيف وقرئ رحلة بالضم وهي الجهة التي يرحل اليها **فليعبدوا
رب هذا البيت الذي اطعمهم** بسبب تينك الرحلتين اللتين تمكنوا فيهما بواسطة كونهم من جيرانه **من جوع**
شديد كانوا فيه قبلهما وقيل اريد به القحط الذي اكلوا فيه الجيف والعظام **وآمنهم من خوف** عظيم لا يقادر
قدره وهو خوف اصحاب الفيل وخوف التخطف في بلدهم ومسايرهم وقيل خوف الجذام فلا يصيبهم في بلدهم
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة قريش اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

سورة الماعون وهي سبع ايات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **ارايت الذي يكذب بالدين** استفهام اريد به تشويق السامع الى معرفة من سيق له الكلام
والتعجيب منه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لكل عاقل والرؤية بمعنى المعرفة وقرئ ارايتك
بزيادة حرف الخطاب والفاء في قوله تعالى **فذلك الذي يدع اليتيم** جواب شرط محذوف على ان ذلك مبتدا
والموصول خبره والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزاء او بالاسلام ان لم تعرفه او ان اردت ان تعرفه فهو الذي
يدفع اليتيم دفعاً عنيفاً ويزجره زجراً قبيحاً ووضع اسم الاشارة للتعرض لوصف المشار اليه موضع الضمير وللاشعار
بعلة الحكم والتنبيه بما فيه معنى البعد على بعد منزلته في الشر والفساد وقيل هو ابو جهل كان وصياً ليتيم فاتاه عرياناً
يسال من مال نفسه فدفعه دفعاً شنيعاً وقيل ابو سفيان نحر جزوراً فساله يتيم لحماً فقرعه بعصاه وقيل هو الوليد
ابن المغيرة وقيل هو العاص بن وائل السهمي وقيل هو رجل بخيل من المنافقين وقيل الموصول على عمومه وقرئ يدع
اليتيم اي يتركه ويجفوه **ولا يحض** اي اهله وغيرهم من الموسرين **على طعام المسكين** واذا كان حال من ترك
الحث على ما ذكر فما ظنك بحال من ترك ذلك مع القدرة عليه والفاء في قوله تعالى **فويل** الى اخره اما
لربط ما بعدها بشرط محذوف كانه قيل اذا كان ما ذكر من عدم المبالاة باليتيم والمسكين من دلائل التكذيب بالدين
وموجبات الذم والتوبيخ فويل **للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون** غافلين غير مبالين **الذين هم يراؤون** اي يراؤون الناس
اعمالهم ليروهم الثناء عليها **ويمنعون الماعون** اي الزكوة وما يتعاور عادة فان عدم المبالاة باليتيم والمسكين حيث
كان كما ذكر فعدم المبالاة بالصلوة التي هي عماد الدين والرياء الذي هو شعبة من الكفر ومنع الزكوة التي هي قنطرة
الاسلام وسوء المعاملة مع الخلق احق بذلك واما الترتيب الدعاء عليهم بالويل على ما ذكر من قبائحهم ووضع المصلين
موضع ضميرهم ليتوسل بذلك الى بيان ان لهم قبائح اخر غير ما ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الدين غفر له ان كان للزكوة مؤديا

سورة الكوثر وهي ثلث ايات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **انا اعطيناك** وقرئ انا انطيناك **الكوثر** اي الخير المفرط الكثرة من شرف النبوة الجامعة لخيري
الدارين والرياسة المستتبعة لسعادة الدنيا والدين فوعل من الكثرة وقيل هو نهر في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قراها فقال تدرون ما الكوثر انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خيراً كثيراً وروي في صفته احلى من العسل
واشد بياضاً من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة عدد نجوم السماء
وروي لا يظما من شرب منه ابداً اول وارديه فقراء المهاجرين الدنسو الثياب الشعث الرؤوس الذين
لا يزوجون المنعمات ولا يفتح لهم ابواب السدد يموت احدهم وحاجته تتلجلج في صدره لو اقسم على الله لابره وعن
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير فان ناساً يقولون هو نهر في الجنة
فقال هو من الخير الكثير وقيل هو حوض فيها وقيل هو اولاده واتباعه او علماء امته او القران الحاوي لخيري الدنيا
والاخرة والفاء في قوله تعالى **فصل لربك وانحر** لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان اعطاءه تعالى اياه صلى الله
عليه وسلم ما ذكر من العطية التي لم يعطها احد من العالمين مستوجبة للمامور به اي استيجاب اي فدم على
الصلوة لربك الذي افاض عليك هذه النعمة الجليلة التي لا تضاهيها نعمة خالصاً لوجهه خلاف الساهين عنها

المرائين فيها اداء الحقوق شكرها فان الصلوة جامعة لجميع اقسام الشكر والنحر البدن التي هي خيار اموال العرب
باسمه تعالى وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون وعن عطية هي صلوة الفجر بجمع والنحر بمنى وقيل
صلوة العيد والتضحية وقيل هي جنس الصلوة والنحر وضع اليمين على الشمال وقيل هو ان يرفع يديه في التكبير الى نحره
هو المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما استقبل القبلة بنحرك وهو قول الفراء والكلبي
وابي الاحوص ان شانئك اي مبغضك كائنا من كان هو الابتر الذي لا عقب له حيث لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر
واما انت فتبقى ذريتك وحسن صيتك واثار فضلك الى يوم القيمة ولك في الآخرة ما لا يندرج تحت البيان
وقيل نزلت في العاص بن وايل واياما كان فلا ريب في عموم الحكم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكوثر
سقاه الله من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر ٥

سورة الكافرون وهي ست آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قل يا ايها الكافرون هم كفرة مخصوصون قد علم الله تعالى انه لا يتأتى منهم الايمان ابدا
روي ان رهطا من عتاة قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد الهتنا
سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله ان اشرك بالله غيره فقالوا فاستلم بعض الهتنا نصدقك ونعبد
الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤسهم فقرأ عليهم فايسوا لا اعبد
ما تعبدون اي فيما يستقبل لان لا لا تدخل غالبا الا على مضارع في معنى الحال والمعنى لا افعل في المستقبل
ما تطلبونه مني من عبادة الهتكم ولا انتم عابدون ما اعبد اي فلا انتم فاعلون فيه ما اطلب منكم من عبادة الهي
ولا انا عابد ما عبدتم اي وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه ان لم يعهد مني عبادة صنم في الجاهلية
فكيف يرجى مني في الاسلام ولا انتم عابدون ما اعبد اي وما عبدتم في وقت من الاوقات ما انا على عبادته
وقيل هاتان الجملتان لنفي العبادة حالا كما ان الاوليين لنفيها استقبالا وانما لم يقل ما عبدت ليوافق ما
عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل البعثة بعبادة الاصنام وهو عليه الصلوة والسلام لم يكن حينئذ موسوما
بعبادة الله تعالى وايثار ما في اعبد على من لان المراد هو الوصف كانه قيل ما اعبد من المعبود العظيم الشان
الذي لا يقادر قدر عظمته وقيل ان ما مصدرية اي لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي وقيل الاوليان
بمعنى الذي والاخريان مصدريتان وقيل قوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم تاكيد لقوله تعالى لا اعبد ما تعبدون
وقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد ثانيا تاكيد لمثله المذكور اولا قوله تعالى لكم دينكم تقرير لقوله
تعالى لا اعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم كما ان قوله تعالى ولي دين تقرير لقوله تعالى
ولا انتم عابدون ما اعبد والمعنى ان دينكم الذي هو الاشراك مقصور على الحصول لكم لا يتجاوزه الى الحصول
لي ايضا كما تطمعون فيه فلا تعلقوا به امانيكم الفارغة فان ذلك من المحالات وان ديني الذي هو التوحيد
مقصور على الحصول لي ولم يتجاوزه الى الحصول لكم ايضا لانكم علقتموه بالمحال الذي هو عبادتي لالهتكم واستلامي
اياها ولان ما وعدتموه عين الاشراك وحيث كان مبنى قولهم تعبد الهتنا سنة ونعبد الهك سنة على
شركة الفريقين في كلتا العبادتين كان القصر المستفاد من تقديم المسند قصر افراد وقيل المعنى اني
نبي مبعوث اليكم لادعوكم الى الحق والنجاة فاذا لم تقبلوا مني فدعوني كفافا ولا تدعوني الى الشرك فتأمل عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكافرون فكانما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وتعافى

سورة النصر وهي ثلث آية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاء نصر الله والفتح اي اعانته تعالى واظهاره اياك على عدوك والفتح اي فتح مكة
وقيل جنس نصر الله تعالى ومطلق الفتح فان فتح مكة لما كان مفتاح الفتوح ومناطها كما ان نفسها نفس ام القرى
وامامها جعل مجيئه بمنزلة مجيء سائر الفتوح وعلق به امره صلى الله عليه وسلم بالتسبيح والحمد والتعبير عن

حصول التصرف الفتحي بالمجيء للايذان بانهما متوجهان نحوه صلى الله عليه وسلم وانهما على جناح الوصول اليه صلى الله عليه
وسلم عن قريب روي انها نزلت قبل الفتح وعليه الاكثر وقيل في ايام التشريق بمنى في حجة الوداع فكلمة اذا حينئذ باعتبار ان
بعض ما في حيزها اعني رؤيته دخول الناس الخ غير منقض بعد وكان فتح مكة لعشر مضين من رمضان سنة ثمان
ومع النبي صلى الله عليه وسلم عشرة الاف من المهاجرين والانصار وطوايف العرب واقام بها خمس عشرة ليلة
وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب
وحده ثم قال يا اهل مكة ما ترون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم
صلى الله عليه وسلم وقد كان الله تعالى امكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيئا ولذلك سمي اهل مكة الطلقاء ثم
بايعوه على الاسلام ثم خرج الى هوازن ورأيت الناس اي ابصرتهم او علمتهم يدخلون في دين الله اي ملة الاسلام التي
لا دين يضاف اليه غيرها والجملة على الاول حال من الناس وعلى الثاني مفعول ثان لرأيت وقوله تعالى افواجا حال
من فاعل يدخلون اي يدخلون فيه جماعات كثيفة كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن وساير قبائل العرب وكانوا قبل
ذلك يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين روي انه صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة اقبلت العرب بعضها
على بعض فقالوا اذا ظفر باهل الحرم فلن يقاومه احد وقد كان الله تعالى اجارهم من اصحاب الفيل ومن كل من ارادهم
فكانوا يدخلون في دين الاسلام افواجا من غير قتال وقرئ يدخلون على البناء للمفعول فسبح بحمد ربك فقل سبحان الله
حامدا له اي فتعجب لتيسير الله تعالى ما لم يخطر ببال احد من ان يغلب احد على اهل الحرم والمحرم واحمده على جميل
صنعه هذا على الرواية الاولى ظاهر واما على الثانية فلعله صلى الله عليه وسلم امر بان يداوم على ذلك استعظاما
لنعمه لا باحداث التعجب لما ذكر فانه يناسب حالة الفتح او ما ذكر مسبحا حامدا زيادة في عبادته والثناء عليه
لزيادة انعامه عليك روي انه لما فتح باب الكعبة صلى صلوة الضحى ثمان ركعات او فنزهه عما يقول الظلمة حامدا
له على ان صدق وعده او فاثن على الله تعالى بصفات الجلال حامدا على صفات الاكرام واستغفره هضما
لنفسك واستقصارا لعملك واستعظاما لحقوق الله تعالى واستدراكا على ما فرط منك من ترك الاولى عن
عايشة رضي الله عنها انه كان صلى الله عليه وسلم يكثر قبل موته ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب
اليك وعنه صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر في اليوم والليلة مائة مرة وروي انه لما قرأها النبي صلى الله عليه
وسلم على اصحابه استبشروا وبكى العباس فقال له ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك قال صلى الله عليه
وسلم انها لكما تقول فلم ير صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ضاحكا مستبشرا وقيل ان ابن عباس هو الذي قال ذلك فقال
صلى الله عليه وسلم لقد اوتي هذا الغلام علما ولعل ذلك للدلالة على تمام امر الدعوة وتكامل امر الدين كقوله
تعالى اليوم اكملت لكم دينكم وروي انها لما نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان عبدا خيره الله
تعالى بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله تعالى فعلم ابو بكر رضي الله تعالى عنه فقال فديناك بانفسنا واولادنا
وابائنا وعنه صلى الله عليه وسلم انه دعا فاطمة رضي الله تعالى عنها فقال يا بنتاه انه نعيت الي نفسي فبكت
فقال لا تبكي فانك اول اهلي لحوقا بي وعن ابن مسعود ان هذه السورة تسمى سورة التوديع وقيل هو الامر
بالاستغفار لامته انه كان توابا منذ خلق المكلفين اي مبالغا في قبول توبتهم فليكن كل تائب مستغفر متوقعا
للقبول عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النصر اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة

سورة اللهب وهي خمس آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم تبت اي هلكت يدا ابي لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب وايثار التباب الى الهلاك
واسناده الى يديه لما روي انه لما نزل وانذر عشيرتك الاقربين رقي رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا وجمع
اقاربه فانذرهم فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا واخذ حجرا ليرمي به النبي صلى الله عليه وسلم وتب اي
وهلك كله وقيل بالاول هلاك جملته كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ومعنى وتب وكان ذلك وحصل
كقول من قال ، جزاني جزاه الله شر جزائه ، جزاء الكلاب العاويات وقد فعل ، ويؤيده قراءة من قرأ وقد

تب وفعل الاول اخبار عن هلاك عمله لان الاعمال تزاول غالبا بالايدي والثاني اخبار وذكر كنيته للتعر
يكونه جهنميًا ولاشتهاره بها ولكراهة ذكر اسمه القبيح وقرئ ابو لهب كما قيل علي بن ابي طالب وقرئ ابي لهب
بسكون الهاء **ما اغنى عنه ماله وما كسب** اي لم يغن عنه حين حل به التباب علي ان ما نافية او اي شئ اغنى عنه
علي انها استفهامية في معني الانكار منصوبة بما بعدها اصل ماله وما كسب من الارباح والنتايج والمنافع والوجا
والاتباع او ماله الموروث من ابيه والذي كسبه بنفسه او عمله الخبيث الذي هو كيده في عداوة النبي
صلي الله عليه وسلم او عمله الذي ظن انه منه علي شئ كقوله تعالي وقدمنا الي ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا
وعن ابن عباس رضي الله تعالي عنهما ما كسب ولده وروي انه كان يقول ان كان ما يقول ابن اخي حقا فانا افتدي منه
نفسي بمالي وولدي فاستخلص منه وقد خاب مرجاه وما حصل له ما تمناه فافترس ولده عتبة اسد في طريق
الشام بين العير المكتنفة به وقد كان صلي الله عليه وسلم دعا عليه فقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وهلكت
نفسه بالعدسة بعد وقعة بدر لسبع ليال فاجتنبه اهله مخافة العدوي وكانت قريشا تتقيها كالطاعون
فبقي ثلثا حتي انتن ثم استاجروا بعض السودان حتي احتملوه ودفنوه فكان الامر كما اخبر به القران **سيصلي** بفتح
الياء وبضمها وفتح اللام بالتخفيف والتشديد والسين لتاكيد الوعيد وتشديده اي سيدخل لامحالة بعد
هذا العذاب العاجل في الاخرة **نارا ذات لهب** اي نارا عظيمة ذات اشتعال وتوقد وهي نار جهنم وليس
هذا نصا في انه لا يؤمن ابدا حتي يلزم من تكليفه الايمان بالقران ان يكون مكلفا بان يؤمن به بانه لا يؤمن
ابدا فيكون مامورا بالجمع بين النقيضين كما هو المشهور فان صلي النار غير مختص بالكفار فيجوز ان يفهم ابو لهب
من هذا ان دخوله النار لفسقه ومعاصيه لا لكفره فلا اضطرار الي الجواب المشهور من ان ما كلفه هو
الايمان بجميع ما جاء به النبي صلي الله عليه وسلم اجمالا لا الايمان بتفاصيل ما نطق به القران حتي يلزم ان يكلف
الايمان بعدم ايمانه المستمر **وامراته** عطف علي المستكن في سيصلي بالمفعول وهي ام جميل بنت حرب اخت ابي
سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنثرها بالليل في طريق النبي صلي الله عليه
وسلم وكان صلي الله عليه وسلم يطؤه كما يطاء الحرير وقيل كانت تمشي بالنميمة ويقال لمن يمشي بالنمايم ويفسد
بين الناس يحمل الحطب بينهم اي يوقد بينهم النائرة **حمالة الحطب** بالنصب علي الشتم والذم وقيل علي الحالية بناء
علي ان الاضافة غير حقيقية اذ المراد انها تحمل يوم القيمة حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وعن قتادة انها
تحمل مع كثرة مالها كانت تحمل الحطب علي ظهرها لشدة بخلها فعيرت بالبخل فالنصب حينئذ للشتم حتما وقرئ بالرفع
علي انه خبر وامراته مبتدا وقوله حمالة الحطب بالتنوين نصبا ورفعا وقرئ مريته بالمصغر للتحقير **في جيدها حبل
من مسد** من خبر مقدم ومبتدا موخر والجملة حالية وقيل الظرف خبر لامراته وحبل مرتفع به علي الفاعلية وقيل
هو حال من امراته علي تقدير عطفها علي ضمير سيصلي وحبل فاعل كما ذكر والمسد ما يفتل من الحبال فتلا شديدا من ليف
المقل وقيل من اي ليف كان وقيل من لحا شجر باليمن وقد يكون من جلود الابل واوبارها والمعني في عنقها حبل من
ما مسد من الحبال وانها تحمل تلك الحزمة من الشوك فتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا لحالها وتصويرا
لها بصورة بعض الحطابات من المواهن ليمتعض من ذلك ويمتعض بعلها وهما في بيت العز والشرف قال مرة الهمداني كانت ام
جميل تاتي كل يوم باباله من حسك فتطرحها علي طريق المسلمين فبينما هي ذات ليلة حاملة حزمة اعيت فقعدت علي حجر لتستريح
فجذبها الملك من خلفها فاختنقت بحبلها عن النبي صلي الله عليه وسلم من قرا سورة تبت رجوت ان لا يجمع بينه وبين ابي لهب في دار واحدة

سورة الاخلاص وهي اربع اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **قل هو الله احد** الضمير للشان ومدار وضعه موضعه مع عدم سبق ذكره الايذان بانه من
الشهرة والنباهة بحيث يستحضره كل احد واليه يشير كل مشير واليه يعود كل ضمير كما ينبئ عنه اسمه الذي اصله القصد
اطلق علي المفعول مبالغة ومحله الرفع علي الابتداء خبره الجملة بعده ولا حاجة الي الرابط لانها عين الشان

الذي عبر عنه بالضمير والسر في تصدير الجملة التنبيه من اول الامر علي فخامة مضمونها وجلالة حيزها مع
ما فيه من زيادة تحقيق وتقرير فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر جليل فيبقي الذ
مترقبا لما امامه مما يفسره ويزيل ابهامه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن وهمزة احد مبدله من الواو
اصله وحد لا كهمزة ما يلازم النفي ويراد به العموم كما في قوله تعالي فما منكم من احد عنه حاجزين وما في قوله
صلي الله عليه وسلم ما احلت الغنايم لاحد سود الروس غيركم فانها اصلية وقال مكي اصل احد واحد فابدلت
الواو همزة فاجتمع الفان لان الهمزة تشبه الالف فحذفت احدهما تخفيفا وقال ثعلب وان احد لا يبني
عليه العدد ابتداء فلا يقال احد اثنان ولا يقال رجل احد كما يقال رجل واحد ولذلك اختص به تعالي وهو
لما سيل عنه اي الذي سالتم عنه هو الله اذ روي ان قريشا قالوا يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا اليه
وانسبه فنزلت والضمير مبتدا والله خبره واحد بدل منه او خبر ثان او خبر مبتدا محذوف وقرئ هو الله
احد بغير قل وقرئ الله احد بغير قل هو وقرئ قل هو الواحد وقوله تعالي **الله الصمد** مبتدا وخبر والصمد
فعل بمعني مفعول من صمد اليه بمعني اذا قصده او هو السيد المصمود اليه في الحوايج المستغني بذاته وكل ما عدا
محتاج اليه في جميع جهاته وقيل الصمد الدايم الباقي الذي لم يزل ولا يزال وقيل الذي يفعل ما يشا ويحكم ما
يريد وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف احديته وتنكير الاسم الجليل للاشعار بان من يتصف بذلك فهو
بمعزل من استحقاق الالوهية وتعرية الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولي بين اولا الوهيته عز
وجل المستتبعة لكافة نعوت الجلال ثم احديته الموجبة لتنزاهته عن شايبة التعدد والتركب بوجه من
الوجوه وتوهم المشاركة في الحقيقة وخواصها ثم صمديته المقتضية لاستغنائه الذاتي عما سواه وافتقار
جميع المخلوقات اليه في وجودها وبقائها وساير احوالها تحقيقا للحق وارشادا لهم الي سننه الواضح
ثم صرح ببعض احكام جزئيه مندرجة تحت الاحكام السابقة فقيل **لم يلد** تنصيصا علي ابطال زعم
المفترين في حق الملايكة والمسيح ولذلك ورد النفي علي صيغة الماضي اي لم يلد عنه ولد ولم تكن له صاحبة
ولا يفتقر الي ما يعينه ويخلصه لاستحالة الحاجة والفناء عليه سبحانه **ولم يولد** اي لم يصدر عن شئ
لاستحالة نسبة العدم اليه سابقا او لاحقا والتصريح به مع كونهم معترفين بمضمونه لتقرير ما قبله
وتحقيقه بالاشارة الي انهما متلازمان اذ المعهود ان ما يلد يولد وما لا فلا ومن قصد بانه لم يولد
الاعتراف بانه لم يلد عن قريب من عطف لا يستقدمون علي لا يستاخرون كما من تحقيقه **ولم يكن له كفوا احد**
اي لم يكافئه احد ولم يماثله من صاحبة وغيرها وله صلة لكفوا قدمت عليه مع ان حقها التاخير للاهتمام
بها لان المقصود نفي المكافاة عن ذاته تعالي وقد جوز ان يكون خبرا لا صلة ويكون كفوا حالا من احد وليس
بذاك واما تاخير اسم كان فلمراعات الفواصل ووجه الوصل بين هذه الجمل غني عن البيان وقرئ بضم الكاف
والفاء مع تسهيل الهمزة وبضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء هذا ولانطواء السورة الكريمة مع تقارب
قطريها علي اثبات المعارف الالهية والرد علي من الحد فيها ورد في الحديث النبوي انها تعدل ثلث القران
فان مقاصده منحصرة في بيان العقايد والاحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات
روي عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال اسست السموات السبع والارضون السبع علي قل هو الله احد
اي ما خلقت الا لتكون دلايل توحيد الله تعالي ومعرفة صفاته التي نطقت بها هذه السورة وعنه صلي الله
عليه وسلم سمع رجلا يقرا قل هو الله احد فقال وجبت فقيل وما وجبت يا رسول الله قال الجنة

سورة الفلق وهي خمس اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **قل اعوذ برب الفلق** الفلق الصبح كالفرق لانه يفرق عنه الليل من عموده وقيل هو كل ما
يفلقه الله تعالي كالارض عن النبات والجبال علي العيون والسحاب عن الامطار والحب والنوي عما يخرج منهما

وغير ذلك وفي تعليق العياذ باسم الرب المضاف الى الفلق المنبئ عن النور عقيب الظلمة والسعة بعد الضيق والفتوح بعد الرتق عدة كريمة باعاذة العايذ مما يعوذ عنه والجائه وتقوية لرجائه بتذكير بعض نظايره ومزيد ترغيب له في الجد والاعتناء بقرع باب الالتجاء اليه تعالى واما الاشعار بان من قدر ان يزيل ظلمة الليل عن هذا العالم قدر ان يزيل عن العايذ ما يخافه كما قيل فلا اذ لا ريب للعايذ في قدرته تعالى على ذلك حتى يحتاج الى التنبيه عليها **من شر ما خلق** اي من شر ما خلقه في الثقلين وغيرهم كائنا من كان من ذوات الطبايع والاختيار وهو كما ترى شامل لجميع الشرور فمن توهم ان الاستعاذة هاهنا من المضار البدنية وانها تعم الانسان وغيره مما ليس بصدد الاستعاذة ثم جعل عمومها مدار الاضافة الرب عن الفلق فقد نأى عن الحق بمراحل واضافة الشر اليه لاختصاصه بعالم الخلق على امتزاج المواد المتباينة وتفاعل كيفياتها المتضادة المستتبعة للكون والفساد واما عالم الامر فهو خير محض منزه عن شوايب الشر بالمرة وقوله تعالى **ومن شر غاسق** تخصيص لبعض الشرور بالذكر مع اندراجه فيما قبله لزيادة مساس الحاجة الى الاستعاذة منه لكثرة وقوعه وكان تعيين المستعاذ منه ادل على الاعتناء بالاستعاذة وادعى الى الاعاذة اي ومن شر ليل معتكر ظلامه من قوله تعالى الى غسق الليل واصل الغسق الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعا وقيل هو السيلان غسق الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعها واضافة الشر الى الليل لملابسته له بحدوثه فيه وتنكيره لعدم شمول الشر لجميع افراده ولا لكل اجزائه وتقييده بقوله تعالى **اذا وقب** اي دخل ظلامه في كل شيء لان حدوثه فيه اكثر والتحرز منه اضعف واعسر ولذلك قيل الليل اخفى للويل وقيل الغاسق هو القمر اذا امتلأ ووقوبه دخوله في الخسوف واسوداده لما روي عن عايشة رضي الله عنها انها قالت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فاشار الى القمر فقال تعوذي بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب وقيل التعبير عن القمر بالغاسق لان جرمه مظلم وانما يستنير بضوء الشمس ووقوبه المحاق في آخر الشهر والمنجمون يعدونه نحسا ولذلك لا يشتغل السحرة بالسحر المورث للتمريض الا في ذلك الوقت وقيل هو المناسب لسبب النزول وقيل الغاسق الثريا ووقوبها سقوطها لانها اذا سقطت كثرت الامراض والطواعين وقيل هو شر يعتري الانسان ووقوبه هجومه **ومن شر النفاثات في العقد** اي ومن شر النفوس او النساء السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وقيل بدون ريق وقرئ النافثات كما قرئ النفثات بغير الف وتعريفها اما للعهد او للايذان بشمول الشر لجميع افرادهن وتمحضهن فيه وتخصيصه بالذكر لما روي عن ابن عباس وعايشة رضي الله عنهما انه كان غلام من اليهود يخدم النبي صلى الله عليه وسلم وكان عنده اسنان من مشطه صلى الله عليه وسلم فاعطاها اليهود فسحروه صلى الله عليه وسلم فيها وتولاه لبيد بن الاعصم اليهودي وبناته وهن النافثات في العقد فدفنها في بئر اريس فمرض النبي صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام بالمعوذتين واخبره بموضع السحر وبمن سحره وبم سحر فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه والزبير وعمارا فنزحوا ماء البئر فكانه نقاعة الحناء ثم رفعوا راعوفة البئر وهي الصخرة التي توضع في اصل البئر فاخرجوا من تحتها الاسنان ومعها وتر قد عقد فيه احدى عشرة عقدة مغروزة بالابر فجاؤوا بها النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يقرأ المعوذتين عليها فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد النبي صلى الله عليه وسلم خفة حتى انحلت العقدة الاخيرة عند تمام السورتين فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كانما نشط من عقال فقالوا يا رسول الله افلا نقتل الخبيث فقال صلى الله عليه وسلم اما انا فقد عافاني الله عز وجل واكره ان اثير على الناس شرا قالت عايشة رضي الله تعالى عنها ما غضب النبي صلى الله عليه وسلم غضبا ينتقم لنفسه قط الا ان يكون شيئا هو لله تعالى فيغضب لله وينتقم وقيل المراد بالنفث في العقد ابطال عزايم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها **ومن شر حاسد اذا حسد** اي اذا اظهر ما في نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه بترتيب مقدمات الشر ومبادي الاضرار بالمحسود قولا وفعلا والتقييد بذلك لان ضرر الحسد قبل انما يحيق بالحاسد لا غير عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكانما قرأ الكتب التي انزلها الله تعالى

سورة الناس وهي ست آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **قل اعوذ** وقرئ في السورتين بحذف الهمزة وبنقل حركتها الى اللام **برب الناس** اي مالك امورهم ومربيهم بافاضة ما يصلحهم ودفع ما يضرهم قوله تعالى **ملك الناس** عطف بيان جيء به لبيان ان تربيته تعالى اياهم ليست بطريق تربية سائر الملاك لما تحت ايديهم من مماليكهم بل بطريق الملك الكامل والتصرف الكلي والسلطان القاهر وكذا قوله تعالى **اله الناس** فانه لبيان ان ملكه تعالى ليس بمجرد الاستيلاء عليهم والقيام بتدبير امور سياستهم والتولي لترتيب مبادي حفظهم وحمايتهم كما هو قصارى امر الملوك بل بطريق المعبودية المؤسسة على الالوهية المقتضية للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهم احياء واماتة وايجادا واعداما وتخصيص الاضافة بالناس مع انتظام جميع العالمين في سلك ربوبيته تعالى وملكوته والوهيته للارشاد الى منهاج الاستعاذة المرضية عنده تعالى الحقيقة بالاعاذة فان توسل العايذ بربه وانتسابه اليه تعالى بالمربوبية والمملوكية والمعبودية في ضمن جنس هو فرد من افراده من دواعي مزيد الرأفة والرحمة وامره تعالى بذلك من دلايل الوعد الكريم بالاعاذة لا محالة ولان المستعاذ منه شر الشيطان المعروف بعداوتهم ففي التنصيص على انتظامهم في سلك عبوديته تعالى وملكوته رمز الى انجائهم من ملكة الشيطان وتسلطه عليهم حسبما ينطق به قوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فمن جعل مدار تخصيص الاضافة مجرد الاستعاذة من المضار المختصة بالنفوس البشرية فقد قصر في توفية المقام حقه واما جعل المستعاذ منه فيما سبق المضار البدنية فقد عرفت حاله وتكرير المضاف اليه لمزيد الكشف والتقرير والتشريف بالاضافة **من شر الوسواس** هو اسم من الوسوسة وهي الصوت الخفي كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر والمراد به الشيطان سمي بفعله مبالغة كانه نفس الوسوسة **الخناس** الذي عادته ان يخنس اي يتأخر اذا ذكر الانسان ربه **الذي يوسوس في صدور الناس** اذا غفلوا عن ذكره تعالى ومحل الموصول اما الجر على الوصف واما الرفع والنصب على الذم **من الجنة والناس** بيان للذي يوسوس على انه ضربان جني وانسي كما قال عز وجل شياطين الانس والجن او متعلق بيوسوس اي يوسوس في صدورهم من جهة الجن ومن جهة الناس وقد جوز ان يكون بيانا للناس على انه يطلق على الجن ايضا حسب اطلاق النفر والرجال عليهم ولا تعويل عليه واقرب منه ان يراد بالناس الناسي ويجعل سقوط الياء كسقوطها في قوله تعالى يوم يدع الداعي ثم يبين بالجنة والناس فان كل فرد من افراد الفريقين مبتلى بنسيان حق الله تعالى الا من تداركه شوافع عصمته وتناوله واسع رحمته عصمنا الله تعالى عن الغفلة عن ذكره ووفقنا لاداء حقوق شكره

قال العبد الذليل متضرعا الى ربه الجليل اللهم يا ولي العصمة والارشاد وهادي الغواة الى سنن الرشاد يا بارئ البرية مالك الرقاب عليك توكلي واليك متاب انت المغيث لكل حاير ملهوف والمجير من كل هايل مخوف الوذ بجوارك المأمون من غوايل ريب المنون والتجي الى حرزك الحريز واوي الى ركنك العزيز واسألك من خزاين برك المخزون في مكامن سرك المكنون خير ما جرى به قلم التكوين من امور الدنيا والدين واعوذ بك من فنون الفتن والشرور لا سيما الاطمينان بدار الغرور والاغترار بنعيمها وزهرتها والافتتان بزخارفها وزينتها فاعذني بحمايتك واعني بعنايتك وافض علي من شوارق الانوار الربانية وبوارق الآثار السبحانية ما يخلصني من العوايق الظلمانية ويجردني من العلايق الجسمانية وهذب نفسي الابية من دنس الطبايع والاخلاق ونور قلبي القاسي بلوامع الاشراق ليستعد للعثور على سراير الانس ويتهيأ للحضور في حضاير القدس وثبتني على مناهج الحق والهدى وارشدني الى مسالك البر والتقى واجعل اعز ايامي ابتغاء رضاك واشرف ايامي يوم لقاك يوم يقوم الناس لرب العالمين فريقا فريقا واحشرني مع الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا

كتب المؤلف رضي الله تعالى عنه في آخر نسخة الاصل اتفق الفراغ من تسويد هاتيك الاوراق بتوفيق الله عز سلطانه ليلة الجمعة الاولى من شهر الله الحرام رجب الفرد لعام ثلث وسبعين وتسعمائة حامدا لله رب العالمين ومصليا على سيدنا محمد وعلى سائر الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين اجمعين وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين

تم بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه في اوايل شهر ذي الحجة ختام ثماني عشرة والف من الهجرة النبوية على صاحبها افضل صلوة وتحية